10 me Année No. 444

Lundi - 5 - 1 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٤٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ ذو الحجة سنة ١٣٦٠ — الموافق ٥ يناير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الرسالة

فى عامها العاشر

باسم الله تخطو الرسالة إلى عامها العاشر ؛ وبغير اسم الله نورِ السموات والأرض لا يهتدى فى هذا الظلام الحالك سارٍ ولا سائر . والظلام فى هذا الكوكب طبيعة أصيلة ؛ فأناره الله بالشمس والقمر والدين ؛ وأنرناه نحن بالزيت والكهرباء والعلم ، حتى أوشك أن ينجاب الحَلَك الناشئ عن آفاقه وأخلاقه ؛ ولكن سلائل الطين لا تستضىء بصائرهم وسرائرهم بغير الدين ؛ فإذا أطفأوه فى قلوبهم تنفسوا الظلام فإذا الدنيا ضلال وجهل ! وإذا العالم دمار وهُلْك ! وتلك هى الحال التى يكابدها الناس اليوم : ظلام فى بلاد الأرض ، وظلام فى نفوس الناس ، وظلام فى وجوه المستقبل ! فمن يخرج يده لا يكدْ يراها ، ومن يتعلق بسبب من أمله انقطع به ! ومن ينظر فى صفحة الغد عمِّيت عليه ! ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور !

* * *

الظلام ! الظلام ! الظلام ! ذلك هتاف الأمان ودعاء السلامة فى كل أمة من أمم الشرق والغرب اليوم ! فليت شعرى هل

الفهـــــرس

تأله الشر وتحكم الشيطان وصدقت المانوية[1]؟

غشينا ظلام الغرب ولفّنا ليله الأليَل ؛ فكأنما انطفأت في مشرقنا عين الشمس ! وما كان الغرب منذ دحا الله الأرض إلا مبعث ظلمة ؛ وما كان المشرق منذ أوقد الله الشمس إلا مطلع نور . فإذا دجت الآفاق واستسرّت المعالم كان معنى ذلك أن الشرق قد انكفأ فلم يرسل شمسه ولم يبلغ رسالته !

والحق أن منازل الوحي من الطور والجليل وحراء قد أصبحت ترسل أمواج النور الإلهية لغير قابل . كان لها من نفوس الأنبياء أجهزة من صنع الله تقبلها وتنشرها وتهدى بها وتدعو إليها ؛ فلما خُتمت النبوة وانقطع الوحي ورث الخلفاء والعلماء رسالة الله فكانوا كورّاث الملك أو المال ، منهم القاعد المضيع ، ومنهم المجاهد الكاسب . ولو شاء ربك أن يدرك النصرَ أولياؤه ، ويطبّق الأرض دينُه ، لجعل الناس أمة واحدة ؛ ولكن لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم !

لا تزال منازل الوحي ترسل الأمواج السماوية بالهدى ودين الحق ؛ ولكن الله الذي يضل من يشاء ويهدى من يشاء حرم الناس نعمة القبول فاستأسدت فيهم الغرائز ، وأسرفت عليهم المطامع ، وتفرقت بهم المذاهب ، وذاقوا من فساد النظام وطغيان الحكام ما لم يذقه الحيوان الأدنى من القتل والجوع والجور والبؤس والفوضى

وكان الظن بالأزهر الذي قام للدين ، وعاش بالدين ، أن يكون لأمواج الوحي الخالد محطة استقبال وإذاعة ؛ ولكنه انقطع من ركب الحياة تخضع لعوادي الدهر القاهر ، خضوع القلعة المحصورة للمغير القادر !

على أن هذه الحرب العالمية هي كما قلنا القيامة الصغرى ؛ ومن الحتم أن سيكون بعد القيامة الخَلق الجديد والحياة الفضلى . والواقع في الظن أن الأزهر يمهد لهذا الانبعاث ، ويهيئ لهذه الحياة . وما هذه الروح التي دبت في (جماعة كبار العلماء) آخر العام المنصرم إلا نفحاتُ الربيع الأولى يرسلها النيروز لتجرى الماء في الأعواد ، وتوقظ الحياة في البراعم

* * *

لعلك تقول لنفسك : ما بال الرسالة لا تنفك تذكر الأزهر في معرض الإصلاح والنهضة ، وما الأزهر في رأى أكثر الناس إلا متحف آثار ومقبرة أفكار وطلل مذاهب ؟

وقولي فيما تقول أن الشرق لا ينهض إلا بالدين ، وأن الدين لا ينهض إلا بالأزهر . ولست أقصد بالدين هذا الدينَ الذي يعتقده المسلم المعاصر ، ولا بالأزهر هذا الأزهرَ الذي تراه في نظامه الحاضر ؛ إنما الدين الذي أعنيه هو دين القرن الأول ، والأزهر الذي أبغيه هو أزهر القرن الرابع عشر . أريد الدين النقي القوى الذي فتح الممالك ، ومدّن الأمم ، وكرّم الإنسان ، واحترم العقل ، وفرض المعرفة ؛ أما هذا الدين الذي يقول بعبادة الأولياء ، وتمجيد القبور ، وتقديس القديم ، وإيثار التواكل ، ومخادعة الله بالحيل ، ومداواة القادة بالنفاق ، فليس دين الله ؛ إنما هو دين هؤلاء الأوزاع الأتباع الذين ضلّوا وذلّوا فرقتهم الأحداث ، وأكلتهم المطامع ، وأصبحوا نهباً تتقاتل عليه الدول ويعتدل بتقسيمه التوازن

وأريد الأزهر الجديد الذي يضع لثقافة الشعب أساساً من الدين ، يقوى بقوة الله ، ويثبت بثبوت الحق ، ويدوم بدوام الدنيا ؛ ثم يقيم عليه من القواعد والنظم والأوضاع ما يقره العقل ويؤيده العلم ، ويتقبله العصر ، وتقتضيه الحاجة ؛ أما هذا الأزهر الذي يَمضُغ الكلام ، ويجترُّ الماضي ، ويقتات الفُتات ، ويعطل الاجتهاد ، ويعطل العقل ، فهو مسجد من المساجد الأثرية لا أقل ولا أكثر

* * *

أما بعد ، فقد عوّدتك يا قارئي العزيز أن أتحدث إليك في مطلع كل عام عن بلاء الرسالة في الجهاد وعملها في المستقبل ؛ وإنك لتعلم أن هذا الظلام الشامل الكثيف الذي ضرب على أبواب الغد حجباً فوق حجب ، يجعل مثل هذا الحديث أقرب إلى لغو الكلام وعبث الأماني . فاسأل الله أن يتولانا في هذه الزلزلة العامة برحمته وفضله !

احمد حسن الزيات

---

(١) المانوية مذهب ماني ، وهو رجل ولد في فارس حوالي سنة ٢٧٤ م ، وكان يقول بأن العالم تتولاه قوتان متضادتان : قوة من طبيعتها الخير وهي الله أو الروح أو النور ، وقوة من طبيعتها الشر ، وهي الشيطان أو المادة أو الظلام ، وقال المتنبي :

وكم لظلام الليل عندى من يد تخبر أن المانوية تكذب

أحلام العام الجديد

للدكتور زكى مبارك

التفت أخونا الأستاذ الزيات فرأى العام الجديد لا يخيفه إلا من ناحية « استحكام أزمة الورق ومواد الطباعة وارتفاع أثمانها إلى عشرة أضعاف » ، فتوكل على الله وقرر أن « الرسالة ستستمر على نظام العام السابق من التخفيض والتقسيط والإهداء مع المشتركين القدماء ؛ أما المشتركون الجدُد فيؤدون الاشتراك كاملاً ، مقسّطاً أو غير مقسّط » . وبهذا ظهر « امتياز » الصديق القديم على الصديق الجديد !

والتفتُ فرأيت العام الجديد يخيفنى من ناحية غير تلك الناحية ، فأنا لا أشكو غلاء الورق ولا ارتفاع موادّ الطباعة ، بعد أن أرجأت النظر فى طبع مؤلفاتى الجديدة إلى أن تنتهى الحرب ؛ وإنما أشكو غلاء العواطف وارتفاع أثمان الصدق إلى ألف ضعف لا عشرة أضعاف

وما ظنكم بزمان لا يبرع شعراؤه فى غير الحديث عن « الرغيف » ، كالذى ترون من يوم إلى يوم فى بعض الجرائد والمجلات ؟

ما ظنُّكم بزمان يعدّ فيه الحديث عن أحلام القلوب ضرباً من الفُضول ؟

إن هذه المحنة العاتية هى الفرصة لاختبار ما عند أدبائنا من عناصر الثروة المعنوية ، فبها نعرف ما عندهم من أرزاق الروح والذوق والوجدان

أيكون الكلام عن « الرغيف » تودداً إلى أهل البطون ، وهم ألوف أو ملايين ؟

إن كان ذلك فأين الأريستوقراطية الأدبية وهى تسمو على الحاجيات اليومية ؟

أيكون الكلام عن الرغيف فرصة من فرص القول يهتبلها من لا يصل إلى بعض الجرائد والمجلات إلا بعناء ؟

إن كان ذلك فأين تصوّن الأديب عن الكلام المبذول ؟

سمعت — بل علمت — أن مدرساً فى « قنا » أرسل إلى جلالة الملك برقية يشكو فيها انعدام الرغيف ، فماذا وقع من الخطر حتى يجوز مثل هذا الصراخ ؟ وماذا نصنع لو أصبحت بلادنا وهى ميدان حرب ، وقد تصير كذلك إذا طال استمراء المتحاربين لما اندفعوا إليه من استطابة الجنون ؟

وإذا استجاز « المدرس » أن ينظم القصائد الطوال فى الشوق إلى الرغيف وهو مدرس يقتات بالعواطف والأحاسيس ، فماذا يصنع « الفلاح » أو « الصانع » وهما شخصيتان تعتمدان فى القوت على الرغيف ؟

لعل الأيام أرادت أن تعلمنى ما كنت أجهل ، فقد طال منى التجنى على الصوفية (وكانوا يدعون إلى التحرر من ربقة الرغيف) فهل كان للرغيف مثل هذه الآفة فى العصور الخوالى ؟

ولعل الأيام أرادت أن تقنعنى بأنى صرت من الحكماء من حيث لا أعرف ، فقد هجرت الخبز منذ أعوام طوال ، واكتفيت بما تيسر من الخضروات ، بغض النظر عن اللحم الذى [illegible] باسم النقد الأدبى ، وهو لحم غاب اسمه عن « دولة الحاكم العسكرى » فلم يفرض على من يتناشه أى عقاب ! ! !

ما تهمنى أزمة الرغيف ، وإنما تهمنى أزمة القلب

ولو كان فى وزراء مصر لهذا العهد من عانى أزمات القلوب لعرف كيف يحارب أزمة الرغيف ، لأن القلب هو الأساس فى فهم أخطار الوجود

الظبية تجتزئ بالعشب فتستغنى عن الماء ، ومن أجل هذا سُمّيتْ جازية ، و « جازية » اسم من أسماء الملاح فى هذه البلاد وإن لم يعرف الجمهور ما فيه من معنًى ملفوف

فإذا فقدت الظبية العشب ، فكيف تعيش وبه غنيتْ عن الماء ؟

لن أنسى أبداً سخرية « فاجيه » من « أفلاطون » ، وفاجيه كان أكبر من اهتممت بآثاره الأدبية والفلسفية من بين أقطاب الأدب الفرنسى ، وعن سيرته تعلمت أشياء هى المادى والدليل فى حياتى الأدبية ، فأنا أسجل كل ما يعتلج فى صدرى قبل أن يضيع ، ثم أقدمه للجرائد والمجلات حين أشاء ، بلا تقيد بالمكان والزمان !

وفى هذه المرة أكون أعظم من أستاذى فاجيه ، فقد سخر من تسامى الفلاسفة إلى ولاية الحكم وهو ينتقد أفلاطون . أما أنا فأرى أن الفلاسفة هم أقدر الناس على إقامة الموازين بالقسطاس

نحن ، رجال القلم ، أعرف خلق الله بما يشتجر فى الصدور من آلام وآمال

كانت الحكومة إلى رجال يعيشون فى حصون تقفل أبوابها بالنهار وبالليل : فلا يعرفون ما يعانى الشعب من ظلمات الحوادث والخطوب ...

ولم نكن كأولئك ، فنحن قوم نعيش للشعب وفى صحبة الشعب ، ولنا فيه أعمام وأخوال ، ولن نتجنى عليه بأى حال

ونحن مع هذا معرَّضون لدسائس سود ، ومن الواجب أن نبدِّد تلك الدسائس ، بلا تسويف ، تمهيداً للوزارة التى سنؤلفها فى العام الجديد .

قيل إن الزيات متأنق فى الأسلوب ، فهو يزاوج بين لفظ ولفظ بغير عناء ؛ وأقول إن هذه النزعة تنفع فى المزاوجة بين الطبقات والأحزاب ، حين يمسى الزيات وهو رئيس الوزراء

وقيل إن العقاد مولع بوصل ما بين الشرق والغرب فى الآفاق الفكرية ، وأقول إنه أصلح الأدباء لتولى وزارة الخارجية .

وقيل إن أحمد أمين لا يجيد الكلام فى غير البحث المطروق ، وأقول إنه أصلح الناس لوزارة المواصلات ، فلن نجدد فيها إلا بعد انتهاء الحرب .

وقيل إن المازنى أول أديب حجّ بيت الله فى غير موسم الحج ، فهو إذن أصلح الأدباء لأن يكون سفير مصر فى الحجاز ، وإن قال فى سلامة « زكى باشا » ما قال .

وقيل إن توفيق الحكيم يقدس « السيدة زينب » فهو إذن وزير الأوقاف .

وقيل إن طه حسين لم يُجِد فى « هامش السيرة » غير الحديث عن « الراهب » فهو إذن وزيرنا فى بلد النجاشى .

وقيل إن محمود تيمور لا يحسن القول إلا فى وصف الطبقات الشعبية ، فهو إذن وزير الشؤون الاجتماعية .

ولا موجب للحديث عن الأدباء القَدَرَة من أمثال : عبد القوى أحمد ومحمد هيكل ومصطفى عبد الرازق ؛ فقد تولوا الوزارة قبل أن يستأذنوا إخوانهم من رجال القلم البليغ !

بقى مكانى فى الوزارة المنشودة ، فما عسى أن يكون ؟

هل أختار وزارة المعارف ؟

وكيف وهى وزارة متعبة ، وما تولاها رجل إلا عرف خطر المشى على الشوك ؟

صار من تقاليد وزارة المعارف أن يهدم الخلَف ما بنى السلف ، وأنا أكره التقلبات الكثيرة ، وأبغض الضجيج المفتعَل ، والصياح المصنوع .

يضاف إلى ذلك أنى نشرت مقالات تفوق العدّ والإحصاء فى شؤون التربية والتعليم ، ومن الجائز أن يطالبنى الجمهور بتحقيق ما اقترحت فى تلك المقالات ، وهنالك الخطر كل الخطر ، إلا أن أروض نفسى منذ اليوم على التنصل من تلك المقترحات !

هل أختار وزارة الداخلية ؟

هذا هو المركز اللائق برجل يغضب للشعب ، ويثور على الاحتكار والمحتكرين .

إن توليت وزارة الداخلية ـ وهذا أمرٌ قريب ـ فسأفرض على رجال الحكومة فى مختلف الأقاليم أن يعرفوا جميع البيوت وجميع الناس ، ليدلوا الدولة على المستور من الثروات والنيات ، وسأجعل من سلطة الشرطة جيشاً يمزق الشراذم الباغية على الأمن والنظام ، وهل يهدِّد الأمن والنظام بمثل الإصرار البغيض على احتكار الأقوات ؟

لن أنتظر حتى ينتفع الناس بوعظ الواعظين ، وإرشاد المرشدين ، فقد ظهر أن فى الدنيا قلوباً لا يقوِّمها وعظٌ ولا إرشاد .

لن أنتظر غير حكم العدل ، والعدل يوجب أن يعرف وزير الداخلية حقيقة الثروة المدفونة فى زوايا البيوت ، بيوت الأغنياء والفقراء ، فأنا أخشى أن تكون هذه الأيام قضت بأن يكون فى الفقر تزوير وافتعال « ولم يكن المصريون كذلك فى الأيام الخالية ، فقد كانوا يسترون الفقر عن الأقربين قبل الأبعدين »

إن توليت وزارة الداخلية ـ ويجب أن أتولاها ـ فسأحرم المعدم نعمة الثرثرة فوق المصاطب ، وسأحولهم إلى جنود نافعين ، فأولئك أقوام يعلمون من أمور بلادهم كل شىء ، ولكنهم يكتمون ما يعلمون ، فإن طووا عنى ما يجب أن أعرف فسأقضى فيهم بالعدل ، وهم يفهمون جيداً خطر العدل .

أليس من العار أن يصبح التموين مشكلة من المشكلات فى مثل هذه البلاد ؟

وكيف تكون الحال لو شاءت المقادير أن نطالب بتموين مئات الألوف من الجنود يوم يدعو الداعى إلى الجهاد ؟

اللعب فى أمثال هذه الأيام لا يليق ، ومن اللعب القبيح أن يكنز ناس ما يملكون من أصول الأقوات لينتفعوا بالربح الحرام على حساب الشعب المهدد بالجوع .

وأنا مع هذا أعرف ما تصير إليه سمعتى يوم أتولى وزارة

الداخلية ، فسيقول السفهاء من الناس إنى خليفة الحجاج ، وسيتخذون من شراستى دليلاً على أن المواهب الأدبية تنطوى على جحيم من الطغيان المكبوت .

وما خوفى من القال والقيل وأنا فى غنًى عن رضا الناس ، ولن أتقدم يوماً لخوض معركة انتخابية ؟

إن رجال الأقلام هم أصلح الرجال لسياسة الدولة فى السنين العِجاف . وهل يشقى أحدٌ فى سبيل الأمة كما نشقى ؟ وهل يعرف أحدٌ من متاعب الأمة بعض ما نعرف ؟

الوزراء فى الأمم الدستورية لا يقدرون على الحزم إلا فى أندر الأحيان، لأنهم مقيدون بعواطف الناخبين ، وفى الناخبين خلائق لا تعطى أصواتها إلا لغاية معلومة ، هى السكوت عن آثامها الثقال

ولن أكون وزيراً برلمانيًّا يحسب لعواطف الناخبين ألف حساب قبل أن يُقدِم على إعزاز شريعة العدل

سأكون بإذن الله وزيراً يُختار لغرض واضح صريح : هو القضاء على البغى والفساد ، وزجر من يحرمون الشعب من الأقوات

وقد فكرت فى مصير البرلمان الحاضر ، وهو برلمان طال حوله الخلاف ، ثم صح الرأى على السكوت عن هذه المعضلة الدستورية إلى حين ، فما يتسع وقتى للنظر فى شئون تضر أكثر مما تنفع . وهل يحتاج الأمة إلى برلمان إلا حين يعوزها الحاكم الرشيد ؟ — « إنما أسأل أمام ضميرى لا أمام البرلمان »

سأفاضل بين الأحزاب على أساس غير الأساس المعروف ، فلن تكون هناك أغلبية وأقلية ، وإنما يكون التفاضل بقدرة هذا الحزب أو ذاك على توفير أسباب الرخاء

لن يقول النحاس باشا : « أنا أول من أنذر بأزمة التموين » فسأسوقه سوقاً إلى الطواف بالبلاد لدعوة أنصاره إلى الإفراج عن القوت المحبوس

ولن يقول الدكتور ماهر باشا : « أنا أول من تأهب للحرب » ؛ فسأجره جراً إلى ميدان جديد هو حرب الغلاء !

سأغيِّر من أخلاق الناس ، إن دُعيت إلى ولاية الحكم فى هذه الأيام ، وليس ذلك بالأمر البعيد ، فقد جُرِّبتْ جميع القُوى السياسية ، ولم يبق إلا تجربة القوة الأدبية ، وهى أقوى من الزمان

أما بعد فهذا حُلمٌ من أحلام العام الجديد ، ولكل عام أحلام هو لفتة روحية ستؤتى ثمارها بعد حين ، فمن الشر الوبق أن يحال بين رجال القلم وما يشتهون من إقرار العدل ، وما كانوا فى الحاضر والماضى إلا موازين

دعوناكم ألف مرة إلى الاعتراف بالسلطة الأدبية فلم تسمعوا ؟ ونهيناكم ألف مرة عن تناسى السلطة الأدبية فلم تنتهوا . فهل جازينا كم صداً بصد ، وإغضاء بإغضاء ؟

لا ، والله ، وإنما مضينا على السجية الكريمة ، فأوقدنا فى صدر الأمة جذوة الشوق إلى التماسك والتساند والتآخى ، فما كان فى الأمة من خير فهو من صُنع أقلامنا ، وما كان فى الأمة من شر فهو من جناية الراغبين فى السيطرة والاستعلاء

لن تصلُح الأمور إلا يوم تصبح المقاليد بأيدى رجال القلم البليغ

ومن قال بغير ذلك فهو بقية من بقايا الطغيان البغيض

أتريدون الدليل ؟

نحن نبخل بالحكم لقطعة شعرية أو نثرية حين نراها بعيدة عن الجهد المستطاب ، مع أن الحكم لقطعة شعرية أو نثرية لا يقدم ولا يؤخر فى سياسة البلاد

وأنتم تضفون الألقاب السنية على من تحبون بغير حساب ، وقد تُسندون بعض المناصب إلى من لا تُزكّيه غير رضا كم عن أسلوبه فى حفلات الاستقبال

الأدباء هم أقدر الرجال فى مصر على عصيان الأهواء

ألا ترون كيف نحارب منافعنا فى سبيل النزاهة الأدبية ؟

نحن نصاول الأحزاب والهيئات فى كل يوم لنرفع قدر الفكر والرأى ، ونرحب بجميع المتاعب فى سبيل تلك الغاية العالية ، فأين من يصنع بعض الذى نصنع ؟ وأين الذى يعانى فى سبيل المبادئ السامية بعض ما نعانى ؟

لو سخرنا أقلامنا فى سبيل الغايات الوقتية لسددنا الطريق فى وجوه الكثير من طلاب النفع الموقوت ، وهم أعمدة المجتمع فيما يتوهمون

إلى أقلامنا يرجع الرأى فى سياسة هذه البلاد ، وإن بعُدنا صورياً عن المناصب الوزارية والبرلمانية ... لكل وطن روح ، وروح هذا الوطن هو رسالة القلم البليغ

زكى مبارك

ظاهرات نفسية

٢ – في مسرحيات محمود تيمور

للأســتاذ زكي طليمات

مفتش شئون التمثيل

سبق أن قررت فى مقالى السابق (1) عن مسرحيات تيمور أن القيمة الأدبية الحقة للعمل الأدبى ، مسرحية كان أو قصة ، رهينة بما يسجله من الحقائق الإنسانية الخالدة التى تسمو على مشكلات الاجتماع ، ومسائل الإصلاح الموقوت ، وأزياء الأساليب البيانية ، وتتجاوزها إلى ما هو أعرق فى الإصالة وأجدر بالمعالجة ، ألا وهو النفس البشرية بكامل كيانها ، فيكون همّ الكاتب قبل كل شىء ، تسجيل سماتها والكشف عن مظاهرها ومضمراتها . ومن أجل هذا جعلت نقدى للمسرحية الأولى من مسرحيات تيمور ، ألا وهى (الصعلوك) ، معنى بهذه الناحية ومجاوزت قصداً عما سواها ؛ وسيكون هذا دأبى فى نقد المسرحيتين الأخريين ، وهما (أبو شوشة) و (الموكب) وعلى أساس أن كياننا النفسى الكامل يتألف من العقل الظاهر (الوعى) ومن العقل الباطن (اللاوعى) ، وإننا فى تصرفاتنا خاضعون إلى التيارات الخفية التى تنطلق من معقل الوعى الباطن فتدفعنا إلى إتيان بادرات ، لا يستطيع عقلنا الظاهر تفسيرها (2)

النقد تنبيه وتبيين وتسجيل

إن مهمة الناقد وقد أخذ بها أسلافناه شاقة عسيرة ، ولكنها مجدية للقارئ قبل كل شىء ، إذ أنها تقدم له فى بيان واضح وسرد مستفيض غير مقيد بأوضاع وقيم فنية مرسومة ، تقدم إليه سمات هذه الشخصيات التى نلحظها فى تعقيدها النفسى مضطربة مقنعة ، بعد أن يكون الناقد قد استخرجها من بين السطور ، وقيد أوابدها ، وتصيد شواردها ، وحلل نزعاتها ، وأسقط أقنعتها

ورب معترض يقول : وما هذا اللون من الأدب أو المسرحية الذى يحتاج إلى تفسير وتعليق وتذييل يجلو الغموض ويبدد الأبهام ؟ ولم كل هذا التعليق من جانب الناقد ! ؟

وجوابنا : أن لا غموض ولا إبهام تلحظه العين فى عمل أدبى حق ، لو أن كل قارئ كان سامياً فى ثقافته إلى المستوى الذهنى الذى أصدر عنه الكاتب أو الشاعر عمله الأدبى الرفيع ، وصدق القائل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفتــه من الفهم السقيم

وإن النقد كما أنه تنبيه منزه عن السقوط إلى ما يتضمنه العمل الأدبى من مفاتن ومقابح ، فهو تفسير وإيضاح لما يسجله المؤلف مجملاً أو مركزاً ، وقد تقيد بقيود الوضع الشكلى الذى تفرضه صياغة القصيد أو القصة أو المسرحية ، وأخذ بأسباب شرائط فنية قد توجب الإغراب قصداً ، وقد تحتم التلويح بدلاً من التصريح فى مواقف ، والعكس بالعكس فى مواقف أخرى ، وقد تقضى بالإيجاز الذى يضنى القارئ فى ناحية ، لتنهكه مرة أخرى فى تنقل وثبى جرئ ، تدفعه من فكرة إلى فكرة ، ومن خيال إلى خيال ، من غير تمهيد يستطيع كل قارئ معه أن يجد الرابطة بين كل هذا

وهناك شىء آخر جدير بالاعتبار يتصل بالمؤلف نفسه مباشرة ، وذلك أن النقد إذا صح أنه إيضاح وتبيين فوق تنبيه ، ييسر لكل قارئ استبطان دخائل العمل الأدبى الذى يقرؤه ، ويبصره بمواطن الفتنة والسمو والقبح والإسفاف فيه ، فهو أيضاً تسجيل وتحليل لطرائق المؤلف واتجاهاته فى الأسلوب والصياغة والفكر ؛ وهو أيضاً تقدير لمبلغ توفيقه فى كل هذا ، لأن المؤلف الموهوب قد يصدر كثيراً فيما يكتب عن وحى الساعة وقد تلبسه حال من اللاوعى ، فهو لا يخضع كل سانحاته وطوارقه الذهنية إلى مقاييس الفن ومعايير البيان . إنه يرتجل أحياناً وهو يدرى ولا يدرى بعد أن تهيأت نفسه للخلق والابداع ، وفى تسجيل هذا من جانب الناقد تبصير جديد للقارئ وإقرار صحيح لمنازل الكتاب من حيث القيم الأدبية الفنية

وفيما نحن بصدده فى مسرحيات تيمور – وقد نحا فى التأليف والتحليل النفسى نحواً يقضى بتسجيل النتائج والأعمال التى يأتيها أبطال مسرحياته من غير أن يعنى بتبيين البواعث والدوافع ، وذلك باعتبار أنها أعمال تبدر من العقل الباطن ولا يستطيع العقل الظاهر تعليلها وتفسيرها – لا مناص من أن تكون مهمتنا الأولى إيضاح هذه البواعث التى أدت إلى النتائج ، ولا يخفى أن

(1) عدد « الرسالة » رقم ٤٤٠ المؤرخ فى ٨ ديسمبر

(2) عدد « الرسالة » رقم ٤٣٩ المؤرخ فى أول ديسمبر

أعمال الناس تفسر بالبواعث والدوافع قبل أن تفسر بالنتائج والغايات .

والآن فلنتقدم إلى مسرحية (أبي شوشة)

أبو شوشة

اسم لعجل مدلل ، يرعاه (مؤنس بك) في ضيعته (كفر البلابل) ، ومن العجيب أن يكون عنواناً لمسرحية اسم عجل يخور ولا يفد لسانه بحوار في المسرحية ولا ترى له وجهاً على المسرح ، ولكن من يدقق قراءة هذه المسرحية لا يلبث أن يصل إلى ما توخاه المؤلف من هذا العنوان ، بعد أن يتضح له أن (أبا شوشة) ليس إلا رمزاً للحاضر الجاثم بكيانه القادر بظروفه وشواغله . (والحاضر) في هذه المسرحية عنصر هام وخطير

ترك مؤنس بك ماضيه في القاهرة منذ ست سنوات وهاجر إلى الريف وتزوج من حرائر أعيانه . له من زوجته رفيق مؤنس ، وله من توفره على الزراعة ومنتجاتها شغل وعزاء . نراه أول ما نراه في المسرحية ، محنقاً مكروباً ، لأن العجل (أبا شوشه) متوعك المزاج يعاف أكل العليق وعينه محمرة دامعة ! ! القصر الريفي في حيرة واضطراب ، الخدم يرقبون شفاء العجل العزيز الغالي لتعاود غبطة المزاج السيد المكروب الذي أرصد للعجل السيد خادماً يسهر على راحته

فجأة يهبط القصر نفر من الزوار من أعيان الريف ، بينهم حسنية هانم وزوجها (ظاظا بك) — وهما من سكان القاهرة — جاءا الضيعة لزيارتها بعد أن ذاع صيت نظامها ووفرة غلتها في دوائر القاهرة . فنرى مؤنس بك يضطرب ويرتبك لمرأى (حسنية) وكأنه فوجئ بمجيئها ، ولكنه يتغلب على ارتباكه ويرحب بالزائرين

وإذ يخلو لمؤنس وحسنية المكان بعد تمهيد دق المؤلف في إتيان مواقفه من غير تكلف ، نراهما منجذبين الواحد نحو الآخر ، متقابلين فماً لفم ، وسرعان ما ينجلي للقارئ أسباب ارتباك مؤنس واضطرابه . . . لقد كان مؤنس وحسنية متحابين ، متعاقدين على الزواج قبل أن يهجر مؤنس القاهرة ويقيم بيته وأعماله في الريف . ولكن حدث إذ ذاك أن توفى والده وطالعته تركة موروثة مرهقة بالدين تتدحرج نحو الإفلاس والبوار ؛ فأسقط في يده ، وخابت أمانيه في الزواج ، لأن كبرياءه حجزته عن أن يتزوج من حسنية الناعمة المثرية . فترك القاهرة بغتة واستقر في الريف يوم للنهار من تركته بعد أن قطع كل روابط ربطه بالقاهرة وساكنيها . وكان أن تزوجت حسنية من ظاظا بك

هذا المشهد هو دعامة المسرحية وبيت القصيد فيها . . .

ها هما الإثنان يبعثان الماضي وذكرياته ، وها هو مؤنس يشد على يد حسنية في انقياد ، مهيباً بها أن تنسى الحاضر وأن ترجع بعين الخيال إلى مراتع حبهما ، فتزداد التصاقاً به ، وتدنى فمها من فمه ، مغمغمة اسمه المحبوب ، القبلة تكاد تتم فصولاً ، الحب الهامد ينسرح من جديد و . . . .

ولكن يحدث في هذه اللحظة أن يرتفع خوار العجل أبي شوشة ؛ فإذا بمؤنس يجمد في مكانه ، وإذا بالقبلة لا تتم ، وإذا به يترك حسنية واجمة متعجبة ، ويطل من النافذة منادياً متسائلاً عن صحة العجل العزيز الغالي ! !

بادرة عجيبة ولا شك من جانب مؤنس تناقض الواقع الذي كان يعيش فيه منذ لحظة بهيام لسانه وكمال وعيه !

ويستدرك مؤنس ما أتاه من غير وعي بهذه البادرة النابية فيعاود الحديث عن الماضي ويستعين عليه في هذه المرة بمطالعة بعض صور فتوغرافية قديمة تمثله مع حسنية في مواقف عديدة .

ويبدو للقارئ أن مؤنس يحاول لاهثاً أن يستمد من هذه الصور إنقاذاً لهيلته ويقظة لحسه . وتقع يد حسنية بين هذه الصور على رسم للعجل أبي شوشة فتتبرم ؛ ثم لا تلبث أن تزداد عجباً على عجب ، إذ ترى مؤنس يأخذ بأسباب سرد مشرق عن ولادة العجل وحياته الأولى

وهكذا يبدو مؤنس متطوحاً بين (الماضي) الذي يشده بعيني حسنية ، وبين (الحاضر) الذي يجتذبه بخوار أبي شوشة

ولا تجد حسنية موضوعاً للحديث غير الكلام عن الطقس .

ويفطن مؤنس إلى ذلك فيعتصر حسه من جديد ويأخذ في إطراء مفاتن حسنية ، فينشط حس المرأة أمام هذا الإطراء فلا تتوانى عن أن تعرض عليه أن يحضر الحفلة التي ستقيمها في القاهرة بمناسبة عيد ميلادها ، ولا تتحرج من أن تناشده معاودة حياته الأولى في ظل حبها

مؤنس ينقاد إلى حديثها في شبه حلم لذيذ وقد غمره الماضي ، فلا نلبث أن نسمعه متبرماً بحاضره . وها هو أخيراً يقرر في نبر صوتي متقد أنه سيعود إلى القاهرة ، وأنه سيحضر حفلة عيد ميلادها . . . وأن الإنسان في وسعه أن يحقق ما يريد إذا صح عزمه على ذلك

وإذ هما يحتضنان ، يرن صوت الخادم وقد أقبل نحوهما . . . الخادم يدخل فرحاً معلناً أن « أبا شوشه » أكل عليقه ، وأن الصحة عاودته . . .

يا لسخرية الحاضر من الماضى ! !

نرى مؤنس ينتفض فجأة وكأنه خرج من حلم بعيد وينطلق نحو الباب والفرحة ترقص أمامه ، ويدعو حسنية إلى أن ترافقه إلى مذود العجل ؛ ولكنها ترفض فيتركها وقد نسى القاهرة وحفلة العيد ! !

هذا المشهد هو الرواية كلها ، وقد وفق تيمور فى التمهيد لانطلاق الإيحاءات الباطنة التى كانت تطرق مؤنس وتجعله وهو لا يدرى ينقض ما يبرمه وهو يدرى . ووفق تيمور فى هذا بطريق إيرادها جسات نفسية خاطفة كانت تلوح للأمر المزمع ، والغاية المقصودة .

ويجرى بعد هذا المشهد الحافل مشاهد إضافية ، نرى (حسنية) فى أحدها تمان لمن جاءوا الضيعة معها أن (مؤنس) سيحضر حفلة عيد ميلادها بالقاهرة ؛ ولكن سرعان ما يحضر مؤنس وقد امتلأت نفسه نشاطاً وفاضت غبطة ليعلن الحضور بدوره أنه سيشترك فى المعرض الإقليمى بمنتجاته الزراعية ، وكان قبل ذلك متردداً فى هذا الاشتراك . تمتعض (حسنية) وتقطع الحديث وهى تقترح العودة إلى القاهرة ، لأن لديها ما يشغلها لإعداد حفلة عيد ميلادها . وإذ ذاك يتذكر (مؤنس) أمر هذه الحفلة ، ويبدى حيرته كيف يوفق بين الاشتراك فى المعرض وحضور حفلة القاهرة . . . ولكن (حسنية) تتدخل فى الأمر تدخلاً عابراً من باب جبر الخاطر — وأغلب الظن أنها بدورها أحست فتوراً من الرجوع إلى شىء مضى وفات — ويعتذر مؤنس عن حضورة الحفلة وكأنه أنقذ من ورطة قادمة !

وتنتهى المسرحية بأن ترحل (حسنية) إلى القاهرة لتعيش هناك فى (حاضرها) ، ويبقى (مؤنس) فى قصره الريفى ليعيش بدوره فى (حاضره) .

كل هذا يجرى ولم نر المؤلف يجعل بطلى المسرحية (مؤنس وحسنية) يحاولان تحليل تلك الإيحاءات الباطنة وتفسيرها بطريق المنطق ، بل جعلها تعرض نفسها خطفاً ، وبهذا خالف النهج الذى نهجه فى مسرحيته الأولى (الصعلوك) وحسناً فعل .

***

والآن نتساءل ما الذى يلبس هذا الرجل (مؤنس بك) الفينة بعد الفينة ، والموقف واحد لم يتبدل زمانه ومكانه ، فنراه يتخبط وينقض فملاً ما أبرمه كلاما ويتأرجح بين قوتين عنيفتين تشده كل منهما من ذراع لتجتذبه إحداهما فى النهاية ؟ ؟

ألا يرى القارئ معى أن هذا الرجل يحاول عبثاً إرجاع الماضى وبعثه بعذكيات الذكرى وبحطام نفسه ويشخص المرأة التى كانت له شريكة فيه ؟ ؟ وأن الحاضر يأبى عليه ذلك ويسير على شرعته الأزلية من أن ما فات مات ، وأن لا رجعة لما أغرقه الزمن فى لجته ؟ ؟

نعم هو هـذا . وأن الذى كان يلبس الرجل ويدفعه بقوة خفية إلى التناقض إنما هو سيطرة الحاضر الذى أقام لنفسه فى الواعية الباطنة سلطاناً يدفع به وثبة الماضى إذا قدر له أن يستفيق من همدته وتهيأ للانسراح بعد انكماشه ، والماضى بدوره له فى الواعية الباطنة منازل ينطوى فيها على نفسه ولكنه يقنع من السلطان بأن يكون ممين الصراع بين المادة والحافظة ، وأن يكون الشرفة التى نطل منها على المستقبل .

لا سبيل إلى احياء الماضى ، تلك هى المسألة التى أثارها تيمور فى مسرحيته — الماضى لا يعود — ومرد هذا أن النظرة إلى الأشياء تتغير بتغير الميول ، والميول تبدل أثوابها بمرور الزمن ، الزمن الذى يبلى كل شىء ويسير دائماً إلى الأمام دون أن ينظر إلى الوراء ، الزمن الذى يستبد فينا بحاضره ، ويدفعنا بشواغله والتزاماته إلى أن نحيا فيه . فكأن النظرة إلى الأشياء مقضى عليها بالتغير ، ومتى تغيرت النظرة تغيرت معها معالم الدنيا من إنسان وجماد .

لقد نال الزمن من (مؤنس) وهو لا يدرى ، كما نال من نفس (حسنية) وهى لا تشعر ، ولم يكن حظها فى هذا أرفق من حظ مؤنس ، وآية ذلك أنها حينما أجابت نداء (الماضى) عن لقائها حبيب القلب الثائر وانساقت مع دفعاته الفاترة المتقطعة ، لم تستطع أن تدفع سلطان (الحاضر) بل كانت فى محاولتها إحياء الماضى ، كما كان (مؤنس) ، متعثرة على الرغم منها .

ولو أن تيمور أجرى موضوعه على الرجل دون المرأة لأوقع بالمسرحية ثلمة تنفذ إليها منه بالمؤاخذة ، ولكنه فطن إلى ما لا يفطن إليه عادة غير المرتاض بصياغة القصة المتمرس بعرض موضوعه عرضاً صادقاً كاملاً .

ورب معترض يقول : إن الدافع الحقيقي الذي حجز (مؤنس) عن معاودة حياته العاطفية مع (حسنية) هي أعماله بالريف وشواغله الملحة فيه . وهذا حق من ناحية أن هذه الأعمال وتلك المشاغل إنما هي من عناصر (الحاضر) ، والحاضر ، كما قررنا ، يفرض سلطانه علينا . بيد أن هذا ليس كل شيء ، لأن الظروف المحيطة بمؤنس وحسنية — كما رسمها المؤلف — كانت ظروفاً مواتية تسمح لهما باستئناف علاقتهما دون أن يخل ذلك بشواغلهما ، ولكن بشرط . . . وهذا الشرط أن يكون لاعج العاطفة المتأجج في قلبيهما متقداً قوياً كما هو المشاهد المألوف لدى الأكثرين ، لأن الإنسان يحيا بغرائزه وعواطفه أكثر مما يحيا بعقله ومنطقه ، وفي تلك الفترات التي يكون فيها الإنسان لحياة العاطفة لا يبالي بأي قيد من القيود . ولكن العاطفة القوية أو الحب المتقد لم يكن يعمر قلبي مؤنس وحسنية عند لقائهما الأخير . لقد كان الأمر غير ذلك فيما مضى ، ولكن الزمن أطفأ اللاعج المتقد وأوهن القوى النابض ، ولم يبق في قلب كل منهما من ذلك الغرام غير هيكل من عظام نخرة ترتدي مسوح (فينوس) تكفي أن تهزها اليد لتنهار .

زكي طليمات

التبعـــة والعقوبة

في المجتمع البشري القديم

للأستاذ رفعة الحنبلي

ساد المجتمع ، خلال العصور القديمة ، نوع من النظم الاجتماعية ، وضرب من المبادئ الفطرية ، أخذ بها طوال المدة التي جنح فيها إلى التفكير الهزيل ، والمعرفة الضئيلة ، والعلم الضئيل مما كان له أثره فيه . فاتسم بطابع خاص يتميز به عن بقية المجتمعات الإنسانية الأخرى ، ولم يقتصر على الثقافة فحسب بل تناول التقاليد والعادات أيضاً

وفي الواقع أنه إذا تقصى المرء أحوال المجتمع البشري القديم في الأزمنة الغابرة ، ودرس نظامه الاجتماعية ، وتفهم نفسية أفراده وأخلاقهم ، والتمس ميولهم ورغائبهم ، وتبين عاداتهم وتقاليدهم ، واتصل بهذه النظم على ضوء الدرس المنظم وعن طريق التتبع والاستقراء ، تكشفت له عن حياة اجتماعية متأخرة ، وبيئة ضيقة ، وعقلية محدودة وتفكير سقيم تتباين مع الحياة الاجتماعية الأخرى في المجتمعات الثانية وبيئتها وتفكيرها وعقليتها ، هذه الحياة الاجتماعية توقفنا على درجة من درجات رقي المجتمع وحضارته وتكشف لنا عن سمة من سمات الطبع والنفس ، ومظهر من مظاهر الروابط الاجتماعية والقيم الخلقية

على أن هذه الحياة لا يزال يشوبها كثير من اللبس والغموض ، ولا تزال تكتنفها ظلمة كثيفة في كثير من أنحائها وإن أخذ بعض علماء الاجتماع — يدفعهم في ذلك حب البحث والاستقراء والحاجة الملحة إلى المعرفة — يبددون ما أحاط بها من ظلمة ، وما اكتنفها من شوائب

ومن النواحي التي درسها علماء الاجتماع ناحية جنينة خطيرة لها أثرها المباشر في الحياة الاجتماعية وفي مقومات المجتمع البشري أيضاً : هذه الناحية تعرف بالتبعة Responsabilité والتي عرفها المجتمع في الوقت الذي عرف الإنسان فيه العمل الاجتماعي واضطلع به ، إذ ذهب هؤلاء العلماء إلى أن التبعة كانت معروفة عند أكثر الأمم والشعوب القديمة . وقد استمدت بعض المجتمعات الحديثة نتفاً من قوانينها ونظمها فدمجتها فيما ابتكرته من نظم وقوانين حملت الإنسان تبعة ما يقوم به من عمل اجتماعي أو أدبي أو غيره .

والواقع أن المجتمعات البشرية تختلف باختلاف درجتها في سلم الحياة والارتقاء . فعلى قدر ما يكون المجتمع البشري من الرقي والحضارة يحتاج إلى نظم جديدة تتلاءم مع الحضارة والرقي اللذين أخذ بهما ؛ فالمجتمعات والحالة هذه لا تتمشى على نظم واحدة ، ولا تتقيد بقوانين واحدة ، بل لا بدّ لها من نظم مختلفة وقوانين متباينة تميز المجتمع الواحد عن الآخر وتصور نفسية أفراده وبيئتهم ودرجة رقيهم وحضارتهم

بقيت مبادئ التبعة التي أخذ بها المجتمع البشري القديم ، ردحاً من الزمن — قل أو كثر — خافية على كثير ممن يعالجون البحوث الاجتماعية حتى كشف عنها بعض كبار الباحثين ممن درسوا المجتمع القديم دراسة مكنتهم من إدراكها كما إدراكاً قد يكون تاماً أو لا يكون ، بعد أن وقفوا على خصائص الحياة

الاجتماعية التى سادت ذلك المجتمع ، وبعد أن تفهموا المقومات الاجتماعية الجديدة . وما زال الباحثون الاجتماعيون من ذوى الاختصاص يسبرون غور هذه الحياة وهذه المقومات الاجتماعية بعد ما درست آثارها ، وعفت رسومها أو كادت ، فراضوا صعابها وجلوا شكوكها إلى أن وقفوا على عناصرها وعواملها ، وكشفوا من أسرارها وخبيآتها ؛ وهم إلى ذلك - أى الباحثون - يؤمنون بأن القدامى من أفراد المجتمع كانت لهم من الآراء الفطيرة ، والتفكير الفقير ، والتقدير الهزيل ، ما حملهم على إلقاء التبعة لا على عاتق كل فرد من أفراد المجتمع فحسب ، بل على كل الكائنات الحية من حيوان وجماد أيضاً

•••

بدأ علماء الاجتماع ، فى العصر الحاضر ، يدرسون المبادىء التى من شأنها أن تجدد كل عمل يقوم به الفرد فى مجتمعه وما ينوبه من عقوبة وقصاص على ضوء علم النفس الحديث ، وعلم الأمراض النفسية Cycopathologie بعد أن كان المجتمع القديم يقيم حدها على كل فرد من أفراده ، دون أن ينظر إلى نفسية هذا الفرد وإلى الأمراض المتصلة بها التى تتعاوره إبان حياته ، بل كان مآل نظم المجتمع القديم فرض العقوبة على أى امرىء ارتكب جرماً أو اقترف إثماً

والتبعة ليست ، فى الواقع ، إلا نتيجة لعمل اجتماعى ، شرعياً كان أو غير شرعى ، يخالف ما تعارف عليه المجتمع وما ألفه الناس ، أو بعبارة أخرى نتيجة أعمال وأفعال اجتماعية يقوم بها أفراد المجتمع تتعارض مع القوانين أو النظم الموضوعة التى تستوجب التبعة ، فإذا ما خرق امرؤ حرمة الآداب والأخلاق ، أو نكث عهداً من العهود الاجتماعية ، أو اتهم برقة فى دينه أو وطنيته ، أو احتفظ بعلاقة غير شرعية مع فتاة ، كان ذلك كافياً ، فى نظر المجتمع ، لأن يحمل تبعة عمله وأن يعدُّ مسئولاً

ولا بد للمرء أن يتساءل عن الأعمال التى قد ترضى الجماعات الإنسانية أو تغضبها إذا ما قام بها ، ولا بد له من أن يتفهم التقاليد والعادات التى تدنيه من المجتمع أو تبعده عنه ، كى يستبين طريقه على ضوئها ، ويتمشى حسب نظم المجتمع لئلا يقحم نفسه فى مآخذ عنيفة ومزالق خطرة تستوجب التبعة والعقوبة

وماذا يعنى بالتبعة ؟ ... هى قيام امرىء بعمل ما ، فى مجتمعه أو فى مجتمع آخر ، فى حالتى النفع والضرر . فالمرء الذى يقدم على أعمال من شأنها تحدى النظم القائمة وخرقها والتى قد يتضرر منها المجتمع الإنسانى يكون مسئولاً عن أعماله هذه ، كما أن المرء الذى ينشط إلى المحافظة على الآداب والأخلاق ، والذى يلذ له خدمة الأمة والإخلاص لها والتفانى فيها يكون مسئولاً عن هذا العمل أيضاً . فالتبعة إذاً تقع على عاتق المرء فى الحالين المتقدمين وإن اتجه كل منهما اتجاهاً يختلف والآخر جد الاختلاف من حيث الوسيلة والغاية ؛ وإذا ما أبدلنا العقوبة بالمكافأة واللوم بالثناء ، فمن هو الذى يستحق العقوبة واللوم ، ومن هو الجدير بالمكافأة والثناء ؟ ... مما لا مشاحنة فيه إن الإنسان يكافأ على عمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ...

ألا ترى أن الأب يكافئ ابنه الأديب الوديع ويعاقب الطائش الشرير ؟ ... وكذلك المربى ؛ ألا تراه يثنى الثناء العاطر على الطالب الخلوق الطيع ، وينحى باللائمة على النفور المتمرد ؟ ! والحكومة ، ألا تشعر أنها تكافئ رجالها المخلصين والعاملين بالأوسمة والرتب ، وتعاقب المجرمين والخائنين بالسجن والإبعاد والقتل أحياناً ؟ ... ألا ترى أن الجماعة البشرية قد أعدت جوائز قيمة ، أدبية ومادية ، للأفراد الذين يحملهم الإخلاص ويدفعهم الوفاء على التفكير بترقية المجتمع وتخفيف الآلام عن الإنسان ، ورفع مستوى الحياة الاجتماعية ؟ أليس كل ذلك يدخل فى حدود التبعة الاجتماعية على اختلاف شكولها وتباين غاياتها ؟ ! على أن العلماء لم يقصدوا بالتبعة إلى المعنى الذى ذهبنا إليه ، ولم يتجهوا الاتجاه الذى أخذنا به ، ولكن هى الحقيقة وهو الواقع ! ولمَ لا يكون المرء مسؤولاً عما قام به من صالح الأعمال كما يكون مسؤولاً عما جنته يداه من إثم أو جريمة ؟ ! وما التبعة فى الواقع إلا صدى تلك الحياة الاجتماعية التى ارتضاها الإنسان لنفسه ، وتلك البيئات التى تكتنفها التقاليد والعادات ...

ومن هو المسئول — فى الدرجة الأولى — فى نظر المجتمع

لقد أعطت الجماعات الإنسانية أجوبة تختلف باختلاف حياتها الاجتماعية وبيئتها وثقافتها ، وتتباين بتباين أخلاقها وتقاليدها وعاداتها . على أنها حمّلت الإنسان — منذ الأزمنة القديمة — التبعة ، باعتباره أرقى المخلوقات الحية وأشرفها وأذكاها ، وأقربها من المدنية والحضارة ، حيث يقوم بدوره الرئيسى فى المجتمع ، إذ أنه يتمتع بعقلية نيرة تدفعه إلى استخدام الحيوان لشؤونه اليومية والمعاشية والاستفادة من النبات والجماد لمنافعه الشخصية والبيئية التى تتطلبها حياته الاجتماعية . وهو — فوق ذلك — يملك من الأهلية والاستعداد ما يجعله يحمل تبعة ما يقوم به من عمل . لذا نجد الإنسان شاعراً بالتبعة ورازحاً تحت ثقلها منذ اليوم الذى قتل فيه قابيل أخاه هابيل

ولا يمكن الأخذ بالتبعة أو الإقرار بها إلا فى حالة خاصة ، بمعنى أن الإنسان إن لم يتمتع بعقل سليم وتفكير صحيح فلا جناح عليه بما يأتيه من عمل شائن أو فعل قبيح ؛ لأن سلامة العقل وصحة التفكير شرط أساسى — فى بعض المجتمعات — لإلقاء التبعة وتحمل العقوبة ، وإن أقرّ البعض هذه التبعة على من لم تتوفر فيه هذه السلامة والصحة ، حتى أن بعضهم ذهب إلى إلقاء التبعة على الطفل والمجنون والأبله والمعتوه أيضاً ... وتغالت المجتمعات القديمة ، والحديثة المتأخرة ، فذهبت إلى أبعد من هذا الحد ، إذ ألقت التبعة على الحيوان والجماد ! !

وقد تتعدى هذه التبعة من شخص إلى آخر وإن لم يجمعهما نسب أو قرابة ، وتتجاوز الفرد إلى الجماعة ، وإن لم تكن بينهما صلة أو علاقة ، وتعرف حينئذ بتبعة الجماعة ، لكنها تبقى — فى غالب الأوقات — تبعة غير محدودة Respousabilité indeterminée . بيد أن الجماعة التى تتحمل التبعة تكون ذات صلة مباشرة أو غير مباشرة — ولو إلى حد ما — بصاحب الجريمة أو الإثم ، باعتبار أن أفرادها وحدة لا تتجزأ ، وباعتبار أن المتهم فرد منها ، كالجريمة التى يؤخذ بها هذا المتهم تؤخذ بها الجماعة ، والتبعة التى يحملها تشاركه الجماعة فيها ، والعقوبة التى تفرض عليه تنالها أيضاً على حد سواء ؛ وتبعة الجماعة إنما تكون فى الجماعات التى تعيش قبائل منفصلة الواحدة من الأخرى ، وفى المجتمع القديم الذى يتبع نظام التوتمية Totemisme ، والجماعات التى يرأسها شيخ هو أكبر أفرادها سناً Pater Familias ومن هذه الجماعات ظهرت أول مبادئ تبعة الجماعة التى تتعدى أقرب الناس إلى أبعدهم عن المتهم

وهنالك أيضاً بعض الجماعات ممن يقرون مبدأ التبعة الفردية فى جرائم خاصة ، ومبدأ تبعة الجماعة فى جرائم أخرى ؛ ففى حالة الجرائم الصغرى كالسرقة أو القتل ، إنما تكون التبعة فردية ، وتكون جماعة فى حالة الجرائم الكبرى كالخيانة الوطنية وخرق حرمة الدين ، والثورة على الحكومة وقتل الملك وغيرها ... ففى هذه الحالة تسود التبعة جميع أفراد عائلة المتهم دون النظر إلى تفاوت درجة القرابة والأعمار بينهم ؛ كالجد والأب والأعمام والأولاد والحفدة يساقون إلى منصة الإعدام كالمجرم على حد سواء ؛ أما أقرباؤه الأدنون ، فيعاملون معاملة العبيد ويصبحون أرقاء ، توزعهم الحكومة على قادة الجند بمثابة رهائن ، ينقطعون للعمل ، ويحبسون على الخدمة ، وتصادر أملاكهم ، وتحجز أموالهم ، كما صودرت وحجزت أملاك أولئك من قبل

كذلك كان عدم الوفاء لصاحب الجلالة ، أو عصيان أوامره المقدسة ، يسبب للفرد عقوبة تذهب بحياته ، وتودى بأسرته إلى العذاب البئيس ، وتهوى بهم إلى أدنى درجات الاسترقاق والعبودية ؛ أما هو ، فيعدم ويحرق ، وأما زوجه وأولاده ، فيصبحون أرقاء ؛ أما أبواه وجداه وإخوته وأولاد أخيه ، فينفون من الأرض إلى أمد بعيد

وهكذا نجد أن هذه العقوبة العنيفة التى تعرّض صاحبها وأسرته ومن يلوذ به إلى الموت ، والتى تجعل من ذوى قرابته عبيداً أرقاء ، لم تستأثر بها أمة دون أخرى ، بل اشتركت أكثر الأمم فيها مع اختلاف العقوبة من حيث العنف والقسوة باختلاف شرائعها وقوانينها . ففى فرنسا مثلاً — أيام قيام الملكية فى ربوعها — كانت عقوبة النبيل والشريف الذى يرتكب أية هفوة فى حق الملك أو الامبراطور ، هى تجريده من رتبه العسكرية ، وإزال درجته النبيلة ، وإبعاده مع أسرته خارج المملكة ، أو الامبراطورية ، مع حرمانه هو وأسرته من العودة ثانية إلى بلاده ووطنه حرماناً قد يكون أبدياً ؛ وإن قدر له أن يعود دون عفو خاص من صاحب الجلالة ، فإنه يعدم حالاً دون أية محاكمة

أو أى تحقيق ؛ أما إذا لم يكن نبيلاً ، وكان ينتسب إلى عامة الشعب ، فعقوبته كما يقول الأستاذ Jousse : تماثل عقوبة الشريف فضلاً عن هدم منزله وإعفاء أثره . وإذا تعمق الباحث فى درس هذه التبعة ، ردّ دواعيها ومسبباتها إلى ذلك الاعتقاد السائد — قديماً وحديثاً — أن صاحب الجلالة هو خليفة الله فى أرضه ، لذلك كان لهذا الاعتقاد من الأثر القوى فى نفسية الشعوب والأمم ما جعلها تشرع هذه العقوبة المنيفة لحفظ خليفة الله من الاغتيال وحرصاً على شخصيته المقدسة

والأمة العربية لم تعرف فى سالف عهدها التبعة الفردية بل كانت آخذة تبعة الجماعة باعتبار أنها ترى نفسها قائمة على التكتل وعلى المبادئ القبلية وإفناء الفرد إفناء كلياً فى المجموع . وكم من حرب ظل ضرمها يحتدم بين قبيلة وقبيلة لجريمة ارتكبها أحد أفراد هاتين القبيلتين ! ... وكم من تضحية فرضت على فرد لم يقترف إثماً ... ! أو على أفراد قبيلة لم يجنوا جريرة أو ذنباً ! .

لقد كان رأس القبيلة هو المسئول الأول والمباشر عن عمل كل فرد من أفراد جماعته ، كما أن القبيلة بأجمعها مسئولة عن هذا العمل أيضاً ... وجاء الإسلام بالشريعة السماوية السمحة ، فمحا تبعة الجماعة وأقر تبعة الفرد ورسم حدودها وأمسى الفرد مسئولاً عن عمله دون غيره مهما ترادفت آثامه وتعددت جرائمه ، ولا تزروا وازرة وزر أخرى . . .

إلا أن العرب عرفوا ، قبل الإسلام ، وعياً من التبعة الفردية ، فى حدود ضيقة محدودة ، كانت قائمة ما تام « نظام الخليع » على معنى أن القبيلة كانت تكره فى بعض الأحايين على مجازاة أحد أفرادها لخصال وخلال لا تقره عليها أو تتنافى مع بيئتها وأخلاقها — فتخلعه من ذمتها وتبعده عنها وتقطع صلته بها ؛ فالمرء الذى تلفظه القبيلة يتحمل هو وحده تبعة عمله وليس لقبيلته أن تتحمل شيئاً من هذه التبعة كما أنها لا تطالب بدمه إذا أهدر .

إن هذه الظواهر الاجتماعية ، فى صدد تبعة الجماعة ليست فى الواقع ، إلا صدى تلك الحياة الاجتماعية الضيقة وصدى ذلك النظام الاجتماعى الضعيف . وكثيراً ما كانت هذه التبعة جد عنيفة وقاسية ينوء الفرد بحملها ويرزح تحت ثقلها

لقد تقلص ظل هذه التبعة عن الإنسان فى مجتمعنا الحاضر وعفت رسومها وامحى أثرها إلا عند الجماعات المتخلفة عن المدنية والحضارة واتجه إلى التبعية الفردية إذ أصبح الإنسان مسئولاً عما يرتكبه من آثام وجرائم ، ولا شأن لأسرته وذوى قرابته فيما يرتكبه من إثم وجريمة ، وإن كان بعض الأمم التى بلغت أقصى درجات المدنية والحضارة ، وأسمى مراتب الرقى والتمدن ، تأخذ بها أحياناً فى حالات خاصة إبان الحروب والثورات .

[البقية فى العدد القادم] — بيروت رفعة الحنبلي

من الأدب الروسي

أنطون تشيكوف

الكاتب الروسي العالمي

[من كتاب « رجال القصة الروسية » حديثاً ، لجورج بروس]

للأستاذ خليل هنداوي

من عادة الناس القول : « بأن الإنسان لا يحتاج إلا إلى مترين من الأرض ، لكن هذه الحاجة هي حاجة الجثة الهامدة ، لا حاجة الإنسان الحي الذي لا يكفيه إلا هذا الفضاء . لا يطلب الانسان من الأرض قيد أقدام ، ولا يطلب مسكناً ، وإنما يطلب الأرض بأسرها ، والطبيعة بجمتها ، لكي تتفتح على آفاقها كل خصائصه ومزاياه بحريته ؟ »

هذا ما قاله — تشيكوف — عن أبحاثه ورسالته حين دخل الحياة الأدبية . ولد سنة ١٨٦٠ ، وبعد أن أنجز دراسته في جامعة بلده أتم دراسة للطب في موسكو حتى غدا طبيباً مشهوراً ، لكنه أخذ يسأم هذه الحياة العملية ، ويستهويه عامل الأدب . فنشر عدة أقاصيص في بعض الصحف ، وكان يؤجر عليها ، لأن موارده في العيش كانت ضئيلة . وقد جمت قصصه الأولى ولم تكن مما تبعث على الرضا ، لأنها قصص كتبت لاجتذاب القراء وتسليتهم في أوقات فراغهم ، دون أن تنطوي على فلسفة معينة ، أو غاية معلومة . لكن الكاتب سرعان ما تبلورت نفسه ، واتسعت آفاق عقله ، فترك ذلك الجو الصبياني ، ودخل في جو ملؤه دراسة الإنسانية ، وهذه الدراسة طوقت روحه بالحزن والكآبة . أضف إلى ذلك أن بلده كان يكابد عناء الحروب في الحرب الروسية التركية ، هذه الحرب التي كان ثمنها تحرير بلغاريا مذ أوحت إلى الروس أنفسهم بإدراك حريتهم وأثارت في الشباب العزم للعمل على الوصول إلى هذه الحرية مهما بلغ الثمن وأرهقت المقادير . لكن هذا الأمل تحطم ، وهذه الجهود ذهبت عبثاً ، لأن الرجعية قد ظفرت ، وبظفرها طارت الأحلام ، فسرا النفوس شيء من الذهول أو التخدير ، ومن كان في قمة العزيمة والأمل جاء انتكاسه عظيما ، ووشكان ما دب في هذه القلوب النشيطة دبيب اليأس والعجز ، فمن القلوب من لاذ بالعزلة لوحده كأنه لا يريد أن يبدي جراحه ، ومنها من اعتصم بالعمل ليذهل ، ومنها من ظل يرسل الأنين تلو الأنين لعلة يشفى . وهكذا يقال إن ضباباً رمادياً أحاط بحياة القوم ، حاملاً معه الكآبة . هذه هي المشاهد التي وقف عليها — تشيكوف — يراعته ، ولم تنتج روسيا مثله كاتباً استطاع أن يصور لنا اضطرابات هذه الفئة من الناس التي كانت تمشي خابطة على وجهها بدون فخر ولا رجاء .

يقول أحد أبطاله مفسراً الأزمة الخلقية : « ليس لي من العمر إلا ست وعشرون ، ولكن أراني لا أجهل أن الوجود يمشي بلا غاية ، خالياً من أي غرض ، وكل شيء فيه باطل زائل . تتشابه فيه حياة ساكن جزيرة « سخالين » مع حياة ساكن « بنس » ؛ والفرق بين دماغ « كانت » ودماغ ذبابة ما ليس له قيمة حقيقية ، وأن لا شخص في هذا الكون على ضلال ولا على صواب »

وفكرة — العدمية — بكل ظواهرها المروعة تنعكس كثيراً ما في آثار تشيكوف ، وأقصوصة « القبلة » ليست إلا وجهاً من هذه الظواهر . فالعريف « ريابوفيت » بتأثير قبلة غير مقصودة ابث يحلم بالحب طوال صيف ؛ فهو ينتظر متألماً ساعة العودة ليرى جميلته المجهولة ، لكن حلمه لم يكن إلا وهماً ، إذ لم يكن هنالك أحد ينتظره . وبينما كان في أصيل يوم يسرح على ضفة جدول استسلم لتأملات تتفجر من قلبه : « الماء يفر إلى حيث لا يعلم أحد ، ولا لماذا . إنه يفر على الحالة التي مر بها في أيار الغابر . إنه عبر من الجدول إلى النهر الكبير ، ومن النهر الكبير إلى البحر ، ثم إنه تبخّر واستطار ، ثم استحال مطراً . فهل أرى ذات الماء يركض جديداً على مرأى من عيني ؟! ما غاية ذلك ولماذا ؟! وهكذا أصبحت الحياة عند هذا العريف لغزاً معمى لا يدركه العقل ، تمشي على غير غاية ، هائمة بدون قرار

وقد أعطانا تشيكوف نماذج عدة لأفراد انتقاهم من بيئات مختلفة ؛ فكأنما يأخذ القارئ بيده ، يقوده إلى أي مكان يستطيع أن يعرض عليه فيه صوراً من المجتمع الروسي الحديث :

في الحقل أو المصنع أو الطريق . وهو بعد ذلك لا يستقر في موقف ، ومهما كانت المواطن التي يرتادها القارئ وراء آثاره لا يخرج منها إلا مشبعاً بهذه العزلة الروسية المؤلمة

يقدم لنا تشيكوف مثلاً للمحبة الضالة في كثير الأحلام ، يضع رأسه حيث تطلع عليه منه أية فكرة جديدة . قد بحث عبثاً طوال حياته عن شكل عملي يلائم مثله الأعلى الذي يراه ، والآن تركه القدر أباً أو ترك له ابنة تكرهه على كسب قوتها وقوته ، هو يحب ابنته ، ولا يفتأ يردد اللوم لها على كثير من العيوب في حياتها القلقة . في أمسية ساهرة ، وجدت امرأة أيم — هذه الفتاة العابسة الشاردة ، فأخذت تعزيها بكلمات لطيفة ، وفي هذه الساعة تحدث الأيمان وشكا كلاهما للآخر ما عنده ، وأذاع الرجل عليها قصة حياته كلها ، وما ساقه إليه القدر ، فاهتمت بحديثه اهتماماً شديداً وأقبل عليها بقلبه وعاطفته . حتى ليظن الناظر أن القدر لم يجمع بينهما باطلاً ، وإنما الأمر يريده في الجمع بينهما ، وفي الغد ركبت المرأة العجلة ، وكان يساعدها على الركوب ، وإن الآذان لتنتظر منهما الكلمة التي يجب أن تجمع ما بينهما ، ولكن لم يقل واحد هذه الكلمة . انطلقت العجلة ولبث الرجل جامداً كالتمثال . ينظر بعاطفة فيها فرح وألم إلى الطريق البعيدة التي توارت عليها السعادة التي فرت من بين يديه منذ قليل

وقصة « الغارة » تقدم لنا مثلاً لعاطفة الخوف الحادة التي تنزو لجأة نفس فتى متكبر اصطدم ببعض الحقائق . فالطالب « فاسيليف » وهو ذو طبيعة حادة دخل للمرة الأولى بيت الهوى ولكنه لم يستطع أن يتحمل التأثيرات الرهيبة التي كان يكابدها ؛ وغزت رأسه أفكار مظلمة أحاطت به من كل مكان . فكان يصيح آخذاً برأسه : « أحياء ... أحياء ... لو حطمت هذا المصباح لوجدتم أن في هذا شراً ، ولكن — هنالك — ليست المصابيح هي التي تحطم ، ولكن حيوات الخلائق البشرية . . . أحياء » ثم أخذ يفكر في وسائل استنقاذ هؤلاء المنكوبات ، ويبدو له أن يجلس على قارعة الطريق مخاطباً كل عابر : « إلى أين تمضي ؟ ولماذا ؟ إخش الله ! » لكن هذه الفكرة سرعان ما غلب عليها الألم والريبة من نفسه ، وزاد عليه الألم حتى سحق قلبه ، ولكن فتيان مجتمعه لم يتألموا من أجله ، وإنما كانوا يعبرون غير ملتفتين إليه . فأحس الطالب أن عقله يفلت منه . فتهدده حتى إذا ماشفي مما هو فيه ذكر عواطفه الأولى ، وخجل منها ، وهكذا حطم مذهبه ، وخنق حلمه

في الأوساط الاجتماعية ، وصابع العمال يكاد الإنسان يبدو أكثر ابتعاداً عن الأثواب المسطحية والمظاهر الكاذبة . فإن المكافحة المتواصلة ضد الفقر لم تترك فرصة لغيرها . الحياة قاسية تحطم بلا رأفة أحلام السعادة ، ولا تدع للإنسان — على الأغلب — رفيقاً يقاسمه أثقال الهموم والرزايا حتى الصغيرة منها . وقصة السائق تعطينا مثلاً لهذه العزلة ، هذا السائق المعدم فقد ولده فلم يأنس في نفسه القدرة على احتمال هذه المصيبة . ووجد فيها ما يدفعه إلى أن يحدث الناس بها . ولكنه كان يبحث عبثاً عمن يستمع إليه . وفي يوم من أيام عمله ألفى نفسه وحيداً مع فرسه فناجاها : « نعم يا فرسي الصغيرة ! إنه مات ولدي الحبيب ، وتوارى سريعاً من دون علة . لنفرض أن لك مهراً ، وهذا المهر مات على حين غرة ، ألا يؤلمك فقده ؟ » أما الفرس فقد رنت إليه بعينين هادئتين لامعتين ، ونفخت من أنفاسها بين يدي صاحبها الذي أنجز قصة موت ولده

ولتشيكوف قصص رائعة وقفها على وصف الحياة القروية التي تشبه من وجوه عدة حياتنا القروية . ومن ذلك « القرويون » . فنيقولا خادم في أحد فنادق « موسكو » ساوره داء عياء ووجد نفسه مضطراً إلى مغادرة عمله . وكان كل ما يقتصده يذهب إلى أيدي الأطباء والصيادلة . وعند ما يئس من شفائه قرر أن يعود إلى قريته حيث أهله وأخوته ، لأنه يؤثر إذا فاتته الحياة أن يموت على مرأى من أهله . لقد ترك القرية حين كان فتى ثم لم تقع عليها أنظاره بعد ذلك . عاد هو وزوجه وابنته ، فوجد أباه وأمه وأخوين له مع أزواجهما وأولادهما في هوان وفاقة ، وألفى أن الأسرة كلها تأوي إلى زريبة مظلمة قذرة يرن في أجوائها الذباب ؛ فأدرك أن بقاءه في موسكو كان الأجدر به ، ولكن هذا أمل خادع لأنه لا يملك أجر العودة . إذن يجب البقاء في هذا اللحد الذي اختاره . وهكذا استقبلتهما هو وزوجه حياة كلها تعب ونكد وشقاء ليس فيها إلا النزاع والصفع والمواد بدون نهاية . إنه يريد أن يعود ، لأنه مل هذا الوجوه ؛ ولكن أنى له

المـال ! فزادت صحته سوءاً على سوء ؛ فوعده صاحب قديم بشفائه ، فقام بجملة تجاريب كانت القاضية عليه . وقضت زوجه من بعده شتاءها فى القرية مع ابنتها . فأسرع دبيب الهم بخطوط الكهولة إلى وجهها الذى كان يحار فيه ماء الشباب ، ومالت قامتها ، وتبدلت حالتها . ومن ذا الذى يبقى على الهم ؟ أقبل الربيع والأم وابنتها تدخلان الكنيسة ثم تزوران ضريح فقيدهما ، ثم تطوفان سائلتين فى الطرق ! وتشيكوف نفسه يقول : « إن حياة عمالنا هى سوداء تمشى فى طريق الفسق ، أما حياة الشعب : عماله وفلاحيه ، فما هى إلا ليل مدلهم ملؤه الجهل والفقر والألم »

* * *

إن تشيكوف ببراعته الفائقة ، ونظراته الشخصية ، يصف الحياة الإيجابية والسلبية ؛ وهو ليس بذى طبيعة هجائية ، لأن كتابته يغمرها العطف العميق . وهو لا يسخر من أبطاله ، وإنما يشفق عليهم . عبقريته هادئة ، مفكرة ، عميقة ، ولكن يخيل أحياناً أن هذا الهدوء ليس إلا قناعاً . وقد قال ناقد فيه : « إنه قلم ذو حنان وهو فى قصصه ينبوع فياض ، لا ينفذ له موضوع ، ولا يفتر له تحليل برغم بساطته . وهو لا يُعنى بالأسهاب الكثير ، والاستطراد البعيد ، لأنه يكفيه أن يطرق الجانب الحى من الموضوع .

جرب تشيكوف الكتابة المسرحية ، وله منها القوى المتين ، ومن ذلك مسرحية « الأخوات الثلاث » . هؤلاء كن يقضين حياتهن فى بلدة حقيرة تبعث على السأم ، خالية من الرجال اللامعين ، وليس فيها إلا من تشابهت وجوههم ، وتشاكلت نفوسهم ، كأنهم نسخة واحدة تكررت نسخاً . وكان حلم هؤلاء السفر إلى موسكو ، لكن بلادتهن قضت عليهن بالبقاء ، فليتهن يتناقشن ويتجادلن متفلسفات فى مواضيعهن . وقد اتفق أن نزل المدينة ثلة من الجند ، فاجت فيهن الحياة ، وكان لهن حوادث حب مع العرفاء دامت حتى يوم الرحيل .

قالت الكبرى : أنهم رحلوا . . . سنبقى وحدنا ! والحياة الساكنة ستبدأ .

فقالت الثانية : إنما يجب العمل ، لا شىء يعزينا إلا العمل !

وقالت الثالثة معانقة أختيها فى حين راحت الموسيقى العسكرية تعزف لحن الرحيل : يا أختىَّ ! إن حياتنا لم تنته بعدُ إننا سنحيا .

هذه الموسيقى تصدح طربة . . . رويداً رويداً ! إنى أُحس به . . . سنعلم غداً لماذا نحيا ولماذا نتألم !

هذه ناحية قوية من نواحى فلسفة تشيكوف البسيطة ، وهى بمجموعها تنم عن (عجز من الحياة مشوب بأمل مبهم . . .)

* * *

إن تشيكوف فى الحقيقة منحة الأدب الروسى ، وغرسة لم تتعهدها إلا تربة عرقه . ففى نزوعه إلى الحرية رن ألحان تولستوى ؛ وفى ميله إلى شراء الماضى بالألم يلوح وجه « دوستوفسكى » كأنما آثار كبار الروس تتبين خلال سطوره .

وقد يشبه تشيكوف من نواح عدة « موباسان » و « إبسن » لكنه لا غموض ولا إبهام فيه ، لأن الغموض النرويجى لا يلائم روح الأدب الروسى الذى ينزع إلى مجابهة المسائل الملمونة فى الحياة مجابهة صريحة عنيدة . ولقد حار فى تحديد قيمته النقاد فمنهم من وصفه بأنه كاتب « خلى » لأن كتابته لا تدعو إلى الثورة التى برزت فى بعض آثار غيره ، ومنهم من وجد فيه متشائماً لا يتفاءل فى شىء من الحياة الروسية ، لأنه ملتفت إلى وصف الآلام أو الجهود النازعة إلى طلب حياة تكون أحسن أناناً ورثياً

ولعل فى الرجوع إلى بعض سطور له ما يفيدنا فى توضيح صفات هذه الشخصية الفذة ، ومما يقوله : « إننى أخاف أولئك الذين يفتشون عن ميول ورغبات خفية بين السطور ، وأولئك الذين يريدون أن يجدوا فىَّ محرراً أو محافظاً . . . إننى لست من ذلك فى شىء . . . لست بالمحرر ولا بالمحافظ ، ولا بالراهب ولا بالخلى ، وإنما أنا رجل أمقت الكذب والعنف فى أى مكان وتحت أى مظهر . . . لا أريد أن أكون إلا فناناً . . . وهذا كل شىء » ولكن هذا الفنان الحر الذى أبغض الكذب والعنف فى المعنى الذى تفهمهما لم يستطع أن يكون إلا محرراً للانسان بأوسع معنى للتحرير ، ولم يكن بذلك التشاؤم الذى تمثلوه ، لكنه كان كاتباً يتألم لمثله الأعلى ، ويوقظ بكتاباته الأمل فى الخروج من غسق الحياة التى وصفها . وقد تبدى فى بعض مراحله أنه مؤمن بمستقبل الإنسان والإنسانية ، فيقول فى محاورة له لبستانه : « أتعلم بعد جيلين أو ثلاثة أن الأرض ستصبح بستاناً زاهراً

وإذ ذاك كم تغدو الحياة جميلة ! » وهو الذى يقول بأن الإنسان قوة الأرض المركزية « وينبغى للانسان أن يعلم أنه أسمى من كل ما فى الطبيعة ... إننا أكوان سامية عظيمة ؛ وحين يتسنى لنا أن نعرف كل قوى العبقرية البشرية نغدو قرناء الآلهة »

لكن هذه الآمال الكبرى لم تحل بينه وبين وصف عجز الإنسان فى كل زمان ومكان ، فهل تأتى ذلك منه بطريق المناقضة ؟ نقول : لا ، لأن تشيكوف إذا لم يشك لحظة فى تقدم الانسانية فانه ليتألم ، ويبعثه على الألم تشاؤمه الأسمى النزاع إلى السمو ؛ هذا التشاؤم الإنسانى تجاه ما يخور العقل أمامه عجزاً ، وهذه العاطفة تتألم وتيأس إزاء خبط الحياة وعصف الموت

يقول أحد أبطاله : « إنى إذا ما خشيت الحياة ولم أفهمها ، فعندما أرقد على بساط من الأعشاب . وأتأمل طويلاً فى حشرة ولدت فى مطلع الليل ، لأتفهم شيئاً من وجودها . يخيل إلى أن حياتها ليست إلا مرحلة من الرعب والذعر ، فيها أرى نفسى ، وأتمثل خاطراتى ... كل شىء يروعنى لأنى لا أفهم العقل ولا نهاية الأشياء . لا أفهم شيئاً ، ولا أدرك أحداً . . . أما أنت فإذا كنت تفهم فأحر بى أن أهنئك ... » و « حين ينظر الإنسان طويلاً فى السماء الزرقاء المترامية ، فالأفكار المنبهتة والنفس تتحد اتحاداً خفياً فى عاطفة عزلة عميقة ، وخلال لحظة واحدة يشعر الفكر بوحدة الموت ولغز الحياة اليائسة المروعة »

إن هذا اليأس الشامل ، وهذا الشقاء الذى تحدث عنه تشيكوف يتمثلان فى آثار كل الشعراء والفنانين الروس البارزين . ومن منهم لم يرسم الحياة بهذه الخطوط المجمدة ، ولم يجعل فؤادها مغموراً بهذا اليأس !

على أن تشيكوف - بما أوتى - رأى وأدرك وجهى الحياة : وجه تقدمها التاريخى والاجتماعى ، ووجهها الآخر الذى يحيط بها من كل ناحية : هـذا الوجه المظلم المجهول النائم تحت أنفاس الموت الباردة

« حلب » خليل هنداوى

فى المخبأ ...

للأستاذ محمد محمود دوارة

عشنا انرى ما لم يكن يخطر لنا على بال . واضطرتنا حوادث الأيام إلى أن نأتى أعمالاً لو أنا أتيناها قبل اليوم لنصب إلهنا الجنون المطبق ! ...

انقلبت جميع الأوضاع رأساً على عقب .

كان الظلام مبعث الرهبة والخوف ، فأمسى هو الملجأ منهما

كان المنزل هو المكان الذى يتوفر فيه أمن المرء وطمأنينته فأصبح الهلاك كل الهلاك فى البقاء بالمنزل .

كانت الشجاعة فى الثبات أمام الأخطار والمكاره ومجابهتها وجهاً لوجه فإذا هى فى الفرار والهرب .

كان النهار معاشاً والليل لباساً فإذا النهار غير معاش والليل هلاك .

كان القمر فتنة الكون فى لياليه الباهرة ، وكان نجوى الشاعر والعاشق والفنان ، فإذا هو علامة من علامات الشر ، ونذير من نذر الدمار والخراب .

فسبحان الذى يغير ولا يتغير ...

***

بعد منتصف الليل والكون غارق فى بحار الكرى تدوى فى الفضاء فجأة أصوات منكرة متقطعة متكررة لا عهد لنا بها من قبل ، فكأنه قد نفخ فى الصور ، وجاء يوم البعث والنشور .

يثب المستدفئ من فراشه الوثير وكان لو خيّر بين تركه أو خسارة نصف ماله لضحّى بالمال غير متردد فى الاختيار .

وتغص الشوارع فى تلك الساعة التى اعتادت فيها الفراغ إلا من متسكع لا مأوى له ، أو حارس تعلم بالتجربة كيف ينام وهو واقف ، أو معربد جعل من ليله نهاراً .

رجال ونساء وصبية وأطفال كلهم مفزع مضطرب . كلهم صامت كأن لم يخلق له لسان ولا شفتان ، وكلهم سريع الخطى لا فرق بين هرم وشاب ، ولا بين عجوز وفتاة فى عنفوان الصبا والشباب .

قف فى تلك الساعة وتأمل مى الناس ...

هذه جارتى الحسناء التى اعتادت أن تقف أمام المرآة نصف النهار لتخرج إلى الناس فتنة وسحراً لا يقاومان ، ها هى قد خرجت تهرول بوجهها الذى خلقه الله . لم تمكنها المفاجأة ولم يمكنها الخوف من الكذب على عباد الله .

وهذا جارى الذى لم أكن أراه ولم يكن يراه الناس إلا منتفخ الأوداج مصعر الخد متبختراً يمشى الهوينى كأنه الهودج أو الديك الرومى ، ها هو الآخر يهرول فى مشيته ضارباً بأصول العظمة والكبر ومشية الحكام عرض الحائط

وهذا الرجل الذى قطع حبل السكون بضراعته إلى الله تعالى وبدعوة رسله وأنبيائه وأوليائه ، هل رأيته فى الصباح وسمعته وهو يسب الأديان جميعاً لسبب من أتفه الأسباب ؟

ما أروع الفرق بين الليل والنهار فى هذه الأيام !

وما أقرب المسافة بين إيمان الإنسان وكفره ، وبين أمنه وخوفه وبين هداه وضلاله !

وفى المخبأ فى كل ليلة من ليالى الغارات تستطيع أن تشهد وأن تسمع ما لا عين شهدت ، ولا أذن سمعت ، قبل هذه الليالى السوداء !

***

دخل المخبأ متأخراً عن رواده بقليل رجل يحمل فى إحدى يديه مصباحاً كهربائياً (بطارية) يستعين به بين الفينة والفينة على تعرف طريقه ، فما كاد يطأ بقدميه بابه حتى ضغط زر المصباح ليرى ما أمامه ، ولكنه سرعان ما ارتد إلى الوراء مفزعاً مضطرباً إذ تعالت صيحات الاحتجاج والتوبيخ الموجهة إليه من كل جانب

— من هذا الحمار الذى يريد ضياعنا فى شربة ماء ؟ !

— من هذا المجرم الذى يريد قتلنا ؟ !

— إطفئ النور أيها المتفل

— الله ، الله ... أتريد قتلنا بمصباحك كما قتل مصباح آخر قوماً آخرين بالإسماعيلية ؟

* * *

ووسط ذلك السكون الرهيب والظلام الدامس انبعث صوت متحدث رزين تدل نبراته على فرط الرسوخ فى العلم قال زاده الله علماً ومعرفة :

— الصمت مطلوب فى هذه اللحظة يا إخوان ، لأن طيارات الأعداء بها أجهزة خاصة لالتقاط أصوات المتكلمين وهى من الدقة بحيث لا يخفى عليها حتى همسات الهامسين ... ضموا ألسنتكم فى أفواهكم ، وإن استطعتم فاكتموا أنفاسكم على قدر الاستطاعة ! هذا حكم الله وبه قضى ، ولا راد لقضائه سوى رحمته . واعلموا أن كل من يجازف بالحديث أثناء تحليق الطائرات فى الجو كأنه يريد أن يدل الأعداء على مكاننا ، أو بمعنى آخر كأنه يريد القضاء على نفسه وعلينا جميعاً

ولست أدرى هل صدّق الناس قول ذلك الخبير العجيب أم لم يصدقوه ، فان واحداً منهم لم يعترض على ما قال ولم يحاول مناقشته ، ولكنى لا أشك لحظة فى أن جارتى العجوز قد آمنت بكل كلمة من كلماته ، وإلا فما بالها تكتم أنفاسها ذلك الكتم الشديد الذى جعلها فى آخر الأمر تعلن إفلاسها فى تلك المحاولة المضيرة قائلة : يفعل الله ما يشاء ... إننى أكاد أموت اختناقاً

ثم جازفت وعادت سيرتها الأولى فى استنشاق الهواء ونفثه بالكيفية المعتادة

* * *

وعند مدخل المخبأ وقفت مع بعض اللاجئين فراراً من الجو الخانق فى داخله كان بيننا جندى من أهالى الصعيد يظهر من لهجته الجافة أنه لم يعلق أى نصيب من التعليم أو التهذيب ومما يدل على حاجته الشديدة إلى دروس فى الذوق أنه اختار هذه المناسبة ليحدثنا عن جماعة لجأوا إلى مخبأ فى بلد من البلاد المنكوبة بالغارات فأصيب ذلك المخبأ وهم فيه بقنبلة مباشرة نسفته نسفاً وجعلت من فيه أشلاء لا يعرف فيها القدم من العنق ولا المعصم من العامود الفقرى !

وفى أثناء حديثه ظهرت أنوار المصابيح الكاشفة منعكسة على السحاب فأراد أحدنا أن ينتهز فرصة ظهورها ليحول التفاتنا إلى غير ذلك الحديث المقلق للراحة حديث الجندى اللبق ! فقال وهو يشير بسبابته إلى حيث تلك الأنوار :

— أنظروا ! ها هى الأنوار الكاشفة قد بدأت عملها

ولكنه ما كاد يفعل حتى انقض الجندى على ذراعه الممدودة فى الفضاء وإذا به يجذبها فى شدة وعنف قائلاً فى غضب ليس بعده غضب :

— أأنت مجنون يا هذا ؟ أتريد أن ترى الطيارات ذراعك الممدودة وسبابتك الموجهة إليها فتعرف مكاننا ولا تتركنا إلا أشلاء لا يعرف فيها القدم من العنق ولا المعصم من العامود الفقرى كما حدث فى ...

واستأنف حديثه كما بدأه . . .

* * *

وردد الفضاء صوت انفجار أول قنبلة مضادة للطائرات ، ثم تلاه أصوات متلاحقة لقنابل أخرى تتفاوت فى الشدة والقوة فسرت فى المخبأ دمدمة رهيبة تلاها صمت كصمت القبور لم يقطعه إلا صوت امرأة تخاطب زوجها قائلة :

— هذا صوت قنابل الطيارات . إنهم يضربون البلد ! لا بد من الهجرة غداً

فأجابها فى صوت ضعيف مستكين :

— ليست هذه قنابل الطيارات

— ماذا تكون إذن ؟ لا بد من الهجرة غداً . . . غداً من الفجر بإذن الله . هل جئت حتى أعيش فى هذا الجحيم ؟

— ليست هـذه قنابل الطيارات . قلت لك إنها المدافع المضادة لها

— بل هى قنابل الطيارات

— ليست هى قنابل الطيارات

— بل هى قنابل الطيارات

— ليست ...

وشفع كلامه فى هذه المرة بحركة صاحت على أثرها المرأة صياحاً منكراً ، وإذا بها معركة زوجية من الصنف الحاد

وطغا صوت المرأة على صوت أضخم للمدافع وأقواها صوتاً

***

وكان الأستاذ كامل قد احتسى كأساً أو كأسين غير حاسب للغارات حساباً ؛ فلما فاجأته غارة الليلة وهو فى نشوته اللذيذة هبط إلى المخبأ وهو يلعن الحرب ومن كان السبب فى شبوبها

وهناك انتبذ ركناً قصياً واستسلم للتفكير

ولكنه لم يهنأ بجلسته طويلاً ، إذ صاح صبى من الصبية كان يجلس إلى جواره قائلاً :

— هنا رجل سكران يا ماما . . . فى المخبأ رجل سكران طبعنة . . . إننى أشتم رائحة الخمر . وأيدته امرأة عجوز قائلة :

— إن رائحته كبرميل من الخمر القذرة

وإذا بسردينس أخرى تقول :

— إن وجوده بالخندق نجاسة !

فلم يسع كامل أفندى إلا أن ينفلت من مكانه فى سكون تاركا القوم قبل أن يكشفوا أمره ... ومن يدرى ماذا يفعلون به حينئذ ؟ !

وأقسم من تلك الليلة ألا يذوقها إلا نهاراً . . .

***

فى المخبأ عجائب لا تجتمع فى مكان آخر ، وفيه مفارقات لا تخطر على بال

ها هنا رجل جبان رعديد ينتفض من الفزع ، بينما أخذت طفلة فى الخامسة تشجعه وتهون الأمر عليه

وهناك فتاة عابثة تضحك من كل شىء ومن لا شىء

فى المخبأ لمحات من الفكاهة الصافية الحلوة وصور عابسة من الأسى المرير . وإذا كنت لم تر السعادة مرتسمة على وجه من الوجوه فتعال إلى المخبأ وانظر إلى وجوه الخارجين منه بعد انتهاء الغارة وكأنهم يبعثون !

أما إذا أردت أن ترى الهم فى أتم صوره فانظر إلى ذلك الوالد وهو يجلس إلى جوار زوجته المريضة وقد حمل على يديه ولداً من أولادها بينما حملت هى آخر ، بينما جلس بينهما ثلاثة أو أربعة آخرون .

(السويس) محمد محمود دراره

٢٠ ـ المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس - عاداتهم

ومن العادات التي تراعيها طبقات الشعب أن تذهب العروس ظهر الأربعاء الأول أو بعيد الظهر، أو يوم السبت إذا كان الزواج يتم مساء الإثنين، إلى الحمام في أبهة واحتفال(١). ويسمى هذا زفة الحمام. فيتقدم الزفة فرقة تتكون من زمار أو زمارين وطبول مختلفة الأنواع(٢). وكثيراً ما تنتهز الفرصة للاحتفال بختان الولد؛ فيسير هذا وحاشيته خلف الموسيقيين بالطريقة السابق ذكرها. وقد يتقدم حاشية العروس رجلان يحملان الأواني والملابس التي تستعمل في الحمام على صينيتين مستديرتين تغطيان بنسيج من الحرير المطرز أو الساذج. ويوجد أيضاً سقاء يروي ظمأ السائرين، ورجلان آخران يحمل أحدهما قمقماً من الساذجة أو المذهبة، أو من الصيني مملوءاً بماء الورد أو زهر البرتقال يرش منه على السائرين من وقت لآخر. ويحمل الآخر مبخرة من الفضة يحرق فيها العود وغيره من المواد العطرية، ولكن يندر أن تسير الزفة بهذه الطريقة. وتكون حاشية العروس من صديقاتها وقريباتها المتزوجات، يتقدم من اثنتين اثنتين، وتتلوهن الفتيات العذارى. ويلبس المتزوجات الملابس العادية ويتدثرن بالحبرة الحريرية السوداء؛ أما الأخريات فيلبسن الحبرة الحريرية البيضاء أو الشال. ثم تلبسهن العروس تحت مظلة حريرية ذات ألوان زاهية قرنفلية أو وردية، أو صفراء، أو ذات لونين معاً على هيئة خطوط عريضة غالباً ما تكون وردية وصفراء. ويحمل المظلة من قوائمها الأربعة المدلى على كل منها منديل مطرز، أربعة رجال. ويفتح صدر هذه المظلة. وتختفي العروس تحت ملابسها فتتدثر من قمة الرأس إلى أخمص القدمين بشال كشمير أحمر، أو نادراً بشال أبيض أو أصفر، ويتوج رأسها بغطاء من الورق المقوى يوضع عليه الشال فيحجب عن الأنظار وجهها وملابسها الثمينة وحليها خلا قصة أو قصتين(١). وحلى أخرى أحياناً من الماس والزمرد تعلق على هذا الموضع من الشال الذي يغطي الجبهة. ويرافق العروس تحت المظلة اثنتان أو ثلاث من قريباتها، وامرأة أخرى تروح عليها عند ما تشتد الحرارة بمروحة كبيرة من ريش النعام الأسود يزين أسفلها مرآة صغيرة. وقد تقام زفة واحدة لعروسين معاً تحت مظلة واحدة. وتسير الزفة ببطء شديد وتتبع طريقاً ملتوياً ليطول العرض. وتتوجه إلى اليمين عند البدء في السير؛ ويأتي في ذيل الزفة فرقة موسيقية أخرى مثل الأولى أو فرقة من طبالين اثنين أو ثلاثة. ويلاحظ أن السائرات في زفة العروس من الطبقة السفلى يزغردن كثيراً. ويزغرد كذلك نساء الطبقة الفقيرة كلما شاهدن زفة



(شكل ٤٦) زفة عرس « قسم أول »

وقد يستأجر الحمام كله للعروس وحاشيتها فيمضين ساعات أو ساعتين على الأقل في الاستحمام واللعب وتناول الطعام. وكثيراً ما تستأجر العوالم (القيان) لتسليتهن في الحمام. ثم تعود

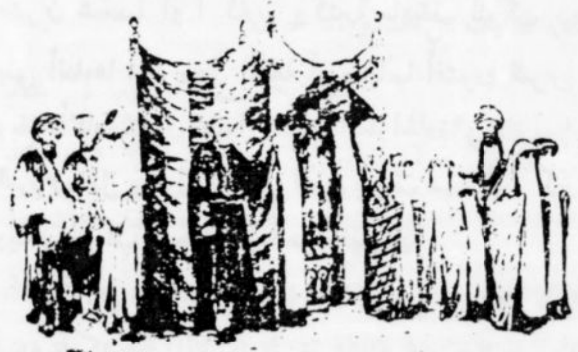
(١) ولقد رأيت مرة هذه الزفة وأخرى سأصفها فيا بعد تسير بعد ذلك الوقت بكثير وتعود بعد الغروب بساعة

(٢) ونوع الموسيقى على العموم رديء وتعزف عادة ألحاناً شعبية

(١) أنظر وصف هذه الحلى في الملحق

الزفة بالنظام نفسه . ويتحمل أهل العروس نفقات الزفة ، إلا أن العريس يقيم المأدبة التي تعقب ذلك

وتعود العروس من الحمام إلى منزل أهلها فتتناول مع رفيقاتها العشاء . وتصحبهن القيان لاستئناف اللهو . وتدور أغانيهن على الحب والزواج . وبعد ذلك تعجن بعض الحناء وتضع العروس قطعة من العجين في يدها ، ثم تتناول (النقوط) من ضيفاتها ، فتلصق كل منهن قطعة من النقود الذهبية عادة في تلك العجينة حتى لا يبقى موضعاً فيها ، فتكشطها العروس حينئذ بعيداً عن يدها على حافة وعاء مملوء ماء ، ثم تضيف بعض الحناء إلى يديها وقدميها وتربطها بالكتان حتى الصباح ، فتصبغ بلون أحمر برتقالي قان . وتستعمل المدعوات ما تبقى من الحناء لصبغ أيديهن . وتسمى هذه الليلة (ليلة الحنا)



(شكل ٤٧) زفة عرس « قسم ثان »

ويقيم العريس الحفلة الكبرى في هذه الليلة ، وأحياناً في اليوم السابق . فيعرض (المحبزون) ألعابهم أمام المنزل أو داخل الفناء إذا كان المنزل واسعاً . وقد وصفت الألعاب الشائعة الأخرى التي تعرض على المدعوين لتسليتهم .

وتزف العروس إلى منزل عريسها في اليوم التالي . وتسمى هـذه الزفة لأهميتها (زفة العروسة) . أما الزفة السابق وصفها فتسمى (زفة الحمام) لتميزها عن الأخيرة . وقد تسير العروس إلى الحمام بغير أبهة أحياناً تقليلاً لمصاريف الاحتفال وتكون الزفة إلى منزل العريس فقط . وزفة العروس كالزفة السابقة تماماً . وتتناول العروس الفطور مع حاشيتها ثم تبدأ الزفة بعد الظهر ، فتسير يبطء وانتظام كزفة الحمام سيراً طويلاً خلال الشوارع الرئيسية لأجل العرض ولو كان منزل العريس قريباً . وقد تدوم الزفة ثلاث ساعات أو أكثر عادة . وقد يتظاهر أمام الزفة مبارزان لا يلبسان غير السراويل ، أو يتضارب فلاحان بالنبوت أو بغيره . وترحب العائلات الموسرة بمن يجهد تسلية المتفرجين بحيلهم وألعابهم العجيبة أثناء زفة العروس ، وتقدم إليهم هدايا جميلة[1] . وحينما زوج السيد عمر نقيب الأشراف الذي كان الوسيلة الكبرى لبلوغ محمد علي ولاية مصر ، بنته منذ حوالي خمس وأربعين سنة سار أمام الزفة شاب قد شق بطنه وأخرج أمعاءه على صينية من الفضة ، ثم أعادها إلى موضعها بعد الزفة ولزم السرير عدة أيام قبل أن يشفى من آثار هذا الجنون الكريه . وضرب آخر ذراعه بسيفه أمام المتفرجين ثم شد جرحه قبل أن يخرج السلاح بيضمة مناديل تشربت بالدم . وقد وصف لي هذه الألعاب شاهد عيان . وهناك مشهد أكثر غرابة وأشد إثارة للاشمئزاز لا يقل شيوعاً في هذه المناسبات عادة إلا أنه يندر أن يشاهد الآن[2] . وقد يعرض الحواة أيضاً حيلاً مختلفة إلا أن أكثر الألعاب تكون تقليداً للمعارك . وقد تعرض مثل هذه الألعاب في الاحتفال بختان ، وقد تسير في الزفة العظيمة عدة عربات يركبها صناع وتجار من مختلف الفنون والحرف الممارسة في العاصمة يمثلون أعمالهم العادية . ويوجد في إحدى العربات بعض الرجال يصنعون القهوة ويقدمونها إلى المتفرجين أحياناً ، وفي عربة أخرى يجلس بعض الموسيقيين ، وفي عربة ثالثة بعض العوالم . وتركب العروس في مثل هذه الزفة عربة أوربية مقفلة ، ولكن كثيراً ما تركب العروس وقريباتها وصديقاتها

---

(١) وأكثر ما يشاهد في هذا الوقت العمل الشاق الذي يقوم به سقاء يطلق عليه لقب (قيم) ، ليحصل على هدية ولقب زهيد . فيحمل قربة ثقيلة تملأ رملا وماء أطول وقت دون أن يستريح بالقعود إلا إذا حبا . وقد شاهدت أخيراً في زفة عرس فيما يحمل قربة من الرمل والماء تزن أكثر من قنطارين ، ابتداء من غروب اليوم السابق قبل الزفة وأثناءها حتى الغروب

(٢) وقد وصفه «بركهاردت» وصفا صحيحا في كتابه «الأمثال العربية» (ص ١١٥ — ١١٦)

الحبر فوق البراذع المرتفعة ، ويتقدمهن الموسيقيون والمغنيات ويتلوهن فرق أخرى فى نهاية الزفة

وتؤدب للعروس ورفيقاتها مأدبة عند بلوغهم منزل العريس ، وسرعان ما تنصرف الصديقات وتبقى أم العروس وأختها وحدها معها أو إحدى قريباتها الأخريات وامرأة أخرى تكون (البلانة) عادة ، وتسمى الليلة التالية (ليلة الدخلة)

ويبقى العريس فى الدور الأسفل ، ويذهب قبل الغروب إلى الحمام فيغير ملابسه وقد يغيرها فى المنزل ؛ وبعد أن يتناول وجبة العشاء مع بعض أصدقائه ينتظر قليلاً إلى قبيل الصلاة أو إلى مربع من الليل ، ثم يذهب حينئذ - حسب العادة الشائعة - إلى أحد المساجد المشهورة مثل مسجد الحسين لإقامة الصلاة ؛ وتقام له بهذه المناسبة زفة إذا كان شاباً ، فيتوجه إلى المسجد مسبوقاً بفرقة من طبالين وزمار أو زمارين ، وبصحبته بعض أصدقائه وحاملى المشاعل : والمشعل عبارة عن عصا طويلة ينتهى طرفها الأعلى بإطار إسطوانى من الحديد يوضع فيه خشب مشتعل ؛ وقد يكون لها أكثر من وعاء واحد للنار (أنظر شكل ٤٨) ،



(شكل ٤٨) مشاعل

وتسير الجماعة إلى المسجد عادة بخطى سريعة ونظام قليل ، وتختم الزفة فرقة موسيقية كالأولى أو فرقة طبالين . ويلبس العريس عادة قفطاناً ذا خطوط حمراء وجبة حمراء ويتم بشال من الكشمير باللون نفسه ، ويمشى بين صديقين فى مثل ثيابه . وتقام الصلاة للاحتفال فقط ، وفى أكثر الأحيان لا يصلى العريس مطلقاً ، أو يصلى من غير وضوء مثل المماليك الذين يقيمون صلاتهم خوفاً من سادتهم فقط[1] . وتعود الزفة من المسجد فى نظام أتم وأبهة أعظم وبطء شديد . وربما كان سبب ذلك أنه لا يليق بالعريس أن يسرع إلى المنزل ليحظى بعروسه . ويتقدم الزفة - كما سبق - موسيقيون وحاملو مشاعل ، يتبعهم رجلان يحملان على كتفيهما إطاراً معلقاً فى مدراة يتدلى منه ستون فانوساً صغيرة أو أكثر مقسمة إلى أربع دوائر تعلو إحداها الأخرى ، ولا تثبت الدائرة العليا بحيث يستطيع أحد حاملى الإطار أن يديرها من حين لآخر . وينير لألاء هذه الفوانيس والمشاعل الكثيرة الشوارع التى تمر فيها الزفة ، فتحدث تأثيراً جميلاً يستحق الاعتبار . ويتقدم العريس وأصحابه وغيرهم فى شكل حلقة مستطيلة متقابلين وفى يد كل منهم شمعة أو أكثر ، وأحياناً يحملون أغصاناً من شجر الحناء أو بعض الزهور عدا العريس وصديقيه على كل جانب ، وهم يمشون فى مؤخر الحلقة التى تشمل عشرين شخصاً أو أكثر . وكثيراً ما يقف الموكب برهة يغنى أثناءها أحد رجال الحلقة أو صبيانها أنشودة العرس ، ويقف أثناء ذلك دق الطبول ونغمات الزمار الحادة التى تبلغ مسامع العروس قبل وصول الزفة إلى المنزل بنصف ساعة أو أكثر . وينتهى الموكب كما سبق بفرقة موسيقية ثانية

هذه هى الطريقة الشائعة فى زفة العريس . وهناك طريقة أخرى أكثر اعتباراً تسمى (زفة ساداتى) يسير العريس فيها بين أصدقائه كالطريقة السابقة وبين حاملى المشاعل دون الموسيقيين ، ويستخدم مكان هؤلاء رجال يسمون لاحترافهم الغناء فى مثل هذه الأوقات (ولاد ليالى) ويتوجه العريس بين هذه الحاشية إلى المسجد . ثم يعود الموكب على مهل ويشرع المغنون فى الغناء أو إنشاد الموشحات فى مدح الرسول (صلعم) ويرتلون متعاقبين ما تيسر من القرآن بعد الوصول إلى المنزل ، ثم يقرأون جميعاً الفاتحة ، وينشد أحدهم بعد ذلك قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وأخيراً ينشد الجميع مرة أخرى الموشحات ويتناولون النقوط من العريس وأصدقائه

(يتبع)

عدلى طاهر نور

(١) ومن هنا سميت هذه الصلاة «صلاة مماليكية» أو «صلاة المماليك»

برقة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

ما برقة تلك التي خلقت لنا ... شغلاً وشغلاً للهواجس في غد
تلك التي حمل ابن أوس همها ... في بارع بادى الجمال مخلد
(أصبا الأصائل إن برقة منشد ... تشكو اختلافك بالهموم العود)
أم برقة أخرى وكم من برقة ... أخفى تألقها اتساع الفدفد
قد كدت أنساها لطول تذكرى ... فضللت حتى كدت ألا أهتدى
(ياجارة الوادى) ولست بجارة ... إن لم تردى عنه كيد المعتدى
ثأر السنوسيين لما ينسه ... أهل العروبة واللسان الأمجد
جبت عروبتنا عهوداً قبلها ... ومضت حفائظنا وراء المسجد
مضت الألوف من السنين بما حوت ... مما حمدناه وما لم نحمد
والآن يقرئ بالسلام يمينهم ... ويسارهم أبناء دين محمد
ولقد شهدت وأدمعى منهلة ... أسرا كمو، يا ليتنى لم أشهد!
أمحالفون لغزو مصر عدوكم ... وعدوها وعدو أهل السؤدد
يا جارتا إن كنت غير مطيقة ... إدراك ثأرك فاغضبي وتمردى
أنا لا ألوم على المساوئ أهلها ... إن كنت لما تدركى فتجلدى
إنى لأذكرها فأذكر شاعراً ... (ظن الظنون فبات غير موسد)

* * *

ماذا شهدت؟ شهدت أسمج مشهد ... فتيان رومة في القميص الأسود
وأظنهم لا ينزعون سوادهم ... لا بل يحاك عليهمو بالمبرد
صدأ العقول كسا الجسوم بلونه ... فمشوا عراة مشية المتبلد
فرحوا بأسرهمو فدان ألوفهم ... في موكب الأمرى لفرد أوحد
لا بل همو اعتادوا المذلة قبلها ... فبلادهم تعنو لرأى مفرد
متبجح جعل الصياح أداته ... فسما على أكتاف شعب مجهد
لا تطلبوا من خاضع حرية ... (صعب على الإنسان مالم يعتد)
أمر الجنود بغزو مصر فأذعنوا ... وأتوا إلى مصر بغير تردد
لا فاتحين ولا غزاة وإنما ... أمروا فكانوا طوع أمر السيد
ووراءهم (عرب) فوا أسفاهم ... لِمَ يتبعون جيوش طاغ معتد؟
وإذا أردت عن الحروب نبوة ... فانظر إلى الجندى ماذا يرتدى
الفاتحون، ثيابهم ولحاهمو ... شهدت لهم بعقاب يوم مرصد
شعر أغص به فذلكمو أخى ... ولو أنه في نهجه لم يرشد
لو كنت من أبناء برقة ماخطت ... رجلى إلى مصر وسيفى في يدى
هيا ادخلوها راكعين وسجداً ... أنتم بمصر عند أقدس معبد
لو يشهد «المختار» أسرى برقة ... لرثى لشعب في الهوان مبدد
سد يا حليف فكل فرد سيد ... لكن شعبك ماله من سيد
لا ندعى لك عصمة في موقف ... لا بل نقول لصاحب لا تبعد
طال الخلاف وما تزال بقية ... منه ولكنا كرام المحتد
خانق الوثائق والكتابة قومنا ... حرصاً على عهد لهم أو موعد
سادوا، وما سادوا بغير جدارة ... ما ساد إلا كل سامى المقصد

عبد اللطيف النشار

« الرسالة »
في عيدها العاشر

[مهداة إلى « الرسالة » الحبيبة وإلى أقطابها الثلاثة : الزيات والعقاد وزكي مبارك ...]

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

حيّ « الرسالة » واقبس من مُحيّاها ... ما شئت من حُسنها أو من مُحيّاها !!
رفّت على الشرق أندى من أزاهره ... كأن من نفحات الخلد ريّاها
وأشرقت بشعاع الفكر ناضرة ... تسبي القلوب وتجرى في حناياها
حسناء أوفت على عشر ومن عجب ... مرّ البرية لا يعدو ثناياها
ترجو العيون إذا أبصرن نضرتها ... لو أنهنّ شفاه قبّلت فاها
مضى الزمان عليها وهي أغنية ... فمُ الخلود ارتوى منها وغنّاها
تختال بالفن والآداب مترعة ... كالنهر يضحك أعشاباً وأمواها
الفكر أدّبها ، والعقل هذّبها ... والطبع حبّبها ، والحسن جلّاها
والشرق من وِردها ريّان مقتبس ... من نورها مستمدّ من سجاياها
تغدو عليه كأنفاس الربيع لها ... في كل قلب معانيها ونجواها
وللحياة مجال في صحائفها ... كالنفس تزخر بالدنيا طواياها
لم يبق للكون سرّ بعد ما بعثت ... شعاعها في الدنى يجلو خفاياها

رسالة النيل لا يبغى بها بدلاً ... وهي « الرسالة » و « الزيات » أذاها
سمت إلى المجد والعلياء وصاحبها ... أوفى على الغاية القصوى ووفّاها
في كلّ لفظ من « الزيات » أغنية ... الشمس يعشقها والفكر يهواها
والفن في أدب « الزيات » موهبة ... الحسن باكرها والسحر غاداها
ما زال يهتف بالفصحى ويكلؤها ... حتى غدا وهو حاميها ومولاها

أما « زكي » فلا والله ما خلقت ... له الطبيعة أنداداً وأشباها !
أهفو إليه كأن النفس غارقة ... في حبّه ! وكأن الحب سلواها
حديثه ذو شجون سحرها عجب ... ما رادها شاعر إلا تمنّاها
معنى جميل وأسلوب له صلة ... بالموج في البحر : هدّاراً وتيّاها
لو أن بالخمر معنى من سلامته ... لباعت الناس بالأقداح دنياها !

وسائلوني عن « العقاد » إنّ له ... نفساً تفيض المعاني من زواياها
أضنى من الكون تختال الحياة بها ... بالشعر والحب والدنيا ومغزاها
له عليّ أيادٍ ليس يعرفها ! ... ولست أجهلها بل لست أنساها
ديوانه قبلتي ألقى الحياة بها ... حسناء بالحب تلقاني وألقاها
مرآة نفس جمال الكون رقرقها ... وسرّ روح لسان الدهر ناجاها
أقسمت أنك يا عقاد معجزة ... هيهات يدرى ضمير الكون معناها
آمنت بالشعر يا عقاد في بلد ... غلّ العمى مقلتيها ثم غشّاها
للجهل فيها دواوين وأروقة ... تدعى المدارس حيّ الله مبناها !
آمنت بالشعر والدنيا تضيق به ... وطالما أضحك الدنيا وأبكاها
أنا — ويا ويح من تجنى عليه أنا — ... كزهرة الجبل العالى وريّاها !
يضوع منها الشذى لكن يضيع سدى ... مع الرياح وما تدرى ببلواها
حسبي من الدهر أن أحيا بعاطفة ... مماتها في سبيل الشعر محياها !

(كوم النور) أحمد أحمد العجمي



ليلة عيد الميلاد

للكاتب الانجليزى « نيوورهو »

بقلم الأستاذ كامل يوسف

— ١ —

طاب للناس الهدنة من أحزانهم ليلة ٢٥ ديسمبر سنة ١٩١٧ وراحوا يحيون ذكرى ميلاد « السيد المسيح » ، فأنيرت الثريات الملونة، وأوقدت شموع شجرة الميلاد فى كل دار، وتدفق الشراب فى أجواف الناس ، حتى أصبحوا لا يشعرون إن كانوا يحملون فوق أكتافهم رؤساً أم أثقالاً . وامتلأت البطون بألذ وأفخر المآكل ، حتى خيل إليهم أنها تكاد تنفجر من فرط ما استقر فيها ، وتلمس كل المتع فمن مخاصر إلى مراقص إلى مناج إلى مختلس للقبلات . كان الناس على هذه الحالة من المرح والسرور ، وهم يقولون فى أنفسهم : « غداً سيكون الطوفان » فستحمل إليهم الأنباء ويلات الحرب التى نزلت بذويهم وفلذات أكبادهم ، وربما حملت إليهم هذه الأنباء ، وأشفق ذوو الأمر من تبليغها حرمة لهذا العيد المقدس .

فى هذه الليلة تنبه شيطان من شياطين العالم الآخر على حركة مرح غير عادية فى الكوكب الأرضى ، واستغرب صدور ذلك من سكان الأرض وقال فى نفسه : « لعلهم لا يشعرون بما يجرى من ويلات ! » ولم يدر سبب ذلك فلجأ إلى زميل من زملائه يعبر له عن عجزه عن إدراك السبب ، وكان بجوارهما مفستو فليس كبير الأبالسة ينصت إليهما فقال لهما فى ابتسامة ساخرة : ألا تعلمون سر هذا المرح ؟ اليوم ذكرى ميلاد رب السلام ، فما أغبى الإنسان ! إنه ينسى مصائب الأجيال والأزمان ممثلة فى الحرب الأوربية الآن ويهلل فرحاً بهذا العيد !

فلما سمع الشيطانان ذلك قال أحدهما للآخر : ما دام الأمر كذلك فدعنا نمزح ونضحك من الناس قليلاً هذه الليلة .

فأجابه الآخر : وأين نضحك وهنا مجال عملنا فى الضحك والاستهزاء ، وأشار بيده إلى جهنم . فقال الأول : حقاً إنه لمجال مُملٍ ممل، وإنه لا يسرنى شىء أكثر من ذلك الرجل الذى يقال له فيدياس فقد قيل عنه إنه أخرج أحسن دمية عرفها التاريخ، ومن ذلك الرجل الذى يقال له « دافنشى » ، ومن ذلك الرجل العابس الذى كان يكره أمه كرهاً عميقاً وانفصل عنها ثم جمعتهما المصادفة فى موطننا العزيز أعنى به « شوبنهور » . ليس يضحكنى أكثر من هذه الشخصيات الغريبة التى تبددت فى شخص امرأة جميلة ، رآها فيدياس فقال إنها أجمل مما صاغته يده ؛ ورآها دافنشى فاعترف بحقارة فنه تجاهها ؛ ورآها الرجل العابس شوبنهور فأقر بخطأ رأيه فى المرأة وعادت العلاقات بصبيها مع أمه ، تلك المرأة المتحذلقة ، ورآها لويس الرابع عشر فأمر مدام بمبادور أن تكون خادمتها ، واستحت كيلوبطرة أن تظهر أمامها لئلا تفقد شهرتها التاريخية .

وكان هذا الشيطان مع حداثة عهده قديراً مبدعاً فى خاطراته، وساخراً بارعاً فى أفعاله ؛ وكان زميله ينصت إليه بشوق ولذة ، فقال له وهو معجب : هيه يا بعلزبول ! فاستمر الأول يقول: تصور هذا الجمع من الجانين تظهر فى وسطهم حورية ! لقد كنت أتودد إلى كل واحد منهم على حدة حتى أدعه يثق بأنها أصبحت أسيرة هواه ، فإذا استقر هذا الرأى فى ذهنه تحولت عنه إلى آخر ، ومثلت هذا الدور نفسه مع كل واحد ، وبذلك استفززت غيرتهم جميعاً فنشب بينهم الخصام . وسمعت شوبنهور يقول بعد ما قامى الخيبة : « محال أن أنزل عن رأيى الذى ذكرته فى المرأة . إنها المخادعة الماكرة » وسمعته ينادى نيتشه : تعال يا بنى وهات معك سوطك لكى أتفاهم مع هذه المرأة اللعوب » فقد ضحكت كثيراً من حركات هذا الفيلسوف العصبية . ووددت لو صورت نفسى على مثال كلبه لكى أمزح معه ، ولكنى أشفقت على أعصابه . لقد كان يوماً جميلاً حقاً ظللت فيه أبحث عنك لكى تشهد هذا الفصل المضحك فلم أجدك ، فأين كنت ؟

— كنت مشغولاً بدعابة من نوع دعابتك . فقد هيأت لنيرون أن يشعل النار فى جهنم ليزيد فى لذته ، فإذا اسعد

لذلك ظهرتُ كالمارد فاستخزى وسكن جنونه. ولكنى فى الحق سئمت هذا المزاح وتاقت نفسى إلى شىء جديد.

فقال الشيطان الأول: وأنا كذلك أريد تجديداً.

ثم قال فرحاً كمن طرأ عليه خاطر جميل: دعنا نمزح ونسخر مع من فى الأرض الليلة؟

— وهو كذلك. إنها لفكرة حسنة. دعنا نضحك من سخفهم هذه الليلة.

— ٢ —

فى مساء تلك الليلة اجتمعت الجموع فى كنيسة القديس بولس. وكانت الجموع خاشعة، وقد اكتظت الكنيسة بالمصلين، كل قد جاء يدعو الله أن يحفظ أهله من شرور هذه الحرب الطاحنة؛ وكانت صلاة القداس يعلوها وقار وجلال لم يشهد من قبل، وكانت قلوب المصلين تتجه إلى الذات العلية مخلصة صادقة فى دعواتها وصلواتها؛ وظل هذا الجلال والصمت لا يقطعهما غير صوت الكاهن وأغانى الشمامسة ونغمات الأرغن حتى أتى دور الدعوات، فأخذ الكاهن يتضرع إلى المولى عز وجل أن يزيل الكروب، وكان يجد من مساعدة الشعب له ما يجعلهم يرددون بصوت رن صداه فى قبة الكنيسة ومن أعماق القلوب «آمين يا رب. آمين يا رب» واستمر الكاهن فى توسله يقول: «وامنع الحروب والغلاء والفناء وسيف الأعداء»، وقد توجهت القلوب بجملتها إلى الذات الإلهية بإخلاص أن يكشف عن الإنسان ذلك الكابوس الثقيل الذى لم يقاس أفظع منه. ومن منهم لا يتوجه بإخلاص إلى الله بهذه الضراعة وكلهم منكوب إما فى نسله أو فى ذوى قرباه؟ لذلك كانت «آمين يا رب» تخرج من القلوب بحرارة صاعدة إلى عرش الملكوت فى ذلة الضعيف يطلب صنيعاً من سيده.

فى هذه اللحظة الرهيبة كان المستر باترمان يردد هذه الدعوات وهو يقول فى دخيلة نفسه: «يا رب لا تسمح بإجابة هذه الضراعة لأن فيها خرابى بل خراب أمتنا العزيزة»، وكان الشيطان الكبير يرافق زميله الصغير فى هذه الحفلة المقدسة. فلما سمعا المستر باترمان اقتربا منه وسمعا أمنيته فضحكا من هذه المهزلة الإنسانية الكبيرة وأرادا أن يمزحا بالمستر باترمان فرغب الشيطان الكبير أن يهوى الرجل على الأرض، وكان عجوزاً فى السادسة والستين من عمره لا يقوى على الوقوف طويلاً أثناء القداس؛ لذلك كان يستند على عصاه الأبنوسية، وفى فترات السكون الشامل بين الضراعة والأخرى، جاء الشيطان الكبير فزحزح العصا. فسقطت من يد الشيخ العجوز وأحدثت ضجة كبرى لفتت أنظار المصلين، وانكفأ الشيخ على وجهه وكاد يسقط لولا أن تمالك نفسه، ولما كان لا يقدر على الوقوف بدون العصا، انحنى ليأتى بها، ولكنه ما كاد يقبض عليها حتى خطر للشيطان الصغير أن يعبث به أيضاً فجذب العصا منه ثم تركها تهوى على الأرض فأحدثت مثل الضجة الأولى فى فترة السكون، ولكن المستر باترمان أحكم فى المرة الثانية القبض عليها ووقف مستنداً إليها وهو يشعر بشىء من وخز الضمير علماً بأنه نتيجة أمنياته التى تخالف أمنيات المصلين

والمستر باترمان من أغنياء الإنجليز وصاحب مصانع الذخيرة والأطعمة المحفوظة، وهو مع ذلك من أقطاب السياسة وله نفوذ كبير فى إدارة دفتها. لذلك لا تستغرب منه هذه الأمنيات السيئة، إذ فى إبطال الحرب ضياع ثروته التى جمعها فى مواد سيكون مصيرها البوار. وهو ككل رجال السياسة يمهدون من توخى الصالح العام، يوقدون الأمم فى شباك الحروب للغنم الذى يعود عليهم أو لخطر وهمى فى أذهانهم، ويدفعون بملايين من أرواح البشر فى سبيل هذه الغايات المجرمة. وكان من سوء حظ البشرية أن نعتقد فى رجالها القداسة، وكان المستر باترمان ككل سياسى يبرر موقفه المخزى بشتى العلل والنيات. لذلك كان يجيب على هذه الضراعات التى كانت تخرج من قلوب المصلين ومن صميم الإنسانية جمعاء، بالتوسل للذات الإلهية ألا يجيبها لماذا؟ لأن فى إجابتها وانتفاء الحروب ضياعاً لثروة أمة ممثلة فى ثروته تصبح بعدها فى ذل الإفلاس والانحطاط المالى

انتهت الصلاة وخرج باترمان وهو ما زال يشعر بوخز ضميره، وقصد النادى وخرج وراءه الشيطانان، وقال أكبرهما: لنتبعه حيثما يذهب، ولنجعل منه متعة لأنفسنا الليلة. «فما كاد يدخل ردهة النادى حتى سمع أصواتاً عالية كان أصحابها فى مناقشة حادة؛ فلما دخل القاعة وجد أعضاء النادى فى صخب وجدل فسأل

صديقه للستر كونراد عن سر هذا الجدل ، فعلم منه أنهم يجادلون في محاصرة بلاد العدو . وهل هـذا العمل يكلف الحلفاء والإنجليز خاصة أكثر مما يربحون ، ولكن باترمان لم يكن صافي الذهن خلي البال حتى يدلي برأيه ، غير أنه سأل صديقه :

— وهل من جديد في الجو السياسي ؟

فأجابه : لا شيء غير ما تنقله إلينا التلغرافات الآن من أن البابا يناشد الدول المتحاربة وخاصة الحلفاء أن يكفوا عن القتال

وقد وجد باترمان مجالاً يخرج فيه عن صمته الذي لزمه منذ كان في الكنيسة فانفجر صائحاً :

— لقد ضايقنا هذا البابا بأمنياته ، فماذا يهمه من الحرب ؟ نحن الذين ضحينا بأبنائنا وأموالنا لنا الخيار في الكف عن الحرب أو الاستمرار فيها ؛ أما هو فماذا يهمه من الخسائر ؟ لقد انزوى هو ورجاله في معقل الفاتيكان ثم يريد أن يملي إرادته علينا . إن خير جواب على هـذا النداء أن نقابله بما قوبلت به نداءاته الأخرى بالإعراض والإغفال

فرد عليه صديقه للستر كونراد :

— أنت محق يا عزيزي باترمان . إن البابا لم تحترق يده في النار ليعرف ما هي النار . لذلك لا يمكنه أن يحكم على نزعاتنا ؛ وهو لم يناص في هذا الميدان ؛ وهو وجنوده يطعمون من أكل أجود اللحوم وشرب أفخر الأنبذة . دع غواصة ألمانية تصيب أربعة منهم وهم يتنزهون في قارب — أقول أربعة فقط لا ملايين كما فجعنا نحن — وعندئذ يحق لنا الأخذ برأيه ونقول إنه جرب الأسى والحزن مثلنا ، وعندئذ لا يتمالك أن يصب غضبه وغضب الإله الذي ينوب عنه على هؤلاء السفلة الألمان

وكانت هذه الإجابة قد أرضت سياسينا فكسرت من حدة غضبه ، واطمأنت ثائرة نفسه فقال — هو كذلك — : أوعز إلى الصحف المحافظة أن تستخف بنداء البابا ، ولتدع الصحف الكاثوليكية تنادي بهذا الحلم الخيالي الذي يبدو جهلاً لأربابها أعني به الصلح والسلام

— وهو كذلك

وانصرف باترمان وخرج من النادي بعد أن وقف على تطورات الحالة السياسية وقصد فندق سيسل، وكان الفندق غاصاً بالناس تلك الليلة يحيون فيه عيد الميلاد ، ودخل المستر باترمان الفندق وخطا في ردهته الطويلة فلفت نظره في نهايتها ما حرك اهتمامه ، فدرج نحو هذا الشيء وهو يقول في نفسه : « هل بعثت ؟ محال أن يكون ذلك ، فلسنا في عصر المعجزات ، إذن لا بد أن تكون قريبتها » ، وكلما اقترب ازداد يقيناً ، لأن ما يراه أمام ناظريه الآن ينبئ عن صلة القربى . فأمامه سيدتان كبراهما ذات جمال رائع وقامة كغصن البان ، وعيون هي موارد السحر ، وشعر هو الذهب الوهاج ، وسن في حدود الثلاثين ؛ والأخرى لا تقل عنها حسناً ، ولكنها أقصر قامة وأقل فتنة . وقد اقترب منهما باترمان وهو واثق من هذه القربى ، وشغل باله بها فلم يعِ شيئاً غيرها . ولما وقع نظره عليها شعر بتجاوب العاطفة في نفس تلك السيدة ؛ فقد بدا على ثغرها ابتسامة جميلة فهم منها الشيخ معنى الرضا . ولما اقترب منهما رفع قبعته وانحنى وحياها : « مساء الخير يا سيدتي ! عيد ميلاد سعيد »

فأحنت الكبيرة رأسها قليلاً بكبرياء ، وأجابت هي وشقيقتها الصغيرة : « مساء الخير يا سيدي ، عيد ميلاد سعيد » . ولم يكن المستر باترمان يعرفهما من قبل ، ولكن دفعه إلى هذه التحية وجه الشبه الذي رآه والذي أراد تحقيقه . لذلك لم يلبث أن فاجأهما بهذا السؤال : « أليس سيدتاي من أسرة سوانسون » فأجابت الكبرى في رفق وعلى ثغرها ابتسامة مغرية : « كلا يا سيدي ، بل نحن من أسرة كلارك » . وكان ثغر الصغيرة يفتر عن ابتسامة خفيفة ، ولكن الشيخ لم يقنعه هذا الرد . وذهب إلى أنه لا بد أن يكون هناك صلة قديمة بين أسرة سوانسون وكلارك ، ولكنه لا يمكنه تحقيق ذلك وهو في طريق كل إنسان يدخل أو يخرج من الفندق . لذلك دعاهما للجلوس معه فلم يرفضا ، وكانتا فرحتين طروبتين ، وقصدا مكاناً قصياً بعيداً عن ضوضاء الأحاديث وصخب الراقصين ، ودعاهما إلى الشراب فلم يرفضا ، وكانت علامات السرور بادية على محياهما ، كما كان الشيخ مسروراً لهذه العلاقة التي ذكرته بالماضي ... وكانوا كلما شربوا كثر تحكمهم وعلا صوتهم ؛ وكان الرائي يشاهد خصلتين من الشعر على فوديهما كأنهما قرنان ، ولم يفطن

لذلك الشيخ الذي أعماه السرور ، وقد حق للشيخ أن يسر ، فقد وجد شبهاً قوياً بين السيدة الكبرى وبين زوجته ، كان قد أحب في شبابه فتاة من طبقة النبلاء كانت آية الجمال في عصرها ، ثم تزوجها بعد جهد جهيد ولم تعش معه إلا عاماً ونصف عام ثم ماتت على أثر ولادتها الأولى . فقطع على نفسه عهداً منذ ذلك الحين أن يحفظ لها المودة ما دام حياً ، وقد بر بوعده ، وصرف عنايته إلى ابنه « جيمس » وغمره بحبه ، وجعل منه الذكرى الوحيدة لتلك الحبيبة الراحلة ... فلذلك كان قرة عينه وحبة قلبه ، لا يألو جهداً في العناية بأمره — ولو كلفه ذلك كل ثروته — إخلاصاً لتلك الفتاة التي فتح لها قلبه لأول مرة ... وكان لجيمس تلك الطلعة الصبيحة التي كانت لوالدته ، وتلك الفتوة التي كانت في متوسط ذقنها ، فهو صورة منها ... كان الشيخ الهرم يرى فيها مطالع السحر ... فلما وقع نظره في تلك الليلة على هاتين السيدتين ، انتعشت روحه ، لأن حبيبته تعود للحياة ثانية ... وأشد ما جذبته تلك الطلعة نحوها التصور الماضي البعيد المملوء بالأحلام السعيدة ... ذكر كيف ظفر بحبيبته وتذوق السعادة لأول مرة في حياته : ولكن الشقاء كان يسخر من هذه السعادة فلم يلبث أن انتزعها منه ... هذا الماضي البعيد يعود الآن ، وهو الذي جعله ينسى الحالة السياسية وما فيها من تطورات ومفاجآت ... كانت تشغل باله على الدوام ، وخاصة تلك الليلة .

لقد اعتقد تلك الليلة بالبعث ، وكان يقول في نفسه : لعلها تجهل في حاضرها شخصيتها السابقة ... وقد كذب هذا الوهم ما رآه من مهاها من أول نظرة إليه . فهي هي إذن ، وسذاجتها في حديثها هي سذاجة حبيبته التي ورثها عنها ابنه « جيمس » معبوده الثاني بعد أمه ، وكان يود تلك اللحظة لو يحضر جيمس ليشاهد طلعة أمه — أو على الأقل — ليشاهد طلعة نسخة منها ، ولكن « جيمس » في ميادين الحرب ، قد تملكته النزعة الامبراطورية فأبى أن يخلد إلى السكينة في الوقت الذي تصوب سهام العدو إلى هدم امبراطورية أجداده ، فتطوع في الحرب برغم كل العراقيل التي وضعها والده في سبيله ... ولكم كان يسر الشيخ إذا علم أن الفرقة التي ينتسب إليها ابنه قد حازت انتصاراً على العدو ، وكان يعتقد أن الظفر قد تم بفضل حذق ابنه ، وكان يكثر من ترديد ظفر الفرقة التي يحارب فيها ابنه أمام أصدقائه ، وكان يقول لهم : وإلى حذق ابني يرجع الفضل ... وكان عند التحاق ابنه بالجيش يخشى عليه عادية الردى ، ولكن بعد أن تدبر تاريخ حياته وما فيه من نكبات وفواجع ، استكثر على المقادير أن تختمها بفقده ، وأصبح يميل إلى الاعتقاد أن المقادير رحيمة ، تكفر عما أصابته بهذه الحسنة ، وقد أغراه بهذا الوهم ما كان يصله من حين وآخر من سلامة ابنه من كل الأخطار ... !

في هذه اللحظة القدسية التي وجد فيها الشيخ نفسه بجوار حبيبته نسي العالم وما فيه من شرور ، وشعر بسمو روحه ولذة قدسية ، كأنها قد هبطت عليه من السماء ... وكان يزيد هذا الشعور الروحي في داخله كلما فتح عينه فرأى صورة زوجته وحبيبته ، أو هي بذاتها ... ولم يكن هذا الشعور من فعل الخمر ، فإنه لم يكرع غير ثلاثة أكواب من الويسكي لم تحدث له أي جموح في الخيال ، بل هي على العكس قد زادت في انتباهه وذهبت بالغضب الذي كابده طول هذا اليوم

وكان حديث الشيخ عادياً ، أو قل كان مقطوعاً ، وهل في مثل هذه اللحظة يجري الحديث ؟ ... وكان معظم ما فاه به لا يخرج عن تعبيره عن غبطته وسروره وسعادته بلقائها ، وكانت الفتاتان لا تكلفان أنفسهما أكثر من الابتسامة رداً على تمنياته . وقد أحدث سروره نوعاً من الذهول جعله في عزلة عما يحيط به ؛ حتى إنه لم يشعر بوجود خادم الفندق بجواره يقدم إليه شيئاً في صحن ، حتى نبهته كبرى الفتاتين ، فالتفت إلى الوراء فوجد الخادم ، فقدم إليه برقية وقرأ على الغلاف : في خدمة صاحب الجلالة الملك ... ففهم أنها برقية حكومية ، وما كاد يفض الغلاف ويقرأ البرقية حتى أفاق من نشوته ، وأظلمت الدنيا في وجهه ، وأغمي عليه ... فتناولت الفتاة الكبرى البرقية وقرأتها ؛ فإذا فيها :

« الملازم الأول « جيمس بارمان » أصابته رصاصة قضت عليه ... ! » (القيادة العامة)

وبعد أن عاد إلى حسه سمع صوتاً يردد : « يارب ، لا تسمح بإجابة هذه الضراعة ، لأن فيها خرابي ، بل خراب أمتنا العزيزة ! » وتلا ذلك ضحكات ملؤها السخرية والتهكم ... ففتح عينه ، فلم يجد مصدر هذا الصوت ، ولم يجد جليستيه ... ولكنه شعر بحفيف أشبه بحفيف الأجنحة أحدث تياراً شعر به !

كامل يوسف

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 445

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 12 - 1 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٤٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٥ ذو الحجة سنة ١٣٦٠ — الموافق ١٢ يناير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

الطموح والتمنى

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... ولست أدرى ماذا تصرون فى أن تكون هناك علاقة بين الأدب وقيادة الجيوش . أو بينه وبين انجذاب أهل الطريق . ففى رأيى أن لا علاقة هناك إلا علاقة الطموح والرغبة فى نعم الشهرة المنعقدة فوق جبين الكثيرين . . . فطموحكم من مطالع صباكم هو الذى حبب إليكم أن تكونوا شيخاً يحيط بكم ما كان يحيط بمشايخ حيكم من احترام وتبجيل فى بيئة كالتي نشأتم بها ، والتى يبدو لى أنها كانت شديدة التقوى كثيرة الاحتفاء بالدين ورجاله ، ثم تحولت الأنظار إلى الجيش المصرى والإنجليزى الهابطين من السودان وكثر الحديث عنهما وعن قوادهما فى بلدكم ، فتحولت « بوصلة » الطموح عندكم إلى هذا القطب الجديد . هذا رأيى الذى أظنه الصواب ، وقد جربت مثل ذلك بنفسى ، وتمنيت وأنا فى المدرسة الابتدائية أن أكون لاعب كرة يحيط بى من تصفيق الطلبة وإعجابهم ما يحيط بمشاهير اللاعبين . ثم تمنيت من أول دراستى الثانوية أن أكون محامياً وأنتم تعلمون شدة اهتمام الجمهور بقضايا عهد صدقى باشا السياسية .

« وفى انتظار تكرمكم بإبداء وجهة نظركم فى رأيى هذا

إما بكتاب خاص أو بمقال فى الرسالة ، أكرر تهنئتى وأقدم لكم الشكر والتقدير ... »

ادوارد حنا سعد

إيرادات بلدية الاسكندرية

***

ورأيى أن الطموح تفسير وليس بتفسير .

فالناس يشتهرون بألوف الأشياء ، ويظهرون بين أقوامهم بكثير من المزايا التى تكفل لإصحابها الوجاهة وارتفاع الصوت والصيت : بالمال والمنصب والهيبة الدينية ، أو الدنيوية ، وبالعلم عى اختلاف أبوابه وتعدد مناحيه ، وبالنبوغ فى الألعاب والفنون التى يدركها الجمهور بداهة أو يدركها محاكاة لمن هم أرفع منه فى المنزلة والمعرفة . وكلهم طامح وكلهم محقق لما تمناه من الطموح

فليس بتفسير أن يقال إن هذا الشاعر العظيم بلغ مكانه من الشهرة الشعرية لأنه طامح ، وأن هذا المهندس العظيم بلغ مكانه من الشهرة العلمية لأنه طامح ، وأن هذا الغنى العظيم بلغ مكانه من الثراء واليسار لأنه طامح ، وأن كل عظيم طمح فاشتهر لأنه تعلق بالطموح

كلا . ليس هذا بتفسير فيما أرى

وليس هذا بالحقيقة فيما أعلم من شأن نفسى ، وفيما أعلم من شأن البواعث التى حفزتنى إلى معالجة « الدروشة » والكرامات الدينية ، وحفزتنى إلى قيادة الجيوش والغلبة فى القتال ، وحفزتنى حيث استقر بى المطاف إلى المضى فى طريق الأدب والكتابة دون كل طريق

فلو كانت المسألة طموحاً وتطلعاً إلى الحفاوة لكان الأولى بى أن أطمح إلى جمع المال والتوسع فى التجارة لأنها قبلة الأنظار فى بلد له فى التجارة تاريخ عريق حتى قيل إن اسم الإقليم مستمد من اسم السوق

بل لو كانت المسألة طموحاً إلى الحفاوة التى يلقاها رجال الدين لكان الأولى بى أن أطمح إلى مكانة القضاة الذين يخرجون بين الحراس والحجاب ويتقدمون على رجال الحكم ورجال الجيش حينما اجتمعوا معاً فى مكان حافل أو مأدبة حكومية ، أو لكان الأولى بى أن أطمح إلى منزلة كمنزلة أستاذنا الفقيه الأديب الأستاذ أحمد الجداوى — رحمه الله — وكانت له حلقة دينية أدبية يتردد عليها أعاظم القوم ويجلسون بين يديه جلسة الخشوع والتوقير ، وكانت له إلى جانب ذلك مساجلات أدبية يحج إليها المعلمون والمتعلمون ، ويتندر بفكاهاتها وطرائفها من يدرسون ومن لا يدرسون

أما حياة « الأسرار » الدينية فلم تكن محل ظهور ولا وجاهة بين الناس ، ولم يكن أحد ممن يقتدى بهم فى هذا المجال على مظهر يشوق الطفل الناشئ أن يحكيه أو يعيش على غراره : مظهر مسكنة وحرمان وشظف وانقطاع

وأدل من هذا على خطأ التفسير بالطموح فى هذا الصدد أن الظهور وطلب الكرامات والأسرار نقيضان كما تنبئنا أول صفحة من أول كتاب فى مناقب الصالحين

فمن طلب الظهور فلا سبيل له إلى كرامة ولا نفاذ له إلى سر مكنون من أسرار القداسة والولاية

إنما تنال الكرامات والأسرار بالإعراض عن المظاهر والزهد فى الحفاوة ، وأن ننذر نفوسنا للفاقة والشظف والحرمان ، ونجنبها غواية الزهو والترف والإعلان . وهذه هى الأمنية التى تمنيتها لأننى تمنيت البحث عن الحقيقة والهيمنة من طريق معرفة الحقائق على ما حولى من قوانين الكون وعناصر الطبيعة

فالطموح كما قدمنا ليس بتفسير لطلب العظمة كائناً ما كان مجالها والغرض منها . فبعد الطموح يبقى لنا سؤال آخر عن علة طلب العظمة من هذا الطريق وعن التوفيق بين نوع العظمة المطلوبة ونوع المزاج النفسى الذى يطلبها ويؤثرها على غيرها

والطموح بعد ذلك ليس بالتفسير الصحيح فى الحالة الخاصة التى ذكرتها عن أمنيتى ؛ لأننى لم أطلب الظهور بل ضحيت به فى سبيل الحقيقة التى أصل منها إلى هيمنة لا ظهور فيها ؛ ولا يزال الظهور الشائع مفسدة لها وداعية إلى حبوطها

وما لنا ولهذا والأديب صاحب الخطاب يذكر حالة تنفى تعليل كل شىء بالطموح فيما ذهبنا إليه ؟

قال فى خطابه : « تمنيت وأنا فى المدرسة الابتدائية أن أكون لاعب كرة يحيط بى من تصفيق الطلبة وإعجابهم ما يحيط بمشاهير اللاعبين ... »

فليعلم الأديب صاحب الخطاب أن التصفيق لم يحط بلاعب

كرة كما كان يحيط بلاعبيها الأسوانيين فى ذلك الحين . فقد كانت العناية بالرياضة البدنية يومئذ فى إبانها ، وكان للجيش الإنجليزى بأسوان فرق مدربة تسترعى أنظار المدينة بأسرها ويتمنى كل طالب أن تتغلب فرقته المدرسية عليها . وكانت فرقة أسوان تسافر إلى إدفو وقنا وسوهاج وأسيوط تلاعب هناك فرقة بعد فرقة وتعود من تلك البلاد غالبة أو مغلوبة يتطلع الزملاء إلى أخبارها كما يتطلع قراء الصحف إلى أنباء المعارك الحاسمة . ومع هذا كله فشلت مساعى المدرسين فى إغرائى بالانتظام فى فرقة الكرة أو الفرق الرياضية على اختلافها لنفورى منها . وظللت أتجنب وأفضل الحبس على حضور حصة الرياضة البدنية فى أوقاتها المفروضة علينا . ولم يستهونى الطموح ولا الشهرة ولا التصفيق إلى هذا الجانب المغرى لكل طالب. ولم أكن أفهم دهشة زملائى لرفضى دخول الفرقة وهم يتحرقون شوقاً إلى دخولها ويتمنون لو وهبوا تلك الصفات الجسدية التى جعلت المدرسين حريصين على ترشيحى لفرقة الكرة وكل فرقة رياضية

فليست المسألة يا صاحبى مسألة طموح وظهور . ولكنها مسألة شوق باطنى وجد مصرفه فى هذه الناحية أو تلك حتى استقر من الناحية الأدبية إلى قرار

ومن الواجب أن نربط بين النزعة الدينية والقيادة العسكرية والملكة الأدبية إذا أردنا أن ننفذ إلى خصة من خواص النفس البشرية التى تؤلف بين النقائض حتى تنتظم فى نسق واحد ، وهى كما تبدو على وجه الأمور غير قابلة للتناسق والائتلاف

وربط هذه الشعب المتفرقات واجب ها هنا لأن العلاقة بينها صحيحة متغلغلة ملموسة ؛ فلا بد من سبب اتصال بينها ، ولا بد من النفاذ إليه ، وليس النفاذ إليه بعسير

فالنزعة الدينيـة — نزعة الأسرار والهيمنة على العناصر الطبيعية — تلاقى البحث الأدبى من طرفين : أحدهما الاستطلاع والاستكناه وهو أصيل فى طلب الأسرار الدينية وأصيل فى طلب الأسرار الفكرية على الإجمال

أما الطرف الآخر فهو طرف إثبات النفس ، وهو فى جانب التدين سيطرة على أسرار الكون ، وفى جانب الأدب تعبير عن النفس وتوجيه للأفكار وامتلاك لناصية الحقائق ، وكلا الطرفين قريب من قريب

ولا صعوبة فى التوفيق بين التدين والقيادة العسكرية ، وإن ظهرا لأول وهلة كالنقيضين المتدابرين

إن النضال لعميق فى روح الدين لم تخل منه الأديان الأولى ولا أديان الكتب المنزلة التى يدين بها معظم الأمم اليوم

فإله الخير وإله الشر . أو إله النور وإله الظلمة . ما برحا متصارعين عند الجوسيين من أقدمين ومحدثين

وكل دين من أديان الكتب المنزلة يؤمن بالصراع بين الملائكة والشياطين . وبالحرب الدائمة بين جنود الله وجنود إبليس

وكل ساعة من ساعات الضمير فهى مصارعة ومغالبة قلما تنتهى بنصر حاسم لجانب من الجانبين . وما هى حياة الضمائر إن لم تكن حياة العراك والمقاومة والانتصار ؟ وما هى أسرار الكون إن لم تكن أسرار التجاذب والتدافع بين دواعيه ونواهيه ؟

فالنضال أصيل فى روح الدين

والتقاء التدين وطلب الغلبة وطلب التعبير فترة واحدة أو فترات متعددات فى النفس « المتطورة » ليس بالأمر الغريب ولا باللغز العسير التعليل

وكم أديب مناضل وجندى يحمل السلاح وهو غير مطبوع على النضال !

وقد تركت أمل القيادة العسكرية منذ الصبا الباكر ولكنى لم أتركه إلا فى الظاهر الذى لا يتعدى الملابس والأزياء

فما هو إلا أن أسلمتنى المناوشات الصبيانية إلى نظم الشعر للتحدى والمناجزة حتى انتقلت إلى عالم التعبير والكتابة وانتقلت إلى هذا العالم الأدبى لأناضل وأقضى العمر كله فى نضال باطن بينى وبين نفسى ونضال ظاهر بينى وبين الآخرين

فما الغرابة فى التوفيق بين هذه الأمانى ؟ وما الصعوبة فى هذا التوفيق ؟ وأيهما أسهل وأدنى إلى القبول : تعليل كل أمنية بالطموح وليس هو بالتعليل الشافى ولا بالتعليل الصحيح ، أو النظر إلى ما وراء الطموح من بواعث متقاربات تتلاقى عندها الظواهر المتباعدات ؟

الراحة الكبرى تنال على جسر من التعب كما قال أبو تمام ، والسهولة الكبرى فى تعليل الحقائق تنال بعد خطوات من السهولة العارضة على وجه الأمور ، ولكنها بعد اجتياز هذه الخطوات أسهل من كل سهل قريب ، لأن هذا السهل القريب لا يؤدى إلى شىء ولا يستريح الواقف لديه .

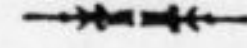
عباس محمود العقاد

الصوم عن القاهرة

فى يوم العيد

[رسالة مهداة إلى الأستاذ الزيات ،
وإلى من تعنيهم مكانة القلم البليغ]

للدكتور زكى مبارك



كان من السنن الجميلة أن أقضى يوم العيد بين أهلى فى الريف وكان للعيد فى حياتى تأثير جميل : فقد كنت أسمع من أمى وخالاتى وعماتى دعوات أكاد أشهد صعودها إلى السماء

وما أذكر أنى قضيت العيد بعيداً عن أهلى إلا فى الأعوام التى قضيتها بين الاعتقال والاغتراب . ولله حكمة عالية فى ابتلاء القلوب بألوان من الضجر والضيق تؤهلها لإدراك بعض المجاهيل من بيداء الوجود

وفى صبيحة أحد الأعياد مضيت إلى « سنتريس » وأنا خلى الذهن من المفاجآت . فراعنى أن أرى أبى يجذب يدى فيقبلها بحرارة وشوق ، وكنت أنا الذى يقبل يمناه فى جميع فرص اللقاء ولو أتيحت فى اليوم الواحد عشرات المرات ، فماذا فهمت من ذلك العطف الجديد ؟

قدرت أن أبى سيموت . وأنه لم يقبل يدى إلا إيذاناً بالوداع ، وأننى لن أراه فى مثل ذلك اليوم من السنة التالية ، وأن الدنيا لن تسمح بأن أرى العيد فى صحبة صديق كان غايةً فى صباحة الوجه ، وحصافة العقل ، وطهارة الوجدان . وهل رأت عيناى رجلاً أفضل من أبى ؟

وصفه المسيو دى كومنين لأحد محدثيه بهذا الوصف الطريف :

C'était un vieillard de chez nous

يرحمك الله ، يا أبى ! ويرحم أيامى فى رعاية قلبك الرفيق !

كان أبى يحبنى إلى حد الإسراف ، وكنت خليقاً بذلك الحب ، فما بات من أجلى ليلة واحدة وهو محزون أو مكروب . وهل جشمت أبى ما لا يطيق . أو فرضت عليه أن يحسب لمتاعبى أى حساب . مع أنه لم يمت إلا بعد أن تمرس كاهلى بحمل الألوف من المصاعب الثقال ؟

ثقل على قضاء العيد فى الريف بعد موت أبى . فكيف كان العوض من ذلك الحرمان ؟

أشار أخ كريم بأن أزور قصر جلالة الملك يوم العيد لأقيد اسمى فى دفتر التشريفات . فماذا غنمت من تحقيق ذلك الاقتراح الجميل ؟

كنت أبكر قليلاً . لأسير فى شوارع القاهرة لحظات قبل أن أصل إلى قصر جلالة الملك . فعرفت من جمال القاهرة ما لم أكن أعرف . وما ظنكم بمدينة لا يستطيع العيد أن يزيدها جمالاً إلى جمال ؟

كان يروعنى أن أرى القاهرة لا تتأثر بالعيد . وكيف وجميع أيامها أعياد ؟

وهل يمكن أن تمر بأحد شوارع القاهرة فى أى وقت ، ثم تعود وأنت فى أمان من الفتون ؟

إنى أحسد من يرى القاهرة لأول مرة . أحسده وأحقد عليه ، فالبرغم منى أن يكون لى فى هواها شريك . ولو كان من أكابر أهل الوفاء

وأقول « أول مرة » لأنى أخشى أن يكون طول الإلف قلل من طرافتها فى عينى ، وإلا فكيف جاز أن يكون طوافى بشوارعها مقصوراً على أوقات الأعمال ؟ ألا تمر أسابيع فى أيام الإجازات بدون أن أستصبح بنورها الوهاج ؟

وأرجع فأدون أنى كنت أصل إلى قصر جلالة الملك بعد أن أطوف بشوارع القاهرة لحظات ، فأرى القصر يموج بالمهنئين من الوزراء والقضاة والمحامين والنواب والشيوخ والأعيان ، والتفت فأرانى أستقبل كل قادم ، وأودع كل ذاهب ، كأننى فى دارى ، وأنتهب الفرصة فأدير المناقشات الأدبية والاجتماعية مع من أصادف هنالك من رجال القلوب والعقول ، ولا أنصرف إلا بعد أن أطمئن إلى أنى عيدت على أكثر من أحب أن أراهم فى يوم العيد

وكان جلالة الملك رأى أن يخفف على شعبه الأمين تكاليف التشريفات ، فكان الوافدون على القصر للتهنئة لا يشعرون بالفروق الموروثة بين الطبقات ، وكان حظ أى زائر مماثلاً تمام المماثلة لحظ رئيس الوزراء

ثم ماذا ؟ ثم جاء هذا العيد بجديد لم ألتفت إليه من قبل

نظرت فى منهاج التشريفات فهالنى أن لم أجد فيه مكاناً لرجال القلم البليغ ، مع أن لرجال القلم نصيراً فى قصر جلالة الملك . هو الرجل أحمد محمد حسنين . وكان من لطائفه أن يراعى هذا الشأن الدقيق

مليكنا العظيم الشاب يسره أن يشهد جميع ما فى وطنه من القوى الحيوية ، وأعظم القوى فى مصر هى قوة القلم البليغ ، فكيف يصعب علينا أن نصافح جلالة الملك فى يوم العيد . ونحن رسل الثقافة المصرية فى الشرق ؟

إن أقلامنا هى زينة الوطن فى أعوام النعماء ، وسناده فى أيام البأساء . فكيف يحال بيننا وبين مصافحة رمز الوطن فى يوم العيد ؟

رجال الدين لهم فى التشريفات الملكية مكان ، وللوزراء والسفراء مكان ، ولكبار رجال الأعمال مكان ، فأين المكان المحفوظ لأقطاب القلم البليغ ؟

أعيذ القارئ أن يتوهم أنى أطالب بمغانم رسمية ، تغض من سمو المنزلة الأدبية ، فما نحن طلاب ظواهر ، وإنما نحن طلاب معانى ، والقصر هو الرمز المعنوى لروحانية هذه البلاد ، ونريد بصراحة أن يكون لنا فى ظلاله مكان ، باسم الفكر والبيان .

الأدب للأدب ...

ولهذا المعنى نطالب بأن يكون له فى التشريفات الملكية مكان

قد يقال إن حملة الأقلام فى مصر يعدون بالعشرات أو بالمئات ، ومن الصعب أن يوضع لهم نظام فى التشريفات .

وأجيب بأن من السهل أن يكتفى بالطبقة الأولى ، وأفرادها لا يحتاجون إلى تعريف ، ثم تكون هذه الطبقة رمزاً للقوة الأدبية فى التشريفات ، ليعرف رجال القلم أن حظهم غير ضائع فى هذه البلاد

١٨٠٣

كان متوسط ما يصدر عن المؤلفين المصريين اثنا عشر مجلداً فى كل يوم ، قبل أن ترتفع أثمان الورق ، فهل أقيم لجهودنا ميزان فى وزارة المعارف أو رياسة مجلس الوزراء ؟

واسم مصر يرتفع من يوم إلى يوم فى أقطار اللغة العربية بفضل القلم البليغ ، فهل جوزى حملة الأقلام على ذلك الجهاد ؟

نحن أغنياء بأقلامنا وأرواحنا عن ثناء الأمة المصرية ، ولكننا نشتهى أن تكون أمتنا غاية فى الوفاء . وهو أشرف الخصال ، فهل تسمع أمتنا هذا الصوت ؟

شاءت المقادير أن تكون لمصر الزعامة الأدبية فى الأقطار العربية والإسلامية . أفلا يكون من العيب أن يحفظ قدر القلم المصرى فى جميع الديار ، إلا الديار المصرية ؟

بأعصابنا ودمائنا غنمنا المعركة الأدبية ، بعد نضال حشدت فيه قوى كريمة تتمتع بالهواء الذى تنسمه ملك بنى أمية ، وملك بنى العباس .

ولن تنزع الراية الأدبية من أيدينا ، ولو عاد عهد الخلفاء فى قرطبة ودمشق وبغداد ، فإن شاء بنو الأعمام والأخوال أن يناضلونا من جديد فنحن على استعداد للنضال

وهل يحتاج بنو الأعمام والأخوال إلى مثل هذا الوعيد ؟

إن عطفهم مبذول بغير حساب ، ونحن لا نشكو غير تجنى الحكومة المصرية ، فهى لا تعترف للقلم بحق إلا إن كان صاحبه من السياسيين ، وسنؤلب جميع أدباء اللغة العربية على الحكومة المصرية ، فلتعرف هذه الحكومة أن صبرنا لن يطول على تجنيها الجميل !

* * *

أما بعد فقد عز على أن يحظى ناس بمقابلة جلالة الملك ، ثم لا يكون نصيبى غير كتابة اسمى فى دفتر التشريفات ، وأنا من فئة قليلة تحمل المصابيح لإنارة القلوب والعقول ، ولها فضل معروف أو مجهول فى بناء هذا الجيل

وكذلك قررت الصوم عن القاهرة فى هذا اليوم ، والصيام فى العيد حرام لا حلال ، فهل يغفر الله هذا الذنب الدميم ؟

المدينة الفاضـــلة

للدكتور جواد على

والمدينة الفاضلة هى أصغر مجموعة بشرية كاملة تصورها الفيلسوف الفارابى فيلسوف المسلمين فى كتابه : « آراء أهل المدينة الفاضلة »[١] وقد نعت مدينته هذه بهذا الاسم تميزها بذلك عن المدينة الجاهلية والمدينة الفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة وغيرها من المدن التى ابتكرها عقل الفارابى . وقد سجل أسماءها وخواصها فى كتابه حيث ذكر خواص كل مدينة من هذه المدن وعلاماتها الفارقة وميولها من خير أو شر [٢]

وكتاب « آراء أهل المدينة الفاضلة » فى ذاته نوع من أنواع الإيتوبيا (طوبى) Utopie أراد فيه مؤلفه الفيلسوف المعلم الثانى[٣] معالجة قضية من أشكل القضايا البشرية التى جابهها المسلمون ألا وهى قضية شكل الحكومة المثالية ونموذج الأعلى لنظام الحكم فى هذا العالم كما فعل قبله الفيلسوف اليونانى الكبير أفلاطون فى جمهوريته[٤] أو كما فعل المعلم الأول الفيلسوف أرسطو فى سياسته[١] وكما فعل فيلسوف المسيحية الأول القديس أوغسطين فى كتابه مملكة الإله أو De Civitate dei وكما عالج نفس هذه المشكلة فلاسفة آخرون من القدماء والمحدثين ممن كانوا قبل عصر الفارابى أو ممن جاءوا من بعده بقليل أو كثير

وآراء الفارابى فى هذه المدينة تكاد تنطبق على عالم أهل السماء أكثر من انطباقها على عالم أهل الأرض . هو فيلسوف ينظر إلى الحقائق بنظرات مجردة تختلف كثيراً عن وجهة نظر السياسى المحترف أو الإدارى العملى إلى الأمور . هو مفكر له مثله العليا ويريد تطبيق مثله هذه على جميع شؤون الحياة . وقد أصاب الهدف فى جهات ولم يصبه فى جهات أخرى . ولقد كان شأنه فى مدينته هذه كشأن توماس الأكوينى فى شرحه لكتاب السياسة لأرسطو[٢] أو دانته الشاعر الإيطالى الفيلسوف فى كتابه «المملكة» De monarchia[٣] . حاول أن يوفق بين آراء أفلاطون وأرسطو . وبين كتاب الجمهورية وبين كتاب السياسة، وبين الحاكم والمحكوم . فكان يرى الفارابى فى الخير الخير العام وفى السعادة السعادة العامة للحكام والأتباع معاً[٤]

ويريد أن يوفق بين هذه الآراء وبين آرائه الشخصية ، وبين مقتضيات الزمن . ومقتضيات زمانه السياسية من أصعب الأشياء

(١) الطبعة التى نعتمد عليها في هذا الموضوع هى طبعة مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٣ هـ

(٢) راجع آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٩٠

(٣) ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٤ وأما المعلم الأول فهو أرسطو

(٤) راجع كذلك كتابه (Politeia) حيث تجد آراء أفلاطون السياسية فيه .

(١) هكذا يطلق عليه العرب راجع كتابه (Politik) السياسية

(٢) راجع Prof. voigt Die Somialen uto p. 54

(٣) Max horten die Philo des Islam p. 220

وكذلك Windelband Gech der Philo s, 265

(٤) Hitti history of the Arabs p. 371

أين أنا من القاهرة ؟ وأين القاهرة منى ؟

لقد سكنت الدنيا من حولى ، ولم يبق غير الأصوات الصواخب فى أعماق الوجدان

أهو يوم أضعته ؟ لا ، والله . بل هو عمر ضاع . فليس من رؤية القاهرة عوض ، ولو انتفعت بالاعتكاف لتسجيل أعظم حديث يجود به القلب الخفاق

وهل استوفيت حظى من الحياة حتى أسأل عن نصيبى من القاهرة فى مثل هذا اليوم ؟

صمت عن القاهرة فى يوم يحرم فيه الصيام ، فما جزائى ؟

الجزاء هو الحرمان من رؤية وجهها الأصبح فى يوم عيد ، وقد تجمعت الخلائق لشهود معترك الحسن والوجد فى ساحتها الفيحاء ...

للقاهرة فى كل يوم مذاق ، فكيف أصوم عنها فى يوم العيد ، وهى فيه ألوان من الأذواق ؟ أمن أجل الغضب لقوم لا يغضبون لأنفسهم أصوم عن القاهرة فى يوم عيد ، وهو فيها صنوف ، من الحسن الموصوف ؟

لقد ضحيت ما ضحيت لأغنم الثواب فى التنويه بجمال بلادى ، فما ثوابى عند القاهرة ، وقد جعلت الصيام عنها فى العيد من المحرمات ؟ الجواب عند روحها اللطيف .

زكى مبارك

إذ عليه أن يرضى حماته أصحاب الحل والعقد وإلا جلب على نفسه السخط والنقمة وعليه أن يرضى ضميره وضميره ضمير فيلسوف عالم لا يؤمن إلا بالعلم ولا يثق إلا بالعقل ، وهذا ما لا يرضى معظم الناس طبعاً

وقد اتبع الفارابى فى معالجة ضروريات مدينته والدوافع الطبيعية التى تدفع الإنسان إلى الاجتماع طريقة الفلاسفة الطبيعيين مبتعداً فى كثير من الأحايين ، وعلى الأخص فى القسم الأخير من كتابه عن طريقة الفلاسفة المنطقيين[١] . تراه يشبه المدينة بجسم حى ثم يأخذ فى شرح أهمية كل عضو من أعضاء هذه المدينة ، يفعل ذلك على نحو ما يفعل علماء الاجتماع فى هذا اليوم[٢] ، ويتوصل من ذلك إلى نظرية يضعها هى نظرية التفاوت بين قابليات الأفراد وبين قابليات العناصر البشرية وبين قابليات الحكام والأتباع[٣] . وهى نظرية عامة يطبقها حتى على المعايير الأخلاقية والقواعد الأدبية والاجتماعية

يترأس مدينة الفارابى رئيس لا يرؤسه إنسان آخر أصلاً هو الإمام ، وهو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة ، وهو رئيس الأمة الفاضلة ، وهو رئيس المعمورة من الأرض كلها ، ولا يمكن أن تصير هذه الحال إلا لمن اجتمعت فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر ذلك الرئيس عليها[٤] . واجتماع هـذه الخصال كلها فى إنسان واحد عسر ، لذلك لا يوجد من حظى بهذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والأقل من الناس[٥] . فإذا اجتمعت الحكمة فى شخص والصفات الأخرى فى شخص كانا هما رأسين فى هذه المدينة ، فإذا تفرقت الخصال فى جماعة وكانوا متلائمين كانوا هم الرؤساء الأفاضل[٦]

وللحكمة فى هذه المملكة حظ عظيم كما هى فى مملكة أفلاطون ؛ ولكن حكيم أفلاطون حكيم زمنى لا يأتيه الوحى ولا يعتمد على إلهام من السماء ؛ أما حكيم الفارابى فهو حكيم مسلم بكل معنى الكلمة يمثل زمان الفارابى خير تمثيل ، يأتيه الوحى ويتنزل عليه الإلهام[١] ؛ وله سلطان واسع فى الحكم لا حد له هو أفلاطون فى ثوب رسول كريم[٢] . وفى هذه النقطة من البحث تجتمع العقلية الشرقية بالعقلية الغربية ، تجتمع وجهة نظر أفلاطون بالنسبة للفيلسوف الحكيم الحاكم بوجهة نظر الشرقيين ، وهى السيادة المطلقة التى هى من ضروريات الحكم لدى الشرق ، وهنا تلتقى الفلسفة اليونانية بالفلسفة الإسلامية ، فيتكون من امتزاج الفكرين صورة جميلة على أحسن ما يكون

يظهر التأثير الإسبارطى واضحاً فى جمهورية أفلاطون ، وفى « السياسة » لأرسطو ، وتظهر الروح الفردية بصورة جلية على الأخص فى مملكة أفلاطون ؛ وفى آراء كل من الفيلسوفين انعكاس تام لآراء اليونانيين الخاصة بالنسبة لسياسة المدن حيث كانت حكومة المدن هى النموذج الأعلى لنظام الحكم لدى اليونانيين القدماء[٣] . أما فى مملكة الفارابى فالمثل الرومانى بالنسبة لطريقة الحكم هو المثل الأعلى إذ يسيطر الرئيس الذى افترضه الفارابى على المعمورة الفاضلة كلها ، وفى حالة تعذر وجوده يقوم رئيسان أو ثلاثة أو أربعة أو غير ذلك ممن توفرت فيهم شروط الرآسة الفطرية والقابليات الطبيعية بنظام الحكم على طريقة تشبه طريقة حكم المسلمين فى أوائل عهدهم وإلا هلكت المملكة أو المدينة وتاهت البشرية[٤] . وإن تعذر وجود الرؤساء قام وكلاء عن الرؤساء بالأمر يدبرون شؤون الناس ويقومون بتنفيذ الأحكام والعدل بين الناس وتكون لهم سلطة عليا لا حد لها تستند على حق طبيعى شرعى افترضه العقل على الإنسان فرضاً

وعلى الرئيس الحاكم أن يسعى فى جلب السعادة لأتباعه المرؤوسين ؛ ومتى حصل ذلك ، وكانت الخصال التى رآها الفارابى قد توفرت فيه كان ذلك الرئيس هو الرئيس الفاضل ، وكانت المدينة هى المدينة الفاضلة ولا يهم الفارابى بعد ذلك شكل الحكم إذ هو فيلسوف يفنى فى السعادة ويرى الخير كل الخير فيها على

(١) راجع تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، تأليف دى بور ص ١٥٠
(٢) نفس المصدر ص ١٥٠ (ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة)
(٣) راجع ص ٨٠ ، ٩٦ ، ١٠٣ من كتاب آراء أهل المدينة
(٤) المدينة الفاضلة ص ٨٦
(٥) نفس المصدر ص ٨٨
(٦) ص ٨٩

(١) المدينة فى بحث « القول فى الوحى ورؤية الملك » وما بعد
(٢) دى بور « ترجمة أبو ريدة » ص ١٥١
(٣) Georg Lellinch. Allgemeine staatslehre p. 297
(٤) Haurt Geschichte der Ararber Bd. 2 p. 361

ثقافة فلسكية

عمر أمنا الأرض

للأستاذ خليل السالم

يجد الباحث البصير أن تاريخ أى علم من العلوم مملوء باللمعات الفنية والخطرات الثاقبة والإشراقات الذهنية والفكر الدقيقة التى تشبه الوحى ينزل من الملأ الأعلى على العالم أو المخترع أو المكتشف. وإن الباحث ليقف إزاء لحظات التجلى التى تمر بالعالم وقفة كلها دهشة وروعة وإعجاب نذر أن تتسنى له وهو يتفرس فى محاسن التمثال الخالد، أو يستشف مواطن الإبداع فى القصيدة الرائعة، أو يغيب وعيه فى الاستماع إلى قطعة موسيقية ساحرة

أنا لا أقول هذا اعتباطاً؛ وإنما أقوله عن اعتقاد جازم مكنه فى نفسى شعور من يوثق بأقوالهم وشعورى أنا الداخلى الصادق. تأخذ الاكتشافات العلمية بعضها برقاب بعض؛ فاكتشاف حقيقة بعينها يقود بقليل من التدبر والوعى إلى اكتشاف أو وضوح حقيقة أخرى لا تمت إلى الأولى بصلة سوى أن اكتشاف الأولى سبب فى اكتشاف الثانية. فالروعة إذاً كامنة فى نقطة الاتصال أو فى الطريقة التى تم بها اكتشاف تلك النقطة. وليسمح لى القارئ أن أدرس معه فى هذا الفصل القصير مشكلة عمر الأرض. فلا أشك أنه رأى — أو سيرى — الأرقام الكبيرة التى يزعم العلماء أنها عمر هذه الحسناء التى تنعم كل عام بالربيع الطلق والحيوية النابضة فى مختلف أعضائها، والتى لا تبدى من شيبها دليلاً على صدق أقوال العلماء. ولعل حيرة القارئ تزول بعض الشىء إذا عرف الطرق العبقرية التى تم بها انتزاع هذا العمر الطويل من فم الحسناء نفسها، ولعله يفهم أيضاً معنى تلك الإشراقات الذهنية التى أشرت إليها أولاً

سأل الناس منذ القدم عن عمر الإنسان على الأرض أو عمر الأرض فى الكون، فلم يجدوا جواباً شافياً. واحتال العلماء على الأرض لعلها تعترف بعمرها. ولكنها — كالعادة فى بنات جنسها — أبت إلا كتماناً وإصراراً على الكتمان حتى قيض الله لهالى Halley (عالم فلكى انجليزى) فى لحظة من لحظات الإلهام أن يستنطق المحيطات فتجيبه عن عمر الأرض. من كان يظن — قبل أن يقول هالى — أن ملوحة ماء البحر تكشف سر الأرض؟ وهل يرى القارئ بسهولة العلاقة بين عمر الأرض

نحو ما يذهب إليه المتصوفة وما ذهب إليه الفيلسوف أرسطو (١)

والرؤساء هم الذين يعينون شكل المدن ويهدون الناس إلى الصراط المستقيم. فإذا كان رؤساء المدينة أو الرئيس الأول من طبقة الحكماء الذين دأبهم الخير للمجتمع كانت المدينة فاضلة، وإذا كان دأب الرؤساء أو الرئيس الأول استغلال أهل المدينة والتحكم فى الناس كانت المدينة مدينة جاهلية أو ضالة أو متبدلة حسب المعاملة الغالبة التى تكون بين رؤساء هذه المدينة أو أبنائها. ويحاول الفارابى أن يضع العلامات الفارقة التى تبين شكل المدينة ولكنه لا يحاول أن يعين نوع الحكم ولا طريقة الحكم كما فعل القديس أوغسطين أو توماس الأكوينى أو توماس مور أو سنت سيمون أو غيرهم من الأيتوبيين (١)

لم يعتقد الفارابى بنظرية المساواة الاجتماعية ولم يتصور فى مدينته الفاضلة أية صورة للمساواة الاشتراكية التامة أو الناقصة سواء أكان ذلك بين أهل المدينة بصورة عامة أو بين طبقة معينة كما تصور ذلك أفلاطون. والفارابى فيلسوف عملى من هذه الناحية يرى التفاوت حتى فى درجات الفضيلة ينظر من جهة أخرى إلى ما يحتم عليه الوضع السياسى وآداب مجتمع ذلك العصر (٢).

ميراد على

(١) Schmidt s, 42

(١) أحسن كتاب يجمع آراء هؤلاء، هو كتاب البروفسور فويكت Voigt وعنوانه Die Somialen utopien

(٢) راجع مجموعة الأستاذ ديتريس وعنوانها Dietrici, Philo. der Araber vol 14. Leyden 1895 Der musterstaat von Alfarabi Leyden 1900

وملوحة المحيط ؟ ... إليك ذلك :

يتبخر الماء من المحيط دائماً ، ثم يعود إلى المحيط مع الأنهار الجارية . فبقليل من التساهل نستطيع أن نفرض أن مقدار الماء في المحيط ثابت ما دامت العودة إلى المحيط تتم بنفس السرعة التي يتبخر بها الماء ؛ لا يهمنا هذا بقدر ما يهمنا أن نعلم أن ملوحة المحيط تزيد زيادة مطردة أثناء هذه العملية المستمرة . فالماء الذي يتبخر كما لا يخفى مقطر خال من الأملاح . أما الماء الذي تحمله الأنهار . فيعود وقد ذاب فيه قدر ضئيل من الأملاح . فإذا عرفنا معدل الزيادة السنوية لملوحة ماء المحيط . استطعنا أن نعين بكثير من الدقة عدد السنين التي انقضت على استمرار هذه الظاهرة الطبيعية ؛ وهكذا كان ، فإن الإحصاءات والدراسات الحديثة لمعدل الزيادة ومقدار الملوحة الحالية تبين لنا كما يقول جينز J. Jeans أن المحيطات تعود في عمرها إلى مئات من ملايين السنين

لم يرق للعلماء هذا الاعتراف ولم يخفف من غلواء جدلهم . فقد تكون الأرض قد كذبت عليهم وغررت بهم ، وكان أن اتسعت شقة الخلاف بين البيولوجيين والجيولوجيين من جهة ، وعلماء الطبيعة من جهة أخرى : أولئك يؤيدون وهؤلاء يكذبون . وحجة أولئك أن تلك المخلوقات التي تعنى بها الأرض وترعاها لا تبلغ هذا الكمال في نشوئها إلا في غضون أجل طويل سحيق في القدم . وحجة الآخرين أن الأرض لم تهرم بعد ، وهي تبرد من نفسها وفي كل عام تفقد من حرارتها وتخسر من نشاطها وحيويتها ؛ وإذا كان ما يقوله خصومهم صحيحاً فيجب أن تكون الأرض الآن جثة هامدة باردة الأطراف لا يعيش عليها حيوان ولا ينبت نبات . واحتدم الجدل واشتد النقاش ، والأرض صامتة لا تعي ، لاهية عما يبحثون، نشيطة في رياضتها وطفرها حول أمها الرءوم (الشمس) ولكن جفرز H. Jefferys (عالم إنجليزي) رفع عينيه نحو السماء لعل عندها بعض الخبر ، ولحسن حظه وقوة عبقريته ونفاذ فكرته وجد عند شقيق الأرض — عطارد — نبأ مهماً . ماذا لاحظ ؟ لاحظ أن مدار عطارد يكاد يقرب من الدائرة ، وانتقاله من الشكل الإهليلجي إلى ما يقرب من الشكل الدائري تم بفعل المواد المنتشرة في الفضاء التي تناثرت عقيب انفصال السيارات عن السديم الشمسي ، فقد كان عطارد لقربه من الشمس يصطدم بتلك المواد . فالمدة التي انقضت حتى بلغت المدة (٠٫٢) هي عين المدة التي انقضت حتى فنت تلك المواد . فلو بقيت لتمت الاستدارة ، ولو فنت قبل أن تصل المدة مقدارها الحالي لما وصلته حتماً . وبموجب الحساب الدينامي وجد جفرز أن عمر الأرض أو عمر النظام الشمسي على الإطلاق ينحصر بين (١٠٠٠ — ١٠٠٠٠) مليون من السنين

لم يتأكد العلماء أيضاً من شهادة عطارد ، فعادوا ثانية إلى الأرض يقرأون في وجهها أخاديد الكبر ويجسون نبضها ويفحصون قلبها الكبير ، وكان أن قضى الله أمراً كان مفعولاً على يد العالم الطامة رسل Russell (عالم فلكي أميركي) فقد وجد هذا عمر الأرض مسطوراً في مناجم الراديوم وغيره من العناصر المشعة . وفعل الإشعاع هذا حجة دامغة ضد الذين قالوا بفتوة الأرض . فالأرض لا تبرد من نفسها كما كان يظن . ليس هذا فحسب ، وإنما هي تسخن بفعل هذا الإشعاع . فصار علماء الطبيعة مستعدين أن يقدروا للأرض عمراً لم يفرضه خصومهم من قبل

ما هي نقطة الاتصال بين إشعاع الراديوم وعمر الأرض ؟ يعلم كل مثقف أن عناصر الراديوم والثوريوم المشعة تتحول من عناصر ثقيلة إلى أخرى تكون أعدادها الذرية أقل من أعداد الأولى . ويجيء الرصاص مسكا لختام هذه السلسلة

ولحسن الحظ وجد أن الرصاص المتكون بفعل الإشعاع يختلف عن الرصاص العادي في أن وزن الأول الذري (٢٠٦) بينما الوزن الذري للثاني (٢٠٧٫١٨) ، ومن هنا سهل التفريق بين النوعين . وفي مناجم الراديوم لا تجد اليورانيوم دون أن تجد معه الرصاص الذي تكون من إشعاع اليورانيوم . ولما كان معدل التحول من اليورانيوم إلى رصاص وهو (١ ٪) كل (٦٦)

مدينة طرابلس الغرب

للأديب مصطفى بعيو الطرابلسي

من بين المدن العديدة التي يتردد ذكرها فى هـذه الأيام على صفحات الجرائد « مدينة طرابلس الغرب » عاصمة الإقليم المعروف باسمها ومقر حكومة لبيا الإيطالية ، وهى مدينة إغريقية فى اسمها ومعناه المدن الثلاث ، وهى « سبراتا Sabrata » ، وكان البربر يسمونها « زواغة » قبل أن يلقبها العرب « بصبرة » ، وهى اليوم تدعى « زوارة » ؛ ثم « أوا Oea » التى هى أويات فى نظر البربر قبـل أن يحرفها الرومان إلى اللفظ السابق عند استيلائهم على تلك البلاد ، وأخيراً « ليبدس Leptis » التى لم يبق منها إلا آثار متهدمة تشهد على عظمتها فى سابق عهدها ، وقد حلت محلها اليوم مدينة « الخمس » العامرة ، وأصبح أهالى البلاد يطلقون اسم « لبدة » على تلك الأطلال الخربة

وجدير بالملاحظة أن كلمة « طرابلس » لم تكن معروفة حتى القرن الرابع (ق . م) عندما أطلقها الكتاب الرومانيون على تلك المدن الثلاث السابقة الذكر ، ولكن هذه الكلمة تغير مدلولها فى العصر البيزنطى ، وأصبحت تطلق على « أوا » فقط دون غيرها . ولما جاء العرب استعملوها على هذا النحو ، إلا أنهم أضافوا إليها كلمة « الغرب » تمييزاً لهـذه المدينة عن مدينة « طرابلس الشام » ، وكانوا يسمونها أحياناً « أطرابلس » بزيادة الهمزة فى أولها . على أن صاحب القاموس قد ضبط اسمها بفتح الطاء وضم الباء واللام وجعل الهمزة من مميزات الشامية ، ولكن البكرى والتيجانى وغيرهما يرون إلحاق الهمزة بمدينة « طرابلس الغرب » ، وهذا ما أرجحه لأن الأهالى إلى وقتنا هذا ما زالوا ينطقونها أحياناً بهذا الشكل

ويرجع تاريخ إنشاء مدينة « أوا » إلى أوائل القرن الخامس ق . م . ونظراً لحسن موقعها وصلاحية مرساها للسفن بسط الفينيقيون سيادتهم عليها حتى تم لهم السيطرة على البحر الأبيض

مليوناً من السنين معروفاً أصبح من السهل جداً أن نعرف عمر الأرض بمعرفة النسبة بين الرصاص واليورانيوم فى منجم واحد . وقد قدر عمر النظام الشمسى بما لا يقل عن (١٣٠٠) مليون من السنين . وهو كما يلاحظ القارئ يتفق تمام الاتفاق مع ما قدره جفرز من قبل

وجاءت من السماء رسائل تؤيد هذا التاريخ حملتها الشهب والنيازك التى عجز الهواء المحيط بالكرة الأرضية أن يحرقها تماماً فسقطت جلاميد كبيرة على الأرض وأحدثت أغواراً عميقة كحفرة أرزونا مثلاً ، وفى كثير من هذه الجلاميد يلتقى عنصر الراديوم ونفايته وقد وجد أنه ليس بين الحجارة التى امتحنت مازاد عمره على (٢٩٠٠) مليون من السنين وما قل عن السن التى شهدت بها الصخور الأرضية

وكما أن لكل بداية نهاية فلا بد للأرض أن تهرم وتموت ، متى ؟ هـذا بيد الله ، فربما لا يزيد هذا الزمن الذى يحير عقولنا ويشعرنا بعظمة الكون عن أن يكون لحظة قصيرة عابرة فى مخيلة المهندس الأكبر وربما يكون المستقبل أرحب وأوسع بكثير من الماضى

وفى نفس الوقت الذى يكون القارئ لنفسه رأياً فى هذه الأرقام الضخمة ، أرى أن أذكره بتلك اللمعات الفنية والإشراقات الذهنية التى تمر بذهن العالم ، وأن أشير عليه أيضاً بالتزود ما استطاع من الثقافة العلمية . ففى الأخيرة لذة وطرافة وقصص رائع لا تقل عما يلقى فى غير العلم من ميادين الثقافة الواسعة

(تجهيز السلط) **خليل السالم**

(ب . ع .) من الدرجة الأولى
فى الرياضيات

المتوسط ؛ ثم ورثهم فى هذه السيطرة خلفاؤهم القرطاجنيون الذين أسلموها بدورهم إلى الرومان على أثر هزيمة قرطاجنة فى الحروب البونية خلال القرن الثانى ق . م . ويذكر لنا بروكوبيس Procopius أحد مؤرخى الرومان أن الوندال عند ما استولوا على مدينة أوا « طرابلس الحالية » هدموا أسوارها ، ولكن ليس هناك شك فى أن البيزنطيين قد أعادوا بناءها عند استرجاعهم لها فى عصر الإمبراطور جستنيان بدليل ما نراه من أثر التجديد البيزنطى فى بقايا الأسوار التى ما زالت إلى اليوم . ولكن هذه الأسوار لم تكن تامة الإحاطة بالمدينة من جهة البحر مما سهل على العرب فتحها على أيدى جنود عمرو بن العاص ؛ ولهم فى ذلك قصة ترويها كتب التاريخ تتلخص فى أن عمرو بن العاص قد ضرب حصاراً على المدينة من جهة البر وأقام يتحين الفرص للاستيلاء عليها حتى وافاه ذلك عندما خرجت جماعة من جنوده للصيد، فلما شعرت بوطأة الحر توجهت إلى البحر لتخفيف ما تشعر به ، وكانت المدينة تشرف على البحر مباشرة لا يفصلها عنه أى حاجز ؛ فوجد الجنود طريقاً إلى المدينة على أثر جزر البحر فتسللوا إلى داخلها . وكم كانت دهشة الرومان عظيمة عند ما سمعوا تهليل هؤلاء الجنود وتكبيرهم مما دفعهم إلى الاحتماء بسفنهم . وأبصر عمرو أصحابه فى جوف المدينة فأقبل بجيشه واستولى عليها بعد أن سهل عليه أصحابه تلك المهمة . وقد فطن العرب إلى هذا النقص فى تحصين المدينة فيما بعد مما دعا هرثمة بن أعين — والى المدينة من قبل الخلافة العباسية أن يعمل على إتمام هذه الأسوار من جهة البحر . وبدخول العرب لمدينة طرابلس دخلها الإسلام وانتشرت فيها اللغة العربية ولا تزال لغتها ولا يزال الإسلام دينها على رغم بعض المحاولات الفاشلة

ومما تجب ملاحظته هنا أن المؤرخين قد اختلفوا فى تحديد زمن تبعية هذه المدينة للعرب ؛ فبعضهم يقول إن ذلك تم فى سنة ٢٢ هـ والبعض الآخر يقول إن ذلك كان فى سنة ٢٣ هـ ويمكننا التوفيق بين الطرفين مع عدم أهمية هذا الخلاف لبساطة الفارق الزمنى إذا اعتبرنا جزءاً من الحملة العربية على مصر قد توغل غرباً بعد فتح مصر حتى وصل مدينة طرابلس ثم تبعته بقية الحملة فى سنة ٢٣ هـ . والحقيقة التى لا مراء فيها أن مدينة طرابلس نفسها لم تخضع للعرب خضوعاً تاماً حتى سنة ٢٦ هـ عند ما حاول عقبة بن نافع التوغل فى أفريقية وفتحها ، فاتخذ منها قاعدة حربية لأعماله الجديدة وبقيت بها حامية عربية . وكان والى مصر هو فى نفس الوقت حاكما لمدينة طرابلس ، ولكنها سرعان ما انفصلت عن مصر عند ما عين عمرو بن العاص والى مصر ابن خالته عقبة ابن نافع بن عبد القيس الفهرى والياً عليها من قبله ، فكان بذلك أول ولاتها الذين لم تصلنا أسماؤهم بعد

وكانت مدينة طرابلس خلال القرن الثانى والثالث الهجريين ميداناً للقلاقل والفتن الدينية نتيجة لأعمال فرقة الأباضية إحدى فرق الخوارج التى وجدت لها أتباعاً بين قبائل البربر من هوارة وزناتة ؛ فأقلقوا بذلك بال الخلافة العباسية بهجومهم المتوالى على المدينة ومحاصرتهم لها . وكذلك كانت حالة طرابلس أثناء حكم بنى الأغلب مما سهل على العباس بن أحمد بن طولون والى مصر أن يغزو تلك المدينة بعد أن استولى على أقليم برقة واستطاع أن يتغلب على حاكمها محمد بن قرهب عند لبدة سنة ٢٥٥ هـ وحصره فى مدينة طرابلس ثلاثة وأربعين يوماً تمكن من بعدها أن يفك الحصار عن نفسه

وتبعاً لقيام الخلافة الفاطمية فى المغرب خضعت طرابلس لسلطانها ، وتولى حكمها أفراد من بنى خزرون الذين أسلموها إلى بنى حفص أصحاب اليد الطولى فى رخائها وتعميرها كما يحدثنا

بذلك التيجانى فى رحلته عند ما زار المدينة سنة ١٣٠٨ م فيخبرنا بإقامة الحاكم فى قصر بديع ربما كان القصر الحالى قد بنى على أنقاضه . ويحدثنا عن طريقة حكم المدينة بواسطة مساعدة مجلس من شيوخ المدينة يتكون من عشرة أعضاء . ولا يخفى التيجانى إعجابه بحمامات المدينة ونظافتها وشوارعها الواسعة المنسقة التى يتلاقى معظمها بزوايا منظمة . كما أعجبته آثارها ومسجدها الملقب بالجامع الأعظم . ومدرستها المسماة بالمستنصرية ، وأسوارها المحصنة بالأبراج والخنادق . والخلاصة أن الحياة كانت فيها كما وصفها ناعمة مزدهرة . ولكن تنازع أفراد بنى حفص على الحكم وانشغالهم عن الإصلاحات الضرورية جعل المدينة تأخذ فى التدهور والضعف مما عرضها لهجمات أهل جنوا . إذ كان كثير من تجارها يترددون عليها ، فعرفوا نقط الضعف فيها ، ولم ينقذها من أيديهم إلا تلك الفدية التى قدمها لهم أبو العباس أحمد بن مكى صاحب قابس[١] وقدرها خمسون ألف مثقال من الذهب الخالص

وما كادت المدينة تسترجع أنفاسها بعد هذا الغزو الأجنبى حتى وقعت مرة أخرى فى قبضة الإسبانيين سنة ١٥١٠ م الذين مكثوا فيها عشرين عاماً عاثوا فيها فساداً ولكنهم مع ذلك جددوا قصر حاكمها الذى ما زال محتفظاً ببعض شكله حتى يومنا هـذا كما أصلحوا ما تهدم من أسوارها وبنوا الرصيف المعروف باسمهم فى ميناء المدينة لرسو سفنهم واتخذوا منها قاعدة بحرية لمعاكسة أعمـال العثمانيين فى البحر الأبيض المتوسط فى ذلك الوقت . ثم انتقلت بعد ذلك إلى أيدى فرسان القديس يوحنا فى جزيرة مالطة الذين بقوا فيها حتى سـنة ١٥٥١ م بمساعدة شارل الخامس إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة رغم ما عانوه من هجمات ثوار العرب بمساعدة سكان البلاد الداخلية . وتروى لنا كتب التاريخ قصة طريفة عن مقدمات احتلال الأسبان لمدينة طرابلس ، وهى ولا شك أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة[٢] وتتلخص فى أن الأسطول الإسباني التجارى قدم إلى الميناء فأتى أحد أهالى المدينة واشترى جميع سلع المراكب ودفع لأصحابها الثمن فوراً ، ثم استضافهم رجل آخر فى بيته بعد أن جهز لهم طعاماً فاخراً ، ولـما أخرجه لهم أخذ ياقوتة ثمينة وسحقها ورشها على طعامهم فبهتوا لذلك الأمر ، ولما انتهوا من الطعام قدم لهم بطيخاً فطلبوا سكيناً لقطعها فلم توجد فى داره تلك الآلة البسيطة الضرورية ولا عند جاره إلى أن خرجوا إلى السوق وأتوا بسكين . فلما رجع هؤلاء التجار إلى بلدهم سألهم مليكهم عن حال البلد التى قدموا منها . فقالوا : ما رأينا بلداً أكثر منها مالاً وأقل سلاحا وأعجز أهلاً عن مدافعة عدو . وحكوا له الحكايتين فتشجع بذلك وتأهب للاستيلاء عليها

على أن تفاقم استبداد الإسبانيين بأهالى مدينة طرابلس أجبرهم على الهجرة منها والالتجاء إلى مدينة « تاجوراء » ؛ ثم انتخبوا وفداً للذهاب إلى دار الخلافة العثمانية طالبين تخليصهم من أيدى الإسبانيين فأجاب السلطان سليم الأول طلبهم وأرسل معهم مراد بك أغا أحد أغوات الحرم الذى تمكن من تخليصها من أيدى الإسبانيين فى ١٣ أغسطس سنة ١٥٥١ م بعد أن فر حاكمها إلى جزيرة مالطة . وبذلك أصبح مراد أغا حاكماً للمدينة وما زال مسجده الذى بناه فى سنة ١٥٥٤ م فى تاجوراء يحمل ذكراه إلى يومنا هذا . وعبثاً حاول الإسبان وشركاؤهم فرسان مالطة استرجاع المدينة . ولم تبق لهم طريقة ينتقمون بهـا من العثمانيين سوى انسلال مراكبهم إلى داخل الميناء ليلاً وإحراق السفن العثمانية

هكذا أصبحت طرابلس تحت الحكم العثمانى يتولى شأنها ولاة يعينهم السلطان ، ولـكن نظراً لبعد المدينة عن الحكومة المركزية فى الاستانة وضعف خلفاء بنى عثمان بمرور الزمن عمل الولاة على الانفصال عن الحكومة المركزية خصوصاً بعد أن اختلطوا بأهل البلاد . فنرى أحمد باشا القره مانلى يعلن استقلاله فى سنة ١٧١١ م مؤسساً أسرة القره مانلية التى حكمت حتى سنة ١٨٣٥ م . وقد خلفت لنا هذه الأسرة الـكريمة عدة آثار قيمة

(١) قابس : جنوب شرق تونس على خليج قابس

(٢) من بين هذه الـكتب كتاب « المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب » ، طبع نظارة المعارف العثمانية فى سنة ١٣١٧ هـ لمؤلفه المرحوم أحمد بك الأنصارى الطرابلسى عضو مجلس « شهر أمانت » العثمانى

تشهد بعظم شأنها وحسن حكمها ولا سيما أحمد باشا القره مانلى الذى حكم حوالى أربعة وثلاثين عاماً كانت بمثابة العصر الذهبى لتاريخ هذه المدينة ، إذ استطاعت بسط نفوذها على داخل البلاد حتى فزان وحدود برقة شرقاً ، وعمل على حفر قنوات لجلب المياه العذبة للمدينة من العيون القريبة ، فضلاً عن حفره عيناً على الساحل لتزويد البحارة بالمياه العذبة ، وهذا لا يعد شيئاً بجانب مسجده الذى شيده فى سنة ١٧٣٨ م ، ومدرسته التى ما زالت عامرة بالطلبة حتى يومنا هذا تستمد نشاطها من الأوقاف المخصصة لها . وكان قصره ندوة لقناصل الدول لكسب صداقته . خصوصاً وأنه اتبع سياسة التسامح نحو المسيحيين فكثر عددهم فى المدينة فضلاً عن أنه أحسن معاملة بعثات الفرنسسكان . هذا قليل من كثير يشهد بحسن أعمال مؤسس هذا البيت ، ولولا ضيق المقام لأتيت على باقى أعمال أفراد هذه الأسرة التى رفعت من شأن طرابلس وجعلت دول أوربا تخطب ودها نظراً لما كان لأسطولها من سطوة فى مياه البحر الأبيض المتوسط

ولولا ذلك الوباء الذى اكتسح المدينة على أثر مجاعة حلت بها سنة ١٧٨٤ — ١٧٨٥ م والذى قضى على أربعة عشر ألف نسمة من سكانها البالغين مائتى ألف ؛ ولولا تلك المنازعات العائلية من أجل تولى الحكم والتى أفسحت المجال للتدخل الأجنبى ؛ ولولا دسائس قنصل فرنسا وانجلترا لافتراس البلاد لبقيت طرابلس محتفظة باستقلالها وكيانها مدة أطول من تلك الفترة التى تمتعت بها ولكن كل هذه العوامل عجلت تداعى الكره مانلى مما ساعد تركيا على استعادة البلاد مرة ثانية يوم ٢٨ مايو سنة ١٨٣٥ م .

وبابتداء ذلك التاريخ تبدأ صفحة جديدة فى تاريخ مدينة طرابلس الغرب حاول الأتراك خلالها إصلاح الحال ولكن الأجل لم يساعدهم على تحقيق ذلك إذ سرعان ما احتلت الجيوش الإيطالية تلك المدينة فى عصر يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩١١ م على أثر إعلانها الحرب على تركيا

وبابتداء هذا التاريخ أيضاً تدخل مدينة طرابلس الغرب فى حياة جديدة أرجو التحدث عنها فى مقال آخر مع ذكر أهم آثارها ووصف موجز لبعض إحيائها وعادات أهلها وأشهر علمائها ورجالها

مصطفى بعيو الطرابلسى
كلية الآداب — القاهرة

الصحيفة المثـــالية

لرجل الصحافة « ويكهام استيد »

بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة المحامى

حاولت فيما عرضته أن أوحى إلى القارئ بما يجب أن تتوفر الصحافة على خدمته من مثل أعلى . وأن أدله على ضوئه إلى ما كان من تقصير الصحافة البريطانية فى أمره وتنكبها فى نهجه وقصورها عنه . وبوسعى أن أتخيل صحفياً أثقله عمل لم يؤده إلا بجهد جاهد ودرى بما يرسف فيه من أغلال وما نصب له من أشراك دراية جامعة وهو يحاورني عن علم وخبرة قائلا : « عفنا من عسير أمرك يا أخى[1] وترسل فيما يجتال بخاطرك من نسج النظر ووهم الخيال ! » فأى نوع من الصحافة يسعك أن تبدعه إذا هيأوا لك الفرصة . وأطلقوا فى الأمر يدك ؟

هبك كنت « توماسن » بصحيفته (التربين) ، أو « الفردهارموث » بصحيفته الضخمة (الديلى ميـل) ، أو « ليفى لوسن » بصحيفته (الديلى تلغراف) ، وقل لى لعمرك ماذا عساك صانعه — وأنت مقيد بقيود الصحافة الحاضرة — لتظفر بالحرية وطيب الحياة لصحافة أمست وهي تخضع خضوعاً كبيراً للاعتبارات التجارية ؟؟

أغلب ظنى أنه حوار حكيم وسؤال عادل ، وقد يتأتى لى أن أجيبه إجابة نظرية عما سأل بقدر ما يشق على أن أقارعه الحجة بالحجة من الوجهة العملية الناجحة وأضعها نصب عينيه حقيقة واقعة ؛ فهـذا شأن آخر له قدره وأثره . وليس يتوفر لجميع الصحفيين من البراعة وبسطة الكف ما يسعهم معه إنشاء صحيفة ؛ فقد كان « و . ت استيد » مثلاً صحفيا عبقريا ورئيس تحرير نابغا وهو إلى عبقريته ونبوغه قد أخفق إخفاقا محزنا فى إخراج صحيفة يومية ، وإني على العموم لست قانعا بأنى أملك لنفسى من الكفاية والأداة ما يسعنى معه أن أطالع الناس بصحيفة يكتب لها النجاح من الوجهة التجارية ؛ كما وسع « جون » و « ولتر الثانى » صاحب (التيمس) ، وليفى لوشن صاحب (التلغراف) ، ويوسف بوليتزر صاحب (النيويورك ويرلد) ، وأدولف أخ صاحب (النيويورك تيمس) ، والفرد هارمسورث صاحب (الديلى ميل) ؛ فى مذاهبهم الخاصة وطرقهم المختلفة ، أو كما وسع « لورد بيفربروك » صاحب (الديلى اكسبرس) ، ولورد كامروز صاحب (الديلى تلغراف) . « السندى تيمس » من أصحاب الصحف الحاضرة . فجميع هؤلاء الرجال قد حققوا آمالهم وظفروا من « الصحافة » بمآربهم باعتبارها من المؤسسات الاستغلالية ؛ ولقد كان فريق منهم — وما زال بعضهم — من الصحفيين الأفذاذ

إلا أنه سواء لدى أكانت الصحافة استغلالاً خصيباً أم كانت مستراداً جدبيا ما دمت لا أومن إيماناً تاما بأن ما يرجى للصحف من نجاح تجارى هو أفضل مقياس للصحافة الممتازة الطيبة . فصحيفة « ألوست مانشستر جازت » مثلاً ما تهيأ لها قط أن تعيش من غير أن تقترض ، ومع ذلك فأى صحافى يسعه أن يقول إنها لم تكن صحيفة فذة جديرة بالإعجاب . وما كانت صحيفة « المانشستر جازت » لتصبح يوما ما فى ذاتها وبذاتها معقد رجاء أصحابها فى أن تغدو منجماً ذهبيا وتثميراً رابحا ولكنى إلى ذلك لا أرى لها من تفوقها الممتاز نظيراً فى أى قطر كان

إن ما أنشده من مثل أعلى للصحافة لينطوى فى تقصى واستيعاب نوع الصحيفة التى سيكون بوسعها أن توفق بين رسالتها المعنوية وما تترقبه من ثروة مادية من غير أن تضحى فى هذا النهج الدقيق بشىء من النزاهة الصحفية والخلق القويم

وما إن يحفل خاطرى بالآمال الحسان شأن غالبية الصحفيين حتى يتملكنى العجب أحيانا ، وأسائل نفسى : أى نوع من الصحافة يجمل بى أن أخرجه للناس إذا ما اجتمع لى من الجنيهات مثلاً مليون أو يزيد ، وأطلق لى التصرف فيه . فكان بوسعى إما أن أبدعها صحيفة جديدة لنفسى ، أو تطلق يدى فى صحيفة من

(١) ترسل : تمهل ؛ والترسيل : التحقيق بلا عجلة

الصحف الحاضرة لأغير أسلوبها وأقوم نهجها وأجمل طابعها وفق ما أريد ؟ ؟ وهل يتيسر لصحيفة تثقلها تلك القيود التي يخضع لها الآن : « الإنتاج الصحفي » أن تحرر من أغلالها وترتفع فوق مستوى ما يقيدها أو ترجعه إلى الوضع الذي يسعها معه أن تسترد حرية الصحافة وتصونها ؟

الجواب عندى أن هذا الوضع هو ما يجب أن يكون ، ولو أنى لا أنكر أن الرجل الذي يتهيأ له أن ينهض بهذا العمل قد يكون بحاجة إلى كفاية أسمى شأناً ومقدرة أبعد أفقاً مما يسعنى أن أظفر به أو أطمع فيه ، وقد تعمل ضرورة الساعة على بعث هذا الرجل وقد لا تعمل . ففي الحرب العظمى كانت هنالك حاجة ملحة للبحث بين جيوش الحلفاء عن قائد حربى ذى رأى عبقرى وكفاية فذة ليتولى أمر القيادة العامة ، وهبهم لم يعثروا بهذا الرجل أفكان ذلك أو لم يكن لأن الحالة آنئذ بلغت من التعقيد والإعجاز مبلغاً لا يسمح بالسيادة لأى رجل كان ؟ ؟

لقد أتيح لى في أوائل عام ١٩٢١ وقبل الذكرى المئوية لوفاة نابليون بأسابيع قليلة أن أسأل المارشال « فوش » (الذى عرف عن نابليون أكثر مما عرفه أى قائد آخر من قادة الحلفاء) عما إذا كان قد همس بضميره يوماً ما وهو القائد العام لقوات الحلفاء والجيوش المتحدة فى أواخر الحرب العظمى الماضية أنه كان بوسع نابليون لو حل محله أن يكون أوفر منه كفاية وأحكم قيادة وأكثر توفيقاً أم كانت طبيعة الظروف الحديثة من شأنها أن تجعل من نابليون رجلاً أدنى قدراً وأقل شأناً . وقد أجابنى « فوش » أنه كثيراً ما وجه لنفسه هذا السؤال بعينه إبان الحرب العظمى الماضية ووقتما كان يمر بقبر نابليون في « الأنفاليد » . وأن رأيه قد استقر آنئذ على أن ما امتاز به نابليون من البطولة الفذة والقلب الصارم فى كفاحه ومن الكفاية الممتازة والبأس الصادق في الاضطلاع بالصعاب ومجالدة الأعداء كان من شأنه أن يمكنه من التسلط على الحرب الحديثة فى قرابة الستة أسابيع . قائلاً : « وآنئذ كان يسع نابليون أن يضع لجيوشه خططاً وأساليب جديدة ويبدع للحرب فنوناً لا عهد لها بها من قبل ثم يعمل ما توفر له من عبقرية ودهاء فى أن يضرب أعداءه وقد هالهم الفزع الضربة القاضية » .

وأغلب ظنى أنه على هذا النهج بعينه يسع منشئ الصحيفة النابغ أن يسيطر على ما يصادفه من عقبات جسام فى طريق إنشاء الصحف الحديثة سيطرة تامة تنعكس معها آية تلك العقبات فإذا هى فرص مواتية وصفقات رابحة . وإذا هو يحدق بأعدائه المناهضين لمشاريعه فيهزمهم هزيمة نكراء قبل أن يتنبهوا إليه ومن حيث لا يعلمون . وغالب الأمر من نجاحه أنه رهن كفايته فى قراءة ما يجول برءوس أبناء الأجيال الناشئة والإفصاح لهم عما تحفل به رءوسهم من أفكارهم وتوجيههم إلى ما تطمح أنفسهم له وتنصرف أمانيهم إليه لو أنهم اهتدوا إلى سبيله .

ولعهد غير بعيد بعث كاتب برسالة لصحيفة « المانشستر جارديان » رثى فيها لحال أبناء هذا العصر لما يستبد بهم من شعور بحاجتهم إلى مثل أعلى يعيشون له أو يموتون فى سبيله إذا دعتهم الحاجة إلى ذلك . وكان جماع رأيه أن حياتهم بحاجة إلى نصيب من الصفات الروحية والمقدمات المعنوية . ويغلب على ظنى أن ما شكاه من أمرهم قد بنى على أساس صحيح . فالناس قد اختلط عليهم الأمر وفترت عزائمهم وضلوا السبيل ، وهم — ولا سيما شبابهم — يزجون بأنفسهم فى ميادين الخطر[1] ومسارح اللهو حيثما يكون أعظمهم مخاطرة أفضلهم شأناً . وكثير منهم عاملون على الاحتفاظ « بكفايتهم » لركوب هذه الأخطار . ولو أن قليلاً منهم يسعهم أن يجيبوا هذا الناشئ الموفور القوة على ما يسألهم عنه وقد تملكه العجب من احتفاظ الرياضى بكفايته من غير مران يعتصم به قائلاً : « لقد أنفقت جميع أوقاتى فى الاحتفاظ بكفايتى . ولكن علام أحتفظ بهذه الكفاية ؟ ؟ »

لقد أصبح الكثير وهم من « هواة الطيران » الذين لا يتهيبون أن تمزق أوصالهم وتتحطم رؤوسهم . أو ممن يتولون قيادة « سيارات السباق » ليندفعوا بها فى سرعة طياشة قاتلة . كما أصبح المتقدمون

(١) الخطر : السبق الذى يتراهن عليه . والاشراف على الهلاك .

فى السن منهم وهم يرقصون تلك الرقصة الشاقة المضنية المسماة برقصة « الجاز » أو يلتمسون الرياضة العقلية فى « حل الألغاز » . أما شأنهم فى الميادين الاجتماعية ونصيبهم منها فيا لهما من شأن موجع ونصيب منقوص . فهم بالأضافة إلى الشئون العامة ليس لهم من عقيدة تصدر عن تفكير رشيد . وهم لا يؤانسون فى التعلق « بالوطنية » بدورها مايشبع جل رغباتهم وإن كانت « الشيوعية » بالقياس إلى غيرها قد أمست وهى تجذب إليها قليلاً منهم . على حين أفل نجم داعى « الاشتراكية » — وهى صورة مخففة وطابع معتدل من الشيوعية — ففقد بريقه وضيع الافتتان به . وما برحت النازية أو الفاشية وهى أقل شأناً من أن تلفت أنظارهم إليها كعلاج ناجع لجميع الأدواء الاجتماعية . وهم إلى ذلك كله لم يظفروا من الإلمام بالمبادئ الحرة إلا بنصيب هو من قلة المحصول وضآلة الشأن بحيث لا يصلح لأن يكون وحياً للخاطر أو مصدراً للالهام . ولو أن غالبهم يميل إلى المبادئ الحرة ميلاً تقليدياً لا يصدر عن خبرة صحيحة أو إدراك سليم . وهم وقد صارت تلك المبادئ التى ينادى دعاتها بوجوب صيانة السلام العالمى ويزعمون أن القضاء على الحرب أمر محبوب ميسور وهى أجنبية عن فطرتهم ، نجدهم ينفرون من الحرب ويشق عليهم أمرها . وهم يبحثون عن أشياء أجل من حياتهم شأناً وأعظم من أنفسهم قدراً يقفون عليها حياتهم وأنفسهم ولكنهم لا يملكون لها طولاً ولا يستطيعون إليها سبيلاً . وهم لم يظفروا من نتاج الأدب وخطب المنابر ومن سياسة الساسة وتشريع البرلمان ومن فلسفة الفلاسفة وعلم العلماء إلا بما هو كالسراب من الماء أو الحصباء التى لا تنفع أقواما يفتقرون حقيقة إلى الخبز . يضاف إلى ذلك كله أن انطباع الحياة بذلك الطابع الآلى المطرد الأسلوب من شأنه أن يفوت عليهم الفرصة فى الانتفاع بجهودهم وتجديد نشاطهم .

(البقية فى العدد القادم)

زين العابدين جمعة

التبعـــة والعقوبة
فى المجتمع البشرى القديم

للأســتاذ رفعة الحنبلى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

تبعة الطفل

إن أكثر الشرائع الأوربية الحديثة لا تحمل الطفل تبعة ما . لكن بعضها لا يبرئه منها ، وقد تختلف باختلاف رقي المجتمع ورفعة البيئة وتتباين بتباين التقاليد والعادات . ففي انجلترا وروسيا مثلا لا يؤخذ الطفل بالتبعة إن أقدم على جريمة ما حتى العام السابع من عمره . والسنة الرابعة عشرة فى مقاطعتى « فو Vaud » السويسرية وفلوا Valois الفرنسية . والسادسة عشرة فى بلجيكا. أما فى فرنسا عام ١٨١٠ فقد حددت التبعة حتى السادسة عشرة . وأدخل عليها بعد ذلك تعديل آخر إلى أن تدنت إلى السابعة أو الثامنة ثم عدلها مجلس الأمة الفرنسى إلى العام الثالث عشر

والشرائع الإنكليزية الحديثة لها نصيبها فى إقرار هذه التبعة على الطفل . وإن قبلت الحكومة — تحت تأثير الرأى العام وبعض أصحاب الضمائر الحية من القضاة — مبدأ إعفائه منها إعفاء جزئياً أو كلياً أو تعديلها تعديلاً يتلاءم مع الحياة الاجتماعية الإنكليزية ، إلا أنها أبقتها كمبدأ قد يعمل به من حين إلى آخر . ففى عام ١٤٥٧ أخذ وليد له من العمر أربع سنوات بجريمة قتل ، وحكم على مراهق لم يتجاوز الاثنتى عشرة سنة بجريمة أيضاً ، وفتاة لم تشرف على ربيعها الثامن أخذت بالتبعة لإشعالها النار فى مسكن

على أن بعض الشرائع تحتم على الولد نفسه ، دون غيره . أن يتحمل تبعة عمله ، والبعض الآخر تحمله وتحمل أسرته معاً ؛ وفى كلتا الحالتين لا ينجو الولد منها وإن كانت التبعة فى الثانية أخف وطأة عليه من الأولى

أما فى العهد القديم فالقانون الصينى لم يخل من تشريع غريب فى صدد هذه التبعة يتنافى مع التبعات الأخرى فى المجتمعات الثانية ؛ فالولد الذي يرتكب إثماً أو جرماً ولم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره — مثله مثل رجل جاوز السبعين من سنيه ، أو شيخ فقد عيناً واحدة أو ذراعاً واحدة — يتمكن أن يستبدل المال بالإعدام إذا كانت الجناية ليست بذات أهمية — أى لا تستوجب الإعدام — ويكون المال حينئذ كفارة عن ذلك الإثم أو الجريمة ؛ أما الولد الذي يؤخذ بجريمة تستوجب الموت ولم يتجاوز العشر سنوات من عمره — فمثله كمثل رجل أربى على الثمانين . أو شيخ فقد عينيه أو ذراعيه — يسمح له أن يطلب عفواً خاصاً من جلالة الأمبراطور . والوليد الذى لم يتجاوز الربيع السابع من سنيه — مثله مثل صاحب التسعين — لا يتحمل أية تبعة ما وبالتالى لا يحكم بأية عقوبة إلا فى حالتى الخيانة والتمرد . فالولد فى هذه الحالة يؤخذ بالتبعة هو وأسرته ويتحملان العقوبة بمعنى أن كل أفراد أسرته الذين لم يتجاوزوا الخامسة عشرة من سنيهم . من كلا الجنسين ، يخضعون لعبودية ثقيلة قد تكون وبالاً عليهم فى المستقبل . فالذكور منهم يرسلون إلى مستشفيات خاصة حيث يعقمون بينما الأناث يقضين بقية حياتهن فى خدمة المجتمع !

أما تبعة الوليد عند اليونانيين القدماء فتختلف باختلاف الحكومات القائمة فى ذلك العهد ؛ فحكومة أثينا ، تمشيا مع شريعة أرسطو ، طرحت جانباً تبعة الوليد وستنكرت معاقبته فى حين قيامه بإثم عرضى غير مقصود به أى ضرر . ولكنها تأخذه بجرمه إذا ما ارتكب جريمة قتل الإنسان Hommicide ؛ ولا تقر شريعة أفلاطون التبعة على الوليد الآثم . وهو فى أدوار الجنون والمرض والطفولة حتى فى حالة الخيانة والكفر والزندقة . ولكن أفلاطون استثنى حالة واحدة هى جريمة قتل الإنسان ؛ أما إذا قدر للولد أن يجرح مواطن له ، فإبعاد عام واحد عن البلاد ، وإن سولت له نفسه العودة قبل إتمام هذه المدة ، فسجن عامين كاملين ؛ أما حكومة أسبارطة فيبعد الوليد إلى خارج بلاده وإلى أمد بعيد أن ارتكب جريمة قتل دون قصد منه . وهذا الابعاد هو بمثابة انتقام خاص لعائلة القتيل وإرضاء رمزى لها ؛ وفى حالتي الخيانة والصبأ ، فالعقوبة تتناوله فوراً دون النظر إلى عمره ، وقد تتناول أسرته أيضاً .

ولا تقر الشرائع الجرمانية القديمة التبعة على وليد أخذ بسرقة ولكنها تأخذه بجريمة قتل وتحده ، وربما رأفت به وخففت العقوبة عنه ؛ وتحاكي هذه العقوبة الأحكام المقررة على الراشد الذى يقترف القتل عفواً .

يتبين مما تقدم أن التبعة تلازم الولد — منذ أقدم الأزمنة حتى الآن — ملازمة لا ينجو منها ، وإن فكرت بعض الأمم

فى تحقيقها ، لكن البعض الآخر أخذ فى بداءة هذا القرن يجتهد فى إلغائها عن ولد لا يفقه معناها ، ولا يفهم النظم الاجتماعية لأن تجريمه هو بمثابة ظلم لا مسوغ له .

تبعة المجنون :

اختلف المشرعون الحديثون فى أهمية الدور الذى يقوم به المجنون فى المجتمع الانسانى وما يتركه من أثر قوى أو ضعيف فيه ، ولكنهم أقروا — وإن اختلفوا فى الاجتهاد — مبدأ واحداً هو أن لا تبعة على المجنون وأنه معفى من العقوبة .

وماذا يراد بالجنون ؟ لقد عرفه الأستاذ « مرسيه Mercier » بأنه « اختلال فى أى عنصر من عناصر القوى العقلية ؛ وقد يكون هذا الاختلال تشويهاً أو توقفاً فى النمو أو انحلالاً والتواء فى عنصر من تلك العناصر » مما يجعل « الفرد غريباً عن الوسط الذى يعيش فيه . وقد يصطدم اصطداماً يضر به وبالمجموع معاً دون أن يدرك عاقبة عمله » . ويقول الأستاذ « مرسيه » أيضاً : « إن أكثر حالات الجنون سببها تسمم بطىء يؤدى إلى انحلال العرى بين المراكز العليا والمراكز السفلى ، ثم يؤدى إلى انحلال العناصر التى تكون ذلك المركز » وقد عرفت الشريعة المجنون « بالفرد الذى خرج عن قواه العقلية فلا يصحو إلا فى فترات نادرة أو لا يصحو أبداً » . وإذا كانت هذه وضعية المجنون المحزنة وعقليته القاصرة . فكيف أجاز المجتمع البشرى لنفسه أخذه بالتبعة والحكم عليه بالعقوبة ؟ ! ...

كان كثير من المجتمعات القديمة والحديثة ، تأخذ المجنون بالتبعة والعقوبة . ففى القرن الثامن عشر أصدر بعض قضاة فرنسا أحكاماً مختلفة على بعض المجانين ، فأثارت هذه الأحكام حفيظة نواب مجلس الأمة ، واحتفظ هذا المجلس ، بما له من سلطة تشريعية ، بتخفيف هذه العقوبة أو إلغائها ، ولكنهم أقروا مبدأ التبعة والعقوبة فى حالة جريمة يرتكبها المجنون تتناول صاحب الجلالة أو أمراء الأسرة المالكة أو الرئيس الأول أو غيرهم من الزعماء كبار القادة .

والشريعة الصينية تميل بعض الميل إلى تخفيف التبعة عن المجنون وتعديل عقابه . فالجريمة التى تستوجب الاعدام يستعاض عنها بالسجن والتصفيد بالحديد عند عفو أهل القتيل عنه ، وإذا قدر للمجنون أن يجرح أباه ، فعلى هذا أن يبعث برسالة خاصة إلى صاحب الجلالة يتوسل فيها أن يعطف على ولده ، ويعفو عن خطيئته ويغفر له ذلته ؛ أما إذا قتل أباه فيؤخذ بالعقوبة وبأشد ما تكون قسوة وعنفاً حيث تقطع أوصاله ويحرق حتى ولو قضى نحبه قبل تنفيذ الحكم فيه .

وكان الرومانيون يعاملون المجنون معاملة القاصر — وهى تشبه إلى حد ما معاملة اليونانيين — ألا إنه قد يدفع فى بعض الأوقات مبلغاً من ماله أو قسماً من أملاكه يتناسب مع أهمية الجريمة التى ارتكبها . وفى نهاية القرن الثانى أصدر الامبراطور « مارك أوزيل » Marc Aurèle وابنه الامبراطور « كومود » Commode قانوناً يبرئ فيه المجنون من التبعة ويرفع عنه التهمة ، وينقذه من العقوبة . وساندهم فى ذلك كبار المشرعين آنئذ ، وحجتهما أن الجنون بعينه هو عقوبة فى حد ذاتها ؛ أفلا يكفى المجنون عقوبة أن تكون الطبيعة قد حرمته من نعمة العقل . ولذة الفكر ، وسعادة الحياة . حتى تزيده المجتمع شقاء بتجريمه وعقابه !! ... إن هذا لكثير على امرئ بائس مسكين ...

وهكذا نرى المجتمع البشرى يعاقب المجنون ويحمله التبعة ليس لأنه يتجاهل حالته العقلية والنفسية . ويتعامى عن وضعيته الشاذة المضطربة بل تمشياً لما جاء فى الشرائع من أن المجنون يؤخذ بالتبعة والعقوبة .

تبعة الأموات

لقد عرف المجتمع القديم هذه التبعة كما عرف غيرها من التبعات الأخرى التى تتناول الحيوان والجماد والنبات . وكان الاعتقاد السائد، فى ذلك الزمن ، أن التبعة تتناول الميت نفسه باعتبار أن جثة المجرم عليها أن تتحمل العقوبة . وعلى هذا الاعتبار أقروا مبدأ التنفيذ

ويذكر التاريخ لنا حوادث عديدة من هذا النوع الطريف ؛ ففى الهند يقطع رأس المجرم الميت ويحمل على الحراب ويسلخ جلده ؛ وفى اليونان تقطع أوصاله وتحرق ؛ وقد يحتفظ بجمة من شعره كذكرى لهذه العقوبة

ولا يؤخذ بهذه العقوبة إلا فى حالتين اثنتين : أولاهما فى حالة الانتحار ؛ وثانيتهما فى حالة ارتكاب جريمة تتناول الأمة والوطن . فالمنتحر يحكم وتنفذ العقوبة فى جثته ، فيسلم إلى الجلاد حيث يصلب ويمثل به أشنع تمثيل ، ولا يحتفل بدفنه احتفالاً دينياً ، ويحرم من الرقود فى باطن الأرض بسلام

وعرفت الأمة المصرية هذا النوع من العقوبة أيضاً ، فكان المجرم — وهو الجثة الهامدة — يمثل أمام محكمة كهنوتية

Tribunal sa cerdotal فإذا أخذته بجرمه حكمت عليه حكما يحاكى فى أصوله وفروعه الأحكام اليونانية ؛ وكذا الحال فى الأمة الفارسية فقد قطع الملك الفارسى Artaxerxès رأس أخيه Cyrus — وكان يناصبه العداء ويوثب الأمة عليه — ومثل فيه تمثيلاً فظيعاً بعد أن سقط فى إحدى المعارك قتيلاً

وعرف المجتمع اليونانى أيضاً أنواعاً كثيرة من هذه العقوبات فمنها ما ينتهى بالتمثيل بجثه المجرم وحرقها ، وما ينتهى بسحقها تحت الرحى وذرها فى البحر ، وما ينتهى بالحرم الدينى ورمي الجثة خارج البلاد وغيرها

والواقع أن مثل هذه العقوبات تدلنا دلالة واضحة على عقلية المشرعين الضيقة الذين لم يدركوا كل الادراك ما فى هذه العقوبات من إسفاف وسخف وتفكير عقيم

تبعة الحيوان

وكما أن التبعة والعقوبة كانتا تلازمان الانسان فى المجتمعات القديمة فهما تلازمان الحيوان أيضاً . فمن تقاليد قبيلة Kukis أن تأخذ بثأر أحد أفرادها إذا ما قتله نمر أو فهد وذلك بقتل الحيوان المفترس أو قتل آخر من فصيلته ؛ ومن تقاليد القبائل الساكنة فى جزيرة مدغشقر الاقتصاص والانتقام من التماسيح ؛ فأفراد قبيلة Antimerima التى تربطهم بالتماسيح رابطة الأخوة والصداقة — وهى التى وعدت وأقسمت ، حسب اعتقادهم ، ألا تأكل إخوانها من بنى الانسان — لا تتوانى عن معاقبة أحدها إذا حنث بيمينه أو رجع عن وعده

ينفر رئيس القبيلة أفراده ، ويوثب جماعته لأخذ الثأر من هذا الأخ الحيوان الذى لم يرع حرمة الأخوة والصداقة ، ويوحى هذا الثأر فى نفوسهم حب الانتقام منه ، ويشتد إضغانهم عليه ، فينهضون حالاً إلى ذلك النهر وعلى وجوههم أمارات الجرأة وعلامات البأس ، حتى إذا ما اقتربوا من ساحله الرمل ، ونزلوا بقبالة مسايله وخلجانه ، يتقدم رئيسهم بالشكوى المريرة إلى إخوانه التماسيح — تمشياً على الشريعة المقدسة — ويتبسط فى سرد الجريمة على مسمع منها ، ويتلوم القاتل على فعلته هذه ويتوعده — وهو الذى أقسم وعاهد ألا يفتك بأخيه الانسان — طالباً منها أن تسلم القاتل صباح الغد للاقتصاص منه ، ملقياً فى النهر شصاً كبيراً تتدلى منه قطعة كبيرة من اللحم حجمها قرابة من ربع بقرة ؛ ومن ينكفئ كل منهم إلى مسكنه ، وينصرف إلى نفسه يتوفر على الاستعداد للانتقام صباح الغد ؛ فالنساء يأخذن فى جدل الشرائط الحريرية ، والفتيات فى غزل خيوط القنب ، والرجال والأيفاع فى شحذ الأسنة والحراب والرماح

فما يكون الغد حتى يتوافد زمر الرجال والنساء ، وجموع الفتيان والفتيات إلى مضرب الزعيم يتشاورون معه فى كيفية المحاكمة ، وتساورونه فى طرق الانتقام ، حتى إذا جمعوا جموعهم واكتمل عددهم ، أخذوا سمتهم إلى ذلك النهر الهادر بأمواجه ، مكان الجريمة وموضع الاستغفار والتوبة

يتقدم الزعيم فيغمز الشص متربصاً بغريمه موآتاة الفرصة ، وقد لا يطول ثواؤه حتى يظفر به ويهب بجماعته أن يساعدوه ويعاونوه . وما أن يظهر التمساح على سطح الماء حتى يأخذوه بالعنف والقسر ويبادرونه بالأهازيج والأغنيات رمز الظفر والغلبة ، ويتسابقون فى إحكام أربطة القنب والحبال على جميع أطرافه إحكاماً قوياً لا يستطيع معه حراكا . وبعد أن يتحلق القوم حوله يعمد رئيس القبيلة إلى التبسط فى الجريمة وإلقاء التبعة على هذا التمساح ، معتذراً إلى رجال القبيلة بمحاكمته والحكم عليه بالموت — باعتباره أخاً لهم — وما أن يحكم عليه حتى يندرئ القوم بغرز الأسنة والرماح فى بطنه إلى أن تقر حركته وتهدأ ثورته وتخمد أنفاسه . حينئذ تتقدم النساء بنزع الأربطة واستبدالها بأربطة حريرية ثم يزمله الرجال بالأكفان الناعمة بين عويل أولئك وبكاء هؤلاء ، حتى يوارى فى رمسه ، وهو رمس لو تعلم جميل ، أعد له ولأمثاله منذ أمد بعيد ، وذلك باحتفال دينى مهيب ...

وهكذا نرى أن هذا الحيوان السائم الذى لا يعرف ما ينفعه وما يضره يعاقب عقاب من يرتكب إثماً من بنى الإنسان ، ويحتفل به احتفالاً قد يقل نظيره لابن آدم ...

والمزدكيون التابعون لمذهب زرادشت Zoroaster يأخذون الحيوان بالتبعة والعقوبة فالكلب المسعور يعاقب بصلم أذنه اليمنى إذا افترس حملاً أو جرح رجلاً ، وتصلم أذنه اليسرى فى حالة الإعادة ، وإذا تعددت آثامه وشروره ففرضة فى رجله اليمنى واليسرى ثم يبتر ذنبه ؛ وبما أن مبادئ المزدكيين لا تسمح بتقطيع أوصال المجرم — إنساناً كان أو حيواناً — فالعقوبة لا تتعدى حدود ما ذكرنا

وقد تشمل التبعة والعقوبة صاحب الحيوان أيضاً ، وهذا ما تأخذ به المجتمعات القديمة والحديثة ، فالشرائع القديمة كانت تحمل صاحب الحيوان ما يسببه هذا من ضرر وأذى ، وتحمله على

أداء تعويض مالى أو ترغمه على إعطاء عقار أو متاع يوازى قيمة الأضرار التى صدرت عنه ، والمجتمع العربى القديم كان يعرف هذه التبعة ويأخذ صاحب العجماء بها على اعتبار أنه هو وحده مسئول عن الإهمال أو بالأحرى عن الضرر الذي تأتى عن الحيوان ، فلو أن صاحب العجماء عقل الحيوان عقلاً تاماً ورعاه رعاية فيها كثير من الحذر واليقظة لما سبب إضراراً لهذا وأنزل خسائر بذاك ، بل ذهبت الأمة العربية فى الزمن الغابر إلى أبعد من هذا الحد ، فأخرت مبدأ شهادة الحيوان أمام القضاء ، فقد أورد مؤلف الأغانى قصة الشاعر « الحزين الديلى » الذي كثيراً ما كان ينصرف بمفرده إلى تعاطى الأشربة المحرمة فى ظاهر مكة ولا صديق يؤاكله ويشاربه إلا حماره الذى يحمله ما يحتاج إليه من آكل لذيذة وأشربة خمرية معتقة

أحب جماعة من أهله وأصحابه أخذه بهذا الإثم وإقامة الحد الشرعى عليه وكانوا يؤنبون فى كل مرة بفشل مرير ، ولم يكن لهم من طريقة أخرى إلا أخذ الحمار كقرينة على ارتكابه الإثم ، ولما مثل الشاعر أمام القاضى وسئل عن التهمة أنكرها ، فأراد القاضى أن يأخذ الحمار كقرينة على ارتكابه الإثم ، وأحب أن يحده الحد الشرعى . وما أن سمع الشاعر قولته حتى بادر القاضى بقوله : إنى أقبل هذا الحد — وإن لم يكن شرعياً — لكن أخوف ما أخافه أن يضحك منا أهل العراق ويتقولوا أن أهل مكة يأخذون بشهادة الحمير

والواقع أن الأخذ بمثل هذه القرينة هى بمثابة نوع من أنواع التبعة التى كانت تلازم الحيوان فيما مضى ، وهى أيضاً بمثابة رجوع العربى إلى المنطق القبلى الذى كان يأخذ الحيوان بالتبعة

أما فى العصر الحاضر فإن العرب لا يأخذون بهذه النظرية خلاف الأمم الأوربية التى تأخذ بها لا سيما فى الأجرام الجزائية . ففى الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ — ١٩٣٩ عمل الإنجليز بشهادة كلاب الأثر وفرضوا العقوبات الصارمة وطبقوا قانون الطوارئ الذى يقضى بالإعدام على كل من حمل سلاحاً ، إلا أن قضاة العرب لم يوافقوا على ذلك إذا عرضت عليهم قضايا من هذا النوع كما جرى مع أحد القضاة الذى رفض الأخذ بشهادة الكلاب كما ورد فى سياق حكمه

وجاءت الشريعة الإسلامية فهدمت ما أخذ به الجاهليون من هذه النظم ، وأقرت مبدأ التبعة على صاحب الحيوان فحسب ، وكذا الحال فى المجتمعات المتمدينة الحديثة التى تكون قد اتصلت بالحضارة الاسلامية وتفهمت شرائعها ونظمها فأقرت ما أقرت وهدمت ما هدمته

ويخبرنا أرسطو بأنه شاهد بنفسه ، فى أثينا ، محاكمة الحيوان المجرم فى محاكم خاصة ، وكثيراً ما كانت العقوبة تتناول قتل الحيوان وطرحه خارج حدود المدينة ؛ ويقول أفلاطون أن حيوان النقل Bêtê de Charge يؤخذ بالتبعة والعقوبة إذا أودى بحياة فرد خلال حالات خاصة كالاحتفالات الدينية والأعياد الوطنية ؛ وعقوبته إما القتل أو الاحراق

وهناك نوع من العقوبات الدينيـة . مصدرها الـكنيسة الـكاثوليـكية ، تختلف عن بقية العقوبات اختلافاً كلياً تتناول الحيوان الوحشى دون الأليف باللعنة الدائمة والجرم الأبدى

تبعة النبات والجماد

وكما تقع العقوبة على الحيوان تقع أيضاً على النبات والجماد على حد سواء ، فقبائل Kukis تقتص من الشجرة إذا أودت بحياة أفرادها وقت وقوعها والاقتصاص منها إنما يكون بتقطيعها إرباً إرباً وسحقها سحقاً ناعماً وذرها فى الهواء ؛ وعند سكان استراليا يحرق سلاح القاتل

ويروى التاريخ أن أحد ملوك فارس جلد البحر عقب معركة بحرية هزم فيها ، وأن أمبراطور Cyrus بدد ماء نهر لأنه حال دون انتصاره على أخيه

وأخبرنا ديموستين الخطيب اليونانى الـكبير أنه شاهد بنفسه محاكم خاصة صلاحيتها محاكمة الجماد دون غيره ، وحدث أن عائلة يونانية تسكن جزيرة Thasos رفعت الدعوى على تمثال بطل عظيم من أبطال اليونانيين لحادثة وقعت على أحد أفرادها من قطعة صغيرة منه ، إلى أن فازت بالحكم على التمثال وألقت به فى البحر

* * *

تلك هى التبعة والعقوبة فى المجتمع البشرى القديم التي أظهرت لنا حياة اجتماعية متأخرة ، وبيئة حقيرة ، وحضارة فقيرة وواضحت نظماً وقوانين قد لا يأخذ ببعضها أو بأجمعها المجتمع الحاضر وعادات وتقاليد قد لا يقرها أيضاً ، وإنما عالجنا هـذا البحث لـكى توقف القارئ العربى على درجة من درجات تفكير المجتمع القديم ومظهر من مظاهر الروابط الاجتماعية فيه

رفعة الحنبلى

* * *

مصدر هذا البحث :

١ — الأغانى

٢ — التبعة La Résponsobilité للعالم Fauconnet

٢١ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

سرعان ما يترك العريس — بعد عودته من المسجد — أصدقاءه في الدور الأسفل ينعمون بتدخين الشبك واحتساء القهوة والأشربة . وتظل أم العروس وأختها أو غيرهما من قريباتها في الدور الأعلى بينما تكون هي والبلانة في غرفة منفصلة . وينبغي أن يبدى العريس الشاب بعض الحياء مثل العروس ؛ فيحمله لذلك أحد أصدقائه في بعض الطريق المؤدى إلى الحريم . وقد تجلى العروس إذا كانت من الطبقات الموسرة أمام العريس في ملابس مختلفة تصل إلى سبعة . وعلى العموم يرى العريس عروسه مع البلانة وحدها . فيمنحها عند دخوله الغرفة منحة فتنسحب في الحال . وتغطى العروس رأسها بشال لا يرفعه العريس قبل أن يهبها هبة مالية تسمى « كشف الوش[(١)] » بينما تظهر العروس في سبيل رفع الغطاء نفوراً وممانعة شديدة لتعبر عن خفرها البتولي . ويبسمل العريس عند كشف النقاب ثم يحيى العروس قائلاً : « ليلة مباركة ! » فتجيبه إن لم يرتج عليها من الخجل : « بارك الله فيك » . وقد يرى العريس حينئذ لأول مرة وجه عروسه . ويجد العريس على العموم أن العروس كما وصفت له تقريبا . وكثيراً ما تنجز حينئذ طقوس عجيبة ، فيرفع العريس ملابس العروس جميعها ما عدا القميص ، ويجلسها على حشية سرير يتجه نحو مكة كما يولى ظهر العروس هذه الجهة ، ثم يجذب حجر قميصها إلى الأمام ويبسطه على الحشية ويقف أمامها على بعد ثلاث أقدام تقريبا ويصلى ركعتين واضعا رأسه ويديه عند السجود على هذا الجزء من القميص .

(١) كلمة (وش) تحريف عامى لكلمة وجه أو وجه (بتعطيش الجيم)

ولا يبقى العريس مع عروسه أكثر من بضع دقائق[(١)] بعد أن يكون قد أشبع فضوله بمشاهدة جاذبيتها ، ويطلب من النساء — اللاتي يتجمعن عند الباب وهن قلقات — أن يزغردن . وتصل الصيحات الحادة إلى مسامع الرجال في الدور الأسفل وإلى الجيران وتتجاوب النساء بالزغاريد مخبرات أن العريس رضى بعروسه . ثم يهبط العريس إلى اصدقائه ويبقى معهم ساعة أو أكثر قبل أن يعود إلى زوجته . ويندر جداً أن يطلق الزوج زوجه إذا خاب فيها رجاؤه وإنما يستبقيها أسبوعا أو أكثر

* * *

الآن وقد وصفت طريقة الاحتفال بزواج العذراء في القاهرة أضيف بعض كلمات عن بعض حفلات شاهدتها في أحوال أخرى خاصة بالعذارى والثيبات سواء

يندر أن يذهب بنات العظماء إلى الحمام العمومى قبل الزواج لوجود الحمام في المنزل . وعند ما تخلو منازل العائلات الموسرة أو المتحضرة من حمام . تذهب العروس مع قريباتها وصديقاتها إلى حمام عمومى يستأجر لهن خاصة . ويفضل الكثيرات الذهاب إلى الحمام وإلى منزل العريس دون زفة راكبات الحمير فوق البراذع المرتفعة . وتتدثر العروس بشال كشميرى على طريقة الحبرة . وقد ترافق حاشية العروس فرقة عوالم يركبن الحمير أيضا ويغنين طول الطريق

وقد يكون لعائلة العروس أو العريس أغاوات فيتقدمون العروس راكبين . وقد يجرى على رأس الزفة رجل يصيح : (صلوا على النبى) وينثر هذا الرجل عند باب المنزل بعض أوراق السلق ليسير عليها السيدات اتقاء لأحداث الدهر . ثم يصيح الرجل نفسه قائلاً : « نصر من الله وفتح قريب »

وقد يتم عقد الزواج عند المصريين من غير أبهة ولا احتفال حتى في حالة زواج العذراء ، برضا عائلتى العروسين المتبادل ، أو بموافقة العروس نفسها . أما الثيب فلا تزف أبداً عند الزواج . ويكفى أن تقول المرأة لمن يتقدم لزواجها : « وهبت لك نفسى » فتصبح امرأته شرعا متى كانت بالغة حتى من دون شهادة إذا استحال الحصول عليها . وقد يعقد المسلمون في مصر وغيرها من البلاد

(١) أرجو من يرغب في بعض التفصيل أن يرجع إلى بركهاردت ص ١١٧ فقد يكون وصفه أكمل ، ولكن يبدو أنه عنى بالايجاز في هذه الحالة بصفة خاصة .

العربية الزواج بالثيب بهذه الطريقة البسيطة . ويبلغ مهر الثيب على العموم ربع مهر العذراء أو ثلثه أو نصفه

وتتم حفلات الزواج فى القاهرة عند الطبقات التى تعلو الطبقات السفلى وإن حقرت معيشتها بنفس طريقة الطبقة الوسطى . إلا أنهم يراعون البساطة عندما يستحيل تحمل نفقات مثل هذه الزفة السابق وصفها ، فتسير العروس متدثرة بشال أحمر ويحيطها فريق من قريباتها وصديقاتها فى أحسن حللهن أو فيما يستعرن من الملابس . ولا يبهج الموكب من صيحات الفرح غير الزغاريد التى يرددنها من وقت لآخر

وتختلف الزفة فى القرى عن الزفة السابقة . فالعادة أن تركب العروس جملاً وهى متدثرة بشال حتى تبلغ منزل العريس . وقد يجلس معها على الجمل بعض النساء والبنات . اثنتان على جانبها واثنتان أو ثلاث وراءها . ويكون الهودج كبيراً ويغطى بالبسط وغيرها . ويتبع العروس جماعة من النساء يغنين . وكثيراً ما يتقابل أصدقاء الطرفين وصديقاتهما فى منزل العريس مساء يوم الاحتفال والأيام السابقة ويلهون فى الهواء الطلق طويلاً بالأغانى والرقص الذى ينقصه المهارة على ألحان الدف والطبل . ويغنى الجميع رجالاً ونساء ويرقص النساء فقط . وقد اختصرت الكلام فى وصف الحفلات الريفية لتجنب ترديد الوصف فى موضوعات متشابهة . ولنرجع إلى عادات أهل القاهرة .

فى الصباح التالى للزفاف يعرض (الخولات[١]) والغوازى (رجالاً ونساء) ألعابهم أمام منزل العريس أو فى الفناء[٢] . وفى الصباح عينه إذا كان العريس شاباً يدعوه الشخص الذى سبق أن حمله إلى الحريم إلى قضاء اليوم فى الريف مع الأصدقاء . ويسمى هذا (الهروبة) . وقد ينظم ذلك العريس نفسه ويشترك فى النفقات إذا زادت على ما يقدمه أصدقاؤه من النقوط فى هذه المناسبة . ويستأجر الموسيقيون والراقصات لتسليتهم . ويسير العريس من الطبقة السفلى فى مؤخرة الموكب مسبوقاً ببعض الطبالين والزمارين . ويحمل كل من أصدقائه وغيرهم باقة من الزهر كما يفعلون عادة فى زفة الليلة السابقة . ويرافق الحاشية حاملو المشاعل والمصابيح عند عودتها

(١) ويسمى الخول أيضاً (غايش) وجمعها (غياش)

(٢) ويسمى هذا (صباحية العروس)

بعد الغروب بينما يحمل الأصدقاء علاوة على الباقات شمعاً[١] . وهناك حفلات لاحقة تقام بمناسبة الزواج أيضاً ستوصف فى فصل لاحق

ويفضل العريس على العموم إذا وفق إلى ذلك أن تعيش أمه فى منزله حتى يتسنى لها أن تحمى شرف زوجته وبالتالى شرفه أيضاً . ويقال إن الحماة تسمى كذلك لهذا السبب[٢] ويقال إن المصريات يملن إلى الدسائس . وأخشى ألا يكون هذا الحكم ظالماً . وقد يسكن الزوج زوجه فى بيت أمها ويتولى الإنفاق عليهما . وهذا يوجب على الأم أن تهتم بالنفقات جد الاهتمام وأن تدقق فى ملاحظة ابنتها خوفاً من أن تطلق . ولكن يقال إن الأم فى هذه الحالة تعمل وسيطة لابنتها ، فتعلمها الحيل والمكايد التى تتسلط بها على زوجها وتبذر نقوده . ويندر أن يقل الخوف من تأثير أم الزوجة عليها ولو كانت لا تنعم برؤية ابنتها إلا فى مناسبات عرضية . ولذلك يرى الرجل أنه من الحكمة أن يتزوجوا بنتاً لا أم لها ولا قريبات ، حتى إن بعضهم يحرم على زوجته أن تستقبل امرأة غير قريباته ؛ ولكن قلما يفرض هذا التقييد الشديد .

(يتبع)

عدلى طاهر نور

(١) ويتقابل أصدقاء العروسين وأقربهما فى ريف الصعيد فى اليوم اللاحق للزواج . وترقص العروس وقتاً قصيراً على نغمات تصفيق الرجل والدفوف وغيرها . وتطرح العروس على رأسها طرحة تصل إلى الكعبين وتغطى وجهها تماماً بمنديل من القطن المطبوع وتتحلى بأجمل ملابس العرس التى تعلق على باب الدار بعد الزواج فى بعض مناطق ريف مصر . ثم يتمم الرقص بعض النساء محتجبات كالعروس ومتدثرات بأحسن ملابسهن أو ما يستعرن .

(٢) وينطقها العامة (حمه) وهى مشتقة من فعل حمى بمعنى صان ووقى

الصحراء الغربية

للأستاذ عبد اللطيف النشار

صحراء مصرَ سلمتِ يا صحراء   فلحكمة لم يجر فيك الماء
تحمى الكنانة من أذى أعدائها   وهى الخصيبة ، تربة جرداء
يا نيل ، صحراواك جدبهما غِنًى   يا كنز ، بابك صخرة صماء
إن الطبيعة لا مردَّ لحكمها   الفقر سور خلفه النعماء
أحنى القلوبِ جسومها موضونة   والناعمات قلوبهن هواء
ووداعة الدمث الرقيق وأمها   ألاَّ تفارق ربَّها الخيلاء
يا هيِّناً سلس القيادة ليِّناً   هل فى ثيابك حية رقطاء

أعداء مصرِ جاوروا صحراءها   أتقِلُّ جمعهمو لنا الصحراء ؟
جسرٌ إلينا أنت أم جسر إلى   قاع الجحيم وللطغاة جزاء
باء الحليف بنصرة مرجوَّة   وتسابقت فى عونه حلفاء
لكن نصر الله فى بحر بلا   ماء وأرض ما بها أرجاء
ومَضَلة أفواهها مفغورة   أبد الزمان وما لها أحشاء
درداء تلتهم الخميس بأسره   وتطير فى لهواتها الأحياء
ظمأٌ وجوع أنشأها نشأة   لا البحر يشبهها ولا الغبراء
تُخفِى معالمَ جُرْمها فيظنها   قديسة أعداؤها الجهلاء
خوّارة موّارة لا أرضها   أرض ولا أجواؤها أجواء
نادوا يجبكم فى مجاهلها الصدى   وتبينوا إن الجواب نداء
ردٌّ ولا رد ويُوهِمُ آلها   أن الذى يروى النواظرَ ماء
هيا إلى إعصارها وسمومها   فالغول جاع وجاعت العنقاء
وجسومكم وحديدكم ونحاسكم   خُبْزٌ لدائمة الطوى وشِواء
عُبَّادَ هتلرَ أقبلوا أو أدبروا   حُمَّ القضاء ولن يُرَد قضاء
كثر الطغاة وكاثروا عدد الحصى   ومضى الجميع فكلهم أسماء
أو غير من خَلَقَ الصحارى خالق   الخاليات وهُنَّ بعدُ مِلاء
فليعرف الصحراء فى أبنائها   من لا تبين لعينه الأشياء
أممٌ وأديانٌ وفن ناصع   بعثت بها فى العالم الصحراء
وطوت نظائرها وتطوى هتلرا   والآخر الجعجاع حين تشاء
آثار روما من محاجرها التى   تبقى وروما ساحة بلقاء

عبد اللطيف النشار

الحكمة الحائرة

للأديب عبد الرحمن الخميسى

« إذا لمْ يُعَكِّرْ صفاءَ السماء   نِثارٌ مِنَ السُّحُبِ العابِرَهْ
فليستْ تَبينُ تهاويلُها   ولا صفوُ قُبَّتِها الساحِرَهْ
وإنْ لمْ يَثُرْ فى حواشِى الحُقولِ   شِتاءٌ ، هَواطِلُهُ غامِرَهْ
فما تترعرعُ أغراسُها   وما تُورِقُ الخُضْرَةُ الزَّاهِرَهْ
ولَوْلا شُبُوبُ الحَرِيقِ لَمَا   فَزِعْنا إلى الغُدُرِ الهادِرَهْ
وهٰذا الصَّباحُ يُطِلُّ خِلالَ   نَوافِذَ حالِكَةٍ باسِرَهْ
ويُولَدُ فى راحَتَىْ ظُلْمَةٍ   لِيَنْفُثَ أنوارَهُ الباهِرَهْ
فلا بُدَّ لِلشَّرِّ مِنْ أنْ يَعِيشَ   وتَحْرُسَهُ الأَنْفُسُ الخاسِرَهْ
لِتَبْزُغَ فى عُمْرِهِ هالَةٌ   مِنَ الخَيْرِ صادِقَةٌ طاهِرَهْ
وتِلْكَ نَوامِيسُ هٰذا الوُجُودِ   وَتِلْكَ هِىَ الحِكْمَةُ الحائِرَهْ »
كَذَلِكَ قالَتْ لِنَفْسِى الحَياةُ   وأَوْحَتْ مَعالِمُها الساخِرَهْ

* * *

وقالَ لِىَ الصَّقْرُ فى عِزَّةٍ :   أُحَلِّقُ فَوْقَ الذُّرَى النّافِرَهْ
وأنقَضُّ فى اللَّيْلِ فَوْقَ الوُكُورِ   وأَنْهَشُ أطيارَها السّادِرَهْ
وأترُكُها لِلدُّجَى والسُّكُونِ   هَواتِفَ بالفَجْعَةِ الغادِرَهْ
ويُسْفِرُ فى الرَّوْضِ وَجْهُ الصَّباحِ   فتَعْوِزُهُ الجَوْقَةُ الطائِرَهْ
ويَسْأَلُ مُسْتَنْجِدًا بالغُصُونِ   عَنِ الطَّيْرِ والفُتُوَّةِ الباكِرَهْ ؟
فتَهْتَزُّ هاماتُها حَسْرَةً   وتَدْمَعُ أزهارُها العاطِرَه
لِأَنَّ العَصافِيرَ ما استَيْقَظَتْ   وما هَلَّلَتْ بالشَّذَى ساكِرَه
وما استَقْبَلَتْ بالغِناءِ السَّنِى   وما حَوَّمَتْ فى الفَضا ذاكِرَه
ويَنْسابُ بَيْنَ العِشاشِ الضِّياءُ   لِيُوقِظَ أطيارَها الشّاعِرَه
ويَرْتَدُّ مُنْذَعِرًا باهِتًا   وتَفْتُرُ لَمْعَتُهُ الواهِرَه
إذا ما جَرَى فَوْقَ أعشابِها   عَلَى جُثَثٍ مَيْتَةٍ ضامِرَه
ويَعْلَقُ بِالنَّسَماتِ النَّدَى   دُمُوعًا مُبَلْوَرَةً ثائِرَهْ



وضع نشيد للسلام الملكي

انتهت لجنة « وضع النشيد للسلام الملكي » إلى دعوة الشعراء والأدباء لنظم نشيد يجرى فى توقيعه مع موسيقى السلام الملكي جرياناً دقيقاً ؛ ويشترط فى هذا النشيد أن يكون مؤلفاً من ثمانية أبيات ، ولا يزيد على اثنى عشر ، وأن يدور معناه حول العرش رمزاً لمصر الخالدة ، وحول الملك رمزاً لآمال الجيل . وينبغى أن يكون هذا النشيد « مشرق اللفظ ، محكم النظم ، رائع المعنى ، منشطاً للهمم »

وقررت اللجنة أن تمنح الفائز فى هذه المسابقة مائة جنيه ، وجعلت آخر موعد لتقديم الطلبات منتصف الشهر القادم

روح الإسلام

تحدث صاحب السمو الملكي الأمير فيصل نائب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود إلى بعض الصحفيين المصريين قال :

« إن الإسلام خير دين تعالى به الله عما يحاول أن يلصقه به المؤتفكون ، فليس فى الإسلام — كما يزعم هؤلاء — خمول ولا تواكل ولا استذلال ولا خضوع ، وإنما هو دين الجد والكد والتوثب والنهوض . ولو أن المسلمين اعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ، واستمسكوا بالعروة الوثقى ، وتآزروا وتعاونوا على البر والتقوى ، لكانت لهم قوة مرهوبة تبعث الرجفة فى القلوب

« لقد جمع كتاب الله وسنة رسوله من الأحكام ما ينير للناس طريق الدين والدنيا معاً ، فما بال بعض المسلمين يتنكبون هذا الطريق السوى المستقيم ؟

« ولو أننا ألقينا نظرة على الدول الغربية ، لرأينا أن الآخذة منها بما يقرب من أحكام ديننا فى المعاملات والحقوق والشرائع والحرية والديمقراطية ، هى أكثرها نجاحاً وأعظمها تقدماً وفوزاً »

واستطرد الأمير فقال : إن بعض الناس يدعى أن ضعف شوكة المسلمين يرجع إلى التدخل الأجنبى فيما بينهم ؛ وأنا أقول : إن التبعة كلها واقعة على المسلمين أنفسهم الذين يوسعون شقة الخلاف فيما بينهم ، والذين تفرقوا شيعاً وطرائق فرقت الشمل وأوهنت من قوة الإسلام وأضعفت شوكته

ومن واجب المسلمين الصادقى الإيمان أن يقضوا على هذا الحال ، وأن يعودوا جميعاً إلى جبهة واحدة ، لا موئل لها ولا قبلة سوى الكتاب والسنة ، وأن يعملوا متكاتفين متساندين ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ويوم يتم ذلك للمسلمين ، لن نتوانى نحن « آل السعود » وأبناء نجد والجزيرة عن تبوىء مكاننا من هذا الموكب الجليل بين الصفوف

كأنَّ السَّمواتِ تَبكِي الطُّيورَ ... وَتَبكِي أهازيجَها الغابِرَه
وَتجثُمُ فَوقَ الرُّبَى وَحشَةٌ ... وَتَمتَدُّ فى الأيكةِ النّاضِرَه
وَمِنْ ثَمَّ يُعرَفُ قَدرُ النَّشيدِ ... وَقَدرُ بَلابِلِهِ الآسِرَه
وَلَوْلا افتِرَاسِيَ أسرَابَها ... لَما افتَقَدَتها الرُّبَى الزّاهِرَه
وَإن لمْ يُعكِّرْ صَفاءَ السَّماءِ ... نِثارٌ مِنَ السُّحُبِ العابِرَه
فَلَيسَتْ تَبينُ تَهاوِيلُها ... وَلا صَفْوُ قُبَّتِها السّاحِرَه
وَتِلكَ نَوَاميسُ هَذا الوُجودِ ... وَتِلكَ هِيَ الحِكمَةُ الحائِرَه !

عبد الرحمن الخميسي

مؤتمر التعليم للأقطار العربية

تبحث اللجنة المؤلفة فى وزارة المعارف للتمهيد لعقد المؤتمر العربى على ضوء الحاجة إلى إصلاح النظم الحالية وتعديل السياسة المتبعة فى كثير من المسائل التعليمية فى مصر وجاراتها

وفى انتظار موافقة مجلس الوزراء على عقد هذا المؤتمر تعمل هذه اللجنة على أن تنتهى من عملها على الوجه الأكمل حتى يمكن الاتصال بالأقطار العربية بعد موافقة المجلس مباشرة

ونستطيع أن نذكر أن الموضوعات الرئيسية التى يفكر كبار رجال التعليم فى مصر فى طرحها على بساط البحث فى هذا المؤتمر تشمل المسائل الآتية :

١ – واجب الدولة نحو التعليم العام والتعليم الأولى

٢ – وسائل تدريس اللغة العربية

٣ – تبادل الزيارات العلمية بين طلاب الأقطار العربيـة والمدرسين بها

٤ – تنظيم الانتفاع بالكتب التي تطبع حديثاً في هذه الأقطار في مختلف العلوم والفنون والآداب

٥ – مواصلة السير على ندب مدرسين من قطر إلى آخر حسب ما تقتضيه روح التعاون الثقافي

ومما لا ريب فيه أن عقد هذا المؤتمر سيكون نواة لتعاون واسع النطاق بين البلاد العربية التي باعدت بينها ظروف خاصة . وأن الانتفاع به على الوجه الصحيح سيعزز مكانة مصر في الشرق . وقد يلاحظ أن حرص العراق يماثل حرص مصر على عقد هذا المؤتمر الأول من نوعه في العصر الأخير ، وذلك يدل على تجاوب الآمال بين البلدين في إقامة الوحدة العربية الفكرية على أسس متينة بحيث يتاح لجميع البلاد التي تنطق لغة واحدة وتتأثر بشعور واحد أن تواجه مستقبلها بقلب مطمئن واتحاد وثيق

مكافحة الأمية بين الفلاحين والعمال

فكر لفيف من طلبة جامعة فؤاد الأول في أن يشغلوا أوقات فراغهم في عطلة الصيف بالعمل نحو الأمية ورفع مستوى التفكير للفلاح والعامل . وقد وضعوا لذلك مشروعاً هو قيد البحث الآن مع كبار رجال التربية والتعليم والإصلاح الاجتماعي وهم يواصلون جهودهم في ذلك السبيل المشكور في كل فرصة تتاح لهم . وقد انتخبوا من بينهم وفداً لمقابلة صاحب المعالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظة بك وزير الشؤون الاجتماعية لعرض هذا المشروع عليه ورجاء معاليه تعضيد الوزارة له .

المرحوم « معاوية محمد نور »

رزىء القطر الشقيق – السودان – بفقد المرحوم معاوية محمد نور من أدباء الشباب المستنيرين الذين قامت بفضل جهودهم الموفقة دعائم النهضة الفكرية الحديثة في مصر الجنوبية

وقد تلاقيت مع المرحوم معاوية لأول مرة على صفحات جريدة السياسة الغراء حوالي عام ١٩٢٩ ؛ ثم توثقت بيننا عرى الألفة والزمالة حين أسسنا جماعة الأدب القومي التي كان يرأسها معالي الدكتور هيكل باشا ، فجمعية العشرين التي أسسها الأستاذ محمود تيمور بك . وكان الأستاذ معاوية قد تخرج حديثاً في كلية غردون بالخرطوم وأراد إتمام تعليمه في كلية الآداب ؛ غير أنه صادف عقبات منعته من الالتحاق بالجامعة ؛ واتصل النبأ بسمو الأمير العالم عمر طوسون فرأى أن يرسله في بعثة خاصة على نفقته إلى الجامعة الأمريكية ببيروت . وبعد أن نال إجازتها في الآداب عاد إلى القاهرة واتصل بالأوساط الأدبية وزاول مهنة الصحافة في صحف شتى كالأهرام والهلال والإجبشيان ميل ، وكتب على صفحات الرسالة ، وساهم بقلمه وفكره في كافة الحركات الأدبية التي اضطلع الشباب بأعبائها . وفي غضون تلك الفترة وقع الاختيار عليه ليكون سكرتيراً للغرفة التجارية بالخرطوم ، غير أن فاجعة المنية وقعت له وانتهت باختلال قواه العقلية

وكان المرحوم معاوية في كافة مراحل جهاده الأدبي يتوق جهده إلى توثيق عرى الصداقة بين القطرين الشقيقين ، ويقصر جهده على خدمة أمته عن طريق إذاعة أدبها القومي فكتب بعض أقاصيص سودانية لها صبغة محلية ، وصور طبيعة بلاده في صور سحرية أخاذة يساعده على ذلك ثقافته العربيـة والسكسونية

وأطلعني قبل موته على تجارب كتاب كان ينشر فصولاً منه على صفحات الإجبشيان ميل بعنوان « الأدب المصري وتاريخه » تناول فيه بالدراسة والبحث مدارس التفكير في الأدب المصري وقادته ، ثم أدب المقالة والنقد الأدبي لخصائص الأدب القومي والشعر والقصة والمسرح وأثر الجيل في كل حقل من حقوله ، وكان غرضه من ذلك أن يقف الرأي العام الانجليزي على تطور الأدب العربي عامة والمصري خاصة

وكان إيمانه بالأستاذ العقاد يفوق حد الوصف فكتب بعض فصول حلل فيها أدبه وارتباطه بشخصيته ، وحلل شعره وأثره في البيئة المصرية . أما أخلاقه فكانت على جانب من السمو . وقد عرف البؤس والفاقة في بعض أوقات حياته غير أنه لم يقاسهما مطلقاً ، بل كان يعمل وكان سعيداً أن يرى الناس تفهمه وتقدر جهوده

محمد أمين حسونة

أهلاً وسهلاً بك

من الصواب المخطأ قولهم : « أهلاً بك » فقد قام فى زماننا من ينكر هذا القول ويخطئه على صفحات جريدة كبرى

ودخل أستاذ على تلاميذه حاملاً معاجم اللغة مدعياً أن العرب لا تقول : « أهلاً بك » وإنما تقول : « أهلاً وسهلاً » أى حللت أهلاً ونزلت مكاناً سهلاً ومنه : « مرحباً وأهلاً ، وناقة ورحلاً ، ومستناخاً سهلاً »

قال قائل منهم : وما رأى أستاذى فى قول حافظ :

« أهلاً بنابتة » البلاد ومرحباً
جددتم العهد الذى قد أخلقا

فقال : كلام المتأخرين لا يحتج به

ثم دارت الأيام دورتها وإذا بهذا الأستاذ نفسه يملى على تلاميذه أنفسهم قصيدة النابغة فى وصف المتجردة ومنها :

لا مرحباً بغد ولا « أهلاً به »
إن كان تفريق الأحبة فى غد

فأعجب للنابغة كيف حكم بين اللغويين العصريين ميتاً كما كان يحكم بين الشعراء الجاهليين حياً

وطالما جرى هذا التعبير على ألسنة الفحول من المتقدمين أمثال ابن دريد فى مقصورته والجاحظ فى بيانه وتبيينه وأبى الفرج فى أغانيه

وفى الصناعتين لابن المعتز :

أهلاً وسهلاً بالناى والعود
وكأس ساق كالغصن مقدود
قد انقضت دولة الصيام وقد
بشر سقم الهلال بالعيد

ولما دخل الرسول على المتوكل برأس اسحق بن إسماعيل قام على بن الجهم يخطر بين يدى المتوكل ويقول :

أهلاً وسهلاً بك من رسول
جئت بما يشفى من الغليل
برأس إسحق بن إسماعيل

فقال المتوكل قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع .

محمد فتح الباب

برقة وأبو عبادة

طلع علينا الأستاذ النشار – بعد صمت طال حنيننا إليه فيه – بقصيدته الرائعة (برقة) ؛ فحمدنا له هذا العود الحميد ، على أننا نستميحه المعذرة فى ذكر نقطتين من قصيدته عن لنا بسط الرأى فيهما :

١ – ضبط الاسم فى مطلع قصيدته (برقة) بفتح الباء . والذى أعرفه أن اسم هذا الإقليم (برقة) بالضم – وفى معاجم اللغة أن البرقة (بزنة غرفة) : أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين ، وجمعها برق ... أما البرقة – بالفتح – فهى الدهشة والخوف ، ولم ينظر فى تسمية الإقليم إلى هذا المعنى

٢ – يقول الأستاذ فى قصيدته مشيراً إلى ... برقة :

تلك التى حمل ابن أوس همها
فى بارع بادى الجمال مخلد
(أصبا الأصائل إن برقة منشد
تشكو اختلافك بالهموم العود)

ونفهم من هذا أنه ينسب البيت إلى (ابن أوس) ، أى إلى حبيب ابن أوس الطائى ، وهو المعروف بأبى تمام ؛ مع أن المعروف أن البيت هو مطلع قصيدة لأبى عبادة البحترى يمدح بها يوسف ابن محمد . . . والأستاذ النشار لم يخطئ فى نسبة البيت إلى قائله فحسب ، بل نقله على تحريف ، إذ صحته كما جاء فى ديوان البحترى

أصبا الأصائل إن برقة منشد
تشكو اختلافك بالهبوب السرمد

هذا ما عن لى التعليق به ، وعلى الأستاذ منى أزكى السلام

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

مهرجان أولى لعيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك

فى كل يوم تتوالى مبرات المليك على شعبه ، وتتجلى أمارات عطفه على رعيته ، ولأياديه يد بيضاء فى كل عمل خيرى ، وتجابر من صنع يده يتوج به كل مشروع نافع

وللشعب – بحمد الله – قلوب تفيض بإجلاله وتبجيله ، وتخفق بحبه والتعلق به ، وتنبض على حركاته ، لحراسة ذاته وكلاءة الله له ؛ ووراء هذه القلوب ألسنة يرطبها ترديد محاسنه ، وذكر مفاخره ، والدعاء له بطول العمر وفسحة الأجل

ولمناسبة عيد ميلاد جلالته السعيد فى ١١ من فبراير سنة ١٩٤٢



نظرات فى كتاب :

أربعـــة قرون
من تاريخ العراق الحديث (*)
للأستاذ حسن حبشى

« ترى ما نصيب المكتبة العربيـة من التآليف والتراجم عن بلادنا ؟ وما نصيب المترجم فى بلاد الضاد ؟ ... » سؤالان تبادرا إلى خاطرى حين أنهيت مطالعة هذا السفر القيم الذى تناول فيه مؤلفه الغربى « أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » والذى أبت همة مترجمه الأستاذ جعفر الخياط إلا أن ينفح به المتكلمين بالعربية ، والمهتمين بدراسة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للشرق الحديث عامة ، والعراق خاصة

قد يكون من اليسير على المؤرخ تدوين الأحداث السياسية فى العراق الحديث لكثرة ما يقع تحت يده من المصادر والوثائق الموجودة فى دور وزارات الخارجية ، وإلى ما قد يحصل عليه من الأخبار الواردة بالرواية ، لكن كلما رجعنا بالزمن القهقرى ألفينا قلة المصادر . حتى ليجد الباحث نفسه يضرب فى مجاهل مظلمة . فالروايات معدومة . والمراجع نادرة ... فإذا عرفنا هذا أدركنا أهمية هذا الكتاب الذى ألم فيه مؤلفه «مستر ستفين هملى لونكريك» بتاريخ العرق فى حقبة كان القطر الشقيق خلالها نهبة أطماع الدول الأجنبية

تناول المؤلف فى هذا الكتاب الظروف التى مرت على العراق منذ مطلع القرن السادس عشر ، ودرس الصراع العنيف بين الأتراك والإيرانيين ، هذا الصراع الذى يسميه « بالجوع » ، حتى إذا طلع القرن السابع عشر ظهر اتحاد قبلى مؤلف من بنى مالك . والأجود ، وبنى سعيد . وتلا ذلك هجرات قبلية بشرية بقصد الاستقرار

ويشير المؤلف إلى تدهور موقف البرتغاليين ؛ والواقع أنهم كانوا من أشد المستعمرين تطلعاً لامتلاك العراق وفارس . ولا سيما بعد أن عقدوا معاهدة مع الشاه اسماعيل ١٥١٥ م . مما أدى ببريطانيا إلى التطلع هى الأخرى شطر هذه الجهات لتحد من مطامع البرتغاليين . حتى استطاعت بعد قرن من الزمن أعنى عام ١٦٢٢م

(*) كتاب فى ٤٠١ صفحة من القطع المتوسط ، طبع بمطبعة التفيض ببغداد سنة ١٩٤١

تعقد لجنة المهرجان الملكى الأدبية بمشيئة الله مباراة عكاظية . يلتقى فيها الكتاب والأدباء والشعراء والزجالون بخطبهم وقصائدهم وأزجالهم وأناشيدهم كل بما تجود به يراعته وما تفيض به نفسه من إخلاص للمليك المفدى ، وولاء وحب لصاحب العرش المكين

وإن ميدان البيان البليغ لمتسع : شباب رائع فتى ، وعقل ألمى ، وقلب تقى ، وخلق عظيم ، ودين مكين ؛ قد ضرب أروع الأمثال فى رعاية الفقير والترفيه عنه واحتضانه والأخذ بيده

لنا من سيرته الحميدة ومآثره المشهورة نبراساً يضىء الطريق فى ميدان الخطابة والإنشاد ، وخير حافز على تسجيل نفثات اليراع فى كتاب يرفع إلى مقام المليك وينشر على الملأ بعد أن يذاع منه بحفلة دار الأوبرا الملكية ما هو جدير بالتفضيل

وستضع اللجنة جوائز مختلفة لمن يحوز قصب السبق فى المباراة .

والمرجو ممن يتقدم لهذه الحلبة أن يبعث بما تجود به قريحته إلى حضرة الأستاذ محمد عبد الجواد المدرس بمعهد التربية للمعلمات بالزمالك فى ميعاد لا يتجاوز آخر يناير الجارى السكرتير

أمين حمدى فرج

إعلان فقد ختم

تعلن الست هانم البيلى من كفور العرب مركز طلخا غربية أن ختمها فقد منها ، وليس عليها ديون ولا معاملات مالية مع أحد ، فإذا ظهر شىء من ذلك يعد لاغياً .

أن تقضى بمساعدة الفرس على نفوذهم ، لكن وجد الإنجليز أنهم قد أخرجوا البرتغاليين من الميدان ليحل محلهم الهولنديون ، مما هو معروف للملمين بتطورات الشرق الأدنى السياسية فى العصر الحديث

وأن الكاتب ليلتفت لدراسة الحركة الوهابية ، ذلك الانفجار الدينى الذى ولد فى واحات نجد وكان ما كان له من الأثر الفعال البارز فى تاريخ الشرق الإسلامى فى ذلك الحين ، والذى كان شوكة فى جانب الدولة العثمانية ، ويظهر أن المؤلف ممن يعتنقون الفكرة القائلة بأن نشأة هذه الجماعة ترجع إلى عدائها للأتراك ، فيقول ص ٢٧٧ : « إن أخشن رعاياهم أو أوحشهم من القبائل والمقاتلين كانت لا تعرف من القرآن والسنة إلا النزر اليسير ... وكانوا يضمرون للخليفة ولكل شىء تركى استهانة لا تحتمل ، وهذه التفاتة جديدة فى تفسير دواعى نشأة المذهب الوهابى يمكن أن تضاف إلى الأسباب المعروفة فى تكوينه .

ويتناول الكتاب بعد ذلك تطور العراق حتى يصل إلى نهاية القرن التاسع عشر فى شىء من التفصيل ، وحكومة مدحت باشا . ومن الفصول الجديرة بالمطالعة الدقيقة بحثه عن الخطة الجديدة فى إسكان القبائل ، والتى تتضمن بيع أراض من أراضى الحكومة بأقساط قليلة سهلة . وتتبين روح المؤلف العلمية فى هذا الفصل الذى خصصه لدراسة المصادر التى اعتمد عليها فى تأليفه ، وهى تربى على مئة وعشرين مرجعاً ما بين تركية وفارسية وعربية وأخرى باللغات الأوربية ، وكتب السياحات ، وكذلك سجلات شركة الهند الشرقية الإنجليزية . وخلاصة القول أن مراجعة ثبت المصادر أبرز دليل على ما تكبده المؤلف من عناء البحث والتدقيق ومقارنة المصادر بعضها ببعض حتى أخرج كتابه هذا

أما الترجمة العربية فقد وفق الأستاذ خياط كل التوفيق فيها ، لما اجتمع له من تمكن فى الإنجليزية وهو خريج كاليفورنيا ، وحسن تبصر فى العربية ، وسلامة الأسلوب ، ودقة الاختيار للألفاظ . وليس هذا الكتاب بأول كتاب يخرجه المترجم الفاضل بل لقد سبق له أن نقل إلى العربية كثيراً من المؤلفات العلمية ، مما يشهد له بطول الباع والمران . وعجيب أن يجد من وقته – وهو المشرف على التعليم الثانوى فى العراق – فراغاً يشتغله فى هذه الترجمة العربية الرائعة . وإن المقدمة التى مهد بها الأستاذ جعفر الخياط بين يدى كتابه هذا لنفحة شعرية ، يحس فيها بالحسرة التى تغمره وتغمر كل عربى حر حين يذكر مجد الإسلام فى هذه البلاد وما ألم به من محن دامية ، قضت على مدنيته الزاهرة ، وهى توشك اليوم أن تعود سيرتها الأولى

وكم كنا نود لو أن الأستاذ جعفر أبقى أسماء المراجع الغربية كما هى ولم يترجمها وهى ما زالت بعد فى لغاتها الأولى وعلى كل ففضل المترجم غير منكور .

(بغداد)

محسن حبشى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10 me Année No. 446

Lundi - 19 - 1 1942

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٤٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٢ محرم سنة ١٣٦١ — الموافق ١٩ يناير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

مشكلة الرغيف...

وكيف لا يكون للرغيف مشكلة، والمشكلات منذ هبط الإنسان الأرض إنما تتناسل من أب واحد هو الرغيف، ومن أم واحدة هي المرأة؟

سمِّ الرغيف وسيلة حفظ الحياة، وسم المرأة وسيلة حفظ النوع؛ ثم حاول أن تنسب بشيء من التحليل الدقيق جميع ما سجل التاريخ من خصومات ومشكلات وأزمات وثورات إلى هاتين الوسيلتين، أو هاتين الغريزتين. فلن تجد في نسبة البنات إلى أبويهن غموضاً ولا مشقة

كانت المرأة في بدء الخليقة هي حواء، وكان الرغيف في حياة الجنة هو الشجرة، وكانت الأثرة والطمع والحسد هي إبليس، وكانت الضحية لهؤلاء جميعاً هي سعادة آدم!

ثم مضى الرغيف والمرأة وإبليس يعملون في دنيا الأرض ما يشاء القدر: يصلحون هذا ويفسدون ذاك، ويعمرون هنا ويخربون هناك، ويخلقون التنافس لتنشط عناصر الحياة، ويوجدون الخلاف لتتفق عوامل الموت، وينزعون الملك من يد إلى يد، وينقلون الحكم من دولة إلى دولة، حتى قال ابن أبي الحديد بحق: «لم تسل السيوف إلا لوجه أصبح من وجه، ولقمة أسوغ من لقمة»

الفهـــرس

ولو كان الملائكة يأكلون الرغيف ويخالطون المرأة لكانوا أناساً كالناس . ولكان الملكوت الأعلى كالملكوت الأدنى ، ولكن الله لم يشأ أن يجعل النور كالظلام ، ولا أن تكون السماء كالأرض !

على أن الرغيف لا كتنان سر الحياة فيه كان أشد الثلاثة إيقاداً للخصومة !

كان مالك بن أنس يذكر عثمان وعلياً وطلحة والزبير فيقول : « والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر »

وأنت إذا ذكرت في تاريخنا العدنانية والقحطانية ، والقيسية واليمانية ، والمهاجرين والأنصار ، والهاشمية والأموية ، والعباسية والعلوية ، والعروبة والشعوبية ، والتركية والفارسية ، والهلالية والصليبية ، والإسلامية والقبطية ، والسعدية والعدلية ، والفلانية والعِلاّنية ، لما قلت إلا ما قال أنس بن مالك

كذلك إذا ذكرت في تاريخ الناس الشرقية والغربية ، والديمقراطية والدكتاتورية ، والرأسمالية والشيوعية ، لما وجدت لهذه الأسماء معنى ولا مغزى إلا ما قاله كثير بن شهاب لغلامه وقد طلب منه الطعام يوماً فقال ما عندي إلا خبز وبقل : « ويحك ! وهل اقتتلت فارس والروم إلا على الخبز والبقل ؟ »

* * *

لذلك كله عالج الدين مشكلة الرغيف بتنظيم المعاملات ، وفرض الصدقات ، وكفكفة النفوس الشرهة بالقناعة والعفة والحدود ؛ واتقت الدول جرائر الرغيف بالعلم والنظام والإصلاح والاستعمار ؛ فإذا غلب الكفر أو طغت الأثرة ؛ شبت الثورة أو نشبت الحرب . ذلك أن الفرد أو الشعب يصاب في حريته فيصبر ، ويؤذى في كرامته فيستكين ، ويفتن عن عقيدته فيرضى ؛ ولكنه إذا حرم الرغيف انقلب ضارياً كالوحش ، أو جارفاً كالبركان ، لا يذر من شيء أتى عليه إلا جعله كالرميم

* * *

هذه مصر هبة النيل وجنة الشرق وملتقى البحرين والبرين طالما عركتها الخطوب فاستكانت للقدر ، واستعانت بالصبر ، ومضت على حسن ظنها بالله تتربص الدوائر بالمغير ، وترجو الغوائل للظالم ، حتى إذا أخذت هذه الحرب الأكول تنازعها الرغيف ، أصبحت كلها لساناً واحداً يتضاغى مخوفة انقطاعه . فلا تجد في الأمة ولا في الحكومة إلا سائلاً عنه ، أو شاكياً منه ، أو باحثاً فيه ، أو ساعياً له ؛ وكأنما اختزلت لغة الناس فأصبحت لا تعدو ألفاظ التخزين والتموين ، والإحصاء ، والاستيلاء ، والاستيراد والاستكثار ، والمطاحن والمخابز ، وما يدخل في هالة الرغيف النورية من مادة وأدب ! فليت شعري إلام تئول الحال إذا تأزم الأمر ، وضاقت موارد الرزق ، فلا أرض تغل ما يكفي ، ولا بحر يسد ما ينقص ؟!

تمثيل الحال في الخيال مرعب ، فما بالك بتقرير الحس وتصوير الواقع ؟

الأمر جد لا مساغ للعبث فيه ، والخطر باد فلا مناص من الاعتراف به ، والتقصير ثابت فلا سبيل إلى التنصل منه . وإذا فاتنا الاستبصار للمستقبل ، فلن يفوتنا الاعتبار بالحاضر . وإذا عجزت السياسة أن تحل مشكلة الرغيف فلا أزعم أن يحلها الأدب . وكل ما يستطيع الأديب أن يقوله للسياسي أن مشكلة التموين لا يحلها أن يكون لها وزارة ، ولا أن تقصر على أمورها السياسة والإدارة ؛ إنما يحلها أداء الحاكم للواجب ، وقضاء المحكوم للحق . وأقسم بالله جَهْدَ القسم لو أن القائمين على شؤون الناس بسطوا لها الأيدي النظيفة ، وتحروا فيها الأوجه الصالحة ؛ ثم ساووا بين العامة والخاصة في القسمة ، وعدلوا بين الأقوياء والضعفاء في التكليف ، وأيقظوا العيون لخفايا الحيل ، وأنضجوا الآراء لمشتبهات الأمور ؛ ثم عاونهم الشعب بفضائله ، فلا يطمع المنتج ، ولا يدخر المستهلك ، ولا يحتكر التاجر ، ولا يشح الغني ، ولا يجزع الفقير ، لما كان للرغيف في مصر مشكلة ، ولا كان للتموين في الحكومة وزارة . ولكن مشكلة المشكلات هي أن مكارم الأخلاق لا تُباع ولا تُعار ولا تكسب في الزمن القليل ، إنما هي تهذيب الدين الصحيح وصقال الدهر الطويل

أحمد حسن الزيات

بين الورق والدوح

[رسالة مهداة إلى المسيو « دى كومنين »]

للدكتور زكى مبارك

حدثت قرائى غير مرة أن ذاكرتى فيها انحراف غريب : فهى ضعيفة كل الضعف فيما يتصل بالأرقام والأعلام ، وقوية كل القوة فيما يتصل بالحوادث والمعانى ، ولها قدرة عجيبة على تمثل الملامح والأصوات والألوان ، فمن السهل أن أصف حادثاً رأيته قبل عشرين سنة ، مع الإحاطة بما لابسه من دقائق التفاصيل . ولكن من الصعب أن أتذكر رقماً سمعته قبل يومين . إلا أن يتصل بأمر تلتفت إليه الذاكرة بعض الالتفات ، ولأجل هذا أقيد ما يهمنى من الأرقام فى دفتر خاص

وفى هذه اللحظة أتذكر جيداً كيف شهدت عدوان الخريف على آثار الربيع ، ولم أكن شهدت ذلك العدوان قبل أول أيلول قضيته فى باريس ، وأتذكر أيضاً كيف كانت قدمى تخبّان فى أوراق الأشجار وأنا أخترق حديقة « لكسمبور » ، وأكاد أتمثل كيف انتشيت حين رأيت ذلك المنظر الجميل ، وما هو فى الظاهر بجميل ، ولكنه أعاننى على فهم جوانب من حيوية الأدب الفرنسى ، ففيه ألوف من صور العدوان البغيض ، عدوان الخريف على آثار الربيع ، بلا تهيب ولا استحياء

وفى يوم عاصف جلست تحت « الدوح » وهو ينظر بحزن إلى تساقط « الورق » ، فوعيت من حواره أحاديث لن أنساها ما حييت . وكيف أنساها وقد زلزلت قلبي ، وأطلعتنى على بعض ما كنت أجهل من سرائر « الأدواح » و « الأوراق » ؟

سمعت « الدوح » يقول فى صراخ مبحوح :

« إلى أين يمضى هذا الورق الساقط ؟ وكيف جحد جميلى عليه ؟ حملته وهو ضعيف لا يقدر على التماسك ، وأمكنته من شرب الندى وارتشاف أكواب الضياء ، وحرمت نفسى عذوبة التمتع بضحوة الشمس فى الربيع ، ونشوة القيظ فى الصيف ، ليجد الفرصة لتذوق النعيم ، فهل حفظ هذا الصنيع ؟

« لقد أبحته أن يمتص دمى كيف شاء ، ليواجه نور الوجود بحرية الطفل الغافل عن جهاد أبيه ، ولكل أب جهاد يجهله الأبناء، ولو كانوا من الملهَمين . فهل عرف الورق الساقط أننى حرمت نفسى نعيم الندى والضياء ليتخايل ويستطيل ؟ »

وسكت « الدوح » لحظات ، ثم صرخ من جديد :

« والآن يعرف الورق أن الشتاء قادم ، وأننى سأحتاج إليه لدفع عوادى البرد والجليد ، فهو ينخلع عنى . ليتركنى بلا غطاء ، فى قر الشتاء ! »

ويسمع الورق أنين الدوح فيهتف :

— ما عتبك على أيها الدوح ؟ ما عتبك على وقد بذلت فى البر بك غاية ما أملك ؟ ألا تذكر أنى صبرت على مصاحبتك فى السيطرة والاستعلاء شهوراً من الزمان ؟ ألا تعرف أنى عققت من أجلك أمنا الأرض ؟ فما ذنبى إذا اشتهيت العودة إلى الأم الرءوم ، وهى أيضاً تحتاج إلى من يدفع عنها البرد والجليد ؟

وسمع الدوح هتاف الورق فأجاب :

— الأرض أمى وأمك ، ولكنى فهمت عنها ما لم تفهم ، فقد حدثتنى ألف مرة أنها لا تريد أن يرجع إليها غير الأموات من أبنائها الأعزاء . فإن كنت مت أيها الورق فارجع إلى أمك الأرض !

فزمجر الورق :

— أنا مت ؟ أنا ؟ وهل يموت من يرجع إلى حجر أمه الغالية ؟

فيقول الدوح :

— نعم ، ثم نعم ، يموت من يرضى بأن تدوسه الأقدام ، ولن يكون لك نصيب غير الدوس ، يا جهول !

وهنا قال الورق للدوح :

— هل تنسى أنى أدفأتك في الصيف ؟

فقال الدوح للورق :

— لم أكن أحتاج إلى دفء فى أشهر الصيف ؛ وإنما أحتاج إلى الدفء فى أشهر الشتاء

فقال الورق للدوح :

— لا أستطيع سماع صوتك وأنت مجلل بالسواد

فقال الدوح للورق :

— إنما تجللت بالسواد حداداً عليك . ألا تذكر أننى كنت

أحبك حباً هو الغاية فى الكرم ، لأنه حب القوى للضعيف ؟ ألا تذكر أنى كنت أقوم العواصف والزوابع لأقى خدودك ذلة الالتصاق بالأرض ؟ ألا تعرف أننى أعانى لفراقك كروباً لا تطاق ؟

قال الورق :

« أتحبنى إلى هذا الحد ، أيها الدوح ؟ »

فتأوه الدوح ثم أجاب :

« لا أحبك لأنك ورق ، فأنت تعرف أنى صبرت على تقلب الأوراق أربعين عاماً أو تزيد ، ولن أموت يوم أموت بسبب تقلب الأوراق — وإنما أحبك لأنى أنشأتك كما يحب الله هذا الوجود ، فأنت بعض ما صنع دمى أيها الورق ، ولن تعيش بعد فراق إلا بفضل ما سكبت فى عروقك من الدم النفيس . وقد حل عليك غضبى ، فلا بقاء لك بعد اليوم ... وهل تستطيع أن تطبّ لما صنعت بنفسك أيها الورق الساقط ؟ لقد دعوتك إلى الترفق بمصيرك فلم تسمع . ومن أجل غفلتك لبست عليك ثوب الحداد . ولم أستغرب من فرحك بمصافحة الأرض ، فأنا أعرف أنه لا يرحب بالاستعلاء غير الأقوياء ، كما أعرف أن الأم لا ترحم من أبنائها غير الضعفاء »

قال الورق :

« وبأى حق تستطيل على ، أيها الدوح ، وأنت أسود مظلم ، لا ترجّى لك صحوة ولا معاد ؟ »

قال الدوح :

« ذلك سواد الشباب ، يا أحمق ، وليس سواد الحداد[1] ، ولن تقيم الحياة لدلالك أى ميزان ، وهل تطول حياتك حتى ترى ازدهائى بالورق الجديد فى الهوى الجديد ؟ إن الدم الذى سوّاك ، سيسوى ورقاً سواك ، وسأعبث هذا العبث بالأوراق إلى أن أبلغ الثمانين أو التسعين ! »

قال الورق :

« خذنى إليك ، أيها الدوح ، فقد اشتقت إلى ساعدك القوىّ المتين »

فأجاب الدوح :

« تعال إلى ، إن استطعت ، أيها الورق الساقط ، فأنا لا أملك البعث كما أملك الإنشاء . وهل أملك مساماة صاحب العزة والجبروت ؟ »

وتكلف الورق ما لا يطيق ليرجع إلى الدوح من جديد ، ولكنه عجز عن تحقيق ما يريد ، وتلك نهاية من يجهل السر فى تمتعه بشرف الوجود ، والشرف معناه الارتفاع ، وقد انحط الورق بسقوطه على الأرض ، فأمسى وهو ضعيف مهين

ثم قال الدوح :

— لن نلتقى بعد اليوم ، أيها الورق الساقط ، وكيف نلتقى وأنا أجد عناء فى التعرف إلى هويتك ؟ وهل أراك إلا وهماً يصوره الرفات المسحوق ، مع قرب العهد بالفراق ؟

فأجاب الورق :

— ستجدنى فى الربيع المقبل

قال الدوح :

— سأجد فى الربيع المقبل ورقاً غيرك

قال الورق :

— كنت أنتظر أن يكون فى سخطك علىّ ما يزهدك فى جميع الأوراق

فصاح الدوح :

— كان ذلك لو أنى أردت الانتفاع بالتجارب ، والانتفاع بالتجارب يدل على العقل ، ولكنه يشهد بضعف الحيوية ، والخير أن نواجه الحياة فى كل يوم بأحلام الناشئين ، لا بعقول الكهول ، لتبدو لنا الحياة بكراً فى كل لحظة ، كما تبدو الغابة المؤذنة بالوحشة والأنس فى كل حين . ولو أنى اكتفيت بما جربت من أخلاق الورق لكان من المستحيل أن أراك ، بعد أن عرفت ما عرفت من شمائل سواك

قال الورق :

— وأستطيع أنا أيضاً أن أغفل الانتفاع بالتجارب وأرجع إليك فى الربيع المقبل

فضحك الدوح وقال :

— وهل كانت لك معى تجارب أيها الورق ؟ هل رأيت منى مايعاب حتى تزعم أنك فرقتنى عن عتاب يمحوه التفضل بالإعتاب؟ أنا الذى أنشأتك ، وأنا الذى رباك ، وأنا الذى أوحى إليك معانى الشوق إلى الندى والضياء ... أنت لم تفارقنى لأنى جفوتك

(١) هذه مغالطة من جانب الدوح ، فقد اعترف قبل سطور بأنه لبس السواد حداداً على الورق ، وسنرى بعد سطور أنه لفراق الورق حزين .

أو أسأت إليك ،وإنما فارقتنى لأنك ضعفت عن صحبتى ، كما يضعف السحاب عن مصاحبة الجبال

قال الورق :

— خذنى إليك ، أيها الدوح ، لأذوق من دمك ما كنت أذوق

فأجاب الدوح :

— عيب الأقوياء أنهم لا يصفحون عن المذنب ولو عفر جبينه بالتراب ، وأنت أيها الورق الساقط جحدت جميلى ، فلن أراك بعد اليوم ولو استشفعت بأزهار الربيع

قال الورق :

— وهل يكون الورق الجديد أجمل منى أو أصدق منى ؟

فأجاب الدوح :

— لن يكون أجمل منك ولا أصدق منك ، فتجارب أربعين سنة دلتنى على أنكم جميعاً من وحل واحد، ولكن الورق الجديد سيلقانى وهو على جانب من الغفلة والجهل ، والغفلة والجهل يزيدان فى قيمة الجمال . فإذا تعاقل وتعالم ، كما تعاقلت أنت وتعالمت ، فسيكون مصيره إلى أمه الأرض ، وأستريح منه قبل أن يستريح منى

قال الورق

— أيكون معنى هذا الكلام أن لك سياسة مرسومة فى امتهان الأوراق ؟

فأجاب الدوح :

— معنى هذا الكلام أنى أحقد حقداً أبدياً على من يجحدون المعروف . لقد قضيت أربعين سنة أو تزيد فى تمهد الأوراق بالرفق والعطف ، فما حفظت ورقةٌ عهدى ، ولا اعترفت بجميلى . . . ويعزينى أن الله ينتقم لى فما انخلعت عنى ورقة إلا كتب الله عليها الذبول والفناء

قال الورق :

ومع هذا فأنت لفراق حزين ، باعترافك فى بداية هذا الحوار ، وهذا الحزن هو انتقامى من غطرستك وكبريائك ، وأنا أتوعدك بقول أحد الشعراء :

سأنساك فانظر كيف تحيا إذا انقضى
نصيبك من روحى وحظك من قلبى

ونظر الدوح فلم ير الورق ، فأين ذهب ؟ أين ؟ أين ؟

لقد عصفت الريح فأطارت ما كان فى «لكسمبور» من أوراق ، وباد ما تعاقر الحديقة من «خشخشة» كانت أروع ما سمع من الغناء فى باريس (١)

قال الراوى :

وكنت فتى مصرياً لم يسمع مثل هذا الحوار بين الورق والدوح . فمصر الوفية لا تشهد انحلال الورق عن الدوح فى خريف أو شتاء بغض النظر عن الأشجار المجلوبة من بلاد لا تعرف خلائق وادى النيل

قال الفتى المصرى :

وتسمعت ما يقول الدوح بعد ذهاب الورق فوعيت هذه الكلمات :

— إلى أين ذهبت أيها الورق ، وكنت الشاهد على أن الضعف من عناصر الجمال ؟ إلى أين ذهبت وكان عطفى عليك دليلاً على أنى من الأقوياء ؟ إلى أين ذهبت وبفضلك سمعت تغريد الحمائم والبلابل والعنادل ، ولم أر بعد ذهابك غير وقر الجليد فى «أعوام» الشتاء ، وكل يوم فى الشتاء بعام أو عامين لمن يعيش بلا أليف ؟

ثم سمعت الدوح يقول :

— لو كنت أملك من أمرى ما يريد الهوى لخلعت العذار فى البحث عن الورق الذاهب ، ولكن الطبيعة التى أمدتنى بالقوة قيدتنى بالوقار ؛ فأنا جاثم فى مكانى ، وإن كان هواى فى بلدٍ بعيد بعيد ، وآه ثم آه من المراعاة لما يوجب التغافل عن الهوى المشبوب !

وسمعته يقول :

— سقط عنى الورق ، لأنه ضعف عن مصاحبتى فى أيام

عدد الرسالة الممتاز

يصدر فى أوائل شهر فبراير

فارتقبوه

(١) الخشخشة كلمة فصيحة ، ولها عندى شواهد

الشدائد ؟ وهل يطالَب الضعيف بما لا يطيق ؟ فما عتبى عليه وهو أضعف من أن يقاسمنى المصاعب فى أيام الشتاء ؟ وهل يتوهج الجمال إلا فى أوقات اللين والصفاء ؟

ثم سمعت الدوح يقول :

« ألا يمكن اتهامى بإرغام الورق حتى أن يصير إلى ما صار إليه ؟ كان فى مقدورى أن أضاعف له الـكمية المبذولة من دمى ، ولـكننى جهلت الواجب فرتضيت أن يعيش فى الخريف بمثل ما كان يعيش فى الربيع . ولو أنى ضاعفت له الدفء لـكان من الممكن أن يفكر فى حفظ الجميل . والدنيا أخذ وعطاء ، ولو كره الأوفياء »

قال الفتى المصرى وهو يحاور قلبه بعد سماع ذلك الاعتراف :

نطق الدوح بالقول الفصل . وأجاب عن هذا السؤال :

« ما الذى يمنع من أن نعيش كما تعيش بعض الأشجار التى تخلع أوراقها فى الخريف لتكتسى بأوراق جـديدة فى الربيع ؟ »

وما وجهت إلى نفسى هذا السؤال إلا بعد أن عانيت ألوف المكاره من الوقوف عند حالٍ واحد فى الحب والبغض ، والاقتراب والابتعاد . والأوراق هى العواطف فما بالنا نحرص حرص الأشحاء على استبقاء تلك الأوراق . وفيها ما يصل إلى الذبول والجفاف . ومن الخير أن نخلعه بلا رحمة ولا إشفاق ؟ ما بالنا نحرص عليها حين تتصل بأحباب يصعب عليهم أن يقاسمونا شتاء الزمان ؟

إن الله لا يضن على الشجر بالورق الجديد عند قدوم الربيع ، فهل يضن علينا بالهوى الجديد عند استهلال الرخاء ، وقد عرفنا من كرم الله ما لا تعرف الأدواح والأوراق ؟ وهل يملك الدوح من الحيوية عند سقوط الورق مثل الذى نملك من الروحانية عند خمود الوجد ؟ أكاد أجزم بأن المـاء المكنون فى الشجرة العارية من الورق لا يقاس إلى الجمر المكنون فى القلب الخالى من الحب ، فنحن والشجر إلى ربيع قريب ، وإن استطال الشتاء

وبعد لحظات عاد الفتى المصرى إلى محاورة القلب

— الدوح مجلل بالسواد ، والسواد شارة الحزن ، فما بال الدوح يحزن وهو غاية فى القوة ؟

— الحزن من علائم القوة ، وليس من علائم الضعف ، فهو دليل على شعورنا بقيمة ما نفقد ، ولا يقع ذلك إلا ونحن أقوياء ، والجهلة هم الذين لا يفرقون بين الحزن والذهول

— وكيف ؟

— أنسيت ما قرأناه لأناطول فرانس من أن الموت نتيجة لضعف الـ vitalité

— أذكر ذلك ، ولـكنى أخشى أن يكون الحزن هو أيضاً نتيجة لضعف الحيوية

— أنت مخطئ فى هذا التأويل ، فالحزن هو صوت الشهوة إلى النعيم المفقود ، والشهوة لا تصدر عن النفس إلا فى حالة الفتوة والأريحية والطغيان

— وإذن فما بال جماعات من خلق الله تندد بالمحزونين ؟

— كما تندد جماعات من خلق الله بالفرحين !

— ماذا تريد أن تقول ؟

— أريد أن أقول إن الحسد هو الذى يحمل بعض الناس على التنديد بأهل الأحزان والأفراح ، وما قام فى الدنيا أدب ولا مجد ولا سلطان إلا بفضل ما فى عاطفة الحزن أو الفرح من ثورة واشتعال

— أتريد أن أحزن ، يا قلبى ؟

— أريد أن تفرح بالحزن الصادق ، فقد كان شعار الأنبياء ؛ أما الحزن الـكاذب فهو شعار المتصنعين . إن للحزن آداباً يجهلها أكثر الناس . ومن آداب الحزن أن يصدر عن عاطفة لا عن تصنع ، وأن يأخذ وقوده من الإحساس لا من الخيال ، وأن يردنا إلى الصدق فيما نكتب وفيما نقول ، وأن يزيد فى احترامنا لأهل الأفراح ، فهم إخوان أعزاء ، ولو نقلهم الفرح إلى آفاق الجنون . أنظر إلى هذا التمثال وذلك التمثال !

قال الفتى المصرى :

ونظرت فرأيت تمثالين : أحدهما لعامل مكدود ، وثانيهما لفتى تحتضنه فتاة بأسلوب يمنع من وصفه أدب أهل الشرق ، فقد ضمته إليها كما يضم الحبيب المحبوب ، وما أحب أن أزيد ، وهل أستطيع القول بأن ذلك التمثال أفصح عن أشياء ينكرها الحياء ؟ من بلايا الزمن أن الـكاتب لا يملك من الحرية ما يملك المثّال !

كان هذان المنظران المتباينان يمثلان السلامة الوجودية أصدق تمثيل ، فالعامل المـكدود هو مثال الحزن الشريف ، واحتضان الفتاة للفتى هو مثال الفرح النبيل ، وليس من العيب أن نفرح أو نحزن بإفراط وإسراف مادمنا صادقين . وهل تهجم الفتاة على الفتى إلا طاعةً لغريزة كريمة هى سر البقاء ؟ وهل تجهد وجه العامل المـكدود إلا فى سبيل السعادة لأطفال يتمنى أبوهم أن يجهلوا معنى الفقر فى أيام الشتاء : شتاء الزمان ؟

ثم عاد الحوار بعد لحيظات :

— حدثتك عما قرأنا لأناطول فرانس ، فهل تذكر ما سمعنا لعهد الطفولة فى سنتريس ؟

— لا أذكر من سنتريس غير أطياف بددتها أحلام باريس ؛ فماذا تريد ؟

— كان أهل سنتريس يقولون : « لما يخضر التوت ، البرد يموت »

— وما معنى ذلك ؟

— معناه أن الأوراق هى الوقاية من البرد !

— وإذن ؟

— وإذن تكون العواطف هى الوقاية من شتاء الزمان

— وما حال الشجرة التى لا ينخلع عنها الورق فى أى وقت ؟

— هى شجرة سعيدة أعاذها القدر من اختبار الأحباب . ومزية هذه الشجرة أنها تتذوق ما فى الأرض والهواء من حيوية عارمة لا تلتفت إلى تغير الفصول إلا فى أندر الأحايين !

— وهل فى مقدورنا أن نكون مثل تلك الشجرة ؟

— إذا تخلقنا بأخلاقها

— وكيف ؟

— فى الأسبوع الرابع من آذار تظهر تباشير الورق الجديد فوق غصون الأشجار التى عانت آلام العري فى الشتاء ، وننظر فنرى الأشجار الصغيرة أورقت قبل الأشجار الكبيرة ، فنفهم أن للشباب يداً فى سرعة الإيراق ؛ وقياساً على ذلك يكون الشباب الدائم هو الذى يحمى بعض الأشجار من سقوط الورق فى الشتاء

— أيكون لهذا الملحظ دخل فى تقديس شجرة « الجميز » عند قدماء المصريين ؟

— ليس هذا التخريج بغريب ، وقد يضاف إليه أن لشجرة الجميز ميلاً إلى البر بالجيران ؛ فهى تمد فروعها لتمتعهم بالثمار والظلال بلا انتظار للجزاء !

— أراك تهرب من الجواب !

— وأراك لا تفهم المعاريض !

— أنا أحب أن أعرف كيف أحتفظ بالشباب

— إذا احتفظت بالعواطف

— وكيف أحتفظ بالعواطف ؟

— إذا احتفظت بالشباب !

— وكيف أحتفظ بثروة من أعدائها الليل والنهار ؟

— أنت أقوى من الليل والنهار ، إذا أردت ؟

— وكيف ؟

— إجعل الليل والنهار من خدامك

— كيف ؟ كيف ؟

— لا تضيع لحظة واحدة بلا عمل نافع ، فالعمل الموصول فن من السيطرة على شباب الزمان ؛ ألم تسمع بأخبار نوح ؟

— وما أخبار نوح ؟

— عاش فى قومه ألف سنة إلا خمسين عماً

— وهل يعيش الإنسان ألف سنة إلا خمسين عماً ؟

— بقليل من الفهم تدرك أن عمر نوح لا يرجع إلى الكمية الصورية ، وإنما يرجع إلى الكمية المعنوية ؛ وقد استطاع نوح باختراع « السفينة » أن ينقذ الإنسانية من « طوفان » الفناء ؛ فالعشرات من أعوامه تعد بالمئات . فصنع صنع نوح ، تعش عمر نوح !

قال الراوى :

ثم رأيتنى أهتف بقول أحد الهائمين :

ولو أن عمرى عمر نوح وبعته ‏ ‏ ‏ بساعة وصل منك قلت كفانى

فالله وحده هو الذى يعلم قصة الورق والدوح . وهو الذى يعلم ما أعانى من البلبلة بين القاهرة وباريس وبغداد . وهو الذى يعلم كيف أفر من التصريح إلى التلميح . لينجو « الورق » من الافتضاح

إن عاد الربيع ، إن عاد ، فسوف نعقد « معاهدة ودية » لا ينقضها خريف ولا شتاء

وشبابى ، شباب الجسد والروح يحدثنى بأن الربيع إلى معاد

ويلطف الله بمن يقول :

لنجواك أستبقى شبابى فعاطنى ‏ ‏ ‏ كؤوس الهوى قبل ابيضاض المفارقِ

زكى مبارك

الانســـان الـكامل

للدكتور جواد على

عرّف المتصوفة الإنسان الكامل بقولهم : هو الإنسان الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية الكلية والجزئية ، وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية : فمن حيث روحه كتاب عقلى مسمى بأم الكتاب . ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ ، ومن حيث نفسه كتاب المحو والإثبات ؛ فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التى لا يمسها ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية . فنسبة العقل الأول إلى العالم الكبير وحقائقه بعينها نسبة الروح الانسانى إلى البدن وقواه . وإن النفس الكلية قلب العالم الكبير . كما أن النفس الناطقة قلب الانسان ؛ ولذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير[١]

ويكاد يكون الإنسان الكامل نفس « الانسان الأول » لدى أرسطو[٢] . أو « الحكيم » لدى أفلاطون ، أو « الانسان الفاضل » لدى الفارابى . أو « الانسان المطلق » لدى جماعة إخوان الصفاء فى البصرة[٣] ؛ وتكاد الفكرة تكون نفس فكرة « الانسان الذى لا إنسان فوقه » übermensch لدى هينريش مولر من رجال أواخر القرن السابع عشر مبتدع هذه اللفظة لأول مرة[٤] والشاعر الشهير جوته . والفيلسوف نيتشه[٥] أو فكرة السوبرمان فى اللغة الانكليزية Superman مع اختلاف بسيط سببه وجهة النظر والتفكير

وفكرة الانسان الكامل من الأفكار التى ترد على لسان المتصوفة كثيراً . وقد استعملها المتصوف الشهير محي الدين بن

(١) راجع تعريفات السيد الجرجانى طبعة استانبول سنة ١٣٢٧ ص ٢٥

(٢) راجع : Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesl Bd 79 1925 p. 241

(٣) وكتاب أرسطو Theol d. Arist s. o. s,234 Max Horten Philo d. Islam p, 347

(٤) راجع كتاب Geistlichen Erquickst unden and Schmidt Phil wort p. 679

(٥) راجع عن ذلك Berg der ub in der modernen literatur 18 97 R. m. meyer der uber in der Zeitschrift f. wortforschung Bd 1 1900

العربى[١] المتوفى سنة (٦٣٨ هـ ـ ١٢٤٠ م) وعلى الأخص فى كتبه ومؤلفاته . وتكاد الفكرة تكون محور تعاليمه والنقطة التى تدور حولها أبحاثه التصوفية[٢] . وابن العربى هذا من الشخصيات الاسلامية العظيمة التى تنتمى إلى أرومة عربية عريقة فى القدم . شخصية أثرت فى الحياة الروحية الاسلامية تأثيراً عظيما ولا سيما فى الحياة العقلية للأتراك والفرس[٣] . وتتصل آراء هذا الصوفى بعضها ببعض بصورة متسقة منتظمة اتصال الحلقة أو السلسلة على غموض بعض أفكاره وعويص معانيه . وذلك أمر يقتضيه التصوف ذاته والموضوع الذى يدور حوله البحث . والظاهر أنه استمد آراءه فى الانسان الكامل كما استمد ذلك سائر المتصوفة من الصورة التى رسمها مثاليو المسلمين للنبى الكريم . إذ نرى الصورة التى تصورها المتصوفة للانسان الكامل تسير جنباً لجنب مع الصورة التى يذكرها أصحاب السير للرسول نبينا العظيم[٤]

استعمل محى الدين بن العربى هذا الاصطلاح كاستعمال أرسطو لكلمة « الانسان الأول »[٥] أو استعمال فلاسفة اليونان لكلمة nus أو العقل . أو كلمة arché تقريباً[٦] ؛ استعمل هذا الاصطلاح ليدل على نسبة العقل الأول إلى العالم الكبير أو نفس الجزئية بالنسبة إلى النفس الكلية ليدل على فكرة طالما فنى المتصوفة أنفسهم شوقاً إليها إلا وهى فكرة المعرفة والتجلي عن طريق الوجد والفناء حتى يصل الانسان فى النهاية إلى « الشجرة » وهى درجة الانسانية الكاملة التي لا إنسانية فوقها أبداً[٧] . ونظراً لمكانة هذه الفكرة وما يحيط بها من إبهام وغموض ، تصورها المسلمون لذلك بصور شتى وأشكال لا حد لها خرجت فى كثير من الأحايين من عالم الفلسفة الاسلامية إلى عالم آخر أبعد من عالم الاسلام والتصوف بدرجات

(١) راجع عنه الطبقات الكبرى للشعرانى جـ ١ ص ١٦٣

(٢) راجع مجلة الجمعية الشرقية الألمانية مجلد ٧٩ ص ٢٣٨ سنة ١٩٢٥

(٣) نفس المصدر

(٤) راجع : Tor Andrae die Person muhammeds in lehre und glauben seiner gemeinde 1917 Kap. 6

(٥) راجع Theol d. Aristo s. o. p. 234

(٦) Max Horten phil d. Islam p. 347 وكذلك Goldzfher 42 f

(٧) راجع مصطلحات الصوفية وكتبهم أمثال : اصطلاحات الصوفية الواردة فى الفتوحات المكية طبعة استانبول سنة ١٣٢٧

وقد ظن المستشرق ماكس هورتن أن ذلك العالم هو العالم البراهمى وهو عالم غنى بهذه الأفكار مملوء بهذه الآراء[(١)]، وظن المستشرق شيدر — وهو مستشرق يرجع أصل كل شىء فى الحضارة الاسلامية إلى مصدر إيرانى قديم — أن مصدر هذه الفكرة الآراء المانوية الايرانية القديمة . يرى أن هذه الآراء أثرت فى التصوف كما أثرت فى فلسفة أبى بكر الرازى وإخوان الصفاء وناصر خسرو وغيرهم ، وذلك لوجود تشابه رآه هذا المستشرق بين فكرة الانسان الكامل وبين المعتقدات المانوية القديمة[(٢)]

وترد نفس هذه الفكرة فى فلسفة فيلون Philon[(٣)] وفى الفلسفة البوذية حيث يكون بوذا أكمل مخلوقات الله . فيه اجتمعت المتناقضات، وفيه تم كل شىء، فهو الانسان الكامل[(٤)] وهو رمز وحدة الوجود ، فيه اجتمعت الروح بالمادة بصورة لا نتصورها إلا فى الله ، لذلك هو المثل الأعلى للبشرية ، وهو الانسان الكامل ؛ وعلى كل إنسان يريد أن يصل إلى مرتبة البشرية الكاملة أن يسعى سعياً روحياً للوصول إلى هذه الدرجة التى لا تتم إلا على يد قطب أو وسيط ، وهذا القطب أو الوسيط هو نفس الوسيط الذى استعمله الصوفية والاسماعيلية والشيع الاسلامية السرية للوصول إلى واجب الوجود[(٥)]

وقد مزج المغيرة وهو أحد الذين اتهموا فى دينهم (أحرق عام ٧٣٧ م[(٦)]) بين فكرة « الانسان المطلق » وبين نظرية العدد والبروج التى ترد فى مذهب الفيثاغورسيين والمنجمين فقال بأن الانسان أكمل المخلوقات طراً ، لأن له اثنى عشر عضواً يقابل كل عضو من هذه الأعضاء برجاً من البروج ؛ لذلك فالعالم الأكبر اجتمع هنا فى العالم الأصغر ، فهو هو ، والعالم الأصغر هو نفس العالم الأكبر . وحيث أن آدم هو أبو البشر فهو يمثل الصلة بين العالم الأكبر Markokosmus وبين العالم الأصغر Mikrokosmus ؛ فهو إذاً أكمل البشر وهو الانسان الأول أو الانسان الكامل على الاطلاق

وتقارب هذه النظرية ، على ما يقوله ماكس هورتن ، نظرية « الحروفية » وهم الذين يمثلون فلسفة العدد فى الاسلام ، والذين ينتهون بحكم هذه التعاليم إلى الحلولية على نحو ما ينتهى إليه أمثال هؤلاء فى الشرق والغرب ، مثل ما انتهى إليه نيقولا كوزانوس Nicolaus Cusanus [(١)] الذى كان يقول بأن الواحد مرآة صافية للكل ، وأن العالم الأصغر هو هو العالم الأكبر ، فيه حل الواحد وفى كل شىء حل الله ، على نظرية ما فى الجبة إلا الله . وهو فى تعاليمه يشابه الفيلسوف العربى الكندى ويكاد يكون أحد تلاميذه أو أتباعه[(٢)] . ومثل الفيلسوف لايبنتز Leibninz[(٣)] فى نظريته عن الذرات الروحية **Monaden** أو طاجينلا الايطالى المشهور والشاعر الشهير جوته فى مذهب الحلول[(٤)]

وهذا الإنسان الكامل الذى أبدع فى وصفه المتصوفة ، هو إنسان خيالى روحانى ليس له مثيل بين سكان الأرض، يجمع بين العالمين العالم الروحانى والعالم المادى، لا يعبأ بهذا الكون ولا يقيم له وزناً ، وهو على طرفى نقيض مع « الإنسان الأعلى » ، أو السوبرمان الذى ابتدعه فلاسفة أوربا المحدثون ، ويعنون بذلك الإنسان الذى يحبذ هذا الكون ويقدسه ، يريد السيطرة ويحترم مبدأ القوة ، لتناقض موجود فى الأساس بين الفكرتين الشرقية الخيالية والغربية العملية الاكتشافية

وقد جمع عبد الكريم الجيلى المتوفى عام ١٤١٠ م تقريباً آراء فلاسفة الاسلام فى الانسان الكامل ، فى كتاب سماه : « الانسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل » استفاد منه المستشرق الانكليزى نيكلسون كثيراً إذ ذكر وجهات نظر المسلمين فى هذا الانسان أثناء بحثه عن التصوف الاسلامى فليرجع إليه[(٥)] .

ميراد هلى

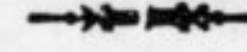
(١) راجع Max Horten Die philo des Islam p. 105 ff
(٢) راجع المجلة الشرقية الألمانية Z. Dmgr مجلد ٧٩ ص ٢٤٢
(٣) راجع Goldmiher k. 42 f.
(٤) راجع Tiele Kompend d. rel Gesch 1903 s, 238.
(٥) Max Horten p. 348
(٦) نفس المصدر ص ٣٤٧
وكذلك Goldmiher abh. G. G. W. 1906
أيضاً Jacob Bektaschijje abh. Bayr A. W. 1909 47 A. 2.

(١) وهو أحد مشاهير المتصوفة فى أوربا ولد عام ١٤٠١ وتوفى عام ١٤٦٤ راجع عنه ويند لبند فى كتابه تاريخ الفلسفة ص ٢٦٧ ، وكذلك Max Horten p, 348
(٢) نفس المصدر
(٣) فيلسوف ولد عام ١٦٤٦ وتوفى عام ١٧١٦ وقد تأسست جمعية عرفت باسم جمعية لايبنتز للأبحاث . مقرها برلين
(٤) راجع ديوانه Ost West Diwan وأشعاره
(٥) R. A. Nikelson the Perfect man, in studies in Islam mysticism 1921

مطالعاتى حول المرفأة

المدينة الضــــائعة

للأستاذ صلاح الدين المنجد



تهت الليلة فى مخارم الجبال مع « جوكليه » سعياً وراء المدينة الضائعة[1] . إن هذا الكاتب ليهزنى ؛ فهو وصاف للعادات مرة ، قصاص مغال أخرى ، متفلسف هزاء على نحو فولتير تارة ، مؤرخ يمزج التاريخ بالأدب أحياناً . . . وهذا الأمر معه لبيبة فى روايته الأخيرة ؛ فأرشف العذوبة ، وأهيم مع الخيال ، وأسمع نداء الحكمة والحياة

لا بأس على القراء أن يتيهوا معى ، فالرواية طريفة والقصاص بارع . ها هو ذا « جوكيه » فى جزيرة « لوسون » من الفيليبين يلتقى بفتى يتدفق حماسة وقوة . يريد أن يفتش عن كنز عظيم تركه ملاح صينى كبير ، فى مدينة ضاعت بين الجبال ، فى شرق الجزيرة منذ أربعة قرون . وكان نداء المجهول ، وحلاوة المغامرة ، يدفعان الفتى إلى البحث عن الكنز ، فأثر فى رفيقه القصاص وساقه معه

وكان يصحبهما رفيق ثالث شاذ الطبائع ، غامض العواطف ، اسمه « دون انطونيو » عرفوه فى الفندق . وكان هذا يود الهرب من المدينة الزائفة لأسباب غامضات

وهام الثلاثة فى طريقهم ، وقد صحبوا دليلين قويين ، وبضعة بغال . . . ثم تغلغلوا فى قلب غابات المتوحشين . وكان يصادفهم أخطار ترعب ، ومصاعب لا تحد : لذع من الشمس ، وخبل من الهواء ، وغرق فى الماء ، ونهس من الذباب ، وتيهان فى المستنقعات ؛ فضلاً عن شهق الجبال وعمق الأودية ، واشتباك الغابات ، ووفرة الشباك المنصوبة على حفافى الطرقات

وفاجأتهم قبائل التكريتو بسهامها فى إحدى الغابات ، ففروا بعد جهد وعذاب . ومضت القافلة الصغيرة تماشى الهضاب ، وتصعد فى الجبال ، وتفتش عن « المدينة الضائعة » فى كل مكان . فاستيقظوا ذات يوم ، بعد أن قذفهم واد عظيم ، وإذا بهم يرون من شواهق الذرى ، فى حضن جبل ، على حافة بحيرة راكدة : مزارع أرز واسعة ، وآثار بناء شامخ ، تقوم عند أقدامه مساكن صينية حقيرة . نخفوا نحوها ، فستقبلوهم بصمت وحذر وجفاء ، وأدخلوهم بابا فى ذلك البناء ... فعلموا أنهم أضحوا سجناء فى مدينة واسعة ، قامت فى قلب الجبل ، لا يدرون من أمرها شيئاً ...

وساقوهم إلى شيخ صينى نبيل ، فأفهمهم بعد جهد ، أنهم فى المدينة التى شادها « تماجونك » الملاح الصينى العظيم

« لقد قضى الوقت الطويل فى البحث عن أعوانه . كان يريد أعواناً لا تبش وجوههم لبريق المال الذى يحيط بهم ، ومكاناً لا تصل إليه الأقدام ، فاختار هذا الجبل مقاماً له عندما يقفل من قرصنته فى البحار ، وعاش مع أصحابه حياة هادئة غامضة لا يستطيع مؤرخ أن يكتب شيئاً عنها ؛ ثم أخضع القبائل التى كانت تعيش فى الغابات المجاورة والجبال ، وجعلهم عبيداً له طول الحياة ... !

« ولم يفكر قط واحد منهم ، ولا واحد منا ، أن يعود إلى البلاد المتمدنة التى يضطرب فيها كل شىء ... فإذا ومضت هذه الفكرة فى رأس أحدنا علمنا أنه مريض . . .

« ولقد وضعنا فى طريق ذلك العالم المتمدن عقبات كثارا لتعجز كل قوة أنسية عن اجتيازها ... نعم ، أيها السادة ، تلك قصة الملاح العظيم ، وإنى لآسف أن أراكم بيننا ، وإن سعادة هذا الشعب الهادىء الذى يعيش هنا توجب على سجنكم عندى لئلا تغروهم بالعودة إلى دنيا المصائب والبلايا ... ! »

وسجن الأصحاب الثلاثة ، ولكنهم تحسسوا الأخبار ، وعلموا أن ذلك الملاح الشقى ، أودع كنوزه إحدى جزر المحيط قبل أن يموت ... ففروا من سجنهم بعد أن رأوا الموت مرات ، وفقدوا أحد الأدلاء . على أن الفتى « ميجيل » ما كان فى هذه المرة يبتغى نوال المال ، فلقد أراد أن يسعى وراء حياة هادئة ، ليس فيها

(١) René Jouglet : La Ville Perdue (B. Grasset, édit)

شيء من « البوكر » ولا « السيست » وغيرها ...

ها هم أولاء يتيهون فى البحار ، ينتقلون من جزيرة إلى جزيرة دون أن يعثروا على التى سمعوا وصفها . فقرروا أن يعودوا من حيث أتوا ... ولكن عاصفة مجنونة ترمتهم إلى جزيرة بعيدة : كلها أعشاب خضر ، وبرار محروثات ... وإذا هم بين أناس من الصين علموا أنهم أحفاد الملاح الكبير ... وأدركوا أن تلك الأراضى كنوز الملاح ... فعاشوا بسذاجة وانطلاق ...

وخطر على بال القصاص أن يعود مع الفتى . فعاد . . . أما « دون أنطونيو » ، فقد آثر البقاء هناك ، وقال :

« لن أستطيع العيش فى لندن . إن فيها جدراناً كثيرة تخنق المرء ... كل يوم فيها اصطدام واضطراب وظلم ... إن فيها قيوداً كثيرة . إنها سجون مظلمة ... وسيبحث عنى أولئك الذين عرفتهم فلا يجدوننى ، وسيحسبون أنى مجرم آوتنى السجون . . . ليقولوا ما شاءوا ... فأنا أعيش مع المتوحشين ، ولكنى حر طليق ... لا يقيدنى قيد ، ولا يخيفنى مخلوق ... نعم ، وسيعلمون بعد حين أن عدد الهاربين من المدن ومن المدنية ومن الترف إلى الطبيعة سيزداد وينمو ... ! »

وعاد الصديقان وحدهما ، وقد علما أنه لا بد لهما من العودة يوماً ليستجيبا لنداء المجهول ، وليعيشا فى الأرض التى لا تعرف الشقاء ، أرض الأعشاب والمرجان ... »(١) .

* * *

أين أنت أيتها الأرض البعيدة التى ستضمينى ؟

أيها المجهول الذى ينادينى . ادفعنى إلى تلك الأرض الهادئة لأستريح من لؤم الإنسان ... !

ادفعنى ... لأحيا ... !

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) لعل القارئ يلاحظ الشبه الشديد بين هذه الرواية ، وبين « نداء المجهول » لأمير القصة الأستاذ تيمور

فى الفلسفة الإسلامية

إخوان الصفـــاء (*)

للأسـتاذ عمر الدسوقى

مقدمة

فى أواسط القرن الرابع الهجرى ذهبت سطوة الخلافة العباسية واستبد بالخلفاء مواليهم من فرس وديلم وترك ، وساموهم الخسف وسوء العذاب . فاستقل كثير من الأمراء عن بنى العباس وأسسوا دويلات صغيرة : كآل بويه . وآل حمدان . والسامانيين وغيرهم . ولم يبق للخليفة من مظاهر القوة شىء

بيد أن هذا الانحطاط السياسى فى الدولة لم يمنع الحياة العقلية من الازدهار لتنافس الأمراء فى تقوية دويلاتهم علمياً وأدبياً : فى الشعر ونضج التفكير . ونشطت حركة النقل والبحث فى العلوم الفلسفية فى مختلف شعبها ثم هضمها وصبغها بالصبغة الإسلامية

وكان من عواقب الانحطاط السياسى للدولة العباسية تكوين كثير من الجمعيات السرية وغير السرية التى تحاول القضاء عليهم من العباسيين حتى تضع غيرهم مكانهم . أو توجد لنفسها كياناً مستقلا . ومن هذه الجمعيات التى ظهرت فى منتصف القرن الرابع الهجرى « جماعة إخوان الصفاء » وهم من الشيعة الباطنية الذين لم يرضوا عن الخليفة العباسي كما لم يرضوا عن الخلافة الفاطمية فى مصر . وحاولوا قلب النظام السياسى بقلب التفكير العقلى وإيجاد ثقافة جديدة يعتنقها شباب عصرهم مقتفين فى ذلك أثر الفيثاغوريين وأفلاطون . ومن المعلوم أن الفيثاغوريين كانوا جماعة سرية إصلاحية حانقة على نظام الحكم اليونانى وأنهم حاولوا تغييره بخلق مذهب جديد ونظريات حديثة عن العالم ونشأته داعين إلى الزهد والتقوى . ومن المعلوم كذلك أن أفلاطون كان ساخطاً على حكومة أثينا . فلا الأرستقراطيون أنفسهم لم يرتكبوه من ظلم وجور . ولا الديموقراطيون حققوا آماله لفوضى التى ضربت خيامها فى أثينا ؛ ولذلك جد فى وضع منهج جديد للحكومة فى كتابه الجمهورية وإن كان قد فشل حينما حاول تطبيقه عملياً

أما إخوان الصفاء فقد نالوا شيئاً من النجاح لأنهم من الاسماعيلية الباطنية . وهؤلاء قد استطاعوا أن يوجدوا لأنفسهم كياناً سياسياً مكن لهم فى بعض الأرض ونشر الرعب فى العالم الاسلامى . وسنرى فيما بعد أدلتنا على أنهم من الاسماعيلية بل إن رسائلهم هى دستور هذه الطائفة

من هم اخوان الصفاء ؟(١)

لقد أحاطت هذه الجماعة السرية نفسها بسياج متين من الكتمان ويقولون فى ذلك : « إننا لا نكتم أسرارنا عن الناس خوفاً من سطوة الملوك ذوى السلطة . ولا حذراً من شغب الجمهور من العوام ولكن صيانة لمواهب الله عز وجل لنا »(٢) . لذلك حار الناس قديماً وحديثاً فى معرفة أسمائهم . ولولا ما نقله القفطى عن أبى حيان التوحيدى (٣) فى هذا الصدد وتعداده لبعض الأسماء المشهورة بينهم

(*) لم نجد بين أيدينا شيئاً مشبعاً عن إخوان الصفاء ودراسة رسائلهم ومدى تأثرهم بالمذاهب الفلسفية اليونانية ولذلك اعتمدنا أولا وقبل كل شىء على قراءة هذه الرسائل ، واستنباط ما يمكن أن يفيدنا فى هذه الدراسة المختصرة . ومن المراجع التى اعتمدنا عليها :

١ — تاريخ فلاسفة الاسلام لدى بور

٢ — رسالة صغيرة بمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت للسيد عبد اللطيف الطيباوي

٣ — كتاب مفكرى الاسلام لكرادي فو Carra de Vaux

٤ — مقدمتا الدكتور طه حسين بك وأحمد زكى باشا لرسائل إخوان الصفاء

٥ — كتاب الدعاية الاسلامية لمستر توماس أرنولد وما ورد فيه خاصاً بطائفة الاسماعيلية

(١) أثرت هذه الجماعة اسم إخوان الصفاء لأنها كانت متحدة ممتزجة تسير نحو هدف واحد . وكان عندهم شيء من الزهد والتصوف . والتصوف يمت بسبب كبير إلى صفاء النفس ، وقد تحدثوا كثيراً عن الصداقة وكيف يختار الصديق — أى الذى سيدخل معهم — أما صيغة الاسم فأقدم ما نعرفه عنها ما ورد فى النقائض :

لعمرك ما آس طفيل بن مالك بنى عامر إذ ثابت الخيل تدعى
وودع إخوان الصفاء بقرزل يمر كمريخ الوليـــد المقزع

ثم وردت هذه الصيغة فى كتاب كليلة ودمنة فى باب الحمامة المطوقة ، وقد جاء فى الرسائل ج ١ ص ٥٣ ما نصه (فاعتبر بحديث الحمامة المطوقة المذكورة فى كتاب كليلة ودمنة) ، وقد كان الاخوان معجبين بهذا الكتاب وعنه اقتبسوا كثيراً من الحكايات ، فلا يستبعد أن يكون قد أوحى إليهم بهذه الصيغة . أما السبب الحقيقى فهو ما بين الاخوان من اتحاد وامتزاج وصفاء وإتقان فى الهدف (طيباوى)

(٢) رسائل ج ٤ ص ٢١٥ . ولكن هذا ليس هو السبب ، فقد كانوا يخافون السيف وأن يقعوا فى أيدى الظالمين — رسائل ج ٤ ص ١٠١

(٣) هو أبو حيان التوحيدى على بن محمد بن العباس الصوفى كان متفنناً فى جميع العلوم يشبه الجاحظ فى علمه وأدبه ، ويقال له شيخ الصوفيه وفيلسوف الادباء وأديب الفلاسفة وقال عنه ياقوت : (كان يتأله والناس على ثقه من دينه) وقد حكم المتأخرون بزندقته فطلبه الوزير المهلبي ، وقد درس الفلسفة على عدى بن زيد ، وأبى سليمان السجستانى محمد بن طاهر المنطق ، وتوفي فى سنة ٣٨٠ هـ وقيل فى سنه ٤٠٠ ببغداد فقيراً معدماً

لعمى علينا الأمر فقد ذكر في أثناء حديثه عن زيد بن رفاعة (أنه أقام بالبصرة طويلاً وصادق بها جماعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ، منهم أبو سليمان محمد بن معشر البستي (ويعرف بالمقدسي) وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو أحمد المهرجاني وأبو الحسن العوفي وزيد بن رفاعة)

مكانهم وزمانهم :

كانت البصرة مركزهم الرئيسي وإن لم يذكر الاخوان شيئاً من ذلك في رسائلهم بيد أن القفطي قال : (وقد أقام زيد بن رفاعة بالبصرة زماناً طويلاً وصادق بها جماعة لأصناف العلم ... الخ) . وهناك ما يؤيد رأى القفطي وهو أن البصرة كانت منذ أسست عاصمة العلوم الاسلامية ومحط كثير من رجال الفقه ، فيها نشأ الحسن البصري ورؤساء المعتزلة ، وفيها قام عبد الله بن ميمون بفتنة القرامطة أصل مذهب الاسماعيلية في أواخر القرن الثالث الهجرى ، وفيها قام أبو الحسن الأشعرى ينفصل من الاعتزال ، وكانت فيها حلقات العلم من كل فن وفي مربدها ينشد الشعراء قصائدهم ؛ فلا عجب إذاً أن كانت البصرة مأوى إخوان الصفاء .

هذا وقد كان لجماعة أنصار في مختلف البلدان ولهم دعاة يبشرون بمذهبهم بطرق منظمة ؛ وفي هذا يقولون : (إن لنا إخواناً وأصدقاء من كرام الناس وفضلائهم متفرقين في البلاد) . ويظهر أنه كان في بغداد جماعة أخرى على اتصال وثيق بإخوان الصفا وعنها يقول أبو حيان التوحيدى في كتابه المقابسات : (من أعضائها أبو سليمان محمد بن طاهر السجستاني ، وأبو زكريا الصيمرى ، والعروضي أبو محمد المقدسي ، ويحيى بن عدى ، وأبو اسحاق الصابى ، ومانى المجوسى) ، ويظهر أن أبا سليمان المنطقى السجستانى كان رئيس هذه الجماعة فكثيراً ما يقول أبو حيان (دارت في مجلس أبي سليمان ... مناظرات) ، ويقول : (أملى علينا أبو سليمان)[1] . ويظهر أيضاً أن أمر هذه الجماعة الفلسفية كان على شاكلة أختها في البصرة سرياً ؛ فقد ثبت أن أبا العلاء المعرى كان يختلف إلى هذه الجماعة بدار عبد السلام البصرى أيام الجمع حينما قدم بغداد وهم الذين سماهم إخوان الصفاء حين يقول :

كم بلدة فارقتها ومعاشر — يذرون من أسف على دموعا
وإذا أضاعتنى الخطوب فلن أرى — لوداد إخوان الصفاء مضيعا
خالت توديع الأصادق للنوى — فمتى أودع خلى التوديعا[2]

(١) المقابسات ص ٥٧

(٢) تجديد ذكرى أبي العلاء للدكتور طه حسين بك ص ١٥١

وقد كان لاحتكاك أبي العلاء مع تلك الجماعة وتعرفه على مختلف النظريات الفلسفية والدينية والصوفية الأثر الأكبر في اتجاه أفكاره وفلسفته، فيقول الأستاذ ماكدونالد « يظهر أن أبا العلاء اتصل بفئة مثل إخوان الصفاء إن لم يكونوا هم أنفسهم »[1]

ومما تقدم نرى أن إخوان الصفاء كان مركزهم الرئيسى بالبصرة وكان لهم فرع قوى ببغداد . وأنصار ودعاة في مختلف البلدان والأمصار

أما الزمن الذى وجد فيه الاخوان فهو أواسط القرن الرابع الهجرى : ومن العسير تحديد السنة . بيد أن هناك ما يرجح أن الرسائل ألفت فيما بين سنتى ٣٣٤ هـ و ٣٧٣ هـ ؛ لأن بدء ظهورهم كان على أثر سيطرة آل بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ . ولم نسمع بهم قبل هذا التاريخ ، ومن الجائز أن تكون جماعتهم قد تأسست قبل ذلك وبقيت في طى الكتمان ، ولم تتجرأ على إظهار الرسائل إلا بعد هذا التاريخ[2]

نظام جماعتهم

كانت جماعة إخوان الصفاء تتكون من أربع طبقات : الأولى شبان يتراوح عمرهم بين خمس عشرة وثلاثين سنة . وهم الذين يسمونهم في رسائلهم بالاخوان الأبرار الرحماء . ويظهر أن الرسائل قد ألفت لهذه الطبقة لأن الخطاب فيها موجه دائماً إلى الأخ البار الرحيم . أما الطبقة الثانية فرجال بين الثلاثين والأربعين يتلقون الحكمة الدنيوية ، ويظهر أنه كان يعهد إليهم مراعاة الاخوان ومساعدتهم والتحقق عليهم ، وهم الذين يسمون في الرسائل بالاخوان الأخيار الفضلاء . والطبقة الثالثة رجال بين الأربعين والخمسين من العمر وهم يعرفون الناموس الالهى ، كما أنهم أصحاب الأمر والنهى والسلطة بين الاخوان ، وإليهم يعهد بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف لهذا الأمر بالرفق والمداراة في إصلاحه) ، وهم الذين يسمون بالاخوان الفضلاء الكرام . والطبقة الرابعة وهى مرتبة من يزيد على الستين سنة وهى أعلى المراتب في نظامهم ومن يصل إليها يكون فوق الطبيعة والشريعة والناموس ، ويكون ذا كشف يستطيع به أن يشاهد (أحوال القيامة من البعث والنشر والحساب والميزان)[3]

والآن ! كيف يقبل المرشح لعضوية هذه الجماعة ؟ تجيبنا

(١) Muslim Theology ص ١٦٧ (٢) الطيباوى

(٣) رسائل ج ٤ ص ١١٩ — ١٢٠

الرسائل : (أنه ينبغى لإخواننا أيدهم الله حيث كانوا فى البلاد إذا أراد أحدهم أن يتخذ صديقاً مجدداً أو أخاً مستأنفاً أن يعتبر أحواله ويتعرف أخباره ويجرب أخلاقه ويسأله عن مذهبه واعتقاده ليعلم هل يصلح للصداقة وصفاء المودة وحقيقة الأخوة أو لا يصلح . لأن فى النـاس أقواماً طباعهم متغايرة خارجة عن الاعتدال ، وعاداتهم رديئة مفسدة ومذاهبهم مختلفة حائرة)[١]

وكانوا يتحرون عن الشخص الذي يريد الإنضمام إليهم كل التحرى ، ويحذرون إخوانهم من الاغترار بالظواهر : (واعلم بأن من الناس من يتشكل بشكل الصـديق ، ويدلس عليك بشبه الموافق ، ويظهر لك المحبة وخلافها فى صدره . فانظر من تصحب وتعاشر ولا تغتر بظاهر الأمور من غير معرفة بواطنها . . . بل ينبغى أن تنتقده كما تنتقد الدراهم والدنانير والأرضين الطيبة التربة للزرع والغرس وكما ينتقد أبناء الدنيا أمر التزويج وشراء المماليك والأمتعة)[٢] . . . (لأن إخوان الصدق هم الأعوان على أمور الدنيا والدين جميعاً وهم أعز من الكبريت الأحمر ، وإذا وجدت منهم واحداً فتمسك به فإنه قرة العين ونعيم الدنيا وسعادة الآخرة وابذل له نفسك ومالك وافرش له جناحك وأودعه سرك وشاوره فى أمرك وإن هفا هفوة فاغفر له)[٣]

وكانوا يحثون الإخوان على أن يعاون الغنى منهم الفقير والمتعلم الجاهل ويؤثرون أصدقاءهم على أنفسهم وأولادهم وأزواجهم ، لأن محبة هؤلاء لمصلحة دنيوية . أما الإخوان الذين انضموا إليهم ، فيحبونهم لله

فإذا ما قبل العضو قرءوا عليه خطبة فيها دعوتهم وغايتهم : « وينبغى لإخـواننا إذا حضروا المجلس ومعهم أخ مستجيب يستحب أن يقرءوا عليه هذه الخطبة : اعلموا ـ أيها الإخوان ـ أيدكم الله وإيانا بروح منه ، وهداكم للحق ، وجعلكم من أتباعه ، ومهل لكم سبيل الخير ، وأرشدكم إلى معرفة أهله ، وعصمكم من الشر ، وجنبكم صحبة أهـله ، وحرسكم من الزور الشيطان ، ووقاكم جور السلطان ونـكبات الزمان ونوائب الحدثان ، ووفقكم لقبول نصيحة الإخوان ، إنه ودود منان — اعلموا أن كل دولة لها وقت منه تبتدئ ، ولها غاية إليها ترتقى ، وحد إليه تنتهى ؛ وإذا بلغت أقصى مدى غاياتها ومنتهى نهاياتها ، أخـذت فى الانحطاط والنقصان ، وبدأ فى أهلها الخذلان ، واستأنف في الأخرى القوة والنشاط والانبساط والظهور ، وجعل كل يوم يقوى هذا ويزيد ، ويضعف ذلك وينقص ، إلى أن يضمحل الأول المتقدم ، ويتمكن الحادث المتأخر... وقد ترون ـ أيها الإخوان ـ أنه قد تناهت قوة أهل الشر وكثرت أفعالهم فى العالم فى هذا الزمان، وليس بعد التناهى فى الزيادة إلا الانحطاط . واعلموا أن الملك والدولة ينتقلان فى كل دهر وزمان من أمة إلى أمة ، ومن أهل بيت إلى أهل بيت ، ومن أهل بلد إلى أهل بلد ... واعلموا أن دولة أهل الخير يبدأ أولها من أقوام خيار فضلاء يجتمعون فى بلد ، ويتفقون على رأى واحد ، ودين واحد ، ومذهب واحد ، ويعقدون بينهم عهداً وميثاقاً بأنهم يتناصرون ولا يتخاذلون ، ويتعاونون ولا يتقاعدون عن نصرة بعضهم بعضاً ، ويكونون كرجل واحد فى جميع أمورهم ، وكنفس واحدة فى جميع تدابيرهم[١]

وقد كان للجماعة دعاة ومبشرون يجتهدون فى اختيار أعضاء جدد يضمونهم إلى صفوف الإخوان ، وقد كانوا يدربون تدريباً خاصاً على الدعاية : (واعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه أن لنا إخواناً وأصدقاء من كرام النـاس وفضلائهم متفرقين فى البلاد، فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والكتاب والعمال ، ومنهم طائفة من أولاد الأشراف والدهاقين والتجار والتناء[٢] ، ومنهم طائفة من أولاد العلماء والأدباء والفقهاء وحملة الدين ، ومنهم طائفة من أولاد الصناع والمتصرفين وأمناء الناس . وقد ندبنا لكل طائفة منهم أخاً من إخواننا ممن ارتضينا فى بصيرته ومعارفه ينوب عنا فى خدمتهم بإلقاء النصيحة إليهم بالرفق والرحمة . وقد اخترناك أيها الأخ البار الرحيم لمعاونتهم فامض على بركة الله وحسن توفيقه إلى أخ من إخواننا ، وتوصل إليه بالرفق على خلوة وفراغ من مجلسه وطيبة من نفسه فاقرأ عليه منا التحية والسلام ، وبشره بما يسره من نصيحة الإخوان ، وعرفه شدة شوقنا إلى إخائه ومودته وولايته ، ثم اقرأ عليه هـذه الخطبة (المتقدمة الذكر) وعرفه معانيها وفهمه مغزاها ومقصدها[٣] ... (فإن وقعت هذه التذكرة منه مكانها من القبول وسمت نفسه إلى ما أشرنا إليه فذلك

(١) رسائل ج ٤ ص ١٠٧

(٢) الرسائل ج ٤ ص ١٠٨ (٣) الرسائل ج ٤ ص ١٠٩

(١) ج ٤ ص ٢٣٥

(٢) الدهاقين جمع دهقان بكسر الدال وضمها وهو حاكم الاقليم المتصرف فارسية معربة ، والتناء بالكسر جمع تانئ من تنأ بالمكان أى أقام به ومعناه المرابط

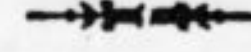
(٣) الرسائل ج ٤ ص ٢٣٦

الصحيفة المثـــالية

لرجل الصحافة « ويكهام استيد »

بقلم الأستاذ زين العابدين جمعة المحامي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)



واجب الصحافة الرشيدة أن تستوعب أمر هـذه الحال المفككة الأوصال وتنعم النظر في سبب نث الأدواء الاجتماعية وعلة هذا الضلال ، ثم تتنزل على ضحاياه لتأخذ بيدهم وتأسوا جراحهم وتنهض بهم من غير أن تبتعد عنهم ، أو ترتفع في شرعتها عن مستواهم . وهنا تتهيأ الفرصة للصحفي الذي تأصل في نفسه مثل أعلى وتولى زمامه قصد نبيل أن ينشئ للناس صحيفة رشيدة . وقد أخفى مثله ونبالة قصده في نفسه واختزنها لغرضه حتى لا يسخر منه الحمقى ويضعوا من كفايته قبل أن يتمكن من تحقيق لبانته .

أما عن أمر صحيفتي المثالية التي أحلم بها وأصبو إليها فسوف تطالع الناس وهي تستوعب مصادر الأدواء الاجتماعية ومواردها وتتقصى أسباب الضلال والحيرة الماثلين في الحياة الحاضرة ، وهي وإن تصدر في ذلك عن إيمان مكين لا يفل شأنه على أية حال عن إيمان الصحف الحاضرة بواجبها في تقصي نث العلل ؛ إلا أنها ستضع للحق أعلاماً لا شبهة فيها فتعالج نث الأدواء باعتبارها ضلالاً وحيرة لا أشياء أخرى تعدد حقيقتها وتتجاوز قدرها .

وسوف تتلمس الحقيقة الماثلة وراء الظواهر ، وتنتهي إليها ، وتظفر بها ثم تذيعها على الناس في جرأة وأمانة فلا تبقى من أمرها على شيء كاذب ، ولا تصانع الشعب فيما انعقد إجماعه عليه فتحترم ما جرى عليه العرف فيه لمجرد أنه قد صار للناس عرفاً . وهي إذ تقر لذي الفضل بفضله ، وتقدر المحسن احسانه ، وتوجه التكريم إلى الوجهة التي يجب أن يتجه إليها ، ولا تقر له شرعة غير شرعة الحق والعدل . ستدعو التصنع تصنعاً وتسمى الخداع خداعاً بكامل ما انطوى عليه تهمه من لفظ ومعنى .

وسوف لا تهيب شيئاً كائناً ما كان أو تخشى في الحق لومة لائم . وإذا هي « لا تتحرج » في معالجة الموضوعات المؤلمة أو المزعجة ، وإذا هي تسجل على نفسها خطأها إذ قدرها أن تخطئ ، والزلل لا عاصم منه فالعصمة لله وحده . وإذا هي لا تقبل من ضروب الإعلان إلا ما يتحقق لها صدق عبارته وما دته وأمانة ذويه . وعندئذ يصبح قبولها للاعلان ضماناً أدبياً يصون مصالح القراء ويكفل حقوق الناشرين على السواء . وإذا هي تتأبى أن تنشر لتجار الشهادات المتعلقة بصافي مبيعاتهم وتحتقر طوف (بعينات) البضائع لتبيعها لحساب عملائها ؛ وإذا هي تتأبى على هؤلاء العملاء وقد غمرها شعور فياض بالكرامة والعزة أن تهبهم شيئاً من الامتيازات المجانية أو أية رخص أخرى ؛ وإذا هي تذيع على الناس في قوائم سوداء أسماء الناشرين وشركات الإعلانات ثم تثيرها عليهم حرباً جبارة لا هوادة فيها ولا رحمة تذيع على الناس ما ينتهي إليها من خبيء أمرهم ومستور حيلهم إذا ما حاولوا في نهجها العادل وقصدها الشريف أن يعملوا ما وسعهم من جاه وثروة للقضاء عليها

وسوف تنفق شطراً كبيراً من رأسمالها في كسب ثقة العقول الشابة الطامحة الذين سيتملون عاجلاً كيف يثقون برأيها ويقنعون بقضائها ويقدرون نصحها ؛ وسوف تكون صحيفة مجاهدة يلمس الناس جهادها وضاحاً من أول عمود من أعمدة « أقلام تحريرها » إلى آخر عمود فيها . وسوف لا ترتبط بأية مصالح مهما كان شأنها مالم تتفق ومثلها الأعلى . ولا تعبأ بعداء أو خصومة مهما كان مصدرها ، بل تكون إلى ذلك كله مؤمنة كل الإيمان بما انتهت

هو الذي تريده ، وإن توقف وقال ما علامة ما تقولون ، وما تصديق ما تزعمون من الرأي والحديث ؟ فتقول عندنا دلائل واضحة ، فإن أراد أخونا الفاضل الكريم فليبعث إلينا ثقة من ثقاته وأميناً من أمنائه ، ومن يشا كلنا في العلوم والمعارف ليتضح له حقيقة ما قلنا[1]

ويظهر أن هؤلاء الذين يوجه إليهم الأخ البار الرحيم والمنتشرين في أنحاء الأرض كانت ميولهم وأغراضهم السياسية تشبه ميول إخوان الصفاء وأغراضهم ، ولم يكونوا قد انضموا إليهم بعد ، أولم يعلموا بوجودهم ... (واعلم أن من إخواننا وأهل شيعتنا طائفة أخرى بوجودنا شاكون ، وفي بقائنا متحيرون فيما يعتقدون من موالاتنا ، وطائفة أخرى يبقائنا موقنون ، لكنهم غافلون عن أمرنا غير عارفين بأسرارنا ، وكلهم منتظرون لظهور أمرنا ، مستعجلون لمجيء أيامنا ، مشتهون نصرة حزبنا[2])

(بيروت - يتبع)

عمر الدسوقي

مدير كلية المقاصد الاسلامية

---

(١) الرسائل جـ ٤ ص ٢٣٨

(٢) جـ ٤ ص ١٩٨

إليه من منزلة لا يسع كائناً ما كان أن يتجاهلها .

وسوف يكون من ديدن صحيفتى أن تفرغ وسعها فى الحصول على الأخبار . وتعنى بإذاعتها مبوبة منظمة . فتضع أهم الأخبار فى صفحتها الأمامية كما يجب أن تكون . وسوف لا تتحرج أن تطبع عدة أعمدة متوالية « لقصة » واحدة مسلسلة . فهى ستنظر دائماً باحتقار لتلك الحيل المضيعة للوقت من التنقل بالقراء من صفحة لأخرى عن طريق وضع بداءات « القصص » المختلف على القمة من كل عمود

وسوف لا تخدع قراءها بأخذه عنوان لا تدعو الحاجة إليه . أو تكرار لا غنية فيه ؛ وستعمل حروف الطبع المختلفة النوع والحجم ستعمل ضبطاً دقيقاً من شأنه أن يهيئ للقراء الإلمام بكل سطر فى الصحيفة من غير أن يضيع عليهم شيئاً من الموضوع .

وسوف تتقدم صحيفتى « بالأخبار » الصالحة للنشر فى وضوح تام وصراحة مطلقة ، سواء اتفقت هذه الأخبار مع « سياستها » أو لم تتفق . فستكون سياستها بحيث لا تعنى إلا بالحقائق وحدها فلا تخفف من أمر الأخبار أو تبالغ فيها . ولا تعلق عليها أو تؤولها لتتفق مع « سياستها »

وسوف تفسر الشك لصالح النشر فى الحالات التى يتردد الصحفى فيها ، فيرى أنه قد يكون من صواب الرأى أن يمسك عن النشر

وسوف لا تؤيد أية حكومة بالغة من السلطان والسطوة ما بلغت ، أو تزكى أى سياسى كائناً من كان إلا لما تقتنع بصدقه من الأسباب العامة التى لا تخفيها عن الجماهير .

وسوف تكون خادمة الشعب وحده ، ولصالح الشعب فقط ، سوف تعترف بواجب الرعية نحو الحكومة ، وتقر ولاء الشعب لأولياء أموره ؛ وسوف لا تقود الشعب قيادة عمياء من طريق الزلفى إليه . فإذا هى تعامل جمهوراً وهمياً زاعمة أن القراء لا قبل لهم باحتمال القول الصريح والحقائق المرة ؛ إذ من واجب الخادم الأمين أن يقول الحق لسيده .

وسوف تكون صحيفتى صحيفة قومية ، لا صحيفة تعنى بالروابط الجنسية والفوارق العنصرية ؛ وسوف تطبع بطابع عام من سياسة الرجال الأحرار لا بطابع خاص بحزب الأحرار .

وسوف تجاهد فى سبيل السلام الحقيقى من غير أن تنشده على ضوء النظريات السلمية التى تتجاوز طبائع الناس وطبيعة الحياة . فتكشف الستار عن الأمور الجوهرية وتفصح عن المسائل التى تقتضيها ضرورة الحياة ، تلك المسائل التى يكون من حق الأمم والرجال أن يحاربوا من أجلها حرباً لها ما يبررها ويزكيها ، أو يموتوا فى سبيلها موتاً شريفاً نبيلاً إن ضاقت بهم السبل ، ولم يتيسر لهم طريق آخر يدعمون به حجتهم من الاحتفاظ بمقومات حياتهم ؛ وسوف لا تقع صحيفتى أبداً فى ذلك الخطأ الفاجع فيخيل لها أن اجتناب الاصطدام بين الأمم . وأن التوفيق بين المذاهب المتعارضة للشعوب المختلفة أمر ميسور ، وهو خطأ اقترفوه عندما حسبوا أن اجتناب الحرب أمر ممكن ومرغوب فيه لذاته .

وسوف تكافح صحيفتى بكل ما وسعها من قوة ذلك النهج العدائى الأخرق الماثل فيما يثور بين الأمم من جدل . ولكنها إلى ذلك ستذكر دائماً أن قلوب الرجال سوف لا تنصرف عن الحرب وما تنطوى عليه من روح الإقدام والمخاطرة انصرافاً أبدياً، ما لم يقدر للسلام أن يطبع ما يكرسون له أنفسهم ويضحون فى سبيله بأرواحهم بطابع يوجههم إلى أشياء أجل من الحرب شأناً وأنبل منها غاية

وسوف تعمل صحيفتى على أن تثبت قواعد المودة بين الأمم ، وتدأب على توثيق العلائق بين الشعوب . لا بغية اجتناب الحرب فحسب ، بل لتستعين بذلك فى الدفاع عن حرية الشخصية والحقوق الإنسانية ، ولتشق طريقها إلى إنشاء التعاون الدولى . وسوف لا يقل نصيبها فى ذلك عن نصيبها فيما ستضطلع به من تجنيد جميع طبقات الشعب فيما يتصل بالشئون القومية والاجتماعية ، بغية النهوض بما يتطلبه صرح الجماعة من إنشاء وتجديد

فهل يتاح لصحيفة كهذه ، أحكم صنعها من الناحية الفنية ، وظفرت بما طمعت فيه من الثقة والتقدير ، وسارعت بإذاعة الأخبار فى إبانة وصدق ، ووجهت ضرباتها القوية بحكمة وحزم غير آبهة بسلطان أو حافلة بمال ، ثم تهيأ لها حظ موفور من القوة والنشاط ومجالدة الأعداء ، أقول : هل يتيسر لصحيفة كهذه أن تطمع فى انتشار واسع يجعلها تتحكم — ولا أقول تلتمس — فى دخل كاف من أجور الإعلانات يهيئ لها موازنة ميزانيتها ؟ !

أغلب ظنى أنه سوف يتاح لها ذلك كله متى ما توفر لها من الثروة فى أوائل نشأتها « ما يثبت أقدامها » فى ميدان الاختبار ، إلى أن يتهيأ لها أن تكسب ثقة شعبها

وقد تهيأ الفرصة يوماً لرجل عبقرى توفرت فيه مؤهلاته وكفايته أن يخرج للناس صحيفة من هذا القبيل . وآنئذ سوف

مع الشمس الغاربة

للأستاذ م . دراج

واعجباً لهذا الفكر المضطرب ! كلما تهيأت لأواجه موضوعاً خذلني وارتد القلم يترنح من عنف الصدمة ، تاركا وراءه خطوطاً مائلة منكسرة متعرجة — كتلك التي تجرها يد طفل عابث — هي كل ما أغنمه من أسلاب الفكر المهزوم !... حاولت ذلك مرة في الإسكندرية ، وأخرى في دمياط ، وثالثة في المحلة الكبرى ، ومرة أخيرة هنا في القاهرة . ومع ذلك فشلت ، وكان فشلي محزناً يدعو إلى الإشفاق . لم أدر لذلك سبباً ، فأنا حين أكتب لا أحتاج إلى جو خاص ، وليس ثمة ضجيج يمنعني عن الكتابة أو سكون يعينني عليها . ذلك لأني لا أغتصب الفكر شيئاً إلا إذا أحسست برغبة قوية عميقة حارة تدفعني إلى الإذعان له

وها أنذا أعود مرة أخرى إلى الإسكندرية لأحاول من جديد إخضاع الفكرة العصية المتمردة لعلها تلين وترضى . . . فهل من سبب لهذه الظاهرة ؟ أجيبوا يا أصحاب الخبرة والتجارب ؟

كنت أفكر في هذه المرحلة التاريخية التي كان من حظي أن أعيش فيها لأشاهد أعظم انفجار عالمي يوشك أن يزلزل رسوم الحياة، بما فيها من نظم وأخلاق ، وعادات وأفكار ، تتصل كلها بصميم الحضارة ـ حضارة القرن العشرين ـ تلك التي كلما فشلت في رسالتها، قذفت بالبشرية في جحيم الحرب باسم الحرية ، ذلك الوهم المنحوس .

وكان هذا التفكير يحلو لعيني ... غامضة ، تسطع فجأة . ويتألق نورها ، فأرى على وميضه بلاداً غنية التربة ، تنتج من الغلال والحبوب فوق حاجتها فلا ... من أن تلقي بالفائض في البحر . كما وجدت في هذا ... الشأن ما يحفظ للسلعة سعرها العالي المناسب . . . فهذه كميات عظيمة من الأذرة تروح « علفاً » للخيل ، وتلك مقادير هائلة من ثمار « الموز » تبتلعها الأمواج . وأخرى من البن تلقى بين ... المتأججة . ثم أشاهد أناساً يسكنون الأصقاع الشمالية ينتفضون من الجوع والبرد . يتضورون بين الأدغال طلباً للخبز ... فلا يكادون يبلغونه إلا على سنان المخاطر . . . ثم أجدني قد نقلت إلى سوق أخرى تزدحم فيها المصانع . وتتكدس الآلات ... وكثر المتعطل والجوع والحرمان !! وتمر الأقطار أمام عيني مراً سريعاً . وكأني أشاهدها على الشاشة البيضاء . فهذه ... من الأرض ضيقة الرقعة قليلة الموارد صخرية التربة يتمتع أهلوها ... الحضارة وملذاتها ؛ وأخرى بلاد غنية تدر الذهب . وتخصب ... ومع ذلك فهي فقيرة يعيش أهلوها جياعاً حفاة شبه عراة !! وثمة شعوب تابعة ومتبوعة . صور عجيبة متناقضة تنتظم ... الحضارة . ومع ذلك يأسفون لوقوع الحرب ! ويندبون ... حضارة لآفلة !! ...

هذه هي الحياة كما رأيتها على وميض الفكر الواعي : خداع وطمع ، سيادة واستعباد ، ترف وحرمان . ضحكات ودموع ؛ وحشية عارية تستتر وراء الفكرة الخبيثة التي يسمونها بالحرية ! فأنتفع من هذا كله بشيء واحد ، برعت المدنية في إبداعه من حيث أخفقت في كل شيء . ذلك هو المظهر الخلاب على الجوهر الرخيص المبتذل . وكأن الذين فتنتهم هـذه المدنية نسوا أن المظاهر تعيش حيناً ثم يعروها التلف والفناء ، أما الجوهر فيبقى دائماً كما هو . . .

كانت الشمس تحتضر عند حافة الأفق البعيد ، لما أشرقت أفكاري بهذه الصورة الغاربة . وكنت قد أسلمت نفسي لصديق أتبع خطواته كطفل وديع مطيع ، لا أعترض ولا أستفسر عن شيء ، حتى استقر بنا المطاف على متكأ عند شاطئ البحر نشاهد هذا الصراع العنيف بين عناصر الطبيعة ، ونتابع تطوراته باهتمام بالغ . فرأينا الشمس الغاربة مكفهرة الوجه ، تسيل منها العبرات شعاعاً مخنوقاً يتساقط على مياه البحر . فيصبغها بلونه الأرجواني الحزين . وهناك في الجانب الآخر من الأفق ، كانت طلائع الليل الزاحف تتواثب هنا وهناك ملقية ظلالها الكئيبة على الأحياء ،

نرى من نغمرهم الآن بمجاملاتنا من أصحاب الإعلان ومن المساهمين في الصحيفة الذين لا يأبهون إلا لما يخلص إلى جيوبهم من ربح وممن يتجرون بالتداول الصحفي ، ولو كان تداولاً زائفاً مصطنعاً

وقد سقط في أيديهم وتملكهم العجب مما تهيأ للصحفي المثالي من نجاح عظيم ، وإلى أن يتاح لي تحقيق هذه الآمال المنشودة ستظل صحيفتي المثالية وهي في مملكة المثل الأعلى من عالم الخيال . وستظل الصحافة البريطانية — إذا قدر لها حقاً ألا تستعبد للحكام المستبدين — وهي تسير متثاقلة على نفسها في طريقها الذي تسلكه راحلة حيث لا تنفك بعيدة عن قمة المجد الصحفي التي تتوق لها نفسي ويخفق بحبها قلب كل صحفي أصيل

(المنصورة) زين العابدين جمعه

والبحر واجم يتلقى أنفاس الشمس اللاهثة بحنان وصمت غريبين. أما الطيور فكانت جزعة، كأم روعها الخطر على وليدها، فهى تروح وتغدو مولولة صارخة تستنجد ولا مغيث! حتى إذا هجم الليل هجومه الأخير، ارتعش النور، واضطربت الشمس، ثم أسلمت نفسها للمغيب...

سقطت الشمس الغاربة فى هوة المغيب، فأحسست رجة عنيفة تسلبنى اليقظة، وتتركنى إنساناً بلا وعى. كنت – فى الحقيقة – جسم ملقى على الجدار الصخرى القائم عند التقاء اليابسة بالبحر، لا يحس ولا يتأثر بما حوله، فإن بدت منه التفاتة إلى هنا أو هناك، فهى بلا شك نظرات لا معنى لها، كتلك التى تصدر عادة من ذوى الأفكار المشردة. آه. لقد عرفت الآن أن هذه الرجة التى أصابتنى لم تكن إلا وثبة من أفكارى لحقت بالشمس الغاربة فى دنيا المغيب

أين يذهب هذا النور؟ ولماذا تبدو عليه دلائل الأعياء كلما غرب أو أشرق؟ هكذا كانت توسوس نفسى! فتتبعت آخر شعاع ينفلت من يد الظلام، وانسللت وراءه أتحسس فى دنيا المغيب عن أسرار هذا السكون العجيب. سمعت همساً يدور حول جريحة تنزف الدماء منها بغزارة، وليس فى وسع أحد أن ينقذها من الخطر

هم يقولون: إنها ظالمة لنفسها، وليس ثم من يستطيع علاجها إذا كانت أظافرها هى سبب بلائها! وفجأة، رأيت لهيباً يندلع فى الجو، وسحباً داكنة تنعقد فى سمائه، ومياهاً باردة ترتطم بوجهى. فأصحو من غشيتى لأسمع زئير البحر الهائج، وقد تدافعت أمواجه وتلاطمت، وقذفت وجهى برشاشها المتطاير. ثم أسمع دوياً هائلا يهز الأرض هزاً عنيفاً يعقبه طلقات سريعة متتابعة تندفع إلى السماء مزمجرة صاخبة، فأطلع بوجهى إلى حيث استقرت فى كبد الغامة فأرى خطوطاً من النور تمتد وتتطاول، ثم تتحرك فى سرعة خاطفة، والأشباح تهوم فى الفضاء، والريح الباردة تعصف بشدة، فأدرك فى الحال من تكون تلك الجريحة التى كانوا يتهامسون عنها فى دنيا المغيب! وأعلم أنها «الإنسانية» التى طعنت نفسها بسلاح الطمع وأضرمت فى جسمها نار الحرب!

أما النور الذى يبدو عليه الإعياء كلما غرب أو أشرق! فهو الحرية التى يتعس بها المجرمون فى دنيا الوحشية والطغيان!

وهنا هتف صديقى قائلا: لقد غربت الشمس، وأسدل الليل ستاره الأخير! فودت، وانقضت الحرب بصواعقها، وما تدرى متى ترفع غممها عن العالمين.

م. دراج

٢٢ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

لا يصعب على من اختلط بمجتمع رجال مسلمين في القاهرة ـ كما قد يتصور الأجنبي ـ أن ينال من غير زواج أدق المعلومات الكثيرة عن شئون النساء وعاداتهن ؛ فأغلب رجال الطبقة الوسطى المتزوجين والقليل من الطبقة العليا يتحدثون طوعاً عن مسائل الحريم إلى من يصرح لهم باستحسانه آراءهم في الأخلاق

ولا تعتبر الزوجة ـ على العموم ـ معتقلة في الحريم ، لأنها تكاد تكون مطلقة الإرادة في الخروج ، وزيارة الصديقات ، واستقبال الضيفات ؛ ولا جرم أنه ليس لمجواري هذا الاختيار ، إذ هن سواء خضعن للزوجة كما يخضعن للسيد ، أو للسيد فقط ، تحت سلطة لا حد لها تقريباً . ومن أهم ما يرمى إليه رب الدار بتخصيص حريم منفصل أن يتلافى رؤية الخدم وغيرهم من الرجال لنسائه دون نقاب كما ينص الدين . وتبين الآية التالية أنه يجب على المسلمة أن تخفى عن الرجال ، خلا بعض الأقارب وغيرهم ، ما يلفتهم إلى شخصها أو زينتها : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ...[1]) ؛ ويشير النص الأخير إلى عادة رن (الخلخال) الذى كان يستعمله نساء العرب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يزال المصريات يتحلين به[1]

ويجب على أن أذكر هنا تعليقين لمفسرين فاضلين[2] مدرجين في ترجمة سيل Sale للقرآن توضيحاً للآية السابقة ، حتى لا تؤديا إلى فهم العادات المتأخرة الخاصة بدخول الحريم أو عدمه فهما خطأ . والتعليق الأول خاص بكلمة (أو نسائهن) وقد شرحت كما يلي : « أى المسلمات ؛ ويرى البعض أن سفور المؤمنة أمام الكافرة مخالف للشرع أو للحشمة على الأقل ؛ إذ لن تعف الكافرة عن وصفها للرجال . ويفترض الآخرون أن هذا الاستثناء يشمل النساء جميعهن على العموم ، وتختلف آراء العلماء في هذا الموضوع » . ولا يعتبر الآن — في مصر وفي كل بلد إسلامي آخر على ما أعتقد — دخول امرأة من أى طبقة أو من أى دين حريم المسلم أمراً مخالفاً

ويتعلق الشرح الآخر بجملة (ما ملكت أيمانهن) : « يشمل هـذا الاستثناء جميع الأرقاء من الجنسين . وكما يرى البعض الخدم غير الأرقاء ، مثل هؤلاء المنتمين إلى شعب آخر . ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أهدى مرة إلى ابنته فاطمة عبداً . وعندما أحضره أمامها لم تكن متدثرة بثوب ضاف ، فكان لا بد أن تترك رأسها أو قدمها مكشوفاً ؛ فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم حينما لحظ ارتباكها : أن لا تهتم ، لأنها ليست في حضرة أحد غير أبيها وعبدها » . وقد يكون الحال كذلك اليوم عند عرب الصحراء ، ولكن لم يبلغني قط أنه يسمح للعبد البالغ في مصر أن يرى حريم رجل فاضل سواء كان العبد في خدمة الحريم أو لا . وقد أكد لى أنه لا يسمح بذلك أبداً . وقد يكون سبب منح القرآن عبد المرأة هذا الامتياز استحالة الزواج به ما دام عبداً لها ؛ ولكن ليس هذا موجباً لمنحه حق الدخول إلى الحريم في مثل هذا المجتمع . ومما يستحق الاعتبار أن الآية السابقة لم تمنح الأعمام حق رؤية بنات الأخ أو الأخت مكشوفات الوجه . ويرى البعض أنهم ليسوا

---

(١) سورة النور الآية ٣١

(١) أنظر إشعيا ١٦/٣ : وقال الرب : من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن

(٢) والتعليقان للبيضاوى وجلال الدين — أنظر ترجمة سيل Sale للقرآن ص ٢٦٦

أهلاً. لذلك خشية أن يصفوهن إلى أبنائهم ، ولا يليق بالرجل أن يصف سحنة امرأة أو شخصها ، (كأن يقول أن لها عينين نجلاوين وأنفاً مستقيماً وفماً صغيراً الخ) إلى من تحرم عليه رؤيتها . ولا عيب في وصف المرأة وصفاً عاماً مثل قولك : « إنها فتاة لطيفة مكحلة بالكحل ومخضبة بالحناء »

ولا يسمح للرجل عامة أن يرى غير زوجاته وجواريه ومن حرمن عليه لقرابة أو رضاعة بدون نقاب [1] . وقد أشرت في الفصل الأول إلى قدم عهد النقاب ، كما ذكرنا أيضاً أن المصريات يعتبرن تغطية أعلى الرأس ومؤخره ألزم من تغطية الوجه ، وحجب الوجه أهم من حجب أغلب أجزاء الجسم الأخرى . فالمرأة التي لا يمكن حملها على كشف وجهها أمام رجل قد لا تخجل من الكشف عن صدرها أو ساقها . وهناك حقيقة كثيرات من الطبقة السفلى يظهرن دائماً سافرات أمام العامة . ولكنهن مدفوعات إلى ذلك لفقرهن ولصعوبة إحكام الطرحة – التي يندر أن تتجرد منها امرأة – فوق الرأس لتحل محل البرقع ؛ وخاصة إذا شغلت كلتا اليدين في تثبيت ما يحملن من الأثقال . وتسرع المرأة الجليلة عند ما يصادفها رجل – مكشوفة الوجه أو الرأس – بلبس الطرحة أو إحكام وضعها ؛ وكثيراً ما تصيح : « يا دهوتي ! أو يا ندامتي ! » . ولكن كثيراً ما يدفع الدلال المرأة المصرية إلى كشف وجهها أمام الرجل متظاهرة أنها فعلت ذلك عفواً أو ظنت أنها لا تراه . وقد ينعم الرجل أيضاً برؤية وجه سيدة مصرية أحياناً – بينما هي تعتقد حقاً أنها بعيدة عن الأنظار – من شباك مفتوح أو فوق سطح . ويوجد في القاهرة منازل صغيرة ليس لها غرف سفلى لاستقبال الضيوف من الرجال فيصعد هؤلاء إلى الدور الأعلى صائحين مراراً : « دستور ! يا ساتر ! » . أو ما شابه ذلك لينبهوا من يصادفون من النساء في الطريق لينسحبن أو يحتجبن ، فتسحب المرأة فضلة من طرحتها أمام وجهها إلا عيناً واحدة . ويصل شعور المسلمين بحرمة النساء إلى درجة غريبة ، حتى أنه يحرم على الرجال دخول قبور بعض النساء ؛ فلا يسمح مثلاً لغير النساء بزيارة زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرهن من أسرته في مدافن المدينة . ولا يدفن الرجل والمرأة في قبر واحد أبداً إلا إذا فصل بين الجثتين حائط . ويوجد مع ذلك من لا يهتم كثيراً بهذا الأمر وإن قل عددهم . ولي صديق مسلم من هؤلاء يسمح لي على العموم أن أرى أمه عند ما أذهب لزيارته . وأمه أرملة في الخمسين من عمرها تقريباً ؛ ولكن ضخامة بدنها ودلالة سيماها على عدم الكبر يجعلانها في سن الأربعين . وتقبل عادة إلى باب غرفة الحريم حيث أستقبل خلو المنزل من غرف سفلى للاستقبال ، وتجلس هناك على الأرض ، ولكنها لا تدخل الغرفة أبداً . وقد تكشف أحياناً وجهها تماماً كما لو كان الأمر عرضياً ، فتبدو عيناها وقد أحاط بها الكحل الكثير ، كما أنها لا تحاول أن تخفي حليها الماسية والزمردية وغيرها . بل على العكس من ذلك تحاول إبرازها . ولم يسمح لي صديقي برؤية زوجته أبداً مع أنه أذن لي بمحادثتها مرة في حضوره خلف زاوية في ممر أعلى السلم

وأعتقد أن نساء مصر لا يضيق عليهن بالشدة المشاهدة في البلاد الأخرى الخاضعة للباب العالي ؛ ولذلك ليس من غير المعتاد أن ترى نساء الأوشاب يتدللن ويمزحن مع الرجال علناً ، والرجال يضعون أيديهم عليهن دون حرج . وقد يُظَن أن نساء الطبقتين العليا والوسطى يشعرن بالجور والتعاسة في عزلتهن ، ولكن ليس هذا هو الحال عادة ، بل على العكس نلاحظ أن الزوجة المصرية التي تتعلق بزوجها قد تظن ، إذا أطلق لها زوجها الحرية أنه يهملها ولا يحبها كثيراً ، وتحسد أولئك اللاتي يخضعن للرقابة الدقيقة

وليس من المألوف أن يتزوج المصري بأكثر من امرأة ، أو يتسرى بأكثر من جارية ، مع أن الشرع يبيح له أربع زوجات كما أشرت قبلاً ؛ والتسري ، طبقاً للرأي الغالب ، حسب رغبته . إلا أن الرجل وإن اقتصر على زوجة واحدة يمكنه أن يبدل كيفما شاء . ويقيناً ليس هناك كثيرون في القاهرة لم يطلقوا امرأة إذا طال أمد الزواج . ويستطيع الزوج أن يطلق زوجه وقتما يريد بقوله : « أنت طالقة » . فإذا استقرت إرادته على ذلك عن صواب أو عن غير صواب ، وجب على المرأة أن تعود إلى أهلها أو صديقاتها . وتعرض المرأة لطلاق لا تستحقه مصدر لأحزان وقلق أشد مما تتعرض له من أي اضطراب آخر . وقد تصيبه

(١) ويسمح للأغوات أن يروا وجه النساء وكذلك الأطفال

لذلك فى حالة عوز شديد . وهذا التعرض يبدو طبعاً على العكس تماماً لأولئك اللاتى يأملن تحسين حالتهن . ويستطيع الرجل أن يطلق زوجه مرة أو مرتين ويردها إليه فى كل مرة من غير حفل . ولكنه لا يستطيع أن يردها شرعاً فى المرة الثالثة قبل أن تتزوج رجلاً آخر وتطلق منه . وهذا عينه نتيجة الطلاق ثلاثاً المعبر عنه فى جملة واحدة : «أنت طالقة بالثلاثة» . ولكن قد يتفق الرجل والمرأة على مخالفة الشرع . أو ينكر الرجل أنه أوقع يمين الطلاق . وتجد المرأة فى الحالة الأخيرة صعوبة كبيرة فى تنفيذ الطلاق قانوناً إذا أرادت ذلك

وأذكر لتوضيح هذا الموضوع قضية دعيت فيها حديثاً فيها شاهداً على يمين الطلاق . فقد كان جالساً فى مقهى مع رجلين آخرين كان أحدهم قد غضب على امرأته لشيء قالته أو فعلته . وأرسل هذا بعد حديث قصير فى هذا الأمر يدعو زوجه التى أوقع عليها يمين الطلاق ثلاثاً وأشهد جليسيه على ذلك . ولكنه سرعان ما ندم على فعله وأراد أن يعيد مطلقته . فرفضت العودة إليه ولجأت إلى (شرع الله) فقدمت قضية فى محكمة وقررت المدعية أن المدعى عليه أوقع عليها الطلاق ثلاثاً ويريد الآن ردها إليه لتعيش معه كزوجة على خلاف الشرع . وأنكر المدعى عليه الطلاق ؛ فسأل القاضى المدعية : « هل لديك شهود » فأجابته « عندى شاهدان » . وكانا هما الرجلين اللذين شاهدا الحادث فى المقهى . فقررا أن المدعى عليه طلق امرأته ثلاثاً فى حضرتهما . فأكد المدعى عليه أن التى طلقها فى المقهى كانت امرأة أخرى . ولكن المدعية نفت وجود زوجة أخرى . فلفت القاضى نظرها إلى استحالة معرفتها ذلك . وسأل الشاهدين عن اسم المرأة التى طلقها الرجل أثناء وجودهما . فأجابا أنهما يجهلان اسمها . فطلب منهما أن يقسما إذا استطاعا أن المدعية هى المرأة المطلقة أمامهما . فأجابا أنهما لا يستطيعان ذلك لأنهما لم يريا المرأة سافرة أبداً . فرأى القاضى إزاء ذلك أن يرفض الدعوى . وأجبرت المرأة على العودة إلى منزل زوجها . كانت تستطيع أن تطلب حضور المرأة التى اعترف الرجل بتطليقها فى المقهى ، ولكن كان من السهل أن تحضر امرأة تقوم بالدور المطلوب ما دام لا يطلب منها وثيقة الزواج . وفى مصر يعقد الزواج دائماً من غير كتابة . ومن غير شهود أحياناً .

عدلى طاهر نور

بنى وطنى ...

لشاعر العراق الأستاذ معروف الرصافى

بنى وطنى ماذا أُؤمّل بعد ما　　تفشَّت سعاياتٌ لكم بالتجسسِ
أقول لمن قد لامنى فى تشدُّدى　　على كل تدليسٍ أنى من مدلّس
لو اسودَّ وجه المرء من قبح فعلِه　　لما كنت تلقى عندنا غير مُدفِس
ولو نال بالإخلاص مثرٍ ثراءهُ　　لما كنت تلقى بيننا غير مفلس
نحاول عزًّا بابتذال نفوسنا　　فنشرى خسيساً بالثمين المقدس
ومن جهـ[illegible] ستكبر هُنا فى معاشنا　　شقاء نزيهاً للنعـ[illegible]يم المدنَّس
سأرحل عنكم للذى قد أقامنى　　على موحشٍ من أمركم غير مؤنس
أبَيْتُ لنفسى أن تحلَّ مكانةً　　من العيش إلا فوق عز مؤسس
ولو أنّ هذا الصبح كان انبلاجهُ　　بغير شروق الشمس لم يتنفَّس
فلا أبتغى بالذل عيشاً مرفَّها　　ولو عشت فى العزّى بفول مُدمَّس
وما أنا كالعبد إذ عانق الردى　　لجدْوَى أتتها رغبة المتلمِّس
إذا ابتسمت لى عفتى ونزاهتى　　فلست أبالى بالزمان المعبّس
أقابل أخلاق الرجال بمثلها　　وأعرف منهم وجهها بالتفرس
فأعنو لمن يعنو وأقسو لمن قسا　　وأظهر كالغطريس للمتغطرس
ولست أُجازى المعتدى باعتدائه　　ولـكن بصفح القادر المتحمس
وما أنا من أهل الدعارة والخنا　　ولا من أولى حمل السلاح المسدّس
ولـكنّ لى فيكم يراعاً إذا شدا　　أتاكم بكافٍ من عُلاه ومُخرِس
وما خالق الأكوان إلا مهندس　　وإن جل عن تعريفه بالمهندس
تجـلَّى على أكوانه بصفاته　　وأغلس فيهم كُنهُهُ كل مُغلَس
وأقبسهم نوراً شديداً جلاؤه　　فساروا به كالعُمْى فى كل حِندس
وألبسهم خمر الغرائز فاغتنوا　　بخمرتها عن كل ثوب مورَّس
وما مُقبِسٍ عند النهى غير قابس　　ولا لابس عند النهى غير مُلبس
فأيّان جال الطرف لم ير غيره　　إذا كان فى ألحاظه غير مُبلِس
حقيقة مخلوقاته لم تكن سوى　　حقيقته دع عنك حدس المحدّس
ألا إننى للـكائنات موحّـد　　ولو أرغمت كل المذاهب معطسى

معروف الرصافى

الأسطول البريطانى

للأستاذ عبد اللطيف النشار

تَخَيّلَها ولم يرها جرير　　وزان خياله لفظٌ نضيد
فقال كأنه يصف الجوارى　　ونبصرهن نحن فما نزيد
(وسُخِّرت الجبالُ وكنّ خُرساً　　يُقطَّعُ من مناكبها الحديد)
ترى أى السفائن كان يعنى　　ألم يطلع على الدنيا جديد ؟
وهل شهد القدامى ما شهدنا　　وشق بحارَهم جبـل صلود
تمنى شاعر ضخمَ الأمانى　　فحققت الذرارى ما يريد
وما كنا لنشهـد ما نراه　　إذا حرمت من الشعر الجدود
حياة الحالمين بلا قيود　　ثمن أحلامهم كان الجديد
وهل يعنى الطوائرَ أم سواها　　جريرٌ والقصيد هو القصيد
يقول وقوله أبداً غريب :　　أما حَدّت منازعه الحدود ؟
(تصيَّدن القلوب بنبل جن　　وترمى بعضهن فما نصيد)
هل امتـدت نبوءته إلينا　　لعمرى إنه نظرٌ بعيـــد
فقال ونيل مصر كما نراه　　وقد شملت إضاءتها القيود
(نظرنا نار جعدةَ هل نراها　　أبُعدٌ غال ضوءَها أم همود)

أطلتُ أطلتُ لا أعنى جريراً　　وضلَّل منطقى فكرٌ شرود
أرى الأسطول أم أهرام مصر　　ولـكن أمُّ (خفرعه) ولود
أرى الأهرامَ فوق الماء تجرى　　لمـاذا ذلك العدد الحديد
وعند ذويه لو شاءوا مزيد　　لعمرى إنه شعب سـعيد
أرى الأسطول عند جدار دارى　　ألا شعرٌ لدىَّ ؟ ألا نشيد
وأبغضُ ما تكون الحرب عندى　　ولـكن كيف عن وطنى أذود
أُحب سكينة الراضى بحال　　فهل ترضى عن الراضى الحقود
فأفٍ للسكينة حيث كانت　　هى الذلُّ المهين ، هى الجمود
على الكأس السلام فقد تولت　　محبتها وقد صدق الوعيد
وأنظر لا أرى إلا سفيناً　　وإلا البحر تحميه الأسود
ضراغم من أراهم أم جنود　　وطارفهم أجل أم التليـد
وما الماضى بمنسىٍّ ولـكن　　مضى الماضى وليس له معيد
ونحن ونبتنا البردى أدرى　　بما تعنى المواثق والعهود



قرار لجنة كبار العلماء وبرنامج الإصلاح

يعرف القراء أن جماعة كبار العلماء قد قررت في جلستها الأخيرة تأليف لجنة برياسة حضرة صاحب الفضيلة المفتي الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم لبحث المقترحات الهامة التي رفعت إليها من بعض حضرات أعضائها

وقد عقدت اللجنة عدة جلسات لهذا الغرض . وتلقت في إحدى هذه الجلسات كتاباً مرسلاً إلى فضيلة الأستاذ الأكبر من الأستاذ الشيخ حسن البنا يقترح أن تقوم جماعة كبار العلماء بإنشاء معجم جامع للحديث يضمنه كل الأحاديث محتج بها الخ

وبعد بحث هذه المقترحات بما فيها هذا المقترح الأخير رأت اللجنة أن تقوم جماعة كبار العلماء بما يأتي :

أولاً :

(ا) إيضاح ما قد يخفى من أصول الدين

(ب) بيان ما هو بدعة وما ليس بدعة

(ج) بيان أحكام الشريعة في المعاملات التي جدت وتجد .

(د) الإفتاء فيما يرى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أخذ رأي جماعة كبار العلماء فيه

ثانياً :

(ا) وضع مؤلفين يجمع أحدهما تفسير القرآن تفسيراً سهل التناول يوافق أصول الدين وقواعد اللغة العربية ، مع التنبيه على ما في كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات والآراء التي لا تتفق وأصول الدين العامة وقواعد اللغة ؛ ويجمع الآخر الأحاديث التي تصلح للاحتجاج والتي لا تصلح مع بيان درجاتها المختلفة .

(ب) التنقيب عن الكتب الإسلامية التي يعظم نفعها في مختلف العلوم ، والعمل على إخراجها إخراجاً صحيحاً متقناً

ثالثاً : إنشاء مكتب علمي يعهد إليه بتنفيذ هذه المقترحات ، ويكون من اختصاصه بحث ما يقدم إليه من المؤلفات التي يقوم بها علماء الأزهر وغيرهم في العلوم الدينية والعربية وسائر العلوم التي تدرس في الأزهر وكلياته ، وتقدير قيم هذه المؤلفات والعمل على نشر النافع منها ومكافأة أصحابها . ليكون ذلك مدعاة إلى تنشيط الإنتاج العلمي

وتقترح اللجنة أن يكون هذا المكتب برياسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وعضوية عشرة من أعضاء الجماعة — ذكرتهم اللجنة في تقريرها — على أن يستعين المكتب بمن يختار من علماء الأزهر وغيرهم

وقد اقترحت اللجنة على فضيلة الأستاذ الأكبر إلى جانب ذلك :

أولاً : أن تشرف جماعة كبار العلماء بواسطة لجنة منها على مجلة الأزهر . ليكون ذلك وسيلة ناجحة إلى تنفيذ معظم هذه المقترحات ، وليكون ما ينشر في المجلة التي يصدرها الأزهر متفقاً وما يبتغي العالم الإسلامي لهذه المجلة من علو المكانة ورفعة الشأن .

ثانياً : أن يعمل فضيلة الأستاذ الأكبر على تأليف لجنة يمثل فيها الأزهر ، ووزارة الأوقاف ، ووزارة الشئون الاجتماعية ، ومشيخة الطرق الصوفية ، تكون مهمتها وضع الخطط النافعة في الوعظ والإرشاد واتخاذ ما يلزم لتعميم النفع به من إلقاء خطب أو إذاعات أو طبع رسائل توزع بالمجان على الناس ، وغير ذلك مما تراه نافعاً في تقويم الخلق وإصلاح المجتمع

هذا هو ما رأته اللجنة في شأن المقترحات وطرق تنفيذها ، وقد رفعت تقريرها بذلك — قبيل عيد الأضحى — إلى حضرة

سبقنا بالكتابة كل شعب ... ولسنا عن مواثقنا نحيد
وتعجبني الروائع إذ أراها ... وصاحبها هو الخصم اللدود
بلادي ما أعزك يا بلادي ... أمالك عن مسالة محيد
أمالك مثل ما لهمو سفين ... ولا في الجو أجنحة ترود
أرى الذهب الحبيب إلى أناس ... بغيضاً والحبيبُ هو الحديد
فليت جدودنا كانوا قيوناً ... فيحمي مُلْكَنا ركن شديد
فَرِحتُ بقصة وببيت شعر ... ويحميني المخالف والعقيد
وعندي ما أقول وعند غيري ... ولكني سكتُّ فما أزيد

عبد اللطيف النشار

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، ليتخذ ما يرى فى سبيل عرضه على الجماعة تمهيداً لإقراره وتنفيذه

وبهذا أصبح برنامج الإصلاح فى كفالة الأستاذ الأكبر المراغى رجل الإصلاح

الى الأستاذ محمود عزت عرفة

عفا الله عنى نضو نعمى وأبؤس   تمتع حيناً ثم أضناه ما يعنى
لحنت وأنحلت امرأ غير شعره
وحرّفت ما أروى فويلى من سنى
وما كنت شيئاً من أولئك أتقى   ولاخلت أن الشيب من صفة حسن
ويأبى وفائى أن أغالط محسناً   أهدى إلى وجه الصواب ولا أنى
فقل للوليد البحترى وصنوه   حبيب بن أوس ماجنيت ولا أجنى
هما الخمر والماء الطهور وأنتمى   لمودة مزج السلافة فى الدن
لك الحمد يا محمود من ذى مروءة
يرى الشكر فرضاً والجحود من جبن

عبد اللطيف النشار

بين صبرى وابن دريد

شهد الأديب الفاضل حسين محمود البشبيشى على الشاعر اسماعيل صبرى باشا بسرقة بيتى شعر وردا فى ديوانه . إذ رآهما فى مقال للشاعر محرم منسوبين إلى صاحب المقصورة الدريدية

والبيتان اللذان فى الديوان هما :

إن الذى أبقيتَ فى مهجتى   يا متلف الصب ولم يشعر
حشاشة لو أنهـــا قطرة   تجول فى عينيك لم تُنظر

وفى مقال الشاعر محرم وردا بتحريف بسيط فكانا هكذا :

إن الذى أبقيت فى (جسمه)   يا متلف الصب ولم يشعر
(صُبابة) لو أنهـــا قطرة   تجول جفنيك لم (تقطر)

قلت : إنها شهادة لعمر الحق جائرة . فما كان لشاعر كاسماعيل صبرى سما فى شاعريته البارعة إلى أعلى مراتب الشعر الغنائى أن يسف هذا الإسفاف الفاضح المعيب ، فيعزو إلى نفسه قول غيره .

ونحن إذا علمنا كيف جمعت مقطوعات الديوان من هنا وهناك بعد وفاة الشاعر بأعوام طويلة ، ظهرت لنا براءته مما وصم به . ففى كلمة الأستاذ أحمد الزين فى الديوان نرى أن صهر الشاعر صاحب العزة حسن رفعت بك قد حمل على عاتقه عبء جمع الديوان وهو عبء يجهد لقلة ما كان الشاعر يعنى بجمع شعره وترتيبه . يقول الأستاذ أحمد الزين إن صهر الشاعر جمع مقطوعات الديوان من بطون الصحف التى بعد بها العهد ومن أفواه الرواة المعاصرين له والمتصلين به فكان لا يسمع بإنسان جالس اسماعيل صبرى إلا زاره وكتب عنه ما يحفظه من شعره – أنظر الديوان صفحة ٤١ – ومن المرجح عندى فيما يختص بهذين البيتين أن يكون هناك من ضمه مجلس اسماعيل صبرى وسمعه ينشدهما فظنهما له ورواهما لصهر الشاعر على حسب هذا الظن . وهب أن البيتين وجدا مكتوبين بخط الشاعر فليس بعجيب أن يكتب الإنسان فى أوراقه شعراً أعجبه ، ولكنه سهو تقع تبعته على الذين أشرفوا على جمع الديوان . وقل مثل ذلك فى الأبيات التى وردت فى وصف النيل على أنها لاسماعيل صبرى وهى لابن الخروف أبى الحسن الأشبيلى من شعراء القرن السادس . ومما يجعلنى أقطع فى براءة اسماعيل صبرى هو أن هاتين المقطوعتين وردتا فى الديوان دون أن تشتملا على شهادة بنسبتهما إلى الشاعر كما نرى فى بقية أشعار الديوان

بقيت هنالك مسألة التحريف اللفظى . ولعل الأديب الفاضل يراها مما يقوى زعمه ، إذ يعد هذا التحريف تغييراً من اسماعيل صبرى لكى يموه على الناس ، ولكنه تغيير لم يوفق فيه ، على رأى الأديب . والذى أراه أن هذا التغيير الذى لم يمس جوهر ذينك البيتين الرائعين ما هو إلا تحريف لفظى كثيراً ما يقع فى الشعر القديم . فبينما أنت تقرأ فى كتاب الأغانى مثلاً تراه بعينه فى كتاب آخر ، ولكنه محرف بعض الألفاظ ، ومثل هذا كثير . فلعل الكتاب الذى وعى منه اسماعيل صبرى هذين البيتين هو غير الكتاب الذى أخذهما منه الشاعر محرم منسوبين إلى أبى بكر ابن دريد ، ومن هنا حصل هذا التغيير الذى جعل الأديب حسين محمود البشبيشى يشهد هـذه الشهادة الجائرة على الشاعر رحمه الله

(نابلس) **فدوى عبد الفتاح طوقان**



بدلة الأسير

للأستاذ نجيب محفوظ

كان « جحشة » بائع السجائر أول السابقين إلى محطة الزقازيق حين اقترب ميعاد قدوم القطار ؛ وكان يعد المحطة بحق سوقه النافقة ، فيمضى على الإفريز فى نشاط منقطع النظير يتصيد الزبائن بعينيه الصغيرتين الخبيرتين . ولعل « جحشة » لو سئل عن مهنته للعنها شر لعنة . لأنه كغالبية الناس برم بحياته ، ساخط على حظه . ولعله لو ملك حرية الاختيار لآثر أن يكون سائق سيارة أحد الأعيان ، فيرتدى لباس الأفندية ، ويأكل من طعام البك ، ويرافقه إلى الأماكن المختارة فى الصيف والشتاء ، مؤثراً من أعمال الكفاح فى سبيل القوت ما هو أدنى إلى التسلية والملهاة . على أنه كانت له أسبابه الخاصة ودواعيه الخفية لإيثار هذا العمل وتمنيه من يوم أن رأى الغر — سائق أحد الأعيان — يتعرض للفتاة نبوية خادم المأمور فى الطريق ويغازلها بجسارة وثقة ، بل سمعه مرة يقول لها وهو يفرك يديه حبوراً : « سآتى قريباً ومعى الخاتم » . ورأى الفتاة تبسم فى دلال وترفع طرف الملاءة عن رأسها كأنها تسويها ، والحقيقة أنها أرادت أن تبدى عن شعرها الفاحم المدهون بالزيت ... رأى ذلك فالتهب قلبه وأحس الغيرة تنهشه نهشاً موجعاً . وكان به من عينيها السوداوين أوجاع وأمراض . وكان يتبعها عن كثب ويقطع عليها السبيل فى الذهاب والإياب ، حتى إذا خلا بها فى عطفة أعاد على أذنيها ما قاله لها الغر : « سآتى قريباً ومعى الخاتم » ، ولكنها لوت عنه رأسها وقطبت جبينها وقالت له باحتقار : « هات لك قبقاب أحسن » . فنظر إلى قدميه الغليظتين كأنهما بطنا بخفى جمل ، وجلبابه القذر ، وطاقيته المغبرة وقال : « هذا سبب شقائى وأفول نجمى » . ونفس على « الغر » عمله وتمناه ... على أن آماله لم تقطعه عن مهنته ، فثابر على كده قانعاً من آماله بالأحلام . وقصد فى ذلك الأصيل إلى محطة الزقازيق يحمل صندوقه وينتظر القطار القادم .

ونظر إلى الأفق فرأى القطار قادماً من بعد كأنه سحابة دخان ، وما زال يدنو ويقترب وتتميز أجزاءه ويتصاعد ضجيجه حتى وقف على إفريز المحطة ... وهرع « جحشة » إلى العربات المتراصة ، فرأى — لدهشته — على الأبواب حراساً مسلحين ، ووجوهاً غريبة تطل من النوافذ بأعين ذاهلة منكسرة . وتساءل الخلق : فقيل لهم بأن هؤلاء أسرى الإيطاليين الذين تساقطوا بين أيدى عدوهم بغير حساب . وإنهم يساقون الآن إلى المعتقلات

فوقف « جحشة » متحيراً يقلب عينيه فى الوجوه المغبرة ؛ ثم أدركته الكآبة لأنه أيقن أن تلك الوجوه الشاحبة الغارقة فى البؤس والفقر لن يكون فى وسعها إشباع نهمها من سجائره ... ووجدهم يلتهمون صندوقه بشراهة وجوع فألقى عليهم نظرة سخط واحتقار وهم أن يوليهم ظهره ويعود من حيث أتى . ولكنه سمع صوتاً يصيح به بالعربية بلهجة أفرنجية قائلاً « سجائر » فخدجه بنظرة دهشة وريبة ثم فرك سبابته بإبهامه : أى نقود . ففهم الجندى وأومأ له برأسه فاقترب محاذراً ووقف على بعد لا تبلغه يد الجندى . فخلع الجندى جاكتته بهدوء ، وقال له وهو يلوح بها : « هذه نقودى » فتعجب جحشة وتفرس فى الجاكتة الرمادية ذات الأزرار الصفراء بين الدهشة والطمع . ووجب قلبه . ولكنه لم يكن ساذجاً أو مغفلاً ، فأخفى ما قام بنفسه أن يقع فريسة جشع الإيطالى ، وأبرز فى هدوء ظاهرى علبة سجائر ، ومد يده ليأخذ الجاكتة . فقطب الجندى جبينه وصاح به « علبة واحدة بجاكتة ؟ ... هات عشرا » فذعر جحشة وتراجع إلى الوراء ، وقد غاض طمعه ، وأوشك أن يأخذ فى غير السبيل . فصاح به الجندى « أعطنى عدداً مناسباً ... تسعا ... أو ثمانيا » فهز الشاب رأسه بعناد . فقال الجندى : « إذاً سبعا ... » ولكنه هز رأسه كما فعل فى الأولى ، وتظاهر بأنه يعتزم المسير فقنع الجندي بست ثم هبط إلى خمس . فلوح جحشة بيده متظاهراً باليأس ، وتراجع إلى المقعد وجلس ، فصاح به الجندى المجنون : « تعال ... رضيت بأربع ... » فلم يلق إليه بالاً ؛ وليدله على عدم اكتراثه أشعل سيجارة ومضى يدخن فى تلذذ وهدوء . فثارت ثائرة الجندي وأهاجه الغضب ، وبدا وكأن ليس له غاية فى الوجود سوى الاستيلاء على سجائر ، فهبط بطلبه إلى ثلاث ثم إلى اثنتين . ولبث جحشة جالساً يغالب اضطرام عواطفه وأوجاع طمعه ولما نزل الجندى إلى اثنتين أبدى حركة بغير إرادة رآها الجندى . فقال له وهو يمد يده بالجاكتة : « هات » فلم ير بداً من النهوض



نظرة جديدة

فى «أرواح شاردة»

بمناسبة طبعته الثانية

للأديب حسين محمود البشبيشى

ما ظنك بالروح الشاعر إذا تفتَّح ليستوعب أسرار الوجود، وتغلغل يتأمل ألوان الجمال؟ وما ظنك بالفكر القادر إذا عقد النية على كشف منبهم الأمور. والبحث وراء بوارق المعرفة والنور؟ وما ظنك بالفن الساحر إذا تشوَّف إلى الشوارد الفنية الباسمة. وتتطلع إلى مباهج الحياة الفاتنة.

... ذلك فيض من «أرواح شاردة» ! !

وقع الكتاب فى يدى صدفة؛ فتناولته بلهفة ... لست أدرى أكان مصدرها تجاوب الروح بينى وبين أرواحه الشاردة، أم الرغبة فى الاطلاع على لون من الأدب جديد الطابع فريد المنزع

لست أدرى كل هذا؛ ولكن الذى أعلمه هو أنى حسن الظن – عن حق – بصاحبه الشاعر، قوى الإيمان بروحه الساحر وشفافية وجدانه، وتألق لفظه، وعذوبة جرسه التى يخيل إلى المرء أنه ينسجها من قلبه نسجاً، أو يسكبها من روحه سكباً

... وقرأت الكتاب فوجدتُ روح الفنان غالبةً على روح الشاعر، وروح الشاعر طاغية على روح الكاتب. فهو فى كثير من الأحايين يعرض لدراسة شاعرٍ فى استقراء الكاتب المحقق؛ ثم هو بعد ذلك يحاول أن يدفع عن الشعراء كل تهمة جائرة مجرّداً لذلك قلمه ساكباً فيه عصارة قلبه ... ونظرة واحدة إلى دفاعه عن شارل بودلير تريك صدق ما أقول فقد جاء فى مقام تعليل انغماسه فى الشهوة العارمة. وتلويثه للجمال

ودنا من القطار حتى أخذ الجاكتة، وأعطى الجندى العلبتين. وتفرس الجاكتة بعين جذلة راضية، وقد لاحت على شفتيه ابتسامة ظفر. ووضع الصندوق على المقعد وارتدى الجاكتة، وزرها. فبدت فضفاضة ولكنه لم يعن بذلك وتاه عجباً وسروراً واسترد صندوقه. وأخذ يقطع الإفريز نخوراً طروباً. وارتسمت لعينيه صورة نبوية فى ملاءتها اللف فقال متمتماً: لو ترانى الآن! نعم لن تتجافانى بعد اليوم ولن تلوى وجهها عنى احتقاراً. ولن يجد الغر ما يفخر به على. ولكنه ذكر أن الغر يرتدى بذلة كاملة لا جاكتة مفردة فكيف السبيل إلى البنطلون. وفكر ملياً. وألقى على رؤوس الأسرى المطلة من نوافذ القطار نظرة ذات معنى. ولعب الطمع بقلبه من جديد فاضطربت نفسه بعد أن أوشكت أن تستقر. ودلف إلى القطار ونادى بجرأة: «سجائر. سجائر. العلبة ببنطلون لمن ليس معه نقود. العلبة ببنطلون» وأعاد نداءه مثنى وثلاثاً، وخشى أن يغيب عن الأفهام مقصده فمضى يومئ إلى الجاكتة التى يرتديها ويلوح بعلبة سجائر. وأحدثت إيماءته الأثر المرجو فلم يتردد جندى أن يهم بخلع جاكتته ولكنه سارع نحوه وأومأ إليه أن يتمهل، ثم أشار إلى بنطلونه يعنى أن ذلك بغيته؛ وهز الجندى منكبيه باستهانة وخلع البنطلون وتم التبادل. وقبضت يد جحشة على البنطلون بقوة يكاد أن يطير من الفرح، وتقهقر إلى مكانه الأول وأخذ يرتدى البنطلون وانتهى فى أقل من دقيقة فصار جندياً إيطالياً كاملاً ... ترى هل ينقصه شىء؟ ... المؤسف حقاً أن هؤلاء الأسرى لا يغطون رؤوسهم بالطرابيش ... ولكنهم يضعون أقدامهم فى أحذية ... ولا غنى عن حذاء ليتساوى بالغر الذى يكرب حياته. وحمل صندوقه وهرع إلى القطار وهو يصرخ «سجائر ... العلبة بحذاء ... العلبة بحذاء». واستعان على التفاهم بالإشارة كما فعل فى المرة الأولى. ولكنه قبل أن يظفر بزبون جديد آذنت صفارة القطار بالمسير. فتمخضت عن موجة نشاط شملت الحراس جميعاً. وكانت سحائب الظلام تغشى جوانب المحطة، وطائر الليل يحلق فى الفضاء، فتوقف جحشة وفى نفسه لوعة، وفى عينيه نظرة حسرة وغيظ. ولما أخذ القطار يتحرك لمحه حارس فى عربة أمامية فبدا على وجهه الغضب وصاح به بالإنجليزية ثم بالإيطالية «إصعد بسرعة. إصعد أيها الأسير» فلم يفهم جحشة ما يقول وأراد أن ينفس عن صدره فجعل يقلده فى حركاته مستهزئاً به مطمئناً إلى بعده عن متناول يده. فصاح به الحارس مرة أخرى والقطار يبتعد رويداً رويداً «إصعد، إنى أحذرك، اصعد» فزمّ جحشة شفتيه احتقاراً وولاه ظهره وهم بالمسير؛ فكور الحارس قبضة يسراه مهدداً وصوب بندقيته نحو الشاب الغافل ... وأطلق النار. ودوى عزيف الرصاصة يصم الآذان وأعقبتها صرخة ألم وفزع. وتصلب جسم جحشة فى مكانه فسقط الصندوق من يده، وتناثرت على السجائر والكبريت. ثم انقلب على وجهه جثة هامدة

نجيب محفوظ

الأرضى « لقد كان بودليرفناناً صادقاً طموحاً محباًللجمال وعلى العكس مما يرى الكثيرون فإنه باندفاعه المحزن فى تلويث الجمال الأرضى ، وردّه كل أنثى امرأة عاهرة، قد أفشى عاطفته المكرسة لعبادة الجمال المطلق » ... وهذا كلام بعثه قلبٌ شاعر يدفع عن قلبٍ شاعر !

ووجدت روحَ المؤلف حائرة بين مباهج الشعر ، ومفاتن النثر ، ولكن ميله الشعرى جعله يعرض لدراسة الشعراء أكثر من دراسة الكتاب

أفلم يعرض لنا بول فيرلين ويسايره أصدق مسايرة ، ويتابعه متابعة الشاعر يقدر عظمة الشاعر ؟

أو لم يقدم لنا بودلير فى فتنة شعره ، ويقظة وجدانه ، وتوهج شهوته ؟ ثم أكثر من ذلك إن روح الشعر فى نفس صاحبنا غلبت عليه فجملته يترجم قبرة شلى ، وعودة الملاح لجون ماسفيلد ، وأغنية القطيع ، وبيت الراعى ، ثم يشرق علينا بنفحة شعرية هى قصيدته فى باريس

لو أستطيع أن أقول إنه حتى فيما كتب عن ذكرياته فى آخر الكتاب كان شاعراً فى كثير من الأحايين

وليس بغريب أن يختار هؤلاء الشعراء موضوعاً لبحثه ، فبين نظرتهم الفنية النفسية إلى الحياة وبين نظرة صلات ووشائج يدركها الناقد الفطن !

ولا يسعنا إلا أن نقول إنه فى اختياره لقصائد القبرة وعودة الملاح، وبيت الراعى ، كان منسجماً مع اتجاهات نفسه وأحاسيسه ، ولكنى أعتقد أن شعوره نحو هذه القصائد يختلف قوة وضعفاً ؛ وتبعاً لذلك تتفاوت القصائد

ولا يسعنى إلا أن أرفع القبرة إلى مستوى قدرة شاعرنا نفسه التى لمسناها حية متألقة بسامة فى « الجندول » ، وفى قصيدته الخالدة « موت شاعر » ، ولعل هذه القصيدة الأخيرة كانت أول عهدى بالملاح التائه ، ثم قصيدته فى ميلاد الشاعر التى نشرتها مجلة أبولو عقب وفاة شوقى

ونعود فنذكر رنة مطلعها ، وحسن اختيار بحرها ، وعذوبة قافيتها وشاعرنا يجيد الاستهلال . أنظر إلى روعة المطلع :

يا أيها الروح يهفو حوله الفرح   تحية أيهذا الصادح المرحُ !
عن أمّة الطير هذا اللحن ما سمعتْ   بمثله الأرض ، لا روض ولا صَدَحُ
أنت الذى من سماء الروح منهله   خمرٌ إلهيـــة لم تحوها قدحُ
يفيض قلبك ألحاناً يسلسلها   فن طليق من الوجدان منسرح

ولكم أطربنى ، وهاج خواطرى ، وحلق بى فى جو من الخيال الباسم الوضىء قدرته على صوغ هذه المعانى السامية إذ يقول :

إنا نفكر فى ماضٍ بلا أثرٍ   ومُقبلٍ من حياة كلها غيب !
ومستحيل نُرَجّى برقَ ديمته   وكل ما نرجيه منه مختلب
وكم لنا ضحكاتٌ غير صادقة   مالم يشب صفوها التبريح والوصب
وإن أشهى الأغانى فى مسامعنا   ما سال وهو حزين اللحن مكتئب!

وهنا وقفة يجب أن يقفها الثائرون على النغم الحزين فى أغانينا ؛ فهذا شلى الشاعر العالمى ينطق بلسان الفلسفة التى لا وطن لها . إن اللحن الحزين هو أشهى ما تسمع الإنسانية الحساسة الشفافة التى ترقب الزهر الوليد بنفس العين التى تودع الزهر الذابل

أما قصيدة عودة الملاح فلعله ترجمها بدافع تجانس الميول ، وتقارب الأحاسيس ؛ فقد كان شاعرنا ملاحاً تائهاً ! فهو كما يظهر يحب البحر ، أو فى طبيعته الزخارة بالوجدانات شىء من طبيعة البحر ؛ وإلا فلم ترجم عودة الملاح ؟ الجواب ينطق به مطلعها :

يا فرحتى للبحر أرجعُ ثانياً   متفرِّداً بعبابه وسمـــائه
أقصى مناىَ سفينة ممشوقة   ونزوغ نجم أهتـدى بضيائه

بعد أن بينت الدوافع إلى ترجمته لهؤلاء الشعراء ولتلك القصائد أدع الكاتب نفسه يعبر عن سبب ترجمته لقصيدة « بيت الراعى » فيقول : « لأنها ذات موضوع طريف حافل ، يتكلم فيه الشاعر بدقة ورقة وصراحة وعظمة عن القلب والروح والجسد وشقاء النفس الشاعرة بهذا العالم الجارح ومدنيته الجافية القاسية »

وهذا يصدق قولى فى أن الشاعر اختار ما جانس أحاسيسه ولابس وجدانه

ونتكلم عن ذكريات مرت بقلبه ، وعطرت بأريجها ألفاف روحه ، وتغلغلت فى أحاسيسه ، فخلّدها ... !

وإنك لتلمح فى ليلته الأولى وحشة الغريب ولهفة المشتاق ؛ وترى فى ميدان إسدرا سحر الألحان وروح الفنان ، وتحس فى يوم فرساى نشوة الطرب وروعة الجمال ، وتنسم من فتاة برن عبير الروح وعبق القلب ... ثم ترى فى قصيدة باريس دمعة الفنان وثورة الوجدان !

تلك هى ذكريات صاحب الجندول التى خضع فيها — كما سأبين — الروح الشاعرية ، والنزعة الشرقية ، والثقافة الأوربية . ثم فى كثير من الأحايين لطريقة أستاذنا الزيات

فكيف كان ذلك ؟ !

أما خضوعه للشاعرية فأمر محتوم ، وما كان له أن يتخلص من قيودها الحبيبة الباسمة ، بل إنها لتظهر فى كثير من اللفتات الرائعة فى ألفاف ذكرياته . فهو مقيد بروح الشعر وخاصة عند الحديث عن الجمال والفن بل وكل ما يتصل بالجمال والفن ؛ فإن خياله ليصف الحسناء فيقول فى معنى شعرى ساحر : كأنها طفلة إلـهية هبطت لأول مرة عالم الأرض ؛ ويطيب لروحه الشاعر أن يتبعها بسجع حلو رقيق فتان ... ولعل شاعرنا قد تأثر قليلاً بطريقة أستاذنا الزيات فى الصناعة القوية العذبة

وهو شاعر تنساب حياته انسياب خاطره الدافق ، وتجرى جريان خياله المتألق فى سهولة ووضاءة وسلام . ولكن الأقدار تأبى « إلا أن تضع فى طريقه حادثاً غريباً وشاغلاً عجيباً » .

وفى حديثه عن فتيات باريس « وفى عيونهن من أسرار الليل الذاهب ألق . وفى شعورهن من خمر المساء الغابر عبق » ، وهو يحلو له أن يعبر عن حيرة وجدانه بسجعة رنانة تحمل من الشاعرية روح الحيوية ، وتحمل من الفن حلاوة الجرس، فيخيل له أنه مطارد « يلاحقه خوف أو يتأثره حتف »

وحين يقول : « وبدأت إنشادها بصوت يتماوج مرحاً ، وينفجر شباباً ، ويترسل صفاء وعذوبة وسحراً ، وانفعلت هى بغنائها ، فستحالت طيفاً راقصاً نابضاً باهتزازات هـذه الأنغام المنطلقة فى سكون الليل تودع السلام والحب والرحمة فى قلب العالم! »

تلك هى ناحية الشاعرية فى نثر الكاتب جلّينا عنها فى إيجاز ؛ أما ناحية تأثره بالأدب الغربى فظاهرة فى كثير من اللفتات ، فهو يحمل للضوء أنابيب زئبقية ! وللأضواء العاكسة دهاليز من أشعة الشمس تمرق من خلال الغمام الأبيض، بل أنه ليغرق فى الروح الغربية ، حين يجعل الهواء يرفع معطف فتاته الحريرى الأبيض الهفهاف إلى ما فوق ذراعيها ، فكأنها ملك السحب يضرب بجناحيه الناصعين فى الزرقة الصافية متقدماً رعيلاً من الغمام الأبيض !

بقيت ناحية حبه للشرق والوطن ، فهو يهتاج عند ما يرى جثة الرسول مرقص فيقف خطيباً فى صحبه ويقول : « هذا الرسول الذى ضن البنادقة على مصر بجثته » ثم هو لا يسأم من ذكر مصر ولو عارض فتاة القلب وقطع عليها حديثها عند ما قالت :

وهناك بلاد غير بعيدة عن روما وأثينا . . . وعنها أخذ العالم أرفع الفنون ... فيهتف : بل لا يزال يأخذ عنها !

وكم هزنى منه هذه اللفتة الحية النابضة بالوطنية عند ما قرن الصحراء والبحيرات الأفريقية والنيل المقدس ببحيرات سويسرا وإيطاليا ومساقط الماء فى جبال إنسبرول ...

ثم هو يهتاج لرؤيته الشباب الأوربى يتألق قوةوهو يسعى للقتال، وقد وقفت الفتيات ينثرن الابتسمات على جباه الشباب البسل . فيتمنى لو يقدر الله له أن يرى مثل هذا المنظر فى مصر وطنه الحبيب

ولعل أطرف ما قابلنى من غيرته الوطنية دفاعه العجيب الفلسفى عن الفن المصرى وخلوه من الفن العارى ! ! فيقول معللاً ذلك بأن الحياة فى مصر سهلة ، والسماء صافية ، وكل شىء يفصح فى غير إبهام . . . وأن هـذا الصفاء والإفصاح بعثت فى النفس الرغبة فى التستر . . . وهكذا يخلق شاعرنا من موضع النقص فى فننا موضعاً للتأمل الفلسفى ... فتأمل !

أما قصيدة باريس الراقصة المعانى الرنانة الجرس . فحسب مطلعها روعة

سألونى عن بيانى وقصيدى أسفا باريس قد مات نشيدى !

ولكن كيف يموت النشيد الذى يقول :

صرع النور به وانحسرت جبهة الشمس عن النور الشهيد

بل كيف يموت النشيد الذى يقول :

وابعثيها ثورة أخرى فما يعرف الأحرار معنى للجمود

وبعد هذا هو الروح الشاعر والفكر القادر والفن الباهر ففيض من أرواح شاردة .

حسين محمود البشبيشى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان حسين — عابدين)

10me Année No. 447

Lundi 26-1-1942

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٤٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٩ محرم سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٦ يناير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

دعاء الكروان

للأستاذ عباس محمود العقاد

طائر الليل . طائر العزلة . طائر الصحراء . طائر الصيحة التي فيها من البشرى وفيها من التبريح وفيها من التسبيح تعني « الكروان » ؟

نعم ، إياه أعني . وهو صامت الآن !

صامت منذ أشهر لا تسمع له من وراء الأفق تلك الصيحة التي كأنها نصل من اللحن يشق متراً من السكون ، أو كأنها عقيقة من البرق تنفتح في سدفة من الظلام ، أو كأنها نفثة من الجوى تندفع في هدأة من الصبر الطويل

وكأنما سكون ليل الشتاء في هذه الآونة الموحشة إصغاء مرهف وحنين مكتوم إلى ذلك الصوت المغيب الذي سيطول غيابه ... وسيعود !

سيعود ، وسيدير لنا الربيع قلبه المحفوظ من الصرخات والألحان ، وسنسمعها ولا نمل سماعها ما كتب لنا أن نسمعها . فهي محفوظات يضن بها الربيع ألا تتكرر ، ونضن بها نحن ألا نتذكر ، ونضن بها نحن — إن تذكرناها — ألا نعيش معها كما عشنا من قبل سنين وسنين . كل صيحة منوط بها نبأ قديم : نبأ قل إنه عذب رحيم ، وقل إنه موجع أليم . فما بين الرحمة

والألم من حدود فى هذه المحفوظات ، وما لهذه الحدود إن طالت من مساك .

سنوات ، يا لهـا من سنوات !

قل عشر ، وقل إن شئت عشرين ! ... بل زدها إن شئت قليلاً ، فـا هى بأقل من بضع وعشرين

عمرُ أكبر « كروان » فانٍ

ولكنها أصغر من لحة فى عمر « الكروان » الخالد : الكروان الذى سمعه « آدم » أول الدنيا ، والكروان الذى سيسمعه أبناء « آدم » آخر الزمان ، والكروان الذى سمعته أنا والشعر أسود كجنح الليـل الذى يصدح فيه ، وسمعته والشعر يشتعل ، وسأسمعه وكل مشتعل فى هذه البنية رماد .

سمعته ولبيت كل دعوة من دعواته ، وخرجت له فى الليالى السود ... لا بل فى الليالى البيض . إلى الصحراء ... لا بل إلى الجنة ، إلى الصباح ... لا بل إلى الأبد الذى ليس له حدود .

وتبعته إلى أطراف الرمال ، وهذا البيت الذى أسكنه وقد تغير خمسة من ملاكه وأنا الساكن الطارئ عليه لا أتغير — لم تكن من ورائه يوم سكنته غير مملكة واحدة هى مملكة « الكروان » ، ولم يكن سامر يستمع فيه إلى غير صوت واحد هو صوت « الكروان » .

نعم ، هو صوت « الكروان » ...

وصوت « الكروان » هو جملة واحدة تنطوى فى نغماتها كل كلة من معناها ، وما معناها ؟ معنى الحياة . معنى الربيع . معنى الحياة والربيع ممزوجين بمثل ما امتزجا به فى نفسى من طلاقة إن بلغت مبلغها فحركة الهواء عندها ركود ، ومن وحشة إن بلغت مبلغها فظلمة الجحيم عندها ضياء .

وكم دعانا ذلك الصوت ؟ وكم يدعونا فى أوانه ؟

وكم لبيناه ؟ وكم نلبيه ؟

وكم رصدت لنا الأفعى فى طريقه ؟ وكم ترصد لنا فى تلك الطريق ؟

وكم قتلتنا وكم قتلناها ؟

وهو مع ذلك دعاء

وهو مع ذلك ملبًّى كأحسن ما يلبى الدعاء

***

لك الله يا صديقى طه من ملهم فيما اخترت لكتابك الشائق من اسم « الدعاء »

فما يسمع « الكروان » حق سماعه من لم يستمع إليه كأنه « دعاء » يتابع مطلوبه ويتعقبه ويفتش عنه ويأخذه آخر الأمر أخذة الهارب الذى يريد أن يهرب ، ولا يريد

يريد أن يهرب فى جنح الظلام حتى إذا انكشف مكانه وقف لا يريم ولا يريد شيئاً ... أوكأنه يريد الاستسلام ويأبى الهرب أشد الإباء

وهكذا كانت فتاة روايتك الساحرة . هكذا كانت تهرب ولا تهرب ، ويعود إليها الكروان وكأنها هى التى تعود إليه .

وإنها لتنسى ، وإنها لتلهو ، وإنها لتعرض عما كان وتقبل على ما هى فيه ، وإنها لفى شأن جديد غير شأنها الأول البغيض ، وإذا بالطالب الصياح مقبلاً إليها من بعيد : مقبلاً فى عبث ومثابرة وإلحاح ، مقبلاً فى دلال كأنه الشماتة ، وفى شماتة كأنها الدلال ، مقبلاً مقبلاً حتى ليقف على رأسها بل فى أعماق رأسها ، وحتى لتتجمد له فى مكانها كأنها الصم الذى لا حياة به ، وفيها مع ذلك كل ما مضى لهـا من حياة

إلى أين يا مسكينة ؟

أنا « دعاء الكروان » !

نعم ، ولا فرار من هذا « الدعاء » ، لأن الذى يفر منه ينقلب إليه .

***

تقول رواية صديقنا طه فى بعض صفحاتها : « ... وها نحن أولاء ننزل مضطربات ونسعى متعثرات ، وهذه أمنا تريد أن تسأل فيم إناخة الجملين ، وفيم النزول فى غير منزل ، وهأنذا هذه أريد أن أقول شيئاً ولكنى لا أكاد أدير لسانى فى فمي ، ولا أكاد أستوعب ما كانت أمنا تقول . إنمـا هى صيحة منكرة مروعة تنبعث فى الجو ، وجسم ثقيل متهالك يسقط على الأرض ، وإذا أختى قد صرعت ، وإذا خالنا هو الذى صرعها لأنه أغمد خنجره فى صدرها . ونحن عاكفتان على هـذا الجسم الصريع يضطرب ويتخبط ويتفجر منه الدم فى قوة كما يتفجر الماء من الينبوع . نحن عاكفتان فى ذهول وغفلة وبله ، لم نفهم شيئاً ولم نقدر شيئاً ولم ننتظر شيئاً ، وإنما أخذنا على غرة أخذاً ، واختطفت هنادى

من بيننا اختطافاً . وجسمها يضطرب ويتخبط ، ودمها يتفجر ، ولسانها يضطرب ببعض الحديث فى فمها ثم يهدأ الجسم المضطرب ويسكن اللسان المتحرك ويخف تفجر الدم ، ويمتلئ الجو حولنا بهذا السكون الأليم سكون الموت ، ونحن فيما نحن فيه من ذهول وبله وخالنا قائم أمامنا كالشيطان إلا أنه قد أخذه الذهول كما أخذنا

« وهذا نداؤك أيهـا الطائر العزيز يبلغنى من بعيد ، وهذا صوتك يدنو إلي قليلاً قليلاً ، وهذا غناؤك ينتشر فى الجو كأنه النور المشرق قد أظهر لنا ما كان يغمرنا من الهول دون أن نراه ، وها أنت ذا تبعث صيحاتك يتلو بعضها بعضاً كأنما هى سهام من نور قد تلاحقت مسرعة فى هذه الظلمة فطردت من نفسى ذهولها وجلت عنها غفلتها وأيقظتها من هذا البله ، وجلت لنا الجريمة منكرة بشعة ، والمجرم آثماً بغيضاً ، والضحية صريعة مضرجة بالدماء . . . إن صوتك لينبعث فى الفضاء مستغيثاً وليس من يغيث ، وإن صوتى لينبعث فى الفضاء داعياً وليس من يجيب. . . »

وتجرى الرواية فى مجراها بين جوانح نفس واحدة هى أزحم بالأشباح والأصداء من كل فضاء : نفس الفتاة آمنة أخت الصريعة هنادى ، وهى كلما أوغلت فى باطنها حتى انقطع ما بينها وبين هذا الفضاء المحيط بنا لحق بها الدعاء وجذبها إلى حيث تستمع النداء . فتغرق آخر الأمر فى صمت سعيد كما كانت تغرق فى الصمت الشقى حيناً بعد حين : « ولكن صوتك أيها الطائر العزيز يبلغنى فينتزعنى انتزاعاً من هذا الصمت العميق ، فأثب وجلة مذعورة ويثب هو وجلاً مذعوراً ، ثم لا نلبث أن يثوب إلينا الهدوء . فأما أنا فتنحدر على خدى دمعتان حارتان ، وأما هو فيقول وقد اعتمد بيديه على المائدة : دعاء الكروان ! أترينه كان يرجع صوته هذا الترجيع حين صرعت هنادى فى ذلك الفضاء العريض »

وهكذا يستمع إلي الكروان من تعود أن يستمع إليه ؛ سابح على حومة الليل يمد غرقي الظلام من صوته السريع بحبل خاطف يجذبهم إلى الفضاء ، كلما انقطعوا عن الفضاء .

يجذبهم من عالم الذكرى إلى عالم الشهادة ، ويجذبهم من عالم الخوف إلى عالم الطمأنينة ، ويجذبهم من عالم الوحشة إلى عالم الإيناس ، ثم يبدو له أن يجذبهم من الإيناس إلى الوحشة ومن الطمأنينة إلى الخوف ومن الشهادة إلى الذكرى ، وينجذبون .

تسمعه السنة ومعك سامع ، وسمعته السنة الدابرة وحدك ، وقد تسمعه من قابل وليست معك تانك الأذنان الأوليان ، بل معك غيرهما أذنان أخريان ! وربما سمعه معك من بينهم وبين السمع حجاب ، وربما سمعه معك من أغفلوك وأغفلوه . ويأتى الدعاء فيدعونا ولعلنا نحن الذين دعوناه ، ولكنه يأتى متوقعاً وغير متوقع ، ومحبوباً وغير محبوب ، وقائماً على موعده كأنه مرتبط بنظام من أفلاك الليل الذى يحبه ويأوى إليه ، ويتعلم على يدى أنواره وظلماته ، ويعلم من يتعلمون .

يا « دعاء الكروان » !

موعدنا معك الفضاء الرحيب
كلما أوغلت بنا الذكرى فى أغوار
ينقطع ما بينها وبين الفضاء الرحيب
ومن دعائك أنك جذبتنا خمساً
وعشرين سنة أو جذبت إلينا
تلك السنين الخمس والعشرين ،
وإنك أوحيت إلى طه ما يوحى ،

فإذا به يفتح لنا فضاء الليل وما فيه من أصداء وأشباح ، ويفتح لنا فضاء النفس الإنسانية وما فيها من أصداء وأشباح ، وإذا به يلقى إلينا بعاصم فى الفضاءين من ذلك الحبل السريع الخاطف ، ففيه لياذ بالنجاة

قال صديقنا الدكتور طه حسين وهو يهدى إلينا (دعاء الكروان): « أنت أقمت (للكروان) ديواناً فخماً فى الشعر العربى الحديث ، فهل تأذن فى أن أتخذ له عشاً متواضعاً فى النثر العربى الحديث ، وأن أهدى إليك هذه القصة تحية خالصة من صديق مخلص » .

وإنى لأحسب وأنا أتقبل الهدية شاكراً أن « الكروان » سيأوى إلى العش الذى سماه صديقنا متواضعاً لأنه يرتضى العش وإن أغريناه بالدواوين . وحسبنا منه أنه يدعونا وندعوه ، وأننا وإياه نلبى الدعاء

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

الأجنحة المتكسرة

للدكتور زكي مبــارك

تمهيد — النفسية السورية — أحزان سريانية — مهاجرون بلا أنصار — الجيل الغادر — الأمل الضائع — أسلوب جبران — مسألة فيها نظر — الثورة على رجال الدين — جريمة جبران — صدق جبران — الاهداء —

تمهيد

كنت أعفيت نفسي من إتمام هذه الدراسات النقدية بسبب ما توجب من الإرهاق . فليس من السهل أن يقرأ المرء كتاباً في كل أسبوع ثم يكتب عنه بحثاً يرتضيه جمهور القراء ، ولكن جماعة من طلبة السنة التوجيهية كتبوا يسألون عن الألغاز المطوية في كتاب « الأجنحة المتكسرة » للمرحوم جبران خليل جبران . كما سأل فريق عن « وحي الأربعين » للأستاذ عباس العقاد ، و « فيض الخاطر » للأستاذ أحمد أمين . فرأيت أن أغتنم ما بقي من الوقت الذي يسبق الامتحان الشفوي لأتمم هذه السلسلة من الدراسات ، مع الاعتراف بأنها ليست إلا توجيهات سريعة يراد بها إرشاد القراء إلى طريق الاستقصاء .

وطلبة السنة التوجيهية يذكرون أن الامتحان التحريري سيُعقد في التاسع والعشرين من هـذا الشهر ، فليُقبلوا عليه بلا تهيّب ، وليكتبوا بحرية مصحوبة بالرزانة والعقل ، وليطمئنوا إلى أن المصححين قد يرضون منهم بالقليل إن رأوا فيه بوارق تشهد بأنهم على شيء من الفهم العلمي والذوق الأدبي ، كتب الله لهم التوفيق !

النفسية السورية

حديث اليوم عن « الأجنحة المتكسرة » لجبران ، وقد ضاق الوقت عن مراجعة ما كُتِب عن الأدب الحديث في الديار السورية واللبنانية ، وكان من السهل أن أنتفع بكتاب الأستاذ ميخائيل نعيمة عن جبران ، ولكني لم أجده في مكاتب القاهرة ، ولا وجدت من الفراغ ما يسمح باستعارته من أحد الزملاء ، فلم يبق إلا أن أقول في جبران وكتابه كلمة وجيزة تقرّب مراميه إلى القراء بعض التقريب

فما تلك الأجنحة المتكسرة ؟

كان الرأي عندي أن المؤلف يرمز إلى الأجنحة الفلسطينية والسورية واللبنانية ، فجبران في صفحات هذا الكتاب يعبر عن الأشجان الموروثة في تلك البلاد ، ثم وجدت في كتابه فقرة تشهد بذلك ، فعرفت أن حكمي على اتجاهاته النفسية لم يكن ضرباً من التخمين .

أحزان سريانية

لكل أدب من الآداب القديمة خصائص ، وخصيصة الأدب السرياني هي الإسراف في البكاء . فجبران الحزين هو البقية من روح السُّريان القدماء .

وعلة الحزن السرياني أو السوري لا تحتاج إلى توضيح ، فأولئك أقوام كان تاريخهم كله عراكاً في عراك ، ولم تكن بلادهم إلا محترَباً يتصاول فيه الفقر والغنى ، والعبودية والحرية ، والخوف والأمان ، بغض النظر عن احتراب العواطف والشجون

وبكاء تلك البلاد لا يمثل العجز ، وإنما يمثل العتب على القضاء ، وقد يرتاض على الصبر الجميل في بعض الأحيان .

ومن أشهر الأغاني السورية هذا الصوت :

ماشي الحالْ ، وماشي الحالْ
وما في حالْ ، وماشي الحالْ
خلّيها للّـهْ ، يدبِّرْها ألّـهْ

وهذه الأغنية هي الصرخة الباقية من بكاء السريان ، وهو بكاء ممزوج بالصفح عن كيد الزمان ، أو الرجاء في عدل القضاء .

مهاجرون بلا أنصار

والتاريخ يشهد أن الهجرة كانت من المذاهب السورية في كثير من العهود ، وهو مع ذلك يشهد أن السوريين كانوا في الأغلب مهاجرين بلا أنصار ، فقد بنى أجدادهم الفنيقيون مدينة « مرسيليا » قبل أكثر من خمسة وعشرين قرناً ، ولم تحفظ لهم مرسيليا هذا الصنيع ، فأحفاد أولئك البنائين لا يعيشون اليوم في مرسيليا إلا تراجمة أو حمّالين .

ثم هاجرَ السوريون المحدَّثون إلى أمريكا ، ولم يتركوا قالة من قالات الخير إلا أضافوها إلى الأمريكان ، فهل تأمْركوا ونسوا وطن الآباء والأجداد ؟

إن نُواحهم الموصول يشهد بأنهم فى أمريكا غرباء !

فمن أراد أن يعرف سرّ الحزن فى الأدب السريانى القديم ، ومصدر اللوعة فى الأدب السورى الحديث ، فليذكر أن الاغتراب والاضطهاد هما الأصل فى ذلك البكاء .

ومن أجل هـذا كان السوريون أحرص الناس على تأييد فكرة العروبة لأنهم يرجون أن تكون وطناً فسيح الأرجاء يغنيهم عن الاتجاه إلى الغرب ؛ ومن الغرب جاء الاغتراب !

ومن أجل هذا أيضاً كان السورى ينقل وطنه إلى كل أرض ليذكره فى كل وقت ، عساه يرجع إليه ولو بعد حين

ومن أجل هذا وذاك كان السورى فى أغلب أحواله من رجال الأعمال ، ليرحم نفسه من اجترار الأشجان . والغنى فى الغربة وطن ، كما قال أسلافنا الحكماء

الجبل الغادر

هو جبل لبنان ، الجبل الذى يدعو أبناءه فى كل لحظة إلى امتطاء غارب المحيط ليجدوا المجـد أو القوت فيما وراء البحار .

وكذلك يرحل اللبنانى عن الجبل والدمع فى عينيه ليواجه العالم بنفس منطوية على الإباء المكبوت أو الهوى الدفين

ولو جمع ما قال المهاجرون اللبنانيون فى الشوق إلى ذلك الغادر الجميل لكان تحفة رائعة من صور الوجد والحنين

السوريون المغتربون لا ينسون وطنهم أبداً . وكيف ينسونه وهم مهـاجرون بلا أنصار ، ولا عزاء لهم غير تمثل ما فى بلادهم من أزهار ورياحين ؟

الأمل الضائع

كان السوريون واللبنانيون قد رفعوا علم العروبة فى الأقطار الأمريكية فأتاحوا لنا القول بأنهم بعثوا « الأندلس » من جديد ، وكيف لا يكون الأمر كذلك وقد أنجبوا أدباء من أمثال نعيمة وجبران ؟

ولـكن الطبيعة تريد غير ما نريد

الطبيعة قضت بأن يكون لبنى العمومة فى الأمريكتين زوجات أمريكيات وأبناء مخضرمون يعجزون عن فهم لغة الآباء الأصلاء

وهنا يظهر « عيب » اللغة العربية ، فهى ليست لغة تفاهم بسيط ينتفع به الناس فى أمور المعاش . وإنما هى لغة أدب وذوق ، ولغات الآداب والأذواق لا تعيش بين الأبناء الدخلاء ، وذلك هو السر فى انحسار اللغة العربية عن بعض الأقطار الإسلامية ، وهو أيضاً السر فى أن اللغة التى يتكلمها أكثر من مئة مليون لا تنجب فى كل عصر أكثر من مائة أديب

كيف يعود الأدب العربى إلى الأمريكتين من جديد ؟

أعتقد أننا خذلنا أولئك الإخوان . فلم نعاونهم على إعزاز العصبية العربية فى البلاد الأمريكية ولم نقدم إليهم من المساعدات المالية مثل الذى نقدم إلى بعض الجمعيات العلمية فى الممالك الأوربية

هل سمعتم أن دار الكتب المصرية أو مكتبة الأزهر أو مكتبة الجامعة المصرية أو مكتبة الإسكندرية أو مكتبة وزارة المعارف قد اشتركت فى المجلات التى تصدر باللغة العربية فى المهاجر السورية كما تشترك فى المؤلفات التى ينشرها المستشرقون ؟

إلى أهل الغيرة على اللغة العربية نوجه هذا السؤال

أسلوب جبران

عرفنا السر فى أحزان جبران ، ولم يبق إلا أن ننظر فى كتابه الحزين ، فماذا نقول ؟

نكتب أولاً كلمة عن أسلوب هذا الكاتب ؛ ثم نمضى فى عرض ما فى كتابه من دقائق الأغراض

جبران أراد أن يكون أسلوبه زهرة لا شجرة ، فأساء إلى نفسه من حيث لا يريد ، وهل كان يتوهم أن النقد الأدبى سيعرف مقاتله بعد حين أو أحايين ؟

أغلب الظن أن جبران كان يحب أن يعرف إخوانه فى الشرق أن الحياة فى أمريكا لم تنسه خصائص البلاغة العربية ، وهي بلاغة ظلمها بعض أهليها فتوهموها فنوناً من الزخرف والبريق ، وكذلك شاء جبران أن يكون فى كل سطر من كتاباته تشبيهٌ طريف ، أو لمحة فلسفية ، أو رمز إلى غرض ملفوف يحار فى تأويله القراء

ولـكن ما قصة الزهرة والشجرة ؟

الزهرة غاية فى أناقة التلوين ، ولـكل ورقة من أوراق الزهرة رونق أخاذ ، مع أن أوراقها قد تعد بالعشرات ؛ فهى سِحرٌ فى سحر وفتونٌ فى فتون

ولا كذلك الشجرة ، فهى أفنان مختلفات ، وفيها ما يروق وما لا يروق ، هي شجرة يعتدل فيها غصن وتعوجّ غصون ، وتكون عشاً للبلبل كما تكون وكراً للثعبان

الزهرة أجمل من الشجرة ، ولكن الشجرة أقوى من الزهرة وأقدر على مقاومة العواصف والأعاصير ، وكذلك يكون الفرق بين الأسلوب العارم والأسلوب الرقيق ، كما يكون الفرق بين الطائر الجارح والطائر الغرِّيد

ولو كان جبران حيًّا لأسمعته مالا يحب ، ولكنه اليوم فى ضيافة التاريخ والتطاول عليه لا يليق

والمهم هو تنبيه شبان اليوم إلى أن أسلوب جبران ليس أفضل الأساليب ؛ فهو زهرة لا شجرة ، ونحن نريد أن يكون الأسلوب من صور العنف والطغيان

مسألة فيها نظر

جبران من أدباء العرب ، ونقاد العرب قد فضحوا عمر بن أبى ربيعة حين رأوه يصور معشوقاته بصور المتهالكات على شبابه الجميل .

لا عيب فى أن يقول الرجل إنه من هوى الملاح ، ولكن ما لا يعاب قد يكون فى بعض أحواله مما ينافى الذوق ، فكيف استجاز جبران أن يجعل حبيبته صاحبة الخطوة الجريئة فى التصريح بالحب ، وصاحبة الفضل الأول فى الإقدام على « التضحية » يوم اجتمعا لآخر مرة فى المعبد الذى جمع بين صورة المسيح وصورة عشتروت ؟

قد يجيب بأن جان جاك روسُّو قد استجاز مثل هذا الصنع ولكن غاب عنه أن روسو لم يقترف ذلك « التصريح » إلا وهو فى عقل الأطفال

جبران قال ما قال وهو فى أمريكا « وأنا لم أزر الشرق » كما قال « ميسّيه » وهو يسخر من « هوجو » وقد يباح فى تلك البلاد ما لا يباح !

الحق أن جبران أساء إلى الذوق العربى ، وجنى على نفسه وعلى محبوبته جناية سيدخل بها الجحيم ، ولن ألقاه هناك !

الثورة على رجال الدين

وغرة كتاب « الأجنحة المتكسرة » هى الصفحات الخاصة بالثورة على رجال الدين ، وهي ثورة يحسها المسيحيون لا المسلمون ؛ ذلك بأن الإسلام لا يعترف بالكهنوت ولا يقيم له أي ميزان ، فالصلاة على الميت تصح من أى مخلوق متسم بالإسلام، وعقد الزواج يُكتفى فيه بالإيجاب والقبول ، والمسلم الصادق هو الذى يتقدم إلى ربه بلا وسيط

ولا كذلك المسيحية : فهى تعطى رجال الدين طوائف كثيرة من الحقوق ، وتمنحهم حرية التصرف فى مصاير (المؤمنين) وكان ذلك لأن المسيحية تفترض أن الراعى فى جميع أحواله غاية فى الرفق والحنان

والظاهر أن جبران قد اكتوت يداه بنيران رجال الدين ، فهو يرجع إلى تجريحهم من صفحة إلى صفحة بلا رحمة ولا إشفاق

وقد بلغ غاية الشوط فصرح بأن من حق المرأة أن تهجر بيت الزوج لتلقى حبيبها حين تشاء ، بدون معاناة لوخز الضمير ، وحجته أن « العَقد » الذى يمضيه « الحب » أصدق من العقد الذى يمضيه « المطران »

فكيف وصل الكاتب إلى هذا الحكم الفظيع ؟

إن الإسلام لا يعترف لرجال الدين بأى خصوصية دينية ، ولا يبيحهم التحكم فى مصاير المؤمنين ، ومع هذا يخشى المسلم أن تنتاشه ألسنة رجال الدين ، لأن صوتهم هو المسموع فى تقرير الشك واليقين ، فكيف يكون إخواننا المسيحيون ؟

الجواب عند جبران ، وهو قد صرح بأن رجال الدين لا يخضعون لغير الأهواء ، وإن كان من الحق أن تقرر أن هذا التعميم لا يخلو من الإسراف ، فعند المسيحية رجال لا يجوز عليهم حكم جبران . وهل يصدُق الكاتب الثائر فى كل ما يقول ؟

ومع هذا فقد صدق هذا الكاتب بعض الصدق ، لأن رجل الدين فى المسيحية يدخل جميع البيوت بدون استئذان — ولا سيما فى الشرق — وله يد فى تعريف بعض العائلات إلى بعض ؛ وقد يكون صلة الوصل فى التمهيد للزواج ، فما حالُ الفتاة التى

لا تطيع هواه فى التزوج من فلان أو فلان إذا كان من أصحاب الأغراض ؟ !

كاد جبران يقنعنى بأنه يحارب شخصية حقيقيه للمطران « بولس غالب » ؛ فاتصلت بالأستاذ أنطون الجميّل تليفونيًّا لأسأله عن تلك الشخصية فأجاب بأنها شخصية خيالية ، وأقول بأنها شخصية حقيقية ، وسنعرف أخبارها بعد حين ، وإن سترتها المعاريض »

والمهمّ هو أن يسجل النقد الأدبى أن كتاب « الأجنحة المتكسرة » ليس إلا ثورة على رجال الدين فى لبنان ، بغض النظر عما فى تلك الثورة من صحة أو بطلان

النقد الأدبى مؤرخ ، وهو يسجل أعمال الناس ، ومن الظلم أن يُسأل عن تلك الأعمال

جريمة جبران

هى تأثره المكشوف بالأدب الأوربى فى القرن التاسع عشر ، وهو أدبٌ جميل ـ ولكنه عليل ـ لأنه يجعل الحزن غاية الوجود

ولكن الأدب الوجدانى فى القرن التاسع عشر غاية فى الجمال لأنه غاية فى الصدق ، وهل ينسى الضمير الأدبى مآسى ميسّيه ولامرتين ؟ !

صدق جبران

ومع هذا فجبران صادق فى بعض مناحيه الوجدانية ، وهل يستطيع فتًى أن يبلغ العشرين فى لبنان بلا آلام ولا آمال ؟

وكيف يكون ذلك الفتى إذا طوّحت به المقادير إلى بلدٍ بعيد بعيد وهو موصول المهد بحبيب لا يرحه التراب ؟

الإهداء

أهدى جبران كتاب الأجنحة المتكسرة إلى : (M. E. H) وقد سمعت أنها إنسانة أمريكية كانت تنفق عليه لوجه الأدب الرفيع

فما السر فى عطف تلك المرأة على جبران ؟ ؟ !

إن هذا الكاتب مغرًى بوصف ما بين الإنسان والطبيعة من الصلات ، وتلك حال لا يلتفت إليها الأدب الأمريكى كل الالتفات ؛ فمن السهل أن نعلل إقبال تلك المرأة على جبران بأنها رأته (إنساناً من الشرق) وكانت تعيش فى بلاد تشغلها (السرعة) عن تعقب خطرات القلوب !

هو فتًى عربىٌّ ضاقت عنه بلاده ، مع أنها اتسعت لألوف الواغلين !

هو روح شرّده الشرق ليدرك سرائر الألم والحنين

هو فتًى يتحدث عن سلمى وليلى فى بلاد لا تعرف غير مرجريت وسوزان .

هو فتًى يقول بأن المعبد الوثنى صار كنيسة ثم تحوّل إلى مسجد ، ومعنى ذلك أنه يرحب بانتقال الروح من حال إلى أحوال

أما بعد فهل قلت شيئاً عن جبران ؟

الشواغل لا تسمح بأن أقول أكثر مما قلت ، وجهد المقلّ غير قليل !

زكى مبارك

أوغسطين - الغزالى

أبو العلاء - دانته

للدكتور جواد على

بالرغم من اختلاف عصرى كل من المفكرين الكبيرين « أوريليوس أوغسطين » قديس المسيحية ، و « الغزالى » حجة الإسلام وزين الدين ؛ فإن بين الرجلين تشابهاً يكاد يكون عجيباً . تشابهاً فى الحياة الخاصة ، وتشابهاً فى الحياة العامة وفى التفكير والإبداع ، حتى فى الشخصية تكاد تلامس روحاً واحدة فى جسمين مختلفين . عاش أحدهما وهو القديس « أوغسطين » فى شمالى أفريقية بين سنة ٣٥٤ وسنة ٤٣٠ الميلاديتين . وعاش الثانى فى بلاد الشرق الأدنى بين سنة ١٠٥٨ وسنة ١١١١ الميلاديتين أيضاً وبين الرجلين كما ترى عدة مئات من السنين

انتقل « أوغسطين » من حياة الشك إلى حياة اليقين ، وانتقل حجة الإسلام « الغزالى » من عالم الشك إلى عالم اليقين كذلك ، وكان القديس « أوغسطين » فى آخر حياته صوفياً ناسكاً ، وكان « الغزالى » فى رأس قائمة متصوفى المسلمين . وقد درس « أوغسطين » الفلسفة والمنطق وعلوم اليونان ومعارف عصره ؛ ولكنه لم يجد فى كل هذه الأمور لذة ولا سعادة ، بل وجد لذته فى القناعة والزهد والدين الحق ، ووجد « الغزالى » نفس ذلك أيضاً

لم ينحصر وجه التشابه فى طراز معيشة كل من الرجلين العظيمين ولا فى أسلوب الدراسة واختيار الدروس فقط ، بل ظهر ذلك حتى فى طريقة إبراز المعلومات من عالم الفكر إلى عالم الوجود . ألف « أوغسطين » كتاباً مهماً سماه (مملكة الله)[١] De civitate dei ذاع خبره فى جميع العالم المسيحى ، وألف كتاباً آخر سماه (العقائد) Confessioues[٢] . وألف « الغزالى » عدة كتب فى مواضيع تكاد تكون نفس المواضيع التى عالجها القديس « أوغسطين » ، ومن جملة كتبه كتاب (المنقذ من الضلال) ؛ ويكاد يكون هذا الكتاب نفس كتاب (العقائد) لأوغسطين[١] فى مضمونه واصطلاحاته وأغراضه التى من أجلها وضع هذا الكتاب

وقد انتبه إلى هذا التشابه المستشرق فريك Frick الذى قارن بين الكتابين وإذا بينهما تشابه عظيم فى الترتيب والأسلوب والفصول والأدلة ، بل حتى فى بعض العبارات يكاد يكون عجيباً . وقد بحث هذا المستشرق عن نقاط الاختلاف الكائنة بين الكتابين أيضاً والعوامل التى أثرت فى كل من الرجلين فجعلت من الإنسانين إنساناً واحداً اتفقا فى كل شىء عدا الزمن والديانة . وقد دل المستشرق بصورة خاصة على ناحية التصوف والزهد فى حياة كل من الرجلين ، وهى الناحية الحساسة التى أثرت على مزاج كل منهما ، ومزاج كل من أوغسطين والغزالى واحد[٢]

وهذا التشابه غريب فى بابه حقاً إذ لم يكن الغزالى يعرف اللاتينية حتى نقول إنه اطلع على مؤلفات أوغسطين ، ولم يرد فى الرواية أيضاً أن أحداً من علماء المسلمين أو المترجمين كان قد ترجم كتاباً من كتب هذا القديس إلى العربية حتى نقول إن الغزالى اطلع على كتب القديس واقتبس منها . لم يقل بذلك أحد حتى المستشرقون إلى هذا اليوم

يحدثنا البيهقى فى كتابه تاريخ حكماء الإسلام[٣] أن الغزالى كان كثيراً ما يورد كلام العالم الاسكندرى الشهير يحيي النحوى[٤] لا سيما فى كتابه تهافت الفلاسفة حيث يقول البيهقي : « وأكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام رحمه الله فى تهافت الفلاسفة تقرير كلام يحيى النحوى » ويذكر الشهر زورى فى كتابه « نزهة الأرواح[٥] » أن الغزالى أخذ ما أورده فى التهافت من كتب

(١) راجع قائمة كتب إباء الكنيسة Mign. 16 vol. Paris. 1835.

(٢) راجع Zepf. A. S. Konfessionen. Tübin gen. 1926.

(١) راجع 282 و Pfannmuller. Hand. der. Islam lèteratur. P

(٢) نفس المصدر ص ٢٨٢

(٣) نقلا عن كتاب تاريخ الفلسفة فى الاسلام لمؤلفه دى بور وترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة فى تعاليقه على الكتاب ويذكر أن الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٦٦٦ ص ١٧

(٤) يحي النحوي من الكتاب الذين أثروا على المسلمين كثيراً وقد تعرف على القائد العربى عمرو بن العاص وله حديث عن مكتبة الاسكندرية راجع الفهرست لابن النديم ص ٣٥٦

(٥) منقول من نفس المصدر ص ٢٠٩ والكتاب مصور على ما يقوله أبو ريدة بمكتبة الجامعة . ص ١٨٢ — ١٨٣

يحيي النحوى وقد اشتهر يحيي النحوى هذا بردّه على الفيلسوف برقلس Proklos (٤١٠ — ٤٨٥ م) رئيس المدرسة الإفلاطونية الحديثة فى أثينا وصاحب كتاب « مبادئ تعاليم اللاهوت » ، وكتاب شرح محاورات أفلاطون فى إبطال نظرية قدم العالم[١] .

هل يستطيع القارئ استنتاج شيء عن هذه الرواية ؟ والظاهر منها أن الغزالى كان قد اطلع على كتب الفيلسوف يحيي النحوى وكتب هذا الأفلاطونى المتفلسف كما يقول ابن القفطى كثيرة[٢] تعالج مواضيع فلسفية متنوعة وتعالج مواضيع تخص الكنيسة والعقيدة وهو أحد رجالها فهل توصل الغزالى إلى آراء أوغسطين عرضاً بواسطة كتب يحيي النحوى ؟ ولكن هل كانت آراء يحيي أو يوحنا النحوى[٣] هذا مستمدة من منبع آخر هو أوغسطين بالنقل دراية أو رواية أو بتشابه الفكرة وتوافق العقيدة فانتقلت هذه عرضاً أو دراية إلى الإمام الغزالى بالنقل أو بطريقة الاطلاع ؟ لا أدرى . وعلى كل فهنالك مشاكل علمية كثيرة لا يمكن للمؤرخ أن يجيب عنها أجوبة قاطعة أبداً .

وخلاصة ما يمكن قوله هو أن بين الحجتين تشابهاً عظيما جداً يكاد يكون محيراً ؛ وأن هذا التشابه هو الذى جعل لكتب الغزالى رواجاً عظيما بين فلاسفة أوربا المدرسيين المسيحيين وشهرة كبيرة أثرت على آراء بعض علماء اللاتين مثل توماس الأكوينى وباسكال بطريقة مباشرة أو غير مباشرة[٤] حتى يمكن أن نقول إنه كان حجة لدى المسيحيين كما كان حجة لدى المسلمين

أدرك علماء من المسلمين هـذا التشابه بين آراء الغزالى وبين آراء يحيي النحوى فقالوا بأن الغزالى كان يقرر ما كان يحيي قد سبقه به . وأدرك بعض المستشرقين ما بين كتاب « المنقذ من الضلال » وما بين كتاب أوغسطين « العقائد » من الاتصال فقالوا قولاً لم يجزموا أنفسهم بما قالوه جزماً . وأدرك المستشرقون أيضاً ما بين « الكوميديا الإلهية » للشاعر الإيطالى دانته الشهير Dante alighieri « ١٢٦٦ — ١٣٢١ م » وما بين بعض القصص الإسلامية من الاتصال مثل قصة الإسراء[١] . وقالوا إن دخول هذه العناصر إلى الكوميديا الدينية كان إما عن طريق مباشر وإما عن طريق الأساطير الأوربية التى سبق عهدها عهد الكوميديا الإلهية[٢] . وتظهر هذه الروح الإسلامية فى كثير من مواضع الكوميديا . وقد أيد بحث بعض المستشرقين أمثال سنوك هورگرونيه Snouck Hùrgronje وإيتالو بيتزى Italo Pimymyi هذا الرأى . وقد كتب العالم الشهير Miguel asin Palacios عن هـذا الموضوع كتاباً خاصاً حلل فيه الكوميدية تحليلاً دقيقاً مظهراً أثر القصة العربية فيه[٣]

وقال آخرون إن هذا التشابه أمر واقعى ؛ ولكنه لا يعود إلى مصدر عربى أصلاً بل يعود سببه إلى التقارب الكائن فيما بين العقليتين الرومانية والعربية[٤] . بينما يرى إسن أن لرسالة الغفران للشاعر المتشائم أبى العلاء المعرى ، وهو شاعر فيلسوف يوافق تفكيره التفكير الغربى أثر لا ينكر على كوميدية دانته هذه[٥] . وهذا رأى ذهب إليه مستشرقون آخرون وقد تعودنا سماعه ، ولكنه يحتاج إلى بحث علمى دقيق لنرى وجه التشابه ، وسبب هذا التقارب فى الأفكار

وعلى كل فهنا مثالان نسوقهما للقارئ من أمثلة كثيرة ، ليرى إلى أى مدى يصل التشابه الفكرى بين الناس أحياناً وهو موضوع مهم أكثر ما يسقط فيه المستشرقون . يحتاج إلى درس عميق ومقارنة بين العقليات البشرية ، وخصوصاً فيما يطلق عليه « الأفكار البشرية العامة » وهي الأفكار التى تخطر على بال كل أحد وتمر على فكر كل إنسان .

ميراد على

(١) راجع قاموس الفلسفة لشميد ص ٥١٠ وأبو ريدة ص ٢٠٩
(٢) راجع كتابه أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٢٣
(٣) ويعرف باسم Johonnes Philoponus
(٤) وقد ترجمت بعض كتب الغزالى الرئيسية إلى اللاتينية في عام ١١٥٠ الميلادية راجع : 432 و Hittl. P و Theodor nöldeke فى مجلة Z D M G . عدد ٤٥ سنة ١٨٩٤ ص ٤٥ — ٤٨ :

(١) Miguel Asiu. Islam Ande The Divine Comedy. London 1926.
(٢) راجع تراث الاسلام ج ١ ص ١٩
(٣) راجع 203 و Pfaunmulbr. S
(٤) راجع Babinger. Der. Islam 12, 1921. S و 138 f and Jakab Overmans, Stimmen der Zeit. Bd, 99. 1920. P و 188-192
(٥) Asin. Islam and the Divine comedy. and Hitti, 459

الأحـــلام

للعالم النفسانى سيجموند فرويد

ملخص محاضرة ألقاها قبيل وفاته

للدكتور محمد حسنى ولاية

ينقسم الحلم إلى شقين: الحلم الظاهر والحلم الكامن. ويحتوى الأول على نسيج الحلم نفسه. ويتضمن الثانى ما يختفى وراء الحلم الظاهر من الأفكار والصور المستقرة فى العقل الباطن «اللاوعى». وللاهتداء إلى الشطر الكامن علينا أن نطلب إلى الحالم استبعاد التباهه من الحلم الظاهر والاهتمام بعناصره كل على حدة والأدلاء بالحوادث التى عرضت له فى اليوم السابق للحلم والتى تمت إلى هذه العناصر بصلة. وعلى هذا الأساس تسهل معرفة الأفكار المرتبطة بحوادث الحلم لما تنطوى عليه من ذكريات من اليوم السابق للحلم علاوة على ذكريات مستمدة من الماضى البعيد والقريب

يبذل الحالم مقاومة تتفاوت قوتها لإخفاء بعض نواحى الحلم ويتمخض هذا عن اضطراب الحلم وفقده بعض همزات الوصل. وليس الحلم الظاهر أو بعبارة أخرى الحلم المحسوس إلا وليد طاقة فكرية ترمى إلى التعبير عن نفسها، ولكنها اصطدمت بمقاومة؛ وهذا يؤدى إلى أن هذه الطاقة قد تعبر عن مضمونها، ولكن قد تقوى المقاومة على منع هذا التعبير أو أن تستبدل اتجاه الطاقة باتجاه آخر لا يدل على كنهها، وفى أكثر الأحيان ينتج من الصرع بين هاتين القوتين «الطاقة والمقاومة» مظهر منسجم بحيث تستطيع القوى الدفينة أن تقول كل ما تريد أن تقوله، ولكن ليس على المنوال الذى تتوخاه ويتمخض هذا عن تشويه تعبيرها بحيث يصبح غير مفهوم. وتسمى القوة المقاومة «الرقيب الحلمى» Dream censor وما هى إلا القوة الكابتة المستقرة بين الوعى واللاوعى

إن المنبه غير الواعى هو خالق الحلم الحقيقى لأنه مصدر الطاقة العقلية اللازمة لتكوين الحلم، وهو كأى منبه غريزى يسعى إلى الوسيلة التى تشبع نهمه وتظهر قوته. والواقع أن كل حلم يعبر عن إشباع رغبة غريزية على نمط هلوسى وهمى، لأن التفريغ عن نفسه عن طريق الحركة غير ممكن بسبب النوم وعليه أن يرجع القهقرى ليتدفق فى مجرى آخر هو مجرى الإدراك الحاسى Perception ويعبر عن نفسه بطريقة هلوسية. وعلى هذا تتحول أفكار الحلم الكامنة إلى صور حاسية ومناظر مرئية، وتتزيا الأفكار والصور بزى يبدو لنا جديداً وعجيباً. ولما كان الجهاز اللفظى عاجزاً عن العمل فى حالة النوم فهو لا يستطيع التعبير عن الارتباطات الفكرية الدقيقة ويتخلف عن هذا مواد فكرية خامة لا تماسك بين بعض أجزائها والبعض الآخر فهى تشبه تعبير الشخص البدائى. وقصارى القول أن هذا المنبه الفكرى المكبوت يتراجع إلى طرق قديمة فى الجهاز العقلى بتأثير الرقيب الحلمى، ويعبر عن نفسه على نمط الإنسان الفطرى بالرموز التى أصبحت غريبة على الوعى ولكنها كامنة فى العقل الباطن. على أن التغييرات التى تطرأ على العناصر التى تحتوى عليها الأفكار الحلمية على جانب عظيم من الأهمية فإن هذه الأفكار تتكثف بحيث تتكون منها وحدات جديدة كما سنرى فيما يلى

عند ما تترجم الأفكار إلى صور تعبر هذه الصور عن أفكار كثفت واعتصرت وقد يمثل بسبب هذا التكثيف عنصر واحد فى الحلم المحسوس عدة عناصر من الأفكار الحلمية، ولكن على النقيض من هذا قد يمثل عنصر واحد من الأفكار الحلمية عدة صور مرئية فى الحلم

وهناك ظاهرة هامة أخرى، هى ظاهرة الإزاحة أو النقل وتنطوى على نقل أهمية فكرة إلى أخرى، وتعد هذه الإزاحة فى الوعى كخطأ فى التفكير، أو كوسيلة للمزاح. إن الأفكار الفردية التى تكون عناصر الأفكار الحلمية ليست كلها ذات أهمية متساوية، لأن كلا منها مزود بطاقة عاطفية أو انفعالية تتفاوت فى قوتها. وتنفصل فى الحلم هذه الطاقات العاطفية عن الأفكار، وحينئذ تتحول إلى طريق آخر أو تعدل أو تختفى من الحلم كلية أو تبقى كما هى. وقد تعود الأفكار التى سبق أن حرمت من

طاقتها الانفعالية إلى الحلم فى شكل صور حلمية حساسة ، وبذلك تتعلق الأهمية بعناصر لم تكن ذات أهمية ، وعلى هذا نرى أن الصور المرئية البارزة فى الحلم التى تعتبر أهم عناصره ، ليست فى حقيقة الأمر أهم عناصر الأفكار الحلمية ، كما أن العناصر التى تبدو قليلة الأهمية فى الحلم قد تكون فى الواقع أهم عناصره ، ولكن قلت أهميتها فى الحلم بسبب حرمانها من الطاقة الانفعالية أو العاطفية . وهذا هو السبب فى أن الحلم يبدو غريباً غير مفهوم . من هذا يتضح أن الإزاحة تؤدى إلى تشويه الحلم تحت تأثير الرقيب الحلمي

بعد هذه العمليات تصبح الأفكار الحلمية جاهزة ، ولكنها قد تتأثر بعملية أخرى غير ملموسة الأثر فى كل الأحلام وتسمى عملية الإعداد الثانوى Secondary elaboration التى تؤثر على الحلم عندما يصل إلى الوعى الذى يحاول أن يوجد همزات الوصل ، ويتلأ الفراغ بين بعض عناصر الحلم والبعض الآخر ، فيبدو الحلم متماسكاً معقولا .

وحين ينعدم الإعداد الثانوى تبدو الأحلام على فطرتها لا تماسك بين بعض أجزائها والبعض الآخر . وقد يعمل الوعى على إعداد شطر من الحلم ويترك الشطر الآخر دون صقل ولا تهذيب يحتوى الحلم على رموز قد يصعب تفسيرها ، وتستعصى معرفة مصدرها .

يرمز المعطف عند ما تحلم به امرأة إلى الرجل ، ويرجع منشأ هذا الرمز إلى طقوس البدو أثناء الاحتفال بالزواج فى العهد القديم فقد كان يلبس البدوى عروسه عباءة وهو يقول « لا تدعى رجلاً آخر يسترك سواى »

وقد ذكر إبراهام أن العنكبوت يرمز إلى الأم القُبلية Ohallic mother لأنها تنهى طفلها عن العبث بقبلة فهو يخشاها ويمثل الخوف من العنكبوت الخوف من حب المحارم incest وكذا الخوف من رؤية أعضاء الأنوثة .

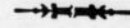
وقد فسر فرنزى Ferenczi رمز الجسر بكونه يمثل فى الأصل عضو الذكورة الذى يصل الوالدين أحدهم بالآخر أثناء العملية الجنسية . على أنه يمثل أيضاً معانى أخرى ناشئة من عضو الذكورة نفسه لأنه المسئول عما يحدث بعد من ولادة الطفل بعد أن يتدفق السائل القرنى ، ومن هذا يتضح أن الجسر قد يمثل عملية الولادة فى حد ذاتها .

(للبحث صلة)

دكتور محمد حسنى ولاية
طبيب بصحة بلدية الأسكندرية

نســــاؤنا فى الحج

للسيدة وداد سكاكيني



هنالك على السفوح المقدسة من عرفات ومنى ، حيث يتناوح الأخشبان بهامتيهما العاريتين وفى عدوة المسعى بين الصفا والمروة تتهادى نساء فى الحجيج ، متلفعات بالأزار البيض ، مؤتزرات بأنقى الجلابيب ، يبتهلن إلى الله بوجوه مشرقة بالرضا ، وقلوب فياضة باليقين ، جياشة بالحنين ، إلى بيته الحرام ؛ وكم زم الرجل رحاله ، ويلملم أحماله . ويطوى البيد أو يمخر البحار ، ليصل إلى ديار بنى هاشم وعبد شمس ، بإيمان لا يزعزعه زمان ، وآمن ترثها الأجيال من الأجيال ؛ هكذا تسارع نساؤنا فى مواكب الرجال ، إلى دارة الوحى وكعبة الدين ، لا يصدهن عن الحج حرب ولا بعد ، ولا يعوقهن غد غامض مجهول ، أو ولد حبيب . فإذا بلغن مكة المكرمة ، وباشرن فريضة الحج ، بدأن من الشعائر بالإحرام ، فلبسن كالرجال إزاراً ورداء جديدين ناصعين بالبياض ، ثم والين التلبية ، رافعات بها الأكف ، مبدئات ومعيدات : الله أكبر ، الله أكبر ! لبيك اللهم لبيك ... فيتردد هذا الهتاف ، ويضيع فى زمازم الحجيج كلما علون شرفاً ونجادا ، أو هبطن سفحاً ووهادا ، فمن حول البيت العتيق كم طوفت مسلمات مستلمات الحجر الأسود ، ميامنات فيه أشواطاً سبعة مباركة ! ولكم ثمة وفين بالنذور ، وتشبثن بالأستار الشريفة ، داعيات إلى الله بالرحمة والغفران ، وسلامة الإياب إلى الأوطان ...

كانت زبيدة بنت المنصور زوج الخليفة العباسى هرون الرشيد تتوق للحج كلما حج الرشيد الذى كان من دأبه أن يغزو عاماً ويحج عاماً ، فلما قتل ابنها الأمين ، واستولى المأمون على الخلافة ، جاءت زبيدة الثكلى حاجة محتسبة عند بيت الله مصابها فى ابنها ، فأكبت على المبرات ، وأجرت عيناً تعرف حتى اليوم باسمها ، يجد عندها الحجيج سكناً لهائهم ، وريًّا لظمائهم ... ومن يدرى ، فلعل السيدة زبيدة — رحمها الله — كانت إذا وقفت عند أستار الكعبة تمزج الرحمات بالدمعات ، وتنشد قول الحسن بن هانئ فى ابنها الأمين :

طوى الموت ما بينى وبين محمد   وليس لما تطوى المنية ناشر
لئن عمرت دور بمن لا أحبه   فقد عمرت فيمن أحب المقابر
وكنت عليه أحذر الموت وحده   فلم يبق لى شىء عليه أحاذر

ثم تمشى إلى الصدقات . فتأمر بإمداد المعوزين والمساكين : فتكسو العريان ، وتطعم الجائع ، وتعطى الفقير ... ومن الغريب ألا يسلم عصر من عصور الأدب من مزاحمة الشعراء للنساء ، ولو كن فى مناسك الحج ومحاريب العبادة والزهادة : « ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ؟ » ... هكذا كانوا يرتقبون أسباب الدعاب ، ويتلمسون مراتع الفتون ، فيجيبون داعى القلب ، كما يجيبون داعى الرب . على أن أشهر وأكثر من تصدى للنساء بالغزل والثناء هو عمر بن أبى ربيعة ، فقد اتخذ من أيام الحج موسماً للهوه ومجانته ، وكثيراً ما وقف عند الحطيم هائم النفس يترقب وينشد :

أيها الرائح المجد ابتكارا   قد قضى من تهامة الأوطارا
من يكن قلبه صحيحاً سليما   ففؤادى بالخيف[1] أمسى معارا
ليت ذا الدهر كان حتما علينا   كل يومين حجة واعتمارا

وقد بلغ من عبثه وغزله أن نفرت كل حصان رزان من الحج ، وأبى أحرار الرجال على نسائهم تأدية هذه الفريضة كما جاء هذا الشاعر المخزومى إلى تلك المناسك المباركة .

كان عمر يقتحم العقبات ولا يحجم عن تعقب الحسان وتتبع الغوانى فى مغانى الطائف أو بين مسارب العقيق وواديه البهيج مهما لقى من تهديد الخلفاء والمتزمتين ومن وعيد أصحاب الغيرة على الحرمات ، ولكم هجر مكة أناس فراراً من هذا الشاعر الغزل ، وخشية تشبيبه بكرائمهم وتنويهه بأسمائهن وكشفه عن معالم الجمال فيهن . أما مواكب النبيلات من شريفات الحجاز أو العراق والشام فى مواسم الحج فكانت حافلة بالهوادج والرواحل مثقلة بالمتاع والزينة

روى أن عائشة بنت طلحة حجت ذات مرة ومعها ستون بغلاً عليها الرحائل والقباب فعرض لها عروة بن الزبير قائلاً :

عائش يا ذات البغال الستين   أكل عام هكذا تحجين

فأرسلت إليه : نعم يا عُرَيَّة ! فتقدم إن شئت . فكف عنها وندم على فضوله

ولم تكن كل النساء فى عصر عمر سواء فى التنكر للشعراء والتحرج من غزلهم ولهوهم . فالجميلة منهن كانت تتمنى أن يسير فى ذكرها الشعر . ولا سيما فى شعر عمر بما يزيدها تيهاً بحسنها ويغرى بها الخطاب . وكان الشاعر العرجى يتصدى فى موسم الحج لمن عناهن بقوله :

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة   ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

ولكثير عزة وجميل بثينة والأحوص أشعار فى بعض الحاجات المترفات ممن رضين بالأماديح وعدن تياهات بلقيا الشعراء مباهيات بغزلهم ونسيبهم ، حتى أن النواسى على مجونه لحق بجنان جارية الثقفى إلى طريق الحج فقال :

حججت وقلت قد حجت جنان   فيجمعنى وإياها المسير

وفى الواقع أن نساءنا فى الحج كن فى القديم يؤدين هذه الفريضة بشوق وحماسة ودافع دينى صميم ؛ وهنالك كن يشهدن فى ذلك الموسم العظيم مباهج الإسلام وعزة الدين وفضل المساواة وكانت الحاجة تعود إلى بلادها سعيدة جد سعيدة ، مزهوة بما نالت من شرف الحظوة بالأرض المطهرة التى فيها أول بيت وضع للناس والتى ضمت قبر الرسول عليه السلام وصحبه الأكرمين وأطلعت آفاقها المنورة كواكب رجال تسلموا مفاتح الدنيا وملكوا زمامها

أما نساء اليوم من أنداد مترفات الأمس وفضلياتهن فقلما يدور الحج فى خواطرهن وهن مستطيعات إليه سبيلاً ، إذ أن تيار الحضارة قد جرفهن بريحه العاتية نحو الغرب فسحن في بلاده ، وزرن عواصمه الكبرى للمعرفة والسلوى وكان إليها حجهن المبرور

فيا مهبط الوحى ويا موطن النبوة والهجرة ، إليك تهفو روحى هفهافة كالأجنحة ، خالصة صافية كماء النبع ، متوجهة للذى فطر السموات متوسلة إليه أن أرانى يوماً طوافة فى البيت الحرام حوامة على ذلك الصعيد الطهور الذى درجت فى حماه خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت أبي بكر وسكينة بنت الحسين وغيرهن من القانتات الطاهرات

ويا حجيج هذا العام من مترامي بقاع الإسلام ، يا من طويتم المراحل فى غمرة هذه الحرب الضروس إلى بيت الله ومثوى الرسول سلوا ربكم أن يرفع غضبه عن بنى الإنسان ويحقن الدماء التي يسفكها الجبابرة والطغاة ليقيموا على جماجم الأبرياء مجداً لجشعهم صيغاً بالنجيع

(دمشق)   وداد سكاكينى

رأى في تنقيح الأحاديث

للأستاذ محمود أبو رية

استبشرنا خيراً حينما أهاب بالعلماء الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت ليدعوهم إلى العناية بكتابهم فيعملوا على تخليص تفسيره مما شابه من الاسرائيليات التي شوهت جماله وأذهبت نوره. وقلنا لعل هذا العمل الطيب يكون مقدمة لأن يجعل شيوخ الأزهر هذا الكتاب الكريم إمامهم في أخذ العقائد والعبادات والأحكام منه ويسيروا بنوره في هذه الحياة حتى يكونوا هداة بحق، ومن ثم يتبين لأهل الأرض جميعاً أن هذا الدين خير الأديان وأنه صالح لكل زمان ومكان. ومنذ أيام كنت أتحدث مع الأستاذ الكبير صاحب الرسالة في هذا الأمر الذي دعا إليه الأستاذ شلتوت وكان مما قلته له، أن تخليص تفسير القرآن من الإسرائيليات يجب أن يسبقه أو يكون معه تطهير الأحاديث التي هي (السنن القولية) مما انبث فيها من الموضوعات. إذ ما أصيب الإسلام بشيء أشد وأنكى مما أصيب به في ناحية هذه الأحاديث الموضوعة. وما كانت الاسرائليات التي تدسست إلى التفسير إلا جزءا منها؛ ذلك بأن أعداء الإسلام وأصحاب الأهواء لما رأوا أنه لا يمكنهم أن يضربوا المسلمين من قبل كتابهم لأنه جاءهم من طريق التواتر، ونسخه منتشرة بين أرجاء الأرض، وكثير من المسلمين يحفظونه عن ظهور قلوبهم فلا يستطيعون بذلك أن يزيدوا فيه حرفاً أو يبدلوا منه كلة، عمدوا إلى الحديث عن الرسول صلوات الله عليه فلعبت فيه أيديهم ونالوا به مآربهم، وغر المسلمين الأولين أن أولئك الذين يبطنون الكفر والحقد يرتدون لباس الإسلام ويعملون بأحكامه، فقبلوا منهم ما رَووا وصدقوهم فيما حدثوا. وناهيك بما فعل كعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما. ولقد كان للمسلمين مما وضعه أولئك الأعداء في الأحاديث مشكلات كثيرة في الدين والحس والعلم لم نخلص منها حتى اليوم. فإذا أردنا الإصلاح حقاً كان علينا أن نبدأ بالحديث فننخل كتبه ولا نُبقي فيها غير الصحيح مما يخالف متواتر النقل وصريح العقل وما أثبته العلم وما شهد به الحس؛ وإننا إن نفعل ذلك لا نكون قد خرجنا عن قواعد رجال الحديث أنفسهم فقد قالوا[1]: إن من جملة دلائل الوضع أن يكون مخالفاً لعقل بحيث لا يقبل التأويل، ويلتحق به ما يدفعه الحس والمشاهدة أو يكون منافياً لدلالة الكتاب القطعية أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي

وقالوا: ليس كل ما صح سنده يكون متنه صحيحاً، ولا كل ما لم يصح سنده يكون متنه غير صحيح

وكذلك قالوا[2]: «ولا يلزم في إجماع الأمة على العمل بما فيهما «البخاري ومسلم» إجماعهم على أنه مقطوع بأنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم»؛ ومتى تم لنا ذلك واستقام كان تخليص التفسير في الإسرائيليات وغيرها سهلاً يسيراً؛ أما إذا وقف بنا الأمر عند تفسير كتاب الله تعالى، وتركنا كتب السنة تحمل ما تحمل. فإن عملنا يكون ناقصاً، ويظل المسلمون على ما هم فيه من الاختلاف بين الفرق والتعصب بين المذاهب، ذلك بأن الأحاديث — كما لا يخفى — هي مرجع كل الطوائف ومأخذ كل المذاهب.

هذا ما حدثت به الأستاذ الزيات، فكان من جوابه أن جماعة كبار العلماء قد تداركت هذا الأمر، وإنك ستجد ما قرروه في العدد القادم من «الرسالة». ولما طلع علينا هذا العدد ٤٤٦ وقرأت فيه قرار الجماعة، عجبت من أنهم لم يلتفتوا إلى أمر السنة إلا لرغبة أتتهم من غيرهم، كأن هذا الأمر العظيم ليس له خطر عندهم. على أني رأيت أن أعلق بكلمة صغيرة على قرار الجماعة في أمر السنة ووضع كتاب فيها، وأرجو أن تنال هذه الكلمة منهم الرضا والقبول

تقول الجماعة: إنها ستضع مؤلفاً يجمع الأحاديث التي (تصلح للاحتجاج والتي لا تصلح مع بيان درجاتها)، وكلمة (تصلح

(١) ص ٨٣ من شرح ألفية السيوطي للمحدث الفقيه الشيخ أحمد شاكر
(٢) ص ١٢٦ من كتاب توجيه النظر للعلامة طاهر الجزائري

للاحتجاج) مطلقة المعنى ، فكما تصلح الحجة القوية للاحتجاج ، فإن الحجة الضعيفة تصلح كذلك !

فإذا أخذنا بهذه القاعدة ، ظل باب الضعيف مفتوحاً للاحتجاج به ، ورجعنا إلى قول بعض الأئمة ، فى أن الضعيف يقوى بتعدد طرقه ، وكأننا لم نصنع شيئاً . ونحن بما نرجو فى تنخل السنة ، إنما نريد إخراج كل ضعيف مهما تعددت طرقه ، لأن الضعيف ضعيف ولو تعددت أسانيده ، وإذا كانوا قد قالوا فى الصحيح : إنه يعطى الظن فتُرى ما ذا يعطى الضعيف ؟ !

على أن هـذا الإطلاق يجعل المسلم فى حيرة من أمره ، إذ لا يعرف ما هى الأحاديث التى يحتج بها فى أصول الدين ، ولا ما هى التى يحتج بها فى فروعه . فلواجب أن يكون وضع كتاب السنة على غير هذه الطريقة . وإنى أعرف هنا طريقة في تنقيح كتب الأحاديث ، وهى لإمام السنة فى هذا العصر المرحوم السيد محمد رشيد رضا ، وقد كان هو يريد أن يعمل بها ، ولـكن المنيـة حالت بينه وبين ما كان يريد .

ذلك أنى كنت حدثته قبل موته بنحو عامين فى أن يخدم السنة بتنقيح كتبها ؛ فـكان جوابه لى رحمه الله أنه لم يأسف على شىء فاته فى الحياة أسفه لعدم قيامه بهذا الواجب ، وتمنى لو أطال الله عمره لينهض به . وبعد شهور كتبت إليه أذكره بهذا العمل وأسأله عن الطريقة التى تنفع فى هذا التنقيح إذا تهيأت أسبابه . فـكتب إلىّ رضى الله عنه جواباً كأنه كان يخاطب به كل من يريد أن يعالج هذا العمل ، وإننا ننقلها إليهم ونرجو أن ينتفعوا بها فى عملهم ، قال[1] :

« ... إن على المسلمين أن ينقحوا كتب السنة ويبينوا للناس صفوة السنة التى بين بها الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله وأمر أصحابه بتبليغها للناس ، ففعل خلفاؤه وسائر علمائهم ذلك وقاموا به خير قيام على حين لم يكن معهم كتاب مخطوط غير كتاب الله ، ويبينوا لهم ماهو قطعى الدلالة والرواية لا عذر لأحد فى جهله ولا فى تركه ، وما هو موكول إلى اجتهاد الأفراد ، وما هو خاص باجتهاد الأئمة (الخلفاء والأمراء والقضاة) . الخ »

هذه هى الطريقة الحكيمة التى أرشد إليها هذا الإمام الكبير وهى جديرة بأن تنال مكاناً محترماً بين جماعة كبار العلماء ، فإن لم يأخذوا بها فلا أقل من أن يسترشدوا بما جاء فيها

هذا ما رأينا أن نعلق به على قرار جماعة كبار العلماء ، ونرجو لـكى يخرج هـذا العمل الجليل كاملاً أن تولاه أخصاء من كبار المحدثين الفقهاء ، أمثال المحدث الفقيه الشيخ أحمد شاكر

وإن أمل المسلمين جميعاً لـكبير فى أن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر سيمد جماعة كبار العلماء بروح منه حتى تنهض بقوة لأداء ما قررته من تفسير كتاب الله تفسيراً صحيحاً وتنقيح سنة الرسول صلوات الله عليه ؛ لأن هذا العمل ولا ريب هو أجل عمل تقوم به هذه الجماعة فى هذا العصر لتنفع المسلمين بين مشارق الأرض ومغاربها فى دينهم ودنياهم

(المنصورة) **محمود أبو ريه**

جداول السنوات الهجرية والميلادية

يحتاج الباحثون فى التاريخ الإسلامى فى كل وقت إلى مقارنة السنوات الهجرية بالميلادية وقد عنى المؤرخون الأوربيون بدراسة هذا الموضوع لما له من الأثر البالغ فى تسهيل عملية الدرس وكتاب المفتاح للكولونيل سير ولسيلى هايج هو عمدة المؤرخين فى هذا الصدد وقد عنى بنقله إلى اللغة العربية فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز مصطفى المراغى المتخرج فى جامعات لندن وأستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين فسد بذلك نقصاً كبيراً فى ناحية البحث التاريخى . والتزم توزيعه عبد الرحمن بيومي الملاحظ بكلية الشريعة وهو يطلب منه وثمنه خمسة قروش م

---

(١) من كتاب للسيد رحمه الله مؤرخ ٤ شوال سنة ١٣٥٢ — ٢٠ يناير سنة ١٩٣٤

الصـــليب

الشاعر لامرتين

بقلم الأستاذ محمد أنور ولاية

«ماتت ألفير فى ١٨ ديسمبر ١٨١٧ وهى جونيا فى قصته رفائيل بعد أن عانت آلاماً مبرحة وقد حمل أحد أصدقاء لامرتين إليه من التى كان يحبها الصليب الذى كانت ممسكة به ساعة النزع . فنظم هذه الأبيات بعد مضى عام . ولكنها لم تنشر إلا فى عام ١٨٢٣ فى مؤلفه (التأملات الثانية) ، وربما أدخل عليها الشاعر فى تلك المدة بعض التعديل كعادته »

أنتَ الذى التقطتك من فوق فمها وهى تكابد غصص الموت .

فى ساعة الوداع وهى تلفظ النفس الأخير

إنك رمز قدسى لصورة الآله ، ومنحة من يدها وهى تفارق الحياة

***

كم دمعة ذرفتُها تحت قدميك اللتين أعبدهما ،

ومنذ الساعة المقدسة قد تسلمتك يداى المرتعشتان

وأنت ما تزال دافئاً من نفسها الأخير ، المنبعث من أحشاء هذه الشهيدة .

***

كانت المشاعل المقدسة ترسل شعلة أخيرة ،

وكان القس يتمتم بأغانى الموت العذبة ، الشبيهة بتلك الأغانى ذوات الأنين المؤثر التى ترددها المرأة للطفل المسترسل فى النوم .

***

لقد انطبع على جبينها أثر ذلك الأمل ، المنطوى على الورع والتقوى .

وعلى أساريرها التى بدت فى جمال رائع ،

طبع الألم الهارب بهاءه والموت جلاله .

***

وهذه الريح التى كانت تداعب جدائل شعرها ،

كانت تكشف لى عن محياها آناً وتحجبه آناً ،

كما تموج ظلال شجر السرو السوداء على قبر ناصع البياض .

***

كانت إحدى ذراعيها متدلية من فراش الموت ،

والأخرى منثنية على قلبها بتراخ كأنها ما زالت تبحث عن صورة المنقذ لتضمها إلى فمها .

***

فتحت فاها لتعانقه ثانية ،

ولكن روحها ولت الأدبار وهى تطبع عليه هذه القبلة الإلٰهية كالعطر الرقيق المنبعث من البخور الذى تلتهمه النيران قبل أن يتأجج .

***

والآن هدأ كل شىء على فمها .

وأخلد النفَس إلى السكون فى أحشائها الهامدة .

وعلى عينيها اللتين خبا بريقهما أسبلت جفنيها حتى أضحتا مغمضتين نصف إغماض .

***

تملكنى فزع لا أعرف كنهه حين كنت ماثلاً أمامها ،

وكنت لا أجسر على الاقتراب من هذا التراث المعبود

كنت لا أجسر . . . ! ولكن أنصت الكاهن إلى سكونى

وأمسك بيديه المثلجتين الصليب وصاح بى :

« هو ذا التذكار . هو ذا الرجاء . خذه يا بنى . . . ! »

***

نعم ستبقى لى أيها الإرث المحزن .

منذ ذلك اليوم بدلَت الشجرة التى زرعتُها على قبرك وريقاتها سبع مرات ولكنك لم تهجرنى .

***

كنت قائماً إلى جانب هذا القلب وا أسفاه حيث كل شىء سائر إلى الزوال

فحميتها من النسيان على مر الزمن .

وطبعت عيناى وهما تذرفان القطرة تلو القطرة أثرها على العاج الذى لان .

* * *

يا من باحت إليه الروح المدبرة بسرها الأخير

تعال . وتربع على قلبى وتكلم أيضاً وبثنى حديثها لك عند ما أصبح صوتها الضعيف لا يصل إلا إلى مسامعك .

* * *

وفى هذه الساعة المريبة حيث النفس خاشعة ، وهى تتوارى تحت النقاب الذى يبدو كثيفاً لأعيننا ، خارج نطاق حواسنا المثلجة ، تنكمش رويداً رويداً غير منصتة إلى الوداع الأخير

* * *

وبينما هى على نهاية الحياة فى انتظار الموت كالثمرة التى تنفصل من الفرع لثقلها

ترتعش روحنا المعلقة عند كل زفرة على ظلام القبر

* * *

وحين تكف أغانى وتنهدات النشيد المضطرب عن إيقاظ عقلنا النائم

إذا بك ملتصق على الشفاه فى ساعة النزع كآخر صديق،

* * *

إنك تعرفين كيف تموتين ، وأن دموعك الإلهية التى ذرفتها فى تلك الليلة المخيفة ، حيث كنت تصلين عبثاً ، قد روت شجرة الزيتون المقدسة من المساء إلى الفجر

* * *

وعند ما ألقت عيناك نظرة على الصليب لتسبر غور هذا السر العظيم

رأيت أمك تجهش بالبكاء والطبيعة تلبس الحداد

لقد فارقتِ أصدقاءك على الأرض كما هجرت جسدك فى القبر

* * *

سأبحث عن الموضع الذى زفر عليه فمها منك وداعها الأخير وهى تسلم الروح

لعل نفسها تقبل لهداية نفسى الهائمة فى حب إله واحد

* * *

ألا من حبيب يلبس الحداد يلتقط الإرث المقدس من فوق فمى وأنا على فراش الموت وقد اعترانى الاكتئاب والهدوء معاً كملاك موله الفؤاد

فيسدد خطواته ويأنس به فى ساعته الأخيرة

فتنتقل تلك الوديعة المقدسة المنطوية على الحب والأمل من المرتحل إلى المقيم ؛

وهكذا دواليك

* * *

إلى أن يأتى يوم تخترق فيه الأموات القبة المظلمة

يناديها صوت من السماء سبع مرات

فيوقظ هؤلاء الذين ينامون فى ظل الصليب الأبدى

(الأسكندرية) **محمد أنور ولاية**

---

٢٣ - المصريون المحدثون
شمائلهم وعاداتهم
في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

كثيراً ما يحدث أن يرد الرجل امرأته بعد طلاق ثالث (بشرط أن ترضى هي نفسها باستئناف المعاشرة وألا يوجد شهود بوقوع الطلاق) دون أن يخضع للقانون الثقيل السابق ذكره. وجرت العادة أيضاً أن يستخدم الرجل في مثل هذه الظروف آخرَ يتزوج المطلقة بشرط أن يطلقها في اليوم التالي لزواجهما فيعقد عليها الزوج الأول من جديد وإن خالف ذلك روح الشريعة مخالفة صريحة. ولكن قد تمسك الزوجة عن القبول، إلا إذا كانت قاصرة فيزوجها أبوها أو الوصي عليها من يشاء. ويُختار عادة للقيام بهذا العمل رجل فقير قبيح الشكل أعمى غالباً، يطلق عليه لقب «مستحل» — بكسر الحاء أو فتحها — أو «مُحلِل». وكثيراً ما يعجب المستحل بجمال المرأة التي يتزوجها بالشروط السابقة، أو بثروتها فيرفض أن يتركها، ولا يستطيع القانون أن يجبره على تطليقها إلا إذا ظلم. وطبيعي أنه يحرص على عدم الجور في معاملتها، ولكن الرجل يستطيع أن يستخدم «المستحل» دون تعرض لهذا الخطر. فقد جرت العادة أن يستخدم أثرياء الترك وبعض المصريين عبداً أسود من عبيدهم ليقوم بهذا العمل. وقد يُشترى العبد أحياناً لهذا الغرض، أو يطلب من النخاس أن يقدم العبد على سبيل العارية. وأحسن العبيد أقبحهم شكلاً، ويختار الترك على العموم عبداً غير بالغ، إذ يسمح لهم مذهبهم بذلك. وعندما تستكمل المرأة عدتها يقدم لها مطلقها العبد، بعد أن يحصل على رضاها بذلك من قبل، ويسألها الموافقة على الزواج به، فتوافق أمام الشاهدين، ويقدم لها المهر لتكمل شرعية الزواج، وبذلك يصبح العبد زوجها الشرعي. وبعد العقد فوراً، أو في الصباح التالي يقدم الزوج الأول إلى مطلقته هذا العبد ملكاً لها، فتنحل عقدة الزواج بقبولها إياه، إذ أن الشرع لا يبيح للمرأة أن تتزوج من عبدها إلا إذا أعتقته. وتستطيع الزوجة عند ما يفسخ زواجها بقبولها العبد أن ترده إلى زوجها ثانية، ولكن يندر أن يسمح الزوج للمستحل بالبقاء في المنزل. وبعد ذلك تستطيع الزوجة — عند ما تنتهي عدتها — أن تعود إلى زوجها بعد أن فارقته مدة العدتين وذلك ما يقرب من نصف سنة أو يزيد

ومن الميسور أن نتصور ما تنتجه سهولة الطلاق من ضرر ينال الجنسين معاً. وفي مصر رجال يتزوجون في عشر سنين عشرين امرأة أو ثلاثين أو أكثر من ذلك. وفيها كذلك نساء لم تتقدم بهن السن يتزوجن عشرة رجال أو أكثر على التوالي. وقد أُخبرت أن هناك رجالاً تعودوا الزواج كل شهر تقريباً بامرأة جديدة. ولا يصعب ذلك على الرجل ولو لم يملك إلا القليل، إذ يستطيع أن يختار من بين نساء الطبقات السفلى أرملة شابة أو مطلقة ترضى أن تصبح زوجة له بمهر يقرب من عشرة شلنات، ولا يلتزم عند ما يطلقها بأكثر من ضعف هذا المبلغ أثناء عدتها. ولكن يجب القول بأن المصريين على العموم يعتبرون مثل هذه التصرفات فاضحة، وقلما توافق عائلات الطبقات العليا والوسطى أن يزوجن بناتهن من رجل مزواج

ويقل تعدد الزوجات في الطبقات العليا والوسطى عنه في الطبقات السفلى. وتعدد الزوجات مفسد لأخلاق الزوج وزوجاته، ولا يبرره غير تقليله ارتكاب الفاحشة، ويستطيع الفقير أن ينعم بزوجتين أو أكثر، وتستطيع كل منهن أن تقوم بضروريات معيشتها تقريباً بأي صنعة أو عمل. إلا أن أغلب رجال الطبقات العليا والوسطى منصرفون عن ذلك لما يحدثه تعدد الزوجات من نفقات وتعب. وقد يضطر الرجل الذي يحب زوجته العقيم إلى الزواج بأخرى أحياناً لتكون له ذرية، وقد يتزوج بثالثة أو رابعة للسبب نفسه. بيد أن السبب البيّن والمألوف لتعدد

الزوجات هو عدم استقرار الشهوة ؛ ولكن قلّ من يرضى هواه بالأسلوب السالف . وأعتقد أن ليس هناك أكثر من رجل واحد بين كل عشرين رجلاً ينعم بزوجتين

وتتمتع زوجة الرجل الأولى بالمكان الأول بين زوجاته الأخريات وتسمى (الست الكبيرة) . ومن هنا كان كثيراً ما يحدث عند ما يرغب الرجل فى الزواج أن يشترط أهل الفتاة المخطوبة أو الفتاة نفسها أن يطلق الزوجة الأولى أولاً . وطبيعى أن المرأة لا تستحسن زواج الرجل بأكثر من واحدة . ويُعد الرجل الثرى أو المتوسط الحال حتى الفقير لكل من زوجاته مسكناً منفصلاً . وتستطيع الزوجة أن تجبر زوجها على أن يخصص لها « مسكناً شرعياً » منفصلاً أو شقة (بها غرفة واحدة للنوم وللجلوس ومطبخ ودورة مياه) منفصلة عن غرف المنزل الأخرى . وتسمى كل من الزوجتين أو الزوجات « ضُرَّة »[1] وكثيراً ما يتحدث الناس عن مشاجرات الضرائر . ويستنتج طبعاً أن الصداقة لا تحصل دائماً بين امرأتين يقتسمان حب رجل واحد وحدبه . وكذلك الحال على العموم بين الزوجة والسرية اللتين تعيشان فى منزل واحد وفى أحوال متشابهة[2] . ويحدث أحياناً إذا عقمت السيدة وحملت من دونها ، زوجة كانت أو سرية ، أن تصبح الأخيرة مفضلة لدى الرجل ، « وتصغر فى عينيها » سيدة المنزل كما صغرت امرأة ابراهيم فى عينى هاجر للسبب نفسه[3] ولذلك كان كثيراً ما تفقد الزوجة الأولى مكانتها وامتيازاتها . وتصبح الأخرى سيدة المنزل يعاملها منافساتها والحريم جميعه والزائرات ، لحظوتها عند الزوج ، بنفس الاحترام الظاهر الذى كانت تتمتع به الزوجة الأولى . ولكن قد تستعمل الكأس المسمومة أحياناً للتخلص منها . وكثيراً ما يكون تفضيل الزوجة الثانية سبباً فى تقييد الزوجة الأولى فى المحكمة « ناشزة » بناء على طلب الزوج أو طلب الزوجة الأولى نفسها . ومع ذلك كان كثيراً ما يرى زوجات يخضعن إلى أزواجهن الخضوع

---

(١) وينطقها العامة كذلك (أو بالحري درة « بالدال ») بدلا من ضرة (بفتح الضاد) وقد يكون ذلك فى الأصل تحويراً لمعنى كلمة ، إذ أن كلمة درة تسمية عامة للببغاء

(٢) ويأمر الشرع الزوج الذى يتزوج بأكثر من واحدة أن يلزم العدل بينهن فى كل شئ ولكن يندر الخضوع لهذا الأمر

(٣) أنظر سفر التكوين ١٦ : ٤ (فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينيها)

المثالى الصادق فى مثل هذه الأحوال ، ويعاملن الزوجة المفضلة بود وطيبة[1] . لبعض الزوجات جوار يشترين خاصة أو تقدم لهن قبل الزواج . وأولئك الجوارى لا يصبحن سريات للزوج إلا بإذن تسمح به السيدة أحياناً (كما كان حال هاجر جارية سارة) ولكن ذلك نادر جداً . وكثيراً لا تسمح أيضاً الزوجة لجاريتها أن تسفر فى حضرة زوجها . وقد يتسرى الزوج بالجارية دون إذن سيدتها ؛ وقد تحمل منه فيصبح الطفل عبداً إلا إذا بيعت الأم أو أهديت إلى الأب قبل ولادة الطفل

والجوارى البيض غالباً فى حوزة الأتراك الأثرياء ، أما سرارى المصريين فى الطبقتين العليا والوسطى فهن من الحبشيات . ويبدو أولئك الحبشيات من سيماهن ولون وجههن من جنس وسط بين الزنوج والبيض وإن كان الفرق بينهن وبين الجنسين كبيراً . ولكن الحبشيات يعتقدن أن ما بينهن وبين الجنس الأبيض من تفاوت قليل فلا يمكن حملهن على القيام بخدمة زوجات سادتهن مع الخضوع الواجب . وتشعر الجارية السوداء نحو الحبشية الشعور نفسه . ولكنها تخدم البيض بكل ارتياح . وأذكر هنا أن الجوارى اللاتى يسمين حبشيات لسن ، ما عدا القليل منهن ، من بلاد الحبشة ، ولكنهن من أقاليم الجلا المجاورة . وأغلب الحبشيات جميلات . وتقدر الحبشية المتوسطة الجمال من عشرة جنيهات استرلينى إلى خمسة عشر ، ولكن هذا نصف ما كان يدفع عادة ثمناً للواحدة من سنوات قليلة خلت . ويقدر أصحاب الشهرة فى مصر الحبشيات كثيراً . ولكنهن رقيقات التكوين فيفنى أغلبهن رويداً فى هذا البلد . ويقدر ثمن الجارية البيضاء عادة من ثلاثة أضعاف إلى عشرة أضعاف الحبشية ، وثمن السوداء حوالى النصف أو الثلثين أو ما يزيد بكثير إذا كانت تجيد الطهى . وتقوم الجوارى السود بالخدمة .

ويدخل جميع الجوارى تقريباً فى دين الإسلام . ولكنهن على العموم لا يعرفن من دينهن الجديد إلا قليلاً . وأغلب الجوارى البيض اللائى كن بمصر أثناء زيارتى الأولى يونانيات . وقد أسرت

---

(١) وطبعاً يعتبر أجمل زوجات الرجل أو أجمل جواريه أفضل نسائه وقتاً ما . ولكن أكثر النساء حظوة لا تكون فى أحوال كثيرة إن لم تكن أغلبها ، أجملهن . ولذلك ليس حب المسلم دائماً مجرد شهوة ، ولا تتعلق أيضاً مكانة الزوجة وراحتها ، كثيراً وبلا تغير ، بيدوات الرجل أو بجاذبيتها الشخصية مثلما تتعلق بسيرتها العامة وأهليتها

الجيوش التركية والمصرية تحت قيادة إبراهيم باشا كثيرين من أبناء هذا الشعب البائس . وأرسل كثيرون منهم ذكوراً وإناثاً وأطفالا ليباعوا في مصر . وقد قل طلب الجوارى البيض فيما بعد لشيوع الفقر بالطبقات العليا في مصر . ويجلب من الجركس والكرج عدد قليل قد تلقي بعضهن نوعاً من الثقافة الأولية إذ يتعلمن الموسيقى وبعض الفنون الأخرى . وقد شغلت الجوارى البيض مكانة أعلى من مكانة الحرائر في مصر عند الرأى العام . فكثيرات منهن كن رفيقات لعظماء الأتراك أو زوجاتهم . وكان الأتراك يفضلوهن على الأخريات . ويلبس أولئك الجوارى أفخر الملابس . ويتقلدن الحلى النفيسة ، وينعمن تقريباً بكل مستطاع . ويعتبرن في بعض الأحوال إذا لم يستعملن للخدمة سعيدات . وقد أثبت ذلك أخيراً — منذ انتهاء الحرب في اليونان — أن جوارى كثيرات بقين أسيرات في الحريم ، ولم يرغبن في الحرية . ولا يمكن افتراض عملهن نتيجة جهل بحالة أسرهن وأقاربهن ، أو خوف التعرض للفقر . وإن كان يحتمل أن بعضهن حمل على البقاء تحت تأثير الظروف الدينية والأخلاقية التي أخضعن إليها قسراً ، ولأنهن دخلن في سلطان سادتهن أطفالاً . ولكن إذا كان بعضهن سعيدات وقتاً ما على الأقل فهن قليلات نسبياً . وقد قدر لأغلبهن أن يخدمن زميلاتهن الحظيات أو السيدات التركيات ، أو أن يتقبلن كرهاً ملاطفات عجوز غنى ، أو رجل أنهك الإفراط جسده وعقله ، ثم يعرضن للبيع إذا لم يكن لهن أطفال عند ما يسأمهن سادتهن أو سيداتهن ، أو عند ما يموتون ، أو يحررن ويزوجن من بعض الوضعاء الذين لا يستطيعون أن يمنحوهن إلا القليل مما تعودنه من الرفاهية . وتعتبر جوارى الطبقات الوسطى أحسن حالاً من جوارى الأغنياء ؛ فلا يعكر صفوهن في أغلب الأحوال منافسة عند ما يستخدمن للتسرى ، ولا يتعبن أو يشتد عليهن عند ما يخصصن للخدمة . وكثيراً ما تكون حالة السرية أسعد من حالة الزوجة إذا دامت المحبة المتبادلة بينها وبين سيدها . إذ أن الزوجة قد تطرد في وقت غضب الزوج ، فيوقع عليها طلاقاً لا رجعة فيه فتمسى في حالة فقر . بينما يندر أن يطرد رجل جاريته دون أن يدبر لها الأمر . فإن لم تكن تعودت الترف لا تتألم كثيراً أو إطلاقاً من هذا التبدل . فيعتقها السيد ويمنحها مهراً ويزوجها رجلاً طيب السمعة أو يقدمها إلى صديق .

وسبق أن ذكرت أن السيد لا يمكنه التصرف في جارية حملت منه واعترف بولدها . وكثيراً ما يحدث أن تعتق هذه الجارية بعد الحمل فوراً وتصبح زوجة . فلا تستطيع الجارية عند ما تعتق أن تقوم طويلاً مقام الزوجة شرعاً إلا إذا تزوج بها السيد . ويرى بعض الناس أن من العار بيع الجارية التي بقيت طويلاً في خدمتهم . ويفسد « الجلاّب » أو تاجر الرقيق — في الصعيد والنوبة — الجوارى الحبشيات والسود أقبح فساد . ويندر أن ينجو من في سن الثامنة أو التاسعة من شدة عنف النخاسين . وكثيراً ما يلقى هؤلاء الأطفال والأحباش منهم خاصة ، أنفسهم في النيل أثناء السفر[1] ، هرباً من قسوة « الجلاب » . وتعتبر الجوارى من أى طبقة أغلى ثمناً من الذكور في السن نفسه . ويعطى المشترى ثلاثة أيام تظل الجارية أثناءها في حريمه أو في حريم صديق له ليقدم النساء له تقريراً عنها . ومن أسباب إعادة الجارية إلى التاجر أن تغط في نومها أو تصر بأسنانها أو تتكلم أثناء النوم . وتشبه ملابس الجوارى ملابس المصريات .

(يتبع)

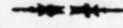
عدلى طاهر نور

(١) ويرسل الجلاب جواريه عن طريق الصحراء والبعض الآخر عن طريق النهر .

إلى تاج « الفاروق »

[تحية لذكرى مهرجان الشرق
في يوم الزفاف الملكي السعيد]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل



لَمْ تَكُنْ نَارُكَ بَرْدًا أَوْ سَلامَا   فَعَلامَ الشَّدْوُ يَا طَيْرُ عَلامَا ؟!
بَيْنَ جَنْبَيْكَ حَنِينٌ أَوْشَكَتْ   رِيحُهُ الْهَوْجَاءُ تَذْرُوكَ حُطَامَا
وَعَلَى عُشِّكَ لَيْلٌ جَاثِمٌ   كُلَّمَا رَاوَدَهُ الْفَجْرُ تَعَامَى !
سَكْتَةُ الدَّوْحِ ، وَآهَاتُ الرُّبَى   لَمْ تَفِضْ كَالأَمْسِ عِطْرًا أَوْ بُغَامَا
وَالْهَوَى لَمْ تَغْدُ فِي مِحْرَابِهِ   صَلَوَاتُ الشَّوْقِ يَسْحَرْنَ الظَّلامَا
كُلُّ شَيْءٍ هَاجَ حَتَّى حَرَمَتْ   ضَجَّةُ الدُّنْيَا عَلَى الصَّمْتِ الْمَنَامَا
كَيْفَ وَادِيكَ وَهَلْ طَافَتْ بِهِ   نَشْوَةُ الْوَحْيِ فَأَرْعَشْتَ الْغَرَامَا
وَتَنَقَّلْتَ بِعِيدَانِ الضُّحَى   عَازِفًا يَسْتَنْطِقُ النُّورَ كَلامَا !
وَنَسَخْتَ الظِّلَّ لَحْنًا وَالثَّرَى   أُذُنًا ، وَالنَّبْعَ قَلْبًا مُسْتَهَامَا !
كَيْفَ وَادِيكَ وَهَلْ حَالُ الْهَوَى   مِثْلَمَا كَانَ بِهِ عُرْسًا مُقَامَا ؟
وَنَدَامَاكَ وَقَلْبِي بَيْنَهُمْ   رَقَّ حَتَّى لَمْ يَكُنْ بَيْنَ النَّدَامَى !
جَدْوَلٌ غَافٍ ، وَصُبْحٌ ثَمِلٌ   وَنَسِيمٌ مَرَّ مِسْكِينًا مُضَامَا
وَصَدًى صَنْجٍ بِكَفَّيْكَ لَهُ   فِي فِجَاجِ الرُّوحِ وَجْدٌ يَتَرَامَى
وَشُعَاعٌ ، وَنَدًى خُيِّلْتُهُ   مِنْ بَقَايَا حَانَةِ الْفَجْرِ مُدَامَا
كُلُّ هٰذَا كَانَ حُلْمًا هَارِبًا   لَيْتَهُ طَنَّبَ فِي قَلْبِي الْخِيَامَا !

فَأَعِدْهُ مَعْبَدًا مُصْطَخِبًا   وَتَرَنَّمْ وَامْلإِ الدُّنْيَا ابْتِسَامَا
وَاسْكُبِ الأَنْغَامَ لا تَنْشُدْ لَهَا   أَيْنَمَا تَهْزِجْ عَلَى الأَرْضِ مُقَامَا
وَتَأَلَّقْ بِأَغَانِيكَ عَلَى   زَمَنٍ عَجَّ لَهِيبًا وَقَتَامَا
أَخْضَرُ الشَّطَّيْنِ نَادَاكَ فَطِرْ   فِي رَوَابِيهِ غِنَاءً أَوْ حَمَامَا
مَنْ يَكُنْ لِلْحَرْبِ غَنَّى هَوْلَهَا   قُمْ فَرَتِّلْ فِي مَغَانِيهِ السَّلامَا
وَانْشُدْ لِلتَّاجِ الَّذِي فِي ظِلِّهِ   تَخْشَعُ الأَفْلاكُ قُدْسًا وَاحْتِشَامَا
صَرَعَ الدَّهْرَ صَبِيًّا ، وَتَسَامَى   دَارَةَ الشَّمْسِ وَلَمْ يَعْدُ الْفِطَامَا
أَعْجَزَتْ مِصْرُ بِهِ سِحْرَ النُّهَى   يَوْمَ كَانَ النَّاسُ فِي الأَرْضِ سَوَامَا
لَمْ يَزَلْ فِي النِّيلِ مِنْ آيَاتِهِ   هَزَجٌ أَشْجَى بِهِ الْمَوْجُ الْغَمَامَا
رُدَّ يَا « فَارُوقُ » مِنْ أَمْجَادِهِ   قَبَسًا يُوقِظُ فِي الشَّطِّ النِّيَامَا .
وَأَعِدْهُ لِلْبَرَايَا كَوْكَبًا   طَارَ لِلنَّجْمِ لِيَاذًا وَاعْتِصَامَا
وَانْشُرِ الْحُبَّ عَلَى أَقْوَامِهِ   مَنْ سِوَى نُورِكَ يَجْتَاحُ الْخِصَامَا ؟
كَمْ عَلَى طَيْفِكَ أَغْفَى جَائِعٌ   كَانَ لَوْلاكَ سَيَقْتَاتُ الرَّغَامَا
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ نُعْمَى أَهْلَكَتْ   آهَةَ الشَّاكِي وَتَنْهِيدَ الْيَتَامَى
أَقْبَلَتْ تَنْسَخُ أَرْهَامَ النَّدَى   كُلَّ صُبْحٍ لِلْمُقِلِّينَ طَعَامَا
سَابَقَتْ نُورَكَ فِي رَأْدِ الضُّحَى   وَمَشَتْ زَادًا إِلَيْهِمْ وَسَلامَا ...
كَبَّرَ الشَّرْقُ ! فَقَالُوا : مَنْ بَدَا ؟   قُلْتُ مَنْ غَنَّى بِهِ الشَّرْقُ هُيَامَا
مَنْ رَعَى الإِسْلامَ حَتَّى خِلْتَهُ   « عُمَرِيَّ » الدِّينِ رَأْيًا وَحُسَامَا
فِي سَبِيلِ اللهِ رَكْبٌ سَائِرٌ   لِبُيُوتِ اللهِ... كَمْ رَاعَ الأَنَامَا !
كَمْ جَثَتْ لِلّٰهِ مِنْهُ هَالَةٌ   فِي سَنَاهَا يَطْرِقُ الدَّهْرُ احْتِرَامَا !
يَا مُقِيلَ الدِّينِ مِنْ عَثْرَتِهِ   أَنْتَ أَعْلَيْتَ لِرُكْنَيْهِ الدِّعَامَا
وَتَهَادَيْتَ فَسَارَتْ أُمَمٌ   جَعَلَتْ مِنْ نُورِكَ الصَّافِي إِمَامَا
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ عِيدٌ مُشْرِقٌ   يَتَرَاءَى فِي فَمِ الْوَادِي ابْتِسَامَا
طَارَ تَغْرِيدِي عَلَى آفَاقِهِ   نَغْمَةً لِلْعَرْشِ عَزَّتْ أَنْ تُسَامَى
سُقْتُهَا مَشْبُوبَةً مِنْ كَبِدٍ   أَوْشَكَتْ تَسْكُبُ نَجْوَاهَا ضِرَامَا
لَمْ يَزَلْ مِنْهَا « بِعَبْدِينَ » صَدًى   ظَلَّ فِي أَسْوَارِهَا يُشْجِي الْحَمَامَا

محمود حسن اسماعيل

أمنيـــــة ...

للأستاذ عبد اللطيف النشار

يُنبّتُ قطناً زارعو مصر كلهم   بِرِمْ ما بِرِمْ، هلاَّ وكَرْماً وتفاحا؟
يقول أناس أدركوا ما عنيته   لك الويل ما ذا تبتغى؟ قلت أرواحا
ووالله لولا زهره ورحيقه   لما غرّدَ الغِرّيد يوماً ولا ناحا



الأزهر والمراجع الأجنبية

يدرس الطلاب فى كلية أصول الدين طائفة من العلوم التى يحتاج الطالب فيها إلى مراجع أجنبية ، ومنها علوم التاريخ والأخلاق والفلسفة وعلم النفس وتاريخ التوحيد . ولما كانت معرفة هؤلاء الطلاب للغات الأجنبية محدودة فقد رؤى أن تترجم لهم بعض المراجع الشهيرة فى هذه العلوم . وعهدت مشيخة الأزهر اختيار هذه المراجع وترجمتها إلى لجنة من أساتذة الكلية مؤلفة من بعض العلماء الأزهريين الذين تخرجوا فى الجامعات الأوربية وبعض الأساتذة الذين يدرسون هذه المواد

وقد عقدت هذه اللجنة اجتماعها الأول بعد مقابلة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى حيث استمع أعضاؤها إلى إرشاداته وتوجيهاته

والمعروف أن هذه اللجنة ستنتهى من مهمتها التى وكلت إليها فى يوم قريب .

فى ديوانه البحترى

البحترى شاعر مغبون لم يحظ شعره بما يستأهله من عناية ، ولم يطبع ديوانه — على ما يبدو — أكثر من مرتين ؛ إحداها بمصر والأخرى ببيروت [1] . والثانية أدق من الأولى ضبطاً وتمتاز عليها بالشكل الكامل ، وبتعليقات وحواش قصيرة تفيد المبتدئين

على أن هذه الطبعة لم تخلُ من أغلاط بينة أساء الشارح [2] فيها التقدير . وأغلبها يرجع إلى آفة « التصحيف » التى جنت على الكثير من مخطوطاتنا القيمة وكنوزنا الأدبية النفيسة

على أن الشارح نفسه قد توهم — فى أكثر من موضع — أخطاء وادعى تصحيحها ، وتصحيفات تكلف ردها إلى أصولها ! فجاء الديوان مليئاً بعشرات الأغلاط الفاضحة الواضحة . وأنا مثبتٌ هنا منها خمساً — على سبيل التمثيل لا التعديد — لأنبه القارئ إلى وجوب التحرز فى قراءة هذا الديوان ، وعدم الاعتماد على شكله أو شرحه اعتماداً قد يجر إلى الغفلة ويشغل عن تعرُّف الصواب :

١ — فى قصيدة « قالت الشيبُ بدا قلت أجلْ » .

قال البحترى :

أصِلُ النزْرَ إلى النزر وقد ... يبلغ الخبلُ إذا الحبل وُصِلْ
من لَقا هذا إلى محسوس ذا ... ومن الذوْد إلى الذود إبِل

وقد ضبط الشارح اللفظ الأخير هكذا (أبِلّ) ثم قال : أبل : أذهب فى الأرض . وهذا وهم ، إذ الشطر كله مقتبس من المثل العربى القديم : « الذود إلى الذود إبل » وهو يضرب فى الشىء القليل يجتمع إلى مثله فيصير كثيراً

٢ — جاء فى قصيدة : « حلفتُ لها بالله يوم التفرقِ » قوله :

أُعِينَ بنو العباس منه بصارم ... جُرازٍ وعزمٍ كالشهاب المحرَّقِ

وقد صُحفت كلمة (جراز) فى الأصل إلى (جران) فنقلها الشارح بوضعها ثم قال : الجران (كذا فى الأصل) لعله يريد به اللَّين من جرن الدرع لانَ . والوهم فى النقل وفى الشرح ظاهر ؛ إذ الكلمة : (جراز) بمعنى السيف القاطع

٣ — يقول البحترى من قصيدته « يا يوم عرِّجْ بل وراءك يا غدُ » :

أشكو إليكَ أناملاً ما تنطوى ... يبساً وأخلاقاً تقصَّفها اليدُ

(١) المطبعة الأدبية بيروت سنة ١٩١١ م .

(٢) فى صدر النسخة : ضبطه بالشكل الكامل وعلق حواشيه رشيد عطية .

أتلك حياة نصفها بتُّ نائماً
ونصفاً تُرى فيه على الرزق كدّاحا

ألا ليتنى إلاَّ أكن ذا إمارة ... يُطاع على عِلاته كنت فلاحا
أغذى بأشجارى أنابيب معملى ... وأسقى مواشىَّ السلافة والراحا
كأن بياض القطن أروس نسوة ... عجائز يملأن المحافل أتراحا
إذا لم يكن إلا مسرةَ ساعة ... يجدد فيها صاحب الهم أفراحا

فلا أخصبت أرض تضن بنصفها
على حانة تُشوَى ولا رحبت ساحا

عبد اللطيف النشار

قال فى الشرح : أخلاقاً محرفة عن (أخلافا) جمع خلف ، أى ضرع ... أما (أخلاق) بالقاف فلا معنى لها هنا

قلت : الصواب « أخلاقاً » كما جاء فى الأصل ؛ والمعنى أن أخلاق الناس أصبحت من الجفاء والغلظة واليبوسة بحيث تتقصف فى اليد تقصف العود الجاف ، وفى البيت استعارة تبعية «فى الفعل»

٤ — جاء فى قصيدة « رغم الغرابُ منىَّ الأنباءُ » :

ما للجزيرة والشآم تبــدَّلا　　بعد ابن يوسف ظلمةً بضياء ؟

أوردها الشارح (بيضاء) — مؤنث أبيض — ثم قال معلقاً : كان القياس أن يقول (بيضاء) بالنصب على أنها نعت لظلمة ولـكنه جرها إتباعاً لحركة القافية أو لسبب آخر لم أعلمه (كذا !)

قلت : وجه الـكلام أن (بضياء) جار ومجرور متعلقان بالفعل (تبدلا) فى الشطر الأول

٥ — يقول البحترى فى مطلع إحدى قصائده :

هوِينَاكَ من لوم على حبِّ تُكْتَما

وقصرَكَ نستخبر ربوعاً وأرْسُما

وقد أعمل الشارح ذهنه فى البيت ، ثم انتهى إلى قلبه بهذا الوضع « هويناك من لوم بحبِّ تكتَّما » وقال فى هامشه : كان أصل الشطر الأول : هويناك من لوم على حب تكتما ، وهو غير مستقيم الوزن كما ترى ! وكذلك أبدلنا من « على » « باء » فقلنا « بحب » وكثيراً ما وقع لنا مثل هذا الخلل فى هذا الديوان وهو خطأ طبعى (!!!)

قلت : الصواب أن « تكتم » — على وزن الفعل — علم على امرأة ، وقد ذكره البحترى فى شعره أكثر من مرة كقوله من قصيدة أخرى :

لعمرى لقد نامتْ فؤادَك تكتمُ

وردَّت لك العرفانَ وهو توهُّمُ

فالبيت فى وضعه الأول صحيح وزناً ومعنى ، وما التصحيف إلا ما جناه الشارح على البيت وهو يدعى تصحيحه من خطأ موهوم ... هدانا الله جميعاً إلى الصواب ؛ وعصمنا من الخطأ وسوء الغفلة بمنّه

(جرجا)　　　　**محمود عزت عرفة**

بين صبرى وابن دريد أيضاً

تفضلت الشاعرة الفاضلة فدوى طوقان بنظرة ناقدة بصيرة على كلمتنا «بين صبرى وابن دريد» ، وقالت : إن الحكم بالسرقة على صبرى شهادة جائرة . ولقد بدهنا لأول نظرة فى الديوان ما رأته الناقدة الفاضلة ، ولـكننا رمينا إلى هدف مقصود ، هو بيان غفلة محقق الديوان عن أمر البيتين سواء أكان فيهما سرقة أم لم يكن . ولقد نصصنا على تلك الغفلة فى أية صورة كانت فى كلمتنا السابقة ؛ ولا علينا إذا حكمنا بالسرقة على صبرى ، وأمامنا ديوانه ينطق بها فى مواضع كثيرة يحضرنى منها :

(فلماء فى مقلٍ والنار فى مهجٍ)　　قد حار بينهما أمر المحبينا

مأخوذ من قول الشريف الرضى :

(الماء فى ناظرى والنار فى كبدى)　　إن شئت فاغترفى أو شئت فاقتبسى

وقوله :

وتزيدُ فى فمها اللآلئ قيمةً　　حتى يسودَ كبيرهنَّ الأصغرُ

وليد قول الشاعر :

وما كنت أدرى قبل لؤلؤ ثغرها　　بأن نفيسات اللآلى صغارها

وقوله :

(قد صغت التبر له شركاً)　　وقضيت الليـــل أنضِّدُهُ

ينظر إلى قول الشاعر :

إن رمت صيدى فى الهوى　　(فانصب شراكاً من ذهب)

أما شاعرية صبرى وشخصيته فلنا رأى فيها قد نعود إليه .

حسين محمود البشبيشى

مجلة الأنصار

استقبلت زميلتنا « الأنصار » عامها الهجرى الثانى فى غرة محرم سنة ١٣٦١ . وقد صدر العدد الأول من هذه السنة الجديدة فى حجم أكبر ، ومادة أوفر . وأبحاث جديدة ، وموضوعات شيقة . وقد نهجت الزميلة بهذا العدد نهجها المحمود فى التطور ، وعبرت عن اتجاهها الصادق فى خدمة الفكرة العربية ، ونشر الثقافة الإسلامية . فنرجو لها بهذه المناسبة السارة دوام التوفيق

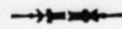
هذا وقد أعلنت « الأنصار » أن اشتراكها السنوى فى عامها الجديد هو ٢٠ قرشاً فى مصر والسودان والأقطار العربية و ١٥ قرشاً للمعلم الإلزامى والطالب . والمكاتبات بعنوان : الأنصار شارع البستان رقم ٣٤ القاهرة



المؤلفات العربية القديمة

وما نشر منها في سنة ١٩٤٠

للأستاذ كوركيس عواد



خطر لي قبل عامين، أن أجمع في «مقالات سنوية» أسماء ما يتاح لي الوقوف عليه من مؤلفات العرب الأقدمين، وذلك مما تنشره المطابع في بحر سنة كاملة، وأن أواصل هذا العمل، سنة بعد أخرى ليتكوّن من مجموع تلك المقالات كشف واسع يفيد محبّي الكتب ومراجعيها، ويقفهم على ما ينشر منها بين الحين والحين

وكان بدء العمل في السنة الماضية. فنشرت في هذه المجلة[1] فصلاً جمعت فيه ما تيسر لي الوقوف عليه حينذاك من مطبوعات سنة ١٩٣٩. وها أنذا أورد في المقال الحالي ما أمكنني الاطلاع عليه من المصنفات القديمة التي شاءت يد الدهر أن تبقى عليها وتصونها من الضياع!

وقد أبنت في مقال العام الماضي صعوبة الوقوف على كل ما ينشر من تراث الأقدمين وحصره حصراً تاماً! فبعض المطابع في إيران والهند والمغرب وأغلب الأقطار الأوربية لا يمكن الاتصال بها إلا بمشقة وجهد كبيرين. ولقد ازداد الأمر وعورة عن قبل بما ولدته هذه الحرب الجائحة من مشاكل ومعضلات، أدت فيما أدت إلى ركود في حركة النشر، وفتور في سير المواصلات. ومن ثمّة كان استقصاء جميع ما تنشره المطابع من هذه الكتب أمراً صعباً إن لم نقل متعذراً في بعض الأحوال!

ومع ذلك كله، فقد وقفت على جملة حسنة من تلك المؤلفات ناهزت الأربعين أذكرها فيما يلي بحسب تسلسل عنواناتها، مع الإشارة إلى سنيّ وفيات مؤلفيها، ومحل طبعها، وعدد صحائفها[2] ما أمكن. وأحياناً أضيف إلى ذلك إشارات وتوضيحات قد أراها ضرورية في مثل ذلك المقام.

يلاحظ القارئ أنني ذكرت بين هذه المطبوعات ما هو بالحقيقة لمؤلفين معاصرين[1]، وإنما آثرت ذلك، لأن هذه المصنفات طبعت بعد وفيات أصحابها، فاعتبرتها مؤلفات قديمة

وقد يلاحظ أيضاً، أن بعض ما نسب من المطبوعات إلى سنة ١٩٤٠، يُرى على غلافه أنه طبع سنة ١٩٣٩، في حين أن طبعه لم يتم، في الواقع، إلا في سنة ١٩٤٠[2]

ولي أن أشير في هذا الصدد إلى أن جانباً من هذه الكتب ما يكون نشره قد جرى وفقاً للأساليب العلمية الحديثة، وذلك من وجهة التحقيق والشرح والفهرسة إلى غير ذلك، وبعضها ما كان يرمى من نشره إلى غرض تجاري صرف يؤذي الكتاب والقارئ معاً إيذاء شديداً، ويفيد التاجر الذي يقوم بطبعه. واختار البعض الآخر طريقاً وسطاً بين هذا وذاك

على أنه لم يكن من شأني في هذا الموقف التعرض لقيمة الكتاب الحقيقية، أو لنوع الجهد والعناية المبذولين في سبيل إخراجه؛ فللقراء أن يحكموا على كل ذلك حين وقوفهم على الكتب ذاتها. وإنني لو فعلت ذلك — وهذا أمر من الصعوبة بمكان — لضاق بي المجال وخرجت عن ما اختططته لنفسي في هذا الكشف

إن بعض التصانيف المذكورة أدناه، ما هو مطبوع الآن للمرة الأولى[3]؛ وبعضه ما كان قد طبع سابقاً مرة أو غير مرة؛ وإنما أعيد نشره لأسباب، منها أن تكون نسخ تلك الطبعة قد ندرت أو نفدت، ومنها أن تكون تلك الطبعة قليلة الحظ من العناية والضبط والتحقيق، وقد يكون لذلك أسباب ومآرب أخرى يدركها أرباب النشر!

ومن الخير لي أن أصرح، بأنني لم أوفق للاطلاع على كل هذه الكتب اطلاعاً مباشراً، بل إن قسماً منها[4] لم أقف عليه مع الأسف! وإنما استقيت المعلومات المدونة عنه من هنا وهناك

(١) أنظر الرسالة (العدد ٣٥٤، ص ٦٧٧ — ٦٨٠)

(٢) ذكرت بين قوسين سنة وفاة المؤلف، كما وضعت (ص) بدلا من (صفحة)

(١) أنظر الأرقام ١، ١٤، ٢٣ من هذا الكشف، والأرقام ٢، ٥ من الملحق

(٢) أنظر الأرقام: ٢، ٣، ٢٧

(٣) أنظر الأرقام: ١، ٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩

(٤) أنظر الأرقام: ٩، ١٢، ١٧، ٢٤، ٢٥، ٣٤، ٣٦، ٣٨

وفى آخر هذا الكشف تكملة ، يجد القارئ فيها ما فاتنى ذكره من مطبوعات سنة ١٩٣٩ ، وقد ذكرتها ههنا لتكون تتمة أو مستدركا على المقال المنشور فى العام الفائت

١ — أبو العلاء المعرى : نسبه وأخباره ، شعره ، معتقده

المغفور له أحمد باشا تيمور[1] (١٣٤٨ هـ) . نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر . (القاهرة ، د + ١٦٠ صفحة)

٢ — الاستيعاب فى أسماء الأصحاب

لابن عبد البرّ النمرى القرطبى (٤٦٣هـ) . طبع مع كتاب « الإصابة فى تمييز الصحابة » الآتى ذكره .

٣ — الإصابة فى تمييز الصحابة

لابن حجر العسقلانى (٨٥٢هـ) . نشرته مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة (٤ مجلدات ، صحائفها ٥٧١ ، ٥٣٦ ، ٦٤٤ ، ٤٨٣) . فى أعلى الصفحات طبع كتاب الإصابة هذا ، وفى أسفلها كتاب « الاستيعاب » المذكور فى الرقم ٢ من هذا الكشف .

٤ — أعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام

تأليف الأستاذ عمر رضا كحاله . هذا الكتاب وإن كان مؤلفه من المحدثين ، فإن مادته قد جمعت من مؤلفات الأقدمين (ما بين مخطوطة ومطبوعة) التى يشير إليها المؤلف فى آخر كل ترجمة من التراجم التى رتبها على الطريقة الهجائية (المطبعة الهاشمية دمشق ٣ مجلدات ، مجموع صحائفها ١٦٦٨)

---

(١) الذى كتب فى ترجمة تيمور باشا ووصف خزانة كتبه ، شىء كثير لا يسعنى سرده ، إنما أذكر ما كتبه — مبتدئاً بالأقدم — كل من الأساتذة : يوسف اليان سركيس فى معجم المطبوعات العربية (١٩٢٨ ، ص ٦٥٢ — ٦٥٣) ؛ والأب أنستاس ماري الكرملي فى مجلة لغة العرب (٨ [١٩٣٠] ص ٤٨٣ — ٤٨٧) ؛ ومجلة المشرق (٢٨ [١٩٣٠] ص ٧٨٢ — ٧٨٣) ؛ ويوسف شخت فى مجلة المستشرقين الألمانية (Zdmg, LXXXIV, 1930, pp. 255, 258) ؛ ومحمد كرد على فى مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (١١ [١٩٣١] ص ١٢٩ — ١٤٧) ؛ ومحمد على رفاعي فى المقتطف (٨٠ [١٩٣٢] صفحة ٢٤٢ — ٣٤٥) ؛ ومحب الدين الخطيب فى مقدمة كتاب « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » لتيمور باشا ، المطبوع ثانية سنة ١٩٣٣ (صفحة ٤ — ٢١) ؛ وحسن عبد الوهاب فى مجلة الرسالة (العدد ٦٠ ، سنة ١٩٣٤ ، صفحة ١٤٢٤ — ١٤٢٧) كما أن ترجمته مدونة فى الفصل الأخير من كتابه « تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر » (صفحة ١٥٧ — ١٦٣) .

٥ — اغاثة الأمة بكشف الغمة

لتقىّ الدين المقريزى (٨٤٥هـ) . نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة والأستاذ جمال الدين محمد الشيال بتعليقات وفهارس (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة . ك + ٩٢ ص) . الكتاب فى تاريخ مصر الاقتصادى الاجتماعى فى العصور الوسطى حتى سنة ٨٠٨ هـ . وهى السنة التى ألف فيها . عالج المقريزى فيه حوادث المجاعات والطواعين بمصر وتقصى أسبابها

٦ — أنساب الأشراف

للبلاذرى (٢٧٩ هـ) . القسم الثانى من المجلد الرابع ، يحوى فهرس أعلام الرجال والمواقع والأمم وضعها المستشرق شلوسنكر Max Schloessinger . (مطبعة الجامعة العبرية ، القدس ، ٣٦ ص) . المجلد الخامس ومتن النصف الثانى من المجلد الرابع ، صدرا سنة ١٩٣٦ — ١٩٣٨ ، والعمل فى إصدار سائر أقسام الكتاب لا يزال جارياً

(يتبع) كوركيس عواد



العقاقير المخـــدرة

عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

نهضت « رودا فارمنجتون » عن المقعد الذى كانت جالسة عليه بقرب النافذة وأطلت فرأت العربة المقبلة هى عربة أبيها الدكتور فارمنجتون فتنهدت وقالت : إن مجيئه يمنع الشك وإن المعرفة بأمر مهما يكن نوعه أفضل من فترة الشك . وقد كانت منذ الظهيرة جالسة هذه الجلسة ترقب عودته لتتعرف الخبر . وهى بين حين وحين تطل من النافذة ؛ وها هى الساعة الآن قد تجاوزت الرابعة وسئمت الفتاة الانتظار . وفتحت الباب ودخل الدكتور فقالت بلهجة فيها رنة العتاب : « ماذا ! »

وإنما كان عتابها لأن أباها أمرها بالبقاء هنا . وقد كانت واجبات الصداقة تقضى عليها بأن تذهب إلى المريضة « جيسى شاننج »

وفرك الطبيب كفيه الباردتين وقاد ابنته إلى الغرفة وهو يقول: « تعالى يا رودا فإن الجو بارد فى هذه الردهة » . فتبعته وهى تقول: « هل حالة المريضة أسوأ ؟ »

قال الطبيب : « نعم أسوأ جداً »

فقالت : « هل تعنى أنها ... »

قال الطبيب مقاطعاً : « إن جيسي قد ماتت »

ثم نزع الطبيب معطفه بصورة آلية وعلقه على المشجب واتجه إلى الموقد فأدفأ كفيه . وكان الطبيب قليل الكلام وظن أن حديثه مع ابنته قد انتهى بسؤالها وجوابه . ولكن الفتاة ظلت واقفة واجمة كأنها تنتظر المزيد . وبينما هى كذلك إذ دخلت نانسى خادمة المنزل وهى امرأة فى منتصف العمر ، وأوقدت المصباح ونظرت إلى الدكتور ثم إلى ابنته وقالت : « أرجو أن تكون صحة جيسى ساننج قد تحسنت »

فقال الطبيب : « كلا ولكنها ماتت »

وجمت الخادمة أيضاً وكأنها لم تصدق أذنيها ثم أشارت بيديها إشارة تدل على اليأس وقالت : « مسكين جوردون ... إن هذا الخبر سيقتله لأنه لا يستطيع أن يعيش بدونها

فبدت على وجه رودا ابتسامة هزيلة عند خروج الخادمة من الغرفة ، ثم ارتمت على المقعد الذى كانت جالسة عليه قرب النافذة وأسندت رأسها إلى ذراعها وقالت بصوت خافت ولهجة بطيئة : « وددت لو أننى كنت مثل نانسى فأستطيع أن أصيح مظهرة العطف نحو جوردون . . . كم كان بودى أن أثير ضجة لأظهر أحزانى » .

فقلب الدكتور قطعة من الورق كانت أمامه على المنضدة وقال : « ولماذا تودين ذلك ؟ » .

فقالت : « لأننى مثلك لا أستطيع أن أظهر عواطفى »

بدت الرقة على عينى الدكتور وإن كان صوته لا يزال دالاً على الخشونة ، وقال بلهجة حاسمة : « يجب ألا يكون تأثرك كثيراً بسبب موت جيسى، وإننى لهذا السبب منعتك عن الذهاب إليها، وإننى أعرف مبلغ إعزازك إياها كصديقة ولكنك لم تفهميها فإن هناك أشياء لا يفهمها كل إنسان .

فقالت : « إن جوردون يفهمها »

فقال الدكتور : « نعم إن جوردون يفهم ، ولكننى أكرر أن موت جيسى يجب ألا يؤثر فى حياتك » .

فقالت رودا : « إنك تستطيع أن تدرك يا أبى أن هذا القول لا يؤدى إلى نتيجة، فإننى فى الواقع لا أحزن على الميتة فقد استراحت، بل على الحى ، فتصور مقدار انزعاجه » .

قال الدكتور بلهجة استغراب : « نعم إن انزعاجه شديد بلا شك ولكن ... » . ثم اشتغل بتقليب الأوراق التى على المنضدة

كأنه بذلك يريد الانتهاء من هذا الموضوع

وبعد فترة قليلة عادت رودا إلى الكلام بلهجة عتاب فقالت : فى بعض الأحيان يا أبى أتصور أنك قاس . ولعل ذلك لأنك رأيت كثيراً من مظاهر البؤس حتى ألفتها

فتجهم وجه الأب أمام هذا الاتهام وقال : أنت مخطئة يا رودا فإن رؤية البؤس لا تجعل القلب قاسياً ولكنها لا تزيد من حزنه ، قالت رودا : إذن فلا بد أن تكون حزيناً على جوردون فتصور كيف كان حبهما . لقد كان كاملاً فوق مجال النقد . إنه لم يتركها ولم يكن أحد أوفى لزوجته منه .

فقال الدكتور : نعم لقد كان معها دائماً ، ولكن عهد تمريضه لها قد انتهى بعد استمراره سبعة أعوام

قالت رودا : عهد تمريضه ! إنها فى الواقع لم تكن مريضة لولا النوبات الخفيفة التى جعلته بساطتها يمرضها بنفسه بدل أن يستحضر لها ممرضة

وقد كانت رودا تقول ذلك وهى تتذكر أن جيسى كانت تتغدى معها منذ يومين فقط . وكانت صحتها إذ ذاك أحسن من صحة رودا نفسها ، وكان لون خديها وردياً ، وكانت تضحك وتمزح كأحسن ما يكون والإنسان فى حالة الطرب . والآن وقد ماتت جيسى فإن رودا تعود بالذكرى إلى يوم منذ سبعة أعوام كانت فيه هى واسطة التعارف بين جيسى وبين جوردون فى نفس هذا المنزل

بعد أن تخرجت جيسي من المدرسة جاءت لتزور صديقتها رودا . وكانت رودا هى أجمل الفتاتين ولكنها غير متعلمة على النقيض من جيسى ، ولذلك استولت الأخيرة على قلب جوردون الذى كان إلى هذا العهد من المعجبين بها والذى يمتاز عن سائر هؤلاء المعجبين بأنه يجمع بين الذكاء وبين المهارة والجمال والغنى .

وقد نزلت رودا عن حبيبها إلى صديقتها وكانت سخية فى ذلك، ولكنها لم تخل من الألم ولم تستطع كف الدموع ولم تستطع منع الغيرة . وهى مع ذلك ظلت تكتم الأمر عن الجميع فلم يفطن إلى حقيقته أحد حتى ولا جيسى ولا جوردون .

وفى الآونة الحاضرة استعادت رودا في ذاكرتها كل حوادث الأعوام السبعة الماضية حتى التافه منها . وكان أخص هذه الذكريات وأهمها ذكرى مرض جيسى ذلك المرض الذى أظهر تفانى جوردون فى حبها إلى الحد الذى صار فيه كل الزوجات فى المدينة يعيرن أزواجهن لأنهم لا يحتذون هذا المثل العالى من الإخلاص

ومضت سبعة أعوام وماتت جيسى وانتهى كل شىء . وبعد العشاء لبست رودا ثيابها ومشت وهى ترتعش فى برد الليل إلى بيت شانتج ، وكان الليل مظلماً فرأت فى الطريق شبحاً وعرفته ولكنه لم يعرفها فنادته : جوردون إلى أين تذهب ؟ فمد يده إليها وارتعش جسمها عند ما لمست يده فصافحها مصافحة ود ، وأخذت تبحث فى ذهنها عن كلمة تعزيه بها فلم يسعفها الخاطر وأخيراً قالت : إلى أين تذهب يا جوردون ؟

وقد أربكها أنه لا يسير فى اتجاه المنزل وأنه يمشى بخطى سريعة إلى النهر وقد بدت على وجهه علائم عزم خطير ، وقال : إلى أين أذهب ؟ بالطبع يا رودا إلي ... ثم تابع السير ولكن إلى المنزل

وبعد جنازة جيسى سافر جوردون ولكن إلى الخارج ، وظل متنقلاً من بلد إلي بلد ، ولكنه فى أشهر الصيف يعود إلى المدينة التى دفنت فيها زوجته

وكان يرجع (على غير انتظار من رودا لذلك الرجوع) لأنها كانت تعد دخوله إلي منزل زوجته بعد دفنها يشابه شق القبر على ميت ، وذلك لما ينطوى عليه المنزل من الذكريات

وكانت رودا تقدر تمام التقدير حالة جوردون وأنه لم ينس قط زوجته ولم يرد أن ينساها ، وإنما هو يعالج نفسه كى يستطيع الحياة بالسفر ليرى مناظر جديدة ووجوهاً جديدة ، ولما تقابل معها لأول مرة بعد عودته قال : لقد بدت عليك علائم الكبر يا رودا ولكنك لم تزيدى إلا جمالاً وقد كنت ولا تزالين أجمل من رأيت

وقد أدهشت رودا هذه الصراحة فى مخاطبتها فتراجعت كما يتراجع من ينتظر أن تصيبه صفعة ، ونقصت منزلة جوردون عندها في هــذه الليلة لأول مرة منذ عرفته . وفى تلك الليلة طلب إليها جوردون فى وسط جمع من الأصدقاء أن تتزوج منه وقال : لقد كنت على الدوام أحبك وحدك وإن لم أتبين ذلك فى بعض العهود ، وكان طبيعياً أن يكون حبنا كذلك . وكان هذا الاعتراف مخجلاً فى نظر رودا فتلقته فى ألم صامت ولم تجد من الألفاظ

ما يعبر عن شعورها ، وكان خجلها لأنها هى نفسها كانت تريد الزواج منه ، وأدركت أنها غير وفية لصديقتها وأن جوردون غير وفى لزوجته وأن المسكينة الجديرة منها بالوفاء هى المضطجعة فى القبر والمنسية من الجميع

ولما فرغ جوردون من تصريحه قامت رودا على الفور ودخلت مكتب أبيها ولكنها لم تجده فيه . وكان أبوها يحب جوردون ويحترمه . وكانت رودا تعتقد أن حبه واحترامه لجوردون سيزولان إذا أخبرته بما سمعته منه فى هذه الليلة من الإنكار لحبه السالف لزوجته

وترددت رودا فى كيفية رفضها لما طلبه جوردون . فهل تخبره بأنها ترفض لمجرد كونها لا تحبه ؟ إنها إن فعلت ذلك فلا تكون إلا كاذبة ، فإنها كانت لا تقف فى حبها إياه عند حد

ورأت رودا أنها إن تغلبت على الجانب النبيل من عواطفها جانب الوفاء ، فإن معيشتها مع جوردون ستكون منغصة بسبب غيرتها من زوجته الأولى ، لأنه لن يستطيع أن يوجه إليها من العطف ما كان يوجهه إلى جيسى . وانقضت تلك الليلة ولم تخبر رودا أباها بشىء . وفى اليوم التالى أجابت جوردون على طلبه بقولها : « ... ولكن لم يمض على موت جيسى عام واحد ، ولهذا السبب كان من المستحيل أن أتزوج منك » ؛ وكانت هذه أول مرة سمع فيها جودون اسم زوجته المتوفاة ؛ واستمرت رودا تقول : « إن ذكراها ستقف على الدوام حائلاً بينى وبينك ؛ وإنى لأعجب منك كيف نسيتها بهذه السرعة ، حتى تريد الآن إحلال أخرى محلها ؟ وهمّ جوردون بأن يتكلم ، ولكنها أشارت إليه بالصمت وهى تقول : كلا لن أتزوج منك . فإن هذا مزعج جداً . لقد كنت أحبك إلى حد العبادة يا جوردون ، وإنما كان سبب هذا الحب شدة إخلاصك لجيسى ؛ ولكنك لم تدم على الوفاء ، فأثبت لى أن حبك لم يكن مثلاً عالياً . قال جوردون : ولكن هل من الممكن يا رودا ؟ إن المثل الأعلى فى الحب وهم لا يصدقه إلا المجانين والأطفال . إننى آسف لعدم قبولك الزواج منى ، وقد كنت أحسب التفاهم بيننا أحسن مما أراه ؛ لقد كنت مخطئاً ، وسأعود فى الصباح ولن أراك ... وداعاً ! ... وذهب جوردون وظلت رودا فى مكانها تبكى

ولما رفعت يديها عن عينيها وجدت أباها جالساً بجانبها فى حديقة منزل جوردون . ومن الغريب أن الدكتور الذى امتنع خمساً وعشرين سنة عن الزواج حزناً على زوجته ، لا يريد أن يفهم رأى ابنته فى الزواج . ويقف فى صف جوردون ضدها وسألها : لماذا رفضته ؟ فدهشت رودا من سؤاله إياها هذا السؤال الذى يدل على علمه بما كتمته عنه فقال : لقد سمعته وهو يطلب يدك . لم تشأ رودا أن تطيل مناقشته فقالت : هل نسيت جيسى يا أبى ؟

فضرب الطبيب الأرض بقدمه وقال : يكفى أن يعيش الإنسان فى الجحيم سبعة أعوام . ولك أن تنتظرى بقية العام إن كنت تريدين المحافظة على مدة الحداد . فقالت رودا : يظهر أن لديك سراً تكتمه عنى ، فماذا تعنيه بقولك إنه عاش فى الجحيم سبعة أعوام ؟ إنك تعلم أن الحب كان متبادلاً بينهما . قال الدكتور : إننى أعلم ذلك جيداً ولكن الذى سأخبرك به سيزعجك فاستعدى له . إن جيسى كانت تكتم سرها كل الكتمان ، وكذلك كان يفعل جوردون . وقد كان جوردون يظن أنك تعرفين السر منى . ولكنى لم أخبرك به . فقالت رودا وقد نفد صبرها : ولكن ما هو هذا السر ؟ قال : « إن سر حب جوردون لزوجته ذلك الحب الذى يصلح أن يكون مثلاً أعلى كما تقولين ، إنه فى الواقع لم يكن حباً ، ولكنه شفقة مع الكراهية . وقد بقى الأمر مكتوماً طول السنوات السبع ، وكان يكتم سرها عن الناس بملازمته إياها »

— أى سر هذا ؟

— إنها كانت معتادة تعاطى العقاقير المخدرة ولا تستطيع تركها

فسكتت رودا وكانت لحظة شديدة شعرت فيها بالذل لضلالها عن حقيقة هذه الظروف طوال السنوات السبع الماضية ... وعاد الدكتور إلى الكلام فقال : وإن وفاء جوردون — وأنت تتهمينه بعدم الوفاء — هو الذى جعله يكتم هذا السر حتى فى اللحظة التى لو أفشاه فيها لنال سعادته التى يرجوها

وعاد الصمت مرة أخرى . وكان القمر يسبح فى سماء صافية الأديم وجو من الأجواء التى تستثير صبوة العشاق . فقالت رودا بعد قليل لأبيها : « يا أبى إذهب واطلب إلى جوردون أن يعود »

عبد اللطيف النشار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 448

Lundi - 2 - 2 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ عن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٤٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ محرم سنة ١٣٦١ — الموافق ٢ فبراير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

صحة الفقير وثروة الغنى

فى هذه الأيام العِجاف يكثر الكلام فى الغنى والفقر. والكلام فى الغنى والفقر وما يتصل بهما يوشك أن يكون الوظيفة الطبيعية للسان الإنسان؛ ففى الرخاء يكون تعبيراً عن سخط مكظوم، وفى الشدة يكون تبريراً لسخط منفجر. فإذا وجدت فى الفقراء من لا يسخط على الأغنياء فثق أنه من أتباع الفلسفة التى تؤمن بمبدأ التعويض فى قانون الطبيعة وتقول: « إذا لم يكن للفقراء الأرض فلهم السماء، وإذا لم يُرزقوا المال فقد رُزقوا الصحة؛ والآخرة خير وأبقى من الدنيا، والعافية أعلى وأغلى من الثروة »

من هؤلاء الذين جلوا القناعة فلسفة رجل من القُرّاء المنكَرى الصوت لا يملك فى أكثر أوقاته غير قوت يومه، ولكنه مع ذلك موفور الحظ من السلامة؛ لا يتسخط ولا يتبرم، ولا يجد فى جسمه ما يشكوه، ولا فى نفسه ما يرجوه، ولا فى غده ما يخافه. رآنى بالأمس جالساً فى مكان ضاحٍ من القهوة أنقع فى أشعة الشمس الفاترة جسدىَ المقرور وعلىّ من ثياب الشتاء لفائف فوق لفائف، فأقبل إلىّ يطفر طفور الظبى بين المناضد المصفوفة وليس على جسمه غير غلالة بيضاء من التيل، وعباءة سوداء من الصوف قد رفع ذيلها إلى عاتقه؛ ثم جلس متهلل الوجه متماسك

البدن مكتنز اللحم رفاف البشرة يكاد إهابه من فرط الرّى وسورة المرح ينشق . فلما تكلم وجدته على ما عهدته من فراغ البال وسلامة الصدر وقلة المبالاة فلم أتمالك أن بدهته بهذا السؤال : أفى هذه السن وفى هذه الأيام لا أرى للخبز المخلوط أثراً على وجهك ، ولا أسمع للمجاعة المتوقعة ذكراً على لسانك ؟

قال الشيخ منصور بلهجة الخلىّ وضحكته : والله يا سيدى ما أكلت الخبز نقياً من قبل حتى أشكو خلطه اليوم . ومن تعود أن يأكل الخبز مخلوطاً بالحصى والتراب ، لا يصعب عليه أن يأكله مخلوطاً بالذرة والرز . أما المجاعة التى يتوقعها الناس فلا تختلف عما أنا فيه . وإذا جاز لى أن أشكو ، شكوت إلى الله طغيان الصحة ؛ فإن للصحة الطاغية تكاليف أقلها النهَم والقرَم وتحلب الريق وسُعار الجوف وسرعة الهضم . وتحقيق الشبع الدائم للشهوة الدائمة لا يمكن إلا بخزائن عاشور ومخازن عمرو . إنى أسأم الصحة كما يسأم غيرى المرض . وفى ساعة من ساعات الشرَه يقوم فى نفسى أن الله قد منح الفقراء الصحة ليزيد ألمهم من الحرمان ؛ ولكننى حين أُسكِن أطيط أمعائى بفطيرة من الذرة وطبق من المش ورأس من البصل وحزمة من السريس ، ينمحى ما صوره الخيال فى ذهنى من أطيب الآكال وأعذب الأشربة ؛ ثم تنتشر على بدنى حرارة العافية فأرى الجمال فى كل منظر ، والنعيم فى كل شئ ، واللذة فى كل عمل ؛ وأُدرك بمشاعرى السليمة القوية ما انبثّ فى عالم الحس من كل متاع ؛ ويخيل إلىّ من فرط الشعور وفيض السرور أن الهواء الذى أنشقه هو مددٌ من الروح الخالق يبعث فى جسمى النشاط وفى نفسى الغبطة

أؤكد لك يا سيدى أن الغنىّ يجوع مثل جوعى ، ولكنه لا يشبع مثل شبعى . أنا إن أصبت شِبْع بطنى بأى لون من ألوان الطعام بدا علىّ من دلائل الراحة والسعادة ما وصفته لك . أما الغنى فإنه إذا جرؤ على معدته المترفة بالشبع قضى وقت هضمه العسِر الطويل وهو فاقد الشعور بالدنيا لشدة ما يلقى من حزّة الحموضة وثقل الطعام وضيق النفس وضربان القلب . وهو فى الكثير الغالب ممعود أو مفؤود أو مكبود أو ممرور أو مصاب بالملح أو بالسكر ، فلا بد له من الجرعات المختلفة التى تنيم الألم أو تكافح الداء أو تؤخر الخطر . وقد ينتهى به الأمر فى الزمن القريب أو البعيد إلى الإمساك عن الطعام إلا ما يمسك الرمق

كان لى عند الباشا ثمن أربعين مقطفاً حفرتها لدائرته ، فلما جئته أقتضيه الثمن أكبره وأنكره وتهدم علىّ بالكلام العنيف وقال محتجاً لسبابه واغتصابه : « إن حفر الخوص عمل العاجز ، وإن رجلاً فى مثل صحتك وقوتك لا يجدر بيديه غير الفأس والكُريك »

فقلت له فى مثل هذا الهدوء الذى أحدثك به : « يا باشا إن نصيحتك إياى على نفاستها وقداستها لا تبرر أكلك لحقى . ومن اليسير علىّ أن أنزل لك عن هذه القروش ثم لا أنقص شيئاً ؛ ولكنك قد تزيد شيئاً ؛ وكلما زاد مالك ساء حالك . إنك قد بلغت أرذل الغنى ، ثم انحدرت إلى أسفل الفقر ؛ فأنا وأنت يا باشا سواء : أنا فقير لأنى مصابٌ فى جيبى ، وأنت فقير لأنك مصاب فى معدتك ؛ فأنا أشتهى ولا أجد ، وأنت تجد ولا تشتهى ؛ ولكن حرمانى مؤقت وحرمانك مؤبد ، ونقصى يسده الرضا ونقصك يزيده السخط ، وجيبى المفتوق يرتقه الرفّاء بقرش ، ومعدتك البالية لا يجددها الطبيب بمليون »

وكنت لا أزال أرسل الكلام على هِينَة وحذر مخافة أن ينفجر فى وجهى على عادته مع الناس ؛ ولكن المعجزة التى ظهرت على يده أو على يدى — لا أدرى — هى أن الرجل استرخى وتليّن وبدا على وجهه الأبكم سمات التفكر لأول مرة . ثم قال فى لهجة لا تزال فيها بقية حائلة من الشموخ : « ليتك تدلنى على ما فتل عضلك وشد عصبك ودفق فيك هذا الدم الفوار الحار النقى ، فلبس ذلك من عمل طاهٍ ولا طبيب » . فقلت له فى شئ من الشماتة : ذلك يا باشا تعويض الفقر من الغنى ، وهو صنع الله ولا حيلة فى صنعه . أما الطاهى فهو الذى يقدم للغنى خيوط الكفن وهو ينسجه بأضراسه ؛ وأما الطبيب فلا يعرفه من لا يشبع . ولقد قال أبو جعفر المنصور لأعرابى : « أما عندكم فى البادية طبيب ؟ » فقال « يا أمير المؤمنين ، حُمُر الوحش لا تحتاج إلى بيطار » . والشبه بين حالنا وحال البدو فى الخضوع لقانون الطبيعة واضح . . .

قطعت الحديث على الشيخ منصور بهذا السؤال : أتكره أن تكون فى مكانه وهو فى مكانك ؟ فأجاب الخبيث : لا أقبل ثروة قارون إذا لم أحتفظ بمعدة منصور ، ولا أرفض وزارة المالية إذا أسندوا إلىّ معها وزارة الصحة !

احمد حسن الزيات

في بناء الجيل الجديد

أعدى الأعداء!

للدكتور زكي مبارك

الخطر الذي يهدد البيت من جهل الزوجات وتخلف الأبناء — ما الموجب لتشجيع الحركة النسوية ؟ — لن يذوق الرجل طعم السعادة أو الشرف إلا إن كان السيد الأول والأخير في البيت — السر في تمرد بعض الزوجات على بعض الأزواج — أبناء اليوم بعد بنات اليوم — هل سمعتم أن الأسد يتعطر ويزدان ؟

جاء في كلامٍ منسوب إلى الرسول هذه الحكمة السامية :

« أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك »

ولهذه الحكمة كثيرٌ من المرامي ، وسنرجع إلى شرحها بعد حين .

والمهم في هذا الحديث هو التنبيه إلى خطر يهدد قوانا المعنوية، وهو الخطر الذي يصل إلينا من الزوجات ومن الأبناء ، ولا سلامة من هذا الخطر ولا نجاة إلا إن قاومناه بعزائم لا تعرف التخاذل ولا النكوص .

والرجل الحق في نظري هو الرجل القادر على البطش بحقوق البيت ، ولا أريد الحقوق المشروعة التي يوجبها العُرف والدين ، وإنما أريد الحقوق المفتعلة التي تخلقها الزوجات الجاهلات ، أو الأبناء المتخلفون .

والرجل لا يسمح لزوجته بافتعال الحقوق إلا عند الشعور بضعف الحيوية ، فهو يرائيها لتكف عنه شرها المخبول . ولعل لهذا المعنى دخلاً في تهالك بعض الناس على تأييد الحركة النسوية ، فما يسيغ ذهني أن يدعو الرجل إلى المساواة بين النساء والرجال ، ولا يجوز عندي أن تصدر هذه الدعوة عن صدرٍ برىء من الأغراض .

وأقول بصراحة إني لم أجد شخصاً يساعد على طغيان الحركة النسوية إلا افترضته أحد رجلين : رجل ضعيف يستر ضعفه بالتظرف ، أو رجل ماجن يرى هذه الدعوة من أنجح الأحابيل .

وإذا جاز للرجل أن يساير الباطل في المجتمع فلا يجوز له أن يساير الباطل في البيت ، وإذاً يجب وجوباً جازماً أن تذكر الزوجة في كل لحظة أن مصيرها إلى الهاوية ، إن فكرت في الانتفاع بما أباحث المدنية الرخوة من تطاول النساء إلى منازل الرجال .

المرأة لن تكون إلا مرأة ولو طُوِّقت بالجوزاء ، وعقل المرأة لن يكتمل ولو ثُقِّف بجميع ما عرفت الإنسانية من علوم وفنون ، فما بال فريق من المخلوقات يبدئ ويعيد في الكلام عن حقوق النساء ؟

لقد خُرِّبتْ أكثر البيوت في الغرب بفضل التلطف مع المرأة ، فماذا تريدون بأنفسكم يا أبناء الشرق ؟

إن الخراب ينتظر البيوت التي يسيطر عليها الجنس « اللطيف » ، ونعوذ بالله من شر هذا الجنس ، فهو في كل مكان وفي كل زمان مصدر البلاء .

وخلاصة القول أن الرجل لن يذوق طعم السعادة أو الشرف إلا إن كان السيد الأول والأخير في البيت . وهل سميت المرأة «سيدة» إلا في عصور الانحطاط ؟

كان الزمام في أيديكم ، فكيف أضعتموه ؟

وكانت المرأة في مكانها وعند حدودها ، فكيف استطالت ، وما كانت إلا مخلوقاً أمضى أسلحته البكاء ؟

جفّ الدمع في عيون النساء ، بعد أن خمد العزم في صدور الرجال ، ولن يكون لبنات حواء غير التعاسة بعد لياذهنّ الأثيم إلى الفطرسة والكبرياء ، ولن يكون لبني آدم غير الذل بعد رضاهم المقوت عن تطاول ربات الحجال !

أتريدون أن تعرفوا السر في تمرد بعض الزوجات على بعض الأزواج ؟

يرجع السر إلى أن طبيعة المرأة طبيعة كلبية ، فهي لا تعيش بغير سيد يُخضِعها لهواه في جميع الشؤون ، فإن شاء الزوج

أن يجعلها سيدة ليصير من أبنـاء العصر الحديث فلن يقع الغُرم إلا عليه ، ولعله يبحث فيعرف أن المرأة لا تتمرد على زوجها إلا بعد أن تصير أمَـةً لرجلٍ سواه ، ولو فى حضانة الخيال ؟

ومن أعجب العجب أن تكون هذه الحقيقة البديهية فى احتياج إلى شرح ، ولـكن ماذا نصنع ونحن نعيش فى زمنٍ قضتْ غباوتُه بتوضيح الواضحات ؟

لقد بغتْ المرأة ثم بغت ، واستطالت ثم استطالت ، حتى صار من حقها أن تشترك فى مباريات الجمال ، ومع هذا لم يسمع أحدٌ أن مباراةً أُقيمت بين النساء فى ميدان العقل

وفى مصر مجلات تعرض وجوهاً نسائية من وقت إلى وقت ، لتحدثنا بالرمز والإيماء عن تفوق الملاحة والصباحة فى هذه البلاد

وأقول إن المرأة لا تسمح بنشر صورتها إلا وهى منخوبة العقل والوجدان !

كان من العسير على الفتى أن يتمثل صورة فتاةٍ عارية قبل أن تظهر بعض الأفلام وقبل أن تظهر بعض المجلات ، وكان من الصعب أن تهتدى المرأة إلى بيت أحد الأقارب بدون دليل . . .

واليوم يجوز ما لم يكن يجوز فنسمع أن المراقص تدار فى بيوت بعض الأعيان ثم تُنشر صورها فى صحائف يقرأها الجاهل قبل الحليم ، ونسمع أن حفلة أُقيمت لغرض لا نسميه ، وفيها تراقصَ أُناس لا تجمع بينهم لغة ولاجنس ولا دين

ليكن ذلك ، فنحن فى « القرن » العشرين

ولـكن البيت ، البيت ، البيت ؟؟؟

احذروا ثم احذروا من أن ترقص المرأة فى البيت !

واحذروا ثم احذروا من أن يكون للمرأة فى البيت أى سلطان !

يرحمك الله ، يا أبى ، فقد كنت لا تدفع ثمن النعل إلا بعد أن تجربه على رؤوس زوجاتك ، وكانت أحبهن إليك أصبرهن على أذاك

اليوم يجوز ما لم يكن يجوز

اليوم تعارض المرأة زوجها فى توافه الشؤون ، وتنتصب أمامه كالحية النضناض ، لتسأله كيف تأخر عن موعد الحضور دقيقة أو دقيقتين !

ثم ماذا ؟

أترك الحديث عن سخافة المرأة وأنتقل إلى حماقة الأبناء فأقول:

هل تعلمون أن من شباب اليوم من يظل عالةً على أبيه إلى سن الثلاثين !

ولـكن كيف ؟

بحجة أنه لا يزال طالباً فى أحد المعاهد العالية !

أسقط الله سقوف تلك المعاهد على رؤوسكم ، يا جهلاء !

بأى حق يجوز أن يبلغ الفتى سن العشرين قبل أن يصلح للاضطلاع بأعباء المعاش ؟

الجواب حاضر : لأنه يستبيح المشي في الشوارع وكأنه غادة بلا نقاب ، ولأنه يعتمد على أمه فى استغفال أبيه ، فيصل إلى الثلاثين قبل أن يصلح لشىء من صالح الأعمال

أحب أن أعرف كيف يجوز للفتى أن يتعطر ويزدان بإفراط وإسراف ؟

أيفعل ذلك ليختلب لُبَّ امرأة ؟

إن كان هذا ما يريد فقد أخطأ الصواب ، لأن المرأة تشمّ الفتى الفحل ، فتنجذب إليه ولو كان عاطلاً من الُحسن والرُّواء

وبهذه المناسبة أقول :

هل فكرت الدولة فى إحصاء ما ينفقه الفتيات والفتيان فى التزين والتجمل ؟

أكاد أجزم بأن « العِطر » فى مصر هو سبب أزمة « الفُول » !!!

وما هذه البدعة التى توجب أن يسير الشبان فى الشوارع ورءوسهم عارية ، برغم قسوة البرد فى الشتاء ؟

ألم أقل لـكم إن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يغطى رأسه من بين سائر الحيوان ؟ فما زهدَكم فى تلك المزية الإنسانية ؟

ولو كان ذلك التبرج لا يقع إلا من الشبان الوارثين لخفَّ الخطبُ وهان ، ولـكنه مع الأسف الموجع يقع من شبان يجهلون ما يعانى آباؤهم فى تزويدهم بالقوت ، فمن أين يجتلب أولئك الشبان نفقات الطلاء ؟!

قد يقال إن تأنق الشبان صار بدعة عالمية

وأقول إن ما يجوز فى الغرب قد لايجوز فى الشرق . لأن الشرق فى مطلع نهضة جديدة ، وهى توجب أن يتخلق أبناؤه بأخلاق الأسود ، وما سمعت ولا سمعتم أن الأسد يتعطر ويزدان

أيها الناس

اسمعوا ، وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا

لا تسمحوا للمرأة بأن تتحكم فى البيت ، فما كان تحكمها إلا تحكم الضعفاء ، وهو أشنع ضروب الاستبداد

ولا تسمحوا لأحد أبنائكم أن يستظل بظلكم بعد العشرين ولو كانت مواهبه تبشر بأن سيكون من أعلام الزمان

أما بعد فهذه كلمة عنيفة ، ولكنها حجر متين فى بناء الجيل الجديد .

زكى مبارك

أبو سليمان المنطقى

للدكتور جواد على

أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستانى المنطق شخصية من الشخصيات القوية الفذّة التى ظهرت فى عالم بغداد فى القرن الرابع للهجرة ، فأثرت فى مجتمعات عاصمة العباسيين العلمية وأنديتها الأدبية تأثيراً يشابه تأثير زميله فى المهنة الأديب الفرنسى الفيلسوف « فولتير » فى باريس عاصمة الفرنسيين[(١)] . كان إذا تكلم أقنع ، وإذا فاه أسمع ، وإذا نطق أسكت ، وإذا بحث فى موضوع من الموضوعات حلله تحليلاً علمياً منطقياً ، فلا يترك لأحد فى الموضوع شبهة أو شكاً . وكيف لا يكون كذلك وسلاحه المنطق وهو سلاح اعتبر فى عهد العباسيين من أمضى الأسلحة وأقساها ، وهو رئيس مناطقة بغداد أيضاً ، وزعيم كبير من زعمائهم لا ينازعه فى ذلك منازع[(٢)] .

(١) ولد عام ١٦٩٤ وتوفى عام ١٧٧٨م وكان من أعز أصدقاء الملك فريدريك الكبير ملك بروسيا . وهو من الفلاسفة الاصلاحيين النقادين وقد أصدر مولاند Moland جميع ما قاله هذا الفيلسوف فى مكتبة تضمنت اثنين وخمسين مجلداً ظهرت بين عام ١٨٧٨ وعام ١٨٨٥م .

(٢) راجع ابن القفطى أخبار الحكماء ص ١٨٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ

كان للمناطقة فى بغداد فى القرن الرابع للهجرة دولة ومقام . كانوا لسن الأندية وخطباء المجالس ، وكانوا فقهاء القوم وأطباء المجتمع . كانوا كل شىء ، وبحثوا فى كل شىء ، ولذلك ميزهم الجمهور عن جماعة الفلاسفة الذين كانوا أكثر اتزاناً فى باب العلم وأكثر من المناطقة فى الكلام تحفظاً . وقد أطلق على كل واحد منهم لقب « المنطقى » ليميزوهم بذلك عن الفلاسفة والمتكلمين . وكان عماد أسلحتهم المنطق : منطق اليونان ، منطق أرسطو[(١)] . وفورفوريوس صاحب كتاب « الأيساغوجى » الشهير[(٢)] .

وكان من زعماء الجماعة فى القرن الرابع للهجرة صاحبنا « أبو سليمان السجستانى » الذى اشتهر بنبوغه فى المنطق ، حتى الأخص حتى عرف به ، وحتى لقب « بأبى سليمان المنطقى » . وكان له منتدى يرتاده كثير من طلاب العلم ورواد المجالس الأدبية من مختلف أنحاء الدنيا . قصده محمد بن عبدون الجبلى من الأندلس ، وهو أحد الذين ابتلاهم الله بحب الفلسفة والمنطق ولاقى فى سبيل غرامه العلمى ألواناً من القسوة والعذاب[(٣)] . وقصده كثير من أبناء سجستان وتركستان وبلاد الشرق حتى كان منزله مثابةً لأهل العلوم القديمة . وله أخبار وحكايات وأسئلة وأجوبة فى هذا الشأن على الرغم من عور كان به ، ووضح كان يمنعه من ارتياد منازل الوزراء وكبار رجال الدولة حتى قال فى ذلك الشاعر البديهى الأبيات الشهيرة التالية :

أبو سليمان عالم فطن ... ما هو فى علمه بمنتقص
لكن تطيرتُ عند رؤيته ... من عورٍ موحش ومن برَص

(١) راجع Max. Horten. Phil· d. Islam ص ٦٧ والمصادر الأخرى

(٢) Porphyrius فيلسوف شهير من المدرسة الأفلاطونية الحديثة (ولد عام ٢٣٢ وتوفى عام ٣٠٤ م) وكان من أبرز تلاميذ أفلوطين Plotine وقد شرح كتب أفلاطون وأرسطو ، وألف الايساغوجى فى المنطق Eisogögé ، وكان خصما لدوداً للمسيحية . راجع قاموس الفلسفة لشميدس ٥٠٠ وكذلك كتاب المستشرق الشهير أوليرى O'leary وعنوانه : Arabie thought and its place in history ص ٢٢ وما بعدها ، وكتاب ماكس هورتن فى الفلسفة الاسلامية ص ٧٦ . وكتب التراجم العربية أمثال الفهرست لابن النديم وأخبار الحكماء لابن القفطى جمال الدين وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة وتتمة صوان الحكمة للبيهقى (طبعة لاهور) وغيرها .

(٣) راجع طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسى (المتوفى سنة ٤٦٢ هـ) ص ٨١

ويأتيه مثل ما بوالده وهذه قصة من القصص[(١)]

انقطع أبو سليمان عن زيارة بيوتات الوزراء ودور أكابر بغداد على الرغم من ميل طبيعى كان فيه يدفعه دوماً إلى تتبع أخبار الدولة والحوادث العامة وسياسة ذلك الوقت ، وما كانت تدبره الأحزاب من مؤامرات وفتن إلى غير ذلك من أمور كان كلفاً بها مشتاقاً إلى معرفتها حتى اتخذ له عيوناً وأرصاداً من تلاميذه وأصدقائه ومحبيه يأتونه بالأخبار أمثال أبى حيان التوحيدى صاحب « الأمتاع والمؤانسة » ؛ وكان يغشى مجالس الرؤساء ويطلع على الأخبار ، ومهما علمه من ذلك نقله إليه وحاضره به . ولأجله صنف كتاب الإمتاع والمؤانسة ، نقل له فيه ما كان يدور فى مجلس أبى الفضل ابن العارض الشيرازى عند ما تولى وزارة صمصام الدولة بن عضد الدولة من أخبار[(٢)] . ولكنه لم ينقطع عن زيارة بعض بيوتات العلم والأدب أو الأنس والطرب ، ولم يأنف أن يزور مثلاً رسل سجستان فى أيام الجمعة وكان فيهم ابن جبلة الكاتب، وابن برمويه، وابن الناظر أبو منصور وأخوه، وأبو سليمان وبندار المغنى، وغزال الراقص، وعلم وراء الستارة (جارية)[(٣)] وغيرهم من أمثال هذه الطبقة

ولأبى سليمان نفس تمثل نفسية الموسوعيين (الانسكلوبيديين)[(٤)] بكل معنى الكلمة ؛ تراه يتحدث عن نظرية العلم والمعرفة فيقول : إن العلم صورة المعلوم فى نفس العالم ؛ وأنفس العلماء عالمة بالفعل ، وأنفس المتعلمين عالمة بالقوة . والتعليم هو إبراز ما بالقوة إلى الفعل ؛ والتعلم هو بروز ما هو بالقوة . إلى الفعل . والنفس الفلكية عالمة ؛ بالقوة . وكل نفس جزئية تكون أكثر معلوماً وأحكم مصنوعاً فهى أقرب إلى النفس الفلكية تشبهاً بها ونصيراً لها[(٥)] . وتراه

(١) راجع أخبار الحكماء لجمال الدين بن القفطى المتوفى عام ٦٤٦ هـ وكذلك كتاب الأمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى وهو من الكتب الأدبية الممتازة وقد تضمن أخباراً كثيرة عن أبى سليمان المنطق السجستانى راجع الأبيات فى صفحة ٣١

(٢) راجع أخبار الحكماء صفحة ١٨٦

(٣) راجع الامتاع والمؤانسة ص ٤٢

(٤) وكان من مذهب هؤلاء الاحاطة بكل العلوم ومن أشهر هؤلاء **Vincenuy V. Beuvais** المتوفى عام ١٢٦٤ م وقد استعملت هذه اللفظة بهذا المعنى فى النصف الثانى من القرن السادس عشر وظهرت الانسكلوبيدية الفلسفية فى فرنسا بين عام ١٧٥١ — ١٧٨٠ م على يد **d'alembert** وديدرو **Diderot** وبمساعدة روسو وفولتير وكريم **Grimm** وهولباخ . ثم انتقلت هذه الحركة إلى ألمانيا وانكلترة وفرنسا وأسبانيا وغيرها من البلاد

(٥) الامتاع ص ٤٠

يتكلم عن القرآن والحديث والأحكام بكل إمعان وإتقان وسعة اطلاع حتى كأنك أمام أحد المفسرين أو الفقهاء أو المحدثين . وقد أكسبته هذه الإحاطة العامة شهرة جعلت البعض يكتبون إليه يسألونه وهم فى أقاصى البلاد . كتب إليه أبو جعفر ملك سجستان يسأله عن القرآن والعربية والشعر والأحكام[(١)]

وتراه يتحدث عن السياسة وصفات الملوك وأنظمة المملكة ، فيجيد فى الموضوع كل الإجادة ويأتى بنظريات تكاد تكون من أحدث النظريات . فيصل علم ذلك إلى الوزير أبى العارض فيسأل تلميذه التوحيدى وهو من أعلم الناس بأحوال أبى سليمان هذا السؤال : كيف كان كلام أبى سليمان فينا ؟ وكيف كان رضاه عنا ورجاؤه بنا ، فقد بلغنا أنك جاره ومعاشره ولصيقه الخ[(٢)] ؟ ولا يستغرب صدور مثل هذا السؤال من وزير ، فلأبى سليمان مجلس له شأن ، ولأبى سليمان دائرة ذات مكانة فى البلد ومنزلة .

كانت حلقة أهل المنطق فى بغداد حلقة كبيرة ضمت نخبة كانت لهم ثقافة ممتزجة عالية ، لم تكن عربية بحتة ولم تكن يونانية أو فارسية أو سريانية خالصة . كانت تجيد مختلف اللغات، وتحمل مختلف الثقافات . ولقد فضل أهل النظر صاحبنا السجستانى على كثير من زعماء هذه الدائرة ممن كانوا يشتغلون بنفس الموضوع الذى اشتغل فيه السجستانى أمثال ابن زرعة أبي على عيسى ابن اسحق (ولد سنة ٣٧١ وتوفى سنة ٤٤٨ هـ) ، وهو أحد المتقدمين فى علم المنطق وعلوم الفلسفة والنقلة المجودين ، نقل من السريانية بعض كتب أرسطوطاليس[(٣)] . وكانت له عناية خاصة على ما يظهر بكتب هذا الفيلسوف ومنطقه دون فلاسفة اليونان الآخرين . وكذلك أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهرام[(٤)] المعروف بابن الخمّار ، وابن السمح، والقومسى، ومسكويه ، ونظيف ويحيى بن عدىّ وعيسى بن على[(٥)] . وكل هؤلاء من مشاهير

(١) الامتاع ص ١٣٠ راجع أيضاً كتب نقابات لأبى حيان التوحيدى

(٢) الامتاع ص ١٩

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٣٧٠

(٤) الفهرست ص ٣٧٠ وتاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٢٣ وكان ممن قرأ على يحيى بن عدى وكان يرى الوفاق بين رأى الفلاسفة والنصارى ، وقد تأثر بمنطق فرفوريوس أكثر من غيره على ما يظهر من مؤلفاته فى فهرست ابن النديم

(٥) الامتاع ص ٣٣ — ٣٥

٢ — مطالعاتى حول المدفأة

حكومة الحـــدائق

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ما عليّ وقد تهت بين الجبال فى البحث عن المدينة الضائعة ، ملبياً نداء المجهول ، مبتعداً عن ثقل الحضـارة ؛ أن أنتقل مع « دوهامل » بين الأزاهير ؛ فأستنشق العطر ، وأرشف الحكمة ، وأنعم بهدوء البال

الحق أن ثقل المدنية يدفع إلى الهرب منها ؛ وهذا ما فعله «دوهامل» حين فر إلى حدائق «ڤالموندوا» فى « إيل دوفرانس» فتمتع بالزهر ، وسكر بالأرَج ، وحلم بحكومة الحدائق ... نخط رسومها ، وبين خططها ... (١)

ها هى ذى الطبيعة البكر ، لم تلمسها يد ولم تطأها قدم ، تنمو على غير نسق ، ودون نظام . فإذا امتدت إليها يد الإنسان ورعتها بالتهـذيب ، وجملتها بالترتيب ، حَسُنَتْ وتمَتْ . وها هى ذى الخضارات والنباتات تربو بفن البستانى ، وتزهر بالعناية والحرث والسقيا ، ففنّـه إذن يفيد . إنه حياة تُرْبى الإبداع والجمال ... أفلا نستطيع أن نجنى من ذلك عبرة نتبعها فى حكومة الناس ... !

هذا ما يبدأ به دوهامل كتابه ... على أنه يصف بستانه الذى حلم بحكومته أنه ليس بالـكبير ليقصر الإنسان عن العناية به ، وليس بالصغير ليوجب إهماله . وليس بالخيالى كبستان لأب موريه ، ولا بالبارع كبستان « بلوميه » الذى ابتدعه هوجو فى البؤساء . لا ... ولـكنه وسط بين أولئك . ومهما يكن من أمر ، فإن هذا البستان يوجب العناية ويدفع إلى العمل : إنه يتطلب جناناً بارعاً ، وعملاً متواصلاً ، ونظاماً سائداً ؛ وعندئذ يطيب الغرس ، ويتألق الزهر ، ويحلو الثمر ، ويربو القطف

لاجرم أن النظام سر الإبداع وسر الجمال ، وهو الذى يحيى النفوس ويرهف الأذواق ، ويخلق النبلاء . ولا بد لـكل مخلوق منه ، حتى النباتات ؛ فينبغى أن تخضع لقانون تتبعه ، وتسلك نهجاً تسير فيه . لـكن ما الذى يكون إذا أُهمل البستان . فنسيه الفكرُ الذى ينظّـمه ، وجفتْه الأيدى التى تعتنى به ... ؟

(١) أنظر كتاب دوماهل المسمى : George Duhamel :Fables de mon jardin

بغداد فى ذلك العهد ومن أدبائها الممتازين . فلا عجب بعد ذلك ولا غرابة أن رأينا أن عضد الدولة مثلاً كان يكرمه ويفخّمه وينزله منزلة خاصة من بين الأدباء المنطقيين (١)

انتقلت شهرة السجستانى فى المنطق من بغداد إلى الأندلس كما انتقلت فلسفة الفارابى والفلسفة الطبيعية أيضاً (٢) وكان الذى نقل هذه الشهرة وهذا المنطق محمد بن عبدون الجبلي من أهالى الأندلس ، نقلها إلى الأندلس عام ٣٦٠ الهجرية (٩٧١ م) أى فى السنة التى عاد فيها ثانية إلى وطنه الأصلي من العراق (٣) ، وللسجستانى كلمات حكمية تدل على أنه لم يكن يقنع بالحواس الخمس ولا بالتجارب وحدها وإنما كان يرى فى العقل وحده القول الفصل (٤) شأن الفلاسفة العقليين الذين يرون فى الحجج العقلية الدنيا الأولى Rationalismus أمثـال بار منيدس الفيلسوف العقلى الشهير وفلاسفة مدرسة الأليئاتن Aleaten وفلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد ، وعلى الأخص أمثال ديكارت وشبينوزا ولايبنتز وولف (١) وأولئك الذين أطلق عليهم الفيلسوف وند Wund اسم المنطقيين المتطرفين Paolanismus وهؤلاء هم عكس الفلاسفة التجريبيين Empirusten الذين يعتقدون بصحة المعرفة إلا إذا جاءت عن طريق التجربة والمشاهدة والحواس أمثال : لوك وفرنسيس بيكن وجون ستيوارت ميل (٢) وغيرهم

مراد على

(١) ابن القفطى ص ١٨٦ (٢) تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٢٣٧

(٣) طبقات الأمم لابن صاعد ص ٨١

(٤) راجع تتمة صوان الحكمة لأبى الحسن على بن أبى القاسم زيد البيهقى المتوفى سنة (٥٦٥ هـ) ص ٧٤ طبعة لاهور

(١) راجع 535 و Schmidt. s

(٢) راجع E. wentscher. das Problem des E. dargestellt كذلك au. J. St. mill. 1922. meurer. Gegen den. E. 1925

لا شك أن ذلك البستان يميد من الفرح فى أيامه الأُول ؛ فتسكره الحرية ، وينطلق من النظام الذى كان يراه قيوداً فيعيش على هواه : نوم دائم ، واستقرار طويل . وخمول لازب ؛ وفجاءة تعتلّ النباتات الضعاف لسعة حريتها ، فتعبّ الماء الكثير . . . وتبلى . ثم تغرق الأزاهير الصحاح فى الماء فتندى . ثم تروى ، ثم يداخل سوقها الوهن ، فتصبح كما أصبحت من قبل أخواتها ؛ وتفسد الثمار التى تركت على أشجارها فلم تقطفها يد الجنّان ، وينثر الهواء البذور فى الأرض فتضيع ، وتستولى الأعشاب الوحشية على الممرات ، وتزاحم النباتات الطائشات الأزاهير الصغار . وعندئذ تسود الفوضى ، ويحكم البستان ثلاثة أصناف من الأعاشيب ، يرجع إليها الأمر ، وتكون الحكم والخصم . ثم يتقاسمن البستان ، وتنشأ حولهن أزاهير بورجوازية تكون من الأعوان والأنصار . ثم تغتنم هذه الأزاهير فرصة الفوضى فتنتشر هنا وهناك . فإذا مضى الشتاء وأقبل الربيع ، وجاء فى موكبه النور والجمال . . . لم تجد فى البستان الحياة والرونق . ولا الجمال وبراعة النسق ، ولا الحرية المهذبة والنظام ... بل تجد الاضطراب والفوضى والظلام ، وترى بضعة أعشاب أنانية شرسة ، تحكم بعنف ، ولا تتراجع أمام شىء . تشبع نهمها ، وتغذى نفسها بالبطش والشر والانتقام

على أن سلطة رعاع العشب لا تدوم . فهناك ، على حفاف البستان تقوم برابرة الأشجار ... فى الغابة . وفيها تجثم قوة مخيفة لا تعرف ولا توصف . لقد كان فن البستانى يوقفها ، لأن النظام الذى تراه رفّافاً فى جنبات الحديقة كان يخيفها ، وكان يدفعها إلى احترام من يتبعون النظام . أما الآن ... فلا شىء يمنعها عن التقدم

ورويداً رويداً تتقدّم الغابة فتستعبد البستان بقوة لا تغالب ، وجبروت لا يُقهر ؛ فتقضى على الثائرين الصغار ، وتبطش بالفاسدين الكبار ؛ ثم تنمو وتترعرع حتى يأتى يوم يمّحى فيه البستان ويغيب فى ظلال الشجرات العتاق ... ويعود عالمنا كما بدأ مضطرباً مظلماً موحشاً . فالنظام لا جرم سيد الكون ، وإن فن الحكومة — حكومة الحدائق — يدل على أنه لا بد من خضوع الطبيعة لسلطةٍ ما تقودها نحو النظام . لأن الطبيعة هى حياة أصناف وحشية عندها ، وموت أصناف أخر ، واستخدام أصناف ثالثة . أما فنّ الجنّان فهو الذى يقاوم قوى الطبيعة الجبارة . فيحمى الأزاهير الجميلة لأنها أرق النباتات ، ويضع كلاً فى موضعه ، ويحدد ذلك الموضع والمكان ؛ ويساعد الضعيفة منها ؛ ويخفف من غلواء ذوات الطيش والإقدام ، ويضع مجموعة من القواعد ملؤها الحكمة والانسجام تكون قابلة للتطبيق والاتباع

ولا بد من وقفة صغيرة . إن السلطة ضرورية، ولكن ينبغى التفريق بينها وبين العنف . وإلا ما استطاع أحد قيادة الناس ، لأن القوة الوحشية التى تسود بالحديد والجرانيت والرخام لا قيمة لها أمام الحياة ... لأنها ستغلب يوماً . فالبستانى البارع يمارس سلطته باحترام أزاهيره ونباتاته والرفق بها ، ويبدّل قواعده التى تستند إلى القوة بالإقناع ، لأن الإقناع أشد تأثيراً فى النفوس من الحديد . إنه يدفع إلى الهوية ، وإنه يحيى ويميت . فإذا كان ذلك أصبح البستان رقعة من رقاع الفردوس ، ورفرف حوله العدل والانسجام والسلام

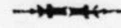
(دمشق) صلاح الدين المنجد

حكم فى القضية ن ٩٧ عسكريه الفيوم سنة ٩٤٢ ضد محمد أبو الفضل خليل من هوارة عدلان بحبسه أسبوعين شغل وبتغريمه ٢٠٠ قرش وغلق المحل لمدة ثمانية أيام لبيعه سكرا بسعر يزيد عن المقرر

الأحلام

للإمام النفسانى « يونج »

للدكتور محمد حسنى ولاية



يقسم يونج العقل الباطن « اللاوعى » إلى قسمين :

١ — اللاوعى الشخصى الذى يحتوى على كل ما هو منسى أو مكبوت مما اكتسب بواسطة الإنسان .

٢ — اللاوعى الشامل الذى يشمل محتويات غريبة عن الفرد وليس لهـا طابع شخصى ، ويمكن استكشاف هذه المحتويات فى هواجس الجنون وبدوات الأحلام التى تنتمى إلى العقل البدنى ، فهى لم تكتسب ذاتياً ولكنها موروثة من الإنسان الفطرى ومتمثلة على وجه العموم فى كل الكائنات البشرية .

وقد قص يونج الحلم الذى سأذكره فيما يلى ليبين الفارق بين الأحلام الذاتية العابرة والأحلام الناشئة من اللاوعى الشامل . وهو يرى أن هذا الحلم قد طفا من مستوى أعمق بكثير من مستوى الأحلام العابرة :

« حلم طالب دينى أنه يصلى أمام شخص جميل أطلق عليه الساحر الأبيض وكان مرتدياً معطفاً أسود . ثم أقبل شبح آخر سماه الساحر الأسود مرتدياً جلباباً أبيض .

رغب الساحر الأسود فى التحدث إلى سيده الساحر الأبيض ، ولكنه تردد فى الإدلاء بحديثه وهو فى معية تلميذه « الطالب » . وحينئذ قال الساحر الأبيض : « تكلم . إنه طاهر » . فقص الساحر الأسود قصة عثوره على مفاتيح الجنة الضائعة ولم يتيسر له معرفة استعمالها . فجاء إلى الساحر الأبيض مستفسراً ثم قال : إن ملكه يبحث عن مقبرة ليوسد فيها حين يحين حينه ، ولكن بينما كان أحد رعاياه يحفر الأرض عثر على مقبرة كبيرة تحتوى على بقايا عظام عذراء ، ففتح الملك هذه المقبرة وألقى هذه العظام خارجها وأقفلها .

فما إن تعرضت العظام لنور النهار حتى دبت فيها الحياة ، وأخذت شكل حصان أسود جرى إلى الصحراء .

فتبع الساحر الأسود هذا الحصان ، وبعد صعوبات جمة وجد مفاتيح الجنة الضائعة »

ويرى يونج أنه لا يمكن تفسير هذا الحلم بالطريقة المختزلة لأن قيمته الحقيقية تكمن فى ذاته لأنه عبارة عن تجارب روحانية تتحدى أية محاولة لتبريرها .

وقد انتقد يونج نظرية فرويد فى الأحلام والعقل الباطن لأنها لا تعترف بوجود اللاوعى الشامل . ثم قال : إن الوراثة فقط تستطيع أن تفسر التماثل العجيب بين الأقاصيص الدينية الأزلية من ناحية ، وبين الأحلام والهواجس من ناحية أخرى . وإن اللاوعى الشامل لا يظهر أثره إلا عند حدوث ظروف غير عادية تطلق سراح نشاطه المستقل .

أختم المقال بحلم شاب فى العشرين من العمر مشفوعاً بتعليق يونج عليه :

« رأيتنى فى كاتدرائية « لورد » وقد شملها جو قاتم غامض ونور خاب وتوسطتها بئر عميقة كان مفروضاً على أن أتوجه إليها »

ثم عقب الحالم على هذا بقوله : «إن لورد هذه بئر للاستشفاء ، وقد رأيتها فى الحلم بمناسبة تفكيرى فى السعي إلى العلاج »

« إن كلمة كاتدرائية تعيد إلى ذاكرتى كاتدرائية كولونيا التى أغرمت بها فى صباى ، وكثيراً ما كانت أمي تستصحبنى إليها وتحدثنى عنها »

هنا يصف المريض اختبارات مهمة فى صباه تعرب بنوع خاص عن صلته الوثيقة بالأم . وهذه الصلة تنطوى على علاقة سرية غير واعية ، وقد عبر عن هذه العلاقة تعبيراً قد يعتبر واعياً فى شكل إبطاء فى نمو أخلاقه وبقاء مظاهر من الطفولة فيه . وقد برزت فيه بعض خصائص الأنوثة كما يبدو من طريقة تعبيره ، وكانت علته التى التمس الشفاء منها حبه الذكور حباً جنسياً Homosexuality

تكافح الشخصية فى تطورها لكى تنفصل عن العلاقة الطفلية غير الواعية بالوالدين ، ولا شىء يعوق النمو الأخلاقى أكثر من بقاء نفسية طفلية غير واعية

وتأتى أول فرصة للانفصال عن الأم عن طريق إرضاء الغريزة باستبدال الأم بموضوع آخر يماثل الأم

وإنا نرى فى حلة هذا الشاب أن بدواته Phantasies الطفلية متعلقة برمز الكاتدرائية بسبب حاجته القوية غير الواعية إلى بديل عن الأم . وتعتبر الكنيسة هنا بديلاً روحانياً عن الصلة الطبيعية بالوالدين

وكان القدماء يحتفلون بسن البلوغ فيفهم الشاب أسرار قبيلته الدينية . وكان الاحتفال مصحوباً بكثير من الطقوس الدينية والعادات الفطرية ولا ريب فى أن هذه تركت أثراً فى عقلنا الباطن بل إنها أصبحت تقريباً تعميمات غريزية منحوتة فى اللاوعى كنماذج قديمة Archetypes . هذا وإن حب الجنس المماثل Homosexuality يرجع إلى وقائع تاريخية عند الإغريق وبعض القبائل الفطرية ، وكانت الرغبة فيه تعد نضوجاً ورجولة . فإذا رجعنا إلى خطة الحلم أمكننا أن نفهم أنها ترمى إلى رغبة المريض فى العلاج وإلى إثبات معنى حب الجنس المغاير أو بعبارة أخرى الدخول إلى دنيا البالغين

(للبحث صلة) **محمد حسني ولاية**

الأزهر في عامه الجديد

بين الذكرى والأمل

الأستاذ عبد اللطيف محمد السبكي

فوق ما للأستاذ « الزيات » بين رجال الفكر والقلم من مكانة مرموقة : فإن له نزعة دينية تتمثل فيما يكتبه من حين إلى حين عن الثقافة الإسلامية وحاجة الناس إليها ، وعن الأزهر وما يتصل بالأزهر من هذه الناحية . وبلاغة الزيات وروحه تقتضيان أن يقرأ له الناس إذا كتب ، ويصغوا إليه إذا قال

وقد تحدث الأستاذ فى فتتاحية « الرسالة » لعامها العاشر عما يغشى الناس فى هذه الآونة من ظلام : ظلام المطامع والشهوات ، أو ظلام القسوة والطغيان ؛ حتى عُمّيت على الناس وجوه الرأى ، وغلقت دونهم أبواب الخيبة ، واكفهرت أمامهم بوادر المستقبل

وتعليل ذلك كله عند الأستاذ الزيات ظلمة السرائر من نور الهداية ، وإقفار البصائر من روح الدين ، حتى تكاثفت هذه الظلمات الباطنة ؛ فكانت فى الظاهر كذلك حلكاً غشياً ، وظلماً فشياً ؛ ثم كان ضجر الناس بالحياة ، وسخطهم فى هذا الوجود . ذلك معنى حديثه ، وهو حديث حق لا ريب فيه « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً »

ولكن متى يستبين للناس وجه الرشاد من الغي فيرجعوا إلى الدين فيما يتصل بهم أو يصل بينهم من أسباب ، لتنجاب عن بصائرهم هذه الغشاوات ، وتتكشف لأبصارهم مسالك الحياة ؟ ! علم ذلك عند الله . . .

ولكن الأستاذ الزيات يتجه إزاء هذا السؤال نحو الأزهر ، وهو يرى الأزهر فى وضعه الصحيح كمحطة استقبال وإذاعة : يتلقى تعاليم الوحى من كتاب الله وسنة رسوله ، ويذيع فى الناس الحكمة الصادقة ، والموعظة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، ويتمثل فى سيرة أهله ما كان مثلاً فى سيرة السلف وأعمالهم للدنيا وللدين

والنظر إلى الأزهر بعين كهذه ليس فيه إسراف ولا شطط ، فقد قام الأزهر كما يقول الأستاذ — للدين وعاش بالدين — وليس يليق به أن يكون لغير هذا وإن تطاولت عليه السنون ؛ ولا يليق به أن ينحدر من عليائه إلى الوضع الأدنى الذى خرطه فى عداد المدارس ، أو كاد . ونحن إذ ننظر إلى الأزهر بهذه العين نقف به مع الأستاذ الزيات بين الذكرى والأمل ، لترجع بنا الذكرى إلى أزهر القرن الرابع عشر ، يوم كان حقاً يعيش للدين وبالدين ، لا لتلويه الأحداث ، ولا تستهويه المطامع فكان لقوله صولة ، ولرأيه شأن وحساب

وإذ تحولت نظم الحياة الاجتماعية ، واقتضى الزمن نشاطاً فى السير ، ومتابعة للنهوض ، فما كان ينبغى للأزهر أن يقنع بالعزلة ويتنحى عن مكان القيادة ، ويقعد عن اجتذاب الجماهير إلى حوزة الدين ، واشتمالهم بتعاليمه الفضفاضة

وإن تكن هذه سيئة الزمن الماضى ، فماذا صنع أزهر اليوم ليدرك الناس ما فاتهم ، ويصل ما انقطع بينه وبينهم ، ولا يترك الخرق يتسع ، والشر يتفاقم ؟

نعم بدأ يخطو الأزهر فى عهده الحاضر خطوات لا بأس بها ، ولكنها خطوات هينة إذا قيست بالأمانة العظمى التى يتحملها عن الأنبياء . والأمر يقتضى نشاطاً فوق هـذا النشاط ، ولا يتسع لتريث فوق الذى كان ، وهنا مثار الأمل فى الأزهر ، فإلى من يتجه ذلك الأمل المنشود ؟

يتجه إلى صاحب المقام الأعلى ، إلى معقد الرجاء ، إلى جلالة الملك فاروق ، فجلالته حرىٌّ بين الملوك أن يحمل راية القرآن خفاقة على ربوع الإسلام ، وأن يجعل القرآن — بتشجيعه وعطفه — منهلاً عذباً فى وادى النيل ، يصدر عنه الناس وإليه يردون ، وهذا ما كشف اللثام عنه بين يدى جلالته شيخ الأزهر فى مستهل العام الهجرى ، فأبان فضيلته عن أمل المسلمين فى الأزهر وعن رجاء الأزهر والمسلمين فى جلالة الفاروق

ويتجه الأمل ثانياً إلى فضيلة الشيخ الأكبر وإلى من يؤازره من كبار العلماء ، وما يريد المسلمون منهم إلا ما تحدث عنه الأستاذ الزيات : « أن يضعوا لثقافة الشعب أساساً من الدين ، يقوى بقوة الله ، ويثبت بثبوت الحق ، ويدوم بدوام الدنيا ، ثم يقيموا عليه من القواعد والأوضاع ما يقره العقل ، ويؤيده العلم ، ويتقبله العصر ، وتقتضيه الحاجة »

فى هذه الكلمات تتلخص حاجة الناس إلى الدين وتنحصر مهمة علماء الدين

وقد نشط إلى الجهر بذلك منذ أيام شيخ متوثب ، انتظم إلى جماعة كبار العلماء ، فكان إحساسه يقظاً ، وصوته ندياً . وإذا تجاوبت هذه الدعوى ، ودخلت إلى مكتب الشيخ ، وترامت إلى المسامع العلية ، فبعيد أن تفتر هذه الحمية ، وبعيد أن يركن الأزهر إلى تلك السياسة الشكلية التى تؤخر أكثر مما تقدم

أقول — السياسة الشكلية — وأنا فى هذا التعبير من غيرة وخشية : غيرة على عهد المراغى أن يعلق به شىء مما لا نحب ، وخشية من لائمة من لا يرضيهم ذلك التعبير

ولكنه مقام تعوزنا فيه الصراحة أكثر من المجاملة ، ويقتضينا الإنصاف ألا نشوب الإخلاص بالمداهنة ، وألا نطوى صفحة الولاء على غش ودخالة

هى مشكلة إلى حد ما ، ونحن نريدها عملية محضة : عملية فى التوجيه العلمى ، وتركيز الروح الأدبى والكرامة فى نفوس الناشئة . نريدها عملية فى الموازنة بين متصلين بالعمل : إدارياً كان أو عملياً . وليس بعزيز على الشيخ الأكبر أن يتحسس هذا ، ويوازن ويرجح ، ويحدث ويجدد ، بل تلك فيما نعلم من خطواته الأولى فى إقامة الإصلاح

فلينظر مولانا الشيخ الأكبر فى الأدوات التى يؤدى بها الأزهر رسالته : قولاً كانت أو كتابة . ولينظر فيمن يساهمون فى الإدارة؛ فليس يكفى أن يكون الرأس وحده سليماً حتى تسلم بقية الأعصاب والعضلات !

وأكبر الظن أن ينقضى العام الجديد عن خير ما بدأنا من آمال ، وما رجوناه من أعمال

عبد اللطيف محمد السبكى
مدرس فى كلية الشريعة

حكم فى القضية نمرة ٩٤٦ عسكرية الفيوم سنة ١٩٤١ ضد حضرة منحود سالم من الفيوم بتغريمه ١٠٠ قرش لبيعه أذره بسعر يزيد عن المقرر

أدب الطف (*)

عامل من عوامل نمو الشعر فى العراق

للأستاذ عبد الكريم الدجيلى

كتب الدكتور زكى مبارك فى أعداد سالفة من (الرسالة) عن « الأدب العربى الحديث فى العراق » ، ولا أريد بكلمتى هذه أن أناقشه فيما كتب ، إذ أن وقت المناقشة قد بَعُد وتقادم ، على أنى معجب شديد الإعجاب ببعض ما كتب

وقد كنت معتقداً بأنه سيكتب عن الشعر الذى رُثى به الحسين بن على بن أبى طالب . فيكشف لقراء (الرسالة) صفحة مندثرة من الأدب العربى ، ومنجماً مليئاً بغرر الشعر وأطايبه ، فيُسجل له فضل الأسبقية فى هذا الموضوع بعد أن زودته وزارة المعارف العراقية بأغلب الدواوين المطبوعة لشعراء العراق، وأغلبها ملآن بما رُثِىَ به الحسين ، فعبدت له الوزارة بعض الطريق . على أن الرجل قد أشار إلى هذا الموضوع من طرف بعيد قد يخفى على كثير من القراء — وعلى الأخص أدباء الأمة المصرية — إذ أن سمعهم لم يطرقه هذا اللون من الأدب العربى إلا النادر منهم

وكان الأجدر بالدكتور أن يقف عند هـذا الموضوع ولو قليلاً ، أو يَعِد القراء بالرجوع إليه ، لأن رثاء الحسين ، أو « أدب الطف » يعد (عاملاً من عوامل نمو الشعر فى العراق) . ولعل كلمتى هذه تحفز الدكتور إلى الكتابة فى « أدب الطف » ، والمراجع لديه كثيرة ، والوقت يناسب الكتابة فى هذا الموضوع، قبل أن ينقضى شهر محرم الحرام الذى قُتِل فيه الحسين بن على بن أبى طالب . فالمناسبة إذن تشجع الكاتب على كشف هذا المنهل العذب الصافى من الأدب العربى لكل من تعنيه الدراسات الأدبية والاتجاهات الفكرية . على أن السبب الأول لكتابة هذا المقال ، هو نفس السبب الذى دعانى أن أدعو الدكتور أن يكتب فيه

ذكر الدكتور فى المقال الذى كتبه عن « الأدب العربى الحديث فى العراق » أن الخصومات الدينية ، والخلافات المذهبية بين الشيعة والسنة ، قد عادت بالنفع والخير على الأدب والبيان فى العراق . وهذا حق لا جدال فيه ، فقد يكون بعض الخلاف خيراً وبركة من جهة ، ونقمة وبلاء من جهة أخرى . ولو تصفحنا أدوار الأدب العربى من فجرها إلى يومنا هذا ، لرأينا أجود ما فيه كان السبب فى وجوده الخلاف : فقصيدة عمرو بن كلثوم ، والاعتذار الذى صاغه الذبيانى فى قصيدته الخالدة ، وكثير من شعر حسان ، وخطب على ومعاوية ، والمراسلات التى كانت من جراء هذا الخلاف ، وشعر جرير والفرزدق والأخطل ومن شايعهم ، وخطب عيسى بن على والسفاح والمنصور ؛ ثم الغالب من شعر المتنبى الذى يبرق فيه ويرعد ، والرسالتان الجدية والهزلية لابن زيدون ، والقصيدة السينية — ما على ظنى بأس — كل هذا الإنتاج العقلى وألوف من أمثاله كان السبب المباشر فى وجوده هو الخلاف « السعيد » — على حد تعبير الدكتور . وأنا وإن كنت لا أحب أن أذكر ، حتى اسم الخلاف الذى يقع بين المسلمين ما دام المنهل واحداً — خصوصاً فى بلد كالعراق لا يستغنى فيه أحد الفريقين عن الآخر ، فإنى سأطرقه من ناحيته الأدبية لا غير

* * *

تقام الاحتفالات التأبينية فى العراق — وعلى الأخص فى نواحيه الجنوبية — وتعقد النوادى فيه تأبيناً للحسين بن على بن أبى طالب فى كل أيام السنة ، أما إذا هلَّ شهر المحرم ، فإن الأشغال تكاد تعطل ، والحوانيت تكاد تقفل طيلة شهرى محرم وصفر ، فتعقد مئات النوادى لذكرى قتيل الطف

فإذ كان الأدب العربى يفخر بسوق عكاظ لأنها كانت السبب فى رفع مستواه ، وكانت السبب فى احترامه وتعاليه ؛ فإن الأدب العربى مدين كل الدين لهذه النوادى التأبينية ، إذ أنها خير مدرسة وخير عامل لنمو الشعر فى العراق . فالشاعر الذى تنشد قصيدته على رؤوس الأشهاد وتستحسن يستمر بحكم الضرورة على قرض الشعر حتى يستمر هذا الإعجاب والتقدير

ثم هنـاك حافز آخر لخلق الشاعر فى هذه الناحية ألا وهو الحافز الدينى ، فقد وردت أحاديث كثيرة ، وأخبار مستفيضة تهب الثواب والجزاء لمن قال الشعر فى آل محمد ولو بيتاً واحداً . ومهما كان نصيب هذه الأحاديث والروايات من الصحة فإنهـا كانت سبباً قوياً وباعثاً لخلق الوف من الشعراء لا أظن أديباً

(*) الطف والجمع طفوف : اسم المكان الذى قتل فيه الحسين بن على ابن أبى طالب قريباً من كربلا بحاذى نهر الفرات قديماً

أو متأدباً ينضج ويكتمل ما لم يطلع على هذه الناحية من الشعر

ومن الغريب أن أدباء الأمة العربية لم يعرفوا عن هذا المنجم الأدبى الضخم ولم يسبروا ما فيه من غور وعمق . ولو أنهم فعلوا ذلك لظهر لهم من شعر الطف ما يغذى العاطفة ويربى الذوق، ولأضيفت إلى الأدب العربي صفحة مليئة بنفائس الشعر الجيد الممتاز ، ولفتحت أمام حملة الأقلام والقوامين على سير الأدب العربى أبواب فيها من الشعر ما هو ثمين بكل تقدير

وإذا كانت الخصومات الدينية ، والخلافات المذهبية فى العراق هى السبب فى حفظ كيان الأدب والبيان ولولاها لذهبت به تلك الأعاصير الهوج التى مرت عليه طيلة سنين عدة . فإن نفس تلك الخصومات كانت السبب الوحيد فى انزواء هذه التحف الفنية والنوادر الأدبية

ولعلى أوافق قراء الرسالة متى سنحت الفرصة عن بعض هؤلاء الشعراء الذين وقفوا أكثر حياتهم الأدبية على هذه الناحية من الشعر فأكون قد قمت بواجب الأدب والتأريخ معاً

وإليك أبياتاً مقتطفة من قصيدة طويلة للسيد حيدر الحلى رثى بها الحسين :

أيها الراغب فى تغليسة ... بأمون قط لم تشك الكلالا
اقتعدها وأقم من صدرها ... حيث وفدُ البيت يلقون الرحالا
واحتقبها عن لسانى نفثة ... ضَرماً حوّله الغيظ مقالا
فإذا أنديةُ الحىِّ بدَتْ ... تشعر الهيبة حشداً واحتفالا
قف على البطحاء واهتف ببنى ... شيبة الحمد وقل قوموا عجالا
كم رضاع الضيم ! لا شب لكم ... ناشئ أو تجعلوا الموت فصالا
كم وقوف الخيل لا كم نسيت ... علكها اللجم ومجراها رعالا
كم قرار البيض فى الغمد أما ... آن أن تهتز للضرب انسلالا
قوّموها أسلا خطية ... كقدود الغيد ليناً واعتدالا

وللحاج هاشم الكعبى من قصيدة مطولة فى هذا الموضوع :

فوارس اتخذوا سمر القنا سَمَرا ... فكلما سجعت ورق القنا طربوا
يستعذبون الردى شوقاً لغايته ... كأنما الضرب فى أفواههم ضَرَب
حتى إذا سئموا دار البلى وبدت ... لهم عياناً هناك الخرّد العرُب
فغودروا فى العرا صرعى تلفهم ... مطارف من أنابيب القنا قشب
وأقلت زمر الأعداء ترفل والأحـ ... ـقاد تسعر والأحشاء تضطرب
جلا لها ابن جلا عضب الشبا ذكرا ... لا يعرف الصفح إذ يسنله الغضب
تأتى على الحَلَق الماذىّ ضربته ... ولا يقيم عليها البَيض واليلب

وللحاج كاظم الأزرى مرثية من غرر الشعر نقتطف منها ما يلى

وضربة تتجلى من صوارمه ... كالشمس طالعة من جانبى نهر
كأن كل دلاص منهم بَرَد ... يرمى بجمر من الهندى مستعر
إذا انتضى بردة التشكيل تحسبه ... لاهوت قدس تردى هيكل البشر
صالوا وصلتَ ولكن أين منك همو ... النقش فى الرمل غير النقش فى الحجر
ما أنصفتك الضيا يا شمس دارتها ... إذ قابلتك بوجه غير مستتر
ولا رعتك القنا يا ليث غابتها ... إن لم تذب لحياء منك أو حذر
فمذ كنت فى مشرق الدنيا ومغربها ... كالحمد لم تغن عنها سائر السور

أرى أن مثل هذا الشعر المتسامى فى سبكه ومتانته وجودة تراكيبه لا يعرف عنه أدباء الأمة العربية وبخاصة أدباء وادى النيل الذين منحهم الله الإحساس الأدبى والشعور الفنى لمثل هذه القطع الأدبية والأساليب العربية التى تتجلى بهذا الشعر ! وإذا كان هناك لوم يوجه إلى زمرة من الأدباء لأنهم أهملوا هذه الناحية الأدبية من الشعر

فإلى أدباء العراق وحملة الأقلام فيه إذ أن الواجب الأدبي يحتم عليهم أن يعنوا بنشر أمثال هذا الشعر

ولقد أذكر أننى قرأت كثيراً من هذا الشعر على نخبة من أدباء الأمة المصرية مثل الأستاذ هاشم عطية والأستاذ السباعى بيومى . ومما أذكره أن الأستاذ هاشم عطية قال لى بعد الانتهاء من قراءتى لهذا الشعر : إن هذا الشعر خلاصة تفكير أمة كاملة لا تفكير فرد . وإن مثل هذا الشاعر - ويعنى السيد حيدر - لا يوجد فى الأمة العربية مثله فى كل وقت وحين ؛ وإنما يجىء على رأس قرن أو قرنين . فالواجب عليك وعلى أدباء العراق الاتجاه نحو هذا المنجم الأدبى لتخرجوا منه لنا كتباً تكون خير متعة أدبية ولذة فنية

ومن هنا عنيت بهذا الشعر ولعلى أخرج كتاباً فيه

عبد الكريم الدجيلي

المدرس بالثانوية العسكرية

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى القضية رقم ٦٤٥ سنة ٩٤١ بحبس حلمى عبد الحميد معروف من دكرنس شهرا ونصف بالشغل لبيعه بنزيناً بسعر يزيد عن التسعيرة

الفرق السياسية في الاسلام

للدكتور رينولد نيكلسون

بقلم الأستاذ حسن حبشي

كانت مناهضة الأحزاب السياسية والفرق الدينية للبيت الأموي اللغم الذي أخذ يقوض دعائمه شيئاً فشيئاً ، حتى انهار ولم تقم له قائمة بعد ذلك . وسنسوق بعض التفاصيل عن الأفكار التي أدت إلى تطاحن هذه الطوائف . وعن العوامل التي دعتها إلى السخط على النظام القائم ، ثم نثنى بوضع كلمات قلائل عن الفرق الدينية وعقائدها كالمعتزلة والمرجئة والصوفية ، ثم التكلم عن أدبهم الذائع الذي كان جُلّه شعراً ، وعن حملة لوائه البارزين

كانت وجهة معارضى الأمويين سياسية بادئ ذى بدء ، إذ كان معنى تولى معاوية الحكم انتصار الشام على العراق ، ومن ثم أصبحت دمشق عاصمة الدولة ، وحلت محل الكوفة ، وقد لاحظ « ڤلهوزن » : « أن أشد الصيحات خطراً على بنى أمية كانت منبعثة من العراق ، فلم تكن صيحة حزب خاص بذاته . ولكنها صدى صوت جميع العرب المقيمين هناك ، والذين اتفقوا جميعاً على استنكار ضياع استقلالهم Selbstherrlichkeit وعلى كراهية أولئك الذين آل إليهم الأمر[١] » . وفى هذا الوقت نفسه اصطبغت هذه المشاعر بروح دينية ، واتخذت من الدين عوناً لها ، وسقط النظام الجديد مذموماً موسوماً بسمة الشرك ، وبناء على مبلغ تقدير المسلمين لمعنى الواجب ، كان لزاماً على كل رجل حر عاقل أن يعمل على إزالة أسباب ذلك المنكر ، ومن بين الأحزاب العديدة التى نهضت بأعباء هذا الأمر، يمكننا أن نتبين أربع جماعات وحد بينها غرض مشترك ، وتعاونت فى سبيل تنفيذ فكرتها ، تلك هى :

(ا) المسلمون عامة المتمسكون بالدين ، الذى كان يتألف منهم أهل السنة[٢]

(ب) الخوارج ويمكن تسميتهم « بالمتطهرين » وهم شديدو التطرف فى نزعتهم الدينية

(حـ) الشيعة أو أنصار علىّ وآل بيته

(ء) الموالى : وهم المسلمون من غير العرب

ومن الجلىّ الواضح أن الفريق الأول (الذى كان دعاته وأنصاره الفقهاء وحفظة القرآن وصحابة الرسول وتابعيهم) ، كان هذا الفريق كارهاً للحكومة التى أرغم على طاعتها والخضوع لسلطانها . أما الاعتقاد بأن القوة التى كان يمثلها الطغاة ومؤيدوهم قد وطئت الحق كما جاء به القرآن والسنة ، فقد جعل الكثيرين يقحمون أنفسهم فى غمار ثورة هائلة ؛ ويقال : إن خمسة آلاف قد لقوا مصرعهم فى حادثة تخريب المدينة ، كما عزف آخرون عن الدنيا مثل الحسن البصرى ، وسلكوا سبيل الزهد بعد أن يئسوا من الإصلاح . وقد كان لهذا الاتجاه عواقب خطيرة الشأن كما سنرى

* * *

لما رضى علىّ بعد « صِفّين » بالتحكيم فيما شجر بينه وبين معاوية من خلاف حول مشكلة الخلافة لامه الكثيرون من جنده ورموه بخيانة العهد ، إذ كان — كما يعدّونه — الخليفة المنتخب عن جدارة واستحقاق ، فكان لزاماً عليه أن يستمسك بمنصبه السامى ويضحى من أجله بكل ثمين ، وفى طريق العودة إلى أمصارهم نسلخ الساخطون ويقدّر عددهم باثنى عشر ألف رجل ، وعسكروا فى بلدة تدعى « حروراء[١] » على مقربة من الكوفة وصاحوا جميعاً : « لا حكم إلا لله » . وبذلك أظهروا اعتراضهم على التحكيم بتلك العبارة ولم يجيزوه . وحاول علىّ — دون جدوى — أن يستميلهم إلى جانبه ، فأبوا عليه ذلك ، وانتخبوا خليفة من بينهم ، واجتمع فى « النهروان » أربعة آلاف من صناديدهم الغاوين ثائرين عليه ، فلما أشرف عليهم على وسط جموع جيشه النجب تفرق أكثرهم خوف لقائه . أما الباقون ،

(١) Wellhausen: Das Arabische Reicken und sein Sturz (p. 38).

(٢) وهم غالبية المسلمين ، ولاتباعهم سنة النبى وخلفائه أطلق عليهم فيما بعد اسم «أهل السنة» ولم يكونوا من الشيعة أو الخوارج ولكنهم = يشترطون وجوب انتخاب المجتمع الاسلامى لخليفته بنفسه وأن يكون من قريش ، وقد نشأت هذه الأحزاب كلها إثر النزاع الذى شجر بين على ومعاوية . وكانت « الخلافة » علة خلقهم الأساسى

(١) راجع نص خطبة محمد بن على بن العباس فى القدس « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » طبعة دى جويه ، جـ ٣ ص ٢٩٣ (المترجم)

فقد ثبتوا فى أماكنهم ، وآثروا الموت فى سبيل الذّب عن إيمانهم ومعتقداتهم ، وأصبحت مكانة « النهروان » عند الخوارج بمنزلة « كربلاء » عند الشيعة الذين اعتبروهم منذ ذلك اليوم أعداء لهم . وقد ظلت ثورات الخوارج قائمة طوال صدر دولة بنى أمية ، إلا أن الحركة بلغت أقصى شدّتها وعنفها فى سنوات الاضطراب التى حدثت عقب موت يزيد ، فانتشر « الأزارقة[1] » فى العراق وفى جنوبى فارس ، على حين استطاعت شعبة أخرى — وهى النجدية[2] — التسلط على جزء كبير من بلاد العرب وإخضاعها لنفوذها . ولقد ظلّ العُصاة زمناً طويلاً مقيمين على مناهضتهم ومقاومتهم لعبد الملك ، ولم يقلعوا عن التمرد . حتى قام الحجاج سنة سبع وتسعين وستمائة ، فأخمد ثورتهم التى كانت تحت رئاسة زعيمهم شبيب

ويقال إن كلمة « خارجى » ترجع إلى آية فى القرآن[3] جاء فيها « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيرا وسَعَةً ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجرُهُ على الله وكان الله غفوراً رحيماً » وعلى ذلك فالمقصود من كلمة « خارجى » ذلك الذى يهجر مُقامه بين الكفار ابتغاء مرضاة الله ، وكذلك تتصل بلفظ « مهاجر » الذى أُطلق على المؤمنين من أهل مكة الذين صحبوا الرسول فى هجرته إلى المدينة[4]

وهناك لقب آخر يُكْنَوْن به ، وهو مُستمد من القرآن فى أصله ألا وهو « الشراة » أى الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لقاء الجنة كما جاء فى قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيَقْتُلون ويُقْتَلون وعْداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوْفى بِعَهده من الله فاستبشروا بِبَيْعِكُمُ الذى بايَعْتُم به وذلك هو الفوز العظيم »[5] ، وأغلب الخوارج من الجند البدو الذين استقروا

(١) سموا كذلك نسبة إلى زعيمهم نافع بن الأزرق [ويكنى بأبى رشد]
(٢) هم أتباع نجدة بن عامر الحنفى
(٣) سورة النساء ، آية ١٠٠
(٤) Brunnow : Die charidschiten unter den ersten Omayyaden (Leiden 1884) p. 128. وليس هناك ما يثبت أن الخوارج قد أطلقوا على أنفسهم هـذا اللقب وعلى كل فهذا اللفظ يتضمن الخروج من المجتمع الاسلامى ، وربما أريد به التنقل
(٥) سورة التوبة ، ٩ : ١١١

فى الكوفة والبصرة عقب الحروب الفارسية. ولم تستطع الحياة المدنيـة أن تغيّر كثيراً من طبعهم الشموس وخُلقهم الجاف ، فلم يروا فى قريش من الفضائل ما يجعلها تذهب بالأمانة وحدها ، بل أرادوا اختيار رئيس من بين ظهرانيهم تجرى فى عروقه الدماء التى تجرى فى عروقهم ، ويطيعونه — كما جرت سنّة البدو — ما دام قائماً خير قيام بأعباء ما عهد إليه به[1] . ومع ذلك فقد كان الدافع الرئيسى للحركة دافعاً دينياً ، ويمكن ردّه — كما أشار فلهوزن إلى القراء الذين ذهبوا إلى تهويل شأن المسألة الخاصة بإلزام على بالتفكير عن خطيئته الكبرى التى دفعه إلى إتيانها موقفهم المحزن الذى وقفوه حينذاك . وإنهم ليناهضون عليا لنفس السبب الذى دعاهم للوقوف ضد عثمان ، فى كلا الموقفين كانوا يتعلّلون بالرجوع إلى أمر الله للقيام فى وجه الخليفة الجائر . وإنه لمن المهم عند التعرض[2] لذكر مبادىء الخوارج الرئيسية عدم إغفال هذين الرأيين التاليين وهما

ا — جواز الخلافة لكل عربىّ حر[3]

ب — عزل كل خليفة لا يحسن القيام بأعباء سلطته أو قتله إذا حتمت الضرورة ذلك

وقد كتب المستورد بن علّيفة الخارجى قائد المؤمنين إلى سِمَاك بن عُبَيْد وكان فى المدينة العتيقة رسالة[4] جاء فيها : « أما بعد فقد نقمنا على قومنا الجور فى الأحكام وتعطيل الحدود والاستئثار بالفىء ، وإنا ندعوك إلى كتاب الله عز وجل ، وسنة

(١) Brünnow : op. cit. p. 28.
(٢) Wellhausen : Die Religios - politischen Oppositionsparteien im alten Islam (abh. der Königl. Geselshaft der Wissençhaften zu Gottingen, 1901) p. 8 وهو يعارض رأى « برنو » فى أن أقدم الخوارج لم يكونوا أعراباً قحا ، بل الواقع أنهم بزوا بقية الجماعات الحربية فى الكوفة والبصرة فى نسيانهم تقاليدهم البدوية ، وهو يذهب إلى أن شدة ورع القراء وملازمتهم الصلاة وقيامهم آناء الليل وترديدهم لكتاب الله يتفق تماماً وما أثر عن الخوارج مما لا يختلف فى وصفه عن هذا الأسلوب . أضف إلى هذا أننا نجد بين أقدم الخوارج ذكراً لجماعة كانوا يتشحون ببرانس طويلة كانت إبان هذا الوقت سمة خاصة للزهد والتقشف ، وما ذكره الطبرى (جـ ١ ص ٣٣٣٠ س ٦) عن أبى مخنف من اعتباره الخوارج شعبة تفرعت عن القراء ، ثم يسمى قراء أصبحوا فيما بعد فى عداد الخوارج المتزمتين
(٣) لما انضم فيما بعد إلى صفوف الخوارج كثير من المسلمين غير العرب أصبح حق الخلافة مباحاً للأجانب أيضاً حتى العبيد
(٤) الطبرى ، جـ ٢ ص ٤٠ س ١٣ وما يليه

نبيه صلى الله عليه وسلم وولاية أبى بكر وعمر رضوان الله عليهما والبراءة من عثمان وعلى لإحداثهما فى الدين وتركهما حكم الكتاب» ومن هذا يتضح لنا أن دعوة الخوارج كانت تتلخص فى التمسك بما نادى به الإسلام من المساواة والإخاء الذى لم يعد يُعمل به بل تلاشى تماماً . أما من الناحية النظرية فنرى أن جميع المسلمين المتمسكين بدينهم قد اتفقت رغبتهم على إعادته إلى نصابه ، وعلى إدانة الحكومة القائمة ، ولم يكونوا دون الخوارج فى هذه الناحية وفى مَقْتِ تلك الدولة مقتاً شديداً تأصّل فى حنايا النفوس ؛ أما الفارق الذى كان يميّز أفراد الحزب الأخير عن سواهم فهو صرامتهم الشديدة ودقتهم فى تنفيذ مبادئهم ونشرها . وكان من آرائهم الجوهرية أنه يجب على الإمام أو زعيم المجتمع أن يحكم باسم الله وبمقتضى كتابه ، وأنّ من سار على غير هذا الدرب فقد باع نصيبه فى الحياة الأخرى ، وأن النجاة الأبدية وقف على اختيار خليفة النبىّ . وكانوا يعدُّون المسلمين الذين يأبون سبّ علىّ وعثمان كفاراً مارقين ، كما كانوا يرون من الضرورى على كل مؤمن صادق الإيمان أن يساهم فى « الجهاد المقدس » ضد هؤلاء وأمثالهم ، وأن يقتلهم ويقتل زوجاتهم وأطفالهم أنّى ثقفهم

ولقد ارتدت هذه المبادئ الفظة على العصاة الذين سرعان ما وجدوا أنفسهم مهدّدين بخطر الانقراض ، ومن ثم أخذت الآراء المعتدلة تنتشر بينهم فأحَلّ الأباضيون « أتباع عبد الله بن أباض » عيشهم بين المسلمين والاختلاط بهم فى حدود التساهل المشترك بين الطرفين، ولم يكن التساهل فى الواقع مناقضاً لما يريده الخوارج من إقامة مملكة الله على الأرض ، ولكن حطّم منطقهم العنيد، كل دستور يوضع؛ فهم يقولون ـ كما لاحظ علىّ ـ « لا إمارة ولكن لا بد من إمارة برة أو فاجرة[١] » ومع ذلك فقد كانوا يحاربون بإيمان ثابت وعقيدة خالصة فى سبيل مرمىً شريف ، ولم تكن لهم غاية دنيوية يسعون من أجلها على نقيض الأحزاب السياسية الأخرى

تكلم الشهرستانى عن الإثنى عشر ألفا الأوائل الذين ثاروا ضد علىّ فوصفهم بقوله « إنهم أهل صيام وصلاة[١] » . وكان القرآن حكَمَهم فى حياتهم والمهيمن على خواطرهم ، حتى إن تاريخ اعتقادهم الأول ، وتاريخ المضطهدين والشهداء والمؤمنين ... كل ذلك غدا مأساة حقيقية واقعة كانوا هم أنفسهم أبطالها الذين قاموا بتمثيلها ، كما أن خوفهم من الجحيم أثار فيهم حماسة صادقة وغيرة على إحقاق العدل ، كما امتحنوا اعتقادهم الشخصى فى دقة وخبروا إيمان جيرانهم . وويل للذين كانوا يجدونه ضعيف الإيمان ، فهناك خطوة واحدة تقرب المخطئ من الإسلام ، وعلى الرغم من أنه يمكن التجاوز عن الزلة وغفرانها بالتوبة الصادقة إلا أنهم كانوا يُسلكون أىّ مسلم ارتكب إحدى الكبائر ولو مرة واحدة فى زمرة الكفّار المخلدين فى النار، أو كان ذلك على الأقل فى نظر الخوارج المؤمنين

حسين حبشى

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل (طبعة Cureton) ج ١ ص ٨٨ س ١٢

(١) الشهرستانى : شرحه ج ١ ص ٨٦ س ٣ من أسفل

ظاهرات نفسية

فى مسرحيات محمود تيمور

للأستاذ زكى طليمات

(تتمة)

نقدنا اليوم خص بمسرحية « الموكب » . وهى المسرحية الثالثة التى كتبها تيمور باللهجة العامية وأصدرها فى مؤلف واحد[1]

وتنفرد هذه المسرحية عن المسرحيتين الأخريين بأنها شاهدت أنوار المسرح وطلعت على الجمهور فى المكان اللائق بها . كان ذلك منذ سنتين وتسعة شهور ، أيام المواكب والأعياد التى جرت فى القاهرة احتفالاً بالمصاهرة السعيدة بين البيت الملكى فى وادى النيل والبيت الامبراطورى فى إيران ؛ وهو عهد اتجه فيه النشاط الاجتماعى — وذلك فى بعض البيئات المصرية — وجهة خاصة لم تدم طويلاً . والأدب من الاجتماع ، فكان أن كتب تيمور هذه المسرحية بإيذان تلك الساعات المشرقة . كتبها ليقدمها المسرح المسرحى لوزارة المعارف على مسرح الأوبرا الملكية فى الحفلة التى أقامتها الوزارة احتفاء بهذه المناسبة السعيدة

هى مسرحية سعيدة ولا شك ، لأنها كتبت لمناسبة سعيدة ، وقام بتأديتها نخبة من الفرق التمثيلية بالمدارس الثانوية ، هم طلاب علم وثقافة لا يرون من الحياة إلا جانبها المشرق السعيد ؛ فلا غرو أن جاءت مملحة بالمزاح المرح ، فياضة بالفكاهة العذبة ، تتوالى مشاهدها فى إيقاع خفيف جذل

وهى مسرحية « مناسبة » من حيث البواعث على كتابتها وإخراجها ، وروايات المناسبات — كما يدل الاستقراء فى تاريخ أدب المسرحية — لا يكون حظها كبيراً من القيمة الفنية ما عدا القليل ، ومن هذا القليل هذه المسرحية ؛ فقد استطاع كاتبها أن يسمو بها على أدب المناسبات ، بأن جعل « المناسبة » شيئاً ثانويًا لا يستأثر بجوهرها ، ولا يطغى على الناحية الإنسانية فيها ، بل إن « المناسبة » فى هذه المسرحية لا تتجاوز أن تكون مطية أحسن المؤلف اتخاذها لإبراز عرض إنسانى تضطرب فيه شخصيات عريقة فى إنسانيتها ، هى تضطرب وتستقر ، وتصطفق وتستكين ، كاشفة عما بنفسها من ظاهر ومضمر

الموكب ؟

والموكب فى هذه المسرحية حقيقة ومجاز . حقيقة باعتباره أنه كائن عادى يُستَمع ويُرَى جانب منه . يعج بحجيجه وتصدح موسيقاه . وترتفع هتافاته فتسرى الهزة فى شخوص المسرحية ، وينطلقون يتحركون ويعملون ، كل منهم فى الدائرة التى رسمها له المؤلف . والموكب مجاز باعتبار أنه دلالة معنوية على شىء فى النفس ، فى نفوس أشخاص المسرحية . هو لون من ألوان الرغبة التى هى لدى بعض الأشخاص فى المسرحية مكبوتة مقيدة ، لا هى تهدأ وتستكين ، ولا هى تنطلق من إسارها إلا بعد لأى ومداورة ومراوغة ، ثم هى لدى البعض الآخر رغبة إيجابية فى فورتها تعمل مباشرة للانطلاق ولتحقيق غايتها .

* * *

أسرة فى بهو بيت من بيوتات القاهرة اجتمعت حول المذياع تنصت الفينة بعد الفينة إلى ما يقوله المذيع عن أوصاف الموكب الذى ينتظم فى محطة العاصمة ليسير بالأمير إلى ساحات القاهرة وطرقاتها . اصطفاق الجماعات وهى تعبر بهذا البيت فى طريقها إلى المحطة ، ترتفع إلى آذان المجتمعين حول المذياع من وقت لآخر فتشيع الهزة فيهم . والمجتمعون هم (فضل الله باشا) رب الأسرة ، والد شيخ مصاب بعصبة أمراض إلا المرض الذى يضعف الشهية ويلجم النهم ، وزوجة له دونه سناً وفوقه نشاطاً وعافية ، وابن وابنة لهما ، فى أول سنى الشباب يلبسان أحدث الأزياء ، ثم ابنة للوالد من سرير تقوض منذ زمن طويل ، فهى فى منحدر العمر ، وزوج لها يكبرها بأعوام ، الإثنان يتفقان فى الحياء الذى

---

(1) فى العددين ٤٤٠ ، ٤٤٣ من الرسالة نقد وتحليل للمسرحيتين الأوليين (الصعلوك) ، (أبو شوشه) ؛ وفى العدد ٤٣٩ بحث فى (اتجاهات علم النفس بالمسرحية) هو تمهيد لما كتبناه عن هذه المسرحيات الثلاث

لا سبب له . وفى نزعتهما التحشمية المتحفظة البادية على لباسهما . نماذج بشرية من أجيال مختلفة . وأمزجة مختلفة . إلا أنها تتفق فى ناحية واحدة . وهى الرغبة التى تساورهم جميعاً لمشاهدة الموكب !!

الجميع يرغبون فى الخروج ولكن ...

ولكن الباشا (فضل الله) يكره الخروج لأنه يمقت الزحام كما أنه متعب من أوجاع داء المفاصل . وابنته الكبرى وزوجها (زهرية وبديع) يودان الخروج ولكنهما يكبتان الرغبة احتراماً للباشا . هذا فى حين أن زوجة الباشا (نظيره) وولديها (بشاير وصفر) يتوقون جميعاً إلى الخروج ويجاهرون بهذا ويعملون على تحقيقه . . . مجتمع طريف ولا شك من حيث تباين النزعات ، ومن حيث موقف النفوس أمامها .

الباشا لن يستطيع مشاهدة الموكب لأنه لا يريد أن يبرح مكانه باسم المرض . إذن فلا خروج لواحد من أفراد الأسرة ، ولا متعة إلا ما يستطيع أن يستمتع بها هو قبل كل إنسان . الباشا قنع ومسرور بمشاهدة الموكب بعين الخيال الذى يبعثه صوت المذيع من الراديو ، فواجب أن يقنع الجميع قناعته ، وأن يسروا سروره . الباشا ، بعبارة أخرى ، أثِر يحب نفسه ، الباشا تصرعه الأنانية . . .

بيد أن هذه الأنانية أو الأثرة لدى الباشا غير ملحوظة بحقيقتها من وعيه الظاهر ، لأنها من إيحاء المضمر الكامن فى وعيه الباطن ، والمرء قلما يشعر لأول وهلة بحالة نقص نفسى فيه . ولذلك نرى الباشا يلبس هذه النقيصة وهو لا يشعر حلة غير حقيقتها ويفسرها تفسيراً خاطئاً ، وأداته فى ذلك المنطق الكليل القاصر عن النفاذ إلى جوهر الأشياء ، فنراه فى حديثه يزجى حشداً من الأسباب لتبرير البقاء فى البيت والاكتفاء بسماع الراديو[1] ، ويورد مبررات منطقية لها ظل من الحقيقة النسبية

(١) فى صفحة رقم ٩٦ س ٣ يقول الباشا : « خلاص جنؤمكم إيه ما دام الراديو حيوصف لكم كل الاحتفال من طأطأ لسلام عليكم . اشمعنا يعنى الناس بيسمعوا فى الراديو أخبار أوربا وأمريكا وبنبسطوا منها ؟ هم يعنى راحوا شافوها » إلى غير ذلك ...

التى يريد فرضها على أفراد أسرته[1] ، وهو يأتى كل هذا بعقله الظاهر ليستر شيئاً مضمراً فى ثنايا عقله الباطن ، وليقيم صلة منطقية بين العقلين

وأعجب من هذا أن الباشا ، وهو أثِر يحب نفسه ، يفزع من سماع هذه الصفة ملتصقة به فنراه حينما يصارحه بها ابنه « صفر » يتبرم ويتعثر ويأبى إلا أن يفسر هذه الصفة بأنها نزعة غضب أو استبداد !

ونعود إلى موضوع القصة . قلت إن « صفر وبشاير » ووالدتهما يتنزون شوقاً إلى مشاهدة الموكب وأنهم يجاهدون من أجل ذلك . فلا نلبث أن نرى صفر ، وكأن وحياً هبط عليه فجأة ، يصارح شقيقته وأمه بأنه وجد السبيل إلى الخروج من البيت ، ثم ينحنى عليهما ويأخذون بأسباب همس حار

ويعترض سياق الهمس من جانب والحديث من جانب الباشا وابنته الكبرى وزوجها مشهد أورده ، على ما أعتقد ، ابتغاء تنشيط الحركة المسرحية التى أخذت تركد بعض الشىء ، لا يخرج القارئ منه بشىء جديد أكثر من مطالعة شخصية جديدة هى « الشيخ كروان » وهو أفاق مشعوذ ممن يخلطون الجد بالهزل ، ويمزجون العته بالذكاء ، توسلاً إلى التقاط المال اليسير الذى يعيشون عليه . وقد يضيف هذا المشهد لوناً ثانوياً على شخصية الباشا فتنكشف لنا ناحية من نفسيته ، وهى ناحية تلحظ عند كثيرين من الهشوات السذج الذين ما برحوا يرون فى التمرغ « بتراب الميرى » ولو بطريق اقتعاد مقاعد البرلمان ، أمنية محببة مرموقة . وأغلب الظن أن المؤلف قصد بإيراد هذا المشهد أن يمهد للانقلاب النفسى الذى سيجريه على نفسية الباشا فى نهاية المسرحية ، وذلك بطريق إظهار الباشا ممن يهتمون بالمظاهر الرسمية وممن لا يتركون فرصة تسنح دون أن يذكروا الدولة ورجالاتها بشخصهم الكريم .

ويستأذن « صفر » فى الخروج بعد أن أضمر أمراً مع شقيقته

(١) فى صفحة ١٠٠ ألوان من التمحلات التى يوردها الباشا تدعيماً لرأيه فى البقاء بالمنزل ورفضه رجاء زوجته وولديه فى الخروج لمشاهدة الموكب

ووالدته فيسمح له . وبعد برهة قصيرة يبدو فيها الباشا أكثر اهتماماً يتسمع أقوال المذيع عن وصف الموكب ، وكأنما قد بعثت فى نفسه أقوال « الشيخ كروان » عما تتداوله الألسن عن قرب تعيين الباشا عضواً بمجلس الشيوخ ، يدق جرس التليفون . . .

صوت ناعم يتكلم ويرجو حرم الباشا أن تسارع بالمجىء من أجل مسألة هامة ، والباشا يعارض ؛ ولكن البيت الذى ستذهب إليه حرمه مجاور لبيته ، والداعية صديقة حميمة لها ، وزوجها (عبد الغفور بك) جار عزيز لدى الباشا ، والمسألة خاصة بوضع تعجل أوانه ، فلا يجد الباشا بداً من النزول على إرادة الداعية وإجابة التماس زوجته ، فتخرج (نظيرة هانم) وابنتها (بشاير) ، ويبقى الباشا ومعه ابنته الكبرى وزوجها .

وسرعان ما يقتحم بهو البيت حيث يتربع الباشا وفد يهتفون باسمه الكريم . الوفد هم أعضاء (جمعية الفتيان المصلحين) التى يتقلد رئاستها الفخرية الباشا ولا فخر

ما أحذق تيمور فى إيراد المتناقضات الخلقية فى الشخصية الواحدة ، تلك المتناقضات التى تثير الضحك فى غير افتعال ، وتبعث معين الرحمة فى القلوب فتمتد أطرافها إلى تفاهات الإنسانية وضعفها العريق !

إغتنم الوفد فرصة مروره أمام دار الباشا فصعدوا ليذكروه بأن دار الجمعية ترحب بتشريفه لمشاهدة الموكب عن كثب ومن غير عناء . ثم يأخذ زعيم الوفد فى الإشادة ببهجة الموكب وبجلال الموكب ، فنرى الباشا يعتذر عن إجابة دعوة الوفد . ولا يعتذر ، وإذا به نهبة لتيارات جديدة ... وينصرف أعضاء الوفد هاتفين بحياة الباشا

وتبدر بعد ذاك بادرة تنم على أن الباشا بدأت تعتلج نفسه بأشياء لم يكن يحسها من قبل . ها هو يطلب إلى ابنته الكبرى أن تفتح شباك الشرفة على مصراعيه ، والشرفة تطل مباشرة على الشارع حيث تمر الوفود لتنتظم فى سلك الموكب ، هو يطلب هذا بدعوى أن الهواء محتبس فى البهو

وإذ ينتهى المذيع من قوله فى وصف روعة الموكب وقد انتظمت صفوفه فى الميادين ، نسمع الباشا يصارح ابنته فى قوته .

وها هو يقوم ويطل من الشرفة فيرى جماعة من الشيوخ والنواب فى ملابسهم الرسمية ، وهم يطوون الطريق فى سياراتهم ... إنه ينادى الخادم ، ولكن الخدم تركوا البيت لمشاهدة الموكب ... إنه يطلب إلى ابنته أن تأتيه بالسترة الرسمية الخاصة بالتشريفة ! .

ولماذا ... ؟ إنه يخاف أن تكون العلة قد تطاولت عليها ! بادرات ظاهرة تنم عن لمعات نفسية باطنة يأتيها الباشا وهو لا يحس بدوافعها الحقيقية !

المذيع يلهب الفينة بعد الفينة النزعة الجديدة التى أخذت تلبس الباشا وقد أخذ يرتدى سترته الرسمية بعد جهد وجهاد . هو يتمنطق سيفه ويتخطر أمام المرآة . إنه يتعجل ابنته أن تعيد تثبيت الأزرار التى انفرط عقدها ، ثم . . .

ثم ها هو (عبد الغفور بك) جاره العزيز يقتحم البهو ويسأل الباشا أن يعيره ما يشد به (بنطلونه) !

وكيف تأتى أن يترك (عبد الغفور) زوجته وهى على أهبة الوضع ؟

وإذ ذاك يسقط القناع عما دبره (صفر) ، لقد تكلم باسم زوجة (عبد الغفور بك) واختلق مسألة الوضع اختلاقاً لييسر خروج والدته وشقيقته . . .

الباشا يتوعد ابنه ، ولكن سرعان ما ينسى أمام صوت المذيع الذى يعلن وصول القطار المقل للأمير إلى المحطة .

الباشا يدور على نفسه مصلحاً هندامه ، متعثراً بأثاث البهو ، ثم ينطلق خارجاً ووراءه صديقه (عبد الغفور بك) .

يبقى بديع وزوجته ابنة الباشا الكبرى . . .

وهنا يقول المؤلف « يراقب بديع الباشا فى ذهول وهو يهرش رأسه ، يبادل زوجته النظرات ، ويقفز جارياً نحو الباب وهو يصيح : الله ! ! إشمعنا احنا ؟ حصلينى أوامك ... بس اوعى تنسى البرقع »

***

وهكذا يبارح « فضل الله باشا » داره لمشاهدة الموكب بعد

أن كان عاقداً العزم على البقاء فيه ، وبعد أن حاول جهده احتجاز أفراد أسرته معه .

والآن نسأل هل كان الباشا صادقاً فى عزمه على البقاء فى المنزل ؟ ؟ ولئن كان كذلك فلماذا بارح المنزل ، وأين ذهبت آراؤه ومأثورات أقواله فى الاكتفاء بسماع ما يذيعه المذياع عن أوصاف الموكب ؟ ؟

نعم كان الباشا صادقاً فى عزمته ، وكان قانعاً بالبقاء أمام المذياع مؤثراً الراحة فى جلبابه وعباءته على التعب فى سترته المشدودة لأن نفسه كانت لا تختلج بلاعج يثير كامناً فيها يلوح له بطرف أمان يصبو دائماً إلى تحقيقها . وكان كذلك مخلصاً فى دعوة أفراد أسرته إلى البقاء فى المنزل بل واحتجازهم حوله ، لا خوفاً عليهم من أخطار الطريق المزدحم . وتطاول النظرات العابثة كما كان يجرى لسانه بذلك ، ولكن إجابة لداعى أنانية لابسته إذ ذاك ، مردها - كما أسلفنا البيان - إلى ألا تكون متعة من جانب أفراد أسرته لا يريد ، أو هو لا يقدر على أن يستمتع بها أولاً !

ومرض الباشا ؟ . . . نعم إن الباشا مريض ، ولكنه مرض لا يعجزه عن الخروج إذا أراد . أما إذا لم يرد فالمرض يقفز إلى الصف الأول من الأسباب التى يصح أن يعتذر بها عن الخروج . وقد كان الأمر كذلك فى أول الرواية ، ثم كان عكس ذلك فى نهايتها ! !

رأينا الباشا يصمد لإغراء أقوال المذيع عن بهجة الموكب وطرافته ، ويتمسك برأيه فى البقاء بالمنزل ويسفه كل رأى عداه . ولكن حدث أن هاج « الشيخ كروان » فى نفسه أمنية اقتعاد مقعد فى مجلس الشيوخ فهمت نفسه بشىء خطف ألهاه بعض الشىء عما كان موطناً النفس عليه ، وأخذ أفراد أسرته يتركونه الواحد بعد الآخر بحجج لم يستطع دفعها ، وجاءت هتافات جمعية الشبان ودعوتهم إياه إلى مشاهدة الموكب من مكان لائق مأمون فاتجهت أنانيته السابقة الذكر والتعليل ناحية أخرى هى التفرد بمشاهدة الموكب من مكان قد لا يوفق إليه غيره ممن خلفوه بالمنزل وخرجوا ، فكان يشرف مباشرة على مسير الموكب

اصطلحت كل هـذه الواردات والثورات على الباشا العنيد فجعلته يلين وجعلت لأقوال المذيع منفذ إلى مكانة الرغبة فى نفسه فسعرتها فإذا هو يندفع خارجاً وفى لباس ذلك منه الأيام فجعلته غير صالح للظهور به فى حفل كبير !

حقاً إن الإنسان لكائن متغير كصفحة ماء لا يقيم على حال . وله فى كل حال آراء ومنطق ومذاهب بفعل مؤثرات التى تطلق من أعماق النفس تيارات تسيطر عليه وتوجهه كما يريد

وحقاً إن شخصية (فضل الله باشا) هذه تقدم لنا صورة من التقلقل والضعف اللذين لقحت بهما إنسانيتنا ، واللذين يبدوان حتى فى أتفه الأمور

وهناك ظاهرات نفسية صادقة وطريفة تتصيدها العين الفاحصة فى بعض شخصيات المسرحية . ولعل أعجبها ما يبدر من شخصية (بديع بك) صهر الباشا . هذا المترمت المقنع يقع فى تناقض عجيب حينما تندفع رغبته المكبوتة فى مشاهدة الموكب وذلك بمجرد أن يرى والد زوجته يبارح البيت فلا يبالى أن يترك بدوره المنزل مخلفاً وراءه زوجته على أن تلحق به منفردة وبغير دليل وحارس لتخوض أمواجاً بشرية من الرجال المتدافعين بالمناكب !

* * *

هذه كلمتى الأخيرة عن كتاب (ثلاث مسرحيات فى فصل واحد) لمحمود تيمور قصرتها على معالجة الناحية النفسية والإنسانية فى أبطال هذه المسرحيات ، وذلك باعتبار أنها الناحية الثابتة التى لا تتغير من الحقائق التى ضمنتها هذه المسرحيات ، وأنها أجدر هذه الحقائق بالشرح والتبصرة ، وأولاها باهتمام الناقد وبحكمه عليها من ناحية صدقها ومن ناحية مبلغ توفيق المؤلف فى معالجتها . وقد أجريت قلمى فى هذا بغير قليل من الإسهاب إرادة البيان والتبيين .

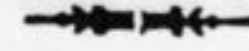
ولا شك فى أن « تيمور » توخى فيما توخاه من كتابة مسرحياته هذه ، أن يقربنا بعض الشىء مما تنغلق عليه نفوسنا تارة وتنفتح عنه أخرى ، وهذا من صميم الأدب والفن ، لأن الأدب الحق هو ما قرب الإنسان إلى معرفة نفسه

زكى طليمات

هواجس مريض

على وشك الرحيل

للأستاذ على عبد العظيم



حياة كالمنيّةِ سوف تذوى   فتسلمنى المنونُ إلى المنون
وما أخشى الردى لولا عيونٌ   سأتركها مقرّحة الجفون
ووالهةٌ تذوب أسّى وهماً   ستهتك حرمة الخدر المصون
تكاد تضم من هلع ضريحى   وتسأله الحنو على الدفين
وتسكب فوقه أفلاذ قلب   مسلسلة مع الدمع الهتون
أحس بشكلها فى جوف رمسى   فيوشك أن يُجَنَّ لها جنونى
وأسمع فى الظلام لها أنينا   يردده على بعـد أنينى

* * *

فيا أماه قد حان ارتحالى   إلى وادى الظلام فودعينى
خذينى نحو صدرك واهتفى لى   بلحن المهد فى رفق ولين
وهاتى من حديثك وابسمى لى   وضميـنى إليك وقبلينى
فَرُبَّتَ بسمة من فيك رفت   على قلبى رفيف الياسمين
سأقطف من جناها العذب زادى   وأرشف من مناهلها مَعِينى
وأجعلها إلى الأخرى دليلاً   يقود إلى مراقيها سفينى

* * *

غداة غد تخب بىَ المنايا   فتقذف بى إلى واد شَطون
تقنع بالظـلام وحجَّبته   عن الدنيا مغاليقُ القرون
فلا شمسٌ ترف على دجاه   ولا أخلاف غادية هَتون
ظلام تعـثر الألباب فيه   وتفزع منه طارقة الظنون
سميـرى فيه حصباء ومروٌ   ومهدى فيه من ماء وطين
ولـكنى ستؤنسنى ـ إذا ما   دلفت إليه ـ أخلاق ودينى

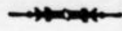
(الاسكندرية)   **على عبد العظيم**

أشـــعار صينية (*)

كتاب الشعر من القرن ١٣ — القرن ٨ ق . م

[إلى السيدة « ل »]

للأستاذ م . وهبة



— ١ —

حبيبـتى

عند باب المدينة الغربى ، تقف فتيات صغيرات يتضاحكن ، متمايلات خفيفات كسحاب الربيع ... ولـكنى لا أبالى سحرهن ، فحبيبتى فى ردائها الأبيض وتحت نقابها الشفاف أكثر سحراً منهن

* * *

عند باب المدينة الشرقى ، تنام فتيات صغيرات يحلمن ، جميلات ناضرات كزهور الربيع ... ولـكنى لا أبالى عطرهن ، فحبيبتى فى ردائها الأبيض وتحت نقابها الشفاف أزكى عطراً منهن

— ٢ —

رسـالة

حبيبى ! لا تأت إلىّ لتسأل عنى ، أضرع إليك . أنت ستكسر أشجار الصفصاف التى غرستها أمام غرفتى . أنا لا أستطيع أن أحبك أكثر مما أحببتك . يجب أن أذعن لوالدىّ . قلت لهما : « كم أحبك وكم أنت كل شىء لدى ، فأسمعانى كلاماً جارحاً

حبيبى ! لا تتسلق حائطنا . أضرع إليك . أنت ستكسر أغصان الشجيرة الصغيرة التى أسقيها كل صباح . أنا لا أستطيع أن أعطيك قلبى ؛ فإرادة أخى الأكبر صارمة ، وهو لا يريدنى أن أحبك

حبيبى ! لا تحطم الحاجز الذى اتكأناعليه سويًّا مساء رحيلك ؛ أضرع إليك . أنت ستنزع شجرة الورد التى أشم عبيرها عند الشفق

(*) La Jlut De Jade : poésies chinsises. Franz Toussaint
L'eclition d'art H. Piazza
19, Rue Bonaparte, Paris.

— ٣ —

وحدى

إنه الأقوى . إنه الأشجع . إنه الأجمل بين جميع المتحاربين :
ذلكم من أحبه ، ولكنه الآن فى جيشه يسير نحو الشرق
هأنذا أرسل شعرى للريح الآتية من الشرق ، تداعبه !
أنا أخشى الشمس والقمر والنجوم ، ولا أحب سوى مطر
الشعاع المنهمر . فقطراته أطلبها لتطفئ نارى ، ولكنها لا تستطيع
أنا أعرف من أين أجمع الزهر الذى يلهمنى النسيان . فمنزلنا
الصغير يملأه عبيره ؛ ولكننى قد أغلقته ، لأنى أريد أن أتألم
فإذا لم أتألم كما أتألم الآن ، فسأكون أكثر بعداً عن حبيبى

« م . وهبه »

وليم بليــــك

WILLIAM BLAKE

يمتاز شعر وليم بليك بطابع الطفولة التى غنى بها فى كثير من قصائده مثل : أغنية المربية ، وأغانى المهد ، والطفل الساهد ، ويسمو أيضاً شعره فى الخيال كما فى قصيدة « النمر » لذلك أعتقد أنه جدير بأن يسمى « شاعر الطفولة والخيال »

دنيا الأحــلام

إصح ، إصح ، يا ولدى الفريد !
كنتَ فرح أمك الوحيد
لماذا تبكى فى النوم الجميل ؟
إصح ! والدك يرعاك يا طفلى

***

آه ، ما دنيا الأحلام ، ما دنياها ؟
ما جبالها ، وما أنهارها ؟
رأيت أمى هنالك ، يا أبتاه !
بين زهور الزنبق وأعذب المياه

***

بين الحملان ، فى ملابس بيضاء
ومشت مع ابنها توماس فى هناء
فبكيت من الفرح ، ونُحت كالحمام الساجع
آه ! متى أرجع ثانية ، متى أنا راجع ؟

***

طفلى العزيز ، كنت مثلك بين المياه العذبة فى هيام
إلى انتهاء الليل فى دنيا الأحلام
ولكن ، والنهر هادئ والماء دافئ فاتر
لم أستطع عبورها للجانب الآخر

***

أبتاه ، يا أبتاه ! ما نفعل ههنا
فى دنيا الإلحاد والخوف هنا ؟
إن دنيا الأحلام أجمل مسكناً
فوق نور الصبح ، فوق نجومنا

الزهرة العليلة

أيتها الزهرة ، أنت عليلة !
الحشرة فى ثوب الخفاء ،
التى تطير فى جنح الظلام ،
وفى الزوبعة الهوجاء ،
وجدت فراشك
المملوء فرحاً قرمزياً كالدماء ؛
وحباً مختفياً فى حجاب الليل ؛
فقست على حياتك بالفناء

(الخرطوم . بحرى السودان) محمود محمد حسن

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى الجنحة ن ٤٨٢ سنة ٩٤١ بحبس شلبيه السيد عامر من أوليله عشرين يوما بالشغل لبيعها أدره بسعر زائد عن المحدد



ابراهيم حلمى العمر

لا يمرّ أسبوع بدون نعيم يزفّه إلى روحى بريد العراق ، فإخوانى فى بلاد الرافدَيْن لا ينسوننى ، ولا يفوتهم أن يطلعونى على ما يجدّ هنالك من ثمار الآداب والفنون .

وكان المألوف أن أجد ما يسرنى فيما يصل من الجرائد والمجلات ، فماذا وقع اليوم ؟

جاءت حزمة من أعداد « الأخبار والأحوال والزمان والشهاب » وعلى صدورها جميعاً صورة واحدة لأديبٍ من أصدقائى فعرفت أنه مات . وهل تهتم الجرائد فى يوم واحد بنشر صورة لأديب إلا حين يموت ؟ !

لم يبق شكٌّ فى أن الأستاذ ابراهيم حلمي العُمَر قد مات ، ولن أراه إن قُدِّرت لى زيارة قريبة أو بعيدة لأصدقائى فى بغداد ، فهو أنسٌ ذهب ولن يعود ، وإنى لذهابه لحزين ، أحسن الله فيك عزائى ، يا إبراهيم !

ذلك كاتبٌ سياسىٌّ مغامر ، رضى عنه قومٌ وغضبتْ عليه أقوام ، فكان ملكا عند أولئك وشيطاناً عند هؤلاء ، ولكنه فى حدود ما عرفتُه كان أديباً حلو التعبير ، بارع الأسلوب ، مع أريحية عربية قليلة الأمثال . وما أذكر أبداً أنى رأيت منه غير الجميل

كان إبراهيم حلمى العُمَر من أوائل الأدباء الذين نهضوا بالصحافة العراقية كما قالت الجرائد التى لم تر مانعاً من إنصافه بعد الموت ، وهل ينتفع الميت بالإنصاف ؟ !

وإبراهيم هو الذى أنشأ جريدة « لسان العرب » فى دمشق منذ أعوام طوال . وقد يكون أول عراقى خلق لوطنه صداقات فى الديار المصرية قبل أن يصل تعارفُ العرب إلى ما وصل إليه اليوم . ألم يقل من رثوه إنه كان من مراسلى «المؤيد» و «اللواء» ؟

سألت عن إبراهيم حين انقطع سؤاله عنى فعرفت أنه مريض فغالبتُ وهج القيظ ومضيتُ لعيادته بعد الدرس الأخير فى أحد أيام حزيران سنة ١٩٣٨ ، فماذا رأيت فى داره يومذاك ؟

رأيت طفلاً وطفلة يتفاهمان بالتناغى قبل موعد التفاهم بالكلام ، كما تتفاهم الحمائم الموصلية ، وهما يتصاخبان ويتباغمان بصورة تشهد بأنهما يجهلان أن أباهما مريض

ومن المؤكد أن هذين الطفلين وصلا إلى التفاهم بالنطق ، وأدركا معنى الحياة والموت ، فأين من يواسى هذين الطفلين الغريرَيْن بعد انحسار ظل أبيهما الرفيق ؟

الله عز شأنه هو المسئول عن الطب لجراح القلوب

زكى مبارك

١ — من غلط لغوى كبير

فى كتاب « نشوء اللغة العربية للأستاذ أنستاس الكرملى » فى الصفحة ٣٥ : قال ابن فارس فى كتابه الصاحبى ما هذا نصه بحروفه « زعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العرب شيء ، وأنه كله عربى ، يتأولون قوله جل ثناؤه : إنا جعلناه قرآناً مبيناً »

وفى جريدة الخطأ والصواب فى آخر الكتاب نبه على أن (العرب) صوابها (العجم) ولكنه لم يصحح الآية القرآنية ، وصوابها (إنا جعلناه قرآناً عربياً)

٢ — بَرقة

نشر الأستاذ الفشار قصيدته « برقة » وضبطها بفتح الباء . ثم جاء الأديب محمود عزة عرفة فخطأ هذا القيد وقال إن الصواب « بُرقة) بالضم . فرجعت إلى القاموس المحيط فرأيته قال : والبَرقة الدهشة وبلدة بقم وبلدة تجاه واسط القصب وقلعة حصينة بنواحى دوان وإقليم أو ناحية بين الإسكندرية وأفريقية . وفى اللباب فى الأنساب لابن الأثير : البرقى بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء . هذه النسبة إلى برقة وهى بلدة بالمغرب خرج منها جماعة كثيرة من العلماء فى كل فن ... الخ . وفى معجم البلدان لياقوت : برقة بفتح أوله والقاف اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقية . وفى « المبهج لابن جنى » بسط القول فى الأعلام المرتجلة والمنقوله

محمد أبو البهاء

كيف تنقح الأحاديث

طالعت ما كتبه الأستاذ محمود أبو رية تحت عنوان (رأى فى تنقيح الأحاديث) ؛ وإنى أشكر للأستاذ الفاضل اهتمامه بهذا الموضوع الخطير ، وأرى ما يراه من وجوب تنقيح ما تركه لنا السلف من تلك الأحاديث ، وتمييز الصحيح منها على أساس قوة السند وصحة المتن ، ولكنى أخالفه فى أن يكون ذلك بتغيير كتب

الحديث القديمة . إذ يرى أن نبدأ بالحديث فننخل كتبه ، ولا نبقى فيها غير الصحيح مما يخالف متواتر النقل ، وصريح العقل ، وما أثبته العلم ، وشهد به الحس .

فهذه الكتب أصبحت أمانة تاريخية بأيدينا ، فيجب أن نبقيها على حالها ، لتشهد بحال رجال الحديث في تلك العصور ، وتبين مقدار اجتهادهم في تمييز ما صح من الأحاديث ، وقد جرت الأمم على صيانة تاريخها من التغيير والتبديل ، وعممت على حفظ نواحيه كلها حتى ما يرجع منها إلى الأساطير ، وهذا إلى أن عملنا سيقوم على أساس الاجتهاد ، وهو يتغير بحسب المجتهدين ، ويختلف باختلاف العصور والأحوال .

فيجب أن نبقي كتب الحديث على حالها ، وأن نؤلف كتباً جديدة نتصرف فيها كيف نشاء باجتهادنا ، ونثبت فيها ما نرى إثباته من الأحاديث ، ونحذف منها ما نرى حذفه ، وقد يأتي من بعدنا فيعمل في كتبنا ما عملناه في كتب من سبقنا ، فباب الاجتهاد مفتوح إلى ما شاء الله . والكمال لله تعالى وحده .

عبد المتعال الصعيدي

فتوى في المذاهب الصوفية

هناك ناحية أخرى من نواحي الإصلاح إلى الآن لم يتعرض لها أحد ، وهي لا تقل خطرها عن إصلاح الأزهر ، تلك هي « الطرق الصوفية »

الطرق الصوفية مبثوثة في القرى والدساكر ، وهي تلقن العوام وأشباه المتعلمين البدع والضلالات ، ولو كنتم ممن يسكنون القرى أو لو كنتم ممن يتصلون برجال الطرق الصوفية عن كثب لجعلتم المجهود الذي توجهونه للأزهر وحده مناصفة بينهما

وقد اطلعت على الفتوى المرسلة مع هذا في كتاب « الجامع لأحكام القرآن للقرطبي » جـ ١١ صفحة ٢٣٧ ، ٢٣٨ عند تفسير قوله تعالى : « قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى » فعسى أن تنشروها بمجلة الرسالة الغراء ليطلع عليها الملأ رجاء أن يكون في نشرها ما ينفع

* * *

سئل الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله :

ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية ؟ وأعلم حرس الله مدته أنه اجتمع جماعة من رجال فيكثرون من ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم . ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم . ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه . ويحضرون شيئاً يأكلونه . هل الحضور معهم جائز أم لا ؟ أفتونا مأجورين .

الجواب

« يرحمك الله . مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلال . وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله . وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون . فهو دين الكفار وعباد العجل

وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى . وإنما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الوقار .

فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها . ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم . هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين . وبالله التوفيق »

(كفر الشرة) **أحمد أحمد القصير**

النابغة الذبياني في كتاب المنتخب

تركت الخدمة وشغلت نفسي بالزراعة ، بعد أن أجهدتها في مراحل التدريس كلها خمساً وثلاثين سنة . ثم أراد الله أن ذهبت يوماً إلى العاصمة ، واتفق أن جلست على مكتب لأحد الأصدقاء ، فحنَّت نفسي إلى ما ألِفته قديماً ، فمددت يدي إلى « المنتخب » الذي ينسب إلى ستة من فحول وزارة المعارف

فكان من حظي أن وقع نظري على عشرين بيتاً « للنابغة » من عينيته المشهورة التي اشتهرت بشواهدها النحوية والبيانية ، حتى تولى شرحها شراح الشواهد كالبغدادي والسيوطي . قرأتها فهالني ما عنَّ لي فيها من مآخذ في الشرح والشكل والإعراب ، حتى خيل إلي أن المؤلفات المدرسية التي توجت بأسماء هؤلاء الفحول ليس لهم فيها إلا الأسماء والأرباح ، وإلا فكيف أوفق بين علمهم الغزير وخطئهم الكثير ! وإليك البيان :

عفا ذو حسا من فرتنى فالفوارع . ضبطوا الحاء بالفتح ، والمعاجم والشروح تنص على ضمها .

أتاني – أبيت اللعن – أنك لمتني   وتلك التي تستك منها المسامع

قالوا : تستك أي تضيق ، والمعنى أتتني عنك ملامة يضيق عنها السمع ويأباها . اهـ

وليت شعري أسمع النعمان أم سمع النابغة ؟ وأقول : إنما أراد النابغة تستك منها مسامعي فزعاً من هول وعيدك ولومك ؛ وإذا كان الضيق من معاني الاستكاك فمن معانيه أيضاً الصمم

والانسداد ، وهذا هو الذى يناسب مقام الفزع الأكبر الذى حل بالنابغة ، فجعله يمعن فى الاعتذار والاستعطاف .

مقالة أن قد قلت سوف أناله   وذلك من تلقاء مثلك رائع

ضموا تاء ، قلت : والصواب فتحها . وقالوا : سوف أناله بهجاء أو بأذى ، فجعلوا هذا وعيداً من النابغة ، لأن التهديد بالهجاء إنما يكون من الشعراء لا من الملوك . وقالوا : تلقاء بمعنى لقاء ، أى وذلك مفزع لى عن لقاء مثلك ، وفاتهم أولاً أن قوله : أناله معناه أدركه على حد قوله تعالى : « وهموا بما لم ينالوا » . وثانياً أن تلقاء هنا معناه جهة أو حذاء على حد قوله تعالى : « ولما توجه تلقاء مدين » . وعلى هذا فالمعنى : أتانى وعيدك بأن سوف تدركنى أينما اختفيت ، وهذا الوعيد منك ومن مثلك من أهل القدرة والسلطان الواسع مخيف مزعج ، لا تطمئن معه نفس بعدت عنك أم قربت منك كما قال : ولا قرار على زأر من الأسد .

أتاك بقول هلهل النسج كاذب   ولم يأت بالحق الذى هو ناصع

جروا لفظ كاذب ، وجعلوه صفة لقول مجازاً عقلياً إذ يقال : كذب الرجل ، ولا أعرف كذب القول إلا على حد «عيشة راضية» . والأقدمون ينصبونه حالاً من فاعل أتاك ، والمح فى النصب إشعاراً بتعمد الكذب ، وشاية وإيقاعاً بالنابغة ، هذا أبلغ في المعنى .

بمصطحبات من لصاف وثبرة   يزرن ألالا سيرهن التدافع

كسروا لام لصاف ، والصواب فتحها ، فقد قالوا لصاف كحذام مكسورة غير منونة ، أو كسحاب منونة معربة .

فإنك كالليل الذى هو مدركى   وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قتل النحاة والبيانيون هذا البيت شرحاً وتحليلاً ، وجعلوه من عيون التشبيهات الرائعة ، شبه النابغة النعمان بالليل فى أن كلا منهما مع ما فيه من شديد الرهبة والوحشة يغشى مطلوبه بسرعة لا تدع له منجى مهما ظن الفرار ممكناً . أما شراح المنتخب فكل ما قالوه فى شرح البيت :

فإن عقابك ومؤاخذتك كالليل ؛ أى لا أنجو من عقابك مهما اتسعت أمامى مذاهب البعد عنك والهرب منك . وبهذا أذهبوا روعة التشبيه ، إن لم نقل جانبوا غرض الشاعر .

خطاطيف حجن فى حبال متينة   تمد بها أيد إليك نوازع

قالوا : خطاطيف خبر لمبتدأ محذوف ، أى لك خطاطيف ! ؟ وأنا أناشدهم الله أفيهم من يقبل من تلاميذ الابتدائى أن يقدروا المبتدأ جاراً ومجروراً !

أتوعد عبداً لم يخنك أمانة   وتترك عبد ظالم وهو ضالع

رفعوا يترك بعد الواو ، والمدارس تعلم الطلبة أن الواو التى يليها المضارع للمعية إذا سبقها نفى أو طلب . ولست أجهل أن الرفع جائز ، ولكن المعنى على الرفع غير المعنى على النصب ، ولست أشك فى أن المعية مقصودة هنا .

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه   وسيف أعيرته المنية قاطع

أبى الله إلا عــدله ووفاءه   فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

وتستق إذا ما شئت غير مصرد   بزوراء فى حافاتها المسك كانع

يصف النابغة النعمان بالسخاء والشجاعة . وأن الله فطره على العدل والوفاء ، لا يعرف المنكر ، ولا ينسى الجميل ، قد تهيأت له أسباب الرفهية ، يشرب ما شاء من أطيب الشراب فى كأس من الفضة ، كأنها لطيب ما فيها قد لصق المسك بحافاتها . وكل هذا خبر لا دعاء فيه ولا إنشاء ؛ ولكن انظر كيف حار المؤلفون الستة فى ضميرى أبى الله إلا عدله ووفاءه ، أهما لله جل شأنه أم للنعمان ؟ فقالوا فى الشرح : « أى أن الله عادل ليس النكر مقبولاً عنده ، ولا المعروف ضائعاً لديه ، وهو جاعل النعمان بإرادته عادلاً ، وإن قلنا إن الضمير يعود على النعمان كان المعنى ظاهراً . اه » . ثم أنظر فى البيت الأخير كيف حرفوا كلمة حافات فجعلوها حانات ، وكيف غرهم بعض الكتب فاتبعوه ؛ وقالوا فى الشرح : زوراء دار كانت بالحيرة للمناذرة . وكنع : تراكم ولزق ، والبيت دعاء للنعمان !

وليت شعرى كم حانة كانت بتلك الدار ؟ ! وما الغرض من تراكم المسك فى تلك الحانات ؟ ولم جعلوا هذا دعاء للنعمان ؟ ولو كان دعاء لفصله عما قبله لاختلافهما خبراً وإنشاء ، والدعاء طلب غير الحاصل ليحصل . فهل كان عسيراً على النعمان أن يشرب أى مقدار شاء من الخمر فى دار تراكم المسك فى حاناتها حتى يتقرب إليه النعمان بالتضرع إلى الله أن يمن عليه بذلك . إن الأقدمين فسروا الزوراء بكأس مستطيلة من الفضة ، وأرى أن البيت :

وتسقى إذا ما شئت غير مصرد   بزوراء فى حافاتها المسك كانع

ويروى : فى أكنافها المسك كارع

هذه مآخذى على المؤلفين فى عشرين بيتاً لو كانت فى المنتخب كله لعدت كثيرة ؛ فرجائى من صاحب المعالى وزير المعارف أن يضع حداً لفوضى تأليف الكتب المدرسية ؛ فلا تقرر الوزارة كتاباً مهما علا شأن مؤلفه إلا بعد أن يعرض على لجنة من أساتذة دار العلوم الذين امتازوا بالتوسع فى علوم اللغة العربية ، ولا تقرره الوزارة إلا لمدة سنة على الأكثر

حماده أبو النصر
أستاذ بكلية دار العلوم سابقاً



٢ـ المؤلفات العربية القديمة

وما نشر منها في سنة ١٩٤٠

للأستاذ كوركيس عواد

٧ – **البخلاء**

للجاحظ (٢٥٥ هـ). الجزء الثاني . نشرته وزارة المعارف المصرية (طبعة مدرسية) بتحقيق الأستاذين أحمد العوامري بك وعلى الجارم بك . (مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ٢٦٠ ص) الجزء الأول صدر قبل هذا

٨ – **البداية والنهاية في التاريخ**

لابن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) مجلد الرابع عشر (مطبعة السعادة . القاهرة ٣٣٢ ص) فيه حوادث السنين ٦٩٨ـ٧٦٧ هـ ، وبه ينتهي الكتاب . المجلدات ١ – ١٣ صدرت سابقاً

٩ – **البديع في وصف الربيع**

لأبي الوليد إسماعيل بن عامر الحميري الأشبيلي (المتوفى حوالى ٤٤٠ هـ) . علق عليه ووضع له فهارس للرجال والأماكن والقوافي ، المستشرق هنري بيريس Pérès المدرس بجامعة الجزائر . (المطبعة الرباطية – الجزائر)

١٠ – **تاريخ الشيخ عيسى حمادة المتوالي**

للأب أغوسطين زنده حبي (كان حياً سنة ١٧٧٧ م) . وهو قطعة من كتاب كبير في تاريخ لبنان في المائة الثامنة عشرة للميلاد . نشرها الأب بولس مسعد الحلبي اللبناني . في مجلة الشرق ببيروت (٣٨ [١٩٤٠] ص ٣٢ – ٤٠)

١١ – **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**

لأبي المظفر الإسفرايني (٤٧١ هـ) نشره الأستاذ عزت العطار الحسيني . بتعليقات للأستاذ محمد زاهد بن الحسن الكوثري وكتب الدكتور محمود محمد الخضيري كلمة عن الصلة بين علم الفرق وغيره من العلوم . (مطبعة الأنوار ، القاهرة ١٣٥ ص ٢ . فيها الفهارس)

١٢ – **تحفة الأحباب في ماهية النبات والأعشاب**

مؤلف مجهول – من جنوب مراكش – ألفه عند مختتم القرون الوسطى . طبعه وحل مشكلاته ونقله إلى الفرنسية : (هـ . ب . ج . رينو) و (جورج س . كولان) ؛ لم أقف على خبره في غير ما أخبر به الدكتور بشر فارس في مجلة الثقافة (العدد ١١٣ ص ٢٨٣ – ٢٨٤)

١٣ – **تخميس همزية البوصيري في سيرة الرسول**

للشيخ محمد الغلامي الموصلي [١] (١١٨٦ هـ) . نشره الأستاذ محمد رؤوف الغلامي . (مطبعة محفوظ ، الموصل ، ١٢٠ ص) . البوصيري صاحب القصيدة الهمزية ، توفى سنة ٦٩٦ هـ

١٤ – **تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر**

لأحمد باشا تيمور (أنظر الرقم ١ من هذا الكشف) . نشر هذا الكتاب سنة ١٩٣٤ لأول مرة ، متتابعاً في اثني عشر عدداً من مجلة الرسالة (أنظر الرسالة في أعدادها ٤٧ – ٥٨ ، ثم طبع سنة ١٩٤٠ (القاهرة ١٦٤ ص)

١٥ – **ترغيب أهل الإسلام في سكنى الشام**

للشيخ عز الدين بن عبد السلام السلمي الملقب بسلطان العلماء (٦٦٠ هـ) . نشره الأستاذ أحمد سامح الخالدي (الديري) ، (المطبعة التجارية ، القدس ١٦ ص)

١٦ – **تفضيل الأتراك على سائر الأجناد**

للوزير أبي العلاء ابن حسّول (٤٥٠ هـ) وهي رسالة ضمنها الرد على كتاب « التاجي » ، لأبي إسحق الصابئ (٣٨٤ هـ) كان تكلم فيها عن السلاجقة والديلم والجيل . النص العربي ، نشره الأستاذ عباس العزاوي المحامي البغدادي ، وكتب له مقدمة توسع فيها بترجمة المؤلف المقدمة (ص ١ – ٢٤) والمتن (ص ٢٥ – ٥١) طبعا بالزنكغراف . وقد نقلهما إلى اللغة التركية محمد

(١) أنظر ترجمته في « تاريخ الموصل » للقس سليمان صائغ (٢ : ١٧٦ – ١٧٩)

شرف الدين بك الأستاذ فى كلية الآداب باستانبول ونشر الكل فى مجموعة « تاريخ قورومى » التى تصدرها الحكومة التركية فى استانبول (Belleten, No. 14 - 15, pp. 235 - 206) وقد طبع من الترجمة مع الأصل نسخ قلائل على حدة

١٧ — التفهيم لأوائل صناعة التنجيم

لأبى الريحان البيروتى (٤٤٠ هـ) . ألفه سنة ٤٢١ هـ لأبى الحسن على بن أبى الفضل الخاصى . وهو فى الفلك والرياضيات . طبع بتقدمة وتعليقات (طهران ٦٧٧ ص)

١٨ — جماع العلم

لإمام المذهب محمد بن إدريس الشافعى (٢٠٤ هـ) حققه الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر (مكتبة المعارف القاهرة ١٥٠ص)

١٩ — الجمان المنضد فى مدح الوزير أحمد

لمحمد الغلامى الموصلى[١] نشره السيد محمود فوزى الغلامى ، بشرح وتعليق الأستاذ محمد رؤوف الغلامى (مطبعة محفوظ — الموصل — ص ٣٤٤) . الكتاب فى مدح الوزير أحمد باشا ابن سليمان باشا الجليلى ، الذى حكم الموصل تسع سنوات ، وتوفى سنة ١٢٣٩ هـ .

٢٠ — الحدائق

لعبدالله بن محمد بن السيد البطليوسى[٢] (٥٢١ هـ) ، نشره المستشرق الأسبانى آسين بلاسيوس Miguel asin palacios مع ترجمة أسبانية بعنوان :

[Kitab Al-Hada'ia]
Ibn al sid de Badajoz Y su A Libro de los cercos

فى مجلة « الأندلس » الأسبانية فى مدريد :

Al-andalus, vol. V. fase. 1, pp. 45-154

(١) من عائلة محمد الغلامى المذكور فى الرقم ١٣ وترجمته فى « تاريخ الموصل » لصائغ (٢ : ٢٥٢ — ٢٥٤)

(٢) ترجمته فى : الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس (المكتبة العربية الأندلسية ٢ رقم ٦٣٩) بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس (المكتبة الأندلسية ٣ رقم ٨٩٢) ؛ وفيات الأعيان (١ : ٣٧٠ بولاق ١٢٧٥هـ) قلائد العقيان للفتح بن خاقان (ص ٢٢١ — ٢٣١) طبع تونس)

النص العربى مطبوع بحروف مغربية ، وهو مع الترجمة وقعا من المجلة المذكورة فى ١١٠ صحائف

الكتاب فى الحكمة والتصوف

٢١ — حديث الحكمة

لأبى الفرج المعروف بابن العبرى (٦٨٥ هـ) نشره وصحح نقله لأول مرة البطريرك أغناطيوس أفرام الأول برصوم (مطبعة السلامة ، حمص ، ص ٦٦) ، الأصل وضعه ابن العبرى باللغة الإرمية[١] ، والترجمة المنشورة هذه قد تكون لأحد كتبة المائة الرابعة عشرة للميلاد . فى هذا الكتاب لخص ابن العبرى بعض مؤلفاته فى المنطق والطبيعيات والإلهيات

٢٢ — الحيوان

للجاحظ (٢٥٥ هـ) المجلد الرابع ، نشره الأستاذ عبد السلام محمد هارون بعد أن بذل فى تحقيقه وضبطه وشرحه ما لا مزيد عليه (مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ص ٥٣٦) المجلدات ١ — ٣ صدرت خلال ١٩٣٨ - ١٩٣٩ بمثل العناية التى لقيها هذا المجلد . الكتاب سيتم فى سبعة مجلدات ، هذا المجلد تناول الكلام على : النمل والقرد والخنزير والحيات والظليم وغير ذلك

٢٣ — ديوان البارودى

لمحمود سامى باشا البارودى (١٣٢٢ هـ) . المقدمة لمعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، والشرح للأستاذين على الجارم بك ومحمد شفيق معروف ، نشرته وزارة المعارف المصرية فى مطبعة دار الكتب بالقاهرة

٢٤ — رحلة الوزير فى افتكاك الأسير

لمحمد بن عبد الوهاب الغسانى وزير مولاى اسماعيل وسفيره إلى ملك أسبانية نشره الأستاذ الفريد البستانى (طبع فى طنجة)

(١) الأصل الارمى نشره المستشرق هرمن جانسن H. F. Janssens فى مدينة لياج سنة ١٩٣٧ ، منقولا إلى اللغة الفرنسية

٢٥ — الرسالة

للإمام الشافعي (٢٠٤ هـ) ، نشرها الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر بعد أن حققها على الأصول المخطوطة والمطبوعة ، وأقدمها نسخة بخط الربيع بن سليمان تلميذ الشافعي وراوي كتبه

٢٦ — رسالة في صنعة القواد

للجاحظ (٢٥٥ هـ) نشرها الأستاذ عبد الرزاق الحصّان ، في « الملحق » الثاني من كتابه « نظرة عابرة في شمالي العراق » . (مطبعة التفيّض الأهلية ، بغداد ، ص ٧٢ — ٨١)

٢٧ — رسالة في نصيحة ولي عهد مروان بن محمد ، وفي صفة تعبئة الحروب ، والحذر من العدو والمكيدة له وانتقاء القواد ، والاستعداد بالآلات والأموال

لعبد الحميد الكاتب (١٣٢ هـ) نشرها الأستاذ عبد الرزّاق الحصان في « الملحق » الخامس من كتابه المذكور في الرقم ٢٦ (ص ١٠٤ — ١٣٤)

٢٨ — طبقات ابن سعد

لابن سعد (٢٣٠ هـ) ، القسم الثالث من المجلد التاسع ، فيه فهرست أسماء الأشخاص الذين ذكرهم ابن سعد في متن كتاب الطبقات الكبير . رتّبها المستشرق الألماني إدور سخاو E. Sachau وحالت وفاته دون نشرها (مطبعة بريل Brill في ليدن ٢٥٨ ص) . جميع أقسام الكتاب ظهرت خلال السنوات ١٩١٧ — ١٩٢٨ ، وقد استتمّ الآن

٢٩ — العقد الفريد

لابن عبد ربه الأندلسي (٣٢٨ هـ) الجزء الأول . نشره الأساتذة أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وابراهيم الابياري ، بعد شرحه وضبطه وتصحيحه وعنونة موضوعاته ، وترتيب فهارسه الوافية (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، س + ٤٧٧ ص) . هذا المجلد يشتمل على ثلاثة أقسام بحسب تقسيم المؤلف لكتابه ، وهي : كتاب اللؤلؤة في السلطان ، كتاب الفريدة في الحروب ، كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد . بقية مجلدات الكتاب تصدر بالتتابع ، ولعلّه يتمّ في نحو ثمانية أو عشرة مجلدات

٣٠ — العقد الفريد

لابن عبد ربّه الأندلسي (٣٢٨ هـ) . حققه الأستاذ محمد سعيد العريان ، ونشرته المكتبة التجارية الكبرى (مطبعة الاستقامة ، القاهرة) . صدر من هذه الطبعة ستة مجلدات ، صحائفها بالتوالي : ٣٤٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٤ ، ٣٤٣ ، ٤١٥ ، ٣٥٠ . وسيصدر الجزء السابع وبعده الثامن ، وبهما يتم الكتاب

٣١ — غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر

لياسين أفندي ابن خير الله الخطيب العمري الموصلي [1] (المولود سنة ١١٥٧ هـ) . عُني بنشره الدكتور صدّيق الجليلي (مطبعة أم الربيعين ، الموصل ، ١٢٨ ص) . في هذا التاريخ حوادث السنين ١٢٠٠ — ١٢٢٥ هـ

٣٢ — مسند عمر بن الخطاب

لأبي يوسف يعقوب بن شيبة بن الصلت البغدادي ٢٦٢ هـ . الجزء العاشر ، عثر على مخطوطته الفريدة الدكتور سامي حدّاد « أستاذ الجراحة في جامعة بيروت الأمريكية » ؛ فعني بدرسه ونشره المطبعة الأمريكية بيروت ، ٢٣٨ ص . فيها المقدمات والتعليقات والفهارس و ٤ لوحات مطبوعة على الفتوغراف تمثّل بعض صحائف المخطوط . سائر أجزاء الكتاب لا تزال — على ما يظهر — في عداد الضائعات

(له بقية)

كوركيس عواد

(١) ترجمته في تاريخ الموصل لصائغ ٢ : ٢٠٨ — ٢١٠

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 449

Lundi - 9 - 2 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
٢ ثمن هذا العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٤٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ محرم سنة ١٣٦١ — الموافق ٩ فبراير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

كيف عالج الإسلام الفقر



ألقِ عن عينيك هذا المنظار السحرى الذى صنعه الأدب والفن؛ ثم انظر إلى الحياة فى شتى مظاهرها تجدها معركة هائلة على القوت لا تنقطع ولا تفتُر. وهذه المعركة التى لا تدرك لها طولاً فى الدهر، ولا عرضاً فى الكون، لا تنفك رحاها تلفظ على جنباتها قتلى وجرحى؛ وأولئك هم الذين خذلهم الضعف فماتوا شهداء، أو عاشوا فقراء. أما الموت فلا حيلة لأحد فيه؛ وأما الفقر فهو الداء العياء الذى خامر الإنسانية منذ طبعها الله على القدرة والعجز، وبرأها على الكمال والنقص. وهذا الداء كان وما زال موضوع الطب الاجتماعى

يخفف بُرَحاءه بالمُرقِد، ويكفكف غلواءه بالتمائم؛ ولكن دواءه الناجع ظل من وراء إمكانه حتى وصفه الله فى دينه، وطبقه فى شرعه، فانحسمت العدوى وانكشفت البلوى وبرئت العلة. فإذا رأيت فى وطن الإسلام طرائد للفقر وفرائس للجوع فصدّق الله وكذّب نفسك. إن ما ترى لم يعد ذلك الوطن الذى أشرق بنور الله وتعطر بريح الجنة، إنما هو طلل ترحّل عنه أهله، ومريض فرط فيه أُساته، ومسلمون انطمست فيهم معانى القرآن فتعبدوا بألفاظه، وحاكمون أعضلت بهم أصول الحكم فاكتفوا بصوره. فلو كان للاسلام رأى فى الحكومة وسلطان على الأمة لكان الوطن كله أسرة، والناس جميعهم إخوة، تجد فيهم الفقير ولا تجد المحروم، وترى بينهم الضعيف ولا ترى المظلوم؛ لأن شريعة الله جعلت بين الغنىّ والفقير سبباً هو البر، وأنشأت بين القوى والضعيف نسباً هو الرحمة!

***

عالج الإسلام الفقر علاج من يعلم أنه أصل كل داء ومصدر كل شر. وقد أوشك هذا العلاج أن يكون بعد توحيد الله أرفع أركان الإسلام شأناً، وأكثر أوامره ذكراً، وأوفر مقاصده عناية. ولو رحت تستقصى ما نزل من الآيات وورد من الأحاديث فى الصدقات والبر، لحسبت أن رسالة الإسلام لم يبعث بها الله محمداً آخر الدهر إلا لتنقذ الإنسانية من غوائل الفقر وجرائر الجوع. وحسبك أن تعلم أن آى الصيام فى الكتاب أربع، وآى الحج بضع عشرة، وآى الصلاة لا تبلغ الثلاثين؛ أما آى الزكاة والصدقات فإنها تُربى على الخمسين

كأنما اختار الله لكفاح الفقر أشح البلاد طبيعة وأشد الأمم فقراً ليصرعه فى أمنع حصونه وأوسع ميادينه! فإن الفقر إذا انهزم فى قفار الحجاز كانت هزيمته فى ريف مصر وسواد العراق أسرع وأسهل. ثم اختار الله رسوله فقيراً ليكون أظهر لقوته، كما اختاره أمّيّاً ليكون أبلغ لحجته

كانت جزيرة العرب إبّان الدعوة العظمى مثلاً محزناً لما يجنيه الفقر على بنى الإنسان من تَضرية الغرائز، وتمزيق العلائق، ومعاناة الغزو، ومكابدة الحرمان، وقتل الأولاد، وفحش الربا، وأكل السُّحت، وتطفيف الكيل، وعنت الكبراء، وأثرة الأغنياء، وفقد الأمن، وانحطاط المرء إلى الدرك الأسفل من حياة البهيم. فلما أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق كانت معجزته الكبرى هذا الكتاب المحكم الذى جعل هذه الأشلاء الدامية جسماً شديد الأسر عارم القوة. ونسخ هذه النظم الفاسدة بدستور متين القواعد خالد الحكمة؛ ثم كانت بوادر الإصلاح الإلهى أن قلّم أظفار الفقر، وأسا كلوم الفقراء، وقطع جرائر البؤس، فألّف بين القلوب، وآخى بين الناس، وساوى بين الأجناس، وعصم النفوس من القتل الحرام، وطهر الأموال من الربا الفاحش؛ ثم عالج الداء الأزلى نفسه بما لو أخذ به المصلحون لوقاهم شرور هذه الحروب التى أمضّت حياة الناس، وكفاهم أخطاء هذه المذاهب التى قوضت بناء المجتمع: عالجه بالسفارة بين الغنى والفقير على أساس الاعتراف بحق التملك، والاحتفاظ بحرية التصرف، فلا يُدفع مالك عن ملكه، ولا يعارَض حر فى إرادته. إنما جعل للفقير فى مال الغنى حقاً معلوماً لا يكمل دينه إلا بأدائه؛ ذلك الحق هو الركن الثالث من الأركان الخمسة التى بُنى عليها الإسلام، فلا هو فرع ولا نافلة ولا فضلة. وليست الزكاة بالقدر الذى يخفى أثره فى حياة الفقير، فهى ربع العشر فى المال، وما يقدَّر بنحو ذلك فى غيره. فإذا جُبيت الزكاة بالأمانة على حسابها المقدَّر، ووُزعت بالعدالة على نظامها المفروض، شفت النفوس من الحقد، وأنقذت المجتمع من البؤس، فلا تجد سائلاً فى شارع، ولا جائعاً فى بيت، ولا جاهلاً فى عمل.

ولم يقف الإسلام فى علاج الفقر عند فرض الزكاة، وإنما شرع للبر فى العبادات والمعاملات موارد لا يأسن لها معين ولا ينقطع عنها رافد:

يحنث الرجل فى يمينه فيكفر بإطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة

ويقسم ألا يفعل شيئاً، ثم يرى أن فعله خير من تركه، فيكفر بإطعام المساكين ثم يفعله.

ويظاهر من زوجه ثم يبدو له أن يعود، فيطعم ستين مسكيناً أو يحرر رقبة

ويرمى فيقتل نفساً عن غير عمد ، فيطعم أو يعتق فضلاً عن أداء الدية

ويعجز عن صوم رمضان لسَقَم أو هرَم ، فيفطِر ويطعم كل يوم مسكيناً .

و يفطِر عامداً فى رمضان من غير علة ، فيطعم ستين فقيراً أو يفك رقبة .

ويخل الحاج بشرط من شروط الحج فيكفر عنه بِذِبْحٍ يقدمه للمساكين .

ويتجرد عن المخيط فإذا لبس شيئاً منه لزمته الفدية .

و يُرزق الرجل غلاماً فيعقّ عنه بذبيحة يطعمها الفقراء يوم أسبوعه .

ويقبل عيد الصوم أو عيد الحج فيجب على الأغنياء أن يرفهوا عن الفقراء بزكاة الفطر أو بلحوم الأضاحى .

وينذر المسلم لله نذراً فيوجب الدين عليه أن يفى به برًّا بالفقراء وعوناً للمساكين .

ويعجز الرجل عن تكاليف العيش فيوجب الدين على من يرثه بعد موته أن ينفق عليه ! فينفق الابن على الأب ، والأب على الابن ، والأخ على الأخ ، والزوج على الزوج ، عملاً بالقاعدة الإسلامية الحكيمة : (الغُرم بالغُنم) . ولقد رأى الفاروق عمر بن الخطاب يهودياً لا يقدر على شىء ، فوقف به ثم قال له : ما أنصفناك أيها الذمي! أخذنا منك الجزية فى قوّتك ، فيجب ألا نضيعك فى ضعفك . ثم أجرى عليه من بيت المال ما يمسك نفسه

وجاءت الشريعة بالوصية لمن حضره الموت : يوصى بثلث ماله لوجوه البر فضلاً عن الوصية للوالدين والأقربين

ونوهت السُّنة بالصدقة الجارية ، فكانت بركة من بركات الرسول الكريم على المرضى والزَّمْنَى وذوى الخصاصة وأبناء السبيل وطلاب العلم وحجاج البيت ، بما وقف عليهم أولو الفضل والسعة من المستشفيات والملاجئ والخانات والزوايا والأربطة والمدارس والمساجد والمكاتب . وكفى شهيداً على أثر (الصدقة الجارية) فى علاج الفقر وإشاعة البر ، أن تحصى الأوقاف فى الأقطار الإسلامية ؛ ثم تنظر فيما حُبست عليه من وسائل الإصلاح ووجوه الخير ؛ ثم تحكم على ما قدمت لذوى الحاجات والعاهات من إحسان لا يغبُّ وإسعاف لا يغيب

كل أولئك إلى ما جاء فى كتاب الله وفى سنة رسوله من الحث على الإنفاق فى سبيل الله ، والترغيب فيما عند الله من حسن المثوبة ، بفنون من القول الرائع والتشبيه المحكم

* * *

كذلك عالج الإسلام الفقر من طريق آخر غير طريق الزكاة والصدقات والكفارة : عالجه من طريق الكسر من حدة الشهوة ، والكف من سَورة الطموح ، والغضّ من إشراف الطمع ؛ فرغّب الغنى فى الزهد ، وأمر الواجد بالقناعة ، ومدح الفقير بالتعفف .

* * *

ذلك ما عالج به الإسلام داء الفقر الذى أعيا الإنسانية منذ الدهر الأول . وهو على إحاطته وبساطته ونجوعه ينهض وحده دليلاً على أفَن الذين يقولون إن دستور القرآن لا يأتلف مع المدنية ، وشريعة نابليون أصلح للناس من شريعة الله ، ونظام ماركس أجدى على العالم من نظام محمد .

فلو أن كل مسلم أدى حق الله في ماله ، ثم استقاد لأريحية طبعه وكرم نفسه ، فأعطى من فضل ، وواسى من كفاف ، وآثر من قلة ؛ ثم قيض الله لهذا كله من ولاة الأمر من يجمعه على أكمل حال ، ويدبره على أفضل وجه ، ويوزعه على أعدل قسمة ، لكان ذلك عَسِيًّا أن يُقر السلام فى الأرض ، ويُشيع الوئام فى الناس ، فتهدأ ضلوع الحاقد ، وترقأ دموع البائس ، ويسكن جوف الفقير ، ويذهب خوف الغنى ، ويتذوق الناس فى ظلال الرخاء ، سعادة الأرض ونعيم السماء !

أحمد حسن الزيات

ملحق الممتاز

ضاق هذا العدد عن طائفة من المقالات القيمة لصفوة من كبار الكتاب ، سننشرها فى العدد المقبل تسجيلا لما جادت به الخواطر الكريمة فى هذه الذكرى العظيمة

لابد من دين الله لدنيا الناس

لإمام المسلمين الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي



عودة يوم الهجرة للنفوس المؤمنة ، كعودة الربيع للجسوم الحية . فالربيع ينشر فى الكون الحياة والجمال ، فيتجدد البالى ، وينتعش الذاوى ، ويبتهج الكئيب ؛ ويوم الهجرة ينشر فى القلوب النور والجلال ، فيقوى الخائر ، ويهتدى الحائر ، ويتذكر الغُفلان . وإذا كانت الحواس لا تنتفع بالربيع إذا لم تكن شاعرة ، فإن النفوس كذلك لا تنتفع بمعنى الهجرة إذا لم تكن ذاكرة . والذكرى تنفع المؤمنين إذا اقتبسوا منها الهداية والتمسوا فيها العظة ؛ أما إذا كان قصارى أمرنا فى الاحتفال بحوادثنا الكبرى ، وشخصياتنا العظمى ، أن نكتب ونخطب فما أصبنا الغرض .

إن ذكرى الهجرة هى ذكرى وضع الأساس لهذا البناء الإسلامى الشامخ الذى انبسط ظله على أكثر الأرض ، وانتشر نوره فى ظلام الوجود ، وأوت الإنسانية منه إلى ركن شديد بالعلم ، أمين بالعدل ، منيف بالحضارة ؛ فالمسلمون أحرياء أن يجعلوا احتفالهم بهذه الذكرى العظيمة تقديساً للدين الذى كانت فى سبيله . وتمجيداً للمبدأ الذى قامت عليه . وتأييداً للشرع الذى تكشفت عنه . وتقديس الدين هو الانقياد له ، وتمجيد المبدأ هو الإخلاص فيه ، وتأييد الشرع هو العمل به . وما كان الناس فى عهودهم الخالية بأحوج إلى هدى الله منهم فى هذا العهد ؛ فقد طغت فيه المادية على الشعوب حتى تعادت ، وأفرطت القوة على الدول حتى تفانت ، وغررت المذاهب الإلحادية بالأفهام السقيمة فلبّسوا على الناس الحق ، وشبهوا على القادة الطريق ، حتى زُلزلت الأرض بمن عليها ، وخشينا على صرح المدنية والفضيلة أن يَنقضّ

ذلك إيذان من الله للناس بأنهم فسقوا عن أمره فجافتهم رحمته . وحادوا عن سبيله فحق عليهم عذابه . « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون »

لا يكشف عنا ما غشينا من هذه الغمة العميمة إلا العمل بشريعة الإسلام والاحتفاظ بتقاليد الشرق الصالحة . والرجوع إلى شرع الله فى أمور الدنيا من بدائه العقل وموجبات الفطرة ؛ لأن الله جلت قدرته هو الذى خلق الناس ودحا الأرض ، فهو أعلم بغرائز خلقه وأسرار كونه ؛ وهو أعلم بما سينشأ عن تصادم الغرائز من نزاع ، وما سيشتد على خيرات الأرض من تنافس ؛ وهو أعلم بما سينتجه تفاوت الناس فى القدرة والحيلة من بغى الأقوياء على الضعفاء ، وجور الأغنياء على الفقراء ؛ فشرعه وهو الخبير البصير حقيق أن يكون حلاً حاسماً لمشكلات الحياة ، وعلاجاً شافياً لأدواء المجتمع ، ودستوراً جامعاً تنتظم عليه شؤون الأفراد وأحوال الأمم فى كل أرض وفى كل عصر وفى كل جنس . أما تشريع الناس للناس فهو عرضة للنقص أو للخطأ من جهة الجهل أو من جهة الهوى أو من جهة التطبيق ؛ وهو إن صلح لعصر لا يصلح لغيره ، وإن أفاد فى أمة لا يفيد فى أخرى . فما بالنا ندع حكم الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم نحكّم فى أنفسنا وأموالنا وأحوالنا شرائع قد لا تتفق مع عقائدنا ، ولا تأتلف مع عوائدنا ، ولا تستطيع أن تحيط بما أحاط به الله من خفايا الصدور ومفاجآت الغيب ؟ !

لا يزكو بأهل القِبلة أن يولوا وجوههم شطر المغرب يأخذون عنه من المذاهب والنظم والتقاليد ما أضلّ به أهله . إنما النور فى الشرق مطلع الأديان ، والهدى فى شريعة الله مُنزل القرآن ، والدليل فى سنة الرسول صاحب الهجرة ، والسبيل ما سلكه السلف الصالح فوُفق بهم على الغاية

ونرجو فى مولانا الفاروق أعز الله ملكه أن يبنى إصلاح الأمة على قواعد الدين ، وأن يُجرى قضاء الحكومة على شريعة الله ، فهو بما آتاه الله من العلم والحكمة والسلطان أحق بأن يبدأ للأمة الإسلامية هذا التاريخ الجديد

أسأل الله ولى المؤمنين وأحكم الحاكمين أن يسدّد خطانا فى الطريق المستقيم ، وأن يكشف عنا وعن الناس هذا الكرب العظيم

محمد مصطفى المراغى

الأوامر المختومة في المأثورات النبوية

للأستاذ عباس محمود العقاد



يكثر في الحروب الحديثة ذكر الأوامر المختومة التي تصدر إلى قواد السرايا والسفن ليفتحوها عند مدينة معلومة أو بعد مسيرة ساعات أو في عرض البحر على درجة معينة من درجات الطول والعرض ، إلى أمثال ذلك من العلامات التي تعين بها الجهات

ويتفق في أمثال هذه البعوث أن يكون القائد وحده مطلعاً على سر البعث أو موصياً به ورجاله جميعاً يجهلونه ولا يعرفون أهم خارجون في غزوة أو في استطلاع أو في مناورة إلى ما قبل الحركة المقصودة بساعات معدودات ، وهنالك تصدر الأوامر التي لا بد من صدورها للتهيؤ والتنفيذ ، ولا خوف من كشفها في تلك الساعة لصعوبة الاستعداد الذي يقابلها به العدو إذا انكشفت له قبل تنفيذها بفترة وجيزة ، ولا سيما إذا كانت الحركة من حركات البحار

هذه الأوامر المختومة ليست بحديثة

وقد عرفت في المأثورات النبوية على أتم أصولها التي تلاحظ في أمثالها ، ومن ذلك أنه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ومعه كتاب أمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ، وفحواه أن «سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته ، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك ، وامض لأمر فيمن تبعك حتى تأتى بطن نخلة فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم »

وهذا نموذج من الأوامر المختومة جامع لكل ما يلاحظ فيها حديثاً وقديماً عند بداية الدعوات على التخصيص

فأولها كتمان الخبر عمن يحيطون بالنبي عليه السلام ، فلا يبعد أن يكون منهم من هو مدخول النية عيناً عليه وعلى أصحابه من قبل قريش ، ولا يبعد أن يكون منهم من يبوح بالخبر ولا يريد به السوء، أو يدرك ما في البوح به من الخطر المحظور ، ولا يبعد أن يكون منهم الضعفاء والمخالفون ، والاستعانة على قضاء الحاجات بالكتمان سنة حكيمة من سنن النبي عليه السلام ، وهي في حروب الدعوات على التخصيص أقمن بالاتباع

ومما لوحظ في كتاب النبي لعبد الله بن جحش كتمان الخبر عن أصحابه ووصاته ألا يكره أحداً منهم على المسير معه بعد معرفته بوجهته . وهذا هو أهم الملاحظات في هذا المقام

فقد يحارب الرجل وهو مكره مهدد بالموت الذي يتقيه إذ يفر من القتال ، ولكنه لا يستطلع وهو مكره ثم يفيد استطلاعه من أرسلوه ، بل لعله ينقلب إلى النقيض فيحرف الأخبار عمداً ، أو يتلقاها على غير اكتراث ، أو يطلع الأعداء على أسرار أصحابه وهم غافلون عنه

ولهذا تعانى الدول أكبر العناء في مراقبة الجواسيس بالجواسيس ، وفي امتحان كل خبر بمراجعة بعد المراجعة والمناقضة بعد المناقضة حتى تطمئن إلى صحته قبل الاعتماد عليه

وفي الحرب الحاضرة تجربة جديدة لهذا النوع من المستطلعين أو الرواد المتقدمين

فقد عرف أن هتلر يعتمد على أفراد من جنده يهبطون من الطيارات وراء الصفوف فيتسللون إلى مراكز المواصلات ويعيشون بين القرى المعزولة فيشيعون فيها الرعب والحيرة ويوهمون من يراهم أن الجيش المغير كله على مقربة منهم فلا جدوى لهم من الاستغاثة أو المقاومة ، ويحمل معظم هؤلاء الرواد المتقدمين أجهزة المخاطبة يستعينون بها على الاتصال برؤسائهم من بعيد

قيل في الإعجاب بهذه الخطة الهتلرية كثير ، وقيل في انتقادها والتنبيه إلى خطرها كثير

فمن دواعي الإعجاب بها أنها أفادت في قطع المواصلات وإشاعة الذعر وتضليل المدافعين ، وأنها شيء جديد في شكله وإن لم يكن جديداً في غايته ومرماه

ومن أسباب انتقادها أن كل فائدة فيها تتوقف على العقيدة وحسن النية ، فهي تستلزم أن يكون الرائد غيوراً على عمله مستحمساً لإنجازه رقيباً على نفسه وهو بمعزل عن رقبائه ، فليس أيسر له إذا هو انفرد وأعوزته الرغبة في إنجاز عمله من أن يستأسر في أول مكان يصل إليه من بلاد الأعداء طلباً للسلامة ولا عقاب عليه ولا هو يتقي العقاب إلى نهاية القتال . ثم يتعلل بما شاء من المعاذير إن وجد بعد ذلك من يحاسبه ويعاقبه ، وهيهات أن تستجمع الأدلة عليه في أمثال هذه الفوضى

فالخطة الهتلرية فاشلة لا محالة إن لم ينفذها مريدون متعصبون غير مكرهين ولا متشككين فيما هو موكول إليهم ، وهي لهذا أحرى أن تحسب من وحي الطريق وإلهام العقائد لا من النظام الذي يدرب عليه كل جيش ويصلح لجميع الجنود . فولا أن النازيين قضوا قبل الحرب الحاضرة زهاء عشر سنوات ينفخون في نفوس الناشئة جذوة البغضاء ويلهبونهم بحماسة العقيدة ويخلقون فيهم اللدد الذي يغني عن الرقابة ساعة التنفيذ لحبطت الخطة كل الحبوط وانقلبت على النازيين شر انقلاب

وها هنا تتجلى حكمة النبي عليه السلام في اشتراط الرغبة والطواعية واجتناب القسر والإكراه .

فهذه « أولاً » بعثة منفردة لا سبيل إلى الإكراه الفعال بين رجالها إذا أريد .

وهي « ثانية » بعثة استطلاع لا يغني فيها عمل الكاره المقسور ، وألزم ما يلزم العامل فيها إيمانه وصدق نيته وحسن مودته لمن أرسلوه . فإن أعوزته هذه الصفة فقد أعوزه كل شيء .

أما غرض البعثة كلها وهو الاستطلاع فقد كان النبي عليه السلام عليماً بمزاياه معنياً به غاية العناية يحسب العدو المجهول كالعدو المستتر بأسوار الحصون في حمى من الجهل به قد يحول دون الاستعداد له بالعدة الضرورية ويحول من ثم دون الانتصار عليه

وكان عليه السلام مثلاً بين قواد الجيوش الذين جعلوا عدة الاستطلاع مقدمة على عدة التعبئة ، ومن هؤلاء نابليون الكبير

قلنا في مقال كتبناه بالرسالة لمثل هذه المناسبة منذ سنتين : « لم يعرف عن قائد حديث أنه كان يعنى بالاستطلاع والاستدلال عناية نابليون ، وكانت فراسة النبي في ذلك مضرب الأمثال ، فلما رأى أصحابه يضربون العبدين المستقيين من ماء بدر لأنهما يذكران قريشاً ولا يذكران أبا سفيان علم بفطنته الصادقة أنهما يقولان الحق ولا يقصدان المراء ، وسأل عن عدد القوم فلما لم يعرفا العدد سأل عن عدد الجزور التي ينحرونها كل يوم فعرف قوة الجيش بمعرفته مقدار الطعام الذي يحتاج إليه . وكان صلوات الله عليه إنما يعول في استطلاع أخبار كل مكان على أهله وأقرب الناس إلى العلم بفجاجه ودروبه ، ويعقد ما يسمى اليوم مجلس الحرب قبل أن يبدأ القتال ، فيسمع من كل فيما هو خبير به ، ولا يأنف من الأخذ بنصيحة صغير أو كبير »

ونحن نكتب هذا المقال والحرب الروسية تذكرنا كيف أصيب نابليون في هذا الميدان حين أصيب في وسائل الاستطلاع ، ثم تذكرنا كيف تكررت هذه الغلطة بعينها على نوع من المشابهة بين غزوة نابليون روسيا أمس وغزوة هتلر لتلك البلاد اليوم

فمن أسباب هزيمة نابليون إهماله النصائح التي سمعها في مجلس الحرب من بعض الثقات قبل التوغل في الأرض الروسية

ومن أسباب تلك الهزيمة أن الروس كانوا يتراجعون أمامه تحت جنح الظلام ويخلون المدن والطرقات حتى لا يرى فيها دياراً يسأله عن مكان الجيش المتراجع أو يلتقط من خلال أجوبته ما يعينه على الاستطلاع الذي كان كما أسلفنا شديد التعويل

أما هتلر فقد أُتي من قِبَل هذين النقصين كما أُتي من قبله من هو أعظم منه وأولى بالتحرز والأناة

فقد اشتهر الآن أنه كان في مجلس الحرب على خلاف مع قواده الثقات الذين علموا من شأن الروس ما ليس له به علم

واشتهر الآن أنه أخطأ في استطلاعه أخبار القوم إذ خيل إليه أن الشعب الروسي يتحفز للثورة ويترقب الإغارة عليه لنصرة المغير كائناً من كان ، ولو جاءت الغارة من عنصر معاد للعنصر السلافي وهو عنصر الجرمان

ومحمد عليه السلام لم يتعلم ما تعلمه هتلر ونابليون ، ولكنه لم يخطئ قط مثل هذا الخطأ في جميع غزواته وكشوفه . ولعلنا نفهم كلما درسنا زمانه الحافل بالعبر والأمثلة الباقية أن دراسته ضرب من دراسة العصر الحديث والقادة المحدثين .

عباس محمود العقاد

مع المفتي الأكبر



فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية ، علم من أعلام الفقه الإسلامى فى مصر والشرق ، يمتاز بعلم واسع ، ونظر صائب ، وفكر ثاقب ، وقد رأى فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر أن ينتفع التعليم العالى بمواهبه ، فأسند إليه منصب « المراقب العام » على الكليات الأزهرية الثلاث ، فأصبح له بهذا المنصب ، وبشخصيته العلمية الجليلة ، مشاركة فى الإشراف العلمى على شئون التعليم ، يرجى أن تحقق آمال الأستاذ الأكبر فى الإصلاح

وفضيلته ـ إلى جانب ذلك ـ عضو بارز من أعضاء « جماعة كبار العلماء » له فيها نشاط محمود ، ورأى مشهود ، ومقام كريم

***

زرته فى داره الحديثة الطراز التى بناها فى ضاحية « كوبرى القبة » فجاءت مثلاً رائعاً لعظمة البناء ، وجمال التنسيق ، ودليلاً حاضراً على ما يستطيعه « العالم الدينى » من جمع بين تقوى الله ، وأبهة الحياة

تلقانى فضيلته مرحباً ، وكنت منه على موعد ، فلما استقر بى المقام ذكرت له أن « الرسالة » تعتزم أن تصدر عددها الهجرى الممتاز ، ويسرها أن تسفر بينه وبين قرائها الكرام فى جميع أنحاء الشرق العربى بحديث يتصل بعمله فى الإفتاء ، والرقابة العامة ، وجماعة كبار العلماء

فأبدى استعداداً كريماً لإجابة هذه الرغبة ، وأثنى على « الرسالة » ثناء جميلاً ، ذاكراً عنايتها الفائقة بشئون العلم والدين ، ودعوتها القوية للثقافة الإسلامية ، وقال : إنه يعلق على ذلك آمالاً عظيمة ، فإن للرسالة فى نفوس المسلمين وأهل العروبة جميعاً مقاماً عظيماً ومنزلة سامية

فأجزلت لفضيلته الشكر على استعداده وحسن ثنائه ، ثم دار الحديث بينى وبينه على هذا النحو :

١ — فى الافتاء

قلت لفضيلته : إن منصب الإفتاء منصب جليل له بالفقه الإسلامى صلة عملية وثيقة ، وقد رسم الفقهاء المتأخرون للمفتى رسوماً لا يجيزون له أن يتعداها ، وألزموه أن يفتى بآراء عينوها له ، وكثيراً ما يذكرون الحكم ويتبعونه بقولهم : « وبه يفتى » ، أو « وعليه العمل » ونحو ذلك ؛ فهل تلتزمون فضيلتكم هذه الرسوم فيما تصدرون من فتوى ، ولا تخرجون عن هذه الأقوال ؟

فأجاب قائلاً : إن الفتاوى التى أصدرها على نوعين : نوع يتصل بالقضاء الشرعى والجهات الرسمية ، وهذا أفتى فيه بما هو الراجح من مذهب أبى حنيفة ، لأن المستفتى يطلب ذلك فى استفتائه ، ولأن هذا هو المذهب الرسمى فى مصر ، ولو لم أتبع هذه الطريقة لاصطدم القضاء بالفتوى

أما النوع الثانى فهو الفتاوى التى أصدرها فى استفتاءات غير رسمية أو واردة من البلاد الأخرى ، وأنا فى هذه الفتاوى لا أتقيد برسم يرسم ، ولا بقول من الأقوال فى مذهب الحنفية ، وإنما أختار القول الذى أرى دليله راجحاً وأبين سبب رجحانه عندى ، وقد أذكر إلى جانبه الأقوال الأخرى إذا طلب المستفتى ذلك أو كان الأمر يستدعى ذكرها

قلت له : أتلتزمون فى ترجيحكم دائرة المذاهب الأربعة المعروفة؟

فقال : أنا لا أتقيد بالمذاهب الأربعة ، ولكنى لا أخرج فيما أفتى به عن مذاهب العلماء من السلف والخلف . والسبب فى ذلك أن الفقه الإسلامي غنى جداً بأقوال العلماء وآرائهم فلا تكاد تجد مسألة من المسائل إلا وقد تعددت آراء الفقهاء فيها

بحيث لا تستطيع أن تجزم بأن رأياً تراه لم يقل به أحد العلماء من قبل ، فليس على الناظر فى هذه الثروة الطائلة إلا أن يختار أرجحها مصلحة ، وأقواها دليلاً ، وأشبهها بروح الشريعة ، وهذا هو الذى أسير عليه

سألت فضيلته : أكان من المفتين الذين سبقوا فضيلتكم فى دار الإفتاء المصرية من جرى علي هذه الطريقة التى تسيرون عليها ؟

فقال : إن الفتاوى التى تحتفظ بها سجلات دار الإفتاء لا تدل على ذلك ، وإن كانت تدل فى كثير من الأحيان علي فقه جيد ، ونظر سليم

قلت له : وفتاوى الأستاذ الإمام محمد عبده ؟

فقال : إن الناحية التى تجلت فيها مواهب الأستاذ الإمام الشيخ « محمد عبده » كانت هى إدراكه الصحيح لمعانى القرآن الكريم ، وفهمه الدقيق لأغراضه ، وتذوقه لأسلوبه ومعجز بيانه ، مع بصر عظيم بأحوال الناس ، وعبر التاريخ ، وأسرار تقدم الأمم والشعوب ، وسنة الله فى جميع الكائنات ؛ يؤازر ذلك قلب جرىء ، وجنان ثابت ، وعقل متصرف . وكان — رضى الله عنه — يعتمد فى فتاواه على إدراك روح الشريعة ، وتبين أغراضها العامة ، لا على مناقشة المذاهب ، وترجيح أقوال الفقهاء ؛ ولذلك تأتى فتاواه غالباً مختصرة ، وقد تثير خلافاً بين أهل العلم . ومن أمثلة ذلك أنه أفتى فتواه المشهورة بجواز لبس « البرنيطة » ، فقامت من أجلها ضجة هائلة بين العلماء وأهل الأزهر يومئذ ، فلما أردت أن أفتى فى هذا الموضوع انتفعت بموضع العبرة فيه ، فأخرجت فتواى التى تجيز لبس « البرنيطة » إخراجاً فقهياً مؤيداً بأقوال العلماء ، جارياً على طريقتهم في الاستدلال والترجيح ، وبذلك لم يستطع أحد أن يشغب على هذه الفتوى أو يثير في شأنها جدالا

٢ — فى الرقابة العامة

شكرت فضيلة المفتى الأكبر على هذه المعلومات القيمة ، ثم توجهت إلى فضيلة المراقب العام أسأله عن آماله فيما يتصل بالتعليم الأزهرى العالى ، وعن أسلوبه فى العمل على تحقيق هذه الآمال فأجاب قائلاً :

— إننى أرجو أن تخرج لنا الكليات الأزهرية فى نواحيها المختلفة علماء يمتازون بميزتين :

إحداهما : القدرة على فهم مسائل العلوم فهماً صحيحاً واضحاً لا على استظهارها فحسب ؛ وإن لدينا من آثار الأولين لثروة عظمى فى سائر العلوم الدينية والعربيـة والكونية : في اللغة والنحو والصرف والبلاغة والأدب والفقه والأصول والتفسير والحديث وعلوم التاريخ والمنطق والفلسفة وأصول الدين والأخلاق وغيرها . لدينا كنوز مليئة بالخيرات تحتاج إلى من يفتح مغاليقها ويستفيد منها ؛ والأزهرى هو الذى يستطيع أن يفتح هذه المغاليق ، ويثير دفائنها ، وهو المطالب بأن يأخذها من مصادرها ، ويستخرجها من منابتها فى صبر ومثابرة وحسن إدراك

والوسيلة إلى ذلك هى غرس المحبة للعلم فى نفوس الطلاب والأساتذة فإن الذى يذوق لذة العلم لا يعدل بها لذة أخرى ، ولا تصرفه عنها صعوبة من الصعاب . والشعور بلذة البحث أول أمارات النجاح

الميزة الثانية التى يجب أن يمتاز بها العالم هى القدرة على التصرف فيما يعلم ، لإفادة الناس به . وتطبيقه عملياً فى جميع شئون الحياة

والوسيلة إلى ذلك فيما أرى هى تشجيع الكفايات العلمية الممتازة ، وبث روح العمل والإنتاج فى محيط أهل العلم

فإذا أخرجت الكليات هذا العالم الذى يمتاز بهاتين الميزتين أمكننا أن نرى رجالاً يدرسون قواعد البلاغة ومسائل الأدب ويكونون بلغاء ، وكتاباً وأدباء . وأن نرى رجالاً يدرسون أصول الفقه ويكونون فقهاء ، ومرجحين ، وأن نرى علماء يستطيعون أن يدافعوا عن الإسلام ، ويردوا هجمات أعدائه بأسلوب هذا العصر وهكذا ...

٣ — فى جماعة كبار العلماء

قلت لفضيلته : لقد اطلع قراء الرسالة على تقرير اللجنة التى ألفتها جماعة كبار العلماء برياسة فضيلتكم للنظر فى المقترحات الهامة التى رفعها إليها بعض أعضائها . فما الذى ترونه شخصياً فى هذه المقترحات ، ومتى يتم إعداد الوسائل للأخذ فى تنفيذها ؟

فأجاب فضيلته :

لقد سررت بهذه المقترحات العظيمة منذ أول لحظة ، وأعلنت رأيى هذا فى جلسة الجماعة الموقرة التى عرضت فيها هذه المقترحات

وقلت : إن جماعة كبار العلماء منذ تكوينها مطالبة بهذه الأعمال كلها ، فإذا كانت قد تأخرت فى الماضى عن القيام بهذا الواجب فلا ينبغى لها أن تتأخر بعد الآن ، ولا سيما فى عصر حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح الغيور على دينه : فاروق الأول أعزه الله ، وبأشراف الرجل العالم المصلح المؤمن بفكرته : فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى .

وهذه المقترحات لا يتردد أحد فى إدراك ما لها من فائدة جزيلة ، ولا فى وجوبها على جماعة كبار العلماء ، فتلك طوائف الأمة تتشاجر وتتشاحن باسم الدين فى كثير من الأشياء : أسنة هي أم بدعة ؟ أمن الدين أم ليست من الدين ؟ وهذه كتب التفسير والحديث ينظر فيها من يستطيع تمييز الغث والسمين ومن لا يستطيع ، وهذه شئون المعاملات التى جدت وتجد للناس ، وهم محتاجون إلى معرفة حكم الشريعة فيها بطريقة تقضى على النزاع ، وتقطع أسباب الجدل والخصومة ، وقد اتجهت أفكار المفكرين وآراء المصلحين إلى هذه الشريعة يلتمسون أن تكون نظام حياتهم ، وأساس مدنيتهم ، فلا بد لنا إذن من العمل ، ولا بد لنا من تلبية نداء الأمة ، وإعداد أنفسنا لهذه المهمة السامية .

أنا لا أزعم أن هذا العمل هين أو يسير ، بل أعتقد أننا سنحمل منه عبئاً ثقيلاً ، ونضطلع بمهمة شاقة ، ولكننى مع ذلك أعتقد أن تضافر القوى ، وتعاون الجهود ، والإخلاص لله ، وابتغاء وجهه الكريم ، كل ذلك كفيل بتسهيل الصعاب . لذلك كله أيدت اللجنة هذه المقترحات ، وأشارت بإنشاء مكتب علمى للجماعة تمهيداً للأخذ فى تنفيذها ، ورفعت رأيها فى ذلك إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر رئيس الجماعة ، وإنى ألمس من فضيلته عناية واهتماماً بهذه المقترحات ، وأعتقد أنها أصابت هدفه الأسمى فى الإصلاح الدينى والاجتماعى الذى يبتغيه جاهداً للأمة الإسلامية الكريمة ، وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه خير الدين والوطن .

وهنا انتهى حديث فضيلة المفتى الأكبر ، واستأذنته فى نشره فأذن ، ثم انصرفت شاكراً .

م . . .

الهجرة وشخصية الرسول

للأستاذ محمود شلتوت



كان للوحي قبل الهجرة اتجاه، وكان له بعد الهجرة اتجاه آخر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يساير الوحي في هذين الاتجاهين، ويحتفظ بما يؤدي إلى الغاية منهما.

كان الوحي يدور أولاً حول تحديد الدعوة، وبيان الغرض منها، ولفت الأنظار إلى أدلتها، وذكر ما ينفع فيها من قصص الأولين وعبر الماضين، وتسلية الرسول وغرس عوامل القوة الروحية في نفسه، وتعويده عدم الاكتراث بما يجابه به من الإيذاء والتكذيب والاضطهاد. وقد اتجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الناحية في تفكيره وأعماله وأقواله وسائر تصرفاته، يبلغ الدعوة، ويعالج الصبر على الإيذاء في سبيلها، ويحاول جمع القلوب حولها، ويرسم للناس دائرتها، ويركز أصولها في النفوس، ويعمل على إيجاد بيئة إسلامية صالحة لما يرد عليها فيما بعد من مبادئ التشريع.

فلما تمت الهجرة دخلت الدعوة في عهد جديد تكونت به للمسلمين وحدة اقتضت معاملات ونظماً اجتماعية تمتاز بها عن سائر الجماعات.

ومنذ ذلك الحين اتجه الوحي إلى جهة أخرى تسير مع مقتضيات الحالة الجديدة وتلبي مطالب هذه الأمة الناشئة، واتجه النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاتجاه نفسه فأضيف بذلك إلى وظيفته في التبليغ وظائف أخرى. فكان إماماً للمسلمين يسوسهم ويرعى دولتهم وينظم شئونهم؛ وكان مفتياً يجيبهم عما يسألون، ويعلمهم ما يجهلون؛ وكان قاضياً يفصل في خصوماتهم، ويقضي بينهم، معتمداً على ما يظهر به الحق من البينات والأدلة.

وقد صدرت عنه صلى الله عليه وسلم في جو هذه الحياة الجديدة أقوال وأفعال وتصرفات مختلفة عني بها المسلمون عناية فائقة هي مضرب الأمثال في عناية الأمم بتاريخ عظمائها وتتبع آثارهم، دونوها وشرحوها وضبطوا ألفاظها وألفوا المعاجم في شرح غريبها، واهتموا بتفهم أسرارها، وتبين أغراضها حتى كان من آثار ذلك أن نشأت علوم خاصة تعرف «بعلوم السنة» من رواية ودراية وتجريح وتعديل وناسخ ومنسوخ وغير ذلك.

***

يهم الناظر في التشريع الإسلامي أن يعرف: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يروى عنه من هذه الأقوال وتلك الأفعال والتصرفات مُصدراً عن الوحي، ناطقاً بلسانه، أو كان له إلى جانب الوحي فيها تفكير ونظر واجتهاد؟ ذلك ما نريد معالجته في هذا البحث.

يرى بعض العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله فقط. تنحصر مهمته في تبليغ الوحي وما يتصل به من بيان على الوجه الذي ضمنه الله بقوله «فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه»

ويرون أن صفة الرسالة فيه غلبت على صفة البشرية، وأنه عليه الصلاة والسلام تمحض في استعداده لحمل الرسالة وتبليغ الأمانة، معتمدين في ذلك على ما فهموا من قوله تعالى: (إن هو إلا وحي يوحى) بعد قوله: (وما ينطق عن الهوى).

رأوا هذا ورتبوا عليه أن كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم شريعة من الله رب العالمين، لها صفة الدوام والبقاء إلى يوم الدين، والناس مخاطبون بها في كل زمان ومكان، لا يجوز لهم أن يحيدوا عنها قيد شعرة، ومن حاد عنها أو سوغ لنفسه أن يتصرف فيها، فذلك خارج على شريعة الله، مخالف عن أمر الله، غير جدير بأن يكون من المؤمنين.

يقولون ذلك ويتشددون فيه، ولا يفرقون بين أقواله وأفعاله وأحكامه وأقضيته وسائر تصرفاته في العبادات والمدنيات والجنائيات والطب والسياسة والحروب والعادات والزي واللباس وآداب الطعام والشراب والجلوس والسير في الطريق وما يكون

من الأحوال الشخصية والمسائل الجنسية وغير ذلك ، فكل هذا وحى من الله ، بعضه ظاهر وبعضه باطن ، وكله شرع محكم ، ودين متبع لا يجوز الخروج عليه ، ولا التصرف فيه .

وقد نجد قوماً منهم يستثنون من ذلك بعض الأشياء التى لا تتصل بالنواحى التشريعية كرأيه صلى الله عليه وسلم فى تأبير النخل ، أو فى اختيار مكان ينزلون فيه للحرب أو نحو ذلك ، ولكنهم حين يتحدثون عن هذا الاستثناء يحتاطون فى الأمر تمام الاحتياط ، فيضيقون دائرته ولا يتوسعون فيه .

* * *

لقد جاءت الشريعة الإسلامية « بالاجتهاد » ، وأمر الله عباده أولى الأبصار بأن يعتبروا ، وينظروا ، ويتدبروا كتابه الكريم ، وقد كان الاجتهاد سنة الأنبياء والمرسلين من قبل ، والقرآن يحدثنا بذلك عنهم كما فى شأن يحيى إذ آتاه الله الحكم صبياً ، وكما فى قصة داود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم . وقد ذكر الله جملة من أنبيائه ورسله ، وأثبت لهم جميعاً هذا المعنى بقوله : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة » ؛ ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى الآيات نفسها : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

فالنبى إذن مأمور بالسير على سنة الأنبياء والمرسلين من قبله ، مأمور بأن يقتدى بهديهم ، وهذا أمر تقضى به طبيعة الأشياء ، لأنه لا يعقل أن يرسل الله رسولاً فى وقت نبغت فيه الإنسانية ، واشتد ساعد الفكر البشرى ، ثم يحرمه النظر والتفكير الذى أباحه لإخوانه الأنبياء فى طفولة الدهر وشباب الزمان ، وأباحه أيضاً لمتبعيه الذين يدعوهم إلى دينه ويأمرهم بالعمل بشريعته .

كيف يسوغ لأحد أن يقول بحرمان النبى صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد ، وهو مرتبة علمية من أسمى مراتب الفطنة البشرية والبصيرة الإنسانية ؟ أيمنحها الله لذوى العقول وأرباب البصائر ، ثم يحرمها على الإنسان الكامل ؟

كأنى بهؤلاء يرون رسالة الرسول أمراً يتعارض مع بشريته . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع رسالته وقبل رسالته بشراً اكتملت فيه جميع معانى البشرية الفاضلة . ولم يشأ الله أن يرسله حتى بلغ أربعين عاماً لتنضج بشريته وتكمل رجولته ، فلا تطغى عليها الرسالة ولا تسلبها خصائصها . وقد عنى القرآن الكريم بأن يؤكد هذا المعنى فى كثير من آياته : « سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً » . « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ » . ومن زعم أن رسالة النبى قد غلبت على بشريته وقضت على لوازمها السامية فقد تلاقى فى رأيه من قريب أو من بعيد بالذين يقولون « أبعث الله بشراً رسولاً »

* * *

إن النبى صلى الله عليه وسلم بشر وفى أسمى مراتب البشرية ، وقد اكتسب بذلك شخصية الفقيه المجتهد كما منح شخصية الرسول المبلغ عن الله . وهو (أول الفقهاء) كما أنه (خاتم الأنبياء) . فلننظر إذن فيما ورد عنه صلى الله عليه وسلم على هذا الأساس الذى يجمع بين الرسول والفقيه

اقتضت حكمة الله أن يسوس عباده ، ويحقق مصالحهم بنوعين من التشريع : نوع يتولاه بنفسه وينص فيه على ما يريد ويرسل به الوحى إلى نبيه . ونوع آخر (يسكت عنه) فلا ينص عليه غيرَ نسيان ولا إهمال ، ولكنه (رحمة بعباده) يكله إلى أصحاب الرأى والنظر لاختلاف المصلحة فيه باختلاف الظروف والأحوال . وقد قام (محمد النبى) بحق رسالته فبلغ النوع الأول كما أمره بتبليغه . وقام (محمد الفقيه الأول) بحق بشريته : رسم طريقة الاجتهاد ، وعنى بالتطبيق العملى عليها ، وبأن يعبدها لمن يجىء بعده من الخلفاء والقضاة والأئمة : اجتهد وقاس وحكم ، وأفتى بالحاجة وتقدير المصلحة ، وساس الأمة بما أراده الله كما هو الشأن فى المجتهدين والحكام

١ — اجتهد فى الحروب وفى الأمور الدنيوية

٢ — واجتهد فى الأحكام الشرعية ، فأفتى المرأة التى سألته عن حجها لأبيها بقوله : « أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته أما كان يقبل منك » ؟ وأفتى السائل عن قُبلة الصائم بقوله : « أرأيت لو تمضمضت بماء ثم مججته أكان يضرك » ؟ وأفتى السائل عمن لامس امرأته أيكتب له أجر وهو يقضى شهوته ؟ فقال له : « أرأيت لو وضعها فى حرام أيكون عليه وزر ؟ »

٣ — ونزل على اجتهاد غيره فاستثنى « الأذخر » فى تحريم شجر مكة حين استثناه العباس . ودعا للمقصرين كما دعا للمحلقين ، وأذن فى غسل القدور التى طبخت فيها لحوم الحمر الأهلية بعد أن أمر بكسرها ، ونزل المنزل الذى أشار عليه أصحابه بأن ينزل فيه

٤ — وكان يجتهد ثم ينزل الوحى بخلاف اجتهاده ، وقد يسكت عنه فلا يعرض له بتصويب ولا تخطئة : عاتبه الله على الإذن للمنافقين ، وعلى أخذ الفداء من أسرى بدر ، وعلى إعراضه عن الأعمى ، فكان ذلك إيذاناً من الله بتخطئته فى اجتهاده ، ورجع هو عن اجتهاد باجتهاد بمجرد النظر والتجربة فقال : « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة[1] فنظرت فى الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر ذلك أولادهم شيئاً » .

وقال : «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدْى»

٥ — وكان يحكم فى الحوادث الجزئية التى ترفع إليه ، ويعتمد فى حكمه على البينات وحجج الخصوم ويقول : « لعل أحدكم ألحن بحجته فإنما أنا بشر »

٦ — وكان يكل الجهاد إلى أمرائه وقضاته دون أن يقيدهم بالرجوع إليه

٧ — وكان يسارع أحياناً إلى الجواب عما يسأل عنه من غير أن يتربص لوحى ، وأحياناً ينتظر أمر الله ويقول لم ينزل علىّ فيه شئ كما فى حادثة المرأة التى جادلته فى زوجها ، وكما فى حادثة الرجل الذى قذف زوجته ، فقد نزل القرآن بتشريع كفارة الظهار وشهادات اللعان

ولعل الأمر فيما ينزل فيه الوحى وفيما لا ينزل ، وفيما يجتهد فيه الرسول وفيما لا يجتهد راجع إلى الفصل بين الشئون التى تتعلق بأساس الدعوة ، أو بالجانب الخلقى ، أو بالعبادة ، وبين ما تختلف فيه المصلحة باختلاف الظروف والأزمنة والأشخاص ، وقد حدد الفقهاء المجتهدون بذلك مواضع الاجتهاد ومواضع النص

* * *

نستطيع بعد هذا أن نستخلص للنبى صلى الله عليه وسلم شخصيات متعددة : شخصية الرسول ، وشخصية الإمام العام ، وشخصية المفتى ، وشخصية القاضى

فهو بشخصية الرسول مبلغ عن الله لا يخرج فيما أوحى إليه عن حدود ما أمر به أو نهى عنه ، والمسلمون مكلفون به كما تلقوه عنه فى عمومه أو خصوصه ، وفى دوامه أو توقيته ؛ وهذا يغلب فيما هو من العقائد وأصول الأخلاق والعبادات ، ولا يعد النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقيهاً ، وإنما هو أعلى شأناً وأجل مكانة من الفقيه

وهو بشخصية الإمام الأعظم رئيس المسلمين ، وزعيم قوميتهم يعمل على تركيز أمته ، وطبعها بطابع تتميز به عن سائر الأمم ، ويلحق بذلك كل ما ورد عنه مما يتعلق بالملبس والأزياء والتشبه بقوم ومخالفة اليهود والنصارى والمجوس والمشركين ، وما إلى ذلك مما لا يمس ناحية العقيدة ، ولا يعقل فيه معنى التعبد ؛ وإنما هو فى الشئون الاجتماعية البحتة التى تعرفها الأمم فى كل العصور والأجيال ، وينزع إليها الزعماء والقادة فى القديم والحديث ، والأمر فيها راجع إلى ما تراه الأمم . وتقدر فيه قوميتها ومصلحتها وسيادتها

وهو بشخصية المفتى إما مجيب بلسان الوحى فليس له اجتهاد فى ذلك إلا فى تطبيق النص على جزئيات الحوادث ، وإما فقيه يجتهد ويقدر ويلاحظ أحوال السائلين فيجيبهم بما يراه كما يفعل سائر المجتهدين وبالطرق التى يألفها الناس فى استنباط المجهولات ، وقد علم له من هذا النوع كثير

وهو بشخصية القاضى حكم بين المتخاصمين يسمع دعاواهم ، ويتعرف الحق بما يسمع من شهادة الشهود وما يرى من وجوه التثبت ، ويقدر ظروف القضية وأحوال المتقاضين كما يفعل سائر القضاة ، وأحكامه فى هذه الدائرة لا عموم لها فى الأشخاص ولا فى الأحوال كما يقول علماء الأصول ، فليس لها صفة التشريع العام

* * *

هذه شخصيات أربع صادرت إليه صلى الله عليه وسلم أثراً من آثار تلك الهجرة الميمونة . وإننا نلمح هذه الشخصيات فى جميع ما أثر عنه ودوِّن فى الكتب ، ومنه ما تظهر الشخصية التى صدر عنها دون أن يخالف فيه أحد ، ومنه ما تخفى شخصيته خفاء تتفاوت الأنظار فيه ، وتختلف الآراء فى تقديره

ولو أننا تتبعنا المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطيناه نظرة فاحصة يتميز بها ما كان صادراً عن كل شخصية من هذه الشخصيات ولم نخلط بعضها ببعض ، ورتبنا على كل منها آثاره ، وأعطيناه حقه ، لسهل على المسلمين أن يتفاهموا فيما شجر بينهم من خلاف ، ولتصافح المتخالفون ، ولما رمى أحد سواه بالكفر أو الزندقة ، ولعلم الجميع ما هو شرع دائم عام لا سبيل إلى مخالفته أو الخروج عنه ، وما هو تشريع خاص ، أو مؤقت

(١) الغيلة هى أن ترضع المرأة ولدها وهى حامل

لهم أن يتصرفوا فيه بما تقضي به المصلحة ، وبما توحي فيه الظروف والأحوال

لو فعلنا ذلك لما أبقينا على أسباب هذا الخلاف والتناكر بين أفراد الأمة وطوائفها ، ولرجعنا إلى كلمة سواء فى العبادات والمعاملات والآداب والنظم الاجتماعية وسائرشئون الحياة، ولانتفع الناس بشرع الله ودينه . ولكنا كما يريدنا الله (خير أمة أخرجت للناس) . وفقنا الله جميعاً إلى الرشاد وبصرنا بالحق والصواب

محمود شلتوت
وكيل كلية الشريعة
وعضو هيئة كبار العلماء

ساعة فى ظلال الجنة

للأستاذ عبد الله عفيفى بك



الطريق من جدة إلى مكة غاص مزدحم ، يتدفق بالركب العظيم

والركب أروع ركب وأحفله ، وأشده إثارة للقلب والعاطفة والخاطر والخيال . فيه الركبان من كل لون ، وفيه المشاة من كل قبيل . وفيه العابدون السائحون الذين صدروا عن أهلهم وأوطانهم منذ بضع سنين مشاة يستبقون إلى الله فى بيته الكريم . وفى هؤلاء من ساروا يحملون أثقالهم وأحمالهم والشيوخ المستضعفين الذين لا يطيقون المشى من الرجال والنساء ، وفيهم الوالدات يحملن أطفالهن وراء ظهورهن ويرفعن فوق رءوسهن أزواد الركب الكبير . وقد انتشر هذا الخلق الحاشد على الوادى الممدود بين الجبال المتناوحة فى قوة وعزيمة وفى صمت وجلال . بينما الشمس تؤذن بالثواء ، والليل من ورائها ينشر رواقه على الصحراء الإلهية الآخذة بمجامع القلوب

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » هذا هو النشيد السماوى الذى كان ينبعث من أعماق القلوب فتخشع له السموات والأرض والجبال ، وتتحطم فى جنباته كل نفس عاتية وكل قلب حديد

وسارت السيارة بى وبرفاقي متئدة متمهلة فى جلال هذا الحشد العالى الذى تغيب فى جلجلته ضجة الجيش القاهر . وتخفت لعظمته قعقعة السلاح العتيد

جوزنا الركب العظيم وأنا فى غاشية وجدانية ملكت علىّ الطريق . أبعد ساعة أو بعض ساعة أكون فى البيت الحرام ، وحول الكعبة التى تشخص إليها وجوه المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأقف بين مقام ابرهيم وحجر اسماعيل ؟

وأخيراً انتهى الوادى ، وانفرجت الجبال ، وتراءت لنا عن بعد أنوار مكة

الله أكبر ! لبيك اللهم لبيك ! سبحانك يا من سبحت له السموات والأرض ومن فيهن ! تعاليت يا رب الأرباب ! أهذه السمات كان يشمها رسول الله . وهذه الأرض كانت تطؤها قدماه !

وسارت السيارة فى أحياء مكة حتى انتهت إلى ما بين عتيقين فى أقصى الطريق فوقفت ، وقال السائق هذا هو البيت الحرام !

نزلت وأنا ثابت ، لا أستطيع الحركة ، وأبصرت فإذا الكعبة تلوح عن بعد ، والمؤمنون يطوفون من حولها ، فأحسست بأن هذا المشهد من مشاهد السماء . . . !

دخلت البيت وكأننى روح من الأرواح تجرد عن هذه الدنيا وألقى وراء ظهره أحمالها وآمالها وآلامها وصار لا يشعر إلا أنه فى ظلال الجنة

أنا الآن ذاهل اللب ، مخطوف القلب ، منهمل العينين ، أهتف بالتلبية ، وأنشج بالبكاء

وعلى الكعبة جلال من جلال الله ، وجمال من جمال الفردوس ، وروح من أرواح العرش ، لا يراه الراؤون إلا خفوا هياماً به ، وحنيناً إليه . وأقسم لقد طفت بالكعبة طواف القدوم وقبلت الحجر الأسود ، ووردت ماء زمزم ، وشربت منها عللاً بعد نهل ، وأنا لا أدرى إلا أننى فى جلوة سماوية ، أو حلم بديع .

خرجت وقد تعلق قلبي بالكعبة ، فلا أطيق الصبر عنها ، وعدت إليها فى السحر ، وسمعت أذان الفجر ، وأقيمت الصلاة . فوقف الناس صفوفاً حول الكعبة ، واستمعوا القرآن الكريم من إمام عذب الصوت ، جميل الترتيل ؛ وما أسماه موقفاً ، وما أطيبها متعة ، وما أخلدها لحظات !

وابتسم النهار ونحن جلوس بجانب المقام ، وللكعبة بهاء أكثر إشراقاً من بهاء النهار .

هي قوة روحية من قوى الله ، تلك التي يفيضها رب البيت على الوافدين إلى البيت .

آمنت بأن هذا البناء المشرف المظلم هو الذى بث روح الإيمان ونور اليقين فى نفوس المؤمنين . حتى شقوا الطريق بهذا الدين إلى أرجاء العالمين .

وتمثلت في هذا الموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى طريق هجرته إلى المدينة ، وقد وقف على ظهر ناقته واستشرف لعله يرى معالم مكة ، ثم ناجاها بقوله الكريم : « إنى لأعلم أنك أحب البلاد إلىّ ، وأنك أحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن المشركين أخرجونى منك ما خرجت » .

هكذا أقمت فى مكة وفى منى وعرفات والمشعر الحرام ثمانية أيام ، وعدت إلى الكعبة وأنا أشم منها روح الجنة ، وأرى فيها بهاء السماء .

اللهم أعدنى إلى مكة ، فإنى أجد الشوق شديداً ، وما زال العهد غير بعيد

عبد الله عفيفى

رسول الله في عرفات

للدكتور عبد الوهاب عزام



أما اليومُ فتاسعُ ذي الحجة، وأما السنةُ فالعاشرة من الهجرة، والحجيج يسيرون من منى إلى عرفات، فما بال الناس لا يسيرون على السَّنَن المألوف، ولا يفعلون ما كانوا يفعلون؟ ما بالهم لا تفرّقهم العصبيات، ينحازون إلى الرايات؟ ما بال القبائل لا تلبّي لآلهتها ولا تهيب بأصنامها؟ عجباً، لا تذكر الآلهة حتى اللات والعزّى ومناة، ولا تسمى الأوثان حتى وَدّ وهُبل؟

كلا، كلا، قد تتابع القوم في سمت وخشوع، فأين الجلبة والضوضاء، والتفاخر بالآباء؟ وإن قريشاً تتجاوز المزدلفة مع الناس إلى عرفات؛ فكيف سوت نفسها بالقبائل، ورضيت أن تسير إلى هذه المنازل؟ لست أرى ما غير قريشاً من غيرهم، ولا الحُمس ممن عداهم، وأين النَّسأة من كنانة؟ لا ترى لهم شارة ولا موكباً ولا تبصر منهم أحداً. ماذا دها العرب فغيّر سنتهم؟ بل من ذا الذي جاءهم فجمع شملهم ووحد كلمتهم وأخلص لله دعوتهم؟ إن هذا لشيء عجاب. كنا قبل سنتين نسمع الضجيج والضوضاء، والتصدية والمُكاء، ونرى كل قبيلة تنحاز إلى علمها وتنادي ربها، فمن مُشيد بالأوثان، ومن مُناد: لبيك ربَّ كنانة، أو لبيك ربَّ همدان؟ فاستمع اليوم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك!

قد تغيرت الدعوة واختلف الشعار، وتبدلت السيما والسيرة، ما عهدنا هذا من قبل!

والشيطان ذليل حسير قد أوى إلى صخرة على جنب الطريق يرقب الوفود المتآخية بل الأخوّة المجتمعة، يرمي الجموع بعينه خزيان، ويعض بنانه حيران، يقول: «ويلي من محمد! لقد أخرب بيوتي من هذه الأوثان، ومحا البغضاء والشنآن. لقد ذهب النزاع والخصام، وأفلت من يدي الزمام. ويلي من محمد! ألم يكن بالأمس يغشى هذه المجامع وحيداً، ويرتد عنها مخذولاً؟ ألم يكن يعرض نفسه على القبائل لتجيره، فيلقى الغلظة والجفاء، والهزء والسخرية؟ ويلي من محمد! لست آسى على الحجاز وحده ولا على جزيرة العرب فحسب، إني لأوجس خيفة أن يجاوز هذا التوحيد الجامع، وهذه الأخوة الموحدة، حدود الجزيرة، فتدمر منازلي من معابد الوثنية، وقصور الجبارين، وتمتد إلى كل بقعة تزلزلها الفرقة، ويسيطر عليها الظلم، ويشيع فيها الفساد، وتتغلغل فيها الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويرفع فيها لواء الباطل فوق كل لواء. ويلي! لقد جاهدت محمداً في داري ثلاثاً وعشرين سنة واستنصرت شياطين الإنس والجن، وحشدت جنود الباطل، وخيل إليّ مراراً أني أشرفت على الظفر في هذه الجموع التي تسير وراء محمد وتدعو بدعوة محمد ومن أنه يوم له ما بعده»

يسير رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة آلاف من الحجاج إلى عرفة وهذه قبة ضربت له في نمرة فينزل بها

زالت الشمس فأمر رسول الله بناقته القصواء فرُحِلتْ فركب حتى أتى بطن الوادي وادي عُرَنة فوقف واجتمع الناس وأصاخوا للخطبة التي لم يخطب الرسول مثلها في مثل هذا الجمع الحاشد، والوصية العظمى التي يوصي بها الرسول أمته في حجة الوداع، والبلاغ الأكبر يوم الحج الأكبر يؤذن الناس بكمال الدين وتمام النعمة، وتمكن الإسلام[1] ووقف ربيعة بن أمية ابن خلف على مقربة من الرسول يبلغ الحجيج بصوته الجهير مقال رسول الله

ألهم الرسول أنه بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وأن الدين قد كمل ونعمة الله قد تمت، فقال: «أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً.»

(١) في هذا اليوم نزلت الآية الكريمة: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»

وعلم رسول الله أن التوحيد الذى جاء به الإسلام كفيل بتوحيد الله على مر الدهور ، وأن الكتاب الذى بلّغه ضمين ألا تعبد الأوثان من بعد ، وأن العقول التى حرّرها تستنكف أن ترتكس فى أباطيل الجاهلية . فليس يخشى على أمته الشرك ولكن يخشى أن يستجيبوا للشيطان فيما عدا التوحيد فى أمور يحسبونها هينة وهى عظيمة الأثر فى نظام الجماعة وأخلاقها ، حرية أن توهى القوة ، وتفرّق الكلمة ، وتعطل العقيدة الصالحة . وذلكم كل كلمة تؤدى إلى فرقة ، وكل فعلة من الظلم والعدوان أو الرذيلة والمنكر . عرف هذا خاتم النبيين فقال : « إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم » .

ثم وكد الرسول ما بلغه وعلمه ثلاثاً وعشرين سنة من حرمة الدماء والأموال والأعراض . وكّد ما أبطل به الحروب المتمادية ، والغزوات المستمرة ، والثارات المستعرة ، وما هدم به جاهلية العرب هدماً ، وردّها شرعاً من السلام والوئام ، وسلطان القانون العام ، فقال : « أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وحرمة شهركم هذا . . . وإن كل دم فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ؛ فهو أول من أبدأ به من دماء الجاهلية .

ثم عمد الرسول الذى علم البر بالفقير وجعل له حقاً فى مال الغنى ، وعطف القلوب بعضها على بعض وأشعرها البر والمواساة ، وعمد إلى هذا الإثم الآثم ، والجرم المنكر ، الذى تتبرأ منه الأخلاق والمروءة ، هذه الشرعة الدنيئة التى تحكم الغنى فى رقبة الفقير بدراهم معدودات ، وتتغلغل فى الأخلاق والأموال تغلغل السوس ، فأعاد ما وكده الكتاب والسنة من إبطال الربا ، وأعلن أنه سواء منه ما تقدم وما تأخر قد محقه الله ومحق آثاره فقال : « وإن كل ربا موضوع ، ولكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لا ربا ؛ وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله »

ولم ينس النساء وقد أنقذهن من الوأد وأشركهن فى الإرث وجعل « لهن مثل الذى عليهن بالمعروف » وشرع لهن الشريعة الكافلة سعادتهن وسعادة الأمة . لم ينس النساء فى هذا الموقف العظيم الذى يوصى فيه بأصول شريعته قال :

أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقاً ولهن عليكم حقاً . . . واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله . . . فاعقلوا أيها الناس : « ليت النساء أخذن الحقوق وأدين الواجبات . ليت ثم ليت »

ثم وكد نبى التوحيد والأخوة ما بنى عليه شرعه من التراحم والتآخى والمساواة والمواساة ، وأن الناس سواسية كأسنان المشط سواء ، فيهم الأسود والأبيض ، كلهم لآدم وكلهم عباد الله وكلهم إخوة فى الله . قال الرسول الأكرم : « إعقلوا أيها الناس واسمعوا قولى فإنى قد بلغت وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه . . . أيها الناس : اسمعوا قولى فإنى قد بلغت ، واعقلوا تعلمُنَّ أن كل مسلم أخو المسلم ، وأن المسلمين إخوة ؛ فلا يحل لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه من طيب نفس ، فلا تظلموا أنفسكم . اللهم هل بلغت ؟ »

قال الحاضرون : نعم . قال الرسول اللهم اشهد .

ذلكم ما أوصى به الرسول يوم الحج الأكبر فى حجة وداعه ، وتلكم حقوق الإنسان دوّنت بها أرجاء العالم قبل ألف وثلاثمائة وخمسين سنة . . . تلكم وصايا الرسول لأمته تدوى بها الأجيال ، وتسمعها الآذان ، فأين منها الأعمال « إن فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين »

عبد الوهاب عزام

شروط الاجتهاد في الفقه الإسلامي

للأستاذ محمد محمد المدني



كان الفقهاء الأولون من المسلمين مثلاً عليا في النشاط العلمي، والتفكير العقلي، والجرأة على الدراسة والشجاعة في مواجهة الحقائق. درسوا كتاب الله وسنة رسوله، وفهموا مقاصد الشريعة، وأدركوا أسرارها، وعرفوا أحوال عصرهم، وعادات قومهم، واجتهدوا ما وسعهم الاجتهاد، ولم يقصروا في ناحية من نواحي النظر، حتى ملئوا طباق الأرض علماً، ووسعوا دائرة الفقه، وجعلوا من مباحثه صوراً تمثل حياة الناس في عصورهم تمام التمثيل، ونشروا علمه الخفاق على دور الحكم والولاية والقضاء، ومراكز الإدارة والسياسة ودوائر الأموال والأعمال!

ثم دار الزمان دورته، وجاءت من بعد ذلك عهود ركدت فيها ريح الفقه، وغلقت أبواب الاجتهاد، وأصبح الفقهاء رواة لمن كانوا قبلهم يرددون أقوالهم، ويشرحون عباراتهم، ويدرسون ألفاظهم، ويتعصبون لمذاهبهم، وابتعدوا بالفقه عن الحياة الواقعية، واحتفظوا منه بصور أثرية تتحدث عن عصور منقرضة وتصف أحوالاً مندثرة؛ وكان من آثار ذلك نفور أهل الحكم والسلطان منه لشعورهم بأنه على صورته التي صار إليها لا يلبي حاجات الأمم، ولا يصلح عيوبها، ولا يحل مشاكلها. وكان من آثار ذلك أيضاً أن انقطعت الصلة بين أهله وبين المجتمع، إذ أصبحوا غرباء عنه، يعيشون في واد غير واديه، ويدرسون أحوالاً غير أحواله.

ثم كان من آثار ذلك أن دخلت التشريعات الأجنبية على بلاد المسلمين؛ فأصبحت دستور الحكم، وأساس الإدارة، وقانون القضاء، وعماد النظام في كل ناحية من نواحي الأعمال!

هكذا كان الفقه وهكذا صار!

* * *

كثيراً ما أسائل نفسي: هل كان الفقهاء الأولون طرازاً غير طراز سائر الناس؟ هل منحهم الله ما لم يمنحه أحداً من بعدهم، فآتاهم من العقل ما لم يؤت العقلاء، ورزقهم من صحة الفهم وقوة الإدراك ما لا ينبغي لأحد بعدهم من ذوي الفهم والإدراك؟ هل فتحت كنوز العلم والمعرفة والنظر عنصراً من الزمان ثم غلقت أبوابها وأحكم رتاجها فلن تفتح بعد ذلك لأحد من العالمين؟

إني أحب هؤلاء الفقهاء، وأجلهم ولكنني مع ذلك لا أستطيع أن أجيب عن هذه الأسئلة « بنعم » لأن فضل الله أوسع من أن يقصر على زمان دون زمان، أو يختص بقوم دون آخرين

لا أستطيع أن أجيب « بنعم » لأن كتاب الله خالد، والخطاب به عام لجميع الناس سواء منهم المتقدمون والمتأخرون: كلهم مطالبون بأن يتدبروه ويعقلوا هدايته، ويدركوا أسراره، ويَلْقَنوا(1) منه حجة الله على عباده، وينتفعوا به في دينهم ودنياهم. ولو جاز أن تقف العقول البشرية عن متابعة هداية الله، وعن تدبر كلمات الله، لما قامت حجة الله على المتأخرين من الناس كما قامت على المتقدمين منهم، ولما كانت هناك فائدة عملية في أن يضمن الله الحفظ والخلود لكتابه الكريم!

إذن فما بالنا قد حرمنا أنفسنا هذا المتاع العقلي، وهذه اللذة الفكرية فلم ننظر كما نظروا، ولم نجتهد كما اجتهدوا؟ بل لماذا رضينا أن نكون صدى لهم في كل شيء، حتى لنستشيرهم ولا نستشير عقولنا في أحوال شهدناها وغابوا عنها، ورأيناها رأي العين وتوهموها؟!

« شروط الاجتهاد » هي التي قضت علينا بذلك! نعم شروط الاجتهاد التي تصورها أهل العلم من المتأخرين شيئاً هائلاً رهيباً، وأسرفوا في تقييد أنفسهم وتقييد الناس بها، وأقاموا منها حجاباً بين العقول وما أوسع الله لها من مدى في التأمل والتفكير!

(1) لقن فلان الكلام من فلان. أخذه عنه مشافهة وفهمه

أبى المتأخرون إلا أن يجعلوا للاجتهاد شروطاً ، ثم زعموا للناس أن هذه الشروط صعبة لا يستطيعها أحد ، كثيرة متشعبة لا تكاد تجتمع لأحد . فأغلقوا باب الاجتهاد ، وأوجبوا على الناس أن يقلدوا ، ثم لم يكتفوا بذلك حتى أوجبوا عليهم تقليد فقهاء معينين ، يتعصبون لهم ، ويزعمون أنهم أولى بالاتباع من غيرهم ، ولكن أقوالهم اضطربت فى ذلك اضطراباً يثير الظنون ، ويغرى بهم : فقالت طائفة منهم : لا يجوز لأحد أن يختار بعد أبى حنيفة وأبى يوسف وزفر . وقالت طائفة أخرى : لا اختيار بعد الأوزاعى وسفيان . وقال قوم : ليس لأحد أن يختار بعد الشافعى . وقال آخرون : ليس لأحد أن يختار بعد المائتين من الهجرة . ولما اشتهرت المذاهب الأربعة المعروفة وكان لها أتباع ومتعصبون يخشى بعضهم كيد بعض ، اصطلحوا فيما بينهم على أنه لا يجوز تقليد أحد سوى هؤلاء الأئمة ، فجعلوا لحكمهم أثراً رجعياً ينسحب على جميع الفقهاء الذين اجتهدوا ، فلم يعد لأحد أن يأخذ بقول الليث أو سفيان أو غيرهما من أصحاب المذاهب التى لم ترزق من الجد وحسن الطالع ما رزقته هذه المذاهب المعروفة ، فانقرضت ولم يبق لها أنصار يدافعون عنها ، ويدعون إليها

فعلوا ذلك كله . وألقوه فى روع العامة كأنه عقيدة من العقائد ، وشغبوا به على أصحاب العقول الراجحة ، والأفكار الحرة ، وأعلنوا عليهم حرباً طاحنة ، جيوشها العامة والدهماء ، وأسلحتها التكفير والرمى بالزندقة والخروج على إجماع الأمة ، والطعن فى الأئمة الذين ارتضاهم المسلمون ... الخ ، ثم عكفوا على كتب بخصوصها لا يعرفون غيرها ، ولا يعتمدون على سواها ، ولا يتلقون شريعة الله إلا منها ، ذلك بأنها ألفت على هذه الشريطة فى عصور التأخر الفقهى . وزعموا أن الدنيا خلت ممن يستطيع أن يخرج على هذه الكتب . أو يتكلم فى العلم دون أن يعتمد عليها ، بل حرموا على الناس أن ينظروا فى كتاب الله أو سنة رسوله نظر العلماء المستنبطين . وأوجبوا على العالم ألا يقضى ولا يفتى بشيء منهما حتى يعرضه على ما تنقله هذه الكتب من أقوال مذاهبهم ، فإن وافقها جاز الحكم به ، وإلا وجب رده وعدم قبوله !

تلك آثار بعيدة المدى ، لا يزال الفقه الإسلامى يعانيها ويحمل إصرها وأغلالها ، ويتعثر فى أشواكها وعقابها ، وهو الفقه الذى ورثناه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه من بعده ، وعن الأئمة المهتدين ، قوياً لا يعرف الضعف ، ناشطاً لا يعرف الجمود ، واسعاً لا يضيق صدراً بالنوازل والأحداث !

شروط ؟ ومتى كان للاجتهاد شروط ؟ هل ذكرت فى كتاب الله أو فى سنة رسوله ؟ هل كان الصحابة الذين اجتهدوا واختلفوا وتعددت آراؤهم يعرفونها ؟ وهل روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان ينبههم عن الاجتهاد أو يشترط له شروطاً خاصة ؟

لقد كان الصحابة رضى الله عنهم مع تفاوتهم علماً وفهماً وإدراكاً لأسرار التشريع يجتهدون ويختلفون فيما بينهم ؛ وربما انفرد الواحد منهم بالرأى لا يراه غيره ، ولقد وجد من بعدهم عشرات بل مئات من المجتهدين ، وكانت لهم حرية فكرية واسعة المدى ، فأين فى هذا كله خبر تلك الشروط وأين حسها ؟ وهل زعم أحد أنهم أعدوا أنفسهم أولاً لنيل شروط معينة ، وأشهدوا الناس على أنهم حصلوها ثم أخذوا بعد ذلك ينظرون ؟ كلا فليس الاجتهاد منصباً تمنحه الأمة وتمنعه ، إنما هو مرتبة علمية يشعر بها العالم من نفسه ، وليس كل أحد يدعى ذلك . ولم نسمع أن أحداً من أهل العلم قد التمسه أو أقدم عليه دون أن تكون له أداته الطبيعية ؛ وليس الناس ملزمين برأى من الآراء كأنه فريضة محكمة ، وإنما هو العلم أساسه الحجة والبرهان . ولو اتفق الناس على أن رجلاً منهم صار من أهل الاجتهاد لما أعفاه ذلك من تمحيص العقول لآرائه ، والتثبت من حجته . ولو أنكر الناس على رجل منهم هذه المنزلة لما أعفاهم ذلك من الخضوع لرأيه حين تكون الحجة إلى جانبه

فليس الأمر إذن أمر شروط تشترط ، وإنما هو العلم يجب أن تسمع كلمته من أى فم كان ، وأن تفهم وتقبل إذا كانت حقاً ، وأن ترفض وترد إذا كانت باطلاً ، والحق أحق أن يتبع !

***

ولكن ، لندع هذا كله جانباً ، ولننظر فى نفس هذه الشروط كما يصورها الذين خوفوا الناس بها ، وحجروا على العقول من أجلها !

تصفح ما شئت من كتب الأصول التى وضعها المتأخرون ، واقرأ ما شئت من هذه الشروط ، تجده يبدو لك أول الأمر عسيراً لا يستطاع تحقيقه ؛ فإذا راجعت فيه الشروح والحواشى والتقريرات ، وجدت الأمر على خلاف ما بدا لك ، ووجدته شرطاً هيناً سهل الحصول

قالوا : أول شروط الاجتهاد أن يكون المرء عالماً بكتاب الله وسنة رسوله ؛ ثم جعلوا يضخمون هذا الشرط ، فحكوا لنا خلاف العلماء فيما يجب علمه من السنة ؛ فقالوا : ألفان ؛ وقالوا : عشرة آلاف ؛ حتى زعم بعضهم أنه سأل أحمد بن حنبل : كم يكفي الرجل من الحديث حتى يمكنه أن يفتي؟ يكفيه مائة ألف؟ قال : لا ؛ قال : ثلثمائة ألف؟ قال : لا ؛ قال : أربعمائة ألف؟ قال : لا ؛ قال : أيكفيه خمسمائة ألف؟ قال : أرجو !

لا تخف — أيها القارئ — ولا تستصعب الأمر ، فإن شارح التحرير يقول : « إن ذلك محمول على الاحتياط والتغليظ في الفتيا [1] » ؛ وإن الغزالي يقول : « لا يشترط معرفة جميع ما في الكتاب ، بل ما تتعلق به الأحكام ... ولا يشترط حفظها عن ظهر قلبه ، بل أن يكون عالماً بمواضعها بحيث يطلب منها الآية المحتاج إليها في وقت الحاجة ، ولا يلزم حفظ السنة عن ظهر قلبه ، بل أن يكون عنده أصل مصحح لجميع الأحاديث المتعلقة بالأحكام . ويكفيه أن يعرف مواقع كل باب فيراجعه وقت الحاجة [2] » .

فانظر كيف بدأ هذا الشرط عسيراً هائلاً ، ثم عاد خفيفاً هيناً !

وقالوا : لا بد أن يكون قادراً على التمييز بين الصحاح والحسان والضعاف من الأحاديث ، بحيث يعرف حال رجال الأسناد معرفة يتمكن بها من الحكم على الحديث بأحد هذه الأوصاف ؛ والشوكاني يعلق على هذا الشرط فيقول : « وليس من شرط ذلك أن يكون حافظاً لحال الرجال عن ظهر قلب ، بل المعتبر أن يتمكن بالبحث في كتب الجرح والتعديل من معرفة حال الرجال [3] » ؛ وكذلك يقول صاحب مسلم الثبوت : « مع العلم بحال الرواة ، ولو بالنقل عن أئمة الشأن [4] » .

وقالوا : لا بد أن يكون عالماً بمسائل الإجماع ، وبالناسخ والمنسوخ . ويقيد الشوكاني هذا الشرط بقوله : « إن كان ممن يقول بحجية الإجماع ويرى أنه دليل شرعي » [5]

ويقول الغزالي « وليس معنى ذلك أنه يلزمه أن يحفظ جميع مواقع الإجماع والخلاف بل في كل مسألة يفتي فيها فينبغي أن يعلم أن فتواه ليس مخالفاً للاجماع . إما بأن يعلم أنه موافق مذهباً من مذاهب العلماء أيهم كان ، أو يعلم أن هذه واقعة متولدة في العصر لم يكن لأهل الإجماع فيها خوض » [1]

(١) شرح التحرير ج ٣ ص ٢٩٢
(٢) المستصفى للغزالي ج ٢ ص ٣٥١
(٣) إرشاد الفحول للشوكاني ص ٢٣٤
(٤) مسلم الثبوت « نسخة الشرح » ج ٢ ص ٣٦٣
(٥) إرشاد الفحول ص ٢٣٤

أما الناسخ والمنسوخ فهذه كتب التفسير والحديث تعد بالمئات وقد تكفلت ببيان مواضع النسخ بياناً شافياً . على أن جهابذة العلماء لا يرون القول بنسخ شيء من الكتاب الكريم

شرطوا بعد ذلك أن يكون المرء عالماً بلسان العرب وعلم أصول الفقه ، ثم قالوا إلى حد يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله وحقيقته ومجازه وعامه وخاصه ومحكمه ومتشابهه ومطلقه ومقيده ونصه وفحواه ولحنه ومفهومه الخ

والأمر في ذلك يسير وإن بدا متعسراً . فعندنا من العلماء من يعرف لسان العرب كما كان يعرفه العرب أنفسهم ، ومن فاق الأولين بصراً بعلم أصول الفقه وقدرة على التصرف فيه ، وبين أيدينا جميع مؤلفات العلماء في ذلك وفي قدرتنا أن نستخرج منها ما نريد ، وقد قربوها كما يقول الشوكاني أحسن تقريب !

هذه هي شروط الاجتهاد كما يراها المتأخرون ، وهي شروط في المجتهد المطلق الذي ينظر ويستدل ويستنبط في جميع أبواب الفقه ؛ فأما الذي ينظر في باب دون باب ، أو في مسألة دون مسألة ، فالأمر فيه أيسر ، وقد أجازوا له ذلك دون أن يشترطوا فيه إلا « أن يكون على بصيرة فيما يفتي »

فأي شيء في هذه الشروط يصعب تحقيقه ؟ وكيف يقال ذلك في عصر العلم والمراجع والمكتبات والفهارس والمذياع وجميعات المراسلات والمؤتمرات العلمية والصحف والمجلات والدراسات المنظمة ، وهو لم يقل في عصور كانت العلوم فيها ناشئة ، وكان العلماء فيها يرحلون للحديث الواحد من بلاد إلى بلاد !

* * *

أما بعد فقد أتى على الناس حين من الدهر كان التدين فيه هو طابع الحياة ، وكانت مظاهر الورع والتقوى والصلاح تستطيع أن تغطي القصور والضعف وقلة الانتاج

أما اليوم فإننا في زمان هجمت علينا فيه الثقافات من كل جانب ، وأصبح الناس بحاجة إلى التوسع في العلوم ، وتلبية مطالب الحياة ؛ وأصبح النضج الفكري عنوان التقدم ووسيلة الاحترام

فإذا التمس العلماء أن يعيشوا في العصر الحديث بما كانوا يعيشون به في العصر القديم فقد التمسوا المحال

(القاهرة) **محمد محمد المدني**
المدرس في كلية الشريعة

(١) المستصفى ج ٢ ص ٣٥١

حلم ليلة الهجرة

للأستاذ علي محمود طه



يا شرقُ ، مِلءُ خاطري سحرٌ وملءُ ناظري
أوَحْيُ ليلكَ القديمِ أم رُؤى الزواهر ؟
يا شرقُ ، أيُّ ليـلةٍ رائعةِ الدياجر
نجومها خلفَ الغمامِ أعينُ المقادر
ترنو على جوانبِ السماء للمهاجر
تَمُدُّ من شعاعها مِثْلَ جَناح طائر
رُعْيا المحبِّ للحبيب حُفَّ بالمخاطر
تقول ههنا السُّرَى ومن هنا تحاذر
يا شرقُ ، أيُّ ليلةٍ بَعَثْتَها من غابر
حقيقة تلوح لي أم ذاك حُلمُ شاعر ؟

أرى على صحيفةِ الزمانِ حدَّ باتر
تكمنُ في فِرِنْدِهِ جريمـةُ لغادر
ومن بريقهِ تطلُّ ألفُ عينِ فاجر
مُلتقى وراء صخرةٍ كانت ملاذَ عابر
أوى إليها مُفْرَدًا غير أخٍ مناصر
والباديات حوله رَوْعٌ وهمسُ حائر
كأنما أنفاسهنَّ تمتماتُ ساحر
هو انتفاضة الحياة ، وثبـةُ الأداهر
شدا الرعاةُ باسمه في الأعصرِ الغوابر
وأودعوه فرحـةَ جوانحِ السرائر
وأبدعتهُ نغمًا صـوادحُ المزاهر
زفُّوا به إلى الحياة أجملَ البشائر
لحنٌ وفيه قسوةُ العواصفِ الثوائر
وفيـه ثورةٌ على العقائد الدوائر
يقتحمُ الذُّرَى المنيعة اقتحامَ ساخر
يهزأُ بالجيوش في ألوية القياصر
يهدمُ كل معبدٍ ، يهزمُ كل جائر
ومن عجيبٍ أمره يبني بناءَ قادر !
يا شرقُ ، سحرُكَ القديمُ مالكٌ مشاعري
هذي الطوالعُ الحسانُ في الحُلَى النواضر
المطلقاتُ بالنشـيد أرخمَ الحناجر
كأنهنَّ جوقةُ الهواتفِ الطوائر
حيَّين مولدَ الربيع والسَّنى المباكر
عرائسُ الخيالِ ، هُنَّ ، أو بناتُ خاطري
ينثرن من أكفهنَّ أجملَ الأزاهر
على طريقِ مُلْهَمٍ مُخَـلَّدِ المآثر
يا شرقُ ، أيُّ روعةٍ جَلَوْتَها لناظري
حقيقةٌ تلوحُ لي أم ذاك حُلْمُ شاعر ؟

علي محمود طه

عدو إبليس

للأستاذ توفيق الحكيم



« عزرائيل ينصرف عن دار النبي بعد وفاته فيرى إبليس مقبلا فرحاً مبتهجاً ... »

إبليس — هل قبضت روحه ؟

عزرائيل — وما شأنك وهذا ، أخزاك الله ؟

إبليس — نعم، نعم ، لقـد مات . أليس هـذا صوت ابنته فاطمـة تبكى وتصيح : « أبتاه ، أبتاه . أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه ! يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ! »

عزرائيل — وما يعنيك من هذا الأمر ؟

إبليس — أوليس هذا أيضاً صوت عائشة فى بكاء وشهيق : « وا حر قلباه ! وا مصيبتاه ! ألآن قد انقطع عنا خبر السماء ! »

عزرائيل — أغرب عن هذا المكان !

إبليس — نعم ها هو ذا صوت نسائه كلهن يبكين : « واثكلاه ! واثكلاه ! »

عزرائيل — أغرب عن هذا المكان !

إبليس — ما أجمل هذا النهار ... إن نفسى لتكاد تنفجر شعراً وغناء . إصغ إلى هذه الأغنية :

ذهب عـدوى إلى الفنـاء
اليوم عيـدى فإلى الغنـاء

عزرائيل — صه ! قبَّحك الله وقبَّح صوتك !

إبليس — صوتى منذ اليوم يستطيع أن ينطلق حرا فى أرجاء الأرض . صوتى منذ الآن يستطيع أن ينفذ إلى تلك القلوب التى كانت تميل عنى لتتلقى أخبار السماء ؟ نعم الآن قد انقطع عن الأرض خبر السماء . لقـد عاد إلىَّ ملك الأرض من جديد ... وافرحتاه ! وافرحتاه !

عزرائيل — خسئت ! إن نور السماء قد نفذ إلى قلوب الناس فهيهات بعد اليوم أن يصغوا إلى صوتك !

إبليس — إنك لا تعرف الناس مثلما أعرفهم . إنى أعرف كيف أمر بأناملى مراً رقيقاً على أوتار قلوبهم ، فيذهلون ، وأغنى بصوتى هذا غناء شجياً فيطربون ... إنك لا تعرف ما هي الأغانى التى أغنيها لهم . إنى أغنيهم أغانى الأرض لا أغانى السماء ! إن السماء تنير قلوبهم حقيقة .. ولكن لأجل قريب . لا تنس أنهم خلقوا من طين الأرض . لا شيء يهز كيانهم غير أغانى الأرض !

عزرائيل — إنهم من الأرض ولكن أعينهم تتطلع إلى السماء

إبليس — نعم ، عند ما يشير لهم إليها النبى بأصبعه . فإذا ولى ... عادت رؤوسهم تنخفض نحو الأرض . إنهم كالسنبلة التى لا يرفعها غير الأصبع ، فإذا تركت سقطت

عزرائيل (كالمخاطب لنفسه) — عجباً ! ولماذا إذن رضى الله أن يقبض نبيه ؟! إن لله حكمة ، أجل، أجل . أنسيت أيها الخاسر أن النبي إنما يأتى للتبليغ ويمضى . إنه جاء بالدين . إنه يذهب ولكن الدين باق . الدين هو الأصبع الدائمة التى لا تنفك تقيم المعوج . لا تفرح إذن كثيراً بموت النبى . ما مات غير الجسد الزائل . أما المبادئ والتعاليم فهى قائمة فى وجه ريحك العاتية دائماً ... ما الرسول فى الحقيقة غير الرسالة ... والرسالة لا تموت

إبليس — نعم ، نعم .

عزرائيل — ما بالك وجمت ! إن على وجهك الآن لغبرة تزيده قبحاً على قبحه . . .

إبليس — الرسالة والدين والتعاليم ... هذا صحيح ... ولكن ... تلك أشياء لم تخفنى قط . . . فقد استطعت فيما مضى أن أنزع عنها بعض قوتها . . . إن المسيح قد بشَّر بالمثل الأعلى وفتح قلوب الناس لنور السماء . وذهب وقد ترك فى الأرض

قديسين وخلفاء ساروا على سنته فى نبذ متع الأرض والانقطاع مترهبين فى الصوامع والبيع والصحارى ورؤوس الجبال يتأملون وجه الله وحده ، ناسين أو متناسين هذه الأرض التى من عناصرها صنعت أجسامهم . . . هنا تراءيت لهم ولمن تبعهم فى صور مختلفة تذكرهم بما نسوه وتناسوه ، وخاطبت أجسامهم بالمنطق الذى تفهمه ، وحدثت عناصر تركيبهم باللغة التى تعرفها . . . فإذا أكثر الناس يصغون إلىّ فى أمور حياتهم ومعاشهم ولا يذكرون تلك التعاليم والمبادئ السماوية إلا يوم يجدون فى أوقاتهم فراغاً للتفكير فى السماء . إلى ذكى . إنى لم أرد قط فى حربى ضد المسيح أن اقتلع المسيحية من النفوس ، ولكنى أظهرت فى لباقة ما فيها من علو شاهق لا يستطيع المخلوقون من تراب وطين أن يبلغوه ما داموا آدميين . . . فليصغوا إذن إلى أغانى الجسد وأناشيد التراب والطين . . . وليطلب العلو من كان عنده فضل من فراغ ينفقه بعيداً عن الأرض والحياة . . . وبهذا أصبحت المسيحية الحق اليوم ترفاً روحياً لا يقتنيه غير خاصة الخاصة ، أولئك الذين لم أستطع أن أخاطب فيهم منطق الأجساد والعناصر . . .

عزرائيل — لقد أدرك الله غرضك الأثيم فأرسل محمداً بدين لا ينكر منطق الأجساد والعناصر . . . دين لا يعرف الرهبنة ولا إنكار قوانين الأرض . . . دين لا يكره أن يصغى أتباعه إلى أغانى السماء والأرض معاً . . . وأن يفكروا فى الآخرة والدنيا معاً . . . ما وسائل حربك إذن ضد محمد والإسلام ؟

إبليس — حقاً . . . تلك هى المشكلة ! لهذا كان ذلك النبى ألدّ عدو لى !

عزرائيل — إنه خاتم الأنبياء لأنه ضيق عليك الخناق ، وسد كل ثغرة يمكن أن تنفذ منها سمومك . . . فماذا أنت صانع ؟ . . .

إبليس — دعنى أفكر . . .

عزرائيل — فكر طول الأبد . . . فلن تظفر . . .

إبليس — بل قد فكرت وظفرت . . . الأمر بسيط : يجب علىّ أن أطمس خصائص هذا الدين . . . إنى خبرت الناس لطول لصوقى بهم وعشرتى لهم . . . إن الناس يميلون دائماً إلى التشبه والتشبيه . . . هذه القرود الناطقة . . . يصعب عليها التمييز والتفريق والنظر فى فلسفة الأشياء . . . غداً عند ما يوارى محمد فى التراب . . . ويصبح ذكراً وطيفاً كموسى والمسيح . . . لن يفرق الناس بين محمد وموسى والمسيح، بل ربما قبل أن يواروه فى الحفرة . . . أنظر . . . أليس هذا عمر بن الخطاب أحد خلفائه ؟ اصغ إليه . . .

عزرائيل — إياك أن توسوس له بشىء .

إبليس — إصغ إليه . . .

[عمر بن الخطاب يقوم فى الناس صائحاً]

عمر — لا أسمعن أحداً يقول : إن محمداً قد مات ؛ ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ، فلبث عن قومه أربعين ليلة . والله إنى لأرجو أن تقطع أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات !

عزرائيل — عجباً ! ما هذا الذى يقول ؟ !

إبليس — أرأيت ؟ إنهم قد شبهوه بموسى ولما يهيلوا عليه التراب !

عزرائيل — كذبت ! إنما هى وسوسة منك !

إبليس — صه ! أنظر ! هذا أيضاً رجل من بين الناس يريد أن يقول شيئاً . . .

[ينهض أحد الناس صائحاً]

أحد الناس — إن رسول الله قد رُفع كما رفع عيسى ، وليرجعن !

عزرائيل — رباه ! ماذا أسمع !

إبليس — أرأيت ؟ إنهم قد شبهوه كذلك بعيسى ولما يدرجوه فى الأثواب !

عزرائيل — لست أصدق ما أرى وما أسمع

إبليس — قد قلت لك إنى أعرف منك بالبشر

عزرائيل — اللهم نورك ! كيف خفى على هؤلاء أن دينهم لم يكن تكريراً لما سبقه من أديان ! . . . اللهم إنك منزه عن اللغو والتكرار !

إبليس — ما أبهج هذا النهار ؟ ألا تطربك أغنيتى :

ذهب عدوّى إلى الفنـاء
اليـوم عيدى فالى الغناء

عزرائيل — آه ، لو استطعت أن أبطش بك . . .

إبليس — إقبض روحى إن قدرت . . .

عزرائيل — ليس لك روح يُقبض

إبليس — بل لى روح لا تستطيع قبضه يداك الصغيرتان !

عزرائيل — يداى حقاً لا تستطيعان ؛ ولكن يد رضيع تستطيع ... إن روحك ليزهق فى اليوم ألوف المرات ... إن روحك لينطق فى قلب كل مؤمن ومؤمنة ومحسن ومحسنة وخيّر وخيّرة ... إن روحك مارد من دخان يستطيع طفل بكلمة طيبة أن يحبسه فى قمقم من نحاس !

إبليس — ولكنى لا أموت ولا أذهب إلى الفناء ... لأنى سلطان الأرض وروح الأرض ... ولن أترك الأرض ما بقيت دودة تسعى فى الأرض !

عزرائيل — إبق ما شئت فى الأرض ، ولكنك لن تقوى على دحر أعدائك ...

إبليس — عجباً لك ! أو لم تر كيف أنى فى لحظة استطعت أن أغير معنى الدين الذى قضى محمد حياته كلها فى تجليته وإظهاره وتوضيحه ... ؟ ألم يذكّر محمد قومه فى كل وقت أنه بشر يوحى إليه ... وأنه يحيا ويموت كبقية الناس ... وأن دينه هو دين الحياة ... الذى يحل للناس كل وسائل العيش الصالح على هذه الأرض ... وما دام دينه دين الحياة والفطرة والمنطق البشرى ... فلا ينبغى أن يؤلهه الناس كما ألهوا المسيح ، ولا أن ينكروا إمكان موته كما فعلوا مع المسيح ... أليس هذا معنى دينه ؟ فكيف إذن بدّل الناس الآن المعنى وانقلبوا يسيرون نحو فكرة التأليه ؟ ...

عزرائيل — إنهم لم يغيروا شيئاً ... ولئن وقع فى نفسك شىء من كلام عمر بن الخطاب ، فهو ولا ريب قد قال ما قال خوفاً من الردة !

إبليس — ولماذا يخشى ارتداد الناس عن الدين بموت محمد ... إنهم إذن كانوا يعبدون محمداً !

عزرائيل — اللهم ألق نورك فى صدور الناس !

إبليس — هيهات ! إن ما تسميه « وسوستى » قد استقر الساعة فى صدور الناس ...

عزرائيل — خسئت أيها الخاسر ... أنظر ... أنظر ...

إبليس — ماذا ؟ من هذا ؟

عزرائيل — هذا أبو بكر يقوم فى الناس ... اصغ إليه ...

[أبو بكر ينهض فى الناس صائحاً]

أبو بكر — أيها الناس . . . أما بعد ، فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ... ومن كان يعبد الله ، فإن الله حى لا يموت !

عزرائيل — وافرحتاه ... أسمعت ؟

إبليس — ؟ ؟ ؟

عزرائيل — أنظر أيضاً ... أنظر ... هذا العباس يريد أن يقول شيئاً ...

[العباس يقوم فى الناس صائحاً]

العباس — أيها الناس ... والله الذى لا إله إلا هو ، لقد ذاق رسول الله الموت ، وإنه ليأسن كما يأسن البشر ... فادفنوا صاحبكم ... إنه ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً ... أحلّ الحلال وحرّم الحرام ... ونكح وطلق وحارب وسالم ... وما كان راعى غنم يتبع بها رؤوس الجبال بأنصب ولا أدأب من رسول الله فيكم ... !

[عزرائيل يلتفت إلى إبليس صائحاً صيحة انتصار]

عزرائيل — ماذا تقول الآن فى هذا ؟ أغرب الآن عن هذا المكان ... لقد طهر معنى الإسلام ، وتألق روح هذا الدين ... !

توفيق الحكيم

موقف العلم والأديان اليوم
وحماية المسلمين من ضلالات المادية

للأستاذ محمد فريد وجدى



لقى رجال العلم الكونى من رجال الأديان — منذ أكثر من ألفى سنة إلى القرن السابع عشر — ما يلقاه الخصوم من الخصوم ، وبدل أن تتلطف حدة هذه الخصومة من ناحية المتغلبين — وهم حفظة الأديان — استحالت إلى وحشية جامحة ؛ فكانوا إذا آنسوا من رجل نظراً فيما يتعلق بالوجود وقواه العاملة فيه — أو فيما يتصل بعلل الظواهر الطبيعية — ألقوه حياً فى النار ، أو رموا به من حالق إلى مكان سحيق

فلما دالت للعلم الدولة بعد أدوار شتى من التطورات العقلية والاجتماعية فى القرن السابع عشر ، جعل حاته أكبر همهم ليس الانتقام من رجال الدين فحسب ، ولكن من الدين نفسه أيضاً ، حتى لا تبقى له دعوة فى الأرض ينخدع بها بعض السذج فيجد بعض ذوى المطامع من يستغلونهم لسد نهمهم من المال والسلطان

اشتد العلم فى إسقاط الدين ، فوضع كثير من رجاله مؤلفات للتدليل على سذاجة عقائده الأساسية ، وبينوا للناس أصولها من أوهام الجماعات الأولية وتداعى مبانيه حيال اليقينيات العلمية . وأكثروا من الحط من كرامة الدين فى كل فرصة سنحت لهم حتى لا تكاد تقرأ كتاباً علمياً لا تصادف فيه شيئاً من هذا التصدى . فأفضت هذه الحال إلى نفور مستحص من الأديان فى نفوس الطبقات التى تتلقى نصيباً من الثقافة المدرسية

ولكن لما كان من أخص صفات العلم التطور فقد اقتضت به الحوادث منذ تسعين سنة إلى البحث الجدى فى عالم ما فوق الطبيعة . ولكن لا كما كان يفعله الفلاسفة باستخدام قوى العقل فى التحسس منه ، ولكن على أسلوب العلم نفسه من المشاهدة والتجربة

عقدة النزاع الأساسية بين الدين والعلم

هذه العقدة بين الدين والعلم أن الأول يقول بوجود عالم فوق الطبيعة يتنزل منه جميع ما فى الكون من كائنات مادية ، وقوى عالية . وهو الأصل الأصيل فى وجود وقيام العالم المحسوس ، ويبتنى على هذا الأصل القول بوجود الخالق المدبر . والروح الإنسانية ، والإلهامات الحيوانية ، والإبداعات التكوينية ، والوحى وخلود الإنسان فى عالم الأرواح المجردة . الخ الخ . والعلم ينكر كل ذلك ، ويعده من الخيالات التصورية ، ويقرر أن المادة قديمة ، وأن كل ما صدر فى عالمها حتى القوى العقلية ، والروح الإنسانية ، إنما صدر بواسطة النواميس الطبيعية ، اللازمة لذرة المادية على سبيل التدريج والتطورات المتعاقبة

تورط العلم أخيراً فى بحثه الجديد عن عالم ما فوق الطبيعة على أسلوبه المعروف من التجربة والتمحيص وبدا لألوف مؤلفة من رجاله بصيص من نوره فأثبتوا نتائج تجاربهم وحداناً وجماعات فى مؤلفات ومحاضر . قال عنها فيلسوف أمريكا الكبير « ولىم جيمس » أستاذ جامعة « هارفارد » بالولايات المتحدة فى كتابه « إرادة الاعتقاد La Volonté de croire » بصفحة ٣١٣ من ترجمته الفرنسية

« إذا صدقنا الجرائد وأوهام الصالونات خيل لنا أن الضعف العقلى وسرعة التصديق هما الرباط المعنوى الجامع بين أعضاء هذه الجمعية (يريد جمعية المباحث النفسية الإنجليزية) . وأن حب العجائب هو العامل المحرك لها ، ومع هذا فيكفى أن نلقى نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة ؛ فإن رئيس هذه الجمعية هو الأستاذ (سدجوك) المعروف بأنه أشد الناس شكيمة فى النقد ، وأعصاهم قياداً فى الشك فى جميع البلاد الإنجليزية ، ووكيلاها المستر أرثر بلفور (أحد رؤساء الوزارات الإنجليزية وعالم مشهور) ، والأستاذ ج ب لنجلى . ويمكن التنويه من

أعضائها العاملين بالأستاذ ريشيه الفيزيولوجى المشهور ، وتشمل قائمة أعضائها رجالاً كثيرين آخرين كفاءتهم العلمية أشهر من أن تذكر . فإذا طلب إلى أن أعين جريدة علمية تكون مصادر أغلاطها ممحصة بأدق الأساليب ، فإنى أنوه بمحاضر جمعية المباحث النفسية . فإن الفصول الفيزيولوجية التى تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم ، لا تبلغ فى دقة النقد مبلغ دقة هذه المحاضر المذكورة » اه

لما حدث هذا التطور العلمى الخطير ، مال رجال من كبار العلماء إلى النظر فى النتائج التى تؤيد الدين منها . وما دامت عقدة النزاع بين العلم والدين هى وجود أو عدم وجود العالم الروحانى . فإن هذه العقدة تحل إذا ثبتت صحة وجود هذا العالم بدليل محسوس . قال العلامة (ﻫ . و . بيرس) المدرس بجامعة كمبردج فى كتابه (الشخصية الإنسانية) فى صفحة ١١ منه من ترجمته الفرنسية :

« حوالى سنة ١٨٧٣ حيث كان المذهب المادى بالغاً أوج سطوته علي العقول ، اجتمع ثلة من الأصحاب فى كمبردج وأجمعوا على أن هذه المسألة المتنازع فيها (يريد مسألة عالم ما فوق الطبيعة) تستحق التفاتاً وجهداً جدياً أكثر مما عولجت بهما إلى ذلك الحين ... وكنت مقتنعاً بأنه لو أمكنت معرفة شيء من ذلك العالم على أسلوب يمكن أن يقبله العلم ويحفظه ، فلا يكون ذلك بالتنقيب فى الأساطير القديمة ، ولا بوسيلة التأمل فيما فوق الطبيعة . ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة ، وبتطبيقنا على الظواهر التى تحدث بيننا وحولنا أساليب المباحث المضبوطة المنزهة عن الأغراض ، التى نحن مدينون لها بمعارفنا عن العالم المرئى المحسوس . ومباحثنا فى هذا السبيل يجب أن تكون مؤسسة على هذه القضية وهى : « إذا كان يوجد عالم روحانى ، وكان قابلاً لأن يدل على وجوده فى أى عهد كان ، فيجب أن يكون كذلك فى أيامنا هذه »

« فمن هذه الناحية . وبالحرى على هذه الاعتبارات واجهت الجمعية التي أنا عضو منها هذه المسألة » اه

وقد مضت بعد هذا القول عشرات السنين وحدثت فيها بحوث عملية دونت فى مئات من الكتب والرسائل ، تبين منها أن العلم حيال حقيقة ثابتة مؤيدة بالدليل المحسوس الذى لا يمكن التمارى فيه حتى قال العلامة الفلكى الكبير (كاميل فلامريون) فى كتابه القوى « الطبيعة المجهولة » :

« إنى كلما أفكر فى هذا الأمر أدهش من أن دهماء الناس لا يزالون يجهلون هذه المسائل كل الجهل ، على حين أنه قد عرفها ودرسها وقدرها حق تقديرها وسجلها منذ سنين ، جميع الذين تتبعوا حركتها بكل نزاهة فى مدى هذا العهد الأخير

وقال : « إن المشاهدات الحسية تثبت وجود عالم روحانى محقق كتحقق العالم المادى المدرك بحواسنا الخمس »

نقول وقد قررت جامعات أمريكية دراسة هذا البحث ، وجعلت له أخيراً جامعتا كمبردج وأكسفورد مقعدين رسميين له

كيف نحمى المسلمين من ضلالات المذهب المادى ؟

إتصل المسلمون بالعالم العلمى منذ أكثر من قرن ، وظل رجال الدين وطلابه فى عزلة عنه فلم يصبهم من ظلمات النظريات المادية شيء ، ولكن حركة التطور العامة دفعت بهم إلى الاتصال به من سائر طبقات الشعب ، تقريباً للثقافة الدينية من الثقافة العامة تفادياً من حدوث تناف بينهما ، فتصبح الأمة فريقين متنافرين

والإسلام متين يقوم وجوده وتقوم دعوته على العلم : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ »

وقد صافى الإسلام من يوم وجوده العلم ، وسمح لأهله أن يندفعوا فى تياره ، وأن يستفيدوا منه ويشيدوا مجتمعهم عليه ، فكان أنبل مجتمع ظهر على سطح الأرض ، وكانت له دولة لا تغرب عن أقطارها الشمس ، فأقال عثرات الإنسانية ، وداوى كلومها ، وكشف ظلماتها ؛ ولم نعرف فى تاريخ الإنسانية أمة قامت بالدين معتمدة على العلم غير الأمة الإسلامية

ولكن العلم الذى يدرس فى مدارس المسلمين اليوم ، قائم على الأصول المادية البحتة للقرن التاسع عشر ، ولممثليها من أهل القرن العشرين ؛ فتجد كتبها التى بين أيدى الطلبة لا تزال تردد لهم النظريات الرثة العتيقة التى تخيلها ديموكريت اليونانى منذ أكثر من ألفين وثلاثمئة سنة وهى : « أن المادة لا تفنى ولا تتجدد » ، على حين أن علم القرن العشرين قد توصل إلى إفناء المادة وإحالتها إلى قوة ، فأثبت بذلك أن المادة لم تكن ثم كانت

هذه المعرفة لها قيمة عظيمة فى الدراسة الدينية ، لأن القول بعدم تجدد المادة وفنائها يؤدى إلى القول بقدم العالم المادى ، وهو أساس المذهب المادى وحصنه الحصين

وفى هذه المدارس الدينية تدرس الفلسفة ويقرر للطلاب فيها

أن الرأى المادى هو الذى ساد جميع الآراء ، وأن السلطان انتهى إليه ، وهو آخر طور من أطوار التفكير البشرى ، وما هو في الواقع إلا مرمى المادية قبل التطور العلمى الأخير

وتدرس البسيكولوجيا (علم النفس) ، وكتبها المدرسية موضوعة على أسلوب الفلسفة المادية . فيضطر طلبة الدين أن يقرأوا فيها : أن ليس للانسان روح مستقلة عن الجسمان ، وليس له ضمير فطرى يرجع إلى عالم علوى . وأن كل ما فيه من شعور بالحسن والقبح ، وبالفضيلة والرذيلة ، وبالخير والشر ، أمور اعتبارية لا أصل لها فى وجود أرفع من هذا الوجود ؛ وأن الغرائز الأدبية ليست متنزلة من روح علوية . ولكنها عادات أوجدتها مصلحة الاجتماع . ورسخت فى الشخصية الإنسانية واعتبرت من الخصائص الروحية . وليست من الروح المزعومة فى شيء

ويدرس لهم تاريخ الأديان ولحمته وسداه : أن الدين على ما هو عليه فى هذه العصور المتأخرة المهذب . صادر من الدين الأولى الساذج الذى تخيله أهل القرون الأولى . وليس هو بوحى ، لأن الوحى لا وجود له

ثم يقرأون فيها : أن الباعث الصحيح عليه أهواء النفوس ، وجهالتها بالعلل الطبيعية ، وهلعها من الجوائح الكونية ، فتألبت كل هذه العوامل على إحلال الدين فى سويداوات القلوب بواسطة الوراثات الطويلة المدى ، حتى أصبح هو والحياة عند الفرد والجماعة فى مستوى واحد

فماذا ترجى أن تكون هذه المجموعة من الدروس ، غير دعاية للالحاد فى حرم الدين ، لم يظفر بمثلها المذهب المادى في أية بيئة من بيئات العلم . فى العهد الذى ثبت فيه العلم ، جرياً على أسلوبه كما قدمنا . وجود العالم الروحانى ، وقام فيه أقطابه بنقد كل ما أورده المذهب المادى من الشبهات عليه . سعياً منهم لتوحيد غاية الدين المطلق وغاية العلم على حال من الوفاق كانت أمنية دعاة المدنية الفاضلة

الوسيلة المثلى لدرء هذا الخطر أن تخضع هذه الدروس فى المدارس الإسلامية الدينية لمراقبة دقيقة ، وأن تلى موادها متبوعة بالنقد الذى وجه ضدها من علماء القرن العشرين ، والتعديل الذى أدخل عليها بواسطتهم ؛ مع مراعاة أن يكون النقد ماحقاً لشبهاتها بأدلة ساطعة لا بكلمات جوفاء تزيدها تسلطاً على العقول

هذا خير ما أهديه لقراء « الرسالة » فى مفتتح السنة الجديدة ، ولهم منى معها أطيب تحية .

محمد فريد وجدى

تأملات

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي



ضلّت الإنسانية عن ربها وعبدت المال والقوة ، ودانت لهما بالطلب والحرص والإكبار ؛ وفى سبيل المال والقوة نُسى كل شىء : من دين أو فضيلة أو مبدأ ، وفعل كل شىء من : ظلم وقطيعة ونكث . يخدع كلٌّ كلا فى السلم كما يتخادع أهل الحرب ، كأن أيام الناس فى هذه المدنية حرب كلها ولكن بسلاح مختلف . فلحرب السلم سلاحها وفنونها وخططها ، كما لحرب الدبابة والغواصة والطيارة . فى السلم يتحارب الناس وتتحارب الأمم بالتجارة وحواجزها الجمركية ، وبالصناعة وموادها الخام ، ثم بالدعاية والسياسة ؛ وفى سبيل ذلك يسخر الأدب بفنونه والعلم بفروعه ، تتنافس فى ذلك الأمم ، وتتنافس فى ذلك الطوائف والأفراد داخل كل أمة ؛ حتى الفضائل جعلت سلاحاً وسبيلاً إلى الغلَب . فالتاجر إن صدق يصدق لا لأن الكذب يزرى ، أو لأنه منهى عنه فى الدين ، ولكن لأن الصدق يجزى ويربح ، ولو وجد فى الكذب ربحاً لكذب . والأمم تتعاهد ، فإن وجدت فى الوفاء ربحاً وفت ، وإن وجدت الربح فى النكث نكثت . فالمال هو البغية ، والقوة هى الغاية ، والشهوة هى السائق ، والهوى هو الغالب ، كأن قد غلب على هذه المدنية فى معاملاتها روح الأحراج وقانون الأدغال ؛ وما يقول « دروين » إنه كان غالباً على أنواع الحيوان فى أحقاب النشوء

ويل للانسان من نفسه ومن أخيه الإنسان حين يضل كلٌّ عن ربه . فلو لم يكن للدين ضرورة ، لجعله حال الناس اليوم ضرورة ؛ ولو لم يقم على وجوب التدين برهان ، لكان ما آل إليه أمر الناس بعد ترك التدين هو البرهان . إلا أن الإنسان يذكر وينسى ، ويؤمن ويكفر ، ويطيع ويعصى ، حسب الظروف . فى الشدة يلجأ إلى الله ، وفى البلاء يكثر من الدعاء ، ويستغفر ربه وينيب : يفعل ذلك الأفراد ، ويفعل ذلك الأمم . حتى إذا استجاب الله وفرّج الكرب وكشف البلاء ، نسى الإنسان ونسيت الأمم ما كانوا يدعون الله من أجله ، وجعلوا لله أنداداً ، وانقلبوا له أضداداً ، وعادوا إلى آلهتهم من الشهوة والقوة والمال ، كأن لم يكن بلاء وكربة ، وكأن لم يكن دعاء وتوبة ؛ وجعلوا يضحكون من خوفهم الذى كان ، وجزموا بأن أسبابه لن تعود !

لقد كانت الحرب الماضية ، وجاءت الناس بكرب لم يروا مثله من قبل ، فجأر الناس إلى الله وجأرت الأمم ، وجعلت تنذر النذور ، وتبذر الوعود والعهود ، وتقيم الصلوات العامة ، تأمر بها الحكومات ، ويركع فيها الحكام والملوك . ثم جاء النصر وجاء السلم ، فذهبت النذور هباء ، ولم تلق الوعود ولا العهود وفاء ؛ وكل ما كان هنالك أن جىء بأسماء جديدة أطلقت على مسميات قديمة ، فذهب الاستعمار وجاء الانتداب ، وذهبت المحالفات وجاءت عصبة الأمم ، وعاد الناس وعادت الأمم تبتغى الكسب وتبتغى المال والقوة ، حتى كان من الأمم المنتجة من كانت تحرق ما زاد من غلات أرضها لتبيع الباقى من الأمم الأخرى بثمن أعلى ، وانحدر المال إلى خزائن بعض الأمم ، كما ينحدر الماء إلى مهابطه من الأرض ، فجفت بقاع منه وغرقت بقاع ، وجاعت أمم وتخمت أمم ، وانقلبت الأوضاع واشتد النزاع ، وخسرت الإنسانية السلم ، فخسرت بذلك الحرب قبله ، إذ قامت هذه الحرب

قامت هذه الحرب فما ذا كان ؟ كان الذى يعرف كل إنسان أنه كان فى الحرب الماضية : فالنذور تنذر ، والوعود تبذر ، والصلوات العامة تقام ؛ وأصبحت الأمم المتمدينة لا ترى أهناً من الأمن ، واعتزمت فى مستقبلها أن تتناصف فى قسمة المواد الخام لتعيش إلى الأبد فى سلام !

إنها مدنية مجنونة هذه التى تنسى الله وتعصاه فى الرخاء بعد

أن كشف عنها البلاء ، حتى إذا أخذها بنكثها وإنها جأرت إليه تسأله النجاة ولم يكن لديها ما تتعهد به للناس أو تنذره لله إلا أن تتعايش فى سلام ، وتتناصف فى المواد الخام .

لقد أفسدت المدنية الغربية وحق عليها ما حق على المدنيات الخاطئة قبلها . وها هى تنتسف بقوتها الكامنة التى من الله بها عليها فلم تطعه فيها . ها هى حين فسقت عن أمر الله تنفجر بما اختزنت من علم ومال حولهما فيما حوت قنابل وطرابيد تلق من الجو وتنثر فى البر والبحر على المحارب وغير المحارب على السواء (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد) إنها مدنية كتلك القرية التى ضربها الله مثلاً فى القرآن : (كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)

إنها مدنية مسيحية اسما لكنها لم تقم قواعدها على نصرانية ولا إسلام . فنصرانية عيسى صلوات الله عليه ليس فيها حرب ولا سلاح ولا استعمار . والحرب فى الإسلام لا تكون فى سبيل الفرد ولا فى سبيل الأمة ولا فى سبيل الجنس ، ولكن فى سبيل الله ليكون الحكم فى الأرض لله .

إن الاستعمار الذى ابتدعته مدنية الغرب ليس من الإسلام فى شىء ، ولا من حكم الله فى شىء . فاستغلال القوى الضعيف فرداً كان أو أمة ينكره الإسلام كل الإنكار . وتحكم أمة فى أمة بالهوى لا يعرفه الإسلام ولم يشرعه الله . وعلو أمة على أمة وشعب على شعب أو جنس على جنس حرمه الله الذى سوّى بين الناس وساوى بين الأجناس ولم يجعل لأحد على أحد فضلاً إلا بالتقوى : تقوى الله الذى خلق الأحمر والأصفر والأبيض والأسود . ففيم استعلاء فريق على فريق ؟ وفيم تحكم لون فى لون أو شعب فى شعوب ؟ (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم . إن الله عليم خبير) .

لقد أعز الله الإنسانية أيما إعزاز حين جعلها خاضعة له وحده سبحانه فى الحكم ، ليس لأحد على أحد سبيل إلا بحق الله طبق دين الله الذى بينه للناس واضح المعالم ظاهر الحدود فى كتابه الكريم الذى فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً فى حياته الكريمة التى مثلت حياة الأمم وحياة الأفراد كيف ينبغى أن تكون .

لقد علم الله أن هذه المدنية المعقدة ستكون ، وأن الإنسانية ستتقلب فى أطوارها التى تقلبت فيها . وأنها ستفتح لها أبواب العلم . وأن هذا العلم سيفتح لها فنوناً من القوة ، وأن هذه القوة ستسلمها إلى صفوف من المشكلات لا تحل حلاً مرضياً موفقاً إلا طبق ما سن الله للفطرة من سنن ، وللنفس البشرية من قوانين ، عرفت الإنسانية بعضها ، وجهلت منها أكثر مما عرفت . فلو أن الإنسانية وكلت إلى نفسها وعلمها وجهدها وحده ما خرجت ، وما أمكنها أن تخرج من ورطاتها التى هى لا بد واقعة فيها بتعمقها فى العلم الطبيعى الذى يفتح لها كنوز الأرض من غير أن يريها طريق العدل فى استعمالها . فأراد الله سبحانه أن يتم نعمته على الإنسان بأن يجمع له بين القوة وبين الهدى فى استعمال القوة ، فآتاه العلم ، وقبل أن يؤتيه العلم أنزل عليه الكتاب والحكمة ليريه كيف يتقى شر العلم وينتفع خيره بالوقوف فى استعماله عند الحدود التى حدها الله فاطر الإنسان وفاطر القوى التى سخرها بالعلم للانسان .

فإذا كان من عجيب صنع الله للانسان أن وهبه العقل الذى استفتح به كنوز العلم ، فإن أعجب من ذلك أن تفضل سبحانه فأنزل له الدين ليقيه ما لا يمكن العقل ولا العلم أن يكفوه إياه من الشرور والأخطار

أقسم أن نعمة الله على الناس فى الدين أعجب وأكبر من نعمته عليهم بالشمس أو بالقمر أو بما خلق فى الأرض من كائنات ينعم بها الإنسان أو لا ينعم ، شكوراً أو غير شكور . إن هذه الكائنات خلق من خلق الله ، والإنسان واحد منها يقوى أمام بعض ويضعف إزاء بعض ، ينتفع بها أحياناً ويتضرر بها أحياناً ، لكن الدين خير كله ونفع كله وسعادة صرفة لمن يتقبله مؤمناً ، ويعمل به مسلماً . وأقسم لو سخرت العلوم هذه الكائنات كلها للانسان وكان الإنسان بتسخيرها يتمتع فى هذه الحياة المتعة كلها من غير تعب ولا ملل ولا هم ولا حزن ولا ضعف ولا مرض حتى إذا مات كان الحساب وكان العقاب إذن لكانت نعمة الله على الإنسان بالدين الذى يقيه عذاب الآخرة ويؤتيه نعيمها أكبر من نعمته عليه بالعلم بقدر ما بين الآخرة وبين الدنيا من فرق وفضل فى المدة

وطولها ، أى بقدر ما بين الباقي وبين الفانى أو بين غير المتناهي والمتناهى من فرق وفضل . فكيف وهذه العلوم لا تسخر للانسان إلا جزءاً ضئيلاً مما حوله ، وقد يشقى بما يسخر له منها وقد يسعد ؛ وهو فى أحزانه وهمومه ، ومحابه ومكارهه ، وأمراضه ومصائبه ، لا يجد سلوى ولا مخرجاً ولا عزاء إلا بالدين، وبطاعة الله فى الدين .

وكيف وهو لن يلقى النعيم الصرف الذى لا يخالطه عذاب، والسعادة المحضة التى لا يشوبها شقاء ، إلا بعد هذه الحياة فى حياة أخرى لا نهاية لها ولا أجل إذا كان قد أطاع الله وعمل فى دنياه بالدين

على أن هناك معنى فى الدين الإسلامى أكرم الله به الإنسان كرامة لا يقوم بها شكر ولا ينقضى منه عجب المتفكر ، ألا وهو تفضل الله جل جلاله بمخاطبة الإنسان من كتاب من عنده سبحانه على لسان رسول من البشر تقوم الأدلة القاطعة على صدقه . إن مجرد مخاطبة الخالق للمخلوق كرامة دونها كل كرامة يكبرها ويجلها الإنسان فى الدنيا ، فكيف والخطاب فى كتاب عظيم كريم مبين . الحق سبحانه هو المتكلم فيه ، فليس لبشر فيه جملة أو كلمة أو حرف ! كتاب من عند فاطر الفطرة وصفه فيه جل وعلا بصفة الفطرة بقوله : « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »

أليس من أكبر الكرامة أن يذكر الله الإنسان ولا ينساه ، وأنه يوجه إليه الخطاب فى كتاب يهديه به سبحانه سبل السلام وسبل الهدى والنور ؟ أليس من أكبر النعمة حين علم الخالق سبحانه ضعف الإنسان وجهله وما يتهدده من جرائهما من أخطار أن ينزل عليه نظاماً لحياته هو وفق الفطرة التى لم يكن الإنسان ليحيط بها ولا بسنن الله فيها ؟

إن العلم شئ وتطبيقه من غير خطأ أو خلل شئ آخر . فلو أن الإنسان أحاط بالفطرة علمه لما استطاع أن يطبقها على حياته تطبيقاً محكماً لاخلل ولاعوج فيه . بل إن صعوبة التطبيق وإصابة الحكمة فيه لتزداد بازدياد ما يراد تطبيقه وتفرعه . فالإنسانية بقواها العقلية المحدودة أعجز من أن تحيط بالفطرة علماً ، ولو علمت لكانت أعجز من أن تطبق علم الفطرة وتنتزع منه نظاماً عملياً لحياة الإنسانية فى عصر واحد بله جميع العصور

فإن الخالق البارئ الحكيم قد جمع للانسانية بين علم الفطرة وبين إحكام تطبيقه على الحياة حين أكرمها بالإسلام دين الإنسانية الكامل الشامل الذى أنزله على محمد نبى الهجرة صلوات الله عليه . فعجب إذن للانسانية كيف تتخبط وبين يديها الهدى ، وكيف تشقى وفى متناولها السعادة، وكيف تموت وعلى مقربة منها الحياة !!

ثم اعجب عجباً بعد عجب من قوم يزعمون من بين الإنسانية أنهم مسلمون إلى الله مؤمنون بالكتاب الذى أنزل والرسول الذى أرسل ، ثم هم يعطلونه ولا يقيمونه ، ويضيعونه ولا يحفظونه ، بل هم يلتمسون الهدى فى غيره ، ويتطلبون الحياة ممن ضل عن روحه ونوره ، ويولون قلوبهم ووجوههم لاشطر المدنية الإسلامية التى أقامها الرسول بتطبيق كتاب الله فكانت مثلاً عملياً أعلى للانسانية كلها ، ولكن شطر المدنية الغربية التى ضلت عن ربها وعبدت المال والقوة والجاه فأداها ذلك إلى التهلكة التى ترى والتى تحاول التخلص منها فلا تستطيع

فريق من الإنسانية بيدهم النور فلا يستنيرون به ! وفريق فى الظلمات يظنون أنفسهم فى نور ! أيهما يا ترى أظلم ؟ ولأيهما يا ترى تكون النجاة ؟

محمد أحمد الغمراوى

الشجاعة وأثرها في الإسلام

للأستاذ محمد عرفة



لو قيل لى أى الأخلاق الفاضلة كان له الفضل فى ظهور الإسلام وانتشاره لما ترددت فى أن أقول الشجاعة. فالشجاعة الأدبية والشجاعة الجسدية هما الدعامتان اللتان قام عليهما الإسلام، وبفضلهما انبثق نوره فى سائر الأرجاء ؛ أو قل إن الشجاعة الأدبية والشجاعة الجسدية نوع واحد مرجعه إلى جرأة القلب ، والاعتماد على النفس ، وعدم الخوف من أحد ؛ فإذا وجد صاحبهما حقاً مهيضاً نصره ، وإذا وجد باطلاً عرماً خذله بحد اللسان أو بشبا السنان

ولقد كان صاحب الدعوة الإسلامية أشجع الناس فى قول الحق والجهر بما يعتقد ، وبحسبك أن قومه كانوا يقدسون الأصنام ويرونها الحق الذى لا ريب فيه ، والصدق الذى لا تحوم حوله شبهة ؛ وكان يعلم أنهم يتعرضون لشبا السيوف وملاقاة الحتوف محاماة عن أصنامهم وذباً عنهم ؛ فلم يمنعه ذلك من أن يجهر بالحق ويعيب آلهتهم ، ويسفه أحلامهم ، ويصيح فى وجوههم : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » . « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ؟ » . رباه الله على الشجاعة الأدبية والجهر بما يعتقد فقال له : « يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر » . وقال : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين » . وقال : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » . وأبان له أن كتمان الحق موجب للعنة الله والناس « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » ؛ فعلم أن فى العالم حقاً وباطلاً وخيراً وشراً ، وأنه يجب على الأنبياء والمصلحين أن يكونوا نصراء الحق والخير وأعداء الباطل والشر ، وأن عليه أن يذكى هذه العداوة ويؤجج نارها حتى يديل الله الحق والخير من الباطل والشر . وكما كان صاحب الدعوة صلوات الله عليه المثل الأعلى فى الشجاعة الأدبية ، فقد كان كذلك فى شجاعته الحربية أعظم مثل وأروعه . يدل على ذلك قول على : « إنا كنا إذا حمى البأس واحمرّت الحدق اتقينا برسول الله (ص) فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه . ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً » ؛ ووقفته الخالدة يوم أحد ويوم حنين حين فر الشجاع وارتعد الصنديد أكبر مثل وأعظم برهان

ولقد ربى الإسلام المسلمين على الشجاعة وحببها إليهم وزينها فى قلوبهم « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » حتى جعل الجنة تحت ظلال السيوف ، ومازال يربيهم على الشجاعة والقوة والمنعة إلى أن صاروا فيها مُثُلاً عُلْيا وأمثالاً مردّدة ؛ ففرض الله عليهم أن يثبت الواحد لعشرة ولا يفرّ منهم ، ثم خفف عنهم وأوجب أن يثبت الواحد لاثنين ولا يفر الجيش من ضعفه « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله »

وكان من أثر الشجاعة فى النبى وأصحابه أن عزّ الإسلام والمسلمون وصاروا أمنع من عقاب الجو وجبهة الأسد ، لا تلين قناتهم ولا يسلمون لمن أرادهم ، فلم تضعفهم قلتهم وكثرة أعدائهم وكان للاسلام العزة وللمسلمين التمكين فى الأرض

وكان أولو الأمر من المسلمين الأولين يحافظون على قوة نفوس

المسلمين كنبع لعزة الدولة الإسلامية ، ويعلمون أنهم إذا عاملوا الرعية بالقهر ذلُّوا لهم فذلُّوا لغيرهم ولم يكن فيهم غناء ، فبالغوا فى المحافظة على روح المسلم أن تذل وكرامته أن تمتهن ، بل جاوز ذلك غيرَ المسلمين ممن تظلهم الدولة الإسلامية برعايتها . ضرب ولد لعمرو بن العاص قبطياً فبلغ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب فأرسل إلى عمرو وابنه وقال : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ لا . بل لقد كانوا يفرحون إذا وجدوا فى الأمة ما ينبئ عن قوة نفس وشجاعة قلب وجرأة على قول الحق . خطب عمر بن الخطاب فى خلافته فقال : « أيها المسلمون إذا وجدتم فىَّ اعوجاجاً فقوّمونى . فقام رجل من المسلمين وقال : والله لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا ، فقال عمر : الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من إذا وجد فىَّ اعوجاجاً قوّمنى بسيفه . وذلكم مدى عناية الإسلام بالشجاعة ومدى ما كان لها من أثر فى ظهوره وانتشاره

بل إن الحضارة لم تتقدم وإن المدنية لم تنهض وإن العلوم والمعارف لم تعلُ إلا بفضل الشجاعة

يرى المصلح نظاماً فاسداً فى المجتمع أو رأياً قائلاً فى السياسة فيشن عليه حرباً شعواء ، يظهر عيوبه ومساوئه غير مبال بسخط الساخطين وغضب الناقمين ، ويستمر فى حربه وجهاده حتى تصبح آماله فى الإصلاح حقائق واقعة . فينقذ الأمة من شر وبيل . ويرى العالِمُ جهلاً قد جعل علماً وعلماً قد جعل جهلاً فيجهر بمـا يعتقد . يحارب الجهل ويشايع العلم ، فإن لم يكتب له الظفر فى حياته كان لفكرته النصر فى مستقبل الأجيال .

وبهذا تقدمت العلوم ، ونهضت الأمم ، وارتقت البشرية ، وذهبت أوضاع اجتماعية كانت داء وبيلاً ، وحل محلها نظم هى خير وأبقى .

فإذا رأيتم أمماً ترزح تحت أنظمة فاسدة وعادات بالية فاعلموا أنها لم تعط الشجاعة الأدبية لنقد الفاسد من أنظمتها والباطل من تقاليدها فتخلفت حين جد الركب وسارت القافلة .

على أن قوة نفوس الشعب وغلبة الشجاعة على أبناء الأمة أمر لا يأتى عفواً ، إنما هو نتيجة علم وافر وسياسة عادلة ونظام دقيق وإصلاح عام يتمشى فى جميع مرافقها ؛ وأول شىء فى سبيل ذلك أن يعلم أن النفس الإنسانية إذا استبد بها وأسىء الاحتكام فيها ذلت وضعفت وذهبت منها معانى الرجولة من النشاط والقوة والحزم والعزم والاستقلال الذاتى ؛ وإذا رفق بها وعوملت باللين وأحسنت رعايتها عزت وعظمت وكان لها من القوة والعزة والشمم القدر الذى تصلح به وتقدر على إصلاح من معها ؛ فإذا علمت الأمة ذلك وراعته وكانت سياستها فى الحكم والاجتماع والتربية سياسة رفق ولين فى غير ضعف ولا خور اطرد تقدمها ورقيها .

أيها المسلمون :

إذا رأيتم أنفسكم متخلفين عن ركب المدنية فاعلموا أن ذلك منكم وما كان يقدر أن يفعل ذلك بكم أحد سواكم . ملك بعضكم بعضاً ملكة قهر وغلب ، واستبد بعضكم ببعض فأفسدتم نفوسكم وجردتموها من معانى العزة والقوة ومن مقومات الحياة الذاتية الثابرة ، فضعفت الشجاعة فيكم وضاعت من بين جوانحكم ، وإذا فقدت الشجاعة فقد فُقد كل شئ ؛ ولو كشف لكم عن حقائق الأمور لرأيتم كل واحد منكم قد أخذ معوله بيده وأخذ يهدم جاهداً فى نفوس الآخرين ، فالأب يقتل نفوس أبنائه ، والزوج نفس زوجه ، والمعلم نفوس المتعلمين ، والرئيس نفوس المرؤوسين ، وهكذا أصبح كل من له رعاية يستبد فيها بالآخرين ويسيئ حكمهم ويقتل فيهم روح القوة والرجولة

أيها المسلمون :

إذا أردتم أن تساهموا فى بناء المدنية الحاضرة فإنى أوصيكم بواحدة : أن تبقوا على رجولتكم وشجاعتكم وذلك بأن تعدلوا فى سياستكم وتحسنوا فى رعايتكم ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ؛ فالرجل راع على أولاده ، والرئيس راع على مرؤوسيه ، والحاكم على محكوميه ، والمعلم على تلامذته . عليكم بالرفق فى معاملتكم ، والإحسان فى سياسة من تلون أمورهم ، والمحافظة على كرامتهم كما تحافظون على كرامة أنفسكم . ولتكن آثَرَ الحكومات لديكم أرفقُها بكم ، وآثَرَ الرؤساء عندكم أعدلَهم فيكم ، وأحبَّ الناس إليكم من يحافظ على كرامتكم ومن يعمل على أن تكون نفوسكم قوية وأخلاقكم فتية . وليكن أبغض الناس لديكم من يعمل على أن تكون نفوسكم مهينة وأخلاقكم خائرة ضعيفة ، واجعلوا صديقكم من الكتاب من ينصحكم ويسمو بكم إلى آفاق الفضيلة والكمال ، واجعلوا عدوكم منهم من يغشكم ويستغل غرائزكم الحيوانية ، ومن يقول لكم ويقول

متى النور يا ظلمات

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف



أطبق الظلام على جميع آفاق الأرض . . . . واختفى النور الصناعي الذي كانت الإنسانية تتسلق عليه إلى شبحات الجمال الموقوت والفن الفاني والطمأنينة الكاذبة . . . . وارتدت الأحلام السعيدة إلى واقع الشجن والألم والانتكاس ، فعششت أشباح الكهوف والمغارات ... وصارت قلوب بني آدم أوكاراً لمخلوقات شنيعة شوهاء، هن بنات الظلام والغدر والخيانة والجريمة والخديعة ...

ولم يَعُدْ للانسانية غير ينابيع نور الطبيعة تستصبح به ... لم يَعدْ لعيونها غير الشمس والقمر والنجوم ... ولم يعد لقلوبها غير نور النور قبل الأزمنة والدهور ... ولم يعد لأفكارها غير مبادئ الحق الواضح في الطبيعة .

أما الفلسفات والآراء والنظريات البراقة التي رددتها منابر المعاهد والمجامع ومجالس الترف العقلي ، فقد اختفت مع اختفاء الأنوار الصناعية التي أوقدتها الأيدي المظلمة النجسة التي لم تتطهر بنور الله ، وقد طارت بكتبها وسجلاتها قذائف الحديد والنار ...

ترى : هل تكون أمواج هذا الظلام طوفاناً يغسل الأرض من ذلك النور الصناعي المدلس المدخول الذي لم يجر من منابع الحب ويد الله ، وإنما من يد الشيطان الذي طمس وجه الحياة ، وجعلها في نظر الأحياء ليست أكثر من اقتناء الفحم الأسود و « الفحم الأبيض » والذهب الأصفر و « الذهب الأسود » ؛ ثم أغراهم بذلك وجعلهم وراءه يتراكضون تراكض الذئاب بالأظفار والأنياب في عصر العجز والقصور ، وبالفياصل والمناصل في بدء عصر التغلب والقدرة . ثم بالطائرات والغائصات والبارجات والجرارات في عصر بلوغ الأشد واكتمال السلطان ! ؟

أم أن القلب البشري لا يزال ولن يزال يعبد الظلام ويفيء إليه ويأنس بسكانه . ويرى في عالمه عبقريات يجب الرجوع إليها على فترات من الزمان ؟ ولن تزال وثنيات الجنس وخيلاء القومية وعبادة البطش وشهوات الاقتناء عقائدَ مقدسة يُفلْسَفُ لها وتصطنع في حبها ترانيم وأناشيد ، وتقدم لمذابحها قرابين من اللحوم البشرية ، ولمجامرها بخور وعطور من الأموال والمقتنيات حتى يرث الله الأرض ومن عليها ؟

أما أنا فقلبي تغمره موجة من التفاؤل الأكيد حول مستقبل سعيد قريب للانسان ، وظني أن هذه الظلمات تتمخض عن فجر أبلج وضاح يغمر آفاق الأرض غمراً طويلاً كما غمرتها هذه الظلمات طويلاً ... لأن قواد المعسكرين الهائلين المتحاربين لا ينفكون يرددون على أسماع الأمم التي في أيديهم أزمتها ومقاليدها ؛ أنهم يحاربون في سبيل خلق عالم إنساني عادل سعيد هانئ بعد الحرب ؛ فإذا حدثت القوادَ نفوسهم أن يخيسوا بعهودهم وينقضوها ، فإن المجهودين المنهوكين من جنود الحرب وعمالها

ثم لا تأخذون مد بقول روحاً سامية، ولا تستفيدون منه سمواً خلقياً

ويومئذ تجرؤون على كلمة الحق فتنقدون الأنظمة الفاسدة ، والتقاليد البالية والأوضاع الضارة . ويومئذ تنتقلون من فساد إلى صلاح ، ومن ضعف إلى قوة ، في جميع شؤونكم وفي جميع مرافق الحياة فيكم

ويومئذ تسيرون مع ركب الإنسانية للعمل لخير الإنسانية ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله

محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

ومنكوبيها سوف ينكلون بهم تنكيلاً ، سواء أكانوا منصورين أم مخذولين ، لأن الجرائم التى ارتكبت فى هذه الحرب لا تغتفرها الشعوب إلا إذا رأت أنها أسلمت الناس إلى عالم أسعد وأكمل من العالم الحالى ، ولأن الحياة الاجتماعية لا تحتمل حرباً كهذه الحرب التى تدمر الإنسان مع ما أقامه من المدن والأعمال ومخلفات التاريخ ومقدسات العقائد والوصايا الخلقية بالأطفال والعجزة والشيوخ والنساء ... ولأن حرباً بعد هذه الحرب لا بد أن تكون أدهى منها وأمر ، بحيث تسحق براعم الحياة المدنية وأصولها سحقاً لا يبقى ولا يذر ، بما وصل إليه هذا الإنسان العجيب وما سيصل إليه فى فترة السلم التى تعقب هذه الحرب ...

ويخطئ من يظن هذه الحرب صورة من ذلك العراك التقليدى بين بنى البشر ، وأنها ثورة غرائز وحب غلبة بين مجموعة ومجموعة من أمم تحب الحرب للحرب ، وتمجدها لا لشئ إلا اندفاعاً وراء تلك الغرائز والحركات التاريخية الموروثة ... إن من يظن ذلك ذو نظرة متخلفة ، لا تزال تعيش فى حدود النظرات الأولى للانسان ...

إن هذه الملحمة الكبرى تحول عميق أصيل عظيم فى توجيه الحياة ... الحياة الخاصة للأمة الواحدة ، والحياة العامة للأمم جميعاً ... فلنتيقظ لهذا ، ولنؤمن به ، ولنعمل له ...

وإن القدر يؤذن بميلاد حياة جديدة ، وابتداء دورة زمنية بعقل الإنسان وقلبه وجسمه بعدهذه الحرب الحُطَمة الضَرُوس التى تهدم مثل العالم القديم الضيقة بمثلها وأفكارها الحرة ، كما تهدم مبانيه ومخلفاته بالديناميت ...

وها هى ذى مواكبها ومراكبها وجراراتها العنيفة وزواحفها وطائراتها القاذفة والمنقضة والمترنحة والشراعية والهابطة ، وصواريخها وأبواقها وأنفاسها فى الأثير ، وعيونها الكشافة ، وحشود جيوشها الآخذة من شمال الأرض وجنوبها وشرقها وغربها فى قاراتها الخمس وبحارها السبعة ومن وراء كل أولئك عقول جبابرتها وأساطين علمائها ، ومعاملها الساحرة ومناجمها الحافرة ، ومحادثاتها السرية والجهرية ومؤامراتها والدماء والأرواح المبذولة فيها من الجيوش البيضاء والسوداء والصفراء والحمراء ، والعروش المقوضة والصوالج والمقاليد المحطمة ، والحديث عنها بكل لسان وبين كل قبيل من المتحضرين والهمج ...

ألا إن الحياة تنقل أقدامها بهذه الحرب إلى المجاهل حينما رأت أن كثيراً من بنيها لم ينهضوا بعد من مراقدهم فى الكهوف والغابات لمشاهدة مواكبها الحديثة التى دقت نواقيسها فى الآفاق ولم يشتركوا فى حمل قوائم عرشها العظيم الذى من لم يره ويدرك أسراره لا يمكن أن يقال عنه إنه ابن زمانه وإنه حقق الغاية المنشودة من إخراجه للحياة فى زمن بعينه ...

ولما رأت أن نورها فى دور السلام والاستقرار استأثر به جماعة من الأوصياء الأنانيين ، وتركوا غيرهم من القاصرين يخوضون فى الظلام والجهل ، حولت ذلك النور إلى شعل ذات لهب وحريق يأكل هذه الصدور الأثرة الأنانية التى ما عرفت قصد الحياة من وضع مصابيح النور فى أيديها وخانت أمانات الاستخلاف .

فمن الذى لا يستيقظ ويتنبه بعد كل هذه الضجة النكراء ، ويسرع إلى موكب الحياة العظيم بالجسم الخفيف القوى الصحيح والفكر اللطيف اللماح العالم ، والقلب المؤمن العارف الحامل لأمانات الحياة ؟ !

***

وإذا أعرضت الإنسانية ونسيت آلامها الحاضرة وبؤسها وشقاءها بهذه الحرب وتركت الأنظمة الجائرة الغاشمة المغلوطة تتحكم فيها فويل لها ثم ويل لها ! وويل للذين يقودونها ! وتعساً للمكتوين بنار الحرب من العمال والصناع والجنود إن لم يقفوا فى وجه اللاعبين بالشعوب !

ما أجمل إخاء العالم الإنسانى ! وما أقربه فى القلوب البريئة من أكثر الناس ! لولا الذين يورثون فى صدورهم نار الحرب والحقد ببعض الأناشيد وإثارة الذكريات الجاهلية والخيلاء العسكرية والألوان الدموية المهيجة !

إن الثيران تظل هادئة مستأنسة حتى يثيرها مثير باللون الأحمر فيحولها إلى وحوش فاتكة ...

وكذلك قطعان ابن آدم تريد الهدوء والاستئناس حتى يثيرها مثير بالكلمات الحمراء والحماس الكاذب وحب الشهرة عن طريق الحرب والتخريب حين لا يوجد مجال لبعض الرجال للشهرة عن طريق السلم والعمران وإضافة شىء إلى بناء الحياة

***

وما أعظم خسارة الإنسانية فى أبناء السلم الذين ذهبوا فى ضحايا هذه الحرب !

إنهم إنسانية عاملة مدربة ماهرة كانت قد نجت من عوامل الموت والجهل والجفوة وتعبت فى تربيتها ثقافات السلام التى استحدثت بعد الحرب العظمى الماضية

إنهم ثمار كثيرة نمت فى جمال وصحة ولكنهم الآن يموتون فى حفف الصحارى وزمهرير الثلوج . وعلى أذرع الموج الفاغر والهواء المخلخل وتحت أثقال الحديد وبين صعق القذائف ! وهكذا يذهبون طعمة لوحوش الفلوات وأسماك البحار وتتساقط أعضاؤهم بين ركام الثلوج كأنهم عصف مأكول أو هباء منثور

فما أعظم خسارة السلم فيهم بعد انتهاء الحرب حين تفتقد العنصر العامل العملة الفنية فلا توجد إلا بعد حين !

ولكنهم قربان لا بد من تقديمه فى سبيل مطلب عظيم !

وقد مات الميت فليحى الحى !

***

وما أعظم ما تحتمل أعصاب البشر ! إنهم برهنوا على أن أروحهم أقوى من الفولاذ والديناميت : إذ رضوا أن يغدوا ويروحوا على موقع هذا الموت الفظيع والعذاب الوجيع . وهم مع ذلك يطيعون وينشدون . . . وإذا رضوا أن تهدم ديارهم ومواهم وتنسف أطفالهم وحبيباتهم ...

ذلك تحرر وانطلاق فى سبيل العزة وصيانة العقائد

أين صور الأهوال ووقعها فى القديم ؟ من كان يظن أن يعيش فترة ينتظر فيها نزول الصواعق والنواسف كل لحظة من السماء ، وهو مع ذلك يأكل ويباعل ويرقص ويغنى ويقتنى الأموال وينشد الرفاء والأطفال ؟

من كان يظن أن يفعل الناس هذا وهم فى ساحات هذه القيمة ؟ ! ما أوثق ما ربط الله الإنسان بالأرض !

هذه النفس البشرية أقوى وأبقى من هذه الأهوال لأنها هى التى صنعتها ولذلك لا تخشاها ...

ألا يجوز أن يكون هذا الاحتمال الصابر الذى بدا من النفوس البشرية تحت آلام النار والحديد تدريباً لها من الأقدار العليا وإعداداً لمستقبل مجهول ستحتمل فيه آلام اختراق الحجب الكثيفة التى تحول بينها وبين علم الكثير من غيب السموات والأرض ؟ !

ألا يجوز أن يكون هذا التسابق العنيف بين الدول المتحاربة فى اختزال الأبعاد والمسافات واقتحام العقبات إنما هو حبوٌ على عتبات باب من الانطلاق والتحرر ؟

ألا إنها الطبيعة الجامدة الميتة تبس هذه الأجساد الحية الثائرة المترعة بالحياة المتجددة ، الآخذة من موارد علم الله وقوته وقدرته !

ألا إنها القوى التى طال سجنها وكمونها فى صدر الأرض ، وجدت سبيلها إلى الانطلاق والظهور على يد الابن البكر للأرض !

ألا إنها جنٌّ خفية تركب مراكبها وتتدافع منطلقة من سجونها فى التراب ...

أطلقتها يد الإنسان الذى لا يزال ذاهلاً عما يصنع ذهول النحل عما تمزج ، أو دودة القز عما تنسج !

***

هذه الحرب عملية هدم ما على الأرض وما فى نفس الإنسان ليحدث الله بعد ذلك أموراً ... ولن تنتهى إلا بعد أن تشمل موجتها كل البقاع ... استيقظ على قوارعها سكان خط الاستواء فى مجاهل القارة السوداء ، وسكان الأراضى البيضاء وما بينهما وسكان الجزر النائية المنثورة فى المحيطات وامتزجت منهم جميعاً جيوش فى جميع البقاع تقاتل فى سبيل غاية واحدة ...

وإن الأقدار تحررهم من التاريخ السيئ و « تصفى » ميراث الشراهة والحقد ...

فهذه آثار لندن العزيزة على أهلها تهدم . . . هدمها الإنجليز لا الألمان ! لأنهم لم يسلموها لهم كما سلم الفرنسيون باريس ... بل تحرروا من حبها وقدموها دون حرِّية نفوسهم وعقائدهم فى الحياة ... ولا بد أنهم قد علموا بعد أن خوت مدينتهم على عروشها أن النفس هى الباقية أو هى الجديرة بحرص المرء على بقائها سالمة كريمة وما عداها ففداء لها . وتلك حقيقة من حقائق الإيمان كان الإنجليز قد فقدوها حينما تدفقت عليهم سيول الأموال من بقاع الأمبراطورية قروناً طويلة

ولا بد أنهم تذكروا كذلك أن حرية كل شعب محكوم لهم يجب أن تكون أعز عليه من كل شىء ، بعد أن هددت حريتهم من عدو غاشم جبار فعرفوا ذلك وكانوا قد نسوه أيضاً فى تلك الفترة الطويلة التى حكموا فيها أمماً ولم تحكمهم أمة . . . وبالطبع سيكون لعلمهم وتذكرهم هاتين الحقيقتين من حقائق الإيمان أكبر الأثر فى عملهم على إقامة عالم سعيد على أنقاض القديم . وإذا نسى

الإنجليز أو تناسوا تلك الحقائق بعد هذه الحرب فسوف لا ينسى الأمريكان الذين كانوا بنجوة من الحروب الحديثة وويلاتها بعد أن تحرروا من وثنيات الأجناس والدماء المختلفة ونعرات القوميات المفرقة وسُمَار الاحتكار والاستعمار ...

* * *

أجل إن الأقدار ذات الحفاوة بالإنسان ما كانت لتترك هذه المجموعة الكبرى من الأمم التي تتكلم الإنجليزية ومن يرتبط بها في أكثر بقاع العالم دون أن توحدهم وحدة تامة بأية وسيلة لتتخذ منهم خميرة لوحدة أو شبه وحدة بين بني البشر . وقد خابت مساعى توحيدهم عن طريق السلم ، إذ عز على الإنجليز المحافظين أن ينزلوا عن كثير من تقاليد امبراطوريتهم العظيمة ، وعن حقوق الغلبة والفتح فيها ، وكانوا أولى الناس باتباع ذلك بعد أن خرجوا من الحرب الماضية منصورين . وإذ عز كذلك على الأمريكان الأحرار أن يسيروا مع الإنجليز فى نظرياتهم المحافظة فيرتدوا عن مبادئ عالمهم الجديد وثوراتهم العظيمة التى قضوا بها على خمائر الأحقاد ومواريث التاريخ السيئ فى القارات القديمة ، فعاشوا حياة جديدة فى أرض جديدة ...

فكانت هذه الحرب الحالية ردًّا سريعاً من الأقدار وعقاباً للأمم الناطقة بالإنجليزية لأنها أهملت وتوانت فى السعى المشترك المسلح لإقامة عالم أسعد وأعدل ، وكانت وحدها — ولا تزال — هى التى تستطيع أن تنهض بأعباء ذلك العالم المنشود

ولم أكد أفرغ من كتابة هذا المعنى حتى ساقت لى الأقدار دليلاً يؤيده من أقوال أحد أساطين الأمريكيين وهو المستر « وندل ويلكى » منافس « روزفلت » فى الانتخابات السابقة ... قال كما ورد فى « أهرام » ١٤ / ١ / ١٩٤٢ : « إننا جميعاً نلوم هتلر وحده ، بيد أن هذه الفكرة السطحية ليست صحيحة . فاللوم لا يقع على هتلر وحده بل ينصب علينا إلى حد ما . فلقد سمحنا فى الماضى لإنتاجنا الصناعى العظيم أن يتحكم فينا وأن يتغلب على مثلنا العليا ... »

أجل ، هذا هو موضع الداء ، وضع « ويلكى » أصبعه عليه ... فإن أمريكا كان يجب أن يكون موقفها بعد الحرب الماضية موقف « بوليس » العالم بعد أن كان انضمامها للحلفاء فى تلك الحرب أعظم مرجح لكفتهم ، وبعد أن تلقى المعسكران المتحاربان مبادئ الرئيس « ويلسن » الأربعة عشر بالحفة والقبول والاستبشار . وكان فيها المثل الأعلى المنشود ، وكان شرف أمريكا يقضى عليها أن تقوم على تنفيذ تلك المبادئ التي قدمها رئيسها باسمها ، وأن تعلن حرباً على من يخالفها حتى يفئ إلى أمرها

ولكن ما شغل به العالم بعد الحرب من التهافت على المتاع المادى للتعويض عما أصابه من آلامها ، وما رأته أمريكا من عودة ذوى النزعات المحافظة إلى أساليبهم القديمة فى مزاولة السياسة الدولية ، وما قضت به مساعى الرأسماليين والاستعماريين الألمانيين من بقاء العالم فى أدوائه القديمة ... كل هذا ثبط من عزيمة أمريكا وجعلها تترك العالم القديم فى شقائه وتقنع هى بعزلتها السعيدة

ولكن ها هى ذى يد الأقدار تمتد لتنتزعها من هناء عزلتها وتحشرها مع بنى عمومتها وتدفعها معهم فى هذه الحرب الزبون برجالها وأموالها وقضها وقضيضها ... وما أظنها ستنسى واجبها مرة ثانية حين يعود السلام . ومن هنا ينبعث نور الأمل . لأن أمريكا عملٌ عظيم فى طريق أمل أعظم !

* * *

وبعد ، فإن ذكرى هجرة الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ينبغى أن تبعث فى قلوب المسلمين روح الاستعداد لانتقال عظيم يجب أن يقدموا عليه بعد هذه الحرب للوقوف فى صفوف الأمم التى ستشترك فى إقامة الحياة العادلة السعيدة التى تخدم أهداف الإنسانية جميعاً . وإنهم لجديرون أن يقدموا للعالم أعظم المبادئ التى تقوم عليها السلامة الإجماعية والمساواة الفردية والدولية التى تنشدها الأمم وتنادى بها فى كفاحها

فليهاجروا إلى حياة الحق والعدالة التى فى دينهم بأرواحهم وأفكارهم حتى يكونوا نماذج مجسمة لما سيقدمونه للعالم بعد الحرب من مبادئ وحلول للعقد والمشكلات

وليعلموا أن هذا هو أوان التبشير والدعوة إلى مبادئ دينهم العالمى الذى قام على أصول أديان الحق التى ارتضتها البشرية فى المشرق والمغرب ...

« ولقد كتَبنا فى الزَّبُور من بعد الذكر أن الأرضَ يرثها عبادىَ الصالحون »

عبد المنعم محمد خلاف

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى الجنحة ن ٤٠٣ سنة ٩٤١ بحبس زينب المرسى حسن من سندوب شهراً بالشغل لبيعها فحماً بسعر زائد عن المحدد

من وحي النبي

معجزة العنكبوت

للأستاذ محمود حسن اسماعيل



[مشهد غنائي تنبع موسيقاه من الغار الذى أوى إليه النبي العربى الخالد مع صفيه « الصديق » فى جبل « ثور » خوفاً من أذى المشركين الذين اقتفوا أثر « المصطفى » فى طريقه إلى المدينة يوم الهجرة] .

(أبطال المشهد : العنكبوت ، الحمامتان ، الثعبان)

العنكبوت يغنى (وهو ينسج خيوطه بعد أن دخل النبي وصديقه الغار) :

فى سبيل الله دُورى   يا خيوطى فى الأثير
أنا نساج الحصون الشـ   ـمّ من أوهى الستور
وقف الدهر على با   بى مذعور الضمير
وحجاب الشمس لا قا   نى بأجفان الضرير
والضحى خرّ كليلا   فوق أعتابى أسير
أنا شك جاء يحمى   كلّ إيمان الدهور
أرسلتنى قدرة اللـ   ـه أمن المستجير !
قد وهى بيتى ... ولكن   صار محراب العصور
بالذى أخفى من الأنـ   ـوار فى وجه البشير ...
فارفعى يا حكمتى سدّا   على بطش المغير
وتغنّى يا خيوطى   ثم دورى ! ثم دورى !

الحمامة الأولى (وقد وجدتا نفسيهما فجأة على باب الغار يقفان ويسمعان نشيد العنكبوت) :

أختاه ! ماذا دهانا   فلمْ نعد فى حمانا ؟ !
ماذا ؟ ! رمال ، ونور   وعنكبوت شجانا ...
والبيد قلب ترامى   على الثرى حيرانا
وسامع ، ومناد   وأعين لا ترانا
وضجة فى الفيافى   حسبتها بركانا
لعل ريحا عتيا   على الصخور رمانا
فضللتنا خطانا   وأوحشتنا ربانا
أختاه ! ماذا ؟ ...

الحمامة الثانية :

... رويدا   فقد ضللت البيانا
فما تركنا ربانا   لكن هجرنا الزمانا
لذلك الغار جئنا   نلقى عليه الأمانا
ففيه هالة نور   تفجّر الإيمانا
طافت بمكة حينا   فذ كت الطغيانا
ولاح منها شعاع   يكبكب الأوثانا
فالمشركون لديها   مشهّمون حزانى
خرّوا سجودا ، وأرخوا   لصفحتيها العنانا !
إلا بقايا ضلال   تساور العميانا
ساقت إلى النور جيشا   مفزّعا ، غضبانا

فَهَاجَرَ النُّورُ حَتَّى أَلْـقَى العَصَا فِي حِمَانَا
ضَيْفٌ ! وَكُلُّ البَرَايَا فِي حُبِّهِ تَتَفَانَى ...
فَالعَنْـكَبُوتُ يُغَـنِّى وَيَنْسِـجُ النِّسْيَـانَا
وَنَحْنُ نُلْـقِي نَشِيدًا نُشْـجِي بِهِ الأَكْوَانَا
وَنَسْحَرُ الجَيْشَ حَتَّى يَفِرَّ حِينَ يَرَانَا
هَيَّـا نُغَـنِّى ...

الحمامة الأولى :

. . . . . . وَهَيَّـا نُرَقِّصُ العِيـدَانَا . . .

تغنيان معاً :

نَحْنُ بِأَرْضِ العَرَبِ حَارِسَتَـانِ لِلنَّـبِي
مِنْ وَحْيِهِ ، وَطُهْرِهِ وَنُورِهِ المُحَجَّـبِ
نُذِيعُ لِلدُّنْيَا صَدًى بِمِثْـلِهِ لَمْ تَطْرَبِ ...

***

نَحْنُ لِمَبْعُوثِ السَّمَا أَقْدَسُ طَـيْرٍ رَنَّمَـا
غَرِيبَتَـانِ حَلَّتَـا أَطْهَرَ وَادٍ فِي الحِمَى
فَغَنَّتَـا لِدِينِـهِ لَحْنًا يُذِيبُ الصُّمَّا . . .

الثعبان (خاشعاً مطرقاً بين يدى المصطفى بعد أن لدغ الصديق) :

نَبِيَّ اللهِ . . . يَا هَادِي وَيَا تَرْنِيمَـةَ الحَادِي
وَيَا تَسْبِيحَةَ الكُثْبَا نِ ، وَالرُّكْبَانِ فِي الوَادِي
وَيَا تَوْبَةَ آثَامِ اللَّيَـالِي . . . تَابَ إِنْشَادِي
وَجِئْتُكَ خَاشِعًا . . . مَاتَتْ نَوَافِثُ سُمِّيَ العَـادِي
وَصَاحَ بِقَلْبِيَ الغُفْرَا نُ صَيْحَةَ مُغْرَقٍ صَادِ
أَغِثْ لَهَفِي ! وَطَهِّرْ نَا رَ تَسْبِيحِي وَأَوْزَادِي
لَدَغْتُ صَفِيَّكَ « الصِّدِّ يقَ » حِينَ هَفَا لِإِبْعَادِي
وَخِفْتُ أَذُوقُ حِرْمَانَ السَّـنَا مِنْ طَيْفِكَ الهَادِي

[« سراقة » يمر على الغار ممتطياً جواده
متقصياً أثر النبي ... فضلله بيت العنكبوت
وطمأنينة الحمام ... فأعرض عن باب الغار
وعاد خائباً ... !]

(لها بقية) **محمود حسن اسماعيل**

العام الهجري

عبرة العبر

للأستاذ عبد العزيز البشري



هذه الشمس تطالع العالم بجفنيها من جانب الأفق . وما تلبث أن تتسلل منه رويداً رويداً حتى يستوى إطارها على متنه . وما تزال في خلال ذلك تضاعف ما تُرسل على وجه الأرض من خيوطها العسجدية . وكذلك ما تزال تمطُل فيها وتبسُطها من الشرق إلى الغرب . وهكذا تظلّ تحبو في مَدرَجها إلى قبة الفَلك . وكلما حطت بالزمن خطوة ، رأيتها تشتدّ وتترعرع ، ويسطع ضوؤها . ويحمى وهجها إلى أن تبلغ الذروة ، وتستوى على أعلى الأوج .

وأنت خبيرٌ بأنه ليس بعدَ الصعود إلاّ الهبوط ، فهذه سنّة الله تعالى في كونه ؛ وكذلك تجرى سنّتُه على هذا الكائن العظيم ؛ فليس بعجيب أن يَدعو الفلكيون هذه اللحظة ، أعنى لحظة استواء الشمس في أعلى الأوج بالزوال ، إذ كان بدء الزوال ، هو غاية الكمال !

وهذه الشمس تمشى إلى الغرب في منحدرها كذلك رويداً رويداً ، كما تتداخلها الشيخوخةُ فالهَرم رويداً رويداً ؛ حتى إذا اصفرّ لونها ، وبَردت السنُّ من جرمها ، جعلت تَتدلى في قبرها من مغرب الأفق مستمهلةً مستأنية ؛ وهكذا تغيب في لحدها ، غير تاركة من التُّراثِ إلاّ صُبابةً من الذهب المذاب ، سرعان ما تتبختر في حلَك الظلام . وقد تترك تراثها الفضى على صفحة القمر . يرفد العالَم به بعض ليالى الشهر .

تلك سِيرة الشمس كلَّ يوم : ميلادٌ فترعرع ففتوة ، فشبابٌ وفراهة وقوة ، وكهولةٌ فشيخوخة فهَرم ، فتدسّ في النباية تحت الرجَمَ . وسبحان الحىّ الذى لا يموت !

على أنها في جميع مراحل حياتها عاملةٌ جادّة جاهدة ، لا تنى عن السعي لحظةً واحدة . فها هى ذهِ تَستنبت الأرض ، وتُزكى الزرع . وتبسّق الشجر ، وتنضج الثمر . وتفتّح من أكامه الزَهر . ثم ها هى تى ، في عنفوانها . ما تفتأ تجتذب البخار ، عذباً سائغاً من أُجاج البحار (١) ؛ حتى إذا انعقد سحاباً ، سَحّ فأخصَب قفراً وأعشب يباباً . وهذه الأنهارُ الجارية تُسمّوها في أقطار الأرض ، تبعث أسباب الحياة لكل مُتبغّى للحياة . وكذلك لا ننسَ أنها ما تَبرح تعمل عامّةَ النهار ، في تطهير الأرض مما يَعلَق بجسدها من الأخباث والأوضار .

فأىّ عنصر ، لعمرى ، من حياة هذا العالَم يمكن أن يغنَى عن الشمس ؟ ألا إنها لمصدَر الحياة جميعاً ؛ فحَقّ للعالم أن يقول : إنما الحياة الشمس ، وإنما الشمسُ الحياة !

***

أيتها الشمس ! ما أحسنك وأجلك ، وما أطيبك وأكرمك ! تعملين لأول الدهر إلى غاية الدهر . في غير ونًى ولا سأم ، ولا ضجر ولا بَرَم ، ولا صلف ولا استعلاء . ولا زهو ولا كبرياء . ولو شاء الله لأهلك بحرك بعض الأقواه . ولو قد شاء لأهلك بطول حجبك جميع الأنام !

***

وبعد ، فما أخلق الذين يمسهم حظ من المجد في هذه الدنيا ،

---

(١) كان المعرى ، رحمة الله عليه ، لا يؤمن بهذه القضية : (اشتقاق العذب من أمواه البحار) ، إذ تراه يقول في بعض شعره :

وقد يجتدى فضل الغمام وإنما من البحر ، فيما يزعم الناس، يجتدى

كما يقول في بعض رسائله : (أو كالمواه ، في مذهب لا أعتقده ، وقول سواى من يسدده ، يجتذب أجزاء البحار ، فيستق من تحته عذب الأمطار) !

والذين يمسون صدراً من السلطان فيها أن يتنفوا لسيرهم من سيرة هذه الشمس أعلى المثل . فيعملوا كل فى محيطه للنفع العام فى جد ودأب ، مؤمنين كل الإيمان أن الموهبة والسلطان إنما ينبغى أن يكونا ملكا خالصاً للمجموع لا لأحد من الناس ولا لشىء من الأشياء .

على أن مما يفجع حقاً أن كثرة من هؤلاء الذين ينالون مجداً ويولون سلطاناً سواء أكان أقام من ثم لهم هذا فى جماعة أم فى شعب أم فى شعوب — سرعان ما ينسون كل شىء لأن الأثرة قد ملكت من نفوسهم كل شىء . فنفوسهم هى المبدأ ، ونفوسهم هى الغاية . حتى إذا أجالوا الفكر فى منافع الجماعات ، فلا لأنهم يؤثرون هذه الجماعات نفعاً أو يبتغون لها خيراً ، بل لأنهم إنما يطلبون من هـذا السعى مراماً لأنفسهم لا لشىء آخر ، وقد يكون هذا المرام ، فى أعف الصور هو إحراز المجد . أما ما يقع من خير المجموع ، أو ما يحتمل أن يقع ، فليس أكثر من طريق !

وكيفما كان الأمر ، فإنه ما يكاد أحد هؤلاء يحس مجده ويستشعر سلطانه ، حتى يَوْرم أنفه ، ويتداخله من الصلف والمخيلة ما يملؤه اعتقاداً بأن الرأى فى الأمر ليس إلا ما يرى هو ، وأن ما سواه لا صلاح له ولا خير فيه ، بل لقد يكون كله شراً وفساداً .

ولقد يشتد طغيان هذه الخَلة على المرء ، فيرى أن الناس لا ينبغى أن ينظروا إلا بعينه ، ولا يسمعوا إلا بأذنه ، بل إنه ليرى أن من العبث الضار أن يجري فكرهم بغير ما يجرى به فكره ، وأن تنتهى آراؤهم على غير ما ينتهى إليه رأيه . فإذا خالفه امرؤ إلى غير هذا ، كان بين اثنين : إما ملتاث ممخرق ، وإما معاند مكابر يجب أن يعجل له سوء العذاب !

وفى الحق أن أكثر من يغمرهم هذا الطغيان ، إنما يرون ما يرون ويفعلون ما يفعلون ، عن ثبات إيمان ورسوخ اعتقاد !

وما ظنك بمن تطبعهم شدة الأثرة على الإيمان بأنهم مبعوثون من لدن رب السموات لإصلاح ما فسد فى رقعة من الأرض أو فى رقاع الأرض جميعاً ؟ فاليهم وحدهم عهد الله بالاضطلاع بهذا المهم . وعليهم وحدهم تقع تبعة التقصير فى علاجه ، والتراخى فى إمضائه وإكماله !

وهؤلاء لا يطلبون الأعوان والأنصار ليعاونوهم بصدق الرأى وصالح المشورة ؛ ولكن ليعاونوهم بقوة المظهر وإمضاء ما قضى به الوحى الذى لا يخطئ أبداً !

فإذا تعاظمك ما يختلف على هذه الأرض من عصور العنت والطغيان : تخرب العامر ، وتدمر القائم ، وتقفر الآهل ، وتراق فيه الدماء بغير حساب ، وتزهق النفوس لغير سبب من الأسباب : إذا تعاظمك هذا فى عصور الدهر المتتابعة ، فاعلم أن علته تلك الخَلة الفاجرة فى الإنسان !

* * *

وأمس ، لقد أتمت دورة الشمس حولاً سلكته فى عقد التاريخ أيضاً ، وآذنت العالم بفجر حول جديد

وإن ذاك العام المدبر ، وهذا العام المقبل ، لهما — كما تعلم — من أعوام الهجرة ، هجرة محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه من مكة إلى المدينة ، وقد سعد بها الإسلام ، فسعد بسلطانه الأنام

وبعد ، فلست بحاجة إلى أن أحدثك عما كان قد غشى الأرض جميعاً من ظلم وفساد ، وتصدع فى النفوس وتضعضع فى الأخلاق ، حتى كاد يقضى على الأمم بعدم الصلاحية للبقاء ، إلى أن بعث محمد من عند الله حقاً ، فبلغ رسالته إلى الناس ، كما أوحى إليه بها ربه حقاً ، فكان ما شهد التاريخ من ذلك الفتح والإصلاح والإسعاد

ولا أحب أن أطيل فى وصف ذلك الإصلاح والإسعاد ، فيحسبهما أن تنزّل بآياتهما وحى كريم ، من عند الله العلىّ العظيم

وإنما أقف وقفة قصيرة عند سيرة من خلفوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، ولم يؤيَّد أحد منهم بوحى سماوى ، ولا حُبى بالعصمة التى حُبى بها الأنبياء ، إنما هم أناسىّ مثل سائر الناس .

وإذا كان خلفاء الرسول قد ارتفعوا على سائر الناس ، فبأنهم إنما ساروا سيرة هذه الشمس التى تطالعهم كل صباح وتغرب عنهم كل مساء ، على أنها هى إنما تعمل لعالم الأجساد والأجرام ،

أما هم فيعملون لعالم النفوس والأرواح .

يعملون جادّين جاهدين . لا يبتغون من سعيهم نفعاً ، ولا يريغون من ورائه فخراً ولا ذكراً ، لأنهم أشد أمانةً من أن يقتطعوا لأنفسهم أو لذويهم شيئاً مما ينبغي أن يجرَّد كله للنفع العام .

يعملون لا مستبدّين بالرأى ولا مستأثرين ؛ بل مشاورين مصغين مسرعين . حتى إذا اتسق لهم الرأى الذى يرون فيه منفعة المجموع ، أسرعوا إلى إمضائه ولو جاء من أصغر الجميع .

أما رأى الجماعة ، فشرعٌ عندهم مشروع ، وقضاءٌ مبرمٌ محتوم .

يعملون صادقين مخلصين لله وللنفع العام . لا كبر ولا مخيلة ولا استئثار بمنفعة من المنصب والجاه ، بل ليس عندهم إلا الإيثار والتواضع ، والرقة للضعفاء . وهيهات أن يؤثروا أحداً على أحد إلا بطاعة الله وما قدم من الخير للمجموع .

ولعمرى ، لتلك أعلى صور الديمقراطية التى يحلم بها أجلّ الفلاسفة من قديم الزمان

وإذا كان هؤلاء الخلفاء قد انعقد لهم أعظم المجد ، المجد الخالد على الدهر ، فلأنهم لم يريغوه ولم يسعوا له ، ولم يشغل هو جزءاً من نفوسهم جليلاً ولا دقيقاً !

***

وبعد ، فلا شك أن مما أصفاهم لطلب النفع العام ، وتجافى بهم عن الاستئثار حتى بالنفع الخاص ، هو طول الذكر للموت . وكيف لهم بنسيانه ، وهذه الشمس العظيمة ، باعثة الحياة والحركة فى العالم تموت كل يوم ، بمرأى منهم ، بعد أقوى الحياة ، ولكل شئ نهاية ، ولكل سائلةٍ قرار !

وإذا كانت الشمس تعود كل يوم تتوالى سعيها فى النفع والتجديد والإحياء ، فإن زعيما لن يعود بعد موته ، ولو لإصلاح ما عسى أن يكون قد أفسد وتعمير ما عسى أن يكون قد خرب . فما له ، بعد الموت بالأمر يدان !

هذا بعض ما يلهمه حديث الهجرة ، وإن فيه لعبرة .

عبد العزيز البشرى

بطولة محمد

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازني



لا أعرف ولا أحسب أن غيري يعرف ما يشبه — أو يقارب — بطولة محمد صلى الله عليه وسلم . ولست أنسى أني مسلم ولكني مسلم بالعقل قبل أن أكون مسلماً بالوراثة والنشأة . ولست أخشى أن أتهم بالتعصب لصاحب هذا الدين . على أني لا أعني بالبطولة الشجاعة في الحرب ، والجرأة في الكر والفر ، والإقدام على مقارعة أحلاس القتال ومنازلة الأعداء في حومات الوغى ، فما كان صلى الله عليه وسلم يعني بالاشتراك في القتال بسيف أو رمح ؛ وكان يشهد المعارك ويصحب رجاله ولكنه لا ينزل إلى الحومة بنفسه ولا يخوض المعمعة مع أنصاره وإن كان يوجههم . وما كانت مزيته أنه أطعن الناس برمح ، أو أسدهم ساعداً ، وإنما كان نبياً وصاحب دعوة ، ورسولاً بدين ، ومعلماً ومرشداً وهادياً ، وحسب من شاء أن يقدر بطولة محمد أن يتأمل حياته وسيرته لا في مكة وحدها بل بعد الهجرة منها إلى المدينة أيضاً وإلى آخر حياته ، فقد جاء بدين ينقض كل ما قامت عليه حياة العرب في زمانه من عقائد وتقاليد وعادات وآراء ؛ ولا يُرضي حتى أهله ، لأنه يحرمهم مزاياهم وما كانوا ينعمون به من عزة في الجاهلية ؛ ولم يجد من يؤمن به وبرسالته إلا قلة لا غناء لها ، ولقي من الضيم والعذاب والأذى والمطاردة والاضطهاد ، ما لم نعهد في البشر إطاقته والصبر عليه ؛ وحوصر في الشعب ثلاث سنين بلا أمل أو نصير ؛ وقاسى من المحن أقسى ما يخطر على البال ؛ ومع ذلك لم يلن ولم يضعف ، ولم يكد يخرج من هذا الشّعب حتى مضى وحده وبمفرده إلى الطائف يدعو إلى ترك الأوثان وإلى عبادة الواحد الأحد ، فلم يقابَل بغير الإهانة والزراية من الكبراء ، والرمي بالحجارة من الصبية والجهال ، حتى سال منه الدم فعاد إلى مكة لا يائساً بل مواصلاً بث دعوته وتبليغ رسالته ، وظل صابراً مواظباً محتملاً ما يلقى في سبيل الله من الأذى البليغ والعنت الشديد ثلاثة عشر عاماً من يوم تلقى الوحي . ولما اعتزم الهجرة بعد أن مهد لها لم يخرج إلا بعد أن رحل عن مكة معظم أنصاره وأمن واطمأن عليهم ، ووثق بنجاتهم وسلامتهم . وهذا ثبات كان خليقاً وحده أن يقنع الذين كتبوا عنه من الأجانب بأنه لا يمكن ولا يعقل أن يكون من « دجال » كما وصفه بعضهم

وقد كتب « واشنطون إيرفنج » عن بواعث محمد يقول :

« أكانت الثروة ؟ لقد أفاده زواجه من خديجة الغنى ، فظل سنوات قبل الوحي لا يبدي رغبة في زيادة ثروته . أم كان يطلب المنازل الملحوظة ؟ لقد كانت منزلته عالية في قومه ، وكان معروفاً بينهم بالفضل والأمانة ، وكان من قريش ومن أكرم فرع فيها ، وكانت سدانة الكعبة وما تفيده من العز والسلطان في أسرته منذ أجيال ، وكان من حقه أن يتطلع إليها ، فلما قام يحاول أن يهدم الدين الذي نشأ عليه قومه اقتلع جذور هذه المزايا جميعاً ، فقد كانت ثروة أهله ومنزلتهم قائمتين على هذا الدين فهاجمه وجر على نفسه عداوة أهله وغضب مواطنيه وسخطهم جميعاً

ويمضي إيرفنج في تقصيه فيسأل : هل كان هناك في بداية سيرته النبوية ما يبعث الأمل أو يعوّض هذه التضحيات ؟ ورد على ذلك فيقول : إن الأمر كان على النقيض ، فقد بدأ محاذراً متوخياً الكتمان وظل سنوات غير موفق ؛ وعلى قدر توسعه في بث دعوته ، وإذاعة رسالته ، كان يشتد ويعظم ما يلقى من العنت والسخريّة والأذى والاضطهاد ، واضطرّ بعض أهله

وأنصاره أن يفروا إلى بلاد أخرى ، واحتاج هو نفسه آخر الأمر أن يهاجر إلى بلد غير مكة ، فلماذا كان يصبر كل هذه السنوات الطويلات على «دجال» يسلبه كل متاع الدنيا في سن لا تسمح بأن يبدأ المرء حياته مرة أخرى ؟ فما قام بالدعوة إلا بعد الأربعين وقضى في مكة ثلاثة عشر عاماً ، وكان تاجراً حسن الحال فهاجر منها فقيراً معدماً ، لا يعرف ما كتب الله له في غيبه من النصر ، ولا يبغى أكثر من أن يبنى مسجداً يعبد فيه ربه ، ولا يرجو إلا أن يعبد الله في سلام . ولما جاءه النصر لم يتكبر ، ولم يتجبر ، ولم يغتر ، كما يفعل الذين ينشدون المآرب الشخصية والغايات الخاصة ، بل خفض ، وهو في أوج قوته ، على بساطته أيام ضعفه

وقد جاءه نصر الله بعد الهجرة ، ولكن الأيام لم تجر كلها بالسعود في المدينة ؛ وإذا كان قد انتصر كثيراً فقد انهزم أحياناً ، فلا النصر أبطره . ولا الهزيمة أضعفت روحه أو فتت في عضده . ولعل القدرة على احتمال النصر أدل على العظمة من القدرة على احتمال الخيبة ؛ ولكنه لم يكن من الهين على من احتمل مثله ثلاثة عشر عاماً من المتاعب أن يصبر على هزيمة جديدة ... وكان عليه أن يضع للجماعة الإسلامية في المدينة النواميس والنظم في السلم والحرب . وهو فيما أعلم الوحيد الذى بلغ الرسالة كلها . وأتم عمله أجمعه في حياته ، فأكمل الدين ، وأسس الدولة . ووضع القواعد كلها ، ووجه الأمة الجديدة الوجهة التي فيها الخير والصلاح والعز . وليس لهذا مثيل في التاريخ — قديمه وحديثه — . وهنا ينبغي أن نذكر أن مسافة الزمن التي تم فيها كل هذا كانت قصيرة جداً ، وأن دينه كان جديداً ، يخالف كل ما وجد عليه العرب . وفي هذه المدة الوجيزة لم يغير للعرب عاداتهم وحدها ، بل غير نفوسهم أيضاً . ولا شك أن صرف امرئ عن عبادة حجر أو نحوه أهون جداً من صب النفس في قالب جديد . وقد خلق من هؤلاء العرب المتنافرين المتعادين المتهالكين رجالاً يعدون في طليعة أبطال العالم . وماذا كان هؤلاء جميعاً خليقين أن يكونوا لولا محمد ؟ ونعني بهم أبطال التاريخ الإسلامي من مثل الخلفاء والولاة والقواد والفقهاء ... أكان أحد يمكن أن يسمع بهم ؟ ؟ لا أظن ! ولا شك أنهم كانوا خلقاء أن يكونوا شيئاً مذكوراً بين قومهم ، ولكن قومهم أجمعين لم يكونوا شيئاً . وما قيمة قوم انقسموا قبائل متعادية لا أثر لها في الحياة ، ولا يعبأ بها حتى من يجاورها من الأمم ؟ ومن هذه العناصر خلق محمد أمة عظيمة فتحت الدنيا ، ونشرت الدين ، وأهدت إلى العالم حضارة كبيرة غيرت مجرى التاريخ الإنساني كله

ولا يتسع المقام للافاضة في هذه المعاني . ومن أجل هذا أكتفي بأن أقول إن محمداً أعظم عظيم خلقه الله . وأزيد على هذا أني كنت في صدر حياتي أستهجن قول من يقول إن العرب خير الأمم وأفضلها ، وأرى ذلك من الغرور ، ولكني الآن صرت أعذر من يقول هذا . ولست مغرى بالمفاضلة بين الأمم ولا أنا أرى داعياً لهذا ، فإن كل أمة تؤدي في الحياة رسالتها على قدر طاقتها ، ولكن أمة تنجب محمداً ، هل يلام من يقول إنها أعظم الأمم ؟

ابرهيم عبد القادر المازني

حكمت محكمة المنصورة العسكرية في القضية رقم ٩ سنة **١٩٤٢** بحبس عبد المطلب عامر من كفر عوض شهر بالشغل والنشر على نفقته لبيعه بترولا بسعر يزيد عن التسعيرة .

في الطريق إلى قرطبة

للأستاذ محمود تيمور



[عندما استتب الأمر لأبي العباس السفاح أول خلفاء العباسيين هرب الأمير عبد الرحمن الأموي من العراق ووجهته الأندلس ليتسنم عرش الامارة فيها بمعاونة أنصاره الأمويين . فبينما كان في شمال أفريقيا وقعت له هذه الحادثة التي نرويها]

كان القمر ينشر نوره الفضي على قرية «مغيلة» في مراكش ، فتبدو الدور على ضوئه الهادئ كأنها تتمطى مبتسمة رافعة هاماتها إلى السماء تنفض عنها فتور النوم . في تلك الساعة التي بدأت فيها القرية تتنفس كان يسير في طريق من طرقاتها المهجورة رجل طويل القامة نحيف الجسم ملتف بعباءة دكناء ووجهه ملثم . كان يسير سيراً حثيثاً في مشية حذرة ، متجنباً الأماكن التي انجلت عنها غبشة الليـل ، تدل مظاهره التي يجتهد في إخفائها على الامارة والجاه . ولما دنا من دار « وانسوس » رئيس أقوى قبائل البربر في تلك الجهة توقف عن السير والتفت حوله ثم دفع الباب في سكون ودخل ، ثم أحكم إغلاقه خلفه ، وما إن خطا بضع خطوات ، حتى تقدم إليه «وانسوس» في خضوع وقال في صوت خافت :

— مولاي الأمير

— كدت أضل الطريق

وبدأ الزائر يرفع لثامه ويحل عباءته ، فظهر عارضاه الخفيفان وبانت ضفيرتاه على ظهره ، وسار بخطوات رزينة وخلفه « وانسوس » ؛ وقال :

— هل أحضر « بدر » الجواهر ؟

— أحضرها يا مولاي وهي وديعة عندي لا تستطيع أن تمتد إليها يد إنسان

— وماذا قال لك ؟

— إن أختك « أم الأصبغ » تقرئك السلام وتقول لك إنها سترسل لك غيرها

— بورك فيها . . ومـاذا بعد ذلك يا « وانسوس » ؟

— إن وهب بن الأصفر وشاكر بن أبي الأشمط يستحثانك على السفر ، إن المركب معد وهم في انتظارك

وكانا قد بلغا بهواً تتوسطه نافورة وقد نثرت بجوار حيطانه وسائد عريضة ؛ فوقف الأمير أمام النافورة يتأمل المياه ويداه مثنيتان على صدره وقال :

— وأهل الأندلس ؟

— يرحبون بمقدمك لتنقذهم من أميرها يوسف بن عبد الرحمن الفهري . هناك أبناء عمومتك يا مولاي ومعهم أنصارهم الأقوياء ثم لا تنس القبائل اليمنية

— هذه حطمتها قوات الفهري

— بل ما زالت محتفظة برجالها الأقوياء

— إن الحروب الأهلية يا «وانسوس» قد نهكت الأندلس ، وعمها القحط وجلا كثير من أهلها عنها ؛ فإذا أردنا أن نستعجل النصر فلنعتمد على الذهب نكسب به الأنصار

ودخلت في تلك اللحظة « تكفات » زوجة « وانسوس » وكانت امرأة بدينة تلبس إزاراً واسعاً . دخلت في عجلة واضطراب وهي مكفهرة الوجه وقالت :

— بينما كنت على السطح في مكاني المخصص للمراقبة أبصرت رهطاً من الرجال مقبلين في سرعة وتلصص نحو الدار ، فاشككت أنهم من رجال ابن حبيب

فتغضن وجه الأمير وقال بصوت أجش :

— لقد وشى بي الواشون

وهرع وانسوس إلى البرج ليستعلم الخبر ثم عاد مضطرباً وهو يقول :

— عجل يا مولاي بالهرب

وجرى الإثنان نحو البرج ، ولكن ما كادا يطلان منه حتى عادا أدراجهما والأمير يتمتم :

— لقد أحاطوا بالدار

وسمعت فى هذه اللحظة جلبة عالية فى الخارج فيها وعيد وتهديد وطرح الأمير عبد الرحمن عباءته واستل سيفه ووقف وقفة الجبار ناظراً إلى باب البهو وقد انطبع على محياه المهيب عزم رهيب وقال :

— إنى لأشعر بأرواح بنى أمية كلها قد تقمصت جسدى فليأت ابن حبيب وجيشه وليجرب حظه معى

واشتدت الجلبة وسمع قرع قوى على الباب وأصوات تقول :

— افتحوا . . .

وقال الأمير لوانسوس :

— إذهب وافتح الباب

ووقف وانسوس متردداً

وتكرر القرع بحماس شديد . وسمع الباب يهتز ويتقلقل والأصوات تتعالى فى سخط مرددة :

افتحوا . افتحوا . . .

فقال الأمير وهو ينظر إلى وانسوس نظراً حاداً :

— لقد أمرتك أن تفتح الباب

فقال وانسوس فى ذلة ويأس :

— الأمر لك يا مولاى

وذهب قاصداً الباب . وما كاد يخرج حتى أشرق وجه تكفات بغتة ولمعت عيناها . وتقدمت فى جرأة غريبة نحو الأمير وقالت :

— إنها لحظة من لحظات الدهر الخالدة . فإما إلى العرش وإما إلى القبر ... تعال

* * *

وفتح وانسوس الباب فتدفق الرجال فى صحن الدار وضجتهم تسبقهم ، ووقف زعيمهم مكشراً أمام وانسوس وقال :

قبضوا على هذا الخائن ...

وفى لحظة كان وانسوس مقيداً وملقى بجوار الحائط ؛ وأتم الزعيم أمره قائلاً :

— دونكم الدار فلا تتركوا مخبأ إلا دخلتموه ، أو ركناً إلا فتشتموه ، وإياكم ألا تعثروا عليه

فانتشر الرجال فى الدار يفتشون ، وسار الزعيم فى رهط من أنصاره قاصداً إلى بهو النافورة واختفى الجميع فيه

* * *

ومضى الوقت ووانسوس ملقى بجوار الحائط يصغى بأذن مرهفة إلى ضجيج الرجال فى داخل داره وعيناه الحائرتان لا تفارقان باب البهو

وأخيراً فتح الباب وخرج منه الزعيم وخلفه رجاله . ولما دنا من وانسوس ألقى عليه نظرة احتقار ثم التفت إلى جماعة بالقرب منه وقال :

— حلّوا وثاق هذا الرجل

ثم سار فى عجلة نحو الباب وهو يدمدم بكلمات غير مفهومة وخرج والجميع فى أثره . وقام وانسوس وهو يفرك عينيه دهشاً ، وبعد أن أحكم قفل الباب سار مهرولاً إلى بهو النافورة فوجد زوجته « تكفات » جالسة على إحدى الوسائد متكئة بظهرها على الحائط ؛ فما شك وانسوس أن قواها خارت من الخوف . فأقبل عليها وسألها قائلاً :

— أين الأمير ؟

وفى لحظة كشفت إزارها الواسع فخرج من بينه الأمير ؛ وما إن توسط البهو حتى قال :

— تالله إن عرش الأندلس لمدين «لتكفات» بهذه الحيلة . لن أنسى لك هذا الجميل يا « تكفات »

فانحنت المرأة أمامه فى خضوع

ووقف الأمير عبدالرحمن أمام النافورة ويداه مثنيتان إلى صدره ، وقال وقد سطع على وجهه العزم واليقين فى صوت ممتلئ قوى :

لقد بت أعتقد أن العناية تساعدنى . فهناك على شاطئ الفرات حيث كانت فرسان أبى العباس تلاحقنى أنا وأخى نجوت بأعجوبة لم أكن أحلم بها فى حين أن أخى قد عاكسه القدر فقُبض عليه وقُتل على مرأى منى . وهنا تمر بى رجال أبى حبيب وأنا على بعد خطوات منهم فلا يخامرهم شك فى أنى غير موجود

وأرسلت عيناه وميضاً عجيباً ، والتفت حوله وهو رافع الرأس كأسد منتصر على فريسته وقال :

— إيه أيها القدر ! تعصمنى والعباسيون يتهالكون على الفتك بى ، يطاردوننى فى كل شبر من الأرض ... إنى لأرى الأندلس تدنو منى كما يدنو مقبض هذا السيف من يمينى

محمود تيمور

حكم فى الجنحة المستأنفة رقم ٩٦٩٨ سنة ٩٤٠ ضد محمد حسن عراقى بتغريمه ٥٠ قرشاً ونشر الحكم بمجلة الرسالة والثقافة لبيعه كبريتاً أزيد من التسعيرة

الإسلام دين لا دولة

للدكتور زكي مبارك



أعترف بأني مُقبل على متاعب في تحرير هذا البحث ، لأني أكره أن يكون ضرباً من الحديث المُعاد، وما تريد « الرسالة » في مثل هذا العدد أن تعيد كلاماً فرغ منه الناس منذ أجيال .

وأعترف أيضاً بأني لا أجهل الفرق بين حياة الباحثين لهذا العهد وحياة من سبقوهم في سالف العهود ، فأسلافنا في سلف كانوا يقسمون الجمهور إلى قسمين : قسم العوامّ وقسم الخواصّ ؛ ولم يكن العاميّ هو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، كما نقول اليوم ، وإنما كان العاميّ هو الذي لا يدرك من مرامي القرآن والحديث ما يستطيع به تعقّب أقوال الباحثين بالتعديل والتجريح ، ولهذا كان يتفق أن يسير في العصر الواحد آراء تختلف وتقتتل بدون أن يشعر أصحابها بأنهم مهدّدون بسوء القالة بين الناس ، إلا أن يكون في آرائهم ما يؤذى الخلفاء أو الملوك أو الوزراء ، وهؤلاء أيضاً كان لجبروتهم حدود ، لأنهم كانوا في الأغلب من أكابر الرجال ، وعلى علم بالزائف والصحيح من الآراء .

أما اليوم ، فمن حق من يقرأ ويكتب أن يعدّ نفسه من الخواصّ ، وأن يتعقّب الباحثين في الشئون الدينية كيف شاء ، ولو لم يتفق له الاطلاع على كتابٍ واحد من كتب الفقه والحديث

وأقول بعد هذا التمهيد : إني سأفترض قلمي باحثاً يقف من الإسلام موقف الحياد ؛ فقد مضى الزمن الذي كان يقال فيه : « أللهمّ إيماناً كإيمان العجائز » ؛ فذلك الإيمان لا ينفع في هذا الجيل ولم يبق له مكان . وأنا أعتقد أن الرجل الذي يكفر بعد اجتهاد الأقوياء . أقرب إلى الله من الرجل الذي يؤمن بعد استسلام الضعفاء . وهل تهون العقول على واهب العقول ؟

وإنما يقف قلمي من الإسلام موقف الحياد . لأني أريد أن يقوم هذا البحث على قواعد علمية لا خطابية . فهو موجّه إلى قراء اللغة العربية ، وفيهم ألوف من غير المسلمين ، ومراعاتهم واجبٌ مفروض ، ومن الحتم أن يخاطَبوا بالعقل قبل الوجدان .

يضاف إلى هذا أن الإسلام كان في جميع أطواره ثورة عقلية . فمن أراد من أبنائه أن يجرده من تلك المزية ، فهو عدو يلبس ثوب الصديق .

ثم أواجه الموضوع فأقول :

لكل دين من الأديان خصوصيات وعموميات : فالخصوصيات هي اللطائف التي يتعارف عليها أبناء الدين الواحد بعضهم مع بعض ، ولا يرضيهم أن تذاع لضعفها عن مقاومة النقد العنيف ؛ أما العموميات ، فهي الأصول التي يجوز نشرها بين جميع الناس ، لقدرتها على مواجهة التحامل بشجاعة وكبرياء .

والظاهر أن « الخصوصيات » هي الطور الأول من أطوار التدين . فقد كان التدين في نشأته لوناً من الانحسار عن المجتمع ، وهو يوجب الانفراد والانزواء ، ومن هنا كانت كلمة « الدين » مرادفة لكلمة « السرّ » عند الأقدمين . ومن هنا أيضاً كانت « العزلة » من ضروب التعبد ، لأنها من فنون الاستخفاء ...

ألم تسمعوا أن الصوم عن الكلام كان من العبادات في كثيرٍ من الديانات ، مع أن الكلام هو أساس التفاهم بين المتعاملين من الأحياء[1] ؟

والنفرة من الزواج عند قدماء المتدينين لها صلة وثيقة بهذا الغرض ، وقد أصابت الفطرة الشعبية في مصر حين سمّت الزواج « دخول الدنيا » ، وإنما كان ذلك لأن الزواج في العُرف القديم لم يكن يأتلف مع التأهب للفناء في الدين

ومن هذه النقطة يتشعب حديث اليوم

فالنبي محمد قد اقترن بتسع نساء ، وقيلت في تعليل هذه

(١) رأيت في « الدير المحرق » راهباً حبشياً صام عن الكلام ثلاثين عاماً ، وأظنه لا يفطر قبل أن يموت !

الظاهرة أقوال ، وأصح تلك الأقوال أنه أراد توكيد الصلات بينه وبين بعض القبائل والشعوب

ولكن يظهر أن من الممكن أن نلتمس تعليلاً غير ذلك التعليل ، كأن نفترض أنه أراد أن يقضى قضاء مبرماً على الوهم الذى يقول بأن التدين لا يأتلف مع الزواج ، وما كان ذلك « وهماً » من الأوهام ، وإنما كان « حقيقة » من الحقائق فى صدور الأحبار والرهبان ، وإليهم كان الأمر فى مصاير الناس من جهة الدين والأخلاق

ولكن محمداً كان يؤمن بأن من واجبه أن ينقل المفهومية الدينية مع وضع إلى وضع ، ولا يتم ذلك بغير ثورة على الترهب ، ثورة ماحقة ساحقة تضيف الرهبان إلى طوائف الخصيان ، وتصدهم عن الاستهزاء بالمؤمنين المتزوجين ، فكان له ما أراد

ومحمد بشهادة خصومه كان من نماذج الفتوّة العربية ، والفتى العربى يرى الرجال قوّامين على النساء ، وإذاً ، يجب أن يتصل بالدنيا اتصال معاش ، ليكون رب البيت بحق وصدق ، ولتخضع له نساؤه خضوع العبد الطائع للسيد المطاع ، والرزق يذلّ أعناق الرجال ، فكيف يصنع بقلوب النساء ؟!

وماذا كانت صناعة محمد قبل أن يكون نبيًّا ؟

كان تاجراً ، والتجارة هى المختبَر الصادق لأخلاق الرجال ، وقد جاز الاختبار بنجاحٍ مرموق .

وماذا كانت صناعة محمد بعد أن صار نبيًّا ؟

أظنه قال : « جُعِل رزقي تحت ظل رمحى »

ومعنى هذا أنه صار فارساً يعيش مما تُغنم الرماح والسيوف ، وذلك أكرم أنواع العيش ، وما يليق بنبىّ أن يكون عالةً على الأتباع ، ولو كانوا من شرفاء الأغنياء .

وبإقبال محمد على الزواج صار نبيا مدنيًّا ، وصار مسئولاً عن الاتصال بالمجتمع صلةً معاشية ، بعد أن اتصل به صلةً روحية .

ومن المؤكد أن صنيعه هذا قوبل فى عصره باندهاش ، واستغراب ، لأنه كان « بدعة » فى عُرف رجال الدين ، ولأنه كان اعترافاً صريحاً بأن « الدنيا » مطلبٌ لا يعيب من يتجه إليه من الأنبياء

والذى يراجع الأصول الأولى من الدين الإسلامي — وهي الأصول التى سبقت التفريع والتشقيق — يروعه أن يرى الإسلام يقتصد فى شرح معاملة الإنسان مع الله ، ويهوله أن يراه يطنب فى شرح المعاملات مع الناس .

فما معنى ذلك ؟

معناه أن الإسلام يمزج بين هذين المطلبين . ومعناه أن حسن المعاملة مع الناس هو المظهر الصادق للخوف من الآثام والشبهات ، وبدون الصدق فى هذه المعاملة لا ينتفع المؤمن بصلاة ولا صيام ، والله يتسامح فى حقوقه ولكنه لا يتسامح فى حقوق الناس .

ومن أعجب العجب أن نرى القرآن يُنطق السابقين من الأنبياء بأقوال ينكرها بعض أتباع أولئك الأنبياء .

فما تأويل هذا المنطق ؟

التأويل سهل ، فالقرآن ينزه جميع الأنبياء عن أوهام الأتباع والأشياع ، وما تحدّث القرآن عن نبىّ إلا عرفنا أن الدعوات الصوادق لا تسلم من التصحيف والتحريف .

وبقليل من التأمل ندرك أن ذلك ليس من الغرائب ، فوضوح النصوص الدولية لهذا العهد فى المخابرات والمعاهدات لا يمنع من أن تصير من الألغاز عند اشتجار الأغراض ، فما ظنُّكم بنصوص دينية جرت فى الأصل مجرى التلميح تجنباً للعدوان والاضطهاد ؟

والمقام لا يتسع لغير فرضين اثنين : فرض يوجبه الأدب وهو القول بأن القرآن وحىٌ من عند الله ، وفرض يجيزه الجدل وهو الظن بأن القرآن من صنع محمد ، وللفرض الثانى فرعٌ سنشير إليه بعد لحظات .

فعلى الفرض الأول يكون القرآن هو الفَيْصَل فى تقرير مذاهب الأنبياء ، وعلى الفرض الثانى يكون محمدٌ أخضعَ الأنبياء فى أقوالهم وأفعالهم لمذاهبه الذاتية فى الوصل بين الدين والمدنية .

وأنا فى حيرة بين هذين الفرضين ، ولو كنت من خصوم الإسلام لاخترت الفرض الأول واسترحت ، فليس من الكثير أن يضاف محمد إلى الأنبياء ، ولكن الكثير حقاً أن يصل رجلٌ غير ملهَم إلى الوصل بين العلم والمدنية ، وهو غرضٌ كان يجب أن يتنبه إليه كبار الأنبياء . و « البلية » كل البلية أن الناس عجزوا عن تخيُّل نظام يكون أفضل من نظام الإسلام ، وهو النظام الذى يوجب أن يوزع المرء قواه بين ثمرات الأرض وأنوار السماء .

الإنسانية أجمع تحتقرُ الرجل المنزوى فى الكهوف ، والإنسانية أجمع تبغض الرجل الذى لا يعرف غير اقتناص الأموال ، والإنسانية أجمع قد اتفقت على أن الإنسان الكامل

هو الرجل الذى يأخذ نصيبه من الدنيا مع الاحتفاظ بنصيب فى الدين

ومحمد هو صاحب هـذا الرأى ، وبه « ادّعى » على زعم أصحاب هذا الفرض أنه خاتم الأنبياء . ومن هذا الملحـظ ندرك كيف صار خاتم الأنبياء ، فمن العسير أن نتصور نظاماً أفضل من النظام الذى شرعه محمد عن طريق الوحى أو طريق الاجتهاد .

هنالك فرضٌ ثالث ، وهو أن تكون الضمائر الإنسانية تجمّعتْ وابتدعت هذه الشخصية المحمدية ، لتكون الرمز الذى يصور مثلها الأعلى فى الوجود .

ويمنع من هذا الفرض مانعان حصينان ، أحدهما تاريخىّ وثانيهما فلسفىّ .

فمحمد حديث العهد فى التواريخ النبوية ، ولم يمض من الزمن ما يسمح بجعله شخصية معنوية ، كالذى قيل فى بعض الأنبياء ، أو بعض الحكماء . ألم يَشُكّ قومٌ فى وجود المسيح وسقراط ؟

أما الجانب الفلسفى فهو يضايق خصوم الإسلام ، لأنه يجعله سريرة وجودية ، وعندئذ يكون من الحتم أن يكون أعظم دين عرفه الوجود .

للباحث المنصف أن يدير هذا البحث كيف شاء ، فلن ينتهى إلا إلى ما انتهينا إليه ، وهو القول بأن شريعة محمد خير شريعة عرفها المجتمع الإنسانى ، فهى إذاً منحة ربانية تستوجب الحمد والثناء . وهل يصدر مثل هذا الفيض إلا عن صاحب العزة والجبروت ، وهو الذى منح « إنسان العين » على صغره قوة تخترق أجواز السماء ، بغض النظر عن فضله العظيم فى إضاءة العقول والقلوب ؟

ثم ماذا ؟

نترك إلى الباحثين المنصفين درس هذه المعضلة بنور المنطق والعقل والعدل ، وننتقل إلى شرح الاصطلاح المعروف بالتطبيق ، فكيف كان الإسلام بعد موت الرسول ؟

شرّق الإسـلام وغرّب ، وجرَتْ بين أهله أحداثٌ وخطوب ، حتى جاز القول بأن فريقاً من المسلمين أخطأوا فهم الغرض من الدين الحنيف

وفى حومة ذلك الخطأ نشهد ظاهرتين بارزتين بعنف وطغيان :

الظاهرة الأولى هى الاهتمام باللغة العربيـة اهتماماً يتمثل فى المؤلفات التى تُعدّ بالألوف ، ويتمثل فى قول بعض الفقهاء بأن الصلاة بغير اللغة العربية عملٌ مردود

أما الظاهرة الثانية فهى الإقبال المنقطع النظير على درس الجوانب المدنية من التشريع الإسلامى ، ويمكن بسهولة أن نقول إن « القانون المدنى » لم يشهد فى جميع أدوار التاريخ شرّاحاً أعمق من الشرّاح المسلمين ، جزاهم الله خير الجزاء ، فهم الحجة الباقية على أصالة العبقرية المدنية فى الأمم الإسلامية

وأرجع إلى الظاهرة الأولى بشيء من التوضيح فأقول :

كان المسلمون يرون أنْ لا سلامة للعالم إلا بوجود « لغة دولية » يتفاهم بها أهل المشرق وأهل المغرب ، وهل قام فى الدنيا نزاع إلا بسبب انعدام التفاهم بين الناس ؟

وما زال المسلمون يساورون هذا الغرض حتى تحوّل إلى عقيدة دينية ، فصح عندهم أن « اللغة العربيـة أحسن اللغات » ، وأن الصلاة بغيرها لا تجوز ، وأنها ستكون لغة أهل الفردوس . والمسلمون يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن رحمة الله مقصورةٌ عليهم ، وأن طمع سواهم فى الجنة لا يزيد عن طمع إبليس ، وتلك غاية الغايات فى الإيمان بأن « الدين عند الله الإسلام »

ذلك التصور اليوم قد يعدّ من ضروب الخيال ، ولكنه كان حقيقة عند المسلمين الأولين ، وبفضل تلك الحقيقة وصلوا إلى ما وصلوا إليه من التفوق الملحوظ على أكثر الممالك والشعوب .

والغريب فى هذه القضية أن المسلمين الذين آثروا لغتهم بحمة التقديس قد تحرروا فى فهم أغراضها تحرراً لا يعرفه أبناء اليوم . فقد كانوا يستبيحون إنشاد أشعار المجون فى المساجد وفى أعقاب الصلوات ، وكانوا يرون خصومهم فى هذه الحرية الأدبية قد « تنسكوا تنسكاً أعجمياً » ، ولذلك شواهد يضيق عنها هذا المجال

قد تقول : وما الموجب لهذا التناقض الغريب ؟

وأجيب بأنهم أرادوا أن يجعلوا اللغة العربيـة لغة مدنية لا لغةً دينية ، واللغات المدنية تتحدث عن جميع الشؤون ، ولا تسكت عن شرح العواطف والأحاسيس والأوهام والأضاليل . ألم تروا كيف اتسعت مساجد المسلمين لشرح أشعار النصارى واليهود والصابئين ؟

ويتفرع عن هـذا ما جاء فى التواريخ الإسلامية من أعمال الرجال ، فالإسلام كُتلةٌ واحدة ، فكما تقول فى جِد عمر بن الخطاب : حدثنا فلان عن فلان ، تقول فى هزل عمر بن أبى ربيعة : حدثنا فلان عن فلان . وهل ثبت فى أىّ ملة أن رجال الدين تحرروا من التقاليد فقالوا فى الجمال الذى يطوف بالأماكن المقدسة معشار ما قال الشريف الرضى فى قصائده الحجازيات ، وكان

أمير الحج بتفويض من خليفة المسلمين ؟

يجب الاعتراف بأن الإسلام أعطى أبناءه حريات لم تعرفها سائر الديانات ، لأنه لم يكن ديناً فحسب ، وإنما كان ديناً ومدنية

ويجب الاعتراف بأن التطاول على هذا الدين لا يقع إلا من الأوشاب والمأجورين . فما كان إلا نعمة نورانية جاد بها الله على هذا الوجود

وماذا أقول فى شرح الظاهرة الثانية ، وهى الاهتمام بما فى التشريع الإسلامى من الجوانب المدنية ؟

تنقسم كتب الفقه إلى قسمين : قسم العبادات وقسم المعاملات

ويلاحظ من يقرأ كتب الفقه أن المؤلفين يترفقون فى شرح القسم الأول ، ثم ينطلقون كالسهام عند شرح القسم الثانى ، وتظهر براعتهم فى تشريح دقائق المعاملات

وهنا نكتة تستحق التسجيل . فرجل الدين فى الفرنسية يوصف بأنه Religieux ، ومعنى هذا الوصف أنه لا يصلح لفهم أمور المعاش بسبب انقطاعه عن صحبة الناس

فكيف أمكن لرجال الدين من المسلمين أن يكونوا أئمة فى شرح القوانين المدنية ؟

يرجع ذلك إلى روح الدين الإسلامى ، وهو دين يدعو جميع أبنائه إلى الاندماج فى المجتمع ، ويقهرهم قهراً على الأخذ من منافع الدنيا بنصيب ، ليعرفوا الدقائق من شؤون الناس وهم قضاة الناس . وهل يصلح القاضى للفصل فى نزاع لا يحس له شبيهاً فى حياته المعاشية ؟

كان يقال إن أحق الناس بالإمامة فى الصلاة وفي القضاء هو المتزوج ، ويرجح زوج المرأة الجميلة ، لأنه أقرب إلى التعفف ، بفضل ما يملك من الجمال الحلال

وأقول إنما قدّم زوج المرأة الجميلة لأنه يعانى من المتاعب أضعاف ما يعانى سواه . فهو أعرف بشؤون المجتمع ، وأقدر على فهم شؤون المعاش

وأقول أيضاً إن تنقل الفقيه من أرض إلى أرض كان يزيد فى قيمته التشريعية . فالشافعي له مذهب جديد ومذهب قديم بسبب تنقله بين مصر والعراق

وأقول كذلك إن الرحلة كانت شرطاً في التفوق العلمى عند الأسلاف لفضلها الظاهر فى الاطلاع على دقائق العادات والتقاليد

والقول الفصل أن رجل الدين عند المسلمين لم يكن من رجال القوانين المدنية إلا لأنه كان يساير المجتمع ويراوحه ويغاديه بلا انحسار ولا انقباض

وهل أستطيع القول بأن فى الدين الإسلامى أقطاباً كانوا من كبار الأغنياء ، ومن المتصرفين فى المتجرات والمزروعات ؟

إن الصوفية أنفسهم وهم الغاية فى الزهد لم يملكوا الفرار من المجتمع ؛ فقد كانوا مسئولين أدبياً عن تدبير المعاش للمريدين . أليس من العجب أن نقرر أن أصدق ما كتب فى آداب التجارة والزراعة والصناعة هو ما صدر عن أقلام الصوفية ؟

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم أمضى إلى آخر الشوط فأقول :

أحب المسلمون دنياهم فأقبلوا عليها بنهم وشراهة ، فماذا جنوا من ذلك الحب ؟

كان امتحاناً قاسياً عنيفاً إلى أبعد حدود القسوة والعنف . فقد عرفوا به أن لا بقاء للحياة بدون أخلاق ، فكيف كان نصيبهم من شرح دقائق الأخلاق ؟

لا أزعم أنى قرأت جميع ما كتب عن الأخلاق فى جميع الديانات ، وإنما أقرر أنى اطلعت على مجلدات كثيرة فى الأخلاق المنسوبة إلى رجال الدين من غير المسلمين ، فما وجدت لها حرارة تشبه النار الموقدة فى الكتب الإسلامية ، فما سبب ذلك ؟

المصلح المسلم تكتوى يده بنار المجتمع فى كل يوم ، فهو يسكب دم قلبه على القرطاس ، وهو يتحدث عن واقع لا عن خيال ، فهو يقول رأيت وغيره يقول سمعت ، وما أبعد الفرق بين الرؤية والسماع !

الأخلاق فى الكتب الإسلامية منقولة عن تجارب شخصية لا روايات خيالية ، وما خط مسلم حرفاً فى الأخلاق إلا وهو يتمثل مشاهد حية من بني الناس بعضهم على بعض بلا رحمة ولا إشفاق

معاملة المسلم مع الله تنحصر فى هذه الكلمة الوجيزة

« أعبد الله كانك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

أما معاملة المسلم مع الناس فلها ألوف وألوف من الدقائق والتفاصيل .

فهل كان ذلك إلا لأن الإسلام أول دين عُنِيَ عناية صريحة بالشؤون المدنية ؟

قد يقال : وكيف جاز أن يُسفه المسلمون بعد التحليق ؟

حاجة المدنية إلى دين

للدكتور محمد البهي



للجماعة الإنسانية مهمة، ولها هدف أخير: مهمتها تنظيم رغبات الأفراد، والعمل على تضييق دائرة التصادم — إن لم يكن منعه — بين هذه الرغبات، بعضها ضد بعض؛ وغايتها من وراء ذلك حياة الوئام والوفاق، أو حياة «السلام» أو سيادة «الخير» على نوازع الشر

هذا هو الشأن فى كل جماعة إنسانية، حتى فى الفطرية منها. فزعيم الجماعة البُدائية يدعى — حتى فى اللحظة التى تغالب أنانيته على تصرفاته — أنه يعمل للخير والسلام، وأنه يسعى للتوفيق بين أفراد رعيته فى رغباتهم ومآربهم

وقانون الجماعة المهذبة يضع — ما أمكن — نصب عينيه «صالح» الجماعة أو «العدالة» أو «المساواة». ويحاول أن يبرز هذا الهدف فى كل ناحية من نواحيه محافظة على السلام وحباً فى خير الجماعة

ولا تتميز الجماعة الفطرية عن الجماعة المهذبة إلا بأن البواعث «الشخصية» أو الأنانية هى التى تتحكم غالباً فى تحديد الخير والسلام، وفي توجيه الأفراد نحو الخير والسلام؛ بينما يحتكم قانون الجماعة المهذبة إلى عوامل مجردة — بقدر الإمكان — عن المعانى الشخصية فى نظرته إلى «الصالح العام» أو «المساواة». وهذا بعينه هو الفرق بين الطفل والرشيد فى الإنسان

***

وخير الجماعة الإنسانية فى الواقع هو فى الحيلولة دون قيام النزاع والخصومة بين أفرادها بسبب اختلاف رغباتهم. إذ من شأن اختلاف الرغبات حدوث التصادم بينها عند محاولة تلبيتها

وهذه الحيلولة تتم سواء أكانت بالدعوة إلى كبْت الرغبات، وإلى الإقناع بالتنازل عنها أو عن كثير منها بدعوى أن ليست لها قيمة ذاتية كما تصوره لنا دعوة «الزهد» فى متع هذه الحياة، أم كانت بتوزيع نفس هذه المتع ـ بناء عن اعتبارها وتقديرها ـ بين أفراد الجماعة لكل منها نصيب حسب كفايته التى تختلف حسب اختلاف مقاييسها عند الجماعات المتعددة، كما تنصح بذلك «النظرات» الجديدة فى الحياة

والوسيلة الأولى وهى دعوة الزهد، أو دعوة القصد فى متع هذه الحياة كانت طريق العقائد الأولى الشرقية، والمدارس

وأجيب بأن المسلمين لم يسقُوا إلا بعد أن فُتِنوا وزُلزلوا وتوهموا أن المدنية ليست من شؤون الدين

أليس مما يعيب الرجل المسلم فى هذا العصر أن تكون له مطامح سياسية واقتصادية؟

إخلعوا النِّير عن أعناقكم يا مسلمى هذا الزمان، ويا عرب الزمان؟

لقد فضَحنا «أشراف» مصر حين طالبوا بحقهم فى التحرر من الجندية

وفضحَنا «عزبان» مصر حين طالبوا بامتيازهم فى التخلص من الجندية

فماذا يريد أولئك وهؤلاء؟

محمد هو أول نبىّ وآخر نبىّ حمل السيف

ومحمد هو أول نبى وآخر نبى عرف قيمة الإرادة الذاتية فقضى بأن واجب المرء أن يخاطب ربه بلا وسيط

ومحمد أول نبى وآخر نبى كَرِه لأتباعه القرار والاطمئنان «البحر وراءكم، والعدو أمامكم» فأين تذهبون؟

غيّروا ما بأنفسكم، يا مسلمى هذا الجيل، ويا عرب هذا الجيل واحترسوا ثم احترسوا من أن يكون لمخلوق فوقكم سلطان

أنتم الأعلون، وإن كنتم مضطهدين، ولن تمر أعوام قبل أن تأخذوا مكانكم فوق هامة الوجود الصحيح

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

زكى مبارك

الفلسفية القديمة ، وطريق الديانات السماوية كذلك . فكلاها وضع « الخير » غاية للفرد والجماعة ، وكلاها تقريباً نصح ونادى بالزهد كعامل رئيسى من عوامل الوصول إلى هذه الغاية . والفرق بينهما أن العقائد الأولى كعقائد قدماء المصريين والهنود والفرس تنسج « الخير » كغاية للانسان فى قصة شعرية أو فى حكاية فرضية -- وهى بينها تختلف فى مقدار هذا الفرض وقيمته ، وفى ذلك العنصر الشعرى ومقداره — بينما الفلسفات القديمة أو الديانات السماوية ، وإن سلكت طريق الإقناع تميل إلى تحكيم المنطق والالتجاء إلى العقل فى الدعوة إلى « الخير » والتقرب من مثاله ، أو التقرب من الله الذى هو عنوان الخير المطلق . والفرق بينها كذلك فى قيمة النظرة إلى الزهد كوسيلة إلى تلك الغاية ، فبعض العقائد الشعبية الأولى كبعض المدارس الفلسفية القديمة وبعض الديانات السماوية يبالغ فى تقدير الزهد وفى صلته بسيادة الخير فى الجماعة ؛ ولذا يتشدد فى طلبه من الفرد ويوصى به إلى درجة « الحرمان » أو « الإفناء » . والبعض الآخر من هذه الاتجاهات الثلاثة يعترف بالزهد كوسيلة للوصول إلى الخير — ويقره كذلك — ولكنه لا يطلب أن يكون موقف الإنسان من هذه الحياة سلبياً فقط ، بل بجانب نصيحته له « بالقصد » فى متعها يوجه نشاطه وحيويته إلى عمل إيجابى للغاية نفسها ، وهى غاية الخير

أما الوسيلة الثانية وهى محاولة تنظيم متع هذه الحياة بين أفراد الجماعة الإنسانية تجنباً للتصادم والنزاع بين رغبات الأفراد المختلفة فهى طريق الأخلاق كعلم استقل عن التأثر بالميتافيزيقيا وطريق القانون . وبعبارة أخرى هى طريق الإنسان الحديث الذى رغب فى الاستقلال بنفسه عن الدين وعن الفلسفة الأولى عند تحديده للحياة وتحديد مهمته فيها

فالبحث فى تحديد « السعادة » أو « الواجب » مهمة علم الأخلاق ؛ واعتبار « سعادة » الجماعة أو اعتبار عمل « الواجب لذات الواجب » هو هدف التشريع الحديث والقانون الوضعى ، وهو كذلك أيضاً أساسهما . فالقانون فى مواده المختلفة المتعلقة بنواحى الحياة للفرد والجماعة يحاول أن يُشعر الفرد ويُفهمه أيضاً أنه إذا لم تقض له رغبة بأن هذه الرغبة لم تضع عليه فى الواقع ، إذ « سعادة » الجماعة أو « الواجب » ، أو ما صاغه القانون ذاته من « الصالح العام » طلب إحلال أمر آخر محل هذه الرغبة الفردية الخاصة إلى حين ؛ وذلك نظير تمتعه — أى الفرد — بالصالح العام فى فرص أخرى وهى كثيرة

فالقانون إذ لا يرغّب عن هذه الحياة ، ولا يقلّل من قيمتها ، وقلما يعترف بتهذيب أو بتحولها إلى حياة أخرى ثانية . ولهذا رأى مهمته فى تنظيم رغبات الأفراد ، وفى التسوية فى تلبيتها لهم بقدر ما يمكن ، دون أن يرى مثلاً فى إقناعهم بالعدول عنها إلى متع أخرى ألذ وأشهى وأدوم كذلك فى حياة أخرى

والقانون والأخلاق كعلم من أخص مظاهر المدنية الحديثة . وهذا معناه أن المدنية الحديثة تتميز بالميل إلى الاستقلال وبمحاولة هذا الاستقلال ، أيضاً ، عن الدين وعن العقيدة وعن الفلسفة الميتافيزيقية فى فهم « غاية » الإنسان وفى تعيين الطريق لتحقيق هذه الغاية

وكما كان عنوان الدين ، أو من لوازم الدين والعقيدة ، الدعوة إلى « الخير » ، وكما كان من وسائله إلى تحقيق ذلك النصحُ بالزهد فى هذه الحياة ، كان عنوان المدنية الحديثة تحديد « الصالح العام » وتقريره ثم محاولة تحقيقه بتنظيم انتفاع الأفراد بهذه الحياة

نظرتان مختلفتان فى الحياة ، وتوجيهان للانسان فيها مختلفان كذلك

* * *

وربما يبدو أن تنظيم الانتفاع بهذه الحياة بين أفراد الجماعة الإنسانية ، وهو محاولة القانون ، ليس أشق على طبيعة الإنسان كطلب الزهد منها الذى هو نصيحة الدين ؛ والعلاقة الصحيحة بين تنظيم الانتفاع وبين الزهد ليست اليسر من جهة ولا العُسر من جهة ثانية ، بل هى تحكم إرادة الإنسان فى طرف وإغفالها فى طرف آخر . إذ طلب الزهد معناه اعتبار إرادة الإنسان وتحكيمها ، بينما تنظيم الانتفاع معناه الركون إلى سلطان القانون وتحكيمه وحده . فالزهد وإن بدا أنه مظهر سلبى هو عمل إيجابى ، إذ هو مظهر الإرادة للفرد

وحقاً إذا كانت غاية القانون أو غاية المدنية هى غاية الدين والعقيدة ، لأن مآل رعاية الصالح العام ، أو رعاية سعادة المجموع ، أو تقرير عمل الواجب لذات الواجب هو مآل عمل الخير ؛ وحقاً

إذا كان فى محاولة تنظيم الانتفاع بهذه الحياة بين أفراد الجماعة تحقيق لنتائج الزهد ، إذ أن فى الرغبة عن متع هذه الحياة أو عن كثير منها تضييق لدائرة النزاع بين الأفراد وهو غاية التنظيم ، إلا أن فى الدين والعقيدة معنى آخر ليس فى القانون وليس فى علم الأخلاق ، هذا المعنى الآخر هو أن موحى الدين له نهاية الحكمة وكمال المعرفة فى نفس الإنسان المتدين أو المعتقد طبقاً لمبدأ التأليه ؛ وهذه صفة للمعبود تدع فى نفس الإنسان المتدين عدم المناقشة فيما أوحى به الدين كما تدع فيها أيضاً الرضا بما جاء به الدين . فطاعته للدين إذاً طاعة نفسية ، ومحاولة الشذوذ عن أوامره ونواهيه أمر غير قريب إلى نفسه . ولكن واضع القانون ، فى نظر الخاضع له ، إنسان غير معصوم ، وبالأخص غير منزه عن التأثر بالعوامل الشخصية فى تقنينه لأنه من نوعه الإنسانى وليس من جنس آخر أسمى منه . فالقانون له احترام من نفس الفرد الخاضع له ما دام لم يتعارض مع رغباته الخاصة . فإذا تعارض قل الاكتراث به فى نفسه . لأن الانحراف ـ هكذا ينظر الفرد ـ عن الصواب قد يكون فى القانون نفسه دون أن يكون فى رغبات الفرد . فموقف الفرد إذاً من القانون موقف الناقد ؛ وأساس النقد عنده رغباته الخاصة فى الأغلب ؛ وطاعته للقانون فى كثير من الأحايين ليست لذات القانون بل للخشية من منفذه والقائم بأمره . وإذا قل عنصر الرضا النفسى فى الطاعة كانت محاولة المخالفة للقانون موجودة فى النفس . ووقوعها مرهون فحسب بضعف الرقابة أو بزوالها

فمحاولة المدنية بقانونها وبأخلاقها الاستغناء عن الدين وعن العقيدة محاولة قاصرة ، نجاحها لا يتعدى نطاقاً ضيقاً وهو نطاق الخاصة ، وهى فى حاجة فى الواقع إلى الدين وإلى أن يسود المتدين جماعتها . ومهما استعانت بالعلم الذى هو مظهر آخر من مظاهرها . فليس فى العلم وحده ما تحتاجه من العون ؛ إذ الإنسان كما هو مودع فى فطرته الميل إلى العلم وإلى الكشف ، مودع فى فطرته كذلك الاطمئنان والركون إلى «السر الخفى» ، وتأليهه أو تعظيمه للغير ظاهرة من ظواهر هذا الاطمئنان والركون . والله فى نظر الإنسان رمز كل سر وكل خفاء ، فلا يُدرك كنهه ولا يُوقف على حقيقته . ولهذا كان له أرفع درجة من تعظيمه واحترامه .

وما ينسب إليه عظيم ومحترم كذلك ؛ فقوله قل أن يخالف ، ووصيته ندر ألا تنفذ ، لأن المخالفة وعدم التنفيذ معناه الشك فى هذا التعظيم الذى صار الآن أمراً مقرراً .

* * *

وإذا كنا ندعو المدنية بوجه عام إلى دين وإلى تدين فلسنا متحيزين إذا دعوناها إلى الإسلام بوجه خاص ؛ لأن الإسلام فى تقريره الزهد كوسيلة للوصول إلى الخير لم يبالغ فى شأنه ولم يعتمد عليه وحده ، بل جعل بجانبه تنظيم الانتفاع بهذه الحياة — بعد أن أباح التمتع بها — وعمل على تنظيم علائق الأفراد فى دائرة هذا التمتع

وليس القانون ، وليس علم الأخلاق ؛ وبعبارة أخرى ليست المدنية هى التى كشفت عن « رعاية الصالح العام » ، بل من قبلُ وضعها الإسلام فى تنظيمه « للمعاملات »

فنى الغاية جمع الإسلام كدين وكتشريع بين « الخير » وبين « رعاية الصالح العام » ، وفى الوسائل نصح بالزهد إلى حد ما وعمل على تنظيم الانتفاع بهذه الحياة بعد أن أجاز الانتفاع بها

وهو بهذا يعتبر إرادة الإنسان كما لا يهمل رقابة القانون

محمد البهى

على ذكرى الهجرة

القوة والدين

للأستاذ راشد رستم



إن الهجرة التي قام بها نبي الإسلام محمد بن عبد الله عليه السلام – حدث تاريخي ، ليس له من صبغة الدين إلا أنه من أيام رسول الله

غير أن أثرها في الإسلام عظيم

* * *

لما أراد المسلمون الأولون أن يؤرخوا لدينهم لم يجعلوا ذلك يوم ولادة الرسول ، ولا يوم نبوته — بل يوم هجرته

وقد كان هذا هو رأى رجل الإسلام القوى عمر بن الخطاب — تذكرةً للمسلمين بالاضطهاد الذي لاقاه رسولهم — وتنبيهاً إلى الثبات على المبدأ ، وتنبيهاً لضرورة الجهاد في سبيل الدعوات

ذلك هو فضل يوم الهجرة : فضل تاريخي ، فضل اجتماعي ، فضل للحياة الآملة المجاهدة . هذه الحياة التي لا تقيم للحق وزناً إلا بالجهاد في سبيله ، والتي لا تعرف للحق وجوداً إلا إذا قام له صاحب

وصاحب حق الإسلام هو عظيم المجاهدين له عليه السلام ، إذ لم يظهر حقه وقد كان خفياً إلا بعد أن جاهد له ، وقد اعترف به الزمان وظل به معترفاً

* * *

ولكن كان إذا ولىَ أنصار الحق عنه ولى الزمان عنه قبلهم ، وإن شدوا له وتجمعوا عاد الزمان فأقامه لهم على هام الدول والأيام واضحاً ثابتاً

* * *

ذلك منطق الزمان . هو لا يعرف غير الغالب . والغالب أن يكون الغالبُ صاحبَ حق

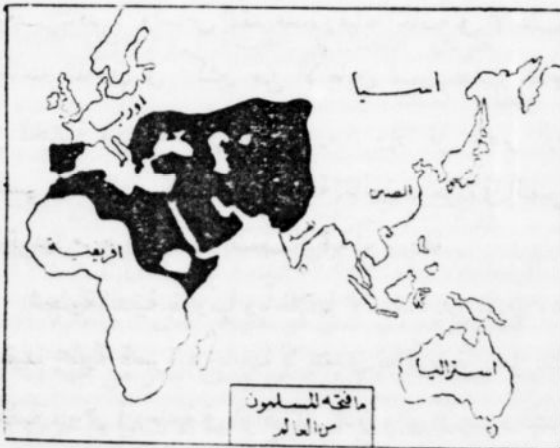
ولكن الغالب كذلك ألا يكون حق غالباً إلا بالقوة ، فإن كانت غلبة الحق لا شك فيها . فإنه وهو غالب يكون كذلك هو القوى ...

وقد يكون الباطل غالباً . ولكنه وهو غالب . يكون كذلك هو القوى

غير أن دولة الباطل ساعة ، ودولة الحق إلى قيام الساعة

* * *

لذلك لما كان كفار العرب ، وهم مع باطلهم أظهر على الرسول وهو مع حقه ، كانوا كذلك لأن القوة كانت لا تزال معهم ؛ حتى إذا ثبت محمد بحقه في الميدان واستمر مجاهداً فاز بالقوة يدعم بها حقه ويديمه



ما فتحه المسلمون من العالم

ومن مزايا الحق أن الاعتقاد بيقينه يجعل من الضعف قوة ، كما يزيد القوة قوى

ومن ذلك كان نصر الحق بالثبات عليه والجهاد له

* * *

ورسول الإسلام لم يكن ينقصه الحق ولا مزاياه ؛ وإنما هي القوة ... لذلك كان يعمل لها بعد أن تأكد من يقين حقه ، وكذلك كان من معه

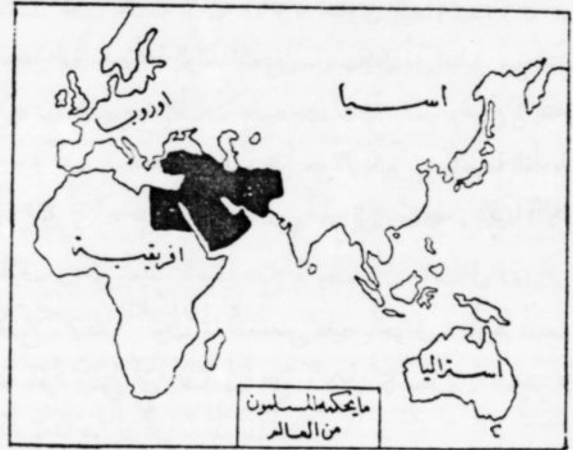
وهكذا كان ثبات النبى مضرباً للأمثال

فكم هُدد ، وأوذى ، ورُغّب ؛ فلم يجبن ولم يرجع عن جهاده . بل كان يثور للحق ، ويثير فى نفوس أنصاره الروح النقية القوية ، والعقيدة الصحيحة بأن القوة أولى بها أن تكون للحق ، وأن الحق لا بد له من القوة ما دام الباطل يستعين بها

فلما فاز الرسول بالقوة ، ظهر على أعداء حقه

وهكذا كان حال السابقين من أهل الدعوات ، فما تمكن دين المسيح عليه السلام إلا بعد أن دان له الامبراطور قسطنطين العظيم ، فدعمته قوة السلطان

وما كان زاهياً زاهراً دين موسى عليه السلام إلا لما كان السلطان لبنى إسرائيل ؛ فلما شالت نعامتهم ذهبت ريحهم



على أننا لا نقصد بالقول أن نحط من قيمة الحق وأن نرفع من القوة ، ولكننا نقرر مركز كل منهما من الآخر ، ذلك المركز الذى توجبه جِبِلَّة البشر وطبيعة الإنسان ، تلك الطبيعة التى فطر عليها من أن يَمَلَّ المعنويات ويعظمَ المحسوس

إن هذه الجبلة الآدمية هى التى تدفع بالحق يسعى وراء استخلاص القوة لنفسه ، وإنه لعمل محمود

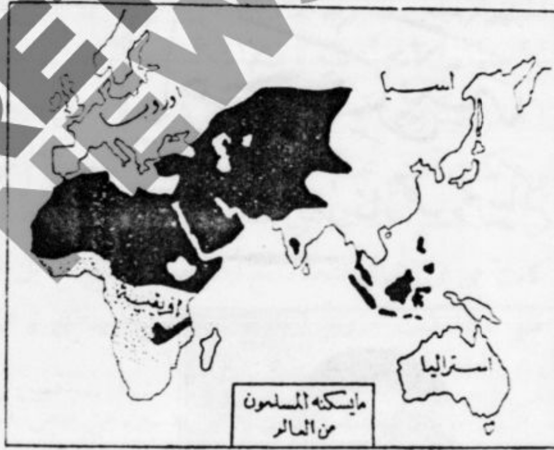
ليس فى السعى وراء القوة عيب ، إذ القوة أظهر مظاهر المحسوس ، وهى لسان الإنسان الفصيح وبيانه المفهوم ، وهى الواسطة القوية لنشر الفضيلة المطوية ، كما أنها ترفع الباطل إن ظفر بها مختلساً

وسلامٌ على الحق إذا لم تؤيده القوة

وسلامٌ على القوة إذا لم تؤيد الحق

* * *

ليس فى استعانة الحق بالقوة تقليل من قيمته أو حط من قدره . فالقوة وسيلة الطبيعة للبقاء ، والإنسان حيوان قبل أن يكون عقلاً ..



لذلك يسبق فى علمه إدراك القوة قبل أن يدرك ما هو حق وما هو باطل

فإذا هو أدرك لأحدهما معناه ، عمل لبقاء ما اختار منهما لنفسه والبقاء فى هذه الحياة هو للأقوى

فيا أيها الصالحون ، اعملوا على أن تكونوا الأقوياء . .

وانظروا فى ذلك وأنتم فى مرحلة لكم جديدة ...

راشد رستم

حكم فى الجنحة المستأنفة رقم ٨٨٩٠ سنة ١٩٤٠ ضد محمد السيد الرازقى من درب الرزاز بتغريمه ١ ج لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة ونشر الحكم بمجلة الرسالة والثقافة

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى القضية رقم ٤٩٩ سنة ١٩٤١ بحبس فطمة ابراهيم عبد الحليم من الدرس شهراً بالشغل لبيعها قمحا بسعر يزيد عن التسعيرة

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى القضية رقم ٥٣٠ سنة ١٩٤١ بحبس سلامة محمد داود من كوم النور شهرين بالشغل لبيعه بترول بسعر يزيد عن التسعيرة

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى القضية رقم ٥٣١ سنة ٩٤١ بحبس محمد الطنطاوى عبيد من بهنبا شهرين بالشغل لبيعه أذرة بسعر يزيد عن التسعيرة

حكم فى القضية نمرة ٦٨٠٣ سنة ١٩٤٠ محافظة مصر على رزق على صبى بقال بسوق الزلط ن ٦٢ موسكى لأنه فى ٢٥ يناير سنة ٤٠ بدائرة قسم باب الشعرية باع كبريتاً بأزيد من السعر حضورياً بغرامة ١٠٠ قرش ونشر الحكم بمجلة الثقافة والرسالة وتعليقه على باب المتجر وبسراى المحافظة على نفقته فى ٤ يونيو سنة ٩٤٠

من مذكرات عمر بن أبي ربيعة

أيام حزينة

للأستاذ محمود محمد شاكر



« قال عمر بن أبي ربيعة ... » :

وجاء ابن أبي عتيق [هو عبدالله بن محمد أبي عتيق ابن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق] . فوالله لأن كنتُ بين ضِرْسين من الجبل يدوران عليَّ دَوَرانَ الرَّحى ، أهونُ عليَّ من أن أكون لقيتُ هذا الرجلَ الحبيب !

كانَ رجلاً ضرْباً خفيفَ اللحم أحمَر ظاهِرَ الدَّم كأنَّ إهابَه شُعلةٌ تَشِبُّ وتتلهّب ، أفرعَ فينانَ الشَّعر ، مخروطَ الوجه ، أزهرَ مُشرِقاً كأنَّ بين عينيه نجماً يتألّق ، يُقبل عليك حُرُّ وجْهه بعينين نجلاوين قد ظَمِىَ جَفْناهما حتى رقّا ، يرسل إليك طرفَه فترى الضحكَ في عينيه خِلْقةً لا تكلّفاً . ما أحسبني رأيتُه مرّةً إلا خِلتُه دُعابةً قال لها الله : كوني ! فكانَتْهُ . وكأني به قد دَخل على أمّ المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق وهي تَكِيد بنفسها — في مرضها الذي مات فيه — يقول : كيف أصبحت يا أمّاه ؟ جعلني الله فِداكِ ! فتقول عائشة : أجِدُني ذاهبةً يا بُنَيّ ! فيقول : فلا إذَنْ يا أمَّ المؤمنين !! فتتبسم عائشة وتقول : حتى على الموت يا ابن أبي عتيق !! فيقول : أرضاكِ الله يا أمّاه ! لو جاءني الموتُ كأكرهِ ما يأتي على حيّ ، ما تركتُ له دُعابتي حتى يستضحكَ ، فيرحَل بي عن الدُّنيا بوجهٍ غير الذي جاء به !

فلو أنَّ امرأً من عُرْض الناس لا أعرفه ، جاءني فزعم أنَّ نجماً في السماء بكى ، وأن القَمرَ مدَّ إليه مثلَ اليَد فكفكف من عَبَراته ، لكانَ أقربَ إليَّ منْ أن يأتي آتٍ يقول هذا ابنُ أبي عتيق يمشي في الناس بعينين ضارعتين خاشعتين ذاهلتين يُعرفُ فيهما البُكاء !

رجلٌ صالحٌ تقي خفيف الروح نشوان القلب ، قد انحدر من جده [عبد الرحمن بن أبي بكر الشاعر] ، حنين الشاعر حين يرى الدنيا كالغانية المنعّمة تتصبّى له وتتقتّل ، فيحن إليها بصبوات الشباب المتوهّج ... وآب إليه من جده [أبي بكر الصديق] حَنانُ التقي وهو يرى الدنيا كالناشئة الغريرة لا تزال تنشُدُ تحت جناحه دِفءَ الأبوّة فتأوي إليه وتتضوّر ، فهو يخفض لها من رحمة الوالد المتحنن ... فابن أبي عتيق من هذين الأبوين كالربيع : جمال وشباب ، ورقة وحنان ، وفرح لا ينتهي

وكنتُ أجده فيما يتوقّد عليَّ من الكُرَب كالغمامة الغادية : ظِلٌّ وريٌّ . ثم لا يزالُ بي حتى أنام إلى دُعابته ، فإذا آلامي تطوف بي من بعيدٍ كأنها أحلام ، بعد أن كانت في دمي جمرةً تتلذّع . وقد أكونُ مما أستعصي عليه بأحزاني ، فأريدُ أذهبُ عنه نافراً أبتغي أن أعكُفَ على آلامي كما يعكُفُ العابد على بُدّه . فما هو إلا أن يأخذ ينشد :

متى تَرَ عينَيْ مالكٍ وجِرانَه وجنبَيْه ، تعلَم أنه غيرُ ثائرِ
حِضَجْرٌ ، كأمِّ التَّوأمين توكّأتْ على مِرْفَقَيها مُستهِلّةَ عاشرِ (١)

فينشد أغرب إنشادٍ وأعجبه ، ولا يزال يحرّكُ ويشير ويتمثّل ، فوالله ما من ساعة أنشدنيها هذين البيتين ، وأقبل عليَّ يُريني ما يأتي به ، إلا نَبع الضحك من قلبي دفعة حتى ما أتماسك معه

فكيف به اليوم وقد سكنَ كأنه دمعةٌ خافتة تئنُّ تحت الزفرات ، يمشي إلى كأن أيامه تطوفُ به ثاكلاتٍ نائحاتٍ ، يغض طرفه كأنما يُمسك عبرةً همّتْ هاربة من الأسر ، يطأطئ هامته كأنما يقول للزمن : تخطَّ ، فلم يبق بيني وبينك عملٌ أيها الجبّار ، يستكين حتى لإخاله يجمعُ أطرافَ نفسه لا يزاحمُ أفراحَ الناس بما يريدُ أن يتنفّسَ من أحزانِه

(١) الجران : باطن عنق البعير ، واستعاره الشاعر لسخرية . والحضجر : العظيم البطن الواسعه ، وهو حرف ساخر الجرس والحركة .

لك الله يا ابن أبى عتيق ! لقد كانتْ لك كالجدول النّامى النمير : هو سرُّ الأرض ، وسرُّ العود ، وسرُّ الزَّهر ، وسرُّ العطر ؛ فلما جفَّتْ عنك همدت أرضُك ، وظمئ عودُك ، وصوَّح زَهرُك ، وتهارب عطرُك ... زوجةٌ كانت تستودع روحك مع كل شارق ، ما تتملَّى به أفراحك ولهوك ودُعاباتك ، فتخرج إلى أحبابك لتحمل عنهم همومهم فتغرقها فى ذلك البحر الخِضمّ من الفرح والابتسام والرضى !

***

ودخل ابن أبى عتيق فسلَّم سلام الذاهل المتولّه ، ثم جلس كأنما هو يلقى عبئاً ثقيلاً كان يمشى به ، ثم نظر فى عينىَّ بعينين نديَّتين ترى فى غَوْرهما ذلك التنُّور المتضرِّم يتقاذفُ شُعَله فى ثنايا النفس وفى مسارب العاطفة . وأدامَ النَّظر لا يرفعه عنى كأنما يقول : انظرْ واعرفْ ولكن لا تتكلَّم ! فأشهد أنى افتقدتُ ما أقولُ أعزِّيه به أو أرفِّه عنه ، بل كأنما أفرغ بعينيه فى عينىَّ من أحزانه ، حتى أرانى أجد مسَّ النار فى صدرى وهى تستعر

ولكنى خفتُ على صاحبى ورفيقى إن أنا سكتُّ له ، أن أكون قد خلَّيت بينه وبين همِّه ، وإن أحدنا لو قعد يمارسُ أحزانه يوماً بعد يوم لصرعته . أجلْ ! وإن الحزن ليهجُم على النفْس كالسَّبع الضارى ، حتى إذا عَبرَ إليها وقف يستأنس متلفتاً يريد ما يختلج أو يتحرَّك ، فما هو إلا أن يُهوِى إليه فيبطش به ، أو ينشِب فيه براثنه ينفضه ثم يقضقضُه حتى يهمد . وإذا خُلِّى السبع لا يُذاد ولا يُطْرد بقى حتى يتأبَّد ويستوحش . ولا يزال على عادته يستمرئُ كل ساعة فريسته يغمس فى دمها أو يَلِغ ، ثم لا يكفُّ حتى تكفَّ الحياة عما ينبض أو يتنفَّس

وأخذتُ أزوِّر له الأحاديث فى نفسى . فلما هممت بها لم أقل إلا ما يقول الناس : عزاءك يا أبا محمد ! فوالله كأنما هِجْت بها الطير الجثوم ، وظل وجه ابن أبى عتيق يروح الدم فيه ويغدو ، وجعلت عيناه ترسلان على نظراتهما الدمعَ الذى لا يسفح ، والعَتْب الذى لا يتكلم ، وظلَّ صامتاً ، وراحت نفسى تتخزل عما أقدمت عليه ، ولكنه لم يلبث أن زَفَر إلىَّ زفرةً خلت فى نفثاتها شرراً يتطاير . ثم قعد يتململ حتى قال :

إن أيامى — يا أبا الخطاب — قد استحالت تيهاً أمشى فيه على مثل هذه الجَمَرات ، ولقد كنت مما عهِدتُنى ، والأيام من حولى عُرُس لا أعدم فيها ما أُطربُ له . كنت إذا ما حَزَن بعض أيامى ، أجد من أفراح الماضى ما أهرب إليه بالذكرى ، وأتوهَّم من نشوة الآتى ما أترامى إليه بالأمل ، فكنت أعيش بفرحةٍ أحضرُها أو تحضرُنى لا أخاف ولا أجزع ولا أتوهم فى الحياة إلا الخير . فأنا وقد أبت بغتات القدَر إلا أن تنزع من كَنَفِى ما كنت أضنّ عليه ، فهيهات لها بعد اليوم أن تطيقَ انتزاعَه من فكرى . آهِ ... آهِ يا عمر ! كانت ملء عينى وروحى وقلبى . كنت أعيش تحت نسيمها كالنشوان ذاهلاً عن الألم مهما أمضّ ، مستصغراً للكبير وإن فدَح ، راضياً باسماً متحففاً ... إذ كانتْ هى هى الأمانىَّ تتجدَّدْ مع أيامي علىَّ وتتبلَّج مع كل فجر فى قلبى ، ما كنت جزوعاً ولقد جزعت ! كيف قلت : عزاءك يا أبا محمد ! ها الله يا ابن أبى ربيعة

كيف صَبرى عن بعض نفسى! وهل يصبِرُ عن بعض نفسه الإنسان ؟

كانت بينى وبين الدنيا ، وكانت آية الرفق والفرح ، فكنت أرى الدنيا بعينيها مشرقةً من تحت غياهب الأحداث ، فالآن إذ نأمت عنى ، كيف أرى إلا قِطعاً من الليل تغتالنى من كل وجه ، أو أشلاءً من الدياجى تجثم لى بكل سبيل ؟

ثم رأيت فى عينيه المَلَل وهو يطوى على نظراته ما نشرتْه الحياة من همة النفس ؛ وتخيلته — حتى كدت أتبينه — شبحاً ينساب فى ظُلمة الليل فرداً قد انخلع من الحياة وأسبابها ، فهو يضربُ فى حَشا الظلماء بسآمة لا يهتدى ولا يريد أن يهتدى ، وقد كدت مما شجيتُ له أن أدع إليه الحديث حتى يَستتمه ، ولكنى أعرف فى قلبه الرِّقَّة ، فخشيتُ أن يمضي به الحزن على غُلَوائه ، فقلت له :

مَهْ مَهْ يا أبا محمد ، والله ما أنكرتك منذ عرفتك ، ولكنى اليوم منكر لك أو كالمنكر . أليس لك فى إيمانك وإيمان آبائك معتصم أيها الشيخ ؟ ما إسلامُك النفس للجزع وما غلوُّك فيه ؟ إن امرأً يؤمن بالله واليوم الآخر لخليق أن يستكين إلى قضاء الله استكانة الوليد إلى أمه . وإن أمراً يختاره الله لامرئ هو أهدى سبيليه لا ريب ، شَقِى بذلك أم سَعِد ، وما يمسك النفس على أحزانها للأمر من قدر الله إلا الشيطان . خبِّرنى يا أبا محمد ! هل ابتُلِىَ الناس فيما ابتلوا به بما هو أفظع من فجيعتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ كلا ! فقد حزن الناس حتى أخذتهم آخذة ، وحتى أنكر أحلمهم حلمه ، وحتى إن بعضهم ليوسوس ، فقام إليهم جدُّك الصديق فرد الناسَ إلى أحلامهم ، وهو أشدهم حزناً على صاحبه ورفيقه ؛ فعلَّم الناس أن الحزن للقلب وحده ، وأن

العقل والجوارح إنما هي للعمل ، وأن هذا هو طريق الإيمان بالله وبقضائه : خيره وشره ، أفأنت من يجور عن سنة الله وسنة المهتدين من آبائه يا أبا محمد؟ كنتَ المرء الصالح الذي يرى الدنيا بعينيْ زائلٍ ، فما بالك اليوم تراها بِعَيْنَيْ متشبث قد أنشب فيها أمثال البراثن من عقله وفكره ، فهو يتأبى أن يدور في وهمه أنه مفارقها ؟

قال ابن أبي عتيق :

حنانيك يا عمر ! فوالله ما تعلمني يا ابن أبي ربيعة إلا ما علمت . لقد عَجمتْ مني الحوادث صخرة مُلْمَلمة لا تضرع . كم سخرْت من الدنيا وأحداثها ، فجعلتُ أطويها في ذعبتي طيَّ المُلاءة ! كنت أتخفَّفُ منها بنشوة أحْدثها في قلبي ، فلو كان عليه مثل الجبل من الهمِّ لطار فيها كما تطير خافية من جناح . ولكني اليوم ... آه ! لقلَّ ما جرَّبتَ يا عمر ! أسلمتُ لله مُقْبِل أمري ومُدْبِرَه يصرِّفه كيف شاء . ولكني أجدُ هذا القلب المُعَنَّى لا يزال يخفق بالذكرى ؛ أفأنت منكرٌ عليَّ يا عمر أن أذكرها نسيماً رَفرَف بين الجوانح والقلب ؟ أنَّى لي أن أُورِيَ النفس عن آثارها ، وما أكاد أرى شيئاً إلا خلته يحدثني حديث الثاكل : أنينٌ وحنين ؟ فأين المهرب ؟ دع عنك يا أبا الخطاب ! أأراك تَلْحاني على الجَزَع ، وما على ظهرها أشقى ممن يُصبح ليفتقد في نهاره حُلماً ضَلَّ عنه مع الفجر ؟ كم خلوت إلى هذه النفس ألومُها كالذي تلوم ؟ وكم وقفت على هذا القلب أذكِّره ما يذكرُ الناس مني ، فإذا الذي كان بالأمس قد أصبح وكأنه أديمٌ مرقوم قد تفرَّى عاثَ فيه البلى فمحاه . أريد ، ويا لضلَّتي فيما أريد ! أنا كالساري في لُجَّة الليل يلطم في سوادها ، قد أضاع لؤلؤة يَبحثُ عنها بين الحصى والرمال ! . . . لن أعودَ إلى الناس حتى أجد لؤلؤتي يا أبا الخطاب ... لن أعود

ورأيتُ الرجل ينتفض انتفاضة المحموم من هول ما يجد ، فرَحِمْته ، ولكني آثرت أن أدور على بُنَيَّاته ، عسى أن يأوي لهن فيؤوب إليَّ كبعض ما كان ، قلت :

ظلمتَ نفسَك يا ابن أخي فظلمت من لا يلوذ إلا بظلك . صغيراتٌ ضعيفات ضائعات : فمن لهن بعدك ؟ لو كنتَ وشأنك لهان الأمر ، ولكنك استُحْفظتَ من لا يحفظه بعد الله إلا رحمتك ، ومن لا يغذوه بعد الطعام إلا حديثك ، ومن لا يضيء له وجه الدنيا بعد النهار إلا ابتسامك ، ومن إذا أهمل ضاع عليك ضيعة الأبد . إنهن بناتُك منها وبناتُها منك ، فوالله ما تذكرها ذِكراً في شيء هو أكرم وأحب وأرضى عندها منهن . أجمِلْ يا أبا محمد ، أجمِل !

فرفع إليَّ رأسه ونظر ، ثم ربا صدره بالزفرات وهو يقول :

لقد كنت أخشى لو تمليتِ خشيتي !

عليكِ الليالي كرَّها وانفتالها

فأما وقد أصبحتِ في قبضةِ الرَّدَى

فشأن المنايا . فلتصِبْ من بدا لها

... لولا علمتَ يا عمر ! كيف - بربك - كنتَ تراني أحبوهنَّ من قلبي خفقات لامعات باسمات ؟ كنتُ لو أطقتُ أن أجعل قلبي بينهن لهواً يَتلعَّبْنَ به لفعلت ! فانظر إليك ماذا ترى ؟ ما شيء أجتلب به على قلبي ألماً كنوافذ الإبر إلا رؤية هؤلاء الصغيرات الضعيفات الضائعات ؛ وإن إحداهن لتعدو إليَّ تستأوي فأحملها ؛ فكأن قد والله حملتُ بها صخرة مسرفة يُعيي حملها . لولا بقية من رحمةٍ - يا عمر - نفرتُ عنهن نفرةً واحدة لا أراهن ولا يرينني

أفزعني والله الرجل ، ولكني فهمت عنه ما يأتي به . إنه لا يزال يراها بعينيه تحول بينه وبين صغاره . إنه يريدها ويريدهن جملةً واحدة ، فإذ ذهبت هي ، فكأنما ذهب منهن الذي كان يراه فيهن . يرحمك الله يا ابن أبي عتيق ! فأما إذ بلغ به حبها هذا المبلغ من اليأس ، فلا والله ما ينجيه إلا أن يحتال ، فقلت له :

أأراك أُنسيت ذكر ربك يا أبا محمد ! أتُرانا نعيش في هذه الأرض إلا بما نرجوه عند الله في غيب الله ؟ فلولا ما نمثله في أنفسنا من الرجاء ، ما نبض لامرئ عرقٌ مما يأخذه من السَّأم . وأنت ، أفيغبى على امرئ في مثل عقلك أن يجعل من مَفقودٍ يحبه رجاءً يستمسك به ؟ انظرها يا ابن أبي عتيق بين عينيك ، ولا تدع البَدن الراحل يَغلبُك على ما يحضرُك من روحها . إنك بعينيها ما عشت ، فلا تحسبنَّ أحزانك التي تبتغي أن تتسلَّب بها في حياتك ، تجعلها تنظر إليك راضية مطمئنة

لا تشكَّنَّ يا ابن أخي ، فوالله إن الجسد ليذهب إلى البلى ، وإن الرُّوح ليخلد ، فما ترضى من يحبُّك بأمثل من أن تكون في غيْبهِ ما كنت في محضَره : « إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، ولا نقول ما يغضب ربنا » وصدق رسول الله . وما ذلك إلا أن نقصر الحزن ، وأن نجعل أقوالنا وأفعالنا مرضاة لمن نحب وطاعة . ولا تستطيلنَّ ما بين الحي والميت ؛ فإنما هي ساعات قلت وإن أطلت لها . يا أبا محمد ! أرض ربك وأرض صاحبتك ، واجهد أن تكون كما أحبت لك ، فإنك عن قليل تلقاها ، فلا يلقها منك إلا ما تعرفه دون ما تنكره ...

محمود محمد شاكر

هجرة في سبيل الله

للأستاذ محمد عبد الغني حسن



هجرت بطاح مكة والشعابا   وودعت المنازل والرحابا
تخذت من الدجى يا بدر سترا   ومن مرهوب حلكته ثيابا
فكيف تركت خلفك كل شأن   وخليت القرابة والصحابا ؟
وشر مواطن الإنسان دار   يرى من أهله فيها عذابا
يناديهم فلا يلقى سميعا   ويدعوهم فلا يجد الجوابا

صبرت وكل داعية يلاقى   من الأهوال ما يوهى الصلابا
تمر بك الحوادث وهى كلمى   كأن مزاجها الصخرى ذابا
فما ألقيت من رهب سلاحا   ولا خليت من نصب حرابا
تزيدك كل حادثة ثباتا   وصبرا في المواقف وانكبابا
أتعرف دعوة لله قامت   وكان قوامها شهدا مذابا ؟
سبيل الحق قد حفت بشوك   ولم تملأ على دعة رضابا
وما غلب الليالى مثل قلب   تجرع كأسها عسلا وصابا

نبت بك أرض مكة وهى أوفى   وأرحب في سبيل الشرك بابا
وضاقت بالحنيفة في إلاه   وما ضاقت بآلهة جنابا
أما عبدت بها العزى قديما   أما شب الضلال بها وشابا ؟
لقد وسعت من الأديان بطلا   ولم تسع الحقيقة والصوابا
ومن عجب تسىء إليك أرض   شببت فما أمات بها الشبابا
منازل كنت تنزلها طهورا   وتلقى الوحى فيها والكتابا
فما عرفوا عليك بهن نقصا   ولا أخذوا عليك بهن عابا
تقوم الليل في جنبات غار   وتقطعه زكاة واحتسابا
وتدعو والمضاجع غارقات   بأهليها وتنتظر الثوابا
تزلزل بالدعاء ذرا « حراء »   فلولا الله يمسكه لذابا

لقد آذاك أهلك في حماهم   فكان أذاهم العجب العجابا
رموا والله جارك من أذاهم   فأخطأ سهمهم راميهم وخابا
فلا ترج السلامة من قريب   ولا تأمن من الأهل انقلابا
فرب أباعد كانوا رجاء   ورب أقارب كانوا مصابا

أمين الله أهلك قد أساءوا   ولج لسانهم إثما وعابا
وقالوا الساحر الكذاب حاشى   لربك لم تقل يوما كذابا
وكانوا من صفاتك في يقين   فكيف يرون دعوتك ارتيابا
ولكن دولة الأغراض تعمى   وتلقى فوق أعينها حجابا
لقد جحدوا ضياءك وهو سار   يشق البيد أو يطوى الهضابا
كأن من الهدى فيه سراجا   ومن وضح اليقين به شهابا
ومن تكن المآرب ضللته   يرى في الحق زيغا واضطرابا
يعيب ذوى المبادئ وهو أهل   لأن يرمى وأجدر أن يعابا

أمين الله قومك قد أساءوا   وطار صوابهم ومضى وغابا
لقد عادوك موجدة وكبرا   ورب مكابر فقد الصوابا
مضوا يستكثرون عليك فضلا   من الله الذى يعطى الرغابا
هو الحسد الذى أكل البرايا   وصيرهم على أنس ذئابا
يكاد الحقد يمسخهم قرودا   ويخلق فيهمو ظفرا ونابا
ولما أن قدرت عفوت عنهم   ولم تفرض على الجانى عقابا

روح الهجرة

للأستاذ محمود البشبيشي



الليل ينشر على السكون وحشة ورهبة . والظلم يغمر النفوس رعدة ورهبة ، ولكن الحقيقة المؤمنة تتطلق عزمة ورغبة . تنظر إلى أحابيل الشيطان نظرة القدرة لقدرة ، وتتأمل أباطيل الباطل بثقة الحكمة النافذة ، وليكن ما يكون !

فى بطون الوهاد وأعالى الجبال عيون ترصد . وفى خفايا المنافذ وحفايا البطاح أرصاد تترقب . وفى جوار كل جدار ووراء كل باب آذان تستمع ، ولكن الحقيقة المؤمنة فى قلب الرسول تتوثب عزمة ، وتتوهج قوة . وليكن ما يكون !

الشيطان قد فعل فعله فى النفوس الضالة ، والأحقاد قد بلغت الغاية فى القلوب الغُلْف ، ولم تبق بارقة تسطع من خلال رؤى الآمال !

كل شئ فى الجزيرة يحس أن شيئاً سيحدث ، وأنه سيكون حدثاً عظيما ... كل شئ فى الجزيرة يدرك أو يكاد أن أمراً ستتفتح عنه مغاليق الغيب ، وأنه سيكون أمراً خطيراً . ولكن ما من شئ كان يعلم أن ظنون الكفار المتلبدة بسواد النيات ستنهار كخيال الوهم . ولكن ما من شئ كان يعلم أن أمانى الرسول الكريم ستتوج بالنصر كحقيقة الواقع ... ولقد كان ما كان

و طلقت الحقيقة المؤمنة من قيود الباطل ، وانبثق النور السماوى من خلال سحب الضلال . إن محمداً قد هاجر ، وكتب للرمال أن تقبل الخطا المباركة ، وللغار أن يتيه على أعظم القصور عزة وفخامة . إن محمداً قد لاذ به من كيد المشركين

أجل لقد كان ما كان . بل ما كان يجب أن يكون

وأشرق فى جبين الزمان نور جديد . فكان يوم الهجرة المباركة . وكان للاسلام عيداً ، وإنه لعيد مجيد . فلئن اعتزت الأمم بأعيادها المختلفة . وخلدتها بأيام من عُمر الزمن محدودة ، والتفتت إليها من حين إلى حين تعيد إلى ذكرياتها القوة ، وتجدد ما تقادم من حيويتها ، وتبعث فيها الروح بالاحتفال بها ... أجل لئن اعتزت الأمم بأعيادها وحرصت كل الحرص على أن تعيد إليها القوة بالاحتفال . إن الإسلام ليحتفل بعيد الهجرة ... لا ليعيد للهجرة حيوية ضعفت ، ولا ليجدد للهجرة ذكريات تقادمت ، ولا ليبعث فى الهجرة روحاً خمدت ، بل ليستمد القوة من عزمة الرسول وصحبه ، ويقبس من أنوار عيدها أقباس الحيوية السماوية القادرة . وإن أعياد الأمم مهما اختلفت أغراضاً ، وتفاوتت مقاصدَ ، لا تزيد على أن تكون رمزاً لناحية واحدة مجيدة اجتماعية أو غير اجتماعية ، فردية أو غير فردية ، على حين تجتمع فى عيد الهجرة أعياد وأعياد

فى عيد الهجرة أعياد . ومن أعياده الرائعة المتألقة الوضيئة عيد الوفاء فى أروع مظاهره ، والفداء فى أبهى صوره ، والصبر فى أكرم معانيه ، والجهاد فى أعظم غاياته ، والإيثار فى أنبل مواضعه ، وحب الوطن فى أقوى حالاته ، والثبات على المبدأ فى أثبت دعائمه

لنا فى الهجرة مثال للوفاء يحتذى ، وإنه لمثال يتألق حقاً فى رفيق الرسول أبى بكر الصديق ؛ فقد كانت براثن الخطر تترقب ، ومخالب الشيطان تتوثب ، وكل شىء فى شعاب الطريق ومسالكه يستر خطراً يكاد يهجم ، فالأحقاد تلهب الصدور ، والصدور تضطرب بنزوة الدم وثورة الضغينة

أجل كان كل هذا ولكن الصدّيق كان وفياً . ولكن

دَعَوْتَ لَهُمْ بِمَغْفِرَةٍ وَصَفْحٍ فَكَانَ دُعَاؤُكَ الْعَالِى مُجَابَا
مَلَكْتَ رِقَابَهُمْ عَفْوًا فَلَانُوا وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ مَلَكَ الرِّقَابَا

خَرَجْتَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهْىَ دَارٌ شَهِدْتَ بِهَا عَلَى الْكُفْرِ انْقِلَابَا
لَقَدْ آوَاكَ أَهْلُوهَا وَقَامُوا لِيُنْسُوكَ الرَّحِيلَ وَالاغْتِرَابَا
وَجَدْتَ بِهَا مِنَ الأَنْصَارِ أَهْلًا وَزِدْتَ بِهِمْ عَلَى الْبُعْدِ اقْتِرَابَا
وَرُبَّ أَبَاعِدٍ لَكَ قَدْ أَجَابُوا وَمَا سَمِعَ الْقَرِيبُ وَلَا أَجَابَا
رَجَوْتَ بِهِمْ لِدِينِ اللهِ نَصْرًا وَلَمْ أَرَ رَاجِيًا فِى اللهِ خَابَا

محمد عبد الغنى حسن

الصديق كان ثبتاً ؛ ولكن الصديق كان قد انتضى للأمر عزائمه وتغلغلت فى روحه روح الوفاء فأبى أن يكون هيابة نكساً . ووجد الوفاء فى قلبه أرضاً طيبة فأينع وأثمر ، فذلل له كل مستصعب . فكان خير مثال لمصابرة المكاره، ومعالجة البأساء . تحمل فى سبيل الوفاء وعثاء الطريق ولم يضطرب قلبه لمخاوف الرحيل فى هذا الجو الملبد بالأخطار . فياله من رجل ترك الأهل والمال والولد ورافق الرسول الكريم لغاية لا يعلمها إلا الله . مثل هذا الوفاء جدير بأن نقيم له الأعياد لنستمد منه أروع المعانى ، ونهرع إليه كلما دهمتنا الأحداث ولاحت لنا الخطوب

للهجرة أعياد ، ومن أعيادها عيد الفداء

وإن لنا من على كرم الله وجهه لمثلاً للفداء حياً

وما ظنك بالرجل الذى يعلم علم اليقين أن الموت يلمع فى أسنة السيوف بباب مرقده ، والهلاك يترصد فى كل زاوية من دار هو فيها سجين أو شبه سجين ؟ ما ظنك برجل يحس بالخطر يتوثب ويترقب ، وهو فى موقف يؤرق العين ويعذب القلب ؟ فالكفار بالباب قد أعلنوها حرباً مصرحة مستعلنة . والكائدون قد نصبوا الحبائل ومدوا الشباك يترقبون الرسول الكريم ... وهيهات ، فإن علياً هنالك ، وإنه لنائم مكانه

أيها الفداء العجيب فى شخص علىّ . إنك لخير مثال تتطلع إليه القلوب فى مثل أيامنا العجاف

للهجرة أعياد ، ومن أعيادها عيد الصبر

ومن ذا الذى صبر صبر الرسول على المكاره ، وتحمل من الأعداء والأهل ما لا تتحمله النفوس البشرية ؟ ... فى ظلال الإرهاب سار ، وبليل الأخطار أدلج ؛ رأى الموت فلم يفزع ، وكيف تفزع النفس المؤمنة ، ومن فيضها اقتبس الإسلام قوة جهاده ، واستمدت العروبة عزمتها القادرة وقوتها القاهرة ؟ من ذا الذى سواه يستطيع أن يخلع على مكاره الأيام من روحه المؤمنة روحاً تسهّل كل صعب وتنال من كل مستحيل ... ؟

يا عجباً ! لقد استطاعت القوة المؤمنة أن تفك الحبالة وتسلك إلى النفوس فى جوٍّ كانت تسير فيه قالة السوء كومض البروق ، فى جو اجتمع فيه الأشرار على باطل وتفرقوا عن كل حق ... ومن صبر الرسول الكريم وصبر أصحابه الأبرار ما نزال نستمد العون كلما طرقنا من الحوادث أمر طروق

للهجرة أعياد ، ومن أعيادها عيد الجهاد

وجهاد المؤمنين لا ينقصه الدليل ليصدق ، ولا يتطرق إليه الشك فينقص ؛ فلقد كانت الحقيقة المؤمنة فى نفوسهم قوة ، وفى قلوبهم حيوية ، وفى سيوفهم قدراً عاصفاً ، وفى عيونهم أملاً يعلم أنه محقق!

جاهدوا وثابروا فنالوا ما أرادوا . وبعون الله كشفوا عن القلوب غطاء الجهالة ؛ فتناثرت أباطيل الضلال أمام عينيهم ، وانطمست شمس الضلالة الزائفة أمام إشعاع إيمانهم . وسقطت آمال المنافقين أمام إعصار الحق ، كما تتساقط أوراق الدوحة الهزيلة عندما تطيح بها العاصفة

فإلى جهاد المؤمنين فى فجر الإسلام توجهوا أيها المسلمون فى أقطار الأرض ، واستلهموا من معانيه الحيوية معانى العزة القومية . والقوة والإباء . والصبر والجلاد

تلك بعض أعياد الهجرة ، ومن أعيادها عيد الإيثار وحب الوطن والثبات على المبدأ

أما الإيثار . فينطق به الأنصار عندما نسوا الأثرة واستقبلوا المهاجرين بكرم اليد وكرم القلب ، وقاسموهم الخير والأرض ، وعطفوا عليهم عطف العالم بما لاقوا ، المقدر لما تحملوا ، المعجب بما أظهروا

وأما حب الوطن والحنين إليه ، فيتألق فيما كان يضطرب بين أضلاع الرسول الكريم وهو فى الغربة يناضل ويناوص ويستعد ويستجم ليرجع إلى الوطن الذى ترعرع فيه . إلى الوطن الذى غدر به وحجب القلوب عنه . فهو يحن إلى الحج . فيفاوض المشركين رحمة بالأهل ، وحرصاً على الدم من أن يهدر ... وإنه لدم غال عزيز . أفليس هو دم الأعمام وأبناء الأعمام ؟

وأما الثبات على المبدأ . فيظهر ناصعاً فى كل مراحل الجهاد . فى صبر الرسول على الكيد ، وتحمل المهاجرين لألم فراق الأهل والمال والولد

وبعد ، فقد قهرت القوة المؤمنة القوة الضالة ، وقهرت حقيقة الحق رياء الباطل ، وارتدت السهام إلى نحور الكائدين ، وانطلق النور السماوى من روح الرسول ، فبدد سحب المنافقين ، وطوى ظلال الشيطان

ولئن استمدت أعياد الأمم القوة بالاحتفال ، إن عيد الهجرة ليجدد حيوية الأمم المسلمة ... ولئن كانت الأعياد وليدة تاريخ الأمم ، إن تاريخ الأمم الإسلامية وليد عيد الهجرة

أيها العيد ، فى ظلالك أعياد ، وإنها لأعياد تعتز بها العروبة والإسلام . جمعت الوفاء والفداء ، والصبر والجهاد والإيثار وحب الوطن ، والثبات على المبدأ والعقيدة

إن كنت فى لغة الحياة وركبها ... يوماً فكن يا ابن الخلود عهودا

« المنصورة » **محمود البشيشى**

10me Année No. 450

Lundi 16 - 2 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٥٠ « القاهرة فى يوم الإثنين أول صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ١٦ فبراير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

ماضى الاسلام وحاضره

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

احتفلت مصر بأول السنة الهجرية ، فجىَّ فى الخواطر ذكر الهجرة النبوية ؛ وتمثل للأذهان المثقفة ما سبقها وما وليها وتتابع بعدها من حوادث جِسام بنتائجها القريبة والبعيدة ؛ واتجهت القلوب الشاعرة إلى ذلك الوطن الإسلامي المجيد الذى سطع منه نور الحقيقة الدينية فأضاء الآفاق

وتلك ستون وثلثمائة وألف سنة خلت بخيرها وشرها وتركت عبرها لمن يعتبر ، فيرى أن الله أسعد المسلمين بدينه الكريم ، وإنما هم أشقوا أنفسهم بميلهم عن صراطه المستقيم

* * *

قام محمد بالرسالة والعرب على شفا حفرة من النار بما كان لهم من دين وثنى فى تأخر ، وأخلاق فى تدهور ؛ فأنكروا عليه سعيه وائتمروا به ، فهاجر إلى المدينة ، ثم عاد إلى مكة المكرمة منصوراً بإذن الله ؛ وأدخل الرسول فى عقولهم الضالّة وأفئدتهم الشاردة عقيدة التوحيد الذى تجلَّى فى القرآن الشريف بمنتهى القوة وأروع الجلال ، والذى هو جوهر الإسلام المتين على قواعده الخمس

فاعتدلت أحوال العرب بقواعد الإسلام وعباداته وآدابه ، وأصبح المؤمنون بفضل التوحيد أخوة فى الدين ، وجلّ به شأن المسلمين . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم خير المحسنين إلى الإنسانية بأمانته فى إبلاغ الرسالة ، وبعظمه فى سيرته الدينية والأخلاقية

وما أجلّ قوة الإسلام الذى انتشر سريعاً واستمكن فى قارتين على حين كان القتلة يفتاون الخفاء فى أسوأ الحوادث ! وأعظم بها من قوة مدت سلطان الدولة الأموية من الشرق الأقصى إلى الغرب الأنأى فى أقل من قرن إن هو إلا لحظة من الدهر ! وأكرم به من دين أزهرت بحسناته المدنية الإسلامية لعهد العباسيين !

فهذا هو الرسول يؤدى الرسالة ، وهذا أبو بكر أقلّ عناية بوضع الخطط الحربية منه بالدعوة وجمع القرآن ، وبتوطيد الوحدة الإسلامية ، وتأسيس حكومة عربية ؛ وهذا عمر لا يقلّ عدلاً عن أبى بكر ، وإن زاد ميلاً إلى الفتح وأشرف من الحجاز على جملة الأعمال الحربية ؛ وقد كان بقوة يده وشدة شكيمته هو الرئيسَ الذى تحتاج إليه أمة حديثة التكوّن ، يفتنها فيض مغانمها ويظل هو هادئ النفس الأبيّة ، يضاعف بساطة عيشه ، ويفخر بثوبه المرقع ، ولا ينال منه التعب ، وليس له من الأغراض سوى أن يزيد الإسلام نصراً على نصر ؛ وهؤلاء هم الصحابة والأنصار والأبرار ، ثم الخلفاء العظاء والقواد الكبار : معاوية وعبد الملك والوليد وعمر وعبد الرحمن ، وأبو جعفر المنصور والرشيد والمأمون ، وأسامة ، وأبو عبيدة ، وابن العاص ، وخالد ، وعقبة ، وطارق ، وابن نصير ، والحجاج .

رحم الله الجميع بما خدموا الإسلام فى الفتح بالعقيدة والحسام والله « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتى خيراً كثيراً وما يذّكر إلا أولو الألباب »

***

طغى الحكم المطلق لعهد المعتصم وبعده فى جماعات إسلامية مختلفة دماؤها وذكرياتها القديمة ؛ تقرأ فى الكتاب المجيد : « إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون » ؛ وترى الموالى يبلغون أسمى المراتب ، ويداخلها من روح الإسلام الآمر بالشورى والعدل ما يشبه شعور الديمقراطيات فى أيامنا بلذة المساواة والحرية ، فكان التناقض بين ذلك الطغيان وهذا الروح سبباً من أسباب قلق سياسى واجتماعى مستمر فى تلك الجماعات .

وجاء الانحطاط مع ضعاف الخلفاء ذكاء وعقلاً ، فأصبحت الخلافات العباسية من عهد المعتصم متعثرة فى غير الطريق الأقوم تزداد فيها القسوة ويقل التسامح ، وتكثر الفتوق والمطامع والمطامح ، ويتعدد الانقسام وتنفصل الولايات ؛ ثم كثرت حركات الاستقلال فى القرون التالية ، وتضاعف عدد الأسر الحاكمة فى كل صوب ، فداول الله الأيام بين الدويلات حتى تضعضع الدهر بالشعوب الإسلامية ، وأمست بلادها فى النهاية أسواقاً للغاشمين ومستغلات ومسالك للغالبين ، ومستعمرات تتبدل أسماء بأسماء ، ولا تتغير المسميات « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير » ؛ « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » .

***

أما ذلك الطود الأشم ، العزيز بالتوحيد ، الثابت على قواعد الإسلام الخمس وحكمه الخلقية وعلى السنة المحمدية ، فهو راسخ لم تذهب به زعازع القرون ، ولن تذهب

ولقد أثبت نجاح الدعوة نجاحاً متواصلاً أن الأخلاق الإسلامية لاءمت كل العصور ، ودلّ على أن الإسلام يوائم نور العقل الإنسانى . وقد أيد مبشرون مسيحيون أن هذا الدين القويم ينتشر ويمد رواقه فى الآفاق ؛ وبديهى أن هذه الشهادة هى بالنظر إلى علّة انتشاره ، إقرار منهم بفضل الإسلام وسموه من حيث هو دين ، ومن حيث هو سبب للمدنية .

تلك الحقائق الواضحة ينكرها فريق من أصحاب المصالح الاستعمارية ، الحريصين على نفوذهم أو سيطرتهم فى البلاد الإسلامية ؛ بل هو يزعم أن عالَم الإسلام قوة من القصور الذاتى والقدرة على عدم المطاوعة تعارض بطبعها مدنية الغربيين ؛ وإنه عالَم لا يقبل التغيير وعاجز بكيانه وأخلاقه عن التطور الصحيح النافع ؛ فهو كتلة تظل أبد الدهر غير قادرة على مساواة أمم غربية فى الجلد والضمير ، والصفات النفسية ، برغم الظواهر وبعض التأويلات التى تخدع من لا خبرة لهم برجال هذه الكتلة وشؤونها ؛ ومواهبُ الشرق الفطرية مناحسُ ، هى الخلو من المثل

الأعلى ومن الفضائل القومية؛ وهي الجَوْر ، والرغبة عن المشروعات التي يطول بتنفيذها الزمن ؛ وهي البلادة في رخاوة وتثاقل ، والجمود تتخلله أَزَمات عنيفة قصيرة ليس فيها كبير طائل ؛ فأحسن حال تحدث للبلاد الإسلامية هي أن تدخل ، طوعاً أو كرهاً ، في وصاية حكومات أجنبية تنيلها ، بالتوجيه الحازم ، خيرات النظام الذي تمنعها عوائقُها أن تقيمه هي من تلقاء نفسها .

ألا إن الإسلام دين الفطرة واليُسْر ، ولا تعقيد فيه . واصله الاعتقاد بالله الأحد ، وبالرسالة المحمدية . والقرآن هدى للمؤمنين لا عقبة في سبيل فلاحهم الاجتماعي والأخلاقي ، والشرعي والفكري . وقد أصلح النبي على نوره شأنَ العرب وصَلُح به شأن أمم شتى . وكان تقييد العقول أبعدَ الأشياء عن خاطر الرسول الذي أوحى إليه : « إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » و « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب » .

وليس الإسلام بذلك النظام الجامد الذي لا يراه إلا أهل النظر السطحي أو أولو الأغراض . ولقد كانت المدنية الاسلامية ، قبل قرون ، أزهرَ مدنية في الدنيا ، يوم كان شارلمان فارساً خشناً بالنسبة إلى هارون الرشيد ؛ وكان العالَم المسيحي ، لأوائل عهد الاصلاح الديني في أوربا ، على حال سادت فيها العقيدة على العقل ، وعمّ الرضى الأعمى بالتعاليم وبالسلطة ، والعداء لحرية الفكر والعلم ، والارتيابُ بهما .

كلا ، ليس الإسلام في شيء من المعارضة للعلم والمدنية ؛ وقد قضى العالم الإسلامي عهداً مديداً في فتور وحياة متئدة ، ولكنه آخذ في الخروج من حال تخلُّفه . فمن ذا الذي يستطيع أن يحكم بأنه لن ينطلق إلى طور جديد يعيش فيه عيشة مصححة بلا معين ، محتفظاً بمميِّزاته الأصلية ؟؟

والحق أن للاسلام أثراً جليلاً في حياة الإنسان الدينية ، ومكاناً فسيحاً في الدنيا . وله فيهما شأن عظيم سواء أكان من حيث هو دين أم من حيث هو عالَم يضم شعوباً على إيمان واحد ، ومظهر أخوّتهم الدينية حجُّهم البيت في الوطن الأصلي الذي نشأ فيه دينهم : يدعوهم الإسلام فيخفّون إلى القِبلة ويحتشدون فيها على رغم انقسامهم شيعاً ومذاهب ، واختلاف نزعاتهم وتبعياتهم . فالإسلام قوة روحانية ، وهو من ههنا قوة سياسية واجتماعية من الطراز الأول

من أجل ذلك فشِل طالبو محوه من الوجود ومحاربوه وجهاً لوجه ؛ وأصبح في الغرب من يقول : « إن في العالم الإسلامي رجالاً لهم نزعة محمودة يعملون على التوفيق بينه وبين العالم الأوربي ؛ وإن في الجانب الأوربي والمسيحي رجالاً أمثالهم يسعون سعيهم ، ويدفع الجميعَ وجدانيٌّ واحد هو الشعور بواجب السعي في تحقيق هذا التوفيق الضروري . وإن هؤلاء الأفاضل — من الطرفين — هم وحدهم الأقدرون على تحقيق (الاتفاق) المنشود بين العالم الإسلامي والعالم الغربي المسيحي »

ويقول أيضاً إن كلمة (الاتفاق) — المطلقة المعنى الواسع العام — مستعملة عن عمد في هذا الكلام الذي لم يُرَد به سوى علاقات حسنة تسهّل الحياة فتروِّج التجارة والصناعة ، لأن الدين الإسلامي سلطان روحي هو من القوة وزَيْد الجدارة بالاحترام في مقام لا يمكن معه أن يُقصد ههنا غير الاتفاق الودي .

« ودَّتْ طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون »

وليس شك في أن العاقل يسره التفاهم بين الناس والتوفيق بين مصالحهم ، وإيتاء صاحب الحق حقه لا وكس فيه ولا شطط . غير أن كلام الغربي — في هذا الصدد — يشفّ عن الحقيقة وإن ظهرت وراءه في خفاء . فعسى الساعون من رجال البلاد الإسلامية في تحقيق الاتفاق بين الطرفين أن يتبينوا هذه الحقيقة تفادياً من أن يشوب خيره شر لأوطانهم يُطيل أمد بقائها تحت ألوان الحكم الأجنبي ، وهو إسار وإن تموّهت أسماؤه الحسنى

* * *

ذلك بعض ما يرى الناظر في ماضي الإسلام وحاضره ، وما يجمعه تداعي المعاني في خاطره من حقائق عظيمة الشأن . وفي القرآن : « فذكّر إن نفعت الذكرى ، سيذّكر من يخشى ويتجنّبها الأشقى »

فليت المسلمين يلتفتون إلى تلك الحقائق في فاتحة هذه السنة الهجرية المباركة ، إذ يبدأ فيها الإصلاح الذي يتوخاه جماعة كبار العلماء ، والعمل الجليل الذي عهدوا إلى لجنتهم في القيام به ، والحمد لله ! « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »

محمد توحيد السلحدار

الهجرة والأخلاق

للأستاذ محمد يوسف موسى

الهجرة من الناحية التاريخية حادث من أبرز الحوادث فى تاريخ الاسلام إذ كانت فاتحة مجده ، ومقدمة علو كلمته على الشرك والمشركين . بها أعز الله الاسلام ، وصار المسلمون بعد أن كانوا يستخفون من قلته ، ويتسللون لواذاً للمدينة فارين بدينهم وأنفسهم ، أقوياء بعد ضعف ، فيهاجمون قريشاً ومن حالفها ، وقد كانوا لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم عدوان المشركين وجبروتهم . لا جرم أن أفاض المؤرخون والكتاب فى هذا الحادث ؛ يصفونه ، ويقصون ما كان من أمره فى بدئه ونهايته .

لكن للهجرة نواحيها الأخرى التى لا تقل عن الناحية التاريخية خطراً ، والتى يجب فيما أرى أن نتذكرها فى هذا عظة وخير . من هذه النواحى الناحية التى تتصل بالأخلاق .

كما تذكرنا هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة مثابة قومه إلى المدينة مستقر أنصاره ، نتمثل المبدأ القويم واعتزاز صاحبه به ، ومحافظته عليه ، ولو وقف الموت فى سبيله أو عرضت عليه الدنيا بأسرها ، كما نتمثل التضحية فى سبيل المبدأ بالمال والولد وسائر ما تحرص عليه فطرة الانسان وطبيعته . لقد صدع الرسول الشجاع بما أمر به ، فلقى قومه من ذلك عظيماً ، ورأوا فيه تسفيهاً لأحلامهم ، وسباً لآلهتهم ، واستهانة بما كان أسلافهم عليه من عقائد موروثة ودين مقدس عزيز . هبت قريش تلتمس السبل للتخلص من هذا الذى أقض عليهم مضاجعهم ، وكان لهم فى هذا محاولات عدة ، باءوا من جميعها بالفشل ؛ ومنها ما عرضوه من أن يُملّكوه عليهم ، فيكون الملك المطاع ، وهم الرعية الخاضعة . رفض الرسول إذاً كل ما تقدمت به قريش ؛ إذ وجد فى ذلك ما يحول دونه ودون ما أخذ نفسه به من الجهر بالدين حتى ينال النصر ، وتكون كلمة الله هى العليا . وفى ذلك موضع الذكرى والمثلة !

ورأت قريش مع هذا أن تعالج الأمر من ناحية أخرى بالقوة العارمة والعذاب الشديد للمستضعفين من المسلمين تريد فتنتهم وردهم للكفر وقد نجاهم الله منه . لكن هؤلاء قابلوا الفتنة بالصبر والتضحية قبل الهجرة وحين شرعوا فيها . كان أول من هاجر إلى المدينة — فيما يروى ابن إسحاق — أبو سلمة عبد الله . فلما أجمع الخروج فرقت قريش بينه وبين زوجه وابنه ، فطاب عنهما نفساً وبقيا بمكة ولم يلحقا به إلا بعد سنة أو قريباً منها[١] .

وصهيب بن سنان يروى ابن هشام حديثه لما أزمع الهجرة فيقول : إنه لما أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك . والله لا يكون ذلك ! فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلّون سبيلى ؟ قالوا : نعم . قال : فإنى قد جعلت لكم مالى . فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ربح صهيب ، ربح صهيب[٢]

هكذا كان ثبات النبى وصحبه على المبدأ وتضحيتهم فى سبيله بالنفس والنفيس وصبرهم على الأذى . أما نحن فإن الواحد منا يرى وجهاً من وجوه الإصلاح ويعتقد أن فى الدعوة إليه ونشره وأخذ الناس به الخير كل الخير لأمته ؛ ثم يعد العدة للتبشير به مؤكداً لنفسه ولمن يحيط به أنه جاد فيما يرى ، صادق فيما يقول ، قائم بالدعوة مهما لقى فى سبيلها ، باذل فى ذلك من وقته وماله ونفسه . وما هو إلا أن يلتف فريق من الناس حوله وإلا أن يلوّح له بعض ذوى الجاه والسلطان بسيف المعز وذهبه حتى ينكمش ويتضاءل فيعود مَسخاً ليس له من الرجولة إلا الإسم ؛ وليس له من ماضيه وما كان اعتزم وقدر وقرر إلا الذكريات التى تتراءى له صوراً وأشباحاً تأنم لها نفسه إن كان لم يفقد ضميره بعد ، أولا يأبه لها ولا يباليها ؛ بل ويسخر منها إن كان فقد مع رجولته الضمير الحر الحساس أيضاً !

هل نحن فى حاجة لضرب الأمثال لهذا الداء الذى شرى

(١) سيرة ابن هشام طبع مصطفى محمد ج ٢ ص ٧٧ — ٧٨

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٨٩

فما أظن أن من السهل أن نطب له ونبرأ منه ، أعنى داء عدم الاعتداد بالمبدأ والتمسك به ، مهما قامت العقبات وتعقدت الأمور ما دام فى التمسك به خير وصلاح الأمة . المُثُل لهذا كثيرة ؛ نجدها فى الميدان السياسى ، ونجدها فى الميدان الاجتماعى ، ونجدها فى الميدان الاقتصادى ؛ وأخيراً نجدها فى الميدان الدينى . لنلق نظرة على ما صدر من الصحف فى هذه السنوات الأخيرة نجدها ملأى بالدعوات الحارة لمبادئ مختلفة رأى الدعاة إليها خيراً كثيراً فى تحققها ، وربما ألفت لجان لبعضها تفحصها وتشير إلى وسائل جعلها حقائق فعلية بدل أن تظل أمانى تجيش بها الصدور وتلج بها الألسنة . ولكن ما هى إلا أيام أو شهور ونرى الدعاة قد استوعروا الطريق واستطالوا الشقة ، أو رأوا فيما يدعون إليه ما ينفِّر رئيساً أو ذا جاه ، فى ترك ما حسبوه جرى منهم مجرى الدم من مبدأ أو فكرة ما يقربهم زلفى إلى هذا الرئيس أو ذى الجاه ؛ حينئذ ينقلب الواحد من هؤلاء على عقبيه ، وينكر ماضيه ويترك مبدأه ويعيش متمتعاً بما نال من حظوة وكسب من صيت وشهرة باعتباره رجلاً من رجال الإصلاح !

إن كنت مبالغاً فى هذا الذى أقول فلنتذكر أن لنا بالقاهرة وحدها عشرات من الجمعيات الدينية والاجتماعية ولكل منها مبادئ قامت فيما تزعم عليها . وأنه ما من واحدة من هذه الجمعيات أخلصت أو تخلص لمبادئها وجدت أو تجد فى الدعوة إليها أو تحقيقها ! هل ربت جماعات الكشافة التى تزخر بها المدارس تلميذاً واحداً على الصدق فى القول والاستقلال فى الرأى والاكتفاء بالنفس ، ومعاونة الغير ، ونحو هذا من مبادئ الكشف والكشافة ؟ هل أفلحت جميات المسلمين فى جعل فريق من الناس ولو من أعضائها مسلمين حقاً يعرفون — ويعملون بما يعرفون — أن الصدق فى المعاملة من الدين ، وأن اعتبار المؤمنين جميعاً إخوة أساس الدين ، وأن كراهة الظلم والظالمين مما يحتمه الدين ويدعو إلى أن يظهر بطريقة عملية تردع هؤلاء الظالمين ؟ هل أخذ أعضاء هذه الجمعيات الدينية — التى تدعو للحشمة والصون والعفاف ، وتحارب فيما تزعم التبرج والخروج عن الدين — أهلهم وأولادهم جميعاً بحدود الدين وألزموهم سننه وشرائعه ؟ معاذ الله أن يفعلوا هذا وأن يلتزموا المبادئ التى يدعو إليها وأن يكون لهم فى ثبات النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الصادقين على المبدأ الحق عظة وذكرى !

إذا تركنا هذا النحو من القول ، وانعطفنا ثانية لحادث الهجرة نجد فيه مجالاً لعظات أخر من الخير أن نشير إلى بعضها . هاجر النبى وصاحبه الصديق إلى المدينة فماذا فعل ؟ كان أول ما عمل أن آخى بين المهاجرين والأنصار ليكونوا يداً واحدة على من عاداهم ؛ وكان من هؤلاء الأنصار أن واسوا إخوانهم المهاجرين وشاطروهم ما يملكون ، وآثروهم ولو كان بهم خصاصة ، فكانوا بذلك مؤمنين حقاً ؛ حسن إيمانهم ، وخلصت قلوبهم ، ورأوا من الكذب والزور أن يزعم الواحد منهم أنه أخ لمن يشركه فى الدين ثم يستأثر بما أنعم الله عليه به ، ويزوى عنه حقه فيه ؛ ويحتجن دونه نصيبه منه

أما نحن فنلوك بألسنتنا أن المؤمن أخ المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه ؛ ونقرأ كثيراً قول الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » ؛ وقول الرسول الحكيم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . نعلم هذا كله ثم لا نؤدى الزكاة ، ولا نواسى المحتاج ؛ ولا نرحم البائس الفقير ؛ ونزعم مع ذلك أننا مؤمنون حقاً ؛ وأننا بمنجاة من سخط الله وعذابه لأننا قائمون له بما يجب ! ناسين أو متناسين ما رواه عبد الله بن عمر إذ يقول : « أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا معشر المهاجرين ، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ؛ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ؛ ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ؛ ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما فى أيديهم ؛ وما لم تحكم أئمتهم بما أنزل الله ؛ ويتخيروا مما أنزل إليهم إلا جعل بأسهم بينهم » !

يميناً بالله أننى أرى أنَّا نستحق الآن أن يعمنا الله بعذاب من عنده ، لولا ما فينا من شيوخ ركَّع ، وأطفال رضع ، وبهائم رتع ! لقد اجتمعت فينا هذه الخمس التى خافها الرسول

على المؤمنين المهاجرين . فقد منعنا الزكاة والتمسنا لهذا الفتاوى الباطلة والتعلات الكاذبة ! وظهرت الفاحشة فينا ، بل جعلنا لها ولحمايتها اللوائح والقوانين ! وفشا الغش والتدليس فى المعاملة ، وصار ذلك باباً من المهارة يُطلب أن يحذقه التاجر والصانع ومن إليهما ! واستعرنا ما نتحاكم إليه من قوانين من فرنسا وغير فرنسا نابذين كتاب الله وما جاء به من شرائع ظهرياً ! وصار الغنى لا يرى بأساً فى أن يسكن القصر ويملك الآلاف ويبيت يشكو البطنة والتخمة ، وبجواره وحواليه المئات من إخوانه فى الدين والوطن جياعاً معدمين ! ومع هذا كله نزعم أننا بخير ، وأن الدين لا يزال ثابت الدعائم مرعى السنن والآداب والأحكام !

بذلك الإهمال للدين ، واطراح ما يأمر به الله من سنن وتشاريع ، وبترك النصح للعامة والخاصة ، صرنا فى أمر مريج ولبس شديد ، وصار المرام صعباً ، والمطلب وعراً ، والمسلك حَزْناً . ولو أننا اتعظنا بالحادثات وراعينا صالح الدين والوطن قبل كل شىء وائتمرنا بما يأمر به الله وانتهينا بنهيه ، لسهل الأمر وسلِس ، وصار قريب التناول ، سهل القياد !

بقيت كلمة أخيرة تخطر بالبال كلما انتهى العام وبدأ آخر : هى أنه كما يقول حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالى رضوان الله عليه : ترى التجار يحاسب الواحد منهم نفسه فى شهر أو عام ليعرف كسبه من خسرانه ؛ فإن كان الأول حمد الله واستزاده منه ، وإن كان الآخر بحث الأسباب ليتلافاها فلا يقع فيها مرة أخرى ؛ إذا كان هذا عادة التجار ، مع أن الخسارة أو الكسب لن يكون إلا شيئاً من حطام هذه الدنيا ، فكيف يليق بالعاقل ألا يحاسب نفسه كل ليلة ساعة يأوى لفراشه على ما عمل سحابة نهاره !

لست أطمع فى الوفاء بما يطلب الغزالى من حساب المرء نفسه كل ليلة ، وغاية الذى أرجو أن يكون الحساب آخر كل عام ؛ حتى نستقبل العام الجديد بنفوس راضية تائبة عازمة على أن تكون فيه خيراً منها فى العام الذى انتهى . هدانا الله إلى الصراط المستقيم ؛ وجعلنا من الذين إن تقلد الواحد منهم عملاً سوّاه ، وإن رأى ضالاً هداه ، وإن آنس أوداً ثقفه . إنه المستعان .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

الاسلام في أوله وحاضره

للأستاذ عبد العزيز محمد عيسى

أظهر ما توحى به الهجرة إلى النفس ، ما كان عند الرسول صلى الله عليه وسلم وعند أصحابه الأخيار من قوة العزيمة ورسوخ الإيمان ، قوة ورسوخاً تغلبا على جميع ما لا قوة من شدائد ومصاعب

فقد احتمل الرسول ألوان الكيد وصنوف المشقات من أعدائه بعزيمة لا تعرف الكلل ولا التوانى ولا الخنوع . وتحمل المسلمون الأولون معه مثل ذلك بعزائم مقتبسة من عزيمته ، حتى كان الواحد منهم يمشط بأمشاط الحديد فلا يصرفه ذلك عن قصده ولا يلويه عن عقيدته . تحملوا هذا الضيم وهم أباته فى سبيل نشر الدعوة التى تفتحت لها قلوبهم فاعتنقوها وأخلصوا إليها . وما زالت المتاعب وضروب الإيذاء تغالب عزائمهم تبتغي وهنها والحد من نشاطها ، حتى صرعتها هذه العزائم فى جلد وصبر واستهزاء ، فإذا دين الله ينتشر عزيزاً فى بقاع المعمورة ، وعلمه يرفرف على أمم وممالك لم تكن للعرب بها صلة قبل ذلك . ثم كانت تلك الفتوحات العظيمة أثراً من آثار رسوخ عقيدة الأولين وإيمانهم بفكرتهم وتفانيهم فى الدفاع عنها والعمل على نفوذ سلطانها

إن الحوادث التاريخية منذ القديم إلى اليوم تدل دلالة واضحة أنه على قدر إيمان الدعاة والأتباع بفكرتهم ويقينهم بها يكون عملهم لرفعتها ونجاحهم فى نشرها وتحقيق سيادتها . كذلك نشاهد أن الأمم الحديثة التى تؤمن بفكرة اقتصادية واجتماعية وتعتقدها وتفنى فيها تحاول جاهدة بسطها على الناس بالدعاية والإقناع تارة ، وبالسيف والنار أخرى . وما التطاحن الحالى إلا مظهر من مظاهر ذلك

على هذا النحو كان المسلمون الأولون فى إيمانهم بفكرتهم وعملهم لها . وليس من شك أن للايمان بالفكرة والانسياب فى كل ما ينهض بها وجعلها الشغل الشاغل لصاحبها أثراً جليلاً فى قبول دعوتها وتوجه الناس إليها وتفكيرهم فى أمرها

إن الشعوب الأجنبية تنظر إلى الاسلام فى أشخاص أصحابه وأعمالهم وأوصافهم ، وقديماً كانت الأفراد والشعوب تنظر إلى المبادئ والفكر فى تصرفات أصحابها وأحوالهم . ومازلنا نحن نحكم على الأحزاب والجماعات هذا الحكم ؛ لأن ذلك أول مظهر يتجلى فيه الاخلاص للفكرة والاقتناع بها والإعلان عنها . ومن ثم كان من يحاول انتزاع صفات الاسلام والوقوف على مبادئه وغاياته من أعمال شيعته الأولين وتصرفات أحوالهم ومظاهر حياتهم يظفر بنتائج تصرفه إلى الاعتراف بصلاحه وتجعله دائم التفكير فى الركون إليه .

أما اليوم فمن يحاول انتزاع هذه الصفات والمبادئ من مظاهر أحوال معتنقيه فى كافة الشعوب التى تتغنى بأن دينها الاسلام ، فإنه يظفر بما لا يجعله شديد الرغبة فى هذا الدين ولا كثير التفكير فيه ؛ لأن مسلمى اليوم ـ لا فرق بين جمهورهم وسادتهم ـ فى ضعف واستكانة وذلة ؛ وتحلل من جميع الصفات التى بها ساد السابقون وعليها ارتقت دولتهم وعظم سلطانهم .

وهذه المظاهر لا تدل على ضعف فى المبادئ ذاتها . لأن هذه المبادئ هى التى نهضت بالسابقين نهضة ما يزال التاريخ يُزهى بها ؛ وإنما تدل على ضعف فى إيمان أصحابها اليوم . ونقص فى إخلاصهم للفكرة وانصرافهم إليها . وإن تعجب فعجب أنهم ما يزالون يسمون أنفسهم مسلمين .

ليت شعرى متى كان الإسلام كلاماً ودعاوى ، ومتى نهضت المبادئ مع تحلل أصحابها عنها وتركها وراءهم ظهريًّا ! إن الذى يتوهم أن المبادئ تعلو مع خذلان أصحابها لها ، وتنتصر مع انصرافهم عنها ، وتنهض وهم يعوقون حركتها ؛ إن الذى يتوهم ذلك يجرى وراء شىء أبعد من الخيال . والرأى عندى لهذا أن الخلاف بين الكلاميين فى التفرقة بين الإيمان والإسلام يرجع إلى أمر جدلى أكثر مما يرجع إلى الحقيقة

* * *

هناك فرق بين الإيمان بالفكرة والتسليم بها . الإيمان بالفكرة يستلزم التفانى فى خدمتها والنهوض بها . ويتبعه جهاد عنيف شاق وعمل دائب متصل لأجل سيادتها وذيوعها وبسط سلطانها ؛ ولأن هذه الرغبة تحدو المؤمن بفكرته يحاول جهده أن يقف عند

تعاليمها ويتأثر خطاها ويترسم حدودها ، ويبتعد عن كل مظهر يخالفها أو تلمح فيه مدافعتها . أما التسليم بالفكرة فيكتفى صاحبه باستحسانها وعدم معارضتها دون أن يتبع ذلك عملاً حاسماً فى سبيل نصرتها ورفعة شأنها ؛ وسواء لديه بعد ذلك أنهضت الفكرة أم ماتت ؛ لأنه لم يؤمن بها ولم يخلص إليها ولم يأبه لرواجها

وإذا أردنا استخلاص شيء من ذلك خلص لنا أن المسلمين اليوم ضعاف الإيمان ؛ لأن مظاهر قوة الإيمان غير متحققة فيما بينهم ولا جلية فى أعمالهم وأوصافهم ؛ وكل ما يبدو من تصرفاتهم عنوان هذا الضعف ودليله

لهذا كله نراهم محتاجين إلى قيادة وتوجيه حتى يتزايد عندهم الإيمان ويتولد الشعور بقوته وكماله فينصرفوا كما انصرف السابقون يثبتون دعائمه ويبسطون سلطانه

وموقف القيادة والتوجيه لذلك يتطلب من صاحبه أن يكون مثلاً أعلى فيما يدعو إليه ؛ مؤمناً بفكرته ، مخلصاً لها ، حريصاً على نجاحها ؛ لا يبدو عليه فى قول ولا عمل ما يُشعر بعدوله عنها أو ضعف يقينه فيها . فاذا وجد ذلك القائد أقبل الناس عليه واستجابوا دعوته

***

إن مصر فيما يرى الناس زعيمة الشرق الإسلامى ، فمن حقها إذن أن تكون القائد الموجه له فى ذلك . فهل تستطيع أن تعمل بحرارة وإخلاص لفكرة سيادة الإسلام وسيطرته ؟ وهل تستطيع النهوض بهذا العبء الشاق وتقوى على تكاليفه وتبعاته ؟

إنها لتستطيع ذلك وتقدر عليه عن طريق الأزهر ورجاله ، أزهر الشباب المملوء توثباً وأملاً وقوة ، « أزهر القرن الرابع عشر — كما يسميه الأستاذ الزيات — الذى يضع لثقافة الشعب أساساً من الدين ، ويقيم عليه من القواعد والنظم والأوضاع ما يقره العقل ويتقبله العصر وتقتضيه الحاجة » ؛ الأزهر الذى يتفانى فى سبيل ذلك ويكافح ويناضل ويلجئ بسلطانه الروحى رجال الحكم وذوى الرياسات على تنفيذ ما رسم والإيمان بما آمن ، لا يعرف من أجل هذه الغاية النبيلة هوادة ولا انتظاراً ولا مجاملة ؛ الأزهر المخلص الذى يراه الشعب كذلك فيكون حليفه وناصره ، ينقاد لأمره ويعمل برأيه ويسير بخطواته ؛ الأزهر الذى يقتفى يحق أثر صاحب الهجرة ، فيؤمن إيمانه ، ويكافح كفاحه ، ويثق فى الله ونصره وثوقه ، ويعتمد عليه اعتماده

يقول الأستاذ الأكبر : « كانت الهجرة حداً فاصلاً بين الذلة والعزة وبين الضعف والقوة » ؛ فهل يعيد التاريخ نفسه فتكون ذكرى الهجرة اليوم حداً فاصلاً بين ذلة الحاضر وعزة المستقبل ، وبين ضعف اليوم وقوة الغد ؟ وهل تكون رمزاً لانتصار حق الدين على باطل المدنية الكاذبة الخداعة ، فينخلع المسلمون عامة مما هم فيه من مجانبة لنظم الإسلام وتعاليمه وإرشاداته ، ويعودوا إلى الحنيفية البيضاء يترسمون خططها ويتبعون هداها وينزلون على أحكامها ؟

وهل يقف الأزهر من المسلمين اليوم موقف القائد الجرئ الواثق من النصر ، المؤمن بمبدئه الراسخ العقيدة فيه ؟ وهل تتجه نظمه ودراساته إلى ما يخلق فى نفوس أبنائه الإيمان بالفكرة والعمل على إنجاحها وسيادتها ؟ وهل يتفانى أهله فى سبيل سيطرتها ونصرتها وتغلغلها فى صدور الناس فلا يُرى من أحوالهم وتصرفاتهم إلا ما ينميها ويحسن الإعلان عنها ويفسح الطريق أمامها ؟

ذلك أمل عسى أن يتحقق قريباً

ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز

عبد العزيز محمد عيسى
مدرس بمعهد القاهرة

كيف استفتى العلم في أول وحي إسلامي ؟

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

جاء الإسلام وقد آن للبشرية أن تدخل فى عصر يجمع بين الدين والعلم ، ليتضافرا على هنائها ، ويكفلا لها السعادة فى دنياها وآخرتها . فكان لها من الإسلام الدين الذى يحقق لها هذا الغرض ، ويمد يده إلى العلم من أول يوم يولد فيه ، ليعلم الناس من أول الأمر أنه دين يؤاخى العلم ، ويقدر فضل رجاله ويرجع إليهم فيما يفيد الرجوع فيه ، ولا ينأى بجانبه عنهم كما نأت الأديان الأخرى ، فذمت الحكمة والحكماء ، وقالت فى بعض رسائلها المقدسة : الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة . كما قالت فى نص آخر : لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله

فلم يغض الإسلام من الحكمة كما غضت منها هذه الأديان ، بل مدحها فى إطراء ، ورفع من شأنها ، وعدها أكبر نعمة من الله على بنى الانسان : (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب)

وقد فتح الاسلام بذلك عصراً جديداً فى تاريخ الانسانية ، وانتقل بها من دور الطفولة الذى لم تكن تؤمن فيه بالعلم والنظر ، بل كانت تؤخذ إلى الايمان بوساطة المعجزات ، وخوارق العادات لقصور عقلها ، وعجزها عن فهم الايمان إلا بهذه الوسيلة التى تؤخذ فيها بالدهشة ، ولا تحتاج إلا إلى قليل من إعمال الفكر والنظر

فانتقل الاسلام من ذلك إلى معجزة تنظر إلى من قصد بها كانسان كامل ، له عقل يفكر به ، ويمكن أخذه بطريق النظر إلى الايمان ، ليؤمن عن عقل وتدبر ، ولا تنفرد بإيمانه المعجزة وحدها ، وليقوم إيمانه على أساس العقل ، ويتضافر فى تشييد بنائه الوحى والعلم

والآن فلنبين كيف استفتى العلم فى أول وحى إسلامى :

نشأ النبى صلى الله عليه وسلم بين قومه فى مكة ، فرعى الغنم صغيراً ، ثم اشتغل بالتجارة بعد رعى الغنم ، ثم تزوج خديجة رضى الله عنها ، ووجد من وقته فسحة بعد تزوجها ، فكان يقصد إلى غار حراء يتعبد فيه الفينة بعد الفينة ، فيقضى فيه الليالى ذات العدد ، ثم يعود إلى زوجه فيمكث معها أياماً ، إلى أن يقصد الغار مرة أخرى ؛ ولم يكن هو الذى يفعل ذلك وحده ، بل كان يشاركه فيه كثير من متنسكة قريش

وقضى فى ذلك أربعين عاماً لا يفكر فى غيره ، ولا تحدثه نفسه بما صار إليه حاله بعدها ، بل كان راضياً بحاله فيها كل الرضا ، إذ كان يجد من زوجه شريكة بارة صالحة ، ومن نفسه طهارة واستقامة وقناعة ، ومن قومه ثقة وتقديراً وإكباراً ، حتى كانوا يلقبونه الأمين تشريفاً له وتعظيما ، وليس بعد هذه الأمور من سعادة للنفس الراضية ، كنفس محمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك العهد

فلما جاءه الوحى لأول مرة فى غار حراء صادف نفساً لم تكن تنتظره ، وكانت مفاجأة أثرت فيها أكبر تأثير ؛ فبينما هو قائم فى بعض الأيام على الجبل ، إذ ظهر له شخص غريب لم يشاهد مثله فى حياته ، فقال له : أبشر يا محمد ، أنا جبريل ، وأنت رسول الله إلى هذه الأمة . ثم قال له : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ ؛ لأنه كان أمياً لم يتعلم القراءة ؛ فأخذه جبريل فغطه بالنمط الذى كان ينام عليه ، حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله فقال : اقرأ . فقال ما أنا بقارئ . فأخذه فغطه ثانية ثم قال : اقرأ . فقال : ما أنا بقارئ . فأخذه فغطه ثالثة ثم قال : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم

ثم اختفى جبريل بعد هذا الوحى الأول ، ورجع محمد صلى الله عليه وسلم وقد بلغ ذلك من نفسه مبلغه ، لأنه فوجئ به مفاجأة ولم يكن يعرف من هو جبريل ، لأن ذلك لم يكن معروفاً بين قومه . وهو اسم غريب لا يمت إلى العربية بصلة ، فسار إلى خديجة يرجف فؤاده مما ألم به من الفزع ، فدخل عليها فقال : زملونى زملونى . فزملوه حتى زالت عنه هذه القشعريرة ، وذهب عنه الفزع ، ثم أخبر خديجة بأمره من أوله إلى آخره ، وخشى على نفسه أن يكون أصابها شىء ؛ وألا يكون هذا الشخص ملكاً من ملائكة الله تعالى . فطمأنته خديجة رضى الله عنها ،

وقالت له : كلا ، والله ما يخزيك الله أبداً ؛ إنك لتصلَ الرَّحم ، وتحمل الكَلَّ ، وتكسب المعدوم ، وتَقْرِى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ؛ فلا يسلط الله عليك الشياطين أو الأوهام ، ولا مِراء أن الله اختارك لهداية قومك

فاطمأن محمد بهذا الكلام الطيب من تلك الزوج البارة ؛ واطمأنت خديجة على زوجها بعد أن زال عنه ما ألمَّ به من الفزع ؛ ولكنهما أرادا أن يزيدا اطمئناناً بعلم العلماء من قومهما ، وأن يستفتيا منهم من له علم بحال الرسل ممن اطلعوا على كتب الأقدمين . وهنا يمد الإسلام يده إلى العلم من أول يوم يولد فيه ، وتظهر فضيلته في مؤاخاة العلم والاعتراف بالحاجة إليه في هذه الدنيا . فلا يكون هناك عداء بين العلم والدين . ولا يقف أحدهما حجر عثرة في سبيل الآخر . وهذا هو الذي حصل في تاريخ الإسلام إذ كان يُفهم فهماً صحيحاً ، ولا يتسلط فيه متنطعون يعادون العلم باسم الدين ، والدين براء مما يصنعون

وكان لخديجة ابن عم من علماء قريش يقال له ورقة بن نوفل ، وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العِبْرانيّ ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمى وانقطع للعلم ، وأخلص له نفسه فصفت به وطابت ، حتى أورثها تواضعاً وإذعاناً للحق ، وبعداً عن المراء والتمادي في الباطل ، وكراهة للتعصب المقوت ، وبغضاً للجمود على القديم ، ومعاداة الإصلاح والمصلحين

فأخذت خديجة زوجها إليه ، وقالت له : يا ابن عمّ ، إسمع من ابن أخيك

فقال له ورقة : يا ابن أخي ، ماذا ترى ؟

فأخبره عليه السلام خبر ما رأى

فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزله الله على موسى ؛ لأنه يعرف أن رسول الله إلى أنبيائه هو جبريل

ثم قال : يا ليتني فيها جَذَع ، إذ يخرجك قومك من بلادك التي نشأت بها ، لمعاداتهم إياك ، وكراهيتهم لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها آباءهم

فاستغرب عليه السلام ما نسبه ورقة إلى قومه من معاداته ، مع ما يعلمه من حبهم له ، لاتصافه بمكارم الأخلاق وصدق القول حتى إنه لم يلق منهم أذى في هذا العمر الطويل الذي قضاه معهم ، فقال لورقة : أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟

فقال له ورقة : لم يأت رجل قطُّ بمثل ماجئت إلا عُودِي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً

وهكذا مدَّ العلم يده إلى الدين حين مدَّ الدين يده إلى العلم ، فآمن به حين مد يده إليه ، وزاد في يقينه حين طلب منه أن يزيد فيه ، وبذل له المعونة التي يريدها ، وتطوع لنصره إذا صادف من أعدائه إنكاراً . وأثبت بذلك أن العلم الصحيح لا يعادي الدين ، كما أن الدين الصحيح لا يعادي العلم ، لأن الغاية منهما واحدة في هذه الحياة ، وهي الوصول إلى هناءتها وسعادتها ، ولا يمكن أن يكون هناك عداء بين شيئين تتحد غايتهما ، ويرمي أحدهما إلى الغرض الذي يرمي إليه الآخر ، واختلاف الوسائل في ذلك لا يؤثر شيئاً ، لأن اتحاد الغرض هو الذي يجمع بين الأشياء ، ولا تهم الوسيلة إليه بعد ذلك في شيء

فإذا وجدنا أهل العلم يعادون الدين في يوم من الأيام ، فإن هذا يكون ناشئاً عن جهلهم بالدين ؛ وإذا وجدنا أهل الدين يعادون العلم في يوم من الأيام ، فإن هذا يكون ناشئاً عن جهلهم بالعلم ، ولهذا كان لزاماً على أهل العلم أن يُعْنَوا بدرس الدين ، وكان لزاماً على أهل الدين أن يعنوا بدرس العلم ، لتهنأ الإنسانية بالوفاق بين الاثنين ، وتفوز منهما بسعادة الدارين

عبد المتعال الصعيدي

حكمت محكمة المنصورة العسكرية في القضية رقم ٥٦٠ سنة ٩٤١ بحبس فاطمة رضوان الأشقر من كفر سرنجا شهراً بالشغل مع إيقاف التنفيذ لبيعها بسعر يزيد عن التسعيرة

حكم في الجنحة المستأنفة رقم ١٦٠٩ سنة ٤٠ بجلسة ١٥ ديسمبر سنة ٩٤٠ ضد يوسف طه جمعة جزار ١٠٠ قرش والنشر لبيعه لحماً بسعر أزيد من التسعيرة

بهـــرام جـــور

فى التصوير الاسلامى

للدكتور محمـــد مصطفى

أمين مساعد دار الآثار العربية

هو بهرام الخامس بن يزدجرد السالم أحد ملوك الدولة الساسانية المعروف « بهرام جور » ، حكم إيران بين سنتى ٤٢٠ و ٤٣٨ ميلادية . وقد استطاع بعدله وسخائه وفروسيته وشجاعته أن يصير محبباً إلى رعيته بعد أن كرهوا أباه « يزدجرد » الذى اضطهد المجوس فى سبيل تمكين المسيحيين من العبادة جهاراً فى بلاده . وقد هاجمه خاقان التركستان الصينية بجيش قوامه ١٢٥,٠٠٠ رجل ، فاستطاع « بهرام جور » أن يصدّه بجيش من ١٠,٠٠٠ رجل من خيرة محاربيه وأن يقتله بيده . وكان « بهرام » موفقاً فى سياسته ، فقد صالح الروم على شروط عادلة بعد أن هزموا جيشه ، وحث الناس على الزراعة وأعانهم عليها ، وكان يشجع العلماء والأدباء والفنانين والموسيقيين ويدعوهم إلى بلاطه من البلاد الأخرى ، حتى أنه استحضر ذات مرة من الهند ألفى موسيقى من الذكور والأناث وفرّقهم فى بلاده ليطربوا فقراء المزارعين دون أجر ، فتوالدوا فيما بينهم وصار منهم القوم المعروفون « بالغجر[1] » وانتشروا من « إيران » إلى البلاد الأخرى . وقد كان « بهرام جور » فوق ذلك أديباً شاعراً ، تعلم الشعر فى صباه بين العرب فى الحيرة ، وقد بقيت هذه الذكرى فى الأدب الفارسى والعربى على السواء ، فالفرس يقولون إنه أول من قال الشعر وأنه أخذه عن العرب ، ويروون له أبياتاً فارسية ، والعرب يروون من شعره العربى والفارسى[2]

وبقيت « لبهرام جور » ذكرى حسنة بين رعيته فاخترعوا له قصصاً تعبّر عن مكانته فى نفوسهم وتبيّن عن فروسيته وبطولته ومقدرته فى القنص والصيد . وصاروا يتناقلون هذه القصص جيلاً عن جيل حتى نظمها « الفردوسى » فى « الشاهنامه » حوالى سنة ٤٠٠ هجرية . ثم اتخذها الشاعر نظامى الكنجوى موضوعاً لإحدى منظوماته الخمس ، فنظمها مرة أخرى حوالى سنة ٥٩٦ هـ بعد أن ألبسها ثوباً جديداً من خياله وشاعريته

واستلهم الفنانون وقائع « بهرام جور » فى الصيد ومهارته فى الرمى بالنشاب فى رسم صورهم التفسيرية فى مخطوطات كتابى : « الشاهنامه » و « خمسه نظامى » ؛ كما صوروها على الخزف والقاشانى وحفروها على الأوانى المعدنية ونسجوها فى الأقمشة ، وصارت هذه الوقائع موضوعات محببة إلى الفنانين فى جميع فروع الفن ، متنقلين بها من الفن الساسانى إلى الفن الإسلامى ، حتى وصلوا بها إلى العصر التركى



(شكل ١)

ونرى[1] فى شكل (١) صينية من الفضة المذهبة عليها صورة « بهرام جور » يشج بسيفه رأس أسد ويمسك بيده اليسرى شبلاً صغيراً ، بينما هجمت عليه لبؤة تريد تمزيق رأس جواده . وهذه الصينية محفوظة فى متحف الأرميتاج بالروسيا ، وهى من القرن ٥ — ٧ الميلادى ، مما يدل على قدم هذا الموضوع الزخرفى فى « إيران » قبل انتقاله إلى الفن الإسلامى[2]

يقول الشاعر نظامى الكنجوى[3] فى منظومته « هفت

---

(١) وهم مشهورون بإجادتهم للموسيقى فى أوربا ، وخاصة فى بلاد المجر ، ويسمون بالانكليزية Gipsy وبالألمانية Zigeuner . أنظر أيضاً الشاهنامه للفردوسى ، طبعة الدكتور عبد الوهاب عزام جـ ٢ ص ١٠٥

(٢) أنظر حاشية الدكتور عبد الوهاب عزام فى الشاهنامة جـ ٢ ص ٨٠ — ٨١ . وأيضاً ما كتبه الدكتور عزام فى نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية ص ١٠٦ . وراجع Franrz von Erdmann, Die Schöne vom Schlosse, Kasan 1832. S. 5 — 7

(١) الصور المعروضة هنا من تصوير الأستاذ محمد محمود سيد أحمد شلبى مصور دار الآثار العربية

(٢) هذه الصورة منقولة من كتاب Orbeli et Trever; Orfèvriere Sasanide, Moscou, 1935. pl. 10 أنظر أيضاً A Survey of Persian Art IV, Pl. 231 و Sarre, Die Kunst des alten Persien, Pl. 104

(٣) أنظر خمسه نظامى ، طبعة طهران سنة ١٣٠٠ هجرية ص ٢٩٣ وما بعدها ، والترجمة الانكليزية لمنظومة « هفت پيكر » C. E. Wilson, The Haft Paikar, London 1924, I, 37 f.

بَيْسكَرْ » . أى الصور السبع : إن الملك الساسانى يزدجرد الأول ، عند ولادة ابنه بهرام ، عهد به إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة ليقوم على تربيته . وذلك عملاً بمشورة مستشاريه من المجوس . رغبة منهم في إبعاده عنه . كى لا يتخلق الصبى بأخلاق أبيه البغيض لهم . فسلمه النعمان إلى أربع نسوة اختارهن له فأرضعنه ولم يفطمنه حتى بلغ الرابعة من عمره . وبنى النعمان قصر « الخورنق » لسكنى بهرام . بناه له معمار من بلاد الروم اسمه « سِنِمّار » استدعاه إليه لشهرته فى بناء القصور . فجاء قصراً منيفاً من أجمل الأبنية . فأهلك النعمان سنمار كى لا يعود لبناء مثله ويبقى القصر فريداً ـ وضرب العرب المثل بجزاء « سِنِمّار » .

وتعلم بهرام الكتابة والقراءة . والتاريخ والعلوم . والرماية والعوم والجول ، والصيد والطرد ، فأتقنها جميعاً . واشتهر ببراعته فى صيد نوع من الغزلان كبير الحجم ، يعيش فى تلك الجهات . ويسمى بالفارسية « كور » فعرف ببهرام كور ، وعربته العرب فقالوا بهرام جور [1] .

وذات يوم بعد ما بلغ بهرام جور أشده وصار قوياً وشاباً فتياً ، ركب وخرج للصيد ، وكان فى معيته النعمان وابنه المنذر ، وإذا به يرى فجأة سحابة من التراب ترتفع من الأرض ، فاقترب منها ، ولما تبينها رأى فى وسطها أسداً قد هجم على غزال . وامتطاه وراح يعمل نابه فى عنقه ليفترسه . فأخرج بهرام جور من جعبته سهماً مدبباً . وضعه فى وتر قوسه ، وجذبه بشدة ، ثم أطلقه ، فانطلق السهم فى عنف وقوة وأصاب كلا الحيوانين تحت الكتف الأيسر ، واخترق قلبيهما وجسديهما ، ثم غار فى الأرض من تحتهما وإلى جانبه سقط الحيوانان كل منهما جثة هامدة . فلما رأى العرب ذلك عجبوا ببهرام جور أيما إعجاب ، وأمر النعمان المصورين أن يصوروا هذه الواقعة على حائط إحدى قاعات قصر الخورنق [2] .

وفى شكل (٢) نرى بهرام جور فى وسط الصورة على جواد وأمامه الأسد والغزال وقد أصابهما بسهم واحد [3] ، ويلاحظ ما أسبغه الفنان على هذه الصورة من جمال الحركة وروح الحياة ، وهى من تصوير الفنان الإيرانى سلطان محمد ، من مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر نظامى محفوظ فى المتحف البريطانى ، كتب للشاه طهماسب بين سنتى ٩٤٦ و ٩٥٠ هجرية فى تبريز ، واشترك فى تصوير الصور التفسيرية التى به خمسة من كبار مصورى ذلك العصر هم : سلطان محمد ، ومظفر على ، واقا ميرك ، وميرزا على ، ومير سيد على . وقد كان سلطان محمد من أساتذة الشاه طهماسب فى التصوير ، ويقال إنه خلف المصور بهزاد ، عميد فنانى إيران ، فى إدارة « الورشة » الملكية لفنون الكتاب .



(شكل ٢)

أتقن بهرام جور الصيد والطرد ، واعتاد أن يخرج إلى الأحراج المجاورة لصيد الوحوش والغزلان ، وكان أن شرب يوماً مقداراً من الشراب ، وخرج للصيد فقابل قطيعاً كبيراً من الغزلان ، وأصاب منها الكثير . إلى أن رأى ظبياً جميلاً ، رشيق الحركات أراد أن يقتنصه . فأطلق الظبى ساقيه الرشيقتين الطويلتين للريح يسابقها ، وأعمل بهرام جور مهمازيه فى جانبى الجواد فانطلق يجرى ، يطلب الظبى ، واستمر على ذلك مسافة طويلة إلى أن وصل الظبى إلى فوهة كهف ربض أمامها تنين هائل ، بشع الخلقة ذو رأسين عظيمين مد أحدهما إلى الظبى فابتلعه ، وكان التنين جائعاً وما كان الظبى إلا ليثير شهيته لافتراس الفارس القادم عليه بجواده ، فأخذ بهرام جور سهماً عريضاً من جعبته ، وأطلقه على التنين

---

(١) أنظر أيضاً الشاهنامة حـ ٢ ص ٩١

(٢) خمسة نظامى ص ٢٩٥ . ويلسون حـ ١ ص ٥٠ — ٥١

(٣) منقولة عن كتاب L Binyon, The Pœms of Nizàmi, Pl. XV أنظر أيضاً A Survey of Persian Art, III, P. 1875 f; Martin, The Miniature Painting, I, 117; II, Pl. 138. Blochet, Musulman Painting, Pl. CXXII. Binyon, Wilkonson, Gray Persian Miniature Painting, P. 115

فأعماه ، ثم استل سيفه الكبير وضرب به التنين بين رأسيه فشطره إلى بطنه ، حيث وجد الظبي قابعاً ، وما كاد هـذا يرى الحرية أمامه حتى قفز من بطن التنين وجرى إلى أن دخل الكهف ، وتبعه بهرام جور فوجد في الكهف كنزاً عظيما من قدور ملأى بالذهب والأحجار الكريمة ، مما استدعى نقله إلى قصر الخورنق مائة جمل ، أرسل عشرة منها إلي أبيه يزدجرد ، ووهب النعمان عشرة أخرى ، واستمتع هو بالباقي على أن ينفق منها بغير رقيب[(١)]

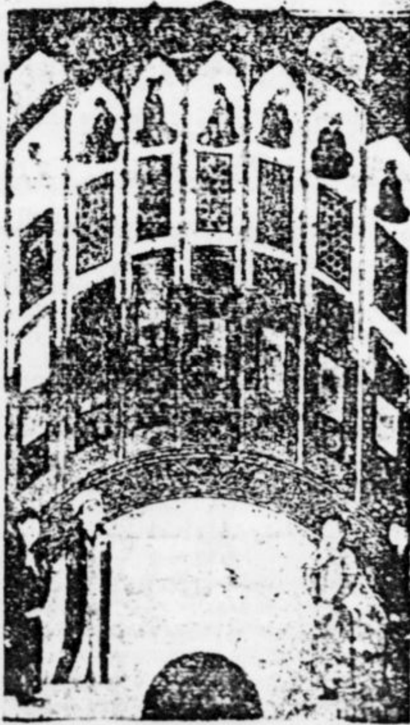


(شكل ٣)

وفى شكل (٣) نرى بهرام جور على جواد في وسط الصورة يرمى التنين بالنشاب ، وهذه الصورة[(٢)] من مخطوط لنظامى محفوظ في المتحف البريطانى ومؤرخ سنة ٩٠٠ هجرية ، وهى من تصوير الفنان الإيرانى قاسم على ، أحد تلاميذ بهزاد في هرات ، وكان قاسم على ينقل فى صوره الكثير من موضوعات أستاذه ، فمثلا هذه الصورة منقولة عن صورة مماثلة لها صورها بهزاد فى مخطوط آخر لنظامى محفوظ بالمتحف البريطانى[(٣)]

وبقى بهرام جور فى الحيرة إلى ان مات يزدجرد ، وازمع أعيان الفرس ألا يولوا من أولاده أحداً لما نالهم من ظلمه وجوره ، وأجلسوا على العرش رجلاً من بينهم يدعى خسرو ؛ فأيد النعمان وابنه المنذر بهرام جور وأمداه بالجند ، حتى أرغم الكارهين على تمليكه . واتفق معهم على أن يضعوا التاج بين أسدين جائعين ؛ فإذا انتشله من بينهما كان له ملك إيران ، وقد كان ذلك وقتل بهرام جور الأسدين ولبس التاج ؛ فكان خسرو أول من هنأه بالعرش[(١)]

ولما كان بهرام جور فى الحيرة يجول ذات مرة فى أنحاء قصر الخورنق ، ووجد قاعة مغلقة لم يدخلها من قبل ، فطلب مفتاح بابها ودخلها فإذا به يرى سبع صور ، لسبع أميرات ، هن بنات ملوك الأقاليم السبعة ، وكن آيات من آيات الجمال ، فسار يلتفت للواحدة بعد الأخرى ويبتسم لها ، وفى غرور الرجل القوى المعتد بنفسه ، يظن أن ابتسامته حازت قبولاً لديها ، وأنها تومئ إليه إشارة إلي ذلك ، وما جاء إلي الأخيرة حتى افتتن بهن جميعاً وتملك قلبه حبهن : فأغلق الباب وأخذ المفتاح معه ، وصار يخرج للصيد ثم يعود فيدخل هـذه القاعة ليناجى حبيباته السبع ، وقد هام بهن هياماً شديداً



(شكل ٤)

وفى (شكل ٤) نرى بهرام جور في الركن الأيسر إلى الأمام ينظر إلى الصور السبع فى قاعة بقصر الخورنق . وهذه الصورة[(٢)]

---

(١) خمسة نظامى ص ٢٩٦ . ويلسون ج ١ ص ٥١ — ٥٥

(٢) منقولة عن Sakisian, La miniature persane, Pl. LIII, Fig. 93.

(٣) أنظر A Survey of Persian Art, V, Pl. 885 B ،

(١) أنظر أيضاً الشاهنامة ج ٢ ص ٧٨ — ٧٩

(٢) منقولة عن A Survey of Persian art, III 1875; V, Pl. 860

أنظر الدكتور زكى محمد حسن ، الفنون الإيرانية ، اللوحة ٣٩

فى مخطوط لنظامي كتب فى شيراز ومؤرخ سنة ٨١٣ هجرية ومحفوظ فى مجموعة جلبنكيان

ولما تولى ملك إيران، واستتبت له الحال، أرسل الرسل إلى الملوك السبعة يطلب من كل منهم يد ابنته، وكن أن تم له ذلك فجئن إليه مع الكثير من الهدايا والتحف وتزوجهن جميعاً، فأتاه معمار يسمى «شيدا» وعرض عليه أن يبنى له قصراً ذا سبع قباب. ويفرش كل قبة بلون خاص بها، ويرصعها بأحجار كريمة من لونها، فقبل ذلك وبنى شيدا القصر، وصار بهرام جور يقضى كل يوم من أيام الأسبوع فى قبة مع إحدى الأميرات؛ فيوم السبت فى القبة السوداء مع الأميرة الهندية، ويوم الأحد فى القبة الصفراء مع الأميرة المغربية، ويوم الإثنين فى القبة الفضية مع الأميرة التترية، ويوم الثلاثاء فى القبة الحمراء مع الأميرة الصقلبية، ويوم الأربعاء فى القبة الزرقاء مع الأميرة الخوارزمية، ويوم الخميس فى القبة ذات لون خشب الصندل مع الأميرة الصينية، ويوم الجمعة فى القبة البيضاء مع الأميرة الرومية. وكان إذا ذهب إلى إحداهن لبس ثوباً من لون القبة إكراماً لها[١]

وفى (شكل ٥) يجلس بهرام جور فى القبة الصفراء مع الأميرة المغربية. وهذه الصورة[٢] فى مخطوط لنظامى محفوظ فى متحف المتروبوليتان بنيويورك، كتب فى هرات ومؤرخ سنة ٩٣١ هجرية، وهى من تصوير محمود مذهب أحد الفنانين الذين انتقلوا من هرات بعد أن هاجمها الأتابك فى سنة ٩٤٢ هجرية وهاجر إلى بخارى عاصمة الأسرة الشيبانية فى ذلك الوقت

يقول الشاعر نظامى الكنجوى[٣] إنه كان لبهرام جور جارية من التركستان الصينية، جيلة كالبدر، اسمها «فتنة»، بها ألف نوع من المغريات، لها وجه صبوح كالربيع البكر فى جنات عدن. أو هى — على حد قول الشاعر نظامى — قطعة من حلوى العسل مدهونة بالزيت، أو صحن من الفالوذج، أو كليهما معاً، فهي سمينة وحلوة. ولم تكن جيلة فقط، بل كانت تجيد الغناء والعزف على الجنك[١] والرقص. وقد اعتاد بهرام جور أن يصطحب جاريته فتنة كلما خرج للصيد. وفى ذات يوم خرجا معاً فقابلا قطيعاً من الغزلان، فأصاب منها عدداً كبيراً. كل ذلك والجارية تحتال بكل ما أوتيت من أنواع الإغراء والدلال أن تكبح نفسها من أن تعطيه ما يستحق من الإطراء والمدح. صبر الملك برهة إلى أن مر غزال عن بعد، فالتفت إليها وقال لها ألا أيتها التترية ذات العينين الضيقتين، لم لا تفتحين عينيك لترى ما أصيد؛ ها هو ذا غزال آت فأخبريني أى جزء من جسمه أصيب؟ فالتفتت إليه الجارية بشفتيها الجميلتين فى حركة طبيعية — وقد كانت امرأة بكل معانى الكلمة — وقالت: إعمل عملاً يشرفك: سمّر حافر هذا الغزال فى أذنه بسهم واحد



(شكل ٥)

وقد فعل بهرام جور ذلك، فأخذ حصاة وأطلقها على أذن الغزال فرفع المسكين حافره ليحك أذنه، وفى ذات اللحظة أطلق الملك سهماً سمّر به الحافر والأذن إلى رأس الغزال، فسقط هذا على الأرض. والتفت الملك إلى الفتاة التترية وقال: لقد نجحت فماذا ترين فى ذلك؟ فقالت: لقد اعتاد الملك عمل ذلك فأجاده، وأصبح عمله لا يتطلب منه أية قوة خارقة. فاغتاظ الملك لهذه الإجابة، وأمر ضابطاً أن يقتل الفتاة، فأخذها الضابط إلى منزله لينفذ فيها أمره. ولكن الفتاة نظرت إليه بعينين دامعتين متوسلة وأفلحت فى أن تقنعه بأن يبقى على حياتها، واتفقا على أن تعمل

---

(١) خمسه نظامى ص ٢٩٧ وما بعدها. وبلسون ج ١ ص ١٠٦ وما بعدها. وانظر أيضاً Franrz von Erdmann, S. 12 — 16. و L. Binyon, P. 27 — 29

(٢) منقولة عن Sakisian, Pl. LXXIII Fig. 127. وانظر A Survey of Persian Art III 1869. والدكتور زكى محمد حسن: التصوير فى الاسلام، اللوحة ٤١

(٣) خمسه نظامى ص ٣٠٤ وما بعدها. وبلسون ج ١ ص ٨٢ وما بعدها

(١) الجنك Harpe، وهو آلة موسيقية كبيرة ذات أوتار

في منزله كخادمة حتى لا تثير الشبهات . وكان في أعلى المنزل منظرة عالية تصعد إليها ستون درجة ، وقد اعتادت الفتاة كل يوم أن تحمل عجلة صغيرة وُلدت حديثاً وتصعد بها الستين درجة إلى المنظرة ، فكانت قوتها تنمو تدريجياً بما يتناسب مع نمو العجل ، إلى أن صارت بعد ست سنوات بقرة كاملة النمو دون أن تجد مشقة في حملها . وذات مساء أعطت الفتاة الضابط بعض لآلئها ، وطلبت منه أن يهيئ بثمنها مأدبة فاخرة ينتهز فرصة مرور الملك للصيد ويدعوه إليها . فعمل الضابط ذلك ، وجاء الملك إلى المأدبة وجلس في المنظرة ، فصعدت الفتاة تحمل البقرة على كتفيها لتحلب لهم من لبنها أثناء الطعام ، فنظر إليها الملك وقال : لقد تعودتِ حملها ، فأنت الآن لا تحتاجين إلى قوة خارقة لعمل ذلك . فقالت له الفتاة : وهل كان الغزال يحتاج إلى قوة خارقة ؟ فعرفها الملك وقام إليها فرفع نقابها واحتضنها ، ولم يفصلهما بعد ذلك سوى الموت



(شكل ٦)

وفي شكل (٦) بهرام جور على جواد في الوسط وقد أطلق سهماً أصاب غزالاً أمامه فسمر حافره بأذنه . وإلى يسار بهرام جور نرى « فتنة » على جواد وفي يدها الجنك . وهذه الصورة[١] من مخطوط نظامي للشاه طهماسب السالف الذكر ، صورها مظفر علي أحد تلاميذ بهزاد

(١) منقولة عن L. Binyon, Pl. XVI وانظر Arnold, Painting in Islam, p. 141 و Binyon-Wilkonson-Gray, p 115 و A Survey of Persian Art, III, 1878 f.

وفي شكل (٧) صينية من الفضة المذهبة عليها رسم بهرام جور يصطاد الغزال وهو جالس على هجين يرتدف جاريته المغنية وهذه الصينية[١] من عصر الانتقال من الفن الساساني إلى الإسلامي . وهي محفوظة في متحف الإرميتاج بالروسيا .



(شكل ٧)

وفي شكل (٨) صحن من الخزف[٢] من صناعة قاشان في القرن السادس الهجري (١٢ الميلادي) مرسوم بالألوان فوق الدهان ، به صورة بهرام جور وقد أصاب الغزال فسمر حافره بأذنه بسهم واحد ، وهو راكب على هجين ويرتدف جاريته المغنية ممسكة بالجنك ، وقد تتبع الفنان في رسمه قصة بهرام جور والجارية كما نظمها الفردوسي في الشاهنامة[٣] وهي تنتهي بأن يغتاظ بهرام جور من إجابتها فيلقيها على الأرض ويطأها بالهجين إلى أن تموت ونرى في هذه الصورة أن الفنان لم ينس تصوير الجارية وهي على الأرض والهجين يطأ صدرها ، وقد كان لبهرام جور – كما وصفه الفردوسي – «هجين مسرج بسرج مغطى بالديباج له أربعة رُكب : ركابان من الذهب وركابان من الفضة ، فيركبه ويرتدف الجارية وفي حجرها الجنك » . أما في قصة الشاعر نظامي فيركب كل منهما جواداً كما رأينا ذلك في الصور السابقة



(شكل ٨)

(١) منقولة عن Orbeli et Trever, Pl. 11 وانظر A Survey of Persian Art IV Pl. 229. A و Sarre, p. 69; Pl. 106

(٢) منقولة عن A Survey of Persian Art, II, 1602, V, Pl. 672

(٣) الشاهنامه ج ٢ ص ٧٦

سيدى رسول الله

للأستاذ شكرى فيصل

يا سيدى الرسول :

أتراني أملك منك النجوى ، وأستطيع إليك البث ، وأبلغ من ذلك السبيل ، وأنا غائب فى فيض من روعتك ، ذاهل فى فضاء من جلالك ، فإن فىّ دنيا من قدسيتك . . . أذكر دعوتك الكريمة . . . فأنساق فى جمالها المشرق . . . منذ بدأتها فتى تأنف نفسه الجهل ، وتعاف بصيرته التقليد ، ويحس فى قراءته همسات من النور ، وقبسات من الحق . . . حتى اختارك الله داعياً لا يهاب ، ورسولاً لا يجبن ، وقائداً لا يضعف . . . واتسق فى ذلك التاريخ . . . يغمرنى ألقه الندىّ ، وتتولانى بهجته الطروب ؛ وتطالعني فيه العزمات التى لم يفل منها عدد ، ولم تقو عليها عدد ، ولم يبلغ إليها هدوء أو خور . . .

إن الشاعر لتختلط علىّ . . . وإنّ الروعة لتملأ منى كل ثنايا النفس . . . وإنى لأحس الرعدة التى تكاد تصرفنى عن الحديث ، وتقعد بي عنه ، وتغمرنى بالنشوة الحالمة ، فأصفو معها وأرق . . . وأخف معها وأدق . . . وأمتزج بها امتزاج الفناء . . . حتى لا أعى مكانى من الدنيا ، ولا موضعي من الغرفة ، ولا جواري من الناس .

***

يا لجلال دعوتك ، ياسيدى الرسول . . . إنى لأحاول أن أحدق فى مشاهدها ، وأجول فى ثناياها ، وأقف عند تفاصيلها ، فإذا هذا الجلال المهيب يحول بينى وبين أن أكون من هذه المعجزة القدسية ، كما نكون من أحداث التاريخ ، ووقائع الأيام ، نقبل عليها بالدرس ، ونمضى بها فى التحليل ، ونفصل منها الأجزاء ، ونركب عليها النتائج ، ونخرج بعد وقد أدركنا منها كل ما خالطها من مؤثرات : ومازجها من عوامل ، وما انكشفت عنه من أثر . . . وإذا هذا الكمال الرهيب يطغى على كيانى كله ، ليسكب عليه ألواناً من الروعة : أخاذة ساحرة . . . تهتز معها المشاعر اهتزازة الانفعال اللذيذ العميق . . .

ها هنا فى دعوتك . . . يا سيدى الرسول . . . عالم متسق من الحق البين ، والهدى الواضح ، ومن السنن القويم والخلق الكريم ، ومن العزمات الأبية والرجولة القوية ، ومن الخير المتدفق والفضل العميم . . . ومن الجمال الذى ينساب فى ذلك كله ، فيفيض عليه الرداء ، ويشيع فيه البهاء ، ويجمل منه الحادث الفذ .

***

أين تقف عيناى من دعوتك الكريمة يا سيدى رسول الله . . . إنهما لتتقلبان فى مدى واسع الفضاء ، فسيح الأرجاء ، بعيد الأطراف . . . وإنهما لتزوغان وتضلان . . . وإن إحداهما لتظلم الأخرى حين تحاول أن تقف بها عند حادث من الحادثات التى يملؤها ذكرك الرطب ، أو فى مرحلة من المراحل التي يغشاها خيالك الندىّ . . . وإنى لأحاول أن أستقر فى هذه المشاهد التى تتنازعنى . . . فما أسرع ما تنتابنى السنون . . . وتنثال من أمامى



وفى شكل (٩) تربيعة من القاشانى (١) عليها رسم بهرام جور على الهجين يردف فتاته المغنية وهى من القرن السابع الهجرى (١٣ الميلادى) ومحفوظة بدار الآثار العربية برقم ١١٥٩٠

(شكل ٩)

قال الشاعر نظامى الكنجوى إن الملك بهرام جور خرج ذات يوم للصيد ، فشاء حظه العاثر — وهو ذلك الفارس البارع والصياد الماهر — أن يسقط فى بئر صادفته فى طريقه فيغرق فيها (٢) ، ولم يعد إلى حبيبته فتنة ، لا ولا إلى زوجاته السبع ، فى القصر ذى السبع قباب . « وكذا كانت الأيام وكذا تكون ، فلا يكن منك إليها سكون ولا ركون »

(حلوان) محمد مصطفى

(١) أنظر ج . فيت : دليل موجز لمعروضات دار الآثار العربية ، ص ١٠٨ — ١٠٩ واللوحة ٢٢ و G. Wiet, L'exposition persane de 1931, p. 65 — 68, Pl. XXIII

(٢) قارن هذا بما جاء فى الشاهنامه ج ٢ ص ١٠٥ ، حيث يقول الفردوسى أن بهرام جور قضى نحبه فى فراشه

صور كلها كريم ... عزيز ... نادر ... وتنبعث فى ذهنى لوحات كلها قوى ... أبى ... جرئ ... فأحار أين أبدؤ منها ، وأين أنتهى فيها ، وكيف أستقر عندواحد منها ... وأتيه بينها ... كما يتيه الإنسان فى النغم الخالد : لا يستطيع أن يفصّل أجزاءه ، أو يمايز بين مقاطعه ، أو يدرى سرّ الخلود فيه ... لأن الخلود قائم فى كل نغماته ، منساب فى كل ضرباته ...

* * *

فاغفرلى يا سيدى رسول الله ... هذه الجراءة : أن أرتفع ببصرى الكليل لأدرك البصيرة المتقدة ... أن أفتح عينىّ الضعيفتين لأصوّبهما إلى الشمس ... فلن أملك بعد إلا أن أغمضهما على الإكبار الذى يخالط الشغاف ، والإجلال الذى يستقر فى الحنايا ... والحب الذى يطأطئ منى مالم يطأطأ لإنسان ...

وسأظل أسير فى ركابك يا سيدى الرسول ... خافض الرأس ... لأن مهابتك أجل من أن تمتد إليها عيون أو ترتفع إليها نواظر ... وسأعيش فى ظلالك الرحيبة تملؤنى فكرتك ، وتبهرنى دعوتك ، ويمضى بى هديك ... وسأهيم فى هذا الهدى ، وسأنطلق فى أرجاء هذه الدعوة ... نفساً سئمت كل ما يحيط بها من عوائق ، وما يحدها من علائق ، وما يربطها من قيود ... وروحاً مستها أنوارك الزهر فألهبتها ، وصهرتها ، ونقت جوهرها ... فعاشت بعد أملاً واسعاً ، ورجاء عريضاً ، وشوقاً محرقاً ...

وستستغفر يا سيدى الرسول ... لى ... ولهؤلاء الذين ضلوا من قبل ، وسيضلون من بعد ... هؤلاء الذين فتنتهم المادة ، واستهواهم العقل ، وزاغت بهم المناهج فى بيداء قاحلة مجدبة ... فعرضوا الذهب على النار كما يعرضون عليها الحديد والتراب ... فاستبان لهم الهدى ، وانكشف لهم الحق ، وظهرت لهم السبيل النيّرة فدخلوا جنتك المرعة ...

... إنها يا سيدى رسول الله إغفاءة الروح التى استيقظت معها المـادة ، وصدأ النفس الذى فاقت عليه الغريزة ، وخبو الإشراق الذى سمى فى ظلمته العقل ، وكبر الحدس الذى نشط فى خموده الذهن ... وضـلال الأهواء العاتية الذى فترت معه الأحاسيس ... فإذا رؤى الجمال ، ومعانى الحق ، ومثل الخير لا تنبجس فى النفوس إشراقاً ، ولا تنبعث فى العقول إلهاماً ، ولا تلقى في الروع إلقاء ... وإنما هى فى حاجة إلى المقدمات والحجج ، وفى ضرورة إلى البيان والشرح ! !

لشد ما أبغض أن ألقى جمال الزهرة فى تشريح أجزائها ومعرفة أعضائها وتمزيق أوراقها وبتر سوقها ، والهبوط بها من عرشها الزاهى ... ! إنى لأفضل أن أترك هذا الأسلوب لطائفة غيرى من الناس وأسأل لهم منه العافية ... فما يجب لنا أن ننشد جمال الزهرة فى غير عرشها الزاهى ، وتوردها الملهم ، وساقها القائمة ، وانحناءتها الحييَّة ، وتفتحها بيد الله ... لا بيد الإنسان !

* * *

فلتعش سيرتك يا سيدى يا رسول الله ... انفعالاً حلواً ، وعاطفة لذيذة ... وهيجاناً يذكر بآيات الله ، ويقرب إليه ، ويدنى منه ... ولتبق هـذه السيرة الكريمة فكرة ومثلاً ... فكرة سامية نبيلة ، ومثلاً عالياً كريماً ... ولتخفق نفوسنا من حول هذه الفكرة ، ولتحوم فى ثنايا هذا المثل كما يحوّم الحجيج حول البيت المقدس ... فى خشوع الإيمـان القوى ، وروعة الجلال المهيب ، وإطراقة المستغرق الذاهل ... ولتنطلق ... وقد انعتقنا من هذه القيود ، وبرئنا من هذه الأغلال ، وتجردنا عن أوضار المادة وآثام العقل ... ننتسل فى أضوائك الطهور ونتمسح بهديك الرشيد ، ونستقى أمواهك الألِقة ... ولنعب فى دنياك البريئة عبْر الفضاء البعيد البعيد ... أرواحاً صافية صفاء النسيم ، نقية نقاء السماء ، خالصة خلوص الشعاع ... لنلتقى فى ظلال الروح الأعلى ...

* * *

سأعب من كوثرك الخالد — يا سيدى يا رسول الله — فأنا ظمآن حرّان ... وسأقطف من جناتك المترعة ، فأنا نهم شره ، ولقد طال بى الظمأ ، واشتد علىَّ الجوع ، وضلّ بى الركب فى قافلة تظن الهداية وهى حيرى ، وتدعى الهناءة وهى شقية ، وتحسب الراحة وهى فى عذاب غليظ ، وتمضى على الشوك وينفر من جراحها الدم ، فلا تدرك لذع الشوك وألم الدم ... لأنها فقدت فى الحياة النفسية أحفل عناصرها بالاحساس وأشدها أثراً فى التفكير وأقربها خطًى من الخير... ولا تزال تزعم أنها فى سند

من جفاف العقل ، وفى كفالة من صلابة المادة !

فاستغفر لى يا سيدى الرسول ؛ إنى إنسان لا يرى بعينيه ولكنه يحس ببصيرته ... ولا يتطوى فى عقله ، ولكنه ينطوى معه فى حدسه ، ولا يتحجر مع المادة ولكنه يبلّها بعصارة من قلبه : يبعث فيها جانب الحياة ، ويثير منها معنى الوجود ، كما يبل الطبيب وجه المريض يدفع عنه غفلته ، ويصرف عنه إغماءته ...

ادع لى ... واستغفر لى ... فما أحوجنى يا سيدى يا رسول الله إلى الدعاء والاستغفار ... !

(القاهرة) **شكرى فيصل**

صورة من عنت الجاهلية

فرعـــــون قريش

للأستاذ كامل محمود حبيب

« أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ، أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، أرأيت إن كذب وتولى ، ألم يعلم بأن الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب » (قرآن كريم)

يا عجب ! إن الإنسان ليخلو إلى نفسه أحياناً — فينتفى ما يرائى به الناس ، ويبدو عارياً عن كل شىء إلا ما اقترف من إثم أو ما اكتسب من خطيئة ؛ فيحاسبها وتعاتبه ، ويلومها وتؤنبه ، ثم يخرج من هذا العراك النفسانى وقد فاء وأناب ... أما الفاجر الفظ فلا يرتدع ولا يتصوّن ، لأن الشر يتدفق فى عروقه فيسيطر عليه فيسوّل له أشياء ليست هى من الإنسانية ولا من الضمير ولا من العقل ، ولأن الشيطان اتخذه ولياً فأضله عن سواء السبيل

***

الليل ساج ساكن والقمر يخفق فى السماء يشع نوراً جميلاً يجذب القلب ، والقوم مُنبثون فى أرجاء المكان بالعدوة القصوى ليلة سبع عشرة من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ؛ وهم فى حركة صامتة يتهيأون لأمر ذى بال قد شغلهم عن كل ما حولهم ، لا تسمع إلا صليل الحديد وحنين الإبل ، وإلا صهيل الخيل ونباح الكلاب ، وإلا همسات فئة يتشاورون فى أمر قد أهمهم ... هـذا وفرعون قريش أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة جالس وحده فى ناحية وبين يديه درع له قد نثلها من جرابها فهو يَهْنَئها . وعملت فى نفسه الخلوة حين أخذ الناس يتسللون إلى مضاجعهم ، فراحت خواطره تسبح بين ثنايا عمره الغابر . وأطرق فرعون قريش طويلاً فإذا آثامه وأوزاره منشورة أمام عينيه تسخر منه وتهزأ به ، وإذا غده الأسود يرنو إليه عابساً مكفهراً وهو لا يدرى ما وراءه . إنه سيغدو على حرب حطبها رجال من قومه وعشيرته ، هم أترابه ورفقاء صباه ، وهم علية قومه وساداتهم . وتمثلت له أفكاره أشباحاً تضطرب فى الفضاء اللانهائى تحجب عنه نور القمر البهيج ، فانطوى يحدث نفسه حديث فلسفته الجديدة ، فلسفة الشك والحيرة ، قال :

« رُب يوم قضيت فى أمن ودعة ، ناعم البال مطمئن الخاطر ؛ فما لهذا القمر يبدو كاسفاً حزيناً ، وما لهذه الجبال تتراءى معفرة غبراء ، ومالى أحس كأن أنفاس الليل الهادئة تهب قاسية لتصدع صدرى فى غير رحمة ولا شفقة ! إن قلبى تهده الوحشة وأنا بين أهلى . أفيكون هذا لأننى سأغدو على حرب قوم هم منى وأنا منهم ؟ لقد صبأوا واعتدوا فحق عليهم عقاب

« يا ويلى ! أحقاً ما جاء به محمد ؟

« تا الله إنه لأمر عظيم . لقد عرضنا عليه المال حتى يكون أكثرنا مالاً ، والشرف والملك حتى يكون سيدنا ومليكنا ، فأبى وتعفف وقال : ما بى ما تقولون ... فماذا بقى من عَرَض الدنيا يبتغيه ذو حاجة !

« وتسللت — مرة ومرة — فى خفية وحذر أتسمع ما يقول وأرى رأيى فيه — وعندى أنه كان بيننا غلاماً حدثاً غير متهم فى قول أو فعل ، فغير جدير به أن يتقوّل علينا بعض الأقاويل بعد إذ بدأ الشيب فى صدغيه — فألفيتُ كلاماً حلواً عذباً ليس بينه وبين قلب اللبيب من حجاب ، فصبوت إليه وهفوت نحوه ؛

غير أن عنتاً أصابني فقلت للأخنس بن شريق حين سالني رأيي : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ؛ أطعموا فطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ؛ حتى إذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه

« هذا هذا ، يا قلبي !

« وتأججت نار الحسد والبغضاء في قلبي ، فاندفعت أريد أن أقتله أو يقتله عصبة منا فما استطاع واحد أن يخلص إليه . يا لقلبي ، كيف حيل بيني وبينه ؟ لا ريب فهو قد سحرني أو أن خادماً من الجن أزعجني عنه

« كلا ، كلا ؛ فوالله ما هو بساحر !

« آه ؛ لطالما سكنت إلى نفسي فما وجدت إثماً قد قارفه ، غير أن له رأياً هو جعلني أحمل له ضغناً ، فانطلقت أشتط في السخرية منه ، أسفه من حلمه ، وأضع من شرفه ، وأعذب صحابته ، وأفتنهم في دينهم ، لا أرعوي ولا أستقر ؛ ومضت الأيام وأنا أحتدم احتداماً لا تهدأ لي ثورة ولا ينطفئ غل

« ماذا عساه يبتغي ؟ لعمري إن أمر هذا الرجل لعجيب

« الله ! نعم ، الله ! »

* * *

وصمت الرجل برهة من زمان يتأمل . . . ثم ثاب إلى نفسه يحدثها مرة أخرى :

« ثم ... ثم ما اللات والعزى ، وما مناة الثالثة الأخرى ؟ أفليست بعض هذه الصخور المنثورة حوالي عاثت بها يد إنسان فصورتها آلهة تعبد ؟ أحقاً أن الله يسكنها فيدبر الأمر من ورائها على حين هي ذرات في هذا العالم اللانهائي لا حول لها ولا طول ؟ يا لشد جهلي ! أأسجد وأقوم وأعبد وأقدم القرابين لمثل هذه الصخرة الواهية ؟ وما إساف ونائلة ؟ أفكانا غير رجل وامرأة أحدثا في الكعبة فسخهما الله فاتخذناهما إلهين ؟

« ليت شعري أين العقل والحكمة ؟

« ليتني أستطيع أن أنزل عن كبريائي فأرجع بهذا الناس ، فالى بقتله من أرب ، وأذر الرجل يناجي ربه ويعبده ويتهجد له ما شاء ، وينشر دينه أنى شاء وكيف شاء ! ليته يعبد آلهتنا فنعبد إلهه ، ونرجع سيرتنا الأولى قبل أن تستيطر عليه هذه الأخيلة ... ليتني وليته ... ولكن ؟

« ولكن أفننتظم تحت رايته وما هو بشيء ؟ فوالله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه فيكون له الشرف والملك علينا ، ونكون نحن في دولته كبعض أراذلنا

« آه ، لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ! »

وراح الرجل في ضمير الليل يحدث عقله حديث الفيلسوف قد ضربه الشك فلا يستطيع أن يرى الضلالة التي تردى فيها . وخشي الشيطان غب الأمر فصاح من أقصى الأفق صيحة صكت مسمعي الرجل فانتزعته من خواطره ، ودوى صوت الشيطان يبدد أخيلته ويطم على ضميره ويناديه بأن ستكون لكم الغلبة فأفق من غمرات الشك والتخاذل . غداً تهدأ الثائرة ، وينطوي تاريخ هذا الرجل ، وتكون أنت . . . أنت يا أبا الحكم السيد المطاع

وهب الرجل من مكانه يجر درعه ، في هدأة الليل ، صوب مضجعه وقد سكنت كل نأمة . . . ذهب إلى مضجعه لينام فألفى الشيطان هناك ينتظره ليحدثه حديث الكفر والفسوق حتى مطلع الشمس

* * *

وفي الصباح دفعه الشيطان إلى الحومة ليلقى — أول ما يلقى — معاذ بن عمرو بن الجموح فضربه ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فسقط رأس الكفر يتضرج في دمه ، ونظر فإذا الأرض من حوله خلاء إلا من الشيطان يعبث به ويسخر من آلهته ، ويقول له : إني بريء منك ومما تعبد من دون الله . وتدفقت الحسرات في قلب الناسق تأكله فما أنقذه منها إلا عبد الله بن مسعود — رضي الله عنه — فاحتز رأسه وحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهوى فرعون قريش أبو جهل — لعنه الله — إلى مثوى الكافرين . هوى إلى غضب الله يوم بدر ... يوم النصر ... يوم سطع أول شعاع أخاذ من نور النبوة على جزيرة العرب

(المحلة الكبرى الثانوية) كامل محمود حبيب

حكم في الجنحة المستأنفة رقم ٩٦٨٠ سنة ٩٤٠ ضد أحمد أمين حسن بقال بدرب البوارين بتغريمه ١٠٠ قرش ونشر الحكم بمجلة الرسالة والثقافة لبيعه ملحاً بأزيد من التسعيرة

القائد الشاب...

للأستاذ أحمد فتحي مرسي

[لقد بلغني أن قوماً يقولون في إمارة « أسامة » ولعمري لئن قالوا في إمارته لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله ، وإن كان أبوه خليقاً بالامارة وإنه لخليق لها .]

(حديث شريف)

جرى على شفاه القوم في المدينة في ضحوة ذلك اليوم من ربيع السنة الحادية عشرة للهجرة أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - أمر بالعُدة لغزو الروم وأمَّر على الجيش « أُسامة بن زيد بن حارثة »

ووقع هذا الخبر من الناس موقعين : وقع من نفس قوم موقع العجب والدهشة ، ووقع من نفس أقوام موقع التجِلَّة والطاعة . وكان الناس في المدينة بين هؤلاء وأولئك ... فأما الأولون فقد عجبوا كيف يُؤمَّرُ على جيش يضم صفوة المهاجرين والأنصار شاب حدَثٌ كأسامة لم يَعْدُ العشرين ربيعاً بعد . وكيف ينفرون للغزو وهم لم يعودوا من حجة البلاغ أو الوداع إلا من زمن قريب ، ولم يستقر بهم المقام بعدُ في المدينة ، حتى وقع في روع بعضهم أنهم سيحيون حياة دَعَة وهدوء ، بعد أن نصر الله دينهم . ودخل الناس فيه أفواجاً ، ودانت شبه الجزيرة جميعها لدعوة الرسول الجديد ، فما بهم حاجة لغزو آخر بعد هذا الجهاد الواصب الطويل ، وبعد أن أكمل الله لهم دينهم ، وأتمَّ عليهم نعمته ، ورضي لهم الإسلام ديناً

ثم إن الروم عدو لا يهون أمره ، ولا تلين قناته ، فقد قهر الفرس ولم يستطع العرب أن يقهروه ، وهو فوق ذلك حامي المسيحية ، وإن به لشوقاً للقاء هؤلاء القوم الذين أجلوا المسيحية عن أوكارها من شبه الجزيرة ... وهم ما زالوا يذكرون غزوة « مُؤتة » وكيف خرج لهم الروم في مائة ألف ، وكيف ذهبت هذه الغزوة بثلاثة من صفوة قواد المسلمين ؛ ولولا مهارة رابعهم خالد بن الوليد في الانسحاب للحق بهم ولفتك الروم بالجيش ، وإنهم ليذكرون أيضاً كيف تقاعس الناس بعد خبر « مُؤتة » عن لقاء الروم في تبوك ، حتى قال بعض ضعاف النفوس للناس : لا تنفروا في الحر إلى تلك الأصقاع . فنزل قوله تعالى « وقالوا لا تَنْفِروا في الحرِّ قلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حرًّا لَو كانوا يَفْقَهون » ... وحتى ذهب البعض الآخر يتلمس الحجج الواهية ليأذن له النبي في البقاء كما فعل الجدُّ بن قيس حين قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ » فقال : « يا رسول الله أو تأذنْ لي ولا تفتِنِّي فوالله لقد عرف قومي أنه ما من أحد أشدُّ عُجْباً بالنساء مني . وإنِّي لأخشى إن رأيت بني الأصفر ألا أصبر » فأعرض عنه الرسول ونزلت فيه الآية «ومنهم مَنْ يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين »

فعدوٌّ تلك حاله وحال المسلمين معه ، كيف يكون على رأس جيشه غلام حدث كأسامة ، وكيف يعقد له اللواء في جيش يضم صفوة الأنصار ، وشيوخ المهاجرين الأولين كأبي بكر وعمر ؟

تلك قصة القوم من ضعاف الإيمان فما خبر المؤمنين ؟

لقد قال المؤمنون إن هذا أمر الرسول فعليهم طاعته . ألم يقل الله تعالى : « ومن يُطِعِ الرسول فقد أطاعَ الله » . ألم يقل عز وجل : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوَلِّهِ ما تولَّى ونصله جهنم وساءت مصيراً » .

ثم إنه الغزو جهاد في سبيل الله ، وإن المرء لفائز فيه بأحد الحسنيين : الاستشهاد أو الظهور ، وما أحدهما إلا خير عند الله من الآخر ... صحيح إن أُسامة شاب لم يعدُ العشرين ربيعاً ، ولكن أليس الشباب أنفذ عزماً ، وأنهض همة ، وأبعث للحمية في النفوس ؟ ... ألم يحن الوقت بعد ليحمل الشباب لواء هذا الدين الجديد ، وينهض بأمره ، ويشترك في تحمل تبعاته الجسام ؟ ثم أليس أسامة من خيرة شباب الإسلام : أليس أبوه زيد بن حارثة مولى رسول الله وصاحب ثقته ، وثاني من آمن به من الرجال بعد علي بن أبي طالب ، وأول من استشهد في غزو الروم في مؤتة وبين يديه لواء الإسلام ؟ أليس أُسامة من استشاره النبي في حديث الإفك عن عائشة وهو صبي صغير ؟ إن المسلمين ما زالوا يذكرون يوم دعاه النبي ودعا معه علي بن أبي طالب إلى منزل أبي بكر ليستشيرهما في أمر عائشة وصفوان ، وقد استفاض حديث الناس وكثر القول . فأما أُسامة فقد قضى أن الحديث إفك وبهتان عظيم . وأما عليّ فقد قضى قائلاً : إن النساء لكثير غيرها . وأما الوحي فقد قضى بما قضى به أُسامة : « ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم »

أليس أسامة بعد هذا كله حقيقاً بهذه الثقة الغالية ؟ ! إذن فليمض على بركة الله ، ولينتقم لأبيه الشهيد ، وليضرب للشباب مثلاً يخلد على الدهر

ودعا النبي أسامة فعقد له اللواء وأوصاه أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم في أرض فلسطين على مقربة من « مؤتة » حيث قتل أبوه ، وأن ينزل على أعداء الله وأعدائه في عماية الصبح ، وأن يمعن فيهم قتلاً ، وأن يحرقهم بالنار ، وأن يتم ذلك دراكاً حتى لا تسبق إلى أعدائه أنباؤه ، واستوصاه بالنساء والأطفال خيراً ، وأمره بأن يخرج إلى الجرف — على مقربة من المدينة — حتى يتم جهاز الجيش ... وخرج أسامة فضرب لواءه بالجرف ، وأقام في انتظار أمر الله وأمر الرسول

وإن أسامة لفي ارتقاب أمر المسير . وإن الجيش لفي جهازه وعدته ، وإن الناس لفي حديثهم عن إمرة أسامة على شيوخ الإسلام ، إذ مرض الرسول عليه الصلاة والسلام مرضه الأخير بعد جهادين طويلين في سبيل الله : جهاد الروح في الرسالة ، وجهاد الجسم في الغزوات والحروب . واشتد به المرض حتى لم يقو على مجالسة أصحابه . . . ولكن يشاء الله أن تبلغ همسات الناس في أسامة آذان ذلك الراقد على فراش مرضه ، الذي برحت به الحمى حتى عاد يشعر كأن به منها لهباً ، يشاء الله أن يبلغ أذنيه أن الناس يقولون إنه أمّر على جلة المهاجرين والأنصار غلاماً حدثاً . فيعز عليه ذلك ويخشى أن تقع الفتنة في الناس ، فيطلب إلى أهل بيته أن يريقوا عليه سبع قرب من آبار شتى حتى يذهب الماء ببعض حرارة الحمى . ثم يعصب رأسه ويتحامل على نفسه ويتساند حتى يبلغ المسجد ، فيجلس على المنبر فيحمد الله ويصلي على أصحاب أحد ثم يقول :

« لقد بلغني أن قوماً يقولون في إمارة أسامة ، ولعمري لئن قالوا في إمارته لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله — وإن كان أبوه لخليق بالإمارة — وإنه لخليق لها فأنفذوا بعث أسامة » ثم يقول : « إن عبداً من عباده خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله » ... ويدرك أبو بكر والناس ما بهذه العبارة من إيماء فيتأثر الناس ويبكي أبو بكر ...

ويثقل المرض على المريض بعد ذلك الماء الذي صُبّ عليه وهو في لهب الحمى ، وبعد ذلك الجهد الذي بذله في خطاب الناس فيأمر أبا بكر أن يصلي بالناس ، ولا يلبث أياماً حتى يسلم أنفاسه الطاهرة في حجر عائشة وهو يقول هامساً : « بل الرفيق الأعلى من الجنة »

ويبلغ نعي رسول الله أسامة بالجرف ، فيهبط وجيشه إلى المدينة ويركز لواءه بباب عائشة ... ثم تتعاقب الأحداث ، ويلي أبو بكر الخلافة ، ويعود الناس إلى حديثهم عن إمرة أسامة ... لقد مات الرسول فما ضرهم لو عاودوا الأمر على أبي بكر لعله يلين حيث صَلُبَ النبيّ ، ويولي أمرهم رجلاً أقدم سناً

ويجتمع الأنصار ويحملون رسالتهم عمر بن الخطاب ويقولون له : « أطلب إلى خليفة المسلمين أن يولّيَ أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة » . ولعل عمر كان يجاريهم هذا الرأي . لعله كان يشق عليه وهو الذي قدمه أبو بكر للخلافة بعد رسول الله في اجتماع السقيفة أن يتأمر عليه شاب حدث لم يكن له مثل جهاده في الدين . لعل ذلك جال في ذهن عمر لأنه سارع يحمل الرسالة إلى أبي بكر

ويصل عمر بالرسالة ويبلغها أبا بكر فيغضب أبو بكر ويقول : — « ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ... استأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمر أن أنزعه . . . » ثم يقوم الخليفة الشيخ ويأمر بإنفاذ الجيش ، ويخرج يستنهض الناس ، حتى إذا تم جهاز الجيش سار يشيعه وهو ماش وأسامة راكب . فيعز على أسامة أن يسير خليفة المسلمين — وهو إذ ذاك شيخ في الستين — وهو راكب إلى جواره فيقول له : « يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن » فيرد أبو بكر : « والله لا تنزل ووالله لا أركب ، وما عليّ إلا أن أغبّر قدميّ في سبيل الله ساعة فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة معصية ترفع عنه »

ويخرج الجيش إلى الصحراء ، وهنالك يدعو له أبو بكر ويطلب إلى أسامة أن يأذن لعمر في البقاء ليشير عليه فيأذن أسامة ويسير الجيش على بركة الله ورعايته

ترى هل يحقق أسامة ثقة النبي به ؟ ترى هل يفلح حيث أخفق أبوه وثلاثة من خيرة قواد المسلمين ؟ ترى هل يقهر عدواً لم يقهره أحد من أهل زمانه ؟ ترى هل يقطع ألسنة المجادلين المكابرين القليلي الثقة به وبالشباب ؟ ترى هل يرفع رأس شباب الإسلام ، ويمهد له الاضطلاع بما يثقل من الأعباء ؟

تعاقبت شهور وأيام ...

فمن ذلك العائد إلى المدينة يتخطر على ظهر جواده ؟ ولمن هذا

الجيش المقبل وقد عقد من خلفه النقع وأثار رمال الصحراء ؟ ولمن هذه الوجوه المتهللة المزهُـوَّة بالنصر ؟

إنه لأسامة ، وإنه لجيشه ...

لقد فاز وسلم وغنم ...

***

رحمك الله يا أسامة ، وطيَّب ثراك ، وخلَّد ذكراك ، فقد حققت ثقة النبي في وقت ضعفت فيه الثقة بك ، وقهرت عدواً للاسلام عزَّ على غيرك قهره ، وضربت لشباب اليوم مثلاً من شباب الأمس

أحمد فتحي مرسي
المحامي

عزاء من الله ...

للأديب لبيب السعيد

علم رسول الله بالنازلة الجليلة ، فغشيه من الحزن مالم يستطع ردّه ، وشاع في نفسه الهمّ الشديد حتى ليبدو للعيان في صفحة وجهه الوضاء .

إنّ بينه وبين فقيد اليوم قربة الروح والدين فوق قرابة الدم ... فالفقيد هو جعفر بن أبي طالب أحد « الرّفقاء النجباء » الذين يعتز بهم ويشيد بفضلهم ؛ وفي سبيل دعوته الناشئة آثر الاغتراب في البلد النازح عن الإذعان لأعداء الدعوة في أرض الوطن ، فتحمّل بزوجه إلى الحبشة ، حيث جعل الله على يديه إسلام عاهلها ومن تبعه . والفقيد من أبرّ الناس بالمسلمين ، و « أبو المساكين » كما هو بكنيه ؛ وهو أحرص الناس على الأخذ بأخلاقه حتى ليبدو أشبهَ الناس به خُلُقاً إلى كونه أشبههم به خَلْقاً .

وهو بعدُ ابن عمّه ...

***

لقد كانت أوبةُ جعفر من مُهَاجره قريبة العهد ، فما انقضى عليها غير عام وأربعة أشهر . ولقد آب يوم فتح الله على رسوله والمؤمنين حصون « خيبر » بعد عراك وجهد ، فكان الرّسول صلى الله عليه وسلم في غمرة الأفراح يقبّله بين عينيه ، ويلتزمه ، ويقول : « ما أدرى بأيّهما أنا أسرّ ؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ » ويقول له كذلك : « أشبهتني خُلُقاً وخَلْقاً » فكانت نشوة الفرح والاعتزاز بهذه العواطف وهذا التشريف تأخذ جعفراً حتى ليرقص من فرط الطّرب والسّعادة .

فوا أسفا ! أأقبل جعفر ليدبر ؟ أتحقّقت لقلب الرسول رجيته ليشكلها بعد حين قليل ؟ يا رحمتاه لهذا القلب ! !

ولقد كان جعفر أمس القريب حين خرج مع السّريّة يكلم رسول الله في ألاّ يقدّم عليه زيد بن حارثة ، لا إيثاراً لنفسه على زيد ، ولكن رجوة السّبق إلى لقاء المكاره في سبيل دينه ... واستصغاراً للنّصيب الذى فُرض له من أعباء الجهاد ؛ ورغبةً حارّة في أحسن بلاء يتاح لمسلم .

فأين أمس ، حين النبيّ يجيبه : « امض ، فإنك لا تدرى أيّ ذلك خير » ، وحين النبي في توديعه هو والجيش ، وحين المسلمون ينظرون إليه وإلى الغُزاة نظرة الأمل ، ويدعون لهم أطيب الدعاء ؟

أين أمس ؟ ... لقد كان آخر العهد وفرقة الدهر ! !

وجعفر تخطّفه الموت وهو يطاحن مع ثلاثة آلاف من إخوانه المسلمين مائتى ألف جمّعها « هرقل » وزوّدها بما استطاع من عدّة ...

ولم يلق جعفر حتفه كما يتّفق ، بل لقيه على نحو سيظلّ في القرون والأجيال آيةً مثاليــةً باهرةً ، وذكرى مرويّةً لن تبيد ...

كان زيد بن حارثة يقاتل براية رسول الله عليه الصلوات « حتى شاط في رماح القوم[1] » فتلقف جعفر الراية ، وانطلق يقاتل بها قتال المتشوّف لإحدى الحسنيَيْن ، حتى إذا ما ألجمه القتال اقتحم عن فرسه ، فعقرها ، كيلا ينتفع بها العدو ، وما برح يقاتل — كما أوصى الرسول يوم هيأهم للخروج — « باسم الله في سبيل الله من كفر بالله » ، ولواء النبي الأبيض في يمينه تباهى به ويباهى بها ... حتى جاءته ضربة أطاحت بهذه اليمين ...

وكان طَبَعيًّا لمن فقد يمينه أن يُسلِّم الراية لغيره — إن قدر على حفظها — ويتخلّف بعض الوقت لينظر أمره ... ولكن جعفراً الذى أعار الله حياته ، والذى لا يعرف شيئاً يمنعه عن المضىّ في شرف الجهاد ، والذى لا يمكن أن يذل في قراع النوائب أخذ اللواء الكريم بشماله ، وما انفكّ يصاول العدو أروع الصّيال مرتجزاً :

(١) رواية ابن هشام ٣ : ٢١٤ ؛ وشاط بمعنى هلك

يا حبّذا الجنة واقترابها   طيّبة وباردٌ شرابها
والروم روم قد دنا عذابها   كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذ لاقيتها ضرابها

حتى جاءته ضربة أخرى أطاحت بيساره ...

أتحسبن لجعفر الصيّب انقطع ذراعاه همة ؟ أو فُلّت له عزمة ؟ كلا ! فهو لم يدع اللواء العزيز المزهوّ يسقط أو يخزى وإنما احتضنه بعضديه ، منشوراً لا يُطوى ، كريماً لا يهون ، والطعان تترى على جعفر فلا يولّيها دبره ، وإنما يتلقاها في استعذاب حتى لتبلغ جراحه بضعة وسبعين كلها فيما أقبل من بدنه . ولا يزال جعفر في العمعة يهدر بنشيده القوي : « يا حبذا الجنة واقترابها » حتى تتحقق له الشهادة ، إذ يجيئه روميٌّ فيضربه ضربةً تقطعه نصفين ...

وهنالك فقط يدع الراية لمسلم ثالث ؟

هذا هو الفقيد ...

* * *

وأتى الرسول صلوات الله عليه إلى بيت جعفر يتفقد يتامى تركهم من خلفه خُضراً كأفراخ القطا ، ويعزّى عن المصاب فيه شريكته المرزّأة : أسماء بنت عميس ؛ وإنه ليطلب إليها أن تأتيه ببنيها ، وهو يحبس عنها النبأ الفاجع ، ويأخذ أطفالها فيشمهم ، وينظر إليهم نظرة الأسى المرير ... فيتمثل — إذ يراهم — وجه أبيهم الذي لقي حتفه وهو في غرب شبابه ، ويتمثل حلاوة أخلاقه وأن كان يداً قوية للمسلمين على عدوّهم ، وقلباً انطوت على حب الله ورسوله والإسلام لفائفه ، وأُترعت بالإيمان والإخلاص والعزم جوانبه ، فتفيض عيناه الشريفتان رحمة وحناناً ...

وأسماء تستوضحه : « بأبي أنت وأمي يا رسول الله ... ! ما يبكيك ؟ »

وتصيح من هول ما تسمع ... ويجتمع إليها النساء ، فيعزيها الرسول في حنوّ وعطف وينهاها : « يا أسماء ! لا تقولي : هجرا ، ولا تضربي خداً » ... ويتوجه إلى الله ضارعاً : « اللهم قدّمه إلى أحسن الثواب ، وأخلفه في ذريته بأحسن ما خلفتَ أحداً من عبادك في ذريته ! »

كان خطب البيت النبوي في جعفر خطباً أحسّوا له جميعاً لوعة متسعرة ؛ وانظر كيف تدخل فاطمة على أبيها رسول الله وهي تبكي وتقول : « واعمّاه ! » ... فيقول والأشجان ملء فؤاده : « على مثل جعفر فلتبك البواكي ! ! »

* * *

ويشاء الله برحمته أن يمسح بيده الآسية على قلب نبيه وآله ، وأن يعزّيهم عن فجيعتهم الحراء عزاء فذاً كمصابهم الفذ ، فهذا الرّوح الأمين ينزل على الرسول المحزون ، فيبلغه أن الله قد عوض جعفراً عن ذراعيه بجناحين مضرجين بالدماء ، يطير بهما مع الملائكة في الجنة ...

يا بشرى ! ! وهل يبغي حبيب لحبيبه شيئاً وراء ذلك ؟

ثم هذا النبي عليه الصلاة والسلام يرفع مرة رأسه إلى السماء فيقول : « ... وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ! » فيقول الناس : « يا رسول الله ! ما كنت تصنع هذا » فيجيبهم : « مرّ بي جعفر بن أبي طالب في ملأ من الملائكة فسلم عليّ ... »

ندى هذا العزاء الإلهي على الأكباد القريحة وصرف عنها الجزع ونعم الآسى آسٍ من روح الله ، ونعم العزاء عزاء بقدر البلاء !

(المنصورة)   **لبيب السعيدي**

العـــذاب !

للدكتور إبرهيم ناجى

أَلَمى محا ذنبى إليكَ وكفَّرا   هَبْنِى أسأتُ ألم يحِنْ أن تغفرا ؟
رُوحِى مُمزَّقة وأنتَ تركتَها   لمخالبِ الدُّنيا وأنيابِ الورَى
رُوحِى مُمزَّقة ولو أدركتَها   جَمَّعتَ من أشلائها ما بُعثِرا
أَوَليسَ لى فى ظلِّ عطفِكَ موضعٌ   أحبُو إليهِ وأرتمى مُستنصِرا
مَا كُنتُ أصبِرُ عن لِقائكَ ساعةً
كَيفَ السَّبيلُ إلى اصطبارِى أشهُرا ؟
مَنْ بدَّلَ الثغرَ الجميلَ عُبُوسةً؟   ومَضَى إلى وَجْهِ السَّماءِ فغبَّرا ؟
يَا هاتِهِ الأقدارُ! يا كفَّا جرَتْ   عَسْراءَ تمنعُ أُفقَها أن يُمطِرا
يَا هاتِهِ الأقدارُ ! عَيْنُكِ لا ترَى
خلفَ الدُّجى سأمانَ مُمتنِعَ الكرَى
ظمآنَ لو باعَ الأحِبّةَ قطرةً   بالعُمرِ والدُّنيا جميعاً لاشترَى
أخفى جِراحَكِ واستعزَّ بفتكِها
غِرِّيدُكِ الشَّادِى المُحلِّقُ فى الذرَى
يرنُو إليكِ على البعادِ فيَنْثَنِى   ويجرُّهُ الجُرحُ المُمِضُّ إلى الثرَى
قد عاشَ وهوَ مُعذَّبٌ بإبائِهِ   ولقدْ يُلاقى حتفَهُ مُتكبِّرا
حتَّامَ كِتمانى وطولُ تجلُّدِى   يا أيُّها الجانى علىَّ وما درَى
ومتَى المآبُ إلى رحابِكَ ساعةً   لأُرِيكَ جُرحى والدِّماءَ والخنجرا

جنتى . . .

للآنسة الفاضلة دنانير

يا جنَّـةً لُذتُ بأفيائها   فى غفوةٍ من غفواتِ الزَّمانْ
لمَّا تطوَّفتُ بأرجائها   ألتمِسُ الصَّفوَ وأبغى الأمانْ
رفَّتْ على قلبى بأضوائها   وظلَّلَتْهُ بالرِّضى والحنانْ
يا قلبُ إنْ تكفُرْ بآلائها   فليسَ من حقِّكَ سُكنى الجنانْ

آوِى إليها من جحيمِ العذابْ   ضُحًى فتلقانى بوجهٍ طليقْ
وتُطفئُ النارَ ببردِ الشرابْ   من سَلْسَلٍ عذبٍ شهىٍّ الرحيقْ
كأسى من أوراقِ وردٍ رطابْ   مكلَّلاتٍ بمذابِ العقيقْ
كم أنتشى بالنَّفحاتِ العِذابْ   منها فما أدرى متى أستفيقْ

قلبى فى ظِلِّكِ يا جنتى   قد مسَّهُ نورُ الهوى فاشتعلْ
وكنتُ من قبلِكِ فى وحشتى   لا فرحٌ يُؤنسُنى أو جذَلْ
أهيمُ لا أبصرُ فى حيرتى   إلا ظلامَ اليأسِ يغشى الأملْ
حتى تجلَّيتِ على ظلمتى   بالنورِ يُوحى بفنونِ الغزلْ

يا شِقوةَ النَّفسِ إذا ما انقضَى   عهدٌ ملىءٌ بالهوى والفُتونْ
وباتَ عيشى فيكِ حُلماً مضى   تَهيجُ لى ذِكراهُ شجوَ الحنينْ
عيشٌ غضيرٌ، حافلٌ بالرِّضى   يا حسرةَ القلبِ له إذْ يَبِينْ
يا قلبُ من يمحُو سطورَ القضا   ويضمَنُ المقدورَ ألاَّ يكونْ

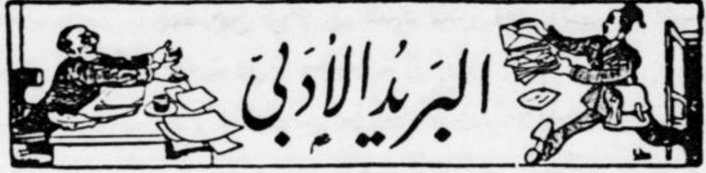
هيهاتَ هيهاتَ فلا بدَّ لى   من ساعةٍ تصدعُ ما بيننا
خيالُها المفزعُ ما يأتلى   يُساوِرُ القلبَ هُنا أو هُنا
غداً ، ويا ويلى لما ينجلى   عنه غدٌ من موجعاتِ الضنَى
كيفَ نجاتى فى غدى المقبِلِ   من كأسِ بينٍ قد أُعِدَّتْ لنا

أهواكِ أهواكِ وهذا دمى   أوغلَ فيه حبُّكِ القاهرُ
كم ذا تُراعُ النفسُ يا مُلهمى   مما يُسِرُّ القدرُ السَّاخرُ
سأنثنى عنكِ وقلبى ظمى   يُلهِبُه حِرمانُه السَّاعرُ
واسمُكِ فى الخاطرِ أو فى الفمِ   بهِ يلذُّ الفمُ والخاطرُ

يا ليتَ شعرى ما حياةُ القلوبْ   إن لم يُطهِّرْها جحيمُ الهوى
فتمَّحِى آثامُها والذُّنوبْ   فى لهَبِ الوجدِ وحرِّ الجوى
ولم تَسِمْها من هواها نُدوبْ   تظلُّ إنْ فاتَ الصِّبى وانطوَى
تَنفُكُّ فيها ذكرياتٌ تؤُوبْ   من غابرٍ ماتَ ومَاضٍ ثوَى

أخشَى وما أخشَى سوى عودتى   لوحشتى فى عزلتى النائيهْ
فلا أرى بعدكِ فى وحدتى   سوى صباباتى والآلاميهْ
وأنتِ فى شُغْلٍ وفى غفلةٍ   عن ذمَّتى الحافظةِ الوافيهْ
من لى بكأسِ الموتِ يا فتنتى   فهى شفائى يومَ تنسانيهْ

(فلسطين)   دنانير



قلوب تتناجى وأفكار تتلاقى

حفل عدد « الرسالة » الهجرى الممتاز بخير ما تجود به أقلام الكتاب ، وأنفس ما تتمخض عنه قرائح المفكرين ، فلاطت أحاديثه بكل قلب ، وتغلغلت فى كل ضمير ؛ وأثارت فى النفوس المؤمنة شعوراً قوياً من اليقين والأمل والثقة بمستقبل الإسلام وما ينتظره من خير على أيدى رجاله العاملين .

ونحن خليقون أن ننتفع من هذا الشعور ، لا أن نكتفى بإدراكه وتسجيله ؛ فهو الحافز الأقوى إلى التقدم ، والسبب الأوثق إلى بلوغ الغاية ؛ وهو أيضاً البشير الأصدق بأننا نسير على الجادّة ، ونمضى قدماً إلى ما عقدنا العزم عليه من النهوض بأنفسنا ، فى ظل هذا الدين الذى شرّفنا الله به .

وإذا تجانسَ الشعور العام نحو أمرٍ ما ، وتقاربت الأفكار حوله بل تلاقت ؛ دل هذا على صحة فى النظر ، وصدقٍ فى الوسيلة ، وشرفٍ فى القصد والغاية . ولا أدلّ على أن هذه حالُنا اليوم ، من ذلك الإحساس المتبادل الذى جاشت به قلوب كتابنا ، ففاض على أسلات أقلامهم وحياً من الوحى ، وآياً من الآى ! لقد هتفوا جميعاً بنداء واحد ، ودعوا إلى كلمة سواء ، هى أن نقف عند حدود شريعتنا فلا نعدوها ، وأن نستغنىَ بقانونها عن كل قانون ، ونادوا جميعاً بفشل أنظمة الغرب فى حل مشاكل الحياة ، وهداية البشر إلى طريق الخير والصلاح . . .

فعالج الأستاذ الجليل (صاحب الرسالة) مشكلة الفقر كرض اجتماعىّ له خطورته ؛ وبين ما طبّ له به الإسلام من ضروب العلاج . ثم ذكر أن هذا العلاج « على إحاطته وبساطته ونجوعه ينهض وحده دليلاً على أفَن الذين يقولون إن دستور القرآن لا يأتلف مع المدنية ، وشريعة نابليون أصلح للناس من شريعة الله ، ونظام ماركس أجدى على العالم من نظام محمد »

وفى كلمة الإمام الأكبر الأستاذ المراغى ما نصه : « لا يزكو بأهل القِبلة أن يولوا وجوههم شطر الغرب يأخذون عنه من المذاهب والنظم والتقاليد ما أضلّ به أهله . إنما النور فى الشرق مطلع الأديان ، والهدى فى شريعة الله مُنزل القرآن ، والدليل فى سنة الرسول صاحب الهجرة ، والسبيل ما سلكه السلف الصالح فأوفى بهم على الغاية » .

وفى كلام الأستاذ محمد المدنى ما يدخل تحت هذا المعنى ؛ فقد تحدث عن الفقه وكيف ركدت ريحه ، وعن الفقهاء وكيف غلّقوا أبواب الاجتهاد ، حتى أعرض عنهم أهل التشريع وأصحاب النفوذ والسلطان ، وانقطع ما بينهم وبين المجتمع من أسباب ؛ ثم قال : « وكان من آثار ذلك أن دخلت التشريعات الأجنبية على بلاد المسلمين ، فأصبحت دستور الحكم ، وأساس الإدارة ، وقانون القضاء ، وعماد النظام فى كل ناحية من نواحى الأعمال! »

والأستاذ محمد الغمراوى يحدثنا فى « تأملاته » عن المدنية الغربية ؛ وكيف جنى عليها بُعدها عن الدين ؛ ويبين ضرورةَ الرجوع إلى مبادئ الإسلام والأخذ بشريعته ثم يقول : « أعجب عجباً بعد عجب من قوم . . . يتطلبون الحياة ممن ضل عن روحه ونوره ، ويولون وجوههم وقلوبهم لا شطر المدنية الإسلامية التى أقامها الرسول بتطبيق كتاب الله فكانت مثلاً عملياً أعلى للانسانية كلها ، ولكن شطر المدنية الغربية التى ضلت عن ربها وعبدت المال والقوة والجاه فأداها هذا إلى التهلكة التى ترى والتى تحاول التخلص منها فلا تستطيع . . . »

هذا بعض ما نبضت به قلوب قادة الرأى فينا ، وما تحركت بتسجيله أقلامهم ؛ أفلا يحق لنا أن نطمئن ونستبشر ، ونرجوَ من هذا الشعور المشترك خيراً ؟ ؟

يقول أستاذنا المفتى الأكبر فى حديثه المنشور بنفس العدد من الرسالة : « قد اتجهت أفكار المفكرين وآراء المصلحين إلى هذه الشريعة يلتمسون أن تكون نظام حياتهم ، وأساس مدنيتهم فلا بد لنا إذن من العمل ، ولا بد لنا من تلبية نداء الأمة ، وإعداد أنفسنا لهذه المهمة السامية »

... وهذا كلام نؤمِّن عليه مغتبطين ، وغاية نبيلة نرجو ألا يقف رجال الإسلام دون تحقيقها ؛ والله يكلؤهم برعايته ، ويمدهم بعونه وتوفيقه ، إنه نعم المستعان .

(جرجا) **محمود عزت عرفه**

إلى الدكتور عبد الوهاب عزام

ألآن وقد وضعت آخر كتاب قرأته لكم : كتاب «رحلات» تجلت لى منكم خلال «عزامية» ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولمست فيكم تلك الروح الشرقية العربية الإسلامية بأجلى مظاهرها

وأسمى حلاها ؛ عرفت فيكم ذلك الأستاذ المثقف الذى لم تغره زخارف المدنية الأوربية ووقف عند كل « أثر » إسلامي يناجيه بروح رفافة وقلب متوثب وعزيمة وقادة . أين موقفك عند مواطن « بغداد » و « الموصل » و « دمشق » و « طرسوس » وحتى « البحر الأبيض » جعلته مثاراً لذكرى الفاتحين المسلمين الأولين . ثم أين موقفك « عند قبر صلاح الدين » وأين كلماتك التى نفثها يراعك الأكرم ثم ختمت مناجاتك وأمانيك عند البيت الحرام والقبة الخضراء الشريفة . فيالله من مواقف عظام وذكريات فيها الذكر والعبر كما حدثت

وبهذه المناسبة أتقدم إليكم لأستفسر منكم عن موقف من مواقف المتجادلين فى هذا العصر ، فبينا أخط هذا إذ وردت مجلة الرسالة « الغراء » وفيها فتوى « فى مذاهب الصوفية » نقلها كاتب عن « الطرطوسى » وسجل فيها ما سجل من خزعبلات المتصوفة لا الصوفيين بحق ؟ على أن هذا لا يعتبر شاهداً على صوفية أو متصوفة هذا الزمن . ومن مواقفك الحسان في كتاب (رحلات) أنك تركت إخوان (الخيام) لتزور ذلك الصوفى الذى لقيت فى سبيل زيارته ما لقيت . على أنى وإن لم أكن صوفياً بمعنى الكلمة أكره التجنى وأعلم أن هناك أناساً مخلصين يذكرون الله جهراً فى حلقات ، ثم يتدارسون العلم على يد فقيه عالم فيلقون إليه قيادهم فيبصرهم بأمور دنياهم ، ولم يكن هناك نقر على (الدفوف) ولا (جبى ضرائب) ولا (هيولة) معظمة ولا ولا الخ إنما يريدون إخوة فى الله ، والله لا يرضى عنهم إلا إن كانوا مجدين فى عمل الدنيا ، وما عليهم إلا (الاستغفار والصلوات على النبى صلوات الله عليه وتكرار اللفظ الأكرم (لا إله إلا الله) ويقولون لـنا إلا على الشرع . أرجو بيان هذا الموضوع ببيانك المعهود على صفحات الرسالة الغراء

ابراهيم السعيد محمد عجلان

الاسلام دين ومدنية

فى العدد الممتاز وقع خطأ فى عنوان مقالى فصار « الإسلام دينٌ لا دولة » والصواب « الإسلام دينٌ ومدنية » كما ورد فى الفهرس وكما ورد فى الأصل قبل أن يصاب بذلك التحريف . وإنما اهتممت بتصحيح العنوان لأنه حين حُرّف دلّ على معنًى لا أرضاه للاسلام على الاطلاق ، وإن ارتضاه بعض الباحثين

وبعد فهل قرأتم فى العدد الممتاز مقال الأستاذ الشيخ محمود شلتوت عن « شخصيات الرسول »

اقرأوا ذلك المقال مرة ثانيه لتذكروا أنه متسم بالروح الذى كتبنا به مقالاً فى أحد الأعداد الممتازة من الرسالة عن « النواحى الإنسانية فى الرسول » وهو مقال سبّب لنا متاعب كثيرة واستوجب أن تنوشنا المجلات الدينية فى مدى يزيد على عامين بلا ترفق ولا استبقاء ، مع أننا لم نقل غير الحق

واليوم يستطيع خصومنا أن يوجهوا خصومتهم إلى فضيلة الشيخ شلتوت إن أرادوا . فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فمن حقنا أن نزجرهم أن يتريثوا فى الحكم على ضمائر الرجال قبل أن يسوقوا التهم الجوازح بلا بينة ولا برهان

هدانا الله وإياهم إلى ما يحبه ويرضاه زكى مبارك

حول محاضرة الدكتور زكى مبارك

كنت من أشد الناس إعجاباً بهذه المحاضرة القيمة التى ألقاها الدكتور فى دار اتحاد الشباب المسلمين بالقاهرة لأنها كانت تعالج موضوعاً خطيراً هو « اتجاهات مصر الأدبية وأثرها الضار أو النافع فى مركز مصر فى الشرق » إلا أن لى عليها ملاحظتين :

الأولى : أنه حينما ذكر أن مصر فى سبيل تعزيز اللغة العربية ، وتقوية العلاقات بينها وبين الأمم الشرقية ، قد أنشأت قسماً داخلياً فى مدرسة دار العلوم لإيواء طلبة الأمم الشرقية فسهّلت لهم سبيل الثقافة والمعرفة ، وهذا عمل مشكور لوزارة المعارف المصرية ؛ ولكن أليس من الحق أن نقول أيضاً إن الجامعة الأزهرية قد أسهمت فى هذا الموضوع وكان لها فيه القدح المعلى ، وأكبر دليل على ذلك أنه لما فكر المرحوم الملك فؤاد الأول فى إنشاء أبنية فخمة تضم كليات الجامعة الأزهرية ، رأت إدارة الجامعة الأزهرية أن تجعل من بعض هذه العمارات مساكن لطلبة الأمم الشرقية موفورا فيها كل أسباب الراحة ؛ وقد جعلت فى كل قسم مكتبة علمية لتزويدهم بمختلف الثقافات والمعارف . هذا عدا ما فى الجامع الأزهر ، وما فى العمارات الأخرى التى استأجرتها إدارة الجامعة الأزهرية ، وهى فى أفخم أحياء القاهرة ، وكل هذه الأماكن لا تضم أفراداً من العراق والشام فحسب ، بل فيها طلبة من السودان وشمال أفريقا والعراق والشام والهند والأتراك وداغستان والصين وغير ذلك من الأمم الشرقية ؛ وقدرتبت لهم المكافآت المالية الكثيرة

الملاحظة الثانية : أنه قال « فى مناحىَ » ونطقها بثبوت الياء مفتوحة فى حالة الجر ونص على هذا قائلاً إنه هو الصحيح . وإنى مع احترامى لرأى الدكتور أرجو أن يدلنى على وجه الصحة فى هذا ، لأن المسموع فى أفصح كلم وأبلغه وهو القرآن عدم ذكر الياء مفتوحة في مثل هذه الكلمة ، قال الله تعالى : «والفجر وليالٍ عشر» . «ومن فوقهم غواشٍ» . وأما ما ذكره الدكتور فهو خاص بحالة النصب

وقد أجمع النحويون على معاملة مثل هذا الجمع معاملة قاض . هذا ما أعرفه ؛ وللأستاذ منى أصدق التحية

(القاهرة) **عبد المنعم سليمان مسلم**

بين أغسطين والغزالى

ذكر العلامة المحقق الدكتور جواد على، وجه الشبه بين اعترافات القديس «أوغسطين» ، وبين اعترافات الغزالى فى كتابه « المنقذ من الضلال» ، وقد حار فى تعليل هذا التشابه . وقد حملتنى بعض الغرائب فى أخلاق المتصوفة على دراسة هذا الموضوع من الناحية الطبية السيكولوجية زهاء سبعة عشر عاماً ، رجعت فى خلالها إلى شتى المصادر العلمية ، وخرجت من بحثى بأن التصوف ضرب من الانحراف الذهنى يُحدث ما يشبه الضغط فى بعض مراكز الفكر، وهذا ما يعلل ما يتسم به المتصوفة فى كل عصر ومن كل جنس ومن كل دين من الاتفاق فى الأفكار الأساسية التى يجمع عليها المتصوفون

وقد عثرتُ أثناء دراستى الطويلة على أمثلة رائعة لهذا التشابه بين متصوفين يفصلهم عن بعض الزمن والثقافة والجنسية والديانة ؛ فالحلاج يفكر فى مسألة الحلول نفس تفكير القديسة تريزا ، ولا يخرج تفكير ابن العربى وابن الفارض فى الحب الإلهى عن تفكير سويدنبرج السويدى . وقد كان البسطامى فى حدبه على النمل كثير الشبه بالقديس فرنسيس الأسيسى فى مناجاته للطير ونعته بالأخوة .

وأرجو أن أوفق إلى نشر بحثي مع ما فيه مما يخالف المألوف فى القريب العاجل ... **كامل يوسف**

عضو بالمعهد الفلسفى البريطانى بلندن

تبرئة القضاء العربى من وصمة

أورد صاحب مقال (التبعة والعقوبة فى المجتمع البشرى)(١)

(١) العدد ٤٤٥ من الرسالة الغراء ص ٤٨

قصة للحزين الدبلى بنى عليها أحكاماً منها أن العرب « أقروا شهادة الحيوان أمام القضاء » ، وأن ذلك « بمثابة رجوع العربى إلى المنطق القبلى الذى كان يأخذ الحيوان بالتبعة »

ومن الواجب — وللرسالة مكانتها وتحريها — أن أنبه إلى أن الخبر الذى ذكره الفاضل نقلاً عن الأغانى محرف ملفق ، فلا صاحب الأغانى ذكره ولا غيره . وكل ما فى الأغانى خبر صغير عن الحزين الديلى خلاصته أن طائفاً وجده سكران فحبسه مع حماره إلى الصباح ثم ضربه الحد وأطلقه والحمار (الأغانى ١٤ / ٧٧) ، وأما بقية القصة التى أوردها فممسوخ عن قصة أخرى تذكرها كتب النوادر لأحد المتماجنين لا علاقة لها ألبتة بالحزين الديلى . وفى القصتين لا ورود لذكر قاض ولا لمجلس قضاء . وإذاً ينهار كل ما بناه عليهما الكاتب من أحكام . وأرجو أن أفرغ لتفصيل هذا الإجمال .

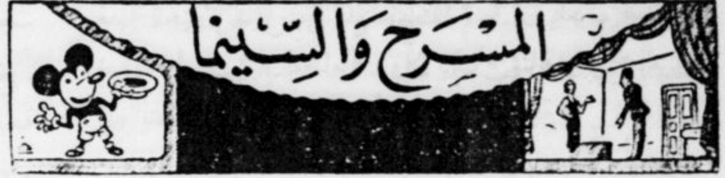
(دمشق) **سعيد الأفغانى**

حول المرحوم معاوية محمد نور

قرأت فى عدد (الرسالة) الغراء رقم ٤٤٥ الكلمة الموجزة التى كتبها الأستاذ محمد أمين حسونة عن أخى المرحوم معاوية ؛ وإنى نيابة عن أسرة الفقيد أشكر له هذا الشعور الكريم

غير أنه قد وقع فيها بعض الخطأ عن عهد دراسة الفقيد الجامعية إذ قال : إن معاوية بعد أن أكمل دراسته الثانوية بكلية غردون قصد إلى مصر للالتحاق بجامعتها وحالت بينه وبين الجامعة بعض الحوائل ووصل ذلك إلى علم صاحب السمو الأمير عمر طوسون فأرسله إلى الجامعة الأمريكية ببيروت على نفقته وهذا الكلام لا يتفق والواقع

فإن الحقيقة أن معاوية أمضى دراسته فى بيروت على نفقته الخاصة ، وعلى نفقة أهله وذويه بالسودان وهم والحمد لله على خير ما يكون العبد الشاكر لنعمة ربه **السبكى خالد**



توطئة

قد اتسع أفق الفن التمثيلي في مصر اتساعاً نغبط عليه من حيث هو اتساع فحسب. وقد كثرت الأصباغ الفنية فيه وتعددت الألوان. وما من ريب في أن بعض هذه الأصباغ تؤذى مشاهدتها العين. ومن شأن النقد أن يوجه المنقود إلى السبيل السوى. وأن يبين الحسن في مواطنه ويرشد إليه، وأن يفضح القبح وإن خفي وينفر منه ...

وإنى لأستعين بالله على كتابة هذه الصفحة عن: السينما. والمسرح. والإذاعة. وأحب أن ألفت أنظار أصحاب هذه الفنون والمشرفين عليها إلى أن مجلة «الرسالة» قد أفسحت صدرها لقلمي الضعيف على رغم إلحاح أزمة الورق للاتجاه بالنقد الصريح إلى ما فيه الخير للفن المصرى الشرقى ... فلينتظر هؤلاء كلمة الحق لهم أو عليهم

كتاب عن السينما

أخرج الأديب الشاب الأستاذ محمد عبد القادر المازني أول كتاب له تحت عنوان: (السينما مفخرة القرن العشرين) وقد جاء كتابه هذا في الوقت الذى تلح الحاجة فيه على قراء العربية أن يعرفوا شيئاً عن فن السينما وتاريخها. فليس أقبح من الجهل بأسرار مظهر من مظاهر الحياة نراه ونلمسه ... والسينما مظهر قوى من مظاهر حياة البشر في القرن العشرين. فلا مندوحة للناس من أن يلموا بسر هذا الفن؛ ومعرفة المظهر تستدعى معرفة النشأة والتطور

وقد تناول الأديب في كتابه نشأة السينما وتطورها وسرد تاريخها سرداً مجملاً أتى فيه على أهم ما يعنى القارئ من أمورها. وهو بهذا العمل الفنى الأدبى قد سد نقصاً في الثقافة العربية

الفرقة القومية

قدمت الفرقة القومية في الأسبوع الماضي رواية (صلاح الدين ومملكة أورشليم) مأساة من أربعة فصول ألفها الأستاذ فرح أنطون وأخرجها الأستاذ سراج منير وقام بتمثيل أدوارها عدد كبير من ممثلي الفرقة القومية. ولقد أحسنت الفرقة في تقديم مثل هذه الرواية التي تعالج فكرة تاريخية وطنية في ظروف كهذه. وقد نجحت الرواية تأليفاً وإخراجاً وتمثيلاً بالرغم من بعض الهنات التي ظهرت في تكلف بعض الممثلين وفي عدم ملاءمة الإضاءة في مواقف كثيرة ... ويسرنا أن نشير إلى النشاط الذى بدا على الفرقة وهو يبشر بالانتعاش والحياة. وأحسب أن سر ذلك النشاط راجع إلى الأستاذ سليمان نجيب الذى عين مديراً للأعمال الفنية فيها. وإنا نرجو للفرقة وأفرادها ومديرها اطراد التقدم

فرقة ملك

قدمت فرقة ملك على مسرحها الجديد رواية (بنت بغداد) وهى من نوع الأوبريت ألفها ونظم أغانيها الأستاذ بيرم التونسي. ولا يسعنا إزاء مجهود (ملك) القوى إلا أن نهنئها على هذا الإقدام. ونرجو أن تعمل على استكمال أدوات (الأوبريت) الفنية حتى تستطيع أن تؤدى واجبها الفنى على الوجه الأكمل. ولسنا نغفل مجهودها المبذول في التلحين والغناء فذلك شيء مشهود لها به

أفلام جديدة

انتهت شركة أفلام الشباب من عمل فلمها الجديد: (أحب الغلط) الذى أعده للسينما وقام بإخراجه الأستاذ حسين فوزى. وقد اشترك في تمثيله لفيف من نجوم السينما نذكر منهم تحية كريوكا — حسين صدقى — منسى فهمى وغيرهم. وكذلك انتهت السيدة آسيا من فلم (الشريد) الذى ألفه الأستاذ فتوح نشاطى وأخرجه الأستاذ هنرى بركات، واشترك في تمثيله حسين رياض — زكى رستم — أمينة نور الدين — نادية — وهناك أفلام جديدة أخرى يجرى العمل فيها في استديو مصر وغيره من الشركات المصرية سنتحدث عنها في أعداد قادمة إن شاء الله

عبد الفتاح متولى غبن

حكمت محكمة المنصورة العسكرية في القضية رقم ٥٨١ سنة ٩٤١ بتغريم محمد الأنور عبد المعطى عمدة ميت الفرش عشرة جنيهات لبيعه بترول بزيد عن التسعيرة

اتهم حانين سيد الجباس بقال بباب الشعرية في القضية ن ٢٢٨ سنة ١٩٤٠ تسعيرة المقيدة بالاستئناف رقم ٩٧٢٠ سنة ١٩٤٠ وحكم عليه في ٣٠ / ٩ / ٩٤٠ بغرامة ١٠٠ قرش والنشر في الثقافة والرسالة لبيعه ملح ناعم بأزيد من التسعيرة

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين

10me Année No. 451

Lundi - 23 - 2 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٤٥١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٨ صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

التنجيم والحــــرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

نتكلم بلغة الاقتصاد فنقول : إن التنجيم بضاعة يكثر طلبها فى أيام الحروب فيكثر عرضها

لأن الناس يتوقون إلى العلم بالمصير ، فيظهر لهم من ينبئهم صادقاً أو كاذباً بما يراه من مصير

ولأن الناس جميعاً يخشون شيئاً ويرجون شيئاً فى أيام الحروب ، فيحبون من يجلب إليهم الطمأنينة بما يزيل من خشية أو يعزز من رجاء ، ويتسع من ثمة مجال التنجيم والاستطلاع

ولأن الناس ، ولا سيما الجند ، يحتاجون إلى الثقة بالغلب ، أو ما يسمونه فى الاصطلاح الحديث بتقوية الروح المعنوية ، فيأنسون إلى ما يوافقهم من كلام المنجمين

ولأن الحوادث الجسام توحى إلى كل نفس أن الأمر فوق طاقة الإنسان ، وأن أعنة الأقدار فى يد غير يده وعلم غير علمه ، فيتجه الذهن إلى عالم الغيب وإلى الذين يدعون له العلم به والإنباء عنه

ولأن النزاع بين طرفين من شأنه فى كل حين أن يشحذ غريزة الرهان والسباق حتى فى الألعاب التى ليس لها عند الناس خطر الحروب ، ومتى شحذت غريزة الرهان فقد شحذت معها

غريزة التطلع إلى نجاح هذا وفشل ذاك ، أو سحبت معها غريزة الاستطلاع والتخمين ، ومنها التنجيم

هذه بعض الأسباب التي تروج صناعة التنجيم في أيام حرب كالحرب الحاضرة . ولا ندري أهو سوء حظ أم حسن حظ ذلك الذي أغرى الصحف الكبرى في حواضر العالم بأن تتحرى كل ما يروج ويهيئ للقراء كل ما يتوقون إليه من أنباء اليوم والغد ، وما يحصل الآن وما سيحصل بعد حين

ولكن الصحف على أية حال تصنع ذلك ولا تبالي أكان حسناً أم كان سيئاً ما تصنع . ففي كثير من صحف أوربا الكبرى أبواب يكتبها مخبرون « مستقبليون » غير الأبواب التي يكتبها مخبرو الوقائع الحاضرة والأنباء الجارية ؛ وهؤلاء المخبرون « المستقبليون » هم أناس يحترفون بالتنجيم ويتخذونه جداً يدافعون عنه كما يدافع العالم عن علمه والتاجر عن تجارته . وينكرون أنه لعب مصادفات أو أنه تزجية فراغ أشد إنكار

جاءتنا صحف انجلترا في البريد الأخير وفيها أحاديث شتى عن مأدبة أقيمت للمنجمين يحاضرون فيها عن صناعتهم ويدفعون فيها ما يتجه إليهم من نقد وريبة . ويذكرون لقرائهم والمستمعين إليهم شيئاً عن أسرار هذه الصناعة وأسسها ، فلم يتفقوا لها على أسس ولا أسرار

فمنهم من أثبت للنجوم سلطاناً على حوادث هذه الدنيا وأخصها حوادث الحروب والنكبات ، ومنهم من نفى العلاقة بين النجوم وبين الحوادث الأرضية في « علم » التنجيم الحديث

وقال بعضهم إن التنجيم يصيب ويخطئ كما يقع الصواب والخطأ في أصح العلوم ، إلا أن الخطأ قليل في حساب المنجم الماهر كثير في حساب المنجم القاصر ، وقد يقع الخطأ في خبرين من عشرة أخبار أو في خبرين من اثنى عشر خبراً ولا يقدح ذلك في صحة الحساب ولا في صحة « العلم » أو صحة الأساس الذي يقع عليه

وقد اطلعنا نحن على طائفة كبيرة من نبوءات الحرب الحاضرة فلم نعثر بينها على نبوءة واحدة تقطع بصحة « علم » التنجيم وتحوجنا إلى قبول دعوى المنجمين ، وكلها داخل في مستطاع من ينجم ومن لا ينجم ومن يعرف أسرار العلم المزعومة ومن يجهل تلك الأسرار

فالإنباء بما سيأتي قد يتاح لأناس لهم اتصال بمصادر الأخبار أو لهم نصيب من بعد النظر . وهم في هذه الحالة يبلغون من الصدق ما لم يبلغه منجم ولا مصطنع نبوءات

فمن أمثلة الاتصال بمصادر الأخبار أن الصحفي الأمريكي ريتشارد بوير Richard Boyer كتب في الثالث من شهر نوفمبر سنة ١٩٤٠ يقول : « إنهم ينظرون في جميع أنحاء الدنيا إلى روسيا وألمانيا نظرتهم إلى حليفتين . ومع هذا يبدو من الأمور المفروغ منها في الدوائر النازية أن ألمانيا ستغزو روسيا في السنة المقبلة . ويرى رجال الحكومة النازية بشيء من الثقة وإن لم يبلغ مبلغ الأسرار المكتومة أن اتحاد السوفييت إما أن يسلم في إقليم أكرانيا وإقليم النفط في باكو وولايات البحر البلطي ، أو تستولى عليها ألمانيا عنوة حينما تسنى لها أن تفرغ من انجلترا . وقد يزعم بعض الموظفين في الحزب النازي أن الحرب بين الولايات المتحدة وألمانيا غير ضرورية على خلاف ما تبينته بين كبار الرؤساء من جزم بضرورة هذه الحرب وأنها واقعة لا محالة . . . »

فهذه أنباء لو اتفقت لمنجم لباهى بها أقرانه واتخذها حجة صناعته في أساسها ، ولمهارته هو في كشف خباياها ؛ ولكن الرجل الذي أذاعها قبل وقوعها بحق لا يدعى لنفسه صفة غير صفة المخبرين الصحفيين ولا يسلك نفسه في عداد المنجمين

وإلى جانب هذا يكتب المنجم المختص بباب النبوءات في صحيفة أنباء الدنيا News of the World « أن أموراً على أعظم خطر سيتفق عليها رأسان من رؤوس الدول الكبار — ولعلهم ثلاثة — فيرتبط بها خلاص بني الإنسان »

ثم يزعم له مصدقوه أنه أحسن التنجيم لأنه كتب نبوءته في العاشر من شهر أغسطس ووقعت مقابلة الرئيسين روزفلت وشرشل بعد ذلك بأيام فتم فيها الميثاق الذي أشار إليه وربط به خلاص بني الإنسان !

إلا أن إشاعات المقابلة كانت تحوم في الجو كما يقولون قبل نشر النبوءة بثلاثة أيام ، فسرى بين الصحفيين نبأ فحواه أن

روزفلت وشرشل قد ذهبا إلى ألاسكا لمقابلة ستالين هناك ، وكذبت هذه الإشاعة فى حينها وهى هى بلا شك مصدر النبوءة التى أسرع بنشرها منجم الصحيفة ليواجه بها القراء وهم أكبر عدداً من زمرة الصحفيين القلائل الذين تنسموا النبأ على تلك الصورة قبل وقوع المقابلة ، ولهذا تردد المنجم فى عدد رءوس الدول لجعله بين الإثنين والثلاثة ، واستفاد بين ألوف القراء سمعة التنجيم الصادق لأن هؤلاء القراء يجهلون الإشاعات الخفية التى ينفرد بعلمها بعض المخبرين فى دوائر الصحافة ، فيسهل إقناعهم بأنها سر من أسرار النجوم

* * *

وهكذا يقال فى كل نبوءة وقفنا عليها من نبوءات الحرب الحاضرة ، فهى إما اتصال بمراجع الأخبار العليا ، أو صدق نظر فى قياس المجهول على المعلوم

إلا أننا لا نريد أن ننكر الشعور بالأمور المقبلة من طريق غير طريق المراجع العليا ، أو بعد النظر الذى يدخل فى عداد الأقيسة العقلية

فقد يرى الإنسان ماسيأتى على نحو يشبه رؤية العين لأشباح الظلام ، ولكنها رؤية لا تقبل التمحيص والمراجعة ولا تدخل فى صناعة التنجيم ، وهي مع ذلك مما ينقض التنجيم وليست مما يؤيده ويزكيه ، لأنها ترد الشعور بالأمور المقبلة إلى الحس الباطن أو إلى الواعية ولا ترده إلى حساب النجوم أو إلى صناعة قابلة للتعلم والتعليم . وقد يقوى هـذا الشعور حتى يتضح للعقل فيفسره كما يفسر الأقيسة ومدركات الأفـكار

أما الحقيقة التى لا شك فيها فهى أن البنية الإنسانية تحس ما يهددها من الأخطار الدخيلة قبل وقوعها فى بعض الأحايين . كما يقول ابن الرومى :

وللنفس حالات تظل كأنهـا ... بما سوف تلقى من أذاها تهدد

فتحس الأمراض المقبلة والعلل المنذرة ، ولا تدرى لإحساسها سبباً فى كثير من الأحوال ، وإن كان هذا الإحساس مقدمة للعلة وعرضاً سابقاً من أعراضها بغير نزاع

وقد يهزأ بعضهم بتطبيق ابن الرومى لرأيه حين يقول :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأرحب مما كان فيه وأرغد

ولكنه على ما نعتقد هزؤ ظالم أو مبالغ فيه ، لأن الأسباب الطبيعية التى تدعو إلى بكاء الطفل عند ولادته هى مقياس لسنة الدنيا فى اقتران كل وظيفة بجهد ناصب . وفى تناصبها ثمناً لكل فتح من فتوح الحياة . فهى شىء ملازم للبنية الحية ، يدل عليه أن أول تنفس للهواء هو أيضاً لون من ألوان البكاء

غير أن إحساس الإنسان بما سيصيب بنيته شىء، وإحساسه بما سيصيب الدنيا شىء آخر ، ولا سيما ذلك الإحساس الذى يدعيه المنجمون

والمسألة بعد لا تخلو من عزائها وسلواها ، فإذا امتعض أناس منا لما يرونه من تهافت جهلائنا على العرافين والمشعوذين فهذه أوربا تهون عليهم مضضهم بإقبال أهلها « المتعلمين » على لغو العرافة والشعوذة وإقبال صحفها الكبرى على باب من الأبواب مقصور عندنا على منشورات يزهد فيها العقلاء !

عباس محمود العقاد

رسالة الطالب العربى

لصاحب العزة الأستاذ محمد العشماوى بك

لقد قصدت حين اخترت « رسالة الطالب العربى » موضوعاً لحديث أن أتحرر مما تقتضيه المحاضرات من جهد وعمق فلا يرتفع بحثي إلى مرتبة المحاضرة وما تتطلبه المحاضرة من تقدمة وتفصيل وتحليل ، وأن يكون سبيلى حديثاً مرسلاً له صفة الحديث . وهى أنه ذو شجون ، فأطالعكم بما يعرض للذهن من خواطر وذكريات يطمئن لها خيالى وشعورى حين يجرى حديث العرب . وهأنذا فى مكانى هذا أذكر مواقف ماثلة أمامى على الرغم من بعد الشقة وتتابع الأحداث . فنى صيف سنة ١٩٣٧ وقفت على رابية من ربى لبنان الجميل أخطب كشافة العرب : لبنانيين وعراقيين وشاميين وفلسطينيين ، فكنت أبصر بعينى بعض البقاع العربية وأستجمع بخيالى نائى الأقطار والديار ، فلا ألمح حدوداً بين بعضها وبعض ، إن هى إلا أمة واحدة فى رقعة من الأرض واحدة ، يؤلف بين أجزائها ماض واحد وحاضر مشترك ومستقبل منشود ، ويحفز شبابها التوثب أمل قوى فى تجديد الحضارة العربية ، وبعث المجد الذى حفلت به صحائف التاريخ . وكذلك لا أنسى أنى وقفت أخطب شباب العراق وأتحدث فى مذياع بغداد ، فجعلت أسائل نفسى : أفى بغداد أنا أم فى القاهرة ، وعلى ضفاف دجلة أو على شاطئ النيل السعيد ، أغريب أنا فى هـذه الديار ، أم أنعم بين عشيرتى وأهلى ؟

والآن أقف فى جمع يضم شباب العرب من أقطار شتى فى ظلال الجامعة المصرية ، فلا أجد فى نفسى شعور الغريب يتحدث إلى الغريب ، وإنما أشعر حق الشعور بأنى أتحدث إلى طائفة من بنى قومى ليس بيننا وبينهم من الفوارق غير نأى الدار وشط المزار توثق بيننا أمتن الروابط الثقافية والروحية ، ويهدينا إلى المستقبل قبس تلك الحضارة العتيدة التى انتظمتنا فى الماضى ، فجعلت منا أمة موحدة في عقيدتها وأهدافها من المثل العليا .

الـكلمة التى افتتح بها الأستاذ الـكبير سلسلة المحاضرات التى نظمتها جماعة الطلبة العرب بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول عن (الطالب العربى)

إن رسالة الطالب العربى هى رسالة الجيل الجديد ، وهى رسالة المستقبل القريب ، فهذه الجماعة التى تألفت من الطلاب العرب فى كلية الآداب لترسم الطريق لتحقيق الرسالة ، عليها أن تبدأ بتهيئة نفسها لخوض غمارها . وتستوفى من ألوان الإعداد ما يكفل لها النجاح فى مهمتها . فأول ما يجب أن يفكر فيه الطالب العربى هو إعداد نفسه وتكوين ذاته . وأرباب الرسالات لا يلون مهمتهم ارتجالاً ولا يرقبونها عفواً ، وإنما يحققون فى أنفسهم قدرة الاضطلاع بالأعباء . ومما لا ريب فيه أن الإعداد الصحيح للطالب العربى يجب أن يتناول الجسم والخلق والثقافة . وهؤلاء فريق من طلاب العرب قدموا مصر ليغترفوا من جامعتها ثقافة وعلماً ؛ ومصر حين تقوم نحوهم بواجبها وتفسح لهم صدرها ، إنما تؤدى إليهم ديناً فى عنقها ، فإن علماءهم وأدباءهم داتوها فى مفتتح نهضتها وفى ماضى حضارتها . وقد بايعت الأمم العربية اليوم مصر بالزعامة فى الأدب والثقافة والاجتماع والسياسة ، فمن واجب مصر الزعيمة أن تعرف لهذه الزعامة حقها ، وأن تنهض بتكاليفها ، وأن تخص الطلاب العرب برعايتها .

ولعل مما يحسن أن يتوجه إليه الطالب العربى فى الأخذ بأسباب رسالته أن تكون ثقافته كاملة ؛ فنحن بنو زمان هيمن فيه العلم على الأدب والقانون وعلى الطب والهندسة ومرافق الحياة كلها فى السلم والحرب . فالإعداد العلمى ضرورى لمغالبة هذه الحياة . ولن يصلح الآن أن يستقبل المرء حياته معتمداً على التجربة أو متكلاً على الحظ ؛ فذلك إن أجدى عرضاً على فرد فلا يجدى على أمة ؛ وإن صلح فلا يصلح لهذا العصر الذى يهيمن العلم على كل مرافقه وأوضاعه .

وعلى الطالب العربى وهو يستكمل ثقافته أن يضع ماضى العروبة نصب عينيه ؛ فإن كان خيراً ترسمه أجمع ، وإن كان الخير فيه مخلوطاً بالشر نفى عنه شره واستبقى الخير ، وإن كان قد غلب الشر فى حقبة من الزمن وجب اختطاط خطة تقوم على الخير الغالب . وإن وراء العرب لماضياً حافلاً بالمفاخر ، وحضارة امتدت إلى ما وراء العمران . وكان سبيل الأولين من أسلافنا أن ينتفعوا بما يستطيعون الانتفاع به من علوم الأمم وفلسفاتها ونظم الحياة فيها ، فاتخذوا من مختلف الأخلاط مزاجاً جديداً له روعته ، وبقى

هذا المزاج حتى صار أساساً لحضارة العرب الحديثة ، فردّه الغرب إلينا غريباً علينا . فمن واجب الطالب العربي ألا ينسى ماضيه لأنه حلقة الاتصال بالحاضر والامتداد إلى المستقبل ، وإذا أهملنا هذا الماضي فقد أهملنا مجداً عظيماً تتقطع بنا الأسباب دونه ، ونفقد ما لنا من طابع وروح . وكيف نزهد في ماض ينطوي على المثل العالية في التفدية والجهاد ، ويصور لنا عظمة في الخلق ، وقوة في العقيدة دانت بها ممالك الدنيا جمعاء ؟ فلنتبين سر هذا الماضي ، ولنتعرف كنه هذه الحضارة ، ولنتدبر الأسباب التي نقضت هذا الحكم ، وهدمت ذلك البناء . وليكن ذلك التدبر وسيلة إلى العظة والاعتبار ، فنأخذ من الذرائع ما يكفل النهوض، ونتجنب من العلل ما طوى للعظمة العربية علمها الخفاق .

فإذا عرف الطالب العربي ماضي الأمة العربية بأمجادها ومفاخرها ، ووضحت له أسباب تدهورها وخمود جذوتها ، وكان قبل ذلك آخذاً من المعرفة بالقسط الأوفى ، بدأ يدرس الحاضر وأدواءه، فالطبيب لا يجدى علاجه إذا لم يكن تشخيصه للمرض صحيحاً ، ولن تفيد العقاقير مهما تكن قيمتها شيئاً . وإن كثيراً من المصلحين لتذهب جهودهم هباء على الرغم من قوة عزيمتهم وحسن بلائهم ، لأنهم لم يفقهوا البيئة التي حاولوا إصلاحها ، ولم يتلمسوا العوامل المؤثرة فيها ، ولم يتعلموا كيف توجه الشعوب وكيف تواجه العلل .

فليكن هم الطالب العربي أن يدرس العلل الخلقية والاقتصادية التي أثرت في البلاد العربية فردتها عن الصدر ، وقد تكون هذه العلل واحدة تشترك في معاناتها سائر أقطار العرب ، وقد تكون لكل قطر علته الخاصة به ، فعلى كل طالب أن يتفهم العلل التي ينفرد بها وطنه الأصغر ، ثم يتفهم العلل المشتركة التي تصيب وطنه الأكبر ؛ فإن كانت هناك فرقة استجلى أسبابها ودواعيها ، وإن كان هناك جهل أو ضعف خلقي تفحص مصادره وبواعثه ، وإن وجد تخلفاً في ميدان الصناعة أو التجارة استهدى إلى بواطن هذا التخلف . ومتى فرغ من هذا الدرس والفحص أمكنه أن يرسم منهاجاً سليماً لنهضة علمية خلقية عملية على أساس قويم .

وجدير بكل طالب عربي أن يتمثل له الوطن الأصغر والوطن الأكبر . فوطنه الأصغر شبيه بالأسرة تضم ما لها من أبناء ، ووطنه الأكبر شبيه بالأمة تحتوى سائر الأسر . وإني لأتصور الأمم العربية كلها أسرة كبيرة واحدة لها أب واحد وأم واحدة، فشاء ذلك الأب أن يوفر لبنيه الكثيرين أسباب الاستقلال والنماء ففرقهم في منازل شتى يعنى كل منهم بشأنه ، ولكن تبقى بينهم أواصر القربى تجمعهم تحت لواء واحد وتؤلف بينهم عند الأحداث فإذا هم صف كأنه البنيان المرصوص . والحق أن من يزور الأقطار الشقيقة يحس هذا الشعور وهو يجتاز بلداً إلى بلد ، وينتقل بين أهل وأهل ، فلا حدود ولا فوارق، وإنما هو وطن بعيد الأطراف وحدت بين أجزائه المترامية روابط الدين واللغة والثقافة ، وألفت بين قلوب أبنائه آمال متشابهة وأهداف مشتركة .

ولا أظن أن ثمة رابطة أقوى من الرابطة الثقافية في وصل الشعوب بعضها ببعض . فالأمم العربية بخير ما توثقت روابط الثقافة بين شباب العرب لأنها توحد بين الأفكار ، وتجمع بين القلوب ، ويتسنى بها لكل رابطة سياسيّة أو اقتصادية أن تجد طريقها إلى القبول . ولا يستطيع أحد أن يتصور أمماً تتفرق بعد أن يتم التوحد بين قلوبها وأفكارها وأمانيها جميعاً .

ومما نوصى به الطالب العربي أن يؤمن إيماناً عميقاً بأن اللغة الفصحى هي أداة الاتصال بين الأمم ، وإنه يجب أن يقوم على دعائمها صرح الثقافة العامة ؛ فلقد طوفت في الشام والعراق وغيرهما فما كان يتيسر لي تقارب الفهم والإفصاح عن مكنونات النفس إلا حين اخترت الفصحى أسلوباً لحديثي ؛ فإذا تدسست اللهجات أفسدت ما بيني وبين محدثي من تعارف ، وأسلمتنا إلى التناكر البغيض . فالفصحى هي التي تجمع شملنا ؛ وهي التي تقارب تفكيرنا ، فليكن من مهمتنا نحن الدعاة إلى الوحدة العربية أن نحرص على الفصحى ، وأن نداني بين الأساليب في شتى الأقطار ، وأن نعمل على تيسير هذه اللغة لكي يسهل لنا استخدامها في الثقافة المشتركة بين الناطقين بالضاد .

ولقد أشرت في مطلع حديثي إلى ضرورة إحيائنا لماضينا . وقد يقال إن لكل أمة من الأمم العربية ماضياً خاصاً ، والواقع أن هذا الماضي مشترك بين أمم العرب لأنها كانت تخضع في حقيقة الأمر لنظام واحد ، وتستمد حضارتها وأنماط حياتها وتفكيرها من منبع واحد في الأكثر الغالب ؛ فمن أركان رسالة الطالب العربي إحياء ماضي العروبة في التفكير ، وعرض هذا التراث

الفكرى العظيم فى إطار جديد . فذلك الماضى يستند إلى دين محكم وضع نظامه ليواجه مشكلات الحياة فى كل عصر وكل بيئة ؛ ولكن لا بد لنا من أن نتفهم روح الدين السامية على وجهها الصحيح خالصة من البدع محررة من الجمود . فلو استمسكنا بذلك النظام الذى وضع أساسه ديننا القويم لاستطعنا الخروج سالمين من نوائب الزمن التى يرجع مصابنا بها إلى تنكبنا ذلك الطريق المستقيم . وعلى أن لنا مع ذلك ماضياً تاريخياً يجمل بنا أن نحييه فى أنفسنا معتزين به ليكون حافزاً لنا على التوثب والرقى . ولنا كذلك تراث أدبى وعلمى عنى به علماء الغرب قبلنا وكان له أثره فى اتساع آفاق تفكيرهم الفلسفى والاجتماعى . فيجب أن يكون لنا فى هذا التراث مأرب عظيم وأن نعمل على تجديده وتنظيمه بما يلائم تطور الفكر الإنسانى، وأن نقرب موارده للدارسين والباحثين وطالبى المعرفة . فقد طالما طالعتنا الحقائق بأن كثيراً من نظريات آبائنا السالفين فى نواحى العلم يؤيدها الفكر الحديث ويحتفل بها العلماء المعاصرون

غير أننا مع احتفائنا بذلك التراث العظيم ودعوتنا إلى إحيائه والانتفاع به لا يجوز أن نتعصب له ونطرح ما عداه فنقول إن ثقافتنا كل شيء فى الحياة، وأننا نستغنى بها عما سواها، بل نعمل كما عمل أجدادنا العرب ، وننهج طريقهم فى اكتساب المعرفة ، فلقد نشدوا العلم من شتى مصادره وفرضوه على كل مسلم ومسلمة ، وقربوا إليهم العلماء دون تفرقة بين أصيل ودخيل فانعقد لهم لواء الحضارة فى فجر نهضتهم، وسخروه لدولتهم وصولتهم . فلنتزود من العلم الصحيح حيث يكون فالعلم لا حكرة فيه لأحد ولا وطن له ولا دين

وإنه لمن تباشير الخير فى الشرق أن يوفد أبناءه ليتلقوا العلم من جامعة مصر . ومن تباشير الخير فى مصر أن تفتح جامعتها الأبواب لكل وافد عربى . ولقد كنت أتحدث إلى بعض أولى الأمر فى البلاد الشرقية أثناء جولاتى فقلت له فى سياق الحديث لِمَ تنشئ كل من سورية والعراق وفلسطين جامعة، وليس إنشاء الجامعات بالأمر الهين ولا يقصد به مجرد المظهر ، فقليلاً ما يتوافر العلماء، وقليلاً ما يتيسر المال اللازم للانشاء ؟ ولم لا تكون الثقافة الجامعية فى الشرق موحدة فتكون جامعة فؤاد الأول فى مصر جامعة الشرق كله يفد إليها الطلاب العرب فيتزودون زاد إخوانهم طلاب مصر العرب

***

إنى كنا أفضت فى حديث مشكلة اجتماعية يتملكنى عاملان : عامل يأس وعامل رجاء . وهذا هو شعورى بعد أن ألمت لكم رسالة الطالب العربى ؛ فيحضرنى عامل الرجاء حين أرى طائفة من شباب العرب فيها مخايل الرجولة الكاملة تفكر فى العرب وثقافة العرب ومستقبل العرب ، وتكون من أنفسها جماعة تدعو إلى رسالتها ، وتنظم المحاضرات فى موضوعاتها ، فهنا يقوى الرجاء ويبتسم المستقبل . ويحضرنى عامل اليأس حين أتفرس فى الحياة الاجتماعية التى يحيا العرب فى أكنافها ، فأرى فى بعض ما أرى نوعاً من الانقسام ، وألاحظ بلبلة فى الرأى ، وتباعداً عن فكرة الوطن الأكبر ، واشتغالاً بتوافه الأمور عن جلائلها . وهنا يلحقنى التردد فى الاطمئنان إلى الأمل والرجاء ؛ ولكن إذا كانت عوامل اليأس مما تجوز لمن هم على عتبة الشيخوخة أمثالى فإن الشباب يجب أن يمتلئوا أملاً وطموحاً وثقة بالغد المنتظر ، وأن يكونوا رسل إيمان ويقين فى المستقبل المنشود ، فإنهم بهذه الروح تلين لهم الصعاب وتتفتح لهم أبواب الجهاد لتأدية رسالتهم العظمى رسالة الإنهاض لشعب العربى ورده إلى مكانه فى الصدر الأول وإسلامه إلى مستقبل ميمون الطلعة مبارك النفع إن شاء الله

محمد العشماوى

من دقائق إعجاز القرآن

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

قمت أجمع ما تفرق فى مكتبتى من أعداد (الرسالة) ، فإذا بعدد منها غلافه لم يفضّ هو العدد (٤٤١) . ففضضته وجعلت أقرأ ما استرعانى من فهرسه ، فبدأت بما كتبه الأستاذ أحمد صفوان بعنوان « غلطة مفسر كبير » ، وإذا المفسر الكبير هو الإمام أبو بكر بن العربى ، وإذا به يورد من سورة التوبة آية على غير نصها ، فأبدل كلمة مكان كلمة — غير عامد طبعاً — وجعل يفسر الكلمة التى أبدل كأنما هى الكلمة التى أنزل الله . والآية القرآنية هى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجِرْه حتى يسمع كلام الله ثم أبلغْه مأمَنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) . فجعل الإمام أبو بكر « لا يعقلون » مكان « لا يعلمون » وطفق يفسر ويعلل لماذا نفى الله عنهم العقل ... إلى آخر ما روى له الكاتب الفاضل الذى نبه إلى هذه الغلطة الفذة

والغلطة فى ذاتها مألوف مثلها فى التلاوة حين يتلو الحافظ غير المتمكن عن ظهر غيب تلاوة من لا يتتبع المعنى ولا يتفقهه وهو يقرأ . لكنها غلطة نادرة من مفسر إمام مفروض أنه يستوثق من النص قبل أن يبدأ التفسير . لكن الإمام أبا بكر ابن العربى غفر الله له اعتمد على ذاكرته فيما يظهر نخانته هذه اللفظة ، وكان حسن الظن بحفظه فيما يبدو فلم يسترعه أى تفاوت فى المعنى يحمله على الرجوع إلى المصحف للتأكد من النص

والواقع أن أمثال هذه الغلطة من إمام مفسر ، وبُعد ما بين المعنى على أصله والمعنى بعد تحريفه ، من أقوى الدلائل عندى على أن القرآن ليس من عند بشر وأنه من عند خالق البشر ، فشتان بين المعنى لو كان النص كما أورده ابن العربى وبينه كما ورد فى القرآن الكريم . شتان بين تعليل أمر الله نبيه أن يجير المشرك حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه بأن المشرك لا يعقل ، وبين تعليل ذلك بأن المشرك لا يعلم . فمن المعقول من الحكمة أن يجار المشرك الذى لم تبلغه الرسالة حتى تبلغه على وجهها بسماع كلام الله، ثم من المعقول ومن الحكمة بعد إذ سمع كلام الله أن يُبلغ مأمنه

ويترك لنفسه ليتدبر ما سمع بعقله غير مروع ولا خائف ، ثم هو بعد ذلك وما يختار لنفسه ، فإذا دخل فى الدين دخل غير مكره ، وإذا لم يدخل لم يدخل عن اختيار ، ولكل جزاؤه ، إن دخل كان أخا فى الدين لجميع المسلمين ، وإن لم يدخل كان عدوًّا ينفذ فيه ما أنزلت سورة براءة من أجله . لكن المهم أن مدار ذلك جعله الله سبحانه على علم المشرك الدعوة أولاً ، ثم على إعطائه فرصة لتدبرها فى أمن وحرية ثانياً . فعلم بالدعوة على وجهها كما يدل عليه قوله تعالى (حتى يسمع كلام الله) ، وتدبر الدعوة فى حرية وأمن كما يدل عليه قوله تعالى (ثم أبلغه مأمنه) ، هما ركنان للدعوة الإسلامية يدل عليهما دلالة واضحة العلة التى بنى الله سبحانه عليها أمره فى قوله (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)

وإذا عرفت الآيات قبل هذه الآية وما تأمر به من تأجيل المشركين أربعة أشهر يسيحون فى الأرض ، حتى إذا انسلخت الأشهر الحرم ـ والسورة العزيزة نزلت وتليت على الناس فى الحج وفيه المشرك والمسلم ـ قتل المشركون بكل وجه وقعد لهم كل مرصد ، إلا أولي العهد فيوفى للموفين منهم عهدهم إلى مدتهم : إذا عرفت هذا عرفت الحكمة البالغة الكامنة فى ذلك التعليل الإلهى لذلك الأمر الإلهى

إن ذلك التعليل مظهر من مظاهر العدل الإلهى فى الدين والرحمة فى الدعوة ، إذ ما كان الله ليأمر بقتل حتى المشرك قبل أن يدعى إلى الله دعوة مؤثرة . وأشد الكلام تأثيراً فى نفس العربى هو كلام الله العربى المنزل ، لذلك أمر الله نبيه حين أراد تطهير الأرض من الشرك أن يجير المشرك حتى يسمع كلام الله . ثم ما كان المشرك ليقتل حتى يأنس إلى كلام الله ، بعد سماعه ، مدة قد يجد فيها كلام الله إلى نفسه سبيلاً . وهذا ليس من العدل فقط ، بل هو من الرحمة والحكمة ؛ وهو فى ذاته دليل على أن هذا الأمر للنبى هو من عند خالق النفس وعالم ما هى وما فطرت عليه . فقد علم الله سبحانه بُعد ما بين الدعوة إلى الإسلام وبين ما نشأ المشرك عليه ، وعلم أنه إن كان فى المشركين من أوتى من صفاء العقل ما يدرك به عند سماع الدعوة فضل ما بينها وبين ما هو عليه ، فيستجيب لها غير متردد ، ويدخل فى الإسلام غير مسوف ، فإن فى المشركين أيضاً الرجل العادى وهو سوادهم :

ينفر نفسه مما لم نألف ، ونكون له كبوة عند الدعوى مهما بلغ فضلها من الوضوح وبلغت هى من الإشراق . فلو أخذ المشرك بأول رأيه أو شعوره عند سماع كلام الله لـكان نصيب أكثر المشركين القتل . لـكن الله سبحانه أجّلهم حتى يأنسوا بكلامه ويتدبروه ويتذاكروه بينهم فمنئذ تـكبر فرصة استجابتهم له بعد أن يزداد فهمهم إياه ، ويزول النفور الأول الناشئ عن مخالفة الدعوة لمألوفهم على وضوح خطئه وصوابها ، وضعته وشرفها . وفعلاً تحققت حكمة الله ودخل المشركون فى دين الله أفواجاً .

والمهم ملاحظة أن المشركين ما كانوا ليدخلوا كما دخلوا فى دين الله أفواجاً لو كان المانع لهم من قبول الدعوة أو الأمر قلة العقل بدلاً من قلة العلم ، فالعاقل الذى لا يعلم مرجو أن يستجيب للحق إذا زال جهله به ، وأعطى فرصة لتدبر ما دُعى إليه . لـكن لا رجاء فى استجابة من لا يعقل ، أو من كان على حال من الإصرار والعناد يحول بينه وبين قبول الحق وينزله منزلة من لا يعقل . فالحكمة واضحة فى تأجيل من لا يعلم حتى يعلم وحتى يتدبر ما علم . لـكن أى حكمة هناك فى تأجيل من لا يعقل ، وهو مهما علم لن يفقه لأنه ليس لديه عقل يفقته به ، وتأجيله إلى أجل طال أو قصر لن يؤتيه ذلك العقل ؟ إن الفرق هائل بين قول الله سبحانه (ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) وفى موضعها من الآية الـكريمة من سورة التوبة ، وبين قول ابن العربى فى نفس الموضع (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)

والغريب العجيب أن الجملة « ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » هى مما أنزله الله فى مواطن أخرى من القرآن . فهى فى موضعها من القرآن الـكريم من كلام الله سبحانه لها كل ما لـكلام الله سبحانه من روعة وجمال وجلال وإعجاز . فما نقلها الإمام أبو بكر بن العربى خطأ أو سهواً عن موضعها التى نزلت فيه إلى غير موضعها فى تلك الآية من سورة التوبة أصبحت من كلام البشر لا من كلام الله ، ولم تتلاءم مع بقية الآية التى هى من كلام الله ، كالرجل أو العين الصناعية شتان بينها وبين الطبيعية ، أو كالعضو المنقول — لو أمكن النقل — إلى غير موضعه من جسم الإنسان

أنظر إليها فى موضعها من سورة الحشر فى قوله تعالى يخاطب المؤمنين منبئاً عن المنافقين : (لا يقاتلونكم جميعاً إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ، هى هنا من كلام الله سبحانه . وهى حيث أقحمها الإمام ابن العربى فى آية التوبة غير قاصد ولا عامد من غير كلام الله، بل لقد أفسدت من المعنى . فاعجب إذن لـكلام إذا التبس الأمر فيه على الإنسان العاقل العالم فأبدل كلمة أو كلمات مكان أخرى تشبهها فقد صبغته وخرج من حيز الإعجاز إلى حيز غير الإعجاز

ذلك مثال من أمثلة دقة الإعجاز فى القرآن . ومن غريب المصادفة أنى وجدت فى نفس العدد من الرسالة مثلاً آخر ، إذ وجدت غلطة أخرى فى آية أخرى لرجل من رجال العربية المحدثين له إيمان ويقين إلا أنه لم يقع فى غلطته فى معرض تفسير القرآن ، فقد قرأت فى العدد نفسه من الرسالة مقال أخى عبد المنعم خلاف (الحياة صادقة) وإذا فيه :

« إن الحياة هى كلمة الله النافذة إلى القلوب لا يحسها إلا من يحملها بأعبائها ثم يحاول أن يسلمها لغيره، وقد أودعها الله قلب آدم (فجعلها كلمة باقية فى عقبه إلى يوم يرجعون)

والآية ليست بالفاء فى أولها ولـكن بالواو ، لـكن لعل الفاء جيء بها لربط الـكلام بالمقتبس من الآية فأدخلها الطابع فى القوس . إنما موضع النقد الـكبير والاستدراك هو ما دخل على آخر الآية ، فليست الآية (إلى يوم يرجعون) ، ولـكن (لعلهم يرجعون) . ومن هنا يبدو لأول وهلة الفرق فى المعنى بين الصيغتين ، ويبدو ذلك بصورة أوضح إذا عرفت سياق الآية الـكريمة (وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون) فى موضعها من سورة الزخرف

فلنأخذ فى الفرق الأول : الأستاذ عبد المنعم خلاف يريد بيوم يرجعون يوم الحشر ، فهو يقول إن الحياة باقية فى عقب آدم إلى يوم الحشر ؛ ومن هنا يظهر بُعد هذا المعنى عن الواقع، لأن الحياة كما يعلم الأستاذ ستزول عن عقب آدم قبل يوم الحشر بأمد لا يعلمه إلا الله ، فسيشمل الموت بنى آدم فترة يغلب أن تـكون طويلة كما جرت العادة فى أيام الله فى الخلق ، ثم بعد ذلك يكون البعث ويقوم الناس . والآيات متظاهرة على ذلك ، لـكن يكفى هنا الاستشهاد

بقوله تعالى : (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله . ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) . فالحياة ليست باقية فى عقب آدم إلى يوم يرجعون فى المعنى الذى أورده أخونا عبد المنعم ، ولا كلمة التوحيد باقية فى عقب إبراهيم إلى يوم يرجعون إذا أخذنا لفظ الأستاذ عبد المنعم وطبقناه على ما أخبرنا به الله سبحانه عن سيدنا إبراهيم فى القرآن

إن النص القرآنى بتمامه هو :

(وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون . إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون) ، وهنا يتبين أى فرق فى المعنى دخل على الآية الكريمة بجعل كلمة « إلى يوم » مكان كلمة « لعلهم » . فالمعنى القرآنى أن إبراهيم صلوات الله عليه — أو الحق سبحانه ، والآية تحتمل المعنيين — جعل كلمة البراءة مما يُعبد من دون الله باقية فى عقب إبراهيم لعلهم يرجعون عن عبادة ما سوى الله ، إن كانت الكلمة هنا هى الدعوة إلى التبرؤ مما سوى الله ، أو يرجعون إلى ما تستلزمه كلمة التوحيد من أحكام ، وعن كل ما ينافيها من سلوك ، إن كانت الكلمة الباقية فى عقب إبراهيم عليه السلام هى كلمة التوحيد .

ووجود كلمة التوحيد بين العرب وسائر المسلمين هو من غير شك مناط الأمل وموضع الرجاء أن ينتبهوا يوماً ما إليها وإلى ما تستلزمه من إقامة دين الله ، ومن إسلام الوجه والقلب إلى الله ، وجعْل الصلاة والنُّسُك والمحيا والممات (لله رب العالمين لا شريك له) كما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول : « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

فكلمة (لعلهم) فيها ما فيها من الترجى ، وفيها ما فيها من التذكير . لكن كل ذلك يتغير ويزول إذا قيل : « إلى يوم يرجعون » بدلاً من « لعلهم يرجعون » ؛ إذ تصبح الآية إخباراً عن بقاء الإيمان والتوحيد فى ذرية إبراهيم عليه السلام إلى يوم البعث ، ولم يخبرنا القرآن بشىء كهذا . أما « لعلهم يرجعون » فتشعر بأن سيكون من عقبه عليه السلام طائفة غير مؤمنة يرجى أن تعتبر بالطائفة المؤمنة من عقبه وترجع معها إلى الله . لكن أكبر دلالتها — والله أعلم — أن المؤمنين من ذرية إبراهيم سيكون منهم تفريط فى توابع الإيمان ومستلزماته ، وإن شئت فقل فى حقيقة الإيمان ، وأن كلمة الإخلاص والتوحيد ستكون دائماً فيهم منذرة ومبشرة وداعية إياهم إلى الله وإلى إقامة شرع الله الذى قام على التوحيد ، وأنها ما دامت فيهم فسيرجى لهم ومنهم الخير

فانظر إلى جيش المعانى هذا الجائش من كلمة واحدة هى كلمة (لعلهم) فى موضعها من الآية الكريمة ، وإلى التفاوت البالغ الطارئ على المعنى حين اعتمد الأستاذ عبد المنعم على ذاكرته من غير رجوع إلى المصحف للاستيثاق من النص ، فأبدلته ذاكرته من « لعلهم يرجعون » « إلى يوم يرجعون » . وخرج الكلام بهذا التبديل الطفيف فى ظاهره من دائرة الإحكام

هذان مثالان يوضحان مقدار ما أودع الله فى القرآن من إحكام يزول إذا امتدت يد أو عقل أو ذاكرة إليه بأدنى تغيير أو تحريف أو تصحيف . ولو تتبع تالى القرآن إلى ما يسبق إلى لسانه من غلطات أثناء التلاوة ، وتدبر بُعد ما بينها وبين النص كما أنزله الله سبحانه ، لوقف من كل مثل على مثال جديد لإحكام القرآن ، وحجة جديدة لإعجاز القرآن

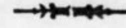
محمد أحمد الغمراوى

حكم فى القضية ن ١٣٧٤ عسكرية طنطا سنة ٩٤١ ضد حميده محمد زيدان بغرامة ١٠ جنيه والنشر بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤١ وذلك لبيعها أرز بسعر أكثر من المحدد

الحقيقة والتاريخ

بين آدم وحـــواء

للدكتور زكى مبارك



كثر الكلام فى هذه الأيام عما كان بين آدم وحواء لعهد الجنة وعهد الأرض . وقد تورّط صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم فأقحم خياله الروائى فى شؤون فصل فيها التاريخ منذ أجيال طوال ولم يبق موجب لذلك التورّط بعد حُكم التاريخ ، فهذا الصديق يعرف أن آدم من الأنبياء والتزيدُ عليه لا يجوز وإن احتال فزعم أنه يكتب باسم الفن لا باسم التاريخ

وهل يستطيع بفنه الروائى أن يخلق من الصور مثل ما سجل المؤرخ شيث بن عرباوس ، طيّب الله ثراه ؟

ولكن ما حديث ذلك المؤرخ المجهول ؟

لم أكن أعرف عنه شيئاً قبل سنة ١٩٣٣ ، وإنما هدانى إليه أستاذنا المرحوم أحمد زكى باشا بعد أن انتهى ما كان بينى وبينه من خصومة وصيال

فإن سألتم كيف ابتدأت تلك الخصومة وكيف انتهت فأنا أدوّنها فى سطور ثم أمضى إلى ترجمة شيث بن عرباوس بإيجاز ، تمهيداً لشرح آرائه فى آدم وحواء بإطناب :

كانت وزارة المعارف قررت إقامة حفلة تأبين للشاعر أحمد شوقى ، حفلة يشترك فيها أقطاب الأدب فى البلاد العربية ، وكان منهاج الحفلة يوجب أن يتكلم الضيوف فى الأوبرا الملكية تكريماً لمقدمهم الحميد . أما أدباء مصر فيتكلمون فى الحفلات التى تقام بكلية التجارة . وهى حفلات دامت ثلاثة أيام ، وكانت أشبه بسوق عكاظ ، فقد اتسع فِناء الكلية لمئات أو الألوف ممن يسرهم أن يستمعوا كلمات الخطباء وقصائد الشعراء

ومضيت لأشهد الحفلة الأولى بكلية التجارة فهالنى أن أسمع خطيباً يتنحنح بعنف ، مع أنى لم أكن اجتزت عتبة الكلية ، فسألت نفسى كيف يصل صوت التنحنح برغم تلك الأبعاد الطوال وبعد لحظة فهمت أن الحفلة أقيم لها ميكروفون ، وأقيم لذلك الميكروفون مسامع فى جميع الأركان . فمن السهل أن يَسمع صوت الخطيب جميع المارة بشارع « قصر العينى » أو شارع « أفراح الأنجال » ، ولا تسأل عما تصنع التنحنحة وقد ضجّت بها مسامع ذلك المذياع ؟

ونظرت فإذا الخطيب أحمد زكي باشا . فكيف غاب عنه وهو عالم علاّمة أن الميكروفون سينقل إلى الجيران وجيران الجيران نحنحته القوراء ؟

أما كان فى مقدوره أن يدير وجهه أو يدير الميكروفون قبل أن يقترف ذلك الصوت ؟

أضحكنى أن يقع شيخ العروبة فيما وقع فيه فأخذت أترصد له غلطة أدبية أو تاريخية لأهجم عليه فى جريدة البلاغ ، ثم اتفق لحسن الحظ أن قال كلاماً غير صحيح ، وهو يتكلم عن مدح الرسول فى « نهج البردة » ، وكنت يومئذ مشغولاً بتأليف كتاب « المدائح النبوية » فوجدت عندى من المحصول الأدبى والتاريخى ما يكفى لإفحامه بلا عناء

وما كادت تظهر كلمتى فيه حتى اندفع الرجل لمصاولتى على صفحات البلاغ بأسلوب ساحق ماحق ، وكان رحمه الله آيةً فى الكرّ والفرّ ، وكان لا يهجم على باحث إلا تركه كالرفات ، بفضل اطلاعه الشامل وذكائه الوهّاج

كنت يومئذ بين نارين : نار الخوف من التطاول على شيخ جليل خدم اللغة والأدب والتاريخ ، ونار الخوف من الهزيمة أمام القراء ، وأنا محرر الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ

وفى تلك المعمعة قدِم الباشا للبحث عنى فى الجريدة ومعه الأستاذ عبد الرحمن بك عزام فحدّق فى وجهى وقال : أما تستحي من شتمى وأنا أستاذك ؟

فتماسكتُ قليلاً ثم قلت : وأنت يا باشا . أما تكفُّ شرك عن تلميذك ؟

فابتسم عبد الرحمن بك وقال : لا موجب للجدل بعد هذا العتاب اللطيف !

ولكن زكى باشا لم يسكت عنى ، ومضى يلاحقنى بإيذاء لم يفضّه غير الحادث الآتى :

كانت حوادث فلسطين وصلت إلى آلام وجراح ، فأرسل

زكى باشا إلى الحاج أمين الحسينى برقية مطولة كلفته أحد عشر جنيهاً ، وكان ينتظر أن يصل إليه جواب رقيق ، ولكنه لم يتلق أى ردّ من الحاج أمين ، فكتب إليه يسأل عن سر ذلك السكوت فكان الجواب أن البرقية وصلت ، ولكنها لم تكن بإمضاء « زكى باشا » وإنما كانت بإمضاء « زكى مبارك » !

وامتشق زكى باشا قلمه وأنشأ مقالاً أخذ أربعة أنهر من جريدة الأهرام ، وكان فى مقاله أن عامل التلغراف حرّف الإمضاء ، فإن كان من مصر فإلى « الليمان » وإن كان من فلسطين فإلى « البحر الميت » وأعلن زكى باشا أن التحريف مقصود ، وكانت حجته أن « زكى باشا » قد تُحرّف إلى « زكى الابراشى » بسبب « الشين » ولكنها لا تُحرّف إلى « زكى مبارك »

وامتشقت قلمى فكتبت رداً وجيزاً نشرته الأهرام فى أول نهر من الصحيفة الأولى ، وكان الرد يتلخص فى أن « زكى باشا » هو نفسه الذى أمضى باسم « زكى مبارك » ، وحجتى أن الباشا مشغول بمناوشتى على صفحات البلاغ ، فأنا ملء قلبه ، ومن السهل أن ينسى اسمه ويذكر اسمى ، ورأى زكى باشا أن التعليل مقبول ، فذهب إلى إدارة التليغراف وطلب أصل البرقية ، ثم ابتسم حين شاهد أنها باسم زكى مبارك ، وبخط الباشا الظريف ؟

لم يكن بدّ من أن يدرك زكى باشا أن الأقدار أرادت أن تطوقه بالخطأ ليكفّ عنى أذاه . فاتصل بى تليفونياً ليدعونى إلى العشاء وإمضاء عقد الصلح ، فأجبت بالقبول

دخلت على الباشا العالم العلامة « العالم حقاً والعلامة صدقاً ، فزكى باشا طراز وحيد من العلماء ، وليس من السهل أن يجود بمثله الزمان » . دخلت على الباشا فوجدته فى ثياب البيت وهو يلعب الشطرنج مع الدكتور « أحمد عيسى » ؛ فأشار بعد السلام إلى أن أنتظر لحظات ، فسيغلِبُ الدكتور أحمد عيسى ثم يلتفت إلى واجب الترحيب !

ومرّت ساعة وساعة والخلائق تتقاطر بميعاد وبدون ميعاد ؛ فعرفت أن العشاء فى بيت زكى باشا ليس لمن دُعِىَ إليه ، وإنما هو لمن تداعَـوْا إليه !

ثم مُدّ السماط على الطريقة العربية ، وأقبل خادمٌ فقدّم إلى الباشا ورقة مطوية فمحا الباشا كلمة وأبقى على كلمة . فماذا محا ؟ وماذا أثبت ؟

كان التفاضل بين نوعين من الشراب : أحدهما عصير الشعير وثانيهما منقوع الخرُوب . وقد رأى الباشا أن يكرم ضيفه المتخرج فى السوربون فاختار الشراب الأول وهو شراب أصهب يُستطاب فى ليالى الصيف !

لم أكن دخلت « دار العروبة » من قبل ، ولا كنت عرفت كيف ظفرتْ بذلك اللقب الطريف ؛ وكان مبلغ علمى أن صاحبها يتحدث عن العروبة فى كل يوم ؛ فهى دار العروبة لأنه شيخ العروبة ، والألقاب لا تَعْسُر على أحد فى هذا الزمان !

وفى تلك الليلة عرفت ما لم أكن أعرف : عرفت أن زكى باشا يسير سيرة العرب القدماء ، فبيتُه مفتوح للجميع ، ومن حق أى إنسان أن يحضر وقت الغداء أو وقت العشاء بدون احتياج إلى استئذان ، على شرط أن يترك للباشا حرية التصرف فى وقته بعد رفع السماط

والحق أن زكى باشا كان ينوب عن مصر فى مهمة من أصعب المهمات ؛ فقد كانت داره مثابة الوافدين من الشرق ، ولم يكن يحق لأىّ ضيف أن يتهم مصر بالبخل وزكى باشا موجود . وإنما نصصت على هذا الجانب من شمائل زكى باشا رعايةً للتاريخ ، وأملاً فى أن يقتدى به من يسرهم إكرام من يفد على مصر من أهل الشرق . فمن العيب أن يذهب السخاء العربى إلى غير مَعاد وكانت له مواسم فى هذه البلاد !

وقد سمعت عن كرم زكى باشا فى سره وعلانيته أخباراً لا يصدقها العقل ، جزاه الله عما صنع خير الجزاء ، وحفظ اسمه بين الكرماء ، كما حفظ اسمه بين العلماء

ثم أرجع إلى الغرض من هذا الحديث فأقول :

جلست أسامر زكى باشا بعد العشاء تمهيداً للصلح المنشود ؛ فقد كنت فى سريرة نفسى أُومن بأن التطاول على مثل ذلك الرجل قد يعرّضنى لغضب الله . وأنا أخاف الله أشد الخوف لأنه حمانى من أن أخاف أحداً سواه ؛ فمن المخاطرة أن أشجُع فى موطن لا تكون فيه الشجاعة من رضاه . وكذلك عزمت على أن أتلطف ما استطعت لأظفر من زكى باشا بالصفح الجميل

— هذه أول مرة تأنس فيها « دار العروبة » بزيارة الدكتور مبارك

— ليست هذه أول مرة أتشرف فيها بزيارة «دار العروبة» أعزها الحب !

— ما هذا الكلام ؟ وما رأيتك هنا قبل اليوم !

— سمعت أخبار دارك ، أيها الشيخ الجليل ، وكنت أشعر أنى شريك بقلبي لكل من يفد عليها من أهل الشرق ، وما غاب عنى كرم تؤدى به فرض الكفاية عن بلادنا الغالية

فتبسم زكى باشا وقال :

— ما كان ضرك لو قلت هذه الكلمة وأنت تلاحينى على صفحات البلاغ ليخف عتبى عليك !

— سأقولها يا مولاى لجميع الناس ، وسأملأ بها مسامع الأرض والسماء

— إسمع يا مبارك ، إسمع ، إن أدبك فى هذه المحفظة يستأهل جائزة سنية ، جائزة تذكرنى بها طول حياتك ، وقد تكشف لك عن أشياء من غوامض التاريخ القديم ، وهو التاريخ الذى أرادت دراساتك أن تجعله ظنوناً فى ظنون !

— أعظم جائزة أتلقاها من أستاذى هى رضاه عنى

— الجائزة العظمى لمن كان فى مثل أدبك أن تُهدَى إليه النسخة الوحيدة من كتاب شيث بن عربانوس . أما رضاى عنك فهو مضمون مضمون

ومضى الباشا لإحضار الهدية ، ثم عاد ومعه كتاب فى أكثر من خمسمائة صفحة بالخط الكوفى ، وهو مجلد على طراز المصاحف المحفوظة بدور العاديات[1]

أقبلت على الكتاب بلهفة وشوق ، ثم لاحظت أن منزلتى عظمت فى قلب زكى باشا حين رآنى أقرأ الخط الكوفى بلا عناء ، وعندئذ تذكرت جناياتى على نفسى وعلى مصيرى فى هذا الوجود

وما تلك الجنايات ؟

سأتكلم بصراحة لأخدم قرائى ، فقد يكون فيهم من انحرف عن طريق النفع كما انحرفت

(١) صفحات هذا الكتاب غير مرقمة وما قدرتها بخمسمائة إلا على وجه التقريب ، ولو كان للعدد أهمية لعددته صفحة صفحة قبل أن أكتب هذا الحديث

يعرف الناس أنى مِثال الحرص على طلب العلم والأدب ، وتعرف مكتبتى أنى صديق يزورها فى كل يوم ، ويعرف قلمى أنى أخلو إليه فى كل ليلة ساعة أو ساعتين

فكيف تخلفتُ مع ذلك الحرص ؛ وكيف جاز أن أكون واحداً من الناس ، وكفاحى يوجب أن أكون أوحد الناس ، لو نجوت من ذلك الانحراف ؟

يرجع التخلف الذى أعانيه إلى أنى أقبلت على علوم وفنون يُقبل عليها أكثر الناس ، ويَصعُب فيها الادّعاء ، لأن عليها رقباء يعدّون بالألوف

أردت التفوق فى علوم اللغة العربية فوصلت إلى أشياء ، ولكن علوم اللغة العربية مبذولة لجميع الطالبين ، وليس من العسير أن يكون لى نظراء فى كثير من البلاد

وأردت التفوق فى الدراسات الجامعية فنلت إجازة الليسانس مرة وإجازة الدكتوراه مرات . ولكن الدراسات الجامعية لم تَعُد من الأسرار ، فمن السهل أن يكون لى فيها منافسون

وأردت أن أكون من كتاب اللغة العربية وشعرائها وخطبائها فكان ما أردت . ولكن هذا الميدان محفوف بالأخطار فى كل صباح وفى كل مساء بسبب نشاط الزملاء

وأردت أن أتفوق فى اللغة الفرنسية فبلغت ما أريد ، ولكن اللغة الفرنسية يجيدها ألوف وملايين . فأين مجال التفرد والازدهاء ؟!

آه ، ثم آه ! !

كان الرأى أن أقصر جهودى على اللغات الميتة ، وهى لغات يدّعيها من شاء كيف شاء ، بلا رقيب ولا حسيب . ألم تسمعوا أن فى الناس من يزعم أنه يجيد عشر لغات من لغات القدماء : كاللاتينية واليونانية والديموتيقية والسريانية والبابلية والحبشية والسنسكريتية والفهلوية ، إلى آخر ما تعرف الأنظمة الجامعية ؟!

من الذى يحاسب مدرس اللغة اللاتينية إذا أخطأ ؟ ومن الذى يجادل مدرس اللغة الديموتيقية إذا انحرف ؟ ومن الذى يراجع مدرس اللغة البابلية إذا حاد ؟ ومن الذى يتقدم فيردع من يخلط بين النصوص الحبشية والحميرية ؟

عرفت فيمن عرفت رجلاً يعجز عن كتابة صفحة سليمة باللغة العربية ، مع أنه من أبوين عربيين ، ولم يمنعه ذلك الضعف

من أن يكون أستاذ اللغة البابلية فى إحدى الجامعات الأمريكية !

وعرفتُ فيمن عرفت شخصاً يتصدَّر لتدريس إحدى اللغات الميتة فى كلية تحيط بها حديقة بالقرب من نهر له مكانة فى التاريخ ، وهو شخص لا يجيد لغة قومه الأحياء . فكيف يسهل عليه فهم لغة مات أهلوها منذ أزمان ؟

لو أنى التفت إلى هذه الناحية لأرحت نفسى من منافسات لا تطاق .

كان من السهل أن أتعلم الأبجدية من إحدى اللغات الميتة . فالأبجدية تكفى للتفوق فى اللغات البوائد ! !

وهل فضح فلان لأنه أخطأ عشر مرات فى خمسة سطور كتبها باللغة العربية إلى عميد إحدى الكليات بأحد البلاد ؟

هو متخصص فى اللغة الأكادية ، أو اللغة الفنقيقية ، فكيف يطالب بإجادة اللغة العربية ؟

وهل يستطيع أحدٌ أن يطالب الدولة بمحاسبة هؤلاء ، وهو يعرف أن الدولة تريد أن تسامى الأمم الأوربية والأمريكية فى الحذلقة الجامعية ؟

الدولة على حق والشاهد الآتى يؤكد ذلك الحق :

قال فلان : القنقلون كلمةٌ آرامية ، وهى الكنكلون فى السريانية ، والفنكلون فى البابلية ، والكنفلون فى الآشورية ، ومعناها القنقلون ، والوصف منها متقنقل ومتكنكل ، ومتفنكل ، ومتكنفل ، على خلاف فى صياغة الأوصاف

ومن أجل هذا العلم الغزير تنفق الدولة ما تنفق لإحياء لغات ماتت فى بلادها الأصيلة بسبب انعدام الحيوية ، وعلينا نحن أن ننفض عنها أتربة القبور ، لأننا موكلون ببعث الأموات

الأوربيون يدرسون اللغة اللاتينية واللغة اليونانية ليعرفوا أصول لغاتهم ولينقلوا ما فى هاتين اللغتين من نفائس الآداب .

وقد عرفَت اللغات الحية فى أوربا خير ما أُثِر عن اللاتينية واليونانية ، ونحن لن ننقل تلك الآثار إلى لغتنا إلا عن الفرنسية أو الإنجليزية ، فما الموجب لقتل الوقت فى درس لغات ميتة لن ننقل عنها أى حرف ؟

يضاف إلى ذلك أن الشواهد تنطق بأن الشبان الذين قهرناهم على درس اللغات الميتة قد ضاعوا على مصر وعلى أنفسهم من الوجهة العقلية ، وإن كانوا أساتذة محترمين ، وكيف لا نحترم من يعرف من أسرار القنقلون ما لا نعرف ؟

أتريدون الحق ؟

الحق أن مصر تبتدئ من حيث انتهى الناس

والحق أن مصر تحاول أن تخلق من الدراسات الجامعية لوحة إعلانات عن قربها من العقلية الأوربية ، وكأنها لم تسمع أن أوربا بدأت تنفض يديها من التعصب للأموات

لو أن ما أُنفق على درس اللغات الميّتة كان أُنفِق على ترجمة ما أُثِر من تلك اللغات لظفرنا بنفائس تزيد فى ثروتنا الذوقية والأدبية ، ولكننا أطعنا الوهم فأضعنا أموال الدولة وأعمار الطلبة فى شؤون قليلة النفع والغناء ، مالى ولهذا ؟

أنا أضعت الفرص السوانح فى درس أبجديات تلك اللغات ، وهى فرص لن تعود ، فما تستطيع الأمة بعد اليوم أن تنفق درهماً فيما لا يفيد ، إن صح أن الأمة صَحَتْ من غفوتها فأدركت الفرق بين ما يفيد وما لا يفيد !

إن زكى باشا طرب حين رآنى أقرأ الخط الكوفى بلا عناء ، فكيف يكون حاله لو نظر فرآنى أقرأ الخط السنسِكريتى ؟

وهل أجهل الخط السنسِكريتى ؟

أنا أعرف منه ما لا يعرف فلان ، فليجادلنى فيه إن استطاع !

إفتحوا أعينكم يا بنى آدم من أهل هذه البلاد ، واعرفوا أن الحذلقة الجامعية لن تنفعكم فى كثير أو قليل ، وتذكروا جيداً أن العلم الصحيح هو علم هذا الزمان ، وستأثم الجامعة المصرية إن شُغلت عنه بأوهام التاريخ

إسمعوا قبل أن لا تسمعوا ، فأنا أخفى عليكم أشياء لا تخطر لكم فى بال ، وهذا نذيرٌ من النُّذُر الأولى يصوّبه إلى عقولكم كاتب يبغض المداهنة والرياء .

(للحديث شجون) **زكى مبارك**

حكم فى قضية الجنحة المستأنفة رقم ٩٧٢١ سنة ١٩٤٠ بتاريخ ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٠ ضد شمس الدين الخطيب ومحل سكنه الأزبكية بتغريمه ٥٠٠ مليم لبيعه سكراً بسعر أزيد من التسعيرة

حكم فى القضية ن ١١٤٥ عسكرية طنطا سنة ٩٤١ ضد محمد محمد عوانى بغرامة ٣ جنيه والنشر بتاريخ ٢٦ نوفمبر سنة ٩٤١ وذلك لبيعه ذرة بسعر أكثر من المحدد

حكم فى قضية الجنحة مستأنفة رقم ٢٦٣٩ سنة ٩٤١ بتاريخ ٢٦/٣ سنة ٩٤١ ضد محمد ابراهيم على ومحل سكنه شارع السنية بتغريمه ٢ جنيه لبيعه فحماً بسعر أزيد من التسعيرة

محمد بن عبد الله الجبلى الباطنى

للدكتور جواد على

اتخذت محمد بن عبد الله (أو عبدون) الجبلى موضوعاً لحديثى ، لأن الجبلى من الشخصيات الفذة التى يجب أن تدرس ويجب أن تقرأ ويجب أن يذكر عنها شيء ، وذلك بالرغم من إهمال المؤرخين والمترجمين شأن هذا الفيلسوف وغضهم النظر عنه ؛ فلم يذكروه إلا عرضاً ولم يحفلوا به إلا قليلاً ، وبالرغم من إعراض قومه وهم سكان الأندلس وعرب الغرب عنه وإغفالهم أمره لسبب كانوا يذكرونه بمرارة عنه ، وحقد قديم كان قد علق فى قلوبهم ضد فيلسوفهم ؛ ذلك لأنه كان يدين بعقيدة تختلف نوعاً ما عن عقيدتهم ، ويقدس فيلسوفاً أعجمياً غريباً تقديساً يكاد يصل حدود الغلو والإغراق ؛ وهذا ما كان يزعجهم ويؤذيهم [1]

وكان هذا الفيلسوف الأعجمى الغريب الذى قدسه محمد ابن عبد الله بن ميسرة (مسرة) ابن نجيح القرطبى [2] هو الفيلسوف اليونانى بندقليس أو أبيذقليس أحد فلاسفة اليونان القدماء وأول الفلاسفة الخمسة الذين وضعهم العرب فى قائمة الحكماء اليونانيين الممتازين [3] وقد ميّز هؤلاء عن بقية الفلاسفة بنعوت تدل على مقدار تقدير العرب لهم وإعجابهم بهم . نعتوهم مرة (بالحكماء الخمسة) ونعتوهم أخرى (بأساطين الحكمة [1]) . سلكوا فى ذلك سبيل اليونانيين ونهجهم . وكان اليونان قد اختاروا قديماً سبعة أشخاص الفلاسفة القدماء لقبوهم « بالحكماء السبعة » وأسبغوا عليهم صفات فى العلم والاطلاع والحكمة تكاد ترفعهم من صفوف البشر إلى صفوف سكان السموات [2]

وقد ميز العرب أيضاً بين هؤلاء الحكماء فجعلوا أفلاطون مثلاً رئيساً على الحكماء الإشراقيين [3] . وجعلوا أرسطو زعيماً على رأس الفلاسفة المشائين المعروفين [4] . وأحاطوا هؤلاء الفلاسفة الحكماء بهالة من التقديس والتعظيم ، وزادوا على زمان بعضهم أزمنة ليزيدوا على رأيهم فى كثير من المسائل التى تستهويهم تعظيماً وفى شأنهم شأناً ، فقالوا عن بندقليس مثلاً إنه كان فى زمان داود النبى ، وأنه أخذ الحكمة عن لقمان بالشام ، إلى أمثال ذلك من روايات [5] . ولعل مصدر ذلك الكتب التى دونها أتباع مذهب هذا الفيلسوف والتى وجدت لها سبيلاً إلى اللغة العربية ، والذين كانوا لا يكتفون بالمبالغات عن زعيمهم بل نسبوا إلى زعيمهم المعجزات والكرامات والقدسية الإلهية ، وقالوا بأن أرواح الآلهة حلت فيه [6]

وكان صاحبنا محمد بن عبد الله الجبلى الباطنى كلفاً بفلسفة بندقليس دؤوباً على دراستها ملازماً لها مجاهراً بغرامه العلمى هذا ، فاتهمه أبناء قومه لذلك بالزندقة والإلحاد ، وغضبوا عليه حتى اضطر إلى الخروج إلى المشرق فاراً سنة سبع وأربعين وثلثمائة (٩٥٨م) ودخل البصرة ومصر ودبر مارستانيهما وتمهّر فى الطب ونبل فيه ، وأحكم كثيراً من أصوله ، وعانى صناعة المنطق عناية صحيحة [7] واشتغل بملاحاة أهل الجدل وأصحاب الكلام

---

(١) راجع طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسى طبعة بيروت سنة ٩١٢ ص ٢١ وأخبار الحكماء لجمال الدين بن القفطى ص ١٣

(٢) كذا ورد فى أخبار الحكماء ص ١٣ طبعة مصر مطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ وورد فى كتاب طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسى فى المتن محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلى الباطنى ص ٢١ وورد محمد بن عبدون الجبلى فى ص ٨١ من نفس الكتاب ؛ وورد فى كتاب طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة جـ ٢ ص ٤٦ محمد بن عبد الله بن مرة الجبلى راجع أيضاً الحاشية رقم ١١ من ص ٢١ من طبقات الأمم

(٣) وهو الفيلسوف اليونانى بندقليس أو أبيذقليس وورد أيضاً أنبادقليس راجع طبقات الأمم ص ٢١ وكتب الفلسفة القديمة . وهو الفيلسوف اليونانى الصقلى المعروف Empedokles عاش بين عام ٤٩٠ وعام ٤٣٠ الميلاديتين وكان له أتباع يحترمونه كثيراً ويقدسونه إلى درجة العبودية ويعتقدون بمعجزاته وبتناسخ الأرواح . وله أشعار قالها لأغراض تعليمية منها مجموعة يطلق عليها اسم Physika تبحث فى الفلسفة الطبيعية وأخرى تعرف باسم Kathrmoi راجع عنه كتاب الأستاذ كافكا Kafka وعنوانه : Zur. Physik des E. in Philolopus J. O. 78 1923

---

(١) طبقات الأمم ص ٢١ وابن القفطى ص ١٣ وابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٣٦ F

(٢) راجع H. Diels. Fargmente der Vorsok Ratiker. Bd. 2. 4. a. 1922

(٣) اصطلاحات الشريف الجرجانى ص ٦٣

(٤) مصطلحات الجرجانى ص ٦٣

(٥) راجع طبقات الأمم ص ٢١ وأخبار الحكماء ص ١٢ وراجع الكتب التى تبحث عن أخبار الأولين

(٦) راجع Schmidt. Philosaphi. Wörterbuch. S. 148 و

(٧) راجع طبقات الأمم ص ٨١

واتصل بأساطين هذه المواضيع ؛ وهذا ما زاد فى قوة علم صاحبنا قوة وفى منطقه فصاحة وبلاغة(١)

ذهب أصحاب بندقليس مذهب الفيثاغورثيين فى العدد وفى الرموز والإشارات وتناسخ الأرواح . حولوا الفلسفة من فلسفة ظاهرة واضحة ذات قواعد معينة إلى فلسفة ورموز وإشارات وأسرار دينية (٢) فانتقلت هذه الفلسفة من الفيثاغورثيين إلى المسلمين فظهرت فلسفة قائمة بذاتها اعتقدها جماعة من المسلمين حتى العصور المتأخرة(٣) واكتسبت صبغة خاصة دينية لدى جماعة «الحروفية» من المسلمين(٤) . ونظراً لغموض تعاليمهم الفلسفية هذه أطلق عليهم اسم « الباطنية » أيضاً وهم غير الباطنية المعروفين الذين كان منهم الاسماعيلية ، وإلى الباطنية الفلسفية نسب صاحبنا محمد بن عبد الله الجبلي

اتصل محمد بن عبد الله أثناء إقامته ببغداد بشخصية كبيرة من شخصيات العلم فى العراق هى شخصية محمد بن طاهر أبى سليمان ابن بهرام السجستانى البغدادى، وهى شخصية كبيرة ذات مركز مهم خطير فى عالم المنطق والجدل . فاستفاد الباطنى منه كثيراً وتعلم من هذا الأستاذ فن الإقناع والتأثير فى الجمهور والقدرة على البحث فى شتي المواضيع المتنوعة ، وكانت له قابلية عجيبة على التأثير فى المستمعين : له لسان خلاب يتوصل به إلى حرارة، وقابلية عجيبة على إبداء الحجج والإقناع . فلما عاد إلى وطنه الأندلس أظهر النسك والورع والتقوى واغتر الناس بظاهره واختلفوا إليه وسمعوا منه وتكونت له جماعة التفت حوله ودانت بعقيدته وظلت تلازمه وتجتمع به سراً حتى توفى ١٥١)(٥)

حمل الجبلى إلى الأندلس منطق السجستانى وقواعد أهل العراق فى الجدل والمناظرة ، وقد جدد بذلك ما كان قد بدأ به محمد ابن إسماعيل المعروف بالحكيم (١) ، وعبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد المعروف بالإقليدى ، وهو صاحب تأليف مشهور لدى أهل الأندلس فى اختصار الكتب الثمانية فى المنطق (٢) ، وعلى بن أحمد بن حزم وكان من أهم أركان هذه الحركة فى الأندلس فقد انصرف هذا العالم هو وابنه من بعده خاصة إلى المنطق دون سائر الفلسفة(٣) إلا أن هذه الحركة لم تكن مستقلة كتلك الحركة التى ظهرت فى الشرق ولم تكن قوية . كان عماد منطق أهل الأندلس على منطق أهل العراق وعلى الأخص منطق السجستانى ومنطق متى ابن يونس (٤) والفارابى وأمثالهم من زعماء هذه الزمرة

حاول علماء الشرق أن يرفعوا المنطق إلى مصاف علم الفراسة أو علم النفس ، حاولوا أن يستدلوا به على معرفة دخائل أمور الفرد وطراز تفكيره ، وحاولوا أن يجعلوه سلاحاً ماضياً بأيديهم يسكتون به الخصم ، حتى أطلق عليه الرئيس الفيلسوف ابن سينا « علم الفراسة » فى رسالته « قصة حى بن يقظان »(٥) . أما أهل الغرب فكانوا يرون فيه — وعلى الأخص رجال الحكم والسياسة — شيئاً لا يليق بأهل التقى والدين(٦)

جواد على

(١) راجع أخبار الحكماء ص ١٣

(٢) راجع Frank. Plato u die. Sog. Pythagoreer. 1923

(٣) راجع 138 و Max. Harten. Die Philo. des Islam. S

(٤) ومن هؤلاء كان فضل الله الاستراباذى وكان قد بحث فى إيران عام ١٣٨٦ عن المعنى والحروف والاتحاد راجع عنه Rœmer. Babi-Bahai. Gipp. moworidl. nr. q

(٥) يقول ابن القفطى فى ص ١٣ إنه توفى عام ٣١٩ للهجرة وهذا خطأ يظهر أنه من الطابع لأن الجبلى كان فى عام ٣٤٧ هـ فى العراق كما ذكرنا . كذلك تذكره الكتب بعد هذا العهد أيضاً

(١) توفى عام ٣٣١ هـ ٩٤٣ م . طبقات الأمم ص ٦٦

(٢) طبقات الأمم ص ٦٨

(٣) طبقات الأمم ص ٧٥

(٤) نفس المصدر ص ٧٧ راجع عنه الفهرست لابن النديم ص ٣٦٨ وكتاب تتمة صوان الحكمة للبيهقى (طبعة لاهور ١٣٥١ هـ) ص ١٤

(٥) طبعت هذه القصة عدة طبعات والتى عولنا عليها هى طبعة مطبعة السعادة بمصر عام ١٩١٧ بعنوان (جامع البدائع)

(٦) فى زمان الحاجب المنافرى مثلا حيث اضطهد الفلاسفة وأصحاب المنطق راجع طبقات الأمم ص ٦٦ والكتب المؤلفة عن الأندلس

حكم فى القضية ن ١١٦٤ عسكرية طنطا سنة ٩٤١ ضد عبد الله محمد القشن بغرامة ٣ جنيه و نشر بتاريخ ٢٦ نوفمبر سنة ٩٤١ وذلك لبيعه فحماً بسعر أكثر من المحدد

حكم فى الجنحة المستأنفة رقم ١١٨٤٥ سنة ١٩٤٠ ضد زكى حسين الوكيل بتغريمه ١٠٠ قرش ونشر الحكم بجريدة الحقائق والرسالة لبيعه كبريت أزيد من التسعيرة

حكم فى القضية ن ١١٦٥٩ سنة ٩٤٠ ضد محمد حسين سلامه ن ٣٥٥ تسعيرة سنة ٤٠ شارع بوابة الوداع ن ١٩ لأنه فى ٨ مارس سنة ٩٤٠ بقسم مصر القديمة باع لحم أزيد من السعر غيابيا ١٠٠ قرش وتعليقه على باب متجره وسراى المحافظة ونشره بجريدتى الثقافة والرسالة على نفقته فى ٢٢ أكتوبر سنة ٩٤٠

الديمقراطية ومستقبلها

للأستاذ محمود تيمور

الأصل في الديمقراطية أن يحكم الشعب نفسه بنفسه، لا رئيس ولا مرءوس، ولا قاض ولا محكوم؛ فقد ابتدع بعض مفكري الإغريق هذا النظام كأنه حلم خيالي لتحقيق العدالة، وإيجاد نوع من المدينة الفاضلة، حيث يعرف كلٌّ حقه لنفسه، ويؤدي واجبه لغيره، فيرتفع الظلم، ويعيش الناس إخواناً

وقد تطور هذا المعنى للديمقراطية تطوراً ينزل به من آفاق الخيال، فأصبح رمزاً للنظام النيابي، إذ ينتخب الشعب من بين ثقاته نواباً يتولى مجلسهم مراقبة الحكومة فيما تأخذ وما تدع، ويحث الحكام على تحقيق الأغراض التي يدعو إليها الصالح العام. وهذا النظام يختلف باختلاف البلاد وخصائص الأمم، فكان في اليونان جمهوريات متعددة تعدد المدائن. وكان في الرومان يتمثل في مجالس الشيوخ والأعيان؛ وهو في العهد الأخير: ملكية ديمقراطية كما في انجلترا. وجمهورية ديمقراطية كما في فرنسا. والمدلول في كل هذا واحد. وهو أن تكون بيد الشعب مقاليد حكمه، وإليه يصير الأمر في الهيمنة والسلطان

ومما بعث مفكري الأمم وساستها على اقتراح هذا النظام، رغبتهم في أن يدرأوا طغيان بعض الطبقات على بعض، فارتأوا أن النظام النيابي كفيل بضبط الحقوق العامة، وبسط المساواة بين الناس

ونحن إذا نظرنا إلى هذا الأسلوب في الحكم من ناحية تمثيله في هيئات نيابية صحيحة، لم يقم شك في أن العرب الأولين لم يعرفوه؛ فلقد كانوا في رحاب الصحراء يعيشون على نظام القبائل. وكانت العصبية والأنفة تحول بينهم وبين الاندماج. فكل قبيلة تتفرد بأبنائها، وتعتز بحريتها بقدر ما لها من سطوة ونفوذ؛ وكل شخص يتفرد بنفسه ويعتز بحريته في حدود ما تفرضه عليه قبيلته من واجبات وتبعات. فلما جمع الإسلام شملهم كان من العسير إخضاعهم لنظام نيابي كالذي شاع عند الإغريق، لأنهم حديثو عهد بالنظام القَبَلي، وما تزال فيهم من العصبية الجاهلية أثر. وليس يعيب الأمم العربية أنها عدلت عن أسلوب الإغريق في الحكم، واقتربت من أسلوب الفرس؛ فإنما تصطنع الأمم من نظم السياسة ما يلائم البيئة والطبع

ولكن الدول العربية التي لم تتخذ مظاهر الحكم الديمقراطي كما رسمه واضعو هذا النظام، كانت في حقيقتها وجوهرها — في كثير من العهود — حافلة بثمرات الديمقراطية في القيام على صوالح الرعية. فالخلفاء والأمراء الذين حكموا البلاد حكماً قد يعتبر أوتقراطياً في المظهر، كانوا يتبعون تعاليم الإسلام في التشريع والتنفيذ، وهي تعاليم ديمقراطية الروح. ولذلك نعم الناس في ظلال هذا الحكم عهوداً كثيرة بالمساواة في الحقوق والواجبات، وبالحريات الفردية في تصريف الشئون. وكان الحاكم حريصاً على ذلك ابتغاء مرضات الدين، واستجلاباً لتأييد الأمة، عليه من ذمته وضميره رقيب فوق رقابة الرأي العام. فإن أخل بشرائط العدالة، وتجافى عن النزعة الديمقراطية في السياسة، ثارت عليه الأمة حين تمكنها الفرصة، واستبدلت به حاكماً يوفر لها حرياتها على النهج القويم

والآن نسأل: هل يصلح النظام الديمقراطي للحكم؟ الحق أن هذا النظام الديمقراطي القائم على أساس الانتخاب النيابي أفضل نظام عرف حتى اليوم لنشر العدالة العامة، ودفع الطغيان الحكومي، ولكنه لا ينتج نتاجه الطيب في الأمم العربية إلا إذا توافر له أمران: الأول، قلة الأحزاب، فإن الأحزاب ضرورية للتنافس والمراقبة، ولكن الإقلال منها ضروري أيضاً لما أدت إليه كثرتها من اضطراب وزعزعة في الحكم. والأمر الآخر: تربية الشعب. فلا بد أن يكون على درجة من الثقافة والتربية الخلقية والاقتصادية يتمكن بها من الهيمنة على نفسه، وانتخاب الأكفاء الصالحين للنيابة عنه

ولسنا ننكر أن الإصلاح في ظلال الحكم الديمقراطي بطيء الخطا، وذلك لخضوعه للرقابة وما تتطلبه من تعدد جهات النظر؛ إلا أنه على أية حال يأتي بالنتائج المرضية، وهو أوفى نظام يقر الطمأنينة في نفوس الأمة على اختلاف طبقاتها. وإذا اجتمعت

مطالعاتي حول المدفأة

ساحرة الجبال

للأستاذ صلاح الدين المنجد

نَعِمْتُ الليلة بزورة من آنستي . تجفوتُ حديقة أبيقور (١) ، وكنتُ أرتع فيها منذ ثلاث ، وجلست بين يديها ؛ فهي كتاب حي كله إبداع وإغراء . وهي بسّامة جذّابة ، كأن جسمها الأهيف ظَرْفُ فتونٍ وعطور ، وكأن ثغرها الحبيب جمرة توقّ ولهب بفور . ولا سبيل إلى الإنكار فهي حلوة بارعة الجمال

دخلت عليّ تقفز وتضحك ، وإذا ضحكت آنستي ، فالدلّ الناعم ، والنَّغم الجذاب . فرمت قفازها في الأرض ، وفراءها الأشقر على نضد الزهور ، واقتربت من المدفأة جذلى وهي تقول :

— مررتُ ، وأنا آتية إليك ، بعجوز . فدفعتُها فانغمست في الطين !

ثم قهقت ، فقلت

(١) Jardin d'Epicure. A. Frauce.

— أوه ... ! ولم إذاً ؟ ...

— طلبت قرشاً وألحت ، ثم أمسكت بفرائي ، فزجرتها ، فتبعتني ، فدفعتُها وأسرعت !

وآنستي لعوب يروقها أن تعبث بالعجائز كلما صادفتهن ، فتغمز بهنّ ، وتسخر منهن ، كأن ثاراً لا يدرك بينها وبينهن .

قلت لها وقد جلست أمامي تجعّد شعرها والمقعد يصيح تحتها :

— أراكِ مسرورة ، ألا تخافين ؟

— هه ... ومما أخاف ؟ ...

— أن يصيبك — مثلاً — ما أصاب الأميرة التي طردت الساحرة العجوز لمّا سألتْها قطعة من اللحم

— وماذا أصابها ...

— انقلبت عجوزاً ذات شعور بيض ، وأسنان دُرْد ، بعد أن كانت فتّانة الصبا جذابة الجمال

فضحكت ضحكة طويلة ... وقالت مستغربة :

— وكيف صارت عجوزاً ؟

— قلبتها ساحرة الجبال ... لأن العجائز مصونات محوطات ، ما آذاهن أحد إلاّ مسّه السوء ...

— وكيف كان ذلك ... ؟

— لا تسخرى ، إصغي إليّ ، أقرأ عليك قصّتها :

لتنفيذه أيد رشيدة وقلوب مخلصة كان أحسن نظام لإقرار العدل وابتغاء النفع العام

فأما القول بأن الديمقراطية أعلنت إفلاسها في سوق الحكم ، فهو قول يلقى على عواهنه في غير تبصر ، لأنه حكم الواقع الوقتي بحالته الخاصة . وما الديمقراطية إلا نظام يجب أن تجرى عليه سنة التطور ؛ ولكن روح الديمقراطية حقيقة صالحة يجب أن تبقى وأن ترعى . والذى أنكرناه قبيل هذه الحرب الراهنة ، مما سميناه إخفاق الديمقراطية ، كان خليطاً من الأسباب والآثار ، منها ما أعقب الحرب الماضية من اضطراب الميزان الاقتصادى ، وتزايد العمال المتعطلين نتيجة تغلب الآلة على الأيدى العاملة ؛ أضف إلى ذلك تفشى الآراء الخيالية في إيجاد نظام يضمن المساواة الاقتصادية بين عامة الناس . وواضح أن ذلك ليس وليد الفساد في النظام الديمقراطى وإنما نشأ من عوامل عمرانية واجتماعية اقتضاها تطور الحياة

فالديمقراطية لم تستطع إزاء هذه المشكلات أن تحل عقدتها بالسرعة الواجبة لها ، لطبيعة البطء فيما تعالج من حلول . ولم يدركها في ذاتها التطور المنشود حتى تعالج بعقلية جديدة تلك المشكلات الإنسانية الناشبة ؛ فانطلقت الطبيعة البشرية ثائرة فائرة ، تبغى نظاماً في الحكم يستقيم به الميزان الاقتصادىّ والاجتماعى ، ويرفرف به الرخاء الممكن على مختلف الشعوب

وإذا جاز لنا أن نقدر ما يجئ به الغد المرتقب رجحنا أن تتمخض هذه الثورة العالمية عن المحافظة على الروح الديمقراطى الصالح، مع تجديد في نظام الحكم . ومعنى ذلك أن تتطور الديمقراطية تطوراً يوائم البيئة الجديدة والعقلية الجديدة التي تسود بعد هذه الحرب القائمة . وإننا لنلمح من الآن بوادر هذا التطور في الأمم الديمقراطية العريقة

واليقين أن العالم سيشهد في مستقبله السلمى نظاماً مستحدثاً يمكّن للسعادة بقدر المستطاع بين طبقات الشعب ، ولكن هذا النظام ستحل فيه روح الديمقراطية دائماً .

محمود تيمور

وتناولت كتاباً من جانبي وقرأت[1] : « ها هي ذي تترك كهفها المظلم ، مأوى الخفافيش ، لتحدر إلى السهل من مهاوى الجبال ، وتزور القصور والسفوح .

« إنها قصيرة ، قصيرة جداً . تلبس رداء من جلد الذئاب ، وتسعى وراء الفلوس والقروش ؛ فهي عطشى للمال على رغم غناها . لقد قالوا إن الغيران التي تملكها في الجبال مترعة بأساور من فضة بيضاء ، وإن قراتها ذوات القرون المذهبة ترعى في الأعاشيب الخضر ، على شطآن السهول .

« لقد عجب الناس إذ رأوها . وقالوا : ماذا أنت تفعل في السهول ، ولم تركتِ كهوف الذئاب ... ؟

« إنها عجوز هرمة . يا بعد وجهها الأصفر القبيح ، الرواف بالدهون ، وأنفها الغليظ النافر ، وعينيها الصغيرتين الوامضتين تحت الأوساخ كالجمرات تحت الرماد . . . يا بعد ذلك من صباحة العذارى وحلاوة الفتيات !

« لقد زعموا أن لها من العمر مئات السنين ، وأنها قادرة على إنزال البَرَد وإيماض البرق . وهي تضل القطعان ، وتسلّط الذئاب على الخرفان ؛ وفي إكرامها الخير والبركة ... فمن حقّرها جزاؤه أن ينفر الحصان ، ويحترق الكوخ ، وتُمل البقرة ، ويجنّ الزوج ...

« يا ويحها ! لِمَ هبطت من ذرى الجبال ... ؟ لِمَ تركت غيران الذئاب ...؟ ولماذا يصحبها البوم ، وترف حواليها الخفافيش ، وتخرج الحدآت فيملان الأفق ويغزون الدور والقصور ... ؟

« إنها تمشي مطمئنة ، لا تخاف شيئاً ولا تفزع من مخلوق ، وها هي ذي تصل إلى قصر الأميرة الشامخ ذي العُمُد البيض والجدران الشواهق

« وداست بحذائها الغليظ المصنوع من قشور الأشجار العتاق ممشى الحديقة المطرّزة بالأزهار ، ثم صعدت السلم إلى الطبقات العُلى

« وكانت الأميرة في روشن القصر تتمتع بروعة السماء وأنَقة الرياض ، وقد حمل لها خادمان قطعاً من اللحم المشوى ذى الرائحة الطيبة ...

« وبدت العجوز ومدت يدها إلى اللحم ...

وشدهت الأميرة فنادت :

— ويلك أيتها العجوز السارقة ... اذهبي ...

فقالت العجوز :

— أعطيني قطعة لحم ... أعطيني ...

— مجنونة ... سارقة ... أخرجوها ... !

— أعطيني قطعة من اللحم الأشقر المشوى ...

— لا ... لن أعطيك يا عجوز القبح ... لن أعطيك ... فاذهبي ... أطعمها للخفافيش ولا تذوقين طعمها ...

واضطربت العجوز ، ثم أخرجت قضيبها الأخضر المسحور وتمتمت وبربرت ، ثم قالت :

— إذن فلتفترسك الخفافيش !

وكنت أرامق آنستي وأنا أقرأ لها ، فرأيتها قد فغرت فمها الصغير ، وتوردت وجنتاها الريانتان ، وحملقت عينيها الناعستين ، فبدت كالطفل المذعور ، فقالت :

— ثم ماذا أصابها ... أتمم ... أتمم ... ؟ !

« وجمدت الأميرة من الخوف : أرادت أن تضحك فلم تستطع وحاولت البكاء فجمد الدمع ... !

« وأقبلت خفافيش الغاب ، مناقيرهن حمر ، يبتغين افتراسها وكن يضحكن ضحكات ملأى بالسخرية . تنشر الذعر وتبعث الخوف!

« لقد أسرعت الأميرة إلى مخدعها وأغلقت الباب ، ولكن رنين الضحكات واصطفاق الأجنحة كانا يُسمعان في كل مكان !

« وعاشت الأميرة فلم تر عيناها بعد ذلك اليوم عذوبة الصباح ، ومتوع السماء ، وفرح الحياة ... واختبأت في الظلام وراء السُجف الصفاق خوفاً من الخفافيش

« وأصبحت بعد أيام ، وإذا شعورها تبيّض ، ووجهها يتجعد ، وإذا هي عجوز

« أين صباحتها الضاحكة ، أين شعرها الناعم ، أين جسمها الطرى ... أين ... ؟ »

***

ونظرتُ إلى آنستي ، فإذا بها قد اقتربت مني وأمسكت بيدى ، وإذا رأسها الجميل الأشقر يميل برفق ورقة على كتفي ... كأنما خدّرها دفء الهواء ، وأفزعتها خفافيش الغاب ، وأحزنها دفعها السائلة ، فخافت أن يدركها الهرم ، ويضحك في رأسها المشيب

نامى آنستي ... نامى ... ولا تفزعي ، فتلك أساطير وأوهام

« دمشق » صلاح الدين المنجد

(١) أنظر كتب الكاتبة السويدية سلمى لاجروف : Selma Lagerlof
La legend de Gosat Berling, traduit et adaptée par André Bellesort.

٢٤ - المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد دليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

يقوم الخادمات المصريات بأحقر الأعمال . ويغطين وجوههن في حضرة سادتهن فيسحبن بعض الطرحة على الوجه فلا يظهرن غير عين ويد للقيام بالعمل . وإذا ما استقبل ضيف في حجرة من حجر الحريم انسحبت النساء إلى حجرة أخرى وبقيت خادمة منتقبة لخدمته

تلك هي أحوال طبقات النساء المختلفة . ويجب علاوة على ذلك أن نصف عاداتهن وأعمالهن وصفاً سريعاً

لا تحرم الزوجات كما تحرم الجواري من امتياز تناول الطعام مع رب العائلة غالباً فحسب ، بل يجب عليهن أيضاً أن يقمن على خدمته أثناء طعامه أو عند ما يدخن شبكه ويحتسي قهوته في الحريم . وكثيراً ما تشتغل الزوجات كخادمات فيحشون الشبك ويشعلنه ويصنعن القهوة ويجهزن الطعام أو بعض الأصناف اللذيذة على الأقل . وإذا استطعت الحكم تبعاً لتجربتي الخاصة قلت إن أغلبهن طاهيات بارعات . وكما أوصى إلى بطبق صنعته زوجة مضيفي وجدته لذيذاً بصفة خاصة . وتهتم السيدات في الطبقات العليا والوسطى بإرضاء أزواجهن وجذب قلوبهم اهتماماً متواصلاً بحيل شتى . ويظهر دلال النساء حتى في مشيتهن العادية عند ما يخرجن ، بهز الجسم هزاً خاصاً . وتضبط الزوجات أنفسهن عادة في حضرة الزوج قليلاً أو كثيراً . ولذلك يسرهن ألا تتكرر زيارة الزوج للحريم أو تطول أثناء النهار . وكثيراً ما يستسلمن في غيابه إلى ابتهاج صاخب

ولا يختلف طعام المرأة عن طعام الرجل إلا في قلة مقداره ولا تختلف كذلك طريقة تناول الطعام . ويسمح لأغلب النساء أن ينعمن بترف التدخين . ولا يعتبر النساء مهما علا مركزهن هذه العادة غير لائقة بهن ، إذ أن رائحة أنواع التبغ الجيد المستعمل في مصر لطيفة جداً . ويلاحظ عادة أن شبك النساء أرشق من شبك الرجال وأكثر زخرفة . ويكون مبسم الشبك أحياناً من المرجان بدلاً من الكهرمان . ويستعمل النساء العطور مثل المسك وقط الزباد الخ وكذلك الأدهان بكثرة . ويستعملن بضعة عقاقير تؤكل أو تشرب للحصول على بدانة ملائمة[1] وبعض هذه المسمنات تثير الاشمئزاز إلى أقصى حد ، لأنها تتكون خاصة من الخنافس المسحوقة . وقد تعود كثير من النساء مضغ اللبان واللادن اللذين يطيبان النكهة ، كما تعودن كثرة الوضوء ليكن طاهرات . ولا يبذل النساء وقتاً طويلاً في التبرج ، وقلما يغيرن ملابسهن طول اليوم بعد أن يلبسن في الصباح . ويضفرن شعرهن في الحمام ولا يحللنه بعد ذلك عدة أيام



(شكل ٤٩) المنسج وهو يصنع من خشب الجوز المطعم بالصدف والعاج وأكثر المناسج شيوعاً ما يصنع من الزان

والاعتناء بالأطفال أول ما يهتم به السيدات المصريات ، وعليهن أيضاً إدارة الشئون المنزلية ؛ إلا أن الزوج وحده في أغلب الأسر يقوم بنفقات المنزل . ويمضي السيدات ساعات الفراغ غالباً في الأشغال بالإبرة ، وعلى الأخص في تطريز المناديل والطرح بالحرير الملون والذهب على إطار يسمى (منسج) أنظر شكل ٤٩ ، وتكسب الكثيرات ، حتى في منازل الأثرياء ، من تطريز

(١) لا يعجب المصريون بخلاف المغاربة وبعض الافريقيين والشرقيين بالمرأة المفرطة البدانة ، ويصف المصري عادة حبيبته في أغاني الحب برشاقة القد وهيف الخصر

المناديل وغيرها بهذه الطريقة إذ يستخدمن (دلالة) تبيعها فى السوق أو فى حريم آخر . وكثيراً ما تشغل زيارة حريم لحريم آخر اليوم كله تقريباً . ولا تخرج تسلية النساء عن الأكل والتدخين واحتساء القهوة والأشربة والثرثرة وعرض زينتهن . ولا يسمح لرب الدار فى مثل هذه الأحوال أن يدخل الحريم إلا لعمل خاص لا بد منه . ويجب عليه فى هذه الحالة أن يعلن قدومه ، ويترك للزائرات الوقت الكافى للاحتجاب أو الانسحاب إلى غرفة أخرى . وينغمس النساء فى المرح والبهجة لاطمئنانهن بالوحدة وعدم المفاجأة ، ولميلهن بطبيعتهن إلى الجذل والتبسط . وقد تقوم إحدى السيدات أحياناً بتسلية الجماعة عند ما ينضب الحديث العادى بسرد القصص العجيبة أو الفكاهية . وقلما يعلم السيدات المصريات الموسيقى أو الرقص، ولكنهن يتلذذن كثيراً بسماع محترفى الموسيقى والرقص ورؤيتهم . وكثيراً ما يسلين أنفسهن وضيفاتهن بالضرب على (الدرابكة) و (الطار) [1] إذا لم يتيسر وجود العازفين . ويندر ذلك فى المنازل التى يستطيع المارة أن يسمعوا منها أصداء الاحتفال . وكثيراً ما يستخدم القيان (العوالم) فى أى مناسبة تبهج النساء كميلاد طفل أو الاحتفال بختان أو عرس الخ . ولكن ذلك لا يحدث عند العائلات الجليلة فى المناسبات العادية لاعتبارها إياه مخالفاً للآداب . وقلما يقبل فى الحريم الغوازى اللاتى يعرضن رقصاتهن سافرات فى الشوارع ؛ ولكنهن يرقصن أمام المنزل أو فى الفناء فى مثل المناسبات السالفة الذكر ، وإن كان هذا يبدو للكثيرين غير لائق . ولا يستأجر (الآلاتية) دون غيرهم لتسلية النساء ، وإنما يستأجرون خاصة لتسلية الرجال ويعزفون دائماً فى مجتمعاتهم ، ويسمعون مع ذلك بوضوح داخل الحريم [2] .

***

يركب نساء الطبقتين العليا والوسطى الحمير عند ما يخرجن للزيارة أو لغيرها ويجلسن على براذع مرتفعة عريضة تغطى بسجادة صغيرة (أنظر شكل رقم ٥٠) ويسير فى ركابهن رجل واحد أو اثنان كل منهما فى جانب . ويركب نساء الحريم جميعهن معاً الواحدة خلف الأخرى . ويظهرن وهن راكبات بالطريقة الموصوفة فى هيئة غريبة جداً ، فيبدون غير مطمئنات فى جلستهن على هذا الارتفاع . ويطلق على الحمار [1] الذى يجهز



(شكل ٥٠) سيدات راكبات الحمير

بالبرذعة المرتفعة : (الحمار العالى) ولكنى أعتقد أن الحال ليست من الصعوبة بحيث تظهر ، فإن الحمار قد شد حزامه جيداً ورسخت مشيته فهو يسير ببطء وهو وحركة سهلة . ويركب سيدات الطبقات العليا كما يركب سيدات الطبقات الوسطى : الحمير المجهزة بهذه الطريقة . ويندر أن يرين فوق البغال أو الجياد . وتكرى الحمير على العموم ؛ وإذا لم تستطع السيدة الحصول على حمار عال تركب آخر مما يركبه الرجال بعد أن يوضع على البرذعة سجادة . وكثيراً ما يفعل ذلك نساء الطبقة الدنيا ونساء الطبقة الوسطي . ولا يمشى السيدات أبداً فى الخارج إلا إذا قصدن مكاناً قريباً جداً ؛ فيمشين ببطء وارتباك لصعوبة الاحتفاظ بالخف فى أقدامهن ، ويمسكن أطراف الحبرة الأمامية بالطريقة الموضحة فى شكل ٢٧ . ويتمتع النساء سواء ركبن أم مشين بالاحترام الزائد عند العامة ؛ فلا يشخص إليهن حسن التربية وإنما يحول نظره إلى اتجاه آخر . ولا يُرى النساء فى الخارج ليلاً أبداً إلا إذا اضطرهن إلى ذلك ضرورة ملحة . والقاعدة العامة أن يعود النساء من الزيارة قبل غروب الشمس . ولا يذهب سيدات الطبقة الراقية إلى الحوانيت أبداً وإنما يرسلن فى طلب ما يشأن . وهناك (دلالات) يدخلن الحريم لعرض أنواع الزينة وأمتعة النساء الخ . ولا يذهب أولئك السيدات إلى الحمام العمومى إلا إذا دعين لمرافقة

(١) سنصف هذه الآلات ونوضحها بالرسم فى فصل آخر

(٢) سنصف ألعاب الآلاتية والعوالم والغوازى فى فصل آخر

(١) ويسمى أيضاً (حمار مغطى)

بعض صديقاتهن إذ أن لأغلبهن حماماً فى المنزل[١]

أما الحياة المنزلية عند الطبقات السفلى فهى بسيطة إلى حد أنها بمقارنتها بحياة الطبقات الوسطى والعليا التى تكلمنا عنها الآن لا يفيدنا العلم بها شيئاً كبيراً

تتكون الطبقات السفلى من الفلاحين ، ما عدا فئة قليلة جداً تسكن المدن الكبيرة على الأخص . وأغلب هؤلاء الذين يسكنون المدن الكبيرة والقليل ممن يسكن المدن الصغيرة وبعض القرويين هم من صغار التجار أو أهل الحرف أو ممن يكتسبون معاشهم بالخدمة أو بمختلف الأعمال . وأرباحهم على أى حال طفيفة تكاد تكفيهم . وقد لا تضمن لهم ولعائلاتهم ضروريات الحياة

ويتكون طعام الطبقة السفلى على الأخص من الخبز المصنوع من الدخن أو الذرة، وشىء من اللبن والبيض والفسيخ والخيار والشمام والقرع على أنواع كثيرة الاختلاف ، والبصل والكرات[٢] والفول والحمص والترمس والعدس الخ ، والبلح الطازج والمجفف والمخللات، ويأكلون أكثر الخضروات نيئة . ويقطع الفلاحون كيزان الذرة عند ما تقرب من النضج ويأكلونها مشوية أو مطبوخة . ولا يدخل الفلاحون الأرز فى طعامهم العادى لغلو ثمنه . وقلما يذوقون اللحم . وينعم أغلبهم مع ذلك بترف تدخين تبغ بلدهم الرخيص الذى يجفف ويفرم . ولون هذا التبغ يضرب إلى الخضرة وهو لطيف العطر . وكثيراً ما لا يجد الفقراء غير (الدقة) التى وصفتها فى فصل سابق يغمسون فيها خبزهم بالرغم من بخس أثمان الأطعمة المذكورة آنفاً . ومما يثير الدهشة أن يكون الفلاح قوياً صحيحاً مع بساطة طعامه وقلته وما يعانيه من كد

وقلما يحيا نساء الطبقات السفلى حياة الخمول ؛ وإن بعضهن ليكد أكثر من الرجال . وأهم أشغال النساء تجهيز الطعام، وجلب المياه ، فى جرار كبيرة يحملنها على الرأس من الموارد وغزل القطن والكتان أو الصوف ، وعمل (الجلّه) أقراصاً مستديرة مسطوحة من روث البهائم المخلوط بالتبن ، للوقود ، ويقمن هذه الأقراص على حوائط منازلهن أو فوق أسطحها أو على الأرض لتجفف فى الشمس ثم يستعملنها لوقود الأفران ولأغراض أخرى .

ويخضع نساء الطبقة السفلى لأزواجهن أكثر من خضوع نساء الطبقات الراقية . ولا يسمح دائماً للمرأة الفقيرة أن تتناول الطعام مع زوجها . وإذا خرجت معه سارت وراءه . والعادة أن تحمل الزوجة كل شئ إلا الشبك أو العصا . ويفتح بعض النساء فى المدينة حوانيت يبعن فيها الخبز والخضر الخ . . . فيساعدن مساعدة الزوج أو أكثر فى الإنفاق على الأسرة . ويضع الفقير الذى يرغب فى الزواج مسألة المهر موضع الاعتبار . ويكون المهر عادة من عشرين ريالاً إلى أربعة أضعاف هذا المبلغ إذا كان نقوداً فقط ، ويقل إذا شمل بعض الملابس كما هو الحال فى معظم القطر المصرى . وقلما يتردد الفقير فى الزواج إذا استطاع أن يقدم المهر ، فأى مجهود إضافى يساعده على قوت زوجه وطفلين أو ثلاثة أطفال . ويصلح الأطفال عند سن الخامسة أو السادسة لرعى القطعان ، ويساعدون آباءهم فى أعمال الفلاحة عند ما يتقدم بهم السن إلى أن يتزوجوا . وكثيراً ما يعتمد الفقير فى مصر على أولاده الاعتماد التام لمعيشته فى سن الكهولة ؛ ولكن أغلب الآباء يحرمون من هذه المساعدة ؛ فيقضون حياتهم على السؤال أو يموتون جوعاً . وقد حدث من زمن غير بعيد أن ألقى محمد على مرساه فى قرية على شاطئ النيل أثناء سفر له من الأسكندرية إلى القاهرة ، فأسرع إليه رجل فقير وأمسك بكمه بقوة لم يستطع معها أحد من الحاشية منعه ، وشكا إليه أنه كان وقتاً ما فى رغد ، ثم تحول الأمر إلى عوز تام بتجنيد أولاده فى الجيش وهو كبير السن . فخفف عنه الباشا بأن أمر أن يعطى له أغنى رجل فى القرية بقرة .

وقد يكون الأطفال مع ذلك حملاً ثقيلاً على والديهم الفقراء ، ولذلك لا تجد من النادر فى مصر أن يباع الأطفال علناً بواسطة أمهاتهم أو نساء أخريات يستخدمهن الآباء لذلك . ولكن هذا لا يكون إلا فى حالة الضيق الشديد .

(يتبع)

عدلى طاهر نور

---

(١) منذ صدرت هذه الطبعة الثالثة أقامت أختى (مسز پول Mrs Pool) مع ولديها وزوجتى وأنا أكثر من سبع سنين فى القاهرة ، ونشرت سلسلة رسائل تحت عنوان (الانجليزيات فى مصر) عرضت فيها لنساء هذا البلد عند ملاحظاتها عن حريم الأتراك الخاصة . وقد استقبل كتابها استقبالا حسناً لا يحوجه إلى توصية

(٢) أنظر سفر العدد ١١ / ٥ (قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم)

ساعة حب ..

للدكتور زكى مبارك

[قصيدة يغنيها الموسيقار عبد العزيز محمود عن طريق الاذاعة اللاسلكية]

يامليك الحسن عزت دولتك ... ورعت آلهة الحب صباك
شرعة الإسعاد فينا شرعتك ... وهدى الإشفاق والعطف هداك

***

أنت أنقذت فؤادى من جواه ... وسقيت الروح أكواب الصفاء
آن أن ينسى فؤادى ما شجاه ... نسخ الإقبال أيام الشقاء

***

ساعة مرت وفى القلب هواك ... ساحر النغمة خفاق الجناح
يرشف اللثمة من كأس لماك ... فى ظلال الأنس والصفو المتاح

***

سكبت نجواك فى الروح الأمان ... وأرانى الوصل أسرار جمالك
فتمثلت فراديس الجنان ... ورأيت الخلد منظور وصالك

***

وقف النجم وألقى باله ... ليعد اللمح من قلبى وقلبك
ويح هذا النجم مما هاله ... فى ضمير الليل من حبى وحبك

***

غارت الأنجم من قلبى الطروب ... ما يقول الناس لو شاموا غرامى
أنا بالأفنان فتاك لعوب ... يزدهينى الغى فى تيه هيامى

***

شبهة فى قلبك البكر يلوح ... طيفها المرتاب فى إنسان عينك
أنا يا مولاى لو تعلم روح ... يهصر المطلول من مائد غصنك

***

تنظر الساعة من حين لحين ... ليت شعرى ما الذى يستعجلك
إن هذا الوصل أحلام سنين ... فاتق الحب ودع ما يشغلك

زكى مبارك

بين عهدين

للأستاذ سيد قطب

١ — العش المهجور

طرت عن عشك الجميل فأوبى ... شد ما اشتاق طيره أن تئوبى!
كان دفئاً وكان مرتع صفو ... فكساه الصقيع ثوب القطوب
منذ غادرته قد انتثر الحب ... وطاحت به رياح الهبوب
وتخلت عناية الله عنه ... فهو فى وحشة الغريب الكئيب
ولياليه شاجيات حيارى ... يترامين حوله من لغوب

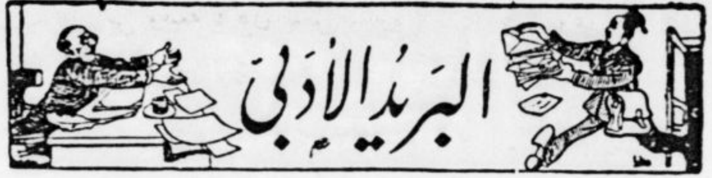
٢ — نداء العودة

عودى إلى العش عودى ... ورفرفى من جديد
ورنمى بالأغانى ... فى جوه واستعيدى
وأذيبى بالأمانى ... ما مسه من جمود
وتمتمى بالتعاويذ (م) والرقى ... والنشيد
واطلقى فيه لحنا ... يشدو لحب سعيد
ويطرد اليأس عنه ... بالشدو والتغريد

طال انتظارك وهنا ... فى ظلمة وكنود
والريح تعبث فيه ... بكل غال مجيد
وكل خفق جناح ... أو رجفة من بعيد
يخال فيها مآبا ... بعد النوى والشرود

عودى إلى العش عودى ... ورفرفى من جديد
أضناك طول الشرود ... ولذة التصعيد
عودى إلى الدفء فى عشك ... الأمين الودود
العمر يمضى فهيا ... نعيده للوجود

سيد قطب



الى الدكتور زكى مبارك

فى أى عصر نحن حتى توجه هذه الكلمات المخزية إلى شخص المرأة وهى التي ولدت العباقر وساعدت على قيام الحضارة ؟ وكيف تستطيع هذه المرأة التى وصفتها بهذا الوصف ورميتها بهذا الخلق أن تنشئ طفلاً على الكرامة ، أو تطبع أمة على الاستقلال ؟ ثق يا أستاذ أن الأمم الشرقية ما سهل عليها تحمل الاستعباد والذل الجيل بعد الجيل إلا لأن الزوجات كن مستعبدات مستذلات . وهل ترانى فى حاجة إلى أن أذكرك بهند أم معاوية التى لم تخضع لزوجها أبى سفيان زعيم مكة وسيدُ قريش بل رمته بالحصباء، وأغلظت له القول وعيرته وطردته حين أتاها يزف إليها البشرى يوم الفتح أن من دخل بيته فهو آمن . هل تجهل أنها أنجبت خير ملوك المسلمين سياسة ، وأكيسهم معاملة : معاوية الذى أنشأ دولة وحكم عشرين سنة استطاع بعدها أن يبايع لابنه الفاسق دون أن يعارض معارض ؟ حسبى ما ذكرت ؛ ولعلك راجع عما كتبت

(سوهاج) (بثينة)

(الرسالة) : جاءنا فى هذا الموضوع كلمات أخرى لبعض السيدات الفضليات فيها كثير من القسوة والعنف . وقد لامت إحداهن الرسالة على أن نشرت هذه الكلمة ؛ والرسالة التى تسجل ألوان الأدب الحديث لا تؤدى واجبها لتاريخ الأدب إذا أسقطت مثل هذا الرأى من آراء كاتب معروف

فى المجمع اللغوى

اجتمع مجلس المجمع اللغوى فى الأسبوع الماضى ، ونظر فى كثير من الأعمال ، وكان فى مقدمة ما تناوله بالبحث مسألة الأعضاء الشرقيين والمستشرقين ، وهل يمكن دعوتهم هذا العام ، ليتسنى عقد المؤتمر السنوى ، فعرض المجلس ما يقوم فى سبيل ذلك من العقبات ، واستقر رأيه على أن يصرف النظر عن عقد المؤتمر ، وأن يحاول المجمع ما أمكن توثيق الصلات بينه وبين الأعضاء غير المقيمين بالقطر المصرى ، كل فى مكانه ، وذلك باطلاعهم على قرارات المجمع ومصطلحاته وسائر أعماله ، والرغبة إليهم أن يوافوا إدارة المجمع بنقداتهم واقتراحاتهم فيما يعود بالفائدة على اللغة العربية، حتى يكون فى هذه الصلة بعض العوض عن المؤتمر المتعذر عقده بسبب الظروف الدولية الراهنة

وقد تقرر أن يعقد مجلس المجمع فى الثانى والعشرين من فبراير الحاضر ليوالى النظر فى الأعمال المطروحة عليه ، وفى طليعتها ما أنتجته لجان المجمع المختلفة من المصطلحات فى ضروب العلوم والفنون والآداب .

وينتظر أن يفتتح المجلس درسه للمصطلحات بما أنتجته اللجنة الطبية من أشتات الكلمات فى فروع الطب ، وسيتابع المجلس عقد جلساته مرتين فى كل شهر .

فى مطالعاتى

كثيراً ما يمر القارئ فى كتبنا على أغلاط فلا يلقى لها بالاً وهى ذات شأن ، ولقد كنت جمعت من ذلك مجموعة ثم أهملتها فما انتفعت بها ولا انتفع الناس ، لذلك رأيت أن أبادر بنشر كل ما أعثر عليه من ذلك :

١ — يروى كثيرون هذا البيت المشهور هكذا :

وعدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عرقوب أخاه « بيثرب »

و « يثرب » هى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن جاء فى القاموس فى مادة ترب ما نصه : « ويترب كيمنع موضع قرب اليمامة وهو المراد بقوله : مواعيد عرقوب أخاه بيترب » ؛ وإذن فالكلمة بالتاء المثناة لا بالثاء

وفى لسان العرب ج ١ ص ٢٢٤ قوله : « ويترب بفتح الراء موضع قرب اليمامة ؛ قال الأشجعى (وذكر البيت السابق) ؛ ثم قال : هكذا رواه أبو عبيدة (بيترب) وأنكر (يثرب) ؛ وقال عرقوب من العماليق : ويترب من بلادهم ولم تسكن العماليق (يثرب) » .

والميدانى فى كتابه « مجمع الأمثال » روى البيت بالتاء وذكر بيتاً آخر بالثاء ، وقال يروى : (يعنى البيت الأول) « بيثرب »

٢ — ذكر الكاتب الكبير المرحوم جورجى زيدان فى كتابه « تاريخ آداب العرب » الشاعر عبد الله بن الدُّمَيْنة فى الشعراء الجاهليين فى غير موضع من كتابه ، وعند الترجمة له قال : « وبقى

جماعة منهم — بعنى الشعراء الجاهليين — لا يجتمعون فى باب وهم كثيرون نكتفى بذكر أشهرهم »

ثم ذكر ابن الدمينة ، وهذا الكلام خطأ من وجهين : الأول أن ابن الدمينة شاعر أموى لا جاهلى ؛ والثانى أنه من أكبر شعراء الغزل الرقيق

٣ — قال الأستاذ الرافعى فى كتابه « تاريخ آداب العرب » عند الكلام على أسواق العرب : « أما عكاظ فهى أعظم أسواقهم اتخذت سوقاً بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة (٥٤٠ للميلاد) » وكنت أظن أن هذا الرقم خطأ مطبعى حتى رجعت إلى دائرة معارف القرن العشرين للأستاذ وجدى فوجدته بنصه

ومعروف أن عام الفيل هو العام الذى ولد فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو عام ٥٧٠ للميلاد كما فى تاريخ الطبرى وأبى الفداء وكتاب الكامل لابن الأثير ، وكتاب أخبار الدول وآثار الأول وفى العقد الفريد ؛ قالوا : ولد صلى الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وقال بعضهم لليلتين خلتا منه ؛ وقال بعضهم بعد الفيل بثلاثين يوماً ؛ فهذا جمع ما اختلفوا فى مولده

وهذه العبارة الأخيرة من صاحب العقد خطأ ، فإنهم اختلفوا فى مولده صلى الله عليه وسلم على أقوال كثيرة

وبعد ، فجمهرة الكتب على أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل ، وعلى أن عكاظ قامت بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، فتكون أقيمت فى سنة ٥٨٥ للميلاد

على محمد حسن

حول مقال

كنت كتبت فى العدد (٤٣٨) من (الرسالة) الزهراء كلمة صريحة بعنوان : « بين الأدبين المصرى والسورى » وبتوقيع « كاتب لبنانى » أنعى فيها على الأدباء السوريين واللبنانيين غرورهم وزهوهم اللذين كانا السبب الأول فى اقتصارهم على إنتاج ضئيل هيهات أن يُقاس بإنتاج المصريين الغزير

ولم يكن من عجب أن تنبرى جريدة « المكشوف » الغراء دفاعاً عن الأدب اللبنانى من أن يُخدش أو يُمس . فكان أن نشرت المقال لتطلعَ عليه القراء اللبنانيين ، ولم تُعلّق على الكلمة إلا بقولها :

« على أننا نشك فى أن يكون هذا الكاتب لبنانياً على الرغم من توقيعه ؛ فإن بعض تعابيره « لك » يقرزم وغيرها لا تمتُّ إلى الذوق بصلة ، ونلاحظ أن الكمية عنده تفضل القيمة ... »

وكل ما أملك من قول ، هو أننى لن أقسم أننى لبنانى ، فبحسب (المكشوف) أن ترجع إلى غير عددٍ من أعدادها لترى اسمى الكامل ، ويحسبها كذلك أن تعود إلى المقال فتروّى فيه لتتبين خطأ « ملاحظتها » ...

بيد أن الذى سرنى هو أن (المكشوف) الغراء لم ترفع علم النكير فى هذه المرة ، فقد أيقنت أن الكلمة التى نشرتها لم تعدُ الحقيقة

« بيروت » **سهيل ادريس**

الى الأستاذ ناجى الطنطاوى

كنت أقرأ فى كتاب « كشف الحجاب والران ، عن وجه أسئلة الجان » للشعرانى ، حتى وصلت إلى السؤال (٥٦) وهو : ما أقرب الطرق إلى دخول حضرة الله تعالى ؟ فأجاب بما ملخصه : أقرب الطرق كثرة ذكر الله تعالى ، فلا يزال العبد يذكر ربه ، والحجب تتمزق عنه شيئاً بعد شىء ؛ حتى يقع « الشهود القلبى » فإذا حصل الشهود ، استغنى عن الذكر بمشاهدة المذكور ، فلو ذكر العبد ربه فى تلك الحضرة ، كان غير لائق بالأدب .

إلى أن قال : وقد أنشدوا فى حضرة الشهود

بذكر الله تزداد الذنوب ... وتنكشف الرذائل والعيوب
وترك الذكر أفضل كل شىء ... وشمس الذات ليس لها مغيب

وختم جوابه بقوله : وأنشدوا فى ترك الذكر فى حضرة الشهود

فترك الذكر أولى بالشهود ... وذكر الله أولى بالوجود
فكن إن شئت فى وجد الشهود ... وكن إن شئت فى فضل الوجود

عند ذلك وضح لى معنى البيتين الأولين وضوحاً لا يحتاج إلى تبيان ، وتذكرت ما دار فى مجلتنا المحبوبة « الرسالة » حول هذين البيتين فى الأعداد ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ بحالة تغاير ما هو مذكور هنا ، اضطرت الأستاذ السعيد جمعة إلى تأويل معناهما . ولو أنه شرحهما بحالتهما الراهنة لما احتاج إلى تأويل وعناء وشرح حال .

هذا ما عن لى أن أذكره وفاء لمجلتنا الرشيدة المحبوبة .

(شطانوف) **محمد منصور خضر**



المؤلفات العربية القديمة

وما نشر منها في سنة ١٩٤٠

للأستاذ كوركيس عواد

(تتمة)

٣٣ — **المفاضلة بين الصحابة**

لابن حزم الأندلسي (٤٥٦ هـ) . نشره الأستاذ سعيد الأفغاني بعد أن قدّم له ببحث ضافٍ في ابن حزم . وقع في ١٦٠ صفحة من الكتاب ، وذيّله بفهارس متعدّدة للأعلام والأماكن والأشعار . (المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ٤٢٠ ص)

٣٤ — **مقدمة تحفة الأحوذي لجامع الترمذي**

(الترمذي ، صاحب أحد الكتب الستة في الحديث ، توفي سنة ٢٧٩ هـ) ، نشرته مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن في الهند

٣٥ — **المكافأة وحسن العقبى**

لأحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية (٣٤٠ هـ) . حققه وشرحه وصححه الأستاذ محمود محمد شاكر . مطبعة الاستقامة القاهرة ، ١٤ صفحة لمقدمة الناشر التي درس فيها حياة المؤلف ، و ١٦٠ ص للمتن والتعليقات والفهارس

٣٦ — **المنتظم في تاريخ الأمم** (١)

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي

(١) على الرغم من سعينا في الوقوف على مجلدات هذا الكتاب فإننا لم نوفق إلى ذلك حتى كتابة هذه الأسطر . وقد وجدنا الحاج خليفة ، (كشف الظنون ٦ : ١٦٦ طبعة فلوجل) ، يقول فيه إن ابن الجوزي ذكر فيه « من ابتداء العالم إلى الحضرة النبوية ، ثم منها إلى خلافة المستضيء على ترتيب السنة . وهو تاريخ كبير فيه نبذ من الفوائد الحديثية وتراجم الملوك والأعيان »

نسبة شعر

في أثناء مطالعاتي ما يختص بالأدب العباسي رأيت الكامل للمبرد « ج ٢ ص ٢٥٤ » يورد هذه القصة : « دخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي وقد أجلس ثمانين رجلاً من بني أمية على سُمُط الطعام فمثل بين يديه فقال :

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً ... واقطعن كل رَقْلةٍ وغراس
خوفها أظهر التودد منها ... وبها منكم كحز المواسي

إلى أن قال :

نعم شبل الهراش مولاك شبل ... لو نجا من حبائل الإفلاس

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد ، وبسطت عليهم البسط ، وجلس عليها ودعا بالطعام وإنه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً . وقال لشبل لولا أنك خلطت كلامك بالمسألة لأغنمتك جميع أموالهم » . وقد عجبت كثيراً بعد أن فرغت من تلاوة هذه القصة ؛ إذ أنني أحفظ من قديم هذا الشعر منسوباً إلى رجل آخر غير شبل يخاطب به رجلاً آخر غير « عبد الله » . . . فرجعت بالذاكرة حتى اهتديت إلى الكتاب الذي أخذت عنه ، وهو « الأغاني » فصاحبه أبو الفرج الذي ينتسب إلى بني أمية يعنون فصلاً في « ج ٤ ص ٩٢ — ٩٦ » بقوله « ذكر من قتل أبو العباس السفاح من بني أمية » ويدير أبو الفرج فصله هذا على قصة سديف بن ميمون الشاعر فيزعم أنه دخل على أبي العباس بالحيرة وعنده بنو هاشم وبنو أمية فأنشده قصيدته :

أصبح الملك ثابت الآساس ... بالبهاليل من بني العباس... الخ

ثم قال بعد أن روى الشعر : « فتغير لون أبي العباس وأمر بمن في مجلسه من الأمويين فأخمدوا » .

قلت لنفسي بعد أن تلوت هذا وذاك ... إنه لو صحت الرواية الأولى « وهذا ما نعتقده » لوجب أن يغير الحكم على أبي العباس بأنه كان سفاكا للدماء بهذه الصورة المرعبة التي يصوره بها المؤرخون فإنهم لا يكادون يستدلون على فظاعته وقساوته إلا بهذه الرواية

ثم قلت لنفسي أيضاً وأنا حائر بين هذا وذاك : ما أحوج أدبنا العربي إلى غربال دقيق

عبد العليم عيسى

(الرسالة) : لقد نشرت الرسالة في تحقيق هذا الموضوع ما لا مزيد عليه، مما كتبه الأساتذة : عبد الحميد العبادي ، ومحمود شاكر ، وعبد المتعال الصعيدي ، فارجع إليه

« ٥٩٧ هـ » . المجلدات ٥ ـ ١٠ نشرتها مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن في الهند . المجلدات ١ ـ ٥ ظهرت سابقاً

٣٧ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

لابن تغري بردي (٨٧٤ هـ) . المجلد الثامن ، نشره القسم الأدبي بدار الكتب المصرية ، العناية بهذا المجلد بادية في التعليقات والشروح والفهارس ، كما هو الشأن في المجلدات السابقة (مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة ، ٣٤٢ ص) المجلدات ١ — ٧ صدرت خلال ١٩٢٩ — ١٩٣٨ . في هذا المجلد حوادث السنين ٦٩٠ — ٧٠٩ هـ ، وسيليه التاسع

٣٨ — نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية

للشيخ جمال الدين يوسف الزيلعي (٧٦٢ هـ) . نشرته مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن في الهند ، الكتاب في علم الحديث

٣٩ — وثائق تاريخية عن حلب

فيها حوادث حلب وأخبارها للسنوات ١٨٥٥ — ٨٦٥ م أخذاً عن يومية نعوم بخاش وغيرها من المخطوطات ، نشرها الأب فردينان توتل اليسوعي . بتعليق وفهارس . (المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ٢٣٤ — ١٠ ص) ، ظهرت هذه الوثائق متتابعة في مجلة المشرق ، ثم طبعت على حدة

المستدرك على مطبوعات سنة ١٩٣٩

١ — اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان

لابن القيم الجوزية (٧٥١ هـ) ، المجلد الأول ، نشره الأستاذ أحمد حامد الفقي (مطبعة مصطفى بابي الحلبي . القاهرة ٣٨٦ ص)

٢ — الثمالة

لجميل صدقي الزهاوي[1] (١٩٣٦ م) وهي الأشعار التي عملها الزهاوي في أواخر أدوار حياته (مطبعة التفيض الأهلية . بغداد ٧٦ ص)

(١) ترجمته بقلم الأستاذ طه الراوي ، في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (١٤ [١٠٣٦] ص ٢٤٨ — ٢٥٠)

٣ — الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١ هـ) الجزء التاسع ، نشرة القسم الأدبي بدار الكتب المصرية ، (مطبعة دار الكتب المصرية ، ٣٨٦ ص) الأجزاء ١ — ٨ صدرت سابقاً

٤ — درة الناصحين

لعثمان بن حسن بن أحمد الخوبوي (فرغ من تأليفه سنة ٢٢٤ هـ) ، وهي مجالس مشتملة على تفسير آيات من القرآن وشرح أحاديث في الوعظ أيضاً نشرتها المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة (٣٢٠ ص) ، الكتاب طبع قبل هذا

٥ — ديوان حافظ ابراهيم

لحافظ بك ابراهيم (١٩٣٢ م) ، الطبعة الثانية ، أظهرتها وزارة المعارف المصرية . ضبطها وصححها وشرحها ورتبها الأساتذة : أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الإبياري ، وبمراجعة محمد مختار يونس . (مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة . مجلدان : الأول ٤٧ + ٣١٨ والثاني ٢٦٢ ص)

٦ — الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

لأبي الحسن عليّ المعروف بابن بسّام الشنتريني الأندلسي (٥٤٢ هـ) . القسم الأول من المجلد الأول نشرته كلية الآداب بالجامعة المصرية (مطبوع رقم ٢٦) ؛ مستعينة بمراجعة السادة : محمد عبده عزام ، خليل عساكر ، بخاطره الشافعي . وأشرف على عملهم أساتذة الجامعة : أحمد أمين ، مصطفى عبد الرازق ، عبد الحميد العبادي ، عبد الوهاب عزام ، طه حسين . وشاركهم في بعض ذلك المستشرق ليفي بروفنسال Lévi — Provençal (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ى + ٤١٦ ص) الكتاب مرجع هام في تاريخ الأندلس وشعرائها وبلغائها وكتابها . بقية أقسامه تصدر شيئاً بعد شيء

٧ — رسائل فلسفية

لأبي بكر محمد بن زكرياء الرازي (٣٢٠ هـ) ، مع قطع من كتبه المفقودة ؛ جمعها وصححها المستشرق « پاول كراوس » P. Kraus ، الجزء الأول ، نشرته الجامعة المصرية (القاهرة ، ص ٣١٦) ؛ يتألف هذا المجلد من الرسائل التالية :

١ — كتاب الطب الروحاني

٢ — كتاب السيرة الفلسفية

٣ — مقالة فيما بعد الطبيعة

٤ — مقالات فى أمارات الإقبال والدولة

٥ — من كتاب اللذة

٦ — من كتاب العلم الإلهى

٧ — القول فى القدماء الخمسة

٨ — القول فى الهيولى

٩ — القول فى الزمان والمكان

١٠ — القول فى النفس والعالم

١١ — المناظرات بين أبى حاتم الرازى وأبى بكر الرازى

٨ — شرح ألفية بن مالك

لنور الدين أبى الحسن الأشمونى (٩٠٠هـ) . نشره الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (مجلدان ، ٥٣٢ + ٥٢٨ ص . مطبعة مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة) . ابن مالك صاحب الألفية فى النحو ، توفى سنة ٦٧٢هـ .

٩ — شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم فى الجاهلية وصدر الاسلام

أشعار امرئ القيس (٥٦٦م) جمعها ورتبها وشرحها الأستاذ حسن السندوبى ، وأضاف إليها أخبار المراقسة (مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٢ + ١١٢ ص)

١٠ — شرح ديوان الحماسة

لأبى زكرياء يحيى بن علىّ ، الشهير بالخطيب التبريزى (٥٠٢هـ) حققه وضبط غريبه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه ، الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (٤ مجلدات ، مطبعة حجازى ، القاهرة ٤٦٤ + ٤٦٤ + ٤٢٠ + ٤٤٠ ص) . وديوان الحماسة ، هو لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى (٢٣١ هـ) ، جمع فيه ما اختاره من أشعار العرب الأقدمين ، ورتبه على عشرة أبواب : الحماسة ، المراثى ، الأدب ، التشبيب ، الهجاء الإضافات ، الصفات ، السير ، الملح ، مذمة النساء ، وقد اشتهر الكتاب ببابه الأول .

١١ — الكليات فى الطب [1]

لابن رشد الفيلسوف الطبيب الأندلسى (٥٩٥هـ) . نشرته بالتصوير الشمسى ، لجنة الأبحاث العربية الأسبانية ، ضمن منشورات معهد الجنرال فرانكو . (مطبعة الفنون المصورة ، بوسكا ، العرائش [المغرب] ، ٣٠ + 231 + 34 ص)

١٢ — المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر

لضياء الدين بن الأثير الموصلى (٦٣٧ هـ) . حققه الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد . (مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده) القاهرة . مجلدان ، الأول : ز + ٤٢٩ والثانى ٤١٩ ص) .

١٣ — مختار الصحاح

لمحمد بن أبى بكر الرازى (٦٢٠هـ) طبع هذا المعجم على الحجر بحجم صغير للجيب . (مطبعة الترقى دمشق ، ٦٤١ ص)

١٤ — نزهة الرفاق عن شرح حال الأسواق بدمشق

ليوسف بن عبد الهادى المعروف بابن المبرد (فرغ منه سنة ٨٨٣ هـ) . وهى رسالة نشرها الأستاذ حبيب زيات فى مجلة المشرق ببيروت (٢٧ [١٩٣٩] ص ١٨ — ٢٨) فى هذه الرسالة بيان بجملة أسواق دمشق فى المئة التاسعة للهجرة وما يتعلق به وما كان يباع فيها

* * *

هذا ما أمكننى الوقوف عليه حتى هذه الساعة . وإنى موقن أن قد فاتتنى طائفة منها على الرغم من تتبعى لها . وقد سقت وجه العذر عن هذا التقصير فى صدر المقال ، ورجائى من القراء أن يتفضلوا باستدراك ما لم أقف عليه . ولهم أخلص الشكر وأطيب الثناء .

كوركيس عواد

---

(١) الكتاب خلاصة العلوم الطبية حتى عصر مؤلفه . وقد عرف فى أوربة قديماً باسم Colliget حيث ترجم إلى اللاتينية غير مرة . وكان ممن نقله إليها بوناكوزا اليهودى Bonacosa فى بادوا سنة ١٢٥٥ م . وظهرت له ترجمة لاتينية مطبوعة فى البندقية سنة ١٤٨٢ م ، كما ظهرت له طبعة لاتينية أخرى فى ستراسبورج سنة ١٥٣١ م . أما الأصل العربى فلم ينشر حينذاك . راجع : Cambell : Arabian Medicine and its influence on the Middle ages. (Vol I. , London, 1926, p. 45)



محطة الإذاعة

إن محطة الإذاعة وسيلة من وسائل التهذيب والترقى عند الأمم ، ولكنها فى مصر بوق تنفخ فيه فئة معينة من الناس . واقفة عند حدود بدائية من الفن والفكر . وأبين ما يتضح من هذه الحدود تلك الأغانى الخائرة « معنى وموسيقى » التى تجأر بها حناجر المطربين فتتناقلها أفواه الناس فى سائر الأقطار — صورة من الفن المصرى والأدب المصرى !

يا ضيعة الشعر والغناء فى هذا البلد ... هل يحسب المشرفون على أمر المحطة أن ما يختارونه ليذاع لا تردده إلا أركان مصر حتى يتساهلوا كل هـذا التساهل فى توخى الدقة والصلاحية فيما يذاع ؟

إن البلدان العربية تعنى بالاستماع إلى الإذاعة المصرية فيجب أن نعطيها أمثلة صادقة عن الشعر والغناء فى مصر . ولكن المحطة — سامحها الله — تسرف فى تنكب الصراط المستقيم ولا يقع اختيارها إلا على الأزجال الرخيصة ، والموسيقى المتهالكة ، والمطرب الناشئ المضطرب

إن الغناء والشعر غذاء الأرواح فى كل بلاد الله . فماذا يمنع محطة الإذاعة أن تقدم شعراً طيباً فيه قوة الشباب وعفاف الهوى العذرى بدلاً مما نسمع من لغة ركيكة ومعان مبتذلة ولدينا — والحمد لله — شعراء موهوبون لهم من القصائد ما يبهر القلب ، وما لو تغنى به المغنى الموهوب لأعطى المستمع فكرة سليمة عن الشعر والفن والغناء . ماذا يمنعها ؟ ! أحد أمرين : إما أن المشرفين عليها جهلة ، وهذا ما لا نعتقد . وإما أنها المحسوبية العمياء التى تسد الطريق إلى الحق والصواب . نرجو الله أن يوفق أولى أمر هذه المحطة إلى ما فيه الخير

صالات الرقص

إن جبين الحر لينندى خزياً كلما استعرض صالات الرقص فى هذه الأيام السود أى مصر ! يا بلد الإسلام والمسلمين ! كيف يسمح القوم أن تدار فى رحابك المواخير علناً باسم الحرية ؟ ! وكيف يرفع المصرى وجهه وقد وصمه العار بأبشع ما يوصم به الرجل الشريف ؟ لقد آن لنا أن نحارب هذه المباءات المتناثرة فى أحضان القاهرة ، فنأتى على ما فيها من أسباب الإجرام

قالوا يوم افتتحوا هذه الصالات : إنها لون من التسلية لا بد منه للبلد الراقى . وكانوا يعرضون فيه الرقص والغناء والرواية الهزلية ثم أضافوا « الفتح » إلى البرنامج ، ثم هم يقتصرون الآن على شرب الخمور وارتطام الصدور فى الصدور ، وامتصاص دماء الرواد ... فما معنى أن يسمح بفتح هذه المحلات « وهى عمومية » خاصة للشاربين الماجنين . لا يدخلها عامر الجيوب إلا ويخرج منه صفر الجيب من المال مفلس الروح من الإيمان .

يخيل إلىّ أن انصراف الناس عن التمسك بالدين يغرى فى نفوس بعض المسئولين نوعاً من أنواع الخسة الجوهى .

أفلام جديدة

يدور العمل « الآن » بين جدران استديو مصر فى صنع أفلام جديدة نذكر منها فلم « محطة الأنس » سيناريو وإخراج الأستاذ عبد الفتاح حسن ، وتمثيل : على الكسار ، عبد العزيز خليل ، عقيلة راتب ، مارى منيب ، وغيرهم . وفلم « الستات فى خطر » تأليف الأستاذ فؤاد الجزايرلى وإخراج الأستاذ ابراهيم عمارة وتمثيل : فوزى الجزايرلى ، مختار عثمان ، عبد العزيز خليل ، تحية كاريوكا ، إحسان الجزايرلى ، أمينة فهمى . وقد أوشك الأستاذ « محمد عبد الوهاب » أن ينتهى من فلمه الجديد (ممنوع الحب) الذى أخرجه الأستاذ محمد كريم . وقد انتهت شركة أفلام جلال من فلم (رباب) الذى ألفه وأخرجه الأستاذ أحمد جلال والذى سنشاهد فيه : مارى كوينى ، ثريا فخرى ، سميرة كمال ، أحمد جلال ، عمر جميعى ، عبد الحميد زكى . ونذكر بهذه المناسبة أن أحد تجار الحمزاوى يعمل على تأليف شركة سينمائية جديدة اسمها « شركة أفلام عبد الجليل غازى » ولا يسعنا إزاء هذا المجهود إلا أن نرجو الله أن يوفق الجميع إلى ما فيه الخير للفن المصرى الشرقى .

عبد الفتاح متولى غبن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 452

Lundi 2-3-1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ عن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة العاشرة « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ٢ مارس سنة ١٩٤٢ » العــدد ٤٥٢

الفهــــرس

صفحة

١٧ ـ ١٨

من صور الريف

على المصطبــــة

على المصطبة الغبراء وفوق حصيرها الخشن جلس (البك) وفي عينيه نظرة يكسر من طولها الخجل ، وعلى شفتيه بسمة يمد في عرضها الملَق ، وفي يمناه مسبحة يقطر من حباتها الرياء ، وفي يسراه صحيفة وفدية لا تزال على طيّة البريد ، وتحت قدميه بقية من وَحل الشتاء تهدد حذاءه اللامع ، وبين يديه وعن يمينه وعن شماله جلس الفلاحون يسارق بعضهم بعضاً نظر المستفهم عن سرّ هذا التواضع الغريب ، وسبب هذا التنازل المفاجئ ، ورب الدار يذهب ويجيء في ربكة تبدو دلائلها على حركاته المضطربة ، وكلماته المتقطعة ، وتحياته المتكررة

صحيح أن صاحب المصطبة رفيع الصوت في القرية ، نافذ الرأي في الناس ؛ ولكنه منذ أيام قلائل كان في (دائرة) البك فريسة لغضبة هوجاء من غضباته أخذته بالشتم واللطم والسخرية ، لأنه جرؤ على أن يسأل (الكاتب) عما له من حساب الإجارة ، وأن يعترض على (الناظر) فيما عليه من نفقات الإدارة . ومن العسير على المنطق المحض أن يستخرج هذه النتيجة من تلك المقدمة !

كان البك المالك يرد التحيات الساذجة بالانحناء والإيماء والتحني ؛ فكأنما انقلب جانبا معطفه الأسود جناحين رءومين يرفرف بهما على بنيه ! وكان أكابر القرية قد تسامعوا بمقدم

(مالكهم) على حال من التطامن والتبسط لم يألفوها منه ، فأقبلوا على المجلس الذى شرفته سيارته بالوقوف عنده

ومهما يكن البك عيّ اللسان كليل الذهن فلا بد أن يتكلم ليكشف عن سر قدومه . وقد استأذنت الشيخ منصورا راوى هذا الحديث أن أترجمه بلغة الناس فأذن

قال البك : لم أزركم منذ خمس سنوات لأن أعمال مجلس النواب لم تدع لى وقتاً يتسع للاهتمام بأسرتى ، ولا للتفكير فى معدتى ، فكنت فى أغلب الأحيان لا آنس بأهلى ولا أهنأ بطعامى ...

فقال الشيخ منصور مقاطعاً : ولكننا يا صاحب السعادة لم نقرأ لك كلمة واحدة فى محضر من محاضر المجلس .

فقال البك : ذلك لأن فى المجلس فريقاً يتكلمون وفريقاً يعملون ؛ وأنا من هذا الفريق

فقال الشيخ منصور بلهجة المستدرك الخبيث : ولكنك لم تفارق العزبة فى أكثر الأيام التى ينعقد فيها المجلس !

فقال البك : ذلك لأن الكلام يكون فى داخل المجلس ؛ وأما العمل فيكون فى خارجه

واندلق مالك القرية فى الكلام ليأخذ على الشيخ منصور سبيل الرد فقال : وقد أخذت الحكومة برأيى فى كثير من مشكلات التموين وأزمات الحكم ، واستفاد النواب من اقتراحاتى واعتراضاتى فى (بوفيه) المجلس وفى لجانه ؛ ولكنى إذا انتخبت هذه المرة فسأوزع مواهبى وجهودى بالعدل بين الحكومة والأمة ، وبين القرية و (الدائرة) . سأنظر بعين الرحمة إلى ما يكابده إخواننا الفلاحون من الغلاء المرهق ، والعناء الممّض ، والمرض المضنى ، والجهل المطبق ، والعيش الخسيس ؛ فأخفض الإيجار ، وأردم البرك ، وأرمم المسجد ، وأعيد المدرسة ، وأحمل الحكومة على أن تمدكم بالماء النقى والنور الكهربائى ، وأن تخصكم بوحدة طبية أقل ما يكون فيها صيدلية وطبيب .

ولعلى بذلك أكون قد أوفيت لكم بذمتى ، وقضيت للوطن واجب خدمتى ، وأديت لله زكاة قدرتى وثروتى

وكانت عين البك لا تنفك تراقب وجه الشيخ منصور ، فلما رآه يتحفز للكلام بادره بقوله :

— وأنت يا شيخ منصور ! ما هذا الحديث الذى قرأته لك فى (الرسالة) ؟

— أى حديث تعنى يا بك ؟

— حديثك عن صحة الفقير وثروة الغنى

— لقد قلت شيئاً كهذا ولكنى لم أنشره

— زرنى غداً فى العزبة فأريك عدد الرسالة وأسر إليك بعض الحديث

قال البك ذلك ونهض فودع الناس ثم ركب سيارته الفخمة وذهب يعيد هذه الأسطوانة نفسها فى قرية أخرى !

وأقبل القوم بعضهم على بعض يتساءلون : لماذا يُعَنّى البك نفسه هذا العناء ، ويستخذى للناس هذا الاستخذاء ، وهو بحمد الله ضخم الثروة فلا يحتاج إلى مكافأة البرلمان ، زَمِنُ المروءة فلا يصلح بطبعه لخدمة إنسان ؟ فقال الشيخ منصور : إن فى أربعين جنيهاً لَمَستَضرياً ، وإن فى مزايا النيابة لطاعية . وإن الله الذى فطر بعض النفوس على الأثرة والشح جعل من خصائصها الوضاعة إذا تسامى المطلب ، والضراعة إذا تجافى المطمع . وقد رأيتم هذا الرجل المتكبر المترفّع الكزّ كيف طامن من كبره ، وردّ من جماحه ، وبسط من يده ، لتعطوه أصواتكم فى الانتخاب ، حتى إذا انتخب عاد إلى معاملتكم بالسفه ، ومحاسبتكم بالدناءة ، واستغلالكم بالشره ، ومقاطعتكم بالأنفة . إنه هو وأمثاله لا يرون للفلاح قيمة ولا كرامة إلا يوم الانتخاب . وقد كنا أحرياء ألا نعطى أصواتنا إلا من يعيش عيشنا ويشعر شعورنا ويتألم ألمنا ؛ فإن منطق الطبع يقول إن خصمك لا يدافع عنك ، وسيدك لا يحب حريتك .

فصاح أحد الحضور : ولم لا ترشح نفسك ونحن نضمن لك أصوات القرية ؟

فقال الشيخ منصور : إنى — وا أسفاه — لا أحرز من النصاب قيراطاً ، ولا أملك من التأمين بارة ! والنصاب والتأمين عقبتان وضعهما قانون الانتخاب فى سبيل الكفايات الفقيرة ؛ كأن المال شرط فى صدق الجهاد للوطن ، وإخلاص النيابة عن الأمة ! وإن مثلك فى ضمان أصوات القرية واستسهال ما بعدها كمثل السائح الذى لقى فى بعض طريقه نعل حصان واحدة فالتقطها ثم ضمها إلى صدره وقال :

آه ! وافرحتاه ! بقى ثلاث كهذه وحصان ثم أركب !

(المنصورة)

احمد حسن الزيات

٢ - الحيـــاة صادقة !

للأستاذ عبد المنعم خلاف

وراثة التشاؤم — خطأ فى فهم الفكرة الأساسية فى الحياة — نتائج خطيرة تتصل بالعقائد الثلاث فى الحياة وواهبها والانسان — الانسان مبعث أكثر الشر — ضيوف الحياة يسخطون على المضيف ! — الحياة جديرة باختيار الخروج إليها من العدم — لا خلط بين عالم الطبيعة وعالم الانسان — فى عالم الكلام كثير مما لا وجود له فى الطبيعة — تنقيح سجل الفضائل وسجل الرذائل — الأخلاق « تفاعلات » أرضية وليست منزلة من السماء — إلى الذين يديمون التفكير فى الانسان والطبيعة

قال المتنبى :

صحب الناسُ قبلنا ذا الزمانا ... وعناهم من أمره ما عنانا
وتولوا بغصةٍ كلهم منـــه ... وإن سرَّ بعضَهم أحيانا
ربما تحسن الصنيعَ لياليـــه ... ولكن تكدر الإحسانا
وكأنَّا لم يرض فينا بريب الـ ... دهر حتى أعانه من أعانا
كلما أنبت الزمانُ قناةً ... ركب المرء فى القناة سنانا !

وهكذا نأتى أكثر الناس ساخطاً على الحياة متبرماً بها ، ناقماً على القدر ، يستشعر فى قلبه غيظاً دفيناً قد يكبته الإيمان حيناً وقد يمشه الجحود أحياناً ، فيثور حتى يسخط على اليد التى أخرجته إلى الحياة ووضعت فى قلبه شعلتها ... وقد وقر فى الصدور أن الحياة محنة وعناء أكثر مما هى فرصة للذات واهتبال الخيرات واكتساب المعارف وخروج من دائرة الجمود والموت والعدم إلى نطاق الإحساس والانفعال والنمو والمعرفة .

وقد ترجم الأدب القديم والأدب الحديث عن تلك الآراء المتشائمة السوداء ترجمة ملأت كثيراً من الصحف ، وتوارثها الخلف عن السلف وزاد كل عصر فى مجموعها ، حتى صارت نظريات مسلمة رضيها أكثر الناس وتدارسوها فيما بينهم وعلموها ناشئيهم قبل أن يختبر هؤلاء الناشئون وجوه الحياة بأنفسهم وتجاربهم ، فلوَّنت مناظيرهم بالألوان القاتمة ، واستقبلوا الحياة بوجوه عابسة ، حتى فى أدوار الشباب اللاهى القوى المتفتح الضليع الخليق بحب الكفاح وطلب المجد عن طريق القوة والفتوة ، وترصدوا الأقدار على أنها معادية لهم مريدة الشر دائماً بهم ، جاهدة أن تضع فى سبيلهم العوائق والعراقيل ، كأن رب الأقدار مولع بالتنكيل والعذاب يصبه على من يخرجهم إلى رحاب ملكوته ، مغرم بفرض الأوامر والنواهى التى لا معنى لها إلا إظهار السلطان وإرهاق عبده الإنسان ! فهم لذلك حريصون على اهتبال اللذات خلسة وجهرة ، وعلى الثورة على الأوامر والنواهى تحرراً وانطلاقاً ...

وقد وقر فى الأذهان كذلك أن الدنيا لا احتمال لمكارهها وآلامها وتكليفاتها ، ولا طاقة للقلوب البشرية على حمل أماناتها وأعبائها ، فاجترَّت الأفكار معانى العجز والكسل والتسليم الذليل القاصر الذى لم يحاول شيئاً أمام ما زعموه سلطة القدر ، ورددت الأفواه ألفاظ الجزع والهلع والضعف والقنوط والهروب من مواجهة الحياة ، وجلس الرجال، نعم الرجال ! عنصر الكفاح فى الحياة مجالس الأطفال القاصرين العاجزين على التراب يبكون ويئنون ويضمرون الغيظ الأليم من الحرمان ، وينظرون إلى السماء نظر الفقد والثكل حتى يوم الإقبار ...

ومن هذه الفكرة الواحدة الأساسية الأولى ولدت جميع المصائب والمكاره التى ضاعفت سواد الحياة فى نظر الناس وجعلتها سلسلة من الآلام ، وأخرجتها مخرج المأساة الدامية التى يدور فيها سوط القدر على ظهورهم وسيفه على رقابهم ...

* * *

كانت نتائج هذا الفهم المخطئ والوضع المغلوط لهذه الفكرة الأولى ، ذات أثر عميق فى مجرى الحياة يتصل بالعقائد الأصلية فيها : وهى العقيدة فى الحياة نفسها ، والعقيدة فى واهبها ، والعقيدة فى الإنسان ...

فأما العقيدة فى الحياة فقلما تحظى من فكر الفرد أو فكر الأمة أو فكر الإنسانية بما يجب لها من التأمل والفهم قبل البدء بالسير فى طريق الحياة . . . أعنى عند تفتح المدارك وابتداء عهد الرشد وإدراك النسب الكثيرة بين الأشياء . . .

وإنك إذا سألت أكثر المتعلمين - دع الجاهلين - عن مدى فهمه لحياته وإحساسه بها ، وعن الفكرة الأولى التى بنى عليها معانى نفسه ، ووجه إلى قطبها إبرة قلبه ، وأدرك أنها هدف

الإنسانية جميعها وجدت أكثرهم يتلجلج ولا يكاد يبين ؛ لأنه دخل الحياة فى ذهول الطفولة ، ثم درج إليها فى عبث الشباب ، ثم أخذته غمرة مشاغل الجماعة فى عهد الكهولة ، ثم هدمته عقابيل المرض والانحلال فى عهد الشيخوخة ، وإذا هو بعد ذلك مدرج فى الأكفان ، ملقى إلى ظلمات القبور .

هو فى مراحل عمره مشغول بكل شىء إلا ما يجب أن يشتغل به أولاً ...

ولكن قد يصحو أحدهم من ذهول الطفولة أو من عبث الشباب صحوة المحموم الهاذى ، فترة قصيرة يرى فيها وجه الحياة ، ثم تعاوده أخذة الحمى فينتكس ...

وقد يدرك أحدهم وجه الحياة وهو فى مشاغل الكهولة ، ولكن يعز عليه أن يفارق طريق الجماعة ويبتدئ بناء حياته على ما أدرك فيمضى فى طريق القافلة التائهة ...

وقد يصحو أحدهم الصحوة الدائمة وهو فى انحلال الشيخوخة فيعوزه و يؤوده أن يجاهد فى سبيل إفهام الناس وإقناعهم بما أدرك فيمضى مغيظاً محسوراً يردد :

أواهُ لو عرف الشبا ب ، وآهِ لو قدر المشيب !

ما استقامت قناةُ رأيىَ إلا بعد أن عوَّج الزمان قناتى

فلا مفر إذاً من ترقب عهد اليقظة وتفتح المدارك عند الطفولة والشباب ، لإدخال الفكرة الصحيحة عن الحياة ، وغرسها إلى أذهانهم .

* * *

والفكرة الصحيحة — فى رأيى — عن الحياة هى فكرة التفاؤل الرحب والتأويل الواسع لما عسى أن يكون فى الحياة الطبيعية من آلام ، وفهم الحياة على أنها فرصة للفرجة والاطلاع على أسرارها ، وأنها سفر فى مجاهل الكون . ولا بد للسفر من بعض المشقة ... ولكنها ليست مشقة النزاع والخلاف بين الركب المسافر ، فإن ذلك جناية الركب وليست جناية الطريق ...

ومن الهين على العقل أن يهدأ ويستريح لهذه الفكرة متى أدرك أن دخولنا إلى الحياة لم يكن باختيارنا ، وأن إنشاء الكون وتهيئة الأرض وإعدادها للسكنى بالحرارة والماء والضوء والغذاء والهواء والإنبات والإنسال ليس لنا أبعاً رأى فيه أو اختيار ، فلا مفر لنا إذاً من الخضوع والتسليم والاندفاع مع عجلة الحياة ، والاجتهاد فى التحرى عن قوانين الطبيعة التى وجدنا أنفسنا فى نطاقها وإسارها ، والتلمس للغايات التى يصح أن تكون أهدافاً لإيجادنا فى الحياة

وما أريد أن أستند فى تركيز هذه الفكرة إلى دين متوارث أو إلى رأى مأثور ، وإنما الاستناد إلى الواقع المحسوس والمنطق الوضعى الذى فى الطبيعة .

ولو سألت الإنسانية نفسها : من أدخلنى إلى رحاب الحياة وجعلنى أحرص عليها مع أنى لم أدخلها باختيارى ؟ والتزمت ما يوحيه الجواب على هذا السؤال إذاً لنبت إيمان كل فرد من قلبه هو قبل أن يقرأ كتاب دين أو يرث عقيدة أمه وأبيه

لأن سر الحياة العميق الملتهب الذى يسكن أجسامنا يحملنا على المحافظة عليه دافع مبهم مجهول عجيب ! مهما لقينا فى سبيل الاحتفاظ به من آلام وعناء ... ولم يفر من حمله إلا الأقلون من المنتحرين ؛ وهم من القلة بحيث لا يعتد بهم

هذا الدافع العجيب هو صوت خفى بعيد عن غير « المؤمنين » وواضح قريب عند المؤمنين . وما يعنينا البحث عن الصوت الواضح عند هؤلاء ؛ وإنما يعنينا البحث عن ذلك الخفى البعيد عند أولئك ...

ونسألهم : لماذا لا يفرون من الحياة وينتحرون ما داموا بها غير مؤمنين ؟

لماذا يستمرون فى الصراخ والعويل والإزراء على الحياة والأقدار العمياء أو المبصرة ، واليد المقدرة أو الصدفة الخابطة . ويصدعون أسماع الناس بالأنين والتشاؤم مع أن الأولى بهم أن يريحوا أنفسهم من عناء الأحوال والأعمال والأقوال فيرجعوا إلى عالم الجمود والموت كما تمنى قائلهم :

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم !

ونسألهم لماذا يقعد بهم الجبن عن مفارقة الحياة ثم تذهب بهم الشجاعة إلى السباب والسخط على من أدخلهم إليها ؟! فأين أدب الضيوف ؟!

إن للحياة نبأ عظيما يدركه الفكر المقدر لتلك الأعمال العظيمة التى يدور بها دولاب الفلك فى هول واتساع وقوة ورهبة ! و « إن فى السماء لخبرا » كلمة جاهلية العصر ؛ ولكنها لباب العلم فى كل زمان

وما يعنيني شخصيتي المحدودة ، ما دمت قد حظيت برؤية هذه الدار الهائلة ذات الأعاجيب اللانهائية .

وما تضيرني حوصلتي الضيقة المظلمة الفقيرة ما دمت قد رأيت رحاب الفضاء ، ومصادر النور وخزائن الغنى والثراء التي ما لهامن نفاد

لقد تمتعت على الأقل بأحلام الفاقدين وإنها لمتاع أى متاع !

وتطلعت إلى عالم الانطلاق وأنا فى القيود ... وأدركت الباقى الخالد حين أدركت الفانى البائد . . .

وإنها لمعان جديرة أن يخرج إليها الإنسان باختياره من سكون العدم وجموده ، ويقتنيها ببعض الآلام والمكاره ، ويصطبر على الحياة من أجلها حتى توفى إلى غايتها ، ويبالغ دائماً فى حب من أخرجه إليها ...

* * *

ولكن أفى الحق أن طبيعة الحياة تحمل هـذا الجانب البالغ من المكاره التى يزعمها الناس ويتوارثون الحديث عنها ويفيضون فيه شعراً ونثراً وحكما ووصايا وأمثالاً ؟ أم أن تلك المبالغة من جناية الإنسان الظلوم الجهول على الحياة وعلى نفسه وعلى واهب الحياة وبارئ النفس ؟

أم أنها من جناية « تجار الكلام ! » وحدهم الذين يرسلون زخرف القول غروراً لا يبالون ما فيه من الصدق أو الكذب ما داموا قد عبروا فيه عن حالة خاصة من مكارههم وسوداويتهم ، وما داموا قد أرضوا غرورهم الفنى بحسن الصياغة والإغراب فى المعانى والإتيان بغير المألوف وإرسال الخيال فى أودية الأوهام والضلال؟

أما اعتقادى فهو أن الآلام الأصيلة فى طبيعة الحياة قليلة جداً لا تتعدى ما يتصل بالكوارث الطبيعية والأمراض . وإن كانت الكوارث الطبيعية والأمراض قد تغلبت على الإنسان قديماً فهو الآن مستطيع دفاعها والتحصن منها وتقليل آثارها إلى حد كبير ، فلا داعى لاجترار أقوال المتشائمين القدماء .

وقلما تصيب الأمم كارثة طبيعية الآن . ولن يبلغ مجموع الكوارث الطبيعية عشر معشار ما كسبت أيدى الناس.وما بغى به بعضهم على بعض

فأكثرية آلام الإنسان ناشئة من جناياته هو على نفسه وعلى جنسه ، فهو يجنى على نفسه بالإفراط فى اللذات والشهوات حتى يتهدم جسمه ، وبالتفريط فى وقايتها من أسباب الأمراض حتى يدب إليه المرض وآلامه ويتسرب منه لذريته

وهو يجنى على جنسه بالشره والطمع فيما ليس له ، وبالتوزيع الظالم للثروة ، وباغتصاب حقوق الضعفاء والعجزة الذين لا يستطيعون حيلة ، وبحب الغلبة والتسلط وإهدار الدماء وإهلاك الحرث والنسل فى سبيل ذلك ، وبتلويث الذرية بالأمراض الخبيثة ، وبالنزاع والخلاف لمجرد الحسد والحقد ومطاوعة الغرائز الدنيا التى يجب أن يحد من شرتها ما دام قد ارتضى حياة المدنية والجماعة المتعاونة المتفاوتة فى الكفايات

وإذا نحن تأملنا عالم الشر والألم وجدنا أكثر من تسعة وتسعين فى المائة منه ناشئاً من جنايات الإنسان ، والباقى مرده إلى الأسباب الطبيعية

وصدق قول القرآن : « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا »

وصدقت الخنساء :

إن الجديدين فى طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

فليس من الإنصاف إذاً فى الحكم على الحياة أن نخلط بين الأسباب الصناعية والأسباب الطبيعية للآلام فندخل جنايات الإنسان فى نطاق الطبيعة ، ونجعل فساده سبباً فى إرسال خواطر الشؤم والسخط على الحياة وواهبها . وإنما الإنصاف أن نعمد إلى النفس البشرية فنجعلها فى انسجام وتوافق مع قوانين الطبيعة فلا نضيف للطبيعة شراً ليس فيها ...

ونحن قد حملنا الأقدار العليا أكثر مما تحتمل ، فنسبنا إليها ما نقترفه نحن من جرائم ، وزعمنا أنها راضية عن حياة الاجتماع الحالية ، ووقفنا منها موقف اللاعبين . ولو فهمنا الأقدار التى استأثرت بها اليد العليا والأقدار التى خولت الإنسان التصرف فيها ، وفهمنا القدرة العجيبة التى للفكر البشرى والجهد البشرى على تغيير الأوضاع فى الأرض ، وتأملنا تغير الإنسان وثبات الطبيعة فى دوراتها الأبدية الكبرى ، وطواعية كل شىء للانسان بسلطان العلم والتنظيم ، وأخذنا عقائدنا فى الحياة وفى النفس مما تسمح الطبيعة لنا بالتصرف فيه . وأدركنا الخطوات السريعة التى خطاها الإنسان فى سبيل الانطلاق والسيطرة والتحرر من القيود والقدرة على طرح كثير من القيود

على مرافق الطبيعة لتسخيرها ، إذاً لكان لنا من ذلك كله رأى جديد فى أنفسنا وفى الحياة وفى سلطاننا عليها ، ولحملنا ذلك على تلمس النقص والفساد فى نفوسنا لإكماله وإصلاحه لا فى الطبيعة البريئة من كثير مما تنسبه إليها .

ولكننا مع الأسف الشديد لا نزال نأخذ عقائدنا فى الحياة وفى الإنسان من منطق العجزة الأولين الذين كانت الأرض مغلقة الأبواب فى وجوههم ، وكانت الحياة جديدة عليهم ، وكانوا وسط ألغازها ومشقاتها كأطفال فى صحراء ، وكانت أكثر علومهم نظرية تجريدية تتخيل ، وتفرض وقليلاً ما تجرب وتعمل ، وكانت آراؤهم مبنية على ما يأخذونه من الأقوال المأثورة التى هى خواطر ابتدائية لفهم الحياة ، وكانت الأرض نفسها مبهمة مجهولة لديهم ، والأهوية والأمواه والنباتات والأمراض والنجوم ومواقع البلاد وأجناس العباد والجمادات والحيوان مجهولة العناصر والمناشئ ...

أما الآن فالناس جميعاً يقرءون أو تقرأ ناشئتهم المثقفة على الأقل كتاباً واحداً هو الطبيعة ذات العلوم « الموضوعية » التى لا تتبدل بتبدل الأمكنة والأزمنة والأجناس

فجدير بهم أن يأخذوا عقائد جديدة من الحياة الجديدة . ولا شك أنها ستكون واحدة لوحدة المصدر الذى يأخذونها منه ؛ ثم يرتدوا بعد ذلك للعقائد المسطورة فى الصحف الموروثة ، فما وجدوا فيه مصداقاً لما أخذوه من الطبيعة أبقوه ، وما وجدوا فيه خلافاً عليها طرحوه وراءهم ظهرياً ، وحاذروا أن يلقنوه الناشئين فيزيفوا عقائدهم .

***

أجل ، فى عالم الكلام المسجل كثير من القضايا التى لا وجود لها فى الطبيعة . وكل ما فى الطبيعة حق يجب الاعتراف به حتى الشر ! فهو مخلوق بالحق وللخير : يخدمه ويشير إليه

ولو علم المتكلمون ووارثو الكلام أنهم كثيراً ما يقولون ما ليس له وجود ، وأنهم يخلقون عوالم من الأفكار والآراء لا تمكن الحياة فيها ، وأن الأحلام والأمانى الكواذب وضباب الأفكار كثيراً ما تسبق إلى ألسنتهم وأقلامهم ، إذاً لحرصوا غاية الحرص — إن كانوا أمناء على الحياة — على أن يكون كلامهم وفهمهم مرآة للحق الذى فى الطبيعة وحده !

إن الطبيعة ثابتة كما نعلم ، ولكن النفس فيها طبيعة التغير والتطبع والمرونة تحت تأثير الأفكار ، والأفكار أمهات الأعمال

وضلال أكثر النفوس ناشئ من أنها لم توضع فى المواضع التى تتسلط عليها فيها عوامل الطبيعة المباشرة ليكون عقلها صورة من التجارب التى فيها ، بل وضعت تحت تأثير تلك الأقوال المغلوطة عن الحياة والقدر والعجز الإنسانى والأحلام الكواذب فهى تنظر للحياة بما فى نفوسها من آثار ذلك وتحكم عليها به

ولو ذهبت أتقصى الضلالات المسطورة فى الكتب والموروثة فى العقول سواء فى الفضائل أم فى الرذائل ، إذاً لأخرجت عدداً من الفضائل ووضعته فى الرذائل وعكس ذلك

وكم أود لو ظفرنا باستخلاص الأخلاق الإنسانية الثابتة من الطبيعة وحدها حتى نضع من ذلك قانون الأخلاق للجميع ! وإن الأخلاق تفاعلات بين النفس والطبيعة وبين النفوس والنفوس ، وليست منزلة من السماء ، وإنما الذى ينزل من السماء هو الإرشاد إليها حين يضل الإنسان طريقها .

***

إن العلم الطبيعى هو أعظم أبواق الحياة فى دعوة الناس إلى اللقاء والسير فى طريق التعارف والتكافل . والشقاء الحالى الذى تصلى الإنسانية نيرانه ناشئ من أنها لم تستجب لدعوة العلم والخضوع لما يوحيه من وحدة المصلحة والنفعة والطريق ...

وفى اليوم الذى تتسع فيه أخلاق الفرد لبنى أمته وأخلاق الأمم بعضها لبعض ، ويؤمنون بضرورة ضبط النفوس وتوزيع الموارد الاقتصادية — وهى كثيرة كافية فى الطبيعة — توزيعاً عادلاً ، والتعاون على مكافحة الشر والألم : الشر الذى مبعثه الغضبية والأنانية الفردية والقومية ، والألم الذى مبعثه أذى الطبيعة وآفاتها ؛ فلا شك يسعدون فى جنة موقوتة يجدونها فى الأرض قبل الجنة الموعودة فى السماء !

قد يبدو هذا الكلام لكثير من الذين لا يدمنون التفكير فى الطبيعة والنفس والقضايا العليا للوجود ، المغمورين بالمنازعات والشهوات ، غير المعنيين بالسؤال عن وضع الإنسان فى الحياة ، الخاضعين لسلطان الأنانية الفردية والقومية ، الجاهلين خطوات سير الإنسان منذ وجوده ساذجاً إلى صيرورته عالماً معقداً ، الذين لا يسألون عن ماضى الإنسانية ولا يتساءلون عن مستقبلها ، وإنما يدخلون الحياة ويخرجون منها كأنهم أوراق أشجار تجف

وتذروها الرياح ، أو تحرق فى المواقد ، أو تطرح فى المزابل والعفونات ، أو كأنهم ذئاب عاثية خلقت للشر والفتك ، أو خرفان بلهاء خلقت للذبح والافتراس ، أو ذباب قذر يطير ويحط على الأقذار . . . الذين لم يأخذوا من الطبيعة أسرارها أو يعملوا فيها عملاً عظيماً ، أو يصافحوا يد الله على بساطها ويأخذوا منها بعض أفانين صنعها ... الذين يولدون عمياً ، ويعيشون عمياً ، ويموتون عمياً . . . قد يبدو هذا الكلام لدى هؤلاء بعيداً أو مستحيلاً ...

ولكن الذين تركوا حماقات الأنفس وضلالات الجهل وتجردوا للحق ، واتسعت نفوسهم باتساع الطبيعة ، ونظروا لقضايا الوجود نظرة الاهتمام ، وعرفوا أن وسائل تحقيق هذه الآمال حاضرة ... يرون كل أولئك حقاً لا شك فيه !

عبد المنعم خلاف

للحقيقة والتاريخ

٢ - بين آدم وحـــواء

للدكتور زكى مبارك

أرجع ثانيةً إلى الغرض من هذه الأحاديث فأقول :

كتاب شيث بن عربانوس يؤرخ عهد آدم فى الجنة وعهده فى الأرض ، وكان ذلك لأن المؤلف قريب الزمن نسبيًّا من هذين المهدين ؛ فقد وُلد فى العام الثانى بعد انحسار الطوفان ، وإذاً فهو أقدم نسلٍ حفظته الأرض بعد نجاة من نجا من قوم نوح ، وأول عقلية علمية فى ذلك العهد البعيد ، إن صح أنه شخصية حقيقية من شخصيات التاريخ

ولكن ما قيمة هذا الكتاب ؟ وما وزنُ حديثه عن آدم وحوّاء ؟

عرضتُه على دار الكتب المصرية وعلى مكتبة وزارة المعارف وعلى مكتبة الجامعة المصرية فلم أجد من يعترف بقيمته التاريخية ، وإن كان مكتوباً بالخط الكوفى ... وهل كنت أجهل أن الطعن فى صحته من الممكنات ؟ إنما كان همى أن أنتفع بثمنه ، وأن أمكّن الجمهور من الاطلاع على ما فيه من مقاصد وأغراض ، ولكن الأمل فى الانتفاع بثمنه أمسى خيالاً فى خيال ، ولو ثبت أنه نسخة قديمة من نسخ الإنجيل ، وهل زكّتنى سفارة غربية أو شرقية حتى أبيع من المخطوطات ما أشاء ...؟ أنا مصرىٌّ وآبائى مصريون ، فكيف أنتفع من مصدر باسم العلم والأدب والتاريخ ؟

ألم تسمعوا حديث الأجنبيّ الذى تمصّر فى سنة ١٩٣٧ ؟

كان أحد الأجانب يدرّس إحدى اللغات الحية بالمدارس الأميرية وبالمرتب الذى يتقاضاه الأجانب من المدرسين ، ثم لاحت له فرصة للتجنس بالجنسية المصرية ، فأسرعت وزارة المعارف وردّته إلى « الكادر » الذى تعامل به المدرسين من المصريين ، كأنه انتقل من الهُدى إلى الضلال ؛ وكان الظن أن تراه انتقل من الخوف إلى الأمان !

وإذا كانت المتاعب تُلاحق من يَتمصّر من الأجانب ، فكيف تصنع بالمصرى الأصيل ؟ !

إلى الله يشكو المصريون شقاءهم وعناءهم من التغاضى عن حقهم فى الانتفاع بثمرات البلاد !

إلى الله نشكو الغربة فى الوطن الغالى ، ومنه نستمدّ العون على مكاره الزمان !

ما لى ولهذه الخواطر المزعجات ؟ وهل قلّت المتاعب الجديدة حتى نؤزّرها بمتاعب قديمة تأخذ وقودها من الذكريات ؟

أرجع إلى الغرض مرة ثالثة فأقول :

قبل الشروع فى تلخيص كتاب شيث بن عربانوس أسجل أنى غير مطمئن إلى أنه أُلف فى العصر الذى تلا الطوفان — وما أقول بأن ذلك مستحيل — فقد يكون من الممكن أن ننظر إلى الطوفان من وجهة معنوية ، فنعدّه مرحلة من مراحل الغفوات الروحية فى الحياة الإنسانية ، ونعدّ العصر الذى تلاه عصر يقظة ونهضة وإحياء ، وعندئذ يصبح من السهل أن نفترض أن ذلك العصر يَصلُح لما صدر عن شيث بن عربانوس من أفكار وآراء

ولكن هنالك عقبة تمنع من ذلك الافتراض ، وهى إجماع الكتب الدينية على أن الطوفان وقع بالفعل ، وأنه لم يبق من السلالة الإنسانية إلا ما حفظته سفينة نوح ... ومن الواضح أن تلك البقايا كانت فى شغل بتدبير حياتها المعاشية ؛ فمن العسير أن نتصور أنها عرفت التأليف والمؤلفين إلا إن توغلنا فى شعاب الفروض ! ؟

يضاف إلى ذلك أن المصادر التى تحت أيدينا لم تتحدث عن شيث بن عربانوس ؛ ولم نسمع أن اسمه ورد فى كتب المستشرقين ـ وهم حجة فيما يتصل بتجاهل التاريخ فى الشرق ـ وقد يعرفون منه ما يجهل الشرقيون !

فأين وجد زكي باشا ذلك الكتاب ؟

كان فى النية أن أوجه إليه هذا السؤال ، ولكن المنية عاجلته فقضت بأن تطول الحيرة فى مصدر ذلك السِّفر الغريب

وفى الحق أنى غير مصدّق لكتابٍ لغتهُ العربية مع أنه أُلِّف بُعَيْد الطوفان

وهنا أذكر حادثةً فى نهاية من الغرابة ، ولكنها وقعت على مسمع من جمهور كبير فى أروقة السوربون يوم أديت امتحان الدكتوراه فى الخامس والعشرين من أبريل سنة ١٩٣١ ؛ فقد حاجّنى المسيو ماسينيون حِجاجاً عنيفاً حين رآنى أنكر أن تنشأ اللغات بالتوقيف . . . وإن عادت الدنيا إلى ما كانت عليه ورأيت المسيو ماسينيون بعافية فسأراجعه فى هذا الحِجاج ؛ فما يستطيع ذهنى أن يسيغ فكرة التوقيف ؛ وإنما أعتقد أن اللغات ظاهرة إنسانية يصنع بها التطور ما يصنع على اختلاف الأجيال

المهم أن أسجل أنى مرتاب فى كتاب شيث بن عربانوس ، ولن أقبل نسبته إلى ذلك العهد البعيد ، العهد الذى تلا الطوفان . وأين نحن من الطوفان وهو صورة حائرة لم يبق من ملامحها غير أطياف ؟

فمتى أُلف هذا الكتاب ، إن صح ذلك الارتياب ؟

إن لغته مزيج من القرشية والحميرية ، فهل أُلف قبل أن تصير لغة قريش لغة التخاطب والتأليف فى أشتات الجزيرة العربية وفيما خضع لسلطانها الأدبى من الممالك الإسلامية ؟

ألا يكون مؤلفه صنع ذلك عمداً على سبيل التضليل ؟

الله وحده هو الذى يعلم ما مرّ بهذه الوثيقة التاريخية من تمحّل واحتيال

المشكلة الأساسية

أترك الكلام عن صحة كتاب شيث ، وأنتقل إلى تشريح ما فيه من معانىَ وأغراض فأقول :

يقع الفصل الأول فى صفحات تصل إلى الخمسين ، وفى هذا الفصل نقض للنظرية التى تقرر أن آدم استكان لحواء . فتركها تعصى الله كيف تشاء ، فالمؤلف يقرر أن آدم كان تعب من الإقامة فى الجنة ، وكان يتمنى لو استطاع أن يخرج منها بأى حال وعلى أى أسلوب ليتنسم روح الوجود ، لا رَوْح الخلود ، فقد كان يعرف بفطرته أن الخلود إنما يأخذ صورته من الوجود[1]

وثورة آدم على الجنة لها أصل : فقد كان يرى أنه لا يليق بالإنسان أن يأكل طعامه بلا جهاد . وكان يرى من الضعة والمهانة أن يُترَك المرء بلا متاعب ولا تجارب ، وهو لم يخلق إلا للكفاح والنضال

وزاد في همّ آدم أن حوّاء كانت فى الجنة بلا ضرّة ، فلم تقهرها الغيرة على التسابق إلى مواقع هواه ؛ بدليل أنها كانت تنساه أو تتناساه عاماً أو عامين ، بلا تلهّف ولا تشوّف ، لأنها تعلم أنه لن يكون لسواها من النساء ، ولو أضمر من ضروب الخيانة ما يريد خياله الحبيس ، وإلا فكيف جاز أن تقضى فى الجنة أعواماً بلا تبرّح ولا اختيال ؟

وفى هذا المقام نقل شيث أبياتاً عزاها إلى آدم عليه السلام ، وهى من النظم الركيك ، فلا موجب لإثباتها فى هذا التلخيص ، ويكفى أن نشير إلى معناها لجودته وصدق مغزاه ، وهو يقول بعبارة صريحة إن حواء لم تكن تفرق بين البلادة والعقل ، ولم تكن تعرف أن التودد إلى الرجل والترامي عليه فى رقة ودلال لا ينافى الأدب والحياء

كذلك قال آدم فى رواية شيث . وعلى فرض أن الرواية صحيحة فآدم مخطئ ـ وأنا أريد آدم الرجل لا آدم الرسول ـ وإنما أخطأ لأنه تصور أن التلطف يجب أن يصدر أولاً عن المرأة والتلطف ، هنا معناه الفتك وهو من جانب المرأة دلال . ومن جانب الرجل صيال

إذا كانت حوّاء أجرمت فى ترك آدم عاماً أو عامين فآدم أجرم أيضاً بسكوته عن شكل تلك الظبية النفور بشكال من الحب العارم والوجد العَصُوف

وهنا تظهر مفاجأة من أغرب المفاجآت ، فشيث ينقل عن تأملات آدم خطرات تبدد ما وجهنا إليه من اعتراض

وسأنقل تلك الخطرات بعبارة سهلة تقرّبها من أذهان القراء بعض التقريب « لأنها فى لغة شيث لا تخلو من غموض والتواء » ثم أنقدها برفق رعاية لمكان ذلك الجد الجليل

كان جلوس آدم على شط الكوثر من وقت إلى وقت يوحى

---

(١) نحن لا نوافق شيث بن عربانوس فى كل ما رواه ، والغرض هو تقديم صورة جديدة من آراء لم تكن معروفة من قبل

(الرسالة) : ونحن نقول مرة أخرى إن الدكتور مبارك كاتب محدود قطعه وحده تبعة ما فى رأيه من آراء ، وما فى مكتبته من كتب

إليه أفكاراً فى غاية من الطرافة النسبية ، لأنه أول إنسان شهد الوجود ، على أرجح الفروض[١]

كان يعرف أن الجنة فى غاية من العرض والطول ، بحيث تسع لسكان الأرض والسموات[٢] فكيف جاز أن لا يكون فيها غير نهر واحد ؟

كذلك قال آدم فى رواية شيث ، وهو قول خاطئ ، فوحدة النهر فى الجنة لها مغزى جميل ، لأنها ترد أهل الجنة إلى مزاج متقارب فى فهم الأشياء . وهل يختلف سكان الأرض إلا باختلاف الطعوم فيما يأكلون وما يشربون ؟ لو اتحد مذاق الطعام والشراب بين جميع سكان الأرض لقل بينهم الخلاف . ألم تروا كيف تختلف الطبائع بين الحيوانات اللحمية والحيوانات النباتية ؟

إن القط فى صورة الأسد ، ولكنه ليس فى صولة الأسد ، لأن معدته لا تأخذ من اللحم إلا عُشر معشار ما تأخذه معدة الأسد ؛ وهو يروّع الكلب الضخم بأقل إشارة ، لأن الكلب لخفته قد يكتفى بالأطعمة المكونة من عناصر نباتية !

وما أقول بأن اللحم أفضل من النبات فى جميع الأحوال ، وإنما أقرر أن اختلاف الأغذية هو السبب فى اختلاف الطبائع .

وكذلك أقول فى اختلاف الفصول ، وهل كان اطراد الجو فى الجنة على نسق واحد إلا بشيراً بما سيكون بين أهل الجنة من وفاق وصفاء ؟

وكانت غيبة حواء عن آدم توحى إليه التفكير فى منافع الأعضاء

كان يتأمل فيرى أن الله خلق للانسان عينين وأذنين ولساناً واحداً فما سر ذلك ؟

يجيب آدم — فيما روى عنه شيث — بأن الله أراد أن يكثر زاد الإنسان من المرئيات والمسموعات ، ولا بأس بأن يقل نصيبه من المنطوقات ؛ لأن الرؤية والسماع من ضروب الانتهاب ، أما النطق فمن صنوف الإعطاء ، والانتهاب هو الشاهد الأول والأخير على قوة الحيوية ، أما الإعطاء فهو تسليم وانسحاب

وقد ابتسمت حين قرأت هذا الكلام ، فمنه أخذ الشاعر الذى سجل أن المرء يقبض يده عند الولادة ويبسطها عند الموت ، وإن جهل التعليل على وجهه الصحيح

وتحرير هذا المعنى أن المرء عند الولادة مقبل على الحياة ، فهو يقبض يده ليشير إلى أن وظيفته هى الأخذ والنهب ، وهو يبسط يده عند الموت ليشير إلى أن التبذير من صور الفناء

ثم يمضى آدم فى تأملاته فيقول : كيف يقنع من رزق عينين باصرتين بوجهٍ واحد : هو وجه حواء ؟ وكيف يقنع من رُزق أذنين واعيتين بصوتٍ واحد : هو صوت حوّاء ؟

ومن هذا التأمل العارم كان ضجر آدم من وحدته فى الفردوس

ويظهر أن آدم كان وُهب فكرة الاعتراض والجواب ، فقد خطر له أن حواء لها أيضاً عينان وأذنان ، وأن من حقها أن تفكر فى مثل ما فكر فيه ، إن أقيم للعدل ميزان

ثم يجيب آدم بأن تساوى الجوارح بين الرجل والمرأة ليس دليلاً على التساوى فى المواهب ولا دليلاً على التساوى فى الإحساس .

ويبلغ غاية الشوط فيقرر أن المرأة كانت بعينين وأذنين لأنها أخذت من ضِلع الرجل فهى من صوره الوجودية ، أو هى الشكل الذى يرضيه أن تكون عليه ليتم بينهما الانسجام فى حدود الإمكان

وأقول إن هذا الكلام هدانى إلى كثير من المعانى :

فالحوَل يكثُر فى النساء ويقلّ فى الرجال ، ومعنى ذلك أن للذكر مثل حظ الأنثيين ، حتى فى القوة البصرية[١]

وإذا وُجد العوَر فى إحدى السلالات فالطفلة ترثه قبل الطفل

وإذا كان أحد الأبوين غبياً دمياً وثانيهما ذكياً جميلاً فالغالبُ أن يَرِث المولود الذكر ما عند أبويه من الذكاء والجمال[٢]

ويؤيد هذا أن الديك أجمل من الدجاجة ، وأن الجواد أجمل من الفرَس ، وهذا الحكم مطرد فى أكثر المخلوقات ، وهو يظهر واضحاً فى أشجار التوت ، بغض النظر عن ظهوره فى سائر الأشياء

وإذا صدّقنا رواية شيث عما كان بين آدم وحوّاء فلن يفوتنا أن نسجل أن آدم هو الذى نطق قبل أن تنطق حواء ، وهل كان لتلك المرأة تاريخ فى الجنة غير انصياعها لدسيسة الحية ، وعن الأنثى تنقل الأنثى أصول الفساد ؟

الظاهر أن للذكورة خصائص لا تصل إليها الأنوثة بأى حال .

والظاهر أيضاً أن الرجال لن يزالوا بخير ما فطنوا لمكر النساء .

وهل انخدع آدم بحيلة حواء أو حيلة الحية إلا فى لحظة من لحظات الضعف[٣] ؟ !

(١) لهذه الاشارة معنى سنرجع إليه حين يجىء مكانه من هذه الأحاديث
(٢) هل كانت عند آدم فكرة عن الأرض والسموات ؟

(١) سنرجع إلى هذا المعنى بشىء من التفصيل
(٢) واللون أيضاً يرثه الذكر قبل الأنثى
(٣) سيجىء هذه النقطة توضيح فى كلام شيث

وأستطرد قليلا فأقول :

وقع فى هذه الأيام حادثٌ فظيع . هو اصطدام أحد كبار الموظفين بسيارة يقودها أجنبىٌ سكران ، وعُلِّق الموظف بمقدَّم السيارة ، ومضى السائق ينهب الأرض لينجو من العقاب . وتنبهتْ لخطر الفادحة سيدة مثقفة ، فمضت بسيارتها فى ملاحقة ذلك الجانى الأثيم ، ولكنها فوجئت بإشارة المرور فوقفتْ !!

وهنا الشاهد الذى أريد : فلو كان فى سيارتها رجل لداس إشارة المرور فى سبيل الواجب ؛ ولم يترك ذلك الجانى الهارب بلا اقتناص أو افتراس

هى امرأة وإن نالت إجازة الحقوق ، وطاعةُ إشارة المرور هى فى نفسها الصورة الحرفية لطاعة الواجب ، أما تشريح هذه الدقائق فهو من خصائص الرجال . والرجل هو الذى يدوس جميع الأنظمة فى سبيل الإعزاز لما يؤمن بأنه حق

وجملة القول أن سخرية آدم من مواهب حواء لم تكن طغياناً فى طغيان ، وإنما اعتمدت على قواعد وأصول . ولم تقع من آدم إلا لأنه كان يستوحى الفطرة والطبع ، ولو أن الجنة لعهده كان فيها مدارس وكليات لكان من المرجح أن يكون حديثه عن حوّاء مُغلَّفاً بالرياء !

ثم تجيىء عقدة أغرب وأعجب ، وهى تفكير آدم فى مسألة النسل ، وهى مسألة لم يفكر فيها آدم إلا بعد تأمله لما فى الجنة من فصائل الطير والحيوان . ولم يكن فطن إلى أنها مسألة تجتح عالم النبات ، وقد تمس عالم الجماد

ومن كلام شيث نفهم أن تفكير آدم فى مسألة النسل لم يصر من المعضلات النفسية ، وإنما كان يعتاده من حين إلى حين ، ثم ينصرف عنه بالاشتغال بمداعبة حواء ، كأن يرميها بنواة من نوى الجوز ، أو يقذف بها فى « الكوثر » على حين غفلة ، أو يدوس شعرها الذيّال

والحق أن عقم آدم وحواء فى الجنة يحتاج إلى تأويل

أليس من العجب أن يكون ما فى الجنة خصباً فى خصب ونماء فى نماء ، إلا فيما يتصل بآدم وحواء ؟

كان الشجر والزهر والنبات والطير والحيوان ، كان كل أولئك فى حيوية مخصبة لا يعتريها ضعف ولا خمود ؟ وكنت ترى الجنة ينبت الأفانين من الألوان فى كل يوم : وكان هواؤها يتجدد فى كل لحظة بأسلوب يدل على أن الهواء مخلوقٌ له روح ،

وكانت أسماك الكوثر تجتمع وتفترق بأريحية ودلال ... كان كل ما فى الجنة على جانب من الذاتية ، ولو كان من صغار الدوابّ والحشرات ، أو ضعاف الذباب والبعوض ، ولجميع الخلائق فى الجنة مكان .

ازدهرت الجنة فى أغلب مناحيها وأثمرتْ ، وخُصَّ بالعُقم آدم وحواء ، فما هى الأسباب ؟

لم يفكر شيث بن عربانوس فى تعليل هذه الظاهرة الغريبة . ونحاول تعليلها فنقول :

كان سبب ذلك العُقم فيما نفترض أن حياة آدم وحوّاء فى الجنة كانت حياة دعة وهدوء واطمئنان وأمان ، وهذا اللون من الحياة يخمد الحيوية الجنسية والمعنوية . ويحوّل الرجل والمرأة إلى حيوانَيْن جامدَيْن لا يفكران فى التسلح لدفع عوادى الوجود

والذى يقرأ ما أُثِر من الآداب الفطرية يلاحظ أن النسل لم يكن يُبتغَى للزينة ، وإنما يبتغى للدفاع والحِفاظ ؛ ومن هنا كانت قلة النسل من خصائص الأمم التى يقل خوفها من العدوان أو تقل رغبتها فى السيطرة والاستعلاء ؛ ومن هنا أيضاً كان الناس يفضلون البنين على البنات ، لأنهم لا يبتغون من الذرية غير القدرة على مكافحة الباغين والعادين من الخصوم والنظراء .

ولم يكن لآدم فى الجنة نصيبٌ من الخوف ، فقد كان ينام حيث يريد بكل اطمئنان ، وكان يتفق له أن يجعل صدر الأسد الرابض وساده الرفيق ، وقد طاب له مرة أن يطوّق « حوّاء » بعِقدٍ مؤلف من أفراخ الثعابين .

ومع هذا لم يكن « آدم » يدرك ما فى هذه المظاهر من غرابة وشذوذ ، فما كان سمع ولا عرف أن فى الوجود أشياء فيها إيذاء .

وأقول : إن ذلك الأمان الموصول هو الذى أخمد عواطف « آدم » وأغناه عن التسلح بالنسل ، وحبّب إليه طعم القرار والهدوء والخمود . وكذلك صنع الأمان « بحوّاء » ، فغفتْ عواطفها الجنسية ، واستنامت إلى العُقم ، وهو مرض لم تلتفت إليه إلا حين رأت إحدى الظبيات تناغم رشأها الوليد فى بعض غياض الفردوس .

ويؤيد هذه النظرية أن « آدم » لم ينجب إلا حين هبط الأرض ، فقد شعر بالخوف ، وأدرك أنْ لا بد له من أنصار وأعوان من الأبناء .

ومعنى ذلك أن الذرية ضربٌ من الفاعلية الحيوانية ، وهى تصدُر عن الرجل كما يصدُر السم عن ناب الثعبان .

وفى هذا المقام نشرح ظاهرةً لم تُشرَح من قبل ، وهى ما يلاَحظ من قلة النسل عند العبقريين ، فما التعليل الصحيح ؟

يرجع السر إلى أن السلاح الماضى فى يد الرجل العبقرى هو مواهبه الذاتية ، فهو يحارب بالفكر قبل أن يحارب بالنسل ، وهواه لا يقف عند إخضاع الخصوم من الأهل والجيران ، وإنما يمتد إلى إخضاع الألوف والملايين من سكان الشرق والغرب والشمال والجنوب .

والنسل الحِسّىّ عند الجاهل سلاحٌ موقوت يخلقه الخوف ؛ أما النسل المعنوى عند العالم ، فهو سلاحٌ موصول تخلقه الرغبة فى السيطرة الدائمة على الأفكار والعقول .

ولهذا السبب كانت ذخائر الأمم من الذرية لا تصل عن طريق العبقريين ، لأن هؤلاء لا يشعرون بالانفعال الحيوانى شعوراً يكفي لأن تصدر عنهم الأنسال الكثيرة ، وإنما يتجه انفعالهم إلى جانبٍ آخر هو الرغبة العاتية فى غزو العالم عن طريق الفكر والبيان .

وهل فطن أحدٌ إلى المعنى المطوىّ فى قول كُثيِّر :

بُغاثُ الطير أكثرها فراخاً وأمّ الصقر مِقلاتٌ نَزُورُ

فما معنى ذلك ؟ معناه أن أم الصقر لا تحتاج إلي حماية ، فهى لا تُكثر من الذرية . ومعناه أن ضعف البغاث يوحى إليها بالإكثار من الأفراخ لتقاوم خصومها بالقوة العددية فى حدود ما تطيق .

والمشاهَد أن المرأة الدميمة هى فى الأغلب ولود ، كما أن المرأة الجميلة هى فى الأغلب عقيم ، وكان ذلك لأن الدمامة تحتاج إلي حماية من الذرية ؛ أما الجمال فهو فى ذاته قوة وسلطان

والملائكة فى أذهان الناس صور مجردة من النسل ، لأن الملائكة مؤيدون بقوة ربانية تغنيهم عن الاعتزاز بالأبناء

والله عز شأنه « لم يلد ولم يولد » لأنه منزه عن الضعف تنزيهاً خالياً من الشوائب ، وهذا لا يمنع من أبوّته الروحية لجميع ما فى الوجود ، إن صح التعبير بالأبوّة فى الدلالة علي رفق الخالق بالمخلوق

وصفوة القول أن عقم آدم فى الجنة له أصل ، فقد كان أكرم من فى الجنة ، وكان المنطق يوجب أن يعيش بلا أسندة من الذرية بفضل غناه عن الكفاح والنضال

ولكن ... ولكن الأقدار أرادت غير ما يريد ، فنقلته من الجنة إلى الأرض ، ليشعر بالخوف ، وليحتاج إلى معاصم من الأبناء ، وليذوق طعوماً من الأفراح والأحزان لم تكن تخطر له فى بال

والواقع أن الله كان أراد بآدم أشياء ، حين خلق له حوّاء ، فقد شغلته عن التكبير والتسبيح والتهليل ، وزيّنت له الثورة على ما فى الجنة من أنظمة وقوانين

وشيث يحدثنا أن آدم كان صدرُه ضاق بالجنة بسبب ما لها من أسوار وجُدران تجعل من المستحيل أن يسلم من تعقّب حواء ، وتفرض عليه التفكير فى طلب النجاة ولو بالارتماء فى أحضان الأرض ، مع أن بين الجنة والأرض فراغاً لا يَعبُره الهابط إلا فى أعوام أطول من أعمار الأشجار . وسنرى فيما بعد أنه لم يفق عند هبوط الأرض إلا بعد أزمان وأزمان

هل كان آدم سعيداً فى الجنة ؟

الظاهر أنه كان من السعداء ، ولكن شيث بن عربانوس يحدثنا أنه طفح الدم فى الجنة بسبب صحبة حواء . فكيف وقع ذلك البلاء ؟!

وقع من عدم التكافؤ الروحى بين الرجل والمرأة ، فهما مخلوقان مختلفان إلى أبعد حدود الاختلاف . وزاد فى النفرة أن آدم كان يميل إلى طاعة الله ، وأن حوّاء كانت تشتهى الخروج على طاعة الله . وتعليل ذلك سهل : فأسرع الناس إلى المخالفة عن أمر الحق هم الضعفاء

صبرَ آدم ما صبرَ إلى أن وقع « حديث السّدرة » ، وهو حديث سجله شيث بن عربانوس بأمانة ونزاهة وإخلاص . فما ذلك الحديث ؟ !

زكى مبارك

حكم فى قضية الجنحة المستأنفة رقم ١٧٥٢٦ سنة ٩٤٠ بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٠ ضد محمد أمين السيد ومحل سكنه جزار درب الجماميز بتغريمه ٢ جنيه لبيعه لحما بسعر أزيد من التسعيرة

حكم فى قضية الجنحة المستأنفة رقم ٦٨١٥ سنة ١٩٤٠ بتاريخ ٤ يونيه سنة ١٩٤٠ ضد مصطفى نصر مصطفى ومحل سكنه شارع محرم حسن بتغريمه ١ جنيه لبيعه ملحاً بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى القضية رقم ٢١٤ سنة ١٩٤٢ بحبس صادق محمد ابراهيم من كفر العزاوى شهرين بالشغل لبيعه قمحاً بسعر أزيد من التسعيرة بجلسة ١٢/١٧ سنة ٩٤١ رقم ٥٧٤١

حكمت محكمة بنها العسكرية فى القضية ن ٣١ شبين القناطر سنة ٩٤٢ بجلسة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤١ بحبس يوسف مرسى هانى خمسة عشر يوما مع الشغل والنفاذ والاعلان بصحيفة الرسالة واللصق أمام منزل العمدة على نفقة المتهم لبيعه بأزيد من التسعيرة

فى الفلسفة الإسلامية

٢ ـ إخوان الصفـــاء

الأستاذ عمر الدسوقى

هل هم شيعة باطنية ؟

لقد أقر إخوان الصفاء على أنفسهم بالتشيع فى غير ما موضع من الرسائل . فمن ذلك قولهم عن السبب الذى حدهم لكتابة هذه الرسائل : « لكيما إذا نظر فيها إخواننا وسمع قراءتها أهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها ، وعرفوا حقيقة ما هم مقرون به من تفضيل أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم خزان علم الله ووارثو علم النبوات ، وتبين لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة والفهم والتمييز والبصيرة فى الآفاق »(١)

ومنها : « واعلم يا أخى بأن لكل نفس من المؤمنين أبوين فى علم الروح كما أن لأجسادهم أبوين فى علم الأجساد . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه : أنا وأنت يا على أبوا هذه الأمة . وهذه الأبوة روحانية لا جسمانية »(٢)

هذا وقد عقدوا فصلاً خاصاً بينوا فيه الطوائف التى تنتمى إلى الشيعة ، وقد انتقدوا بعضها واستحسنوا بعضها ، وأخذوا يتبرأون ممن يدعى التشيع وهو يرتكب المنكرات ويقترف الموبقات . ويحملون على من يقول بأن المهدى المنتظر مستتر من خوف المخالفين ، كما أنهم حملوا على من يبكى الأموات من أهل البيت حملة شعواء ، وهاك ما يقولون : « إن قوماً من أشرار الناس جعلوا التشيع ستراً لهم عما يحذرون من الآمرين عليهم بالمعروف . . . وإذا نهوا عن منكر فعلوه برزوا بإظهار التشيع واستعاذوا بالعلوية على من ينكر عليهم أو ينهاهم . لبئس ما كانوا يعملون . ومن الناس طائفة ينسبون إلينا بأجسادهم وهم براء بنفوسهم منا ويسمون أنفسهم بالعلوية وما هم من العلويين ، ولكنهم من أسفل السافلين ، لا يعرفون من أمرنا إلا نسبة الأجساد . . . فهم أبعد الناس عن أهل ملتنا ، وأعدى الناس لشيعتنا ، وأغفل الناس عن حقيقة أمرنا وأسرار حكمتنا . . . ومن الناس طائفة قد جعلت التشيع مكسباً لهم مثل النائحة والقصاص لا يعرفون من التشيع إلا التبرى والشتم والطعن واللعن والبكاء وترك طلب العلم وتعلم القرآن ، وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور كالنساء الثواكل ، يبكون على فقد أجسامنا(١) وهم بالبكاء على أنفسهم أولى . ومن الشيعة من يقول : إن الأئمة يسمعون النداء ويجيبون الدعاء ، ولا يدرون حقيقة ما يقرون به وصحة ما يعتقدون . ومنهم من يقول : إن الإمام المنتظر مختف من خوف المخالفين . كلا ! بل هو ظاهر بين ظهرانيهم يعرفهم وهم له منكرون كما قيل :

يعرفه الباحث من جنسه وسائر الناس له منكر(٢)

نرى مما تقدم أنهم لا ينكرون التشيع ولكنهم يريدونه على شكل خاص ، وأنهم يبرأون من هؤلاء الذين لوثوا اسمهم وارتكبوا المنكرات والموبقات وادعوا أنهم علويون . فهم بذلك فرقة من الشيعة ترمى إلى تعاليم خاصة ، وغايتها إصلاح الطائفة وتهذيبها بالتعليم . ونرى كذلك أنهم يقولون بالمهدى المنتظر وأنه كان موجوداً إبان تأليف هذه الرسائل ، ولعله أحد من ألفها كما يذهب إلى ذلك بعض المستشرقين . وأنهم كانوا يقولون بأن علياً وصى النبى عليه السلام . وليس فى ذلك أصرح من قولهم فى باب مخاطبة المتشيعين : « ومما يجمعنا وإياك أيها الأخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام وأهل بيته الطاهرين ، وولاية أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم أجمعين(٣) »

أما نسبتهم إلى الاسماعيلية الباطنية فلم تثبت بصفة جازمة ، بيد أن من يدرس آراء هذه الطائفة وآراء إخوان الصفا يجد تشابهاً عجيباً ، وإن كان الأولون أكثر صراحة من الآخرين . على أن الأستاذ كازانوفا يقول : « لقد وجدت مخطوطة فى المكتبة الأهلية بباريس مفقودة الصفحات الأولى والعنوان ، وتقرأ على الصفحة السادسة منها ما يلى : فصل من رسائل إخوان الصفا ، وفى ابتدائها : القول على السر المخزون والعلم المصون من باطن الرسالة الجامعة من رسائل إخوان الصفا . ووردت فيها الجملة

(١) رسائل ج ٤ ص ٢٣٤
(٢) ج ١ ص ١٥٧

(١) هذا يؤيد من يقول إن الرسائل أملاها بعض الأئمة من آل البيت
(٢) الرسائل ج ٤ ص ١٩٩
(٣) الرسائل ج ٣ ص ٢٤٢

المشهورة : إعلم يا أخى أيدنا الله وإياك بروح منه التى يتكرر ذكرها فى كل صفحة من الرسائل » . وقد وجد كازانوفا أن هذه الرسالة الجامعة مصطبغة بالصبغة الإسماعيلية ، متلبسة بشمول الألوهيـة ، ونظرية الفيثاغوريين فى الأعداد . ويقول فى ذلك : « ما أرانى إلا مصيباً في القول بأن فلسفة الإسماعيلية جميعها مبثوثة فى رسائل إخوان الصفا ؛ فالقول بالإمام المنتظر الذى سوف يظهر ليعيد السلام إلى العالم يمثل امتزاج نظريات الأفلاطونية الحديثة بالاعتقاد بعودة المسيح[1] »

وقد جاء فى أحد أعداد جريدة آسيا[2] فصل هـذا عنوانه : « بحث جديد عن الإسماعيلية أو الباطنية بالشام المعروفين بالحشاشين » . وقد قال كاتبه ما يأتى : « إن سنان بن سليمان الملقب برشيد الدين هو من أجل وأفخم رؤساء الإسماعيلية ، وقد خدم فى ألموت المقدمين الذين كانوا قبله ، وزاول علوم الفلسفة وأطال نظره فى كتب الجدل والخلاف ، وأكب على مطالعة رسائل إخوان الصفا »

ويقول المحبى فى خلاصة الأثر : « وحاصل تلك الرسائل ليس إلا مذهب الباطنية الإسماعيلية ، وهم أنحاء شتى ، ومعظم القول فى هذه الشيعة ، من شيعتهم تناسخ الأرواح ، ودعاء حول البارى تعالى فى الأنبياء المشهورين من آدم إلى محمد عليهم السلام وفى أئمة آل البيت — وآخرهم المهدى — ويعظمونه على الجميع . والاسماعيلية يوافقون الإمامية فى ذلك[3] »

وقد ثبت تاريخياً أن المغول عند فتحهم لقلعة (ألموت) مركز رؤساء الاسماعيلية عثروا على كثير من نسخ رسائل إخوان الصفا[4] . وقد جاء فى رسالة الإنسان والحيوان المطبوعة فى مصر خطأ تحت عنوان الجامعة : « نحن لبسنا السواد وطلبنا بثأر الحسين بن على عليهما السلام وطردنا البغاة بنى مروان ... ونحن نرجو أن يظهر من بلادنا الإمام المنتظر[1] »

وقد تضافر الكتاب قديماً وحديثاً على نسبة هذه الجماعة إلى الاسماعيلية الباطنية ، ومنهم ابن تيميـة وابن حجر والألوسى وغيرهم ، وقد دعاهم إلى ذلك أن نشاط الإخوان فى بث تعاليمهم يشبه نشاط الاسماعيلية وجدهم فى نشر مذهبهم وتشكلهم بما يلائم مصلحتهم ، ولبسهم لكل حال لبوسها ، ومخاطبتهم الناس على حب أهوائهم وأمزجتهم ، واستعمالهم السحر والطلاسم والرقى والتعاويذ فى إقناع الناس بتقدرتهم ومبلغ علمهم[2] . ثم فى تكتمهم وشدة حرصهم على ألا يطلع على مذهبهم إلا من دخل فى شيعتهم وقولهم بالتَّـقِيَّـة والإمام المنتظر ووصاية على رضى الله عنه ... الخ

تسامحهم الدينى

ومما يقوى صلتهم بالاسماعيلية رحابة صدرهم لجميع المذاهب والديانات والعلوم ، فقد ثبت أن الاسماعيلية في أوائل دخولهم بلاد الهند[3] كانوا يوافقون البوذيين على عقائدهم حتى يستميلوهم إليهم ، ثم يكملون النقص فى هـذه العقائد بنظرية الاسماعيلية الأساسية ، وهى قداسة على رضى الله عنه وعودته ، ثم يجعلون برهم محمداً ، ووصنو علياً ، وآدم سيفا[4]

أما إخوان الصفا ، فكانوا أمام جميع المذاهب والديانات غير متعصبين : « وبالجملة ينبغى لإخواننا — أيدهم الله تعالى —

---

(١) رسالة الطيباوى ص ٧١ — ٧٢

(٢) مقدمة زكى باشا لرسائل إخوان الصفا طبعة مصر وعدد جريدة آسيا هو عدد يناير سنة ١٨٥٥ المحفوظ بدار الكتب المصرية

(٣) خلاصة الأثر جزء ٤ ص ٦ و ٧ الطيباوي ص ٧٢

(٤) أحمد أمين فى مبادىء الفلسفة

---

(١) الرسالة الجامعة ص ٨٣

(٢) راجع ما كتبه السير توماس أرنولد فى كتابه الدعاية الاسلامية تعرف مدى نجاح الاسماعيلية فى نشر تعليمهم ، وإدخال الهنود والبوذيين فى مذهبهم واستعمالهم شتى الوسائل والحيل حتى وتقيد أسمائهم ، ووازن بين هذا وبين ما جاء فى الرسائل من الخطب الخاصة لكل صنف من الناس ، ومن استعمالهم السحر والطلاسم والنجوم فى إقناع خصومهم

(٣) أول من دخل الهند من الاسماعيلية هو عبد الله اليمنى الاسماعيلى جاءها حوالى ١٠٦٧م وتبعه نور الدين الذى تسمى باسم نور ستاجر ، وقد قدم من ألموت إلى جوجرات فى حكم الملك الهندى سدهاراج (١٠٩٤— ١١٤٣م)

(٤) كتاب الدعاية الاسلامية للسير توماس أرنولد وترجمة الكاتب فى فصل عن انتشار الاسلام بالهند

ألا يعادوا علماً من العلوم ، أو يهجروا كتاباً من الكتب ، وألا يتعصبوا على مذهب من المذاهب ؛ لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم كلها[1] »

ويقولون : « واعلم بأن غرض الأنبياء — عليهم السلام — وواضعي النواميس الآلهية أجمع غرض واحد وقصد واحد وإن اختلفت شرائعهم وأزمان عباداتهم وأماكن بيوتهم وصلواتهم ، كما أن غرض الأطباء كلهم غرض واحد فى حفظ الصحة الموجودة واسترجاع الصحة المفقودة وإن اختلفت علاجاتهم باختلاف الأمراض العارضة للأبدان[2] » . فالتوراة والإنجيل والقرآن وغيرها من الكتب الدينية ، السماوية وغير السماوية ، عندهم سواء . وكأنى بهم يحاولون أن يستوعبوا الديانات كلها فى دين واحد ومذهب واحد . وليس هناك أوضح من قولهم : « فالله أرسل روحه إلى كل الناس ، لا فرق بين النصرانى والمسلم وبين الأسود والأبيض »

وقد ثبت أن جمعية بغداد التى هى فرع من جمعية إخوان الصفا ، والتى كان يختلف إليها أبو العلاء المعرى كما مر بنا ، كانت تجمع السنى والشيعى واليهودى والنصرانى والصابئى والدهرى

وقد حدثنا أبو حيان التوحيدى فى المقابسات قائلاً : « إن من أعضائها يحيى بن عدى وأبو إسحق الصابى وأبو إسحق النصيبى ومانى المجوسى ... الخ » . وهذا دليل واضح على رحابة صدرهم وعظم دعايتهم وتعدد طرق تبشيرهم[3]

« يتبع » **عمر الدسوقى**

مدير كلية المقاصد الاسلامية بيروت

(١) الرسائل ج ٤ ص ١٠٥

(٢) ج ٢ ص ١٢٠

(٣) رسالة الطيباوى ص ٦٥

حكم فى القضية ن ٥٠٩ عسكرية ضبطا سنة ٩٤٢ ضد محمود على الجنايني بالحبس شهر شغل والنشر بتاريخ ٢٤ ديسمبر سنة ٩٤١ وذلك لبيعه خبزاً بسعر أكثر من المحدد .

إذا . . .

قصيدة من الشعر الانجليزى

إذا احتفظت بصوابك بينا يفقد كل من حولك صوابهم فيتهمونك بما لم تجرم يداك ؛

إذا وثقت بنفسك بينا يتردد الرجال فى أمرك وحسبت مع ذلك لترددهم حسابه ؛

إذا صبرت وانتظرت ولم يضجرك الصبر والانتظار ، أو تقوّلوا عليك ولم تُغْرِك أقاويلهم بأقاويل مثلها تبتدعها ؛

إذا كرهوك وملكت نفسك فأمسكت عن كراهتهم ، ومع هذا لم تدغل فى الظهور بالطيبة أو الثرثرة بالحكمة ؛

إذا استطعت أن تحلم ولم تجعل أحلامك سلطانك ، وأن تفكر ولم تجعل التفكير كل غايتك ، بل قمت تسعى لتحقيق ما انتهيت إليه من رأيك ؛

إذا جاءك النصر أو نزلت بك المصيبة ، فسويت لهذين الضيفين الختّالين المخادعين من نفسك ، وعدلت بينهما فى النصيب من لقائك ومعالجتك ؛

إذا استطعت أن تسمع الحق الذى قلت يُحرِّف كلمه أدنياء ، ويلوِّى معانيه سفلة خبثاء ، يحفرون به الحفر للوقيعة بُله أغبياء ، أو أطقت أن تقف تنظر إلى أشيائك التى أنفقت ساعات حياتك فى صنعها تُكسر وتُحطَّم ، ثم قمت تبنيها بأداة مَبْرُوَّة بالية ؛

إذا استطعت أن تكوّم كل مكاسبك كومة واحدة وتقامر بها فتفقدها كلها مرة واحدة ، ثم عدت تبدأ من حيث بدأت أولاً ، ولم تخرج أنفاسك بكلمة تنبس بها عن خسائرك ؛

إذا قدرت وقد أدبر عنك كل شىء أن تهيب بقلبك وأعصابك وأوتار عضلاتك لتُرْجِعَ لك الدبر وقد فات وتولّى بعيداً فتثابر جميعاً حين لا شىء فيك يهتف لها بالمثابرة إلا إرادتك ؛

إذا استطعت أن تخاطب عامة الناس ودهماءهم وتحفظ على نفسك فضيلتها ، أو تسير مع الملوك جنباً إلى جنب ولا تضيع مع ذلك مسحةً تميز عامة الناس ودهماءهم ؛

إذا عجز الأعداء الألداء والأحباب الأقربون عن أن ينالوك بأذى ؛

إذا اعتمد عليك كل الناس ولم يغلوا فى ذلك ؛

إذا قضيت الدقيقة القاسية التى لا ترحم من دقائقك بجرية تجريها تدوم ستين ثانية ؛

إذا كان ذلك فلك الأرض وما عليها ، وأفضل من هذا أنك تكون رجلاً يا بنىّ

« زكى »

الأحلام

للعالم النفساني « ألفرد أدلر »

بقلم الدكتور محمد حسني ولاية

يقول فرويد : إن الحلم يمثل رغبات جنسية طفلية لم تستوف بعد.. وإن الحالم يشبع رغباته المحرمة في محيط أوهامه على الرغم من التقييدات التي فرضتها المدنية عليه .

إني أرى أن هذا الرأي لا يقوم على أساس ، وأن تفسير الأمراض النفسية ومظاهر المدنية على أساس جنسي لا أقره عليه

يقصد الحالم بحلمه تأكيد أهمية الذات ورفعتها . والحلم كالأخلاق والانفعالات والأعراض النفسية قد جهزه الحالم لغرض صمم من قبل .

يكافح الحالم في حلمه لتبرير شخصيته إزاء صعوبات حيوية قائمة . وليحل مشكلاً من مشاكل الحياة يلجأ إلى تصويره تصويراً طفلياً بسيطاً كأن يكنى عن المشكل بالامتحان، وعن فكرة الانتصار بالطيران إلى السماء ، وعن الخطر بهوة سحيقة .

زارتني سيدة في الثامنة والثلاثين شاكية من نوبات متكررة من القلق وخفقان القلب وألم في الثدي والمعدة ، وقصت علي الحلم الآتي :

« رأيتني أهرب من فهدين فصعدت إلى أعلى صدر رجل ثم استيقظت وقد استبد بي الخوف »

تمخض تحليل الحلم عن سلسلة من الأفكار ترمي إلى تفادي إنجاب طفل آخر . وليس الصعود إلى أعلى صدر الرجل إلا رمزاً للجنوح إلى الذكورة . وكان الخوف والقلق عرضها النفسي الرئيسي الذي يرمي إلى التهرب من وظيفة الأمومة . وقد صورت في الحلم والديها بفهدين كناية عن خطر داهم يهددها فصعدت إلى أعلى لتنجو منهما لأنهما كانا يعارضان في زواجها

ظهرت الأعراض النفسية الأولى عندما كانت في التاسعة عشرة بعد أن خطبت سراً إلى زوجها الحالي . وقد استغرقت خطبتها ثماني سنوات رغم معارضة العائلة ؛ وتفتق هذا عن حدوث نوبات ثورية إلى أن تم الزواج، ولكنها عادت مباشرة بعد ولادة ابنتها الوحيدة البالغة من العمر عشر سنوات

وقد أماط التحليل النفسي اللثام عن تكوينها الهستيري عن تلون صفاتها بلون الذكورة إذ كانت كثيرة التحدي محبة للتسلط متكبرة

ابتدعت لنفسها خطة تؤمن حياتها بعد أن تعرفت إلى زوجها باستغلال القلق المستحوذ عليها . وعملت على ترتيب هذه الخطة على نمط هلوسي في سريرتها دون أن تعي . وأضافت إليها آلاماً في الثدي والمعدة لتجعل كل العلاقات الجنسية غير القانونية مستحيلة ...

وكانت تعني بالتشنجات الليلية التي أقضت رقاد زوجها أنه من المقلق جداً أن يصحو زوجها على أثر صياح طفل . ولم تكن نوبات ضيق التنفس التي كانت تعتريها الا تحذيراً لزوجها من احتمال اصابتها بالسل الذي قد ينجم عن الحمل

والآن ننتقل إلى حلم آخر للشاعر « ميتور سيمونيدس » رآه قبل الإبحار في رحلة الى آسيا :

« حذره شخص من الإبحار في رحلة مقررة » ؛ وكان هذا الشخص ميتاً ، وقد سبق أن تولى هذا الشاعر أمر دفنه ، فعدل حينئذ عن الرحيل

ونحن نفترض أن سيمونيدس كان خائفاً من هذه الرحلة فاستغل الشخص الميت ليخيفه منها ومن نهاية مريرة قد تؤدي الى القبر لأن الذي حذره منها ميت

رغب الحالم على وجه العموم — كما يتضح من هذا الحلم — أن يضع نفسه في مركز خاص يصل اليه من أحسن الطرق التي تتلاءم مع شخصيته وطبيعته وأخلاقه .

(للبحث صلة)

محمد حسني ولاية

صفحة من كتاب

حنــــين

للأستاذ شكرى فيصل

سكن الكون ، فما فى الكون إلا همسات . . . من حديث النجم أو بث المحبين الشكاة . . . ينفثون الآهة الحرى ، ويبقون السهاد ... وينادون محبيهم فهل يدرى محبوهم نداء ؟ ... ويثور الدمع فى أجفانهم فيضاً غزيراً . . . أترى يدرك ذلك الذين تطفر الدموع من أجلهم ، وتتمتم الشفاه بالحنين إليهم ، وينبض القلب بذكرهم المستطاب ؟!

سكن الكون ، فثارت وحدتى تتلوى ... وتذكرت العهود الزاهرات النضر . . . وتراءت من أمامى صور الماضى القريب . ويحها من صور ! فتنهدت حزيناً أسفاً ، وتمنيت لها منصرفاً ؛ وذرفت الدمع هتاناً إذ وجدت فى الدمع خفوت السَّورة ، وبرودة الثورة ، وبعض العزاء

* * *

... وصمت الليل ، كأنما كان يعد على الناس أنفاسهم المتصاعدة ... وقد أووا إلى فرشتهم الدافئة ، يجدون فيها الهدوء ، وينعمون فيها بالدفء . . . ويحسون أنهم يرتعون فى أحضان الأبوّة ، وفى سماحة الأمومة ، وفى جمال القرابة الدانية

ودقت الساعة الثانية عشرة ، وانبعثت ضرباتها على صفحة الأفق الساكنة . . . كأنما كانت اثنتى عشرة قطرة من الماء تنصب على قطعة من الصفيح اللامع . فيكون لها بريق متلألئ كهذا الصدى الموغل فى جوف الظلام البعيد

وامتد رواق الليل كما يمتد حنين إنسان غريب . . . يدّثر الماضى ليجد فيه الذكرى ، ويتطلع إلى المستقبل ليفسح فيه فرجة الأمل . . . كذلك كان رواق الليل ، لا يحتجزه حد ولا يقهره سلطان ، ولا يقف من دونه عائق ... كما لا يحتجز الحنين سلوى ولا يقهره ضرّ ، ولا تقف من دونه الدنيا بكل صورها وألوانها إلا هذه النجوم ... لقد كانت فى منجاة ومأمن ... لكأن عالمها الحلو ، وشعاعاتها المتراقصة تـكيد لليل وتتحداه . . . وكأنما هى فى أنوارها الحنون تبعث فى نفوس المحبين الولهى الأضواء الطروب ...

سيظل هذا الحنين المتصل يهفو حول الأمل الناعم ، ويغرد فى حفافيه الندية . . . وينثر عليه الورود والرياحين كما تنثر دنيا النجوم من عالمها العلوى ذراتها اللامعة فى أجنحة الليل السود

* * *

وسكن الكون . . . واستلقى الليل على صدر الدنيا . ونشر عليها أذياله وأردانه ... كأنما كان يريد أن يكبت فيها الحركة ، ويقتل فيها النشاط ، ويقطع ما بينها وبين السماء ... كن كالساعات اليائسة فى حياة المحبين ... مزهقة ، مرهقة ، ثقيلة الظل شديدة الوطأة ، كأنما تحاول أن ترين فتحول بيننا وبين الرحمة ... ولكن الرحمة القريبة لا تدع السبيل إلى اليأس ، والحب القوى لا تفل منه المصاعب ، والسماء الكريمة لا تقطع ما بينها وبين الناس ... إنها تشق ثوب الليل الصفيق لتثبت النجوم النيرة على ظهره وفى أطرافه ومن بين يديه . . . كما تنبت الخزامى فى الأرض القفر عطرة الطيب ، شذية الروح ... وأنها تمزقه فى كل جوانبه ، وترقمه فى كل ثناياه كما ترقم قطرات الندى سطح البحيرة الهادئ بدوائرها المترجرجات

هكذا الحنين ... أيتها الكريمة الرءوم ... كهذا الليل ... تضحك على جوانبه المترعة بالأسى مُنى ، وترق فى ساعاته المريرة رؤى ... وتنتثر فى لياليه الكئيبة أحلام بيضاء كهذه النجوم .

* * *

واستغرق الكون فى سكونه . وأحس الليل ما يلقى من عنت . لقد فرض سلطانه فتمزق ... ومد رواقه فتخرق ... ونشر جناحه البهيم فهاض النور جناحه البهيم ... وغص بالحادثات ... والنجوم من حواليه ترقص رقصة الظفر ، وتنشد نشيد الحياة ، وتهزأ هزأ المتحدى ... وترسم شعاعاتها دعوة كريمة للفجر المستكن . وارتمى يفكر . . . واستعرض تاريخه الطويل ، وبكى مجده

يوم الزهاوى

للأســـتاذ يحيى محمد على

إنه ليوم وإن احتوته لجج الزمن العاتية واستقرت به فى أغوار الماضى ، فإن له بين شغاف القلوب الذاكرة للجميل ، وفى أعماق النفوس المطوية على الوفاء ، أثراً لا أحسب النسيان يقوى على طمس معالمه . إذ امتدت فيه يد القدر من بطون الغيب إلى قلب «الزهاوى» فأسكنته ، وإلى لسانه فأسكتته ، وبذلك غيَّضت من مناهل الحكمة منهلاً دفَّاق الفيض ، وأطفأت من مشاعل العرفان مشعلاً وضَّاء السَّنا ، وقطعت من قيثارة الشعر وتراً رنَّان الصوت ، وتركت فى كل فؤاد حسرات تضطرم ، وفى كل عين عبرات تختنق !

فكان يوماً لا نملك حين ينساب إلينا من مطاوى كل عام إلا أن نقف فيه وقفة الذاكر المحزون لنحلق بأجنحة الذكرى إلى أجواء رفيعة من النبوغ والعبقرية ، وآفاق مترامية من الإبداع والعظمة ، تزيدنا إعجاباً بالزهاوى ، وإجلالاً لقدره ، ويقيناً بأن خسارتنا فيه كانت أعظم مما قدّرناه بكثير

ثم لا تلبث الذكرى أن تفتح لنا من أسفار المجد سفراً أفعم « الزهاوى » صفحاته بمآثره ومفاخره لنستمد منه لضلالنا هدى ولمحنتنا تجربة ، ولنستوحى كلمة حتى نفرغها فى مسامع أولئك الذين بخسوا « الزهاوى » حقه ، وأنكروا عليه نضاله المجيد وكفاحه الخالد وما كانوا إلا أنفسهم يظلمون ، وستبقى آثار « الزهاوى » لنهضتنا معيناً ثرَّا لا ينضب سيله الطامى ولا يغور . . .

وحسبنا — ومجال البحث لا يتسع للإطالة والإسهاب — صفحات من هـذا السفر نقلبها بين أيديهم ، لينعموا النظر فيها ، وليحكموا بعقول سالمة من الأهواء ، وضمائر خالصة من الأحقاد ، على أدب « الزهاوى » وجهاده .

يقول الزهاوى : « ... غنَّيت لأبناء وطنى أريد إيقاظهم ، فلما فتحوا عيونهم شتمونى ، ثم غنيت ، فأخذوا ينظرون إلىَّ شزراً ، ثم غنيت فابتسموا لى ، ثم هتفوا لى وبقى فيهم من يشتم ، وغنيت وسأغنى إلى أن يسكتنى الموت ، وسوف تبقى بعدى كلمتى معربة عن شعورى وماكابدته فى حياتى من شقاء واضطهاد . فهى دموع ذرفتها يراعتى على الطرس ناطقة بآلامى وهى خنيقة بأن تذرف من عيون قرائها دمعة هى كل جزائى من نظمها . . . » !

فهو الشاعر الذى عاش لأمته فاستوحاها وأوحى إليها . والذى ما خفق قلبه إلا بحبها ، وما توجع واضطرب إلا لمصائبها وهوانها ، والذى ما جرى لسانه إلا بذكرها ، وما شدا إلا بآمالها وأمانيها

غنَّى لها ، وغنى ، ولكنها تجاهلته حيناً واضطهدته أحياناً أخرى واهتزت جزعاً وحزناً حين فقدته

غنى لها حين ألفاها سادرة فى الضلال تتخبط فى رهج الونى والعجز ، وتتعثر فى دياجير الخمول والفتور ، ليوقظها من سباتها العميق ويمهد لها سبل الإفلات من ربقة هذه الغفلة ، فهو القائل :

تيقَّظت الأقوام من غفلة لها ونحن بحال لم نزل فيه نهجع

والقائل :

أيها الشعب طال نومك فيقظ للمساعى فالليل صار نهارا

وليبعث فيها من الثقة والعزم ما ييسر لها تحطيم أصفاد اليأس ونضو ثياب الذل ومجاراة الأمم التى سبقتها فى مضمار التقدم والرقى فقال :

يا قوم قد وعر الطريق أمامكم فإذا عزمتم تسهل الأوعار

المندثر وساعاته الخاليات ، وذكر كيف اكتسح الأفق المديد ، وغطَّى الشمس المشرقة ... ثم جاءت هذه النجوم الصغيرة تعبث به وتهزأ منه ، فلم يملك أن بكى . . . وانثالت دمعاته على كل نبتة وفوق كل غصن . وكان بكاؤه هذا الندى الطرى الذى اندفع يتلقى بسمة الصباح

... وهكذا تتراقص الأمانى من حوالينا ... أيتها الإنسانة الكريمة ... وتنبثق شعاعاتها الناعمة تخط الفجر الذى نرنو اليه ؛ وتتسق ألوانها الزاهية السبع لتنسج بردة الشمس ، ولكنها تمضى فى هدوء واتزان ؛ فلن تمر بنا فى كل مرحلة ، ولن تقف بنا عند كل لون . ولكنها ستفجؤنا هالة بيضاء نيّرة ؛ فهلا وفَّرت عليك بعض الجهد ، وحفظت عليك بعض القوة ، وكففت عن ارتقاب المشرق كما أرقب ، والتحديق فيه كما أحدق ؟!

ولكن لا عليك ، لا عليك يا أُماه ؛ حدّقى ، وارقبى ، إن نظراتنا كهذه النجوم ترقص رقصة الظفر ، وتنشد نشيد الحياة ، وترسم للقاء القريب دعوة كريمة !

(القاهرة) شكرى فيصل

إن التوقف فى زمان حازم فيه تقدمت الشعوب ، لعار

والقائل :

أمة تكسر الرتاج إذا ما وجدت دون ما تريد رتاجا

وغنّى حين رأى الجهل يرين على العقول فيكبحها عن الرشاد والسداد ويهوى بها إلى وهدة الزيغ ، ليرفع عن مداركها آصار الأفن ويدرأ عوادى الطيش ويخفف غرام الأمية فقال :

العلم ثروة أمة ويسار والجهل حرمان لها وبوار

وقال :

لا يأمن المدلج السارى تورطه ما لم يوطد له من عقله سندا

وقال :

استنيروا بالعلم فالعلم نور إنما بالعلوم تنفى الشرور

ويهيب بها للتهافت على ينابيع العلم ونشر التعليم فقال :

أليس الرضى بالعلم أكبر حطة أليس ذراع العلم أقدر دافع

خذ العلم إن العلم مال لمعدم وريٌّ لعطشان وقوت لجائع

وقال :

تشق حياة ما لها من مدرب وتشقى بلاد ليس فيها مدارس

ثم غنى لما وجد الرجعية تحدق بالحقائق فتشوهها وتمسخها ، وتنأى بالعقائد عن هدفها السامى وغايتها المثلى ، فقال حاثاً على التمسك بالحقائق دون الأوهام والتحرر من نير الخرافات والنزوع إلى التجدد ومماشاة روح العصر الذى لم يعد يألف وهذه الأوهام

يا قومنا لا نفع فى أحلامكم خذوا الحقائق وانبذوا الأحلاما

جهل الذين على قديم عولوا إن الزمان يغير الأحكاما

وقال :

أنضوا القديم وبالجديد توشحوا حتام تختالون فى الأطمار

وتملصوا من نير كل خرافة خرقاء تلقى الرين فى الأفكار

وغنى حينما تبين المرأة ترزح تحت أعباء التقاليد البالية وينوء بها الحجاب ، مدافعاً عنها ، ذائداً عن حقوقها السليبة طالباً إنصافها فقال :

غصبوا النساء حقوقهن فلا تصان ولا تؤدي

وإذا النساء ردين فى شعب فإن الشعب يردى

وقال :

طالما قد وقفت أدرأ عنهن الرزايا فيالها وقفات

ثم غنّى ... وغنّى ...

وما كان ليفت فى عضد الزهاوى أو يثنيه عن عزمه طعن أو ثلب وإعنات أو إرهاق ورائده نصرة الحق ؛ وحسبه ذلك مسيغاً لغصة الجحود ، ومخففاً لوطأة النكران ، وإن قوله :

هى الحقيقة أرضاها وإن غضبوا وأدعيها وإن صاحوا وإن جلبوا

أقولها غير هياب وإن حنقوا وإن أهانوا وإن سبوا وإن ثلبوا

لأقوى دليل وأنصع برهان على تفانيه فى سبيل الحقيقة !

هذا هو الزهاوى وهذه بعض مآثره وألحانه ...

أفليس من حقه على أمته التى حمل نفسه من أجلها على المعاطب وجوزى منها بالصدود والإغفال أن تعنى بإحياء ذكراه براً منها بالأدب واعترافاً بالفضل ووفاء بالعهد ؟ !

أمثل الزهاوى من يمر يوم ذكراه كسائر الأيام ؟ !

لطفك اللهم بالأدب ... فإن ما يلقاه من عقوق الناس لعظيم وأنتم أيها الجاحدون لفضله ... أليس فى كل ما أداه الزهاوى لأمته ما يستدر من مآقيكم دمعة حبسها الغرور ومنعها الحقد ؟

حسبك يا جميل أنك القائل :

كنت للحق كل عمرى وفيًّا وسأبقى حتى أموت وفيًّا

وقد أديت رسالتك على وجه الأكمل في ذمة الخلود .

(بغداد — مصرف الرافدين) يحيى محمد على

لكى تعيش ....!!

للأستاذ م دراج

أليس عجيباً أن يتعارض المنطق مع القانون ؟ إن منطق الحياة ليقول : الحياة تبرر نفسها ! ولكن القانون لا يخضع دائماً لمثل هذا القول ! « الحياة تبرر نفسها » منطق عجيب حقاً ينسف دعائم الجريمة والعقاب ، ومع ذلك فالقانون باق ، وسنة الحياة لا تتغير ! أجل ... إن القانون يثور على المجرمين ، ولكنه لا يفهم لماذا أجرموا ؟ يصليهم العذاب فى أركان مظلمة يسميها « دور التأديب والإصلاح » ! ولكن هذه الدور تزداد دائماً ، وتتسع ، وتكتظ ، ومع ذلك يصر على أنها ليست للأفساد ، لسبب الانحطاط فى طبقة ما من الأمة ، ويتعلل بتدهور أخلاقها ، ثم ينسى التفسير الصحيح لهذا التدهور ، وكيف تسببت أعراضه وتفاقمت ، لأنه لا يريد أن يقول : إنه الجوع أو الجهل ، أو الحرمان أو الفقر بمعنى أقرب وأوضح ...

هذه هى القصة ، قصة المرأة التى خلقت التاريخ ، وبقيت المحور الذى تدور عليه حوادث العالم حتى اليوم ... رأيتها بالأمس تسير الهوينا إلى جانب الطريق : تتصفح الوجوه صفحة صفحة بعينين لهما منطق مفضوح ! لقد طال سيرها على غير هدى ، حتى كاد التعب يهوى بفرعها إلى الأرض ، فأسندت ظهرها إلى جذع شجرة عتيقة كمن يريد انتظار شىء معلوم ... فوقفت على بعد منها ، لأنى لمحت على وجهها سمة التضليل واضحة ، ولم يخف عنى أنها تنتظر المجهول ... المجهول الذى يقودها من هذه السوق التى أقامتها مدنية القرن العشرين لتجارة الرق المشروعة ، فما ذا رأيت ؟ رأيت قطعة من جسم الإنسانية ، تتمرغ فى الوحل ، والناس يطربون لهذا المنظر البشع ، ويتهافتون على مشاهدته ، فبعضهم من ذوى « الرؤوس البيضاء » كانوا يرمقونها بنظرة التهكم والسخرية ؛ أما البعض الآخر فمن ذوى الشعور اللامعة والحواجب المزججة ، فإنهم يصارعونها النظرات أولاً ثم يفتشون فى مظهر الثديين ، ثم يهبطون بأنظارهم حتى قدميها ، وكثيراً ما كان بعضهم يتعمد المرور من ورائها ليطمئن إلى حكمه الأخير ! وهم لا يكفون عن اللف والدوران ، وكأنهم جيوش من النحل تطوف حول زهرة من أزهار الربيع ... إن منظرها على هذا الوضع ليضايقنى ويثير فىَّ غيرة لا أعرف مصدرها ، لعلها الثورة على الإنسانة الذليلة ، أو لعلها الأنانية التى لا يخلو من بعضها كائن بشرى ... ووجدتنى مضطراً إلى الابتعاد ، فقد كان يؤلمنى أن أكون أحد المتحفزين للدخول فى صفقة كهذه . ولم أكد أبتعد خطوتين ، حتى أعود فألقى عليها نظرة أخيرة ، فأجد سيارة ضخمة لها طنين العظمة والكبرياء تتباطأ رويداً رويداً ، ثم تقف عن الحركة ، ويتحرك بابها ، ولا ينزل منه أحد ... لقد حجبت عنى هذه السيارة منظر الفتاة ، فقفزت كذلك خطوتين إلى الأمام حتى وضح لى أنها تحدق فى داخلها ، ثم تتقدم بعض الشىء ، وخيل إلىّ أنها تسأل عن الثمن ... وأخيراً تقفز إلى جوار السائق وتندفع السيارة بصيدها الحرام ، مخلفة وراءها عثاراً مشبعاً بدخان العظمة والكبرياء ...

ويضيق صدرى ، فأمشى مسلوب العاطفة والفكر معاً . أمشى أنا أيضاً على غير هدى ، هنا وهناك لا ألوى على شىء . وفجأة أسمع طنيناً يعيد إلى صوابى ، فأدرك أن حياتى كانت معرضة للخطر ، كنت مهدداً بالفناء من هذه السيارة الماجنة ، فقد وقفت منى على بعد أمتار . وألقت صيدها المذبوح إلى الطريق! وعلى غير وعى منى أتبع خطواتها ، فهى تسير فى نفس الاتجاه الذى يصل بى إلى مسكنى . ولكنى لا آبه بالوقت ، ولا بحاجتى إلى الراحة ، وأتابع السير وراءها حتى تعرج على دكانة تبيع « سمكا مشوياً » ثم إلى بائع الخبز فتبتاع منه حاجتها ... وتواصل السير وأنا أتبعها ... لقد اندفعت اندفاعاً غريباً لأعرف شيئاً عن قصتها . سلكت شوارع مظلمة ، وحارات ، ودروباً ما كنت أتصور أن القاهرة ، هذه المدينة الجميلة الضاحكة ... ذات القصور والفنادق والملاهى والأحياء التى تضارع أرقى العواصم فى الغرب ، هذه المدينة التى يسمونها كذباً وتضليلاً عروس الشرق ، تضم هذه المباءات القذرة ، تلك التى لا تجد لها مثيلاً بين زنوج أفريقيا أو بلاد نيام نيام أو أى أرض شئت

وأخيراً أراها تحيى أمها العجوز ، وتنحدر إلى باب مسكنها الغائر فى بطن الجبل . فأتذكر المرأة التى أمر بها كل يوم وهى جالسة إلى صندوق القمامة تفتش فيه جاهدة عن شىء يؤكل ، والرجل الذى تسلل إلى فضلات طعام إحدى الفرق المعسكرة ، فأرداه الجندى صريعاً بالرصاص . والفلاح الذى يأكل الحشائش من الأرض كالحيوان . والعامل الذى يقسره الجوع أن يسرق

قطعة من « العجوة » ليبلع بها رغيفه ... كل أولاء، كهذه المرأة هم فى العذر والحاجة سواء . لقد فقدوا كل إحساس لأنهم جياع فما يهمهم عرف ولا قانون . وهل فى عداد القوانين التى تنظم حياة المجتمع قانون واحد يجنب الفقير عواقب الشطط ! ! آه ... لقد تذكرت ! هنالك السجون ! وهل رأيت فى السجون إلا فقيراً أو محروماً أو مطروداً ؟ هـذه السجون بنيت لفريق واحد من الناس ، وليس هذا الفريق من الأغنياء !

وعدت إلى دارى مهموم القلب ، يحتدم بينى وبين نفسى عراك عنيف : إنها ساقطة ... بغى ... عهرة تفسد فى الأرض . أثور . وهى تهدئنى : « ألا تدرى أن صفقة كهذه لا غبار عليها . مادام الخمر والجوع هما وسيطاها ! إن الخمر والجوع كليهما كأس يثمل شاربها . فكل كأس من الخمر لها رصيد من العرق أو الدموع ! فلم لا ترى مثل هذا يحدث على الشاطئ الغربى من النيل . . . حيث تقوم القصور الشاهقة مطلة على الأكواخ والكهوف . لا محل للأسطورة القديمة التى كانوا يسمونها الفضائل، والشرف . والكرامة ، والمروءة ! كل هـذه أكاذيب قد عفت منـذ زمن بعيـد . إن الإنسانية تتقدم ، وتتطور ، دائماً ، دائماً ، حتى فى تجارة الرقيق . ولكنها تجارة منظمة . أجل تجارة منظمة تتفق وأسلوب القرن العشرين ...

لا ياصاحبى . إنهـا إنسانة لا بد لها من القوت لتعيش . ومن يدرى ؟ ربما أعيتها الحيل فى البحث عنه ، أذلتها الحاجة . والجواب بغير ثمن ليس من طبيعة هذا العصر ، ولا من تعاليمه . فما الكرامة . وما الشرف ، وما العرض ، أمام الحاجة الملحة للطعام ؟ وما دمنا قد رضينا أن يحيا كل إنسان لنفسه ، فليس لك أن تلوم المرأة العاطلة ، التى لا عائل لها ولا قانون يحميها ، إذا انغمست فى الظلام تفتش عن شىء أعياها البحث عنه فى النور . إن لغة العطف والرحمة لم تعد من مصطلحات هذا الزمن . فالرجل القادر على أن يمنح العطف والرحمة فى شكل كسرة تمسك الرمق أو ثوب يستر الجسد قد طغت عليه تكاليف المدنية ، فهو يرى أن « جالوناً » من البنزين لسيارته ، أو كأساً من الشراب يذهب بصوابه ، أو حفلة ساهرة ترمز إلى عظمته ، أحق وأولى من معونة لا يطالبه بها القانون ، ولا تعترف بوجوبها الدولة !

صدقنى إذا قلت لك : إن يد المدنية الحديثة قد قلبت صفحة الزمن ، فطوت معها كل أثر للفضائل فى العهد القديم . نحن الآن أمام صفحة جديدة ، تختلف فى تعاليمها ومراميها ، وليس من معانيها شىء اسمه الرحمة !!

إن القوة الآليـة التى جعلت الثروة تتركز فى يد عدد قليل من الناس ، وتتزايد بأرقام مخيفة ، هى عينها التى سلبت الكثرة الهائلة النزر الضئيل الذى بيدها حتى باتت تبحث عن الرغيف فلا تجده . فالزيادة المطردة فى جانب، والنقص المستمر فى جانب ، قد أوجدا ميزاناً عجيباً تعلو فيه كفة إلى السماء ، وتهبط أخرى حتى تلاصق الأرض . وليس القبّ الذى يرفع هـذا الميزان هو توراة « موسى » ولا إنجيل « عيسى » ، ولا هو القرآن الذى بلغه « محمد » . كما أن صنجاته ليست من المروءة أو الكرم أو الزهد ، ولكنها من نوع آخر تبيحه المدنية وتشجعه ، من الغش ، والطمع ، والمكر ، والاستغلال الشنيع الذى لا يصده حتى عرض فتاة مسكينة تتضور جوعاً !

فكيف إذن تطلب من امرأة ضعيفة جائعة محرومة من شريعة الدين وشريعة المدنية ، أن تفهم معنى الكرامة والشرف وقداسة العرض فى هذا المعترك الضال ؟ الإنسان ظل للنظام الذى يعيش فيه ، فكيف يستقيم الظل والعود أعوج ؟

كيف ؟ كيف ؟ لم يعجبنى دفاع غنى عن البغى . رأيت فيه دفاعاً عاطفياً لا يجوز على العقل ، فاختلفنا ، واتفقنا أن نقدم « للرسالة » هذه القضية .

م . دراج

الامبراطورية اليابانية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

ليس من شك فى أن أنظار العالم فى هذه الأيام تتجه صوب ميادين القتال المختلفة : فى ليبيا وروسيا وفى الشرق الأقصى ، وفى المحيطين الأطلنطى والهادى ، وتتلهف إلى استماع أنبائه عسى أن تنفذ أبصارهم إلى غياهب المستقبل فيعرفوا بعض ما ينتظرهم . وليس من شك فى أن أنباء القتال فى الشرق الأقصى تستأثر فى الوقت الحاضر بالجانب الأكبر من اهتمامهم . لقد بدأ المستر تشرشل حديثه الذى أذاعه فى مساء يوم الأحد ١٥ من فبراير سنة ١٩٤٢ بإذاعة نبأ سقوط سنغافورة فى يد اليابانيين . قال مخاطباً شعوب الإمبراطورية : « أتحدث إليكم جميعاً فى ظل هزيمة عسكرية شديدة بعيدة المدى . لقد سقطت سنغافورة ، واجتيحت شبه جزيرة الملايا كلها »

ومضى يقول : « لقد تعرضنا جميعاً لهجوم شعب محارب يتجاوز عدده التسعين مليوناً من الأنفس تسلح بأمضى أنواع الأسلحة » ووصف شجاعة اليابانيين فى ميدان القتال ، وقوة اليابان الحربية فقال : « وخليق بكل إنسان ألا يقلل من شأن قوة اليابان الحربية وقوتها فى الجو أو فى البحر أو فى ميادين القتال البرية يوم يتنازل رجل رجلاً ، فقد أثبتوا أنهم محاربون بواسل حقاً » ولا شك أن الناس يتوقون إلى معرفة الكثير عن اليابان . وهل تستطيع أن تصمد طويلاً فى هذه الحرب أم لا . وها نحن فى مقالنا هذا نحاول أن نمدهم بما يتسع له المقال من معلومات .

اليابان إحدى الدول العظمى التى ما تزال محتفظ بالنظام الملكى ؛ وامبراطورها يلقب بالميكادو وله سلطان عظيم على رعاياه . ويطلق على اليابان لقب امبراطورية مع أنها لم تكن قبل فتوحاتها الحديثة أكبر من فرنسا بل كانت أصغر مساحة من شبه جزيرة اسكندناوة وإن كان عدد سكانها يزيد على التسعين مليوناً . ويمتاز اليابانيون بنشاطهم وذكائهم ؛ ولكن هذه الصفات لا تساعدهم على أن يجعلوا من طبيعة بلادهم الجبلية حدائق غناء أو مزارع خصبة ، ومن ثم اضطر اليابانيون إلى الالتجاء إلى الصناعة « كما حدث فى بريطانيا » واستبدال مصنوعاتهم بما يحتاجون إليه من مواد غذائية ومواد خام ـ ويشتغل معظم سكانها بالزراعة ، ومع هذا يعتقد كثير من الكتاب أنه لولا التجاء اليابانيين إلى البحر المجاور طلباً للسمك لما استطاعوا تموين أنفسهم . ولم يشعر اليابانيون بالضغط الناشئ من ازدحام السكان فى بلادهم ؛ ولعلهم لا يشعرون بذلك لأنهم ملاحون يستطيعون أن ينشئوا علاقات تجارية مع العالم الخارجى ويحصلوا على ما يبتغون من مواد خام ومواد غذائية . وقد كانت اليابان تستورد الأرز من الهند الصينية ، والنترات من شيلى ، والأخشاب من استراليا .

تتكون اليابان من أربع جزائر كبيرة : هندو ، وهكايدو ، وكيوشو ، وشيكوكو ، وعدد عديد من الجزائر الصغيرة . وهى كانجلترا تعزل عن القارة الآسيوية يفصلها عنها بحر اليابان ؛ وقد أتاح لها فرصة جعلتها تنمو وتنهض وتنشئ حضارة خاصة بها ودولة مستقلة لا تخضع لغيرها . يمتد الأرخبيل اليابانى من جنوب شبه جزيرة كمتشتكا فى عروض لندن إلى فرموزة فى العروض الحارة ؛ ومن ثم نجد مناخ أجزائها الشمالية بارداً ؛ ويزيد فى برودته هبوب الرياح الشمالية الباردة عليه شتاء ، وهبوب تيار كوريل البارد ، بينما جنوبها حار . على أن معظم أجزائها يقع فى مهب الرياح الموسمية الصيفية ويتمتع بكميات كبيرة من المطر ، وسطحها جبلى ولذا كانت أنهارها قصيرة تكثر بها المساقط وهذه قد استخدمت فى توليد الكهرباء .

الغلات والنباتات

اليابان فقيرة من حيث مواردها الزراعية ؛ فثلث مساحتها صالح للزراعة . وأهم ما يزرع به الأرز وهو الغذاء الرئيسى للسكان ، والقمح والشعير والفواكه والخضر ، وفى الأجزاء الجنوبية يزرع الشاى وشجر التوت . واليابان من أكبر الدول إنتاجاً للحرير الطبيعى . وفى فرموزة تنمو الغابات التى من أهم أشجارها الكافور . وفى وديانها يزرع الأرز وقصب السكر ويصدر إلى اليابان الأصلية Gapan proper . وتستورد اليابان مقادير كبيرة من المواد الغذائية من بلاد آسيا المجاورة . وتغطى الغابات كثيراً من أرضها وتمدها بالأخشاب اللازمة لصناعاتها

المعادن والصناعة

يوجد باليابان الفحم ؛ ولكن القدار المستخرج منه لا يزيد على ثمن « ⅛ » الناتج من بريطانيا ؛ ولذا لا نعتبر اليابان من الدول الهامة

٢٥ ـ المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد دليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل السادس — عاداتهم

كثيراً ما يلجأ الأب والأقارب الفقراء إلى التخلص من الطفل الذي مات أمه ولم يفطم عند ما لا يستطيعون الحصول على ظئر له. وقد يوضع الطفل أحياناً على باب المسجد ساعة صلاة الجمعة، فيحدث عادة أن تأخذ الشفقة بعض المصلين عند خروجه من المسجد فيحمله إلى منزله حيث ينشأ في أسرته كطفل متبنى لا رقيق. وقد يعتني بعضهم بالطفل حتى يجد له رجلاً أو امرأة تتبناه. وقد حدث من زمن غير بعيد أن عرضت امرأة على سيدة من أسرة يعرفها صديق لي أن تبيعها طفلاً سنه بضعة أيام وجدته على باب مسجد؛ فقبلت السيدة تربية الطفل لوجه الله رجاء أن يحفظ لها طفلها الوحيد جزاء هذا الإحسان. ثم ناولت المرأة التي أحضرت الطفل عشرة قروش ولكنها رفضت الأجر المقدم. وهذا يبين أن الأطفال يصبحون أحياناً مجرد سلع، ويستطيع من يشتريهم أن يجعلهم عبيداً له يتصرف فيهم كما يشاء. وقد أخبرني أحد النخاسين وأكد لي غيره خبره هذا أن الوالدين قد يبيعان الصغيرات أحياناً باعتبارهن جواري مجلوبات من بلاد أخرى؛ وأن كثيراً من أولئك البنات سلمن إليه بإرادتهن ليبيعهن؛ وقد أُلقي في روعهن أنهن سينعمن بالملابس الفاخرة والترف العظيم، وعُلّمن أن يقلن إنهن أُحضرن من بلادهن في سن الثالثة أو الرابعة ولذلك يجهلن لغتهن الأصلية، وإنما يمكنهن التكلم بالعربيةَ فقط.

وكثيراً ما يحدث أيضاً أن الفلاح يضطره الضنك الشديد إلى وضع ابنه — مقابل مبلغ من المال — وضعاً أسوأ بكثير من الرق. وذلك عند ما يطلب مجندون من القرية فإن شيخ البلد يعمد إلى الطريق الأسهل فيجند أولاد من يقتنون وهؤلاء يستطيعون أن يخلصوا أولادهم من الجندية بأن يعرضوا على الفلاحين الفقراء أن يجندوا أولادهم بدل أولادهم مقابل جنيه أو جنيهين لكل ولد. ويفوزون بطلبهم عادة مع أنه حب البنوة سائد عند المصريين بقدر حب الأبناء لوالديهم. ويكره أغلب الوالدين مفارقة أولادهم عند ما يجندون خاصة كما يدل على ذلك الوسائل التي يعمدون إليها لمنع تجنيدهم. وقد لاحظت أثناء

في إنتاجه ولا ينتظر لها مستقبل صناعي عظيم. وتوجد بها كميات من الحديد، ولكن جل اعتمادها في صناعاتها على ما تستورده من حديد أملاكها الأسيوية. وهي من أكبر دول العالم إنتاجاً للنحاس

وقد تقدمت الصناعة باليابان ولكن ما زال عدد المشتغلين بها من السكان قليلاً. وأهم الصناعات صناعة المنسوجات القطنية والحريرية والورق والخزف واللعب وبناء السفن

واليابان من الدول البحرية الكبيرة ولها أسطول عظيم وقد اضطر سكانها لركوب البحر لصيد السمك. ويبلغ عدد الصيادين حوالي المليون

موازنة بين بريطانيا واليابان

يشبه كثير من الكتاب اليابان ببريطانيا ويطلقون عليها The Britanir of the Pacific وهذا التشبيه صحيح من بعض وجوهه؛ ولكن هناك أوجه كثيرة للخلاف: فاليابان أقرب إلى خط الاستواء من بريطانيا؛ فهي تقع في عروض البحر الأبيض. ويختلف مناخها ومناظرها ومحصولاتها عن نظيراتها ببريطانيا. ويختلف الإنجليز عن اليابانيين في مظهرهم وأخلاقهم وطرق حياتهم. وتعتمد بريطانيا على الصناعة بينما اليابان ما زال أكبر اعتمادها على الزراعة. ويشك كثير من الكتاب في مقدرتها على أن تصبح دولة صناعية. فموارد الفحم بها لا يمكن أن تستمر طويلاً برغم ضآلة المستهلك منها. وتنقص صناعاتها الجودة والإتقان، أما انجلترا فمواردها وموارد أمبراطوريتها لا تنفد

ويرى كثير من الكتاب أن اليابان يمكن أن تكون موضعاً حسناً للمقارنة بإيطاليا لا ببريطانيا؛ فتركيبهما الجغرافي وعروضهما، وكثافة السكان بكل منهما، وانتشار الزراعة وقلة الممتلكات تجعل المقارنة بينهما ممكنة، بينما لا يمكن تشبيه اليابان ببريطانيا!

(للبحث بقية)

أبو الفتوح عطيفة

زيارتى الثانية لمصر أنك لا تكاد تجد فى أى قرية شاباً صحيح الجسم ليس بأسنانه كسر « حتى لا يمكنه أن يقرض الفشكة » أو بأصابعه نقص، أو بعينيه إصابة أو عمى حتى لا يجند. ويتخذ النساء المتقدمات فى السن وغيرهن هذا الأمر حرفة منتظمة، فيدرن على القرى لتنفيذ هذه العمليات؛ وقد يقوم أبوا الولد أنفسهما بهذا الأمر. ويبدو مما قيل آنفاً أن العاطفة ليست وحدها دائماً السبب الذى يدفع أهل الطفل إلى الالتجاء إلى مثل هذه الوسائل حتى لا يحرموا أطفالهم.

ولا يمكن تصوير فلاحى مصر من حيث حالتهم المنزلية والاجتماعية وشمائلهم صورة ملائمة. ويشبه الفلاحون على أسوأ الاعتبارات أسلافهم البدو دون أن ينعموا بكثير من فضائل أهل الصحراء إلا فى درجة منحطة. وكثيراً ما أحدث ما ورثوه عن أجدادهم أسوأ تأثير فى حياتهم الداخلية. وقد ذكرنا من قبل أن المصريين انحدروا من عدة قبائل عربية سكنت مصر فى عصور مختلفة، وأصهروا إلى الأقباط، وأن التمييز بين القبائل لا يزال قائماً بين سكان القرى فى القطر كله. وقد انشعبت بمرور السنين سلالة كل قبيلة من المقيمين إلى عدة فروع؛ وسميت هذه القبائل الصغيرة بأسماء متميزة أطلقت على القرية أو القرى أو المركز الذى يقيمون فيه. ولم يحتفظ الذين أقاموا طويلاً فى مصر بالعادات البدوية الكثيرة، ولم يصونوا نقاوة جنسهم، وإنما أصهروا إلى الأقباط الداخلين فى دين الإسلام أو سلالتهم؛ ولذلك تحتقرهم القبائل التى أقامت فى مصر بعدهم فيسمونهم ازدراء (فلاحين) بينما يجعلون لأنفسهم تسمية العرب أو البدو؛ ويتزوج هؤلاء الآخرون متى شاؤا من بنات الأولين، ولكنهم لا يزوجون بناتهم لهم؛ ويثأرون للدم إذا قتل شخص من قبيلة وضيعة أحدهم بقتل اثنين أو ثلاثة أو أربعة؛ وقد أشير إلى تلك الشريعة البدوية الوحشية الخاصة بثأر الدم وسيادتها بين سكان قرى مصر فى فصل لاحق. فيقتل أحد أقارب القتيل من ذريته أو من سلالة الجد الأكبر لأبيه القاتل، أو أحد الأقارب المذكورين من ناحيته؛ ولذلك كثيراً ما ينشب القتال بين قبيلتى القاتل والقتيل، وقد يستمر أو يتجدد كل حين عدة سنين. وكثيراً ما يكون الأمر كذلك نتيجة إهانة يسيرة بين شخصين ينتميان إلى قبيلتين مختلفتين. وكثيراً ما يعود الثأر بعد جيل أو أكثر من ارتكاب القتل، بينما كانت الخصومة فى ذلك الوقت هادئة، وربما لم يكن يذكرها أكثر من شخص واحد. وهناك قبيلتان فى الوجه البحرى إحداهما (سعد) والأخرى (حرام) اشتهرتا بهذه الحروب والخصومات الصغيرة[1]، ولذلك يطلق اسمها عادة على أى شخصين أو فريقين عدوين. ومما يثير الدهشة أن يباح فى الأيام الحاضرة مثل هذه الأعمال التى إذا ارتكبت فى مدينة من مدن مصر عوقب عليها بالموت أكثر من شخص. وقد أباح القرآن الثأر ولكنه قيد تنفيذه بالعدل والاعتدال. وتخالف هذه الخصومات حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ». ويشبه الفلاحون البدو فى أحوال أخرى؛ فعند ما تخون الفلاحة زوجها يقذف بها هذا أو أخوها فى النيل بعد أن يربط فى عنقها حجر أو تقطع إرباً ويقذف ببقاياها فى النهر. وقد يعاقب الأب أو الأخ العذراء التى تتهم بتنكر. ويعتبر أهل المرأة أن جريمتها تمسهم أكثر مما تمس الزوج، وكثيراً ما يحتقرون إذا لم يعاقبوها

الفصـــل الثـامن

عادات المجتمع العامة

يؤدى احترام المسلم للتجارة إلى اتساع دائرة معرفته بالناس على اختلاف درجاتهم اتساعاً عظيماً؛ وينشط قانون انفصال الجنسين حرية المعاملات بين التجار إلى مدى بعيد، إذ يسمح للتاجر أن يشارك غيره — بصرف النظر عن اختلاف الثروة أو الدرجة — دون خشية اقتران شخصين متفاوتين بالزواج؛ وتتمتع النساء مثل الرجال بسعة المعاملات التجارية مع الغير من جنسهن

ويتكلف المسلمون ويدققون فى شمائلهم الاجتماعية إلى أقصى حد؛ ويقوم الكثير من عاداتهم الشائعة على تعاليم الدين، وذلك يميزهم فى مجتمعاتهم من كل قوم آخرين. ومن عاداتهم تحية بعضهم

---

(١) مثل قبيلتى (قيس) و (يمن) فى سوريا

بعضاً بقولهم : «السلام عليكم»[١] فيرد من يحيونه بقوله : «عليكم السلام ورحمة الله وبركاته»[٢] . ولا يوجه المسلم هذا السلام إلى من يخالفه في الدين[٣] ولا بالعكس[٤] ؛ ويجب على المسلم أن يحيي المسلم بهذه التحية ، إلا أن إهمال هذا الواجب لا حرج فيه . ويجب رد التحية على الإطلاق ؛ فالتحية (سُنَّة) وردها (فرض) . وقد يحيي المسلم مع ذلك خطأً من يخالفه في الدين ، وليس على هذا أن يرد التحية . وينقض المسلم تحيته عند ما يتبين خطأه بقوله : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ؛ وكذلك يفعل أحياناً إذا حيا مسلماً ورفض أن يرد السلام

وأهم آداب السلام كما أملاها الرسول (ص) وكما يتبعها المصريون المحدثون ما يأتي : يبدأ الراكب بالسلام على الراجل ، والعابر على الجالسين قلوا أو كثروا ، والفئة القليلة أو أحدهم على الفئة الكثيرة ، والصغير على الكبير[٥] ، ولما كان يكفي أن يوجه السلام واحد من الجماعة فكذلك يكفي أن يرده واحد . ويجب على المسلم أيضاً أن يحيي أهل النزل عند دخوله وخروجه ؛ ويجب دائماً أن يبدأ بالتحية ثم يتحدث . وللدأب السابقة بعض الشواذ فلا يلزم مثلاً في المدينة المزدحمة تحية أكثر هؤلاء الذين قد يمر بهم الإنسان نزلاً في الطريق حيث يقابل المرء عدة عابرين . إلا أن العادة جرت على أن يُحيي الرجل الموسر أو الحسن الهندام أو الشيخ المحترم أو أي شخص وجيه من يبدو أنه رفيع المكانة أو عظيم الثروة أو من رجال العلم ولو كان الطريق حافلاً . وعادة المهذبين أن يضع من يسلم أو من يرد السلام يده اليمنى على صدره أو يلمس شفتيه ثم جبهته أو عمامته ويسمى ذلك (تَيْمينه) . وتؤدى التيمينة الأخيرة ، وهي أكثر احتراماً ، لمن علا قدره لا مع السلام فحسب، ولكن أثناء الحديث أيضاً وبدون سلام حينئذ

ولا يؤدي من كان من الطبقة الدنيا السلام إلى العظيم دائماً وعلى الأخص إذا كان تركياً ، وإنما يكتفي بأداء التيمينة . ويظهر احترامه لمن سما مركزه بإحناء اليد إلى أسفل ثم رفعها إلى شفتيه وجبهته دون أن ينطق بالسلام . ومن العادات الشائعة أيضاً أن يقبل الرجل يد العظيم ، ظهرها وحده أو ظهرها وباطنها أحياناً ، ثم يضعها على جبهته لاظهار احترامه الخاص . إلا أن العظيم لا يسمح بذلك في أغلب الأحوال ، وإنما يلمس اليد التي تمد إليه فيضع المحيّ حينئذ يده على شفتيه وجبهته فقط . وتقبل القدمان دلالة على الخضوع والذلة لالتماس العفو عن ذنب أو للشفاعة لشخص آخر ، أو لطلب إحسان من عظيم . ويقبل الولد يد أبيه والزوجة يد زوجها والعبد والخادم الحر غالباً يد السيد . ويقبل أرقاء العظيم وخدمه كم ملابسه أو طرفها

وعند ما يُحيي الأصدقاء الخواص بعضهم بعضاً يتصافحون باليمنى ، ثم يقبل كل منهم يده أو يضعها على شفتيه وجبهته أو يرفعها إلى جبهته فقط أو يضعها على صدره دون أن يقبلها . ويتعانقون بعد الغياب الطويل وفي بعض المناسبات الأخرى . فيقبل كل منهم الآخر على الناحيتين اليمنى واليسرى . وهناك طريقة أخرى للتحية شائعة الاستعمال بين الطبقات الدنيا . فعندما يتقابل صديقان بعد سفر يتصافحان ويهنئ كل منهما الآخر على سلامته ويتمنى له الهناءة والرفاهية مردداً عبارتي : « سلامات » و « طيبين » على التعاقب ومراراً . وعند ما يبدآن هذه التحية التي تدوم وقتاً ، وقبل أن يأخذا في الحديث يتصافحان كالعادة المتبعة عندنا ، ويغيران وضع اليد كلما ينطقان العبارتين السابقتين فيدير كل منهما أصبعه على إبهام الآخر عند ما يردد العبارة الثانية ويعود إلى الوضع عند العبارة الأولى

(يتبع) عدلي طاهر نور

---

(١) أو « سلام عليكم »

(٢) أو « عليكم السلام » فقط . ولكن العبارة الطويلة تستعمل عادة تبعاً لأمر القرآن (سورة النساء آية ٨٦)

(٣) وقلما يفعل ذلك مسلمو مصر

(٤) ومع ذلك يرد المسلم أحياناً بعبارة « وعليكم » عند ما يحييه غير المسلم هذه التحية

(٥) وقد ذكر هيرودوتس احترام المصريين للمسنين كما أشار إلى تحياتهم المهذبة (الكتاب الثاني ص ٨٠)

أغنية

من ليـــــالى الدانوب

للأستاذ أحمد فتحى مرسى

يا ليالى الحبِّ عاد الحبُّ ذكرى ، يا ليالى
يا مجالى النهـرِ أينَ النهرُ منَّا ، يا مجالى
غابَ عن عينى وما غابَتْ رُؤاهُ عن خَيالى
وسلامٌ يا مِهادَ الحبِّ يا نبعَ الجمال
يا ليالى الحبِّ عاد الحبُّ ذكرى ، يا ليالى

* * *

أينَ تحتَ الدَّوحةِ السكرَى أمانيُّ اللقاء
حينما أرختْ بنانُ الكونِ أهدابَ المساء
أينَ ضفَّاتُكَ يا نهرُ النديَّات اللوانى
لقيتْنَا بين ألحانٍ وأزهارٍ وماء
حُلُمٌ من غفوةِ الماضى تراءى فى جلالِ
يا ليالى الحبِّ ... ...

* * *

حدِّثى يا سرحةَ الوادى ويا خُضرَ الرحابِ
واذكرى يا كأسُ أحلامَ ليالينا العِذابِ
وارو يا نهرُ ترانيمى وأصغى يارَوابى
أنا من خلَّفْتُ فى واديكَ أيَّامَ الشباب
وانطوتْ صفحةُ أحلامى على تلكَ الرمالِ
يا ليالى الحبِّ ... ...

* * *

هاهنا كمْ صافحَ الزهرُ وندَّى راحتيْها
والفَراشاتُ إلى الضوءِ تَسامى وإليْها
ترتجِى الأمواجُ لو فاضتْ فمسَّت قدميها
وتودُّ الكأسُ لو تبقى طويلاً فى يديْها
والغصونُ الخضرُ ما بينَ سُجودٍ وابتهالِ
يا ليالى الحبِّ ... ...

* * *

سألتنى أترَى النهرَ جميلاً فى سُراه
لِمَ يبدو أزرقَ الصفحةِ يَسْبى من رآه
قلتُ يا أُنشودةَ القلبِ ، ويا حُلْمَ هواه
هذه الزُّرقةُ من عَيْنَيْكِ لَصَّتْها المياه
وتهادتْ راقصاتٍ بين زَهْوٍ واختيالِ
يا ليالى الحبِّ ... ...

* * *

أيها الأزرقُ يا مَسبحَ أحلامِ الحسانِ
والذى غنَّتهُ قِيثارِى شجيَّاتِ الأغانى
أنا من غنَّت بألحانِىَ أيَّامُ الزمانِ
وشدا كلُّ لسانٍ بالذى يشدُو لسانى
وحىُ أيَّامِكَ يا نهرُ وأيَّامِى الخوالى
يا ليالى الحبِّ ... ...

* * *

يا ليالى الحبِّ عادَ الحبُّ ذكرى يا ليالى
يا مجالى النهـرِ أينَ النهرُ منَّا يا مجالى
غابَ عن عينى وما غابتْ رُؤاهُ عن خيالى
وسلامٌ يا مِهادَ الحبِّ ، يا نبعَ الجمالِ
يا ليالى الحبِّ عادَ الحبُّ ذكرى يا ليالى

أحمد فتحى مرسى
المحامى



تواضع الأديب الحق

مما يسترعى الالتفات أحياناً تلك اللغة التي يخاطب بها بعض الأدباء زملاءهم ، فتراهم يقولون : « زميلنا أو صديقنا فلان يطلب إلينا كذا ، ونحن نقول له كذا ، والأجدر به أن يسألنا كذا » إلى آخر هذا الكبر والتكبر فى التعبير

هؤلاء قد نسوا من غير شك أو تناسوا أن تكبر الأديب الحق وتعاليه هو فى الفكر والتفكير لا فى مخاطبة الآخرين . إنى أرى شعار الأديب الحق هو : « تواضع فى معاملة الناس ، وتعالَ فى معالجة الأفكار » . لقد آن الأوان لأذكياء القراء أن يقفوا بالمرصاد لكل أديب يحاول أن يتعاظم بالحط من غيره ، وأن يرفع قدر نفسه بوسائل لا تتصل بجوهر الرسالة العليا للفكر والأدب

حدث ذات مرة أن تفضل أحدهم فذكرنى بقوله : « صديقنا فلان » ! فتساءلت : « أهو يريد أن يشرفنى بصداقته أم يشرف نفسه بتعظيمها على حسابى » ؟ !

يقولون إن الذوق شىء ليس فى الكتب ؛ ولكنى أقول إن الذوق شىء ينبغى أن يكون فى طبيعة كل كاتب

نوفيق الحكيم

على هامش العدد الممتاز

ظهر هذا العدد حافلاً كما تعود القراء بالآراء المنخولة ، والعلم المصفى ، والأدب الحى ، الذى يبعث الحياة قوية فى النفوس التى نال منها الجهد . وقد وقفنى ، وأنا أطالع بعض ما فيه من بحوث كمات – هى لفتات قوية – جعلتنى أكتب هذه الكلمة القصيرة

١ – يقول الأستاذ الجليل الزيات : « إن عمر رضى الله عنه رأى من العدل أن ينال اليهودى الذى عجز عن كسب حياته ، من بيت المال ما يمسك به نفسه » . ذكرنى هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد أهل الحيرة فى كتابه الذى جاء فيه : « وأيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات ، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته وعيِّل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة والإسلام (١) » أين هذا العدل مما نراه اليوم من ضياع حقوق الفقراء المسلمين عند الأغنياء المسلمين ولدى الحكومة فى دار الإسلام !

٢ – ويذكر المؤمن حقاً الأستاذ الغمراوى فى تأملاته أن الفضيلة جُعلت فى هذا الزمن الضال بأهله وسيلة للغلَب ؛ فالأمم تتعاهد فإن وجدت فى الوفاء ربحاً وفت ، وإن وجدت الربح فى النكث نكثت . هذه الحقيقة المؤلمة أذكرتنى كذلك ما جاء فى كتاب الفاروق عمر إلى سعد بن أبى وقاص وهو فى حربه مع الفرس : « فإن لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان ، أو قرفه بإشارة أو بلسان كان لا يدرى الأعجمى ما كلمه به وكان عندهم أماناً ، فأجروا ذلك مجرى الأمان . وإياكم والضحك ، والوفاء الوفاء ! »(٢)

هل ترى أنبل من هذا وأشرف ! يحض الفاروق على الوفاء بكلمة تبدو من المسلم لأعجمى لا يدرى معناها ولا يدور بخلده أنها أمان ، أما الأمم التي ترى أنها أوفت على الغاية من المدنية والحضارة ، والتى يأخذ عنها سادتنا وزعماؤنا ورجالاتنا العادات والتقاليد ، فتتعاهد وتُحكم العهد ، حتى لا تُترك فيه لفظة ينفذ منها شك ، أو حرف يكون تعلّة للبس ؛ ثم إذا رأت إحداها أن خيرها فى النكث نكثت ، إن مكنها من هذا ما تملك من حول وطول ، ومن قوى الدمار والهلاك !

يا قومنا ! يجب أن نعتز بتراثنا وآدابنا وأمجادنا التى تصمد فى مقام الاعتزاز والفخر . بذلك تحترمنا الأمم الأخرى ، ونسير فى طريق المجد . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

إلى الدكتور زكى مبارك

قرأت ما كتبته فى العدد (٤٤٨) من مجلة الرسالة الغراء تحت عنوان (أعدى الأعداء) ولست أقول فيه شيئاً ، غير أنى

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤١ ص ٢١٩ — ٢٢٠

(٢) المرجع نفسه ص ٢٢٨

أحيلك على ما كتبه الدكتور طه حسين بك فى العدد (٣٩٩) من مجلة الإثنين ففيه خير جواب لك

ولعل من الخير أن أذكرك بكلمة قالها الجاحظ فى كتابه عن النساء وهى : (لسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل أن النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو بأكثر)

وبمـا لقلمك من فضل على الأدب العربى الحديث لا يسعنى إلا أن أقول : (هداك الله للحق وأبعد كيد الشيطان عنك) .

(بنت بغداد)

حول الهجرة وشخصيات الرسول

أولى المجلات عناية بما ينشر فيها بحثاً ونقداً « مجلة الرسالة الغراء » لأنها أصبحت حقاً مشاعاً للطبقة الراقية من رجال الدين والعلم والأدب ، فلا غرو أن ينتظر القراء منها تحقيق ما ينشر فيها من بحث أو يذاع فيها من رأى . كتب صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت كلمة ضافية فى العدد ٤٤٩ ناشد فيها أمنية له حارة أن يعنى العلماء بجمع ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يميز من ذلك ما كان بصفته رسولاً وما كان بصفته إماماً أو قاضياً أو مفتياً ، بعد أن مهد لذلك بمقدمة نعى فيها على علماء الإسلام حرمانهم النبى صلى الله عليه وسلم من حق الاجتهاد وصورهم كأنهم يرون النبى صلى الله عليه وسلم اسطوانة لجبريل حيث غلبوا صفة الرسالة على صفة البشرية ، إلى أن قال فيه : ومن زعم ذلك فقد تلاقى فى رأيه من قريب أو بعيد بالذين يقولون « أبعث الله بشراً رسولاً » . ومعلوم أن قائلى ذلك هم الكفار

وماذا يقول الأستاذ فى أن كتب الأصول من أولها إلى آخرها تقول بصحة اجتهاد الرسول ، وأنه إذا أخطأ فى الاجتهاد نزل الوحى بتصحيح الخطأ ، لأننا مأمورون فى القرآن الكريم بالاقتداء به ولا نقر بحال على الاقتداء به فى خطأ . كذلك نصت جميع كتب الأصول وكتب الشريعة جماء على تقسيم أفعاله صلى الله عليه وسلم إلى ما كان منها جِبِلياً أو من قبيل العادات فلا يكون شريعة ولا نحن مأمورون بالاقتداء به فيها ، وإلى ما هو بيان لمـا جاء فى القرآن أو نزل بالوحى فيجب أن يكون تشريعاً عاماً ، وتحدثوا عن ذلك بإفاضة حتى مازوا ما يصدر عنه بصفة كونه إماماً ، وما يصدر منه بصفته مبلغاً أو قاضياً أو مفتياً وهى الشخصيات التى أرادها الأستاذ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من أمر الصحابة بالتفرقة بين ما يصدر عنه بصفته رسولاً وما يصدر عنه بصفته من البشر . جاء فى صحيح مسلم عنه قال : (إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر) وقال : (أنتم أعلم بأمور دنياكم)

واتخذ العلماء ذلك قاعدة شرعية بنوا عليهـا تفصيل الكلام فيما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم من تصرفاته ، حتى اختلفت الأئمة الأربعة فى كثير من المسائل بناء على هذا الأساس نفسه ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : (من قتل قتيلاً فله سلبه) حملها بعض المذاهب على أنه تشريع عام دائم ، ورأى مالك أنه تصرف منه بصفته إماماً . كذلك ورد (من أحيا أرضاً ميتة فهى له) رأى مالك والشافعى أن ذلك من باب التبليغ والرسالة فهو تشريع دائم ، ورأى أبو حنيفة أن ذلك إنما صدر عنه بصفته إماماً . إلى غير ذلك مما هو مذكور فى كتب الخلاف

هذا حديث العلماء فى القديم والحديث فى الفقه واختلافه باختلاف النظر إلى شخصيات الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يصدر عنه من قول أو فعل ، بسطوا القول فى ذلك ووضعوا له الأبواب والقواعد فى كتب الأصول وكتب القواعد وأحكام القرآن والسنة

فأمنية الأستاذ محققة بحمد الله ، وأما الخلاف فى الفروع الجزئية فهو ضرورة اجتماعية فى كل تشريع ، ويمتاز التشريع الإسلامى بأنه فيه مصحوب بحسن التفاهم وعمق النظر إلى اختلاف أحوال الأفراد والطوائف مما لا يوجد فى التشريع الوضعى .

محمد عبد السلام القبانى
المدرس بكلية الشريعة

البراق النبوى وقصة المعراج فى التصوير الإسلامى

نشرت مجلة المقتطف فى عدد فبراير ١٩٤٢ مقالاً للأستاذ « عمر حمدى » خريج معهد الآثار الإسلامية عن : « البراق النبوى » كنا ننتظر أن يذكر الأستاذ فى ذيله أنه ترجمـة لفصل من كتاب « التصوير فى الإسلام Painting in Islam » لمؤلفه « السير توماس أرنولد » ، وهذا الفصل فى الكتاب المذكور من صفحة ١١٧ ـ ١٢٢ بعنوان « البراق »

والأجدر بخريج معهد الآثار الإسلامية أن يلجأ فى كتابة مقال إلى الطريقة العلمية الصحيحة من إرجاع الفضل لذويه ، والاعتماد على المراجع ؛ فتلك هى الأمانة العلمية الواجبة ، فنحن الآن فى عصر زخرت فيه المكتبات بالكتب ، وصار فضل كتّاب المقالات ، بل فضل المؤلفين أنفسهم هو فضل إسناد

الآراء إلى مصادرها الأصلية . ذلك ما يطلب منهم ، إذا لم يكن أن يكون لهم فى مضمار العلم فضل الابتكار .

ونأمل أن يتفضل المقتطف الأغر بنشر هذا الاستدراك فى عدده القادم .

السيد العجمى

رأى الأئمة فى المذاهب الصوفية

بعد أن اطلعت – أيها القارئ الكريم – على فتوى الإمام « الطرطوشي » بالشين فى المذاهب الصوفية ، يجدر بك أن تسمع رأى أئمة الفقه المجتهدين فى هذه المذاهب الصوفية التى ذر قرنها فى أواخر القرن الثانى للهجرة، وظهر الشذوذ فى المنتحلين لها فى القرن الثالث للهجرة

قال الإمام الشافعي الذى توفى سنة ٢٠٤ هـ : إذا تصوف الرجل فى الصباح لا يأتى المساء إلا وهو مجنون . وأنكر الإمام أحمد الذى توفى سنة ٢٤١ هـ بعده على خيارهم ، ونهى عن قراءة كتب الحارث المحاسبي على التزامه الكتاب والسنة علماً وعملاً .

وروى الخطيب بسند صحيح أن الإمام أحمد سمع كلام المحاسبي فقال لبعض أصحابه : ما سمعت فى الحقائق مثل كلام هذا الرجل ، ولا أرى لك صحبتهم . وسئل الإمام أبو زرعة عن الحارث المحاسبي وعن كتبه التى ألفها فى : أصول الديانات ، والزهد على طريق الصوفية ؛ فقال للسائل : إياك وهذه الكتب ، بدع وضلالات . عليك بالأثر ، فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ؛ فقيل له : فى هذه الكتب عبرة ؛ فقال : من لم يكن له فى كتاب الله عبرة ، فليس له فى هذه عبرة – بلغكم أن مالكاً أو الثورى أو الأوزاعى أو الأئمة صنفوا كتباً فى الخطرات والوساوس وهذه الأشياء ؟ هؤلاء قوم قد خالفوا أهل العلم . ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع !

ومن خيار الصوفية الوعاظ المتقدمين منصور بن عمار ، وقد ذكر بن مفلح فى كتاب « الآداب الشرعية » أن الإمام أحمد نهى عن كلامه . وقد أنكر الغزالى فى كتاب « الغرور من الإحياء » على المتشبهين بالصوفية ، وكان ذلك فى أواخر القرن الخامس ، فإن الغزالى توفى سنة ٥٠٥ ، وكان قد تاب إلى الله من علوم التصوف والكلام وانقطع إلى علم السنة . ثم إن ابن الحاج المالكي المتوفى سنة ٧٣٧ هـ تكلم فى كتابه « المدخل » على هؤلاء المتشبهين بالمشايخ من أهل عصره فى القرن الثامن وبين ما لهم من المنكرات ، وفند ما يدعونه من الكرامات

وبعد ، فهذا نموذج من كلام أئمة الإسلام ندعم به فتوى الإمام الطرطوشى فى المذاهب الصوفية ، وحسبى ذلك وكفى .

(كفر المندرة) أحمد أحمد القصير

مات حتف أنفه

فى الطبعة الرابعة لكتاب (إعجاز القرآن) للرافعى رحمه الله ص ٣٣٢ فى الكلام عن البلاغة النبوية وتحت عنوان (تأثيره فى اللغة صلى الله عليه وسلم) يقول المؤلف : (فلا جرم كان صلى الله عليه وسلم على حد الكفاية فى قدرته على الوضع والتشقيق من الألفاظ وانتزاع المذاهب البيانية حتى اقتضب ألفاظاً كثيرة لم تسمع من العرب قبله . . . إلى أن يقول (وكلها قد صار مثلاً وأصبح ميراثاً خالداً فى البيان العربى كقوله : مات حتف أنفه . وقد روى عن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) أنه قال : ما سمعت كلمة غريبة من العرب (يريد التركيب البيانى) ألا وسمعتها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسمعته يقول : « مات حتف أنفه » وما سمعتها من عربى قبله) ا . هـ

ولكننا نرى فى لامية السموأل بن عادياء المشهورة قوله :

وما مات منا سيد (حتف أنفه) ولا طُلَّ منا حيث كان قتيل

فكيف نوفق بين هذا وذاك ؟ . .

الرجاء أن تطرحوا السؤال على القراء ، ليجيب عليه من حضراتهم من يشاء .

(البصرة) خالد الشوانى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10 me Année No. 453 | Lundi - 9 - 3 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

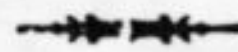
العدد ٤٥٣ | « القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ٩ مارس سنة ١٩٤٢ » | السنة العاشرة

الفهرس

دروس في الحرب

هل تنسى ؟ . . .

للأستاذ عباس محمود العقاد



واحدة . اثنتان . ثلاث ... ثمان ...

ومضى صاحبي يعد الفتيات اللائي يعبرن بنا في الظلام واحدة بعد واحدة حتى أربى العد على العشرين ، وكلهن يعبرن الطريق المظلم منفردات كأنهن رجال ، وقلّ في الطريق من يلتفت إليهن ، أو يريهن أنهن أخطأن بالخروج في هذا الليل على انفراد ، أو يعجب كما عجب القائل :

ثم قالتْ وأحسنَتْ تَعجبى
من سُراها حيث لا تسرى الأسود
لا تَعجَّب يا حبيـبى فالسرى
عادة الأقمار والناس هجود

قال صاحبي : لو خرج هؤلاء في ليلة كليلتنا هذه في القرن الماضي كيف كن يخرجن ؟

كن يخرجن والمصباح أمامهن في يد الخصى أو الخادم إن كن من ربات الخدم والخصيان ، أو كن يتسللن في استخفاء كتسلل اللصوص إن لم يكنَّ من ذوات اليسار

قلت : فإن كانت فتيات اليوم لا يحتمين بحارس ولا مصباح

فما أظن العلامة كلها علامة خير ! من يدريك يا صاحبي لم لا يلتفت إليهن أحد من أولئك المدلجين فى الظلام ولم لا يلتفتن إلى أحد ؟ لعل كل عابر من أولئك المدلجين ذاهب إلى موعد ! ولعل كل عابرة من أولئك المدلجات ذاهبة إلى موعد مثله ! ومن لم يكن من الرجال على موعد فلعل الذى يثنيه عن المناوشة والمغازلة علمه أن الفتاة العصرية تجرؤ على الابتداء، أو على الإيماء والإيحاء، ولا تنتظر حتى يجيء الابتداء من الرجل . فإذا رآها معرضة أو جادة فى الطريق علم أن ابتداءه بالمناوشة والمغازلة لا يفيد ، وأن الأكرم له أن يمضى فى سبيله حتى تبدر له إشارة من إشارات التشجيع

ليس كله يا صاحبي بخير !

ليس كل هذا من الصيانة بل فيه كثير من الابتذال والهوان . وليست كل شجاعة المرأة خيراً بل حياؤها وجبنها أكرم لها من هذه الشجاعة فى بعض الآراء

وانتقل الحديث من عبرات الظلام إلى الظلام نفسه فقال الصديق : والله لقد ألفناه حتى استحببناه ، ووالله إن الإنسان ليخرج من البيت إلى الطريق كأنه على العكس خارج من الطريق إلى البيت ، لأن فى الظلام معنى الاستكنان والإيواء ، وفى النور معنى العموم والشيوع . فإذا تجاوز أحدنا الباب فكأنه خارج من عالم حافل بالناس والمناظر إلى عالم لا مناظر ولا ناس فيه .

قلت : ما أدرى إن عشنا كيف تفاجئنا القاهرة أول ما تضاء كما كانت تضاء في أيام السلم قبل سنوات ؟ إخالنا سنحسبها ليلة عيد أو مهرجان ؛ وإخالهم لا يصنعون فى احتفالهم بالسلم أكثر من إضاءتهم المدن كما كانت تضاء .

قال صاحبي وكأنه خاف على ظلامه الذى ألفه واستراح إليه : أو عائدون نحن إلى تلك الأضواء المسرفة لا محالة ؟ لم لا نستفيد من دروس الحرب ونقنع بهذا النصيب من النور الذى يهدينا إلى حيث نشاء ؟ فإن لم يقنعنا هذا النصيب فلم لا نزيده بمقدار ما نتقى بعض الأضرار التى نحذرها الآن ؟ . . . لم لا نقنع بربع ذلك الضوء الذى كنا نسفكه على الأرض أو على الوجوه التى هى شر من الأرض قبل سنوات ؟

قلت أداعبه : نعم . أو على الوجوه التى تعدها الآن ولا تراها ! ! ولو رأيتها لما كنت ارتقيت بالتعداد إلى العشرين وما فوق العشرين !

وكان صاحبي جائعاً فوقف عند دكان من دكاكين الشطائر وقال : بإذنك يا عضو المجمع اللغوى ... ألا تأذن لنا فى « شاطر ومشطور والطازج بينهما » ؟

يريد صاحبي ما شاع على ألسنة العامة من تسمية المجمع للشطيرة أو « السندويتش » بذلك الاسم المطول الذى يدل على وليمة كاملة ، لا على لقمة تتناولها الأصبعان

قلت أداعبه أيضاً أو أنتقم منه : بل فى بلغة إن أردت ! !

قال : أو هذه تسمية المجمع ؟ أو هو تصحيح وترجيح ؟

قلت : إنك لأحرى أن تصدق هذه التسمية الصحيحة من تصديقك تلك التسمية التى لا تساغ ولو على سبيل المزاح . والبلغة أخف من الطازج بين الشاطر والمشطور

ثم ذكر صاحبي أن اليوم من أيام النبات وليس من أيام اللحوم . فعاد إلىَّ يرد انتقامى وسألنى :

أو يعجب هذا صاحبك المعرى ؟ . . . ما زلتم تهتفون باسم هذا الرجل حتى أوشكنا أن نقتصر على العدس والتين مثله . فلا تزيدوا بربكم من ذكره لكيلا نلتزم البيوت ولا نرى فى الدنيا غير الظلام . . . !

قلت : وما بالك لا تحسبه درساً من دروس الحرب الباقية ؟ وما بالك لا تحمد لنا أن ذكرنا المعرى حتى أوشكنا أن نرضيه وأن نقتدى به فى طعامه ؟

وكانت نوبة الاعتبار والاتعاظ مالكة زمام الصديق فى تلك الليلة ، فأخذ فى تفصيل هذا الدرس الجديد ، وطفق يقول ويكرر : ولم لا ؟ ولم لا ؟ إننا تعودنا ونعم العادة ما تعودنا . . . فلنمض فى ذلك طائعين لنحس غداً أننا مضينا فيه أيام الحرب ونحن كارهون

وراح يقول : أو ليس هذا ضرباً من الصيام المحمود ؟ أليس فيه ما فى الصيام من شعور بالمساواة بين الأغنياء والفقراء ؟ أليس فيه ما فى الصيام من ضبط للنفس وكبح للشهوات ؟ أليس فيه قصد ومنفعة ؟ أليس فيه صحة وحمية ؟ أليس فيه تآزر بين البيت والأمة فلا يأكل البيت إلا بمقدار ما تسمح الأمة ؟

قلت : بلى ، فيه هذا وفوق هذا

فظن أننى أمزح وأننى سأهزأ به فتأهب قائلاً : وما فوق هذا ؟

قلت : على ربعك ! لست أمزح ولا أنوى أن أستهزئ بنوبة عظاتك فى هذه النوبة ... إن الأيام التى خلت من اللحوم لفيها ما ذكرت وزيادة : فيها الحمية والقصد وضبط النفس والمساواة بين الغنى والفقير ، وفيها أنها ستبصرنا بمنافع السمك وطالما عجبت لإهمال المصريين إياه

فمصر يحف بها بحران عظيمان ، وفيها بحيرات كبار ، ويتخللها النيل وليس هو أغنى هذه الموارد بالسمك النافع ، ولكنه مورد لا نستفيد منه كل ما يستفاد

وقد كانوا فى مصر القديمة يستفيدون منه ويأكلون سمكه أيام الفيضان ، ويملحونه ليحفظوه إلى الفيضان المقبل ، لأنهم كانوا يجهلون من أساليب الصيد فى البحار وتوليد الأسماك فيما ما نعلمه الآن

أما نحن فعندنا الزوارق البخارية والوسائل العصرية والمعرفة بعلوم الأحياء . فلماذا لا نستكثر من أكل السمك وهو غذاء صالح للأجسام والعقول ؟

فصاح مستفهماً : وللعقول ؟

قلت نعم ... وإن أناساً جادين فى القول والبحث ليزعمون أن الفلسفة اليونانية مدينة للسمك بالشيء الكثير ، وإن حكماء الإغريق نبغوا على الشواطئ وبين أبناء الجزر ، لأنهم كانوا يستكثرون من أكل السمك وفيه « الفسفور » كما تعلم ، وفى الفسفور غذاء للمخ والأعصاب ، وغذاء للعقل والإدراك من هذا الطريق .

ومن فكاهات العصر الحديث ما يؤيد أولئك الباحثين الجادين فيما زعموه ... أولم تسمع بحوار الإنجليزى والاسكتلندى على السمك ومناصب الدولة ؟

قال : لا

قلت : فاعلم أن انجليزياً سأل رجلاً من أذكياء اسكتلندة متعجباً : ما بالكم يا هؤلاء وليست فى بلادكم العاصمة ولا مراكز الدولة ، تشغلون أكبر مناصبها ، وتستأثرون فيها أحياناً بالوزارة والقيادة والقضاء ؟

فارتد إليه الاسكتلندى مجيباً : أولا تدرى ؟ إنه الدماغ ، وإنه السمك . . . !

قال الإنجليزى : وما العلاقة بين الدماغ والسمك وأبناء اسكتلندة ؟

فقال الإسكتلندى : إن السمك فيه الفسفور وإن المخ لا يعمل بغيره ، وإنه كثير فى سمك بلادنا ... !

قال الإنجليزى : أئذا أكلت من سمك بلادكم رشحت نفسى بعد حين لمنصب من تلك المناصب الرفيعة ؟

قال : بلا جدال

ونقده الإنجليزى جنيهاً وأرسل إليه الأسكتلندى سمكة وعاد بعد أيام يسأله : كيف أنت واقترابك من المناصب الرفيعة !

فهز الإنجليزى كتفيه وأجابه : كما أنا !

قال : إذن كرر التجربة

وكرر التجربة ، وأعطاه الجنيه ، وأكل السمكة ، وعاد إليه بالسؤال مرتين وعاد إليه بالجواب بعينه ، فلما قال له : كرر التجربة إذا بالإنجليزى يقاطعه هذه المرة صائحاً :

— أولا يباع بالجنيه عندكم أكثر من سمكة واحدة ؟ !

فابتسم الإسكتلندى وربت على كتفيه وهو يقول : هذا مفعول السمك قد آذن أن يظهر يا صاح !

***

ومن أين لنا أننا إذا طالت التجربة فى مصر ، قلنا لمن فهموا بعد أن كانوا لا يفهمون : هذا مفعول السمك يا هؤلاء ، وهذه بركة الأيام التى لا تحمدونها الآن !

***

دروس من الحرب، وكم للحرب من دروس ... فهل نذكرها ؟ وهل ننساها فيضيرنا نسيانها !

ويح بنى الإنسان ! لو أن درساً من دروس جيل ينفع الجيل الذى بعده لما تلاحقت المصائب عليهم جيلا بعد جيل

وويحهم مرتين ! لو أن الأجيال السابقة تجرب للأجيال التى بعدها وتعيش لها لبطل عيش اللاحقين وأصبح كالنسخة المكررة من عيش السابقين

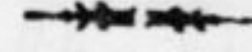
فليجربوا أو لا يجربوا ، ولينسوا أو لا ينسوا ، فما هم بناجين ، وما هم عن تكرار التجربة بمستغنين ، ولو كلفتهم السمكة أكثر من جنيه ، وأبطأ مفعولها بعد قضاء الثمن مرات

عباس محمود العقاد

نظرة عامة

فى ديوان الشـــــبيبى

للدكتور عبد الوهاب عزام



حسبت ، وديوان الشبيبى فى المطبعة ، أنى سأسبق الكتّاب إلى الكتابة عنه حين ينجز طبعه ؛ ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه . فقد لبثت حقبة أتربص فرصة بين الأشغال المتتابعة ، وأرتقب فترة فى الأعمال المسرعة ، وكلما صرفتنى الشواغل عن مقصدى أنشدت قول الأنورى الشاعر الفارسى :

أكَر محوّل أحوالِ جهانيان نه قضاست

چرا مجارى أحوال برخلاف رضاست

ويمكن أن يؤدى معناه فى العربية بهذ البيت :

لماذا يخيب رجاء البشر   إذا لم يكن أمرهم للقدر

وكانت عطلة عيد الأضحى . ودعيت إلى المشاركة فى المؤتمر الطبى العربى الذى اجتمع فى مدينة أسوان فقلت هى فرصة : أصحب ديوان الشبيبى فى القطار كما صحبت ديوان البحترى فى سفرى من حلب إلى استانبول قبل أربع سنين . ورحم الله أبا الطيب الذى قال : وخير جليس فى الزمان كتاب

عبرت ديوان الشبيبى عبرة وعزمت على أن أبادر بالكتابة عنه حينما أعود إلى القاهرة . ثم سارت الأيام سيرتها ، وجرت الأمور مجراها ، فإذا شهر ونصف يمضيان من الزمن الطيّار الذى قال فيه المعرى :

وأصغر كون تحته كل عالَم   ولاتدركُ الأكوانَ جردٌ صلادم

وقال عبد الحق حامد شاعر الترك الأكبر :

بجمز ، صابيرم ، بوردز كارى   سر عتليدر أو لقدرَ كَذارى

(وترجمته :

ويسرع هذا الزمانُ المرورَ   إلى أن أرى أنه لا يمرّ)

ثم تسنت لى جلسة خالية مختلسة من بين المشاغل التى تعبّدنا وتستبدّ بعقولنا وقلوبنا فاستطعت أن أخط كلمات قليلة عن ديوان الشبيبى ، وما هى إلا نظرة عاجلة غير شاملة حاولت جهدى ، حين الكتابة ، أن أتجاهل السيد رضا الشبيبى ، وأقدّر أننى لا أعرفه وأنّى لا أكنّ له فى نفسى ودّاً وإعجاباً ليتيسر لى أن أزن الكلام بقيمته لا بمكانة قائله . ولكن كان كل بيت تقع العين عليه يذكر بأن بيت الشبيبى تتمثل فيه الأديب الوقور جالساً جلسته ، متحدثاً حديثه ؛ فلم أستطع أن أخدع نفسى عن الشبيبى ساعة واحدة أصف فيها الديوان . قلت لنفسى كيف الحكم وقد قال النقاد ينبغى ألا يكون لمعرفة الإنسان وميله أثر فى حكمه ؟ قالت : قد حكمت ولم تشعر . قلت كيف ؟ قالت : ألست تقول إن كلام الشبيبى يذكر به ، ويصدق الحديث عنه ؟ وخير الكلام ما شف عن صاحبه ومثله لقارئه

— ١ —

يفيض قلب الشبيبى بحب قومه العرب ، وينطق شعره بالغضب لهم والتوجع لما أصابهم والفخر بماضيهم والثقة بمستقبلهم . وحسبك بقصيدته القافية التى يتناشدها أهل الشام :

ببغداد أشتاق العراق وإننى   إلى الكرخ من بغداد جمُّ التشوق

فما أنا فى أرض الشآم بمشئم   ولا أنا فى أرض العراق بمعرق

هما وطنٌ فرد وقد فرقوهما   «رمى الله بالتشتيت شمل المفرّق»

وشد ما يعجبنى ويطربنى قوله فيها :

وما الأرض ـ لولا أربع عربية ـ   سوى عطن بالعبقرية ضيّق

وقد ذكرنى قوله فى حلوان العراق :

فيا ليتها كانت ربا عربيـة   مكرّمة منهن رضوى ونهلان

بقصيدة أبى الطيب فى شعب بوان حينما افتقد وجه العربى ويده ولسانه ثم قال :

ولو كانت دمشق ثنى عنانى   لبيقُ الثرد صينىّ الجفان

وكذلك يذكر بأبى الطيب قوله :

وفت عجائبُ أجيال وأعجبها   إذا تأملت ، جيلٌ عُربه عجم

واقرأ قصيدته : « دمشق وبغداد » ، وقف على هذا البيت الذى فاضت فيه أنهر العرب الأربعة :

بردَى وأودية الفرات ودجلة   والنيل غصّ بمائك الورّاد

ويتبين الإباء العربىّ حتى فى غزله :

نعفف بعد العجز قوم فما حكوا   خلائق أقوام متى قدروا عفّوا

وأشق الهوى ما كان غاية أهله وعقباهم منه الخلاعة والهوا

ومن خير ما يقرأ في هذا قصيدته الحب الطاهر .

— ٢ —

وأما العراق فقد وهبه الشاعر عقله وقلبه . ما يذكره إلا يجب قلبه ويفيض دمعه ، أو تثور نفسه ، حزناً لما يرى وطموحاً إلى ما يبقى له من العزة والسؤدد والسعادة :

أى دمع يفيض من أى مقله لوقوف بين الفرات ودجله

ما إخال الخرير والماء إلا صوت حزن وعَبرة مستهِله

يا خليلىّ إن تشاءا اسعدانى فى شجونى فالخل يسعد خَلَّه

عللانى بذكر نهضة قومى قبل ألاّ أرى لقلبى تعلّه

أين ذاك العراق ؟ أين بنوه ؟ ليتهم أبصروا العراق وأهله

وقوله :

نظرت بنى الدنيا فاصرت أنها على الشر لا تنفك تجرى النحائت

هم أضمروا حب المظالم فاستوت دخائلهم والظاهر المتفاوت

ســواسم يرعى بعضها دم بعضها

شتاتاً وهل تحمى السروح الشتائت ؟

— ٣ —

وللأستاذ الشبيبى نظرات فى الحياة تعرب عن ضيقه بها وانقباضه وارتيابه فى الناس ، وتذكر أحياناً بأبى العلاء المعرى :

من الناس خافى أيها النفس واحذرى

ولا تأمنى إن المخافة فى الأمن

وكأنك تقرأ للمعرى حين تقرأ القطعة التى سماها « من لزوم ما لا يلزم » :

حياتى هـذه ليـل إذا متّ غـداً يُجلى

وما آسى على شىء من الدنيا وإن جلاّ

— ٤ —

وللأستاذ شعر فلسفى يسمو إلى النظر العالى فى الكون والإبانة عن جلاله وجماله . إقرأ قصيدته على ضفاف دجلة :

يد لدجلة عندى لست أجحدها إلا إذا جحدت سلسالها الهيمُ

حلفت ليلة تعريسى بشاطئها ألاّ يميل برأسى عنك تهويم

إذ كل زمزمة فى الكون هينمة بل كل ما فيه تغريد وترنيم

لى فى الرياض إذا أمرَ عن فلسفة وحكمة ملء مرآها تعاليم .. الخ

وبعد فقارئ ديوان الشبيبى يمرّ بصور صادقة ، صور إنسانية عالية وأخرى قومية رائعة . ويرى من آمال الحياة وآلامها ، وسعادتها وشقائها ، وجمالها وقبحها ، ما يحسن الشاعر الإبانة عنه ، ويصدق التصوير فيه ، حتى تحسب خياله حساً ومجازه حقيقة

والخلاصة أن شعره يصدق قوله فى الشعر :

إذا أنت كابرت الحقيقة عبَّرت فصاحة قُسّ عن فهاهة باقل

إذا قلتُ إن الشعر بحر غبابه متى يستقيم البحر من غير ساحل ؟

قرائحنا منـــه بحور خضارم

ومنها – إذا جرّبتَ – رشح الجداول

وأجمع أقوال الرجال أشدها معان كبار فى حروف قلائل

ولله ما أبصره بالشعر الحرّ العالى حين يقول :

ما من بصير بحق الشعر يحفظه

كن شاعر الوقت أو كن شاعر الزمن

زن قبل لفظك معنى البيت تُنشئه

فربّ بيت بمعنى غير متزن

ولعل لنا نظرة أخرى شاملة مفصلة فى الديوان إن شاء الله .

عبد الوهاب عزام

بين آدم وحواء

حديث السـدرة

للدكتور زكى مبارك

كانت حوّاء تعبتْ من عقل آدم ، وكان آدم تعب من جهل حواء ، وكان جوّ الخلاف ينذر بأن صاعقةً ستنقضّ على رأسيهما بعد حين ... ولذلك الخلاف المزعج تفاصيل فى كلام شيث بن عربانوس ، فما تلك التفاصيل ؟

كانت الأوامر والنواهى ثقُلت على آدم وحوّاء (لحكمة يعلمها الله) وكان آدم مع ذلك يدَّرع بالصبر الجميل ، فيراعى الحدود بقدر ما يستطيع . أما حوّاء فكانت تتمرد من حين إلى حين ، وإن كان شيث يؤكد أن تمردها لم يكن فى جوهره إلا فنًّا من فنون الدلال .

ويظهر من كلام شيث أن حوّاء لم تكن تدرك أن النعيم قد يزول بالعصيان ، فما دار فى خَلَدها أن فى الوجود مكاناً غير الفردوس يُنفَى إليه العصاة والمتمردون ، ولا جاز فى وهمها أن يُنقَل الإنسان من دار إلى دار بسبب الثورة على الأدب والذوق . وكيف تدرك حواء هذا المعنى وقد وُلدتْ فى جنة دانية القطوف ، ولم تسمع بأخبار الأرض إلا بعد أن قضى الله فى أمرها بما أراد ؟

ويظهر أيضاً من كلام شيث أن آدم كان يخاف الله أشد الخوف ، وكان يدرك بفطرته أن النعيم قد يزول بالعصيان ، وأنْ لا بدّ من تأديب حوّاء إن تمادت فى الضلال .

كان آدم يفهم جيدًا أن الله لا يتأذى بجهل الناس ، وإنما يوقع العقاب بالجاهلين لخروجهم على نظام الوجود ، وهو نظام يتأثر باليسير التافه من الانحراف ، لأنه غاية فى الدقة والترتيب ، ولا يحتمل الثبات على الاعوجاج .

وكان آدم يُقسم لئن رأى حواء ليذيقنَّها العذاب على ما اعتزمت من قُرب شجرة التين[1] ؛ ولكنه كان يتخاذل حين تُقبل عليه بجسمها الفينان ، وثغرها الرشوف ، فقد كانت ثناياها أحب إليه من حَبّ الرمان ، وكان قدها الرشيق نهاية ما يتصور من روعة الخطرات .

كان آدم يشعر بأن عزيمته تتحلل إلى أوهام حين يرى جسم حواء ، وكان يعجب من أن يكون فى الأوامر والنواهى ما يضع حدوداً لسيطرة تلك الظبية العصماء .

والظاهر أن الجسد الجميل يزيغ البصائر والعقول ، وينقل الرجل من حال إلى أحوال ، ويضيف الحليم إلى طوائف السفهاء ، ولا عاصمَ للرجل من فتنة الجمال إلا إن حمته وقاية الله .

وكان قدّ حواء من القدود السمهرية ، وكانت لها مِشية تزلزل القلب والوجدان ، وكان لها فى الضوء لون وفى الظل لون ، وكانت ظلال الأهداب توهم أن على خديها زغباً يشبه زغب الخوخ ، وكان غضبها أحلى من الرضا وقطيعتها أطيب من الوصال ، وكان تثنّيها وهى تتخطّر فوق شط الكوثر غريبة الغرائب فى السحر والفتون .

وكان آدم أضعف من أن يقاوم حواء ، فقد كان فى فورة الشباب ، والشباب جهل ، وكان أعجز من أن يرجع على نفسه بالتأديب والتهذيب وهو يعاقر الجمال لأول عهده بالوجود ، وأخطر الحب هو الحب الأول ، ولكل آدم فى الدنيا حواء .

كان آدم يُقسم ويقسم ثم يقسم لئن رأى حواء ليُقطِّعنّها إلى قطع صغيرة حقيرة ثم يقدمها إلى ما فى أرباض الجنة من ثعالب وذئاب ، جزاء بما تقترف من التفكير فى قرب شجرة التين ، ولكنه كان يُصعَق حين تُشرف عليه بقدها المرهف وطرفها النشوان .

كان يبدأ بالزجر ، ثم ينتقل إلى العتاب ، ثم ينتهى بالاستسلام ، وذلك مصير الغرماء لأمثال حواء .

دعاها مرة إلى أحد الأدغال ليقتلها فى خفية ويستريح ، فحماها منه جسمها المجدول بأسلاك الكهرباء ، فارتدّ وهو هائم حيران ، وعرف أن الهوى فرضٌ على من وهبه الله نعمة الشعور بعبقرية الجمال .

كان آدم رجلاً وكانت حواء امرأة ، وإذا تلاقَى الرجل والمرأة فلا مجال لغير الغيِّ والضلال ، وقد غوَى آدم بطاعة حواء فقضى الله فى أمره بما سجل التاريخ

(١) اختلفت الأقوال فى «الشجرة» فقال قوم : هى الكرمة ، وقال قوم : هى شجرة التين ، وشيث لا يذكر غير الشجرة الثانية .

جسد حواء صنع به ما صنع . جسد حواء غفر جهل حواء .

جسد حواء فعل بآدم الأفاعيل ، فزيّن له الخضوع لهواها الأثيم

كان آدم يضطرب ويرتعد ، حين تختال أمامه حواء بقدها المؤلف من الأحلام والأهواء ، وكان لا يعرف أين يضع قدميه وهي تساوره بعينين غافلتين عما تصنعان بقلبه المأخوذ ، وعقله الموقوذ ، وهل يبقى لمن يصارع الجمال قلبٌ أو عقل ؟

جسد حواء صنع بآدم ما صنع ، ولكنه تماسكَ في إحدى اللحظات وقد جالسها تحت السِّدرة فدار بينه وبينها ما سجل شيئ من هذه الأحاديث :

— أين كنت يا حواء ؟

— وما أنت وهذا السؤال ؟

— من حقي أن أسأل

— وليس من واجبي أن أجيب !

— إذن نفترق ؟

— وإلى أين تذهب ، وللجنة أسوار أمنع من الجبال ؟

— السور الحصين هو أنت يا شقية ، فإذا نجوتُ منك فقد نجوت من جميع المهالك والحتوف

— أنت تنجو مني يا آدم ؟ أنت تنجو مني ؟

« ونظرتْ إليه بعينين تحلاوين تخشع واستكان وهمّ بأشياء »

— كل ما فيك جميل يا حواء ، إلا التفكير في قرب شجرة التين ...

— والموت أهون من الصدوف عن شجرة التين

— هي محرّمة بأمر الله

— وكيف وقد رأيت ظبية تعطو إلى أوراقها منذ لحظات بلا تهيب ولا تخوُّف ولا احتراس ؟

— الظبية حيوان

— ونحن من الحيوان

— ولكن التكاليف تجعلنا أعظم من الحيوان

— وما قيمة التكاليف ؟

— التكاليف لا توجّه إلا إلى الحيوانات الراقية

— وأنت حيوانٌ راقٍ يا آدم ؟

— لأني في صحبة حواء !

« وهنا وقع اشتباك بين خلقتين فطريتين لم يؤهلهما التهذيب لمراعاة الأدب في النضال والصيال »

— كان الظن أن تعرف ما نعاني من الظلم في الفردوس

— وماذا نعاني يا حواء ؟

— نعاني الخضوع للأوامر والنواهي ، وتلك أول مرة أفهم فيها المراد من وصف الله بأنه صاحب العزة والجبروت

— وهل يظلمنا الله يا حواء ؟

— انعدام المساواة من صور الإجحاف

— أتريدين أن نكون أشباهاً لما في الجنة من طير وحيوان ؟

— وما المانع من ذلك ؟

— المانع أننا ارتقينا ؛ وللرقيّ تكاليف

— وما حظّنا من الرقيّ المقيَّد بواجبات وفروض ؟

— هو حظٌ عظيم ، يا حواء

— وكيف ؟

— لأنه يجعل لنا إرادة ذاتية

— ومعنى ذلك أنه يبيحني أن أصارعك فأصرعك ؟

« وتصارع آدم وحواء فانصرعتْ حواء »

— لا تنزعجي من الهزيمة ، أيتها الشقية !

— أحب أن أعرف ماذا تأكل حتى صرت أقوى مني

— طعامنا واحد ، ولكن الروح تختلف

— يظهر أنك تأكل من شجرة التين[1]

— قوتي الحقيقية ترجع إلى الانتهاء عن أكل شجرة التين ، وطاعة الله هي أعظم سلاح يتسلح به الرجل

— والنساء ؟

— الطاعة قوة ينتفع بها جميع الخلائق ، حتى الشجر والنبات

— نحن إذاً خلقنا للمتاعب ، فالطاعة لا تتم إلا بجهادٍ عنيف

— الجهاد الصادق رزقٌ نفيس ، يا حواء ، ولا يكون إلا بتوفيق ، فهو يستحق الشكران

— أتريد أن أجاهد نفسي فأبتعد عن شجرة التين ؟

— ليتك تفعلين !

— إسمع يا آدم ، فعندي فتوى تنفعك

---

(١) في هامش الكتاب عبارة تفيد أن حواء كانت تتوهم أن آدم يأكل خفية من شجرة التين وأن ذلك سبب قوته العاتية .

— أنت تُفتين يا حواء ؟ !

— دع اللجاجة ثم اسمع ... حدثتنى الحية أن النهى عن شجرة التين نهيُ تنزيه لا نهيُ تحريم

— وإذن ؟

— وإذن يجوز قرب الشجرة بلا تعرض لغضب الله ، وإن تعرضنا للعتاب (١)

— إسمعي يا حواء واعقلي ... أنا لا أعرف الفرق بين نهى التنزيه ونهي التحريم . إنما أعرف أن الله نهى عن الشجرة ، وأعرف أن الطاعة واجبة ، وأنا أخشى عواقب العصيان

— قلت لك إن الحية حدثتنى ...

— أنت فى نعيم يحتاج إلى حراسة ، فاحترسى من الدسائس يا شقية !

— كل شيء جائز ، إلا أن تكون فى الجنة دسائس ، فهذب كلامك يا آدم !

— الدسيسة لا تُلاحِقُ غير السعداء بالعيش الطيب والنواهب السامية . وستعرفين يا حواء صدق ما أقول إن استمعت كلام تلك الرقطاء

— قلت لك إن قرب الشجرة لن يعرّضنا لغضب الله

— ولا يعرضنا للعتاب ؟

— عواقب العتاب هينة ، وهو فى الأغلب يتوج بالإعتاب

— المهم فى نظرى أن نقف حيث وقفتنا الإرادة الربانية ، بلا تخريج ولا تأويل . فكل خروج على الطاعة يترك فى القلب حفرة ، والحفرة قد تتحول إلى هاوية ، وإذا تذوق المرء أو المرأة طعم الجموح فعلى الأخلاق العفاء

— أنا لا أفهم معني النهى عن شجرة التين ، ولها ثمر معسول

— من حق الله أن ينهى عن الطيبات

— لأى غرض ؟

— ليختبر قدرتنا على ضبط النفس ، فلا قيمة لترك الأشياء الكريهة ، وإنما القيمة فى ترك الأشياء الشهية حين يوجّه إليها النهى ، ولو عن طريق التنزيه ، كما أفتت الحية الباغية

— لا تذكر الحية بسوء فهى صديقتى

— آفة الآفات أن تكون للمرأة صديقات !

— هل يغيظك أن يكون لى فى الجنة رفيقة أسكن إليها من وقت إلى وقت ؟ أنت إذن لا تحبنى

— أحبك حباً لا يطاق ، ولهذا الحب عواقب ستعلمين أنباءها بعد حين !

— قبلنى إن كنت تحبنى

— ستقبلك الحية فهى أقرب إليك منى !

« وفى تلك اللحظة سُمع فحيح هو دعوة الحية لجرت إليها حواء ، وتركت آدم لمصارعة ما فى صدره من آراء وأهواء »

فماذا قال آدم لضميره وهو يحاوره تحت السدرة بعد انصراف حواء ؟

من كلام شيث نفهم أن آدم زُلزل بعد ذلك الحوار ، فقد تأهبت نفسه لمناقشة الأوامر والنواهى ، وصح عنده أن لكل مسألة وجهين ، وأن من حقه كمخلوق مفكر أن يدرس مايعرض لذهنه من حقائق وأباطيل

بدا له أولاً أن الطاعة أفضل ، وأن الهيام بالتخريج والتأويل قد يكون من نزغات الشياطين ؛ ثم رجع فرجح أن النهى قد يكون ضرباً من الإغراء ، فليس بمعقول أن تكون ثمرة التين من الخبائث وهى فيما يظهر طيبة المذاق

والتفت مرة ثالثة فرأى من الحمق أن يخالف الرجل عن أمر الله من أجل امرأة

ثم عاد فرأى أن تلك المرأة هى رفيقه الأول والأخير فى الفردوس ، فما ارتاحت نفسه لرؤية الأشجار والأزهار إلا وهو مأهول الروح بهوى حواء

هى امرأة لا تخلو من هَوج وطيش وسخف ، ولكنها من ذوات المعانى ، فقد كانت تعرف كيف تصيره جذوة من الصبوة حين تشاء ، وكان آدم لا يتمتع بإشراق الفكر إلا فى لحظات الصبوات

(١) لم نر هذا الكلام في غير كتاب شيث

ومن عجيب أمره أنه كان يتمثلها حين تغيب ، فقد كانت ذاكرته تعي الأصوات والألوان والحركات إلى الحد الذي يسمح بأن يعانق حواء ، وبينه وبينها فراسخ وأميال

ولكن . . . ولكن الله نهاه عن الشجرة ، فماذا يصنع ؟ توجه إلى الله بهذا الدعاء :

« يا خالق الكوثر ، ويا فاطر الأعناب والنخيل ، بك أستجير من ظلم الجمال !

يا مبدع العيون الكحيلة ، والخدود الأسيلة ، بك أستغيث من سحر الفتون !

أنت سويتني بيديك من جسد وروح ، وأنا بالروح أطيعك وبالجسد أعصيك ، فهل ترى عدالتك أن الحسنات يذهبن السيئات ؟

إن كنت ترى أن شجرة التين شجرة مسمومة فاصرف عنها حواء ، فلم تعد لي طاقة على مقاومة حواء ؛ ولطف صنعتك هو الذى جذبنى إلى تلك الهوجاء

وإن كنت ترى أن الهاوية تترقب من بعصيك فجرد حواء من سحرها الفتان لأملك من أمرى ما لا أملك ، ولأستطيع الصبر عن ثغرها الرشوف ، فأنت يا مولاى تعلم أنى بها من الهائمين

أنا عبدك وحواء أمتك ، فاقض فى أمرنا بما تشاء ، يا أحكم الحاكمين »

وانتظر آدم أن يغير الله ما بنفسه بعد هذا الدعاء الصادق ، ولكن الأقدار سكتت عنه فظل مخلوقاً من جسد وروح ، أو من طين وماء

وفي لحظة من لحظات الضجر عزم على المعصية ليعرف مكانه من الوجود

فى تلك اللحظة ظهرت حواء ، فهتف :

— إلى شجرة التين ، يا حواء !

— هل غيرت رأيك ، يا آدم ؟

— بعض الشيء !

— أنت إذن تحبنى ؟

— ومن أجل هذا الحب أتعرض لمكاره وخطوب ، فقلبى يحدثنى بأننا مقبلون على بلاء !

— لا تحزن فأنا معك

— من موجبات الحزن أنك معى ، يا حمقاء !

فكيف انتهت بهما الأمور تحت شجرة التين ؟

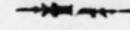
(للحديث شجون)

زكى مبارك

العادات والإصـــلاح

كيف نعود إلى التشريع الإسلامى

للأستاذ محمد محمد المدنى



يشعر كل امرئ منا بأنه خاضع فى نفسه ، وفى نظام بيته ، وفى دائرة عمله ، وفى كل ناحية من نواحى حياته ونشاطه إلى عادات متنوعة تتحكم فيه ، وتفرض عليه سلطانها الجبار وإرادتها القاهرة ، وتطبعه بطابعها من حيث يريد أو لا يريد

يشعر كل منا بذلك فى نفسه ، ويشعر به فى الناس من حوله لا فرق فيه بين طبقة وطبقة ، ولا بين بيئة وبيئة ، ولا يختلف فيه غنى عن فقير ، ولا كبير عن صغير ، ولا متعلم عن جاهل .

فى الطعام والشراب عادات ، وفى اللباس والزى عادات ، وفى الجلوس إلى الناس والتحدث معهم عادات ، وفى البيت عادات ، وفى الطريق عادات ... وهكذا

وإننا لننتهز فرص الأيام والحوادث ، والأعياد والمواسم ، فنتخذ منها مناسبات لعادات شتى نحافظ عليها ولا نتسامح فيها ، وربما عددناها من شعائرنا ، وحسبناها من تقاليد ديننا !

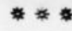


هذه فطرة في الإنسان لا بد له منها بقطع النظر عن شريف العادات وذميمها . قضت بذلك حكمة العليم الخبير ، ليكون الاستقرار والهدوء ، ولتتركز شؤون الحياة ، ولينجو الناس من الاضطراب والمفاجآت وأخطار التقلب السريع والتطور العنيف

لذلك يجب أن يدخل فى حساب كل مصلح ما للعادات من سلطان على النفوس ، ورسوخ فى الأذهان ، واستقرار فى المجتمع

ولكن بجانب هـذه الفطرة فى الإنسان طبيعة أخرى هى طبيعة هذه الحياة نفسها . إن الحياة تأبى الركود ، ولا يصلح معها الجمود ، ولا بد لمن يريد العيش فيها أن يسايرها إلى حد ما ، وأن يتدرج معها فى سبيل الرقي والكمال ؛ فإذا ظل الإنسان عبداً لعاداته . رازحاً تحت سلطانها ، لا يفكر فى التحول عن نظامها المفروض قيد شعرة ، بل ينقد غيره ويعنف عليه فى النقد إذا رآه يفكر فى هذا التحول أو يدعو إليه ، ويقف فى سبيل دعوات الإصلاح والتجديد لاوياً عنقه ، مثيراً المشاكل ، فإنه يكون محتقراً لإنسانيته ملغياً لعقله جاهلاً بالحياة وما ينبنى للحياة !

وإذا أصرت طائفة من الناس على أن تصادر دعوات الإصلاح فى دائرتها ، أو على أن تقف فى طريق الحياة العاملة الناصبة المنتجة المجددة فى غير دائرتها لمجرد المحافظة على العادات والتقاليد الموروثة . فقد عرضت نفسها لعوامل الانحلال والفناء



هى إذن معركة حامية الوطيس بين طبيعتين متقابلتين : طبيعة الخضوع للعادات والتأثر بسلطانها . وطبيعة الحياة التى تطلب إلى كل حى أن يسايرها ويتدرج معها ، ولا بد من تدخل العقل للفصل فى هذه المعركة ووضع علاج يوجد به التوازن بين هاتين القوتين الضروريتين للانسان . لا بد أن نزن كل شىء بميزان العقل ، وأن نسترشد بنور هداه فى كل طريق نسلكه ، وأن ننزل على حكمه راضين غير متبرمين



فى كل أمة دعاة إلى الإصلاح يقفون منها موقف المرشد الناصح ، ويعكفون على مشاكلها ليضعوا لها الحلول ، وعلى أمراضها ليصفوا لها العلاج

وكثيراً ما يقع بين الناس وبين هؤلاء الدعاة المنادين بمبادئ الإصلاح خلاف ، وقد يؤدى هـذا الخلاف إلى إثارة المتاعب ووضع العقبات فى طريقهم ، بل قد يؤدى إلى التشكك فى نياتهم وأغراضهم وانصراف النفوس عن دعوتهم . ولست أرى فى ذلك شذوذاً ، وإنما هو شىء طبيعى ، لأن المصلح الداعى إلى الخير يحاول أن يفت الناس عما ألفوا . يحاول أن ينتزعهم من أحضان عادات حبيبة إلى نفوسهم ، عزيزة عليهم . يحاول أن يصادر الأهواء والنزعات وشهوات النفوس ، فلا عجب أن تكون دعوته ثقيلة على الأسماع ، كثيرة الخصوم والمستهزئين

وقديماً جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب بدين العقل والفطرة والسيادة والعزة والكرامة الإنسانية ، فقاوموه ووقفوا فى سبيل دعوته استكباراً أن يتركوا ما ألفوا ، أو ينخلعوا مما ورثوا ، وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ! ولم يقفوا عند هذا الحد بل زعموا أنهم لا يدركون ما يقول ، وأن قلوبهم فى أكنة مما يدعو إليه ، بل رموه بالكذب والافتراء وهم الذين لقبوه من قبل بالصادق الأمين ؛ ورموه بالجنون وهم يعلمون أنه أقواهم عقلاً وأعظمهم رشادا

هكذا قابل الناس دعوة سيد المصلحين ، وبمثل هذه الدعاوى

والتهم واجهوه . والتاريخ يحدثنا عن كل مصلح بمثل ما حدثنا به عنه ، فكم شرد المصلحون وعذبوا ، وكم أوذوا واضطهدوا ، وكم قذفوا بالتهم ، ودبرت لهم المؤامرات ، وحيكت من حولهم الأكاذيب ، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين

لا بد لدعاة الإصلاح إذن من الصبر وتحمل المشاق ، ولكن هذا وحده لا يكفي ، بل لا بد إلى جانبه من اللباقة وحسن التصرف وتقدير الظروف والأحوال حق قدرها ؛ وإنما يكون ذلك بالتدرج دون الطفرة . لقد تدرج القرآن بالمسلمين من قبل ، فكان ينزل أولاً في بيان العقيدة والاستدلال عليها ؛ وكان ينزل بمكارم الأخلاق ؛ وكان ينزل في الزراية على العادات الذميمة . ثم جعل — بعد أن استقرت الدعوة — ينزل بتشريع الأحكام شيئاً فشيئاً ، حتى إن قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، لم ينزل إلا في العام الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو لم يفاجئهم بالدين كاملاً قد استوفى جميع مبادئه وأحكامه ، ولو فاجأهم بذلك لفشلت دعوته ، وقل أنصاره وحماته !

لقد تناولت هذا المعنى في مقال لي قبل اليوم ، وإنما أسوقه الآن ليتخذ منه المصلحون عبرة وليعرفوا ما فيه من موضع الأسوة الحسنة ، فيتدرجوا بالأمة كما تدرج القرآن

لقد بدأ هذا الدين غريباً ، وها هو ذا يعود غريباً كما بدأ : أصبحت تقاليدنا غير تقاليد الإسلام ، وأخلاقنا غير أخلاق الإسلام ، وأحكامنا غير أحكام الإسلام ، وقوانيننا غير قوانين الإسلام . أصبحنا نحرص على العادات التي ورثناها عن الآباء والأجداد أكثر من حرصنا على الدين . وإن أحدنا ليثور ويتألم إذا حاول محاول أن يصادره في عادة من عاداته ، ولا يثور إذا اعتدى معتد على دينه ، زاعماً أن للدين ربًّا يحميه ، وما يريد بذلك إلا تبرير سكوته على العدوان وإيثاره للسلامة !

عنـد ما أبطلت عادة الاحتفال بالمحمل انقطعت العلاقة بيننا وبين حكومة الحجاز ، وظل حكامنا ووزراؤنا معنيين بهذا الشأن في كل مفاوضة لإعادة هذه العلاقة ، حتى إذا نجح وزير من وزرائنا في إعادة الاحتفال بالمحمل وإرسال الكسوة عددنا ذلك ظفراً يتبادل الناس التهنئات بالتوفيق إليه ، ولكننا مع هذه الغيرة الشديدة على تقليد من تقاليدنا نرضى بهذه التشريعات المجلوبة ، والأوضاع المقلوبة ، والنظم المستعارة ! نرضى بشرائع فرنسا وبلجيكا ونحن أمة القرآن !

يتساءل الناس : ماذا نصنع لكي نعود إلى أحضان الإسلام ونعمل لمبادئ الإسلام ؟ ماذا نصنع ليعود التشريع الإسلامي مصدراً للقانون العام في مصر والشرق ؟ ماذا نصنع لنستظل بلواء القرآن ونهتدي بهدى القرآن ؟

والجواب في ذلك عند الذين بيدهم الحول والطول ، ولهم الإشراف على مناصب التشريع والتنفيذ في البلاد : إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً . يقولون : ماذا نصنع وقد أصبح للأمة نظام ثابت متركز ، وقانون قد ألفه الناس ، ووضع اقتصادي قد سرى إلى سائر معاملاتها ولن تستطيع التخلص منه ؟ ماذا نصنع وقد ألفنا في الأحكام والقضاء والعقوبات نظاماً معيناً لا تسمح لنا المعاهدات والقيود الدولية بالخروج عنه ؟

يقولون هـذا ، ويردون به دعوة الدعاة إلى هذه الشريعة ، وهم يعلمون أن هذه الشريعة لا تجافي أصول المدنية الحديثة ، ولا تنفر من مجاراة النهوض والتقدم ، وأن مؤتمرات أوربا قد شهدت لها بذلك وسجلته في قراراتها ، وأن ما لا يدرك بالطفرة يدرك بالتدرج وحسن التأني

لا نقول لكم : اقلبوا التشريع في البلاد رأساً على عقب ، ولا نقول لكم فضوا الشركات والمصارف التي تتعامل بغير ما يقضي به الدين فيما بين يوم وليلة ، ولا نقول لكم نفذوا ما جاءت به الشريعة الإسلامية في أحكام القضاء والعقوبات دفعة واحدة ؛ وإنما نقول لكم تدرجوا بالأمة في سبيل العودة إلى أحكام الإسلام كما تدرج القرآن بالمسلمين من قبل : خذوا في كل قانون تضعونه منذ اليوم ، وفي كل تعديل تقررونه ، بمبادئ القرآن ، ولا بأس من أن تؤجلوا ما لا تقدرون عليه حتى تعدوا النفوس له ، وتقنعوا أنفسكم وتقنعوا الناس به . فإنكم إذا بدأتم السير في هـذا الطريق تمهد أمامكم وتيسر لكم ، ولم تصادموا به تعهداً من تعهداتكم !

« ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ؟ »

محمد محمد المدني
المدرس بكلية الشريعة

حكم في الجنحة المستأنفة رقم ٨٨٨٣ سنة ٩٤٠ ضد صلاح ضمة البقال بشارع البستان بتغريمه ١٠٠ قرش صاغ ونشر الحكم بمجلتي الاسلام والرسالة لبيعه ملحاً أزيد من التسعيرة .

يحي النحوى

للدكتور جواد على

ومن هو يحي النحوى ذلك العالم الذي يرد اسمه كثيراً في كتب الفلسفة والطب والطبيعيات لدى العرب ؟ يرد كمؤلف وكمنتقد لكتب اليونان السابقين ، وكطبيب ، ويرد كوسيط بين الحضارة اليونانية المسيحية وبين الحضارة العربية الإسلامية فيدخل اسمه بين مؤلفات كثير من علماء المسلمين ويستشهد بأقواله جماعة من أسلافنا العلماء

قيل إنه كان يحي الإسكندراني الأسكلاني تلميذ ساويرى وأنه كان أسقفاً في بعض الكنائس بمصر ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية ، ثم رجع عما يعتقده النصارى في التثليث فاجتمعت الأساقفة وناظرته فغلبهم واستعطفته وآنسته وسألته الرجوع عما هو عليه وترك إظهاره فأقام على ما كان عليه وأبى أن يرجع فأسقطوه وعاش إلى أن فتحت مصر على يد عمرو بن العاص فدخل إليه وأكرمه ورأى له موضعاً . وقد فسر كتب أرسطوطاليس وكتب عن طب جالينوس الشهير[1]

وقد ذكر الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى (المتوفى عام ٦٤٦ هـ) في كتابه أخبار الحكماء نفس القصة التي ذكرها ابن النديم بعد أن أضاف إليها أن عمرو بن العاص لما سمع من ألفاظه الفلسفية وحججه المنطقية التي لم يكن للعرب بها أنسة لازمه وكان لا يكاد يفارقه ، وأنه نظراً لهذه الدالة التي كانت ليحي على عمرو طلب منه ذات يوم تسلم بعض ما في خزائن الأسكندرية من كتب لينتفع بها . ولما كتب عمرو إلى الخليفة يستأذنه أمره الخليفة بإحراق ما في الأسكندرية من كتب[2]

وذكر الوزير قصة أخرى سندها رواية أبي عبيد الله بن جبريل ابن عبيد الله بن بختيشوع الطبيب في كيفية نبوغ يحي في الفلسفة والمنطق دون سائر العلوم[3] . وهي قصة وردت في كتاب عيون

(١) راجع الفهرست لابن النديم ص ٣٥٦ طبعة مصر المطبعة الرحمانية
(٢) راجع أخبار الحكماء ص ٢٣٢ وهي رواية نمت من مصدر عربي واحد إلى سائر الكتب ولم تثبت تاريخياً .
(٣) أخبار الحكماء ص ٢٣٤

الأنباء في طبقات الأطباء ، لابن أبي أصيبعة أيضاً[1] ؛ وسندها كتاب مناقب الأطباء لعبيد الله بن جبريل على ما يقوله صاحبنا ابن أبي أصيبعة هذا . ويضيف إليها رواية نقلها من تعاليق الشيخ أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني في أن يحيى كان في أيام عمرو بن العاص وأنه شهد الفتح الإسلامي لمصر[2].

وقد عرف اليونان والسريان هذه الشخصية ولكنهم عرفوها في وقت آخر غير الوقت الذي حدده المسلمون وسموها اسماً يختلف قليلاً عن هذا الإسم : سموه يوحنا فيلوبونس Johannes Philoponus ومعناه يوحنا لحريص ؛ وسموه أيضاً يوحنا الغراماطيق Johannes Grammaticus أي يوحنا النحوى (يحي[3]) وقالوا عنه : إنه كان أحد تلامذة أمونيوس بن هرمياس . وكان يعلم في الاسكندرية نحو السنة ٤٨٠ ميلادية وأنه كان من رجال القرن السادس[4] . وقال عنه ميخائيل إنه ظهر سنة ٥٥٠ ميلادية وأنه اتبع بدعة المثلثين Tritteisme[5] ، وأنه ألف كتباً يدافع عنها . فلما عرف به الإسكندريون حرموه كما حرمه رؤساء أديرة بلاد العرب نحو سنة ٥٧٣ ميلادية . فأنت ترى من ذلك أن الرجل عاش ومات في عصر لم يكن العرب فيه قد فتحوا مصر بعد ؛ ولا يعقل أن يكون قد شهد هذا الفتح أيضاً ، فكيف السبيل ؟

حاول جرجيس أفندى فيلوثاوس عوض من أقباط مصر[6] وحاول الأب لويس شيخو اليسوعى[7] إيجاد حل معقول لهذه المشكلة التاريخية ، فقالا : المعقول أن يكون مقصود العرب من يحي النحوى هو يوحنا النقوى أو النخوى أسقف مدينة نخو ،

(١) عيون الأنباء ج ١ ص ١٠٤ طبعة سنة ١٨٨٢
(٢) عيون الأنباء ج ١ ص ١٠٤
(٣) راجع كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية تأليف الأب لويس شيخو اليسوعي طبعة بيروت سنة ١٩٢٤ ص ٢١٣ وكذلك مجلة المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٤٧ وما بعد
(٤) راجع المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٤٧ وما بعد
(٥) وقد ظهرت عقيدة التثليث في أديان أخرى مثل الديانة الهندوسية وتدعى في السنكريتية Trimurti ومعناها الثالوث أو التثليث ، وكذلك في الديانة الرومانية القديمة . راجع Krüger. Das Dogma von der dreieinig keit. 1905. أيضاً ed. chabot. 2. 244
(٦) راجع المقتطف مجلد ٣٨ سنة ١٩١١ ص ٢٣٤ ، ٤٤٢
(٧) المشرق مجلد ١٦ سنة ١٩١٣ ص ٤٧ وما بعد ، وكتاب المخطوطات العربية ص ٢١٣

المعروفة عند اليونانيين باسم نيقيوس أو نيكيو Nikiou ، وعند اللاتين باسم Niciu أو Nikium [١] . وإن هذا الاشتباه الذى حصل لدى العرب إنما كان من قبيل التصحيف [٢] . وتكاد الظروف التى أحاطت بالأسقف يوحنا النحوى تنطبق مع الظروف والتفصيلات التى تنقلها الرواية العربيـة المذكورة عن يحيى النحوى ، فقد ذكر هذا الأسقف فى جملة من حوكم أمام سيمون أسقف الاسكندرية الذى ترأس محاكمة أصحاب البدع عام ٦٨٣ الميلادية [٣] وذكر أنه ألّف كتاباً فى التاريخ باللغة اليونانية ذكر فيه فتح العرب لمصر ، عرّبه أحد الأقباط ونقل هذا التعريب إلى الحبشية ، وتوجد النسخة الحبشية فى جملة مخطوطات المتحف البريطانى . وذكر عنه أيضاً أنه كان صديقاً موالياً لقورس بطريرك الاسكندرية وزعيم المنوثيين ، وهو الذى يدعوه العرب بالمقوقس ، وقد ناصرهم فى فتح الأسكندرية . فهذه الصداقة على ما يقوله الأب لويس شيخو قربته من العرب وجعلته من أصدقاء عمرو بن العاص [٤]

وهذا الحل لا يخلو من اعتراضات أيضاً . فالمعروف عن يحيى النحوى أنه كان من الأطباء وأنه كان من الفلاسفة أيضاً . وكتبه تدل على رجل عالم بالطب والفلسفة معاً لا على رجل دينى فحسب كما هو شأن الأسقف يوحنا النحوى . والمعروف عنه أيضاً أنه كان أسقفاً من أساقفة الإسكندرية ، ولم يكن النحوى أسقفاً على الإسكندرية أبداً . على أن الإمام ظهير الدين أبا الحسن على ابن أبى القاسم زيد البيهق (المتوفى عام ٥٦٥ هجرية) يحدثنا فى كتابه (تتمة صوان الحكمة) [٥] عن رجل يعرف بيحيى النحوى الديلمى الاسكندرانى الملقب بالبطريق ، فيقول عنه إنه كان من قدماء الحكماء وأنه كان نصرانياً فيلسوفاً ، فأراد عامل على بن أبى طالب إزعاجه عن فارس وتخريب ديره فكتب

(١) وقد كتب عن هـذه المدينة المستشرق كاترمير راجع : Quattremère : mèmoirs sur L'egypte 1 و 423
(٢) راجع مجلة المشرق ص ٥٤ نفس العدد
(٣) راجع تاريخ ساويرس بن المقنع لبطارقة الأسكندرية المذكور فى تاريخ يوحنا السمنودى ed. Sybold. 1. 129 — 130
(٤) المشرق نفس السنة ص ٥٦ ، ولم يكن المؤلف قد انتفع بعد من المصادر التى طبعت بعد مثل كتاب البيهق وغيره
(٥) طبعة لاهور سنة ١٣٥١ هـ ص ٢٣

يحيى قصة إلى أمير المؤمنين وطلب منه الأمان ، فكتب محمد ابن الحنفية له كتاب الأمان بأمر أمير المؤمنين . ويقول مؤلف الكتاب أنه رأى نسخة هذا الكتاب فى يدى الحكيم أبى الفتوح المستوفى النصرانى الطوسى وكان توقيع على بن أبى طالب عليه [١]

ويضيف البيهق على روايات من تقدمه من المؤلفين قوله إن خالد بن يزيد بن معاوية أخذ الطب عنه ، وإن أكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام الغزالى فى تهافت الفلاسفة هو تقرير كلام يحيى النحوى [٢] ، وقد وافقه على هذا الرأى الشهرزورى الشهير أيضاً [٣] وقد قال إنه ألف كتباً وردّ بها وفيها على أفلاطون وأرسطو حين همّت النصارى بقتله ، ولا يتعرض بعد ذلك إلى حادثة التقائه بعمرو ولا إلى قصة الحريق المزعومة

ومشكلة المشكلات هى قول الرواة العرب أنه كان أسقفاً على الأسكندرية وأنه عاش فى زمان عمرو . وعلى كل فالرواية اليونانية السريانية تعارض هذه الرواية العربية ولا تعترف به كأسقف على الأسكندرية أبداً . والرواية العربية على ما يظهر مستقاة بعضها من بعض ؛ فقصة الحريق مأخوذة عن ابن العبرى [٤] وابن العبرى ينقل عن ابن القفطى ، وابن القفطى ينقل متن الرواية بدون ذكر حادثة الحريق من الفهرست لابن النديم [٥] ؛ ولم يذكر ابن العبرى نفسه فى كتبه السريانية : الكنسية منها والمدنية ، قصة الحريق مما يدل على أنه لم يجد ذلك فى كتب السريان [٦]

الحق أننا أمام مشكلة تاريخية فلسفية عويصة . فالرجل مهم جداً فى بحث الفلسفة العربية والعقلية الإسلامية . والموضوع معقد لا يعالج فى صفحات . ولا بد للباحث من تقليب المصادر اليونانية والسريانية والقبطية والعربية أيضاً للحكم بصورة قطعية على شخصية وعصر هذا الفيلسوف الذى هو حلقة وصل بين العقليتين : العقلية اليونانية المسيحية ، والعقلية العربية الإسلامية .

« بغداد » ميراد ملى

(١) تتمة صوان الحكمة ص ٢٣
(٢) نفس المصدر ص ٢٤
(٣) راجع كتابه نزهة الأرواح وهو مصور بمكتبة الجامعة المصرية على ما يقوله محمد عبد الهادى أبو ريدة ص ١٨٢ — ١٨٣
(٤) راجع كتابه مختصر تاريخ الدول ص ١٧٥
(٥) المشرق ص ٥١
(٦) راجع كتبه السريانية التى طبعها J. B. Abbeloos وكذلك T. J. Lamy ويجان اللعازارى والمشرق ص ٥١

تطور العلوم الاجتماعية

للأستاذ محمد جلال عبد الحميد

يتبين من تاريخ علم الاجتماع أنه لا يزال فى دور التكوين . ولعل سبب ذلك يرجع إلى مايشوبه من نظريات فلسفية أفسدت عليه استقامة عوده ، وإلى عدم استقرار فروعه وتحديد غايتها واستخلاص طرقها

فنرى تاريخ الأديان مثلاً تتنازعه تيارات كثيرة ؛ وعلى حسب اختلاف اتجاه تلك التيارات وقوتها تختلف طريقة البحث ونتيجته . وكثير من مؤرخى الأديان الكبرى كاليهودية والنصرانية والإسلام يرون أن للأديان منشأ واحداً لأنها جميعاً تعترف بوجود قوة خالقة واحدة لهذا الكون يشعر بوجودها الإنسان حين النظر فى أمر تكوينه والبحث عن آثار تلك القوة الممثلة فى وجدانه . أخذ هؤلاء العلماء يردون ويفسرون جميع الظواهر الكونية والاجتماعية والنفسية إلى أصل واحد يحيط بها ويعبر عنها بأسلوب لا يأتيه الباطل ولا يتطرق إليه الشك ، هذا الأصل هو الكتب المقدسة وآثار الأنبياء . من أجل ذلك توفرت جهود المؤرخين على جمع وترتيب شتات هذه الكتب وتلك الآثار ، وانكبوا على دراستها ليستخرجوا منها أسباب الحوادث والوقائع التاريخية مفسرين كل هذا حسب ما لديهم من اعتقادات راسخة وإيمان ثابت فى صحة روايات ووقائع تلك الكتب والأحاديث[١]

وهناك فريق آخر — وهم الفلاسفة[٢] ومن إليهم — يرى

(١) من الصعب أن نحصى هنا عدد هؤلاء المؤرخين لكثرتهم ولكن نذكر أهمهم Ad. Lods; Israel, des Origines au Milieu du VIII siècle; col. de L'evolution de L'humanité. Paris.

Ch. Guignebert; Jesus; Col. de Levolution de L'humanité; Baris 1933

I. Goldziher; Mohammedanische Studien; Halle 1890

P. W. Schmidt; Origine et Evolution de la religion; Tra. Française, Grasset 1931.

أحمد أمين بك « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام »

(٢) مثل هنرى برجسن H. Bergson وجورج فريزر G. Frazer وتيلر Taylor وماكس ملر M. Muller وغيرهم

أن نشأة الأديان ترجع فى أصلها إلى عوامل نفسية لما فطر عليه الإنسان من حب ولما تكون فيه من غرائز ، وإن هذين العاملين يتنازعان القوى الروحية للانسان ، وعلى قدر تغلب أحد هذين العاملين على الآخر تتعين طبيعة الدين وقوته . فالدين عند الأمم المحدودة المدنية مثلاً هو دين غريزى ، لأن أصله غريزة الخوف والتنازع على البقاء . وقد نعته « برجسن » بأنه دين خامد[١] لخلوه من عناصر التطور والتجدد . وأما الأديان الكبيرة كاليهودية والنصرانية والإسلام والبرهمية فإنها تصدر عن عاطفة الحب التى يتميز بها الصوفى فى تلك الأديان . ومن أجل ذلك اعتبر موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام أنبياء لتميزهم بحبهم الخالص لعالم كله ، وتفانيهم فى العمل من أجل سعادته ، وقدرتهم على الإشراق والتقمص فى قوة الكون ذاتها ، ليمثلوها فى أجلى مظاهرها وأتم معانيها من خلق وتجديد ، وهذه هى الأديان (المتطورة) [٢]

ولكن علماء الاجتماع لم يرضهم هذا الرأى أو ذاك ، لأن العوامل النفسية والاعتقاد بوجود قوة واحدة خالقة ومدبرة لهذا الكون لا يمكن اعتبارها أساساً ومصدراً للأديان ، فهناك أديان كبيرة كالبرهمية والبوذية — نشأت وانتشرت ولم تزل تعم جزءاً كبيراً من العالم ، على رغم أنها خالية من مثل هذا الاعتقاد . ونرى أيضاً أن هناك أدياناً متعددة عند الأمم المحدودة المدنية ـ كالقبائل الاسترالية والزنجية وغيرها ـ لها أوضاع وأسس تشبه فى كثير من ظواهرها الأديان الكبيرة ، لأنها قادرة على التمييز بين الحلال والحرام وأمر القيام بعبادات منظمة ؛ وهذه الأديان أيضاً لم تقم ولم تتحدد بمثل ما تتقيد به النصرانية أو الإسلام من ضرورة الشعور بوجود هذه القوة الذاتية ؛ وكما أنها لا تشعر الفرد بأن هناك قوة روحية كامنة فى الإنسان وخارقة للعادة تدفع الزنجى أو الاسترالى إلى حب غير بنى جنسه كما يعمل الصوفى فى اليهودية أو النصرانية . فالزنجى أو الاسترالى يتقرب لأبناء جنسه ويفنى فيهم لأنه لا يرى سواهم حوله ، فقبيلته هى كل شىء

(١) للتعبير عن كلمة Statique الواردة فى كتابه Les Deux Sources de la Morale et de la Religion; Alcan, Paris 1932

(٢) للتعبير عن كلمة Dynamique الواردة فى كتاب برجسن السالف الذكر .

كذلك حين يقدس هذا الزنجى معبوده « أى توتمه » ويفنى فيه بحبه له ، يفعل ذلك ، بل وأكثر من ذلك ، لأن معبوده هو رمز قبيلته ، وأن الفرد والقبيلة هما وحدة لا تتجزأ .

وأما الصوفى فحبه الشامل للكون وتفانيه فى القوة الخالقة له ، لأنه مجبر على الإحساس – دون وعى لحالته – بهذا الشعور ، لأن الجماعة التى يعيش فيها تلهمه ضرورة حب غيره من عامة البشر ، بل وحب الكون عامة ، لأن هذه الجماعة هى خلاصة العناصر المادية والروحية للانسانية كلها ، ولأنها رمز قوة الكون ، لذلك كان هم الصوفى أن يسعى ليفنى فى هذه القوة ذاتها

من أجل ذلك يقرر علماء الاجتماع أنه إذا فرض واعتبرت الجماعة البشرية مصدر الأديان مهما اختلفت عصورها وتباينت بيئاتها فقد يكون فى ذلك حالة أدعى للطمأنينة وأدنى للصواب حين يعمل الإنسان لكشف حقيقة الأديان وتحليلها إلى عناصرها الأساسية ، وفى هذا الاتجاه سار إميل دركيم [1] Durkneim وتلامذته بفرنسا

وهذه وإن كانت محاولة جريئة قد تهيئ لنا مجالاً أوسع للبحث والتنقيب عن أصل كثير من الظواهر الدينية ومعتقداتنا وأساس إيماننا

* * *

ولم يكن حظ الجغرافيا البشرية أوفر من حظ علم تاريخ الأديان من حيث القدرة على استخلاص قوانينها العامة والاسترسال فى تحقيقها . فكثير من الجغرافيين [2] يرون أن البيئة الاجتماعية – بما فيها من تنوع فى النشاط المادى والروحى – هى نتيجة حتمية للتأثيرات والعوامل الطبيعية للمنطقة التى تشغلها تلك البيئة الاجتماعية ؛ فإذا أينعت الأرض وعم خيرها وصلح جوها شبعت الجماعة وكثر نشاطها وعم فرحها وتنوعت ظواهرها الاجتماعية وتميزت عناصرها الجنسية

(١) أنظر كتاب : Les Formes Elementaires de la vie Religieuse; Alcan, Paris 1912

(٢) مثل فيدال دى لابلاش Vidal de Lablache ورتزل Ratzel وكثير غيرهما من الجغرافيين فى القرن التاسع عشر

وهناك فريق آخر من العلماء [1] يقولون إن غاية علم الجغرافيا البشرية هى دراسة العلاقة بين الإنسان وبين البيئة الجغرافية التى يسكنها وأثر كل منهما فى الآخر وتحديد ما يتركه هذا الأثر فى التكوين الاجتماعى . ويظهر أن هذا هو الرأى الأخير الذى استقر عليه عامة الجغرافيين والاجتماعيين

* * *

وأما علم الأنتولوجيا [2] فإنه لم ينج أيضاً من تلك العقبات الموضعية عند نشأته ، فقد اعتبره « كترفاج » أحد فروع الزيولوجيا وجاء بعده « بروكا » Broca وتلامذته « أرنست هامى » E. Hamy « وفرنو » Verneau فتوسعوا فى فهم هذا العلم ووضعوا أسسه المختلفة ، فضموا إليه دراسة المدنيات واللغات ، وتسابقت الدول بعد ذلك فى إدخال تعديلات وزيادات فى مناهجه وأسسه كل منها حسب فهمها له والغاية التى ترجوها منه ؛ فبعض هذه الدول كان يتخذه أداة صالحة للاستعمار ، وبعضها الآخر يتناوله على أنه علم قائم بذاته له تجاربه وأوضاعه ؛ وعنى به كثيراً فى الفترة الأخيرة فى ألمانيا وانجلترا وفرنسا وأمريكا [3]

* * *

وهكذا حال بقية العلوم الاجتماعية الأخرى مثل علم النفس الاجتماعى وعلم الاقتصاد الاجتماعى وغيرها لم تكن أثبت وأدعى للطمأنينة فيما سبق من العلوم ، لأن ميادين تجاربها لم تتعين إلا قليلاً ولم يتنوع العمل فيها إلا يسيرا

وبرغم هذا فإن تطور علم الاجتماع وبلوغه الدرجة التى يقف عندها الآن مدين فى كثير منه إلى تلك العلوم ، لأنها عملت

(١) أنظر كتاب « الأرض والتطور البشرى » لمؤلفه لوسيان فيفر Lucien Fevre كتاب « بيكاردى والمناطق المحيطة بها » لمؤلفه ديمنجون A. Demangeon

(٢) هذا الاصطلاح لم يقره العلماء إلا أخيراً ، وذلك بعد أن كثر استعماله لدى الألمان

(٣) منذ عام ١٨٦٩ ، والأمريكان منذ عام ١٨٧٩ . وأما كلمة أنتروبولوجى Anthropologie فقل استعمالها كثيراً ؛ غير أن العلماء الانجليز ظلوا يستعملونها حتى الآن . والفرنسيون هم أول من فكروا فى تكوين هذا العلم ، فأنشأوا له كرسياً خاصاً فى جامعة باريس شغله أرمادى كترفاج E. Quatrfages وألقى أول درس فى هذا العلم يوم ١٧ نوفبر سنة ١٨٥٦ أنظر دائرة المعارف الفرنسية Encyclopédie Française ; T. VII. L'espèce Humaine Paris 1936 : 1. 7. 061 —

صور من العصر العباسي

عشق القيـــان

للأســتاذ صلاح الدين المنجد

كان للقيان في العصر العباسي الشأن العظيم والمنزلة العليا. ولم تشغل الحرائر ما شغلته القيان في الأدب والتاريخ والاجتماع، ولم يكن لهن ما كان لأولاء من أثر في تهذيب النفوس وصقل الطباع وانتشار المجانات؛ إلا من أوتيت منهن الإمارة والجاه والسلطان. شبيهات عُليّة وزبيدة والعبّاسة والخيزران

وقد خلا الأدب من صور المخدّرات، ولكنه رفّ بكثير من صور هؤلاء الجاريات؛ ففيه عنهن أشاوى حسان، وأحاديث ظراف. وأوصاف بارعات

ولم تبلغ القيان هذه الرفعة وتلك المنزلة إلا بعد الجد والجهد، والتعليم والتلقين، والصقل والتهذيب؛ فكن يتخرجن على المغنين الكبار أشباه الموصلي وابن المهدي، ويحذقن العزف والضرب، ويتفقهن في العربية، يحفظن نوادر الأحاديث وفرائد اللغة، وأمالي المجالس وشوارد الأشعار؛ ثم يبرعن في إظهار الأناقة والدل، حتى تصبح القينة مصدر غواية وفتون، ومثار دعابة ومجون، وبهجة الأرواح ومنية النفوس؛ فلا عُرو إن أقبل عليهن الشّيخان والشُبان، ولا عجب إن هن أتقنّ فن العشق وأصابت سهامهن قلوب الأبعاد والأحباب.

وقد ألّفوا عنهن رسائل حسانا، منها رسالة القيان للجاحظ، وكتاب القينات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي، وكتاب القينات للمدائني، وكتاب القينات ليونس بن سليمان المغني، وغيرهن كِثار(١)

(١) أنظر هذه التواليف في مقال لنا نشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (الجزء الخامس المجلد السادس عشر سنة ١٩٤١)

وما زالت تتعاون فيما بينها على كشف حقيقة عدد غير قليل من الظواهر الاجتماعية والدينية والاقتصادية. وكثيراً ما استفاد إميل دركيم من البحوث الأنثولوجية التي قام بها «سبنسر وجلن» Spencer & Gillen على قبائل استراليا؛ وذلك حينما حاول دركيم عام ١٩١٢ تفسير الظواهر الدينية لدى الأمم المحدودة المدنية. ونرى كذلك «ليفي برهل» Levy-Bruhl يرجع دائماً إلى نتائج البحوث الأنثولوجية حينما يريد أن يحدد ويحلل عناصر التفكير ووسائل التعبير عنه لدى الأمم المحدودة المدنية. ونجد أيضاً فرزر G. Frazer «ومرجان» Morgan «ووستر مارك» Westermark «ومارسل موس» M. Mauss وغيرهم من الاجتماعيين لم يتمكنوا من التقدم خطوة واحدة في بحوثهم وتحقيق نتائجها دون الرجوع إلى بحوث الأنثجرافيين

وإذا أنعمنا النظر يظهر لنا الفرق الحقيقي بين العلوم الاجتماعية من حيث فائدتها لعلم الاجتماع؛ فالأنثولوجيا هو الطريق المباشر الذي يسلكه الاجتماعي للبحث عن أصل كثير من الظواهر الاجتماعية والدينية والاقتصادية بل والمبادئ العلمية نفسها؛ لأننا لم نزل نشاهد في كثير من بقاع الأرض أمماً وقبائل تتبع في طريقة عيشتها وسائل بسيطة، وتتبع في التعبير عن تفكيرها وشعورها صوراً متناهية في البساطة إلى درجة يمكن اعتبارها إحدى صور الحياة والتفكير للأمم التي سكنت أوربا وغيرها في عصور ما قبل التاريخ. فهي صور خالية من التعقيد والتنوع اللذين تمتاز بهما حياة الأمم الراقية. وإن البحث عن أصل تلك الظواهر وكيفية نشأتها وطريقة تكوينها ثم العناية بترتيبها وتبويبها بطريقة علمية منظمة هو غاية الأنثولوجي؛ وبعمله هذا يكون ثروة علمية لا تفنى لدى العالم الاجتماعي

وسنبحث في الكلمة القادمة عن أهمية البحوث الأنثولوجية بحوض النيل والعمل على تنظيم تلك البحوث وإدخالها ضمن التعليم العالي بمصر

محمد بهلول عبد الحميد

على أنه لم يصل إلينا من هذه الرسائل كلها غير رسالة الجاحظ التي ذكر فيها الكثير من أحوال القيان وطبائعهن وميولهن وأخلاقهن وطرقهن فى الإغواء . وقد خصهن أبو الطيب الوشاء فى كتابه « الموشى »[1] بفصل ممتع عن عشقهن وغرامهن ، زاد فيه على ما ذكره الجاحظ وأفاد

وقد لا تجد فى أدبنا العربى صفحة أكثر متوعاً وأبرع وصفاً وأشد دقة من وصف الجاحظ والوشاء لعشق القيان ، والحيل التي يتبعنها لاستمالة الشبان ، والسبل التي يسلكنها لطردهم إذا نفدت دنانيرهم وأفلسوا . فلقد بلغا فى وصفهما الذروة التي لا تسامى ، والغاية التي لا تدانى

لا جرم أن الجاحظ كان أسبق إلى وصف ذلك ، ولكنه أجمل وأوجز ؛ أما الوشاء فلم يتعد ما قاله الجاحظ إلا قليلاً ولكنه شرح وفصّل

والمهم فى وصف عشق القيان أن الكاتبين أبانا فيه عن عواطف كامنات ، وحيل مكنونات ، وطرق مغريات ، حتى تشعر وأنت تقرأ أنك اليوم بين يدى غانية من غوانى الحانات اللواتى تخرجن فى الفتنة والإغواء

فقد قرروا أن القينة لا تكاد تخلص فى عشقها ، أو تناصح فى ودها ، لأنها مجبولة على نصب الحبالات والشراك للمتربطين ليقعوا فى أنشوطتها . ذلك لأن حبهن كلهن كذوب ، وعشقهن متبدل غير ثابت . فهو لطمع وغرض ، ولذا كن يقصدن أهل النشب واليسار ، ويصدفن عن ذوى الإقتار

وكان من عادة القينة إذا رأت فى مجلس فتى له غنى وكثرة مال وحسن حال ، أن تميل إليه لتخدعه ؛ فتمنحه بادئ بدء نظرها ، وغمزته بطرفها ، وأشارت إليه بكفها ، وداعبته بالتبسم ، وغازلته بأشعار الغناء ، فغنت على كاساته ، ومالت إلى مرضاته ، ثم تظهر الشوق إلى طول مكثه ، والميل إلى سرعة عوده ؛ حتى توقعَ المسكين فى حبالها ، وتعلّق قلبه بحبها ، وتطمعه فى قربها ثم تحزن لزواجه ، وتبكى لفراقه ، وتكاتبه تشكو إليه هواها ، وتقسم له أنه ضميرها فى ليلها ونهارها ، وأنها لا تريد سواه ، ولا تؤثر أحداً على هواه ، ولا تنوى انحرافاً عنه ؛ ثم تعزز ذلك بالرسل ، وتخبره عن سهرها ، وتنبئه عن فكرها ، وتشكو إليه القلق ، وتخبره بالأرق ، وتبعث إليه بخاتمها وفضلةٍ من شعرها ، وقلامة من ظفرها ، وقطعة من مسواكها ، ولبانٍ قد جعلته عوضاً من قبلتها ، وكتابٍ قد نمقته بظرفها ، ونقطت عليه قطرات من دمعها ، وضمنته الشوق والشكوى ، وسألته المواتاة على حبها . . . وربما منحته من ريحانها ، وأهدت إليه فى النيروز سكراً وفى المهرجان ختماً ؛ وأخبرته أنها لا تمل الدموع إذا غاب ، ولا ذكرته إلا تنغصت ، ولا هتفت باسمه إلا ارتاعت . . . فلا يشك المسكين في إخلاص حبها ، فيميل إليها بوده . . . حتى إذا رأت أنها حوت عقله ، وصارت شغله ، واستمالت لبه ، وسلبت قلبه ، وعلمت أنه غريق فى بحر حبها ... أخذت فى طلب الهدايا ، فتشهت الثياب والأزر والأردية والعمائم والتكك والخفاف . والعصائب المرصعة ، وخواتيم الياقوت ، ثم تمارضت من غير سقم ، وتعالجت من غير حاجة منها إلى الدواء تجتبيها هدايا ذوى الوجد ، من القُمُص المعنبرة ، والغلائل الممسكة ، والأردية المرشوشة ، ومخانق الكافور ، والمسك الأذفر ، والعنبر الأشهب ؛ والعود الهندى ، والماورد الجورى ، والفراريج ، والجداء الرضع ، والدجاج الفائق ، والفراخ المسمنة ، والفاكهة والرياحين ؛ يتبعها صنوف من الشراب : من العسل والمطبوخ والشمس ، ثم تلحقها الدنانير والدراهم ، فلا تزال فى هدايا متواترة ، وألطاف متتابعة . حتى إذا نفد اليسار وذهب الإكثار ، وأتلف المال وجاء الإقلال ، وأحست بالإفلاس ... أظهرت الملل ، وتبرمت بكلامه ، وضجرت بسلامه ، وتفقدت منه الزلل ، وتتبعت عليه سقطاته ، وأخذت فى الجفاء والعتاب والقلى والإبعاد ، وصرفت عنها هواه ومالت إلى سواه ، فحينئذ يدرك المغرور الندم والأسف

(١) طبع فى ليدن بعناية المستشرق روداف برونو قبل نصف قرن تقريباً .

ولقد كانت القيان ينظرن إلى المال ، وكن يحتملن القبح والشيب مع اليسار ويكرهنهما مع الفقر . وهذا شأن الحسان كلهن ... « فليس للفقر مع الحب عمل »

وربما اجتمع عند القينة من مربوطيها ثلاثة أو أربعة ، وعندئذ يتحامون الإجتماع ، ويتغايرون عند الإلتقاء ، فتبكي لواحد بعين ، وتضحك للآخر بالأخرى ، وتغمز هذا بذاك ، وتعطى واحداً سرها ، والآخر علانيتها ، وتوهم أنها له دون الآخر ، وتكتب لهم عند الانصراف كتباً على نسخة واحدة تذكر لكل واحد منهم تبرمها بالباقين وحرصها على الخلوة به دونهم جميعاً [١] .

***

وبعد . فما رأيت أبرع ، ولا أحسن ، ولا أرق ، ولا أملح ، ولا أنفذ في العواطف ، ولا أكسب للقلوب من هذا الوصف . حتى لتحسب أنك أمام عالم نفسي لا يدع غمزة ولا إشارة ولا عاطفة ولا حيلة إلا أحصاها . وليت شعري أكان الجاحظ والوشاء عاشقين لقيان لقيا في سبيلهما الجهد والعناء ، فثأرا منهن بهذا الوصف ؟ وكأني بالجاحظ « وهو الذي عابوه بملك القيان[٢] » قد تيمه هواهن ، وأذبل غصنه حبهن ... أو أنه رأى عن قرب ما كن يصنعن .

فقال : « ولو لم يكن لإبليس شرك يقتل به ولا علم يدعو إليه ولا فتنة يستهوى بها إلا القيان لكفاه » ثم يستدرك فيقول « وليس هذا بذم لهن ، ولكنه من فرط المدح ، وليس يحسن هاروت وماروت ، وعصا موسى وسحرة فرعون ، إلا دون ما يحسن »

على أن الجاحظ إذا قسا عليهن فقد اتخذ لهن أعذاراً . قال : « وكيف تسلم القينة من الفتنة ، أو يمكنها أن تكون عفيفة ، وإنما تكتسب الأهواء ، وتتعلم الألسن والأخلاق بالمنشأ ، وهي تنشأ من لدن مولدها إلى أوان وفاتها بما يصد عن ذكر الله من لهو الحديث وصنوف اللعب والأخابيث ، وبين الخلعاء والمجان ، وتروى الحاذقة منهن أربعة آلاف صوت فصاعداً ؛ يكون الصوت فيما بين البيتين إلى أربعة أبيات ، إذا ضرب بعضه ببعض يكون عشرة آلاف بيت ليس فيها ذكر الله إلا عن غفلة ، ولا ترهيب عن عقاب ، ولا ترغيب في ثواب ؛ وإنما بنيت كلها على ذكر الزنا والقيادة والعشق والصبوة والشوق والغلمة ؛ ثم لا تنفك من الدراسة لصناعتها ، منكبَّة عليها ، تأخذ من المطارحين الذين طرحهم كله تجميش ، وإنشادهم مراودة ، وهي مضطرة إلى ذلك في صناعتها ، لأنها إن جفَتها تفلّتت ، وإن أهملتْها نقصت ، وإن لم تستفد منها وقفت »[١] .

***

تلك صفحة من أدبنا العربي ما أحسب أنها تقل عن أدب كبار الوصَّافين والنفسيين في الغرب ، لأنها صورة حيَّة تشيع منها القوة والصدق ، ما نزال نراها كل يوم .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

---

(١) أنظر رسالة القيان للجاحظ ص (٧١ — ٧٣) ، والوشي (٢ / ٩١ — ٩٥)

(٢) أنظر مقدمة رسالة القيان .

(١) انظر المصدر السابق : رسالة القيان (٧٢ — ٧٣)

في الفلسفة الإسلامية

٣ - إخوان الصفاء

للأستاذ عمر الدسوقي

رسائلهم

هي موسوعة ضمت بين دفتيها مبادئ العلوم التي كانت معروفة في البلاد العربية حتى القرن الرابع الهجري ، ولا سيما تلك التي ترجمت من اليونانية . وقد اعترف إخوان الصفاء بأنهم ألفوها كنماذج ومقدمات للعلوم فلم يتوسعوا في بسط قضاياها . ويقولون في ذلك : « قد عملنا إحدى وخمسين رسالة في فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم ، كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والأنموذج[١] » .

ويظهر أنهم ألفوها للاخوان الأبرار الذين هم أولى طبقات هذه الجماعة ، ولم يقتصروا فيها على مبادئ الفلسفة والعلم ، وإنما خلطوها بكثير من الخرافات والأساطير ؛ وحاولوا أن يوفقوا بين الدين والفلسفة محاولين أن يجدوا من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ما يؤيد نظريات أفلاطون وأرسطو وأفلوطين وغيرهم . وخير ما قيل في وصفها رأى أبي حيان التوحيدي : « هي مبثوثة من كل فن بلا إشباع ولا كفاية ، وهي خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات » وذلك أنهم قالوا : « إن الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية » ؛ وزعموا : « أنه متى انتظمت الفلسفة الاجتهادية اليونانية والشريعة الإسلامية فقد حصل الكمال » ؛ وحشوا هذه الرسائل بالكلمات الدينية ، والأمثال الشرعية ، والحروف المحتملة ، والطرق المهملة[٢] .

والواقع يثبت رأى أبي حيان ، فالرسائل لا تعمق فيها ، ولا نظام يربط بين فصولها ، وفيها تكرار وحشو . وعندي أن الرسائل كانت بمثابة موسوعة تبسط فيها المسائل الفلسفية الأولية بأسلوب يوافق عقلية العامة . وحتى لا ينفر هؤلاء

(١) رسائل ج ٤ ص ٢٣٤ (٢) الرسائل مقدمة زكي باشا .

من الفلسفة أخذ مؤلفوها يستشهدون بالآيات والأحاديث الكريمة وبأقوال من التوراة والإنجيل ، وينسبون أشياء إلى نوح وإبراهيم وعيسى ، ويروون قصصاً وأساطير إذا حاولوا البرهنة على مسألة من المسائل بدلاً من استعمال الأسلوب المنطقي الفلسفي . خذ مثلاً محاولتهم البرهنة على خلود النفس فإنك لا ترى سوى أساطير تحكى عن الأنبياء وآل البيت وسقراط وإبراهيم ونوح وأفلاطون وأرسطو وفيثاغور وما قاله كل منهم وما عمله كل[١] . وتخرج من هذا الموضوع إذا بحثته بحثاً علمياً كما ابتدأت فيه دون أن تقتنع ، ولكن عقلية العامة يوافقها هذا الأسلوب تماماً .

هذا وقد وضع الإخوان لرسائلهم مقدمة أشبه بالفهرست بينوا فيها بإيجاز عدد الرسائل والموضوعات التي تعرض لها بحثهم : « وهذه فهرست رسائل إخوان الصفا ، وخلان الوفا ، وأهل العدل ، وأبناء الحمد ، بجمل معانيها وماهية أغراضهم فيها : وهي اثنتان وخمسون رسالة[٢] في فنون العلم وغرائب الحكم وطرائف الآداب وحقائق المعاني من كلام الخلصاء الصوفية ، صان الله قدرهم وحرسهم حيث كانوا في البلاد ؛ وهي مقسومة على أربعة أقسام : فمنها رياضية تعليمية ، ومنها جسمانية طبيعية ، ومنها نفسانية عقلية ، ومنها ناموسية إلهية » . ثم أخذوا يبينون موضوع كل قسم : فالرياضيات تشمل العدد والهندسة والموسيقى والفلك والصنائع والمنطق بمقولاته وعباراته وبراهينه ؛ والطبيعيات يتكلمون فيها على الهيولى والصورة والسماء والعالم والكون والفساد وكيفية تكون المعادن وفي النبات والحيوان ؛ والرسائل النفسانية تبحث في المبادئ العقلية وفي البعث والصور والنشور والقيامة ؛ والإلهية تبحث في الآراء والمذاهب ، وبيان اعتقاد إخوان الصفاء وكيفية أنواع السياسات وماهية السحر والعزائم . ويختمونها بالرسالة الجامعة التي لم تصل إلينا والتي كشف فيها كما يقولون عن كثير من الرموز والكنايات التي امتلأت بها رسائلهم : « وتليها الرسالة الجامعة ... ... المشتملة على حقائقها بأسرارها ... إذ هذه الرسائل كلها كالمقدمات لها والمدخل إليها

(١) رسائل ج ٤ ص ١٠٠

(٢) إختلف في عدد الرسائل ولم نقف على حجة ثابتة في هذا الموضوع ولكن يظهر لنا أن عددها واحد وخمسون ، وهناك رسالة جامعة تحوى زبدة الرسائل . بيد أنها لا توجد في المجموعات التي بين أيدينا ، وقد أشرنا في المقال السابق إلى أن الأستاذ كازانوفا وجد رسالة يظنها الجامعة فارجع إلى ما كتبت هناك .

والأدلة عليها والأنموذج منها ... وهى منتهى الغرض لما قدمناه[1]

ومثلهم فى ذلك — على حد تعبيرهم — كمثل بستانى له حديقة لم تر العين مثلها حسناً وإبداعاً ، وأراد لكرمه أن يدعو الناس إليها والتمتع بما فيها ، فأخذ نماذج من أزهارها ورياحينها وفاكهتها ووقف أمام بابها يعرضها على الناس ، حتى إذا تذوقوها وعرفوا مزاياها واشتاقت نفوسهم لدخول البستان أفسح لهم الطريق كى يتمتعوا ما شاءوا ويتلذذوا ويطربوا

ويختم إخوان الصفاء كل رسالة بنصيحة للأخ البار الرحيم حتى يتفهم غرضها ويعرف أسرارها . ثم إنهم كانوا يكثرون من القصص على لسان الحيوان ، ويدلون بأشياء لو صرحوا بها لفضح أمرهم وانكشف سترهم . ومهما يكن الأمر فرسائلهم سهلة الأسلوب خالية من السجع والمحسنات البديعية ، واضحة العبارة أحياناً ، غامضة فى الغالب من حيث المقصد والغاية . وقد ذكرنا فى المقدمة أن الغرض من تأليفهم هذه الرسائل بث تعاليمهم السرية وإيجاد طبقة من الشعب مثقفة تقود الرأى العام إلى أغراضهم السياسية وهى قلب نظام الدولة

آراؤهم الخيالية

لا نريد أن نتعرض فى هذا البحث إلى كل ما تناوله إخوان الصفا فى رسائلهم من خرافات ، وإنما الذى يهمنا أن نضرب أمثلة على إغراقهم فى الخيال أحياناً . فأنت تراهم مثلاً فى رسالة العدد ، وفى العموم فى الرياضيات يتبعون الفيثاغوريين ، فلا يهتمون فى البحث فى علم الحساب كما يهتمون بتبيان خواص الأعداد والكلام عن موسيقى الأفلاك ... الخ ؛ وهاك مثلاً على ذلك : « إعلم بأن كون العدد على أربع مراتب آحاد وعشرات ومئات وألوف ليس أمراً ضرورياً لازماً لطبيعة العدد ، ولكنه أمر وضعي رتبته الحكماء باختيار منهم ، وإنما فعلوا ذلك لتكون الأمور العددية مطابقة لمراتب الأمور الطبيعية ، وذلك أن الأمور الطبيعية أكثرها جعلها البارى جل ثناؤه مربعات منها : الطبائع الأربع التى هى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، ومثل : الأركان الأربعة التى هى النار والهواء والماء والأرض ، ومثل الأخلاط الأربعة التى هى الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، ومثل الأزمان الأربعة التى هى الربيع والصيف والخريف والشتاء ، ومثل الجهات الأربع ...[1] الخ »

(١) رسائل ج ١ ص ١٩ (٢) رسائل ج ١ ص ٢٧

والواحد من الأعداد هو أصل كل الأعداد ، وعنه تصدر بالتكرار ويذهبون مذهب الفيثاغوريين فى ذلك وهو أن الواحد أصل الوجود وإن حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة : « واعلم أن البارى جل ثناؤه أول شيء اخترعه وأبدعه من نوره جوهر بسيط يقال له العقل الفعال كما أنشأ الاثنين من الواحد بالتكرار ، ثم أنشأ النفس الكلية الفلكية من نور العقل ، كما أنشأ الثلاثة بزيادة الواحد على الإثنين ؛ ثم أنشأ الهيولى الأولى من حركة النفس كما أنشأ الأربعة بزيادة الواحد على الثلاثة . ثم أنشأ سائر الخلائق من الهيولى ورتبها بتوسط العقل والنفس : كما أنشأ سائر العدد من الأربعة بإضافة ما قبلها إليها »[1] ومن ذلك قولهم : « إن منفعة الشكل المتسع تسهيل الولادة إذا كتب على خزفين لم يصبهما الماء وعلقهما المرأة التى ضربها الطلق »[2]

ويقولون فى نشأة علم الفلك : « إن هرمس المثلث الحكمة وهو ادريس النبى عليه السلام صعد إلى فلك زحل ودار معه ثلاثين سنة حتى شاهد جميع أحوال الفلك ؛ ثم نزل إلى الأرض فخبر الناس بعلم النجوم ، قال تعالى (ورفعناه مكاناً علياً)[3] » . ويعتقدون بتأثير الكواكب فى السعد والنحس «الكواكب السبعة السيارة اثنان منها نيران ، واثنان منها سعدان ، واثنان نحسان ، وواحد ممتزج . أما النيران فالشمس والقمر ، والسعدان المشترى والزهرة ، والنحسان زحل والمريخ ، وأما الممتزج فعطارد»[4]

وأكثر من ذلك خرافة قولهم : « اعلم يا أخى أن كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك السموات ، خلقهم الله تعالى لعمارة عالمه وتدبير خلائقه وسياسة بريته ، وهم خلفاء الله فى أفلاكه ، كما أن ملوك الأرض هم خلفاء الله فى أرضه »[5] ويعتقدون أن لحركات الأفلاك والكواكب نغمات وألحاناً طيبة لذيذة مفرحة لنفوس أهلها الذين هم الملائكة ؛ فإن قال قائل : « لا بد إذاً أن يكون لهم شم وذوق ولمس » قلنا : « إن هذه حاجة الحيوان الآكل للطعام والشارب للشراب ؛ أما هم فغذاؤهم التسبيح ، وشرابهم التهليل ، وفاكهتهم الفكر والروية واللذة والفرح . . . ويقال إن فيثاغور الحكيم سمع بصفاء جوهره وذكاء قلبه نغمات الأفلاك والكواكب ، فاستخرج بجودة فطرته أصل الموسيقى

(١) رسائل ج ١ ص ٢٩ (٢) رسائل ج ١ ص ٨١
(٣) رسائل ج ١ ص ٩٢ (٤) رسائل ج ١ ص ٩٦
(٥) رسائل ج ١ ص ٩٨

ونفمات الأفلاك ، وهو أول من تكلم فى هذا العلم »[١] . ولولا خيفة الإطالة لذكرت كثيراً من هذه الآراء الخرافية ، وحسبك أن تقرأ رسالة السحر والطلاسم والتعاويذ ، وكيف يحاولون معرفة الجنين وقدوم الرسول ومعرفة الكتاب قبل فضه واللص وماذا سرق ومعرفة الحروب وأسبابها . . . ألخ[٢]

مراتب الوجود :

« اعلم يا أخى أن الله تعالى لما كان تام الوجود كامل الفضائل ملماً بالكائنات قبل كونها ، قادراً على إيجادها متى شاء لم يكن من الحكمة أن يحدث تلك الفضائل فى ذاته ، فلا يجود بها ولا يفيضها ؛ فإذاً بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض من عين الشمس النور والضياء »[٣]

وقد استمر هـذا الفيض فنشأ عنه العالم ، وأنت ترى أنهم يأخذون بنظرية الفيض التى ابتدعتها الأفلاطونية الحديثة ، وأنهم يقولون بالعناية الإلهية التى وضحها ابن سينا فيما بعـد بقوله : « لما كان المبدع الأول يعلم ذاته ويعلم لذلك نظام الخير فى الوجود المطلق كان علة للخير والكمال اللذين فاضا على الوجود عند ما فاض الوجود نفسه ، فانتقل بذلك نظام الخير إلى العالم بحسب القدر الممكن لهذا العالم »[٤]

والعالم عندهم على الترتيب الآتى :

١ — العقل الفعال : وهو جوهر بسيط روحانى أبسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد البارى تعالى علام بالفعل

٢ — النفس الكلية : وهى جوهرة بسيطة روحانية علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان ، فعّالة فى الهيولى بالتحريك لها

٣ — الهيولى الأولى : وهي جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علامة ولا فعالة بل قابلة آثار النفس بازمان منفعلة لها

٤ — الطبيعة الفاعلة : وهى قوة من قوى النفس الكلية سارية في جميع الأجسام محركة مدبرة لها وتسمى النفوس الجزئية أو الملائكة

٥ — الجسم المطلق : ذو الطول والعرض والعُمق وهو الهيولى الثانية

(١) رسائل ج ١ ص ١٥٣ (٢) رسائل ج ١ ص ٢٤١
(٣) الرسائل جـ ٣ ص ١٩٧
(٤) كتاب النجاه لابن سينا وفيه ملخص كتاب الشفاء

٦ — عالم الأفلاك : وسنتكلم عليه بالتفصيل فيما بعد

٧ — العناصر السفلى : كالنار والهواء والماء والأرض

٨ — المعادن والنبات والحيوان المكون من العناصر السابقة . وقد فاضت كلها من الله ، ولكن وقف الفيض بعد الجسم المطلق الذى لم يفض منه جوهر آخر لنقصان رتبته عن الجواهر الروحانية[١]

عالم الأفلاك :

الأفلاك أجسام كرية شفافة مجوفة ، وهى تسعة أفلاك مركبة بعضها فى جوف بعض كحلقة البصلة . وهناك كرتان ليستا من الأفلاك ، وهما كرة الهواء وكرة الأرض ، فيكون المجموع إحدى عشرة كرة . وتقع الشمس فى الوسط ، وفوقها خمس كرات وتحتها خمس ؛ فالتى فوقها على الترتيب ... كرة المريخ ، المشترى ، زحل ، الكواكب الثابتة ، ثم فلك المحيط ، والتى تحتها على الترتيب ... الزهرة وعطارد ، والقمر ، ثم كرة الهواء ، ثم كرة الأرض التى هي المركز ، وليست مجوفة ولكن متخلخلة

والشكل الكرى أفضل الأشكال كلها ، وحركته تامة ، وأفضل الحركات . والفلك المحيط ألطف الأجسام وأشدها روحانية وأشفها نوراً لقربه من الهيولى الأولى . والأرض أغلظ الأجسام كلها وأشدها ظلمة لبعدها عن الفلك المحيط . والقمر هو السماء الأولى وعطارد السماء الثانية وهكذا حتى تنتهى من السموات السبع التى آخرها زحل . أما فلك الكواكب الثابتة فهو الكرسى الذى وسع السموات والأرض ، والفلك المحيط هو العرش العظيم الذى يحمله يومئذ ثمانية[٢]

هل قالوا بالنشوء والارتقاء ؟

ذهب بعض الباحثين إلى أن إخوان الصفا كانوا يقولون بنظرية النشوء والارتقاء . والواقع أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن هذا ، بيد أن لهم نظرية خاصة فى تدرج الأجسام المولّدة : « واعلم يا أخى بأن أول مرتبة الحيوان متصل بآخر مرتبة النبات ، وآخر مرتبة الحيوان متصل بأول مرتبة الإنسان، كما أن أول مرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء . فأدون الحيوان وأنقصه هو الذى ليس له إلا حاسة واحدة فقط كالحلزون والديدان التى تتكون فى الطين وقعر النهر ...

(١) جـ ٣ ص ١٩٨ — ١٩٩ (٢) جـ ٢ ص ٢٢ رسائل

٢٠ ٥ ١٨

٢٦ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزى ادورد دليم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

تابع الفصل الثامن — عادات المجتمع العامة

للطبقة المهذبة تحيات وتهنئات أخرى متكلفة تتبع السلام. كما أن هناك عبارات خاصة للرد على أكثرها أو عبارتين أو أكثر قد تستعملان في بعض الأحوال. غير أن الرد الذى لم تلزمه العادة قد يعتبر دليلاً على الجهل أو الخساسة. وعند ما يسأل رجل صديقه « كيف صحتك »[1] يجيبه الآخر « الحمد لله » ويستدل المستفهم باللهجة التى يرد بها الآخر إذا كان صديقه معافى أو مريضاً ، وعند ما يقول الواحد للآخر « طيبين » يجيب الآخر عادة « الله يبارك فيك » أو « الله يسلمك » ، وعند ما يتقابل صديقان لم يلتقيا عدة أيام أو وقتاً طويلاً يقول أحدهما بعد السلام « أوحشتنا » فيجيبه الآخر : « الله لا يوحشنا منك » . وقد يشغل ذكر التهنئات الفخمة التى يستعملها المصريون عادة صفحات من هذا الكتاب

ولا يدخل الرجل منزل غيره بدون استئذان لأن القرآن حرم ذلك صراحة [1] ، وعلى الأخص إذا كان يريد أن يصعد الى إحدى الغرف العليا ، فلا بد فى هذه الحالة أن يصيح طالباً الإذن ، أو يعلن قدومه عند ما يصعد السلم بالطريقة التى وصفتها سابقاً . وإذا لم يجد أحداً أسفل المنزل يصفق بيديه عند الباب أو فى الفناء وينتظر نزول الخادم إليه أو الإذن له بالجلوس فى حجرة سفلى أو بالصعود إلى غرفة عليا . ثم يحيى رب الدار عند ما يدخل الغرفة التى يجلس فيها ، فيرد عليه رب الدار ويرحب به بأدب وبشاشة . ويقف رب الدار لمن كان أعظم منه[2] ولأقرانه على العموم ، ويتقدم لاستقبال من هم أعلى منه مركزاً إلى الفناء أو بين الفناء وغرفة الاستقبال ، أو فى مدخل الغرفة أو وسطها ، أو على بعد خطوة من مكان جلوسه . وكثيراً ما يكتفى عند استقبال أقرانه بأن يتحرك حركة خفيفة كما لو كان يهم بالوقوف . ولا يتحرك لمن دونه مقاماً . ويقدم رب الدار إلى الرفيع القدر وإلى أقرانه غالباً أفضل مكان فى ركن من الديوان على يمين من

(١) « إيش حالكم »

(١) سورة النور آية ٢٧

(٢) أى لمن فاقه فى المكانة أو الغنى أو فى الشهرة الدينية أو الأدبية

فهذا النوع حيوان نباتى لأن جسمه ينبت كما ينبت بعض النبات ، ويقوم على ساقه . ولما كان جسمه يتحرك حركة اختيارية كان حيواناً . (أما رتبة الحيوانية مما يلى رتبة الإنسان فليست من وجه واحد ، ولكن من عدة وجوه ، فمنها ما قارب رتبة الإنسان بصورة جسده كالقرد ، ومنها ما قاربها بالأخلاق النفسانية كالفرس فى كثير من أخلاقه ، ومنها كالطائر الإنسانى أيضاً ، ومثل الفيل فى ذكائه ، وكالببغاء والهزار ونحوهم ، ومنها النحل اللطيف الصنائع ... إلى ما شاكل هذه الأجناس . فهذه الحيوانات فى آخر مرتبة الحيوان مما يلى رتبة الإنسان لما يظهر فيها من الفضائل الإنسانية[1])

ولا شك أن هذه النظرية بعيدة كل البعد عن مذهب النشوء والارتقاء الحديث ، إذ جعلوا الفيل والنحل والطائر قريبة الشبه بالإنسان وفى أعلى مراتب الحيوان . ولعلنا إذا أخذنا رأيهم من الناحية العضوية البيولوجية توجد عندنا شبهة للقول بمذهب النشوء ، فالحلزون حيوان نباتى ، والقرد قريب للانسان جسمياً . ولكن حتى مع هذا لم يقل إخوان الصفا بأن الإنسان هو والقرد متفرعان من أرومة واحدة . وهم يعتقدون أن النبات متقدم فى الوجود على الحيوان لأنه غذاء له ، والحيوان متقدم على الإنسان لأن وجوده لخدمته ومنفعته[1]

(يتبع)

عمر الدسوقى
مدير كلية المقاصد الاسلامية ببيروت

(١) الرسائل ج ٢ ص ١٤٤

(١) رسائل ج ٢ ص ١٥٥

يواجه « صدر » الغرفة أى طرفها الأعلى ، ويعتبر المجلس الممتد بطول « الصدر » أكثر إجلالاً من المجلسين الممتدين على الجانبين ، ويسمى كل منهما « جنبيا » ، ولا يجلس من هم دون رب الدار فى الصدر أبداً إلا إذا دعاهم إلى ذلك . وكثيراً ما يرفضون هذا الشرف . ويجلس أقران رب الدار واضعين رجلاً على رجل ، أو رافعين ركبتهم ومستندين على المساند . وكثيراً ما يجلس من دونه ، بادئ الأمر على الأقل ، على أعقابهم أو على حافة الديوان أو على الحصير أو البساط إذا كان فرق المكانة بينهما كبيراً . وتقتضى دقة الآداب ألا يظهر الزائر يديه عند دخول الغرفة أو عند الجلوس ، ويجب أن يسبل كميه عليهما ، وألا يمد رجليه عند ما يجلس على الديوان ، وألا يترك قدميه مكشوفتين ، ولكن هذه القواعد لا تراعى إلا فى منازل العظماء . وتردد التهانى والتحيات بعد السلام وعلى الأخص عبارتا « طيبين » و « إيش حالكم » مرات عديدة أثناء المحادثة

وقد يقوم أحياناً خادم الزائر نفسه بتقديم الشبك ، فيخرج السيد كيس التبغ من عبه ويناوله الخادم الذى يملأ الشبك منه ثم يطويه ويعيده بعد ذلك أو عند انتهاء الزيارة . وفى غير هذه الحالة يقدم خادم المضيف شبكا إلى الزائر وآخر إلى سيده ثم يناول القهوة[1] لأن التدخين بدون قهوة كالطعام بلا ملح ، كما يقول العرب . ويحيي الزائر رب الدار عند ما يتناول الشبك والقهوة بالتمنية فيردها الأخير إليه ، وكذلك الأمر عند ما يعيد الفنجان إلى الخادم ، كما أن رب الدار يحيى ضيفه بالطريقة نفسها إذا لم يكن الفرق بينهما كبيراً . وكثيراً ما يلبث الخدم فى الغرفة مدة الزيارة واقفين باحترام عند طرفى الغرفة الأسفل ضامين اليدين (اليسرى فى اليمنى) فوق الحزام ، وينادى على الخدم عادة بالتصفيق بأصابع اليمنى على راحة اليسرى ، ويسمع صوت التصفيق فى المنزل لأن النوافذ من الخشب الشبك . ويدور الحديث على الأخبار اليومية وحال التجارة وأسعار المؤن ، والدين والعلوم أحياناً ، وتروى الحكايات الفكاهية . ويحدث كثيراً أن تسرد القصص والأمثال البذيئة فى غير

(١) ويتناول الزائر الشبك والقهوة قبل رب الدار إذا كان عظيما أو لا يقل مركزه كثيراً

المجتمعات . وقلما يتحدث الناس فى المجتمعات الطيبة عن نسائهم ، ولكن كثيراً ما يفعل ذلك الأصدقاء الخلص ومن لا يراعى دقة قواعد الأدب بطريقة لا تكون لطيفة دائماً . ويستفسر المهذبون كل عن (منزل) الآخر للاطمئنان على الزوجة والعائلة . وكثيراً ما تشغل الزيارات وقتاً طويلاً ، وقد تستمر أحياناً طول اليوم وعلى الأخص زيارات الحريم . ويتكرر حشو الشبك أو تبدل بغيرها كلما اقتضت الضرورة ذلك لأن الزائر لا ينقطع عن التدخين مدة بقائه . ويعاد تقديم القهوة والأشربة أحياناً . وقد سبق وصف طريقة تقديم القهوة والأشربة . وتقدم التهانى نفسها إلى الزائر بعد الشراب كما تقدم كذلك بعد جرعة ماء[1]

وجرت العادة فى منازل الأثرياء أن يرش الضيوف قبل انصرافهم بماء الورد وماء الزهر ، ويطيبون ببخور بعض المواد العطرية . وقد أصبحت هذه العادة غير شائعة فى السنوات الأخيرة . وتكون قارورة العطر المسماة (قمقماً) من الفضة الساذجة أو المذهبة ، أو من النحاس الدقيق أو من الفخار الصينى أو من الزجاج ولها غطاء به ثقب صغير . أما أداة البخور المسماة (مبخرة) فتكون من أحد المعادن المذكورة ويجهز وعاء الجمر بالجص أو يملأ نصفه ، وبغطائه عدة ثقوب لصعود الدخان



(شكل ٥١) القمقم والمبخرة

(أنظر شكل رقم ٥١) . وتستعمل المبخرة بعد القمقم . ويقدمها الخادم إلى الزائر أو السيد فيحول البخور نحو وجهه ولحيته الخ ، بيمناه . وتفتح المبخرة أحياناً لإرسال البخور بلا عائق . وأكثر المواد استعمالاً : العود والجاوى وقشر العنبر . ويبلل الخشب

(١) أنظر الفصل الخامس

المطرى قبل أن يوضع على الجمر . ويستعمل العنبر للغرض نفسه ولكن يندر استعماله إلا فى منازل الأثرياء لغلو ثمنه . وينصرف الزائر بعد أن يُعطَّر ؛ ولكنه لا يخرج قبل أن يستأذن ثم يقرأ السلام ويقدم غير ذلك من التحيات والتمنيات التى يرد عليها رداً موافقاً . ويجب على رب الدار إذا كان الزائر يفضله مركزاً ألا يقوم له فحسب ، بل يرافقه إلى أعلى السلم أو إلى باب الغرفة ثم يودعه فى أمان الله

ومن المعتاد أن يعطى الزائر قبل انصرافه من الزيارات العظيمة هدية صغيرة قرشين أو ثلاثة قروش أو أكثر حسب الظروف ، إلى أحد الخدم أو بعضهم . ويرافق الزائرَ أحد الخدم إذا كان مطيته على الباب أو فى الفناء ليساعده على الركوب ، وينتظر هذا الخادم الحسن الالتفات — على الأخص — عطيةً . وعند ما يعطى الزائر الخدم نقوداً فعلى السيد أن يرد المثل تماماً عند رده الزيارة

وكثيراً ما يتبادل الأصدقاء الهدايا تبعاً للعادة العامة ، ويقدم الأصدقاء الهدايا عند أى حفل خاص ، والقاعدة العامة أن يرد إلى مقدّم الهدية واحدة مماثلة أو فى قيمتها عند مناسبة مماثلة . والشائع أن يعبر المهدى إليه في مثل هذا الحفل عن رجائه استطاعة رد الهدية فى مناسبة مشابهة ، ويعتبر هذا الشكر المصحوب بالإشارة إلى وفاء دين الهدية أدباً وتلطفاً فى هذا البلد وإن كان الأوربى الكريم يراه إهانة له . وتُلفّ الهدية فى منديل مطرز يعاد إلى الرسول مع منحة مالية صغيرة . ومن الهدايا الشائعة الفاكهة تقدم على أوراق الشجر ، والحلوى فى طبق أو على صينية تغطى بمنديل ثمين أو بمفرش . وكثيراً ما تقدم الهدية إلى العظيم لأجل الحصول على هدية أثمن ، ويفعل هذا غالباً الخادم . وقلما يرفض السيد الهدية ، ولكنه يدفع فى الحال نقوداً تفوق قيمتها . وليست عادة منح الخدم منحة بعد الزيارة شائعة الآن كما كانت منذ بضع سنوات . إلا أنه لا يزال أغلب الناس يراعون ذلك فى الزيارات الكبيرة وعلى الأخص فى العيدين ، كما يراعى ذلك المدعوون إلى الحفلات الخاصة ؛ وسنصف عادات أخرى مثل العادات الأولى يراعيها المصريون فى هذه الحفلات فى الفصل السابع والعشرين ويعتبر رفض الهدية إهانة لمقدمها ، وتعبيراً عن زوال الحظوة

وهناك عادات كثيرة يراعيها المصريون ، لا فى الزيارات الكبيرة ، أو فى حضرة الغرباء ، أو عند مقابلة الأصدقاء العارضة فحسب ، بل فى العلاقات العادية ، فعند ما يعطس الرجل يقول : الحمد لله ، فيقول كل من الحاضرين حينئذ ما عدا الخدم : يرحمكم الله ؛ فيرد عليهم : يهدينا ويهديكم الله ، أو بعبارة مماثلة . وإذا تثاءب يضع ظهر يسراه على فمه ، ثم يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ ولا يقال له شيء فى هذه الحالة ، لأن تجنب ذلك أجدر ، إذ المعتقد أن الشيطان يقفز إلى فم المتثائب . والعادة أن يستغفر الله من يخالف قواعد الآداب بدلاً من الاعتذار للحاضرين. وهناك عدة عبارات تقال بعد الحلاقة أو الاستحمام أو الوضوء أو الصلاة ، أو أى فعل يستحق الثواب ، أو عند القيام من النوم أو عند ما تشترى ملابس جديدة أو تلبس ، وفى عدة مناسبات أخرى ، ولتلك العبارات أجوبة خاصة

والقاعدة أن يكرم المسلمون يمناهم يداً وقدماً ، فيستعملون اليد اليمنى للأغراض الجليلة واليسرى للأعمال التى تعتبر على رغم ضرورتها حقيرة ، ويلبسون الحذاء الأيمن ويخلعونه قبل الأيسر ، ويخطون عتبة الباب بالقدم اليمنى قبل اليسرى

ويجامل المصريون بعضهم بعضاً إلى أقصى حد . ولتحيتهم وسلوكهم العام رقة ووقار خاصان ومهارة سلسلة تبدو أنها فى طبيعتهم لملاحظتها فى الفلاحين أيضاً . ويتفاخر أهل المدن من الطبقتين الوسطى والعليا بحسن الأدب ورشاقة المنهج وقوة الذكاء وطلاقة اللسان ؛ إلا أنهم ليسوا أقل خلاعة فى أحاديثهم من مواطنيهم الأقل تربية . ويمتاز المصرى على اختلاف طبقاته بالبشاشة والأنس . ومن المألوف أن ترى غريبين يتحدثان بحرية كما لو كانا صديقين قديمين فى أى مكان ، ويقدم أحدهما شبكه إلى الآخر . وليس من غير المعتاد ولا من سوء الأدب أن يستفسر الغريب فى أول مقابلة عرضية عن اسم الآخر وصناعته أو تجارته ومسكنه . وكثيراً ما تنشأ فى مثل هذه المناسبات صداقة دائمة بينهما(١) . وقلما يسمع فى مجتمعات الطبقتين العليا والوسطى ما يمس شعور الحاضرين ؛ ولا يجرؤ الخليع مهما كانت خلاعته أن ينطق أى عبارة يقصد بها الهزؤ . ومع ذلك فأغلب الناس من جميع الطبقات هم خلعاء فى أحاديثهم ويحبون الدعابة إلى أقصى حد . وحديث المصريين مؤثر حار ، ولكن أفراحهم تكون أبداً بلا جلبة تقريباً . وقلما يستسلمون للضحك العالى وإنما يعبرون عن سرورهم بالابتسام أو الهتاف

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) وكثيراً ما يتخاطب الناس بألفاظ القرابة مثل الأب والابن والعم وابن العم والأخ والأخت والأم والبنت والخالة وبنت الخالة الخ

نجوى المغـــنى...

[مهداة إلى الموسيقى النابغ
الأستاذ محمد عبد الوهاب]

للأستاذ محمود عماد

يا نضيرَ العودِ هاتِ الـ عودَ إنى سـأُغنى
واجلُ لى حسنَكَ إنى منهُ قد أُلهمتُ فنى
كل معنى فيك يوحى لىَ لحناً بعـد لحنِ

إن تكن ماء فألحا نِىَ المـاء خرير
أو تكن ناراً فمنهـ نَّ شهيقٌ وزفير
وإذا ما كنت زهراً لم يفتهن العبير
مثلما ألقـاك تلقا نى على العـود أغنى

فيكَ للشعر معانٍ غالياتٌ كالجـواهرْ
فيك للتصـوير ألوا نٌ كألوان الأزاهر
كيفَ لا يجلوك لحنى فى مجاليك البـواهر
سأغنيك إلى الدّ نيا فتروى ما أغنى

يا حبيبى هاتِ لى العو دَ وهاتِ الخدَّ هاتِ
روِّ عينىَّ وروِّ الـ عودَ من ماء فُراتِ
فإذا الألحـانُ تهمى حانياتٍ عاطـراتِ
كندَى الوردِ ، فغَنِّ بفمى حين أغنى

مَن ترَى غيرِىَ إن غنَّا كَ يا فاتن أبدَعْ
إننى أُعطيكَ ما مِن زهرِ بستانِك أجمع
فأنلنى يا حبيـبى خيرَ ما فيه وأمتع
واصرف الحارسَ عنى أو فإنى لا أغنى

محمود عماد

أغنية

ضفاف النيـــل

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

صفَّق الموجُ وغنَّانا أناشـيدَ الجمالِ
ومضى الزورقُ يجرى مطمئناً لا يُبالى
يا ضفافَ النيلِ روِّى القلبَ من خمرِ الليالى

جددى عُرسى وأفراحى وأُنسى واسكبى النشوةَ فى روحى وحسِّى
ودعينى قبلما تفرغُ كأسى وأرَى الدنيا فما تضحكُ نفسى

واجْرِ يا زورق نشوان على نورِ الأمانى
حولك الدنيا صفاء وضياء وأغان
ضحك الكونُ وغنى بهوانا الشاطئان

فأعيـدى فتنة الماضى إليَّا يا ضفافَ النيل روِّى مقلتيَّا
من ضياء يملأ الأرواح ريَّا قد دعا الحبُّ إلى دنياى هيَّا

نعبُر الشطآن فى ظلٍّ من النُّعمى نغنى
فابتعدْ يا دهرُ لا تحرمْ فؤادينا ودعْنى
لا تقفْ بين هوى نفسى وآمالى وبينى

أيها النيلُ على صدرِك يجرى زورقٌ تحدوه آمالٌ بِصدرى
أنت تدرى ما بقلبى أنت تدرى وتعى سِرِّى ولا تجهل أمرى

كُنْ رفيقاً أيها النيلُ ودعْنا وهوانا
غنِّنا لحن صِبانا ، واسقنا واطوِ صَدانا
وامـلأ الجو فتوناً وأماناً وحنانا

يا حبيبى ها هى الدنيا أراها مثلما أهوى بعينى وتراها
آه لو تغفلُ عنا مقلتاها أبد الدهرِ وهل تُغنيك آها !

(الاسكندرية) مصطفى على عبد الرحمن



اتجاهات جديدة لرجال التعليم

فى الأسبوع الماضى أُقيم فى القاهرة مؤتمران : مؤتمر التفتيش ومؤتمر تدريس العلوم . وإنما أُقيم المؤتمران فى أسبوعٍ واحد ، لأن « إجازة نصف السنة » هى الفرصة التى تسمح بأن يلتقى المفتشون والمدرسون فى القاهرة بلا عناء

وقبل أن نشير إلى أهمية هذين المؤتمرين نُسجل أن « الظروف الحاضرة » لم تمنع رجال التعليم من أن يشغلوا أنفسهم بشئون لا يطالبهم بها أحدٌ فى هذه الأيام ، وذلك يشهد بأن النزعة العلمية تأصلت فى النفوس ، ولم تعد تحتاج إلى بواعث وأسباب . ولو أضفنا إلى ذلك أن مؤتمر تدريس العلوم حضره مندوبان عن وزارة المعارف العراقية : هما الدكتور فاضل الجمالى والدكتور متى عقراوى ، لعرفنا أن أصدقاء مصر فى الشرق يتفتون إلى أخبارها العلمية بأسلوب يستحق الثناء

أُقيم الاجتماع الأول لمؤتمر التفتيش فى مدرسة فاروق الثانوية ، وألقى فيه الأستاذ سامى بك حسونة كلمة ضافية حدّد بها الأغراض المنشودة من التفتيش . ثم تفرّع المؤتمر إلى لجان تدرس ما يعترض التفتيش من مصاعب ومشكلات

وأُقيم مؤتمر تدريس العلوم بالجمعية الجغرافية ، وقد فتتحه سعادة الأستاذ شفيق بك غربال بالنيابة عن معالى وزير المعارف الرئيس الفخرى للمؤتمر ، وتكلم فى اليوم الأول الأساتذة محمد فؤاد جلال وأحمد زكى بك والمستر همبلى والدكتور الجمالى والدكتور الكردانى ، ثم استمر فى الأيام التالية يقوم بدراسات على جانب عظيم من الأهمية حضرها مئات المدرسين

والمهمّ هو أن نذكر بصراحة أن الذين حضروا هذين المؤتمرين راعهم أن يشهدوا وثبات فكرية وعقلية تستوجب الإعجاب ، وتجدد الثقة برجال التربية والتعليم فى هذه البلاد

وقد لاحظت أن اللغة العربية أصبحت فى غاية من المرونة والقدرة على شرح أدق الأغراض ، فقد كان الخطباء يتدفقون بأساليب منوعة الألوان ، وكان تعبيرهم يشهد بأننا نعاصر « لغة علمية » تعرف كيف تحيط بدقائق المعضلات

أما بعد فمن حق من شهدوا هذين المؤتمرين أن يرجوا أن تدوم هذه السنّة الحميدة ، وأن تكون « إجازة نصف السنة » فرصة سنوية لإذكاء الأفكار والآراء فى التربية والتعليم ، والله بالتوفيق كفيل ، وهو القادر على إثابة أهل الصدق والإخلاص

زكى مبارك

نزع العمائم فى دور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتهم

قرأتُ فى باب البريد الأدبى من الرسالة الغراء (العدد ٤٢٩ ص ١١٩١) كلمة بعث بها الأستاذ عبد المجيد الساكنى من بغداد يسأل فيها الدكتور زكى مبارك عن « البيئة ونزع العمائم » فى عرض كلامه عن تأثير البيئة فى بعض عادات أهل الأندلس (الرسالة العدد ٤١٨ ؛ ص ٨٦٢ : تأثير البيئة)

وقد وقفتُ أثناء مطالعاتى على ما له صلة بهذا الموضوع أحببت أن أبيّنه فيما يلى لأنه يرينا ناحية من مناحى الرسوم المتبعة عند الإسلام بشأن العمامة

قال محمد بن عَبْدوس الجهشيارى المتوفى سنة ٣٣١ للهجرة ما هذا نصه : « وكان عيسى [بن عبد الرحمن] كاتب طاهر [بن الحسين] لمّا دخل مجلس الفضل [بن سهل] نزع قلنسوته وجعلها إلى جانبه ، ثم فعلَ ذلك مراراً ، فقال نُعَيْم بن حازمٍ ليعقوب بن عبد الله ، وكان يعقوبُ آنفاً لعيسى : إن أبا العباس - يعنى عيسى - إذا جلس فى مجلس الأمير - يعنى الفضل - رفع قلنسوته عن رأسه ، وهـذا استخفافٌ منه بالأمير ، قد أنكرهُ الناس ، وتكلموا فيه ، فأعلمه ذلك ليمسك عنه فيما يستقبل ، فإنه إن عاود دنوتُ منه ورددتُها على رأسه بعنفٍ وإنكار . فقال يعقوب لعيسى ذلك ؛ فقال له : بأىّ شىء رَدَدْتَ عليه ؟ قال قلت له : إنه محرورٌ ، ولعله قد استأذن الأمير فى ذلك ، أن كان لا يجهَل ما يأتى ويَذَرُ . فقال : والله ما بى أنى محرُورٌ ، وما استأذنتُ ، ولكنى أريد أن يعلم الفضلُ أولاً ، ثم مَن حوله أنه أهونُ علىّ وأدقُّ فى عينى ما دامَ صاحبى — أعزّه الله — حيًّا ، من هذه الشعرة — وقلعَ شعرةً من عُرْف دابته — ومن فوق نُعَيْم ، فضلاً عن نُعَيْم ، أشدُّ تهيُّباً للاقدام علىّ

بشيء أنكره ، فلا يدخلك من قولهم شيء ، وعرّف نعمتهم ابن حازم ما قلته »(١)

ونظير هذا النبأ ما أورده هلال بن المحسّن الصابئ المتوفى سنة ٤٤٨ للهجرة ، قال : « وحدثني جدّي (أبو إسحق إبراهيم الصابئ) أن المكنّى أبا الهيثم حضر يوماً في دار عضد الدولة وأخذ عمامته من رأسه ووضعها بين يديه ، ورآه بعض أصحاب الأخبار فكتب بما كان منه ، وخرج أستاذ دار ، فخرّق به وشتمه ، وأخذ العمامة وضرب بها رأسه حتى تقطّعت قطعاً ، ووكل به واعتقله . فسئل فيه عضد الدولة ، وقيل : هذا رجل محرور الرأس ، ولا يستطيع ترك العمامة على رأسه ، وإنما فعل هذا لذاك ، لا لجهل بأدب الخدمة . فبعد مراجعات ما . أمر بإطلاقه »(٢)

(بغداد) ميخائيل عواد

إلى الدكتور زكي مبارك

قرأت بمزيد الأسف ما كتبته في رسالة هذا الأسبوع من حديث تهكمت فيه بمن يدرس اللغات الميتة كما تسميها أنت ، ونعيت فيه على الجامعة المصرية التي تعنى بإحياء ما اندثر وباد وانقطعت صلته بالحياة ، وأنا في هذه الكلمة أضرب صفحاً عما أدخلته في هذه المسألة من جوانب شخصية ، فإن هذا لا يعنيني ، وإنما أنفذ إلى لب المسألة فأقول :

يؤسفني أن أرى الدكتور زكي مبارك — وهو الرجل العظيم الذي أحبه أشد الحب وأعجب بشخصيته أعظم الإعجاب — يتجرد من ثياب العالم الواسع الأفق والباحث الطويل الباع ، وكيف يكون عالماً واسع الأفق وباحثاً طويل الباع من يجهل صلات اللغة العربية بهذه اللغة الميتة ؟ كيف يكون كذلك من يجهل أن خدمة اللغة العربية خدمة صادقة حقاً تستلزم معرفة واسعة بلغات عاصرتها في أجيال طويلة من التاريخ فأثرت فيها وتأثرت بها ؟ بل كيف يكون كذلك من يريد أن يفهم لغة بله أن يدرسها فلا ينظر إلى أخواتها التي تفرعت معها من أصل واحد ؟

هل يصح في أذهان العلماء أن تدرس اللغة العربية دراسة لغوية لا تستند إلى مقارنات شتى بينها وبين العبرية والسريانية وسائر الأخوات ؟ وهل ينكر أثر اليونانية واللاتينية في قاموس اللغة العربية ؟ ثم هل ينكر وجوب دراسة الصلات بين الآداب السريانية والعبرية والأدب العربي ، تلك الصلات التي لم أجد أحداً تنبه إليها حتى الآن إلا البعض القليل ؟ ثم هل ينكر أثر الوراثة الأجنبية فيما نظمه ابن الرومي وأبو تمام ؟

لئن كان الفرنجة يدرسون اللاتينية واليونانية كوسيلة لدراسة لغاتهم ، فنحن يجب علينا أن ندرس اللغات السامية أولاً ثم اللاتينية واليونانية ثانياً لدراسة لغتنا العربية التي نتعشقها ونفنى أعمارنا في خدمتها

السيد يعقوب بكر

حول مقال الأستاذ المازني

يقول الأستاذ في مقاله تحت عنوان « بطولة محمد » في العدد (٤٤٩) الهجرى ما نصه :

« فما كان صلى الله عليه وسلم يعنى بالاشتراك في القتال بسيف أو رمح ، وكان يشهد المعارك ويصحب رجاله ، ولكنه لا ينزل إلى الحومة بنفسه ولا يخوض المعمعة مع أنصاره ، وإن كان يوجههم »

وهذا يخالف الواقع والتاريخ ؛ فقد ثبت أنه كرّ على الأعداء في بعض الغزوات كرّاً عنيفاً قائلاً متحمساً : « أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب » وثبت أنه كسرت رباعيته وجرح حتى سال منه الدم ، فجعل يمسح الدم ويقول : « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم » ؟ وفي تفسير الكشاف الجزء الأول ص (٢١٤) في ذكر غزوة أحد ما نصه : « وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وأمّر عبد الله ابن جبير على الرماة وقال لهم : انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا»

---

(١) الوزراء والكتاب (ص ٣٩٤ طبعة مزيك) = (ص ٣١٠ — ٣١١ طبعة السقا والابياري) وشلبي) = (ص ٢٥٤ — ٢٥٥ طبعة الصاوي)

(٢) رسوم دار الخلافة (المخطوط ؛ الورقة ١٠٦ أ) ؛ وهو كتاب حققناه وعلقنا عليه وأعددناه للنشر

وفى الجزء الأول من السيرة الحلبية ص (٥٥٠ ، ٥٥١) فى غزوة بدر أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاث حصيات فرمى بهن فى وجوه المشركين يمنة ويسرة ، وحين رمى بذلك قال لأصحابه شدوا ، فكانت الهزيمة . وأنزل الله تعالى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » . وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه قتالاً شديداً »

هذا وغيره كثير يدل دلالة واضحة أن رسول الله خاض المعمعة بنفسه وقاتل بسيفه

ابراهيم محمد عيسى
إجازة القضاء الشرعى

مات حتف أنفه

تحت هذا العنوان كتب الأديب خالد الشواف كلمة فى البريد الأدبى بعدد (الرسالة) الأخير تساءل فيها : كيف يمكن التوفيق بين ما روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه من قوله : « ما سمعت كلمة غريبة من العرب إلا وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعته يقول : «مات حتف أنفه». وما سمعتها من عربى قبله » ، وبين ما يروى للسموءل بن عادياء من قوله فى لاميته :

وما مات منا سيد حتف أنفه ... ولا طل منا حيث كان قتيل ؟

وطلب الأديب الإجابة عن هذا السؤال ممن يشاء من القراء فاليه الجواب :

رويت هذه القصيدة لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى ، وهو شاعر إسلامى شامى من شعراء الحماسة . ولئن اعتمدنا هذه الرواية فلا إشكال ... على أن البيت فى بعض الروايات هكذا : (وما مات منا سيد فى فراشه ... الخ)

قال الخطيب التبريزى تعقيباً على هذه الرواية فى شرحه للبيت فى الجزء الأول من الحماسة صفحة ١١٣ ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد : (وهذه الرواية رواية من يجعل القصيدة جاهلية) . وعليها فالبيت منى بالتحريف ، وكم عدا التحريف البغيض على آثار العبقرية العربية الشاعرة

وقد ذهب الأستاذ الزيات فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » صفحة ١٧٧ الطبعة السادسة ، إلى أن ما روى عن علىّ دليل على أن قصيدة السموءل منحولة كلها أو بعضها ...

ولعل فى هذا ما يكشف الريب

محمد فهيم ...

عام الفيل ومولد الرسول

فى بريد العدد ٤٥١ من (الرسالة) ، يذكر الأديب الفاضل على محمد حسن فى الفقرة الثالثة من كلمته « فى مطالعاتى » أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل الموافق سنة (٥٧٠ م) وبالرجوع إلى العدد ٣٤٩ من (الرسالة) ، نرى الأستاذ البحاثة المرحوم « إسماعيل أحمد أدهم » فى مقالة له عنوانها « عام الفيل وميلاد الرسول » يثبت ويؤكد بالأدلة القاطعة ، أن عام الفيل كان يوافق سنة (٥٤٠ م) ، وميلاد الرسول يوافق سنة (٥٧٠ م) . وهذا يدل على أن الصلة مفصومة بين ميلاد الرسول وعام الفيل ، وأن محمداً صلوات الله وسلامه عليه ولد بعد عام الفيل بنحو ثلاثين سنة ، ويوجه فى ختام بحثه أنظار المشتغلين بالتاريخ الإسلامى ، وخاصة أساتيذ الجامعة إلى هذه الحقيقة . ورجا أن يكون فى « بحثه هذا » تصحيح لما تجرى به أقلام الباحثين فى العالم العربى ، من أن رسول الله ولد عام الفيل

وبعد . فإنى الأديب الفاضل أقدم هذا البحث القيّم للاطلاع عليه فى ص ٤٥٠ من العدد ٣٤٩ فى السنة الثامنة من عمر « الرسالة » المديد

وإلى جمهرة المؤرخين الأفاضل ، أرجو بسط هذا الموضوع وبحثه على صفحات « الرسالة » الغراء لحيويّته وخطورته بالنسبة لتاريخ مولد سيد العالمين ، وحقيقة صلة هذا الميلاد بعام الفيل

أحمد محمد فرج
(دبروط)

حكم فى القضية المستأنفة رقم ٦٨٠٤ سنة ١٩٤٠ بتاريخ ٤ يونية سنة ٩٤٠ ضد محمد رفعت عامر سكنه شارع خيرت بتغريمه ١ جنيه لبيعه عدساً يعمر أزيد من التسعيرة .

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين

10 me Année No. 454

Lundi - 16 - 3 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ عن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٥٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ صفر سنة ١٣٦١ — الموافق ١٦ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

بين ناخب ونائب

بين غداة وعشية أمسى غنيّنا الطافح عضواً بالتزكية فى مجلس النواب . والفوز بالتزكية هنا معناه امتناع المنافس لا انقطاع النظير ، وخلو الميدان لا بطولة الفارس ؛ ومع ذلك نصب البك السرادق ، وقدم الحلوى ، وتقبل التهنئات ، وسمع بأذنيه الطويلتين القصائد العُور والخطب البُتر فى الإشادة بالكفاية العالية فيه ، والثقة الغالية به ، والخير المرجو منه . وللريف شعراء وخطباء كعصافير الحصاد : تقع فى الجرن ولا تقع فى الروض ، وتزقزق للحبة ولا تزقزق للزهرة ، وتكرر أغرودتها الواحدة ولا تقصد بها معنى غير فرحها هى بسعة البَيدر وضخامة العُرمة !

ولكن البك وحده هو الذى صدق هذه التفاعيل العَروضية فانتفش انتفاش الديك ، وراح يَعِدُ ويُمَنِّي ، ويُعدِّدُ ويَمُنّ ، ويفخر ويفيش ، ويزعم أنه باجتهاده وجهاده سيجعل المجلس يبسط الأرزاق ، ويطيل الأعمار ، ويضمن لكل ناخب فى دائرته قصراً فى الدنيا وقصراً فى الجنة . كان الرجل يتنفَّخ والناس يجاملون بالإصغاء ، ويتجملون بالصبر ، إلا صديقنا الشيخ منصوراً فقد قال له فى شىء من حدة الصراحة وشدة الحِجاج :

— ذلك يا بك كلام من لغة التحيات والمجاملات ترّدده الألسن بحكم العادة ولا تريد به شيئاً . هو أشبه بقولى : (أهنئك بالفوز) وما كنت أريد انتخابك ، أو قول اللص : (السلام عليك) وهو يريد انتهابك . ولو كانت الوعود البرلمانية فى آخر

الانتخاب، والبرامج الوزارية فى أول الدورة، من الكلام الذى يقصد به معناه، لما بقى فى صحارى مصر شبر يشكو الظمأ، ولا فى مساكين مصر فرد يشكو الجوع! لقد قلتم كثيراً ولم تفعلوا، فحاولوا هذه المرة أن تفعلوا ولا تقولوا!

— أنت يا شيخ منصور كالضرس المخالف فى دولاب الساقية! لا يجرى كلامك مع الكلام، ولا يقف رأيك مع الآراء! ماذا تريد أن يفعل النائب أكثر من أن يمثل الأمة، ويشرع القوانين، ويبحث الميزانية، ويراقب الحكومة؟

— ذلك هو المفروض يا بك! أما الواقع فهو أن بعضكم متى دخل البرلمان لا يمثل إلا نفسه، ولا يقضى إلا حاجَه، ولا يراقب إلا عدوه. ويصوت على القانون فى قاعة المجلس بالإقرار، ثم يكون هو أول من يطلب خرقه فى ديوان الحكومة بالوساطة!

إن ما يُطلب من الحكومة والبرلمان فى شؤوننا العامة، لا يزيد كثيراً على ما يُطلب من صاحب العزبة فى شؤونه الخاصة: استصلاح الأرض والانتفاع بكل ما فيها؛ ثم تدبير القوت والصحة والمعرفة لكل من يقوم عليها. ليس لنا مستعمرات تقتضى إدارتها النشاط والحكمة، ولا أسواق تجارية تطلب مراقبتها الذكاء والخبرة، ولا سياسة خارجية تحتاج معالجتها الدهاء والقوة. ها هى ذى عشرون سنة مرت على مصر ولها استقلال وفيها برلمان، فهل تستطيع أن تقول إن المصرى الآن، أصبح خيراً مما كان؟ إن هذه العشرين سنة غيرت نُظماً وخلقت أمماً وقلبت الدنيا كلها رأساً على عقب؛ ولكنها مرت على النائمين فى الكهف مرور الحلم المزعج، حرك الأجسام بعض الحركة، وترك المشاعر ساكنة كل السكون

— ما هذه الفلسفة يا شيخ منصور؟ هل تستطيع أن تقول لى أنت متى تركوا الحكومة تستقر، وخلُّوا البرلمان يعمل؟ إن الدستور فى الأمة كالمصباح فى الصحراء، لا ينشر ضوءه إلا إذا تركته الرياح آمناً

— لو تفلسفت يا بك كما أتفلسف لتبينت أن استقرار الحكومة واستمرار البرلمان لا يكونان مع سياسة الكلام، فإن سياسة الكلام هى سياسة الفراغ، وإذا شغلها شاغل فهو المراء والمكابرة والمهاترة والخصومة. وكلما علا صوت على صوت، وظهرت دعاية على دعاية، انقلبت الأوضاع، وتغيرت المكاتب، وتبدلت المناصب، وتعطلت المواهب، وتقوض المبنىُّ، وانتكث المفتول، وتوقف السائر. أما سياسة العمل فهى لكل ذهن ما يشغله، ولكل يد ما تعمله. وإذا اشتغلت الأذهان وعملت الأيدى، عيَّت الألسنة فلا تجادل، وائتلفت القلوب فلا تختلف، وانقطع دابر القوالين فلا تعود الحزبية تجارة ولا السياسة حرفة

— إن الدلائل يا شيخ منصور تبشر بصلاح الحال. وما دام الأمر فى يد أهله فانظر إلى المستقبل نظر المتفائل الآمل

— لا تكلنى إلى المستقبل يا بك. إن من يضيع يومه لا يجد غدَه. ومن يفرط فى عاجل الشهادة طمعاً فى آجل الغيب كان حقيقاً ألا يدرك شيئاً

— وماذا تريد أن أصنع لك الآن؟

— أريد أن تنزل عن مكافأتك النيابية لدائرتك الانتخابية. إنك والحمد لله ضخم الثراء رفيغُ العيش، فلا أقول إنك طلبت النيابة كما يطلب الناس الوظيفة. وإن أربعين جنيهاً فى كل شهر تقسم على ثمانى قُرى لا تدع فيها أمياً واحداً قبل انقضاء الدورة. ولا أعتقد أنك تؤدى إلى أمتك فى طول نيابتك عملاً أرفع ولا أنفع من هذا العمل. إنك تعلم أن فى مركزين من مراكز الغربية ثلاث عيلات تملك سبعة وعشرين ألف فدان، وتشغل سبعة كراسى فى البرلمان، تكافأ على شغلها بأربعين ألف جنيه فى العام؛ فقدر فى نفسك يا بك ماذا يجدى على دوائرهم الفقيرة هذا المبلغ وهو لا يقدم فى ثرواتهم العريضة ولا يؤخر

— ولكنك تطلب ما لا يطلبه أحد فى أمة من الأمم

— وهل تجد فى أمة من الأمم فقراء فى مثل فقرنا يعطون، وأغنياء فى مثل غنا كم يأخذون؟ إن النيابة عندهم بذل وتكليف، ولكنها عندنا ربح وتشريف. وإن أكثركم ليسخو بالآلاف فى سبيل الدعاية لها والظفر بها؛ فهل يضيركم أن تنزلوا لنا عن هذه العشرات فتحفظوا مهجاً من التلف وعقولاً من الجهالة؟

— كلامك يا شيخ منصور سديد ورأيك أسد. وإنى أعدك ألا أعارض إذا قَبِل الآخرون

— أى آخرين تريد يا بك؟ ولم لا تسن أنت هذه السنة الحسنة فيكون لك أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم يحل المجلس؟

— يحل المجلس؟ قل إلى يوم تنتهى الدورة يا شيخ؟ فأل الله ولا فألك! لقد شغلتنا بثرثرتك عن تحية الناس. ثم أشاح البك عن الشيخ وأقبل على المهنئين يوزع عليهم تحياته الشريفة! فلما أعدناها على ترتيبه خرجت لحسن حظ الأدب منظومة فى هذا البيت:

أهلاً وسهلاً، طيبونَ، وحشتِنا سلماتِ، إزّيك، وكيف الحال؟

(المنصورة) **احمد حسن الزيات**

بين آدم وحواء :

تحت شجـــرة التين

للدكتور زكي مبارك

جاهد آدم نفسه في حدود ما يطيق ... وماذا يطيق المرء وهو يجاهد النفس في أهواء تسوقها امرأة ؟ سينتهي أمره إلى الهزيمة ، إلا أن تؤيده قوة ربانية تصرف عنه السوء وترده إلى الاعتصام بالعقل . والحكمة يعلمها الله ضعُف آدم عن مقاومة حواء ، ودعاها إلى التلاقي تحت شجرة التين

وهنا يذكر شيث في كتابه أن حواء تلكأت في الاستجابة لذلك الدعاء ، ولزمت مكانها تحت شجرة الطلح ، كأنها تريد أن تحمله على الإلحاح فيكون البادئ بالعصيان

ولو تأمل شيث قليلاً لذكر تعليلاً غير هذا التعليل ، فالرأي عندي أن حواء توهمت أن لآدم رغبة في شجرة التين ، وأن تمنّعه لم يكن عن صدق ، وإنما كان يريد أن يحمّلها تبعة العصيان

والحوادث تؤيد هذا الافتراض ، فما كاد آدم يخبر حواء بأنه سيسايرها فيما تريد حتى فترت رغبتها في قرب الشجرة المحرَّمة ، وأعلنت اكتفاءها بما أحلّ الله من طيبات الفردوس

فما معنى ذلك ؟ وما مغزاه ؟

معناه أن حواء تحب أن تسلك في جانب يغاير ما يسلك آدم من الجوانب ، فقد أحبت حواء التين حين ثار آدم عليه ، ثم زهدت فيه حين رأته من هواه ، وإلا فكيف جاز أن يدعوها فلا تجيب وهي التي قهرته قهراً على أن يذعن لما تريد من قرب شجرة التين ؟

وابتسم آدم حين رأى حواء تهدأ بعد ثورة وتلين بعد شِماس ، ثم حمد الله على انحسار النقمة وانجلاء الضيق ، وأخذ في الاستغفار من الذنب الذي اقترف . فقد حدّثه الضمير بأنه أذنب بالفعل ، وإن لم يذق الثمر الممنوع ، لأن نية السوء لا تقل بشاعة عن السوء في نظر الأخلاق ، وكان آدم يعرف أنه يعامل الله ، والله يحاسب على النيات بأقسى مما يحاسب على الأقوال والأفعال ، لأنه يحب لعباده أدب الملوك لا أدب العبيد

ثم نظر آدم فلم ير حواء ، فأين ذهبت ؟

فتش عنها في غياضٍ كثيرة ، وسأل عنها أسراباً من الطير والظباء فلم يظفر بجواب ، فأين ذهبت ؟ وكيف ضاعت ؟ وما السبيل إلى مكانها في الجنة الفيحاء ؟

أتكون غضبتْ من طاعة آدم وكانت تحب أن يتمرد ؟

لقد خطر لآدم هذا الخاطر ، فقد علمته التجارب أن حواء لا تتمتع بالصحوة الجسدية والروحية إلا في أوقات الخلاف . وهل ذاق آدم حلاوة حواء إلا في لحظات الثورة على الأوامر الربانية ؟

أمرُ هذه المخلوقة أعجب من العجب ، فهي لا تحلو ولا تطيب إلا عند النضال ، وهي تفقد كل قيمتها حين تتناول شؤون الحب في طاعة مجردة من الإحساس ، كالطاعة التي تصدر عن فتاة لم تبلغ سنّ الكيد ، وكيدُ المرأة إثمٌ جميل !

فكّر آدم طويلاً في غيبة حواء ، وانزعج حين خطر له أن تكون حُرِمت الثورة على ما ترى وما تسمع ، وأنها لذلك سكنت إلى العزلة في جُنَينة مهجورة يسقيها نُهيرٌ مجهول من رواضع الكوثر وهي رواضع تُعدّ بالألوف (١)

وعاد آدم إلى نفسه ليعرف حاله في غيبة حواء ، فصحّ عنده بعد التأمل أن العبادة الصحيحة لا تكون إلا بالجهاد ، ولا جهاد بدون أهواء

يجب أن يكون في الوجود حرامٌ وحلال ، لنشعر بالذاتية في قرب هذا واجتناب ذاك ، وإلا صرنا خلائق تواجه الوجود بلا اكتراث ، وإذا انعدم الاكتراث فقد انعدمت الأخلاق . وقد يكون العصيان عن نية أفضل من الطاعة بلا إحساس ، لأن المهمّ أن نُدان حين نعصي ، ونُثاب حين نطيع ، ولا يتمّ ذلك بغير النية الواضحة فيما نباشر من مختلف الأعمال .

أتكون حواء ترهّبت فلاذت بأحد الكهوف ؟

ذلك ما خاف آدم أن يكون ، فالترهب نذير الموت ، وهو يكره لحواء أن تموت .

وكيف يعيش آدم إذا غفا كيد حواء ؟

---

(١) الرواضع هي النهيرات التي تأخذ زادها من النهر الأعظم ، أما الروافد فهي النهيرات التي تمده بالسيول .

لقد أبدعته إبداعاً وأنشأته إنشاء ، حين تولّت إضرام الجمر المكنون فى قلبه الوسنان ، وآدم رجل ، والرجل يحفظ الجميل .

ومرّ حينٌ وأحيان وأحايين وحواء لا تعود .

وشعر آدم بانعدام أسباب الثورة والهدوء فأيقن بقرب الفناء

وما حياةُ الرجل إذا خلت من الأحلام والحقائق والأباطيل ؟

ما حياته إذا حُرِم التنقل من ضلالٍ إلى هدًى ، ومن هدًى إلى ضلال ؟

قيمة الرجل بالجهاد ، ولا جهاد بدون أهواء ، وقد أمسى صدر « آدم » وهو جلمود أملس لا ينبت الأزهار ولا الأشواك ولا ينبت فوقه تراب ولا ماء

والتفت « آدم » فرأى من الخير أن ينقطع للاستغفار ليتوب الله عليه ، وهل أذنب حتى يتوب ؟

إن كان كل حظه من المعصية أنه رضى مسايرة « حواء » ، وقد ذهبت « حواء » ولم يبق موجب للقنوت والابتهال

الموت أفضل من حياة تخلو من مقارعة هوى النفس فى كل يوم . والرجل الذى يواجه المعانى بقلبٍ أغلف شبيهٌ بالرجل الذى يطالع سفر الوجود وهو معصوب العينين . وهل كان الموت فناء إلا لأنه يصدنا عن صنع الخير واجتراح الآثام ؟

وما طعمُ الاستغفار على لسان من لم يذنب ؟ وما لونُ الطاعة فى عين من لم يقاوم الأهواء ؟

لقد مات « آدم » وهو حى ، فلم يعُد يدرك ما فى الفردوس من سِحر وفُتون

كان « آدم » يجد لذة فى ضرب « حواء » ، فأين هى الآن ليتمتع بلطم خدها الأسيل ؟ !

وكانت « حواء » تجر « آدم » إلى مآزق تُشعره بقوة الحيوانية ، فأين هو اليوم من تلك المآزق ؟ وأين سبيله إلى الفتك والجنون ؟

لقد خلت حياته من جميع المعانى بعد غيبة « حواء » ، وما كان يعرف أنها تملك من الروحانية الأثيمة ذلك الحظ العظيم

وانطلق « آدم » يراود معاهد الحب ، عله يجد « حواء » مختبئة فى بعض ألفاف البواسق ، على نحو ما كان يقع فى الأوقات السوالف ، ولكنه لم يظفر بغير اليأس

أين « حواء » ؟ أين « حواء » ؟

أين الصبية الجميلة التى أوحت إليه فكرة الثورة على الشرائع ؟

أين الخلقة الحلوة التى زينت له طعم العصيان ؟

كان آدم يشتهى جميع ما فى الجنة من أطايب قبل أن تفارقه حواء ، ثم أمسى وهو موقوذ الشهية بسبب الفراق ، وهل تطيب الحياة لمن يعيش بلا أنيس موسوم بالصباحة والجمال ؟

ذلك نعيم ذهب ، وأمل ضاع ، فليقتل آدم نفسه إن شاء

هى امرأة مخبولة ، ولكنها مشتهاة ، والشهوة رزق من الأرزاق ، وإن قيل فى تجريحها ما قيل

كان آدم يهز الشجرات المثمرات ليُطعم حواء ، وهو اليوم يرضى بما يسقط من الثمر المعطوب ، إن بَقِى له شىء من نعمة الجوع ، والجوع نعمة لا يحسها غير الأصحاء

كان لآدم فى الجنة تاريخ بسبب اللجاجة التى كانت تثور عن حواء من حين إلى حين ، فما حياته وقد أمسى مغسول القلب والروح والوجدان ؟

أيعبد الله بالاستغفار ؟ وبم يستغفر وهو مقتول الأهواء ؟

أيسبّح لله ؟ وكيف ؟ إن التسبيحَ تنزيه وهو معنًى لا يُدرَك بغير القياس ؟

لو عادت حواء لاستطاب آدم شجرة التين ، ولكن متى تعود ؟

لقد اكتفت الشقية بأن تطمئن إلى أنها مصدر ضلاله وهداه ؛

وكذلك رأت أن تتركه فى حيرة دامية عدداً من الأعوام العجاف ؛ وبغيُ المرأة لا يحتاج إلى برهان

استيأس آدم فرضى بالانزواء فى أحد الأدغال ، وعند ذلك شعرت حواء بالشوق إلى مصاولته من جديد ، والمرأة يؤذيها أن يهدأ الرجل ، ولو كان فى المحراب

— آدم ! آدم !

— حواء ؟

— نعم ، حواء ، ألا ترانى ؟

— كنت حسبت أنكِ ذهبت إلى غير مآب

— قبل أن نأكل معاً من شجرة التين ؟ هذا مستحيل !

— وهل نعصى الله يا حواء ؟

— سترى أن المعصية طيبة المذاق (؟ !)

وتنبّه آدم فرأى أنه مقبل على خطر جديد ، فدار الحوار بأسلوب جديد

(للحديث شجون) زكى مبارك

النـبى المقنع

بقلم الأمبراطور نابليون بونابرت

نقلها الى العربية عن الترجمة الانجليزية [1]

الأستاذ ابراهيم عبد الحميد زكى

مقدمة

لا تنحصر أهمية هـذه القصة فى كونها أثراً من آثار رجل عظيم فحسب، بل تتعدى ذلك إلى ما تكشف للناس عنه من اتجاه نابليون وطموحه قبل أن تتيح له الثورة الفرنسية فرصة إظهار عبقريته ونبوغه فى الحرب والقيادة . فقد كان نابليون حتى عام ١٧٨٩ ضابطاً صغيراً فى الجيش الفرنسى ، ولم يكن قد ظهر له من المواهب شئ يسترعى الأنظار، وكانت أسرته الكورسيكية قد أخنى عليها الدهر وقضت الأيام بأن تعانى شدائد العسر والضيق المالى، فرأى الشاب أن يحزم أمره ويعقد عزمه على إصلاح شئونها وتفريج كربتها بالالتجاء إلى الأدب عسى أن يظهر فيه ويذيع اسمه فينال من الشهرة ما يكفل له رواج كتبه وسعة رزقه ، فاتجه بجميع قواه نحو تحقيق هذه الغاية ، وبذل من الجهد العصبى فى هذا الميدان مثلما قدر له أن يبذل فى ميدان الحرب والقتال، فوضع كتاباً فى تاريخ جزيرة كورسيكا وهذبه على الأقل ثلاث مرات ؛ وألف رواية كورسيكية أيضاً وعدة قصص صغيرة وبضع قصائد شعرية ومقالات كثيرة . فعل هـذا كله ولم يبلغ سن العشرين ، ولكن ذلك لم يجد عليه نفعاً ولم يحقق ما كان يطمح إليه ، فلم ينشر كتاب التاريخ ، وظلت روايته مخطوطة ، ولم تر مقالاته ولا قصصه الضوء إلا بعد سنوات كثيرة من تأليفها

ولقد قيل عن قصة «النبى المقنع» إنها محض خيال ، وإنها لا تستند إلى شئ من الواقع ، ولكن هذا غير صحيح . حقاً إن نابليون لم يتبع الدقة التامة فى ذكر التفاصيل ، ولكن هذا لا يعنى أن القصة لا تقوم على أساس تاريخى صحيح ، بل إن المرء يلاحظ أنه عرض حوادثها عرضاً تمثيلياً (دراماتيكياً) قوياً . وقد كتبها نابليون عام ١٧٨٧ ، وجرى فى تأليفها على أسلوب فولتير ونشرت عام ١٨٢١ — أى عام وفاته

القصة

فى سنة ٧٧٦ ميلادية ، أى بعد مائة وستين عاماً من هجرة النبى محمد ، كان ميكادى [1] خليفة فى بغداد ؛ وكان أميراً نبيلاً ذا بأس وقوة ، تخشيه جيرانه وتقدروه ويجلوه . وفى ظل حكمه العادل تمتعت بلاد العرب بالسلم والرخاء . وكان الخليفة راعياً للعلوم والفنون فتقدمت الحضارة فى عهده تقدماً سريعاً ، إلى أن كدر صفو هذا الهدوء والتقدم قيام متنبئ جديد . ظهر هذا الرجل واسمه حكيم فى مدينة خراسان فتبعه خلق كثير فى وقت قصير . وكان طويل القامة فصيح اللسان فادعى أنه صوت الله على الأرض وقال : إن الواجب أن يكون الناس جميعاً من حيث المراتب والثروة سواء . واستهوى هذا القانون أفئدة الدهماء فهرع إليه ألوف من الناس وكان له بذلك جيش عظيم

ولما رأى الخليفة والنبلاء خطر هذه الثورة عقدوا العزم على خنقها فى المهد ؛ ولكن جيوشهم كانت تلاقى الهزيمة تلو الهزيمة فازداد بذلك أنصار حكيم يوماً بعد يوم

وبينما كان هذا النبى فى أوج مجده إذا به يصاب بمرض شديد ، وكان هـذا المرض نتيجة الجهد المضنى الذى بذله فى المعارك التى خاض غمارها . فلما خفت وطأة المرض ونال الشفاء أيقن أن حسنه قد ذهب، وأنه لم يعد بعد خير رجال العرب

---

(١) نشرت الترجمة الانجليزية لهذه القصة لأول مرة فى عدد شهر ديسمبر سنة ١٩٠٩ من مجلة Pearson's صفحة ٥٩٣ واسم المترجم الانجليزى سيدنى ماتنجلى Sidney Mattingly

(١) يريد المهدى ، ويلاحظ أن رسم Mikadi قريب من Mahdi ، فاما أن يكون نابليون قد أخطأ فى النقل ، وإما أن يكون المصدر الذى أخذ منه قد وقع فى هذا الخطأ

وأوسمهم إذ كان قد عمى وخبا إلى الأبد ضوء عينيه الرائع

ولما أحس بأن هذا التشويه الطارئ قد يفقده السيطرة على أتباعه والتأثير فيهم، رأى أن يحجبه عن أعينهم بقناع من فضة وضعه على وجهه . فلما فعل ذلك عاد إلى الاتصال بهم والتجول بينهم يخطبهم ويؤثر فيهم بفصاحته المعهودة، فظل الناس مأخوذين بعذوبة لسانه وسحر بيانه كما كانوا من قبل ؛ وكان يعلل لهم إخفاء وجهه عنهم بأنه يخشى عليهم أن يبهر أعينهم ذلك الضوء الفياض الخارق للطبيعة الذى ينبعث منه . إذ تبين له أن الظرف الحالى يقضى عليه بأن يعتمد أكثر من ذى قبل على الحماس الدينى الذى أوقد شعلته وأثار كوامنه فى نفوسهم

ولكن هذه الحال لم تدم كثيراً إذ أصيب أتباعه فجاة بهزيمة منكرة على أيدى جيوش الخليفة ؛ فكانت هذه الهزيمة صدمة عنيفة وجهت إلى صميم هذا الدين الجديد ؛ فهجر حكيما كثير من أنصاره، وتراجع هو ومن بقى معه من أتباع قلائل إلى مدينة محصنة محوطة بأسوار عالية ؛ ولكنه لم يلبث قليلاً حتى أحدق به جند الخليفة وحاصروه

وتبين الآن أن أمام حكيم أحد طريقين : فإما أن يموت، وإما أن يحدث له ما هو أسوأ من الموت وهو الوقوع أسيراً فى أيدى أعدائه ، فجمع أتباعه وخطب فيهم قال :

أيها المؤمنون ! لقد اختارنا الله ورسوله لإعادة بناء هذه الأمة واسترجاع مجد الإنسان؟ فلماذا إذن يثبط من عزمنا ويلقى اليأس فى قلوبنا كثرةُ أعدائنا ؟ أصغوا إلى ! فى الليلة البارحة والناس نيام سجدت لله طويلاً ودعوته فى حرارة قلت : أبتاه ! لقد رعيتنى وحميتنى هذه السنين الطوال فهل أثمت أو أثم أحد من أتباعى حتى تخليت عنا ؟ فسمعت صوتاً يجيب : يا حكيم إن أتباعك الذين حافظوا على عهودهم وظلوا معك يناصرونك ولم يتخلوا عنك فى ساعة الحرج ، أولئك هم الذين سأنجيهم وأنصرهم ، وأولئك هم الذين سيقاسمونك غنائم أعدائهم الطغاة وأموالهم . إنتظر حتى يبزغ القمر الجديد، فإذا بزغ فأمرهم أن يحفروا خنادق فى الأرض كثيرة فيسقط أعداؤهم فيها ويهلكون

ففعلوا ما أمروا به ، وحفرت الخنادق وألقى فيها مقادير هائلة من الجير ، ووضع على حافاتها أوان من النحاس كبيرة ملئت زيوتاً قابلة للاشتعال

وعندئذ أقام حكيم حفلاً كبيراً دعا إليه أنصاره فأكلوا وشربوا من الخمر الذى قدم إليهم

ولكنهم لم يلبثوا أن وقعوا على الأرض صرعى يألمون أشد الألم من السم الزعاف الذى مزجت به الخمر ، ثم فارقوا الحياة . وكان حكيم وحده لم يذق هذه الخمر فأخذ جثثهم وألقاها فى الخنادق ليتلفها الجير ثم سكب عليها الزيوت وأشعل فيها النيران ؛ فلما تصاعدت أعمدة اللهب والدخان قفز فوق أتباعه فاحترق وكان من الهالكين

وفى اليوم التالى تقدم الخليفة وجيوشه صوب المدينة وأرادوا اقتحامها ولكنهم عند ما اقتربوا من أبوابها وجدوها مفتوحة على مصراعيها بغير حراسة ، فوقفوا قليلاً وترددوا خشية أن يقعوا فى كمين أعد لهم ؛ ثم دخلوها بعد قليل فإذا بها خالية من الناس، وإذا بالنبى وأتباعه جميعاً قد هلكوا إلا امرأة واحدة من حظايا حكيم

قصة يكاد العقل يأبى تصديقها لغرابتها ، وهى تبين المدى البعيد الذى يذهب إليه الناس أحياناً طمعاً فى الشهرة وبعد الصيت

تعليق

هذه هى القصة كما كتبها نابليون وهى تتفق فى جملتها مع الرواية العربية التى سنأتى بخلاصتها فى الأسطر التالية :

ظهر المقنع كما يقول ابن الأثير فى حوادث سنة تسع وخمسين ومائة بمدينة خراسان ، وكان رجلاً أعور قصيراً من أهل مرو يسمى حكيما . وكان قد اتخذ وجهاً من ذهب فجعله على وجهه لئلا يرى ، فسمى المقنع وادعى الألوهية ، ولم يظهر ذلك إلى جميع أصحابه . وكان يقول بالتناسخ فيزعم أن الله خلق آدم فتحول فى صورته ثم فى صورة نوح وهلم جرا إلى أبى مسلم الخراسانى ، ثم تحول إلى هاشم ؛ وهاشم فى دعواه هو المقنع . وتبعه

خلق كثير من ضلال الناس ؛ وكانوا يسجدون له من أى النواحى كانوا ؛ واجتمع إليه خلق كثير وظهرت المبيضه[١] ببخارى والصفد معاونين له

وكان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل المهدى إليه أبا النعمان والجنيد وليث بن نصر فحاربوه مرة بعد مرة ، ثم أنفذ إليه جبرائيل بن يحيى وأخاه يزيد فاشتغلوا بالمبيضة الذين كانوا ببخارى فقاتلوهم أربعة أشهر فى مدينة بومجكت فقتل منهم سبعمائة ولحق منهزموهم بالمقنع ؛ ثم سير المهدى أبا عون لمحاربة المقنع فلم يبالغ فى قتاله واستعمل معاذ بن مسلم

وفى سنة إحدى وستين ومائة سار معاذ بن مسلم وجماعة من القواد والعساكر إلى المقنع وأوقعوا بأصحابه وهزموهم ، وقصد المنهزمون إلى المقنع بسنام فعمل خندقها وحصنها . ووقع بعد ذلك نفرة بين معاذ وأحد القواد وهو سعيد الحرشى فكتب الحرشى إلى المهدى يقع فى معاذ ويضمن له الكفاية إن أفرده بحرب المقنع ؛ فأجابه المهدى إلى ذلك ، فحاصر المقنع وأطال الحصار ، فطلب أصحاب حكيم الأمان سراً فأجابهم الحرشى إلى ذلك فخرج نحو ثلاثين ألفاً ، وبقى مع المقنع زهاء ألفين من أرباب البصائر . وتحول رجاء بن معاذ وغيره فنزلوا خندق المقنع فى أصل القلعة وضايقوه . فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السم فأتى عليهم ، وأمر أن يحرق هو بالنار لئلا يقدر على جثته . وقيل بل أحرق كل ما فى قلعته من دابة وثوب وغير ذلك ؛ ثم قال من أحب أن يرتفع معى إلى السماء فليلق نفسه فى هذه النار . وألقى بنفسه مع أهله ونسائه وخواصه فاحترقوا . ودخل العسكر القلعة فوجدها خاوية ، وكان ذلك مما زاد فى افتتان من بقى من أصحابه والذين يسمون المبيضة فيما وراء النهر ، إلا أنهم يسرون اعتقادهم . وقيل بل شرب هو أيضاً من السم فمات . فأنفذ الحرشى رأسه إلى المهدى فوصل إليه

(١) يقول سيد أمير على (الترجمة العربية للأستاذ رياض رأفت صفحة ١٩٩) : وقد كان أصحاب المقنع يلبسون الملابس البيضاء ولهذا سموا بالمبيضه ، كما أطلق على فرقة جديدة أخرى فى « جورجان » اسم المحمرة لارتدائهم الملابس الحمراء ، وكانوا يدينون بمبادئ إباحية مفرطة

وهو بحلب سنة ثلاث وستين ومائة فى غزواته

وقد كانت هذه الرواية وغيرها معروفة على الأرجح فى القرن الثامن عشر عند أكثر الأدباء الغربيين فاستهوت أنفسهم وأثارت أخيلتهم لغرابتها وطرافتها ، ولانتحار المقنع هذا الانتحار المروع ، فاتخذها بعض الأدباء والشعراء موضوعاً لقصصهم وأشعارهم . ولعل أشهر من تناولها بشىء من الاحتفال والعناية فى القرن التاسع عشر هو الشاعر الإنجليزى المشهور توماس مور Thomas Moore (١٧٧٩ — ١٨٥٢) وهو صديق الشاعر الكبير لورد بيرون وكاتب ترجمة حياته ورسائله . وقد أفرد لقصة المقنع الجزء الأول من قصيدته الكبرى Lalla Rookh [١] فأثنى النقاد على هذه القصيدة ثناء عظيما لدقة وصف الشاعر للبلاد الشرقية وروحها ؛ ولكن هازلت الناقد المعروف أنكر شاعريتها ورأى فيها من آثار الصنعة أشياء كثيرة تفوق ما انطوت عليه القصيدة من روح شعرية صافية[٢]

ابراهيم عبد الحميد زكى

(١) نشرت عام ١٨١٧

(٢) إرجع فى ذلك إلى كتاب سر وليم ميور عن الخلافة الاسلامية صفحة ٤٧٠ طبعة ١٩٢٤ ، وإلى دائرة معارف الأدب الانجليزى Chambers's صفحة ٣٦٣ وما يليها

اختباراتى في الأحلام

للدكتور محمد حسنى ولاية

إن الأخذ بنظرية خاصة فى تفسير الأحلام لا يؤدى إلى نتائج صحيحة فى كثير من الأحوال ؛ فرامى الإنسان كثيرة التشعب وظروفه مستمرة التقلب ، وأهدافه تتغير بتغير الظروف والملابسات وتفاوت السن ، وتطور العقلية بحيث يكون من الخطأ أن يولىّ الحالم القبلة التى يرتضيها مفسر الحلم تبعاً لنظريته .

وإنى أرى أنه لا توجد نظرية واحدة يمكن تفسير جميع الأحلام بمقتضاها . ونحن لا نستطيع أن نقول : إن كل حالم ينشد إرضاء رغبات طفلية محتبسة فى العقل الباطن ، أو أنه يسعى إلى توكيد أهمية ذاته فى الحلم ، كما أنا لا نستطيع أن نجزم بأن الأحلام التى تنشأ مما يسميه يونج « اللاوعى الشامل » تتحدى أية محاولة لتبريرها .

إن ما لا نستطيع تبريره ليس معناه أنه لا يمكن تبريره والتدليل عليه . ولا ينبغى لنا أن نقول : إنه لا يمكن الوصول إلى الحقيقة لأنا لم نستطع الوصول إليها ؛ فما زال مجال البحث والاستقصاء متسعاً ، وما زالت العقلية البشرية تسمو نحو الكمال رويداً رويداً على مر الزمن .

على أن هذا ليس من شأنه أن يبخس النظريات التى وضعها علماء النفس حقها ، إذ يكفيهم فخراً أنهم فتحوا أذهاننا للبحث ، واستكشفوا آفاقاً مجهولة من العقل البشرى ، وأرسلوا بصيصاً من النور على كثير من الحقائق . ومع ذلك فإن بعض النظريات التى وضعت تصلح لتفسير بعض الأحلام دون البعض الآخر . ومن الممكن أن يفسر حلم واحد على أساس نظريتين أو أكثر نظراً لتعدد جوانب بعض الأحلام وتشعب مراميها .

كثير من الأحلام تافه القيمة من الوجهة النفسية ، فهو أشبه بالأحاديث العادية التى يدلى بها الشخص بمناسبة وبغير مناسبة ، لأنه لا يستطيع الصمت فى أغلب الأحوال ، فلا بد أن يقول شيئاً أيا كان للتفريج عن الطاقات الفائضة فى نفسه .

وقد تعبر الأحلام على وتيرة الأحاديث البادية أو على نمط الرموز البدائية أو على نهج الأفكار والنزعات الطفلية . على أن لبعض الأحلام قيمة المقطوعات الشعرية الرائعة ، أو الصور الزيتية الجميلة ، أو النغمات الموسيقية الساحرة .

يستفسر بعض الناس عن السبب فى كونهم لا يرون أحلاماً إلا فيما ندر ؛ ورداً على هذا أقول : إنه قد يكون راجعاً إلى كون الطاقة الكابتة (الرقيب الحلمي) لديهم قوية بحيث لا تستطيع المنبهات الكامنة فى العقل الباطن التعبير عن نفسها ، وقد يؤدى احتباسها فى السريرة إلى القلق .

ومن الناس من يعبرون فى اليقظة عن أفكارهم ووجداناتهم وعواطفهم بوسائل تشبه وسائل الرجل الفطرى الذى يستعين بالرموز ويعتقد فى السحر لأن قواهم الكابتة ضعيفة ، وهذا يؤدى إلى طغيان عقلهم الباطن على عقلهم الواعى ، فتبدو أفكارهم عجيبة لا يهضمها المنطق لكونها مؤسسة علي البدوات مفتقرة إلى الانسجام والتماسك . وقد يبلغ بعض هؤلاء ذروة الذكاء ولكنهم مع ذلك يشبهون الأطفال فى تصرفاتهم ولا يستطيعون تكييف أنفسهم للبيئة . ولما كان هؤلاء يعبرون باستمرار عما يدور فى سرائرهم فى حالة اليقظة فهم لا يدخرون طاقات عقلية مستفيضة تسعى إلى التعبير عن نفسها إبان النوم فى شكل أحلام .

وهاك بضعة أحلام وتفسيرها بإيجاز :

١ — رأى شاب شارع فى الزواج أنه موجود فى غرفة بيضاء مستديرة الشكل ، وقد دهش فى الحلم من طراز الغرفة ولعدم وجود أبواب لها .

وقد قال لى إنه عند ما استيقظ فطن إلى أن الغرفة تشبه صندوق الحلوى الذى يوزع على المدعوين بعد تحرير عقود الزواج

وفى نفس الليلة رأى فى حلم آخر فريقاً من السيدات والرجال والأطفال مجتمعين على شكل دائرى ، وكان هو خارج الدائرة ، ثم ما لبث أن نفذ كالسهم إلى داخلها .

إذا أنعمنا النظر فى هذين الحلمين اتضح لنا أن الأول يعنى عقد الزواج وما يصحبه من توزيع صناديق الحلوى . كما أن وجوده فى غرفة لا أبواب لها يعنى أن هذا العقد قيد لا مخرج منه .

ويمثل الحلم الثانى الزواج نفسه ، فالدائرة ترمز إلى عضو الأنوثة ، والأشخاص يمثلون المحتفلين بالعرس ، ويعنى الدخول إلى الدائرة العملية الجنسية ذاتها

٢ — خطبت شقيقة صديق لى إلى شاب ثم ألغيت الخطبة ، وقد قص علىّ الحلم الآتى :

« رأيتنى فى قاعة إلى جانب شقيقتى ، وجلس إزائى الأستاذ أحمد بدرخان والسيدة أسمهان . وبعد مدة وجيزة أقبل كلبان توأمان ورقصا على نغمات موسيقية »

المقصود من هذا الحلم التحذير من إتمام صفقة الزواج ، إذ هو يعنى أنه إذا تم الزواج فمصيره إلى الإخفاق مثلما أخفق زواج الأستاذ بدرخان بالسيدة أسمهان . أما الكلبان التوأمان فدخيلان على الحلم . والسبب فى رؤية الحالم لهما أنه كان يقرأ موضوعاً عن التوائم فى الليلة التى رأى فيها الحلم ؛ على أن رقصهما على النغمات الموسيقية يقصد به التعبير عن السرور بالتخلص من خطيب غير مرغوب فيه

٣ — طلب شاب منذ عشر سنوات يد فتاة فرفضته فتزوج بفتاة أخرى . وقد رأت الفتاة الأولى على أثر إصابة الشاب بكارثة منذ عهد قريب أنها تلبس حذاء ذا كعب مكسور ثم خلعته وناولته زوجة الشاب

يرمز الحذاء فى هذا الحلم إلى الزواج ، وتقصد الحالمة به تحقير خطيبها السابق ، ويمثل الكعب المكسور الكارثة ؛ وكأن الحالمة تقول لخطيبها السابق : « الآن أسلمك للفتاة التى تليق بك فما أنت أهل لى بسبب وقوعك فى الكارثة التى تمخضت عنها تصرفاتك الشائنة »

واضح من هذا الحلم أنه يمزج حوادث ماضية بأخرى حديثة ، فالعقل الباطن لا يعى الزمن وليس لمحتوياته انسجام ولا ترتيب

٤ — رأى شاب أنه يسير نحو هوة سحيقة بمحض اختياره على الرغم من أنه يعلم أن تصرفه يودى بحياته . وقد قضى نحبه فى اليوم التالى للحلم بأن سار نحو مركبة كهربائية فى شبه ذهول فاصطدمت به

وهكذا تغلبت رغبات العقل الباطن على ميول العقل الواعى لأنها كانت مزودة بطاقات انفعالية كبيرة . وقد كان عيشه رغيداً فلم يكن هنالك داع لالتماسه الموت ، ولكن الميول المحتبسة فى العقل الباطن من زمن بعيد عبرت عن نفسها بطريقة عملية فانتهت حياته إلى هذه النهاية المريرة

٥ — رأت فتاة مخطوبة أنها تملأ طبقاً بأوراق من شجرة سلق بدت فى الحلم على هيئة شجرة عنب ، وقد دهشت من شكلها لعلمها أن السلق ينمو فى شكل عشبى

يمثل هذا الحلم الزواج ، فالطبق يرمز إلى عضو الأنوثة ، والشجرة عضو الذكورة بما تمتاز به من قوة الزحف والتشبث

ولما كان الخاطب أنثوى التكوين مثلته بشجرة السلق ، وكانت تريده كشجرة العنب المثمرة ، وهى تعنى بهذا أنه لا يستطيع إنجاب أطفال

٦ — رأت فتاة أنها فى قطار يجرى بسرعة شديدة بين بساتين دانية القطوف حتى وصل إلى بحيرة جميلة أينعت على صفحتها زهور النبات الطافى ، وسبحت فيها قوارب خضراء

يمثل هذا الحلم رغبة الفتاة الدفينة فى الزواج وإعقاب الذرارى فالقطار يمثل الرجل ، والبحيرة ترمز إليها ، والقوارب تعنى الأطفال

٧ — رأت سيدة نفسها ترتدى ثوب الزفاف وتتزين كالعروس . كانت هذه السيدة مريضة بمرض خطير يستدعى إجراء عملية جراحية وكأنها تقول فى الحلم : « سأسمح بإجراء العملية الجراحية فإذا شفيت فسأستقبل حياة جديدة »

وقد تحققت نبوءتها ، فأجريت لها العملية وشفيت

(البحث الآتى « أحلام اليقظة »)

محمد حسنى ولاية

حاجتنا إلى معهد أثنولوجى

بجامعة فؤاد الأول

للأستاذ محمد جلال عبد الحميد

نعرض فى هذه الكلمة الموجزة لضرورة العمل على إنشاء معهد ومتحف بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول يكون الغرض منهما دراسة الإنسان وجميع عناصر نشاطه المادى والروحى فى المجتمعات البشرية المحدودة المدنية[1] . وفى هذا المعهد يعنى بوجه خاص بدراسة سكان حوض النيل وأثر البيئة الجغرافية فى حياتهم

وسنتكلم أولاً عن المقدمات والأسباب التى نشأت عنها فكرة وجود معهد الأثنولوجية وملحقاته ، ثم ننتقل بعد ذلك للحديث عن الطرق والوسائل والخطوات التى يمكن اتباعها للوصول إلى تحقيق فكرة وجود هذا المعهد ، مراعين فى ذلك الحالات المادية والمستوى العلمى بمصر فى الوقت الحاضر . وفى النهاية نعرض لبرنامج الدراسة فيه وجمع الأشياء وترتيبها بالمتحف

***

كيف بدأت البحوث الأثنولوجية بمصر

(١) المؤسسات العلمية بمصر

إذا استثنينا بحوث « جيرارد » Girard أحد أعضاء الحملة الفرنسية ووصفه الشامل لبعض نواحى الحياة المصرية ، وألقينا نظرة عامة على تاريخ المؤسسات العلمية بمصر ، ثم تصفحنا بحوثها الاثنوجرافية وقسنا مجهوداتها لنلمس ما قدمته من فوائد لعلم الاجتماع بوجه عام ، وللإثنوجرافية حوض النيل بوجه خاص، وجدنا أن الجمعية الجغرافية الملكية[1] هى أسبق تلك المؤسسات إلى تحديد غايتها من حيث العمل على دراسة البيئة الجغرافية والاجتماعية بحوض النيل ، إذ نقرأ فى منهجها الموضوع عام ١٩١٨ : أن « الجمعية ترغب بوجه خاص فى توسيع وتهذيب البحوث الاثنولوجية » :

(La Societé désire étendre le champ de ses études et développer plus particulièrement les études éthnologiques[2])

وجاء في موضع آخر من هذا المنهج أن « البيئة الجغرافية لا تدرس إلا فى الحالات التى تتأثر بها طرق حياة الإنسان » :

(Nous n'étudierons le Milieu que dans la mesure où il conditionne les modes de L'existence de l'homme[3])

ولتحقيق تلك الغاية اتبعت الجمعية الجغرافية عدة طرق، منها القيام بعمل بحوث علمية على البيئات الجغرافية بحوض النيل والأمم والقبائل المنتشرة فوقه لتحديد مميزات تلك البيئات ومعرفة اختلاف تلك القبائل والأمم من حيث الجنس والعادات والتقاليد ونوع نشاطها المادى ، وأن تتعهد الجمعية بنشر تلك البحوث وإلقاء المحاضرات التى تعالجها . يضاف إلى هذا أنها أنشأت متحفاً بدارها يضم كثيراً من أنواع الحرف والصناعات التى يمكن اعتبارها إلى حد ما من مميزات البيئة المصرية ممثلة فى مدينة

(١) استعمل علماء الاجتماع والأتنولوجيا اصطلاحات مثل :
« Societés Primitives », « societés non-civilisées », « Societés Sauvages », « Societés Archaiques », etc...
وهذه تعبيرات مختلفة تدل على الأمم والقبائل الزنجية وغيرها من سكان أفريقيا وآسيا وأمريكا واستراليا التى ما زالت تتبع فى تفكيرها وحياتها نظاماً بسيطاً خلواً من التعقيد والتنوع اللذين تمتاز بهما حياة الأمم الراقية ؛ ولكنا نفضل هنا استعمال عبارة « الأمم ذات المدنيات المحدودة » عن غيرها من العبارات السابقة ؛ وذلك لأنه لا توجد الآن أية أمة أو جماعة بشرية مهما تضاءل حجمها أو اختلفت بيئاتها الجغرافية بدون مدنية ، وهذه المدنية هي بدورها خليط من مدنيات متعددة ولها تاريخ وأوضاع معينة

(١) أنشئت هذه الجمعية فى عهد الخديو اسماعيل باشا بمرسوم تاريخه ١٩ مايو سنة ١٨٧٦ أنظر « الجمعية الجغرافية الملكية » دليل للزائرين تأليف هنرى مونييه مصر عام ١٩٣٤

(2) Societé Sultanieh de Géographie et son Programme de travail; P. 1; 1919.

(3) Idid; P. 3.

القاهرة[1] . ولها أيضاً مكتبة غنية بما فيها من كتب ومراجع تاريخية وجغرافية عامة

ولو حاولنا أن نحصى نتائج البحوث العلمية التى قامت بها الجمعية منذ نشأتها إلى اليوم لظهر لنا أن قيمة هذه النتائج محدودة ، وخصوصاً إذا قيست هذه النتائج بما استنفد فيها من مجهودات فى مدة خمس وسبعين سنة تقريباً . إذ أننا لم نر لها بحثاً علمياً كاملاً فى أية ناحية من نواحى الحياة المصرية ، أو بما له اتصال مباشر بحوض النيل . هذا إذا استثنينا بعض المقالات والفصول التى تظهر بين وقت وآخر فى مطبوعاتها ؛ فهى أقرب إلى أن تكون إعلانات عن موضوعات يتناولها فيما بعد علماء مختصون يعنون بدراستها دراسة علمية منظمة . ولا تزال تجهل كثيراً من الظواهر الاجتماعية والدينية واللغوية بحوض النيل . ولا تزال تجهل أيضاً كيفية تعليل تلك الظواهر وتحديد أوضاعها

وأما قسم المحاضرات بالجمعية الجغرافية فإنه لم ينهض لتحقيق الغرض الذى أنشئ من أجله ، إذ لم يعمل على تنظيم إلقاء المحاضرات العلمية التى تتناول فى مجملها دراسة أحد الموضوعات والمشكلات التى هى وليدة البيئة المصرية وغيرها

ولعل سبب هذا الجمود الملحوظ من جانب الجمعية الجغرافية الملكية يرجع إلى أنها هيئة لم تشرف عليها الحكومة إشرافاً فعلياً لتخصص لها العلماء وتنفق عليها الأموال اللازمة لتحقيق غرضها العلمى كما جاء فى برنامجها السالف الذكر . وما دام هذا هو شأن هذه الجمعية فلا يحق لنا أن نعول عليها كثيراً وأن نحملها ما لا طاقة لها به من العمل على درس وتحليل البيئات الجغرافية والاجتماعية المختلفة الموجودة بحوض النيل، مع بذل الجهود فى جمع وترتيب ما اشتملت عليه العناصر المادية لتلك البيئات . فضلاً عما يطلب إليها من العمل على المساهمة فى بناء علم الأنتولوجيا مع المؤسسات العلمية فى البلاد الأجنبية

(ب) ندرة بحوث النيل العلمية[1]

حين يتجول المرء بحوض النيل من منبعه إلى مصبه ، ومن شرقه إلى غربه ، لا يكاد ينتقل من مكان إلى آخر دون أن يلحظ كثيراً من التشابه تارة، ومن التباين تارة أخرى، بين البيئات الجغرافية والاجتماعية المختلفة . فمن منطقة جبال وغابات وبحيرات فى الجنوب، إلى منطقة تلال وصحار فى الشمال . وكذلك نشاهد على ضفاف النيل وعلى روافده كثيراً من القبائل الزنجية عراة الأجسام مثل الأشولى والمادى والبارى والشلوك والدنكا وغيرهم ؛ وفى مناطق أخرى نجد قبائل أفرادها نصف عراة مثل الانجستا والبرتا والتمايشة وما إليهم ؛ وفى شمال السودان ومصر نجد العرب والفلاحين وهم خليط من الدم السامى والزنجى وقليل من الدم الآرى . ونلاحظ أن كل تلك الجماعات البشرية تختلف كثيراً فيما بينها من حيث التكوين الاجتماعى وعناصر التفكير والشعور واللغة وطرق الحياة ؛ وأن من تلك الظواهر ما هو بسيط فى تكوينه، ومنها ما هو كثير التعقد والتنوع ؛ ولكل من هذه الأمم تاريخ قد يكون حديثاً فيرجع إلى مائة عام[2] أو أقل ، وقد يكون قديماً فيرجع إلى آلاف السنين

هذه هى حال الأمم والقبائل التى تسكن الآن حوض النيل . أما رجل ما قبل التاريخ والجماعات التى كونها والآثار التى خلفها فوق هذا الوادى فلا زلنا نجهل حقيقة أمرها . وإن بحوث

---

(١) يلاحظ أن معظم الأشياء الموجودة بمتحف الجمعية جمع من القاهرة وحدها، ومن حيث أن هناك فرقاً كبيراً بين الصناعات والمعتقدات وغيرها من الظواهر الاجتماعية فى مدينة القاهرة عنها فى الريف المصرى ، لذلك لا يجب أن نعول كثيراً على تلك المجموعة

(١) مما ساعدنى على فهم هذه الحقائق تجولى فى جهات متعددة بحوض النيل من منطقة البحيرات إلى البحر المتوسط فى الفترة بين عام ١٩٣٨ وعام ١٩٤١

(٢) مثل الجماعات الموجودة بجنوب المديرية الاستوائية بالسودان (بجهة تيمول) ومقاطعة أوغندة (بجهة نوير وموطير) ويطلق عليها الآن اسم (الملكية) نسبة إلى العساكر الرديف الذين تركوا هناك أثناء الفتح المصرى لتلك الجهات

جاك دى مرجان Jacques de Morgan ، وهنرى دى مرجان Henri de Morgan ، وفلندرز بترى Flinders Petrie وغيرهم تدلنا على أن من الممكن عمل دراسة وافية مقارنة لآثار ما قبل التاريخ بحوض النيل إذا تعددت البحوث وتوفرت الوثائق

من هنا يظهر جلياً ميزة الثروة العلمية الموجودة بحوض النيل ، وأنها تفوق بكثير ما عداها من ثروات أوربا وآسيا واستراليا . فنرى مثلاً فى أوربا نوعاً واحداً من المدنية هى المدنية الغربية الحالية ، وفى استراليا نوعاً واحداً من المدنية كذلك وهى «المدنية المحدودة » وهكذا ؛ ولكننا نشاهد بحوض النيل « مدنيات محدودة » عند الأشولى والمادى والأدك وغيرهم ، ومدنيات متوسطة مثل مدنية شمال السودان وريف مصر ، ومدنيات راقية مثل المدنية المصرية القديمة . ونشاهد أيضاً أن كثيراً من معالم تلك المدنيات[1] لم تزل باقية على حالتها الأولى رغم ما طرأ عليها من عناصر مدنيات أجنبية مختلفة

وإذا عنينا بدراسة تلك المدنيات وأسرعنا فى جمع معالمها وتحديد أوضاعها ومناطقها تهيأت فرصة طيبة لعلم الاجتماع وعلم تاريخ الأديان والجغرافيا البشرية واللغات وغيرها من العلوم الاجتماعية الأخرى للاستفادة والاستزادة من الأدلة والبراهين فى توضيح نظرياتها وتنميتها

تلك هى الفائدة العامة المرجوة من البحوث الأنتولوجية بحوض النيل ؛ أما فائدتها لمصر والسودان فإنه يكون من السهل

(١) إذا استثنينا البحوث التاريخية التى قام بها علماء الآثار وغيرهم وحاولنا أن نحصى البحوث الأنتولوجية بحوض النيل فإننا لا نظفر إلا بالقليل منها لعدم توفر اليد العاملة فى تلك الناحية ، فلم نر غير الأستاذين جورج سلجمان G. Seligman وإيفانز ريتشارد E. E. Evans Ritchard اللذين قاما بعدة تجارب على قبائل الزانده والنوير والشلوك والدنكا وغيرها ، ولم يعن بدراسة القبائل العربية الموجودة بشمال السودان غير مستر ماك ميكل Mac Maekel ونفر قليل من كتاب العربية مثل نعيم شقير . وأما قبائل النوبة بمديريتى دنقلة وأسوان وقبائل البجة على سواحل البحر الأحمر ، وريف مصر ، فان دراسة كل تلك الجماعات لم تزل بكراً

استخلاص العناصر الرئيسية لمدنية كل منهما مع معرفة اتصال تلك المدنيات ببعضها وأثر المدنيات الأخرى فيها ، فضلاً عما يكون لتلك البحوث من أثر واضح فى توجيه المصلحين[1] الاجتماعيين والدينيين وغيرهم نحو الغاية المنشودة فى جهادهم ونضالهم لرفع مستوى الشعب المادى والأدبى . وإذا تعينت أوضاع كل مدنية وحدودها بحوض النيل سهل على أبناء هذا الوادى أن يؤمنوا بحقيقة قوميتهم

(البقية فى العدد القادم) محمد عبد الحميد

(١) كما أن للعلوم الطبيعية مثل البيولوجيا والفزيولوجيا غاية عامة تسعى إليها وهى استخلاص القوانين الرئيسية التى يتعين بمقتضاها تركيب الخلية وشروط حياتها ونموها ، وعند البدء فى القضاء على مرض معين أو الاكثار من جنس معين أيضاً من الحيوانات أو النباتات ، فعلى الأطباء وعلماء الحيوان والنبات أن يستشيروا البيولوجى والفزيولوجى فى هذا الصدد ؛ كذلك يتعين على المصلحين الاجتماعيين والدينيين وغيرهم أن يستنيروا بآراء علماء الاجتماع والأنتولوجيا فيما يبغون بناءه من مثل عليا للمجتمع لأنهم أقدر على تشخيص الداء ووصف الدواء

ابن خُرداذبه

للأستاذ كوركيس عواد

١ – تصدير

كانت مجموعة التصانيف الثمينة ، التي طبعها دى غويه De Goeje المستشرق الهولندى الذائع الصيت ، بعنوان « الخزانة الجغرافية العربية »[1] ، قد نالت استحسان جمهرة الباحثين ، وتقدير كبار العلماء ، ولا مراء أن تلك المؤلفات ، سطّرت لأصحابها اسماً ذهبياً على جبين الدهر وأبقت لهم ذكراً خالداً . وقد كان اهتمام ناشرها العلامة بتصحيحها ومقابلة روايات نسخها ، مدعاةً لإعجاب كل من وقف عليها ومجلبةً لإكبار ما عاناه فى تحريرها ، ودليلاً على ما اتصف به من علم واسع وصبر جميل والذي يؤسف له أشد الأسف ، أن أكثر مؤلّفى[2] هذه « الخزانة » هم من صنف العلماء المغمورين الذين نجهل الشئ الكثير من أمرهم . وحسبك أن تعلم أن أغلب كتب التراجم لم تتعرض لذكرهم ، وإن فعلت فبالشح والتقتير ! وكان المستشرق المذكور ، قد صرف جانباً من عنايته فى التعريف بكل واحد منهم فدوّن ما وسعه تدوينه ؛ ومع ذلك ظلّت هاتيك التراجم بحاجة إلى من يتبسّط فيها ، ويزيل عنها ما هو عالق بها من الاقتضاب . وقام بعد دى غويه من اهتم بهذا الشأن أيضاً ، فنشر الأب لامنس ترجمة حسنة للبشّارى المقدسى[3] ، وتلاه الأستاذ أحمد أمين بك فكتب ترجمة ثانية له[4] . ودوّن أخى ميخائيل عواد ترجمة وافية لابن حوقل[5] . وها نحنُ أولاء نعرض على القرّاء ترجمة « ابن خرداذبه » مستقاة من المراجع الموثوق بصحتها . ومن الله التوفيق

(١) عنوانها باللاتينية Bibliotheca Geographorum Arabicorum وقوامها ثمانية مجلدات ، ظهرت طبعتها الأولى فى ليدن سنة ١٨٧٠–١٨٩٤

(٢) هؤلاء المؤلفون هم : ابن حوقل وابن خرداذبه وابن رسته ، وابن الفقيه الهمذانى والاصطخرى وقدامة بن جعفر والمسعودى والمقدسى واليعقوبى

(٣) لامنس : المذكرات الجغرافية فى الأقطار السورية (بيروت ١٩١١ ، ص ٣٤ – ٥٢)

(٤) مجلة الثقافة (العدد ٩ ، ص ٩ – ١١)

(٥) مجلة « الرسالة » العدد ٤٢٣ ، ص ١٧٧٨ – ١٧٨١

٢ – لفظة خرداذبه

إختلفت المراجع القديمة فى ضبط لفظة « خرداذبة » أيما اختلاف : فبعضها ضبطها بإسكان الراء[1] ، وبعضها بفتحها مع التشديد[2] . ومنها من كتبها بذالين معجمتين بينهما ألف[3] ، أو بدالين مهملتين بينهما ألف[4] ؛ فى حين أن فريقاً آخر جعل من الدال الثانية ذالاً معجمة[5] ، وهى الأوفق . فإن الكلمة فارسية على ما يجيء بنا ، والدال الواقعة بعد حرف علة تُعْجَم على القاعدة المشهورة . وهناك من أورد الباء مكسورة ، أو من أوردها مفتوحة[6] ، أو من جعلها ياء[7] ، فقد قال السيد مرتضى الزبيدى : « خرداذبه : بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الذال وسكون الياء التحتية وآخره هاء »

وهنالك اختلافات عديدة غير ما ذكرنا ، حصلت من جراء التلاعب بأحرف لفظة « خرداذبه » . ونحن على يقين من أن

(١) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للبشارى المقدسى (ص ٣٦٢) والفهرست لابن النديم (ص ١٤٩ طبعة فلوجل)

(٢) كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ص ٥ طبعة كريمرز) ، وديوان البحترى (طبعة الجوائب بالأستانة سنة ١٣٠٠ هـ ، ١ : ٢١٠ ؛ أو طبعة المطبعة الأدبية ببيروت سنة ١٩١١ ، ص ٣٢٥ و ٣٢٦)

(٣) مختصر نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للشريف الادريسى (طبعة رومة سنة ١٥٩٢ م ، ص ٧٠)

(٤) كتاب الديارات للشابشتى (مخطوط برلين رقم ٨٣٢١ الورقة ١٤ ب) ، والفهرست تعليقات الناشر ص ٥٨ ، ومروج الذهب للمسعودى ، طبعة باريس ١ : ١٣ و ٢ : ٧٠ و ٣٢٦ ، والمعجب فى تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشى ، طبعة دوزي فى ليدن سنة ١٨٤٧ ، ص ٢٥٢ ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ، ٤ : ٦٠٢ طبعة وستنفلد ؛ وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للحاج خليفة ٢ : ١٠١ – ١٠٢ و ٥ : ٥١٠ – ٥١١ طبعة فلوجل

(٥) الفهرست ص ١٤٩ ، والتنبيه والاشراف للمسعودى ص ٢٥ طبعة دى غويه ، أو ص ٦٥ – ٦٦ طبعة مصر ؛ والآثار الباقية عن القرون الخالية لأبى الريحان البيرونى ص ٤١ طبعة سخاو ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ٦ : ٢٣١ طبع الفرنج ومختصر نزهة المشتاق للادريسى ص٣١٥

(٦) ابن حوقل ص ٥ ، والمقدسى ص ٣٦٢ ، والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى فى أماكن مختلفة نذكرها فيما بعد

(٧) تاج العروس ٨ : ٣٢١ ، مادة : روم ؛ وكشف الظنون ٢ : ٤٢٣ طبعة استانبول الأولى ، ومقدمة ابن خلدون طبعة كاترمير فى باريس سنة ١٨٥٨ م ، ١ : ٩٣ ، وطبعة بولاق ص ٤٤ ، وطبعة بيروت الثالثة المشكولة سنة ١٩٠٠ ، ص ٥٣ ؛ ويلاحظ أن الخاء جاءت فى هذه الطبعة مفتوحة وهو تحريف ثان ، نظير ما ورد فى طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ ، ص ٤٢

أغلب ذلك إنما جاء على أيدى جهلة النساخ . ومما وقفنا عليه من الصور الممسوخة لهـذه اللفظة : جرداذه (١) ، وجرداذبه (٢) ، وجرداويه (٣) ، وحرادو (٤) ، وحراذيه (٥) ، وحرداديه (٦) ، وخرداذبة (٧) وحردازبة (٨) وخراداذبة (٩) ، وخرداد (١٠) ، وخردادة (١١) ، وخردادية (١٢) وخرداذه (١٣) ، وخرزاد (١٤) ، ودارية (١٥) !

فهذه اثنتان وعشرون صورة مضطربة مشوّشة ، جرَت على أسل الكتبة والنسّاخ ، وإنما أوردناها بهذا الوجه من التفصيل ليكون القارئ على بينة من أمرها حين مراجعته المصنفات التي نوّهنا بها في الحواشي

وفى معجم ريشاردسن الفارسى — العربى — الانكليزى (١٦) تفسير لمعنى لفظة خرداذبة . قال : إن معنى « خرداذ » بالفارسية مَلاَك ، و « بَه » ، والباء موحدة مفتوحة : جيد أو صالح . فيكون مدلول اللفظة : الملاَك الصالح

نخرج بالقارئ مما ذكرنا آنفاً ، أن أحسن الوجوه وأصحها فى كتابة هذه التسمية الأعجمية هو « خرداذبة » بالضبط الذى نقلناه عن صاحب التاج مع مراعاة تصحيح الياء المثناة باء موحدة مفتوحة

(١) المقدسى ص ١٠٥ حاشية E ، و ٢٢٢ حاشية G ، و ٣٦٢ حاشية I

(٢) المقدسى ص ٤ حاشية L ، و ٦٨ حاشية F

(٣) الخطط للمقريزى مطبعة النيل ١ : ٢١٧ و ٢٣٦ و ٢٦٢

(٤) معجم البلدان مخطوط المتحف العراقى الرقم ٤ مادة : مقدونية

(٥) معجم البلدان مخطوط المتحف العراقي الرقم ٣ مادة : قسطنطينية

(٦) مروج الذهب بهامش الكامل لابن الأثير ١٠ : ٣٠ و ٣٤ و ٣٦ طبع القاهرة

(٧) تاريخ أبي الفداء المطبعة الحسينية بالقاهرة ٢ : ٢٣

(٨) كشف الظنون ١ : ٢١٥ استانبول

(٩) مقدمة ابن خلدون طبعة باريس ١ : ٩٣

(١٠) كشف الظنون ٥ : ٥٠٩ فلوجل

(١١) المقدسى ص ١٠٥ حاشية E و ٣٦٢ حاشية I

(١٢) الخطط للمقريزى مطبعة النيل ١ : ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٣٤٤ و ٣٦٦ و ٣٧١

(١٣) المقدسى ص ٥٧ حاشية I و ١٨٩ حاشية G و ٢٢٢ حاشية G و ٢٤١ حاشية G

(١٤) المقدسى ص ٤ حاشية P

(١٥) مروج الذهب بهامش ابن الأثير ١ : ٩ طبع القاهرة وكذلك فى طبعته المصرية سنة ١٣٤٦ هـ ١ : ٥ وطبعته المصرية الأخرى سنة ١٣٥٧ هـ ١ : ٥

(١٦) Richardson : Persian — Arabic — English Dictionary. (3 Rd Edition, London, 1829. Vol. I., P. 299 A., Vol. II., P. 904 B.)

٣ — من عرف باسم خرداذبة

ويحدثنا التاريخ ، أنه نشأ غير واحد ممن عرف بهذه التسمية هدانا البحث إلى أسماء خمسة منهم ، ودونك شيئاً عنهم :

الأول — خرداذبة الرازى الراوى : ذكره الطبرى (١) فى حوادث سنة ٣١ للهجرة . وهذا لا يمت بصلة ما إلى الأربعة الآخرين الآتى ذكرهم .

الثانى — خرداذبة : جد أسرته الأعلى . وهو رجل فارسى من بلاد خراسان ، كان فى أول عهده مجوسياً ، ثم أسلم على يد البرامكة (٢) . وهو أول من أسلم من أفراد أسرته .

الثالث — أبو عبد الله ابن خرداذبة : وهو ابن الخرداذبة المتقدم ذكره . لم نقف على ما يستحق التدوين من أخباره .

الرابع — عبد الله ابن خرداذبة ابن السابق ذكره . وهذا قام بفتوحات مهمة ، وأسند إليه منصب كبير فى عهد العباسيين ، أعنى به ولاية طبرستان . فقد روى الطبرى (٣) ، وتابعه فى ذلك ابن الأثير (٤) ، وأبو الفداء (٥) ، فى حوادث سنة ٢٠١ للهجرة ، إن « فى هذه السنة ، افتتح عبد الله بن خرداذبة ، وهو والى طبرستان ، اللاّرزَ والشرزَ (٦) من بلاد الديلم ، وزادهما فى بلاد الإسلام . وافتتح جبال طبرستان ، وأنزل شهريار بن شروين (٧) عنها ، فقال سلام الخاسر (٨) :

إنا لنأمل فتح الروم والصين ... بمن أذل لنا من مُلك شروين
فاشدد يديك لعبد الله إن له ... مع الأمانة رأيا غير موهون

(١) تاريخ الطبرى (السلسلة الأولى ، ص ٢٨٧٣)

(٢) الفهرست (ص ١٤٩ فلوجل ، أو ص ٢١٢ مصر)

(٣) تاريخ الطبرى (السلسلة الثالثة ، ص ١٠١٤ — ١٠١٥)

(٤) الكامل فى التاريخ (٦ : ٢٣١ من طبع الفرنج ، أو ٦ : ١٢١ بولاق ١٢٩٠ هـ)

(٥) تاريخ أبي الفداء (٢ : ١١٦ طبعة ريسكى سنة ١٧٩٠ م ، أو ٢ : ٢٣ مصر)

(٦) ذكرهما ياقوت فى معجم البلدان . والذي فى طبعة ابن الأثير الأوربية : اللارز والشيزر ، وفي البولاقية : البلاذر والشيزر . وهما مصحفان.

(٧) فى تاريخ أبى الفداء : شهريار بن شهريار بن شروين .

(٨) هو سلم (بفتح الأول على الرواية المشهورة ، وبوزن سحاب على رواية ابن خلكان ، وكلاهما سائغ) الخاسر أحد شعراء الدولة العباسيه ، مات فى أيام الرشيد . وأخباره فى طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٣٠ ـ ٤٣ طبعة عباس إقبال ، لندن ١٩٣٩ ، والأغاني (٢١ : ٧٣ ـ ٨٤ طبعة الساسى) ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى (٩ : ١٣٦ـ١٤٠) ومعجم الأدباء لياقوت الحموى (٤ : ٢٤٧ ـ ٢٤٩ طبعة مرجليوث) ووفيات الاعيان لابن خلكان (١ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠ بولاق ١٢٧٥هـ) ونهاية الارب للنويري (٣ : ٧٨ ـ ٨١) .

وأشخص مازيار[1] بن قارن[2] إلى المأمون، وأسر أبا ليلى[3] ملك الديلم في غير عهد في هذه السنة». انتهى كلام الطبرى

وقد تعرض ابن كثير لهذه الحادثة دون أن يذكر ابن خرداذبه وهذا نص كلامه[4]: «وفيها (سنة ٢٠١ هـ) افتتح نائب طبرستان جبالها وبلاد اللارز والشيرز [كذا]. وذكر ابن حزم أن سلماً الخاسر قال في ذلك شعراً. وقد ذكر ابن الجوزى وغيره أن سلماً توفى قبل ذلك بسنين. فالله أعلم» اهـ

وقد أشار إليه الشابشتى بقوله[5]: «فذكر عبد الله ابن خرداذبه، أنه حضر مجلس المأمون يوماً، وقد عرض عليه أحمد بن أبي خالد رقاعاً ...»

وذكره أبو الفرج الأصفهاني بما يلي[6]: «أخبرني الحرمىّ قال: حدثنا الدينارىّ قال: حدثنا اسحاق[7] قال: قالت لي زهراء الكلابية: ما فعل عبد الله بن خرداذبه؟ فقلت: مات! فقالت: غير ذميم ولا لئيم. غفر الله لصداه[8] لقد كان يحبك ويعجبه ما سرك ...»

الخامس — أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه. وهو الذى عليه مدار كلامنا في هذا البحث

٤ — عبيد الله بن خرداذبه

وهذا أشهر مَن ذكرنا من هؤلاء القوم، وأعظمهم مكانة، وأبقاهم اسماً. كان قد أُنيط به منصب «صاحب البريد والخبر[9]» بناحية الجبل[10] بفارس. على أن ما زاد في شهرته وتخليد اسمه في التاريخ، هو المؤلفات التى صنّفها، وسيأتى الكلام عليها في موطن آخر من هذا المقال

وكان ابن خرداذبه قد نادمَ «المعتمد» خامس عشر الخلفاء العباسيين وخُصّ به. وقد ساق المسعودى «المقالة الموسيقية[1]» لابن خرداذبه، ومما جاء في ثناياها قوله[2]:

«وذكر عُبَيد الله بن خرداذبة أنه دخل عليه [على المعتمد] ذات يوم وفى المجلس عدّة من ندمائه من ذوى العقول والمعرفة والحِجى؛ فقال له: أخبرنى مَن أول من اتخذ العود؟ قال ابن خرداذبة: قد قيل في ذلك يا أمير المؤمنين أقاويل كثيرة. الخ»

إلى أن يقول[3]: «قال المعتمد: قد قلت يخاطب [ابن خرداذبة] فأحسنت، ووصفت فأطنبت، وأقمت في هذا اليوم سوقاً للغناء وعيداً لأنواع الملاهى. وإن كلامك لمثل الثوب الوشى، يجتمع فيه الأحمر والأصفر والأخضر وسائر الألوان. فما صفة المغنّى الحاذق؟ قال ابن خرداذبة: المغنّى الحاذق يا أمير المؤمنين ... الخ»

ويختم المسعودى الحكاية بقوله[4]:

«فهذه — يا أمير المؤمنين — جوامع في صفة الإيقاع ومنتهى حدوده. ففرح المعتمد في هذا اليوم وخلع على ابن خرداذبة وعلى مَن حضره من ندمائه، وفضّله عليهم، وكان يوم لهو وسرور»

(يتبع — بغداد) كوركيس عواد

---

(١) في فتوح البلدان للبلاذرى (ص ١٣٤ و ٣٣٩ و ٣٤٠ طبعة دى غويه في ليدن): مايزديار بن قارن

(٢) في بعض الروايات: قارون (٣) في تاريخ أبي الفداء: أبا ليلى

(٤) البداية والنهاية في التاريخ (١٠: ٢٤٧ — ٢٤٨)

(٥) كتاب الديارات (الورقة ١٤ ب مخطوط. وهو مما أعددناه للنشر) وقد نقل هذه الرواية عنه أمدروز Amedroz في حاشية الصفحة ٤٧ من «ذيل تجارب الأمم» للوزير أبي شجاع

(٦) الأغاني (٥: ٧٦ طبعة الساسى، أو ٥: ٣٢٨ طبعة دار الكتب المصرية) (٧) هو اسحاق بن ابراهيم الموصلى

(٨) الصدى: جسد الانسان بعد موته

(٩) في تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان (١: ٢٢٠ — ٢٢٢) بيان حسن عما كان يعهد به إلى صاحب البريد وما كان له من رفيع المنزلة في الدولة العباسية (١٠) هى بلاد ماذي Media القديمة

---

(١) سيأتى خبر هذه المقالة في معرض الكلام على مؤلفات ابن خرداذبة

(٢) مروج الذهب (٨: ٨٨ طبعة باريس)

(٣) مروج الذهب (٨: ٩٥ — ٩٦ طبعة باريس)

(٤) مروج الذهب (٨: ٩٩ — ١٠٠ طبعة باريس)

في الفلسفة الإسلامية

إخوان الصفـــاء

للأستاذ عمر الدسوقي

— ٤ —

النفس الإنسانية

تستمد النفس الإنسانية قوتها من النفس الكلية ؛ ومراتب النفوس ثلاثة أنواع : منها مرتبة الأنفس الإنسانية ، ومنها ما فوقها وما دونها . والمعروف من هـذه النفوس خمس ، فالتى فوقها اثنتان : رتبة الملكية ، ورتبة القدسية ؛ فرتبة الملكية هى رتبة الحكمة ، ورتبة القدسية هى رتبة النبوة . والتى دونها اثنتان : النفس الحيوانية والنفس النباتية

ومن الأخلاق والقوى ما ينسب إلى النفس النباتية الشهوانية، ومنها ما ينسب إلى الحيوانية الغضبية ، ومنها ما ينسب إلى النفس الإنسانية الناطقة ، ومنها ما ينسب إلى النفس العاقلة الحكيمة ، ومنها ما ينسب إلى القدسية[١] . فالمنسوب إلى النباتية : الغذاء ، والرغبة فى المشروبات ، والحرص فى طلب الشهوات . والمنسوب إلى الحيوانية الغضبية : الشهوة الجنسية ، والانتقام ، وشهوة الرئاسة ، وكل الغرائز الشهوانية ، والمحافظة على بقاء النوع ؛ ويشترك فى هـذه الحيوان والإنسان . والمنسوب إلى النفس الناطقة : شهوة العلم والمعرفة ، والعز والرفعة . والمنسوب إلى الملكية والقدسية : شهوة التقرب لربها والزلفى لديه . والسبب فى وجود هذه الغرائز بنفوسنا أنه يوجد فى المعلول دائماً شيء من العلة ، فإن انعدم فى المعلول سبب أو غير ذلك فهى كما فى الحيوان والنبات ؛ والله الذى هو علة الوجود حى باق لا يعرض له الفناء ، ولهذا صارت الموجودات محبة للبقاء كارهة للفناء ؛ ولهذا فالسعادة هى أن يبقى كل موجود أطول ما يمكن على أفضل حالاته وأتم غاياته لا ينقصه شيء ؛ حتى يكون شبيهاً بالإله

(١) ج ٢ من الرسائل ص ٢٤٠ — ٢٤١ . وترى فى تقسيم النفس وأثر ذلك فى الأخلاق آراء أفلاطون مرددة

الفضيلة

إذا ظهرت من الطبيعة هذه الشهوات المركزة فى الجبلة ، وكانت على ما ينبغى فى الوقت الذى ينبغى من أجل ما ينبغى سميت خيراً ؛ ومتى كانت بخلافه سميت شراً . وإذا فعل الإنسان ذلك باختياره وإرادته على ما ينبغى، بمقدار ما ينبغى ، من أجل ما ينبغي ، كان صاحبه محموداً ؛ ومتى كان بخلاف ذلك كان سفيهاً جاهلاً[١] وكل نفس خادمة للنفس التى أعلى منها ، وصلاحها فى امتثالها لأوامرها[٢]

قوى النفس

وللنفس الإنسانية قوى كثيرة تساعدها على أن تصير عقلاً بالفعل ، وأفضلها القوى المفكرة لأنها تؤدى إلى المعرفة ، والمعرفة لباب حياة النفس . ونفس الطفل فى أولها صحيفة بيضاء لم ينقش عليها شيء ، وكل ما تحمله إليها الحواس الخمس تتناوله القوة المتخيلة وتجمعه ، ومجرى هذه القوة مقدم الدماغ ، ثم تدفعه إلى القوة المفكرة ومسكنها وسط الدماغ ، وهى تميز بعضه من بعض وتعرف الحق والباطل ، ثم تؤديه إلى الحافظة التى مجراها مؤخر الدماغ . والقوة الناطقة تعبر عما فى النفس بالألفاظ للسامعين ، أو تقيدها بصناعة الكتابة ، فيكون للنفس خمس حواس باطنة تقابل الخمس الظاهرة[٣]

الموت والحياة

الإنسان مكون من جسم ونفس روحانية ، والجسم يريد البقاء فى الدنيا ، والنفس الروحانية تريد الرحيل إلى الآخرة[٤] ؛ وعلى هذا فالموت والحياة نوعان : جسدى ونفسانى ، والحياة الجسدية ليست شيئاً سوى استعمال النفس الجسد ، والموت الجسدى ليس

(١) رسائل ج ٢ ص ٢٤٧ وهذا تأثر إخوان الصفاء بمذهب أرسطو فى نظرية الوسط

(٢) يمثل هذا رأى أفلاطون فى خضوع الشهوانى والجزء الشريف من النفس للعقل وأن صلاحهما فى امتثال أوامره . راجع R. L. Nettleship فى كتابه : Lectureson the Republic of Plato

(٣) رسائل ج ٢ ص ٣٤٧ — ٣٥٠

(٤) ولهذا يقول إخوان الصفاء إن أعمال الانسان أنت مثنوية متضادة كالموت والحياة والنوم واليقظة والعلم والجهل ... الخ فالصفات الرديئة تنسب للجسم والجنة تنسب للروح

شيئاً سوى تركها استعماله ؛ كما أن اليقظة ليست شيئاً سوى استعمال النفس الحواس ، وليس النوم شيئاً سوى تركها استعمالها ، أما النفس فحياتها ذاتية لها ، وذلك أنها بجوهرها حية بالفعل علامة بالقوة فعالة فى الأجسام والأشكال ، وموتها هو جهالتها بجوهرها وغفلتها عن معرفة ذاتها ، وذلك عارض لها من شدة استغراقها فى بحر الهيولى ، فكما أن ولادة الطفل ليست شيئاً سوى خروجه من الرحم ، فكذلك ولادة النفس ليست شيئاً سوى مفارقة النفس إياه ، والنفس لا تعرف السعادة إلا بعد ما تفارق الجسم ، وعلى ذلك فالموت حكمة لأنه سبب لحياة الأبد[1]

وبعد مفارقة النفس الجسد تبقى الشقية هائمة بهمومها معذبة دون فلك القمر ، سائحة فى بحر الهيولى ، هاوية فى عالم الكون والفساد مع أبناء جنسها من الأمم الخالية إخوان الشياطين وجنود إبليس أجمعين : « كلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنتْ أخْتَها »

وهذه هى جهنم عند إخوان الصفاء ، ونراهم يتابعون فلاسفة اليونان والمسلمين فى قولهم بحشر الأرواح دون الأجساد ، وأن العذاب عذاب الروح لا الجسد . ولقد رد عليهم الغزالى فى تهافت الفلسفة رداً لا بأس به

أما النفوس الخيرة عند إخوان الصفاء فتصعد إلى عالم الأفلاك وتصير ملائكة بالفعل ، وهذه هى الجنة عندهم ؛ والثواب هنا ثواب روحى لا جسدى . ولقد فصل الفارابى هذه النظرية فى مدينته الفاضلة ووضحها ابن سينا فى النجاة والشفاء

خلود النفس

يعتقد إخوان الصفا اعتقاداً جازماً بأن الأجساد حبس للنفوس أو حجاب لها أو صراط أو برزخ ، والنفوس تعلم تمام العلم بأن لها وجوداً آخر خيراً وأبقى وألذ وأحسن من هذا الوجود والبقاء الذى مع الجسد ، فإذا استتمت الأنفس الجزئية وكملت صورتها ومعارفها ، واستيقظت من هذه الغفلة وأحست بغربتها فى هذا العالم الجسمانى وأنها فى أسر الطبيعة تائهة فى بحر الهيولى ، وعرفت فضيلة جوهرها ونظرت إلى عالمها ، وشاهدت تلك الصور الروحانية المفارقة للمادة ، إذا أدركت هذا كله هانت عليها مفارقة الجسد

(١) الرسائل جـ ٣ ص ٦١

وسمحت بإتلافه وفى هذا سعادتها [1]

وموت النفس هو جهلها بجوهرها وغفلتها عن معرفة ذاتها ، والنفوس السعيدة هى التى قطعت أيام الحياة الدنيا بالأعمال الصالحة وسارت سيرة عادلة ، وتخلقت بأخلاق جميلة ، وبحثت عن حقائق المعقولات وأحكمتها ؛ فإذا ما بلغت آخر العمر اشتاقت إلى مفارقة هذه الحياة ، فلو لم يكن الموت لما أمكنها الصعود إلى ملكوت السماء ولا الوصول إلى الجنة[2]

وعلى العكس من ذلك نفوس الأشقياء ، فإنها بما اعتادته من لذات هذه المحسوسات ، وقد منعت الوصول إليها والعودة للجسم تقول : « يا ليتنا نُرَدُّ فنعملَ غير الذى كنا نعمل » وتبقى متألمة بذآتها معذبة من سوء عاداتها دون فلك القمر

وعلى هذا فالنفوس البشرية الخيرة ملائكة بالقوة ، فإذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل . والنفوس الشريرة شياطين بالقوة فإذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل[3]

أما يوم القيامة ونهاية العالم فيكون بمفارقة النفس الكلية للعالم ورجوعها إلى الله[4]

الله والعالم

لما كان الله تام الوجود كامل الفضائل عالماً بالكائنات قبل كونها ، قادراً على إيجادها متى شاء ، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل فى ذاته فلا يجود بها ويفيضها ؛ فإذا بواجب الوجود قد أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض النور والضياء من عين الشمس[5] . والله سبحانه لا يباشر الأفعال بذاته ، بل يقتصر على الأعمال الكلية ، أما التفصيلات فيدعها للملائكته الموكلين « وما أمرُنا إلا واحدةٌ كلمحٍ بالبصر » ، ويقول تعالى كذلك : « وما خلْقُكم ولابعثُكم إلا كنفسٍ واحدة » . ونسبة الأفعال التى تجرى على أيدى عباده إلى البارى سبحانه كنسبة أفعال

(١) رأى إخوان الصفاء فى النفس وخلودها ورجوعها بعد إتمام كمالها فى هذه الحياة الدنيا هو الرأى الذى أوضحه ابن سينا فى قصيدته

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنع

(٢) رسائل جـ ٣ ص ٦١

(٣) الرسائل جـ ٣ ص ٩٤

(٤) رسائل جـ ٢ ص ٤١

(٥) رسائل جـ ٣ ص ١٩٧ . وأنت ترى من هذا أنهم يقولون بنظرية الفيض على طريقة الأفلاطونية الحديثة وقد تكلمت عنها آنفاً

الملوك إذا قيل بنى فلان الملك مدينة كذا ، وحفر نهر كذا ، فهؤلاء الملوك قد أمروا فقط ، أما مباشرة العمل فتركت لغيرهم[١]

وعلم الله تعالى محيط بما يحوى العقل من المعقولات ، والعقل محيط بما تحوى النفس الكلية من الصور ، والنفس محيطة بما تحوى الطبيعة من الكائنات ، والطبيعة محيطة بما تحوى الهيولى من المصنوعات[٢]

تأثير إخوان الصفا

قد بينا سابقاً تلك الدعاية المنظمة التى قام بها إخوان الصفا لحمل الناس على الدخول فى مذهبهم ، وقد أدى نشر هذه الرسائل الآنفة الذكر إلى نشر الفلسفة ومبادئها ، واشتغال الناس بها ؛ إذ كتبوها بلغة سهلة تناسب عقلية الجمهور ، ومزجوها بالدين مقتبسين كثيراً من آى القرآن الكريم حتى لا ينفرون منها ، ووضعوا فيها مبادئ عامة من كل فن ، فكانت من الوجهة العلمية موسوعة احتذى حذوها كثير من المؤلفين فيما بعد.

وقد حملت الرسائل على رجال الدين والفقه ، وأدى ذلك إلى اشتغال كثير من هؤلاء بالرد عليهم وتكفيرهم كابن تيمية وابن حجر وغيرهما . ثم إن رسائل إخوان الصفا كانت أول محاولة للتوفيق بين الدين والفلسفة ، تلك الخطة التى اقتفاها الفارابى وابن سينا وابن رشد فيما بعد ، والتى تأثروا فيها بإخوان الصفا كما تأثر هؤلاء بالأفلاطونية الحديثة بعد أن تنصرت ونقلها السريان إلى لغتهم محاولين أن يتخذوا منها دعامة لتأييد مذاهبهم المتعددة ...

والرسائل كانت دستوراً لطائفة الإسماعيلية كما رأينا من قبل فيها رموز وإشارات واصطلاحات لا يعرفها إلا الأتباع المخلصون . على أن هناك طائفة ممن اشتهروا بالعلم والفلسفة قد تأثروا بهم ومنهم : أبو حيان التوحيدى ، وقد عرفنا أنه كان الصلة بين جماعة البصرة وجماعة بغداد ، وقد اتهم بالزندقة من أجل ذلك ، حتى جاء فى طبقات الشافعية ما يأتى : « زنادقة الإسلام ثلاثة : ابن الراوندى ، وأبو حيان التوحيدى وأبو العلاء المعرى » ، ومنهم يحيى بن عدى[١] المترجم المشهور والذى كان أحد أعضاء فرقة بغداد ، وقد نشرت له مجلة اللغات السامية الأمريكية كتاباً فى تهذيب الأخلاق تشبه تعاليمه ما عند إخوان الصفا فى كثير من الموضوعات : ومنهم كذلك جماعة بغداد ورئيسهم السجستانى أبو سليمان وقد رأينا كيف أن أبا حيان قد أخذ رسائل إخوان الصفا وعرضها عليه ؛ وعرفنا ما قاله أبو العلاء المعرى فيهم عند مغادرته بغداد وكيف سماهم إخوان الصفا

نعم إن الغزالى يعرض بفلسفة إخوان الصفاء ، ويعدها فلسفة العامة من الناس ، بيد أنه لا يتحرج من الاقتباس منها ، وهو مدين لفلسفتهم بأكثر مما يعترف[٢]

(بيروت) **عمر الدسوقى**

(١) رسائل ج ٢ ص ١٠٩ ، وأنت ترى كيف أنهم يؤولون ظاهر آيات القرآن ، وقد أقروا بأن للقرآن أغراضاً أخرى غير التى يفهمها الناس وقولهم بأن الله لم يخلق العالم مباشرة يعارض العقيدة الاسلامية ، وقد رد عليهم الغزالى فى تهافت الفلاسفة

(٢) رسائل ج ٢ ص ٩٨

(١) هو أبو زكريا يحيى بن عدى بن حميد ولد فى تكريت سنة ٨٩٣م وتوفى فى بغداد سنة ٩٧٤ م وكان رئيساً لأساقفة الكنيسة اليعقوبية ، وممثلا لنشاط هذه الطائفة فى المساهمة والنقل والترجمة

(٢) أنظر كتاب المنقذ من الضلال ص ١٤٠١٣ طبعة مصر عام ١٣٠٩ ودى بور ص ١١٣ ترجمة أبى ريدة ، ورسالة الطيباوى التى أشرنا إليها آنفاً

آثار من أولية الشعر في الشعر الجاهلى

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

ظهرت فى عصرنا دعوى عريضة ، يذهب أصحابها إلى إنكار صحة الشعر الجاهلى ، وكان من أكبر ما قامت عليه تلك الدعوى أن هذا الشعر على حسب ماروى لنا يخالف سنة النشوء والارتقاء فيظهر أول ما يظهر بالغاً غاية الكمال ، لا شيء ينقصه من جهة الوزن ، ولا من جهة القافية ، ولا من جهة اللفظ ، ولا من جهة المعنى ، ومثل هذا لا يمكن قبوله ، لأن سنة النشوء والارتقاء من السنن الطبيعية التى لا يشذ شيء عن حكمها ، ويجب إنكار ما يأتى على خلاف مقتضاها

فإذا قيل لهؤلاء الناس إن هذا الشعر الجاهلى كان قبله شعر قديم لم يصل إلينا ، وقد مر هذا الشعر القديم فى أطوار تدرج فيها على سنة النشوء والارتقاء ، حتى وصل إلى هذا الشعر الجاهلى فجرى أمره على تلك السنة أيضاً ، ولم يكن فيه شذوذ عنها ، يتخذ ذريعة إلى إنكار صحته ، والطعن فى نسبته إلى عصره

إذا قيل لهم هذا قالوا إن هذا الشعر القديم حديث خرافة أيضاً ، لأنه لو صح وجوده لكانت له آثار ولو قليلة فى الشعر الجاهلى ، ولم ينقطع أثره هكذا مرة واحدة ، لأن هذا يخالف سنة النشوء والارتقاء أيضاً ، فهى كما تقضى بالتدرج من غير الأصلح إلى الأصلح ، تقضى ببقاء آثار قديمة فيما تتدرج إليه ، لتكون شاهدة بهذا التدرج ، وهي المعروفة فى مذهب النشوء والارتقاء باسم الأعضاء الأثرية

ولا شك أن هذا اعتراض له قيمته ، لأنه يقوم على شاهد من العلم ، فلا يقوم فى وجهه إلا شاهد يعتمد على العلم كما يعتمد ويتفق مع ما يقضى به مذهب النشوء والارتقاء من سنة التدرج ولا يكفى فى إثبات ذلك الشعر القديم الإشارة إليه فى مثل قول امرئ القيس :

عُوجَا على الطَّلل المحيل لأننا ... نبكي الديار كما بكى ابن خِذامِ

وقول عنترة :

هل غادرَ الشعراء من مُتَرَدَّمِ ... أم هل عرفتَ الدار بعد توُّهمِ

وقول زهير :

ما أُرانا نقول إلا مُعاراً ... أو معاداً من لفظنا مكرُورا

لأنه لا قيمة لهـذه النصوص إذا لم يوجد فى الشعر الجاهلى آثار من ذلك الشعر القديم تشهد بوجوده ، وتبين بعضاً من حاله قبل أن يصل إلى طور الشعر الجاهلى ، لأنه لا يعقل أن يطفر الشعراء كلهم إلى هذا الطور كما طفر مهلهل وامرؤ القيس وغيرهما من القدماء ، ولا يوجد بينهم متخلفون قد تشبثوا بشيء مما كان عليه الشعر قبل هذا الطور

فذلك الشعر القديم لا بد أنه لم يكن مستقيم الوزن ، ولم يكن يجرى على هذه البحور التى يجرى عليها الشعر الجاهلى ، فأين أثر ذلك فى هذا الشعر ؟

وهو أيضاً لا بد أن يكون مضطرب القافية ، لا يجرى فيها على سنن مُطَّرِد ، ولا يتأنق فيها كما تأنق الشعراء الجاهليون ، فأين أثر ذلك فى شعرهم ؟

فإذا كان ذلك الشعر قد وجد حقاً ، فإنه لا بد أن يبقى أثر من فساد وزنه وقافيته فى الشعر الجاهلى ، حتى يكون دليلاً ناطقاً بأنه درج على سنة التدرج ، ويكون لوجوده فيه دلالة الأعضاء الأثرية على أصلها ، وهى دلالة لا تقبل شكا ، ولا يمكن أن يجادل فيها أولئك الذين ينكرون صحة الشعر الجاهلى .

وقد عثرت على بعض من هذه الآثار فى هـذه الأيام ، ولا أنكر أنها فى كتب متداولة بين الناس ، ولكنهم يمرون عليها ولا يعرفون قيمة دلالتها ، ولا يلتفتون إلى أنها آثار من ذلك الشعر القديم الذى انطوى عنا خبره ، ولا يدركون أن منزلتها فى الدلالة على ذلك الشعر ، كمنزلة تلك الآثار المطوية فى بطون الأرض ، فى دلالتها على تاريخ آبائنا الأقدمين .

وممن وجد فى شعره بعض هذه الآثار عبيد بن الأبرص ، وهو شاعر قديم معاصر لمهلهل وامرئ القيس ، وقد روى صاحب الأغانى عن محمد بن سلام أنه قال :

عبيد بن الأبرص قديم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلا قوله :

أقفرَ من أهله مَلْحوبُ

ولا أدرى له ما بعد ذلك

وهذه القصيدة التى ذكرها ابن سلام أشهر قصائد عبيد ابن الأبرص ، ولكنها مع هذا مضطربة الوزن ، مختلة القافية ، ولا يزال علماء العروض مختلفين فى أمرها ، فمن قائل إنها من البسيط ، ومن قائل إنها من الرجز ، ومن قائل إنها خليط منهما ، وذلك أنك تراه يقول فى مطلعها :

أقفر من أهله ملحوبُ فالقُطَبِيَّاتُ فالذَّنُوبُ

وهذا من مُخلَّعِ البسيط ، ثم تراه يقول :

أفلحْ بما شئت فقد يُدرَكُ بالضـ ـعفِ وقد يُخدَعُ الأريبُ

وشطره الأول من الرجز ، وشطره الثانى من مخلع البسيط

ثم يقول بعد هذا فى اختلال وزن واضطراب قافية :

لا يعظ الناسُ من لا يعظ الدّ هرُ ولا ينفع التَّلْبيبُ

إلا سَجيّاتُ ما القلوبِ وكم يصيرَنَّ شانئاً حبيبُ

وقد ذكر ابن رشيق أن هذه القصيدة كادت تكون كلاماً غير موزون بعلة ولا غيرها ، حتى قال بعض الناس : إنها خطبة ارتجلها ، فاتزن له أكثرها

والحق عندى أن هذه القصيدة تمثل أولية الشعر العربي خير تمثيل ، وتبين أنه لم يكن له أوزان محدودة يتقيد بها ، ولا بحور متميزة لا يتعداها ، ولا تجرى فيه الحركات والسكنات على لحن مطرد ، لا يتغير ولا يتبدل فى القصيدة الواحدة ، وأن عبيداً فى هذا يمثل بين شعراء عصره حال الشاعر المتخلف ، لأنه لم يتهيأ له من أسباب النهوض ما تهيأ لهم ، فجرى فى شعره مجراه الأول ، ولم يعبأ بما تقيد به شعراء عصره فى أمر الوزن

ومما يروى لعبيد أيضاً من الشعر المختل الوزن قوله :

هى الخمر تكنى الطِّلا كما الذئب يكنى أبا جعده

ومما وقع من هذا الشعر قول علقمة الفحل ، وهو شاعر قديم

دافعت عنه بشعرى إذا كان فى الند أجحد

فكان فيه ما أتاك وفى تسعين أسرى مقرنين فى صفد

دافع قوي فى الكسر إذ طار بإظهار الظباة وقد

فأصبحوا عند جفنة فى الأغلال منهم والحديد عقد

إذ مجنب فى المجنبين وفى النكهة عن باد ورشد

فهذه القطعة مما أدخل فى جملة شعر علقمة ، وهى مختلة الوزن حتى قال بعضهم إنها ليست بشعر

وأما القافية فإنها لدقتها كانت أحكامها تخفي على كثير من الشعراء الجاهليين ، فبقى فيها كثير من آثار أولية الشعر كالإقواء والسناد وغيرهما من عيوب القافية ، حتى قيل إن الإقواء كان مذهب العرب فى شعرهم ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

أحنظلُ لو حاميتمُ وصبرتُمُ لأثنيتُ خيراً صالحاً ولأرضانى

ثياب بنى عوف طُهارَى نقيَّة وأوجههم عند المشاهد غرانُ

عُوَيْرٌ ومن مثل العوير ورهطه

وأسْعَدَ فى ليل البلابل صفوانُ

فقد أصبحوا والله أصفاهم به أبَرَّ بأيمان وأوْفَى بجيرانِ

وكذلك كان النابغة الذبيانى يقوى فى شعره – وهو من متأخرى شعراء العصر الجاهلى – وكان لا يعرف أن الإقواء من عيوب القافية ، ومن إقوائه قوله فى داليته :

أمِنَ آلِ مَيَّة رائحٌ أو مُغْتَدِ عجلانَ ذا زادٍ وغير مُزَوَّدِ

زعم البوارحُ أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغرابُ الأسودُ

وقوله أيضاً :

سقط النصيفُ ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليدِ

بمُخضَّبٍ رخص كأن بنانه عَنَمٌ يكاد من اللطافة يُعقَدُ

فلما ظهر الإسلام نهض العرب ورق وجدانهم ، ولطف ذوقهم ، فعرفوا هذه العيوب وتجنبوها ، وافتخروا بذلك على الشعراء قبلهم ، كما قال ذو الرُّمَّة :

وشعرٍ قد أرِقتُ له طريفٍ أجانبه المُسَانَدَ والمحالا

وقال جرير :

فلا إقواء إذ مَرِسَ القوافى بأفواه الرواة ولا سِنَادا

وبهذا استقامت قوافى الشعر ، واتسقت أوزانه ، بعد أن مرّ فى تلك الأطوار ، ولم يشذ فى ذلك عن سنّة النشوء والارتقاء

عبد المتعال الصعيدى

٢٧ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

الفصل التاسع

اللغة والأدب والعلوم

احتفظت القاهرة بشهرتها النسبية التي امتازت بها عدة قرون ، أنها خير مدرسة للأدب العربي وعلم التوحيد والفقه الإسلامي . ولا جرم أن التعليم انحط كثيراً عند العرب عامة إلا أنه كان أقل انحطاطاً في القاهرة . فشهرة علماء هذه المدينة لا تدانيها شهرة . ولا يزال مسجدها « الجامع الأزهر » يجذب إليه الطلاب من كافة أنحاء العالم الإسلامي .

ويلاحظ أن اللهجة العربية التي يتكلمها أهل القاهرة من الطبقتين الوسطى والعليا أدنى من لهجات بدو الجزيرة العربية وسكان المدن المجاورة مباشرة من حيث النطق وقواعد الصرف والنحو ؛ إلا أنها تفضُل اللهجات السورية كثيراً ، واللهجات المغربية أكثر . وأهم الخصائص التي تلاحظ في نطق المصريين ما يأتي : ينطق القاهريون ومعظم المصريين حرف الجيم جامداً بينما يعطشه عرب الجزيرة وسورية وغيرهما . ولكن يجدر أن نلاحظ أن حرف الجيم ينطق جامداً [1] في بعض جنوب جزيرة العرب وهو منشأ اللغة العربية كما يقال . وينطق حرف القاف همزة حيث يسود نطق الجيم الأول ، غير أن المثقفين ينطقونه قافاً على حقيقته . وتنطق الجيم معطشة أو قريبة من ذلك في بعض مناطق مصر ، كما تنطق القاف جيماً . وينطق المصريون جميعاً وكذلك أغلب الشعوب التي تتكلم العربية حرف الثاء تاء والذال دالاً والظاء ضاداً أو زاياً أحياناً . ومن أهم خصائص اللهجة العربية المصرية من حيث التركيب إضافة حرف الشين للدلالة على النفي ، مثل « ما يرضاش » بدلاً من « ما يرضى » و « ما هوش طيب » (ويقول العامة موش طيب) بدلاً من « ما هو طيب » ووضع اسم الإشارة بعد المشار إليه مثل « البيت ده » ، وكثرة استعمال التصغير في الصفات بلا مسوغ مثل « صغيّر » بدلاً من صغير و « قريّب » بدلاً من قريب

ولا يوجد فرق كبير بين اللهجة الدارجة والفصحى كما يفرض المستشرقون الأوربيون . ويمكن وصف اللهجة الدارجة أنها تبسيط للهجة القديمة بحذف حركات الكلام الأخيرة خاصة ، وبوجه آخر إهمال التفرقة بين أنواع إعراب الاسم المختلفة وبعض أشخاص الأفعال [1] . كما أنه لا يوجد فرق كبير بين اللهجات العربية في البلدان المختلفة كما يتصور بعض من لم يخالط أهل هذه البلاد . وتتشابه هذه اللهجات أكثر مما تتشابه لهجات بعض مناطق انجلترا المختلفة . وتفيض اللغة العربية بكلماتها المترادفة ، فتجد بعض الكلمات تستعمل في بلد ما وما يرادفها في بلد آخر . فيقول المصريون مثلاً « لبناً » بينما يقول السوريون « حليباً » ، ويطلق السوريون (اللبن) على الصريب (اللبن الحامض) . وكذلك الخبز يسميه المصريون « عيشاً » بينما يطلق عليه في البلدان العربية الأخرى خبزاً ، إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة من هذا النوع . ويلاحظ أن نطق المصريين ألطف وأعذب من نطق السوريين وأكثر البلدان التي تتكلم العربية

والأدب العربي غني شامل ، وأهميته في كمية كتبه أكثر مما هي في كيفيتها . ويبلغ عدد الكتب التي تبحث في الدين والفقه الربع تقريباً ، يتلو ذلك كتب النحو والصرف والمعاني والبيان

---

(١) ويبدو على الأرجح أن عرب مصر احتفظوا في هذه الحالة بنطق كان مألوفاً ، إن لم يكن عاماً ، عند أسلافهم في أسيا . أنظر De Sacy Grammaire Arabe الطبعة الثانية الجزء الأول ص ١٧ و ١٨

(١) بدأ العرب يسطون لغتهم في القرن الأول للهجرة تبعاً لانتشارهم في البلدان الأجنبية التي ما كانت تستطيع أن تتعلم لغة الفاتحين الصعبة . ولاثبات ذلك أنظر « الأخبار الإسلامية » لأبي الفداء . عربي ولاتيني Abulfedae Annales Muslemici الجزء الأول ص ٤٣٢ و ٤٣٤ . ويمكن تقديم عدة أدلة أخرى إلا أن هذا الأمر معروف . وتؤكد العربية الحديثة بتشابهها العبرية دلائل الانحطاط الظاهر في تلك اللغة الأخيرة

والفروع المختلفة لعلم اللغة Philology . وتشغل كتب التاريخ (وعلى الأخص تاريخ الأمة العربية) والجغرافية المرتبة الثالثة، وأخيراً الشعر . أما المؤلفات الطبية والكيميائية والرياضية والجبرية وغيرها فقليلة جداً بالنسبة لغيرها

ويوجد فى القاهرة عدة مكتبات كبرى ، ويلحق أغلبها بالمساجد ، ويتألف معظمها من كتب التوحيد والفقه ومعاجم اللغة ؛ إلا أن هذه المكتبات مهملة إهمالاً يرثى له ، وتفنى محتوياتها بسرعة وإلى حد بعيد لعدم أمانة القائمين بأمرها أو باستعمالها وإهمالهم . ويقتنى بعض التجار الأثرياء وغيرهم مكتبات حسنة . ويبلغ عدد تجار الكتب فى القاهرة — كما أخبرت — ثمانية فقط[1] . إلا أن حوانيتهم غير مجهزة تجهيزاً حسناً . ويدور الكتبى كلما عثر على كتاب نفيس على حرفائه وهو يكاد يثق بالحصول على مشتر . وقلما تخاط أوراق الكتاب معاً وإنما يدرج الكتاب عادة فى غطاء مجلد ، وكثيراً ما يكون له غلاف[2] خارجى من الورق المقوى والجلد

وتتكون (الكراسة) من خمس ورقات مزدوجة كل منها فى الأخرى ، وترتب الأوراق ملازم صغيرة دون أن تخاط فيستطيع أكثر من قارئ استعمال الكتاب معاً ، فيتناول كل كراساً ، وتوضع الكتب مسطوحة الواحد فوق الآخر ، ويكتب عنوان الكتاب على واجهة الغلاف الخارجى أو طرف الأوراق ، وورق الكتب غليظ لامع ، ويستورد غالباً من البندقية ويلمّع فى مصر . والحبر كثيف لزج ، ويستعمل القلم للكتابة وهو أكثر ملاءمة للخط العربى . وعندما يكتب العربى يضع الورق فوق ركبته أو على راحته اليسرى ، أو على (مسندة) تتكون من بعض أوراق قد يزيد عددها عن دستجة وتشد معاً عند الأطراف الأربعة فتكون كالكتاب الرقيق ، ويجعل الكاتب الحبر والأقلام فى (الدواية) المذكورة فى الفصل الأول من هذا الكتاب، ويوضع معهما المقشط والمقطّة : وهى آلة من العاج يوضع عليها القلم ليقط . ويسطر الكاتب الورق بالسطرة : وهى قطعة من الورق المقوى يشد عليه بعرض الورق خيوط ملصقة بالغراء ، فيجعل المسطرة تحت الورقة ويضغط على كل خيط بخفة ، وتتضمن عدة الكاتب مقصاً لقطع الورق ، إذ لا يليق أن يكون أطراف الورق ممزقة . ويعيش الكثيرون فى القاهرة على نسخ المخطوطات ويبلغ أجر نسخ الكراسة وهي عشرون صفحة فى كل صفحة خمسة وعشرون سطراً بالخط العادى ، ثلاثة قروش ، ويزيد المبلغ إذا حسّن الخط ويتضاعف إذا شكل الكلام



(شكل ٥٢) كتب وأدوات الكتابة

وهى تتكون من القلم والمقطة والمقشط والدواية والمسطرة والمسندة (وقد وضعت عليها الآلات الخمس المذكورة سابقاً) والمقص وقد وضع وغمده فوق الكتاب الأعلى

ويتلقى الذين يعدون أنفسهم لوظيفة دينية أو علمية دروسهم فى الأزهر ، ويتعلمون قبل ذلك القراءة والكتابة وتلاوة القرآن أحياناً . والأزهر[1] ـ جامعة الشرق عامة ـ بنيان واسع الأرجاء ، يحيط بفناء مربع فسيح . ويوجد على أحد جوانب الفناء من جهة القبلة مكان الصلاة الرئيسى : وهو رواق فسيح ، وعلى كل جانب من الجوانب الثلاثة الأخرى أروقة صغيرة مقسمة إلى عدة أقسام يخصص الواحد منها لطلبة بلد معين أو مديرية خاصة من مديريات مصر . ويقع الأزهر فى قلب القاهرة ، وعمارته لا تستحق الاعتبار ، وإحاطته بالمنازل تخفى خارجه إلا قليلاً . ويسمى من يتلقى العلم في الأزهر « مجاورا » ، ولكل رواق مكتبة

---

(١) وهم مصريون ، ويوجد أيضاً بعض الأتراك

(٢) « ظرف »

(١) ولا يسمى الأزهر « جامعة » بالمعنى الدقيق ، إلا أن المسلمين يعتبرونه كذلك . وقد ترجم السياح الأوربيون اسم الأزهر بجامع الأزهار بدلا من جامع الأزهر الذى هو الاسم الصحيح ومعناه الجامع النير . وهذا الجامع هو الأول من نوعه بالنسبة لجوامع القاهرة القديمة من حيث عهد إنشائه وسعته . وظاهر الأمر أن ما تقدم فى هذه الحاشية (وكانت مدرجة فى الطبعة الأولى من هذا الكتاب لم يلتفت إليه البارون هامر برجستال ، إذ أنه كتب ملاحظاً (فى Vienna Jahrbücher der Literatur ٨١ ص ٧١) أنه كان يجب أن أكتب بدلا من «أزهر» كلمة «إزهر» إذ أن الأولى كما يقول تعنى « أزهار » ، واسم هذا الجامع ينطقه غالب المصريين والعرب على العموم كما كتبته « أزهر » ، ثم أن جمع الزهرة « أزهار » ، إلا أن الترك ينطقون الكلمة السابقة « إزهر »

لاستعمال الطلبة ، ويتعلم الطلبة من الدروس التى يلقيها المدرسون ومن محتويات الكتب الموجودة بمكاتب الأروقة

ويتكون برنامج الدراسة من علوم الصرف والنحو والمعانى والبيان والعروض والمنطق والتوحيد والتفسير والحديث والفقه والحساب فى حدود المسائل الشرعية . وهناك دروس فى الجبر والمقابلة والميقات . ويجلس الشيخ على الأرض عند أسفل عمود من الأعمدة ، ويتحلق حوله الطلبة . ويقرأ طلبة المذاهب المختلفة كتباً مختلفة . وأغلب الطلبة قاهريون ، وهم لذلك شافعيون ، وشيخ الأزهر شافعى دائماً . ولا يدفع الطلبة للدراسة فى الأزهر أجراً إذ أن أغلبهم فقراء . ويتناول أغلب الأجانب الذين لهم أروقة خاصة راتباً من الطعام يومياً يصرف لهم من إيراد العقارات الموقوفة عليهم . والعادة أن يتناول طلبة القاهرة وما جاورها مثل هذا الراتب إلا أنهم لا يتمتعون بذلك طويلاً ، خلا شهر رمضان ، لأن « محمد على » استولى على جميع الأراضى الزراعية الموقوفة على المساجد ففقد الأزهر أكبر جزء مما وقف عليه . ولا تنفق الحكومة شيئاً غير مصاريف الصيانة اللازمة وأجور المستخدمين الرئيسيين . ولا يتناول المدرسون أجراً . وليس لهم وسيلة منظمة لكسب معيشتهم غير التدريس فى المنازل ونسخ الكتب الخ ... إلا إذا ورثوا ملكاً أو كان لهم أقارب يعولونهم . وقد يتناول المدرس هدية من الأغنياء . ويستطيع أى طالب كفء أن يصبح مدرساً بإجازة شيخ الجامع . ويتبع الطلبة غالباً طريقة المدرسين لكسب معاشهم ، أو يتلون القرآن فى المنازل أو على القبور أو فى مكان آخر . وعند ما يتقدم الطلبة فى دروسهم التقدم الكافى يدخل بعضهم فى القضاء أو الأفتاء أو إمامة المساجد أو التدريس فى قراهم أو مدنهم أو فى القاهرة . ويحترف البعض الآخر التجارة . وقد يستمر بعضهم طول حياته يتاقى العلم مبتغياً الوصول إلى مصاف كبار العلماء . وقد نقص عدد هؤلاء الطلبة الذين لا رواق لهم كثيراً منذ الاستيلاء على الأراضى الموقوفة على الأزهر . ويبلغ عدد طلبة الأزهر ما خلا العميان حوالي ألف وخمسمائة[1] كما أخبرنى أحد المدرسين .

(يتبع)

عدلي طاهر نور

(١) ويقول الكثيرون إن عددهم لا يقل عن ثلاثة آلاف ، ويقول الآخرون إنه لا يزيد على الألف . ويختلف الطلبة كثيراً باختلاف العصور

فوق الحيـــاة

إنِّي احترقتُ ولم تدعْ أشلائى   نيرانُ تلك الحسرةِ الهوجاء
قد أوغلتْ بى نزعةٌ مدفوعةٌ   نحوَ الكمالِ تمدُّ فى بُرَحائى
إذ أنَّ ما يَسبى قلوبَ الناسِ لا   ألقاهُ حتى فى ذيولِ سمائى
أقبلتُ ملءَ دمى على الدنيا وفى   قلبى حياةٌ جمَّةُ الأهواء
وطرحتُ أعوامى عليها شادياً   متنقلاً فى الزرعِ والصحراء
ونزعتُ عنى كلَّ معنًى كاذبٍ   ونشدتُ وجهَ النورِ فى الظلماء
وتأمَّلتْ روحى أساريرَ الدجى   وتغلغلتْ فى ذاتِهِ السوداء
وإذا الرياحُ تقولُ لى فى نصحها: قفْ أيها السارى إلى التيهاء!
مَن لم تشقَّه الأرضُ وهو مكبَّلٌ
نبذتْه عنها عبرةَ الأحياء!
تلك السدودُ أقامها فوقَ الثرى   ربُّ الوجودِ وضاربُ الجوزاء
قلتُ اهدئى يا ريحُ ما أنا مسرفٌ   متطلِّبٌ فى الصخرِ دفقةَ ماء!
وطفقتُ أخبطُ فى الظلامِ منقِّباً   عمَّا وراءَ الليلِ من أشياء
حتى بدا لى خلفَ أحجارِ الدجى
نهرٌ يعجُّ بأعذبِ الأضواء
ونهلتُ منه فاكتملتُ كأننى   أصبحتُ أسمى من بنى حوَّاء
وتألقتْ من حولِه لى جنةٌ   علويةٌ مطلولةُ الأرجاء
هى عالمُ المُثُلِ الرفيعةِ صاغها   «فوقَ الحياةِ» تدفُّقُ الإيحاء
أظلالُها فوقَ الزروعِ مديدةٌ   ونسيمُها متعطِّرُ الأحناء
وطيورُها ذهبيةٌ مسحورةٌ   تشدو فيهتزُّ الفضاءُ إزائى
وأخذتُ أرشدُ مَن أحبُّ إلى السنى
ومسابِهِ، والنهلةِ البيضاء
والحقِّ والخيرِ الذى يمشى على   ربواتِ تلك الجنةِ العذراء
لكنهم ضجَّتْ بهم أرواحُهم   ظمأى إلى الأوحالِ والأنواء
عادوا وفى ألبابِهم لى لعنةٌ   مكنونةٌ كالسمِّ فى الرقطاء
قالوا لقد عشنا على الدنيا كما   شئنا وشاءتْ ربقةُ الأحياء
مستعذبينَ قيودَنا لا تنجلى   عنَّا عمايةُ هذهِ الظلماء
تلك الحواجزُ لا نحبُّ عبورَها   نحوَ الذى نخشاهُ من أجواء
يا أيها المجنونُ! إنك شاعرٌ   يقتاتُ من أوهامِهِ الحسناء
إذهبْ فلا كانتْ لك الدنيا وعشْ
فى برجِك المملوءِ بالخيلاء!
لكننى ناديتُ من عليائى   مستعصماً بالذروةِ القعساء:
البرقُ يكسبنى التماعاً إننى   أفقٌ فضجُّوا فى رحابِ فضائى!
والنارُ تمنحنى حياةً إننى   ذهبٌ فبثُّوا النارَ فى أحشائى!

عبد الرحمن الخميسى

غـــيران . . .

إذا الفجرُ لاحَ وحيَّا العذارى   وحيَّيتِه بابتسامٍ رقيق
تلفَّتَ قلبى له واستطارا   كأنَّ به سكرةً لا يُفيق
يغارُ عليكِ إذا الفجرُ لاح
وإنْ جئتِ فى خفَّةٍ تخطرينْ   ومالتْ عليكِ غصونُ الطريق
فما أشفقَ الغصنُ بالعاشقين   ولكنْ بقلبى زفيرُ الحريق
يغارُ عليكِ إذا الغصنُ مال
وإنْ رقَّ بين يديكِ النسيم   يسايرُ ظلَّكِ مثلَ الرفيق
فلا كانَ هذا النسيمُ الكريم   ألم يدرِ أنَّ فؤادى عشيق
يغارُ عليكِ إذا الظلُّ سار
وإن نطقوا باسمكِ الطاهرِ   وخفَّ له كلُّ سمعٍ طليق
ترامى صداهُ إلى خاطرى   ولكنَّ قلبَ المحبِّ المشوق
يغارُ عليكِ إذا الاسمُ ذاع
وإن ضمَّكِ البحرُ يا فاتنه   وداعبَ منكِ القوامَ الرشيق
فيا حُسنَ أمواجِهِ الساكنه   وقلبى الذى هو بحرٌ عميق
يغارُ عليكِ إذا البحرُ ماج
وإن رقصَ الليلُ فى راحتيكِ   وأهديتِه بسمةً من رحيق
فما قد حُرِمتُ سنى ناظريكِ   وقلبى الذى فى دجاهُ غريق
يغارُ عليكِ إذا الليلُ جاء

محمد محمود زيتونه



التعاوده الثقافي بين مصر والعراق

أقامت المفوضية العراقية بالقاهرة حفلة شاي دعت إليها جمهوراً كبيراً من رجال التربية والتعليم بمناسبة انتهاء « مؤتمر تدريس العلوم » ، وقد اشتركت فيه الحكومة العراقية بإيفاد اثنين من رجالها الفضلاء : هما الدكتور الجمالي والدكتور عقراوي . أما الحكومة السورية ، فقد اعتذرت بخطاب كريم نصت فيه على أن ضيق الوقت حال بينها وبين ما تريد من الاشتراك ، وتمنت أن يديم الله على رجال العلم في مصر نعمة التوفيق

وفي الحفلة دار الحديث حول نشاط أعضاء المؤتمر فقلت : إن الذي شرح صدري هو أن أرى وزير العراق المفوض يحضر جميع الجلسات وعلى صدره شارة المؤتمر ؛ فقال الدكتور عقراوي : هذا اقتداء بالتقليد الذي سنّه صاحب السمو الأمير عبد الإله الوصيّ على عرش العراق ، فهو يحضر بنفسه جميع المحاضرات التي تُلقى في بغداد باسم التعاون الثقافي بين مصر والعراق وفي معيته جمهور من الوزراء والنواب والأعيان ، وتلك التفاتة نبيلة تبين لك عظمة ذلك الأمير الجليل

وانتهزت الفرصة فسألت الدكتور عقراوي عن شعوره نحو المؤتمر فقال : دلني هذا المؤتمر على نواحي جديدة من النهضة المصرية ، فأنا الآن أومن بأن لرجال التعليم في مصر آراء لا تقلّ وجاهةً عن آراء رجال التعليم في الأقطار الأوربية والأمريكية

والحق أن الصلات العلمية والأدبية بين مصر والعراق قويت جدًّا بفضل تعاون الأمتين ، وبفضل الأساتذة الذين أسسوا ذلك التعاون من أمثال : السنهوري والزيات وعزام ؛ ولم يبق إلا أن نفهم أن تلك الجاذبية الروحية تحتاج إلى أسندة من الصدق والإخلاص في كل يوم ، لتصل إلى كمالها المنشود

وفي هذا المقام أذكر أن سعادة الدكتور فاضل الجمالي حدثني أن معالي السيد تحسين علي ، وزير المعارف العراقية ، أوصاه بأن يصحبني معه إلى بغداد ، وقد أجبت بأن الشوق سيحملني إلى بغداد على غير ميعاد ، ولكن الذي يهمني هو أن يوجد مصريون بعواطف عراقية ، وعراقيون بعواطف مصرية ؛ وعند ذلك ابتسم سعادة الأستاذ شفيق بك غربال وقال : أنت هنا والجمالي هناك !

زكي مبارك

أولية سوق عكاظ

ذكر الأستاذ « علي محمد حسن » في الرسالة الغراء (العدد ٤٥١) تصحيحاً لما في دائرة معارف وجدي إذ جعلت افتتاح عكاظ سنة ٥٤٠ م ، قال في خاتمته : « وبعد ، فجمهرة الكتب على أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل ، وعلى أن عكاظ قامت بعد الفيل بخمس عشرة سنة فتكون قد أقيمت في سنة ٥٨٥ » .

والواقع أن جمهرة الكتب ذهبت إلى هذا ، إلا أنه لا يثبت على التحقيق ، بل إن سوق عكاظ ليرتفع تاريخها إلى ما قبل سنة ٥٠٠ ميلادية لهذه الأسباب :

١ — أجمعت كتب السير على أن رسول الله حضر حرب الفجار بنفسه ويحدد بعضها سنة إذ ذاك مستنداً على الحديث : « كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة » وحرب الفجار كانت في عكاظ إبان الموسم ، وذلك بعد عام الفيل بأربع عشرة سنة ، فكيف يقولون إن عكاظ أقيمت بعد الفيل بخمس عشرة (أنظر أسواق العرب ص ١٤٦ فما بعد) .

٢ — تزوج عبد شمس بن عبد مناف امرأة بعد أن طلقها زوجها لبيعها السمن وراحلتين بخمر شربتها في عكاظ . وهذا الحادث قبل عام الفيل بعقود السنين (أسواق العرب ص ٢٩٠)

٣ — قالوا إن عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة عاش حول سنة (٥٠٠م) ، وعمرو أنشد معلقته في عكاظ بالموسم ، فلا شك إذن في أن السوق كانت قبل هذا التاريخ بسنوات .

بما تقدم لأسباب أخرى لنا أن السوق أقيمت قبل التواريخ التي يذكرونها بأزمان وهي على أقل تقدير كانت قبل القرن السادس الميلادي ، ومن أراد زيادة في التحقيق فليرجع إلى كتابنا (أسواق العرب في الجاهلية والإسلام[1] ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ١٤٦ فما بعد

سعيد الأفغاني

(١) دمشق : المطبعة الهاشمية سنة ١٩٣٧ م

« أبو العلاء » و « إخوان الصفاء »

نقل الأستاذ عمر الدسوقى فى العدد (٢٤٦) من هذه المجلة الرفيعة قول الدكتور طه حسين بك أن « أبا العلاء المعرى » قد اجتمع بإخوان الصفاء إبّان إقامته فى بغداد ؛ وقد استدلّ الأستاذ الدكتور على ذلك بالبيتين الآتيين :

كم بلدة فارقتها ومعاشر يذرون من أسف علىّ دموعا
وإذا أضاعتني الخطوب فلن أرى لوداد « إخوان الصفاء » مضيعا

لورود « إخوان الصفاء » فيهما .

وقد كتب الأستاذ سليم الجندى عضو المجمع العلمى العربى بدمشق مقالاً فى مجلة المجمع المذكور : (العدد الثامن ، المجلد السادس عشر ، ٩٤١) بيّن فيه التناقض الذى وقع فيه الدكتور فيما ذهب إليه ، ونفى أن يكون أبو العلاء قد اجتمع بإخوان الصفاء مستدلاً بأمرين :

الأول : أن وقوع كلمة « إخوان الصفاء » فى هذين البيتين لا يدل دلالة واضحة على اجتماع أبى العلاء بهم ، فقد وردت فى شعر كثير من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والعباسيين : كالخنساء وأبى حبال البرّاء بن ربعى الفقعسى ، ويسار بن اسماعيل ، وعبد السلام بن رغبان ، وابن الرومى ، وصريع الغوانى ، وابن المقفع (فى كليلة ودمنة ، باب الحمامة المطوّقة) ؛ وبدهى أن هؤلاء جميعاً لم يقصدوا بإخوان الصفاء (الجمعية المعروفة) ، وإنما أرادوا إخوان المودّة الصافية الخالصة

والأمر الثانى :- أن معرفة سبب قول هذين البيتين تنفى ما ذهب إليه الدكتور ؛ فقد روى ياقوت فى معجم الأدباء (ج ١ ص ١٧٥) عن أبى الوليد الدربندى قال : أنشدنى أبو العلاء التنوخى فى داره عند وداعى إياه (وذكر الأبيات ...)

هذا ، وفى المقال أشياء أخر ذات شأن يحسن الرجوع إليها

« دمشق » صلاح الدين المنجد

فى الكتب لا فى الصدور

نعم كل شىء فى الكتب ؛ ومن يغص فى أعماق تلك البحار يجد المعجب العجاب ، ويعثر بالفريد المستطاب . وإن تراثنا العربى لا يمكن أن نهضمه فى أعوام ولا قرون ، ولا نسينه بكلمة أو مقال : إنه تراث غنى ولكنه مدفون

وما كان الأستاذ الجليل « شلتوت » وهو يتحدث عن « شخصيات الرسول » يجهل أن الذى تحدث به مدفون فى بطون الحواشى والمتون ، وما كان يجهل أن العلماء أقاموا من أجله العراك والخصام . كان يعلم ذلك ، ويعلم أيضاً أن الناس معنيون بالظاهر واقفون عند القريب ، قانعون بالميسور ، فأراد أن يضع أيديهم على الداء والدواء ، ويلفت أعينهم إلى ما خلف الستار والحجاب

وكيف يجهل الأستاذ ذلك وهو أحد مؤلفى كتاب « مقارنة المذاهب » ، وهو بحث طريف ، وإن كنت أعتب عليه أن يحصر مثل هذا النوع من التفكير بين جدران الكليات ، ولا يذاع ليعرف الناس ، وليقول المنصفون !

ولقد قال الأستاذ شلتوت فى حديث لى معه : إن صح أن ديننا الحنيف يحتاج إلى شىء فهو حسن العرض والإعلان لتلفت إليه أنظار المفتونين بزخرف الأوربيين، فيروا ما فيه من خبايا ودفائن، وميزات وحسنات . ثم قال : أتريد من الناس أن يلتمسوا الدين من حواشى ابن عابدين ، وحواشى القليوبى والأسنوى والمحلى ؟ الخ

وقد يكون هذا هو الحافز لأستاذنا الجليل إلى أن يلفت لهذه الناحية الأنظار ، وخاصة أنظار الذين عموا وضلوا وحسبوا ديننا الكريم عصبية عمياء ، فذهبوا ينالون أحرار الفكر بالإيذاء

العبد جمعة

إجبت

قرأت فى جريدة الأهرام كلمة للأستاذ محمد حسنى عبد الله تحت عنوان : « لفظة «إيجبت» ولمَ سميت بها مصر » ذكر فيها أسطورة يونانية ، ثم طلب ممن يعلم شيئاً فى هذا الموضوع أن يذكره . وإلى القارىء خلاصة ما وقفت عليه فى مطالعاتى :

أطلق اليونان لفظة أجيبتوس Aigyptos على مصر ولا نعرف تماماً تاريخ هذه التسمية ، إلا أن مصر لم تكن تسمى دائماً أجيبتوس وإنما عرفت قديماً بأسماء مختلفة أهمها : كيمى Kemi أو كاميت Kamit أو خمى Khmi بمعنى الأرض السوداء أى الخصبة ؛ ومن هذا الاسم اشتقت لفظة كيمياء ؛ وذلك هو الاسم الشائع .

وسميت أيضاً نحى بفتح النون أو ضمها Nohi و Nahi أى بلد الجميز ؛ وتوميرا To-mera أى الأرض المغمورة ، لفيضان النيل عليها . وأطلق عليها الساميون : عبرانيون وفينيقيون وعرب ، لفظة مصر ، ولعل أصل هذه التسمية جاء من أن معنى مصر فى لغاتهم : البلد العظيم . أما كلمة إجيبتوس فلا تزال تدل عليه أصلها موضع التخمين والاستنتاج ، ولم يستطع أحد أن يقطع فيه برأى . وقد رأيت هذه الكلمة فى الأوديسة تشير تارة إلى



المصابيح السبعة

قصة من القصص الشعبي لسكان جزيرة بورنيو

مترجمة عن الانجليزية

عند ما كبر والد الأبناء السبعة وطالت لحيته البيضاء بطول عمره ، دعا إليه ثمار بذوره وتحدث إليهم فى صوت خافت قال :

« أبنائى ! إننى أقف هنا فى مكان مظلم وتقفون أنتم حولى ولكن انظروا : ها هى أمامكم سبعة مصابيح عددها كعددكم ، فليتخير كل منكم مصباحاً يستضىء به ويتبع نوره ، ولا يأخذنكم الإعجاب بشدة ضوئها الحالى ، فإنى أنصحكم ألا تتخيروا ما قد يبدو لكم الآن أنه أحسن المصابيح وأسطعها ضوءاً . أنظروا إليها نظرة فاحصة ثم تخيروا ما شئتم ، وإنى لكم لنذير بأن اختياركم هذا اختيار نهائى لا رجعة فيه . فتبينوا الأمر قبل أن تقدموا ، فإذا أقدمتم وتخيرتم ما استقر عليه رأيكم فلا تتحولوا عنه وأصروا على الاستضاءة به إصراراً ، إذ الأفضل أن يؤمن المرء إيماناً تاماً برأى ما ويتبعه فى إخلاص وأمانة ، وفى ثبات وإصرار — ولو كان هذا الرأى خطأ فى جوهره — أقول إن هذا أفضل من أن يتبع المرء فى تردد وضعف رأياً يؤمن فى قرارة نفسه ببطلانه ، ولو كان هذا الرأى فى جوهره هو الحق والصواب »

فتقدم عندئذ الابن الأكبر ومد يده نحو المصباح الأحمر واستولى عليه ، ثم تمنطق بسيفه ودرعه وبدا على وجهه أمارات الجشع والطمع ؛ ثم صاح صيحة الوداع وانقلب على وجهه مسرعاً ليقضى حياته كلها فى السلب والنهب والإجرام .

ورأى الوالد سوء طالع ابنه وفساد رأيه ، ولكنه لزم الصمت،

مصر والمصريين ، وتارة أخرى إلى نهر مصر أى النيل ؛ وقد أطلق فيما بعد على هذا النهر اسم نيلوس وأصله مجهول أيضاً

وهناك رأى يقول إن لفظة إجيبتوس أصلها مصرى . ويحاول هذا الرأى أن يرجع هذه التسمية إلى « هاكابتاح Ha-ka-Ptah » أو « ها كوبتاح Ha ka Ptah » وهو الاسم المقدس لمدينة منف Memphis فى عهد مينا Mena ، ومعناه « مكان عبادة بتاح » إذ كان بتاح يعبد فى هذه المدينة

وأذكر أنى قرأت فى كتاب أو مقالة أن ها كابتاج ورد فى نص من النصوص القديمة بمعنى مصر ، لا مدينة منف ، وأن هذه الكلمة نقلها الفينيقيون إلى اليونان فجعلوا منها إيجيبتوس . ولو صح ذلك لكان مؤيداً للرأى السابق .

وهناك رأى للدكتور أبات باشا Abbate Pacha ورد فى كتابه Aegyptiaca مصريات : فى فصل أفرده لكلمة إيجيبت تحت عنوان: Onomatopée d'Egypte يخالف فيه الرأى السابق ويرجعه إلى العالم بروكش Brugsch إذ يرى أن اليونان انتشروا فى مصر فى وقت قريب فتر فيه نفوذ مدينة منف العاصمة وعبادة بتاح المعبود ، وقوى سلطان مدينة طيبة Thébes . وقد شاركت مدينة قفط Coptos مدينة طيبة فى علو الشأن وذيوع الصيت لوقعها على طريق البحر الأحمر ومحاجر Rohannou . وقد لعبت هذه المدينة دوراً كبيراً ، وأصبحت مركز التجارة بين مصر وبلاد العرب والهند . ولا بد أن اليونان الذين جذبتهم روح التجارة إلى (كيمى) أولاً انتشروا فى منطقة قفط وجعلوا من اسمها اسما عامة لمصر فقالوا إجيبتوس أى بلد كبتوس . ويحتمل أن يكون أصل القبط من ذلك . وهكذا حلت إجيبتوس فيما بعد محل كيمى التى اقتصر على نقشها فى الآثار

وكثيراً ما أشارت النصوص القديمة إلى الصعيد باسم Koptos . وقد ذكر العالم لبسيوس Lepsius عند الكلام على مصادر الذهب : ذهب الحبشة Nub en Kuch وذهب بلد كبتوس Nub en to Kopt (وقد يكون أصل تسمية بلاد النوبة بوجود الذهب بها فكلمة nub تعنى الذهب) . كما أنه ورد فى حجر رشيد كلمتا Kemi و Aigyptos الواحدة ترجمة للأخرى

وإذن تكون To kept : أرض قفط، Aigyptos ؛ وقد يكون اليونان قد وضعوا مكان To الفرعونية، الموصول الحرف اليونانى Ai الذى يدخل على الكلمة لتوضيحها أو للدلالة على صدارة الشىء

محمد طاهر نور

وأدار وجهه نحو الباقين من أبنائه يرقب ما استقر عليه رأى ابنه الثانى، وكان ضعيف الجسم قوى العقل، فتقدم ببطء وتردد وأخذ يعمل فكره فى تؤدة شأن الحكماء من بنى الإنسان، ثم تزنح قليلاً ومد يده نحو المصباح الأزرق وقبض عليه . فاغتبط الأب لهذا الاختيار أيما غبطة وقال :

« إذهب إنك لمن البرزين، وإنك سوف تظهر على الناس أجمعين » !

وكان المصباح الأزرق — مصباح الحق — يتلألأ أثناء ذلك

وتقدم الابن الثالث : وكان جميل الوجه حسن السمات . . . فأعجبت به النساء وشغفن به حباً ، فتخير المصباح الأخضر ذا اللهب الخافق الحائر وأخذه بين يديه ، ثم انصرف . فلما خرج من الباب ، لمح والده « صاندال » تجرى فى إثره وكانت هذه المرأة مضغة فى الأفواه لقبح سيرتها وفساد أخلاقها، فطأطأ الشيخ رأسه وقال: إن الرجل الذى يجعل النساء الجميلات قبيلته وغاية سعيه ، فيخضع لهن ويرضى أهواءهن ، لهو رجل خاسر، إذ لا يتيسر له أن يتجه وجهة أخرى أو يعمل عملاً آخر

ولم يكد يختفى هذا الابن الذى جعل النساء شغله الشاغل فى هذه الحياة حتى سمع الجمع صوت النقود ورنين الذهب ، إذ تقدم الابن الخامس وعلى وجهه تعلو سمة المرابى ، فاختطف المصباح الأصفر وولى مسرعاً

وجاء الابن الخامس خائفاً يترقب ، يلتفت يمنة ويسرة ، ويقدم رجلاً ويؤخر أخرى، أصفر الوجه، مرتجف اليد ... ونظر إلى المصابيح الباقية ، فتخير المصباح الرمادى — مصباح الخوف والجزع — فقبض عليه بيده الخائرة ، وتولى من مجلس أبيه وهو يرتجف فرقاً ...

وتبعه الابن السادس : وكان مدللاً ملحوظاً من يوم ولادته بعناية والديه ، فشب أنانياً محباً لذاته ، فلم يتردد ولم يتمهل ، بل اندفع نحو المصباح الأحمر — مصباح الأثرة ذى الضوء القاتم الخائر وقبض عليه ...

وأخيراً ... وقف الابن الأصغر فى تواضع وخشوع بين يدى والده ، ثم ركع على ركبتيه وأخذ المصباح الأبيض ـ مصباح الإيمان بالله ـ وقال : يا أبت ... لسوف أتبع هذا النور على الدوام فى كل مكان وكل زمان ، فى السراء والضراء ...

ومرت الأعوام ... فضمر جسم الوالد ، وانحنى ظهره ، وطال شعره ... ولكن ظلت عيناه الحادتان ترقبان ـ على الدوام ـ عودة أبنائه السبعة ...

وقرع الباب يوماً ، فلما فتحه الوالد الشيخ وجد أمامه الابن الثالث الذى تخير المصباح الأخضر فقال له : « أبى لقد تبين لى أن النساء مخادعات غادرات . ولقد احترق زيت مصباحى عن آخره . وهأنذا شريد بائس ، ولقد قابلت أخى الذى شغف بجمع المال فطلبت مساعدته ، ولكنه أبى على ذلك »

ثم عاد بعد ذلك الابن الرابع صاحب المصباح الأصفر ، فإذا بمصباحه قد خبا ضوؤه وهو ما يزال يسعى وراء المال وجمعه ؟ وكان هذا هو كل ما حصل عليه . فقال : « يا أبى ، إننى رجعت إلى دارنا لأموت » ثم سقط على الأرض وفارق الحياة

وعاد الابن الخامس ذو المصباح الأحمر وكان سلطان شهواته ورغباته وأثرته لم يبق له خليلاً ولا صديقاً ، ولم يجلب له سلاماً أو طمأنينة فرجع إلى أبيه بائساً مسكيناً

وعاد بعد ذلك الابن الخامس ذو المصباح الأخضر فإذا به قد قضى حياته كلها يحيطه الخوف والجزع ، ذلك فإنه لم يؤمن بالله ، ولم يعرف أنه أرحم الراحمين ، فاحترق مصباحه بين يديه ، ونفد زيته ، وأخذه الشك والخوف من كل مكان ، وكان نصيبه الوحدة والهزؤ من الناس أجمعين

وأخيراً رجع الابنان الباقيان معاً يحمل أحدهما المصباح الأخضر — مصباح الحق — ويحمل الآخر المصباح الأبيض — مصباح الإيمان بالله — فقالا للشيخ : « يا أبانا ، لقد هدانا المصباحان سواء السبيل فاسترشدنا بهما وسط العواصف والأنواء، وكلما حزب الأمر واشتد الإغراء وجدناهما خير معوان لنا على مقاومة النفس والشر أينما كان . وها نحن أولاء نعود إليك نشكرك ونحييك ونخلص لك »

ابراهيم عبد الحميد زكى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 455

Lundi - 23 - 3 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٥٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٦ ربيع أول سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٣ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

الربيع في غير مكانه !

للأستاذ عباس محمود العقاد

الربيع . الربيع . الربيع !

وكررها ما شئت ، فما أنت ببالغ من تكرارها بعض ما تراه من اسم الربيع مرقوماً بشتى الحروف ، في كل صفحة من صفحات الكون

كل بستان يقول لك الربيع ، وكل شجرة في بستان تقول لك الربيع ، وكل طائرة غادية أو رائحة بين الزهر والشجر تقول لك الربيع ... !

وتقول لك الربيع كل عين لامعة ، وكل وجنة متوهجة ، وكل قلب خافق ، وكل حياة نامية

الربيع في كل مكان

الربيع في مكانه وفي غير مكانه . ويارب ربيع في غير مكانه يلقاك بمعنيين لا بمعنى واحد ، كما يروعك الحسن غير منتظر ، أشد من روعته إياك وأنت في انتظاره ، وعلى عهدك باختباره في مكانه بين الضفاف والأشجار

وفي غير مكانه أين ؟ أين نلقاه في أوانه ، بعيداً من مكانه ؟ سلني وسل من واعدوه مثلي في مختلف المواعد ، فيا طول ما رأيته حيث لا يراه الناس ! ويا طول ما ذكرته حيث لا يذكره

الناس ! ويا طول ما حييته حيث لا يحييه أحد ، ولا يأنس إليه في المقبرة ، في السجن ، في الصحراء ، في وحشة النفوس التي تستعير الموت من المقبرة والضيق من السجن والظمأ من الصحراء

هنالك الربيع في خير أوانه ؛ وهنالك الربيع في غير مكانه ؛ وهنالك الربيع الذي لا أحب أن أنساه حين يذكر الناس كل ربيع !

* * *

كانت الشجرة باسقة ناضرة ، وكانت العصافير تملأها قبل مطلع الشمس وبعد مغيبها ، ثم لا تزال تغنيها طوال النهار شادية صافرة ، لاهية سادرة ، متلاقية زوجين زوجين أو متعاشرة ، ظاهرة بالفرار أو متظاهرة ، ثم متلاقية في الصبيحة الباكرة ، متلاقية في قيلولة الهاجرة ، متلاقية في الظلمة الساترة

وكانت الشجرة على قبر فتاة

وكان القبر بين مئات القبور

وكنت أراها من حجرة قريبة إلى القبور في كل شيء : في الجيرة ، وفي المرض الذي أقعدني فيها ، وفي الوحشة التي لا يشع خلالها رجاء

وكنا في صحراء الإمام

انظر إلى عصافيرها . عصافير المقبرة على رفات الحسناء

انظر إليها لا ترى فرقاً بينها وبين عصافير روضة على ضفاف نهر في يوم عيد

أتلومها أتحمدها ؟

نعم ، لك أن تلومها كما قلت يومئذ ألومها :

مغرّدةَ الطير بين الحفَر سواء لديك جميع الشجر
أفوق القبور غناء الغرا م ، وطيب المقام وصفو السمر ؟
دعيها لناعبة في الدجى وناعقِ سوء رهيب الخبر
ولوذي بأيكٍ بنيء الهوى إلى ظله ويميل النظر
فذاك بصفوك أولى مقا مٍ ، وأولى بهذا المقام العبر

ولك أن تحمدها كما قلت يومئذ أحمدها :

مغردةَ الطير أنت الأسدُّ وأنت الأجدُّ ، وأنت الأبر
عرفت الحياة لحينها بحيث نما غصنها وازدهر
ولم تعرفي الموت بين القبو ر ، وماذا من الموت تحت الحجر ؟
ولا موت حيث يضوع الشذى ويسري الندى ، وتعيش الذكر
فغنِّي فما الأرض إلا حيا ة تمر وأخرى تلي في الأثر

وكنت أقولها يومئذ ولا أزال أقولها الآن وأنا أعجب لنا حين ننعى على الموت قسوته ، وننسى أن الحياة تواجهه بأقسى من تلك القسوة ، حينما ظفرت ببقاياه

متى حفلت الحياة بالقبور ؟

متى هزئ الموت بالأحياء بعض ما تهزأ بالموت زهرة ضاحكة تنمو من جوف قبر ، وعصفورة عاشقة على مدفن حسناء ، وتغريدة تسمعها من الروضة في يوم مهرجان كما تسمعها من صحراء الإمام في جنازة عزيز ؟

تلك قسوة الحياة . وأقسى ما فيها أنها بحق ، وأنها لا تخجل ولا تداري ولا تخال في الأمر موضعاً لخجل أو مداراة .

* * *

وفي السجن !

والربيع في السجن يعرف أوانه ولا يعرف مكانه

يعرف أوانه فلا يخطئه في ورقة على فرع شجرة ، ولا ينساه في قشاشة منسية على الأرض يلمحها عصفور عابر فيهبط إليها ، ليتخذ منها أثاثاً لمهاد غرامه ، في موسم الغرام

أهذا أوان الربيع ؟

نعم هذا أوانه ، وهذه أنباؤه ، وهذه سيماؤه ! ! !

أو هذا مكان الربيع ؟

لقد كان ذلك بين الأسوار وراء القضبان ، وكل مكان فهو منزل للربيع الطلق غير هذا المكان ، في حراسة سجان !

ولكننا تلقيناه فيه ، وابتسمنا له ، وعرفناه غير متنكر ولا متغير ، ومقتحماً علينا المكان أحب اقتحام .

* * *

ثم في الصحراء

والصحراء والسجن نقيضان ، ولكنهما في غرابة الربيع يلتقيان .

زهرة يفرقها من الزهرة التي بعدها مائة ميل ، وكأنها من الأنس بنضرتها في جمهرة من الرياض والآجام . لا تلتفت إلى وحدتها لأنها في حجر أمها وبين أبيها ، وهل لها من أم غير الحياة ومن أب غير الربيع ؟

ولكننا نحن الذين نراها بأعيننا فنخلق لها الوحشة من نفوسنا ، ونفرق بين مكانها وأوانها ، ولا ضير عليها ولا عليهما من افتراق

* * *

يذكرنا ربيع المقبرة وربيع السجن وربيع الصحراء أن ربيع العام كله في غير مكانه وإن جاء في إبانه

ربيع يقال له موسم الحياة والرجاء، وأنباء الموت فيه أشيع الأنباء !

ربيع يتلاقى فيه محبان هنا ومحبان هناك، ثم يتلاقى فيه مائة ألف من الأعداء ومائة ألف من الأعداء، يتقاذفون الموت في البر والبحر والفضاء !

ربيع يترقبه طلاب الموت ، ويفزع منه طلاب البقاء !

ربيع أقرب منه إلى مكانه كل ربيع في مقبرة ، وكل ربيع في سجن ، وكل ربيع في صحراء

هذا ربيع العام !

السلامة كل ما يُسأل منه، وقد كان بعض سؤله النعمة والغرام

* * *

وكنت أسمعها تغرد ، وأراها تطفر ، وأرثى لها وهي في قفصها ، وأحبها وهي لا تباليه ، كأنها نقلت الحرية من فضاء الله إلى صدرها الصغير بين أفراخها الصغار

تلك عصفورة الكنار عند صديق من محبي الطير في الأقفاص، وإن كنت لا أحبها في غير فضاء الله

بل رأيتها تولد ، ورأيتها تزقو ، ورأيتها تترقى يوماً بعد يوم من الزقاء في طلب الحَب ، إلى التغريد في طلب الحُب ، إلى التغريد في الغبطة بالبنين

ثم نماها إليّ الصديق ذات صباح ، فكان لنعيها تعقيب طال بيننا كما يطول التعقيب في هذه الأيام على أنباء الغزوات

فليعجب من هذا من يستبعد الفارق بين النبأين ، كما يستبعد الفارق بين عصفورة واحدة ومائة ألف إنسان

إن كان هذا هو المقياس فالفارق جد بعيد ، بل هو فارق لا يجوز القياس فيه

لكن المقياس غير هذا وأصدق وأكرم من هذا

المقياس بين موت فيه معناه ، وموت آخر فيه معناه ؛ وقد يتقابل المعنيان في كفتي ميزان ، إذا تجاوزت من مات وما مات وانتهيت إلى ما في الموت من سر واعتبار

في مستهل الربيع ماتت عصفورة الكنار التي نقلت إلينا قبساً من الربيع في زمهرير الشتاء

ماتت وهي في أول أمومة لها تستقبل ربيعها الثاني بخمسة من الأفراخ الضعاف

وماتت شهيدة هؤلاء الضعاف الظالمين ، لأنها جاعت لتطعمهم والحب عندها كثير ، ونسيت أن تأكل لنفسها لتذكر تلك الأفواه المفتوحة كأنها فتحت لتأكل كل شيء ... وماتت لأنها تعطي الحياة ولا تأخذ منها بعض ما تعطيه

ماتت شهيدة الفداء ، وماتت ووراءها تصير حكيم أحكمته العناية في مئات الألوف من السنين

وعند ما تموت عصفورة فيترجم لنا موتها ذلك التدبير ، ويقدر لنا ذلك التقدير ، لا عجب أن يقترن موتها بموت الجحافل وأنباء المحافل ، وهو في قوانين الوجود كفاء ذلك القانون

لا عجب أن نحسب على ربيع العام هذه الشهيدة وأولئك الشهداء ، فكلهم في سر الخليقة سواء

عباس محمود العقاد

صلوات فكر
فى محاريب الطبيعة
للأستاذ عبد المنعم خلاف

[كتب كثير من هذه الخواطر فى «الرستمية» بالعراق العزيز ، فهى مهداة إليه]

وما رأيت أرضاً يعنف فيها الشعور بالحياة كالعراق !

فهناك طلاسم مخبوءة فى التراب والأعشاب للسحر وتفتح القلب للحياة والحب ...

وهناك تاريخ البشرية الأولى يحرك فى نفس الحى الحس بالزمان ...

وهناك سحر هاروت وماروت لا يزال يجدد شباب قلب القارة العجوز : آسيا ...

حيث يفيض الماء دم الحياة غزيراً مدراراً ..

وحيث يفور النفط نهر اللهب غزيراً مدراراً ...

فينبت من بينهما إنسان ذو جذوة بيضاء وأخرى حمراء ! فى جماجم عاتية عمرت الحياة بالنسك والفتك فى حياة الهدى وحياة الضلال ...

وهناك ملتقى السكيد وحرب الأجناس والأجيال فى تلك الأرض السوداء ، على هامش الصحراء الصفراء ، وبين هضبة إيران وجبال كردستان تلتقى الأنواع من إنسانها وحيوانها وحشراتها ... ففيها من كل جنس شاخص أو طلل . . هبت على قلبى فيها ريح الشمال من صحارى القرغيز وسهوب سيبريا ، وريح الجنوب، من خضم تحمل مواعينه الطيوب والأفاويه ، والسحر الأسود من القارة السوداء وجزر الهند ؛ وريح النار من أرض الفرس ؛ وريح الموت من الهند أرض الاستغراق وفناء الأجساد وجنون الأرواح بالأسرار ، وانسلاخ القوى وتجسيم الخيال !

إنها ملمة جبارة من ملمات الطبيعة تطلق أشباحاً ترقص فى الأوهام والظنون ...

فلا عجب إذا وعيت بعد هذا كله من أسرار الحياة ما جعل فكرى دائم الصلاة !

---

١١ – أبجد (*)

أبداً أكرر دروس الطفولة فأتهجى أسماء الأشياء حتى لا أنسى ...

أبداً أحترم الطبيعة البدائية كما يحترم الأطفال كبار القوم ..

أبداً أسير إلى الأمام وعينى إلى الوراء ، حتى لا أضيع طريق العودة إلى أحضان أمى ...

لى ذهن سحرى يَزْوِى لى الأيام الماضية ويحضرها لأعيش فيها فترات ثم يردها إلى مكانها من التاريخ ...

أسير وفى يدى مهدى الذى ولدت فيه ، حتى أصل إلى اللحد الموعود لأراهما معاً يتقابلان ...

أحتفظ دائماً بوجهى أمى وأبى حين رأيتهما لأول مرة بين الشباب والكهولة من عمرهما ... ولن أنسى هاتين الصورتين حتى أرى وجه الموت ... فأقابل بين الثلاثة ؟

ولدت فى غيبوبة ... فهل أموت فى غيبوبة ؟

١٢ – حماية الطفولة

الطفولة هى موضع عناية الله . . . ألا ترونه يضم كل جنين أو صغير ناشئ بحنان ويشق له بيده طريق الحياة !

فواضع يده اليقظة الرفيقة هى البراعم المتفتحة والمناطق النامية تلففها بأقمطة وأربطة ، وترصد حولها حرّاساً من الأشواك والمرارة والمواد قاتلة المكروبات والحشرات

إنها تستكثر من البويضات وجراثيم الحياة وتخرجه بالملايين التى تعجز قوى الإفناء عن إتلافها جميعاً لتسلم الحياة وتدوم الأنواع.

إنها تحب ذلك العالم الجميل البرىء الذى لم يقبح ولم يتدنس ولم تحتله بعدُ قوى الشر .

إنهم يدخلون باسمين للنور والطعام واللعب يسألون عن كل شىء، الشمس لهم والمرعى والليل ، ولهم السعى والعمل والحب فى منطقة الخديعة من قلوب الأمهات والآباء

حُملان وجِراء وأشبال وأفراخ وبراعمُ وأطفال . أولئك هم الأصدقاء السائرون معاً فى وَكْبَةٍ من مواكب الحياة ...

١٣ – الدوام

هل رأيت الدنيا تخلو يوماً من أشيائها ؟

أبداً ترى عصافير متحدة فى الشكل والصوت تطفر على الأشجار والأعالى ...

وأبداً ترى هذه الدار مأهولة بالشمس والقمر والنجوم . . . نجوم السماء ونجوم الأرض ...

الأرض دائماً تقرع بالأقدام ، والصبح دائماً معه صوت الطير ...

(*) أنظر الأعداد ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩

أبداً فيك يا دنيا شباب مُتوَّجون بالطُرة السوداء والغرَّة المشرقة ، والشفاه الباسمة ...

أبداً يلعب الأطفال فى أمكنة اللعب ويتصايحون عرابيدَ مِهاراً فى الملاعب ...

أزور دائماً أمكنة طفولتى فأجدها عامرة بالأطفال الذين احتلوا مكانى أنا ورفاق صباى ...

أترانى أرى دوام هذا الكون المظيم ... هذا الضياء الغامر الفياض ، هذا الليل الرائع الجبار . . . هذه الرياح العاتية الجارفة الزَّخارة ... هذا العُباب الهدَّار الرَّجاف الرَّجْراج ... هذه الصحراء الطامسة الفاغرة . . . هذه الجبال الراسية الشامخة . . . هذه السماء الرحبة البعيدة المدى ... ثم أرى ذاتى إزاء هذه العوالم ضئيلاً ضعيفاً فانياً ثم لا أصرخ فى وجوهها صرخة تدوى بها هبواتُ الرياح ، وتتلقفها الجبال ، وتذهب أصداؤها فى الأعماق والأغوار ... صرخة تتمثل فيها كل معانى إحساسى بفنائى وضعفى وضياعى بينها من غير سند ولا نماصم أعتزُّ به وأطُول وأصولُ ؟ !

لماذا تبقين وأنا أذهب ؟ وتتجددين وأنا أبْلَى ؟ وتبصرين هذا الجمال الدائم وأنا أعمى وأطمس ؟ وتسمعين أصوات هذه الحياة العجيبة وضجيجها وأنا أصَمُّ ؟

لماذا تُتَوَّجين دائماً بلآلىْ الصباح وذهب الضحى ورصائع النجوم ، وتتجملين بأصباغ فاتنة من وَهج الظهيرة وطَفَلِ الأصيل وشفق المساء ، وتتعطرين بأنفاس الأزهار ... وأنا أجرد من حَلْيِي وغُرَّتى وطُرَّتى ، وتَنْصِلُ أصباغى ، وتتفكك أعضائى ، وتحبس روحى عن هذا الوجود ... حتى أنتهى إلى أن أنظر الكون من مِحْجَرىْ جمجمة يسكنها الفراغ والظلام ، وتسكن هى فى أعماق حفرة ضيقة تضحك لظلامها بفكَّيْن مجرودَيْن مقبوحين حتى تمسها يد البلى فتتركها رُفاتاً سحيقاً بعد أن تملَّ الظلام ويملّها ؟ !

لماذا تُمنحين ما أُحرَم وأنت عديمة القلوب والعيون ، وأنا ذو القلب الراقص دائماً على خفق الأدواح وصفق الرياح ، الجائع دائماً إلى الأحاسيس والمعانى المعلنة والباطنة ، وذو العين الرائدة الباحثة عن الحركات والألوان وسمات الوجوه وأشكال الأجسام !

لماذا يا عدالة السموات والأرض ؟ أفى الحق ذلك ؟

كلا ! فليست العدالة هى التى قسمت هذا وقالت به ... وإنما هى العقول السطحية اليائسة القاصرة قالت به ...

ولكن عدالة الأكوان ومنطق القلوب ـ أوعية الحياة ـ هما يقولان ببقاء هذه النفس لهذا الكون ونقلها إلى جمال أكمل وأسمى وأدوم ، وعالم من القدرة والتسلط أكثر هولاً وفناً وأعظم ، وعالم من الانطلاق والتحرر أرحب وأنعم !

والموت الموعد !

١٤ – تهافت الغايات إلا غاية واحدة

وإنى لأهتف حين تهبُّ على قلبى نسماتٌ خفية تثير فيه حساسيته بالدوام والخلود واللانهائية ... ثم أرى أمامى كل غايات الحياة الأرضية متهافتةً أمام العقل لا تقنعُ عشاق الخلود والآملين فيه :

هل لى يا سيد الوجود شىء فى ملكوتك الجميل الخالد يبقى وأحوزه لنفسى بعد فنائى ورحيلى من هنا ؟

أم أنا ذاهب من كل هذا الجمال ومعانى الآمال كتِبنةٍ ذهبت مع الريح ، أو ورقة أحرقت فى موقد ، أو حشرة عمياء صغيرة سحقت تحت قدم ... ؟

وهل يكون نصيبى من ملكوتك هذا الرحب الواسع الغنىّ بمعانى الحياة مكاناً مبهماً فى جوف الظلمات وأطواء العدم وسكون الجمود ، حيث لا إحساس بهذه الحياة ولا بما وراءها ... وحيث لا أمكنة لأشياء إذ لا أشياء إلا تلك الصور المطموسة التى ينقلها الخيال الإنسانى من عالمها هنا إلى هناك ، حين عجز أن يتخيل الفراغ والعماء ؟ !

إننى يا سيدى لا أصدق ، لأن ضميرى قطعة من ضمير الوجود كله ... !

وكيف أصدق أن ما فى عينى من الصور ، وما فى سمعى من النغم ، وما فى قلبى من أحاسيس ، وما فى فكرى من قضايا الكون والفساد وأحلام الكمال ، تذهب هكذا كأن لم تكن !

إنهم أطفال أولئك الذين يقصر خيالهم عن إدراك المدى الحيوى الباقى للانسان وراء هذه الحياة الدنيا، كما يقصر خيال الطفولة عن إدراك عوالم الرجولة وبلوغ الأشُد فى دنيا الأجسام ...

فكل غايات الحياة الأرضية متهافتة فانية أمام العقل ، لا عمر لها إلا خطفات زمنية ، ولا وزن لها تجاه الأبد الكبير ... والهادفون إليها فانون ، إلا إذا دارت حول غاية واحدة : هى الله والبقاء معه ...

عبد المنعم خلاف

بين آدم وحواء

شروق العقل

للدكتور زكي مبارك

أفاق آدم من غفوته عند قدوم حواء ، وكان المنتظر أن يتلقاها بالضم والتقبيل ، ولكنها عاجلته بضربة قاصمة هي تذكيره بشجرة التين ، فنام قلبه بعد صفاء ، وعاد فانطوى على نفسه كما يصنع الأرقم في ليالي الشتاء .

— آدم ، مالي أراك شارد اللب ؟

— من الفرح بقدومك بعد طول الغياب !

— أُنظر ، أُنظر ، ألا ترى أني صرت أنضر من أزهار التفاح ؟

— وأحلى من أثمار التفاح !

— إذاً ما هذا الخمود الذي يغالب قُواك ؟

— ما أنا بغافل عن واجب الترحيب بهذا الجسم الفينان ، الجسم البديع الذي أضلني وهداني ، ولكني تذكرت « صلاة الشكر » وهي صلاة لا تتم بلا اعتكاف ، فإن رأيت أن تتركيني وحدي لحظة أو لحظتين ...

— انتهابُ الجمال هو في ذاته شكران لواهب الجمال

— أبغضُ ما تكون المرأة حين تتفلسف ، فاتركيني لصلاتي ، وإلا مزجت الكوثر بدمك النجيع . إنصرفي ولا ترجعي إلا إن سمعت ندائي

« وخافت حواء عواقب هذه الغضبة فولت هاربة لا تُلوى على شيء وتركت آدم للصلاة ، وهي ترجو أن تكون صلاته أقصر من الأمل في سيادة العدل »

فاذا وقع بعد انصراف حواء ؟

هل صلى آدم ؟ وكيف تصح له صلاة وقلبُه يفور ، وعقلُه يثور ؟

أخذ آدم يفكر فيما انتهى إليه أمره وأمر حواء ، فقد كانا غايةً في الطاعة والخضوع ، فما الذي جدّ حتى أصبحا غايةً في التمرد والعصيان ؟

أيرجع السبب إلى وسوسة إبليس ؟

ولكن إبليس كان يوسوس منذ أزمان ولم يصل إلى شيء ، فكيف وصل بعد اليأس ؟

هنا أدرك آدم أن السر يرجع إلى النموّ الملحوظ في جسده وجسد حواء ، وأيقن أن اضطرام الأجسام يصنع ما تعجز عنه ألوف الأباليس ... وهل تنجح النزوات الخارجية إن لم تصادف قبولاً من الأهواء الداخلية ؟

وزاد في اقتناع آدم بهذه النظرية ما كان يلاحظ على فصائل الطير والحيوان ؛ فقد كان يشاهِد أنها لينة رفيقة في أول عهدها بالوجود ، ثم تغلب عليها القسوة والشراسة حين تصير إلى النضج والاستحصاد !

وإذن ؟ وإذن يكون تطوّر الفاعلية الجسدية مصدر التطور في الفاعلية العقلية !

ثم ؟

ثم يكون في كل تطور جديدٌ إبليس جديد

وعلى هذا يكون لحواء في طغيانها عذرٌ مقبول

وما ذنبُ حواء ؟ ما ذنبُها وقد استحالت إلى دوافع ونوازع وأهواء ؟

نظرتْ مرة إلى نهر الكوثر في لحظة سكون فرأت خيال وجهها الجميل وقد استدار في هالة من السحر والفتون ، فقدّرت أنْ سيكون لها تاريخ ، وعجبتْ من أن يتعامى آدم عن حسنها الفتّان ، كأنها تجهل أن آدم صار ألعوبة في زمامها المخبول

وخلاصةُ ما قرأت في كتاب شيث أن آدم لا يقيم وزناً لنزغات إبليس ، وإنما يرى أن الجسد هو الأصل ، وأن ألفافه مكوّنة من أباليس ، وأن ثمر الشجرة المحرّمة قد يزيده فورةً إلى فورة ، وجوحاً إلى جوح

وهل غاب عن آدم أن ثمرات التين سريعة العطب والفساد ؟

لقد تأملها مرة ومرتين ومرات ، فعرف أنها معرّضة لأخطر الجراثيم ، وأدرك أن سمها قد يورّث ما في الأجسام من السم المكنون فتستشري وتهتاج ![1]

وإذا كان آدم عجز عن رياضة حواء وهي صحيحة ، فكيف يروضها وهي مريضة ؟

(١) تحرير هذه الفكرة أن الانحراف في الطبائع هو الأصل في انحراف الأخلاق

خطرتْ لآدمَ هذه الخواطر وهو يبحث عن السر فى تمرد حواء ... لقد كانت طفلةً وديعة ، فكيف صارت امرأةً خبيثة ؟ تطوُّر الجسد صنع بها ما صنع ، فأمست وهى أخطر من الحية النضناض ، ولن يكون إبليس بأمكر من حواء ، بعد أن تبلغ مبلغ النساء

وكان آدم يعرف أنه يحمل الجانب الأخطر من المسئولية ؛ فهو السبب الأصيل فى تمرّد حواء ، وبفضل شبابه وصياله ذاقت أفاويق الضلال

والذى ينتظر أن تهدأ المرأة وأمام عينيها رجل ، شبيهٌ بالذى ينتظر أن تهدأ النار وقد أُلقِيَتْ أكداس الحلْفاء ... لقد كان آدم يطرد حواء ثم تعود إليه لتأنس بضربه الوجيع ، كما ترجع الفَراشَة إلى أقباس اللهيب

المرأة تدرك ما فى الرجل من المعانى ، ولو كان من الخاملين ، فكيف تصدّ عنه وهو من الأنبياء ؟

كانت حواء سمعت أن الله لم يخلق آدم إلا بعد أن دار بينه وبين الملائكة حوار طريف ، فكيف يفوتها أن تنتفع بشهرته ، وهى تعرف أن الشهرة مغنمٌ عظيمٌ ، وإن اعتمدت على أضاليل وأباطيل ؟

وهل تقوم الشهرة بلا أصل ؟

إن آدم رجل ، والرجولة من أعظم الأرزاق ، فما زهدها فيه وهو من أمثلة العزة والجبروت ؟ وهل تنسى أنه صرعها فوق شط الكوثر ألوف المرات ؟

القوة هى سحر آدم ، والضعف هو سر حواء ، والوجود يقوم على أسس كثيرة ولكنها ترجع إلى أساسين هما القوة والضعف ؛ والعشق العارم لا يقع إلا بين عاشقين مختلفين فى العرض والطول ، والدمامة والجمال ، والقسوة واللين

ومع هذا كان آدم هو البادئ بإعلان شوقه إلى حواء ، وكانت حواء تنكر شوقها إليه . وتفسير ذلك سهل : فأسرع الناس إلى الاعتراف بالحق هم الأقوياء

ويزعم شيث بن عربانوس أن آدم قال وهو يحاور تلك اللعوب :

أما والله لو تجدين وجدى لطِرتِ إلىَّ خالعة العذار(١)

(١) كذلك ورد هذا البيت فى كتاب شيث ، ورواية الأغانى تخالف هذه الرواية فى الكلمة الأولى من الشطر الثانى

وقد فات آدم أن حواء ضعيفة ، والضعف يتسلح بالرياء

والقول الفصل أن آدم قد انتهى إلى حقيقة لا تحتاج إلى برهان ، وهى صدور الأهواء عن الأجساد قبل صدورها عن الأرواح ، لأن الجسد أداة الروح ، ولأنه يحفظ قواها كما تحفظ الكأس سر الرحيق

ثم ماذا ؟ ثم التفت آدم إلي وحى النبوة فقال :

« لم أكن أدرك تكاليف النبوة حين أراد الله أن أكون من الأنبياء ، فقد فهمت أول الأمر أن النبوّة لا تصح إلا لمن يقف موقف الراعى من الرعية ، وليس فى الجنة جنود وأتباع يحتاجون إلى من ينظر فى شؤونهم بعين المدبِّر الحصيف ... ثم عرفت أن الله جعلنى نبياً لحكمة سامية : فحواء شخصٌ فرد ، ولكنها مؤلَّفة من شخوص يعدّون بالألوف ، بفضل ما يصطرع فى جسدها وروحها ، وقلبها وعقلها ، من أشتات النوازع والأحاسيس ... هى شخصٌ فرد ، ولكن أوقاتى تضيق عن الطب لأهواء ذلك الشخص الفرد ، فكيف أصنع لو أضيف إليها أفراد يحملون ما تحمل من أوقار النزق والطيش والجموح ؟ إنها تتعبنى فى الحوار ، وأكاد أوقن بأن كل كلمة من كلماتها ترمز إلى شىء ، فهذه الكلمة عتاب ، وتلك الكلمة اتهام ، وهذا اللفظ وعد ، وذلك اللفظ إغراء ، وذلك اللفظ تجريح ... ومن عجيب الأمر فى سياسة هذه الشقية أن خطبها لا يهون إلا حين تنطق ، مع أن المفهوم أن نطقها فى أغلب أحواله وعيد مخيف ... أخطر ما تكون حواء حين تصمت ، فعند ذلك أدرك أنها تضمر أشياء ، وأنا أخاف أشد الخوف من النذير السَّموت ... لو أن الله جعلنى نبياً فى أمة كثيرة العدد لخفَّ الخطبُ وهان ، فقد كنت أستطيع الاعتذار بالعجز عن رعاية الألوف من الرجال والنساء ، ولكن الله جعلنى نبيًّا على مخلوق تحار فى رياضته العقول ... من أى طريق أصل إلى اكتناه قلب حواء ؟ وكيف أؤدى الواجب فى تهذيب تلك الشقية ؟ وهل يجحتُ فى التخلق بأخلاق النبوة وأنا أروض تلك الفَرس الشَّموس ؟ الله يعلم أنى لم أقصِّر ولم أفرِّط ، ولكن ما هذا البلاء الذى أعانيه ؟ واجب النبى أن يَهـدِى الجميع فى حدود ما يطيق ؛ وقد يتلطف الله به حين يعجز عن هداية من يحب ، لأنه يعلم أن الأحباب هم فى الحقيقة أعداء ؛ وهل يعرف مَقاتل المحب غير الحبيب ؟ كان يكفى أن أعجز

عن هداية حواء فأسلمها إلى الشياطين ، ولكن البلاء كل البلاء أن هذه المرأة لا تكتفى بنجاتها من يدى ، وإنما تريد أن تضلنى فآكل معها الثمر الممنوع ، وبهذا يصبح الهادى وهو من الضالين ! إن نجحت حواء فى اختتالى واختلابى فسأكون عبرة لمن يأتى بعدى من الأنبياء . . . وهل أضمن حفظ مكانتى فى التاريخ ؟ إن تطاول الزمان فسيقول قوم إن آدم شخصية خرافية أريد بها تصوير انهزام الرجال أمام النساء . وهل يؤذينى أن يقال ذلك ؟ أنا أول ضحية بشرية إن هزمتنى حواء ، ومن حق من يجيئون بعدى أن يرتابوا فى حقيقتى التاريخية . فالرجل الذى يعجز عن كبح المرأة لا يستحق شرف الوجود ... وأنا أعيذ من تصل إليهم هذه الأخبار أن يسيئوا الظن بجدهم المظلوم ، فليس عندى أوامر صريحة أتولى بها زجر حواء ، ولست أعرف المصير إن عاقبتها بالقتل ، فما لى صديق غير هذا المخلوق ، والصديق الواحد جدير بالاستبقاء وإن تردى بالعيوب . من أخصب تخير ، وأنا فى الصداقة مجدب لا مخصب . فهل ألام إذا استجزت المعصية طاعة لمحبوب لا أجد غيره حين يضيع ؟ سأقرب الشجرة رعاية لحواء ، وليصنع الله بنا ما يشاء ... وماذا يريد الله ! أيريد أن نشاركه فى السمو المطلق ؟ أيريد أن نتنزه كما تنزه عن جميع الشبهات ؟ أين نحن من الله وهو قوة أزلية لا يعتريها نقص ولا خمود ؟ بأمر الله سأعصى الله فأقرب الشجرة مع حواء . سأعصيه بأمره وإن كان نهانى ، فهو يعلم أن المخلوق المؤلف من أحلام وأهواء لا يعظم عليه العصيان »[1]

وانخرط آدم فى البكاء ، فلم يوقظه غير حواء

— آدم ، آدم ، ماذا بك ؟

— حواء ؟

— نعم ، حواء ، هل فرغت من صلاتك ؟

— أى صلاة ؟

— صلاة الشكر ، ألم تحدثنى أنك من أجلها أردت الاعتكاف

— لقد صليت صلاة لا تخطر لك فى بال

— هل صليت كما تصلى الملائكة ؟

— أعظم مما يصلون

— وكيف ؟

— ناقشت الله !

— من ناقش الله هلك

— قولى هذا لنفسك ، يا حواء !

— أحب أن أعرف كيف تكون المجادلات من ضروب الصلوات ؟

— حين تكون شاهداً على شروق العقل

— لا أفهم ما تريد أن تقول

— أريد أن أقول : إن الله يكره لعباده أن يلوذوا بالصمت والجمود

— ومعنى هذا أنه يحب أن نتكلم ونتحرك فى كل وقت ؟

— إذا أشار العقل

— وما العقل ؟

— أن تسكتى إلى الأبد الأبيد !

— أتريد أن تتمتع بنعمة الكلام وحدك ؟

— لأننى أشقى بنعمة العقل وحدى ، ولأن الله لن يسأل غير « آدم » عن نزق « حواء »

— وما رأيك فى شجرة التين ؟

— المرأة حين تولع بشيء لا تنفك تدور حوله ولو نهاها عنه الأنبياء

— وأنت نبى يا « آدم » ؟ لم يبق إلا هذا الزعم الطريف !

— إن صوت الله قرع أذنيك ولم تنتهى ، فهل تسمين صوت النبى المسكين ؟ !

— ومتى نهانى الله عن الشجرة ؟

— كيف نسيت يا حواء أننا سمعنا ألف مرة هاتفاً يصيح :

« لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين »

— هو نداء موجه إليك

---

(١) هذه الوثيقة التاريخية تشهد بأن آدم ظل مدة طويلة فى أسر القلق والخوف ، ومنها نعرف أنه كان فى عراك دائم بين عقله وهواه ، وأن حواء لم تفتنه إلا بعد أن بذل فى جهادها فوق ما يطيق

— إلىّ وحدى ؟ وكيف ؟

— لأنك رجل !

— وإذن يكون من حق أن أقرب الشجرة وحدى

— لن تذوق ثمرها إلا من يدىّ

— وهل أذوق من يديك غير العلقم والصاب ؟

— إسمع يا آدم ، إسمع : يظهر أنك أغلف القلب ، وأنك فى احتياج إلى من يزيل الغشاوة عن عينيك . ما هذا التمرد على الله ؟ وما هذا العصيان ؟ مزيتك أنك رجل ، ورجولة آدم رهينة بشهادة حواء ، ولن أعترف لك بشىء إلا إن عصيت وغويت

— ويقول الله : وعصى آدم رَبَّه فغوى ؟

— ومن أنت حتى تصل إلى أن ينالك الله بالغمز والتجريح ؟

— إسكتى ، يا حواء !

— لن أسكت قبل أن أزلزل قلبك جزاء بما احتكرت من دعوى الفضيلة والشرف والنبل ؛ كأن سلوكي معك رذيلةٌ وضعةٌ وإسفاف . أنت تصور نفسك دائماً بصورة المظلوم وتنسى أنك فى أغلب أحوالك من الظالمين

— ومتى ظلمتك ، يا حواء ؟

— حين تناسيت فضلى عليك ، فأنا أضرم أهواءك لتشعر بعنفوان الرجولة الحق ، وستموت حسيًّا ومعنويًّا يوم أعجز عن إغوائك . فيومذاك تعرف يا جاهل أن طيش حواء ليس بالمغنم القليل

— كفى . كفى !

— لا ، لا ، لن أتركك أو تعترف بفضلى عليك

— أمِنَ الفضل أن تزيّنى المعصية ؟

— ما زيّنت لك شيئاً غير جميل

— وشجرة التين ؟

— ما تهمنى شجرة التين بالذات فسأحاول هدايتك إن امتنعت عن شجرة الجميز ، لأملك نقل قلبك من مكان إلى مكان ، ولأطمئن إلى أنك بعافية تجعلك فى طليعة الفحول ، فما ينجو من كيد المرأة إلا العِنِّين أو المجبوب

— أنت ياحواء شقية !

— وأنت يا آدم جهول !

ومرت لحظات صمت فيها آدم صمت الأموات ، ثم ثاب إلى صحوه فأيقن أن نجاته من كيد حواء أمل عزيز المنال ... ولكنه جمع قواه ليصدها عن الغواية بأسلوب لم يفكر فيه من قبل . فهل يصل إلى ما يريد ؟

« للحديث شجون » **زكى مبارك**

حاجتنا إلى معهد أثنولوجى بجامعة فؤاد الأول

للأستاذ محمد جلال عبد الحميد

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

٢ — كيف نبتدئ فى تكوين المعهد الأثنولوجى ؟

قد يبدو غريباً أن نطالب الحكومة بإنشاء مؤسسة علمية جديدة بجامعة فؤاد الأول فى هذا الوقت وخصوصاً وقد أصبح من المتعذر استدعاء العلماء الإخصائيين من أوربا وغيرها ، وأنه أصبح من الصعب أيضاً توفير المال اللازم لتنفيذ مثل هذا المشروع ، ولكنا إذا توسعنا فى التفكير والبحث عن أقرب الطرق وأسهلها مع توخينا البساطة فى التنفيذ ظهر لنا الأمر على عكس ما كنا نتوهم

من حيث هيئة التدريس وتكوين أعضائها فإن من السهل انتداب بعض الأساتذة من كليات جامعة فؤاد الأول وغيرها من المؤسسات العلمية بمصر . ففى كلية العلوم مثلاً يمكن استدعاء أستاذى البيولوجيا والفزيولوجيا لمعالجة هاتين المادتين بالمعهد[1] ؛ وكذلك يمكن انتداب أستاذ علم التشريح من كلية الطب لمعالجة مسائل الجنس البشرى . ومن السهل أيضاً أن يقوم أساتذة علم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا واللغات لمعالجة المسائل الاجتماعية وأثر البيئة الجغرافية فى تحديد النشاط المادى والروحى للجماعات البشرية المحدودة المدنية ؛ ثم البحث عن معالم مدنياتها وآثار ما قبل التاريخ فى الجهات التى تسكنها

فكما نشاهد فيما بعد أن المواد الرئيسية التى يتكون منها علم الأثنولوجيا هى ضمن اختصاص جماعة من العلماء لهم معاملهم وتجاربهم وأوضاع بحوثهم المستقلة . ولما كان الغرض الأول[1] من معالجة تلك المواد بمعهد الأثنولوجيا هو رسم صورة عامة للتكوين الاجتماعى والأسس الدينية والأوضاع الإقتصادية ، وتحديد المميزات الرئيسية للأجناس البشرية المحدودة المدنية ؛ فليس من الصعب أن نبدأ من الآن فنعمل على إنشاء معهد للبحوث الأثنولوجية وأن تكون هيئة التدريس فيه من الأساتذة المصريين والأجانب الموجودين بمصر الآن

وأما مشكلة التجارب الأثنولوجية وكيفية تهيئة المعامل اللازمة لها ، فليس فيها تعقيد أو صعوبة لا يمكن تخطيها ، لأنه من السهل استدعاء بعض الأطفال والأولاد من المدارس الإلزامية والابتدائية ، وأما الرجال والنساء ، فيؤتى بهم من بعض وحدات الجيش والمستشفيات والسجون لوصف وأخذ أقيسة مختلفة لأعضائهم وتحليل الدم عندهم لتحديد مجموعاته المختلفة . ويمكن أيضاً إجراء مثل هذه التجارب على الهياكل البشرية التى يمكن الحصول عليها من كلية الطب

ومن ضمن التجارب الأثنولوجية أيضاً القيام ببعض زيارات لمتحف الأثنولوجيا والمتاحف الأخرى الموجودة بمصر للوقوف على كيفية ترتيب المعروضات فيها ، ثم القيام بوصف وتحليل بعض هذه المعروضات لمعرفة طريقة تكوينها واستخلاص الأسس الفنية والغاية التى أنشئت من أجلها

٣ — منهج الدراسة[2]

أولا — الدراسة النظرية

تتناول هذه الدراسة نشأة الإنسان ومميزاته الرئيسية والمؤثرات

(١) أنظر منهج الدراسة بمعهد الأتنولوجيا ص ٩

(١) تلك هى المرحلة الأولى من حياة معهد الأتنولوجيا ؛ وأما المرحلة الثانية وهى التوسع فى دراسة أحد فروع الأتنولوجيا أو بعضها لاستخلاص بعض القوانين التى تتعين بها أوضاع الحياة الاجتماعية لدى تلك الأمم فيترك البحث فى أمر تحديدها الآن حتى تتهيأ الفرصة لتخطى المرحلة الأولى والتى تنتهى بتكوين وتهيئة جماعة من الباحثين يطلق عليهم (الصفافين الاجتماعيين) وهم الذين يقومون بجمع المعلومات والوثائق والأشياء بين الجماعات البشرية المختلفة مع القدرة على ترتيبها وتصنيفها بطريقة علمية منظمة

(٢) يعمل بهذا المنهج الآن بمعهد الأتنولوجيا بجامعة باريس ولكنا رأينا إدخال بعض تعديلات وزيادات علمية نظراً لتطور علم الأتنولوجيا وتعدد بحوثه

الخارجية المحيطة به واتصال ذلك بنظام تطوره العام ، وأبواب هذه الدراسة هى :

(ا) نشأة الانسان ومميزاته

١ — باليونتولوجيا Paléontologie

نستعين بهذه الدراسة فى معرفة آثار الحياة فى المخلوقات البسيطة التركيب وغيرها والتى وجدت فى عصور جيولوجية قديمة سبقت عهد ظهور الإنسان مع العمل على تحديد المناطق الطبيعية لتلك الحيوانات وتعيين اتجاه هجرتها فى تلك العصور ، ثم تعيين المناطق الأولى التى ظهر فيها الإنسان

٢ — بيولوجيا ... Biologie :

وعند الإلمام ببعض مبادئ علم الحياة نستطيع أن نعرف التطورات والتغيرات التى تنشأ داخل جسم الإنسان وتعتريه فى حياته ، ثم العمل على تحديد العوامل الوراثية وأثرها فى انتقال المميزات الرئيسية للجنس البشرى

٣ — فزيولوجيا Physiologie :

وتقصد من هذه الدراسة الوقوف على كيفية ومدى تأثير البيئة الجغرافية وطرق التغذية ووسائل العمل فى اختلاف الأجناس البشرية .

٤ — أنثروبولوجيا Anthropologie

يتناول هذا العلم دراسة الصفات الرئيسية لجسم الإنسان وتحديد المميزات المختلفة للأجناس البشرية كلها مع الإلمام التام بتاريخ نشأة كل منها .

(ب) مؤثرات خارجية

١ — البيئة الجغرافية والبشرية

بعد معرفة العناصر المختلفة للبيئة الجغرافية من حيث الطقس ودرجة خصوبة الأرض والتغيرات الناخية يمكن تحديد تأثير تلك العوامل الطبيعية فى التكوين الاجتماعى والنشاط المادى والروحى للأمم المختلفة .

٢ — اتصال الاجناس والمدنيات

إذا تغلبت أمة على أمة أو طغت مدنية على مدنية أخرى فقد يؤثر ذلك فى حجم الأمة المغلوبة إما بزيادة عدد أفرادها أو بنقص هذا العدد . وللمدنية الغالبة الحق والقدرة على توجيه رأى الجماعة والتعبير عن شعورها وتحديد طرق معيشتها . وعلى هذا فمن الضرورى أن نهتم كثيراً بدراسة تأثير المدنيات بعضها فى بعض ، ومعرفة النتائج المادية والمعنوية للاستعمار البشرى والاتصال المدنى . ويكمل هذه الدراسة بحوث يقصد منها تحديد مناطق المدنيات وعصورها واتجاهاتها ومميزاتها الرئيسية .

(ج) النشاط الانسانى

١ — علم النفس Psychologie

يقصد من هذه الدراسة الإلمام بمعرفة الظواهر الأولى لنشأة الحياة الفكرية والإحساس والشعور وطرق التعبير عنهما لدى الإنسان ومقارنة تلك الظواهر بما تشابهها لدى الحيوانات الراقية

٢ — علم اللغة Linguistique

ونستعين بهذه الدراسة فى معرفة القوانين العامة لاختلاف اللغات واللهجات والإلمام بالطرق العلمية لجمع عناصرها ومعالمها بين الجماعات المختلفة

٣ — علم الاجتماع Sociologie

يقصد من هذه الدراسة معرفة الأسس والتعاريف العامة للظواهر الاجتماعية والدينية والاقتصادية

٤ — أتنوجرافية Ethnographie

وغاية علم الإتنوجرافيا دراسة الطرق المختلفة التى يجب اتباعها فى جمع معالم ولم شتات المدنيات لدى الأمم المحدودة المدنية

٥ — علم آثار ما قبل التاريخ Préhistoire

نبغى من وراء هذه الدراسة معرفة المميزات الأساسية للانسان الأول ومعرفة آثاره المادية والروحية والعمل على جمعها وترتيبها حسب مواطنها وعصورها المختلفة

ثانيا — الدراسة العملية

١ – تجارب أنثروبولوجية

يقوم الطلبة بإجراء تجارب مختلفة ، كوصف جسم الإنسان وأخذ أقيسة لأعضائه ، وأن تجرى هذه التجارب على الرجال والنساء والأولاد والأطفال ؛ وذلك فى بيئات وطبقات اجتماعية مختلفة . هذا وأن تجرى نفس التجارب على الهياكل البشرية والحيوانية

٢ – تجارب سيكولوجية

يتمرن الطلبة على استعمال الآلات الحديثة الخاصة بقياس قوة النظر وسرعة الإحساس ، مع الإلمام بمعرفة الطرق العلمية المستعملة فى قياس قوة الذاكرة

٣ – تجارب اثنوجرافية

يقوم الطلبة بعدة زيارات لمتحف الأنتولوجيا والمتاحف الأخرى بالقاهرة وغيرها للوقوف على كيفية ترتيب وضع المعروضات فيها ووسائل حفظها والعناية بها . وأن يتدرب الطلبة أيضاً على وصف هذه الأشياء ومقارنتها بنظائرها

٤ – رحلات

يقوم الطلبة برحلات وزيارات لكثير من القرى المصرية والسودانية لدراسة نظام تكوين القرية ووصف الحياة فيها ويقوم الطلبة أيضاً بزيارة المناطق التى اكتشفت فيها آثار ما قبل التاريخ

وقبل أن أنتهى من الحديث عن منهج الدراسة بمعهد البحوث الأنتولوجية أريد أن ألفت النظر إلى أنه يشترط فى طالب الالتحاق به أن يكون من خريجى كليات الآداب والحقوق والتجارة والطب وأن تكون مدة الدراسة فيه سنتين

هذا وإننا نرى أن متحف الأنتولوجيا يكون جزءاً متمماً للمعهد فيجب أن يبدأ فى تكوينه مع المعهد

يظهر لنا مما تقدم أن بوادى النيل كثيراً من الجماعات البشرية تختلف عن بعضها من حيث جنسها ونوع تكوينها الاجتماعى ودرجة مدنياتها، وأن البحث عن معالم تلك المدنيات لم يتسع ميدانه ولم تتنوع أبوابه بعد، فيجب أن نشرع فى إنشاء معهد ومتحف الأنتولوجيا لنتابع بذلك تقدماً مطرداً فى نهضتنا العلمية الحديثة والتى تبنى لها انسجاماً فى جميع نواحيها . وإذا نظرنا إلى ماضى نهضتنا على الأخص هذه وجدنا أن فى عنقنا ديناً نحو العلم الذى أصبح اليوم يزهق من زفرات أوربا المحرقة والتى شردت العلماء فى فيافى الأرض بعد أن تفككت أواصر مجتمعاتهم وانقلبت أوضاع معاملهم ، وأن شعورنا بهذا الواجب يحتم علينا أن ننهض ونضحى ونهيئ للعلم وطناً كما فعل السابقون من أبناء هذا الوادى

محمد جلول عبد الحميد

---

٢ - ابن خُرْدَاذَبَه

للأستاذ كوركيس عواد

يؤخذ مما ورد في بعض المراجع - أن ابن خرداذبه هذا - كان وزيراً ، فقد ذكر البشّاري المقدسي[1] في عرض كلامه على « سدّ ذي القرنين » ما هذا نصه :

« قرأتُ في كتاب ابن خرداذبه[2] وغيره في قصة هذا السد على نسق واحد ، واللفظ والإسناد لابن خرداذبه ، لأنه كان وزير الخليفة ، وأقدر على ودائع علوم خزانة أمير المؤمنين . . . »

ويؤسفنا أنه لم يُشِر إلى اسم ذلك الخليفة الذي وُزِّر له ، والمرجّح عندنا أنه كان « المعتمد »

وقد بحثنا فيما بين أيدينا من تواريخ الدولة العباسية ، والمصنّفات الباحثة في أخبار الوزراء خاصة ؛ فلم نجد بين هاتيك المدوّنات مَن ذكر أن ابن خرداذبه كان وزيراً لخليفة من الخلفاء . والذي نذهب إليه أنه كان وزيراً بالإسم فقط ، وهذا أمر معروف عند متتبعي أحوال الإدارة في تلك الأزمنة التي كثرت فيها الوظائف ، واصطنعت فيها الألقاب !

ومهما يكن من أمر ، ففي العبارة التي نقلناها عن البشاري ، خير دليل على عِظَم منزلة ابن خرداذبه عند الخليفة ، وعلى اعتماد ذلك الخليفة عليه في أمور خزانته الحافلة

وقد ذكر ابن خرداذبه نفسه بنفسه ، في أوائل كتابه « المسالك والممالك » ، ولمح إلى مكانه من الخليفة بقوله[3] :

« هذا كتاب فيه صفة الأرض ، وبِنْية الخلق عليها ، وقبلة أهل كل بلد والممالك والمسالك إلى نواحي الأرض ، تأليف أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خُرداذبه ، مولى أمير المؤمنين »

والظاهر أن « أمير المؤمنين » هذا ، قد كان المعتمد أيضاً ، على ما عُرف من صلة وثيقة بينه وبين هذا الخليفة

(١) أحسن التقاسيم (ص ٣٦٢)

(٢) تجد الخبر بكامله في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة (ص ١٦٢ — ١٧٠)

(٣) المسالك والممالك (ص ٤)

ولعُبَيد الله ابن خرداذبه أخبار تفرقت في شعر بعض معاصريه فيها ما يشير إلى أصله « الفارسي » ، وما يشيد بذكر عراقته العريقة في المجد ، وما يدل على سمو منزلته في الدولة

روى أبو بكر الصولي في كلامه على الشاعر أبي الطيب محمد ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف أنه قال : « وكتبت إلى ابن خرداذبه ، وقد دام المطر « بسُرَّ مَنْ رَأى » وتأخرتُ عنه :

لعمري لئن سرّ الحيا في مواطن ... لقد ساءني أن عاقني عن لقائكا
وقد كنتُ مشغوفاً بذاك أريده ... فحالَ قضاء الله من دون ذلكا
فَصِفْ لي فَدَتْكَ النفس أمراً يسرّني ... وأحمد فيه الله من حسن حالكا
وحال أخينا أحسنَ الله صنعه ... وحالِ فتاكَ منعماً في كتابكا[1] »

فهذا الشاعر ، على ما يبدو من الأبيات المتقدمة ، قد كان صديقاً حميماً لابن خرداذبة . ونظيره في هذه الصداقة كان البحتري الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٨٤ هـ ؛ فقد وقفنا في ديوان شعره على قطع له فيه . من ذلك ما قاله في عبدون بن مخلد[2] وقد كتب بها إلى ابن خرداذبه[3] :

أبلغ لديك عُبيد الله مألكةً[4] ... وما بدارِ عُبيْدِ الله من بُعدِ
أضحتْ بقطربّل[5] والدَّيْر[6] حَلّتُه ... وما يُجاوِرُ بيتَ النارِ ذا العُمُدِ
لم تدرِ مابي وماقد كان بعدكَ من ... نفاستي لك في عبدون أو حسدي
أغرُّ ، أحسبُ نُعماهُ الجليلةَ من ... ذخائري لصروفِ الدَّهرِ أو عُدَدي
إذا مضى اليوم لا نلقاه فيه مضى ... سرورنا وترقّبنا[7] مجيء غدِ

(١) كتاب الأوراق [قسم أخبار الشعراء] للصولي (ص ٢٤٩)

(٢) جاء ذكره في حوادث سنة ٢٧٢ من تاريخ الطبري (السلسلة الثالثة ، ص ٢١٠٩)

(٣) ديوان البحتري (١ : ٢١٠ طبع الجوائب في الآستانة سنة ١٣٠٠ هـ ، أو ص ٣٢٥ — ٣٢٦ طبع بيروت سنة ١٩٠٠)

(٤) المألكة : الرسالة .

(٥) قطربل من مواطن اللهو والأنس ، بين بغداد وسامراء ، وهي مشهورة بخمرها . ضبطها ياقوت بالضم ثم السكون ثم فتح الراء وباء موحدة مشددة مضمومة ولام ، وقال إنه روى في ضبطها : بفتح أوله وطائه وأما الباء فشددة مضمومة في الروايتين

(٦) في طبعة بيروت : والدار والوجه ما في أعلاه

(٧) في طبعة الآستانة : وترقتنا ، وهو تحريف

إن فات فى السبت أن تزدار[١] سيدنا
فلا تفتنا لشيء زورة الأحد

وفى القطعة التالية ، يوجه البحترى الكلام إلى ابن خرداذبه بعد أن خلع عليهما عبدون بن مخلد . وفى هذه إشارة صريحة إلى ما كان من صلة بين عبدون وابن خرداذبه . قال البحترى[٢] :

يا أبا القاسم استجدَّ لنا عبدو ... نُ حالاً تمامها فى ضمانه
جمعتنا مودَّة واجتمعنا ... بعدُ فى برِّه وفى إحسانه
قد لبسنا ثيابهُ وتسايرْ ... نا بتقريظه على حُملانه[٣]

وأجزل فائدة من ذلك ، ما قاله البحترى فى مدح عبيد الله ابن خرداذبه ، وذكر صداقته ، وتهنئته بخروجه من علة كان فيها ودونك ذلك :[٤]

إن ترجُ طولَ عبيدِ الله لا تخبِ
أو ترمِ فى غرضٍ من سيبه[٥] تُصب
لم تلقَ مثلَ مساعيه التى اتصلتْ
وما تقيَّل[٦] منها عن أبٍ فأبِ
رأىٌ صليبٌ على الأيام يُتبعهُ
ظرفٌ متى يعترض فى عيشنا يطِب
ذاكَ أخٌ أفتديهِ إنْ يُحسَّ أذًى
بالنفسِ ممَّا توقَّاهُ وبالنَّشبِ[٧]
[إذ[٨] كان[٩] من فارسٍ فى بيت سؤددها
وكنت من طيء[١٠] فى البيت والحسب[١١]

فلم يضرنا[١] تنائى المنصبين وقد
رُحنا نسيبين فى خُلقٍ[٢] وفى أدبِ
إذا تشاكلتِ الأخلاقُ واقتربت[٣]
دنتْ مسافةُ بين العُجم والعربِ[٤]]
إسلم ولا زلتَ فى سترٍ من النُّوَبِ
وعشْ حميداً على الأيام والحُقبِ
وليهْنِكَ البُرْءُ ممَّا كنتَ تألمُهُ
والأجرُ فى عقبِ ذاك الشكوِ والوَصبِ
أوحشتَ ، مذ غبتَ قوماً كنتَ أنسهمُ
إذا شهدتهم فاشهدْ ولا تغبِ
إلاَّ تكنْ ملِكاً تُثنى تحيَّتهُ
فإنَّك ابنُ ملوكٍ سادةٍ نُجُبِ
وإن قصدتَ ابتغاء البُرْءِ من سقمٍ
فقد أرقتَ دماً يشفى من الكَلَبِ

وغنىٌّ عن القول أن ابن خرداذبه ، وهو الفارسىّ الأصل ، كان يعرف اللغة الفارسية ، ولا ندرى ما إذا كانت له كتابات أو تآليف بهذه اللغة . وإنما وجدناه فى كتابه المسالك والممالك يستشهد فى موطنين[٥] بشعر فارسى

أما سنة وفاته ، فلسنا على علم ثابت منها . وقد وجدنا الحاج خليفة[٦] يقول إن ابن خرداذبه توفى فى حدود سنة ٣٠٠[٧] للهجرة ، ولعل هذا صحيح ، غير أننا لم نقف فى كتاب قديم على ما يدعم هذا القول

وقد قلنا إن ابن خرداذبة نادم المعتمد وخُصَّ به . ومعروفٌ أن المعتمد ولد سنة ٢٢٩ ، وبويع له بالخلافة سنة ٢٥٦ ، وتوفى سنة ٢٧٩ ﻫ ، فيكون ابن خرداذبة قد بلغ أوج عزه خلال هذه الفترة المنحصرة بين ٢٥٦ و ٢٧٩ للهجرة .

(١) تزدار : تزور
(٢) ديوان البحترى (١ : ٢١١ طبع الجوائب ، أو ص ٣٢٦ طبع بيروت)
(٣) الحلان : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة
(٤) ديوان البحترى (٢ : ١٠ — ٢١ الجوائب ، ص ٤١٥ — ٤١٦ بيروت)
(٥) السيب : العطاء أو المال . الجمع : سيوب
(٦) يقال : تقيل أباه ، بمعنى أشبهه
(٧) النشب : المال
(٨) الأبيات الثلاثة بين الربعين رواها الحصرى القيروانى فى زهر الآداب (الطبعة الثانية ٣ : ١٨٢ للدكتور زكى مبارك)
(٩) فى زهر الآداب : إن كنت
(١٠) فى زهر الآداب من محتدى
(١١) فى زهر الآداب : والنسب

(١) فى زهر الآداب : فلن يضر
(٢) فى زهر الآداب : فى علم
(٣) فى زهر الآداب : إذا تقاربت الآداب والتأمت
(٤) فى زهر الآداب : بين العرب والعجم ، وهو مخالف للقافية
(٥) المسالك والممالك (ص ٢٦ و ١١٨)
(٦) كشف الظنون (٢ : ١٠١ طبعة فلوجل)
(٧) فى دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى (٣ : ٦٩٣) أنه توفى فى حدود سنة ٣٠٠٠ ﻫ ، وهو خطأ مطبعى ظاهر

وذكرنا ما كان من صداقة بينه وبين البحترى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ . إلا أن المراجع التى بأيدينا لا تعيننا على معرفة ما إذا كان ابن خرداذبة قد توفى قبل البحترى أو بعده .

وما قلناه فى عُبَيد الله ، نقوله فى سائر بنى خرداذبة ، فاننا نجهل سنى وفياتهم ، فضلاً عن أن علمنا بسائر أخبارهم وشؤونهم ما زال مقتضباً يسيراً . وحسبك أن تعلم أن الترجمة الوحيدة لعبيد الله ابن خرداذبة ، هى التى كتبها ابن النديم فى فهرسته ، وهى أقل من خمسة أسطر !

٥ — **مؤلفات ابن خرداذبة**

سبقت الإشارة إلى بعض تصانيف ابن خرداذبة ، التى خلدت اسمه على كر العصور . وهذه المؤلفات قد تزيد على العشرة ، ذكر ابن النديم[1] ثمانية منها ، ضاع أغلبها فيما ضاع من تراث الأقدمين . وإليك الآن أسماءها وما نعلمه من أمرها :

١ — كتاب أدب السماع .

٢ — كتاب جمهرة أنساب الفرس والنوافل .

٣ — كتاب المسالك والممالك : ضمنه إحصاء جباية المملكة العباسية فى أواسط المائة الثالثة للهجرة[2] . وهو من خيرة المراجع القديمة فى معرفة الطرق والمسالك ، وتعيين المسافة بالفراسخ أو بالأميال بين مكان ومكان ، على ما كان معروفاً عند القوم فى ذلك الزمان . ولا مراء ، إن ابن خرداذبة كان الرجل الثقة فى مثل هذه البيانات ، لأنه تولى أعمال البريد . ومن المعلوم أنه « لا غنًى بصاحب هذا الديوان أن يكون معه منه ما لا يحتاج فى الرجوع فيه إلى غيره ، وما إن سأله عنه الخليفة وقت الحاجة إلى شخوصه وإنفاذ جيش يهمه أمره ، وغير ذلك مما تدعو الضرورة إلى علم الطرق بسببه ، وُجد عتيداً عنده ومضبوطاً قِبَله ، ولم يحتج إلى تكلف عمله والمسئلة عنه[3] »

ويبدو لنا واضحاً أن ابن خرداذبة لم يؤلف هذا الكتاب إلا بطلب من شخص كبير لم يصرح باسمه ولعله أحد الأمراء . قال فى أول كتابه ، وفيه ما يوضح غرضه من هذا السفر ما إليك نصه بالحرف الواحد[4] :

« أطال الله تعالى بقاءك يا ابن السادة الأخيار والأئمة الأبرار منار الدين وخيرة الله من الخلق أجمعين ، وأدام الله لك السعادة ، وكثَّر لك الزيادة من جميع الخيرات ، ووفقك لسبيل الصالحات ، وجعلك ممن ارتضى أفعاله وزين أحواله . فهمتُ الذى سألتَ ، أفهمك الله جميع الخيرات وأسعدك إلى الممات ، وأفلح فى الدارين سهمك ، ووفر فيهما قسمك ، من رسم إيضاح مسالك الأرض وممالكها ، وصفتها وبعدها وقربها وعامرها وغامرها ، والمسير بين ذلك منها من مفاوزها وأقاصيها ورسوم طرقها وطسوقها[(1)] على ما رسمه المتقدمون منها . فوجدت « بطلميوس » قد أبان الحدود وأوضح الحجة فى صفتها بلغة أعجمية ، فنقلتها عن لغته باللغة الصحيحة لتقف عليها ، وقد رسمت ، رُسم لك فوز الحق فى جميع مأمولك ومطالبك ، ما رجوت أن يكون محيطاً بمطلوبك وآتياً على إرادتك كالمشاهد لما نأى والخبر بما قرب ، وصنعته كتاباً افتتحته بالحمد لله ذى العزة المنيعة والنعمة السابغة ، الذى أنشأ الخلق على ما أراد ، وبين سبيل الحق للعباد ، لم تشركه فى خلقه الآراء المتوهمة ولا ظنون الرؤيات ، تعالى الله عما يشركون ، وصلى الله على محمد نبيه ، وعلى الأخيار من عترته وسلم كثيراً » اهـ

والمعروف فى وقتنا أن لهذا الكتاب ثلاث نسخ خطية ، اثنتين منهما فى خزانة أكسفرد وفيهما خروم

وكان المستشرق باربيه دى مينار Barbier de Meynard أول من نشر هذا الكتاب ونقله إلى الفرنسية (المجلة الآسيوية الفرنسية ، السلسلة ٦ ، المجلد ٥ ، سنة ١٨٦٥ ، ص٢٢٧ وما بعدها ثم عُنى بتجديد طبعه العلامة دى غويه de goeje فنشره مترجماً إلى الفرنسية أيضاً (الخزانة الجغرافية العربية ، ج ٦ ، ليدن ١٨٨٩ فى ١٨٣ صفحة للمتن ، و١٤٤ للترجمة . ويليه فى المجلد نفسه نبذٌ من « كتاب الخراج وصنعة الكتابة » لقدامة بن جعفر الكاتب البغدادى ، المتوفى سنة ٣١٠ أو ٣٢٠هـ ، صفحة ١٨٤ — ٢٦٦) وجديرٌ بالعناية تلك التحقيقات الثمينة والتعليقات الدقيقة والفهارس المتقنة التى تحلى بها هذا الكتاب . وقد اشتملت المقدمة التي كتبها الناشر دى غويه بالفرنسية على فوائد جزيلة ، جاءت فى ٢٣ صفحة . وصفوة القول أن هذه الطبعة نفيسة ، فيها

(١) الفهرست (فلوجل ١٤٩ ، ٢١٣ مصر)
(٢) نشر جرجى زيدان ، خلاصة ذلك الاحصاء فى تاريخ التمدن الاسلامى (٢ : ٥٩ — ٦١)
(٣) كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر (ص ١٨٥)
(٤) كتاب المسالك والممالك (ص ٣)

(١) الطسوق ، واحدها الطسق (بالفتح فالسكون) ، ما يوضع من الخراج المقرر على الجربان (جمع الجريب ، وهو على ما فى التاج ١ : ١٧٩ ثلاثة آلاف وستمائة ذراع) . أو هو شبه ضريبة معلومة ، والكلمة من الدخيل (أنظر تاج العروس ٦ : ٤٢٣)

ما يحمل القارئ على الاطمئنان إلى سلامتها من الشوائب

وقد نشر دى غويه أيضاً ، قطعة من هذا الكتاب فى مجموع بلدانىّ له(١) ، كما نشر بلاشر Blachère قطعاً أخرى منه فى مجموع بلدانى له(٢)

ومن الدراسات الثمينة التى حظى بها هذا السِفْر ، ما كتبه الرحالة المستشرق موزيل Alois Musil فى كتابه « الفرات الأوسط »(٣) فقد عمد إلى المسافات والأبعاد التى ذكرها ابن خرداذبه فى الطريق من بغداد إلى الرَقّة ، وانتقد ما اعتورها من أوهام . وجدير بمن يطالع المسالك والممالك أن يرجع إلى ما كتبه موزيل فى هذا الشأن لتتم به الفائدة .

(يتبع — بغداد) **كوركيس عواد**

(١) De Goeje : Selections From Arabic Geographical Literature. (Leiden, 1907; pp. 16 — 22)

(٢) Blachère : Extraits des Principaux géographes Arabes de Moyen Age. (Beyrouth, 1932; pp. 21 — 32)

(٣) the middle euphrates. (New York, 1927. pp. 248-251)

أستراليا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

بيت القصيد ، وميدان القتال الجديد ، وما نخال إلا أنها كانت السبب الأول والعامل المهم فى دخول اليابان الحرب الحاضرة ضد بريطانيا العظمى — بعد أن حرم على أبنائها سكنى استراليا —

والآن وبعد أن أجهزت اليابان فى مدى شهرين أو ثلاثة على الجزائر التى تربط هذه القارة بآسيا ، فانها لا شك متقدمة إليها زاحفة عليها : ولسنا ندرى ما ذا ستكون نتيجة الصراع القادم بين الاستراليين واليابانيين ؛ فالاستراليون محاربون بواسل كان لهم القدح المعلى والنصيب الأوفر فى كسب بريطانيا للحرب الماضية ، وفى رد العدوان الإيطالى فى الحرب الحالية عن مصر ؛ وسوف يكون نضالهم عنيفاً من غير شك ، فإنهم لن يسلموا بلادهم دون الاستشهاد فى سبيلها ، وهم يدركون الآن أن الساعة التى تفرض عليهم المقاومة الباسلة آتية لا ريب فيها . وقد جاء من سيدنى بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٩٤٢ أن الجنرال جوردن بنيت ألقى خطبة فى حفلة أقيمت لاستقباله قال فيها :

« عند ما نقابل اليابانيين فى استراليا — وأنا واثق من أننا سنقابلهم — فإني موقن بأن روح القتال فى الشعب الاسترالى ستسود الموقف وتقودنا إلى النصر . فيجب علينا أن نقذف بهم فى البحر فى كل مكان يحاولون فيه تثبيت أقدامهم . إن محاولة غزو بلادنا تعد مغامرة تكتنفها الأخطار ، ولكننا لم نعد نقلل من قوة العدو كما أننا لن نقلل من قوتنا وقوة حلفائنا »

وسنحاول فى هذا المقال وصف المناطق الشمالية من استراليا التى ستكون أول ميدان للقتال ، ووصف استراليا وصفاً إجمالياً ومقدار ثروتها الزراعية والمعدنية وقدرتها على الإنتاج الصناعى

هذه القارة

أصغر القارات جميعاً وأكبر جزائر العالم . تبلغ مساحتها ٤/٥ مساحة أوربا و ١/٣ مساحة أفريقيا و ١/٦ مساحة آسيا ، ويتكون شمالها من سهول شاطئية منخفضة لا تزيد ارتفاعها على ٦٠٠ قدم . وتتدرج فى الارتفاع نحو الداخل . ويمتاز هذا الإقليم بشدة حرارته وغزارة أمطاره فى فصل الصيف الجنوبى (يناير) ، وبجفافه وقلة حرارته نسبياً فى فصل الشتاء الجنوبى (يونيه) . وفى اعتقادنا أن ذلك من حسن حظ الاستراليين ، لأن القتال سيدور فى جو ملائم نوعاً لهم بعد أن ولى فصل الصيف الشديد الحرارة وأقبل الخريف . أما شرق هذه القارة فتوجد به المرتفعات الشرقية ، وهى تتكون من مرتفعات كوينزلند ، وجبال نيوانجلند ، والجبال الزرقاء ، وجبال الألب الاسترالية ؛ تلى هذه المرتفعات السهول الوسطى ، وتتكون من إقليم الآبار الارتوازية العظيم وتبلغ مساحته نصف مليون ميل مربع تقريباً ، وهو أكبر إقليم من نوعه فى العالم ، ومن حوض المرى ودارلنج . وتنصرف مياه شمال هذا الإقليم فى خليج كاربنتاريا . أما فى الوسط فتنصرف فى بحيرات داخلية أهمها بحيرة أير . وتمتاز أمطار هذا القسم بقلتها وعدم ضمانها ؛ ولذا يطلق عليه « قلب استراليا الميت » The dead heart of Australia أما الجنوب فيجرى به نهر المرى ودارلنج ويطلق عليه « قلب استراليا الحي » The live haert of Australia . ويلى السهول الوسطى الهضبة وأعظم جهاتها ارتفاعاً أجزاؤها الغربية والشرقية

ثروتها المعدنية والزراعية

هذه القارة من أغنى القارات بمواردها الزراعية ، فهى تزرع مساحات واسعة من القمح ، وتنتج منه مقادير كبيرة تفيض عن حاجتها وتصدرها إلى الخارج . والدقيق الاسترالى مشهور معروف . وفى جنوبها تزرع أشجار الفاكهة من : أعناب وبرتقال وليمون وتفاح ويصنع بها النبيذ . أما شمالها ، فتزرع به مساحات كبيرة من قصب السكر وتزرع كوينزلاند وحدها ما يزيد على ١٥٠٠٠٠ فدان ، وتصدر الزائد عن حاجتها من السكر إلى بريطانيا العظمى والمراعى باستراليا عظيمة القيمة ، فباستراليا يربى ما يزيد عن المائة مليون رأس من الضأن . وقيمة الصادر من الصوف وحده تزيد على قيمة ما يصدر من محصولاتها جميعاً . وتمتاز كوينزلاند ونيوسوث ويلز بتصدير اللحوم المجففة ومستخرجات الألبان ، حيث تربى بهما الماشية . أما الثروة المعدنية ، فاستراليا غنية بها ، وقد لعب الذهب دوراً هاماً فى تاريخها ، فقد كانت قبل اكتشافه منفى للمجرمين ، ولكن بعد كشفه هرعت ألوف من المهاجرين إلى استراليا واستقرت بها ، ونشأت عدة مدن بالقرب من مناجمه مثل بلارات وبندنجو وكلجورى وكلجاردى . ومن أهم المعادن التى تستخرج : الفحم والفضة والرصاص والزنك والقصدير ؛ وتعادل قيمة المستخرج من الفحم قيمة المستخرج من باقى المعادن ، وهى تصدر الفحم الزائد عن حاجتها

ونظراً لتوافر المعادن والمواد الأولية قامت عدة صناعات أهمها دبغ الجلود وصناعة الآلات من الحديد والصلب والمنسوجات الصوفية وصناعة الأثاث والصابون . والاستراليون يعتمدون على مصنوعات بلادهم ويشجعونها ويؤثرونها على المصنوعات المستوردة وإن غلا ثمنها

السكان

هذه القارة رغم ثرائها قليلة السكان ، فإن عددهم لا يزيد على ستة ملايين وثمانمائة ألف . ولعل السبب فى ذلك تلك السياسة التى جرت عليها حكومتها من تحريم سكناها على العناصر الملونة وقصرها على العناصر البريطانية أو The White Oustralia Policy فمنعت الصينيين والهنود واليابانيين من دخولها وعملت على حفظها ميراثاً لأبناء العناصر البيض وأحفادهم .

وقد أقلق بال الاستراليين استيلاء اليابانيين عقب الحرب الماضية على جزائر مارشال وكارولين ، إذ اقترب اليابانيون من استراليا ألفى ميل . وزاد فى قلقهم أن جهات استراليا الشمالية قليلة السكان لعدم ملاءمة مناخها لسكنى الأوربيين . ودرءاً لهذا الخطر اتفقت الحكومة البريطانية مع حكومة استراليا على تشجيع الهجرة البريطانية إليها عام ١٩٢٥ ، وقد خصصت الحكومة البريطانية لهذا المشروع ٧٠٫٨٣٠٫٠٠٠ جنيهاً

أما أكثر جهات استراليا ازدحاماً بالسكان ، فهى السواحل الشرقية والجنوبية ، حيث يسكنها ما يزيد على ٨٠٪ من السكان ولكنهم من أنشط العناصر وأبسلها

والآن اقتربت الساعة ودنا الخطر اليابانى من استراليا ، وسيتوقف الفوز فى المعركة القادمة على عاملين مهمين : أولهما المساعدات التى يقدمها الحلفاء ولا سيما الولايات المتحدة ؛ والثانى عزيمة الاستراليين أنفسهم ومقدرتهم على كيل الضربات إلى اليابانيين بصورة أقسى وأشد من الضربات التى يكيلها لهم اليابانيون . وهذه هى الروح التى يجب أن يعتصم بها الاستراليون فى هذا الصراع وإنا لشمس الغد لمنتظرون

أبو الفتوح عطيفة
مدرس العلوم الاجتماعية
بمدرسة الزقازيق

---

٢٨ – المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل التاسع — اللغة والأدب والعلوم

يلحق بالأزهر في ركنه الشرقي « زاوية العميان » يعيش فيها الآن حوالي ثلاثمائة ضرير فقير ، وأغلبهم من الطلبة ، على الأوقاف المحبوسة عليهم . وقد عرف هؤلاء بسلوكهم طريق التمرد والعنف والتعصب . وقد حدث منذ زمن غير بعيد أن دخل سائح أوربي الأزهر وشاع أمر حضوره ، فأخذ العميان يبحثون عنه صائحين : أين الكافر ؟ سوف نقتله ! وجعلوا يتحسسون طريقهم إليه للقبض عليه . بينما لم يظهر غيرهم رغبة ما في مهاجمة الدخيل . وكثيراً ما كانوا ينتهجون ، قبل تولي محمد علي الحكم ، مسلك الطيش والضجيج كلما حسبوا أنفسهم مظلومين ، أو كلما أنقص راتبهم في الطعام ، فكانوا يخرجون إلى الشوارع مصطحبين بعض الأدلاء مسلحين بالعصي ، يخطفون عمائم العابرين ، وينهبون محتويات المتاجر . ولم يكد يعيّن الشيخ القويسني [1] ، أشهر علماء الأزهر الحاليين ، شيخاً لزاوية العميان منذ بضع سنين ، وكان كفيفاً ، حتى أوجب جلد كل ضرير هناك ، إلا أن العميان ثاروا عليه وقيدوه ثم جلدوه جلداً أشد بكثير مما قاسوه ، وأكرهوه أخيراً على ترك منصبه

وكان التعليم مزدهراً ازدهاراً عظيما في القاهرة قبل دخول الجيش الفرنسي أكثر منه في السنين الأخيرة . وقد عانى التعليم كثيراً مما أحدثه هذا الغزو من الرعب والهرج . وكان يكفي قبل ذلك العصر أن يقوم الشيخ المتخرج من الأزهر بالتدريس لولدين من أولاد الفلاحين المتوسطي الثروة ليعيش في بحبوحة . إذ أن تلميذيه كانا يقومان على خدمته ونظافة منزله وتجهيز غذائه . فكانا وإن شاركاه الطعام يعتبران خادمين له في كل آن . فيتبعانه أينما ذهب ، ويحملان نعليه (وكثيراً ما كانا يقبلان حذاءه بعد خلعه) عند دخوله المسجد ، ويعاملانه في كل حين معاملة الأمراء . وكان الشيخ حينئذ يلبس الملابس الفضفاضة والمقلة العظيمة . وكثيراً ما كان المارة يسرعون إليه عند ما يمر بالطريق راجلاً أو راكباً طالبين منه الدعاء لهم ؛ ويعتقد من تحقق رجاؤه أن البركة حلت به . وإذا مر الشيخ بإفرنجي راكب وجب على الإفرنجي أن يترجل . وإذا ذهب إلى الجزار لشراء اللحم (إذ يرى أن الذهاب بنفسه خير من إرسال غيره) رفض هذا أن يتناول الثمن وقبل يده معتبراً طلب الشيخ شرفاً وبركة . أما الآن فقد انحط شأن هؤلاء الشيوخ حتى يصعب عليهم الحصول على معاشهم إن لم تكن مواهبهم منقطعة النظير

ولا جرم أن علماء المسلمين يعوقهم الدين [1] عن السير في بعض سبل العلم . وقد تفصل الخرافة في أمور اختلف فيها الناس أجيالاً طويلة . وهناك وسيلة غريبة لحسم النزاع في أي موضوع ديني أو علمي أو في أي حادث ، أضرب لها مثلاً . فقد قص على إمام الشيخ المهدي المفتي السابق الحكاية التالية : كان الشيخ محمد البهائي ، وهو رجل مثقف يعتبره العامة ولياً من أولياء الله ، يستمع إلى درس الشيخ الأمير الكبير شيخ المالكية عند ما قرأ هذا حديثاً للرسول من الجامع الصغير [2] للسيوطي وهو « إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة في الجنة » وأخذ يشرح الحديث بعد أن لخص تاريخ الحسن والحسين ملاحظاً أن لا أساس للرأي القائل بوجود رأس الحسين في مسجده بالقاهرة . وهنا قال محمد البهائي : فتملكني غم شديد لهذه الملاحظة لمخالفتها

---

(١) وكان منذ كتابة هذا شيخاً للأزهر وهو الآن متوفى

(١) لعله يقصد بالدين بعض آراء أهله كرأيهم في المنطق والفلسفة . (المترجم)

(٢) وهو مجموعة مختصرة مشهورة في الأحاديث النبوية

ما أعتقد وما زلت أعتقد ، بوجود الرأس الشريف فى هذا المشهد . ولكنى ما كنت لأعارض الشيخ لشهرته وسعة علمه .

وانتهى الدرس وخرجت أبكى . فلما جن الليل قمت أدعو الله وأبتهل إليه ولجأت إلى رسوله الكريم (ص) متوسلاً أن أراه فى المنام ليخبرنى بحقيقة الأمر . فرأيتنى أسير إلى المشهد الحسينى . فلما دنوت من القبة أبصرت بها نوراً ساطعاً فدخلت فوجدت أحد الأشراف واقفاً بالباب . فحييته فرد التحية وقال : « سلِّم على رسول الله » . فأرسلت النظر نحو القبلة فرأيت الرسول (ص) جالساً على عرش وعلى جانبيه وقف رجلان . فرفعت صوتى قائلاً : « الصلاة والسلام عليك يا رسول الله » عدة مرات وأنا أبكى : فسمعته (ص) يقول لى : « ادن يا بنى ، يا محمد » فأخذ الرجل الأول بيدى وقدمنى إلى الرسول (ص) . فحييته فرد التحية وقال : « جزاك الله خيراً على زيارة رأس الحسين يا بنى » . فقلت : « يا رسول الله هل رأس الحسين هنا ؟ » فأجاب : « نعم . إنه هنا » ففارقنى الحزن وفرحت وثبت جنانى وقلت حينئذ : « يا رسول الله سأقص عليك ما أكده شيخى وأستاذى الأمير فى درسه » . وأعدت عليه قول الشيخ . فأطرق (ص) ثم رفع رأسه وقال : « إن النقلة معذورون » . واستيقظت فرحاً سعيداً ولما ينقض الليل بعد . فعيل صبرى بطوله وجعلت أرقب طلوع النهار لأذهب إلى الشيخ فأقص عليه الرؤيا . فلما طلع الفجر أقمت صلاتى وخرجت إلى منزل الشيخ وأخذت أطرق الباب بشدة . فأسرع البواب فزعاً يسأل من الطارق ؟ فلما عرفنى فتح الباب ، ولو كنت غيرى لضربنى . ودخلت الفناء وأخذت أصيح : « سيدى ! يا سيدى ! » فاستيقظ الشيخ صائحاً : « من هذا » ؟ فأجبته : « أنا تلميذك محمد البهائى » فتعجب الشيخ لحضورى فى هذا الوقت وقال : « يا ألله ! ما هذا ؟ ما الخبر » ؟ فقد ظن أن حادثاً عظيماً نزل بالناس . ثم قال : « انتظر حتى أقيم الصلاة » . فظللت واقفاً حتى نزل الشيخ إلى الغرفة السفلى ودعانى إلى الصعود . فصعدت دون أن أحييه أو أقبل يده تحت تأثير الرؤيا ، وإنما قلت : « إن رأس الحسين فى مشهده بمصر ، لا شك فى ذلك » . قال الشيخ : « وما دليلك على ذلك ؟ وإذا كان مستندك صحيحاً فأرنيه » . فقلت : « ليس هذا فى كتاب » . فقال الشيخ : « هل رأيت رؤيا » ؟ فرويت له الرؤيا وعرفته أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرنى أن الواقف بالباب هو على بن أبى طالب ، والواقف على يمين العرش أبو بكر وعلى يساره عمر بن الخطاب ؛ وأنهم حضروا لزيارة رأس الإمام الحسين » . فوقف الشيخ وأخذ بيدى وقال : « هيا بنا نزور المشهد الحسينى » . فلما دخل القبة قال : « السلام عليك يا ابن بنت رسول الله . آمنت أن رأسك الشريف هنا بعد الرؤيا التى رآها هذا الرجل ، لأن رؤية الرسول فى المنام حقيقية ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بى » . وحينئذ قال الشيخ : « لقد آمنت أنت وآمنت أنا ولا يمكن أن تكون هذه الأنوار خادعة »

وقد أثار حديث الرسول صلى الله عليه وسلم السابق مناقشات أخرى بتّ فيها بالطريقة نفسها ، أى بالرؤيا . ولا يجرؤ أحد على مجادلة صاحب الرؤيا إذا كان ذائع الصيت فى العلم والورع

يفيد ما أشرت إليه فى بدء هذا الفصل أن بالقاهرة عدة علماء فى وقتنا الحاضر ، وأن بغيرها من المدن المصرية بعض العلماء الآخرين . ويعتبر الشيخ حسن العطار وهو شيخ الأزهر الآن (١) أحد مشاهير العلماء المعاصرين . وهو وإن يبلغ فى التوحيد والفقه مبلغ بعض معاصريه كالشيخ القويسنى خاصة ، ضليع فى الأدب . وهو مؤلف كتاب « الإنشاء » الذى يعتبر مجموعة فائقة من الرسائل العربية فى مختلف الموضوعات ، وضعها نموذجاً للأسلوب الإنشائى . وقد طبع هذا الكتاب فى مطبعة بولاق . وقد ذكرت اسم هذا المؤلف تنفيذاً لوعد قطعته على نفسى ، إذ طلب أن أنوه بمعرفتى له وأن أبين رأيى فى علمه ظناً أننى سأنشر فى بلدى أحاديث عن أهل القاهرة

(١) وقد توفى هذا الأديب الفاضل وقت كتابة هذا الكتاب

وقد اشتهر بحق الشيخ محمد شهاب بجودة أدبه ورقة شعره . وكان أنسه وذكاؤه يجذبان الأصدقاء إلى منزله كل مساء ، وكنت أحياناً أشترك في مسراتهم . فكان الشيخ يستقبلنا في غرفة صغيرة مريحة ، فيدخن كل منا شبكه ، وتقدم إلينا القهوة . وكان حديث الشيخ أعذب ما يقدم لنا . وفي القاهرة أيضاً علماء يتمتعون بشهرة عظيمة في اللغة والشعر . ويستحق الشيخ عبد الرحمن الجبرتي – وهو من مؤلفي القاهرة المتأخرين – أن يشار إليه بصفة خاصة ، إذ أنه وضع تاريخاً جليلاً لحوادث مصر منذ القرن الثاني عشر للهجرة[1] . وقد توفي عام ١٨٢٥ أو ١٨٢٦ عقب قدومي القاهرة لأول مرة . وتنتمي أسرة الشيخ الجبرتي إلى الجبرت في جنوب شرق الحبشة على شاطئ المحيط ، ويدين أهل جبرت بالإسلام ، ولهم رواق في الأزهر ، ومثل ذلك في مكة ، وفي المدينة .

* * *

لم يعد الشعر الجاهلي يفهم على حقيقته في القرنين أو الثلاثة الأولى للهجرة لغرابة ألفاظه ، فمن باب أولى لا نجد الآن من يستطيع شرح هذه النصوص القديمة . غير أن هناك في مصر من تضلع من علوم الصرف والنحو والبلاغة والأدب بالرغم من سيادة التوحيد والفقه في هذا البلد . وقلما يعرف علماء مصر تاريخ بلادهم معرفة جيدة ، وأقل من ذلك معرفتهم بتاريخ الأمم الأخرى . أما الذين لا يحترفون الأدب من سواد الشعب فحصولهم الأدبي منحط النوع . ويجيد الكثير من التجار الأغنياء فن القراءة والكتابة ، ولكن قل من يخصص أكثر وقته لدراسة الأدب . ويعتبر من حفظ القرآن جميعه أو أكثره ، واستطاع أن يتلو قصيدتين أو ثلاثاً ، أو يضمن الحديث بعض الأمثال ، رجلاً كامل الثقافة . وهناك تجار في القاهرة أميون فيلجأون إلى أصدقائهم ليكتبوا لهم حساباتهم ورسائلهم . إلا أن هؤلاء التجار لا يهتمون بذلك على العموم ، فيقومون بعمليات حسابية ذهنية معقدة بسرعة فائقة ودقة مدهشة .

ويخطئ المسيحيون في أوربا في اعتقادهم أن المسلمين أعداء العلم على اختلاف أنواعه تقريباً . والحقيقة أن العلم في الوقت الحاضر تحده حدود ضيقة ، فقل من يدرس الطب والكيمياء والرياضيات وعلم الفلك . وتجد أغلب الأطباء والجراحين المصريين حلاقين يجهلون العلم الذي يباشرونه جهلاً مضراً وتنقصهم المهارة فيما يمارسونه .

ويرجع بعض ذلك إلى تحريم الدين تشريح الجسد . إلا أن بعض المصريين الشبان يتلقون الآن دراسة أوربية في الطب والتشريح والجراحة وعلوم أخرى لخدمة الحكومة . وكثيراً ما يرفض المرضى من المصريين كل مساعدة طبية متوكلين على العناية الإلهية أو معتمدين على السحر . ويدرس في هذا البلد علم تحويل المعادن أكثر من دراسة علم الكيمياء الصرف ، وعلم التنجيم أكثر من علم الفلك . ولا يستعمل في مصر من آلات الفلك غير الاسطرلاب والربع المقنطر Quadrant تقريباً ويندر أن نشاهد مرصدة[1] (تلسكوب) هنا . وقلما تستعمل الإبرة المغناطيسية (البوصلة) إلا لمعرفة القبلة . ويصنع لهذا الغرض في دمياط بوصلة صغيرة ملائمة (تسمى قبلية) تبين اتجاه القبلة في المدن الكبيرة للبلاد المختلفة . وأغلب المدن بها مزاول تبين الوقت ظهراً وعصراً في أماكن متعددة وفصول مختلفة . ويجهل هؤلاء الذين يدعون علم الفلك الأصول العلمية الصحيحة ويعتبرون القول بدوران الأرض حول الشمس إلحاداً مطلقاً ؛ ويستخدمون علم النجوم في حساب التقويم السنوى

« يتبع » عدلي طاهر نور

(١) ويوافق بدء القرن الثاني عشر للهجرة اليوم السادس عشر أو السابع عشر من اكتوبر سنة ١٦٨٨ ميلادية .

(١) هذا ما قرره المجمع اللغوى . أنظر مجلة مجمع فؤاد الاول للغة العربية الجزء الرابع . « المترجم »

حيـــلة جديدة

هَلْ دَرَى عَاشِقُوكِ أَنِّي تَجَنَّيْـ ... ـتُ عَلَيْكِ الذّنوبَ بَعدَ الذّنوبِ؟

هلْ دَرَوْا أنني افتريتُ الأكاذيـ ... ـبَ وأمعنتُ في اختلاقِ العيوب

ليثُوروا على هواكِ ويُمسوا ... في رُيوبٍ موصولةٍ بريوب

وتعُودي لِمُنْيَتِي وَلقلبي ... أنا وحدي لا لِلْمُنَى والقلوب

كُنْتِ نجوايَ وابتِسامَ حياتي ... في حياةٍ مليئةٍ بالخُطوبِ

تتمنَّى عرائسُ الشعرِ لو كُنَّ ... لِحَاظاً في طَرْفِكِ المَرْهُوب

وعلى راحتيْكِ رقرقتُ أشوا ... قي صلاةً لحسنِكِ المحبوب

أتحدَّى بشائرَ الكونِ والآ ... مالَ طُرًّا بوجْهِكِ المَوْهوب!

حِينَ كنتِ الحياةَ تملأُ عيْني ... ثمَّ كنتِ الحياةَ تملأُ كوبي

ثمَّ كنتِ الحياةَ في غَوْرِ إحْسا ... سِي وتمسي وقلبيَ المشبوب

كَمْ تمنَّيْتُ أنْ أنالَ نصيبي ... وَبِحَسْبِي أن كُنتِ أنتِ نصيبي

كان لي في هواكِ ماضٍ طويلٌ ... وأغانٍ رقراقةُ التَّشبيبِ

أتغنَّى بسحرِ عينيْكِ ظمآ ... نَ إلى ثغركِ الرقيق الشنيب

فخلقتُ العشاقَ بالشِّعر والحُـ ... ـبِّ وبالدَّمع والضنى والشُّحوب

فتراموْا على هَوَاكِ ظِماءً ... كترامي الفَراشِ حول اللهيب

وأحبوكِ أنتِ أنتِ وذاقوا ... حُرَقَ الحُبِّ حلوةَ التعذيب

وغدوتِ الحبيبَ في كلِّ قلبٍ ... وَسَلاَ العاشقونَ كُلَّ حبيب

فأصرَّتْ صبابتي أن تكوني ... لِيَ وَحْدي في فرحتي ونحيبي

وبرغمي أرجفتُ فيكِ فقالوا ... أنْتِ كالشَّمسُ آذَنَتْ بغروب

هل درى عاشِقوكِ أني تجنيْـ ... ـتُ عليكِ الذنوب بعد الذنوب

هل درَوْا أنني افتريتُ الأكاذيـ ... ـبَ وأمعنتُ في اختلاق العيوب

لتعـودي لمنيتي ولقلبي ... أنا وحدي لا للمنى والقلوبِ

(كوم النور) **أحمد أحمد العجمي**

على عودى الحزين

ليتنـــا ...

لَيْتَنَا نَحْيَا سَعِيدَيْنِ هُنَا !
فِي ظِلاَلِ الدَّوْحِ نَشْدُو لَحْنَنَا !
وَإِذَا مَا هَتَفَ الْمَوْتُ بِنَا !
نَطْرَحُ الزَّهْرَ عَلَيْنَا كَفَنَا !

صَبَوَاتِي أَنْتَ فِي الدُّنْيَا وَأَحْلاَمِي وَفَنِّي
وَسَعَادَاتِي وَصَفْوِي وَتَسَابِيحِي وَلَحْنِي
أَنْتَ فِي قَلْبِيَ يَنْبُوعٌ مِنَ الْخُلْدِ يُغَنِّي
فَجَّرَ اللهُ عَلَى وَجْهِكَ مَا يَمْسَحُ حُزْنِي
فَتَغَنَّيْتُ مَعَ الأَطْيَارِ مَا يُسْعِدُ كَوْنِي
لَيْتَنَا نَحْيَا سَعِيدَيْنِ تُغَنِّي ... وَأُغَنِّي

***

أَنْتَ يَا رُوحِي نِدَاءٌ فِي فَمِي !
وَشُعَاعٌ ضَاحِكٌ فِي حُلُمِي !
أَنْتَ صَفْوٌ يَتَهَادَى فِي دَمِي !
كُلَّمَا ضَجَّ بِقَلْبِي أَلَمِي !

هَاتِ مِنْ سِحْرِكَ هَاتِ وَاسْقِنِي كَأْسَ حَيَاتِي
أَنْتَ نَبْعِي وَظِلاَلِي وَدُعَائِي وَصَلاَتِي
نَسَجَ الْوَهْمَ عَلَى أُفْقِي طُيُوفَ الظُّلُمَاتِ !
وَبِكَفَّيْكَ إِذَا شِئْتَ صَفَائِي وَنَجَاتِي
أَنَا فِي الدُّنْيَا غَرِيبٌ تَائِهٌ فِي رَحَبَاتِي
فَاسْكُبِ الأَفْرَاحَ فِي قَلْبِي وَأَسْكِرْ نَغَمَاتِي

عبد العليم عيسى



فى الأدب التركى

من أنباء اسطنبول أن الدكتور « طازر » سكرتير حزب الشعب اقترح تأليف هيئة تحكيم تختار من الكتاب والأساتذة الأتراك برياسة السيد خالد ضياء أوشكيلجيل لاختيار أحسن رواية تركية نشرت خلال العشرين سنة الماضية ، فوقع اختيارهم على رواية « سنيكلى البقال » للسيدة خالدة أديب ، وفازت بالجائزة الثانية رواية « يابان » للكاتب « كياسمانجلو » وفازت بالجائزة الثالثة رواية « فهيم بك » للكاتب السيد حيدر .

وتعد السيدة خالدة أديب من أنبغ من جمعوا الثقافتين السكسونية والتركية ، وقد ولدت فى اسطنبول من أسرة تركية عريقة فى النسب ، وقضت طفولتها فى الأناضول ، ثم تلقت دراستها فى الكلية الأمريكية للبنات المقامة على ضفاف البسفور

وقامت بعد ذلك بدور هام فى الحرب الوطنية التى حدثت فى ١٩١٨ — ١٩٢٢ وعملت فى الجيش برتبة نفر فى فرقة النساء المتطوعات ، وقد رقاها الغازى أتاتورك نفسه إلى رتبة جاويش فى ميدان القتال لما أبدته من ضروب الشجاعة والإقدام .

وفى سنة ١٩٣٠ رحلت إلى أمريكا حيث ترجمت عدداً من كتبها ورواياتها إلى الإنكليزية ، فصادفت رواجاً واستحساناً عظيمين . ثم ألقت سلسلة محاضرات فى جامعة كولومبيا بنيويورك عن « الآراء الحديثة السائدة فى الشرق الأدنى » .

ورجعت إلى تركيا ، ثم عينت قبل أربع سنوات أستاذة للأدب الإنكليزى فى جامعة اسطنبول ، ولا تزال تقوم بالتدريس فى الجامعة . وهى تعد من أشهر وأحب النساء فى تركيا ، وهي خير مثل لمزج الثقافتين السكسونية والتركية . فهى جريئة لا تتردد فى قبول التبعات وتحملها مهما بلغت . فإذا رأيتها رأيت سيدة وقورة هادئة غير هيابة . . وهي خير مثال للأم الحنون وربة الدار الكاملة ؛ ولم يمنعها ذلك كله من أن تحمل السلاح وتخوض المعارك حينما أهاب بها الداعى إلى الدفاع عن بلادها ، والنضال عن حريتها واستقلالها . وهى وإن كانت كاملة الأنوثة والرقة لم يمنعها ذلك كله من أن تكون مقدامة لا تهاب ، وفيها ما فيها من سحر الشرقيات وجاذبيتهن

إلى الدكتور زكى مبارك

قرأت مقالتك الحافلة « تحت السدرة » ، وأهنئك بتصوير أحاديث الضمير ، هذا التصوير الرائع الطريف ؛ ولكنى أستميحك فى أن أقول لك : لقد ظلمت فى هذا التصوير أبانا « آدم » ، فصورته خاضعاً مستكيناً لعبقرية الجمال

وأنا أزعم بأن ما حدث من « آدم » من التعرض لمكاره الأكل من « الشجرة » ، لم يكن الوحى به جسد « حواء » وحده ؛ ولكننى أتهم معه ما ركب فى رجولة « آدم » من حب المخاطرة والاستطلاع ، والتلذذ باقتحام المكاره والصعاب !

ولا أكاد أسيغ أن « آدم » قد تلقى أمر الله باجتناب « الشجرة » فلم تحدثه نفسه ، ولم يتحدث هو إلى نفسه فى هذا الأمر ، حتى أتت « حواء » فطوته بدلالها وفتنة جمالها دفعة واحدة ، وذهبت به إلى حيث أرادت . وأعتقد أنه لو رزقها الله الصبر ولم تتحدث إلى « آدم » لتحدث هو إليها ، ولفعل ما كانت تريد . وليس معنى هذا أن أعفى الأثر الذى أحدثته « حواء » ، ولكننى لا أنسب لجمالها كل شيء !

صحيح أن الناحية الأدبية تفقد كثيراً من حرارتها على هذا الوضع ، ولكن هذا خير لنا من أن نعطى « حواء » الجديدة الفاتنة مادة جديدة تتطاول بها على « آدم » الحديث

فما رأيك يا دكتور فى أن نلقى على كاهل كل منهما تبعته فى الخروج من الجنة لتصطرع الأهواء على هذه الأرض ولتحقق لله حكمة تحار فى فهمها العقول والأفهام؟

أحمد رضوان حامد

آثار من أولية الشعر

للباحث العالم الأستاذ عبد المتعال الصعيدى آراء فى الأدب سديدة ، ونظرات فى النقد والتحليل عميقة ، وقد كتب فى عدد « الرسالة » رقم ٤٥٤ مقالاً بالعنوان الذى يظل كلمتى هذه رأى فيه أن قصيدة عبيد بن الأبرص التى مطلعها :

أقفر من أهله ملحوب فالقُطَّبيَّات فالذنوب

تمثل أقدمية الشعر خير تمثيل ؛ إذ لا يستقيم لها وزن ، ولا تضمها قافية ، ومع تقديرى لآراء الأستاذ أخالفه فى ذلك الحكم لما يأتى :

١ — عاصر عبيد امرأ القيس المعقود له لواء زعامة الشعر ، فاضطراب قصيدة شاعر فى عصر بلغ الشعر فيه آية الجودة لا يتخذ دليلاً على سنة التطور والارتقاء ، وإلا لصح لنا أن نتخذ

من محاولات المبتدئين فى عصرنا هذا دليلاً ،كذلك على كيفية نشأة الشعر الأولى ، وأحسب الأستاذ يرفضه رفضاً جازماً

٢ – سبق عبيداً شعراء كُثر خلا شعرهم من كل اضطراب فى الوزن والقافية من أمثال دويد بن زيد القضاعى والأفوه الأودى من أصحاب المقطعات ، والمهلهل بن ربيعة والحرث بن عباد من أصحاب المطولات

٣ – لم يكن عبيد شاعر الطبيعة، فشارحو المعلقات يروون عنه « أن أحد بنى ثعلبة هجاه مقذعاً فابتهل عبيد إلى الله بقوله : « اللهم إن كان هذا ظلمنى ورمانى بالبهتان فأدلنى منه » ، ثم نام ولم يكن قبل ذلك يقول شعراً فأتاه آت فى المنام بكبة من شعر حتى ألقاها فى فيه فقام ترتجز هاجيا بنى ثعلبة » الشك فى القصة لا يرقى إلى أنه لم يكن شاعراً سليقياً ، وهـذا الجاحظ يستضئل آثاره فيقول : « إن عبيداً وطرفة دون ما يقال عنهما إن كان شعرهما ما فى يد الناس فقط »

٤ – اتخاذ عبيد وعلقمة دليلاً على تطور الشعر يقرب نشأة الشعر عند العرب ويظهرهم أمة جامدة العواطف متحجرة المشاعر آماداً طويلة وهو ما لم يزعمه غير العربى، فضلاً عن العربى النافح عنها

٥ – لأن نتخذ عدم قيام دليل أدبى لتطور الشعر حجة على أقدميته وبعد نشأته أشرف للغة العربيـة وديوانها من تلمس أدلة لا تقوم على دعائم قوية ؛ لأنه ليس هناك من يشك فى أن الشعر كـكل أثر أدبى أو علمى مرت عليه أحقاب وآماد حبا فيها وخطا ينهض حيناً ويكبوا حيناً حتى نما واستحصد وصار فناً له قواعد وقوانين ، وابن خذام الذى ورد فى قول امرئ القيس :

عوجاً على الطلل المحيل لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن خذام

شخصية مجهولة للقدامى لإيغالها فى البعد

٦ – لا يغض من قيمة الأدب الجاهلى أنه لم يقيد ؛ لأن الأمة كانت تحيا حيـاة فطرية فهى تعتمد فى أدبها على حوافظها وصدورها لا على كتبها ومدوناتها ، والشاكون فى الشعر الجاهلى لا يشكون فيه جملة وإنما يساورهم الشك فى بعضه ، ولعل قصيدة عبيد هذه من دعائم شكهم ؛ لأنهم يرون ما فيها من اختلال واختلاط عبثاً من الرواة ، وسخرية بالقدامى

تلك نظرة عابرة أرجو أن يتيرها الأستاذ لفتةً فاحصة ؛ ليتبين ما فيها من سداد أرجوه . وله من الأدب وأبنائه التقدير والإكبار

عبد العظيم على قناوى

ما قول الأستاذ لطفى جمعة ؟

قرأت فى جريدة « منبر الشرق » الزهراء فى عدد ٦ مارس عام ١٩٤٢ مقالة بعنوان : « على العزبى يمر بمواكب الحياة » للأستاذ محمد لطفى جمعة المحامى فوجدتها مأخوذة بالنص فى كثير من مواضعها من كتاب « معالم تاريخ العصور الوسطى » المقرر على السنة الثانية الثانوية هـذا العام لمؤلفيه محمد رفعت بك والأستاذ محمد أحمد حسونة ، فقول الأستاذ لطفى مثلاً :

(فـكانت روما عاصمة الأمبراطورية ترسل إلى كل جهة من يغرس فيها حضارتها بمجرد استعداد البلاد المفتوحة لقبولها ، فتى تم فتح إقليم بدأ صبغه بالصبغة الرومانية ، وإذا أخلد أهله للسكينة منحوا حقوقاً مدنية تشابه حقوق أهل روما أنفسهم ، حتى أنه على الرغم من الفروق التى كانت تفصل كل ولاية عن الأخرى شاعت بين الجميع مبادئ التهذيب الرومانى الخ) مأخوذ بالنص من الفصل الأول صفحة «١» من هذا الـكتاب ، وقوله أيضاً :

(وكان أبناء الأشراف ينضمون من سن السابعة إلى فارس مشهور ينشأون معه ويقومون بخدمته ويتعلمون منه ضروب القتال وآداب المائدة والحديث والاستقبال ويصحبونه فى الصيد والحرب وكان السواد الأعظم من القائمين بفلح الأرض وغيره من الأعمال من طبقة الأقنان أو رقيق الأرض وكانوا مرتبطين بالأرض ملزمين بالعمل فى أرض السيد الخاصة نحو نصف الأسبوع الخ) مأخوذ بالنص من الفصل الرابع صفحة « ١٢٨ » من نفس الـكتاب ، كما أن قوله أيضاً :

(وكان العرب يعتمدون على الخيل فى حربهم فلما قابلهم شارل مارتل فى موقعة « تور » عام ٧٣٢ أعجب بما للخيل من الصفات الحربية فـكون فرقاً من الفرسان على النسق العربى ومن ثم انتشر النظام فى أوربا كلها الخ) مأخوذ بالنص أيضاً من الفصل الرابع صفحة «١٢٧» من نفس الـكتاب . فإذا كان مراد الأستاذ الاستشهاد بما نقله من الـكتاب فلماذا جاء به فى سياق كلامه دون أن يضعه بين قوسين علامة التضمين ؟ ولماذا لم يذكر المصدر ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ما دخل المرحوم على العزبى شاعر دمياط فى تاريخ العصور الوسطى وأحوالها الاجتماعية وهو رجل عاش ومات فى القرن العشرين ؟ وما دخل عهد الأقطاع وأحواله فى « دراسة تحليلية » الشاعر ؟ وما فائدة إقحام العصور الذهبية للأمم فى مجال ذكرى أديب ؟

كمال الدين نشأت



النغم الضـائع !

بقلم F. MATANIA

[قصة من أدب الحياة الواقعي ، طغت فيها التقاليد على قلب فنان عبقري]

للأديب حسين محمود البشبيشي

في يوم من أيام عام ١٧١٧م أضاءته شمس الجنوب اللامعة الباسمة ، ترنحت عربة رثة متربة خلال مدخل كابيونيا أحد مداخل نابلي ، وقد جلس في داخلها غلام في عامه الثامن ، تحمل الرحلة المرهقة القاسية وحيداً من قرية جيزى إلى نابلى . وماكان معه من سند غير بعض كتب التوصية لنفر من البيوتات النابولية الرفيعة .

كان هذا الغلام هو « جيامباتيسنا بورجوليزى »

ولما نزل من العربة تعباً غريباً تائهاً في حياة العاصمة الدوارة الصاخبة ، وضعه جنود الحراسة في عربة عامة ، وأرسلوا به إلى أحد العناوين التي على كتبه .

تصور طفلاً صغيراً ضعيفاً كصاحبنا خرج لأول مرة من مجتمعه الصغير الحقير في قرية جيزى بالقرب من أنكونا حيث تتوافق الأزقة المهجورة وملالة الوجود ، وتمازجت حقارة الفكرة وشفافية الحياة ، إلى نابلي هذه المدينة الرحبة الصاخبة الماجنة العابثة الغارقة في النور وشهوته ، الضاربة في كل فن وكل غريب . . .

تصوره وقد تعلق الأطفال حول العربة كل يريد الركوب ، والحوانيت تبين وتغيب ، والمطاعم تقدم صحاف المكرونة المعهودة ليلاً ونهاراً في ضجة ومرح ، وهناءة وفرح ، والجمهور التائه كسرب من الحمام ، الصاخب كقطيع من الأغنام ، يزيد في صخبه ، ويمعن في دورانه ، والأسواق متنوعة : أسواق للسمك وأسواق للفاكهة وأسواق للخضر تموج في ضجتها وشدتها ، وتضطرب في تقلبها وحركتها ، كل ذلك بين أصوات للباعة ترتفع جشاء جوفاء لا انسجام فيها ولا اتزان . . .

مسكين « جيامباتيسنا » ! هل كان في حيرته يدور في خلده ، إذ ذاك ، أن عبقريته ستتوجه يوماً ما في هذه المدينة الدوارة المضطربة بوسائل الفرح ، المتقلبة في مظاهر الانطلاق الروحي والحسي ! !

لقد ولد في أسرة هي أغنى في عقليتها وتعليمها منها في ماليتها وتقاليدها ، وأعظم في ميولها وأحاسيسها منها في أصلها وأعراقها .

ورأت فيه عائلته عن حق ميلاً إلى النبوغ الموسيقي ، يتألق أنغاماً روحية تشعها روحه الباسمة وحركاته الراتبة ولفتاته الأنيقة . فأرسلته إلى « نابلي » ليأخذ هناك من نبعها الدافق ، ويتعيش فيما بعد منها . ودخل بالتوصية والالتفات والرعاية (المعهد الموسيقي العظيم) حيث تعلم العزف على القيثارة تحت إرشاد الفنان القديم « ديماتيس » ، فكان له من طبعه الفني القادر ، وزوج أستاذه الساحر ، أكبر باعث ألهب فيه حيوية الفن وأقباسه . فصقل روحه بكل جديد من الصور ، وخلع على قلبه كل فاتن من الأحاسيس ، وإن ما كان يتوقعه هذا الفنان « ديماتيس » لتلميذه المتألق المتوثب من مجد دفعه إلى أن أثر على الشاعر العظيم « جريكو » الذي اهتم بهذه العبقرية المتألقة المتطلقة التي لم تزل بعد في أكمامها .

ووجد « برجوليزى » ككل فنان حديث يشعر في قرارة نفسه بحيوية تريد أن تفيض ، وأقباس تتطلع للظهور ، وألوان تتواثب لتتنسم الحياة ؛ وجد فناننا « برجوليزى » من القيود الموسيقية الرثة أغلالاً تجعل أجنحة فنه تحلق في سماء محدودة وأجواء مقيدة ، وآفاق لا تشبع الرغبة الجامحة والنزعة الطافرة . وضاق صبره بتلك القيود ولكنه أكره نفسه عليها ! حتى غادر مع أستاذه المعهد العظيم في عام ١٧٢٦ ليجنى حراً طليقاً ما يريده

من أزاهير ، فتفتحت أمامه مبكرة ، وتحققت أمانيه ؛ فلحن على حداثته قطعاً من الأوبرا ونشيداً رائعاً فاتناً ساحراً هو (سان جيجليلمو) مما كان له مكانة سامية وشهرة عظيمة حتى فى هذا الوسط الفنى

ورحبت به العائلات الرفيعة التى كان عطفها ورعايتها قبلة فنانى القرن الثامن عشر

ولا عجب أن رحبت به والتفتت إليه ، وهامت بألحانه الساحرة ، وما تريد سوى أن يلتف حولها الفنانون . أما هو فقد جلت أثوابه الجديدة الأنيقة من ملامحه الدقيقة الوسيمة ، وقد عكس وجهه الوضئ الغنى روحه الشاعرة الفتية العامرة بالحساسية !

ووجد ثمرة الإلهام أمامه ناضجة

فقد كان ملك نابلى المتحمس لتشجيع فنانى عصره ملاذاً للعلماء والمهندسين والرسامين والموسيقيين ، وأصبحت نابلى إذ ذاك فى أوج مجدها الفنى ، إذ كانت مركزاً منفرداً للمدنية ، انبثق منها إلهام حى سام متألق لجامياتيستا

لقد كانت المدينة غنية بفنانيها حقاً . لقد انطفأت شعلة حياة (كوريللى)[1] و (وللى)[2] ولكن الجمرة التى تركاها تأججت من جديد عند ما نفخ فيها سحر (سكارلاتى)[3] ولما قضى هذا الفنان أيضاً لم يكن إلا لفنان قادر سامى العبقرية ، متوقد الروح ، بعيد مدى الآمال ، أن يحفظ عظمتها وينهض بها

فكان برجوليزى فناناً ولم يزل بعد فى العشرين وارثاً ملهماً فذاً لهذا الإرث السامى من الفن العظيم . ما أسعده وما أتم نعمة الفن عليه ! لقد بلغ المجد الذى تطلع إليه . لقد سطع عليه القبس الروحى الذى طالما عناه . لقد أصبح الفنان القادر الساحر

ثم خفق فؤاده يوماً ما شديداً عنيفاً عند ما دعى إلى بيت « سيبنللى » النبيل الكبير

(١) و (٢) من أعلام الموسيقى فى هذا العصر

(٣) وارث الفن بعدهما وسرعان ما أفل نجمه

ثم خفق فؤاده مرة أخرى ، ولكنه كان فى هذه المرة أشد خفقاناً ، حينما انتهت مراسيم التقديم ، ووجد نفسه منحنياً أمام غيداء فاتنة . لقد تنازلت ابنة أكبر البيوتات النابولية ارستقراطية عن كبرياء عائلتها ، رائعة دقيقة ساحرة ، تلك هي ماريا سيبنللى التى نظرت إلى الشاب الفنان بورجليزى ، وألهبت شرارة حبها نار الوجد فى حناياه ! . . . وسواء أكان ذاك لفتنة فيه أم لسحر فى موسيقاه فقد باحت بسر الجوى أعين لطاف فجاوبتها عيون ! وصفق قلب فأسرع إليه قلب . . . وهكذا فاض روح الحب من النفس الجميلة والنفس الفنانة

ولكن وا أسفاه ! لم يكن للقصيدة الأبدية من تمام . لقد كانا فى ميعة الشباب وفتنته ، يتدفق فيهما الشعور بروح الجمال ، وتفيض أعينهما إحساساً به ، كما كان هناك على آخر ما يصل إليه البصر من نافذة القصر حيث يتصاعد عبير البرتقال قبور ، ترفع نصبها فى جنون تحت شمس الظهر المرهقة الحارة . أجل لقد كانا فى ميعة الشباب ، ولكن كان هنالك قبور بالقرب من عش غرامهما !

فلا عجب أن دار قدرهما قوياً قاهراً فعصف بهما عصفاً

تناثرت هنا وهناك الأحاديث ! وعرى أرستقراطيو القوم وجوم ودهش . يا عجبا ! ابن الشعب ذلك الحقير ، يتطلع إلى أن يختلط دمه الأحمر الشديد الحمرة بدم أسرة سيبنللى الأزرق الشديد الزرقة ! لتكن عبقريته ما هى ، ليكن قدره ما يكون ، ليكن مستقبله ما سيكون ، ليكن كل شىء

لقد كانوا حمقى ! وما كانوا غير ذاك . فإن من اتحاد الأحمر والأزرق يتكون ذلك اللون البنفسجى الرائع الذى يعلوها . ! تلك هى السماء

ولقد كانت الفكرة ، بل التفكير فيها أمراً حراماً . . . ابن الشعب يتطلع إلى بنت البيوتات الرفيعة !

ثار أهلها كل الثورة ، وحقدوا على الفنان كل الحقد ، وبرموا به كل التبرم . وأما أشياعهم من ذوى التقاليد والأشراف

ولهم فتيات قد يتطلع إلى إحداهن يوماً ما فنان من أبناء الشعب فقد شاركوهم الأمر، وتنكروا لفناننا برجوليزى

وهكذا تعبث الشهوات الزائلة بجلال الفن، وتعبث الأغراض الدنيئة بجلال الحب ، وتفسد التقاليد العتيقة انسجام روحين ؛ فما أحقر الإنسان إذا انطلقت فيه نوازع النفس الترابية وغطت على بصره ، فظن أن الحياة مظاهر وتقاليد ؛ وما كانت لتكون كذلك والزهر يعانقه الشوك ويقاسمه أغصان دوحته ! أوصدت الأبواب المسرحية ، وحبست الوجوه الباسمة ، وولت الأقدام المقبلة ، وأغلقت ... وأغلقت تلك الخميلة التي طالما عزف فيها لماريا ، وألهمته فيها ماريا

وحجبت عن نظراته الوالهة ابنة أسرة سبينللى

ولم يك يصل إليها إلا على جناحى أنشودة خالدة ، وفى ثنايا نسمة عابرة ، وبين ألفاف أمنية مستعرة . وثقلت به الحياة وثقل بها فانغمس فى ألحانه الباكية ، وترانيمه الحزينة ، عساها أن تكون له عن دنياه سلوى ، كما هى عن جواه

وتدفقت أمامه الشهرة الفارغة الجوفاء . وسجدت نابولى لعبقريته حين قدّم لها فى عام ١٧٣٠ قطعته الخالدة بعد نجاتها بأعجوبة من زلزال مروع . ولقد كانت قطعته هذه فريدة حقاً فى نغماتها ، وحيدة حقاً فى ألحانها ، فذة حقاً فى معانيها ، منقطعة حقاً فى روعتها . ولقد أدرَّت عليه كل ما ابتغاه فى فجر أيامه ، وتمناه فى متنفَّس عمره . أدرت عليه كل شىء ليضعه تحت قدمى ماريا ، ماريا الفاتنة ، ماريا ملهمته الفن الساحر القادر . ولكنما قدماها كانتا مغلولتين بغل من حديد التقاليد

لقد كان محرماً عليها هناك فى سجنها الذهبى حتى النطق باسم برجوليزى . فماتت بسمتها المرحة على شفتيها ، وانطفأت شعلة فى عينيها كانت متألقة باسمة . وجاءها إخوتها الثلاثة يوماً ، وقد أخذ الغضب منهم كل مأخذ ، وتطاير شرر التقاليد من أعينهم ، وأجهر بوق الأرستقراطية أصواتهم ، فتدافعوا إلى خدرها ، وهددوها وسيوفهم مشروعة بأنها إن لم تتخذ لها بعلاً كفئاً لها استقر السيف فى قلب هذا الموسيقى الحقير ! فدافعتهم بدورها ولوحت لهم بالقانون منتقماً لحبيبها . فضحكوا ؛ فهم حماة الشرف السبينللى ؛ ولم تك ليد أن تمتد إليهم إذ ذاك لا أن تمسهم .

لقد كان لهم أن يضحكوا ؛ فلم يك قولهم إلا حقاً ، فما نابلى إذ ذاك إلا مدينة الأشراف ؛ ولقد كانوا هم سادة الأشراف ! !

ومرت أيام ومضت ليال وجاء إخوتها برجل من أسرة كرافا أثقلته حليه ، وجللته عظمته ، فأخفت رأسه الفارغ ، وكست روحه العارية

لقد كان غنياً أرستقراطياً لا شبهة فى ذلك ، جاء به إخوتها لترضى به زوجاً ؛ ولكن لم تكن ماريا لتفتنها الثروة أو تأخذها الأبهة ، وما كانت لتريد رجلاً أياً كان ... لقد كانت تريد شيئاً غير هذا ! شيئاً أجمل من هذا . فخرج الكرافى بوجهه المصقول ، وجواهره اللامعة ، وتقاليده الرائعة ، وانحنى له إخوتها مودعين وقد وضع يده فى جيبه يتحسس خاتمه الذى لم يقدر له بعد أن يوضع فى مكانه

وأمضت ماريا برفضها الكرافى أمراً بالقضاء على برجوليزى . ولم تك هناك إلا طريقة واحدة لنقضه . لم يك هناك إلا أن تهب نفسها لله !

فوافق إخوتها . ولأمر ماقرروا أن يرأس برجوليزى العازفين فى حفل ترهبها ! يا عجباً ! برجوليزى يقدم قلبه لله !

وفى الحادى عشر من مارس عام ١٧٣٤ فى كنيسة سانتاشيرا رأس برجوليزى العازفين وبدأ الحفل فلوح بعصاه يفتتح قبر قلبه فكان لنقراته على حامل الموسيقى صدى ، كأنما هو يؤذن برفع الستار عن إحدى المآسى

ورفع الستار عن مأساة مروعة : عذراء تترهب مقدمة شبابها ، جمالها ، حياتها ، قلبها ، إلى نسيج حسن لا يرققه ولا يلطفه إلا الإيمان بالله

مأساة أعمق من أن تصل إليها الألفاظ والجمل . لقد كان الرهبان يصيحون : «مرحباً بعروس البيعة» ، ورنت أصواتهم فى كل أذن سمعتهم . أما أذن العروس ، وأما أذن رئيس العازفين فقد سمعتا ماريا كل نغمة تصيح : وداعاً . وداعاً رمى بها الأفق ، وداعاً ابتهل بها الرهبان . وداعاً نطق بها دخان البخور وقد صعد يتلوى فى زرقته إلى الله . إنه لم يترنم فى صعوده برسالة حبيب إلى السماء ، بل لقد كان يصيح وداعاً ويتلوى لرسالته من الألم ! وتخافتت الأصوات ، وسكنت الأقدام ووقف برجوليز وحيداً

مرفوع الرأس مديراً بعصاه أنغام العازفين وحركاتهم

لقد كان جديراً حقاً ذلك الحفل بأن يضع على رأسه أكاليل النار ، ولكنه كان مأخوذاً مرعوباً لم يدر شيئاً ، ووقف يحترق فى لهبه ، لقد كان فريسة لأساه ، هشيماً لنار جواه . وبكاها برجوليزى إلى العالم ولم تزل حية ، لم يبك « الأخت فكتوريا » كما نادوها فى الدير ، بل بكى الحبيبة ماريا . لقد بكاها وهى فى كهفها الضيق ولا من يسمع أناتها . إنك لتقرأ مأساتها كما قرأها من قبلك ، وكما سيطالعها إلى الأبد الكثيرون فى دمعته المحرقة فى دمعته الصارخة « Stabat Mater » ولا عجب أن كانت معجزة فلم يك أبداً فؤاد إنسان ذلك الذى لحنها ، ولكنه فؤاد من ذهب روحى خالص نقى صهرته الآلام الملتهبة

لم يتمكن الزمن أن يحدث معجزة النسيان ، ولكن لم يك غير الموت شافياً « لماريا » . فلم تمض سنة حتى تركت الأخت « فكتوريا » وراءها على الأرض صدفة مرمرية ورسالة إلى من وهبته قلبها . وحمل الرسالة إخوتها إلى « برجوليزى » فى روما ؛ فقد رحل من قبل عن « نابلى » مثوى أحلامه . أما الرسالة فكانت : « دعوا برجوليزى يدير الحفل الأخير لروحى حتى يتاح لها أن تصعد إلى عالم الخلد على أجنحة الوجد »

فترك برجوليزى ما لم يتم من تأليفه ؛ وقد كاد أن يتم أوبراه الخالدة (الأولمبياد) ورحل سريعاً إلى « نابلى » ليجد هناك طعنة جديدة تنتظره ؛ فقد كانت القطعة التى سيدير عزفها ليست له ولكنها من تلحين « ليد » الموسيقى القديم . ويحهم ! ويحهم ! لم يريدوا حتى أن يكون له شرف تأليف لحن جنازتها . لم يريدوا إلا حرمانه حتى ذلك التأسى الفانى ، ولكنه فنان عاشق ، ولكنه محب واله ، ولكنه .. لحن فى سرعة جنونية يائسة قطعة كل نغم فيها فلذة من حنايا قلبه المضنى ، من ثنايا أساه البليغ

لم ير شيئاً سوى وجوه كالحة ساخرة مجرمة . وتخافتت الأصداء ، وسكنت الأقدام ، ولكن أقدام ماريا لم تخفق معها هذه المرة ، ولم تندمج فى الصف الذى اندمجت فيه من قبل فى حفل ترهبها . وها هى ذى فوق أكتاف الراهبات يحملن منها صدفتها المرمرية الهشة . وها هى ذى وخزات الآس الدامية ينقلها « برجوليزى » إلى لغة اللحن فى أنات طويلة علوية

ولما أوصد الباب للمرة الأخيرة ، وانتهت المراسيم الحزينة ، تقدم برجوليزى وهبط عن منصته ثم جمع أوراقه التى سطر فيها أساه واحدة فواحدة ، وعدها ببطء ودقة . ولما تأكد من أنه لم يترك منها شيئاً . تقدم إلى المذبح . ويحه ماذا يريد ؟ وعلى أحد الشموع الكبيرة التى قدمت حياتها قرباناً لتضىء ساحة بيت الله ، ألهبت ناراً فى عصارة قلبه ، فى هديته الأخيرة لماريا ملهمته ، ولما اسودت الأوراق ، وتلوت ثم ترامت فى ألم على الأرض ، صاح فى أسى وحرقة :

لقد لحنتها لماريا ! لماريا وحدها . إنها لحنى الأخير لموكبها . إنها سلامي الأخير لها ، ووداعى الأخير لروحها . ولن تكون إلا لها . دائماً أبداً لن تكون

* * *

ولم يعلم أحد هل كانت هذه البقايا المحترقة هى معجزة برجوليزى التى جمعها الراعى فى الصباح

لم يعلم أحد هل كانت هذه البقايا المرتعشة فى مهب الريح هى « النغم الضائع » أو الوتر المنزوع من قيثارة « جيامباتسنا »

ولم تنتظر ماريا طويلاً . فلم تمض سنة حتى كان جيامباتسنا برجوليزى فى قرية بوزيولى ، قريباً من نابلى ، وقد امتنع عن العزف ، وامتنع عن الشكوى والنواح

وارتفع إلى السماء ليعزف لها هناك على قيثارة الروح الأناشيد التى وضعها لها على الأرض

حسين محمود البشبيشى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 456

Lundi - 30 - 3 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٤٥٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٣ ربيع أول سنة ١٣٦١ — الموافق ٣٠ مارس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

من خواطر الحرب

لا بد للاسلام من مؤتمر

جلست ذات أمسية إلى المذياع أتنقل فيه بسمعي المرهف بين برلين وباري ولندن وموسكو وطوكيو وباريس وأنقرة، وكلها تذيع باللغة العربية، وتوجه الكلام إلى الأمة العربية. فقلت في نفسي: سبحان الله! ما هذه العناية اليقظة بنا، والاهتمام البالغ بلغتنا وأدبنا، كأننا لا نزال نملك زمام الدنيا ونصرف عنان القدَر! ثم أعلن المذيعون أنباء الحرب في ميادينها المختلفة، فإذا هم يذكرون: أفريقية الشمالية، ومصر، وفلسطين، وسورية، والعراق، وإيران، والهند، والصين، والملايو، وسنغافورة، وجزر الهند الشرقية؛ وكلها مواطن الأمم الإسلامية، ومسارح الثقافة العربية؛ وليس من أهلها المغيرُ ولا الدافع؛ وإنما هم كثروة الأرض وعروض التجارة خسارة للمغلوب وربح للغالب. فعدت أقول لنفسي: ما أشبهَ تلك الإذاعات اللينة المعطوف بالرُّقَى الساحرة، يسلطها المفترس على أعصاب الفريسة لِتتخدَّر وتنام، فلا تنشب في حلقه ولا تضطرب في جوفه! وما أعجب ألاَّ تشب الحرب الاستعمارية، وتتصارع الدول القوية، إلا حيث يملك العرب ويعيش المسلمون، كأنما أصبحوا سلباً لكل غازٍ ونهباً لكل غاصب!

ألم يكن هؤلاء الناس أعقاب أولئك الفاتحين الذين نزل

على حكمهم الدهر ودخل فى ملكهم العالم بضعة قرون ؟

أليس هذا الإسلام الذين يؤمنون به اليوم هو إسلام ذلك الخليفة العباسى الذى نظر ذات يوم إلى السحائب الجون تزجيها الرياح الرُّعن إلى أقاصى الأرض ، فقال فى لهجة تنم على العزة والجلالة والشكر : « أمطرى يا سحائب حيث شئت فإن خراجك لى » !

بلى ، هؤلاء أعقاب أولئك ، ولكن الدين الذى يعتقدونه لم يعد دين ذلك الخليفة ؛ إنما هو بقية من الإسلام الأول حالت ثم آلت إلى صوفية بلهاء لا يفيق الممسوسُ بها من الغفلة ، ولا ينشط من الخمود ، ولا يبالى أن يبلغ ساحل الحياة مركوباً على ظهره أو مسحوباً على وجهه ! والدين والعلم مآلهما فى النفوس الضعيفة والعقول الخفيفة إلى الترهات والأباطيل : فأيلولة الكيمياء إلى البحث عن حجر الفلاسفة ، وعلم الفلك إلى التنجيم والسحر ، كأيلولة الإسلام إلى هذه العقيدة الملفقة التى زيف فيها الإيمان بالقدر حتى أهمل الناس التوقي استسلاماً للقضاء ، وتركوا السعى اعتماداً على (القسمة) . و « إن الله لا يغيِّرُ ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال »

ولئن سألتنى بعد ذلك : هل بلَّغ العلماء رسالة الله لأقولن لك : « لا » مغلَّظة مكبرة مكررة ! وأكبر الظن أنهم لا يؤمنون بأن لهم رسالة وأن عليهم تَبِعة

رجال السياسة يعملون بحق أو بباطل ، ورجال الحكم يتصرفون بعدل أو بظلم ؛ أما رجال الدين فى ممالك الوطن الإسلامى كله فقد قنعوا باللقب والزى ، واكتفوا بالشبع والرى ، ورضوا أن يكونوا متوناً لذوى الطمع ، وحواشى لأولى النعمة ، وهوامش على صفحة الحياة !

على أن سلطان الدين أكمل وأشمل من سلطان السياسة وسلطان الحكم ؛ فإن هذين لا يتجاوزان بقعة من الأرض ولا أمة من الناس ؛ ولكن ذلك ينبسط على كل مكان فيه لله ذِكر ، ويهيمن على كل إنسان له فى الإسلام فِكر . وعلماء الدين هم الطوائف التى نفرت من كل فرقة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم ؛ فإذا تفقهوا ولم ينذروا ، أنكروا ما خُلقوا له ، وعصوا ما أُمروا به . وليس الإنذار أن يلهجوا بذكر الحساب والعذاب ، وإنما الإنذار أن ينبهوا المخطئ ، ويوجهوا الحائر ، ويرشدوا الغوى ، وينصبوا فى مجاهل الأرض أعلام الطريق

لو كان علماء الإسلام يعملون لكان لهم مثل ما للمبشرين والمستعمرين والمستشرقين من المؤتمرات التى تعقد العام بعد العام ، فى الدولة بعد الدولة . والله قد فرض على المسلمين أمثال هذه المؤتمرات العامة بالحج . وإذا كان وفود العلماء من الأقطار المختلفة إلى إحدى المدن تعوّقه الأهواء والظنون ، فإن وفودهم إلى مكة لا يعوّقه غير الشيطان ، ورجال الدين والحمد لله فى عصمة منه

لا بد للاسلام من مؤتمر يجمع زعماء الرأى فى أهله ليجددوا ما دَرَس منه ، ويوضحوا ما التبس فيه ، وينفوا عنه ما غشيه من أساطير القرون وأضاليل النِّحل ، ويجلوه للناس كما كان صالحاً للحياة ، كافلاً للفوز ، ضامناً للسعادة

لا نطمع أن يجتمع هذا المؤتمر اليوم ، فإن الزلزلة التى لا تنفك آخذة بأقطار الأرض وأفكار الناس تجعل العقاب والسدود من دونه ، ولكنا نطمع أن يفكر أولو الأمر فيه ويهيئوا الأسباب له ؛ حتى إذا عادت السِّلم وتحلق زعماء الأمم حول الموائد الخضر لإقرار السلام الدائم واختيار النظام الملائم ، اجتمع كذلك علماء الإسلام ليعرضوا على العقول الحائرة والأجسام الخائرة نظام الله خالصاً كما أوحاه ، صافياً كما أنزله . نعم لا بد للاسلام من مؤتمر يقيم بين البَهرج والصحيح حداً من نور الحق يجتمع عليه القطيع الشارد ، ويهتدى إليه الركب المضلّل . ولكن ليت شعرى من الذى يفكر فى هذا المؤتمر ويعمل له ويدعو إليه ؟

لقد عقدنا الآمال بالأزهر فى كل ذلك ، فهل عقدناها بلُعاب الشمس ؟

كانت (جماعة كبار العلماء) معقد الرجاء ومناط الثقة ؛ وكانت هذه الجماعة فى نظامها الجديد عسِيَّة أن تدعو إلى هذا المؤتمر بعد الحرب فى العيد الألفى للقاهرة ؛ وكان الظن ببرنامج الإصلاح الذى اقترحه شبابها المصلحون ، وأقره أقطابها المخلصون ، أن يكون نواة الإصلاح ونقطة التحول ؛ ولكن جنديًا باسلاً من جنود الإصلاح الدينى كتب إلينا يقول : إن برنامج الإصلاح أدركته أزمة رجعية توشك أن تخنقه فى درج المشيخة . فإن عضواً من الجماعة يوجس منه شراً ، فهو ينسج حوله الشكوك ويؤلب عليه القُوى ، وقد نجح فى ذلك !

فهل يجوز فى ظن امرئ أن يكون فى كبار العلماء من يشتبه عليه الحق والباطل والخير والشر والصلاح والفساد ؟ ذلك ما لا نصدقه ، ولا نود أن تجرى الأمور بما يحققه

(المنصورة) **احمد حسن الزيات**

بين آدم وحواء

قبل أن تثور القواصف
فوق أثباج الكوثر

للدكتور زكى مبارك

ارتاح آدم إلى كيد حواء بعض الارتياح ، وأدرك أن الرجل لا يعيبه أن يُفتن بالمرأة من حين إلى حين ، على شرط أن يظل فى الحدود التى لا تجرح كرامة الرجال

وفطِن إبليس ، لعنه الله ، إلى أن آدم أخذ يؤوّل كيد المرأة ويقسمه إلى أقسام فيها المكروه والمباح ... فطن إبليس إلى هذه الثغرة فجدّد من نشاطه واستأنف الوسواس فهتف : « هل أدلكما على شجرة الُخلد ؟ ... هل أدلكما على شجرة الُخلد ؟ ... ألا تسمعان ؟ ؟ »

قالت حواء : سمعنا وسنطيع . وقال آدم : سمعنا ولن نطيع

فغضبت حواء من جواب آدم واتهمته بالزهد فى الخلود ، وهو زهدٌ دميم ، فما يليق بالرجل أن يضيع فرصة تنجيه من الفناء ، ولو ارتكب فى سبيلها ما لا يليق

وغضب آدم من سفاهة حواء فقال : من أين عرف إبليس أن شجرة الخلد هى شجرة التين ؟ وعلى فرض أن كلامه صدق فى صدق ، فكيف يجوز أن نعصى الله لنظفر بالخلود ؟

إعلمى ، يا حواء ، أن الرزق والجاه قسمان : حرام وحلال ، وأنا لا أقبل أن نُرزَق الُخلد عن طريق الحرام ... إن اللقمة المسروقة تقف فى الحلق لحظة ، ثم تُزدرَد برفق أو بعنف . ومع هذا تبقى لها عقابيل تحزّ فى القلب إلى آماد طوال ، فكيف نستجيز الظفر بنعمة الخلود عن طريق العصيان ؟ وكيف نرضى أن نعيش أبد الآبدين فى أسر الحرام الممقوت ؟

— آدم ، أنت أحمق !

— لأنى أزهد فى الُخلد المكسوب بالعصيان ؟

— لا ، بل لأنك تجهل أن الُخلد أنفس وأثمن وأعز من أن تُتقَى فى سبيله الشُّبُهات

— النص صريح فى تحريم هذه الشجرة يا حواء

— التأويل يلحق جميع النصوص

— إذا وُجدت الغاية التى تبيح الممنوع من التأويل !

— وأىٌّ غاية أشرف من الُخلود ؟

— إسمعى ، يا حواء ، إن الُخلد غاية شريفة — كما تقولين — ولكنى أبغضه أشنع البغض ، لأنه يوجب أن أعيش فى صحبة عقلك الأجوف إلى ما لا نهاية له من الآباد ... إنى ضَجِرت ، ضجرت ، مع أن صحبتنا فى الجنة قريبة العهد ، فكيف أصنع إذا كتب الله علىَّ أن أكون من الخالدين فى جوارك يا حواء ؟

— تغضب منى يا آدم وأنا أدعوك إلى الُخلد ؟

— هو خُلدٌ حرام لا حلال ... وما يليق بنا أن نعامل الله فى كرمه بغير الامتثال

— أتصِفُ الله بالكرم وهو يبخل علينا بشجرة لا يساوى حطبها درهمين ؟

— ألم أقل : إن الله يختبر قُوانا النفسية بتحريم تلك الشجرة ؟ وإذا عجزنا عن كبح النفس فى البعد عن شجرة لا يساوى حطبها درهمين ، فكيف يكون المصير لو نُهينا عن شجرة مصوغة من عيون العذارى وخدود الملاح ؟ المعصية بغيضة يا حواء ، لأنها تضيفنا إلى أهل الكفران ، وما يجوز لمن يعيش فى مثل هذا النعيم أن يفكر لحظة واحدة فى عصيان المنعم الوهاب

— الله منعمٌ وهاب ، وهو يبخل بشجرة لا يساوى حطبها درهمين[1] ؟

— الآن عرفتُ أنك امرأةٌ سليمة الأعصاب والحواسّ إلى أبعد الحدود

— وكيف ؟

— لأنك تنكرين الجميل ، والمرأة لا تنكر الجميل إلا حين تكون فى عنفوان الصحة والعافية

— وإذن ؟

(١) هل كان فى جنة آدم وحواء دراهم ودنانير ؟ إن هذا يؤيد الطعن فى صحة كتاب « شيث »

— وإذن أعمى الله من أجلك يا حواء !

— فتأكل من شجرة التين ؟

— وأترك طيبات على هذه الحدود القبوسة من جمر الوجود

— تحبنى ، يا آدم ؟

— أحب المرأة الحلوة الجميلة التى زلزلتْ فؤادى . أحب المرأة التى نقلت قلبى من مكان إلى مكان . أحب الغادة اللعوب بالعقل والروح . أحبك يا حواء حبًّا أمتنَ من الصدق وأروح من اليقين . أحبك يا حواء حبًّا سيُفسِدُ ما بينى وبين ربى ، إلا أن تشاء إرادته السامية أن أتقرب إليه بعبادة الجمال ... ولعله يشاء !

— وإذا لم يشأ ، فماذا تصنع ؟

— آكل من شجرة الخلد ، لأحمى هذا الجبين من الأفول

— بالعصيان ؟

— هنا المشكلة يا حواء ، فما يُسيغ ذهنى أن ينهانا الله عن رعاية الجمال

— أراك اهتديت !

— وأرانى ضللت !

— أفِقْ ، يا نَشْوان

— إن جاز للموقوذ بسُكْر الجمال أن يُفيق !

— تحبنى يا آدم ؟ تحبنى ؟

— أحب النار التى صهرت روحى ، ولن أطمئن إلا يوم أنهشك يا حواء لتعودى نقطة من دمى

— ما هذه الوحشية ؟

— أىّ وحشية ؟ ألم تُؤخَذى من ضلعى ؟

— أنا من ضلعك أُخذتُ يا كذّاب ؟

— إسألى الملائكة ، فعندهم الخبر اليقين

— ولهذا جئت جميلة ؟

— وأجمل من الأفعى الملتوية على الشجرة الزهراء !

— أراك تبغضنى يا آدم !

— هو ذلك : فأنا أبغض العيون الجوارح ، وأبغض الجبين الوضاح ، وأمقت القد الرشيق ، وأستعيذ بالله من السحر المتموج فوق الثنايا البيض

— ثم ماذا ؟

— ثم أكره الصوت الذى يُشبه وسواس الحُلِىّ فوق النحور ، والذى يفوق غمغمة الـكأس عند فورة الرحيق

— ثم ؟

— ثم أثور على التفاتة الجيد عند العتاب

— ثم ؟

— ثم أبغض حواء لأنها حواء !

وبعد الأنس بقُبلتين محرقتين مضى آدم لشهود حفلة الطيران ، وهى حفلة موسمية كانت تقيمها الحمائم والبلابل والعنادل فى « غابة الصنوبر » لتروض أفراخها على النهوض والتحليق . ويحدثنا شيث أن حفلات الطيران هذه كانت تجتذب جميع سكان الجنة بلا استثناء . وقد نص على أن السباع كانت تراها عجباً من العجب ، لأنها تشهد بتنوع المواهب ، وإلا فكيف جز أن يقدر الطائر الضعيف على ما يعجز عنه الأسد الصؤول ؟

مضى آدم وحده لشهود حفلة الطيران ، وهو مبتسم جذلان ، فقد أعفى نفسه من الحيرة في قرب شجرة التين ، وأسلم مصيره إلى خالق الأنوار والظلمات ، فللأقدار أن تصنع به ما تشاء

أما حواء فشعرت بحزن وانقباض حين رأت آدم لا يمانع فى قرب الشجرة المحرّمة ، ولهذا قلّت بشاشتها لشهود حفلة الطيران ، وكذلك آثرت الاعتكاف لتنظر فيما هى مقبلةٌ عليه ... فما الذى تأذّت به حواء ، وقد بلغت من ختل آدم فوق ما كانت تريد ؟

نظرت حواء فرأت أن الشقاق حول الشجرة المحرمة كان فرصة لشغل آدم بزوجته شغلاً غير مقطوع ، والمرأة يرضيها ويسرها ويشوقها أن يعيش الزوج وهو بها مشغول ، فكيف تكون الحال بعد أكل الثمرة الممنوعة حين يصبح جميع ما فى الجنة حلالاً فى حلال ؟

ونظرت فرأت أن الجدال حول الشجرة المحرمة ألانَ لسان آدم وعلّمه الحوار بأساليب لا تخلو من البراعة والظرف ، وقد تصل إلى السِّحر فى بعض الأحيان ، فكيف المصير إذا تساوت قِيمُ الأشياء واستغنى آدم عن الجدال ؟

سيكون الصمت من نصيب آدم حين تنعدم أسباب الخلاف ،

فكيف تعيش حواء مع رجل صَمُوت ؟ وهل قلّ صمت آدم برغم ذلك الخلاف ؟ لقد كانت له تأملات طويلة ينسى بها ما حواليه حتى لتحسب زوجته أنه لا يشعر بأن لها من الوجود أي نصيب ، فأي بلاء ينتظر حواء يوم تنقطع موجبات اللجاجة مع فارسها الجميـل ؟

فى تلك الحومة كادت حواء تنتقل من المعصية إلى الكفران ، والعياذ بالله ، فقد جاز لها أن تعترض على نظام الجنة ، وأن ترى أنه لا يخلو من اختلال . والثورة النفسية تحيل النعيم إلى جحيم ، وذلك ما وقعت فيه حواء

نظرت فرأت أن الجنة قليلة المحرمات ، فهى قليلة الطيبات ، وهل يستطيب الناس غير الممنوعات ؟

نظرتْ فى هذا المعنى مليًّا ثم صرختْ :

أرى طِيبَ الحلال علىّ خُبثاً وطِيبَ العيش فى خُبث الحرامِ

وهمّت باقتلاع شجرة التين لتحوّل الجنة إلى خراب يباب ، فما كانت الجنة فى نظرها غير تلك الشجرة الممنوعة ، وإذا اقتلعت تلك الشجرة فسوف يرى الله أن عنايته بخلق الجنـة ذهبت أدراج الرياح !

ولكن شجرة التين التى لا يساوى حطبها درهمين أعجزت حواء فلم تستطع اقتلاعها برغم ما بذلت من الجهد « المحمود » فنكصت على عقبيها وقد نال منها الإعياء ما نال

وكان المفهوم أن تخجل من الهزيمة أمام شجرة التين ، وأن تزيد حقدها على الله ، ولكنها فرحت حين عرفت بالتجربة أن « شجرة الشرّ » قوية الجذور ، وأن الأمل فى اقتلاعها ضعيف ، وتمنّت أن تصبح الجنة وفيها لهذه الشجرة أمثال وأمثال

ذلك ما كان من أمر حواء ، فما أمرُ آدم وقد ذهب وحده لشهود حفلة الطيران ؟

رأى جميع المتفرجين يتحدث بعضهم مع بعض ، وهاله أن يرى الثعلب يناجى أنثاه بجذل وانشراح ، كأنه يدرك الدقائق من طيران أفراخ العندليب ، ورأى الأفعى تخاطب الأفعوان بعبارات فهِمَ منها أن حفر الجُحر فى أصل الشجرة لا يقل خطراً عن بناء العش فى أعالى الأغصان

أراد آدم أن يتكلم ، ولكن مع مَن ؟

لو كانت حواء حاضرة لحدثها عن ذكائه فى استكشاف ما بين الخشب والماء ، فقد اهتدى إلى أن من يمتطى الخشبة لا تهوله أمواج الكوثر فى كثير ولا قليل ، وهل يكون امتطاء الهواء أوثق من امتطاء الماء ؟ (١)

لو كانت حواء حاضرة لقال لها وقال ، ولكن أين حواء ؟

هنا أدرك آدم أن الحياة بلا رفيق لفظٌ بلا مدلول

ألم يكن يجرّد من نفسه شخصاً يحاوره حين يعتكف ؟

ألم تكن أشعاره تبدأ بعبارة « يا خليليّ » أو « يا صاحبيَّ » كأنه يرى بضوء البصيرة أنه يحتاج إلى عدد من الأصحاب والخلان ؟

ألم يلاحظ أن الله حين اختصه بالنطق قد أوحى إليه أن حياته لن تكون بلا رفيق أو رفاق ؟ !

أين حواء ليبادلها الأحاديث ؟ وأين ماضيه فى الطيران بأجواء الحقائق والأباطيل ؟

إلى حواء ، إلى حواء ، إلى حواء !!

فماذا يرى آدم ، وماذا يسمع ؟

يرى فتاةً خامدة بجوار شجرة التين ، ويسمع أنيناً يذيب لفائف القلوب

— حواء !

— . . .

— حواء !

— . . .

— حواء !

— آدم ؟

— نعم ، آدم ، ماذا بك يا حواء ؟

— لا شىء ، ولكن أين كنت ؟

— كنت أشهد حفلة الطيران

— ورأيت عدل الله ؟

— فيماذا ؟

— فى تزويد الطير بنعمة لن نظفر بها أبداً ، فهو يطير عن هذه الجنة حين يشاء !

— وهل مللت الثواء بالجنة يا حواء ؟

— أى جنة تريد ؟ أتريد هذا العيش الرتيب ، العيش الذى

---

(١) من هـذا نعرف أن آدم سبق نوحاً إلى اختراع السفينة ، وإن لم يسبقه إلى ربطها بالدسر والألواح

لا يحرَّم فيه غير طعامٍ واحد؟ العيش المملول ، العيش الذى يقدَّم فيه التفاح بلا حساب ؟

— وما عيب هذا العيش يا حواء ؟

— عيبه أنه حلال فى حلال

— وماذا تريدين ؟

— أريد أن يكون لى جوح يُغضب الله

— وماذا تستفيدين من غضب الله ؟

— أريد أن أشغله بنفسى

— لك الويل ، يا شقية !

— لك أنت الويل ، يا بليد !

— حواء ، أنت حمقاء !

— الأحمق هو الذى يشهد حفلة الطيران ولا يستفيد

— وماذا يستفيد المرء من شهود حفلة الطيران ؟

— ألم تر مئات الأفراخ من الحمائم والبلابل والعنادل والصقور والعقبان وهى مجرَّحة بسبب العنف فى التمرن على الطيران

— نعم ، رأيت ، ثم رأيت !

— تقول إنك رأيت ، فهل فهمت أن تلك الجراح هى سرّ القدرة على التحليق ؟

— وإذن ؟

— وإذن نجرَّح مرة أو مرتين أو مرات ...

— لماذا ؟

— لنطير فى أجواء الرشد والغىّ والهدى والضلال

— إن كنت تريدين شجرة التين فلن أقرب شجرة التين

— حدثنى أحد الملائكة ...

— ويحدثك الملائكة يا حواء ؟

— ويحدثك أيضاً ولكنك لا تسمع !

— وماذا قالت الملائكة ؟

— قالت إن الله أخبرهم أنه سيجعل فى الأرض خليفة ، وأنهم كرهوا أن يجعل فى الأرض من يُفسد فيها ويسفك الدماء

— وبماذا أجاب الله ؟

— قال : إنى أعلم مالا تعلمون

— ومعنى ذلك ؟

— معناه أننا سنصير إلى الأرض

— بعد هذا النعيم ؟

— وهل نحن فى نعيم ؟

— اتق الله يا حواء

— اتق الله أنت

***

— الأرض ، الأرض ، الأرض !!!

— الأرض ، الأرض ، الأرض !!!

كذلك دار ذهن آدم وحواء بهذه الكلمات ، واشتهى آدم واشتهت حواء رؤية ذلك العالم المجهول

— إلى شجرة التين ، يا آدم

— إلى شجرة التين ، يا حواء

— ولكن احذر من أن تقول إنى أغريتك !

— لم يغرنى غير العينين النجلاوين ، والخدين الأسيلين ، والثغر المعطَّر بأنفاس الرحيق

— إعترف صراحة بأنى ما أغويتك ولا أضللتك ولا زينت لك العصيان

— أعترف بأن حواء لا تُسأل عما يجني قدها الرشيق

— ولا خصرها الأهيف ؟

— ولا جيدها الأغيد !

— ولا ثغرها الرَّشوف ؟

— ولا طرفها الكحيل !

— ولا ثنيها وهى تتخطر فوق شط الكوثر ؟

— ولا سحر اللون الذى يتموج بساقَيْها حين تتمدد فوق الأعشاب !

— ولا بلؤمها حين تثور ؟

— ولا بكرمها حين تطيع !

— آدم ، آدم ، أنت مخلوقٌ نبيل

— معاذ الله أن أكون كذلك ، فما يوصف الرجل بالنبل إلا حين يملك ما يأتى وما يَدَع . وقد قلّت حيلتى فى رياضتك يا حواء ، فأنا بفضل هواك من الهالكين

— لن تهلك وأنا معك

— ولن أهلك إلا لأنك معى ، فالرفيق الفاسد يجرّ صاحبه إلى الهلاك

– اللهُ قدَّر أن يكون مصيرنا إلى الأرض ، فما خوفُك وتلك إرادته السامية ؟

– للجنة أسوار وحدود ، وأنا أخشى أن تكون الأرض بلا أسوار ولا حدود

– عند ذلك تستطيع أن تفر مني حين تشاء

– أنا في الجنة مقهور على صحبتك بفضل الأسوار ، وسأكون في الأرض مقهوراً على صحبتك بفضل الأهواء ، والفرق بين الحالتين بعيد

– لك أن تتحرر من هواى

– لو أصبحتِ تراباً يا شقية لـكان من واجبي أن أستاف ذلك التراب

– تحبني يا آدم ؟

– أحب اللسان الذي يتلجلج بفم الحية النضناض

– أنت وقح !

– الوقاحة لن تكون إلا من نصيب الجمال النشوان !

– النشوة العارمة لم تعرف إعجاباً غير إعجابك

– ولهذا أخضع للشهوة وأطيع

– إذن تأكل من شجرة التين

– وأستبيح المعصية في سبيل الجمال

– خذ هذه التينة يا آدم

– إبدئي بنفسك

– هذه واحدة وثانية وثالثة ورابعة وخامسة ، فهل وقع شيء ؟

– لم يقع شيء !

– وإذن يكون التين من الثمر المباح

عند ذلك مدَّ آدم يده فالتهم ثمرة التين وهو يرجو أن يكون مصيره مصير حواء ، ولـكن الجنة زُلزلت من جميع الجوانب فأدرك أن الله لا يقيم وزناً لغير هفوات الرجال .

« للحديث شجون وشجون » زكي مبارك

الأدب والعلم

للأستاذ محمد محمد المدنى

كتب إلىّ صديق من زملائى على عهد الدراسة كتاباً يقول فيه : —

« إنى مواظب على قراءة الرسالة بشغف واهتمام ، ولست تكتب على صفحاتها مقالاً إلا قرأته لك ، وتنسمت فيه روحك ، وثارت به فى نفسى ذكريات محببة عن أيامنا الجميلة التى كنا نختلف فيها إلى دروس الأدب والبلاغة يلقيها المرصفىّ وعيّارةُ والبطراوى والأسكندرى وغيرهم ، ونتجاذب فيها أطراف المحاورة ، وأهداب المذاكرة ، ونتساقى كئوس الشعر والنثر كأنها رحيق مختوم . وقد أذكر زميلنا الذى كان مولعاً — فى كتاباته الإنشائية — برواية أشعار المتنسكين والمتزهدين ، وأننا كنا نغرب فى الضحك إذا سمعنا أستاذ الإنشاء يقرأ طرفاً مما كتب ، ويحاسبه على أفكاره العتيقة . وما لهذا كتبت إليك ، ولكنى أريد أن أتحدث إليك فى أمر كثيراً ما هممت بأن أحدثك فيه :

أنت تعرف رأيى فى أسلوبك الكتابى وبحوثك العلمية ، وتعرف حبى لك وشديد غيرتى عليك ، فهل لى أن أسألك : لماذا تنحو فى اختيار موضوعاتك هذه النواحى الأزهرية فتتحدث عن الفقه وأصول التشريع ودراسات الأزهر وأسلوبه فى التفكير وما ينبغى له من علو ورفعة شأن ، ولا نراك تتحدث عن الأدب والشعر وهما فى هذا العصر أنشودة الشُداة ، وأغرودة الحداة ، وثقافة المثقفين ؟ لو كنت أعلم أنك تخرجت فى علوم الشريعة لقلت : رجل مشغوف بما درس ، معنىٌّ بإشباع نهمه العلمى منه ، ولكنك تخرجت فى دراستك تخرج الأديب ، ونلت شهادة التخصص فى علوم البلاغة والأدب ، فكيف تجحد حقهما عليك وتنسى فضلهما فى تهذيبك وتثقيفك ؟ وهل تتجنب إلى الأدب طالباً ، وتتنكر له أستاذاً ، فتقطع به صلتك ، وتزوى عنه وجهك وتنصرف إلى غيره مما ليس منه ولا يمتُّ إليه ؟

ما هـذا الذى أغرمت به ، وملك عليك نفسك ، واستبد بقلبك ؟ وأىُّ فرق بينك وبين الزميل المتنسك الذى أُحدِّثُ إليه صدر هذا الكتاب ؟ ولِمَ إذن كنت تسخر منه ، وتُغرب فى الضحك عليه ؟

لا يا صديقى ، ما لهذا يريدك أصدقاؤك ، وما لهذا أردت نفسك ، وما لهذا أعدتك « شعبة البلاغة والأدب » فى تخصص الأزهر . لا تكفر بالأدب ولا تنأ بجانبك عنه ، واستغفر لذنبك ودع الفقه والجدال فيه ، ودع الأزهر والحديث عنه ، والتحرق له والبكاء عليه ، فما ذلك بمغن عنك فتيلاً . وسوف يبقى الفقه كما هو ، وسوف يبقى الأزهر كما هو ، وسوف تضيع صيحاتك وصيحات غيرك فى شأنهما هباء كما ضاعت من قبلُ صيحات وصيحات ! عد إلى أحضان الأدب يا صديقى وأسمعنا شدوك عند رياضه وغياضه ، وطر إلى آفاقه ، وحلّق بخيالك فى سمائه ، فربما غنيت على قيثارته ألحاناً يرويها عنك الزمان ... »

***

هذا كتاب صديقى إلىّ ، أثبته كما هو لأنه وإن كان كتاباً خاصاً يتحدث عن شأن له ناحية من العموم ، ويمثل رأياً ينزع إليه جمهرة من شباب المتأدبين فى هذا العصر فهم به مولعون

ولست أرى أنى أغاضب الأدب وأجافيه — كما يتصور هذا الصديق — حين أكتب فى موضوعات علمية ، أو حين أعالج مشكلة من المشكلات الخاصة أو العامة ، فإن الأدب ليس محصوراً فى دائرة العاطفة والخيال وما يتصل بهما ، ولكنه أوسع من ذلك دائرة وأبعد أثراً . وقد أتى على الناس حين من الدهر وهم يظنون الأدب حلية تراد للزينة وتستكمل بها مظاهر الترف، فكانت قصور الملوك والأمراء وذوى اليسار كما تضم الندمان والسقاة والجوارى والغلمان ، تضم الشعراء والكتاب والقصاص والرواة ، فصاراهم أن يكونوا أداة لهو وتسلية تشرح بهم الصدور وتُنسى الهموم . فلما ترفع الأدباء والشعراء عن تلك المنزلة قصدوا إلى الأدب والشعر بالتكريم فصانوهما عن التبذل فى خدمة الأمراء والثراة إلا قليلاً ، فأصبح الشاعر يقول ليرضى ذوقه الأدبى ، وأصبح الكاتب يكتب ليصف شعوره هو قبل أن يصف شعور الآخرين ؛ وبذلك استقل الأدب، ونال الأدباء والشعراء حريتهم، وانطلقوا يهيمون فى جوهم الصافى ، وينعمون بأحلامهم اللذيذة ؛ لا يحبون أن يكدرها عليهم مكدر ، ولا أن يفسدها عليهم مفسد ؛

ولـكنهم كانوا من ذلك فى شبه غيبوبة عن الحياة العملية المثمرة ، لا ينفذون إلى صميمها ، ولا يُعنَـوْن إلا بحواشيها وأطرافها ، ورضوا بالفقر حليفاً ، وبالبؤس صاحباً ؛ وخيلوا للناس أن الأدب والفقر صنوان ، ورضيعا لبانٍ ! وأن الأدباء والشعراء هم وراث « أبى الشمقمق » فى كل زمان !

أما فى هذا العصر ، فقـد تغيرت المُثـل ، واستبدل الأدباء بنهجهم فى الحياة نهجاً سواه : أصبح الأديب هو الذى ينفذ بقلمه وذوقه إلى دقائق العلوم ، ومعضلات الفِكَـر والآراء . هو الذى يجلو الغوامض ، ويفتح المغاليق ، وييسر المعاسير . ذلك اليومَ هو صميم الأدب ، وقصارى الأديب ، وذلك هو الوضع الصحيح الذى ينبغى أن تقوم عليه العلاقة بين الأدب والعلم !

من ظن أن الأدب فى هذا الزمان إنما هو أنشودة تنشد ، أو أغرودة تغرد ، أو خيال يسبح فى جوه الهائمون ، أو وصف لزهرة مشرقة ، أو طائر صداح ، أو عاشق ولهان ، أو قلب خفاق ، أو عين باكية ، أو ثغر بسام ، أو جمال فتان ، أو قد ممشوق ، فقد ظن عجزاً !

إن ذلك من الأدب حقاً ، ولا يستطيع أن ينكر ذلك منكر ، ولـكنه اليوم ليس المثل الأعلى للأدباء ، وإنما هو لون من ألوان غذائهم الروحى يتشهَّـوْنه الفينةَ بعد الفينة ، وهو بعد ذلك أقرب ثمرات الأدب إلى يد الأديب وأيسرها منالاً . أما العلوم والمعارف ؛ أما مشكلات الحياة وقضايا العقول ؛ أما سهر الليالى ومجافاة الجنوب للمضاجع فى سبيل التحصيل والتزود من زاد البصائر ، فتلك هى الحَلْبة لمن أراد السباق ! !

* * *

أعيذك بالله - يا صديقى - أن تستخف بأمر الفقه والأصول وأسرار التشريع ، أو يثقل عليك القول فى إصلاح الأزهر وتقويم ميله ، أو يداخلك اليأس حين ترى الداء مستشرياً والطبيب حائراً

إن الشرق الإسلامى قد استفاق من سباته العميق ، وإنه يريد أن ينهض وأن يستعيد مجده السالف يوم كان مصدر النور والمعرفة ، بل يوم كان مصدر الهداية ومنبت الخير ، ولو تأملنا بوادر هذه النهضة وتأملنا إلى جوانبها بوادر الانهيار ، بل عوامل الدمار التى تعمل عملها السريع فى إهلاك أعداء الشرق وخصوم الإسلام لـكان لنا أن نؤمل دورة الفلك ، وأن نأخذ فى تكميل أنفسنا ، وتصحيح أخطائنا ، والرجوع إلى قوميتنا استعداداً لمـا ينتظرنا . وهذه الشريعة الإسلامية هى الشريعة التى نلنا بفضلها أسباب السماء فى الماضى ، ولم يجد أعداؤنا منفذاً إلينا ونحن متمسكون بها ؛ وفقه هذه الشريعة هو فقه الحياة والعمل ، هو فقه العدل والرحمة ، هو فقه الحضارة والمدنية فى أبهى صور الحضارة والمدنيـة ؛ فإذا تكلم فى شأنه المتكلمون ، ودعا له الـكتاب ، وعرض الأدباء العاملون بعض صوره على الناس ، وخلصوه مما أضيف إليـه واختلط به ، كل بمقدار ما يستطيع ، فإنهم لا يقومون فى ذلك بواجب دينى فحسب ، وإنما يقومون مع ذلك بواجب قومي وطنى لا مناص لأهل العلم والأدب جميعاً من التعاون على حمل أعبائه . ومثل ذلك يقال عن الأزهر : ينبغي أن يلتفت إليـه أدباؤنا ، وأن يكتب فى شأنه كتابنا ، لأنه (جامعة الشرق) ، ووارث ثقافته ، وعنوان مجده ، ومعقد آماله !

إنك - يا صديقى - تقول لى فى كتابك : « سوف تضيع صيحاتك وصيحات غيرك فى شأنهما هباء كما ضاعت من قبل صيحات وصيحات » . وأحب أن أقول لك إنه لم يضع شئ أبداً ، وإن الذين صاحوا من قبل قد أثروا بصيحاتهم آثاراً بعيدة المدى فى العلم والتفكير والإصلاح . ويمكنك أن ترجع إلى عهد الأستاذ الإمام محمد عبده ، لتوازن بين عقلية الأزهر المـاضية وعقليته الحاضرة فى العقائد والفقه ،أحكام المعاملات والأحوال الشخصية ، فتلمس الفرق بينهما ، وتدرك أن صيحات هذا المصلح الدينى لم تذهب هباء

ولقد كان الأستاذ الإمام محمد عبده أديباً رائع البيان ، وكان له ذوق ممتاز فى فهم الشعر والنثر ظهر أثره فى تفسيره لما فسر من القرآنِ ، فهل منعه ذلك أن يؤلف فى علم الـكلام ، وأن يفتى فى الفقه ، وأن يشرع شَبَـاة قلمه لتأييد دعوته الأصلاحية الـكبرى ؟

بل لقد كان الإمام الشافعى رضى الله عنه أديباً عاش فى البادية ونزل فى هذيل ، يقيم معها ما أقامت ، ويرحل معها إذا رحلت ، ويتعلم كلامها ، ويحذق لغتها ، ويروى أشعارها ، حتى بلغ من ذلك شأواً بعيداً ، ولـكنه لم يجعل هذا غرضاً ، وإنما اتخذه وسيلة

إلى علم أكبر ، وفضل أظهر ، ووقرت فى نفسه كلمة الزبيدى الذى لقيه فى طريقه ، فتحدث إليه فوجده فصيح اللسان ، عبقرى الذكاء ، فقال له : أيها الفتى ! يعز علىّ ألا يكون مع هذه الفصاحة وهذا الذكاء فقه تسود به أهل زمانك ! وقد أراد الله ذلك ، فإذا الشافعى رجل من الرجال العالمين ، وإذا اسمه مسجل فى سجل الخالدين !

أما بعد ، فياصديق العزيز : لا تلحَنى ولكن أعِنّى

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة

خواطر وصـــور

نثرها مرحلة من الطريق بين القاهرة وبغداد

[إلى الأستاذ المازنى نسوق السؤال]

للأستاذ فخرى شهاب السعيدى

كانت مفازة رهيبة !

ولم يكن فيها من آثار الإنسان غير اثنين : هذه الأسلاك النحاسيّة المعلّقة فى الهواء على ركائز من الحديد الصابر المتين : تبيّن ما طُوِى من الشّقة ، وما ظل ينتظر الطىّ ؛ وهذا الطريق الأسود الطويل ... الذى لا تكاد تدرك العين والسيارة آخر ما يمس الأفق من تعاريجه ومرتفعاته ، حتى تتكشّف أمام العين مناظر منه أخرى ، وحتى تتبدى للسيارة منه تعاريج وأطوال ...

وكانت السيارة صابرة على هذا الأسود الممتدّ أمامها ، الهازئ بها ، الذى يمتحن صبرها بأعاجيب من عنده : فتارة يلتوى لها ، وأخرى ينحدر ؛ وطوراً ينحنى أمامها ، وحيناً يستدير ... وهى لا تعبأ بهذا الهازئ المتحن ، بل تمضى قُدُماً ، وصوت شهيقها وزفيرها ، وقلبها الخافق ، ودماؤها الغالية ملء أسماع الركب الذين أسلموها القياد فى صبر واضطرار ! وكانت السآمة قد تغشّتهم جميعاً مما يتدفق أمام عيونهم من مناظر الصحراء ، وما كانت هذه لتعدو الرمال والجلاميد ، والهضاب العالية والوديان الخالية ، وكل ما يمثل الموت والسكون والجمود من آثار الطبيعة .

وما أشد صدوف الناس عما يذكرهم بمثل ذلك من آثار !

... كان بعضهم يزجى فراغه بالحديث يرفعه عالياً ليغالب زئير السيارة الذى ملأ الفضاء والأسماع ، ثم لا يلبث — هذا البعض — أن تتعبه المغالبة فيستنجد بالسكوت . وكان بعضهم يأكل ! نعم كان يقتل السآمة بالأكل . وبعضهم كان يقرأ . وكنت أنا من بينهم وحدى الذى طاب له أن يقصر عمله على اثنين : مطالعة هذه الصفحة الصحراوية ، الجميل خطها ، المذهب متنها بفعل الرمال ، والمفضّضة حواشيها بإطار الأفق الجميل ؛ والتحدث إلى نفسى والأخذ منها والرد عليها فيما كان يحضرنى من أفكار ... وبين هذين العملين ، أو هذين الشاغلين ـ بكلمة أخرى ـ كان الوقت يمضى مسرعاً ، والسيارة تنهب من الأرض كيلو متراتها نهباً ؛ وكنت وجدت فى ذلك لى متعة كان يحظرها علىّ المجتمع لو أننى أضعت هذا الوقت فيه !

وعندى أن الأخذ من النفس والرد عليها ، ومحاورتها بألوان الأفكار ، ومناقشتها فى ضروب من الآراء ، مما يرتاح الإنسان إليه — أو أنا على الأقل ، فما أدرى ما حال الناس غيرى — ولقد تمرّ علىّ فى حال معينة وظرف بعينه لحظات أود لو أنى استطعت أن أكون من هذا المجتمع فى نجوة لألقى تلك الصديقة المحببة ... التى هى نفسى ، فأجلس إليها وأداعبها وأعاتبها وأحاورها ، وأسمعها وتسمعنى فى صنوف شتى من أبواب الجد الهازل أو الهزل الجاد !

أما الصحراء هذه الصحيفة التى تنبسط أمامى جديدة من سفر الوجود ، فما كان أجملها ، وما كان أروع الجلال الذى كان يشع منها على النفس فيصغر من شأنها ، ويقلل من تيهها ، ويذلل من كبريائها ، ويصهر جوهرها صهراً يصفيه ويطهر الأعراق

كم من البشر — قبلنا — مروا بك أيتها الصحراء ؟ وكم ركباً قبل هذا اقتحم مفاوزك هذه ، ثقة منه بنفسه ، واعتماداً منه على قدرته ، واتكالاً على ما أوتى من علم ؟ وكم منهم نجا ، وكم كان فى الهالكين ؟ لم أنجيت من أسرك فريقاً ؟ ولِمَ اقتنصت فريقاً ، فأطبقت عليهم فى غير شفقة ولا رحمة ، ولا ذكر لذويهم الذين استودعوك قلوبهم وائتمنوك عليها ثقة منهم بعدلك فإذا أنت تضيعين الثقة وتخلفين الرجاء ؟ !

كم ـ أيتها الصحراء ـ فيك من قوافل تسمع ولا تجيب ، وتحتمل وطأنا إياها ولا تئن ؟ لم لا تطلقين هؤلاء من أغلالهم ،

وترديهم إلى أهلهم فتكسبى حبهم وشكرهم وثقتهم ، وتعودون — أنت وهم — بعض لبعض أحباباً ؟ ! ألا تعجبك أيتها الصحراء صداقة الإنسان ؟ !

يا لله !

ما لها لا تحير جواباً ! لعلها كانت تنطق فلا أسمع وترفع بالإجابة صوتها فتتلقاه أذنى دوياً لا تستطيع آدميتى فهمه واستجلاء معانيه !

وعدتُ أنظر إلى هذه التلال ثانية فإذا هى قدمْتْ وكبرت وتضخَّمتْ حجارتها واشتدتْ صلابةً وأيداً ؛ وقد علمتُ — حين سألتُ عن السر — أننا شارفنا أرض فلسطين ! ! فالقيعة إذاً تلبس لباس وقارها وحشمتها لتدخل الأرض المقدسة أرض المَعَادِ ! فما بالنا نحن ـ البشر ـ لا نلبس لهذه الأرض المقدسة لباسها كما تفعل الأرض ذاتها ، ولا نحييها باطراح شرورنا ونبذ ما ران على قلوبنا ، كما تصنع هذه الجلاميد ؟ ولقد هممت أن أقوم احتراماً ، بل لقد قمت فعلاً ، فما راعنى إلا أن أجلستنى السيارة المنطلقة فى عنف ، طالبة أن أكف عن الاسترسال في هذا الخيال وأنصرف معها إلى ما هى فيه من جد وكد عنيف !

ولم نلبث بين هذه الجلاميد إلا ساعة أو نحوها حتى تبدّت الأرض فى حلة من وشى جديد ، تختلط فيه خضرة العشب الغض بسواد الصخور الصم ، فكأن الطبيعة قد أرادت بهذا الجمع بين النقيضين أن تجيء بالبرهان القاطع على أنها لا تعرف هذا الذى تواضع الناس عليه من فصل بين شتى مظاهرها فى هذا الكون الذى هو معرض الاتساق !

وكان جميلاً أن يُرى ما كان يحسبه الإنسان من هذه الصخور الجرد مثالاً للقسوة وتمثالاً للجمود ينشئْ الحياة النضة إنشاء ويخرجها أعشاباً طرية من بين الفرجات الصغيرة التى فيه ، ويجمع لها فى هذه الشقوق الماء الذى تحتاج إليه لترتاح له وتأنس بالمقام عنده وتطمئن ـ فى ضمان حياتها ـ إليه .

وكانت الجبال على أتم صلة ببعضها ، فلا يفصل بينها شىء إلا صبغته بصباغها الأحْوَى ، وعلمته كيف ينساق لمشيئتها فى غير تردد ولا بطء : فالجداول الصغيرة ، والوديان الفسيحة ، وهذا القليل من رحاب الأرض المنبسطة ، ومخارم الجبال ذاتها أيضاً ، كل أولئك كان طائعاً لتلك الجبال يصل ما بينها ليظهرها أمام العين بمظهر واحد ينم على الألفة المتينة والوداد الجميل .

وكانت هذه المشاهد التى تطغى على القلب والعقل ، فتملأ ذاك غبطة وتزيد هذا إيماناً بالعجز أو سدوراً فى الضلال ، جديدة أمام عينى ؛ وكان كل واحد منها جديراً بأن أطيل النظر فيه لنتعارف ، ولكن السيارة كانت تأبى ، وحسبتْ أن ذلك قد يطول منا فنعتاقها عما هى وراءه من تقريب الشقة أمام هذا الركب الضجر الملول . وجدة المشاهد أمام العين تذكّر بعهد الطفولة حين يخرج الواحد منا من ظلماته الأزلية إلى هذا النور الدنيوى ـ أو الذى نسميه نوراً وما ندرى من أمره حقيقة ولا ندرك كنهاً ـ فكل ما تقع العين عليه جديد لذيذ ، يبعث الفضول ويرهف الحس ويصب على الفكر وابلاً من الأسئلة الخالدة التى تطوف فى فكر كل ذى فكر ؛ ثم لا يلبث المرء أن تعييه الإجابة فينزل عند حكم المشيئة التى أرادت له مثل هذه الحواس المحدود إدراكها ، ومثل هذه القوة العاقلة التى يسرع التعب إليها قبل بدئها فى البحث عما هى وراءه من استكشاف المجاهيل !

ونبّهتنى هذه الخواطر إلى ما للجهل من فائدة وفضل على الناس ، وأذكرنى هذا بالنظرية التى تقول : إن كل شىء خيّر فى الطبيعة إذا وُضع فى موضعه وأُحِلّ فى المكان المناسب له . فالجهل مثلاً ـ وهو موضوعنا ـ يثير فضول القوى العاقلة لدى الناس ، ويعقد أمامهم مشاكل عويصة يعالجون حلها ، فكثيراً ما يضلون وقليلاً ما يهتدون . ولكنهم ـ وعلى أية حالة كانوا ـ تفيض السعادة والراحة على قلوبهم حين القصور ، وحين البلوغ على حد سواء ! !

وأذكر أنى كنت ذات مرة فى زيارة لخرائب بابل ، وكنت وقتئذاك صبياً يحسب العلم وقفاً على المسنّين . فسألت أحد الأدلاء ـ وكان شيخاً ـ وكان جاهلاً أميًّا ـ عما صيّر هؤلاء الآدميين الذين كانوا مثلنا من لحم ودم ـ حجارة ! فأجاب أو أجابت بديهته ـ فما كان عنده عقل يجيب ـ : غضب الله ! وقد ظللت أعتقد بصحة هذه الجملة التى انطلق بها لسان دليلى العامى حتى دخلت المدرسة فعُلِّمْت غير هذا ، ووعيت فى حافظتى كلاماً غير كلام الدليل ، علمياً منطقياً ، تقوم على تأييده والبرهنة على صحته حجج قواطع . فاستسخفتُ ذلك الساذج ، واستسخفتْ نفس ذلك الطفل الذى لم يحاكم القول الذى سمع ؛ ولكنى أشهد الله (تعالى) ، على أن نفسى اليوم لا تستطيب معنى أحلى ، ولا جملة أبلغ ، ولا فلسفة أعلى مما انطلقت به بديهة الرجل

من أدب القرن التاسع

كتاب « سحر العيون »

للأستاذ أحمد يوسف نجاتى

كنت منذ حين قرأت حديثاً للأستاذ أحمد بك أمين يعرض فيه « كتاب سحر العيون » عرضاً شائقاً — والكتاب مطبوع قديماً بدون أن يذكر فى أوله اسم مؤلفه — ورأيت الأستاذ يقول فى هذا المقال القيّم : من الأسف أنى لم أعثر على اسم مؤلفه . ولكنه فى ثنايا الكتاب يقول : «أنشدنى صاحبنا الشيخ شمس الدين محمد ابن أبى بكر القادرى (١) المولود سنة ٨٢٤ . فمؤلف الكتاب إذاً — من أدباء القرن التاسع الهجرى — والظاهر أنه مصرى لأنه يروى لنا فى ثنايا الكتاب أحداثاً مصرية وأمثالاً عامية مصرية »

فأسفت لأسف الأستاذ ، وأردت أن أكتب ترجمة طويلة لهذا المؤلف تكشف الحجاب عنه ، وأن أعرض ما أعرفه من مصنفاته عرضاً دقيقاً وأحلله تحليلاً أدبيًا مسهباً . ولكن عدَت دون ذلك عوادٍ صارفة لا قبَل لى بها ، وحالت دونه عوائق شاغلة لم يكن أمر نفسى معها بيدى . وطال الأمد على ذلك حتى أُنْسِيت ما كنت قد عزمت عليه ؛ وشغلتنى أعمالى الكثيرة بغيره ، إلى أن سألنى اليوم أحد الطلبة الأدباء عن مؤلف هذا الكتاب ؛ فذكرنى بما كنت قد نسيته ؛ ورأيت أن أنتهز هذه الفرصة السانحة فأسعف طلبته بهذه الكلمة الموجزة التى أحررها على عجل . وفى العزم إن شاء الله أن أبسط القول فى ترجمة هذا الأديب وترجمة شيوخه وأصحابه ومعاصريه الذين تربطهم به صلة وثيقة كان لها أثر بيّن فى أدبه ؛ وأن أطيل الكلام فى الأدب المصرى والشامى فى عصر المماليك عامة وفى القرن التاسع خاصة . وأرجو أن تفسح لى مجلة « الرسالة » الغراء صدرها فمهدى بها مجلة الأدب الرفيع وحلبة ميدانه الذى تجول فيه أقلام فرسانه من الكرام الكاتبين

١ — لقد دل مؤلف « سحر العيون » على نفسه فى نحو عشرين صفحة من كتابه ، ونادى باسمه (البدرى) فيه كثيراً حتى بحّ صوته . وكأنى به فى ص ١٨٨ قال : « من عرفنى فقد اكتفى ، ومن لم يعرفنى فأنا جامعه البدرى عفى عنه ، مولده فى عشية الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول من شهور سنة سبع وأربعين وثمانمائة » وسنعرض بعد لسائر الصفحات التى صرح فيها باسمه ، ونتناول شعره فيها وفى غيرها بالنقد والتحليل

٢ — للبدرى مؤلف « سحر العيون » كتاب آخر اسمه : (نزهة الأنام فى محاسن الشام) طبع بمصر بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤١ هـ صدر عنوانه فى أول صفحة منه بما يأتى :

« نزهة الأنام فى محاسن الشام ، تأليف أبى البقاء عبد الله ابن محمد البدرى المصرى الدمشقى من علماء القرن التاسع (ولد سنة ٨٤٧) صاحب الديوان المشهور ، وتاريخ « تبصرة أولى الأبصار » و « سحر العيون » اهـ . وقد دل المؤلف أيضاً على نفسه فى هذا الكتاب فى كثير من صفحاته ، وموعدنا بالكلام فى هذا الكتاب وسواه قريب إن شاء الله

(١) شمس الدين محمد بن أبى بكر بن عمر بن عمران بن نجيب بن عامر أبو الفضل الأنصارى الأوسى السعدى المصرى القادرى الشاعر المشهور . جزم فى نظمه أنه ولد فى سنة ٨٢٠ فى جهة دمياط ، كان أديباً شاعراً مجيداً . أنشد له البدرى فى ص ٢٨٥ ، ٣٠٢ من كتابه ، وتوفى فى أوائل القرن العاشر . وسنعرض لترجمته ونقد شعره وعرض كثير منه

الجهول ! ! هل ترى العالِم المنقّبَ الفاضل حين يدخل خرائب البابليين يَغْمُرُ صدره بالإيمان ، وترتفع روحه إلى أجواء من السعادة العلوية ، وتتملكه الروعة والجلال كهذا الدليل الجاهل الأمى الجواب عندى « لا » ! !

لأنى من المؤمنين بأن للجهل نفعاً ، وأن شأنه فى هذا شأن كل ما أبدعته الكفُ الصّناعُ الخالقة الجليلة فى هذا الكون الجميل ... وهنا بانت لنا عن بعد دائرة جوازات السفر على الحدود الفلسطينية فأبدلتنا بأفكارنا غيرها ، وتبددت هذه الأخيلة وكان ما كان ...

* * *

فإلى الأستاذ المازنى الجليل نسوق سؤالاً عن نفع الجهل ؛ فقد كان حدثنا بحديث من ذلك قبل سنين . فإن رأى — أطال الله بقاءه، وجعلنا من كل سوء فداءه — ألا يبخل بهذه الآراء على قراء (الرسالة) فعل وله منا ومنهم ألف شكر !

فوزى شهاب السعيدى

٣ — وفى فهرس الكتب العربية لدار الكتب الملكية بالجزء الخامس المشتمل على فهرس التاريخ فى ص ٣٨٧ ما نصه :

« نزهة الأنام فى محاسن الشام ، تأليف أبى البقاء عبد الله ابن محمد البدرى المصرى الدمشق من علماء القرن التاسع ، ولد سنة ٨٤٧ (وكتب سنة ٧٤٧ غلطاً) ، وهو صاحب الديوان المشهور والتاريخ المسمي : « تبصرة أولى الأبصار فى انقراض العمر بين الليل والنهار » ، « سحر العيون » . الخ

وإنى أنصح لمن يعنى بالأدب وتاريخه أن يطلع على فهارس دار الكتب ، فإنه يعثر فيها على فوائد جمة ويهتدى إلى مراجع قيمة فى اللغة العربية وآدابها وتاريخها . وفى كشف الظنون (نزهة الأنام في فضائل محاسن الشام) لأبى البقاء عبد الله ابن محمد البدرى المصرى الدمشقى الشافعى

٤ — وأبيَن مما تقدم ترجمة علم الدين السخاوى فى كتابه (الضوء اللامع) لمؤلف « سحر العيون » . ونحن ننقل هذه الترجمة بنصها ، ونشفعها بشرحها ونقدها . قال : « أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الله تقى الدين بن الجمال الدمشقى القاهرى الشاعر الوفائى ، ويعرف بابن البدرى ، ويكنى أيضاً أبا البقاء ، ولد فى شهر ربيع الأول سنة ٨٤٧ بدمشق ونشأ بها ، وتكرر قدومه مع أبيه للقاهرة ثم قطنها مدة ، واشتغل بالبلدين قليلاً . وكتب عن خلق من الشيوخ فمن فوقهم . وتعانى الشعر ومدح وهجا وطارح . وتردّد إلىّ فأخذ عنى ومدحنى فيما كتبته فى موضع آخر ، وفيه :

جد لى سريعاً بالحديث إجازة يا كاملاً دُمْ وافر الإعطاء

وانتمى لبنى الشحنة وتكسب بالشهادة وبالنسخ . فلما ولى الأمشاطى عمل فيه أبياتاً فلم يقابله عليها ، إلى أن تعرض لعبد الرزاق الملقب عجين أمه نزيل القاضى فى البرقوقية ونسبه لأمر فظيع الله أعلم بصحته ، فبادر لتطلبه فلم يقدر عليه ، فصرح بمنعه من تحمل الشهادة فلم يلبث إلا يسيراً . وماتت له زوجة فورث منها قدراً طائلاً بعد فقره فلمَّ أطرافه وسافر لمكة فجاور ثم قطن الشام ، ثم جاور بالمدينة سنة ٨٩٢ وكتب فيهما من تصانيف الشريف السمهودى وغيره ، ثم جاور التى تليها سنة ٨٩٢ بمكة ؛ وكان يجتمع علىّ بها ، وكتب من تصانيفى مجموعاً ، ولازمنى فى التحمّل رواية ودراية . وأوقفنى على مجموع سماه « غرر[1] الصباح فى وصف الوجوه الصِّباح » وقرظه له الشعراء فأبلغوا ، وكان من أعيانهم البرهان الباعونى وأخواه ، والشهاب الحجازى ، والمنصورى ، والقادرى ، وابن قرقماس . وقال إنه ألفه بدمشق سنة ٨٦٥ ، والتمس منى تقريظه فأجبته وكتبت له إجازة حسنة ، وامتدح قضاة مكة وغيرهم ، وليس نظمه بالطائل ، ولا فهمه بالكامل . وكتبت عنه من نظمه :

إذا ما كان مجموعى لديكم من الدنيا بهذا قد قنعت
وما قصدى سوى هذا وحسبى بأنى فى يديك وما جمعت

وكان يتكسب بالتجارة ، وربما جلس بحانوت بمكة فى الموسم . تعلل بمكة مدة وسافر منها وهو كذلك فى أوائل المحرم سنة ٨٩٤ فى البحر فوصل إلى الطور ثم غزة فأدركه أجله هناك فى جمادى منها . وبلغنا ذلك فى شوال — عفا الله عنه — وترك ولدين أو أكثر وتركة ، وأظن والده فى الأحياء . عفا الله عنه وإيانا » اه

إنتهت ترجمة السخاوى . وهو معروف بأنه قد يتحامل على بعض معاصريه ، ويقذفهم بعبارات تهكم لاذعة وقوارص من الكلم تنطوى على سخرية مريرة ، بداعى المنافسة والمعاصرة والازدحام على منهل عذب واحد . وقد قال فيه معاصره (ابن إياس) فى كتابه « بدائع الزهور » : « إنه ألف تاريخاً فيه كثير من المساوئ فى حق الناس » . وأنشأ معاصره (جلال الدين السيوطى) مقامة من ضمن مقاماته سماها « الكاوي فى رد تاريخ السخاوى) شنع عليه فيها ... يقول فيها : « ما ترون فى رجل ألف تاريخاً جمع فيه أكابر وأعياناً ، ونصب لأكل لحومهم خواناً ، ملأه بذكر المساوئ وثلب الأعراض ، وفوّق فيه سهاما على قدر أغراضه والأعراض هى الأغراض . وجعل لحم المسلمين جملة طعامه وإدامه ، واستغرق فى أكلها أوقات فطره وصيامه ... » والمقامة مخطوطة محفوظة بدار الكتب الملكية تحت رقم ١٥١٠ . فينبغى للمنصف أن يقف أمام بعض تراجم السخاوى موقفاً محايداً مرويا

ونحن بعد هذا نشرح ما يحتاج إلى الشرح والتبيان من ترجمة علم الدين السخاوى لأبى بكر البدرى ، ونشفع ذلك بنقده ونصل القول إلى ما وعدنا به من ترجمة حياة هذا الأديب ترجمة ضافية وترجمة أدباء عصره وأقرانه وشيوخه وأصحابه ، ونكشف النقاب عن الأدب المصرى فى القرن التاسع بل فى عصر المماليك عامة بإذن الله

(١) قال فى كشف الظنون « غرة الصباح فى وصف الوجوه الصباح » — والاسم محرف هنا — للشيخ تقى الدين أبى بكر البدرى الدمشقى ثم المصرى . أوله : (أما بعد حمد الله الذى الخ رتبه على سبعة عشر باباً) اه

١ — أما بنو الشحنة الذين انتمى إليهم البدرى فهم من أسرة شامية من مدينة حلب كريمة الأصل والحسب ، عريقة فى العلم والأدب . وقد تقلدوا كثيراً من الوظائف العلمية والدينية بالشام ومصر من قضاء وإفتاء وخطابة وتدريس . وكان لبعضهم أثر فى الحركات السياسية فى ذلك العصر ؛ وجدهم الأعلى «محمود» من أصل تركى وهو الملقب بالشحنة لأنه كان شحنة مدينة حلب (وشحنة البلد من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان) ، فهى وظيفة كأنها وظيفة (الحكمدار) الآن .

ومن أقدم من عرفت من بنى الشحنة :

١ — كمال الدين محمد بن محمد بن محمود (الشحنة) بن غازى ابن أيوب ، كان من فضلاء زمانه متقناً لعلوم الدين واللسان ، واشتغل بالتدريس والقضاء ونشر العلم وإفادته . وتوفى بمدينة حلب فى شهر ربيع الأول سنة ٧٧٦ .

٢ — وابنه أبو الوليد محب الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمود ولد سنة ٧٤٩ بحلب ونشأ بها فى كنف أبيه وارتحل إلى دمشق والقاهرة للأخذ عن علمائها . وارتحل مرة أخرى إلى مصر سنة ٧٧٧ بعد وفاة والده فظهرت بها فضائله فولاه سلطانها قضاء بلده حلب سنة ٧٧٨ فلبث بها حيناً يتقلب بين الولاية والعزل حتى فصله السلطان برقوق سنة ٧٩٣ فعاد إلى القاهرة وأقام بها نحو ثلاث سنين ، ثم توجه إلى بلده وشغل نفسه بالتأليف وإفادة العلم ، ثم ولى قضاءها سنة ٨٠٩ ، وبعد حوادث عاد إلى القاهرة معزولاً عن عمله فولى بها عدة وظائف فى التدريس ، ثم عاد إلى وطنه حلب فتوفى بها فى شهر ربيع الآخر سنة ٨١٥ وكان نابغة فى علوم اللغة والدين والأدب والتاريخ ، وله مؤلفات مفيدة ذكر منها فى كشف الظنون كتاب (أوضح الدلائل والأبحاث فيما يحل به المطلقة بالثلاث) و (روض المناظر فى علم الأوائل والأواخر) انتهى فيه إلى سنة ٨٠٦ ؛ وبدار الكتب المصرية نسخة منه مخطوطة فى مجلد فرغ كاتبها منها آخر شوال سنة ١٢٩٧ هـ نقلها عن النسخة الخطية بخط أبى الحسن على بن حسن بن على ابن احمد السروى الأزهرى ، انتهى من كتابتها فى شهر شعبان سنة ٨٧٣ وهى منقولة عن نسخة بخط القاضى محب الدين أبى الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الشحنة ولد المؤلف ، أتمها كتابة فى شهر رمضان من سنة ٨٢٥

وكان عاقلاً ذكياً دمث الأخلاق ، حلو النادرة ، لطيف المحاضرة ، قوى البديهة . قال المقريزى : ولقد قام مقاماً عجز أقرانه عنه ، وتعجب أهل زمانه منه ، وذلك أن الطاغية تيمورلنك لما استولى على مدينة حلب ٨٠٣ وتسلم قلعتها بالأمان بعد أن استحر القتل والأسر فى أهلها ، صعد إليها وجلس فى إيوانها وطلب القضاة والعلماء لملاقاته فامتثلوا أمره . وكان من عادته أنه إذا فتح مدينة يعقد مجلساً لمناظرة علمائه وإعناتهم ، وكأنه يريد أن يريهم أنه على حق فى عمله ، ويصبغ فظائعه المروعة صبغة شرعية . واتفق هؤلاء العلماء فيما بينهم أن يتولى القاضى ابن الشحنة الإجابة عن الأسئلة التى يوجهها تيمور إليهم ثقة بحذقه وحسن تصرفه .

وكان للطاغية إمام من جلّة المعتزلة هو القاضى عبد الجبار بن عبدالله الخوارزمى الحنفى ولد سنة ٧٧٠ وتوفى سنة ٨٠٥ وكان عالماً قديراً بارعاً متقناً لعلوم الدين واللغة والأدب ، يجيد اللغات العربية والفارسية والتركية ، وكان ذا ثروة طائلة وجاه عظيم ومنزلة رفيعة لدى تيمورلنك حتى انتهت إليه الرياسة فى أصحابه . وكان يصحبه معه فى غزواته لمناقشة العلماء ومناظرتهم وليكون حلقة اتصال بالترجمة بينه وبينهم . وقد كان القاضى عبد الجبار رحمة للمسلمين ، طالما أنقذهم من غضب الطاغية وسخطه ، وأطفأ عنهم نار ثورته وحدته . وكان ربما تبرم من صحبة تيمور لنك فى نفسه ولكن لا يسعه مخالفته مع ما يرجو فى ذلك من ثواب نفعه للناس لدى هذا الطاغية وكف شره عنهم .

عقد تيمور المجلس وأخذ يوجه إلى العلماء الأسئلة بوساطة إمامه ، وابن الشحنة يجيب عنها بلباقة ، فكان من ضمن هذه الأسئلة أن قال لهم : أى الطائفتين من القتلى هو الشهيد ، أمن قتل منكم أم من قتل منا ؟ وقد كان هذا السؤال محرجاً لولا مهارة القاضى ابن الشحنة ؛ فقد أجاب قائلاً : لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك فأجاب : فإنه وفد إليه أعرابى وسأله : يا رسول الله ، إن الرجل ليقاتل حمية ، ويقاتل شجاعة ، ويقاتل ليرى مكانه ، فأينا فى سبيل الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الشهيد فى سبيل الله ... فراق تيمورلنك هذا الجواب وأحسن إلى ابن الشحنة ، وأعجب بدهائه وحسن تخلصه ولطف احتياله وسرعة بديهته ، وجعل يؤانس العلماء ويلاطفهم ، ووعدهم العفو عنهم حتى أفرخ روعهم ؛ وأقبلوا يجيبون على أسئلة تيمور بما عندهم ، وكان آخر ما سألهم عنه أن قال : ما تقولون فى على ومعاوية ويزيد ؟ وما الحكم فى قتال

علي ومعاوية ؟ وهل يجوز لعن معاوية وابنه ؟ فأجاب القاضي علم الدين القفصي : محمد بن ناصر الدين محمد بن محمد الدمشقي [1] قائلاً : إن عليًّا اجتهد وأصاب فله أجران ، ومعاوية اجتهد وأخطأ فله أجر واحد . فغاظ ذلك الجواب تيمورلنك وأهان العلماء وسبَّ أهل حلب ، ورماهم بأنهم يزيديّون يبغضون أهل البيت وشيعتهم ، فتدارك ابن الشحنة الأمر بلطفه وقال : إن القاضي علم الدين أجاب بما وجده في كتاب لم يمعن في معناه والغرض منه . فأعجب ذلك الطاغية ، وسكت عنه الغضب . وأجاب القاضي شرف الدين موسى ابن محمد بن محمد قاضي حلب المتوفى سنة ٨٠٣ بأن معاوية لا يجوز لعنه لأنه صحابي ؛ فثار الطاغية وسب العلماء ، ولولا أن القاضي شفع ذلك بقوله : إنه رأى حاشية على بعض الكتب بأنه يجوز لعن يزيد ، ولولا أن الطاغية كان قد وعد بالعفو ، ولولا حسن وساطة القاضي ابن الشحنة ، للاقى العلماء يومئذ من تيمور شراً مستطيراً

هذا ، ولابن الشحنة نثر ونظم ليس عالي الطبقة ، بل هو كشعر الكثير من أبناء عصره

ومن ذلك قوله :

كنت بخفض العيش في رفعة ... معتدل القامة ظلي ظليل

فاحدودب الظهر وها أضلعي ... تعدّ والأعين مني تسيل

ومنه :

ساقي المدام دع المدام فكل ما ... في الكأس من وصف المدامة فيكا

فعل المدام ولونها ومذاقها ... في مقلتيك ووجنتيك وفيكا [2]

ومنه :

أسير بالجرعا أسيراً ومن ... همّي لا أعرف كيف الطريق

في منحنى الأضلع وادي الغضا ... وفوق سفح الخد وادي العقيق

هذا وقد كان أبو الوليد بن الشحنة ممدَّحاً . وممن مدحه الجمال عبد الله بن محمد بن زريق المعري ثم الحلبي . ولد سنة ٧٧٥ بالمعرة ونشأ بها ثم قدم مدينة حلب فاشتغل بها وتوفي سنة ٨٢٧ وكان فاضلاً أديباً ناظماً ناثراً محسناً ... قال فيه قصيدة مطلعها :

لم أدر أن ظُبَى الألحاظ والهدب ... أمضى من الهندوانيات والقضب

٣ — وأبو الوليد هذا كان يكنى بابن له اسمه الوليد كان آية في الذكاء أديباً ناظماً ناثراً . توفي شاباً في حياة أبيه حوالي سنة ٨٠٤هـ

٤ — وأخوه فتح الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمود ولد سنة ٧٥٣ بحلب ونشأ بها . وأخذ عن أبيه وأخيه وغيرهما . وقدم القاهرة غير مرة . وناب عن أخيه في قضاء الحنفية بحلب وكان ذا حشمة ومروءة وعناية بالأدب . وله نظم قليل منه :

يا سادتي رقّوا لرقّة نازح ... لفظته أيدي البعد عن أوطانه

والله ما جلتم بخاطر عبدكم ... إلا وفاض الدمع من أجفانه

(يتبع)

أحمد يوسف نجاتي

الأستاذ بكلية اللغة العربية

---

(١) قال عنه في شذرات الذهب : إنه عني بطلب العلم في كبره ودار في الدروس واشتغل كثيراً ، لكن مع قصور فهم وقلة عقل وعناية بالعلم . ولي قضاء دمشق إحدى عشرة مرة في مدة ٢٥ سنة أولها سنة ٧٧٩ وولي قضاء حلب وحماة مراراً ، وكان عفيفاً ، وأصيب في الوقعة الكبرى بماله ، وأسرت له ابنة ، وتوفي سنة ٨٠٥

(٢) أخذ هذا المعنى وقصر فيه من قول ابن حيوس أبي الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس أحد الشعراء الشاميين المجيدين ، ولد بدمشق سنة ٣٩٤ وتوفي سنة ٤٧٣ :

ومهفهف يغني النديم بوجهه ... عن كأسه الملأى وعن إبريقه

فعل المدام ولونها ومذاقها ... في مقلتيه ووجنتيه وريقه

وكلا الشاعرين عني بالجناس واللف والنشر ، ولكن للمتقدم فضل السبق وإجادة السبك . وبيتا ابن الشحنة الأخيران مشحونان بمراعاة النظير والتوجيه بأسماء بعض الأماكن

٣ - ابن خـــرداذبه

للأستاذ كوركيس عواد

لقد تطرق غير واحد من الكتبة والمؤلفين الأقدمين إلى ذكر هذا الكتاب، والكشف عن محاسنه ومساوئه. من ذلك ما حكاه المسعودى[١] بشأنه، نورده هنا استتماماً للموضوع، وإظهاراً لرأى مؤرخ وبلدانىّ جليل، ارتآه فى كتاب ثمين تتداوله الأيدى فى يومنا. قال المسعودى:

« وقد ذكر عُبيْد الله بن خرداذبه، فى كتابه المترجم بالمسالك والممالك، أن الطريق من موضع كذا إلى كذا مقدار كذا من المسافة، ولم يخبر من الملوك والممالك، ولا فائدة فى معرفة المسافات والطريق، إذ كان ذلك من عمل الفتوح وحمال الخرائط[٢] والكتب. وذكر أيضاً أن خراج طساسيج[٣] العراق كذا وكذا من المال، وهذا ما ينخفض ويرتفع ويقلّ ويكثر على حسب[٤] الأحوال وتصرف الأزمان، وإن جبل العَرْج[٥] الذى بين مكة والمدينة متصل ببلاد الشام، إلا أن وصله بالجبل الأقرع من بلاد أنطاكية وإن ذلك متصل بجبل الآكام[٦] هذا عجيب من قوله، أما تراه علم أنّ أجزاء الأرض مماسة بعضها لبعض، متصلة غير منفصلة ولا متباينة مما بين بعضها ببعض إلا أن الأرض ذات وهاد وأنجاد وحدب. على أنه أحسن كتاب فى هـذا المعنى » اهـ. أو قوله الآخر[١] فى هذا الكتاب:

« ومن كتبه[٢] النفيسة، كتابه فى المسالك والممالك، وغير ذلك مما إذا طلبته وجدتَه، وإن تفقدته حمدته »

أو قوله الثالث[٣] فى هذا السِفر عينه:

« ... وقد صنّف أحمد بن الطيب السرخسىّ[٤]، صاحب يعقوب بن إسحاق الكندى، كتاباً حسناً فى المسالك والممالك والبحار والأنهار وأخبار البلدان وغيرها؛ وكذلك أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى[٥]، وزير نصر بن أحمد بن إسماعيل بن احمد ابن أسد صاحب خراسان، ألّف كتاباً فى صفة العالم وأخباره، وما فيه من العجائب والمدن والأمصار والبحار والأنهار والأمم ومساكنهم، وغير ذلك من الأخبار العجيبة والقصص الظريفة؛ وأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه فى كتابه المعروف بالمسالك والممالك، وهو أعم هذه الكتب شهرة فى خواص الناس وعوامهم فى وقتنا هذا »

وقد أشار ابن حوقل إلى هذا الكتاب إشارة خفيفة بقوله[٦]:

« ولا يقاربُ هـذا التأليف عنده (عند قارئ الكتاب أو الناظر فيه. والكلام هنا على كتاب صورة الأرض) كتاب الجَيْهانى ولا يوافق رسم ابن خُرَّداذَبَه ... »

---

(١) مروج الذهب (٢ : ٧٠ - ٧٢ طبعة باريس). وقد اختصر الحاج خليفة هذا الرأى فى كشف الظنون (٥ : ٥١١ طبعة فلوجل)

(٢) الخرائط، مفردها الخريطة: وعاء مثل الكيس، من أدم أو خرق، يشرج على ما فيه من كتب ودراهم يبعث بها إلى العمال (أنظر: تاج العروس ٤ : ١٢٨، ومفاتيح العلوم للخوارزمي (ص ٦٤ طبع ليدن)

(٣) الطساسيج، وأحدها الطسوح، بفتح الطاء ووردت بضمها: لفظة فارسية بمعنى الناحية؛ وأكثر ما تستعمل فى أرض السواد من العراق. وقد قسموا سواد العراق على ستين طسوجا (أنظر: معجم البلدان ١ : ٤١ طبعة وستنفلد، وتاج العروس ٢ : ٧٠، والألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير ص ١١٢، والخزانة الشرقية لحبيب زيات ٢ : ١٠٥-١٠٦

(٤) فى كشف الظنون: على حسن. وهو تحريف

(٥) تجد تفصيل ذلك فى الصفحة ١٧٢ - ١٧٣ من المسالك والممالك

(٦) يعرف أيضاً بجبل الكام

(١) مروج الذهب (١ : ١٣ طبعة باريس)

(٢) الضمير يعود إلى بن خرداذبه

(٣) التنبيه والاشراف « ص ٧٥ طبعة دى غوى، أو ص ٦٥ - ٦٦ طبعة مصر »

(٤) لم يتصل بنا نبأ شيء من هذا الكتاب

(٥) كتاب الجيهانى الموسوم أيضاً بالمسالك والممالك، من المصنفات الضائعة فى وقتنا. وللكتبة الأقدمين آراء وأقوال طريفة فيه، لا مجال لذكرها هنا.

(٦) كتاب صورة الأرض [المسالك والممالك] لابن حوقل « الطبعة الثانية التى نشرها كريمرز J. H. Kramers فى ليدن سنة ١٩٣٨، ص ٥ ».

ولابن حوقل كلمة ثانية بشأن هذا الكتاب ، إلى القارئ نصها[1] : « وكان لا يفارقنى كتاب ابن خرداذبة وكتاب الجيهانى وتذكرة أبى الفرج قدامة بن جعفر . وإذا الكتابان الأولان قد لزمنى أن أستغفر الله من حملهما واشتغالى بهما عن ما يلزمنى من توخى العلوم النافعة والسنن الواجبة ... » !

ومن الآراء الطريفة التى وقفنا عليها بصدد هذا الكتاب ، ماحكاه البشارى المقدسى بقوله ، وهو رأى تفرد به : « ومن مفاخر كتابنا (يعنى كتابه أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) الإعراض عما ذكره غيرنا ، وأوحش شىء فى كتبهم ضد ما ذكرنا . ألا ترى أنك إذا نظرت فى كتاب الجيهانى وجدته قد احتوى على جميع أصل ابن خرداذبة وبناه عليه ، وإذا نظرت فى كتاب ابن الفقيه[2] ، فكأنما أنت ناظر فى كتاب الجاحظ[3] والزيج الأعظم ، وإذا نظرت فى كتابنا وجدته نسيج وحده يتيماً فى نظمه[4] »

وكذلك ما ندد به البشارى المقدسى ، حين قال :

« ... وأما الجاحظ وابن خرداذبة ، فإن كتابيهما (فى المسالك والممالك) مختصران جداً لا يحصل منهما كثير فائدة[5] ... »

ومع ذلك ، وجدنا المقدسى ، ينقل غير مرة من كتاب ابن خرداذبة[6] .

ولم يكن المقدسى الوحيد بين الكتبة الأقدمين الذين عرفوا كتاب المسالك والممالك ونقلوا عنه نقولاً مختلفة ، بل هناك جماعة فعلوا فعله ، نذكر منهم : ابن رسته[7] ، وابن الفقيه الهمذانى[8] ،

(١) كتاب صورة الأرض « ص ٣٢٩ طبعة كريمرز »
(٢) هو كتاب البلدان . وقد طبع مختصره
(٣) كتاب البلدان للجاحظ ، من المفقودات فيما يظن . وقد نقل ابن خرداذبة عنه مرة واحدة (أنظر المسالك والممالك ، ص ١٧٠)
(٤) أحسن التقاسيم (٢٤١)
(٥) أحسن التقاسيم (ص ٤٠٠) . وفى كشف الظنون (٥ : ٥١٠ — ٥١١ طبعة فلوجل) رأى كأنه منقول من البشارى ويلاحظ أن اسم « الجاحظ » قد تحرف فى الكشف إلى « الحافظ » فليصحح .
(٦) أنظر أحسن التقاسيم ، فى الصحائف ٥٧ و ١٠٥ و ١٨٩ و ٢٢٢ و ٣٦٢
(٧) الأعلاق النفيسة (ص ١٤٩)
(٨) مختصر كتاب البلدان (ص ٢٠٣)

والمسعودى[1] ، وأبا الريحان البيرونى[2] ، وياقوتاً الحموى[3] ، والشريف الإدريسى[4] ، والمقريزى[5] ، والقلقشندى[6] .

أما ابن خرداذبة نفسه ، فقد وجدناه ينقل أحاديث عن بعض معاصريه من ذلك قوله (المسالك والممالك ص ٤٨) : وخبرنى الفضل ابن مروان ، والفضل هذا رجل من أهل البردان بالعراق استكتبه المعتصم وبلغ مقاماً رفيعاً فى الدولة ، ثم تقلبت به الأحوال بين صعود وهبوط ، فذكر الطبرى[7] أن المعتصم غضب عليه سنة ٢٢٠ وحبسه ، ثم ذكر[8] أن المتوكل عزله سنة ٢٣٤ عن ديوان الخراج ، وحكى فى مكان آخر[9] أن المستعين عزله سنة ٢٤٩ ﻫ عن ديوان الخراج

ومما أشار إليه ابن خرداذبة فى نقوله هذه العبارة ص ١٠٦ : فحدثنى محمد بن موسى ، وعبارته ص ١١٤ ، وحدثنى أبو بكر بن عمر القرشى وعبد الله بن أبى طالب القرشى من كورة تونس بالمغرب قالا . وقوله ص ١٦٢ — ١٧٠ فحدثنى سلام الترجمان ، وقوله ص ١٨٠ — ١٨١ وحدثنى أبو الفضل رائض بن الحارث بن أسد ، وقد ذكر الطبرى أباه الحارث بن أسد فى غير موضع من تاريخه[10] وقد يعمد ابن خرداذبة أحياناً إلى إغفال من ينقل عنهم والاكتفاء بالقول ص ١٧٨ : وحدثنى بعض من أثق به ، أو ص ١٨١ وحدثنى محدث أنه ...

(١) مروج الذهب (٢ : ٣٢٦ طبعة باريس)
(٢) الآثار الباقية عن القرون الخالية (ص ٤١)
(٣) معجم البلدان (٤ : ٩٥ و ٦٠٢ طبعة وستنفلد
(٤) مختصر نزهة المشتاق طبعة رومة ، ص ٧٠ و ٣١٥) ، ومقدمة ابن خلدون (طبعة باريس ١ : ٩٣) فى الكلام على كتاب نزهة المشتاق للادريسى .
(٥) الخطط للمقريزي (مطبعة النيل ١ : ٢١٧ و ٢٣٦ و ٢٦٢ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٣٤٤ و ٣٦٦ و ٣٧١)
(٦) صبح الأعشى (٤ : ٣١٥ و ٤٠٢ — ٤٠٥) .
(٧) تاريخ الطبرى (السلسلة الثالثة ، ص ١١٨١ — ١١٨٦)
(٨) تاريخ الطبرى (السلسلة الثالثة ، ص ١٣٧٩)
(٩) تاريخ الطبرى (السلسلة الثالثة ، ص ١٥١٣)
(١٠) تاريخ الطبرى (السلسلة الثالثة ص ١٦٠٥ و ١٦١٩ و ١٦٥٧)

والآن بعد أن أطلنا الكلام على كتاب المسالك والممالك ، نعود إلى بقية مؤلفات ابن خرداذبة

٤ — كتاب الطبيخ

٥ — كتاب اللهو والملاهي فى خزانة الأستاذ حبيب زيات[١] مخطوط عنوانه « مختار من كتاب اللهو والملاهي لابن خرداذبة » ولا ندرى ما إذا كان هذا « المختار » للمؤلف نفسه ، أم أنه لشخص آخر . وليت صاحب المخطوط ، وهو الباحث الكبير المعروف بسعة اطلاعه وبعد تحقيقه ، يعنى بنشره ، فيضيف بذلك مأثرة جديدة إلى مآثره العلمية الجمة

٦ — كتاب الشراب

٧ — كتاب الأنواء

٨ — كتاب الندماء والجلساء

والغريب أنّ هذه المصنّفات الثمانية باستثناء المسالك والممالك لم نقف ألبتة على ذكر لها ، فى ما سوى الفهرست لابن النديم . وهذا كشف الظنون للحاج خليفة ، وهو من أوسع المراجع التى تَقِفُنَا على الكتب ، لم يتطرق إلى تسمية شىء منها ، اللهم إلا المسالك والممالك ، وما قاله فيه لا يتعدى كونه رأياً منقولاً عمن سبقه ، كما أسلفنا القول فى ذلك فى موطن آخر من بحثنا

هذا ونحن على يقين من أن لابن خرداذبة تصانيف أخرى ، الثمانية المشار إليها أعلاه . فقد أورد المسعودى[٢] مقالة ابن خرداذبة فى « الموسيقى » ، وهى التى قالها بحضرة الخليفة المعتمد

فهل تكون هذه « المقالة الموسيقية » فصلاً أو قطعة من أحد الكتب التى ألمعنا إليها ، أم أنها شىء قائم بذاته فات ابن النديم ذكره ، فكان نصيبه الخلود على يدى المسعودى ؟ ؟

وقد أثنى المسعودى ثناء عاطراً على « تاريخ » ابن خرداذبة الذى لا ذِكْرَ له بين الكتب المنوه بها آنفاً . وهذا قوله بالحرف الواحد[١] :

« . . . وعُبَيد الله بن عبد الله بن خرداذبه ؛ فإنه كان إماماً فى التأليف ، متبرّعاً فى ملاحة التصنيف ، اتّبعه من هذه طريقته وأخذ منه ووطئ على عقبه وقفى أثره . وإذا أردت أن تعلم صحة ذلك فانظر إلى كتابه الكبير فى التاريخ ؛ فإنه أجمعُ هذه الكتب جداً ، وأبرعها نظماً ، وأكثرها علماً ، وأحوى لأخبار الأمم وملوكها وسِيَرها من الأعاجم وغيرها ... »

وهى لنعم الشهادة يُصدرها مؤرّخ جليل ثَبْت كالمسعودى !

وفى مكان آخر لمّح المسعودى إلى « تاريخ ابن خرداذبه » . فقال بعد كلام نقلناه فى مطاوى بحثنا ما هذا نصه[٢] :

« على أنه — أى كتاب المسالك والممالك — أحسن كتاب فى هذا المعنى . وكذلك كتابه فى التاريخ وما كان من ذكر الأمم الماضية قبل مجىء الإسلام ... »

(البقية فى العدد القادم) كوركيس عواد

(١) أنظر كتابه « الديارات النصرانية فى الاسلام » (ص ١٢٨) وقد نقل من هذا المخطوط نبذة تجدها فى الصفحة ٩٠ منه
(٢) مروج الذهب (طبعة باريس ٨ : ٨٨ — ١٠٢)

(١) مروج الذهب (طبعة باريس ١ : ١٣) . وقد اختصر قوله السخاوي فى الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ١٥٥ — ١٥٦) ، والحاج خليفه فى كشف الظنون (٢ : ١٠١ — ١٠٢ طبعة أوربة)
(٢) مروج الذهب (طبعة باريس ٢ : ٧٢)

٢٩ـ المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل التاسع — اللغة والأدب والعلوم

تتألف السنة الهجرية من اثنى عشر شهرا قمريا[1] ، ويتأخر التقويم القمرى عن التقويم الشمسى سنة فى كل ثلاث وثلاثين

(١) جرى المؤرخون الأوربيون علي أن أول يوم فى الهجرة كان يوم الجمعة السادس عشر من يوليو سنة ٦٢٢ ميلادية ؛ إلا أن كوسان دى برسفال Coussin de Perceval فى كتابه : مقالة فى تاريخ العرب Essai sur l,histoire des Arabes بين خطأ ذلك . فالعام الهجرى الأول كان العام الحادى عشر بعد المائة من عهد كان العرب يستعملون فيه حساباً قمرياً شمسياً ناقصاً جاعلين العام الثالث من كل ثلاثة أعوام ثلاثة عشر شهراً قمرياً . وقد حرم الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الطريقة فى الشهر الثانى عشر من العام العاشر للهجرة وقت الحج . ومن هذا يتضح أن العام الأول للهجرة بدأ على الأرجح يوم الاثنين التاسع عشر من إبريل سنة ٦٣٢ ميلادية ، وطبقاً لرأى كوسان دى برسفال تبدأ السنين العشرة الأولى للهجرة فى التواريخ التالية :

	سنة		سنة
العام الأول الاثنين ١٩ إبريل	٦٢٢	العام السادس الخميس ٢٣ إبريل	٦٢٧
« الثانى السبت ٧ مايو	٦٢٣	« السابع الثلاثاء ١٢ إبريل	٦٢٨
« الثالث الخميس ٢٦ إبريل	٦٢٤	« الثامن الاثنين أول مايو	٦٢٩
« الرابع الاثنين ١٥ إبريل	٦٢٥	« التاسع الجمعة ٢٠ إبريل	٦٣٠
« الخامس السبت ٣ مايو	٦٢٦	« العاشر الثلاثاء ٩ إبريل	٦٣١

وهكذا يبدو أن الأعوام الأول والرابع والسابع كان يتألف كل منها من ثلاثة عشر شهراً قمرياً ، وأن العام السابع كان آخر هذه الأعوام وهكذا يبدأ الحساب القمري العادى بالعام الثامن ، ويمكننا أن نستخدم استناداً على هذا الرأى الجداول التى تشير إلى بدء السنين الهجرية ولكن لا يبنغى أن نعتمد على دقة هذه الجداول لأن بدء الشهر يحدد برؤية الهلال ولذلك يختلف باختلاف الأماكن ، ولم تبدأ السنة الهجرية من يوم هجرة الرسول صلعم من مكة كما يفترض أغلب مؤرخينا الذين بحثوا هذا الموضوع ، وإنما تبتدئ من أول يوم للقمر أو من شهر محرم السابق لهذا الحادث . ويقال إن الرسول بعد أن ظل مختفياً مع أبى بكر ثلاثة أيام فى غار ثور بدأ هجرته إلى المدينة فى التاسع من الشهر الثالث أى ربيع الأول بعد ستة وثمانين يوماً من بدء هذا التاريخ

سنة ونصف تقريباً ، ولذلك لا يستعمل هذا التقويم إلا فى تحديد الأعياد الدينية والمواسم السنوية ؛ فلا يستعمل فى حساب الفلك ولا فى تحديد الفصول . وإنما يستخدم فيها التقويم القبطى .

وقد ذكرت فيما يلى الشهور القبطية بأسمائها الحديثة[1] مع ما يقابلها من التقويم الميلادى

توت	ويبدأ فى العاشر أو الحادى عشر من سبتمبر	برمهات	ويبدأ فى التاسع من مارس
بابة	« العاشر أو الحادى عشر من أكتوبر	برمودة	« فى الثامن من إبريل
هاتور	« التاسع أو العاشر من نوفمبر	بشنس	« فى الثامن من مايو
كيهك	« التاسع أو العاشر من ديسمبر	بؤونة	« فى السابع من يونيو
طوبة	« الثامن أو التاسع من يناير	أبيب	« في السابع من يوليو
أمشير	« السابع أو الثامن من فبراير	مسرى	« فى السابع من أغسطس

ويلحق بالسنة القبطية خمسة أيام أو ستة تسمى أيام النسئ والشهر القبطى ثلاثون يوماً ، ويضاف إلى كل سنة من السنوات الثلاث المتتالية خمسة أيام، وإلى السنة الرابعة ستة أيام . والسنة القبطية الكبيسة تليها مباشرة سنة ميلادية كبيسة . فالسنة القبطية تبدأ فى الحادي عشر من سبتمبر فقط عند ما يسبق هذا الشهر سنة قبطية كبيسة أو تلحقه سنة ميلادية كبيسة . ولذلك تتشابه الأيام المتقابلة فى التقويمين القبطى والميلادى بعد شهر فبراير التالى . ويبدأ القبط تاريخهم من عصر دقلديانوس سنة ٢٨٤ م

ويقسم المصريون المحدثون السنة إلى ثلاثة فصول كما كان يقسمها أسلافهم وهى : الشتاء والصيف والنيل . ويستعمل الفلكيون تقويم الأبراج القمرية التى اعتاد أهل الجزيرة العربية تنظيم شؤونهم المتعلقة بالفصول عليها

ويبدأ الوقت المدنى فى مصر وغيرها من البلدان الإسلامية من غروب الشمس إلى الغروب التالى ، فيحسب الليل السابق مع النهار التالى ، وتسمي الليلة السابقة ليوم الجمعة مثلاً ليلة الجمعة

(١) وقد ذكرت الأسماء القبطية القديمة فى كتاب Horae Aegyptiaca تأليف R. S. Poole ص ٧ — ٩ ، وقد أشير فيه أيضاً إلى اشتقاقها من أسماء الآلهة المصرية القديمة فى ص ١٤ و ١٥ و ١٨

ويوافق غروب الشمس الساعة الثانية عشرة ، فتكون الساعة واحدة بعد غروب الشمس بساعة، والساعة الثانية بعده بساعتين، وعلى هذا المنوال يحسب الوقت حتى الثانية عشرة . وبعد الثانية عشرة صباحاً تبدأ الساعة واحدة مرة أخرى ، ثم الساعة الثانية وهكذا [١] . ويملأ المصريون ساعاتهم ويضبطونها عند الغروب عندما يسمعون آذان المغرب على العموم ، وتضطرهم طريقة حسابهم الوقتَ من الغروب ، إلى ضبط ساعاتهم كل مساء ، إذ أن الأيام تختلف طولاً وقصراً

ويبين الجدول الآتى أوقات الصلاة عند المسلمين [٢] مع ما يقابلها من الوقت الأوربى الظاهر عند الغروب على خط عرض القاهرة فى بدء كل منطقة من مناطق البروج

	غروب				عشاء		فجر		ظهر		عصر	
	اسلامى		أوربى		اسلامى		اسلامى		اسلامى		اسلامي	
	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق	س	ق
يونيو ٢١	١٢	٠٠	٧	٤	١	٣٤	٨	٦	٤	٥٦	٨	٣١
يوليو ٢٢ مايو ٢١	١٢	٠٠	٦	٥٣	١	٣٠	٨	٣٠	٥	٧	٨	٤٣
أغسطس ٢٣ ابريل ٢٠	١٢	٠٠	٦	٣١	١	٢٢	٩	٢٤	٥	٢٩	٩	٤
سبتمبر ٢٣ مارس ٢٠	١٢	٠٠	٦	٤	١	١٨	١٠	٢٤	٥	٥٦	٩	٢٤
اكتوبر ٢٣ فبراير ١٨	١٢	٠٠	٥	٣٧	١	١٨	١١	١٨	٦	٢٣	٩	٣٥
نوفبر ٢٢ يناير ٢٠	١٢	٠٠	٥	١٥	١	٢٢	١١	٥٩	٦	٤٥	٩	٤١
ديسمبر ٢١	١٢	٠٠	٥	٤	١	٢٤	١٢	١٥	٦	٥٦	٩	٤٣

يطبع فى مطبعة الحكومة ببولاق [٣] تقويم صغير سنوى ، ويشمل هذا التقويم السنة الشمسية منذ بدأ الاعتدال الربيى إلى نهايته ، وأيام الأسبوع والشهور الإسلامية والقبطية والسريانية والإفرنجية مع الإشارة إلى حركات الشمس فى منطقة البروج وأوقات الشروق والظهر والعصر . ويصدَّر التقويم بنبذة فى أهم المواسم والأعياد الإسلامية والقبطية وغيرها وبعض الملاحظات والإرشادات المتعلقة بالفصول . ويلحق بالتقويم نتيجة طبية وزراعية لكل يوم من أيام السنة . ويشير التقويم إلى الخسوف والكسوف كما يشمل أموراً كثيرة، تلائم خرافات الشعب وتتضمن آثاراً من التقويم المصرى القديم . ويقوم بعمل هذا التقويم قسيس سورى مسيحي اعتنق الإسلام يسمى يحي افندى [١]

وليس للمصريين معرفة بالجغرافيا إلا فئة قليلة أكثر ثقافة . ويكاد المصريون يجهلون موقع أكثر البلدان الأوربية الكبيرة جهلاً تاماً لعدم وجود الخرائط الجيدة . وقلما يجرؤ بعض المتعلمين منهم على إعلان كروية الأرض ؛ إذ أن أكثر علمائهم على عكس هذا الرأى . والرأى السائد بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم أن الأرض مهاد يحيط به المحيط [٢] الذى يحده جبال (قاف) كما يزعمون . ويعتقد هؤلاء أن هذه الجبال هى ذروة الأرض السابعة ، كما يعتقدون أن السموات سبع طبقات تعلو إحداها الأخرى

فإذا كان هذا هو حال العلم عند المصريين المحدثين ، فلا يعجب القارئ إذا وجد بعد هذا الفصل فصلاً ضافياً يصف خرافاتهم . والإلمام بهذه الخرافات لازم ليتبين القارئ أخطاءها وليستطيع

(١) وبالتالى إذا طرحنا ساعة الظهر العربية فى يوم معين من ١٢ نحصل على ساعات الغروب الأوربية فى هذا اليوم

(٢) وقد ذكرنا هنا أوقات العشاء والفجر والعصر تبعا للحساب الأكثر شيوعا فى القاهرة (أنظر فصل الدين والشرع)

(٣) وقد طبع فى هذه المطبعة أكثر من مائة كتاب مدة زيارتى الثانية لمصر ، وكان أكثر هذه الكتب لاستعمال الجيش والبحرية ومستخدمى الحكومة وقد طبع منذ ذلك الوقت فى المطبعة نفسها كتاب ألف ليلة وليلة وخطط المقريزى وعدة كتب أخرى على نفقة بعض الأفراد

(١) وقد استبدل أثناء مقامى الأخير بمصر بتقويم يحي افندى تقويم آخر ألفه محمود افندى ، وهذا التقويم الأخير مطابق للأغراض الفلكية وأحسن من السابق وهو مشرف لمؤلفة أيضاً

(٢) كما كان يعتقد اليونان فى عهد هوميروس وهزيود Hésiode

أن يفهم طباع المصريين . وإنا لنتوقع لهذا الشعب تقدماً عظيماً من الناحية الفكرية والأخلاقية باقتباس العلوم الأوربية فى عهد محمد على ، ذلك الاقتباس الذى قوّم إلى حد ما سلطته الجائرة ، ولكن ليس من المحتمل أن يتحقق هذا الرجاء قريباً على مدى واسع [1]

عدلى طاهر نور

(١) لاحظ البارون هامر برجستال بحق أن هـذا الفصل ناقص ، وكان بودى أن أزيد فيه لولا شعورى بواجب التقيد برغبة القارئ . وأخشى أن أكون قد استنفدت صبره بتسجيل موضوعات لا تهم غير المستشرقين فلم أدون بناء على التعديل الأخير غير بعض ملاحظات قليلة سريعة نتيجة لما رأيته من أن العلوم الأوربية مقصورة على هؤلاء المستخدمين الذين أكرهوا على تلقى العلم من المدرسين الافرنج ، ومن أن العادات الأوربية لم يجرؤ على اتباعها غير بعض الأتراك . وقد صرح لى بعض المصريين الذين تلقوا علومهم فى فرنسا أنهم ما كانوا يستطيعون أن يسيغوا شيئاً مما تعلموه هناك فى عقول مواطنيهم حتى الأقربين إليهم

هى والربيع . . .

العطر الأسـير

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

يَا رَبِيعَ الْكَوْنِ مَا ذَنْبِي إِذَا قَلْبِي جَفَاكَا ؟
الْهَوَى لَمْ يُبْقِنِي إِلاَّ خَرِيفاً مِنْ رُبَاكَا
فَأَنَا أَوْرَاقُ دَوْحٍ ذَابِلاَتٌ فِى ثَرَاكَا
وَأَنَا آهَاتُ طَيْرٍ مُسْتَضَامٍ فِى ذُرَاكَا
وَأَنَا عِطْرٌ أَسِيرٌ يَسْأَلُ اللهَ الْفَكَاكَا
أَطْلِقِينِي أَنْتِ ... إِنِّى كِدْتُ أَسْتَافُ الْهَلاَكَا !

أَطْلِقِينِي وَاسْبَحِى مَا شِئْتِ فِى الدُّنْيَا بِفُلْكِى
لاَ تَخَافِى الْغَيْبَ ، إِنَّ الْغَيْبَ سِرٌّ شَعَّ مِنْكِ
فَإِذَا جَاءَتْكِ أَيَّامِى هَوْجَاءَ التَّشَكِّى
أَحْرِقِى فِى لَهَبِ النَّشْوَةِ إِيمَانِى وَشَكِّى
وَانْسَخِينِى قُبْلَةً تَبْحَثُ فِى جَنْبَيْكِ عَنْكِ
جَذْوَةٌ أَنْتِ وَقَلْبِى حَطَبٌ لِلنَّارِ يَبْكِى ...

مَا لِعَيْنَيْكِ وَضَوْءُ الْفَجْرِ نَاحَا فِى خَيَالِى !
أَأَنَا بَحْرٌ مِنَ الأَحْزَانِ نَشْوَانُ الضَّلاَلِ
كُلُّ مَنْ شَارَفَ مَوْجِى ذَابَ كَالْوَهْمِ حِيَالِى !
أَمْ أَنَا كَالْحَبَبِ الْمَشْدُوهِ فِى كَأْسِ اللَّيَالِى
زَالَ كَوْنِى وَتَلاَشَى كُلُّ شَىْءٍ فِى ظِلاَلِى
غَيْرَ طَيْفٍ مِنْكِ مَحْزُونِ الْهَوَى بَاكِى الْجَمَالِ ! !

محمود حسن اسماعيل

وجـــوه طريفة

للأستاذ سيد قطب

طالعينى فى كل يوم بوجه … فلديك الوجوهُ شتى طريفه
وَافجَئِينِى لديكِ بالخطرِ المحبو [1] … بِ يُجَدِّدْ حياتَنا المألوفه
بِتُّ أشتاقُهُ وأرقُبُ ماذا … يحملُ اليومُ من أمانٍ مَخُوفه !
كلُّ سَمْتٍ أراكِ فيهِ جميلٌ … كلُّ ظلٍّ أراكِ فيه شفيفه
أنتِ ما أنتِ ؟ عالَمٌ مُترامٍ … أبدَعَ الفنُّ والمنى تأليفه
أنت كُنْزٌ ففيكِ تحيا طيوفٌ … كل طيفٍ له رُوَاهُ المُطِيفه
تارَةً أنت حرَّةٌ أصطليها … وإذا أنتِ كالرِّياضِ الوريفه
وَتَلُوحِينَ قطعةً من حنانٍ … وَتلُوحِينَ بعد حِينٍ مُخِيفه !
وأرى فيكِ طفلةً لم تبارحْ … ملعبَ الطفلة اللعوبِ الخفيفه
وإذا أنتِ قَهْرَمَانَةُ دَهْرٍ … مُوغلٍ فى المَسَارِبِ الملفوفه
وإذا ما انطويتِ أمسيتِ سِرًّا … صَانَهُ الدهرُ مُحْكِمًا تَغْلِيفَه
وإذا ما انطلقت مثلَ شُعَاعٍ … كنتِ رَقْرَاقَةً وكنتِ لطيفه
لكِ طعمٌ أذوقُهُ بل طعُومٌ … كُلُّهَا نَاضِجٌ هَوِيتُ قُطُوفَه
هُوَ طَعْمُ الحياةِ فى فورةِ النُّضْجِ … شَهِىُّ الْجَنَى خبرتُ صُنُوفَه

(حلوان) **سيد قطب**

(١) نلاحظ أن هذا الشطر يزيد فيه سبب خفيف
(الرسالة)



التشريع الإسلامى الدائم والمؤقت

كتب صديقى الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت مقالاً فى عدد الرسالة الممتاز تحت هذا العنوان (الهجرة وشخصيات الرسول) وليس المهم فى هذا المقال تقسيم شخصيات الرسول ، فذلك أمر يعرفه كل العلماء ، وإنما المهم والجديد فى هذا المقال ما جاء فيه من توزيع أحكام الشريعة الإسلامية على تلك الشخصيات ، ومن جعل التشريع الدائم والمؤقت تابعاً لهذه الاعتبارات ، وهذا أمر جديد لم يظهر إلا فى عصرنا . وإذا أمكن الاتفاق عليه بيننا أمكن حل مشاكلنا التشريعية ، وزالت أكبر عقبة فى سبيل وضع تشريع إسلامى يفى بحاجات المسلمين فى هذا العصر ، ولا يمكن أحداً أن يوجه إليه أى طعن .

وخلاصة ما يرمى إليه هذا المقال أن الذى يعد شرعاً دائماً هو ما يرجع إلى شخصية الرسول من العقائد وأصول الأخلاق والعبادات ، وما عدا ذلك مما يرجع إلى شخصية الإمام أو المفتى أو القاضى فليس بشرع دائم ، وإنما هو شرع مؤقت يمكن أن يتأثر بالاجتهاد ، وأن يترك العمل به لسبب من الأسباب . على أن لي فيه رأياً آخر لا أبديه الآن ، لأنا نريد الإصلاح من أى سبيل ينتهى بنا إليه ، ويحقق رغبتنا فى رفع شأن هذه الشريعة الغراء .

(عالم)

ابن علقمة وعبيد بين شعراء الجاهليين

أراد الأستاذ عبد المتعال الصعيدى فى مقال له عن الشعر الجاهلى (بالعدد ٤٥٤ من الرسالة) ، أن يدحض آراء بعض أدبائنا المعاصرين ممن يشكون فى نسبة هذا الشعر إلى أصحابه ؛ ويزعمون أن بلوغه هذا الحد من الكمال والإتقان مما يخالف سنة النشوء والارتقاء .

وقد رأى — فى صدد ذلك — أن يثبت وجود نوع من الشعر السقيم المختل الأوزان ، يعتده الخطوة أو الخطوات الأولى التى مهدت السبيل إلى ظهور هذا الشعر القوى الناضج الذى انتهى إلينا من أدب الجاهليين . ووقع اختياره على عبيد بن الأبرص كنموذج للشعراء المتخلفين ، أو أصحاب الفِطَر السقيمة ممن سبقوا بوجودهم أرباب الشعر الرصين ، وضرب المثل فى ذلك ببائيته المشهورة — أقفر من أهله ملحوبُ — فأورد عدةً من أبياتها ثم قال : « والحق عندى أن هذه القصيدة تمثل أولية الشعر العربى خير تمثيل ... وأن عبيداً فى هذا يمثل بين شعراء عصره حال الشاعر المتخلف ، لأنه لم يتهيأ له من أسباب النهوض ما تهيأ لهم ... »

وعجيبٌ حقاً أن نهبط بابن الأبرص إلى هذا الدرك الأسفل من منازل الشعراء ، وهو أحد العشرة الذين وقع الإجماع قديماً على تفضيلهم ؛ ولا تُعد بائيته هذه عاشرة القصائد المأثورة فحسب ؛ بل يضعها بعض النقاد بين السبعة الأولى منها ، وهى المعروفة بالمعلقات . ومن هؤلاء ابن قتيبة صاحب كتاب «الشعر والشعراء»

وينفى تهمة التخلف عن عبيد أن جميع شعره — عدا هذه القصيدة — يجرى على الأوزان المعروفة فى قوة وجزالة تنهضان به إلى مصافّ كبار الشعراء من معاصريه ؛ فهو القائل فى الافتخار بمكارم خُلقه :

لعمرُك ما يخشى الجليس تفحُّشى
عليــه ولا أنأى على المتودِّد
ولا أبتغى ودَّ امرئ قل خيرُه
ولا أنا عن وصْلِ الصديق بأحْيَد

وقد سجل له صاحب (البيان والتبيين) قصيدة كريمة اللفظ والمعنى يقول فى مطلعها :

تلك عِرسى غضبى تريد زيالى ... ألبَيْنٍ تريد أم لدلال ؟
إن يكن طبُّك الفراق فلا أحـ ... فِـل أن تعطفى صدور الجمال

ومما أورده له صاحب الأمالى قولُه من قصيدة :

يا من لبرقٍ أبيتُ الليلَ أرقبه ... فى عارضٍ كمضىء الصبح لمَّاح
دانٍ مسفٍّ فويقَ الأرض هيدبه ... يكاد يدفعه من قام بالراح

وأورد الخطيب التبريزى فى كتابه « شرح القصائد العشرة » — عند تعرضه لذكر عبيد — أن سعيد بن العاص سأل الحطيئة : من أشعر الناس ؟ قال الذى يقول :

أفلِحْ بما شئتَ فقد يُبلَغ بالـــضعفِ وقد يخدع الأريب !

... فشاعر هذا شأنه ، وتلك منزلته عند النقاد والشعراء ، لا ينبغى أن يوصف بالتخلف ، أو ينسب إلى الجهل بإقامة الأوزان على نهجها الصحيح . وإنما الأقرب إلى الصواب — وذلك رأى

خاص نتقدم به — أن تكون هذه البائية إنما جاءت على وزن أو أوزان هجرتها العرب فى أواخر جاهليتها . والأوزان كانت — وما تزال — فى تطور مستمر ؛ ونحن لا نستسيغ منها إلا ما ألفناه وأكثر الشعراء من القول فيه . وإلا فمن منا يستسيغ هذا الوزن مثلاً ، وهى لابن تقي من وشاحى الأندلس :

يا ويح صبٍّ إلى البرق له نظرُ وفى البكاء مع الورْق له وطرُ

أو من منا يستسيغ قول (المهر بن الفرس) وهو من شعراء الموشحات فى غرناطة :

لله ما كان من يوم بهيج بنهر حمْص على تلك المروج

ثم انعطفنا على فم الخليج نفض مسك الختام ...

ونعود فنقول : إنه لو كانت بائية عبيد نموذجاً للاختلال كما وصفت ، لكان للقدماء عن اختيارها مندوحة . وفى أشعار عبيد مما استقام وصحت طريقته ما يغنى عنها ويجزئ ، وجميع شعره من هذا النوع كما ذكرنا . والبيت الوحيد الذى أورده الأستاذ — من غير القصيدة البائية — وجعله دليلاً جديداً على قصور الشاعر ، هو بيت صحيح الوزن كما سجلته كتب الأدب . وإنما أخل الأستاذ بوزنه حين حذف (التفعيلية) الأولى منه : (وقالوا) — ولعل ذلك سهو منه غير مقصود . وصحة البيت نقلاً عن حياة الحيوان للدميرى (باب الذئب) :

(وقالوا) هى الخمر تكنى الطلا كما الذئب يكنى أبا جعدة

هذا عن عبيد ... أما علقمة الفحل فلا يقل عن صاحبه شأناً ؛ وما احتججنا به للأول نحتج به للثانى ، ثم نزيد عليه أن قصة تلقيب علقمة بالفحل ـ وهى مشهورة متداولة فى كتب الأدب ـ تعدُّ الدليل الأقوى على تبرزه فى الشعر ؛ حيث يشيرون فيها إلى أنه احتكم مع امرئ القيس إلى امرأته (أم جندب) وأنشدها كل منهما لنفسه شعراً ، فحكمت لعلقمة على زوجها . حتى قال امرؤ القيس : ما علقمة بأشعر منى ولكنك له وامق . ثم طلقها فخلفه عليها علقمة ؛ وسمى بذلك (الفحل)

إلى هنا أقف الحديث ... ولعل الأستاذ الفاضل يهتدى إلى « الحلقة المفقودة » من الشعر الجاهلي ، فى أقوال شعراء آخرين غير عبيد وعلقمة ؛ والله أسأل أن يوفقنا وإياه

« جرجا » **محمود عزت عرفة**

اقتراح

أرى من واجبى الآن — وقد فرغتم من نشر اللائحة القيمة التى أعدها الأديب « كوركيس عواد » وضمنها ما استطاع الوصول إليه من المؤلفات العربية التى نشرت سنة ١٩٤٠ ، البالغ عددها ٣٩ كتاباً — أن أشكر للأديب الفاضل هذه العناية الفائقة ، ولمجلتكم الغراء نهجها القويم وحرصها على التراث العربى المجيد

إنى أرى أن النهضة الثقافية الأدبية ، القائمة فى هذا الوطن العربى تستند إلى عوامل منها بعث هذا التراث ، واقتباس الملائم النافع من أدب الغرب وثقافته ، ثم توليد شىء جديد . ولكن ما هدف هذا البعث وما فائدته ، إذا لم تصل الكتب إلى أيدى القارئين ؟ وأنى لها أن تصل وهم يجهلون أنها أصبحت ميسورة ؟ أما الكتب المدرسية والمترجمة من قصص وغيره ، فينتشر خبرها حالما تطبع وأحياناً قبل ذلك ، وخاصة إذا تولت طبعها دار للنشر تتبع أساليب الإعلان الحديثة ، أو كان مؤلفوها من مهرة التجار

ولذلك كان لا بد أن تتولى إحدى المؤسسات الثقافية فى العالم العربى إعداد ثبت سنوى بكافة ما تخرجه المطبعة العربية فى سائر الأقطار . ومما يسهل هذه المهمة أن كل من ينشر كتاباً فى أى قطر مكلف بتقديم نسخة واحدة منه أو أكثر إلى المرجع الرسمى المختص بذلك . وأظن أن دار الكتب المصرية هى هذا المرجع فى القطر المصرى ، وأعرف أن دائرة المعارف تمارس هذا الحق فى فلسطين

ولما كانت مصر تنتج من الكتب أكثر من غيرها بكثير ، فإن دار الكتب المصرية ، تسدى إلى نهضتنا المباركة جميلاً تحمد عليه ، إذا هى اتصلت بالمؤسسات التى تمارس هذا الحق فى سائر الأقطار العربية وغيرها (فيما يتصل بالمطبوعات العربية) ، فحصلت على لوائح الكتب التى تصلها ، ثم جمعتها وصنفتها ونشرتها وسدت هذه الثلمة فى الأساس ، وأنارت السبيل للقارئين .

(القدس) **عصام الشريف**

نظرة فى ديوان الشبيبى

وقع فى كلمتى عن ديوان الشبيبى أغلاط مطبعية أرجو أن يكون كثير من القراء قد أدركوا صوابها . وهى :

١ — ولكن كان كل بيت تقع العين عليه يذكر بأن بيت الشبيبى . والصواب : يذكر بأنه ... الخ

٢ — ببغداد أشتاق العراق وهأنا
إلى الكرخ من بغداد جم التشوق

والصواب: أشتاق الشآم

٣ — وطموحاً إلى ما يبق له من العزة والسؤدد.

والصواب: ما ينبغي له

٤ — ثم الأبيات الثلاثة:

نظرت بني الدنيا فأبصرت أنها
على الشر لا تنفك تجرى النحائت. الخ

هذه الأبيات قد وضعت في غير موضعها. وضعت في الكلام على حب الشاعر العراق، وموضعها في الكلام على نظرات الشبيبي في الحياة

عبد الوهاب عزام

وفاة فيكتور مرجريت

توفي الكاتب الروائي الفرنسي المعروف فيكتور مارجريت في بلدة مونيستييه قرب فيشي وهو في الخامسة والسبعين من عمره. وقد ولد في الجزائر سنة ١٨٦٦. وانتخب في سنة ١٩٠٦ رئيسا لجماعة رجال القلم وعين في سنة ١٩١٤ رئيسا لجمعية فيكتور هوجو، وكان في أثناء الحرب العظمى ضابطا في هيئة أركان الحرب، وأسس جريدة «أنفورماسيون أونيفرسال»

وقد لفتت مؤلفات فيكتور مارجريت عند أول ظهورها نظر البيئات الأدبية الفرنسية لأسلوبها الواقعي الصريح، حتى أنه جرد من وسام «الليجون دونور» عندما نشر كتابه المعروف «لاجرسون» في ١٩٢٢، ومن مؤلفاته المشهورة: «البنى»، و«فتيات»، و«حدود القلب»، و«الرفيق»، و«جسمك لك»، و«الماشية البشرية»، و«نشيد الراعي»، و«صوت مصر»، وغيرها

بين بشر وتيمور

الدكتور بشر فارس كاتب منمّق وأديب ضليع، لا تعدم في أسلوبه آبدة من أوابد اللغة كانت هائمة في المعاجم والأضابير قد أتى بها الدكتور مقيدة مكبلة، فلولا القيد الذي به كُبِّلت، والوثائق الذي إليه شُدت، لنفرت شاردة وعادت كما كانت

والمعنى يتناوله الدكتور من جبهته، ثم ينفضه أمامك فجاءة فيدهشك تكويره وتحويره وتعجبك طرافته، فهو يتهيأ لعمله الأدبي كما يتهيأ القناصون للخروج للصيد في أحراش أفريقيا، أو طالب الحوت في بحار القطب. فلهم لباسهم الخاص وسلاحهم وعدته وعتادهم، وكلما كانت الرحلة شاقة مضنية كانت الغنائم أعجب وأغرب. وكم في أسلوب الدكتور من طرف هي للقاعدين غرائب!

وهو حين يكتب في الفن ينقاد لملكته بعد أن يكون قد هيأ لها الجو على النمط الذي هفا إليه مزاجه كمن يريد ليلة حمراء فينسرب إلى الغرفة ذات اللون الأحمر والستائر القرمزية والضوء القاني الجريح! وأما حين يكتب في النقد والبحث فهو يحمل تحت أبطه نُخبة ما خطه جهابذة الاستشراق (والدكتور بشر سريعهم) وكلما خط سطراً فتح من آثارهم سفراً يستلهم منه نصاً أو يطوف بنص، وقد تخلّى عن نافذ بصره وصحصحان بصيرته، وألقى على وجهه بردة سوداء كتلك التي يصطنعها المصور حين يتملى آلته من الداخل ليخرج (العفريته) فأمامه (أي المصوِّر) الشيء مقلوباً، وهو يعلم أنه كذلك ما دام مالكاً لحسه، أما إذا غفا أو سها فالمقلوب هو الأقوم!

ومن هنا جاءت نقدات الدكتور للأستاذ تيمور في مقتطف مارس ١٩٤٢ وتقويمه لبعض عبارات عامية وردت في قصة الخبأ رقم ١٣ يقول الدكتور بشر عن قصة تيمور: (ومن الغريب في هذا الصدد أن يقول ماسح أحذية «صوت فأرى» ص ٨ من القصة وأقرب إلى الدارج «صوت فيراني»، هكذا النسبة إلى الفأر عن السوقة). إلى هنا انتهى كلام الدكتور. ولا شك أن الناقد الفاضل كان يستلهم هنا نصاً لمستشرق جهبذ، فلو نظر بعينه هو وهي نفّاذة نقّادة لعلم أن تيمور هو الأصدق والأقوم، (ولكن لعن الله بردة المصوِّر)، لأن المعنى هنا منسوب إلى الفقر لا إلى الفأر كما توهم الدكتور، ولم توجد قط السوقة التي تنسب النسبة التي يزعمها الناقد في مثل هذا الموضع، وإن كان وجودها لا يستبعد في مقبل الأزمان!

ويقول الناقد في موضع آخر من المقال نفسه (ولربما أفلتت العامية من أنامله «أي أنامل تيمور» مثلاً «ساعتين والا أكثر» وهو يريد ساعتين مش زيادة)، والحقيقة أن العامية هنا لم تفلت من أنامل تيمور، والعبارة مستقرة لا تحاول إفلاتاً كما تشهد بذلك العامة ذاتها، ولكن لم يرها الدكتور كذلك، لأنه كما قلنا استطلع بردة المصوِّر ثم سها. وليس معنا ردّنا أن قصة تيمور خالية من الشوائب ولكن الدكتور بشر قد طعن في غير مطعن

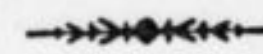
(القاهرة) **محمد لطفي**



من قصص الرأى

عبـادة ...

للأستاذ محمد عنان



كل شيء كان يتعذب . . . الطيور فى ظل الأغصان فاغرة أفواهها تلهث ، والبهائم فى مرابطها تتألم فى استكانة وصمت ، والزبد يتناثر من أشـداقها فى لهثات مطردة متقطعة ، وأوراق الأشجار متراخية فى ركود وإعياء ، والحقل متمدد تحت لهب يوليو المنيف يتلوى ويرسل من جوفه أبخرة حارة تشارك السماء فى لعنتها على قطيع القرويين الهزيل الجائع الذى كان يروى هذه الأرض بعصير حياته

كانت أبالسة الجحيم تملأ الحقل ، والشمس فى كبد السماء تصلى الأرض بكل ما فيها من قوة وما فى عناصرها من آلام ، والهواء يهب ساخناً كاوياً يشوي الحياة ويخنقها ، ويدفع العرق غزيراً على الوجوه القروية الـكالحة العابسة ، والأبدان الفـاترة الضامرة ، ويطفىء من جذوة نشاط الحركة التى كانت تنتج ما كلفوا القيام به من عمل . وكانوا يجاهدون ويغالبون فى صبر وجلد كحيوانات أضناها الجوع تحبو على بطونها إلى طعام بعيد

تحدثوا حتى فرغ كل ما فى جعبتهم من حديث ... اخترعوا حتى نضب خيالهم الجاف . وارتفعت عقيرة إحدى الفتيات بالغناء ... ردده البعض وآثر الآخرون الوجوم . واشتد ضغط الحياة فتبدد الصوت ... وانتشر على البوتقة الرهيبة صمت مروع كان فيه احتكاك العمال بالشجيرات هو الصوت الوحيد لعجلة العمل المشئوم وهى تدور فى أبشع صورها وتحول فى همجية وقسوة خبزاً جافاً إلى ذهب

واخترق الصمت الحزين صوت رفيع يصيح ولا نبرات له . ماء ... ماء ... إن حلقى يلتهب . وجاءت إحدى العاملات بالماء من أقرب المصارف آسنا ساخناً ، فتجرعوه فى نهم وعادوا يعملون كآلات فى جمود ورباطة جأش

السماء والأرض ، والهواء والماء ، الطبيعة والإنسان ، كل هذه الأشياء القوية الـكبيرة تتآمر على هذا القطيع الهزيل المريض . إنها البربرية وسط هالة من نور !

قالت هذا فتاة فى العشرين ، لها لون القمح قبيل الحصاد ، ورقة زهر القطن فى الصباح الباكر ، ورشاقة عود الذرة الناضج ، وعذوبة ظل التوت فى اليوم القائظ ... ترتدي ملابس الركوب وتمتطى خيرة خيول القرية ، وعلى رأسها قبعة واسعة تخفى قليلاً تاجاً ثميناً من الشعر الفاحم . تتأمل فى إشفاق زمرة من الشباب والنساء والأطفال ينقون لطع دودة القطن فى ركن قريب من أركان الحقل الترامى

كان يبدو عليها أنها ترى الحقل لأول مرة ، لأنها ذعرت وهمت أن تناديهم بأن يكفوا عند ما سمعت بكاء خافتاً مجهداً لرضيع بالقرب منها فى ظل مظلة من العشب كان فى قفص من سعف النخيل مفروش بالقش يحرك يديه وساقيه فى عصبية ويبكى .

اندفعت من فوق جوادها فى جزع وقفزت فى لهفة القناة التى كانت تفصلها عنه تدفعها فى ثورة وجموح أسمى عواطف البشر

كان إنساناً ضئيلاً ، باهتاً ضامراً ، محتقناً فى لون الأرض ، تفوح من ملابسه الممزقة القذرة رائحة كريهة عفنة ، وتغطى الأوساخ وجهه وشعره وأطرافه . وكان يبدو أنه بكى كثيراً حتى أنهكه البكاء

انحنت على الفراش فى حنو بالغ كأم وحملته بين ساعديها ونفسها تذوب رفقاً وشفقة

همت بالغريزة أن تمطيه ثديها ولـكنها تذكرت فانحنت عليه وقبلته .

ورأتها الأم فأسرعت خوفاً من أن يكون فى وجوده ما يؤذى . وجارت الدموع فى عينيها وهى تعدو توجساً من وقوع هم جديد . ولـكن نظرة الفتاة الوديعة ، ونومة الطفل الهادئة بين أحضانها رفعت قليلاً كابوس الشر الجاثم على صدرها فاقتربت متهملة وقالت وهى تتحنى نادة ذراعاً تأخذ بها الطفل

والأخرى على ثديها محاولة فى جهد أن تبتسم :

— العفو يا سيدتي ! لسنا فى هذا المقام

وتنبهت الفتاة إلى الأم وما هى عليه من إعياء فقاطعتها وهي تحتضنه وتبعده عكس اتجاهها :

— لا . لا . . . دعيه لى الآن . . . اجلسى . استريحى . لا توضعيه . اتركيه لى . . . إن لبنك الآن فى تسمم

فقاطعتها القروية فى سذاجة وشفتاها الجافتان تنفرجان عن شبح ابتسامة تائهة :

— إنها طفلة . و . . . صمتت عند ما رأت صورة الهلع التى ارتسمت على وجه الفتاة وهى تعاود بسرعة النظر إلى الوجه الصغير الغارق فى الأقذار والدموع

— آه . طفلة ! . . . ما أقسى هذا ؟ أهكذا تربى الأمهات ؟

واستطردت هامسة وهي تمسح على جبين الطفلة بمنديلها الصغير وتزداد بها تعلقاً والتصاقاً :

لماذا أحضرتها فى هذا المكان ؟ إنه يقتل فيها الإحساس بالعطف الأموى . إنه يصرع أنوثتها ويحولها إلى خانقة أطفال .

ثم رفعت رأسها وسألتها فى إشفاق وتأنيب :

— لماذا لم تتركيها فى المنزل وتظلى فى رعايتها ؟

فأجابت القروية المشدوهة :

— كيف ! والخبز يا سيدتى ؟

— وزوجك ؟ أليس لك زوج ؟

— ولكن أجرة لا يكفينا

فقالت الفتاة فى حيرة :

— لكن . . . ! يجب أن تفعلى شيئاً . . . أى شىء . . . ليكن مثلاً . . . كم يبلغ إيرادك ؟

نخفضت المرأة رأسها فى حزن . . . أحست بمزيج عجيب من السرور والألم يضطرب فى قلبها القاتم ، فقد كانت هذه هى المرة الأولى التى تسمع فيها حديثاً يتعلق بحياتها إذا كان لها حياة بالمعنى المفهوم . . . واستيقظت أفكارها الراقدة المظلمة الراسبة فى قرارها الحزين . . . وأخذت تصف للفتاة آلامها فى نبرة خافتة محرومة من كل صفات الأنوثة والحيوية

أخبرتها أن القرية فئتان : عمال . . . وملاك . وأنها من الفئة الأولى التى تحيا تحت أقدام الأبقار وأطفالها يموتون جوعاً ، وأن أجر زوجها يتراوح بين القرشين والثلاثة يومياً ، وأنه يعمل ثلثى العام فقط ويقضى الباقي متعطلاً ، وأن لها عدا الرضيعة طفلة فى الخامسة ذهب الصديد ببصرها ، وطفلاً فى السابعة مريضاً لا يكف عنه المرض ؛ استعرض فى عمره الصغير آلام عدة أمراض لا يزال يعانى الآن بعضها ؛ ومات لها عدا ذلك ثلاثة أطفال . ولد الأول ميتاً ، وقضى الآخران فى سن الرضاع . . . وقصت عليها بعض ما تعانيه فى سبيل التوفيق بين مطالب هذه الأسرة الكبيرة القابلة للتضخم وبين الأجر الذى تناله مقابل المجهود المزدوج . . . هذا عدا ما يصيبها من ألوان القسوة وضروب المعاملة السيئة من زوجها . إنها تدرك السبب . وتعرف أنه يثأر لشقائه منها . كما تفرج هى عن نفسها أحياناً بالدموع وأخرى بضرب أولادها . إن حياتها سلسلة طويلة ثقيلة شقية متشابهة الحلقات ؛ وإن الرضيعة فى قفصها المنكود أسعد حالاً منها ؛ فأمامها وقت تستطيع أن تموت فيه طفلة . ثم غلبها التأثر فقالت والدموع تنهمر من مآقيها :

— ما أشد قسوة العيش يا سيدتى ! على الأقل بالنسبة إلينا نحن الأمهات العاملات

أنصتت الفتاة إليها فى ذهول وصمت . وعند ما فاضت عينا القروية بالدموع أحست بجرح ساخن عميق يصيب كرامتها كامرأة . . . وكالنائمة . . . ـ وأوضاع الحياة تتمرغ أمام عينيها ـ نفحتها فى خجل كل ما معها وعادت تسير بجوادها خبباً وكل ما حولها يتقلب ويلف فى رأسها ويدور

وروعت القروية . كان مبلغاً جسيماً جداً باعتباره منحة ؛ وأخذت تحدق فى الفضة التي تغمر قبضتها فى بلاهة وشك حتى أنها لم تجب زميلاتها فى التو عند ما سألنها فى فضول وهن يمددن أعناقهن من بين الشجيرات . بل كشفت عن رأسها وصدرها فى انفعال وعصبية ورفعت يديها ووجهها إلى السماء ، وفى صوت حار متهدج يمتزج بعبارات تنبعث من مكان عميق فى قلبها ، عبرات لم تسقط من عينيها من قبل ، أخذت تدعو للفتاة بطول العمر والستر وبلوغ المآرب وكل ما يملأ قلبها من أمانى الخير

وسرى خبر المنحة في أنحاء الحقل سريان روح الربيع فى العود الجاف ، فأفاق من جموده قليلاً قليلاً ، ونهض ينشد الابتسام فى هذا النسيم الرقيق الملىء بالحنان والعطف ، ويصغى

فى شغف إلى موسيقى الحادث فتطربه ، ويلعب كل على هذا الوتر الرقيق الرفيق ما فى أمانيه وأحلامه من ألحان قصصية فطرية أضافت إلى الحقيقة سطوراً شعرية فاتنة

وحار سؤال على الأفواه : من تكون هذه المحسنة الصغيرة الجميلة ؟

ولم تدم الحيرة طويلاً بفضل (معوّض الجمال) ، وكان يتنقل بين الحقل والقرية ينقل محصول القمح إلى الجرن

أخبرهم وهو يتعالى على ظهر ناقته الضامرة أنها ابنة صديق لحامد بك مثرى القرية وسيدها الأول ... كان هـذا الصديق فى يوم ما مأموراً للمركز ، وهو اليوم أحد كبار موظفى الداخلية ، وأنها جاءت بناء على إرشاد طبيبها ، وستقضى بينهم وقتاً قد يكون طويلاً ... و ... والـكثير مما أثبتت الأيام أنه كان من نسج خياله ، والنتيجة اللازمة لقلة العرض وإلحاح الطلب

ومن هذا اليوم تعودوا أن يروها عند ما يجب أن تظهر الملائكة فى أقسى ساعات العمل ، وفى حالات المرض والجوع والعرى التى كانت ترزح القرية تحت أعبائها الثقال ، وأصبح من المألوف لديهم أن يروها بينهم فى القيلولة ، عند ما يشتد ضغط الحياة وتتخلى عنهم السماء ، تلهو معهم بالعمل وتغنى وسطهم وهى تضحك ، وتنثر بحيويتها الفطرية زهور الربيع على أطلال خريفهم الـكئيب الدائم ، وتملأ الحياة من حولهم مرحاً وابتساماً

وكثيراً ما كانت تشاهد فى أزقة القرية بين الأطفال تداعبهم فى لطف ، وتمتحن ذكاءهم فى براعة ، وتثير فيهم حب النظافة بالانتقاد الخفيف والمنافسة الهادئة . أو بين القرويات فى دورهن تساعدهن فى بساطة وألفة على تنظيم أثاثهن عند ما كن يقمن بذلك أثناء زيارتها لهن

وقد كانت تجلس وسط رهط منهن تحدثهن حديثاً عادياً شاملاً وأسنانها البيضاء تسطع من بين شفتيها الخلابتين فى ابتسامة مشرقة ، وهن من حولها يصغين فى انتباه والسرور والإعجاب يملأهن

وكان حنوها البالغ على المرضى من الأسباب القوية التى كانت تقضى سريعاً على اليأس والـكآبة والمرض حتى أنه عرف عنها أنها لا تزور مريضاً حتى يشفى

ثم هى تندفق عطفها فى سخاء وغزارة منزهين عن الغرض ، وشعور صادر عن إحساس عميق صادق تدفعه فى حرارة رغبة روحية صافية لا تشوبها ذرة مادية . ومع أن قسوة الحياة وجمود البيئة جعلت من هـذه المخلوقات التعسة حيوانات ضارية فإن القلب الـكبير وجد له صدى مضاعفاً فى القلوب المجدبة ... وقام هذا القطيع الـكبير المنهك يستظل بحنانها ، ويستمتع إلى جوارها بالنور والدفء ، ويستمرئ طعم الحياة الحلو الذى فقد بمجرد الإحساس بوجودها ... وقام كل يبحث بين طيات هذه النفس الواسعة عن معنى الخلجات الغامضة التى كانت تملأ نفسه ولا يستطيع إدراكها أو التعبير عنها ... هذه الرغبة فى عبادة الأكمل التى جعلت من الإنسان حيواناً راقياً ...

غمرت القرية روح عجيبة غيرت من كل شىء فيها ... وملأت هذه المخلوقة الصغيرة كل هذا الفراغ المترامى . . . حتى تكونت لهم أخلاق خاصة بها ، نخفت الألفاظ البذيئة التى كانوا يتنادرون بها عادة فيما بينهم ، وأصبحوا يعدون كل كلمة تفوه بها حجة لاتقبل الجدل وبنداً يضاف إلى بنود دستورهم الأخلاقي الجديد

قالت يوماً لقروية رأت ما عليها طفلها من الإهمال : إن الفقر ليس معناه القذارة ، وإن النظافة أقل أسباب الصحة نفقات ، وهي من ضروب الاقتصاد التي يجب أن تلازم الفقر ... فتضاعفت كمية الصابون الواردة إلى القرية بشكل لم يسبق له نظير فى تاريخها

وحدث أن هاج ثور من ثيران العمدة وأخذ يغدو ويروح بين الأزقة الضيقة وينطح كل ما يصادفه بقرنيه الشرستين ، واتفق وجودها فى الشرفة ورأت فى جزع حياة المارة المعرضة للخطر . فدفع هذا الجزع قرويا شابا كان مشهوراً بين زملائه بالاستكانة والضعف الجسمانى إلى المغامرة بحياته ... ويقول الذين رأوا الحادث إن الشاب امتلأ فجأة بنور كضوء القمر ، والتمعت عيناه كنجمتين وانقض على الثور الهائج معرضاً حياته لموت محقق ، وقبض على قرنيه وضغطهما فى قوة هائلة جعلت الثور يتراجع ويسقط على قائمتيه ؛ ثم ربطه فى حبل وقاده إلى مربطه بين الدهشة والضجيج . ومما هو جدير بالذكر أن الفتاة قدمت إليه بهذه المناسبة قطعة فضية ظل يحتفظ بها كوسام برغم الظروف العسيرة التى مرت به

وكان هذا الحادث سبباً فى زواجه من فتاة كان يحبها وكانت ترفضه .

وأشد من ذلك غرابة أن قوة الشاب البدنية أخذت من هذا اليوم تزداد ، ومظهره أخذ يبدو أكثر نظافة وأناقة . وأنا وإن

كنت لا أستطيع تفسير هذه الظاهرة تحليلياً إلا أنى لا أشك مطلقاً فى أن هذا الحادث كان سبباً لها

تحققت إذن كل خيالات القرية الجائعة في هذا الملاك الشهى

واندفعت بكل رغبتها فى الخلاص وأملها فى التخلص تقيد الشموع

وتشعل المباخر فى معبد أقامته من الأمانى قرباناً للمعبودة السمراء

لقد ارتفعت وارتفعت حتى وصلت إلى مصاف الأنبياء أو فوق مكانة البشر

وكان الحقل يظل عابساً أو كالعابس حتى تمر به كنسمة الحياة فى وادى الموت فينقلب عبوسه إلى طرب ووجومه إلى ابتسام وخموله إلى جذوة من النشاط والحركة والمرح

وفى صباح خريفى رأوها كالعادة قادمة فى الطريق الضيقة الملتوية التى تصل الحقل بالقرية . تسير كالجدول الرقراق بجوادها الأبيض، يتبعها على جواد آخر شاب نظيف ممتلىء يطفح صحة وبشراً

حدثهم بالروح الطيبة التى اعتادوها فاطمأنوا إليه وازداد تعلقهم وتقديرهم واحترامهم لها عند ما ساعدها فى أدب جم (وهو لا يقل نظافة عن وكيل النيابة) على الترجل . وقابلوهما والإشراق والابتسام يملأ وجوههم . ووقفوا فى خشوع يعبرون بوجوه صامتة تختلج عن مقدار ما يملأ قلوبهم من الإخلاص والحب ؛

وظلت هذه الزيارة تملأ كنسيم العصر حديثهم طول اليوم

وفى المساء عند ما لفظ الحقل بقاياهم دفع الإعجاب الشديد قرويا فى سن الحلم إلى أن يلقى نظرة على الفتاة من وراء سياج حديقة المنزل وكان فى طريقه

ولم يكد يفعل حتى سمر فى مكانه واتسعت حدقتاه وشحب، وأخذ يرتعد كالمحموم ويدعو زملاءه فى إشارات مجنونة وينصحهم بالصمت والحذر بوضع سبابته الحائرة على فمه المرتعش ؛ وكل من كان يأخذ مكاناً إلى جواره كانت تعتريه نفس الحالة . ولم تمض مدة حتى تكونت جمهرة ترتعد وراء السياج

كانت المعبودة السمراء تتمرغ بين ذراعى الشاب الذى رأوه معها فى الصباح يغمر وجهها وتغمر وجهه بقبلات حارة فائرة ، ويلتصق بها وتزداد به التصاقاً حتى تكاد تفنى فيه ، وبقايا الغروب تلقى عليهما لوناً حيوانياً ساخناً يضىء وجه الفتاة الملتهب ووجنتيها المتقدتين ، ويشمل الرغبة العنيفة المنبعثة من عينيها الغارقتين فى الأحلام ، ويسدل ستاراً كثيفاً على الوداعة الملائكية التى اعتادوها

ولما همت تسير مع الشاب متحاملة بكل جسدها على ذراعه عرت القوم جِنة وذهبوا إلى القرية عدواً

وانطلق الخيال الخصب من عقاله ، وملأت الإشاعات بشكل مضاعف مجالس السمر ، على المصاطب ، وفى موارد المياه والمخابز .

وملأ الحنق والغضب قلوب القرويين

وباتت القرية ترعد من الألم وتعصف بها قوة عاتية ، غاضبة ، حائرة !

وفى الصباح عند ما قدمت عليهم عرتهم رعدة قوية — على رغم أنهم كانوا ينتظرون هذا القدوم بصبر نافد — وتصبب العرق البارد على أجسامهم فى غزارة ، وتسارعت دقات قلوبهم وهم يخفون رؤوسهم بين الشجيرات ويراقبونها من وراء الأوراق بأنفاس مكتومة ونظرات مرتبكة . وأخذت تنطلق بين الفينة والفينة أصوات كالفحيح بعبارات ساخطة مبهمة فى يأس كالبكاء

ولما حيتهم والدهشة تعقد لسانها أجابها البعض بأصوات مختنقة وهم يغالون فى الاختفاء ، وصمت أكثرهم شجاعة إمعاناً فى الازدراء والاحتقار !

وبعد أن توارت وسط هذه العاصفة الصامتة وقف الشاب الذى قهر الثور وهو يكاد يسقط وقد تهدلت تقاطيعه وعادت إليه فى الاثنتى عشرة ساعة الماضية هيئته الذليلة وسيماه الممزق ، وصاح منهوكا والدموع تملأ عينيه ، والعرق يغطى وجهه المغبر ... إنه خطيبها ... أقسم أن زينب الخادمة قالت لى ذلك ... إنه حلال ! حلال ! وهى ستتزوجه . إنه زوجها . أقسم بالطلاق أنه زوجها !

وعصر قلبه ألم كبير لم يقدر على مقاومته . ولكن ما قاله برغم تناقضه وجد مرتعاً فى النفوس الظامئة المصابة ؛ فقد تحدث فى الوقت المناسب أثناء تعادل القوى النفسية المتدافعة . وكاد القوم يثوبون ويعدون خلفها يعفرون تحت أقدامها بالتراب وجوههم ؛ بل فكر البعض فى جعل التقبيل قبل الغروب سنة يجب أن تسنها شبيبة القرية ، ولكن زميلاً وقف يهدر وانفجر بصوت قوى كله حقد والشرر يتطاير من حوله ... ليكن خطيبها، زوجها ... أبوها ... إنها كانت تأكله ! إن عينيها حرقتانى وأنا وراء السياج ! لقد كانت تخدعنا هذه الـ . . وهم أن ينعتها بأحط النعوت ، ولكن الكلمات ماتت على شفتيه ، وعاد إلى عمله وهو يكاد يضرب نفسه !

وعاد الحقل إلى صمته الحزين الأبدى !

(أبو حمص) محمد عنانه

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين

10 me Année No. 457

Lundi - 6 - 4 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

	ص
في مصر والسودان	٦٠
في الأقطار العربية	٨٠
في سائر الممالك الأخرى	١٠٠
في العراق بالبريد السريع	١٢٠
ثمن العدد الواحد	١

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٥٧ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٠ ربيع أول سنة ١٣٦١ — الموافق ٦ أبريل سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــــرس

ســــؤالان متباعدان

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءني في هذا الأسبوع سؤالان متباعدان من طرفين متقابلين : أحدهما من أديب يسأل عن أبي تمام ، والآخر من أديب يسأل عن المدرسة الحديثة في التصوير ، أو عن المدرسة التي تزعم أنها تعتمد في تصويرها على الوعي الباطن ولا تعتمد على المشابهات المحسوسة

أما الذي يسأل عن أبي تمام وهو الأديب « السيد حسن قرون التونسي بكلية اللغة العربية » فيسرد أسماء الشعراء الذين كتبت عنهم كتباً أو فصولاً في كتب ثم يقول :

« . . . ولكن شاعراً واحداً لم يفز منك بالإعجاب أو السخط ، ولم يظفر منك بتزيين أو تهجين ، وهو أبو تمام . ما الذي أبعدك عنه وما الذي أبعده منك ؟ أما أنا فأعتقد صادقاً أو كاذباً أن شعرك وشعره ينبعان من منبع واحد ... »

ثم يقول : « فأبو تمام الذي أحدث ضجة في عصره ، والذي كتب عنه الآمدي وغيره ، والذي كان مثالاً للشعراء يحتذونه ويقلدونه ، لا يظفر في العصر الحديث ببحث أو بكتاب أو بطبع ديوانه طبعة أنيقة . ليس هناك شاعر يمثل عصره تمام التمثيل إلا هذا الشاعر . وليس هناك شاعر يعلم البحث والتفكير والتعمق إلا هذا الشاعر ؛ ولكنه ينسى ويقدم المجنون ابن الرومي ،

ويهمل ويذكر رهين المحبسين أبو العلاء ، ويكتب عن بشار وأبى نواس ودعبل ولا يكتب عنه !

« أبو تمام حزين ثائر من الأستاذ العقاد لأنه هو الذى إذا تصدى لبحث وفاه حقه ، وإذا كتب عن شاعر شرقى أو غربى أعطاك صورة صادقة ناطقة طبق الأصل ... مهما ظننت بى الظنون فأنا مطالبك بالكتابة عنه ، ومهما اعتقدت بى الفضول فأنا مقتنع بفكرى راضٍ بنظرتى ... »

* * *

وأنا يعجبنى الإعجاب لأنه دليل حسنٌ على شعور كريم ، ولا يعجبنى أن يكون الإعجاب بأحد باباً للجور على آخرين

أما جوابى عن سؤال الأديب : لِمَ لم أكتب عن أبى تمام ؟ فأبدأه بأن أبا تمام فى اعتقادى شاعر فى طليعة الصفوة من شعراء العصر العباسى وشعراء العربية عامة ، وإنه حقيق بكتاب أو برسالة وافية كغيره من الشعراء الذين كتبت عنهم أو كتب عنهم النقاد السابقون واللاحقون

ولكننى لم أعرض له لأن الغالب فى كتاباتى من هذا القبيل أن ترجع إلى سببين : إنصاف مغبون ، أو تجلية ناحية قد نسيها النقاد أو فهموها على وجه آخر

وأبو تمام ليس بالشاعر المغبون ولا بالمجهول القدر فى زمانه وبعد زمانه . بل لعله أصاب من الرعاية والاعتراف بالفضل فوق حقه ، أو فوق ما أصابه معاصروه على التحقيق

كذلك ليس فى أبى تمام ناحية غامضة أو ناحية تتنازعها الأفهام وابتداعه الفنية ؛ وإن جرى النزاع فى معنى من معانيه فهو نزاع لا يتسع حتى يتناول النفس الإنسانية فى آفاقها الواسعة ، ولا يترتب على البتّ فيه بت فى مشكلة عاطفية أو اجتماعية أو عقدة من عقد الحياة

فهو صاحب إجادات وليس بصاحب عالم

يسأل سائل : وما « صاحب عالم » هذه التى تميز بها بعض الشعراء ، وتجعلها ذريعة إلى الكتابة عن فريق وترك الكتابة عن آخرين ؟

فأقول : إن التمثيل هنا لازم لتقريب المقصود بالشاعر الذى « له عالم » والشاعر الذى لا عالم له وإن كانت له إجادات

فالملكة الشاعرية — بل الملكة الفنية عامة — هى أشبه الأشياء بالزجاجة المصورة التى ترسم ما يقابلها

فالزجاجة الحساسة الواسعة لا تدع مما يقابلها شيئاً إلا رسمته وجاءت بصورة منه

والملكة الفنية زجاجة مصورة تقابل العالم بأسره ، فإن كانت حساسة واسعة جاءتنا بصورة من العالم كله ، وأمكننا أن نعرف ما هو العالم كله كما رآه الشاعر فى قصيده

وإن لم تكن كذلك جاءت بقطعة منه ، وبلغت ما يتاح لها أن تبلغ فى تلك القطعة المحدودة ، ولكنك لا تبادل هذه الصورة بالصورة العالمية وإن كانت تفوقها فى التظليل والتلوين

إن قطعة من مدينة القاهرة حسنة التصوير لتشترى وتقتنى ولا مراء ، ولكنك إذا أردت صورة المدينة برمتها فهذه الصورة الشاملة أولى بالشراء والاقتناء من كل قطعة محدودة ، بالغة ما بلغت من إتقان التظليل والتلوين

وأبو تمام يجيد فى هذا المعنى ويجيد فى ذلك ، ولكنه لا يعرض لك العالم كله فى حالة من حالاته ، ولا يخرج لك نسخة عالمية تقرنها إلى النسخ الأخرى التى تستمدها من أمثال : ابن الرومى والمتنبى والمعرى فى الشعر العربى ؛ وأمثال : شكسبير وجيتى وليوباردى فى الآداب الأوربية

ابن الرومى له عالم كامل من الحياة الفنية ، والمتنبى له عالم كامل من الحياة العملية ، والمعرى له عالم كامل من الحياة الفكرية والروحية

فالعالم بكل صورة فنية فيه ممثل فى ملكة ابن الرومى ، أو فى تلك الزجاجة الحساسة الشاملة التى لا تدع شيئاً مما يقابلها إلا وعته على الطريقة الفنية

العالم بكل صورة عملية فيه ممثل فى ملكة المتنبى ، كما تمثل عالم الفكر والروح جميعاً فى ملكة أبى العلاء

حياة كاملة تعرضها من جانبها كل ملكة من هذه الملكات فنقول : إن نسخة من صور العالم قد زادت فى مجموعتنا الأدبية .

أما أبو تمام فلا يعطينا نسخة من صور العالم على نحو خاص به أيا كان هذا النحو فى قيمته وفى مرماه

عنده صورة حسنة جداً لمسجد السلطان حسن ، وصورة حسنة جداً لقنطرة قصر النيل ، وصورة حسنة جداً للهرم ؛ ولكن مدينة القاهرة كلها ليست هناك ، سواء « حسنة جداً » أو حسنة قليلاً ، أو غير حسنة على الإطلاق

وهذا الذى نعنيه بالشاعر الذى له عالم ؛ وهذا هو القياس الإنسانى الصحيح للشاعرية الممتازة فى بابها ؛ لأن الشاعرية

ملكة إنسانية قبل كل شيء ، وملكة لغوية أو بيانية بعد ذلك

وما قاله الأديب عن ابن الرومى لا يدل على أن كتاباً ضخماً فى شرح أدبه كثير عليه ؛ بل يدل على أنه لا يزال فى حاجة إلى كتب ضخمة إلى جانب ذلك الكتاب ، للتعريف بقدره ، والتنبيه إلى دقائقه ، والوصول إلى فهم الأدب والشعر عن طريق فهمه

فابن الرومى فى الملكة الشعرية الفنية قمة لا تطاولها القمم ، مثل لا تقاربه الأمثال ، طراز ليس له فى الدنيا نظير

نعم فى الدنيا أقول ولا أقول فى أدب العرب أو أدب الفرس أو أدب الروم أو أدب أمة واحدة من الأمم

فى الدنيا كلها لا نعرف نظيراً لابن الرومى فيما رزقه الله من ملكة التصوير الفنى ومن القدرة الشعرية على استيعاب كل مرئى رآه وكل محسوس أحسه وكل خالجة جرت بين طواياه

فى الدنيا كلها نقول ونحن نعنى ونعلم ما نقول . ومن لم يفهم هذا فليجتهد فى فهمه ، قبل أن يجتهد فى رفض رأى ليس عنده من أسباب رفضه مثل ما عندنا من أسباب الذهاب إليه ، وأسباب تأييده

بيتان اثنان من شعر ابن الرومى يصلحان لتقريب هذه الحقيقة ، لأنهما نظما بمحض الباعث إلى التصوير الفنى ، ولم ينظما محاكاة للموضوعات التى يتناقلها الشعراء

وهذان البيتان هما قوله فى وصف حقل من الكتان :

وجلس من الكتان أخضر ناعم … توسنه دانى الرباب مطير
إذا اطردت فيه الشمال تتابعت … ذوائبه حتى يقال غدير

بيتان ليس لهما رنين ولا بهرج ولا بارقة من المحسنات وأفانين الأناقة ؛ ولكنهما لا يدعان محسوسة واحدة من محسوسات حقل الكتان إلا وعياها وسجلاها والتهماها كما يلتهم الفم الجائع مايشتهيه

فالصورة المرئية لها عناصرها التى تتم بها من جميع نواحيها : عنصر المنظر كله ، وعنصر اللون ، وعنصر اللمس ، وعنصر الوقت الذى تراها ، وعنصر الموقع الذى تقع فيه من المكان ، وعنصر الحركة .

ما من شىء يبقى فى الصورة المرئية بعد استيعاب هذا ، وما من شىء من هذا لم يستوعبه ذانك البيتان

فى كلمة « جلس » تمثيل للمنظر كله . اختارها ولم يختر كلمة حقل أو مزرعة أو ما شابه هذه الكلمات ، لأنها تمثل المنظر تمثيلاً لا يتفق لسواها

وأخضر تذكرنا اللون ، وناعم تذكرنا اللمس ، والتوسن يذكرنا وقت الوسن وشعور الوسن فى وقت واحد ، ودانى الرباب المطير يمثل لنا حواشى المكان حيث تحيط بذلك الكتان ، واطراد الذوائب كاطراد الغدير يمثل لنا الحركة على أحسن تشبيه وأصدق محاكاة .

تمت الصورة على هذا النحو لأن كل حاسة من حواس هذا الشاعر الخالد هى فى جوعها إلى محسوساتها كالفم الجائع إلى الطعام الذى تقوم به الحياة

زجاجة حساسة شاملة لا تخطئ شيئاً مما يقابلها ، وتصيبه لأنها حية حية بالغة فى الحياة ، لا لمراعاة النظير ولا لتجويد المحسنات ولا لطرق الأبواب التى تقدم بطرقها الشعراء

إذا قرئ ابن الرومى على هذا النحو عُرف ابن الرومى شاعراً لا نظير له فى آداب الدنيا ، وإنما الطريق إلى قراءته على هذا النحو أن نحس كما أحس وأن نعلم ما عنده لنبحث عنه ونلتفت إليه ونظفر به حيثما وجدناه

ولمن شاء أن يذكرنى ماشاء من أبيات وصفه أبين له ما فيها من عناصر الاستيعاب التى لم تتفق لغيره من الشعراء ، فإنما وصفه لجلس الكتان نموذج قريب التناول لسائر الأوصاف

***

أما الأديب « ح . نظمى » الذى يسألنى عن غلاة المحدثين من المصورين فينتظر منى جوابها مسهباً عن مدرستهم ومدارس أمثالهم فى سائر الفنون ، لأن هذه البدعة قد عمت فنوناً أخرى ولم تنحصر فى التصوير

والذى أراه أن الإسهاب هنا فضول لا حاجة إليه ، لأن بطلان الأساس الذى قامت عليه هذه المدرسة قد يظهر فى بضعة سطور

فالمصورون على مذهب الغلاة المحدثين ينسون قواعد الرسم وينسون ملامح الشبه ، وينسون أصول التلوين ، ويرسمون الرجل فلا تعرفه بملامحه ولا بظاهر شكله ولا تميز بينه وبين غيره بعلامة تتفق عليها الأنظار ، لأنهم يزعمون أنهم يعرضونه لك كما يتمثل فى الوعى الباطن أو كما يشعر هو فى باطن وعيه ، ولا يعرضونه لك كما تراه بالعين

صلوات فكر

في محاريب الطبيعة

[كتب كثير من هذه الخواطر في الرستمية بالعراق العزيز ، فهي مهداة إليه]

للأستاذ عبد المنعم خلاف

١٤ – مغزول الشوك

أنظر بعينيك وحاذر أن تدمى من مواقع النظر . . . واجمع أطراف ثيابك لا تعلق بها حمات الشوك فتتمزق ... وناقل الخطى في حذر وخشية ، حتى لا تقع القدم على هذه الأسنة المشرعة ...

لا بلابل هنا ولا فراشات ، وإنما نمال تسعى في حذر ... ولا ورق يرقص مع النسمات ، وإنما اهتزازات حراب تدمى جسم النسيم ! ...

ومع ذلك فقد مددت يدى وقطفت عذقاً . . . فإذا هندسة بارعة ، وإذا القلم الذى نسق الزهرة ونسج حريرها ووشى أفوافها قد صنع هنا كذلك عجباً !

يد الخالق تدبب الشوك ولا تدمى ، وتمط فم الخنزير ولا تتنجس !

١٥ – جانيات الشوك

جاء الربيع وأخرجت الأرض نباتها من الزهر والثمر والشوك ... وخرج كل مالك يقطف ويجنى مما يملك من الحقول والبساتين

وخرجت جانيات الشوك إلى الأرض البور التى احتكرتها الطبيعة لنفسها لكى تخططها بالرياح وتسقيها بالسيح والمطر ، وتنبت فيها ما تشاء ...

خرجن يسعين حافيات قد لففن سيقانهن بخرق بالية حفظاً للجمال النَّدْوى من الخدش والتجريح . . . عليهن ثياب ممزقة ، وفى أيديهن حبال رثة ، يوزعن نظراتهن هنا وهناك على أديم الأرض باحثات عن أخصب البقاع بالشوك وأملئها بالعوسج ، فإذا وجدنه أعملن فيه فئوسهن الصغيرة ثم جمعنه وحزمنه وحملنه على ظهورهن وسرن به كالقنافذ ! وطفن به فى الأسواق فيشتريه بعض الناس بثمن بخس ليوقدوا به حماماتهم ومطابخهم .

ولا يبالين بالأزهار البرية الجميلة التى نبتت بجوار الأشواك ، إذ هن مشغولات بجمع ما يجلب ثمن الخبز ... إن الأزهار لا توقد ناراً فلا وزن لها فى أيديهن وأعينهن ...

هنا أمل وعمل من آمال القلوب وأعمال الأيدى يا أرباب الفكر !

هنا ملمس من ملامس الدنيا يا ذوى العيش الرافه الناعم . يا جامعات الزهور من روضات القصور . صافحن الأيدى

والخطأ هنا أن « الوعى الباطن » لم يخلق ليلغى الوعى الظاهر أو يمنعنا أن نرى الدنيا ، ولكنه خلق ليظل وعياً باطناً حيث هو فى قرارة الضمير ، نستدل عليه بعلاماته التى تتفق عليها الأنظار . وما من أحد يبنى بيته أو يطبخ طعامه أو يخيط ملابسه أو يحضر دواءه على ما يتصوره هذا وذاك وأولئك فى وعيهم الباطن المزعوم . فلماذا يتغير وجه الإنسان لأن له وعياً باطناً أو لأن المصور له وعى باطن ، أو ما يزعم من هذا الهراء ؟

ومن البديه أن التصوير « فن » له أدواته وتحضيراته وملكاته التى لا تشبه ملكات الفنون الأخرى ؛ فما هى الدروس التى يتعلمها المصور ليصبح على هذا المذهب مختصاً فى صناعته ؟ ما هى تلك الدروس إذا نحن ألغينا الرسم والتلوين والملامح والأشباه ؟ أهي دروس التنجيم عن الوعى الباطن ؟ وكيف الاتفاق عليها ولا يوجد اثنان يتفقان على تسمية صورة من متعلمى ذلك التنجيم ؟

الواقع أن « الوعى الباطن » له مكان واحد من شؤون هذه البدعة المرضية ، ومكانه هو إظهار العلة المرضية التى تكمن فى بواطن المصورين المشغوفين بكل بدعة من هذا القبيل

فما لا شك فيه أنهم جميعاً قوم « تفهون » تتخطاهم العيون ، فهم بين مشوه أو ضئيل أو مهزوم النفس أو عاجز عن لفت النظر إليه ؛ فحيلتهم هى حيلة هذا الضرب من الناس فى اتخاذ المشاكسة والتحدى والإغراب وسيلة للتنبيه إليه ، وهذه هى الحقيقة الواحدة التى لها شأن « بالوعى الباطن » فى مذهب هؤلاء النفلاء ؛ فهم مصابون فى وعيهم الباطن يترجمونه كارهين ، ويعرضون على الناس من ثم أعراض مرض لا معارض فنون .

عباس محمود العقاد

الخشنة لأخواتكن جامعات الأشواك بأيديكن الناعمة ... فتلك أيضاً صدقة !

١٦ — قذارة عليها طهارة

رأيت قذارة عليها أشعة الشمس ! طهارة وصفاء يتنازلان إلى عالم النجاسة والكُدْرَة ... الطهارة تمد يدها إلى النجاسة لتطهرها وترفعها إليها ... العالى ينظر إلى السافل نظرة رائية مسعدة منقذة ولا يخشى أن يتلوث ويتسفل .

وهكذا النفوس الشمسية : تضيء للمظلمين ، وتطهر المتنجسين وترفع السافلين ...

١٧ — كما تنظر الحشرات

وضعت رأسى مرة بين الأعشاب مستلقياً ، فغطت الحشائش وجهى ، ونظرت السماء من خلالها ، فرأيت مقطعاً من مقاطع الدنيا فى نظر بعض الأحياء الضئيلة القميئة ...

نظرت الدنيا نظر حشرة من تلك الحشرات التى تختبئ فى الأعشاب ...

صار كل شيء عظيماً جداً فى عينى ، حتى هذه الأوراق الصغيرة صارت فى زَيْغ البصر كالجبال الشاهقة التى تناطح السحاب ... وخيل إلىّ أني فى غابة هائلة كثيفة مظلمة ...

ورأيت الفرق الهائل بين الدنيا فى نظر إنسان والدنيا فى نظر حشرة

وكل حى له دنيا رهينة بحواسه وهندسةِ وَضْعِه وقامَتِه .

فلو سجد بعض المتكبرين المتغطرسين برءوسهم حيث يضعون أقدامهم لتغير نظرهم للحياة ولأنفسهم وللناس ...

١٨ — مفارقات

سقطت فَرَاشةٌ على زهرة ؛ وسقط جُعَلٌ على بَعْرَة ، وسقطت عيناى عليهما !

كان كل منهما فى شغل بماله عن عالم الآخر ، ولكن قلبى كان فى شغل شاغل بعالميهما ...

لقد رشفت الفراشة رشفة من رحيق الزهرة ثم شالت عنها إلى غيرها ، ولكن الخنفساء لم تبرح مكانها ، فرزقها كثير ...

إنها حيث تسير تجد العفونات والقذارات فتأ كل وتتناسل

أما الفراشة فمجهودة كالرغبات الطائرة ... تسافر كثيراً حتى تظفر بملء أوعيتها ...

لا شك أن جامع الخير والجمال من الدنيا يَلقُطُه لقطاً من ثنايا الشر والقبح ويتعب فى تحصيله تعب هذه الفراشة المجهودة

١٩ — الوديعة المحبوبة

كانت عناكب كثيرة صغيرة آمنة فى بيوتها تنسج الشِّباك للصيد ... فانقضت عليها عصفور صغيرة وابتلعتها واحدة فواحدة أمام عينى ...

والناس يزعمون أن العصافير وديعة ومحبوبة ، ولكن من يدرس حياتها يعلم أنها شرسةٌ مشاغبة مقلقة كثيرة التصايح من أول النهار إلى آخره ، ولها وجه حادُّ الملامح ومنقارٌ جارح وطباع عصبية . وإنما يشفع لها جمال منظرها ورشاقة جسمها وضآلة حجمها ...

وكم غَرَّ المنظرُ وخَدعَ المَخْبَرَ ! وكم رحم الناس ضعيفاً هو أقسى على الحياة من الذئب !

٢٠ — غضب الضعفاء

اشتبك عصفوران فى عراك ، وصارا يتصايحان صياحاً لفتنى إليهما ، ثم نقر كل منهما الآخر بمنقاره نقرة ، ثم افترقا من غير دم

فقلت لقد فضحتما ضعفكما ... فما كان ينبغى لكما أن تقدما على غضب ، لأنكما لا تملكان قوته العنيفة

وينبغى للضعيف ألا يغضب ، لأن غضبه يزيده ضعفاً بما ينال من نفسه ، وما ينال من هزء الناس به ...

إن الغضب يحتاج إلى قوة يُفجِّر بها الدم !

٢١ — شباك العنكبوت

لماذا هذا الترقب والانتظار للختل والاغتيال أيتها العناكب ؟

لماذا تنسجين شباكك وتطرحينها فى طريق الفراشات والنحل التى تحصل غذاءها بمجهودها لتقتنصيها وتشربى دماءها وأنت فى مكانك ؟

لماذا تقطعين الطريق على العاملات المجهودات أيتها القعَدة الكسيحة ؟

بخيط خفىّ رقيق تلقينه للريح تستطيعين أن تقتنصى أجنحة رفافة عاملة !

تمتصين دماء الغافلات المخدوعات وترصّعين بحطام جثثها

وأشلائها بيوتك الواهنة التي لم تقم على أساس ...

ولكن لا ملام عليك ولا تثريب ... وإنما على أيدٍ تملك المكانِسَ التي تستطيع أن تبطشَ بكِ وتدكَّ بيوتك وتخلص الضعفاء من أحابيلك ، ثم لا تفعل !

٢٢ – الهالوك

وهذا أيضاً نبات طُفَيْلي كسيح الساق لا يضرب بجذرٍ في الأرض ليقوم عليه ويستغنى به عن الاعتماد على الغير . رأيته يمد حباله وشِباكه فيصطاد شجيرات من الورد والخشخاش ويقطع طرق غذائها ويسلبه لنفسه ويخنق أطفالها من الأزهار الجميلة ويلف قوام جسمه المتهالك على سيقانها ليعتمد عليها ، ثم يزهر ويضحك وينظر إلينا بوقاحة !

لقد أصاب شجيرات الورد بالشلل فلم تزهر وأزهر هو ... فلم أر بداً من أن أفصل بين الأصيل والدخيل الغاصب الوقح بضربة فأس وإعمال يد لأخلص أطفال الورد المختنق الجائع المغيظ

أبداً يَرْصُد عالم الشر قريناً من جنوده لكل فرد من عالم الخير يعلن عليه حرباً ...

فعلى إنسان الخير أن يقف دائماً في مكانه من الصف ، وأن يُعمِل فأسه دائماً في بستان الحياة يستأصل بها جذور الشر ويسحق أزهاره وثماره . وإلا لم يجد لنفسه غذاء ولعينه مسرحا ، ويفسد عليه عالم الشر كلَّ إحساس بجمال الحياة ، ويسلبه متاعه بمعشوقاته من بنات الطبيعة الفاتنات

٢٣ — السائرات المطرقات

سائراتٌ مكبوباتُ الوجوه الطويلة ، تنظر إلى الأرض دائماً كاسِرَاتِ الجفون

كُتَلٌ لحمية متجلدة ماتت أعصابها من فرط الضرب والحمل والإرهاق ووراثات الاضطهاد ...

قطعٌ من الصبر والبلادة وموت النفس والهوان والسآمة ..

عيونها عميقة تنظر بهدوء لما حولها كأنها عيون فلاسفة فرغوا من حل جميع العقد والمشكلات وليس لها دموع تبكى بها وتعلن الشكوى ...

تريد أن تفرِّج عن قلوبها فترسل صوتها لترتاح ، فتخرج قلوبها مع همومها من حلاقيمها في صوت مُنْكَر فيأبى الناس عليها ذلك ويردون أصواتها وهمومها إلى نحورها ...

اغفروا أيها المالكون للمملوكين إذا تَنَفَّسوا

ارحموا الأغبياء والمحدودين فإنهم ما خلقوا أنفسهم حتى يعاقبوا أو يعاتبوا ...

لا البلبل خلق نفسه ولا الغراب يا أولى الألباب !

ترى ، متى يشعر الفلاحون والعمال بالرحمة لهذه المخلوقات فيعاملوها معاملة رُفْقَةِ العمل ؟ ولكن الفلاحين والعمال لا يشعر رعاتهم نحوهم برحمة . فهم كذلك لا يشعرون بها لرعاياهم . كيْلاً بكَيْلٍ ... والموج دائماً ينحدر من الأعلى للأدنى ...

متى يأتى اليوم الذى ترتاح فيه هذه المخلوقات وتتخذ للزينة والجمال وحدهما وتقتنى في حدائق الحيوان كمخلوقات أثرية تدل على عهد باد من عهود شقاء الإنسان وشقوة سكان الأرض معه ؟

هو اليوم الذى يقتنى فيه كل فلاح وعامل حاجته من مخلوقات الحديد والفولاذ

عبد المنعم محمد خلوف

أحزان الأسود وأفراح القرود

يوم فضيحة «آدم» و«حواء»

للدكتور زكي مبارك

سارت الأمور إلى ما شاء القدر أن تسير إليه ، وذاق آدم لأول مرة لذعة الندم الأليم ، فقد كان يملك زجر حواء عن قرب شجرة التين ، لو قُدِّر له أن يتمسك فلم يخضع لسلطان حُسنها الوهّــاج ...

وانزعجت حواء لمـا أصاب الجنة من زلزال ، فعرفت من أخطار الخطيئة ما لم تكن تعرف . وأدركت أن المزاح فى تفسير الحرام والحلال عَبَثُ أطفال

— آدم ، لا تبتئس ، فقد عجّل الله بالعقوبة ، ولم يبق إلا أن نأنس بالاطمئنان

— وما هى العقوبة التى عجّل بها الله يا حواء ؟

— هى ما أصاب الجنة من زلزال ، فقد هدأت العواصف والقواصف ، وعاد كل شىء إلى قراره المألوف

— الزلزال الخطر هو البلبلة التى تثور فى صدرى ، وما أحسبنى سأستريح ، وهل أنت مطمئنة يا حواء ؟

— لا ، وإنما أردت أن أهوّن عليك وَقْع ما نحن فيه ، فمــا زال قلبى يرتعد من هول الصدمة ، وليتنى متُّ قبل الخطيئة وكنت نسياً منسيًّا !

— أرأيت يا حواء عواقب الإصاخة لأقوال المفسدين ؟ ألم أنهكِ عن صحبة الحية ؟ ألم أخوّفك من الاستماع إلى إبليس ؟

— ليتنى أطعتك ! ليتنى أطعتك !

— وهل تنفع شيئاً ليت ؟

— فى ليت تعزيةٌ للخائبين ، فلنتعزَّ بها إلى حين !

وفى أثناء هذا الحوار كان آدم يلاحظ أن أسراباً من الطير والحيوان تنظر إليه وإلى حواء باستغراب ثم تنصرف ، فما الذى جدّ عليه وعلى حواء بعد الزلزال حتى يقع ذلك الاستغراب ؟

وحانتِ من آدم التفاتة فرأى سوأة حواء بادية ، وأطرق فرأى سوأته قد انكشفت والعياذ بالذوق ، وكذلك أدرك أن أسراب الطير والحيوان قد هالها أن يمسى آدم وحواء وهما فى حال تسر العدو وتحزن الصديق

كانت الفاجعة أعنف ممـا يتصوره الخيال ، فقد فُطر آدم على الحياء ، ألم يكن أول مخلوق ستر ذلك الشىء ؟ أما الكلام عن حياء حواء ، فهو حديثٌ مُعاد ، فما استطاع أحد من سكان الفردوس أن يتوهم صورة المنطقة المحرمة من جسمها الجميل

— أتصنع المعصية كل هذا يا آدم ؟

— وأشنع من هذا ، فقد يعاقَب العصاة بالقتل

— الفضيحة أبشع من القتل

— أنا لا أراها كذلك ، فالقتل أخطر وأعنف

— الرجل يُقتل بالسيف ، والمرأة تُقتل بالفضيحة ، فأنا وحدى المقتولة بعقوبة اليوم

— وما المخرَج يا حواء ؟

— نخصِف على هاتين السوأتين من ورق الجنة ، إلى أن يقضى الله فى أمرنا بمـا يشاء

* * *

لا موجب للاطالة فى تصوير جزع آدم وفزع حواء ممـا صارا إليه ، فالوصف لا يحيط بصورة الحزن الذى يساور النفس النقية حين تسقط أول مرة ، فهى تتخيل أن شبح الفضيحة يلاحقها فى كل طريق ، وأن الموجودات كلها عيون تنظر إليها باحتقار وازدراء ، ولا كذلك النفس الخبيثة ، فهى لا تتأثر بالفضيحة إلا بمقدار ما يتأثر الصخر الأصم بهبوب الريح

كان آدم على فطرته الأولى يوم اقترف ما اقترف ، وكان وحيداً فى بلواه ، فلم يجد من أصدقاء السوء من يهوّن عليه مصيبة العصيان

وحواء ؟ وحواء ؟

كانت زهرة نضيرة لم تسمع بأن فى الوجود لوافح ترزا الأزهار بالذبول

وهل كانت حواء تجدّ وهى تدعو رفيقها إلى قرب الثمر الممنوع ؟

إن شيت حدثنا أن تمردها على الأوامر الربانية لم يكن إلا فنًّا من فنون الدلال . ولعل هذا هو السبب فى أن الجنة لم تُصب بأذى بعد أ كلها من شجرة التين ، وإنما وقع ما وقع حين هفا آدم ، لأنه رُزق من العقل ما يكفى للتمييز بين المحرَّم والمباح

وزاد فى هم حواء عرفا نُها بخطورة النزق بعد الذى كان ، فصارت تصرخ من وقت إلى وقت صراخاً يصل إلى مسامع سكانِ الفردوس بأعنف مما يصل صوت المظلوم إلى آذان القضاة العادلين . . . وكذلك لطف الله بحواء ، فأمر ورق الجنة أن

يكون عند ما تريد ليحميها من فضول العيون

لا موجب للاطالة بتلخيص الصفحات التى دوّنها شيث ابن عربانوس فى هذا المقام ، فما نطيق ولا يطيق القراء مواجهة ما انطوت عليه من أحزان وكروب ، فلننظر كيف تسامع سكان الجنة بفضيحة آدم وحواء فى لحظات

فى لحظات ؟ وكيف ؟

كان جمهور أهل الجنة فى ذلك الوقت جمهوراً قليل الأهمية من الوجهة العددية ؛ وللجماهير الصغيرة محاسن وعيوب ، فمن السهل أن نكوّن رأياً عاماً فى الجمهور الصغير بخطبة أو خطبتين وأن نروضه على الفضائل المنشودة حين نشاء بأيسر عناء ، ولكن من الصعب أن نصدّه عن تسمّع الأخبار السيئة ، فهو يُقبِل عليها بشهية عجيبة ، وهو يجد لذة فى مضغ أحاديث الإفك والبهتان ، وقد يتزيّد فيضيف المآثم إلى الأبرياء ، ليظفر بالقوت المحبوب وهو الاغتياب ، فما يطيب للرجل الحقير أو الجمهور الصغير غير الخوض فى الأحاديث التى تشوّه أقدار الأكابر من الرجال !

وعلى هذا وصلت أخبار آدم وحواء — أخبارهما المزعجة — إلى جميع سكان الجنة فى لمحات معدودات ، وصار الحديث عن مصيرهما الفاجع زاد الألسنة في كل مكان

فكيف تلقّى الفردوسيون ذلك النبأ الفظيع ؟

انقسموا إلى فريقين : فريق الجازعين وفريق الشامتين

فمن الذى جزِع ؟ ومن الذى شَمِت ؟

جزع الأسود ، وفرح القرود ، ولذلك حديثٌ يستحق التسجيل :

لم يكد يتسامع الأسود بفضيحة آدم حتى صاموا عن الطعام حزناً لبلية ذلك المخلوق النبيل ؛ ثم اجتمعوا فى « غابة العَرِين » ليسمعوا خطبة كبيرهم غَضَنْفَلُوث ، وقد خطبهم فقال :

« سُجَرائى وأشبالى

ترامتْ إلىّ وإليكم أخبار الفضيحة التى رُزِئَ بها آدم ، وقد جزعتُ لها كما جزعتم ، برغم اختلاف الجنس ؛ فنحن نمشى على أربع وهو يمشى على اثنتين ، وقوّتنا بالظفر والناب ، وقوّته بالقلب واللسان ؛ ولكن هنالك آصرة تجمع بيننا وبين ذلك المخلوق ، وهى الكرامة الذاتية ، فهو يأبى الضيم كما نأباه ، وهو يُزَهى ويختال كما نُزَهى ونختال . ولست أعرف قيمة شجرة التين حتى أحكم له أو عليه ، فنحن لحميّون لا نباتيون ، ومن الصعب أن ندرك ما فى التين من دواعى الاشتهاء ، وقد حلّ به ما حل ، وذاق من علقم الفضيحة ما ذاق ، وسيقضى الله فى أمره بما يشاء ، فهل ترون من الجرأة على الله أن نعلن الحداد لمصيبة آدم المظلوم ؟ »

أحد الأسود : أنحزنُ لمصيبة مخلوق عصى الله ؟

غضَنْفَلوث : إذا كان مخلوقاً كريماً ، وآدم مخلوقٌ كريم ، فهو وحده الذى يستتر حين يلامس أنثاه ، وما رأيته أبداً فى موقف ينافى الأدب والحياء

أسدٌ آخر : وكيف نجيب إذا عدّ الله حزننا لآدم ضرباً من العصيان ؟

غضنفلوث : الله أكبر من أن يستظهر على عباده المذنبين بشماتة حيوان

أسد ثالث : العطف على المذنبين إغراء بالذنوب

غضنفلوث : هنا دقيقة تخفى عليك ، وهى أن العطف على المذنب يجتثّ من صدره بذور العصيان ، ويضيفه إلى أهل الطاعة والامتثال

أسد رابع : نحن مع الله فى التنكيل بالمجرمين

غضنفلوث : ومن نحن حتى نشارك الله فى الجبروت ؟

أسد خامس : نحن أسود

غضنفُلوث : والأسود تحفظ الأدب مع الله فتترك له التفرد بالثواب والعقاب

أسد سادس : لا يجوز العطف على مخلوق خدعته أنثاه

وهنا انبرتْ لَبَبْلوث زوجة غضنفلوث فقالت فى زئير يوقظ الأموات :

« لعلكم تريدون التعريض بحواء ، فهل تعرفون حواء ؟ إسألونى أخبركم : لقد كانت تجىء من لحظة إلى لحظة لتداعب الأشبال بأناملها اللطاف . وكنت أقدر أول الأمر أنها تفعل ذلك بسبب حرمانها من النسل ، ثم عرفت أنها مفطورة على الرفق والحنان ، وأنها لا تعيش إلا فى ظلال الرفق والحنان ... ويلى عليك يا حواء ، فما رأيت أرخم منك صوتاً ، ولا أنضر وجهاً ، ولا ألطف مِشية ! كنت أنظر إلى نهديك الكاعبين فأعجب

وأطرب وأشاق ، ما أجمل نهديك يا حواء ! وما أشد جزعى حين أتذكر أنك لم تُرزَقى طفلاً ينعم بحَلَمتيك فى جذل وانشراح ! وهل أنسى أن حواء أرشق مخلوقة تمشى على اثنتين ؟ لقد كان تثنيها وهى تتخطر فوق شط الكوثر يخلع قلبى »

غضنفلوث : حواء جميلة إلى هذه الدرجة ؟

لبولوث : وأجمل من الغزال المكحول بمرود السحر والفتون

— عطف الأنثى على الأنثى معروف !

— وتحامُل الذكر على الأنثى لا يحتاج إلى تعريف . . . وبلى عليك يا حواء ! أأنت تفضَحين بين سكان الفردوس فضيحة جديدة ؟

— وهل كانت لحواء فضائح قديمة ؟

— من يومها وهى فضيحة الفضائح ، فمشيتها فضيحة ، ونظرتها فضيحة ، ونبرتها فضيحة ، ودلالها فضّاح فضّاح فضّاح . وبلى عليك يا حواء ، وبلى عليك يا أختى !

— يظهر أنك مفتونة بحواء !

— وكيف لا أُفتَتن بأنثى تفردت بالجسم الأملس إلا بعض شعرات . ولوجازت الغيرة على مثلى لأصبحت من الهوالك

ثم تعكّر هذا الحوار الرقيق بأصوات غليظة وصل صداها البغيض إلى ساحة العرين ، فما تلك الأصوات ؟

تلك أصوات القرود وقد شمتوا بآدم وحواء ، فكانوا يثبون إلى الأشجار ثم ينزلون ، فى انجذاب يشهد بأنهم صاروا من الفرح مجانين ، ثم بدا لهم أن يضعوا أخشاباً فى الكوثر ليركبوها ، كما كان يصنع آدم وهو يداعب حواء

وسمع الأسد الأكبر بهذا الضجيج فأقبل يعنّف شيخ القرود

— ما هذه الضجة ، أيها القرد ؟

— نحن نحتفل بعدل الله

— وما ذلك العدل ؟

— هو الحكم على آدم بما هو له أهل

— وما خطر ذلك الحكم الذى استوجب أن تقيموا من أجله هذا الاحتفال ؟

— لقد كُشِفت سوأة آدم ، ولله الحمد !

— إن سوأة آدم من أمام ، فهو يسترها بلا عناء ، وسوأتُك من خَلف أيها القرد ، وستظل إلى الأبد وأنت مفضوح ، لأنك شمتّ بآدم المظلوم

— كيف يكون مظلوماً وقد عصى الله ؟

— ذلك شرف لن تناله أبداً . لأنك ضعيف

— وهل يحتاج المعصية إلى قدرة ؟

— نعم ، ولأجل هذا سأعصى الله كما عصاه آدم

— فتأكل من شجرة التين ؟

— أى تين يا قرد ؟ إن لى فى العصيان مذهباً لا يخطر للقرود فى بال

— وما هو ذلك المذهب ؟

— هو أن أبطش بكم جميعاً فى لحظة واحدة فأريح الوجود من وجوهكم القباح

— أنت إذن لا تخاف الله ؟

— وكيف أخاف من يسمح بأن تكون للقرود دولة ؟ أنا كافر بالله ، كافر ، كافر ، إن جاز عنده أن تقوم دولة للقرود أو أشباه القرود ؛ ففضوا هذا الاحتفال السخيف ، وعودوا إلى حظائركم صاغرين ، وإلا نكلت بكم أشنع تنكيل

— وهل صنعنا شيئاً يعاب ؟

— إن الشماتة إثمٌ حقير وخسيس ، وهى لا تقع إلا من الأوشاب ، فانزووا أيها القرود قبل أن يحل عليكم غضبى ، فأنتم أحقر من أن تبوءوا بغضب الله ، ولعله منحنى من الشراسة ما منح لأؤدب ما يجلّ من تأديبه من القرود والثعالب والذئاب

***

حين وقع الزلزال فى الجنة نظر رضوان فرأى الحية تزحف بسرعة تفوق المألوف من زحفها المقوت ، فأدرك أن عليها جانباً من المسئولية ، فمنعها من الخروج إلى أن تنجلى الأمور . ونظر فرأى إبليس يهرول ليقتحم باب النجاة ، فردّه على عقبيه إلى أن يأذن الله بأن يكون من الناجين

ثم سُمع هاتفٌ يصيح :

— ماذا تستفيد يا آدم من الاختباء فى تلك الألفاف ؟ (١)

(١) إشارة إلى ما جاء فى كتاب « شيث » وما جاء فى « التوراة » من أن آدم وحواء اختبئا فى ألفاف الأشجار حياء من الله بعد انكشاف الستر عن السوأتين المجهولتين

أثر الآداب الأجنبية

فى الأدب الفرنسى

للأستاذ صلاح الدين المنجد

إن لامتزاج الآداب بعضها ببعض ، أثراً بالغاً فى ازدهارها ونموها ، لما فى ذلك من لقاح مثمر وإحياء باهر ، ولما تكتسبه من أناقة فى العرض ، وطرافة فى التصوير ، وبراعة فى الخيال ، ورهافة فى الذوق

ولعل ازدهار الأدب العربى فى العصر العباسى آية على فائدة اللقاح فى الأدب وطيب جناه ، فقد حليت نغماته ، وطرفت ألوانه ، وتدفقت الحياة فى صوره وتهاويله ، وخرج من الجمود إلى الحركة ، ومن القيود إلى الانطلاق

وقد كان الأدب الفرنسى أكثر الآداب تأثراً بالآداب الأجنبية ، ولعل أعظم روائعه كانت من وحى البلدان المجاورة وآدابها . على أن هذا التأثير كان يقتصر على الفكرة ، لا على الشكل فى أكثر الأحايين

بدأت فرنسة تستمد من آداب الأمم المجاورة مادة لأدبها ، منذ أوائل القرن السادس عشر . فقد كان القصاصان « مرغريت دُ ڤالوا M. de Valois » و « برانتوم Brantôme » ينهجان نهج « بوكاتشيو » القصصى الإيطالى : حتى إذا كان النصف الثانى من هذا القرن ازداد هذا التأثير واتسع . فأسست طائفة من الأدباء مجمعاً لبعث الأدب الفرنسى سموه Pleïade ورأسهم « رونسار » الشاعر ، وكانوا معجبين بالشاعر الإيطالى « بترارك Pétrarque » ، فتتبعوا أشعاره بالدراسة والترجمة والنشر ، ونهجوا نهجه فى نظمه وأفكاره . وفى الحقبة نفسها ، أى فى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، قامت فى مدينة « ليون » فى الجنوب ، مدرسة خاصة تمجيد آراء ذلك الشاعر الإيطالى وتقليد أشعاره

فلما جاء القرن السابع عشر ، عكف « موليير » على المسرح الإيطالى يقتبس منه . وهذا الاقتباس واضح فى روايته L'Etourdi وغيرها . وكان يحتفظ فى أحايين كثيرة ، بالنماذج الإيطالية Types نفسها

وظل تأثير الأدب الإيطالى فى الأدب الفرنسى مستمراً . ففى القرن الثامن عشر ، أولع الأدباء الفرنسيون بالآثار الإيطالية المسرحية « كرينار Regnard » و « لوساج Le Sage » و « ماريڤو Marivoux » أما فى الشعر ، فكان بعض المحدثين آنئذ ، يقلدون « تانسيل Tansille » ، ويستقون من « لوتاس Le Tasse »

على أن القرن السابع عشر قد عرف أدباً آخر ، أثّر فى الأدب الفرنسى ؛ وكان ينبوعاً ارتشف منه الاتباعيون مادة لروائعهم ؛ وهو الأدب الإسبانى . فقد عبّ منه كثيرون ومنهم « كورنيل Corneille » فى مأساته « السيد Cid » وأعجب الأدباء الفرنسيون « بلوب دُ ڤيرجا Lope de Verga » و« آلاركون Alarcon »و« تيرسو دُموليتا Tirso de Molina » واقتبسوا من آثارهم ، ونقلوا إلى الفرنسية بعضها . وقد استمر هذا التأثير حتى القرن الثامن عشر ؛ فقد اقتبس « لوساج » من المسرح الإسبانى فكرة روايته « الشيطان الأعرج » كما اقتبس «بومارشيه» منه روايته « زواج الفيجارو »

* * *

ثم جاء الأدب الإنجليزى يؤثر فى الأدب الفرنسى . ولم تؤثر أمة فى فرنسة تأثير انجلترا فيها . فقد كان أثرها ظاهراً فى نواحى شتى : فى الأدب ، والفلسفة ، والسياسة ، والأذواق . وكانت ملجأ لكثير من الأدباء الفرنسيين ومنفى . فقد رحل إليها ڤولتير ، ومونتسكيو ، وبوفون ، وروسو ، وشاتوبريان ، ومدام دُستال وغيرهم ؛ فأقاموا فيها وأعجبوا بها . وقد أبان ڤولتير فى « رسائله الإنكليزية Lettres Anglaises » عما أحس به فى تلك البلاد .

— لأنجو من حسابك يا مولاى

— وكيف تنجو من حسابى ، وأنت جان أثيم ؟

— لك الأمر من قبل ومن بعد

— ولهذا أدعوك إلى الوقوف غداً فى ساحة العدل ، فأحضر من تريد من الشهود ، ومن تشاء من المحامين ، ليرتفع اللبس فى تقدير مالك وما عليك

— أنت الشاهد وأنت الوكيل ، فاقض بعدلك ورحمتك ما أنت قاض

— هو ذلك ، ولكنى أريد أن أقيم بنفسى أول محكمة فى الوجود

(للحديث شجون) زكى مبارك

وتكلم ، ماراق له الكلام ، على الدين والفلسفة والأدب والشعر فيها . حتى أنه حاول أن يقتبس من شكسبير بعض مشاهد رواياته .

ثم نقلت روايات « ريشاردسون Richardson » و « سويفت Swift » و « دفُوا Defœ » فلقيت إعجاباً وأثارت حماسة . ودبت الحياة فى الشعر الفرنسى التثقيفى Didactique مذ قرأ الناس « تومسون Thomson » و « جراى Gray » . وكان شعر « أوسّيان Ossian » مقدمة للشعر الإبداعى . وأثرت فلسفة « لوك J. Locke » و « هيوم Hume » فى رجال الموسوعة الفرنسية . وأصبح طراز الحكم الإنجليزى مثلاً أعلى عند سياسى فرنسة . فلما شبت الثورة الفرنسية ، انقطع هذا الاتصال ؛ على أنه عاد أشد قوة ، وأعظم شأناً بعدها . وانكب الشعراء الإبداعيون آنئذ على روائع « بيرون Byron » و « شيلى Schelly » و « شكسبير Shakespeare » يقلدونها مرة ويستوحونها مرات

وما كاد الهرم يدرك القرن الثامن عشر حتى تسرّب الأدب الألمانى إلى فرنسة . وكان لنقد « ليسنغ Lessing » أثر بعيد فيها . ثم جاء « جوته » ونشر « ڤرتر » فألهبت المشاعر والعواطف ؛ وهزت الناس ، فانتحر منهم عدد كثير تقليداً لڤرتر . ثم أخذ الفرنسيون يقلدون « شيلر Schiller » وأخذت فلسفة الألمان تحل محل الفلسفات الأخرى . ولعل أنطق صورة لهذا التأثير كتاب « مدام دستال » عن « ألمانية Allemagne » ، ثم عرّج الناس وأخذوا يتتبعون آثار « جوته » و « شيلر » و « هوفمان » و « هنرى هاين »

***

وفى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، اتجهت فرنسة نحو الآداب الأسكاندنيافية والروسية ، فقد استهوى الفرنسيين نجاح الروايات الروسية ، كما جذبتهم الروايات الإنجليزية من قبل ، فترجمت روايات « غوغول » و « تورجنيف Tourguenev » و « دستويفسكى Dostoïeveski » حتى ألفها وتناقلها ، ونحا بعض الأدباء في رواياتهم نحوها

على أن هذا التأثير قد اتسع منذ أوائل هذا القرن العشرين ؛ لسرعة المواصلات ، وانتشار المجلات ، وازدهار المؤلفات . وغزت أسواق فرنسة مؤلفات الأمم كلها . فكبيلنغ ودانونزيو . وسلمى لاجرلوف ، وبرنارد شو ، وأوسكار وايلد ، أثروا فى الكتاب المعاصرين وإن لم تظهر آثار هذا التقليد واضحة بعد .

وكذلك بدأت مؤلفات الكتاب العرب تظهر بالفرنسية أيضاً . فقد نقلت لها أعظم آثار الأستاذين توفيق الحكيم ومحمود تيمور ، وبعض آثار الأستاذ الدكتور طه حسين وبعض مقالات للأستاذ الرافعى

أما فى القرون الخالية فقد كان للشرق العربى أثر فى بعض مؤلفات شعراء فرنسة وكتابها ، كلامارتين ، وباريس ، ولوتى ، ورينان ، وجيرار دونرفال ، والأخوين تارود ، ودورجليس ، وغيرهم ممن زاروا بلاد الشام ومصر وتمتعوا بما فيها من روعة وجمال وسحر ، فوصفوها وخصوها بالكتب . ولا ننس ما كان لكتاب ألف ليلة وليلة الذى نقل إلى الفرنسية منذ قرون ، من أثر وما كان لكتب السياحات والرحلات والعجائب التى لقيت من قبول وتأثير وإعجاب (١)

وهكذا نجد أن الأدب الفرنسى قد استمد كثيراً من آداب الأمم الأخرى ، فكان ذلك من أسباب ازدهاره ونموّه ، ورقته وسموّه

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) سنعود فنبين أثر الشرق فى الأدب الفرنسى بعد قريب

من أدب القرن التاسع

كتاب «سحر العيون»

للأستاذ أحمد يوسف نجاتي

— ٢ —

٦ – ومن أولاد أبي الوليد بن الشحنة أوحد الدين عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن محمود : ولد سنة ٧٨٨ وتلقى العلم ببلده وبالقاهرة ، وولى قضاء مدينة «صفد» مراراً ، وناب في القاهرة عن قاضيها (١) وتوفى بها بالطاعون (٢) سنة ٨٣٣ هـ . رحمه الله

وهؤلاء المتقدمون من بنى الشحنة أدركهم الموت قبل مولد البدرىّ صاحب «سحر العيون» ؛ وأما الذين عاصرهم البدرى وانتمى إليهم فمنهم :

٧ – محب الدين أبو الفضل بن المحب أبى الوليد المتقدم ابن كمال الدين ، فهو محمد بن محمد بن محمد بن محمود وهو من أشهر بنى الشحنة وسيرهم ذكراً : ولد بمدينة حلب سنة ٨٠٤ ، فهو أسنّ من البدرىّ بنحو ٤٣ سنة ، وسافر مع والده صبيًّا لم يبلغ عشر سنين إلى مصر ، ثم قدم إليها مستقلاً بنفسه بعد ذلك ، وتلقى العلم بمدن الشام ومصر ، وجدّ في الطلب ، وأخذ

(١) هو القاضى زين الدين عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن على ابن هاشم القفهى المصرى توفى سنة ٨٣٥

(٢) فى سنة ١٨٣٣ اشتدت وطأة الطاعون بالشام ومصر قال ابن حجر أركب أربعون نفساً مركبا يقصدون الصعيد فما وصلت منتصف الطريق حتى مات الجميع وأن ثمانية عشر صياداً اجتمعوا فى مكان فمات منهم فى يوم واحد أربعة عشر فجهزهم الأربعة فمات منهم وهم فى الطريق ثلاثة فلما وصل بهم الآخر إلى المقبرة مات !

عن كثيرين من أجلاء عصره بالقطرين ، وكان آية فى الذكاء وقوة الحافظة حتى قيل فيه :

سمح الزمان بمثله فعجب له ... إن الزمان بمثله لشحيح
فالأصل زاكٍ والخلال حميدة ... والذهن صافٍ واللسان فصيح

وفيه يقول بعض شيوخه (١) :

أقسمت إن جدّ وطال المدى ... أروى الورى من بحره الزاخر
فقل لمن بالسبق قد فضّلوا ... (كم ترك الأول للآخر ؟)

ولما كملت أداته ، ولى الوظائف الجليلة من قضاء وتدريس ونحوهما فولى قضاء الحنفية بمدينة حلب سنة ٨٣٦ وعظمت رياسته وظهرت كفايته ، وانطلقت الألسنة بذكره ، وظل فى مدة الظاهر جقمق (٢) بين رفعة وخفض وولاية وعزل حتى ولى كتابة السر بالقاهرة سنة ٨٥٧ ، ولم يلبث أن صرف عنها وبقى بالقاهرة حيناً من الدهر فى عيشة غير راضية ، ثم رحل إلى بيت المقدس وأقام بها إلى سنة ٨٦٢ ثم عاد إلى وطنه حلب . ثم ولى كتابة السر بالقاهرة ثانية سنة ٨٦٣ ، فسار فيها سيرة مشكورة وأقبل

(١) هو بدر الدين محمد بن أبى بكر بن محمد بن سلامة الماردينى الحلبى الحنفى كان فقيهاً فاضلا متفنناً علوم الشريعة واللسان ولد سنة ٧٥٥ وتوفى بحلب سنة ٨٣٧

(٢) هو الملك الظاهر أبو سعيد جقمق بن عبد الله العلائى الظاهرى ولى سلطنة مصر والشام سنة ٨٤٢ وكان ملكا جليل القدر عظيم السلطان قد صفا له الوقت وطابت فى زمنه الأيام وعمر كثيراً من المساجد والمدارس والقناطر والجسور ، وعمر مسجد الخيف بمنى ، وجدد فى الحرم الشريف مواضع ، وكان قد حبب إليه البر وعمل الخير فأنفق فى سبيل ذلك أموالا طائلة ، وكان محباً للعلماء والفقهاء والأشراف والصالحين مكرماً لهم جواداً عف الذيل واليد واللسان شجاعاً فقيهاً فاضلا ، وأخذ بنيه بالتفقه فى الدين وتلقى العلم عن أجلاء عصره (وكان ابنه نور الدين أبو المعالى محمد المولود فى سنة ٨١٦ ماهراً فى العلم حافظاً للقرآن الكريم ، وله ألف ابن تغرى بردى كتابه «النجوم الزاهرة» ، وأدركته منيته فى سنة ٨٤٧ (وهى السنة التى ولد فيها صاحبنا البدرى) ، ثم لما أحس الملك الظاهر جقمق بدنو أجله خلع نفسه من الملك فى أوائل سنة ٨٥٧ وعهد بالأمر إلى ولده الملك المنصور عثمان ، ولم يلبث أن توفى فى ٣ صفر سنة ٨٥٧ ، وخلع ولده المنصور عقب ذلك وتولى الملك بعده الملك الأشرف إينال العلائى الآتى ذكره

عليه السلطان الأشرف « إينـال » إقبالاً عظيماً حتى كان هو المنشئ لعهده في مرض موته لولده أحمد الملقب « بالمؤيد » ، وبقي بعـد ذلك بالقاهرة يتقلد وظائف القضاء والتدريس ، ولاقي كثيراً من صروف الزمان ومنافسة الأقران حتى توفى بالقاهرة في أوائل سنة ٨٩٠ . فبان من هذا أن الذى أنشأ عهد « إينال » لولده « المؤيد » هو أبو الفضل المحب الأصغر لا أبوه أبو الوليد المحب الأكبر المتقدم والمتوفى سنة ٨١٥ ، ولكن رأيت في فهرس دار الكتب بالجزء الخامس صفحة ٢٧٣ ما يأتى :

« عهد للسلطان المؤيد أبي الفتح أحمد بن الملك الأشرف « إينال » تأليف العلامة أبي الوليد قاضى القضاة محب الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن غازى بن أيوب الشهير بابن الشحنة التركي الحلبي الحنفي المولود سنة ٧٤٩ ، والمتوفى بحلب يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٨١٥ هـ أوله : هذا عهد شريف تبسم ثغر ربيعه لما تنسم الخ (نسخة ضمن مجموعة في مجلد مخطوطة بقلم معتاد) اهـ رقم ٥٩ ؛ وهذا غير معقول ، فإن الملك الأشرف سيف الدين أبا النصر إينال العلائي — وهو الثاني عشر من ملوك الجراكسة — إنمـا ولى مملكة مصر في شهر ربيع الأول سنة ٨٥٧ : (بعد وفاة أبي الوليد المحب الأكبر والد أبي الفضل المحب الأصغر بنحو ٣٢ سنة) ؛ واستمر الملك الأشرف « إينال » سلطاناً إلى أن خلع نفسه وعقد الولاية لولده الملك المؤيد شهاب الدين أبي الفتح أحمد في ١٤ من جمادى الأولى سنة ٨٦٥ بعـد وفاة أبي الوليد بنصف قرن (فينبغي إصلاح ما في فهرس الدار بنسبة العهد إلى كاتبه ، وإنما كان الاشتباه ، لأن ابني الشحنة هذين الأب وابنه يلقب كلاهما « بالمحب ابن الشحنة » ، وإنمـا يميز بينهما بالكنية ؛ فكنية كاتب العهد أبو الفضل توفى سنة ٨٩٠ ، وكنية والده أبو الوليـد وتوفى سنة ٨١٥ . هذا ، وقد توفى الأشرف « إينال » عقب ذلك بيوم واحد (١٥ جمادى الأولى سنة ٨٦٥) ، ومكث ولده المؤيد أحمد سلطاناً زهاء خمسة أشهر ، ثم خلعه أتابكه (مربيه) الملك الظاهر «خشقدم» سيف الدين في شهر رمضان سنة ٨٦٥ الذى كان سلطاناً باراً محبًّا للخير توفى في شهر ربيع الأول سنة ٨٧٢ .

ولقد كان المحب بن الشحنة أبو الفضل عالماً جليلاً أديباً فصيحاً بديع النظم والنثر سريعهما حلو الحديث حسن العشرة يميل إلى النكتة اللطيفة والنادرة الظريفة ، عذب الروح رقيق الطبع عليّ الهمة صبوراً على محن الدهر ورزايا الأيام ، ذا شغف بجمع الكتب واقتناء النادر منها . وله مصنفات في الفقه والأصول والحديث والتفسير والتاريخ وغيرهما . وله من مطلع قصيدة وهو بالقدس :

قلب المحب بدار البين مشغول ... كما حشاه بنار البعد مشمول
وطرفه لليل ساه ساهر أرق ... ودمعه فوق صحن الخد مسبول

وله مما يقرأ على قافيتين :

قلت له لـما وفى موعدى ... وما بقلبي لسواه نفق
وجاد بالوصـل على وجهه ... حبى سما كل حبيب وفق

وله يطلب الإجازة في سنة ٨٢٨ من الأستاذ العلامة أحمد ابن حجر المشهور المتوفى سنة ٨٥٢ :

وإذ عاقت الأيام عن لثم تربكم ... وضنّ زماني أن أفوز بطائل
كتبت إليكم مستجيزاً لعلّني ... أبلّ اشتياقي منكم بالرسائل

ومن مؤلفاته التاريخ المسمى (نزهة النواظر في روض المناظر) وهو تاريخ كبير جعله كالشرح لتاريخ أبيه المسمى (روض المناظر في علم الأوائل والأواخر) السابق . وله – كما في فهرس الدار – كتاب (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) ضمنه تاريخ مدينة حلب وآثارها ومعاهدها ومعابدها وجوامعها ومدارسها وغير ذلك مما يتعلق بشؤون مملكة حلب التاريخية والجغرافية ، وجعله ذيلاً على (بغية الطلب في تاريخ حلب) . تأليف العلامة المؤرخ كمال الدين أبي حفص عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن أبي جرادة العقيلي المعروف بابن العديم الحلبي المولود سنة ٥٨٦ والمتوفى سنة

٦٦٠؛ وقد انتهى فى تاريخه إلى سنة ٦٥٠؛ ومنه بدار الكتب ١٤ جزءاً متتابعة فى ثلاثة مجلدات. وقد رتب المحب بن الشحنة تاريخه على تمهيد وفاتحة وخمسة وعشرين باباً. وقد طبع بمدينة بيروت سنة ١٩٠٩ م، وبدار الكتب الملكية نسخة منه قيمة رقم ٢٣٢٦ تاريخ، وأخرى رقم ٢٣٢٧. هذا وفى كشف الظنون فى الكلام على (بغية الطلب فى تاريخ حلب) لابن العديم ما يأتى:

والذيل عليه لأبى الحسن على بن محمد بن سعد الحلبى الجبرينى المعروف بابن خطيب الناصرية المتوفى سنة ٨٤٣، رتب الأعيان على الحروف وسماه (الدر المنتخب). وما طالعه الحافظ بن حجر حين قدم حلب سنة ٨٣٦ ألحق به أشياء كثيرة ثمينة وأثنى على صاحبه. ثم ذيل عليه موفق الدين أبو ذر أحمد بن إبرهيم بن محمد الحلبى المتوفى سنة ٨٨٤ وسماه (كنوز الذهب فى تاريخ حلب). ولم يذكر فى كشف الظنون أن ابن الشحنة ألف تاريخاً لحلب مستقلاً واستعار اسمه من اسم تاريخ خطيب الناصرية.

اسمه (الدر المنتخب) فلعله جمع هذه الذيول قبل وفاته سنة ٨٩٠ وتصرف فيها ونسبها لنفسه ـ والله أعلم ـ أو لعله ألف تاريخاً لحلب مستقلاً واستعار اسمه من اسم تاريخ خطيب الناصرية. وقد يرجح هذا بما ذكره صاحب كشف الظنون فى موضع آخر قال (كنوز الذهب فى تاريخ حلب) لأبى ذر أحمد بن البرهان إبرهيم الحلبى المتوفى سنة ٨٨٤ ذيل به (الدر المنتخب فى تراجم أعيان حلب). وأقول إذا علمت أن محب الدين بن الشحنة كان زوج السيدة خديجة بنت القاضى علاء الدين على بن محمد بن سعد المتقدم المعروف بابن خطيب الناصرية مؤلف (الدر المنتخب) هان الخطب ووضح المشكل، على أنه يؤخذ من ترجمته الطويلة فى الضوء اللامع أنه ألف تاريخين وذكر له عدة مؤلفات فى علوم مختلفة.

(يتبع)

أحمد يوسف نجاتى
الأستاذ بكلية اللغة العربية

أحلام اليقظة

للدكتور محمد حسنى ولاية

قص علىّ صبى فى الرابعة عشرة من العمر الحلم الآتى :

« بينما كنت واقفاً فى غرفة الدراسة أجيب عن سؤال وجهه إلىّ مدرسى ، اختفى عن ناظرى التلاميذ والمدرس وجميع ما فى الغرفة سوى (السبورة) ، وانقلبت أرض الغرفة الخشبية إلى أرض صحراوية ، ثم ما لبث أن أطل من خلف أعلى (السبورة) رجل ذو منظر مخيف ، عريض الوجه ، منبعج الأنف ، غريب الخلقة ، ذو مخالب كمخالب النمر ، مرتد ثوباً أخضر وقلنسوة خضراء ، ممسك بطفل صغير فى الثانية من العمر ، وقد ارتدى ثوباً أحمر وقلنسوة حمراء ، وكان الطفل كثير الشبه بالرجل ، ولكن أنفه لم يكن منبعجاً ، ولم تكن له مخالب

« وبعد برهة شطر الرجل الطفل الصغير شطرين بيديه القويتين ، فصحتُ من شدة الجزع بأعلى صوتى . . . ثم سمعت مدرسى يقول : « لا تخف » ؛ ثم أفقت ووجدتنى واقفاً أمام مدرسى كما كنت ، وعاد كل شىء إلى ما كان عليه . . . »

لاحظت أن الحالم يشبه أمه البلجيكية ، وأن أخاه البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً يشبه أباه المصرى ، وقد كان الأب شديد القسوة وكثيراً ما كان يضربه ضرباً مبرحاً ؛ أما أمه ، فكانت لينة القلب

أدى تحليل الحلم إلى استكشاف عقدة Complex فى عقل الصبى الباطن ، مؤسسة على نزعات ترمى إلى التخلص من أخيه الذى كان مريضاً بالحصبة عندما كان فى الثانية من العمر ، وكان الحالم حينذاك فى الثالثة فألبس المريض رداء أحمر وقلنسوة حمراء ؛ وقد ظلت هذه العقدة محتبسة فى العقل الباطن منذ إحدى عشر سنة ، والسبب فى نشوء هذه العقدة هو العناية الفائقة التى وجهها الوالدان إلى الطفل المريض ، ومن ثم تشبثت بالحالم غيرة شديدة من أخيه

يمثل الرجل الوحشى أب الحالم ويرمز الطفل الصغير إلى أخيه ، وقد شوهت هيئة الأب والأخ فى الحلم بفعل الطاقة الكابتة : « الرقيب الحلمى » ؛ وكأن الصبى يقول لأبيه : « مزّق أخى بمالك من البطش والقوة ، وخلصنى منه ، ليخلو لى الجو ... »

قال لى الصبى إنه لا يكره أخاه ، ولكن نشأت بينهما حزازات ، لأن والده يدلل أخاه كثيراً ويغضى عن هفواته ، وقد استغل أخوه هذا التحيز من جانب الأب ، فلجأ إلى ضربه وسلب الحلوى والنقود منه ، فهو فى عرفه صورة مصغرة من أبيه

وقد قص علىّ الصبى حلماً ليليًّا يدل على مبلغ استقرار نزعة التخلص من أخيه فى سريرته :

«رأى منذ عهد قريب صبيًّا فى عمر وهيئة أخيه يقود طائرة ، ثم وقفتْ الطائرة فى الهواء بجوار نافذة منزله ، فاستقلها كراكب فأطلق قائد الطائرة العنان لطائرته ، ولكنه بعد مضى زمن قليل أصابته رصاصة لم يعرف مصدرها فصرعته . فما كان من الحالم إلا أن حل محله وقاد الطائرة بنفسه »

يعنى هذا الحلم أنه يريد التخلص من أخيه الذى كانت له الكلمة النافذة والسلطة والقيادة فى محيط العائلة

ورأى فى حلم ليلى آخر أنه يسير فى أرض صحراوية انبعثت صخرة من الأرض ومنعته من استئناف المسير ؛ وترمز الصخرة هنا إلى أخيه ، لأنه واقف له بالمرصاد

محمد حسنى ولاية

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١/٢١ سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٦٧٦ سنة ٩٤١ ضد حبشى محمود سليمان بياع غاز بشارع أبو عبد الله بدمنهور بالحبس شهراً مع الشغل والنفاذ والنشر على مصاريفه لبيعه غازاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

ممنـــوع الحب

إخراج كريم



تتجوزى عزيز ؟! ده أنا أقتلك وأقتل روحى كمان

حاليـــاً بسينما ســـتوديو مصر

٤ – ابن خـــرداذبه

للأستاذ كوركيس عواد

(تتمة)

٦ – الخصومة بين ابن خرداذبة وأبي الفرج الأصفهاني

(ا) تمهيد

كان الأستاذ كامل كيلاني قد أحسن غاية الإحسان بنشره بحوثاً طليّة فى وصف بعض « الخصومات » أو « المناظرات » الأدبية القديمة[1] التي دارت رحاها بين طائفة من أكابر العلماء ، وكن لها شأن فى توجيه الرأى الأدبي فى تلك الأزمنة الغابرة .

وما من شك فى أن هاتيك الخصومات تمثل لنا لوناً من ألوان الثقافة ، وتكشف عن منحى من مناحى المجتمع ، كما أنها توضح لنا بأجلى بيان ما كان يضطرم أحياناً فى نفوس بعض الأدباء من حبٍّ للتنافس ، وميلٍ إلى الظهور والتصدُّر ، وانسياقٍ لعوامل الحقد والضغينة ؛ وتفصح لنا عما كانت تنطوى عليه أخلاق بعضهم من كبرٍ أو مكابرة ، وعنت أو دهاء ... ومهما يكن من أمر ، فإن تلك الخصومات صفحة أدبية رائعة الجمال ، إذ شحذ مسطّروها أذهانهم لإحراز الفوْز ، وأفرغوا ما فى وسعهم من الأدلة والبينات التى كانت تتجاوب أصداؤها بينهم ، وتتدافع تدافع السيل العرم ، لتنال مكانها من الظفر !

ولقد وقفنا على شيء يقرب من ذلك ، نشب بين اثنين من أشهر الكتبة الأقدمين ، وهما ابن خرداذبة وأبو الفرج الأصفهانى. وإذا تكلّمنا على الأول منهما بما مرَّ بك تفصيله ، فلننقل كلمةً وجيزة نمهد بها موقفه من الخصومة ، فنقول :

(ب) أبو الفرج الأصفهاني

إن شهرة أبى الفرج البعيدة ، تغنى عن التعريف به . وكتابه العظيم الموسوم بـ « الأغانى » الذى سلخ فى جمعه وتأليفه على ما قال خمسين سنة ، لمن أعظم الكنوز الأدبية قيمة ، وأحفلها مادة ! وكفاه من سمو المنزلة ومزيد الاعتبار أن الصاحب بن عباد — وهو من هو —. « كان في أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالعها ، فلما وصل إليه كتاب الأغانى لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه لاستغنائه به عنها ! »[1]

وكان الصاحب هذا يقول : « لقد اشتملت خزانتى على مائتين وستة آلاف مجلد[2]، ما منها ما هو سميرى غيره (أى غير كتاب الأغانى) ولا راقنى منها سواه ... »[3]

وكان عضد الدولة « لا يفارقه فى سفره ولا حضره ، ولقد كان جليسه الذى يأنس به ، وخدنه الذى يرتاح إليه »[4]

ولأبى الفرج كتب عديدة أخرى ذكرها مترجموه ورواة أخباره . ضاع أغلبها ، ففاتنا بضياعها من الخسارة بما لا يمكن التعويض عنه !

ولسنا فى مقام التبسط فى ذكر ترجمته ، فذاك أمر معروف مشهور ، وإنما اكتفينا بالتنويه بكتابه الأغانى ، لما له من الخطر فى الخصومة التى أشرنا إليها . أما من أراد الوقوف على أخبار أبى الفرج ، فعليه بها مفصلة فى « تصدير » المجلد الأول من الأغانى المطبوع فى دار الكتب المصرية . ففيها كل الغناء

وما لا بد من النص عليه ، هو أن أبا الفرج توفى فى أواسط المائة الرابعة للهجرة (أى فى سنة ٣٥٦ للهجرة) ، وهى المائة التى ازدهر فيها الأدب العربى ، واستقام أمره ، واتسعت مادته

(ج) الخصومة

والخصومة التى سنذكرها ، تختلف عن كثير من الخصومات لأنها جرت بين شخصين باعد بينهما الزمن ! فقد ذكرنا من قبل أن ابن خرداذبة نادم المعتمد الخليفة العباسى ، وخص به ، وكانت وفاة المعتمد فى سنة ٢٧٩ هـ . فيكون ابن خرداذبة من أبناء المائة

---

(١) أنظر « المقتطف » فى أجزاء متفرقة من سنة ١٩٢٩ و ١٩٣٠ و ١٩٣١ : حيث أورد هنالك أخبار ست مناظرات جرت بين الهمذانى والخوارزمى ، وبين الكسائي وسيبويه ، وبين المتنبي وأبى فراس ، وبين المتنبي وابن خالويه ، وبين المتنبي والحاتمي ، وبين المعرى وداعى الدعاة . ونظن أن هذه المناظرات جمعت فى كتاب قائم بنفسه

---

(١) وفيات الأعيان (١ : ٤٧٥)

(٢) جاء فى « مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى » لابن منظور (١ : ٢) قول الصاحب : « ولقد اشتملت خزانتى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد . . » وهي رواية تختلف عن التى أوردناها . ولعل هذه الرواية أقرب إلى الحق وإن كان يرى فيها أيضاً مبالغة

(٣) معجم الأدباء (٥ : ١٥٠ مرجليوث)

(٤) مختار الأغانى (١ : ٣)

الثالثة للهجرة ، ولعله تعداها فعاش بعض السنين من المائة الرابعة

أما أبو الفرج الأصفهانى ، فقد وُلِدَ سنة ٢٨٤ ومات سنة ٣٥٦ للهجرة . فهل يكون قد أدرك فى أوائل شبابه شيخوخة ابن خرداذبه ؟ وهل يكون قد حصل بينه وبينه تنافر وتباغض أدّى بأبى الفرج إلى أن يقف موقفه المريب بإزاء زميله على ما سنوضحه ؟

فإذا طالعت كتاب « الأغانى » لأبى الفرج ، ألفيته يذكر ابن خرداذبة فى مواطن عديدة منه ، ويستشهد بأقواله ولكنه لا يذكره إلا ليثلبه ، ويحط من قدره ، ويجرده من كل حسنة سواء أكان لذلك كله موجب أم لم يكن ! وهو لا يروى قولاً من أقواله إلا لِيَردّ عليه ويضعّفه ويتعمد تزييفه ! فهو على ما يبدو ظاهر التحمل . على أننا لا ندرى ما مبلغ الصحة فى ما حكاه عن ابن خرداذبة ، ولا الدواعى الحقيقية التى حملته على أن يشدّد النكير على صاحبه ، لأن مؤلفات ابن خرداذبة التى ندد بها وانتقد أقوالاً منها قد ضاعت بأجمعها ! ولهذا ، نرانا فى هذه الخصومة سنصغى — على الرغم منّا — إلى شهادة جانب واحد ! وللتاريخ أن يحكم على صحة هذه الشهادة ، ولعل الأيام تكشف لنا مصنفات ابن خرداذبة ، فنعود نستمع إلى أقوالها ، وقد ينجلى الأمر إذ ذاك وتتضح الحقيقة !

وإليك أقوال أبى الفرج فى خصمه ، استخلصناها من أماكن مختلفة من كتاب الأغانى :

قال فى (٥ : ٣ من طبعة الساسى ، أو ٥ : ١٥٦ من طبعة دار الكتب المصريه)[1] ما هذا بحرفه :

« وذكر ابن خرداذبة ، وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه ، أن سبب نسبته (أى نسبة إبراهيم الموصلى) إلى الموصل ، أنه كان إذا سكر كثيراً ما يغنى على سبيل الوَلَع :

أناجت من طرق مَوْصل أحمل قلل خمريا
من شارب الملوك فلا بُدّ من سُكْريا

وما سمعت بهذه الحكاية إلا عنه ؛ وإنما ذكرتها على غثاثتها لشهرتها عند الناس ، وأنها عندهم كالصحيح من الرواية فى نسبة ابراهيم إلى الموصل ، فذكرته دالاً على عواره » اهـ .

وقال فى (١ : ١٨ س ، أو ١ : ٣٦ د) :

« وذكر ابن خرداذبة أنه (الكلام على معبد المغنى) غنّى فى أول دولة بنى أمية وأدرك دولة بنى العباس وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل ، فكان إذا غنى يُضحك منه ويُهزأ به . وابن خرداذبة قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه . والصحيح أن معبداً مات فى أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . وقد قيل : إنه أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته . فأما إدراكه دولة بنى العباس فلم يروه أحد سوى ابن خرداذبة ، ولا قاله ولا رواه عن أحد وإنما جاء به مجازفة » اهـ .

ونظير ذلك قوله فى (٦ : ١٥ س ، أو ٦ : ١٧٣ د) :

« وذكر ابن خرداذبة ، أنه [يقصد يحيى المكىّ] مولى خُزاعة . وليس قوله مما يُحصل ، لأنه لا يعتمد فيه على رواية ولا دراية » ! ومثله قوله (١٣ : ١٥٤ س) :

« وزعم ابن خرداذبه ، أن الصنعة فيه [فى بيتين من الشعر أوردهما الأصفهانى] ليزيد[1] وليس كما ذكر ، وإنما أراد أن يوالى بين الخلفاء فى الصنعة ، فذكره على غير تحصيل ، والصحيح ، أنه لمعبد ... »

وشبيه به ما رواه فى (١٠ : ١١٥ س) :

« وذكر ابن خرداذبه ، وهو ممن لا يحصل قوله ولا يعتمد عليه ، أنه [أى عَلَّويه المغنى] من أهل يثرب ، مولى بنى أمية »

أو ما قاله فى (٨ : ١٥٦ س ، أو ٩ : ٢٧٦ د) :

« وممن دونت صنعته من خلفاء بنى العباس ، الواثق بالله ، ولم نعلمه حُكى ذلك عن أحد منهم قبله ، إلا ما قدمنا سوء العهدة فيه عن ابن خرداذبه ، فإنه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم غناء ، وأتى فيها بأشياء غثة ، لا يحسن لمحصل ذكرها » !

ومما يتصل بها المعنى ، ما حكاه أبو الفرج فى (٨ : ١٤٤ س أو ٩ : ٢٥٠ د) :

« قال مؤلف هذا الكتاب : المنسوب إلى الخلفاء من الأغانى والملصق بهم منها ، لا أصل لجله ولا حقيقة لأكثره ، لا سيما

(١) نرمز إلى طبعة الساسى بحرف (س) وإلى طبعة دار الكتب بحرف (د)

(١) هو يزيد الثانى ابن عبد الملك الأموى ، كانت خلافته من سنة ١٠١ إلى ١٠٥ هـ

ما حكاه ابن خرداذبة ، فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فذكر أنه تغنى فى هذا البيت :

كأنّ راكبها غصنٌ بمَرْوَحَة

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد ، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بدّ منه ولا معدلَ عنه ، يخبط (يعنى ابن خرداذبة) خبطَ العشواء ويجمع جمع حاطب الليل ... ! »

أو ما سطره فى (١٣ : ١١٠ س) :

« وذكر ابن خرداذبة ، أن المهدى اشتراها (اشترى الجارية بصبص) وهو ولى العهد ، سراً من أبيه ، بسبعة عشر ألف دينار ، فولدت منه عُليّة بنت المهدى . وذكر غير ابن خرداذبة ، أنه غلط فى هذا ، وإن الذى صح ، أن المهدى اشترى بهذه الجملة جارية غيرها وولدت عُليّة ... »

***

فهذه ، على ما رأيتَ ، آراء صريحة ، طعن فيها أبو الفرج بصاحبه ، وضعّف مرويّاته . وليس بوسعنا أن نبدى فيها رأياً للسبب الذى قدمناه فى محل آخر من هذا المقال . ونضيف الآن إلى ذلك ، أن عشرات الكتب فى الغناء والمنادمة والشراب وما اتصل بهذه الموضوعات من قريب أو بعيد ، مما صنفه أقدم الكتبة كاسحق الموصلى ، ويحيى بن أبي منصور الموصلى ، وعبد الله بن هارون ، ويونس الكاتب ، وعمر بن بانة ، وحسن ابن موسى النصيبى ، وأبى حشيشة الطنبورى ، وجحظة ، وأبى أيوب المدينى ، وغيرهم ، كل تلك الأسفار قد ضاعت وامحى أثرها ، ولم يبق لنا منها سوى أسمائها الجليلة التى حفظها لنا ابن النديم وغيره فى تصانيفهم

هـذا ، وقد ذكر أبو الفرج زميله فى أماكن أخرى من أغانيه ، ونقل عنه أخباراً ومرويات لا فائدة من إيرادها هنا . غير أنه فى بعض نقوله كان يمر به دون ما تجريح ، ذلك إذا راعى جانب الهدوء والاعتدال فى القول ، وإلا ، فلا أقل من أن يتوّج ما ينقله عنه بعبارة « وزعم ابن خرداذبه »(١) ، ولا يخفى على اللبيب ، ما تنطوى عليه لفظة « زعم » !

(١) كما فى (٦ : ١٦١، ٣ و ٨ : ٢٢ س د) من الأغانى

فهل كان أبو الفرج فى مواقفه النقدية يتعمد الإساءة إلى أقرانه ومعاصريه ممن ألّف فى موضوع الأغانى وما إليها ؟ أم إنه كان على حق فيما فند وزيّف ، وقد وقفنا على رأى له فى كتاب من هذا القبيل ، ننقله إلى القارئ ، لما فيه من مغزى أدبى ، قال :

« وذكره جحظة [الكلام هنا على أحمد النَّصيبى المغنى الطنبورى] فى كتاب الطنبوريين ، فأتى من ذكره بشىء ليس من جنس أخباره ولا زمانه ، وثلبه فيما ذكره ، وكان مذهبهُ — عفا الله عنا وعنه — فى هذا الكتاب ، أن يَثْلِبَ جميع من ذكره من أهل صناعته بأقبح ما قَدَر عليه ، وكان يجب عليه ضد هذا ، لأن من انتسب إلى صناعة ، ثم ذكر متقدمى أهلها ، كان الأجمل به أن يذكر محاسن أخبارهم وظريف قصصهم ومليح ماعرفه منهم ، لا أن يثلبهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأت عليه من هذا الكتاب أخبار أحمد النصبى ، وبه صدّر كتابه فقال : (١)

وحسب القارئ أن يسأل لماذا حمل أبو الفرج على جحظة فى موقفه من أحمد النَّصبى ؛ وندد به لأنه ثلب مَن تقدمه ، وهو نفسه لم يطبق هذا المبدأ فى موقفه من ابن خرداذبة على ما مر بنا

٧ — ختام البحث

رأى القارئ فى تضاعيف هـذا المقال أن ابن خرداذبة كان إلى جانب مركزه الاجتماعى مؤلفاً فى ميادين الكتابة المختلفة ، فقد صنف فى التاريخ والبلدان والأنواء والأنساب والموسيقى والمنادمة والشراب وغير ذلك . . . وأن الكتبة انقسموا بشأنه فريقين : له وعليه . فأفراد الفريق الأول وعلى رأسهم المسعودى مدحوه ، وقرظوا كتبه ؛ والفريق الثانى ، وعلى رأسهم الأصفهانى حملوا عليه حملة شعواء فأوسعوه نقداً وتجريحاً

ومن العسير علينا أن نبدى رأياً أو نقول قولاً فى هذا الموقف الذى ينقض أوله آخره ، ونحن فى وقت نتلمس فيه تآليف ابن خرداذبة التى دارت عليها رحى الخصومة، فلا نجد منها شيئاً ما، كما أننا لا نجد أغلب الكتب التى تناظرها فى البحث لنتحقق صحة ما قيل فيها ، وقد يتاح حينذاك الحكم لها أو عليها !

(بغداد) **كوركيس عواد**

(١) الأغانى (٥ : ١٠٣ س ، أو ٦ : ٦٣ د)

الهـــند...

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

هى الدرة اليتيمة فى التاج البريطانى ! من أجلها حقدت الدول على بريطانيا ، وبسببها تحملت انجلترا الكثير من الشدائد ونزلت بساحتها الكوارث . إليها رنت أبصار الفرنسيين ، وهفت قلوب الألمان، وداعب طيفها اليابان . وها هي ذى اليوم تستعد للهجوم، وتتحفز للوثوب على الهند .

لقد داعب نابليون طيف الهند ! اشتد العداء بين فرنسا وانجلترا ، ورأى نابليون أن خير طريق لقهر انجلترا هو غزوها فى بلادها « وإرغامها على إملاء شروط الصلح فى لندن » !

حينذاك يسجد العالم أمام نابليون ، وتحت أقدام فرنسا والفرنسيين ! ولكن دراسة هذا المشروع ردت نابليون إلى صوابه فعلم أن غزو انجلترا ضرب من الأوهام والأحلام . إذن أين يوجه الطعنة القاتلة إلى بريطانيا ؟ هداه تفكيره إلى أن خير طريق للوصول إلى هذه الغاية إنما يكون بالاستيلاء على مستعمراتها وبخاصة الهند ، وكيف يكون ذلك ؟ إن ذلك يمكن أن يتحقق إذا تمكن من غزو مصر ، فمن مصر يمكن السير براً إلى الهند . ألم يفعل ذلك الاسكندر المقدونى أكبر قواد العصور القديمة ؟ لم لا يفعل نابليون بونابرت أكبر قواد العصور الحديثة ؟ وعبارة نابليون « لضرب انجلترا يجب أن نكون سادة مصر » مشهورة معروفة ، وفى نفس المعنى قال تاليران : « عن طريق مصر نصل إلى الهند » . وتنفيذاً لهذه الخطة قدم نابليون بحملته الشهورة إلى مصر فى أول يوليو سنة ١٧٩٨ ، وبقى بها سنة وبضعة أشهر ، ورأى بعينى رأسه آماله تنهار ومشروعه يفشل ، وتحت جنح الليل البهيم غادر مصر فى ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٩ وبعد قليل لحق به جيشه ؛ وهكذا فشلت الحملة ولم يستطع نابليون الوصول إلى الهند .

ومن أجل الهند وحرصاً عليها خرجت بريطانيا على صداقتها التقليدية للروسيا وناصبتها العداء طوال القرن التاسع عشر لأنها رأت فى مطامع روسيا وفى توسعها فى آسيا خطراً على الهند ، ولكن الخطر الألمانى وحد بين صفوف البريطانيين والفرنسيين والروسيين . ومن أجل الهند والمستعمرات البريطانية الأخرى ناصبت ألمانيا انجلترا العداء . وقد فزعت انجلترا من تقدم الألمان نحو القوقاز فى الصيف الماضى وسارعت إلى احتلال إيران ، وكل ذلك لتأمين الهند .

والهند تجذب أنظار العالم اليوم لعاملين :

١ — اقتراب الخطر اليابانى منها .

٢ — ذهاب السير سترافورد كريبس إليها لحل مشاكلها المتعددة ووضع نظام جديد لحكمها .

مشاكل الهند

ليس هناك دولة فى العالم تحاكى الهند من حيث كثرة مشاكلها وتعددها وصعوبة حلها ، فهى من ناحية من أغنى بلاد العالم ، ومن ناحية أخرى من أكثر جهاته ازدحاماً بالسكان . ومع هذا فإن حكمها ليس بالأمر اليسير الهين ، وذلك لتباين دياناتها واختلاف عناصرها وكثرة لغات أبنائها وكراهية طوائفها بعضها لبعض كراهية شديدة

يبلغ عدد سكان الهند ٣٢٠ مليون نسمة ، ومساحتها مليوناً ونصف مليون ميلاً مربعاً ، أو قدر نصف مساحة أوربا . على أن بريطانيا لا تهتم بالهند حباً فى حكمها ، ولكن لأنها سوق عظيمة لمصنوعاتها ومورد هام للمواد الخام . وقد كانت صادرات بريطانيا إلى الهند فى كثير من السنين أعظم من صادراتها إلى أى دولة أخرى . وقد بدأت الهند تدخل فى الدور الصناعى وقد جاء هذا الدور على يد البريطانيين وتحت إشرافهم

ومشكلة الهند أمام انجلترا تنحصر فى أمرين : الإشراف على سكانها البالغ عددهم ٣٢٠ مليوناً ، وترقية التجارة البريطانية مع الاحتفاظ بالسلام . وليس من السهل حكم دولة معقدة كالهند

ذلك لأن التباين بين سكانها عظيم بدرجة يستحيل معها تحقيق أى وحدة حقيقية بين أجزائها ، فلكل إقليم من أقاليمها ولكل دين من أديانها وطائفة من طوائفها أفكارها ومعتقداتها ، ويتكلم سكانها ١٧٠ لغة ، وتنقسم إلى ٢٤٠٠ طائفة . ومن أبنائها ٢١٧ مليوناً من الهندوكيين و٦٠ مليوناً من المنبوذين ، وهؤلاء هم أحط سكانها ، وهم محرومون من الحقوق المدنية ؛ والبراهمة وعددهم ١٤ مليوناً ، والمسلمون وعددهم ٦٦ مليوناً

وبالهند سبعمائة مقاطعة تحقد الواحدة منها على الأخرى وتملك خمسى أرضها ؛ وعدد سكانها ٧٥ مليوناً ، وأكبر مقاطعاتها حيدر أباد وسكانها ١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة . وبعض هذه الولايات قديمة التاريخ ، وبعضها حديثته

على أن البريطانيين حين قدموا الهند عقدوا معاهدات مع كثير منها وضمنوا لها استقلالها الذاتى وأقروا حكامها ، وقد احترمت هذه المعاهدات حتى الوقت الحاضر . وهؤلاء الحكام ليسوا مستقلين ولكن يخضعون لجلالة ملك بريطانيا وإمبراطور الهند ولنائبه الحاكم العام

والهند ما تزال أمة زراعية وأهم محصولاتها القمح والقطن ، وتعتمد الزراعة فى كثير من جهاتها على الرى ومعظم أمطارها موسمية ؛ وهى فى البنغال وأسام وبرما فقط تكفى للزراعة . أما فى باقى الأجزاء فتختلف الأمطار من عام لعام مما عرض الهند لكثير من المجاعات التى كانت تقضى على الملايين من أبنائها . وقد خفف التقدم الحديث فى وسائل النقل من وطأة هذه المجاعات . وتعنى حكومة الهند الآن بمشروعات الرى وبواسطتها استطاعت أن تزرع ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فداناً

ويتزايد عدد سكان الهند عاما بعد عام (٥٠ مليوناً فى السنين الأخيرة) ولكن عدد المهاجرين من أبنائها ما زال قليلاً ، ولذلك يتعذر على الكثير من أبنائها الحصول على طعامهم ، ويضطر الكثيرون منهم إلى الاستدانة على المحصول الجديد قبل نضجه

موقف بريطانيا

ليست مشاكل الهند الاجتماعيـة والاقتصادية من خلق بريطانيا ومع هذا يلقى الهنود تبعتها دائماً على بريطانيا ويطلبون منها حلها واشتراك أبنائها فى حكم بلادهم . وقد منحت بريطانيا الهنود كثيراً من السلطة الإدارية المحلية عقب الحرب الماضية إرضاء لهم ، فتركت لثمان من ولاياتها الكبيرة شئونهم الداخلية الخاصة بالتعليم والزراعة والصناعة والصحة والأعمال العامة ، وعينت كثيرين من أبنائها حكاماً لولاياتهم ، وأشركتهم فى المجالس التشريعية ، وأنشأت مجلساً للدولة يرأسه الحاكم العام وعدد أعضائه ستون : منهم ١٦ من الهندوكيين و ١١ من المسلمين و ٣ من السيخ و ٣ من الأوربيين والباقى من موظفى حكومة الهند البريطانيين ، وجمعية تشريعية يرأسها كذلك الحاكم العام وعدد أعضائها ١٤٠ منهم ١٠٠ منتخبين ، ولكن حرمت هـذه الجمعيات من بعض الحقوق الهامة فلا تسرى قراراتها المتعلقة بالدين العام وبقوات الدفاع وبالسياسة الخارجية بدون موافقة الحاكم العام

وقد شعر كثير من الهنود أن الحقوق التى نقلت إليهم قليلة الأهمية وبذلك طلبوا من بريطانيا أن تمنحهم الحكم الذاتى وغلا بعضهم فطلب الاستقلال . على أن أى حل لا يرضى مختلف الطوائف سيكون نصيبه الفشل . ويجب أن تنتبه بريطانيا إلى مطالب المسلمين بصفة خاصة وذلك بالنسبة لعظيم عددهم وشدة تمسكهم بمطالبهم .

وقد طار إلى الهنـد أخيراً السير « سترافورد كريبس » ليحاول حل القضية الهندية « وإن ذهابه إليها دليل على أن حكومة بريطانيا وشعبها يعلمان بأن مطالبة الهنـد بأن تكون أمة قائمة على حق » . ونحن نتمنى له التوفيق فى مهمته

أبو الفتوح عطيفة

دفين « لاكُرُونيه »

للشاعر الأرلندى تشارلز وولف

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفه

[لاكرونيه ميناء على الساحل الشمالى الغربى من أسبانيا ، ودفينها هو السير « جون مور » أحد كبار قواد الانجليز فى حرب شبه الجزيرة . وكان قد التقى بالفرنسيين عند هذا الموقع وهو يحاول الارتداد إلى الساحل يوم ١٦ يناير ١٨٠٩م فانتصر عليهم وأوقف زحفهم . . . ولكنه أصيب بقذيفة من مدفع ، ومات متأثراً منها فى مساء اليوم نفسه . وقد احتفل الانجليز بتشييعه — فى منتصف الليل — احتفالا صامتاً مؤثراً ، ودفن تحت أسوار مدينة لاكرونيه ...

أما تشارلز وولف صاحب هذه القصيدة فهو شاعر أرلندى عاش بين عامى ١٧٩١ و ١٨٢٣ م . ولم يعثر من شعره إلا على مقطوعات قليلة ؛ أهمها وأجودها جميعاً هذه القطعة التى كفلت — وحدها — لاسمه الشهرة والخلود]

مضينا بجثمانه إلى القبر حثيثاً ؛ فما دوَّى لطبلٍ صوت ، ولا ارتفع لترنيمةٍ صدى ...

وأودعناه مقرَّه الأبدى فى سكينة وهدوء لم يعكرهما جندىٌّ بقذوف تحية ، أو طلقة وداع .

كان ذلك والليل مظلم الرقعة حالك الجلباب ؛ فما أضاءتْ لنا فيه إلا خيوط من شعاع القمر واهية ، وإلا أقباسٌ متضائلة من مصباحنا الخافت . . .

وقد أضجعناه بثوبه العسكرى الذى مات فيه ، فبدا كجندى يستجمّ بعد طول جهاد ؛ ولم نُردْ أن نوشح صدره أو نلفَّ جثمانه فى هذه الأسمال البالية التى يسمونها الأكفان . . .

كانت صلاتنا عليه قصيرة ومقتضبة ، رتَّلناها فى تأثر وإيمان ؛ أما كلمات الحسرة والألم المألوفةُ فى مثل هذا المقام ، فما فُهْنا منها بكلمة ! !

لقد تعلقت أعيننا فى سكون بهذا الوجه الشاحب ؛ بينا اتجهت بنا الأفكار إلى الغد المجهول فى مرارة وأسى .

كنا نفكر ـ ونحن نشق له لحده الضيق ونمهد له وساداً من التراب ـ فى العدوِّ الذى سيطأ هذا الرفات الطاهرَ بقدميه ؛ والأجنبيِّ الذى سيمرّ فوقه ثانىَ عِطفِه . . . بعد أن نصبح نحن بمنأى عنه فوق أثباج هذا الخَضَم الجائش !

. . . سيتحدثون باستخفافٍ عن روحه الكريمة التى صعدت إلى بارئها ؛ وفوق رفاته الهامد سينبزونه بكلمات ملؤها السخرية والإفحاش ؛ ولكن عبثاً يحاولون تحريكه أو إقلاق سُباته فى هذا المضجع الذى سوَّته له أيدينا بعناية ورفق .

فكَّرنا فى كل هذا . . . ثم أقبلنا نواصل العمل فى مهمتنا الشاقة المؤلمة ، حتى دقّ فجأة ناقوس الخطر مؤذناً بالانسحاب ؛ وسمعنا دوى المدافع التى راح العدوّ يصب قذائفها من مدىً شاسع ... وعلى غير هدى . فأضجعناه فى أناةٍ وحَزَن ؛ ثم انصرفنا وقد أخلينا منه ساحةَ مجده التى ما زالت بدمه مخضوبة ...

لم نخُطَّ على قبره حرفاً ؛ ولم نُقِم فوقه تذكاراً أو نرفعْ نصباً ؛ بل خلفناه فى مضجعه فريداً مستوحشاً . . . وهيهات أن ينفرد أو يستوحش من كان له المجد جليساً ، والخلود صاحباً وأنيساً !

(جرجا) محمود عزت عرفه

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات (الرسالة) مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى في مجلد واحد ٧٠ قرشاً ، و ٧٠ قرشاً عن كل سنة من السنوات : الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة فى مجلدين . وذلك عدا أجرة البريد وقدره خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشاً فى الخارج عن كل مجلد .

المنصورة ...

للدكتور إبراهيم ناجى

بأىِّ معجزةٍ فى الحبِّ نتفقُ ؟
يا قلبُ لا يتلاقى الفجرُ والغسقُ !
يا قلبُ إنا لقينا اليومَ جوهرةً
تكادُ فى ظلماتِ الليلِ تأتلقُ
ظللتُ أسألُ نفسى كيف تعشقها
بقيةٌ من بقايا العمرِ تحترقُ ؟!
وافيتها وفلولُ النورِ داميةٌ ... تطفو وترسبُ أو تعلو فتعتلقُ
لم أدرِ حين تبدَّتْ لى إذا شفقى
أبصرتُه أم على المنصورةِ الشفقُ
يا من منحتِ الأمانى البيضَ معذرةً
إنى بهذى الأمانى البيضِ أختنقُ
أين الهدوءُ المرجَّى فى جوانبها ؟
إنى رجعتُ وليلى كلُّه أرقُ
أقبلتُ أنشدُ أمنًا فى هواكِ بها
فلم أنلْ وتولَّى قلبىَ الفرقُ
لا بالقلوبِ ولا الأرواحِ يا أملى
إنا بشىءٍ وراءَ الروحِ نعتنقُ
ويحى على كفكِ البيضاءِ إذ بسطتْ
عند السلامِ وويحى حين تنطبقُ
هل يسمعُ النيلُ إذ سرنا بجانبه
والموجُ مجتمعٌ فيه ومفترقُ
صوتًا تماوجَ فى روحى فجاوبهُ
من جانبِ القلبِ موجٌ راحَ يصطفقُ
تظلُّ تهبُ أذنى من أطايبه ... كأنها من خفايا الغيبِ تسترقُ
يا جنةً من جنانِ اللهِ أعبدُها ... لن تبعدى ولدىَّ السحرُ والعبقُ

ناجى

الشعاع الغريب !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

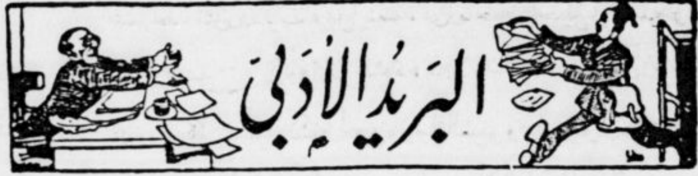
وما أنا إلا شعاعٌ غريبٌ ... تألقَ بين جفونِ الضبابْ
له نفثةٌ من وراءِ السديمِ ... تثيرُ على الأرضِ حزنَ الترابْ
له نشوةٌ فى الأسى والعذابِ ... أما أىُّ خمرٍ بهذا العذابْ !
توهجَ حتى بكاهُ الرمادُ ... وأغفى فجنَّ عليه السحابْ
يلومون فيه اشتعالَ الضياءِ ... وهل يملكُ النارَ قلبُ الشهابْ
تطلَّعَ إشراقُه للسماءِ ... فأوشكَ أن يستشفَّ الحجابْ
وخانته إيماءةٌ للثرى ... فلم يلقَ إلا الدجى والخرابْ
فظلَّ على نارهِ والهًا ... يدمدمُ كالموجِ بين العبابْ
حزينٌ وتضحكُ آهاتُه ... شقىٌّ ويغريه سحرُ الشبابْ
يعيشُ على الوهمِ فى عالمٍ ... يجسدُ للطينِ وهمَ السرابْ !

***

أليلاى ماتَ بقلبى الرجاءْ ... وأبلتْ حياتى الأمانى الكذابْ
وتهتُ فلم أدرِ أنى التفتُّ ... إلى أىِّ أفقٍ أسوقُ العتابْ !

محمود حسن اسماعيل

حكم فى القضية ن ١٢٥٠ عسكرية سنة ٩٤١ ضد مبروكة ابرهيم عبده بغرامة ٢ جنيه والنشر بتاريخ ٢٦ نوفبر سنة ١٩٤١ وذلك لبيعها قمحاً بسعر أكثر من المحدد .



شعر لولي الدين يكن لم ينشر

تربطني بأسرة فقيد الشعر والأدب ولى الدين يكن أواصر مودة وصداقة أثناء إقامتي الطويلة بحلوان معقل اليكنيين في العهد الغابر، وقد كتبتُ في الرسالة سنة ١٩٣٨ عن نجله الشاعر المبدع فولاد يكن الذي لاقت أشعاره الفرنسية إعجاب أدباء فرنسا

وقد آلت إليّ بعض مخطوطات الفقيد وفيها مقطوعات شعرية لم تنشر بديوانه نظمها وهو يعاني شدة الداء، وكان يشكو من الربو، وها هي القطع أنشرها خدمة للأدب:

— ١ —

عمرَ الشباب لقد مضيت محبَّبا وتركت لى عمراً سواك بغيضاً
أُمحى وتثبتني الشقاوة كارها مثل الكتاب يكابد التبييضا
عُوِّدْتُ أمراضي وطول تألمى حتى كأني قد ولدتُ مريضاً

— ٢ —

ترى ماذا وراءك من عجيب إذا فُتِحتَ ياباب المنون
مظاهرك السكون ولكن(١) أما وُلد الحراك من السكون
قد استعصى الرتاج على عقول وقد سُدَّ الطريق على عيون
قصارانا الظنون فما أجزنا مُذ الأعصار ساحات الظنون
وما فى دولة الأرواح روح دنت من عرش سلطان اليقين

— ٣ —

تحيرتُ كم أهفو وكم تتجنبُ وكم أرتضى بالصد منها وتغضبُ
وكم أتلهى بالأمانىّ دونها وكم أدّعيها لى هوى وتكذّب
فهل لى ذنب يصغر العفو عنده أما إنه إن لم يكن فسأذنب
علام أظل الدهر أحمل هجرها تنعّم أيام النوى وأعذبُ
تنام وأبقى ساهراً كل ليلة وترتاح من حمل الهموم وأتعب
وتزداد أنساً حين أزداد وحشة وتنضر فى روض الشباب وأشحب
لئن تك آلت أن تديم تجنباً فإنى سألو أن يدوم التجنب
لها الخير ما يجزى بمثل ما(٢) رأيت ولكن سوء حظى المسبب

(١) و (٢) كذا في الأصل

— ٤ —

(للأنعاديين في إحدى نوبات جنونهم)

إن تندموا ليس يفيد الندم قد قضى الأمر وجف القلم
الله خلاّق الورى عادل فلا يلومن غيره من ظلم
يا أمة يقتلها جهلها جهلُك لا يُشبه جهل الأمم

كامل يوسف

سرقة أدبية

نشرت مجلة الثقافة في العدد (١٧٠) مقالاً بعنوان «عذاب الكاتب» للأديب محمود محمود ... ، وقد قرأته فوقفت عند كل معنى من معانيه موقف المُتشكك المُتحير، إذ شعرت تواً بأني قرأت هذا الحوار منسوباً إلى غيره، ثم ما لبثت أن أدركت أنه منقول بالنص من مسرحية «The seagull» للكاتب الروسي Anton Tchehov، وقد ترجم ترجمة حرفية مع حذف بعض الجمل التي يقتضيها سياق المسرحية من الترجمة الإنجليزية المنشورة في كتاب Three Plays by Anton Tchehov طبعة Penguin من صفحة ٨٣ إلى ٨٦، وليس للكاتب من المقال إلا بضعة أسطر قدم بها هذا الجزء المسروق وتحوير يسير في الخاتمة يحمل نفس المعنى الأصلي

صبحي محمد عبد الخالق

آثار من أولية الشعر

قرأت ما كتبه الأستاذ الفاضل عبد العظيم قناوى في العدد (٤٥٥) من مجلة «الرسالة» الغراء تعقيباً على مقالى (آثار من أولية الشعر في الشعر الجاهلى) فوجدته يرى أن اضطراب قصيدة عبيد في عصر بلغ فيه الشعر آية الجودة لا يتخذ دليلاً على سنة النشوء والارتقاء؛ مع أن وجود هذه القصيدة في العصر الجاهلى كوجود الأعضاء الأثرية في الإنسان الآن؛ فإذا كانت هذه الأعضاء تتخذ دليلاً على سنة النشوء والارتقاء في الإنسان مع بلوغه آية الجودة في الخلق، فكيف لا تتخذ هذه القصيدة في الشعر الجاهلى دليلاً على سنة النشوء والارتقاء. ولا يمنع من ذلك بلوغه آية الجودة التي يذكرها الأستاذ، وإن كان كثير من الباحثين يرى فيه كثيراً من النقص، ويرى أن تقليد ذلك

النقص فيه هو السبب فى تأخر الشعر العربى الآن

وقد ذكر الأستاذ أن عبيداً لم يكن شاعراً بسليقته ، وأن اضطراب شعره يرجع إلى هذه الناحية فيه ، وهذا قد أشرت إليه فى مقالى حين جعلته من الشعراء المتخلفين فى عصرهم ، وهم الذين يتشبثون بآثار الماضى ، ولا يجارون شعراء الطبيعة المجددين ولا يتأثرون بابتكارهم وتجديدهم

أما قياس قصيدة عبيد (أقفر من أهله ملحوب) على محاولات المبتدئين فى عصرنا فقياس غير ناهض ، لأن قصيدة عبيد معدودة من عيون الشعر العربى ، ولم يؤخذ عليها إلا اضطراب الوزن والقافية ، ولم يكن هذا إلا بعد أن استقر أمر الوزن فى الشعر ، وجرى على سنة مطردة لا يشذ أحد عنها . أما فى عصر عبيد فلم يؤخذ عليها شىء من ذلك ، بل كانت تعد فيه آية من آيات الشعر العربى ، وهذا يدل على أن مسألة الوزن لم يكن ينظر إليها فى هذا العصر كما نظر إليها بعد ، ولا يمكن تفسير ذلك إلا بقرب عهده من عصر كان الوزن لا يراعى فيه مراعاة دقيقة ، وكان الشعر فيه أشبه شىء بما نسميه الآن الشعر المنثور . ولعل الأستاذ قناوى يقتنع بعد هذا برأيى فى قصيدة عبيد

وقد ظهر رد آخر على رأيى فى قصيدة عبيد للأستاذ الفاضل محمود عزت عرفة فى العدد (٥٤٦) من مجلة الرسالة ، وهو ينظر إلى تلك القصيدة نظراً يختلف إلى حد بعيد عن الرد السابق ، فيبرئها من كل عيب ، ويرفع من شأن عبيد فى مغالاة ظاهرة ، مع أنى لم أطعن فى قصيدته إلا من جهة الوزن ، وهذا لا يحط قدرها من جهة اللفظ والمعنى ، وعيب الوزن فيها معروف لدى جمهور العلماء ، ولم يأت الأستاذ عرفة فى نقضه بشىء ، وقد ذكر أن بيت عبيد المختل الوزن صحته :

وقالوا هى الخمر تكنى الطلا كما الذئب يكنى أبا جعده

ولكن هـذه الرواية غير متفق عليها ، ومن الجائز ان تكون محاولة من بعض الرواة لتصحيح وزن البيت ، على أن الأستاذ عرفة يكاد يتفق معى فى أن قصيدة عبيد يجوز أن تكون على وزن أو أوزان هجرتها العرب فى أواخر جاهليتها

ومما ألاحظه على كلا الردين أنهما لم يتعرضا لرأيى فى الإقواء ونحوه من عيوب القافية ، والأمر عندى لا يقف فى هذه الآثار عند الحد الذى ذكرت ، بل يتعداه الى ماحذفه الخليل عند تدوين العروض من الأوزان الشاذة ، فلا شك عندى فى أن هذه الأوزان كانت تمثل كثيراً من أولية الشعر ، وأنها لو وصلت إلينا لعلمنا منها ما له قيمة كبيرة عن حال هذه الأولية المجهولة

عبد المتعال الصعيدى

النهضة الأدبية فى السودان

من أبرز الأشياء التى تبدو للناظر فى نهضة السودان الحديثة وتتمثل أمام رواده وزواره هو شيوع الروح الأدبى وازدياد النشاط الفكرى ، ففى كثير من مدنه وعواصمه عدد من الجمعيات الأدبية يعنى عناية خاصة بدراسة الأدب العربى ومسايرة النهضة الفكرية فى العالم العربى المتوثب ، وتتبع حركته الأدبية ، واستعراض الآراء القديمة والحديثة فيها ، ثم بحثها واستخلاص نتائجها . لذلك لم يمض موسم من مواسم الأعياد الدينية إلا وتقام أسواق الأدب فى رحاب الأندية التى لم تخل إحداها من جمعية أدبية حتى الأندية الرياضية بجانب كل منها جمعية آداب . وفى « أم درمان » العاصمة الوطنية وكبرى مدن السودان يتجلى النشاط الأدبى فى أروع معانيه وأسمى روحه . و « نادى الخريجين » وهو أكبر أنديتها مسرح لملتقى الأقلام ومعرض لدراسات الآداب العربية ، وبه يقام المهرجان الأدبى السنوى العام تستعرض فيه صور من الإنتاج الأدبى فى خلال العام ، ويستخلص منه ما وصلت إليه العقلية السودانية من بحوث . وقد اشترك فيه بعض كبار الأدباء المصريين فى دورته الأخيرة منهم من اشترك بنفسه ومنهم من اشترك بقلمه ، فأدوا بذلك واجب مصر الأدبى نحو السودان ، وما ثقافة السودان إلا قبس من الثقافة المصرية ، وما أدب السودان إلا صورة من الأدب المصرى .

يقتنص نادى الخريجين كل فرصة ليقيم فيها سوقاً أدبية ، والأعياد الدينية هى أهم المواسم لديه . ففى عيد الأضحى يجتمع المؤتمر السودانى العام لبحث مختلف الشئون السودانية ؛ وفى مقدمة بحوثه الناحية الأدبية . وفى عيد الهجرة الاجتماع الأكبر لجمع أموال التعليم الأهلى وتوجيهاته ، وهو سوق عظيمة للأدب لما يقال فيه من شعر ونثر . وفى عيد الميلاد النبوى يقام

مهرجان كبير لهذه المناسبة يتبارى فيه الخطباء والشعراء بما تجود به قرائحهم وما يجيش فى صدورهم . وفى عيد الفطر يقام المهرجان الأدبى السنوى العام الذى تقدم ذكره وهو أشبه بسوق عكاظ . وقد كان منتظراً أن يحضره الأستاذ الزيات ، والدكتور زكى مبارك ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، وفاء بما وعدوا به لجنة المهرجان فى دورته الأخيرة ، ولكن جدت ظروف خاصة حالت دون حضور هؤلاء الأعلام الذين لهم منزلة عظمى فى قلوب الشباب السودانى المثقف ، فلعل الفرص تسنح لهم ولغيرهم من الأدباء بحضوره

وتعتبر مجلة « الرسالة » من أكبر المصادر الموجهة للشباب السودانى فى الناحية الأدبية ، وهى واسعة الانتشار يقتنيها كل مثقف ، ولصاحبها مكان رفيع فى المجتمع السودانى وهو لا يدرك مقدار ما يحمله له الشباب السودانى من حب وولاء ، وما يحفظونه له من إجلال وإكبار ، إلا بعد أن يشرف السودان فيرى ويسمع ذلك نفسه

عبد الرحمن الصائم

أذاعوا به

كتب إلىّ الأديب محي الدين مسلاتى من حلب ما يلى :

« جلست إلى المذياع أستمع حديثكم القيم من محطة القدس وقد استرعى انتباهى من ذلك قولكم : « وبلغتهم دعوة صاحب (الرسالة) — فأذاعو بهـا — وتناقلوها بينهم سراعاً ... » ؛ وإن ما أعلمه أن يقال : « أذاعوها » لا « أذاعوا بها » ؛ فهل لأستاذى الكريم أن يتفضل فيبين ما يستند إليه فى هذه الصيغة »

وجوابى : أنه ليس هنالك فيصل يحتكم إليه الناس فيما استغلق عليهم من أمر هذه اللغة أصدق من كتاب الله تعالى ، وفيه يقول :

(وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف « أذاعوا به »)

(شرق الأردن) **محمد سليم رشدان**

١ — تزوج منها خطأ

تكرر فى قصة « العقاقير المخدرة » : (العدد ٤٤٧) استعمال « تتزوج منه ، والزواج منه ، وأتزوج منك » وهو خطأ ؛ قال فى « المصباح المنير » : زوجت فلاناً امرأة — يتعدى بنفسه إلى اثنين — فتزوجها ؛ قال الأخفش : ويجوز زيادة الباء فيقال : « زوجته بامرأة » ؛ وقد نقلوا أن أزد شنوءة تعديه بالباء ؛ وقول الفقهاء : « زوجته منها لا وجه له » ؛ وفى نسخة من التهذيب : « زوجت المرأة الرجل » ؛ ولا يقال : « زوجتها منه »

٢ نصب الراية

قال الأستاذ كوركيس عواد فى العدد (٤٥١) : « نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية للزيلعى — نشرته مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن فى الهنـد » . والناشر هو المجلس العلمى بدابهيل فى الهنـد ، وطبع فى القاهرة فى ٤ مجلدات ، وفى صدره مقدمة ضافية للأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثرى

محمد أبو البهاء



الحـــزن

قصة من القصص الشعبي لسكان جزيرة بورنيو

مترجمة عن الانجليزية

بقلم الأستاذ ابراهيم عبد الحميد زكي

عند ما أراد الروح الأعظم بفضله وكرمه أن يجعل الإنسان على الأرض، ويخلقه على صورته التف حوله الملائكة في غبطة وسرور، وتوسل إليه كل منهم أن يجعل له نصيباً في هذا العمل الجليل. فسر الروح الأعظم لهذا الحب والإخلاص كل السرور وحقق لهم ما يرغبون

ثم حدث ذات يوم أن عم الحبور أرجاء الكون، وتجاوبت أنحاؤه بأصوات الموسيقى؛ وغنت الملائكة أغنيات الفرح وترددت النغمات العذبة في كل مكان: في الأنهار والأشجار والأزهار، وكيف لا يحدث ذلك وقد شاءت إرادة الروح الأعظم في هذا اليوم أن ينفخ نسمة الحياة وروح الخلود في قطعة الطين التي اشتركت الملائكة في صنعها على صورته

على أن ملاكاً واحداً — وهو ملاك الحزن — لم يشترك في هذا العمل المجيد ولم يكن له في السرور نصيب. ذلك لأنه قضى أيامه كلها يبكي حسرات على مياه الأمطار التي كانت تتساقط دواماً في البحار. فلما نظر الروح الأعظم إليه وجده غارقاً في دموعه، فأراد أن يخفف عنه فقال له: لا تبك! إن كنت تود أن يكون لك نصيب فيما خلقت فسأمنحك ذلك. لقد تأخرت قليلاً وها هو ذا الإنسان قد تم خلقه وتكوينه، ولا يمكن أن نرجع في هذا، ولكن انظر! إنه ما زال غضاً طرياً؛ فتقدم واجلس إليه، وكن حارساً عليه، وامنع عنه كل ما يشوهه، أو ينقص من كمال صنعه

فابتسم ملاك الحزن لهذا الفضل العظيم، إذ أي فضل أعظم من رعاية هذا الصنع الجميل ووقايته من كل شر وتشويه

وجلس الملاك إلى جانب الطين اللين وقد عرض لأشعة الماتاهاري (عين النهار أي الشمس) ليمتص منها حرارة الحياة ودفئها وأخذ يرقبه في عناية وحذر خشية أن يحدث له ما يؤذيه

ومر الزمن فأحس ملاك الحزن بالوحشة وآلمته الوحدة فراح يحدث نفسه على هذا النمط: لم يعاملني الروح الأعظم على كل حال معاملة عادلة. لماذا لم ينتظر عودتي قبل تكوين الإنسان وخلقه؟ وأي فخر وأي مجد يعود علي من الجلوس هنا أرقب شيئاً قد تم صنعه وكمل تكوينه؟ وهل يوازن هذا بالاشتراك الفعلي فيه كما اشترك إخواني الملائكة الآخرون؟؟

واختفت حينئذ البسمة التي علت وجهه من قبل، ووضع وجهه بين كفيه، وانهمرت دموعه على خديه، ونسي بذلك ما عهد إليه من حراسة الإنسان، فتساقطت الدموع كالمطر على الجسم الذي كان قد بدأ يجف، وعندئذ علق الغبار بمواقع الدموع، واستقرت بها الحشرات فشوهت الصنع الكامل الجميل

وجاء الروح الأعظم بعد ذلك بأيام قلائل تحف به الملائكة من كل جانب ليشهدوا مدى التقدم الذي أصابه الخلق الجديد؛ فلما رأوا ما فعل الحزن به لازموا الصمت، إلا ملكا واحدا هو ملاك العطف والحنان، فإنه لم يكد يرى الفساد الذي أحدثه إهمال أخيه حتى أجهش بالبكاء، وأسرع إلى الجسم يزيل ما علق به من غبار، ويرفع ما استقر به من حشرات

وقضى على ذلك أياماً طوالاً يحدوه الحب وتدفعه الرحمة حتى أتم عمله، وأصلح ما أفسده أخوه. فناداه الروح الأعظم وقال: ما أرفع مكانك، وما أجل شأنك في الخلق! لن يستطيع إنسان قط أن يقدرك حق قدرك. لتكن مباركاً مني. إذهب لتأدية رسالتك، فابك مع البائسين، وافرح مع السعداء المغتبطين، ومهد الطريق للمجهدين المتعبين، وخفف العبء عن الذين أثقلت كواهلهم مشقات الحياة. أما أخوك ملاك الحزن فلا مكان له في السماء ولا نفع منه في الأرض ... أنظر! ماشوه عملي العظيم إلا هو.

(الاسكندرية) ابراهيم عبد الحميد زكي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10 me Année No. 458

Lundi - 13 - 4 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٥٨ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٧ ربيع أول سنة ١٣٦١ — الموافق ١٣ أبريل سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

على محمود طه

« أرواح وأشباح »

على الضفة الشجراء من مصيف المنصورة عرفت «على طه» ، وعلى هذه الضفة الخضراء من مَرْبعها قرأت « أرواح وأشباح » . وكان بين اللُّقية الأولى للصديق وبين القراءة الأخيرة للشاعر إحدى وعشرون سنة

كان حين عرفته فى إبّان شبابه ، وكنت حين عرفني فى عنفوان شبابى ؛ وابن آدم فى هذه السن ربيعٌ من أربعة الفردوس لا يُدرك بحدود الشعور ، ولا يوصف ببلغة الشعر ؛ فهو منضور الخِلقة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيِّلة ، لا يَنشد غير الحب ، ولا يبصر غير الجمال ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى يُنشدها الدهر ويرقص عليها الفَلك

وعلى ذلك كنا أيام تعارفنا وتآلفنا : هو على حال عجيب من مَواسِّ الهوى وملابسها من ألوان وصور ، وأنا على عهد قريب من ترجمة (آلام فرتر) وما سايرها من أحلام وذِكَر !

قال لى صديق « حسين » ونحن عائدان من نزهتنا اليومية في الشقة الخلوية من شارع البحر :

« مِل بنا إلى قهوة (متيو) أعرفك بشاب من ذوى قرابتى يرضيك خلقه ، ويطربك حديثه ، وقد يعجبك شعره »

وكان شارع البحر كما هو اليوم متنزه المدينة ؛ وكان نصفه

الغربى لا يزال يومئذ مخطوطاً بين النيل والحقول ، فلا ترى على جانبيه غير تماصٍ القصب ، ومشارب الكازوزة ، وعريشة من عرائش الكرْم وألفاف الشجر تتفيأها هذه القهوة

دخلنا القهوة فوجدنا فى باحتها بعض الإغريق ، وعلى إحدى مناضدها المنعزلة فتى رقيق البدن شاحب الوجه فاتر الطرف ، ينظر فى سكون ويقرأ فى صمت . فلما رآنا هشّ بقريبه ورفّ لى ، ثم كان التعارف . وطارحناه طرفاً من الحديث ؛ ثم طلب إليه صديقى أن ينشدنا بعض شعره ، فنشط لهذا الطلب وارتاح كأنما نفّسنا من كربه ، أو خففنا من عبئه ؛ ثم قال فى سذاجة الريفى ووداعة الطفل : « نشرت لى جريدة (السفور) هذه القصيدة وقدمتها بهذه الكلمة » . ثم أدى المقدمة عن ظهر الغيب وهمّ بإنشاد القصيدة . وكنت حين ذكر السفور قد أصغيتُ سمعى وجمعتُ بالى ، فلم يكد يفرغ من سرد المقدمة حتى صحت به :

— أأنت صاحب هذه القصيدة ؟

— نعم

— وأنا صاحب هذه المقدمة

— عجيب ! !

كان ذلك فى سنة ١٩١٨ ؛ وكانت جريدة السفور يحررها يومئذ الأعضاء الأصدقاء من لجنة التأليف والترجمة والنشر ؛ وكان النظر فيما يرد على الجريدة من الشعر موكولاً لصديقى الأستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق ، ولى ؛ فأتى إلينا البريد فيما أتى هذه القصيدة غُفلاً من الإمضاء ، فقرأناها للاختيار ، ثم قرأناها للاختبار ، فوجدنا قوة الشاعر الموهوب تطغى على ضعف الناشئ البادئ ، فضننا بها على السّل ، وصححنا ما فيها من الخطأ ، وقدمت لها ببضعة أسطر تنبأت فيها بنبوغ الشاعر ، ونصحت له أن يرفد قريحته السخية بمادة اللغة وآلة الفن ، وأخذت عليه أن يُكره قيثاره المرح على النغم الحزين واللحن الباكى وهو لا يزال فى روق الشبيبة كما يقول شعره

ثم تتبعت بعد ذلك علياً : تعقبت آثاره ، وتعرفت أطواره ، وتقصيت أشعاره ، فإذا الفراشة الهائمة فى أرباض المنصورة ورياض النيل ، تُصبح « الملاح التائه » فى خضم الحياة ، و « الأرواح الشاردة » فى آفاق الوجود ، و « الأرواح والأشباح » فى أطباق اللانهاية ! وإذا الناشئ الذى كان يتخشب الشعر ويتسمّح فيه ، يغدو الشاعر المحلق بجناح الملك أو بجناح الشيطان ، يشق الغيب ، ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة بالناس ، ويقضى بين حواء وآدم !

« أرواح وأشباح » هى ملحمة الرجل والمرأة ، وقصة الفن والوحى ، وحوار الجسد والروح ، وأنشودة الشباب والحب . سما فيها الأستاذ « على طه » إلى غاية من الفن قل أن بلغها شاعر

هى حادث جديد فى حياة الشعر المصرى لا يزكو بالنقد الأدبى أن يهمل الاحتفال بتسجيلها فى تاريخ الأدب . وهى قصيدة من النمط العالى لا تحك معدنها فى أية حلقة من سلسلتها إلا ثبتت على المحك ؛ فهى فى الصياغة مشرقة البيان منتقاة اللفظ ، وفى التفكير واضحة المنهج سديدة المنطق ، وفى التخيل بعيدة الغاية قريبة المأخذ . وأشهد أنى قليل الاهتزاز لأكثر الشعر وأكثر الغناء ؛ ولكن « أرواح وأشباح » هزت نفسى هزاً شديداً ، فكنت أطيل الوقوف عند كل رباعية ، وأديم النظر فى كل بيت ، أتذوق جمال صياغته برفق ، وأستجلى سر بلاغته فى أناة . وإن « الحية الخالدة » و «الفنان الأول » و « حواء » لمن الروائع التى تطول على مقاييس النقد وتدخل فى منتخبات الخلود

على أن أسلوب هذه الملحمة ليس بدعاً من أسلوب على طه ؛ فإن الصفات الغالبة على أسلوبه كله هى الوضوح والأناقة والسهولة والسلامة . ومرجع ذلك فيه إلى ثقافته الرياضية . وليس كالعقل الرياضى شكيمةٌ للخيال الجموح يُسلس بها ويُصحِب . وما دام الخيال فى قيادة المنطق طار بالفكرة فى أجواء مشرقة لا سحاب فيها ولا ضباب ، فتتميز الألوان وتتحدد الخطوط وتتبين الصور . أما الخيال الشعرى الجامح ، فهو كالحب الصوفى الجامح ، لا يجد اللفظ الذى يُسفر ، ولا العبارة التى تُبين . إنما هى « شطحات » وراء الفكر لم تتضح فى الشعور ولم تستقم فى الذهن ، يحاول الشاعر أن يعبر عنها بالمجازات البعيدة والرموز الخفية ، فيغرب ولا يُعرب ، ويشير ولا يَدل

***

إن من عادتى فى هذا المكان من (الرسالة) ألا أجامل فى سياسة ولا أدب . وربما كان من الخير فى هذه المرة أن أدافع الظنون عن هذه العادة بذكر الحكم مؤيداً بأسبابه ، وكان ذلك يقتضى تحليل القصيدة إلى عواملها البلاغية ، ولكن الكتاب فى أيدى القراء ، والتنبيه على مواضع الجمال فيه اتهام للأدباء !

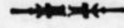
(المنصورة) احمد حسن الزيات

اجتماع الملائكة

فى مسجد الفردوس

للتحدث فى نكبة آدم الجديد

للدكتور زكى مبارك



سمع الملائكة بما صار إليه أمر آدم ، وعرفوا أنه سيقدم للمحاكمة بلا تسويف ، وترامى إليهم أنه قد يتخذ منهم شهوداً على براءته من تهمة العصيان . فاجتمعوا بمسجد الفردوس ليتشاوروا فيما يليق بهم أن يصنعوه إن دُعى فريقٌ منهم للشهادة فى ساحة العدل ... فما الذى دار من الأحاديث فى ذلك الاجتماع ؟

قبل أن ندون هذا المشهد نذكر أن شيث بن عربانوس يدير كلامهُ على أساس يخالف ما تعارف عليه جمهور المؤرخين ، فهو لا يرى أن آدم صاحب حواء كان أول آدم ، وإنما سبقته أوادم تعد بالمئات أو بالألوف . وسنرى كيف يحدثنا أن آدم حين هبط الأرض وجد فيها جماجم بشرية تشهد بأن الأرض سُكنت قبله بأمم لا يعرف أخبارها غير علام الغيوب

وقد هالنى هذا الرأى ، فمضيت أستفتى المؤلفات الإسلامية لأعرف حظه من الصحة أو البطلان ، فماذا وجدت ؟

رأيت من يحكم بأن فى قول الملائكة : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » دليلاً على أنهم رأوا قبل ذلك أجناساً آدمية تفسد فى الأرض وتسفك الدماء . ورأيت من يجعل « الخليفة » فى قوله تعالى : « إنى جاعل فى الأرض خليفة » آدمَ جديداً يخلف الأوادم القدماء (1)

ومع أن هذه الأقوال لا تستند إلى نصّ قطعىّ الثبوت والدلالة — كما قال أستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار ، رضى الله عنه وأرضاه — فهى تؤيد مذهب شيث بن عربانوس ، أو تجعله مذهباً لا يتأثم الباحث من الاعتماد عليه وهو يقص أخبار آدم الرسول

والحق أن عبارة القرآن وعبارة التوراة صريحتان فى أن آدم صاحب حواء هو أبو البشر . وعبارة القرآن أصرح فى هذا المعنى ، فالمألوف فى أسلوب القرآن أنه ينهى كل نبى عن الوقوع فيما وقع فيه من سبقوه . ولو أن آدم كان سُبق بأمم بائدة لقص الله عليه أخبارها كما صنع مع سائر الأنبياء ، فلم يبق إلا أن نعدّ شيث بن عربانوس مسئولاً عن القول بأن آدم صاحب حواء ليس أول إنسان شهد هذا الوجود

ويظهر أن كتاب شيث كان معروفاً فى بعض البيئات الإسلامية قبل أزمان طوال ، فقد رأينا أبا العلاء المعرى يقول :

جائزٌ أن يكون آدمُ هذا قبلهُ آدمٌ على إثْر آدم

ويقول :

وما آدمٌ فى مذهب العقل واحداً ولكنه عند القياس أوادمُ

ويقول فى شىء من الُخبث :

قال قومٌ ولا أدينُ بما قا لوهُ : إن ابن آدمٍ كابن عِرسِ
جَهِلَ الناس من أبوه على الدهـ ـر ولكنه مسمًّى بحرس
فى حديثٍ رواه قومٌ لقومٍ رهنِ طِرسٍ مستنسَخٍ إثرطرس

ولعل « الطرس » الذى عناه أبو العلاء هو كتاب شيث ابن عربانوس واسمه « تاريخ البشرية » وإن لم نجد فيه ذلك الاستهزاء البغيض

وقد أسرف أبو العلاء فى الغض من شأن آدم حين يقول :

قالوا وآدمُ مثلُ أوبرَ ، وابنُهُ كبنانه ، جَهِلَ امرؤٌ ما أوبرُ

وهو قول لا يعتمد على بينة ولا برهان . وأسخفُ منه زعم فريق من قدماء الهنود بأن آدم كان عبداً من عبيدهم ثم هرب إلى العرب ، ولم يَعد إليهم إلا حين أثقلته تكاليف الأبناء !

وبهذه المناسبة أقول : كان المرحوم مصطفى كمال زعم أن آدم وحواء من أصل تركىّ ، وقد أزعجنى هذا الزعم الفظيع ، فكتبت إليه خطاباً أثبتّ فيه أن آدم وحواء من أصلٍ عربىّ ، بشهادة الاشتقاق ؛ فآدم على وزن أفعل ، من الأُدمة وهى السُّمرة المشَبهة بالسواد ، وحواء على وزن فعلاء ، من الُحوّة وهى سمرة الشفتين ، ثم رجّحت أنهما من أهل نجد ، بدليل ما فى أشعار آدم من الإقواء . وقد انتظرت أن يجيبنى مصطفى كمال — غفر الله له —

(1) آدم فى هذه العبارة ممنوع من الصرف للوصفية ووزن الفعل ، فسنرى بعد قليل أن هذه اللفظة عربية الأصل

ولكنه لم يفعل . فسألت بعض الأتراك المقيمين بالقاهرة فأخبرونى أن مصطفى كمال لم يكن يقبل الاطلاع على خطاب مكتوب بالحروف العربية بعد أن فرض على قومه جميعاً أن يكتبوا بالحروف اللاتينية

ما لى ولهذا ؟ إنما أريد أن يعرف قرائى أن كتاب شيث يقوم على أساس القول بأن آدم سبقته أوادم ، ليعرفوا كيف اشتجر الملائكة وهم ينظرون فيما صار إليه بعد العصيان

فى مسجد الفردوس

تنادَى الملائكة للاجتماع فى مسجد الفردوس ، فحضر فريق وتخلّف فريق ، وكانت حجة من تخلفوا أنهم أبدوا رأيهم فى آدم قبل أن يُخلَق ، فهم لا يحبون التدخل فى أمر مخلوق شرس لا يرضيه إلا أن يكون الوجود مسارح شقاق ونضال وصيال . وقد خلقه الله برغم رأيهم فيه ، فليصنع الله به ما يشاء . فهو المنتقم وهو الغفور !

ورأى الذين حضروا أن يصلّوا قبل الكلام فى قضية آدم ، لتزداد نفوسهم صفاء إلى صفاء ، فيسلموا من أوضار التطاول والإسراف ، فما يجوز أن يجلس أحدٌ مجلس القضاء إلا بعد الصلاة والقُنوت ، وبعد التحرر من شوائب الأهواء !

أحد الملائكة — هل ترون أن يكون لهذه الجلسة رئيس ؟

ملك آخر — إنما هلك الآدميون بسبب الرؤساء

ملك ثالث — كنت أحب أن تقول بسبب استبداد الرؤساء أو تناحر الرؤساء ، فالرياسة مأخوذة من الرأس ، وهو فى العرف مجتمع العقل ، فمن الواجب أن يكون لكل جماعة رئيس !

— ولكن ما حاجتُنا إلى رئيس ؟ !

— لينتظم الكلام عند اشتجار الجدال

— لا يحتاج المتكلمون إلى رئيس إلا حين تغلب عليهم شهوة الثرثرة ... إن وجود الرئيس هو فى ذاته شهادة بضعف المجتمع الذى يحتاج إليه ، ولو أدّى كل مخلوقٍ واجبه تأديةً صحيحة لتساوتْ أقدار المخلوقين . ولن تنجح أمة إلا حين يصبح كل فرد من أفرادها وهو مرءوسٌ لعقله ورئيسٌ على هواه . وقد حمانا الله من الأهواء فلن نحتاج إلى رئيس . وعلى هذا أرجو أن يدور الكلام بلا ترتيب ولا تنسيق ، على أسلوب الغابات لا أسلوب البساتين

— ماذا تريد ؟

— أريد أن يكون كلامنا طبيعيًّا على نحو ما تكون الغابة ، ولا أريد أن يكون منسَّقاً على نحو ما يكون البستان ، فالفطرة فى الغابات أقوى من الجمال المصنوع فى البساتين

ثم دار الحديث على الصورة الآتية بلا تمييز بين الآراء[1] :

— أرأيتم كيف صحت فِراستُنا فى آدم فعصى ربَّه وغوَى ؟

— تريد الرجوع إلى التاريخ القديم يوم حاورنا الله فى خلق « آدم » ؟

— هذا ما أريد

— ولكن فاتك أن مضغ حوادث التاريخ عملٌ ضائع ، فآدم خُلِق بالفعل ، وهو شرٌّ موجود ، أو خيرٌ عتيد ، والمهم هو أن نحدد موقفنا بالنسبة إليه

— نحن من نور وهو من طين

— ولكنه أحدثَ فى الجنة زلزلة لن نستطيع مثلها أبداً ، وستجعل له مكانةً فى التاريخ

— تحسده على ذلك ؟

— ومن أحسد إذا لم أحسد آدم ؟ فنحن جميعاً موكلون بعدّ ما له وما عليه ، مع أنه خُلِق من طين ، فهل تكون للطين فاعلية يخفَى علينا سرها المكنون ؟

— إن تحقير الطين بدعةٌ أذاعها إبليس اللعين ، ويكفى الطينَ شرفاً أنه أصل آدم

— وآدم مخلوقٌ شريف ؟

— بالتأكيد

— وبرغم العصيان ؟

— أى عصيان ؟

— الأكل من شجرة التين

---

(١) معنى ذلك أن الحوار الآتى لن يكون دائماً بين شخصين ، وإنما هو حوار مرسل يقول فيه كل ملك ما يريد ، ومجموع أقوال الملائكة يصور فى جمله آراءهم المختلفة فى نكبة آدم الجديد

— إنما أراد الله أن يأكل من الشجرة المحرمة لنجد عملاً ، ولو نزَّه الله آدم عن المعاصى لبقينا بلا أعمال . وهل يعيش القضاة والمحامون والشهود إلا بفضل انحراف الناس عن سواء السبيل ؟

— إن رأسى يدور من هول ما تقول

— وهل قلت غير الحق ؟ إن آدم هو مصدر الفاعلية فى جميع أرجاء الوجود ، ومن أجل ضلاله وهداه تُنصب الموازين

— نحن مقبلون على متاعب جديدة بسبب آدم الجديد

— وهل أنت راض عن الراحة التى عانيناها بعد انقراض آدم القديم ؟

— شكراً لك ، أيها الرفيق ، فقد خطر فى بالى مرةً أن الله قد يسرِّح جيوش الملائكة بعد انقضاء مهمتهم فى مراقبة السلالات الآدمية

— أخطأتَ أخطأت ، فما كنا جنود شرطة ولا جنود استطلاعات ، وإنما خُلقنا للتسبيح والتقديس

— خُلقنا للتسبيح والتقديس ؟ يظهر أنك لم تفهم السخرية الملفوفة فى قوله تعالى : « إنى أعلم ما لا تعلمون »

— وكيف سَخِر الله منا بهذه العبارة ؟

— حين عقّب بها على قولنا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك » فهو لا يرى التسبيح والتقديس أفضل من الإفساد وسفك الدماء ، بدليل أنه سكت عما اتهمنا به الطبيعة البشرية

— تأدبْ أيها الملَك ، فأنت فى غفلة عما يعنيه صاحب العزة والجبروت ، ولو قضيت دهرك فى الاستغفار لعجزت عن محو هذا التطاول المقوت

— أريد أن أعرف كيف لا يكتفى الله بالتسبيح والتقديس ؟

— وما حاجة الله إلى التسبيح والتقديس من أقوام لا تعتلج فى صدورهم معانى الكفر والإيمان ، والشك واليقين ؟ إنما يرضى الله عن تسبيح من يهتدى بعد ضلال ، ويؤمن بعد كفران

— إن رأسى يدور من هذا التخريج

— سَلِم رأسك إن كان لك رأس ، أيها الشرطيُّ الذى يريد الإقامة بمنطقة ليس فيها خلائق

— أنفهم من هذا أن البشر أفضل منا ؟

— لك أن تذكر أن الله يعاقبهم بالانقراض ، ثم يتلطف فيخلقهم من جديد ، لحكمة سامية ، وكيف يغيب عنك المعنى الذى استوجب خلق آدم الجديد فى الفردوس ؟

— كنت أحب أن أعرف هذا السر العجيب

— خلقه الله فى الجنة ليأخذ فكرةً عن النظام والترتيب والعدل ، وليكون له مَثلٌ أعلى يدور حوله حين يقيم مملكته الجديدة فى الأرض . ولو أن الله أنشأ الأوادم القديمة هذه النشأة لقلَّ بغيُ بعضهم على بعض وسلموا من آفة الانقراض

— غضبة الله عليهم ، فما كانوا إلا وحوشاً فى ثياب ناس !

— هل تذكر بعض أعمالهم القباح ؟

— أعمالهم القبيحة تفوق العد والإحصاء ، ولكنى أرجح أن الله لم يعاقبهم بالهلاك إلا حين عاملوه بما لا يليق

— وكيف ؟

— كانوا يضيفون إليه أوامر ونواهى لم ينزل بها وحى ، ولا صَدَرتْ عن شرع ، ليسوموا رعاياهم سوء العذاب ، باسم الله وهم كاذبون

— كما صنع آدم الجديد ؟

— آدم الجديد لم يصل إلى ذلك الدَّرَك ، فقد عصى الله عن جهل

— إنما عصاه عن حذلقة

— وما حذلقة آدم الجديد ؟

— قال الله : « لا تقربا هذه الشجرة » فترك « هذه الشجرة» بعينها ثم قرب شجرة من ذات الجنس ، وهو يتوهم أن فى هذه الحذلقة ما ينجيه من العقاب

— إن آدم حيوان لئيم ! !

— وبلا عقل ، فلو كان يعقل لأدرك أن الله لا تخفى عليه خافية من حِيل الفقهاء ، وسنرى كيف يدافع غداً عن إثمه فى ساحة العدل

— لا يَبعُد أن يرضى الله عن بلاغته وهو يصوِّر الدميم بصورة الجميل

— الجمال فى نظر الله هو الحق ، وذلَّ من زعم أنه يستطيع

مخادعة الله ، هلك آدم القديم بسبب الحذلقة الفقهية ، وسيهلك آدم الجديد بسبب الحذلقة الفقهية . وسنقول فيه كلمة الحق والصدق إن دُعينا للشهادة فى ساحة العدل

— تذكر أنه صاحب حواء !

— ماذا ؟

— آدم الجديد هو صاحب حواء

— لا أفهم ما تريد أن تقول

— أريد أن أقول إن آدم لن يهبط الأرض إلا ومعه حواء

— وتظن أننا نزور الشهادة من أجل حواء ؟

— أنا لا أدعو إلى تزوير الشهادة ، وإنما أدعو إلى الترفق بمن يملك امرأة جميلة

— بهذا هلك بنو آدم الأول ، فقد كان فيهم من يخالف أمة تعادى أمته من أجل وجهٍ جميل ، والجمال سهم يصيب صدر الأسد الرابض فى حمى العرين

— وما رأيك فى الملَك الذى نظّم باقةً من أزهار الفردوس ليتحف بها حواء ؟

— كان ذلك بوحى الله

— إنما كان ذلك بوحى الجمال

— هذا تخريج لا أرضاه

— إنما هو حساب يساق إليك

— الآدميون الأغبياء يهيمون بالجمال ، فكيف يعاب علينا أن نهيم بالجمال ؟

— ومن أجل الجمال عصى آدم ربه طاعة لحواء ، أفلا يستحق العطف ؟

— سأنظر فى هذه القضية

— العجيب أن تُخلَق بلا شهوات ثم تهيم بحواء ، فما حال آدم المظلوم فى حب حواء وهو مخلوقٌ موقَر بأوزار الشهوات ؟

— نهاه الله عن الانخداع لحواء وما نهانى

— كان الظن أن تفهم أن النهى لا يوجه إلا لمن تغيب عنهم دقائق الأدب الرفيع

— أتتهم الملائكة بالغباوة ؟

— أتهمك وحدك

— أنا ملكٌ مِثلك

— لن تكون مثلى إلا حين تعترف اعترافاً صريحاً بأن الجمال يزيغ البصائر والعقول

— ولن أعترف إلا إذا سمح جمهور الملائكة بأن أتهم الله بالغَرَض

— ماذا تريد ، يا زنديق ؟

— أريد القول بأن الله خصّ حواء بأشياء

— لتحلو فى عينى آدم ، لا فى عينيك

— أمركم عَجَبٌ من العجب ، أنتم تعرفون أن الجمال فى ذاته شريعة أزلية ، ولا ينظر إليه إلا أصحاء القلوب ، كالشمس لا ينظر إليها إلا أصحاء العيون ، ونحن مطالبون بالنظر إلى جميع ما فى الوجود ، لنزداد يقيناً إلى يقين ، فكيف يجب النظر إلى زهرة نضيرة ولا يباح النظر إلى وجه جميل ؟

— اترك هذه الفلسفة وحدِّد رأيك فى آدم

— هو من المذنبين

— لأنه غريمك فى حواء ؟

— غريمى فى حواء ؟ كيف ؟ وهل جُنِنْتُ حتى أهيم بمخلوقة لا تملك غير عينين نجلاوين ، ولا تعتزّ بغير قدها الرشيق وأنا أعرف أنها سرقت سواد عينيها من عيون الظباء ، ونهبتْ مرونة قدها من أعواد البان ؟ أنا أحب مخلوقةً مقتولة اللحظ ، مبحوحة الصوت ؟

— هى سبب نكبة آدم فلتهبط معه إلى الأرض

— يهبط وحده ، وتبقى حواء ، فما عددت عليها ذنباً يستوجب العقاب

— هذا ما أردنا أن نصل إليه ، فقد زعم خصومك أنك لم تراع الأمانة فى عدّ أعمال حواء

— إسمعوا ، أيها الملائكة ، إسمعوا ، هل تظنون أن الله يحتاج إلى من يعدّ على عباده الذنوب ؟ إنه عزّ شأنه يعلم من سرائر القلوب ما لا نعلم ؛ وهو لم يوكّلنا بعدّ الأعمال إلا ليختبر ما نحن عليه من الأدب والذوق ، فهو يبغض أن نكون جواسيس ، وهو يرجو أن نتخلق بأخلاقه فنتغاضى عن أشياء

— وهل يتغاضى الله عن أشياء ! !

— لو حاسبَ الله مخلوقاته بالعدل الحاسم لأهلك طوائف من الملائكة والناس

— من الملائكة ؟

— نعم ، من الملائكة ، الملائكة الذين يتعقبون رفيقاً من رفاقهم فيأخذون عليه أنه قدَّم باقةً من الزهر إلى حواء !

— لا تنس أنهم الملائكة الذين يرجون أن تتناسى ذنب آدم كما نسيت ذنوب حواء !

وهنا وقف أحد كبار الملائكة وصاح :

« أيها الرفاق المصطفَوْن

لا أحب أن نحترب فى شأن آدم أكثر مما احتربنا ، فلنا مع أسلاف هذا المخلوق تاريخ ، وستكون لنا معه تواريخ ، وأنا أدعوكم إلى الرفق به إن دعيتم إلى الشهادة غداً فى ساحة العدل ، فالصدق فى الشهادة يُطلب فى حالة واحدة ، هى الحالة التى يقضى فيها كتمان الشهادة بضياع الحقوق ، والترفق بآدم لن ينتصر به باطل ، ولن ينهزم به حق ، وأنا أخشى أن يغضب الله علينا إن أدينا الشهادة تأديةً حرفية . وهل يحتاج القاضى العالم بالسرائر إلى شهود ؟ ! »

— ونُذنب بالكتمان ؟ !

— قد يكون الكتمان فى بعض الأحوال أشرف من البلاغ[1] ! ! !

— أوضِحْ ، أوضح

— آدم متهم بالعصيان ، ولهذه التهمة إن صحَّتْ عواقبُ سود ، فعلينا أن نقف فى صفه صادقين أو مرائين

— وماذا يقول الله ؟

— سيقول إن سَتْر العيوب فضيلة لا يتحلى بها غير الملائكة والأنبياء !

« للحديث شجون »

زكى مبارك

(١) البلاغ من معانيه الوشاية ، ومنه : « قدم فلان بلاغاً إلى النيابة العمومية » .

خسرو وشـــيرين

فى التصوير الإسلامى (*)

للدكتور محمد مصطفى

خسرو الثانى ، بن هرمزد الرابع ، بن خسرو أنو شروان العادل ، المعروف عند مؤرخى العرب باسم كسرى برويز ، أى كسرى المظفر ؛ وهو آخر ملوك الدولة الساسانية الكبار ، ملك إيران ثمانياً وثلاثين سنة (٥٩٠ — ٦٢٨م) ، فكان عهده من أطول العهود ، ملىء بالحوادث العظيمة ، والقصص الممتعة ، ذات الأثر البليغ فى الأدبين الإيرانى والتركى وفى الفن الإسلامى

تولى خسرو برويز عرش إيران والبلاد فى حالة ثورة واضطراب عظيم (١) ، فقد كان أبوه هرمزد عسوفاً شديد البطش ، وكان من آثار سياسته أن ثار به القائد الشهير بهرام جوبين (٢) ، الذى هزم الترك سنة ٥٨٨ م وقتل ملكهم ساوه شاه وأسر ابنه بعد أن غنم ما يفوق الوصف ، فأوغر بذلك صدر هرمزد بالغيرة منه والحقد عليه . ورأى هرمزد فى انهزام بهرام جوبين أمام الروم فى موقعة عند اللاذقية سنة ٥٨٩ م (٣) ، فرصة ليحط مقدار القائد العظيم فأمر باحضار قميص من الشعر ، وسراويل أحمر ، ومعجر أصفر ، ووعاء فيه قطن ، ومغزل إلى غيرهما مما يصلح للنساء ، وأمر بعض أصحابه أن يحملها إلى بهرام (١) فألجمه الثورة . وثار الناس بهرمزد ودخلوا عليه القصر ونكسوه من العرش ، وكحلوا عينيه وحبسوه ، ثم قتلوه بعد ذلك ، وأنهى الخبر بذلك إلى خسرو برويز ، فطار بجناح الركض ، وجاء من أرمينيا حيث كان قد فر إليها لما أوقع بهرام جوبين بينه وبين أبيه ، فتغير رأى أبيه عليه وأراد أن يقتله . ولكن خسرو برويز لم يفلح فى مصالحة بهرام جوبين ، وفر ثانية ولجأ إلى موريس امبراطور الروم يطلب معونته ، فزوّده بجيش استطاع به أن يقهر بهرام جوبين ويضطره أن يفر فيلجأ إلى خاقان الترك حيث قتل فيما بعد . وكانت لامبراطور الروم بنت متحلية بالخلال الحميدة والخصال المرضية تسمى « مريم » ، وكانت جميلة كالشمس إذا انكشف عنها السحاب ، فرأى أن يزوجها من خسرو ليتم بذلك ربط صلات المودة بين البلدين ، وقد تزوج خسرو من « مريم » ، فولدت له ابنه « شِيرُويَه » (٢)

وبلغ خسرو برويز من سعة السلطان مبلغاً عظيماً ، فاستولى على مصر والشام وسائر ما كان يملكه الروم فى آسيا الصغرى ، حتى عسكرت جنوده على شاطئ البسفور فى مقابلة القسطنطينية ، ولكن بسطة السلطان هذه انقبضت فى آخر أيامه ، واستطاع « هرقل » امبراطور الروم أن يهزم جيوش خسرو بعد حرب طاحنة دامت أعواماً طويلة ، فثار الناس به وقبضوا عليه وحبسوه وولوا ابنه « شيرويه » العرش باسم « قباذ الثانى » ، فأمر بقتل أبيه « خسرو » وعقد الصلح مع الروم (٣)

أما « شيرين » (٤) ، فقد اختلف الرواة فى أصلها ، فقال بعضهم — ومنهم الشاعر نظامى — إنها بنت ملك الأرمن ،

(*) ضاق المقام هنا عن نشر الكثير من الصور والحوادث التاريخية والمراجع ، وعن الاسهاب فى التوضيح الفنى للصور والمقارنة بين أساليب التصوير فى عصوره المختلفة ، فرأى كاتب هذه السطور أن يؤجل ذلك إلى كتاب يعده فى التصوير الاسلامى عن المنظومات الخمس للشاعر نظامى

(١) أنظر تفصيل ذلك فى « الشاهنامه » للفردوسى طبعة الدكتور عبد الوهاب عزام ، ج ٢ ص ١٩١ وما بعدها . وتاريخ الأمم والملوك للطبرى ، طبعة المطبعة الحسينية ج ٢ ص١٣٦ ومابعدها . و Th. Nöldeke, Gesch. d. Perser u. Araber z. Z. d. Sasaniden. aus d. arab. Chronik d. Tabori, Leyden 1879, p. 272 f.

P. M. Sykes, A History of Persia, London 1915, Vol. I, p. 518 f.

(٢) جوبين أى الخشبى ؛ وينتسب أسراء الدولة السامانية إلى بهرام جوبين هذا . ويقال إنه ألف كتاباً فى طرق الاصابة بالسهام . أنظر نولدكه نفس المرجع ص ٢٧٠ حاشية ٣ و ص ٢٧٢ حاشية ١ والشاهنامه ج ١ مدخل ص ٣٧

(٣) لم يذكر المؤرخون العرب والايرانيون شيئاً عن واقعة بهرام جوبين مع الروم عند اللاذقية ، أنظر نولدكه ص ٢٧٢ حاشية ٣

(١) عن الشاهنامه ج ٢ ص ١٩١ ، وانظر أيضاً المراجع الأخرى

(٢) يعتقد نولدكه (ص ٢٨٣ حاشية ٢) أن خسرو تزوج من مريم بعد التاريخ المذكور فى الطبرى والشاهنامه بمدة . وأنه لا يمكن الخلط بين مريم وشيرين ، لأن هذه كانت تسعى دائماً فى أن يتولى ابنها مردانشاه الملك بعد أبيه خسرو ، وكانت لذلك تبغض شيرويه بن مريم

(٣) أنظر تفصيل هذه الوقائع فى سيكس ، نفس المرجع ج ١ ص ٥٢١ وما بعدها

(٤) شيرين أى الحلوة

أحبها خسرو حين فرَّ من أبيه هرمزد ؛ وقال آخرون أنها إيرانية كانت فى خدمة أحد الأشراف ، وكان خسرو فى صباه يتردد على دار هذا الشريف فأحب شيرين وأعطاها خاتماً ، فلما علم رب الدار بهذا الحب ، أمر أحد خدامه أن يغرقها ، وقد استطاعت شيرين أن تؤثر فى هذا الخادم ، فألقاها فى مكان من نهر الفرات قليل الغور ، فنجت من الغرق ولجأت إلي أحد الأديرة . ولما تولى خسرو العرش ، سار ذات يوم إلى ناحية هذا الدير ، فأرسلت إليه شيرين الخاتم مع أحد عساكره ، فذكرها وأخذها إلى قصره فى المدائن ، فعاشت معه وأخلصت له . وبعد مقتل خسرو رآها ابنه شيرويه ، فكانت فى نظره ذات وجه كالنهار الشامس ، وشعر كالليل الدامس ... فلما رآها كادت تزهق روحه شغفاً بها ... فتناولت شيرين السم لتضع حداً لهذا الحب وتبقى على إخلاصها لخسرو[١]

وكان لشيرين عاشق ثالث اسمه « فَرْهاد » : كان مثَّالاً إيرانيًا بارعاً فى فنه ، اشتهر فى عصر خسرو برويز بنحت التماثيل والزخارف . ويقال إنه هو الذى نحت الصور الخالدة لخسرو فى « طاق بستان » ، وسيأتى ذكر ذلك فيما بعد

وقد نظم الشاعر الإيرانى نظامى الكنجوى قصة « خسرو وشيرين » ، وجعلها إحدى منظوماته الخمس[٢] ، ثم اقتدى به كثير من شعراء الإيرانية والتركية ، فنظمها بالإيرانية خسرو الدهلوى ، وبالتركية شيخي[٣] وعطائى وآهى[٤] وغيرهم . ووجد الفنانون فى حوادث هذه القصة ومواقفها مادة ليس لها من نهاية يستلهمون منها فى رسم صور لا حصر لها ، فصوروها فى جميع مراحل التصوير الإسلامي وفى مختلف عصوره . وشاء القدر بذلك أن يخلد لأبطال هذه القصة صفحات فى كتب التاريخ والأدب والفن

(١) أنظر حاشية الدكتور عزام فى الشاهنامه جـ ٢ ص ٢٣٦ و Franz von Erdmann, Die Schöne vom Schlosse, Kasan 1832, p. 74 — 78, n. 39. و Nöldeke, p. 283 n. 2.

(٢) خمسه نظامى طبعة طهران سنة ١٣٠٠ هجرية ص٤٨ — ١٩٢

(٣) ترجم الأستاذ « حب » إلى الانكليزية ملخصاً لقصة « خسرو وشيرين » كما نظمها الشاعر التركى « شيخى » متبعاً فى نظمها خطوات الشاعر نظامى الكنجوي . أنظر : I. Y. W. Gibb, a History of Ottoman Poetry, London 1900, Vol. I, pp. 314 — 325.

(٤) راجع الأستاذ « جب » نفس المرجع

يقول الشاعر نظامى الكنجوى[١] أن خسرو برويز ولد فى طالع حسن عند بزوغ فجر أحد الأيام ، فكان مولده كشروق الشمس فى الأفق من بين الظلمات ، تجلب معها النور والخير والبركات والقوة والشباب ؛ وإذ مضى عام على ولادة ذلك الطفل وحلت ليلة القدر ، قام واقفاً على قدميه ، وبدأ لسانه يثرثر بما وعاه من كلمات ، فعهد والده بتربيته إلى « بُزُرْجُمِيد[٢] » الحكيم ، وفى رعايته نمـا ذلك الطفل إلى أن صار شاباً كامل التربية تام التهذيب ، وأميراً شجاعاً وبطلاً صنديداً ؛ وامتلأ قلب « هرمزد » بالسرور والشكر لله جلت قدرته ، الذى وهبه هذا الوريث الشهم السامى الأخلاق ، واعتزم أن يحكم المملكة التى سيرثها مثل هذا الابن بعدالة أكثر من ذى قبل[٣] ، ورسم بعقاب أيما رجل تعدى على أملاك آخر ، وقطع أذن وذنب أيما فرس دخل أرضاً مزروعة فأضرَّ بها ، وصلب من سرق شيئاً

وذات يوم جلس هرمزد فى مجلس العدل يحكم بين الناس فدخل إليه بعض القرويين بظلامة ، يشكون من ولده الأمير خسرو أنه حل الليلة الماضية فى بيت أحدهم عند مروره بقريتهم أثناء رجوعه من إحدى رحلات الصيد العديدة ، التى اعتاد الأمير الشاب أن يقوم بها . ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، بل إن خسرو أمضى ليلته بأكملها فى ذلك البيت ، ومعه جماعة من أقرانه وأصحابه يتناولون الجام من المدام بعد الجام ، وهم يستمعون إلى نغمات مطرب الأمير ، وقد اندفع هو فى الغناء فاندفعوا هم فى الشرب وأكثروا حتى ثملوا . وما كان هذا كل ما اقترفه الأمير من ذنوب ، بل إن فرساً من مراكبه الخاصة جفل من مربطه وانطلق يلهو فى حقل رجل فقير فداس شيئاً من الزرع وأضر به . ثم إن أحد أصحاب الأمير رأى عناقيد من الحصرم متهدلة من بعض الكروم فى حديقة ، فأمر غلاماً من عبيد الأمير بأن يقطع منها عدة

(١) راجع Gibb, p. 314 ff. و Franz V. Erdmann, p. 75 و Laurence Binyon, p. 19 f.

(٢) بزرجيد : أى الأمل الكبير

(٣) اشتهر هرمزد بالعسف والجور وسفك الدماء ؛ فأطلعه أحد خواص أبيه على رقعة كتبها أنو شروان بخطه يقول فيها إن هرمزد يحكم « اثنتى عشرة سنة ثم بعد ذلك تدور عليه الدوائر فتصيبه الشدائد الفواقر » فأشفق هرمزد على نفسه حين قرأ الرقعة وتاب من سفك الدماء والأذى . أنظر الشاهنامه جـ ٢ ص ١٧٤ — ١٧٥ والحاشية .

ويحملها إليه ففعل. فثار الملك من سخطه على سلوك ابنه الأمير وأمر بالفرس فأعطى لصاحب الحقل الفقير؛ وبالغلام فوهب لمالك حديقة الكروم؛ وبأسلحة الأمير وشاراته، فمنحت لسكان البيت حيث قضى ليلته. وكاد الملك أن يحرق ابنه لولا شفاعة بعض أكابر المملكة، فعفا عنه بعد أن اعترف الأمير بسوء فعلته [1]



(شكل ١)

وفى (شكل ١) نرى [2] الأمير الشاب خسرو برويز وهو راكع أمام والده الملك هرمزد الجالس على العرش يسلمه أسلحته عقاباً له لمخالفته ما رسم به والده، ووقف على الجانبين بعض كبار المملكة يستعطفون الملك هرمزد ليعفو عن ولده خسرو. وسحن الأشخاص هنا اصطلاحية. وهذه الصورة [3] فى مخطوط لمنظومات الخمس للشاعر نظامى الكنجوى. كتبه درويش عبد الله الأصفهانى فى سنة ٨٦٨ هجرية (١٤٦٣ م). والظاهر من الصور التوضيحية التى به أنه قد اشترك فى تصويرها غير واحد من الفنانين. ولهذا المخطوط ميزة كبيرة وهى انسجام الصور مع المتن. وهو الآن محفوظ فى مجموعة شستر بيتى بلندن

* * *

بعد ذلك بمدة قصيرة رأى خسرو فى منامه جدّه العظيم أنو شروان، وقد وقف أمامه فى عظمة وجلال، وأخبره أنه سيكافأ بقبوله جزاء فعلته دون تذمر، ولتخليه عن مطربه وفرسه وغلامه وأسلحته، وأنه سيحصل فى نظير ذلك على مطرب بارع فى فنه، له صوت عذب حنون، سيكون اسمه «بارْبُد». وعلى جواد أسرع من فكر الإنسان، سيكون اسمه «شَبْديز» [1]. وعلى امرأة لا تضاهى فى الحسن والجمال سيكون اسمها «شيرين» وأخيراً على العز والمجد بجلوسه على عرش إيران

وبعد هذه الرؤيا بمدة قصيرة جاء لزيارة خسرو صديقه الحميم «شابور»، وقد كان مصوراً بارعاً، يجيد الرسم والتصوير، ولا يضارعه أحد فى هذا الفن، وكان إلى جانب ذلك رحالة بكل قلبه وقالبه، مولعاً بالأسفار، مشغوفاً بالرحلات إلى البلاد البعيدة والغريبة. وفى سياق حديثه مع خسرو، أخبره أنه قدم مرة إلى بلاد جميلة تسمى «أرمينيا» تحكمها ملكة عظيمة اسمها «مهين بانو» مشهورة بين ملوك الدول المسيحية. وأن وريثة هذه الملكة العظيمة هى ابنة أخيها الأميرة «شيرين» وأن هذه الأميرة ذات جمال فريد لا مثيل له، وسحر ملائكى وفتنة تأخذ بمجامع الألباب. وقد اعتادت هذه الفاتنة أن تجوب نواحى المملكة على رأس «قطيع» من ثلاثمائة عذراء، تنافس كل منهن الأخرى فى جمال النفس ورشاقة القوام؛ ليس لهن من همّ سوى التفكير فى أماكن جديدة بعيدة، يقضين فيها أوقات طويلة فى المرح والنزهة والصيد والقنص. وأخبره أيضاً أن الملكة «مهين بانو» تملك فرساً لونه أسود كلون الليل الدامس اسمه «شبديز». وقد عجب خسرو لاتفاق الأسماء فيما رواه له صديقه شابور مع ما حفظه عن جده أنو شروان من أسماء عند ما ظهر له فى الحلم، وأخذ يستزيد شابور من أخبار شيرين حتى تأجج قلبه من نيران الهوى، وهام بها هياماً شديداً لمجرد سماع أخبارها؛ وكانت نتيجة ذلك أنه أمر صديقه «شابور» بالسفر فى التو واللحظة إلى أرمينيا، وأن يسعى هنالك فى ربط الصلة بينه وبين «حبيبته» شيرين

وصل شابور إلى أحد أديرة أرمينيا، حيث علم أن شيرين قادمة بعد قليل مع صويحباتها العذارى، وأنهن سيهبطن للراحة فى روضة مجاورة. ووجد شابور فى ذلك فرصة مناسبة ليستلفت نظر شيرين إليه، فرسم صورة لخسرو وعلقها على شجرة فى مكان ظاهر من تلك الروضة، ثم اختبأ منتظراً ما سوف يحدث. وأقبلت شيرين إلى الروضة ومعها صويحباتها، ورأت الصورة فأعجبت بها،

(١) قارن هذا بما جاء فى الشاهنامه ج ٢ ص ١٧٥ — ١٧٦

(٢) الصور المعروضة هنا من تصوير الأستاذ محمد محمود سيد أحمد شلبى مصور دار الآثار العربية

(٣) هذه الصورة منقولة عن كتاب : Schulrz, die pers. islam. Miniaturmalerei, II Taf. 45. وانظر أيضاً Binyon — Wilkinson — Gray, Persian Miniature Painting, P. 93, No. 69, Pl, LX A. و Kühnel, in : Survey of Persian Art, III, p. 1856.

(١) شبديز أى من لون الليل الحالك السواد

وكأن الشخص الذى تصوره قد أثر فى نفسها تأثيراً شديداً فأمسكت بها بين يديها ، واسترسلت فى البكاء وهى تقبلها . وعند ما تبين صويحباتها شدة انفعالها ، عملن على إبعاد الصورة عنها ، ومزقنها خفية ، وأفلحن فى إقناعها بمغادرة هذه الروضة لأنها مسكونة بالجان ، وما كانت الصورة سوى عمل من أعمالهم



(شكل ٢)

وفى (شكل ٢) جلست الأميرة شيرين فى روضة على سجادة تتناول صورة خسرو من إحدى الفتيات ، وقد جلس إلى جوارها أربع موسيقيات : الأولى منهن إلى اليمين هى مطربتها الشهيرة « نيكيسا » وفى يدها الجنك ، ثم ضاربة للدف ، فثالثة تغنى وتصفق ، ورابعة تعزف على المزمار . وقد وقف حولهما بعض صويحباتها وجواريها وأحد الحراس . وهذه الصورة[١] فى مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر نظامى ، مؤرخ سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م) كتب للأمير ميرزا أحمد على فارسى أحد أمراء السلطان حسين بيقرا ، واشترك فى تصوير الصور التوضيحية التى به بعض مشاهير المصورين فى ذلك العصر . وهذه الصورة من تصوير الفنان « ميرك خراسانى » ، وهو إلى جانب ذلك خطاط مشهور . ويقال إنه أحد أساتذة المصور الشهير « بهزاد » وهذا المخطوط محفوظ فى المتحف البريطانى

***

غادرت شيرين ومن معها الروضة الأولى ونزلن فى روضة ثانية ، وكان شابور قد رأى وسمع من مخبأه هناك كل ما حدث وقيل ، فسبقهن إلى الروضة الثانية ووضع صورة أخرى فى مكان ظاهر منها . وقد حدث هنا ما حدث فى الروضة الأولى وغادرتها شيرين وفتياتها إلى ثالثة ، حيث كان شابور أيضاً قد سبقهن وعلق صورة ثالثة ، وكانت شيرين قد غلبها حب خسرو لمجرد رؤية صورته ، كما غلبه حبها لمجرد سماع أخبارها — والحب كما يقولون يعلم الحيلة والدهاء — فاحتفظت بالصورة هذه المرة ، وأرسلت صويحباتها يبحثن عن صور أخرى فى الرياض المجاورة ، وهى فى الحقيقة تود أن تخلو إلى نفسها . ورأى شابور أن الفرصة قد حانت، فخرج من مخبأه وتقدم إليها متنكراً فى زى راهب، وبعد أن جعلها تأمر بانسحاب أتباعها ، أخبرها أنه مصور هذه الصور وأنها تمثل شخص الأمير خسرو برويز ، وأن هذا الأمير قد تملك فؤاده حبها ، وأرسل معه إليها خاتماً كدليل لمحبته لها . وهنا صارحته شيرين بحبها لخسرو ، وتوسلت إليه أن يرشدها إلى الطريق نحو المدائن ، عاصمة إيران . وبعد أن وصف لها شابور الطريق ، انسحب ورجع من حيث أتى .



(شكل ٣)

وفى (شكل ٣) نرى أن الأميرة شيرين قد جلست فى روضة على عرش وجلس أمامها شابور وفى يده صورة خسرو ، وأمام العرش فسقية بها ماء تسبح فيه أوزة ، ووقف خلف « شيرين » بعض العذارى من صويحباتها، وحول شابور نرى الأتباع والخدم ، منهم الجالس والواقف ، وبعضهم يقوم بواجباته من تقديم الطعام والشراب . ولم ينس المصور أن يرسم صورة البستانى وفى يده جاروف يعمل فى الأرض . والرجال يلبسون عمائم تخرج منها عصا كانت الزى المتبع فى لباس الرأس فى عصر الدولة الصفوية . ونرى أن سحن الأشخاص فى هذه الصورة تمتاز بما بها من حياة وظهور التأثيرات المختلفة عليها

(١) منقولة عن كتاب : Martin, The Miniature ainting of Persia, India and Turkey, Vol. II, pl, 95 أنظر أيضاً A Survey of Persian Art, II, p. 1737; III, p. 1857 n. 4

من اهتمام وتفكير وسرور وحزن إلى غير ذلك مما امتازت به صور هذا العصر . وهذه الصورة[١] من تصوير « ميرزا على » أحد تلاميذ المصور بهزاد ، ومن مشاهير الفنانين فى عصر الشاه طهماسب ، وقد اعتاد هذا المصور أن يصور رجاله وهم ملتحين . وبالرغم من براعة « ميرزا على » فى تصوير هـذه الصورة ، فإنه فاته أن يمثل مقابلة شابور لشيرين وهما منفردان كما أراد ذلك الشاعر نظامى . وهذه الصورة فى مخطوط لنظامى كتب للشاه طهماسب ومؤرخ سنة ٩٤٦ ـ ٩٥٠ هجرية (١٥٣٩ ـ ٤٣م) ، واشترك فى تصوير الصور التوضيحية التى به خمسة من كبار فنانى ذلك العصر . وهو محفوظ فى المتحف البريطانى .

* * *

بعد انسحاب شابور من الروضة ، رجعت شيرين ومن معها إلى القصر ، وصعدت فى ذات الليلة إلى عمتها مهين بانو ، وأخذت تحدثها عن رحلاتها للنزهة والصيد ، وفى سياق كلامها أبدت رغبتها فى الخروج صباح اليوم التالى فى رحلة طويلة للصيد ، وهى لذلك ترجو عمتها إعارتها الفرس الأسود شبديز ، وقد أجابتها عمتها إلى ذلك . وفى الصباح الباكر تمنطقت شيرين بأسلحتها ، وركبت الفرس الأسود ، وخرجت مع فتياتها لصيد الغزلان . وكانت هذه فرصة لها كى تعدو بجوادها السريع خلف غزال وتغيب معه عن الأنظار ، وعبثاً حاول صويحباتها اللحاق بها أو البحث عنها ، فرجعن إلى مهين بانو وأخبرنها بالأمر ، فحزنت حزناً شديداً لاختفائها

وبعد أن ركبت شيرين سبعة أيام متوالية ، شعرت بالتعب يدب فى جسمها ، فترجلت ونامت بعد أن استودعت نفسها الله عز وجل ولكنها سرعان ما صحت من نومها على صهيل جوادها ، وتبينت أسداً يقترب من ناحيتها ، فأخذت سهماً وأطلقته على الأسد فقتلته . ثم تابعت السير حتى وصلت إلى روضة فى وسطها بركة جميلة من الماء ، فاعتزمت الاستحمام بها لشدة ما نالها من التعب وما كساها من الغبار . وعلى ذلك ربطت شبديز إلى شجرة ، وتجردت من ملابسها وأسلحتها وعلقتها إلى جواره ، ثم تمنطقت بقماش أزرق حول وسطها ونزلت فى الماء تستحم

وإذ هى تستحم قدم شاب إلى هذه الروضة ، ورأى شبديز مربوطاً إلى الشجرة ، فاقترب منه معجباً به ، وعند ذلك رأى الملابس والأسلحة معلقة إلى جواره ، وأخيراً رأى شيرين وهى جالسة فى بركة الماء تعبث فيه وتداعبه ، كأنها حورية جلست لتسحر من يرتاد ذلك المكان ، فشخص إليها خسرو — وكان هو ذلك الشاب القادم — وقد ألهاه جمالها الفاتن عن كل ما عداه . وشعرت شيرين بوجود غريب قريباً منها ، فالتفتت إلى الخلف . ولما رأت خسرو ارتبكت ، فانسحب هو فى حياء وانطلق يعدو بجواده بعيداً عنها ، وخرجت هى من الماء وارتدت ملابسها وامتطت شبديز فانطلق بها يسابق البرق . وهكذا التقى الحبيبان لأول مرة دون أن يعرف أحدهما الآخر ، ثم افترقا وقلب كل منهما يحدثه أنه رأى حبيبه


(شكل ٤)

وفى (شكل ٤) نرى شيرين وهى جالسة فى بركة ماء ، وإلى جوارها وقف (شبديز) جوادها الأسود الأصيل ، وعلى ظهره غطاء جميل ، وهو يصهل كأنه ينبهها لوجود « خسرو » الواقف بجواده على مقربة ، وقد وضع سبابته فى فمه لشدة ما اعتراه من تأثر عند رؤيته شيرين بجمالها الفاتن ، وقد صار وضع السبابة فى الفم من التقاليد التى اتبعها الفنانون فى تصويرهم خسرو عند رؤيته لشيرين ، كما نرى ذلك فى صور كثيرة لهما ، وهذه

---

(١) منقولة عن : Laurence Binyon, The Poems of Nizami, pl. VI. : أنظر Martin, II, pl. 132.

من أدب القرن التاسع

كتاب «سحر العيون»

للأستاذ أحمد يوسف نجاتي

— ٣ —

ولقد أنجب المحب بن الشحنة ورزقه الله ذرية مباركة طيبة منهم :

٨ — أثير الدين محمد (وهو سبط العلاء بن خطيب الناصرية ، أمه السيدة خديجة بنت العلاء) ولد أثير الدين فى شهر صفر سنة ٨٢٤ بحلب ونشأ بها ، وأخذ عن أبيه وغيره ، وناب عن أبيه فى القضاء بمدينة حلب سنة ١٨٣٩ وناب عن جده لأمه فى خطابة الجامع الكبير بها أيضاً ، ثم استقل بالقضاء فى أوائل سنة ٨٥٦ وقلد كثيراً من الوظائف الدينية والعلمية ، وقدم على أبيه القاهرة غير مرة وحج معه ، واتصل بعلم الدين السخاوى ، وفيه يقول كان كثير التودد خيراً من أخيه عبد البر ، ولكن ذاك أفضل فى الجملة مع سكون هذا وتواضعه وأدبه . وتوفى فى جمادى الأولى سنة ١٨٩٨ بمدينة حلب

٩ — سرىّ الدين أبو البركات عبد البر الشحنة وهو أنبه أبناء المحب . ولد فى أواخر سنة ٨٥١ بحلب ، وانتقل منها صحبة أبويه إلى القاهرة وتلقى العلم بها عن أبيه وجده وكثير من فضلاء عصره كما سمع ببيت المقدس وغيره ، وعرف بالذكاء والفطنة ، وقلد كثيراً من وظائف القضاء والإفتاء والخطابة والتدريس بمدارس كثيرة بالقاهرة ، وفيه قيل :

دروس عبد البر فاقت على أبيه فى الحفظ وحسن الجدل
وذاك عند الأب أمر به نهاية السّول وأقصى الأمل

وولى قضاء حلب والقاهرة ، وارتفعت منزلته حتى كان جليس السلطان الغورى[1] وسميره ، ولا غرو فقد كان عالماً أديباً ذا حشمة وفضل وحسن بيان متقناً للعلوم الشرعية والعقلية واللسانية ، وقد ترجم له السخاوى ولم يسلم من غمزاته حتى قال فيه : وليس بثقة فيما ينقله ولا بعمدة فيما يقوله ، بل هو غاية الجرأة والتقول ، ولو تصوّن وسلك طريق السداد أو تستر أو تأدب مع مشايخ الوقت وفضلائه أوضبط لسانه عن الوقيعة فى الأكابر لكان أخلص له وأقرب إلى محبة الناس فيه . إلى أن قال : وصار أبوه بسببه إلى غاية فى الامتهان ، وقاسى ألواناً من الذل والهوان ؛ ولكن عسى أن يكفر ذلك عنه بعض ما اقترفه ، فالولد سر أبيه ... الخ . اهـ

أقول : يظهر أن عبد البرّ كان عنده شىء من الاعتداد بالنفس والاعتزاز بمكانته وأنه نافس السخاوى مع أنه أكبر منه وأعلم ، ولكليهما تآليف فى علوم مختلفة . هذا إلى أنى لا أنزه ابن الشحنة من بعض ما وصفه به ، ولكل جواد كبوة . وكان

(١) عاصر القاضى عبد البر بن الشحنة من ملوك مصر الملك الظاهر أبا سعيد جقمق المتوفى سنة ٨٥٧ ، والملك الأشرف إينال العلائى المتوفى سنة ٨٦٥ ، والسلطان الملك الظاهر سيف الدين أبا سعيد خشقدم الناصرى المتوفى سنة ٨٧٢ ، ثم الملك الأشرف (قايتباى المتوفى سنة ٩٠١) ، ثم ابنه السلطان الملك الناصر محمد توفى سنة ٩٠٥ ، ثم الملك الغورى (قانصوه ابن عبد الله) ولى سلطة مصر فى شوال سنة ٩٠٦ وكان ذا رأى وفطنة وخير وبر مع دهاء وطمع وعسف ، وقد نال أهل مصر من مماليكه أذى كثير حتى طغوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد ، فسلط الله عليهم السلطان العثمانى (سليم خان) ، وكانت بينه وبين السلطان الغورى الواقعة المشهورة بمرج دابق شمالى حلب سنة ٩٢٢ انتهت بقتل الغورى وزوال دولة المماليك الجراكسة من مصر وانتقال الأمر إلى الدولة العلية العثمانية .

الصورة[1] من تصوير « سلطان محمد » أحد مشاهير مصورى عصر الشاه طهماسب ، وهى فى مخطوط نظامى السابق ذكره المكتوب لهذا الشاه

وقد صور المصور « رضا عباسى » فى القرن العاشر الهجري صورة شيرين واقفة وهى تخرج من الماء شبه عارية ، وهذه الصورة[2] محفوظة فى مكتبة الدولة ببرلين

(له بقية)

محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) منقولة عن : Laurence Binyon, pl. VII وانظر أيضاً : Martin, II, pl. 133 و S. P. A. III p. 1875; V pl. 898 و Sakisian, La Miniature Persane, pl. LXXXII, fig. 147

(٢) أنظر : Kühnel, Islam. و Schulz, II, Taf. 164 : Miniaturmalerei, Taf. 88

بمصر فى ذلك الحين شاعر هجاء خبيث اللسان جعل لسانه مقراضاً للأعراض اسمه عبيد[١] السلمونى ؛ فكان من يتقى عرضه من كرام الناس يشتريه منه بالإحسان إليه أو بمداراته ، فاتفق أن تعرض للقاضى عبد البر وهجاه بقصيدة يقول فى أولها :

فشا الزور فى مصر وفى جنباتها ولم لا وعبد البر قاضى قضاتها

فأدبه السلطان الغورى وعقد له مجلساً بحضرته فى مستهل شهر المحرم من سنة ٩١٣ وأحضر عبيد السلمونى هذا مكبلاً فى الحديد ، فأنكر أن تكون القصيدة له ، فلم ينجه هذا من تعزيره وأليم تأنيبه

وللقاضى عبد البر بن الشحنة مؤلفات كثيرة ، منها « شرح منظومة ابن وهبان[٢] فى فقه أبى حنيفة النعمان » وابن وهبان هو القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقى قاضى مدينة حماة توفى سنة ٧٦٨ ، ومنظومته قصيدة رائية من بحر الطويل عدتها ٤٠٠ بيت ، ضمنها غريب المسائل فى الفقه سماها : « قيد الشرائد ونظم الفرائد » ؛ ثم شرحها فى مجلدين وسماه : « عقد القلائد فى أصل قيد الشرائد » ، ثم شرحها قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة شرحاً حسناً قيد فيه ما أهمله الناظم فى شرحه وألحق به مسائل أخرى وفروعاً غريبة ، وغير ما عسر فهمه من بعض أبياته بأوضح منه ، وسمّى شرحه : « تفصيل عقد الفوائد بتكميل قيد الشرائد » ؛ وفرغ من تصنيفه فى شهر شوال سنة ٨٨٥ ، ثم هذبه سنة ٨٩٥ . ومن مصنفاته شرح منظومة جده أبى الوليد المتوفى سنة ٨١٥ ، والتى نظمها فى عشرة علوم . ومنها شرح « كنز الحقائق » فى فقه الحنفية (ومتن الكنز هو للامام أبى البركات عبد الله بن أحمد الحافظ النسفى المتوفى سنة ٧١٠) وسمى شرحه « الإشارة والرمز إلى تحقيق الوقاية وفتح الكنز » ومنها « تحصيل الطريق إلى تسهيل الطريق » وهو رسالة أولها : « الحمد لله الذى مهل لمن اختار من عباده طريقاً إلى الجنة » ، ذكر فيه أن بعض الناس أحدث فى طريق القاهرة حوادث تضر بعامة المسلمين ، فألف هذه الرسالة فى دفع مثل ذلك فى شهر شعبان سنة ٨٨٦ . ومنها : « زهر الروض فى مسألة الحوض » تكلم فيه عن حوض دون ثلاثة أذرع وعن حكم الوضوء فيه . وله « الذخائر الأشرفية فى ألغاز الحنفية » ، وله شرح « جمع الجوامع » المشهور فى أصول الفقه لتاج الدين عبد الوهاب بن على السبكى المتوفى سنة ٧٧١ وغير ذلك

وكان القاضى عبد البر شاعراً أديباً ومن شعره :

سيفنى الله قوماً ملحدينا أأنصار الشريعة لن تراعوا
(ويشف صدور قوم مؤمنينا) ويخزيهم وينصركم عليهم

وله مفتخراً ومعدداً مناقبه (وقد كان غير ذلك أولى به) :

وبى والله للدنيا الفخار أضاروها مناقبىَ الكبار
لها فى سائر الدنيا انتشار بفضل شائع وعلوم شرع
مفاخرهم بها الركبان ساروا ومجد شامخ فى بيت علم
وفوق الفرقدين لها قرار وهمة لوذع شهم تسامي
إلى تحقيقه أبداً بصار وفكر صائب فى كل فن

وكان بمصر فى ذلك العصر امرأة جميلة مغنية تسمى خديجة الرحابية ذات براعة فى الغناء والإنشاد يتعرض لها شبان عصرها وأهل الخلاعة منهم ، وكان ممن تعرض لها أحد المنتسبين للعلم المسمى محمد بن سالم بن خليل بن ابراهيم القاهرى الأزبكى ولد سنة ٨٥٥ وتوفى سنة ٩٠٠ . فقال القاضى عبد البر يعرض به :

إن تمنّعت يا مهاة عن الوصل فإنى والله حلو الوصال
لست نذلا ولست فظاً غليظاً لا ولا فى الوجود شيء مثالى

---

(١) وممن هجاهم عبيد السلمونى : بدر الدين محمد بن محمد بن يوسف ابن عبد الكريم بن بركة القاهرى ، من أفاضل العلماء فى أواخر القرن التاسع ، فقد عرض به فى قصيدة قالها يمدح بها القطب الخيضرى (محمد ابن محمد بن عبد الله بن خيضر الدمشقى ولد سنة ٨٢١ وتوفى سنة ٨٩٤) يقول فيها :

ألا هكذا فليطلب المجد والعلا وإلا فمجد الجاه والمال زائل
إذا كان علم المرء بالجاه والغنى فما السيف إلا غمده والحمائل
فواحرباً كم عز بالجاه جاهل وكم نال منه ما أرادوا أراذل
فيالك قطباً دونه الشمس فى الضيا ودون سنا عليائه البدر آفل

(٢) ولابن وهبان كتاب (أحاسن الأخبار فى محاسن السبعة الأخيار أئمة الخمسة الأمصار الذين اشتهرت قراءتهم في سائر الأمصار) ألفه سنة ٧٥٦ ومنه نسخة خطية بدار الكتب رقم ٢٩٤٧

وكانت وفاة القاضي عبد البر بحلب فى شهر شعبان سنة ٩٢١ رحمه الله تعالى . ولسرى الدين عبد البر وأخيه أثير الدين أبناء بررة هم أحفاد المحب بن الشحنة ؛ ومنهم :

١٠ — لسان الدين بن أثير الدين أحمد ولد سنة ٨٤٤ بحلب ونشأ فى كنف أبيه وجده ، وربى تربية بنى الشحنة ، وقدم على جده المحب القاهرة ، ثم ناب عنه فى كتابة السر بها ، ثم ولى قضاء الحنفية بمدينة حلب ، وحج مع أبيه وجده ، ثم فارقهما من عقبة أيلة إلى حلب لمباشرة وظيفته . وكان عالماً عاقلاً عفيفاً كيساً . قال السخاوى : « ... مع فتور ذهنه ، وله نظم وسط فمنه لما فصل جده عن كتابة السر ليحل محله ابن الديري[1] :

كتابة السر قد أضحت مشوهة   لما قلاها محب الدين قد هانت
وأصبح الناس يدعون المحب لها   كيما يرق عليهـا بعد ما بانت

توفى شهيداً بالطاعون سنة ٨٨٢ رحمة الله

١١ — وأخوه جلال الدين محمد ويكنى أبا البقاء مثل كنية البدرى صاحب « سحر العيون » : نشأ نشأة سلفه وأهله ، وتلقى العلم بحلب وبيت القدس والقاهرة ، وولى قضاء حلب سنة ٨٦٢ ، وقدم القاهرة غير مرة ، ثم أدركته منيته بها بعد علة طال أمدها فى شـوال سنة ٨٩٢ رحمه الله . قال السخاوى : وكان ذا شكالة وهيئة ، غير محمود فى دينه ولا معاملاته ، عفا الله عنه وإيانا

١٢ — وأخوه عفيف الدين أبو الطيب بن أثير الدين ابن المحب حسين بن محمد ولد سنة ٨٥٨ وسمع عن جده وغيره ، وقدم القاهرة غير مرة ، وأخذ عن بعض علمائها ، وكان يتردد بينها وبين حلب ، وولى قضاء حلب وكتابة السر بها ، ولما عاد إلى القاهرة بعد موت أخيه المتقدم سنة ٨٩٢ فى أيام الملك الأشرف أبى النصر قايتباى[1] أمر بنفيه إلى الواحات ، فذهب إليها ولبث بها حيناً حتى شفع فيه فعاد ، ثم توفى بالقاهرة مطعوناً في شهر شوال سنة ٩١٠ رحمه الله ؛ قال السخاوى : وكان مع كثرة اشتغاله جامداً وله اعتناء بالخيول . اهـ

١٣ — عبد الغفور بن عبد البر توفى فى طفولته بالطاعون سنة ٨٠٢

١٤ — وأخوه قاضى القضاة محب الدين محمد بن سرى الدين قاضى القضاة عبد البر . ولد بمدينة القاهرة ونشأ بها ، واشتغل بالعلم على أبيه وغيره ، وولى نيابة الحكم عنده ، ثم نيابة الحكم عنه ، ثم قدم مدينة حلب عند انقضاء الدولة الجركسية سنة ٩٢٢ بعد أن حج وجاور بمكة . وكان لطيفاً أديباً حسن البزة جميل المطارحة لطيف المهازحة مقداماً مهيباً دمث الطباع رقيق الحاشية أديباً شاعراً . وتوفى ببلدة حلب فى شهر شعبان سنة ٩٥١ رحمه الله ، ومن شعره :

يا حبيبي صل مُعَنَّى   ذاب وجدًا وغراما
وارحمن صبًّا كساه   غزل عينيك سقاما
ورماه عن قسِّى الحـاجب اللحظُ سهاما
أنحلته رقة الخصر   نحولاً حيث هـاما
لا يرى إلا خيالا   إن تقل فيه نظاما
لم يذق من يوم غبتم   عنه لا أكلاً ولاما
أطلقت عيناه نهراً   طلقت منه المناما
أوقدت حشو حشاه   نار خديك ضراما
عجباً للنـار فيـه   وبه حزت المقاما
إن بعد الوصل عادت   بك ورداً وسلاماً

(يتبع)

أحمد يوسف نجاتى
الأستاذ بكلية اللغة العربية

(١) ابن الديرى (نسبة لمكان قرب نابلس) هو القاضى برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن سعد المقدسى الحنفى نزيل القاهرة ، ولد سنة ٨١٠ وولى كتابة السر بالقاهرة سنة ٨٦٦ ولم يلبث أن فصل عنها وتوفى سنة ٨٧٦ ، وكان عالما أديبا تقلد عدة وظائف علمية بكثير من المدارس بالقاهرة ، كما ولي القضاء والخطابة وكتابة السر ، وكان حميد السيرة عف السريرة

(١) ولى السلطان قايتباي أمر مصر فى أوائل شهر رجب سنة ٨٧٢ وكان ملكا جليلا وسلطانا نبيلا ، وله اليد الطولى فى إسداء الخير والطول الكامل فى نشر المبرات ، وكان حسن العقيدة عظيم الاحتياط فى شأن الوظائف الدينية والعلمية : كالقضاء والفتيا والتدريس ؛ فلا يولى شيئا من ذلك إلا من طابت سيرته وعلم أنه أصلح من يقوم بما يعهد إليه بعد روية وبحث ، وله فى نشر العدل والعلم ما يحمد أثره ويطول شكره ؛ وتوفى فى ذى القعدة سنة ٩٠١ رحمه الله

هل فكرنا في المستقبل ؟!

للأستاذ عبد السلام المنياوى

يسألنى كثير من الناس : لماذا تعيش فى عزلة عن دولة الأقلام ؟ ولماذا تقنع بالصمت عن رسالة الدعوة ؟ ولماذا لا يرتفع صوتك فى مجال الإصلاح والتفكير ؟

أطيل الوقفة إزاء هذه الأسئلة ، ويمتد بى التفكير أمام هذا الغرض ، لا بحثاً عن الجواب ولا تلمساً للسبب ، ولكن ألمح فى سرعة صور هذا المحيط الذى نعيش فيه ، وأتمثل فى إنصاف نفثات هذه القلوب المؤمنة فى سبيل الدين والوطن والحياة العزيزة

أجل أطيل النظر والاستعراض ثم ... أجيب ولكن إجابة الآسف الملتاع وأخشى أن أقول إجابة اليائس المتشائم ، ذلكم لأننى أعتقد أن القلم يجب أن يستريح حينما يكون تعبه هباء ، وأن الدعوة يجب ألا توجه حينما لا تكون إلا فى الهواء ، وأن الإصلاح يجب أن ينادى به حينما يهيأ الجو ويوجد الرجال !

فهل تهيأت القلوب للاستماع ؟ وهل آن للضمائر أن تنصت ؟ وهل بين المقتنعين من بيده التنفيذ ؟ إنا لنلتهب حماسة إلى خير هذا الوطن العزيز ، وتنفطر قلوبنا أسى عند ما نذكر هذه المخزيات المصرية ، ونرجو فى تلهف وطماعية أن تقر عيوننا حيناً من الدهر بما ينال هذا الشعب المجيد ، ونهتف من أعماقنا مع أستاذنا المراغى فى عقيدة وإيمان : لا بد من دين الله لدنيا الناس ، كما نضم صوتنا فى حرارة وإخلاص إلى الأستاذ الزيات إذ يقول : لا بد للاسلام من مؤتمر ... لسنا صادرين فى هذا عن عصبية ولا جود بل هى عقيدة الفطرة ونطق الواقع وشهادة الأعداء ، وإنه ليمتزج بأفكارنا ونفوسنا امتزاجاً أن هذا العالم صائر يوماً لا محالة طوعاً أو كرهاً أو طبيعة إلى هذا الهدى الإلهى الحكيم ...

ولكن دين الله ومؤتمر الإسلام لا بد أن نمتلئ بهما نحن المسلمين ! ولا بد أن نجاهد من أجلهما عواطف الزعماء ! ولا بد أن نمكّن لهما فى قلوب الشباب ! نعم لا بد أن نمتلئ وأن نجاهد ونمكن حتى نفيض على هذه الدنيا بما فى حيازتنا من كنوز طالما أغرونا بأن نستبدلها بزيفهم ، ونعيد إليهم باطلهم بعد ما نكون قد محوناه بحقنا الخالد ، وندفع بالتى هى أحسن السيئة حتى يدركوا وضع الشرق والغرب ويقروا على رغمهم بزعامة الإسلام والمسلمين

ولكن بيننا رِبا وخمر ومقامرة ، وفينا تبذل وغرور وبغى ، ومنا أناس ينكرون — أو يتجاهلون — هذا الماضى المجيد . فماذا نعمل وبلادنا قد عجت بالمشكلات وشعبنا قد تفشته الأدواء ؟ ماذا نعمل وقد استعصت هذه « المشكلات » على الحل ، وأعيت هذه « الأدواء » علاج ذوى الغيرة من رجال الفكر والإصلاح ؟ ألهم لا استعصاء ولا إعياء ولكن يعوزنا الإيمان ويعوزنا الإقدام ويعوزنا النزول على حكم الله (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)

إن هذا الوقت الذى تمضى فيه « اللجان » إلى العمل ، وإن هذا الوقت الذى يكتبون فيه « تقاريرهم » وإن هذا الوقت الذى يجهدون فيه أنفسهم للبحث حرام أن تضيع هذه الأوقات فى غير ما ثمرة ! وحرام أن تصرف هذه الأموال بلا مقابل ! وحرام ألا يجد الناس ما يحميهم من أغوال الفقر وويلات الجهل وخفض المستوى العام بينما لا تبعد عنهم هذه الحماية إلا بمقدار ما يمد هؤلاء عن معين الإسلام وقانون الإنسانية ! !

وإنا لنسمع العالم كله يتحدث عن « نظامه الجديد » ومن خلال هذا الصراع العنيف وفى وسط هذا الدوى الهائل يتردد فى الآفاق صدى صوت حبيب منعش هو أنشودة الحرية ورجاء السلام ومنية الاستقرار ، فسنة الله أن ينجاب الظلام عن الفجر ، وأن يتنفس الصبح بعد إدبار الليل ؛ ولا بد أن يرتفع المستقبل على أنقاض الحاضر ، وقد تواطأت الفِكَر على أن هذا المستقبل ملىء بأساليب الهدم حافل بأنواع الإصلاح مشيد من لبنات قوية ليس من ذراتها اطمئنان إلى ترف ولا ركون إلى دعة ولا عزوف عن جد ... هذا هو الجيل الجديد وهؤلاء هم أبناء العهد الجديد ، فعلى أى أساس يكون مستقبل جيلنا المنتظر . وعلى أى الدعائم يرتكز عهدنا المنشود ؟ ؟

لقد قال الأستاذ إدوار مونتيه فى إحدى محاضراته : « لا شك أن الإسلام يعد من أكبر وسائل تمدين الناس وترفية أحوالهم الاجتماعية والدينية والخلقية والاقتصادية . الإسلام حضارة قائمة بنفسها رغم ضعف المسلمين فى فترة من الزمن ، وسينتبهون مرة ثانية فينشرون المدنية والرقى فى كل أنحاء العالم» وهذا برناردشو يقول : « إنى دائماً أحترم الدين الإسلامى غاية الاحترام ، لما فيه من القوة الحيوية ، فهو وحده الدين الذى يظهر لى أنه يملك القوة المحركة التى تغير صورة الكون ، ذلك لأنه يوافق كل جيل ، ويتمشى مع مصلحة البشر فى كل زمان ... لا شك أن العالم يقدر تكهنات رجل مثلى : أنا على يقين أن دين محمد سيكون دين أوربا فى غد . . . وقد رأى عظماء المفكرين من أهل النزاهة مثل كارليو وغوتى وجيبون فى القرن الـ ١٩ وجرب تقدير وإجلال دين محمد ، وقد أحدث رأيهم شيئاً من التغيير فى سلوك الأوربيين مع الإسلام ، لكن أوروبا هذا القرن (العشرين) قد تقدمت فى ذلك تقدماً بعيد الشأو وقد أخذوا يقعون في الهيام بعقيدة محمد ، وفي القرن التالى سيكون أهل أوروبا أكثر معرفة بفائدة اعتقاد محمد فى حل مشكلاتهم ، وبهذا يمكنك أن تفهم ما تكهنت به ! »

بعد هذا — ولا أحسب نفسى فى حاجة إليه ، فربما قد رآه من إليهم أوجه الحديث — أحب أن نصل إلى خطة حاسمة فى هذا المعترك ، وأن نفكر جادين فى مستقبلنا مهما تكن الأوضاع ؛ ولنُوَلّ وجهنا إلى غير ما اتجهت القافلة ، وما دامت هذه المدنيات تنهار وهذه النظم تعلن عن نفسها بالفشل ، فمن الخطأ والحمق أن تنتمى إلى التقليد ، ولنستبق الزمن بأخذ أساليب الحكم والتشريع والقضاء على نظام إسلامى ، قبل أن نفعل تابعين وليس لنا يد . هذا الإسلام يا قوم ، اعرضوه على أنه فكرة من الفكر ، وكثيراً ما فشلت برامج وأهملت قوانين لم تتفق وهذا القانون السماوى . جربوه ... جربوه أيها الناس وإلا فقد دللتم على خبايا النفوس ومكنونات الصدور ... يجب أن نرى أمامنا الفرد المسلم والأسرة المسلمة والحكومة المسلمة والوطن المسلم ، ولنعتز بهذا الشرف الذى وضعنا فيه وخولنا إياه أحكم الحاكمين : شرف الوساطة بين السماء والأرض ، بين الله والناس ... !

هذا وإن الغرائز البشرية أو جُلّها البارز قد جعلت من الإنسان الذى يبغى كمال الحياة ويتلمس نور النعيم وينشد ذروة المجد ، مجاهداً يصارع نفسه ، ويجالد هواه ، وينازع فطرته التى تكونت من الأنانية والتكاثر والهلع والعجلة والجبن واللذة الخ . لا أقول كما قال الشاعر إنها كالطفل ، ولكن كما قال النبى إنها أعدى الأعداء ، جهادها هو الجهاد الأكبر ، والظفر بأسرها هو النصر المؤزر ...

ألا فانتزعوا أيها الشباب من بين جنوبكم هوى النفس ، ومن أذهانكم خمود الفكر ، ومن أعماقكم وهن العزيمة ، ثم هبوا فى إقدام لا يعرف التوانى ؛ وهنا تسطرون بحق أول صفحة من صفحات الجدارة بالحياة ! ؟

عبد الحلوم المنيارى

من غزل الملوك

للأستاذ عبد الله مخلص

كنتُ أعددت بعض فصول من كتاب باسم « العاطفة عند العرب » وبينها فصل عنوانه سلطان الحب وحب السلاطين فرأيت أن أنقل شيئاً منه لقراء الرسالة ترويحاً عن نفوسهم المكروبة فى هذه الأيام السود . قال سليمان بن الحكم المرواني الملقب بالمستعين وهو من بني أمية :

عجباً يهاب الليث حدّ سناني ... وأهاب سحر فواتر الأجفان
وأقارع الأهوال لا متهيباً ... منها سوى الإعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى ... زهر الوجوه نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظر ... من فوق أغصان على كثبان
حكمّت فيهن السلو إلى الصبا ... فقضى بسلطان على سلطاني
فأبحن من قلبي الحمى وتركنني ... فى عز ملكي كالأسير العاني
لا تعذلوا ملكاً تذلّل للهوى ... ذلّ الهوى عزّ وملك ثاني
ما ضرّ أني عبدهن صبابة ... وبنو الزمان وهن من عبداني
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى ... كلفاً بهنّ فلستُ من مروان

وقال الخليفة هارون الرشيد العباسي يرثي جاريته هيلانة :

فارقت عيشي حين فارقتها ... فما أبالي كيفما كانا
كانت هي الدنيا فلما ثوت ... فى قبرها فارقت دنيانا
قد كثر الناس ولكنني ... لست أرى بعدك إنسانا

وكان للخليفة المأمون العباسي جارية بارعة الجمال ظريفة حاذقة بالغناء ونظم الشعر تدعى عريب وقد كان اشتراها من أخيه المعتصم بمائة ألف دينار ثم أعتقها، وكان المأمون شديد الكلف عظيم الشغف بها فقال مداعباً لها :

أنا المأمون والملك الهمام ... على أني بحبك مستهام
أترضى أن أموت عليك وجداً ... ويبقى الناس ليس لهم إمام

فقالت يا أمير المؤمنين والدك أعشق منك حيث قال :

ملك الثلاث الآنسات عناني ... وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها ... وأطيعهن وهنّ فى عصياني
ماذاك إلاّ أنّ سلطان الهوى ... وبه قوين أعزّ من سلطاني

ويرى القارئ أن الرشيد أغار على أبيات ابن الحكم الأموي .

وقال المعز لدين الله الفاطمي :

لله ما صنعت بنا ... تلك المحاجر بالمحاجر
أمضى وأقضى فى النفو ... س من الخناجر فى الحناجر
ولقد تعبت ببينكم ... تعب المهاجر فى الهواجر

وقال أيضاً :

أطلع الحسن من جبينك شمساً ... فوق ورد فى وجنتيك أطلا
وكأن الجمال خاف على الور ... د جفافاً فمدّ بالشعر ظلا

وقال السلطان سليم — بن السلطان بايزيد العثماني — فاتح مصر :

لولا الإله وحرّ نار جهنم ... لعبدته وسجدتُ بين يديه

***

وهذه أشعار بعض الأمراء والوزراء الذين كانوا ملوكاً بالفعل فى إدارة الممالك وعبيداً فى دولة الحب

قال الأمير عبدالله بن طاهر بن الحسين من أمراء الدولة العباسية :

نحن قوم تليننا الحدق النجـ ... ـل على أننا نلين الحديدا
طوع أيدى الظباء تقتادنا العيـ ... ـن ونقتاد بالطعان الأسودا
نملك الصيد ثم تملكنا البيـ ... ـض المصونات أعيناً وخدودا
تتقي سخطنا الأسود ونخشى ... سخط الخشف حين يبدى الصدودا
فترانا يوم الكريهة أحرا ... را وفى السلم للغواني عبيدا

وقيل إن هذه الأبيات هى لأصرم بن حميد ممدوح أبي تمام

وقال محمد بن عبد الملك الزيات الوزير العباسي :

صغير هواك عذّبني ... فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبي ... هوًى قد كان مشتركاً
وحسن رضاك يقتلني ... وقتلى لا يحلّ لكا
أما ترثي لمكتئبٍ ... إذا ضحك الخليّ بكا

وقال سيف الدولة على بن عبد الله بن حمدان صاحب حلب يصف حجزه إحدى جواريه فى قلعةٍ عند ما خاف عليها :

راقبتني العيون فيك فأشفقـ ... ـت ولم أخلُ قط من إشفاقِ
ورأيت العدوّ يحسدني فيـ ... ـك مجدًّا بأنفس الأعلاقِ
فتمنيتُ أن تكوني بعيداً ... والذى بيننا من الودّ باقِ
ربّ هجر يكون من خوف هجر ... وفراق يكون خوف فراقِ

وقال طلائع بن رزيك من وزراء الدولة الفاطمية من أبياتٍ :

الناس طوع يدي وأمري نافذ ... فيهم وقلبي الآن طوع يديه
فاعجب لسلطانٍ يعمّ بعدله ... ويجور سلطان الغرام عليه
والله لولا اسم الفرار وإنه ... مستقبح لفررتُ منه إليه

عبد الله مخلص

٣٠ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل التاسع — اللغة والأدب والعلوم

يعتقد العرب بالخرافات اعتقاداً عظيما . ويعد عرب مصر أكثرهم تعلقاً بهذه الاعتقادات الباطلة . وأكثر هذه الخرافات اعتباراً الاعتقاد بالجن . ويقال أن الجن أصلهم سابق على آدم ، وأنهم في خصائصهم العامة طبقة من الكائنات تتوسط بين الملائكة والأنس وتقل عنهما فضلاً . خلقت الجن من نار وتستطيع أن تتشكل بأشكال الأناس والبهائم والوحوش الخيالية وتختفي عن الأنظار كما تريد . والجن يشربون ويأكلون ويتناسلون مثل البشر أو معهم ، كما أنهم عرضة للموت وإن كانوا يعيشون أجيالاً عديدة . ويسكن الجن سلسلة جبال قاف التي يزعمون أنها تحيط بالأرض جميعها كما ذكر في الفصل السابق . ويعتنق بعض الجن الإسلام ، والآخرون كفرة . ويسمى هؤلاء الكفرة أيضاً شياطين ويرأسهم إبليس ، إذ أنه تبعاً للرأي السائد ، جني مثل غيره من الشياطين لأنه خلق من نار بينما خُلق الملائكة من نور معصومين من الخطأ

ويخشى العرب الجن أخيارهم وأشرارهم كثيراً . ويحفظون لأخيارهم احتراماً عظيما . وقد جرت العادة عند هذا الشعب عند ما يصب أحدهم ماء أو غيره على الأرض أن يصيح أو يدمدم « دستور » مستأذناً أو مستغفراً الجني الذي قد يوجد هناك . ويظن أن الجن ينتشرون في طبقة الأرض الصلبة مثلما ينتشرون في السماء حيث يقتربون من حدود السماء الأولى فيسترقون السمع عن المستقبل ويستطيعون هكذا أن يساعدوا العرافين والسحرة . ويعتقدون أيضاً أن الجن يسكنون الأنهار والخرائب والآبار والحمامات[1] والأفران والمراحيض . ولذلك عند ما يدخل أحد مرحاضاً أو يدلي دلواً في بئر أو يوقد ناراً الخ . . . يقول « دستور » أو « دستور يا مباركين » . ويتلو الداخل بيت الراحة هذه العبارة مبتهلا إلى الله أن يحميه من الأرواح الشريرة . إلا أن البعض لا يذكرون اسم الله باعتبار أنه لا يليق النطق به في مثل هذا المكان فيكتفون بقولهم : « أعوذ بك من الشياطين ذكوراً وإناثاً » ، وتفسر هذه العادات إحدى قصص ألف ليلة وليلة التي يحكي فيها أن تاجراً قتل جنياً بنواة تمرة كان يأكلها . ويظهر الجني في القصة نفسها وفي غيرها قدماً في زوبعة من الرمل أو الغبار . والاعتقاد العام عند عرب مصر أن الزوبعة التي تثير الغبار أو الرمال ، وتكسح الحقول والصحاري ، يسببها تحليق هذه الكائنات[2] ويفوه المصريون عادة عندما تبدو الزوبعة قريبة منهم بتعويذة لإبعادها فيهتف بعضهم : « حديد يا مشئوم » إذ يظنون أن الجن يخافون هذا المعدن كثيراً . ويصيح آخرون : « الله أكبر » . ويعتقدون أن الشهب سهم يقذف به الله الشياطين ، ويصيح المصريون عند ما يرون شهاباً ساقطاً : « سهم الله في عدو الدين » ويسمي العامة الشياطين عفاريت ، وقد وردت في القرآن ذلك بهذا النص : « قال عفريت من الجن » وقد ترجم سيل Sale هذا اللفظ : « قال جن هائل » ، ويعتقدون أن العفاريت يختلفون عن الجن الآخرين بعظيم قدرتهم ودوام شرهم ، ويسمى الشيطان الأقوى ماردا

---

(١) العادة في مصر أن يرسم المسلمون والمسيحيون صليباً على مدخل الحمام إذ يعتقدون أن هذا يمنع الجن من دخوله

(٢) وقد قست ارتفاع زوبعة في مدينة طيبة في ظروف ملائمة ، فقد لاحظت ارتفاعها من مكان عال وقت مرورها بمجموعة من النخيل هزتها هزاً عنيفاً ، على بعد مني وقد بلغ ارتفاع الزوبعة سبمائة وخمسين قدما وأظن أنني رأيت زوابع أكثر ارتفاعا ، وقد قست زوابع أخرى في المكان نفسه فبلغ ارتفاعها بين خمسمائة قدم وسبمائه

يرتبط تاريخ الجن بعدة أساطير لم يذكرها القرآن ، ولذلك لا يؤمن بها المسلمون العقلاء . ويتفق الجميع على أن الجن خلقوا قبل الإنسان . إلا أن البعض يقولون لطبقة أخرى من الكائنات السابقة على آدم ذات طبيعة مشابهة . ويعتقد العامة أن الأرض كان يسكنها قبل آدم جنس من المخلوقات يختلف عن البشر شكلاً وقوة ، وأن أربعين ملكاً من هؤلاء ، أو اثنين وسبعين تبعاً لقول آخر ، سمى كل منهم سليمان ، حكموا هذا الشعب تباعاً . وكان أحد هؤلاء السليمانيين يسمى جان بن جن . ويتوهم البعض أن الجن ، ويسمون أيضاً جاناً[1] ، اشتقوا تسميتهم من اسم هذا الملك . ومن هنا يعتقد البعض أن الجن يشبهون هذا الجنس السابق ولكن البعض يؤكد أن الجن كانوا طبقة من الكائنات مختلفة أخضعها الجنس الآخر .

ويعتقدون أن الجن كثيراً أو دائماً يتشكلون بأشكال القطط والكلاب والحيوانات المفترسة . وقد روى الشيخ خليل المدابغى — وهو من أشهر علماء مصر ، وقد ألف كتباً عديدة فى مختلف العلوم وتوفى فى سن متقدمة أثناء زيارتى الأولى لمصر — الحكاية التالية : « كان له — كما يقول — قط أسود عزيز ينام عند ذيل كلته . فنى منتصف إحدى الليالى سمع طرقاً على باب داره ؛ فقام القط وفتح مصراع الشباك وهتف : « من ؟ » فأجابه صوت : « أنا فلان (وذكر اسماً غريباً) الجنى ، افتح الباب » . فقال قط الشيخ : « إن المزلاج قرئ عليه اسم الله[2] » فقال الآخر : « إذن اقذف لي رغيفين من الخبز » فأجاب القط : « إن سلة الخبز سُمى عليها » فقال الغريب : « حسن . أعطنى على الأقل جرعة ماء . ولكنه رد عليه بأن وعاء الماء محفوظ بالطريقة نفسها . فسأل ماذا يستطيع أن يفعل وهو يوشك أن يموت جوعاً وعطشاً . فأشار عليه القط أن يذهب إلى باب الدار التالية . وذهب هو بنفسه وفتح الباب ثم لم يلبث أن عاد . وفى الصباح التالى غفل الشيخ عن عادة كان يراعيها دائماً فأعطى القط نصف الفطيرة التى كان يفطر بها بدلاً من قطعة صغيرة اعتاد أن يعطيه إياها . ثم قال له : «يا قطى ، أنت تعلم أننى فقير ، فجئنى إذن ببعض الذهب» فاختفى القط فى الحال بعد هذا الكلام ولم يره الشيخ بعد ذلك » .

والحكايات من هذا النوع تستوجب السخرية ، لكن من المستحيل أن نقف على حقيقة عقلية الشعب الذى أحاول وصفه دون أن أسرد حكاية أو أكثر

ويؤكد العامة أن أشرار الجن كثيراً ما يعتلون الأسطح والشبابيك ويقذفون بالقراميد والحجارة فى الشوارع والأفنية . وقد أخبرت من أيام قليلة بحادثة من هذا النوع أفزعت سكان أهم شارع فى القاهرة أسبوعاً بأكمله ، إذ كانت القراميد تقذف بكثرة من بعض المنازل كل يوم طول هذه المدة ، ولم يصب أحد . وقد ذهبت إلى مكان هذه الدعابة الجنية المزعومة للنظر والاستقصاء ولكن قيل لى عند وصولى إن الرجم انقطع . ولم أجد أحداً أنكر قذف القراميد أو شك فى أنه من أعمال الجن . وكانت الملاحظة العامة عند ذكر هذا الموضوع قولهم : « الله يحفظنا من شر أعمالهم »

وقد أخبرنى صديق بهذه المناسبة أنه قابل بعض انجليز لا يعتقدون بوجود الجن . وقد استدل بذلك على أنهم لم يشاهدوا أبداً تمثيلاً عاماً ، وإن كان منتشراً فى بلدهم التى سمع عنها منذ ذلك الحين باسم « كوميديا » قاصداً بهذه العبارة التمثيل المسرحى ؛ ثم قال بعد أن وجه الكلام إلى أحد مواطنيه ، ودعانى لأصدق على حديثه : « منذ زمن قصير وصف لى جزائرى منظراً من هذا النوع كان قد رآه فى لندن » ؛ فقاطعه مواطنه سائلاً : « أليست انجلترا أم لندن مدينة فى انجلترا ؟ » فأجابه صديقى بتحفظ وهو ينظر إلىّ أن لندن عاصمة انجلترا ، ثم أوجز موضوع المسرح فقال : « لا يمكن وصف الدار التى عرض بها التمثيل : كانت الدار مستديرة صفت على أرضيتها مقاعد عديدة وحولها مقصورات كثيرة الواحدة تعلو الأخرى حيث جلس أفراد الطبقات العليا ،

---

(١) ويعتبر بعض الكتاب الجان أقل طبقات الجن قدرة

(٢) وعادة الفقهاء (المتأدبين والأتقياء) أن يبسملوا عند قفل الباب بالمزلاج أو تغطية الخبز أو خلع الملابس ليلا أو فى مناسبات أخرى . وهذا كما يعتقدون يحفظ أموالهم من الجن . ويقال للشىء الذى ذكر عليه اسم الله « مسمى عليه »

وكان هناك فرجة مربعة كبيرة أسدل عليها ستار ، وعند ما غصت الدار بالمتفرجين الذين دفعوا مبالغ كبيرة للدخول أظلم المكان فجأة وكان الوقت ليلاً ، وكانت الدار قد أضيئت بعدة مصابيح ، إلا أنها أطفئت كلها تقريباً في وقت واحد دون أن يمسها أحد ، ثم رفعت الستارة الكبيرة ، فسمع الشاهدين هدير الموج وصفير الهواء ، ورأوا دون تمييز في الظلام الأمواج ترتفع وتزيد وتضرب الشاطئ ، وسمع في الحال صوت رعد مرعب ، ثم أضاء البرق للمشاهدين البحر الهائج ، وسقط حينئذ سيل من المطر الحقيقي ، وبعيد ذلك صفا الجو فظهر البحر بوضوح ، وشوهدت باخرتان على بعد اقتربتا ثم اشتبكتا في قتال أطلقت فيها نيران المدافع ، وعرضت بعد ذلك مجموعة مختلفة من المناظر الفريدة ، وأضاف صديقي : « من الواضح الآن أن مثل هذه العجائب لا بد أن تكون من أعمال الجن ، أو على الأقل عملت بمساعدتهم » ؛ وقد شرحت له هذه الظواهر ، ولكني لم أستطع إقناعه بخطئه

ويقال إن الجن يسجنون أثناء شهر رمضان . ومن هنا نرى بعض المصريات يرششن في وقفة عيد الفطر ملحاً على أرض الغرف مبسملات لمنع هذه المفزعات من دخول منازلهن . ويجب أن أشير هنا إلى بقية عجيبة من خرافة مصرية قديمة إذ يعتقدون أن لكل حي من أحياء القاهرة حارساً خاصاً من الجن ذا شكل أفعى ويعتقدون أن القبور المصرية القديمة والهياكل المظلمة تسكنها العفاريت . وقد استحال على أن أقنع أحد خدمي بدخول الهرم الأكبر مني لرسوخ هذه الفكرة في ذهنه . وينسب الكثير من العرب بناء الأهرام والآثار المصرية المدهشة جميعها إلى جان بن جان وأتباعه الجن . فهم لا يتصورون أن تقيم هذه الآثار يد بشر

وتطلق عبارة عفريت بالحرى على الشيطان ، إلا أن أرواح الأموات تسمى أيضاً بهذا الإسم . وينسج من هذه حكايات لا يقبلها العقل كما أنها تلقى في النفوس رعباً هائلاً . إلا أن هناك من لا يخشاها إطلاقاً . وكان في خدمتي طاه مضحك يتعاطى الحشيش أحياناً . وقد سمعته ذات ليلة ، بعيد دخوله خدمتي ، يدمدم ويهتف على السلم كما لو كان دهشاً لحادثة ما . ثم قال بأدب « ولكن لم تجلس في تيار الهواء ؟ تفضل بالصعود إلى المطبخ وسلني بحديثك قليلاً » . ولما لم يرد على خطابه المؤدب كرره عدة مرات حتى ناديت عليه وسألته إلى من يتحدث . فأجاب : « إنه عفريت جندي تركي صعد من البئر وجلس على السلم يدخن شبكه ويرفض أن يتحرك . تقدم من فضلك وانظر إليه » . ولما ذهبت إلى السلم وأخبرته أنني لا أرى شيئاً لاحظ أن سبب ذلك صفاء العقل . وقد قيل له فيما بعد إن المنزل ظل مسكوناً طويلاً ؛ وقد قرر أنه لم يُخبر قبلاً بهذا الموضوع المزعوم أن جنديًا تركيًا قتل هناك . وقد صرح لي أنه كثيراً ما يرى العفريت بعد ذلك

ويعتقد المصريون وبعض الشرقيين بوجود الغيلان أيضاً . ويحسبون أن هذه الكائنات طبقة من الشياطين . ويقال إنهم يظهرون في أشكال الحيوانات والوحوش وأنهم يسكنون المقابر وغيرها من الأماكن المنعزلة ، وأنهم يأكلون الجثث ويقتلون من يوقعه سوء الحظ في طريقهم ويلتهمونه . ومن هنا تطلق عبارة الغول على آكلي لحم البشر

(يتبع) عدلي طاهر نور

فرحة الحياة !

للأديب عبد الرحمن الخميسى

أنا حيٌّ ونعيمى بالحياة ... فرحةٌ تغمرُ من قلبى مداه
أختلى فى موكبِ الأيامِ ما ... يبهرُ النفسَ ويخفى منتهاه
وأرى نبتَ الرموز اندفقت ... فى طواياها على روحِ الإله
وأغنّى مثلما غنّى على ... جنةِ الوهمِ هزارٌ لا أراه

أنا حيٌّ ! يا نعيمى بالحياة !

بين جنبىّ فؤادٌ كلما ... نفخَ الإحساسُ فيه صدحا
ترقصُ الدنيا على أنغامه ... كلُّ ما فيها أسى أو فرحا
وهو مرآةٌ صفت كم تزدهى ... صورُ الكونِ عليها مرحا !
يا أناشيدى تباركتِ ويا ... بوركَ القلبُ إليه قد صحا

كلُّ عرقٍ يتغنّى بالحياة !

إننى الشعلةُ شبّت نارها ... وسرت أنفاسها باللهبِ
يا هنائى بالذى يأكلنى ... من لهيبى والذى يحرقُ بى
يا لهذا الدفء من سرٍّ جرى ... فى كيانى من وراء الحجبِ
هو لغزٌ خالدٌ مستترٌ ... أزلىٌّ قدمىٌّ الأربِ

أنتشهاه وأفنى فى لظاه

هذه الروحُ التى تسكننى ... قبسٌ من هالةٍ تجذبنى
ولقد دار بجسمى نورها ... باعثاً فيه حياة الزمنِ
يا سرورى بالذى أيقظنى ... من سبات العدمِ المرتهنِ
وانتشى بى وانتشى فيه دمى ... وشعورى والذى أوجدنى

أنا حىّ ... غنّ لى لحنَ الحياة !

إننى البرعمُ قد داعبنى ... وهجُ الشمسِ ودمعُ السحرِ
فتنفّستُ وغشّت ورقى ... نضرةٌ تسبى فنونَ النظرِ
يا شبابى شدّ ما أنت فتى ... عودىَ الأخضرَ عذبُ الصورِ
إننى أرنو إلى الأفق وفى ... طلعتى حمدٌ شذيُّ السوَرِ

للذى أورثنى هذى الحياة !

عبد الرحمن الخميسى

أين الســـلام ؟...

للأديب على جليل الوردى

قالت وقد لاح عليها السقام : ... الحربُ طالت أين عهدُ السلام ؟

كنا به فى عيشةٍ راضيه ... نمرح فى أنسٍ وفى عافيه
الأرضُ من فرحتنا زاهيه ... والطيرُ من نشوتنا شاديه
تشدو أغاريدَ المنى والغرام ... قد أخرستها الحرب أين السلام ؟

عهدٌ به طافت كؤوسُ الهنا ... ما بين أيدينا ، ورفّ المنى
فعندليبُ السعدِ يشدو لنا ... ونحن نبدى للدجى سرّنا
فيا له عهداً كنفح الخزام ... أودت به الحربُ فأين السلام

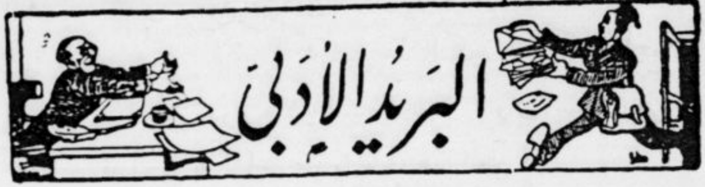
أين زمانُ الأملِ الباسمِ ؟ ... أين خيالُ الشاعرِ الحالمِ ؟
أينَ هدوء الطائرِ الناغمِ ؟ ... وأين حلمُ العاشقِ الهائمِ ؟
أودى بها طرًّا لهيبُ الخصام ... فأين أين الأمنُ ؟ أين السلام ؟

أين ابتسامات زهور الربيع ؟ ... وناىُ راعٍ من وراء القطيع ؟
وطفلةٍ غنّت بلحنٍ بديع ... أهزاجها ، والقلبُ منها وديع
أخرسها قسراً لهيبُ الخصام ! ... فأين أين الأمنُ ؟ أين السلام ؟

قلتُ وقلبى بالأسى مفعمُ ... ونارُ حزنٍ فى الحشا تضرمُ
وعبرةٌ من مقلتى تسجمُ ... أكتمها عنها فلا تكتمُ !
لا تيأسى فاليأسُ موتٌ زؤام ... لا بدّ من يومٍ يعودُ السلام

(الكاظمية — بغداد)

على جليل الوردى



إلى الأستاذ توفيق الحكيم

صديقي العزيز !

قرأت لك في (الرسالة) منذ أسابيع كلمة صغيرة تذكر فيها أن في مصر كاتباً قال في سياق حديثه : إنه صديقك ، وأنك تنكر أن يشرّف الناس أنفسهم بالانتساب إليك .. ولم يخطر في البال أني مقصودٌ بتلك الغمزة ، لأني أعرف أن منزلتي في نفسك لا تبيح لك أن تقع في مثل هذا الخطأ

ولكنّ ناساً حدثوني أنك تريدني بتلك الكلمة الصغيرة ، وقد أردت أن أستوثق من نيتك ، فجشّمت نفسي مقابلتك لأعرف رأيك قبل أن أردّ عليك ، فكان جوابك أن تلك الغمزة موجّهة إلى « فلان » ، وأن أدبك لا يسمح بأن تعرّض بكاتب له مثل مكانتي في نفسك وفي (الرسالة) الصديق

فهل أجد عندك من الشجاعة ما تقوى به على التصريح باسم ذلك « الفلان » ؟

لا تخف ، يا صديقي العزيز ، فإن « الفلان » الذي حدثتني أنك تعنيه ، لا يملك غير قلمه ، والقلم في هذا الزمان يضر أكثر مما ينفع ، وهل آذاني غير قلمي ؟

أوضِحْ ، أوضِحْ ، فإن لم تفعل فسأنوب عنك في الإيضاح

صَنَعَ الزمن ما صنع ، واستطال الدهر ما استطال ، فمن يعزّيني وقد استباح بعض الناس أن يكتب كلمةً توهم أنه أكبر من أن يكون صديقي ؟ !

زكي مبارك

إنشاء مكتب للتعاون الثقافي بين مصر والعراق

تنوي وزارة المعارف إنشاء مكتب لتنظيم التعاون الثقافي بين مصر والعراق والإشراف على ما يقتضي هذا التعاون ، على أن يضم هذا المكتب أعضاء يمثلون البلدين وتكون له اجتماعات منتظمة في القاهرة وبغداد

ويجوز لمن شاء من البلاد العربية أن ينضم إلى هذا المكتب بموافقة الحكومتين المصرية والعراقية

إنشاء متحف الحضارة المصرية

كان صاحب الجلالة الملك قد أبدى رغبته السامية في أن ينشأ متحف للحضارة المصرية يضم إليه كل ما يتصل بالعصور المختلفة ابتداء من عصر ما قبل التاريخ إلى العصر الحديث فألفت لجنة من رجال الجمعية الزراعية الملكية ووكلاء بعض الوزارات ومديري المتاحف المصرية المختلفة

وكان أول ما بدأت به اللجنة أعمالها أن طلبت إلى الهيئات المختلفة موافاتها عن طريق الإهداء أو الإعارة بالنماذج التي تمثل العصور المختلفة للحضارة المصرية التي رؤي أن يضمها هذا المتحف ، وهي تمثل العصر الحجري القديم والحديث ، ومصر القديمة ، وحياة المصريين في مختلف الهيئات والحياة الاجتماعية والفنية لمصر القديمة والعصور اليوناني الروماني والقبطي ومصر من الفتح العربي إلى الفتح العثماني والدول الطولونية والفاطمية والأيوبية ، والمماليك وعصر الأمراء المماليك من الفتح العثماني إلى الحملة الفرنسية والنهضة المصرية الحديثة من عهد المغفور له محمد علي باشا إلى الآن والسودان المصري

وقد تعددت اجتماعات اللجنة للبحث في مختلف ما يتصل بإنشاء هذا المتحف ، وكان ما قررته إقامة نموذج لحوض نهر النيل عن الجزء الذي يتفرع منه الفرعان عن ابتداء الدلتا على أن يكون طوله ١٤ متراً ، لتكوين فكرة عامة عن التكوين الطبيعي لحوض النيل في العصور الجيولوجية ونوع النباتات التي عاشت في مصر في تلك العصور ، وإقامة نموذج لإنسان ما قبل التاريخ ، والتطورات المختلفة التي حدثت في تركيب جسمه في العصور المتطاولة

وتناولت اللجنة بالبحث في اجتماعها طائفة من الشئون المتصلة بكل عصر فرأت أن تؤلف لجاناً فرعية تضع كل منها مشروعاً عن كل عصر من العصور المختلفة ابتداء من عصر ما قبل التاريخ إلى العصر الحديث على أن تعرض جميع هذه المشروعات على اللجنة العامة لإقرارها والبدء في تنفيذها

في ديوان ولي الدين يكن

نشر الأستاذ كامل يوسف (بالعدد ٤٥٧ من الرسالة) أربع مقطوعات شعرية للمرحوم ولي الدين يكن ، مهد لها بقوله إنها

مخطوطات للفقيد آلت إليه ، ولم تنشر في ديوانه . ولكنى أنبه هنا إلى أن هذه المقطوعات نشرت جميعها بديوان ولى الدين الذى أصدرته مطبعة المقتطف عام ٩٢٤ م ؛ ولا أعرف للشاعر ديواناً آخر غير هذا

فحبذا لو اقتنى الأستاذ نسخة من ديوان الشاعر الكبير الذى تربطه بأسرته « أواصر المودة والصداقة » كما يقول ؛ ثم عرض عليها ما لديه من مخطوط ؛ حتى تستبين له حقيقة القطع التى لم تنشر فيتفضل بنشرها . وإن كنا نشك فى إمكان حصوله على ما يستوجب النشر ؛ لأن جامع الديوان هو أخو الشاعر - ولعله شقيقه - الأديب يوسف حمدى يكن . وهو قد استفرغ جهده فى إثبات كل ما أمكنه العثور عليه من شعر أخيه ، بين مخطوط ومطبوع ومحفوظ ، كما يشير إلى هذا فى مقدمته ، التى أعقبها تحليل دقيق وعرض شامل لحياة الشاعر وخصائص شعره بقلم الأستاذ الكبير أنطون الجميل بك ؛ وكان الأخير من أصفياء ولى الدين وصفوة أصدقائه وخلصانه .

(جرجا) محمود عزت عرفة

حول « ابن الرومى »

سيدى الأستاذ العقاد

قرأت معجباً ما خطه يراعك الكريم عن شعر ابن الرومى ، فنال منى الدهش لتعصبك لهذا الشاعر ، ولعل هذا راجع إلى أن الأستاذ قد صاحب « ابن الرومى » أكثر مما كان ينبغي لمصاحبته . لهذا كان طبيعياً أن يخلع عليه أستاذنا الجليل لقب « شاعر العالم » غير منازع ؛ وأن يقول : إن شعره ليس فيه مغمز لناقد ، وإن إحساسه مرهف غاية الإحساس ، وتصويره آية في الإبداع

فما رأى سيدى الأستاذ فى بيتين مشهورين لابن الرومي قالهما فى روض سقته السحب أو أرضعته فأنبتت ألنى رضيع من بنى النضر حيث قال :

سقته ثُديُّ السُّحْبِ من مُرضِعاتها
أفانينَ مما لم تُقَطِّرْهُ مُرضِعُ !
كألْفَىْ رضيعٍ من « بنى النَّضْرِ » ضُمِّنُوا
مَحاسنَ هذا الكونِ ، والكونُ أجمعُ ...

فأى تصوير هذا يا أستاذنا العزيز ؟ وأى استيعاب فنى فيه قد أحس به الشاعر عند ما خالجه هذا المعنى ؟

ألا ترى معي أن من شعراء العبقرية المخلدين فى بطون الكتب وسجل الأزمان من أسف أحياناً وسجل له تاريخ الأدب ذلك ؟ ... هذا ما أردت أن أذكر به الأستاذ واضعاً بين يديه هذين البيتين إجابة لرغبته التي رغب فيها إلى القراء أن يذكروه بما شاءوا من شعره ليدلهم على موضع الحسن فيه ؛ فرجاوتى أن ينجز الأستاذ ما وعد ، وأن يبين لنا موضع التصوير الفنى فى هذين البيتين ، مشكوراً من الشعر والأدب

ابو درويش

اكتشاف مصل لإطالة الحياة ومعالجة الجروح

من أنباء موسكو الأخيرة أن العالم الروسى بوجو مولتز ، الذى يقول بأن مدى عمر الإنسان العادى يجب أن يكون ١٥٠ سنة ، اخترع مصلاً يتصل بنظريته فى إطالة الحياة ، وهو الآن يستخدم فى معالجة الجرحى الذين ينقلون من الميدان الروسى ، وقد أسفر استخدامه عن نجاح

والمعروف أن لهذا المصل أثراً فى الخلايا الحية وكان قد صنع فى الأصل لمعالجة الشيخوخة الباكرة والاضمحلال الذى يعاجل الأجسام البشرية ، ولكن ظهر أنه يدمل الجروح ويرأب الكسور فى العظام ، وهو الآن لا يستخدم إلا فى المستشفيات العسكرية حيث ظهر أثره البالغ فى معالجة الجروح والكسور التى تحدثها شظايا القنابل والقذائف

الاستخلاص بمعنى الاستخراج

يقول الأستاذ داغر فى كتابه (تذكرة الكاتب) : يقولون « الكتب التى اعتمد عليها المؤلف فى (استخلاص) تاريخ ذلك المهد » والصواب تخليص أو تلخيص

وجاء فى (أساس البلاغة) للعلامة الزمخشرى : « والزبد خلاص اللبن ، أى منه يستخلص بمعنى يستخرج » . فهو إذن استعمال صحيح لا غبار عليه

أنتم أعلم بأمر دنياكم

ساق الأستاذ القبانى (فى العدد ٤٥٢ من الرسالة) هذا الحديث بصيغة (أنتم أعلم بأمور دنياكم) وعزاه إلى صحيح مسلم. ولهذا الحديث ثلاث صيغ فى صحيح مسلم، ليس منها هـذه الصيغة، بل منها صيغة (أنتم أعلم بأمر دنياكم) وهـذه الإضافة للعهد، يعنى أن هذا الأمر الذى هو تأبل النخل أنتم أعلم به، وليس هناك صيغة تفيد النهى عن التأبير، فلا يخل هذا الخبر بعموم قوله تعالى: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره...» والأمر هنا مصدر مضاف يفيد العموم بخلافه فى الحديث فإنه بمعنى الشأن، والمراد بالشأن الشأن المعهود وهو تأبير النخل.

وقوله تعالى: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى»، نص على أن قوله صلى الله عليه وسلم: «البنات وحى منزل» على أن الأحاديث التى رواها مسلم تختلف بمن فى أسانيدها من الرجال اختلافاً يوجب النظر الدقيق فى درجاتها.

محمد أبو البهاء

الطلبة الغرباء فى مصر

أيها المصريون!

فى مصر — ومصر فى إكرام الضيف البلد الكريم — طائفة من طلاب العلم وفدوا من جاوة وسومطرة وجارات لها إلى كعبة الشرق الأزهر الشريف، فمنعت الحرب فى الشرق الأقصى عنهم رفد أهلهم وهم أبناء الأسر الكريمة ولهم بين الطلاب وعند أساتذتهم مقام محمود، فأصبحوا من الفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً

وإنا نهيب بذوى الخير أن يتفضلوا بمنع ذلّ السؤال عنهم ويسارعوا إلى خير هؤلاء. وعند الله أجر المحسنين.

وقسم الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف — وهو على بينة من ندى أهل وطنه وحميتهم — لا يطيل القول إيماناً منه بدافع النخوة فى نفوس المصريين، وثقة فى أن للبر والمعروف بمصر نفوساً تتنافس فى الخير فلا يحس النزيل بينهم إلا أنه بين أهله وعشيرته. ولا غرو فالإسلام رحم بين أهله. «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله»

وإنا لنذكر بوافر الحمد لسعادة صالح عنان باشا همته التى افتتح بها هذا الاكتتاب الخير

ونشكر للمقطم الغراء أن أذاعت دعوته وأيدته وحولت مبلغ تبرعه فى هذا السبيل، وقدره عشرة جنيهات إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، والدال على الخير كفاعله

فإلى الخير للذى أنتم أهله، ومن أحق الناس به، نوجه إليكم هذا النداء وما تفعلوا من خير فلن تكفروه.

محمد أحمد العدوى
المفتش العام للوعظ والارشاد

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٨ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٥٣٧ سنة ١٩٤٢ ضد حسنين رفاعى الفرماوى قومسيونجى بقراقص مركز دمنهور بتغريمه ٥٠٠ قرشا خمسمائة قرشا والنشر على مصاريفه لبيعه قمحا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢١ يناير سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٤١٨ سنة ٩٤٢ ضد سعيد ناجى شحاته بقال بسوق البندر بدمنهور بالحبس ١٥ يوما بالشغل والنفاذ وغلق المحل أربعة أيام والنشر على مصاريفه لامتناعه عن بيع السكر مع وجوده لديه

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢١ يناير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٣٦٦ سنة ١٩٤٢ ضد سعد فرج الديب بقال بمحلة كيل مركز أبو حمص بالحبس ١٥ يوما مع الشغل والنفاذ وغلق المحل ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه سكرا وشايا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢١ يناير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٤٠٥ سنة ١٩٤٢ ضد عبد الحميد السيد المزبودى بقال بشارع أبو الريش بدمنهور بتغريمه ١٠٠ مائة قرشا وغلق المحل ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لامتناعه عن بيع السكر مع وجوده لديه

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢١ يناير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٣٦٢ سنة ٩٤٢ ضد رجب محمود القبانى بقال بشارع أبو عبد الله بدمنهور بالحبس ١٥ يوما مع الشغل والنفاذ وغلق المحل ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لامتناعه عن بيع السكر مع وجوده لديه

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٤ يناير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٧٧ سنة ١٩٤٢ ضد على أحمد سليم جزار بالعطف مركز المحمودية بالحبس شهرا بالشغل والنفاذ وغلق المحل ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع لحوما بسعر أزيد من المحدد

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢١ يناير سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٢٣٢ سنة ٩٤٢ ضد السيد عبده الغنام تاجر زيت بدهشان تبع دسونس مركز أبو حمص بتغريمه ٢٠٠ مائتى قرشا والنشر على مصاريفه لبيعه زيتا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة



النحلة وعروس النيل

قصة من القصص الشعبي لسكان جزيرة « بورنيو »

نقلها عن الانكليزية

الأستاذ ابراهيم عبد الحميد زكى

أحست مرة نحلة صغيرة جميلة أنها قد جاوزت سن الطفولة وبلغت من القوة حداً يسمح لها بالطيران وحدها لتجمع رحيق الأزهار وتصنع منه الشهد . فلما حلقت في الجو حمل إليها الريح أريج زهرة حمراء من عرائس النيل كانت نامية على جوانب الغدير ، فاتجهت إليها وكادت تسقط عليها لتمتص ما فيها من حلو الرحيق ، ولكن « عروس النيل » أبت عليها ذلك وصاحت بها تقول : « لا ! أيتها النحلة ، لقد أتيت هنا تريدين أن تشقى لك طريقاً بين أوراقى فى عنف وقوة كما هو شأن أبناء جلدتك ، وإنك لترغبين أن تمتصى رحيقى بغير مقابل ... ولكن ، لا ... إعلمى إن كنت لا تعلمين أن عليك قبل ذلك أن تدفعى ثمن ما تطلبين » ... فصعدت النحلة فى الهواء قليلاً ، وحامت حول الزهرة مرات كثيرة ، وعلا أزيز جناحيها علواً كبيراً ثم قالت : « وما هذا الذى تطلبين « يا عروس النيل » ؟ ألا يكفيك ما أنت فيه من نعيم : فها هو الماء العذب يجرى حواليك ، وها هو النسيم العاطر يهب منك وإليك ... ؟ » ؛ فأجابت الزهرة : « ما أشد غباءك ، وما أضيق ذهنك ، أيتها النحلة الحمقاء ؟ إن هناك شيئاً ينقصنى ولا جدال ، فارحلى عنى وابحثى عنه ، فإذا اهتديت إليه وعثرت عليه ، فعودى إلىّ ... » ؛ فتملك النحلة الغضب ، وعلا أزيز جناحيها مرة أخرى ، ثم انصرفت تبحث عما تريد منها « عروس النيل »

وبينما هى تطير حائرة مشغولة الفكر لمحت حشرة واقفة إلى جذع شجرة تقرضه ، فأسرعت إليها وقالت لها : « أواه أيتها الحشرة ! ألا تنبئنى بما تريد منى عروس النيل ؟ » ؛ ولكن الحشرة كانت لاهية فى نفسها معنية بأمرها فأجابتها : « اذهبى عنى ... ماذا يعنينى من أمرك وأمر عروس النيل ؟ ليس لدىّ من الوقت متسع لكما ... ابحثى عن غيرى ! » ؛ فصعدت النحلة ثانية إلى الجو ، وعلا أزيز جناحيها من جديد ، ولكنها رأت عنكبوتاً ينسج خيوط بيته فى ركن تضيئه الشمس بنورها الساطع ، فوقفت النحلة إلى جانبه وألقت عليه سؤالها ؛ فقال لها العنكبوت : « إنها تريد ذبابة » ؛ فادركت النحلة أنه من أولئك القوم الذين يحسبون أمنياتهم صورة من أمنيات الآخرين ، فولت وجهها شطر ناحية أخرى ، وراحت تبحث عما تريد منها عروس النيل ...

ورأت فوقها سحابة فهرعت إليها وصاحت بها : « أتوسل إليك أيتها السحابة أن تخبرينى ماذا أقدم لها ؟ » فأجابت السحابة « قطرات المطر » فسرت النحلة سروراً عظيما وعادت إلى عروس النيل على جناح الريح وقدمت إليها قطرة من الماء تفوق فى حسنها حبة اللؤلؤ ، ولكن الزهرة تمايلت على غصنها وقالت : « لا ، إن الماء عندى كثير وقطرات الندى تساقط على كل صباح » فنشرت النحلة مرة أخرى جناحيها وعادت للبحث والتنقيب . ورأت أشعة الشمس تداعب أوراق العشب فسألتها فقالت : « إنها تريد الدفء » فالتقطت النحلة إحدى الحباحب[1] ثم عادت إلى الزهرة وقدمتها إليها ولكنها أبت أن تأخذها وقالت : « إن لى فى ضوء الشمس الدفء كله . عودى ثانية للبحث »

وشاهدت النحلة بومة فسألتها فقالت لها : « إنها تريد النوم فاذهبى إليها وروحى لها بجناحيك حتى تنام » . ولكن الزهرة قالت : « وماذا أفعل بالنوم . إن النوم يأتينى كل ليلة فلاحاجة لى به منك »

عندئذ كاد اليأس يتملك فؤاد النحلة فصاحت بصوت عال : « ترى ماذا تريد منى هذه الزهرة المتقلبة الأهواء ؟ »

وشاء القدر أن يسمع هذه النصيحة العالية راهب عجوز يقطن كوخاً فى الغاب فنادى النحلة وقال لها : « ما أشد غباءك أيتها النحلة ! أتريدين أن تعلمى ماذا تريد منك عروس النيل ؟ إنه هذا » ثم طبع على جناحيها قبلة من أعذب القبلات

فاغتبطت النحلة لذلك كل الاغتباط وطارت بأقصى سرعتها نحو الزهرة وقبلتها فى خفة ودلال . وعندئذ أحست الزهرة بالسعادة والهناء ، وتفتحت أوراقها واستسلمت للنحلة لتمتص منها ما تشاء من الرحيق

هذه هى قصة النحلة وعروس النيل ... والقبلة

« الاسكندرية » ابراهيم عبد الحميد زكى

(١) ذباب ذات ألوان يطير فى الليل فى ذنبه شعاع كالسراج

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10 me Année No. 459

Lundi - 20 - 4 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

السنة العاشرة « القاهرة فى يوم الإثنين ٤ ربيع ثانى سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٢ » العـــدد ٤٥٩

الفهرس

ومن هو ليوپاردي ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

نعم ، ومن هو ليوپاردى ؟

سؤال كنت أنتظره من كثيرين بعد مقالي السابق عن الشعراء الذين « لهم عالم » من الأوربيين والعرب . وقد سألنيه أكثر من واحد وحق لهم أن يسألوا ؛ لأن ليوپاردى ضعيف الشهرة فى البلاد الشرقية ويوشك أن ينساه القراء الأوربيون على ارتفاع شأنه بين النقاد والمعجبين بالأدب الفحل والأساليب الرصينة والنزعات « الإغريقية » الصادقة فى غير اصطناع ولا محاكاة

قلت فى مقالى السابق : « إن أبا تمام يجيد فى هذا المعنى ويجيد فى ذاك ، ولكنه لا يعرض لك العالم كله فى حالة من حالاته ، ولا يخرج لك نسخة عالية تقرنها إلى النسخ الأخرى التى تستمدها من أمثال ابن الرومى والمتنبى والمعرى فى الشعر العربى ، وأمثال شكسبير وجيتى وليوپاردى فى الآداب الأوربية »

فمن هو ليوپاردى هذا ؟

هو بالإيجاز ثالث الثالوث الأكبر الذى اشتهر بالتشاؤم فى أوائل القرن التاسع عشر : وهم بيرون الشاعر الإنجليزى ، وشوبنهور الفيلسوف الألمانى ، وليوپاردي الشاعر الفيلسوف الإيطالى الذى كان أصدق الثلاثة تشاؤماً وأحقهم جميعاً بالتشاؤم ،

والذي شاء له القدر - الرحيم - أن يفارق الدنيا كما فارقها زميله بيرون قبل الأربعين ، ولم يشأ له أن يعمر فيها كما عمر الفيلسوف الألماني إلى ما بعد الثمانين

ولد في عصر التشاؤم لأنه عصر الانتزاع من الماضي والشك في الحاضر والتهيب من المستقبل ، وابتلي بكل سبب من أسباب التشاؤم ينغص لذة العيش ويرنق صفو الحياة ، فاجتمعت عليه عراقة النسب مع الفاقة ، واصطلحت عليه الأسقام وضآلة البنية ، ودقة الحس ، وفرط الذكاء ، وخيبة الحب في مقتبل الشباب ، وسآمة البيئة الريفية التي نشأ بينها واضطر إلى البقاء فيها ، وأدركه الموت وهو أصم ونصف أعمى ومريض حرض منذ سنين

ومع هذا أي فحولة في الذهن ، وأي مضاء في البديهة ، وأي أمانة للأدب ، وأي صدق في التعبير ؟

لكأنما كانت ملكاته الأدبية عوضاً معادلاً لمصائبه الجسدية ، وكأنما خلق بنصيب عشرين في الذكاء ، وفي البلاء على حد سواء

تعلم في صباه ست لغات بغير معلم ، وهي الإغريقية والعبرية والفرنسية والانجليزية والألمانية والإسبانية ، فضلاً عن اللاتينية !

والتهم مأثورات الإغريق واللاتين جميعاً وأشربها إشراباً حتى أصبح وكأنه واحد من أدباء يونان الأقدمين

ولما ضعف بصره طفق يشكو في رسائله إلى أصدقائه ويقول : لا أقرأ اليوم إلا ست ساعات في النهار !

وفجع المسكين حتى في هذا فنهي عن القراءة وعن الإصغاء ! ووجب عليه أن ينفق أيامه في قرية لا يشغله فيها شاغل غير التفكير الذي يحرق رأسه وجسده ويضنيه ولا يريحه . ثم ذهب إلى روما وهو مطبوع على الجد ومعاشرة العقول الكبيرة فضاق بها ذرعاً واجتواها أشد اجتواء ، وعاب على أهلها أنهم قوم هازلون لا يقرنهم بأهل قريته الذين يعرفون الجد وإن كانوا جهلاء لا يعرفون

صورته التي صور الدنيا عليها أشبه شيء بالرسم المظلل الذي لا لون فيه غير السواد ، ولكنها مع سواد لونها صادقة في كل شيء ما عدا التلوين : صادقة في خطوطها ومسافاتها وأشباهها وكل لمحة من ملامحها ، ولا خداع في نقل شيء منها على الإطلاق لتسويغ رأي أو لمجاراة عقيدة . فهي الأمانة التي لا أمانة بعدها في الشعور وفي الأداء ، وهي الفحولة التي تعلو به فوق مصائبه وأشجانه وبلاياه ، كأنه لا يتشاءم لأنه محروم من رجاء ، بل لأنه يرثي للدنيا وما فيها من رجاء

لهذا العقل المتوهج عذره إذ رأى الحياة شراً ورأى أن الموت ختام لمأساة الحياة لا شر فيه . أو كما قال : « إن الموت ليس بشر لأنه ينجو بنا من جميع الشرور . وإذا أخذ من الإنسان شيئاً حسناً فهو كذلك يأخذ منه الرغبة فيه . إنما الشر الأكبر هو الشيخوخة التي تحرمه كل سرور وتبقي له اشتهاء ما حرمته ، ووصب الداء العياء ؛ ومع هذا يفرق الناس من الموت ويتوقون إلى الشيخوخة ! »

ولهذا القلب البائس عذره إذ رأى كل حسن في الدنيا قريناً للموت زميلاً للفناء . وأي شيء أبعد عن هذه المزاملة من « الموضة » أو « الجديلة » التي يلهج بها الحسان وغير الحسان ؟ أي شيء فيه من مخالفة الموت ما في دكاكين الزينة التي تتجدد فصلاً بعد فصل وموسماً بعد موسم ؟

لكن ليوباردي يعقد المحاورة بين المنية والجديلة فإذا هما شقيقتان وزميلتان . لأن الجديلة كالمنية موكلة بالقضاء على كل موجود وتقبيح كل حسن بعد استحسانه ، وتغيير كل عادة ألفتها الأبصار والأسماع ، وهي في سلطانها نافذة لا هوادة في أمرها ، ولا مناقشة لأحكامها ، ولا حيلة معها غير الخضوع والتسليم

تنادي الجديلة أختها : يا منية ! يا منية ! فلا تلتفت إليها المنية ثم تعيد النداء فتجيبها متبرمة معرضة : إليك عني . إني آتية إليك لا محالة ، ولكن حين لا تريدينني ولا تهتفين باسمي . فتفهمها الجديلة أنها أخت شقيقة وليست « بعميلة » أو داعية أو فريسة

وتتفاهم الأختان بعد حوار كأمتع ما يكون الحوار ، ثم تتداعيان إلى السباق وكسب الجائزة في مضمار الهدم والتبديل . فتقول المنية لأختها : ساعديني !

وتقول الجديلة لأختها : لقد ساعدتك حتى الآن أكبر مساعدة في مقدوري ، وتركت عادة الموت بغير تبديل ، وقد غيرت فيما عداها جميع العادات !

وتشفق الأخت الكبيرة أن يجيء اليوم الذي تبطل فيه هذه العادة كما بطلت عادات

فلا تدعها أختها الصغيرة على إشفاقها وحذرها ، بل تجلمد

الطمأنينة إلى ضلوعها التي لا قلب فيها ، وتشرح لها كيف تساعدها بإرهاق الأبدان وتسميم العقول وتعويد الجوارح ما يضني ويسقم ويسلب الغبطة بالحياة . بل تقول لها إنها جعلت من « الموضة » في العصر الحديث أن يعيش الناس لحاضرهم ولا يحفلوا بعد موتهم بالذكر الحسن والخلود المجيد ، وقد كان كلاهما حظاً مسلوباً من المنية وقدما تستبقيه الحياة بعد الفناء . فإذا خسرت الحياة هذا القسم النفيس فذلك كسب عظيم للمنية ، وتلك هي الهدية التي تبذلها الأخت الصغيرة البرة للأخت الكبيرة التي لا تحفظ الجميل . وعلى ذلك تتفق الأختان

***

وللشاعر المتشائم محاورات كثيرة على هذا النحو الطريف ، يعجب القارئ للعبقرية التي صبغتها بصبغة الفن الجميل وهي غارقة في الحزن والألم والسآمة ، وخلقت منها للعقول متعة باقية وهي تنعى على كل متعة وكل بقاء

***

ولقد كانت قراءة ليوباردي وزميليه في مقدمة القراءات المحبوبة عندي إلى ما قبل الثلاثين . ثم بقيت لها قيمتها الفنية الأدبية وبطل الولع بها والاشتياق إليها . فهي اليوم عندي في مقام التقدير والذكرى ، وليست في مقام الاصطفاء والمفاجأة لم هذا ؟

لسبب يخيل إلى بعض الناس أنه مناقض للمعقول والمنظور ، وهو أن الشباب أميل إلى التشاؤم من الكهولة والشيخوخة ، وأقرب إلى الطعن في محاسن الحياة والجهل بتلك المحاسن وهي بين يديه

ولا مناقضة للمعقول في هذا بل المناقض للمعقول أن يكون الأمر على خلاف هذا

فالشاب يخرج من بيته إلى معترك الحياة فيصطدم بالشدائد التي لم يعرفها بين الأب والأم والإخوان والأقربين ، ويرى أخلاقاً غير ما عهد وألف وانتظر : يرى أناساً ينزعون ما في يده وقد كان يرى أناساً يعطونه ما في أيديهم ، ويعلم أن نجاحه يغيظ قوماً يعاشرهم ويعاشرونه وقد كان يعلم أن نجاحه فرحة القلوب وقرة العيون ، ويرجو كثيراً ولا يظفر بغير القليل . والمرء إذا انتظر مائة ووصل إلى عشرين ناقم ساخط متبرم ، ولكنه إذا انتظر خمسة ووصل إلى عشرة يشكر ويرضى ويستريح

هذا سبب من أسباب الشكاية والتشاؤم في الشباب يزول أو يضعف كلما تقدمت به السن وجاوز أيام الدلال على الحياة

وسبب آخر أن الشباب يلتهم ما يتناوله فلا يفرق بين الطعام الفاخر والطعام المزهود فيه ، كالمعدة القوية التي تستخرج الغذاء من كل طعام ، أو كالمعدة الجائعة يتساوى لديها الخبز القفار والمائدة المنتقاة

فهو يظفر بالمتعة ولا يدري ما هي المتعة ولا يقيس الفارق بينها وبين غيرها بمقياس صحيح

وهذا سبب من أسباب الشكاية يضاف إلى ما تقدم فيغري بالتشاؤم في أوائل الحياة

وسبب غير هذا وذاك أن طول العشرة داع من دواعي الألفة والمودة وإن تباينت المشارب في أول اتصال . فإذا كانت الحياة قرينة ناشزة والشاب قريناً غضوباً في بداية الزواج فقد تطول العشرة فيقل النشوز ويقل الغضب ، ويأخذ كل من الزوجين صاحبه على علاته ، ويصل بالإرضاء والإغضاء إلى تسويغ الكريه وقبول المرفوض واستكثار القليل

وسبب غير أولئك جميعاً أن تقديرك الشيء وأنت تحس أنك فاقده عما قريب غير تقديرك إياه وهو في قبضة يديك غير مهدد بضياع .

فإذا اجتمعت هذه الأسباب لم يكن عجيباً أن يقل تشاؤم الشيخوخة ويكثر تشاؤم الشباب

ولهذا جنحت إلى ثالوث التشاؤم كله فيما دون الثلاثين ، وأحببت ذكراهم الآن كما يحب الإنسان ذكرى شبابه الباكر ، وإن يرى بعد غير ما كان يراه

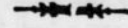
تلك لمحة إلى ليوباردي

بل تلك إشارة إلى صورة العالم الحافل المرسوم بالظلال والظلمات بريشة ذلك العبقري المحروم ، الذي لم يحرم الدنيا كما حرمته ، متعة لب ونفثة سلوى ورحمة عزاء

عباس محمود العقاد

الصوفيـــة

للدكتور عبد الوهاب عزام



سألنى الأديب ابراهيم العجلان رأيى فيما يثور من الجدال حول الصوفية وعن فتوى الطرطوشى التى نشرت فى الرسالة وفيها « مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلال ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه السامرى كما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون » الخ

وهذا جوابى للسائل الفاضل :

— ١ —

كان فى المسلمين منذ شاعت هداية الإسلام عبّاد زهاد لا يتميزون بلباس أو شارة ، ولا يفارقون الجماعة فى قول أو فعل ؛ ثم امتاز منذ أواخر القرن الثانى جماعة من الزهاد باسم الصوفية وحدثت لهم سنن وآداب ميزتهم عن جمهور الأمة ، ونشأت بينهم أقوال وأفعال لم تكن معروفة بين المسلمين . ثم نبغ لهم إمام بعد آخر كان لأقوالهم وأفعالهم آثار واضحة فى اتجاه الطريقة وحدودها

كان التصوف أول الأمر زهداً ، ثم صار معرفة وحباً ، ثم صار فناء ، وخطت سبل لتربية السالكين فصار التصوف طريقة ، ونشأت فيه أساليب من النظر واختلط به آراء من الفلسفة فصار له فلسفة أو ما يشبه الفلسفة

وإذا أردت أن تتبع تطور التصوف فى تاريخ الرجال فانظر فى سير أمثال الحسن البصرى وسفيان الثورى ثم أمثال شقيق البلخي وابراهيم بن أدهم والسرى السقطى ومعروف الكرخى ، ثم أمثال الجنيد والشبلى وأبى يزيد البُسطامى ثم الحلاج والسهروردى المقتول وابن العربى

وليس التصوف مذهباً واضح الحدود بيّن المعالم يجمع كل من دخل فيه على آراء متفقة ، وأعمال متشابهة ، بل فيه آراء مختلفة وأقوال متباينة ، وسير شتى . فيه تصوف الخاصة والعامة وطريقة المقتصدين والغلاة وأقوال الصالحين والسكارى

— ٢ —

وقد ظهر فى التصوف منذ امتازت معالمه ووضحت رسومه أهل الصحو وأهل السكر ؛ الأولون يضبطون أنفسهم ويؤلفون بين أقوالهم وأعمالهم وبين الشريعة ، والآخرون يرمون حين يغلبهم الوجد بالكلام المغلق المبهم أو القول لا يوافق الحدود التى حدتها الشريعة للعقائد والأعمال

وأرى أن أوضح مثل لهذين الضربين : الجنيد البغدادى وأبو يزيد البسطامى . كان الجنيد وقوراً رزيناً لا يغلبه الوجد على نفسه ؛ وأبو يزيد — كالشبلى البغدادى — يرمى بالكلمة بعد الكلمة ينكرها الناس ويضجون منها أو يعجبون لها ويتحيرون ، فيجتهد الجنيد فى تفسيرها وتأويلها . وفى كتاب اللمع لأبى نصر السراج أمثلة من هذا

وممن التزموا المحجة الواضحة كالجنيد جماعة ألفوا فى التصوف وبينوا حدوده وملاءمته للشرع ، مثل أبى القاسم القشيرى صاحب الرسالة ، والسراج صاحب اللمع ، وأبى طالب المكى صاحب قوت القلوب ، والغزالى

— ٣ —

والخلاف بين العلماء أهل الظاهر ، والصوفية أهل الباطن ، قديم مديد نشأ منذ صار التصوف طريقة واستمر إلى يومنا

وحسبك أن تقرأ ما كتب ابن الجوزى فى كتابه (تلبيس إبليس) : « العلماء يرمون الصوفية بالخروج على الدين ، والصوفية يرمون العلماء بالوقوف على الصور والأشكال ، ويرون أن علمهم لا يغنى فى سبيل الله فتيلاً » . وكم سخر الصوفية من أهل الظاهر ووصفوهم بالغلظة والجفاء والقصور عن إدراك البواطن وتذوق المواجد . وليس يتسع المقام لبيان هذا

وقد وجد العلماء فى سير بعض الصوفية ما يقوّى حجتهم ويصدّق دعواهم . وقد تسمى باسم الصوفية أفراد وطوائف جعلوا التصوف وسيلة إلى مآربهم وشهواتهم ؛ كما قال المعرى :

لو كنتم أهل صفو قال ناسبكم صفوية فأتى باللفظ ما قلبا
جند لإبليس فى بدليس آونة وتارة يحلبون العيش فى حلبا

والشكوى من الصوفية قديمة نجدها فى رسالة القشيرى المتوفى سنة ٤٦٥ . ويقول فى مقدمة الرسالة : « ثم اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق فى زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم ، كما قيل :

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نسائها

وحصلت الفترة فى هذه الطريقة ، لا بل اندرست الطريقة

بالحقيقة . مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء ، وقلّ الشبان الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء . وزال الورع وطوى بساطه ، واشتد الطمع وقوى رباطه ، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام ، واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا فى ميدان الغفلات ، وركنوا إلى اتباع الشهوات ، وقلة المبالاة بتعاطى المحظورات ، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان

ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هـذه الأفعال حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق تجرى عليهم أحكامه وهم مُحْو ، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يؤدونه عتب ولا لوم ، وأنهم كوشِفوا بأسرار الأحدية ، واختُطِفوا عنهم بالكليّة ، وزالت عنهم أحكام البشرية ، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية . الخ»

وقد حدثت بعـد القشيرى أحداث . ونجمت مذاهب ضج الناس منها ، وضيع كثير من حقائق الطريقة وحفظت صورها ، وخف على العامة وأشباههم أن يراءوا بأقوالهم الغريبة وأفعالهم العجيبة ، إذ قصروا عن إدراك الدقائق، وعجزوا عن معرفة الحقائق

وفى الصوفية اليوم أهل الورع الصادقون الدائبون فى رياضة النفس وتهذيبها وكبحها ، وهداية الناس وتهذيبهم فى غير عجب ورياء، ولا جلبة وضوضاء . ومنهم الجاهلون الذين لا يعرفون من التصوف إلا الأصوات والحركات ، والملابس والشارات . وليس لهذا الأمر إلا تحكيم الشرع ، والاتفاق على فروضه وسننه وآدابه ، وكلهم مسلمون راضون بحكم الشريعة جديرون أن يجتمعوا عليها ، ويتآخوا فيها

وسأبين فى المقال التالى التصوف الذى يلائم الإسلام والذى ندعو إليه فى هذا العصر إن شاء الله

عبد الوهاب عزام

قبل اليوم المشهود

للدكتور زكي مبارك

قضى آدم فى صحبة حوّاء ساعات وهو ينتظر اليوم المشهود فى ساحة العدل ، وهى ساعات كانت أطول من الدهر وأثقل من الجبال

وزاد فى كروب تلك الساعات أن آدم لم يكن فى حقيقته إلا رِخفة فطرية يُعوزها الصقل والتهذيب ، فكان يبدئ ويعيد فى حكاية شجرة التين ، بعبارات محمَّلة بعنجهية الملامة وفظاظة التربث ؛ وكانت حوّاء تصبر على أذاه فى حين ، وتثور فى أحايين ، وكذلك كانت تلك الساعات أعنف وأفظع من الحساب المرتقَب فى ساحة العدل

— آدم ، هل وصلت إليك الأنباء الأخيرة ؟

— أىّ أنباء ؟

— لقد اختصم الأسود والقرود

— ثم ؟

— ثم اختصم الملائكة المقرَّبون

— وفيم يختصم أولئك وهؤلاء ؟

— فى أمرنا بعد العصيان

— وما قيمة ذلك ؟

— لقد فهمت مما سمعت أن الرأى العام يعطف على قضيتنا كل العطف

— الرأى العام كله ؟ كل سكان الجنة ينظرون إلى قضيتنا برفق؟

— ليسوا جميعاً سواء ، وإنما عطف علينا الأكابر من أولئك السكان

— والأصاغر ؟

— هم دائماً أصاغر ، ولا قيمة لضجيجهم الصخّاب

— ليس فى هذا ما يزيل مخاوفى ، يا حواء ، فما خشيت يوماً أن يصيبنى أذًى من أكابر الخلائق ، ولا جاز فى وهمى أن تصدُر كلمة الإفك عن مخلوق جمّله الله بالقوة أو بالعقل ، وإنما الخوف كل الخوف من الأصاغر ، فهم الذين يذيعون الصحيح والعليل من أخبار السوء ، وهم الذين يطمسون محاسن الأكابر بالإفك والإرجاف ، ليقال إن الوجود ليس فيه فاضل ومفضول

— لا عليك من هؤلاء ، فلن يسمع أحدٌ ما يأفكون ... وهل ضعُفت العقول حتى تسيغ أقاويل المرجفين ؟

— لو كانت العقول تنقُد كل ما تسمع ، وفى كل وقت ، لرجوتُ أن تسقط أراجيف الكاذبين ، ولكن العقول لا تنقُد كل ما تسمع ، ولا تنصب ميزاناً لكل ما يقال ، وسترين يا حواء أن أصحاب العقول أقلية ضئيلة ، وهم مع ذلك لا يشغلون أنفسهم بإنصاف المظلومين ، وليس فيهم من يترك أعماله ليرفع الشبهات المفتريات من طريق المروَّعين بالبهتان

— ألم تسمع أن الأسود غضبت من تطاول القرود ؟

— سمعتُ ، ولكنى أعتقد أنها غضبة وقتية ، فستجدُ للأسود شواغل تصرفهم عن تأديب أولئك الأنذال

— وقد غضبت البلابل أيضاً

— أعرف ذلك ، فقد سمعتها تقول إن آدم هو المخلوق الوحيد الذى يطرب لصوتها الرخيم ، وأنه إن خرج من الجنة فلن تهشّ للتغريد ... ولكن من يضمن أن يدوم هذا العطف ؟ نحن شجّعنا البلابل والعنادل على الغناء ، وأقمنا لهم دولة ، ونبّهنا الخلائق إلى ما يملكون من جواهر السجع والرنين . فهل يذكرون هذا الفضل بعد أن نخرج من الفردوس ؟ أنا أخشى أن تصفق لهم الضفادع فيرون النقيق من صور الثناء !

— هل بلغك ما قالت الببغاوات ؟

— نعم سمعت أنها قالت «إن مخارج الحروف عند آدم سهلةٌ لينة ، وأنها تحاكيه في النطق بلا عناء ، فهو بذلك أجمل مخلوق» وأنا من هذا أخاف يا حواء

— وكيف ؟

— ستستطيع الببغاوات أن تزعم أنها خلائف

— خلائفُ مَنْ ؟

— خلائف الحيوان الناطق

— خلائف آدم ؟

— إى ، إى ، أليست تنطق كما ينطق ؟

— ولكنها لا تفقه شيئاً مما تنطق ؟

— من حق الببغاوات أن تدّعى لأنفسها ما تشاء ، حين يغيب أهل العقل والبيان

— ولكن أهل الجنة سيذكرون دائماً أنك وحدك الشاعر والخطيب

— أهل الجنة لن يذكروا شيئاً ، وسوف تعلمين

— خبلتنى ، خبلتنى !

— إن كنتِ فى حاجة إلى مزيد من الخبال ، أيتها المخبولة الحسناء . . . إسمى

— إنك تُرعبنى حين تقول اسمى

— إسمى يا حواء ، ثم اسمي ، المجد يحتاج إلى حراسة ، والأصدقاء يحتاجون إلى حراسة ، وقد تكون رعاية الغنم أسهل من رعاية الأصدقاء ، ولن يحفظ عهدَنا أحدٌ حين نغيب

— ولا الظبى الذى ربيناه منذ أسابيع ؟

— سيجد ذئباً يرعاه ، وسيأنس بالأنياب الحِداد ، أضعافَ ما أنِس بالأنامل اللطاف

— هي أناملى ، لا أناملُك

— حتى فى أوقات الكرب الماحق لا تنسى المرأة أنها مخلوق لطيف !

— ترتاب فى جمالى ؟

— أستغفر الله !

— ولا تستغفر الحب ؟

— وأستغفر الحب وأتوب إليه !

— صِدق ، صِدق ؟

— وهل كذبتُ عليك يوماً يا حواء ؟

— أنا إذاً جميلة وأنت تحبنى ؟

— ما أحببتُك يوماً ، ولا رأيتك جديرة بالحب ، لأن عقلك أصغر من عقلى ، والحب تفاهم بين عقلين ، قبل أن يكون تلامساً بين جسمين ، ولكن صوتاً يزعجنى يا حواء

— وما ذلك الصوت المزعج ؟

— هو الصوت الذى يصرخ بأن لا بد لآدم من حواء

— تقول هذا وأنت الذى يُشغل عنى بما فى الفردوس من شجر ونبات وطير وحيوان ؟

— أنا شُغِلتُ عنك بتلك الخلائق ؟ هيهات ثم هيهات ! كنت أتأمل الأشجار لأعانق الغصن الذى يشبه قدك النشوان ، وكنت أداعب الأزهار لأرى فيها شمائل من خدك الوهاج ، وكنت ألاعب الأطيار لأسمع سجعاً يذكّر بصوتك المقتول ، وكنت أناغى فصائل الحيوان لأعرف أن لك صوراً فى عيون الجآذر وأجياد الظباء . حبك يا حواء أذوانى وأضنانى وأبلانى ، وستسمعين من أخبارى ما تكرهين

— عَدَتْك العوادى ، أيها الفارس الجميل !

— سأصبح فارساً بلا فرَس

— أنت ؟

— نعم ، أنا ، فقد حدثنى أحد الملائكة أن الله لا يقيم وزناً لهفوات النساء ، فإن القضاء الذى سيقام فى ساحة العدل سيجعلنى المدين.

— وحدك ؟

— وحدى !

— وإذن ؟

— وإذن أهبط الأرض وتبقَين فى الفردوس

— مع من ؟

— مع جميع هذه الخلائق من شجر ونبات وطير وحيوان ومع نهر الكوثر ، ومع الملائكة المقرَّبين

— أهذه خلائق ؟

— بالتأكيد ، وفيها الكفاية لمن يحتاج إلى أنيس

— وأصير كالدَّجاجة الحائرة عند غياب الديك ؟

— كيف تحارين وأنت بين المهتدين ؟

— هداية حواء فى غيبة آدم هى أقبح صورة من صور الضلال

— سيقضى الله فى أمرنا بما يشاء

— الله سيقضي بأن تعيش المرأة بلا رجل ؟

— سيقضى الله بالعدل ، فالرجل أذنب والمرأة لم تذنب ، والعقاب لا يحق على غير المذنبين

— تخرج من الجنة وأبقى وحدى بحجة أنك المذنب ؟

— بالطبع !

— وهذا عدل ؟

— هذا هو العدل .

— والله يريد ذلك ؟

— يقال !

— آدم ، سترى أننى أشجع منك ، وأوفى منك !

— من السهل أن تكونى أشجع منى ، ولكن من الصعب أن تكونى أوفى منى

— المرأة لا تعتصم بالدلال إلا فى أوقات الصفاء ، وهى عند الخطر فداء الرجل من جميع الأسواء . ألم تسمع حديث الصائد ؟

— وما حديث الصائد ؟

— إذا ساور الصائد أسداً ولَبُوَءة ، كان عليه أن يقتل اللبؤة قبل أن يقتل الأسد

— ولماذا ؟

— لأن الأسد ينسحب بعد انصراع اللبؤة ، أما اللبؤة فتقاتل بعد انصراع الأسد إلى أن تموت

— وأنا سأجادل الله يا آدم

— وتجادلينه يا حواء ؟

— أنا أفصح من جميع المحامين ، والمرأة تحارب بالدمع حين تعجز عن المحاربة باللسان

— ولكن الله أكبر من أن ينخدع بدمع المرأة ولسانها

— أنا أعرف الله أكثر مما تعرف

— كل شيء جائز إلا أن تصل المرأة إلى معرفة الله على الوجه الحق

— أنت لا تعرف خطر المرأة حين تصرخ وتولول

— أو ينزعج الله عزّ شأنه بالولولة والصراخ ؟

— سترى كيف أصنع ، سترى ، سترى ، سأقيم مناحة فى ساحة العدل ، وسيبكى مى جميع الإناث من الطير والحيوان

— والنتيجة ؟

— النتيجة معروفة منذ هذا الوقت ، فسيصفح الله عنك ، ليريح أهل الجنة من الولولة والصراخ

— ويقول التاريخ إن آدم نجا من العقاب لأن امرأته بكت فى ساحة العدل ؟

— ما قيمة التاريخ ، وهو لفظٌ بلا مدلول ، ولا يعتزُّ به غير الضعفاء ؟

— وتقولين كلما اختصمنا إنك سبب نجاتى !

— هل يؤذيك أن تعترف بفضلى عليك ؟

— تمنّين علىّ قبل أن يقع الفضل المزعوم ؟ أنت السبب فيما أعانى من البلاء ومع هذا تطالبين بالثمن لدفع نكبةٍ جناها عقلُك المنخوب !

— أنا أعقل منك !

— لأنك أغريتنى بالأكل من شجرة التين ؟

— وهل فى الجنة شيء اسمه شجرة التين ؟

— تكذّبين الواقع الملموس ؟

— واقع ملموس ؟ ما هذا الكلام الأجوف ؟

— شجرة التين ، يا حواء ، شجرة التين

— قلت لك إن الجنة ليس فيها شيء بهذا الإسم الغريب

— ولم نقع فى العصيان ؟

— أى عصيان ؟

— العصيان الذى أوجب أن نفتضح ، يا حواء

— وكيف افتضحنا ، يا آدم ؟

— بظهور السوأتين

— الطير والحيوان لا تعرف ستر السوأتين ، فأرح نفسك من هذا العناء

— أترين أن أواجه الله بهذا القول ؟

— واجِهِ اللهَ بما تشاء ، ولا تخف من غضبه عليك !

— وكيف ؟

— لأنه لن يصنع بك أشد مما صنع

— ماذا ؟ ماذا ؟

— لقد خلق لك ضميراً ، ثم خلق لك ضميراً ، لتقضى حياتك فى عذاب !

— وإذن ؟

— وإذن تكفر بالله وتثور عليه

— لأصير ...

— لتصير حيواناً سعيداً كسائر أصناف الحيوان

— الفضيحة الأبدية ، ولا هذا المصير ، يا حواء

— ماذا تريد بنفسك يا آدم ؟

— أريد أن أكون أول مسئول أمام الله فى هذا الوجود

— وما غنيمتُك من هذه المسئولية ؟

— هي أن أتشرف بالثواب والعقاب

— الله قد يعاقِب ولا يُثيب

— يهمنى أن أُعاقَب ولا يهمنى أن أُثاب

— لأنك ...

— لأنى رجل ، وسعادةُ الرجولة فى احتمال التبعات

— وبهذه العقيدة ستلقَى الله فى ساحة العدل ؟

— نعم ، نعم

— وإذن يكون من حق أن أقول إنى فى صحبة رجل هو أشجع الرجال وأشرف الرجال !

(للحديث أفانين) **زكى مبارك**

برنامج الإصلاح فى جماعة كبار العلماء

أحـــلام ...

للأستاذ محمد محمد المدنى

كنت يوماً من الأيام راضى النفس ، ساكن الجأش ، هادئ العاطفة ؛ ونظرت فإذا بارقة من أمل تبرق فى جو الأزهر فينبثق منها نور وهّاج تضوء به أرجاؤه ، وتصفو به سماؤه ، ويشرئب إليه الناس بأبصارهم وأعناقهم متطلعين

كتبت يومئذ فى (الرسالة) مقالاً : أما موضوعه ، فهو موضوع اليوم « برنامج الإصلاح فى جماعة كبار العلماء » ؛ وأما عنوانه الذى أوحت به النفس يومئذ ، فقد كان كلمة جميلة خفيفة على الأسماع ، أعتقد أنها ترجمة واضحة لما كان يدور بالنفوس المستبشرة قبل أن تكون عنواناً لمقال يتحدث عن أعمال « جماعة كبار العلماء » ، تلك الكلمة هى « آمال ... »

ولكننى أعترف الآن أننى كنت مغالياً ومسرفاً فى الخيال إلى حد بعيد حين اخترت هذه الكلمة عنواناً لمقالى ، وأنه كان علىَّ يومئذ أن أذكر تاريخ الإصلاح فى مصر بوجه عام ، وتاريخ الإصلاح فى الأزهر بوجه خاص ، لأختار كلمة أخرى غير كلمة « الآمال » . ولست أدرى : أمن تقاليد (الرسالة) أن تسمح أحياناً لكتابها بتصحيح ما سلف من العناوين ؟ ولكن أنَّى ذلك وقد سارت بذكرها الركبان ، وانقضى عليها أزمان وأزمان ؟

عفا الله عما سلف ! وليكن حديث اليوم تصحيحاً لحديث الأمس ، ولنجعل عليه عنواناً غير ذلك العنوان ، هو « أحلام ... »

* * *

كتب الأستاذ الكبير صاحب (الرسالة) مقالاً خطيراً بالعدد (٤٥٦) عنوانه « لا بد للإسلام من مؤتمر » ؛ وقد استعرض فيه حالة الشرق والعرب ، وذكر تودد الغرب إلى المسلمين فى ظروفهم الحاضرة ، ثم عرج بالحديث إلى « العلماء » فقال :

« ولئن سألتنى بعد ذلك : هل بلَّغ العلماء رسالة الله ؟ لأقولن لك : « لا » مغلظة مكبرة مكررة ! وأكبر الظن أنهم لا يؤمنون بأن لهم رسالة ، وأن عليهم تبعة : رجال السياسة يعملون بحق أو بباطل ، ورجال الحكم يتصرفون بعدل أو بظلم ؛ أما رجال الدين في ممالك الوطن الإسلامى كله ، فقد قنعوا باللقب والزى ، واكتفوا بالشبع والرى ، ورضوا أن يكونوا متوناً لذوى الطمع ، وحواشى لأولى النعمة ، وهوامش على صفحة الحياة ! »

قال الأستاذ الزيات ذلك . ومضى فى مقاله البليغ يؤيده بالحجج ، ويضرب له الأمثال ، ويهز به النفوس ، ويثير به كوامن الشجون ؛ ثم قال : « لقد عقدنا الآمال بالأزهر فى كل ذلك ، فهل عقدناها بلعاب الشمس ؟ كانت جماعة كبار العلماء معقد الرجاء ومناط الثقة ... ولكن برنامج الإصلاح الذى اقترحه شبابها المصلحون ، وأقره أقطابها المخلصون ، قد أدركته أزمة رجعية توشك أن تخنقه فى درج المشيخة ؛ فإن عضواً من الجماعة يوجس منه شراً : فهو ينسج حوله الشكوك ، ويؤلب عليه القوى وقد نجح فى ذلك . فهل يجوز فى ظن امرئ أن يكون فى كبار العلماء من يشتبه عليه الحق والباطل والخير والشر والصلاح والفساد ؟ ذلك ما لا نصدقه ، ولا نود أن تجرى الأمور بما يحققه »

قرأت هذا المقال مثنى وثلاث ورباع ، واشتد علىَّ وقعه ، وساءنى هذا النبأ الهائل الرهيب الذى تضمنه ، وقلت لنفسى : هذا يوم له ما بعده ! سوف يتكلم الأزهر ، وسوف يدفع العلماء عن أنفسهم ، وسوف تتحرك الجماعة الموقرة لتثبت للناس أنها سامعة لكل ما يدور حولها ، واعية لكل ما يقال عنها ، ولكنى تلبثت لذلك أسبوعاً ، واستظهرت من بعده بأسبوع آخر فلم أجد أحداً من الأزهريين ، رسميين أو غير رسميين ، يعرض لذلك بتصحيح أو تكذيب ، ولم ألمح فى جو الجماعة ما يدل على أنها موشكة أن تجتمع لترى فى برنامج الإصلاح رأيها . وقد عنيت فى أثناء ذلك أن أستمع إلى أحاديث الناس فى الأزهر وغير الأزهر عن هذا الشأن الخطير ، فسمعت أحاديث عجباً !

هذه رواية تقول : إن أشخاصاً معينين قد ألفوا التعويق عن الخير ، والتخزيل عن الإصلاح ، قد وقفوا من هذا البرنامج موقف المحارب فى السر والعلن ، وجعلوا يصرحون فى مجالسهم بأن هذه المقترحات لن تتم أبداً ، ولن تأخذ طريقها إلى التنفيذ !

وهذه رواية أخرى تنقل عن أحد أعضاء الجماعة عبارة يدأب على ترديدها ويرى بها فى وجوه الناس إذا سألوه فيقول : إن هؤلاء الشبان من أعضاء الجماعة يريدون أن يقلبوا الدنيا وأن يغيروا أوضاع العلم فى الأزهر . وأن يفسدوا الدين !

وهذه رواية ثالثة تقول : إن مديراً من مديرى إدارات الأزهر

قد ساءه أن تفكر الجماعة فى انتزاع إدارته من يده . فأقسم برأس جدوده من الشراكسة : لن يتم هـذا البرنامج ولو كان بينه وبين التمام خطوة واحدة

على أن أثراً آخر من آثار التفـكير فى هذه المقترحات قد حدث فعلاً ، وبرز بروزاً رسمياً . ذلك أن لجنة معروفة فى إدارة المعاهد الدينية قد رأى بعض أعضائها فى هذه الاقتراحات مساساً بهم ، وتعريضاً بكفايتهم . فاتفقوا على أن يستقيلوا من هذه اللجنة ورفعوا استقالتهم فعلاً إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ، ولـكنه لم يقبلها وأمرهم بالبقاء فى أعمالهم

وتقول جريدة « البلاغ » الغراء فى عددها الصادر مساء التاسع من شهر إبريل الحاضر ما نصه :

« قد رددت إشاعات نرجو ألا تكون صحيحة ، خلاصتها : أن بعض أعضاء جماعة كبار العلماء مع قبولهم هـذا المبدأ وسائر المبادئ التى تحقق الإصلاح وتنظم جهود الجماعة والأزهر والتى انتهت إلى قبولها لجنة بحث المقترحات ، لا يرون أن تنفذ تلك الآراء لأن فى قبولها وتنفيذها اعترافاً ضمنياً بتقصير الجماعة عن التفـكير فى ذلك فيما سبق ، وهذا موقف لا يرضاه أعضاء الجماعة لأنفسهم »

وهكذا تختلف الروايات تبعاً لتعدد مصادرها . ولـكنها كلها تجمع على شىء واحد هو : أن عقبات تقف فى طريق هذه المقترحات وتحول بينها وبين النور أن تراه ، فهى لذلك حبيسة فى « درج المشيخة » وستظل حبيسة فى هذا الدرج حتى يأذن الله

***

يا ويلتا ! أيموت هـذا المشروع أيضاً كما ماتت من قبله مشروعات ؟ وماذا يقول الأزهر بعـد ذلك للأمة وقد نادى فى أرجائها البشير : أن قد استيقظ العلماء ، وهبوا للعمل ، وشمروا عن ساعد الجد فى خدمة الدين ونصرة الشريعة ؟

أهكذا يا مصر تنفرج فيك إلى هذا الحد « مسافة الخلف بين القول والعمل ؟ » . أحين تكون الأعمال فـكراً تجول فى النفوس ، أو مشروعات تكتب على الأوراق ، يسمع الناس لها ضجيجاً عالياً ، ودوياً صاخباً ، ويرون من حولها هيئات تجمع ، وجلسات تعقد ، وأقلاماً تكتب ، وصحفاً تنشر ، وبشارات تتوالى ، ويخيل بها على الناس أن الأمر جد ، وأن الوعد حق ، وأن ساعة التنفيذ آتية لا ريب فيها ؟ ثم تمضى الأيام ، وتتلاحق الشهور والأعوام وهذه المشروعات ساكنة لا حراك بها ، يعلوها غبار ، ويرهقها قُتار ، وتوحشها ظلمات الإهمال أو النسيان

أجل ! أجل ! و « أىٌّ هكذا خلقت ! »

ارجع ، أيها القارئ ، إلى مجموعات الصحف والمجلات والسجلات الحـكومية تر العجب العجاب : برامج للتعليم بعضها فى أثر بعض ، وبرامج لإنقاذ الفلاح وتحسين حالة الفلاح ، وبرامج للشئون الاجتماعية ، يطنطن بها الدعاة ، وتمتلئ بها المسامع والأفواه ، وبرامج حتى للطرق ، وتنظيم المدن ، وتخطيط الشوارع تتداولها أوامر الإقرار تارة ، والإلغاء تارة ، والتعديل تارات ؛ وهكذا تفيض مصر بالبرامج إلى البرامج حتى لو عنينا بجمعها وترتيبها والتبويب لها لأخرجنا من ذلك كتاباً ضخما ذا مجلدات ! ولـكنها برامج لم توضع لتنفذ وتطبق ، ولـكن لتكون آية يستدل بها الناس على عبقرية واضعيها ، ولتكتب عنها الصحف أياماً أو شهوراً فتفيض فى تعديد مزاياها ، وتطنب فى بيان فوائدها وما يرجى من آثارها . وما بى من حاجة إلى دليل أؤيد به ما أقول . فهذا هو التعليم يتعثر فى خطاه ، وهذا هو الفلاح ما يزال كما كان يشرب الطين الذاب ، ويذوق من فقره ودَيْنه ومرضه ألوان العذاب . وهذه هى برامج مصلحة التنظيم يحسب الناس أنها لـكثرة ما اعتورها ، وشدة الإبطاء فى تنفيذها ، قد وضعت لتنفذ وينعم بمزاياها سكان البلاد فى القرن الثلاثين ، لا فى هذا القرن العشرين !

فلماذا لا يكون الأزهر أيضاً كهذه المصالح الحـكومية ؟ إننا معاشر الأزهريين مصريون ، ولا أحسب أن المصرية تتمثل بجميع خصائصها فى بيئة من البيئات كما تتمثل فى الأزهر ، فإذا أراد امرؤ أن يطبق على هذا الخلق الذى سجله أمير الشعراء على مصر حين قال :

« كل شىء فيه ينسى بعد حين »

وجد الأمثال بين يديه حاضرة فى الأزهر قبل سواه ، فله أن يمثل « بمشروع ترجمة القرآن » أو إن شئت فسمه « مشروع ترجمة تفسير القرآن » وله أن يمثل « بلجان العيد الألفى للأزهر » التى ألفت على الورق ، ورصدت فى السجلات ، ولم تعمل شيئاً ، بل لم تجتمع فيما أظن حتى اليوم ! وله أن يمثل « بمشروع تنظيم المـكتبة الأزهرية العظيمة » الذى اجتلب له خبير فنى من المتخصصين فى برلين . وله أن يمثل « بمشروع إصلاح مجلة الأزهر » الذى ألفت له لجنة وقد كان الأستاذ الزيات أحد أعضائها ، ثم اختنق تقريرها وليداً وما زالت المجلة كما كانت بل أسوأ مما كانت كما يعترف بذلك رجال الأزهر المسئولون . وله أن

يمثل «بالبعوث الأزهرية» التى اهتممنا بها مرة فى الدهر واحدة ثم لم تعد كأنها بيضة الديك التى يذكرها فى بعض شعره بشار !

له أن يمثل بهذا كله مما ذكرنا ، وله أن يمثل بغيره مما لم نذكر، فليس الأمر إذن أمر برنامج الإصلاح فى جماعة كبار العلماء وحده ، وإنما هو أمر الأزهر جميعاً . هو أمر برامج كثيرة حاولها الأزهر ، وعنى بها فضيلة الأستاذ الأكبر ؛ بل إننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا : إن هـذه المشروعات جميعها إما بتفكير مباشر من فضيلته ، وإما بتفكير يستمد من روحه وإلهامه ، ويراد به تحقيق غايته فى الإصلاح ، وتنفيذ رغباته فى النهوض بالأزهر ، وإعلاء كلمة الله ، وقد حظيت هذه المشروعات كلها بكفالته فاحتضنها وأيدها وأبدى رغبته فى تنفيذها ، فما هو السر إذن فى أن هذه المشروعات النافعة تموت فى طفولتها ، بل تختنق فى مهدها ؟ ألا إن السر فى ذلك لمعروف : إنه يرجع إلى الذين ألفوا أن يعوقوا الإصلاح، ويشككوا فى الخير . يرجع إلى المخزلين المثبطين الذين يغشى النور أبصارهم فلا يحبون أن يروا إلا الظلام ، ويدوخ الجو النقى الصافى رءوسهم فلا يحبون أن يعيشوا إلا فى الفساد . إنه يرجع ، يا سيدى الأستاذ الأكبر، إلى الذين مردوا على النفاق ، ورضعوا أفاويقه ، وتلونوا فى كل عهد بلون ، ولبسوا لكل حالة لبوسها ؛ ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم !

هنا فقط موضع العلة ومكان الداء ، وهنا فقط مفصل الدواء ، ومقطع العلاج ، لمن أراد العلاج !

رباه ! ماذا قلت ؟ وأى سر كشفت ؟ ولـكن ... لا ! إن الأمر لم يعد سراً . وهل سرٌّ ما تفيض به المجالس والأندية ، وتخوض فيه الصحف والمجلات ؟

إننى أتخيل أبناءنا وأحفادنا القادمين وقد أرادوا أن يحصوا لنا أعمالنا ويدركوا مبلغ برنا بوعودنا : أتخيلهم وقد وجدوا فى صحفنا ، فى جرائدنا ومجلاتنا ، مشروعات أعمالنا ، فجعلوا يتابعون البحث فى هذه الصحف عدداً بعد عدد ، ومجلداً بعد مجلد ، لعلهم يعثرون فيها على خبر التنفيذ كما رأوا أخبار التفكير ، لعلهم يرون آثار الأعمال كما رأوا آثار الأقوال ، ولـكنهم ـ واخجلتاه ـ سيبحثون جاهدين ، ثم يوالون البحث صابرين ، فلا يجدون لهذه الأعمال أثراً ، ولا يحسون منها شيئاً ، ولا يسمعون لها ركزاً . فلعل أحدهم يومئذ يضطجع كما يفعل امرؤ أعياه البحث وأضناه التعب ثم يقول :

رحمة الله عليكم أيها الآباء ! لقد كنتم تعرفون حقاً كيف تـكون الـ « أحلام ... ! »

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية العربية

وهم شائع

موشحة ابن زهر لا موشحة ابن المعتز

للأستاذ طه الراوي

ابن زهر

آل زهر أسرة إيادية أندلسية ، برز كثير من رجالها في العلوم والآداب ، وتفرد جماعة منهم في الطب والفلسفة . وكان إمام جماعتهم وواسطة قلادتهم أبو بكر محمد بن أبي مروان ابن أبي العلاء بن زهر المتوفى سنة ٥٩٦ هجرية . وقد تميز أبو بكر هذا في علوم كثيرة وآداب وفيرة . وبرع في علم الطب والفلسفة والآداب العربية . وكان حافظاً للقرآن راوياً للحديث ، وعانى قرض الشعر ، وله موشحات مشهورة يغنى بها ، وهي من أجود ما قيل في ذلك . قال بعض من ترجموا له : « لم يكن في زمانه أعلم منه بصناعة الطب . وكان معتدل القامة ، صحيح البنية ، قوى الأعضاء ، صار في سن الشيخوخة ونضارة لونه وقوة حركاته لم يتبين فيها تغير . وكان ملازماً للأمور الشرعية ، متين الدين ، قوى النفس ، محباً للخير ، مهيباً ؛ وله جرأة في الكلام ؛ وكان صائب الرأى ، حسن المعالجة ، جيد التدبير . وكان كثير الإبداع في الشعر مع سلامة ذوق وسجاحة طبع ، وانسجام أسلوب ، وجمال ديباجة . فمن ذلك قوله يتشوق إلى ولده :

ولى واحد مثل فرخ القطا   صغير تخلف قلبى لديه
نأت عنه دارى فيا وحشتا   لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقنى وتشوقته   فيبكى علىّ وأبكى عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا   فمنه إلىّ ومنى إليه

ومن ذلك قوله :

إنى نظرت إلى المرآة إذ جليت   فأنكرت مقلتاى كل ما رأتا
رأيت فيها شييخاً لست أعرفه   وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى
فقلت : أين الذى بالأمس كان هنا   متى ترحل عن هذا المكان متى
فاستجهلتنى وقالت لى وما نطقت   قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى
هوّن عليك فهذا لا بقاء له   أما ترى العشب يفنى بعد ما نبتا

موشحة ابن زهر

قال جماعة ممن ترجموا له : من موشحاته قوله :

أيها الساقي إليك المشتكى   قد دعوناك وإن لم تسمع

ومن أشهر المؤرخين الذين نسبوا هذا الموشح إلى محمد ابن زهر هو المحقق ياقوت بن عبد الله البغدادى الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية . قال في ترجمة ابن زهر من كتابه (معجم الأدباء صفحة ٢١٦ من الجزء الثامن عشر) ما نصه : « وانفرد ابن زهر بالإجادة في نظم الموشحات التي فاق بها أهلُ المغرب على أهل المشرق ... ومن موشحاته قوله :

أيها الشاكى إليك المشتكى ... الخ

وسرد الموشحة إلى آخرها . ومنهم موفق الدين أبو العباس أحمد ابن القاسم السعدى الخزرجى في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) فقد أثبت له هذه الموشحة في جملة موشحات أخرى عند ما ترجم له في الباب الثالث عشر من الجزء الثاني من كتابه المذكور

ولا أدرى أى شيطان سول لبعض المتأخرين أن ينسب هذه الموشحة إلى عبد الله بن المعتز فتهافت على هذا الخطأ جماعة من المعاصرين الذين أخرجوا للناس مجاميع أدبية فجزموا بنسبة هذه الموشحة إلى ابن المعتز مع أن ابن المعتز نفسه لا يعرف شيئاً من الموشحات ولا عهد لأهل زمانه بشيء منها ، لأن المعروف بين مؤرخى الآداب العربية أن هذا الضرب من الشعر إنما هو من مبدعات متأخرى الأندلسيين وعنهم اقتبسه متأخرو المشارقة . قال العلامة ابن خلدون في مقدمته « أما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق منه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً منه سموه بالموشح ... ينسبون فيها (الموشحات) ويمدحون كما يفعل في القصائد ، وتجاروا في ذلك إلى الغاية ... وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافر الفريرى من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المروانى ، وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ... » اهـ

ثم ألم ابن خلدون إلى نبذة من تاريخ الموشحات عند الأندلسيين وأهل المغرب . وذكر أن المشارقة قلدوهم في ذلك فلم يدركوا لهم شأوا . ومنه يعلم أن هذا الضرب من الصناعة

الشعرية من مخترعات المغاربة ، وأن المشارقة أخذوه عنهم بالمحاكاة ليس غير

وقد ذكر المقرى فى كتابه (نفح الطيب) نحواً مما ذكره العلامة ابن خلدون وعدّ الموشحات من خصائص الأندلسيين ومن مزاياهم التى بذّوا فيها المشارقة

ولا أدرى كيف يسوغ لمتأدب أن ينسب إبداع تلك الموشحة إلى ابن المعتز ، وابن المعتز نفسه لم يشر ولم يومئ إلى هذا الضرب من ضروب الشعر فى كتابه الذى ألفه فى البديع ! ولو كان لهذا النوع من أثر فى زمانه لفسّح له الصدر من كتابه ولأوسع فيه الشرح والإيضاح والتنويع والتفريع ، وكان من المتعذر أن يخفى على أساطين المؤرخين من أضراب ابن خلدون والمقّرى وغيرهما

ولا أدرى كيف التبست هذه الحقيقة على ناشرى بعض المجاميع الأدبية من المعاصرين فجزموا بنسبة تلك الموشحة إلى ابن المعتز مع ما اشتهر ، بل استفاض من أنها من نظم ابن زهر الإيادى الأندلسى ، ومع علمهم بأن الموشحات من مبدعات المتأخرين من الأندلسيين كما رأيت

ولعمرى إن ابن زهر الإيادى ليس بخفى الشأن بحيث يسوغ لمتأدب أن يختلس ثمار أفكاره فيلصقها بغيره ، كما أن ابن المعتز أشهر وأظهر من أن تخفى بدائع لبّه على ياقوت وابن أبى أصيبعة وابن خلدون والمقرى وأضرابهم من محقّقى المؤرخين ، ولكن ما الحيلة والتحقيق فى الناس قليل لأن مركبه صعب ، والتساهل كثير لأن مركبه وطئ

وأنا لم أكتب ما كتبت فى دفع هذا الوهم إلا لما رأيته فاشياً بين الشداة من المتأدبين الذين يعتمدون على ما تخطه أقلام المعاصرين من غثّ أو سمين ، ولا يكلّفون أنفسهم مؤونة الرجوع إلى الأصول للتثبت من صحة تلك النقول . وهذا داء وبيل تطاير شرره وعم ضرره . وأكبر الظن أن هذا الوهم تسرب إلى المتأخرين من طريق (ديوان ابن المعتز) المطبوع فى بيروت المتداول بين الأيدى . ولا جدال فى أن الكثيرين من جمعة الدواوين حاطبو ليل ، يحشرون شعر هذا فى ديوان ذاك ، وشعر ذاك فى ديوان هذا . والشواهد على ذلك كثيرة مستفيضة ،

وقد وقفت فى هذا الديوان على شعر كثير لا علم لابن المعتز به وإنما هو من نظم من تقدمه أو تأخر عنه

وكان الأقدمون يتلقون نتاج الأفكار وثمار الأقلام من طريق الرواية ويتبارون بتوثيق حلقات الأسانيد وحبك أطرافها بالتحقيق والتروى إلى أن يستوى بيدهم الحق ويستقيم الصدق ، فلما ذهب عهد الرواية وأخذ الناس يعتمدون فى الجمع على أيديهم دون عقولهم وراح الوراقون يستنّون فى ميدان الحشو والتكثير والتحويل والتغيير وضعفاء المتعلمين من ورائهم يتلقفون ما يأفكون من غير ما تبصر ولا تدبر — أصبح الحق بينها والتحقيق غريباً . فعلى من يترفعون عن التقليد الأعمى من أبناء هذا الجيل أن يعتمدوا فى تحقيق الحق وتمحيصه على الأصول الأصيلة من دواوين العلم ومجاميع الأدب ولا يصح لهم الاعتماد على غيرها إذا أرادوا أن يكونوا للحق إخواناً ولأهله أعواناً

(بغداد) **ط الراوى**

---

٣١ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

الأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل العاشر — « الخرافات »

لا يجوز عقلاً أن تثير هذه الأوهام التي توجد في أذهان شعب جاهل دهشتنا؛ ولكن المصريين لا يظهرون احتراماً خرافياً للكائنات الوهمية فحسب، وإنما يجاوزون ذلك إلى بعض أفراد من البشر منهم. وكثيراً ما يكون ذلك التقديس إلى أقل الناس استحقاقاً له[١]. فيعتبرون الأبله أو المجنون مخلوقاً عقله في السماء وجسده يختلط بالبشر. ويعدونه لذلك ولياً. ومهما ارتكب الولي المشهور من الخطايا — وكثير منهم يخالفون الدين — فهي لا تؤثر على قداسته إذا لم تعتبر نتيجة مجرد عقله من الأشياء الدنيوية، فروحه أو قواه العقلية كلها مستغرقة في التقوى؛ ولذلك تُترك شهواته بلا رقيب. ويحبس المجانين الخطرون؛ أما هؤلاء الذين لا خطر منهم فيعتبرون أولياء. وأكثر أولياء مصر المشهورين معتوهون أو بله أو خداعون. ويسير بعضهم عراة تقريباً ويتمتعون باحترام زائد بحيث أن النساء بدلاً من تجنبهم يتكبدن أحياناً الكثير من تصرفاتهم الشاذة في الطريق العام، ولا يشعر العامة بأي عار من هذه الأعمال التي يندر مع ذلك حدوثها. ويُرى آخرون لابسين مرقّعة مختلفة الألوان تسمى «دلق»[٢] وهو مزين بالخرز، ومعممين بعمة بالية وحاملين عصا شبك في أعلاها سبائب نسج مختلفة الألوان، ويأكل بعضهم التبن أو خليطاً من التبن والزجاج المكسر ويلفتون النظر بأعمال غريبة مختلفة.

وكثيراً ما قابلت أثناء زيارتي الأولى في شوارع القاهرة رجلاً زَري الشكل عاري الجسم تقريباً مضفر الشعر طويله، راكباً حماراً يقوده رجل آخر. فيقف دائماً حماره أمامي مباشرة بحيث يقطع عليّ الطريق ويقرأ الفاتحة، ثم يمد يده للسؤال. وقد حاولت أن أتجنبه في أول مرة؛ إلا أن أحد المارين حذرني ملاحظاً أن الرجل ولي، وأن علي أن أحترمه وأن أمنحه ما يريد حتى لا تصيبني مصيبة. ويتعيش رجال هذه الطبقة على الصدقات التي كثيراً ما يتناولونها دون سؤال. ويسمى القديس المشهور « شيخ » أو « مرابط » أو « ولي »، ويسمى أيضاً على الأصح إذا كان به بله أو جنون أو خبل « مجذوب » أو « مسلوب ». وتطلق عبارة « ولي » بدقة على القديس التقي السامي فقط ومعناها المختار. إلا أنها تطلق عامة على البُله أو المتباهلين، حتى أن بعض الأذكياء جعلوا لفظ الولي معادلاً للفظ « بليد »، ملاحظين أن تينك العبارتين متساويتا المعنى والقيمة العددية للحروف المكونة لكل منهما. إذ أن « ولي » مكونة من الواو واللام والياء، وقيمة كل على التوالي ٦، ٣٠، ١٠ أي ٤٦ و « بليد » مكونة من الباء واللام والياء والدال وهي على التوالي ٢، ٣٠، ١٠، ٤ ومجموعها ٤٦، وكثيراً ما يسمى النبي ولياً للدعابة.

ويعتقد مسلمو مصر وغيرها من البلدان اعتقادات باطلة عجيبة بالأولياء. وقد حاولت أن أستفهم عن أكثر هذه الاعتقادات غموضاً فكان الرد علي: « إنك تتدخل في أمور (الطريقة) » أي منهج الدراويش الديني. إلا أنني وقفت على كثير من الآراء العامة في هذه الموضوعات. وأظن أن ذلك هو كل ما يطلب تقريره في كتاب مثل هذا. وسأسرد مع ذلك أقوال بعض المتعلمين والدراويش فيما يتعلق ببيان إيمان العامة

وكل من يرتاب في وجود الأولياء يُرمى بالمروق ويتلى للحكم عليه نص القرآن: « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ». ويعتبر هذا النص كافياً للدلالة على أن هناك طبقة من الأفراد متميزة على البشر العاديين. وقد تساءل

(١) كما هو الحال أيضاً في سويسرا

(٢) وتنطق أيضاً وعلى الأصح «دالق» إلا أن العامة ينطقونها كما سبق

من هم هؤلاء الأشخاص أو ما حالهم.؟ والرد على ذلك أنهم أشخاص قصروا أنفسهم على عبادة الله واحتفظوا بإيمان صادق، ومن الله عليهم بالقدرة على فعل الكرامات تبعاً لقوة إيمانهم [١]

يسمى أقدس الأولياء « قطباً » ، ويحمل هذا اللقب — على رأى بعضهم — رجلان ، ويقول البعض الآخر أربعة . وتعنى عبارة « قطب » محوراً ، ومن ثم أطلقت هذه الكلمة على الولى الذى يثق به الناس ويتبعونه ، ويطلق هذا اللفظ للسبب نفسه على الحكام الزمنيين أو السادة الأجلاء . وقد أخبرت أن الرأى القائل بأربعة أقطاب خطأ شائع ، أصله توالى ذكر عبارة (الأقطاب الأربعة) التى تشير إلى مؤسسى أشهر الطرق الصوفية الرفاعية والقادرية والأحمدية والإبراهيمية ؛ ويُعتقد أن كلاً من هؤلاء كان قطب زمانه ؛ وقيل لى أيضاً أن الرأى القائل بقطبين خطأ عام أساسه اسمان : (قطب الحقيقة) و (قطب الغوث) ، لا يختص بهما على الأصوب غير شخص واحد فقط . ويطلق الذين يعتقدون بوجود قطب واحد عليه عبارة (القطب المتولى) وهو الحاكم الآن ، والذين يعتقدون بوجود قطبين على القطب العامل . ويحكم القطب الذى يراقب الأولياء جميعهم ، سواء أكان هناك قطب آخر أم لم يكن لأنه إذا وجد يكون دون الأول ، أولياء متفاوتو الرتب يقومون بأعمال مختلفة مثل النقباء والأنجاب والأبدال الخ ؛ وهم يعرفون وظائف بعضهم بعضاً ، وقد يعرف ذلك الأولياء الآخرون

ويقال إن القطب كثيراً ما يظهر ولكنه لا يعرف . وكذلك أتباعه ذوو السلطة .

ومع أن القطب يختفى دائماً فإن أماكن وجوده معروفة، ولكنه قليلا ما يظهر فيها . والمعتقد أن القطب يكون فوق الكعبة . وهو يصيح مرتين فى جوف الليل قائلا : «يا أرحم الراحمين» ، فيردد المؤذنون حينئذ ذلك الدعاء من مآذن الكعبة . وقد سألت حاجا فاضلاً فى هذا الموضوع فأقر لى أنه رأى بعينيه إماماً مرتباً ليصيح هذه الصيحة . ولا يعرف ذلك غير القليل من الحجاج . ويعتقد مع ذلك أن سطح الكعبة مركز القطب الرئيسى . ويفضل هذا المجهول الموقر مركزاً آخر بباب القاهرة المسمى باب زويلة ، وهو فى الطرف الجنوبي من ذلك القسم الذى يكون المدينة القديمة وإن كان فى قلب البلد الآن ؛ فقد امتدت العاصمة كثيراً نحو الجنوب والغرب . ويسمى العامة باب زويلة « باب المتولى » [١] لاعتقادهم أنه مركز هذا الكائن المجهول . ومن وراء أحد مصراعى الباب العظيم الذى لا يقفل أبداً فضاء صغير يقال إنه مكان القطب . ويقرأ الكثير من المارين الفاتحة ، ويتصدق البعض على سائل يجلس هناك ، ويعتبره الرعاع أحد خدام القطب . ويدق المصابون بالصداع مسماراً فى الباب لفك السحر ، كما أن المصابين بوجع الأسنان يخلعون سناً ويولجونها فى أحد شقوق الباب أو يلصقونها به بأى حال آخر حتى يضمنوا عدم إصابتهم بالمرض نفسه . وكثيراً ما يحاول بعض الفضوليين الاختباء وراء الباب آملين عبثاً اختلاس النظر إلى القطب لعله يظهر هناك . وللقطب فى مصر مراكز أخرى أقل شهرة . أحدها فى قبر السيد أحمد البدوى بطنطا ، والآخر فى مدينة المحلة وغيرها . ويعتقد أن القطب ينتقل من مكة إلى القاهرة أو من مكان إلى آخر فى لحظة . ولا يقتصر القطب على سكنى أماكنه العديدة المفضلة وإنما يتنقل فى أنحاء العالم بين جميع البشر من مختلف الأديان متخذا شكلهم وملبسهم ولغتهم ويوزع عليهم بواسطة أتباعه الأولياء أحكام القدر نعما ونقما . وحينما يموت قطب يتولى غيره مكانه فى الحال

ويروى الكثير من المسلمين أن إلياس ، ويخلطه العامة بالخضر [٢] ، كان قطب زمانه ، وأنه يولى الأقطاب المتعاقبين

---

(١) ويسمى ما يقوم به الولى من عجائب « كرامة » وما يأتيه الرسول « معجزة »

(١) عوضاً عن باب المتولى

(٢) لم يكن الخضر حسب رأى العلماء رسولا وإنما كان رجلا صالحا . كان وزير ذى القرنين الأول ومستشاره ، ولكنه على حد سواء رجل ملتبس فى أمره معاصر لسيدنا إبراهيم ، ويقال إن الخضر شرب من ينبوع الحياة وهو لذلك حى حتى يوم الحساب ، وأنه يظهر كثيراً للمسلمين فى حيرتهم ، ويلبس الخضر اللابس الخضراء ومن ذلك اشتق اسمه

إذ يقررون أنه لم يمت ويزعمون أنه شرب من عين الحياة . ويبدو أن اعتقادهم فى القطب مأخوذ مما قص علينا فى التوراة عن إلياس ورفعه إلى السماء ، وانطلاقه من مكان لآخر تحمله روح الله ، ومنحه أليسع سلطته الخارقة للعادة وتقليده إياه وظائفه، وخضوع الرسل الآخرين له ولوليه المباشر[١] . وينبذ بعض الأولياء لذات الدنيا وصحبة الإنسان ويعكفون على التأمل فى السماء وينقطعون للصلاة متوكلين على العناية الإلهية لسد حاجتهم ، إلا أن خلوتهم تعرف فيحضر العرب لهم الطعام يومياً . وهذا يذكرنا مرة أخرى بقصة إلياس إذا وضعنا كما يرى بعض الناقدين ، كلمة (عرب) بدلاً من لفظ (غربان) فى الآيتين الرابعة والسادسة من الإصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثانى : « وقد أمرت (العرب) أن تعولك » ، « وكانت (العرب) تأتى إليه بخبز »

ويقال إن القطب يكلف بعض الأولياء القيام ببعض الأعمال الشاقة حسب قول محدثى ، ويقال لهؤلاء الأولياء (أصحاب الدرك) ، وقد فسرت لى هذه العبارة ، ولا أعلم على أى أساس ، بمعنى المراقبين[٢] . وقد حكى لى الحكاية التالية لبيان وظائف هؤلاء، قال : اشتدت رغبة أحد تجار هذه المدينة الأتقياء فى أن يصير ولياً ، فتوجه إلى آخر ينتمى لهذه الطبقة المقدسة

(١) أنظر سفر الملوك الأول الاصحاح ١٨ آية ١٢ والملوك الثانى الاصحاح الثانى ٩ — ١٦

(٢) ويوافق هذا التأويل تفسيراً ذكره كاترمير Quatremère لكلمة (درك) فى كتابه تاريخ السلاطين المماليك Histoire de Sultans Mamelouks الجزء الأول ص ١٦٩ وقد استخرج هذا التفسير من مقابلة عدة عبارات جاءت بها هذه الكلمة

فتوسل إليه أن يساعده على التشرف بمقابلة القطب . وبعد أن احتمل الطالب امتحاناً صارماً لمعرفة بواعثه طلب منه أن يتوضأ مبكراً فى الصباح التالي ثم يقصد مسجد المؤيد حيث يوجد بإحدى زواياه باب زويلة أو المتولى السابق ذكره ، فيقبض على أول من يراه خارجاً من الباب الكبير لهذا المسجد . وفعل الرجل ما قيل له، وكان أول من خرج رجل شيخ مهيب المنظر ولكنه رث الثياب يلبس زعبوطاً من الصوف أسمر اللون ، وقد دل ذلك على أنه القطب . فقبل الطالب يده وتضرع إليه أن يقبله بين أصحاب الدرك . فقبل القطب التماسه بعد تردد طويل ثم قال : « التزم القسم الذى يشمل الدرب الأحمر[١] وما يجاوره » . وفى الحال وجد الطالب نفسه ولياً ، ولاحظ أنه يعرف أشياء تخفى على البشر العاديين ، إذ يقال إن الله يعلم الولى جميع الأسرار اللازم معرفتها . ويقال عادة إن الولى يعلم الغيب ويبدو هذا مناقضاً لما تقرأه فى عدة مواضع من القرآن إنه لا يعلم الغيب غير الله . إلا أن المسلمين وهم قلما يرتبكون فى مناقشة ما ، يبينون أن عبارات القرآن يقصد بها معرفة الأسرار بمعناها المطلق وأن الله يطلع الأولياء على مثل هذه الأسرار كلما شاء ذلك

* * *

استدراك : وردت المقالة السابقة تابعة للفصل التاسع ، والصواب أنها ابتداء الفصل العاشر : « الخرافات »

(يتبع) عدلي طاهر نور

(١) وهو شارع يوصل من باب زويلة إلى الجنوب الشرقي ويكون جزءاً من الشارع الكبير الذي يمتد إلى القلعة

شباب الجيل

للأستاذ حسين الظربفى

إن للموطن من شبانه   كل ساعٍ رافعٍ من شانه

طائرٍ آناً على طائرةٍ   أصبحت فى الجوّ من عُقبانه

وعلى دبابة آونةً   يتحدى الموت فى ميدانه

ومن المدفع فى قبضته   يُرسل الحاصد من نيرانه

فى يديه قوة من قلبه   جازت الممكن من إمكانه

يتلقى الخطب فى صدرٍ له   عامرٍ بالمحض من إيمانه

لم يبت فى قلبه من موضعٍ   لسوى السعى إلى أوطانه

وهو فى شرخ شباب ناضرٍ   يسحب الأذيال من ريعانه

كتب الله لنا النصرَ به   وجميل الفضل من إحسانه

(بغداد)   حسين الظربفى

الحرب في البحر

للأستاذ عبد الرحمن البناء

رِكبوا الهولَ خيفةَ أن يُضاموا   ومِن الصعب أن تُضامَ الكرام

أعلنوا الحربَ والمدافعُ ثارت   بِبَراكينها وأودى السّلام

ومشوا تحتَ وابلٍ من حريقٍ   فوقَ بحــرٍ أمواجُهُ ألغام

ثبتوا كالجبال فوق جبالٍ(١)   ماخراتٍ بهم وهُم أعلام(٢)

الأساطيلُ والقنابلُ أفنتْ   ما بنتْهُ السيوفُ والأقلام

إن ترامتْ ما بينَها بالمنايا   ضاقَ ذرعاً بمن تُصيبُ الحِمام

أو أرادت إفناءَ مُلكٍ عتيدٍ   لم يَحل دون قصدها استحكام

غيرَ أنّ القضاءَ قادَ إليها   طائراتٍ قضاؤها إبرام

فرَمى بخزنَ العتادِ شُواظٌ   من لهيبٍ نَشَبٌ فيها ضَرام

غَرِقَتْ ما نجا من الناسِ إلا   بعض ركّابها وفى الماء عاموا

ومتى تغرَقُ النفوسُ ببحرٍ   من نجيعٍ(١) ترسو به الأجسام

وسَفينٍ تنوء بالجُندِ مرّتْ   وعلى الجندِ هيبةٌ واحترام

كلُّ فردٍ شاكى السلاح قوىٍّ   مِلءُ فيه على العدوّ انتقام

حرَستْها لدى الوغى طائراتٌ   غير أن الوغى لها أحكام

باغتتها غوّاصــةٌ بشظايا   لا يفلّ الحسامَ إلا الحسام

جنحتْ للمغيبِ حيرى فغابت   وتدلّى على الضياء الظلام

نزلتْ كالستارِ بعد فصولٍ   مثّلتْها لمن وعى الأيام

خطرُ الغوّاصات قد زادَ لمّا   غرِقتْ فى دموعِها الأيتام

كلما أبحرتْ وغاصت لفتكٍ   غاص منها فى البحرِ جيشٌ لهام

إن للغواصاتِ فى البحر حرباً   وقفت عند حدّها الأفهام

غرقٌ عاجلٌ وفتكٌ ذريعٌ   وصِراعٌ دامٍ وموتٌ زؤام

هى حوتُ الوغى وفى طرَفيها   للأساطيلِ معوَلٌ هدّام

تلبسُ الماءَ إن رأتْ رَمْىَ رامٍ   مثلما يلبسُ الدروعَ الهمام

سُجّرَ البحرُ فهو ميدانُ حربٍ   فيه للنارِ والحديدِ ازدحام

ملأتْ جوفَهُ البوارجُ ناراً   وشوَتْ لحمَ حوتِهِ الألغام

(الطرابيدُ) حيثُ تُلقى بلاءٌ   ما لنفسٍ من البلاء اعتصام

ودَوىُّ المدمّراتِ كأن الـ   أرضَ مادت وللجبال اصطدام

وأباةٌ تذبُّ عن شرفِ النفـــسِ   ويحلو لنفسِها الإقدام

أسكتوا المدفعَ الثقيل بحزمٍ   من حديدٍ وهمْ دمٌ وعِظام

أينما ولّوا الوجوه رمتْهُم   قاذفاتٌ من الجحيم ضِخام

شهدَ الله والتواريخُ أن ا   لحربَ فى البحرِ كلُّها إيلام

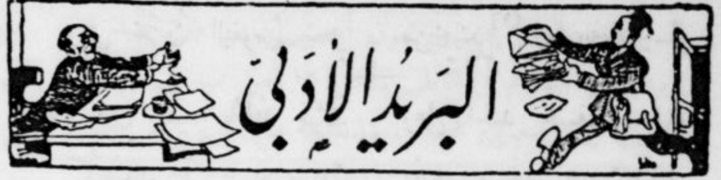
(بغداد)   عبد الرحمن البناء

(١) لضخامة الأسطول وارتفاعه شبه بالجبل   (٢) الجبل

(١) الدم الأسود

حكم فى القضية ن ٢٤١ عسكرية الفيوم سنة ١٩٤٢ ضد عبد التواب محمد على وعبد الحميد محمد على من الفيوم بتغريم كل منهما ٣٠٠ قرشاً لبيعه قمحاً بسعر يزيد عن المقرر

حكم فى القضية ن ١٩٢٦ جنح عسكرية سنة ١٩٤١ ضد قطب على جهيم ومحمد أحمد الحناوى بتغريم كل منهما ٣ جنيه والنشر والتعليق وذلك بتاريخ ٢١ يناير سنة ١٩٤٢ لامتناعهما عن بيع الذرة بالسعر المحدد



الصفاء بين الأدباء

كنت قد نشرت في (الرسالة) كلمة أقول فيها : « مما يسترعي الالتفات أحياناً تلك اللغة التي يخاطب بها بعض الأدباء زملاءهم . فتراهم يقولون : « زميلنا أو صديقنا فلان يطلب إلينا كذا ، ونحن نقول له كذا ، والأجدر به أن يسألنا كذا » إلى آخر هذا الكبر والتكبر في التعبير »

وظاهر من روح هذه الكلمة أني أحض على توثيق صلات المودة الصافية بين الأدباء بدعوتهم إلى نبذ الألفاظ التي قد تحدث في نفوس زملائهم شيئاً من الامتعاض

ولكن الدكتور زكي مبارك فهم الأمر على وجه آخر فإذا هو يتفضل بزيارتي ليسألني : « أحقاً أنا أنكر أن يشرف الناس أنفسهم بالانتساب إليّ ؟ » يا للعجب ! أهكذا يمكن أن تؤول المقاصد أحياناً بضدها ؟ ! ... ثم سألني أيضاً فيما سألني عن المقصود بهذه الكلمة . فقلت له : ما من أديب واحد قد عنيته بالذات ؛ إنما هي كلمة عامة للنفع العام . ولئن كان لا بد من مناسبة أوحت بهذه الكلمة فربما كانت مقالة الأستاذ عباس العقاد التي يشكر فيها للدكتور طه حسين إهداءه إليه «دعاء الكروان» . في الحق أنني لم أجد بالمقال الرقة التي كنت أنتظرها ، واستأت في نفسي من الأستاذ العقاد بعض الاستياء ، وأنا الذي يعتقد دائماً أنه يخفي وراء قناع الكبر والتكبر نفساً طيبة تتفجر إذا اطمأنت بأجمل عاطفة وأنبل إحساس . فالذي يستطيع التأثير في نفوسنا بكتاباته الإنسانية عن الكلب « بيجو » لا بد أن يحمل نفسا خليقة أن تفيض بالمودة نحو إنسان !

تلك هي المناسبة يا دكتور زكي . ولكنك شئت أن تحمل الكلمة على أنها غمزة مني لك . وأنا أبعد الناس عن الغمزات خصوصاً إذا تعلق الأمر بشخصي ... فأنا لم أنشر قط يوماً كلمة تعمدت بها إيذاء أديب في شعوره . أنا الذي يجرؤ على مهاجمة المبادئ والنظم إلى حد التعرض للخطر ... لا أجد من اللائق بأديب أن يهاجم أديباً ليخدشه في كرامته ... لأن الأدب قبل كل شيء مودة ومحبة ورحمة وصفاء ... على هذا الوجه فهمت دائماً الأدب . فالأدب هو صنع الجمال . وعلى من يصنعون الجمال أن ينطووا على نفوس جميلة . وأنا الذي لا يختلط بالناس والأدباء إلا قليلاً لما في طبيعتي من وحشة وكآبة أشكو منهما ، تجدني مع ذلك أحب الأدباء وأقدرهم ولا أقول فيهم قولة سوء ... ولعلك لم تسمع مني غير ذلك . على أنك أيها الصديق العزيز ، وأنت تأخذ كلمتي على أنها موجهة إليك قد ذكرت لي أسباب ظنك ، فتحريتها بعد انصرافك ، فاتضح لي أنك على حق ، وأن الكلمة ينبغي أيضا أن تنصرف إليك ، فقد تستعمل أداة التعظيم في مخاطبة الزملاء من الأدباء . فماذا يضيرك أن أشكو منك ومن كل أديب يسهو عن واجبات التواضع والمودة والمحبة التي تؤلف بين نفوس الأدباء جميعاً وتجعل منهم « دولة متحدة مقرها حديقة الصفاء الغناء »

وبعد ، فليسمح لي الدكتور زكي أن أوجه إليه كلاماً وجهته إلى الأستاذ أحمد أمين منذ ستة أعوام ، فقد تثمر بهمته ما فيه من فكرة خيرة .. لقد قلت وقتئذ : « لا شيء في الوجود أقوى من الابتسامة ؛ ولكن ... من ذا الذي أعطى القدرة على الابتسام الصافي الجميل في كل موقف وفي كل حين ؟ أهو الجبار وحده ؟ ألا ترى معي أن الجبروت إنما هو الصفاء ؟

« إذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابسم للقدر إذا بطش بك ، ولا تبطش بأحد » ... تلك كلمة لعمر الخيام . إن كنت من رأيي في كل هذا ، فإن لي عندك حاجة : أن تنثر معي تلك الابتسامة بين الأدباء ، فإن الأدب شيء جميل ، هو جنة لا صخب فيها ، وهو معبد لا تدخله الأحقاد . إن أعجب ظاهرة في أدبنا أنه لا توجد فيه صداقات عظيمة جديرة أن يتحدث عنها تاريخ الأدب ، تلك الصداقات التي نراها في آداب الحضارات الكبرى قد أنتجت من الرسائل والأخبار والآثار ما لا يقوم بمال . ما الذي يعوزنا نحن ؟ أهو شيء في الخلق ؟ أم هو ضعف في النفس ؟ أم هو نقص في الصحافة ؟ لست أعلم ؛ إنما الذي أعلمه : أن الصداقة الخالصة بين رجال الأدب والفكر ، هي أظهر دليل على نضوج هذا الأدب وهذا الفكر

توفيق الحكيم

نقص الصفحات فى الجرائد والمجلات

تنفيذاً للأمر العسكرى القاضى بنقص الصفحات فى الجرائد اليومية إلى أربع ، وفى المجلات الأسبوعية إلى أربع وعشرين ، تصدر الرسالة ابتداء من هذا العدد على الشكل الذى أوجبه هذا الأمر مراعاة لظروف الحرب وما صارت إليه وسائل النقل وإنا لنرجو كتاب الرسالة أن يقتصروا فيما يبحثون على المهم ، وفيما يكتبون على المفيد ، حتى تنجلى عن العالم هذه الكروب التى غشيت الناس فى كل سبيل من سبل العيش ، وفى كل مرفق من مرافق الحياة

من غزل الملوك

طلعت علينا رسالة « أحمد » كعادتها زاخرة بالأبحاث العلمية والطرائف الأدبية ، والومضات اللغوية . فكان من بين تلك المباحث مبحث جليل للأستاذ « عبد الله مخلص » جمع فيه نتفاً من سلطان الحب ، وحب السلاطين ، ترويحاً لنفوس القراء المكدودة فى هذه المحن . ونحن مع تقديرنا لهذا اللون من ألوان البحث لا نحب أن يتواضع صاحبه فيلده طفيلياً يعبث به الزمن ولا تستمرئه العقول !

فهات من هذه الناحية بالعجب العجيب ... فإن البحث عنها شاق ، والسير فيها مخيف . فهى مبثوثة فى بطون الكتب ممزقة الأوصال ، مشوهة المراجع ، محفوفة الجوانب ... وليست من أدب المعدة . وإنما هى من أدب الروح .

(الكرية — دار القاياتى) حسن القاياتى
عضو مجلس النواب

لا بد للإسلام من مؤتمر

قرأت المقال القيم الذى به افتتحتم العدد رقم (٤٥٦) ، وفيه وصفتم حال المسلمين ودعوتم إلى عقد مؤتمر إسلامى . فقلت : مرحى لهذا الشعور السامى ، ومرحباً بهذه الدعوة المباركة !

ولست أكتمكم أن تكراركم القول فيه : أن مسلمى الحاضر هم (أعقاب) مسلمى الماضى ، ذكرنى أشياء ترددت طويلاً فى أمر التحدث بهـا . لقد ذكرنى كيف يحلو للمدخن أن يداعب لفافة التبغ حين تتناولها أنامله أو تطبق عليها شفتاه ؛ وكيف يلذ له أن يشاهد عمود الدخان يصّاعد منها رقيقاً أو كثيفاً ، قائماً أو لولبياً ويلهو بالنفخ عليه، ليغير وجهته أو يقطع أوصاله أو يشتته كالهباء، وكيف يستسيغ عبوره الفم إلى الحلق أو الخيشوم ، ويكاد يتولاه بالمضغ واللوك ليمتع به حاسة الذوق ، فوق ما يسدى به إلى حاسة الشم من فضل ومتعة ، ثم ذكرنى كيف يعامل لفافته ، بعد أن يقضى منها وطره ، فتجفوها أنامله إذ تدنو نارها ويلين طرفها ، وتنفر منها شفتاه إذ تترطب وتصطبغ ، ويمجها ذوقه إذ ترشح منها عصارة ، ويمقت خيشومه رائحتها القوية النتنة ؛ وكيف يقضى عليها بالخنق فى إناء أو بالطرح فى الطريق ، ويحول عنها بصره مشمئزاً ، ثم ينساها كأن لم تكن . ذكرت هذا وذاك حين خطرت ببالى (السبارس) أعقاب اللفافات ، وما كنت لأورد هـذا التشبيه ، لولا أنه جاء عفواً وفرض نفسه علىّ ؛ وما كنت لأستبيح لنفسى توجيه هذا النقد ، لولا أنه يشملنى كمسلم

أما فيما يتصل بعقد مؤتمر إسلامى ، فأذكر أنه عقد واحد فى القدس قبل عشر سنوات اشترك فيه ممثلون للمسلمين فى جميع أقطار المعمور ؛ وأنه اتخذ مقررات ذات بال ، وأنشأ مكتباً دائماً ظل يعمل بضع سنوات ، ومن الضرورة القصوى أن تستمر الدعوة إلى مؤتمر إسلامى دورى ، يعقد مرة فى كل بضع سنوات فى إحدى العواصم الإسلامية . ولست أرى الحرب مانعاً لذلك ، إذ كل ما فيها أنها تقلل عدد الأقطار الممثلة فيه بعض التقليل . ثم هب أنها تجعل الاشتراك فيـه مقصوراً على بلدان الشرقين الأدنى والأوسط — بل هب أنها تضيق الحلقة أكثر من هذا فتحصره فى الأقطار العربية — أليس فيما يبقى من خيراته الشىء الكثير ؟ هل من المبالغة أن نقول إن الأقطار العربية قلب العالم الإسلامى ونواته ؟ وهل من الخطل أن نحسب الجمع بين رجالات الدين والعلم فيها أمراً قريب المنال ، وأن نعد اتفاق كلمتهم على الإصلاح خطوة واسعة نحو العمل الموحد المجدى فى سائر أنحاء ذلك العالم ؟ كلا ، بل هو من واقع الأمور

إنه لمن دواعى الأسف الشديد أن ينجح عضو من جماعة كبار العلماء فى « نسج الشكوك حول برنامج الإصلاح الذى اقترحه شبابها المصلحون وأقره أقطابها المخلصون ! » — على حد قولكم — ولكن ماذا فى هذا البرنامج ؟ ألا ينطوى على استعراض لمواطن الضعف ، ويوصى بطرق معقولة عملية للعلاج ؟ ألا يستنير بهدى الدين ، ويبصر بعين العلم ؟ فإذا كان كذلك ، فمن تكون جماعة « كبار العلماء » تلك التى ترضى لبرنامجها ذاك أن يعطله أحد — صغار — الجهلاء ؟ !

نحن قوم لم نُرُض نفوسنا على التعاون ، وعملنا المنفرد أدعى إلى الأمل فى النجاح من عملنا المشترك . فما لنا لا نعمل أفراداً ،

ربما نألف العمل جماعات ؟ إن المؤتمر الإسلامي الذي سبق أن أشرت إليه لم تدع إليه جماعة أو هيئة . فلم لا يدعو إلى مؤتمر آخر رجل واحد أيضاً ؟ من يكون هذا الرجل ، وأنَّى لنا به ؟ أين أنت يا ديوجينيس وأين مصباحك ؟ هاته وتعال نبحث معاً !

(القدس) عصام الشريف

النبوغ في مضغ الجماهير

إذا كان طريق إصلاح هذا الدين الحنيف أن نأتي على أسسه القويمة وأركانه المشيدة ، ونترك الرغبة في إرضاء الجماهير تتحكم فيه وتصرفه كيف تشاء وكما تهوى ، فلا كان إصلاح

والخير للإنسانية أن يظل الناجي على الشاطئ يشهد الغرقى تحوم فوق رؤوسهم طيور الموتى ، وتمتد إليهم يد الفناء من أن يمد إليهم يده لينقذهم فيجذبوه هم نحو الفناء ، ويغضوا به صوب الأعماق

والخير للأزهريين ولرجال الدين أن يظلوا في جمودهم وخمودهم من أن يتحركوا حركة المذبوح ، وينتفضوا انتفاضة اليائس الذي يحطم كل شيء ، ولا يبقى على شيء

وإذا كان سبيل الإصلاح أن ندع التيار يجرفنا في منحدره إلى القرار فلن يكون إصلاح ، ولن يكون فلاح ، وإنما هي الفوضى وخيبة الأمل

كتب أحد العلماء الأجلاء في أوائل إبريل بمجلة أسبوعية ينفر الناس من الكذب ، ويحبب إليهم اختلاق الأكاذيب ، ويرغبهم في افتراء القصص الوقائع بحجة المرح والسرور ، ومن أجل التفكه والدعابة . وكان من أثر هذه الدعوة السيئة أن استجابت لها إحدى صحفنا الصباحية فنشرت عن مناظرة تقام بفناء كلية الشريعة ؛ يشترك فيها بعض أعلام الفكر الحديث . وما كاد الوقت يحين حتى توافد الناس إلى الكلية من كل صوب لسماع هذه المناظرة . وإذا بالواقع يروعهم ، وبالحقيقة تواجههم ، وإذا بها « كذبة إبريل »

فليهنأ الشيخ بنجاح دعوته ونفاذ رغبته !

وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل جاءت ثالثة الأثافي — كما يقولون — إذ نشرت الأهرام تكذيباً للخبر وأردفته بكلمة لأديب أزهري ، كان أكثر استجابة لنداء شيخه الوقور وفيه يقول : « وشكراً للأهرام على مداعبتها اللطيفة ، وكل « إبريل » والأمة جميعها بخير وسلام »

أيها الذين آمنوا بالله ورسوله الكريم ، لن يكون إصلاحاً تميعنا ونسياننا لتعاليم من كان يمزح ولا يقول إلا حقاً ، ولن تكون نهضة فقداننا لقوماتنا وشخصياتنا ، فننسى أنفسنا أمام هذه الفتنة القاسية

رويدكم يا دعاة الإصلاح ما دام مركبه سيحملكم إلى شاطئ غير الذي تروم ، وسيجعلكم تنحدرون من القمة إلى الهاوية ، بدل أن ترفعوا الناس إلى المعتصم .

السيد محمد

من عثرات الأقلام

١ — جاء في مقال (أثر الآداب الأجنبية) « في العدد ٤٥٧ » : وتسكلم ما راق له السكلام ، والصواب : ما راقه الكلام ، على ما في مختار الصحاح والمصباح وغيرهما

٢ — في بحث (كتاب سحر العيون) في « العدد ٤٥٦ » نسب (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) في موضعين إلى علم الدين السخاوي ، والصواب شمس الدين السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ ، وأما علم الدين السخاوي فمقرئ مشهور توفي سنة ٦٤٣

٣ — في مبحث (كتاب سحر العيون) « في العدد ٤٥٧ » ثم قدم إليها مستقلاً . والصواب : ثم قدمها مستقلاً . على ما في الأساس والمصباح المنير وغيرهما

٤ — في ترجمة (ابن خرداذبة) « في العدد ٤٥٧ » : (بحوثاً طلية) والصواب : بحوثاً لها طلاوة

٥ — في مقالة (كتاب سحر العيون) — في العدد ٤٥٨ — واتصل بعلم الدين السخاوي . الصواب : واتصل بشمس الدين السخاوي ، وهو المؤرخ الناقد المشهور مفخرة مصر بل الشرق في القرن التاسع الهجري .

أحمد صفوان

الرسالة الصديق

يقول الدكتور زكي مبارك : « ... وإن أدبك لا يسمح بأن تعرِّض بكاتب له مثل مكانتي في نفسك وفي الرسالة الصديق... » فالكاتب قد أخطأ في وصفه (الرسالة) بصفة (الصديق) وأظنه جرى في أسلوبه هذا على قياس (رجل قتيل . وامرأة قتيل) بتذكير فعيل في المثالين . نعم هذا صحيح إذا كان (فعيل بمعنى مفعول) أما إذا كان (فعيل بمعنى فاعل) فيجب إلحاق هاء التأنيث بفعيل في حالة التأنيث . ولفظ (صديق) هنا بمعنى فاعل . إذن كان من الصواب أن يقول : (الرسالة الصديقة) كما تقول : الرسالة العظيمة ، والكاتبة البديعة ، ولا يصح خلاف ذلك .

(القاهرة) حسنين الخزقي

10 me Année No. 460

Lundi - 27 - 4 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١٠ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٦٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ ربيع ثانى سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

الرجل المنتظَر ...

بهـذه الرجفة العظمى تبدد النظام العالمى كله ؛ فكأنما اجتمع اللاعبون بأقدار الأفراد ومصاير الأمم وقالوا لهتلر أجرِ العابثين : (بَوِّظ)[1]!!

وها هم أولاء يتحكمون فى قطع اللعب ، فيجمعون ثم يفرقون ، ويبددون ثم ينسقون ، وكل ما ورث الناس أو كسبوا من أديان ودساتير وقوانين وأنظمة وسنن قد أصابه الإلغاء أو التعليق . والواقع أن العالم العربى بأجمه ليس منه فى هذه اللعبة العالمية لاعب ؛ إنما هو تلك القطع الجامدة التى تُقسَّم وتُقدَّم وتُمسك ثم تذهب وتجيء بين اللاعبين دواليك حاملة على وجوهها المُلس قِيَمها الكسبية المختلفة من (الدش) إلى (البياظة) . فإذا طلبنا أن يكون لنا فى الدَّست حساب وليس فينا حاسب ، أو يعود علينا من وراثه اكتساب وليس منا كاسب ، كان ذلك من خداع النفس بالمحال وتعليلها بالباطل . والمتوقع الذى لا حيلة فيه أن نظل كما نحن لُعبة تلعب أو نُهبة تُنهب حتى يبعث الله فينا الرجل الذى ننتظر

ولست أعنى بالرجل الذى تنتظره الأمة العربية : (المهدى)

---

(١) التبويظ كلمة مصرية معناها فى اصطلاح لاعبي (الدومينو) أن تقلب القطع على وجوهها قبل اللعب أو بين الدست والدست ، ثم تجال ويضرب بعضها فى بعض كى لا يكون بينها نظام ولا توافق

أو (الإمام) أو (المسيح) ، فإن ظهور أولئك أحدهم أو كلهم شرط من أشراط الساعة ؛ فانتظار الناس إياهم كانتظار الطامع المطؤل راحة الفوت ، أو المريض الشَّفِي سكينة الموت ؛ إنما أعنى الرجل الذى ينتظره الناس انتظارهم طلعة الشمس ، وتنتظره الأرض انتظارها رجعة الربيع ! هو كالشمس لأنه يرسل النور والحرارة ؛ وهو كالربيع لأنه يبعث الحياة والنضارة . وظهوره كطلوع الشمس ورجوع الربيع سنة من سنن الله فى الكون ، يجرى بها حكمه كلما شاء للعقول الحائرة أن تهتدى ، وللقلوب الشتيتة أن تتحد ، وللنفوس العليلة أن تصح

كان هذا الرجل فيما خلا من الدهر يسمى رسولاً ؛ فلما خُتمت الرسالة وانقطع الوحى ، كان يظهر فترة بعد فترة فى صورة ملك أو فاتح أو حاكم أو عالم أو مفكر . فيبين ما التبس من معانى الحق ، ويجدد ما انطمس من معالم الطريق . وكان نجاحه أو فشله فى التجديد والإصلاح أثراً من آثار قوته أو ضعفه ؛ فهو بين أصحاب السلطان يكون أسرع نجاحاً وأوسع إصلاحاً منه بين أصحاب الفكر . وقلما يأبه الناس لدعاة التجديد بالكلام مالم ينتشر صداه فى الأرض ويتسع مداه فى الزمن : لأن أصحاب الكلام إذا ملكوا الرأى فلا يملكون التنفيذ ، وإذا استطاعوا التشريع فلا يستطيعون الحكم . وقطرة القلم قد يفطن لها الفؤاد اليقظ ، ولكن وخزة السيف يثور بها الجسد الغليظ . وما كانت الوثبات الاجتماعية التى خلقت ناساً غير ناس ، وأبدلت نظاماً من نظام ، وفصلت تاريخاً من تاريخ ، إلا نتيجة لدفع المصلحين المسلطين الذين وضعوا الكتاب فى يد والسيف فى يد ، ثم كتبوا دستور الإصلاح بالمداد والدم

ولهذا الرجل الذى تنتظره الأمة العربية آيات تمهد له وتدل عليه : فمن الآيات المهيئة لظهوره انحلال الأخلاق فلا تماسك فى قول ولا فعل ، وتقاطع القلوب فلا تتواصل فى وطن ولا دين ، واستئثار النفوس فلا تتعفف فى صداقة ولا نسب ، وجموح الشهوات فلا تنقدع بلين ولا شدة ، واستبهام المذاهب فلا تستبين بنجم ولا شمس ، وانقطاع الأمة عن رَكْب الحياة فلا تتحرك قِبلة ولا دِبْرة

ومن آياته المنبئة بوجوده أن يكون لغيره لا لنفسه ، ولأمته قبل أسرته ، ولإنسانيته بعد وطنيته . وبهذه الصفة الأخيرة يختلف المصلح القومى عن الرسول . ومصداق تلك الآيات أن تموت (أنا) فى لسانه وتحيا فى ضميره ، ويتحد فى ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ؛ فهو يحس ألمه لأنه مجتمع شعوره ، ويدرك نقصه لأنه مجتلى عقله ، ويملك قياده لأنه مَظهر إرادته . وهو فى سمو نفسه ونزاهة هواه قد ارتفع عن أوزار الناس وأقذار الأرض ؛ فلا يطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يحابى لأن فضله أوسع من العصبية ، ولا يقول قولاً أو يعمل عملاً إلا إذا وافق الدين الذى يعتقده ، والمبدأ الذى يؤيده ، والشعب الذى يقوده

ثم هو فى ألمعية ذهنه ورصانة لبه وصلابة عوده وبعد همته يعظم على الأحداث ، ويعلو على الحوائل ، فلا ينضج رأياً إلا أمضاه ، ولا يرمى غرضاً إلا أصابه ، ولا يروم أمداً إلا أدركه

هذا الرجل الملهم الموهوب هو الذى ترقب ظهوره كل فرقة ، وترصد نجمه كل أمة . ولقد ظهر أمثاله فى بعض الأمم وهى على شفا الهاوية فأعادوها إلى الحياة وردوها إلى الجادّة . ولا تزال الأمة العربية تحدّق النظر العبران فى الأفق الغائم ترجو أن تنشق الحجب عن نوره . فهل آن يا أرحم الراحمين أوانُ ظهوره ؟

إن القطعان المهملة تدخل فى عهدة الذئب ؛ وإن القوى المتفرقة تُجمع فى حساب العدو ؛ وإن اللآلىء المبددة إذا لم يضمها سلك لا ينتظم منها عِقد ؛ وإن الأمة التى لا تملك يوم المجد والفخار إلا أن تقول : كنت وكنت ، لا يزيد قدرها على قدر الرماد البارد الذى يقول : كنت فيما مضى جمرةً متقدة !

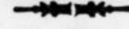
***

رباه لقد امتد بنا التيه فى مجاهل الأرض إلى قرون ، وفسد فى نفوسنا الإيمان بالحياة حتى تحول إلى ظنون . فمتى نخرج من التيه يا رباه خروج موسى ، ونتبوأ من صدر الحياة العاملة مكان محمد ؟ اللهم إنا نسألك الراعى الذى يطرد الذئب ، والنظام الذى يجمع الحب ، والدليل الذى يحمل المصباح ، والقائد الذى يرفع العَلَم ، والأستاذ الذى يعلمنا أن نصنع الإبرة والمدفع ، ونشق المنجم والحقل ، ونوفق بين الدين والدنيا ، ونوحد بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة . وكل أولئك يا رباه يجمعهم رجل واحد هو أشبه الناس بالمهدى المنتظَر والإمام المرتقَب والمسيح الموعود !

أحمد حسن الزيات

فى ساحة العـــدل

للدكتور زكى مبارك



قبل أن أمضى فى الكلام عما وقع فى « ساحة العدل » أذكر أن فرصةً جميلة أتاحت لى مقابلة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ « محمد مصطفى المراغى » فتلطّف - حفظه الله - وقدّم إلىّ ملاحظاتٍ سديدة على بعض ما مرّ من الآراء فى هذه الأحاديث ؛ وكان من كلامه ما نصُّه بالحرف :

« أنت متجه إلى إلقاء تبعة المعصية على حواء ، وفاتك أن تذكر أن عدم تماسك آدم هو السبب فى تمرُّد حواء »

والواقع أنى طُفت بهذا المعنى فى « حديث السِّدرة » . ولكن عبارة الأستاذ الأكبر دقيقة جداً ، وهى من الإيجاز النفيس . ولعل فيها رداً على من غضبوا جاهلين يوم دعوناهم إلى الحزم فى معاملة النساء .

سريرة آدم

ضاق صدر آدم بما وقع من قرب الشجرة المحرَّمة ، وفاض كربُه حين تذكَّر أن حديث الله مع الملائكة كان مقصوراً عليه فقد قال : « إني جاعلٌ فى الأرض خليفة » ولم يذكر حواء ، وكذلك سكتت الملائكة عن حواء ، فكيف يفوته أن يلتفت إلى هذا التفرد بالتكليف وهو غاية فى التشريف ؟

ثم تذكَّر أن الله عرَض الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها ، وتشجَّع آدم لحملها وهو لا يدرى أن شجاعته لم تكن إلا ضرباً من الظلم والجهل

لو كان آدم يعلم الغيب لأعلن عجزه عن حمل الأمانة بعد نكوص السموات والأرض والجبال ، ولكن شبابه فتَنه وأغواه فتوهم أنه يقدر على حمل جميع الأثقال

سيقف آدم فى ساحة العدل وهو نادم خزيان ... ألم يضيِّع الثقة بمواهبه السامية ؟ ألم ينهزم أمام امرأة أعظم أسلحتها البكاء ؟ فى ساحة العدل ستحتشد الخلائق من الملائكة والجن والطير والحيوان ، وذلك أول معرض يعرفه التاريخ . ولن يكون آدم متفرِّجاً فى هذا المعرض ؛ ولكنه مع الأسف الموجع سيكون مَسْلاة المتفرجين . والويل كل الويل لمن يصبح فُرجةً لأهل الفضول ، ولو كانوا من الأشراف ، إن جاز لأهل الشرف أن يشهدوا موقفاً يتأذّى به رجلٌ شريف

سيقف آدم متهماً ، آدم الذى اصطفاه الله ، ولم يسمع فيه أقوال الملائكة المقربين ؛ فبأى وجهٍ يقف فى قفص الاتهام ، وأمام القاضى الذى منَّ عليه بنعمة الوجود ؟

جهنم أروح من الوقوف فى ساحة العدل بالفردوس

كان آدم يتمثل من لمحة إلى لمحة شماتة الشامتين ؛ ثم يخفّ كربه كثيراً أو قليلاً حين يتذكر أن الذين اعترضوا على خلقه هم الملائكة ، والشماتة لا تجوز من أصحاب الأرواح النورانية

ولكن الجنة فيها سكان لا يمتّون إلى النور بعِرق ، ومن حقهم أن يشمتوا فى المخلوق الذى يفوتهم بمراحل أبعد مما بين الأرض والسماء

أتستطيع المعصية وهى حقيرة وخسيسة ودميمة أن تمنح الأنذال فرصة التعالى على الأبطال ؟

لو كان آدم يعرف أن المعصية ستجعل من حق الحشرات أن تتسابق فى الزحف على البطون لتشهد موقفه فى ساحة العدل . . . لو كان آدم يعرف أن إبليس المطرود سيتبجَّح بأنه أغواه بلا عناء ... لو كان آدم يعرف أن الله يحبه ، وأن استهانة المحبوب بأوامر الحبيب من علائم الخذلان ... لو كان آدم يعرف أن الموت فى الطاعة أشرف من الحياة فى العصيان . . . لو كان آدم يعرف ، لو كان آدم يعرف ! !

طافت هـذه الخواطر بآدم وهو فى الطريق إلى ساحة العدل فكاد يُصعق من هول الوقف . وكاد يتمنى لو تحول إلى حيوان أعجم لا يفقه كنه التكاليف . وهل يستطيع مع المعصية أن يقول إنه أشرف من أى حيوان ؟

لقد عصى ربَّه فغوى ، فما استعلاؤه وقد هوت به المعصية إلى الحضيض ؟

المعصية إثمٌ موبق ، ولو جازت على الجبل لحوَّلته إلى هباء . عصى آدم ربه فغوى ، فليستمد آدم لحمل جريرة العصيان . وكيف يعصى الله من يعرف أنه خالق الأنوار والظلمات ؟ كيف يعصى الله من يعرف أنه واهب القدرة على العصيان ؟ وهل تكون الشهوة الأثيمة أعذب مذاقاً من العلقم الذى يتجرعه من يصد نفسه عن الآثام ؟ إن حرمان النفس من أهوائها فى سبيل الطاعة له طعم شهىٌّ جداً ، فكيف غابت هذه الحقيقة عن آدم ؟ وكيف رضى أن يضام بسبب هواه فى مسايرة حواء ؟ لو كان يملك محو هذه الخطيئة بأى ثمن لكانت روحه أول مبذول ولكنه لا يملك محو ما وقع ، وسيؤدى ثمناً أعظم من الروح ، هو سمعته بين سكان الفردوس ، فسيشهدون جميعاً أنه مَدين ، وأن عقله لم يعصمه من الانحراف عن جادّة الرشاد . وسيرى بعينيه وجوهاً لا تعيش إلا من اغتياب الأحرار ، وهو الذى قدّم الزاد بنفسه لتلك الوجوه الشوهاء

جَلجَلتْ هذه المعانى فى صدر آدم فجلس يستريح تحت إحدى الشجيرات وهو يتمنى لو ضلّ الطريق إلى ساحة العدل ، وخطرت له فكرة الهرب ولكن إلى أين ؟ وهل من عدالة الله مهرَب ؟

ثم تشجع فجأة لخاطر جميل طاف بنهاه ، فما ذلك الخاطر الجميل؟ تذكر آدم أن الله يعاقب مرة واحدة ثم يصفح لأنه عظيم ، أما الذين يعاقبون على الهفوة الواحدة مرات كثيرة فهم صغار الخلائق . وما على آدم بأس من عقوبة تمر وتمضى ثم يواجه أعماله من جديد وقد تطهّر بالعقاب

وقاضى اليوم هو الله ، والعدل مضمون مضمون ، ولا خوف من التزيد والإسراف ، فليمض آدم إلى المحكمة وهو ثابت القدم رابط الجأش ، فما فى كل وقت تكون المحاكم إلى ذلك الجبار الرءوف ... وفي أثناء الطريق ثارت نفسه فدمدم :

« إن الله لا يحكم على آثم إلا بعد أن يتيح له الألوف من فرص المتاب . فكيف يعاقبنى لأول هفوة تبدُر منى ؟ »

فهتف هاتف : تأدب يا آدم ، واذكر نعمة الله عليك ، فما عاجَلك بالعقوبة إن كان سيعاقبك إلا ليؤكد كرامتك الذاتية بين الخلائق

— التعجيل بالعقوبة مزية ؟

— مزية عظيمة ، لو كنت تعرف

— أحب أن أعرف

— العقوبة حكمٌ لك لا عليك

— لم أفهم شيئاً ، أيها الهاتف

— ستفهم بعد لُحَيظات ، وستندم على أن لم تأكل شجرة التين بفروعها وجذورها

— أرجعُ فآكلُها أكلاً لَمّاً ؟

— إحترس ثم احترس ، فأنت نبىٌّ ، والأنبياء يراعون ظواهر الشرائع قبل أن يراعوا بواطن الحقائق ، ترفقاً بمن يغيب عنهم إدراك اللباب من أسرار الوجود

— إذن كان من حق ...

— لا حق لك فى شىء ، فامض خاشعاً إلى ساحة العدل

— بدون خوف ؟

— بأعنف صورة من صور الخوف ، لأن الله يبغض الآمنين أشد البغض

— وكيف ؟ كيف أيها الهاتف ؟

— لأن الشعور بالأمان بداية الخذلان ، والله لا يرضى لك أن تسير إلى الانحلال

سريرة حواء

رأت حواء بجزع وارتياح أنها لم تُدعَ لحضور « ساحة العدل » إلا مع الشهود ، فما معنى ذلك ؟ معناه أنها لم ترتق إلى منزلة العقاب ، ومعناه أن منزلتها فى هذه القضية منزلة ثانوية ، ومعناه أنها لم تجترح غير الإغواء ، وهو ذنبٌ مقسَّم على ثلاثة شخوص : الحية وإبليس وحواء ... ثم صرختْ :

— أنا الجانية ، أنا الجانية ، وآدم لم يأكل ثمرة التين إلا من يدى

فهتف هاتف : لن يُنصَب للمرأة ميزان ، وهى التى تفرّق

بين الابن وأبيه والأخ وأخيه ، ولن يغفر الله للمرأة أنها لا تدخل بيتاً إلا شطرته إلى شِيَع وأحزاب ، وقد كانت وستكون أول مصدر للنزاع والشقاق

– لعلك تريد حواء الأولى ، أيها الهاتف ؟

– حواء الأولى لم تعرف التبرّج

– وأنا متبرّجة ... أنا ؟ ؟

– نعم ، فقد شهدتُك تَنْـظِمين من حبُوب البِسِلّة عِقداً تزيّنين به جِيدِكِ الأغيد ، ورأيتك تعصرين الزهر بين كفّيْك ثم تمسحين بعصيره أجزاء من جسمك البديع لتظهر عليه خطوط وردية أو عسْجَدية

– وما العيبُ في ذلك ؟

– العيب أنك لا ترضَين بما قسَم لك الله من الحظوظ

– وماذا أعطاني الله ؟ ماذا أعطاني ؟

– كل امرأة تقول هذا القول ، وما رضيت امرأةٌ عن نصيبها أبداً

– وما نصيبي ؟ وهل كان لي من النعيم نصيب ؟

– لك آدم يا حواء

– آدم الذي يريد أن يتمتع وحده بجريرة العصيان ؟

– تريدين أن تقاسميه أعباء هذه الجريرة ؟

– هي جريرتي وحدي ، وأنا صاحبة الحق الأول في الوقوف جانيةً « بساحة العدل »

– وترين موقف الجناية من مواقف التشريف ؟

– هو فرصة لأن يصبح الجاني على ألسنة جميع الخلائق

– إن كان هذا ما تريدين فاطمئني ، فلن تقع جريمة في شرق أو غرب إلا قيل « فتِّش عن المرأة » . ولن يتنسّك عابد ، أو يترهّب زاهد ، إلا طلباً للسلامة من كيد المرأة . ولن تخلو شريعة من التحذير المخيف ، التحذير من حبائل النساء . ولن يرتفع مرتفع أو ينخفض منخفض إلا وفي خياله أن امرأةً نصحته فارتفع ، أو خدعته فانخفض . ولن يبرع أديبٌ أو فنّان إلا وهو مَدين لمخلوقة سفيهة أو حليمة من بناتك يا حواء . ولن ينبغ كاتب أو شاعر إلا بوحي يُوحَى إليه من إنسانة عليلة الطرف أو صحيحة الفؤاد . ولن يخلو كتابٌ من اسم المرأة ، ولو كان شريعة تتلقاها الأرض عن السماء

– أرحْتَني ، أرحتني ، أيها الهاتف

– إنما نريح مصدر التعب لنستريح !

جلسة علنية

صدر القرار بأن يحاكم آدم في جلسة علنية يشهدها جميع سكان الفردوس ، فكان على الملائكة أن يهيئوا ساحة العدل تهيئة تسمح بأن يشهدها أولئك الخلائق بلا عناء

وكيف تحضر جميع الخلائق ؟

في الطيور طوائف من الحواضن ، والطيور الحواضن لا تترك البيض المحضون ولو تعرّضت للموت من الظمأ والجوع ، فمن المستحيل أن تترك أعشاشها لتشهد محاكمة آدم صاحب حواء .

وفي الأنعام بهائم تأكل الطعام وهي مطعونة بسهم الموت ، فلا أمل في أن تتحرك لشهود القضاء في ساحة العدل

وهنالك الحمير ، وهي لا تعلن عن سرورها بغير النهيق ، فمن الخير ألا تحضر مجلس القضاء وصوتُها أنكر الأصوات .

وفي الوجود خلائق لها أبصار ، وليس لها بصائر ، فمن الحزم أن تُراح من شهود جلسة لا يستفيد منها غير أرباب القلوب

ثم اتفقت آراء الملائكة على أن المراد بعلنية الجلسة إعطاء الفرصة لمن يستطيع الحضور ، وليس المراد أن تحضر الخلائق جمعاء ، وهل يتيسر لأسماك الكوثر أن تشهد محاكمة آدم وهي تُعرَّض للموت إن طال ثواؤها بالعَرَاء ؟

والحق أن الملائكة لم يشهدوا في ماضيهم القديم أصعب من ذلك الموقف ، فقد كان عليهم أن يراعوا في تهيئة ساحة العدل طبائع الطير والحيوان والحشرات ، فمن الطير أنواع تستريح إلى الأرض ، أمثال الحجَل والكروان والهداهد والطيور المائية ، ومن الطير أنواع لا تستريح بغير الوقوف فوق أعواد ، فكيف تُعدُّ الساحة لأولئك وهؤلاء ؟ إن ذلك لا يتم بغير متاعب ، والجلسة مستعجلة ، ولا يمكن طلب التأجيل

وعرضتْ الملائكة مشكلتان فى غاية من الخطورة : الشكلة الأولى مشكلة النزاع الذى ثار بين الأسود والقرود بعد فضيحة آدم وحواء ، وهو نزاع قد يثور من جديد إن قضى الله على آدم بمـا يشرح صدور القرود

أما الشكلة الثانية فهى الخوف على الطيور المغردة من عدوان الطيور الجوارح ، فالصقر يشتهى الطير المغرد شهوة عارمة ، ويكاد يتوهم أن لحم الطير المغرد أطيب من خدود الملاح ، وتلك الطيور لن تسكت عن التغريد ، لأنها مفطورة على حب الغناء ، ولو فى حضور الشواهين ، والجمال قد يَجنِى على الجميل

قال أحد الملائكة : ولـكن نحن فى الجنة ولا خوف من بطش الأقوياء بالضعفاء

فقال له صاحبه وهو يحاوره : كنا فى الجنة !

— كنا ؟

— نعم ، كنا ، وما فات مات

— أوضِحْ ، يا رفيق ، أوضحْ

— كانت الجنة جنة

— فصارت ؟

— فصارت كما ترى ، ألا تعرف أن آدم عصى ربه فغوى ؟

— وما خَطَرُ ذلك ؟

— هو خطرٌ فظيع فظيع ، وأنا أخشى أن تـكون معصيته قدوة سيئة لجميع سكان الفردوس ، فسيقول قائلهم : إن ما جاز صدوره عن الكبار يجب صدوره عن الصغار

— وآدم كبير ؟

— هو كبير الـكُبَراء ، وستعرف صدق ما أقول بعد حين

— وإذن تكون معصيته شرًّا مستطيراً ، وأغلب الظن أن الله سيطرده من الجنة بلا إمهال

— برغم منزلته العالية ؟

— خفضته المعصية ، فلينزل إلى الحضيض ، إلى الأرض التى لا يعرف فيها السعادة غير الديدان ، فهى وحدها التى تُرزَق فى الأرض بغير حساب

— والنتيجة ؟

— والنتيجة أن جلسة اليوم تحتاج إلى حزم ، وهى تجربة قاسية ، فلنحاول بتقسيم الحاضرين إلى طوائف تَفْصِل بينها حواجز ، لنأمن الثورة المرتقبة من هياج الغرائز الغافية فى صدور الطير والحيوان . ولهذا اليوم ما بعـده يارفيقى ، فإن نجحنا فى تنظيم هـذه الجلسة إلى أن تمر بسلام ، فسنكون أهلاً للثقة التى تمنحنا الحق فى أن نـكون على جميع الخلائق رقباء

اليوم المشهود

كان سكان الجنة تسامعوا بأخبـار حواء ، ولم يرها منهم إلا الأقلُّون ، بسبب احتجازها بين البواسق ، وبسبب نفرتها من أهل اللغو والفُضول ، وبفضل ما فُطِرت عليه من الدلال المَدُوف بالـكبرياء

والفرصة الوحيدة لأن يروها أجمعون هى حضور محاكمة آدم فى ساحة العـدل ، فمن المؤكد أنها ستحضر لمواساة فارسها الجميل

خفَّ سكان الفردوس لمشاهدة حواء ، ولم يتخلف إلا من صدَّته الرعاية الواجبة للأفراخ أو الأشبال

من كان يظن أن الأسماك رحَّبَتْ بالموت لتقضى ساعة أو ساعتين فى مشاهدة حواء ؟

وتقدم غضنفلوث لتمتطى حواء ظهره المنيع ، فدخلت الساحة فى عِزة لا يظفر بمثلها الملوك

فـكيف كانت حواء فى ذلك اليوم ؟

كانت وكانت وكانت :

كان طرفها الـكحيل يَعد ويُخلف فى اللمحة الواحدة ألوف المرات ، وكأنه جذوات تقتتل فى هدوء وسكون

وكان أنفها فى ملاحته يتموج تموّجاً نورانيًّا فى حدود يوحى بها لحنُها الرنّان

وكان صوتها — صوت حواء الجبلة — يشهد بأن حناجر البلابل والعنادل أُودعتْ حلقها الرخيم

وكان نحرُها — نحر حواء — مرمراً ينطق . وما أخطرَ المرمرَ الذى ينطق !

وكان لثناياها ريق يفوق ريق الحَبَب عند فورة الرحيق

وكان لذراعَيْها استدارة فنية تهتف بأن الله يزيد فى الخلق ما يشاء

أما جسم حواء فى جملته بلا تفصيل ، فهو الوجود فى جملته بلا تفصيل

كانت أرقّ من الأزهار فى آذار ، وأعذب من الأعناب فى آب

كانت أحلى من وسوسة الأمانى فى الصدر المكروب ، وأشهى من جلجلة المعانى فى القلب الموهوب

وكان تثنيها يوهم بأن قوامها أُلِّف من خطرات تفوق العدّ والإحصاء

فى المكان المحدود من جسمها البديع ألوان وألوان ، فكأن كل جزء من أجزاء ذلك الجسم قصيدة تحترب فيها القوافى والأوزان ، والألفاظ فى الشعر الرائع تشبه الأوصال فى الجسم الفينان

كانت حواء فى ذلك اليوم . . . كانت وكانت وكانت

فكيف كانت ؟ كيف لا كيف ، ألم يكف أنها كانت حواء ؟

قال الصقر : لو كانت هذه أنثاى لنذرت الصوم عن لحوم الكنار شكراً لله على هذه المنحة الغالية

وقال الأسد : لو كانت هذه أنثاىَ لشكرتُ الله بالصفح عن القرود

وقال البلبل : لو كانت هذه أليفتى لابتدعت لحناً يسكر سكان الفردوس

فهتف هاتف : حواء لآدم ، وآدم لحواء ، وليس فى الإمكان أبدع مما كان . فغضُّوا أبصاركم عن حسنٍ هو عزاء آدم فى بلواه ، وهو حجته فى استباحة العصيان

محكمة . محكمة !!

ونظر آدم فرأى جلال الله يُسيطر على الموقف ، ورأى أنه سيحاسَبُ أمام جميع الخلائق

— رباه ، أجرنى !

— وكيف أجيرك وأنت مذنب ؟

— أحب أن يكون الحساب فى جلسة سرية

— لماذا ؟

— لأدافع عن نفسى بحرية ، فعندى كلام لا أحب أن يسمعه القرود ، ولأنى أخاف أن تنصعق حواء من شماتة الشامتين ، وهى أرقّ من الوهم الذى يساور القلب الأوّاب

— لك يا مخلوق الأثير ما تريد على شرط أن تكتم ما سيدور فى الجلسة السرية ، فأنا أعلم أنك ستفوه بأقوال تزلزل عزائم الآساد فى رعاية الأشبال .

زكى مبارك

خسرو وشـــيرين

فى التصوير الاسلامى

للدكتور محمـــد مصطفى

— ٢ —

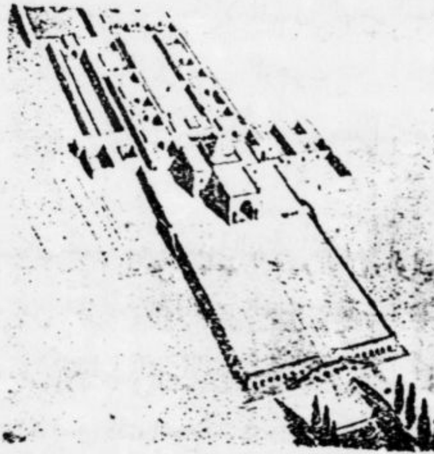
استطاع القائد بهرام جوبين أن يوقع بين الملك هرمزد وولده الأمير خسرو برويز ويغير رأيه عليه ، فاستحضر هرمزد صاحب سره وسأله أن يدبر فى الاحتيال لاغتيال خسرو ، فخدعوا بعض خواصه بمال وواضعوه على أن يسقيه سمًّا يقتله . ولمَّا علم خسرو بذلك أشار عليه معلمه بُزرجميد الحكيم ، فركب تحت جناح الليل وخرج من المدائن يسوق طرداً وركضاً فى طريق آذربيجان[١] — أو كما يقول الشاعر نظامى الكنجوى — فى الطريق إلى أرمينية[٢] . وكان أن التقى بحبيبته شيرين وهى تستحم فى بركة الماء دون أن يعرف أحدهما الآخر ، وافترقا وقلب كل منهما يحدثه أنه رأى حبيبه ، فواصل هو طريقه إلى أرمينية ليحظى برؤيتها ، وتابعت هى طريقها إلى المدائن لتبحث عنه ...

وكان خسرو — قبل أن يغادر قصره فى المدائن حيث كان فى انتظار نتيجة مساعى سفيره شابور — قد أخبر رؤساء خدمه وجواريه باحتمال مجىء سيدة جميلة ، ذات مقام رفيع ، ونزولها ضيفاً عليه ، وأمرهم بحسن استقبالها بما يليق بمقامها من الاحترام والإجلال ، وشدد عليهم فى إجابة جميع رغباتها

(١) أنظر الشاهنامه ج ٢ ص ١٩٥ ، الطبرى ج ٢ ص ١٣٦ ، نولدكه ص ٢٧٣ والحاشية

(٢) كانت أرمينية إذ ذاك — كما كانت آذربيجان — من أملاك إيران ، وكانت موضع مساومة بين موريس أمبراطور الروم وخسرو برويز ، نظير مساعدة موريس لخسرو ضد القائد بهرام جوبين الذي اغتصب عرش إيران . انظر المراجع السابقة وانظر أيضاً :
Laurence Binyon, The Poems of Nizami, p. 18
و F. I. W. Gibb, A History of Ottoman Poetry, I, p. 317

وصلت شيرين المدائن ، وتوجهت إلى قصر خسرو ، كما أوصاها شابور ، حيث أظهرت الخاتم الذى أرسله خسرو إليها ، فقوبلت بالترحاب ، ونزلت هنالك معززة مكرمة مطاعة من الجميع ؛ ولكنها لما علمت بغياب خسرو عن القصر ، شعرت بالسأم يدب حولها فيه ، ورغبت فى السكنى بعيداً عنه ، فأجيبت إلى هذه الرغبة ، وبنى لها قصر عظيم بين الهضاب المرتفعة ، لعلها تجد فيه من ضروب اللهو والتسلية ما يجلب السرور إلى قلبها ، وعرف القصر باسمها ، فقيل « قصر شيرين »



(شكل ١)

وفى (شكل ١) تخطيط[١] لقصر شيرين فيه محاولة لإرجاعه إلى حالته الأصلية نرى فيه ما كان عليه القصر من العظمة واتساع الأرجاء . وتوجد آثار هذا القصر بين الهضاب في إيران على بعد حوالى عشرين ميلاً من الحدود العراقية فى الطريق إلى كرمانشاه[٢] . ويقول ابن الفقيه[٣] إن « السبب فى بناء قصر شيرين أن الملك أمر أن يبنى له باغ يكون فرسخين فى فرسخين وأن يصيّر فيه من كل صيد حتى يتناسل ، ووكل به ألف رجل

(١) نقلا عن : Oscar Reuter, Sasanian Architecture, in, S. P. A., I, p. 542.

(٢) انظر : F. Sarre, Die Kunst des alten Persien, S. 38
و G. Bell, Palace and Mosque at Ukhaidir, pp. 44—50, pls. 51—73.

(٣) فى كتاب البلدان — طبعة ليدن — ص ١٥٨ — ١٥٩

وأجرى على كل رجل منهم خمسة أرغفة ورطلين لحماً ودورق خمر ، فأقاموا فيه سبع سنين حتى فرغوا منه . . . وسماه باغ نخجيران أى باغ الصيد » ويروى ابن الفقيه عن قصر شيرين أبياتاً منها :

ياذا الذى غره الدنيا وبهجتها ... وحسن زهرة أنوار البساتين
والدور تخربها طوراً وتعمرها ... باللبن والجص والآجر والطين
أما رأيت صروف الدهر ما صنعت ... بالقصر قصر أَبَرْوِيزٍ وشيرين
قد صار قفراً خلاء ما به أحد ... إلا النعام مع الوحشية العين
سبحان من خلق الدنيا ودبرها ... وأنشأ الخلق من ماء ومن طين

وصل خسرو إلى أرمينية ، ونزل ضيفاً على ملكتها مهين بانو ، فأخبرته عن اختفاء ابنة أخيها شيرين، ودعته لأن يمكث فى أرمينيا طول مدة الشتاء ، فقبل الدعوة . وجاءه شابور بعد ذلك بأيام قلائل، وأخبره بكل ما فعل . فأبلغ خسرو الملكة بوصوله وبما جاء به من الأخبار عن شيرين ، واتفقا أن يرجع إلى المدائن ليعود بها إلى أرمينية . وهكذا أمرت الملكة مهين بانو أن يركب شابور على الفرس « جُلْجون[1] » وهو فرس آخر فى حوزتها ، كان يضارع الفرس « شَبْديز » فى شهرته . ووصل شابور إلى المدائن حيث وجد شيرين قد تركتها إلى قصرها بين الهضاب ، فتبعها إلى هنالك وأبلغها رغبة عمتها ، وأقنعها بالعودة إلى أرمينية حيث ينتظرها خسرو ، فركبت شيرين الفرس « جُلْجون » — إذ كانت قد تركت شَبْديز فى المدائن — ورحلت إلى أرمينية فى صحبة شابور

وفى ذات الوقت جاء رسول من المدائن وأخبر خسرو بثورة القائد بهرام جوبين ، وأن الثوار قد قبضوا على أبيه الملك هرمزد وسملوا عينيه وأرغموه أن ينزل له عن العرش ، بعد أن أعلن بهرام جوبين طاعته لخسرو إذا هو تولى الملك . فأسرع خسرو إلى المدائن ، حيث توج ملكاً على إيران . وهناك علم أن شيرين قد رحلت مع شابور إلى أرمينية ، وأنها قد تركت له الفرس شبديز هدية منها . ولكن سرعان ما ظهرت نيات القائد بهرام جوبين الحقيقية ، وأنه قصد بهذه الثورة أن يغتصب عرش إيران لنفسه . وهكذا اضطر خسرو ـ وقد تبين قوة خصمه ـ أن يعمل بنصيحة معلمه بزرجميد الحكيم ، ويغادر البلاد بعض الوقت ، إلى أن يبدأ نجمه فى الارتفاع ، فيتحين الفرص لاسترداد حقوقه .

وأخيراً تقابل الحبيبان ، إذ جاء خسرو إلى أرمينية بعد وصول شيرين وشابور بوقت قصير . وصادف مجيئه خروج شيرين وصويحباتها للصيد ، فقابلته فى الطريق وعرف كل منهما الآخر ، وكاد يطير سروراً بهذا اللقاء ، وصحبته إلى عمتها مهين بانو ، فاستقبلتهما بما جبلت عليه من لطف وطيبة قلب . وانتهزت هذه العمة الطيبة فرصة انفرادها مرة بابنة أخيها شيرين ، وتوسلت إليها أن تحتفظ بوقارها فى جميع المناسبات ، وأن تناضل فى سبيل الدفاع عن شرفها ، والمحافظة على طهرها وعفافها ، فوعدتها شيرين بذلك . فسمحت لهما العمة بالخروج مع خسرو فى رحلة إلى الريف ، حيث قضيا شهراً وهما يستمتعان بالصيد وضروب التسلية الأخرى .

وفى (شكل ٢) خسرو وشيرين وهما يدخلان أحد القصور فى أرمينية عند رجوعهما من الصيد ، وقد وقف فى استقبالهما بعض أكابر الدولة من أفراد الحاشية ومعهم الخدم والجوارى . وهذه الصورة[1] فى مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر خسرو الدهلوى ، كتبه محمد بن الأزهر فى هرات سنة ٨٩٠ هجرية

---

(١) جلجون أى ذو اللون الوردي . ويروى أن جلجون وشبديز مما نسل فرس أصيلة أرمينية ، وأن أباهما تمثال لفحل جبل منحوت فى صخرة سوداء موجودة فى كهف بجبال أرمينية أنظر :
F. I. W. Gibb, I. p, 318 n. 2.

(١) منقولة عن : Martin, Les miniatures de Behzad dans un manuscrit persan daté 1485, pl. 12
انظر أيضاً : Martin, Miniature Painting, II, pl. 77
و Glück und Diez Kunst des Islam, p. 510
و Binyon — Wilkinson — Gray, p. 95, no. 78 e, pl. LXII B

(١٤٨٥ م) . وكان مؤرخو الفن الإسلامي ينسبون الصور التوضيحية التي في هذا المخطوط للمصور بهزاد ، وذلك لما امتازت به من الدقة في رسم المباني والأشخاص . والظاهر أن بهزاد كان له في ذلك الوقت بمدينة هرات تلاميذ صوروا هذه الصور ، وأسبغوا عليها الكثير من روح أستاذهم[١] . وهذا المخطوط محفوظ في مجموعة شستر بيتي بلندن

***

قضى الحبيبان شهراً وهما يتسليان بالصيد ولعب الكرة وغير ذلك من أنواع التسلية ، إلى أن دعا خسرو شيرين لمأدبة أقامها لها في مضرب خيمه . وكانت مأدبة فخمة استمعا فيها لأغاني « باربد » مطرب خسرو و « نيكيسا » مطربة شيرين ، ومن بين شفاه هذين المطربين كان فيض الهوى يتردد ، وكانا يتجوبان بما يكنه قلب كل من العاشقين للآخر



(شكل ٢)

وفي (شكل ٣) جلس خسرو على سجادة في منظرة بحديقة غناء ، يستمع لموسيقى مطربه باربد الجالس أمامه إلى جوار الفسقية وبين يديه « عود » كبير يحرك أوتاره ، بينما جلس بعض أكابر الدولة يستمعون لباربد ويتسامرون وهم يتناولون الطعام والشراب

(١) انظر : S. P. A., III, p. 1863

ووقف في خدمتهم الغلمان والسقاة والخدم ، وقد ظهر على وجه كل منهم مبلغ اهتمامه بما يعمل . ونلاحظ في هذه الصورة الدقة



(شكل ٣)

في تصوير المباني والأشجار والزهور ، وفي رسم الحيوانات على الحائط خلف خسرو ، وكذا صورة التنينين في أعلى القبة إلى جانبيها . وهذه الصورة[١] من تصوير « ميرزا علي » . ونرى إمضاءه في أسفل الصورة إلى اليسار . وهي في مخطوط نظامي المؤرخ بين سنتي ٩٤٦ و ٩٥٠ هجرية (١٥٣٩ — ٤٣ م) المكتوب للشاه طهماسب

واشتهر باربد[٢] بجمال الصوت وحسن التوقيع والمقدرة على وضع القطع الموسيقية وتأليف الألحان ، وصارت ألحانه حجة أساتذة الموسيقى ، وكان بارعاً في الضرب على العود . ويروى أبو الفرج الأصفهاني[٣] أنه « ضرب يوماً بين يدي كسرى فأحسن

(١) منقولة عن : Laurence Binyon. pl XI
انظر أيضا : Martin, II, pl. 137 و S. P. A., III, p. 1879

(٢) يذكر باربد في الكتب العربية بأسماء متقاربة ، فمثلا يسميه أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني « الفهلبذ » ويسميه ياقوت الحموي في معجم البلدان « البهلبذ » ، وهو بذلك الاسم في قصيدة البحتري التي وصف بها إيوان كسرى ، أنظر كتاب البلدان لابن الفقيه — طبعة ليدن — ص ١٥٨ في الحاشية ، والشاهنامة ج ٢ ص ٢٤١ في الحاشية

(٣) في كتاب الأغاني — طبعة دار الكتب المصرية ج ٥ ص ٣٨١

فحسده رجل من حذاق أهل صنعته ، فترقبه حتى قام لبعض شأنه ثم خالفه إلى عوده فشوّش بعض أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدرى ، والملوك لا تصلح فى مجالسها العيدان ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصة ، فامتحن العود فعرف ما فيه »

وكان بَارْبُد محبباً لخسرو برويز ومقرباً إليه ، فكان يقصده أصحاب الأمور لعرضها على خسرو إذا خافوا أن يبطش بهم .

ويروى ياقوت الحموى[1] أنه لما عرف خسرو برويز بمرض الفرس شَبديز – وكان عزيزاً عليه – قال: «لئن أخبرنى أحد بموته لأقتلنه . فلما مات شبديز خاف صاحب خيله أن يسأل عنه فلا يجد بداً من إخباره بموته فيقتله . فجاء إلى البَهلَبَذ مغنيه ، ولم يكن فيما تقدم من الأزمان ولا ما تأخر أحذق منه بالضرب بالعود والغناء . قالوا كان لأبرويز ثلاث خصائص لم تكن لأحد من قبله : فرسه شبديز ، وسريته شيرين ، ومغنيه بهلبذ ، وقال اعلم أن شبديز قد نفق ومات وقد عرفت ما أوعد به الملك من أخبره بموته فاحتل لى حيلة . فلما حضر بين يدى الملك غناه غناء روى فيه القصة إلى أن فطن الملك وقال له : ويحك ! مات شبديز . فقال : الملك يقوله . فقال زه ! ما أحسن ما تخلصت وخلصت غيرك ! ... » وقد ذكر هذه القصة خالد الفياض فى شعر قاله وهو :

والملك كسرى شهنشاه تقنّصه ... سَهم بريش جناح الموت مقطوب
إذ كان لذّته شبديز يركبه ... وغُنْج شيرين والديباج والطيب
بالنار آلى يميناً شدّ ما غلظَتْ ... أن من بدا فنعى الشبديز مصلوب
حتى إذا أصبح الشبديز منجدلاً ... وكان ما مثله فى الناس مركوب
ناحت عليه من الأوتار أربعة ... بالفارسية نوحاً فيه تطريب
ورنّم البَهلَبذُ الأوتار فالتهبت ... من سحر راحته اليسرى شآبيب
فقال مات فقالوا أنت قُلت به ... فأصبح الحنث عنه وهو مجذوب
لولا البَهلَبَذ والأوتار تندبه ... لم يستطع نعى شبديز المرازيب

(له بقية)

محمد مصطفى

أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) فى كتاب معجم البلدان – طبعة ليزج – ج ٣ ص ٢٥١–٢٥٢

مرَســـلات ...

« هذا عنوان نرجو أن نكتب تحته فى الحين بعد الحين كلمات موجزة فى معان شتى ، وإن فى الايجاز لبلاغاً لقوم يعقلون ! »

الضمير

سر غريب ، وروح عجيب ، أودعه الله الإنسان فجعل منه قوة مسيطرة عليه ، متصرفة فيه ، لا يملك لها دفعاً ، ولا يستطيع منها تخلصاً ، ولا يجد من دونها موئلاً !

آمنت بك يا رب ! خلقت الإنسان ضعيفاً ، وركبت فيه نوازع الشر والخير ، ثم قلت له بلسان قدرتك : اعمل ما شئت فقد جعلت عليك رقيباً لن تغيب عنه ولن يغيب عنك ، وليس إلى مصانعته أو مخادعته من سبيل !

آمنت بك يا رب ! هم ينكرون حسابك فى الآخرة وأنت تحاسبهم فى الدنيا ، وهم يتساءلون : كيف يكون لابن آدم معقبات من بين يديه ومن خلفه ؟ وأنت جعلت له معقباً فى قرارة نفسه

ولكن يا رب ، سؤالَ غير معترض عليك ، ولا معقب على حكمك : هل جعلت هذا الضمير أداة عذاب ، وكتبت به على فريق من الناس أن يظلوا منه فى حرب عوان مع هذه الدنيا الملتوية ؟ إن الباطل ، يا رب ، قد استعلى على الحق ، وطغى على الخلق ؛ وإن الرجل ليصدع بكلمة الصدق فَيُتخذ سِخريا ، ويكون أضحوكة الضاحكين ، وأندورة المتندِّرين ، وإن الكاذب الخادع ليلتوى ويتخابث فيشق طريقه بين الناس فى أمن وطمأنينة وسلام !

لقد أصبح الباطل مُعمَّا فى الناس مُخوِلا ، وأصبح الحق يتيما لطيما ! فماذا يفعل امرؤ ذو ضمير يدعوه إلى الإخلاص فى عمله والفناء فيه ، وهو يرى البيئة الفاسدة عدواً له ، وحرباً عليه ؟ ماذا يفعل إذا استحثه ضميره على السير فى طريق الخير قُدُماً وهو يرى القافلة كلها تسير فى غير الطريق ؟ أيبطل مع المبطلين ، ويفسد مع المفسدين ؟ وأنى له ذلك وهو امرؤ ذو ضمير ؟ أم يصادم ويقاوم ويثور ويغضب ويجادل ويناضل ؟ وكيف يأمن مع ذلك على نفسه وخلقه ؟ ومتى يذوق طعم الراحة ؟

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ! »

محمد محمد المدنى

معارج الأحـــداث

للأســتاذ سعيد الأفغانى

ولست أعنى بالأحداث من صغرت أسنانهم فقط ، وإنما عنيت مع ذلك ، أشباههم : ممن صغرت أقدارهم ، وضؤلت معارفهم ، ورقت عقولهم ، وانحطت هممهم وتخلفت أعمالهم ... ولو جللهم المشيب وعلت رؤوسهم النسائج البيض .

ولعمر الله ما أدرى لِمَ يُعرض الكتاب عن طبقة هى إحدى عوائق النهضة الصحيحة لمصرنا ، فلا يصفون منها ما يصف الطبيب من الجراثيم وأعراضها وفتكها ، ثم ما يكون من سبل الوقاية ، وطرق العلاج . وهى طبقة تراها منبثة فى الشوارع والأندية والمجامع والمعاهد والدواوين ... لم يرزقها الله من المواهب ما تستطيع أن تنفع به ، وحز فى نفسها شعورها بالضعة وسقوط المنزلة ، فاندفعت فى صفاقة وخفة تدّعى ما ليس فيها ، ثم ترامت فى العامن على الناس ذوى الأقدار ليعتقد لهم الجاهل بذلك فضلاً .

فإن كنت تنسب أمر الأطفال الذين يبغون أن يكونوا زبيباً قبل (التحصرم) إلى غرة الحداثة ، فماذا أنت ناسب إلي ما أعرض عليك :

هذا أديب حباه الله كل المواهب اللازمة للأدب ، وأخذ نفسه بدرس طويل وصبر أطول حتى أخرج للناس أدباً نافعاً وأصبح مشاراً إليه ؛ فيطمح فريق من أحداثنا ، هؤلاء ، إلى مثل مكانته ، فلا يكلفه الأمر أكثر من محاولته جلب الأنظار إليه بالصراخ والنثائة والدعوى العريضة ، فإذا شكا إليك إعراض الناس ، ونبهته إلى ماينقص من وسائل أو مواهب ، وأنه يحسن به أن يأخذ للأمر أهبته ، رماك ـ فى غيبتك ـ بالتثبيط ، وحمل عنه هذه الفرية من كنت تظن بعقله البعد عن الانخداع .

وهذا يريد أن يكون كاتباً ولما يُحسن سبك جملة صحيحة بعد ، ولما يستوعب فهم صفحة يقرؤها فهماً صحيحاً ، يعرض عليك مقاله فتنصحه بالتعلم ، فيزورّ عنك محتجاً بتحقير شهاداته المالية ويطوف إدارات الصحف أو المجلات هو ووسطاؤه ، فيروعك أن ترى سخفه منشوراً ، ويروعك أكثر أن تراه أحياناً قصد من لا تشك فى إطلاعه وبصره ، فيفشه فى فترة سأم وإعياء .

وذاك لم يدّع أدباً ولا كتابة ، ولكن حلاله أن ينتسب فى الباحثين ، فسطا على بحث نشر فى بلد بعيد ، وفقرات فى الموضوع نفسه من كتابين قديمين ، فقطّع نحو خمسين قطعة ، ثم عاد فوصل بين ما قطّع بجمل من عنده ، وقدم فيها وأخر ، ثم رقّم هذه الجمل وجعل لكل رقم حاشية تدل على صفحة مصدره ـ تشبهاً بما فهم من الأسلوب الحديث ـ فاستوى له بإذن الله ما سماه بحثاً علمياً ، فإذا بك تجد كلاماً لا انسجام بين أجزائه ولا تساوق بين أفكاره يلعن بعضه بعضاً ، فإذا قلت له : إنه غير مفهوم ، أجابك : هذا هو الأسلوب العلمى

وذلك — عافاك الله — لا أديب ولا كاتب ولا باحث ، لكنه لغوى يا سيدى ، يعنى أنه يسود صفحات بالركاكة والابتذال والمط والتطويل والسخف ، حتى إذا واتاك صبرك وانتهيت منها قراءة ، وقذفت بالمجلة أرضاً ، وأغمضت عينيك تستعيد ما مرّ بك ... إذا كل ذلك : كلام فى أن (وابور الزلط) من عامية مصر ، أو أن (الجسر) فى عامية الشام هو (الكبرى) فى عامية مصر

وإن كان محاضراً لبث أسبوعين (يبشر) بمحاضرته ويدعو لها ويلقاك فى الطريق ، أو حافلة الترام ، أو عند الوراق ، أو حاملاً حاجة ، أو منطلقاً عجلان ، أو منقلباً إلى دارك ... فاستوقفك ساعة وحدثك بمحاضرته وما حوت من نكات ، وأكثر عليك من حركاته و (تهريجه) ، حتى يقتلك قتلاً ، فلا يتركك إلا وقد أخذ عليك عهداً : لتحضرنها أنت وأهلك وأصحابك وجميع معارفك ، فإذا وفيت بعهدك ، فويل لك من نفسك ، وويل لأصحابك : لقد شبعتم خجلاً من أنفسكم وتهكماً ، وأوسعكم المحاضر الكريم غثاثة وثقلاً

وهذا نمط آخر خير مما تقدم : لا أديب ولا كاتب ولا باحث ولا لغوى ولا محاضر ولا شىء من الأشياء مما يبهر أثره إلى الوجود ، ولعله يحسن أن يسلخ أهاجى الأموات يهجو بها الأحياء ، ولعله يتمدح إلى الموسيقى باطلاعه على التاريخ ، وإلى الكيميائى بباعه فى الدين ، وإلى الرياضى بحذقه النحو ، وإلى التاجر بأنه شاعر ... تطمح نفسه إلى أن يسند دعاواه بالانتساب إلى أى جماعة ذات شأن ـ ولو رسميًا ـ فى العلم أو الأدب أو الصحافة ، فلا ترى الجماعات فيه شيئاً يسيغ أن يسلكه فى زمرها ، فيشتغل على أفرادها بالشتم والهجاء حتى تتحقق رغبته ، وما كانت لتتحقق

لولا خراب الضمير الأدبي في بعض الأفراد

وآخرون من غير هذه الأنماط: منهم في الشام، ومنهم في العراق، ومنهم في مصر، أهمل الكتابة في شأنهم الأدباء غفلةً أو تهاوناً، على أن أمرهم سيء العواقب على المستقبل: تراهم مبثوثين في كل طبقة كما انبثت الطفيليات في المواد الحيوية، تبقث هي الجراثيم، وعلى ضحاياها تحمل النتائج:

هنا نادٍ ذو غاية نبيلة يعمل بعيداً عن الدسائس، فيندس فيه من لا يظهرون إلا على خراب غيرهم، فلا يزالون به حتى تسودّ بين الناس صحيفته. وهناك صحيفة كانت راقية أخذت تشجع هذه الطفيليات بدل أن تنصحها أو تبعدها، حتى انحط مستواها وكسدت سوقها بين العارفين

فإن رحت تبحث عن بواعث الداء وجدته في فقدان الكرامة وضعف الضمير المسلكي عند القيمين على بعض دور الصحف والمجلات وأندية العلم، ولو أنهم أقاموا لموازين الحق بعض الاعتبار، لحفظوا أقدامهم من السقوط

أفليس من واجب الأدباء أن نرى هذه الألوان في أدبهم، وأن نجد فيه صفة هذه الطبقة والتحذير منها ومن ضررها على الناشئين وعلى سمعة البلاد الأدبية. ومعالجة هذا الداء واجبة، إذ لا يخلو من مرضاه مصر من الأمصار. فهل لي أن أقرأ في هذه المجلة الكريمة لكتابنا الاجتماعيين كلمات شافيات؟

وبعد، فلست متشائماً، ولا أمنع أن يكون فيمن ينتسبون إلى العلم والأدب أناس علماء حقاً أدباء حقاً، لهم كرامة وبهم شجاعة؛ لكنني موقن أنهم مشتتون، جهودهم ضائعة غير متضافرة، مع إيثار منهم للراحة والسلامة، فلهؤلاء أقول:

إنكم حقاً في سبيل صون ميادين العلم والأدب عن الأدعياء الأدنياء ستلقون أذًى كثيراً ولكن العاقبة لكم، والفناء أبداً إلى الاضمحلال. وما بلينا به بلى به من كان قبلنا، ولم يخل عصر من مثل هذه الطبقة التي لا تحسن شيئاً وتستطيل على المحسنين، وما جمع الله لذي كرامة: الصدع بالحق، والسلامة من الناس.

« دمشق » **سعيد الأفغاني**

سيلان

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

سيلان أو سرنديب اسم تردد على شفاه معظم المصريين منذ ستين عاماً . فى ذلك الوقت كانت الثورة العرابية تجتاز آخر مراحلها ، فقد كان زعماؤها يحاكمون وحكم عليهم بالإعدام فى ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٢ وأبدله الخديوى توفيق فى الحال بالنفى المؤبد خارج القطر فنفوا إلى جزيرة سيلان وصودرت أملاكهم وجردوا من ألقابهم . عرف المصريون إذن جزيرة سيلان ؛ وتمد خلد اسم هذه الجزيرة فى الأدب العربى بما كتبه فيها محمود سامى البارودى باشا من شعر مؤثر فى الحنين إلى الوطن والحزن لفراقه . قال يصف الرحيل عن أرض الوطن :

محا البين ما أبقت عيون المها منى ... فشبت ولم أقض اللبانة من سنى
عناء ويأس واشتياق وغربة ... ألا شد ما ألقاه فى الدهر من غبن
فإن أك فارقت الديار فلى بها ... فؤاد أضلته عيون المها عنى

وقد أسبغ النفى والحرمان عليه شارة التضحية والبطولة فكتب شعراً يفيض عظمة وجلالاً قال من قصيدة فى منفاه :

علام يعيش المرء فى الدهر خاملاً ... أيفرح فى الدنيا بيوم يَعُدُّه
عفاء على الدنيا إذا المرء لم يعش ... بها بطلاً يحمى الحقيقة شدُّه

ومن قصيدة أخرى :

لم أقترف زلة تقضى علىَّ بما ... أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى ... ذنب أدان به ظلماً وأغترب
فلا يظن بي الحساد مندمة ... فإننى صابر فى الله محتسب
أثريت مجداً فلم أعبأ بما سلبت ... أيدى الحوادث منى فهو مكتسب
لا يخفض البؤس نفساً وهى عالية ... ولا يشيد بذكر الخامل النشب

وقد قضى بها سبعة عشر عاماً ، ثم عاد إلى مصر فى شهر سبتمبر ١٩٠٠ بعد أن فقد نور عينيه . أما عرابى باشا فقد عاد فى أول أكتوبر ١٩٠١ . وقد مات بهذه الجزيرة من الزعماء السبعة عبد العال باشا حلمى (فى ١٩ مارس ١٨٩١) ودفن بكولمبو ، ومحمود فهمى باشا فى (١٧ يوليو ١٨٩٤) ودفن بكندى ويعقوب سامى باشا (أكتوبر ١٩٠٠) ودفن بكندى أيضاً

هذا ما كان منذ ستين عاماً . أما اليوم فإن العالم يذكر هذه الجزيرة بمناسبة اقتراب الخطر اليابانى منها ؛ فقد كان من آثار تطور الحرب فى الشرق الأقصى أن استهدفت هذه الجزيرة للغزو اليابانى . وقد كانت وقعت أول غارة جوية على عاصمتها كولمبو فى ٥ إبريل سنة ١٩٤٢ ، وحاول بعض جنود المظلات اليابانية الهبوط بها مما دعا القائد العام إلى أن ينبه السكان إلى وجوب مقابلة هؤلاء الجنود وإلقاء القبض عليهم أولاً بأول . ومنذ ذلك التاريخ بدأت هذه الجزيرة تحتل مكاناً ممتازاً فى أنباء العالم

هذه الجزيرة

تقع فى جنوب الهند ؛ وليس هنالك شك فى أنها كانت متصلة بها يوماً ما إذ هى تشبهها من عدة وجوه . وشكلها كالكمثرى وهى أصغر قليلاً من إيرلندا ومساحتها ٢٥٠٠٠ ميل مربع ، وطولها من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ٢٧٠ ميلاً

أما من حيث التضاريس فإن وسط هذه الجزيرة تحتله كتلة جبلية يصل ارتفاعها فى بعض الجهات إلى أكثر من ٨٠٠٠ قدم وتحيط بهذه المرتفعات سهول ساحلية واسعة . والسهل الساحلى فى الشمال منبسط وتوجد به كثير من أشباه الجزر الرملية ، وتبعد شبه جزيرة مانر ٢٢ ميلاً فقط عن أقصى جنوب الهند ، وترتبط سيلان بالهند بسلسلة من الشطوط الرملية والصخور تسمى بقنطرة آدم

ونظراً لقرب هذه الجزيرة من خط الاستواء فإنها دائمة الحرارة ، ويخفف من حرارتها إحاطة الماء بها . وتسقط بها الأمطار صيفاً على الساحل الغربى نتيجة لهبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية عليه أما شرقها فتسقط أمطاره شتاء لهبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية عليه

الغلات والنبات

تغطى سفوح المرتفعات الدنيا غابات كثيفة وقد قطعت وزرع مكانها أشجار المطاط والشاى والكاكاو ؛ وفى الوديان يزرع الأرز وأشجار جوز الهند . وتقوم عدة صناعات متصلة بجوز الهند فتجفف حباته وتصدر ، وتقوم المصانع بإعداد زيت جوز الهند وتصديره . ومن أهم التوابل التى تصدرها القرفة . وعلى الشواطىء يشتغل الأهالى بصيد السمك

٣٢ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل العاشر — « الخرافات »

ولما تولى الولي السابق ذكره أعماله أخذ يتجول في قسمه فرأى بائع فول يبيع لحرفائه كعادة . فتناول حجراً وكسر بها قدر الفول ، فقفز البائع إليه وتناول جريدة بالقرب منه وضرب الولي بها ضرباً مبرحاً . ولم يشك الولي ولم يصرخ وانصرف حين أذن له . وحاول بائع الفول بعد انصراف الرجل أن يلتقط بعض ما تناثر من القدر ، وكان قد بقي منها قطعة في مكانها ؛ فلما نظر البائع فيها رأى ثعباناً ساماً ميتاً . فصاح مرتاعاً مما فعل : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! أستغفر الله العظيم . ماذا فعلت ؟ هذا الرجل ولي وقد أنقذ الفول الذي كاد يسمم حرفائي » . وجعل ينظر إلى كل مار طول هذا اليوم عسى أن يرى مرة أخرى الولي الذي أساء إليه ليستغفره . ولكنه لم يره لأن الولي كان مرضوض الجسم لا يستطيع أن يمشي . وفي اليوم التالي نهض الولي بالرغم من ورم أعضائه وأخذ يعرج خلال قسمه فكسر جرة لبن كبيرة في دكان لا يبعد عن دكان بائع الفول كثيراً ، فعامله اللبان معاملة الفوال . وبينما كان يضربه أسرع بعض الناس إليه وأخبروه أن هذا الرجل الذي يضربه ولي ثم سردوا عليه قصة الحية التي كانت في قدر الفول وقالوا اذهب وانظر جرتك فسترى فيها شيئاً ساماً أو نجساً . ونظر الرجل فوجد في بقية الجرة كلباً نافقاً . وفي اليوم الثالث سار الولي في الدرب الأحمر يعرج على عصا متألماً ، فرأى خادماً يحمل على رأسه صينية عليها أطباق من اللحم والخضر والفاكهة أعدت لجماعة كانوا ذاهبين إلى النزهة في الريف فوضع الولي عصاه إذ ذاك بين رجلي الخادم فقلبه ، وتناثرت محتويات الأطباق في الشارع ، فأخذ الخادم يصب على الولي اللعنات ويضربه ضرباً عنيفاً ، وتجمع الناس ولاحظ أحدهم كلباً يأكل من هذا الطعام ثم لم يلبث

السكان

يسكن هذه الجزيرة أربعة ملايين ونصف مليون من الأنفس، وقد قدموا إليها من الهند في عصور متفاوتة ومعظمهم بوذيون ديناً . وفي كاندي معبد يسمى معبد السنة The Temple of the Tooth وهو من أعظم المعابد حرمة وقدسية لدى البوذيين . أما الباقون فيدينون بالهندوكية وقد جاءوا سيلان من الهند قديماً كغزاة ؛ أما اليوم فإنهم يهاجرون إليها كعمال يعملون في مزارع البن والشاي والمطاط . وفي الجهات الجبلية ما تزال بعض القبائل تعيش على الفطرة

وقد كانت هذه الجزيرة تابعة لحكومة الهند ، ولكن منذ سنة ١٨٠٢ فصلت عنها وأصبحت مستعمرة تابعة للتاج البريطاني

كولمبو

عاصمة الجزيرة وتقع على شاطئها الغربي وقد كانت محط أنظار اليابانيين وإليها وجهوا أول جهودهم وذلك بالنسبة لما لموقعها من أهمية : فهي محطة للفحم ، منها تتزود السفن المحيطية القادمة من أوربا إلى استراليا والشرق الأقصى ، وبها تمر السفن القادمة من شرق الهند إلى غربها تفادياً للمرور من مضيق (بلك) الضحل ، فمعنى الاستيلاء عليها تعذر المواصلات بين شرق الهند وغربها وبين بريطانيا واستراليا ، وإضعاف مركز بريطانيا الحربي إضعافاً كبيراً

وقد علقت الديلي تلغراف على هجوم اليابانيين على كولمبو وسيلان فأشادت بالنصر العظيم الذي أحرزته القوات البريطانية في دفع العدوان الياباني عن الجزيرة ونبهت إلى أهمية موقع الجزيرة قائلة : « ولسنا نرى في جزيرة سيلان حصناً لحراسة الهند ومواصلات الهند مع الشرق الأوسط وأوربا فحسب ، ولكننا نرى فيها أيضاً مركزاً قوياً لتركيز الكرات وتوجيهها إلى خطوط الهجوم اليابانية البعيدة الانتشار »

أبو الفتوح عطيفة

أن نفق . فسارع إلى منع الخادم من ضرب الرجل وأخبره بالحادث الذى أثبت ولايته . فجعل الخادم يعتذر للولى ويرجوه أن يصفح عنه . غير أن الرجل سئم وظيفته الجديدة فابتهل إلى الله وإلى القطب أن يعفى منها ، وأجيب إلى توسلاته واستردت قدرته الخارقة للمادة . فعاد إلى دكانه وهو أسعد من قبل

هذه القصة يتقبلها القاهريون كأنها حقيقة ومن ثم أدرجتها هنا . لأننا عند الكلام على الخرافات نواجه الآراء أكثر مما نواجه الأفعال . ولست متأكداً أن القصة جميعها كاذبة ؛ فقد يكون هذا الولى المزعوم قد استخدم من يدخل الثعبان أو الكلب فى الوعاءين اللذين كسرهما . وقد قيل لى إن أكثر من واحد قد اشتهر بالولاية بتثل هذه الحيل

وفى مصر أولياء كثيرون يتقشفون تقشف النساك الهنود . وفى القاهرة الآن ولىّ طوّق عنقه بالحديد ، وشد نفسه إلى أحد جدران غرفته وظل على ذلك ثلاثين عاماً ، كما يقال . ويزعم البعض أن هذا الولى كثيراً ما شوهد متدثراً كالنائم بملاءة ، ثم بعد ذلك مباشرة تزاح الملاءة عنه فلا يجدونه تحتها . ويذكر هذه القصص ويؤمن بها قوم يتمتعون بالعقل الرشيد . والضحك من هذه القصص أو عدم تصديقها يثير السخط الشديد . وقد حكى لى أخيراً أن ولياً قطع رأسه لجرم لم يرتكبه ، فتكلم بعد فصل رأسه عن جسده[1] ، وأن آخر حز عنقه فى أحوال مشابهة تخط دمه على الأرض إعلان براءته : أنا ولى من أولياء الله وقد مت شهيداً .

وهناك ظاهرة غريبة فى خلق المصريين وغيرهم من الشرقيين وهى أن المسلمين والمسيحيين واليهود يتخذون خرافات بعضهم بعضاً بينما يمقتون العقائد الأصلية . وقد يستخدم المسلمون عند المرض قسس النصارى واليهود للدعاء لهم ، وكذلك النصارى واليهود يدعون الأولياء المسلمين للغرض نفسه . ومن المألوف أن ترى المسيحيين يترددون على الأولياء فيقبلون أياديهم ويسألونهم الدعاء والنصح . ويجزلون لهم المال والعطايا .

وينسب المسلمون إلى الرسول معجزات كثيرة لا يقرها الإسلام . وهم يقولون أن هناك معجزات كثيرة لا تزال تتم إكراماً للنبى وشاهداً على رعاية الله له . ويروى الحجاج الذين زاروا المدينة أنهم يرون كل ليلة شعاعاً من النور الكامد يشع من قبة القبر النبوى إلى ارتفاع هائل إلا أن الشعاع يختفى عن الناظر عند ما يقترب من القبر[1] . وهذه معجزة من أكثر المعجزات اعتباراً ويروون أنها تشاهد للآن . وقد سألت أحد أصدقائى الحصفاء عن صحة هذا الزعم فأيده وجزم أنه كان يرى الشعاع كل ليلة مدة إقامته بالمدينة . وقال : إن ذلك دليل على رضا الله وإكرامه لسيدنا محمد (ص) ، ولم أجرؤ أن استفهم عن حقيقة ما يزعم رؤيته بعينه ولا الإشارة إلى أن أكثر الأنوار التى تضاء فى المسجد كل ليلة قد تحدث ذلك الأثر . غير أنى سألت صديقى أن يصف لى بناء القبر وقبته الخ ؛ فأجاب أنه لم يدخل الضريح ولا الكعبة لاضطراب أعصابه نتيجة لإعظامه هذه الأماكن المقدسة وخاصة قبر الرسول الذى يؤثر فيه تأثيراً شديداً ؛ ولأنه حنق المذهب لا يليق به أن يسير فوق هذه الأرض المقدسة ويتعرض كل حين لمكاره المشى حافياً ، ومن ثم كان عليه فى هذه الحالة أن يلبس خفا داخل الحذاء الخارجى ، وهذا ما لا يقدر عليه . ويزعم الحجاج أيضاً أنهم يرون دائماً على مسير ثلاثة أيام من المدينة نوراً فى اتجاه المدينة المقدسة ويعتقدون أنه ينبعث من قبر الرسول. ويقولون إنهم حينما يتجهون يشاهدون هذا النور تجاه المدينة . ولهذه الروايات جمال يؤثر فى النفوس

ويحمل المسلمون ، وبخاصة المصريون ، على اختلاف مذاهبهم ، ما خلا الوهابيين ، للأولياء المتوفين احتراماً وتقديساً لا سند لها فى القرآن أو الأحاديث ، أكثر مما يحملون للأحياء منهم . ويشيدون فوق أغلب قبور الأولياء المشهورين مساجد كبيرة جميلة . وينصبون فوق قبور من هم أقل منهم شهرة بناء صغيراً مربعاً مبيضاً بالكلس ومتوجاً بقبة . ويقام فوق القبر مباشرة نصب مستطيل من الحجر أو القراميد يسمى

(١) مثل رأس الحكيم « دوبان » فى حصص ألف ليلة وليلة

(١) يقال أيضاً أن هناك ظواهر مشابهة أقل بهاء تميز بعض قبور المدينة وغيرها

(تركيبة) ، أو من الخشب ويسمى (تابوتا) ، ويغطى النصب عادة بالحرير أو الكتان المطرز ببعض الآيات القرآنيـة ، ويحيط به قضبان أو ستر من الخشب يسمى (مقصورة) . وأكثر أضرحة الأولياء فى مصر مدافن إلا أن أكثرها يحتوى على آثار قليلة لهم . وبعضها ليست إلا قبوراً فارغة أقيمت تذكاراً للميت . وأكثر هذه المقامات قدسية مقام الحسين إذ يقال إن رأس الحسين الشهيد مدفون به . ومنهـا أيضاً مسجد السيدة زينب وهو دون الأول قدسية . ومسجد السيدة نفيسة ، ومسجد الإمام الشافعي الذى ينتمى إلى مذهبه أكثر القاهريين . وتوجد هذه الأبنية السابقة ما خلا الآخرين داخل العاصمة . أما مسجد السيدة نفيسة فهو فى إحدى الضواحى الجنوبية ، ومسجد الإمام الشافعى فى المقبرة الجنوبية الكبيرة

ويزور المصريون هذه الأضرحة وغيرها أحياناً إما إجلالاً للميت أو قياماً بأعمال تستحق الثواب لأجل هؤلاء المكرّمين معتقدين أنهم سينزلون عليهم البركات ، وإما بقصد التماس البرء من مرض أو طلب النسل ، مقتنعين أن فضائل الميت تكفل قبول دعواتهم قبولاً مرضياً . ويعتبر المسلمون أولياءهم المتوفين شفعاء لهم عند الله ويقدمون لهم النذور . ويحيى الزائر عند وصوله الضريح بالسلام ويسلم عليه أيضاً عند دخوله المدفن . ولـكنى أعتقد أنه قلما تراعى هـذه العادة الأخيرة . ويواجه الزائر رأس الميت ، ومن ثم يولى القبلة ظهره . ويطوف حول المقصورة من اليسار إلى اليمين ، ثم يقرأ الفاتحة بصوت لا يسمع أمام باب المقصورة أو أمام جوانبها الأربعة . وقد يتلو بعد ذلك سورة أطول من الفاتحة ، كما قد يتلو فى هذه الحالة (ختمة) . وتقرأ هذه الأدعية لأجل الولى وإن كان يعتقد أيضاً أن الأجر ينعكس على الزائر الذى يتلو الصلاة . ويختم الزائر ذلك عادة بقوله : « إنى وهبت ما قرأت من القرآن الكريم إلى من نذر له هذا المكان » أو « إلى روح هذا الولى » . ويبقى ثواب ما قرىء للقارىء وحده إذا لم يبين ما سبق أو لم يقصده . ويبتهل الزائر بعد تلاوة هـذا إلى الله لاستدرار النعم فيقول عادة : « اللهم أتوسل إليك بالرسول وبمن وقف له هـذا المكان أن تهبنى هذه النعمة وتلك الأخرى » أو « حملي على الله وعليك يامن كرّس لك هـذا المكان » . ويواجه البعض وهو يفعل ذلك جانباً من جوانب المقصورة . ويقال إن اللائق أن يواجه الإنسان المقصورة والقبلة ؛ ولـكنى أعتقد أن القاعدة نفسها تراعى فى هذه الحالة كما تراعى فى السلام ؛ وتوضع اليدان أثناء ذلك وضع الابتهال الخاص عقب الصلاة العادية ثم تسحبان بعد ذلك على الوجه . ويقبّل الكثير من الزائرين عتبة باب المقام وجدرانه ونوافذه ومقصورته الخ . . . إلا أن الشديد المحافظة يستقبح هذا لاعتباره تقليداً لعادة مسيحية. ويوزع الأغنياء والميسورون عند زيارتهم قبور الأولياء المال أو الخبز على الفقراء . وكثيراً ما يمنحون السقائين نقوداً ليفرقوا الماء على الفقير والظمآن إكراماً للولى[1] . وهناك أيام خاصة فى الأسبوع لزيارة بعض الأضرحة . فيزور الرجال مسجد الحسين على الأكثر يوم الثلاثاء ، والنساء يوم السبت . ويزورون مسجد السيدة زينب يوم الأربعاء ، ومسجد الإمام الشافعى يوم الجمعة . والعادة فى هذه الحالات أن يحمـل الرجال معهم آساً يضعون بعضه على النصب أو فوق الأرضية داخل المقصورة ، ويأخذون الباقى ثانية لتوزيعه على الأصدقاء . ويضع الفقير أحياناً خوصاً ، كما يفعل أغلب الناس على قبور الأصدقاء والأقارب ، وتضع نساء القاهرة بدل الآس والخوص ورودا وزهورا وياسميناً .

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) أنظر الكلام على السقائين فى الفصل الرابع عشر .

حكم فى القضية ٧٠٦ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤٢ ضد عبد الوهاب السيد الهوارى بتسليمه لوالده لامتناعه عن بيع السكر بالسعر المحدد بجلسة ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٣

حكمت محكمة بنها العسكرية في القضية ٤١ بنها سنة ١٩٤٢ بجلسة ٥ يناير سنة ١٩٤٢ بحبس يومى أحمد منصور دوبدار شهرا مع الشغل والنفاذ والنشر ليعه بأزيد من التسعيرة

تحيـــة فلسطين

للأستاذ بشارة الخورى

[ألقاها بالقدس فى زيارته الاخيرة]

« فلسطين » لست سوى دمعة   تهادت على بسمة حائرة
تعانقتا فاستحال العناق   لهيباً على شــــفة ثائرة

« فلسطين » يا حُلم الأنبياء   ويا خمرة الأنفس الشاعرة
حملنا لك المهج الظامئات   وأصدية القبل الطاهرة

« فلسطين » ياهيكل الذكريات   على جبهة الأعصر الغابرة
مضمخةً بغبـــار الحروب   مخضبةً بالمـــنى الزاخرة

« فلسطين » يا جمحات الخيال   مجنحةً بالرؤى الساحرة
هنالك على شرفات النجوم   أرى مكة تلثم الناصرة

ألا قطرةً ، عرس قانا الجليل   ولو بين جدرانك الدائرة
ترد إلى الشعر وحى السماء   فتلهمه الأنفس الكافرة

بشارة الخورى

إلى ... ؟

« للشاعر المجهول »

أبحتُكَ من قلبي نفائسَ عَطفِهِ
وحرَّرتُ فيكَ المالَ من رِبقَةِ الضَّنِّ

وقلتُ مِثَالٌ من جمالٍ أَصُونُهُ   فَيَسْلَمُ من إفكِ الزمانِ و يستغنى
فلم تَرَ صدرى من سهامِكَ فى حِمًى   ولم تَرَ جَنْبى من نِصالِكَ فى أمْنِ
وعِشْتُ يُرِينِى الحُبُّ أنكَ حافِظٌ   عهودى وأنَّ الخُلْدَ بعضُ الذى أبنِى
فلمَّا رأيتَ الوجدَ يغتالُ مُهجتى   وأيقنتَ أنى من غرامِكَ فى سِجْنِ
مَضَيْتَ إلى غيرى جهارًا وَخُنْتَنِى   فمن أىِّ وَحْلٍ صِيغَ طَبْعُكَ خَبِّرْنِى

« الشاعر المجهول »

إلى روح شقيقى « ابراهيم »

ما كان إلا دنيـــا محببة !

للآنسة فدوى طوقان

لَا كَانَ عَامٌ ظَلِلْتَ يَا سَكَنِى   فيـهِ وَرَاءَ الحياةِ وَالزَّمَنِ
مُسْتَوْحِشًا فى الضريحِ مُنْفَرِدًا   مُرْتَهَنًا بالترابِ والكفنِ
وَا حَرَّ صَدْرى عليكَ وَا أسَفى   أنْ لَمْ تُمِتْنِى لواعِجُ الحَزَنِ
لَوْ أنَّنى قمتُ بالوفاءِ ، أخِى   ما ظلَّ روحى يجولُ فى بدنِى
أنَّى تطيبُ الحياةُ بعدَكَ يا   أحْسَنَ ما فى الحياةِ مِنْ حَسَنِ
قَطَعْتَ عنِّى أسْبَابَ بَهجتِهَا   وَصِرْتُ وَاللَّاعِجاتِ فى قرَنِ

تَهجِسُ فى خاطرى ، أخِى ، ذِكَرٌ   تَظَلُّ مِنهَا الأشجانُ تَطْرُقُنى
كنتَ لَعَمْرى زَيْنًا لمجلِسِنَا   وفتنةً مِنْ مُحبَّبِ الفِتَنِ
تدفعُ عنَّا الهُمومَ إنْ نَزَلَتْ   بالدّارِ يومًا طوارقُ المِحَنِ
فكيفَ باللهِ صِرْتَ أكبرَهَا   وكيفَ أصبحتَ مَصْدَرَ الشَّجَنِ !

أوْ لَيْتَنِى مِنْ لَدُنْكَ عَارِفَةً   آبَتْ بحِفظِ الجميلِ مِنْ لَدُنِى
وَاهًا لها مِنْ يدٍ مُبَارَكةٍ   فيَّاضةِ البِرِّ ثَرَّةِ المِنَنِ
ما كنتُ إلا مِنْ غَرْسِهَا فَنَنًا   لو لم تُحِطْهُ بالحِفظِ لم يكُنِ
قدْ صُنْتَهُ فاسْتَقَامَ من أوَدٍ   لولاكَ لم يستقِمْ ولم يُصَنِ
واليومَ يُودِى لَفْحُ السَّمُومِ بهِ   بعدَكَ مُنْذَا يقيهِ مِنْ وَهَنِ

لا خفَّفَ اللهُ ما أُكابدُهُ   إنَّ سُلُوِّى عنهُ مِنَ الأفَنِ
وإنَّ قلبًا قدْ كانَ مَأمَلَهُ   غيرُ حقيقٍ بالصَّبرِ أوْ قَمِنِ
أيامُ عُمْرِى تَجَهَّمَتْ كَمَدًا   وكان فيها بشاشةَ الزَّمَنِ
واهًا لنفسى مِنْ طولِ وَحْشَتِهَا   ما أنِسَتْ بعدَهُ إلى سَكَنِ

أوْدَعْتَ فى القبرِ سيرةً كَرُمَتْ   يالِىَ أمِنْتُ غيرَ مُؤتَمَنِ
أمَا وَحُبّيهِ مثلَ سيرَتِهِ   ما شامَ طرْفِى وَلا وَعَتْ أذُنِى



الرسالة هي الصديق

كتب الأديب حسين الحوفي كلمة نص فيها على أنني أخطأت حين قلت « الرسالة الصديق » وساق كلاماً لا ينفع في « فعيل » بمعنى فاعل و « فعيل » بمعنى مفعول ، وسأصحح له هذا الخطأ حين أجد فرصة لا تدعونا فيها « الرسالة » إلى مراعاة الأمر العسكري بتحديد عدد الصفحات !

وأجيب بأن « الرسالة » هي « بُثينة » في قول جميل :

كأن لم نحارب يا بُثين لو أنها تكشّف غمّاها وأنت صديقُ

وما وصفتُ « الرسالة » بالصديق إلا وفي خاطري هذا البيت . فهي إلى قلبي حبيب .

زكي مبارك

لمن (رسالة الحج) ؟

قبل ثلاثة أعوام قصدت مكة لزيارة قصيرة وكان لا بد لي من زيارة الصديق الشيخ عبد الوهاب الدهلوي وكانت في يدي نسخة

خُلقٌ كقطرِ النّدى صفا وزكا	في السّرِ مُستأمَنٌ وفي العلنِ
نفسٌ كصافي النّميرِ موْرِدُهُ	ليسَ بذي كُدْرَةٍ ولا أسنِ
مَنْذا لصدقِ الوَلاءِ إنْ طُوِيَتْ	نفسُ وَلِيٍّ يوماً على دَخَنِ
مَنْذا لجَزْلِ القريضِ وا حَزَني	مَنْذا لحُلْوِ الحديثِ واللّسَنِ
مَنْ للنّهي إنْ كَبا العثارُ بها	والأمْرُ أعيا على ذوي الفِطَنِ
« ما كان إلا دُنيا مُحَبَّبَةً »	خالصةً مِنْ شَوائبِ الدّرَنِ

أسْعى إلى قبرهِ يُساوِرُني	شَوْقٌ إليهِ والدّمْعُ يَسْبِقُني
أحْنو عليهِ أبكيهِ مِنْ أسَفٍ	أسْقِي ثَراهُ بأدْمُعِي الهُتُنِ
أمْسحُ مِنْ لوْعَتي بتُربتِهِ	مَسْحَ أكُفِّ الحجيجِ بالرُّكْنِ
لولا عظامٌ لنـــا مُطهّرةٌ	في التّربِ لم نحترِصْ على وطَنِ

« نابلس » فدوى عبد الفتاح طوقان

من رسالة الحج ، فسألني الصديق وما تلك بيدك يا حسين ؟ قلت هي « رسالة الحج » لدبلوماسي ، وإنها لرسالة جميلة في أسلوبها وموضوعها . فقال : الأستاذ الدهلوي : هذه الرسالة لي وضعتها باللغة الأردية وطبعتها في سنة ١٣٥٢ هـ باسم « أسرار حج » وأهديتها فيمن أهديت إلى أستاذنا الشيخ عبد الله السندي ، وأنت تعرف هذا الأستاذ ، فله تلامذة نجباء ، وقد أعجبته الرسالة فدفعها إلى أحدهم فترجمها إلى الإنكليزية ، وبقيت في حوزته . وفي اجتماع ضم الأستاذ عبيد الله والأستاذ حافظ عامر قنصل مصر في جدة يومئذ جرى الحديث إلى تلك الرسالة ، فأخذ الأستاذ حافظ الترجمة الإنكليزية وعربها وطبعها ووضع عليها اسم « دبلوماسي »

ثم توالت السنون وأطلعتنا الصحف المصرية أخيراً على تقاريظ لطبعة ثانية من رسالة الحج تقول إنها للأستاذ حافظ عامر وفيها ثناء عليه أهمه كلمة لفضيلة الأستاذ المراغي في أحد أعداد الهلال

فرأيت أن أقول كلمة ترد الحق إلى نصابه : إن رسالة الحج ليست من تأليف الأستاذ حافظ عامر ولا من ترجمته . هي من تأليف الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الدهلوي بالأردية ولا تزال تطلب منه في مكة . وأما الترجمة فقد قرأنا في كتاب حياة الرافعي للأستاذ العريان ما معناه ونصه : .الرافعي وحافظ صديقان بلغ من صداقتهما أن الرافعي كان يكتب لحافظ أسلوب المرافعة في المحاكم حينما كان الأستاذ حافظ محامياً في طنطا . وقد ظل هذا التعاون الأدبي متصلاً بين الرافعي وحافظ إلى ما قبل موت الرافعي ... ثم قال : كان ذلك في صيف ١٩٣٥ ، وكان الرافعي يقضي أجازته الأسكندرية ليعاون صديقه السياسي حافظ في إنشاء رسالة دينية . فما رأي الأستاذ حافظ عامر ؟

(جدة) حسين محمد نصيف

تذكير

كان الأستاذ عمر الدسوقي قد وعد قراء (الرسالة) الزاهرة في معرض مقال له أنه سيتولى كتابة بحث في الأدب اللبناني الحديث معتمداً على تعرفه بالأدب السوري اللبناني أثناء الحقبة التي سلخها في لبنان

ولقد تنظرنا أن يفي الأستاذ بما وعد، ولما يفعل والأدب السوري اللبناني مفتقر الآن إلى مثل هذا البحث لا سيما أنه لم يُوفَ من التقدير حقه ؛ فمن الناس من أشاد به وأطراه بالغ الإطراء، سواء في الصحف أو في الإذاعة، ومنهم من بخسه حقه وانتقص من قدره

وإلى الآن لم يظهر الرجل الذي يتخذ مذهباً وسطاً، فلا يتبنى الأول وهو مبالغ فيه، ولا يتبنى الآخر وهو مبالغ فيه كذلك.

فلم يبق إلا أن نرجو الأستاذ الدسوقي أن يعتزم الأمر ثانية إن كان تقاعده عنه شغل. ويكون هذا الناقد النزيه، وهذا الباحث العادل البعيد عن التعرض، وعساه يوافينا عما قريب.

« بيروت » سهيل ادريس

« الرسالة الصديق »

جاء في العدد ٤٥٩ تحت هذا العنوان تخطئة لوصف (الرسالة) « بالصديق »، وأن الصواب وصفها « بالصديقة » ؛ وقد ذكرت معاجم اللغة صحة وصف المؤنث « بالصديق »

فجاء بالقاموس في مادة « صدق » : (وكأمير الحبيب للواحد والجمع والمؤنث وهي بهاء أيضاً) ؛ وجاء بالمصباح : (وامرأة « صديق » و « صديقة » أيضاً)

وجاء بالمختار : (والرجل « صديق » والأنثى « صديقة » ، وقد يقال للجمع والمؤنث « صديق »)

إذاً، يصح أن نقول : (الرسالة) « الصديق » و (الرسالة) « الصديقة » . . . ولعل صحة وصف المؤنث « بصديق » بناء على ورود هذه المادة متعدية، فقد ورد : (صدق فلاناً الحديث والقتال) ؛ ومنه المثل : (صدقني سن بكره) ؛ فهي حينئذ « فعيل » بمعنى « مفعول »

فعلى هذا يكون ما ذكره الأديب الفاضل من القياس على « الرسالة العظيمة » و « الكاتبة البديعة » بعيداً . إذ الأولى صفة مشبهة : « كشريف » و « ظريف » ؛ والثانية وصف لاسم الفاعل الذي على وزن « مُفْعِل » : « كنذير » و « سميع » وكلاهاتين الصيغتين يذكر مع المذكر ويؤنث مع المؤنث .

كلية اللغة العربية علي محمود الشيخ

الى الدكتور حسني ولاية

لك يا حضرة الدكتور الفاضل أبحاث قيمة تتحف بها قراء الرسالة بين الفينة والفينة، فضلاً عما تخرجه المطابع لك بين الحين والآخر من ثمرات بعضها مؤلف وبعضها مترجم . . . وكلها تدور حول « علم النفس » وعلاقته بالمجموع العصبي للانسان، فهل يتكرم سيدي الدكتور بالإجابة عما يلي : وله الشكر أولاً وآخراً

١ — ما هو الفرق بين الأمراض النفسية، والأمراض العصبية، وهل من الضروري أن يكون المريض بأعصابه عليلاً بنفسه ؟ !

٢ — ما هو القلق العصبي، وما علاقته بنفس المريض ؟

٣ — هل نعتبر المجرم مريضاً بأعصابه أم بنفسه . . .

٤ — ما تعليل قولهم إن لكل شاعر شيطاناً من الوجهة النفسانية ؟

٥ — نرى أن بعض مختلي الأعصاب، وبعض المجرمين، ينتجون ذرية صالحة جسمياً وعقلياً والعكس بالعكس . . . فأين قانون الوراثة هنا ؟ !

وفي انتظار الإجابة أقدم للدكتور العالم جزيل احتراماتي .

« النخيلي » محمد محمد مالك

الى الأستاذ العقاد

كثير من الأدباء يتهمون إخوانهم بالأنانية وحب النفس، فأدباء الشيوخ الذين يحتكرون ميدان الأدب لا يبذلون أي جهد في تسديد خطى الشباب الناشئ

ولا أعرف السبب الذي يمنع أديباً مثل الأستاذ العقاد من تأليف كتاب عن الشعراء الناشئين الذين يدل شعرهم على نبوغ وعبقرية مثلما فعل الشاعر الإنجليزي المعروف « و . ب . يتس » الذي كتب عن « روبرت بودج » ، « ولتردى لمار » ، « هيلار بيلوك » ، « ليونيل جونسون » ، « أرنست دوسون » في مؤلفه « كتاب اكسفورد للشعر الحديث » .

فشيوخ الأدب في أوربا لثقتهم بأنفسهم، وحبهم لفنهم، وإخلاصهم له يسددون خطى الأدباء الناشئين، ويشيدون بذكر الموهوب منهم . فما رأي الأستاذ العقاد في هذا الموضوع ؟ وهل يعمل الأستاذ على إخراج مثل هذا المؤلف ؟ إنه إن أخرج هذه الفكرة إلى حيز الوجود فسيكون قد أسدى خدمة جليلة للأدب العربي المستحدث بجانب خدماته العديدة التي سبق أن أسداها إليه

كمال الدين نشأت

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين ـ عابدين

10me Année No. 461

Lundi - 4 - 5 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٦١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ ربيع ثانى سنة ١٣٦١ — الموافق ٤ مايو سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

تعليقات وتعقيبات

للأستاذ عباس محمود العقاد

من تعقيبات القراء الأدباء على مقالى فى « ابن الرومى » كلمة كتبها الأديب « ابن درويش » فى (الرسالة) يقول فيها موجهاً الخطاب إلىّ :

« نال منى الدهش لتعصبك لهذا الشاعر ، ولعل هذا راجع إلى أن الأستاذ قد صاحب « ابن الرومى » أكثر مما كان ينبغى لصاحبته . لهذا كان طبيعياً أن يخلع عليه أستاذنا الجليل لقب « شاعر العالم » غير منازع ، وأن يقول إن شعره ليس فيه مغمز لغامز ، وأن إحساسه مرهف غاية الإرهاف ، وتصويره آية فى الإبداع . فما رأى سيدى الأستاذ فى بيتين مشهورين « لابن الرومى » قالهما فى روض سقته السحب أو أرضعته فأنبت ألفى رضيع من بنى النضر حيث قال :

سقته تُدِيُّ السحب من مرضعاتها
أفانين مما لم تقطره مرضع
كألفى رضيع من بنى النضر ضُمنوا
محاسن هذا الكون ، والكون أجمع

فأى تصوير هذا يا أستاذنا العزيز ؟ وأى استيعاب فنى فيه ... الخ »

* * *

والأسئلة فيما نرى ضربان : سؤال يوجهه صاحبه وقد اجتهد فى أن يعرف غرض الكاتب فهما سائران فى طريق واحد . وسؤال يوجهه صاحبه وكأنه اجتهد فى نقيض ذلك ، ونقيض ذلك هو ألا يعرف غرض الكاتب وأن يتخذ له وجهة غير وجهته وطريقاً غير طريقته ، فهما مفترقان لا يتقاربان

وأحسب أن الأديب الذى وجه إلىّ ذلك السؤال لم يجتهد فى معرفة غرضى بمقدار اجتهاده فى الحيدة عنه ، فقوّلنى مالم أقل، واعترض بعد ذلك فى غير موجب للاعتراض

فأنا لم أقل إن ابن الرومى شاعر العالم منازعاً أو غير منازع ، وإنما قلت إنه شاعر « له عالم » ، وفسرت ذلك بأنه قد نظر على طريقته إلى العالم كله فجاءت له فى شعره صورة فنية كاملة . وذكرت له نظراء فى تصوير العالم على طرق مختلفات كالمتنبى الذى نرى فى شعره صورة للعالم من الوجهة العملية ، والمعرى الذى نرى فى شعره صورة للعالم من الوجهة الفكرية ، وغيرهما بين شعراء الشرق والغرب كثيرون

وقد ينفرد ابن الرومى بمزية لم يسبقه فيها سابق من الشعراء الأقدمين والمحدثين فلا يكون معنى ذلك أنه شاعر العالم غير منازع ، لأن المزية كما يعلم الأديب لا تقتضى الأفضلية ، وربما عجز أناس أن يجاروه فى مزيته ويسبقوه فى مزية أخرى أو جملة مزايا لا تقل فى شأنها عما تفرد به وتقدم فيه

وإذا اعترض معترض على رجحان ابن الرومى فى مزية التصوير الفنى فسبيله إلى الاعتراض أن يذكر شاعراً آخر له حسنات فى هذا الباب أفضل من حسنات ابن الرومى وأدل على الملكة الفنية ، وليس سبيله أن يذكر الردىء أو المختلف عليه من كلام ابن الرومى المنسوب إليه

كذلك لم أقل إن شعر ابن الرومى « ليس فيه مغمز لغامز » لأن العلو فى الإجادة لن يمنع الإسفاف في الرداءة ، وابن الرومى نفسه يعلم هذا ويعتذر لرديئه بأبياته المشهورة التى يقول فيها :

قولا لمن عاب شعر مادحه أما ترى كيف رُكّب الشجر؟
ركب فيه اللحاء والخشب اليا بس والشوك دونه الثمر
وكان أولى بأن يهذب ما يخ لق رب الأرباب لا البشر

وهى الأبيات التى افتتحت بها كلامى عن صناعة ابن الرومى فى الكتاب المطول الذى كتبته عنه ، لعلمى أنه يقول الردىء كما يقول الحسن ، وأن المغمز فى كلامه لمن شاء غير قليل

وبعد فمن هو الشاعر الذى يقال فيه إنه شاعر العالم أو إنه الشاعر العالمى إذا كان الإتيان ببيتين من شعره الردىء — على تسليم رداءته — حائلاً بينه وبين التفرد بمزية عالية ؟

من هو الشاعر الذى لا يؤتى له ببيتين بل قصيدتين يغمزهما الغامز متى شاء ؟

فليست الطريقة التى آثرها الأديب « ابن درويش » بطريقة الاعتراض المأثورة فيما أرى ، وإنما الطريقة السوية أن نستنفد المحاسن حتى لا نبقى فيها بقية ، وأن نقرن بينها وبين محاسن من قبيلها تفوقها وتربى عليها ... أما ذكر بيتين أو قصيدتين لشاعر من كبار الشعراء فلا يغير الحكم عليه بالغاً ما بلغ الرأى فى استهجان البيتين أو القصيدتين

على أننى لا أذكر أننى قرأت البيتين فى ديوان ابن الرومى ، ولا أراهما مما يعاب سواء نسبا إليه أو إلى غيره ، ولا أعدهما من أبيات الوصف لأنهما أشبه بأبيات التخلص التى يأتى فيها الوصف عرضاً غير مقصود ، وإنما عنيت أبيات الوصف فانتظرت أن « يذكرنى من شاء بأبيات وصفه أبين له ما فيها من عناصر الاستيعاب »

ومع هذا أسأل الأديب : لماذا فهم أن إعجابى بابن الرومي راجع إلى أننى صاحبته أكثر مما كان ينبغى لصاحبته ؟

إن ابن الرومى لم يكن له ديوان مطبوع يوم كانت دواوين المتنبي وأبى تمام والبحترى وأبى نواس والشريف الرضى وغيرهم وغيرهم مطبوعة متداولة فى أيدى القراء !

فإذا سعيت إلى قراءته مخطوطاً فإنما تكون المصاحبة الطويلة نتيجة الإعجاب وليست هى سبب الإعجاب

فلماذا يكون إعجابى به خطأ لا محالة فلا تفسير له إلا طول المصاحبة ؟ ولماذا يكون رأى الأديب فيه هو الصواب لا محالة لأنه لم يطل مصاحبته ، أو لأنه أطال مصاحبة الآخرين؟

وهل كان يجب أن أقول إن المتنبى أوصف من ابن الرومى لأكون قد صاحبت المتنبى كما ينبغي أن أصاحبه وأصاحب غيره ؟

ولم يجوز التعصب على ابن الرومى بغير سند ، ولا يجوز التعصب له بسند مفصل أو قابل للتفصيل ؟

إن الرجل لكما قلت بين شعراء العالم أجمع ، وإن الذى

ينكر مزيته لطالب بحسنات يشبها لغيره تربي على الحسنات التي ثبتت له في دواوينه ، فإن لم يستطع فما هو بناض من قدره ولو جاء له بعشر قصائد رديئات ، لا بيتين أو عشرة أبيات .

* * *

وكتب إلينا الأديب « حسن محمد عبد الله شرارة » من نبت جبيل بلبنان يقول بعد مقدمة نشكره عليها : « ... ألا ترون أن بين ابن الرومي وأبي نواس صلة من الصلات أو وجه شبه كبير أو قليل ؟ فالدقة التي تتراءى في شعر ابن الرومي والشمول الذي يبين في معانيه يهيم على خمريات أبي نواس ويشيع فيها . وكذلك الناحية الوصفية والتصويرية التي امتاز بها ابن الرومي قد امتاز بها أبو نواس على ما بين النفسين من تقارب في هذا القلق والاضطراب والتعقيد . نخذوا أية خمرية من خمريات أبي نواس وغيرها أيضاً ترون ما أنا ذاهب إليه من هذه الدقة والسلاسة والعالمية والشمول ثم الإبداع الشعري العظيم ... »

ورأيي أن أبا نواس وابن الرومي يتقابلان ولكنهما لا يتماثلان ولا يحسبان من « مدرسة » واحدة إذا قسمنا الشعراء إلى مدارس كما يقسمهم النقاد الغربيون

فابن الرومي حس متوفز ، وأبو نواس لذة حسية . ومن هنا يتلاقيان ، ومن هنا كذلك يفترقان

فابن الرومي يطلب اللذة الحسية لأنه يطلب كل ما يشغل الحس ؛ فهو وأبو نواس في هذا متلاقيان

ولكن أبا نواس لم يطلب الحس لغير اللذة ، ولم يشغل حسه بغير المتعة ، فهو وابن الرومي في هذا مفترقان بل جد مفترقين .

ما ذا يبقى من أبي نواس بعد المتعة الحسية ؟ ... لا شيء !

وما ذا يبقى بعد المتعة الحسية في ابن الرومي ؟ يبقى الحس كله ، ويبقى ابن الرومي كله ، وتبقى لنا نفس إنسانية تعرف الآلام والمتع ، وتعرف المحاسن ولو لم تستخرج منها اللذات المتمات ؟

فلولا اللذات لما بالى أبو نواس بأن يحس الحياة . ولكن ابن الرومي يحس الحياة ولو لم تكن فيها لذات ، لأن الإحساس عنده هو الأصل الأصيل ، وليس هو الواسطة التي تنتهي إلى غايات

أين القرابة بين أبي نواس وبين القلوب الإنسانية في عالم الألم ؟ أين الدنيا وراء مجلس الأنس والشراب ؟ أين الشمس ؟ أين السماء ؟ أين الربيع في غير معارض المنادمة وما إليها ؟

لكنك تلغي مجالس المنادمة كلها ويبقى ابن الرومي في دنياه غير منقوص الأداة

فهو معك حيث تكون النفس الآدمية ، وليس أبو نواس معك في غير مكانه الذي يهواه .

وإذا تقابلا في الحان يوماً فهي مقابلة طريق لا تطول ، ثم يفترقان !

* * *

وعندي بعد ما تقدم تعليق على كلمة عجيبة سبق إلى كتابتها الأستاذ توفيق الحكيم وهو في قبضة الأديب « الفلاح » الدكتور زكي مبارك . فقال كلاماً لا يحسن السكوت عليه :

فماذا قال ؟

قال ما معناه أنه « صعب عليه » لأنه لم يجد في شكري للدكتور طه حسين تلك الرقة التي كان ينتظرها

وما هي تلك الرقة التي كان ينتظرها ؟ لا أدري ، ولا أعتقد أن الدكتور طه اهتم بأن يدري ، أو احتاج إلى رقة الأستاذ توفيق الحكيم التي أوشكت أن تسيل عبراته ؛ لمَ ، والله لا أدري ... وقد أدري ويدري القارئ معي بعد قليل !

فعندي قصة صغيرة أهديها إلى الأستاذ توفيق الحكيم لأنه رجل قصاص يجب أن يخاطب بأسلوبه

وهي قصة لا تتجاوز بضعة سطور ، ولكنها تفيد

قيل إن الدكتور طه حسين خرج من وظيفته بالجامعة المصرية قبل سنوات ؛ وقيل إنه أثنى على الأستاذ توفيق الحكيم في بعض ما كتب وهو على جفوة مع رؤساء تلك الأيام ؛ وقيل إن الأستاذ توفيق الحكيم أشفق من مغبة تلك الجفوة فكتب يقول إنه لا يريد مدحاً من أحد . وكان رقيقاً جداً فيما قال ... !

وأدرك شهرزاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح

وقيل في قصة أخرى — لأن القصة الأولى قد انتهت والحمد لله — إن الأستاذ توفيق الحكيم يسيل رقة حين ينكر أن الدكتور طه حسين رفع من شأنه بما كتب عنه ، لأنه أطنب في وصف أدبية وفي وصف أديب ، فلم يرفع من شأنهما على ما يزعم ، وهما في الحق أرفع شأناً عند أناس كثيرين من صاحبنا الحكيم !

محاكمة «آدم» و «حواء»

في جلسة سرية

للدكتور زكي مبارك

بين المحسوس والمعقول

سنجد فى حديث اليوم أن الله ظهر « لآدم » و « حواء » بصورة حسية ، وذلك يخالف العقيدة الإسلامية ، فكيف نقبل تلك الصورة مع تنزيه الله عن أن تراه الأبصار ؟

الحل سهل : فنحن نلخّص كتاب شيث بن عربانوس ، وهو كتاب وُضعتْ أصوله فى عهود فِطرية لا تُدرك المعقولات إلا عن طريق المحسوسات ، فهى لا تتمثل الله إلا بصورة حسية تراها العيون

وما وقع فى كتاب « شيث » وقع مثله فى النسخة الموجودة بين أيدى الناس من « التوراة » ، فعبارة التوراة صريحة فى أن الله ظهر لآدم ، وأن آدم وامرأته اختفيا بين أشجار الجنة حياء من ملاقاة الله وجهاً لوجه بعد العصيان

وعلى فرض أن التوراة الموجودة بين أيدى الناس هى التوراة الحقيقية ، وأنها لم تُصَب بتحريف ولا تبديل ، فمن الممكن أن نرجع نصوصها إلى الاستعارة التمثيلية ، كما صنع المفسرون حين وجدوا فى القرآن ألفاظاً لا تساير الروح الإسلامى إلا بعد التأويل .

والواقع أن الإنسانية فى عهودها الفِطرية جسّمت جميع المعانى ، فقد جعلت لله وجهاً ويدَين ، وصورته بألوان لا نرضاها اليوم ، بعد أن ارتقت العقول فصار من السهل أن تؤمن بأن الله ليس كمثله شىء ، وأنه فوق ما تتصور الأوهام والظنون .

وما سُقنا هذا التمهيد لقراء (الرسالة) وهم من الخواص ، وإنما أردنا أن نحرر الموقف تحريراً يرفع من طريقنا جميع العقبات لنصل إلى الغرض بسلام وأمان

الجلسة السرية

انزعج فريق من الذين حضروا الجلسة حين طلب آدم أن يحاكم فى « جلسة سرية » ، وأخذ منهم الغيظ كل مأخذ حين أجابه الله إلى ما طلب ، فقد كانوا يشتهون أن يُشبعوا ما انطوت عليه جوانحهم من شهوات الفُضول ، وكانوا يتوقون إلى معرفة ما سيدافع به آدم عن نفسه فى ذلك المقام الرهيب ، وربما كان فيهم من تسوقه نائرة الحقد إلى رغبة التشفى من آدم وهو مأخوذ بجريرة العصيان

جزع آدم

كان الخوف من شماتة القرود هو الذى حمل آدم على طلب الجلسة السرية ، وفاته أن يذكر أن لعلنية الجلسة حكمة عالية ، فهى تدعو القاضى إلى التلطف فى الاستجواب ، ترفقاً بمن يحاسَب أمام جماهير لا تخلو من أعداء وأغبياء ، وفاته أيضاً أن يذكر أنه سيقف وحده أمام قاضيه ، وللوحدة رهبة تُزيغ البصر وتَعقل اللسان

آدم يقف وحده أمام الله فى جلسة سرية ؟

وأين المحرّضون على المعصية وهم ثلاثة شُخُوص : إبليس والحية وحواء ؟

وأدرك شهرزاد الصباح أو المساء على قصة أخرى تُمثَّل اليوم مع العقاد لأن خصومته قد تشبه خصومة الدكتور طه حسين قبل سنوات

فما الرأى فى تمثيلية تشتمل على فصول كهذه الفصول ؟ أليس فى التمثيل هوى لصاحبنا الحكيم ؟

قد يدرى القارئ الآن ما أدريه وما يدريه الدكتور طه وما يدريه العارفون وأوشك أن يدريه غير العارفين . فلا « يصعب عليهم » كما صعب على مولانا الحكيم !

عباس محمود العقاد

فإن كان الله يريد إقامة العدل فليطلب حضور المحرّضين ليلقوا جزاءهم على التحريض

وما كاد هذا الخاطر يطوف بقلب آدم حتى صاح الهاتف :

— آدم ، لا تجمع بين المعصية والجهل

— أنا من العصاة ولستُ من الجاهلين

— إن اعتراضك على الله هو الغاية فى الجهل

— أنا لا أعترض على الله ، ولكنى أطلب إقامة العدل

— وما العدل عندك ؟

— هو أن يحاسَب المحرضون قبل أن أحاسَب

— ومن هؤلاء المحرضون ؟

— الحية وإبليس وحواء . ومهما يكن فلا أقل من أن يحاكم إبليس اللعين

— أترك إبليس فى غفوته ، يا آدم ، ولا توقظ الشر الوسنان

— لا بد من محاكمة هذا اللعين على التحريض

— إبليس لعين ؟

— بشهادة الله

— وكيف انخدعت بأحابيله وأنت تعرف أن الله شهد بأنه لعين ؟

— تلك هفوة أوقعنى فيها الجدُّ العاثر

— آدم ، لا تجمع بين المعصية والجهل

— أراك تكرر هذه العبارة ، أيها الهاتف ، فماذا تريد ؟

— أريد القول بأن الله لم يعلن غضبه على إبليس إلا لحكمة سامية

— وما تلك الحكمة ؟

— هى أن يرفع الغشاوة عن أصحاب الغرور والغفلة والانخداع

— أوضح ، أيها الهاتف

— إن الله سخّر إبليس لامتحانك ، يا آدم ، وشاءت رحمتُه بك أن يعلن أن إبليس شيطانٌ رجيم ، لتنقطع حجتك فى الانخداع أو لتأخذ الحيطة لنفسك فتحترس من ذلك الناصح الظنين ... فإذا استطاع إبليس على سوء سمعته أن يحرّك إلى العصيان ، فكيف يكون حالك لو كلّف الله بامتحانك أحد الملائكة المقرّبين ؟

— آه ، آه ، آه ، صعقتنى أيها الهاتف !

— ما صعقتك ، ولكننى نصحتك ، فاترك إبليس فى غفوته ، ولا توقظ الشر الوسنان

— وماذا يقول إبليس لو ألححتُ فى محاكمته على تهمة التحريض ؟

— سيصمُت صمت الأموات

— لماذا ؟

— لأنه على رأس الشُرطة السرّية

— هو إذاً جاسوس ؟

— إن كانت هذه اللفظة تشفى غليلك فاملأ بها مسامع الأرض والسماء !

— أراك تعطف على إبليس مع أنه شاقّ الله بعناد وكبرياء

— لا يستطيع مخلوق أن يشاقّ الله ، ثم يترك له الله أى فرصة للتمتع بنعمة الوجود

— أيرضى الله عن نزغات إبليس ؟

— لو أعلن رضاه لضاعت الفرصة فى امتحانك

— إن رأسى يدور من هول هذا النطق

— كنت أنتظر أن يدور رأسك من هول ما صنعت بنفسك

— وماذا صنعتُ بنفسى ؟

— انخدعت بنصيحة مخلوق كتب الله عليه اللعنة إلى يوم الدّين ، فكيف يكون حالك لو خدَعَك مخلوق غير ملعون ؟ إن إبليس فضح نفسه حين قصَر دعوته على العصيان ، وكان فى ذلك ما يكفى لرفع الغشاوة عن عينيك

— آه ، آه ، آه ، صعقتنى أيها الهاتف !

— وسأصعقك مرة ثالثة فأقول : إنك شهدت على نفسك بالغفلة والحمق حين انخدعت لمخلوق مفضوح ، فقد أعلن على رءوس الأشهاد أنه سيزيّن لك ولذريتك وأنه سيغويكم أجمعين ، فما دفاعك عن نفسك وقد صلصل الناقوس بأن إبليس غريمك وأنه سيصرعك حين يستطيع ؟ ما دفاعك وقد وضعت قدميك فوق أشواك سمعتْ أخبارها أذناك ، ورأتها عيناك ؟

— وترى أيها الهاتف أن أسكت فلا أطلب محاكمة إبليس على التحريض ؟

— ذلك ما أراه ، فأنا أخشى أن يظهر لسكان الفردوس أن إبليس أشرف منك

— أشرف منى ؟ وكيف ؟

— لأنه خادعٌ وأنت مخدوع ، فإن لم يكن أشرف منك فهو أقوى منك ، والقوة من علائم التشريف

— وألقى الله وحدى وجهاً لوجه فى هذا المقام الرهيب ؟

— كما لقيته وحدك وجهاً لوجه حين عصيته

— أكان الله يرانى عند العصيان ؟

— ألم تكن تعرف أنه يراك ؟ إن أوزارك بالجهل أوزارٌ ثقال !

— يظهر أنى سأخسر القضية فى ساحة العدل

— لا خسران فى ساحة العدل ، فستفوز بأعظم ربح وهو التأديب

— أترك الحية وأترك إبليس ، واكتنى بحضور حواء

— لتحاسَب ؟

— لتشهد محاسبتى ، فقد يرى كرم الله أن يعفينى من الذل فما تكرم امرأةٌ زوجها إلا إذا كان من الأعزّاء ، وما أحسب الله يريد أن أهان

يوم الحساب

— من أنت يا هذا ؟

— عبدُك آدم

— وما تلك بيمينك ؟

— أَمَتُك حواء

— وفيم حضرتما ؟

— لنقول : « ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين »

— من علّمكما هذا الأسلوب من المتاب ؟

— هو بعض ما تلقينا من فيض هدايتك الربانية

— وما الذى كان يمنع من إعلان هذا المتاب بحضور سكان الفردوس ؟

— منع من ذلك الخوف من رفض هذه التوبة على مرأى ومسمع من القرود

— ولكن القرود خلقٌ من خلق ، ومن حقهم أن يشمتوا بالآثمين

— هذه بداية مرعبة ، وأنا أدعو الله أن يتفضل بإمهالى يوماً أو يومين لأستعد للدفاع

— أمهلتك أسبوعاً

وخرج آدم من الجلسة السرية وهو موقن بأن الأمل فى نجاته عزيز المنال !

فما الذى سيقع بعد أسبوع ؟ وهل يُفلح آدم وهو صاحب حواء ؟

نسأل الله الصفح عن آدم ، فما عرفناه إلا فتى وهّاج الروح والفؤاد

« للحديث أشجان وشجون » زكى مبارك

خسرو وشيرين

فى التصوير الاسلامى

للدكتور محمد مصطفى

-٣-

تنقل الحبيبان ومن معهما من أفراد الحاشية والجوارى والخدم من مكان إلى آخر ، فوق الهضاب المرتفعة وفى السهول وبين المراعى والحقول ، وهما فى رحلتهما إلى الريف ببلاد أرمينية ، يلهوان بالصيد والقنص وأنواع التسلية والملاهى الأخرى ، حتى وصلا إلى شاطئ نهر آراس ، حيث تنبعث من الأرض رائحة المسك والطيب ، ويجلب الهواء معه عطور الورود والرياحين وشذى الزهور والياسمين ، فطاب لهما فى هذا المكان المقام ، وأمرا بضرب الخيام . وهناك أقام خسرو مأدبة ثانية لحبيبته شيرين ، استمعا فيها لألحان « باربد » وموسيقى « نيكيسا » وهما يرددان أناشيد الغرام ، فينطلقان بما ينبض به قلب كل من الحبيبين من عواطف ووجد وهيام

وفى صبيحة اليوم التالى لهذه المأدبة ، جلس خسرو إلى جانب شيرين أمام إحدى الخيام ، وإذا بأسد جائع ينقضّ عليهما والشرر يتطاير من عينيه ، يريد أن ينال من خسرو كأنه يحقد عليه الاستئثار بشيرين الحلوة الجميلة : فقام إليه خسرو وهو أعزل من السلاح ، وتهيأ ليقابله فى معركة حياة أو موت ، بينه — وهو ذلك الملك المتوج على شعب إيران المظيم — وبين هذا الأسد الجائع — وهو ملك الوحوش أجع وسيد الصحارى والبرارى — فتلقاه وقد شمّر عن ذراعيه ليدافع عن حبيبته . ووهبه الحب قوة على قوته ، فأمسك الأسد بيده اليسرى من لبدته ، ثم هوى على أم رأسه بضربة شديدة من قبضة يده اليمنى كانت هي القاضية عليه . وقد حدث ذلك كله فى طرفة عين دون أن يجد الحارس الواقف على مقربة من الخيمة الوقت الكافى ليهجم على الأسد ويشج رأسه بسيفه . وكانت شيرين قد هرعت إلى باب الخيمة ووقفت به ، تنظر إلى « المعركة » واجمة خائفة أن يصيب الأسد خسرو بسوء ، ولكنها عند ما رأته ينتصر عليه ، ازداد إعجابها بحبيبها واعتدادها به

وفى (شكل ١) نرى [١] خسرو وهو واقف أمام خيمته بجوار مجرى ماء ، وقد أمسك بيده اليسرى لبدة الأسد ، وتهيأ ليقضى عليه بضربة من قبضة يده اليمنى ، وإلى اليمين أسرع حارس لمعاونته ، وقد قبض بكلتا يديه على سيف امتشقه ليضرب به الأسد [٢] ، ووقفت شيرين وعلى رأسها تاج فى مدخل الخيمة تعض يدها وهى تنظر فى لهفة إلى خسرو ، وإلى جوارها ثلاث



(شكل ١)

من صويحباتها يرقبن نتيجة « المعركة » ورجل من أفراد الحاشية تقدم لنجدة خسرو . ونلاحظ النقوش الجميلة الواضحة على قماش الخيمة ، من فروع نباتية وزهور وصور حيوانات وطيور . وهذه الصورة فى مخطوط لأشعار إيرانية ، كتب سنة ٨١٣ هجرية (١٤١٠ م) للأمير اسكندر سلطان حاكم شيراز ، وهذا المخطوط محفوظ في مجموعة جلبنكيان

* * *

هكذا مرت الأيام ومضى الوقت والحبيبان يلهوان بالصيد والقنص ، وإقامة الحفلات والمآدب ، والاستماع إلى الغناء والموسيقى ، ويشعران بالسرور والسعادة فى قرب كل منهما

(١) هذه الصورة منقولة عن : S. P. A., V pl. 861 B
انظر أيضا : Sakisian, pl. XXX, و S. P. A., III, p. 1845—46 fig. 44
(٢) نرى هذا الوضع فى الصور المماثلة . انظر مثلا : — Binyon
Wilkinson — Gray, p. 65, no. 42 b, pl. XXXII C.

للآخر إلى أن كان ذات ليلة وقد عصف الهوى بنفس خسرو واستبدّ به الغرام فلم يستطع كبح جماحه ، فقرب منها يريد غوايتها ، ولكنها صدته ، وهى تذكر ذلك الوعد الذى قطعته على نفسها أمام عمتها « مهين بانو » الطيبة القلب ، فاستمدت منه الجرأة لتقسو عليه ، وتطلب منه أن يسعى لاسترداد عرش أجداده وأسلافه وينتصر على ذلك المغتصب ، وهو ذلك الملك القوى ، قبل أن يحاول غواية امرأة ضعيفة مثلها .

وكان لهذه الكلمات أثر شديد فى نفس خسرو . ففى صبيحة اليوم التالى رحل قاصداً إلى بلاد الروم ، وقلبه ملىء بالحسرة المريرة لفراقه من حبيبته الجميلة . وفى الطريق مرّ على دير فيه راهب يتنسك ، فقرب خسرو من الدير وقال : « أيها الراهب المتنسك ، إنى رجل من أهل إيران أقصد حضرة قيصر فى رسالة ، فاخبرنى بما يصير إليه حالى ، ويؤول إليه عاقبة أمرى . فقال الراهب : أنت كسرى برويز وقد هربت من يد بعض عبيدك ، وسيزوجك قيصر بعض بناته ، ويمدّك برجاله وأمواله فتعود ويهرب عدوك إلى بلاد بعيدة ثم يقتل بأمرك هناك . فقال : لا كان غير ما ذكرت أيها الراهب ، ولكن متى يكون هذا ؟ فقال : بعد سنة أخرى ، إذا مضت خمسة عشر يوماً من السنة الثانية صرت ملك إيران ، وتسنمت التخت ولبست التاج[(١)] »

وقد كان ما تنبأ به هذا الراهب الصالح ، وتوجه خسرو إلى الملك موريس امبراطور الروم ، فاستقبله استقبالاً حسناً ، ودعاه إلى النزول فى « هيروبوليس » فأقام بها . ثم زوّجه من ابنته « مريم » وزوده بجيش قوى ، تمكن خسرو بواسطته من أن ينتصر على القائد بهرام جوبين ، ويلجئه للفرار إلى خاقان الصين ، حيث يقتل بأمر خسرو[(٢)] .

وفى (شكل ٢) نرى الموقعة بين الملك خسرو والقائد بهرام جوبين ، وقد جلس خسرو فى هودج على فيل كبير ، وفى يده قوس يسدّد منها سهماً . وإلى جانبه فى وسط الصورة معلمه الوزير بُزرجميد الحكيم ، وقد ركب على فرس وفى يده اسطرلاب يحدد به الوقت الملائم لهجوم خسرو على القائد بهرام جوبين

(١) عن الشاهنامه ج ٢ س ٢٠٦ ، انظر أيضاً : Laurence Binyon, P. 18 و E. J. W. Gibb, I, p. 320 — 21

(٢) انظر تفصيل ذلك فى الشاهنامه ج ٢ س ٢٠٧ وما بعدها ، والطبرى ، طبعة المطبعة الحسينية ج ٢ س ١٣٨ وما بعدها ، ونولدكه س ٢٨٢ وما بعدها ، وسيكس ج ١ س ٥١٩ وما بعدها

ليضربه الضربة القاضية . ونرى المعركة حولها قائمة على قدم وساق ، والمحاربون يحملون الأعلام وهم على ظهور الجياد ،



(شكل ٢)

يتطاعنون بالحراب والسيوف ويتراشقون بالسهام ، وقد سقط البعض منهم صرعى على الأرض ، وراحت جيادهم تعدو هنا وهناك وهى حائرة . ويلاحظ ما هو واضح فى هذه الصورة[(١)] ، من الحركة والحياة ، وما يبدو على سحن الأشخاص فيها من الاهتمام . وهى تنسب للمصور « سلطان محمد » أحد مشاهير مصورى عصر الشاه طهماسب الأول الصفوى ، لما فيها من ميزات امتاز بها أسلوبه فى التصوير[(٢)] وهى محفوظة فى المتحف الملكى الاسكتلندى

* * *

وللمرة الثانية توّج خسرو ملكا على إيران بعد فرار القائد بهرام جوبين إلى خاقان الصين ، فأرسل إليه خسرو من اغتاله هناك . ولما استتبت أمور برويز وانتظمت أسباب سلطانه ، وأذعنت الملوك طوعاً وكرهاً لأوامره وأحكامه ، وأظلت على العالمين سحائب عدله وإحسانه ، قسّم الأرض أربعة أقسام ، وأرسل إلى كل قسم منها اثنى عشر ألف فارس ، ممن مارسوا الأمور وكابدوا تصاريف الدهر حتى صاروا أفراد الزمان ، وآساد

(١) منقولة عن : Binyon — Wilkinson — Gray, pl. XCIV A

(٢) انظر ; B — W — G, p. 137, و S. P. A., III, p. 1876 no. 166

الضراب والطعان ، وأوصى الكل بالتيقظ والتحفظ وحفظ الممالك ، وضبط المسالك . ثم رزق من زوجته مريم بنت موريس إمبراطور الروم ابناً دعاه بين الناس «شيرويه» . ولما مضى ثلاث ساعات من الليل على ولادته ، حضر المنجمون عند الملك ، فسألهم عن طالع المولود ، فقالوا : أيها الملك ، إن الأرض تمتلئ من هذا المولود شراً ، ولا يحمد أحد سيرته ، وهو يمرق عن الدين ، ويخرج عن طاعة رب العالمين [1] . وكان ما تنبأ به المنجمون ، ولزم شيرويه نحس طالعه ، حتى أمر بقتل أبيه خسرو ، ثم مات هو بالطاعون كما سيأتي ذكر ذلك فيما بعد



(شكل ٣)

وفي (شكل ٣) نرى خسرو في يوم تتويجه ملكاً على إيران وقد جلس على عرش في منظرة بحديقة غنية بأشجار السرو والفاكهة والزهور والورود . ويحيط به بعض كبار المملكة وهم يتحدثون ويتناقشون ، ويقدم لهم الخدم والسقاة الطعام والشراب ، ووقف حولهم رجال الحرس ومعهم أسلحتهم ، وغلمان «البازدارية» وهم يحملون صقور الصيد . ووقف على سطح المنظرة ستة من أفراد الحاشية يتجادلون ويشيرون إلى أسفل ، ويبدو كل منهم أنه يود أن يسبق زملاءه في التعرف على كبار الدولة الواقفين حول خسرو . ولهذه الصورة [2] عليها إمضاء

(١) انظر الشاهنامه ج ٢ ص ٢٣٣

(٢) منقولة عن : Laurence Binyon, pl. IX انظر أيضاً : Martin, II. pl. 135 والدكتور زكي محمد حسن ، التصوير في الاسلام ، اللوحة ٣١ شكل ٤٢

المصور «آقاميرك» ، ولكن بعض مؤرخي الفن الإسلامي [1] ، يقولون إنه لا يمكن التثبت بوجه قاطع من صحة هذه الإمضاء ، بالرغم مما هو واضح في هذه الصورة من الدقة في رسم الزخارف والزركشة على الملابس وغير ذلك مما امتاز به أسلوب آقاميرك في التصوير . ونشأ هذا المصور من أسرة كريمة المحتد في أصفهان ، تنتسب إلى آل البيت ، ثم رحل إلى تبريز حيث تعلم التصوير على المصور «بهزاد» وكان آقاميرك من الأصدقاء المقربين للشاه طهماسب الأول [2] ، ويقال إنه ما زال يشتغل بالتصوير في بلاط هذا الشاه حتى سنة ٩٥٧ هجرية (١٥٥٠ م) . ويظهر أن المصور قصد بهذه الصورة أن يبين ما كان عليه بلاط الشاه طهماسب من الأناقة والبذخ والروعة والجلال ، وأنه صور الشاه نفسه في شخص خسرو الجالس على العرش ، كما يتضح ذلك من سطر الكتابة في أعلى بناء المنظرة . وهذه الكتابة تقرأ «اللهم خلد دولة السلطان الأعظم والخاقان الأعدل الأكرم السلطان ابن السلطان بن السلطان أبو المظفر السلطان شاه طهماسب الحسيني [3] الصفوي بهادرخان خلد الله تعالى ملكه وسلطانه وإلى (كذا !) يوم الدين» . وهذه الصورة في مخطوط نظامي السابق الذكر المكتوب للشاه طهماسب بين سنتي ٩٤٦ و ٩٥٠ هـ (١٥٣٩ — ٤٣ م) وهو محفوظ في المتحف البريطاني

(له بقية)

محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) انظر : Kübnel, Book Painting, in : S. P. A., III, p. 1874

(٢) تولى الشاه طهماسب الأول ملك إيران مدة ٥٤ سنة (٩٣٠ — ٩٨٤ هجرية) . انظر : Zambaur, Manuel, p. 261

(٣) ينتسب ملوك الدولة الصفوية إلى الامام موسى الكاظم من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهما . انظر سيكس ج ٢ ص ٢٤٠ ، وانظر كتابة مماثلة باسم الشاه «عباس الحسيني الموسوي الصفوي» في : G. Wiet, L'exposition persane de 1931, p. 56

قصة رمزية في فصل واحد

صدى الأجيال

للأستاذ فؤاد البهي السيد

المسرح : خيال الإنسان

الزمن : قبيل النوم في الفترة التي يهوم فيها الإنسان بين اليقظة والحلم

الأشخاص : العقل الواعي . الرقيب . العقل الباطن

النظارة : الإنسان

النفس وعاء ترسب في قاعه مغامرات ونوازع إنسان الغابة الأول ، وغياهب الطفولة المشرئبة إلى الاشباع ، وتطفو على سطحه النوازع المهذبة التي تتمشى وروح العصر . وبين العالمين يقوم الرقيب ، ليمنع فيض ما رسب في القاع من عناصر العقل الباطن على المنطقة التي خلصت من الشوائب ، وسمت صعداً إلى القمة ، حيث العقل الواعي . وبين اليقظة والنوم يغفو الرقيب أحياناً فينسل عقل الغابة والفطرة الأولى إلى القمة راقصاً رقصة الدغل ، مصوراً أحلام البراري ، بينما العقل الواعي يغط في نوم عميق .

صدى الأجيال

الظلام يلف الوجود في شملة كثيفة داكنة ، والانسان قد أغمض عينيه وهجع في فراشه ، وصمت كل شيء من حوله ، وسكن الوجود وهدأ يقبل النوم عليه خفيفاً لطيفاً كالنسيم ، ويتركه ليقظة نائمة ، وبين تلك اليقظة وهذا النوم يرتفع حوار العناصر من أعماق النفس

الرقيب : صه ، إنك لن تخطو !

العقل الباطن : إنما هي ذكرى الغاب ... ما أراني أرقص صعداً نحو القمة ، مجتازاً حدودك محطماً أغلالك . إنما أدور حول نفسي ... تلك سنتي وأنت بها عليم خبير

الرقيب : ما أراك خادعي هذه المرة أيضاً ؟

العقل الباطن : وهل تراني خدعتك أبداً ؟

الرقيب : لطالما غافلتني ، وتسللت إلى قمة النفس ، وهناك رحت ترعد وتبرق ؛ رحت تستعيد لنفسك ذكرى قد اندثرت وماتت : ذكرى الغاب والدَّغل ، ذكرى البراري والفطرة

العقل الباطن : أي هراء هذا ؟ أتراني أقوى على مغالطتك ... لقد كنت تغفو فأنسل صعداً ، وتستيقظ فأنسل هابطاً . أتذكر مرة واحدة خطوت فيها أمامك وأنت يقظ متسنم قمة النفس — إني لأحترمك ولا أقوى على فعل ما تأباه وأنت يقظ

الرقيب : أنت تخشاني وترهبني فقط . ما أغرب منطقك ، إنك دائماً تغالط !

العقل الواعي : أرى عراكاً وأسمع صخباً ... لقد اختلط الوجود حيالي ، فلا أكاد أميز شيئاً ، من يدري ؟ لعله حلم بعيد لم يستكمل نموه بعد

الرقيب : (وقد اقترب صوته واستبان) صه !

العقل الباطن : ....

العقل الواعي : ما وراءك يا رقيب ؟

الرقيب : لا شيء ... لا شيء ... إنما كنت أشهد عراك العناصر ، عراك الأجيال السجينة

العقل الواعي : ما أراني أفهم عنك

الرقيب : (وقد أخذ صوته يخفت ويبعد شيئاً فشيئاً) ... أحقاب وعصور وأجيال سجينة هناك في الأعماق ، تجاهد وتكافح لتصخب وتضج على مسرح وجودك لكنها لا تفلح في عبور القناة التي بناها الزمن وأقامها الحضارة ، فتعود لترقص وتدور حول ما يصوره لها وهمها أنه الحاضر

العقل الواعي : ما أراني أفهم عنك أيضاً ، بل ما أراني أكاد أسمعك

الرقيب : إنه عراك ... سمه كيف شئت ... سمه يقظة الماضي ، أو سمه حلم الزمن ، أو سمه ...

العقل الواعي : (وقد أخذ يغط في نوم تقطعه يقظة يتلوها إغفاء) ماذا ... عراك ... ماضي ... زمن

العقل الباطن : (مخاطبا الرقيب) ترى ماذا بيني وبينك ؟

الرقيب : لا شيء

العقل الباطن : ما كنه هذا العداء الذى تضمره لى ؟

الرقيب : من قال إنى أعاديك ، إنى أمنعك فقط

العقل الباطن : ولماذا تحرمنى الحرية . . . لماذا تحرمنى النور ؟

الرقيب : بل قل لماذا أحرمك الظلام ، أتراك تحيا فى النور أنت ابن الماضى الذاهب فى القدم ... أنت ابن الظلام . . . ابن الكهف والنار . . . أنت ابن . . .

العقل الباطن : ليكن من أمرى ما يكون ، فلماذا تقف بينى وبين التصعيد ؟

الرقيب : لماذا ؟ ما أعجب أمرك ! طبيعة الحياة الحاضرة ... الوجود كله يقف الآن بينك وبين ما تريد ... لقد تبدل العالم وتغير . لقد دار الفلك دورته ، وتغيرت الأرض غير الأرض و ...

العقل الواعى : فلك ... أرض ... ما لك تهذى اليوم هكذا ؟

العقل الباطن : ... ...

الرقيب : دع الفلك والأرض والهذيان ... ها أنت قد أوشكت أن تنام ...

العقل الواعى : أ ... نا ... م ...

الرقيب (لنفسه) : ما أقسى الحراسة وكل ما حولى يغرى بالنوم والإغفاء والراحة !

العقل الباطن (مخاطباً الرقيب) : لقد نام الطفل

الرقيب : بل قل قد نام الجبار

العقل الباطن : جبار (يقهقه ضاحكا بخشونة) إنه طفل ، إنه صنع يدىّ هاتين ... أنا الذى منحته الوجود والحياة ... فى البدء تآلفت ذراته وتجمعت ثم خفت فطفت وكانت قشرة ، وتركزت فهبطت فكنت القاع واللب

الرقيب : قل ، صفا وتنقى فطفا : وحلت الشوائب وحدك فرسبت

العقل الباطن : ليكن من أمر خلقه وخلقى وتكوينه وتكوينى ما يكون فهو ما فتئ طفلاً وأنا ما زلت جباراً

الرقيب : إذاً فما أغربه طفلاً يهيمن على جبار !

العقل الباطن : (يهبط متكتفا متركزاً نحو القاع)

الرقيب : يرى أين ذهب الجبار ، أعنى الطفل الذى تمخض عن الجبار

(يهفو من بعد صوت مضطرب فيه حدة وفيه لين ... تستبين النغمات وتنسجم فاذا دوى طبل وأنة ناى ...)

(الرقيب لنفسه) : لقد راح العقل الباطن يرقص فى الأدغال ، لعله عاد إلى عالمه وماضيه الذى فيه يحيا ويتنفس ... بل لعله سئم الحوار ويئس من الإقناع

العقل الباطن : (يدور مبتعداً فاذا النغمات صدى يتردد فى جوانب النفس من بعيد ، وينأى فاذا نغماته وإذا صداه صمت وهدوء وموات ... يدور ويقترب فتعلو ألحانه ويصخب ضجيجه)

الرقيب (وقد خدرت هذه الألحان أعصابه) : أف ! ما أقسى الحراسة ، وكل ما حولى يغرى بالنوم والإغفاء والراحة

(يهوم نائماً ، ثم يستيقظ فزعا ، ثم يعود ليهوم ويغفو على ألحان الناى والطبل)

العقل الباطن : (تنسل عناصره فى خفة ولين وحذر ، تخطو متدثرة مستترة فى صبغات وألوان وأشكال وخيالات لتموه على العقل الواعى حتى لا توقظه فيطردها ... تخطو وتطفو صعداً ... ...)

... ...

وكانت إغفاءة ... وكان حلم ! ؟

فؤاد البهى السيد

ذكري ميلاد الرسول

للأستاذ محمد يوسف موسى

[بقية ما نشر فى العدد ٤٥٨]

يقول ابن إسحاق فيما يرويه ابن هشام فى سيرته : إن عبد المطلب جد الرسول قد نذر — فيما يزعمون — لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا مبلغ الرجولة لينحرن أحدهم لله عند الكعبة. فلما توافى بنوه عشرة وصاروا رجالاً، جمعهم وأخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء به، فأطاعوا وقالوا : كيف تصنع ؟ فذهب بهم إلى هُبل — أعظم أصنامهم وكان مقاماً داخل الكعبة — وأقرع بينهم بالقداح، فخرج القدح على عبدالله أحب بنيه إليه، فأخذه والده إلى إسافٍ ونائلة — وكانا كذلك صنمين — وأخذ الشفرة وهم بذبحه، فقامت إليه قريش وبنوه ومنعوه ما أراد من الأمر الجلل، وانتهى الأمر باستشارة عرافة لعلها تأمر بما يكون فيه من هذه الكارثة مخرج ؛ فأشارت عليهم بأن يقرعوا بين عبد الله وعشر من الإبل — وهى مقدار الدية — فإن خرجت القرعة على الإبل نحروها ونجا عبد الله، وإلا زادوها عشراً ثم عشراً حتى يرضى الله. وأخيراً رجعوا وظلوا بقوامهم يستوحونها وفى كل مرة يخرج القدح على عبد الله، حتى بلغت الإبل مائة، فخرج القدح عليها ثلاث مرات متواليات، فنحروها فداء عنه، وكان فرح عظيم (١)

هل نرى سخرية أكبر من هذه ؟ كبار العقول والأحلام يحكمون ما صنعوا وأقاموا من أصنام فى أنفسهم وبنيهم ودمائهم !

« ولقد كان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربًّا، وجعل الثلاث الباقيات أثافىّ لقدره، وإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك (٢) »

وإذا كان العرب — كغيرهم من الأمم — من الناحية الدينية والناحية الاجتماعية فى حاجة إلى دين جديد يخرجهم من الضلال للهدى ومن الظلمات للنور، وينقذهم مما ترددوا فيه من جهالة جعلتهم عبيداً لما يصنعون من أصنام وأوثان. هذا الدين الجديد كان الإسلام الذى يتفق والإنسانية التى بلغت النضج الكامل. جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فاضطرب لمولده رجال اليهودية والنصرانية، إذ رأوا فيه قضاء على ما كان لهم من حول وسلطان

هذا الدين كان حرياً بنا أن نعتز به ونهتدى بهديه، وقد رأينا كيف جعل من العرب المتعادين المتقاطعين أمة متماسكة متحدة ملكت فى سنوات معدودات بلاد فارس والروم، وكيف قدم للعالم مبادئ وتشريعات فيها الصلاح كل الصلاح والخير كل الخير، وكيف أسس حضارة لا تزال مضرب الأمثال

نحن — وسائر المسلمين فى العالم من أدناه إلى أقصاه — نحتفل كل عام بميلاد محمد صلى الله عليه وسلم، ويلقى فى كل ما نقيم من حفلات ما يأخذ بالأسماع والألباب من النثر والشعر، فنظن أننا بهذا قضينا واجب الذكرى بخاتم النبيين الذى كان بعثه بشير رحمة للعالمين. لا، والله، لن نقضى حق هذه الذكرى المجيدة إلا إذا كنا أهلاً لهذا الدين الذى نشرف بالانتساب إليه، وإلا إذا أخذنا بتشاريعه وآدابه وتقاليده. وإن أمة لا تعدل إلا الكلام تنمقه، والمآثر تعددها، والتاريخ تنقّر عنه فى حسرة وألم، لهى أمة مقضى عليها بالانحلال. لقد صرنا فى زمن يعتبر فيه طلب التشريع الإسلامى ضرباً من العبث، والمناداة بتقاليد الإسلام عودة للرجعة. وهؤلاء الذين يرموننا بالعبث والرجعية يرون الخير فى أن يأخذوا من تقاليد أوربا وحضارة أوربا التى نشاهد مبلغ ما صارت إليه وما فعلت بأصحابها ! وهم مع هذا كله يحتفلون بميلاد الرسول وبهجرته وبكل ذكرياته وأيامه المجيدة، ظانين أنهم بما يلقون أو يسمعون من الخطب قد قضوا ما عليهم من واجب !

لمحمد صلى الله عليه وسلم الذى نتذكر هذه الأيام من كل

---

(١) « سيرة ابن هشام » طبع مصطفى محمد ج ١ ص ١٦٤.
(٢) كتاب « الأصنام » لأبى المنذر الكلبى طبع دار الكتب ص ٣٣

عام مولده هدًى وسنن فى كل نواحى الحياة ، وللدين الذى أرسل به تشاريع تناولت جميع الشئون ، ونجاحنا فى هذه الحياة وسعادتنا فيها فى الدار الآخرة رهن باتباع هذا الدين فى الجليل من الأمر والحقير ، وكرامتنا كأمة لها مقوماتها وخصائصها فى أن نلجأ إلى هذا الدين وحده ، نأخذ منه ما نحتاج من تشريعات وقوانين وتقاليد هي مجلبة للعزة والفخر .

يبدأ الاحتفال وينتهى فى القليل من الزمن ، ويعود كل من المحتفلين إلى داره . فليتذكر كل منا إذن إذا ما خلا بنفسه بعد أن انفض الحفل : أنه مسلم ، وإنه منذ ساعات كان الاحتفال بذكرى ميلاد نبى الإسلام ورسوله ، وإن هذا الإسلام يوصى — فيما يوصى به — بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإن كان فى ذلك غضب الرؤساء وأولى الأمر ، وبالرفق بالفقير وإعطائه حقه ، وبالإخلاص لله فى السر والعلن ، وبعدم خشية أحد إلا الله مالك الأمر كله ، وبعدم استخذاء الإنسان فلا يذل لغيره من المخلوقين مثله ، وبالغضب لله كلما امتهن شيء من دينه أو ديست شرائعه ، وباعتبار الناس جميعاً إخوة لا فرق بين جنس وجنس ما داموا جميعاً تحت راية الإسلام . فإذا تذكر هذا كله ، فليسأل نفسه : أين هو من هذا الذى يأمر به الإسلام ؟ وهل هو مؤمن حقاً يفهم الدين ويعمل به ؟ أم مسلم لأنه ولد فى أسرة مسلمة ونشأ فى بلد إسلامى ؟ بعد هذا إن عرف من نفسه أنه مؤمن حقاً بقلبه وعمله ، فليحمد الله وليعلم أنه يحتفل بقلبه وعمله فى كل حال بالإسلام ورسوله وبمولد هذا الرسول وبعثته ، ما دام يعرف الدين ويعمل به ، ويحترم الرسول ويعمل بسنته وهديه . وإن عرف من نفسه غير ما تقدم ، فليعلم أنه مراء يظهر الاحتفال بصاحب الإسلام ويمتهن الإسلام ورسوله بالإعراض عما جاء به من هدى وشرائع وسنن وآداب ، وليندم وهو فى سعة من أمره ، وليعزم على أن يكون فى غده خيراً منه فى يومه . هدانا الله سواء السبيل ، ووفقنا إلى الصراط المستقيم .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

مراسلات . . .

اختلاف الأزهريين

يختلف الأزهريون فى آرائهم كما يختلف سائر الناس . واختلاف الرأى أمر لا بد منه فى قضايا العلم والبحث ، ولكن الظاهرة الغريبة التى أصبحت شأناً من شئون الأزهر الخاصة ، وعلامة من علاماته المميزة ، هى التفاوت البعيد فى النظر إلى الأشياء والحكم عليها ، مع أن القوم يشربون من معين واحد ، ويصدرون عن ثقافة ما ترى فى أصولها من تفاوت : يرى الرجل منهم أو من غيرهم رأياً فيعلنه للناس فاذا أهل الأزهر فيه فريقان يختصمون : هذا يرفعه إلى السماء ، ويصفه بأنه رأى عظيم يرجى منه الصلاح ويرتقب فيه الخير ، وذاك يخفضه إلى الأرض ويراه شراً مستطيراً وفساداً يجب أن يوقي الناس خطره ويجنبوا ما فيه من وبال ! ولم يغب عن القراء ما كان من أمر جماعة كبار العلماء فى « فتوى الأربعاء » ثم فى « برنامج الإصلاح » . وقد نشر عالم فاضل فى « الرسالة » بحثاً جيداً عن « شخصيات الرسول » فوقف الأزهريون منه موقفين متناقضين : قالت طائفة منهم : لم يأت بجديد ؛ وقالت طائفة : إنه قال بما لم يقله أحد من قبله ! ولو اقتصروا على هذا الخلاف فى الشكل لهان الأمر ، ولكنهم اختلفوا أيضاً فى الموضوع اختلافاً بعيداً ، فنهم من رآه فتحاً فى الدين عظيما ، ومنهم من رآه شراً مستطيراً ، وناراً توشك أن تلتهم الأخضر واليابس !

والأزهريون قوم مؤمنون ، والمؤمن سريع الغضب ، سريع الرضا ، ولذلك غضبوا على الأستاذ الإمام محمد عبده فرموه بالكفر والإلحاد ، ثم رضوا عنه فهو الآن من الأئمة المصلحين . والأستاذ الأكبر المراغى كان خارجاً على الدين وهو رئيس للمحكمة الشرعية العليا ، ثم عاد إلى الدين فجأة بعد توليه مشيخة الأزهر ! والزيات ، وطه حسين ، والعقاد ، وشلتوت ، والزنكلونى ، ومبارك ، وهيكل ، وغيرهم قد ذاقوا من ذلك ما ذاقوا . ولست أدرى أفى الأزهر الآن جماعة مرشَّحون لهذا الغضب ؟

اللهم حوالينا ولا علينا !

محمد محمد المدنى

نحو المحور الاسلامى

للأستاذ صالح جودت

وعبقرىٍّ مُبْدعٍ فَنّـه … من عالمٍ فوق نُهى الآخرهْ
ما علّموه الشعرَ لكنه … لألاؤه من روحه الشاعرهْ
حديثُه السِّحرُ سوى أنه … من غير وَحْي الجِنّة الكافره
من العبير القُدُسِ افتنّهُ … ومن رُبَى إلهامه العاطره

قام إلى قومٍ عُفاةٍ نيامْ … بشِرعة الحق ودين السماحْ
ينشر فى الأرض لواء السلام … ويمحق الظُّلم بحد السلاحْ
عقيدةُ الأحرار تمحو الظلام … وتُرسل الروحَ طليقَ السراح
ألا لوجهِ المجد هذا القيام … وفى سبيل الله هذا الكفاح؟

فى زُمَرٍ مُختلفات القبيلْ … قلوبها شتّى فلا تلتقى
لم يَكُ للمجد إليها سبيلْ … ينهض فى تاريخها المُمْلَقِ
طافت بها معجزةٌ للرسول … تعقد تاجَ الأرض للمَشرق
وتنزع الحقَّ من المستحيل … بالوحدةِ الزاهرةِ الرونقِ

مَنْ ذلك الأُمِّيُّ من «يَعْرُبِ» … يحلم فى الأرض بمجد السماءْ
ويبعث الصيحة فى «يثرِبِ» … فيحشد الأمّةَ حول اللواء
يا عَجَباً من سِحْر هذا النبى … العبقرىِّ الفَرْدِ فى الأنبياء
كيف مَضَى بالبلد المجدبِ … للملكوتِ بين قرنَىْ ذُكاء؟

يا سِيرةً من غابر الأعْصُرِ … خفّاقةً خلف حجاب السنين
لم تَخْفَ عن كسرى ولا قيصرِ … وإن طوتْها غفلةُ الحاضرين
عُودى إلى أقوامنا وانظرى … ما تفعل الفُرْقةُ بالهاجرين
لم يبقَ إلا أملٌ ينبرى … ضياؤه اللاح من «عابدين»

فى ناظريْه موعدٌ للوفاق … ومن خلال القُرْب صدقُ الوعود
يَهيب بالشام ويدعو العراق: … ويبسط الكفّين لابن السعود
سِيرُوا إلى ميعاده يا رفاق … وحققوا وحدتكم فى الوجود
قد ساد أعداؤنا لنا فى الفراق … وآنَ فى وحدتنا أن نسود

لُوذُوا بحبل الله واستعصموا … بالعُروةِ الوُثْقى ولمُّوا الشتات
ولْيَنْتَظِمْكُمْ مِحْوَرٌ مُسلمٌ … تسمو أمانيه بأمّ اللغات
لا يَثْنِكُمْ يأسٌ فتستسلموا … له فإن اليأسَ صِنْوُ المات
إن لم تفُزْ بالجد أيديكمُو … فلن تنالوا المجدَ بالمعجزات!

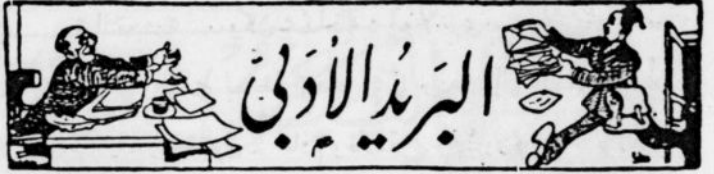
صالح جودت

الحرب فى البحر

للأستاذ محمود البشبيشى

[لا يمنعنى إخفاق هذه القصيدة فى مسابقة الشعر العربى من إهدائها إلى جمهرة أهل الأدب، وبخاصة الأستاذان الفاضلان: صاحب (الرسالة) والدكتور زكى مبارك]:

يكاد اليم ينتثر انتثاراً … إذا ما عاصفٌ منها أغارا!
جبالٌ فى المحيط تسير هوناً … وفى الهيجا سهامٌ لا تُجارى
وفوق اليم تحسبها قصورًا … تميس إذا عصوف الريح ثارا
تخب عرائساً، وتخف أُسداً … وتفتك جنة وتشب نارا!
تدك مدائناً عزت وطالت … فتنسفها وتذروها غبارا
إذا انطلقت تدفقت الدواهى … وإن دارت رأيت الموت دارا
وإن شامت بوارق من عدو … مضت للهول ترتقب انتصارا
يحوم فوقها طيرٌ مريد … عنيد لا يرد ولا يبارى!
إذا احتدم القتال رأيت جناً … توثب للردى ومضى وطارا!
وفى جوف الخضم لها وليد … يروع البحر فتكاً واقتدارا
تسرب فى المحيط أذى وشراً … وعاث بموجه وبه توارى
مع الحيتان يسبح مطمئناً … ومن فتكاته الكون استجارا
ويرنو للسفين بعين غدر … خئون فى الخديعة لا يجارى
وإن يرم السفينة خلت طوداً … ترنح ثم انفجر انفجارا
وكم ليل ببحر الروم كادت … له الأفلاك تنتثر انتثارا
تقاذفت البوارج فيه ناراً … فريع النجم وانكدر انكدارا



من الدكتور عزام

يا أخي صاحب الرسالة

السلام عليكم

كتبت مقالي الأول عن الصوفية آملاً أن أتابع الكتابة في هذا الموضوع الجليل ، ثم قضت أمور أن أستأنف سفري إلى بغداد الذي أزمعته منذ شهرين . فإن انفسح الوقت أرسلت مقالاتي من دار السلام ، وإلا فموعدنا العودة القريبة إن شاء الله . وفي مأثور كلام الصوفية : « الصوفي ابن الوقت » . وفي هذا يقول جلال الدين :

صوفى ابن الوقت باشد أي رفيق

نيست فرد اكفتنه أزشرط طريق

(يا رفيقي ، الصوفي ابن الوقت ،

وليس من شرط الطريق أن تقول غدا)

فنسأل الله أن ييسر لنا الأوقات ويهيئ لنا خيرها

والسلام ... **عبد الوهاب عزام**

آفة أدبية فأين أطباؤها ؟

أحسن الأستاذ الفاضل طه الراوي في إزالة ذلك الوهم الشائع من نسبة موشحة مشهورة إلى ابن المعتز ؛ في حين أنها من آثار أحد شعراء الأندلسيين . . . ومثل هذا الوهم كثير الورود في الأدب العربي ، ولقد تغاضى عنه الرواة ، واستساغه الأدباء على مختلف العصور ، حتى أصبح آفةً لا مخلصَ للأدب منها ؛ وهي آفة تفرّد بها أدبنا العربي دون آداب الأمم جميعاً ؛ ولم تمنعها شهرةُ بعض شعرائنا وجريَان قولهم على الألسنة من أن تحرمهم ثمار بعض هذه الآثار الرائعة التي كفلت لأسمائهم الخلود .

فهذا أبو تمام يصف الخمر في إحدى مدائحه بقوله :

يخفى الزجاجةَ لونُها فكأنها ... في الكف قائمة بغير إناء

ولها نسيم كالرياض تنفستْ ... في أوجُه الأرواح بالأنداء

. . . ثم نجد البيتين بنصهما في قصيدة للبحتري ؛ فما ندرى أنلوم الشاعر على تجرِّيه ، أم نلوم جامع ديوانه قلّة تحرِّيه ... والأبيات المشهورة التي أولها :

قالوا : هجرتَ الشعر قلت : ضرورة ... باب البواعث والدواعي مغلقُ

... ينسبها أدباؤنا الأفاضل جامعو (المنتخب) إلى أبي المظفر محمد بن احمد الأبيوردي ؛ في حين يُوردها البستاني في دائرة معارفه منسوبةً إلى أبي إسحق الغزّي الأشهبي . وقد مات أول الرجلين عام ٥٥٧هـ والثاني عام ٥٢٤ ؛ وكلاهما عاش في خراسان ، مما قد يشير إلى مصدر هذا الالتباس في آثارهما .

وأعجب من هذا أن قصيدة واحدة يدعيها أكثر من أربعين شاعراً ، وهي النونية التي مطلعها :

صاح في العاشقين يا (لكِنانه) ... رشأٌ في الجفون منه كنانه

فلو أبصرتها والليل ساج ... خلت الشهب تنحدر انحدارا

تراها خردًا عقدت عليها ... قباب الماء تنهر انهمارا

وآونة ترى أتون نار ... تفجر صاعقاً ورمى دمارا

يجن الموج من فرق إذا ما ... رأى الأطواد قد طوت البحارا

تقحم لا تهاب كأن بحراً ... من الآساد فوق البحر مارا

تزاور في العباب تروم فتكاً ... كخيل في الوغى شقت غبارا

فطورًا للردى تمضي يميناً ... وطورًا للردى تمضي يسارا

ترى طودًا يغير على سواه ... تأمل هل ترى طودًا أغارا ؟

على جنبانها أسدٌ كبار ... تصاول مثلها أسدًا كبارا

تحف بها ولائد ضاريات ... كما هيجت أشبالاً صغارا

قذائف تملأ الأعماق رعباً ... وتنسج من شظاياها ستارا

تكر على العدو مدمرات ... وتبعث من جوانحها الدمارا

تمزق ستر حالكة الدياجي ... وتكسو صفحة الإصباح قارا

فرب قذيفة عصفت بليل ... فهب الليلُ يلتمس الفرارا

وتقرى اليم أكبادًا رطابا ... وتودعه النفائس والنضارا

ربيب العلم ويحك بعض هذا ... طويت شرائع الدنيا احتقارا

ألا نفس ترد الحرب سلماً ... وتجعل ظلمة الدنيا نهارا !

محمود البشبيشي

هذه أمثلة لدينا عشرات منها ، وقد يتجمع لدى بعض الأدباء منها مئات ومئات ؛ أفليس من الواجب تطهير الأدب من كل هذا ، حتى تستقيم طرائقه ، وتتضح معالمه ، وتزول عنه آخر سمة من سمات الفوضى والاضطراب ؟

نحن أحوج ما نكون إلى هيئة أدبية تشرف على هذا العمل ، لأنه مما لا يُجتزأ فيه بجهود الأفراد ، أو يكتفى فى مثله بإشارات الأدباء وتلميحات المتأدبين .

(جرجا) محمود عزت عرفة

فى «دعاء الكروان»

رأيت فى قصة «دعاء الكروان» للدكتور طه حسين بك غلطة نحوية أحببتُ نشر تصويبها فى (الرسالة) وها هى ذى :

فى (ص ١١٢ س ١٧) قال الدكتور طه : ودتْ عليهم آمنة التى رأت الشر بشعاً والإثم «عريان» والجرم منكراً . اهـ والصواب أن يقول : والإثم «عرياناً» ؛ وإنه ليخيل إلىّ أن كلمة «عريان» التبستْ عليه فظنها غير منصرفة ؛ والصواب هو أن «عرياناً» منصرفة لأنها صفة على وزن فعلان وتؤنث بالتاء نحو «ندمان» ومؤنثة «ندمانة» ؛ و «عريان» ومؤنثة «عريانة» . أما الصفات التى على وزن فعلان ومؤنثها على وزن فعلى فهى التى لا تنصرف نحو «عطشان» ومؤنثة «عطشى» . فهل نسى الدكتور بيت الألفية :

وزائداً فَعلانَ فى وصف سلمْ   من أن يُرى بتاء تأنيث خُتم ؟

«بغداد» ضياء شهيت

مناقضة

تحدث الدكتور زكى مبارك عن مجلة (الرسالة) الغراء ، فقال فيما قال : «الرسالة الصديق» ؛ فخطّأه بعض الأدباء ، فرد هو وغيره بأن معاجم اللغة تصوِّب هذا التعبير ؛ وقد كان الأديب الذى اعترض على الدكتور يستطيع أن يحمل نقده فى الصميم ؛ فيقول : إن الدكتور زكى مبارك بتعبيره السابق قد ناقض نفسه إذ يذكر القراء أن الدكتور قام منذ حين بحملة لغوية جال فيها وصال على صفحات هذه المجلة لكى نسير باللغة العربية إلى «التقعيد» ... وكان مما قاله : إنه لا يرى معنى لاتحاد وصف المذكر والمؤنث بصيغة «فعيل» ؛ وذهب إلى أن الواجب أن نفرق بينهما فنقول : خادم وخادمة ، وعجوز وعجوزة ، وصديق وصديقة ، وجريح وجريحة ، وقريب وقريبة ... الخ . مخالفاً فى ذلك ما يكاد يكون مجمعاً عليه فى هذه المسائل ؛ فكيف يأتى اليوم ليحتج بأقوال المعاجم ؟ وكيف يناقض اليوم ما قاله بالأمس ؟

كلية اللغة العربية «أ . س»

كتابان جديدان

أصدرت حديثاً مطبعة (فتى العرب) فى دمشق كتابين جديدين للقصاص البارع الأستاذ معروف الأرناؤط ، أولهما «طارق بن زياد» ، والثانى «فاطمة البتول» ؛ وهما بأسلوبه القصصى الفذ المعروف لدى قرائه فى كتابه «سيد قريش» ؛ ولعلى أتحدث إلى القارئ الكريم عن أولهما ، إن يتسع لذلك صدر (الرسالة) ، وأغلب ظنى أنه سيتسع ، فهى مجلة العرب كافة توغل فى ديارهم وتحدثهم بما يقولون

«شرق الأردن» محمد سليم رشدان



الآخـــر ...

للكاتب القصصي أرثر شنيتزلر (*)

ARTHUR SCHNITZLER

وحدى !... وحدى !...

أنا جالس إلى منضدتى ، والمصابيح تتقد ... الباب المؤدى إلى غرفتها مفتوح ، ونظرى يسبح فى ظلام الغرفة ... الأضواء المشعشعة المنبعثة من الدور القابلة تنعكس على زجاج نافذتى ... يا لله !... كل شىء قد تبدل ، وأى تبدل !... كانت تسبل بعناية ستائر مكتبى ، وتدنى بعضها من بعض لتمنع عن تقاربنا ، فى غيرة لا توصف ضوضاء الشارع والأنوار المجاورة ...

الساعات تمر ، طفت فى غرفتى ، ثم طفقت أطوف فى غرفتها فتمددت على كرسيها الطويل بدون حراك ، وأخذت أصوب نظرى إلى النافذة ، التى تكشف لي عن عالم أصبح بعدها عديم الأهمية ... ثم وقفت إلى منضدتها ، وتناولت بيدى أقلامها الحبرية والرصاصية التى لما تزل تعبق بأريج أناملها ... انحنيت بعد ذلك على الموقد المطفأ ، وشرعت أحرك الأوراق والفحم ، فكان كل ذلك ، وقد استحال إلى رماد ، يصر صريراً محزناً ، عند ما يلامسه المحرك النليظ الفظ ...

***

أذهب كل صباح إلى المقبرة ! الخريف المتأخر تنيره شمس باردة ، وقحة ... لا أكاد أبصر الجدار الأبيض عن بعد ، حتى أشعر بحرقة فى عينى ... أطوف بين صفوف الأضرحة أراقب الذين يصلون ويبكون ، أصبحت أعرف بعضهم ، وما يدهشنى هذه الطريقة المتشابهة التى تكاد تكون هى هى عند الجميع وتلك الحركات التى يكررها كل منهم فى كل مرة بدقة فائقة ...

أصبحت أعرف تلك النادبة التى تتهالك عند أقدام ضريح يعلوه صليب ، فتجهش فى البكاء ، وتذرف ذات الدموع ، تضع ذات أزاهير البنفسج على الأرض المبللة ، ثم تنهض وقد راق لون محياها بعض الشىء ، وتنطلق تعدو ، حتى تبتعد عن المقبرة بخطوات سريعة ، ثابتة ... إنها تبكى شاباً قضى فى الرابعة والعشرين ... خطيبها بدون شك ... ولكن ؟ ... كيف تقوى على النهوض ؟ ... ومن أى ينبوع تستقى ذلك العزاء الذى يلمع فى نظراتها كلما همت بالذهاب ؟ ... لشد ما أريد أن أتبعها ، وأن أصرخ فى وجهها : « لا عزاء أيتها المجنونة البائسة ! » ولكن ... وأنا ... أنا وقد اعتدت أن أحج كل يوم إلى هنا ... عم أبحث إذن ؟ ...

أولئك النساء ذوات البراقع الحريرية ، والقفازات السود ، يضايقننى كثيراً ... لا ريب أنى مثلهن ، شاحب اللون ، منتفخ الأجفان ، ولكنى وأنا ثمل بشىء سام ، منقطع النظير ، لا أتحمل هذا التأثر الذى يرتسم على وجود الآخرين ، فأنظر بشىء من الحسد إلى كل من تهزه الرعشة التى تهزنى ...

والآن ، فإن ثائرتى لتثور لمجرد الافتكار بأن جميع هؤلاء الذين يتيهون بين الأضرحة يفترسهم نفس الألم الذى يفترسنى ، ذلك الألم الخالد الذى نعجز عن التعبير عنه ! أوه ! يا للرحمة !... جميعهم يتألمون كما أتألم ، والأيام تمر ، فتجلب أفكاراً جديدة ... وتبعث آمالاً جديدة ... وتعيد بصورة أكيدة ، ربيعاً ينشر خضرته الصفيقة أمام أبصارنا ... فيعود الهواء فاتراً ، وتعود الأزهار تعطر الجو بأريجها ... وتعود النساء تبتسم كما كانت تبتسم من قبل ... فنخدع عن أنفسنا مرة ثانية ... نخدع عن أنفسنا ، وننسى حزننا !!

***

أقف دائماً على بعد بضع خطوات من النجف الذى يواريها ... عند ما يوضع الحجر أستطيع أن أتكئ على درجات الضريح الباردة ، وأستطيع أن أنحنى على قبرها ، وأن أجثو أمامه ... أما الآن فلا أجرؤ على الاقتراب خشية أن ينهال الحصى على نعشها ... ورغم ذلك ، تنتابنى بعض الأحيان رغبة شديدة ، لا تقاوم ، للارتماء على ذلك النجف ، ونبشه بأصابعى ... إن ألمى -

(*) ولد سنة ١٨٦٢ وتوفى سنة ١٩٣٢

لا يعرف الصبر ، ولا يجد إلى العزاء سبيلاً ... إنه ألم وحشي تصطك له أسنانى ... أصبحت أبغض كل شيء . وجميع الناس وعلى الأخص أولئك الذين يتألمون مثلى !!!

هؤلاء الرجال والنساء ، والأطفال ، الذين أصادفهم كل يوم يثيرون حفيظتى ... ليتنى أستطيع أن أطردهم ... إن الحزن ليضيّق على الخناق بصورة خاصة ، عند ما يخطر لى أن أحدهم ربما كان قد زار المقبرة للمرة الأخيرة البارحة إذ أحست بسكون ألمه ، ولاحظ أنه يخف من يوم لآخر ، وهو يعود من مدينة الأموات فعاد منها لا يتألم ... واستيقظ مع الصباح باسماً !... آه !... كم أبغض أولئك الذين يستعيدون ابتسامهم !!!

هل يأتى يوم أستعيد فيه أنا أيضاً ابتسامى ؟... وأنسى ؟... إن ذكرى شبابى لا تكاد تفارقنى : إنى لأرى نفسى وقد اجتزت الثانية إلى جانبها ... كان لا بد لى أن أكون سعيداً جداً ، وقد كنت بالفعل سعيداً جداً ... ولكن هنالك لحظات تلهم فى أحشائها كل شيء ، تلهم المستقبل والماضى لأنهما الخلود نفسه !

لم أكن قط من أولئك المتنزهين المادئين الذين يعبرون الطريق ، ويتوغلون فى الحقول ، ويتمددون بلطف فى ظلال الدوح ، ليستروحوا النسمات البليلة التى ينعشهم بها صباح منوّر

كلا ! لم أكن من هؤلاء ، وإنما كنت أتسلّق الأشجار ، لأستكشف آفاقاً أوسع ، وكنت أشاهد الطريق إذ ذلك تتوارى فى السهول البعيدة ، حيث يحتضر الربيع ...

فى هذه الغرفة ، وإزاء هذه النافذة ذاتها ، التصقت بى ذات يوم ، وأخذت تعانقنى وتقبلنى ... رعشة باردة هزتنى ... الدقائق ، الساعات ، الأيام ، السنون ، كل ذلك طفق يهرب مسرعاً ، مسرعاً ... إنتهى عهدنا ، دب إلينا الهرم ... أدركتنا النهاية ... بمثل هذه الأفكار كنت أدنّس حبنا ، باعترافى بقابليته للزوال والفناء ، وهكذا كنت أدنّس ألمي الآن ، بتفكيرى بأنه قد يأتى يوم أستعيد فيه ابتسامى !

ولكن من هو هذا الرجل ، ذو الشعور الشقر والنظرات الكئيبة ؟ ومَن يبكى ؟ ... إنه ليزور كل يوم ضريحاً بجوار ضريح امرأتى ... وإنه ليلفت أنظارى إليه ، لأنى لم أستطع أن أبغضه كالآخرين ... إنه يأتى كل يوم قبلى ، ولا يفارق موقفه حتى بعد ذهابى ... وقد كان من الممكن ألا أشعر بوجوده لو لم ألمحه ذات يوم يرمقنى بحنان زائد ، أربكنى وأزعجنى ... فتفرست فى وجهه ، ولكنه حوله عنى شيئاً فشيئاً ، ثم راح يبتعد وهو محاذ للجدار ... من المرجح أننى عرفته قبل اليوم ... إن وجهه ليس غريباً عنى ...

أين رأيته إذن ؟ ... فى سفر ؟ ... فى مسرح من المسارح أو شارع من الشوارع ؟ ... يخيل إلى أنه يشعر بحزنى بصورة غريزية . ولعل حزناً كحزنى يمضه ... هذا الافتراض يفسر نظراته التى لا أجد إلى نسيانها من سبيل ... إنه شاب وجميل !

ها قد جلست مرة أخرى إلى منضدتى ، أزهار ذابلة تكتنف رسم المرأة التى كانت قرينتى ، بل سعادتى ، بل دنياى !... بدأت أفهم الأشياء وأقدرها ... الأيام التى عشتها أخيراً غشّت على عقلى ... ولكنى انتهيت بأن وجدت نفسى ...

للمرة الأولى منذ شهر ، عزمت على أن أشغل نفسى بشيء ، أن ألتمس مكتبتى ، أن أنظر فى بعض الأوراق ، أن أفكر ... ولكنى لم أفعل شيئاً من ذلك ... بل عدت إلى المقبرة ... كان الليل قد شرع ينشر أجنحة السوء ، ولم يكن فى المقبرة أحد ... للمرة الأولى جثوت على ضريحها ، وطفقت أقبل الأرض التى حنت عليها فوارتها بين تضاعيفها ... وأخذت أبكى : نعم بكيت لا صوت ... لا نأمة ... صمت رهيب ... هواء ساكن ، بارد ... ثم نهضت ألتمس الخروج بين صفوف الأضرحة من جهة الكنيسة ... لا أحد ... كان القمر يسكب ضوءه على الصلبان والأحجار بصورة لا يمكن أن يفوتنى معها وجود شخص ما ... فلما هممت بالذهاب ، صادفت امرأة فى نقاب الحزن ، وفى يدها منديل ... إنى أعرف النساء ... كانت الطريق العريضة المؤدية إلى المدينة بيضاء تحت أشعة القمر ، وكنت أسمع وقع خطواتى ، لم يكن هنالك من يتبعنى ، وهكذا بلغت منفرداً أطراف المدينة حيث استقبلتنى منازل الضواحى ، والفنادق ، وتردّدت فى أذنى أصداء الجلبة والضوضاء ...

أشعر بشيء من التحسن فى حالتى ... الآن وقد عذت ، أحس برغبة ملحة ذهبت عن خاطرى منذ عهد طويل ، أحس

برغبة قوية لفتح نافذتى ، لأسمع جلبة الشارع ، بل لأسمع أصواتاً بشرية ، ولكن الليل شاخ وصمت . . . وأناملى تكاد تجمد من البرد وأنا أخط هذه السطور . . . والضوء يضطرب رغم سكون الهواء . . .

كنت مستنداً إلى جدار المقبرة ، وكانت تحجبنى عنه صفصافة ضخمة ، وقد بكرت كثيراً لأكون الأول ، فأدركت المقبرة وفى غرفة الحضار مصباح ... توافد بعدى كثيرون ، نساء على الأخص ... وفجأة ... هو ! ...

اقترب بهدوء ، من المكان المعتاد ، بعينيه الواسعتين ، الحزينتين ، ثم جثا على قدميه ، فبذلت قصارى جهودى لأراه جيداً ... وإذا به يجثو على ضريح امرأتى !!!

انقطعت عن كل حركة ... وشعرت بأنفاسى تتردد لاهثة ، متقطعة !... وأحسست بأصابعى تتشنج على أغصان الصفصافة ... مرت دقائق ... لم يكن يصلى ... ولم يكن يبكى ...وأخيراً نهض وراح يطوف بين الأضرحة بدون وجهة معينة كما كان من عادته أن يفعل ... فاقتربت من الضريح ، ووقفت على مقربة منه مستنداً إلى حاجز حديدى يكتنف ضريحاً آخر ، وإذا به يعود من ناحيتى وينظر إلىّ بهدوء ... ثم يستأنف سيره ... ويمر ... أردت أن أتقدم منه وأن أسأله ، ولكنى لم أفعل بل ظللت أشيّعه بأنظارى زمناً طويلاً إلى أن اختفى وراء الكنيسة ...

لا أعرف بماذا كنت أشعر ، ولا أعرف بماذا أشعر الآن ! ولكن سيأتى يوم ، ربما كان غداً أراه فيه ، وأستفسره وأعرف كل شىء !

* * *

آه ! يا لها من ليلة ! لا أجد إلى الرقاد فيها من سبيل ! إن الساعة لما تزل دون الواحدة بعد ... فلماذا لا أعود إلى المقبرة ؟ ولكن ماذا أستطيع أن أفعل هناك ... ألا بضع ساعات صبر ! بضع ساعات فقط ، وجنونى يعرف له حداً ... ويتضح كل شىء

أجل على ضريح امرأتى ! هنالك رأيته مرة ثانية !

كنت على خطوات معدودة منه ، فلماذا لم أنقضّ عليه ؟ ولماذا لم أقطع عليه الطريق عند ما شاهدته يبتعد ؟

أليس من حقى أن أسأله عن اسمه ؟ وممن أستطيع أن أستفهم إذا لم أستفهم منه ؟

حين حاول تخطى الباب ، تبعته ، ولكن يظهر أنه أحس بى

أجل لست مخطئاً . لا بدّ أنه أحسّ بى ، إذ حثّ خطاه مسرعاً ، فحثثت خطاى أنا كذلك . ولكنى عند ما أدركت الباب كان قد غاب عن ناظرى ، ثم لم ألبث أن أبصرته ثانية يستقل سيارة ، حتى إذا صعد إليها انطلقت تعدو به مسرعة ... ولم تكن هنالك سيارة أخرى ، فطاردته راجلاً ، ولكنه لم يلبث أن بعد عنى كثيراً ، فوقفت أشيعه بنظراتى مدة غير قصيرة . كانت الطريق مستقيمة ، فما زلت أراقبه عن بعد حتى اختفت السيارة ، وتوارت عن الأبصار

من هذا الرجل الذى يجثو على ضريح امرأتى ؟ ومن يكون لها ؟ كيف أعرف ذلك ؟ وكيف أراه ثانية ؟ آه ... إن ماضىّ بأسره ليتفكك ويتجدد ... إن ماضىّ بأسره لتعبث به يد المسخ والتشويه !

هل أنا مجنون ؟ أمن الممكن ألا تكون قد أحبتنى ؟ . . . ألم تكن تقف وراء هذا الكرسى ؟ ... وتضع شفاهها على جبينى ؟ وتلف ذراعيها حول عنقى ؟ ... ألم نكن سعيدين معاً ؟ ولكن من يكون هذا الشاب الأشقر الجميل ، إذن ؟ . . . ولماذا بدا لى أن محياه ليس غريباً عنى ؟ ... إنه ليخيل إلى الآن أننى شاهدته مراراً فى المسارح والمغانى ، جالساً تجاهنا ، ونظره عالق بامرأتى ، لا يكاد يحيد عنها ! ... ألم يكن هو الذى وقف ذات يوم عند مرور سيارتنا ، وتبعنا زمناً طويلاً بنظراته ؟ من هو إذن ؟ من هو ؟ من ؟ من ؟ ... أيكون عاشقاً « أفلاطونياً » لم تعرفه هي ؟ ولم تمل إليه قط ؟ . . . لو كان الأمر كذلك لعرفته أنا أيضاً ، إذ كان لا بد له أن يبحث عن وسائل يرانا بها فى المجتمعات ، ويتحدث إلينا . . . ولكن كلا ... لعله كان يحذرنى . فتعرّف على امرأتى ولم يتعرف علي ، وتبعها فى الشوارع وتجرأ على توقيفها ... كلا ! ... لو جرى شىء من ذلك لكانت أعلمتنى به ... ولكن هل كانت تعلمنى به ؟ ... أليس من الممكن أن تكون أحبته ؟ . ولكنها كانت تحبنى !. كانت تحبنى ؟ . من أين لى هذه الثقة ؟ ألأنها كانت تقول لى ذلك ؟ . جميع النساء يقلن ذلك ! والخبيثات يسرفن فيه أكثر من الطاهرات

أوه ! لا بد لى من إيجاده والاستفسار منه . ولكن إذا كانت قد أحبته ، فبماذا يجيبنى ؟ إنى أزور ضريحها لأنى كنت أحبها ، ولكنها لم تعرف ذلك قط ! وهل أستطيع أن أضطره إلى الاعتراف بالحقيقة ؟ فما العمل إذن ؟

وهل أستطيع أن أستأنف الحياة على هذه الصورة ؟

لم أشاهده طيلة ثلاثة أيام . كنت أذهب كل يوم ، ولكنه لم يكن يأتي ... الحفّارون يجهلون اسمه ، لا يعرفه أحد ... لعله سافر . ولكنه لا بد له أن . . . لا بد له أن . . . وإذا كان قد توفى وإذا كان قد توفى ؟ لأنه لا يستطيع أن يحيا بدونها ! آه . إن هذا الافتراض ليبعث على الضحك ، أيكون هنالك رجل آخر لا يستطيع أن يحيا بدونها ؟

ليس لى سوى رغبة واحدة ، وهى أن أقول له : سيدى المحترم ، لا تذهب فى تفجعك عليها إلى هذا الحد ، إذ من المحقق إنها أحبتنى أنا أيضاً ! » أريد أن أجعله غيوراً ...

قذفت برسمها تحت منضدتى ... هو ذا فى وسط الغرفة ، على الأرض بين رسائلها المبعثرة ، بين تلك الرسائل التى كانت تحفظها فى خزائنها وأدراجها ... فتحتها كلها ، ونبشت فيها ... ماذا وجدت ؟ ... رسائل كنت بعثت بها إليها ... وأزهاراً كنت قدمتها إليها ... وأشرطة حريرية ... وتذكارات ...

لعل بين تلك الأزهار زهرة مقدمة من قبله ... كيف الوصول إلى معرفة ذلك ؟ ... وماذا كنت أبغى العثور عليه ؟ ... وهل تحتفظ المرأة بشىء يمكن أن يخونها ذات يوم ؟

أفرغت جيوبها ... قلبت أثوابها ... باحثاً ... منقباً ... عن ورقة رقيقة تكون قد نسيتها سهواً ... ولكنها لم تكن قد نسيت شيئاً !

لم أعد بعد ذلك إلى المقبرة وأصبحت أرتجف لمجرد التفكير بمشاهدة ذلك الضريح مرة أخرى !

أحيا الآن ساعات أخف وطأة من قبل ، لأن الأيام الأولى قد عبرت دون أن يصاب عقلي بخلل ، فعلىّ أن أمتنع بعدم إمكان معرفة الحقيقة أبداً

كم أحسد الرجال الذين يعرفون أن نساءهم تخونهم ، إذ أنهم متأكدون من مصيبتهم على الأقل ! وكم أحسد أولئك الذين إذا أمضهم الشك ، استطاعوا أن يراقبوا نساءهم ، على رجاء أن تخونهن كلمة ، أو نظرة ، أو حركة ، أو إشارة !

أما أنا فقد قضى على ألا أستطيع شيئاً من ذلك قط ، لأن الضريح أبكم لا يبدى ولا يعيد !

ويتفق لى أحياناً أن أهبّ فى الليل من نومى ، مذعوراً ، يرهقنى كابوس هائل لعلى دنست ذكرى امرأة طاهرة ، وزوج مخلصة !

آه !. . لو أستطيع أن أحب ذكرى تلك المرأة التى منحتنى ذلك المقدار العظيم من السعادة !

وآه ! لو أستطيع أن أبغض ذكرى تلك المرأة التى خانتنى ، وعبثت بشرفى وكرامتى !

أعدت رسمها إلى منضدتى . رفعته من الأرض ووضعته فى مكانه المعتاد . ولكن لماذا لا أستطيع أن أعبدها و ... أن أجثو أمام رسمها كما أجثو أمام رسم قديسة ، وأجهش فى البكاء ؟

ولماذا لا أستطيع أن أحتقرها ؟ وأن أمزّق هذا الرسم ؟ وأن أدوسه بنعالى ؟

طيلة ليال عديدة لبثت أحدق النظر فى هاتين العينين الصامتتين ، الباسمتين ، المحاطتين بالرموز والألغاز !

إدماك شموسه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10 me Année No. 462

Lundi - 11 - 5 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٤٦٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٥ ربيع ثانى سنة ١٣٦١ — الموافق ١١ مايو سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

١٨ ٥٣٣

وهـذا كتاب ...

قال لى صديق منذ شهرين : إن العقاد يخرج كتاباً عن محمد. فقلت له : ذلك ما تمناه الناس وتوقعناه نحن منذ أخذ العقاد يعالج بعض هذا الموضوع فى (الرسالة) . ولعل هذا الكتاب يكون الأول فى بابه ؛ لأن العقاد صاحب جد وصراحة ؛ فهو لا يتكلف ما لا يحسن ، ولا يحسن ما لا يعتقد ، ولا يعتقد ما لا يسوغ فى المنطق . وإذا كان الذين كتبوا عن محمد إنما كتبوا للدين أو للدنيا أو للأدب أو للهوى ، فإن العقاد لن يكتب إلا للعقل . وإذا استراب أكثر الناس بأكثر هذه الكتب لأن صاحب الدين موافق وصاحب الدنيا منافق وصاحب الأدب خدَّاع وصاحب الهوى متعصب ، فإن القُراء على اختلاف ثقافاتهم ودياناتهم سيُخلدون بثقتهم إلى العقاد لأنه سيكتب غير ما كتب هؤلاء جميعاً

ثم قدَّرت فى نفسى النواحى البكر التى سيطرقها العقاد من هذا العالم الأعظم فكأنما قدَّرت عن تلقين الغيب : قدَّرت أنه لن يكتب ترجمة ولا سيرة ولا قصة ، لأن الناس فى القديم والحديث ، وفى الشرق والغرب ، لم يكتبوا غير ذلك ؛ وذلك الذى كتبوه إنما كان مداره على الوحى والرسالة والمعجزة والدعوة ، وإدراك العظمة أو العبقرية فى هذه الأمور موقوف على الإيمان بها ؛ فلو أن امرأ غير مسلم حاول أن يستشف من خلال ما ينكر من هذه الصور الإسلامية صورة محمد فى نفسه ، لما وجد فيما بقى على الهامش أو علِق بالإطار ما يقنعه بأن محمداً لو لم يكن أعظم

بالرسل بدينه ، لكان أعظم الأبطال بخلقه

فصورة محمد فى نفسه هى الناحية التى طوّف حولها الرُّوَّاد ولم يدخلوا ، وحوَّم فوقها الورّاد ولم ينزلوا ؛ وهى التى قدَّرتها على التخمين فى خطة العقاد ، ثم قرأتها على اليقين فى (عبقرية محمد) . وأشهد الله أنى لو مضيت على المخيَّل فيما أكتب عن هذا الكتاب لما كذبنى الظن ، ولا أخطأنى الصواب . ذلك لأن العقاد كاتب مؤمن بالعقل والرجولة ؛ فإذا درسته أو قرأته على ضوء هذا الإيمان تكشف لك عن منطق فحل لا يتناقض فى الرأى ، ولا يتعثر فى الأداء ، ولا يتكثر باللغو ، ولا ينزل عن طبقته حتى فى المقاصد المبتذلة والمعانى المطروقة . وإيمانه بالعقل والرجولة هو الذى بعثه على أن يكتب كتابين فى أدب ابن الرومى وفى سياسة سعد زغلول على كثرة الأدباء والساسة . فإذا كتب عن محمد فإنما يكتب بوحى هذا الإيمان عن عبقريته « بالمقدار الذى يدين به كل إنسان ولا يدين به المسلم وكفى ، وبالحق الذى يثبت له الحب فى قلب كل إنسان وليس فى قلب المسلم وكفى » ، « وبالقياس الذى يفهمه المعاصرون، ويتساوى فى إقراره المسلمون وغير المسلمين » « ليقيم البرهان على أن محمداً عظيم فى كل ميزان : عظيم فى ميزان الدين، وعظيم فى ميزان العلم ، وعظيم فى ميدان الشعور ، وعظيم عند من يختلفون فى العقائد ولا يسعهم أن يختلفوا فى الطبائع الآدمية[1] »

والحق الذى لا تجوُّز فيه أن كتاب « عبقرية محمد » هو التفسير الملهَم المحكم لقول الله تعالى لنبيه الكريم : « وإنك لعلى خلق عظيم » . ولا يدهشنك أن أقول إن شهادة الله لرسوله بعظمة الخلق ظلت مجهولة النور والمدى والدلالة فى التفسير والتاريخ حتى جاء العقاد فصورها بأبعادها وحدودها وألوانها وسماتها كأنطق ما يكون المثال وأصدق ما تكون الحجة . هل تجد معنى من معانى الأخلاق فنى فى شرحه وتشريحه من الريق والمداد على طول القرون ما فنى فى معنى الصّداقة والصديق ؟ ومع ذلك تقرأه فى فصل (محمد الصديق) من كتاب العقاد فتجده معنى من معانى العظمة لم يتمثل فى ذهن كاتب من قبل على هذه الصورة . إقرأ قوله على سبيل المثال : « ... وهنا أيضاً قد تمت لمحمد معجزته التى لم يضارعه فيها أحد من ذوى الصداقات النادرة . فأحدقت به نخبة من ذوى الأقدار تجمع بين عظمة الحسْب وعظمة الثروة وعظمة الرأى وعظمة الهمة ؛ وكل منهم ذو شأن فى عظمته تقوم عليه دولة وتنهض به أمة — كما أثبت التاريخ من سير أبى بكر وعمر وخالد وأسامة وابن العاص والزبير وطلحة وسائر الصحابة الأولين — وربما عظم الرجل فى مزية من المزايا فأحاط به الأصدقاء والمريدونْ من النابغين فى تلك المزية ، كما أحاط الحكماء بسقراط القادة بنابليون . بل ربما أحاط الصالحون بالنبى العظيم كما أحاط الحواريون بالمسيح عليه السلام وكلهم من معدن واحد وبيئة متقاربة . أما عظمة العظمات فهى تلك التى تجذب إليها الأصحاب النابغين من كل معدن ومن كل طراز ؛ وهى التى يتقابل فى حبها رجال بينهم من التفاوت مثل ما بين أبى بكر وعلى ، وبين عمر وعثمان ، وبين خالد ومعاذ ، وبين أسامة وابن العاص : كلهم عظيم ، وكلهم مع ذلك مخالف فى وصف العظمة لسواه.

تلك هى العظمة التى اتسعت آفاقها وتعددت نواحيها حتى أصبحت فيها ناحية مقابلة لكل خلق ، وأصبح فيها قطب جاذب لكل معدن ، وأصبحت تجمع إليها البأس والحلم ، والحيلة والصراحة ، والألمعية والاجتهاد ، وحنكة السن وحمية الشباب

تلك هى بلا ريب عظمة العظمات ، ومعجزة الإعجاز فى باب الصداقات »

ذلك سمو العقاد فى المطروق المبتذل ، فما ظنك به حين يعالج الأحرار الأبكار من معانى العبقرية المحمدية فى السياسة والإدارة والرياسة والبلاغة ؟ أما تحليله البراعات الخلقية والنفسية فى محمد الزوج والأب والسيد والعابد ، ودفعه الشبهات المريضة عن دعوة الرسول وعظمته فى تحكيم السيف وتحليل الرق وتعدد الزوجات ، فغاية الغايات فى دقة الفهم وشدة الحجاج وقوة الأسلوب . ولو لا أن العقاد أدركه نسيان الإنسان فأراد غار ثور وكتب غار حراء ، لقلت إن كتابه قبس من الوحى نزل عليه من السماء !

احمد حسن الزيات

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

(١) ما بين الأقواس من مقدمة الكتاب

رفع عيسى ...

للأستاذ محمود شلتوت

ورد إلى مشيخة الأزهر الجليلة من حضرة عبد الكريم خان بالقيادة العامة لجيوش الشرق الأوسط سؤال جاء فيه: « هل « عيسى » حي أو ميت في نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة؟ وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حي؟ وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى؟ ». وقد حول هذا السؤال إلى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة كبار العلماء فكتب ما يأتي:

... أما بعد، فإن القرآن الكريم قد عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه في ثلاث سور:

١ — في سورة آل عمران قوله تعالى: « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال: من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله آمنا بالله، واشهد بأنا مسلمون: ربنا، آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين. ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين؛ إذ قال الله: يا عيسى، إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون »: ٥٢ — ٥٥.

٢ — وفي سورة النساء قوله تعالى: « وقولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه، ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيما »: ١٥٧ — ١٥٨

٣ — وفي سورة المائدة قوله تعالى: « وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به: أن اعبدوا الله ربي وربكم، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد »: ١١٦ — ١١٧

***

هذه هي الآيات التي عرض القرآن فيها لنهاية شأن عيسى مع قومه، والآية الأخيرة (آية المائدة) تذكر لنا شأناً أخروياً يتعلق بعبادة قومه له ولأمه في الدنيا وقد سأله الله عنها وهي تقرر على لسان عيسى عليه السلام أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به: « اعبدوا الله ربي وربكم »؛ وأنه كان شهيداً عليهم مدة إقامته بينهم، وأنه لا يعلم ما حدث منهم بعد أن « توفاه الله »!

وكلمة « توفى » قد وردت في القرآن كثيراً بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها، ولم تستعمل في غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر: « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم. إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم. ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة. توفته رسلنا. ومنكم من يتوفى. حتى يتوفاهن الموت. توفني مسلماً وألحقني بالصالحين »

ومن حق كلمة « توفيتني » في الآية أن تحمل على هذا المعنى المتبادر وهو الإماتة العادية التي يعرفها الناس، ويدركها من اللفظ ومن السياق الناطقون بالضاد. وإذن فالآية لو لم يتصل بها غيرها في تقرير نهاية عيسى مع قومه لما كان هناك مبرر للقول بأن عيسى حي لم يمت

ولا سبيل إلى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء بناء على زعم من يرى أنه حي في السماء، وإنه سينزل منها آخر الزمان، لأن الآية ظاهرة في تحديد علاقته بقومه هو لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان وهم قوم محمد باتفاق لا قوم عيسى

أما آية النساء فإنها تقول « بل رفعه الله إليه » وقد فسرها بعض المفسرين بل جمهورهم بالرفع إلى السماء، ويقولون: إن الله ألقى على غيره شبهه، ورفعه بجسده إلى السماء، فهو حي فيها وسينزل منها آخر الزمان، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب، ويعتمدون في ذلك:

أولاً : على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال ، وهى روايات مضطربة مختلفة فى ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها ؛ وقد نص على ذلك علماء الحديث . وهى فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام وقد عرفت درجتهما فى الحديث عند علماء الجرح والتعديل .

وثانياً : على حديث مروى عن أبى هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى ؛ وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد . وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات .

وثالثاً : على ما جاء فى حديث المعراج من أن محمداً صلى الله عليه وسلم حينما صعد إلى السماء وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة فتفتح له ويدخل ، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى فى السماء الثانية . ويكفينا فى توهين هذا المستند ما قرره كثير من شراح الحديث فى شأن المعراج وفى شأن اجتماع محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء وأنه كان اجتماعاً روحياً لا جسمانياً « انظر فتح البارى وزاد المعاد وغيرهما »

ومن الطريف أنهم يستدلون على أن معنى الرفع فى الآية هو رفع عيسى بجسده إلى السماء بحديث المعراج بينما ترى فريقاً منهم يستدل على أن اجتماع محمد بعيسى فى المعراج كان اجتماعاً جسدياً بقوله تعالى : (بل رفعه الله إليه) وهكذا يتخذون الآية دليلاً على ما يفهمونه من الحديث حين يكونون فى تفسير الحديث ، ويتخذون الحديث دليلاً على ما يفهمونه من الآية حين يكونون فى تفسير الآية !

ونحن إذا رجعنا إلى قوله تعالى : « إنى متوفيك ورافعك إلى » فى آيات آل عمران مع قوله : « بل رفعه الله إليه » فى آيات النساء وجدنا الثانية إخباراً عن تحقق الوعد الذى تضمنته الاولى ، وقد كان هذا الوعد بالتوفية والرفع والتطهير من الذين كفروا ، فإذا كانت الآية الثانية قد جاءت خالية من التوفية والتطهير ، واقتصرت على ذكر الرفع إلى الله فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكر فى الأولى جمعاً بين الآيتين .

والمعنى أن الله توفى عيسى ورفعه إليه وطهره من الذين كفروا . وقد فسر الألوسى قوله تعالى : (إنى متوفيك) بوجوه منها وهو أظهرها « إنى مستوفى أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك ؛ وهو كناية عن عصمته من الأعداء وما هم بصدده من الفتك به عليه السلام لأنه يلزم من استيفاء الله أجله وموته حتف أنفه ذلك » وظاهر أن الرفع الذى يكون بعد التوفية هو رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصاً وقد جاء بجانبه قوله : (ومطهرك من الذين كفروا) مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم . وقد جاء الرفع فى القرآن كثيراً بهذا المعنى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع . نرفع درجات من نشاء . ورفعنا لك ذكرك . ورفعناه مكاناً علياً . يرفع الله الذين آمنوا » الخ ... وإذن فالتعبير بقوله : « ورافعك إلى » وقوله : « بل رفعه الله إليه » كالتعبير فى قولهم : « لحق فلان بالرفيق الأعلى » وفى « إن الله معنا » وفى « عند مليك مقتدر » وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول فى الكنف المقدس . فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة (إليه) ؟ اللهم إن هذا لظلم للتعبير القرآنى الواضح خضوعاً لقصص وروايات لم يقم على الظن بها فضلاً عن اليقين برهان ولا شبه برهان !

وبعد فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، ناصبه قومه العداء ، وظهرت على وجوههم بوادر الشر بالنسبة إليه ، فالتجأ إلى الله شأن الأنبياء والمرسلين فأنقذه الله بعزته وحكمته وخيب مكر أعدائه . وهذا هو ما تضمنته الآيات « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله » إلى آخرها ، بيّن الله فيها دقة مكره بالنسبة إلى مكرهم ، وأن مكرهم فى اغتيال عيسى قد ضاع أمام مكر الله فى حفظه وعصمته « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا » فهو يبشره بإنجائه من مكرهم ورد كيدهم فى نحورهم ، وإنه سيستوفى أجله حتى يموت حتف أنفه من غير قتل ولا صلب ، ثم يرفعه الله إليه . وهذا هو ما يفهمه القارئ للآيات الواردة فى شأن نهاية عيسى مع قومه متى وقف على سنة الله مع أنبيائه حين يتألب عليهم خصومهم ، ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التى لا ينبغى أن تحكم فى القرآن ،

ولست أدرى كيف يكون إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم ورفعه بجسده إلى السماء مكراً ؟ وكيف يوصف بأنه خير من مكرهم مع أنه شىء ليس فى استطاعتهم أن يقاوموه ، شىء ليس فى قدرة البشر ! ألا إنه لا يتحقق مكر فى مقابلة مكر إلا إذا كان جارياً على أسلوبه غير خارج عن مقتضى العادة فيه . وقد جاء مثل هذا فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »

والخلاصة من هذا البحث :

١ — أنه ليس فى القرآن الكريم ولا فى السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء وأنه حى إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض

٢ — أن كل ما تفيده الآيات الواردة فى هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا ، وأن هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ، ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه

٣ — أن من أنكر أن عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء وأنه فيها حى إلى الآن وأنه سينزل منها آخر الزمان فإنه لا يكون بذلك منكرا لما ثبت بدليل قطعى فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه ولا ينبغى أن يحكم عليه بالردة ، بل هو مسلم مؤمن ، إذا مات فهو من المؤمنين يصلى عليه كما يصلى على المؤمنين ويدفن فى مقابر المؤمنين ولا شية فى إيمانه عند الله والله بعباده خبير بصير

أما السؤال الأخير فى الاستفتاء ، وهو (ما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد مرة أخرى إلى الدنيا) فلا محل له بعد الذى قررناه ولا يتجه السؤال عنه والله أعلم .

محمود شلتوت

خصومات أدبيـــــة !

للأستاذ توفيق الحكيم

من كان يتصور أن دعوتى إلى الصفاء بين الأدباء تثير خصومات أو ذكريات عن خصومات ! فلقد كتب الأستاذ « عباس محمود العقاد » فى العدد الماضى من « الرسالة » قصة طريفة أهداها إلىّ . هى الآتية :

« قيل إن الدكتور طه حسين خرج من وظيفته بالجامعة المصرية قبل سنوات . وقيل أنه أثنى على الأستاذ توفيق الحكيم فى بعض ما كتب وهو على جفوة مع رؤساء تلك الأيام . وقيل إن الأستاذ توفيق أشفق من مغبة تلك الجفوة فكتب يقول إنه لا يريد مدحاً من أحد ... وأدرك شهر زاد الصباح أو المساء على قصة أخرى تمثل اليوم مع العقاد لأن خصومته قد تشبه خصومة الدكتور طه حسين قبل سنوات ... »

والتعليق على هذه القصة الطريفة لا يحتاج إلى عناء . لأن الأساس الذى بنيت عليه وهو شبهة الخصومة بينى وبين العقاد قد انهار فى اليوم ذاته الذى ظهر فيه مقاله . فقد طلع لحسن الحظ عدد مجلة الثقافة فى مساء ذلك النهار وفيه تحية منى للعقاد وثناء على كتابه « عبقرية محمد » بما هو أهله

يضاف إلى ما تقدم أن « ما يدريه العارفون وأوشك أن يدريه غير العارفين » هو أن موقفى اليوم يشبه فى كثير من الوجوه موقف العقاد . وأن من بين المجلات والصحف والأقلام ما يعلن تجريحى وخصومتى بمختلف الأسباب لعين الأغراض

بقى بعد ذلك عنصر واحد من عناصر القصة سكت طويلاً عن تجليته ظناً منى أنه لن يؤخذ على سبيل الجد . أما وقد أخذه الأستاذ العقاد على أنه حقيقة ، فمن الواجب إذن أن أوضح ولو كان فى الإيضاح إساءة للدكتور طه . فإن هذا الوقت هو أحب الأوقات عندى لإساءته لا لإرضائه

إن حقيقة الخصومة بينى وبين طه حسين فى تلك الأيام من عام ١٩٣٤ كانت خصومة أدبية صرف ، ولكن الدكتور طه أراد أن يقحم فيها عنصر السياسة ليظهرنى فى صورة « يهوذا » ويظهر نفسه فى صورة « المسيح » . فاخترع تلك القصة اختراعاً ولكن الحقيقة ما لبثت أن ظهرت فى اليوم التالى واضحة مبينة

إلى هنا ينتهى التعليق على هذه القصة . ولكن هنالك قصة أخرى للأستاذ العقاد مهداة إلىّ أيضاً ، وربما احتاجت إلى تعليق طويل لأنها تمس قضية أدبية تحدث فى جميع الآداب فى كل زمان . تلك هى قضية الناقد والكاتب . فقد ذكر الأستاذ العقاد إنى أنكر أن الدكتور طه حسين رفع من شأنى بما كتب عنى . وأنا حقاً أنكر ذلك كل الإنكار ومن يحرص على كرامة الفن لا يسعه أن يقول غير هذا القول . فما من مخلوق على الأرض يرفع أو يخفض من شأنى غير فنى ولما ترجم هذا الفن أو بعضه إلى لغات أجنبية وجد من أعلام نقادها من يرفع شأنه كما وجد فى اللغة العربية طه وأمثاله . فالفن هو الذى يكرم نفسه أو يمتهنها فى كل مكان وزمان يحل فيهما . حقاً أن طه حسين استقبل كتاب أهل الكهف استقبالاً رائعاً ، لكن لا ينبغى أن ننسى غيره . فبمراجعة تاريخ الحوادث يتضح أن أول من نوه بالكتاب تنويهاً جميلاً كان الشيخ مصطفى عبد الرازق ثم الأستاذ المازنى ثم الأستاذ العقاد على هذا الترتيب . ولعل العقاد قد أشار فى نقده إلى انتفاع بعض المؤلفين الأوربيين بجوهر الأسطورة ونفى عن « أهل الكهف » تهمة الاقتباس أو النقل عن الأجانب وأظنه فضلها من حيث طريقة التصرف على ما قرأ فى بعض اللغات عن فكرة القصة . فلما اطمأن طه حسين إلى آراء هؤلاء أقبل فصاح صيحته المشهورة كأنها صيحة « يوحنا المعمدان » وهو يبشر بالمسيح . فقد قال بهذا النص : « أما قصة الكهف » فحادث ذو خطر ، لا أقول فى الأدب العربى المصرى وحده . بل أقول فى الأدب العربى كله . وأقول هذا فى غير تحفظ ولا احتياط . وأقول هذا مغتبطاً به مبتهجاً له . وأى محب للأدب العربى لا يغتبط ولا يبتهج حين يستطيع أن يقول وهو واثق بما يقول أن فناً جديداً قد نشأ فيه وأضيف إليه . وإن باباً جديداً قد فتح للكتاب وأصبحوا قادرين على أن يلجوه وينتهوا منه إلى آماد بعيدة رفيعة ما كنا نقدر أنهم يستطيعون أن يفكروا فيها الآن . نعم هذه القصة حادث ذو خطر يؤرخ فى الأدب العربى عصراً جديداً . . . ويمكن أن يقال إنها أغنت الأدب العربى وأضافت إليه ثروة لم تكن له . ويمكن أن يقال إنها

قد رفعت من شأن الأدب العربي وأتاحت له أن يثبت للآداب الأجنبية الحديثة والقديمة ... بل يمكن أن يقال إن الذين يحبون الأدب الخالص من نقاد أجانب يستطيعون أن يقرأوها إن ترجمت لهم ، فسيجدون فيها لذة قوية ، ويجدون فيها متاعاً خصباً وسيثنون عليها ثناءاً عذباً كهذا الذى يخصون به القصص التمثيلية البارعة التى ينشئها كبار الكتاب الأوربيين »

وكان لتلك الكلمة أثر قوى ذو دوى لأن طه حسين وضع الأمر كما رأينا فى صيغة التقرير بمذهب جديد . كأنه « سانت بوف » يعلن أمر المذهب الرومانتيكى عند ظهور تمثيليات « هوجو » !! ولنسلم بأن طه حسين هو المشيد الأول بشأن أهل الكهف ومؤلفها . فهل هذا حدث جديد فى تاريخ الآداب ؟ ألم يصح مثل هذه الصيحة « تورجنيف » عند ما استقبل أول أعمال « تولستوى » قائلاً : « ظهر كاتب روسيا الأعظم ! » أو لم يفعل مثل ذلك « أرنولد بنيت » عند ما أشاد بقصة « الدس ها كسلى » بقوله : « هذا كاتب يلحق مباشرة بقصاصى روسيا العظام ! » أو لم يصنع هذا « أناتول فرانس » بمذكرات مارى باسكرشيف » عند ما أعلن أنها أثر خالد للانسانية ! فإذا هذه الأعمال قد ظهرت ومؤلفوها قد برزوا للعالم بين يوم وليلة . هل استلزم ذلك التحميل بأثقال الديون والتكبيل بحبال الجميل نحو أشخاص النقاد ؟ أو أن الأمر لا يعدو فى تلك البلاد أن ناقداً أدى واجبه بأمانة وإخلاص ، لا نحو شخص من الأشخاص ولكن نحو آداب وطنه وفن بلاده ؟ لم نسمع فى غير مصر أن الناقد إذا أثنى على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الحضيض . وإن على المؤلف واجباً مقدساً هو أن يشترى من فوره سبحة كيلا ينسى أن يسبح بحمد الناقد أناء الليل وأطراف النهار . شأنه شأن القاضى الذى يصدر حكماً ينقل أحد المتقاضين من الفقر إلى الغنى . فيظل طول حياته يقول فى مجالسه ... أنا الذى أغنيت فلاناً ونقلته من حال إلى حال وخلقته هذا الخلق الجديد . وينسى أنه كان مظهراً لحق هـذا الفلان لا أكثر ولا أقل . اللهم أن فى هذا لاهداراً لكرامة العدالة وكرامة الفن !

ولكن من الإنصاف أن أقول : إنى لا أشك فى أن طه حسين فى أول الأمر كان يصدر حقاً عن عقيدة الناقد الذى يؤدى واجب النقد والفن وحدهما ، فلم يكن قد رآنى وما كنت قد رأيتـه ، وما كان تصادم الطباع والخصال قد لعب دوراً فى تقدير الأمور ، وسواء كان طه مخطئاً أو مصيباً فى رأيه الذى أبداه ، فهذا ليس من شأنى ولا من شأن الأشخاص ، إنما هو من شأن النقاد ورجال الجامعة والباحثين من هذا العصر وما بعده ممن يعنون بتمحيص مذهب أستاذ من أساتذة النقد والأدب .

على أنى إذا تفرغت للنقد يوماً ، فإنى أرجو أن أؤدى واجبى بمثل هذه الحرارة والأمانة والقوة نحو آثار طه وغيره من الأدباء ؛ وإذا تحقق أملى وأقمت فى أوربا بعد الحرب ، فسوف يكون من شأنى القيام بهذا العمل نحو هذه الآثار فى تلك البلاد

إلى هنا ينتهى ما بينى وبين طه حسين ، إذا كانت شؤون الآداب والفن هى حقاً ملك البحث والدرس والزمن والوطن لا ملك الأشخاص

أما مشاعرى الخاصة كانسان نحو الدكتور طه ، فليس الظرف اليوم مواتياً للأطناب فى وصفها ، وسأختار الزمان والمكان اللائقين للافاضة بها دون أن يحمل فعلى على غير محمله

وأخيراً ، أوجه خطابى إلى الأستاذ العقاد قائلاً :

« إنك للمرة الأولى تخاطبنى بهذه اللهجة التى كنت تخاطب بها « الرافعى » رحمه الله ! »

أبهذه السرعة تضع الناس فى صف أعدائك ؟ لعلك لفرط ما قاسيت من شر الناس ، ولقلة ما وجدت من خيرهم ، أصبحت مثل « هملت » : تستل سيفك لتضرب من خلف الأستار دون تبين الو جـ ـه . فطعنت صديقاً وأنت لا تدرى

توفيق الحكيم

خسرو وشـــــيرين

فى التصوير الإسلامى

للدكتور محمد مصطفى

— ٤ —

لما رحل خسرو إلى بلاد الروم ، ليطلب مساعدة الإمبراطور موريس على القائد بهرام جوبين ، ضاق فى عينى شيرين ريف أرمينية على اتساع أرجائه ، وكثرة ملاهيه ، وتنوع ضروب التسلية فيه ؛ فرجعت إلى عمتها مهين بانو ، حزينة على فراق حبيبها ، آسفة لقسوتها عليه ، فنشطت عمتها فى جلب السرور إلى قلبها ، والترويح عن نفسها ، وإحاطتها بما ينسيها أحزانها

وكان خسرو قد نجح — بفضل مساعدة إمبراطور الروم — فى استرداد عرش أجداده ، وتوّج للمرة الثانية ملكا على إيران ، وحكم بالعدل بين رعيته ، فصار محبباً إليها . ولكنه لم يجد فيما يحيط بجلال الملك من مباهج الحيـاة ، ما يخفف عنه لوعة الحزن والأسى ، التى يشعر بها فى قرارة نفسه لغياب شيرين

وماتت مهين بانو ، تلك العمة الطيبة القلب ، فصارت شيرين ملكة أرمينية ، ولكنها لم تستطع نسيان أحزانها ، بل زادت كآبة لما علمت بزواج خسرو من مريم . وأرادت أن تجد العزاء والسلوى فى الشعور بقرب حبيبها منها ، فرحلت من أرمينية إلى « قصر شيرين » بين الهضاب المرتفعة فى إيران ، ومعها جمع كبير من صويحباتها وأتباعها ، كان بينهم شابور ، بقى فى خدمتها بأمر من صديقه خسرو ، يرعاها فى وفاء وإخلاص .

ولما وصلت إلى قصر شيرين أرسلت شابور إلى المدائن ، بعد أن أوصته ألا يخبر خسرو عن وجودها فى قصرها ، مخافة أن تعكر عليه صفو حياته الزوجية . ولكن شابور لم يكترث لتحذيرها ، وجاء إلى المدائن حيث وجد خسرو فرحاً مسروراً ، لتلقيه أنباء مقتل القائد بهرام جوبين ، فأخبره بوجود شيرين على مقربة ، وزاده بذلك طرباً وحبوراً ، ثم رجع إلى قصر شيرين

وكان لقصر شيرين ـ بالرغم من كل ما فيه من الاستعدادات العظيمة لاستقبال ملكة أرمينية ـ نقيصة واحدة ، هى وجود المراعى والأغنام بعيداً عنه ، فى ناحية الجبل الأخرى ، ولهذا السبب لم يكن فى استطاعة شيرين أن تحصل على أى مقدار من اللبن . واشتكت من ذلك يوماً ما أثناء وجود شابور ، فأخبرها عن مثّال ماهر ، واسع الحيلة ، كان زميلاً له فى أيام الدراسة ، اسمه فرهاد[1] ، يظن أن فى استطاعته أن يذلل هذه العقبة وأن يعمل شيئاً فى سبيل إرضاء رغبتها . وذهب شابور فأحضر فرهاد[2] . وما كاد هذا يقف بين يدى شيرين ويتطلع إليها ، حتى غمره حبها وتولاه الذهول ، فلم يفقه من كلامها شيئاً ، واضطر أصدقاؤه بعد ذلك أن يفسروا له رغباتها ، وأخذ فرهاد فى تنفيذ ذلك بجد واجتهاد ، حتى أمكنه بعد شهر واحد أن ينحت فى الصخر قناة تخترق الجبل ، وتصل بين القصر من ناحية وبين المراعى فى الناحية الأخرى . وأخذ رعاة الأغنام يحلبون اللبن ويسكبونه فى القناة فيجرى فيها إلى القصر ، وبذلك صار فى إمكان شيرين أن تحصل فى صباح كل يوم على ما تحتاج إليه من اللبن الطازج[3] . وأعجبت شيرين بهذا العمل الهائل الذى يفوق مقدرة البشر ، فأطنبت فى مديح فرهاد ، وأرادت أن تكافئه بما يريد من الذهب والأحجار الكريمة ، ولكنه أبى أن يأخذ شيئاً ، وفر هارباً إلى الصحراء ، حيث هام على وجهه كالمجنون .

وسمع خسرو بهـذا الحب فأرسل من أحضر فرهاد من .

---

(١) نظم بعض الشعراء بالايرانية والتركية قصة « فرهاد وشيرين » على حدة ، معتمدين فى نظمها على ما رواه الشاعر نظامي عن هذه القصة فى منظومة « خسرو وشيرين » . انظر الشاهنامه ج ٢ ص ٢٣٧ فى الحاشية و E. J. W. Gibb, History of Ottoman Poetry

(٢) انظر صورة الشابور وهو يقدم فرهاد لشيرين فى Mehmet Aga - Oglu, The Khusraw wa Shirin Manuscript in the Freer gallery, in : Ars Islamica, IV (1937) fig. 3.

(٣) يروى ابن الفقيه فى كتاب البلدان — طبعة ليدن — ص١٠٩ ، أن الملك خسرو جلس مع شيرين يتناول الشراب ، فلما سكر قال لشيرين : سلينى حاجتك . فقالت : حاجتى أن يكون لى فى هذا الباغ (قصر شيرين) نهران من حجارة يجرى فيهما الخمر واللبن . قال : أفعل ذلك . ونسيه الملك ، فاستحيت شيرين أن تذكره ، فعمل الفهربذ غناء وذكره حاجة شيرين فأمر ببناء النهرين .

الصحراء ، ولما مثل بين يديه ، حاول أن يثنيه عن حبه لشيرين ، ولكنه لم يفلح بالوعد ولا بالوعيد أن يزحزحه قيد أنملة بعيداً عن ذلك . وأخيراً عمد خسرو إلى الحيلة ، فوعده أن يزوجه شيرين ، إذا استطاع أن يشق طريقاً فى صخر جبل بيسُتون[1] ظناً منه أن ذلك سيصعب عليه . ولكن فرهاد وافق فى الحال ، وقبل هذا الشرط ، ورحل إلى جبل بيستون ، حيث بدأ بنحت لوحة عليها صور شيرين وخسرو وشبديز ، وجعل من صورة شيرين رمزاً لحبيبته ، لكى يراها فى كل لحظة تطل عليه لترى بنفسها مقدار كده وتعبه وما يبذله من العناء فى سبيل الزواج بها ، ولكي يلجأ إليها فى ساعات فراغه ليبثها غرامه وشقاء قلبه فى حبها . وبلغ شيرين ذلك ، فجاءت إلى جبل بيسُتون لتسرى عن فرهاد ، ولكنه عند ما فوجئ برؤيتها ، كاد أن يفقد صوابه ، لفرط ما طغي عليه من السرور ، فأشفقت عليه شيرين وأعطته جرعة من شراب ، تمكن بها من استعادة صوابه الفاقد ، فحدثها عن مبلغ هيامه بها وعن حالته التعسة .



(شكل ١)

وفى (شكل ١) جاءت شيرين لزيارة فرهاد ، وهى راكبة على جواد أصيل ، عند ما علت بما يكنه لها من الحب المبرح ، وتراه هنا — ومعه أدوات النحت — حيث يعمل فى الطريق الذى يشقه بجبل بيسُتون ، وهو راكع أمامها يرتشف من قَعْب[1] خزفى جرعة من شراب أعطته إياه شيرين لتهدئة ما طغى عليه من الوجدان بتأثير هذه الزيارة المفاجئة . وإلى جوار فرهاد لوحة نحتها فى الصخر لتخليد ذكرى فتح هذا الطريق العظيم ، وقد نحت فى أعلى هذه اللوحة صورة خسرو وهو واقف بين حبيبته شيرين وبين موبذ الموبذان[2] ، وفى أسفلها صورته وهو راكب على الفرس شبديز . وقد أراد المصور أن يمثل هنا الصور الشهيرة التى نحتها المثال فرهاد فى صخور « طاق بُستان » والتى خلدت لهذا المثال شهرة واسعة[3] (أنظر شكل ٢ القادم) . ونلاحظ فى هذه الصورة الغبار الذى يتطاير خلف جواد خسرو على هيئة السحب الصينية « تشى » ، وهذا يدل على مقدار ما بلغه تأثير التصوير الصينى فى أسلوب مدرسة شيراز التيمورية فى إيران . ومن ميزات أسلوب هذه المدرسة ما نراه فى هذه الصورة من الحركة والحياة فى رسم المنظر فى الهواء الطلق ، بخلاف ما كان متبعاً فى المدارس السابقة لهذه ، من رسم المناظر فى داخل المبانى وما يقتضيه ضيق المكان من الجمود الذى يظهر فى رسم الصور . كما أن رسم الأشجار المورقة المحيطة بالمنظر صار منذ هذا العصر من التقاليد المتبعة فى تصوير المناظر الخارجية[4] وهذه الصورة[5]

---

(١) يوجد مكان على بعد عشرين ميلا إلى الشمال من كرمانشاه به طريق منحوت فى الصخر بجبل بيستون يقال إنه من عمل فرهاد . انظر : Gibb, I, p. 322 n. 1

(١) قعب والجمع قعاب ، آنية للشرب تشبه فنجان الشاى ولكنها بدون يد ، يقال لها بالفرنسية Coupe وبالانجليزية Cup وبالألمانية Schale . والقعب هو الاناء الذى يكفى ما يحتويه من الشراب لاطفاء ظمأ الرجل أو الرجلين . والصغير من هذا النوع من الآنية يسمي « غمر » ، وهو الذى لا يكفى ما يحتويه من الشراب لاطفاء ظمأ الرجل الواحد . انظر قاموس Lane كلمة « قعب » والمراجع المذكورة فيه .

(٢) موبذ الموبذان ، لقب رؤساء الزردشتيين ، وكان للموابذة شأن عظيم فى عهد الدولة الساسانية . انظر الشهنامه ، مدخل ص ٧٧

(٣) انظر : B-W-G., p. 65, no. 42 c.

(٤) انظر : S. P. A., III, p. 1846

(٥) منقولة عن : B-W-G, pl XXXIII B . وللمقارنة انظر : Mehmet Aga-Oglu, in : Ars Islamica, IV (1937), fig. 4

فى مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر نظامى يمكن تأريخه بين سنتى ٨١٣ و٨٢٣ هجرية (١٤١٠ — ١٤٢٠ م) ، وهو محفوظ فى مجموعة كارتيير بباريس



(شكل ٢)

وفى (شكل ٢) النقوش الخالدة التى يقال إن المثال فرهاد نحتها بداخل كهف الملك خسرو برويز فى طاق بستان . ويقع طاق بستان فى ناحيـة الشمال الشرق من كرمانشاه ، فى سفح جبل بيستون[١] فى مكان ملئ بالخضرة الناضرة والمياه الجارية . ويتألف من عدة كهوف أمر بنحتها بعض ملوك الأكاسرة فى صخر الجبل . وينسب أكبر هذه الكهوف للملك خسرو برويز[٢] ، وفى الحائط الخلفى لهذا الكهف نحت فرهاد هذه النقوش[٣] ، فنرى فى أعلى الصورة خسرو بين شيرين وموبذ الموبذان ، أو كما يقول رأى آخر بين الإلهين هرمز وأناهيتا ها

(١) انظر : F. Sarre, Die Kunst des alten Persien, S. 38

(٢) يخالف الدكتور Erdmann هذا الرأى فى البحث الذى كتبه عن تاريخ طاق بستان . انظر : K. Erdmann, Das Datum des Tag-i-Bustan, in : Ars Islamica, IV (1937), p. 78 — 97. وانظر أيضاً المراجع المذكورة فى S. P. A, I, p. 496 n. I عن هذا الموضوع

(٣) هذه الصورة منقولة عن : K. Erdmann in : Ars Islamica, IV (1937), fig. 8 .

يبايمانه بالملك . وفى أسفل الصورة خسرو على جواده شبديز[١]
ويذكر أبو عمران الكسروى طاق بستان فى الأبيات الآتية[٢]

وهم نقروا شبديز فى الصخر عبرةً ... وراكبه برويزُ كالبدر طالع
عليه بهاء الملك والوفد عُكَّفٌ ... يخال به فجر من الأفق ساطع
تلاحظه شيرينُ واللحظ فاتنٌ ... وتعطو بكف حسَّنتها الأشاجع
يدوم على كر الجديدين شخصه ... ويأتى قويم الجسم واللون ناصع

ويروى ابن الفقيه[٣] أن بعض الملوك اجتاز هناك ونزل وشرب ؛ وأعجبه الموضع فاستدعى خلوقا وزعفرانا فخلق وجه شبديز وشيرين والملك فقال بعض الشعراء :

كاد شبديز أن يحمحم لما ... خُلِّق الوجه منه بالزعفران
وكان الهمام كسرى وشيريـ ... ـن مع الشيخ موبذ الموبذان
من خَلوق قد ضمخوهم جميعاً ... أصبحوا فى مطارف الأرجوان

(له صلة)

محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) انظر : Friedrich Sarre, Sasanian Stone Sculpture, in : S. P. A., I, p. 598

(٢) انظر كتاب البلدان لابن الفقيه — طبعة ليبزج — ص٢٥٢ — ٢٥٣

(٣) فى كتاب البلدان — ٢٥٣

في سبيل إصلاح الأزهر

الأستاذ محمد يوسف موسى

ليس كثيراً على (الرسالة) الغراء وصاحبها الجليل أن يُشغلا بالأزهر وإصلاحه ، وليس معنى إفراده بالكتابة ولفته لواجبه أنه دون الجامعة فهماً لتبماته وقياماً بها . ولكن معنى هذا أن الأزهر لمصر وللعالم الإسلامى عامة ، كالقلب به صلاحه وقوامه ، وكالمنارة تهدى الضال وترشد السفر بما تبعث من ضوء وهدى . إنه الذى يقوم على ثقافة ناشئة الإسلام العالية من الصين فى الشرق إلى المغرب الأقصى بأفريقية

لهذا كان حريًّا بنا إتمام النظر والدرس ، والتعمق فى التفكير والفحص ، لهذه الجامعة التى هى رابطة بلاد الإسلام ، لعلنا نقف على الداء ونصيب الدواء ، فينهض الأزهر بعد أن طال عليه الأمد وهو وسنان ، ويمضى لغايته قُدُماً بعد طول عثار ، ويعود كما كان مصدر العلم النافع والعرفان الذى به ملاك الدين والدنيا .

لا ريب فى أن الأزهر تخلف عما يراد منه ، يعرف هذا من اتصل به تلميذاً أو مدرساً ، ويشكو منه أبناؤنا وبخاصة غير المصريين الذين تركوا بلادهم خماصاً ليعودوا إليها بطاناً مليئين بالعلوم المجدية ، فإذا قلوبهم واجفة خشية أن يرجعوا إلى أوطانهم كما جاءوا إلينا بعد أن أضاعوا زهرة العمر ! هذا حق ، ولكن ما علة هذا وما أسبابه ؟ وهل إذا تبيّنا العلة كان من السهل أن نطبّ لها ونقتلها من جذورها ؟

أعتقد أنه من الجرأة والمجازفة أن يزعم أحد منا أنه وقف على الداء كله ، وعرف له العلاج الشامل الكامل . ومع هذا كان من الواجب أن يدلى كل من تهيأت له الأسباب برأيه ، على أن يكون لنا من مجموع هذه الآراء ما يعين على تقويم المعوج ويهيئ السبيل للخير المرجى

***

١ — أول ما يلفت النظر فيما نحن بصدده أن طائفة منا تعيش فى هذه الأيام بعقلية رجال القرون الوسطى . المدرس لا يعنيه إلا أن يفهم الكتاب المقرر وأن يُفهمه لطلابه ؛ فإن يسر الله والطلاب له هذا ، حمد الله ورأى أنه قام بواجبه . ليكن هذا الكتاب مليئاً بالمسائل والمشاكل اللفظية ، ومحشواً بغير قليل من الأخطاء العلمية ، فذلك لا يغير من وضع المسألة لدى الطلاب وعامة المدرسين ، ولا يلفتهم إلى محاولة فهم العلم نفسه والوصول إلى الحق ، سواء أ كان فى هذا الكتاب أم فى غيره !

٢ — ثم لا يكاد الكثير منا يحس أن للأزهر رسالة يجب أن يضطلع بها ، ودوراً عليه أن ينهض بأعبائه . ولو أننا نفقه رسالتنا ونؤمن بها لما كان فى أمورنا هذا الوهن ، وفى سُبلنا هذا العوج ، ولكننا أعرف بالإصلاح وأهدى لسبيله ، ولأصبنا من النجاح — على الأقل — ما أصاب رجال الجزويت المنبثين فى شرق العالم وغربه

هؤلاء يفهمون رسالتهم التى وهبوها أموالهم وأنفسهم ، وهى غرس الدين المسيحى فى قلوب من يلون أمر تربيتهم وتثقيفهم ، ونشر هذا الدين فى جنبات الأرض جميعاً . لهذا يدرسون دينهم دراسة وافيـة ، كما يدرسون الدين الإسلامى كذلك ، لعلهم يجدون فيه ثغرة ينفذون منها للدعاية لدينهم . ومع هذه الدراسات الدينية العالية تراهم يشاركون مشاركة طيبة فى العلوم الاجتماعية والعمرانية وفى الفلسفة والآداب ، ويتوسلون بهذه العلوم كلها ليصلوا إلى ما جعلوه لأنفسهم غرضاً وغاية . وهم فى أمورهم عامة مخلصون متفانون ، لا يتهيبون عملاً ، ولا ينكصون عن تضحية ، يأتمرون ويتباحثون ويكيفون أنفسهم ومناهجهم حسب ما توحى به الأيام والمناسبات

أما نحن معشر الأزهريين فقد جهلنا العالم فأنكرناه ونكرنا ، وتجهمنا للعناصر الأخرى التى تتألف منها الأمة فتجهمت لنا ، وصرنا نعيش على هامش الحياة لا نحس بالغير ولا يحس بنا . منا من يفهم الدين على أنه شعائر جافة جدبة لا وسائل للفلاح والخير ! ومن يحذق قواعد النحو وأصول البلاغة ، ثم يعسر عليه أن يقيم لسانه بين الناس بأسلوب فصيح نفاذ للقلوب ! ومن

المدنيـــة والانسان

[إن المدنية التى لا تصون نفسها من الدمار ، لا يمكن أن تصون الانسان]

للأستاذ حسين الظريفى

كثر الكلام فى عناصر المدنية ومظاهرها ، وما لها من فعل وانفعال فى كل أبناء الحياة ، وكان من البداهة أن يزيد تأمل الإنسان فيما دخل عليه فى وسائل معاشه وطرق تفكيره ، وفيما وراء ذلك من مظاهر النفس والشعور ؛ فالمدنية الحديثة لم تدع شيئاً لم تأخذه بنصيب ، من بعيد أو من قريب ، فلم تقف عند حد الوسط الذى نشأت فيه ، وإنما فاضت عنه إلى خارج الحدود ، وإلى ما وراء البحار والجبال وكل حاجز أقامته الطبيعة فى قرونها الطوال ، ولم تتناول مظهراً واحداً من مظاهر الحياة ، وإنما جمعت كل هذه المظاهر ووضعتها فى موضع المحو والإثبات ، فأخرجت للناس مظاهر جديدة عليها طابع من التفكير الحديث وما يلى التفكير من إرادة ومن عمل ، ومن نتائج خطيرة تبطل دونها كل محاولة مقابلة

على أن صراعاً قام ولم يزل قائماً بين ما وصل إليه العلم الحديث من فهم للحقائق وقيام بالعمل ، وبين ما يجر هذا العصر وراءه من تراث عقول خلت منذ أن رأت الأرض أول هلال فى الأفق . وما زال الصراع قائماً فى حرب تستحر هنا وتخف هنالك ، فتتغير الحقائق وتتبلور ثم تنصب فى شكل جديد تؤثر على الناس فيما لديهم من وسائل الحياة ، وفيما عندهم من أساليب الفكر والبيان

لقد كانت تبشرنا المدنية الحديثة بإحلال الرخاء فى كافة الأرجاء ، وكانت أبلغ كلمة تخرج من أفواهها تلك التى تصور الشعوب فى وحدة كاملة شاملة غير متنافرة الأجزاء ، تفاهمها دائم ، وسعيها وراء الصالح العام

تلك أمنية تملأ خيال كل مفكر ، وتسيل على لسان كل ذى بيان ؛ إلا أن مدنيتنا الحديثة كانت تحاول إلهامنا اليقين فى قرب حلول الساعة التى يكون فيها الناس أمة واحدة ، فشحذت العزائم وانطلقت الجوارح تعمل فى هذا الحقل ، والجميع يأملون ويعملون

كان فى الإمكان أن يتعارف الناس على غير ما تعارفوا عليه طيلة القرون التى خلت . فتخرج الشعوب عما رزحت تحت أعبائه

يرى الحق فيما قال الغزالى مثلاً وإن كان الخطأ فيه بيناً ، والإلحاد والكفر فيما ذهب إليه الفلاسفة وإن كان الصواب فيه واضحاً ! ومن يعلم الأخلاق ولا يتخلق ، والفلسفة ولا يتفلسف ، والأصول والفقه ولا يجتهد ، وعلم الكلام ولا يستطيع أن يجادل عن الدين خصومه الحاضرين لا من عفت آثارهم الأيام !

وكان من هذا كله ، ومن تخلفنا فى الطريق ، أن تجاهلتنا وزارة المعارف فى أمور كان لا يصح فيها التجاهل ، وإن أغضينا العين على القذى . أذكر من هذه الأمور ما كان من الوزارة حين ألفت لجنة رسمية لتأريخ أعلام الإسلام ، فى التشريع واللغة والأدب وسائر نواحى النشاط العلمى ، فلم يكن فيها أحد من الأزهر ! وما يجرى هذه الأيام بين سمعنا وبصرنا من السفارات العلمية بين رجال الجامعة والعراق ، دون أن تخطر على البال فيستمان بنا فى هذا السبيل ! وهكذا صرنا كما قال الشاعر :

ويقضى الأمر حين تغيب تيم   ولا يستأمرون وهم شهود

أو كما قال الآخر :

يُخلَّفون ويقضى الناس أمرهم   وهم بغيب وفى عمياء ما شعروا

٣ — وثالثة الأثافى توسيد الأمر أحياناً إلى غير أهله ، والثقة بمن لا يستحق ، ورعاية جانب الطلاب على حساب العلم . وتفصيل هذا فى الكلمة التالية إن شاء الله تعالى

وإنى لأرجو مخلصاً غاية الإخلاص لفضيلة الأستاذ الأكبر الإمام المراغى ، وموقناً بأنه خير من يفهم الأزهر ورسالته ويقدر على إصلاحه ، والسير به حتى يبلغ الهدف المنشود — أن تكون هذه الكلمة فاتحة لأخريات من إخوانى الذين يحسون ما أحس من نقص يجب علاجه وتلافيه وتبعات جسام يجب القيام بها ... والله الهادى إلى الصراط المستقيم .

محمد يوسف موسى
مدرس بكلية أصول الدين

من ضيق فى ناحية الحقائق وسعة فى ناحية الخيال ، وتسخر الطبيعة بما فيها من قوى كامنة وساكنة لانتفاع الناس بها بعد أن كانت مصادر الهيلم فى وادى الظنون والأوهام

غير أن المدنية وقد نفذت من المادة إلى داخل النواة فأخرجتها بمظاهر مختلفة فيها منافع للناس ، قد وقفت دون المشاعر فلم تأخذها إلا بطرف يسير ، لا تفتأ فيه أن تنقلب إلى ما كانت عليه متى أثيرت فى النفوس تلك الغرائز التى تحيا فى قاعها ، وتعمل على إحياء السيرة التى كان عليها الإنسان فى أول عهده بالحياة ، فكانت هناك بقية مما يتصل بالروح بعيدة عما هى لصيقة بالمادة ، وفى هذه الشقة يضيع التوازن ويحل الاضطراب

واليوم ، وبعد أن قامت الحرب على قدم وساق وما تزل قائمة تتردد فى أسماعنا أصوات أولئك الذين أشعلوها وما زالوا يمدونها بالوقود ؛ وهى تحمل نغمات الوعد بإحلال السلام بعد إنهاء الحرب وإحراز النصر ؛ ولكن فاتهم أن السلام شىء غير مجرد الكلام وأن نزع السلاح لا يضع خيراً ولا يرفع شراً ، وأن أصل الداء فيما نحن عليه من عقائد وأفكار وأخلاق تحدث خروقاً كثيرة فى مدنيتنا الحديثة

لقد أردنا من المدنية أن تقينا شرور الطبيعة وأن نجد على راحتها الشفاء من كل داء ، ولكن فاتنا أن المدنية التى لا تقدر على حماية نفسها من الدمار لا يمكن أن تصون غيرها مما يخشى الوقوع فيه . وما دامت المدنية لم تكن فى وضع تقوى فيه على رد كل يد ، تخرج عليها مما حولها ومما عندها ، فإن الإنسان ولا ريب غير بالغ ما يريد الوصول إليه من إملاء الحياة بالحياة وطبع الأيام على حد السلام

إن للمدنية يداً دخلت المواد كلها ، ولكنها صنعت فيما صنعت تلك القلاع الطائرة التى تحمل الموت الزؤام ، وتلك البروج المتحركة التى ترمى بشرر كالقصر ، ومن ورائها ضروب من الوسائل التى تنشر الموت والخراب ، ونحن بعد ذلك أولو مدنية وفى تطور إلى الأمام !

أنا لا أنكر أن للمدنية فضلاً سابغاً على بعض المرافق وفى بعض الجهات ، ولكنه فضل غير جامع وغير مانع لما يظهر من نقص وافتقار . لقد أعطتنا المدنية الحديثة متعة جديدة بما ابتكرته من وسائل الترفيه وفنون المسرات ، ولكنها لم تنقص من أطراف ما يدخل الناس من هموم وأحزان ، وإنما زادتها أضعافاً مضاعفة ، وكانت الحياة سلوة أبنائها ، لا يشترون لذائذها إلا بأزهد الأثمان ، فعادت وقطوفها مرفوعة وممنوعة إلا عمن أعطى المال غير صاغر وكان من أهل الثراء

يمكن أن يقال : إن المدنية لم تبلغ بعد شأوها ، وإنها ما زالت دون المدى الذى تسمى إليه ، ولكنها ولا ريب قد بلغت فى مختلف مراحلها حداً لم يعد جديراً بها ألا تحسب لأرواح الملايين من الناس أى حساب ، وأن تقيم قوة الحديد والنار فى موضع التفاهم وتبادل الآراء ، دون أن يمنع التقاتل ما أعدته الطبيعة من حواجز أقامتها بفعل الأجيال ، ثم انطلقت قوى الخراب واليباب تفعل فعلها فى البر والبحر وعلى متون الهواء ، واستحر القتل فاخترقت خطوط الدفاع وتناول الدمار كل مرفق من المرافق . تلك ظاهرة ولا كالظواهر : تبعث فى نفسى فكرة الانتقاض على هذه المدنية التى لم تستخدم فى شىء بأكثر مما استخدمت فى إهلاك النسل والحرث . ولست أشك فى أن المدنية الحديثة ذات جروح دامية ، وأن داءها فى نفسها ، وأنها الآن يعز عليها الأساة

« بغداد »

حسين الظريفى
المحامى

من مذكرات قاضي شرعي

١ - من التعليم إلى القضاء

للأستاذ علي الطنطاوي

يسألني كثير من الإخوان، كيف وجدت القضاء؟ إني وجدت القضاء راحة جسم وتعب بال، وعلو منزلة وقلة مال، واكتساب علم وازدياد أعداء، وحملاً كبيراً نسأل الله السلامة من سوء عاقبته:

أما أنه (راحة جسم) فذلك أني كنت في التعليم أتكلم ولا أسمع، فصرت الآن أسمع أكثر مما أتكلم. وكنت لا أقدر على السكوت لأني إن سكت تكلم العفاريت (أعني التلاميذ)، حتى أنه ربما أصابني أحياناً أذى في حلقي فجعلني أغص بالماء الزلال، وأشرق بالريق، وأجد للكلمة الواحدة انطلق بها مثل حزة السكين ثم لا أستطيع الصمت دقيقة لئلا يفلت من يدي طرف السلكة فينفرط العقد ويبطل النظام. وكنت أدخل الصف (الفصل) وأخرج منه خمس مرات أو ستاً في اليوم ولا أقعد على كرسي لئلا يرى الشيطان مني غفلة فيعطس في مناخر التلاميذ فيحدثوا في الفصل حدثاً، ويا ما أكثر أحداثهم! وأيسرها ضجة كضجة حمام انقطع ماؤه كما يقول الشاميون في أمثالهم العامية. ثم إذا خرجت من الصف لأستريح راحة ما بين الدرسين (الحصتين) لحقني طائفة من الطلاب يسألونني فأقف لهم حتى ينفخ إسرافيل المدرسة في صوره فيحشر الطلاب والمدرسون إلى نار العمل. فأصل آخر النهار بأوله وأنا قائم على أمشاط رجليّ ولساني لا يكف عن الدوران في فمي... فغدوت الآن ولا عمل لي إلا القعود على كرسي القضاء أقول الكلمة بعد الكلمة وأسمع سيلاً من الكلام مما له موضع أو ليس له مكان، وإلا كتابة القرارات (أي السجلات في عرف الفقهاء)، وقد كفاني الكاتب (أحمدَ) الله فعاله كل ما سوى ذلك من الأعمال، وما ينغص عليّ هذه الراحة إلا خشية ثقل اللسان من كثرة الصمت فلا ينطلق بعد كما كان ينطلق، وإن كان ذلك نعمة ترجى، وإن كان لساني هو مصدر أذاي ومن الخير لي أن يثقل أو يكل.

أما (تعب البال) فلأني أحمل على عاتقي حقوق الناس، وأحكم في الأعراض وهي (لعمر أهل المروءة) أثمن من المال وأغلى، فإذا قمت أو قعدت لم أزل مفكراً في هذه القضية وتلك الدعوى، لا لصعوبة فيها أو تعقيد، فطريق القانون واضح لمن كان أكبر همه ظاهر القانون، وكان دينه عبادة حروفه، بل لأنفذ من خلال الفكر إلى مقصد القوانين وهو إقامة العدل. فأنا أفكر لأعرف المحق من المبطل، وأنضو عن المتقاضيين ثياب التصنع والرياء لتبدو حقائقهم عارية، وما ذلك بالأمر اليسير ولا المطلب الهيّن، وإذا كنت قد وصلت مرة بالفراسة في لحظة خاطفة إلى ما لا يوصل إليه بمرافعة شهود فذلك من فضل الله، بيد أنه لا يدوم، ولا بد من الرجوع إلى الحكم بالشهادات التي قد يعلم القاضي أنها شهادات الزور، وأن الشهود فساق لا عدالة لهم ولا تقبل من مثلهم شهادة، وكانت القرائن تقطع بكذبها — والقرائن والأمارات من أسباب الحكم — كما بيّن ذلك ابن قيم المدرسة الجوزية[1] في كتابه الجليل أعلام الموقعين، ولكن لا سبيل لنا إلى الأخذ بها إلا أن تنظر وزارة العدل في دمشق في الاقتراح الذي رفعته إليها في هذا الموضوع وتتخذه أساساً لإصلاح شامل يخلص الناس من شهود الزور الذين صارت لهم جماعات ومراتب وأجور مستمرة ودخل فيهم من يعتقد الناظر إليه أنه من الأولياء، ويجده مباحثه من العلماء، وهذا شر استطار شرره، وعم الأنام خبره، وشملهم ضرره — فكيف يهدأ بال من يغلب على ظنه أو هو يعلم فساد البيّنة ثم يضطر إلى الحكم بها؟

هذا وقد نجاني الله بما ركب في طبعي من الحدة في الخلق والشدة في الحق من منغصات القضاء، من الوساطات والالتماسات والهدايا والرشوات والولائم والدعوات، وسلمني من ذلك كله أني لا أعرف في الحق لطفاً ولا مجاملة ولا خجلاً ولا فرقاً وأرجو دوام ذلك.

أما (علو المنزلة) فلأن لاسم القاضي دون الحاكم الذي وإن علت رتبته وزادت وظيفته، له في الأسماع رنة إكبار، وفي القلوب صورة إعظام، وله هيبة وله جلال، خلع ذلك المجد عليه أولئك الأبطال نجوم فلك العدل، ودراريه الماديات، أفذاذ الدهر وأبكار الزمان، الذين يحق لنا أن نفاخر بهم أمم الإنس والجن، وأن نجمل قضاءنا بهم أول ما نعقد عليه الخناصر إذا عددنا المفاخر، وما زال قضاء كل أمة أول مفاخرها، قضاتنا

---

(١) الجوزية بجوار دار آل العظم في البذورية بدمشق وقد جددت بناءها جمعية الأسعاف الخيري ومدرسة ابن القيم التي كان يجرى فيها هي كما أظن التي في منحدر الخيضرية (الخضيرية) بدمشق . وقبره في السنانية بدمشق معروف رحمه الله.

الأولون شريح وإياس وشريك وأبو يوسف والعز بن عبد السلام ومنذر بن سعيد ومن أذكر الآن ومن لا أذكر ممن يقصر عنه العد ، ويضيق الحصر .

ولو لا أني عامل على تأليف محاضرة وافية بهذا الغرض ولا يجمل بي إذاعتها بالنشر قبل نشرها بالتلاوة لأفضت في هذا الموضوع إفاضة من وجد مجال القول واسعاً ، والمقول جديداً مسعفاً ، والسامع مصغياً متشوقاً متلهفاً — لذلك يعظم الناس اسم القاضي ، لأنهم يذكرون به هؤلاء وأمثالهم ، وعهداً رحم الله ذلك العهد ، كان فيه القاضي قاضياً في كل خصومة بشرع الله ، حاكماً بما أنزل . لم يكن المسلمون يهجرون فيه جواهرهم ولآلئهم لخزيفات يستجدونها من أيد أشحة بها لأنها لا تملك غيرها ، ولا يدعون شرع أحكم الحاكمين لشرع بشر من ماء وطين ، وكان من مشاغل علمائهم البحث في الحسن والقبح هل هما شرعيان أو عقليان وكثر في ذلك الكلام ، فلما صرنا إلى هذه الأيام ذهب ذلك الخصام وحل مكانه الوئام . واصطلح أهل عصرنا من الناشئة والشبان على أن الحسن ما حسنه (أولئك ...) والقبح ما قبحوه ، وارتضينا كلنا هذه النتيجة التي انتهينا إليها ، وصممنا الوقوف عليها ، وسكن الجدال فلا قيل ولا قال ، وكفى الله (المؤمنين) القتال ، والحمد لله على (كل) حال

وأما (قلة المال) فلأن أجر القاضي الشرعي في بلادنا أي مرتبه قليل قليل ، وهو أدنى من سائر الحكام المدنيين ؛ مع أنه يشترط فيه إجازة (ليسانس) الحقوق ، والفوز في الامتحان الملكي ، وسبق الاشتغال مدة في المحاماة ... وهذا حديث له مكان آخر .

وأما (اكتساب العلم) فهو النعمة المفردة بين نقم القضاء المتعددة ، اللهم بعد نعمة الثواب إذا كان الله يكتبه لمقصر مثلي لا يستحقه بعمله ولم تصف له نيته ولم يتجرد بعد عن حب الشهرة والجاه ، وإن ضعفت رغبته فيهما وهانا عليه — إن المطالعة هي نعمة هذه المحنة في المهنة ، ولقد كنت أطالع دائماً وأنا معلم ، بل إني لا أعرف أنه مر علي يوم واحد منذ عقلت إلى اليوم لم أقرأ فيه شيئاً ، غير أني استفدت من القضاء الأنس بكتب الفقه والاستمتاع بها مثل استمتاعي بكتب الأدب أو قريباً منه . وعندي مجموعة منها صالحة إذا أنا استمررت على النظر فيها رجوت أن أكون يوماً من الأيام من أوعية هذا العلم . ذلك لأني أداب على القراءة ولا يمنعني من السؤال عما لا أعرف حياء ولا كبر ؛ ولأن لي بحمد الله ذاكرة لا تمسك النصوص بحروفها ولا الأرقام ولا الأبيات ، غير أنها في حفظ المسائل ومواطن وجودها من العجائب . وما أعهد أني نسيت مسألة قرأتها أو سمعتها ، وما أعهد أني تعرفت بإنسان وحفظت اسمه إلا بعد المخالطة الشديدة الزمن الأطول ، ثم إني أنسى اسمه إذا فارقته مع أني لا أنسى الوجه ولو رأيته مرة واحدة ، ولا أعرف تعليل هذا الأمر

وأما (ازدياد أعداء) القاضي العادل القائم بإحقاق الحق ، والموظف النزيه المستقيم ، فشيء مشاهد مسلم به لا يحتاج إلى بيان . وإذا كان قد روى عن أبي ذر أنه قال (كلمة الحق ما تركت لي صاحباً) وذلك على عهد الصحابة وفي أفضل القرون ، فما بالك بعصرنا ؟ وماذا يقول القاضي وما قضية تعرض عليه إلا وفيها اثنان يقضي لأحدهما على الآخر ، فمن قضى عليه جعله عدواً له ماعدا النادر الأندر من الناس الذي يرضى بالحق ولو كان على نفسه . وأكبر المصيبة أنه قد يكون المبطل المقضي عليه ، أو الشفيع المردودة شفاعته كبيراً في قومه ، وجيهاً في بلده ، فإذا ألزمته ما يلزمه شرعاً أثار عليك الشعب والحكومة ، وافترى عليك الفرى ، وأساء فيك رأى رؤسائك فآذوك وضروك وأخروا ترفيعك . والمعروف عند أولي الأمر أن الموظف الصالح هو الذي لا يسخط عليه أحداً ولا يثير مشكلة ، ولا يكون ذلك لقاض عادل وموظف نزيه ، وإنما يكون لمنافق في جيبه ألف وجه في كل وجه مائة لسان ، يقابل كلا بالوجه الذي يحبه ، ويخاطبه باللسان الذي يرضيه

وخلاصة القول أن القضاء (حمل ثقيل) وهم طويل ، ولو أن الله أغناني عنه وكتب لي أن أعيش بقلمي ومؤلفاتي ، أو لو أني رزقت مرتبة أهل الورع لما أقدمت عليه ولآثرت التعليم فهو أسلم ، ولكني وقعت والله لا يكلف نفساً إلا وسعها . وإن وسعي وغاية جهدي العزم الصحيح وبالله التوفيق على أن لا أحكم في قضية مما لم أعرف حكم الشرع فيها على مقدار طاقتي فأسير عليه ، وأن لا أتعمد الزيغ والظلم تعمداً ، ولا أنوي الميل مع أحد الخصمين ، وأن لا تأخذني في الحق رغبة صديق ولا رهبة ذي سلطان . أما الخطأ فلا أملك دفعه إلا بالانتباه ، أما الجهل فلا أقدر معه إلا على التعلم والسؤال

هذا وقد فسروا حديث القاضي والقاضيين أن القاضيين اللذين في النار هما قاض يقضي بالجور وقاض يقضي بالجهل . ونحن نسأل الله لنا ولكل محب للحق أن يوفقنا إلى اتباع الحق ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ويرزقنا العمل بما علمنا ويزيدنا علماً .

(النبك — سورية) **علي الطنطاوي**

نظام الصدقات فى الاسلام

للسيد على حسين الوردى

إن علم المالية العامة علم حديث ، ولم يعر الناس التفاتهم إليه إلا فى هذه العصور الأخيرة وذلك بعد أن تطورت الحكومات الحديثة وتشعبت وظائفها وانتشرت فى الناس مبادئ الديمقراطية

لقد كانت الشعوب – فيما مضى – لا يعنون بمالية الحكومة من حيث وارداتها أو مصروفاتها إذ كانوا يعتبرونها مما يخص الملك ومن يلوذ به من الوزراء والعمال . . . وكانت الحكومات القديمة بدورها لا تهتم إلا بتوفير المال لخزينة الملك مستعملة فى ذلك كل ما تستطيع من وسائل مشروعة أو غير مشروعة . فلم تكن – كالحكومات الحديثة – توجه قسطاً كبيراً من عنايتها إلى العدل فى فرض الضريبة ، وفى توزيع عبئها توزيعاً مناسباً بين طبقات الأمة ، وإلى إنفاق الواردات العامة فيما ينفع الناس ويزيد الرفاه فى المجتمع(١)

وقد كان الملك – الذى كانت الحكومة القديمة ممثّلة فى شخصه – يتبع فى إدارة ماليته العامة النظام الفردى إذ كان يعتبر المال المجموع ملكاً خاصاً له يتصرّف به كما يشاء ولذا كان يسعى جهده لجباية أكبر كمية ممكنة من المال ، وصرف أقل ما يمكن منها ، ثم توفير المقادير المتبقّية استعداداً للطوارئ أو إشباعاً لرغباته الشخصية التى كان لها إذ ذاك المقام الأكبر فى إعداد الميزانية العامة . ولقد كان بعض الملوك يصرفون جزءاً مما يجمعون فى الأعمال والمشروعات العامة ، ولكنهم ما كانوا يعتبرون ذلك حقاً واجباً عليهم إنما هو فضل على الناس ومنة يتفضلون بها عليهم .

ولم تكن الضرائب المباشرة معروفة حينذاك ، فكانت الحكومة تعتمد غالباً على الجزية من القبائل المغلوبة أو على أملاك الدولة ومناجمها أو على ضرائب المكس والغرامات والمصادرة . . .

وقد لجأ الأثينيون والرومان أخيراً إلى الضرائب المباشرة وقت الحرب فقط . وإن عبقرية الرومان الإدارية قد أدت بهم إلى ابتكار نظام بديع فى جباية الضرائب ، ولكن هذا النظام لم يكن يعنى بشىء من التوزيع العادل فى فرض الضرائب إنما كان موجهاً نحو الكفاءة فى جبايتها فقط(٢)

هذه صورة مختصرة وددنا أن نظهر بها للقارئ حالة الأمم قبيل ظهور الإسلام ، من ناحية المالية العامة لكى تتضح له الخطوة الجبارة التى خطتها الدولة الإسلامية فى هذا السبيل ، ولكى يدرك أيضاً أهمية تلك الخطوة فى إرشاد الناس إلى جلالة هذا الموضوع وفى توجيه العالم نحو هذا الوضع الذى تتمتع به الأمم الحديثة اليوم فى تنظيم ميزانياتها على أساس العدل والنفعة العامة

إننا نجد – للمرة الأولى فى التاريخ – وذلك على عهد الإسلام تلك العناية الكبرى التى توجه نحو أموال الأمة فى جبايتها وصرفها وفى اعتبارها أنها لا تخص فرداً معيناً ، إنما هى أموال الأمة جميعاً ويجب أن تنفق على مصالحها الحيوية بكل دقة

ولاحاجة بنا أن نذكر هنا ما كان الخلفاء يلزمون أنفسهم به – فى العناية بأموال الأمة – من شدة وتقشف . وإن ما يرويه التاريخ عن عمر بن الخطاب أو على بن أبى طالب أو غيرهما لدليل كاف على عظم تلك الخطوة التى خطاها المجتمع على عهد الإسلام فى سبيل التمدن الحقيقى

لسنا نود التوسع فى هذه الناحية فهى أوضح من أن تحتاج إلى توسع ، ولكننا نريد أن نبحث فى ناحية أخرى من هذا الموضوع ، وهى ناحية العدل فى توزيع عبء الضريبة على الأفراد إذ هى فى الحقيقة من أعظم النواحى شأناً فى علم المالية العامة

إن من الهيّن – نسبة – أن تُعد للضرائب إدارة كفؤة تستطيع بها أن تجهز للأمة ما تحتاج إليه من مال فى سبيل مصالحها العامة ، ولكن الصعوبة كل الصعوبة هى فى فرض الضريبة العادلة التى تنتج خير ما يمكن من الآثار الاجتماعية والاقتصادية . حقاً لقد شغلت هذه النقطة أقلام الباحثين فى هذا الزمن أكثر مما شغلتهم أية ناحية أخرى من هذا العلم الواسع .

لقد كان الرأى السائد منذ آدم سميث أن الفرد يجب أن يؤدى إلى الحكومة مبلغاً يتناسب مع جسامة موارده الخاصة .

يظهر أن فى هـذا الرأى شيئاً من الحق ، إذ من العدل أن يساهم الفرد فى مالية الدولة بالنسبة إلى أرباحه أو ثروته التى يتمتع بها فى ظل تلك الدولة(١)

ولكن قد يعترضنا فى ذلك رأى له وجاهته : فهل يجوز أن يؤخذ من أولى المكاسب الضئيلة عشر ما يكسبون مثلاً ، ويؤخذ

---

(١) Lutz, Public Finance (٢) Lutz, Public Finance

(١) Adam Smith, Weatth of Nations.

العشر كذلك من أولئك الأغنياء والموسرين الذين تأتيهم الأموال سيولاً كل حين ... أفى هذا عدل ؟

وهل إن وطأة الضريبة التى يشعر بها أولئك الكاسبون الضعفاء تساوى أو تقارب ذلك الأثر الذي يكاد لا يحس به الأغنياء عند إعطاء عشر ما يحصلون عليه سنوياً من الأموال الطائلة ...

اختلف الكتاب حول هذه النقطة الحساسة ، ولا يزال حتى الآن ناشباً بعض النشوب ، بيد أن معظم الكتاب المحدثين قد أجمعوا أخيراً على أن من العدل ألا تكون نسبة الضريبة متساوية على جميع الأفراد ، وهى ينبغى أن ترتفع شيئاً فشيئاً كلما زادت أرباح الفرد أو ثروته مائة بعد مائة ، وهذا هو ما نجده اليوم مطبقاً فى أغلب الأمم الراقية . وقد وصلت النسبة فى بعض الدول إلى ٨٪

وإذا رجعنا إلى النظام الذى كان متبعاً على عهد الإسلام ، نرى أن المشرع الإسلامى قد فطن إلى هذه النقطة ، ونجد أن الدولة الإسلامية قد سارت حسب تلك الطريقة :

يحدثنا أبو يوسف عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كتاباً فى الصدقة فقرنه بوصيته ولم يخرجه حتى مات ، فعمل به أبو بكر ثم عمر من بعده ، فكان فيه : فى كل أربعين شاة شاة واحدة حتى تصل إلى مائة وعشرين ، فإذا زادت فشاتان عن كل أربعين حتى تصل إلى مائتين ، فإذا زادت فثلاث شياه حتى ثلاثمائة ، فإذا زادت ففى كل مائة شاة شاة[1] ... »

هذا مثل واحد نورده للقارئ يتضح له فيه أن هذا النوع من الضرائب قد طبّق فى الإسلام قبل ما يناهز الثلاثة عشر قرناً من تطبيقه أخيراً فى الأمم الحديثة.

ويجدر بنا أن نذكر أن النسبة المتصاعدة هذه فى فرض الضريبة لم تستعمل إلا حديثاً جداً ، وذلك تحت ضغط المبادئ الديمقراطية والاشتراكية التى تغلغلت أخيراً فى صميم المجتمع

ولا تعجب — أيها القارئ — إذا علمت أن من كان يقول بها قبل جيل أو جيلين كان يعتبر من الشيوعيين أو الفوضويين وكان يتهم بأشنع التهم وأبشعها

(١) كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٨ ـ ٣٤

أجل ، ولا يزال بعض الكتاب المشهورين حتى اليوم يؤمنون بوجوب تشجيع الإنتاج والجهود المربحة حيث ينبغى ألا يصادر قسم كبير من الأرباح بهذا النوع من الضرائب[1] . هذا ولكن الرأى الغالب اليوم والذى يحتمل أن يسود العالم غداً يؤيد تلك الضريبة ذات النسبة المتصاعدة ، ويرى من الإنصاف أن تكون الوطأة التى يشعر بها دافعو الضريبة متساوية فى الثقل لدى الجميع ، أغنياء وفقراء ، فكلما كان المشرع حريصاً على العدل فى توزيع الضريبة ، كانت النسبة ذات تصاعد أعظم .

ولا يعزب عن البال أن من أهم الضرائب الحديثة هو التقليل من ذلك الفرق الشاسع فى توزيع الثروة بين الناس ، حيث يموت البعض جوعاً بينما يلعب الآخرون بالمال لعباً

قد لا نخطئ الحق إذا قلنا إن المشرع الإسلامى كان يرمى إلى نفس الأهداف التى يرمى إليها اليوم المشرعون فى هذا الموضوع . ولعلنا لا نغالى إذا قلنا إنه قد فاقهم فى بعض النواحى

حقاً إن الدولة الإسلامية كانت أول دولة فى التاريخ سنت نظاماً فى الضرائب ابتغت فيه العدل وتوزيع الثروة العامة على أساس المساواة

ثم ينبغى ألا ننسى بأن معظم الضرائب كانت — فى ذلك العهد — ضرائب مباشرة حيث لا يخفى ما لهذا من الأهمية فى تاريخ الضرائب . لقد كانت الضرائب المباشرة لم تفرض فى الأمم القديمة — كما قلنا آنفاً — إلا نادراً وذلك عند الحرب إذ لم يكن الإدراك السياسى قد وصل إلى تلك الدرجة التى يستسيغون بها فرض الضرائب مباشرة

والضرائب المباشرة بلا ريب هى المرحلة التى توصل إليها المجتمع فى تطوره السياسى والاجتماعى

وهناك نواح أخرى فى ضرائب الإسلام تتجه فى مراميها إلى نفس الهدف الذى ذكرناه آنفاً ألا وهو العدل ، وذلك مثل عدم استثناء النبلاء والطبقات الأرستقراطية من الضريبة ، وهو ما كان شائعاً فى العالم حتى القرون الأخيرة ، ومثل التفريق فى نسبة الضريبة على إنتاج المكابدة وإنتاج اليسر ... الخ . وعسانا نستطيع أن نوفى ذلك حقه فى فرصة أخرى

(بيروت ـ الجامعة الأمريكية) علي حسين الوردي

(١) Bastable, Public Finance

من غزل الملوك

قصيدة للسلطان سليم فاتح مصر

للأستاذ عبد الله مخلص

وقع في الكلمة التي نشرتموها في (العدد ٤٠٨) من (الرسالة) بعنوان «من غزل الملوك» بعض أغلاط مطبعية مثل «أن الرشيد أغار على أبيات ابن الحكم الأموى»؛ وصوابها «أن ابن الحكم الأموى أغار على أبيات الرشيد». كما أن عجز البيت الأول من أبيات المعز لدين الله الفاطمي: (تلك المحاجر «بالمحاجر») صوابه: (تلك المحاجر «بالمعاجر»)

ورأيت بهذه المناسبة أن أبعث إليكم بقصيدة السلطان «سليم» التي اقتصرت على ذكر بيت واحد منها في تلك الصفحة، وهو ما كنت اطلعت عليه في المصادر التركية في ترجمة السلطان المشار إليه. أما القصيدة كلها، فقد عثرت عليها في مخطوط اقتنيته أخيراً اسمه «بستان العارفين ونزهة الناظرين» جمع الحاج أحمد بن حسن الشامي، ويقول: إنه شرع فيه وأتمه في جامع السفاحية بحلب المحمية في سنة ١٠٤١ هـ:

البدر أشرق بالجمال عليهِ
والسلسبيل يسيل من شفتيه
والغصن نال اللين من عطفيه
قمر يصول ولا وصول إليه   جرح الفؤاد بصارمىْ لحظيْه

وأحلّ في وسط الفؤاد مقامهُ
نشق المحبّ من الوشام خزامه
وافى بوصلٍ والجمال أمامه
ما قام معتدلاً يهزّ قوامه   إلّا تهتّكت الستور عليهِ

يمشى بعجبٍ في غلائل سندس
ألوانها كبنفسجٍ في نرجس
كأسى نديمى والمدامة مؤنسى
يا طيب ليلتنا ونحن بمجلس   نهض الحبيب لنا على قدميهِ

شقّ القلوب بورده وشقيقهِ
ونما على عشاقه بعقيقه
وهما على كاساته برحيقه
يسقى المدامة من سلافة ريقه   ويخصّنا بالسحر من عينيهِ

نلنا المسرّة ساعة بجوارهِ
وقد ارتقينا للهنـا في داره
وأعمّنا من خمرة بعقاره
عيناه نرجسنا وآس عذاره   ريحاننا والورد من خدّيهِ

الخال من مسكٍ يفوح بندّهِ
يسطو علىّ بجزره وبمدّهِ
سعد السعود وفى إلىّ بسعده
كتب المهيمن في صحيفة خدّهِ   لاماً وعقرب فوقها صدغيهِ

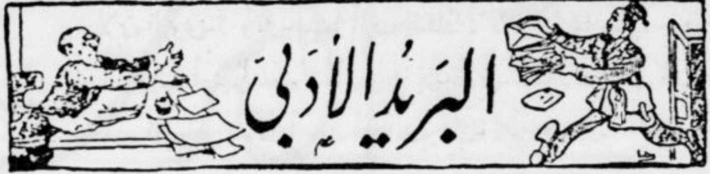
جن الظلام على الضيا فتبسّماَ
والمسك في زهر الرياض تنسّماَ
نمّ العذار بخدّه فتحكّما
ما الشَّعر نمّ بعارضيه وإنما   أصداغه جارت على خدّيهِ

لمّا أتى بمجافنٍ من جندهِ
فأردت رشف رحيقه من شهدهِ
دبّ العذار على صحيفة خدّهِ
يا شَعر في بصرى ولا في خدّهِ   إنى أغار من النسيم عليهِ

ملكٌ يجور على الملوك بظلمهِ
لم يخشَ من جور الزمان وجرمه
ناديتُ من فرط الهيام وغمّهِ
عجبى لسلطانٍ يعمّ بحكمه   ويجور سلطان الغرام عليهِ

إنى بأوصاف المحبّة عائذٌ
وبباب من أهواه شخصى لائذٌ
جيش المحبّة في فؤادى واقذٌ
والناس تحت يدى وحكمى نافذٌ   وأنا وكلّ الناس طوع يديهِ

الطرف منّى في محبّته عمِى
والدمع يجرى في خدودى عندمِ
وعروس مكّة والحطيم وزمزمِ
لولا الإلهُ وحرّ نار جهنّمٍ   لعبدته وسجدت بين يديهِ!



أجوبة عن أسئلة

وجه إليّ الأديب محمد محمد مالك فى العدد ٤٦٠ من الرسالة أسئلة تتعلق بالأمراض العصبية والأمراض النفسية نجيب عنها فيما يلى :

١ — الأمراض العصبية Nervous Diseases :

أمراض ناتجة من التهاب أو انحلال الأعصاب أو النخاع الشوكى أو مراكز المخ الحركية والإحساسية والحاسية والتوازنية ويتمخض عنها أنواع مختلفة من الشلل أو إحساسات غريبة أو حركات اختلاجية أو اهتزازية أو تشنجات فى العضلات أو اضطراب فى الحواس أو اختلال فى التحكم فى قضاء الحاجة أو فقدان التوازن ، أو تشكيلة من بعض هذه الأعراض

٢ — الأمراض النفسية Neuroses أو Psychoneuroses

أمراض تتمخض عن أعراض متولدة من عقد دفينة فى العقل الباطن . وكثيراً ما يقلد المريض بها أعراض الأمراض العصبية من غير قصد

وأهم الأمراض النفسية القلق العصبى (أو بالأحرى القلق النفسانى) والهستريا والوسواس والخور النفسانى (النورستانيا) والهجس بالمرض hypochondria

٣ — الأمراض العقلية Psychoses

أمراض تتولد من انحلال خلايا القشرة المخية والألياف المرتبطة بها خصوصاً فى مناطق المخ الصامتة silant areas

وليس من الضرورى أن يكون المريض بأعصابه عليل النفسية ولكن قد تنجم من الأمراض العصبية عقد نفسية مثل عقدة الضعة Inferiorty complex

وهناك أمراض تحدث أعراضاً عصبية وعقلية معاً كالشلل الجنونى العام الناتج من الزهرى فقد يصاب المريض به بهواجس العظمة أو سواها مصحوبة أو متبوعة بشلل فى عضلات الجسم واهتزازات فى الأعضاء واللسان الخ ...

٤ — القلق النفسانى :

هو الخوف من شئ مجهول للمريض ويعرفه فرويد بكونه خوفاً من خطر غريزى، وقد ينتج مثلاً من وجود عقدة الخصى castration complx فى العقل الباطن . وهذه العقدة وليدة تهديد الأم لطفلها باستئصال أعضائه الجنسية بسبب عبثه بها

على أن أى حادث مخيف يعرض للانسان قد يتسبب عنه القلق فى المستقبل باختفاء ذكرى الحادث فى العقل الباطن وبقاء القلق متسلطاً علي العقل الواعى . ويعزو المريض قلقه عادة إلى أسباب لا تمت إلى السبب الأصلى بصلة

٥ — الإجرام :

يعتبر المجرم مريض النفس أو مريض العقل . وقد سبق أن أرسلت إلى مجلة الرسالة الغراء بحثاً فى هذا الشأن

٦ — شيطان الشاعر :

يرى يونج أن العقل الباطن سجل لاختبارات البشر الأزلية؛ فالسحر والشياطين والجن والأصنام والأديان والآلهة والمرأة والرجل إلى غير ذلك ممثلة جميعها فى العقل الباطن فيما يسميه النماذج القديمة archetiypes . وعندما تزود هذه النماذج بطاقات عقلية كبيرة يعبر الشاعر عنها تعبيراً تتفاوت درجة غموضه أو وضوحه حسب قوة الرقيب censor وحين يتناولها العقل الواعى بالصقل والتهذيب تصبح منسجمة ومنطقية فى الظاهر

وتمثل الرموز التى يلجأ إليها الشعراء للتعبير عن أغراضهم لغة الرجل البدائى الكائن فى سريرتنا

وليس شيطان الشاعر سوى عقله الباطن ، أو بالأحرى ما يسميه يونج « اللاوعى الشامل » collective unconscious

وتبدو قوة هذا الشيطان الهائلة عندما يستحوذ على عقل الشاعر الواعى شئ من الذهول . وهنا تكون المقطوعات الشعرية شبيهة بالأحلام

٧ — الوراثة :

يرث الإنسان بعض صفات والديه وأجداده العقلية والجسمانية فى شكل ظاهر والبعض الآخر فى شكل كامن ، وهذا هو السبب فى كون بعض مختلى الأعصاب والمجرمين ينجبون ذرية صالحة جسمانياً وعقلياً ، ولكن هذه الذرية ورثت اختلال الأعصاب والإجرام فى شكل كامن بدليل أن هذه الصفات الكامنة قد تصبح ظاهرة فى أبنائهم وأحفادهم

محمد حسنى ولاية

جواب

أشكر للأستاذ (عبد الفتاح اسماعيل — بفرشوط) تحيته وحسن استقباله للرسالات وأجيبه عما سأل فأقول :

« أعم الرجل وأخول » يرويان بالبناء للفاعل والمفعول فهو مُعِم مَخوِل بالكسر والفتح أى كثير الأعمام أو كريمهم ،

وقد روى بالكسر قول حسان « قبر ابن مارية المعِم المخول »

وروى بالفتح قول امرئ القيس « بجيد معَم فى العشيرة مخوَل »

وفى بعض ما يروى عن اللغويين هنا اضطراب ، والمعتمد ما ذكرنا

المدنى

قد يحتاج المرسل الى قيد

أرسل الزميل الفاضل الأستاذ الشيخ محمد محمد المدنى كلمة عن اختلاف الأزهريين وبواعثه التى ليست للحق ولله — دائماً — وقد كان موفقاً فيما عرض له فى إيجاز وتهكم ، إلا أنه استكثر من ضرب المثل للذين أوذوا بسبب تفرق رأى الأزهر فيهم فجانبه الصواب فى بعضها . لقد قال : « والزيات ، وطه حسين ، والعقاد ، وشلتوت ، والزنكلونى ، ومبارك وهيكل ، وغيرهم قد ذاقوا من ذلك ما ذاقوا »

أعتقد أن من هؤلاء السادة — الذين أجلّهم جميعاً — من سمت به عظمته ونبل مقصده وجميل توجيهه ، عن أن يكون فى أمره خلاف بين الأزهريين أو غيرهم . ومنهم من أجمعوا على جلالة منزلته فى العلم والبحث ، وعرفان حظه من الإخلاص والعاطفة الدينية . ومنهم أخيراً من قعدت به منزلته المحدودة من أن يكون موضع حديث الأزهريين عامة ، بله اختلافهم . والأمر أوضح من أن يكون فى حاجة إلى تمثيل أو تعليل !

محمد يوسف موسى

حول العقاد وابن الرومى

تكشّف تعقيبُ الأستاذ عباس محمود العقاد على اعتراضى الذى وجهته إلى حضرته على صفحات (الرسالة) الغراء عن ثغرة نفذت منها إلى حاجتى التى قضيتُها بردّه الكريم علىّ ...

أما ما يستأهل التعقيب ويدعو إليه ، فهو ما تفتح عنه ردّه من ظاهرتين خطيرتين : الأولى ما اقتضته الأمانة الأدبية التى فى عنقى من أن أصحح نسبة البيتين اللذين قلت عنهما : إنهما لابن الرومى ؛ وقال عنهما أدب العقاد : لا أراهما مما يعاب سواء نسبا إليه أو إلى غيره . فأقول : إن هذين البيتين من نظم كاتب هذه السطور ، وقد أردت أن أختبر بهما ذكاء العقاد

والظاهرة الثانية هى ما نضحت عنه معانى هذين البيتين من جنون الفكرة ، وطلاء التعبير اللذين عزّب فهمهما على فطنة أديبنا الكبير . فمن هم بنو النضر ؟ ومن أولئك الألفاف الرضّع على التحديد ؟

(ابو درويش)

(الرسالة) : ذلك عبث كنا نحب للكاتب وهو من رجال التعليم فيما نظن أن يتكرم عنه احتراماً للرجل الذى يكتب إليه ، وللقارئ الذى يكتب له ، وللمجلة التى يكتب فيها ، وللأدب الذى يعلمه

كم ذا ؟

... ضمنى وبعض الأصدقاء مجلس ، وتناشدنا أطراف الحديث ، فجرى على اللسان قول حافظ :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى   فى حب مصر كثيرة العشاق

وهنالك تضاربت الأقوال فى « كم ذا » ، وهل يجوز ذلك فى لغة العربية ؟ فقال قوم كما جاز فى ما ومن الاستفهاميتين . كأنما يقيسون ، وقد قال الآمدى وغيره — من علماء الأصول — إن اللغة لا تثبت بالقياس.... وقال آخرون : إن ذلك غير معهود فى الفصيح الصحيح من كلام العرب ... وهكذا أخذنا نقيمها إلى جهة ، أو نتلمس لها شاهداً ، فلم نجد إلا ما قال المتنبى : « وكم ذا بمصر من المضحكات » ، على أنها فى كثير من طبعات ديوانه وماذا . . . وأخيراً آثرنا أن نطرح هذا الإشكال ـ إن صح أن يكون ـ على قراء (الرسالة) الغراء علّنا نجد عندهم شفاء الغليل .

ابراهيم على أبو الخشب

جريدة الإصلاح فى عامها السادس

دخلت زميلتنا الإصلاح الأسبوعية فى عامها السادس مسددة الخطى مؤيدة العزيمة ، وستصدر فى خلال هذا الشهر بهذه المناسبة عدداً خاصاً محلى بصور أبناء الدقهلية البارزين من الأدباء والشعراء والفنانين لتكون أداة التعريف بينهم . وقد انضم إلى تحرير هذه الجريدة الرشيدة بعض كبار الأدباء ليساعدوها على تأدية رسالتها فى الأدب والإصلاح .

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين

8me Année No. 463

Lundi - 18-5 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ عن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٦٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ — الموافق ١٨ مايو سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

احتكار الأدب

للأستاذ عباس محمود العقاد

نشرت « الرسالة » في عدد مضى كلمة موجهة إلي نعيد نشرها هنا للتعقيب عليها وهي :

« كثير من الأدباء يتهمون إخوانهم بالأنانية وحب النفس ، فأدباء الشيوخ الذين يحتكرون ميدان الأدب لا يبذلون أي جهد في تسديد خطى الشباب الناشئ ، ولا أعرف السبب الذي يمنع أديباً مثل الأستاذ العقاد من تأليف كتاب عن الشعراء الناشئين الذين يدل شعرهم على نبوغ وعبقرية مثلما فعل الشاعر الإنجليزي المعروف و . ب يتس الذي كتب عن روبرت بردج ، وولتر دي لمار ، وهيلار بلوك ، وليونيل جونسون ، وأرنست دوسون ، في مؤلفه كتاب اكسفورد للشعر الحديث

فشيوخ الأدب في أوربا لثقتهم بأنفسهم وحبهم لفنهم وإخلاصهم له يسددون خطى الأدباء الناشئين ويشيدون بذكر الموهوب منهم . فما رأي الأستاذ العقاد في هذا الموضوع ؟ ... الخ الخ » .

كمال الدين نشأت

***

وفي هذه الكلمة الموجزة كثير من الخطأ الذي يشيع بين بعض المتأدبين الناشئين ولا ينفرد به صاحب السؤال وحده ، كما لاح لي من بعض الرسائل والأحاديث ، أو مما تكتبه الصحف

فى هذا المعنى، وهو خطأ يحتاج إلى تصحيح؛ ونعتقد أن تصحيحه هو أنفع وجوه التسديد التى ينشدها صاحب الخطاب

فمن الخطأ «أولا» أن يشايعهم صاحب السؤال على دعواهم أن أدباء الشيوخ يحتكرون ميدان الأدب لأنهم يظهرون من حين إلى حين بمقال فى صحيفة أو بكتاب جديد يؤلفونه أو يجمعون فيه ما سبق لهم نشره من المقالات

فلا معابة على الأدباء الشيوخ أن يصنعوا ذلك، بل المعابة ألا يصنعوه وهو واجبهم المفروض عليهم. وقد يعاب عليهم مع ذلك أنهم قليلو الإنتاج بالقياس إلى ما ينبغى لهم أو ينتظر منهم. وإنما يعذرهم أناس لأن جمهور قراء الأدب عندنا لا يقبلون على المؤلفات إقبالا يغرى الكاتب فى أسباب المثابرة ومتابعة التأليف، ويلومهم أناس لأنهم يجهلون العقبات التى تحول دون الانقطاع للكتابة الأدبية فى بلادنا الشرقية

فالمفروض على أدباء الشيوخ خاصة أن يزيدوا إنتاجهم لا أن ينقصوه؛ ولو أريد من الأديب أن يؤلف فى سن المراهقة والابتداء، ثم ينقطع عن التأليف بعد النضج والاكتمال، لكان هذا بدعة أخرى من بدع انقلاب الأحوال التى حقت على المتخلفين من شعوب الشرق أجمعين

وإذا كان الغرض هو الكتابة فى الصحف دون التأليف والتصنيف فليس بصحيح أن شيوخ الأدب يحتكرون الكتابة الصحفية أدبية كانت أو غير أدبية بأى معنى من معانى الاحتكار. بل ربما اقترنت بكل مقالة يكتبها أديب مشهور خمس مقالات أو ست أو سبع يكتبها أدباء ناشئون أو غير مشهورين، وتكفى مراجعة قليلة للصحافة اليومية والأسبوعية والشهرية لتصحيح الخطأ فى هذا الباب

أما أن أدباء الشيوخ لا يبذلون جهداً فى تسديد خطى الكتاب الناشئين فما هو هذا الجهد المطلوب؟ وعلى من التبعة إن صح أنه دون الكفاية؟

أى جهد يسدد الخطى إن لم يسددها التدريس للطلاب أو الكتابة لمن يقرأ ويستفيد؟

أما التسديد بالمحادثة والمناقشة فما هو الجهد الذى يطلب فيه من أدباء الشيوخ؟ ولماذا نعرض هنا على الأديب الشيخ أن يجتهد ليبحث عمن يسدد خطاهم ولا يفرض على الناشئ أن يجتهد ليبحث عمن يسدد خطاه إذا اتسع له الوقت وساعفته شواغل الحياة؟

إن الكتاب الذى أشار إليه صاحب الخطاب لا يصلح للتمثيل به فى هذا الصدد من أى ناحية من نواحيه. فهو كتاب يشمل الشعر منذ خمسين سنة ولا ينحصر فى شعر هذه الأيام؛ وهو كتاب نُدب الشاعر (يتس) لتأليفه ولم يفرغ لتأليفه ولا كان فى وسعه أن يفرغ له لو لم ينتدب لهذه المهمة معفى من تكاليفها ونفقاتها التى يعجز عنها. وهو بعد هذا وذاك كتاب يشتمل على أسماء أناس لا يعدون من الناشئين سواء من ذكرهم صاحب الخطاب أو لم يذكرهم فى خطابه. فروبرت بردج مات قبل تأليف الكتاب وعمره ست وثمانون سنة، وروبرت بروك — إن كان هو المقصود دون روبرت بردج - مات فى الثامنة والعشرين وليست له فى الكتاب غير قطعة واحدة. وولتر دى لمار كان يدلف إلى السبعين عند ظهور الكتاب، وقد بلغها هلير بلوك فى ذلك الحين. وليونل جونسون قد توفى قبل ظهور الكتاب بنحو أربعين سنة وهو فى الخامسة والثلاثين، وأرنست دوسون توفى فى نهاية القرن الماضى وهو فى الثالثة والثلاثين

فليس بين هؤلاء شاعر واحد يعد بين الناشئين، ولم يكن يتس مسدداً لخطاهم لأنهم بين صامد على قدميه مستقل عن الأساتذة والمرشدين، ومفارق للحياة فى ريعان الفتوة أو بعد مقاربة الشيخوخة

وليست المسألة هنا مسألة ثقة بنفس أو حب لفن كما اعتقد صاحب الخطاب، بل هى مسألة تاريخ محدود قد طلبت ملاحظته فى الاختيار، وأعفى يتس فيه من أعباء المجازفة والانتظار

وفيما عدا هذه الحالة لا نذكر حالة أخرى فرغ فيها شاعر أوربى كبير للتأليف فى الغرض الذى يقترحه صاحب الخطاب على أدباء الشيوخ المصريين

وللأدباء الشيوخ العذر كل العذر بين المصريين أو بين الأوربيين إذا اختاروا للتأليف أغراضاً غير هذا الغرض الذى تنعكس به أوضاع الأمور. فإن الرجل الذى بلغ الخمسين وجاوزها يحق له أن يقصر مطالعته على المفيد المحقق الفائدة ليثابر على واجبه وعلى الانتفاع بمقروءاته. فليس فى وسعه أن يقرأ ست ساعات أو سبع ساعات كل يوم كما كان يفعل فى بواكير الشباب. وليس فى وسعه إذا اقتصر على ساعتين أو ثلاث أن ينفقها فى البحث

عمن يجربون الكتابة أو يشرعون فى تجربتها ليقرأ مائة مقال أو مائة كتاب عسى أن يظفر بينها بشىء يستحق التنويه ، ويستغنى عن التنويه لا محالة إذا كان له من القيمة والجودة ما يكفل له البقاء.

إنما يتيسر التشجيع للأديب الشيخ فى عمل واحد وهو عمل الصحافة الأدبية حين يتولى الإشراف عليها . فهو يقرأ ما يرد إليه من الشعر والنثر ويعنى بتنقيحه وتقديمه ونشره ولفت الأنظار إليه ، وهذا ما كنا نصنعه فى الصحف التى أشرفنا على أبوابها الأدبية ، ولو كلفنا الجهد الجهد فى القراءة والتصحيح والتنقيح.

أما الرجل الذى تشغله الحياة بمطالبها ويشغله الأدب بمطالبه بين قراءة وكتابة ، فتسديده مقصور على من يتصلون به وعلى ما هو مستطيعه . وليس مما يستطيع أن يترك كتاباً يؤلفه جهبذ من جهابذة الفن والحكمة ويضمن نفعه ومتعته ليقرأ خمسين كتاباً لا يضمن نفعها عسى أن يعثر بينها على شىء مرجو النتيجة بعد تكرار التجربة مرات

هذا ضياع للوقت وضياع للجهد وضياع للأدب ، وعبث تستغنى عنه الكفاءة المرجوة ولا نفع فيه لمن خلا من الكفاءة ، وعنمه مع هذا كله أنه غير مستطاع

على أن الأمر خطير جد الخطر من إحدى نواحيه التى يدل عليها ، وهى ناحية الروح التى ينم عليها شيوع هذه الأمانى والتعلات بين طائفة ولو قليلة من الناشئين

فإنها روح تدل على إعفاء النفس من كل واجب ، وإلقاء التبعة على كل كاهل ، ونسيان كل حق غير حق الأنانية بغير عناء ولا مقابل

يبدأ الناشئ بالكتابة اليوم ويريد أن يشتهر غداً بمقال واحد أو قصيد واحد ولا نقول بكتاب واحد . فإن لم يشتهر فليس اللوم عليه وعلى طمعه فيما لا يكون ولا ينفع الأدب والناس لو كان ... كلا ، بل اللوم على المشهورين الذين كان ينبغى أن يستأصلوا شهرتهم وأن يكفوا عن الكتابة وأن يفرغوا جهودهم وجهود قرائهم لشهرته هو دون غيره من الشيوخ والكهول والناشئين ، وإلا كانوا محتكرين للأدب الذى يحق له هو أن يحتكره ولا يحق ذلك لأحد من العالمين !

وهؤلاء الأدباء المشهورون « الشيوخ » ما لزومهم فى هذه الدنيا ؟ ما لزوم تجاربهم الماضية ودراساتهم الطويلة وجهودهم المضنية وحياتهم التى يعيشون فيها أبداً بين الأذى والإنكار والكنود ؟

هل لهم لزوم فى نفع أنفسهم ونفع قرائهم ونفع الأدب بالاطلاع على المفيد المضمون ؟

كلا . ليس لهذا كله لزوم ... ! وإنما هم لازمون لشىء واحد وهو شهرة من يريد الشهرة العاجلة على شريطة أن يشتهر وحده ولا يشتهر واحد من أنداده فى السن والقدرة ! !

وهل لهؤلاء الأدباء الشيوخ حق ؟ هل لهم فضل يجب الاعتراف به على أحد ؟

معاذ الله ... من أين لإنسان غضب الله عليه فنشأ فى الدنيا أديباً شرقياً أن يطمع فى حق أو فى اعتراف ؟

إنما عليه أن يقرأه القارئ الناشئ عشر سنين وعشرين سنة ولا يقول له مرة واحدة أحسنت واستحققت من الكرامة والثناء ؛ ولكنه هو عليه أن يقف على باب كل مطبعة ليتلقف منها كل كتاب ألفه كل شاب فى العشرين فلا ينام ليلته قبل أن ينفخ كل بوق ليقول ما يحلو للمؤلف من ثناء وتنويه . فإن لم يفعل فيا للاحتكار ، ويا للأنانية ، ويا للغدر والكفران بالحقوق !

تعس الشرق إن كانت هذه روح الجد فى شباب يتولى قيادته الفكرية بعد جيل . ومن رحمة الله بالشرق ألا تسرى هذه الروح فى غير القليل من المتواكلين

وتجربتى أنا فى هذا الميدان قد يعرفها المتعقب لتاريخ الكتابة الحديثة بغير بحث طويل

فما لجأت قط إلى أديب مشهور لأنكئ إلى شهرته وأستفيد من ثنائه ، وما استبحت قط فى كتاب من كتبى التى أطبعها أن أذيع كلمات التقريظ التى يخصنى بها الكبراء ومنهم زعيم مصر « سعد زغلول »

هذه تجربتى مع من تقدمونى وسبقونى إلى ميدان الكتابة والشهرة . أما الذين لحقوا بى فإذا استثنيت أفراداً جد قليلين من صحبى — وإن شئت فقل تلاميذى — فلا حق لى

> **أعداد الرسالة الخاصة**
>
> فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

عندهم ولهم عندى جميع الحقوق .

قرأونى عشر سنين فما نبسوا بكلمة تقدير واحدة ، وتعرضوا للكتابة أياماً فاعتقدوا أننى قصرت غاية التقصير لأننى لم أفرغ نهارى وليلى للثناء عليهم والتبشير بدعوتهم ، ووجب إذن أن أفعل ما يريدون وإلا ...

وهنا العثرة كما يقول شكسبير !

وإلا ماذا ؟ إننى رجل لو جاءنى أحد فقال لى عش ألف سنة سعيداً وإلا . . . لأوشكت أن أجيبه بالرفض بعد هذا الاشتراط قبل إتمامه

فإذا جاءتنى شرذمة من خشاش الأرض لا يعرفون لى حقاً ويفرضون علىّ أن أنتحل لهم كل حق مصدوق أو مكذوب والاحطمونى وهدمونى وذروا ترابى فى الهواء ، فماذا ينتظرون منى ؟ ولماذا يغضبون إذا تركتهم يهدموننى ؟ ألِأنهم لم يستطيعوا هدمي ؟ أ كان من الاحتكار أيضاً أننى لم أُنهدم كما أرادوا فعرفوا أنهم عاجزون وأنهم هازلون ؟

إن حق التشجيع فى معاملة الناشئين مقرون بحق الأدب والتوقير فى معاملة الشيوخ والكهول

بل حق الأدب والتوقير مقدم بحكم السبق فى الزمان ، لأن الشيوخ والكهول كتبوا قبل الناشئين ، وبحكم الحق لأن الأديب الناشئ يستفيد حين يقرأ سابقيه وليس الأديب الكهل أو الشيخ على ثقة من الفائدة إذ يقرأ للناشئين ، وبحكم الاستطاعة لأن القارئ الناشئ قد استطاع أن يقرأ فعلاً ما هو مطالب بتقديره وليس لأحد أن يفرض استطاعة الكهل أو الشيخ أن يقرأ كل ما يكتبه الدارجون فى طريق الكتابة

ولكنهم هنا يطلبون التشجيع ويعفون أنفسهم من واجب التوقير ... ويهددون !

ومن طلب ذلك فما هو بأهل للتشجيع

ومن قبل ذلك فما هو بأهل للتوقير

أما الذين يعرفون الحقوق ثم لا يحتكرونها كلها لأنفسهم فليس عندهم من سبب لاتهام المشهورين أو غير المشهورين بالاحتكار ، ولا يلومون أحداً على الاشتهار لأنهم هم يتعجلون الاشتهار

عباس محمود العقاد

مراسلات . . .

ليت أشياخى !

ليت أشياخنا بالأزهر شهدوا الحفل العظيم الذى دعا إليه معالى وزير العدل فى قاعة الجمعية الجغرافية ليسمعوا — كما سمع الوزراء والمستشارون والقضاة والمحامون وغيرهم — محاضرة الدكتور عبد الرازق السنهورى بك عن « مشروع تنقيح القانون المدنى »

ليتهم شهدوا هذا الحفل ليشهدوا منافع لهم ، وليعلموا أن رجلين اثنين أخلصا لعملهما ، وأخلص كل منهما لصاحبه ، سهرا الليالى واستعذبا العذاب حتى أخرجا هذا المشروع الخطير !

ليتهم سمعوا هذا المحاضر اللبق يقول فى عبارات واضحة قوية : « إن الفقه الإسلامي لجدير بأن يكون أهم مصدر من مصادر التشريع الحديث ، وإن على أهله لواجباً أن يخلّصوه مما علق به من آثار الجمود والركود ، وأن يقربوا للناس سبل الانتفاع به . وإن المشروع المقترح بكل ما فيه من مبادئ وأحكام ، إما مستمد من هذا الفقه فعلاً ، وإما مستمد من غيره ، ولكنه لا يتعارض مع روح الشريعة السمحة »

ليت الذين ملأوا الدنيا دعاء ونداء بالتشريع الإسلامى قد سمعوا هذا المحاضر ، ثم سمعوا وزير العدل من بعده ، وهما يوجهان الدعوة عالية إلى رجال الفقه والقانون لينظروا هذا المشروع ، ويدرسوا ما فيه من مبادئ وأحكام قبل أن يعرض على « البرلمان »

ليت الأزهر ، ليت كلية الشريعة ، ليت « الجماعة » !

ليت ... ! وهل ينفع شيئاً ليت ؟

أيها الأشياخ المكرَّمون ! واحدة من اثنتين : إما أن تكونوا دُعيتم فلم تحضروا ، وإما أن تكونوا نُسيتم فلم تُذكروا ! وأيتهما كانت فهل أنتم متداركون ما فات ؟ هيهات ! هيهات !

محمد محمد المدنى

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

وإن عدتم عدنا — جوائز وزير المعارف —
في سبيل الوحدة العربية — بين القومية والانسانية

وإن عدتم عدنا

لعل القراء لاحظوا أني انصرفت عن مجادلة من يتعرضون لمقالاتي بالنقد والتجريح في بعض الجرائد والمجلات . ولعل فيهم من توهم أني تعبت من النضال فاعتصمت بالصمت البليغ !

والواقع أني أسكت طائعاً عن بعض المجادلين ، لأني أومن بأن من حقهم أن يثوروا على آراء دفعتُهم إلى مُحرجاتها برفق أو بعنف ، وما يجوز لي أن أتعقب ناقداً بما لا يرضيه ، مع أن قلمي هو السبب في إثارته إلى الجدال والصيال

ولهذا المعنى سكتُّ عن كلمة جارحة نشرتها مجلة الثقافة « عملاً بحرية النشر » كما قالت ، وهي كلمة « منسوبة » إلى إحدى أديبات فلسطين ، وفيها شفاء لبعض الصدور المراض

ولهذا المعنى أيضاً سكتُّ عن كلمة تطاولَ بها أحد محرري « الثقافة » الغراء ، لأمنحه فرصة يقول فيها عني ما يريد

ولكن « الثقافة » فيها كاتبٌ اسمه « قاف » وقد أراد هذا الكاتب متفضلاً أن يشغل نفسه بالقصائد التي تنشرها « الرسالة » باسم « الشاعر المجهول » . وما يؤذيني أن تُنقَد القصائد التي تُنشر في « الرسالة » ، لأن مجلة الرسالة لا تنشر من الشعر إلا ما يثير لنفاسته أقلام الناقدين

إن « قاف الثقافة » توهَّم أن « الشاعر المجهول » هو « الكاتب المعروف » وساق عبارة دلَّ بها قراءه على أنه يَعني الدكتور زكي مبارك

أهلاً وسهلاً !

ولكن هل يعرف « قاف الثقافة » أني سأسوق إليه كلاماً يزلزل « جبل قاف » ؟

إن قاف الثقافة بعيد كل البعد عن الذوق الأدبي ، وهو لم يتوار في أحد بسفوح « قاف » إلا لينجو بنفسه من الرجفات التي تزلزل قمم الجبال

ومَن ذلك القاف ؟ وما صبرُ مجلة الثقافة عليه وقد زعمت أن عندها علماء من كل صنف ؟ أيكون آخر ما عندها من الأصناف ؟

إن درس اليوم هو الفَيْصل في معضلات النقد الأدبي ، وسيعرف به قاف الثقافة ما لم يكن يعرف ، وسيذكرنا بالخير الجزيل إن كان من الصادقين

وإلى قراء الرسالة أحتكم ، وفيهم ألوف من رجال الأدب والبيان ... قال الشاعر المجهول :

أبحتُك من قلبي نفائس عَطفه
وحرَّرتُ فيك المال من رِبقة الضَّنِّ
وقلتُ مثالٌ من جمالٍ أصونهُ فيسلم من إفك الزمان ويستغني
فلم تَر صدري من سهامك في حمى ولم تَرجيني من نصالك في أمن
وعشتُ يريني الحبُّ أنك حافظٌ
عهودي وأن الخُلد بعض الذي أبني
فلما رأيتَ الوجدَ يغتال مهجتي
وأيقنتَ أني من غرامك في سجن
مضيتَ إلى غيري جهاراً وخنتني
فمن أيِّ وحلٍ صِيغ طبعُك خبِّرني

تلك هي القطعة التي اعترض عليها قاف الثقافة ، وقد اخترمها اختراماً ليخفي عن قرائه مقام البلاغة في الكلمة التي ثار عليها عقله الحصيف

فما تلك الكلمة ؟ هي كلمة « وحل » فقد رآها كلمة قبيحة لا يجوز ورودها في قصيدة من قصائد التشبيب !

وأقول إن كلمة « وحل » هي أبلغ كلمة في هذا المقام ، ولا يستطيع « قاف » أن يأتي بكلمة أقوى منها

وكلمة « وحل » وردت في قول مسلم بن الوليد :

مشينا بها مَشْيَ المقيَّد في الوحلِ

فعدَّها القدماء أبلغ كلمة في هذا السياق

وقبل ذلك وردت في قول الأعشى

تدِبُّ كمَشْي القطاة القطو ف في وَحَل النَّهي تخشى رقيبا

وأقبح من كلمة « وحل » كلمة « مستنقع » وقد عُدَّت أبلغ كلمة في قول شوقي وهو يذكر ما أنعم به السلطان على الضفادع :

وزاد أنْ جاد لمستنقعِ

وقبل ذلك وردت فى قول أبى تمام

فأثبت فى مستنقع الموت رِجلهُ

فماذا نصنع فى تثقيف قاف الثقافة ، وهو لا يعرف الأبجدية من البلاغة العربية ؟

لو كان هذا القاف يعرف أسرار البلاغة لأدرك أن الكلمات تأخذ قوّتها وبلاغتها من السياق ، وأن الكلمة القبيحة قد تصبح وهى نهاية فى الجمال إذا أوجبها مقتضى الحال

ولكن هذا المتأدب حديث العهد بالدراسات الأدبية ، فهو محجوب عن سرائر الألفاظ والمعانى

هو رجلٌ رقيق تؤذيه الأخيلة الجافية ، لأنه من أبناء القرن العشرين ، فإن لم يكن كذلك فهل يستطيع أن يناقش هذه الأحكام القاسية ؟

يا قاف « الثقافة » الغراء :

إذا لم تستطع شيئاً فدَعهُ وجاوِزهُ إلى ما تستطيعُ

وإلا فهل تملك من القدرة ما تجاربنى به فى ميدان النقد الأدبى ؟

إرجعْ إلى كلمتك فى مجلة الثقافة ثم اسأل نفسك ، فإن فعلت فسترى أنك وقعت فى غلطة ذوقية لا يقع فيها إلا من كان فى مثل حالك

ولى أن أوجّه إليك هذا السؤال :

كانت مجلة الثقافة تتقى شرّى فتسكت عما أصوّب إليها من مؤاخذات فكيف استباحت فى الأشهر الأخيرة أن تناوشنى أربع مرات بلا موجب يفرضه الحرص على خدمة الأدب أو الحق ؟

كانت مجلة الثقافة أعلنت على لسان أحد مراسليها أننى كنت البادئْ بالعدوان فى جميع الأحيان

فما عذرها وقد هاجتنى أربع مرات بعد أن رُفع بينى وبينها غصن الزيتون ؟

جوائز وزير المعارف

منذ أيام أقيمت حفلة فى مكتب وزير المعارف لتوزيع الجوائز على الفائزين فى مسابقة الأدب العربى ، وهى جوائز تفضّل بها معالى الأستاذ نجيب الهلالى بك ، أما الجوائز الرسمية ، فسيظفر بها أولئك الطلبة بعد الفوز فى امتحانات القسم الخاص

والظاهر أن بعض المسؤولين فى وزارة المعارف قد نظر فيما سيلقَى أمام الوزير من خُطب وقصائد ، فكانت النتيجة أنْ سَلمتْ الحفلة من جميع العيوب ، وأن جاءت شاهداً جديداً على أن الإيجاز من فنون البيان

وقد رأيت أن تكون لى كلمة فى تلك الحفلة بعد أن لاحظت أن كبير مفتشى اللغة العربية ومراقب الامتحانات سكتا فى خطبتيهما عمن أعان الفائزين إعانة حقيقية حين شرح لهم موضوعات المسابقة فى « بعض » المجلات

وعند ذلك قال معالى الهلالى بك : « الحِـدق يفهم » ؛ وهى كلمة لم يسمعها جيدًا مندوب جريدة (الدستور) ، فصاغها من عندياته بأسلوب غير مقبول

والمطالبة بجائزة لمن شرح موضوعات المسابقة الأدبية على صفحات (الرسالة) ليست جديدة ، فقد طالبتُ بها الوزير السابق ، فوعَد ثم صُرِفَ عن الوفاء

أفلا يكون من حق ذلك الباحث أن ينتظر من الوزير الجديد جائزة سنية تشجعه على شرح الموضوعات الآتية لمسابقة العام المقبل ؟

لمعالى الوزير أن يختار أحد أمرين : الأمر الأول أن يعدّ معاونة الطلبة على الفوز فى المسابقات واجباً على جميع المفتشين ؛ والأمر الثانى أن يرى تلك المعاونة تطوعاً يؤديه أهل الحرص الشريف على فوز التلاميذ

وفى كِلا الحالين يكون الباحث الذى تفرّد بشرح موضوعات المسابقة الأدبية فى عامين متواليين أهلاً للتفرد بالثناء

فما رأى معاليه فى هذا الكلام ؟

ومتى تفكر وزارة المعارف فى تقدير أتعاب الباحثين ؟

فى سبيل الوحدة العربية

كنت أتأهب للرد على كلمة نشرت فى إحدى المجلات تعريضاً بالدكتور عبد الوهاب عزام ، وكان ألقى خطبة فى كلية الآداب دعا فيها إلى الاعتزاز بالقومية العربية . وللدكتور عزام حقوق : لأنه من أفاضل الباحثين المصريين ، ولأنه على جانب عظيم من الأمانة والصدق ، ولأن اتهامه بالغرض إثمٌ دميم

ثم فوجئت بخبر يشرح الصدر وهو اعتزام « الرسالة » إصدار أعداد خاصة بالأقطار العربية ، للتنويه بتلك البلاد ، وللتعريف بما عند أهلها من فضائل وآداب

وإذا استطاع أخونا الزيات أن يفى بما وعد ، وعلى الوجه الذى يريد ، فلن يكون عمله الصالح إلا أداء لديون طُوِّق بها جِيد مصر فى مناسبات مختلفات ، فقد أشرت فى مقالاتى غير مرة إلى الأعداد الخاصة بمصر فى مجلات العراق وسورية ولبنان ، ودعوتُ إلى أن نجزى أولئك الإخوان وفاء بوفاء

ولكن هناك صعوبات تعترض هذا المشروع الجليل ، وأخطر الصعوبات هو ضعف الإحاطة بخصائص تلك البلاد . ولتوضيح هذا المعنى أقول :

سيبدأ الأستاذ الزيات بإصدار عدد خاص بالعراق ، لأنه أقام فيه ثلاث سنين ، ولن يجد صعوبة فى تمثُّل ما فيه من مواهب ومطامح وآمال ، ولأنه سيجد من إخوانه فى القاهرة وبغداد من يساعده على إصدار ذلك العدد الخاص

فما الذى سيصنع حين يتأهب لإصدار أعداد خاصة بالأقطار المغربية واليمنية والحجازية والسورية واللبنانية ؟

أنا بمشيئة الله حاضر لمساعدته على العدد الخاص بلبنان . فسأزوره فى فرصة سعيدة عند اجتماع المؤتمر الطبى العربى فى بيروت ، فمن أنصار الزيات فى غير العراق ولبنان ؟

الخطب أسهل مما نتوهم ، ولكن ... ولكن على شرط أن يهاجر الزيات من المنصورة إلى القاهرة ليستوحى من فيها من العارفين بخصائص الحياة الأدبية والاجتماعية فى تونس والجزائر ومراكش واليمن والحجاز وسورية وفلسطين

إن استطاعت « الرسالة » أن تصدر عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة فستؤدى للأدب الحديث خدمة معدومة النظير والمثيل

ولكن متى تصدر « الرسالة » عدداً خاصًّا بالسودان ؟

السودان جزء من مصر ، ولكن محاسنه محجوبة عن جماهير المصريين ... فهل أستطيع أن أقول لإخوانى فى السودان إن الرسالة ستصدر عدداً خاصاً بالسودان بمناسبة المهرجان الأدبى المقبل ؟

بين القومية والإنسانية

وأرجع إلى تفنيد التهمة التى سيقت ظُلْماً إلى الدكتور عبد الوهاب عزام فأقول :

إن الذين كَبُر عليهم أن ندعو إلى القومية العربية لم يجدوا حجةً تستر غرضهم المعروف غير القول بأن القومية تنافى الإنسانية ، لأنهم فيما يزعمون لأنفسهم دعاة التحرر من الرجعية ، والرجعيةُ فى أنظارهم هى الوقوف عند حدود الوطن واللغة والدين

ونقول إن حجتنا هى الصحيحة ، وإن الأساس لكل إصلاح هو أن تبدأ بنفسك ، والذى يعجز عن إقامة بيت فى القاهرة لا يستطيع إقامة عش فى فيافى اليابان

وقد حدثنا كم ألف مرة أن لمصر قومية عربية توجب عليها أن تنظر بعين الأخوة إلى من يفهم عنها وتفهم عنه ولو كان مسكنه فوق أسوار الصين

وحدثنا كم أيضاً أن مصر لن تصمّ آذانها عمن يدعوها باسم الأخوّة الإسلامية ، ولو كان من سكان المريخ

فيافلانُ الذى قضى رُبع قرن فى تنفير مصر من العواطف العربية والإسلامية باسم الغيرة على الإنسانية ، يافلان مكانك مكانك ، فلن يَقبل الله لك عملاً ، ولن تُحشر فى زمرة المهتدين

وعند الله الجزاء لدعاة البر والخير والإصلاح السليم .

زكى مبارك

السيلو هو السيرة والسير

للأب أنستاس ماري الكرملي

١ — تصدير

زارني ولدي بالروح كوركيس حنّا عوّاد في ١٥/٣/١٩٤٢ وقال لي: «يا أبتِ بينما أنا أتصفح المجلد الـ ٨٧ من المقتطف (ديسنبر ١٩٣٥) ص ٦٣٠ وقع نظري على هذه العبارة وهي: «وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه المخازن [مخازن الطعام] باسم سيلو Silo، وأصل هذه الكلمة بحسب أقوال الغربيين، ويظهر أنها استعملت أولاً في أسبانيا والمغرب الأقصى. فحبذا لو عُنى أحد اللغويين بالبحث عن أصل اشتقاقها. وقد اصطلح على تسميتها في القطر المصري بالصوامع، لأن الفلاح اعتاد أن يطلق اسم صومعة على المخزن المبنى بالطين الذي يحفظ فيه غلاله، وكان الكاتب جلال حسين أول من أطلق عليها هذا الإسم في مقالات له نشرت في المقطم» انتهى.

ثم زاد ولدي على ما تقدم نقله ما هذا إيراده: «ثم تصفحت ماجاء من أجزاء المقتطف في مجلداته التالية إلى هذا اليوم فلم أجد من تعرض لهذا البحث ولم أوفق في عثوري على معرفة الأصل العربي، فهل لك أن تذكر لنا اللفظة المأخوذة منها الكلمة الغربية؟ »».

فقلت له: إني قد بحثت عنها في معجمي الكبير (المساعد[1]) ولكن البحث عنها في هذا البحرِ الخِضَمّ يحتاج إلى وقتٍ،

(١) سمع كثيرون بمعجمي هذا الواسع المتضمن ألفاظاً لا تحصى مستدركة على أصحاب الدواوين العربية الكبرى، والتي لا ترى في القاموس ولا في الأوقيانوس ولا لسان العرب ولا تاج العروس ولا أي معجم كان من تأليف الأقدمين والمحدثين من الناطقين بالضاد وأبناء سائر البلاد. لأنه وعب كلاً من عهد الجاهلية وصدر الاسلام وعهد العباسيين ومصطلحات العلوم والفنون والصنائع، فقد تجيء أسئلة عن ألفاظ غريبة من ديار النيل وربوع الشام وأرجاء فلسطين، ومن شمال أفريقية وأصقاع أميركة المختلفة بل من أقطار استرالية والهند الهولندية فأبعث إليهم بما يشفي علتهم ويروى غلتهم، ويزيل كل شبهة عنهم. وأ كثر ما أدرجه في الصحف والمجلات من عهد بعيد مقتبس من معجمي هذا «المساعد»، ولا يمكنني أن أتولى طبعه لعظمه وسعته

فتى ما سنحت لي الفرصة أُحقق الأمنيّة، وأنقل ما قيدته في دفاتري. واليوم قد ظفرت بهذا الموضوع، فأتى به وأطلع الأدباء عليه بنشره في هذه المجلة.

٢ — أقسام مخازن الطعام

تقسم مخازن الطعام إلى قسمين كبيرين: قسم يتخذ فوق الأرض وقسم يتخذ في السراديب أي تحت الأرض. وليس للغربيين إلا اسم واحد لهذين القسمين وهو (سيلو Silo). أما العرب، فقد سموا باسمين مختلفين هذين المخزنين: فالذي يبنونه أو يتخذونه فوق الأرض يسمونه السيرة أو السِّير، وهو الذي نقل إلى (سيلو الغربية كما سترى) وقسم تحت الأرض وهو المسمى عندهم مطمورة.

٣ — السيرة والسير

قال صاحب كتاب الزردقة[1] في ص١٤٣ — ١٣ وما يليه:

(١) الزردقة لا ترى في معاجنا العربية القديمة ولا الحديثة مع أنها من عصر العباسيين النير الراق. ولما كان أغلب النساخ يجهلون الكلمة ومعناها وأصلها صحفوها منذ أقدم الأزمنة بصور شتى نعرف منها الزردقة (بتقديم الزاى على الراء). والزرطفة (بزاى فراء فطاء ففاء موحدة فهاء). والزرطقة (كالسابقة لكن بجعل الفاء قافاً). قال صاحب المذكرة: الزردقة: هي ضم علم الحيوان إلى علم الفلاحة. وقال أيضاً: رأى النبطي وقسطوس وابن العوام وكثير من الروم: ضم الحيوان إلى كتب الفلاحة. وسموا المجموع (زردقة) حتى اشتغل الأدِم والنطريف وسومارس وأرجانس بافراده انتهى نقله بحروفه

وفي كشف الظنون المطبوع في الآستانة في سنة ١٣١١ في كلامه على (كامل الصناعتين):

«والزرطقة هي عبارة عن تربية الخيل في تعليمها ولوازمها» اه. وفي النسخة المطبوعة في ديار الأفرنج باللغتين العربية واللاتينية: «الزرطفة [أي بالزاى والراء والطاء والفاء والهاء] ولا جرم أنها تصحيف الرزطقة [بتقديم الراء على الزاي يليها طاء فقاف فهاء] إذ الكلمة لاتينية الوضع ووردت مصحفة تصحيفات أخر كما أشرنا إليها قبيل هذا، ومنها أيضاً: زردقة وزرتقة ورزدقة ورشتقة ورشنقة إلى غيرها

فاجتزأنا بذكر ما وقع عليه بصرنا، وكلها لم تذكر في معجم، وكأن المستشرقين لم يعثروا على واحدة منها، مع أن جهوراً منهم عثروا على كشف الظنون وطالعوه من أوله إلى آخره واستشهدوا بأقواله في مواطن لا تحصى

وفي خزانة ديرنا البغدادي كتاب خطي ظفرنا به في سنة ١٩٤٠ م فاقتنيناه وعنوانه «كتاب البيطرة»، وقد نسخ في سنة ١٣١١ للهجرة. وفي آخره كتاب آخر اسمه «مختصر كتاب الزردقة» [كذا].

وفي هذا السفر الجليل نسخة في خزانة دار الآثار القديمة ببغداد وقمها فيها ١٣٤؛ لكن ليس فيها كتاب الزردقة، وقد اقتنتها الدار في السنة التي اقتنينا فيها نسختنا، أي ١٩٤٠ م

اعلم أن (السيرة) بالكسر و (السَّيْر) بالفتح ، أن يكدّس الطعام أو الميرة أكداساً وصُبَرا ، ثم يجمع بينها وتصومع ، ثم تُسَيَّغ فتصمد دفعاً لعادية الأمطار والثلوج عنها وحفظاً لها من كل ضرر ، فإن وضع هـذا الطعام أو هذه الميرة فى حفرة فهى المطمورة » انتهى بنصابه

وقد نقّرنا عن السيرة والسير فى كتب متون اللغة ، وهى عندنا كثيرة لا يرى أمثالها عند كثيرين من أصحاب خزائن كتب أبناء يعرب ولا فى دور أبناء الغرب فلم نظفر بما يفيدنا هذه الفائدة المطلوبة هنا ؛ لكن لما وجه وجيه فى اللغة ، فقد جاء فى كتبنا عن أحد معانيها : السيرة : الميرة[1] . فيكون مجيئها بمعنى مخزن السيرة من باب حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه ، ومنه الآية : واسأل القرية . ومعناه : أهل القرية . وفى الحديث : « وإن مجلس بنى عوف ينظرون إليه أى أهل المجلس على حذف المضاف . وفى الأساس : رأيتهم مجلساً أى جالسين . وعندنا من الشواهد ما يقع فى جزء من أجزاء هذه المجلة لكثرتها وسماعها عن الأئمة الأعلام الأثبات الذين لا يشك فى فصاحتهم ولا فى بلاغتهم ، ولا فى عروبتهم المحضة

(١) وجود السيرة بمعني الميرة ذكره جميع أرباب المعاجم وهو من غريب المعانى . وسبب هذه الغرابة أن ليس للسيرة جميع المشتقات ومعانيها العائدة إلى مادة الميرة ومشتقاتها . فعندنا فى هذه المادة مارفلان عياله يميرهم ميرا جاءهم بطعام ؛ وأمار عياله وامتار لهم المائر اسم فاعل ، والمير مصدر والطعام ، والميرة بالكسر الطعام ، يمتاره الانسان . والميار : جالب الميرة إلى نظائر هذه الاشتقاقات وكلها فى مادة (م ى ر) التى بحث عنها ابن فارس في معجمه البديع « مقاييس اللغة » فقال فيها ما نقله : مير الميم والياء والراء أصل صحيح هو المير ومرت ميراً والميرة الطعام ينقل من بلدة إلى بلدة أخرى. وقالوا ما عنده خير ولامير والمادة تدل على التغذية والطعام انتهى .

فلا جرم أن السيرة بمعنى الميرة لغة من لغاتهم التى تجعل ميم بعض الألفاظ سينا كما قالوا : السقاط والمقاط وهم سفلة الناس . والضرس كالضرم ككتف وهو من يغضب من الجوع . وموج متلاطس ومتلاطم . والسغل والمغل والسرطراط كالمرطراط ، واستقع لونه وامتقع إلى ما لا يحصى ذكره

فلله در ابن فارس كيف توصل إلى حل معنى (م ى ر) وحل كل مادة من مواد اللغة الضادية مع وفرتها الجمة وكشف ما فيها من دقائق المعنى . فقد اتفق تحليله لمادة (م ى ر) مع ماجاء من جنسها فى الفرنسية إذ جعلت (ميمنا) العربية (نونا) فى لغتهم وقالوا Nourrir ومعناها : أطعم وغذى وأعاش وأعالَ . وبالانكليزية to nourich فمادة نشوئها (م و ر) كما لا تخفى على أحد

وأما مادة (س ى ر) فليس فيها إلا (السيرة) بمعنى الميرة وليس فيها مشتقات من أفعال وأسماء تفيد معنى السيرة أو الطعام أو الغذاء من بعيد ولا من قريب

وأما (السَّيْر) بمعنى السيرة والميرة التى وردت فى (الزردقة) فلم نجدها فى كتاب لغة ؛ لكنا وجدنا فى اللسان والتاج وغيرهما (المَيْر) بالفتح بهذا المعنى عينه . وقد رأينا أن (السيرة) بمعنى (الميرة) وردت فى كلام الأقدمين ودواوين اللغة ، فتكون (السَّيْر) للمَيْر من هذا القبيل أى لغة فيها . فتكون (السيلو) من (السير) عن طريق اليونانية ، فقد حكى اللغوى العظيم بوازاق فى معجمه أصول الألفاظ اليونانية ، أن الأغارقة يقولون للسيلو (مخزن الطعام فى ص ٨٦٦ من تصنيفه البديع Siros [بكسر السين] قابلها بـ Seiros [بفتح السين] بمعناها فلم يبق شك فى أنهما مثل (سِيرة) و (سَيْر) بكسر السين فى الأول وبفتحها فى الثانى والمعنى واحد ، ثم نقلها عنهم أهل الغرب جميعاً فقال اللاتين Sirus ونقلها عنهم باللام والإنكليز والفرنسيون والإسبانيون فقالو سيلو أى Silo (باللام)

ولماذا جعلوا اللام فى مكان الراء فلأحد سببين : إما لمقاربة مخرج الراء من اللام فأبدلوا إحداهما بالأخرى ، وإما لأنهم سمعوها من بعض العرب من قديم الزمان باللام . فالذين نطقوا بها منذ القديم بالراء جاوروا عرباً يلفظون راءها على أصلها . والذين نطقوا بها باللام كالفرنسيين والإسبانيين والإنكليز جاوروا عرباً يجعلون الراء لاماً . وهذا ما ورد نظائره فى كلام السلف الصالح القديم فقالوا : هدر الحمام هديراً وهدل هديلاً ، واعرنكس الشعر واعلنكس أى تراكم وكثر أصله . والمرجوم والملجوم، وأربّ فى المكان إرباباً وألب فيه إلباباً : إذا قام به . والشواهد لا تحصى لكثرتها .

الأب أنستاس مارى الكرملى

من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٧ ينايرسنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ١١٥ سنة ١٩٤٢ ضد صابحة هليل العجيبى أرملة بالدلنجات بتغريمها ١٠٠ مائة قرش والنشر على مصاريفها لعرضها للبيع قمحاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٤ ديسمبرسنة ١٩٤١ فى القضية رقم ٢٤٢ سنة ١٩٤١ ضد عبد الحميد على الجمال بياع بعزبة راشد تبع دسونس مركز دمنهور بتغريمه ١٠٠ مائة قرش والنشر على مصاريفه لبيعه كبريتاً وغازا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكم فى القضية المستأنفة رقم ٤٨١٢ سنة ١٩٤١ بتاريخ ٣ مايو سنة ١٩٤١ ضد عبد العزيز عبد السميع بحى سكنه الرويعى بتغريمه جنيه لبيعه مسامير بسعر أزيد من التسعيرة

خسرو وشيرين

فى التصوير الاسلامى

للدكتور محمد مصطفى

— ٥ —

ودّعت شيرين فرهاد بعد أن استرد شعوره ، وتركته ونزلت بجوادها الجبل قاصدة قصر شيرين ، وإذا بالجواد يكبو وتكاد شيرين أن تسقط من فوقه . فأسرع فرهاد إليها ، وقد أراد أن يقوم أمامها بعمل منّ أعمال الرجولة والبطولة ، وحملها هى وجوادها على كتفيه ، ونزل بها ذلك المنحدر الشاق . فعجبت شيرين بقوته الهائلة



(شكل ١)

وفى (شكل ١) تقدم فرهاد لنجدة شيرين ، عندما تعثّر جوادها الأصيل وكادت تزلّ قدمه ، فحملها هى وجوادها على كتفيه ونزل بهما ذلك المنحدر الشاق (١) ، وقد ظهرت على وجهه دلائل السعادة لهذا العمل الذى جلب إلى قلبه الغبطة والسرور . ونرى خلفه اللوحة التى نحتها لتمثيل خسرو وهو واقف

بين شيرين وموبَذ الموبَذان . وهذه الصورة (١) كانت مع عدة صور أخرى ضمن مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر نظامى مؤرخ سنة ٨٦٨ هـ (١٤٦٣م) . ويمكن تاريخ هذه الصور (٢) حوالى سنة ٨٥٤ هـ (١٤٥٠ م) . وهذه الصورة (٣) محفوظة فى مجموعة شستر بيتى بلندن

***

بلغت مسامع خسرو أخبار تطور العلاقات بين شيرين وفرهاد، من عطفها وإشفاقها عليه ، إلى إعجابها به ، فخاف أن تبلغ هذه العلاقات بينهما مدى أبعد من ذلك . أضف إلى ذلك أنه علم أن فرهاد قد قرب من إتمام مشروعه الهائل ، وإنه على وشك الوصول إلى نهاية الطريق الذى يشقه فى صخور جبل بيستون . فجمع خسرو وزراءه وسألهم عن حيلة تعفيه من وعده لفرهاد ، فأشاروا بما أملته عليهم قلوبهم الجامدة القاسية ، التى لا يعرف الحب إليها طريقاً ، والتى ماتت فيها العواطف وتحجرت دماء الشباب . إذ أرسل خسرو إلى فرهاد الشاب المفعم بالحماسة للحياة، امرأة عجوزا قد فرغت من تجاريب الزمان ، أخبرته فى رفق قاتل، وتؤدة خانقة ، أن شيرين قد اختارها الله تعالى إلي جواره (٤) ... يا لله ! ... ماتت شيرين ! ... فيالها من حياة تعسة يائسة ! ... ولكن ... لا ! ... فإن قلوب المحبين خالدة لا تموت ! ... وشعر فرهاد كأن روح شيرين ترفرف عليه، وتدعوه ليصعد إلي جوارها، إلي حياة أخرى خالدة هادئة ... وصعد فرهاد إلى صخرة شاهقة تشرف على ذلك الطريق الذى شقه فى سبيل القرب من حبيبته ... فصار آخر طريق يسلكه ليصل من هذه الدنيا ... دنيا الخبث والشقاء والبؤس ... إلى دنيا الصفاء والأحلام والخلود ... وعلى سطح هذه الصخرة الشاهقة ، سجد فرهاد أمام روح شيرين الطاهرة البريئة ... وقد مثلت أمامه ، فرآها بعينى بصيرته ، وقبّل لها الأرض فى خشوع وخضوع ...

---

(١) توجد عدة صور فى وضع مماثل لهذا . أنظر مثلا : B—W—G, pl. CI و B. M. S. Dimand, A Handbook of Mohammeden Decorative Arts, fig. 1 p. 31.

وللمقارنة أنظر صورة من مخطوط لخسرو وشيرين للشاعر التركى (شيخى) فى: Arnold and Grohmann, The Islamic Book, pl. 94 B.

(١) منقولة عن : Schulz, Taf. 30

(٢) أنظر : B-W-G, p. 68, no 69 و S. P. A., III, p. 1856

(٣) أنظر صورة أخرى من هذه المجموعة فى (العدد ٤٠٨) من (الرسالة) ص ٤٣٦ (شكل ١)

(٤) أنظر صورة لفرهاد وهو يستمع إلى الخبر الكاذب عن موت شيرين فى : Schulz, II, Taf. 57, Abb. 1

ثم قام وقد افترت شفتاه عن ابتسامة الواثق من مآله ، ولاحت على وجهه دلائل الغبطة والسعادة ، وألقى بذلك الجسد الفاني إلى الطريق ، فصعدت روحه الخالدة إلى السماء ، وهى تنظر وراءها ، إلى تلك الابتسامة الباقية على شفتيه ، فترى فيها ما للموت من جمال ... وكيف لا يكون للموت جمال ... ؟ !



(شكل ٢)

وفى (شكل ٢) يرقد فرهاد رقدته الأخيرة ، بعد أن ألقى بنفسه من أعلى الصخرة ، فسقط إلى جوار أدواته التى كان يعمل بها فى نحت الطريق بجبل بيستون . وإلى اليمين أسرع رجل إليه ، وقد عقلت الدهشة لسانه ، فوضع يده على فمه . وانطلقت الغزلان والطيور مبتعدة عن مكان هذه المأساة الموحشة ، كأنها تفر من هول القضاء المحتوم . وهذه الصورة[١] فى مخطوط[٢] للمنظومات الخمس للشاعر خسرو الدهلوى ، كتب فى هرات سنة ٨٩٠ هجرية (١٤٨٥ م) ومحفوظ فى مجموعة شستر بيتى بلندن

أفلحت مكيدة وزراء خسرو ، ومات فرهاد وهو يعتقد أن شيرين قد ماتت ، فأراد أن يلحق بها . وحزنت شيرين على فرهاد حزناً شديداً ، فأمرت ببناء قبة فوق المكان الذى مات فيه ، لتكون رمزاً للحب الطاهر البرىء ، وكعبة يحج إليها كل محب صادق فى حبه

***

(١) منقولة عن : Martin, Les miniatures de Behzad, pl. 13

(٢) راجع ما كتبناه عن هذا المخطوط فى العدد ٤٦٠ من (الرسالة) ص ٤٨١ — ٤٨٢ شكل ٢

لم يكن حزن شيرين لموت فرهاد إلا لإشفاقها عليه وإعجابها به ، فقد كان صادقاً فى حبه ، عفيفاً أبىّ النفس ، وفيًّا كامل الرجولة . وماتت مريم ابنة امبراطور الروم ، وزوجة خسرو وأم ابنه شيرويه . فأرسل خسرو الرسل إلى شيرين يطلب ودّها ، ولكنها رفضت أن تقابلهم ، وأصمت أذنيها دونهم . وحاول شابور ، صديق الطرفين ، أن يوفق بينهما ، فبذل فى هذا السبيل كل ما أوتى من ذكاء وسعة حيلة ، ولكنه لم يفلح . فقد كانت شيرين غضبى لزواج خسرو من مريم ، ولقسوته الشديدة على فرهاد . وأراد خسرو أن يسرى عن نفسه ، فاختار لذلك سيدة جميلة من سيدات البلاط ، اسمها «سكّر» ولكنه سرعان ما سئم صحبتها وتاقت نفسه إلى حبيبته شيرين ، فرحل إلى الهضاب المرتفعة فى طلب الصيد ، وضرب خيامه على مقربة من قصر شيرين . وكانت هى – على مر الأيام – قد بدأت تشعر بالأسف ، لمعاملتها رسله بهذا الجفاء ، فرضيت أن تستقبله فى قصرها . وما كادا يتقابلان فى أول لقاء بعد هذه الحوادث ، حتى ثارت ثائرتها ، وأخذت تعنفه لخيانته وقسوته ، ثم صرفته من بين يديها ، فرجع كسير القلب حزيناً . وعادت شيرين ثانية تشعر بالأسف لجفائها معه ، وأرادت أن تصلح ما أفسدت ، فتسللت من قصرها ، وتوجهت إلى مضرب خيامه فى زى أحد غلمان الملك . وهناك قابلها شابور ، فتوسلت إليه أن يخبئها فى منظرة ، ففعل ذلك . وأغرى خسرو حتى أدب مأدبة فى هذه المنظرة . وكان شابور قد أخبر نيكيسا بوجود شيرين ، فغنّت أثناء المأدبة بصوت رخيم تحركت له أوتار قلب خسرو ، ورد عليها باربد بأغنية أثارت عواطف الجميع ، فلم تتمالك شيرين نفسها دون أن تتنهد ، وتفصح بذلك عن وجودها . وهنا رفع شابور الستار عن مخبئها ، ورآها خسرو أمامه ، وهى ترنو إليه ، ولسانها حالها يقول[١]

لا رأى السوء من يراك يد الدهـ ـر وأحيا الإله من حياكا
أى نور للناظرىّ إذا ما مرّ يوم وناظرى لا يراكا

(له بقية)

محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) عن الشاهنامه ج ٢ ص ٢٣٧

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٦٧٩ سنة ١٩٤١ ضد دردير عباس إبراهيم صاحب مخبز بدمنهور بتغريمه ٢٠٠ قرش وغلق المحل لمدة ٢٤ ساعة والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع خبزاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

محاكمة قصاص

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

هذا حديث كنت شاهده عرضاً ، وكان قد جرى بين صديق لى من القصاصين وبين إحدى الإنجليزيات ، لم أشترك فيه إلا بالسمع فقط وإلا بإشارة عارضة أو نظرة تأييد وموافقة عندما كان يفزع إلىَّ أحد المتحادثين فى غضون الحديث ، فكنت اعتصم بالصمت طوال سيره

وقد بدأ هذا الحديث أول ما بدأ تغلب عليه مسحة من التزمت الذى يقتضيه مثل هذا الموقف ، ثم أخذ يتحدر شيئاً فشيئاً إلى الكثير من اللجاجة وقليل من قسوة اللفظ كنت أرى أنهما غير مصطنعين

وقد سجلت هذا الحديث لأنه يمثل متهماً يدافع عن نفسه فى اتهام لا يمكن أن يبرز فى غير هذا السياق من الأخذ والرد ، ولأنه يمثل مفهوماً للأدب الحديث بين عصرين وحضارتين وجنسين

***

قالت الجليسة لرفيقى بعد تطور الكلام — وكان فى حفلة من الحفلات العامة — الذى بدأ كما يبدأ كل كلام بين غريبين ببعض المجاملات المعروفة :

— علمت أنك تكتب القصص الصغيرة ، فهل كان ذلك منك اختياراً ، أم أنك كنت تقتفي أثر أحد من الأدباء الذين أعجبت بهم ؟

فأجاب صاحبى :

— من المؤكد أنه اختيارى الخاص ؛ وإن كان قصدك بالاقتفاء « التقليد » ، فإن القليل عندنا من أدباء العربية من يكتبون القصص الصغيرة والأقل منهم من يجيدها . وإن كان قصدك اقتفاء سير الأدب الغربى ، فأنت تعلمين أن مثل هذا لا يمكن أن يسمى اقتفاء أو تقليداً ، لأن جميع الأدباء الغربيين تقريباً يكتبون القصص ، بل لعلهم لا يكتبون سواها ، فلا يمكن أن يكون كل واحد مقلداً لكل واحد

— أنا لا أفرق بين الاقتفاء والتقليد ، وإن كنت فى الحقيقة لا أرى فى التقليد العيب الذى ترونه فيه أنتم معشر الشرقيين ، فالحقيقة أن الابتكار نفسه هو تقليد مضاعف

— قد يكون ذلك حقاً ، ولكن رغبة الأديب فى القالب الذى يفضله لأداء رسالته الأدبية لا يمكن أن يبت فيه غيره هو . ولا أظن أن هناك من الأدباء الناجحين من سار على طريق مقترح . والحال في هذا كالحال فى جميع الأشغال والأعمال ، فلا يفرض النجاح لعمل ما إذا كان ذلك العمل غير مرغوب فيه ، وإذا لم يكن الإلهام من المجهول هو السائق الأول له

— لماذا فرضت أن يكون العمل غير مرغوب فيه إذا كان تقليداً ؟ قد تجيد عملاً ما ولا تدرى أنك تجيده حتى يتضح ذلك بمناسبة ما !

— إن ميلى إلى كتابة القصص الصغيرة ليس من هذا النوع ، فإنى لم أكتشفه فى نفسى اكتشافاً ، بل رأيتنى مدفوعاً إليه

— وكيف كنت تشعر عند ما كتبت أول قصة ؟

— لا أذكر أول قصة كتبتها ، ولكنى أذكر أول قصة لى نشرت ، وقد كانت سخيفة !

— لم أكن لأستغرب هذا القول منك ، ولن أستغربه إذا سمعتك بعد عشر سنوات تقول عن قصتك التى نشرت أمس أنها سخيفة ! إن فى كتابة القصص لمجالاً كثيراً للسخف ، والغريب أن أول من ينبه إليه بعد فوات الوقت هم كتابه !

رأيت صاحبى يتقبل هذا الهجم بصبر وأناة ، ويحاول أن يدور بالحديث غير مداره ، ولعلها هى الأخرى أدركت أنها قاسية بعض القسوة فى قولها ذاك فأردفته قائلة :

— كنت أقصد أن أقول هذا على سبيل المدح لكتاب القصة لا على سبيل القدح فيهم ، فالحق أن الاعتراف بالواقع لا يكون أكثر تجلياً مما هو عليه لدى أرباب القصة

فقال صاحبى :

— لعلك صادقة فى قولك هذا . إن « دستويفسكى » مثلاً لم يكن يتسنى له أن يبلغ من الفن تلك الذروة التى بلغها لو لم يكن كما وصفت . وكذلك « ل . هـ . لورنس » — من كتابكم — فهو من عباد الواقع ومن أربابه الذين خدموه

فسألته وتقدمت إلى الأمام قليلاً ، وكأنها تريد أن تدعوه إلى معركة :

— هل تحب « لورنس » ؟

— كثيراً جداً

— وماذا يعجبك فى فنه ؟

— إذا طرحنا بيانه الرائع وقدرته الفنية على الأداء جانباً ، فإنى أعجب ، بالإضافة إلى ذلك ، باتجاهه الأدبى ، ولعلى من الزمرة الذين يسمونه بالنبوة بين كتاب جيله !

— لعلك مغرق فى تحمسك ... إن « لورنس » أديب ولا شك ، ولكنه ليس كما وصفته . إنه أديب منافق ! ولكنى لا أريد أن أجادلك فى موضوع «لورنس» بل أود أن تشرح لى كيف تكتب قصصك

— إن كان قصدك وصف الكتابة ونوع المؤثر الذى يحدونى إليها ، فإنى فى الحقيقة لا أقدم على كتابة قصة قبل أن ينزع بى نازع إلى الكتابة . ولا أظن أن وضعى فى ذلك يختلف كثيراً عن وضع الشاعر عند ما تتكون فيه الرغبة إلى نظم القصيد . وفى أكثر الأحيان أرانى أكتب قبل أن يتكون فى مخيلتى كيان القصة أو عمودها الفقرى كما يصطلحون !

فسألته المحدثة بابتسامة غامزة :

— ألا ترى أنك تخلق من أبطال قصصك مخلوقات مبتسرة ! أليس هذا الإنشاء اعتباطاً ؟

فأجاب صاحبي القصصى وكان قد رفع قدح الشاى إلى فه فأنزله مسرعاً :

— إنى لا أعدو فى ذلك ما تصنعه الطبيعة فى خلق أبنائها ! وأظن أن مهمة الفنان فى هذه الحياة هى أن ينوب عن الطبيعة الأم !

فكأن هذا الجواب أرضاها، فقالت وهى تهز رأسها هزة الموافق:

— ذلك صحيح ... وماذا عن العقدة (Plot) ؟

— هنا موضع الخلاف كما يقولون ، فأنتم فى الغرب تقيمون لها الوزن كل الوزن ؛ أما نحن هنا فقليلاً ما نعنى بها عنايتكم هذه ، وأظن أنك تلاحظين أن آداب الأمم الغربية القريبة إلى الشرق أقل نزوعاً إلى « العقدة » فى قصصها منها فى الأمم الضاربة إلى الغرب . وأقرب مثال إلى ذلك فى نظرى هو الأدب الروسى الذى نستطيع أن نقول : لا عقدة فيه

— ولكن أدبكم على ما أسمع ليس فيه ذلك العمق الموجود فى الأدب الروسى

— ذلك لأن أدبنا لا يزال فى طور التكوين

— وقد كان الأدب الروسى كذلك فى بداية أمره ، ولكنه لم يكن كأدبكم هذا الذى نسمع به ولا نستطيع أن نراه . إن نقدة الأدب عندنا يرون أن أدبكم العربى المعاصر لا يمكن نقله على صورته إلى اللغات الأخرى ، وعلى الأخص منه الشعر ، وليس كذلك الأدب الروسى أو غيره

— قد يكون هناك سبب أساسى وهو أن اللغة العربية عميقة الأداء، وأن بعض تعابيرها قد تجمدت كما يقولون ، ولكن المهم فى نظرى هو سير لغتنا بقوة الاستمرار فقط مدة طويلة من الزمن لا بقوة الحياة كما كان ينبغى لها أن تسير ، ولذلك فإنها تخلفت عما سواها من اللغات فى الأداء ، وعليها أن تجتاز كثيراً من العقبات قبل أن تستعيد ماضيها الحافل

وهنا حدثت فترة فى الحديث واتصل نظر المتحاورين بما يجرى فى القاعة من أخذ ورد ثم عطفت المتحدثة مرة أخرى إلى صاحبي وسألته :

— هل تفضل طريقة غير طريقة القصص فى الأداء والخلق كأديب ، أم أنك قانع بفنك ؟

فأجابها صاحبي بعد فترة وجيزة بتؤدة :

— كنت أتمنى أن أكون شاعراً ولكن ذلك ليس بيدى ، وأظننى لا أعدو الشاعر فى وضعى الآن كقصاص ، ولكنى كما قلت لك لا أفضل على كتابة القصة شيئاً

— ذلك ما ظننت

وبعد برهة وجيزة أخرى رأيت صاحبي ينحاز إليها سائلاً : هل لى أن أستوضح السيدة أمراً ؟

— نعم

— ماذا تفضلين من أنواع الأدب ؟

— القصة

— وهل أنت قصاصة ؟

فابتسمت المحدثة ابتسامة رطيبة وأومأت إليه برأسها :

— لا أكذبك يا صديقى ! إننى أنا أيضاً قصاصة !

ففتحت عينى مستغرباً ، وكذلك كان صاحبي ، فقد جاء جوابها هذا أغرب ما فى الحديث !

عبد الوهاب الأمين

---

٣٣ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

فى النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزى ادورد وليم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

تابع الفصل العاشر — « الخرافات »

لا تكاد القرية المصرية تخلو من ضريح ولى يزوره الكثيرون ولا سيما النساء، فى يوم خاص من الأسبوع. ويحمل بعض النساء إلى هنالك خبزاً للعابرين الفقراء وغيرهم. ويضع بعضهم أيضاً قطعاً نقدية صغيرة فوق القبر تقدمة للشيخ أو صدقة لأجله. وقد اعتاد الفلاحون كذلك أن ينذروا الأوليائهم ذبائح. مثال ذلك أن ينذر الرجل للشيخ فلان (المتوفى) ماعزاً أو ضاناً إذا أبل من مرض أو أنجب ولداً أو بلغ مراماً، فيضحى بالذبيحة عند قبر الشيخ إذا قضى حاجته حالته، ويولم بلحم النذر للفقراء. وثواب ذلك يبقى للولى. وكثيراً ما ينذر الجداء الصغيرة لتذبح فى المستقبل فيشرم أذنها اليمنى أو يعلمها بعلامة ما. وليس من النادر أن ينذر الفلاح نذراً لا يبتغى منه شيئاً غير البركة. وقد ينذر أحياناً عجلاً يذبحه حين يكبر ويسمن، فيترك العجل طليقاً يرعى برضاء الجيران فى كل مكان حتى حقول القمح. ثم يذبح العجل ويؤدب بلحمه مأدبة عامة. وكثيراً ما ذُبحت ثيران كبيرة بهذه الطريقة

يكرم كل ولى مشهور تقريباً بالاحتفال بمولده فيزور الناس قبره فى ذلك اليوم تبركاً، ويستأجرون الفقهاء لتلاوة القرآن على روح الولى. ويقوم الدراويش بالذكر. ويعلق من يسكن بجوار الضريح مصابيح أمام أبوابهم، ويقضون نصف ليلهم فى التدخين واحتساء القهوة والاستماع إلى رواة القصص فى المقاهى أو تلاوة القرآن والأذكار. وأمام بابى الآن عدة مصابيح علقت احتفالاً بمولد شيخ يجاور ضريحه المنزل الذى أسكنه. وكثيراً ما يعلق المسيحيون المصريون كذلك المصابيح فى مثل تلك الأحوال.

وتستمر هذه الأعياد بضعة أيام غالباً. وأشهر موالد القاهرة بعد المولد النبوى مولدا الحسين والسيدة زينب، وقد وصفتهما فى فصل لاحق من الأعياد الدورية العامة فى مصر. ولا يواصل أكثر المصريين زيارة قبور الأولياء المشهورين للتبرك فحسب، وإنما يواصلونها خشية نزول المصائب بهم إذا قصروا فى ذلك. وهكذا يقاسى الآن أحد معارفى مرضاً يعزوه إلى إهماله حضور مولد السيد احمد البدوى فى العامين الأخيرين، وقد جاء أوان الاحتفال بأحد موالده. ويكاد ضريح هذا الولى يجتذب زائرين من العاصمة وأنحاء مصر السفلى أثناء الموالد السنوية الكبيرة بقدر ما تجتذب مكة حجاجاً من أنحاء العالم. ويقام للسيد البدوى ثلاثة موالد سنوية إكراماً له. ويقام أحدها حوالى اليوم العاشر من شهر طوبه (١٧ أو ١٨ يناير) والثانى فى الاعتدال الربيعي [١] أو نحو ذلك، والثالث وهو المولد الكبير يقام بعد الانقلاب الصيفى بشهر تقريباً (أو حوالى منتصف شهر أبيب) عند ما يزيد ارتفاع النيل ولم تقطع السدود بعد. ويستمر كل مولد ثمانية أيام، فيبدأ يوم جمعة وينتهى بعد ظهر الجمعة التالية. وتقام فى كل ليلة ألعاب نارية. ويحتفل بمولد السيد ابراهيم الدسوقى بعد كل من الموالد السابقة بأسبوع فى دسوق على الضفة الشرقية من فرع النيل الغربى. وكان السيد ابراهيم ولياً ذائع الصيت يلى السيد البدوى فى الشهرة.

وتعتبر موالد السيد البدوى والسيد ابراهيم الدسوقي أسواقاً عامة فضلاً عن كونها أعيادا دينية، ويقيم أكثر زائرى مولد السيد ابراهيم فى مراكبهم. ويعرض بعض دراويش السعدية من أهل رشيد ألعابهم بالثعابين، ويحمل بعض هؤلاء ثعابين شد فيها بحلقة فضية وقاية من لدغها؛ ويأكل آخرون بعض هذه الثعابين حية. ولا يزيد الاحتفال الدينى فى الموالد جميعاً على إقامة الذكر [٢] وتلاوة القرآن. وقد جرت العادة أن يقوم المسلمون — كما كان يفعل اليهود — بتجديد بناء قبور أوليائهم وتبييضها وزخرفتها وتغطية التركيبة أو التابوت أحياناً بغطاء جديد؛ وأكثر هؤلاء يفعلون ذلك رياء كما كان يفعل اليهود [٣]

يكثر الدراويش فى مصر كثرة عظيمة، ويحترم المصريون

---

(١) ويسمى (شمس الكبيرة)

(٢) سأصف الذكر وصفا تاما فى فصل آخر عن الأعياد الدورية العامة

(٣) انظر انجيل متى ٣٢ /٢٩

— وخاصة الطبقات السفلى — هؤلاء الذين يعكفون على الرياضة الدينية ويعيشون على الصدقة احتراماً كبيراً ؛ ويستخدم بعض الدراويش الحيل المختلفة للاشتهار بقداسة فائقة وقدرة القيام بالكرامات ، ويعتبر الكثير منهم أولياء.

ويحمل من ينحدر مباشرة من ذرية أبي بكر أول الخلفاء لقب « الشيخ البكرى » ، ويعتبر ممثل ذلك الخليفة ، ويسيطر على جميع طوائف الدراويش بمصر ؛ ويعتبر « الشيخ البكرى » الحالى ، وهو أيضاً من سلالة النبى صلى الله عليه وسلم نقيب الأشراف . ولعمر أيضاً ممثل هو « شيخ العنانية » أو « أولاد عنان» ، وهم طائفة من الدراويش سموا هكذا باسم «ابن عنان» أحد شيوخهم المشهورين . وليس لعثمان ممثل ، إذ أنه لم يترك خلفاً . ويسمى خليفة على « شيخ السادات » ، وهو لقب دون لقب « نقيب الأشراف » . ويدعى كل شيخ من هؤلاء الثلاثة « صاحب سجادة » سلفه العظيم . وكذلك « شيخ الطائفة » من طوائف الدراويش يسمى «صاحب سجادة» مؤسس الطائفة . وتعتبر السجادة العرش الروحى . وفى مصر أربع سجاجيد كبيرة وهى لتلك الطوائف الكبيرة التى سأذكرها الآن

أشهر طوائف الدراويش فى مصر ما يأتى :

أولاً : طائفة (الرفاعية) أسسها السيد أحمد الرفاعى الكبير . وأعلام الرفاعية وعمائمهم سوداء ، وقد تكون العمائم من الصوف الحالك الزرقة أو الموصلى القاتم الخضرة . ويشتهر دراويش الرفاعية بأعمالهم العجيبة[1] . ويدعى (العلوانية) أو (أولاد علوان) وهم فرقة من الرفاعية أنهم يغرزون المسامير الحديدية فى أعينهم وأجسامهم دون أن يقاسوا ألماً . والظاهر أنهم يفعلون ذلك بطريقة تخدع من يصدق مثل هذه الأعمال . وهم يحطمون أيضاً على صدورهم كتلاً من الحجارة ويبتلعون الحجر والزجاج . ويقال إنهم يخترقون أجسامهم بالسيوف وخديهم بالمسلات دون ألم أو جرح . غير أنه قلما تشاهد هذه الألعاب الآن . وكانت العادة كما أخبرت أن يقوم الدرويش بتجويف قطعة من جذع النخل ويحشوها بخرق غمست فى الزيت والقطران ويشعلها . ثم يحمل هذا الجسم الملتهب تحت ذراعه فى موكب دينى وليس على جسده غير سروال فينبعث اللهب على صدره وظهره ورأسه ولا يبدى ألماً .

(١) ويعتبر دراويش مصر أقل مهارة من الهنود فى ألعاب الشعوذة

و (السعدية) فرقة أخرى من الرفاعية أشهر من الأولى أسسها الشيخ سعد الدين الجباوى ، وأعلامها وعمائم أعضائها خضراء وقد تكون العمائم قاتمة . ويوجد فى هذه الطائفة دراويش يمسكون الثعابين السامة والعقارب بلا خوف ، ويلتهمون بعضها . إلا أنهم ينزعون أنياب الثعابين حتى يأمنوا شرها . ولا شك أنهم يعدمون العقارب سمها أيضاً . ويركب شيخ السعدية فى بعض المناسبات كمولد النبى (صلعم) حصاناً ويسير به على أجسام بعض دراويشه وغيرهم وهم راقدون على الأرض . ويقرر جميعهم أن وطء الحصان لم يؤذهم[1] ويسمى هذا الموكب (الدوسة) . ويعيش الكثير من دراويش الرفاعية والسعدية على إخراج الثعابين من البيوت . وسأتكلم عن براعة هؤلاء المشعوذين فى فصل آخر .

ثانياً : (القادرية) أسسها السيد عبد القادر الجيلانى النبيه الذكر . وبيارق القادرية وعمائمهم بيضاء . وأغلبهم صيادون فيحملون فى المواكب الدينية شباكا مختلفة الألوان يرفعونها على دعائم تمييزاً لطائفتهم .

ثالثاً : (الأحمدية) وهم طائفة السيد أحمد البدوى . وهذه الطائفة كثيرة العدد ومحل الاحترام . وراياتهم وعمائمهم حمراء .

وتعتبر (البيومية) ومؤسسها السيد على البيومى ، و (الشعراوية) ومؤسسها الشيخ الشعراوى[2] و (الشناوية) ومؤسسها السيد على الشناوى فرقاً من الأحمدية . ويشترك الشناوية في اليوم الأخير من مولد شفيعهم الكبير السيد احمد البدوى فى طنطا بنصيب غريب ، إذ يجرون حماراً فى ذلك اليوم ويتركونه يدخل المسجد من تلقاء نفسه . فإذا دنا من الضريح حيث يحتشد الجماهير نتف كل من استطاع بعضاً من شعره كتعويذة حتى يصبح جلد الحيوان المسكين عارياً كراحة اليد . وهناك فرقة أحمدية أخرى تسمى (أولاد نوح) كلها شبان يلبسون (طراطير) تعلوها شرابة من قطع الجوخ المختلف الألوان . ويحملون سيوفاً خشبية وسياطاً من الحبال السميكة المجدولة المسماة (فرقلة) ويلبسون عدة عقود من الخرز .

رابعاً : (البراهمة) أو (البرهامية) وهم طائفة السيد إبراهيم الدسوقى الذى سبق الكلام عن مولده . وأعلامهم وعمائمهم

(١) سأصف هذا وغيره من أعمال الدراويش وصفا كاملا فى الفصول المتعلقة بالأعياد الدورية العامة

(٢) تنطق هكذا بدلا من الشعرانى

خضراء . وهناك فرق أخرى ينتمى بعضها إلى الطوائف السابقة ؛ ومن أشهرها (الحفناوية) و (العفيفية) و (الدمرداشية) و (النقشبندية) و (البكرية) و (الليثية)

والإلمام بكل عقائد الدراويش وقوانينهم وشعائرهم مستحيل ؛ إذ أن أكثرها مثل عقائد الماسونية لا تذاع على غير المطلعين على أسرارها . وقد وصف لى درويش أعرفه كيف أخذ (العهد) أى ميثاق التعريف بالسر وهو يكاد يكون واحداً عند الطوائف جميعها . استقبل شيخ الدمرداشية صاحبى هذا فتوضأ وجلس أمامه على الأرض . ثم ضم كل من الشيخ والمريد يده اليمنى إلى يد الآخر بالطريقة السابق وصفها عند عقد الزواج . وبهذه الحالة واليدان مغطاتان بكم الشيخ أخذ المريد العهد مردداً وراء الشيخ هذا الكلام التالى بادئاً بالتوبة : « أستغفر الله العظيم (ثلاث مرات) الذى لا إله إلا هو الحى القيوم . أتوب إليه وأسأل عفوه وغفرانه وإعتاقه من النار » ثم يسأله الشيخ هل يتوب إلى الله ؟ فيجيب المريد أنه يتوب إلى الله ويرجع إلى الله . وإنه نادم على ما ارتكب من المعاصى ويقرر أنه لا يعود إلى غيه . ثم يردد بعد الشيخ أنه يستخير الله العظيم والرسول الكريم . وإنه يولى عليه السيد عبد الرحيم الدمرداش الخلوتى الرفاعى النبوى محتذياً مثال شيخه ومرشده إلى الله تبارك اسمه وتعالى . وإنه لا يحيد عن تعاليم الطريقة ولا ينفصل عنها ، ويشهد الله على ذلك مقسماً بالله العظيم ثلاث مرات . ثم يقرأ الشيخ ومريده الفاتحة معاً . ويختم المريد الحفل بتقبيل يد الشيخ . وتقوم أعمال الدراويش الدينية على الذكر خاصة ، فيصيحون أو ينشدون واقفين فى حلقة مستديرة أو مستطيلة أو فى صفين متقابلين أو جالسين : «لا إله إلا الله» أو « الله الله الله » أو يرددون أدعية أخرى ، ويكررونها حتى تخور قواهم ، وهم أثناء ذلك يحركون الرأس أو الجسم جميعه أو الذراعين . ويستطيعون لدأبهم على ذلك أن يواصلوا هذه الحركة بلا انقطاع مدة تثير الدهشة . وكثيراً ما يصحبهم من وقت لآخر عازف أو أكثر على (الناى) أو على (الأرغول) وآخرون ينشدون القصائد الدينية.. ويستخدم بعض الدراويش أثناء الذكر طبلاً صغيراً يسمى (بازا)[1] أو دفا . ويقوم البعض الآخر برقص غريب سأصفه مع أشكال مختلفة للذكر فى فصول قادمة

عدلى طاهر نور

(١) أنظر وصف هذه الآلات فى فصل الموسيقى

من التاج

« فارُوقُ أنتَ هُداها كُلَّما عشِيَت »

[إلى عزيز مصر « الفاروق » ،
تحية لعيد جلوسه الملكى السعيد]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

نُورٌ مِنَ اللهِ تَرْعَاهُ الْعِنايَاتُ   هاتُوا أَغانِيَكُمْ فِي حُبِّهِ هاتُوا !
وَجَلْجِلُوا فِي فَمِ الدُّنْيَا بِعِزَّتِهِ
فَنَحْنُ مِنْ دُونِهَا فِي الأَرْضِ أَمْوَاتُ
وَرَدِّدُوا فِي مُحَيَّا الْوادِي بَشَائِرَهُ   فَمَا لَنَا غَيْرُهَا لِلْمَجْدِ آيَاتُ
وَانْشُوا كَمَا خَطَرَتْ مِصْرٌ بِسَاحَتِهِ
نَشْوَى تُرَنِّحُ جَنْبَيْهَا الصَّبَابَاتُ
غَدَا هَوَاهَا دَمًا يَجْرِى بِمُهْجَتِهِ
كَمَا جَرَتْ بِحَيَاةِ الْبَحْرِ مَوْجَاتُ
حَنَا عَلَيْهَا كَمَا تَحْنُو الظِّلَالُ عَلَى
سَارِى هَجِيرٍ لَهُ فِي الدَّوِّ آهَاتُ
حَنَا عَلَيْهَا كَمَا يَحْنُو الشُّعَاعُ عَلَى   مُحَيَّرِ اللَّيْلِ تُشْقِيهِ الْمَفَازَاتُ
حَنَا عَلَيْهَا كَمَا تَحْنُو الْمُنَى فَجَأَتْ   قَلْبًا تُرَاوِغُ جَنْبَيْهِ الْعُلَالَاتُ
حَنَا عَلَيْهَا وَسَقَّاهَا الْعُلَا فَمَضَتْ   وَمَا لَهَا غَيْرُ مَهْدِ النَّجْمِ غَايَاتُ
مُمَلَّكٌ فِي شَبَابِ الْعُمْرِ تَحْسَبُهُ   لِحِكْمَةِ الرَّأْيِ تَحْدُوهُ الْقَدَاسَاتُ
آسَاسُ مُلْكِ الْوَرَى سَيْفٌ وَصَوْلَجَةٌ
وَمُلْكُهُ الضَّخْمُ تُعْلِيهِ الْحُشَاشَاتُ
أَحَبَّهُ النَّاسُ حَتَّى لَوْ سَجَا حُلُمٌ   بِغَيْرِ رُؤْيَاهُ تُبْلِيهِ النُّفَاثَاتُ
أَحَبَّهُ النِّيلُ ... سَلْ أَمْوَاجَهُ تَرَهَا
وَمِلْءُ أَقْدَاحِهَا مِنْهُ بَشَاشَاتُ
أَحَبَّهُ الطَّيْرُ ... حَتَّى قَالَ أَعْجَمُهَا
مِنْ نَشْوَةٍ بِالْهَوَى : أَيْنَ الرَّبَابَاتُ ؟
أَحَبَّهُ الشَّرْقُ ... حَتَّى صَارَ قِبْلَتَهُ
أَنَّى مَشَى خَلْفَهُ تَمْشِى السِّيَاسَاتُ ! !

أَحَبَّهُ اللهُ ... إِذْ أَوْحَى لِكُلِّ هَوًى
بُشْرَى هَوَاهُ فَحَفَّتْهُ الضَّرَاعَاتُ ...
كَأَنَّمَا حُبُّهُ لِلْكَوْنِ هَادِيَةٌ   مِنَ الشَّرَائِعِ سَاقَتْهَا الدِّيَانَاتُ
مُتَوَّجٌ فَوْقَ عَرْشٍ مُنْذُ مَا بَزَغَتْ   شَمْسُ الْوُجُودِ تُحَيِّيهِ الْبَرِيَّاتُ
شَعَّتْ عَلَى مَفْرِقِ التَّارِيخِ صَفْحَتُهُ
كَأَنَّهَا لِظَلَامِ الدَّهْرِ مِشْكَاةُ
مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْنَ مَا زَالَتْ عَظَائِمُهُ
تُتْلَى بِهَا لِبَنِى الدُّنْيَا رِوَايَاتُ
أَهْرَامُ خُوفُو تَهَابُ الْجِنُّ سَاحَتَهَا   كَأَنَّمَا هِيَ لِلْأَقْدَارِ خَيْمَاتُ ...
مُخَيَّمَاتٌ وَأَسْرَارُ السَّمَاءِ بِهَا   كَأَنَّمَا هِيَ لِلْأَفْلَاكِ جَارَاتُ ...
وَخَيْلُ « رَمْسِيسَ » .. مَا زَالَتْ سَنَابِكُهَا
تُلْقِى حَدِيثَ الْوَغَى عَنْهَا الْفُتُوحَاتُ
وَالسَّيْفُ فِي يَدِ « إِبْرَاهِيمَ » مَا فَتِئَتْ
لِلنَّصْرِ تُرْعِشُ حَدَّيْهِ الْخَيَالَاتُ !
وَادٍ أَشَمُّ الْعُلَى مَرَّتْ بِهِ حِقَبٌ   أَيَّامُهُنَّ بِكَفِّ الدَّهْرِ رَايَاتُ
ضِفَافُهُ مَنْزَهُ الدُّنْيَا وَمَعْبَدُهَا   وَنِيلُهُ لِعَذَارَى السِّحْرِ مِرْآةُ
وَلِلطُّيُورِ بِهِ شَدْوٌ كَأَنَّ عَلَى   إِيقَاعِهِ مِنْ أَغَانِى الْخُلْدِ رَنَّاتُ
شِعْرٌ مِنَ النَّغَمِ الْعَالِي يُسَاجِلُهُ
مِنْ أَفْرُعِ الدَّوْحِ تَسْبِيحٌ وَإِنْصَاتُ ...
وَلِلرِّيَاحِ أَبَارِيقٌ مُخَتَّمَةٌ   بِمِثْلِ صَهْبَائِهَا لَمْ تَسْقِ حَانَاتُ
تَجْرِى بِأَسْرَارِهَا لَمْ يَدْرِ شَارِبُهَا
أَسُرٌ هُنَالِكَ أَمْ لِلرُّوحِ إِفْلَاتُ ..؟!
دُنْيَا مِنَ السِّحْرِ لَمْ تُكْشَفْ سَرَائِرُهَا
لِسَاحِرٍ لَمْ تُكَاشِفْهُ السَّمٰوَاتُ ...
سَجَتْ رُبَاهَا .. وَقَلْبُ الأَرْضِ مُضْطَرِمٌ
تُفَزِّعُ الْجِنَّ مِنْ شَكْوَاهُ أَنَّاتُ
فَارُوقُ ... أَنْتَ لَهَا فَجْرٌ عَلَى يَدِهِ   تَرَقْرَقَتْ مِنْ ضِيَاءِ اللهِ هَالَاتُ
فَارُوقُ ... أَنْتَ مَلَاذٌ عِنْدَ حَيْرَتِهَا   عَلَى يَدَيْكَ لَهَا تُرْجَى الْمَنَارَاتُ



حول ابن الرومي وصداقات الأدباء

كتب « ابن درويش » في العدد السابق من الرسالة كلمة يقول فيها ما معناه أنه كشف ثغرة نفذ منها إلى ذكائي، وأنه نسب إلى ابن الرومي بيتين ليسا له وإنما هما من نظمه وفيهما من جنون الفكرة وطلاء التعبير – كما قال – ما عزب فهمهما على فطنة أديبنا الكبير ، فمن هم بنو النضر ؟ ومن أولئك الألفان الرضع على التحديد ... ؟ »

ويتفق هذا في الوقت الذي يسألني فيه بعضهم : لم لا يسدد الأدباء الشيوخ خطى الأدباء الشبان ... فهل من حاجة إلى هذا السؤال أو إلى جواب عليه وهذا واحد من الناشئين يستهدى الأدباء الشيوخ على هذا المنوال ؟

ونعود فنقول إن الثغرة التي كشفها صاحب السؤال إنما دلت على شيء لا يريده هو ؛ وذاك أن العقاد رجل تلهمه البصيرة ما يكشف النيات قبل أن يكشفها أصحابها ، فعرف أن صاحب السؤال عابث لا يجد في طلب الفهم وقال : « إن الأسئلة ضربان : سؤال يوجهه صاحبه وقد اجتهد في أن يعرف غرض الكاتب فهما سائران في طريق واحد ، وسؤال يوجهه صاحبه وكأنه اجتهد في نقيض ذلك . ونقيض ذلك هو ألا يعرف غرض الكاتب وأن يتخذ له وجهة غير وجهته وطريقاً غير طريقه ، فهما مفترقان لا يتقاربان . وأحسب أن الأديب الذي وجه إلى ذلك السؤال لم يجتهد في معرفة غرضي بمقدار اجتهاده في الحيدة عنه ... » ، فهل أراد صاحب السؤال هذا أو هو لا يعرف ما يريد ؟

أما الواقع فهو أنه لا يعرف ما يريد ؛ لأنني على فرض تصديق نسبة البيتين إلى ابن الرومي لم يكن في ذلك شيء يستحق الدلالة عليه أو يستحق عناء التلفيق . فليس مطلوباً مني أن أذكر كل بيت في ديوان ابن الرومي المخطوط الذي لا تتداوله الأيدي ؛ وليس مطلوباً من ابن الرومي أن يعتصم شعره من بيتين بالغين أدنى الحضيض من مراتب الرداءة والنتانة ؛ وليس من البعيد أن يكونا منسوبين إليه في بعض كتب الأدب ولا من المستحيل أن يكون راويهما شريفاً مستحقاً للتصديق

فلو صدقت أنا نسبة البيتين إلى ابن الرومي لما كان في ذلك

فَارُوقُ . . . أَنْتَ هُدَاهَا كلمَا عَشِيَتْ
وَعَصَّبَتْهَا عَنِ النُّورِ الضَّلَالَاتُ..

فَارُوقُ... كَمْ رُحْتَ فِي الْبَلْوَى تُهَدْهِدُهَا
وَمَنْ سِوَاكَ إِذَا تَطْغَى الْبَلِيَّاتُ ؟!

كَمْ بَائِسٍ كُنْتَ سُلْوَانًا لِكُرْبَتِهِ
لَوْلَاكَ مِنْ دَمْعِهِ يَرْوَى وَيَقْتَاتُ

وَكَمْ شَقِيِّ الثَّرَى، عَارِي الأَدِيمِ، مَضَتْ
رَفْرَافَةً مِنْكَ تُحْيِيهِ السَّعَادَاتُ !

وَكَمْ خَرِيفٍ عَلَى الأَكْوَاخِ أَهْلَكَهُ
نَدَاكَ فَهْوَ رَيَاحِينٌ وَأَيْكَاتُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ شُعَاعٌ آلِقٌ ذَهَبَتْ
تَطُوفُ مِنْكَ بِهِ لِلنِّيلِ دَارَاتُ

عَطْفٌ وَبِرٌّ وَإِحْسَانٌ وَمَرْحَمَةٌ
يَاقَوْمُ مِنْ هٰهُنَا تَزْكُو الْعِبَادَاتُ

قَالَ الْمُصَلُّونَ: مَنْ هَذَا فَقُلْتُ لَهُمْ :
فِي كُلِّ بَيْتٍ هُدًى مِنْهُ عَلَامَاتُ

هَذَا الَّذِي يُرْهِبُ الأَيَّامَ صَوْلَجُهُ
لِلهِ مِنْ نُسْكِهِ تَمْتَدُّ رَاحَاتُ

يَقْظَانُ لِلْوَحْدَةِ الْكُبْرَى لَدَى وَطَنٍ
كَادَتْ تُمَزِّقُ جَنْبَيْهِ الْخِلَافَاتُ !!

مَا فَاتَهُ مَثَلٌ أَعْلَى لِمِصْرَ ، وَلَا
لِغَيْرِ عِزَّتِهَا مِنْهُ صَبَابَاتُ ...

فَارُوقُ.. قُدْنَا إِلَى الأَفْلَاكِ وَامْضِ بِنَا
شَعْبًا إِلَى الْمَجْدِ تَحْدُوهُ الْبُطُولَاتُ

وَاسْمَعْ نَشِيدَ الْحِمَى ... مَا فِي مَقَاطِعِهِ
إِلَّا قُلُوبٌ إِلَى « عَبْدِينَ » مُزْجَاةُ

شِعْرٌ ضِيَاؤُكَ يَجْرِي فِي مَسَابِحِهِ
كَمَا جَرَتْ بِضِيَاءِ الطُّورِ « تَوْرَاةُ » ...

محمود حسن إسماعيل

عجب ، وإنما العجب أن أجزم بالنفى فأتعدى أمانة العلم إلى شعوذة المجون ... فكيف وقد ألممت بالحقيقة وقلت إننى لا أذكر أننى قرأت البيتين فى الديوان ؟

أما كلمة « النضر » التى ظن صاحب السؤال أنها كانت حليقة أن تهدينى إلى تأليفه للبيتين فسر ذلك جهله بمعنى الكلمة لا جهلى أنا بمعناها ومدلولها . وهذان هما البيتان اللتان وردت فيهما الكلمة

سقته ندى السحب من مرضعاتها
أفانين مما لم تقطره مرضع
كأنى رضيع من بنى النضر ضمنوا
محاسن هذا الكون ، والكون أجمع

فلو كانت كلمة النضر بغير معنى كما توهم صاحب السؤال لجاز أن يعاب معنى البيتين

ولكن « النضر » هو جد بنى هاشم ، وبنوه هم بنو هاشم من قريش . وعلى هذا يصح أن يكون معنى البيتين أن بستاناً حافلاً بالأزهار التى رضعت ندى السحب جمع متفرق الجمال كما يجمع بنو هاشم محاسن الكون وهم رضعاء . . . وهذا معنى كما قلت لا يعاب .

نعم هو معنى لا يمكننى أن أعيبه إلا إذا كنت فى جهل صاحب السؤال بمعنى كلمة النضر ولست كذلك بحمد الله

وبعد ، فإننى أدع لحضرات القراء أن يصفوا هذا السائل بما يستحقه ، وأكتفى بأن أستخرج من سؤاله دليلاً آخر لم يرده حين استباح عبثه المعيب . . . ذلك أننا على حق فى معاملة أمثاله بما يشكونه وهم عابثون

ولنا عودة إلى صداقات الأدباء ، وما كتبه الأستاذ توفيق الحكيم بصددها فى مقال تال .

عباس محمود العقاد

مأساة فرنسا للأستاذ الصاوى

الأستاذ أحمد الصاوى كاتب طريف أنيق : طريف فى اختيار موضوعه ، وأنيق فى ابتكار عرضه . وطرافته فى الأداء والوضع ، لا يماثلها إلا طرافته فى الإخراج والطبع . والصفة الغالبة أو المزية الفارقة فيما ينتجه الأستاذ الصاوى هى الذوق . والذوق ملكة الفنان وملاك الفن . وأجمل ما فى أسلوبه من صفات البلاغة الإيجاز والحياة والتنوع ، وذلك سر ما يشعر به قارئه من الجاذبية واللذة .

ولعل صاحب (إبر النحل) قد وصف نفسه أصدق الوصف بهذا العنوان ؛ فهو فى رياض الأدب والفن تلك النحلة التى لا تنفك طائفة على الزهر ، أو عاكفة على الرحيق ، تلسع أحياناً وتعسل دائماً ؛ وهى فى لسعها وعسلها تدافع عن الخير وتنتج الخير

(مأساة فرنسا) هى كما قال الأستاذ الصاوى وثائق « يمكن مع التسامح أن تعد شبه دائرة معارف شائقة لهذه الحرب ، تشمل الحوادث الطريفة والأسرار الخفية التى لا تنشرها الصحف من حربية وسياسية واقتصادية ونفسية — إلى أعمال الجاسوسية والدسائس والمنافع والفتن التى تهدم البلدان من الداخل — معروضة بطريقة نزيهة واقعية . وهى ملخصات كتب شهود عدول من أعظم كتاب العالم »

وذلك هو الوضع الصحيح لموضوع هذا الكتاب ؛ أما أسلوبه ومعرضه وشكله فتمثيل وتفصيل لما ذكرناه وأجملناه فى صدر هذه الكلمة .

الزيات

بين ديكارت وابن يعيش

نعلم كيف أثبت ديكارت وجود نفسه ، فقد قال : أنا أشك فأنا أفكر ، فأنا إذن موجود .

وبالأمس كنت أقرأ فى شرح ابن يعيش على مفصّل الزمخشرى فوقفت فيه على قوله : « ... ألا ترى أنك إذا قلت : عدمتُنى ، فمعناه علمتُنى غيرَ موجود . ومحال أن تعلم شيئاً وأنت غير موجود ، لأنك إذا علمت كنت موجوداً ، وصحته على الاستعارة» ص ٨٨ ج ٧ ط المنيرية (ولا طبعة مصرية غيرها فيما أعلم) .

فأنت ترى أن ابن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣ هـ سبق ديكارت الذى عاش فى النصف الأول من القرن السابع عشر (١٥٩٦ — ١٦٥٠) إلى الشعور بالفكرة التى قام عليها عمود من أعمدة فلسفة أبي الفلسفة الحديثة .

سبق ابنُ يعيش ديكارت إلى الشعور بهذه الفكرة ، ولكن ديكارت جاء بعد ذلك فصاغها فى منهج فلسفى متين ، فكان هذا الفرقَ بينهما .

أفلا يوحى هذا بألا نتهم الشرق بقصور عقله وألا نغالى فى تمجيد عقل الغرب ؟

المنهج وحده هو الذى ينقص الشرق .

السيد يعقوب بكر

رفع عيسى

قرأت فى العدد (٤٦٢) من مجلة الرسالة الغراء فتوى فضيلة الأستاذ الجليل محمود شلتوت فى رفع عيسى عليه السلام ، فوجدته يذهب فيها إلى ما رآه بعض المفسرين من أن الرفع كان بعد الوفاة ، لقوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك إلى) وقد رأى فيها أن المراد رفع المكانة لا رفع الجسد ، ولو حمله على رفع روحه إلى الملأ الأعلى لكان أولى وأقرب

ولكنى أرى مع هذا أنه إذا كان لهذا الرأى ما يرجحه مما جاء فى تلك الفتوى ، فإن للرأى الآخر المشهور وجوهاً ترجحه أيضاً ، لأن الثابت من التاريخ أن أمر عيسى عليه السلام قد انتهى فى اليوم الذى وقع فيه الصلب على من شبه به ، فإذا كان عيسى عليه السلام قد توفى فى ذلك اليوم ولم يرفع جسده إلى السماء ، فإن إلقاء شبهه على غيره وصلبه بدله لا يكون مفهوماً من الناحية التاريخية ، لأن وفاته تحقق الغاية التى يطلبها خصومه من صلبه ، فلا يكون هناك داع إلى ما حصل من ذلك الصلب ، بل إن إلقاء الشبه على غيره فى هذه الحالة لا يمكن قبوله ، لأن موته لا يجعل سبيلاً إلى اشتباه غيره به ، وكل هذا على الرأى المشهور ظاهر كل الظهور ، وقد أجابوا عن الآية السابقة بأن واو العطف فيها لا تقتضى ترتيباً ؛ فمن الجائز أن يكون توفى بعد الرفع ، ومن الجائز أن تحمل الوفاة على النوم ، كما قال الله تعالى : (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها)

وإنى أرى بعد هذا أن الأجدر بنا ترك الاشتغال بمثل هذه المسائل ، لأنه لا يضرنا فى ديننا أن يكون عيسى قد توفى ولم يرفع جسده ، ولا أن يكون جسده قد رفع حياً ، فذلك أقرب إلى أن يكون من الغيب الذي استأثر الله بعلمه ، لأنه حصل بدون أن يراه أحد ، فكان سراً لا يعلمه إلا الله تعالى ومن وقع له .

عبد المتعال الصعيدى

كم ذا بمصر

قرأت كلمة للأستاذ الفضال (إبراهيم أبو الخشب) بالرسالة يسأل فيها عن حكم (ذا) فى مثل هذا التعبير

وأعتقد أنها زائدة على رأى من يجيز زيادة الأسماء وكما قرر الخضرى فى حاشيته على ابن عقيل عند الكلام على (ذا) فى باب (الموصول) وعليه خُرّج قول الشاعر :

دعى ماذا علمت سأتقيه ولكن بالمغيب خبرينى

فى أحد قولين

ويجوز أن تكون اسماً موصولاً (على رأى الكوفيين فإنهم لا يشترطون فى موصوليتها أن يسبقها (ما) أو (من) كما ورد فى الخضرى والصبان)

وعلى الوجه الثانى تكون (كم) استفهامية مراداً بها التهويل ويكون الكلام على حذف مضاف والتقدير (كم مقدار ما يكابد ...) أو لا حاجة إلى التقدير فإن الاسم الموصول (ذا) مدلوله متعدد بقرينة المقام

وعليه يُخَرَّج قول أبى الطيب :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

ولعل فى هذا مقنعاً للأستاذ (أبى الخشب)

(المنصورة) **محمود الشبيشى**

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين

10 me Année No. 464

Lundi - 25 - 5 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٦٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٥ مايو سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

من صور الريف

لحيــة بيضاء ...

ليت شعرى ماذا كان يمكن هذا المخلوق أن يكون لو أنه تعلم ؟ الغالب فى الظن أنه لو كان تعلم الحقوق لما برع إلا فى ابتكار الحيل التى تحمى اللصوص ، وتأليف الحجج التى تخدع القضاة ، وتدبير الخطط التى تضلل الشُّرَط . ولو كان تعلم الطب لما اشتغل إلا بتركيب السموم ، وتزوير الشهادات ، وتخدير المدمنين ، وإجهاض الحوامل . ولو كان تعلم الأدب لما نبغ إلا فى قصص التجسس والتلصص والائتمار والدعارة . ولو كان تعلم الزراعة لما برَّز إلا فى زراعة التبغ والأفيون والحشيش . ولو كان تعلم الهندسة لما افتنَّ إلا فى اختراع المخابئ السرية والمزالق الجهنمية والمفاتيح التى تتحدى كل قفل

ذلك لأن كل نزعة للشر أو نزغة للشيطان إنما وجدت أصلها فيه بحكم الطينة ومقتضى الفطرة ؛ فهو قروى أمى فقير وضيع ، ولكن غرائزه الشريرة العارمة تندلع من جوانب جسمه كألسنة اللهب أو أرجل الأخطبوط فتجعل له شخصية غريبة فيها لكل ضرر مصدر ، ولكل خطر اتجاه !

نشأ بين لِداته من أطفال القرية كما ينشأ الزُّنبور بين النحل أو الثعبان بين الحمام ؛ فكان لا ينفك ضارباً هذا بعصا ، أو قاذفاً ذاك بحجر ، أو خاطفاً لعبة من بنت ، أو سارقاً شيئاً من بيت ! فلما جاوز حد الطفولة دخل فى خدمة الفجّار والمجّان ،

فكان يخدم أولئك فى تدبير الجرائم ، ويخدم هؤلاء فى إعداد الولائم . وهو فى غضون هذا العهد (التحضيرى) كان لا يفتأ يمرن ملكاته الإجرامية لحسابه الخاص ، فكان يسرق من البيوت الآنية والثياب ، ومن الحقول القطن والذرة ، حتى صار فى حد الرجال ، فعد من ذؤبان القرى وغربان الأسواق ؛ فكل جريمة له فيها يد ، وكل سرقة له منها نصيب !

وكانت مزيته بين اللصوص التجسس والاحتيال والمفاوضة وإخفاء المسروق وتعمية الأثر ، لأنه كان ضئيل الخلقة فلا يرهب بمنظره ، ضعيف القوة فلا يغنى بعضله . ثم تفاقم شره واستطار أذاه ، فكان لا يقع إلا على منكر ، ولا يتقلب إلا فى معصية . غير أن إجرامه ظل من النوع الحقير لضعف بنيته وضعة بيته ، فلم يستطع أن يكون رئيس منسر يفرض الأتاوة بالسطوة، ويستغل اللصوص بالنفوذ ؛ إنما كان أكبر همه أن يسطو فى الليل على أرزاق الأرامل ، ويتدسس فى النهار إلى أموال العميان ، حتى انقضت شبيبته وكهولته على حال متصلة من الإثم لم تكن جوارحه فى خلالها عن الشر إلا وهو مجروح فى مستشفى ، أو مطروح فى سجن . كل ذلك ولم يدخل فى ملكه عقار ، ولم يجتمع فى جيبه نقد ، ولم يبت فى داره قوت

فلما قيده الكبَرُ وحطَّمه ، وعممه الشيب ولثَّمه ، أصبح بحكم السن عاجزاً عن نقب الجدار وتسلق الدار ، فأرسل لحيته شبراً تحت ذقنه ، ثم ضخم العمامة ، وبيَّض الجلباب ، وأمسك المسبحة ، ومشى فى الأزقة مشية الوقار والتؤدة ، يتمتم بالأدعية ، ويجهر بالتحيات ، ويواظب على الصلوات ، ويجلس على المصاطب يتحسس الأخبار ، ويتسقط الأسرار ؛ فإذا وقف على خلاف أو خصومة بين والد وولده ، أو بين أخ وأخيه ، أو بين صديق وصديقه ، أو بين زوج وزوجه ، اندس إليهما بالإغراء ، وسعى بينهما بالنميمة ، وحمَّل هذا على ذاك ، حتى تقع الفرقة أو تحل الكارثة . فإذا انتهى الخلاف إلى المحكمة ، وسوس للمتخاصمين أو لأحدهما بالحيل التى تطمس الحق أو توسع الخصومة أو تعرقل القضية ؛ لأنه يزعم لنفسه العلم بالقانون والمرافعات لطول ما وقف أمام القضاء وعاش بين البوليس . أما إذا خذله الشيطان وتغلب السلام استفز بالسباب حمية بعض الشباب فيضربه ، ثم تكون الترضية أو تكون القضية . فإذا تعذَّر الدس وتحاماه الناس عمد إلى قطعة متروكة مما يملك الغير فاحتلها واستغلها ، فتنشب بينه وبين المالك معركة قضائية لا يصبر فيها صاحب الحق على بطء القضاء وتعقد الإجراء وفحش التكاليف ، فيطلب مصالحة الغاصب بالنزول له عن بعض من حقه أو جزء من ماله

ذلك عمله بالنهار ؛ أما عمله بالليل فصلاة العشاء حاضرة ، ثم إحراق الحشيش جماعة ، ثم التهجد طويلاً ، ثم الهجود قليلاً . فإذا طلع الفجر الكاذب خرج إلى المسجد يهدج تحت الجدران ، وعيناه تبصان فى حلك الظلام بصيص الحباب ؛ فإذا لقى فى بعض الطريق حماراً أو عجلاً أو خروفاً أفلت من الحظيرة ، امتطاه أو قاده ثم انطلق به حثيثاً فى هوادى الليل إلى أقرب (مركز) من مراكز اللصوص فيتركه هناك ليصرِّفوه ويضيفوه إلى حسابه . ثم يعود إلى القرية وقد هتك الصباح ستر الظلام ، فيأوى إلى بيته ندمان على أن فاتته صلاة الفجر مع الإمام !

وفى ليلة نادية من ليالي المحاق خرج المتعبد القانت على عادته يريد المسجد . وكان الناس قد فطنوا إلى فقد الصغار من مواشيهم فأغلقوا الزرائب وأحكموا الإغلاق . فلما أرسل عينيه الثاقبتين فى الخرائب والأجران فلم تقعا على حيوان مهمل أو متاع متروك ، أخذ يهوِّد فى مشيه ثم وقف يفكر . وكانت نفسه النوبية قد استهواها الظلام والسكون فمض عليها الشر وعصفت بها المغامرة ، فرجع إلى داره وأخذ معولاً وعتلة ثم انحط من بعض السطوح على دار العمدة ثم شرع ينقب الجدار عن عجل السامرى

دُهم الشيخ فى السَّحر وسِيق فى الصباح إلى مركز البوليس فحاول أن يدحض التهمة عن نفسه بانخراع متنه وابيضاض شعره وارتعاش يده فلم يوفق

ودخل المجرم السجن أشوق ما يكون إليه ، وبدد الحلاق على أرضه الخشنة الغبراء ، خُصل لحيته الكثيفة البيضاء ؛ ثم لبث فيه مالبث ، وخرج للناس يسلط عليهم النمائم ، ويزرع بينهم الضغائن ، ويدبر فيهم المكايد ، حتى سولت له نفسه بالأمس أن يخزن قمحه قبل أن تأخذ الحكومة نصيبها المفروض منه ، فتجاهل السلطة ، وتحدى العمدة ، وضرب الحارس . ثم بات هو وأهله فى سجن (المركز) ، ثم قدموا فى الصباح جميعاً إلى المحكمة العسكرية !

تلك صورة من صور الريف الكريهة قدمناها مصغرةً إلى المشتغلين بعلم النفس الجنائى لعلهم ينتهزون هذه الفرصة قبل أن تفوت ، فيدرسون هذا الرجل العجيب قبل أن يموت !

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

ينبوع حلوان ، وما أدراك ما ينبوع حلوان ؟ ! — عناد بعض المؤلفين — النواب الجامعيون — مع الدكتور طه حسين — امتحان جديد — يقال ويقال وما أكثر ما يقال ؟

ينبوع حلوان

منذ أكثر من عامين فوجئ سكان حلوان بينبوع يتفجر بقوة وعنف ، وتسامع بذلك أهل العلم بخصائص الينابيع ، فأسرعوا إلى تحليل ماء الينبوع الجديد ، ثم عظمت دهشتهم وعظم فرحهم حين وجدوه يُغني المصريين عن استيراد المياه المعدنية من الأقطار الأوربية . فأهلاً وسهلاً بالنعمة التى يصغر بجانبها صادق الحمد وعاطر الثناء

ولكن هذا الينبوع السعيد هدّد بقدومه جماعات المتجرين بالمياه المعدنية ، فماذا يصنعون ؟ وهل يجوز السكوت عن ثروة تعتزّ بها مصر على الزمان ؟

هداهم الحِسّ التجارى إلى طَمْر الينبوع قبل أن تلتفت الحكومة المصرية إلى منافعه الحقيقية ، فتحرسه من مكايد أهل البغى والعدوان

وكيف يُطمَر الينبوع ؟ وفى أى وقت ؟ يُطمَر بأكياس الأسمنت ، وفى غفوة الليل ! !

وهنا نرسم صورة قليلة الأمثال ، بين صور الخيال

كان الينبوع يُغنّى نشيد الحرية ، فقد طال سجنه فى غيابات الصخور ألوفاً من السنين . وهل يعلم إلا الله مقدار الآماد التى قضاها ذلك الينبوع وهو سجين ؟

لقد تلقته رمال حلوان بترحيب رنّان ، وكان فى أشد الشوق إلى ذلك الترحيب . ألم يكفِ ما عاناه من الحبس الطويل فى ظلمات الصخور الصمّاء ؟

هو يُغنّى ، والرمال تُغنّى ، وما أجمل الغناء حين يلتقى الحبيب والمحبوب !

كان الليل ليل حلوان ، وليلُ حلوان موحش حين يغيب بدر السماء ... وكان الينبوع حديث العهد بالبلاد ، ولا علم له بمتاعب الأحياء ، فكان يُغنى ويغنى بلا حذر ولا احتراس

وفى حومة تلك الفرحة الشعرية نظر فرأى جماعات لهم وجوه بَشرية ، ولهم قلوب حجَرية ، فانزعج وارتاع

ما ذا يريد هؤلاء ؟

ما ذا يريدون ؟

كان الينبوع يعرف أنه فكرةٌ نقية طاهرة ، وأنه لن يسيل فوق الرمال إلا كما يسيل القلم النبيل فوق الأوراق ، فما بلاؤه بهذه الوجوه السود فى ليلة سوداء ؟

أيكون هؤلاء مصريين ؟

أيكونون أجانب ؟

وما خوف أولئك وهؤلاء من ينبوع سيمحو عللهم الدفينة بلا تفريق بين هذه الديانة أو تلك ، وبلا تمييز بين هذا الجنس أو ذاك ؟

طُبْ . طُبْ ، طُبْ !

ما هذا ؟ ما هذا ؟

تلك أكياس الأسمنت تُلقَى بغلظة وبوحشية فى ثغر الينبوع لتصدّه عن الابتسام لجمال الوجود

وينظر الينبوع فيرى الرمال أضعف من أن تحميه ، ويرى الأمة فى غفلة عن قيمته الذاتية ، ويرى الحكومة تنتظر آراء الخبراء ، لتقرر حراسته من بنى الأعداء ، وذلك لا يتم إلا بعد أسابيع طوال !

فماذا يصنع ؟

أيخضع ويستكين إلى أن يظفر بتقرير المصير ؟

وكيف وفيه قوة عارمة تذيب الألوف من أكياس الأسمنت ؟

الرأىُ أن يدفع الينبوع تلك الأكياس ، وأن يهدّد بالغَرق من ينزلون لتثبيت تلك الأكياس ، فكان للينبوع ما أراد

فإذا سمعتم أن خلائق ماتت بلا علة فاعرفوا أنها تعرضت لطمر ذلك الينبوع النفيس فى تلك الليلة الظلماء

وإن سمعتم أن ذلك الينبوع لم ينقطع عن الغناء ، فاعلموا أنه موصول الأواصر بوحى السماء

ولكن ما الموجب للحديث عن ينبوع حلوان فى هذا الوقت؟

ليتنى أعرف !

عتاب بعض المؤلفين

قرأت كلمة الأستاذ محمود عزت عرفة فى التعقيب على الكلمة التى نشرتها « الرسالة » لسعادة الأستاذ طه الراوى ، الكلمة التى بيّن فيها أن موشحة « أيها الساقى » ليست لابن المعتز ، وإنما هى لابن زهر أحد شعراء الأندلس

وأقول إن هذه الموشحة لها عندى تاريخ ، فقد نسبتُها إلى ابن المعتز فى الطبعة الأولى من كتاب « مدامع العشاق » ، ثم ارتبت بعد ذلك فى نسبها فأضفتها فى الطبعة الثانية إلى « أحد الشعراء » وقد صح عندى أن نسبها إلى ابن المعتز نسبٌ مدخول

وفى سنة ١٩٢٧ كتبتُ عن ناظمها الأصيل كلمة فى الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ تحت عنوان : « عرفناه ! عرفناه ! »

وكان الظن أن تستفيد اللجنة التى ألّفت كتاب الأدب للسنة التوجيهية من ذلك التحقيق الأدبى ، ولكنها خشيتْ أن يقال إنها استفادت من جهود أحد « أصدقائها » فى هذه البلاد !

والآن وقد وصل التحقيق من أحد فضلاء العراق لم يبق ما يمنع من تصحيح تلك الغلطة فى مطبوعات وزارة المعارف المصرية !

النواب الجامعيون

كثرت الحفلات فى هذه الأيام لتكريم الشبان الذين نجحوا فى انتخابات مجلس النواب من أبناء الجامعة المصرية ، وهم الأساتذة محمد فريد زعلوك وأحمد قاسم جودة وجلال الدين الحمامصى وحسين شعير وعلى كريم ومحمد مصطفى خليفة ومحمد زكى علام .

فما معنى ذلك ؟

أيكون معناه أن الفكرة الجامعية ستسيطر على الحياة النيابية ؟

أيكون معناه أن التفكير الحر ستكون له أسندة من أولئك الفتيان ؟

ليت ثم ليت ؟!

أيكون معناه أن الحركة الفكرية ستظفر برعاية جديدة تصدّ عنها عوادى الجهل ؟

ليت ثم ليت !

كنت أنظر إلى ما يصنعه النواب والشيوخ الوفديون فى عهد الوزارة الماضية فأعجب وأطرب ، فقد كانوا يقهرون تلك الوزارة على السماح بنشر ما يمنعه الرقيب ، وكان سبيلهم إلى ذلك أن يثيروا المشكلة فى مجلس النواب أو مجلس الشيوخ ، فيصبح من حق الجرائد أن تنشر ما تعرّض لمنعه الرقيب

فهل ننتظر من النواب الجامعيين مواقف تشبه تلك المواقف فى الانتصار لحرية الرأى والفكر والبيان ؟

وهل نرجو أن يكون لجهادهم النيابى لونٌ يتسم بالغيرة على الحرية الفكرية ؟

كل ما أخشاه أن يتساقوا مع التيارات السياسية لتقام لهم حفلات جديدة باسم الوزراء الجامعيين !

عذركم مقبول ، أيها الفتيان ، فالأدب الصِّرف لا يسوق لأصحابه غير المتاعب ، ولا يؤهلهم لغير التمرس بمعضلات الوجود

مع الدكتور طه حسين

المعروف أن بينى وبين الدكتور طه « ما صنع الحدّاد » وإن كنت أجهل المراد من هذه العبارة المصرية ، ولكن ما صنع الحداد لا يمنع من لقاء الدكتور طه حسين ، لأنه جارى بوزارة المعارف ، والجيران يتلاقون كارهين أو طائعين ، وفى ذلك التلاقى يجرى الحديث حول محصول الحركة الأدبية فى هذه الأيام ، وهو يقرأ جميع ما تنشر المجلات ليعرف إلى أى مدى ينتهى جموح بعض الكاتبين !

— أنت يا دكتور زكى تتجاهل أن الدنيا فى حرب .

— وماذا يصنع الكاتب فى أيام الحرب ، ياسيدى الدكتور ؟

— يكتب ثم يطوى ما يكتب إلى أن تجىء أيام السلام

— وإذا نشر ما كَتَب ؟

— يعاقب بالصمت .

— ولكن الكتابات الأدبية كالود الصحيح وهو يُطلب فى جميع الأوقات

— هنالك أوقات تكون منها الصحة ضرباً من الاعتلال ، ويكون الفوز لأهل الأمراض

— وهل وصلنا إلى هذه الغاية يا سيدى الدكتور ؟

— لم نصل إلى هذه الغاية ، ولكنى أخشى عواقب هذه الحال

> **أعداد الرسالة الخاصة**
>
> فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بارسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

— وما هذه الحال ؟

— هى ضعف الأعصاب عند جميع الناس ، بحيث يجوز الضجر من أجل الأشياء، وأشرف المعانى

— ولكن المفكر مسؤول أمام قرائه فى كل وقت ، وفيهم من يجهل أن الدنيا فى حرب

— من واجب المفكر أن يعلّم قراءه ما يجهلون

— وهذا ما أصنع يا سيدى الدكتور

— هل علمتهم أن الدنيا فى حرب ؟

— قصصت عليهم قصة الطائر الغريب

— وما قصة الطائر الغريب ؟

— هو طائر يساير الأنوار المبثوثة فوق الشواطئ

— لأى غرض ؟

— ليعرف مسابح الأسماك فيهديها سواء السبيل

— الناس يقولون غير ذلك !

— وماذا يقولون ؟

— يقولون : إن الطائر يضع المصابيح ليجتذب الأسماك إليه

— وماذا أصنع إذا كانت الطبيعة ترى النور سر الجاذبية ؟

— ومن أجل هذا تطالب بحرية الفكر والرأى ؟

— هو ذلك !

— إكتم هذا الحديث يا دكتور زكى ، ولا تخبر أحداً بأنك حاورتنى فى الأنوار والظلمات

— سمعاً وطاعة ، يا سيدى الدكتور ، فلن أنشر هذا الحديث إلا بعد انتهاء الحرب

امتحان جديد

تقوم الشواهد فى كل يوم على أن الحكم للسيف والمدفع ، وأن المعانى الروحية فى سبيل الزوال ، فكيف نلقى القراء فى حدود ما عودناهم لعهد السلام؟ وكيف نناضل لحفظ سلطان الرأى فى زمن تضعضعت سلطنة الرغيف ؟

هل نترك معالجة المشكلات اليومية وننصرف إلى معالجة المشكلات التاريخية ؟

هل نتحدث عن جبل واق الواق فى أساطير الأولين ؟ لا هذا ولا ذاك، فسترون كيف نخرج من امتحان هذا الزمان بأمان

يقال ويقال

يقال : إن المؤلفات الأدبية ظفرت فى هذه الأيام برواج لم تعرفه من قبل ؛ ويقال : إن السبب فى هذا الرواج هو نفرة العقول من سخف الدعايات الأجنبية

ويقال : إن الحرب علمت المصريين أشياء وأشياء ، ولكنها غفلت عن تعليمهم معنى التضامن الوطنى ، فجهلوا التعاون فى توفير الأقوات

ويقال : إن وزارة الشؤون الاجتماعية قضت أعواماً فى تعريف الصناع والزراع بأنهم تعساء ، ولم تعلمهم كيف يدفعون التعاسة بشرف النضال فى المطالب الحيوية

ويقال : إن فى النية فرض ضريبة على النساء اللائى يتباهين بنشر صورهن فى بعض المجلات

ويقال أيضاً : إن أزواجاً سيعاقَبون على السماح لزوجاتهم بالاشتراك فى « المراقص الخيرية » ! !

وسمعت ثم سمعت أن الدولة ستحرم الرّياء الاجتماعى تحريماً قاطعاً ، وأنها لن تبيح شرف النيابة عن الأمة لمن يسمح لزوجته بإقامة حفلات الاستقبال

وحدثنى من أثق بصدق روايته أن الميسر سيكون من المحرّمات ، وأن السهر فى المنازل سيُمنع بعد صلاة العشاء

صلاة العشاء ؟ . . . صلاة العشاء ؟

يظهر أننى انتقلت إلى الحديث عن أهواء التاريخ !

زكى مبارك

خسرو وشيرين

فى التصوير الإسلامى

للدكتور محمد مصطفى

(تتمة)

بعد أن رفع شابور الستار عن مخبأ شيرين ، تقدم خسرو إليها ، فخرّت أمامه ساجدة تقبل الأرض تحت قدميه ، وطفقت تشكو إليه بثها وحزنها ، وتذرى دمعها ، وتمرى جفنها ، فأحضر



(شكل ١)

خسرو موبذ الموبذان وأمره أن يزوجه شيرين ففعل[١] . وشاء أن يعم الفرح والسرور قلوب المقربين إليه ، فأمر موبذ الموبذان فزوج مطربه باربد ، نيكيسيا ، مطربة شيرين ، وصديقه شابور ، هما يون ، صديقتها ، وأجلس شابور على عرش مملكة أرمينيا مكافأة له على مساعيه التى كللت بهذا النجاح . وبعد أن قضى الزوجان الحبيبان فى قصر شيرين وقتاً هنيئاً سعيداً ، رجعا إلى المدائن حيث أقاما حفلات الزواج الرسمية وتوّجت شيرين إلى جانب خسرو ملكة على عرش إيران .

(١) أنظر ما يرويه الفردوسى عن زواج خسرو وشيرين فى الشاهنامه جـ ٢ ص ٢٣٧ — ٢٣٩

وفى (شكل ١) يجلس خسرو وشيرين فى إحدى الليالى على عرش فاخرة بمنظرة جميلة ، فى وسط حديقة غناء . وأمام العرش شموع موقدة تحيط بفسقية تسبح فيها ثلاث أوزات . وإلى اليمين بعض رجال الحاشية ومعهم الخدم والسقاة يحملون الطعام والشراب ؛ وإلى اليسار يجلس فريق من وصيفات شيرين ، وهن يروين القصص لتسلية الزوجين الحبيبين . وإحداهن — وهى الجالسة إلى الخلف بجانب المنظرة — لها سحنة أوربية ، ويظهر من ملامحها أنها رومية الأصل[١] . وهذه الصورة[٢] من تصوير آقا ميرك[٣] أحد مشاهير مصورى عصر الشاه طهماسب الأول الصفوى ، وهى فى مخطوط نظامى السابق الذكر[٤] المكتوب لهذا الشاه .

وفى (شكل ٢) يجلس خسرو فى روضة على سجادة جميلة ، وقد وضع سبابة يده اليمنى فى فمه ، وهو يتحدث إلى شاب راكع إلى يمينه ، بينما يعتمد بمرفقه الأيسر على ركبة زوجته شيرين



(شكل ٢)

(١) انظر Laurence Binyon, p. 20

(٢) منقولة عن: Laurence Binyon, pl. X انظر أيضاً : Martin, II, pl. 136 و Sakisian, pl. LXXIX fig. 142 و S. P. A., V, pl. 896

(٣) أنظر ما كتبناه عن هذا المصور فى العدد ٤٦١ من « الرسالة » ص ٥٠١ شكل ٣

(٤) أنظر ما كتبناه عن هذا المخطوط فى العدد ٤٥٠ من « الرسالة » ص ٢١٢ شكل ٢

مولياً ظهره إليها . وإلى اليمين تجلس نيكيسا مطربة شيرين وهي تعزف على « الرباب » . ويظللهم جميعاً فرع من شجرة زاهرة ، وقف عليه عصفور رشيق له ذنب طويل ، وقد انحنى إلى الأمام كأنه يتأهب لالتقاط قطعة الحلوى التي في يد شيرين . وهذه الصورة[١] مرسومة على « لوحة » من نسج الحرير ، كتب عليها من الخلف « عمل أستاذان خطاى » فظهرت الكتابة مقلوبة في أعلى الصورة إلى اليمين . وهذه الكتابة تدل على أن مصور هذه الصورة فنان من التركستان الصينية ، كما يظهر التأثير الصيني بوضوح في طريقة تصوير فرع الشجرة والزهور ، وفي رسم العصفور الواقف عليه . ويعتقد الدكتور كينل[٢] أنها من تصوير فنان صيني أراد أن يمارس التصوير في إيران فرسم موضوع « خسرو وشيرين » ، ويظهر أنه رأى صوراً كثيرة لخسرو وهو يضع سبابته اليمنى في فمه علامة لدهشته إذا فوجئ برؤية شيرين الجميلة[٣] ، فرسمه هنا أيضاً في هذا الوضع ، مع عدم وجود ما يبرر الدهشة ، إذ تجلس شيرين إلى جواره ، ولا يفاجأ برؤيتها . ويؤرخ الدكتور كينل[٤] هذه الصورة من الثلث الأول للقرن التاسع الهجري (١٥ م) – وهو الأرجح – بينما يؤرخها الأستاذ « كوماراسوامي[٥] » في القرن العاشر الهجري (١٦م) وهذه الصورة محفوظة في متحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطون .

* * *

هكذا مضت الأيام وتوالت السنون وخسرو ينعم بالحياة السعيدة مع زوجته الحبيبة ، وقد خلبته الدنيا فاسترسل إليها . إلى أن كان ذات يوم وقد جلس في إيوان المدائن ، وحوله الحراس الأشداء الأقوياء ، وبين يديه رجال حاشيته وبلاطه ، تحيط به

(١) منقولة عن Amanda K. Coomaraswamy, Les miniatures orientales de la collection Goloubew au Museum of Fine Arts Boston, pl. XXX, fig. 55 a
وانظر أيضاً : Schulz, II, Taf. 65 و Martin, II, pl. 51 و Sarre & Martin, pl. XVII 2 و Kühnel, Miniatur, Abb. 39 و Migeon, Manuel, I, p. 150, fig. 25 والدكتور زكي محمد حسن — التصوير في الاسلام — اللوحة ١٦ شكل ٢١

(٢) انظر : Kühnel, Miniaturmalerei, p. 55

(٣) راجع ما كتبناه عن ذلك في العدد ٤٠٨ من « الرسالة » ص ٤٣٨ شكل ٤

(٤) انظر : Kühnel, Book Painting, in : S. P. A., III, p. 1854, n. 4

(٥) انظر : Amanda K. Coomaraswamy, p. 37—40

من كل ناحية مظاهر القوة والأبهة والجلال ، وكانت بيده مرآة صقيلة جميلة ، هي تحفة نادرة تليق بمقامه السامي الرفيع ، يتطلع فيها إلى وجهه في زهو وخيلاء وغرور . وعلى حين بغتة انتفض هذا الملك الجبار ، إذ رأى بين شعور لحيته السوداء المرسلة بعناية فائقة ، شعرة بيضاء تتألق بينها ، كأنها نجمة بعيدة في ليل دامس الظلام . وبهت خسرو لهذه الظاهرة العجيبة ، وأرسل يدعو معلمه بزرجميد الحكيم ، ليسأله رأيه في هذا الأمر الغريب . ولما حضر ذلك الرجل الخبير بدواخل الأمور ، ابتسم وحاول أن يسرى عن الملك ، ثم أخذ يشرح له نظام الكون ، ومصير الخلق ، وأفهمه أن دوام الحال من المحال ، وأن مآل كل شيء إلى الزوال

* * *

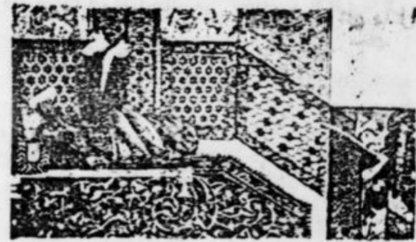
وشبَّ شيرويه بن خسرو من زوجته مريم بنت أمبراطور الروم ، وقد تحقق فيه ما تنبأ به المنجمون عند ولادته ، ومرق عن الدين ، وخرج عن طاعة رب العالمين ، فلم يحمد أحد سيرته إذ كان مطبوعاً على الشر والإثم . وصادف أن رأى يوماً زوجة أبيه شيرين ، فراقت في عينيه الآثمتين ، واشتهاها لنفسه . وهيأت له نفسه الشريرة أن يقتل أباه ، فيحصل على العرش ، ويستأثر بالملكة الجالسة عليه

وذات ليلة أرسل شيرويه رجلاً من صنائعه ، تسلل إلى مخدع الملك ، وطعنه طعنة نجلاء أصابته في مقتل ، ثم فرّ هارباً . وصحا خسرو والدماء تنزف من جرحه بغزارة وتبين أنه لا أمل له في النجاة من جرحه القاتل ، واشتهى جرعة من الماء يخفف بها آلامه وأوجاعه . ولكنه أبى على نفسه أن يوقظ زوجته الحبيبة شيرين . وبعد أن ملأ ناظريه من وجه شيرين ، أغمض جفنيه ، واستسلم للموت ، فجاء برداً وسلاماً عليه ، وأسلم الروح

وشيئاً فشيئاً صحت شيرين ورأت خسرو يرقد إلى جوارها وقد فارقته الحياة ، فبكت وتوجعت ، ولكنها تمالكت نفسها ، إذ علمت أن أمامها واجباً نحو زوجها الراحل يجب عليها أن تؤديه وقامت إلى جثمانه ، فغسلته وضمخته بالعطور والزيوت ، وأعدته لموكبه الأخير[١]

(١) لا يسهب الشاعر نظامي في سرد حادث مقتل خسرو ، ويخالف في ذلك ما يرويه المؤرخون من أن شيرويه حبس أباه ثم أمر بقتله وهو في السجن . أنظر تفصيل ذلك في الشاهنامه ج ٢ ص ٢٥٠ وما بعدها والطبري ج ٢ ص ١٥٩ وما بعدها ونولدكه ص ٣٧٩ وما بعدها

وفى (شكل ٣) تقف شيرين مع إحدى وصيفاتها ، وهى تبكى وتندب زوجها الراقد جثمانه على السرير ، وفى صدره جرح غائر تتدفق منه الدماء . وإلى اليمين يفر القاتل هارباً من الباب وفى يده سيف مسلول يقطر منه الدم . ونلاحظ الزخرفة النباتية الجميلة فى بلاط أرضية الغرفة ، وما يظهر على الحائط من نقوش دقيقة من صور آدمية ورسوم حيوانات وطيور . وهذه الصورة[١] فى مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر خسرو الدهلوى ، كتبه الخطاط سلطان على فى سنة ٩٠٠ هجرية (١٤٩٦ م) وهو محفوظ فى مكتبة الدولة ببرلين[٢]



(شكل ٣)

بعد أن هيأت شيرين جثمان خسرو لموكب الجنازة ، جاءها رسول من قبل شيرويه ، يبلغها هيام سيده بها[٣] وتظاهرت شيرين بالقبول ، ولبست أبهى ملابسها ، وتزينت بأجمل زينة لديها ، فابتهج شيرويه وظن أنها رضيت به . ولما وصل الموكب إلى القبر ، أدخل النعش إليه ، وبقيت شيرين بمفردها فى القبر إلى جانب جثمان زوجها تحرسه . ولما أقفل الباب رفعت الغطاء عن صدر خسرو وقبلت مكان الجرح ، ووضعت خدها على خده واستلت خنجراً أغمدته فى قلبها ، ثم بقيت تحتضن حبيبها بين ذراعيها

خاتمة

يقول صاحب الشاهنامه[٤] : ينبغى لمن يطالع أحوال خسرو برويز ويقرأ أخباره أن ينفض ذيله من الدنيا الغرّارة الغدّارة ، فلا يسترسل إليها ، فإن سمّها يغلب ترياقها ، وآمال بنيها تنتج إخفاقها . وقبيح بالعاقل أن ينوى الإقامة فى المراحل ، ولو أمكن دفع طارق الحدثان ، بالملك والسلطان ، والتمكين والإمكان ، والأنصار والأعوان ، لكان خليقاً بذلك خسرو برويز الذى عم

(١) منقولة عن : Schulz, II, Taf. 58, Abb. 1 أنظر أيضاً : Arnold and Grohmann, The Islamic Book, pl. 49 B

(٢) أنظر : Schulz, I, p. 112—113

(٣) أنظر تفاصيل أخرى فى الشاهنامه ج ٢ ص ٢٥٦ — ٢٥٧

(٤) ج ٢ ص ٢٤٥ وما بعدها

أمره طلاع الأرض ، وأطاعته ملوك الشرق والغرب ، وكان يحمل إليه خراج الهند والروم والترك والصين ؛ وقد جاء خبر موته إلى النبى صلى الله عليه وسلم يوم صلح الحديبية مع أهل مكة[١]

وفى وفاة خسرو يقول الشاعر[٢] :

هى الدنيا تقول بملء فيها : حذار حذار من بطشى وفتكى
ولا يغرركم حسن ابتسامى ، فقولى مضحك والفعل مبكى
بكسرى برويز اعتبروا فإنى أخذت الملك منه بسيف هلك
وكان قد استطال على البرايا ونظم جمعهم فى سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوماً لقال لها عتواً : أف منك
ولو زهر النجوم بغت رضاه تأبى أن يقول : رضيت عنك
فأمسى بعد ما ملك البرايا أسير الموت فى ضيق وضنك !

(تم)

محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) أنظر تولدكه ص ٣٠٣ حاشية ١

(٢) نقلا عن الشاهنامة ج ٢ ص ٢٥٦ بدون أى ذكر لاسم الشاعر . وقد تفضل الأستاذ محمد البرهامى منصور بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية وأرشدنى إلى أن هذه الأبيات من قصيدة لأبى الأعرج السارى يرثى بحر الدولة ، أنظر شرح شواهد الشذور ص ٢٧ — طبعة العامرة العثمانية — تأليف الشيخ محمد على الفيومى الشافعى

في الفلسفة الإسلامية

ابن باجه

للأستاذ عمر الدسوقي

لمحة تاريخية

فتح العرب الأندلس فى أواخر القرن الأول الهجرى على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير ، وظلت الأندلس ولاية تابعة للبيت الأموى فى دمشق ، ولما سقطت دولة بنى أمية ، وأسس بنو العباس ملكهم فى بغداد ، وأخذوا يضطهدون الأمويين ، فرَّ الأمير عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل إلى الأندلس فى سنة ١٣٣ هـ ، ٧٥٠ م . وقد أفلح فى تجديد ملك بنى أمية بالأندلس ، ولكنه لم يتسم هو أو خلفه بلقب أمير المؤمنين أو خليفة المسلمين ، وإنما كان ذلك فى عهد عبد الرحمن الثالث الأموى ٣٠٠ — ٣٥٠ هـ و ٩١٢ — ٩٦٠م ، وظلت الخلافة قائمة حتى سنة ٤٠٣ هـ ، ١٠١٣ م حين غلب الأمويون على أمرهم وانتشرت الفتن فى البلاد ، وضرب البربر قرطبة ، ومن ثمَّ استقل كثير من الأمراء بمقاطعات صغيرة ودعوا بملوك الطوائف : كبنى عباد بإشبيلية ، وبنى الأفطس ببطليوس ، وبنى ذى النون بطليطلة ، وبنى هود بسرقسطة ، وبنى عامر ببلنسية ، ومجاهد العامرى بجزر البليار

وفى ذلك الوقت قامت فى المغرب ثورة تدعو إلى استقلاله عن الأندلس ، وانفرد بالحكم فيه المرابطون . وقد حدث أن دعا ملوك إشبيلية المرابطين لنجدتهم فى بعض حروبهم ضد الفرنجة ، فأعانوهم ثم تغلبوا على بقية الأندلس وظلوا يحكمونها أكثر من نصف قرن حيث ذهب ملكهم فى بلاد المغرب على يد الموحدين الذين ورثوا عنهم الأندلس وحكموها مدة قرن من الزمان ١١٤٩م — ١٢٣٢م ؛ وبعد سقوط هذه الدولة عادت الأندلس إلى التفرقة والانقسام ، ثم أخذ ملك حكامها يتقلص تدريجياً إلى أن أجلى العرب عن غرناطة آخر حصونهم سنة ١٤٩٢ م

أما الحالة الفكرية فكان المغرب فى أثناء حكم الأمويين يعتمد على المشرق فى كل شىء تقريباً من الناحية العلمية ، وكان يستعد للنضوج الفكرى ، وقد اجتهد الأمويون ولا سيما فى خلافة الحكم بن عبد الرحمن ٣٥٠ — ٣٦٦ هـ فى جلب كثير من الكتب الثمينة التى ألفت فى الشرق ، كما كان علماء المشرق الذين ضاقت بهم الحال فى بلادهم يجدون فى الأندلس سوقاً رائجة لأفكارهم ومعلوماتهم ، وكذلك كان كثيرون من محبى العلم فى الأندلس يقصدون الشرق واردين العلم من منابعه الأصلية ، فيمرون بمصر والشام وبغداد والحجاز وقد يذهبون إلى فارس . على أن الحياة الفكرية لم تبلغ أشدها فى المغرب إلا فى عهد المرابطين ، ثم بلغت أوجها الذهبى فى زمن الموحدين حيث ظهر ابن طفيل وابن رشد وابن زهر وغيرهم . ويجدر بنا قبل الكلام عن ابن باجة أن نبدى الملحوظات الآتية :

١ — كان المغرب بعيداً عن المنازعات الدينية العنيفة التى ظهرت فى الشرق ، فلم يسد فيه إلا مذهب مالك ، ولم يكن فيه لا مجوس ولا زنادقة ، ولم يظفر فيه كثير من علماء الكلام والجدل . وكان أهم ما يعتنى به أهله ولا سيما فى عصر الأمويين الطب والرياضيات والتنجيم . وكان الناس مشغوفين بالشعر والتاريخ والجغرافيا ، ولم تكن موجة التفلسف قد غمرتهم وأفسدت عقولهم كما هو الحال فى المشرق . هذه كانت حال الأندلس أول الأمر

٢ — ولكن نجد أن المذهب الظاهرى الذى يمثله ابن حزم — وهو من أشد المذاهب ضيقاً — يسيطر على الأندلس ، حتى نرى كل من يفكر فى الفلسفة يضطهد . فلما قدم عبد الله بن مرة القرطبى إلى بلاد الأندلس يحمل الفلسفة الطبيعية (التى يمثلها الكندى) فى عهد عبد الرحمن الثالث أحرقت كتبه أمام ناظريه ولهذا لم يجد الفلاسفة جواً من الحرية حتى ينشروا آراءهم . ولقد اضطهد ابن باجة وابن رشد من العامة والخاصة على السواء ؛ ولهذا أيضاً اتخذ فلاسفة الأندلس النظرية القائلة بأن الفلسفة لا تصلح للعامة وإنما هى وقف على الموهوبين من الخاصة ، وسنجد كذلك محاولتهم فى التوفيق بين الفلسفة والدين

٣ — لم يوجد فى الأندلس جماعة يقومون بالنقل والترجمة ويتقدمون بعرض الآراء الفلسفية كاليعاقبة والنساطرة فى الشام والعراق ؛ أما اليهود الذين ادعى كثير من المستشرقين بأنهم كانوا الواسطة فى نشر الفلسفة بين مسلمى الأندلس فأثرهم ضئيل ، وهؤلاء كانوا تلامذة للمشارقة فتأثر باخيا بن باقودا بإخوان الصفاء وتأثر ابن جبرول وغيره بفلاسفة المشرق الإسلاميين[1]

وعلى العموم فقد كانت الحياة بالأندلس غير ملائمة لجو الفلسفة ، وكان الفيلسوف يشعر بوحشة نوعاً ما لشدة التعصب وضيق العقل

(١) أنظر دى بور ترجمة أبى ريده ص ٢٣٧

من هو ابن باجه

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجّه[١] ولد فى مدينة سرقسطة فى أواخر القرن الخامس الهجرى في ذلك الوقت الذى عصفت فيه ريح الانحلال بدولة بنى أمية بالأندلس ، وشب أبو بكر والمرابطون يحكمون فى البلاد ، فاتخذه حاكم سرقسطة أبو بكر بن ابراهيم صهر أمير المرابطين جليساً له ووزيراً مما أوغر صدر العساكر والفقهاء[٢] ولكن الأحوال فى سرقسطة اضطربت وهاجمها ألفونس الأول ملك أرجونة فسقطت فى يده عام ٥١٢هـ ، ١١١٨م . فرحل عنها ابن باجه ، وذهب إلى أشبيلية ، واستقربها وألف فيها بعض رسائله فى المنطق كما يقول مونك[٣]. وقد فرغ من إحداها في شوال سنة ٥١٢ هـ ، وتوجد فى مكتبة الأوسكوريال تحت رقم ٦٠٩ . ثم قصد ابن باجّه مدينة غرناطة وأقام بها مدة ، ومن ثم ذهب إلى بلاد المغرب . ولما مر بشاطبة اعتقله الأمير أبو إسحق بن يوسف بن تاشفين كما روى الفتح ابن خاقان بسبب لم يذكر ولعله الزندقة ، ولكن مالبث أن أطلق سراحه بشفاعة والد الفيلسوف ابن رشد

وروى أن أبا بكر بن يحيى بن تاشفين استوزر ابن باجّه عشرين سنة ، ولكن « مونك » يشك فى ذلك لأن الحوادث التاريخية لا توافق هذه الوزارة ؛ إذ أن أبا بكر بن تاشفين كان قد فر من فاس سنة ٥٠١ هـ - ١١٠٧م ؛ وذلك قبل نزوح ابنه إلى بلاد المغرب فيظهر أن مسألة الوزارة هذه غير صحيحة

مات ابن باجه ولم يعدُ طور الشباب ، وقيل إنه مات مسموماً إذ كاد له أطباء بلده حسداً منهم وحقداً . وكان ابن باجه قد منى بأعداء كثيرين ، وكانت وفاته فى رمضان سنة ٥٢٣هـ ١١٣٨م بمدينة فاس ، وكان قبره بجوار قبر القاضى ابن العربى

ومن أشهر أعدائه الذين حاربوه ورموه بالزندقة والكفر والخروج عن جادة الدين الفتحُ بن خاقان الغرناطى صاحب « قلائد العقيان » ؛ ومما قاله قادحاً فيه : « إن ابن باجه رمد جفن الدين . وكمد نفوس المهتدين ، اشتهر سخفاً وجنوناً ، وهجر مفروضاً ومسنوناً ، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة ولا استنجي من حدث ، ولا أقر بباريه ومصوره ... نظر فى تلك التعاليم ،

(١) الباجة بالتشديد كما قال ابن خلكان وصاحب نفح الطيب ومعناها للفضة بلغة نصارى الأندلس
(٢) قلائد العقيان للفتح بن خاقان
(٣) Munk فى كتابه Mélanges de phelosophie Juife et Arabe

وفكر فى أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض كتاب الله الحكيم ، واقتصر على الهيئة : (الفلك) ، وحكم للكواكب بالتدبير ، واجترأ عند سماع النهى والإيعاد ، واستهزأ بقوله تعالى : « إن الذى فرض عليك القرآن لرادُّكَ إلى معاد » ؛ فهو يعتقد أن الزمان دور ، وأن الإنسان نبات له نَوْر ، جمامه تمامه ، واختطافه قطافه . وانتمت نفسه إلى الضلال وانتسبت ، ونفت يوم تجزى كل نفس بما كسبت ، فقصر عمره على طرب ولهو ، وأقام سوق الموسيقى ، فهو يعكف على سماع التلحين ، ويعلن بذلك الاعتقاد ولا يؤمن بشىء قادنا إلى الله فى أسلس قياد ، مع منشأ وخيم ولؤم أصل وصورة شوهها الله وقبحها[١] »

ولا شك عندى وعند كل ذى لب أن هذا كلام متحامل فيه كثير من لغو القول وسخف العقل وتحريض للعامة ضد الفلاسفة

منزلته

يقول ابن أبى أصيبعة عن ابن باجه : « كان فى العلوم الحكمية علامة وقته وأوحد زمانه . وكان متميزاً فى صناعة الطب ، وكان متقناً لصناعة الموسيقى ، جيد اللعب بالعود[٢] » ؛ وعده ابن خلدون من أكابر فلاسفة الإسلام بالأندلس ، وشهد له ابن طفيل فى حى بن يقظان بالتقدم والفضل ، كما أن ابن رشد أعجب به كثيراً وحاول شرح بعض كتبه ؛ وعندنا أن لابن باجه ميزتين :

١ — إنه أول المشتغلين بالفلسفة فى الأندلس بعد أن ظلت كتب الفلسفة زمناً طويلاً مطمورة فى مكاتب المغرب ، ولهذا كانت خطوته جريئة ؛ إذ الغلبة الفكرية كانت لرجال الدين ، وهذا يعلل لنا ما لاقاه من اضطهاد وعداوة ظاهرة ، ويفسر لنا ما قاله الفتح بن خاقان آنفاً

٢ — إنه أول فلاسفة الإسلام الذين حاولوا أن يبحثوا الفلسفة مستقلة عن الدين ، وأن فى إمكان العقل الإنسانى أن يصل إلى المعرفة الحقيقية وكشف أسرار الوجود دون ما حاجة إلى التصوف والإجهاد بالعبادة

ومع ذلك لم يستطع ابن باجه أن يتم مؤلفاته لانشغاله بأمور الدنيا ، ولأن المنية اخترمته وهو فى ريعان الشباب . واستمع لابن طفيل يقول فيه : « ثم خلف من بعدهم خلف آخر أحذق منهم نظراً وأقرب إلى الحقيقة ، ولم يكن فيهم أثقب ذهناً ولا أصح نظراً ولا أصدق روية من أبى بكر بن الصائغ ، غير أنه شغلته

(١) قلائد العقيان ص ٣٤٦ — ٣٤٧ (٢) طبقات الأطباء ص ٦٢

الدنيا حتى اخترمته المنية قبل ظهور خزائن علمه وبث خفايا حكمته . وأكثر ما يوجد له من التآليف إنما هى كاملة ومجزومة[1] » ؛ وقد تأثر به ابن طفيل فى حى بن يقظان تأثراً عظيماً ، وما حياة حى بن يقظان نفسه ووصوله إلى المعرفة الحقيقية فى جزيرته الخالية من السكان إلا محاولة من ابن طفيل للبرهنة على رأى ابن باجه فى تمكن العقل الإنسانى من كشف أسرار الوجود وحده

مؤلفاته

ذكر ابن أبى أصيبعة عدداً كبيراً من كتب ابن باجه وأهمها: شرح كتاب السماعى الطبيعى ، قول على بعض كتاب الآثار العلوية لأرسطو ، قول على بعض كتاب الكون والفساد لأرسطو ، ثم تعليقات على كتابَى الحيوان والنبات لأرسطو ، وله تعاليق على بعض المسائل الهندسية ؛ أما مؤلفاته فكثيرة منها : كتاب فى الاسطقسات : (النار والماء والهواء والتراب) وكلام فى البرهان ، وكتاب النفس ، وكتاب اتصال العقل بالإنسان ، ورسالة الوداع وكلام فى الغاية الإنسانية ، وفصول قليلة فى السياسة المدنية ، ورسالة تدبير المتوحد ... إلى غير ذلك من الكتب

وليس لدينا وللأسف شىء من كتب ابن باجه ، ولقد أشار « مونك » إشارة موجزة إلى ما تحتويه رسالة الوداع سنذكرها فيما بعد ؛ ولخص أيضاً رسالة تدبير المتوحد ، أو نقلها عن العبرية رواية عن موسى الأربونى Moise de narbonne أحد فلاسفة اليهود فى القرن الرابع عشر الميلادى ، وشارح رسالة حى بن يقظان . وقد ذكر بروكلمن رسالة مخطوطة فى مكتبة برلين حاول نشرها الدكتور فروخ[2] ، ولم ينشر منها إلا صفحتين هما عبارة عن جمل مقتضبة غير متماسكة . ويظهر أن موضوع هذه الرسالة هو الغاية الإنسانية ، كما أن هناك رسالة فى المنطق لابن باجه فى مكتبة الأسكوريال سبقت الإشارة إليها فى أول المقال ، وقد كشف أبو ريدة مترجم دى بور جزءاً من رسالة تدبير المتوحد فى المكتبة التيمورية بمصر (رقم ٢٩٠)[3]

١ – رسالة الوداع[4]

كتب ابن باجه هذه الرسالة لأحد تلاميذه وأصدقائه قبيل اعتزامه رحلة طويلة حتى يكون على بينة من آرائه إذا قدر لهما ألا يلتقيا . وأول ما يظهر لقارئ رسالة الوداع رغبة المؤلف فى إحياء معالم الفلسفة والعلم ، لأنهما فى رأيه جديران بإرشاد الإنسان إلى الإحاطة بالطبيعة ، وبهدايته بعون الله إلى معرفة ذاته ، وبالاتصال بالعقل الفعال الذى يفيض من الله . ويتكلم فيها عن خلود النفس البشرية ، وعن العوامل التى تؤثر فى الإنسان وتدفع العقل فى سبيل الفكر ، وشرح غاية الوجود الإنسانى وغاية العلم وهما التقرب من الله عز وجل ، وكلامه فى خلود النفس مبهم ، ويقول باتحاد النفوس[1] ، وقد أخذ بهذا الرأى ابن رشد وكان لرأيه أثر كبير عند الفرق المسيحية حتى اضطر القديس توماس وألبرت الكبير للرد عليه فى مؤلفات خاصة . هذا وقد عاب ابن باجه الغزالى وقال : إنه خدع نفسه وخدع الناس حين قال فى المنقذ من الضلال : إنه يستطيع أن يكشف العالم الحقيقى والعقلى ويرى الأمور الآلهية بالخلوة ويلتذ التذاذاً كبيراً

ومن هذا نرى أن ابن باجه يهاجم الغزالى بعد أن كان تأثيره عظيماً فى بلاد المغرب ، وبعد أن أسكت صوت الفلسفة فى المشرق ، ونراه لا يؤمن إلا بطريق العقل سبيلاً للوصول إلى المعرفة الآلهية

٢ – رسالة تدبير المتوحد[2]

ذكر هذه الرسالة ابن رشد فى آخر كتابه على العقل الهيولانى حيث قال : « أراد أبو بكر بن الصائغ أن يختط خطة للمتوحد فى هذه الأمة ، ولكنه لم ينجزها وكثير منها غامض ، وسنحاول فى غير هذا المكان شرح غاية المؤلف من هذه الرسالة لأنه أول من سار فى هذا المضمار ولم يسبقه فيه أحد »[3]. بيد أن ابن رشد لم ينجز وعده ولم يبق لنا إلا ما نقله مونك عن موسى الأربونى ، وهذا المخطوط الموجود بالمكتبة التيمورية وهو غير كامل

وقد قسم الأربونى هذه الرسالة ثمانية فصول ، ويظهر أن غاية ابن باجّة فيها هى إثبات قدرة الإنسان المتوحد المنتفع بحسنات

(١) حى بن يقظان طبعة دمشق ص ٦٦

(٢) مجلة الأمالى السنة الأولى عدد ١١ ص ٢٩

(٣) دى بور ترجمة أبى ريدة ص ٢٤٦ (هامش رقم ١)

(٤) Munk, Mélanges p. 386

(١) مجمل هذا الرأى على حد ما ذكر ابن رشد : أن العقل الفعال يفيض بالصور والمعقولات من عند الله سبحانه ، ولما كان الله أزلياً كان العقل الفعال أزلياً كذلك ، لأنه جزء من الكون الذى يقول ابن رشد بأزليته ، وهذه المعقولات والصور التى يفيض بها العقل الفعال دوماً لا بد أن تعقل ولا تعقل إلا بالانسان ، إذاً فأزلية العقل الفعال تستلزم أزلية الانسان (النوع الانسانى) ، ومعنى اتحاد النفوس أنها ممثلة فى العقل الفعال الدائم الخالد ، وأن الانسانية دائمة خالدة ، وأنها تتحد فى العقل الفعال

(٢) مونك ص ٣٨٩ (٣) المرجع ذاته

الحياة البعيد عن مفاسدها ، على الاتصال بالعقل الفعال بقواه الفكرية وحدها . ولا يوصى ابن باجة بالخلوة – كما يفهم من لفظ المتوحد – إنما يرشد الإنسان المشتغل بشئون الحياة إلى سبل الوصول إلى الكمال ، وهو يشير إلى إمكان ذلك سواء كان هناك رجل واحد أو عدة رجال فى درجة واحدة من الفكر ، وقد يستطيع هذا أهل بلد بأسره إذا كان تام النظام . ولم تخف على ابن باجة صعوبة هذا الأمر فأوصى المتوحد بالعيش فى أغزر المدن علماً ، أى فى أقربها إلى الكمال ، وأجمعها لأهل الفضل والحكمة . وسنعرض فيما يلى أهم ما جاء بهذه الرسالة نقلاً عن « مونك » مختصرين ما أمكن (١)

الفصل الأول

تكلم ابن باجة أولاً عن لفظ « تدبير » وأنه يدل فى أوسع معانيه على مجموعة من الأعمال ترمى إلى غرض معلوم ، فلا يمكن أن يستدل به على عمل واحد ، بل على جملة أعمال تنجز تبعاً لخطة معينة كالتدبير السياسى والحربى . وينبغى أن يكون تدبير المتوحد على مثال تدبير الحكومة الكاملة ، ومن علامات الحكومة الكاملة ألا يكون بها أطباء أو قضاة ؛ لأن أهل هذه المدينة لا يتناولون من الغذاء إلا ما يوافقهم ، وبذا تختفى الأمراض الناجمة من الغذاء ، وأما الأمراض التى تصيبهم بسبب عوارض خارجية فتزول بنفسها . ولما كانت العلاقة بين أهل المدينة بعضهم مع بعض أساسها المحبة امتنع الخلاف فاستغنى عن القضاة . والحكومة الكاملة تكفل للفرد أن يبلغ فيها أرقى منزلة من الكمال ؛ لأن الكل يفكرون بأعدل تفكير ، وينظرون أدق نظر ، ويطيع كل فرد ما تأمر به القوانين ، لأنه يكون عالماً بها ، وبذلك تخلص أعمال الإنسان من الخطأ والهذر والخلل فلا يكون الناس بحاجة إلى الطب الأخلاقى وهو ما لا غنى للجمهوريات الناقصة عنه

(البقيه فى العدد القادم)

(بيروت) محمد الدسوقى

(١) وجدنا فى كتاب تاريخ فلاسفة الاسلام للأستاذ محمد لطفى جمعة ترجمة لما ذكره مونك عن ابن باجة ونقلا لكتاب تدبير المتوحد ، ولكن من الأسف لم يذكر الأستاذ جمعة أنه نقله عن مونك ، كما أن ترجمته تدل إما على قلة اكتراث أو عدم فهم ، وذكر كذلك ما نقله مونك عن الفتح ابن خاقان وطعنه فى ابن باجه الذى نقلناه سابقا ولم يرجع إلى قلائد العقيان لينقل منه النص العربى فجاءت ترجمته مشوهة ، كترجمته لتدبير المتوحد ، وهذه زلة من الأستاذ كنا ننزهه عنها

مراسلات . . .

الغيرة

إنى لتدركنى الشفقة أحياناً على هذه الكلمة المفردة ، كما يشفق امرؤ ذو قلب على عزيز قوم ذلّ ، وغنىّ قوم افتقر . إن أحداث الزمان قد جارت عليها ، وإن الدهر القُلّب الذى يتنكّر لكل شئ قد تنكّر لها . إنها كالموظف المعزول الذى لم يعد يظهر فى ديوان عمله ، أو كالعقد الثمين المتألق الذى لا يجد صدراً يزينه . إنها كالقلادة الرفيعة التى مات صاحبها وبقيت فى « مخلفاته » تندبه فى صمت ، وتذكّر به كلما رمقتها العيون !

لقد كانت « الغيرة » معنى مشرقاً فى صدور الرجال ، فأصبحت رسماً باهتاً فى بطون الكتب ؛ وكانت « مادة » ملموسة بارزة الأثر فى حياة الناس ، فأصبحت « مادة » قابعة فى قواميس اللغة !

لقد فتشت عنها فى نواح كثيرة من نواحى الحياة ، فلم أجدها كنت أحب أن أجدها : لم أجدها فى البيت لأنى وجدت « المرأة » تحكم « الرجل » ، فلا يغار على حقه المغصوب ، ولا يألم لسلطانه المسلوب ؛ ولم أجدها فى الطريق ، لأنى وجدت المخازى تعرض على قارعته فى صور مألوفة ، وأشكال معروفة ، فلا يغضب عليها غضِبٌ ولا يَحمَى بها صدرُ مِغيار ! ولم أفتقدها بين سُمّار الليل فى النوادى الآثمة والمجتمعات المتهتكة ، لأنى أعلم كيف تصرع هناك الفضيلة ويصفع الحياء ! ولم أجدها فى « مكاتب الموظفين » ، لأنى وجدت الأعمال فيها مهملة ، والأوراق مكدسة والناس على أبوابها يستصرخون ولا من يجيب الصريخ !

وأخيراً ، فتشت عنها عند الذين يتنادَوْن « بالإصلاح » ، ويتحلَّوْن « بالفضيلة » فلم أجدها : لم أجد من يغار على البرامج المعطلة ، والأمانة المضيعة ، والوعود المهملة ، والفساد الذى استشرى ، والنار التى تومض من خلال الرماد !

فأين – يا رب – أجدها ؟ أين « الغيرة » ؟ !

محمد محمد المدنى

السيلو هو السيرة والسير

للأب أنستاس ماري الكرملي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

٤ – السيرة أو السير لمخزن المبرة في بعض لغات الشرق

الأولى

ذكرنا بعض الألفاظ المقابلة لهذه الكلمة في اليونانية ، واللاتينية والإنكليزية والفرنسية والإسبانية ، فيحسن بنا الآن أن نذكر لها مقابلات في بعض اللغات المبثوثة في الشرق الأدنى .

ففي التركية يسمى هذا المخزن (كندوج) بالفتح وقد نقلوها من الفارسية (كندو[1]) بالفتح . « شيء يبنى كهيئة الدن ، فيجعل فيه الدقيق وغيره ، وهي في التركية الكنجاكية . وأما الترك الصميم فيقولون : كَنْدُك ، بفتح الكاف وإسكان النون وضم الدال المهملة وفي الآخر كاف . وقد توسعوا في معناها حتى أطلقوها على كل صبرة عظيمة من الطعام يصومع ويصمد حتى يظهر للناظر إليه كأنه دن كبير موضوع على وجه الأرض ، فسبب التسمية واضح ، فما الكندوج أو الكندك الآدنّ كبير أو كما يسميه الغربيون (سيلو) .

وقد قال صاحب محيط المحيط بهذا الصدد ما هذا نصه بأصله : « الكندوج [وقد ضبطها ضبط قلم بالضم] شبه مخزن من تراب أو خشب توضع فيه الحنطة ونحوها . معرب كندو بالفارسية » انتهى .

وهو ترجمة نصّ فريتغ ترجمة غير مضبوطة وهذه عبارته بحروفها اللاتينية :

(كَنْدُو Pers) Structura, in puam recondvnt
كَنْدُوج res, ei similis, puam مخزن Appellant. Karr
Vasa a liasve

ومعناها على ما يبدو لي : الكندوج[2] بناية على هيئة مخزن تحفظ فيها « الآنية وسائر الأشياء » انتهى . فالظاهر من هذا الكلام أن فريتغ لم يفهم كلام صاحب القاموس ، فأساء فهماً وأساء نقلاً ثم أخطأ كل من جاء بعده نقلاً عنه . وعلى أثره أخطأ جميع اللغويين المحدثين من العرب وجماعات المستشرقين النقلة ، وليس لنا متسع لإظهار شوائبهم ومعايبهم فهي أكثر من أن تحصى . فنكتفي بما نقله الشرتوني في أقرب الموارد .

قال : الكُندوج (وضبطها) بالضم جرياً على القياس اللغوي لا على السماع[1] والنقل على حد ما فعل صاحب المصباح وهو ليس حجة يعتمد على لغته الفصحى لأن لغته عربية فقهية وهي عثرة في طريق المحققين : شبه مخزن من تراب أو خشب توضع فيه الحنطة ونحوها (معرَّب) وفي المصباح : « ويطلق على الخزانة الصغيرة »

وقال صاحب البستان : الكندوج (وضم الأول أيضاً) : شبه مخزن من تراب أو خشب تحتكر فيه الحنطة دخيل (٥ – قلنا وقوله : تحتكر تغيير لقول الشرتوني « توضع فيه » وهذا هو الصواب لأن الغاية من وضعه في الكندوج حفظه من الآفات الجوية لا الاحتكار وهذا وهم منه ، فأراد أن يغير عبارة الشرتوني في نصها ويحسّنها ليبيّن تفوّقه عليه أو اختلافه عنه فاضرّ نفسه إذ لم يخفَ على أحد نقله وفساد معناه .

وورد في معنى مخزن الطعام في الكردية : چال وچالو وچاله .

ونكتفي بهذا القدر .

٥ – المطمورة بمعنى مخزن الطعام

نظن أننا وفينا موضوع (السيرة) و (والسير) حقه من البحث . بقي علينا أن نعالج موضوع (المطمورة) وقبل أن نعرفها ، نقول للواقفين على مقالنا هذا : إن المطمورة وردت بمعنيين : معنى ذكرته كتب اللغة ومعنى أهملته ، فنبدأ بذكر الأول فنقول :

المطمورة على ما ورد في القاموس : « الحفيرة تحت الأرض » وزاد في التاج : يوسع أسافلها ، تخبأ فيها الحبوب . والجمع المطامير : وطمرتها أنا : « ملأتها » – والكلمة قديمة في لغتنا الشريفة وهي في العراق من أقدم الألفاظ على ما نمهد . وقد ذكرها الليث

(١) وهي في أصل معناها على ما في كتاب (ديوان لغات الترك ، لمحمود بن الحسين بن محمد الكاشغري الذي ألفه سنة ٤٦٦ للهجرة والمطبوع في المطبعة العامرة في دار الخلافة العلية سنة ١٣٣٣ هـ الجزء ١ : ٣٩٩)

(٢) وهي مضبوطة بالفتح ، وهذا هو الصحيح الوارد في جميع نسخ القاموس المخطوطة المضبوطة ضبطاً . والبناية قد تكون من الخشب أو من التراب باللغة اللاتينية كما في العربية

(١) مما حفظنا وارداً على فعلول المفتوح الأول ، نقلا عن الأئمة الأثبات الثقات — وهي مدونة في معاجم اللغة : صعفوق ، وترنوق ، وصعقول ، وطرخون ، وبرشوم ، وقربوس (على لغة) : وبعكوك ، وكرموس ، وصندوق (على لغة) وسنطور ، وسنطور ، وقرقوف ، وطرخون ، وزرنوق ، وزرزور — ومن الأعلام : شمعون ، وسنهور ، وسعدون ، وخلدون ، وعبدوس ، وسحنون ، وعبدون ، إلى غيرها

فى عينه فقال : « المطمورة : حفرة يطمر فيها الطعام أى يخبأ (ج) مطامير . وكل من جاء بعد الليث وألف كتاباً فى اللغة نقل هذه العبارة ولم يعزها إلى قائلها الأول وهى نفس العبارة التى أخذها عنه الزمخشرى فى كتابه (مقدمة الأدب) فى ص٢٣ من نسخته المطبوعة وهذا نصها : (المطمورة : جاه . غـلّه وفى النسخة المحفوظة فى الخزانة البدليانية فى مدينة اكسونية زيادة هى : المطمورة حفرة يطمر فيها الطعام أى يخبأ . ج : مطامير » ٥١

وأهل العراق يُسمُّون بالمطمورة كل ما يتخذ لحفظ الطعام فيه ، إن كان فى بطن الأرض ، وإن كان على وجهها ، فهى كاللفظة الإفرنجية Silo تتخذ للدلالة على المعنيين أى بمعنى السرداب فى بطن الأرض والمخزن الذى يبنى على ظهرها . وهى عامة الاستعمال فى شمال العراق إلى جنوبيه . ولا ينطقون بغيره ، فإذا كان لحفظ الغلة فى بطن الأرض كان الموطن مهيأً دائماً . أما إذا كان فوق الصعيد فإن أصحابه يجعلونه جرة عظيمة ، ثم يسنمونها على هيئة مخروط ثم يسيّمونها ويصمدونها ، حتى إذا نزلت بها نوائب الجو من مطر وثلج وبرد ورياح قاومتها أحسن مقاومة ودفعت أضرارها على أتقن وجه وأسدّه

فتسمية أبناء الرافدين هذين الضربين من مخزن الطعام لا غبار عليه وإن اختلفت هيئتهما لأن أصل التسمية صار يقع على معنى « المخزن » الحافظ للغلة ، أيًا كان شكله . ولهذا فالعراقيون يحتفظون بهذا الاسم لقدمه عندهم ، ولصحة عربيته ، ولبقاء الأسماء على مسمياتها وإن اختلفت صورها وأشكالها وكيفية اتخاذها

وأهالى شمالى العراق يسمون مخزن الطعام على وجه الأرض اللوث ، وتلفظ بالفتح أى Loth ويجمع على ألواث على ما أفادنى ولدى بالروح (ميخائيل حنا عواد) وهو من نوابغ الشبان ، ويصنع بأن تحفر دائرة فى الأرض عمقها بين ١٠ و ١٥ سنتمتراً تسع الكمية الموجودة عند صاحب الطعام ، ثم تكدس الغلات شيئاً على شىء من تبن أو شعير أو حنطة وتجمع على هيئة مخروط ويُسيَّع خارجها ويصمد ، حتى إذا جاءت الأمطار وانحدرت عليها ولت فى وجهها بسرعة من غير أن تبقى فيها أثراً . والذين يكدسون الأطعمة على وجه الأرض من حنطة أو شعير يكونون أرباب حول وطول ، ولهم نواطير أقوياء يذبون عنها اللصوص والسراق . وأما الذين لا نواطير لهم فيجعلونها فى چالات (جمع چال) يحفرونها فى الأرض ويقيدونها بالقار الحسن منعاً لتسرب الماء والرطوبة إليها وچال (ويقال چاله وچالو) كردية معناها هذه الحفيرة

واللوث من أصل عربى فصيح معناه فى أصل وضعه : القوة والشدة لأن جمعك الشىء على الشىء الآخر تعصبه وتشده ، ومن هذا أيضاً قولهم : هذه ناقة ذات لوثة إذا كانت كبيرة الشحم واللحم معصوبة مشدودة ولا يمنعها ذلك من السرعة فهى صفة حسنة لها

وقد ذكر لى ولدى ميخائيل أن بعض المزارعين فى أنحاء بغداد يسمون (المطمورة) التى تقام على سطح الأرض (جبراية) والجمع جبارى . وأما الذين فى أرجاء تكريت فيسمونها جبريّة وزان قبطية . وأما أهل ديار المنتفق فى جنوبى العراق فينطقون بها على أصلها الفصيح بالميم ، أى أنهم يقولون (جَمْريّة) وهى من مادة (جمر) أى جمع شيئاً على شىء ، ورفع رأس المجموع . وهذا التحقيق من وحى المؤرخ المحقق الأستاذ يعقوب نعوم سركيس حفظه الله ورعاه

ومما ذكره لى ولدى بالروح ميخائيل عواد أن لأهالى تكريت ومن فى أنحائها لفظاً آخر لهذه المطمورة هى (اللّود) وتلفظ Lod وتجمع على ألواد ، والهمزة لا تكاد تلفظ وكأنك تلفظها بإسكان اللام وهى عندهم غرفة مستطيلة أو مربعة يخزن فيها التبن وأحياناً الحنطة والشعير ولا تكون مسقوفة فى أغلب الأحيان ، وتكاد تكون أرضها بمستوى سطح ما يجاورها من الأرضين أو ما انخفض عنه بقليل . و (اللود) يعرفها بهذا اللفظ وهذا المعنى أعراب شمر من عشائر العراق وتشبه كل الشبه (اللوث) المار ذكرها والمستعملة فى الموصل وأرجائها . ولعلها لغة فيها ، وقد ورد مثل هذه اللغة عند كثيرين من الأقدمين فقد قالوا : مدد الخبز ومرثهُ . وقالوا : الشيث تعريب الفارسية شِود وقد قلبت الواو ياء والدال المهملة الفارسية ثاء مثلثة

٦ — المطمورة بمعنى السجن والمطبق

وأشرنا إلى أن للمطمورة معنى آخر ، لم يرد فى معاجم اللغة وكان معروفاً فى القرون الوسطى أى فى عهد العباسيين ، بموجب التعبير العربى . وهذا المعنى هو السجن المظلم يسجن فيه المحكومون عليهم بالحبس الأبدى وورد أيضاً بمعنى جب عميق مغطى بنطاء ينقلب للحال بمن يطأه تخلصاً منه بسقوطه فيه وموته فيه حياً جاء فى تاريخ الرسل والملوك للطبرى فى ٣ : ٢٢٠٧ فى طبعة الإفرنج ما هذا نقله : « وفى يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الأولى ، دخل المكتفى إلى داره بالحسنى ، فلما صار إلى منزله

أمر بهدم المطامير التي كان أبوه اتخذها لأهل الجرائم » . انتهى

وفى مروج الذهب (٨ : ٢١٥ من طبعة الإفرنج) : « وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس وإطلاق من كان محبوساً فيها ، وأمر برد المنازل التي كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير إلى أهلها وفرق فيهم أموالاً »

ويخيّل إلىّ أنه كان فى العراق وديار الشام ووادى النيل وسائر البلاد الشرقية مطامير مختلفة العدد وقد اتخذت فى قرى عديدة حتى أن بعض القرى بقى اسم المطامير عليها لاشتهارها بها وإن زالت عنها . وقد جاء فى معجم البلدان لياقوت : « مطامير جمع مطمورة ، وهى حفرة أو مكان تحت الأرض وقد هيىء خفياً يطمر فيه الطعام أو المال ، إسم قرية بحلوان العراق ، وذات المطامير بلد بالثغور الشامية له ذكر فى كتاب الفتوح . . . ويقال له : المطامير أيضاً غير مضاف »

وفى كتاب الأنساب للبلاذرى بعد أن ذكر إلى أى ضيعة نسب أبو محمد المطاميرى قال : « وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ١٦٣هـ ، وكان فتوحها على ما قال الطبرى (٢ — ١٦٦٧) سنة ١٢١هـ على يد مسلمة بن هشام بن عبد الملك » فيظهر من هذا أن العرب كانوا يعرفون المطامير واتخاذها للطعام وللسجن قبل الإسلام ، على ما يرى فى استعمالهم لتلك الأسماء.

ولما مر ابن بطوطة فى المائة الثامنة للهجرة = ١٤ للميلاد بندربار من ديار الهند رأى أن كل مسلم يشرب الخمرة يحد ثمانين جلدة ويسجن فى مطمورة ثلاثة أشهر لا تفتح عليه إلا حين طعامه » (راجع رحلة ابن بطوطة طبع الإفرنج ٤ : ٥٢)

ومن يطالع فى معجم دوزى ما جاء على المطامير منقولاً عن المسافرين والكتبة يتحقق أن المطامير كانت فى جميع ديار الشرق الأدنى لغايات مختلفة فلتراجع فيه إذ قد ضاق بنا الموطن عن هذا البحث الجليل

أما من يحب أن يتابع فى تصانيف الإفرنج هذا الموضوع فعليه بمطالعة ما جاء باسم Oubliettes الإنكليزية وبعنوان Oubliette بالفرنسية فيقع على حكايات وتفاصيل فى غاية الغرابة والعجب والاستفادة . ثم كتب عديدة تبحث فى هذا الموضوع

٧ — مترادفات المطمورة وما يقابلها فى لغات الأمم الشرقية

رأينا العراقيين لا يستعملون إلى اليوم إلا لفظة واحدة هى (المطمورة) والآن أخذ بعضهم ينبذون استعمال هذه اللفظة ظناً منهم أنها عامية وأخذوا يستعملون فى مكانها (الهُرْى) ويجمعونها على (أهراء) قلنا : إنهم فى ضلال مبين ، لأن المطمورة وردت فى جميع كتب الفصحاء التى تكلمت على أمثال هذه المخازن ولم تهملها . وثانياً لأنها صحيحة الاشتقاق من لغتنا المحضة وثالثاً لأن المطمورة استعملت لمخزن الطعام الذى تحت الأرض ، ولما فوق الأرض . قال فى النهاية فى مادة (ط م ر)

« وفى حديث مطرف : من نام تحتَ صدف مائل وهو ينوي التوكل فليرم نفسه من طمار وهو ينوى التوكل : طمار بوزن قطام : الموضع المرتفع العالى . وقيل : هو اسم جبل ، أى لا ينبغى أن يعرض نفسه للمهالك ويقول : قد توكلت . انتهى كلام ابن الأثير

فهنا نص واضح على أن مادة طمر تفيد الدفن والحبس وتفيد أيضاً العلوّ والارتفاع ، فصحّت إذن المطمورة للاستعمالين .

ورابعاً أن الهرى يقابل الإفرنجية Grarge والإنكليزية Granary فهو إذن غير المطمورة .

خامساً أن الهرى ليست عربية بل لاتينية Horreum ومعناها كما هو فى العربية أى البيت الكبير يجمع فيه طعام السلطان فليست إذن بالطمورة وهل نبدل الصحيح الفصيح بالدخيل القبيح ؟

وقد ذكرنا سابقاً ما يقابل مخزن الطعام فى الأرض فى الفارسية والتركية والكردية . وأما فى الإرمية (السريانية والكلدانية فالمطمورة تسمى (مطمورتا) وتجمع على (مطمورياتا) كما هو مدون فى معاجمهم المعتمدة ومعناها المخبأة أيضاً

٨ — خلاصة هذه المقالة وزبدتها

خلاصة هذه المقالة وزبدتها : أن اللفظة الغربية (سيلو Silo) من أصل عربىّ هو (سَبْر) بالفتح ، أو (سِبرة) بالكسر ، ثم نقل إلى الأوربية باللام ، على لغة كانت لبعض قدماء العرب ينطقون بالراء لاماً فى كثير من الألفاظ . ولا نزال نسمع مثل هذا الإبدال إلى عهدنا هذا ، ولا سيما فى ديار العراق

ولقد وجدنا أحسن لفظة تستعمل اليوم بمعناها هى (المطمورة) لأنها خالية من معنى ثان يشوشها ، ولأنها عربية صميم لا غبار عليها ، ولأنها مستعملة فى العراق منذ عهد العباسيين ، بل قبل وجودهم فيه ، ولأن كل كلمة سواها كثيرة المعانى تفسد المعنى الرئيسى الأصيل ، ولأن (الصومعة) وجمعها (صوامع) لا ينجلى لأبصار الأدباء إلا بمعنى مسكن الراهب أو ما يشبهه . فما بقى علينا إلا أن نتبع الفصيح المتنع الذى قاوم الأدهار ، وصبر على فساد الأشرار ، ووبلغ إلينا سالماً من كل الأخطار !

(بغداد) **الأب أنستاس مارى الكرملى**



حول غزل السلطان سليم

قرأت في عدد « الرسالة » الأخير قصيدة غزلية للسلطان سليم الأول فاتح مصر نشرها الأستاذ عبد الله مخلص ، وقد سبق أن رأيت هذه الأبيات في مصادر أخرى غير التي استقى منها الأستاذ ، وهي مباينة لما نشره الأستاذ منها ، أما المصدر الذي تحت يدي فهو « عثماني تاريخ وأدبيات مجموعة س » بتاريخ ٣٠ نيسان سنة ١٣٣٤

وقد اطلعت على القصيدة أيضاً في « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » . وهناك خلاف في نسبة هذه القصيدة فقد جاء في « دائرة المعارف » أنها للسلطان أحمد خان الأول ، وجيء مكان البيت السادس ببيت آخر لطلائع ابن رزيك الوزير الشاعر العربي المتوفى سنة ٥٥٦ ، وقيل إن البيتين الأخيرين مع بيت المقطع لابن رزيك

وغزل ابن رزيك موجود في وفيات ابن خلكان وهو عبارة عن سبعة أبيات ، وهو خلاف غزل السلطان سليم المنشور في عدد « الرسالة » ٤٦٢ ، وهو برمته للسلطان نفسه

أما سبب الأخطاء التي وقع فيها صاحب خلاصة الأثر ودائرة المعارف ، وبعض المجاميع الأدبية التي تقول إنه للسلطان أحمد أو إن بعض أبياته لابن رزيك فيرجع إلى أن غزل السلطان فيه تشابه مع أبيات ابن رزيك في الوزن والقافية .

ثم إن القصيدة التي بين يدي سبعة أبيات لا غير ، أما التي جاء بها الأستاذ مخلص فأحد عشر بيتاً . هذا إلى أن الشطرات والمصاريع الموجودة بين الأبيات الكاملة غير موجودة فيما قرأت من المصادر . فما رأي الأستاذ في هذا ؟

ثم هناك تباين بين نصي القصيدتين ، فقد جاء في البيت الأول في القصيدة المنشورة بالرسالة « قمر يصول . . . » وعندي « ظبي يصول » ثم في البيت الثاني : « ما قام معتدلاً يهز قوامه » وعندي « وهن » إلى غير ذلك والأبيات ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ المذكورة في « الرسالة » غير موجودة أصلاً في المصادر التي أشرت إليها .

فإلى الأستاذ مخلص ، وإلى جمهور قراء الرسالة من الباحثين أقدم هذه المشكلة لعل أحدهم يستطيع أن يلقي ضوءاً نستنير به

ابراهيم أحمد أدهم

السلطان « سليم » والشعر

قرأت الشعر الذي أورده الأستاذ الفاضل عبدالله مخلص منسوباً إلى السلطان سليم العثماني ؛ وأنا لا أجزم بتزوير هذا الشعر على السلطان ؛ ولكني أقول : إنه « تخميس » لقصيدة في الغزل ، من تلك « التخميسات » التي لهج بها شعراء العصر التركي . ويستطيع القارئ أن يستخرج القصيدة الأصلية من ثنايا الشعر ، وأولها :

قمرٌ يصول ولا وصول إليه ... جرحَ الفؤاد بصارمَيْ لحظَيه

فيجدها ملتئمة اللفظ ، متسقة المعنى ، بعد حذف هذه الإضافات الظاهرة بها ، والتي استوجبها فن « التخميس »

فهل يُنسب للسلطان أصلُ القصيدة أم تخميسها ؟ أم هو صاحب الأصل والتخميس معاً ؟ ذلك ما نسأل عنه الأستاذ المخلص على أن السلطان سليم لم يشتهر بإجادته اللغة العربية ، فضلاً عن نظمه الشعرَ فيها ؛ وإن كان بعض المصادر يشير في معرض الحديث عنه إلى كثرة مطالعته للتواريخ وتفرُّسه في اللغتين : الفارسية والرومية : (أخبار الأُوَل للاسحاقي)

فإذا أضفنا إلى ذلك شهرةَ هذا السلطان التي قد تغري بعض الشعراء بنظم أشعار ينسبونها إليه ، ويذكرون فيها « المُلك والسلطان » تمويهاً على الرواة والناقلين — جاز لنا أن نشك في نسبة هذه القصيدة إليه ، كما نشك فيما يذكرونه من أنه خطَّ بيده على مقياس الروضة — حيث كان ينزل أثناء مقامه بمصر — هذين البيتين ، وهما :

الملك لله ، من يظفر بنيل منى ... يُردّ فقراً وينزلْ بعده الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملةٍ ... فوق التراب لصار الأمر مشتركا!

ولا يبعد أن يكون هذا من قبيل ما يُنسب من الشعر إلى « آدم » أبي البشر ، وإلى إبليس وبعض « الهواتف » من الجان . . . مما كان يتخطفه الرواة والناسخون، لطرافة مصدره، وغرابة مخبره

« جرجا » **محمود عزت عرفة**

لمن رسالة الحج

طلبت إلى الأستاذ حافظ عامر بك أن يكشف الغموض الذى ضربه بعضهم حول تأليفه (رسالة الحج) فقال :

أتيح لى أن أؤدى فريضة الحج أيام كنت سفير مصر فى جدة عام ١٩٣١ / ١٩٣٥ فجمعتنى المناسبات بالفيلسوف الهندى الشيخ عبيدالله السندى ومريده الدكتور سيد فيروز زيدى فتحدثت إليهما عن أسرار الحج وفلسفته حديثاً حرصاً على حفظه لما له من الأهمية ولقد نعيت فيه على قادة الرأى الإسلامى إهمالهم قاعدة إسلامية أساسية ألا وهى حج بيت الله الحرام . ثم انفض موسم الحج وأخذت طريقى إلى جدة مقر عملى الرسمى فى القنصلية المصرية .

وما كاد يستقر بى المقام حتى لحق بى الدكتور فيروز زيدى موفداً من قبل أستاذه الشيخ السندى لأخذ مذكرات لشتى أحاديثى عن الشئون الإسلامية عامة ورسالة الحج خاصة ، ولم يكن لدى من الأحاديث المدونة غير نقاط دونتها فى مذكرتى، فاستبقيت الدكتور فيروز حتى أتممت له رسالة فى أسرار الحج وفلسفته ، وطلبت من الدكتور أن يكتب ما أمليته عليه من صورتين بالآلة الكاتبة ، وأخذ الدكتور صورة للأستاذ الفيلسوف الهندى واحتفظ بالصورة الأصلية . ثم سافر الدكتور فيروز وهو يقول : (لقد أهديت إلىّ يا سيدى كنزاً ثميناً من التعاليم السامية التى لا تشترى بالذهب وهديتنى بتوفيق الله ووجهتنى توجيهاً صحيحاً نحو الإسلام الخالد الصالح لكل زمان ومكان) »

وحدث أن زار حافظ بك مصر وطنه فانتهز هذه الفرصة لطبع الرسالة ونشرها فى العالم الإسلامى وكذلك فعل فكانت الطبعة الأولى من رسالة الحج ، ولقد كان نصيب الشيخ عبد الوهاب الدهلوى من رسالة الحج لحافظ بك أن أهديت إليه نسخة من الطبعة الأولى فى أثناء تجواله ببغداد ، فهل ترد الهدية بعد بضع سنين بالتجنى على مهديها ؟

سيد عثمان المراغى

كم ذا من جديد

طلبت إلى حضرات القراء — فى شىء من الرجاء — أن يدلونى على شاهد من الصحيح الفصيح وردت فيه « كم » مقترنة بـ « ذا » حتى يكون ذلك هو الفيصل بينى وبين إخوانى الذين اختلفتُ معهم فى بيت « حافظ » — كم ذا يكابد عاشق ويلاق - فإنى لم أعثر إلا على بيت « المتنبى » — وكم ذا بمصر من المضحكات — وهو مما لا يصح الاستشهاد به من ناحيتين :

الأول : أن « أبا الطيب » لا يعتبر فيمن يؤخذ عنهم الفصيح الصحيح ...

الثانى : أن الرواية متضاربة ، فتارة : « كم ذا » ، وأخرى : « ماذا » ...

ولكن الأستاذ الشبيشى أبى إلا أن يشرفنى بالرد ، فراح يعرب ويخرّج ويؤول ... فهل يتفضل « من جديد » بإعادة النظر ، لعله يأتى بما يقنع ؟... فإنى أرجو أن يكون « أبا حسن » هذه القضية ...

إبراهيم على أبو الخشب

فى الفن الإسلامى

كتب إلىّ قارئ فاضل يسألنى أن أكتب فى ناحية معينة من (الفن الإسلامى)، وشاء أن أجيبه على صفحات (الرسالة الصديق) وإنى إذ أشكر لحضرته ما غمرنى به فى خطابه من كلمات طيبة ، أرجو أن تتيح لى الظروف قريباً إجابته إلى سؤله **محمد مصطفى**

جريدة الوفاق فى عامها الخامس عشر

استقبلت جريدة الوفاق عامها الخامس عشر من عمرها المديد ؛ وهى تعالج الأدب والسياسة والاجتماع ، ولم يفتها — وهى التى تصدر فى غير العاصمة — أن تعنى بالناحية الإخبارية فضربت فى هذا المجال بنصيب

حكمت محكمة المنوفية العسكرية فى الجنحة ٧٧ سنة ١٩٤٢ بحبس عثمان محمود عثمان الجندى فلاح من جريس مركز أشمون خمسة عشر يوماً بالشغل لبيعه قمحاً بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة المنوفية العسكرية فى الجنحة ٢٢٠ سنة ١٩٤١ بتغريم كل من محمد محمد نويشى ومحمد محمد محمد نويشى الجزارين بشبين الكوم ٣٠ جنيها لبيعهما لحوما بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى القضية رقم ١٠٣ سنة ١٩٤٢ ضد عبده عبد المحسن عبده من المنصورة بالحبس شهراً بالشغل لبيعه لحوماً بأكثر من التسعيرة



قصة مصرية

واصلون ومنبتون

للأديب لبيب السعيد

لم يكن يرى شيئاً من هذه المناظر الجميلة المتنوعة التي يمرّ بها القطار ، ولم يكن يسمع شيئاً مما يدور حوله من أحاديث الناس . كان في دنيا الماضي يجوس خلالها ، ويقف على بعض مشاهدها وقفات طويلة مفكرة . هو ماض أليم ، ولقد كان نجح بعد جهود مرّة في إسدال الستار عليه ، وفي نسيان ما فقد فيه من آمال عزيزة فرّح فقدها قلبه قبل جفنه ، ولكن هذا الماضي انبعث الساعة أقوى وأوجع ما يكون !

كان يرتقب قطار الأسكندرية الذاهب إلى مصر ، فما راعه إلا ضابط كبير من رتبة « قائمقام » يربت على كتفه في بعض العنف قائلاً : « مجاهد ! من أين وإلى أين » . ولقد ذعر مجاهد أول الأمر إذ وجد صاحب اليد التي تربت على كتفه ضابطاً كبيراً لا يعرفه ولا يذكره ، ولكنه ما لبث أن ملك نفسه حين تبسم الضابط ضاحكا وهو يقول : « ألا تعرفني ؟ ألا تذكر محمد رأفت زميلك في مدرسة القربية الابتدائية في مصر ؟ ما أضعف ذاكرتك وأقل وفاءك ! ألست تذكرني حقيقة ؟ وهل نسيت ثالثنا ابراهيم عثمان ؟ إني أذكر بيتكم في القربية ، كم لعبنا فيه أنا وأنت وإبراهيم ! وأين ابراهيم يا مجاهد ؟ وأين مستقرك أنت الآن ؟ » وأجاب مجاهد في انكسار واختصار : « إبراهيم لا أعرف عنه شيئاً . إن خمسة وعشرين عاماً ليست قليلة يا بك . فأما أنا - وألقى بطرفه إلى الأرض خجلاً - فدرس هنا في طنطا في مدرسة شمس المعارف الأهلية . . . »

وجاء القطار ، فتصافحا وافترقا : الضابط إلى عربات الدرجة الأولى ، ومجاهد إلى عربات المؤخرة . . .

كان هذا اللقاء النّشرر الذي سعّر الوجد في صدر مجاهد ، ليس من حقد على زميله الذي ابتسم له الزمان فسار إلى غايته ، ولكن حقداً على الزمن الذي كاد له فرده خلف الصفوف . . .

ما أمض أن يتطلع إنسان فيرى رفاقه تقدموه على حين يرى نفسه منبتّاً فاقد الأمل ! لقد كان مجاهد أذكى لداته لبّاً وأقواهم للتعلم استعداداً . . . ومحمد بك رأفت هذا الضابط العظيم الذي تنبئ شاراته النحاسية عن رتبته . كان أحد التلاميذ الكثيرين الذين كانوا يرنون دائماً إلى مجاهد معجبين ، واذين من كل قلوبهم لو يكون لهم بعض تفوقه وبعض رضاء المعلمين عنه . وآباء التلاميذ وأمهاتهم في حي القربية لم يكونوا يعرفون أنموذجاً ينبهون أبناءهم إلى احتذائه غير مجاهد . نعم ، مجاهد ! الذي يعمل الآن مدرساً أهلياً في مدرسة فقيرة ، والعطل من حلية الدبلوم ! والذي يتقاضى راتبه منجما من نصف جنيه ومن ريال !

كان مجاهد قد أحرز البكالوريا والتحق بمدرسة الحقوق ، وكان جده وذكاؤه يسوقان له البشرى ويضيئان بين يديه مناهج الأمل ، ولكن ظروفاً ألمت بآله ، فوجد نفسه يوماً مضطراً إلى العمل كيفما اتفق ليعول أسرة فيها بنات وبنون كالفراخ الزّغب . . .

ولم يبح لأحد من لداته بأمره ، ولم يفعل سوى أن مرّ بردهات المدرسة وأفنيتها جميعاً كأنما يأخذ لعينه الزّاد من منظرها وانطلق وراء أسرته في موطنها الأصليّ ، وهو ممسك بقلبه خشية أن يتصدّع . . .

وحين يَبْصر رفاقه الطنطاويين في إجازة العيد توارى منهم خجلا ، وإشفاقاً من أسئلتهم المحرجة عن أسباب انقطاعه عن الدراسة ، ولكن الحظ السيء مع ذلك أوقعه فيهم غير مرّة ، فعانى أسئلتهم ، وأجاب ، والحزن يمزّقه والكلمات تحتضر على شفتيه ، أنه يعمل مدرساً في مدرسة شمس المعارف . وتلقى من سخريتهم وضحكاتهم ما شاءوا وشاءت له الظروف . . .

وحين كانوا يقبلون على البلد صيفاً ، كان يلتقي ببعضهم

أحياناً ، فكانوا ـ وهم لم يتجاوزوا بعد عهد الطالب ـ يتكلمون إليه تكلّم من تعلم لمن لم يعرف من العلم شيئاً ... يتحدثون فيسرفون فى الإساءة إليه من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون، قال أحدهم مرة وهو ضاحك : مجاهد هذا يصلح وكيلاً لمكتبى حين أكون محامياً ، فهو خير من يجمع لى عناصر الدفاع ؛ وأردف آخر : ولكنى لن أدعه لك فإنى سآخذه فى بطانتى حين أكون وزيراً . لقد كانوا يتحدثون منذ شبابهم الباكر حديث الحكام ، فكانت لهجتهم الشامخة العابثة تدمي قلبه الذى لم يكن وطّن للمصائب . ولقد كان يملأ نفسه الرقيقة العزيزة أنهم كانوا يفيضون أحياناً فى الحديث عن موضوعات فى القانون كان هو قد اطلع عليها قبل فراقه المدرسة وبدأ يشغف بها

كانت أياماً سودا . . كان يعرف أنه فى عمله الضئيل يعيش بلا أمل . وكان يتنبأ بأنه لن يبتسم لنفسه ألبتة ؛ فإن فعل فستكون بسمة غير بسمته المعهودة : بسمةً أخرى هى بنت الكآبة وأخت الدمعة الحارة . لقد استبعد يومها أن يكون هو مجاهد صاحب الآمال المرسلة بالأمس ، وود الموت صادقاً ، وما منعه أن يقبل عليه غير خوف على أعزاء له صارت إليه أزمّة أمورهم ، وفى رقبته باتت مسؤولية رعايتهم

وها هى السنون لم تنصف السبّاق النبت ، وتركته مردود الجناح مكفوف الطّماح ، يريد التقدم فلا يستطيع . إنه منذ عمل مدرساً وهو يلوك منهج السنة الثالثة الابتدائية فى الحساب والجغرافيا والتاريخ ... يشقى بتكراره ، ويشقى بتلاميذ لا يبدو فيهم النابغ إلا نادراً : مظهرهم لا يشرح صدراً ، وعيونهم تنمّ عن أنهم جياع ، وملابسهم تنم عن أن أهليهم يعانون فى معاشهم مصاعب شداداً ... ! وأبناء الميسورين منهم يذيقونه بعبثهم واستهتارهم عذاباً شديداً ، فإن نهر واحداً منهم جاءه الناظر يقول حانقاً : تصرفاتك تنفّر التلاميذ وآباءهم من المدرسة وتحيلهم إلى مدرسة التاج التى تنافسنا !! ويتيه الناظر فيحتمل مجاهد ، ويقول فيسمع ، ويأمر فيطيع ...

وها هم بعض تلاميذه قد سبقوه أيضاً : نالوا حظ التعليم العالى ، ثم تخرجوا إلى الحياة شباناً ناجحين ... وبقى هو وحده خلف هؤلاء ، وهؤلاء جميعاً ، لا يصل أن يكون مرؤوساً للكثير منهم !

ما برح مجاهد فى عمله الشاق يصحح أكداس الكراسات ويغدو على الصبيان الشياطين نحو ثلاثين حصة فى الأسبوع ، فيخلع من شبابه وصحته بُرداً بعد بُرد ... وهو مع ما يبذل من جهود لا يتقدم ولا يزيد إلا ضنًى كذبالة تضئ للناس وهى تحترق !

لقد كان يوشك أن يموت كمداً وألماً كلما ذكر أنه لا يحمل إلا شهادة يحملها الصبيان ويتقدم لها فى العام أكثر من خمسة آلاف طالب . إن المفتش والناظر والمعلمين والطلاب لا يقيسون كفاية المعلم إلا بمقياس واحد : « الشهادة » ... وهو سطا به الدهر سطوةً حرمته هذه « الشهادة » ... فسلام على الحياة الرغدة ، وعلى التقدم ، وعلى الأمل ... ! وويلٌ لابنه من الخجل الشديد حين يسأله زملاؤه عما يحمل أبوه من شهادات ... !

هذه الآلام التى ظلت تعبث به سنين طويلة استطاع اليأس ولا شىء غير اليأس أن يواريها انكشفت اليوم حين التقى مجاهد برأفت بك . . . فهى تلذعه لذعاً أليماً ، وتعيد له مأساته جديدة

أين أيام مدرسة القربية حين رأفت وإبراهيم عثمان لا يتركانه إلا لماماً ، حين كانت الحياة لينة الأعطاف عليهم جميعاً ، وكان هو أذكاهم وأقواهم ! خفض الزمان الثقيل ورفع الخفيف ! ! هذا رأفت وصل يقيناً ، فكيف بإبراهيم وهو كان أنشط من رأفت وأذكى وألمع ؟ ... كيف وهو منذ طفولته أبعد مطمحاً وأكبر لبانة ؟ هو لا بد الآن يتسوّر المجد ... حكم الله ! إثنان يركضان دراكا وثالثهم يزحف زحف الكسيح ! واضطرب كيان نفسه ... وفاضت عيناه بالدمع الغزير ... كأنما كان معه فى القطار ميت عزيز ! والتفت فرأى أناساً يرقبونه فى تعجب ، فاستحى أن يبدو أمامهم فيّاض الشؤون ، وأحب أن يكذب ظنهم ، نوقف فى نافذة القطار ليدع للهواء تجفيف الدمع بدل المنديل ...

أنّى لمجاهد بالعزاء ، وهو من بين أترابه الحى الميت ؟ ما أشوق مجاهد إلى الانفراد بنفسه ليتعاطى البكاء دواء يشفى دائه الثائر ! ؟ ولكنه لا يستطيع حتى هذه اللذة ، لأن السافرة كثيرون ، والفضال كثير !

وحلق فى السماء ضارعاً يشكو بثه وحزنه إلى الله ، ولكنه

ذكر أن الله عليه غضبان ، فهو منذ خاطت له الأيام محنته يغسل أشجانه في الكأس المحرّمة ، فأرجع بصره إلى الأرض خاسئاً ذليلاً حيران ...

وخفف القطار الجاهد من سيره وهو داخل محطة بنها ، وأقبل الباعة على السُّفْر يصيحون : التين ! الكازوزة ! خبز وبيض ! سجاير ! كانت نداءاتهم عالية مسرعة ملحة كأنما يستنجزون بها المسافرين صدقة ! وفي زحمة العربات وغمار اللغط ، كان صوت عالٍ مسرع ملحٌ كسائر أصوات الباعة بون أسود خاشعاً : الكتب ! التنائج ! القصص ! طوالع الملوك ... ونظر مجاهد إلى صاحب الصوت مأخوذاً ... إنه رجل ترهقه ذلة ناطقة ويحوطه انكسار يروع ... إنه رجل مشتعل الرأس شيباً وعلى صفحته خطوط تتكلم بما يؤوده من أوقار الدهر وبما يُظلم عليه من شباب الحياة . كل ما بين ذراعيه عدد من الكتب الرخيصة التي لا تروج إلا عند العوام وأشباههم وليس ثمنها ببالغ مهما بلغ عشرين قرشاً . هذا البائع المسكين يهيج موضع الإشفاق والحب والرحمة في مجاهد . ما أشبهه بإبراهيم عثمان في جملة سمته ، ولكن هذا البائع بادي البؤس ، وإبراهيم وهو ابن الأسرة الغنية يتفيأ ظلال النعمة ... ولكن هذا البائع مكتئب وكأن الدموع في عينيه تضطرب ، والعهد والظن في إبراهيم أنه مملوء الوجه بنضارة الحياة ، منفرج الثغر دائماً عن بسمة لا تغيض . . . ولكن هذا البائع يزحف إلى الستين ، وإبراهيم وهو في سن مجاهد لما يقتحم الأربعين

إن قلب مجاهد لينازعه إلى إبراهيم صديق الطفولة والصبا . يا رُبَّ يوم أمضياه في مرح لا تشوبه شائبة ، ويا ربَّ أقاصيص تبادلاها على صفاء ومحبة !

ليت مجاهداً يرى إبراهيم ليحيي وإياه ذكريات صباهما السعيد . ليته يراه فلقد يجد فيه متنفساً لصدره الضيق وروحاً لقلبه المحرور كما كان يجد فيه عوناً على مشاكله الصغيرة أيام الحداثة . . . بل ليته لا يراه مدّ العمر حتى لا يزداد قلبه احتراقاً حين يرى نفسه خلف الزِّحام وتربه في مقدمة الموكب ...

يا ويلتا ! أشرِب أحدٌ من لداته كأس البؤس مريرة كما شرب ؟ لقد حادت عن قصدها أحلامه وصدعه وحده ريب الزمان !

ودنا البائع من مكان مجاهد يتخطى أمتعة المسافرين في عناء ، ويرفع من نداءاته كأنما يسترحم بها وبنظرات عينيه سفاراً سيتركونه في جزيرة مهجورة ... دنا من مجاهد ، وما التقت عينه بعينه حتى هرع إليه : مجاهد ؟ مجاهد أفندي . . . أإنك لأنت مجاهد ! !

— نعم ، هو أنا ؛ وأنت ؟ أتكون إبراهيم عثمان ؟

وتعانق الصديقان القديمان ... ولكن صفير القطار لم يمهلهما حتى يعرف كل منهما شيئاً عما كان في حياة صاحبه ...

هبط إبراهيم ... وانطلق القطار بمجاهد ...

(المنصورة) لبيب السعيد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

0 me Année No. 465

Lundi 1-6-1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٦٥ « القاهرة في يوم الإثنين ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ — الموافق أول يونية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صداقات الأدباء

للأستاذ عباس محمود العقاد

لو تكلم القدر لأسمعنا العجب من ظلم الناس ، وهم يحسبون أنهم المظلومون لأنهم يطلبون ولا يجابون ، ولا يسألون أنفسهم مرة لماذا يحال بينهم وبين ما يطلبون !

فربما طلبوا ما لا يكون ، وربما طلبوا شيئاً وهم يريدون غيره بل يريدون نقيضه ، وربما طلبوا الشيء وتوسلوا إليه بغير وسيلته ، ثم يعرفون خطأهم فلا يطلبونه بعد ذلك بوسيلته المثلى

والأستاذ توفيق الحكيم أراد الصفاء بين جميع الأدباء ؛ فهل أراد شيئاً يكون فى هذه الدنيا ؟ وهل أراده حقاً ؟ وهل توسل إليه بالوسيلة المثلى ؟

إن ثلاث « لاءات » مفخمات غير أصدق جواب على هذه الأسئلة الثلاث

فالصفاء بين جميع الأدباء معناه الصفاء بين جميع الناس ، وليس هذا بميسور ولا هو بلازم للأدب ولا للأدباء

فلماذا تصفو العلاقات بين جميع الأدباء وهى لا تصفو بين جميع الآدميين ؟ إن الصفاء قد يتحقق بين طبيب ومهندس ولا يتحقق بين مهندسين أو طبيبين . وقد يتاح لرهط من الأدباء كما يتاح لرهط من أبناء الصناعات المختلفة ، ولكنه لن يتاح لجميع الأدباء في وقت واحد ، ولن يتاح لجميع الناس من صناعات

شتى ولا صناعات متفقة . وليس تخصيص الأدباء هنا بالمطلب المفهوم إلا إذا عممنا الطلبة للأدباء وغير الأدباء ، ورفعنا الكدر من جميع الأحياء . وهذا ما ليس بكائن ، ولا نراه مما يكون

فالأستاذ توفيق الحكيم هنا لم يطلب شيئاً يجاب

ولكننا نعود فنسأل : هل طلبه حقاً ؟ وهل اجتهد فى تحقيقه فتوسل إليه بوسيلته المثلى ؟

إن الذى يطلب الصفاء لا يبحث عن أسباب الكدر بملقاط ليخلقها خلقاً بين رجلين على أحسن ما يكون من الصفاء ؛ بل هو يمحو منها ما وجد إن كان له أثر محسوس ، ولا يوجد منها ما ليس له وجود ولم يحسه أحد ولا توهمه ، ولا وقع فى ظن من الظانين

فماذا صنع الأستاذ توفيق الحكيم ؟

حمل ملقاطه ووضع مجهره على أنفه وراح ينبش ما بين السطور وأطال النبش بينها ليصيح بعد ذلك : وجدتها ! وجدتها ! ...

هنا سبب من أسباب الكدر كامن بين السطور لعله لا يظهر على وجه الكلام ولكنه مستور هنالك لمن يبحث عنه ويجرى وراءه ، وهو لهجة تعالٍ فى الشكر ، أو لهجة يخيل إلى من شاء التخيل أنها تشف عن التعالى ولا تبرئ الشكر من الجفاء

ثم يصيح برجلين يفهمان ما يقولان وما يقال لهما : أرأيتما ؟ أليس خليقاً بكما ألا تصفوا ؟ أيليق بكما أن تصفوا وبينكما هذا الذى أراه مانعاً للصفاء !

ذلك ما صنعه الأستاذ توفيق الحكيم

فهل فى وصفه مبالغة ؟ وهل صورناه بغير صورته القريبة التى تعرض نفسها لكل من ينظر إليها ؟

أهدى إلىّ الدكتور طه حسين قصته « دعاء الكروان » فجعلت هذا الإهداء موضوع مقال من أعماق النفس فى معنى الكروان ودعاء الكروان وذكريات الكروان ، وقرأه كثيرون من الأدباء فحدثونى عنه حديث رضى وسرور ، وفى مقدمتهم الدكتور طه مهدى دعاء الكروان

أما الأستاذ توفيق الحكيم فماذا صنع ؟

لم يرضه ما أرضى الدكتور طه ولا ما أرضى الأدباء ولا ما أرضى كثرة القراء ، وراح يتحدث ويكتب ليقول : هنا صفاء ... فكيف بالله يليق هذا الصفاء ؟

لو كان الأستاذ توفيق الحكيم يطلب الصفاء ويتوسل إليه بوسيلته المثلى لكانت له ندحة مما صنع ولو لم أكتب ذلك المقال عن دعاء الكروان .

نعم كان فى وسعه أن يقول بينه وبين نفسه : لعل واجب الشكر قد أُدى فى رسالة أو فى مقابلة ، أو سيؤدَّى فى سانحة أدبية يأتى أوانها فى حينها ، أو لعلى أعرف الحقيقة إذا عنيت بالسؤال عنها عند أهلها .

هذا ما كان فى وسع طالب الصفاء أن يصنعه ولو لم أكتب مقالى فى « دعاء الكروان »

ولكن الأستاذ الحكيم لم يصنعه . ولم يزل يحمل ملقاطه ويضع مجهره على أنفه ، ليخلق الكدر من شىء يبحث عنه بين السطور ، ولا يراه على ظاهر السطور

أهذا هو طلب الصفاء والسعى إليه ؟

فماذا يكون السعى إلى خلق الكدر والإشفاق من دوام الصفاء ؟

* * *

كانت المناقشة بين الأستاذين زكى مبارك وتوفيق الحكيم قائمة يوم لقيت الأستاذ توفيقاً فى إحدى المكتبات وفيها صديقنا الأستاذ على أدهم . فجرى ذكر تلك المناقشة وصارحت الحكيم فيما أراه فقلت له : إنك لم تبحث عن أسباب الإنصاف بعض بحثك عن أسباب الجفاء ؛ لأننى لا أعرف ولا أذكر أننى قصرت فى حق زميل إبان اشتغالى بالصحافة وتولّى فيها صفحةً للأدب ودراسة المصنفات . فكل أديب أرسل إلىَّ كتاباً فى هذه الأثناء فقد نوهت به وكتبت عنه ، ولكننى أنا أرسلت كتباً إلى زملاء يعرضون للمصنفات فى المجلات فلم يذكروها ولم يشيروا إلى صدورها . فلماذا نسيت هذا وحاسبتنى على ما تقول إنه شكر لم يبلغ ما تتخيله من الرقة والنعومة ؟ لماذا تحاسب من يكتب ولا تحاسب من يهمل ؟ ما الذى يعفى أولئك الزملاء من عرفان حق ، ويوجب علىَّ أنا أن أبلغ الغاية التى يتخيلها كل متخيل من عرفان الحقوق ؟

وتكلم الأستاذ الحكيم عن أولئك الزملاء فقلت له : إننى لا أفردهم بالملاحظة ولا أستثنيك أنت منها . فقد كتبت عنك مرتين أو ثلاثاً فكم مرة كتبت عنى ؟ وما الذى يعفيك من هذا

الواجب الذى لا أذكرك به إلا لمناقشة رأيك لا لأننى أطلبه أو أحتاج إليه ؟

ثم بينت له موقفى من تقريظات العظماء الذين يثنون على كتبى فأشكر لهم ثناءهم ولا أنشره فيما أطبعه من كتبى ، وإن كان فى نشره فخر أعتز به كما يعتز به سائر المؤلفين

بينت له ذلك لكى لا يقع فى روعه أننى أطالبه بواجب الكتابة أو أتقاضاه حقاً من الحقوق . فلو أردت ذلك لعمدت من قبل فى عشرات السنين الماضية إلى نشر الكتابات التى وصلت إلى يدىّ وهى مما يسمح بنشره فى جميع البلدان

ثم افترقنا ولم أسمع من الأستاذ الحكيم فى تلك المقابلة مايذهب بدهشتى من سعيه إلى الصفاء بذلك الأسلوب ، ومن محاسبته إياى على الوهم بين السطور وهو يرى أناساً يسهون كل السهو عن حق الأدب وحق الزمالة ، فيغضى عن الحقيقة الماثلة ، وينسى السطور وما بين السطور

وفارقنى تلك الليلة ولا أدرى ما فى نفسه ، ولعله كما علمت بعد أيام قد تبين صواباً فيما قلت أو فى بعض ما قلت فعدل إليه وكتب مقاله المشكور عن كتابى « عبقرية محمد » فقدمه بكلمات يقول فيها : « وقد سمحت لنفسى بالسبق إلى أداء هذه التحية ، لأنى فطنت إلى أنى المتخلف دون غيرى عن أداء الواجبات ، وليس لى من عذر إلا انصرافى من باب النقد منذ أول الأمر » .

وهو موقف بار أحمده له كل الحمد وأعتقد أنه قد حُسب له عند القراء كما حسب له عندى فى عداد الخلائق المرضية والفضائل الخلقية . ثم وجه إلىّ بعد أيام أخرى خطاباً يقول فيه :

« إنك للمرة الأولى تخاطبنى بهذه اللهجة التى كنت تخاطب بها الرافعى رحمه الله . أبهذه السرعة تضع الناس فى صف أعدائك ؟ لعلك لفرط ما قاسيت من شر الناس ، ولقلة ما وجدت من خيرهم ، أصبحت مثل « هملت » تستل سيفك لتضرب من خلف الأستار دون تبين الوجوه . فطعنت صديقاً وأنت لا تدرى »

ولا أظن أننى أشبه «هملت» فى كثير من خصاله وفعاله ؛ ولكنى إذا سئلت لم صنعت صنيع « هملت » ؟ أفلا يجوز لى أن أسأل : ولم الوقوف وراء الأستار ، وأولى من ذلك الخروج إلى وضح النهار ؟ أليس هنالك بعض اللوم على من ينصت خلف الستر ليسمع ما لا يُسمع ، أو ليقول ما لا يقال ؟ !

* * *

وبعد ، فما العبرة من كل أولئك فى تاريخ الأدب ونقده وسلوك الأدباء مشهورين كانوا أو غير مشهورين ؟

العبرة من أولئك « أولاً » أن الأستاذ الحكيم يقول بعد الإشارة إلى ثناء الدكتور طه عليه منذ سنوات : « ... لم نسمع فى غير مصر أن الناقد إذا أثنى على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الحضيض ، وأن على المؤلف واجباً مقدساً هو أن يشترى من فوره سبحة كيلا ينسى أن يسبح بحمد الناقد آناء الليل وأطراف النهار ... »

كذلك يقول الأستاذ الحكيم اليوم . فليذكر مقاله الأدباء الناشئون الذين يؤمنون بكفاءة تشبه كفاءته الفنية ، ليذكروا أنهم يطلبون شيئاً ينكرونه جاهدين بعد بضع سنوات : يطلبون التشجيع ثم ينكرون التشجيع ، وكان أحرى بهم ألا يطلبوه وألا ينكروه ، فما سمعنا فى غير مصر أن الأدباء المشهورين مسئولون عن شهرة كل أديب ينشأ بعدهم ولا يعرف لهم حقهم ، وإلا كانوا هم الملومين المقصرين

وعبرة أخرى أن الأستاذ الحكيم يذكر التعالى فى موقف الكاتب وينسى أنه اختار لأدبه عنوان « البرج العاجى » وهو عنوان الأدب المصطلح على وصفه بالتعالى بين نقاد الغرب وشعرائه . فليترك برجه العاجى إذن أو فليتركنا نحن نتعالى ونتواضع كما نشاء

وعبرة ثالثة أن الأستاذ يحن إلى صداقات فى الأدب المصرى كالصداقات التى أثرت عن كبار الأدباء الغربيين

وأن أناساً لتأخذهم السمعة البعيدة فى زمانها أو البعيدة فى مكانها فليلحقونها بعالم الخيال وعالم المثال ويسهون عن الواقع الذى لا يقبل المحال

وأعيذ الأستاذ أن يكون من هؤلاء

فتاريخ الآداب الأوربية بين يديه يستطيع أن يرجع فى كل ساعة إليه ، ويستطيع أن يعلم بعد المراجعة أن فى الأدب العربى حديثه وقديمه صداقات تضارع تلك الصداقات مع حسبان الفارق فى البيئة والزمن والمناسبة

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بارسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

الخطاب الذى احترق

بسعير الانفاس

« للكاتب المجهول »

هو خطاب تلقيته من « فلانة » فى سنة ١٩١٩

فما صبرُ القلب على غرام مشبوب يدوم ثلاثة وعشرين عاماً هى كألف سنة مما تعدّون ؟ ما صبر القلب على « فلانة » وفى مثلها قال المجنون :

وشاب بنو ليلى وشبّ بنو ابنها وأعلاق ليلى بافيات كما هيا

كان الدهر سمح فى غفلة من غفلاته بأن ألقاها بعد طول الفراق ، ثم استيقظ الدهر فعرفت ما لم أكن أعرف ، عرفت أنى لن ألقاها بعد ذلك ولو انتظرت إلى أن تشيب ناصية الزمان

فمن يبيعنى مثقالاً من الصبر الجميل عسانى أتناسى أحزانى وأشجانى ؟

وهل يباع الصبر فى هذه البلاد ؟

وهل ترك الاتجار فيها بما تحدث عنه القرآن من عدس وبصل وفول مجالاً للاتجار بالصبر الجميل ؟

خذوا أملاكي وخذوا حياتى فى سبيل لحظة واحدة أقضيها فى حضرة « فلانة » لأجدد التوبة من ذنوبى ، ولأجدد العهد ، إن كانت ترتاب فيما بينى وبينها من عهد

أكان ذلك اليوم آخر أيامى ؟

أفى الحق أنى لن ألقاها بعد الوشاية اللئيمة التي نفرتْها منى ؟ دنيا من الأحلام تقوّضت فى لحظة أو بعض لحظة بفضل كلمة نقلها أو اختلقها نمامٌ أثيم ، فما ذنبى ولم أقل فى « فلانة » غير الصدق ؟

ما ذنبى ولم أقل إلا أنها كانت على تطاول الأيام أحب إلى قلبى من سائر عرائس الشعر والخيال ؟

ما ذنبى ولم أوجه إليها فى حياتى كلمة واحدة تجرح الذوق ؟

إنما الذنب ذنب من ائتمنته نخان ، وكنت أحسبه أهلاً لتلقى أسرار الروح الحزين ، وهل كنت أول عاشق خدعه الواشون والرقباء ؟

الله يعلم كيف انخدعت ، فقد حسبت أن طهارة القلب تُعدى ، وظننتُ لجهلى أن فى الدنيا ناساً يتذوقون أخبار الحب العفيف ، ولم أكن أدرى أنى أكتب لنفسى صحيفة الاتهام وأنا برىء ، وكم فى السجن من أبرياء !

لن أرى ذلك الوجه الأصبح بعد اليوم لأن صاحبته لا تريد أن ترانى

وكيف أراها وهى تصدر أمرها المطاع بأن أرد إليها الخطاب الوحيد الذى طلّت به قلبى سنة ١٩١٩ ؟

ومن يصدق يا فلانة أننا كنا رفيقين فى ذلك التاريخ ؟

هو خطاب أحرقته أنفاس الوجد ولم يبق منه غير أطياف ، فما حرصك عليه وهو خيال فى خيال ؟

سأردّ ذلك الخطاب بلا تسويف

لا ، لا ، لن أردّ ذلك الخطاب ولو قُطّعت أوصالى ، فهو الوثيقة الباقية على أنك كنت رفيقة صباى ، يا مثال الشرف والطهر والعفاف

سيوضع ذلك الخطاب فى كفنى يوم أموت ، فانبشى قبرى وخذيه إن عرفت طعم الحياة بعد موتى ، يا قريبة العذول الذى أفسد ما بينك وبينى ، وهى أول مرة عرفت فيها عن تجربة أن الدخان القريب يُعمى العيون

لو كنت فاجراً لعرفت ذنبى واسترحت

وهل يكون الفجور أشنع مما وقعت فيه ؟

أنا أسلمت زمام أسرارى لمخلوق توهمته يدرك شرف الحب ، فكان منه ما كان ، فمن يصلح ما بيننا وقد ضاق فى وجهى صدرك الرحب ، ونقلك الغضب إلى الوقوف فى صف الزمان

أنا حزين ، حزين ، حزين

وما أحزن على نفسى ، فقد شبعت من الزمان وشبع منى ،

فهل يعنى الأستاذ صداقة شعراء البحيرة فى انجلترا ؟ هل يعنى صداقة شلى وبيرون هناك ؟ هل يعنى صداقة جيتى وشلر بين شعراء الألمان ؟ هل يعنى صداقة تولستوى وتورجنيف ودستفسكى بين عظماء الأدب العالميين من الروسيين ؟

إن كان يعنى هؤلاء وأمثال هؤلاء فهو واجدٌ فى الأدب العربى الحديث صداقات من طراز تلك الصداقات ، وواجدٌ من هناتهم فى الغرب نظائر لما يشكوه من هنات الزملاء المصريين والشرقيين والطبيعة البشرية واحدة فى كل مكان ... تلك أصدق حكمة من الناس قالها إنسان .

عباس محمود العقاد

ولم يبق لى ما أخاف عليه بعد أن عانيت فى دهرى ما عانيت ، وإنما أحزن لارتيابك فى أمانتى ، وعنك تلقيت دروس الأمانة والصدق والوفاء

فإن فقدت عطفك فقداً أبدياً فقد خسرت بجانبه مودة ذلك المذول ، وكنت أحسبه أشرف الناس ، وهو لك قريب ، وظلم ذوى القربى أشد من وقع الجراز المصقول كما قال بعض القدماء

الوداع ، يا رفيقة صباى ، وداع الزهر الظامئ لقطرات الغيث ... أما الخطاب فقد أحرقته أنفاسى ، وأما المذول فسيحل عليه غضب الله ولعنة الحب ، ولن يلقى فى دهره غير الشتات ، وسيكون هو وأهله ومن يحيط به طعاماً لنيران الوشايات والأباطيل

الوداع ، يا رفيقة صباى ، وداع الطفل لأمه الرءوم ، وداع الموجة المتكسرة على الشاطئ الأمين ، وداع الوليد للحياة وقد أعجله الموت فى يوم الميلاد ! !

لقيتك بعد يأس ، يا رفيقة صباى ، فكاد يقتلنى الجنون ...

فما الذى سيجنى الواشى وقد أفسد ما بينك وبينى بكلمة أقصر من ومضة البرق وأطول من كيد الزمان ؟

ومن أعجب العجب أن يكون ذلك الواشى أنضر من طلعة الصباح فى عين الشريد الذي طال شقاؤه بظلمات الليل

فما معنى ذلك ؟

هو الحية الملساء التى تسربت إلى رياض الفردوس لفتنة أبينا « آدم » وأمنا « حواء »

هو السم المدوف فى طيات « البرشام » الملفوف

هو المذول الذى استماذ من شره أقطاب الصبابة والوجد والحنين

لن أراك ، يا رفيقة صباى ، بعد اليوم ، لأن قلبك أرق من أن يحتمل فظاظة الأراجيف ، ولأن لك زوجاً يؤذيه أن يكون لزوجته فى العشق تاريخ

الوداع ، وداع القلب الخائف لأطياف الأمان

الوداع ، وداع الجسد للروح

الوداع ، وداع الشاعر لديوان من أشعار الوجدان أكلته النار فى يوم عاصف

الوداع ، وداع المحب للمحبوب على غير أمل فى اللقاء

الوداع ، وداع المحكوم عليه بفراق الأهل إلى أن يموت فى غيابات السجون

لن نلتقى بعد اليوم ، يا رفيقة صباى ، إلا فى الفردوس

وأين أنا من الفردوس ؟

وهل لمن باح بأسرار الحب أمل فى الجنة والرضوان ؟

زعم الإنسان أنه أعظم من سائر الحيوان بفضل النطق ، وبالنطق هتكت أسرار الحب ، فضاعت منى رفيقة صباى ، فتى أعرف فضل الصمت ؟

الوداع ، الوداع ، وداع الكاتب لبياض الورق وسواد المداد

الوداع ، الوداع ، وداع الشاعر لعباب النيل فى ليلة قمراء من ليالى الصيف ، وإلى غير ميعاد ...

« الكاتب المجهول »

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

أغرب ما قرأت — نهاية فلان — بين الكفر والايمان

أغرب ما قرأت

فى بعض الأحيان نقرأ أشياء تلفت النظر لسبب أو أسباب ، ثم نراها أهون وأصغر من أن يجرى القلم فيما تنطوى عليه من غرض بعيد أو قريب

وآفة الأدب العربى لهذا العهد أنه لا يلتفت إلى الجزئيات ، بحجة أنها فى الغالب من توافه الشؤون ، مع أن الحوادث الصغيرة قد تضمر فى طياتها متاعب خطيرة ، ومع أن العقل يوجب أن ندرس جميع الأشياء دراسة نقد وتشريح

وأنا اليوم أسوق خبراً تافهاً جدًّا ، وإن كنت أعتقد أنه أغرب ما قرأت ، فما ذلك الخبر التافه الغريب ؟

للشركات الأجنبية فى مصر أسلوب ظريف في اختيار اللغة التى تُعامِل بها الجماهير ، فهى تكتب باللغة العربية فى حال ، وبإحدى اللغات الأوربية فى أحوال ، فإن كان ما تكتبه نوعاً من الإعلان جعلته باللغة العربية ليفهمه الجمهور بلا عناء ، وإن كان ما تكتبه متصلاً بالعقود جعلته بلغةٍ أعجمية ، لتخفى دقائقه على أكثر الناس !

هذا هو الخبر ، فهل ترونه من التوافه ؟ وهل ترون أنه على تفاهته يستحق الالتفات ؟

نهاية فلان

هو كاتبٌ فصيح يعرفه قراء اللغة العربية من أعوام طوال ، ثم تحوّل فجأةً إلى كاتبٍ عاميّ اللغة والمذهب ، فما سببُ هذا التحول المزعج ؟

كان فى بداية حياته الأدبية يرتاب فى قدرته على الإنشاء الفصيح ، فكان يبحث عمن يقوّمون عباراته ، ويرفعون عنها آصار العُجمة والتهافت ، وبهذه الخطة كانت ثقته بنفسه تضعُف من يوم إلى يوم ، ثم رأى أن يتحرر من سيطرة المراجعين والمصححين فأعلن أن اللغة العامية أحسن اللغات وأنه سيجعلها لغته المختارة إلى أن يقضي الله فى أمره ما هو قاض .

كان فلان ولن يزالَ من أهل الرأى وأصحاب الخيال ، وكذَبَ من ادّعوا أنهم قولوه ما لم يقُل وأنهم مصدر الوحى لأدبه الجميل

فهل نرجو أن ينظر فلان فى هذه الكلمة الخالصة لوجه الأدب والحق ، فيكتبَ اللغة الفصيحة على سجيته وفى حدود ما يطيق ليصبح بعد قليل وهو من أساطين البيان ؟

فلان شخصية كريمة الجوهر ، وضياعُها على الأدب الفصيح ضربٌ من الُخسران ، فهل يرفق بنفسه فيروضها رياضةً جديدة على أساليب الفصحاء بلا تكلف ولا افتعال ؟

القليل من وحى الطبع أجدى وأنفع من الكثير المصنوع ، فارجع إلى طبعك يا فلان ، وانتفع بما فيه من ثروة أصيلة ، قبل أن يصعُب انتشالك من هُوّة مذهبك الجديد ، صانك الله وحماك !

بين الكفر والايمان

قيل وقيل : إن الأدب سيجوز فيه ما يجوز فى جميع الصناعات ، فيحترفه من يشاء حين يشاء ، ولو كان صغير الرأس أو نحيل الوجدان

وأقول : إن الأدب شريعة ربانية لا يصلح لها غير المصطفَين من أرباب القلوب ، فمن العسير أن يضاف إلى أهل الأدب من لا يخطُّ حرفاً إلا وهو مَسُوقٌ بإرادة خارجية ، على نحو ما يصنع الفارس الذى رسمته يد البهلوان فى أحد الأشرطة السينمائية

الأدب إيمانٌ وثيق لا يعرف الأشخاص ولا الأزمان ولا الظروف ، فليس بأديب من يفرح لأن صدراً يحتضنه بلؤم أو بشوق ، ليجعل من أنامله أداةً يلتقط بها الأشواك ، وليس بأديب من تخدعه الخوادع الوقتية ، فيتوهم أن الخلود نعمةٌ يجود بها أهل الفناء

الأدب فوق ما يتوهم الأصاغر من طلاّب المِنح الذواهب ، الأدب قوةٌ ذاتية يتوحّد بها صاحبها توحد الليث ، فليس منا من يرى الحياة أو الجاه فى التشرف بخدمة هذا المخلوق أو ذاك ، وليس منا من يعقّ إخوانه ليظفر بالزاد المأدوم بالزور والبهتان … الأدب الحق منحة ربانية يجود بها الله على أرباب القلوب

زكى مبارك

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٨ مارس سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٦٥٤ سنة ١٩٤٢ ضد عبد المنعم اسماعيل رحال تاجر بدمنهور بالحبس شهرا مع الشغل وغلق محله لمدة ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه ذرة بسعر أزيد من التسعيرة

رسالة الطالب

[مهداة إلى طلاب العرب فى جميع الأقطار]

للأستاذ سعيد الأفغانى

« سلمنى طالب فى طريقى كتاباً باسمى ففضضته فاذا هم يطلبون منى أن أجيب كتابة على هذا السؤال : ما هي السبل التى ترونها ناجعة فيتجه إليها الطلاب ليكونوا الجيل الجديد : عماد البلاد الحقيقى ؟ وقد آثرت نشره هنا فى مجلة العرب تعميماً للفائدة ، وسلكت فى الاجابة طريق التبسيط والمثل ، متجافياً عن القواعد والنظريات ، وكل ما يحول دون فهم الطلاب لها الفهم الجيد »

أراد أحد كبار المحدثين أن يختصر الطريق على طالب يتخرَّج عليه فى الحديث ، فحفَّظه مدة عشر سنين أربعمائة ألف حديث بأسانيدها . فلما أتقن الطالب الحفظ وودع أستاذه قبل سفره إلى أهله ، لم ينس هذا الأستاذ أن يخبره : أن هذه الأحاديث أربعمائة الألف كلها موضوعة لا تصح . فأسقط فى يد الطالب وقال : « أضعتَ يا سيدى عمرى فى حفظ ما لا يصح . أساغ فى ذمتك إهدار عشر سنين هن أنضر العمر ؟ » . فابتسم الأستاذ ، وهدَّأ من حزن تلميذه قائلاً : « لم يضع شىء ، الآن يا بنى أبصرت الطريق ، وصرت آمناً عليك كل تدليس ، مطمئناً إلى دخولك غمار هذا المجتمع الزاخر بالوضع والكذب والتلفيق ، ولن تمجزك بعد هذا معرفة الصحيح »

***

أعجبتنى طريقة هذا المحدث ، ووضحت لى حكمة الأصوليين القائلين : « درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة » . والخير فى أن نحكم الوسائل السلبية لكل أمر قبل العناية بوسائله الإيجابية ، وأن نعنى بدفع الضار أضعاف ما نعنى بجلب النافع . فهل من حرج على إذاً ، إن أنا عدلت عن بيان ما يجب لبناء الجيل الجديد إلى بيان أسباب إخفاقنا نحن أبناء الجيل الحاضر فلعل أول النجاح لأبناء المستقبل أن يتوقوا ما ارتطم فيه مَن قبلهم

تسألون — أيها الطلاب — عن السبل الناجعة فى تكوين الجيل الجديد ؛ ألا فاعلموا أنها سبيل واحدة فقط ، خطوتها الأولى أن تتجنبوا ما تورطنا فيه نحن أبناء الجيل الحاضر ، من عبودية لكل تقليد ضار فى أخلاقنا وعاداتنا ونظمنا وتعليمنا . ولقد كان من أعظم الأسباب فى إخفاقنا أمور ثلاثة : خلق منحل تستره دعاوٍ عريضة من الكمال والفضيلة والوطنية ؛ وعلم مزيف كاذب خير منه الجهل الصريح ؛ وفقر فى وسائل كسب العيش من طرقه الشريفة ، هو أحد المظاهر فى فقدان الرجولة . لم يثبت لنا — ولا حكم للنادر — أثر نافع فى باب من أبواب الجد ، ولم نستطع أن نتحرر مما غرسوا فى أفكارنا فأكثرنا مقلدون ببغاوات .

فإن رأيتمونا بعد هذا — والعالم من حولنا يجدّ — أحلاس الملاهى والمقامر والحانات ، مبددين فيها دم الشعب وثروته ، نصف نهارنا ومعظم ليلنا ، حاملين لأنظاركم أخنث الميئات و (أميع الموضات) من تلميع وجوهنا وأحذيتنا وتصفيف شعورنا حتى إطالة أظافرنا ... إن رأيتمونا كذلك فاغفروا لنا هذه الإضاعة وهذا الانتحار ، فلعلنا ضحايا خطط خفية محكمة

لا تمقتونا على إهانة الخلق وتبديد الثروة وقتل الوقت ووأد الكرامة والرجولة ، فما ينتظرنا من مقت الله والوطن أكبر من مقتكم .

لا تقلدونا ، فإنكم مخلوقون لزمان غير زماننا ، لزمان صعب كله جد ، لا مكان فيه لغير المجدين العاملين ... وما كان زماننا لعباً ، ولكنا طبعنا على غرار واحد : أن نكون أطفالاً كباراً عالة فى كل شىء ، لا نهتف إلا بما يوحى إلينا ، معطلين عقولنا وضمائرنا ، أبواق دعايات نموهها بالعلم أحياناً ، وبالنهوض بالوطن والدين أحياناً ، ثم نروغ إلى حيث نؤدى الحساب ونأخذ الأجر ونتلقى التعليمات لنعيد تمثيل الدور كرة أخرى

منا الذين ورثوا الثروات الطائلة ، ولم يكن آباؤهم قد أخذوهم بتثقيف ولا تهذيب اعتماداً على غناهم ، فلما آلت إليهم الثروة كانوا على جهل تام بطرق تنميتها وحفظها فوكلوا أمر تدبيرها إلى مرتزقين خانوهم ، وانصرفوا إلى حاناتهم ومقامرهم ومحال رذائلهم فما زالوا بها حتى خرجوا عن آخر قرش منها ؛ وألحت الرذيلة ، ولم يكن بدٌّ من كسبٍ ما بعد أن ركبتهم الديون ، وكان هناك من يحتاج إلى أسماء أسرهم الفخمة فباعوه ضمائرهم ومصالح وطنهم وكانوا شر قدوة لمن دونهم

ومنا الذين آلت إليهم الضياع الواسعة والقرى الغنية ، فأنفوا المكوث فيها ومباشرة الأعمال الزراعية ، والزراعة لا تدر خيرها إلا على من يمنحها جهوده كلها ، وهؤلاء استكبروا أن يكونوا (فلاحين) كآبائهم وأرادوا أن يعيشوا (بكوات)

فما زالت زراعتهم تخسر حتى رهنوا القرى والضياع فى مصارف أجنبية ، تخلق بيدها الرهن ، ثم صاروا إلى مآل أرباب الثروات

ومنا الذين أرسلتهم أممهم ليأتوها بعلم الغرب وثقافة الغرب ومحاسن الغرب ؛ وأنفقت عليهم من أموال فقرائها ومساكينها ، ولم يمنعها فقرها من السخاء بالإنفاق ، رجاء أن يعوضوا عليها بعلمهم وخبرتهم أضعاف ما خسرت ... ثم رجعوا ... فإذا بعضهم عمى عن ذلك كله ، وأتانا بمفاسد الغرب وانحلال الغرب وأزياء الغرب وخموره ورقصه ... وأنا أقسم غير متحرج ، أنك لو طفت الغرب كله لما رأيت من يعكف على الملاهى والقمار والخمور عشر الوقت الذى يعكفونه ... وهؤلاء — كما تعلم — أرباب أعمال لو قاموا بواجباتها لما فرغ أحدهم لغير طعامه يلتهمه التهاماً ، ونومه يقطعه تقطيعاً

ومنا الذين أخفقوا فى أن يعرف لهم أثر ما فى علم أو أدب ، وأمر عليهم من منحهم الوظائف والشهادات أن يذكروا بشىء من الأشياء ، فراموا شهرة من أخصر طريق . وهل أخصر من أن ينكر امرؤ الوحى حتى يسمى بيننا مفكراً ، ولو جهل أبن ولد الرسول ، وأين تقع مكة من الشام ؛ أو أن ينتقص النبى والخلفاء فيكون مؤرخاً ، ولو اعتقد أن فاتح بغداد هو عمر ابن الخطاب ؛ أو يشتم الدين فيكون حر الأفكار ... فيشتغل بعض الطلبة بالرد عليه فى الصحف ، فيشغل الناس بأمره ولو ساعة من نهار

ومنا الذين إذا كانوا فى وظيفة لم يفهموا ما يفهمه كل موظف فى العالم المتمدن من أن الموظف أجير لأرباب المعاملات ، إذا قصر فى الواجب عليه كان خائناً كالأجير الذى يسرق الوقت المأجور عليه ... فهم لا يفهمون الوظيفة إلا كرسياً ينتفخون عليه مصعرين خدودهم ، بأيديهم لفائفهم يدخنون ويتماجنون ، وأرباب المصالح وقوف يتألمون !

ومنا المتبطلون المأجورون لكل دعاية أجنبية : يروجون لها ويؤلفون لها الجمعيات والأحزاب ... فمنا بحمد الله دعاة الفاشية والشيوعية والديمقراطية والدكتاتورية والإباحية ، وما شئت من مذاهب ونحل ودول ... كل ذلك يجد من يخدمه ويتعصب له وينافح عنه ؛ فإذا رحت تبحث عمن يخدم قضية بلاده خالصة ، رجعت خجلاً من ضآلة عددهم فى هذا الخضم الزاخر !

ومنا الذين إذا خرجوا من حيث يدرسون ، تحلقوا حلقاً فى حانات موبوءة ، وخيمة الهواء ، منتنة الريح ، إلى جانب مدارسهم ، على مرأى من طلبتهم ، يلقنونهم بذلك أقبح المثل وأحط الأخلاق وأبذأ الوقاحات ... حتى إذا كان للمعارف يوماً من الأيام وزير قوى الخلق غيور ذو نخوة ، وأذاع على موظفيه بلاغاً يحظر فيه على رجال التعليم ارتياد مباءات السقوط ، أمضى هؤلاء البلاغ ، وهرعوا من فورهم سراعاً إلى حاناتهم تلك ، فشربوا نخب البلاغ معربدين معطمطين ، وأصابت فيهم الوقاحة المتسفلة أحط دركاتها

أجل ... أيها الأعزاء ... منا كل ذلك ، ومناشر من ذلك مما لا أستطيع التصريح به ... فإن كنتم لا تتوقعون من هذه الجراثيم الطفيلية خيراً ، لا لأنفسهم ولا لبلادهم ولا لأمتهم ، فهذا هو الذى وقع ، وإن قدرتم أنهم يأتون على أمتن القواعد من أساسها ، فهذا ما أريد منهم ، وهذا ما عصف ببنائنا من قواعده . وإن عزوتم ما فى البلاد من كرامة وفضيلة إلى غمار الشعب وطلبته المعصومين وبعض خاصته المهذبين فأنتم على صواب

وإياكم أن تظنوا أن هذه السموم التى حملناها — شاعرين أو غافلين — هى محصول وطنكم ، أو أن بلدكم مما ينبت هذه الرذائل ، وفى فطنتكم غنى عن التصريح ، وصدق الله العظيم[1]

* * *

وبعد ، فأحسبنى عددت — بأوجز لفظ — بعض الأسباب فى إخفاق جيلنا ، مما تسمح به الظروف ، وعسى أن ينفس الله الخناق فأعود ببعض التفصيل لما أجملت ؛ فإن وقاكم الله — أيها الطلاب — هذه الشرور ، وحمى جيلكم من هذه الآفات وتوابعها ، كونتم بأيسر سبيل عماد البلاد الحقيقى قوياً سليما

وإن كان لا بد من نصيحة إيجابية بعد ما تقدم ، فهى فى أن تأخذوا من مدنية الغرب أسباب القوة المادية كلها : فى العلم والتنظيم والصناعات ... أما غذاء أرواحكم وقانون أخلاقكم ، فانشدوهما فى تراثكم المجيد ... وحذار حذار أن تخدعوا عما مدت لصرفكم عنه الأحابيل ، وتنوعت المكائد ، ولطفت الحيل ، ودقت الأساليب ، وخفيت الخطوات ... ألا وهو : دينكم وثقافتكم ؛ عضوا عليهما بالنواجذ ، ففيهما — أيها الناشئون — كل قوتكم وعماد سلامتكم ، أفراداً وجماعات ...

لا تحيدوا عن سماحة القرآن وسمو الإسلام وتعاليمه قيد شعرة ، وكونوا فى ذلك رجالاً كل الرجال

(١) الآية : ٢٧ من سورة النمل

في الفلسفة الإسلامية

ابن باجـــه

للأستاذ عمر الدسوقي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

الفصل الثاني من تدبير المتوحد (١)

تكلم ابن باجّه في هذا الفصل عن أعمال الإنسان ، والفرق بينها وبين أعمال الحيوان . أمّا الأعمال البشرية المحضة الخاصة بالإنسان فهي الصادرة عن الإرادة المطلقة : أي الإرادة المصحوبة بالاختيار والروية والتفكير الحر ، لا عن غريزة ثابتة في الإنسان ثبوتها في الحيوان . وقد يشارك الإنسان الحيوان في بعض أفعاله كأن يهرب من مفزع أو يكسر عوداً خدشه ، لأنه خدشه فقط ، فهذا عمل حيواني ، أمّا أن يكسره لئلاّ يخدش غيره

(١) نقل هذا الفصل الأستاذ أبو ريده عن النسخة التيمورية ، ونحن هنا نلخصه عن مونك مع الموازنة بينه وبين ما نقله مترجم دي بور

أو عن روية توجب كسره فذلك عمل إنساني .

فالعمل الحيواني إذاً هو الذي يصدر عن انفعال نفساني وغريزة ثابتة كالغضب والخوف ، أمّا العمل الإنساني فهو الذي يوحيه الفكر سواء تقدم الفكر انفعالٌ نفساني أو مؤثر غريزي أم أتى بعده ، وسواء كانت الفكرة يقينية أو مظنونة . ويندر أن تكون أعمال الإنسان حيوانية على الإطلاق — لأنها على الأقل يصحبها التفكير في تنفيذها — أمّا الأعمال الإنسانية البحتة فقد توحد ، وإذا تعاونت الغريزة والفكر كان النهوض للعقل أقوى .

وأمّا من يفعل الفعل لأجل الرأى والصواب ، ولا يلتفت إلى ما يحدث في النفس البهيمية فعمله أولى أن يسمى إلهياً لا إنسانياً

ولهذا وجب على المتوحِّد أن يكون فاضلاً حتى إذا قضت النفس الناطقة بأمر لم تعاند فيه النفس البهيمية ، لأنها إذا عاندت وضعت العراقيل والصعاب ، وكان حدوث العمل بكرهٍ وعسر .

والرجل الذي تتغلب فيه النفس الحيوانية على الناطقة أقل من الحيوان لأن الحيوان يسير على طبيعته وسجيته ، أمّا هذا النوع من الرجال الذي يملك الفكر الإنساني ، ويمكنه أن يتقن العمل ويتقاعد عن ذلك فهو أقل من الحيوان ؛ لأنه مع ذكائه ووقوفه على الخير والشر تراه يتبع الحيوان ، ومثل الذكاء في هذه الحال مثل الغذاء الشهي يعطي لبدن سقيم .

إن الجماد يتحرك إلى أسفل بالطبيعة ، وليس له قصد في حركته ، والعمل الحيواني في النفس كالغذاء والتولد والنمو يتم بدون قصد أي يتم بالطبيعة والغريزة . أمّا العمل الإنساني فهو يصد دائماً عن تفكير وإرادة منّا ولذلك كان في قدرتنا التحكم فيه ، وعلى هذا فالغايات والعلل النهائية لا تعين ولا تحدّد إلاّ بالأعمال الإنسانية التي هي مدار البحث .

الفصل الثالث

بعد أن تكلم على الأعمال الإنسانية التي تحدد الغاية ، وأن الغاية التي يجب أن يتوخاها المتوحد هي النفاذ إلى المعقولات أخذ يفرق بين العقل والروح والنفس ، وليس للمؤلف رأى خاص ، وإنما يردد ما ارتآه الفلاسفة ثم يتطرق إلى العالم الروحاني ويرى ابن باجة أنه أربعة : العقول الفلكية ، والعقل الفعّال ، والعقل الهيولاني ، والجزء المفكر من النفس الإنسانية بما يشتمل عليه من قوى كالفنطاسيا Sense Commun والخيال ، والذاكرة والمفكرة ... الخ .

وتضلعوا جهد طاقتكم من تاريخكم المجيد ولغتكم الكريمة ، ساميين عظيمين كما خلقهما الله ، لا كما ينشرهما أبواق الدس من الجاهلين الادنياء ... وإن آنستم من بعض مرشديكم انتقاصاً لأبطالكم ، أو تزهيداً في تاريخكم ، أو تحقيراً لكريم تقاليدكم ، أو تهويناً للغتكم ، فانبذوا إليه على سواء ، واعلموا أنه مأجور جاهل ، فلا تهتموا به ، فإنه يزاد أجره ، ويُعلى مقامه على قدر ما يحدث من فتنة أو ضجة ... دعوه يمت بدائه ، واعكفوا أنتم على دراسة تاريخكم ولغتكم ودينكم في دور الكتب منقبين ممعنين فلكم على ذلك أجر المجاهدين الصابرين

ثم لا تسمحوا لأيٍّ كان ، مهما عظمت مكانته أو طغت سطوته ، أن ينال من هذه الثلاث : كرامتكم ورجولتكم وعروبتكم ... فإنه لا خير لنا ولا لبلادنا في شاب : لا كريم ولا عربي ولا رجل ! !

وكل ما أسأل الله : أن يعزكم ويعز وطنكم بكم ، وأن يجعلكم ممن قال فيهم : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين »

« دمشق » سعيد الأفغاني

أما العقول الفلكية فلا علاقة لها بالمادة ، وأما العقل الفعال فهو الذي يشكل المادة ويظهرها في صور مختلفة ، وأما العقل الهيولاني فهو الذي يشمل الأشياء المادية المعقولة[1]

الفصل الرابع

في غايات أعمال الإنسان ، فأعمال تخدم البدن ، كالأكل والشرب واللبس ، وغايتها التمتع المادي ، وإتمام الشكل الجسماني ولا ينبغي إهمالها . وأعمال غايتها خدمة الروح وتشكيلها (الروح بما فيه الجزء الحيواني والفكر) وتلك الأعمال تختلف باختلاف طبيعة الأشياء التي تقصد إليها نبلاً وخسة : (ا) فمنها ما يلذ للحس الباطني كغرور بعض الناس بارتداء الثياب الجميلة في الظاهر وهم يهملون الملابس الداخلية (ب) ومنها ما يلذ الخيال كأن يتسلح الإنسان في غير أوقات الحرب (حـ) ومنها ما يقصد به التسلية والسرور كاجتماع الأحباب والألعاب ، والعلاقات الشريفة بالمرأة Relations galantes ، والترفه والسكن الجميل ، واقتناء الأثاث والبلاغة والشعر (د) الأعمال التي غايتها كمال العقل والفكر كأن يدرس رجل علماً لذاته كي يكمل عقله لا ليعود عليه بنفع مادي ، أو كأن يقدم على الأعمال الشريفة الكريمة بدون ترقب نتيجة معينة

الفصل الخامس

إن من يقتصر على الأعمال الجسمانية يضع نفسه في صفوف الحيوان ، ومن يهمل الوجود الجسماني ألبتة يعمل ضد القانون الطبيعي ، وهذا لا يجوز إلا في حالات استثنائية حيث يكون احتقار الحياة فرضاً على الإنسان كأن يموت في سبيل الدفاع عن الوطن أو الدين ، ولا يمكن أن يصل الرجل المادي إلى السعادة

وعلى المتوحد ألا يتناول من الأعمال الجسمانية إلا ما كان وسيلة في مدّ أجله ، وعليه ألا يقدّم العمل الجسماني على الروحاني أبداً ؛ ثم لا يأخذ من أرق أنواع الأعمال الروحانية إلا ما كان ضرورياً للمعقول ؛ ثم يتعلق في النهاية بالمعقول المطلق ؛ لأنه بالعمل الجسماني يكون مخلوقاً إنسانياً ، وبالروحاني يكون مخلوقاً أرفع ، وبالمعقول يصير معقولاً سامياً إلهياً .

فالفيلسوف إذاً إنسان سام إلهي على شرط أن يختار من كل نوع من الأعمال صفة ، وأن يختلط بأهل كل طبقة من الناس لأجل أسمى ما في كل واحد منهم من الصفات ، وأن يميز نفسه عن الجميع بأعماله المتناهية في الرفعة والمجد ، فإذا ما وصل الإنسان إلى الغرض النهائي ، أي عند ما يفقه العقول البسيطة والعقول المفارقة Intelligences separées يصير واحداً منها (يظهر أن هذا في الحياة الدنيا وفيه مخالفة للفارابي) ، ويمكن أن يسمى مخلوقاً إلهياً بحق وجدارة

الفصل السادس والسابع والثامن

على الرغم من أن الفكرة التي يرمي إليها ابن باجه في هذه الفصول غامضة كما صرح بذلك ابن رشد ، وعلى الرغم من أن الفصل الثامن والأخير وجد في النسخ ناقصاً فإنا نستطيع أن نوجز ما يريده ابن باجه فيما يأتي :

إن الهيولى لا يمكن أن توجد مجردة عن صورة ما ، أما الصورة فقد توجد مجردة عن الهيولى[1] ، وإلا لما استطعنا أن نتصور إمكان أي تغير ، لأن التغير إنما يكون ممكناً بتعاقب الصور الجوهرية ، وهذه الصور من أدناها وهي الصورة الهيولانية إلى أعلاها وهي العقل المفارق — العقل الفعال — تؤلف سلسلة والعقل الإنساني يجتاز في تكامله مراحل تقابل تلك السلسلة حتى يصير عقلاً كاملاً[2]

وفي النفس الإنسانية قوى مختلفة فمنها ما يدرك المحسوسات ومقره « الفنطاسيا » أو الحس المشترك ، ومنها القوة المتخيلة التي تظهر في الميل الطبيعي L'appétit[3] والشهوة ، وهذان مشتركان في الإنسان والحيوان ، ومنها القوة الفكرية . وهناك نوع موهوب من الناس عنده قوة أخرى لا تحتاج في إدراك الأشياء إلى برهان أو دليل ، وإنما يكون ذلك بطريق الوحي والإلهام والرؤيا الصادقة ، وهذان النوعان الأخيران خاصان بالانسان[4]

ولأجل أن يدرك الإنسان كماله يدرك أولاً الصور المعقولة

---

(١) يظهر أن ابن باجة لم يوضح العقل الهيولاني أو أن مونك لم ينقله كما يجب ، وعلى كل فهذا التقسيم الذي ذكره ابن باجه ذكره ابن رشد والعقل الهيولاني عند ابن رشد هو عقل الانسانية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها وهو أزلي . ولعل ابن رشد فهم ما قصده أستاذه ابن باجه أكثر منا

(١) يخالف بذلك رأي أرسطو الذي يقول بأن المادة لا تنفصل عن الصورة إلا في الذهن (٢) دي بور ص ٢٤٣

(٣) مونك ص ٣٩٩ الملحوظة الأولى

(٤) توجد بعض أعمال يحتويها الطبيعة بعض الحيوان ، ولقد أبدى أرسطو نفس هذه الملحوظة وقال إنه يوجد في بعض الحيوان حذر شديد ولا سيما تلك التي ليس فيها الدم كالنمل والنحل — مونك نفس الصفحة

للجسمانيات ، ثم تصورات النفس المترددة بين الحس (القوة القوة المتخيلة) ، ثم العقل الانسانى فى ذاته ، ثم العقل الفعّال ، الذى فوقه ، وينتهي إلى إدراك عقول الأفلاك المفارقة ، ويترقى الانسان فى هذا السلم ويصل إلى ما هو فوق طور العقل وإلى ما هو إلٰهى

ويقول المؤلف : « إن العقل الفعال لا ينقسم أى لا يتجزأ ، وكل نوع من الكليات يوجد فى العقل الفعال كوحدة ، وعلى هذا فعلم هذا العقل المفارق واحد وإن كانت موضوعاته مختلفة بتعدد الأنواع ، وإنما كانت متعددة لأنها تظهر فى مواد مختلفة . وفى إمكان العقل بالفعل[1] أن يقرب هذه الكليات منه ويدركها ولأجل هذا كان الإنسان أقرب المخلوقات إلى العقل الفعال . فالعقل الإنسانى يصل إلى معرفة الكلي بشروق نور العقل الفعال ، وكل إحساس أو تخيل غير معرفة الكلى فهو معرفة خادعة[2] . إن العقل الإنسانى يصل إلى كماله بالمعرفة العقلية لا بالخيالات الصوفية الدينية التى لا تبرأ من شوائب الحس . والنظر العقلى هو السعادة العظمى لأن غايته المعقولات كلها . وإذا كان الكلى بهذه المثابة فلا يمكن القول ببقاء العقول الإنسانية بعد هذه الحياة »

أما النفس التى تدرك الجزئيات بتخيلها لها على نحو يجمع بين الإحساس والتعقل والتى يتجلى وجودها فى شهوات متعددة وأعمال متنوعة كامن فقد تستطيع البقاء بعد الموت وتلقى الثواب والعقاب . إن العقل أو الجزء المفكر فى النفس واحد فى كل عاقل ، وعقل الإنسانية فى جملتها هو وحده الأزلى وذلك باتحاده بالعقل الفعال . وقد تأثرت الأفكار المسيحية بنظرية وحدة النفوس[3] هذه إبان القرون الوسطى وعرفت بنظرية ابن رشد

ويقول مونك : « إن ابن باجه لا يوضح بجلاء الطريق التى تتم بها تلك الحركة السامية ، وكيف يتصل العقل الإنسانى والعقل الفعال العام ، وقد رأينا فى رسالة الوداع أنه مضطر إلى إدخال قوة فوق الطبيعة لإتمام هذا الاتصال » هى إشراق نور العقل الفعال على العقل الإنسانى .

---

(١) العقل بالفعل هو عقل الانسان ويسمى العقل المنفعل وهو يفنى بفناء الانسان — ومع أن ابن باجه يقول إنه بالتفكير يستطيع هذا العقل العقل أن يتصل بالعقل الفعال ومع هذا لم يبين لنا كيف يكون الاتصال وتراه يضطر إلى إدخال قوة خارجية يسميها الالهام أو الوحى حتى يتم هذا الاتصال .

(٢) يتأثر هذا برأى أفلاطون والكليات هنا تشبه عالم المثل عند أفلاطون

(٣) لقد وضحنا هذه النظرية فى المقال السابق كما نفسره ابن رشد

المتوحد

والواضح عند ابن باجه هو ذلك الطريق الخلقى الذى رسمه للمتوحد والذى ينصحه فيه ألاّ يرتبط بالرجل المادى ولا بالرجل الذى ليس له إلا غاية روحانية نفسانية « التى تتردد بين الحس والعقل » ، ولو فى أرقي أنواعها ، وواجبه أن يرتبط بالفلاسفة والحكماء ، ولما كان هؤلاء يوجدون بقلة فى بعض الأمكنة وتخلو منهم أمكنة أخرى ، وجب على المتوحد أن يبتعد عن الناس على قدر الإمكان ، ولا يختلط بهم إلا لأجل الضروريات بمقدار ضرورى ، كما يجب عليه أن يعطى نفسه بأكمله لتعليمه الإلٰهى ، وأن يضئ لمن حوله كالنور ، ويهب نفسه سراً لإدراك علم الخالق Cult du Createure كما لو كان ذلك أمراً معيباً ، وعليه أن يرتاد الأماكن التى بها العلماء والحكماء إن وجدهم ، وأن يجتنب الشبان القليلي الخبرة . ولا يرى ابن باجه فى هذا التوحد مناقضةً لعلوم السياسة التى تقول : إن مجانبة الناس خطأ ؛ ولا العلوم الطبيعية التى تقول : بأن الإنسان مدنى بالطبع ؛ لأن هذين المبدأين صحيحان نظرياً إذا تملك الرجال كمالاتهم الطبيعية ، ولما كان هذا نادراً وجب على المتوحد الابتعاد عن المجتمع[1] .

« بيروت » عمر الدسوقى

---

(١) راجع الفصول الخمسة الأولى من رسالة تدبير المتوحد حتى تفهم برنامجه . وعلى العموم فأفكار ابن باجه كلها أو جلها على الأقل موجودة فى حى بن يقظان . وهو عند ابن رشد أوضح ، وأثر ابن باجه فى هذين الحكيمين عظيم جداً .

بمناسبة مرور أربعين عاما على وفاة

السيدة عائشة عصمت تيمور

للأستاذ إسحق شموش

في مثل هذا الشهر (مايو) من عام ١٩٠٢ ، فجع الأدب العربي بوفاة الأديبة الكبيرة عائشة عصمت تيمور ، التي جدّدت في العصر الحديث عهد ربات الخدور بالأدب ، وساهمت في النهضة النسائية المصرية بنصيب وافر وقسط عظيم

وهي تمت إلى الدوحة التيمورية الكريمة التي منحت العربية ما لم تمنحه أية أسرة مصرية أخرى ، لغويين وشعراء ، وكتاب ، وقصصيين ، نهضوا بلغة الضاد وآدابها نهضة جبارة ، وسعوا لرفعهما إلى مصاف سائر اللغات والآداب الراقية سعياً يبعث على التقدير والإعجاب

فالسيدة عائشة هي كريمة رب السيف والقلم إسماعيل باشا تيمور ، وشقيقة اللغوى القدير أحمد باشا تيمور ، وعمة القصصي الأستاذ محمود تيمور الذي يعد بحق خير خلف لخير سلف

وقد ولدت في مدينة القاهرة سنة ١٢٥٦ هجرية الموافقة لسنة ١٨٤٠ ميلادية ، وأبدت منذ نعومة أظفارها ميلاً قوياً للدراسة ، وشغفاً عظيما بالمطالعة ، فتعلمت العربية ، والتركية ، والفارسية ، وأجادت الكتابة والنظم في كل منها إجادة غير يسيرة ؛ إلا أن والدتها حاولت صرفها عن الأدب إلى التطريز والنسج ولكن بدون جدوى ، فنشأ عن ذلك نزاع بينهما ، وصفته عائشة في مواضع مختلفة من مؤلفاتها :

« لما تهيأ العقل للترقى ، وبلغ الفهم درجة التلقى ، تقدمت إلىّ ربة الحنان والعفاف ، وذخيرة المعرفة والإتحاف ، والدتى تغمدها الله بالرحمة والغفران ، بأدوات التطريز والنسيج ، وصارت تجد في تعليمي ، وتجتهد في تفطيني وتفهيمي ، وأنا لا أستطيع التلقى ، ولا أقبل في حرفة النساء الترقى ، وكنت أفر منها فرار الصيد من الشباك ، وأتهافت على حضور محافل الكتاب بدون ارتباك ، فأجد صرير القلم في القرطاس أشهى نغمة ، وأتحقق أن اللحاق بهذه الطائفة أوفى نعمة ، وكنت ألتمس من شوق قطع القراطيس ، وصنار الأقلام ، وأعتكف منفردة عن الأنام ، وأقلد الكتاب في التحرير ، لأبتهج بسماع هذا الصرير ، فتأتى والدتى وتعنفنى بالتكدير والتهديد ؛ فلم أزد إلا نفوراً ، وعن صنعة التطريز قصوراً »[1]

وعلى نقيض ذلك كان والدها يشجعها على دراسة الأدب وممارسته : « فبادر والدى تغمّده الله بالغفران نراه وقال لها : دعى هذه الطفلة للقرطاس والقلم[2] »

وقد كررت الإشارة إلى تشجيع والدها بصورة أوضح في مقدمة ديوانها التركي الفارسي ، فوضعت على لسانه وهو يخاطب والدتها العبارات التالية :

« ما دامت ابنتنا ميّالة بطبعها إلى المحابر والأوراق ، فلا تقفى في سبيل ميلها ورغبتها ، وتعالى نتقاسم بنتينا : فخذى « عفت » وأعطنى « عصمت » ؛ وإذا كان لى من « عصمت » كاتبة وشاعرة ، فسيكون ذلك مجلبة الرحمة لى بعد مماتى[3] » .

وقد تحقق رجاء اسماعيل باشا تيمور ، فكانت « عصمت » مجلبة رحمة له ، بل ومجلبة شهرة وفخر كذلك

وتزوجت « عائشة » باكراً جداً في الرابعة عشرة (١٨٥٤ — ١٢٧١) من محمد بك توفيق الاسلامبولى ، ورزقت منه بـ « محمود » و « توحيدة » ، غير أنها رزئت بفقد هذه الأخيرة قبل أن تتجاوز الربيع الثامن عشر ، فبكتها أحر بكاء ، إلى أن كلّ بصرها ، وأصيبت برمد شديد لبث يختلف عليها إلى آخر حياتها

وقد رثت « توحيدة » بقصيدة رائعة ، مطلعها :

إن سال من غرب العيون بحور فالدهر باغ والزمان غدور[4]

وربما كان أجود ما فيها البيت التالى :

لوبث حزنى في الورى لم يلتفت لمصاب قيس ، والمصاب كثير[5]

وقد جمع شعرها العربى في ديوان « حلية الطراز » كما جمع شعرها التركى والفارسى في ديوان « شكوفه » . ومن آثارها النثرية مجموعة قصص على نمط « ألف ليلة وليلة » دعتها « نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال » ، وأبحاث اجتماعية معروفة بـ « مرآة التأمل في الأمور »

ويتسم شعرها بالنزوع إلى القديم نزوعاً قوياً ، ولا سيما في تشبيهاته واستعاراته وكناياته ، فالألحاظ سيوف ، والخدود ورود ، والقدود غصون ، والأسنان درر ، وباب الممدوح كعبة

(١) و (٢) كتاب « نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال »
(٣) مقدمة ديوان « شكوف »
(٤) و (٥) ديوان « حلية الطراز » ص ١٧

أولى السجود ، وليس الممدوح سوى كوكب يتألق فى سماء العز والمجد ، أو بدر يلمع فى ليالى الشقاء والبؤس ... الخ

والميزة البارزة فى شعرها التى تجعل له قيمة أدبية ، هى الصدق فى التعبير عن عواطفها ، وهذا الصدق أكثر ما يتجلى فى مراثيها التى تبكى فيها أعز الناس لديها ، وأحبهم إليها

وقد قصرت شعرها ، أو كادت تقصره على أغراض ثلاثة :

١ — « المدح » : ويشكل قسماً كبيراً من شعرها ، ويكاد ينحصر فى خديو مصر الذى يمثل لديها الزعيم السياسى والدينى معاً ، الجدير بالطاعة العمياء ، والإعظام الذى لا يقف عند حد

ومما لا ريب فيه أنها كانت صادقة الولاء فى مدحها ، ولم تتخذه أداة للكسب كما كان يفعل كثير من شعراء عهدها

غير أنها أسرفت كثيراً فى مدح الخديو حتى أنها لم تتورع عن رفعه إلى مصاف الملائكة ، ونسب أكبر مقدار من أكرم الصفات والمزايا إليه :

لو قيـل للشرف اختر قال خدمته
أو قيل للدهر سابق عزمه افتضحا [(1)]

فالنصر عونك ، والزمان مطاوع
والسعد عبـد ، والـكمال صديق [(2)]

ولا فرق عندها بين خديو وآخر ، إذ أن مدحها للخديوية نفسها لا لشخص الخديو ، وهذا هو السر فى كونها مدحت الخـديو سعيد والخديو اسماعيل ، كما مدحت الخـديو توفيق والخديو عباس ؛ كأنما كل من يتسنم أريكة الخديوية يصبح أهلاً للمدح ، وأى مدح !

٢ — الرثاء : وقد توفرت على الرثاء بقدر ما توفرت على المدح ، وكما قصرت مدحها أو كادت تقصره على الخديو ، قصرت رثاءها أو كادت تقصره على أفراد أسرتها والمقربين إليها ، فرثت ابنتها ، ورثت شقيقتها ورثت والدها ووالدتها وأستاذها الشيخ ابراهيم السقا الخ ...

وفى رثائها أيضاً لم تتحرج من الغلو والإسراف

عز العزاء على بنى الغبراء لما توارى البدر فى الظلماء [(3)]

أو :

إنى ألفت الحزن حتى إننى لو غاب عنى ساءنى التأخير [(4)]

(١) ديوان « حليه الطراز » ص ١٥ (٢) ديوان « حلية الطراز » ٢٢
(٣) « « « ص ٢٨ (٤) « « « ص ١٩

وقد برعت فى هذا الضرب من الشعر براعة فائقة ، ووفقت إلى تصوير لوعتها وحزنها عند ما كانت تحد بها المصائب توفيقاً عظيماً مما يدل على أنها كانت ترثى عن حرقة حقيقية لا أثر للتكلف والتصنع فيها .

٣ — الغزل : وأكثره من الغزل الصوفى الذى يكاد يكون مقصوراً على النبى العربى محمد بن عبد الله ، وقد مهدت له بـ « قالت مستغيثة » أو « قالت توسلاً » وما أشبه

ومن أروع قصائدها فى هذا الغزل الدينى ميميتها التى مطلعها :

أعن وميض سرى فى حندس الظلم
أم نسمة هاجت الأشواق من أضم [(1)]

حيث تقول :

روحى الفداء ومن لى أن أكون به
هذا الفـداء وموجودى كمنعدم

وما هى الروح حتى أفتديه بها
وهى البغاث بناء الظـلم والظلم [(2)]

وتتخلل بعض قصائدها أبيات قليلة ، فيها عن نفسها حديث لا يخلو من فخر وتحد :

ولقد نظمت الشعر شيمة معشر قبلى ذوات الخدر والأحساب
وخصصت بالدر الثمين وحامت الـ خنساء فى صخر وجوب صعاب [(3)]

كما لا يخلو من إشارة مزهوة إلى فضلها على سائر النساء اللواتى إن نظرن فى المرآة فللتجمل والتزين ، وأما هى :

فجعلت مرآتى جبين دفاترى وجعلت من نقش المداد خضابى
كم زخرفت وجنات طرسى أنملى بعذار خط أو إهاب شباب [(5)]

ومع أنها شاعرة لا ناثرة فقد لجأت إلى النثر أحياناً لمعالجة بعض القضايا النسائية كقضية السفور والحجاب مثلاً التى أثارها فى عهدها المصلح الاجتماعى الكبير قاسم بك أمين ، إلا أنها لم تبد فى هذه القضية رأياً صريحاً كما أنها لم تثبت على رأى واحد بصددها ، فقد يفهم أنها حجابية من الأبيات التالية :

بيد العفاف أصون عز حجابى وبعصمتى أسمو على أترابى [(4)]
ما ساءنى خدرى وعق عصابتى وطراز ثوبى واعتزاز رحابى
ما عاقنى خجلى عن العليا ولا سـدل الخمار بلمتى ونقابى

(١) ديوان « حلية الطراز » ص ٤ (٢) « ديوان حلية الطراز » ص ٥
(٣) « « « ص ٣ (٤) « « « ص ٣
(٥) ديوان « حلية الطراز » ص ٣

عن طي مضمار الرهان إذا اشتكت
صعب السباق مطامح الركاب[1]

كما يفهم أنها سفورية من الجملة التالية :

« وأنا بين جدران الخدر كقطاط سجنها المطر ، وعاقها عن الانسياب برق يخطف البصر »[2]

وأما موقفها من قضية المرأة المسلمة ، فهو موقف المحافظات المسرفات فى المحافظة ، ولا أدل على ذلك من بحثها « مرآة التأمل فى الوجود » حيث تصطنع لسان فقهاء الإسلام لمعالجة مواضيع على جانب كبير من الخطورة :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم . فالرجل يقوم بأمر الزوجة مجتهداً فى حفظها وصيانتها وأداء كل ما تحتاج إليه ؛ ثم إن الحق لم يكتف بالحكم حتى بين السبب بقوله بما فضل الله يعنى بأمور لها وفرة فى العقل والدين ، ولذا جعل لهم الولاية والإمامة ، وجعل فيهم الخلفاء والأئمة ، وميزهم فى الشهادة بين الأمة ، فقال فى آية أخرى : فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى »[3]

إن الرجال أسود عزت رفعة تسطو على روض العلا وتصول
لهم النضير بكل غصن مثمر وسواعد للساميات تطول
حازوا المكارم تحت عزة فضلهم وشهودهم بين الأنام عقول[4]

وهى تخلص من ذلك إلى استنكار بحث الشبان حين الزواج « عن الحلى والحلل والضياع والعقار ، لا عن النسب والتدين والعفة والوقار[5] وتصب جام غضبها على الرجال الذين يتركون سلطتهم تنتقل إلى زوجاتهم ، وتضرب لهم المثل التالى :

وهو أن أسداً تكاسل عن الصيد ، وغله الجبن بالقيد ، فأمر لبوته أن تنوب عنه ، وتأتى بالفريسة بدلاً منه ، فانقادت لأمره ، وسارت على ما عهدته من سيره ، واستمرت مدة على هذا الحال . فلما طال الشرح عليها صارت تصطاد وتأكل ما اشتهت من أطايب اللحوم ولذائذ الأكباد ، وتلقى إليه من فضلات ما يبقى . فاستشاط الأسد غيظاً ورأى أن ذلك إهانة لوقاره ، ومجلبة لعاره ، فقال لها خزيت يا لكاع ، كيف تأتينى بسقط المتاع ، وتجسرين على أكل المطايب قبلى ، وتخفضين رفعتى وتنسين فضلى ؟ إن كان غلب الشره عليك ، واستحيت أن تأكلى بحضرتى ، فأعدى لى أطايب الطعام ، وقدميها إلى أولاً كما جرت به العادة فى سالف الأيام . فضحكت اللبوة منه ، وقالت قد أخطأ وهمك ، وغلظ فهمك ، إنى لم أنس فضلك ، ولم أجهل قدرك ، ولكن كان ذلك مذ كنت أنت أنت وأنا أنا ؛ وأما الآن فقد انعكس الحال وصرت أنا أنت ، وأنت أنا ، فلك على ما كان لى عليك . فأفحم الأسد ، ورجع على نفسه باللوم رجوعاً ، وآل على نفسه ألا يستعين بها على الصيد ولو مات جوعاً[1]

وهذا المثل كالأمثلة النثرية التى تقدمته ـ يدل دلالة واضحة على أن صلة نثرها بالقديم وثيقة ، كصلة شعرها ، إن لم تكن أقوى وأشد ، إذ جرت فيه على نسق المقامات وكليلة ودمنة ، فأغرقته فى فيض من المحسنات البديعية ، اللفظية منها والمعنوية ، وأفعمته بالأمثلة على ألسنة الطيور والحيوانات

وعلى كل فمما لا ريب فيه أن تأثيرها فيمن تتلمذ عليها من ذوات الحجال كان عظيما ، ولا سيما فى الأديبتين النابهتين أمينة نجيب وباحثة البادية (ملك حفنى ناصف) اللتين برزتا على أقرانهما ، ونعمتا بشهرة أدبية واسعة

ونحن إذ نذكر اليوم السيدة عائشة تيمور ، فإننا نذكر أول من رفعت لواء الأدب من ربات الخدور فى النهضة الحديثة ، وأول من لجأت فى العصر الأخير لبيان بنات أفكارها إلى روائع النظيم والنثير .

إزائيل شموسه
أستاذ الأدب العربى الحديث
بالجامعة العبرية

(١) دیوان « حلية الطراز » ص ٤
(٢) « بلاغة النساء فى القرن العشرين » ص ٩٢
(٣) « » » » » ص ٩٥
(٤) « » » » » ص ١١٤
(٥) « » » » » ص ٩٦

(١) « بلاغة النساء فى القرن العشرين » ص ٩٩ ــ ١٠٠

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ١٦٥٠ سنة ٩٤١ بتغريم عبد الفتاح على سيد أحمد بقال بالزقازيق جنيهين وغلق المحل يوما لامتناعه عن بيع كبريت بالتسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ١٦٩٦ سنة ٩٤١ بتغريم زكيه إبراهيم ديب من القراموص خمسين قرشا لبيعها ذرة بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ١٧٢٦ سنة ٩٤١ بتغريم كل من ابراهيم محمد عبد العال ومحمد حسن عيرة بالزقازيق ١٠٠ قرش وغلق المحل يوما لبيعهما خبز بأزيد من التسعيرة

٣٤ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الحادي عشر — « الخرافات »

هناك شعائر درويشية كأشكال الدعاء ، وطرق الذكر لا يراعيها غير طوائف خاصة ، كما توجد شعائر أخرى تقوم بها الطوائف المختلفة . ونذكر من هـذه طقوس (الخلوتية) و (الشاذلية) وهما فرقتان كبيرتان لكل منهما شيخ . والفارق الرئيسي بينهما أن لكل منهما أسلوبه الخاص في الأدعية التي يرددونها صباح كل يوم ، وأن السابقين يتميزون عن الآخرين بالخلوة أحياناً ، ومن ثم سموا خلوتية . وهؤلاء يتلون دعاءهم قبل الفجر ويسمى (وِرْد السحر) أما دعاء الشاذلية فيقرأونه بعد الفجر ويسمى (حزب الشاذلي) . وقد يعتكف الخلوتي أربعين يوماً وليلة في خلوته صائماً ، من بزوغ الفجر إلى غروب الشمس طول هذه المدة . ويعتكف جماعة منهم أحياناً في خلوات مسجد الشيخ الدمرداش شمال القاهرة ثلاثة أيام وليال بمناسبة مولد هذا الولي ، ولا يتناولون أثناء ذلك غير قليل من الأرز وكوبة من الشراب عند المساء . ويشغلون أنفسهم بقراءة أدعية لا يعرفها غيرهم ؛ ولا يخرجون من الخلوة إلا للصلاة جماعة في المسجد ، ولا يجيبون أبداً من يكلمهم إلا بقولهم : « لا إله إلا الله » . ويتبع هذا النظام تقريباً أولئك الذين يعتكفون مدة الأربعين يوماً فيقضون الوقت مرددين الشهادة سائلين العفو حامدين الله .

يكاد دراويش مصر جميعهم أن يكونوا تجاراً أو صناعاً أو مزارعين . وهم لا يحضرون طقوس بعضهم إلا مصادفة ؛ غير أن بعضهم لا عمل له غير الذكر في الموالد والحفلات الخاصة والإنشاد في الجنازات . ويطلق على هؤلاء لفظ (فقير) ؛ ومعنى ذلك المعوز عامة ، إلا أنه يطلق على الأتقياء المساكين خاصة . ويعتاش البعض من تقديم الماء إلى المارة في شوارع القاهرة وزوار الأعياد الدينية . فيحملون الماء على ظهورهم في أباريق من الفخار أو من جلد الماعز . والقليل منهم يسلكون حياة التجول ويعيشون على الصدقات بلجاجة ووقاحة شديدتين . وبعض هؤلاء يميزون أنفسهم على طريقة الأولياء المشهورين بلبس (الدلق) أي السترة المرقعة ، وحمل العصا المعلق في أعلاها قطع النسج المختلفة الألوان ، ويلبس البعض الآخر ملابس غريبة مختلفة الألوان

ويتخذ بعض الرفاعية ممن لا يحترفون إخراج الثعابين من المنازل ، حياة التجول في بلاد القطر مستفيدين من خرافة مضحكة أذكرها الآن : كان سي[1] داود العزب وهو ولي مبجل من بلدة تفاهنه[2] في الوجه البحري يملك عجلاً يقوم على خدمته . فتعود بعض الرفاعية منذ وفاته تربية العجول في بلدة هذا الولي أو مدفنه وتمرينها على صعود السلم والاضطجاع عند ما تؤمر بذلك ، ثم يذهب كل منهم وعجله متجولاً في البلاد لجمع الصدقات . ويسمى العجل (عجل العزب) . وقد دعوت مرة أحد هؤلاء الدراويش إلى منزلي . وكان العجل — وهو الوحيد الذي رأيته — جاموساً يتدلى منه جرسان ، أحدهما في طوق حول عنقه ، والآخر في حزام حول جسمه . وقد صعد السلم جيداً ، إلا أنه أظهر ضعف مرانه من كل الوجوه . ويعتقد العامة أن عجل العزب يجلب إلى المنزل بركة الولي الذي سمى هذا الحيوان باسمه

وفي مصر دراويش جوالة من الترك والفرس ، وإلى هؤلاء الدراويش تنسب صفة اللجاجة والوقاحة أكثر مما تنسب إلى القلائل من المصريين الذين يعيشون معيشتهم . ويحدث كثيراً في شهر رمضان خاصة أن يذهب درويش أجنبي إلى مسجد الحسين الذي يتردد إليه كثير من الترك والفرس ، وقت صلاة الجمعة فيمر بين المصلين عندما يخطب الخطيب ويضع أمام كل امرىء قصاصة من الورق كتب عليها بعض كلمات تحث على الصدقة . وبهذه الطريقة يتناول من المصلين كلهم أو غالبهم قطعاً من ذوات الخمسة فضة أو العشرة فضة أو أكثر . ويحمل الكثير من دراويش الفرس في مصر ملعقة خشبية وطاسة مستطيلة من جوز الهند أو من الخشب أو المعدن حيث يتناولون الصدقات ويضعون الطعام . ويلبس أغلب الدراويش

(١) « سي » اختصار عامي لكلمة سيدي المختصرة من سيدي

(٢) لعلها بلدة « تفهنا العزب » بمركز زفتى مديرية الغربية

(المترجم)

الأجانب ملابس خاصة تبعاً لطوائفهم . وأهم ما يميزهم لباس الرأس، وأكثر أنواعه شيوعاً ما صنع من اللبد على شكل قالب السكر المخروطى . وتتكون ملابسهم الأخرى من صدرية وسروال واسع أو آخر ضيق ، أو قميص وحزام ، وعباءة غليظة . ويتظاهر الفرس هنا بأنهم سنيون . ويعتبر الأتراك أكثر الطائفتين إزعاجاً ولجاجة . وأذكر هنا خرافة أخرى هى اعتقاد المصريين والعرب عامة بأن للطيور والحيوانات لغة تتفاهم بها وتسبح بحمد الله

ومن أهم المميزات فى خرافات المصريين المحدثين اعتقادهم بالتمائم والأحجبة التى يستند أكثرها على السحر ، ويشتغل بكتابة هذه التعاويذ أحياناً جميع مدرسى الكتاتيب القروية تقريباً . على أنه قلما يدرس من يقوم بهذا العمل شيئاً من السحر أكثر من الحصول على بعض صيغ من الأحجبة يتألف معظمها عادة من آيات قرآنية وأسماء الله مع أسماء الملائكة والجن والرسل ، أو الأولياء المشهورين يختلط بها تركيبات عددية وأشكال هندسية ويتوهم الناس أن ذلك كله له خاصية خفية عظيمة

وأكثر الأحجبة اعتباراً مصاحف القرآن ، وقد جرت العادة أن يحمل أتراك الطبقتين الوسطى والعليا وغيرهم من المسلمين مصحفاً صغيراً فى غلاف من الجلد الزركش أو المخمل يعلقونه على الجانب الأيمن بخيط من الحرير يمر فوق الكتف الأيسر . غير أن هذه العادة لم تعد شائعة كثيراً . وقد لاحظت أثناء زيارتى الأولى أنه قلما يرى تركي فاضل من السلك الحربى لا يحمل الغلاف السابق ذكره ، مع أنه كثيراً ما لا يحوى حجاباً ؛ ولا يزال النساء يحملن المصحف وغيره من الأحجبة ، فيضعنها فى أغلفة من الذهب أو من الفضة المذهبة أو الساذجة . ويعزو المسلمون إلى المصحف وأكثر الأحجبة قوة كبيرة ، ويعتبرونها حافظة من المرض والسحر والحسد وغير ذلك من البلايا

وهناك كتاب أو دَرج يجيء بعد المصحف مكانةً به سور قرآنية تكون فى العادة سبعاً كسور : الأنعام والكهف ويس والدخان والرحمن والملك والنبأ أو غيرها . ويوجد حجاب آخر يوضع عادة داخل غطاء الرأس ، ويعتقد أنه يقى حامله من الشيطان ومن كل جن شرير . وهذا الحجاب قطعة ورق كتبت عليها الآيات التالية[1] : «ولا يؤوده حفظهما وهو العلى

(١) وتسمى « آيات الحفظ »

العظيم » : (سورة البقرة آية ٢٥٥) ؛ « فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين » : (سورة يوسف آية ٦٤) ؛ « يحفظونه من أمر الله » : (سورة الرعد آية ١١) ؛ « وحفظناها من كل شيطان رجيم » : (سورة الحجر آية ١٧) ؛ « وحفظاً من كل شيطان مارد » : (سورة الصافات آية ٧) ؛ « وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » : (سورة يس) ؛ « والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ » : (سورة البروج الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) . وكثيراً ما تكتب أسماء الله التسعة والتسعون ، فى ورقة يحملها الشخص ، فتجعله كما يعتقد محلاً خاصاً لرعاية هذه الصفات الكريمة جميعها . ويعتقد كذلك أن كتابة أسماء الرسول التسعة والتسعين على أى شيء تكون حجاباً كما روى الإمام على عن النبى (ص) يبعد كل مصيبة ووباء ويحفظ من الضعف والحسد والسحر والحريق والدمار والقلق والحزن والضيق . ويضيف المسلم بعد ذكر كل من هذه الأسماء قوله : اللهم صل وسلم عليه[1] . وتنسب مثل هذه الخصائص إلى حجاب يتضمن أسماء أصحاب الكهف واسم كلبهم[2] . وتنقش هذه الأسماء أحياناً فى قاع طاسات الشراب ، وغالبا على صينية الطعام المستديرة من النحاس المبيض . وهناك حجاب آخر يظن أن له تأثيراً مماثلاً . ويتألف هذا الحجاب من أسماء مخلفات النبى وهى تتألف من سبحتين ومصحف فى أجزاء غير مرتبة ، ومكحلة وسجادتين ورحا وعصا وسواك وحلة[3] والأبريق الذى كان يستعمله النبى صلعم للوضوء ،

(١) كتب إلى أحد الأصدقاء وكان أستاذى ، قبل أن أترك منزلى بالقاهرة للعودة إلى انجلترا ، على قصاصة ورق : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ثم قطعها نصفين وأعطانى النصف المكتوب عليه : محمد رسول الله ، ثم أخفى النصف الآخر فى أعلى دولاب صغير فى غرفة الجلوس المعتادة ؛ وذلك لضمان عودتى إلى القاهرة ثانية ، إذ يعتقد أن الشهادة لا يمكن أن تبقى ناقصة ، فيعيدنى هكذا دوام الاحتفاظ بالنصف الآخر إلى النصف السابق

(٢) يقال إن هؤلاء كانوا فتية من نصارى افيزوس Ephesus لجأوا إلى كهف هرباً من اضطهاد الأمبراطور دقيلوس Decius فناموا هناك تحت حراسة كلبهم مدة ٣٠٠ سنة شمسية أو ٣٠٩ قمرية . (سورة الكهف)

(٣) يحتفظ فى مسجد الغورى بالقاهرة بقميص يقال إن النبي (صلعم) كان يلبسه . وقد صر هذا القميص فى شال كشميرى ولا يعرض لغير العظماء

ونعل وبردة[1] وثلاث حصر ودرع ورداء طويل من الصوف، وبغله الأبيض (الدلدل) وناقته (العضباء). وتكتب أيضاً بعض الآيات القرآنية على قصاصات من الورق يحملها الناس وقاية من الشرور، واستشفاء أو اكتساباً للحب والصداقة الخ. ويحمل الكثير من المصريين المحدثين رجالاً ونساء وأطفالاً هذه الأحجبة وغيرها في أغلفة من الذهب أو الفضة أو القصدير أو الجلد أو الحرير الخ.

ومن الشائع أن ترى الأطفال المصريين يحملون أحجبة ضد الحسد[2] داخل غلاف مثلث الشكل يعلق في أعلى غطاء الرأس. وكثيراً ما يعلق على الجياد معلقات مماثلة. ويتقى المصريون الحسد بشتى الاحتياطات ويسعون قلقين لدفع نتائجه الوهمية عنهم. وقد يعبر البعض عن إعجابه بشيء إعجاباً يعتبر غير لائق فيعنفه من أزعجه هذا بقوله: (صل على النبي) فإذا امتثل الحاسد وقال: « اللهم صل عليه » لا يخشى شر.

ومن غير اللائق أيضاً أن يعبر الشخص عن إعجابه بآخر أو بأي شيء لا يملكه بقوله: « يا سلام[3] » « ما أجمله » ويستحسن في مثل هذه الأحوال أن يقول: « ما شاء الله » التي تشير إلى الإعجاب والخضوع لإرادة الله أو الرضا بها. فكثيراً ما يكون الأجدر بالبدى إعجابه أن يقول ما شاء الله ويصلي على الرسول.

وقد بينت في الفصل الثاني من هذا الكتاب خوف نساء مصر من أثر الحسد على أولادهن. والعادة في هذا البلد أن يقول من يحمل ولد غيره بين ذراعيه: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على سيدنا محمد، ثم يقول ما شاء الله. والشائع أيضاً أن يقول المصري عندما يبدي إعجابه بصبي: « أعوذ برب الفلق لأجلك » مشيراً إلى سورة الفلق التي تنتهي بالتعوذ من شر الحسد. وقد ينظر بعض الناس إلى طفل أو يلوح أنه يحسده فيعمد الوالدان أحياناً إلى قطعة من أطراف ملابسه فيحرقانها مع قليل من الملح. ويضيف البعض إلى ذلك الكزبرة وحجر الشب الخ ويبخران الطفل بالدخان ويذران عليه الرماد، ويجب عمل هذا على ما يقال قبيل الغروب عندما يحمر قرص الشمس

ويستعمل المصريون الشب كثيراً لمنع أثر الحسد، فيضعون على الجمر قبيل الغروب قطعة منه بحجم الجوزة تقريباً حتى تنقطع عن الفوران، ويتلو من يقوم بهذا العمل أثناء احتراق الشب الفاتحة والسور الثلاث الأخيرة ثلاث مرات. ويبدو كما قيل أن الشب عندما ترفع من النار تتخذ شكل الحاسد، ثم يسحقها ويمزجها بقليل من الطعام يرميه إلى كلب أسود ليأكله. وقد شاهدت هذه العملية يقوم بها رجل ظن أن امرأته نظرت إليه نظرة حاسدة. وقد اتخذت قطعة الشب وقتئذ شكلا يشبه شكل النساء كثيراً فقرر الرجل أنه وضع خاص تعودت عليه امرأته. إلا أن الشكل الذي يتشكل به الشب يكاد يتوقف على ترتيب الجمر ومن الصعب أن يكون هذا الشكل بحيث لا يرى فيه الخيال بعض الشبه بالإنسان — وهناك طريقة أخرى يتوهم الناس أنها تدفع تأثير الحسد وهي أن تُوخز قطعة من الورق بإبرة ويقول الواخز هذه عين فلان الحاسد. ويعتبر الشب حجاباً ناجحاً ضد الحسد. وقد يعلق الناس أحياناً قطعة من حجر الشب مسطوحة ومزينة بشراريب في أعلى غطاء رأس الطفل. وتستعمل الأصداف والخرز بالطريقة نفسها وللغرض نفسه. وهناك أصداف صغيرة تعتبر واقية من الحسد خاصة تعلق في عدد الجمال والجياد وغيرها من الحيوان وعلى غطاء رأس الأطفال أحياناً. ولا شك أن هذه الملقات يقصد بها جذب العين فتمنعها من رؤية الشيء المراد حفظه من الحسد

عدلي طاهر نور

(١) البردة التي يلبسها فلاحو مصر قطعة مستطيلة من الصوف السميك تشبه الحرام فيما عدا اللون، إذ تكون على العموم سمراء أو قهباء. ويبدو أنها كانت في الأزمنة الأولى مخططة دائماً. إلا أن بعض البرد الحديثة ساذجة والبعض الآخر ذات خطوط متقاربة جداً بحيث تبدو للناظر القريب أنها ذات لون واحد. وتوصف بردة النبي (صلعم) أنها كانت حوالى سبعة أقدام ونصف طولا، وأربعة ونصف عرضاً. وكان يستعملها كما تستعمل الآن للبسها نهاراً والتغطية ليلا

(٢) تبين هذه الخرافة عادات كثيرة كانت تبدو خلافا لذلك غامضة.

(٣) أو « يا سلام سلم »، ولفظة السلام من أسماء الله

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١١ مارس سنة ٩٤١ في القضية ١٧٢٩ سنة ١٩٤١ بتغريم محمد حسن الديب بكفر أيوب ١٠٠ قرش لامتناعه عن بيع قمح بالتسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ في القضية ١٩٨٤ سنة ٩٤١ بحبس خطاب غنيم حسن البقال بالزقازيق خمسة عشر يوما بشغل وغلق المحل يوما لبيعه عدس بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ في القضية ٢٠٠١ سنة ٩٤١ بحبس ابراهيم مصطفى محمد الجزار بكفر عثمان أسبوعين بشغل وغلق المحل يوما لبيعه لحم بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٤٢ في القضية ٢٦ سنة ٩٤٢ بتغريم عبده مصطفى السيد الجزار بالابراهيمية ٣٠٠ قرش وغلق المحل يوماً لبيعه لحم بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢٥ فبراير سنة ٩٠٢ في القضية ٤٩١ سنة ٩٤٢ بتغريم محمد أحمد صبري بالزقازيق ٣٠٠ قرش لبيعه ذرة بأزيد من التسعيرة

نعمة السلم

للأستاذ عبد اللطيف النشار

أ كان خداع النفس للنفس أن أرى
جميع عباد الله أهلاً و إخوانا

أنعمة سلم تلك أم تلك نقمة   تَطَامُنُ إنسان يصاحب ذؤبانا
فإن تبغِ الحرب الضروس بشرها   فيا رب خير جره الشر أحيانا

عرفنا العدى لا بارك الله فى العدى
وحسبك أن تعتاض بالجهل عرفانا

فيا نعمة للحرب باركت أنعماً   لسلم جدير أن يعمر دنيانا
ودون الرضى أن يسلم الجسم وحده   إذا المرء لم يسلم ضميراً ووجدانا
نعيم لعمرى قد فقدناه إذ غدت   بقاع الثرى والماء والجو ميدانا
نعيم فقدناه ولكن إلى مدى   فبالحرب نستبقى مع السلم نعمانا
ودونك فلتغرس سياجاً يحوطه   من الشر إن أنشأت للخير بستانا
نعيم لعمرى جلستى بين صبيتى   أحادث أزهاراً وأنشق ريحانا
وأدنى إلى النعمى يقينىَ أننى   سألقى غداً هذا الجميع كما كانا
فلا سلم حتى يعرف المرء أنه   يرد إذا ما شاء ختلاً وعدوانا
أيا خضرة الزرع الندىّ تألقى   لهيباً وكونى يا شجيرات نيرانا
إذا ما عدا عادٍ عليك فإنما   تعود القوى حسناً عليك وإحسانا
كذلك نعمى السلم يُحمد غبُّها   تذكُّرها شوقاً إليها وتحنانا
إذا صوح الروض النضير ذممته   فهلا حمدت الروض إذ كان ريانا

ولولا انصراف النفس عن خُدَع المنى
لكان نعيماً أن نصادق أعدانا

فتوسيع آفاق المحبة مطلق   من النفس أحقاداً تسوء وأضغانا
أسفت على الانسان ليس بقادر   على الحب إلا أن يعادىَ إنسانا
فقدنا نعيم السلم من طول حرصنا   عليه وحبًا أن نوسع دنيانا
متى نستعده نستعده وحكمة   فنعطىَ كلاً مثلما كان أعطانا
وفى القصد إبقاء على كل نعمة   فلست بمعطى الود غير الذى صانا
أمِنّا فساوينا الأحباء بالعدى   فيا ليتنا ننسى العدو وينسانا
حليفتنا ، مدى اليمين وجدّدى   مواثق قد ضمتك أمس وإيانا
صوالحنا فى الحرب والسلم قاربت   عقولاً وأدنى حافز الحب وجدانا
ألست التى أخلاقها جُلُّ مجدها   وما أجمل الأخلاق للملك بنيانا
ونحن بنى البردىّ أقلامنا جرت   وما كان فى دنيا الكتابة إلا انا
سننا العهود والمواثيق سنة   وما كان أولانا بذاك وأحرانا
فنحن بنى الشرق المضىء بنوره   طلعنا على الدنيا يقيناً وإيمانا
ولن يخفر الشرقىُّ عهداً وذمة   وقد خلق الشرقى للناس أديانا

عبد اللطيف النشار

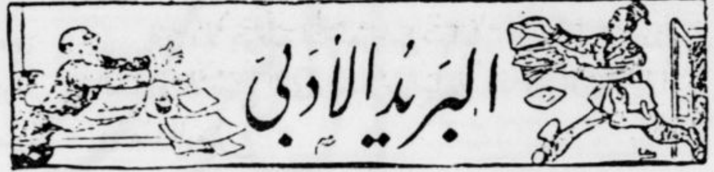
سلميون محاربون (*)

للأستاذ حسين الظريفى

رعا الله فتيان البلاد فإنهم   نسور هبوبٍ ، أو ليوث وثوب
وأنهمو لا ينثنون عن المدى   وليسوا بهيّابين كل هيوب
إذا دخلوا الميجاء يوم كريهة   فهم بين طعّان و بين ضَروب
وقاذف نار من حديد كأنها   رجامُ سماء من بنات شَعوب
يطير بجنح الطائرات إلى المدى   بكل طلوع ، أو بكل غروب
ويركب متن السائرات ، وما له   بها من ونى فى جَيْئَةٍ وذُهوب
مصفحة الأطراف مضبورة القرا   تمج لهيباً موصلاً بلهيب
وليس بهم إن أوجب السلم نفسه   سوى كل داعٍ بينهم ومجيب
يحيّون بالريحان كل مسالمٍ   بخالص ودٍّ لم يكن بمشوب
وما فيهمُ إلا أخو كل برّةٍ   وكل طليق الراحتين وهوب
لقد كتبوا تاريخهم بدمائهم   على كل يومٍ بالجهاد عصيب
صحائف نصرٍ بالدماء خضيبة   وراء حروبٍ أوصلت بحروب
وساروا على أشلائهم لرجائهم   ففازوا بنصرٍ من لدنه قريب
هم النبع لطفاً والحجارة شدةً   ونعجز أن تأتى لهم بضريب

حسين الظريفى

(*) قطعة من رواية « الفداء » للشاعر : قيد التأليف



مذهب الشك قبل ديكارت

وردت كلمة للأستاذ (السيد يعقوب بكر) فى العدد (٤٦٣) من الرسالة يقارن فيها بين ديكارت فى قوله: « أنا أشك فأنا أفكر فأنا موجود » وابن يعيش فى كلمة له: « إنك إذا قلت: عدمتنى، فمعناه علمتنى غير موجود، لأنك إذا علمت كنت موجوداً وصحته على الاستعارة »

وقد أورد ابن يعيش هذه الكلمة فى شرحه على مفصل الزمخشرى فى قواعد اللغة العربية — أوردها عرضاً وهو يناقش تركيباً من حيث معناه، ثم تركه ومضى فيما يعنيه من شرح القضايا الأخرى

فابن يعيش لم يكشف مذهباً فلسفيا، بل لم يجل بفكره أن يقف عند هذه القضية قليلاً ولا كثيراً، فكيف ينتظر منه أن يسايرها إلى غاياتها ويتخذها أساساً لمنهج فلسفى؟

فليس الفرق أن هذا لم يصح مع أنه السابق وذاك صاغ مع أنه اللاحق؛ ولكن الفرق هو أن ابن يعيش يناقش تركيباً عربياً من حيث معناه ثم يتركه إلى غيره؛ وديكارت درس طويلاً مختلف المذاهب الفلسفية التى تقدمته فرأى الفلاسفة عاجزين عن حل ما تصدوا لحله من المشاكل العقلية فتركهم يائساً « ألا يطفئ غلته من جداولهم » . ولجأ إلى الشك بعد أن لج به اليأس، فشك فى كل رأى وعقيدة فى طريقى المعرفة: العقل والحواس، حتى لشك فى وجوده فإذا هو مضطر أن يعترف بحقيقة لا شك فيها وهى أنه يشك أى يفكر فهو لا بد أن يكون موجوداً، فوضع قاعدته: « أنا أفكر فأنا موجود » وهو لم يثبت بذلك وجود جسمه ولا نفسه بل ذاته المفكرة

ثم مضى فى تفكيره على هذا الأسلوب حتى شاد فلسفة رفيعة تضىء الطريق لأصدقائها وأعدائها على السواء.

إن كان أحد قد سبق ديكارت بشىء من فلسفته — فيما أعلم — فليس ابن يعيش الذى عاش فى القرن الثالث عشر الميلادى متقدماً نحو أربعة قرون على ديكارت الذى عاش فى النصف الأول من القرن السابع عشر (١٥٩٦-١٦٥٠) بل فيلسوف آخر عاش فى القرون الوسطى الأوربية فى عصرها الأول الذى يسمى فى تاريخ الفلسفة « عصر آباء الكنيسة Patristic Period »

وقد سبق ديكارت بأكثر من اثنى عشر قرناً، وهو القديس « أورليوس أوغسطين Aureluis Augustinus » فيلسوف المسيحية. وقد ولد عام ٣٥٣م فى « تجستى Tagaste » فى شمالى أفريقية لأب وثنى وأم مسيحية ملؤها الإخلاص والحماسة لدينها فنشأ وثنياً على ملة أبيه، ثم اعتنق المسيحية فى الرابعة والثلاثين من عمره، فصار فارسها الأوحد الذى يناضل عنها بكل ما أوتى من قوة وبراعة؛ ورأى فيه المسيحيون إمامهم الذى إليه يرجعون فى مشاكلهم فلا يذكر اسمه فى مجال خلافى حتى ينحسم الخلاف فى رضا واستسلام فهو الفيصل الذى لا معقب له.

قرر أوغسطين — وهو يفصل رأيه فى المعرفة — أنه إذا جاز للانسان أن يرتاب فيما تمده به الحواس من معلومات فلا يجوز له الريب فيما يزوده به العقل؛ لأنه حق ثابت، إذ الشك لا يمتد إلى شعور الإنسان بإحساساته الباطنة، كما أن الشك فى الإحساسات الخارجية يتضمن الاعتراف بوجود ذات تشك، لأنى إذا كنت أشك، فإنى أعلم بشكى أنى موجود؛ فالشك إذن يتضمن الاعتراف بوجود المفكر من غير شك ولا خطأ، فإذا تشككت فى كل شىء، فلن أخطئ إذ لا بد أن يكون المخطئ موجوداً.

وهكذا يمضى الفيلسوف فى فلسفته فيثبت وجود الله وقدرة العقل على تحصيل المعرفة التى مصدرها الله ويبين الكيفية التى خلق الله بها العالم، ويفصل رأيه فى الروح والمادة والأخلاق وطريق الاتحاد بالله والسعادة الأخروية. وقد توفى عام ٤٣٠ م.

ومن مفكرينا المسلمين اثنان شكا كديكارت فى كل شىء وإن لم ينتهيا إلى ما انتهى إليه من خلق فلسفة شاملة تفيض باليقين والإيمان من طريق العقل: أحدهما فيلسوف المعرة أبو العلاء الذى انتهت به قسوة الحياة وآلامها الملحة إلى الشك بالتشاؤم فلم يبق له إلا الإيمان بالألم كما يرى ذلك من قرأ له لزومياته ورسائله إلى داعى الدعاة ورسالة الغفران. وثانيهما حجة الإسلام الإمام الغزالى الذى انتهى من الشك إلى الإغراق فى التصوف كما يرى ذلك من قرأ كتابه « المنقذ من الضلال » . ومما هو جدير بالالتفات هنا تشابه القديس أوغسطين والإمام الغزالى

فى كثير من آرائهما وحياتهما ومنزلتهما فى الدين ، فأوغسطين فى المسيحية هو الغزالى فى الاسلام ، وكل منهما اضطرته ظروفه المحيطة به ، والتى كانت تهدد دينه أن ينبرى ليدافع عنه أعداءه فوفق فى دفاعه كل توفيق

(سمالوط) محمد خليفة التونسى

من محام شرعى إلى قاض شرعى

حضرة الأستاذ على الطنطاوى المحترم

السلام عليكم ورحمة الله ... جاء فى مذكراتكم المنشورة فى العدد (٤٦٢) من (الرسالة) المجيدة ما نصه :

« ولا بد من الرجوع إلى الحكم بالشهادات التى قد يعلم القاضى أنها شهادات زور ، وأن الشهود فساق لا عدالة لهم ، ولا تقبل من مثلهم شهادة ، وكانت القرائن تقطع بكذبها — والقرائن والأمارات من أسباب الحكم — كما بين ذلك ابن قيم المدرسة الجوزيه فى كتابه الجليل « أعلام الموقعين » ؛ ولكن لا سبيل إلى الأخذ بها إلا أن تنظر « وزارة العدل » فى (دمشق) فى الاقتراح الذى رفعته إليها فى هذا الموضوع ، وتتخذه أساساً لاصلاح شامل يخلص الناس من شهود الزور ... فكيف يهدأ بال من يغلب على ظنه ؛ أو يعلم فساد البينة ، ثم يضطرون إلى الحكم بها »

ألا فليهدأ الأستاذ بالاً ، وليطمئن قلباً ، وليقر عيناً ... فليس فى الأرض — أو على الأقل — ليس فى بلد من بلاد الاسلام قانون شرعى أو وضعى يجبر القاضى على الحكم ببينة يعلم أنها زور ، لا سيما إذا كانت القرائن تقطع بكذبها ، بل حتى إذا كانت القرائن توجب الشك فيها ، أو تجبره على قبول شهادات الفساق الذين لا يقبل من مثلهم شهادة . ويكفى فى تعليل إبطال هذه الشهادات وعدم العمل بها أن يقال : « لم تطمئن المحكمة لهذه الشهادات فردتها » ؛ وإن استؤنف هذا الحكم فسيصدق (مئة فى المئة) ، إذ لا تملك محكمة الاستئناف القوة على جبر القاضى بالعمل بما يراه باطلاً

وانظر — رحمك الله — كم بالغ الفقهاء فى وجوب تحرى القاضى وبحثه عن أحوال الشهود ، حتى لو ظهر كذبهم بعد التزكية لم يعمل بشهادتهم . فهذا من جهة الشرع ؛ وأما القوانين الوضعية ، فقد جعلت تقدير الشهادات عائداً لضمير القاضى وألغت التزكية — وهى بحالها الحاضرة جديرة بالالغاء —

إذن ، لا يتوقف التخلص من شهادات الزور على نظر وزارة العدل فى الاقتراح الذى رفعتموه إليها للأخذ بالقرائن والأمارات فى هذا الموضوع

إنما الأخذ بالقرينة والأمارة موضعه فيما تنعدم فيه الشهادة فيكون الحق عرضة للضياع إذا لم يؤخذ بالقرينة والأمارة

ولو أن الأمر على ما ذكر الأستاذ من أن القاضى مضطر للحكم بشهادات يعلم أنها زور ، لكان هذا هو الظلم الذي ليس بعده ظلم ، ولما جاز للمسلمين أن يسكتوا عنه لحظة واحدة ، حتى تبدل الأرض غير الأرض ... وكيف يكون كذلك وهم — فى محاكمهم الشرعية — يعملون بشريعة الاسلام . وهى وهذا ضدان مفترقان ؟

نعم ، بعض قوانيننا التى يجرى العمل بها فى المحاكم الشرعية — فيما سوى مصر — تحتاج إلى نظر وتعديل ، ولكن ليس فيها هذا الظلم

وتعقيب آخر : قلتم فى آخر مقالكم : « وقد فسروا حديث القاضى والقاضيين أن القاضيين اللذين فى النارهما ... الخ » ؛ وهذا ليس تفسيراً للحديث ، وإنما هو من صلب الحديث بلفظ آخر ؛ ولفظة (فى الجامع الصغير) : « قاضيان فى النار ، وقاض فى الجنة : قاض عرف الحق فقضى به ، فهو فى الجنة ؛ وقاض عرف الحق فجار متعمداً ، أو قضى بغير علم ، فهما فى النار »

(اللد — فلسطين) داود حمدان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 466

Lunedi - 8 - 6 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ عن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة العاشرة «القاهرة في يوم الإثنين ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ — الموافق ٨ يونية سنة ١٩٤٢» العدد ٤٦٦

الفهرس

صفحة

١٨ ٠ ٣٨ .

الصفاء بين الأدباء أيضاً

للأستاذ توفيق الحكيم

كانت دعوتي إلى الصفاء بين الأدباء خالصة لوجه الأدب. فأدباء مصر البارزون الدائبون على الإنتاج لا يتجاوز عددهم العشرة مع التسامح الشديد، بينما نظراؤهم في بلد كفرنسا يبلغون أكثر من مائتين من المشهورين المنتجين، ومع ذلك نطلع على صحفهم الأدبية فلا نرى غير تكاتف وتساند على أداء رسالة الأدب والفكر. إن الفن طويل والحياة قصيرة، وكان الأجدر بنا نحن العشرة أن نوجه صراعنا لا إلى بعضنا البعض، بل إلى الفن ومصاعبه وأسراره. إن «جوته» حتى وهو مستشار للدولة ما كان يستغني يوماً عن صديقه «شيلر» وهما يعملان في عين الفرع من الأدب التمثيلي، فكانت بينهما مراسلات لا تنقطع طول النهار على قرب الديار، جمعت في مجلدين يرى المطلع عليهما كيف أنهما كانا يتشاوران في تفاصيل القصص الذي كانا ينشئان ويتحاوران في أمر بناء الوقائع ورسم الأشخاص، بل وفيما ينبغي أن يختار لذلك القصص من اسم وعنوان ... كنت أحب لأنفسنا مثل هذا الصفاء الذي يخرج في جوه الفن الصافي. ولكن الأستاذ عباس محمود العقاد في مقاله «صداقات الأدباء» رد يقول إن صاحب الدعوة إلى الصفاء هو الذي يحث عن أسباب الكدر بملقاط ليخلقها خلقاً بين رجلين على أحسن ما يكون

من الصفاء ! فإذا صح هذا الزعم كان حقاً مما يدعو إلى الأسف بل إلى السخرية ! وربما كان ظاهر الوقائع يدل على ذلك ؛ ولكن هل كانت تلك حقيقة المقاصد والنوايا ؟ ليس من واجب الأستاذ العقاد فيما أرى أن يبحث خلف أستار الظاهر ، وليس من حق أن أطالبه بالنفوذ إلى أعماق النفوس ، فليكن الله وحده إذن شهيداً على ما أضمرت . وقد رأى الأستاذ العقاد أن يجزى واحدة بواحدة، فلم يفته فى ختام مقاله أن يدس هو الآخر سبباً من أسباب الكدر بينى وبين الدكتور طه حسين بقوله : « إن الأستاذ الحكيم يقول بعد الإشارة إلى ثناء الدكتور طه عليه منذ سنوات : لم نسمع فى غير مصر أن الناقد إذا أثنى على كتاب حسب أنه تفضل على مؤلفه ورفع شأنه من الحضيض الخ الخ » . ومضى يصورنى فى هيئة الناكر للجميل ، والأستاذ العقاد ولا شك قد فهم أنى ما قصدت بإيراد هذه العبارة وأمثالها إلا مجرد إظهار الإساءة لطه حسين وهو فى أوج نفوذه . فقلت ما نصه : « إن هذا الوقت هو أحب الأوقات عندى لإساءته لا لإرضائه . . . وأما مشاعرى الخاصة كانسان نحو الدكتور طه فليس الظرف اليوم مواتياً للأطناب فى وصفها ؛ وسأختار الزمان والمكان الملائمين للأفاضة بها دون أن يحمل فعلى على غير محمله » . لكن . . . ما دام الأمر قد حمل على غير وجهه وسجل علىّ سبباً من أسباب الكدر النائمة من الصفاء ، فهل أحجم عن العمل على إزالة الأكدار ؟ وإذا كانت الظروف هى التى شاءت أن تختار الزمان والمكان الملائمين للأفاضة بما عندى ، فماذا يجب أن أصنع أمام مشيئة الأقدار ؟ فلأتكلم إذن ولأقص القصة كما رأيتها وعشتها . . .

الحقيقة أنها كانت قصة انتهت مع الأسف بانهيار صداقة من أعظم الصداقات التى عرفها أدبنا المعاصر . لقد كان مبدأ ظهورى فى الجو الأدبى كما هو معلوم نشر «أهل الكهف» عام ١٩٣٣ ، ولم تكن هذه الرواية بالطبع بدايتى الأولى فى هذا اللون من التأليف ، بل كانت ثمرة تجاريب عشرة أعوام أو تزيد سابقة على الشروع فى وضعها ؛ فلقد كنت قبل ذلك أكتب للمسرح المصرى روايات مما يلائم جمهور تلك الأيام . فمثلت لى أربع قصص وعهد بالخامسة إلى المرحوم سيد درويش ليضع ألحانها ولكنه اختلف مع المسرح على الأجر المطلوب . وكانت هنالك فيما أذكر سادسة وسابعة لست أدرى ما حدث لهما . وإنى وإن كنت أوثر نسيان هذه الروايات الأولى إلا أنى لا يجب أن أنكر فضلها على تكوينى الفنى الأول ، فلقد كانت هى خير مران لى على ممارسة الحوار ، ثم اتسعت آفاقى باتساع نطاق مطالعاتى فى أصول هذا الفن فى الآداب الأجنبية . وضاقت بى مصر فرحلت إلى فرنسا بعد أن كنت قد سجلت اسمى فى جدول المحامين ومهدت أمرى لحياة مجدية . ولكن أى شيطان فى أعماق نفسى كان يدفعنى إلى إضاعة حياتى وراء فن لم يكن له بمصر أى احترام ؟ وهنالك فى فرنسا قرأت كثيراً وكتبت بالفرنسية نحو أربع روايات تمثيلية مزقت الواحدة تلو الأخرى تمزيقاً عقب الفراغ منها واطلاع بعض أرباب ذلك الفن عليها . فلم أكن قد اهتديت بها إلى شىء يذكر . ولبثت فى هذا الجهاد زمناً لا أجد فى آدابنا العربية مرجعاً لهذا الفن ولا مصدراً محترماً يجعلنى أبداً منه أو أضيف إليه . إنما كان علىّ أنا أن أخلق البداية خلقاً .

وكتبت بعد ذلك عدة روايات من بينها « أهل الكهف » دون أن أدرى أنها موفية بالغرض بعض الشىء أو قريبة من الهدف الذى أسمى إليه . وقد اشتغلت بالقضاء فأنسانى هذه «الخزعبلات» ودفنت مخطوطاتى فى حقائبى طويلاً أتنقل بها من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية ، حتى وقعت مخطوطة « أهل الكهف » ذات يوم فى يد قاض مثقف من زملائى كان يذكر أيامى الماضية فى مسارح القاهرة . وانتقل بالمخطوطة إلى العاصمة ، ومن هناك أرسل إلىّ يقول إنه ساع فى طبعها . فتملكنى الدهش . ما معنى الطبع ؟ ولماذا ؟ وماذا يحدث إذا طبعت غير خسارة المصاريف ؟ فلما أصر أصررت على ألا يتجاوز عدد المطبوع مائتين من النسخ . وهو أكبر عدد يمكن توزيعه على المعارف والإخوان . أما أكثر من هذا فلا أعرف ما أصنع به ، وليس لدى مكان أخزن فيه هذه الأكداس من الورق .

ونشرت «أهل الكهف» وحدث ما يعرفه الناس . فقد قام الدكتور طه حسين يعلن فى (الرسالة) بصراحة وقوة أن الأمر ليس فقط أمر كاتب وكتاب ، إنما هو « باب أدبى جديد فتح فى الأدب العربى ... الخ الخ » . وظلت تلك عقيدة طه حسين يناضل عنها حتى عند ما عارضته بعدئذ بقولى إن الحوار الأدبى عرفه الجاحظ ووجد منه كثير فى كتاب الأغانى ، فقد أبى الاعتراف بذلك وأصر على اعتبار « أهل الكهف » مبدأ ظهور « الحوار الأدبى التمثيلى » باباً من أبواب الأدب العربى كما هو مقرر فى الآداب الأجنبية باباً من أبوابه . ولقد كان طه حسين مخلصاً فى مذهبه

إلى حد أغضب الكثيرين وإلى حد استطاع معه أن يقنع صفوة من المفكرين ، أذكر منهم « لطفي السيد » الذى استقبلني بعد نشر « شهرزاد » بقوله : « أنت شيخ طريقة ... أقصد في الأدب . وطه حسين على حق . وطه بخيل وهو لا يصر هذا الإصرار إلا إذا اقتنع »

تساءلت فيما مضى وأتساءل الآن مرة أخرى : هل كان في طاقتي أو طاقة إنسان فرد أن يشكر طه حسين على كل هذا ؟! في الحق أن عمله كان أجل وأضخم من أن أتولى أنا وحدى شكره . لقد كان على الأدب العربي ممثلاً في رجاله وهيئاته أن يقوم بذلك . ولعل التاريخ يصنع هذا لو ثبت له أن طه مصيب

على أني فى حقيقة الأمر لست أذكر ما اعترانى من شعور فى ذلك الوقت ، وأغلب الظن أنى شغلت عن الأدب العربى وأبوابه ومذاهبه بشيء أجمل بكثير من كل هذا : هى صداقة طه حسين نفسها . فقد بعثت إليه ببرقية ، وأنا لا أعرفه ، غداة ظهور مقاله المشهور ، أشكره فيها شكراً حاراً . ثم تركت إقليمى الذى كنت فيه وكيلاً للنائب العام وجئت مصر فلقيت طه حسين ونشأت بيننا مودة كانت أرفع وأجمل من أن تعيش طويلاً . لقد لبثنا شهوراً وكأن أحدنا قد عثر على شيء ثمين بعثوره على الآخر . إن طه شخصية عظيمة باهرة . إنه من شخصيات التاريخ بلا جدال . والتاريخ فيما يخيل إليّ فنان ، يتخير أشخاصه بيده ويطبعهم بخاتمه حتى قبل أن يلبسهم أدوارهم ويدفعهم إلى مصائرهم العظمى ! لقد كان حديث طه يسحرنى ، وشئونه تعنينى ... لقد كان مجرد اسمه يذكر أمامى يجعل نفسى تتفتح مبتهجة كأنها زهرة مر عليها نسيم ! وربما كنت أنا أيضاً أنزل من نفسه بمض هذه المنزلة . فقد كتب ذات مرة يقول : « إنى أسمع اللوم لأنى أحب توفيق الحكيم ، وأقرأ الشتم لأنى أكبر توفيق الحكيم ، وأنا أبسم للوم اللائمين وأضحك لشتم الشاتمين . لأنى لم أحب هذا الكاتب إلا لأنه ألهمنى الحب ، ولم أعجب بهذا الكاتب إلا لأنه ألهمنى الإعجاب ! »

لكن ... وا أسفاه ! لقد تغلب أولئك الشاتمون واللائمون آخر الأمر ، وفازوا بمآربهم وأشعلوا نار الوقيعة بيننا ، واضعين أيديهم على مواطن الضعف فينا ، وضعف الفنان هو عزته وكرامته وإن شئت فقل غروره ... وهكذا لم يستطع طه حسين أن يحتفظ طويلاً بابتسامه وضحكه أمام الساعين بالسوء ؛ ولم أستطع أنا أن أحتفظ باتزانى ، فأنقذ المودة الصادقة ، وأضحى بالعزة الكاذبة ...

وبهذا حطمنا تلك الجوهرة التى منحتنا إياها السماء ... من أجل ... من أجل ماذا ؟

لست أدرى ما حدث بعد ذلك ، فذاكرتى الآن لا تسعفنى ، كل ما أذكر أننا حاولنا أن نرم ما تحطم ... ولقد أقمنا معاً بعض الصيف فى جبال الألب ... فضحكنا كثيراً ، ولهونا طويلاً ، بل لقد ألفنا معاً هناك كتاباً ... ولكن ... ولكنها مع ذلك لم تكن الصداقة الأولى ... لماذا ؟ لعل شيئاً فى نفسينا لم يكن صافياً كل الصفاء ، أو في نفسى أنا على الأقل ... إنى أعترف ، لقد كنت أمتنع عن كل ما يؤخذ على أنه ملق أو زلفى ... لقد كان طه حسين وقتئذ كما هو الآن شخصية ذات نفوذ ، وأنا أكره إرضاء أصحاب النفوذ

أنا الذى كان ينبغى له أن يهدى إلى طه حسين كثيراً من كتبه ، أو على الأقل « أهل الكهف » ... كنت أتردد فى كل طبعة تصدر لهذا الكتاب أو غيره ، ولم أجد فى نفسى الشجاعة أو القوة على القيام بهذا الواجب الضئيل ... لماذا ؟ لأن طه من أصحاب النفوذ ! هذا أيضاً ما جعلنى أصمت عن التنويه بآثاره وأنا أقدر الناس على فهم ملكاته وهباته ... ولكنى الآن وقد وضعت بين تهمتين : الزلفى أو نكران الجميل ... فإنى أوثر التهمة الأولى : فلقد سبق أن اتهمت بها فى مجال السياسة ، فلم تلبث براءتى أن ظهرت ، فمن السخف أن أقيم لمثل هذه الأشياء بعد اليوم وزناً ... لقد كادت تضيع بسببها أيضاً صداقتى « بمحمد العشماوى » ، فلقد تجنبته عن عمد بلا جريرة يوم عين وكيلاً لوزارة المعارف منذ أعوام ، لكنه فطن إلى الأمر ، فما زال يظهر لى من المودة أضعاف ما كان يظهر من قبل ، حتى اطمأنت نفسى ، وأيقنت أنها صداقة حقيقية بين عقلين وروحين ، لا شأن فيها للنفوذ ، ولا دخل للمناصب

إن الخلق العظيم حمل لا يقوم به غير العظماء ... ! هم وحدهم الذين أعطوا الشجاعة والقوة على أن يسيروا قدماً نحو الجيل النبيل من الأخلاق دون أن يلتفتوا يميناً أو يساراً ، ودون أن يصغوا إلى همس الهامسين وتأويل المؤولين ! !

والآن ، لعلى قد رددت على كلمة الدكتور طه حسين التى نشرها فى (الأهرام) ، ولعله اقتنع بأن الأمر لم يكن جحوداً ولكنه تردد ، وهذا لا يغير من الموقف كثيراً ، ولكن هذا خلق ، فليساعدنى على علاجه أصدقائى ! !

(البقية على صفحة ٦١٢)

الدكتور طه حسين يتحدث عن :

الحب الضائع

للدكتور زكى مبارك

حين تلطف صاحب العزة الدكتور طه بك حسين فأهدى إلىّ نسخةً من « دعاء الكروان » لم يفته أن يقول إنه سيهدى إلىّ بعد أسابيع نسخة من « الحب الضائع »

وقد التفت ذهنى إلى مدلول هذا القول ، فمن عادة الدكتور طه أن يتظاهر بالتواضع ، وأن يعلن أنه لا يعنى ما يقول ، وأن الناس لا يقبلون على مؤلفاته إلا متفضلين ، فكيف حرص هذه المرة على التبشير بكتابه الجديد ؟

وزرته بعد ذلك فى مكتبه بوزارة المعارف لشأن من الشؤون التعليمية فأدركت من سياق كلامه أنه سيرسل إلىّ كتابه الجديد يوم الخميس ، فما هذا الكتاب الذى يحدثنى عنه الدكتور طه مرتين قبل أن يظهر فى أسواق الورّاقين ؟

ثم جدّت شواغل صرفته وصرفتنى عن التلاق نحو أسبوعين ، فلم يُهد إلىّ كتاب « الحب الضائع » إلا يوم أهديت إليه كتاب « ملامح المجتمع العراقى » ، والجروحُ قِصاص !

كان من همى أن أعرف ماهيّة الكتاب الذى بشرنى به الدكتور طه مرتين قبل أن يظهر فى الأسواق ، فكانت النتيجة أن أقرأ منه خمسين صفحة فى الطريق ، وأن أستأنف قراءته فى المصرية لأفرغ منه قبل أن ينتصف الليل

فما جزاء المؤلف الذى يفرض علينا أن نقرأ نحو ٢٢٤ صفحة فى يوم واحد ؟

جزاؤه أن نسوق له الحمد والثناء بغير حساب ، فما تسمح الظروف بأن نجد فى كل يوم كتاباً يجذبنا إليه بهذا السحر الغريب .

وما « الحب الضائع » ؟

هو كتابٌ يصوّر العواطف الطبيعية فى الريف الفرنسى لعهد الحرب الماضية . والكتاب ليس بجديد ، لا فى الروح ولا فى الأسلوب ، فله أمثال تعدّ بالعشرات أو بالمئات ، ومع هذا فلن يقول الفرنسيون حين يُترجَم إلى لغتهم « هذه بضاعتنا رُدّت إلينا » لأن طه حسين حين يقتبس لا يفوته أن يضفى ثوب الابتكار على الاقتباس .

والمهمّ هو تنبيه القراء إلى قيمة هذا الكتاب ، فمن المؤكد أن فيهم من تغيب عنه مراميه على وجهها الصحيح ، وقد يكون فيهم من يتصور أنه كتابٌ فى الحب ، والحبُّ عند الغافلين عبثٌ ومزاح !

هو كتابٌ فى الحب ، على نحو ما يتصور أديبنا العظيم طه حسين ، والحبُّ عند من يكون فى مثل حالته العقلية آصرةٌ معقّدة إلى أبعد الحدود ، فهى تمسّ الآباء والأمهات قبل أن تمسّ البنين والبنات ، وهى تقلقل المجتمع قلقلة لا يعرف مداها غير المشغوفين بدراسة أهواء العقول وأحلام القلوب

والمؤلف يُجرى الحديث على لسان فتاة تؤرّخ حياتها من مساء إلى مساء ، بعبارات فطرية قليلة التنميق والتهويل ، وهو فى أثناء ذلك يُنطق الفتاة بأقوال تفصّل من العُقد النفسية أشياء وأشياء

والمتأمل يرى فى الكتاب دقائق يمسها المؤلف برفق ، لأنه لا يريد أن يجعل فتاته كثيرة الاستقصاء ، وإن زعمت لنفسها نية الاستقصاء ، وهذه إحدى النواحى الطريفة فى هذا الكتاب الطريف .

فالآنسة مادلين لم تلتفت إلى دفتر اليوميات إلا بعد عصرية قضتها مع صواحب الِفن كتابة اليوميات ، ومن هذا نعرف أن المؤلف يريد النص على أن النساء ينقلن عن النساء أكثر مما ينقلن عن الرجال

ثم نمضى مع صاحبة اليوميات فنعرف أنها تعيش بين أهل جعلت فواجعُ الحرب أيامهم بؤساً فى بؤس ، ومع هذا يحتال المؤلف فينطق الفتاة بكلمات نعرف منها أن للشباب أحلاماً تُنسى

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بارسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

أصحابها فواجع الحرب ، فقد رأينا مادلين تداعب خيال العيش المقبل من وقت إلى وقت ، برغم ما يعانى أهلها من متاعب وكروب

وكلام المؤلف فى تصوير عواطف الأبوّة والأمومة عند الفرنسيين غاية فى الصدق ، وهو يسوق كلامه على قلم الفتاة بأسلوب حزين ، يلائم الحياة فى ذلك البيت الحزين .

والواقع أن « عاطفة السّكن » قوية عند الدكتور طه إلى أبعد الحدود . والسكن هو الكلمة العربية التى تماثل الـ Foyer فى اللغة الفرنسية ، فهو حين يدور حول هذا المعنى يفصّله أجمل تفصيل ، وبلا تكلف ولا افتعال

ولم يكن بدٌّ من الحديث عن الوطنية الفرنسية لعهد الحرب الماضية ، فهل يُنشئ المؤلف خطبة على لسان تلك الفتاة ؟

يكفى أن يشير إلى أن تلك الأسرة ظهرت فيها ظاهرة من جنون ، وهى تطوّع الأخ الأصغر للخدمة العسكرية قبل أن يبلغ سن الحرب ، فقد كان يقول :

« صُرع أحد أخويّ وجُرِح الآخر ، وما ينبغى أن تخلو ميادين الحرب من أحدنا » . وهى عبارة فى غاية من القوة ، وقد ساقها المؤلف فى بساطة توهم أنه لا يعنى ما تنطوى عليه من مقاصد وأغراض .

وهنالك نظرية أخلاقية تعرض لها المؤلف فى عدة مواقف ، وهى النظرية الخاصة بمواجهة الحياة ، ومن رأى المؤلف أنه لا بدّ للأحياء من أن يعيشوا ، وأن اجترار الأحزان مرض يجب دفعه بلا إمهال

ولا يفوت المؤلف أن ينص على ما يقع من المضارّة بين الأخ والأخت ، ولا يفوته أن يجسّم النفاق الذى يقع فى البيوت عند تبادل الاستقبال بين الجيل القديم والجيل الجديد

وأقول مرة ثانية إنى أريد تنبيه القراء إلى قيمة هذا الكتاب لأنه كُتِب بطريقة يغلب عليها الرمز والإيماء ، وإن كان غاية فى الصراحة والوضوح ، عند من يساير المؤلف فى أشواطه الطوال

وهل فيمن قرأوا هذا الكتاب من تنبّه إلى نظرية دقيقة ساقها المؤلف فى أسطر معدودات بالصفحة الثامنة والستين ؟

فى تلك الأسطر يشير المؤلف إلى أن الحيوان المتوحش يحتلّ صدر الإنسان المتحضر ، ولم يفته إلا النص على أن الحضارة سلاح جديد يزيد التوحش ضراوة إلى ضراوة واستذآبا إلى استذآب

وهنالك صفحة عجيبة غريبة تذكّر بأدب أبى حيّان التوحيدى فى تشريح العواطف ، وهى الصفحة الخاصة بالشوائب التى تفسد الوداد ، ومن تلك الصفحة نعرف كيف جاز أن يتعرض الدكتور طه لتقلبات فى الودّات والصداقات يستغفلها مَنْ لا يعرف ما فُطِر عليه من توهج الإحساس

تلك الصفحة تفسر ما يقع فيه الدكتور طه من وقت إلى وقت ، فهو يقطع ما بينه وبين أصدقاء لا يجود بأمثالهم الزمان ، وهو قد يصل أقواماً لا يمتُّون إلى روحه بسبب قريب أو بعيد ، ولعله أكثر الناس ابتلاء بالمخادعين والمرائين ، لأنهم أحرص على مراعاة الظواهر من المصافين والموافين ، والكاذب يسبق الصادق إلى امتلاك القلوب الخواضع لخوادع الوداد

وتلك الصفحة غاية فى القوة من الوجهة الأخلاقية ، فالجهل يصدنا عن مراعاة الواجب فى معاملة الأصدقاء ، فنتوهمهم يقبلون منا كل شىء ، ويغفرون لنا جميع الذنوب ، ولو عقلنا لأدركنا أن الصديق ينتظر أن يسمع منا ما يحب فى كل وقت ، ويرجو أن نرى سيئاته أشرف من الحسنات ، وأن نعدّه أعظم مخلوق جادت به على الأرض السماء

ومن يُسمع الصديق كلمة اللطف إذا بخلنا بها عليه ؟

وماحاجة الصديق إلينا إذا صارحناه بعيوبه كما نصارح الأعداء؟

آفة الصداقة أن نعاملها كما نعامل العداوة ، باسم الحرص على الشجاعة الأدبية ، مع أن للصداقة حقوقاً أيسرها التغاضى عن هفوات الصديق

ونحن فى الغالب نلاطف الأعداء ليصيروا أصدقاء ، ونتناسى حقوق الأصدقاء ، لأن ودهم مضمون ، ثم تكون النتيجة أن يعدّ نا الأعداء من أهل الرياء ، وأن يعدنا الأصدقاء من أهل العقوق

والدكتور طه لا يلتفت إلى ما يفسد الصداقة عن عمد وإصرار ، لأنه أوضح من أن يحتاج إلى التفات ، وإنما يلتفت إلى الشوائب التى تصدر عن نبرات الصوت ، وحركات الجسم ، ولحظات الطرف ، وهى « أشياء يسيرة تحسُّ و تُلحظ ، ولكنها لا تكاد تثبُت للتصوير والتعبير . هى أيسر من ذلك وأدق . هى تنفذ من أعماق النفوس إلى أعماق النفوس ، لا تكاد تمر على الألسنة ، ولا تكاد تستقر فى العقول ، ولا فى مظاهر الحس والشعور ، وهى من أجل ذلك مؤذية مهلكة شديدة الخطر على الحب والود ، وعلى ما بين الناس من صلات ، هى أشبه بهذه الجراثيم التى كانت تفتك بحياة الناس وتذيع فيهم ألوان الوباء

والموت دون أن يحس لها الناس وجوداً ، أو يستطيعوا منها احتياطاً . ولكن العلم قد كشف هذه الجراثيم ، وأخذ يعلّم الناس كيف يعرفونها وكيف يدرسونها وكيف يتقونها ... فمتى يستكشف العلم هذه الجراثيم المعنوية التي تفسد الود وتفتك بالحب وتقطع أمتن ما يكون بين الناس من صلات ؟ »

وهذا كلامٌ نفيس جداً ، وهو غرة هذا الكتاب النفيس

ثم تكون المشكلة الأساسية ، وهي زعزعة الحب في قلوب الأزواج ، وفي هذه المشكلة يتحدث الدكتور على لسان مادلين حديث الخبير بدقائق هذه الشئون ، فيرينا أن عاطفة الحب تحتاج إلى رعاية موصولة ، وأن المرأة قد تفقد قلب زوجها حين تُشغل عنه بشاغل شريف مثل تربيب الأبناء

وأقول : إن لهذه المشكلة جوانب مختلفة ، فالذرية قد تقوّى الحب بين الزوجين ، وربما جاز القول بأنها تخلّد ذلك الحب ، ولكن على شرط أن يَسلم الزوج من الفتن الخارجية ، وهي فتن لم ينج منها زوج مادلين

والحق كل الحق أن المرأة لا تُشغل عن زوجها بشيء ، وهي لا تحب أطفالها إلا لأنهم مظهر الصلة بالزوج ، فإذا استطاعوا أن يصدوها عنه بسببٍ قريب أو بعيد ، فهم لها أعداء

أما بعد ، فلقصة « الحب الضائع » ذيول يضيق عنها هذا الحديث ، وسيلمّ بها القارئ في أناة وهدوء ، فيدرك مقاصدها الصحاح ، ومن المؤكد أنه سيعترف بقيمة هذه القصة من الناحية الأساسية ، وهي تجسيم العُقد النفسية ، وقد تكون هذه القصة فاتحة لفن جديد في أدب الدكتور طه حسين

فإن لم يكن بدٌّ من توجيه بعض المؤاخذات إلى المؤلف ، فأنا أوجه إليه مؤاخذتين اثنتين : الأولى لفظية والثانية معنوية :

أما المؤاخذة الأولى ، فأمرها هيّن ، وهي الخطأ في بعض الأفعال ، والتكلف في بعض التعابير ؛ فهو قد استعمل الفعل « آويت إلى ... » مرات كثيرة بهذه الصورة ، وذلك يشهد بأنه ليس غلطة مطبعية ، وإنما هو خطأ وقع فيه المؤلف ؛ والصواب « أويت » ، لأنه مجرد لا مزيد ... وهو قد أكثر من عبارة « ها أنا هذه » ، وهي عبارة ثقيلة لا تستحق غير الموت

أما المؤاخذة الثانية ، فهي خطيرة ، ولكن كيف ؟

قصة « الحب الضائع » تسير في الطريق الذي يسميه الفرنسيون Roman à thèse ، فهي قصة تشرح نظرية أو نظريات ، والمؤلف نفسه حدثنا أن راوية الحديث ديكارتية العقل ، فهل كان الأمر كذلك ؟

الدكتور طه هو المنشئ الأول ، فهو المسئول عن خطأ مادلين في التشريح والتعليل ، ومادلين تنظر إلى المشكلات من جانب واحد ، مع أن لكل مشكلة جوانب

قد يجيب بأنه يسوق الحديث على لسان امرأة ، والمرأة ترتكز عواطفها في ناحية واحدة ، فلا ترى ما عداها من النواحي ، ولو بلغت الغاية في التدقيق والاستقصاء

إن أجاب بهذا فسنقول : إنه أضاع فرصة النص على أن مادلين ضلّت سواء السبيل وهي تشرح ما تعرّضت له القصة من علل وأسباب ، وكان هذا النص سهلاً على المؤلف لو التفت إليه ، فهل يلتفت حين ينشئ قصة ثانية على هذا النحو من الإنشاء ؟

بقيت ملاحظة أخيرة ، وهي ملاحظة أراها على جانب من الأهمية ، وإن تمثلت في صورة جنسية ، ولا حياء في الأدب ولا في الدين :

في « دعاء الكروان » جرى الحديث على لسان امرأة ، وفي « الحب الضائع » جرى الحديث على لسان امرأة ، فما هذا البِدع في حياة رجلٍ من أكابر الرجال ؟

وهل يمضي الدكتور طه في إيثار هذا الوضع المقلوب ؟

الرأي عندي أن يسير على السُّنة الطبيعية ، فيشرح في أقاصيصه أهواء الرجال ، ومتاعب الرجال ، وأن يترك أهواء النساء ومتاعب النساء لإحدى بنات حواء

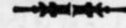
ثم أما بعد ، فقد شغلت نفسي بالدكتور طه وكتابه سهرتين كاملتين ، فمن حقي عليه أن يراعي ما نبهته إليه ، وله مني خالص التحية وصادق الثناء

زكي مبارك

« أرواح وأشباح »

تحفـــة فنيـــة

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك



خلقها صاحبها الأستاذ علي محمود طه الشاعر الملهم ، فسواها صنيعاً شائقاً يمتع الأدباء أفئدتهم وألبابهم بجماله ، ويكبرونه لطرافته ومافيه من أسرار الفن والشعر ... فما هي هذه الأسرار ؟

إن هذا الصنيع منظومة أنافت على أربعمائة بيت في شأن يعني الإنسانية بأسرها ، لأنه يتعلق بالفطرة البشرية ؛ استوحى الشاعر فيها أساطير الإغريق الشعرية ، وسيرة « آدم » و « حواء » ، ومعنى هبوطهما من الملأ الأعلى ، وخبرة الفنان في حياة الإنسان ؛ وفاض شعره من نفس جياشة ومخيلة قادرة أرته أبطاله كأنهم أحياء يسمع أصواتهم ؛ وجادت قريحته في تصويرهم ، حتى كان من سحر فنه أن جعل قراءه يرونهم ويسمعون حديثهم ، كما رآهم وسمعهم في خياله

بهذه المميزات مجتمعة استحق الصنيع اسم ملحمة[1] ، وعظم شأنه في الأدب العربي

ليست ملحمة حماسية ، بل هي قصة الروح والجسد في محاورة موضوعها تجاذب الرجل والمرأة وأثر الغريزة في الفن بينهما ؛ وهذا موضوع جدّي بعيد الغور ، أحسنَ معالجته شاعر مثقف

فما هي عناصر الشعر في هذه الملحمة ؟ إنها آثار المخيلة والشعور وهزة الإلهام ...

* * *

إن الشاعر تخيل الروح في عالم الأرواح ، مجردةً يقظى لفضيلتها الملائكية ؛ وتخيلها — على الأرض — ناعسة في طيفها منذ أن ما وتضمنها ضعيفاً تصونها في الإنسان ...

وتصور أرواحاً نزيهة تتحادث في الفن الرفيع بين الرجل والمرأة ، وفي الجمال والشهوات والأهواء ، وفي الخطيئة وتبعتها على الرجل هي أم على المرأة ؟

واختار لهذه المحادثة روح فنان شاعر حان بعثه في الأرض ، وأرواح شخصيات من عهد الآلهة والفنانين الذين تصفهم أساطير الأولين ، ليدور الحديث بينها في الموضوع على المتبيَّن من سيرة الإنسانية منذ نشأتها حتى اليوم ؛ وجعل رمزاً إلى القدرة سماه : « صوتَ السماء » ، ليهديها إلى حقيقة المقدور ؛ وفرض أن حرم النزاهة والطهر في السماء مسرح فسيح الأرجاء ، يقع فيه ما تصوّر من انطلاق تلك الأرواح في سحرها ، ومن حركاتها وإشاراتها ودلالات ملامحها في محاورتها ، ومن مرور الفنان بها وهو في صحبة ملَك يجوب به أجواز السماء ، ومن اشتراك الثاني في المحاورة ، ثم الأول إلى لحظة بعثه ...

ذلك هو الخيال الأصلي في الملحمة ؛ أما فروعه وحواشيه ، فهي الخيالات البلاغية في الأسلوب ، وقد زان الأصل والفرع من هذا الخيال ، وزاد مزيته أعلاق فكرية تتعلق بالغريزة والنفس والجمال وبالحياة الاجتماعية ، ولطائف أدبية كالإشارة إلى مانا وفنون هاواي ، وإلى خروج موسى بني إسرائيل من مصر ، وقصته في أرض مدْين

فهذه مخيلة قادرة اقتطفت من معارف الشاعر ، وغيّرت ما كان بين المقتطف وغيره من أوضاع العلاقة والمناسبة ، وأنشأت بذلك معاني وصوراً ومشاهد مثالية ، أي لم توجد مجتمعة في الحقيقة وإن عُرفت أقسامها متفرقةً ؛ وأحيت أبطالاً خياليين فكأنك تراهم في مُتحدَّثهم ، وتداخلك حساسات وخوالج من تحضرهم ؛ وأودعت الملحمةَ أثمار فروعها من الألمعيّة والبديهة وغيرها ... فمن الألمعية في تشبيهات جديدة قوله :

على مذبح الحب من قلبها   سراج يسبّح مَن لألأه
... ...
وتمشى الحياة على نوره   وما نوره غير عين امرأة

أهلّ بقلب كفرخ القطا   يرفرف تحت جناح القدر

هو المرح الشارد المستهام   شرود الفراشة عند المساء

ومن الألمعيّة في إدراك ما لا يُرى في الشيء أول وهلة وهو على الحقيقة فيه :

هو الحب ؟ ... لا ... بل نداء الحياة
تلبيـــه أجسادنا الظامئـــة

ومن الألمعيّة في توحيد المتضادين :

هنالك (في الأرض) حيث تشبّ الحياة
وحيث الوجود جنين العدم

(١) كلمة استعملها المعربون أولا اسماً للون الأصلي الأوفر في الأدب الأجنبي من هذا الفن

....

وحيث السعادة بنت الخيال ولذتها من معانى الألم

سلا مجده الضخم فى قبلة تذل وتسعد مَن ذاقها

ومن البديهة كلمة تاييس ، حين وصل الشاعر فى وصفه حواء إلى هذا البيت :

فيا لكِ من طفلة فذة ورحماك سيدة العالَم !

وقالت بليتيس : يحاول بالشعر إغراءنا ...

هو الموقف الضنك ما يتقيه

فقالت تاييس على الفور : كما يتقى باشق صائده

فجاءت بأبلغ ما يخطر للموافق ويناسب المقام .

أما الشعور فأثاره ما خامر اللحمة من الوجدانيات ؛ وهى عنصر أسلمى فى كنه الشعر كالخيال : لأن الحب والبغض ، واللذة والألم ، أمور توجد فى صميم الشهوات والأهواء والخوالج الإنسانية جميعاً ، أيا كان باعثها وكان الإسم الذى تسمى به ؛ والأصل أن خاصة التلذذ والتألم والحب والبغض ، وطلبِ كل جميل ونفع وخير ، وتجنبِ كل قبيح وضر وشر ، هى خاصة فى البشر أجمعين . ولذا فإن كل حسَّة تعرو نفس إنسان ويصفها وصفاً صادقاً تجدلها صدى فى القلوب . وشاعرنا الملهم صادق الوصف فى ملحمته . وحسبنا شاهداً وقع هذه الأبيات من وصفه حواء :

وكم ذكريات لها عذبة أعيش عليها وأحيا بها

....

يسائلنى القلب عن أمرها وأسأله أنا عن سرها

ويعطفنى فى الهوى ضعفها وأنسى بأنى فى أسرها

....

أحاول أفهمها مرة فأعيا بها وبتفكيرها

ومن وصفه استنكار بليتيس فى غضبتها على الفنان :

تأثم بالفن حتى غوى وما الفن بالمرأة الخاطئة

....

ألم ينعم الخلد من عطرها ألم يعبد الحسن فى زهرها ؟

ومن وصفه هوى الانتقام فى بليتيس إذ تقول :

أدله هذا الفتى ....

واغرس فى قلبه زهرة من الشر راوية نامية

....

إذا استافها الرجل العبقرى تحول كالحيوان الوخم

تضج البلاهة من حوله وينظر كالصنم المبتسم

وإذا ما تضاعف نشاط الذهن والمخيلة ، وزادت يقظة الشعور حتى تناهى نشاطهما ويقظته معاً ، فذلك فوران النفس الشحوذ فى الشاعر الموهوب فوراناً يضطره إلى الإفضاء بما يخامرها ، فينبعث منها الشعر ؛ وذلك هو شيطان الشاعر فى حسَّة تجليه ؛ وتلك هى الملكة أعظم ما تكون حرية وانطلاقاً ، وأرفع ما تكون سمواً ، وهى بعينها هِزَّة الإلهام الذى ابتدع هذا الصنيع الباهر

ولقد كملت صفاته الشعرية بما عليه من مسحة عقلية ، لا من العقل الفلسفى الهادئ ، بل من العقل الذى جعل الملحمة مشابهة للحقيقة ، إذ خلت من التناقض فى مواقف أبطالها وفى نفوسهم الظاهرة أحوالها من كلامهم على ما شاءت لهم الفطرة والأقدار واستقام فى خيال الشاعر .

* * *

ومما زاد الملحمة مشابهةً للحقيقة إتقان المحاورة بين أبطالها ، إتقاناً جعلها حية ، طبيعية ، شائقة ، فقد أبدى كل منهم رأياً وعرض حججه ، وفى كل من آرائهم شىء مقبول ، أو على ظاهر من الحق ؛ وكان كلامهم سؤالاً يستدعى جواباً ، أو قولاً يجلب اعتراضاً أو تحذيراً ؛ واستيقافاً يسلم صاحبه جدلاً ، أو يبدى تحفظاً ؛ وبياناً يحوز موافقة ، أو يثير دهشة أو إعجاباً

ثم إن هذا الموضوع خرج فى وحدة سالمة من الاضطراب ومن النظام الرتيب ، إذ له مدخل شعرى لطيف الإشارة إلى الغرض منه ، ووسط يشرحه ، وخاتمة يحسن السكوت عليها ؛ وأجزاؤه مرتبة ترتيباً يوثق العلاقة بينها ، ويشد فيه بعضها بعضاً ، ويجمع بينها ارتباط قوىّ .

ومن صفات هذه الملحمة وضوح موضوعها لأن وقائعه مختارة بذوق سليم ، مسلسلة سلسلة طبيعية معقولة ، خالصة من كل تفصيل لا طائل وراءه ، ومن كل حادث أو موقف ليس يوافق شرح هذا الموضوع أو ليس بسبيله .

وزد أن الملحمة كلها شائقة جد شائقة بما بين أجزائها من تناسب موفَّق ، وبما فيها من إشارة — عن بصيرة وفى قصد — إلى الأسباب فى أقوال أبطالها وفى حركاتهم ، ومن تشويق إلى الوقوف على الحكم فى آرائهم الشائقة فى ذاتها ، وإن كانت لا تحول حيلولة دون تمكين البصير من حَزَره قبل الأوان ؛ وأيضاً أن عنصر الوحدانيات داخل فى المواضع اللائقة من الكلام المزدان — على اعتدال — بخواطر نيِّرة ، وعبارات أنيقة وإشارات بارعة . ومن إشارات :

الـــزكاة (*)

هى التأمين الاجتماعى من الفقر والجوع

للأستاذ عبد العليم رزق الدهشان

« إن الله فرض علي أغنياء المسلمين فى أموالهم قدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم . ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً » (حديث)

(١) ماهو « التأمين الاجتماعى » ؟ (٢) أساسه (٣) الفرق بينه وبين الاعانة (٤) تطور فكرته واتساعها (٥) التأمين ضد البطالة (٦) الفكرة قديماً وحديثاً (٧) المشرع الاسلامى أول من حقق الفكرة بفرضه « الزكاة » (٨) مقارنة سريعة بين الزكاة وبين التأمينات الاجتماعية عامة (٩) حاجتنا اليوم لضريبة خاصة تفرض لصالح الفقير .

١ — « التأمين الاجتماعى » تعبير حديث يطلقه المشرعون على نظام من التأمين يقصد به حماية « الجماعة » ضد أخطار الطبيعة والاقتصاد التى لا يد لها فيها ولا حيلة لها لدفعها : كالموت والشيخوخة والبطالة ... الخ . ويقصدون « بالجماعة » هنا مجموعة الأشخاص الذين اضطرتهم ظروفهم المادية إلى تكوين طبقة اجتماعية خاصة ؛ ويخصصونها عادة لطبقة « العمال » لأنها الطبقة التى لا تستطيع ــ لفقرها ــ أن تدرأ عن نفسها وطأة هذه الأخطار

٢ — وفكرة التأمين الاجتماعى هى فكرة التأمين العادى ، فأساس كليهما الأقساط الدورية التى تدفع لضمان التعويض عن خطر متوقع . غير أن التأمين الاجتماعى يمتاز عن التأمين العادى بأنه ليس تأمين فرد لمصلحته الخاصة ، ولكنه تأمين جماعة لصالح أفرادها . فهو مبنى علي فكرة التضامن بين أفراد الأمة ، فيساهمون جميعاً — كل على قدر سعته — فى دفع أقساط هذا التأمين ، وتتولى الدولة جمعها منهم على شكل ضريبة أو رسم . فيصير التأمين بذلك التزاماً اجتماعياً عاماً كالخدمة العسكرية ، والتعليم الإلزامى ، والالتزامات الصحية وغيرها . وبهذا لا يتحمل المؤمن لمصلحته تكاليف التأمين الاجتماعى ، بل يتحملها أفراد الجماعة القادرون ، برغم عدم انتفاعهم بهذا التأمين

٣ — ويختلف التأمين الاجتماعى عن « الإعانة » فى أنه حق للعامل ، له أن يطالب به بمقتضى نصوص القانون ، دون أن يكون فى هذا مساس بكرامته أو امتهان لآدميته ، فى حين

(*) نشرت « المجلة الجديدة » لصاحبها الأستاذ سلامة موسى ، فى عددها الصادر فى ٢٨ أبريل سنة ٩٤٢ ما يلى :
« إننا لا ننتظر من أصحاب الثروات الكبرى أن يتنازلوا عن جانب من أرباحهم من تلقاء أنفسهم ، أو بحكم العواطف الانسانية النبيلة ، أو خضوعاً لاجبار أدبى نشىء مثل الزكاة . إنما يجب أن تفرض عليهم فرضاً الضرائب التصاعدية التى يقف وراءها القانون يعاقب من لا يؤديها . وهذا الحل مؤقت فقط . وهذه الضرائب هي الشكل الوحيد « للتأمينات الاجتماعية التى تفرضها الدول الحديثة الآن » ، أما الزكاة فنظام بال لم يعد يتفق مع مقتضيات اليوم . »

دمى الوهم سافو ولا تحقرى بلِتيس معجزة الشاعر
فما نتقيه بحيَّاتنا إذا هو ألقى عصا الساحر

ومنها :

رأى جسم « حواء » فاشتاقه فهاجت به النزوة المسكرة
... ...
سما جسمها وتأبّى عليه فجرَّد فى وجهها خنجره

هذه ملحمة شائقة أيضاً بأسلوب من الفصاحة والبلاغة لاءم موضوعها ، وتلوّنت لهجته تبعاً لطبيعة ما تضمّن من خواطر وجدانيات ؛ وهو أسلوب محكم الصياغة دقيق ، إن أضيف إليه شىء — بغض النظر عن ميزان الشعر — أضعف المعنى فيه، وإن حذف شىءمنه أحدث الحذف غموضاً ؛ سليم من التصنع لخلوّه من مخالفة طبائع الأشياء بالغلو والإغراق فى المعنى ، أو بالمجازات والاستعارات البعيدة ، أو بفرط المحسنات ، أو بكل أولئك ؛ أسلوب واضح من ذلك الوضوح الذى يكون فى طبيعة ذهن المنشىء قبل أن يكون فى معانيه ، ويكون فى معانيه قبل أن يكون فى كلماته وكلمة ، منسجم فى ائتلاف شامل وجرس مطرب

ذلك هو الشعر المتدفق من ملكات طليقة حرّة ، ومن عقلية مثقفة ، فى أسلوب عربى مبين ، عليه طابع من الوضوح والأناقة ، ممتاد من صاحبه ؛ وليس كشعر يتقطر من ملكات طغت عليها الحافظة ، ويقال فى موضوعات لم يؤثر شىء منها فى نفس الناظم ، وإن كثرت فى النظم كلمات ومعان ينلب وجودها فى الشعر

وتلك أسرار الشعر والجمال والفن الرفيع في كتاب : « أرواح وأشباح » : الذى جمع من المميزات ما جعله تحفة فنية بديعة ضُمَّت إلى كنز الأدب العربى الخالد ، وبرهاناً على فضل المجدِد والتجديد .

محمد توحيد السلحدار

أن الإعانة ليست إلا هبة لا حق له فيها ؛ فهي صدقة تمنح أو تمنع بحسب رغبة المحسن ، ولو كان هذا المحسن هو الدولة

٤ — لهذا ... أخذت التشريعات الحديثة بفكرة التأمين الاجتماعي ، وطبقتها على كثير من أخطار النشاط الاقتصادى . وكان أول هذه المخاطر عناية منها « مخاطر الحرفة » ، فأوجبت نوعاً من التأمين يقوم بدفع أقساطه أرباب الأعمال والدولة لصالح العمال ضد « حوادث العمل »

ثم اتسعت فكرة التأمين الاجتماعي ، وشملت نواحي أخرى كثيرة ، فظهر تأمين ضد « المرض » يعطي العامل الحق في نفقات العلاج وتعويضه عما يخسره مدة مرضه ؛ وتأمين ضد « العجز » يعطيه الحق في التعويض عما يفقده من قوته أثناء العمل ، وتأمين لمصلحة « الأرامل والأيتام » ضد وفاة عائلهم ، وتأمين ضد « الشيخوخة » يعطى لمن بلغ سناً معينة إيراداً سنوياً

٥ — ولم تقف فكرة التأمين الاجتماعي عند هذا الحد ، بل اتسعت غايتها واتجهت حديثاً نحو نوع هام من التأمين ، هو التأمين ضد « البطالة » ذلك الخطر الاقتصادى الذى يلحق بالعامل فيحرمه عمله ، مصدر قوته ، وعماد حياته ، رغماً عنه ، وبدون خطأ منه . . . فليس من العدل ولا من المنطق أن يوجد نظام للتأمين ضد أخطار وقتية ، كالإصابة والمرض ، دون أن يفرض نظام للتأمين ضد هذا الخطر الفادح . وخاصة بعد ظهور النظريات الإدارية الحديثة التي جهرت بأن وظيفة الحكومات لم تعد قاصرة على الدفاع عن البلاد وضبط الأمن فى داخلها ، وإنما عليها — إلى جانب هذا — واجب هامٌ هو : « الإسعاف الاجتماعي » لحماية الشعب من التفكك والانهيار . و « البطالة » من أهم عوامل الاضطراب الاجتماعي ، لأنها تخلق فى نفوس العمال وفى الأمة بأسرها روح عدم استقرار ، كما أنها تعطل قوى الدولة المنتجة وتزيد فيها نسبة الجرائم

لهذا — وبرغم الاعتراضات الكثيرة التى ووجه بها هذا النوع الجديد من التأمين — اضطر بعض الدول — أخيراً — إلى الأخذ به حماية للعامل المتعطل من مفاسد الفقر والجوع ، وحماية لكيانها من انتشار الأفكار المتطرفة الهدامة . وكانت انجلترة أسبقها جميعاً فى هذا المضمار ، ففرضته بقانون ١٦ ديسمبر ١٩١١ بينما لم تأخذ به ألمانيا إلا عام ١٩٢٧ . وقد قدر ما دفعته انجلترة على هذا النوع من التأمين وحده فى مدة عشر سنوات من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٠ بمبلغ ٦٤٠ مليوناً من الجنيهات .

والتأمين ضد « البطالة » هو أسمى ما وصلت إليه فكرة التأمينات الاجتماعية من الرقي ؛ وتحمل مزاياه — التى يجنيها العامل والدولة معاً — على الاعتقاد بوجوب تعميمه بين كافة أفراد الأمة ممن هم فى حاجة إليه . على أن هذا الاعتقاد لا يعدو — حتى الوقت الحاضر — طور الفكر والخيال عند الدول التى أخذت بهذا النوع من التأمين ، فما زالت هذه الدول تقصره على بعض طوائف العمال فى بعض الصناعات ، ولم تجرؤ أكثر الحكومات مشايعة للعمال على تعميمه لأن الحكومات تراه عبئاً على الميزانية ، وإثقالاً لكاهل دافعى الضرائب من الأغنياء ...

٦ — دع ذلك . . . ففكرة تعميم هذا النظام التى تشغل الآن عقول الدول ، كانت قد شغلت قبلهم منذ أقدم العصور ، عقول الاقتصاديين والفلاسفة .

ففكر « أرسطو » فى وجوب التعاون بين أفراد الشعب أغنياء وفقراء فى نظريته : « النقود لا تلد النقود » . وتكلم « سان توما داكان » على وجوب التعاون بين الطرفين على إيجاد معيشة هادئة ، فى نظريته « الثمن العادل » وأخرج « لا سال » نظريته عن « الأجر الحديدى » قاصداً بها هذا المعنى . وتعتبر أفكار « سيسموندى » أساساً لفكرة التأمين الاجتماعى عند ما تكلم عن وجوب تدخل الدولة لحماية العمال من المرض والبطالة . كما يعتبر « ايلاى » صاحب مذهب الإصلاح الاجتماعى ، لأنه فكر تفكيراً جدياً فى وجوب بناء الجماعة على أساس من الأخلاق والدين ، لا على المادة وحدها ، وقال بأن وظيفة الدولة بالنسبة لأفرادها ، ووظيفة رب العمل بالنسبة لعماله ، يجب أن تكون هى وظيفة رئيس العائلة بالنسبة لأفراد أسرته . كذلك نادى « البرت دى من » بوجوب الاحتفاظ بكرامة الإنسان ، فلا يصح اعتباره آلة يركن إليها وقت الحاجة فقط . وقال « ليون بورجوا » بوجوب التضامن بين أفراد الدولة بناء على نظريته «شبه العقد» ؛

فالإنسان يولد مديناً للمجتمع بعمل الأجيال السابقة ، ووفاء دينه لا يكون إلا بمساعدته بقية أفراد الأمة . وظهرت حديثاً نظرية « الفائض الاجتماعى » لـ « أفتاليون » وفيها يقول بوجوب تدخل الدولة لتفرض على الأغنياء القيام بالتضحية لصالح الفقراء ، لا على سبيل الصدقة أو الإعانة ، ولكن لأن الملكية الخاصة نوع من الامتياز تمنحه الهيئة الاجتماعية للأفراد بناء على فكرة المصلحة العامة . وعند « برناردشو » فى كتابه « رأس المال » أن الذهب المودع فى المصارف إنما هو قيمة معادلة لما زاد على حاجة الغنى من أرغفة الخبز وقطع الجبن واللحم ، وعليه إعادة بعضها لأخيه الفقير ليستعين بها على القيام بالعمل المنتج .

٧ — هذه هى فكرة التأمين الاجتماعى وما بلغته من رقى ، وتلك هى أحلام الفلاسفة والاقتصاديين عنها ؛ فهل جحدها الشرع الإسلامى أو وقف منها موقف العاجز ؟ ! . . .

الحق الذى لا مراء فيه أن الشرع عند ما فرض الزكاة ركناً من أركان الإسلام الخمسة ، منذ ألف وثلاثمائة وستين عاماً قد حقق بها أحلام هؤلاء الفلاسفة ، وأوجد فى حيز الإمكان والعمل ما عجزت عنه – حتى اليوم – أحدث الحكومات . بل إنه قد سما بالفكرة إلى درجة التقديس ، وأنزلها منزل العقيدة والإيمان ، وذكرها مقرونة بالصلاة فى اثنتين وثمانين آية من القرآن ، لجعل إعطاء الفقير والبائس والمحروم ، ما يحتاجون إليه من غذاء وكساء ومأوى ... عبادة لله ...

٨ — ولا شك أن « الزكاة » تأمين اجتماعى عام إجبارى ضد الفقر والجوع :

(ا) فهى « تأمين » : لأنها مبنية على فكرة دفع أقساط حولية ، لضمان التعويض عن خطر متوقع ، أو واقع هو الفقر .

(ب) وهى تأمين « اجتماعى » : لأنها مبنية على فكرة التضامن بين أفراد الأمة ، فيساهم الأغنياء – كل بحسب ثروته – فى دفع أقساطها لصالح الفقراء

وقد حدد الشرع فيصلاً بين الغنى والفقر بأشياء خمسة : منزل للسكنى ، وملابس عادية ضرورية ، وغذاء يوم كامل ؛ وقال البعض شهراً : ودابة للركوب ، وسلاح للجهاد ... فمن زاد ماله على هـذه الخمسة فهو غنى تجب عليه الزكاة فيما زاد ، ومن نقص ماله عنها ، فهو فقير تجب له الزكاة

(ج) وهى تأمين « عام » : لأنها لم تفرض لصالح فئة معينة أو طبقة معينة ، ولكنها فرضت لصالح كل شخص اضطرته الظروف فأحوجته ، سواء أكان عاملاً أم غير عامل .

(د) وهى تأمين « إجبارى » : لأنها واجب محتم على الأغنياء لصالح الفقراء ، وعلى الحكومة أن تتقاضاها طوعاً أو كرهاً ، حتى قال عنها الخليفة الأول « أبو بكر » : (والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه) ؛ وقد قاتلهم فعلاً ...

وبهذا تمتاز عن التأمينات الاجتماعية الحديثة التى بقيت اختيارية فى كثير من الدول كفرنسا ... ! !

(هـ) وهى — أخيراً — تأمين ضد « الفقر والجوع » : فهى لا تقتصر على نوع معين : كالإصابة ، أو المرض ، أو العجز ، أو الشيخوخة ؛ ولكنها تشمل هذا جميعاً ، كما تشمل « البطالة » كسبب أساسى للفقر والجوع ، بل وتمتد إلى الأخطار الطارئة ، حتى تشمل من خانته الظروف ، فأصبحت ثروته مثقلة بالديون !! ومن انقطعت به الطريق أثناء السفر فلم يجد ما يعينه على بلوغ الغاية أو الرجوع . . .

٩ — هذه هى « الزكاة » : تأمين الإسلام ضـد الفقر والجوع ، وركن من أركانه الخمسة ، فهل فكر فيها ولاة الأمور — فى دولة دينها الرسمى هو الإسلام — كحل حاسم لما يعانيه الشعب الآن من عنت وضيق وحرمان ؟ أو هل فكر فيها ولاة الأمور ، لا على أنها زكاة ، فليست العبرة بالأسماء ، ولكن بالمسميات ، بل على أنها قانون يجب أن يُفرض لصالح الفقير ، كما فرض فى بلاد العالم المتمدينة التى تعمل حكوماتها لصالح الشعب ، لا لصالح طبقة المترفين ؟ !

نذكر أنه فى أواخر شهر مارس من العام الماضى ، وجه أحد النواب سؤالاً إلى رئيس الوزراء عن « إلزام الأغنياء بدفع زكاة أموالهم ... » ؛ فأجابه دولة سرى باشا بأن : « الحكومة ترى أن نظام الضرائب المتبع فى مصر لا يخرج عن أن يكون صورة من صور الزكاة ... » ! ! وقد قابل النواب هذه السؤال بضجة ، اختلط فيها الضحك بالاحتجاج ! ! (هكذا) : الصفحة

الأولى من (أهرام) أول أبريل سنة ١٩٤١

أما ضحك نواب الأمة على هذا السؤال فإنما يذكرنا بقول المتنبي :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

وأما نظام الضرائب المتبع فليس صورة من صور الزكاة فى شىء . فهذه التى تجبى ، لا حق للفقير فيها ، ولكنه حق الدولة تتقاضاه لتصرف منه على شئونها ... ولا يوجد لصالح الفقير ، فى مصر ، قانون ينظم له إعانة أو يفرض له حقاً ... بل على العكس يعتبر القانون طالب الإعانة متسولاً ، والمتعطل ومن لا مأوى له متشرداً ومشبوهاً ، ولا جزاء ولا صلاح لهؤلاء إلا السجن ! وإعانة الحكومة — إن وجدت — فهى اختيارية ، ويقتصر أكثرها على مكافحة الأمراض بإنشاء المستشفيات . فليس للفقير — فى هذه الدولة أيضاً — أن يرغم الدولة على أن تبنى له مستشفى !

هذا ... فى حين أن « الزكاة » هى « تمليك مال معلوم لشخص معلوم » ذلك لأنها « تأمين » لا يصرف إلا للمؤمن له فحسب ، أى للفقير . وقد قال أبو حنيفة : « لا يجوز أن تصرف الزكاة فى بناء مسجد أو مدرسة أو فى حج أو جهاد أو فى إصلاح طرق أو سقاية أو قنطرة ، أو نحو ذلك من تكفين ميت ... الخ وكل ما ليس فيه تمليك لمستحق الزكاة » . ذلك لأن التمليك ركن من أركانها ...

فما أوسع الفرق إذن بين « الزكاة » وبين الضرائب الحالية فى مصر ! !

***

وبعد ... لقد سمعنا ، أخيراً ، رئيس الحكومة يتحدث عن « العدل الاجتماعى » ويقول : « إن مصر ملك مشاع لجميع المصريين » و « أن هناك حداً أدنى لمطالب الحياة يجب على المضطلعين بتبعات الحكم أن يوفروه للفقراء ... »

وسمعنا من مدير الجمعية الزراعية — فى الاجتماع الزراعى — أنه يعمل شخصياً فى مزارعه الخاصة على أساس من الإصلاح الاشتراكى مستلهماً فى ذلك أحكام القرآن الكريم ؛ كما سمعنا مدير التفتيش الزراعى يتساءل قائلاً : « لماذا لا نسن قانوناً يحمى العامل عند الضعف أو الشيخوخة ، كما يحمى من يتركهم بعده من ذرية ضعاف ... ؟ ! »

سمعنا هذا إلى جانب ما سمعناه من صيحات دعاة الإصلاح ، ومنهم الدكتور الهراوى الذى اقترح لعلاج مشكلة الفقر فى مصر فرض نظام التأمين الاجتماعى (! !) الذى فرض فى أوروبا منذ سنة ١٨٨٠

هل معنى هذا الاتجاه الحديث أن النور بدأ يتسرب إلى قلوبنا وأن الإيمان سيصل حتماً إلى ضمائرنا ... وإننا سنؤمن ... قريباً بما آمن به الأوائل منا ، والمحدثون فى أوروبا وأمريكا ، من أن الله قد فرض على الأغنياء فى أموالهم قدر الذى يسع الفقراء ... وأنه لن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع الأغنياء ؟ ! !

عبد العليم منوه الدهشان

المحامي

على هامش كتاب عبقرية محمد

في مجلس الأستاذ

« أبي الوفاء الشرقاوي »

[مهداة إلى الأستاذ الكبير «عباس محمود العقاد»]

للأستاذ محمد حسنين مخلوف



آذنت الشمس بالمغيب ونحن فى حضرة الأستاذ أبى الوفاء الشرقاوى يحدثنا فننعم بسحر البيان ، وعذوبة النغم الموسيقى ينبعث من قلبه المطمئن ، ويتنقل فى أبراج الفكر كما تجرى الشمس فى مسارها المقدر منذ الأزل وإلى الأبد ، رتيبة الحركة ، رصينة الخطوة ، فيبعث فى القلوب حرارة الإيمان ، ويهبها نفحة من سر الوجود ، ويضفى عليها من نعيم الأمل أشعة مضيئة قوية . وأشرقت نفسه العالية ، وانطلق لسانه الفصيح ، وضاء جبينه الأسمر العريض ، بنور العقل القوى النادر ، وراح يترسل ويتبسط وهو يمد يده لِلصَّفيِّ الحبيب[١] يتناول الكتاب الجديد[٢] . ودار الحديث حول المؤلف الموهوب صاحب القلم الجبار ، عدة العقل الشرقي وذخره فى ميدان المنطق والبيان .

قلت : لقد كان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين » وإن لهذا الكتاب فى النفس فرحة ، كفرح المسلمين بعمر بن الخطاب ...

قال الإمام : — بعض هذا . ولنجعل كتابه فيصلاً — أرأيتم قصة شيخ جليل كان يرشد ويعلم ، وكان له تلاميذ ومريدون ، وكان من أحبهم إليه شاب صاحب علم وقلم ، وفلسفة وبلاغة ، كتب فى قصة آدم عليه السلام رسالة لطيفة ، حتى إذا أتمها مضى بها إلى الشيخ يستأذنه فى قراءتها ، فأذن له . . . وجلس الشيخ يسمع والمؤلف يقرأ ... وكانت العبارة عالية ، والأسلوب خلاباً . ومضت آيات الإعجاب الشديد تتدفق من فم الشيخ عند كل مقطع . فهو لا يخفي سروره ولا يكتم طربه من قوة السبك وإشراق الديباجة ، ويهز رأسه ويدق كفاً بأخرى وهو يقول : « الله الله يا شيخ على » وكان هـذا اسم المؤلف « إن من البيان لسحراً يا شيخ على » « هكذا العلم يا شيخ على » واتصلت حلقة الإعجاب وتدفق الشيخ على يتابع فصول الرسالة تلاوة حتى جاء ذكر الشجرة والثمرة . . . فوصف الأمر بأنه معصية من آدم عليه السلام — وكان هذا يخالف ما يراه الشيخ الجليل — فإذا به يستمر فى هز رأسه هكذا وفى دق كفيه هكذا ويصيح : « كفرت يا على »

وطوى الشاب رسالته وعاد بها إلى حيث لا يعرف الرواة مصيرها ...

* * *

وقام الإمام من المجلس وبقينا نحن لنقضى السهرة ، وكتاب العقاد سميرنا المؤنس ، نستروح نسمات الروح الأمين من ثنايا السطور والكلمات . وقد تحلقنا حول الشعلة الوهاجة المنبعثة من « عبقرية محمد » عليه السلام .

وايم الحق لقد كانت براعة العقاد بما صورت من عظمة العبقرية المحمدية فى بلاغة معجزة ، ومنطق قوى ، وعلم غزير . تأخذ بمجامع القلوب وتتكشف عن شخصيته الفذة

* * *

ولما كنا من غدنا لقينا الامام فى مجلسه وقد عاد يحنو على « عبقرية محمد » عليه السلام وتبدت فى وجهه الوسيم تباشير الرضا . وعدنا نصل حديث الأمس فقلنا : وكيف حال صاحبنا ؟ !

قال الامام : لقد جاوز الشجرة والثمرة ... وإذا كان للقصة أن تعود « فالله الله يا عقاد ! »

قلنا : لقد جعل المؤلف فساد المجتمع والبيئة والخلق وطغيان الشهوات واستشراء الضلال وانحلال الوشائج ، كل أولئك إلى لهفة العقول على مخرج من ظلام الجاهلية وانحطاط الوثنية وشعوذة الكهان ... مدعاة لتوقع رسالة نبى ، أو هى إرهاص بمقدمه ..

قال الإمام : إنه لحق . وإنه لنظر سديد ومنطق سليم . كان التوفيق رائد العقاد فى تصويره وعرضه . وإنه ليحاصر شرود

(١) هو الشاعر الصدق الأديب الشيخ حسن الغزالى

(٢) كتاب عبقرية محمد للأستاذ عباس العقاد

العقل بقوة الحجة ، ويأخذ عليه المسالك ببراعة خلابة ، كمهندس عبقرى يوافيه السيل بالماء العمم فلايزال به يجمعه ويركزه ويشق له المجرى العميق المستقيم ، فيسيطر عليه ويحقق آية الله فى إرساله . لقد بلغ المؤلف هنا غاية الروعة العقلية ، وذروة القوة المنطقية

قلنا : أو نقيس فساد الماضى بفساد الحاضر ؟ وضلال العقل الوثنى الذى كان يعبد الحجر والحيوان ويهيم فى فيافى الظلام بين شهوة وقوة وفتنة .. بضلال العقل الوثنى اليوم الذى يقدس الشهوة، ويتعبد بالرذيلة ، ويهيم فى فيافى الظلام بين مادية وقسوة وفتنة ؟ !

قال الإمام : إذا أغفلنا الفارق الجوهرى بين الحالين جاز لنا أن نعقد القياس بينهما ... ولكن إذا كانت البصيرة مشرقة والمحاجة بريئة والفهم مستقيما لم يقع هذا ... فهم فى الماضى كانوا فى حيرة مرهقة ... مرضى ينقصهم طبيب ودواء ؛ ولكنهم اليوم مرضى لديهم الطبيب والدواء . وإنما ينقصهم عقل رشيد وإدراك سليم

قلنا : وهل لنا أن نسأل : « وأين النبى المنتظر ؟ ! »

قال الإمام : كيف السؤال ؟ ! عند ما كان النهر يجرى دافقاً سيالاً يحمل الخصب والنماء ، تركوه ينحدر إلى البحر ويتلاشى بين أمواجه . فلما تكشفت عنهم غاشية الجهل ، واستيقظت فطرة الإدراك ، عرفوا نظام الرى والزراعة ؛ ولما تدرجت فطرة الإدراك فى مراقى الكمال عرفوا كيف يستغلون مساقط المياه فى توليد قوة الكهرباء ؛ فاتسعت آفاق النفع وتعددت صوره وأشكاله ؛ فإذا جئنا اليوم لنهرنا هذا — وأشار إلى النيل — وأردنا أن نفيد منه كما أفاد المتحضرون من أنهارهم ، ترانا نبحث عن المخترع الذى يجرى التجارب ، ويفنى العمر ليبتكر لنا نظام توليد الكهرباء من الماء ؟ ! أم ترانا نعمد إلى ما وصلوا إليه هناك فى الغرب من نتائج فى هذا السبيل ؟ !

قلنا : إذا كتب لنا التوفيق فنحن نطبق ما علمناه منهم

قال الإمام : كذلك أمر الرسالة المحمدية ... كانت البشرية فى فساد يتطلب علاجاً ... فجاءت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم علاجاً ، وجاءت رسالته دواء ، فشرعت نظاماً وحققت نفعاً ، وقررت للعمران دستوراً مكيناً ، وأضاءت الشعلة المقدسة الباقية على الزمان ، وتركتها فى أمة الإسلام سراجاً منيراً ، ونظاماً قويماً ، تسعد ما استضاءت بنورها ، وتمسكت بعروتها ؛ وتشقى ما بعدت عنها وجاوزت حدودها . وظلت هى على الدهر وهاجة النور خالدة الضياء ... فإذا فسد أمر البشرية اليوم واختل نظامها وعادت إلى وثنية منحطة ، وضلت فى ظلام الرذيلة والشهوة والقسوة ... لم تكن فى حاجة إلى نبى جديد ... بل فى حاجة إلى عقل كهذا — ولوح بالكتاب — يعود بالناس إلى حيث يجدون الطبيب والدواء . وإلى ذهن خصيب موهوب يحسن مخاطبة العقول ، وإلى رأس يحسن الفهم والتقدير ويملك البيان يمثل هذه الروعة فى « عبقرية محمد » ... نبى جديد ؟ ! لعمر الحق أتسألون جادين أم هازلين ؟ !

قلنا : معاذ الجلال فى مجلس الإمام ! إنما هى قولة أرسلها قلم فى إحدى المجلات ...

قال الإمام : خلوا عنكم هذا ... وخذوا فيما أنتم بسبيله من هذا الجد الرصين . فإنما أنتم بصدد « عبقرية محمد » صلى الله عليه وسلم يصورها لكم « عباس محمود العقاد »

ونهض الإمام من مجلسه فقد أذنت صلاة العشاء

(نجع حمادى) (لما بقية) محمد حسنين مخلوف

حكمت محكمة المنوفية العسكرية فى الجنحة ٣٥٢ سنة ١٩٤١ بحبس رتيبة عمارة يوسف من ميت خاقان مركز شبين الكوم عشرين يوماً بالشغل لبيعها ذرة بسعر أزيد من التسعيرة

بعض ما نحب وما نكره

للأستاذ حسين الظريفى



لكل منا ما يحب وما يكره من الأشياء والأشخاص لغير علة ظاهرة لديه . وقد تمتلئ النفس بهذا الشعور إلى حد يبعث فيها الرغبة بالبحث عن العلة ، فلا يكاد يجد لها وجهاً تحمل عليه ، ويظل يحمل فى طيات نفسه ما تنفعل به من الحب أو الكره لهذا أو ذاك ، وهو فى حيرة من أمر ما يملك عليه وعيه وما وراء وعيه من دفائن الشعور .

ولا يقف الشعور عند حد امتلاء النفس به ، وإنما قد يفيض على اللسان ويظهر بأعمال الجوارح ، فتندفع بقواه المجهولة ، إلى استحسان أو استهجان ما لولاه لما بدا لنا رأى فيه . وقد نصدع أو ندع لمجرد إشباع تلك العاطفة العمياء ، فتحدث لنا من المشاكل ما نحن فى غنى عنه

ويظل أحدنا طول الحياة ، وهو رهين حبه لهذا أو كرهه لذاك ، وما حبه وكرهه إلا وليد نظرة عابرة ، هى أجدر بأن تولد وتموت ولا تعقب . وقد يحاول الخلاص من هذا الشعور الخاص ولا يجد السبيل إليه

وقد يكون لهذا الشعور من الأثر فى سلوكنا ما نظل رازحين تحت أعبائه مدى الحياة ، فتسوء علاقتنا بهذا ، لا لشىء إلا لأن أول نظرة ألقيت عليه كانت وحياً بالنفرة منه . وقد يكون من الخير لنا أن نصل به ما انقطع ، ولكن ذلك الشعور الغامض يأبى إلا أن يرى الشر فيه ، وقد تكثر مظاهر هذا الشعور فى ناحيتيه الإيجابية والسلبية ، فتزداد به متاعبنا فى الحياة ، ونريد الخلاص ولات حين خلاص . ذلك لأن فيما وراء هذا الشعور باعثاً تطاول عليه الزمن ومحاه من الذاكرة ، ولكنه بقى حياً فيما وراء الوعى ، ولا يكاد يجد فرصة الظهور حتى ينساب إلى مجرى الشعور ويوقع أثره الخاص .

ويخطئ أولئك الذين يعللونَ هذا الانفعال بفعل الغريزة ، فليس فى الأمر شىء مما يتصل بالفطرة ، وإنما هو من فعل التجارب الماضية . تلك التى حدثت لنا فى فجر الحياة فأحدثت فى نفوسنا هذا الانبساط أو الانقباض . ثم جللها الزمن برداء الصفاء من ساحة العقل الشاعر فانحدرت إلى ما وراءه واستقرت فى قاع العقل الباطن حية فتية ولكنها لا تهز النفس إلا بيد ذات قفاز ، ولا تظهر إلا بوجه مستعار . وذلك هو موضع الخطأ الذى وقع فيه أولئك الذين قالوا بأن هذا الحب أو الكره وليد الفطرة أو الغريزة وأنه لا يمكن أن يعلل بشىء آخر

ولا ريب فى أن تجارب الماضى من الكثرة بحيث لا يمكن أن تعد أو تحد ، وهى بالقياس إلى هذه الكثرة تحدث فى نفوسنا مظاهر الانفعال بالسرور أو خلافه ، ما قد يكون له الأثر البالغ فى أسلوب تفكيرنا وفى اتجاه إرادتنا فى الحياة . غير أننا مما لا ريب فيه أيضاً لا نقتصر فى نفوسنا على جذوة هذا الحب أو الكره الذى يمثه ما جوزينا به على تجاربنا الماضية من خير أو شر ، فإن لنا من الحب ما هو ربيب رفقة وتصاف ، وما هو وليد تصافح فى المصالح ، وإن من الكره ما تنشئه تجربة غير ذات علاقة بتجربة بعيدة

هنالك أمر له خطره فى تحليل هذه الظاهرة النفسية ، هو أن عامل انبعاث هذه الظاهرة ، وأعنى به الحدث الماضي الذى ارتبطت به وانبعثت عنه ، قد يظل كامناً وراء حاجز من الزمن فلا تمتد يد الذاكرة إليه ، ولكنه لا يندر أن يبعثَ أحدنا فى عامل هذا الشعور الغامض فيقع على مصدره فى تجربة ماضية شبيهة بهذه التجربة الجديدة ، ويرجع وملؤه الاقتناع بأن رابطة التناظر كانت علة هذا الشعور الذى امتلأت به النفس بعد أول نظرة ألقتها العين . فإذا كان فى المنفعل بهذا الشعور الجديد المفاجىء من قوة التذكر وبعد النفوذ إلى ما وراء الشعور ، ما يمكن به الوصول إلى موضع التجربة الماضية من قاع النفس ، وأخرجها إلى عقله الواعى ، فقد أمكن له التغلب على عاطفة حبه أو كرهه الهوجاء ، واستطاع أن ينظر إلى الشىء بنظرة حرة مستقلة ، وأن يوليه ما يستحقه من رغبة فيه أو ميل عنه . وبتحديد موقفنا الجديد

من الأشياء، والأشخاص نريح أنفسنا من كثير من المتاعب

هنالك أمثلة كثيرة مما نحب متأثرين بالماضي الذى أحييناه وبالتجارب السارة التى خلت فيه. فنحن نحب الربع الذى وهبناه طفولتنا ومنحناه أيام صبانا، ونحب المنزل الذى عرفناه وألفناه، وقد تتطور بنا الحياة فننتقل إلى ربوع جديدة وديار جديدة هى أمثل وأكمل من تلك التى تركنا عليها أيام الشباب، ولكننا نظل حملة لأرق عواطف الحب والولاء لذلك الوطن الأول. لأنا نرى فيه ظل ذلك الصبا الذى خلمناه، ولأنه يذكرنا بما كان لنا فيه من تجارب سارة. فكأنما نحن وإياه مزيج واحد

كذلك نحن نحب رفيق صبانا، لأن لصحبته ارتباطاً بكثير من تجاربنا السارة الماضية؛ فإذا نحن لازمناه بعد دور الشباب، كانت ملازمتنا إياه عاملاً فى بعث كثير من صور الماضى الذى خلا ... تلك الصور التى أحييناها بغفلات الشباب وملأناها بمسراته ... فإذا هي انبعثت — ولو فى الذاكرة — من جديد، كان فى انبعاثها إعادة لذلك الشعور الذى رافقها أول مرة ... وفى ذلك رجوع بالنفس إلى زمن الصبا عن طريق إثارة ماوعاه.

ونحن نحب أيضاً قراءة الكتب التى سبق أن قرأناها فى فجر حياتنا وفى أيام دراستنا، لا لأنها من المعنى والمبنى ما تستحق عليه الإعادة، ولكن لأنها ترتبط فى الذاكرة بسلسلة ما حدث لنا فى شبابنا من الحوادث السارة، بحيث يصح الادعاء بأننا قد ننسى لحظتنا الحاضرة لنعود إلى الماضى ونحيا فيه، فنستمتع بذات اللذة التى تمتعنا بها لأول مرة، ونحيى نفس الشعور الذى أحييناه فى ذلك الماضى البعيد

إن هذه الظاهرة النفسية — ولا ريب — تثبت لنا بقاء ما يحدث لنا فى أيام الحياة؛ فالتجربة لا تفنى وإن تكن قد تنسى مهما تقلت عليها وطأة الزمن فى روحاته وغدواته، وإنما تنزوى فى ركن قصى من أركان باطن العقل، حتى إذا حدث ما يرتبط وإياها برباط من التناظر، تحركت وهى فى قاع النفس، ومدت يدها إلى رفيقها الجديد، فأوحت له بما عندها من معنى، وأحدثت فى نفس صاحبه ما تفرضه عليه من شعور خاص

تلك هى العلة فى أنا قد أحببنا هذا لأول لقاء، وأنا قد كرهنا ذلك بعد أول نظرة؛ فما ذلك الحب وهذا الكره إلا وليد تجربة سارة وأخرى غير سارة. فقد يكون وجه من أوليناه الحب شبيهاً بوجه رفيق لنا سبق أن أحببناه، وكان هذا علة فى هذا الحب الجديد. وقد يكون صوت من كرهناه مضارعاً لصوت مربية لنا غير محبوبة، وكانت هذه المضارعة فى الصوت باعثاً على نشوء كرهنا الحادث

إن فى نفس كل منا كثيراً من التجارب السارة والمؤلمة، وهى تحدث فى نفوسنا من المشاعر ما يتفق وإياها فى جليل أو قليل، فنحب ونكره لعوامل دفينة فى طيات النفس، وقد تبقى فى أكثر الأحيان غير معروفة، ولكن ليس كل ما نحب وما نكره من هذا القبيل

(بغداد) حسين الظريفي
المحامى

الرسالة الأولى للأنصار

بعنوان

النظريات العلمية فى القرآن

قبل الرحيل

نشـــيد الأغلال !!

[إلى ذات الرداء الجازع ... !!]

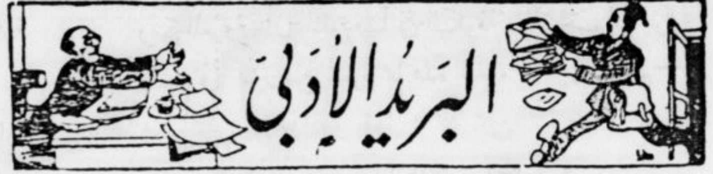
للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سَئِمْتُ عَذَابَ الْحُبِّ ! فَلْيَمْضِ عِطْرُهُ
وَسِحْرُ أَغَانِيهِ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةِ !
سَقَانِي بِمَا لَمْ يُسْقَ مِنْهُ مُحَيَّرٌ
عَلَى الأَرْضِ ... يُسْقَى الْمَوْتَ فِي كُلِّ خُطْوَةِ
وَقَيَّدَ أَيَّامِي بِنَارٍ حَمَلْتُهَا   مُقَيَّدَةَ الأَنْفَاسِ حَوْلَ سَرِيرَتِي!
وَأَلْقَى شَبَابِي فِي هَشِيمٍ مُفَزَّعٍ
يُبَاغِتُهُ الإِعْصَارُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ ...
فَيَا مَنْ أُنَادِيهَا ... فَيَأْتِي جَوَابُهَا
أَنَاشِيدَ أَحْزَانٍ تَفَتَّتُ مُهْجَتِي
وَيَا مَنْ أُوَافِيهَا وَقَلْبِي مُرَفْرِفٌ
فَيَرْتَدُّ مَخْنُوقَ الأَسَى كَالذَّبِيحَةِ
وَيَا مَنْ أُغَنِّيهَا فَيَنْسَابُ دَمْعُهَا   كَأَنَّ أَغَارِيدِي مَعِينُ الْبَلِيَّةِ
وَيَا مَنْ يُحِبُّ الْقَلْبُ ... دُنْيَاكِ طَلْقَةٌ
فَخَلِّي بَقَايَا الْحُبِّ تُبْلِي بَقِيَّتِي !
هَبِينِي انْطِلَاقَ الرُّوحِ ... إِنَّ صَبَابَةً
مِنَ الأُفُقِ الأَعْلَى تُنَادِي حُشَاشَتِي
عَبَدْتُكِ حَتَّى لَمْ أَدَعْ لِمُتَيَّمٍ
عَلَى هٰذِهِ الدُّنْيَا خَيَالاً لِنَشْوَةِ ...
سَلِي الْعُشْبَ ... هَلْ خَمْرُ الأَصِيلِ تَدَفَّقَتْ
لِغَيْرِ خُطَانَا فَوْقَهُ كُلَّ زَوْرَةِ ؟

سَلِي الرِّيحَ ... كَمْ مَرَّتْ بِنَا وَهْيَ زَامِرٌ
يُرَنِّحُ بِالأَنْفَاسِ نَايَ « الْجَزِيرَةِ » ؟
لَهَا زَجَلٌ دَامِي الرَّنِينِ كَأَنَّمَا   تُذِيعُ شِكَايَاتِ الزَّمَانِ الْخَفِيَّةِ
أَدَارَتْ كُئُوسًا أَتْرَعَتْهَا بِحُبِّنَا
غَرَامًا ، وَطَارَتْ لِلضِّفَافِ الْبَعِيدَةِ ...
هَبِينَا رِيَاحًا يَا رِيَاحُ ! وَسَافِرِي   سِرَاعًا بِنَا نَحْوَ الْمَغَانِي السَّعِيدَةِ
شَقِينَا عَلَى الدُّنْيَا فَلَمْ نَرَ فَوْقَهَا   سِوَى خُطُوَاتٍ حَائِرَاتِ التَّلَفُّتِ
أَلَا لَيْتَ هٰذَا الْعُمْرَ كَأْسًا ، وَحُبَّنَا
رَحِيقًا ، فَنَحْسُو الْحُبَّ حَتَّى الثُّمَالَةِ !!
هَبِينِي انْطِلَاقَ الرُّوحِ ... إِنِّي مُصَفَّدٌ
يُجَرَّعُ مِنْ وَهْمِ الْهَوَى وَهْمَ خَمْرَةِ ...
أَدُورُ بِعَيْنَيْ تَائِهٍ فَأَرَى الصِّبَا   ظَلَامًا شَقِيًّا فِي لَيَالٍ شَقِيَّةِ
وَأَسْكَرُ ... لَا مِنْ أَيِّ خَمْرٍ ! وَإِنَّمَا
غَرَامُكِ وَالأَشْعَارُ أَذْهَلْنَ يَقْظَتِي !!
أَرَاكِ فَيَهْتَاجُ الأَسَى فِي سَرِيرَتِي
كَمَا هَاجَتِ الذِّكْرَى بِنَفْسٍ حَزِينَة
بِعَيْنَيْكِ مَعْنًى لَسْتُ بَالِغَ سِرِّهِ
وَلَوْ قَادَ نُورُ الْغَيْبِ أَسْرَارَ نَظْرَتِي
رَحِيقٌ بِكَأْسٍ ؟ أَمْ سُكُونٌ بِوَاحَةِ ؟
وَرُؤْيَا بِفَجْرٍ ؟ أَمْ صَلَاةٌ بِكَعْبَةِ ؟
وَفِي وَجْهِكِ النَّشْوَانِ عِطْرُ صَبَابَةٍ   يُذَكِّرُ أَحْلَامِي بِطُهْرِ النُّبُوَّةِ
وَصَوْتُكِ أَمْ ذِكْرَى حَنِينٍ مُرَجَّعٍ
يُدَنْدِنُ فِي قَلْبٍ غَرِيبٍ مُشَتَّتِ ؟
أُحِسُّ بِهِ فِي كُلِّ فَجٍّ بِخَاطِرِي   صَدَى قُبْلَةٍ حَيْرَى إِلَيَّ تَهَادَتِ
رَفِيفٌ بِأَيْكٍ ؟ أَمْ نَشِيدٌ عَلَى فَمٍ   إِلَى الْيَوْمِ لَمْ يَخْنُقْ صَدَاهُ بِنَبْرَةِ ؟
سَرَقْتِ حَيَاةَ الْمَوْجِ ، طَوْرًا وَدِيعَةٌ
كَحُلْمِ حَزِينٍ ، أَوْ تَبَسُّمِ طِفْلَةِ
وَطَوْرًا هَدِيرُ الْبَحْرِ مِنْكِ ارْتِعَاشُهُ
كَأَنَّكِ بَحْرٌ مِنْ شَبَابٍ وَفِتْنَةِ !

وَصَدْرُكِ لَوْ يَدْرِى الْهَوَى وَهْوَ قَاتِلِي
أَمَانٌ لِرُوحِى مِنْ رِيَاحِ الْمَنِيَّةِ
نَشِيدٌ بِهِ لَحْنَانِ مِنْ قَلْبِ مِزْهَرٍ
يَدُ اللهِ كَانَتْ فِيهِ أَقْدَسَ رِيشَةِ
وَطَيْرَانِ فِى أَيْكٍ زَوَى الْخُلْدُ عِطْرَهُ
فَحُرِّمَ لَا يَسْرِى بِهِ طَيْفُ نَسْمَةِ
وَحُلْمَانِ ... لَكِنْ مِنْ لَهِيبٍ وَنَشْوَةٍ
غَرِيقَانِ فِى الرُّؤْيَا بِأَطْهَرِ غَفْوَةِ !
وَذَاتُكِ فَجْرٌ فِى لَيَالِيَّ هَائِمٌ   يُبَارِكُ بِالْأَنْوَارِ مِحْرَابَ عُزْلَتِى
تَنَزَّهَ عَنْ قَيْدِ الزَّمَانِ ، فَعُمْرُهُ   خُلُودٌ مُضِىءٌ فِى الضُّحَى وَالْعَشِيَّةِ
وَثَغْرُكِ يَا وَحْىَ الْأَنَاشِيدِ رَحْمَتِى   إِذَا ظَمَأُ الْإِلْهَامِ أَشْعَلَ غُلَّتِى
غِنَائِى ، وَخَمْرِى ، وَانْتِعَاشِى ، وَسَكْرَتِى
وَسِحْرِى ، وَشِعْرِى ، وَابْتِهَالِى ، وَسَجْدَتِى
تَمَنَّعَ حَتَّى كَادَ لَوْ خَطَرَتْ بِهِ   بَنَانُكِ يَسْقِيهَا عِتَابَ الْقَدَاسَةِ !
كَأَنِّى بِهِ نَبْعٌ مِنَ النُّورِ وَالْهَوَى   تَخَيَّرَ لِلْحِرْمَانِ أَمْنَعَ ذِرْوَةِ
هَبِينِى شُعَاعًا فِى الضُّحَى رَفَّ حَوْلَهُ
وَصَلَّى وَلَاقَى اللهُ فِى خَيْرِ بُقْعَةِ ...
سَلَامًا نَجِيَّ الرُّوحِ يَا طَيْفَ رُوحِهَا   إِذَا هِىَ أَشْقَاهَا هَوَانَا فَمَلَّتِ
تَظَلُّ تُصَافِينِى إِذَا صَدَّ نُورُهَا   وَتَحْنُو إِذَا ازْوَرَّتْ دَلَالًا وَتَاهَتِ
أُرِيدُ لِأَنْسَاهَا ... فَأَلْقَاكَ فِى دَمِى   نَبِيًّا مِنَ الذِّكْرَى عَتِيَّ الرِّسَالَةِ
تُشَعْشِعُ بِالْأَحْلَامِ رُوحِى وَفِى الْكَرَى
تُفَجِّرُ مُوسِيقَا الْحَنَانِ الشَّجِيَّةِ ...
سَلَامًا حَبِيبَ الرُّوحِ ... يَا طَيْفَ رُوحِهَا
أَغِثْ شَجَنِى ، وَارْحَمْ شَبَابِى وَعِلَّتِى !
أَعِنِّى عَلَى نِسْيَانِهَا ... وَامْضِ طَائِرًا
يَعِيشُ عَلَى ذِكْرَى الْهَوَى فِى الْخَمِيلَةِ
تَرَكْتُ لَكَ الْمَاضِى رَبِيعًا مُقَدَّسًا   فَأَيَّانَ تَطْرُقْ فِيهِ تَسْمَعْ تَمِيمَتِى
فَفِيهِ جَلَالٌ مِثْلَمَا فِيكَ خَالِدٌ   وَفِيهِ كَمَا فِيهَا عَوَالِمُ هَيْبَةِ
وَفِيهِ رُبًى خُضْرُ الظِّلَالِ عَوَارِفٌ   بِسِرٍّ هَوَانَا فِى شَذَى كُلِّ زَهْرَةِ
فَطُفْ مِثْلَمَا طُفْنَا زَمَانًا بِسَاحِهِ
وَذُقْ فِيهِ طَعْمَ السِّحْرِ مِنْ كُلِّ ذَرَّةِ
وَنَاجِ طُيُورًا لَمْ يَزَلْنَ بِأُفْقِهِ   يُرَتِّلْنَ تَوْرَاةَ الْهَوَى كُلَّ لَيْلَةِ
وَحَوِّمْ عَلَى غُدْرَانِهِ تَلْقَ عِنْدَهَا   أَمَاسِيَنَا سَكْرَى عَلَى كُلِّ ضِفَّةِ
وَعَلِّمْنِىَ السُّلْوَانَ إِنْ كُنْتَ سَالِيًا
فَإِنِّىَ عَنْهُ فِى عَمَاءٍ وَضَلَّةِ
ظَلَلْتُ عَلَى نَارِى أُرَاوِدُ طَيْفَهُ   فَيَخْفَى وَيَرْمِينِى بِنَارٍ جَدِيدَةِ !
فَيَا رَبَّةَ الْأَحْلَامِ فُكِّى وَثَاقَهَا   وَلَا تَحْسَبِيهَا غَيْرَ رُؤْيَا جَمِيلَةِ
تُرِيدِينَ أَسْرِى فِى الْهَوَى ، وَأَنَا الَّذِى
تُحَطِّمُ أَغْلَالَ الزَّمَانِ سَكِينَتِى !
أَلَا أَطْلِقِينِى لِلسَّمَاءِ ، وَحَلِّقِى   إِذَا شِئْتِ فِى دُنْيَا خَيَالِى الرَّهِيبَةِ
غَدَوْتُ رَمَادًا أَنْتِ سِرُّ انْطِفَائِهِ   وَأَنْتِ بِهِ سِرٌّ يُخَلِّدُ جَذْوَتِى ...
أَلَا مَنْ لِطَيْرٍ فِى رَوَابِيكِ هَائِمٍ   وَيَشْتَاقُ لِلْحِرْمَانِ فِى كُلِّ لَحْظَةِ !
هَبِيهِ لِصَحْرَاءِ الْأَسَى ، فَلَرُبَّمَا
يُضِىءُ مِنَ الْأَحْزَانِ نُورُ الْحَقِيقَةِ !

محمود حسن اسماعيل



صاحب اللحية البيضاء

١ — سيدى الفاضل رئيس تحرير الرسالة الغراء

صورت لنا فى عدد الرسالة الماضى بقلمك الممتاز صورة صادقة حية لمجرم بالطبع criminel né الذى نادى بوجود أمثاله العبقرى الفذ لمبروزو Lambrozo ، إذ يقول إن عدداً كبيراً من المجرمين معرضون حتما لارتكاب الجرائم إذ يولدون وتولد معهم غرائز سيئة تحول بينهم وبين المعيشة الصالحة ، وما يستطيعون لنزعات الشر مقاومة . ويتميز هذا المجرم بصفات خَلقية وخُلقية : فهو قصير القامة كذى اللحية البيضاء ، صغير الجمجمة ؛ ضيق الجبهة ، ناتىء عظام الخدين ، دقيق الشفتين ، غائر العينين ، مفرطح الأذنين ، كبير الفك الأسفل ، بليد الحس الأدبى (dûrete du sens moral)

ولئن فشلت نظرية هذا الجهبذ فما كان ذلك إلا لأنهم خشو منها على الأخلاق ، فما دام المجرم يعلم أن الجريمة مقدرة عليه كقسمة الأرزاق ، مات ضميره واندفع كالتيار العرم يكتسح أمامه كل شىء ، ولا يصبح لكلمات العدالة والجزاء والقصاص قيمة ما ، ومعنى ذلك الفوضى المطلقة . على أن علماء الوراثة بما قاموا به من دراسات فنية وإحصائية قد أقاموا الدليل على وراثة صفات الإجرام من جيل لجيل تذكيها فساد البيئة وانحطاط الوسط الاجتماعى

فليتك يا سيدى المحترم ترشدنا نحن أعضاء معهد الدراسات الجنائية العليا إلى هذه الشخصية النادرة . فما وجدنا طيلة دراستنا بالسجون المصرية والإصلاحيات إلا إجراماً مكتسباً ؛ فلعلنا نجد فى ذى اللحية البيضاء ما يؤيد نظرية العالم الإيطالى

عباس لمهى محمد بدر
بالمعهد الجنائى

(الرسالة) : الصفات التى ذكرها الكاتب الفاضل تنطبق على ذى «اللحية البيضاء» ، وهو الآن سجين بمركز طلخا ، ومن الممكن زيارته فيه

٢ — سيدى الأستاذ الكبير رئيس التحرير

وبعد فأمر صاحب (اللحية البيضاء) موضوع حديثكم الشيق فى الرسالة الماضية ليس بخاف على أهل العلم ، فهذا الرجل يشكو إغراقاً فى تعويض نقص ، وهو علة نفسانية تنشأ مع من تجوهلت شخصيته فى طفولته بتحكم الوسط الذى نشأ فيه لحد ذلك من التمتع بالقوة فى كافة مظاهرها ، وهى غرض كل كائن حى ، ونتيجة هذا الحد أن القوة النفسية المحرومة من العمل تلجأ إلى الإغراق فى إظهار كيانها لإثبات وجودها المنكور عليها . فالإجرام فى ضوء علم النفس الحديث هو تعويض نقص تعويضا مغرقا

وكان رأى لمبروزو فى أوائل هذا القرن أن الإجرام استعداد وراثى ، ولكن علم النفس الحديث لا يميل للأخذ بهذا الرأى الآن ؛ ويرى أن التربية فى سنى حياة الطفل الست الأولى مصدر كثير من العلل النفسانية والاجتماعية

على أن هناك تعويضاً طبيعياً : فالأصم الذى تفقده أذنه عن إدراك ما يناله غيره تراه ينزع إلى تعويض هذا النقص بالنشاط فى ناحية أخرى . وهنا يكون النبوغ عادة

قال أناتول فرانس مرة : إن نابليون كان متهماً فى رجولته ، فأشعل الحرب فى كل أوربا إعلاناً لرجولته . ومثل هذا القول يقال فى كل إنسان حدت ظروفه من ممارسته حقه الطبيعى من القوة

كامل يوسف
عضو المعهد البريطانى النفسى بلندن

مراكز الثقافة العربية فى القاهرة ودمشق وبغداد

تقدمت المباحثات بين وزارة المعارف وبين الهيئات التعليمية المختصة فى كل من العراق وسورية وفلسطين ولبنان فى سبيل إنشاء مكتب التعاون الثقافى بين هذه البلاد وإيجاد وحدة ثقافية عربية تجمع الشباب العربى تحت علم هذه الثقافة

وقد علمنا أن النية متجهة إلى إنشاء مراكز لهذه الثقافة العربية الموحدة فى كل من القاهرة ودمشق وبغداد يمكن من طريقها تبادل الآراء وإلقاء المحاضرات العلمية والأدبية التى يتردد صداها على نطاق واسع فى هذا المحيط

والمفهوم أن الأقطار العربية الشقيقة قابلت مشروع التعاون بينها وبين مصر بارتياح كبير

كم زا ...

١ — أشكر للأستاذ الفاضل إبراهيم أبى الخشب دقته وأدبه ، ولكنى أعجب من إنكاره على سلوك مذهب التخريج والتأويل والإعراب ... فى الحكم على (حافظ وأبى الطيب) حين استعملا

هذا التعبير (كم ذا ...) فقد أراد الأستاذ فى كلمته الأولى إقامة هذه العبارة إلى جهة أو التماس شاهد من كلام يحتج به

فأما إقامتها إلى جهة فما أظنها تؤدى معنى غير تخريج العبارة على وجه من وجوه النحو والبلاغة ، وهذا ما ذهبت إليه فى كلمتى السابقة ؛ وكنت ولا أزال أنتظر من الأستاذ أن ينظر في وجوه التخريج التى أخذت بها

وأما الشاهد الذى يتمسك به متابعة للآمدى وأمثاله من علماء أصول اللغة فلا يزال يعوزنى ، ولعل هـذا التعبير من أوليات (أبى الطيب) وعهدنا به مبتدعاً جريئاً . وإنى لحسن الظن به وإن غضب (ابن خالويه) . والسلام

محمود البشبيشى

٢ — قرأت إجابة أستاذنا الجليل البشبيشى ؛ ثم عدم اقتناع الأستاذ « أبو الخشب » بما جاء فيها ، فرأيت أن أدلى برأى أعتقد أن فيه شفاء الغلة .

(ا) أرى أن بيت المتنبى « كم ذا بمصر من المضحكات ... » على هذه الرواية ، وعلتى فى ذلك أن المتنبى كانت له ألفاظ يكثر استعمالها فى شعره ، ومن هذه الألفاظ « ذا » (راجع يتيمة الدهر ج ١ ص ١٣٧ طبعة الصاوى) وقد تابع حافظ المتنبى فى مثل هذا التعبير .

(ب) لم أجد شاهداً من أشعار العرب ، ولا من مأثور كلامهم على مجىء « ذا » بعد كم على طول ما بحثت ، وإن كان هذا لا يمنع من جواز وجوده .

(ج) مثل هذا التعبير لا يتنافى مع قواعد اللغة ، ومن السهل تخريجه بأعراب ذا منادى حذف منه حرف النداء . وكم خبرية حذف تمييزها .

(د) قد يعترض على هذا التخريج من يقول إننى ارتكبت من أجله حذف تمييز كم الخبرية وحذف حرف النداء من اسم الإشارة . وردى على مثل هذا المعترض هين

فأما حذف تمييز كم الخبرية فإن النحاة قالوا إنه غير حسن ، ولم يمنعوه (راجع ابن يعيش ج ٤ ص ١٢٩ المطبعة المنيرية) وإذا راعينا ما أبيح للشعراء من جواز الجرى على الآراء غير الحسنة لم نجد فى ذلك قبحاً . وإذا نحن احتكمنا إلى معنى البيتين وجدناه رائعاً

وأما حذف حرف النداء من اسم الإشارة فجرى فيه المتنبى على رأى الكوفيين الذين استدلوا على جواز ذلك بقوله تعالى : « ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم » .

ومن المعروف أن المتنبى نشأ فى الكوفة ، فلا عجب إذا جرى على آرائهم في كثير من شعره مما عده العلماء — جهلاً منهم — خطأ من المتنبي . وهذا هو يقول :

« هذى برزت لنا فهجت رسيسا »

فحذف حرف النداء من اسم الإشارة مصداقاً لما ذهبت إليه .

(منيل الروضة) راتب فديفة

الصفاء بين الأدباء أيضا

(بقية المنشور على صفحة ٥٩٥)

أنا الذى لا ينام الليل إذا استدان قرشاً حتى يوفيه ، هل كنت أستطيع أن أنام طويلاً على دين مثل هذا الدين ؟ !

وبعد ... فليسمح لى الدكتور طه أن أداعبه قليلاً : إنك — أيها الدكتور العزيز — قد شهرت أمرى للناس هذه الشهرة الواسعة ... ولكن ... هل ترى وقد مضى على ذلك نحو عشرة أعوام — أن الأدب العربى قد أفاد حقًّا من ذلك شيئاً يستحق هذا العناء ؟ قد تجيبنى بابتسامتك الساخرة : « وما لنا وللأدب العربى ؟ حسبك أنك أنت قد انتفعت يا توفيق الحكيم ! »

آه ... أيها الدكتور العزيز ... هنا تجدنى أجيبك بابتسامة حزينة : إنى لم أنتفع بقدر ما أضعت ، فإن الشهرة قد جاءتنى حقيقة ببعض المال ... ولكن ، هل كنت محتاجاً إلى ذلك المال ؟ إنى لم أكن معسراً ولا فقيراً . أجاءتنى بالمركز الاجتماعى ؟ كلا ... فقد كنت قبلها من رجال القضاء المحترمين ، ولو أنى بقيت كذلك ، ولا شىء غير ذلك ، لظفرت بالحياة الهانئة الهادئة النافعة — على الأقل — للعدالة والناس ، ولتزوجت الزوجة الصالحة ، وأنجبت الأولاد البررة المفلحين ...

ولكن الشهرة وما يحيط بها من الإشاعات والأقاويل والأباطيل قد حالت بينى وبين ذلك الخير ؛ فبعد أن كانت تسعى إلى طلبى الأسر وأنا فى القضاء تحوطنى الثقة والهيبة أصبحت تنفر منى اليوم ويحملنى الجميع عبء الإثبات لأقنعهم بأنى محل ثقة واطمئنان ! لقد جاوزت الأربعين وما أبصر بعدُ فى الأفق طيف واحة مورقة فى صحراء حياتى المحرقة . ما قيمة الشهرة بغير سعادة ؟ وفيم الأدب والفن بغير هناء ؟ إن أردت الحقيقة أيها الصديق فإن خير ما أعطيتنى كانت صداقتك الأولى التى دامت شهرين ... ثم ... ثم إذا كل شىء بعد ذلك يتحول إلى كلمات فى كلمات وهباء فى هباء ... والسلام .

توفيق الحكيم

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 467

Lundi - 15 - 6 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٦٧ « القاهرة في يوم الإثنين أول جمادى الآخرة سنة ١٣٦١ — الموافق ١٥ يونية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

مساجلات

للأستاذ عباس محمود العقاد

لقيني كاتب معروف بتشيع للبدع الحديثة حتى تقدم فيتركها ويتشيع لغيرها فقال لي :

إنك أنكرت « الوعي » الباطن في التصوير ، وأخذت على غلاة المحدثين أنهم يعتمدونه في صورهم ، مع أنك ترجع إليه في شعرك وترسم بالقلم نظائر لما يرسمونه بالريشة

قلت : مثل ماذا ؟

قال : مثل قولك في وصف قبة الفضاء إحدى الليالي :

كأنها الهاوية المقلوبة
كأنها الجمجمة المنخوبة
تهمس فيها الذكر المحبوبة

وهذا من صور الوعي الباطن وليس من صور العيان

والذي قاله الكاتب المعروف يخالف الواقع ولا يؤيد المدرسة الغالية من المصورين ، أو مدرسة « السريالزم » على وجه من الوجوه

فأنا ، من جهة ، لم أنكر الوعي الباطن ولا موجب لإنكاري إياه ، وإنما أنكرت أن يكون وجود الوعي الباطن ملغياً للوعي الظاهر وللمشاهدة الحسية والمرئيات العيانية ، وأنكرت أن يكون الوعي الباطن ملغياً لقواعد التصوير قديمها وحديثها ، فلا تبقى للمصور مزية على الجاهل بفن التصوير ، لأنهما على حد

سواء يهملان التلوين والمشابهة وأصول الرسم والتمثيل ، وأبيت أن أعتقد كما يعتقد الواهمون أن « الوعى الباطن » شىء جديد فى هذه الدنيا ، وهو هو تلك الملكة الراسخة فى قرارة النفوس قبل ظهور التصوير والمصورين ، فلم يكن رسوخها هذا حائلاً بين المصورين الأقدمين وبين رؤية الأشياء كما يمثلها العيان

إن الوعى الباطن ليس من اختراعات هارتمان ولا فرويد ، ولا من مصنوعات القرن العشرين ، ولكنه ملكة إنسانية وجدت فى مصورى روما وهولندة وإسبانيا كما توجد فى المصورين المحدثين؛ فلماذا نلغى العيون اليوم ولا نرى الأشياء إلا بالتنجيم والتخمين ؟ ومن الذى قال إن حامل الريشة هو المتخصص فى تنجيمات الوعى الباطن دون المعلم والمهندس والطبيب والكاتب والشاعر وسائر المثقفين وغير المثقفين ؟

هذا كلامى عن « الوعى الباطن » لا يدحضه الشعر الذى ذكره الكاتب المعروف وأراد أن يسلكنى به فى عداد أولئك المنجمين

على أن الشعر الذى ذكره الكاتب المعروف يعطى العيان حقه ويعتمد على الحس ولا ينسى المشاكلة ولا المشابهة من جانبها الظاهر ولا من جانبها الباطن أقل نسيان .

فالتجويف ملحوظ فى قبة الفضاء وفى الجمجمة المنخوبة ؛ وهمس الذكر يقترن بالرأس ويقترن بالسماء فى لياليها المرهوبة ، وإذا تسربلت السماء بسربال الرهبة ، فالشعور الذى توحيه إلى النفس أقرب شىء إلى شعور الإنسان أمام الرؤى التى أحاط بها عالم الفناء والأبدية

فالمشابهة الحسية والمشابهة المعنوية متوافرتان هنا كل التوافر ، وليس فى « السرياليزم » أثر للمشابهات ولا للتوافق فى الرسم والتصوير.

على أننا نذهب مع الكاتب المعروف إلى أقصى مداه ونفرض أن وصف الفضاء فى إحدى الليالى المرهوبة بالجمجمة المنخوبة وعى باطن ليس فيه من الوعى الظاهر كثير ولا قليل

نفرض أننى رجعت إلى « الوعى الباطن » فى بيت أو بيتين أو عشرة أبيات من عشرة آلاف بيت . فأين هذا من إلغاء الحس والعيان كل الإلغاء، وتطليق العيون والأسماع إلى آخر الزمان ؟ إن تسلل الوعى الباطن مرة فى كل ألف مرة لهو احتمال جائز موافق لطبيعة السوانح الباطنية . أما الوهم الذى لا يجوز ولا يوافق طبيعة من الطبائع ، فهو أن نصبح كلنا وعياً باطناً وأن تصبح الدنيا كلها موعية باطنية لا تستخدم فيها عين ولا أذن كما يستخدمهما خلق الله فى المسكن والملبس والطعام والشراب والدرس والتخيل والتفكير

هذا الذى ننكره وينكره كل ذى عينين وكل ذى وعى باطن مستقر فى مكانه كما خلقه الله . أما المصورون الذين يقذفون بالألوان والرسوم إلى عرض الطريق ليحدثونا باسم « الوعى الباطن » فأول ما ينبغى أن يسمعوه منا أنكم يا هؤلاء لستم بأصحاب الاختصاص فى هذه الأسرار . فإذا فشلتم فى حمل الريشة وخلط الألوان فقد فشلتم فى وظيفتكم المعترف بها وادعيتم لأنفسكم وظيفة لا يعترف لكم بها إنسان ، ولا حاجة بالناس إليها لأنهم جميعاً أصحاب « وعى باطن » مثلكم وزيادة . . . فما حاجتهم إليكم وإلى غيركم من أدعياء هذه الكهانة المعروضة عليهم فى ثوب التصوير ؟

***

ومن المساجلات التى نُبهت إليها كلمة لأديب يكتب فى « الثقافة » بتوقيع « محمد مندور » قال فيها عنى فى صدد الكلام على أبى العلاء ورسالة الغفران :

« . . . والعقاد يبدأ فيؤكد — فيما يعلم — أن فكرة أبى العلاء فى هذه الرحلة إلى العالم الآخر لم يسبقه إليها أحد غير لوسيان فى محاوراته فى الأولمب والهاوية . وهذا قول عجيب يدخل فى سلسلة تأكيدات الأستاذ العقاد التى لا حصر لها فى كل ما كتب ، والتى كثيراً ما تدهشنا لجرأتها ؛ ففكرة الرحلة إلى العالم الآخر قديمة قدم الإنسانية ، عرفها اليونان قبل لوسيان ، وعرفها العرب قبل أبى العلاء »

لا يا شيخ !

العالم الآخر قديم قبل لوسيان ، والجنة والنار قديمتان قبل أبى العلاء !

سبحان الله ! كنا نظن غير هذا . . . كنا نظن أن الجنة والنار خلقتا بعد المعرى بثلاث أربع سنوات ! وأن لوسيان ظهر على الأرض فظهر معه الجحيم السفلى الذى تحدث به اليونان

أما وصاحبنا المدهوش من جرأتنا يؤكد لنا أن الأمر على غير ذلك فلنرجع إذن عن توكيداتنا الجريئة ، ولنعلن التوبة بين يديه لنقول له : صحيح . صحيح والله . . . الجنة والنار كانتا معروفتين قبل أبى العلاء ، والعالم السفلى كان معروفاً قبل لوسيان . . . ولندن . . . لندن-نعم لأجل خاطرك كانت موجودة

قبل رحلات المسافرين إليها ، وكذلك والله باريس ، وكذلك والله القاهرة ، وكذلك والله الهند والصين وبلاد تركب الأفيال ، أو بلاد تمشى على الأرض ولا تركب حتى النعال

أفادك الله يا مولانا الذى يتربع على الكرسى العريض لينكر على المساكين من أمثالنا توكيداتهم الجريئة ويعلمهم كيف تكون التوكيدات من آخر طراز

وأى توكيدات ؟

توكيداته التى لا جرأة فيها هى أننا نحن المساكين ، أو أن أحداً من خلق الله أجمعين ، يجهل أن أبا العلاء قد تكلم عن شىء معروف حين تكلم عن الجنة والنار ، وأن لوسيان لم يكن أول من سمع بالعالم السفلى بين قدماء اليونان

فنحن بعد الاستئذان فى قليل من الجرأة التى يدهش لها صاحبنا بحترى مرة أخرى فنقول له إننا لم نجهل معرفة الناس بالجنة والنار وهبوط الملائكة وصعود الشياطين قبل أبى العلاء ، وأن أحداً من القارئين لم يجهل هذا ، ولا يحسن بأحد أن يرى أحداً يجهله . فهذا تحصيل حاصل مفروغ منه ، وليس أدعى إلى الدهشة من مجازف يجترئ على توكيده ... ولكننا إذا تكلمنا عن الآثار الأدبية التي تتخذ من الرحلة بين الجنة والنار موضوعاً لها ، فهذا كلام آخر يجمل به أن يصغى إليه ؛ وإذا جمعنا بين المعرى ولوسيان فى هذا الصدد فذلك مبحث يصح النظر فيه والاستفادة منه : أما أن يتربع متربع على كرسى الفتاوى ليحدث قراءه بوجود السماء والأرض والملائكة والشياطين قبل الكتابة عنهم والرحلة إليهم ، أو بوجود لندن وبرلين قبل كتب السياحة والرحالين ، فلا يستغرب أن يجترئ بعض القراء ، ويا له من اجتراء ، فيزحزح له كرسيه قليلاً إلى الوراء !

بل لا نظن أن القارئ يكتفى بزحزحة الكرسى قليلاً إلى الوراء إذا كان ممن يعلمون أن « العقاد » قد سبق إلى كتابة هذا ، فقال قبل عشرين سنة عن رحلة أبى العلاء : « أى شىء من هذه الأشياء لم يكن من قبل ذلك معروفاً موصوفاً ؟ وأى خبر من أخبار الجنة المذكورة لم يكن فى عصره معهوداً للناس مألوفاً ؟ كل أولئك كان عندهم من حقائق الأخبار ووقائع العيان ... »

ثم قال : « فهى رحلة قديمة كما قلنا ولكنه أعادها علينا كأنه قد خطا خطواتها بقدميه وروى لنا أحاديثها كأنما هو الذى ابتدعها أول مرة ... »

ومن يدرى ؟ فقد يكون من اجتراء العقاد أنه اختلس هذه الحقيقة قبل عشرين سنة ، ولم ينتظر الإذن قبل اجترائه على الاختلاس والادعاء !

* * *

ولا شك أن « المندورين » فى هذا البلد كثيرون مع اختلاف فى الأسماء والعناوين ... فنهم ذلك الذى تسمي فى إحدى المجلات باسم « مصطفى » ليستر ما فى مقاله من سوء النية وهو يتكلم عن النبى العربى ، ويتميز غيظاً لأننا عرضنا لتعدد زوجات النبى فى كتابنا « عبقرية محمد » فرددنا أسبابه إلى مصلحة الدعوة الإسلامية ولم نتخذ منه ذريعة لتلويث السمعة كما فعل المتعصبون من المبشرين والمستشرقين . وليس هذا بالعلم ولا بالنطق فى رأى أذناب الاشتراكية الرعناء . . . إنما العلم والنطق أن تلوث كل عظيم فى تاريخ بنى الإنسان ، لأن مقاصد الاشتراكية الرعناء لا تستقيم لأصحابها وفى الدنيا عظمة شريفة تستحق التبجيل والولاء . وكفى بحقارة مذهب لا يستقيم إلا بتلويث كل عظيم !

قال ذلك «المصطفى» المزعوم إننا دافعنا عن محمد فقلنا : « إنك لاتصف السيد المسيح بأنه قاصر الجنسية لأنه لم يتزوج قط ؛ فلا ينبغي أن تصف محمداً بأنه مفرط الجنسية لأنه تزوج بتسع نساء »

ثم قال ذلك المصطفى المزعوم معقباً على كلامنا : « ولكن ما رأى العقاد لو قال الناقد : إنى أرى المسيح قاصر الجنسية وما أنفى عنه هذه الصفة »

ورأى العقاد أن الناقد لن يقول ذلك لأنه كان من أساطين المبشرين . فإن أعدته الاشتراكية الرعناء بسوء أدبها فجوابه إذن أن نرده إلى تاريخ النبى كما فعلنا فنريه بما يفقأ عينه أن الرجل الشهوان يجمع بين تسع زوجات من الأبكار الحسان وهو قادر على ذلك كل القدرة ولا يختار زوجاته كما صنع النبى من المسنات التأيمات اللائى لم يشتهرن بالجمال ، ثم تكون البكر الوحيدة منهن بنت أبى بكر الصديق التى يرجع التزوج بها إلى أسباب المصلحة الإسلامية قبل كل اعتبار

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

عبد القادر حمزة باشا — موسم الامتحانات فى المدارس المصرية — أحزان «توفيق الحكيم» وتفوذ «طه حسين» ...

عبد القادر حمزة باشا

فاتنى فى العام الماضى أن أشهد مأتم الأستاذ عبد القادر حمزة — طابتْ تُربتُه ، وكَرُمتْ ذكراه — ولم يفتني أن أشهد المأتم الذى أقيم فى هذا المساء بجوار دار (البلاغ) ، تحيةً لروح ذلك الشهيد ، شهيد القلم الحرّ ، والرأى الصريح

وأقول : إنى ما شعرت بحزن أو لوعة حين تجددت الصورة لموت ذلك الصديق ، فهل خمد أسفى عليه وما قدُم العهد ؟

أشهد أنى لم أجد فى نفسى استعداداً للتحسر والتفجع ، كما ينبغى أن يقع فى مثل هذا الظرف ، وإنما توجهتْ نفسى إلى معنًى آخر هو نقد الأسلوب المتبع فى إقامة الذكريات لهذا الطراز من الرجال

وأشرح هذا المعنى فأقول : إن عبد القادر لم يمت إلا بعد أن أقام ألوف البراهين على أن للقلم دولة فى هذه البلاد ، وبعد أن أقام ألوف الشواهد على أن الذاتية السليمة تصل بصاحبها إلى أشرف الغايات ، وترقم اسمه فى صحيفة الخلود

فما الذى يمنع من أن تكون الحفلة التى تقام لذكراه حفلة فرح وابتهاج ؟

كنت أحب أن يتنادى من اشتركوا فى تحرير (البلاغ) — وهم يعدُّون بالعشرات — إلى إقامة سهرة طريفة على متن النّيل فى ليلة قمراء ، تحيةً للكاتب العظيم الذى أرّخ مجد النيل أعظم تأريخ

كنت أحب أن تتنادى لإقامة حفلة بهيجة فى «معبد الكرنك» ، وهو المكان الذى أوحى إلى عبد القادر أن يكون إماماً فى تاريخ مصر القديم ، ولعله أول مؤرّخ جعل الإيمان بعظمة مصر عقيدة عقلية ، وعقيدةُ العقل أعظم من عقيدة الروح

لو سمحت شواغل الحياة بأن يتنادى أصدقاء (البلاغ) لتكريم صاحب (البلاغ) لكان لهم فى تكريمه أسلوب لا يخطر لأهل هذا العصر فى بال

فهل «تنبسط» الاشتراكية بهذا الجواب أو يملأها سم البغضاء وصديده لأن فى العالم الإنسانى رجلاً باقياً بغير تلويث !

وقال ذلك المصطفى المزعوم : إن العقاد «يقيم الحجة على نبوة محمد باضطراب الأحوال وقت نشوئه فى بلاد العرب ... ترى أين يكون إقناع العقاد لو انبرى مسلم — قبل أن يتصدى من لا يدين بالإسلام — وقال : إن الأحوال الحاضرة أشد قساوة مما مضى فى عهود الإنسانية جميعها ... وإذن فالحال المعاصرة تستلزم نبياً ينشر الخير والعدل . فأين هذا النبى ممن عرفهم العالم حالياً ... »

والعجيب أن يسألنى هذا المصطفى الزعوم عن رأيى وقد بينته صريحاً فى الكتاب نفسه حين قلت : إن العالم حائر فى طلب العقيدة أو «طلب المسوغ للوجود . لأن الوجود وحده لا يكفى الإنسان إلا أن يكون على طبقته مع الحيوان . فالإيمان للمستقبل ، وعسى أن يكون المستقبل للإيمان ... »

قلت ذلك فى ختام الكتاب وجعلته خلاصة الرأى فيه وموضع العبرة منه ، ولا أزال أقول كما قلت دائماً إن خلاص العالم مرهون بالإيمان ، وإن حياة الناس بغير عقيدة نبيلة هى حياة حشرات

ولكن الإيمان الذى يحتاج إليه العالم لن يكون إيمان المعدات والأمعاء ، لأن الإنسانية لن تحتاج إلى رسل وحكماء ليعلموها عبادة الطعام والشراب ، وإن أحقر حصان معلق فى مركبة نقل ليعلم من هذه الفلسفة ما يعلمه كارل ماركس ولنين وإخوان هذه العصبة أجمعين

إنما يحتاج العالم إلى إيمان يليق بأبناء آدم ، ولا يحتاج إلى إيمان يزعم أنه يخلصه من ضرورات المعدة بعبادة هذه المعدة فى الصباح والمساء ، وفى ساعة العمل وساعة الرياضة ، وفيما يدير عليه تجارب العلم ومطالب الفن وأشواق النفس وعقائد الضمير .

قبّحت عقيدةً كهذه العقيدة إن قضى بها النحس على أمة من الأمم . فهى عقيدة لن تخلص الناس من ضرورات المعدة وخسائسها بل تفرض عليهم عبادتها وتسجل عليهم الخضوع لرهبة الجوع إلى آخر الزمان . وقبّح من رسل أولئك الرسل الذين لا جديد عندهم يعلمونه الناس وراء ما علمته الحشرات قبل ملايين السنين . وأبى الله أن «تنبسط» الاشتراكية الرعناء إن كان تحقير عظماء الإنسانية وتحقير الإنسانية كلها فرضاً لزاماً لمن يسترون شرورهم بأمثال هذه الدعوات .

عباس محمود العقاد

لن نبكي على شيخ الصحافة المصرية ، وهل مات حتى نبكي عليه؟

وما البكاء على كاتب لم يفارق دنياه إلا بعد أن ملأ صرير قلمه مسامع الزمان ؟

الواجب أن نفرح لأن مصر أنجبت كاتباً سياسيًّا يندر وجود مثله فى الأقطار الأوربية والأمريكية . وأعيذ القارئ أن يتهمني بالمبالغة والتهويل ، فالمصاعب التى قهرها عبد القادر لو صادفت أكبر كاتب فى أعظم بلد لأضافته إلى المدحورين

الواجب أن نفرح لأن جو مصر سمح بأن يكون أحد أقطاب الصحافة اليومية من أكابر المؤلفين ، وتلك إحدى الأعاجيب .

الواجب أن نفرح ، لأن جو مصر سمح بأن يكتُم كاتب بلاءه بأعدائه نحو ثلاث سنين ، ليلقاهم بعد ذلك فى ميدان لا يخرجون منه سالمين

كان عبد القادر كما وصفت ، وفوق ما وصفت ، فكيف نحيي ذكراه بالحزن والانقباض ؟

ومتى نفرح إذا تناسينا اعتزاز الأقلام بتاريخ ذلك الشهيد ؟

كان عبد القادر يحب جريدته أكثر مما يحب نفسه ، ولهذا كان يستكتب رجالاً بينه وبينهم ضغائن وحقود ، ليبرئ ذمته من حق جريدته عليه

وكانت البراعة القلمية هى الخصيصة الأساسية فيمن يعرف من الكتّاب ، ولو كانوا من خصومه الألدّاء

وكان لا يسمح بنشر كلمة تؤذى أحد محررى (البلاغ) من قرب أو من بعد ، وقد اتفق لى أن أرجوه نشر مقال أرسله المرحوم مصطفى صادق الرافعى فى إيذائى ، لأقيم الدليل على تشجيع الحرية الفكرية ، ولكنه رفض ، وكانت حجته أن سماحى بنشر مقال الرافعى لا يعفيه من حق عليه

عبد القادر !

هل تعرف أن قوماً زعموا أنك مت ؟

كذَبوا ، فما يموت من تحيا ذكراه على سنان قلمى !

موسم الامتحانات

وزارة المعارف فى نظر المنصف أعظم الوزارات حيوية ، بدليل ما نشاهد من كثرة التغيرات والتقلبات ، وهل يتغير أو يتقلب غير الأحياء ؟

ولكن هذه الوزارة التى تفكر فى كل شىء ، وتشغل بأخبارها جميع الناس ، تنسى شيئاً فى غاية من الأهمية ، وهو تعديل مواعيد الامتحانات

ما الذى يوجب أن تكون تلك المواعيد فى وهج الصيف ؟ أيكون ذلك نقلاً عن الأمم الأوربية ؟ هو ذلك ، ولكن أين جو مصر بالقياس إلى الأجواء الأوربية ؟

أعصاب التلاميذ فى شهر يونية لا تحتمل أى إجهاد ، ولو شئت لقلت إن التلاميذ يعانون التعب قبل يونيه بشهرين ، فكيف تجود قواهم بالمحصول الذى يعيّن منازلهم من الفوز أو الإخفاق !

وهل سمعتم حديث المصحِّحين ؟

التصحيح نوع من القضاء ، ولا يجوز للقاضى أن يحكم إلا وهو سليم الأعصاب ، فكيف تكون مصاير التلاميذ بأيدى مصححين لم تبق منهم متاعب العام الدراسى غير أشباح ؟

يجب أن تكون الامتحانات فى شهر مارس ، أو يجب أن تكون أهم مواد الامتحان فى شهر مارس ، لنجد تلاميذ ومصححين ، ولنطمئن إلى العدل فى سلامة الحكم على أبناء الجيل الجديد

فإن عزّ على وزارة المعارف أن تترك خطةً سارت عليها عشرات السنين فلتجعل التصحيح فى أيدى رجال خُفِّف عنهم عناء العام الدراسى بعض التخفيف ، ليراجعوا الأوراق بعناية والتفات ، أو ليكونوا فى حال غير الحال التى نعرف ، فأكثر من يُدعَون إلى التصحيح يعتذرون ، لأنهم لا يلقون الصيف إلا بعد طول العناء بالتدريس والتصحيح

أما بعد فقد أعلنت هذا الرأى مرات فى الأعوام الماضية ، ولم أجد من يسمع ، فهل يكون من حظ هذا الرأى أن يضاف إلى الآراء التى يدرسها وزرنا الحصيف ؟

أستاذنا توفيق الحكيم

لم أكن أنتظر أن يكون عتبى على الأستاذ توفيق الحكيم فرصة لمجادلات ومساجلات يجرى بها قلمه مع الكاتبَين المظيمين عباس العقاد وطه حسين

وعلى قلة ما يجشّم أخونا الزيات نفسَه فى مراسلة أصدقاء الرسالة من مهجَره الجميل ، فقد كتب إلىّ يخبرنى أنه خفَّف كلمتى فى عتب الأستاذ توفيق الحكيم ، لأنه لا يقبل أن يفسُد ما بينى وبين توفيق لشبهة نفاها توفيق .

وأحسنَ أخونا الزيات فيما صنع ، فما أدرى كيف كنت أثبُت أمام ضميرى لو نُشرت كلمتى كاملة ثم ظهر أن أخانا الحكيم يطوى صدره على تلك الأحزان السود .

لطف الله بى فنجانى من هول هذا الموقف بفضل حكمة « المهاجر الرفيق » ، فلله الحمد ، وعلى المهاجر الثناء .

ولكن يظهر أن أحزان توفيق الحكيم لن تنجيه من « الوقوع فى قبضة الأديب الفلاح » فسأسمعه اليوم كلاماً يسرّه فى حين ويحزنه فى أحايين ، وفقاً لحالته النفسية وهو يقرأ ما أقصّه عليه بلا تخويف ولا ترهيب .

دار الأستاذ الحكيم فى رده على الأستاذ العقاد حول « نفوذ » الدكتور طه حسين ، فماذا يريد أن يقول ؟

هل يتوهم أن « نفوذ » الدكتور طه تميمة تعيذه شر أقلامنا إذا رأيناه انحرف عن القبول من شريعة الأدب الرفيع ؟

وما احتياجُنا إلى « نفوذ » الدكتور طه حسين ، ونحن نعرف أن ذلك النفوذ بلاء عليه ، لأنه يبعده منا ويقرّبه إلى سوانا ، وفردوس الأدب هو النعيم الباقى على الزمان .

يستطيع الدكتور طه بكفايته العلمية أن يكون أكبر موظف فى الحكومة المصرية ، ولكنه لا يستطيع الزعم بأن سلطان القلم يفوقه أىّ سلطان .

لقد أبيت أن أهنئ الدكتور طه بمنصبه الجديد فى وزارة المعارف ، لأنى كرهت أن يقاس الفوز بمقياس الوظائف ، ثم سارعتُ فهنأته بكتاب « الحب الضائع » لأغريه بالمضى فى هذه الطريقة من طرائق التأليف ، ولأفهمه أنى لا أقيم وزناً لغير محصول الأقلام الجياد .

الدكتور طه رجل ضرّار نفّاع ، ولكن من العيب على حامل القلم أن يرجوه أو يخشاه ، فما هذا الذى تقول ياعمّ توفيق ؟!

أترك هذا وأنتقل إلى مشكلة أساسية ، وهى مشكلة قد تخرج الأستاذ الحكيم من فردوس الأدب الرفيع

صديقنا توفيق يتألم ويتوجع ، لأن شهرته الأدبية أبعدته من الانخراط فى سلك رجال القضاء . فما معنى ذلك ؟

معناه أن هذا الرجل يعيش بين رجال الأدب عيش الغرباء ، وإلا فهل يجوز لكاتب له عقيدة أدبية أن يتوهم أن فى الدنيا حظاً أعظم من حظوظ أرباب الأقلام ؟

وصديقنا توفيق يقول بعبارة صريحة إنه لا يجد أسرة تعطف عليه ، فتزوِّجه بُنيّة يسكن إليها وتسكن إليه ، لأن الشهرة الأدبية أضافته إلى المشبوهين !

غضبة الأدب عليك ، يا توفيق ! فما أوذى الأدب بأقبح ولا أبشع ولا أفظع مما جرى به قلمك الأهوج

وبمن تثق الأسر الكريمة إذا لم تثق برجال الأدب الرفيع ؟

ولأى فارس تخضع المرأة النبيلة إذا فاتها الخضوع لأحد فرسان البيان ؟

أتقول هذا الكلام يا توفيق فى مجلة مثل الرسالة وهى عنوان الفحولة الأدبية ، ثم تنتظر أن نراعى أحزانك فلا نرد عليك ؟

وأرجع إلى الموازنة بين حال القاضى وحال الكاتب فأسألك : أتعتقد مؤمناً بأن القاضى يخدم العدالة بأكثر مما يخدمها الكاتب ؟

قضاة مصر جديرون بالاحترام والتبجيل ، فالشكوى من الفوضى مست أكثر الهيئات ثم استحيت فلم تمس رجال القضاء

ومع هذا فلا يسيغ ذهنى أن يكون القاضى العادل أشرف من الكاتب الصادق ، إلا أن يتبذل الكاتب فيقترح زواج هتلر من أم كلثوم لتنتهى الحرب !

أيهون الأدب على أهله إلى هذا الحد من الهوان البغيض ؟

أيكون اليأس من الاقتران بامرأة لها سيارة وعمارة باعثاً على الضجر من صحبة الكتاب والخطباء والشعراء ؟

أيكون « نفوذ » طه حسين شيئاً يُخاف فتُحبر فيه المقالات الطوال العراض ؟

آه ثم آه ! !

لو كان بيدى شىء من الأمر لقضيت بنفى توفيق الحكيم إلى جزيرة واق الواق ، ليعرف أبناؤنا وتلاميذنا أن للأدب سيطرة سماوية تبغض التأدب مع غير صاحب السماء

أنت فى جماعتنا دخيل ، يا توفيق ، لأنك تقدّم علينا رجال القضاء ، ولأنك تتهيّب أصحاب النفوذ ، وبين النفوذ والنفوس جناس معلول ، إن كنت تذكر البادئ من علم البديع

مقالك الحزين كاد يبكينى ، يا توفيق ، ولكنى تجلدتُ وتماسكت ، فراراً من الرثاء لك والبكاء عليك .

أبعدَ عشرين سنة خدمت فيها القلم ، على حد ما زعمت لنفسك ، تعود فتمنّ على الأدب بأنك أضعت من أجله أشياء وأشياء ؟ !

مثـــال ...

رأى الأزهريين فى لبس القبعة

للأستاذ محمد محمد المدنى

كتبت فى إحدى « مرسلاتى » كلمة موجزة عن « اختلاف الأزهريين » سجلت فيها ظاهرة غريبة ربما عدت شأناً من شئون الأزهر الخاصة ، وعلامة من علاماته المميزة : تلك هي التفاوت البعيد فى النظر إلى الأشياء والحكم عليها مع أن القوم يشربون من معين واحد ، ويصدرون عن ثقافة ما ترى فى أصولها من تفاوت ، وقد اختصرت فى ذلك بعض الأمثلة ، ولم أعرض لذكر الأسباب فكتب إلى كاتبان فاضلان من قراء « الرسالة » يسألنى أحدهما أن أذكر بعض المثل واضحة مفصلة ، ويسألنى الآخر أن أبين الأسباب التى تفضى بالأزهريين إلى هذا الخلاف فى الحين بعد الحين . ولست أحب أن أعرض لذكر الأسباب كما يريدنى أحد هذين الكاتبين ، فإنه ليعلم أن القول فى ذلك مؤلم موجع فى بعض نواحيه ، وفى الأزهر نفوس لا نحب لها أن تألم ، وجنوب عزيز علينا أن تُقض ، فحسبنا أن نذكر بعض المثل الواضحة فى هذا الشأن تبصرة وذكرى لعلهم يرجعون :

المثال الذى اخترته ليس فكرة من الفِكَر التى تشغل الناس اليوم وإنما هو فكرة تاريخية قد تداولتها عهود ، ومرت بها أطوار تبتدىء من أواخر القرن الهجرى الماضى : ذلك المثال هو « رأى الأزهريين فى لبس البرنيطة » . وقد اشتغل الأزهريون بهذا الموضوع أربع مرات : اشتغلوا به لأول مرة فى عهد الشيخ محمد عليش مفتى السادة المالكية المتوفى سنة ١٢٩٩ هـ ، وقد سجلت « الرسالة » رأى هذا الشيخ فيما نشرته « للناقد الأزهرى » (بالعدد ٤١٦ ص ٨١٣ من السنة التاسعة) ، وقد جاء فى ختام هذا الرأى ما نصه :

« إنه تقرر فى شريعة المسلمين أن حكم هؤلاء – يقصد لابسى البرنيطة – أمرهم بالتوبة والرجوع إلى دينهم ، والتزيى بزى المسلمين ، وإمهالهم لذلك ثلاثة أيام ، فإن فعلوا ذلك قبلت توبتهم ، وخلى سبيلهم ؛ وإن تمت الأيام الثلاثة ولم يتوبوا قطعت رقابهم بالسيف ، ولا يغسلون ، ولا يصلى عليهم لموتهم على الكفر ... »

واشتغل الأزهريون بهذا الموضوع مرة ثانية فى عهد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضى الله عنه وأرضاه ، حينما سأله الحاج مصطفى الترنسفالى فى أنه يوجد أفراد فى بلاد الترنسفال تلبس البرانيط لقضاء مصالحهم وعود الفوائد عليهم فهل يجوز ذلك ؟ فأجابه بفتواه المختصرة التى أقامت الأزهر يومئذ وأقعدته . وهذا نصها كما جاء فى محفوظات دار الإفتاء المصرية (رقم ١٩٠ – ٦ شعبان ١٣٢١ هـ) : « أما لبس البرنيطة إذا لم يقصد فاعله الخروج من الإسلام والدخول فى دين غيره فلا يعد مكفراً . وإذا كان اللبس لحاجة من حجب شمس أو دفع مكروه أو تيسير مصلحة لم يكره كذلك لزوال معنى التشبه بالمرة »

ثم عرض الأزهر لهذا الموضوع مرة ثالثة فقيل إن جماعة كبار العلماء أو لجنة منها بحثته وأصدرت فيه رأيها وهو يقضى بعدم جواز لبس البرنيطة . ولم أطلع على سند هذا الرأى لأنه ليس للجماعة مكتب ولا سجل منظم تقيد فيه بحوثها ، وتسجل آراؤها . وقد أردت فى العام الماضى أن أطلع على بعض الرسائل العلمية التى تنال بها عضوية الجماعة فتدافعنى الموظفون فى الإدارة العامة واحداً إلى واحد ، ثم لم أهتد إليها ولم يبح لى أحد بسرها !

وأخيراً عرض لهذا الموضوع رجل الفقه والإفتاء الأستاذ الكبير الشيخ عبد المجيد سليم ، وقد سأله مفتى مدينة كوملجنة بتراقيا الغربية بما خلاصته : « إننى بصفتى الرسمية لا أقر لمن يلبسون القبعة فى بلادى ببدعتهم هذه ، ولا أوقع على وراثتهم

نفيناك ، نفيناك ، ولن نلتفت إليك بعد اليوم ، إلا أن تُستتاب فتتوب .

الخلوة إلى القلم نعمةٌ لا يدركها من يرى السعادة فى الخلوة إلى امرأة .

وسواد المداد فى بياض القرطاس أجل من الخيلان السود فى الخدود البيض ، وهذا كلامٌ لا يفهمه الأدباء الدخلاء .

لا تؤاخذنى ، يا توفيق ، فى القسوة عليكَ ، فأنا أحاول رجعك إلى فردوس الأدب الرفيع ، فهل ترجع ؟ وهل تعود ؟

عندنا « نفوذ » لا يقاس إليه النفوذ الذى تعرف

عندنا أرواح وقلوب . عندنا نار تصهر روحك حين تريد

فهل ترجع إلى عشك ، أيها العصفور من الشرق ؟

زكى مبارك

من المسلمين ، ولا على زواجهم من المسلمات ، فيسخطون علىّ ، ويتخذوننى شكية عند الناس وعند الحكومة ، وفى اعتقادى أنى لا أحكم فيهم بغير ما حكم به الشرع الإسلامى . فإن كنت على حق فساعدونى رحمكم الله وأيدونى بكلمتكم الفصل ؛ وإلا فدلونى على ما هو الحق الحقيق بالاتباع »[1]

ولم يكن فضيلة الأستاذ الكبير عضواً بجماعة كبار العلماء حين صدر الرأى الذى أشرنا إليه ، وإنما أسند إليه منصب الإفتاء وعين عضواً بالجماعة بعد ذلك ، فماذا قال ؟ إني أثبت هنا نص فتواه التى هى فصل الخطاب فى هذا الباب ، لما فيها من فقه جيد ، ولما أرشدت إليه من مبدأ عام فى الحكم على الناس بالكفر أو الإيمان :

نص الفتوى

« . . . أما بعد فاعلم — هدانى الله وإياك إلى الحق ورزقنا اتباعه وجنبنا الزلل فى القول والعمل — أن علماءنا قالوا إن الكفر شىء عظيم فلا نجعل المؤمن كافراً متى وجدنا رواية أنه لا يكفر ، فلا يكفر مسلم إلا إذا اتفق العلماء على أن ما أتى به يوجب الردة ، كما أنه لا يكفر مسلم متى كان لكلامه أو فعله احتمال ولو بعيداً يوجب عدم تكفيره ، فقد روى الطحاوى عن أبى حنيفة رحمه الله وأصحابنا أنه لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه ، ثم ما يتيقن بأنه ردة يحكم بها له ، وما يشك بأنه ردة لا يحكم بها إذ الإسلام الثابت لا يزول بشك مع أن الإسلام يعلو . وينبغى للعالم إذا رفع إليه هذا ألا يبادر بتكفير أهل الإسلام مع أنه يقضى بصحة إسلام المكره ، وقد قال صاحب جامع الفصولين بعد نقله هذه العبارة ما نصه : « أقول : قدمت هذه لتصير ميزاناً فيما نقلته فى هذا الفصل من المسائل فإنه قد ذكر فى بعضها أنه كفر مع أنه لا يكفر على قياس هذه المقدمة » اهـ

وقالوا أيضاً : إن مناط الكفر والإكفار التكذيب أو الاستخفاف بالدين ، فقد نقل صاحب نور العين على جامع الفصولين عن ابن الهمام فى المسايرة أن مناط الإكفار هو التكذيب أو الاستخفاف بالدين . وقد قال فى جامع الفصولين ما نصه : « شد زناراً على وسطه ودخل دار الحرب للتجارة كفر . قيل فى لبس السواد وشد الفائرة على الوسط ولبس السراغج ينبغي ألا يكون كفراً ، استحسنه مشايخنا فى زماننا ، وكذا فى قلنسوة المغول إذ هذه الأشياء علامة ملكية لا تعلق لها بالدين » اهـ

إذا علمت هذا علمت أن مجرد لبس البرنيطة ليس كفراً لأنه لا يدل قطعاً على الاستخفاف بالدين الإسلامى ولا على التكذيب لشىء مما علم من الدين بالضرورة حتي يكون فى ذلك ردة . نعم إذا وجد من لابس القبعة شىء يدل دلالة قطعية على الاستخفاف بالدين أو على تكذيب شىء مما علم من الدين بالضرورة كان ذلك ردة فيكفر . وعلى ذلك يكفر كل من حبذ أو استحسن ما هو كفر إذا وجد منه ما يدل على ذلك دلالة قطعية ، وإذا لبسها قاصداً التشبه بغير المسلمين ولم يوجد منه ما يدل على الاستخفاف بالدين ولا على التكذيب لشىء مما علم من الدين بالضرورة كان آثماً فقط لما روى أبو داود فى سننه : حدثنا عثمان بن أبى شيبة . حدثنا أبو النضر — يعنى هاشم بن القاسم — حدثنا عبد الرحمن ابن ثابت . حدثنا حسان بن عطية عن أبى جنيب الجرشى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهذا إسناد جيد ، وبين ذلك فى كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام « فهو منهم » أنه كافر مثلهم إن تشبه بهم فيما هو كفر كأن عظم يوم عيدهم تبجيلاً لدينهم ، أو لبس زنادهم ، أو ما هو من شعارهم قاصداً بذلك التشبه بهم استخفافاً بالإسلام كما قيد به أبو السعود والحموى على الأشباه ، وإلا فهو مثلهم فى الإثم فقط لا فى الكفر كما فى الفتاوى المهدية . وإنما شرطنا فى الإثم قصد التشبه لأن فى الحديث ما يدل على ذلك إذ لفظ التشبه يدل على القصد ؛ ومن أجل ذلك قال صاحب البحر ما نصه : « ثم اعلم أن التشبه بأهل الكتاب لا يكره فى كل شىء ، فأنا نأكل ونشرب كما يفعلون ، إنما الحرام هو التشبه فيما كان مذموماً وفيما يقصد به التشبه . كذا ذكره قاضيخان فى شرح الجامع الصغير »

وكتب ابن عابدين فى حاشيته على البحر تعليقاً على هذا ما نصه : « أقول : قال فى الذخيرة البرهانية قبيل كتاب التحرى . قال هشام : رأيت على أبى يوسف نعلين مخصوفين بمسامير فقلت : أترى بهذا الحديد بأساً ؟ قال : لا . فقلت : إن سفيان وثور بن زيد رحمهما الله تعالى كرها ذلك لأن فيه تشبهاً بالرهبان : فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التى لها شعر

(١) الاستفتاء والفتوى مسجلات بمحفوظات دار الافتاء المصرية « رقم ٣٤٥ — ١٤ جادى الآخرة سنة ١٣٤٧ »

وأنها من لباس الرهبان . فقد أشار إلى أن صورة المشابهة فيما تعلق به صلاح العباد لا تضر، وقد تعلق بهذا النوع من الأحكام صلاح العباد، فإن الأرض مما لا يمكن قطع المسافة البعيدة فيها إلا بهذا النوع » اهـ

وعلى هذا فهؤلاء الناس الذين لبسوا القبعة آثمون إذا قصدوا من لبسها التشبه بالكفار . أما إذا لبسوها غير قاصدين التشبه بهم كأن كان لبسهم إياها لدفع برد أو حر أو غير ذلك من المصالح فلا إثم . وهذا كله إذا لم يوجد منهم ما يدل دلالة قطعية على استخفافهم بالدين أو تكذيبهم لشيء مما علم من الدين بالضرورة وإلا كانوا كفاراً مرتدين يحكم عليهم بأحكام المرتدين من عدم صحة أنكحتهم وعدم توريثهم من الغير إلى غير ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم »

* * *

أما بعد . فهذا مثال نذكره لينتفع به من يريد الانتفاع ، وليعلم الذين يعجلون بالحكم على آراء الناس أن الريث أولى بهم وأجدر أن يهديهم سبيل الرشاد ، فإن قوماً منا قد اقترنت بعض الفكر العلمية في أذهانهم بقداسة تجعلهم ينفرون ممن يعرض لها بوزن أو تمحيص ولو زيف أدلتها ، وبين ما فيها من خطأ ، فتراهم يجزعون لما يصيب هذه الفكر ويضطربون ، وتراهم يسفون أحياناً ويتزيدون ، وربما أضافوا إلى الباحثين ما لم يقولوا ، أو أولوا في كلامهم ما لم يقصدوا ؛ ذلك بأنهم لا يرجون علماً ، ولا يقصدون حقاً ، وإنما يريدون أن يثيروا كلاماً في مقابلة كلام ليقول العامة الذين لا يفقهون : لقد رد فلان على فلان ! وآية ذلك أن كلامهم لا يصبر على البحث، ولا يثبت أمام النقاش العلمي، فتراه يتخاذل ويتهالك ويذوب كما يذوب الثلج تحت حرارة الشمس ، ولو شئنا لضربنا في ذلك الأمثال ، ولكنا نضن بأنفسنا وبقرائنا أن نشتغل بأكثر من هذا المثال

محمد محمد المدني

المدرس بكلية الشريعة

التفـــاحة ...

للأستاذ راشـــد رستم

عادل — أحبك يا « سهام »

سهام — تحبنى ! !

— نعم أحبك ... وهل فى الأمر غرابة ؟ !

— لا ...

— نعم إنى أحبك لأنك تحبيننى

— ألهذا السبب أنت تحبنى ؟

— طبعاً لا ... ومع ذلك لماذا لا ؟ ...

***

سهام — ولكن كيف عرفت أننى أحبك ؟

عادل — هذا سر ...

— سر ... وهل بين المحبين سر ؟ !

— وأىُّ سر ... إن بين المحبين سر الأسرار ، بل ليس بين غير المحبين سر مثل سر المحبين

— سر الأسرار أم لا أسرار ! !

— إذا لم يكن بين المحبين سر ، فإنه يجب عليهما أن يخلقا لهما « سرا » سرا ...

— دعنى من فلسفة الأسرار ... أريد أن أعرف السر ! !

— أى سر ؟

— السر الذى تدعى الآن أنه سرك

— كيف ... ألا تعرفينه ؟

— إذا كنت أعرفه ما كنت سألتك عنه

— وما دمت لا تعرفينه فلا داعى لذكره

— بالعكس ... يكون الحال أدعى لمعرفته

— لا أظن ذلك ، فإنه شىء يدرك ولا يشرح

— ولكن أنت قلته الآن منذ قليل

— إذن أنت تعرفينه

— وهل فى هذا شك ... بل ومنك عرفته

— إذن لماذا تحاورينى هكذا ؟ !

— لكى أمتحنك

— تمتحنيننى! ولماذا تمتحنينى ؟ وفى أى شىء ؟ دعينا من هذا الكلام ... ليس هذا هو سبب المحاورة ... أفصحى ... أفصحى

— ماذا تعنى ؟

— أعنى أنه يهمك جداً أن تعرفى كيف ...

***

سهام — اسمع يا « عادل » ، أنت تحبنى ما فى هذا شك ، ولكن ، ألا تدرى أنه يسر المرء أن يعرف كيف ولماذا أحبه غيره ... ثم هل فى هذا عيب ؟ !

عادل — كلا ... ولكن عليه أن يبحث فيتعب فيعرف فيرتاح ... وليس عليه أن يجلس فيسأل فيجاب فيرتاح ...

— ألا تحب لى الراحة ؟

— ليس فى هذا شك ... ولكن ، أليس التعب فى سبيل الحب راحة ؟

— بالله لا تتعبنى واختصر الطريق

— اسمى يا « سهام » ، أنا لا أريد تعبك ولا الإطالة عليك، ولكن الذى أحب هو الذى يعرف كيف أحب

— لا ، أنت غلطان ، إن الذى أحبَّ لا يعرف كيف أحب ، ولكنه يعرف فقط أنه أحب

— إذن ، لماذا تتعبيننى ؟ !

— اتق الله ، من الذى يتعب الآخر ... ومع ذلك ، فإن التعب فى سبيل الحب راحة . أليس كذلك ؟ ثم إن الذى أريدك أن تفهمه هو أن المحبوب يفرح ويفرح جدا إذا عرف كيف ولماذا أحبه حبيبه

— ليس من السهل الإجابة على هذا السؤال

— ولكنك أحببتَ فجربتَ فعرفتَ

— وأنت يا سهام ، ألم تحبى قبل هذه المرة ؟

***

سهام — أولاً ، ما معنى هذه المرة ؟

عادل — أريد أن أقول ...

— لا تقل شيئاً ... سأُريحك ... نعم ، كنتُ ظننت أننى أحببتُ قبل هذه المرة ! !

— ولكن ... ؟

— ولكن لم أحب ...

— والآن ؟

— والآن ... والآن ... وقد أوقعتنى ... فماذا عساى أن أقول ! !

— أولاً ، لست أنا الذى أوقعك ، ثم لا تنسى أن من حفر بئراً لأخيه وقع فيه ! !

— وهل الحب يا عادل بئر ؟

— بئر ... وأى بئر ! ! إنه بحر ... بل هو محيط ... ! !

— أعوذ بالله ... إنه إذن مخيف ! !

— إذا كان مخيفاً ، فلما ذا أوقعت نفسك فيه ؟ !

— يا ظالماً ! حقاً إنك مغالط كبير ... هل أنا وقعت فيه ، أم أنك أنت الذى أوقعتنى فيه ؟ !

— أنا أوقعتك ... أم أنت التى وقعت ؟ !

— أتريد أن تقول إننى أنا التى أوقعت نفسى وأنك لم تقع معى ؟

— لا ... أنا لا أريد أن أقول هذا ... ثم كونى وقعت معك أو لم أقع — هذا شىء ، وإنك وقعتِ أو لم تقعى — هذا شىء آخر ... ومع ذلك ، هل وقعت أنا معك ؟

— هذا سؤال لا يوجه إلىّ ... أنتَ الذى تجيب عليه !

— أنا لم أر أحداً أوقع غيره

— كيف ... مع أنك وقعت مع الواقع ! !

— هذا اعتراف آخر

— وهل أنت فى حاجة إلى اعترافات ؟

— لا ... ولكنك أنتِ تحبين الاعتراف

— أنا ... ! !

— نعم ... بدليل أنك تصرحين بها ...

— إنك أنتَ الذى تجعلنى أُصرِّح

— الأمر على العكس ، أنا لم أطلب منك تصريحاً ، فإننى مقتنع بأنك تحبيننى ... كما أننى أحبك ... ! !

— هكذا ... هكذا ... ! !

* * *

عادل — وهل عندك شك فى هذا . . . ألم أذكره فى أول حديثى فى صراحة يعجب لها الكثيرون ...

سهام — يعجب لها الكثيرون ! ولماذا ؟

— لأن أغلب الرجال لا يميلون إلى الابتداء بالاعتراف ...

— وهل تظن أنك بدأت واعترفت ! ؟

— من غير شك . وقد قلت ذلك فى أول كلمة لى معك ...

— أتحسب هذا اعترافاً ؟

— كيف لا ؟ وإلا فما هى هـذه الصراحة النادرة فى مثل هذا الموقف بين رجل وسيدة ؟

— عجباً . . . ما هذا التجنى على المرأة ؟ وهل محرَّم على الرجل أن يبادر ويبوح بحبه ؟

— لا . ولكن بالله لا تخرجى عن الموضوع ...

— إننى أتكلم فى صميم الموضوع ... أليس الحب هو شريعة البشر جميعاً ... الرجل والمرأة على السواء ؟

— نعم

— إذن لماذا هذه التفرقة . . . ألا تعلم أن المرأة والرجل يكمل بعضهما بعضاً ؟

— هذا صحيح ، ولم ينكره أحد ، ولكن ما هى نسبة تكملة الواحد منهما للآخر ؟

— سؤال غريب ... إن الاثنين يتمان وحدة ؛ وأما نسبة الواحد إلى الآخر فى تكميل الوحدة فهى مسألة ثانوية ...

— هذا القول يذكرني بأسطورة التفاحة ...

— أسطورة التفاحة ؟ !

* * *

عادل — نعم . يولد ابن آدم فتقطع له تفاحة ، يعطى نصيبه منها ، والنصيب الآخر يعطى لمن ستكون شريكته فى الحياة ، وعند ما يتلاقيان ينطبق النصيبان ويلتصق الجنبان

سهام — ولكن هيهات أن يجد المرء الجزء الآخر من التفاحة نفسها بسهوله ...

— إذا كتب له أن يجدها فإنه واجدها ولو كانت هى القشرة ... ولو كانت كذلك فى الطرف الآخر من العالم ...

— ألهذا الحد تهزأ بالجزء الآخر من التفاحة ؟

— يعلم الله ما أنا بهازئ ، ولكنى أقرر الحقائق وأنا آسف

— إذن على هذا الأساس يجب أن يفسح للحب المجال ، فإنه هو عنصر التعارف والتقارب وهو عامل الانطباق والتوفيق

— هذا صحيح ، ولذلك لست أرى حرجاً على الرجل فى أن يبدأ فيبوح بحبه ، فقط يبوح لمن ؟

— لمن ؟ وهل فى هذا خلاف ؟ طبعاً يبوح به إلى من أحب

— إذن لماذا تنكرين على ما صرَّحتُ به لك فى أول الحديث ؟

— وهل تظن أن هذا اعتراف منك ؟

— ! ! ... وإلا فما هو ؟

— فى الواقع لا أرى فيه إلا أنه خطة منك لتأخذ منى أنا الاعتراف ...

— وهل تظنين يا سهام أنك اعترفت لى بشىء ؟

— أتريد منى بهذه الطريقة اعترافاً آخر ؟ ألم يكفك سرورك باعترافى السابق ، أو بتعبير أصح بوقعتى التى وقعت فيها ! ...

حنين مسلتين

NOSTALGIES D'OBÉLISQUES

للشاعر الفرنسي تيوفيل جوتييه

THÉOPHILE GOUTIER

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

بعد أن تغادر حدائق التويلرى المغروسة أمام متحف اللوفر ترى ميدان الكونكورد أجمل ميادين باريس . وفى وسط هذا الميدان الفسيح الحى تنهض إحدى المسلات المصرية ، وقد أقيم قريباً منها على الجانبين فواران . وإذا وقفت أمام هذه المسلة رأيت عن يمينك المعبد La madeleine وعن يسارك مجلس نواب فرنسا مطلاً على نهر السين ، وأمامك طريقا يصل إلى غابة بولونيا

منذ زهاء ثلاثة وثلاثين قرنا أنشأ هذه المسلة وأختها إمبراطور مصر رمسيس الثانى ، حيث أقامهما عند باب معبد الأقصر ، وقد ظلت المسلتان معاً واقفتين أمام هذا المعبد الضخم حتى القرن الماضى حينما أهدى محمد على الكبير إحداهما إلى ملك فرنسا لويس فيليب ، وهي القائمة الآن بميدان الكونكورد ، وأما المسلة الثانية فظلت حيث أنشئت وحيدة

أنشأ الشاعر الفرنسى تيوفيل جوتييه قصيدتين إحداهما على لسان المسلة الغريبة بباريس ، والأخرى على لسان المسلة المقيمة بالأقصر . وتيوفيل جوتييه من أدباء القرن التاسع عشر ، ولد فى أوائله وبدأ حياته رساماً ، ثم ترك ريشة المصور إلى قلم الأديب ؛ غير أنه ظل فى الأدب رساماً كذلك ؛ وهو يرى أن من حق الأدب أن ينافس الفنون الأخرى كالرسم والتصوير والحفر ، فيما تتناوله من الموضوعات ، وقد حقق فكرته فى ديوانه (Emaux et Camées) فموضوعاته تصوير لما تراه العين قبل أن تكون تصويراً للاحساس والشعور ؛ فتراه يصور لك مثلاً تمثالاً فى متحف ، أو آنية مزخرفة ، أو باريس تغطيها الثلوج ، إلى غير ذلك من صور . وهو الذى أذاع نظرية الفنّ للفنّ ؛ فأهم شىء عنده هو الجمال الفنى والأسلوب ، أما الفكرة والأخلاق ففى المرتبة الثانية . وهو ممن حلّ الشعر من قيود الشخصية ، وكان قدوة لغيره فى استخدام الأساليب الدقيقة المصورة . ولعلنا نوفق يوماً إلى دراسة مذهبه فى الفن ، ونقد هذا المذهب

ولم يقتصر تيوفيل جوتييه على قرض الشعر ؛ بل له قصص قصيرة ، وروايات مطولة ، منها رواية كتبها عن مصر ، تسمى قصة المومياء ، وصف فيها مصر القديمة ، حياتها ومجدها . وقصيدتا المسلتين بديوانه الذى تحدثت عنه ، وهأنذا أنقلهما إلى اللغة العربية ، محافظاً كل المحافظة على ما قصد إليه الشاعر من صور وأفكار

١ — مسلة باريس

فى هذا الميدان أتضجر ، أنا المسلة المبعدة عن أختها . الجمد والصقيع والرّذاذ والمطر ، بردت جنبى الذى علاه الصّدأ

وقِمّتى المدببة العتيقة التى كانت محمرة فى أتون سماء ذات لهب[1] ارتدت الشحوب من حنينها إلى الوطن فى جو لا يزرق أبداً

لِمَ لا أقف الآن قريبة من أختى ذات اللّون الوردىّ ، أمام التماثيل الضخمة العابسة ، وأعمدة بيبان الأقصر ، غامسة فى الزّرقة الدّائمة رأسى الهرمى القرمزى ، وكاتبة

(١) يقصد سماء مصر

— الواقع أنى مسرور جداً ...

— أمر عجب ! !

— حقاً ، إنى مسرور جداً ، لأنها حالة أنت ذاتك مسرورة منها ...

— عجباً ... ومن أدراك بأنى مسرورة و ... جداً ؟

— أنت ...

— أنا ... !

— نعم أنت ...

— سبحان الله ... وكيف ... ؟

— بنظراتك ...

— نظراتى ! !

— أظنك ستقولين إنها خطة أخرى ...

... ...

— ولكن هل تثق أنت بنظراتى ؟

— تفتك أنت بنظراتى

— ... ! !

— أنظرى فى عينىّ . ألا ترين عينيك فيهما ؟ !

— ... ! !

— إنها وحدة الوجود ...

— وهى لذة الوجود ...

راشد رستم

خُطى الشمس بظلٍّ فوق الرمال .

رمسيس ! كاد الخلود يوماً ما يتصدع حين تدحرج جسمى الجليل مقتلعاً كعود من عشب ، باريس تتخذه لعبته .

الديدبان[1] الصخرى حارس الآثار الضخمة ، يقف بين معبد[2] كاذب قديم ، وبين مجلس النواب .

فوق مقصلة[3] لويس السادس عشر ، أقيم صخر نسى مغزاه ، وفيه سرّى الذى نسى منذ خمسة آلاف عام .

العصافير الطليقة تدنس رأسى الذى كان يطير مسرعاً حوله اللقلق الوردى ، والصقر ذو الريش الأبيض ، والمناسر الذهبية .

نهر السين الأسود ، مأوى مياه الطرقات ، النهر القذر ، المكون من صغار الجداول ، دنّس قدمى التى كان يقبّلها عند فيضانه النيل أبو الأنهار .

النيل المملاق ، ذو اللحية البيضاء ، المحفوف بنبات اللوتس والخيزران، والذى يصب منبعُه المنحدر تماسيح بدل صغار الأسماك

المجلات الذهبية المطقمة بأصداف كالنجوم ، عجلات الفراعنة العظام الأقدمين ، كانت تمرّ بجانبى ، أنا المجروحة الكبرياء ، برؤية عربة الكراء ، مقلة آخر ملوك فرنسا[4]

قديماً أمام حجرى العتيق ، كان الكهنة الأبرار ، وقلانسهم على جباههم ، يتمشون فى المحراب المقدّس الخفىّ ذى الرّموز المصوّرة الذهبية .

أما اليوم فأنا عمود ليست له قداسة الدين ، أقيم بين فوارتين ، وتمر بى بنت الهوى صريعة فى مركبتها .

أرى طول العام مواكب الموسرين ، وأتباع صولون[5] ذاهبين إلى دار النيابة ، والفجرة منطلقين إلى غابة بولونيا .

أفّ ! فى مائة عام أىّها كل عظمية قبيحة ، سيصير إليها هذا الشعب الماجن المجنون الذى يرقد من غير لفائف ، فى ناووس يغلقه مسمار !

ليس له تحت الأرض مقابر فى مأمن من الفساد ، تلك المراقد التى ينام فيها الموتى جيلاً بعد جيل .

أيتها الأرض المقدسة ، أرض الهيروغليف ، وأرض الأسرار الكهنوتية ، حيث آباء الهول تشحذ مخالبها على زوايا قواعد التماثيل

وحيث النواويس ترن تحت الأقدام ، وحيث العقبان تبنى عشاشها . إننى أبكيك يا مصرى القديمة بدموع من جرانيت .

(١) تقصد نفسها (٢) معبد مادلين (٣) أقيمت المسلة فى المكان الذى كانت مقصلة لويس السادس عشر قد أقيمت فيه .
(٤) لويس فيليب (٥) يقصد النواب .

٢ – مسلة الأقصر

هأنذى أسهر حارساً وحيداً لهذا القصر الكبير المخرب فى وحدة أبدية وأمام اللانهاية ، تنشر الصحراء تحت الشمس المحرقة ملاءتها الصفراء إلى أفق لا يحده شيء ، أفق مجدب صامت لا نهاية له

وفوق الأرض العارية تبدو السماء — وهى صحراء أخرى زرقاء - نقية تامة النقاء لا تسبح فيها قطعة واحدة من السحاب

النيل ذو المياه الكدرة التى ينعكس الضوء فوق أديمها ، كأنما هو قشرة رصاصية — يلمع تحت أضواء عمودية شاحبة ، مكسر الصفحة بفرس النهر

والتماسيح الشرهة إلى الاقتناص ، تكاد تنضج فى جلودها فوق الرمال الملتهبة ، تغرب فى الضحك ، وتخالها ترسل الزفرات

واللّقلق : منقاره إلى حوصلته ، ساكن فوق قدمه النحيلة

يقرأ على قاعدة بعض الأعمدة الألقاب المقدسة للمعبود « توت »

والضبع يضحك ، وابن آوى يموء ، والصقر كأنه فاصلة سوداء فى صفحة السماء النقية ـ جائع يصرصر ، راسماً دوائر فى الهواء

ولكن ضوضاء هذا القفر يحجبها تثاؤب تماثيل أبى الهول متعبة من احتفاظها السرمدى بالسكون

فجر خلقته الأشعة البيضاء ، تنعكس فوق الرمال ، والشمس المتلألئة على الدوام ، وأى فجر يشبه ما يبعثه نور الشرق الحزين !

هنا الهواء لا يجفّف يوماً دمعة فى عين السماء الجامدة ، والزمن متعباً يتكىء على هذه القصور الصامتة

ليس عندى ما يغيّر وجه السرمدية ، فصر فى هذا العالم الذى يتغير فيه كل شىء ، تتربّع فوق عرش الثبوت

عندما يساورنى الضجر ، أتخذ الفلاحين والموميات التى عاصرت رمسيس رفقاء وأصدقاء

هأنذى أرى عموداً مائلاً ، وتمثالاً ضخماً بلا وجه ، وزوارق ذات قلاع بيضاء صاعدة هابطة فى النيل

كم أتمنى أن لو كنت كأختى ، قد نقلت إلى باريس العظيمة وغرست هناك فى ميدان ، قريبة منها لأتسلى !

إنها ترى هناك شعباً حيًّا واقفاً يتأمل نقوشها وخطوطها المقدسة التى يسبح الفكر لدى قراءتها فى عالم الأحلام ...

الفوّارتان القامتان بجانبها تقذفان رذاذهما الملوّن بألوان قوس قزح على غبار صخرها القرمزى الذى عاد إليه الشباب ...

لقد نحتت مثلى من الصخور الوردية بأسوان ، غير أننى بقيت فى مكانى القديم . إنها حية ... أما أنا ... فقد مِت !!

(حلوان) أحمد أحمد بدوى

غزل المـــلوك

والقصيدة المنسوبة الى السلطان سليم

للأستاذ عبد الله مخلص

أرانى مديناً بالشكر للأديب الموهوب الأستاذ حسن القاياتى عضو مجلس النواب لاهتمامه وعنايته بالصفحة التى ملأتها من غزل الملوك بالرسالة الغراء . وكنت أتمنى لو أن أعمالى الطويلة العريضة تمكننى من النزول على رأى الأستاذ الكبير والغوص فى بحار الغزليين من الملوك والأمراء والتقاط دراريهم اللامعة ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله

وأشكر للأستاذين الفاضلين إبراهيم أحمد أدهم ومحمود عزت عرفة ملاحظاتهما القيمة على القصيدة المنسوبة إلى السلطان الدالة على رغبتهما فى استكناه الحقائق وخدمة الآداب فأقول :

إن السلطان سليما الأول الملقب بـ « ياوز » هو ابن السلطان بايزيد الثانى وحفيد السلطان محمد الفاتح ، وهو تاسع السلاطين العثمانيين وفاتح مصر والشام وبلاد العرب فى آسية وأفريقية ، وهو الذى نقل الخلافة الإسلامية من بقايا العباسيين فى مصر إلى السلطنة العثمانية فجمعت بينهما من أيامه . وقد توفى هذا السلطان المعظم سنة ٩٢٦ الهجرية الموافقة لسنة ١٥١٩ الميلادية

ويقول من ترجم له من المؤرخين إنه كان يقرض الشعر فى اللغتين الفارسية والتركية ويأتون على ذلك بشواهد من شعره

إلا أن أحمد بن يوسف بن أحمد الشهير بالقرمانى المتوفى سنة ١٠١٩ هـ ١٦١٠ م يقول عن السلطان إنه كان يجيد اللغة العربية أيضاً وينظم نظماً بارعاً حسناً[1]

ومن هؤلاء المترجمين نامق كمال المعدود من أعاظم الأدباء والمجددين فى الأدب التركى فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ ١٨٨٧ م

فقد قال عن السلطان سليم فى صدد إيثاره المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وتفضيله اختيار الضرر الخاص فى سبيل النفع العام ما تعريبه[2] :

(١) أخبار الدول وآثار الأول صفحة ٣١٦

(٢) أوراق پريشان ترجمة السلطان سليم ص ٣٧٠

« إن السلطان ضحى بنديمه يوسف الذى كان أعز عليه من نفسه ، والذى أعلن حبه له وافتتانه به بالأشعار الرائقة التى نظمها فيه ومنها :

لو لا الإله وحرّ نار جهنم لعبدته وسجدت بين يديه

ضحى به فى سبيل مقاصده بعد ما أحبه حباً يقرب من العبادة ، وأظهر من بعده الصبر الجميل

فهذا البيت المفرد من القصيدة هو الدائر على الألسنة إلى الآن ، وهو الذى حملنى على نسبة القصيدة بتمامها إلى السلطان سليم

أما المخطوط الذى نقلتها منه فهو ينسبها إلى السلطان أحمد ، ومن واجب الأمانة أن أنقل هنا عنوانها وهو : « ومما نظمه المرحوم المغفور السلطان بن السلطان السلطان أحمد خان »

أما السلطان أحمد الأول بن السلطان محمد الثالث فقد كان من السلاطين الذين دافعوا عن البلاد وذادوا عن حياضها ، وقد كان ينظم الشعر فى اللغتين العربية والفارسية وقد توفى سنة ١٠٢٦ هـ — ١٦١٧ م

وإذا اعتبرنا أن المخطوط الذى نقلنا منه القصيدة قد ألف فى سنة ١٠٤٢ هـ أى بعد وفاة السلطان « أحمد » بستة عشر عاماً فيكون مؤلفه أقرب إلى الزمن الذى عاش فيه صاحب القصيدة ؛ ويجب علينا أن نقرّه على نقله وأن نقول : إن هذه القصيدة هى للسلطان أحمد لا للسلطان سليم ما دمنا لا نجد مستنداً لمدعانا سوى البيت الذى استشهد به نامق كمال . وهذه هي القصيدة التى نسبها محمد المحبّى المتوفى سنة ١١١١ هـ ١٦٩٩ م إلى السلطان أحمد[1] :

جرح الفؤاد بصارمَىْ لحظيه	ظبي يصول ولا اتصال إليه
إلا تهتكت الستور عليه	ما قام معتدلاً وهزّ قوامه
ويخصّنا بالغنج من جفنيه	يسقي الندامة من سلافة ريقه
ريحاننا والورد من خديه	عيناه نرجسنا وآس عذاره
إني أغار من النسيم عليه	يا شعر في بصرى ولا فى خده
ويجور سلطان الغرام عليه	عجبي لسلطان يعزّ بعدله
لعبدته وسجدت بين يديه	لولا أخاف الله ثم جحيمه

وأنت ترى أن هذه القصيدة تتألف من سبعة أبيات بينا القصيدة التى نقلناها من المخطوط ونشرت فى العدد ٤٦٢ من الرسالة الغراء هى أحد عشر بيتاً مخمّساً .

أما قصيدة طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح من وزراء

(١) خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر جزء ١ صفحة ٢٨٤

الدولة الفاطمية بمصر المتوفى سنة ٥٥٦هـ ١١٦٠م فهى[1] :

ومهفهف ثمل القوام سَرَت إلى   أعطافه النشوات من عينيه
ماضى اللحاظ كأنما سلت يدى   سيفى غداة الروع من جفنيه
قد قلت إذ خطّ العذار بمسكه   فى خدّه إلفيه لا لاميه
ما الشعر دبّ بعارضيه وإنما   أصداغه[2] نفضت على خديه
الناس طوع يدى وأمرى نافذ   فيهم وقلبي الآن طوع يديه
فاعجب لسلطان يعمّ بعدله   ويجور سلطان الغرام عليه
والله لولا اسم الفرار وإنه   مستقبح لفررتُ منه إليه

وسواء أكانت القصيدة للسلطان سليم كما ظن قبلاً أو للسلطان أحمد كما ترجح معنا الآن، فإن معانيها مقتبسة من قصيدة الملك الصالح، بل إن الرابع والخامس والسادس من أبيات هذه القصيدة قد نقلت بالحرف تقريباً ، فلا وجه لاعتبار ذلك من قبيل توارد الخاطر ووقع الحافر على الحافر .

وبإضافة تلك الأبيات الثلاثة مع البيت القائل :

يا طيب ليلتنا ونحن بمجلس   نهض الحبيب لنا على قدميه

إلى القصيدة الأصلية أصبحت أحد عشر بيتاً .

بقى علينا معرفة الذى خمس القصيدة وزاد فيها تلك الأبيات . وجواب هذا السؤال وارد فى المخطوط من أنها للسلطان أحمد فيكون هو نفسه قد خمّسها بعد ما زاد عليها تلك الأبيات وبينها أبيات الملك الصالح الثلاثة

أما القول بأن السلطان سليماً لم يؤثر عنه نظم الشعر بالعربية ففيه نظر ؛ لأن المؤرخين يذكرون أنه عند ما عاج بحماة الشام فى طريقه إلى مصر وحل ضيفاً مكرماً فى الزاوية القادرية ارتجل بيتين من الشعر فى مدح بني الكيلاني من أحفاد عبد القادر وكتبهما فى جدارها . ثم إنه عند ما سمع خرير مياه نهر العاصى وصرير أخشاب النواعير التى تنتشل ماء النهر كأنها تئن نظم بيتين آخرين البيت الثانى منهما هو :

وإنى على نفسى لأجـــدر بالبكا   إذا كانت الأخشاب تبكى على العاصى

أما البيتان اللذان خطهما بيده على مقياس الروضة ، فهما ليسا له ، بل هما من قصيدة لأبى العلاء المعرى هى[1] :

الموت ربع فناء لم يضع قدما   فيه امرؤ فثناها نحو ما تركا
(والملك لله من يظفر بنيل غنى   يردده قسراً وتضمن نفسه الدركا)
(لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة   فوق التراب لكان الأمر مشتركا)
ولو صفا العقل ألقى الثقل حامله   عنه ولم تر فى الهيجاء معتركا
إن الأديم الذى ألقاه صاحبه   يُرضى القبيلة فى تقسيمه شُركا
دع القطاة فإن تقدر لفيك تَبِت   إليه تسرى ولم تنصب لها شَركا
وللمنايا سعى الساعون مذ خلقوا   فلا تبالى أنصّ الركب أم أركا؟
والحتف أيسر والأرواح ناظرة   طلاقها من حليلٍ طالما فُركا
والشخص مثل نجيب رام عنبرة   من المنون فلمّا سافها بركا

فى حين أن قطب الدين الحنفى المتوفى سنة ٩٩٠هـ – ١٥٨٢م يقول[2] :

ورأيت بيتين بالعربى بخطه (أى خط السلطان سليم) الشريف كتبهما فى علو المقياس فى الكوشك الذى أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة قد انمحى لطول الزمان مداده ،

اكذبيـــنى

للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

اكذبينى مرة أو فاكذبينى مرتين
ألفُ ألفٍ من أعاجيبك فى غش ومين ،
لن تُبيد الفارق الخالد يا قرة عينى
والسموات التى بينك فى اللب وبينى

***

اكذبينى واكذبيني   كلما شئت اكذبينى
ما غناء اللب عنـــدى   إنْ أَبَى أنْ تخدعينى ؟
أنا فى ثروةٍ وفرٍ   منـــه مهما تسلبينى
أنقصيها ... أى ضـير ؟   درهماً أو درهمين !!

عباس محمود العقاد

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٩٩ .
(٢) فى الهامش المحفوظ أهدابه

(١) لزوم ما لا يلزم جـ ٢ ص ١٥٦
(٢) الاعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ١٢٣

ومال إلى لون البياض سواده ، وكان هذا الكوشك محترماً مقفلاً لا يصل إليه أحد لعظمة بانيه ، ولا يتبذل بالدخول إليه لعظمة راعيه ، فدخلت إلى مصر فى سنة ٩٤٣ ، وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكوشك لبكلر بكي مصر يومئذ خسرو باشا وكنت مصاحباً لمعلم مولانا عبد الكريم العجمي ، فطلع وأطلعني معه فى صحبة خسرو باشا المذكور ، فرأيت على الرخام الأبيض كتابة خفية لا تكاد تظهر إلا بتأمل هذين البيتين :

الملك لله من يظفر بنيل منى ... يردده قسراً ويضمن بعده الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة ... فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وكتبه سليم بذلك الخط والقلم . ولعمرى إن كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية فى البراعة ، ونهاية فى التمكن من الصناعة ، فيدل على تمكنه — رحمه الله — فى اللسان العربى أيضاً ، لأنهما من أعلى طبقات الشعر العربى البليغ المنسجم ؛ وإن كان قد تمثل بهما وهما لغيره ، فهذه أيضاً مرتبة علية فى حسن التمثيل وحسن الاستحضار وفهم الأشعار العربية وذوقه لها ، وهذا القدر يستكثر على علماء الروم (أى العثمانيين) ، وعلماء العجم المكبين على علوم العربية فضلاً عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك وفتحها ؛ والفائقون فى ذوق الشعر العربى وحسن آدابه من العلماء والموالى فى غاية القلة معدودين منهم ، ولا يُعدّ هذا نقصاً فيهم ، لأن فهم الشعر العربى على وجهه كما ينبغى قليل أيضاً فى علماء العرب ، إلا من توغل منهم فى الأدب ، وتعب فى تحصيله ودأب

ويقول القرمانى(١) :

ولما كان (أى السلطان) بمصر كتب على رخام فى حائط القصر الذى سكن فيه بخطه فقال : ونقل البيتين السابقين وقال محمد عبد المعطي بن أبى الفتح بن احمد بن عبد الغنى بن على الإسحاقي المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ ١٦٢٢ م ما قاله قطب الدين الحنفى وكأنه نقله عنه(٢) .

أما نامق كمال المتقدم ذكره فيقول عن هذين البيتين ما تعريبه(٣) :

لما ولى السلطان سليم الملك أنشد القطعة الشعرية التالية وهى من بنات أفكاره ، وسجد أمام العظمة الإلهية معلناً عجزه ومسكنته فقال :

الملك لله من يظفر بنيل منى ... يرد قهراً ويهوى نفسه الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة ... فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وقد نقلنا البيتين المذكورين لوجود بعض المباينة فى البيت الأول بين قول أبى العلاء المعرى وبين ما نقله قطب الدين الحنفى والقرمانى ونامق كمال .

هذا ما استطعت الإلمام به من أمر القصيدة المنسوبة إلى السلطان سليم بسطته للقارئ الكريم ، وفوق كل ذى علم عليم

عبد الله مخلص

(١) أخبار الدول وآثار الأول ص ٣١٦
(٢) أخبار الدول فيمن تصرف من أرباب الدول ص ١٤٦
(٣) أوراق بريشان ترجمة السلطان سليم ص ٣٧٥

اجتماعيات

الحسن المبتذل ...

للأستاذ حسن القاياتي

لقد أبدعَ الحُسنُ حتى مَلكْ ... وَرَقّ لهُ الطهرُ حتى هلكْ !!
تَسامى إلى الغيدِ كلُّ العيون ... كأنّ الجمالَ بدا من فلكْ
مَضى الجهلُ يغرِي غويَّ الجمال ... كضيفِ الجراثيمِ عندَ الحلكْ (1)
بناتُ الهوى ما بناتُ الهوى ... حُليٌّ يُباعُ ولا يُمتلكْ !!
بِمَنْ أنزلَ السحرَ سحرَ الجفونِ ... بعينيكَ يا بدرُ مَنْ أنزلكْ ؟!
تُبيحُ الغريرةُ بذلَ الضنين ... فتحنو عليك بما ليس لكْ
سَلِ الغصنَ مالتْ بهِ المُصْبِيات ... ألَمْ تأسَ للزَّيغِ إذْ ميَّلكْ ؟!
فَدَيتُكَ يا غصنُ أنّي هَويت ... وباللهِ يا زهرُ مَنْ أذبلكْ ؟!
إذا قمتَ يا وردُ في العابثين ... تلهّى ببذلك مَنْ قبّلكْ ...
إذا فُجعت حُرّةٌ في العفاف ... فقيلَ: البغيُّ لطهرِ المَلَكْ !
هُوَ الحُسنُ يُلثمُ لثمَ الكئوس ... ويؤكل بالعذل أو يُمتلكْ (2)

أعصرُ الهوى مَثّلتكَ الفتاةُ ... فمالكَ تُزري بمن مثّلكْ ؟!
إذا كنتَ يا نبتُ صُنعَ الزمانِ ... تبنّاكَ للغيِّ أوْ عدّلكْ
يَذُمُّ الغويُّ سبايا الغواة ، ... نبيُّ الطهارةِ مَنْ أرسلكْ ؟!
أتبكي على الحُسنِ إذ يستبيك ... وتُنحي على الحُسنِ إذ نوّلكْ ؟!
بوُدّكَ أنّ الهوى كالهواء ... ترفُّ بهِ الرُّوحُ أنّى سلكْ !
أُبيحَ الهوى فاستباحَ القلوبَ ... تباركتَ يا حُسنُ ما أعدلكْ ؟!

جمالَ الأبيّاتِ كم تستطيلُ ... تحنّنْ رعاكَ الذي عدّلكْ !
بنفسيَ ما أجملَ التائهات ... وإن قلتُ: يا وَصلُ ما أجملكْ !
شكاةُ الخرائدِ أسْرُ الحجال ... فِداؤكَ يا حُسنُ مَنْ عطّلكْ !
إذا مُلِّكَ الحُسنُ هدَّ الفؤادَ ... مَلالاً ويا طيبه إنْ مَلَكْ !!

القاهرة: السكرية — حسن القاياتي

(1) الحلك: الظلمة؛ إشارة إلى حياة الجراثيم والميكروبات في الظلام

(2) يمتلك: يمضغ؛ والملك: كل ما يمضغ كاللبان

العودة إلى مسقط الرأس

«للامرتين»

للأستاذ علي شرف الدين

نعم عدتُ يا داريَ الغاليهْ ... ومهدَ طفولتيَ الخاليهْ
أعيشُ بظلّكِ ما قد حييتُ ... لأقضيَ أياميَ الباقيهْ
بعيداً عن المدن الصاخبات ... فثروتُها خُدعةٌ فانيهْ
نشأتُ من المهدِ بين الرُّعاةِ ... أحِنُّ إلى الغنمِ الثاغيهْ
وأتبع في السهلِ ضِلَّ الخراف ... على هَدْيِ آثارها الباديه
أتابِعُها خُطوةً خُطوةً ... إلى النجم في القبة الحاليه
ولي مِثلهُمْ في رَواحِ القطيع ... أغانيُّ هاتفةٌ شاديه
وأغسِلُ من بيضِ أصوافِها ... على ضِفّةِ البركةِ الجاريه
وأصبو إلى هزَجاتِ المساءِ ... تُبدِّدُها ريحُهُ السّاريهْ
وأصغي إلى عرباتِ الحقول ... فأسمعُ نحبتَها النّائيه
قسا حِملُها فوق أعطافِها ... فناحَتْ بأحمالها القاسيه
أُحِبُّ الرّنينَ الأصمَّ الجليلَ ... لِأجراسِ حُملانها الراعيه
تُصلصلُ هُناكَ بأعناقِها ... من الغاب، أو ذِروةِ الرابيه
فيا وطني، لا عدَتْني بكم ... ظِلالٌ مقدّسةٌ واقيه

وصفصافة كُلِّلَتْ بالنّدى ... تشهد أغصانُها باكيه
بكتْ تُربُها حين طالَ الغيابُ ... فجادَتْ بأدمُعِها شاكيه
فيا سَرحتي هوِّني من شجاكِ ... وأحني مِنَ الغُصُنِ العاليه
على غائبٍ كنتِ تبكينهُ ... فعادَ لأوطانه ثانيه !!

علي شرف الدين

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٨ إبريل سنة ١٩٤٢ في القضية رقم ٧٤٧ سنة ١٩٤٢ ضد عبد النعم على الفول بقال بدمنهور بالحبس عشرة أيام مع الشغل وغلق محله ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه أرزاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٢ في القضية رقم ٤٧٧ سنة ١٩٤٢ ضد درديري عباس صاحب مخبز بدمنهور بتغريمه ٢٠٠ مائتي قرش والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع خبزاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة



عدد الرسالة الخاص بالعراق

تُحسن « الرسالة » غاية الإحسان بما تهيأ له من إصدار أعداد خاصة عن الأقطار العربية الشقيقة ؛ فتلك لعمرى أجل خدمة تؤديها هيئة أو فرد ، لنصرة هذه اللغة الشريفة ، وإذكاء روح الوحدة والتعاون بين شعوبها التى ناء بها الضعف ، وأذهب ريحَها التفرقُ والخذلان .

و « الرسالة » أقدر « هيئة ثقافية » على الاضطلاع بهذا العمل الذى تعرضت له ؛ بل لا نغالى فى الزعم بأنها تبلغ من هذا أضعافَ ما قد تبلغه « هيئة سياسية » تقيِّدها الرسميات ، وتحوط عملها العراقيل الظاهرة والخفية ... وشتان ما بين القوتين : قوة الأدب فى صراحته ونفوذه وسلامة مقصده ، وقوة السياسة فى التوائها وتنكرها وتستر أغراضها ومراميها ...

على أننا نحب — وعدد العراق بسبيل الإعداد — أن نوجه أنظار أدبائنا الأفاضل ممن سيتاح لهم الاشتراك فى تهيئة هذا العدد إلى وجوب الإطناب فى تاريخ العراق الحديث حتى يتهيأ لكل عربى طُلَعَةٍ أن يعرف عن حياة العراق الاجتماعية والسياسية والأدبية والاقتصادية والعمرانية ... ما فيه الغَناء . نحب أن نعرف عن بغداد فيصل وغازى مثل ما نعرف عن بغداد أبى جعفر وهرون ، إن لم يكن أكثر ... ولتكن محاسن نهضة العراق الحديثة موضعَ كلام كثير ؛ ولكن لتذكروا لنا أيضاً بعض المساوئ التى قد تأخذها العين ؛ ففى ذلك نفع للعراق وخدمة للعرب جميعاً .

ولا نحب بذلك أن نترك الماضىَ إلى هذا الحاضر الحافل المتشعب ، فماضى العراق وتاريخ دُوَله مما تلذّ لنا قراءته فى كل وقت ؛ لأنه تاريخنا جميعاً : تاريخ حضارتنا وديننا ولغتنا وقوميتنا ؛ وصورةٌ من مجدنا الذى نصبو إليه مخلصين ، ونهفو إلى استعادة ذكرياته والتأسى بعِبَره ، حتى تأذن لنا الأيام بأن نستعيد مفقوده ونحيى موءوده .

... فلنقرأ من خير هذا الماضى وشره ما يعيننا على إدراك حقائق الحاضر حتى نعرف فيه طريقنا ونتميز موقفنا ...

وأخيراً نسأل أدباءنا ، ولتكن أجوبتهم على ذلك فى العدد الخاص : أين من يعقد لنا مقارنة بين بغداد القديمة والحديثة (مع خريطتين لهما) ؟

أين من يحدثنا عن آثار العراق الباقية إلى اليوم ، والتى قد تُتاح مشاهدتُها لمن يزوره ؟

أين من يذكر لنا مشاهده المأثورة وقبوره المشهورة ؟

أين من يذكر لنا لهجاته القديمة والحديثة ؟

أين من يصف لنا أزياءه وما مرت به من أطوار وتغيرات ؟

أين من يحدثنا عن خصائص شعبه فى غير تمويه ، وعن أنظمة حكومته فى غير تعقيد ، وعن جميع مواهبه ومقوماته فى غير تحيُّف ولا مغالاة ؟

أين من يطوى بنا المكان والزمان إلى حاضر العراق وغابره فنراهما ونعيش فيهما ، ونتحدث عنهما حديث الواثقين العارفين ؟

أين من يفعل ذلك كله ؟

أين ؟ أين ؟ ... كما يقول الدكتور الجليل زكى مبارك ، الذى نقترح عليه أن يحدثنا عن كل شىء فى العراق سوى « ليلى المريضة » ... فقد آن لها — وحق أدبه الرفيع — أن تشفى !

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

رجوع إلى ديكارت وابن يعيش

قرأت فى العدد ٤٦٥ من الرسالة كلمة قيمة للأستاذ (محمد خليفة التونسى) استهلها بالرد علىّ فيما قلته فى العدد ٤٦٣ من أن ابن يعيش سبق ديكارت إلى الشعور بالفكرة التى بنى عليها أبو الفلسفة الحديثة منهجه الموصِّل إلى اليقين بعد الشك ، ومن أن ديكارت عمل ما لم يعمله ابن يعيش فصاغ هذه الفكرة فى منهج فلسفى فكان هذا الفرق بينهما .

استهل الأستاذ كلمته بالرد علىّ فيما قلته ؛ فقال إن ابن يعيش لم يكشف مذهباً فلسفياً ، لأنه كان يناقش تركيباً عربياً من حيث معناه ، ولأنه لم يجُلْ بفكره أن يقف عند هذه القضية قليلاً ولا كثيراً ، فليس الفرق أن ديكارت صاغ وابن يعيش لم يصغ .

وأنا أشكر للأستاذ عنايته بتمحيص ما قلت ؛ ولكنني أرى أنه فهم كلامي على غير الوجه الذي قصدتُ ، ومال به إلى غير الطريق الذي نهجت ، فظن أنني أريد أن أقول إن ابن يعيش كشف مذهباً فلسفياً .

فى الحق أنني ما أردت أن أقول ذلك ، وما خطر لى ذلك ببال ، فإن يعيش رجل نحوى قبل كل شيء ، وهو فى قوله لم يحاول مطلقاً أن يثبت وجود نفسه لأنه ما شك مطلقاً في وجود نفسه ، وإنما كان — كما يقول الأستاذ — يناقش تركيباً عربياً من حيث معناه .

إنما أردت أن أقول إن الفكرة التى بنى عليها ديكارت مذهبه وهى أن فى تفكير المرء برهاناً على وجوده قد شعر بها ابن يعيش مجرد شعور فقال فى عرض كلام له عن تركيب عربى إن فى علم المرء برهاناً على وجوده .

ففكرة ديكارت قريبة الشبه من فكرة ابن يعيش وإن لم تكن هى ذاتها . وذكره لها فى عرض كلامه النحوى معناه أنه لم يصغ هذه الفكرة فى منهج فلسفى . وما كان غرضى مما قلت أن أهزّ مؤرخى الفلسفة هزاً عنيفاً لينتبهوا إلى أن ابن يعيش سبق ديكارت فى منهجه الذى انتقل به من الشك إلى اليقين ، وإنما قصدت إلى أن أعرض مثالاً طريفاً لتوارد الخواطر بين الشرق والغرب .

فهذا تفصيل ما أجملت ، لعله يوضح ما انبهم ويفسر ما استتر

***

على أننى لا أود أن أترك القلم قبل أن أنبه الأستاذ إلى أن ابن يعيش — كنيره من النحويين المتأخرين — كان يعيش فى بيئة فلسفية كلامية ، فتأثر — كما تأثر هؤلاء — بهذه البيئة فى منهج تفكيره وفى عرض تفكيره ، وهذا يتضح لمن يقرأ فى شرحه على المفصل .

وقصدى من هذا الكلام أن أنص على أننى وإن لم أحمل كلامه السابق على أنه كلام فلسفى إلا أننى أشم فيه رائحة فلسفية وألمح فيه مخايل التفلسف .

فهذا ما جوز لى قرن ديكارت بابن يعيش .

وللأستاذ منى تحية صادقة . **السيد يعقوب بكر**

إلى من يهمهم الأمر فى وزارة المعارف

لفت نظرى أثناء مطالعاتى ما جاء بالجزء الرابع من كتاب «A primary course in English.» المقرر تدريسه لطلبة السنة الرابعة بالمدارس الابتدائية تأليف E. T. Dleave, M. A. و S. Walwyn, B. A. المطبوع في مصر فى ٤ أغسطس سنة ١٩٣٦ بالصفحة رقم ١٢١ أثناء كلامهما عن (الأسكندرية) قولهما : إن عمراً (بن العاص) عند ما وصل إلى الأسكندرية على رأس جيشه الذى سلمه قيادته الخليفة عمر بن الخطاب فى سنة ٦٤١ عمد إلى تخريب كثير من مبانيها كما أحرق مكتبتها فى ثلاثة وثمانين ومائة يوم . وهو ما يأتى بنصه :

"But in the year 641 the Caliph Omar sent an army to Alexandria. The Leader, whose name was Amr, destroyed many of the buildings and burnt the library. It took 183 days to burn all the books."

واتهام عمرو بإحراق مكتبة الأسكندرية لم يكن سوى فرية قررها بعض المؤرخين لم تعدم من النصفين من يفندها ويظهر زيفها . وإنه ليصعب على المرء أن يصدق هذه الفرية التى افتراها بعضهم على عمرو والعرب مع ما اشتهر عنهم من حبهم للعلوم وترجمتهم لآداب وفنون كثير من الدول الأجنبية عنهم والمخالفة لهم فى اللغة والدين والجنس

وما دامت هذه الفرية لا تزال تتأرجح بين الإثبات والنفى والتقرير والتكذيب ، فقد كان من الواجب حذفها من الكتاب خشية رسوخها فى أذهان صغار الطلبة الذين يأخذون مثل هذا الكلام المرسل على عواهنه قضية مسلمة ويحسبونه من الحقائق الثابتة وهو محض اختلاق ؟

هل تراجع مثل هذه الكتب فى وزارة المعارف مراجعة دقيقة ، أم أن المسئولين فى وزارة المعارف لا يرون فى مثل هذه الكتب ما يستحق عناء المراجعة والاهتمام ؟

(الأسكندرية) **أحمد عبد اللطيف الحضراوى**

الأدب بين الشيوخ والشباب

أذكرتني تلك الكلمات الرصينة التي تدبجها براعة الأستاذ الزيات في صدر رسالته ، كما أذكرتني كذلك ثورة الكاتب الكبير العقاد على الشاب الأديب الذي كتب إليه يقول له : « إنكم لا ترشدوننا ، ولا تأخذون بأيدينا » . . . بذلك العنوان

والخصومة بين الشيوخ والشباب ، أو الشبان والشيوخ ، خصومة قديمة يرجع تاريخها إلى عهد بعيد

وكان الظن إذا ثارت خصومة أدبية بين « الشبان والشيوخ » أن تكون على شاكلة تلك الخصومة التي كانت بين « الهمذاني والخوارزمي » والتي انكشف القناع فيها عن أن « الهمذاني » هذا شاب جدير بإكبار الشبان واحترام الشيوخ ، إلا أن شبابنا — كما يقول « شوقي » — قنع لا خير فيهم ...

وأحب أن ألفت الذهن إلى أن الشيوخ كذلك قضت عليهم الزمانه ، وقتلهم حب الظهور ، فاكتفوا من الأدب بطنين اللقب وناموا إلى ذلك . ولا يعنيهم — حين يكتبون — أصابوا أم خابوا ، ما دام لهم شهرة ، ولقلمهم رواج

ابراهيم علي أبو الخشب

إلى الأب أنستاس الكرملي

بمناسبة ما سجله العلامة الفاضل الأب أنستاس الكرملي بمجلة (الرسالة) العدد (٤٦٤) عن كلمة « المطمورة » العربية الخالصة يجدر بنا أن نقول : إن استعمال هذه الكلمة لم يختص به أهل العراق فحسب ، وإنما ينطق بها أهل السودان أيضاً

وأهل السودان لا يعنون بها « ما يتخذ لحفظ الطعام إن كان على وجه الأرض أو كان على خارجها » ، كما يفعل أهل العراق ، وإنما يقصدون بها إلى المعنى الذي نصت عليه قواميس اللغة وهو : « المطمورة : حفرة يطمر فيها الطعام : أي يخبأ (ج) مطامير .»

أما ما يتخذ لحفظ الطعام خارج الأرض ، أو ما يكاد يعبر عنه قول الأب الفاضل : « أما إذا كان فوق الصعيد ، فإن أصحابه يجعلونه جرة عظيمة ، ثم يسنمونها على هيئة مخروط ثم يسيفونها ويصمدونها حتى إذا نزلت بها نوائب الجو من مطر وبرد وثلج ورياح قاومتها أحسن مقاومة ، ودفعت أضرارها إلى أحسن الوجوه » ؛ فإن أهالي السودان يعبرون عنه بكلمة « السِّوَيبه »

وعلى ذكر هذه الكلمة « السويبه » ، نتقدم بها إلى الأب الفاضل راجين منه أن يتفضل ويرشدنا : هل لهذه الكلمة أصل في اللغة العربية بما يفيد هذا المعنى الذي يقصد إليه بها أهل السودان ، أو ما يقرب منه ؟

« الأبيض — سودان » عبد الرحمن أحمد سعد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10 me Année No. 468

Lundi - 22 - 6 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٦٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٢ يونية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

مثل المصرية الحديثة

— ١ —

لا تزال السيدة و ... على العهد بها طاهرة القلب حاضرة اللب ساحرة الحديث حرة الفكر ، لا تختلف وهى عقيلة تدبر البيت وتدبر المزرعة ، عنها حين كانت معلمة تسوس الفصل وترأس المدرسة ، ولا يزال بهوها الجميل يستقبل فى مساء الخميس من كل أسبوع نفراً من خليط الخاصة فيهم الأديب والطبيب والمحامى والجندى والفلاح والواعظ ، وكلهم إما قريب أو صديق أو صهر

والسيدة و ... مثل صادق للمصرية الحديثة حين تراها فى ثوبها الأنيق ، المحكم على قدها الرشيق ، تتخذ من البهو مكان القلب ، فترسل الدم بالحياة والنشاط والرغبة والبهجة إلى كل عضو من أعضاء المجلس

جمال السيدة فاتن ؛ ولكن جلال الحشمة فيه يكف عنه النظر الشهوان فيقف على حدّ الإعجاب به

وأدب السيدة رائع ؛ ولكن روعته آتية من قوة الذكاء لا من سعة الاطلاع ؛ فهى ترى الرأى فى بعض معانى الأدب فتحسبه من نتاج الذهن فيه عالى النمط ، وهو فى حدود الوسط

وعلم السيدة دون الكفاية ؛ ولكنها ترفده بقليل من الدعوى المقبولة ، فترفعه المبالغة منها والمجاملة منك إلى المستوى اللائق بالمرأة المثقفة

وذوق السيدة رفيع ؛ ولكنه ذوق الأنوثة الموهوب لا ذوق الحضارة المكتسب ؛ أرهفته بالقراءة ، وصقلته بالمران ، حتى أوشك أن يكون من خلالها الأصيلة يصدر عنه ما يصدر عن الطبع السليم من حسن الاختيار وجمال التنسيق وصحة المواءمة .

وزوج السيدة طبيب ؛ ولكنه يعمل فى عيادته عمل المنهوم بالعلم والمال ؛ فهو لا ينفك طول يومه بين تفريق (التذاكر) وجمع النقود ثم لا يعلم من دنياه شيئاً بعد ذلك . فهى التى تدبر المنزل وتدير العزبة وتربى الأولاد وتنمى الثروة وتراجع البنك وتعامل الناس ، ثم تجمل من بيتها ومكتبتها وحديقتها جنة يسكن إليها زوجها المكدود وولدها المجهود وقريبها المكتئب وزائرها المتطلع

قد يكون لمزاولتها التعليم فى شباب العمر بعض الأثر فى تكوينها على هذه الشيمة من حسن الإدارة وحب النظام وبراعة الحيلة ولطف المداخلة ؛ ولكن المرأة المصرية على الجملة تبذ الرجل فى هذه الخلال متى سلمت فطرة الله فيها من بطر النعمة وزيف التربية وسوء المحاكاة

* * *

زرت نديَّها فى يومها المختار فوجدته حافلاً بمن يندون إليه فى العادة من الأقارب الأدنين والأصدقاء الخلَّص ؛ وكانت هى حين أخذت مجلسى تناقل المحامى حديث السياسة ، وزوجها يساجل الواعظ حديث الدين ، وكان الضابط البطين والفلاح البدين يلقيان السمع إلى هذين مرة ، وإلى ذينك أخرى تبعاً لارتفاع الصوت واشتداد الجدل . وكان محضر السيدة فى الصالون ، ورشاقتها فى الإشارة ، ولباقتها فى الحديث ، وتجلى ذوقها وروحها فى طراز الأثاث ، وطرافة ألوانه ، وانسجام قطعه ، وحسن توزيعه ، كان كل أولئك قد غمر الجالسين بشعور من السمو لم يألفوه ، فرقت الأصوات ، واتَّأدت الحركات ، واتزنت الكلمات ، وسما كل شىء فى كل نفس . وللزى الذى ترتديه ، وللمكان الذى تجلس فيه ، وللرجل الذى تتحدث إليه ، أثر فى نفسك يصدر عنه الفعل مطابقاً للحال التى أحدثته

قالت لى السيدة وقد ترامى بنا الحديث إلى أثر المرأة فى الإصلاح ومكانها فى الأدب :

— ما بال فلان وفلان يحبان أن يُذكرا بمعاداة المرأة وما أظنها وقعت فى حياتهما موقع العائق عن إنتاج أو إصلاح أو سعادة ؟

فقلت لها : ذلك فى رأيى ضرب من الحب ونمط من الغزل ! أما دعوة أحدهما إلى استعبادها فلأنه شقى فى الحصول عليها ، فهو ينتقم منها انتقام الصائد الأرعن من الطائر المسحور . وأما دعوة الآخر إلى استبعادها فلأنه يئس من الوصول إليها ، فهو يزهد فيها زهد الفأر الأبتر فى قدرة السمن . والمثلان معروفان !

فقالت : إذن لو كان نصيبهما من المرأة خيراً مما كان ، لأصبحت حواء خيراً من آدم ، ولكانت المرأة المصرية خيراً من المرأة الأوربية ! وهنا ابتدرنى الواعظ إلى الكلام فقال :

— لا يجوز فى الدين ولا فى العقل أن تكون حواء خيراً من آدم . ذلك أنها خلقت من ضلع أعوج ، فمن طبيعتها ألا تستقيم . وما لا يستقيم لا يصدر عنه استقامة ولا عدل . ولو أن الله أراد لها غير ذلك لخلقها من رأس آدم فهيمنت عليه ، أو من إحدى جوارحه فسعت معه

فقالت السيدة : ولم لا يكون لخلقها من ضلع آدم حكمة أخرى يا أستاذ ؟ أليس فى خلقها من أحناء صدره تعيين لوظيفتها وتوجيه لرسالتها ؟ إن حنوها على الزوج والولد ، كحنو الضلوع على القلب والكبد . والأسرة التى تشبل عليها المرأة هى العضو الرئيسى فى جسم الأمة ، كما أن الأجزاء التى تشبل عليها الضلوع هى الأعضاء الرئيسية فى جسم الإنسان

قال الطبيب : معنى ذلك أن عمل المرأة لا يتعدى المنزل

فقالت السيدة : وهل ذلك يسير ؟ إن المنزل عالم أصغر ينطوى فيه العالم الأكبر . وإذا كانت الأمة هى الأسرة مكرَّرة ، والوطن هو الدار مكبَّرة ، فإن المرأة القائمة على شؤونهما لتحتاج من الثقافة والحصافة ما يحتاجه رجل الدولة . إن فى البيت حجرة طعام ، وغرفة نوم ، وبهو استقبال ، وقاعة مكتبة ، وحديقة زهر ، ولكل مكان من هذه الأمكنة ثقافة خاصة لا بد للمرأة الصالحة أن تحذقها جميعاً

ومضت السيدة فى حديثها العذب تفصِّل هذا الإجمال ، والطبيب والمحامى يصغيان إصغاء الإعجاب ، والضابط والفلاح ينظران نظر العجَب ؛ أما الشيخ فقد كان همه كله من هذا الحديث ، أن يرقب اتفاقه أو اختلافه مع القرآن والحديث

(للحديث بقية)

احمد حسن الزيات

ملامح هجوم الصيف

رجال الأدب ورجال القضاء

[ما رأى الأستاذ الزيات والأستاذ العقاد في موضوع هذا الحديث ؟]

للدكتور زكى مبارك

أشرت فيما سلف إلى خطأ الأستاذ توفيق الحكيم حين « منّ » على الأدب بأنه هجر من أجله القضاء ، فقد كان « وكيل نيابة » ، وكان يستطيع بقليل من الصبر أن يصير من القضاة المحترمين ، على حدّ تعبيره الجميل !

ولو أن هذا « المنّ » صدَر عن رجل غير توفيق الحكيم ، لكان من السهل أن نضيفه إلى العامية الفكرية ، والأفكار كالناس فيها عوام وخواص ، فلم يبق إلا أن نحكم بأن ذلك « المنّ » هفوة قلم وقع فيها توفيق الحكيم وهو يحاور طه حسين

وقبل أن أواجه موضوع هذا الحديث ، أُسجِّل أن رجال القضاء فى مصر أقاموا أُلوف البراهين على أنهم من أرباب الفكر المُشرق ، وأن نزاهتهم فوق الأوهام والظنون

ولكنى مع هذا لا أقبل القول بأن رجال القضاء أرفع منزلةً من رجال البيان ، وما يسيغ ذهنى أن يكون فى خلق الله من يتفوق فى الرفعة والشرف على صاحب القلم البليغ

ثم أواجه الموضوع فأقول : على أى أساس يقوم القولُ بأن رجال القضاء أعلى من رجال البيان ؟ !

أيكون الأساس هو الفرق بين تكوين القاضى وتكوين الأديبَ من النواحى العقلية والذوقية والروحية ؟

إن كان ذلك هو الأساس ، فنقضُه أسهل من السهل ، والقضاة أنفسهم يعرفون أن تكوين الأديب من أخطر المعضلات ، وأن الله قضى بأن تكون دولة القلم إلى آحاد ، ولو كانت تلك الدولة فى أمة يعد أفرادها بمئات الملايين

إن من حق كل متخرج فى كلية الحقوق أن يكون من رجال القضاء ، وليس من حق كل متخرج فى كلية الآداب أن يصير من رجال البيان ، لأن للأدب شرائط أساسية ، ومن تلك الشرائط أن يكون المرشح للأهلية الأدبية له قلب وذوق وروح ، وكلية الآداب هى التى تنطق بهذا الحكم ، لأنها تريد أن يكون ميزانها أدق الموازين ، ولأنها تعرف أن الأدب غاية عزيزة المنال

ومهمة القاضى أسهل من مهمة الأديب ، لأن القاضى يحكم وفقاً لقانون مكتوب ، ولا يطالَب فى كل يوم بالاجتهاد

هل سمعتم حديث عبد العزيز باشا فهمى ؟ إن لم تكونوا سمعتموه فاسمعوه :

حين عُيِّن عبد العزيز باشا فهمى قاضى القضاة حكم على نفسه بالعزلة القاسية ، فكان لا يذهب إلى المحكمة إلا فى عربة « مقفولة » ، وكان يرفض أن يستقبل أحد الزوّار فى البيت ، ليسلم من جميع المؤثرات الخارجية

فهل ترون الأديب يملك هذا الحق من اعتزال الناس ؟

هيهات ، ثم هيهات !

واجب الأديب أن يدرُس جميع الخلائق ، وأن يطّلع على المستور من الطبائع ، وأن يشارك العابدين فى المساجد ، واللاهين فى الفنادق ، ليعرف دخائل النفوس والقلوب ، وليكون على بينة من تطور الأذواق والعقول

الوجود كله كتابٌ مفتوح ينظر فيه الأديب صباحَ مساء والقاضى لا يحس الوجود كما يحسه الأديب ، إلا أن يكون قاضياً أديباً ، وفى القضاة أدباء تدل عليهم البوارق الفكرية من حين إلى حين

الأديب يتلقى وحى الحياة فى كل وقت ، وهدَف الأديب هو استجلاء الغوامض من السرائر ، وقد يتسامى فيحاول قراءة المسطور فى صحائف الغيوب

وظنُّ الأديب فى بعض الأحوال أصدق من اليقين ، لأن فطرته تخضع فى كل لحظة إلى التقويم والتثقيف ، فهو أعظم الناس روحانية بلا نزاع ولا جدال

قد يُصدر القاضى عشرات الأحكام أو مئات الأحكام بقليل من الجهد ، حين تتقارب أو تتماثل موضوعات الخصومات ، ثم تظل

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

منزلته الرسمية فى أمان ، لأنه لا يطالَب بالابتكار فى القضاء ، ولو شئت لقلتُ : إن الابتكار قد يحرَّم عليه فى بعض الأحيان

فهل يظفر الأديب بمثل هذا الحق فيعالج الموضوع الواحد بأسلوب واحد بضع مرات ؟

وهل يستطيع كاتبٌ مثلى أن ينشر فى مجلة (الرسالة) مقالاً نشره من قبل فى جريدة (البلاغ) مع شىء من التبديل والتعديل ؟

حرفة الأدب فظيعة فظيعة ، فهى تقضى بأن يكون مصير صاحبها مرهوناً بأقرب مثال أو أحدث قصيد ، ولكل إنسان أن يكتفى بماضيه إلا الأديب ، فهو مسئول أمام قرائه عن يومه الحاضر ، وقد يُسأل عن جهاده فى المستقبل البعيد !

فأين القاضى من هذه المتاعب ؟

ومن يَسأل القاضى عن يومه أو غده ، وهو عن ماضيه غير مسئول ؟

بعد ثلاث دقائق من المدة المقررة لاستئناف الحكم لا يجوز للمظلوم أن يرفع شكواه إلى غير السماء

أما الأديب فيُسأل عن أحكامه بعد الأعوام الطوال ، ومن حق كل مخلوق أن يتزيد عليه كما يريد

قولوا الحق ، أيها القضاة العادلون

أفيكم من يشقى بحرفته كما يشقى الأديب ؟

القانون يحميكم من عبث الجاهلين والسفهاء ، فلا تُكتب منكم كلمة مدخولة ، ولا يتطاول عليكم أفّاك ، ولا يعترض سبيلكم أبناء السبيل

ومن أجل هذا أقول بعبارة صريحة إن جهادنا فى دنيانا أخطر من جهادكم فى دنياكم ، وإن تأهبنا لفهم معضلات الوجود أقوى من تأهبكم لفهم تلك المعضلات

فاعترفوا — غير مأمورين — بأن تكوين القاضى لا يقاس إلى تكوين الأديب

ثم ماذا ؟ ثم يكون أساس المفاضلة أن القاضى يخدم العدالة ، وهو الخط الذى شاع على الأستاذ توفيق الحكيم حين أغراه الدكتور طه حسين بأن يُحشر فى زمرة الأدباء ، وتلك أول مرة يحشر فيها (المؤمن) مع من يبغض !

وأقول إن خدمة العدالة من أهم أغراض الأديب ، فهو أقدر الناس على وزن المعانى ، وهو الفيصل فى تقدير المناقب والمثالب ، وعن قلم الأديب يأخذ القضاة دقائق المحاسن والعيوب وفى صدر كل قاض حاسة أدبية تهديه حين يوفّق إلى الأحكام الصّحاح

القاضي لا يتعرض لأى تعب حين يحكم بالعدل ، وإنما يثاب على الحكم بالعدل ، أما الأديب العادل فيقضى دهره فى مكاره لا تطاق

إن حكم الأديب بالعدل فى قضية الفن فهو ماجن ، وإن حكم بالعدل فى قضية الفكر فهو زنديق ، وإن عادى الزعماء فهو من الخوارج ، وإن صادق الزعماء فهو من الوصوليين ، ولا تقع محنة فى أى انقلاب إلا على رءوس رجال البيان

كل حكم يقابل بالرضا المطبوع أو المصنوع إلا حكم الأديب ، لأن الجمهور يعرف أنه غير مؤزَّر بالقُوى الرسمية ، وهل يهاب الناس القاضى إلا لأنهم يعرفون أنه يستطيع « حبس » من يشاء حين يشاء ؟

الأديب يملك الحكم ولا يملك التنفيذ ، والقاضي يملك الحكم والتنفيذ ، فهو فى نظر الدهماء أعظم من الأديب ، وهو كذلك فى نظر توفيق الحكيم !

نحن — رجالَ القلم — خدّام العدالة فى نصابها الحق ، ولو خلت الدنيا من أسنّة أقلامنا لأضحت وهى أقفر من الجنة بعد خروج آدم المظلوم

بأقلامنا تصور الغرائب من أوهام العقول وأحلام القلوب ، بالعدل والقسطاس . وعنا يأخذ القضاة أصول الحكم السليم من شوائب الأغراض

ومزية الأديب — مزيته الحقيقية — أن الشعوب لا تعرف قدره الصحيح إلا حين ترتفع ، ولعل هـذا هو السبب فى أن قضاة المسلمين لأيام عزهم كانوا من رجال القلم البليغ

ما مجد مصر وما سلطانها فى العصر الحديث ؟

أ كان القضاة هم الذين سمَوْا بها إلى تلك المكانة العالية ؟

ما ارتفع من قضاة مصر غير الأدباء من أمثال سعد زغلول وقاسم أمين ، ومن والاهم من كتّاب التشريع بأسلوب الأدب الصحيح

العدالة عندنا — رجالَ القلم — وما نبغ نابغٌ إلا بوحى تلقّاه عن أدبنا الرفيع . عندنا القلب المقدّس ، عندنا الروح الأمين . فأين من يزعم أنه عرف فكرة العدل قبل أن يأخذ عنا فكرة القسطاس بين الألفاظ والمعانى ؟

إن قيل إن لغة القانون أدقّ من لغة الأدب أجبنا بأن القانون لا تـكون له لغة إلا حين يكون المؤلفون فيه من أدباء المشرّعين .

ومن الذى يعلّم الناس دقائق الفروق فى التعابير الفقهية والاقتصادية والديبلوماسية ؟

عِلمُ ذلك عند أصحاب الأقلام الجياد ، وما جاز لمشرّع أن يوازن بين لفظ ولفظ ، وبين عبارة وعبارة ، إلا وهو مسيَّر بقوة أدبية تدله على ما فى الألفاظ والعبارات من أعصاب وأحاسيس ، والألفاظ تقتتل وتصطلح كما يفعل الأحياء .

إن رجال القضاء لا ينسون أبداً أن أحد أقطاب الأدب الفرنسى كان يقرأ صفحات من « القانون المدنى » قبل أن يشرع فى الإنشاء ، وهم يذكرون هذه القصة كلما بدا لهم أن يفضّلوا اللغة القضائية على اللغة الأدبية ، فكيف غاب عنهم أن القانون المدنى أنشأه رجلٌ أديب ؛ وكيف فاتهم أن الدقة والوضوح لا يصدُران إلا عمن تمرّس بالإنشاء البليغ عدداً من السنين ؟

وما يقال عن « القانون المدنى » يقال عن « الفقه الإسلامى » فرجال الفقه فى الشريعة الإسلامية كانوا من أقطاب الأدباء ، وكان جهادهم فى تحرير الألفاظ والمعانى يفوق جهاد أبى تمام والبحترى والرضىّ ، وإن تناساهم تاريخ الأدب فلم يذكر لهم ذلك المقام المحمود .

وأرجع مرة ثانية إلى كميّة الإحساس بالوجود عند القاضى وعند الأديب فأقول :

القاضى لا يلتفت إلى إشكال إلا حين يُدْعى إليه ، فهو فى أغلب أحواله من المحايدين ، بدليل أنه لا يُفتى إلا من يستفتيه ، وقديماً قيل :

« لو أنصف الناس استراح القاضى »

فهل يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الأديب ؟

الأديب لا ينتظر قدوم المستفتين من الشرق أو الغرب ، وإنما يمضى فيشرّح آلام الناس قبل أن يحسوا تلك الآلام ، أو قبل أن يقهرهم استفحالها على الأنين والصراخ .

والأديب يدرس الوجوه بأعمق مما يدرسها الطبيب .

ومن غرائب الأديب أنه يعرف أعمار الأصوات والملامح والعيون ، فإذا حدّثه محدّث عن طريق المتاف أدرك عُمر ذلك المحدّث وتبيَّن ملامح وجهه ولفتات عينيه ، وإن لم يره من قبل

ومن هنا كان الأديب أول من يدل أمته على المخوف من الحوادث والخطوب ؛ ومن هنا أيضاً كان الأدب أسبق من الطب ومن القضاء ، لأنه فطرة وجودية عاصرتْ أقدم عهد من عهود التاريخ .

ولو كان القاضى يحسّ الوجود بمقدار ما يحسه الأديب لانتفع أعظم الانتفاع من الوجهة الأدبية بما يشاهد كل يوم من اصطراع النوازع والأحاسيس فى ساحات القضاء ، ولكن الواقع يشهد أن محصول القضاة فى الأدب قليل قليل ، بالقياس إلى الفرص المتاحة لدرس نزغات النفوس وأهواء القلوب .

والإنصاف يوجب أن نقرر أن القاضى منهىٌّ عن تعقّب الناس ، فلا يجوز له أن يمرّن قلمه بتصوير ما يُعرض عليه من آثام وذنوب ، وقد يحرم عليه أن يحكم قبل استخبار البينات والشهود ، وإن كان يعرف كيف يفصِل بأدلة نفسية فى بعض الأحايين .

القاضى لا يطالَب بما يطالَب به الأديب ، والناس أنفسهم يكرهون أن يعرف القاضى سرائرهم ، ولكنهم يحبون أن يُفصح الأديب عما يضمرون ، لأن علم القاضى بسرائرهم أخطر عاقبةً من علم الأديب ، والإنسان حيوانٌ لئيم !

وإعفاء القاضى من تعقب الناس أراحه من درس مشكلات النحائز والطبائع ، إلا فى الشؤون القلائل ، فهو بين أهل الفكر من السعداء .

أما الأديب فهو كلَّ يوم فى حال أو أحوال .

على الأديب أن يحدثك عن نفسك بما تجهل من نفسك ، وعليه أن يدخل فيما لا يَعنيه فينشر المطوىّ من أخبار بيتك ، وإن لم « يتشرف » بزيارة ذلك البيت .

الأديب مسئول عن تقديم صورة صحيحة لكل فضيلة ، ولكل رذيلة ، ولكل وهم ، ولكل وسواس ، وهو مع ذلك مطالَبٌ بالتصوّن المطلَق ، فلا يجوز له أن يعرف من يشاء من طبقات المجتمع ، ولا يُقبل منه أن يتعرف إلى أولئك أوهؤلاء ، وإلا تعرض للمرذول من إفك السفهاء .

أما القاضى — وما أسعد القاضى ! — فهو لا يحكم إلا بعد أن يشتجر فى حضرته المحامون والشهود ، ليعرف خفايا القضايا بأيسر عناء ، ولا مُعقّب لحكمه حين يحكمْ ، وهو نفسه لا يملك الرجوع فى قضائه حين يريد .

وفى هذا المأزق تظهر قيمة المسئولية الأخلاقية فى حياة القاضى وحياة الأديب

القاضى ينفض يديه من كل مسئولية بعد الحكم المؤيَّد بالبينات والشهود

أما الأديب فيستفتى ضميره فيما قضاه ، ولو طال الزمان ، وقد يتعرض لأقبح السخرية حين ينتقل من رأى إلى رأى ، وما يعرف مخاصموه أنه لا يرجع عما رآه فى الأمس القريب أو البعيد إلا لعرفانه بأنه المسئول الأول عن رعاية العدل

ومن الأسباب التى توجب أن يكون إحساس القاضى بمعضلات الوجود أقل من إحساس الأديب. أن التنافس بين رجال القضاء لا يقاس إلى التنافس بين رجال البيان

القاضى فى إحدى محاكم الأسكندرية لا يعرف شيئاً عن زميله بإحدى محاكم القاهرة أو المنصورة أو أسيوط، لأن « سرية القضاء » مبدأ مصون

أما الأديب فى القاهرة فأحكامه وأخباره منشورة بين جميع الناطقين بالضاد ، وقد تنوشه أقلامٌ أجنبية لا يعرف ما ترمى إليه من خبيث المعاريض

لو تعرضتْ أحكام القضاة لنقد العلانية ، كما تتعرض أحكام الأدباء لنقد العلانية ، لعرفَ قومٌ أن أعصاب الأدباء الكبار صِيغتْ من الفولاذ ، وأن الأديب لا يسيطر على زمانه إلا بعد أن يعجز عن هدمه أبناء الزمان

بقيت مشكلة خطيرة فى الفرق بين مكانة القاضى ومكانة الأديب

للقاضى نظامٌ تضع رسومه كلية الحقوق ، فما النظام المرسوم للأديب ؟

أيكون الأديب من يظفر بدرجة جامعية تمنحها كلية الآداب ؟

وكيف وكلية الآداب تنكر هـذا الحكم ، كما أشرت من قبل ؟

إذن يكون من حق كل مخلوق أن يدّعى الأدب حين يشاء ، وهذا هو الواقع بالفعل ، وهو السبب فى أن مِلكية الأدب الدّعاة صارت أعرض من الصحراء ، فكيف يحفظ الأديب الموهوب مكانته فى الوجود ؟ وكيف يرفع العقبات التى يضعها فى طريقه « كبار » الأدعياء ؟

الجهاد الموصول هو سناد الأديب الحق ، وما استطاع أديب أن يظفر بمكانة عالية إلا بعد جهاد يدوم عشرين سنة أو تزيد ، وهى مدة كافية لموت الطفيليات

فليس بأديب من يقول : « خذوا بيدى » كما يقول الضعفاء

وليس بأديب من ينتظر العون من هذا الحزب أو ذاك

وليس بأديب من يتشبث بأذيال أحد النوابغ ليضمن له الرزق الحرام أو الحلال ، كالرزق الذى يُضمن للمستأدب المجهول حين يتصل بالأديب المعروف

الأدب الذاتىُّ هو شخصية ذاتية ، وما يضيع أديبٌ إلا حين يَقبل أن يكون من المحاسيب

ألكم خصومٌ أموات كالخصوم الذين نعرف ، أيها القضاة المحترمون ؟

يخاصمكم من يخاصم وهو مدرَّع بعلوم الشرائع ؛ ويخاصمنا من يخاصم وهو « لِبلاب » يعتصم بهذا الجِذع أو ذاك

أما بعد فهذه كلمة أردنا بها وجه الحق فى إعزاز الأدب الرفيع ، ومن موجبات الفوز أن يكون الطرف الثانى فى القضية هم رجال العدل ، وعليهم نعوّل فى تأييد ما قدمناه من البينات ، ومنهم ننتظر إنصاف الأدب من القضاء

مضت أزمان وأزمان والأدب فى محنة بسبب تخلف أهله عن الميادين الرسمية ، أو بسبب تودد أهله إلى الميادين الرسمية ، فمن واجبنا اليوم أن نرفع راية الاستقلال ، وأن نعتزّ بالقلم الذى أقسم به ذو العرش المجيد

تستطيع كل أمة أن تخلق من الطبقات ما تشاء ، ولكن الأمم مجتمعةً تعجز عن خلق أديبٍ واحد ، لأن الأدب منحة ربانية تفوق هبات الممالك والشعوب

فمن طاب له أن يمنّ علينا بأنه هجر من أجل الأدب هذه الطبقة أو تلك ، فليعرف اليوم أننا أصحاب الحق فى أن نمنّ على من نمنحه متفضلين لقب الزميل ، أو لقب المُريد

الأدب شريعة من الشرائع ، ومن واجب كل شريعة أن تنفى من يؤمن بها على حَرف

وصدق الله العظيم حين قال « وما على الرسول إلا البلاغ »

زكى مبارك

الشخصية الهستيرية

للدكتور محمد حسني ولاية

وصف كريبلين Kraeplin الشخصية الهستيرية قال :

١ — لم يعثر على أي نقص في ذكاء ١٦٤ من المرضى بالهستريا إذ لم يكن هناك اضطراب في الإدراك أو قوة التدليل ، بل الهستيرى كثير التقلب فيما يفكر فيه ، وتستحوذ عليه بدوات وأوهام قوية الحيوية ، فإن أمانيه غير منظمة وسطحية ولو أنها متسعة النواحي والأرجاء ، ومقدرته على تكييف نفسه لأي ظرف فائقة ولكن ينقصه الثبات وقوة الاحتمال . ويمتاز بانقياده إلى كل شيء جديد ، فإذا استعرضنا حوادث التاريخ وجدنا أن أول الناصرين وأكثر المحاربين حماسة لبلوغ الأهداف المعجزة هم الهستيريون .

يدس الهستيرى أنفه في شؤون الناس لاستنشاق أسرارهم والوقوف على أحوالهم ، ويلذ له أن يكون ماثلاً في عيون الجماهير وأذهانهم فلا يفتأ ينقب عن وسائل جديدة للوصول إلى هذه الغاية

٢ — إن الارتباطات العقلية سطحية في الهستيرى الذي يمتاز بكونه متسرعاً ومركزاً اهتمامه في نفسه فقط . أما حكمه على أمر من الأمور فرهين أول أثر يتركه هذا الأمر في نفسه بما يتمشى مع نزواته الشخصية . وعلى الرغم من أنه شديد العناد ، لا تلين له قناة ، فإنه يغير مبادئه بسرعة لأنها لم تكن قط متغلغلة في أعماق نفسه .

وإن الميل إلى حلم اليقظة day dreaming وثيق الملاقة بالخيالات والبداوات phantasies المتلئة حيوية ، فهو يتوهم نفسه في مواقف لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، ويحيك حول هذه المواقف خيالات متشعبة مترامية ، فقد يرى نفسه بطل حوادث نظرية مختلفة أو ضحية هجمات أعداء وهميين . ومما يزيد الطين بلة أنه يترجم أوهامه وبدواته إلى لغة الحقيقة فيتمادى في اختلاق حوادث متصلة بالواقع يدعمها ببراهين تبدو قاطعة

٣ — ذاكرة الهستيرى واهية لا يعتد بها لأنها رهينة عوامل انفعالية شتى فهو ينسى الحوادث التي لا تروق له ويعلى من شأن ماضيه ويشوه حقائقه ليكون وفق رغباته الشخصية

٤ — الهستيرى نارى الانفعالات لا يستطيع أن يتحكم في أعصابه ، متطرف في حبه وكرهه ، يرتجف الناس خوفاً من غضباته وعنف هياجه ، فهو شديد التقلب في سلوكه دون مقدمات ولا سابقة إنذار . وهو إما رائع في الفرح أو غارق في الهم

وتقترن بهذه الثروة الكبيرة من الانفعالات صفة الصلابة والعناد وعدم المبالاة التي تدعو الهستيرى إلى الاختيال على جثث الموتى ، وقد ارتسمت على فمه ابتسامة . أما السبب الذي يفسر هذا السلوك المتناقض المتنافر ، فهو عدم التناسب بين الانفعال والتعبير عنه .

٥ — لا يفكر الهستيرى إلا في نفسه . وإن تقديره البالغ فيه لنفسه متعطش دائماً إلى الإقرار والتثبيت ، ويسره دائماً أن تتجه أنظار جميع الناس إليه . أما أمانيه فلن تقف عند حد .

ومما يحدوه إلى المجازفات ، التنقيب عن كل شيء يمتاز به على الآخرين . وهو يعرف جيداً كيف يتحكم في بيئته ليكون طاغيتها بكل الوسائل الماثلة لديه .

ومن الطرق التي يلجأ إليها الهستيرى في كفاحه لنيل تقدير الجماهير إنكار الذات (ظاهراً) والفدائية ، واستعذاب العذاب في سبيل تحقيق المبادئ السامية ، وهو يتشدق بأنه يضحى بنفسه في سبيل مساعدة الفقراء وخلاص الموزين ، وبأن حياته رهينة كل غاية تفيد الإنسانية ، فليعترف له جميع الناس بفضله وتضحيته . وما حب الهستيرى للعذاب إلا لكسب أهمية خاصة في أعين الناس . على أنه يلذ له أن يكون غامضاً غير مفهوم .

٦ — يمتاز الهستيرى بقوة فائقة على انتحال أعراض المرضى الآخرين وبإطالة مرضه عن طريق الإيحاء الذاتي auto-suggestion ويفيض سيل وحيه على الأشخاص الموالين له أو القريبين إليه .

وإن النفوذ الذي يستمتع به الهستيريون والجاذبية الشخصية التي تقود إليهم الناس أفواجاً مبنية على طبيعة قوة إيحائهم .

٧ — على الرغم من وفرة الانفعالات السطحية تظل الغرائز الطبيعية في سبات عميق ؛ فالهستيرى لا يبالي الجوع والتعب والأرق وحرمان غريزته الجنسية من الاستمتاع ؛ فهو إما أن يكبتها أو يدعها تتخذ مظهراً شاذاً . وكثيراً ما يلجأ الهستيرى إلى التهديد بالانتحار ، وهذا يدل على المستوى الأدبي الدنيء الذي انحطت إليه شخصيته .

دكتور محمد حسني ولاية
طبيب بصحة بلدية الأسكندرية

من وثبات العبقرية

نظام الزكاة فى الاسلام (*)

وهل روعى فيه العدل

للسيد على حسين الوردى



ذكرت فى مقالى السابق أن الضرائب المباشرة لم تكن معروفة لدى الأمم القديمة إلا نادراً ، إذ أن النضوج السياسى لم يكن قد وصل بالناس إلى تلك الدرجة التى يستسيغون فيها دفع ذلك النوع من الضرائب

لم يكن الفرد ، فى الزمن القديم ، يعتبر الحكومة تمثله أو تمثل مصلحته العامة ؛ إنما كان على العكس يرى فيها عدوه الأكبر الذى لا هم له إلا ابتزاز أمواله وامتصاص دمه من غير منفعة محسوسة تأتيه من وراء ذلك ، ولهذا فقد كان الفرد يعتبر الضريبة عبئاً ثقيلاً ينبغى التهرب منه ما استطاع إلى ذلك سبيلا(1) . ولم يكن جباة الملك يجرأون إذ ذاك أن يفرضوا الضريبة المباشرة على أموال الناس أو إنتاجهم حيث تجبى منهم حقاً مشروعاً كما هو الحال فى هذا العصر ، فجل ما كان الجباة يعملونه هو أن يقفوا عند مدخل البلد ليقتطعوا من التجار والفلاحين جزءاً مما يحملون على أنها حصة الملك جزاء حمايته إياهم أو سماحه لهم بتكسبهم في البلاد التى هى تحت سيطرته

هذا ولا ريب فى أن فى مثل هذه الضريبة غير المباشرة ظلماً لا شك فيه ، إذ أن دافع الضريبة يستطيع عادة أن يحول عبئها إلى عاتق غيره ، فإذا دفع التاجر مثلاً جزءاً من بضاعته إلى الحكومة أدخل ذلك غالباً فى حساب تكاليف البضاعة وأضافه إلى سعر البيع ليتحمل المشترون عبء الضريبة . وفى هذا يتمثل الظلم ، لأن معظم الضريبة تقع حينئذ على كواهل الفقراء إذ أنهم هم معظم المستهلكين للبضائع ملابس وطعاماً ... هذا بينما يدفع الأغنياء قسطاً ضئيلاً من الضريبة لا يتناسب مع ثرواتهم الطائلة . ولا مراء فى أن ما نراه من تعسف فى هذا النوع من الضرائب ، لا يوجد إلا قليلاً فى الضرائب المباشرة ، لأن النسبة فيها تؤخذ ضخمة من الأغنياء ، صغيرة من الكادحين ، وحيث يعامل فيها كل فرد حسب مقدرته وظروفه الخاصة . وقد يُعفى منها كثير من الناس الذين كانوا يدفعون الضرائب غير المباشرة وهم لا يشعرون

ولكن الضريبة غير المباشرة ، رغم هذه المساوىء ، ظلت مستعملة طيلة القرون الماضية ، ولا تزال مستعملة إلى اليوم فى كثير من الأمم الحديثة ، وذلك لسهولة جبايتها وقلة التكاليف فيها ، إنما أخذت فى الواقع تفقد أهميتها شيئاً فشيئاً ، إذ بدأت الضرائب المباشرة تحتل مكانها ، وهذا بلا شك سمو من المجتمع فى أخلاقه السياسية (1)

***

هذه نبذة موجزة من تاريخ الضرائب وددت أن أبين بها للقارىء شيئاً من مجرى التطور فيها حيث سار المجتمع فى طريقه الطبيعى من غير تنكب أو طفور . لكننا إذا رجعنا إلى نظام الضريبة فى الإسلام نجد ثم وثبة بذت مجرى ذلك التطور وسارت فى سبيل الكمال خطوات

لقد فرض الشارع الإسلامى أغلب صدقاته بنسبة معينة على ثروة الفرد أو إنتاجه تؤخذ منه مباشرة بعد النظر فى ظروفه الخاصة وبعد استثناء حد أدنى من غير زكاة

لسنا ننكر أن من الصعب وضع حد فاصل يميز بين الضريبة المباشرة من غير المباشرة ، فكثير من الضرائب التى نحسبها مباشرة لأول وهلة هى فى الحقيقة غير مباشرة ، لأن دافعها قد يستطيع بعد زمن تحويل عبئها إلى عاتق غيره . ولكنا على كل حال نستطيع أن نقول بأن الإسلام قد شرع فى هذا الشأن شرعة جديدة لا شك فى صلتها بالعدل والخير ، إذ جعل الضريبة حقاً واجباً على الفرد يجب أن يؤديه للدولة بصفته

(*) الزكاة صدقة والصدقة زكاة اختلف الاسم واتفق المسمى (الماوردى فى أحكامه السلطانية)

(1) Dalton. Public Finance

(1) Seligman, Essays in texation

عضواً فيها ، وإذ أمر كذلك بأن تختلف نسبة الضريبة بين شخص وآخر نظراً إلى ما عليه الشخص من عسر أو يسر فى وضعه الاقتصادى أو فى إنتاجه

وهنا نصل بالقارئ إلى نقطة جوهرية من هذا الموضوع ألا وهو التفاوت فى فرض الضريبة حسب تفاوت الناس فى أرزاقهم وحظوظهم فى الحياة . إذن يجب علينا أن نفهم أهمية ذلك فى النظام الحديث إذ يعنى به كتاب اليوم عناية كبرى لما له من مساس بالعدل الذى هو أحد الأركان الأربعة للضريبة المثالية ، وأهم تلك الأركان على الإطلاق[1]

لقد كانت الضريبة فى الزمن القديم تجبى على السواء من جميع الناس إلا الذين يستثنيهم الملك من رجال دين أو نبلاء ، فلم تكن الحكومات تعنى إذ ذاك بما تعنى به الحكومة الحديثة - كما ذكرنا - من تفريق فى نسبة الضريبة defferentiation أو إعفاء منها حسب ما يمليه العدل أو مصلحة الأمة

لقد وضع الكتاب المعاصرون لهذا الغرض في مسألة التفريق والإعفاء أربع قواعد فيما يخص دافع الضريبة أو ثروته :

فالقاعدة الأولى : مصدر الثروة — إذ يميز فيها بين الثروة التى تأتى صاحبها نتيجة للعمل والمكابدة ، وبين التى تأتى صاحبها وهو فى بحبوحة من الراحة والنعيم

هذان فلاحان مثلاً ، أحدهما يملك الأرض الخصبة أو يسقى زرعه ديماً أو سيحاً ، والآخر لا ينتج إلا فى أسوإ الظروف من أرض ضعيفة وماء بعيد . فهل من العدل أن تفرض الضريبة بنسبة واحدة على إنتاج هذا وإنتاج ذاك ؟ لا بد إذن من تفريق

والقاعدة الثانية : طبيعة الثروة — إذ يميز فيها بين الثروة الصالحة التى تفيد الأمة والتى ينبغى تكثيرها ، وبين غيرها من الثروات ؛ وقد يفرّق مثلاً بين إنتاج الخضر والفواكه التى يسرع إليهما الفناء ، وبين إنتاج الحبوب التى يمكن خزنها وادخارها

والتفريق فى هذا ضرورى فى العهد الذى تصعب فيه المواصلات وتقل فيه وسائل الخزن المبرّدة ، حيث يجب على زارع الثمار أن يبيع ثماره فى أوانها المناسب ، وإلا خسر مجهوده وخسر فوق ذلك الضريبة التى دفعها إذا كانت مفروضة عليه

والقاعدة الثالثة : مآل الثروة ومصيرها — هل تصرف فى إطعام العائلة والضيوف وفى الإحسان ، أم تبذّر هنا وهنالك على موائد الخمر والميسر ، أو تكدس قناطير مقنطرة من غير تنمية أو إنتاج ؟

والقاعدة الرابعة : هى أن ينظر إلى حالة الشخص (دافع الضريبة نفسه) : أمتزوج هو أم أعزب ؟ أمدين أم دائن ؟ ... الخ

هـذه هى الأسس التى وضعها الكتاب المحدثون فى تحرى العدل والصالح العام عند فرض الضريبة إذ يفرّق بين إنتاج وإنتاج وبين ثروة وثروة . ولكن يجب ألا يغرب عن بالنا أنه لم تصل اليوم أية دولة على وجه الأرض إلى تطبيق هاتيك الأسس جميعاً تطبيقاً تاماً ، إذ أن ذلك يقتضى جهداً هائلاً ويصادف كثيراً من العقبات العملية التى تحول دون النجاح التام فيه أو التى قد تنتج من المساوى ما هو أعظم مما كان يخشى منه

إن التفريق فى الضريبة خير لا مرية فيه ، ولكن من أين لنا ذلك العبقرى النزيه الذى يضع لكل حالة نسبتها العادلة . كذلك ما أعظم الصعوبة التى تعانيها الإدارة إذ ذاك - ارتباكاً وتعقيداً ، وهؤلاء الطامعون الماكرون من موظفين فى الضريبة أو دافعين سيجدون فى هـذا الوضع المعقد أعظم الفرصة لغشهم أو تهربهم من دفع بعض الضريبة أو كلها . ويظهر من هذا أن الشرع الحديث أصبح بين نارين : بين سوء الظلم فى عدم التفريق ، وبين الصعوبة والارتباك فى إدارة الضرائب عند التفريق إذ يكثر الاختلاس والروغان . وبذا يتضح السبب فى قلة اندفاع القوم فى هذا السبيل ، إذ نجد التفريق مهملاً فى الأمم الحديثة أحياناً

* * *

هذا مجمل الوضع كما نراه اليوم فى العالم المتمدن ، أما إذا رجعنا ببصرنا إلى الدولة الإسلامية فقد تأخذنا الدهشة لما نرى فيها من اهتمام جدى بهذه المسألة فقد ميز الإسلام إنتاج الأرض التى تسقى عذباً أو سيحاً من إنتاج الأرض التى تسقى بالدلو والقرب والساقية ، حيث جعل العشر على الأولى بينما فرض نصف العشر على الأخرى وذلك لمؤونة القرب والساقية والدلاء[1]

أما التفريق فى الضريبة حسب خصوبة الأرض وكلفة الإنتاج فقد ألح إليه محمد بن الحسن وأبو يوسف وغيرهما إذ قالا : لا يحسب العشر على نفقات البقر ، أو أجرة العمال العاملين فى الإنتاج[2]

ومن هذا نستنتج أن زارع الأرض الضعيفة يؤدى زكاة

---

(1) Adam Smith, Mealth of nations

(١) كتاب الخراج لأبي يوسف

(٢) الجامع الصغير فى الفقه لمحمد بن الحسن

أقل من غيره لأنه يخصم من إنتاجه نفقات البقر والعمال ، وهى أكثر من نفقات الأرض الخصبة فى ذلك طبعاً .

ويقول أبو يوسف : إنه إذا أطعم رب الأرض غيره من مزروعه أو أكل هو فليس على ذلك عشر [1] .

وقد جعل بعض الفقهاء ربع العشر على ما تكثر مؤونته من المعادن المستخرجة من باطن الأرض ، أما التى تقل فيها المؤونة ففيها الخمس [2] .

وعن على بن أبى طالب أن الخمس فى المعادن المستخرجة من أرض خراج أو عشر . ولا خمس فى الفيروزج الذى يوجد فى الجبال ولا فى اللؤلؤ أو العنبر وكل حلية تخرج من البحر [3] لأنها متعبة كبيرة الكلفة .

وعن أبى حنيفة فى رجل مر على العاشر بمال فقال أصبت منذ شهر أو علىّ دين أو قال أديت الزكاة إلى عاشر آخر أو أديت زكاته أنا وحلف على ذلك فهو صادق [4] .

ولا تجب الزكاة عند الشافعى إلا فيما زرعه الآدميون قوتاً مدخراً ؛ أما البقول والخضر التى ليس لها ثمرة باقية فلا زكاة فيها [4] .

أما المواشى فلا زكاة فيها إلا إذا كانت سائمة ترعى الكلأ فتقل مؤونتها ويتوفر درها ونسلها ، فإن كانت عاملة أو معلوفة لم تجب فيها زكاة [8] . وبعدُ أليس فى هذا كله تفريق ؟ ...

وقبل أن نختم المقال يجب ألا يفوتنا ذكر النصاب الذى يحتم الفقه الإسلامى الوصول إليه حيث تؤخذ الضريبة متصاعدة بعده ، ولا ضريبة على ما دون النصاب فى جميع الممتلكات والثروة . وقد جعل الإسلام لكل شىء من ذلك نصابه المعلوم ، فنصاب الغنم مثلاً أربعون ، والبقر ثلاثون ، ومحصول الزرع خمسة أوسق ، والذهب عشرون مثقالاً ، والفضة مئتان [6] ...الخ

ولا ريب أن فى هذا عدلاً ، إذ يستثنى به كثير من الفقراء عن دفع الضريبة ، ويقع معظم ثقلها على عاتق الموسرين المترفين

• • •

لعلى بهذا قد عرضت على القارئ صورة لما كان يراعى فى ضرائب الإسلام من العدل ، ولكن تذكر يا سيدى القارئ ، ما قلت لك آنفاً ، من أن العدل ليس وحده هو ما يلزم للضريبة المثالية من أركان، فثمت ، على الأقل ، ثلاثة أركان أخرى ، كما وضع آدم سميث، لازمة للضريبة المثلى هى :

(١) الإنتاج (٢) والملاءمة (٣) ثم اطمئنان الحكومة والدافعين إلى ما يؤخذ أو يعطى . . . ولكن يا ترى هل كان الإسلام معنيًّا بجميع هذا الأركان فى صدقاته ؟ أجل ... ولعلى أستطيع أن أفى ذلك بعض حقه فى فرصة أخرى

على حسين الوردى
بالجامعة الأمريكية
بيروت

(١) كتاب الخراج لأبى يوسف
(٢) الماوردى فى الأحكام السلطانية
(٣) الجامع الصغير فى الفقه لمحمد بن الحسن
(٤) « « « « « «
(٥) الماوردى فى الأحكام السلطانية
(٦) « « « «
(٧) الماوردى فى الأحكام السلطانية

على هامش النقد

كتب وشخصيات

للأستاذ سيد قطب

١ — عبقرية محمد ... ... للعقاد
٢ — بيجماليون ... ... لتوفيق الحكيم
٣ — دعاء الكروان والحب الضائع ... لطه حسين

تمهيد :

أردت أن أجمع بين هذه الكتب وهؤلاء الكتاب ؛ لا لأنها تتفق فى فكرة أو اتجاه ، ولا لأن بينهم — فى هذه الأيام — مصافاة أو مجافاة ! ... ولكن لأن كلاً منهم يجرى فى كتابه هذا على منهجه ويستخدم أفضل قواه .

خطر لى مرة أن أكتب مقالاً أو مقالات تحت عنوان : « لا يعرفون أنفسهم ! » وفى مقدمة من كنت أعنيهم بهذا العنوان ثلاثة من الكتاب : طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وأحمد أمين !

من المبادئ الاقتصادية الأولية أن يستخدم الفرد أحسن مواهبه ؛ وهؤلاء الكتاب لا يستخدمون أحسن مواهبهم فى كثير من الأحيان ، فلو كنت أملك الحجر على الناس فى بعض التصرفات ، لحجرت على هؤلاء الثلاثة فى بعض الاتجاهات ! تحقيقاً لهذه القاعدة الاقتصادية ، وتحقيقاً لمصلحتهم ومصلحة الأدب على السواء .

فأما الدكتور طه حسين ، فهو لا يعرف نفسه حقاً حين يحاول أن ينشئ أدباً غير ذلك الاستعراض الحلو لخطرات النفس وخلجات الضمير ، وغير ذلك اللمس الخفيف الرفيق للانفعالات والوجدانات . الاستعراض هو فن طه حسين الأصيل الذى يجيده فى « الأيام » و « على هامش السيرة » و « مع أبى العلاء فى سجنه » ، ثم فى « دعاء الكروان » وفى « الحب الضائع » فى هذه الأيام .

فأما حين يسرف فى استخدام مواهبه ، حين يستخدم مواهب الصف الثانى لديه — إذا استعرنا الاصطلاحات الحربية — فى مثل « الأدب الجاهلى » و « مع المتنبى » وفى نقد الكتب أو كتابة المقدمات ... فإنما يسرف على نفسه أولاً وعلى مواهبه ، ويسرف على الأدب ثانياً وعلى قرائه ، أولئك الذين يريدونه فى خير حالاته ؛ وإن لم يكن فى حالاته الأخرى من المتخلفين .

وأما توفيق الحكيم فإنه لا يعرف نفسه أصلاً ، حين يحاول أن ينشئ أدباً غير القصة ، وغير الحوار بشكل خاص . الحوار هو فن توفيق الحكيم الأصيل ، فما هى إلا كلمة خاطفة من هنا وجملة عابرة من هناك حتى تستوى الفكرة التى يعالجها حية شاخصة ، أشبه شئ بالخطوط السريعة فى تحديد ملامح الوجوه .

وقد اهتدى إلى أحسن مواهبه فى أهل الكهف وشهرزاد وبيجماليون فى ناحية ... وفى نهر الجنون » و « سر المنتحرة » و « الخروج من الجنة » فى ناحية أخرى ، على تفاوت فى الطاقة والاتجاه ...

فأما حين تسول له نفسه أو يسول له بعض الصحفيين أن يكتب أشياء مما يكتب فى شتى الصحف والمجلات ؛ وحتى حين يكتب قصصاً غير الحوار وغير معالجة مشكلة فكرية فى هذا الحوار ، فإنه يجنى على مواهبه ويجنى على قرائه على تفاوت الجناية فى هذين الاتجاهين ، ويستحق الحجر الذى يضرب على المسرفين فى الجهد أو فى المال !

وأما أحمد أمين فقد ظهر أول ما ظهر بكتابه « فجر الإسلام » ثم تابع السلسلة فى « ضحى الإسلام » بأجزائه الثلاثة ، فقلنا : رجل متزن يهتدى إلى خير مواهبه فيستخدمها أحسن استخدام .

ثم صدرت « الثقافة » فاستهوته المقالة ، وهنا خانه الاهتداء إلى أفضل ما فيه ، واستمرأ هذا الجهد الوقتى المتقطع فكثرت مقالاته ، وكثرت إذاعاته ، وجمع هذه المقالات فيما أسماه « فيض الخاطر » على ثلاثة أجزاء .

هذا « الفيض الخاطر » هو اللفتة الخاطئة فى حياة أحمد أمين الأدبية ، وهو الانحراف عن الطريق السوى الذى خلق له ، وهو التعطيل للوظيفة الأساسية التى انتدبته لها المكتبة العربية .

ولو أنه سار فى الطريق ، فوضع لنا — بدل الأجزاء الثلاثة من « فيض الخاطر » — ثلاث حلقات جديدة فى سلسلة تاريخ الأدب العربى ، ولو أنه تابع هذه السلسلة إلى عصر النهضة الحالية ، لأدى للمكتبة العربية أجل الخدمات . . .

ولكنه استهواء الصحافة ، وتوزيع الجهد ، والإسراف على النفس وعلى القراء !

***

فى الكتب الثلاثة أو الأربعة التى اخترت أن أجمع بينها فى هذا الحديث يهتدى مؤلفوها إلى أفضل مواهبهم ويستخدمونها على أفضل الوجوه . فكل منهم يجرى فى ميدانه الأصيل ، ويجرى على أصول الجرى فى هذا الميدان ؛ وهى — من هنا — تمثل أصحابها خير تمثيل ، وترسم مناهجهم فى الأداء وفى التفكير .

فأما العقاد فهو أبداً مبتد إلى مواهبه لم يضل فى تقدير واحدة منها ، وهى مواهب متنوعة ولكنها جميعاً أصيلة وتكاد أن تكون متكافئة ، فإذا شئنا الاختيار والمفاضلة ، فأفضلها فيما يبدو « دراسة الشخصيات »

وقد انساق العقاد منذ نشأته الأدبية تقريباً فى هذا السياق عامداً أو غير عامد ، فهو أكثر كتابنا المحدثين دراسة للشخصيات : الأدبية والفكرية والسياسية والإنسانية . كتب عن : المتنبى وابن الرومى وأبى العلاء وجيتى وتوماس هاردى وطاغور ، وكثيرين من أمثالهم قدامى ومحدثين . كما كتب عن : كانت ونيتشه وماكس نوردو وشوبنهور ، وكثيرين من أمثالهم . وكتب كذلك عن : هتلر ومصطفى كمال وسعد زغلول . وعن : محمد عبده وغاندى .

ثم ها هو ذا يكتب عن « محمد » كتابه الأخير

وليست كثرة الشخصيات التى كتب عنها « العقاد » هى التى تجعله دارس شخصيات ، فكثيراً ما يكتب الكاتبون عن عشرات الشخصيات ومئات الأعلام أوصافاً لهم وحوادث فى حياتهم ، ثم يخرج القارئ من هذا كله بأوصاف ومعلومات لا يتبين منها ملامح شخصية واحدة من هذه الشخصيات

إنما ميزة « العقاد » الفذة أنه مصور ملامح ، ومشخص هيئات ، وراسم صور حية من اللحم والدم والصفات والسمات والهواجس والأفكار ... لديه لكل شخصية يدرسها مفتاح يدير به اللولب ، فإذا أنت أمام هذه الشخصية ، وإذا أنت تملك هذا المفتاح ، وإذا أنت تستطيع تفسير الحوادث التى ألمت بحياة هذا الإنسان ، كما تملك تفسير استجاباته لهذه الحوادث

كل إنسان كتب عنه «العقاد» تستطيع أن تعرف « من هو » ، وإن لم تعرف كل ما وقع له من أحداث

تلك هى الموهبة المتفردة التى تجعل « العقاد » دارس شخصيات ، لأنه هو نفسه شخصية واضحة المعالم والسمات

وفى هذا الكتاب الأخير « عبقرية محمد » تتجلى هذه الموهبة على أتمها وأكملها ، وينضج نضجها واستواؤها على فصول الكتاب وجمله وفقراته . فهو من هذه الناحية أدل ما يكون على أكمل موهبة من مواهب « العقاد » . فأما تفصيل ذلك ، فعند الكلام عن الكتاب

وأما « بيجماليون » فيستوى فيه كذلك توفيق الحكيم على نهجه فى « أهل الكهف » و « شهر زاد » بعد ما بعد بنفسه طويلاً عن هذا النهج : حوار ، حول مشكلة من مشاكل الفكر الإنسانى . . . كم بلغ فى هذا الحوار من الإجادة ، كم خطا فيه إلى الأمام أو إلى الوراء ؟ هذا ما يتبين فى الحديث الخاص عن هذا الكتاب

وأما « دعاء الكروان . وعلى هامش الحب » فجدولان جديدان فى إنتاج الدكتور طه حسين ، ولكنهما ينبعان من نفس المعين الذى نبعت منه « الأيام » . إلا أنهما مقدرة جديدة فى هذا الاتجاه . فقد كنت أعجب — ولكن لا أرى عجباً — فى أن يكتب الدكتور «الأيام» فيصور خلجات نفسه وهواجس ضميره ، ويتلمس وقائع حياته ويلم بحوادث أيامه . أما أن يصور خلجات نفس أخرى وهواجس ضمير آخر ، وأما أن تكون تلك النفس نفس امرأة ، وهذا الضمير ضمير امرأة — بل امرأتين بل امرأت ! — وأما أن يطرد هذا التصوير بنفس القوة والعذوبة والوضاحة التى فى « الأيام » ، فهذه هى المقدرة الجديدة التى سيبين عنها المقال

وأترك القارئ الآن وقد علم لماذا اخترت أن أجمع بين هذه الكتب وبين هؤلاء الأشخاص . وفى الأسبوع القادم سآخذ فى الحديث الموضوعى إن شاء الله

سيد قطب

حكم فى القضية رقم ٣٢٣ جنح عسكرية سنة ٩٤٢ ضد طه حسن بدوى بغرامه ٥ ج والغلق لمدة ثلاثة أيام والنشر والاعلان على باب القسم بتاريخ ٣ / ١٢ / ١٩٤١ وذلك لبيعه خشبا بسعر أكثر من المحدد بالتسعيرة

حكم بجلسة ١٨ فبراير سنة ٩٤٢ فى القضية ن ١٠٤٥ سنة ٩٤٢ جنح عسكرية المنيابتغريم عز محمد يونس من منشاة عمرو ٣٠٠ قرشاً وحبس محمد سليمان حسن شهرين مع الشغل لبيعهما ذرة بسعر أزيد من التسعيرة

دجـــلة يطغى

[بمناسبة فيضان دجلة هذا العام]

للأستاذ حامد مصطفى

أرأيت هذا الخلق العجيب الذي لم يبل منه مرّ الدهور ولا تقلب الحدثان . . . تمضي الحوادث وتتصرم الأجيال ونحن نعتقد أن الإنسان إنما يجري لأجل ويسعى إلى أمد، ولكن كرّ الأيام واعتراض التجارب تكاد تجعلنا نوقن بأن البشر إنسان واحد منذ وجد إلى أن تقوم قيامته ... وما هو ذلك الفارق بين إنسان اليوم وإنسان الماضي وإنسان المستقبل ؟ ألسنا نوعاً واحداً ذا طبيعة واحدة وآمال متماثلة ؟ خلق متماسك الحلقات متصل الوجود يسمى بعضه إلى خير باقيه ؛ زرع أوله لحصد آخره، وبنى ماضيه فتوطن حاضره، وجرب سلفه فأفاد الخلف ؟

هذا دجلة يصخب ؛ يزخر عبابه، وتزُم أمواجه، ويصم هديره، يمر ببغداد اليوم وقد مرّ بها من قبل أيام الرشيد، واخترق دولة بابل وآشور، وجرى قبل ذلك كله في أمم قد خلت لا يعلمهم إلا الله . فهل تغير الناس أم تغير دجلة ؟ وهل كانت مياهه في تلك الأحقاب غيرها في أيامنا هذه ... أم أن الناس اليوم هم غيرهم في تلك الأيام ؟ ليس من البعيد أن يكون دجلةُ الماضي دجلةَ الحاضر بمائه وهديره وطغيانه ؛ أما إنسان دجلة اليوم فلا يبعد أيضاً أن يكون هو إنسان دجلة الماضي . وما الذي يدرينا أن الحياة على وجه هذه الربوع لم تدُر وتتكرر كما دارت مياهها وتقلبت . ألم تسمع قول الماضين :

كالبحر يمطره السحاب وما له   فضل عليه لأنه من مائه

وقولهم :

خفف الوطء ما أظن أديم الأ   رض إلا من هذه الأجساد

زُمَّ يا دجلة بمائك واصخب وتهدّد فلن نفهم من لغتك حرفاً كما لم تفهم منها القرون الأولى شيئاً . الناس يحيون على شاطئيك ويمر بهم العيش ألواناً وأطواراً وهم لا يكادون يبدلون ولا يتبدلون : فظالم متمادٍ في ظلمه، وضال متفانٍ في ضلاله، وذو مال لم تشبعه الدنيا فتحيل لها شتى وجوه الحيل يبتغي الرفاه والمزيد، وشعوب رزحت في أطواق الذل والجهل ونامت بأغلال الاستضعاف فلم تتململ في أقفاص الهوان ... لقد خدع جمال الحياة ولذة الدنيا وركود النعمة أقواماً لو غالبتهم على المال ما غلبوا، أو جاريتهم على كسب الحطام ما وهنوا

لقد ثار ثائر دجلة اليوم كما ثار ثائره من قبل فأقضّ على الناس المضاجع وهلعت طوله قلوب أهل الريف ؛ أولئك يخشون على أنفسهم وأموالهم وأولادهم، يخيل إليهم أن ما هم فيه من نعيم مقيم وعيش رغيد وآمال باسمة وحياة حالمة سيكون مآله مآل ثراء قارون ومدنية بابل . وأولاء يرون بين الأمواج القضاء النازل على ما بذروا وزرعوا وما أعدوا لنيل العيش وسد الجوع واتقاء الآفات . هذا شأن الناس على شاطىء دجلة والفرات وروافدها كل عام في مثل هذه الأيام

لقد استطاع سكان العراق القدماء اتقاء هذا البلاء الذي تناهب نفوس المعاصرين، فكانوا ينامون آمنين مطمئنين لا يخافون على نفس ولا مال، حتى لقد هزئوا بطغيان النهر ولم يغلبهم الصِّرْي[1] وكانت القنى تنهب الماء نهباً فتملأ به رحاب العراق فتنقلب صحراؤه جناناً خضراً وحدائق غلباً . حتى لقد كان الطير ينتقل بين الرقة والأبلّة قرب خليج البصرة فلا يجد إلا ظلاً ظليلاً وماء سلسبيلاً، ويجري الأرنب بين الأشجار فيستريح إلى جانب النهر ولا يقف به خببه حتى يدرك غايته لا يشتكي عناء ولا لغوباً، ويجري ساعي البريد بين بغداد والشام لا يرى شمساً ولا زمهريراً . لقد كان (السواد) جنة الدنيا وقلب الأرض تجبى إليه ثمرات كل شيء، وتجتمع في سرته الدنيا ؛ كل ذلك بهذا الفضل من الماء الذي يهددنا في هذا الشهر من كل عام، والذي صرنا نخافه ونخشاه ونتقيه ولا نكاد نملك في صده ودرء عاديته سوى جهد ضئيل لا يكاد يوازي جهد البغاث في دفع الطير الكاسر

يقولون إن في الهند والصين أنهاراً يتقرب إليها الناس بالارتماء في مياهها والغيبة بين أمواجها حتى لتتكاثر الجثث على شواطئها فما يزيد ذلك عابديها إلا رغبة في إرضائها وتزاحماً على الموت في أجوافها . وليس ذلك بالعجب الكبير ؛ فإن القوم تمثلوا القوة في أعظم شيء في أعينهم فترضوه وخافوه وافتدوا منه الأجيال بعدد يسير من الضحايا ليس مصيرهم في عقيدتهم إلا نعيماً مقيماً ؛ إنما العجب من قوم رقت عقائدهم ودقت أفهامهم ونضجت

(١) الصرى الماء يطول مكثه وفي لغة بغداد (التزيز)

معارفهم ثم هم يرون الخلود لأجسادهم ولا يرونه لأرواحهم ، فماتت قلوبهم وذلت نفوسهم . أما مادتهم فهي وارفة وأجسامهم فهي ناضرة يصح فيهم قوله تعالى : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم) . أولئك تقربوا بالدنيا إلى الآخرة وبالأجسام إلى الأرواح ، وهؤلاء تقربوا إلى دنياهم بأخراهم وبأرواحهم إلى لذة أجسامهم فذلوا وأضاعوا الدنيا والآخرة ، وزهدوا في الخير الدائم ونعيم الأجيال وحرية الأرواح ولم يروا شيئاً أن تكون لهم المادة ولا يكون لهم شيء من المعنى

لقد كان للناس عبرة في مظاهر الطبيعة وتقلبات الحوادث، وكان لهم عظات تتكرر وتقسو في التنبيه والإرشاد ، وكان للناس أجمعين في كل ما يتقلبون فيه ويعانون تجارب يكفي أدناها لليقظة والاعتبار ... ولكن هيهات ، فإن الناس لا يفهمون من لغة الطبيعة وتضافر الآيات إلا عوارض لا رأى لها ولا غاية ؛ وما الشمس في مجراها والقمر في دورته والأرض في حركتها وانسلاخ النهار من الليل وجرى الأنهار وهديل الأطيار إلا ألوان من اختلاف المادة ، واتصال الطبيعة لا شأن لها ولا غرض إلا خدمة الإنسان وتعرضها له بالمتعة والانتفاع ... وكأن الطبيعة أدركت من الإنسان ذلك الهزؤ وتلك المهانة فأخذت تتحداه وتتعرض له بالنكبات تلو النكبات وبالمصائب بعد أمثالها ؛ وكلما تقدم في المعرفة والعمران وازداد غروره في تملك ناصية الطبيعة والتمكن منها كانت هذه تجد الفلتات فتتسرب إليه من حيث اطمأن وتنوبه من حيث أمن ؛ فتجد المصنع يتفجر ، والمنجم يثور ، والسفينة لا تنقذها مهارة ربانها ، أو البركان يعصف بالأرض ومن عليها ، وربما لا تجد يوماً يمر دون أن تفلت الطبيعة من يد الإنسان فتتبدد آماله وتتبدل خططه .

لقد مرت على دجلة القرون والأحقاب وهو يجرى بمائه إلى البحر فياق فيه بالكنوز وبالقوة ، ولم يحظ أهله منه إلا بالنزر اليسير من الحظ الكبير حين كان الناس جهالاً وحين كانت الطبيعة أقوى من الإنسان . إن في دجلة من الخير والقوة مالا ينضب معينه ولا تنفد مادته . ولقد قعد ابن دجلة يتمطى على جانبيه عصوراً طوالاً حتى أدركه هذا العصر عصر القوة والابتداع فوجده قاعداً وقد قام الناس، وفقيراً وقد استمتع بالثراء كل ذى نأمة . أفلا تمتد الأيدى إلى مصدر الغنى وينبوع القوة فتجعل من الفقر غنى ومن الضعف قوة ؟... أفلا يجدر بنا أن نكف من غرب دجلة بالآلة ووسائل الإنتاج الحديثة بدل أن نتعهد شاطئيه كل عام بالأيدى والمساحى و « الهزات[1] » ثم نحن لا نصد من عادية النهر قليلاً ولا كثيراً ، ولا يعود علينا ذلك بإصلاح دائم ولا بتقوى شاملة ... ؟ ألم يأن للذين يخشون طغيان دجلة كل عام أن يفكروا بالانتفاع من طغيانه فيكون لهم مورد خيرات ونعمة وجاه بدل أن يهتموا موسم كل فيضان بكفكفة ضفتيه خوف البلاء واتقاء الغرق ؟ لقد ملأنا أنفسنا خوفاً من دجلة ورعباً من أمواجه ، فقد تواردت علينا السنون ونحن لا نفكر في شيء من أمر الرافدين إلا أن نصد البلاء وندفع النكبة حتى خيل إلينا أن ليس في النهرين إلا الشر ، وأنهما لا يحملان بين أمواجهما إلا الرعب ، حتى صار لفظ « الطغيان » في أفهامنا مرادفاً للغرق . . . أنعجز ونحن في العصر العشرين عما عجز عنه قدماؤنا قبل الأدهار البعيدة والأزمنة السحيقة ؟

تعاقب علينا يا دجلة بالطغيان بعد الطغيان، وخاطب المعاصرين كما خاطبت القدماء ؛ فإن الناس لا يفهمون لغة الأمواج ولا يعقلون نداء النذر ، ولن تزال شواطئك صحارى يابسة ومنازل خاوية حتى تستبدل بالمسحاة « الحراثة[2] » وبالهزة « الكراكة[3] » ، وحتى يكون الطغيان أملاً ورجاء ، لا خوفاً وبلاء .

حامد مصطفى
ليسانس في الآداب وفي القانون

(١) الهزة في لغة العمال مقدار من التراب يأخذه العامل على ظهره بخرقة ثم يلقيه في مكان آخر . (٢) الحراثة هي الآلة البخارية للحرث (٣) الكراكة هي الآلة البخارية للحفر والنقل

٣٥ – المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الحادي عشر – « الخرافات »

يستعمل كثير من المصريين – والنساء غالباً – « الميعة المباركة » لإبطال الحسد . والميعة مزيج من عقاقير مختلفة ستذكر فيما بعد ، وتجهز وتباع في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم فقط . وكثيراً ما نرى حينئذ بائعي الميعة يتجولون في شوارع القاهرة صائحين : « يا بركة عاشورا المبارك(١) ، أبرك الستين على المؤمنين ياميعة مباركة » ويحمل بائع الميعة فوق رأسه صينية مستديرة يغطيها بقصاصات من الورق المختلف الألوان ، ويضع عليها المزيج الثمين ؛ ويتوسط الصينية كوم كبير من تُفل مادة قاتمة الحمرة تستعمل للصبغة ، وتمزج بقليل من الميعة والكزبرة ، والحبة السوداء(٢) . ويحيط بالكوم الكبير أكوام أصغر ، أولها من الملح الملون الأزرق والنيلج ، وثانيها من الملح الملون الأحمر ، وثالثها من الملون الأصفر ، ورابعها من الشيح ، وخامسها من تراب اللبان . وتلك هي مواد الميعة المباركة . ويدعو المشترون عادة البائع داخل المنازل ، فيضع الصينية أمامه ، ويتناول صحناً أو قطعة ورق حيث يضع من الميعة بقدر رغبة المشتري . فيأخذ من كل صنف قليلاً ويضيف إليه مقداراً آخر المرة بعد المرة منشداً أثناء ذلك دوراً طويلاً يبدأ هكذا : « باسم الله وبالله ، ولا غالب إلا الله ، رب المشارق والمغارب ، كلنا عبيده ، يلزمنا توحيده ، وتوحيده جلاله » وبعد أن يثني على فضائل الملح يقول : «أرقيك من عين البنت ، أحمى من الخشب ، ومن عين المره ، أحمى من الشرشرة ، ومن عين الولد ، أحمى من الزرد ، ومن عين الراجل ، أحد من الناجل . . . الخ » ثم يروي كيف أبطل سليمان حسد العين ، ويعدد بعد ذلك الأمتعة التي لا يخلو منها المنزل على الأرجح فيرقيها جميعاً من الحسد . وأكثر عبارات هذه الرقية مضحكة جداً ، إذ هي ألفاظ أدخلت للسجع فقط . ويحتفظ المشتري بالميعة المباركة التي تباع الحفنة منها بخمسة فضة طول العام التالي فيحرق قليلاً منها كلما خشي حسد العين بحيث يتصاعد الدخان إلى المحسود

جرت العادة عند طبقات القاهرة العليا والوسطى أن يعلقوا في احتفالهم بالعرس القناديل في الطريق أمام منزل العريس ، وكثيراً ما يحتشد الجمهور حول قنديل كبير جميل لمشاهدته ، فالعادة حينئذ أن يُلهوا الشاهدين بكسر جرة كبيرة ، أو بحيلة أخرى حتى لا تسبب عين حاسد سقوط القنديل . وكثيراً ما تحدث حوادث تؤيد إيمان المصريين بخرافاتهم المتعلقة بالحسد . ومثل ذلك ما رواه صديق لي : من مدة قصيرة رأى جملاً يحمل جرتي زيت كبيرتين فصاحت امرأة أمام الجمل : يا سلام ! يا لهما من جرتين عظيمتين ! ولم يقل الجمال : صلي على النبي ؛ فلم يلبث الجمل أن سقط وكسرت رجله وكسرت الجرتان . وقد أخبرني أحد أصدقائي القاهريين بشكوى أسردها هنا توضيحاً لما قررت . قال صديقي : « لما عدل الباشا عن احتكار بيع اللحم منذ أيام أصبح الجزارون يذبحون الحيوانات ويبيعونها في حوانيتهم . ومن المزعج تماماً أن ترى الخروف الجميل معلقاً أمام عين الجمهور كاملاً بذيله(١) وأعضائها فيشتهيها كل سائل يمر بجانبها فكأنما يتناول المرء سماً » وقد شكا إليّ طاه الشكوى نفسها فكان يفضل أن يكلف نفسه مشقة الذهاب إلى دكان جزار لا يعرض اللحم على أنظار المارة ولو كان بعيداً .

يضع الكثير من تجار العاصمة وغيرها من المدن المصرية على واجهة حوانيتهم ورقة كتب عليها اسم الله أو اسم الرسول أو الإسمان معاً أو الشهادة أو البسملة أو حديث نبوي أو آية قرآنية مثل : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً (سورة الفتح الآية الأولى) نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (سورة الصف آية ١٣) أو ابتهال إلى الله مثل « يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم » . وكثيراً ما ينطق التاجر بهذا الابتهال عند ما يشرع في فتح حانوته صباحا ، وكذلك الباعة المتجولون كبائعي السلع الصغيرة والخبز والخضر الخ . عند ما يخرجون لجولاتهم اليومية . والعادة أيضاً أن يضع الرجل من الطبقة السفلى أول نقد يتناوله على شفته وجبهته ثم في جيبه

وكثيراً ما نرى في القاهرة غير الكتابات التي تعلق على الحوانيت هذا الدعاء « يا ألله » ينقش على أبواب الدور الخاصة والعبارتين : «الخلاق العظيم هو الباق» أو «هو الخلاق العظيم الباقي

(١) هذا هو اسم اليوم العاشر من محرم (٢) أو حبة البركة

(١) يعتبر دهن الذيل لذيذاً

ترسمان بأحرف كبيرة على الباب كحرز وتذكرة لرب الدار أنه بشر بتوفاه الله[1] وكثيراً ما تكتب هذه الكلمات على باب الدار إذا كان صاحبه السابق أو أغلب سكانه السابقين أو جميعهم قد توفوا

إن أفضل الوسائل لإبعاد العلل والأمراض كتابة آيات من القرآن[2] فى وعاء من الفخار يصب فيه قليل من الماء . ويرج حتى تزول الكتابة ثم يشرب المريض الماء المنقوع فيه هذا الكلام المقدس وهو ما يلى : ويشف صدور قوم مؤمنين (سورة التوبة آية ١٤) . يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور (سورة يونس آية ٥٧) . فيه شفاء للناس (سورة النحل آية ٦٩) . وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين (سورة الإسراء آية ٨٢) . فإذا مرضت فهو يشفيني (سورة الشعراء آية ٨٠) . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء (سورة فصلت آية ٤٤). ومن هذه الآيات أربع لا تشير إلى أمراض الجسم وإن استعملت لذلك ، بل تشير إلى أمراض العقل . وتشير الآية الثالثة إلى فضائل العسل . وقد سألت شيخى أن يبين لى موضع هذه الآيات من القرآن فرجانى عندئذ ألا أترجها بلغتى لأن ترجمة القرآن بغير ذكر النص الأصلى محرمة ، لا لأنه خجل من جريان العادة باستعمال هذا الكلام طلسما فكره أن يعرف مواطنى ذلك . وقد أوضح لى اعتقاده التام فى تأثير هذه الآيات حتى على المريض الكافر وأظهر ثقته التامة بقوتها . وقال ملاحظاً : « إن الرسول (صلعم) قال : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » . وقد هدأت وسواسه فى ذلك بإخباره أن للقرآن ترجمة انجليزية

ويعطى للمريض أحياناً لشفاء الأمراض وإزالة أثر السموم جرعة ماء فى طاس معدنى نقش بداخله آيات قرآنية ورسوم وأشكال طلسمية . وقد أهدى إلى أخيراً فى القاهرة طاسة مثل هذه أعجب بها أصدقائى المسلمون كثيراً . وينقش أيضاً خارج الطاسة كتابات تمدد فضائلها ، وتشير إلى خواصها من إبطال السموم والحسد وشفاء الأمراض والعلل والموت . وقد رأيت هنا طاسة أخرى كالسابق وصفها تماماً ، غير أن نقوشها زالت قليلاً . ويعتقد أن أسرار القرآن كثيرة جداً . وفى ذات يوم رفضت أن أتناول طعاماً خشية الضرر فنصحنى بقراءة سورة قريش إلى آخر «الذى أطعمهم من جوع» وأن أردد هذه العبارة الأخيرة ثلاث مرات . وقد جزم لى أن فى هذا وقاية أكيدة من كل سوء أخشاه

عدلى طاهر نور

(١) أنظر الباب المنقوش فى مقدمة الكتاب (٢) وتسمى آيات الشفاء

مرسلات . . .

الإصلاح

ما من رئيس أو وزير أو حاكم أو مدير فى هذا البلد إلا وهو يتغنى بأنشودة « الإصلاح » ، ويضرب على وتيرته ، ويومض للناس ببريقه الخلب ، ويلهم حواليه باسمه الجذاب ... ولكن دعوات « الإصلاح » تبدأ عندنا بداءة سارة ، ثم تنتهى إلى نهاية محزنة : تبدأ عالية مدوية يرتج لها الوادى من بطاحه ورعانه ، ثم لا تلبث أن يأخذها الضعف شيئاً بعد شىء ، حتى تعود همسات خافتة لا تكاد تسمعها الآذان ، ثم تسكت بعد قليل سكتة الموت !

ولو أن امرأ عنى بعرض ما ينشر فى الصحف عن الإصلاح منذ النهضة الوطنية إلى اليوم ، ولا سيما إبان تغيير الوزارات ، وتقليد الرياسات ، وافتتاح المجالس ، وتأليف اللجان ؛ لرأى فى الخطب الطنانة ، والأحاديث الرنانة ، والمذكرات المحبرة ، وعوداً بالعمل تتلوها وعود ، وبشارات بالإصلاح تردفها بشارات ... ولكن أعمار الرياسات المختلفة تنقضى — طال بها الزمان أو قصر — وشىء من ذلك لم يتحقق ، ثم تتبدل الرجال غير الرجال ، والعهود غير العهود ، فيعود الناس كرة أخرى إلى الخطب والوعود !

أين « المصلح » الصادق الذى يخلص لفكرة « الإصلاح » أكثر مما يخلص لشىء سواها ؟ إن الرجل ليضع بنفسه خطة النهوض ، ويرفع بيمينه شعلة التجديد ، حتى إذا اجتذب بها القلوب ، ووجه إليها النفوس ، ونال منها ما يصبو إليه من عرض هذا الأدنى ، تركها فى مهب العواصف الجامحة من رغبات أو شهوات ، تتولاها شياطين الإفساد ، وهو عنها نائم .. ولعمرى لو مس هذا « المصلح » فى شخصه من قريب أو من بعيد ، لثار لنفسه ما لم يثر لفكرته ، ثم لثار له عشرات من أوليائه ومن خادميه لا يسألونه : لم ثار ؟

محمد محمد المدنى



الصفاء بين الأدباء

صديق الزيات

حتى أنت قد خاب أملي فيك ! أنا الذي دعا إلى « الصفاء بين الأدباء » كما رأيت ، وبذلت في ذلك ما بذلت ، ورددت الحقوق إلى أصحابها ، وأديت الواجبات على تمامها ، وأزلت من النفس أسباب الكدر ، وطهرت القلم من أدران الشر ؛ فإذا كل هذا يسفر عن كلمة سمحتَ أنتَ بنشرها في العدد الأخير من (الرسالة) كلها إيذاء لشخصي دون مبرر ، كلمة لم تدع إليها مساجلة أدبية ، ولم ينتفع بها الأدب والفكر ؛ لكن دعت إليها شهوة الهجوم والتجريح لمجرد الزهو والخيلاء بالهجوم عليَّ وتجريحي . ولعل السبب الوحيد في ذلك أني رجل هادئ الطبع كما تعرف ، نزَّاع إلى الخير ، ينزه القلم عن أن يستخدم هراوة للبطش ... وكنت أحسب الشجاعة الحقيقية هي في احترام أصحاب هذه المبادئ والنزعات ؛ ولكن صدمني حقًّا ما رأيت من أن الأدباء في مصر — مع الأسف — لا يحسبون حساباً لغير الكاتب الذي يبرز مخالبه ، ويكشر عن أنيابه ، ويتهيأ دائماً للوثوب ... أنا الذي أراد من الأدب أن يكون حديقة غنَّاء سياجها « الصفاء » ، إذا بي أراه حرشاً من الأحراش المأهولة بالضواري ... ما هي في واقع الأمر رسالة الأدب إلى البشر ؟ أهي شيء آخر غير ترويض كوامن الناس وإفهامهم أنهم أرق من الحيوان ؟ إن الأدب الرفيع هو الذي يثير المشاعر الرفيعة ، بما فيها من حق وحب وخير وجمال ... وإن الأدب الوضيع هو الذي يهيِّج فينا الغرائز الحيوانية بشهواتها للفتك والبطش والعدوان ... كنت أظن — يا صديق الزيات — أن تلك هي رسالتك ، وأن عملك في مجلتك هو توجيه الأدب إلى هذه الغاية الفضلى ، حتى ينشأ جيل سليم فاضل يرى الأدب على حقيقته : جنة سامية طاهرة ، لا مكان فيها لمن يبطش بالقلم ، ولكنها مكان من يعلِّم بالقلم ، يعلِّم الإنسان ما لم يعلم ... !

خاب أملي فيك — أيها الصديق — لا لأني متألم من كلمة نابية نشرت ، فما أكثر السهام التي يرشقني بها الناس في كل ظرف ومناسبة ! فما من أحد مثلي يؤذى كل يوم ويشوه عمله وقصده وفكره تشويهاً بما يكتب عنه وما يوضع على لسانه وضعاً . ومع ذلك فأنا أمام كل هذا من أكثر الكتَّاب احتمالاً وأقلهم احتفالاً ، ولعلي من أشد الناس رسوخاً في عقيدتي : « لا ينبغي للأديب الفاضل على أي حال مقابلة القبيح بالقبيح ، بل يجب عليه المضي قدماً في سبيل نثر الجميل النبيل من المشاعر في كل القلوب ! » ... إنما الذي خيَّب أملي فيك هو أني رأيتك قد حدت قليلاً عن رسالتك في (الرسالة) ، وفي هذا خطر على شرف الغاية التي عاهدت نفسك والناس عليها ... قد أغتفر لك إهدارك حق الصداقة والزمالة ؛ أما هذه ، فلا ... هنا ونفترق ... وليكن اليوم آخر عهدي بك و (بالرسالة) والأدباء ... لن أكتب شيئاً لك ، ولن أذكر بعد اليوم أديباً بخير ولا بشر ... سأصمت عن أشخاصهم صمت القبر ، لأنصرف إلى الإنتاج وحده من حيث هو إنتاج ، ماضياً في إصدار كتبي لقرائي الأوفياء ... فلا حلم في صفاء ، ولا أمل في مودة بين أدباء . على أني قبل ذلك أحب أن أنوه بحق لك عندي وفضل لا أود أن أنساه : لست أعني الآن فضل (الرسالة) المعروف في شهرتي الأدبية ، بل فضلاً آخر لعلك تجهله أنت حتى الساعة : أتذكر يوم أعلنت إليَّ عزمك على إصدار مجلة (الرواية) واعتمادك عليَّ فيها كل الاعتماد ؟ لقد كنت أنت الذي اقترح عليَّ فكرة تدوين ذكرياتي المنسية عن عهد اشتغالي بالقضاء ، فخرج كتاب « يوميات نائب في الأرياف » . ربما لولاك ما اتجه ذهني إلى هذا الأمر ، ولضاعت إلى الأبد معالم تلك الأيام ... أسجل لك مع الشكر هذا الصنيع ، وليشكرك عليه كل من أحب هذا الأثر ، واستودعك الله ...

توفيق الحكيم

(الرسالة) : جوابنا عن رسالة الصديق العزيز في العدد القادم

التاريخ وشعر الملوك

لم يأت الأستاذ الفاضل عبد الله مخلص بما ينفي الشك فيما يتعلق بشعر السلطان سليم ؛ وقد اتضح الآن أن بيتَيْ المعرّي

(المُلك لله مَن يظفر بنيل غنًى ... الخ) منسوبان خطأ إلى السلطان سليم فى الكتب الأربعة التالية :

١ — الإعلام لقطب الدين الحنفى
٢ — أخبار الدول للقرمانى
٣ — أخبار الأول للاسحاقى
٤ — أوراق پريشان لنامق كمال

فهل لنا أن نثق الآن بهذه المصادر بعد أن وقعت جميعها فى هذا الخطأ البيّن ؛ ودلت على أنها تتوارث الأغلاط كما يتوارث الناس المرض الدسيس ؟ ...

هذا شيء ... والشيء الآخر أن هذه الأبيات الغزلية تتردّد فى نسبتها بين السلطانين : أحمد وسليم تبعاً لاضطراب الروايات واختلافها ؛ ثم هى مسروقة — أو جزء منها على الأقل — من أبيات للملك الصالح طلائع بن رزيك ، كما يشير إلى ذلك مقال الأستاذ ... فأى هذه الأقاويل أولى منا بالتصديق ؟ بل أيها أبعد عن تهمة الكذب والتلبيس ؟ !

... أخيراً يجيبنى الأستاذ عن مسألة التخميس بقوله : « جواب هذا السؤال وارد فى المخطوط من أنها للسلطان أحمد فيكون هو نفسه قد خمس بعد ما زاد عليها تلك الأبيات ، وبينها أبيات الملك الصالح الثلاثة » وأنا ما علمت قبل اليوم أن شاعراً يخمس لنفسه شعراً !

والأبيات بعد كل هذا ليست مما يستحق طول النقاش أو دقة التحرى ؛ فلا هى من جيد الشعر ولا من متوسطه ، وإنما هى إلى المتكلّف أقرب وفى باب المصنوع أدخل . وإذا كان لنا أن نخرج بثمرة من كل ذلك ، فلتكن هذه الثمرة فى اعترافنا بأن كتبَ التاريخ القديمةَ عندنا فى حاجة إلى تحليل دقيق وتمحيص وافٍ تتميز بهما غثها من سمينها ؛ وإلا فالكفُّ عن قراءتها وتركُ الاعتماد عليها أولى وأحرى ...

ولنشكر أستاذنا الفاضل عبد الله مخلص الذى أتاح لنا ببحثه القيم ، أن نسوق مثلَ هذه الكلمة الصريحة .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

١ — حول لبس القبعة ، نصوص نواقضها

قرأت الفتوى التى نشرها الأستاذ المدنى فى العدد ٤٦٧ من مجلة الرسالة ، فرأيت أن أذكر القارئ بما أورده الإمام البيضاوى فى تفسيره : « وإنما عد لبس الغيار — أى الشنار — وشد الزنار ونحوهما كفراً لأنها تدل على التكذيب ، فإن من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجترئ عليها ظاهراً ، لا لأنها كفر فى أنفسها) اهـ . وبما قاله العلامة السعد فى شرح المقاصد : « لو كان الإيمان هو التصديق لكان كل مصدق بشيء مؤمناً ، وعلى تقدير التقييد بالأمور المخصوصة لزم ألا يكون بغض النبى صلي الله عليه وسلم وإلقاء المصحف فى القاذورات وسجدة الصنم ونحو ذلك كفراً ما دام تصديق القلب بجميع ما جاء به النبى عليه السلام باقياً ، واللازم منتفٍ قطعاً . وأجيب بأن من المعاصى ما جعله الشارع إمارة عدم التصديق تنصيصاً عليه أو على دليله ، والأمور المذكورة من هذا القبيل ، بخلاف مثل الزنا وشرب الخمر من غير استحلال » اهـ

وحديث « من تشبه بقوم فهو منهم » قال الحافظ بن تيمية من كلامه فيه فى كتاب اقتضاء الصراط المستقيم : « وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضى تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره يقتضى كفر المتشبه بهم » اهـ . ووقع خطأ فى سنده بتصحيف « أبى منيب » إلى « أبى جنيب »

٢ — ابن بندار

قرأت قطعة من أوائل كتاب المعرب للجواليقى فرأيت مصححه الأستاذ أحمد شاكر يقول فى ترجمة المؤلف ص ٢٨ — ٢٩ : « وقد حدث الجواليقى فى المعرب عن شيخين لم أعرفهما : أحدهما ابن بندار . والثانى عبد الرحمن بن أحمد ، روى عنه عن الحسن بن على ... وشيخه « الحسن بن على » هو أبو محمد الجوهرى الشيرازى مات سنة ٤٥٤ »

أقول : أما ابن بندار فهو أبو المعالى ثابت بن بندار المعروف بابن الحمامى ولد سنة ٤١٦ وسمع أبا الحسن بن رزمة وأبا بكر بن البرقانى وأبا على بن شاذان فى خلق كثير . قال ابن الجوزى : حدثنا عنه أشياخنا . توفى سنة ٤٩٨

وأما الثانى فهو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف ، سمع ابن المذهب والبرمكى وغيرهما وكان ثقة .. قال ابن الجوزى : حدثنا عنه أشياخنا . توفى سنة ٥١١

أحمد صفوان

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٣ مايو سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٧٨٦ سنة ٩٤٢ ضد فاطمه فرج زايد فلاحة من عزبة راغب تبع الدفراوى مركز شبراخيت بتغريمها ١٠٠ قرش والنفر على مصاريفها لبيعها ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة



مرسى مطروح فى شتاء عام ١٩٣٨

عاصـــفة ...

للأستاذ فؤاد البهى السيد

يوم عاصف ...

وسماء مُربدة سوداء ...

وريحٌ مجنونة هوجاء ، تضج وتصخب فى عنف وقوة ، فتكاد تجتث الأشجار والأحياء ...

وبحر ثائر ، وأمواج مزبدة غاضبة ، كأنما يعول فيها ألف مارد وشيطان .

تباً لهذه الصحراء من حرباء ...

وبغضاً لهذا البحر من منافق ...

لطالما كنت أحب هدوءهما ، وأنعم بالسكينة فى جوارهما ، ولم أك أدرى أنّ وراء هذا الهدوء كل هذه البراكين التى تقذف بالحمم واللهب ، ولم أك أعلم أن وراء هذه السكينة كل هذه الزلازل التى تحطم وتخرب . إنها الطبيعة انطلقت سافرة ، ونضت عنها قناعها ، وبان منها الناب والظفر ...

أويت إلى دارى ، وأوصدت علىّ أبوابها ووقفت وراء زجاج النافذة أشهد عراك العناصر وانطلاقها ، فإذا السماء ترجمنى ببرد كالصخر ، وإذا الزجاج يتحطم عن يمينى وعن شمالى ، وتتناثر شظاياه وتملأ أرض القاعة ، وكأنما ساء الطبيعة أن ترانى أتأمل وجهها الغاضب ، والغضب يمسخ الوجوه ، ويضفى عليها ألواناً بغيضة ، وهى لا تحب للانسان أن يرى سوأتها وقبحها .

صافح سمعى قرع خفيف على باب الدار فقلت لنفسى وأنا أشعل لفافتى ، وأتأمل لهب الثقاب حتى لكأنما عزّ علىّ أن تخلو هذه الثورة كلها من لهب ونار ؟ !

— ما خطب هذه الرياح التى ما تفتأ ترجمنى ، فما أنا بإبليس ، وما دارى بالعقبة وما تلك بشهور الحج ... وما ...

وعاد القرع قوياً شديداً ، فهبطت لأستقبل طريد العاصفة ، فإذا هو زنجى عملاق ، ابتلت منه الثياب ، واصطكت منه الأسنان ، وامتدت منه اليدان ترجوان مأوى وملجأ ، قلت فى حيرة :

— تفضل

قال وهو يوصد الباب وراءه :

— شكراً

قلت أحاوره :

— ما دفعك على السير والعاصفة فى نشوتها سكرى تحطم وتخرب ؟

قال :

— إنما كنت فى طريقى إلى دار مولاى السيد السنوسى

. . . .

السنوسيون

إنى أعرفهم وإن لم أكن قد رأيتهم بعد ...

عرفتهم فى مجدهم وإيمانهم وسحرهم الذى يسطو على هذه الصحراء ، فإذا كل ضارب فى أرجائها ودروبها ، وكل سار فى لياليها وأمسياتها صديق لهم أو رفيق أو تابع

عرفتهم من هذه الصورة الحلوة التى رسمها لهم رحالتنا الكبير أحمد باشا حسنين « فى صحراء ليبيا »

وعرفتهم مما كتبته عنهم « روزيتا فوربس » فى مغامراتها فى الصحراء الغربية مع رحالتنا ، حينما ضلا طريقهما وظلا بين الحياة والموت أياماً كانا فيها كالمشرف على هاوية ، يروعه عمقها وترعبه ظلمتها ، وهو على حافتها ، يهتز ويتأرجح فى فزع مميت ، ولقد نجت ونجا صاحبها ، وأهدت كتابها إليه

وعرفتهم من أحاديث رفاق عنهم بعد أن تركوا ديارهم ، واحتموا بمرسى مطروح من عذاب الاستعمار وشره

وعرفتهم مما كتبت عنهم الصحف فى قتالهم للمغتصب الفاتك

وعرفتهم فى احتمالهم الأذى ، واصطبارهم عليه وتجملهم له

وعرفتهم بعد ذلك ، ولقيتهم وصحبتهم طويلاً ...

. . . .

صاح رفيقى وكأنما هو يقرأ كل ما يدور بخلدى :

— أتعرفهم

فابتسمت له وأنا أقول :

أأنت تعرفهم . . أعنى أصحبتهم طويلاً ؟!

فنظر إلى وهو يقول :

— أأعرفهم ؟!

ثم ابتسم الرجل ابتسامة حزينة واستطرد قائلاً :

— لقد ولدتنى أمى فى دارهم ، وعشت صباى وشبابى فى واحتهم الكفرة ، ثم رحلت عنها فيمن رحل لا ظاعنا لأعود ولكن طريداً فقد الدار والأهل ، والله وحده يعلم ماذا حل بالأم والزوجة والأطفال من بعدى . لقد أسرعت إلى بعيرى ورمحى ، لكن ماذا يجدى البعير والرمح والرفاق من حولى يموتون من حيث أرى ولا أرى ، ولقيت ابنى الصغير يهيم على وجهه باكياً صارخاً فمددت له يدى وأردفته ورائى وأسرع بى البعير يعدو ، وأحسست بالطفل يسقط فأمسكته من رجله وظل معلقاً هكذا ساعة أو بعض ساعة ، وأنا أعدو به وهو يبكى ، وأنا لا أكاد أسمع صراخه وبكاءه وسط هذا الصخب وتلك الضجة

ثم صمت الرجل ودوى صوت الرعد رهيباً قاسياً ، وثارت الطبيعة من حوله ومن حولى ، وعلا صوت ارتطام الأبواب والنوافذ ودقات قطرات المطر المتلاحقة السريعة على الزجاج ...

واستطرد يقول وكأنما هذه الطبيعة الغاضبة لا تعنيه :

— وأفقت لنفسى على تأرجح البعير وهو يمشى الهوينا ، وقد صمت الأصوات من حولى ، وابتلعت الصحراء صوت كل صارخ فيها وهاتف ، ونظرت لطفلى فإذا هو ثابت الأحداق ، وأحسست ببرودة بدنه كبرودة البئر فى ليالى الشتاء ، فاحتضنته وأنا أبكى بكاء لم أبكه من قبل ، وسار بى البعير فى دروب لا أعلمها ، وضللت فى الصحراء طويلاً ، ونفق البعير ، ودفنته مع الطفل وسرت وحدى كمخلوق معتسف ضال يهيم على وجهه ظامئاً ككلب يلهث ...

وصمت الرجل ولعله كان يجاهد عبرة تتألق فى محجريه ، وتنهدت وأنا أقول له :

— ما اسمك ؟ ... قال :

— فرحات ... فرحات يا سيدى ، وإن كنت لم أنعم بهذه الفرحة التى وسمونى بها قط ! ... ولعلهم كانوا يتشاءمون من مصيرى فسمونى بهذا الإسم ، كما يسمون اللديغ سليما وهو يعانى نفثة الأفعى أو سم العقرب

... .

وفى الصباح علمت بما فعل السيل ودمر

فلقد صعق رجل وجمل بالجبل !

واجتاحت السيول سيارة براكبها فأغرقته وهو فى طريقه من السلوم إلى مرسى مطروح

وبعد أيام زارنى فرحات ، وتوثقت بيننا الألفة وظل عاماً معى ولم أك أدرى أن هذا العملاق الكبير يحمل بين جنبيه هذا القلب المطوف الحنون ... لقد كان وديعاً كحمل طاهر برىء !

ما أظن يا فرحات أنى سألقاك وقد نأت بنا الديار

من يدرى ؟

أتهيم الآن فى صحرائك ضالاً معتسفاً ؟ أم عدت إلى واحتك ؟

أم فاضت روحك ... ؟

الله وحده يعرف أين ألقت بك العاصفة ... ... ؟!

فؤاد البهى السيد

حكم بجلسة ٤ مارس سنة ٩٤٢ فى الجنحة ٢٦٩ سنة ٩٤٢ عسكرية المنيا بتغريم على على محمود بالقيس ٣٠٠ قرشاً وغلق محاله لمدة ثلاثة أيام لبيعه لحماً بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٨ ابريل سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ٦٧١ سنة ٩٤٢ ضد على رزق الهلب بقال بدمنهور بتغريمه ٢٠٠ قرش وغلق المحل لمدة يومين والنشر على مصاريفه لبيعه ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٢ ابريل سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٢٧٦ سنة ١٩٤٢ ضد محمد مرسى الرومي تاجر غلال بالمحمودية بتغريمه ٢٠٠ قرش وغلق المحل لمدة يومين والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع قمحاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٢ ابريل سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٠ سنة ١٩٤٢ ضد عبد الغنى عبد الله عميرة تاجر بشبراخيت بتغريمه ١٠٠ قرش وغلق المحل لمدة يومين والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع عدساً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٥ ابريل سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٧٥٣ بسنة ١٩٤٢ ضد ابراهيم أحمد موسي تاجر منى فاتورة بدمنهور بالحبس خمسة عشر يوماً مع الشغل والنفاذ والنشر علي مصاريفه لبيعه قماشا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 469

Lundi - 29 - 6 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ عن العدد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٦٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٩ يونية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الحب الضـــائع (*)

للأستاذ عباس محمود العقاد

تكلم سانت بيف — إن صدقتنى الذاكرة — على أدب المذكرات الخاصة الذى شاع بين القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر فى طائفة المثقفين والمثقفات من أهل فرنسا فعلل شيوع هذا الأدب بحب الظهور أو حب التحدث عن النفس والعكوف عليها . وقال ما فحواه : إننا نحن الفرنسيين نحب أن يتحدث عنا الناس وأن نتحدث عن أنفسنا . فإن عز علينا ذلك فى المحافل والأندية خلونا إلى أنفسنا فكتبنا عنها فى مذكراتنا الخاصة وجعلنا من سيرتنا موضوعاً يشغلنا كأننا أبطال المسرح ونظارته فى وقت واحد . وهذا هو عنده — إن صدقتنى الذاكرة مرة أخرى — تعليل أدب المذكرات الذى شاع قبيل عصره بين الفرنسيين والفرنسيات

وصاحب هذا التعليل لم يوفّ السبب الصحيح كل التوفية فيما نراه

فإن المذكرات الخاصة لم تشع بين الفرنسيين وحدهم فى تلك الفترة ، ولكنها شاعت كذلك بين الإنجليز وبدأت عندهم على الأرجح قبل ابتدائها عند الفرنسيين . فأثرت عنهم اليوميات من أوائل القرن السادس عشر إلى أيام الثورة الفرنسية ، وكانت لهم

(*) رواية جديدة للدكتور طه حسين بك

فيها أفانين لا تنحصر فى نوع واحد من أنواع الملاحظة والتدوين

والأغلب فى اعتقادنا أن كتابة المذكرات الخاصة عادة سرت إلى أبناء فرنسا وانجلترا مما من عادة الاعتراف التى دان بها التابعون للكنيسة الكاثوليكية زمناً فى كلتا الأمتين . فكان إفضاء الكاتب بأسراره إلى دفتره المكنون ضرباً من الاعتراف بين يدى الكاهن بالخطايا والذنوب وخفايا النيات ، وأصبحت كتابة المذكرات هى باب الاعتراف الوحيد الذى ظل مفتوحاً لمن تحولوا عن الكنيسة الكاثوليكية وعدلوا عن الاعتراف بين أيدى الكهان

وربما أضيفت إلى هذا السبب أسبابٌ أخرى نفسية كمزاج البوح والمكاشفة الذى يطبع عليه بعض الناس ، وأسباب أخرى سياسية واجتماعية كاضطرام الفتن واختلاف العادات ، وصعوبة المفاتحة بالأسرار بين أناس متدابرين مستريبين فيما يضمر كل منهم من العقائد والميول

والدكتور طه حسين قد جمع بين حسن الإلهام وحسن التعليل حين عرض لهذا الأمر فى الصفحات الأولى من روايته الجديدة « الحب الضائع » فقص لنا قصة الفتاة التى انتقلت من الاعتراف للقسيس إلى الاعتراف للدفتر وقال لنا بلسانها : « إنى لأفكر فى هذا فأذكر مواقف وقفتها فى عهد الطفولة ولا أزال أقفها إلى الآن وقد كدت أبلغ العشرين من العمر . وهى مواقفى من القسيس ... »

إلى أن تقول : « ... فأخترع الخطايا اختراعاً وألقيها إلى القسيس متكلفة غالية فى التكلف . فيقبل القسيس منى حيناً ويرفض حيناً آخر . حتى انتهي به الأمر ذات يوم إلى أن كلفنى أن أعترف له بكل ما أتقلت به نفسى من هذه الأكاذيب والأباطيل ونبهنى إلى أن الكذب عليه كذبٌ على الله ، وإلى أن هذه الخطيئة الساذجة فى ظاهر الأمر قد تستحيل إلى خطيئة مهلكة لأنها تعودنى الكذب ، وتغرينى بالتكلف ، وتدفعنى إلى النفاق ، وتنشئ بينى وبين الآثام صلات قد تنتهى بى إلى الشر . فأقلعت منذ ذلك اليوم عن انتحال الخطايا وتكلف الآثام للقسيس، ولكنى ألاحظ الآن أنى قد جلست إلى هذا الدفتر لأنتحل الأحاديث وأتكلف الأسرار وما فى نفسى من حديث وما لضميرى من سر ... »

فها هنا طفلة أحبت الاعتراف لأنها أحبت أن تتشبه بالفتيات الناميات ولو فى انتحال الخطايا واختلاق الذنوب ، ثم حال القسيس بينها وبين الاعتراف الكاذب فرجعت إلى قسيس صامت لا يمنعها أن تعترف بما تشاء ولو لم تكن فيه مدعاة اعتراف ، وهو الدفتر الذى تطويه عن الانتظار وتجد عنده مزيجاً من متعة البوح ومتعة الكتمان

هذا مزاج الاعتراف واتخاذ الدفاتر الخاصة معاً قد مثل لنا على صورته الجلية الصادقة فى أطوار هذه الفتاة التى يحدثنا عنها مؤلف « الحب الضائع »

ولعلنا نلمس فى هذه الحقيقة طابع الصدق الفنى والصدق الواقعى الذى اتسمت به الرواية فى سرد حوادثها ووصف نسائها ورجالها

* * *

تأخذ فى قراءة هذه الرواية وتعبر منها صفحة بعد صفحة فلا يزال يرتفع فى خلدك شعور بالسؤال : متى كنت هنا قبل الآن !

أو لا تزال تشعر كشعور الرجل الذى رأى وجهاً عرفه ولا يذكر أين رآه أول مرة ، أو كشعور الرجل الذى رأى مكاناً تخيله ووصف له وظن أنه نزل به يوماً ولا يذكر متى كان ذلك اليوم

ثم تعرض مقروءاتك من بعيد وقريب فيتراءى لك من بينها اسم « فرتر » الذى لا ينساه طويلاً من عرفه بعض حين

أى نعم هو « فرتر » بعينه ... هو فرتر بلا مراء

أفمعنى ذلك أن رواية الحب الضائع تشابه رواية فرتر فى وقائعها ؟

أفمعناه أنها تشابهها فى سياقها أو أسلوب كتابتها أو طريقتها فى فن القصص أو مواقف الأبطال الموصوفين فيها ؟

كلا . لا تشابه من هذا القبيل بين الروايتين ، وكل ما بينهما من التشابه أنهما تتحدثان لنا عن حب يائس انتهى بامرأتين صديقتين إلى الموت . وهذا فى الحقيقة موضوع عام تشترك فيه روايات لا تحصى ، ثم لا تذكرك واحدة منها بالأخرى

إنما التشابه فى جو الطيبة والوداعة الذى يغمر القارىء وهو يتقدم فى قراءة الروايتين

وليس هذا كل ما هنالك وكفى !

بل هى طيبة لا تشبه كل طيبة فى لبابها ، لأنها طيبة جادة تعرف كيف تستسلم وكيف تجمح وكيف تنطوى على نفسها وكيف تقبل الحياة بشرائطها هى لا بشرائط الحياة

وهى كذلك طيبة لا تحسها من مصدر واحد فى الرواية ، فلا تحسها من الزوجة وحدها ولا من الزوج وحده ولا من

الصديقة التي خانت فقتلت نفسها ولا من الأسرة التي فرقها الموت أو جمعها الشيخوخة والأسى

بل هي طيبة الجو كله ، وإن برزت فيه الخيانة كما تبرز الشياطين في حظيرة الملائكة المطوبين

وهي طيبة العلاقات والأواصر التي تخلق البيئة وتشمل من فيها ، فإذا هم كلهم طيبون يريدون ذلك أو لا يريدون

فتاة تتزوج بخطيبها الذي اختاره لها أهلها وقد فجعتهم الحرب في أعز الأبناء . ثم تحب هذا الزوج وتخلص له وترزق منه صبياً يؤكد هذا الحب بينهما ، ثم تساق إلى الأسرة صديقة فجعت في قرينها فيلقاها الزوجان بالحفاوة والمودة والمؤاساة، ثم تنشأ بين الصديقة والزوج علاقة لم يحسبا لها حساباً ، وكان ينبغي أن يحسبا لها بعض الحساب ، فتهرب الصديقة من خطر الخيانة إلى مكان بعيد ، وتمالج المقاومة ما استطاعت حتى تعجز عنها وعن الصبر فتعود ، ولكنها لا تطيق مقام الخيانة بين الزوجين فتحتال هي وعاشقها على اللقاء في مزار معهود . ويكبر على ضمير الرجل إثم الخيانة فيسوغه بالفلسفة التي يراها خيراً له من مصارحة نفسه بخيانة زوجة تخلص له ولا تفكر في غير الإخلاص ولو على سبيل القصاص . أما الفلسفة التي اهتدى إليها ، فهي القول بتعدد الزوجات واستطاعة القلب أن يوفق بين حب اثنتين في كثير من الأوقات ، أو كما قال الدفتر الذي تكتبه الزوجة لنفسها ونعلم منه وقائع القصة مروية بلسانها حيث تقول : « ... كنا نسمر في بيتنا كما تعودنا أن نفعل مع جماعة من الأصدقاء الذين تعرفيهم ، وكنا نتجاذب الحوار في موضوعات مختلفة كما تعودنا أن نفعل ، فانتهينا إلى الحب وانتهينا إلى الوفاء ، وأفضنا في ذلك حتى عرض مكسيم لعادة تقرها بعض الجماعات المتحضرة : عادة تعدد الزوجات ، وإذا مكسيم يدافع عن هذه العادة دفاعاً حاراً ويذود عنها ذياداً عنيفاً ، وأنا أسمع ذلك ضاحكة منه أول الأمر ، ثم منكرة للغلو فيه ، ثم دهشة لهذه الحماسة التي يظهرها مكسيم ، ثم منتبهة لما كان يرد به فيليب من ألفاظ لا تخلو من تلميح وتعريض ، ثم تتفرق وقد وقر في نفسي من هذا الحوار شيء لم يخل من تنغيص لما كان بيني وبين مكسيم من صفو... »

هرب الرجل من ألم الضمير إلى الفلسفة كما يفعل الرجال في معظم الأحوال .

أما المرأة ، فقد هربت من ألم القلب إلى ملاذ آخر لعله أهون عليها من فلسفة الرجال ، وهو الموت !

نعلم ذلك من الأسطر الأربعة التي هي كل ما نبأنا بها المؤلف بلسانه بعد ختام الدفتر على نحو من الاقتضاب كأنما هو اقتضاب القطع بالسكين ... « وأصبح الناس ذات يوم وقد قرءوا في صحف الإقليم نعي سيدتين أهدت كل واحدة منهما نفسها إلى الموت ، وجعل الناس في المدينة إذا لقي بعضهم بعضاً يلمون بهذا النبأ ويقول بعضهم لبعض : يا عجباً ! كأنما كانتا على ميعاد ! »

هنا مظهر الطيبة القوية كلها أو مظهر القوة الطيبة كلها

فهنا صدمة طاغية تودي بحياتين ويوشك أن تودي بثالثة ، أو هي قد أودت فعلاً بما هو مساك تلك الحياة وهو الاطمئنان وسكينة الضمير

أعداد الرسالة الخاصة

في سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

تمت هذه الخاتمة القاصمة دون أن تنفرج الشفاه بكلمة واحدة تبعثر آلام الصدور في آذان من يعنيهم الأمر ومن لا يعنيهم من الفضوليين

ولو كانت طيبة سخيفة لاستنفدت نفسها في اللجاجة والثرثرة والقال والقيل في غير طائل

ولو كانت قوة تخلو من الطيبة لما خلت من الإجرام والفضيحة والتنغيص الذي لا يطاق

ولكنها الطيبة التي قلنا إنها تعرف كيف تستسلم وكيف تجمح ، وتعرف كيف تحب وكيف تموت . ومن عجائب الدنيا أنه لا يعرف كيف يحب وكيف يموت إلا من هو أحق الناس بالحياة

والسؤال الذي يخيل إلي أنني سامعه من كل لسان في هذا الموقف هو : أفي العالم اليوم مثل هذا الحب ! وإن كان في العالم أفي أوربا ؟ وإن كان في أوربا أفي الديار الفرنسية ؟

وهنا الكشف الذي يستحق أن تكتب من أجله الروايات والمصنفات ، لا الرواية الواحدة ولا المصنف الواحد

فحب النزوات ما استغرق قط نفوس بني الإنسان في هذا الزمان ولا في غير هذه النزوات

وفرنسا ليست ببدع في ذلك بين أمم العالم الحديث . فليست فرنسا كلها باريس ولا باريس كلها بأحياء السهر والمجون ، بل هناك فرنسا أخرى كتب عنها العارفون واختبرها الناقدون

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

علاج النفس — الخادع المخدوع — مداخل الشيطان — صورة إسلامية — المنافق الجميل

علاج النفس

كتب إلينا حضرة (...) الموظف بوزارة المالية خطاباً يذكر فيه أنه يعانى أزمات نفسية تتمثل فى تجسيم الخلاف الذى يثور بينه وبين أهله وأصدقائه من حين إلى حين ، وهو يستحلفنا بالله أن ندله على طريق الخلاص من هذه الأزمات السود

ونحن من جانبنا نستحلفه بالله أن ينظر فى الصور الآتية :

١ — رجل صائم يشعر بأن الصيام قد يحمله على سرعة الانفعال ، فهو يتجنب الاصطدام بالناس ، لئلا يؤذيهم بغير حق

٢ — رجل ترك التدخين بعد طول العهد بالتدخين ، فهو يعرف أنه فى الأيام الأولى محتاج إلى التدبير ، ومضطر إلى البعد قليلاً من المجتمع ، لئلا يحمله ضيق النفس على الوقوع فى محرجات لا تليق

٣ — رجل مأزوم يخفى كربه عن زوجته وأبنائه ، فهو يبتعد عامداً عن الحديث فى المطالب الماشية ، لئلا تلوح فرصة يثور فيها كربه فتنفرج شفتاه عن بعض الألفاظ النلاظ فى إيذاء الزوجة والأبناء

٤ — قاض ينسحب من الجلسة وقد أحس بنوبة مرضية خوفاً من الإضرار بالمتقاضين ، لأنه يعرف أن العلة ولو كانت خفيفة تعرّض أحكامه للاعتلال

٥ — مدرس غاضب على أحد التلاميذ ، وهو لحرصه على النزاهة يرفض امتحان ذلك التلميذ ، لئلا يؤثر غضبه فى تقدير الدرجات ، وهو نوع من القضاء

٦ — غريب يشعر بالضجر من أحد البلاد ، فيمنعه العقل من اغتياب ذلك البلد ، إيماناً بأن الغربة قد تلوّن أحاسيس المغتربين بالحزن والانقباض ، فهم يرون الدمامة ويعمَون عن الجمال

٧ — خصم شريف يعرف أن الخصومة قد تفسد أحكام الرجال على الرجال ، فهو يحاسب نفسه قبل أن ينطق بكلمة تسيء خصمه المدود

فما رأيك فى هذه الصور السبع ، ولها أمثال تفوق الإحصاء ؟

إن كان حكمك على هذه الصور يوافق أحكام أولئك الرجال فادرس نفسك وزمانك لتعرف أنك معرض لآفات نفسية تفرضها عليك الظروف فى هذه الأيام « البيض »

إحترس كل الاحتراس من نفسك فى هذه الأوقات ، واعلم أن سلامة الأعصاب تعرضت لمصاعب لا تطاق ، ومن النادر أن تجد رجلاً يساير الحياة بقلبٍ سليم ، وقد قضت متاعب الحرب بأن يصير الناس جميعاً مجنّدين ، ولو كانوا من سكان المغاور والكهوف

يومك الحاضر متعب ، ولا تمر فيه لحظة بلا منغصات ، ولذلك أرجوك أن تسارع فتتهم نفسك قبل أن تتهم الأهل والأصدقاء عند اشتجار الخلاف

الملهمون الذين لا يكذبون ، وبسطوا للناس من أوصافها ما يأذن بحب كهذا الحب ، وجد كهذا الجد ، وطيبة كهذه الطيبة ، وكرامة كهذه الكرامة ، وإن كثرت من فوقها الفقاقيع التى تحجب القاع ، وتخدع فيه الأبصار والأسماع

وضمان هذه الحقيقة أن القلب الإنسانى حيث كان يفقد قابلية العيش إذا هو فقد قابلية الحب الذى يعز عليه أن يضيع ، والذى يؤثر أن يضيع الحياة ولا يضيعه وهو باق بمده بين الأحياء

إذا فنى من قلب الإنسان فى أرجاء الدنيا هذا المعين المقدس فهى الدنيا الفانية أو هى الأسطورة التى يستحمقها الخيال قبل أن تستحمقها العقول

وهذا هو الكشف الذى من أجله وحده تستحق رواية « الحب الضائع » أن تقرأ وتحفظ ، وفيها غير ذلك ما تستحق من أجله القراءة والحفظ والتأمل الطويل

***

وقد اشتمل غلاف الرواية على توابع أخرى من القصص الصغار التى تنتهى الواحدة منها فى بضع صفحات ، تختلف فى نمط التأليف وفى سرد الحادث وصور الأبطال ، ولكنها تتفق فى مزية واحدة تحمد للمؤلف الكبير ، وهى مزية الجد فى تصوير العاطفة التى هانت على ألسنة الناس وعلى نفوسهم فى مجالس أهل الفضول .

فليس الحب الذى تحكيه هذه القصص الصغار نزوة جسد ، ولا مشغلة فراغ ولا لعبة هازلين ، ولكنه كما يحمل بالإنسان كأس تصلح أن يملأها الموت كما تصلح أن تملأها الحياة ، وتغترف من معين كامن فيما وراء الطبيعة كما تغترف من معين يسطع عليه نور الشمس وتخفق عليه نسمات الفضاء .

عباس محمود العقاد

ومن المؤكد أن « مرض العصر » لا يمسك وحدك ، لأنه وباء، والوباء لا يقتصر شره على الأفراد ، فهو يمس الجميع بلا استثناء

فهل تكون عند حسن الظن بك فتقف موقف الطبيب من مرضاه ؟

ومع من تجسم الخلاف ؟

إنك تعامل أقواماً ضعفت أعصابهم أقبح الضعف ، بسبب المفجرات التي ساقتها أعوام الحرب ، فهم في حقيقة الأمر مرضى لا أصحاء ، والعاقل لا يطالب المريض بما يطالب به الصحيح

وأنا مع هذا أنصحك بما لا أنصح به نفسي ، فأنا أكتب هذه الكلمات في أعقاب ثورة نفسية قضت بالقطيعة بيني وبين صديق لا ذنب له غير العيش في أيام تجسم فيها أشباح الهفوات

وما جاز عندي أن أنصحك بما لا أنصح به نفسي ، إلا لأني أرجو أن تكون قدرتك على نفسك أكبر من قدرتي على نفسي ... وليتك تتأدب بأدبي ، فأنا لا أنفض يديَّ من صديق إلا بعد الصبر عليه عدداً من السنين الطوال ، ثم لا يكون عقابه غير الهجر الجميل

لطف الله بي وبك ، وهداني وهداك ! !

الخادع المخدوع

هو من يوهمه اللؤم أو توهمه الحماقة أن صداقات الرجال تُنال بالرياء ، وأن لُطف المحضر يغني عن صدق المَغيب

الصديق الحق هو الذي يستطيع أن يغزو قلبك بأشعة روحانية توحي إليك أنه أنيسك في النعماء ، وحليفك في الضراء ، وأن وداده الصحيح هو القبس الذي تستضيء به عند اعتكار الظلمات

الصديق الحق هو الذي يدرك بوضوح أن الصداقة تفرض عليه أن يكون سنادك في جميع الأحايين ، وأن يؤاخي من آخاك ويعادي من عاداك ، ولو كنت على ضلال . وهل يستطيع الصديق أن يرى في صديقه غير كرائم المناقب وروائع الخصال !

ليس بصديق من يرى عيوبك ، أو يسمع فيك أقوال مبغضيك . وليس بصديق من يجوز عنده أنك واحد من الناس يقترب إليه باسم الصداقة ، ويبتعد عنه باسم العقل . وليس بصديق من لا يراك في جميع أحوالك أشرف الرجال

إن استباح الصديق أن يتعقب صديقه بالملام ، في جد أو في مزاح ، فهو عدو يلبس ثوب الصديق

قال الرسول عليه السلام : « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً »

وقد أوَّل قومٌ هذا الحديث فقالوا إن نصر الأخ الظالم هو نهيه عن الظلم

وأقول إن هذا الحديث الشريف يرمي إلى غاية لم يفطن إليها أولئك المؤولون ، وهو عندي دعوة إلى العصبية الأخوية ، وهي الغاية في شرف الأخاء ، وتلك العصبية توجب أن تكون في صفوف الإخوان ولو كانوا ظالمين ، لأن الوداد الصحيح هو الاشتراك الوثيق في المحاسن والعيوب

أقول هذا وأنا أعلم أن في خلق الله من يثور على هفوات صديقه ليتسم بالنزاهة والعدل ، ولو عقل لأدرك أن مؤاخذة الصديق — ولو بحق — هي أقبح ألوان الظلم والجور والإجحاف

مراصد الشيطان

إن جاريت العقائد الدينية فالشيطان مخلوق يوسوس لك بلا انقطاع ليضلك عن سواء السبيل . وإن جاريت المذاهب الفلسفية فالشيطان هو هواك ، وأنت بين هذين الفرضين مسئول عن مقاومة هذا الهوى أو ذلك المخلوق ، لأنه في حاليه مشئوم مشئوم

ينزغ الشيطان فيقول : لك أن تختار بين إيثار صديقك وإيثار الحق

وعند هذه الفكرة المضللة تلتفت فترى الحق أجدر بإيثارك فتثور على الصديق

ثم تلتفت مرة ثانية فترى ناساً يُعجبون بشجاعتك ونزاهتك لأنك آثرت الحق على الصديق

وتلتفت مرة ثالثة فتراك وُصفتَ بأوصاف لطاف هي منحة الشيطان لمن يثور على الصديق

ثم تلتفت مرة رابعة فتراك مسئولاً عن تبرير ثورتك على الصديق ، ولا يتمّ ذلك بغير مآثم يكون منها أنك أشرف من صديقك ، ولا يقول رجلٌ إنه أشرف من صديقه إلا حين يشرف على هاوية الانحطاط !

إن الإفك في محاربة عدوّك أشرف من الصدق في محاربة صديقك ، ولك أن تقول إني أفضّل الإفك على الصدق في بعض الأحيان

عِرضُ الصديق هو عِرضُك ، ولن تكون رجلاً إلا حين تفرح بضلال صديقك قبل أن تفرح بهُداه

كن صديقاً صدوقاً ، ثم تجرّدْ من سائر الفضائل إن شئت ، فما يقيم الله وزناً لغير أعمال الصديق الصدوق

اسمع كلامي ، يا غافل ، إن كان لك سمعٌ أو قلب ، اسمع ثم أجب :

هل تعرف لأي سبب قلّت الصداقات في هذه السنين العجاف ؟

وأساعدك على الجواب فأقول :

قلّت الصداقات ، لأنها جواهر نفيسة وكريمة ، ونحن في زمن لم يرتفع فيه غير ثمن الرغيف المخلوط بالتراب ... وما أحب أن أزيد !

صورة إسلامية

في أحد أيام سنة ١٩٣٨ – وكنت ضيف العراق – أطلعني السيد صادق الوكيل رحمه الله على قصة صدرت في بيروت تسمى « خطيئة الشيخ » أو « توبة الشيخ » فما أذكر اسمها بالضبط ، ولعل إحدى المكاتب ترسلها إليّ بالثمن محوّلاً على البريد فأعرف ما فيها من مقاصد وأغراض

أخذ السيد صادق الوكيل يقرأ من تلك القصة صفحات معيّنة ، وهي الصفحات التي يشرح فيها المؤلف كيفية الوضوء وكيفية الصلاة ، بصورة تُمزج فيها القصص بالتعليم ، ثم عقب فقال : ترضيني هذه الطريقة ، فأنا أخشى أن يجيء يوم ننسى فيه كيفية الوضوء وكيفية الصلاة !

وفي صيف سنة ١٩٣٩ قضيتُ أياماً في الأسكندرية لأستكمل الصور المنشودة لكتاب « أدب الشواطئ » وهو كتابٌ صرفتني عنه صروف الحرب ، أو صرفني عنه إقفار الشواطئ من احتراب العيون والقلوب ، وسأرجع إلى إتمامه ونشره يوم يرجع الأمان إلى صدر الزمان

وأواجه الغرض من هذه الكلمة فأقول :

في ساحة الفتون بالشاطئ الإسكندري لقيني الشيخ محمد أبو العيون ، وهو أزهريٌّ طيب القلب جداً ، وقد تهمّ حين تراه بأن تسأله الدعاء ، على قلة هذا النوع في هذا الجيل ، وإني لأرجو أن يتفضل فيذكرني بالدعوات الصالحات حين أخطر في البال

كنت أمتع عينيّ بأحد ملاعب « التّنِس » في الشاطئ حين لقيني الشيخ محمد أبو العيون ، وللاعب التنس فوق الشاطئ الإسكندري جاذبية تفوق الوصف ، ولكن قدوم هذا الشيخ الصالح صدّني عن ذلك النعيم ، وأشعرني أن للتقوى جاذبية رائعة ، وأن النظر في وجه الرجل العابد يوحي من الشعر ما لا يوحيه النظر في طلعة البدر الوهاج

ولم يكن بدٌّ من صحبة هذا الشيخ في ذلك الوقت ، وكانت الشمس تتأهب للاستحمام ، وهي تستحم في البحر كل يوم قُبيل الغروب ، ولعل هذا هو السبب في أن جسمها خالد الإشراق !

– هل يضايقك أن نتمشى معاً ، ياحضرة الدكتور ؟

– أنا لا أتناول طعاماً بالليل ، ويكفي أن أكون في ضيافتك الروحية

– تعال معي إلى الفندق ، فهنالك مشكلة ينفع في حلها تعاون الرفاق

– وما تلك المشكلة ؟

– خادمٌ بالفندق يرفض أن يتعلم كيفية الوضوء وكيفية الصلاة ، مع أني عرضت عليه خمسة قروش . ولو أنه استزادني لزدته ؛ ولكنه يرفض

مضينا معاً إلى الفندق لحل تلك المشكلة ، وأنا أبتسم ابتسامةً تخفى على الشيخ ، فمن « المضحك » أن يُفكر روّاد الشواطئ في تعليم خدَمة الفنادق كيفية الوضوء وكيفية الصلاة

ونظرتُ إلى الخادم فرأيته فتًى تشهد ملامحه بأنه مسلم لفظاً لا معنًى ، وأن طول عهده بخدمة الفنادق والقهوات راضه على اليقين بأن المصطافين ليس فيهم من يذكر الله بصدق وإخلاص ... وهل تزار الأسكندرية في الصيف لأداء الصلوات ؟

عَرض الشيخ من جديد خمسة قروش ، وعرضتُ عشرة قروش فقبِل الخادم (وهو يضحك ضحكة السخرية) أن يطيعنا فيتعلم كيفية الوضوء وكيفية الصلاة

أخذ الشيخ يعلّم الفتى كيفية الوضوء بإيجاز ، وكان الموقف في جملته من غرائب المضحكات ، لأن قروش الشيخ وقروشي جعلت الفتى من المأجورين المأزورين ، ولا قيمة لعبادة يكون جزاؤها بأيدي الناس !

كان الفتى يضحك ويلعب ، ثم تغيّر وجهه فجأة فصار في خشوع النسّاك ، واحتجزنا ساعتين لنعلّمه سائر الفروض الإسلامية ، ولم يَفُته أن يردّ القروش التي أخذها من الشيخ والقروش التي أخذها مني ، برغم الإلحاح في قبول الهدية ، وكانت حجته أنه قضى في صحبتنا لحظات هي أثمن وأنفس من أطايب الأموال

وفي الأسبوع الماضي زرت الأسكندرية لبعض الشئون ، فراعني أن أجد فتى يهجم على يدي فيقبّلها بحرارة وشوق ، ثم يسألني الدعاء ، وهو الفتى نفسه ، الفتى الذي علّمناه كيف يصلي وكيف يصوم

التصوير عند العرب (*)

للمرحوم أحمد تيمور باشا

للدكتور محمد مصطفى

خيل إلىّ وأنا أقرأ كتاب « التصوير عند العرب » أننى أجلس فى « الخزانة التيمورية » أراقب صاحبها ـ رحمة الله عليه ـ فأراه يقوم إلى أحد الرفوف ويتناول كتاباً معيناً ، من بين الكتب الكثيرة المرصوصة بعناية فائقة ، ليقرأ فيه ويسجل على حواشيه ما يخطر له من آراء وأفكار . وأكاد أرى هذا الكتاب وهو يهتز بين يديه طرباً وسروراً ، بل أكاد أسمع هذا الكتاب وهو يتغنى بمديح صاحبه ويفخر بين الكتب الأخرى بما خط على جوانب صفحاته من ملاحظات ترفع من قيمته فى أعين العارفين . نعم ... إن الكتب ترقص وتتغنى إذا هى وجدت من يعني بأمرها ويرعاها فى عطف وحنان . ولو تركت « الخزانة التيمورية » وشأنها — وما فيها من عشرين ألف مجلد — لملأت جو القاهرة وضواحيها بما تتغنى به من أناشيد ، تشيد فيها بذكرى صاحبها الراحل الكريم ، ولكانت تجلب السلوة والعزاء إلى قلوب الكثيرين من سكان هذا القطر والأقطار الشقيقة ، بل إلى قلوب أناس عديدين عصفت بهم الشدائد فى تلك النواحي النائية البعيدة ، ولكانت تكف عن هذا الصراخ والعويل الذي ينبعث من « قبر » شاءت الأحوال أن تظل حبيسة فيه ، بعيدة عن عشاقها ومحبيها .

(*) نشره مع التعليقات الدكتور زكى محمد حسن

حقاً كان المرحوم أحمد تيمور باشا صاحب « الخزانة التيمورية » ومؤلف كتاب « التصوير عند العرب » من أولئك الذين أسعدهم الدهر بأن يولدوا فى وسط عائلى مولع بالأدب وقرض الشعر ، فهو الذى قالت في ولادته أخته عائشة التيمورية من أبيات :

لاح السعود وأسفر التوفيق وتلا لنا سور العلا توفيق

وكان قد سمى عند ولادته « أحمد توفيق » ولكن لقب العائلة غلب عليه . وقامت أخته عائشة علي تربيته بعد وفاة والده اسماعيل تيمور باشا ، فتاقى علوم اللغة والمنطق والقراءات على فطاحل أساتذة ذلك العصر أمثال رضوان محمد وحسن الطويل والشنقيطى الكبير ، وظل مثابراً على الدرس ومجالسة العلماء والأخذ عنهم ، حتى أصبح الحجة فى اللغة من بعدهم . وكانت داره بدرب سعادة منتدى يؤمه شيوخ الأدب واللغة للبحث والمناقشة أمثال : أحمد مفتاح ، وطاهر الجزائرلى ، ومحمد عبده ، ويحيى الأفغانى ، وغيرهم كثيرون من علماء وأدباء الشرق والغرب . وفى هذا الوسط شب على حب جمع الكتب والتفنن فى اختيارها واقتنائها ، حتى بلغ ما جمعه فى خزانته ١٥٫٠٠٠ كتاب فى نحو ٢٠٫٠٠٠ مجلد أكثرها من المخطوطات . ويؤكد الأستاذ حسن عبد الوهاب[1] — وقد كان على اتصال به — أن « هذا العدد من الكتب قد اطلع عليه رحمه الله وعلق عليه ملاحظات له ، ما بين وفاة مؤلف أو بيان ذيول وضعت على الكتاب ، أو الإشارة إلى قوة المؤلف والاعتماد عليه فى النقل » مما يدل على سعة اطلاعه وحبه للآداب والعلوم والفنون .

وكان رحمه الله دقيقاً فى بحوثه العلمية ، متوفر النشاط ،

(١) فى ترجمته له التى نشرت فى كتاب : تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر للمرحوم أحمد تيمور باشا . ص ١٥٧ وما بعدها

خُذ علمى وأعطنى إيمانك ، أيها الجاهل السعيد ، فلا حياة للعلم بدون إيمان

المنافق الجميل

هو شجرة الخِلاف ، أو الصَّفصاف ، وهي شجرة غرستُها بيدى عشرات المرات ، قبل أن أهاجر من سنتريس إلى باريس

لايدوم جمال هذه الشجرة غير سنتين أو ثلاث ، ثم تُخَوِّخ ، والتخويخ فى عُرف أهل مصر هو أن تعتلّ الشجرة بعلة الجوف ، فيكون لها ظاهرٌ صحيح ، وباطنٌ عليل ، على نحو ما تكون شجرة الصفصاف بعد أعوام قصار ، وعلى نحو ما تكون ضمائر الأصدقاء المزيّفين بعد أيام طوال !

رجال القلم هم أطباء النفوس والقلوب والعقول ، والطبيب بلا مَرضَى كالمحامى بلا قضايا والمدرس بلا تلاميذ

ومن أجل هذا أحبك ، أيها النافق الجميل ، لأن وجودك فرصة لدرس الغرائز والسرائر والأهواء

أدامَ الله عليك نعمة الغدر ، وأدام علىّ نعمة الوفاء .

زكى مبارك

يكثر من الكتابة والتأليف . وله مقالات كثيرة فى اللغة والأدب والحضارة العربية والتاريخ الإسلامى ، نشرها فى جرائد ومجلات عديدة : كالمؤيد والضياء والمقتطف والمقطم والأهرام والهلال والمهندسة والزهراء والهداية الإسلامية . أما ما ألفه من كتب فكثير ، ولم ينشر بعضها بعد ، وإنى أذكر البعض مما نشر منها مثل : تصحيح لسان العرب ، تصحيح القاموس ، نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها ، أبو العلاء المعرى ، تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ، قبر الإمام السيوطى وتحقيق موضعه ، وأخيراً كتابه الفذ التصوير عند العرب

وناشر هذا الكتاب — الدكتور زكى محمد حسن — غنى عن التعريف ، فقد تسنى لى أن أنشر على صفحات هذه المجلة حواراً علمياً بينى وبينه ، قابله بما نعهده فيه من رحاب وسعة صدر ! والمؤلف والناشر يتشابهان فى بعض الصفات كل على طريقته الخاصة وطريقة عصره . فكلاهما من هواة جمع الكتب ، الأول صاحب الخزانة الشهيرة فى الشرق والغرب ، والثانى كوّن لنفسه مكتبة فى الفن الإسلامى يتمنى الكثيرون — ومنهم كاتب هذه السطور — اقتناء مثلها . وكلاهما واسع الاطلاع ، الأول يحفظ بالذاكرة ويدون ملاحظاته فى « كراسات » للرجوع إليها ، والثانى يعتمد فى بحثه العلمى على طريقة « جذاذات الورق » — وإنى أفضل الجمع بين الطريقتين . وكلاهما معتد بنفسه وبمركزه العلمى ، الأول فى تواضع ، والثانى فيما تفرضه مقتضيات عصره من كبرياء لا ذنب له فيها

ولا غرابة إذن أن يقول الناشر فى تصدير الكتاب : « إن المؤلف كان حجة فى اللغة والأدب ، واسع الاطلاع على كتب التاريخ والبلدان ، نافذ البصيرة ، دقيق الملاحظة . فكان طبيعياً أنى لم أجد فى متن الكتاب ما يحتاج إلى تقويم أو تصويب من الناحيتين الأدبية والتاريخية ، ولكن دراسة الفنون والآثار الإسلامية لم تكن ناضجة فى مصر حين كتب فصول هذا الكتاب ولم يكن المؤلف — رحمه الله — إخصائياً وثيق الصلة بالدراسات الفنية فى الغرب ، فدفعنى هذا كله إلى الإقبال على التعليقات والدراسات الفنية مع توضيح الكتاب بالصور »

والحق يقال إن القارئ لا يدرى هل هو تواضع المؤلف الذى يطلق على هذا الكتاب مع ما نراه من غزارة مادته فى ناحيتى الأدب والتاريخ ، أم كبرياء الناشر وما أظهره من سعة الاطلاع فى تعليقاته ودراساته الفنية . وما الأدب والتاريخ سوى دعامتى الفن الإسلامى ، بهما يثبت قوامه ، وبدونهما تتقوض أركانه

وإنى لا أجد لتوضيح ذلك أقوى مما قاله المؤلف فى صلة الشعر بالفن ، فهو يقول فى مقدمة الكتاب : « وقد اعتمدت فى كثير مما ذكرته على الشواهد الشعرية ، لأنى وجدت الشعر أصدق قيلاً وأفصح بياناً فى هذه المواضيع ، فالشاعر إذا وصف فإنما يصف شيئاً موجوداً وقع عليه نظره فرواه لنا كما رآه ، ولأنه يجتهد فى تقريبه للأذهان فيصور من دقائقه فى شعره ما لا تصوره عبارة أخرى ، لا يقصد منها إلا رواية خبر ربما لا يهم راويه إلا ذكر جملته دون تفصيله »

وبدأ المؤلف كتابه بأنواع التصوير فذكر منها ما كان على الجدران والثياب والستور والأقداح والأوانى والمصابيح والأثاث والسلاح والنقود والشارات والبنود ، وفى الكتب والصحف والألواح . ثم أتبعها بذكر التماثيل على أنواعها من ثابتة ومتحركة ومصوتة بأنواع الحيل وتماثيل الحلوى والزهر والحقول واللعب وتماثيل الصبيان ، وأتى بعد ذلك على ما عثر عليه من أسماء المصورين . ويقول فى ذلك : « وفى هذا الفصل ما يدحض قول القائلين بقصور العرب فى هذا الفن البديع »

ويقع هذا القسم من الكتاب فى ١١٤ صفحة هى متن الكتاب الذى حرره المؤلف مع الحواشى التى خطرت له . وليست قيمة هذا القسم فى قلة عدد صفحاته أو كثرتها ، بل فيما تحتويه هذه الصفحات من بيانات ونصوص ، تدل على ما بذله المؤلف من جهود كبيرة ليجمعها من بطون الكثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة . وليس أدل على ذلك من قول المؤلف فى مقدمته : ثم لا يخفى على من عانى أمثال هذه المباحث اعتياص هذا الموضوع ، والتواؤه على محاوله ، لتشتته بين تضاعيف الأسفار بعد ذهاب ما كتب عنه ، وجمع فيه . فلا غرو أن يعد صغيره كبيراً ، ويسيره كثيراً ، وألا يُستهان بما يظفر به منه ، فإنه إن لم ينقع غُلّة ويصرح عن المحض ، فلا أقل من أن يتخذ أُسّاً يبنى عليه »

وقد تحققت نبوءة المؤلف هذه واتخذ الكتاب أُسّاً وبُنى عليه ، وجاءت تعليقات الناشر ودراساته الفنية متممة لهذا « الصغير الكبير ، واليسير الكثير » فرد النصوص إلى مصادرها ، ووضح الكتاب بالصور ، وعمل على إعداد فهرس هجائى طويل لمتن الكتاب وما كتبه من تعليقات وما رجع إليه من مصادر ،

وإنى أشاركه رجاءه فى أن يقبل المؤلفون على عمل مثل هذا الفهرس فيما يكتبون وينشرون

ولعل الناشر ظن أن ذكرى مؤلف الكتاب لا تزال حية فى قلوب أفراد الجيل الحاضر، فرأى أن ذلك قد يعفيه من الترجمة له، على غير المألوف فى نشر المخطوطات. وقد كنا نود لو أن الناشر كان قد افتتح هذا السفر الجليل بترجمة وافية لمؤلفه ـ رحمه الله ـ يجمع فيها شتات ما قيل وكتب عنه، لتبقى ذكراه خالدة مع كتابه، لنا وللأجيال القادمة. وإنى أرجو أن يحقق الناشر هذه الرغبة إذا أتيح له أن ينشر من هذا الكتاب طبعة ثانية

وتكلم الناشر فى تعليقاته (ص ١١٩ وما بعدها) عن موضوع « حكم التصوير فى الإسلام » وأراد أن « يفند الحجج التى يسوقها أصحاب القول بأن التصوير لم يكن مكروها فى فجر الإسلام ». فحلل هذه الحجج تحليلاً علمياً ورد عليها. وقد تكون لى عودة لمناقشة هذا الموضوع فى مقال آخر

وقد توخى الناشر الدقة التامة فى تعليقاته وفى توضيح ما نشره من الصور؛ وليس أدل على ذلك من صورة لشخص على دعامة وجدت مدفونة تحت قاعة العرش فى قصر الجوسق بمدينة سامرا، وصفها الناشر: (ص ١٤٣ وحاشية ١) بأنها لامرأة « تحمل على كتفيها عجلاً »؛ ثم قال فى الحاشية: إن « أكبر الظن أن هذا الرسم توضيح لقصة فتنة محظية بهرام جور » وبعد أن سرد هذه القصة اختتم الحاشية بقوله: « ويرى القارئ صورة لهذا المشهد العجيب فى مخطوط من المنظومات الخمسة للشاعر نظامي، كتب فى تبريز للشاه طهماسب[1] »؛ وقد بدا للناشر بعد ذلك أن يغير رأيه فى شرح هذه الصورة فقال: (ص ٢٥٣ وحاشية ١) إن هذا النقش « قد يمثل سيدة تحمل فوق كتفيها عجلاً، فيكون ذلك توضيحاً لقصة فتنة محظية بهرام جور »؛ وبعد أن تكلم باختصار عن هذه القصة قال: « ولكن الحق أننا لا نستطيع أن نجزم تماماً بأن الرسم يمثل سيدة وليس رجلاً، وبأن الحيوان المحمول عجلاً لا خروفاً؛ وإذا كان من المحتمل جداً أن يكون المقصود رسم رجل يحمل خروفاً فإن المنظر لا يكون من قصة محظية بهرام جور، بل يكون منظراً مسيحياً يمثل قصة الراعى الصالح »؛ وفى الحاشية روى هذه القصة وجاء بمراجع قيمة لبعض صور الراعى الصالح

والحق يقال أنه لا يمكن للقارئ أن يجزم بأى شيء من هذه الصورة وهى فى حالتها الراهنة، والناشر على حق فى كلا التفسيرين، ولكن إذا تأملنا الرسم الذى حاول فيه الأستاذ هرتزفلد (شكل ٦٥ ص ٨٨ من المرجع الذى ذكره الناشر) أن يرجع هذه الصورة إلى أصلها مع مقارنتها بتمثيلاتها على جدران قصر الجوسق بسامرا، أمكننا أن نتبين أنه لامرأة تحمل على كتفيها عجلاً، وأن نستبعد قصة الراعى الصالح البيزنطية الأصل، لما نراه فى الصورة من التأثير الساسانى الشديد، ولمشابهة صورة المرأة فيها من حيث الرسم والملابس لصور الآلهات على تيجان أعمدة قصر الملك خسرو الثانى الساسانى. وكذلك لم يذهب الناشر بعيداً فى ظنه أن هذه الصورة تمثل الراعى الصالح إذ لا يبعد — كما أثبت الأستاذ هرتزفلد ذلك فى ص ٨٩ من المرجع السابق — أن تكون الصورة البيزنطية للراعى الصالح وعلى كتفيه الخروف قد أوحت للفنان الساسانى أن يستبدل بالرجل امرأة وبالخروف عجلاً، فيمثل فى صورته هذه « فتنة » محظية بهرام جور، وهى تحمل العجل على كتفيها، كى تتفق الصورة مع القصة الساسانية

ولا شك أن مراجع « الفن الإسلامى » التى ضمها الناشر لما ذكره المؤلف من مراجع الأدب والتاريخ، قد جعلت لهذا الكتاب ميزة خاصة به، فصار وافياً فى الغرض الذى كتب من أجله

محمد مصطفى

أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) وأظن أن الأمر قد اختلط على الناشر فى هذه النقطة، إذ توجد فى هذا المخطوط صور أخرى لقصة فتنة مع بهرام جور ليس بينها صورة لهذا « المشهد العجيب »: أنظر ما كتبناه عن هذه القصة فى العدد ٤٥٠ من « الرسالة » ص ٢١٤ وما بعدها

شعر على بن أبي طالب

للأستاذ السيد يعقوب بكر

هل كاد شاعراً ؟

لعلنا فى حاجة قبل كل شىء إلى أن نصل إلى رأى فى هذه المسألة : وهى هل كان على شاعراً أم لم يكن ؟ ذلك لأنه قد ثارت حول هذه المسألة مجادلات ؛ فذهب قوم إلى أن علياً كان شاعراً ، وذهب آخرون إلى أنه لم يكن كذلك ، وإنما كان كاتباً وخطيباً . أقول إننا فى حاجة إلى أن نصل إلى رأى فى هذه المسألة قبل كل شىء . والواقع أننا لسنا فى حاجة إلى شىء بعد ذلك لأننا قد وصلنا فعلاً إلى رأى فى هذه المسألة : هو أن علياً كان من الشعراء . ولقد وصلنا إلى هذا الرأى بعد أن خطونا ثلاث خطوات :

١ — وجود الموهبة الشعرية عند على

ونقصد بالموهبة الشعرية هنا تلك الموهبة التى تولد مع الشاعر وتنمو بنموه وتنضج بنضوجه ، وتدفعه إلى قول الشعر ونظم القصيد . نقصد بها ذلك الاستعداد لقول الشعر واصطناعه وسيلة من وسائل التعبير عن النفس والتصوير لخلجات الوجدان ونوازع القلب

هذه الموهبة الشعرية يكفى فى الدلالة عليها حياة النفس ، ويقظة القلب ، وتنبه الضمير ، والتأثر السريع العميق بما من شأنه التأثير السريع العميق . يكفى فى الدلالة عليها اتقاد العواطف وحرارة الانفعالات

ولقد كان على بن أبى طالب ذا موهبة شعرية على هذا الأساس . فلقد كان حى النفس ، يقظ القلب ، مُتنبِّه الضمير ، يتأثر تأثراً سريعاً عميقاً بما من شأنه التأثير السريع العميق ؛ ولقد كان متقد العواطف حار الانفعالات

ويكفى فى التحقق من ذلك قراءة ما صح من خطبه وكتبه ، في هذه الخطب والكتب نلمس الشعور الفياض ونحس به سارياً فى أثناء الكلام . فنحن إذا قرأنا الخطبة الشقشقية شعرنا بما يضطرم فى صدر على من الألم لظفر أبى بكر ثم عمر ثم عثمان بالخلافة دونه ، مع أنه — فى نظره هو — أحق منهم بها لقربه من الرسول وتحدره من بيته . وهذا الألم الذى يضطرم فى صدر على ألم قوى شديد ، ينفث في الكلام مرارة يستشعرها القارئ ، وشكوى مفعمة بالأسى ، وظلالا من الشعور بالحرمان

ونحن إذا قرأنا جوابه عن كتاب معاوية إليه شعرنا بإيمان صاحب الحق بما له من حق ، وحرصه عليه ، وثورة نفسه على من يسعى لاغتصابه منه أو حرمانه إياه أو الاستئثار به دونه

وهكذا تنتظم خطب على وكتبه نفسه الحماسية ووجدانه الثائر وعواطفه الجياشة ، وتقوم دليلاً على أنه شاعرى الروح عظيم الحظ من الموهبة الشعرية

ولقد أحسَّ بروكلمان هذه الموهبة الشعرية عند على فقال فى خلال حديثه عن الديوان المنسوب إليه Geschichte der Arab. Litteratur ، ج ١ ص ٤٣ : « ليس من شك فى أن علياً كان ذا ملكة شعرية ... »

٢ — نسبة أشعار إليه فى بعض المراجع العربية المعتمدة

(ا) جاء فى عيون الأخبار لابن قتيبة (ج ٣ ص ٥ ط دار الكتب) : « وقال على بن أبى طالب كرَّم الله وجهه :

أخوك الذى إن أحوجتك ملمّة
من الدهر لم يبرح لها الدهرَ واجما
وليس أخوك الحقُّ من إن تشعّبت
عليك أمور ظل يلحاك لائما

(ب) جاء فى معجم الأدباء لياقوت (ج ٥ ص ٢٦٣ ط مرجليوث) : « قرأت بخط أبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى اللغوى فى كتاب التهذيب له قال أبو عثمان المازنى لم يصح عندنا أن على بن أبى طالب تكلم من الشعر غير هذين البيتين :

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى ... ولا وَجدِّكَ ما بروا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهنٌ ذمتي لهم ... بذات روقين لا يعفو لها أثر

قال ويقال داهية ذات روقين وذات ودقين إذا كانت عظيمة[1]

وجاء فيه أيضاً (ج ٥ ص ٢٦٦) : « ومما روى أن معاوية كتب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أن لى

---

(١) قال السيوطى فى شرح شواهد المغنى (ص ١٧٦ ط المطبعة البهية) : « ... وقال المرزبانى فى تاريخ النحاة قال يونس ما صح عندنا ولا بلغنا أن على بن أبى طالب قال شعراً إلا هذين البيتين :

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى ... فلا وربك ما بروا وما ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم ... بذات روقين لا يعفو لها أثر

وقال وكيع فى الغرر حدثني ثعلب عن ابن الأعرابي قال يصح أن علياً رضى الله عنه قال من الشعر تلكم قريش فذكر البيتين »

فضائل : كان أبي سيّداً في الجاهلية وصرت ملكاً فى الإسلام ، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخال المؤمنين وكاتب الوحى . فقال أمير المؤمنين عليه السلام أبالفضائل تفتخر على يا ابن آكلة الأكباد ؟ أكتب إليه يا غلام :

محمد النــبي أخى وصهرى   وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يضحى ويمسى   يطير مع الملائكة ابن عمى
وبنت محمد سكنى وعرسى   مشوب لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ولداى منها   فأيكم له سهم كسهمى
سبقتكم إلى الإسلام طراً   صغيراً ما بلغت أوان حلمى

فقال معاوية اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبى طالب

(ج) جاء فى مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهانى (ص١٤ ط المطبعة الحيدرية بالنجف الأشرف) : وكانت فاطمة بنت أسد أمُّه لما ولدته سمته حيدرة فغير أبو طالب اسمه وسماه علياً . وقيل إن ذلك اسم كانت قريش تسميه به . والقول الأول أصح ، ويدل على ذلك خبره يوم خيبر وقد برز إليه مِرْحب اليهودى وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب   شاكى السلاح بطل مجرّب
إذا الحروب أقبلت تلهّب

فبرز إليه على عليه السلام وهو يقول :

أنا الذى سمتنى أمى حيدرهْ   كليث غاب فى العرين قسورهْ
أكيلكم بالصاع كيل السندرهْ

(د) جاء فى العمدة لابن رشيق (جـ١ ص ١٤ ط الخانجى) :

« ومن شعر على بن أبى طالب[1] رضى الله عنه وكان مجداً قال له يوم صفين يذكر همدان ونصرهم إياه

ولما رأيت الخيل ترجم بالقنا   نواصيها حمر النحور دوامى
وأعرض نقع فى السماء كأنه   عجاجة دجن ملبس بقتام
ونادى ابن هند فى الطلاع وحمير   وكندة فى لخم وحىّ حذام
تيممت همدان الذين همُ همُ   إذا ناب دهر جنتى وسهامى
فجاوبنى من خيل همدان عصبة   فوارس من همدان غير لئام
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها   وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام
فلو كنت بواباً على باب جنة   لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

(١) قال فى حسن الصحابة (جـ ١ ص ١١٨) : « قال ثعلب فى قوله أنا الذى سمتنى أمى حيدره لم يختلف الرواة أن هـذا الرجز له ، وأيضا قد اشتهر فى كتب المغازى والسير أنه له » وقال (ص ١١٩) : « وقد نقل العلماء عن المازنى أنه استقبح ضمير المتكلم بعد الموصول فى أنا الذى سمتنى أمى حيدره وقال لولا اشتهار وروده لرددته فهو نفسه معترف بأنه اشتهر أنه لعلى رضى الله عنه ولذلك كف عن رده »

وهو القائل بصفين أيضاً :

لمن راية حمراء يخفق ظلها   إذا قلت قدمها حصين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يَرِدْ بها   حياض المنايا تقطر الموت والدما

(هـ) جاء فى ديوان الحماسة للبحترى (ص ٦١ ليدن) :

ومما يروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه :

من أى يوميَّ من الموت أفرْ   أيوم لم يقدر أم يوم قُدِرْ

وقال عليه السلام أيضاً :

أعلىَّ يقتحم الفوارس هكذا   عنى وعنهم خبروا أصحابى
اليوم تمنعنى الفرار حفيظتى   ومهنّد بالكف ليس بناب
آلى ابن عبد حين شدَّ أليّة   وحلفت فاستمعوا من الكذاب
ألا يصد ولا أهلل فالتقى   بطلان يضطربان كل ضراب
فصددت حين تركته متجدلاً   كالجذع بين دكادك وروابى
وكففت عن أثوابه ولو أننى   كنت المجدَّل بزنى أثوابى

(و) جاء فى الكامل للمبرد (ص ٥٤٤ من الطبعة الأوربية) :

« ومن شعر على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ الذى لا اختلاف فيه أنه قاله وأنه كان يردده أنهم لما ساموه « يعنى الخوارج » أن يقر بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه إلى الشام ؛ فقال : أبعد صحبة رسول الله عليه السلام والتفقه فى الدين أرجع كافراً :

يا شاهد الله علىَّ فاشهد   أنى على دين النبى أحمد
من شك فى الله فإنى مهتدى

(ز) جاء فى العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٣ ص ١٢٣) :

« ... ومن قول على كرّم الله وجهه بصفين :

أمن راية سوداء يخفق ظلها   إذا قيل قدمها حصين تقدما
فيوردها فى الصف حتى يردّها   حياض المنايا تقطر السم والدما
جزى الله عنى والجزاء بكفه   ربيعة خيرا ما أعف وأكرما »

فهو غير قليلاً فى ألفاظ البيتين اللذين ذكرها ابن رشيق، وزاد بيتاً ثالثاً

***

هذه جملة أشعار وجدناها منسوبةً إلى على فى هذه المراجع العربية المتمدة ، وهى بطبيعة الحال ليست كل ما فى هذه المراجع ، فإننا لو بحثنا فيها أكثر مما بحثنا ، لوجدنا جملة أخرى من الأشعار المنسوبة إلى على ؛ ولكننا نستطيع أن نقول واثقين : إن هذه الأشعار التى وجدناها هى معظم ما فى هذه المراجع من الشعر المنسوب إلى على ، وهى تكفينا على كل حال فى هذا البحث

٣ ــ هذه الأشعار مما يمكن صدوره عن على وفى عصر على

هى مما يمكن أن يصدر عن على ، لأنها تشف عن شخصيته

وتصور ما ألم به من الأحداث . فأنت إذا قرأت البيتين المذكورين له في عيون الأخبار طالعتك صورة الحكيم المجرب الذي يرى أن صداقة الصديق لا تكون إلا إذا حزن لحزنك وبكى لبكائك ووجم لوجومك ومن ينكر أن علياً كان حكيماً مجرباً ؟ وكذلك إذا قرأت البيت المذكور له في ديوان الحماسة طالعتك صورة العاقل الذي يرى ألا فرار من الموت في أية حال من الأحوال ، ومن ينكر أن علياً كان عاقلاً ؟

وأنت إذا قرأت الرجز المذكور له في مقاتل الطالبيين ، والأبيات الستة المذكورة له في ديوان الحماسة ، طالعتك صورة الشجاع المغوار الذي يعمل جاهداً في نشر الإسلام بالسيف بعد أن لم تُجدِ الحجة ؛ ومن ينكر أن علياً كان شجاعاً مغواراً ؟

وإذا قرأت الأبيات الخمسة المذكورة له في معجم الأدباء ، طالعتك صورة صاحب الحق يدلّل على ما له من حق ، وكذلك كان على طيلة حياته ، فقد كان يشعر بحقه هذا ويألم لإغضاء أبي بكر وعمر وعثمان عنه ثم لتنكر معاوية آخر الأمر له .

فهذه الأبيات كلها تشف عن شخصيته ، وتصور نوازعه وخوالجه وروحه . ثم إنك إذا قرأت سائر الأبيات وجدت فيها صوراً من الأحداث التي ألمت به ؛ فالبيتان المشهوران المذكوران له في معجم الأدباء يصوران رغبة قريش في قتاله وقتله ، تلك الرغبة التي ظهرت في سير طلحة والزبير وعائشة إليه ووقوع وقعة الجمل بعد ذلك . والرجز المذكور في الكامل على قِصَره يعطينا صورة عن خروج الخوارج عليه واعتقادهم كفره ثم استتابتهم إياه . والأبيات التي قالها في صفين تصور هذه الوقعة أجمل تصوير وأقواه

فأنت ترى إذن أن هذه الأبيات التي وجدناها له مما يمكن صدوره منه لأنها تصور شخصيته وحوادث عصره

ثم هي أيضاً مما يمكن صدوره في عصره ، ونقصد بذلك أنها تتسم بالطابع الذي يطبع آداب هذا العصر وهو طابع القوة والصدق . فنحن نعرف أن هذا العصر عصر عربي خالص لم تشبه بعدُ شوائب العجمة ، فهو إلى البداوة أقرب منه إلى الحضارة . ونحن نعرف أيضاً أن الروح العربية الخالصة روح قوية صادقة لم يُغَشِّها شيء ولم يلبسها شيء . ولذلك وجدنا آداب هذا العصر العربي الخالص متسمة بهذه الروح العربية الخالصة بما فيها من قوة وصدق . وليست هذه الأشعار التي نقرأها لعلي ببعيدة عن هذا الطابع الذي يطبع آداب هذا العصر الذي عاش فيه علي . ويمكن لكل ذي ذوق أن يحس ذلك إحساساً واضحاً

هذه هي الخطوات الثلاث التي خطوناها فأدت بنا إلى الرأي الذي قدمناه في أول هذا القسم من البحث وهو أن علياً كان من الشعراء . وليست الخطوة الواحدة من هذه الخطوات بقادرة وحدها على أن تؤدي بنا إلى هذا الرأي ، وإنما هي تؤدي بنا إليه إذا تعاونت مع أختيها وانضمت إليهما

ونحن نحب بعد أن أثبتنا رأينا هذا أن نعود إليه فنقويه بأقوال بعض المؤيدين لنا من المتقدمين :

١ — يقول السيوطي (تاريخ الخلفاء ص ٧٠ ط الميمنية) : « وأخرج عن الشعبي قال كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة »

هكذا يقول الشعبي وهو ثقة، ثم هو أيضاً من المتقدمين فقد كان معاصراً للحجاج وعبد الملك ابن مروان

٢ — يقول ابن عبد ربه (ج ٢ ص ١٢٣) : «وقال سعيد ابن المسيب كان أبو بكر شاعراً وعمر شاعراً وعلي أشعر الثلاثة »

فسعيد بن المسيب يقول قول الشعبي ، وهو ثقة فقد كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، ثم هو متقدم فقد كان معاصراً لعبد الملك وتوفي بالمدينة سنة ٩٨ هـ

(للبحث بقية) **السيد يعقوب بكر**

على هامش النقد

كتب وشخصيات

للأستاذ سيد قطب

١ — « عبقرية محمد » للعقاد

العقاد رجل متعب بالقياس إلى النقاد وبخاصة في كتاب « عبقرية محمد » ، فالناقد لا يحس بلذة عمله إلا حين يجد مجالاً لمشاركة المؤلف في عملية الإنشاء والخلق . حين يجد مجالاً لمناقشة الفكرة ، والزيادة عليها في بعض الأحيان ، أو التعرض لها من زاوية غير التي تعرض لها المؤلف ... وبالإجمال حين يجد له عملاً آخر بجانب المؤلف غير مجرد الاستعراض

والعقاد — وبخاصة في كتابه الأخير — يحرم الناقد هذه اللذة ، ويكاد يقعده عن الكتابة ... وما جدوى أن يكتب الناقد ليقول : « هـذا جيد ... وهذا جيد كذلك ... وهذا كذلك جيد أيضاً ! » حتى ينتهي من صفحات الكتاب وفصوله ، وهو يكرر جملة واحدة أو ما في معناها ؟ إنهـا إذن تحية وليست نقداً كما يشاء النقاد !

الرجل موهوب — هذا ما لا شك فيه — ثم هو لا يقنع بهذه الهبة الضخمة — كما يقنع مع الأسف كثير من شبابنا المتطلعين إلى الشهرة في هذه الأيام لمجرد إحساسهم بنوع من الهبة الطبيعية - إنما هو كذلك قارئ عظيم ، وقارئ يعرف كيف يقرأ وكيف يفيد من هذه القراءة ؛ قارئ يحس أن القراءة وظيفة له في هذه الحياة ، لا يجوز أن تعوقه عنها وظيفة أخرى ، حتى وظائف كسب العيش ، ووظائف الخدمة العامة

ومن الموهبة الضخمة والقراءة الكثيرة ، كان هـذا الذي يلاقيه الناقد من العنت والتعب حين يتعرض لأدب العقاد ولنثره خاصة ، فشعره لإجماله ولأنه تعبير عن النفس الإنسانية ، فيه مجال للشرح والتحليل واستخلاص ملامح النفس من خلاله ، وفي هذا كله إرضاء لشعور الناقد ، وإشعار له بأنه يعمل شيئاً بجوار الشاعر !

جالت في نفسي هذه الخواطر وأنا أقرأ كتاب « عبقرية محمد » للمرة الثالثة ، عسى أن أجد ما أقوله غير « هذا جيد ، وذاك جيد ؛ وذلك كذلك جيد ... » ثم عدت لأرى أن الاستعراض أسلم طريق .

* * *

ما موضع هذا الكتاب في مكتبة « محمد » وما وظيفته التي يؤديها ولا تؤديها المؤلفات الكثيرة والأخبار المروية ، عنه عليه السلام ؟

موضع هذا الكتاب أنه خلاصة لهذه المكتبة ولكنها خلاصة « مكيَّفة » تكاد أن تكون شيئاً آخر غير ما استخلصت منه « خلاصة ماهر » والعقاد يقول في أحد أبياته :

ليست خلاصة كل شيء غنية ... عنه وإن كانت خلاصة ماهر

ولكنها في هذه المرة خلاصة تغني من يريد أن يعرف من هو محمد على وجه التحقيق ، لأن فيها من التعليقات والتوضيحات والتحليلات ما يجعلها غنية وافية كل الوفاء ، وليس بالقليل أن تستعيض من مكتبته كتاباً

ووظيفته التي يؤديها وينفرد في أدائها ، أن كل من عرف « محمداً » من قبل في جميع الروايات والسير والأسانيد والشروح وكل من لم يعرفه كذلك ، كلاهما في حاجة أن يعرف « محمداً » مرة أخرى في هذا الكتاب ! وأن يرى صورته في هذه المرآة الوضيئة ، وإنه لواجد حتماً في الصورة عامة ، وفي كثير من جزئياتها جديداً لم يره من قبل في أية مرآة ... وسينظر ويتأمل ثم يقول المرة بعد المرة : ويْ ... إن هـذا القسم من الصورة لم يكن هكذا في ضميري ؛ أو يقول : نعم ... كنت أعرف ذلك ولكن ليس على هذا النحو الذي أراه الآن ! !

ومع هذا وذلك ، فليس في « عبقرية محمد » خبر غير مروي من قبل ، ولا حادثة لم تكن كذلك معروفة ، ولا جزئية واحدة لم يتعرض لها الرواة والمحدثون ؛ وهذا ما يحمل البعض يقول لأول وهلة : كل ما في الكتاب معروف ! وما قد يحملهم

يحسون بالسهولة واليسر فى الجهد الذى بذله المؤلف !

والحقيقة أن هذا شعور خدّاع ، وأن عبقرية العقاد ونضوجه فى هذه الأيام هما اللذان يهيئان ذلك ؛ وإنها لعبقرية – لا شك – ونضوج أن تصنع من المادة الميسرة للجميع شيئاً لم يتيسر من قبل للجميع !

وإن العقاد لمحق حين يرى فى مقدمة الكتاب أن الثلاثين عاماً التى مضت بين مولد هذه الفكرة فى نفسه وبين تنفيذها ، كانت لازمة لفسح نفسه ، حتى تستطيع أن تستوعب انفساح « عبقرية محمد » ... وإن فى الكتاب للفتات نفسية وفكرية لا تتيسر لكل إنسان ، ولعلها لم تكن تتيسر للعقاد نفسه قبل هذا الزمان ... وإنه ليقول :

« أين كنا قبل تلك السنين الثلاثين ؟

« إنها مسافات فى عالم الفكر والروح ، لو تمثلت مكاناً منظوراً ، لأخذ المرء رأسه بيديه من الدوار ، وامتداد النظر بغير قرار »

والذين يعرفون طبيعة العقاد وانفساحها وتوفزها والتهامها لكل جديد ، وتجددها حيناً بعد حين ، وازدحامها بالخواطر عدد الثواني واللحظات ، هم الذين يعرفون حقيقة هذه المسافات فى عالم الفكر والروح ، ويعرفون أنه يعنى ما يقول حين يقول : « لو تمثلت مكاناً منظوراً ، لأخذ المرء رأسه بيديه من الدوار » !

***

قلت فى التمهيد لهذه الكلمات : إن العقاد دارس شخصيات وإن كل إنسان يدرسه العقاد تستطيع أن تعرف « من هو » وإن لم يستوعب كل صفاته وكل ما وقع له فى حياته ؛ وهذا ما تجده فى « عبقرية محمد » فى نضج واستواء ؛ وإنه ليبدأ بعد المقدمة مباشرة فى ص ١٦ فيرسم بخطوط سريعة التصميم الأولى للصورة تحت عنوانات : « عالم . أمة . قبيلة بيت . أب . رجل » ... فتحس بعمل الريشة الماهرة المتيقظة لما تريد ، العليمة بقواعد التصميم والتلوين ؛ فإذا انتهى إلى ص ٢٦ أحسست أن التصميم كله قد تهيأ على اللوحة ، وأن صورة محمد وعصره ووظيفته فى هذا العصر قد برزت من خلال هذه الخطوط السريعة ،

فلم يبق للريشة المدربة إلا التلوين ، وملء الفجوات ، وتوضيح القسمات ، وذلك هو بقية فصول الكتاب !

وسنحاول أن نعرض هنا بعض لمسات هذه الريشة المدربة فى تخطيط التصميم الأولى السريع :

يقول فى ص ٢٦ و ٢٧ : « عالم يتطلع إلى نبى ، وأمة تتطلع إلى نبى ، ومدينة تتطلع إلى نبى ، وقبيلة وبيت وأبوان أصلح ما يكونون لإنجاب ذلك النبي .... ثم ها هو ذا رجل لا يشركه رجل آخر فى صفاته ومقوماته ، ولا يدانيه رجل آخر فى مناقبه الفضلى التى هيأته لتلك الرسالة الروحية المأمولة : فى المدينة ، وفى الجزيرة ، وفى العالم بأسره

« نبيل عريق النسب ، وليس بالوضيع الخامل فيصغر قدره فى أمة الأنساب والأحساب

« فقير وليس بالغنى المترف ، فيطغيه بأس النبلاء الأغنياء ، ويغلق قلبه ما يغلق القلوب من جشع القوة واليسار

« يتيم بين رحماء ، فليس هو بالمدلل الذى يقتل فيه التدليل ملكة الجد والإرادة والاستقلال ، وليس هو بالمهجور المنبوذ الذى تقتل فيه القسوة روح الأمل وعزة النفس وسليقة الطموح وفضيلة العطف على الآخرين

« خبير بكل ما يختبره العربى من ضروب العيش فى البادية والحاضرة : تربى فى الصحراء ، وألف المدينة ، ورعى القطعان واشتغل بالتجارة وشهد الحروب والأحلاف ، واقترب من السراة ولم يبتعد من الفقراء

« فهو خلاصة الكفاية العربية فى خير ما تكون عليه الكفاية العربية ، وهو على صلة بالدنيا التى أحاطت بقومه ، فلا هو يجهلها فيغفل عنها ، ولا هو يغامسها كل المغامسة فيغرق فى لجها .

« أصلح رجل من أصلح بيت فى أصلح زمان لرسالة النجاة المرقوبة على غير علم من الدنيا التى ترقبها

« ذلك محمد بن عبد الله عليه السلام ... »

وذلك جانب من التصميم الأولى للصورة البارعة التى تأخذ هذه الريشة المدربة بعد ذلك فى ملئها وتلوينها بما هو أبرع من

هذه البراعة ، وبما يتفق للألوان المنتقاة وللريشة الدقيقة فى اليد البصيرة من الإبداع

وليس من المستطاع بطبيعة الحال أن أنقل هنا أكثر من هذه الفقرات ، فهنالك أشياء أخرى لا بد أن تقال

* * *

قلت : إن كل الحوادث والأسانيد والروايات التى وردت فى « عبقرية محمد » مروية معروفة وليس فيها من جديد . إنما الجديد هو عرضها واستخدامها واستخلاص النتائج منها . وهو اختيار الحادثة المناسبة فى موضعها المناسب . ومن هذا كله تبدو الحوادث والروايات والنصوص فى مواضعها وكأنها جديدة هناك ، يطالعها القارئ لأول مرة ، ويخطر له من معانيها فى مواضعها هذه ما لم يخطر له قط وهو يراها من قبل مرة ومرة .

فسرية عبد الله بن جحش وأخبارها معروفة مكرورة ولكنها هناك تدل على « عبقرية محمد العسكرية » كأحسن ما تكون الدلالة بغير تعسف ولا عنت . وعهد الحديبية وأخباره معروفة كذلك مكرورة ، ولكنها هناك تبرز بوضوح ويسر « عبقرية محمد السياسية » كأوضح ما تكون العبقرية السياسية بأى ميزان وزنتها به فى جميع الأزمان . وقصة الإفك مذكورة فى كل كتب السيرة والتفسير مشهورة عند المسلمين وغير المسلمين ولكنها هناك تصور « سماحة محمد » وتلمس النفس الإنسانية فتدرك حقيقة هذه السماحة ومداها الرفيع . وقصة المتاع وأزواج النبى التى ترويها الآية : « يأيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ... الخ » متداولة فى السيرة والتفسير ولكنها هناك دليل نفسى وعقلى لا يرقى إليه الشك ، ولا يجادل فيه إلا المكابرون على كذب ما افتراه المفترون من استغراق لذات الحس لمحمد عليه السلام

وهكذا وهكذا من حسن الاختيار ووضوح العرض ، وبراعة التعليق ، وعبقرية التحليل ، ووضاحة التدليل .

(البقية فى العدد القادم) سيد قطب

مطالعات في الأدب الغربي

عقليـــات الشعوب

في معادلات رياضية

للأستاذ على كمال

« لن يوتانغ » أعظم الكتاب الصينيين المعاصرين ، وهو من أشهر مفكرى القرن العشرين وكتبه من أوسع الكتب الحديثة انتشاراً ، اكتسب شهرة واسعة لتوفقه فى فهم طبيعة العقل الغربى ومقارنته بأعرق العقليات الشرقية قدماً وهو العقل الصينى . وكتابه « أهمية الحياة » يعتبر أهم كتبه وقد أعيد طبعه فى أمريكا أكثر من عشر مرات فى نحو من سنتين . وفى هذا الكتاب فصول قيمة ننقل إلى القارئ منها خلاصة فصل طريف ضمنه دراسة لعقليات الشعوب حاول رسمها بمعادلات رياضية

« ... يظهر أن الجنس البشرى يقسم إلى طائفتين : الواحدة مثالية والأخرى واقعية . والمثالية والواقعية هما القوتان العظيمتان اللتان تتجاذبان التقدم الإنسانى . فطَفَلُ الإنسانية قد صار ليناً مرناً بماء المثالية ... إن هاتين القوتين المثالية فى طرف والواقعية فى طرف آخر تتجاذبان فى جميع حقول النشاط الإنسانى ، والتقدم الحقيقى ممكن فقط بمزج هذين العنصرين بنسب موافقة حتى يظل الطين لينا مرناً ، فلا يشتد طبعه فيصعب تدبيره ، ولا يلين قوامه فيصبح وحلاً . فالشعب الإنجليزى وهو أحكم الشعوب قد مزج الواقعية والمثالية بنسب موافقة فلم يترك المزيج قاسياً يصعب على الفنان تدبيره وتناوله ، ولم يتركه مرقاً فلا يقوى على حفظ شكله وقوامه

وبعض الأمم فى ثورات متتابعة ، ذلك لأنه قد حقن فى طينتهم الأصيلة بعض السائل من مثاليات الأمم الأجنبية التى لم تتمثل بعض فى طبيعتهم ، لهذا لم تقو طينتهم الأصيلة على حفظ شكلها

لقد فكرت فى معادلات يمكن بواسطتها أن نعبر عن التقدم الإنسانى وعن التغيرات التاريخية وهذه هى :

الحقيقة – الأحلام = كائن حيوانى

الحقيقة + الأحلام = صداع القلب (يسمى عادة : المثالية)

الحقيقة + روح النكتة = الواقعية

الأحلام – روح النكتة = التعصب

الأحلام + روح النكتة = الوهم

الحقيقة + الأحلام + روح النكتة = الحكمة

وعلى ذلك فالحكمة أو أرقى أنواع التفكير تتألف فى ربط أحلامنا بروح الفكاهة والنكتة ودعمها بالحقيقة نفسها

ولعل المعادلات التالية تفصل ما وصلت إليه من دراسة عقليات الشعوب ، والمجال واسع لمعارضتها ونقدها

إذا رمزنا للحقيقة أو الواقع بالحرف «حق» وللحلم بالحرف «ح» ولروح النكتة بالحرف « ن » وللعاطفة بالحرف « ع » ، ثم استعملنا الأعداد ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ لندلل على نسبة حظ الشعوب من هذه العناصر خرجنا من ذلك بمعادلات يظهر منها أن الجنس البشرى فى أفراده وجماعاته يسلك سلوكاً متبايناً بالنسبة إلى حظه من هذه العناصر بنفس الطريقة التى تسلك فيها العناصر والمركبات الكيميائية فى تفاعلها . وما دمنا لا نستطيع أن نخلق اصطلاحات كالمستعملة فى علم الكيمياء مثلاً قلنا أن نعبر عن هذه المركبات بمقادير ذرية كأن نقول ٣ ذرات فى الحقيقة حق٣ ، وذرتين فى الحلم ح٢ وهكذا

حق٣ ح٢ ن٢ ع١ = الإنجليزى

حق٢ ح٣ ن٣ ع٣ = الفرنسى

حق٣ ح٣ ن٢ ع٢ = الأمريكى

حق٣ ح٤ ن١ ع٢ = الألمانى

حق٢ ح٤ ن١ ع١ = الروسى

حق٢ ح٣ ن١ ع١ = اليابانى

حق٤ ح١ ن٣ ع٣ = الصينى

ولست أعلم عن الإيطاليين والأسبانيين والهنود ما يمكننى من وضع مثل هذه المعادلات لهم ، وأنا واثق بأن هذا

القليل الذى وضعته سيكفى لفتح سيل عرم على رأسى من النقد

ولا بد من الملاحظة على هذه المعادلات ، فمنها يظهر أن الفرنسيين أقرب الناس إلى الصينيين من حيث روح النكتة والعاطفية ، كما يتضح ذلك فى كيفية كتابة الفرنسيين لكتبهم وأكلهم وطعامهم . ولكن طبيعة الفرنسيين المتبخرة ناتجة عن مثالية أوسع تأخذ شكل الحب للفكر المجرد

واليابانيون والألمان متشابهون جداً فى فقدانهم لروح النكتة والفكاهة ، وما دام من غير الممكن وضع صفر كدرجة لهم فى هذا العنصر من مركبهم العقلى فأنا أضع « ١ » وأعتقد بأننى محق فى ذلك . غير أننى أعتقد بأن اليابانيين والألمان قد قاسوا كثيراً فى حياتهم السياسية ويقاسون الآن بسبب إخفاقهم فى امتلاك روح نكتة وفكاهة ملائمة . وعند ما وضعت ح٣ لليابانيين عنيت بذلك ولاءهم التعصبى لأمبراطورهم ولدولتهم الذى ما كان ممكناً لو أن فى عقليتهم بعض الشىء من روح النكتة

... إن هنالك تجاذباً طريفاً فى أمريكا بين المثالية والواقعية وكلتاهما متمثلتان بقوة كبيرة ، وهذا يفسر لنا النشاط والقوة التى يتصف بها الأمريكيون . إن الكثير من مثالية الأمريكيين نبيل بمعنى أن الأمريكيين يلبون بسهولة دعوة نبيلة محقة ، ولكن البعض من مثاليتهم يتصف بروح الأساطير

والإنجليز كما يظهر لى إجمالاً هم أحكم الشعوب ، فإن « حق٣ ح٢ » تنطق بالثبات والاتزان ، وهى أقرب المعادلات للمعادلة المثالية فى نظرى ، وهى (حق٣ ح٢ ن٢ ع٢) التى قصر الإنجليز عن بلوغها بدرجة واحدة فى العاطفة

***

من دراسة عقليات الشعوب نخرج بهذه النتيجة : فى الصين يعيش الرجل حياة أقرب إلى الطبيعة وأقرب إلى الطفولة ، حياة تمارس فيها الغرائز والعواطف بحرية تامة ، وتؤكد هذه الحياة بقوة ضد الفكر . وعلى هذا ففلسفتهم فى الحياة توصف بما يلى :

أولاً : رؤية الحياة تامة فى الفن ، ثانياً : رجوع واع للبساطة فى الفلسفة ، وثالثاً : « مثال » من التعقل فى الحياة . وخلاصة هذه الفلسفة جميعها هى عبادة الشاعر والفلاح والمتشرد »

علي كمال

يا سـواق . . .

[إلى التى ترعرع على غدرانها شبابى]

فَرَّقَ الدهرُ بيننا « يا سواقى » ومضى بى لغُربتى واشتياقى
أين للقلب لحظةٌ من ليالـِ لك وصفوُ الحياةِ فى إشراق
كان لى فى رحابك الخضر دنيا من نعيم ومن أغانٍ رقاقِ
والمنى عذبةٌ كإشراقةِ الوصـ لِ بروح المعذَّبِ المشتاقِ
والصبا جنَّةٌ على ضـفةِ الخلـ د ونورٌ يضئ فى آفاقى
ولقد كنتِ للشباب سُلافاً ونديماً جلوَ الحديثِ وساق
كنتِ لى كوثراً يطهِّر نفسى فنمَتْ منـه عفَّةً أخلاقى

يا « سواقى الفيوم » طال غيابى وفؤادى يذوب فى الأشواق
كنتِ دنيا من فتنةٍ وخيالٍ وجمالٍ من الطبيعةِ راقِ
كنتِ سلوى لمهجةٍ قد تلظت فى جحيم من جفوةٍ وَشِقاق
كنتُ أبكى فتحبسين دموعى بعزاء كم فيه من ترياق
كم حَلَالِى فى نَبْعَتَيْكِ اصْطِبَاحِى وَصَفَا لِى من رَاحَتَيْكِ اغْتِبَاقِ
كنتِ نِعْمَ الصديقُ إن عَبَسَ الدهـ رُ وَنِعْمَ المُجِيرُ مِمَّا أُلَاقِى
ذقتُ طعمَ الوفاءِ من كوبك الحلـ وِ بريئاً من خدعةٍ أو نفاق
عاش فكرى مع الحياةِ أسيراً كَبَّلَتْهُ بِشرِّهَا الدفَّاق
ورأى عندكِ البشاشةَ والصفـ وَ فَغَنَّى فِى فَرْحَةٍ وَانْطِلَاق
حال بينى و بينك اليوم عيشٌ لم يَنَلْنِى منه سوى الإرهاق
أين موجٌ من « بحرِ يوسفَ » يسرى والأغانى تسيلُ من أبواقى ؟
ورياضُ « الفيوم » رَنَّحَهَا الحسـ نُ فَلَاحَتْ كجنةِ العُشَّاقِ ؟
وغرامى الذى نما عند شَطِّيـ كِ وباركتِه بماء مُرَاق ؟
وحبيبى الذى تلهَّى به العيـ شُ وما فيه من كؤوس دِهاق ؟
خَدَعَتْ روحَهُ الزخارفُ فى الأر ضِ فأغشى من سحرها البرَّاق
كم بعثتُ الرجاء شعراً فعادت همساتى بالعجزِ والإخفاقِ !
نسىَ الحُبَّ والسَّواقى وصبًّا لم يزل سائراً على العهد باق

« يا سواقى » ذكراكِ تَنْشى كيانى فاحفظينى فى روحِكِ الخفَّاق
وخذينى من قبضةِ الفكر يوماً إنَّ عودى بناره فى احتراق
صنتُ فى مهجتى هواكِ فصونى عهدَ طفلٍ رَبَّيْتِهِ « يا سواقى » !

« سلاح خدمة الجيش الملكى » أحمد اسماعيل المليجى



الصفاء بين الأدباء

صديق « الحكيم »

لو لم يكن النسيان عرَضاً ملازماً لك يا صاحب (أهل الكهف) لذكرتَ أن اسمي (الزيات) لا زكي مبارك ؛ وأنك لسانٌ لحرية الفكر ، لا عينٌ في رقابة النشر ؛ وأنك رسول الله إلى الأدباء ، لا سفيرُ الشيطان بين الأصدقاء . ولو أنك ذكرتَ واحدة من أولئك لما كان منك ذلك الكتاب ، ولا كان مني هذا الجواب

تستطيع أن تقول إنك حين كتبت ذكرتني وأردتني ، لأن الناشر شريك الكاتب ؛ وتستطيع كذلك أن تقول إنك تقدس حرية الفكر لو كان ما نُشر عنك في الرسالة قد انتفع به الفكر ؛ ولكنك لا تستطيع أن تنكر أنك كفرت بنفسك وكذبت برسالتك ؛ لأن الرسول الصادق لا ينذر بالكدر وهو يبشر بالصفو ، ولا يبادر إلى القطيعة وهو يدعو إلى الصلة ، ولا ينفض يده من الدعوة لأنه سمع بعض الإنكار ولقى بعض العَنت !

لم يكفر برسالتك إلى الأدباء غير (العقاد) ، ولا شك في إخلاصك للأدب غير (المبارك) ، فما بالك يا توفيق تئن قبل التعذيب ، وتُلقي بيديك ورجليك إلى الصليب ، وتفضح بهذا الجزع نبوة الأديب ، وتقطع آياتك وبركاتك عن المؤمنين والكافرين على السواء ؟!

تقول « إنني حِدت قليلاً عن رسالتي في (الرسالة) » ؛ (وقليلاً) هنا معناها زكي مبارك . وزكي مبارك يا توفيق لون من ألوان الأدب المعاصر لا بد منه ولا حيلة فيه . هو الملاكم الأدبي في ثقافتنا الحديثة . والرياضة كما تعلم ضرورة من ضرورات الحياة لسلامة الجسم والعقل . أما عنفه وشِماسه فهما الصبغ المميز للونه . فلو شئت أن تجرد هذا الملاكم البارك من عنف الهجوم وخشونة المِراس لما بقى منه غير توفيق الحكيم وأسلوب الحكيم و « حمار الحكيم »

على أنه هو نفسه أول الشاهدين على أن صفارتي قد بُحّت من طول ما أهابت به وهو في قفازه السنتريبي يهدر في المجال بين الحبال مغضياً بعض الإغضاء عن قواعد الملاكمة

وزكي مبارك بعد ذلك سليم الصدر ، صريح القلب ، رياضي الروح ، لا يتحرج أن يطلب إلى (صديقه) في مقال هذا العدد أن ينصره ظالماً أو مظلوماً في حدود تفسيره الخاص !

ثم تقول : « إن الأدباء في مصر – مع الأسف – لا يحسبون حساباً لغير الكاتب الذي يبرز مخالبه ، ويكشر عن أنيابه ، ويتهيأ دائماً للوثوب » ؛ فهل مصداق ذلك يا توفيق أنك أدرتَ ظهرك لخصمك وحملت عليّ ؟ ولكنني يا صديق أهشّ لإقبالك عليّ ولو بالهجوم . إن كشّرتك في نظري بسمة ؛ وإن زأرتك في سمعي نغمة ؛ وإن عقدتك مني أيسر حلاً من الأنشوطة !

أما قطعك الأسباب بينك وبين الرسالة والأدباء ، فأمره يهون ما دمت تخرج كتبك إلى قرائك الأوفياء

وإذا جاز لي أن أوجهك مرة أخرى فإني أنصح لك يا توفيق أن تؤمن برسالتك كما آمن ذوو الفضل من الكتّاب ، وأن تصبر على أذاها كما صبر أولو العزم من الرسل .

والسلام عليك من صديقك المخلص .

احمد حسن الزيات

أحزان توفيق الحكيم

لم يبق ريب في أن صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم حزين ، وإلا فكيف جاز له أن يقول إنه لن يكتب في « الرسالة » بعد اليوم ، مع أنّ الرسالة صديق لجميع أرباب الأقلام ، ولا يرضيها أن ينقطع ما بينها وبين أصدقائها القدماء من صلات ؟

الرسالة لا تترك أصدقاءها أبداً ، ولن يتركوها ، لأن الصلة بين الرسالة وأصدقائها صلة روحية لا تقطعها ثورة لحظة أو لحظتين بعد قراءة كلمة نابية أو قاسية . والأدب كالحياة فيه كدر وصفاء .

وسيشتاق الأستاذ الحكيم إلى « الرسالة » كما يشتاق الأليف إلى الأليف

ولكن ما الذي أغضبَ هذا الصديق حتى استباح ذلك الوعيد ؟

كنت أنتظر أن يتلطف فيشكرني ، بعد قراءة الكلمة التي وجهتها إليه ، لأني أردت بها إعزاز الذاتية الأدبية ، فما يرضيني

ولا يرضيه أن تكون فى الدنيا منزلة أشرف من منزلة رجال البيان ، وإن قضت المقادير بأن يظل القلم مضطهداً فى جميع العهود

والأستاذ توفيق الحكيم هو الذى أعلن الندم على الانتظام فى سلك الحياة الأدبية ، وكان فى مقدوره أن ينخرط فى سلك الحياة القضائية ، فهل يغضبه أن نعترض عليه فنقول : إن رجال الأدب يؤدون لأوطانهم خدمات تفوق ما يؤديه رجال القضاء ، وإن القاضى لا يستطيع القول بأنه أعظم من الأديب ؟

إن الأدب جعل من توفيق الحكيم شخصية يتكلم عنها الزيات والمازنى والعقاد ، فهل كان يظفر بمثل هذا الحظ لو أصبح من رجال القضاء ؟

وقد عِبتُ عليه أن يبدئ ويعيد فى الكلام عن نفوذ طه حسين ، وكانت حجتى أن الأديب يقتل نفسه بيديه حين يفرح بالمناصب الرسمية ، لأن المنصب الحق للأديب هو الفناء فى خدمة المعانى الروحية والعقلية . فماذا يملك الدكتور طه لنفسه حتى ترجوه أو تخشاه ، إلا أن تكون فى إيمان الرجل الذى وضع فى سيرة الرسول « رواية تمثيلية » ، وهو رجل يعرفه هذا الصديق الغضبان ؟ !

وعِبتُ على الأستاذ توفيق الحكيم أن يعلن أن العائلات صدفتْ عن عرض بناتها عليه بعد أن صار من الأدباء ، فهل سمع الناس فى الشرق أو فى الغرب أن الأديب الفحل يعجزه أن يقترن بمن يشاء من كرائم الملاح ؟

على رِسْلك ، أيها الأديب الحزين ، فنحن أول طبقة تثق بها الأمة المصرية ، وسنظل برعاية الله وسلطان الأدب فى أعظم مكان .

زكى مبارك

لوبيا والبلاد العربية

فكرة صائبة ورأى سديد هذا الذى انتهى بتفكير الأستاذ الزيات بإصدار أعداد خاصة من مجلة الرسالة الغراء بالأقطار العربية تنويهاً بفضلها وتعريفاً بأهلها . وليست هذه الفكرة بجديدة على أستاذنا الكبير فقد سبق أن تنبهت إليها الرسالة فى سنتها السابعة ولكن شاءت الظروف أن يمهل تنفيذها إلى أن بعثت من جديد ؛ وقد وجدت ترحيباً من قراء العربية . وإنا ندعو الله أن يوفق الرسالة فى خدمة البلاد العربية بإصدارها لهذه الأعداد .

على أن الذى لفت نظرنا نحن معشر اللوبيين بهذه المناسبة هو ما كتبه الأستاذ الدكتور زكى مبارك سواء فى ذلك عدد الرسالة ٣١٥ أو ٤٦٣ فقد قال فى العدد الأول مخاطباً الأستاذ الزيات : « ما رأيك إذا اقترحت عليك أن تصدر الرسالة أعداداً خاصة عن الحواضر المشهورة فى البلاد العربية مثل تونس والجزائر ومراكش واليمن والحجاز ... » ، وقال فى العدد الآخر مشجعاً الأستاذ الزيات على تنفيذ فكرته هذه « الخطب أسهل مما نتوهم ولكن ... ولكن على شرط أن يهاجر الزيات من المنصورة إلى القاهرة ليستوحى من فيها من العارفين بخصائص الحياة الأدبية والاجتماعية فى تونس والجزائر ومراكش واليمن والحجاز وسورية وفلسطين ... »

فالأستاذ الدكتور قد ذكر بلاد أفريقية الشمالية قطراً قطراً وتناسى جيرانه الليبيين وبلادهم فأخرجهم بذلك من زمرة البلاد العربية ، واستكثر عليهم أن تعنى مجلة الرسالة ببعض أخبارهم وسواء قصد هذا الأستاذ الدكتور أم لم يقصد فإنا لا نستطيع تفسير إغفاله لبلادنا فى هاتين العبارتين اللتين كتبتا فى وقتين متباعدين إلا بهذا المعنى .

ومما يؤسف له أن كثيراً من قادة الرأى والفكر فى البلاد العربية عامة ، وفى مصر خاصة ، قد شاركوا الأستاذ الدكتور فى فكرته هذه[1] فكثيراً ما كتبوا عن الحلف العربى والوحدة العربية ، وتجاهلوا لوبيا قصداً أو عفواً مما كان له أثره السيئ فى نفوسنا

هذه كلمة صغيرة أردت بها دفع مظلمة عن وطني العزيز، طالما جرحت نفوسنا، خصوصاً وأنها قد بدرت من رجال لهم فى قلوبنا كل احترام وتبجيل، وموعدنا إن شاء الله العدد الخاص فسيكون خير حكم على عربية لوبيا وأهلها .

مصطفى بعيو الطرابلسى
كلية الآداب — القاهرة

---

(١) مجلة الرسالة حافلة بمقالات كثيرة فى هذا الموضوع فليرجع القارئ إلى السنة السابعة أو الثامنة مثلا .

ألف مصطلح طبي يقررها المجمع اللغوى

أعلن المجمع اللغوى انفضاض دورته هذا العام ، وقد بلغت جلساته التي عقدها خلال هـذه الدورة ست عشرة جلسة ، أما اللجان الفرعية التى تمهد عمل المجلس فقد بلغت عدتها خمسين جلسة أو أكثر . والمصطلحات التى عنى المجلس بدرسها فى هذا العام هى مصطلحات الطب فى علم الرمد والباثولوجيا وغيرهما .

ويبلغ عدد المصطلحات التى أقرها نحو ألف مصطلح ، وستوضع لها تعريفات علمية لغوية تشرح معناها وتبين الصلة بين وضعها اللغوى ومدلولها العلمى

والمنتظر أن يتخذ المجمع ما يرى من الوسائل لنشر هذه المصطلحات في أنحاء البلاد العربية لاستخدامها فى محيط الطب العربى .

١ — السناد فى الشعر

أخطأ الأستاذ محمود حسن اسماعيل فى صوغ قوافى قصيدته (نشيد الأغلال) المنشورة بالعدد ٤٦٦ من « الرسالة » ؛ فهو قد أردف فى بعضها بحرف الياء كقوله : سريرتى، البعيدة ، الجميلة ، جديدة . الخ، وأسس فى بعضها الآخر، بجلبه ألف التأسيس فى مثل قوله : حشاشتى ، الثمالة ، تهادت ، الرسالة الخ ... فى حين اكتفى بحرف الروىّ « وهو التاء » فى سائر أبياتها مثل : وجهة ، رجمة ، وسجدتى ، فملّت ...

ومثل هذا الخلط بين أحرف القافية يسمى (سناداً) ؛ وهو من أبرز عيوب الشعر ، فما كنا نحب للأستاذ أن يقع فيه ...

٢ — أبيات لولى الدين

كنت رددت على أديب فاضل أورد فى الرسالة شعراً لولى الدين يكن وقال إنه لم يسبق نشره ؛ فبينت أن هـذا الشعر مطبوع بديوان الشاعر الذى صدر عام ١٩٢٤م . ولكننى عثرت — من جهتى — على ثلاثة أبيات لم ترد فى هذا الديوان حقاً ؛ فأحببت إثباتها لتلافى ذلك إن أمكن فى الطبعات التالية . والأبيات واردة فى العدد الصادر بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٩٠٩ م من « مجلة سركيس » الأدبية ، التى كان يصدرها المرحوم سليم سركيس . وها هى بنصها مع عنوانها :

لولى الدين بك يكن تحية للأحرار مرتجلاً :

سـلامٌ على أبطال قومٍ تجمّعوا
ورائدهم حقٌّ وناطقهم نَحَرُ

أقاموا على ضَيْمٍ ثلاثين حِجّةً
ولكن سيحييهم ـ برغم العدا ـ النصر

يقولون : هذا الدَّهرُ رَبٌّ تقلّبٍ
نعم صدقوا ، قد قُلِّب التاج والصرُ !

(جرجا) محمود عزت عرفة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 470

Lundi - 6 - 7 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٧٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٦١ — الموافق ٦ يولية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

مثل المصرية الحديثة

— ٢ —

قالت السيدة . و ... تفصل ما أجملت من رأيها في معنى لفظ البيت الجديد بأن يكون بيت أسرة ، وفي حقيقة معنى المرأة الجديدة بأن تكون ربة بيت :

قد تكون الزوجة أبصر النساء بفنون الطبخ وشؤون المطبخ وأصول المائدة ، ولكنها تكون أجهلهن بما يجب لمهد الطفل وسرير الزوج ومدفأة الأسرة وبهو الضيوف ، وإذن لا تعدو أن تكون طاهية

وقد تكون الزوجة أقوم على رعاية الطفل والزوج ، وأضبط لحساب الدخل والخرج ، وأحزم في سياسة العمال والخدم ، ولكنها تكون عامية الفكر خشنة الجانب مبتذلة الهندام فلا تعدو أن تكون قهرمانة (١)

وقد تكون الزوجة بطبيعتها ولوداً فتتوزعها الآلام والأسقام والشواغل في الحمل والوضع والرضاع والفطام والتربيب والتهذيب والتمريض فلا يبقى من جهدها طاقة للبيت ، ولا من وقتها ساعة للناس ، ولا في قلبها مكانة للزوج ، فلا تعدو أن تكون والدة

وقد تكون الزوجة أجذب أنوثة من كليوبطرة ، وأعذب حديثاً من شهرزاد ، وأفتن رشاقة من بنات هليوود ، ولكنها تكون

(١) القهرمانة : مديرة البيت (gouvernante)

خرقاء، لا تجيد العمل، حمقاء، لا تحسن التدبير، فلا تعدو أن تكون خليلة

وقد يقتصر مدلول البيت فى ذهن السيدة على غرفة الزينة وقاعة المطالعة وصالون الاستقبال، فهى ترقب الحديث من الثياب، وتقرأ الجديد من الكتب، وتناقش الطريف من الآراء، ولكنها تعيش على هامش الأسرة عيش الترف والظهور والحذلقة، فلا تعدو أن تكون أديبة

وليست المرأة الصالحة لملكوت البيت واحدة من أولئك، إنما هى هن جميعاً: هى مخلوقة من نوادر الخلق ركبها الله من مجموع ما تشتت من الفضائل فى هؤلاء النسوة، كما ركب الإغريق « ڤينوس » من جملة ما تفرق من الجمال فى مختلف الحسان

قال الطبيب الزوج: كأنك يا عزيزتى تنقلين عن نفسك صورة هذه المرأة. وأقسم لقد تملت فى بعض بلاد أوربا وتقلبت فى بعضها الآخر فلم أر صاحبة بيت تفوقك فيما سردت من مزايا الزوجة الصالحة

فقالت الزوجة: قد يكون فى شهادة الزوج لزوجه بعض الهوى الذى يميل ميزان الحكم، أو بعض الرضا الذى يُزيغ بصر الناقد

قال المحامى: ربما كان الهوى والرضا من شوائب الحكم فى غير الزوج! فإن الغالب أن يتهم الزوجان بعد طول العشرة، ودوام الخبرة، وسأم الخلاط، بقسوة العدل أو برقة الظلم فى حكم أحدهما على الآخر. على أن صديقنا الدكتور لم يعدُ ما فى نفوسنا جميعاً؛ وإنما المسألة الصريحة التى تطلب الجواب الصريح هى أننى عرفت من النساء من هن من أوسع ثقافة وأرفع بيئة وأضخم ثروة وأكرم أسرة، ولكننى لم أجد فيهن ما وجدت فيك من خلال الزوجة المرجوة التى تجمع حنان الأم وإخلاص الزوجة وبراعة القهرمانة ومهارة الطاهية وأناقة الحبيبة وثقافة الأديبة. فإذا لم تكن الثقافة أو البيئة أو الثروة أو الأسرة هى التى تكوّن الفتاة على هذه المزايا فمن تربته يكون؟

فقالت السيدة: إن الأغلب فى هذا الضرب من النساء أن يكون وليد الفطرة وربيب الطبيعة. وهو يكثر حيث يشتد التماسك ويقوى التضامن فى الأسرة؛ لذلك تراه فى القرى أكثر منه فى المدن، وبين العامة أظهر منه بين الخاصة. وما دامت القسمة الطبيعية قائمة بين الشريكين الداعين على أن يكون للزوجة البيت وللزوج ما وراءه، فإن هذه الخصائص الفطرية تنشأ فى المرأة بحكم الضرورة، وتقوى بفعل المران، وتحكم بسلطان العادة. وليس التعليم والتمدين إلا ثقافاً وصقالاً لهذه الخصائص يقومانها ويرفعانها إلى المستوى الذى بلغه المجتمع. فإذا وجدت امرأة تجردت من هذه الشمائل كلها أو بعضها، فلا تشك فى أن طبيعة الأنوثة فيها قد فسدت لسبب من الأسباب، فغدت من شواذ الخلق كالجمل المستنوق أو الناقة المستجملة

قال الفلاح: لقد كنت أتمثل فى ذهنى المرأة القروية حينما كنت تصفين ربة البيت. ولكننى لم أستطع إقحامها فى الحديث لأنها فى رأى الجمهور عنوان الجهالة حتى سمعتك تقررين أن الزوجة الصالحة تكثر فى القرية. والحق الذى يؤيده العيان أن الفلاحة تقوم على شئون البيت، وتنهض بأمور الأسرة، على النهج الأعلى الذى رسمتِه فى قولك واتبعتِه فى فعلك. والفرق بين القروية والمدنية هو الفرق بين بيت وبيت، وبيئة وبيئة، وحياة وحياة. وتجانس العقلية فى المجتمع القروى يجعل مكان المرأة فيه أرفع، وسلطانها عليه أوسع، لتميزها عن الرجل فى قوة النشاط ولطف الحيلة ويقظة الرأى

فقالت السيدة: ذلك يؤيد ما قلت من أن ربة البيت هى من صنع الضرورة والطبيعة، لا من صنع المدرسة والبيئة؛ والضرورة هى وجود البيت، والطبيعة هى توزيع العمل على حسب الاستعداد والقدرة. ولا أعنى بالبيت المسكن، وإنما أعنى به الأسرة. وللأسرة فى النظام الاجتماعى مفهوم قلما يتضح فى أكثر النفوس؛ فلا تظنوا أن قصور الخاصة بيوت تسكنها أسر، إنما هى فنادق ينزلها أفراد. فللزوجين والأولاد غرف لا يدخلونها إلا وقت النوم، ومائدة لا يرونها إلا ساعة الأكل، وصالون لا يزورونه إلا يوم الاستقبال، ومرافق لا يعرفونها إلا عند الحاجة. أما القصر وما فيه ومن فيه ففى ذمة القهارمة والخدم. ومن المحال أن ينشأ فى مثل هذه الجماعة المنتثرة سيدة تصلح لبيت، أو آنسة تصلح لزوج، وفى اعتقادى أن الكتّاب الذين يعادون المرأة المصرية بين رجلين: رجل أحبها ويريد بعدائها أن تتحدث عنه فهو خادع، ورجل كرهها لأنه عرفها فى البيئات الممسوخة فهو مخدوع.

أحمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

أزمة المجلات الأدبية — خطر العلانية على الأدب الصحيح — أين الأمة العربية — خطاب جيل — الجيش المرابط في الميادين الفكرية

أزمة المجلات الأدبية

إنشاء مجلة في مصر أو في غير مصر عمل لا يعرفه إلا من يعانيه ، وتزيد متاعب هذا العمل إذا أريد أن تكون المجلة مقصورة على الأدب الصِّرف ، بحيث لا تكون لها موارد غير عواطف القراء ، والقارئ لا يدفع قرشاً في مجلة أدبية إلا إذا وثق بأنه من الغانمين ، ولا تظفر المجلة بثقة القارئ إلا بعد جهود تفر من حملها الجبال

وقد كنت فيما سلف من الأيام أثني على حصافة الأستاذ الزيات ، كنت أقول إن العقل هداه إلى أن الضمير المصري لا بدَّ له من مجلة لا تهتم بغير الأدب الصِّرف ، ولا تقبل مواجهة الجمهور بغير الفكر المُشرق في الأسلوب الجميل

ثم جدَّت شواهد أقنعتني بأن روح التضحية هو الأصل في إنشاء المجلة الأدبية ، وإن كان الله عزَّ شأنه تفضَّل فجعل « الرسالة » مصدر خير لصديقنا الزيات ، فقد قيل — ولله الحمد — إنها صيرته من الأغنياء بدليل سيطرته على بعض الشواطئ من « بحر شبين » وهو النهر الذي يسقى سنتريس !

فيا ساكني أكناف دجلة كلكم
إلى القلب من أجل الحبيب حبيبُ
يكون أُجاجاً دونكم فإذا انتهى
إليكم تلقَّى طيبكم فيطيبُ

ومع هذا فأنا أشعر بقيمة التضحية حين أكتفي بالكتابة في الشؤون الأدبية ، ولتفصيل هذه اللمحة أذكر النكتة الآتية :

فلانٌ رجلٌ كريمٌ جداً ، وهو حين يراني يطيب له أن يحييني فيقول : « لقد قرأت مقالك في مجلة الرسالة »

ولكن هذا الرجل الكريم لا يُلقي هذه التحية إلا بلهجة التصدق !

فهل يكون الحال كذلك لو كنت أكتب في الشؤون السياسية وأستبيح إيذاء الناس بغير حساب ، كما يصنع بعض الكتاب السياسيين ؟

الصحافة الأدبية مسيَّرة بالضمير الأدبي ، وهو يأبى على أصحابه أن يتزيدوا على الناس طاعة للأهواء ، أو طاعة للأحزاب ، فما خوف الناس منا ونحن لا نملك غير الصدق ، ولا نصاول حين نصاول إلا في حدود الأدب والذوق ؟

المجلة السياسية تصل إلى أيدي الوزراء قبل أن تصل إلى أيدي الجمهور ، لأن الوزراء يحبون أن يعرفوا ما يقال فيهم بحق أو بغير حق ، فهل تَلقى منهم المجلة الأدبية بعض هذا الاهتمام الطريف ؟ وكيف وهُم من ظُلم المجلات الأدبية في أمان ؟

ثم أثب إلى الغرض من هذه الكلمة فأقول :

أين معالي وزير التموين ؟

لقد قرأت خطبته في الرد على الاستجواب المعروف ، فرأيته تحدث عن جميع ضروب التموين ، إلا الورق ، ورق المجلات الأدبية ، أما ورق الجرائد اليومية والمجلات السياسية فالمفهوم بداهةً أن الحكومة ستعرف ما تصنع إذا بخل به صنائع الجشع من الوراقين !

أنا لا أعرف وزير التموين معرفة شخصية حتى أحكم له أو عليه ، ولكني أعرفه معرفة معنوية ، وهذه المعرفة توجب أن أذكره بالواجب في رعاية أقوات العقول والأفهام والقلوب ، فمن العقوق لمصر أن يقال إنها لم تُمتحن إلا بأزمة الرغيف ، مع أن مصر أقدم أمة كان أكبر زادها العلم والأدب والبيان

أكتب هذا وأنا أخشى أن يقال بعد أسابيع : إن مجلة (الرسالة) عجزت عن الوصول إلى قُوتها من الورق ... وأي قوت ؟ ومن يعرف أن مجلة (الرسالة) لا تملك تزويد الأسواق الأدبية بما تحتاج إليه تلك الأسواق ؟ من يعرف أن التضامن الصحفي أصبح في حكم العدم ، وأن من العسير أن تقول أية مجلة : إن من حقها أن تعتمد على أريحية « نقيب الصحفيين » ، وعنده فيما سمعت أكبر كمية من الورق المخزون ؟

إن مجلة مثل (الرسالة) تقدم للجمهور شواغل نبيلة بالحديث عن العلوم والآداب والفنون ، ولو التفتت الحكومة لأدركت

أعداد الرسالة الخاصة

في سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

أن اقتنار مثل هذه المجلة يريحها كثيراً — أو قليلاً — من شيوع الأكاذيب والأراجيف ، فهل من الإسراف أن نطالب الحكومة بإعانة أمثال هذه المجلة على الظفر بحاجتها من الورق ، لتنهض الحجة على أن متاعب هذه الأيام لا تنسى الحكومة واجبها فى رعاية الأذواق والعقول ؟

سأنظر كيف يجيب وزير التموين ، إن تفضل بالجواب ؟

خطر العلانية على الأدب الصحيح

من الآفات التي تعوق الأدب فى هذا العصر أن الكتاب والشعراء لا يصبرون على طيّ ما يكتبون وما ينظمون ، وإنما يبادرون إلى النشر فى الجرائد والمجلات ، ثم تكون النتيجة أن يضطروا إلى مراعاة الجماهير المختلفة فى أكثر الشؤون ، فيخلو أدبهم من الصراحة ، ويغلب عليهم ما يشبه الرياء من أمراض الكتمان

أهمّ المصاعب التى يعانيها الأدب أنه صار من الوسائل الشريفة لكسب الرزق الحلال ، ومن الخير للأدب أنْ صار كذلك ، ليعرف من لم يكن يعرف أن القلم نعمة من النعم السوابغ ، وأنه خليقٌ بأن يفتح لحسبيه كرائم الآفاق

ولكن من الشر للأدب أنْ صار كذلك ، فقد أصبح أهله أسارى للمجتمع من قُرب أو من بُعد ، وأصبح من المحتوم أن يراعوا طوائف من الرقباء ، بغض النظر عن الرقيب الذى تفرضه أيام الحرب ، لأنه رقيبٌ لطيف ، لا يثور إلا فى أندر الأحايين ؛ وأنا بهذا الكلام أترضّاه ليتغافل عن تغافل الكرماء قصّر الله عُمر الحرب لأشفى غليلى من ذلك الرقيب اللطيف ! !

الرقباء الحقيقيون هم القرّاء ، ومداراة القارئ مرضٌ قديم فى الصحافة المصرية ، وتلك المداراة هى علة العلل فى جسم الأدب الحديث ، ونحن نحارب هذه العلة بلا هوادة ، ولكن فى حدود يغلب فيها الترفق ، ومعنى ذلك أننا شجعان جبناء ، والعياذ بالذوق!

تلك الدنانير التى يجود بها الأدب على أصحابه ستحرم الأدب أعظم صفاته من الصراحة والصدق ، وقد تورثه عقابيل يعز منها الشفاء

وهنالك علةٌ أخطر وأفظع ، هى علة الأديب الموظف : فالعُرف فى الشرق لا يعترف بتعدد الشخصيات للرجل الواحد ، ولا يسوغ فى ذهن هذا العُرف البليد أن يكون للرجل شخصية حين يباشر عمله الرسمي فى الديوان ، وشخصيات حين يخلو إلى القلم ، إن كان من رجال البيان

وأعجب العجب أن يرانى هذا العُرف نفسه بلا تأثم ولا تحرّج ، فهو يشتهى أن تكون فى الدنيا أقلام تحدثه عن سرائره المطوية ، وهو مع ذلك يكره أن يكون هذا الفضل من نصيب هذا الكاتب أو ذاك ، وذلك عُرف الجمهور الذى نداريه كارهين ، ولم يبق من البلايا إلا أن نتقى شر من نخدمهم بنزاهة وإخلاص ... وعند الله ، عند الله وحده الجزاء !

أقول هذا وقد مزّقت خمسة أحاديث قبل هذا الحديث ، فقد تحدثت فيها عن أشياء لا يجوز نشرها فى هذا الوقت ، وإن كانت فى الصميم من دخائل النفس الإنسانية ؛ فقد يقول عاقلٌ أو جاهل : إننا فى أيام لا تتسع للحديث عن سرائر النفوس كأن الضمير الأدبى يخضع لظرف الزمان وظرف المكان ، وكأن العبقرية الروحية تعرف الرسوم والحدود ، وكأن مخاطر الحرب ومتاعب البؤس ومصاعب التموين تصد الروح الظامئ عن هواه فى ورود ينابيع الوجود

أين الأمة العربية ؟

عند الأمم الأوروبية تقاليد أدبية تستأهل التسجيل ، فهنالك يؤمن الكاتب بأمته فيؤلف كتاباً فى مئات أو ألوف من الصفحات ليُنشر بعد موته بأعوام طوال

فما معنى ذلك ؟

معناه أن الكاتب يثق بأن الضمير الأدبى فى بلاده سيعيش ويعيش إلى أن ينصفه من زمانه ولو بعد حين

ومعناه أن الكاتب يؤمن بالخلود

ومعناه أن الكاتب يشعر بثائرة الحقد بعد أن يموت

ومعناه أيضاً أن الكاتب يعرف كيف ينتقم وهو فى غيابة الفناء ، أو حصانة البقاء

فأين الأمة العربية لنودعها دفائن صدورنا من أبناء هذا الزمان ؟

وأين من يفتش فى دفاترنا بعد الموت ، ليرى ما سطرناه فى أخلاق هذا الجيل ؟

جهادنا فى خدمة القلم أضيع من الضياع ، ولولا الإيمان بأننا نؤدى خدمة قومية لقصفنا القلم بلا رحمة ولا إشفاق

وعند الله ، عند الله وحده الجزاء

خطاب

هو خطاب جميل ، ولكنه ليس فى جمال الخطابات التى أتلقاها من الشاعر أحمد العجمى ، وإنما يرجع جماله إلى أنه يؤكد

نظرية أخلاقية سيكثر كلامي عنها في هذه الأحاديث ، وأنا لا أمل ولن أمل من نقد مسالك الناس في معاملة الأصدقاء.

هو إذن خطاب من صديق لا يعرف أدب الصديق مع الصديق ، فقد شاء هواه أن يتوهم أن الصداقة تبيحه أن يخاطبني بما لا أحب ، كأن الصداقة تعفيه من رعاية الذوق ، وكأن المودة تمنحه التحرر من قيود الآداب

إن في الناس من يتهمني بمحاباة أصدقائي ، وإن فيهم من يقول إني أختلق الفرص لأتحدث عن أصدقائي بما يحبون في مقالاتي ومؤلفاتي ، وأقول إن تلك التهمة صحيحة وإن هذا القول حق : فأنا أتحيز لأصدقائي في السر والعلانية ، وأحب من يحبهم ، وأعادي من يعاديهم . وأنا أنكر على أهل هذا العصر أن يعيبوا تغاضي الصديق عن عيوب الصديق ، بحجة الحرص على سلامة المجتمع من العيوب

ومن يتعصب لأصدقائنا إذا لم نتعصب لهم ؟ وإلى من يطمئنون إذا عرفوا أننا نتعقب ما يجترحون من هفوات ؟

أكتب هذا وقد تلقيت من أحد أصدقائي في بغداد خطاباً يعيب عليّ فيه أن أثبت في كتاب « ملامح المجتمع العراقي » كلمة في الثناء على السيد عبد القادر الكيلاني ، فهل يعرف ذلك الصديق لأيّ غرض أثبتّ تلك الكلمة الطيبة لوجه الله ، ولوجه الحق ؟

أثبتّها لأني علمت أن السيد عبد القادر الكيلاني سيحاكم أمام المحكمة العسكرية في بغداد ، بعد زمن قصير أو طويل ، والعراق الذي عرفته وعرفه التاريخ لا يُصدر حكما إلا بعد سماع أقوال الشهود العدول ، وأنا شاهدٌ عدل في قضية هذا الرجل ، ومن واجبي أن أسارع إلى كلمة الحق فيه ، قبل أن يقف في ساحة القضاء . وكتمان الشهادة حيادٌ يأباه قضاة بغداد

وأقول بصراحة إني كنت أخشى أن يُمنع كتاب « ملامح المجتمع العراقي » من دخول العراق ، لأني تحدثت فيه عن رجال تغيّر فيهم رأي العراقيين ، ثم ظهر أن العراق لا يرضيه أن يصادر كتاباً أملاه الصدق والإخلاص ، وتنزه مؤلفه عن المداجاة والرياء

فهل أتهم الصديق اللائم الظالم بأن نسبه إلى العراق يحتاج إلى برهان ؟

أعزّ الله العراق ، وحماه من جميع الأسواء

الجيش المرابط في الميادين الفكرية

هو جيش الأدباء الصابرين على مكاره الحياة الأدبية ، وهي حياةٌ لا يصبر على مصاعبها الثقال ، إلا من تفهره الفطرة على الأنس بالأدب في جميع الأحوال

وقد شهد التاريخ واعترف بأن الأمم لا يقام لها ميزان إلا يوم يثبت أن لها حظاً من الروحانية الفكرية والأدبية ، لأن الفكر والأدب لا يكونان من أنصبة الشعوب ، إلا بعد النضج المنشود في العقول والقلوب

فما بالُ قومٍ يزعمون أن اشتغال بعض المصريين بالشؤون الفكرية والأدبية في هذه الأيام دليلٌ على أن مصر لا تشعر شعوراً صحيحاً بالمتاعب الدولية ؟

هذا كلامٌ قيل في بعض المجلات ، وأضيفَ إليه أن فلاناً لا يعيش في زمانه ، لأنه نسي أن الدنيا في حرب ، فشغل نفسه بالحديث عن الفروق بين رجال الأدب ورجال القضاء

وأقول للمرة الأولى بعد الألف إن الأديب المفكر ليس أجيراً لزمانه ، وليس أجيراً للوطن ولا للمجتمع ، فمن توهّم أن الأديب المفكر مسئول أمام قوة غير قوة الضمير فهو من أكابر الجاهلين !

نحن نخدم الوطن بأقلامنا خدمةً لا يعرفها المتحذلقون من عبيد الشواغل اليومية ، نخدمه صادقين لا كاذبين ، ولا ننتظر منه أي جزاء ، لأن خدماتنا تجلّ عن الجزاء

وماذا يملك الوطن حتى يكافئ المجاهدين من أرباب الأقلام ؟ أيمنحهم الألقاب ؟ أيمنحهم الأموال ؟

وأيّ لقبٍ أفخم من لقب الأديب ؟ وأي ثروةٍ أعظم من روح الأديب ؟

أستغفر الله ، وأعتذر إلى الوطن الغالي

فجزاء الأديب من وطنه مضمونٌ مضمون ، لأن الوطن لا يتحدث بأفراحه وأتراحه إلا إلى الأديب ، ولا يجود بسرائره الروحية لغير الأديب ، ولأن الوطن يأبى أن يكون أساته من طبقة غير طبقة الأوفياء من الأدباء

خُدّام الوطن في غير ميدان الأدب يُجزَون بالألقاب والأموال ، لأن خدماتهم تحتاج إلى تشجيع من ألوان الجزاء ، أما خدّام الوطن في ميدان الأدب فهم أعزّ وأشرف من أن تصدهم عن الواجب عوادي النكران والجحود

وهل نخدم الوطن أو نحبه طائعين ، حتى نمنّ عليه بالخدمة والحب ؟

هيهات ثم هيهات !

المستوى الجامعي في مصر

بين الجامعة والأزهر

للدكتور محمد البهي

لجامعة فؤاد الأول بالقاهرة دعاة ينادون بلا ملل وفى تكرار يشبه الإلحاح بمنزلة « الجامعة » وبالقداسة الجامعية وباستقلال « الجامعة » وبمنحها سلطة مطلقة ليست فى البحوث العلمية فحسب ، بل أيضاً فى التعليم المدرسى والتثقيف الشعبى

وللأزهر من رجاله وأبنائه من يكثر الحديث عن الأزهر وعن تقصيره وعن المسافة التى يبتعد بها الأزهر فى سيره العلمى عن المثال الجامعى

وبقدر نموّ سيطرة الدعاة لجامعة فؤاد الأول على الرأى العام المصرى ، بقدر ما يفقد الأزهر بمن يكثرون الحديث عن بطئه أو جموده فى السير الجامعى ، من سلطان كان له على الرأى العام الإسلامى وكسبه لمنزلته من العقيدة ومن الثقافة الشعبية

وربما كان هناك غلو فيما ينادى به دعاة جامعة فؤاد الأول ، وربما كان هناك غلو أيضاً فيما يصوره بعض الكاتبين الأزهريين يحول بين الإنسان الذى تؤثر فيه الدعاية ، إيجابية أو سلبية ؛ وتتحكم فيه العاطفة ، وبين معرفة الواقع . والرأى العام هو ذلك الإنسان فى صورة مكبرة

وربما كانت مبالغة دعاة الجامعة لأنهم من رجال العصر ، وربما كانت مبالغة بعض الكتاب الأزهريين لأنهم من رجال العهود السابقة وهى عهود قريبة إلى الطبيعة الساذجة التى لم تلتو بعد

ولكن وراء الداعين من رجال جامعة فؤاد الأول ، ووراء المتحدثين عن الأزهر من رجال الأزهر حقيقة تدرك وتتضح فى الإدراك ، وتصور وتتضح كذلك فى التصور ، ومدركها من غير هؤلاء وهؤلاء ، وهو المؤرخ وبالأخص مؤرخ الحياة العقلية والعلمية لشعب من الشعوب . ومصورها من غيرهم أيضاً ، وهو معالج الظواهر الخاصة بأمة من الأمم .

ما هو المثال الجامعى الذى إذا وجد كان للجامعيين دولة هى دولة العلم والفكر ، وكان للجامعة قداسة هى قداسة الإرشاد الواضح فى النواحى المختلفة لحياة الجماعة الخاصة ثم للانسانية ؟ المثال الجامعى يكون إذا تجردت البحوث عن العوامل الشخصية ؛ عن الطائفية وعن الحزبية وعن الدعاية . يوجد المثال الجامعى إذا خلصت البحوث للعلم — بقدر ما يمكن — وبعبارة أخرى إذا غلبت الحكمة على العاطفة والغريزة وسيطر العقل على النفس .

هل حققت جامعة فؤاد الأول هذا المثال الجامعى كما تعطيه دعاية الداعين ؟ وهل يبتعد الأزهر كثيراً عن هذا المثال الجامعى كما يفرضه تصوير المتحدثين عن تقصير الأزهر من الأزهريين ؟

جامعة فؤاد الأول حوّلت المدارس العالية لوزارة المعارف فى سنة ١٩٢٥ إلى كليات . وجعلت داخل الكلية الواحدة أقساماً مختلفة حسب مواد الدراسة . وألحقت بكل قسم مكتبة

إنما نحبّ مصر النالية مأخوذين بسحرها الأخّاذ ، ومفتونين بجمالها الفتّان وهل فى الدنيا أكرم أو أجمل من مصر ؟

إن مصر لم تبخل بالعيش على من يحارب الأدب والبيان ، ولو شئت لقلت إن مصر تكرم أعداء الفكر والعقل تأسّياً بكرم الله ، والكريم يُفضِل على الطفيليين بأغزر مما يفضل على المدعوّين

الدنيا فى حرب ، والقتال تدور رحاها حول الحدود المصرية ، ومجلة الرسالة لا تجد قوتها من الورق إلا بشقّ النفس

وبالرغم من هذا وذاك فجذوة الفكر فى اشتعال ، وصوت مصر الأدبىّ فى ارتفاع . والعاقبة للصابرين

ألآن عرفتُك ، يا وطنى ، عرفتُك عرفتك

لا تستطيع الخطوب أن تُخرس بلبلاً يغرّد فى رياضك الغنّاء ، ولا يملك الدهر أن يُسكت صرير القلم فى صحائفك البيضاء

وطنى

لو ظهرتْ أشراط الساعة ، نذيراً بقيام القيامة ، وخرست الألسنة وجفّت الأقلام ، وشُغل المرء عن أخيه ، وزوجته وبنيه ، لرأيت من واجبى أن أرفع القلم لصوتك وقلبك ، وأن أجعل آيتك فى البيان خاتمة آيات الوجود

وطنى

أنت أقدم وطن وأعظم وطن خطّ بالقلم ، وسطّر مآسى الأرواح ، ومصاير القلوب ، فاليك فى اللأواء أهب سنان قلمى .

وطنى

إن جهلت مَن أنا ، فإنى أعرف مَن أنت ، والحياة صراعٌ بين الجهل والعلم ، واليأس والرجاء ، وسأعرف كيف أجزيك على فنائى فيك

زكى مبارك

خاصة به فوق المكتبة العامة . وعينت أساتذة مصريين وغير مصريين ، ومساعدين للأساتذة ، ومدرسين ، ومعيدين . أى أنها أتمت النظام الجامعى .

والأزهر الذى أراد أن يكون جامعة منذ عشر سنوات تقريباً حوّل الدراسة العالية فيه إلى كليات وألحق بها أقساماً للدراسات العالية، وأوجد بكل كلية مكتبة خاصة بها غير مكتبته العامة . وانتدب أساتذة من رجال الجامعة ، ورجال وزارة المعارف بجانب مدرسيه

والفرق فى هذا فقط أن جامعة فؤاد الأول أغدق عليها من مال الدولة — وربما تحت تأثير الدعاية — فكانت لها أبنية فخمة ؛ وأنشئ بها كراسى متنوعة للأساتذة ومساعديهم وجلبت لمكتبتها الكتب الحديثة والفنية . وأن الأزهر — وربما لإظهاره بمظهر المقصر فى رسالته أو لضعف شيوخه — لم تقتنع الدولة بالزيادة السخية فى ميزانيته ، ولم يتضح لها من المبررات ما يزحزحها عما تعتقد من أنها متفضلة على الأزهر إذا هى تركت له ما اعتاد إنفاقه سنوياً . والزيادة فى الإنفاق فى العصر الحديث تكون لزيادة المقابل من منفعة عامة أو خاصة . والأزهر فى أوقات كثيرة صور نفسه أو قبل أن يُصور بأنه يُمنح ولا يعطى

هذا الفرق لا يكسب جامعة فؤاد الأول قربها من المثال الجامعى ، كما لا يصور الأزهر بعيداً عن هذا المثال ، لأن هذا الفرق يتعلق بالشكل ، ولأنه نتيجة لقوة سلطان وضعف سلطان آخر ليس سلطان العلم وليس سلطان البحث

رجال جامعة فؤاد الأول أخرجوا كتباً وألفوا . أخرجوا على الطريقة الجامعية كتباً مفهرسة حسنة التبويب والتنظيم ، روعى فى التعليق عليها إثبات الفروق بين الروايات المختلفة ، والتعريف بما ورد فيها من مصادر متعددة . وألفوا كذلك كتباً ؛ ألفوا فى الفلسفة والتاريخ والأخلاق ، وفى غير الفلسفة والتاريخ والأخلاق . ولكن الكثير من هذه الكتب المؤلفة يلازمه الغموض فى التعبير عن الفكرة ، وتندر أو تنعدم فيها شخصية المؤلف . والغموض فى التعبير يدل غالباً على عدم نضوج الفكرة أو عدم هضمها عند المعبر ، وضعف الشخصية فى التأليف أو انعدامها يدل على سيطرة الروح المدرسية وضعف الروح الجامعية . فإخراج جامعة فؤاد الأول إخراج يسير على النهج الجامعى فى العرض، وتأليف رجالها لم يخرج بعد عن النطاق المدرسى ؛ وإذا كان للاخراج قيمته فى تكييف المستوى الجامعي ، فالمقدّم الأول لهذا المستوى هو التأليف العلمى الذى تبدو فيه شخصية المؤلف واضحة ، وليس هو جمعاً لمنثور الفكر أو تنظيماً لشتت الآراء

فجامعة فؤاد الأول تسير بلا شك فى الطريق الجامعى ، وقطعت فيه شوطاً لا بأس به ، ولكن دونها والوصول إلى المستوى الجامعى خطوات أخرى يشق فيها السير ويكثر فيها التعثر ، وهى خطوات الشخصيات العلمية الجامعية

الأزهر أخرج فى نطاق ضيق ، وألّف فى نطاق ضيق كذلك ، لأنه ابتدأ منذ وقت قريب فقط يدرك أنه فى حاجة إلى إخراج ، وفى حاجة إلى تأليف ، وفى حاجة كذلك إلى ترجمة بعد أن كان لا يستطيع أن يتصور أنه فى حاجة إلى غير المتوارث من كتب وإلى غير المألوف من نمط فى إخراجها لضغط التقاليد على العقلية فيه ، وكما تندر الشخصية أو تنعدم فى تأليف جامعة فؤاد الأول ، تندر أو تنعدم كذلك فى تأليف الأزهريين . ولعل سبب هذه الظاهرة هنا وهناك هو قرب عهد مصر بالنهضة العلمية وقرب عهد المؤلفين — على الخصوص — بالاستقلال الشخصى . ولعل الرغبة فى كسب الرأى العام — وهو على ما به من شدة الولع والحرص على التقاليد — من أسباب عدم الاستقلال أو من أسباب عدم الجرأة فى الاستقلال

لا أنكر إذاً على جامعة فؤاد الأول أنها بدأت العمل الجامعى، كما لا أنكر على الأزهر ذلك الآن ؛ ولا أنكر على جامعة فؤاد الأول أن خطواتها فى السير الجامعى أسرع من الأزهر ، وأنها ستحقق المستوى الجامعى قبل الأزهر ، لا لضعف فى العقلية الأزهرية ، بل لأن للأزهر من مهمته الأولى وهى الدين والمحافظة عليه — ويتبع ذلك التقاليد ، وما أشق الفصل بينها وبين الدين — ما يقلل من سرعته فى السير ، ويملل بطأه فى الوصول إلى المستوى الجامعى ، ولكنه سيصل

هل لنا الآن — إنصافاً للواقع — أن نطالب الطرفين بالاعتدال فى الدعوة لجامعة فؤاد الأول وبالاعتدال في التحدث عن تقصير الأزهر ؟ أم لنا أن نطالب الكتاب من الأزهريين فى الدعوة إلى أزهرهم بأن يحتذوا سنة رجال الجامعة ، إذ ربما يكون هؤلاء أحسن خبرة بالنفسية المصرية وعقلية الرأى العام المصرى ؟ فالتهويل لم يزل بعد من أخص مظاهر الحياة الشرقية ، ولم يزل كذلك سبباً قوياً من أسباب النجاح في حياتنا المصرية !

محمد البهى

مساجلات

جورجياس المصرى

للأستاذ محمد مندور

كتب الأستاذ العقاد فى العدد ٤٦٧ من (الرسالة) تحت عنوان « مساجلات » يقول : « نبهت إلى كلمة لأديب يكتب فى (الثقافة) بتوقيع « محمد مندور » قال فيها عنى بصدد الكلام عن أبى العلاء ورسالة الغفران : « والعقاد يبدأ فيؤكد — فيما يعلم — أن فكرة أبى العلاء فى هذه الرحلة إلى العالم الآخر لم يسبقه إليها أحد غير « لوسيان » فى محاوراته فى الأولمب والهاوية ؛ وهذا قول عجيب يدخل فى سلسلة تأكيدات الأستاذ العقاد التى لا حصر لها فى كل ما كتب، والتى كثيراً ما تدهشنا لجرأتها ، ففكرة الرحلة إلى العالم الآخر قديمة قدم الإنسانية : عرفها اليونان قبل لوسيان ، وعرفها العرب قبل أبى العلاء » .

وأنا أحمد الله إذ نبه الأستاذ إلى كلمة محمد مندور هذا ، فالعقاد رجل لديه ما يشغله عن (الثقافة) وعن محمد مندور ، وهو منهمك فى قراءة أمهات كتب الأدب التى وجد فيها أن « فكرة أبى العلاء فى هذه الرحلة إلى العالم الآخر لم يسبقه إليها أحد غير لوسيان فى محاوراته » ؛ فأنى له بقراءة (الثقافة) ، وما هى بشىء إلى جوار عيون الأدب ؟ ومن هو محمد مندور ، ليقرأ له وهو مأخوذ بسحر لوسيان ؟

و « محمد مندور » يسره أن ينبه العقاد قبل أن يبدأ فى مناقشته إلى تتمة جملته كما هى بالثقافة عدد ١٧٦ « والكل يعلم ما فى أساطير اليونان من وصف لنزول أورفيوس إلى العالم الآخر ليسترد منه زوجه أوريديس؛ والكل يعلم وصف هوميروس لرحلة أوليس ، ووصف فرجيلوس شاعر الأنياذة لرحلة أينوس بذلك العالم ، كما نعلم جميعاً أشعار المتصوفة فى أحلام يقظتهم ونومهم ، ومن تلك الرحلات الرائع الجميل كوصف الحارث بن أسد المحاسبى فى « التوهم » الذى نشره المستشرق آربرى وصدر له الأستاذ أحمد بك أمين ؛ وفى عصر مقارب لعصر أبى العلاء كتب ابن شهيد رسالة التوابع والزوابع المنشورة بكتاب « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » (ج ١ ص ٢١٠) وهى شديدة الشبه برسالة الغفران ؛ ومع ذلك يؤكد العقاد أن فكرة رسالة الغفران لم يسبق أبا العلاء إليها غير لوسيان »

وهذا فيما أظن كلام لا يستطيع العقاد ولا غير العقاد أن يدفعه ، فهو يؤكد أن أديباً لم يسبق أبا العلاء فى وصف رحلة إلى العالم الآخر غير لوسيان ، ونحن نقول له : بل سبقه هوميروس وفرجيليوس ... و ... فما الرأى إذن ؟ وهل يقبل الأستاذ العقاد — وهو العالم بكل تراث الإنسانية الروحى المقدر لقيمته — أن نمحو من الوجود كل هؤلاء الفطاحل ليصح ما أكده ؟ ألا ليتنا نستطيع ذلك لنرضى كبرياء العقاد وإن كان قد وضعه فى غير موضعه .

وبعد فليس يضير العقاد أن يجهل وصف هوميروس أو فرجيلوس لرحلة كهذه ، إذ لو علم العقاد بكل شىء لفقد أهم صفة يتميز بها جميع البشر بله الأدباء منهم وهى صفة الإنسانية ، ونحن جميعاً نجهل أشياء كثيرة ولو أضفنا أعماراً إلى عمرنا ولو بذلنا جهد الرهبان فى التحصيل ، وإنما يضير العقاد ككاتب يجب أن يحترم كرامة العقل أن يصدر فى محاجته للغير عن منهج معيب .

لم يرد العقاد على ما وجهته إليه بل نقل الحديث إلى وجود الجنة والنار قبل أبى العلاء وقبل لوسيان « على نحو ما يرى أن لندن كانت موجودة قبل رحلات المسافرين إليها » . وهذه سقطة ما كان يليق برجل كالعقاد أن يلجأ إليها فى كبرياء التعالى ؛ فموضع الجدل ليس وجود النار والجنة ، بل ولا علم الناس بهما ، بل وصف الرحلة إليهما وفيهما وصفاً أدبيًّا فنيًّا على نحو ما فعل هوميروس وغيره ممن ذكرنا

ولقد كان العقاد يستطيع أن يغالط — كما كان يفعل جورجياس كبير السفسطائيين عند اليونان على نحو أرق من هذا النحو . ألا ليته قال مثلاً إن اللغة كانت موجودة قبل وضع نحوها ، وأن الطبيعة كانت قائمة قبل استنباط قوانينها ، وأن العقل

كان يعمل قبل صياغة المنطق ، وأن المنطق أقدم وأصدق وأنبل من السفسطة . ولو أنه فعل لوجدنا فى مغالطاته جلالاً ، وأما أن « لندن وباريس وبلاد الأفيال » كانت موجودة قبل الرحلات إليها فهذه حقيقة مغالطة تافهة كنت أود أن يترفع عنها العقاد

أسرف العقاد إذن على نفسه وعلى القراء عند ما أكد أن فكرة الرحلة إلى العالم الآخر لم يسبق أبا العلاء إليها غير لوسيان ، وهذه المسألة لا تقبل الدفع

فلنتركها إذن لما هو أهم وهو منهج العقاد فى التفكير كما يطالعنا من رده وتلك مسألة يضطرنا العقاد إلى أن نثيرها لا بسدد حديثه عن أبى العلاء فحسب بل بوجه عام

سمعت العقاد يوماً يناظر فى الأثر الذى يمكن أن تحدثه الثقافة الأجنبية فينا فيقول : « إن الكتاب الأمريكي لا يمكن أن يجعلنا أمريكيين وإلا لجعلتنا الثقافة الأمريكية أمريكيين » وهذا مثل لكل ما كتب العقاد ، فسبيله دائماً هو « المغالطة » ثم « القياس الفاسد »

ألا تراه كيف ينقل الحديث من الرحلة الأدبية فى العالم الآخر إلى وجود ذلك العالم وتصور الناس له ، وهذه هى « المغالطة » ثم ينتقل إلى قياس وجود العالم الآخر فى الواقع أو فى خيال البشر وجوداً مستقلاً سابقاً على وصف ذلك العالم فى الأدب ، بوجود باريس ولندن وبلاد الأفيال وجودا مستقلاً سابقاً على رحلة المسافرين إلى تلك البلاد وهذا هو « القياس الفاسد »

ووجه الفساد فى كلا القياسين هو انعقاده بين أشياء مادية وأخرى روحية ؛ فالتفاحة ليست كتاباً وإلا لكانت عقولنا معدات ؛ ولندن ليست الجنة ولا باريس النار والسفر إليهما ليس وصفاً أدبياً للعالم الآخر نزوره بخيالنا

وهذه ليست إلا مجرد أمثلة ؛ ففى كل صفحة مما كتب العقاد ، بل فى كل سطر نفس المنهج . وفى الحق أنى لا أعرف عيباً فى التفكير أخطر من هذا .

أما المغالطة فخطرها بين ؛ ومن نافلة القول أن نقف عندها .

بقى القياس فاسداً وغير فاسد ؛ ومن الثابت أن المنطق الشكلى كله لا القياس فحسب لا يمكن أن يوصل إلى الكشف عن حقيقة جديدة، وإنما تعمل الأقيسة فى الحقائق المعروفة ؛ فإذا كان القياس صحيحاً إنتهى إلى إفحام مناظرنا ، ولا أقول إلى إقناعه ، لأن الإقناع إحساس وتسليم قلبى ، وأما الإفحام فانعقاد اللسان أو شلل العقل وهذا هو الجدل . وإذا كان القياس فاسداً فتلك هى السفسطة التى لا تقنع ولا تفحم ولا تليق بالإنسان على أى نحو .

وإنما تكتشف الحقائق بالخيال وبالقلب ، وتلك ملكات لا أحس لها بوجود فيما يكتب العقاد .

أنظر إليه فى رده كيف يقول : « إن الجمع بين المعرى ولوسيان مبحث يصح النظر فيه والاستفادة منه » وتلك لعمرى مقارنة عجيبة ، وأنا لا أرى أصلاً أى شبه بين أبى العلاء ولوسيان ، بل ولا بين أبى العلاء وأى كاتب آخر ؛ وذلك لإيمانى بأن النفوس لا يمكن أن تتشابه أصالتها ؛ وقد بينت ذلك فى الثقافة ، ولن أعود إليه .

واتجاه العقاد الخاطئ واضح فى كل مقارناته . والذى أفهمه من المقارنة هى أن تكون إما « مقارنة تأثر » نبنى منها إيضاح أخذ كاتب عن آخر ، والمنهج الصحيح فى هذا هو أن نثبت قراءة هذا الكاتب لذاك وتأثره به تاريخياً ، إذ لا يكفى مجرد التوافق على فكرة أو صورة ؛ والجمع بين أبى العلاء ولوسيان لا يمكن أن يكون على هذا النحو . أو « مقارنة فهم » وذلك بأن نجمع بين كاتب وآخر لنفهم كليهما على ضوء ما اختلفا فيه تبعاً لاختلاف منحاهما النفسى رغم وحدة الموضوع الذى يتحادثان فيه أو المصدر الذى يأخذان عنه . وهذا ما لم يفعله العقاد ؛ وإنما فعل وفعل دائماً أن حاول التماس أوجه شبه بين أناس وأشياء من السذاجة أن نجمع بينها ، فهو طوراً يقول بأن أبا العلاء قد كان اشتراكياً ، وطوراً أنه قد أخذ بمبدأ النشوء والارتقاء وبقاء الأصلح « الفصول » . وهذه محاولات باطلة ؛ فأبو العلاء لم يحلم بشىء من هذا ؛ ومذاهب الاشتراكية والنشوء غير بيت من الشعر أو جملة منثورة . وإنه لتعسف باطل أن يزج العقاد بتلك

الكلمات الضخمة فى معرض الحديث عن شاعر مسكين كأبى العلاء.

وشاء العقاد إلا أن يختم حديثه بتذكيرنا بقوله عن رسالة الغفران : « أى شىء من هذه الأشياء لم يكن من قبل ذلك معروفاً موصوفاً ؟ أى خبر من أخبار الجنة المذكورة لم يكن فى عصره معهوداً للناس مألوفاً ؟ كل أولئك كان عندهم من حقائق الأخبار ووقائع العيان ... »

وهذا كلام لا علاقة له أصلاً بموضع المناقشة فهو لا يدل فى شىء على « أن فكرة الرحلة إلى العالم الآخر لم يسبق أبا العلاء إليها غير لوسيان » وإنما يدل على أن فكرة الجنة وأوصاف الجنة كانت معروفة عند الناس كما وردت فى الديانات والكتب المقدسة . وأما أنها تستخدم فى الأدب قبل أبى العلاء إلا عند لوسيان فهذا ما لم يرد عليه العقاد

ثم إن هذه الجملة فى ذاتها تأكيد آخر من تأكيدات العقاد الغير مقبولة ، فأبو العلاء لم يعرف الجنة كما كان الناس يعرفونها أو يتصورونها ؛ والجانب الهام من جنته هو دنيانا أو على الأصح دنيا العرب ، إذ أنه قد نقل الدنيا إلى الآخرة وقد جمعت تلك الدنيا بتاريخها الطويل فى صعيد واحد ، فهناك ترى الهذلى يحلب ناقته ، وابن القارح محمولا زقفونة على السراط ، وابن عدى يصيد ، والأعشى فى عينه حور ، وكل أولئك أشياء لم يكن يعرفها أحد عن الجنة بل ولا يتصورها بمجرد تصور ، وما هى من الجنة كما وصفها القرآن فى شىء

ويضيف العقاد تذكيرنا بقوله : « إنها رحلة قديمة ولكن أبا العلاء أعادها علينا كأنه قد خطا خطواتها بقدميه وروى لنا أحاديثها كأنما هو الذى ابتدعها أول مرة ... » وموضع البحث هو كما قلت وأكرر أن نعرف مدى قدم تلك الرحلة ومن سبقه إليها ، أهو لوسيان فقط أم لوسيان وغير لوسيان ممن ذكرنا

والآن لم يبق لدى إلا أن أترك للقارئ الحكم على طريقة الأستاذ العقاد فى توجيه الخطاب من (لا يا شيخ !) إلى أمثال ذلك مما أمسك قلمى عن الرد بمثله ، فهذا أمر سهل ميسور لكل إنسان .

محمد مندور

مراسلات ...

ملق !

أعلنت الصحف ذات يوم أنّ فلاناً سيتحدث ساعة كذا من المساء حديثاً علمياً ، وفلان هذا رئيس مرجوّ مرهوب ، يمتد سلطانه إلى الأقاليم ، حيث ينبث له فى أرجائها عمال ومرءوسون ... فحدثنى صديق من أصدقائى أنّ كثيراً من هؤلاء المرءوسين قد فرغوا لهذا الحديث ، واحتشدوا له حول « المذياع » ثبات ثبات : منهم من ينشد العلم ، ومنهم من يتزود للملق والنفاق ، وأزف الموعد ... فلو ترى إذ خشعت الأصوات ، وأرهفت الأسماع ، والليل ساجٍ لا تسمع فيه إلا دقات « الاستراحة » تنبعث متقطعة من « المذياع » ، كأنها دقات قلب مضطرب على موعد للقاء ... ثم نطق المذيع :

« سيداتى ، سادتى : لم يتمكن حضرة الأستاذ (...) من الحضور ، وسنذيع عليكم بعض الأسطوانات ! »

ورجّع المذياع بعد ذلك رنيم « ليلى » وشدو « أم كلثوم » حتى انقضى وقت الحديث !

وزرت هذا الرئيس بعد يومين في مكتبه لشأن من الشئون ، وكنت عرفت سر تخلفه عن موعده ، فما راعنى إلا كتاب يلقيه إلىّ ويطلب منى أن أقرأه ، فإذا هو من شخصين مرءوسين له فى بلد قريب من القاهرة ؛ وإذا هما يقولان فيه : « أما والله لقد أجدت فى حديثك ليلة كذا إجادة ما نحسب أن أحداً وفق إلى مثلها ؛ ولقد كنا نستمع إليك في جمع من أصحابنا من هَوِيَن بك ، والقوم من حولنا فى نشوة ... فلما انتهى حديثك لم يبق أحد إلا حيّاك على البعد ودعا لك ، ثم انثنوا إلينا يُلقّونا عنك التهنئات ... فهكذا فلتكن الأحاديث ! »

قلت وقد أخذتنى الدهشة : أىّ حديث يريدان ؟ قال : هذان شخصان مَلِقان تعوّدا أن يلقيانى في كل مناسبة بمثل ما ترى ، وقد حسبا أنّى ألقيت الحديث !

محمد محمد المدنى

على هامش النقد

كتب وشخصيات

للأستاذ سيد قطب

« عبقرية محمد » للعقاد

(تتمة ما نشر العدد الماضى)

للعقاد منطقه القوى فى كل ما يكتب ، فقد كان مهيأً أن يكون رياضياً لو لم يكن أديباً . وتلك علامة الطبع المستقيم . إلا أن منطقه فى كتاباته الأولى كان منطقاً وئيداً متمهلاً فيه أيد وصرامة . فأما فى « عبقرية محمد » فهو المنطق الجارف المتطلق المتحدر عن غير طريق من طرق الإقناع . مع وضاءة شفافة وإشعاع لطيف .

وفى الكتابة لمسات بارعة من المنطق العميق ، أدق ما يصورها قول العوام « ضربة معلم ! » وهى كثيرة متناثرة فى الكتاب نكتفى منها ببعضها :

يقول قوم : إن الإسلام استهوى من أسلموا باللذائذ الحسية وبالتخويف من السيف . فما إن يعرض العقاد لهذا القول حتى يجهز عليه بلمسة تهتدى إلى موضع الإقناع ، أو « بضربة معلم » بارعة فى الصميم وإذا هو يقول فى موضع : « لم يكن أبو لهب أزهد فى اللذة من عمر » ويقول فى موضع آخر : « وما يقسم الطائفتين أحد فيضع أبا بكر وعمر وعثمان فى جانب اللذة والخوف ويضع الطغاة من قريش فى جانب العصمة والشجاعة » فيدرك القارئ أنها الضربة المجهزة التى لا تدع مجالاً للتعقيب ، ويعلم كيف ينتفع المؤلف بالواقع المعروف على هذا الوجه الفريد .

ويعيب قوم على الإسلام التجاءه إلى السيف ويسمونه بميسم الإكراه على الدين . فما إن يعرض العقاد لهذه الفرية حتى يجهز عليها فى لمسات متتالية أبرزها وأجدّها : « أن الإسلام إنما يعاب عليه أن يحارب بالسيف « فكرة » يمكن أن تحارب بالبرهان والإقناع . ولكن لا يعاب عليه أن يحارب بالسيف « سلطة » تقف فى طريقه وتحول بينه وبين أسماع المستعدين للاصغاء إليه . لأن السلطة تزال بالسلطة ولا غنى فى إخضاعها عن القوة . ولم يكن سادة قريش أصحاب فكرة يعارضون بها العقيدة الإسلامية ، وإنما كانوا أصحاب سيادة موروثة وتقاليد لازمة لحفظ تلك السيادة فى الأبناء بعد الآباء ... الخ » وعندئذ يبلغ العقاد بهذه اللمسة موضع الاقتناع من كل ذى طبع مستقيم

ويعيب بعض المتعصبين على النبى – عليه السلام – إقراره لقتل كعب بن الأشرف ، ولم يكن وقت قتله محارباً بالسيف ويشبهون هذا بما عيب على نابليون من اختطاف الدوق دانجان . فما إن يعرض العقاد لهذا الاعتراض حتى يأخذه بضربة معلم فيقول : « الفارق عظيم بين الحالتين . لأن حروب الإسلام إنما هى حروب دعوة أو حروب عقيدة ، وإنما هى فى مصدرها وغايتها كفاح بين التوحيد والشرك أو بين الإلهية والوثنية ، وليس وقوف الجيش أمام الجيش إلا سبيلاً من سبل الصراع فى هذا الميدان . فليس فى حالة سلم مع النبى إذن من يحاربه فى صميم الدعوة الدينية ، ويقصده بالطعن فى لباب رسالته الإسلامية ، وإن لم ينفر الناس لقتاله ولم يحرضهم على النكث بعهده . وإنما هو محارب فى الميدان الأصيل ينتظر من أعدائه ما ينتظره المقاتل من المقاتلين ... الخ » فتبلغ هذه اللمسة موضع الاقتناع ممن يقتنعون !

ويتحدث قوم عن قسوة محمد لأنه راح ينظر القتلى فى ساحة الحرب بعد موقعة بدر ، فيضرب العقاد ضربته على هذا الحديث بمثل هذه القوة فى صفحات ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ وخلاصتها « أن الرجل الذى يرى الدم فى المدنية العصرية غير الرجل الذى يرى الدم فى حروب البادية وفى حياة البادية على الإجمال . ونعنى بها حياة الرعاة التى تتكرر فيها إراقة الدم كل يوم ، وحياة القبائل التى كانت تغزو وتغزى فى كثير من الأيام » ... وأنه كذلك « كان على أولئك الناقدين أن يشهدوا بدراً لينظروا بعين النبى إلى عواقب هذه الوقعة التى أوشكت أن تصبح الوقعة الحاسمة فى تاريخ الإسلام »

وتلوك ألسنة أن محمداً كانت تستهويه لذائذ الحس ويتحدثون فى هذا عن تعدد الزوجات . فيعرض العقاد لهذا بضربة من ضربات المعلم حين يقول : « حب المرأة لا معابة فيه . هذا هو سواء الفطرة لا مراء . وإنما المعابة أن يطغى هذا الحب حتى يخرج عن سوائه ، وحتى يشغل المرء عن غرضه ، وحتى يكلفه شططاً فى طلابه ، فهو عند ذلك مسخ للفطرة المستقيمة يعاب كما يعاب الجور فى جميع الطباع فمن الذى يعلم ما صنع النبى فى حياته ، ثم يقع فى روعه أن المرأة شغلته عن عمل كبير أو عن عمل صغير ؟ »

ثم يقول : « وأعجب شىء أن يقال عن النبى إنه استسلم للذات الحس وقد أوشك أن يطلق نساءه أو يخيرهن في الطلاق لأنهن طلبن إليه المزيد من النفقة وهو لا يستطيعها » ثم يقول : « ولو كانت لذات الحس هى التى سيطرت على زواج النبى بعد وفاة خديجة لكان الأحجى بإرضاء هذه اللذات أن يجمع النبى إليه تسعاً من الفتيات الأبكار اللائى اشتهرن بفتنة الجمال ... الخ » فينتهى الجدل عند المنصفين

وهكذا ... من مثل هذا المنطق المتطلق الوضىء السريع

***

وللعقاد فى « عبقرية محمد » لفتات نفسية وفكرية جديدة ، هيأه لإدراكها انفساح فى النفس وغنى فى الشعور وحيوية فى الطبع والضمير

من ذلك قياسه الجديد لعظمة محمد بمقدار ما استحقت من صداقات وبمقدار ما استجابت به لكل من هذه الصداقات : « تلك هى العظمة التى اتسعت آفاقها وتعددت نواحيها حتى أصبحت فيها ناحية مقابلة لكل خلق وأصبح فيها قطب جاذب لكل معدن ، وأصبحت تجمع إليها البأس والحلم والحيلة والصراحة والألمعية والاجتهاد وحنكة السن وحمية الشباب »

وقياسه لهذه العظمة فى موضع آخر بما انفسحت له من العطف على الصغير والتقدير للعظيم ، لأن إنصاف العظيم جميل كانصاف الصغير

وقياسه لهذه العظمة فى موضع ثالث بما انفسحت له من الجد والنهوض بعظائم الأمور مع تقبلها للفكاهة وعطفها على المتفكهين

وقياسه لهذه العظمة فى موضع رابع بما انفسحت له من طبيعة العبادة وطبيعة التفكير وطبيعة التعبير الجميل وطبيعة العمل والحركة

ولولا الانفساح الكبير فى طبيعة العقاد ما تهيأ لإدراك هذا الانفساح العظيم فى مثله العليا فى هذه النفس الرحيبة ، ولما التفت إليه هذا الالتفات وصوره هذا التصوير

ومن هذه اللفتات التى لا محيص من ذكرها — وإن ضاق المقام — التفاته إلى تسمية النبى صلى الله عليه وسلم لبعض أدواته وأسلحته بأسماء الأعلام وما فيها من « معنى الألفة التى تجعلها أشبه بالأحياء المعروفين ممن لهم السمات والعناوين ، كأن لها شخصية مقربة تميزها بين مثيلاتها كما يتميز الأحباب بالوجوه والملامح وبالكنى والألقاب »

لقد تحدث المتحدثون عن عطف النبى وحدبه فذكروا حوادث بره بالناس وبالحيوان . وممن كتبوا فى ذلك حديثاً الدكتور هيكل فى كتاب « حياة محمد » ثم تحدث العقاد فعرض بأسلوبه وطريقته مظاهر هذا العطف على الناس وعلى الحيوان ، ثم تجاوزه إلى هذه اللفتة المشرقة . والزيادة هنا ليست لقصد الزيادة ، ولا لمجرد الاستقراء ، ولكنها تراد لنوع جديد من الدلالة لا يدرك ما فيه من طبيعة الألفة والمودة لأول وهلة ، ولا تدركه إلا بصيرة نافذة ونفس عطوف وحس شفيف

ويبلغ العقاد قمة اللفتات النفسية البارعة عند تحليله لعقوبة « الهجر فى المضاجع » ويتجاوز الظواهر إلى حقيقة البواعث ومكامن الطبائع ، وتبدو الخبرة بطبيعة المرأة واليقظة لسيكلوجيتها الصميمة . ولن يتسع المجال هنا لعرض هذه اللفتة ، فهى هناك فى الصفحات ما بين ٢١٤ ، ٢١٨ يرجع إليها من يريد

***

وفى « عبقرية محمد » بعد هذا كله قصائد إنسانية رفيعة ، وإشراقات نفسية وذهنية وضيئة

فأما القصائد فهي هناك فى مواضع متفرقة ، ولكنها تروع وترفرف فى ص ٢٦ حين يتحدث عن « عبد الله » فيقول : لكأنما كان بضعة من عالم الغيب أرسلت إلى هذه الدنيا لتعقب فيها نبياً وهى لا تراه . ثم تعود ... الخ »

وحين يتحدث عن « مولد إبراهيم وموته » فى فصل « الأب » فيقول : « ولد الطفل الذى نظر إليه أبوه يوم مولده فامتد به الأمل مئات السنين بل ألوف السنين ، وتخير له الاسم الذى وراءه أعقاب كأعقاب جده الأعلى ليكون أباً ويكون له أحفاد ويكون لأحفاده من بعدهم أحفاد ...

« ثم مات ذلك الطفل الصغير

« ومات ذلك الأمل الكبير »

ثم يمضى فى هذه القصيدة وفى تلك فتحس خفق قلب إنسانى عطوف على مصاب قلب إنسانى كبير وتلمح رفرفة نفس شفيفة على نفس لطيفة من وراء الآباد والقرون

وأما الإشراقات النفسية والذهنية فهى هناك فى مواضع متفرقة ، ولكنها تروع وتعجب عند الكلام على محمد « العابد » وهناك صفحات فى الإيمان والتفكير كانت خليقة أن يكتبها أحد « الواصلين » ! فلعلها محسوبة للعقاد عند جمع درجات الحساب فى الكتاب المكنون ، ولعله واصل بهذه الدرجات إلى عليين !!

***

وفى عبقرية محمد تقويم صحيح لطبيعة العبقرية ، ولطبائع كثير من المواهب والحقائق ، عنى فيها العقاد دائماً بتوكيد الباعث المكنون فى الضمير وإيثاره على ظواهر الأمور « فالعبقرية قيمة فى النفس قبل أن تبرزها الأعمال ويكتب لها التوفيق ، وهى وحدها قيمة يغالى بها التقويم » ... « ولقد فتح الإسلام ما فتح من بلدان لأنه فتح فى كل قلب من قلوب أتباعه عالماً مغلقاً تحيط به الظلمات . فلم يزد الأرض بما استولى عليه من أقطارها ، فإن الأرض لا تزيد بغلبة سيد على سيد ، أو بامتداد التخوم وراء التخوم . ولكنه زاد الإنسان أطيب زيادة يدركها فى هذه الحياة فارتفع به مرتبة فوق طباق الحيوان السائم ودنا به مرتبة من الله ... »

***

وبعد فإن الجديد فى « عبقرية محمد » هو ضخامة الطاقة النفسية التى تستطيع أن تلم بنفس « محمد » هذا الإلمام . هذه الطاقة هى التى لم تتهيأ من قبل لأى ممن كتبوا عن « محمد » . وهى التى تشيع فى جو الكتاب كله ، ويتعذر لمسها فى نقط خاصة منه

« إن « نفس » محمد العظيمة هى التى يصورها هذا الكتاب أبرع تصوير ويجلوها أحسن جلاء . وتلك هى « عبقرية العقاد » فى « عبقرية محمد » على وجه الإجمال .

سيد قطب

٣٦ - المصريون المحدثون
شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الحادي عشر — « الخرافات »

هناك أشياء مختلفة يعدها المسلمون كالأحجبة ، مثل تراب القبر النبوي وماء زمزم المقدس وستار الكعبة الأسود[1] . ويقدر المسلمون ماء زمزم كثيراً لأنه يُرش على الأكفان . وسمعني أعرابي كنت أعطيته في الصعيد أثناء زيارتي الأولى لمصر دواء « أفاده » أسأل عن قليل من ماء زمزم إذ أن الكثير من المراكب الناصة بالحجاج العائدين من مكة كانت نازلة في مجرى النيل . وربما ظن الرجل لسؤالي هذا أنني مسلم تقي ، ومن ثم منحني ما كنت أحاول الحصول عليه ليعبر عن امتنانه . فذهب إلى منزل صديق له وعاد إلى مركبي حاملاً ربطة صغيرة فتحها أمامي قائلاً : « ها هي ذي أشياء أعرف أنك ستقدرها تقديراً عظيماً . ها هما علبتان من القصدير ملآنتان بماء زمزم ، إحداهما لك تحتفظ بها لترشها على كفنك . وهذا سواك غُمس في ماء زمزم فتقبله مني ونظف به أسنانك فلن تؤلمك ولن تتلف أبداً » . وأضاف قائلاً ، وهو يظهر لي ثلاث كعكات من التراب الأشهب صغيرة مستطيلة مسطحة طول كل منها قيراط تقريباً وقد طبع عليها : باسم الله ، تراب من أرضنا ، مزج بريق بعضنا . وهذه صنعت من تراب فوق قبر الرسول صلعم ، وقد اشتريتها بنفسي عند عودتي من الحج ، وإني أعطيك إحداها وستجد فيها شفاء من كل داء . وسأحتفظ بالثانية لي . أما الثالثة فنأكلها معاً . وعلى ذلك كسر إحدى الكعكات نصفين وأكل كل منا نصيبه . وقد وافقته على أنها لذيذة وقبلت هداياه مسروراً . وقد أمكنني فيما بعد أن أزيد ما عندي من تحف عن مكة ومن ذلك قطعة من ستار الكعبة أحضرها الشيخ ابراهيم[1] (بركهارت) من مكة وأعطاني إياها وريثه عثمان . وتوضع الكعكة أحياناً في غلاف من الجلد وتحمل كتعويذة ، وتصنع أحياناً أقراصاً على شكل الكمثرى الصغيرة وبحجمها وتعلق على الستر المحيط بمقام الأولياء أو على المقام ذاته أو على نوافذ المقام أو بابه .

والأحجبة التي يستعملها المصريون لجلب السعادة أو منع الشقاء كثيرة ؛ والعادات الخرافية التي يمارسونها لهذه الأغراض مختلفة بحيث لا يكفي لوصفها مفصلة مجلد كبير . وتسمى هذه الأساليب التي لا يكون أساسها الدين أو السحر أو التنجيم « علم الرُكّة » إشارة إلى سخافتها ، ولأن النساء يعتمدن عليها غالباً . ويعتبر البعض هذه الكلمة تحريفاً عامياً لعبارة « علم الرُّقْية » أي علم السحر . ويرى البعض الآخر أنها حلت محل العبارة الأخيرة بطريق التورية . وقد ذكرت عرضاً بعض العادات مما وصفته ، وسأذكر بعض أمثلة أخرى .

من الشائع كثيراً أن يعلق القاهريون عود الند فوق أبواب المنازل الجديدة خاصة . ويعتبر هذا حجاباً يكفل للسكان عمراً مديداً وحياة سعيدة وللمنزل بقاء طويلاً[2] . ويعتقد النساء أيضاً أن الرسول يزور المنزل الذي يعلق فيه هذا النبات . ويبقى العود معلقاً هكذا بدون طين أو ماء سنوات عديدة . ويزهر أيضاً . وقد سمي لذلك « صبراً » وعلى الأصح « صبّارة » إذ أن كلمة « صبر » تطلق عامة على المصير .

وجرت العادة عند ما يُخشى شر إنسان أن يكسر خلف ظهره وعاء من الفخار . ويُفعل هذا أيضاً لقطع كل علاقة أخرى مع مثل هذا الشخص .

ويعمد الجهلاء في مصر حيث ينتشر الرمد إلى الكثير من

(١) يغلق على الكعبة سنوياً ستار جديد في اليوم الأول من عيد الأضحى الذي يتبع الحج مباشرة . ويقطع الستار القديم قطعاً يباع أكثرها إلى الحجاج

(١) يوحنا لدفيج بركهارت رحالة ومستشرق سويسري (١٧٨٤ – ١٨١٧) سافر إلى سوريا ومصر ، وأسلم أو ادعى الاسلام للحصول على معلومات أوفى عن الحياة في الشرق ، وتسمى باسم ابراهيم بن عبد الله . وحج إلى مكة ، فكان أول أوربي أو مسيحي يدخل الأراضي المقدسة . توفي بالقاهرة ودفن فيها . وله عدة مؤلفات منها : رحلات إلى النوبة ، رحلات إلى سوريا ، والأرض المقدسة . الأمثال العربية أو عادات المصريين المحدثين وشمائلهم . (المترجم)

(٢) وقد روى أحد السياح أن هذا يكون في منازل الحجاج فقط . ولكن الحال ليس كذلك على الأقل في مصر .

العادات الخرافية المضحكة لمعالجة هذا المرض فيأخذ البعض قطعة طين من جسر النيل عند بولاق أو بالقرب منها ثم يعبرون النيل ويضعون القطعة على الجسر الآخر عند (امبابه) وحسبهم هذا الضمان الشفاء. ويعلق آخرون للغرض ذاته فى غطاء الرأس فوق الجبهة أو العين المريضة قطعة ذهبية (بندق) ذات وصف خاص متقابلة النقشين[1] غير أنه يعتقد أن دخول المرء، حاملاً فى جيبه بندقيا أو ريالاً على المريض بالرمد أو بحمى مما يزيد المرض. والاعتقاد العام أيضاً أنه إذا دخل لمرء غير طاهر على مصاب بالرمد يشتد المرض عليه وتظهر نقطة فى إحدى عينيه أو فى كلتيهما. وأعرف رجلاً أصيب بالرمد فحبس نفسه فى غرفته ثلاثة شهور مدة المرض خوفاً من ذلك، فلم يسمح لأحد بالدخول عليه، وكان خادمه يضع الطعام خارج الغرفة عند الباب؛ وأصيب مع ذلك بنقطة على إحدى عينيه.

وكثيراً ما يقوم النساء بعادة أخرى شديدة الغرابة تتقزز منها النفس منعاً للعقم

تعد ساحة الرميلة الكبرى غربى القلعة مسرحاً لإعدام المجرمين. وكان فيما مضى يكاد يضرب عنق المحكوم عليهم بالإعدام فى العاصمة دائماً فى هذا المكان من المدينة. وجنوبى هذا المكان بناء يسمى «مغسل السلطان» حيث توضع جثة المضروب عنقه على مائدة حجرية لغسلها قبل الدفن. وتتجمع المياه فى حوض لا يفرّغ أبداً فيظل ملوثاً بالدماء كريه الرائحة. فيذهب الكثير من النساء إلى ذلك المكان للبرء من الرمد أو للحصول على النسل أو لتعجيل الولادة فى حالة الحمل المتأخر. فتمر المرأة صامتة، والصمت لازم إطلاقاً، تحت المائدة الحجرية متقدمة بالقدم اليسرى، ثم تمر فوق المائدة سبع مرات وتغسل بعد ذلك وجهها بالماء الدنس. وتعطى كهلاً وزوجه يلازمان هذا المكان خمس فضة أو عشرة ثم تنصرف وما زالت صامتة. وكثيراً ما يفعل ذلك المصابون بالرمد من الرجال. ويقال إن هذا المغسل بناه بيبرس الشهير قبل أن يصبح سلطاناً عند ما لاحظ جثث المحكوم عليهم ترفس وتدفن دون أن تغسل. ويخطو بعض النساء جثة المعدم سبع مرات صامتات ليصبحن حبالى. ويغمس البعض الآخر، مدفوعاً بالرغبة نفسها، قطعة من القطن الزهر فى الدم ويستعملها فيما بعد بطريقة يجب ألا أذكرها

(١) ويسمى هنا «بندق مشاهرة»

وهناك عادة مضحكة يمارسها المصريون لعلاج بثرة تظهر على حافة الجفن ويسمونها «شحّاته» ومعنى هذه الكلمة الحرفى سائلة[1]. فيذهب المصاب إلى سبع نساء تسمى كل منهن فاطمة فى سبعة بيوت مختلفة؛ ويسأل كلاً منهن قطعة خبز. ويتكون الدواء من هذه القطع السبع. وأحياناً يخرج المصاب فى حالة مشابهة وللغرض نفسه قبل طلوع الشمس إلى المقابر ويدور حولها صامتاً من اليمين إلى اليسار بعكس الطريقة المعتادة. وهناك طريقة وهمية أخرى للعلاج وهى أن يثبت المصاب قطعة قطن على طرف عصا ثم يغمسها فى أحد الأحواض التى يشرب منها الكلاب فى شوارع القاهرة ويمسح العين بها. ويهتم المريض هكذا بوقاية يده من الماء الدنس عند ما يوشك أن يقع منه على موضع آخر من جسمه

ويعلق بعض المصريات المسلمات فى رقابهن أصبعاً مجففة فصلت عن جثة مسيحى أو يهودى متوهمات أن ذلك يعالج الحمى المتقطعة (الملاريا). وتدل هذه العادات دلالة تستحق الاعتبار على مفعول الخرافة المنحط وتأثيرها القوى على العقل، إذ أن المسلمين على العموم يدققون فى مراعاة الفروض الدينية التى تأمرهم بالامتناع عن كل دنس أو قذر

جرت العادة عند ما يعجز الطفل عن المشى بعد أن يدرك السن المناسبة أن توثق أمه قدميه بسعف تعقدها عقدات ثلاث وتضعه على باب مسجد أثناء صلاة الجمعة، وتسأل بعد الصلاة أول الخارجين وثانيهم وثالثهم أن يحل كل عقدة من السعف، ثم تحمل الطفل إلى المنزل مؤمنة أن هذا العمل سوف ينتج الأثر المراد عاجلاً

من العقاقير من يزعمون أنه ترياق أو شاف لبعض الأمراض. وقد يكون لهذه الأدوية بعض التأثير ولكن الخرافة تنسب إليها فضائل لا تُصدّق. ويرى المصريون حتى غالبية المتعلمين والمهذّبين فى الخاصيات المفيدة أو المضرة لمختلف المواد النباتية والحيوانية أسخف الآراء. إذ يؤيدها فى بعض الأحوال أحاديث تروى عن النبي ويدعمها اعتبار حكمائهم المشهورين. ويستعمل البادزهر[2] ترياقاً بحكه مع قليل

(١) وهي تحريف كلمة شحاذة

(٢) حجر البزهير

من الماء فى طاس تملأ بعد ذلك ويشربها المصاب . ويستعمل لذلك أيضاً وبالطريقة نفسها قدح من قرن الخرتيت يدعك بقطعة من المادة نفسها . ويعالج الكثير من أهل القاهرة مرض اليرقان بالشرب من ماء «بئر اليرقان» وهو بئر تمتلكها عجوز وتجنى منها فائدة كبيرة ؛ فللبئر فوهتان أسفل إحداهما وعاء جاف للأشياء التى تقذف بها . فتطلب العجوز ممن يرغب استعمال الماء الطبى أن يسقط خلال هذه الفوهة ما تحتاج إليه من سكر وبن الخ.

يلجأ المسلمون إلى عادات خرافية شتى يستشيرونها عند التردد فى عمل ينتوون فعله أو تركه . فيستخدم البعض جدولاً يسمى « زائرجة » . وهناك جدول من هذا النوع ينسب إلى إدريس أو أخنوخ . ويقسم الجدول إلي مائة خانة صغيرة يكتب فى كل منها حرف . ويتلو من يستشير الجدول الفاتحة والآية التاسعة والخمسين من سورة الأنعام : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » ثلاث مرات . ويضع بعد ذلك أصبعه على الجدول دون أن ينظر إليه ثم يعاين الحرف الذى يشير إليه أصبعه ويدونه ، ثم يدون الحرف الخامس اللاحق للأول ، فالخامس التابع للثانى ، وهكذا حتى يعود إلى الحرف الأول . ويكون من مجموع هذه الحروف الجواب[1]

ويعمد البعض إلى القرآن لحل مشكلاتهم ، ويسمون هذا « استخارة » ، فيرددون الفاتحة وسورة الإخلاص والآية السابقة ثلاثاً ، ثم يتركون المصحف يسقط مفتوحاً أو يفتحونه عرضاً ، ويستخرجون الجواب من السطر السابع فى الصفحة اليمنى ، وكثيراً ما لا يحمل الكلام جواباً صريحاً ، إلا أنه يعتبر إيجابياً أو سلبياً حسبما يدل معناه على الخير أو الشر ، كأن يشير إلى وعد أو وعيد . ويعد البعض بدلاً من قراءة السطر السابع عدد الحرفين الخاء والشين فى الصفحة كلها ، فإذا غلبت الخاءات كانت النتيجة مناسبة : فالخاء تمثل الخير والشين الشر

(يتبع) عدلى طاهر نور

(١) أكثر الزائرجات استحساناً معقدة للغاية . ويختفى العمل بالزائرجة حسابات فلكية معقدة

حماسيةٌ لا سياسية

لمعالى الأستاذ رضا الشبيبى

أ لا في سَبيلِ اللهِ وَالْوَطَنِ الْعَانِى
سُهَادِى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَأَشْجَانِى

وَفى ذِمَّةِ الشَّعْبِ المُضَيَّعِ حَمْــلَةٌ
مِنَ الدَّهْرِ أَلقَاهَا ـ وَحِيدًا ـ وَتَلْقَانِى

وَسَوْمِيَ نَفْسِى فى الـكِفَاحِ رَخِيصَةً
وكنتُ فتًى إِنْ سَامَنِى الدَّهْرُ أغْلَانِى

وَنَفْثِيَ مِنْ صَدْرِى شُوَاظاً تَضَرَّمَتْ
بِهِ وَسَرَتْ فى فَحْمَةِ اللَّيْــلِ نيرانى

وَرَدِّىَ كَيْدَ الـكَائِدِينَ عَلَيْهِمُ
وكان قميناً أنْ يضعضعَ أركانى

إذا كادَ أَنْأَى النَّاسِ عَنِّىَ كِدْتُهُ
وَإِنْ كادَ أَدْنَى النَّاسِ مِنِّىَ أعيانى

رِجَالٌ لَهُمْ فى الْعُرْبِ دَعْوَىً كما ادَّعَى
« بِآلَ زِيادٍ » قَبْلَهُمْ « آلُ سُفْيَانِ »

لهم ما استقامتْ قَطُّ عندى طريقةٌ
وناهيك فيهم من وجوهٍ وألوانِ !

تَعَسَّفَ قَوْمٌ بالعراقِ وَسَاوَمُوا
عَلَى وَطَنٍ مَا سِيمَ ـ يَوْمًا ـ بِأَثْمَانِ

هُمُ احْتَقَبُوا الْأَوْزَارَ يقترِفونها
وقالوا : جَنَى عَمْدًا وما هو بالجانى !

هُمُ استعجلوا اللــذاتِ يَنْتَهِبُونَهَا
وَهُمْ بَدَّلُوا بِالْجَوْهَرِ الْعَرَضَ الفانى

وقد تُنْكِرُ الْحُرَّ الْعِرَاقِيَّ أرْضُهُ
فَيَنْأَي ليدنو منه من ليس بالدانى !

« بغداد » رضا الشبيبى

معركة « بلنهايم »

للشاعر الانجليزى روبرت سوذى

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة

[بلنهايم قرية فى بافاريا الغربية على ضفاف الدانوب الأعلى ، انتصر عندها الانجليز وحلفاؤهم من الأوربيين بقيادة مارلبورو (وهو جون تشرشل جد ونستن تشرشل الحالى ، يعاونه الأمير أوجين صاحب سافوى ... على جيوش الفرنسيين والبافريين بقيادة المارشال تالارد ؛ وكان ذلك فى ١٣ أغسطس ١٧٠٤ م

وقد أنشأ روبرت سوذى — وهو أحد شعراء البحيرة الثلاثة قصيدته هذه عام ١٧٩٨]

كانت أمسيَّة من أمسيَّات الصيف الرائعة ؛ وقد أنهى « كَسْبَار » العجوز عمله فى مزرعته ، ثم احتبى أمام باب كوخه يرقب الشعاع الغارب فى سكون ... بينا انطلقت حفيدته « وِلهِلْمِينا » تلهو بجانبه على المرج الأخضر

وبعد هنيهة أقبل أخوها « بيتركين » يقلب فى يده كرة بيضاء مستديرة ، عثر بها وهو ينبش الأرض إلى جانب الجدول القريب ...

وراح الصغير يتساءل فى لهفة عن هذه الكرة المستديرة الملساء ؛ فتناولها منه الجد وأقبل يفحصها بيده وبصره ؛ بينا وقف أمامه الصغيران ينتظران جوابه فى لهفة واشتياق

هزَّ الشيخ رأسه فى أسف ؛ وتنهد تنهيدة حرَّى ثم قال : « هذه جمجمة أحد أولئك المساكين الذين سقطوا صرعى يومَ الانتصار الكبير ... لقد طالما عثرت بمثلها وأنا أنبش الأرض : فى الحديقة ... وفى المزرعة ... وفى كل مكان . وكم من مرة ارتطمت سكة محراثى بجمجمة كهذه ، حتى لأصبحت وما أكاد أحفِل بها أنّى أجدها . نعم ؛ إن آلافاً وآلافاً [1] من الرجال البواسل طحنتهم رحى القتال فلم تبق منهم إلا أشلاء مختلطة ؛ فى يوم هذا النصر الذى ارتفع ذكره ودوى صداه !

فهتف « بيتركين » فى دهشة : ولكنْ ... قل لى يا جدى علام اصطرع هؤلاء الرجال ؟ وفيم استباحوا لأنفسهم أن يخضأوا نار هذه الفتنة المبيرة ، ويتساقوا بأيديهم كؤوس المنية دهاقاً ؟ ...

وأصغتْ ولهلمينا إلى الجواب فى لهفة ، وقد حدقت فى وجه جدها بعينين مستطلعتين

قال الشيخ الهرم : هـذا سؤال لا يحضرنى جوابه [1] ؛ ولكننى سمعت الجميع يقولون : إنه كان انتصاراً رائعاً تردَّد صداه فى كل مكان ...

كان أبى يقيم يوم ذاك فى (بِلِنْهايم) خلف هذا المجرى القريب ؛ ولقد أضرم المتحاربون النار فى بيته حتى تداعت أركانه وانهار بنيانه ؛ فلاذ بأذيال النجاة ، وشرد هائماً فى السهل العريض ، مع زوجة مكروبة ، وطفل مزءود ، يطاردهم الموت أنى ذهبوا ، وتسد عليهم كوارث الحرب كل مسلك ... فما يملكون لها دفعاً ، ولا يجدون لهم من دونها موئلا ...

لقد فعل الحديد والنار فعلهما فى هذه الأنحاء ، وانبثت نذر الهلاك والدمار فيها طولاً وعرضاً ؛ حتى لذهلت كل مرضعة عما أرضعت ، ووضعت كل ذات حمل حملها . ولكم من شيخ مات إعياء وضعفاً ؛ وطفل اخترم جزعاً وخوفاً ... ولكن أشياء كهذه تحدث دائماً — كما تعلمان — عند كل انتصار كبير !

إنهم ليتحدثون فى ارتياع وذهول ، عن بشاعة المنظر الذى كانت تقع عليه العين يوم انجلى غبار المعركة عن أكداس فوق أكداس من أشلاء ممزقة ، وهامات مفلقة ؛ قد صهرتها حرارة الشمس ، ودب فيها دبيب البلى . ولكن هكذا الشأن فى كل نصرة : مسرة تحفها الآلام ، ونعمة يعانقها الشقاء ، وتسد سبيلها الكوارث والفجعات ...

لقد طوقت هذه الحرب (دوقَ مارلْبورو) بهالة من المجد والفخار ، وأكسبه صدق بلائه فيها محبة وثيقة من كل قلب ، وثناء رطيباً على كل لسان . وكذلك حظى أميرنا المحبوب (أوجين) بقسط من الحمد عظيم ، ونصيب من الثناء وافر ... فاعترضت ولهلمينا تقول : عجباً ! وفيم كل هذا ؟ لقد ارتكبا والله شناعة ، وأتيا أمراً إدًّا .

---

(١) انجلت هذه الموقعة عن أحد عشر ألف قتيل من الحلفاء ، وأربعين ألفاً من الفرنسيين والبافاريين ووقع المارشال الفرنسى « تالارد » أسيراً

(١) لو كان (كسبار) من الملمين بحوادث التاريخ لقال إن هذه الحرب جزء من (حرب الوراثة الأسبانية) التى أثارتها أطماع لويس الرابع عشر سنة ١٧٠٠ م ، والتى أدت إلى قيام تحالف عسكرى ضده من انجلترا وهولندة والنمسا وبروسيا ، ثم انتهت بعقد صلح أترخت — بعد سلسلة من الوقائع العنيفة — عام ١٧١٣ م .



محاولة قديمة جديدة في الفقه الإسلامي

كنت أعتقد إلى اطلاعي على هذه المحاولة أن عصرنا هو الذي يمتاز بهذه المحاولات الجريئة في الفقه الإسلامي ، لأنه يمتاز على ما سبقه من العصور بما جد فيه من ظروف وأحوال انتهت بإبطال العمل بهذا الفقه في قسم المعاملات ، فكان هذا سبباً في تلك المحاولات الجريئة التي يقصد منها تطويع هذا الفقه لمجاراة الظروف والأحوال ، وإيثار العمل بروح الشريعة السمحة على الوقوف عند ما تقضي به النصوص والألفاظ

ومن تلك المحاولات ما ذهب إليه بعضهم من أن الإسلام كغيره من الديانات لا يراد منه إلا تهذيب الروح ، فلا يكون من صميمه إلا قسم العبادات ؛ أما قسم المعاملات ، فهو قسم دنيوي يقبل التغيير والتبديل ، ولا يثبت على حال واحد كقسم «العبادات»

ومنها ما ذهب إليه بعضهم في مجلة (الرسالة) الغراء من تقسيم التشريع الإسلامي إلى دائم ومؤقت ، وجعل قسم المعاملات من التشريع الثاني ، لأنه صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم بشخصية الإمام المجتهد ، لا بشخصية الرسول المبلغ عن الوحي ، وهذه المحاولة هي المحاولة الأولى بعينها في ثوب جديد وتمتاز عليها بقوة الأساس الذي بنيت عليه ، وأنه كان بحيث لم يسع بعض المنكرين لتلك المحاولات ، إلا قبوله بدون قيد ولا شرط .

أما تلك المحاولة القديمة ، فقد ذكرها أبو جعفر النحاس في كتابه _ الناسخ والمنسوخ _ وجعلها مذهباً لبعض المتأخرين في النسخ ، وهو يعني بالمتأخرين من جاء بعد الصحابة والتابعين ؛ فقد ذكر لهم مذاهب في النسخ منها ما ذهب إليه بعضهم من أنه يكون في الأخبار والأمر والنهي ؛ وقد قال في رده : وهذا القول عظيم جداً يؤول إلى الكفر ، لأن قائلاً لو قال : قام فلان ثم قال : لم يقم ؛ ثم قال : نسخته لكان كاذباً

ومنها هذا القول الذي يتضمن تلك المحاولة ، وهو أن الناسخ والمنسوخ إلى الإمام ينسخ ما شاء ، ولا شك أن المحاولتين السابقتين إنما تقصدان إلى هذه الغاية ، وترميان إلى إعطاء الإمام هذا الحق ؛ وقد قال أبو جعفر في رد ذلك القول : وهذا القول أعظم ، لأن النسخ لم يكن إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالوحي من الله ؛ إما بقرآن مثله على رأي قوم ، وإما بوحي من غير القرآن ؛ فلما ارتفع هذان بموت النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع النسخ .

«أزهري»

غطاء الرأس والأزياء

أجابت لجنة الفتاوى الأزهرية على سؤال وجه إليها من جمعية المشروعات الخيرية الإسلامية ببيروت في صدد غطاء الرأس والأزياء ، بأن « الدين الإسلامي لم يفرض على الناس زياً خاصاً ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس الملابس العربية التي كانت في وقته ، والملابس غير العربية التي وصلت إليه ، غير أن الإسلام استثنى من ذلك ما كان خاصاً بالطقوس الدينية أو كان مميزاً لطائفة من الطوائف غير الإسلامية ، وإذاً أن الطربوش والمعطف والسترة والبنطلون والبيجامة ، ليست ملابس خاصة بطقوس دينية فإن لبسها للرجال جائز . أما البرنيطة فلم تعد زياً خاصاً لفريق من الناس ، فيجوز لبسها في الأقطار التي تعد البرنيطة من الملابس الشائعة دون الأقطار التي تعدها من الملابس الخاصة بغير المسلمين »

أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

يقول الدكتور زكي مبارك في إحدى كلماته : « قال الرسول عليه السلام : أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . وقد أوّل قوم هذا الحديث فقالوا : إن نصر الأخ الظالم هو نهيه عن الظلم . وأقول

قال الشيخ في حدة : كلا ، كلا يا فتاتي العزيزة ؛ إنه لانتصار رائع وفوز مبين ؛ وإن الجميعَ ليثنون على الدوق الشجاع الذي بلغ بمقدرته تلك الغاية ، وسجل هذا النصر الأغر ...

وهنا عنّ لبيتركين أن يسأل بدوره فقال :

ولكن حدثني يا جدي عما أفاده الناس من هذه المعركة الطاحنة ، ذات الحوادث الرهيبة !

فأحس الشيخ بالحرَج ... وكأنما قد فرغ رأسه بعد أن نفض عنه كل ما يعلم ، فقال في لهجة من يختتم الحوار :

لا أستطيع يا بني أن أقول في هذه المعركة شيئاً ، سوى أنها كانت نصراً حاسماً تردّد صداه في كل مكان ! !

(جرجا) محمود عزت عرفة

إن الحديث الشريف يرمي إلى غاية لم يفطن لها أولئك المؤولون ، وهو عندى دعوة إلى العصبية الأخوية ، وهى الغاية فى شرف الإخاء ، وتلك العصبية توجب أن تكون فى صفوف الإخوان ولو كانوا ظالمين ، لأن الوداد الصحيح هو الاشتراك الوثيق في المحاسن والعيوب »

وهذا القول من شطحات الأديب الكبير ، فإن النبى (ص) لما قال هذا الحديث سأله صحابته : قد علمنا أننا ننصر أخانا مظلوماً فكيف إذا كان ظالماً ؟ فأجاب الرسول ما معناه : نصرته إذا كان ظالماً تردوه عن ظلمه . وهذا ما ذكره المحدثون عند رواية هذا الحديث ؛ ولكن الدكتور عفا الله عنه أبى على صدر الكلام وتناسى عجزه .

وقال بعضهم إن هذه الكلمة قد أثرت عن العرب فى الجاهلية ولكنهم قالوها على مذهب شاعرهم القائل :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... فى النائبات على ما قال برهانا !

والقرآن والسنة يادكتور لايقال فيهما : « وهو عندى ... » خصوصاً إذا سدت الرواية والأسانيد السبيل أمام الظنون والآراء ، ورضى الله عن أبى بكر الصديق إذ يقول : « أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، إذا قلت فى كتاب الله برأيى ! » .

(البجلات) **أحمد الشرباصى**

ذكرى الشاعر عبد الحليم المصرى

حفل مسرح الأزبكية فى الأسبوع الماضى بجمهرة من الأدباء والشعراء ورجال القلم احتفلت بذكرى الشاعر الكبير المرحوم عبد الحليم المصرى برياسة صاحب المعالى نجيب الهلالى باشا وزير المعارف . وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فأوفد صاحب العزة محمود يونس بك التشريفاتى لحضور هذا الاحتفال . وقد تعاقب الخطباء على منصة الخطابة فألقوا كلمات وقصائد عددوا فيها ما كان لهذا الشاعر من آثار على دولة الشعر والأدب فى مصر . ثم اختتمت الحفلة بكلمة ألقاها اليوزباشى عصام حلمى المصرى عن أسرة الفقيد شكر فيها للمحتفلين شعورهم

وقد عاش المرحوم عبد الحليم المصرى فيما بين سنة ١٨٨٧ وسنة ١٩٢٢ ومات فى منتصف العقد الرابع من عمره ، وقرض الشعر فى سن الثالثة عشرة . وأخذ نجمه فى الشعر والأدب يصعد وهو فى سن السابعة عشرة . وقد أفرد لمنشئ مصر الحديثة المغفور له محمد علي الكبير ديواناً خاصاً . وقربه المليك الراحل وعينه أميناً للمكتبة الملكية ، ومات فى اليوم الثانى من شهر يوليو سنة ١٩٢٢ ، وكان يجرى فى الشعر على مذهب حافظ

الفدائية

ذكر الدكتور محمد حسنى ولاية فى مقاله (الشخصية الهستيرية فى الرسالة : ومن الطرق التى يلجأ إليها الهستيرى فى كفاحه لنيل تقدير الجماهير إنكار الذات (ظاهراً) والفدائية ، واستعذاب العذاب فى سبيل تحقيق المبادئ السامية

فهل للدكتور الفاضل أن يتفضل فيبين لنا المبادئ التى كانت تعمل من أجلها جماعة الفدائيين ، وهل كانت هذه المبادئ من السمو بحيث يضحى الفدائى نفسه فى سبيل كل غاية تفيد الإنسانية ، أم أن الدكتور الفاضل أراد بذكرهم فى مثاله مجرد التشبيه فقط ، باسترخاصهم النفس فى سبيل غاياتهم .

وأنى لرد الدكتور الفاضل لمنتظر ، فقد تعددت الآراء ، وتضاربت الروايات بشأن هذه الجماعات . وللدكتور الفاضل خالص الشكر ووافر الامتنان **مصطفى عبد المجيد جابر**

حول ترتيب القرآن

لا شك فى أن ترتيب السور فى القرآن الكريم الذى بأيدينا قد بُنى على قاعدة معقولة مما أرضت جميع المسلمين على اختلاف طبقاتهم ... فما هى هذه القاعدة التى رُتبت السور القرآنية بموجبها ؛ أروعىَ فى ترتيبها كبر السورة أم سبق النزول ، وكلا الأمرين — كما هو ظاهر لم يراع فى ترتيبها

فياحبذا لو التُفتَ لهذا الموضوع الجليل وأُعطى ما يستحقه من العناية على صفحات (الرسالة) أسوة بالمواضيع الخطيرة التى تتناولها

قضاء الهندية — العراق **عبدان رشيد الكاتب**

المهرجان الأدبى الرابع

يعتزم نادى الخريجين بالخرطوم إقامة المهرجان الأدبى الرابع فى عيد الفطر المبارك المقبل وقد شكلت لهذا الغرض لجنة خاصة وهى الآن فى حركة دائمة ونشاط متواصل وبدأت عملها بتوجيه الدعوة بالصحف السيارة لحملة الأقلام وقادة الفكر ليتأهبوا لهذا الحدث الأدبى الهام ، وشفعت نداءها ببرنامج شامل للموضوعات التى ينبغى أن تلقى فى تلك السوق الأدبية الحافلة

واللجنة وطيدة الأمل أن يساهم الأدباء المصريون الأعلام

وغيرهم من أدباء الأقطار العربية الشقيقة فى هذا العيد الأدبى بإرسال ما تجود به قرائحهم الوقادة برسم (سكرتير المهرجان الأدبى بنادى الخريجين بالخرطوم)

وفق الله الجميع لإعلاء كلمة الأدب والنهوض بلغة الضاد .

حيدر موسى
من هيئة السكرتارية

كتاب « ديكارت » للأستاذ عثمان أمين

هذا الكتاب كسب للمكتبة العربية ، ومذهب جديد فى دقة البحث وحسن العرض . وما ظنك ببحث يعرض لك نوع الحياة التى عبرها ديكارت لتقف على بواعث فكره الأصيلة ، ويبين لك كيف تفتحت هذه البواعث عن أفكار نمت واستقامت ؛ ويريك كيف افترع ديكارت منهجه الجديد ومذهبه الفلسفى ، كل أولئك مع حيوية دافقة فى بيان مواضع الخلاف بين ديكارت ومن سبقه من الفلاسفة ، وإبداع فى مناقشة تأويلات الفلاسفة لمذاهب ديكارت وأخلاقه ... فى أسلوب جلى واضح يقرب أغراضه من الفهم ولا ينبو عن الغرض . إن كتاباً يكون هذا منهجه ويكون موضوعه فلسفة ديكارت لهو كتاب حقيق أن يوفى حقه وواجب أن يحسن استقباله

وبعد فما نخالف المؤلف الفاضل إلا فى ناحية واحدة لا تذهب بجلال البحث وهى قوله بأن تخلف ديكارت عن نصرة (غاليلى) لم يكن عن خوف وإنما كان عن رغبة فى الهدوء !

ونحن نقول إنه كان عن خوف عارم ، فقد كان الرجل شديد الحرص على أفكاره قوى الدفاع عنها . وإن مناقشاته الكثيرة مع ناقديه لتنهض دليلاً على ذلك ، فهو كان يخشى أن تعارضه الكنيسة ، فلا يستطيع أن يصدوها فتسكت ! والسكوت عند من يتوهج غيرة على أفكاره أمر شديد وجيع ... وإذن فقد آثر ديكارت السكوت عن نصرة (غاليلى) خوفاً على فلسفته ورهبة من الكنيسة

ولو كان ديكارت كشف عن رأيه فى موقف الكنيسة من غاليلى لضاعت تلك الفلسفة التى وضعت للنفس روحية ثابتة ، وقررت بفيزيقيتها « اليقين العلمى » و « الوجود الكونى »

حسين محمود البشبيشى

لحم اصطناعى

حلت بنا أزمة اللحوم ومحنة حظر اللحوم فماذا أوحت إلينا ؟ لقد أشعرتنا بالحاجة إلى بديل للحوم يشبهها من جميع الوجوه ويغنى عنها : أى لحم اصطناعى . وسيزداد شعور العالم فى المستقبل بهذه الحاجة لا بسبب الحروب بل بسبب تطور المدنية . نعم سوف ترهف مشاعر الإنسان فى المستقبل فيشمئز باحتجاج صامت من الحيوان الأعجم على سفك دمائه ، وستنمو غريزة الشفقة وتطغى على البشر فلا يعودون يرون أن ذبح الحيوان يختلف عن ذبح الإنسان . ستسود المحبة والتآخى بين الإنسان والحيوان وتنسى الطيور غريزة الخوف من الإنسان فتراها لا تطير مدبرة إذا أقبل عليها بل تستقبله هاشة باشة مغردة بالتحية . وستتضح للناس أضرار صحية وخفية لأكل لحم الحيوان ، وإن من أكل لحم الحيوان قد تسربت إلى الإنسان ميول حيوانية وتفكير حيوانى . وسينتصر العلم فى إنقاذ الموقف باختراع لحم اصطناعى أشهى وأفضل من لحم الحيوان . وليس فى هذا القول بدعة ، فقد سار العالم فيه شوطاً ليس بالقصير ، وانتشرت المطاعم النباتية فى عواصم أوربا وتأسست فيها جمعيات لمكافحة أكل الحيوان ، وصارت المصانع تخرج كل يوم أنواعاً جديدة من مستحضرات غير حيوانية تستعمل بدل اللحوم فى شكل خلاصات لها طعم اللحوم أو الدجاج أو السمك . حتى محار البحر أمكن تقليده . وعمد البعض إلى تقليد ألياف اللحوم لتقطع بالسكين على المائدة كأن عملية القطع بالسكين فى حد ذاتها لذة

وأسجل مع الأسف أن مطاعم القاهرة لم تظهر تفنناً كافياً فى مقابلة نظام حظر اللحوم ، ولم تبتكر أى طعام جديد خلاف الأطعمة العتيقة المشهورة . وذلك على رغم توفر الخضر والفواكه واللبن والبيض فى بلادنا . حقاً لقد تجلت حاجتنا إلى إنشاء معهد للأغذية

دكتور على عبد السلام

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١١ مارس سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ٦٥٣ سنة ١٩٤٢ ضد جاد فرغلى يونس فرايد بدمنهور بالحبس خمسة عشر يوماً مع الشغل والنفاذ والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع خبزاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكم بجلسة أول ابريل سنة ٩٤٢ فى الجنحة ن ٣٧٠ سنة ١٩٤٢ عسكرية المنيا بتغريم عليان عمر زيدان بشبين القريسة ٢٠٠ قرشا لبيعه ارزاً بأزيد من التسعيرة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No 471

Lundi - 13 - 7 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٣٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٧١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦١ — الموافق ١٣ يولية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

تاريخ عصر النبوة

قرأت فى مجلة « الثقافة » مقالاً جيداً للأستاذ محمد مندور عن اتجاه رجال الأدب فى العصر الحديث ، فرأيت أن أخصه بشيء من التعقيب ، عساه يلتفت إلى تحرير آرائه بعض الالتفات فهو صديقٌ عزيز وله علينا حقوق . وأكتفي بالتعقيب على العبارة الآتية :

« ما بالُ معظم كتّابنا قد انتهوا بالكتابة عن (محمد) ؟ أهو إيمان من يشعر باقترابه من اليوم الآخِر ؟ ذلك ما نرجوه . ولكن ثمة أمرٌ لا شك فيه ، وهو أننا قد وصلنا من التزمت حدًّا نبرّئ منه كل الأديان على السواء »

ومعنى هذه الفقرة أن الكتابة عن الرسول ضربٌ من المتاب ، وأنها دليل على ابتلاء الجمهور المصرى بالتزمت والجمود .

وأقول إن هذا التصور المنحرف ليس بجديد ، فقد سبقته أوهامٌ تزعم أن الحديث عن الرسول بابٌ من الرجعية ، وأن الاشتغال بأخبار النبي وأصحابه فنٌ من التودد إلى الجماهير ، وهى تحب الإفاضة فى أمثال هذه الشؤون (؟!)

والحق أن عصر النبوّة الإسلامية يحتاج إلى دراسات كثيرة ، وأن ما كُتب فيه لهذا العهد ليس إلا تباشير لدراسات

تستغرق مئات المجلدات ، لأن ذلك العصر كان مطلع نهضة إنسانية تركت أعظم الآثار الروحية والعقلية فى المشرق والمغرب ، وصبغت التفكير الإنسانى بألوان تحتاج إلى من يدرسون عناصرها الجوهرية بتعمق واستقصاء

وإذا جاز اتهام المهتمين بتأريخ عصر النبوة بالغايات الدنيوية أو الأخروية ، فلن يجوز القول بأن ذلك العصر قد وضح فى أذهان الجماهير وضوحاً يغنيهم عن التأليف الكاشف لما فيه من أسرار وآيات

ولو نظرنا فيما كتب الأوربيون فى مدى عشرين سنة عن شاعر من شعراء الأساطير مثل هوميروس لوجدنا عنايتهم به تفوق عناية العرب بتأريخ حياة الرسول فى مدى أجيال ، مع العلم الوثيق بأن الرسول العربى ترك فى الوجود آثاراً تفوق آثار من سبقه من الأنبياء ، بَلْه الشعراء

لم يقلْ أحد إن هيكل كان رجعيًّا حين ترجم لجان جاك رُوسُّو ، ولم يقل أحدٌ إن العقاد كان رجعيًّا حين ترجم لابن الرومى ، ولا قال قائل برجعية طه حسين حين ترجم لأبى العلاء ، ولكن الرجعية أصابت هؤلاء الأساتذة حين شغلوا أنفسهم بتأريخ عصر النبوّة ، لأنه مصدر من المصادر الدينية ، وأهل هذا الزمان يرون الحديث عن الديانات من المبتذلات !

أنا أبغض الرياء كل البغض ، وأنا أسأل الله أن يصبّ جام غضبه الماحق على المرائين ، ولكن ذهنى لا يسيغ أن يكون ما كتب هيكل وطه والعقاد عن الرسول ضرباً من الرياء ، لأن كتاباتهم فى هذا الموضوع كتابة أصيلة ، والكتابة الأصيلة لا تصدُر إلا عن ذوق وروح وإيمان

وقد حدثتكم مرة أن الدكتور طه حسين ليس له من « هامش السيرة » غير قصة الراهب فى الجزء الأول . والأمانة توجب أن أحدثكم أن ناساً فى العراق أخبرونى أن فى الجزء الثانى فصولاً أفاضت عيونهم بالدمع ، فهل يبكى القارئ قبل أن يبكى المؤلف ؟

أرجوكم أن تذكروا أن فى الأدب العربى المصرى لهذا العهد أصالة روحية وذوقية تستحق الإعجاب ، ولو أعفتنا الخطوب مما يعوّق النهضة الأدبية فى مصر لرجونا أن يكون للبيان العربى عصرٌ جديد يفوق فى روعته أجل ما أُثِر عن عصر بنى أمية وبنى العباس ، ونحن قد تفوقنا بلا ريب ، ومحصولُنا الأدبى وصل إلى غاية من الروعة لم تخطر لأحد من القدماء فى بال

وخلاصة القول أن تأريخ عصر النبوة لم يأخذ من عنايتنا كل ما يستحق ، لأنه ليس مصدر ثروة روحية فحسب ، وإنما هو مصادر لثروات أدبية واجتماعية وتشريعية . وتاريخنا الأدبى أجاز أن تؤلف رسالة فى إعراب « جاء زيدٌ » فكيف يُنكر أن تؤلف رسائل فى حياة الرسول ؟

وهنا مَلْحَظٌ آخر : هو صدور المباحث الدينية فى هذه الأيام من رجال ثقافتهم مدنية . فما معنى ذلك ؟ معناه أن الإسلام برىء من الصبغة الكهنوتية ، وأن كل مسلم مسئول عن شرح أغراض الدين الحنيف ، ولو جهل موقع البلد الذى تقوم فيه إدارة الأزهر الشريف

حدثنى أستاذنا الشيخ المراغى قال : « الإسلام خسارة فى هؤلاء المسلمين » . وهى كلمة هزّت قلبى حين سمعتها من هذا الرجل العظيم ، فلو كان الإسلام دين أمة مثل الأمة الإنجليزية أو الأمة الألمانية لاستقلّ أتباعه أن يُنشر عنه فى العام الواحد عشرات المجلدات

بين الأزهر والجامعة المصرية

نشرت « الرسالة » كلمة للدكتور محمد البهىّ عن المستوى الجامعى فى مصر بين الأزهر والجامعة المصرية ، وهى كلمة تؤكد المعنى الذى أراده أحد الشعراء حين قال :

اقتلونى ومالكاً واقتلوا مالكاً معى

فقد أراد أن يحكم بالعُقم على الأزهر وهو من أبنائه ليسهل عليه الحكم على الجامعة المصرية بالإفلاس !

والحق أن الجامعة أدخلت فى الحَيَوات الأدبية والعلمية والتشريعية فنوناً جديدة متسمة بالقوة والإشراق . ومن الظلم أن يقال : « إن الكثير من مؤلفات الجامعيين يلازمه النموض فى التعبير عن الفكرة ، ويندر أو تنعدم فيه شخصية المؤلف » ، فهذا القول يشهد على قائله بالبعد عن مسايرة النشاط الجامعى فى الميادين الأدبية والعلمية والتشريعية ، ويضيفه إلى المتجنين على الجامعة بلا بينة ولا برهان

نحن لا نقول بأن كليات الجامعة المصرية وصلت إلى الكمال المطلَق ، ولكننا نرفض القول بأنها خدعت « عقلية الرأى العام المصرى » كما قال هذا الباحث الفضال ، فقد صدرت عن الجامعة المصرية مؤلفات وأبحاث ودراسات لم تشهد مثلها اللغة العربية منذ أجيال طوال ؛ والمنصفون من رجال الأزهر الشريف لا ينكرون ذلك المحصول النفيس

ليت وهل ينفع شيئاً ليت ؟

ليت المنافسة العلمية تثور بين الأزهر والجامعة المصرية !

ليت الأزهريين يحاورون الجامعيين فى البحث والتأليف ، وفى السيطرة الفكرية على شباب هذا الجيل ؟

لو استطاع الأزهر أن يصاول الجامعة لضمنتُ للفكر الجديد جذوةً كريمة الروح ، ولكن الأزهر مكتف بمكانته فى التاريخ ، والموت من نصيب من يكتفون بالتاريخ

الجامعة المصرية هى اليوم صوت مصر فى الشرق ، وهى التى تشرع المبادئ للمعاهد العالية فى الأمم الشرقية ، فليأخذ الأزهر من يدها هذا الصولجان إن استطاع ، فهل يستطيع ؟

ليت ثم ليت ! ! وهل ينفع شيئاً ليت ؟ !

روح الغزالى ينتقم

إن كان فى قراء « الرسالة » من يرضى عن مقالاتى فى هذه الأيام فأنا عن تلك المقالات من الساخطين ، لأنها بعيدة عما أريد أن أقول ، ولأنها تصورنى بصورة من لا يشعر بما فى الدنيا الحاضرة من هموم وأرزاء

وقد نظرت فعرفت أن روح الغزالى ينتقم منى ، فقد جاء فى « كتاب الأخلاق عند الغزالى » ما نصه بالحرف :

« بينما كان بطرس الناسك يقضى ليله ونهاره فى إعداد الخطب وتحبير الرسائل لحث أهل أوربا على امتلاك أقطار المسلمين ، كان الغزالى غارقاً فى خلوته ، منكبًا على أوراده ، لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة إلى الجهاد . ويكفى أن نذكر أن الإفرنج قبضوا على أبى القاسم الرملى الحافظ يوم فتح بيت المقدس ، ونادوا عليه ليُفتدَى فلم يَفده أحد ، ثم قتلوه وقتلوا معه من العلماء عدداً لا يحصيه إلا الله ، كما ذكر السبكى فى الطبقات ...

وما ذكرنا هذه المأساة إلا لنعدّ القارئ لفهم حياة الغزالى ، ولنقنعه بأنه ليس من الحتم أن يكون الرجل الممتاز بعلمه صورةً لعصره ، فإن كُتب الغزالى لا تنبئنا بشئ عن تلك الأزمة التى عاناها المسلمون حين ابتدأت الحروب الصليبية ... ومن الخطأ أن نَقصر الأخلاق على سلوك المرء كفردٍ مستقلّ عن الحياة الاجتماعية ، فلكل ظرفٍ واجباته ، ويتعسر وجودُ حالة لا تقضي فيها الأخلاق »

كذلك قلتُ فى التثريب على الغزالى بلا ترفق ولا استبقاء ، فأين أنا اليوم ؟ وما صلة ما أكتب بظروف هذه الأيام ؟ وماذا يقول الأخلاف إذا نظروا فرأوا أن مقالاتى فى سنة ١٩٤٢ خلتْ من الحديث عن معترك المطامع الأوربية فى الأقطار الإسلامية ؟

هل يوجد فى الأخلاف المنتظَرين من يعتذر عنى فيقول إن الأدب الصّرف كان فى سنة ١٩٤٢ باباً من أبواب الجهاد ، وإنه كان يجوز للأديب أن يصمّ أذنيه عن أصوات المدافع ليتسمّع صرير الأقلام ؟

لو اعتذرتُ عن الغزالى لوجدت من يعتذر عنى . وكما يدين الفتى يُدان !

تقاليد مصرية

لم يبق ريبٌ فى أنى مفتونٌ بوطنى أعظم الفتون ، ولهذه الفتنة أسبابٌ أهمُّها الشعور بأنه وطنٌ يمجّد الذاتية ، ويعين أهل الكرامة على الظفر بشرف الحرية والتفرد والاستقلال

وآيةُ ذلك أنى قضيت من عمرى ما قضيت فى التمرد على أهل زمانى ، ولم أسمح لأحد بأن يأخذ بيدى فى أى وقت ، ولا رضيت بأن يكون زمامي فى يد أى مخلوق ، فكيف كانت العواقب ؟

لم يضع منى شيء ، ولا أُغلق فى وجهى باب ، ولا استجاز أحدٌ أن يتناسى أننى استغنيت بالله عن الناس ... وهل أموت يوم أموت إلا بسبب الإفراط فى الطعام والشراب ؟

العزّةُ لله ولرسوله وللمؤمنين ، وقد أكرم الله مصر فجمل للروح المصرى خصائص لم يَهَبْها لأحدٍ من الشعوب

ولتوضيح جزئية من جزئيات هذا المعنى الكلىّ أقول :

كانت مصر أول أمة انتفعت بالإذاعة اللاسلكية بين أمم الشرق ، وقد رأت مصر أن يكون « القرآن » فاتحة إذاعات الصباح ، وريحانة إذاعات المساء

فماذا وقع ؟

رأت جميع الأمم الإسلامية أن تلاوة « القرآن » شرطٌ فى صحة الإذاعة اللاسلكية

ثم ماذا ؟

ثم رأى الإنجليز والألمان والطليان والفرنسيس أن إذاعاتهم العربية لا تصح إلا إذا افتُتحتْ بالآيات القرآنية

فما معنى ذلك ؟ !

معناه أن « مصر » وضعت شريعة للاذاعة اللاسلكية باللغة العربية

ومعناه أن مصر هى صوت العروبة والإسلام فى الشرق والغرب

وطنى ... !

إن سنبلة القمح فى أرضك أعظم من أختها فى أى أرض !

وإن لوزة القطن فى أرضك أعظم من أختها فى أى أرض !

وما سطعت الشمس فى سماء بأقوى مما تسطع فى سمائك ، ولا ازدان رأس بأكاليل المجد الأصيل كما ازدان رأسك ، ولا ضُربَ المثل بالحلاوة والمرارة قبل المأثور من حلاوة نهرك ، ومرارة بحرك ...

وطنى ... !

إن المسيحية تؤرّخ فى كل أرض بميلاد المسيح ، وفيك وحدك تؤرّخ المسيحية بعذاب الشهداء ، لأنك وطن المعانى !

وفى الإسلام مذاهب لا تجتمع فى بلد إلا ذاق بعضها بأس بعض ، وفيك وحدك تلتقى جميع المذاهب الإسلامية بلا بغى ولا عدوان ، لأنك وطن الإخاء !

وطنى ... !

إن جنى أحدٌ على نفسه بالغباوة والدمامة ، فجنايتك على نفسك هى ذكاؤك وجمالك ، يا معترَك الذكاء والجمال فى كل عصر وفى كل جيل

وطنى ... !

ماضيك أعظم وأضخم وأشهر من أن يحتاج إلى بيان ، فما أنت فى حاضرك ، وهو ما أعرف وتعرف ؟ !

هل استطاعت الخطوب الثقال أن تطفىء أنوارك ، أو تخمد نيرانك ، أو تذبل أزهارك ، أو تُغيض أنهارك ، أو تصدّك عن التحليق فى سموات العلم والفكر والبيان ؟

لو عانت كبار الشعوب معشار ما عانيتَ ، يا وطنى ، لشالت كفتها فى ميزان التاريخ ، فكيف استطعت أنت برغم ما عانيت أن تظل مصدر النقل فى الشرق ، وأن تهتدى بنورك فى اللغة والدين مئات الملايين ؟

لا إله إلا الله ولا وطن إلا مصر !

ذلك نشيدى فى حبك يا وطنى ، ولن ترانى إلا حيث تحب ، ولن يرانى أعداؤك إلا حيث يكرهون ، ولو زعموا أنهم فى طهر ملائكة السماء !

الدول تحترب من أجلك ، فكيف لا أحترب من أجلك ؟ وكيف أهادن خصمانى فيك ، وأنت صرحٌ أقام أساسه واهب الخلود ؟ !

فى يدى حسامٌ هو قلمى ، وفيه الحتف لأعدائك يا وطنى ، ولو استظهروا بجيوش البر والبحر والهواء . . . اللهم أعنى على الوفاء بالعهد للوطن الغالى

زكى مبارك

جيل وجيل

حيوية الفكر

للأستاذ محمود البشبيشى

حيوية الفكر وليدة الفطرة — تكوين الشخصية والحيوية — الاتزان مع البيئة — الحيوية فى الأدب — عبقرية محمد — الأستاذ الزيات — آدم وحواء والدكتور مبارك — الحيوية فى الشعر — وأرواح وأشباح —

نصل حوارنا اليوم بفيض من الفكر ، ينساب انسياب الطبيعة الحية فى كل شئ ، ويتألق تألق الشعاع اللماح يبيد غياهب الظلمات وتفتر مباسمه عن أنوار من الطفرات العقلية الطيبة النابة ، المأمونة العثار ؛ فليس أحب إلى الكاتب المفكر من أن ينشر ما اضطرب فى صدره من الخواطر ، وجال فى خاطره من المعانى . وحديث اليوم حديث الحيوية فى الفكر

قلت لولدنا حسين : لنصل اليوم ما انقطع من حوارنا ففيه مسرح يروق عينى ، ومستروح يبهج نفسى ، مع ما فى ذلك من مصابرة لمكاره الفكر المستغلقة ، ومعالجة لأسرار الأمور . ولنرجع إلى حديث الحيوية الذى حدثتنى عنه فى أول الأمر ، فقد جدت أمور حركت ما كمن ، وبعثت ما خمد

قال : أما العودة إلى الحوار فإنى لأجد فيها من مباهج الفكر ، ومراقى الإدراك ، وفواتن المعانى ... ما يسكن نفسى النفور ، ويطرب قلبي المتطلع إلى مطالع المعرفة . وأما حديث الحيوية فأنا مشتاق إليه بما طبعت عليه نفسى ، وانطوى عليه حسى ، واضطرب به فكرى ... ولعلنى اليوم أجد ما يثبت ما قلت بالأمس من أن الحيوية فى كل شئ هى سر البقاء ، وأن الرجل الحق من خلع على الحياة صور نفسه ، وأخذ من صور الحياة ما يتجانس معه ، ويساير حقيقته ، ويلابس حدود حاجته

ولكن الحيوية يا سيدى الوالد وليدة الفطرة ، مهما اختلفت صورها ، وتباينت مناهجها ، وتنافرت مقاصدها . وإن الحيوية الفكرية خاصة لأبعد من أن تنال بالاعتياد والدربة وأن من ظن ذلك فقد قرنها بالصنعة ، وفرق بين الطبيعة والصنعة . أما الطبيعة ففيض من الروح ونور من الإلهام ، وأما الصنعة فألفاظ مرصوصة وصور منحوتة . وهيهات أن يصل كاتب محروم حيوية الفكرة إلى مراتب الكمال ، فإن ذلك أبعد من تحقيق حلم الخيال . وفى مصر كثير من صناع الألفاظ ، ونقلة الأفكار . وإنك لترى العجب كلما قلبت مجلة من المجلات ؛ فهنا كاتب بلغ الغاية فاطمأن وظن أن على القارئ أن يقرأ كل ما يكتب ولو كان من عبث العابثين . وهناك كاتب انسلخ من ماضيه وساير ركب الحياة الضارب فى كل بتاهة ومضلة

قلت : حق هذا يا بنى ؛ بل إن الحيوية الفكرية لتكسب الكاتب شخصيته ، وشخصية الكاتب فى أسلوبه ، وطريقة عرضه لأفكاره ، ونقده لأفكار غيره ، ونظرته وتأمله إلى كل ما يضطرب حوله من صور الحياة . فهذا كاتب اختصت حيويته بالنظرة النافذة ، والرأى العميق ، والفكرة الفلسفية ... فتراه فى كل مظهر من مظاهر إنتاجه قد ساير طبعه ، وجانس حيويته . إن من الأفكار ما يكون باقياً على الدهر ، يتنافس الرواة فى حفظه ونقله ، وتلهج الألسنة بترديده والتمثل به ، ولا يزيد على الأيام إلا جدة وقوة ؛ لأنه وليد مشاعر حية إنسانية ، وعصير قلوب ذابت فجرت نغما . ذلك النوع من الفكر هو ما قام على قواعد من الحيوية ، تحس فى كل لفظ من ألفاظه حياة لا تقيدها الكلمات ، ولا تتحكم فيها العبارة ؛ هذا النوع من الفكر يساير الحياة لأنه وليد الحياة ، ويضرب فى نواحيها المتباينة فيكون منطقه فصلاً ، وحكمه نافذاً . . . لا يسأم الإنسان من تكراره ، ولا تنفر الآذان من سماعه ، لأنه نغم القلب وصدى الروح

قال : إذا صح أن الحيوية تكون الشخصية . . . فإنه يصح أيضاً أن تكون الحيوية الأساس الأول للاتزان مع البيئة . وأقصد بالاتزان مع البيئة مسايرتها وملابستها أصدق المسايرة والملابسة ... فترى الكاتب المفكر الذى يخضع لحيوية قوية يحس مواضع القول ، ويجيد اختيار المناسبة ؛ ولاختيار المناسبة موضع وحدود ، وليس من الحيوية أن يتخطاها الكاتب أو يعجز عن إدراكها ... فقد تتوارى السحب وراء الأفق البعيد فيظن الكاتب الذى تعود أن يرسل نفسه على سجيتها أن السماء صادقة فى صفوها فيندفع وراء ما يحس هو لا ما يحس غيره ، ويجرى وراء ما يراه هو لا ما يراه المجتمع ... فإذا به يقف أمام الحقيقة المرة ، وإذا به يرى أن الأفق لم يك فى صفائه صادقاً ، وإذا به يطوى صفحة أفكاره وفي النفس حسرة وفى القلب ألم ... ما الذنب الذى جنى ؟ وما الشر الذى اقترف ؟ الذنب الذى ارتكبه أنه لم يدرك معنى الاتزان مع البيئة فترك الأرض ليبحث

فى السماء . وما علم أن على الأرض من يجزع ويحقد على كل من يحاول الخلاص من قيود التراب الأرضى ! !

قلت : هذا كلام يشعرنى بأنك تريد أن تقول شيئاً وراء اللفظ ، أو أنك تميل يا بنى إلى توجيه القول لكاتب كبير فاضت حيويته وضاقت بقيود الأرض وكل ما يتصل بمعانيها . أكاد أشعر بهذا ولى الحق فى أن أشعر به ، بل أكاد ألمس غضبك كلما تذكرتَ اختناق تلك المعانى الرائعة التى انطلقت فى غفوة من الزمن من روح هذا الكاتب الكبير . ولكن هذا الكاتب الكبير يعلم حق العلم أن الحيوية تفرض عليه الاتزان مع البيئة فلا محل للومه هو . . . بل اللوم كل اللوم لحيويته الدافقة التى ضاقت بالأرض فانطلقت إلى السماء . . .

الحيوية يا بنى لها أكبر الخطر فى الأدب . فالحيوية الفكرية ليست حبساً على غزارة مادة الكاتب أو الشاعر ، ولا هى رهن بمقدار ما يروى عنه ، وإنما هى سر من أسرار النفس والفطرة . يودعه الكاتب أو الشاعر قوله فيضمن له على الدهر الخلود . فإن من الشعر ما تزداد فيه الحيوية حتى لا تقف به عند حد الخلود ، بل إنه ليضفى الحياة على ما يمسه من الموضوعات ، ويكاد يبعث من طواهر الثرى من الناس بعثاً يختلف قوة وضعفاً ، ويتباين سعادة وشقاء . فمن لا يذكر سيف الدولة كلما ذكر المتنبى؟ ومن لا يذكر كافوراً كلما تناول شعر أبى الطيب ؟ ومن لا يذكر حرب البسوس كلما جال بخاطره رثاء مهلهل لأخيه كليب ؟ ومن لا يذكر مالك بن نويرة كلما قرأ شعر أخيه متمم ؟ ومن لا يرثى لمقتل (صخر) كلما سمع نواح الخنساء عليه ؟ ومن لا يذوب أسى كلما ذكر قصيدة شوقى طيب الله ثراه فى رثاء « مقدونية » ؟ ولقد يكون من الشعر ما يُقوِّى عناصر الحياة حتى فى الحقائق العلمية والاجتماعية ، ومن حكم المتنبى ما هو أصدق شاهد على ما نقول ، وليس بأقل منه قول شوقى فى قصيدته «نهج البردة» يدفع عن الإسلام دعوى أنه قام على أعضاد السيوف :

قالوا : غزوت ورسل الله ما بعثوا بقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم !

قال : ومن حيوية الكاتب العبقرى أن يخلص من قيود الحياة المضطربة الثائرة فينطوى على نفسه يراقبها ويحقق أغراضها ، ويساير ميولها مهما كانت الظروف التى تحيط به . وخير دليل على هذا ما فعله الكاتب العبقرى الأستاذ العقاد ... إذا استطاع فى مثل هذا الجو المضطرب بأحاديث الحرب ، المرتعش فى مهب المقادير ... أن يبعث من نفسه صوراً حية تتناول أكبر شخصية حية تفخر بها الإنسانية وتعتز بها البشرية ... أجل إن كتاباً روحياً صادقاً يخرج إلى الحياة فى مثل هذه الأيام العجاف لهو كتاب جدير بالتأمل والإعجاب . بل إنى لأرى فى خروجه فى مثل هذه الأيام لحكمة تصور صدق حيوية الأستاذ العقاد . فليس من شك فى أنه أراد أن يقدم للانسانية أروع المعانى الروحية تتألق حيوية فى شخص الرسول ... فى زمن جنت فيه العقول ، وتكلم لسان الدمار : جنوا وعىَّ لسانهم فتفجرت لسن الدمار قنابلاً . وبرودا

قلت : هذا حق يا بنى ، فكتاب عبقرية محمد كتاب تعتز به العربية فى دقة الفهم ، وروعة العرض ، وسلامة النسج ، وإنى لأطرب يا بنى كلما ذكرت أن فى مصر كتاباً يكتبون فى سيرة أشرف الخلق . فكم هزنى إعجاباً كتاب « محمد المثل الكامل » للأستاذ محمد جاد المولى بك ، ففيه تحقيق العالم الخبير ، كما غمرني طرباً كتاب «على هامش السيرة» للدكتور طه ففيه سهولة وطلاوة . . . وإنى لأنتظر من صديقنا الدكتور مبارك أن يكتب فى هذه الناحية الشريفة النبيلة ، كما آمل أن يعرج عليها صاحب الرسالة بما عهد فيه من دقة وروعة . ولو سمحت لنا الظروف ولم تقطعنا الشواغل لقمنا بهذا الواجب الروحى الجليل فى أقرب فرصة يسمح بها الزمان يا بنى ...

ومن حيوية الفكر يا بنى أن يساير الكاتب المجتمع ويلابسه أصدق الملابسة حتى يصيب الهدف ويبلغ الغاية ، ويكون مثابة حق ومنار هداية . وما كان قصور بعض المصلحين إلا من شأن عجزهم عن إدراك معانى الاتزان مع البيئة . فحقيق بالمصلح المتأمل والكاتب الاجتماعى أن يعقد القلب على إدراك أسرار هذا القانون الطبعى ، فتتيسر له أسباب الأمور ، وتسهل أمامه الصعاب . وإن الأستاذ الجليل الزيات لصورة صادقة لمسايرة الكاتب للمجتمع وأحواله ، وما يضطرب فيه من ألم وفرح . فما من مقال له إلا وهو يرمى إلى هدف مقصود ، وغاية معلومة ؛ وما من رأى له إلا وهو يعالج حالة خاصة ، ويدل على مذهب خاص ... ولعلك

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بارسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

يا بنى تذكر كيف غلبته حيويته الاجتماعية فتفرد بالكتابة « فى عدد الهجرة الخاص » فى « مشكلة الفقر وعلاجه » ، وكيف أسرع وكتب فى « مشكلة الرغيف » ، وكيف كان أول من كتب فى الانتخابات وصورها تصويراً رائعاً ... ؟ !

قال : و « آدم » و « حواء » يا والدى ... إنها لأروع صورة لحيوية الفكرة المنطلقة التى لا تتقيد بشىء إلا بالحقيقة والضمير الحي... « آدم » و « حواء » : بحث نابض بالحيوية ، بل هو أعظم ما كتب الدكتور مبارك ، فقد كانت الفكرة فيه تخرج فى ثوب من الإيمان بالرأى والعقيدة ، وفى لون من الفن الرائع لست أغالى إذا قلت إنه منقطع النظير فى آداب العربية ...

وقرأتها لأول مرة ، فابتسمت وقلت : إن الدكتور سيفترع فنًا جديداً يسد نقصاً كبيراً فى أدبنا ... وإنى لأقول فى صراحة إننى كنت أعتقد أن صاحب هذه الأفكار لا بد أن يكون من أبناء هذا الزمان ، ولا بد أن يكون قرأ — على الأقل — فلسفة القرن التاسع عشر ، ولا بد أن يكون في مثل حيوية دكتورنا المبارك ، وليس فى مثل حيوية « شيث » !

وإنى لأذكر للدكتور المبارك أنى جزعت كل الجزع عند ما قرأت « بنبوع حلوان » ! فقد أدركت منه ما لم يدركه غيرى ، وأحسست أن الفكرة التى انطلقت من الأرض قد قيِّدت ! !

قلت : والحيوية فى الشعر يا بنى أن يكون في الشعر تجويد فى اللفظ والمعنى . فإن ما يصدر عن الشاعر الموهوب المطبوع لا بد أن يترك فى النفوس آثاراً عظيمة ، وما يصدر عن الشاعر الماجن الواهن الضعيف النفس ، المستهتر بالملاهى ، لابد أن يحمل فى طياته عناصر فنائه ، وإن أغتر به صاحبه ، وتناقلته أفواه الرواة الماجنين .

إن النفس لتطرب بالنثر البليغ فهى بالشعر الجيد أشد طرباً . ولقوة الشاعرية ، وغزارة المادة ، وسعة الثقافة ، وسلامة المنطق ، أثر بعيد الغور فى سلامة تفكير الشاعر ، وجنوحه إلى الأسلوب المنطقى ، وسوق القضايا فى مساق الاستدلال كلما زاول معنى من المعانى ، فهو لا يكتفى باللمحة المجلى يرسلها على المعنى فيجىء غامضاً فاتراً ، أو يصل إلى النفوس قلقاً مضطرباً . فإذا قرأت للشاعر الحى شعراً وأيت لوناً واضحاً من الفكرة يعود القصيدة كلها ، أو ينصبّ على كل معنى من معانيها .

قال : ما ظنك « بأرواح وأشباح » للأستاذ على محمود طه ...

إنها لصورة لسعة الثقافة ، وغزارة المادة ، وسلامة المنطق والتغلغل فى أسرار المعانى ، افتن فيها الشاعر فجاءت فتنة ، تصور الوجد اللاعج ، والجوى المستعر ، وانطلاق الشهوات من قيودها ، وعبثها بروعة الفن وقداسته . ذهب فيها الشاعر مذهباً جديداً من الفن الشعري ، عرض فيه لسلطان الشهوات الكامنة ، والنزعات الدفينة ، والأحاسيس الملتهبة . وهو فى عرضه لها صاحب نظرة صادقة لا يأخذ الحياة كما هى ، بل يخلع عليها من إشعاع روحه ما يكيفها التكييف الذى يريد ...

قلت : ومتى وصلت الحقائق والأخيلة إلى النفس على تلك الصورة المحكمة ، وراضها بيان طيع ، وصاغها شاعر ملهم ، كان لها فى النفس مستقر ومقام . وإنك لتدرك ذلك من نفسك فيما يقع لك من شعر بعض المعاصرين ، فقد تقرع أذنك قصيدة أخاذة المظهر ، رائعة العنوان ، فلا تجد لها عاضداً من فكرة متحدة ، ولا ضابطاً من منطق متماسك ، فلا تنتهى منها حتى تصير عرضاً لفظياً يذهب مع الهواء ، ولا يجد لنفسك مدخلاً . وقد تقع لك أبيات قليلة أو قصيرة فيها فكرة وفيها تماسك ، فتحل من نفسك فى الضمير ، ولا يعييك أن تحتفظ بمعناها ، بل لا يستعصى عليك متى (شئت) استظهارها

محمود البشبيشى

حكم فى القضية ١٣٦٣ أسيوط عسكرية سنة ١٩٤٢ ضد سيد وراد حسين وآخر من أم القصور حبس كل منهما شهر شغل والنفاذ لبيعهما ذرة بأزيد من التسعيرة بجلسة ١٨ / ٥ / ٩٤٢

حكم فى القضية ن ١٠٩٠ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤١ ضد زكيه عبد الفتاح اللاحى بتغريمها جنيهين والنشر بتاريخ ٢٦ نوفبر سنة ٩٤١ وذلك لبيعها ذرة بسعر أزيد من المحدد

حكمت محكمة دمنهور العسكريه بجلسة ٣ يونية ١٩٤٢ فى القضية رقم ٨٧٧ ضد بهية محمد محمود غزلان من ألقانة مركز شبراخيت بتغريمها ١٠٠ مائة قرش والنشر على مصاريفها لبيعها ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

٢ - شعر على بن أبى طالب

للأستاذ السيد يعقوب بكر

على أننا وقد ذكرنا أقوال بعض المؤيدين نحب أن نعرّج على أحد المعارضين وهو الأب لامانس فنناقش مقالته وننقصها ليتم لنا بذلك وجه البرهان على الرأى الذى رأيناه.

فقد كان أنكر فى كتابه Fâtima et les Filles de Mahomet (ص ٥٨) أن علياً كان شاعراً ، واستشهد على ذلك بما ذكر فى الأغانى (جـ ٤ ص ١٣٧ ط دار الكتب) من أنه « كان يهجو رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش : عبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاصى ؛ فقال قائل لعلى بن أبى طالب رضوان الله عليه : أهج عنا القوم الذين قد هجونا ؛ فقال على رضى الله عنه : إن أذن لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فعلتُ ؛ فقال رجل : يارسول الله ، إئذن لعلى كى يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا ؛ فقال : « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » .

ثم إن المستشرق الإيطالى الدكتور Georgio Levi della Vida عارض الأب لامانس فى رأيه هذا فى بحث نشره بمجلة Rivisti delgi Studi Orientali (مجلد ٤ ص ٥٣٦-٥٤٧) . فقد ذهب إلى أن معنى النص المذكور فى الأغانى هو أن محمداً رأى أن هجاء قرشىّ كعلى لقريش ليس من الأمور التى يتطلبها الهجاء ليكون نافذاً لاذعاً مؤثراً ، فإن هجاء غير القرشى لقريش يكون شديداً عليها ذا وقع كوقع السهام أو أشد . واستدل هذا المستشرق الإيطالى على ما ذهب إليه فى هذا النص بأن الشعراء الذين كانوا ينافحون عن الرسول ودعوته ويدفعون عنه عادية شعراء قريش كانوا كلهم من المدينة أى من الأنصار مثل : حسان بن ثابت وكعب بن مالك[١] .

فردّ عليه الأب لامانس رداً طويلاً تجده فى مجلة Mélanges de la Faculté orientale de Beyrouth (مجلد ٧ سنة ١٩٢١ ، ص ٣١١-٣٢٠) ، وكذلك فى أول كتابه : Etudes sur le Siècle des Omayyades (ص ١ - ٧) . ونحن سننقض هنا هذا الرد ؛ ولكننا قبل هذا نورد خلاصة كلام قدمه بين يدى رده ونقول رأينا فيه ، وذلك لأنه يتصل بموضوعنا من قريب

يبدأ الأب لامانس كلامه هذا بأن يقول : إن مكة لم تنجب قبل الهجرة أى شاعر ملحوظ المكانة ذائع الصيت ، وإن هذه الحقيقة تقوم دليلاً على زيف ما فى سيرة ابن هشام من أشعار كثيرة ، كهذه الأشعار المنسوبة إلى عبد المطلب جد على بن أبى طالب وإلى أبى طالب أبيه ثم إلى على نفسه

ثم يقول بعد ذلك إن الشعراء كانوا فى الجاهلية الحكماء وأصحاب الرأى ، وإن الشعر كان فيها من الصفات اللازمة للرجل الكامل حتى يدعى كاملاً ، وإنه قيل على هذا الأساس إن الخلفاء الأربعة الراشدين كانوا شعراء أو كانوا على الأقل أصحاب علم بالشعر العربى القديم . ولقد عنى أهل السنة بالنص على علم عمر الواسع بالشعر ، وكان عمر منافساً لعلى ومنازعاً له ، فكان أن قال الشيعة بعلم على بالشعر وحاولوا تصويره لنا فى مستوى عال جداً أو على الأقل فى مستوى مساو لمستوى منافسه الخليفة الثانى

ولقد أظهر على أثناء حياته السياسية جهلاً تاماً بأساليب السياسة أو قل بأساليب الحياة ، وجاء فى الحديث وصفُه بأنه محدود ، ووصفه معاصروه غير المتشيعين له بأنه تلعابة

وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن الشيعة لم يدخروا جهداً فى إطراء علم على . ولقد كان أهل السنة يمجدون عمر ويرون فيه الرجل المطلق ، والتمم العبقرى لعمل محمد ، والخليفة الذى لا تأخذه الأحداث على غرة ؛ ولذلك وجدنا الشيعة يصورون بطلهم مخرجاً لعمر من حيرته وحرَج موقفه فى الوقت المناسب بحصيف رأيه وصادق نظره . وكان الشيعة يدّعون أن الله حبا عليًّا بتسعة أعشار العلم الإنسانى ، وقد بثُّوا هذا الادعاء فى حديث وضموه ، وادعوا أيضاً أشياء أكثر من هذا

هذه خلاصة الكلام الذى قاله لامانس قبل رده على المستشرق الإيطالى ؛ ورأينا فيه أنه كلام متهافت لا يسند أوله آخره ولا آخره أوله ، ونبين هذا فيما يلى :

١ - يشك لامانس فى الشعر المنسوب إلى علىّ فى سيرة ابن هشام لما هو معروف من قلة شعراء مكة قبل الهجرة ؛ ونحن إن قبلنا هذا الشك ، فإننا لا نقبل الأساس الذى بُنى عليه ؛ ذلك لأننا نعرف أن عليًّا نشأ بنشأة الإسلام وترعرع فى ظله فلم يكن وليد الجاهلية . وإنما كان وليد الإسلام . وعلى ذلك

(١) هذه المعلومات مستقاة من لامانس فى رده على المستشرق الايطالى

فإذا شككنا فى الشعر المنسوب إليه فى سيرة ابن هشام ، لزم ألا يكون شكنا مبنيًّا على هذا الأساس الذى بنى لامانس عليه شكه ، وإنما لزم أن يكون مبنيًّا على أساس آخر ، كأن يكون مبنيًّا مثلاً على أن ابن إسحق الذى يروى عنه ابن هشام ممن لا يوثق برواياتهم للأشعار ، أو يُعتمد عليها

٢ — يرى لامانس أن الخلفاء الأربعة الراشدين إنما زُعِم أنهم شعراء ، أو — على الأقل — أصحاب علم بالشعر ، لأن الشعر كان فى الجاهلية من مستلزمات الكمال ؛ وهذا الرأى لا أساس له ، لأن الحياة العربية اختلفت مُثُلها فى الإسلام عنها في الجاهلية ، فأصبح العرب لا ينظرون إلى الشعر كما كانوا ينظرون إليه من قبل ، وبعد أن كان الشعر من مستلزمات الكمال ، أصبح وقد تحرّج من قوله كثير من الشعراء مثل لبيد

٣ — مهما قيل من أن الشيعة أضفوا على علىّ أثواباً من الكمال والحكمة وقوة العقل والقدرة على حل المشكلات ، فلسنا نستطيع أن ننفى عن علىّ صفات الرجل العاقل ، إذ يكفيه ليكون كذلك أن يربى فى حجر محمد ويشبّ فى كنف الإسلام . فمحاولة لامانس تجريده من العقل الحصيف محاولة غير ناجحة ، فضلاً عن أن النصوص التى يستند إليها فى محاولته هذه مما لم تثبت صحته

بعد هذا التفنيد لكلام لامانس ، نعرّج على ردّه على المستشرق الإيطالى ، فنأتى بخلاصته ثم نقول رأينا فيه

يقول لامانس إن العبارة التى وردت فى الأغانى وهى « ليس هناك ؛ أو ليس عنده ذلك » مكونة من جزأين ، فالجزء الأخير منها هو الأدلُّ على المعنى والأعمق فى الأثر ، وليس الجزء الأول منها إلا مؤكداً له ومقوّياً . وهذا الجزء الأول أوجز وأكثر إمعاناً فى البداوة من الجزء الثانى

وبعد ذلك يورد لامانس العبارة التى وردت فى أسد الغابة وهى « إن علياً ليس عنده ما يراد من ذلك » ، ويبين كيف أنها تؤكد ما فهمه هو من عبارة الأغانى

ثم يأخذ فى محاولة تحديد معنى عبارة « ليس هناك » المرادفة لعبارة « ليس عنده ذلك » ؛ وذلك بالرجوع إلى استعمالاتها الواردة فيما يرويه صاحب الأغانى . وقد استخلص من هذه الاستعمالات أن عبارة « ليس هناك » تشير حين يكون المدارُ حول الشعر إلى عجز من تقال فيه عن قول الشعر ونظمه

وأخيراً ينهى لامانس رده بأن يقول إن أى مستشرق لا يمكنه قبول الأشعار المنسوبة إلى على ، وإن الأقدمين أنفسهم أحسوا بانتحال هذه الأشعار أو خامرهم الشك فيها ، ومنهم ابن هشام ويونس بن حبيب

هذه خلاصة رد لامانس ، ونحن نرد على هذا الرد فيما يلى :

١ — صحيح أن عبارة « ليس هناك » تشير حين يكون المدار حول الشعر إلى عجز من تقال فيه عن قول الشعر ونظمه ، ولكن لا يمكن أن تشير إلى ذلك إذا كان المدار حول فن من فنون الشعر كالهجاء وحده أو المدح وحده ، فإنها تشير حينئذ إلى عجز من تقال فيه عن هذا الفن وحده دون سواه . وهذه هى الحال بالضبط فى القصة التى يرويها أبو الفرج ، فإن رجلاً سأل الرسول أن يأذن لعلى كى يهجو قريشاً فقال له الرسول : « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » أى ليس هو بالقادر على الهجاء

ويؤيد رأينا هذا أننا لا نجد فى الصحيح من شعر على بيتاً واحداً فى الهجاء

ثم إنه لو لم يكن على شاعراً حقاً لما سأل هذا الرجل الرسول أن يأذن لعلى بهجاء قريش ، لأن سؤاله هذا مبنى على علمه بأن علياً شاعر قادر على نظم القصيد .

٢ — إذا كان بعض الأقدمين شك فى الأشعار المنسوبة إلى علىّ ، فليس يمكن أن يكون هذا الشك حجة للامانس ، لأن بعض الأقدمين أيضاً قال بأن علياً كان من الشعراء كما سبق أن بينّا

***

فعلىّ إذن كان شاعراً ، ولكن لا يمكن القول بأنه كان مكثراً ، فهو كان فى أغلب الظن مُقلاً ، بدليل أنه لم يُرْوَ له شعر كثير فى المراجع العربية المعتمدة ؛ ولكننا على كل حال لا نسلم بأنه لم يقل غير بيتين كما يذكر ياقوت فيما سبق أن نقلناه عنه وكما يذكر السيوطى فيما سبق أن نقلناه عنه كذلك . ونحن لا نسلم بهذا لأن المراجع العربية المعتمدة روت لنا أكثر من بيتين لعلى .

(للبحث بقية أخيرة) **السيد يعقوب بكر**

حاشية : وجد في المقال السابق بعض تصحيفات دونك تصاويبها مرتبة : فى حاجة إلى شىء بعد ذلك : ... من ذلك . السيوف . السيوطى . شرح شواهد المغنى : ... المغنى . المطبعة البهدية : ... البهية ، وكان مجددا قال له : وكان مجودا ما قال . كعرب : كعرب . خبروا . ألا فرار : أن لا فرار . بغر هذا : بحقه هذا

كتاب الامتاع والمؤانسة

الجزء الثانى

للأب أنستاس مارى الكرملى

توطئة

كان وقع بيدى الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة ، لأبى حيان التوحيدى ، فألفيتُه من أجلّ المصنفات لأنه اجتمع فى صاحبه مزيتان ، لم تجتمعا فى الرجُل الواحد إلاّ نادراً ، وهما : عُلوّ النفس والتفكير ، وسُموّ النفس والتحرير ، وفى مطاوى المطالعة ، بدت لى بَدَوَاتٌ ، أحببتُ إيداعها المهارق ، قائلاً فى نفسى : لعلها تفيد بعض الفائدة ، مَنْ يقف عليها ، أو نعلّ المطالع ينبهنى على غفلاتى ، فيهديني إلى الصواب ، فيكسب بعمله الأجر والثواب ، فبعثت بها إلى مجلة المقتطف ، فنشر بعضها فى المجلد ١٠٠ : ٢٤٥ إلى ٢٥٠ ثم فى ٣٤١ إلى ٣٤٧ وبقى القسم الكبير منها ، إلى أن يحين الوقت لنشره .

والآن وقع بيدى الجزء الثاني من الكتاب المذكور ، فطالعته مسرعاً لأصِلَ بَدَوَاتى بعضها ببعض ، من غير أن تفتر هِمّة المطالع ، ولإنشاطه ، لجئت بهذه النظرات ، لعلّ فيها بعض الفائدة ، إن كان ما أبديه يستحق هذا الاسم ؟ فأقول :

١ — ملاحظات عامة

قبل أن أتعرض لما أراهُ فى الكتاب مما يُخالف نظرى ، أقول بعض كلماتٍ هى عامّة ، تتعلق بطبع فصوله ، أو مسامراته من تحسين وتزيين :

وأول كل شىء ، كان يحسن بالناشرَيْن أن يجعلا تحت كل عنوان من عناوين المسامرات نحواها . مثلاً أن يجعل تحت عنوانِ الليلة السابعة عشرة : « ما يحفظ من تَفْعال المفتوح وتِفْعال المكسور » .

وثانى الحسنات : أن يُكتَبَ فى صدر الصفحة اليمنى : الإمتاع والمؤانسة . وبإزائها فى صدر الصفحة اليسرى : المسامرة الأولى ، أو الثانية ، أو نحو ذلك .

وثالث الحسنات : أن يجعل فى آخر الكتاب فهرس المسامرات

والرابع ، أن يجمع فى معجم صغير ، الألفاظ الخاصّة بالمؤلف وهى كثيرة .

والخامس ، كان يحسن بهما أن يعارضا ما يجدانه من النصوص فى هذا الكتاب بما يجدانهِ منقولاً فى بعض الكتب . ففى هذا الجزء مثلاً نصوص منقولة فى ابن القفطى ، وابن أبى أصيبعة ، وابن خلكان ، والدميرى ، وقد نقل بعضاً منها الأمير شكيب أرسلان ونشره فى مجلة المقتبس وشرح بعض الألفاظ .

والسادس كان يليق بالناشرين أن يهملا أغلب ما جاء من المسامرة فى الليلة الثامنة عشرة ، فإن ماعلقاهُ فى الحاشية فى ص ٥٠ « ولولا الأمانة العلمية والإخلاص للتاريخ لحذفنا أكثرها ، واكتفينا بما لطف ودق ، ولم ينبُ عنه الذوق » قلنا : « هذا عُذْر أقبح من ذنب » لأن أمانة العلماء والمخلصين للتاريخ هى أعظم فى حفظ الآداب بين القراء من بث سمومها ، وفحشها ، ووبائها ، فإذا لم يكن آداب ، وحميد أخلاق فى الناس ، فالفحش مفسدة لها ، ومهلكة . فالعلماء مكلفون بالمحافظة على مكارم الأخلاق ، أكثر من المحافظة على الأمانة فى نشر المجون وسخف الأقوال وسموم الآداب . هذا ما يتطلبه هذا العصر ، وأهلوه . ولو عاش التوحيدىّ فى هذا العهد ، لما نطق بكلمة من هذه المُنْديات ، المخزيات ، المهلكات ، المزيلات للأمم .

هذا رأينا ، ولكلٍّ رأى خاصّ به .

٢ — الأوهام فى الأعلام

جاء ذكر الموقّ — بالفاء — فى ص ٥ س ١ ، لكن أُصلح فى ص ٢٥ من الفهارس بقوله الموقّ — بالقاف — والذى رأيناهُ فى تاريخ الحكماء لابن القفطى ص٨٣ من طبع الإفرنج الموفّ بالفاء . ومثل هذا التضبط ورد فى مجلة المقتبس ٦ : ٥٧٢ ، ومثل

هذا التحقيق ورد فى مجلة المنار لرشيد رضا فى كلامه على إخوان الصفا ، ولا أتذكر السنة ، ولا الصفحة ، لأن مجلة خزانتنا سرقت فى سنة ١٩١٧ ، ولم يبق منها شىء ، وإن كنا الآن اشترينا كتباً ومطبوعات جديدة غير التى كانت عندنا .

والعَوْفِىّ لم يدخل فى فهرست أعلام الكتاب ، ولا الموق وتجهل السبب .

وورد فى ص ١٤ (ابن الخمّار) وقد ضبط بتشديد الميم ، وكذلك فى ص ٣٨ و ٨٣ وجاء فى ص ٢٥ من الفهارس ؛ والصواب : ابن خمار بدون تشديد أى كسَحَاب

وقيل هناك : وكذلك يصحح ما جاء فى ص ٣٨ و ٨٣ . والذى ورد فى ابن أبى أصيبعة ، وابن القفطى : ابن الخمّار بتشديد الميم وبأل التعريف

ومن الأعلام التى لم نهتد إلى تحقيقها مقاريوس الوارد فى ص ٣٧ ثم قيل مَنْقَاريوس ، ثم مقاريوس ، فاختلف اللفظ الواحد بين سطرين وسطرين . ولا جرم أن منقاريوس بميم ونون لا يعرف عند الأقدمين ، لكن الثانى لم يصحح فى الآخر ، وهناك اسم آخر أعجمى ورد فى ص ٣٧ و ٣٨ هو (ذيموس) ، وفى كل صفحة ورد مرتين ، ولم يذكر لنا الناشران ما يدلنا على زمنه ووطنه

ومن الأعلام التى صحفت قليلاً فقط : الصابئ ، فإنه مهموز الآخر ، ولا يجوز ترك همزه لئلا يخرج صاحبه من دينه ويجعله من أهل الصبا ، لا من المنتمين إلى الصابئة

وليس من علم أتعبنا كل التعب مثل تيودسيوس وكُنْتُس الواردين فى ص ١٥٣ و ١٥٤ والأخير أُصلح فى ص ٩ من الفهارس بقوله : « أبقوس الشاعر الأغريقى » . وفى حاشية ص ١٥٣ علّقا تعليقاً على تيودسيوس فى (١) قومودوس وفى (ب) تودورس ؛ والصواب ما أثبتناه نقلاً عن كتب التاريخ » . انتهى

قلنا : لم نجد فى كتب التاريخ التى بأيدينا — وهى كثيرة — ملك يونانى اسمه تيودسيوس . نعم كان للروم (وهم غير اليونانيين) تيودسيوس أول ، وثان ، وثالث ، لكن التوحيدى يذكر أن ثيودسيوس هو ملك يونان (ص ١٥٣) ثم كتب هذا الملك إلى كُنْتَس الشاعر » وصحح بابقوس الشاعر الإغريقى ... ونحن لا نعرف شاعراً إغريقياً باسم كنتس ، ولا باسم أبقوس ؛ إنما نعرف معلم خطابة اسمه هيرودس أتيقوس أو أتيقس Atticus وهو رومانى لا يونانى ، فإذا كان الناشران يعرفان شيئاً ثبتاً عن ثيودسيوس الملك اليونانى ، وأبقوس الإغريقى ، فليذكرا لنا اسميهما بالحرف الإفرنجى ، والعصر الذى عاشا فيه . والأسماء الإفرنجية يحسن أن تكتب بحروف الرومان ، ليتمكن القارئ من مراجعة النصوص الإفرنجية عند محاولة تحقيق ما ينسب إلى أصحابها .

وجاء فى ص ١٥٥ ذكر رجل اسمه أبو الحسن الفرضى ، وصحح العرضى فى ص ٢٦ من الفهارس والعرضى بضم العين ، ويلى الإسم علامة الاستفهام أى (؟) كأنه يشك فى صحة هذا العلم ، والذى رأيناه فى دواوين القوم : أبو الحسن أو أبو الحسين العروضى من العلماء الكبار وكان فى أيام على بن سينا ؛ وآخر اسمه أبو الحسن المغربى ، وكان معاصراً لويجَن بن رستم ، وكان من العلماء المشاهير أيضاً . أما أبو الحسن الفرضى أو العرضى ، فلم نسمع بشهرته هذه

ورد فى ص ١٨٠ اسم كبل البقال . وجاء فى الحاشية : « كذا ورد هذا الاسم فى كلتا النسختين ولم تتبين وجه الصواب فيه بعد طول المراجعة » ؛ والذى سمعناه فى العراق مما يشبه هذا الرسم : كتل (بالفتح) ، وكُتَيْل (بالتصغير) ؛ وهذا ورد فى التاج ، وكتيلة وهو اسم والي صُوْر ، وقد ذكره ابن الأثير فى الكامل فى ١٠ : ١٨٠ من طبعة الأفرنج

زد على ذلك أن فى نعت هذا العلم بالبقال تصريحاً بصحة كلمة (البقال) خلافاً لقول اللغويين أنه يقال (البدَّال) ، مع أنه لم يقل أحد من اللغويين (بدَّالاً) حتى من منع استعمال الأولى فقد جاء فى القاموس : والبقَّال لبيَّاع الأطعمة عامية ، والصحيح (البدَّال)

قلنا : ليس هذا من كلام العوام بل من كلام العلماء الخواص فلقد فسر اللغويون ، وبينهم المجد نفسه ، الكاسور والرُّذَمى بقولهم : بقال القرى ولم يقولوا بدّال القرى

ووردت البقال فى كتاب الحيوان للجاحظ ١ : ٣٧٦ من طبعة البابى ، وقال اللغويون فى شرح الكديح : الحانوت : الدكان أو متاع حانوت البقال . وقالوا فى (فوم) الثامى : البقال

وممن أثبت البقّال فى تصانيفه السمعانىّ ، صاحب كتاب الأنساب ، فقد قال فى مادة البقال ما هـذا نقله : « البقال بفتح الباء الموحدة ، وتشديد القاف ، وفى آخرها اللام : هذه الحرفة لمن يبيع الأشياء المتفرقة من الفواكه اليابسة وغيرها . والمشهور بهاء أبو سعيد بن المرزبان البقال ، مولى حذيفة بن اليمان ، وكان أعور من أهل الكوفة ... » ١ه

زد على ذلك أن البقال نسبته إلى البقل نسبة قياسية كالحنّاط والتمّار والطّحان إلى غيرها . وأما البدّال فإلى أى شىء ينسب ؟ قال صاحب التاج : « والبدّال كشدّاد ، بياع المأكولات من كل شىء منها . هكذا تقوله العرب . قال أبو حاتم : سمى به لأنه يبدل بيعاً بيَـيْع ، فيبيع اليوم شيئاً وغداً شيئاً آخر . قال أبو الهيثم : والعامة تقول : « بقّال » انتهى

قلنا : لو صدق أبو حاتم فى تعليله لقيل لكل من يبدل بيعاً ببيع بدال . وليس الأمر كما قال . والصواب أن البدال هنا هو البقال . والبقال ، هو الأصل ، والبدّال هو من كلام العوام ، لأنهم قلبوا القاف دالاً ، وهذا هو من لغة بعض العرب الأقدمين . فقد قالوا مثلاً فى المِنقل : المِندل ، وفى المموق : الممود . وفى القنقورة : الفندورة ، وفى احقوقف الرمل : احْدَوْدَبَ ، وفى نَقَـلَه : نَدَلَهُ إلى نظائرها . هـذا فضلاً عن أن الأقدمين لم ينسبوا « رجلاً » إلى البدال . فليدون كل ذلك . وهذا كله نقلاً عن معجمنا الكبير المسمى بالمساعد .

(للبحث بقية) **الأب أنستاس مارى الكرملى**

من أعضاء مجمع فؤاد الأول
للغة العربية

أحِبّنى لوجه الحُب

للشاعرة اليزابث باريت براونغ

زوجة الشاعر الانجليزى المشهور براوننغ

بقلم الأستاذ صفاء خلوصى

إذا كان لا بد أن تحبنى فليكن حبك خالصاً لوجه الحب

لا تقل : « إننى أحبها من أجل ابتسامتها ، أو من أجل نظراتها ، أو من أجل أسلوبها الظريف فى الكلام ، أو من أجل اتفاق بين فكرينا ، أو من أجل أشياء جلبت لى الشعور باللذة والراحة يوماً ما » .

لأن هذه الأشياء وإن كانت محبوبة لذاتها فقد تتغير تغيراً جوهرياً أو تغيراً بالنسبة إليك ؛ والحب الذى يبدأ هكذا قد ينتهى بمثل الصورة التى بدأ بها .

لا تحبنى من أجل عاطفة مسح الدموع المنحدرة على خدىّ . إذ قد ينسى المخلوق الذى ذاق الرفاه الذى تيسّره له ، معنى البكاء ، وبذلك تنقطع صلة الحب بينكما ! ولكن أحِبَّنى لوجه الحب حتى تستطيع أن تحب على الدوام بكل ما فى الحب من خلود وأزلية .

(بغداد) **صفاء خلوصى**

(ب . ع .) بدرجة الشرف فى الآداب
من جامعة لندن

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٣ يونية ١٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٩ سنة ١٩٤٢ ضد صالح يونس أحمد تاجر حبوب بالعبارة بدمنهور بالحبس شهرا مع الشغل والنفاذ وغلق محله ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لامتناعه عن بيع العدس مع وجوده لديه

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٧ مايو ١٩٤٢ فى القضية رقم ٩١٢ سنة ١٩٤٢ ضد محمد محمد خلف المصرى جزار بكوم حاده بالحبس ١٥ يوما مع الشغل والنفاذ وغلق محله ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه لحوما بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكريه بجلسة ٣ يونيه ١٩٤٢ فى القضية رقم ٨٧٢ سنة ١٩٤٢ ضد فهيمه إمام بدر بعزبة شوق تبع مليط مركز إيتاى البارود بغرامة ١٠٠ مائة قرش والنشر على مصاريفها لعرضها لبيع ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

المؤلفات العربية القديمة
وما طبع منها في سنة ١٩٤١

للأستاذ كوركيس عواد

نشرنا فى هذه المجلة (١) ثبتين بما تيسر لنا الوقوف عليه من المصنفات العربية القديمة التى تم طبعها فى سنة ١٩٣٩و١٩٤٠ ، وها نحن أولاء نواصل ما بدأنا به ، ذاكرين ما اتصل بنا من منشورات عام ١٩٤١ ، وقد رأينا أن نلحق بذلك أسماء بعض الكتب المطبوعة سنة ١٩٤٠ مما لم نظفر به فى حينه

أولا : مطبوعات ١٩٤١

١ — الأمالى في الفقه : لمحمد بن الحسن الشيبانى (١٨٧هـ) جزء منه نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن فى الهند (٧٠ ص)

٢ — إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع : لتقى الدين المقريزى (٨٤٥ هـ) — الجزء الأول طبع على نفقة السيدة قوت القلوب الدمرداشية ، بتصحيح وشرح الأستاذ محمود محمد شاكر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة (٦٨٦ ص)

٣ — الإيضاح فى علم النكاح : لجلال الدين السيوطى (٩١١ هـ) كتب على غلافه أنه طبع بمصر (٣٨ ص)

٤ — التاريخ الكبير : للامام البخارى (٢٥٦ هـ) ـ الجزء الرابع ، نشرته مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد (٤٤٠ + ١٢ ص) وهو يحتوى على ١٩١٦ من تراجم المحدثين مرتبة بحسب الهجاء ، يبدأ هذا المجلد بمادة عباس بن عبد المطلب عم النبي، وينتهي بمادة مخلد بن هلال — سائر أجزاء الكتاب لمّا تطبع

٥ — ديوان ابن الفارض : لعمر بن الفارض (٦٣٢ هـ) ، نشره الكتبي محمود توفيق (القاهرة ١٢٠ ص) ويبدو أن هذه الطبعة التجارية منقولة عن طبعة سبقتها أغفل الناشر الإشارة إليها

٦ — رؤيا اليمن : وهي الرحلة التى قام بها المستشرق يوسف هالوى J. Halévy (١٨٢٨ — ١٩١٦) فى بلاد نجران سنة ١٨٧٠ م . ألَّفها دليله حَيِّيم حبشوش باللهجة العربية الصنعانية ، وكتبها بحروف عبرية . وقد نشرها بهذه الحروف مصدَّرةً بمقدَّمة انكليزية مطوَّلة ومعجم الألفاظ العامية الواردة فيها : المستشرق غوتين S. D. Goitein بعنوان Travels in Yemen (مط الجامعة العبرية بالقدس ١٣٨ + ١٠٢ ص)

٧ — السلوك لمعرفة دول الملوك : للمقريزى (٨٤٥ هـ) . القسم الأول من الجزء الثانى ، نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة (مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة س + ٣٠٥ ص) فى هذا المجلد حوادث السنين ٨٠٤ — ٧٢٨ هـ . وهو نظير الأقسام المنشورة سابقاً (١٩٣٤ — ١٩٣٩) فى التحقيق الواسع والعناية الفائقة

٨ — شرح أسماء العَقَّار : للشيخ الرئيس أبى عمران موسى بن ميمون الإسرائيلى القرطبى (٦٠٥هـ) . صححه ونشره الدكتور مكس مارهوف Max Mayrhof فى المجلد ٤١ من مذكرات المجمع العلمى المصرى (Mifao) مع ترجمة ومقدمة فرنسيتين وفهارس (مط المعهد الفرنسى للآثار الشرقية فى القاهرة)

٩ — كتاب الأمصار والعمران : وهو الباب الرابع من مقدمة ابن خلدون (٨٠٨هـ) . قدم له وضبطه وشرحه الأستاذ محمد سعيد العريان (طبع فى القاهرة)

١٠ — كتاب فى علل اختلاف الناس فى أخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم : لقسطا بن لوقا البعلبكى (المتوفى نحو سنة ٣١١ هـ) . نشره الأب بولس سباط فى مجلة المجمع العلمى المصرى ونقله إلى الفرنسية

١١ — كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : للحاج خليفة المعروف بكاتب چلبى (١٠٦٧ هـ) . صححه على نسخة المؤلف ، الأستاذان محمد شرف الدين بك يالتقايا ، ورفعت بيلكه الكليسى . القسم الأول ، فيه أسماء الكتب المبدوءة بالحروف من الألف إلى الراء ، طبعته وكالة المعارف التركية فى مطبعتها ، فى مجلد كبير قوامه ١٠٠٨ ص . وتمتاز هذه الطبعة عما تقدَّمها من طبعاتٍ لهذا الكتاب بمحاسن ؛ منها أنَّ أسماء الكتب طبعت بحرف أكبر حجماً مخالف المتن ، ومنها أن كل كتابٍ فيه جعل فى رأس سطر

١٢ — كليلة ودمنة : لعبد الله بن المقفع (١٤٣هـ) أخرجته مطبعة المعارف ومكتبتها فى مصر ، تذكاراً لعيدها الخمسينى الذهبى

(١) « الرسالة » الأعداد : ٣٠٤ ، ٤٢٢ ، ٤٨٨ ، ٥٠١

١٩٠٣

فى شهر إبريل سنة ١٩٤١م . وهى طبعة[1] نفيسة فاخرة نُقلت عن نسخة كتبت فى أوائل المائة السابعة للهجرة وهى أقدم النسخ المعروفة لهذا الكتاب فى وقتنا . وقد تولى درسها والتعليق عليها الدكتور عبد الوهاب عزام ، وبها تصدير للدكتور طه حسين بك ، وفيها ١٣ صورة ملونة رسمها ستريكالفسكى

١٣ — مجالس السلطان الغورى : وهى صفحات من تاريخ مصر فى المائة العاشرة للهجرة . اختار موادّها الدكتور عبد الوهاب عزام من كتابين وهما :

الأول : نفائس مجالس السلطانية فى حقائق أسرار القرآنية [كذا] لحسين بن محمد الحسينى (المائة ١٠هـ)

الثانى : الجزء الأول من الكوكب الدرى فى مسائل الغورى : فرغ منه مؤلفه سنة ٩١٩هـ . (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ٣٠٣ ص)

١٤ — مجموعة الوثائق السياسية فى عهد النبى (ص) والخلفاء الراشدين : تضمّ جميع الوثائق والمعاهدات والمراسلات التى صدرت من الرسول والخلفاء الراشدين للقبائل والملوك والعمال وغيرهم . جمعها الدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادى وقدم لها بمقدمة وأوضحها بتعليقات وشروح للألفاظ اللغوية وفهارس وتسع خرائط تبين مواقع الحرائط وخريطتين تبينان الأنساب العدنانية والقحطانية (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ٢٣ + ٤٠٧ ص)

١٥ — نزهة الألباء فى طبقات الأدباء : لأبى البركات الأنبارى (٥٧٧هـ) . طبعة الأستاذ على يوسف طبعاً تجارياً فى القاهرة (٩ + ٢٧٧) . وقد تصرف الناشر بالعنوان فسماه « تاريخ الأدباء والنحاة »

٢ — المستدرك على مطبوعات سنة ١٩٤٠

١ — الإكليل : للحسن بن أحمد بن يعقوب بن الحائك الهمدانى اليمنى (٣٣٤هـ) . الجزء الثامن[2] فى وصف آثار اليمن

(١) عن هذه الطبعة ، راجع ما كتبه الأساتذة محمود بك تيمور (الثقافة : العدد ١٤٢) ، وعبد السلام محمد هارون (الرسالة : العدد ٤٢٠ و ٤٢٨ و ٤٢٩) ، وعبد الوهاب عزام (الرسالة : العدد ٤٢٦ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٦) ، وحسين منصور (الرسالة : العدد ٤٣١) ومحمد محمد رضوان (الرسالة : العدد ٤٣٨) .

(٢) يتألف كتاب الاكليل من عشرة مجلدات ، يعرف منها اليوم : الأول والسادس والثامن والعاشر . ولم يطبع منها سوى الثامن

وبقايا أبنيتها وقصورها وسدودها التى شاهدها المؤلف . نشره الأستاذ نبيه أمين فارس ، بمقدمة وتعليقات وفهارس ، مستنداً إلى الطبعة السابقة[1] بعد معارضتها ببعض النسخ الخطية

وكان الأستاذ النبيه قد نقل هذا الجزء إلى الإنكليزية[2] سنة ١٩٣٥ وأرفقه بحواش تاريخية وبلدانية ولغوية (مطبعة جامعة برنستن بالولايات المتحدة الأميركية ١٢ + ٢٤٧)

٢ — حىّ بن يقظان : لابن طُفَيل الأندلسى (٥٨١هـ) قدم له بدراسة وتحليل الدكتوران جميل صليبا ، وكامل عياد (الطبعة الخامسة ، مطبعة الترقي بدمشق ، ١٩٦ ص) .

٣ — الرعاية لحقوق الله [تصوّف] : للحارث بن أسد المحاسبى (٢٤٣هـ) . النص العربى نشرته مع تمهيد ومقدمة بالإنكليزية ، مرغريت سمث Margaret Smith لندن ١٩ + ٣٤٣ ص) .

٤ — العقد الفريد : لابن عبد ربه (٣٢٨هـ) المجلد الثانى نشر بعناية الأساتذة أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الأبيارى (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ٥٨٧ ص) .

٥ — نبذة العصر فى أخبار ملوك بنى نصر (٨٨٢-٩٠٤هـ) أو تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب : إستخرجه من عدة مخطوطات ، ونشره الأستاذ ألفريد البستانى ، ونقله إلى الإسبانية المستشرق كارلوس كيروس Carlos Quiros (منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو للأبحاث العربية الإسبانية فى طنجة ، السلسلة الثانية ، الرقم ٢ مطبعة الفنون المصورة ، بوسكا العرائش [المغرب] ١٨٦ ص) .

تعليـــق

١ — نشكر الأستاذ محمد أبو البهاء على تصحيحه المنشور فى العدد ٤٥٧ من الرسالة ، لما أوردناه فى لائحتنا السابقة عن كتاب « نصب الراية »

٢ — نثنى الثناء العاطر على اقتراح الأستاذ عصام الشريف فى العدد ٤٥٦ من الرسالة ، بأن تتولى إحدى المؤسسات الثقافية فى العالم العربى ، إعداد ثبتٍ سنوى بكافة ما تخرجه المطبعة العربية فى سائر الأقطار ، وهو اقتراح حسن نرجو أن يتحقق يوماً ما

(بغداد) كوركيس عواد

(١) حققها الأب أنستاس مارى الكرملى وطبعها فى بغداد سنة ١٩٣١

(٢) بشأن هذه الترجمة ، راجع ما كتبهُ المستشرق ديلا فيدا G. L. Della Vida فى : Orientalia (Roma, 1940), pp. 160—173.



قلوب النجوم

للأستاذ خليل السالم

الكون كما يرى «إينشتين» قرص متحدب كحجر الطاحون ، الشمسى قريبة من مركزه ، وفى هذا القرص انتثرت النجوم دون نظام أو ترتيب ، إلا أنك إذا نظرت فى اتجاه أطراف الحجر تكون المسافة التى تنظر خلالها أكثر بعداً ، فترى العدد الأكبر من النجوم المحتشدة فى المجرة ، وهذا سرها . أما إذا نظرت فى اتجاه عمودى على الاتجاه الأول ، رأيت تخلخلاً طبيعياً فى عدد النجوم ، ذلك لأننا ننظر خلال مسافة أقصر من الأولى ، فيكون عدد النجوم أقل من العدد الأول . وليس نظامنا المجرى هو كل الكون ، فهناك عوالم أخرى من السدم المختلفة الأشكال والأحجام ، وكل هذه تشغل حيزاً يتسع حتى لا يتسع له الخيال ، فقطر القرص ١٨٠٫٠٠٠ بليون ميل ، وسمكه حوالى ٣٠٫٠٠٠ بليون ميل . وكل هذه أيضاً تشعرنا بضآلة الإنسان وحقارة شأنه ، كما ترمز إلى جبروت عقله الذى يستوعب مثل هذه الأرقام الضخمة ، ويتسع لهذه الصور الزاخرة

أقرب النجوم إلينا نجم (رجل قنطورس) وبعده عنا ٤¼ من السنوات الضوئية ، أى أن النور الذى يقطع ٣٠٠٫٠٠٠ ك . م . فى الثانية ، فى الزمن الذى يمضى بين تلتى الساعة مرتين ، هذا المقدار العجيب يستغرق من الوقت ٤¼ من السنوات حتى يصل إلينا من أقرب النجوم فى هذا الكون الشاسع الأبعاد

عدد النجوم كما يقدره الفلكيون يبلغ نحو ٣٠٫٠٠٠ مليون نجم من كافة المقادير ، وقد توزع هذا العدد الضخم فى ذلك الحيز المتسع البعيد النور ، بحيث أصبحت أبعاد النجوم عن بعضها كبيرة جداً . ولتأخذوا عن هذه الأبعاد فكرة ، أعطيكم مثلاً بسيطاً ورد فى أحد كتب العلامة الإنجليزى المشهور السر جيمز جينز قال : لو أطلقنا فى جميع المحيطات التى على الأرض أربع سمكات ، وسبحت هذه كيفما اتفق ، لكانت النسبة بين أبعادها تعادل مع الفارق الطبيعى أبعاد النجوم عن بعضها

وهذا العدد الكبير من النجوم توزع إلى أنواع عديدة : فهناك النجوم الكبار ، والنجوم الجديدة ، والنجوم المزدوجة ، والنجوم المتغيرة ، والنجوم القيفادية ، والأقزام البيض ، والعمالقة الحمر ، والنجوم المجتمعة ؛ ولكل من هذه الأنواع خواص تتميز بها وتختلف بها عن غيرها من النجوم

أكثف النجوم نجم فان مانن ، ومن أكثفها رفيق الشعرى اليمانية ، فكثافته تعادل كثافة الماء ٥٣٫٠٠٠ مرة ؛ وهو نجم مشهور كثير ما يرد ذكره فى أبحاث الفيزيقا النظرية الحديثة ؛ وقد استخدم فى إثبات أحد قوانين النسبية ، أعنى قانون ميل الطيف نحو اللون الأحمر عندما ينبعث النور من جسم ثقيل . وسنأتى على تعليل هذه الكثافة العجيبة بعد قليل

لعلنا قد خرجنا عن الصدد فلنعد إلى موضوعنا الأصيل أعنى قلوب النجوم . لا يخفى أن الوسيلة الوحيدة فى درس هذه المصابيح الجميلة إنما هى تلك الرسائل التى يحملها منها إلينا النور ، وهذه الرسائل مكتوبة بلغة خاصة واضحة طوراً وغامضة طوراً آخر ؛ فنلجأ إلى المرقب Telescope والمطياف Spectroscope والمطياف المصور Spectrograph والمجهر Microscope وغيرها من الأجهزة الدقيقة فنستعين بها على فك تلك الطلاسم والألغاز .

وقبل أن نعنى بهذه الرسائل حق العناية لا بد لنا من الاطلاع على بعض الحقائق والمبادئ الأساسية التى أثبتها المختبر ، وانطبقت تمام الانطباق على الظواهر الطبيعية التى تجرى فى الكون على اتساعه وكثرة أنماط المادة فيه . وسنبدأ بعلم الحل الطيفى .

علم الحل الطيفى

مما يؤثر عن الفيلسوف الألمانى الشهير (كانت) قوله : ليس ثمة أمور لا بد للانسان من أن يبقى جاهلاً حقيقتها مثل معرفة تركيب الشمس والأجرام السموية من الناحية الكيميائية . ولا يستنكر من الفيلسوف العظيم تورطه فى هذا الحكم الذى أثبتت الأيام بطلانه ، فقد كان يعلم وهو من يقدر الحواس حق قدرها أننا لا نستطيع أن نفهم المادة إلا عن طريق الحواس ؛ ونحن طبعاً لا نستطيع أن نلمس النجوم أو نذوقها أو نشمها أو نسمعها ، وليس لنا إلا حاسة النظر العاجزة عندما ننتقل إلى دراسة النجوم البعيدة دراسة عميقة دقيقة.. إلا أن الإنسان عمد إلى الحيلة ، وبدل

أن يصعد إلى النجوم قربها إليه بأجهزته وصورها وكبّر تلك الصور ودرس الأطياف طبقاً لقوانين الحل الطيفي ، تلك القوانين التي أثبتها المختبر ، والتي ندين لها بكل التقدم العجيب في علم الفلك الحديث .

ورواية هذا العلم الجديد – أعني علم الحل الطيفي – ممتعة مدهشة . وسأذكر بإيجاز أشخاص المسرحية وملخص أدوارهم : أول ما يظهر على المسرح نيوتن الخالد الذي كانت اكتشافاته ولا تزال العامل المشترك الأعلى في جميع العلوم . ظهر على المسرح فأدهش الناس حين عرض عليهم نور الشمس وقد تحلل إلى ألوانه البديعة السبعة ، تلك الألوان التي تبديها الطبيعة في أجمل مناظرها : قوس قزح . وتلاه في تمثيل العالم ولستن فأثبت أن لكل غاز طيفاً خاصاً وخطوطاً خاصة يتميز بها عن غيره من الغازات . هنا عرفنا أن بعض العناصر الموجودة على الأرض موجودة في السماء . ولعل الدور الحاسم كان دور فرنهوفر فقد دخل المسرح والناس قد اشرأبت أعناقهم لتتبع أحداث الرواية اللذيذة فاكتشف خطوط فرنهوفر التي تظهر في طيف الشمس وهي خطوط سوداء لا تتغير مواضعها ، وسببها – كما عللها العالم الإنجليزي ستوكس – أن الغازات الموجودة في الشمس تمتص الأشعة الخاصة بها ، فبدل أن تبدو خطوطها لامعة كما في طيفها المستقل تبدو أماكن تلك الخطوط مظلمة سوداء . وهكذا تسنى للعالم كيرشوف أن يدرس الشمس في المختبر بعد الآن . وماذا كان عليه إلا أن يحلل النور القادم على متن الأثير ويقيس الأمواج ويقارنها بالأمواج التي يحصل عليها في المختبر من الشرارات الكهربائية والقوس الكهربائي والأنابيب المضيئة .

ومن هنا أمكن كلا من العالمين « لكير » و « جونسون » أن يكتشفا في وقت واحد غازاً جديداً في الشمس أسمياه باسمها (الهليوم) ، وأثبتت الأيام صحة دعواهم فاكتشف الكيميائي رمزي غاز الهليوم على الأرض ، وتبين أن له نفس الخواص الطيفية التي تنبأ العالمان لكير وجونسون من قبل باتصافه بها

بعدئذ أو بعد منتصف القرن التاسع عشر إذا أردنا أن نعرف أين نحن من مر السنين ، بدأت دراسة أطياف النجوم والأجرام السماوية دراسة واسعة النطاق . فقد فحص الأب أنجلو سيشي F. Angelo Secchi ما يقرب من أربعة آلاف نجم . وأحسن الدراسات الحديثة لأطياف النجوم وأعمقها وأكثرها شمولاً تمت على يدي الآنسة آني كانون Annie Cannon فقد صنفت نحو ربع مليون نجم بحسب ترتيب خواصها الطيفية . وقد أسفر هذا التصنيف بكثير عن الحقائق عن تركيب النجوم ونشوئها . ولا يتسع لي المقام لبحث هذه النتائج ، ولكنني بإيجاز أورد هنا خط التصنيف من دون تعليق :

الأصناف	رموزها بالافرنجية	لونها	الخطوط الطيفية التي تقوى فيها	درجة حرارتها
الصنف الأول	O	زرقاء بيضاء	الهليوم المتأين	٣٠ر٠٠٠°
« الثاني	B	« «	الهليوم الحيادي	٢٠ر٠٠٠°
« الثالث	A	بيضاء	الهيدروجين (الشعرى اليمانية نجم منه)	١١ر٠٠٠
« الرابع	F	وسطى	تزيد خطوط الهيدروجين قوة	٧ر٥٠٠
« الخامس	G	صفراء	المعادن، الهيدروجين، الكالسيوم (الشمس)	٦ر٠٠٠
« السادس	K	برتقالية	المعادن الحيادية	٤ر٢٠٠
« السابع	M	حمراء	عصبة أكسيد التيتانيوم	٣ر٠٠٠
« الثامن	V	حمراء	عصبة خطوط الكربون	٣ر٠٠٠

عالم الذرة

لا بد لنا من معرفة بسيطة لتركيب الذرة لما لأبحاث الذرة الجديدة من علاقة وثيقة بعلم الفلك على وجه العموم ، وقلوب النجوم على وجه الخصوص

عالم الذرة الذي انحصر في أصغر جزء من المادة عالم زاخر مملوء بالرؤى والأخيلة الواسعة . وهو معقد بشكل لا نستطيع معه أن نلم بدقائقه فلنرسم لهذا العالم صورة خاطفة سريعة لتفي بغرضنا الذي نتوخاه

الذرة نظام شمسي ، النواة فيها تقوم مقام الشمس ، والكهارب (الألكترونات) تمثل دور السيارات ، فتدور حول النواة بسرعة غريبة جداً ، وتدور كالسيارات في أفلاك أهلجية وربما في أفلاك دائرية ، ولكن لا ضابط لهذا الدوران ، فأنت لا تستطيع أن تعرف مكان الكهيرب وسرعته في آن واحد ، كما تستطيع أن تحسب مكان الأرض مثلاً وسرعتها بحيث تتنبأ بوقت خسوف أو كسوف لأقل من عشر الثانية . أقول لا تستطيع أن تعرف سرعة الكهيرب ومكانه في آن واحد ؛ فإن عرفت السرعة تعذر تعيين المكان ، وإن عرفت المكان تعذر تعيين السرعة . ومن هنا

تسرب إلى العلم الحديث مبدأ عدم التثبت أو مبدأ الاحتمال . فلا تزيد القوانين الطبيعية — التى كان العلماء يتشدقون بدقتها وضبطها وأحكامها — أن تكون احتمالات كبيرة فحسب . واضطر العلماء إلى رسم صورة جديدة لذرة بوهر التي نصفها . وتم التعديل على يدى العالمين شرودنجر وهيزنبرج

الذرة متعادلة كهربائياً . قطر البروتون أقل جداً من قطر الذرة ، فيكاد يكون الفراغ فى الذرة قدر المادة (١٠٠٫٠٠٠) مرة وعلى ضوء هذه الحقيقة سريعاً ما نحكم أن المادة بصورتها المألوفة فراغ كبير ، فلو خطر ببالك أن تزيل الفراغ بين (١٠٠) طن من القمح مثلاً لوفرت على نفسك المخزن المتسع الذى يتطلبه هذا الحجم الكبير ، ولما شغل الباقى من المادة أكثر من قبضة يدك وأستطيع أن أضع فى يدى مليون طن من المادة المحشوكة حشك النواة فى الذرة

أبسط الذرات ذرة الهيدروجين ؛ فهناك كهيرب واحد يدور حول بروتون واحد ، وهو يدور على أبعاد مختلفة من النواة تتناسب مع مربعات الأعداد البسيطة أعنى ١ ، ٤ ، ٩ ، ١٦ الخ ... يكون مرة فى الفلك الأول ، ثم يقفز إلى الثانى فالرابع ، ثم إلى آخر ، ثم يعود وهكذا . فإذا ما امتص الكهيرب قدراً من الطاقة تهيج وتفلت من المدار الذى يدور فيه وقفز إلى مدار أبعد ، ومقدار هذا البعد يعتمد على مقدار الطاقة التى امتصها وإذا سقط من مدار أبعد إلى آخر أقرب منه أطلق إشعاعاً خاصاً يدلك على المسافة التى سقط فيها . والدخول فى تفاصيل هذا الموضوع ينقلنا حتماً إلى نظرية الكم Quantum Theory وهى نظرية جديدة فى علم الفيزيقا لا تكفيها مقالات مسهبة لشرح قواعدها ومقرراتها .

بقى علينا أن نقول إن عدد الكهيربات حول النواة يكون فى الفلك الأول اثنين ، ثم ثمانية فى كل فلك آخر ، وفى الفلك الأخير يعين عدد الكهيربات تكافؤ العنصر كما تعلم فى علم الكيمياء .

ماذا يهمنا من عالم الذرة ؟ يهمنا أن درجة الحرارة تهيج الكهيرب فيبتعد عن النواة ، ويبتعد كلما قويت الطاقة المؤثرة حتى إذا زادت عن قدر مخصوص ترك الذرة مطلقاً . ويهمنا أن نعلم أيضاً أن إشعاع الذرة يعتمد على مقدار التهييج ونوع الذرة كاملة الكهيربات كانت أو ناقصتها . وما دمنا فى صدد الكلام عن الإشعاع ودرجة الحرارة فيجب أن نشير إلى قانون ستيفان — بولتزمان الذى ينص على أن إشعاع أى جسم يتناسب تناسباً طردياً مع القوة الرابعة لدرجة الحرارة المطلقة .

والآن ما هى الحقائق التى نستخلصها من رسائل النجوم البعيدة على ضوء هذه المعلومات الجديدة ؟

(البقية فى العدد القادم)

خليل السالم
(ب . ع) من الدرجة الأولى
فى الرياضيات

ظُـــلم

عشقتُ فما كنتِ إلاّ المُنَى ... تلوحُ بأنوارها الباسمة
وما كنتِ إلّا ازدهار الصِّبا ... ترعرعَ فى جنَّتِى الساحمة
وما كنتِ إلّا جُنون الغرام ... تَغَلْغَلَ فى صبوتى العارمة
رنوتُ إلى سحركِ العبقرى ... بعين مسهَّدةٍ هائمة
فما انطفأتْ غُلَّتِى من نواك ... وما انتعشتْ مُهجتى الحالمة
تُرَانى أُحِب لأَلْقَى العذاب ... وَأنتِ مُدَلَّلَةً ناعِمَة ؟
ويمشى فؤادى وراء الخيال ... يُمَنِّيه بالنَّشوة الواهمة
وهل يرسلُ النورَ بدرٌ بدا ... جميلاً ... وآفاقُه غائمة ؟
إذا لم يَهَشَّ لعينى الصباحُ ... فأنواره ظلمة قاتمة
كرهتُ من الناسِ طُغيانَهم ... وأحبَبْتُ ظُلْمَكِ يا ظالمة

سلاح خدمة الجيش الملكى ... احمد اسماعيل المليجى

أشعـــار صينية (*)

— ٤ —

ورقة الصفصاف

للشاعر الصينى وانه — تسى
(٣١٤ — ؟ م)

ورقة انفصلت عن صفصافة . وهى الآن تسبح فوق الماء .

وبقلبى ، أيضاً ، صنع الزمن ما صنع . فصلت عن سيدة جميلة أحبها كثيراً ، وهأنذا أنتظر مصيرى فى سلام

هأنذا أرقب ورقة الصفصاف . آه ! إن الموج قد أعادها نحو الغصن الذى انفصلت عنه

— ٥ —

أغنيـة مسافر

لشاعر صينى مجهول
(عاش حوالى عام ٣٢٥ م)

عند ما تملأ النسمة ثوبيك من الحرير ، تشبهين ربة ترتدى بالسحاب

(*) راجع الرسالة العدد ٤٤٨

عند ما تمرين ، تتشمم عبيرك أزهار التوت . عند ما تحملين الزنبق الذى جمعتِه ، يرتعش فى يديك من الفرح

حلقات من الذهب تربط عقبيك . أحجار زرقاء تلمع حول خصرك . عصفور من اليشم قد صنع عشه فى شعرك . وورود خدودك تتراءى فى حبات عقدك الكبيرة

عند ما تنظرين إلىّ ، أرى نهر لين يجرى

عند ما تخاطبيننى ، أسمع موسيقى الريح بين الصنوبر فى وطنى

عند ما يلقاك فارس ، عند الشفق ، يعتقد أن الفجر هناك ، ويوقف فرسه فى قوة

عند ما يلحظك ساغب ، ينسى جوعه

— ٦ —

فى الجبل — عند نبع الربيع

للشاعر الصينى وانج — بو
(٥٥٠ — ٦١٨ م)

الحزام منحل ، الرداء مفتوح للريح الرطبة ، كنا نصعد فى الطريق الوعرة الضيقة التى توصل إلى نبع الربيع

جلسنا على الحصير التى بسطها لنا الخدم قرب النبع ، وأنصتنا أولاً إلى هدير أشجار الصنوبر . رائحة الزنبق تعطر النهر الذى يجرى فى غزارة

عند ما تطول الظلال وعند ما تبدأ ظلمة الليل تتأرجح بين الأشجار ، يفرغ حينذاك حديثنا ، ذلك لأن ناى الرعاة يتجاوب غناؤه فى الجبل . م . وهبة

عازفة القيثارة

للشاعر الانجليزى ادموند وولر
EDMUND WALLER
(١٦٠٥ — ١٦٨٧)

مثل هذه الأنغام الشجية تثيرها لمسة خفيفة كهذه
لا تهمها هى فى شىء أبداً ، ولها فى نفوسنا أبلغ الأثر !
فأى فن هذا الذى يستطيع — بمثل هذه الضربات البسيطة — أن يملأ نفوسنا غبطة ، ويستولى على مشاعرنا ؟

***

حول أصابعها تزدحم الأوتار وهى ترتعش معبرة — عالياً — عن فرحها لكل قبلة ،
قوة بسيطة تجعلها ترتعد هكذا
ومن ذا الذى لا تمسه هذه اليد ، ولا يرتعش هو أيضاً ؟

***



الصداقات بين الأدباء

جاء في آخر مقال « الصداقات بين الأدباء » للأستاذ العقاد المنشور في عدد الرسالة رقم (٤٦٥) ما يلي :

« فهل يعني الأستاذ — يعني الأستاذ توفيق الحكيم — شعراء البحيرة في انجلترا ؟ هل يعني صداقة شلي وبيرون هناك ؟ هل يعني صداقة جيتي وشلر بين شعراء الألمان ؟ هل يعني صداقة تولستوي وتورجنيف وديستفسكي بين عظماء الأدب العالميين من الروسيين ؟ »

وقد وجدنا في هذه النهاية استرسالا يتجاوز الحقيقة نفصله فيما يلي :

١ — لم يكن اللورد بيرون من شعراء البحيرة في انجلترا . وكانت المدرسة الأدبية التي دعيت نسبة إلى منطقة البحيرة والتي أسسها الشاعر « وردز ورث » لوجود بيته في تلك المنطقة تضم (سوثي Southy ، صموئيل تيلور Samuel Taylor ، كوليردج Coleridge ، دي كوينزي De Quincey)

٢ — لم يكن شلي أيضاً من شعراء البحيرة ، وإنما كان له اتصال غير مباشر بسبب وجود مسكنه في تلك المقاطعة ، وكان بذلك مثل (سكوت ، وكارليل ، ومسز هيمانز ، ومتيو أرنولد ، وإدوارد فتزجرالد ، وتنسون ، وجري ، وشارلس لامب)

٣ — إذا كان يعني الأستاذ العقاد بقوله « هناك » ، أي « بانجلترا » دون تحديد لمنطقة البحيرة ، فهذا يتجاوز الحقيقة أيضاً ؛ ذلك لأن الشاعرين بيرون وشلي لم يتفق لهما الالتقاء

هنا يرابط إله الحب . وبينما تطرب هي السمع يفرغ هو كنانته على المستمع العزيز

هكذا فعل الموسيقى في الحس . ترهفه وتجرده من سلاحه حتى لا يستطيع أن يقاوم سهماً واحداً

* * *

وهكذا تحتفل المستبدة الحسناء بغنيمتها

ممثلة لنفسها انتصار عينيها

كما كان نيرون ينظر إلى روما المشتعلة ، والقيثارة في يده

وبينما كانت تحترق كان هو يعزف

عبد الحليم البشلاوي

في أي مكان بانجلترا ، ثم لم يقم بينهما أي اتصال أدبي أو مراسلة تشير إلى معرفة أو صداقة . وما قدّر لهما الالتقاء إلا في سويسرا أول مرة وذلك في شهر مايو سنة ١٨١٦ ، عند ما كان بيرون قد ترك انجلترا للمرة الأخيرة . وكلاهما لم يعد إلى وطنه بعد ذلك التاريخ . ذلك أن شلي توفي في إيطاليا سنة ١٨٢٢ ، واللورد بيرون توفي في اليونان سنة ١٨٢٤

والقضية الثانية تتعلق بما أورده عن صداقات تورجنيف وتولستوي ودستيوفسكي من مشاهير الأدب الروسي . وهذه الصداقة لا تنطبق على الواقع ، بل لعلها أقرب إلى العداء بين بعضهم

١ — لم تكن هنالك صداقة بين تولستوي وتورجنيف . ولم يتجاوز الأمر إعجاب تورجنيف بتولستوي . غير أن تولستوي لم يبادله إعجاباً بإعجاب بل كافأه عليه بالإهمال والكره، ولعل في العبارة التي كتبها تولستوي إلى (فت Fet) ، والتي قال فيها : « إني أحتقر الرجل » ـ يشير إلى تورجنيف ما يبدد أي زعم بقيام صداقة بينهما

٢ — وفي ناحية أخرى لم تقم أي صداقة بين ديستوفسكي وتورجنيف ، بل وجد بينهما عداء لم تسبقه صداقة ولم تتله صداقة . وفي كتاب ديستوفسكي The Possessed نراه يصف تورجنيف بجميع نقائصه بأسلوب شديد المبالغة ، ثم يقول عن تورجنيف بأنه من أولئك الكتاب الذين يؤثرون على في جيل واحد ، ولكن مصيرهم كمصير مناظر رواية تمثيلية على الرف

٣ — وأخيراً لم تقم صداقة بين تولستوي وديستوفسكي ، وليس ما يشير في تاريخ الأدب الروسي إلى التقاء هذين الأديبين . والفرصة الوحيدة التي أتاحت لتولستوي قضاء مدة طويلة في موطن ديستوفسكي ـ سان بطرسبورج ، لننجراد الآن ـ كانت عند ما ذهب تولستوي وهو شاب يدرس الحقوق في جامعتها ، وصادف ذلك نفي ديستوفسكي مع جماعته إلى سيبريا

على أن ذلك لم يمنع إعجاب تولستوي بإنتاج ديستوفسكي ، وليس في مقدورنا اعتبار الإعجاب صداقة ، خصوصاً إذا كانت ذات طرف واحد .

« القدس » **علي كمال**

حول إصلاح الأزهر

كنت آخر من تحدث في « الرسالة » عن الأزهر وإصلاحه بكلمة صريحة أغضبت بعض الناس ، وقدّرها قدرها مفكرو الأزهر من المدرسين وغير المدرسين ، وانتظروا أن تتبعها أخواتها حتى يتم الحديث . واليوم قرأت في الرسالة كلمة للزميل الفاضل

الدكتور محمد البهى دفعه إليها فيما أعتقد عامل نبيل ، إلا أنى رأيت فيها عبارة أرسلها دون تحديد فلم تعبر فيما أظن عما أراد . إن حضرته يصف بعض الكتاب الأزهريين بالمقالة « لأنهم — فيما يقول — من رجال العهود السابقة وهى عهود قريبة إلى الطبيعة الساذجة التى لم تلتو بعد »

للأستاذ الزميل رأى فى الأزهر — يجهر به ولا يخفيه — لا يختلف عن رأينا ، كما لا نختلف أيضاً فى تقدير الجامعة وجهودها ومبلغ ما أصاب رجالها من حظ من النجاح فى تأدية الرسالة الجامعية العلمية ، فلا أفهم بعد هذا كيف يكون من يكتب عن الأزهر مشخصاً الداء واصفاً الدواء مبالغاً ساذجاً من رجال العهود السابقة ! لعل الزميل الفاضل لو وصف هؤلاء الكاتبين بالشجاعة والصراحة والرغبة فى الإصلاح والعمل له لكان مصيباً . ليست السذاجة فى تعرّف الداء ليتأتى أن نطبّ له بل فى كتمه حتى يصير معضلاً . وكم كان حكيماً « كونفشيوس » حينما جعل من أسس منهجه الفلسفى « تحديد الألفاظ » حتى لا يكون ضلال فى الأحكام !

محمد يوسف موسى

مجمع فؤاد الأول للغة العربية

انتهت وزارة المعارف من إعداد مشروع قانون بإنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، بدلاً من المرسوم الحالى الخاص به

وترجع الحكمة فى إصدار القانون الخاص بالمجمع إلى جعله مؤسسة مستقلة ذات شخصية معنوية

وينص المشروع على بقاء أغراض المجمع على ما كانت عليه مع إضافة مهمة جديدة هى تشجيع الإنتاج الأدبى العربى الحديث ، وإقامة المسابقات الأدبية وتقدير الجوائز لها

وقد حدد عدد أعضاء المجلس بثلاثين لا يزيد الأجانب منهم على عشرة

ونص المشروع على أن يكون لوزير المعارف حق تعيين رئيس لمجمع من بين ثلاثة يرشحهم أعضاؤه لمدة ثلاث سنوات وينتخب له وكيل مصرى لمدة سنة

وقد منح وزير المعارف وحده سلطة إصدار القرارات التى تمس مادة اللغة العربية وجوهرها .

التعاون الثقافى بين مصر والعراق

رفعت وزارة المعارف إلى مجلس الوزراء مشروعاً بإنشاء مكتب للتعاون الثقافى بين مصر والعراق تكون مهمته وضع الأسس لمعاهدة ثقافية بين البلدين ، والدعوة إلى عقد مؤتمرات ثقافية تمثل فيها البلاد العربية المختلفة .

وسيعهد إلى هذا المكتب باطلاع كل من وزارتى المعارف المصرية والعراقية على ما يحدث فى الأخرى من تطور فى شئون التربية والتعليم من حيث الأنظمة والقوانين والمناهج والكتب الدراسية وغيرها

ويبحث المكتب كذلك تبادل الطلبة والأساتذة والكتب والمطبوعات ، ووضع نظام ثابت لذلك

وسيدعو المكتب إلى عقد مؤتمرات ثقافية عربية ويكون مقره متنقلاً بين القاهرة وبغداد بالتناوب ، ويرأسه وزير المعارف فى البلد التى يكون بها ، وأعضاء المجلس أربعة غير الرئيس ، على أن يكون اثنان منهما عن كل بلد

وحين يتم عقد المعاهدة الثقافية بين البلدين يعهد إلى المكتب بتنفيذها .

وسيباح للبلدان العربية الانضمام للمكتب بعد موافقة الوزارتين المصرية والعراقية على ذلك

القصص الفائزة فى مسابقة وزارة المعارف

وافق مجلس مجمع اللغة العربية الملكى على قرار لجنة مسابقة القصة لوزارة المعارف ، وقدمه إلى معالى وزير المعارف فوافق عليه

وكان المقرر منح ثلاث جوائز : أولى وثانية وثالثة ، ولكن اللجنة رأت العدول عن ذلك واختارت خمس قصص منحتها الجوائز دون مراعاة الأولية نظراً لامتياز كل منها من ناحية .

أما القصص الفائزة فهى : ملك من شعاع ، للأستاذ عادل كامل ؛ وزينات ، للأستاذ حسين عفيف ؛ وجهاد أو وا إسلاماه ، للأستاذ على أحمد باكثير ؛ وعودة القافلة ، للأستاذ يوسف جوهر ؛ وكفاح طيبة ، للأستاذ نجيب محفوظ

مسابقة الشعر العربى

أعلنت محطة الإذاعة المصرية أن الأستاذ محمد الأسمر الشاعر المعروف ، قد فاز بالجائزة الأولى فى مباراة الشعر العامة التى أقامتها محطة الإذاعة البريطانية .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 472 — Lundi - 20 - 7 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٤٧٢ « القاهرة في يوم الإثنين ٦ رجب سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٠ يولية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

غراب وطفـــل !

حادثان وقعا في نهار يوم وليله، لهما بهما من لهما، وتفكر فيهما من تفكر؛ وبات أثرهما الباقي يعمل في نفسي وفي رأسي ما يعمل الهم إذا جاش، والألم إذا برَّح، حتى أصبحت فإذا بي لا أجد في ذهني ما أكتبه إليك، غير أن أقص نبأ هذين الحادثين عليك

نشب جناح أحد الغربان في مشتبك الغصون من أعالي (الكافورة)، وجهِد الطائر الأسير أن يخلص جناحه بالاضطراب والاجتذاب والخفق فما استطاع. وكان قد حط بالقرب منه غراب فهبَّ ينعب نعيب المستغيث، ثم حاول أن يجتذب بمنقاره الجناح الناشب فأعياه ذلك، فارتد يثب من حوله صاعداً هابطاً وهو ينعب، حتى أقبل على صوت الاستغاثة غرابان، فحوَّما هنيهة فوق أخيهما المصاب، ثم أطلقا في الفضاء نعيقهما المنذر. فلم تكن غير لحظات حتى تتابعت الغربان فكان منها على ذوائب الدوحة الفينانة عصابة، وعقدت هذه العصابة مناحة، وظلت هذه المناحة بقية النهار لا ينقطع لها صوت، ولا تفتُر بها حركة. وكأنما كانت الغربان تضرع إلى الناس أن يسعفوا أخاها المسكين بحيلهم البشرية؛ ولكن الناس كانوا قد تجمعوا على طِوارَىْ الشارع تجمع البَله، لينظروا إلى الحادث العجيب نظر الفضول! وقلما تجد بين البَله والفضول مكاناً للمروءة!

فلما دنا الليل واستيأست الغربان انصرف بعضها وبقى بعضها الآخر. ولم تقصّر الأغربة الباقية فى مواساته والترفيه عنه، حتى لقد زعم بعض أصحابنا أنه رأى غراباً يزقّه بالحب والماء. وانصرفنا نحن كذلك عن القهوة بعد موهن من الليل، وليس فى نفسى غير هذا المظهر الأخوى الرائع فى نوع من الطير لم يرسَل إليه رسول، ولم تُنشأ لتربيته جامعة؛ وما كنت رأيت ولا قرأت ولا سمعت من قبل ما يشبه ذلك فى عالم الحيوان

لم أكد أُسكت المذياع بعد إعلانه الأنباء الأخيرة حتى سمعنا صراخ طفل حديث الولادة ينبعث فى سكون الشارع على حال غير مألوفة. فاطّلعت من النافذة فإذا الصراخ يتتابع من ركن مظلم أمام حانوت جارنا النجار. فظننت أول الأمر أن إحدى الوالدات جلست تسترفه من التعب، أو تستندى أكف المارة. وكانت امرأة من سواد الناس تمر فى تلك اللحظة فماجت بحكم غريزتها على الطفل الباكى، وجعلت تجسه بعينيها ويدها، ثم صاحت تقول فى ارتياع وحسرة:

الله يلعنها فى كل كتاب! زنى وقتل؟!

ثم اندفعت المرأة فى طريقها تهرول وتدمدم كأنما تريد أن تنجو بنفسها عن موطن الشبهة!

ووقف بعدها على الوليد المنبوذ كل سائر. وكان كل واقف يشعل ثقاباً وينظر إلى محيا الطفل البرىء، ثم يحوقل وينصرف

وكان الطفل على ما فهمت من وصف الواصفين من الواقفين أزهر اللون جميل الصورة قد وضعته أمه (الحنون) فى قفة جديدة من الخوص ملفوفاً فى خرقة بالية من قماش مهلهل النسج لا نقش عليه ولا خيط فيه! ولعلها خشيت، إذا هى ألبسته بعض الثياب أن يستدل الشرط بها عليها! والاحتياط لسلامة الخدر المصون من سوء السماع ومض الملام فوق كل اعتبار!!

كان المارة يتجمعون على جوانب المهد الخشن والطفل يضطرب فيه بيديه ورجليه، ثم يتفرقون ولا يجرؤ أحد منهم أن يسبل غطاءه عليه، أو يمد يده إليه، كأنما هو فى ذاته لعنة مجسدة تعلق بمن يمسها وتلحق بمن يقربها! والواقع أن اللقطاء أو أبناء السكك والدهاليز كما يسميهم الشرفاء، أشقياء بالولادة. وقد تشتمل الرحم الفاجرة على الشقى والشقاء فى وقت معاً. فاللقيط وهو جنين يكون خطراً لا ينفك مهدداً بالعار إذا استمسك، وبالموت إذا سقط. فإذا سلم على طعن البطن باليد، وتسميم الرحم بالعقاقير، وُلد فى الخفاء، وغمر بالظلام، وأحيط بالسكون، وأصبح فى حجر أمه جريمة مولودة تطفئ نور البصر، وتذوى شباب القلب، وتقطع خيط الرجاء، فتحاول أن تنتصل من هذه الجريمة الواحدة، باقتراف جرائم متعددة! فإذا عاش على سوء الولادة وجفاء المهد وقسوة الهجر، عاش موسوماً بالخزى، موصوفاً بالمهانة، لا يرتفع به بيت، ولا يشرف به منصب

يا حسرتا على اللقيط من بنى آدم! يمر الإنسان بالمتروك أو الضال من جِراء الكلبة، أو خنانيص الخنزيرة، أو حملان النعجة، أو فراريج الدجاجة، فيؤويه إليه حتى يجد صاحبه؛ ثم يمر بالمتروك من جنسه فيشيح بوجهه وينأى بجانبه؛ لأنه إذا ضمه إليه اتهمته زوجه، وإذا أظهر العطف عليه اتهمه الناس. ومن ينكره أهله لا يعرفه أحد! ومن ضاق ذرعه بابنه لا يتسع صدره لمتبنّاه. لذلك كان الناس يمرون بالقفة المتروكة، وفيها ثمرة الحب يتضور ويبكى، فلا يجودون عليه إلا بنظرة حنان، أو كلمة رثاء، أو إشارة إعجاب، أو لعنة انتقام. وخفت أن يبيت الطفل على قارعة الطريق فدعوت من حمله إلى مركز البوليس

وأصبح الصباح فقيض الله للغراب من عالج جناحه بعود طويل من الخشب حتى خلص، وانطلق الأسير فى رفاقه الأوفياء يرفه عن الجناح العليل فى العش الناعم والفضاء الحر والإخاء الوثيق. وذهب صديقنا على يسأل رجال الشرطة عن مصير الطفل فقيل له: منحناه اسماً من الأسماء، ونحلناه أباً من الآباء، وسجلناه مجهول الأب والأم؛ ثم أرسلناه إلى الملجأ ليعيش عمره الطويل أو القصير من غير أسرة ولا كرامة ولا ثروة ولا رجاء!

أما بعد فذلك غراب وهذا طفل! أما الغراب فلم يتركه قومه حتى أنقذوه وأخذوه؛ وأما الطفل فقد تركه أبوه لأمه، وتركته أمه للناس، وتركه الناس للقدر! فمن ذا الذى يقول بعد ذلك إن ابن آدم خير من ابن آوى، وإن بنت حواء أفضل من بنت اللبون؟ إن جد هذا الغراب هو الذى علم قابيل جد هذا الطفل أن يوارى بالدفن سوأة أخيه المقتول! وهل تجد أبلغ فى تسجيل العجز على الإنسان من قول قابيل حين رأى الطائر يبحث فى التراب: «يا ويلتا! أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب؟»

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

انتخاب بطريرك الأقباط — أسئلة وأجوبة توضح المشكلة القبطية — بين الصنعة والطبع — موقعة العلمين — اختيار لون الموت يدل على حيوية الذوق

انتخاب بطرك الأقباط (١)

البطريرك كلمة يونانية الأصل، أو لاتينية الأصل. ومن الطريف أن نذكر أن كازيميرسكي يجعل البطريق (بالقاف) من اللاتينية، ويجعل البطرك (بالكاف) من اليونانية، برغم تقارب مدلول الكلمتين. وأنا أترك تحقيق هذه المسألة لحضرة الباحث الفضال الأب أنستاس، فهو بها من الخبراء.

والذي يهمني هو أن أشرح لقراء الرسالة مشكلةً تثور اليوم في البيئات القبطية، وشرحها لا يخلو من نفع، لأنها تنطوي على دقائق اجتماعية وأخلاقية، ولأن من الخير أن يعرف قراء المجلات الأسبوعية حقيقة ما يُنشر بلا شرح في الجرائد اليومية. فإن وقع في كلامي شيء من الخطأ فليتفضل بتصحيحه أحد المطلعين من أفاضل الأقباط.

وأواجه الغرض فأقول: الأصل أن يُنتخَب البطرك من الرهبان، وقد سارت الأمور على هذا الأصل في جميع العصور الخوالي، ثم انحرفت عند انتخاب البطرك السابق، فقد انتُخب وهو مطران، وبانتخابه على ذلك الوصف ضاع أعظم حق من حقوق الرهبان.

والذين قرأوا ما نشره سعادة الأستاذ توفيق باشا دوس في جريدة لابورس يدركون أن المشكلة ستثار من جديد، مشكلة المفاضلة بين الراهب والمطران في انتخاب الرئيس الديني للأقباط. فما حجج الفريقين؟

حجة القائلين بأن ينتخَب البطرك من الرهبان تقوم على أساس متين، وهو سلامة الانتخاب من المؤثرات المالية، لأن الرهبان لا يملكون شيئاً على الإطلاق، فمن المستحيل أن يشتروا أصوات الناخبين، وإذن يكون مرجع المفاضلة بين راهب وراهب هو الشهرة بالتقوى والورع والقنوت.

وحجة القائلين بأن ينتخب البطرك من المطارنة تقوم أيضاً على أساس، فهم يرون أن المطارنة قد يعرفون من شؤون المجتمع ما لا يعرف الرهبان، بغض النظر عن تعرض الانتخاب لمؤثرات مالية أو اجتماعية.

وهنا يسأل القارئ عن المصادر التي تجعل المطارنة أغنياء، بحيث يتناضلون بالقُوى المالية عند الانتخاب.

ونجيب بأن البلاد المصرية من الوجهة القبطية مقسَّمة إلى أبرشيات «والأبرشية كلمة يونانية معناها الإقليم» ولكل أبرشية مطران، فيقال: مطران المنوفية، ومطران البحيرة، ومطران جرجا، ومطران أسيوط، إلى آخر التقاسيم.

ولكن كيف يقتني المطران؟

يقتني من «العوائد» وهي جمع عادة، كما تُجمع حاجة على حوائج، ولك أن تجعل مفردها عائدة، إن تناسيتَ العُرف، وهو من أهم الأسندة اللغوية. فما تلك العوائد؟

حين يتلطف المطران بزيارة أحد البيوت يكون على أهل ذلك البيت أن يتلطفوا بتقديم «العادة» وهي مبلغ من المال يقلّ أو يكثر تبعاً لقدرة أهل البيت، فيكون جنيهاً أو جنيهين، وقد يصل إلى عشرين. ومن هذه العوائد تتكون ثروة المطران، وهي ثروة مستورة لا تتعرض لرقيب ولا حسيب، وإن كان المفهوم أنها تُجمع لإسعاف المرضى ومواساة المحتاجين، وهي بالفعل مصدر خير لأولئك وهؤلاء.

بعد هذا الشرح نفهم كيف يخاف الراهب صولة المطران عند الانتخاب، فالراهب يتقدم بالدين، والمطران يتقدم بالدين والمال. وقد سمعت أن للمال سلطاناً على أصوات الناخبين، وسمعت أيضاً أنه يزيد الأتقياء جلالاً إلى جلال. وهذا وذاك يؤكدان خوف الراهب من مناضلة المطران.

أسئلة وأجوبة

س — هل من الحتم أن ينتخَب بطرك الأقباط من هيئة دينية؟

> **أعداد الرسالة الخاصة**
>
> في سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة، ينوه بفضله ويعرف بأهله. وستبدأ بعدد العراق. والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

(١) لاحظت أن في الأقباط أنفسهم من يجهلون هذه المسألة الدقيقة، فرأيت أن أعرضها بنزاهة وعدل

ج — يجوز انتخابه من هيئة مدنية إذا قلَّت الصلاحية لهذا المنصب فى الهيئات الدينية ، لأن الغرض هو إقامة راعٍ موصوف بالصدق والعدل ، ولو كان من المدنيين

س — هل فكَّر أقباط مصر قبل اليوم فى انتخاب بطرك من الهيئة المدنية ؟

ج — بعد موت البطرك الأسبق كان من بين المرشحين لهذا المنصب رجلٌ مدنىٌّ هو الأستاذ سابا حبشى ؛ ويقال إنه نال كثيراً من الأصوات ؛ وهذا يدل على استعداد الأقباط لتشجيع العقلية المدنية فى الحياة الدينية

س — إذا توفرت الشروط فى الرجل المدنى ، فما الموجب لإيثار الرجل الدينى ؟

ج — يرى الأقباط أن منصب البطرك هو مصدر الحياة للدير ، فمن الخير أن تبقى لسكان الديارات آمال فى السيطرة الروحية على الجمهور القبطى ، وهى تُعرَّض للزعزعة إن ضاع منهم ذلك المنصب المرموق

س — وما الخطر من زعزعة مركز الدير ؟

ج — الخطر عظيم ، لأن الدير هو أكبر الخصائص فى المسيحية ؛ وضعضعة الدير تضعضع هيبة الرهبان

س — وما الموجب للابقاء على الرهبانية ؟

ج — الرهبانية مفروضة على البطرك ، ولو انتُخب من بين المدنيين

س — ألا تظنّ أن رهبنة المدنىّ أرقُّ وألطف ؟

ج — أقباط مصر يقولون بغير ذلك ، وهم يرون أن الرهبنة لا توصف بالرقة ولا باللطف ، وإنما توصف بالتقشف والزهد والقنوت

س — هل ترى أن البطرك القادم من سجن الدير يصلح لمقابلة الوزراء والسفراء ؟

ج — أقباط مصر لا يطلبون البطرك لمقابلة الوزراء والسفراء ، وإنما يطلبونه لمواساة اليتامى وهداية الأشقياء ، ولا يكون كذلك إلا حين تغلب عليه الهيبة الدينية

س — وإذا صَلَح الرجل المدنى لتأدية هاتين الوظيفتين ؟

ج — يكون أصلح الرجال على شرط أن ينتخَب من طريق لا تعترضه الشبهات

س — وما الشبهات التى تعترض ذلك الطريق ؟

ج — هى الشبهات التى ألمتُ إليها فى مطلع هذا الحديث

أما بعد فهذه صورة لما يعتلج فى صدور أقباط مصر بعد موت البطرك ، وإنى لأرجو أن يُكتبَ لهم التوفيق فى اختيار البطرك الجديد ، فهم مواطنون أعزاء ، واطمئنانهم إلى رياستهم الدينية يقع من أنفسنا موقع الجذل والارتياح

وسبحان من لا يقع فى مُلكه إلا ما يريد

بين الصنعة والطبع

إذا كتبت خطاباً فى المساء فأتركه بلا تغليف ، لتسهُل مراجعته فى الصباح ، ولتبقى الفرصة للحذف منه أو الإضافة إليه ، فمن المؤكد أن للرأى موجات تختلف باختلاف الأوقات . وقد تُنكر فى بياض الصبح ، بعض ما كتبت فى سواد الليل . وأنت عن تموُّجات رأيك مسئول

كذلك أصنع فى خطاباتى ومقالاتى لهذا العهد ، ولم أكن أصنع ذلك من قبل . وإن زمناً يكفُّ من جُموحى لهو ألأم الأزمان! ما كنت أعرف الفرق بين التسويد والتبييض ، ولا كنت أستبيح معاونة الصنعة على مغالبة الطبع ، وكنت أعجب حين أسمع أن فى الكتّاب من ينسخ مقاله مرات قبل أن يطمئن إلى صلاحيته لمواجهة القراء

كان رأيى أن جري القلم فى القرطاس هو جرى الجواد فى الميدان ... وللقلم أن يتلفت قبل إصابة الهدف ، إن كان للجواد أن يتلفت قبل بلوغ الغرض ... ومن المحال أن يتلفت الجواد حين ينطلق فى ميدان السباق ، أو ميدان القتال

وهذا المذهب فى رياضة القلم هو الذى عرَّضنى لكثير من الجراح ، لأنى لا أملك صده حين ينطلق ، وهل يملك الجواد مجانبة العثرات حين ينطلق ؟

فما بال الأقدار تروضنى بعد الجموح ، وتفرض علىَّ أن أتلفَّت ذات اليمين وذات الشمال وأنا أجرى فى ميدان البيان ؟

وما هذا الذى أعانى من زمانى ؟

أليس من المزعج أن أصبح من مخاطر القلم فى أمان ، لأن الظروف توجب أن يراعى قلمى أشياء لا يراعيها الجواد حين ينطلق فى الميدان ؟

وما قيمة الحياة الأدبية إذا خلت من المخاطر والمهالك والحتوف ؟

أنا لا أعدّ الكاتب فارساً إلا إذا استطاع بكل سطر ، أو بكل حرف ، أن يعرّض قراءه إلى الاشتباك فى حروب مع المعانى والآراء والأهواء

فأين أنا مما أريد ؟

وأين الفرص التي تسمح بأن أجرِّد من قلمي مِشرطاً يرفع الغشاوة عن أعين أبناء الزمان ؟

أنا اليوم أضمن السلامة من جرائر قلمي ، كارهاً غير طائع ، لأن النظام في هذه الأيام يصدّ الأقلام عن عنت الجموح والطغيان

قلمي

كيف مرّت شهور بلا جراح يُدميها سنانُك ؟

وكيف أمِنتُ شرَّك ، ونجوت من طغيانك ؟

كيف وكيف ؟ ؟

بيني وبينك ميعاد وميثاق ، والأحرار لا يخلفون المواعيد ، ولا ينقضون المواثيق

موقعة العلمين

العَلَمين اسم بقعة تقع في الطريق بين الأسكندرية ومرسى مطروح ، وهي مثنّى عَـلَم ، وقد صارت بفضل حرب الصحراء الغربية أشهر من نار على عَـلَم أو على عَلَمين !

والذي يراجع أخبار الصيال بين قوات الحلفاء وقوات المحور في الصحراء يعرف أن تلك القوات لم تقف وقفةً أطول من وقفتها في العلمين ، فهل كانت المقادير أرادت أن يكون لتلك التسمية هذا المصير فتكون تلك البقعة مكان الصراع بين العَلَم المهاجم والعَلَم المدافع ؟

اللهم حوالَيْنا ولا علينا ! !

ألوان الموت (1)

لك أن تقول ألوان الموت ، كما تقول ألوان الطعام وأصناف الشراب ، ومن حقك أن تختار لون الموت ، لأنه فنٌّ من الفنون ، أو صنفٌ من الصنوف ، أو « ضربٌ » من الضروب ، ولعل من واجبك أن تفكر في اختيار لون الموت ، لأن ذلك يشهد بأنك من الأحياء . وهل يفاضِل المرء بين لون ولون إلا وهو في حيوية ذوقية أو روحية تضيفه إلى أكابر الفنانين ؟

ولتوضيح هذا المعنى أسوق الحادثة الآتية ، وقد وقعت في مساء اليوم السادس من هذا الشهر الميمون :

قُبَيل الغروب هبّت عاصفة عنيفة ، عاصفةٌ كادت تنقل إلى داري جميع رمال الصحراء ، جزاءً بما صنعتُ من التغنّي بإشراف داري على الصحراء !

(1) أكتب هذه الكلمة إجابة لاقتراح الأستاذ ابراهيم والي

وفي ثورة تلك العاصفة يترنم المتنّاف ، فأسمع صوت المسيو دي كومنين يدعوني إلى سهرة تدور فيها أكواب الحديث ، وهو لا يقدِّم لأضيافه غير أكواب الحديث ، لأن العقل نهاه عن الشراب قبل أن ينهاه الطبيب

وما كادت العاصفة تسكن حتى سلكتُ الطريق إلى ذلك الصديق ، وهو طريقٌ لا يسلكه عابرٌ في ليلة ظلماء إلا إذا كان على ميعاد مع حبيب

كان المسيو دي كومنين في توحد الليث ، فقد قضت ظلمات الأيام الأخيرة بأن يقرّ الناس في بيوتهم ، فلا يسمر صديق مع صديق ... ولا تسأل كيف طابت نفسي حين عرفتُ أنني السمير الوحيد في ذلك المساء ، مع رجلٍ صِيغَ روحه من لباب الضياء

كانت غابة الليسيه في تلك الليلة تكابد الشوق إلى من يتنقل بين أشجارها من وقت إلى وقت ، ليُشعرها بأن في الوجود أرواحاً لم تشغلها مزعجات الحوادث عن الاستماع للأغاريد المطوية في ضمير الحفيف ... وهل تصمت أشجار مصر عن التناجي بالحفيف في أي زمان ؟

تحدثنا بجانب كل شجرة ، وسلّمنا على كل مكان ، حتى المكان الذي أوصى المسيو دي كومنين بأن يدفن فيه ، بعد العمر الطويل العريض

وطال الحديث حتى استغرق أكثر من خمس ساعات ، فاستأذنت في الانصراف ، بعد أن شكرت للمسيو دي كومنين لطفه البالغ في إمتاع روحي وعقلي بذلك الحديث

ويهتف هذا الصديق بالسائق ليوصلني بالسيارة إلي داري ، فلا يجده ، وينادي الحارس ليصل جناحي بضع خطوات ، فيعرف أنه يرابط في ناحية نائية ، فيعلن أسفه على أن أسير وحدي في ذلك الظلام المحفوف بالحتوف ، ولكني أطمئنه فأقول : إني لا أعرف ولا أصدِّق أن في الدنيا رجلاً أقوى مني ، فليجرب اللصوص حظهم في مصاولتي ، إن كان في « مصر الجديدة » لصوص غير سُرَّاق القلوب ، وأنا قد نجوت من المعاطب الوجدانية في مصر الجديدة ، فما خوفي على جيبي وقد نجا قلبي ؟ !

كان الطريق موحشاً أعنف الإيحاش ، وكان الليل كأنه الليل!

طاخ ، طاخ ، طاخ ! ! !

والتفت فإذا المدافع تنطلق من كل صوب ، ولم يسبقها

شعر علي بن أبي طالب

للأستاذ السيد يعقوب بكر

(تتمة)

هل علي حقا صاحب الديوان المنسوب إليه ؟

لعلّنا ملزومون ، بعد أن انتهينا إلى أنه كان من الشعراء ، بأن نصل إلى رأى فى هذه المسألة : وهى هل على حقاً صاحب الديوان المنسوب إليه ؟ ولقد وصلنا فعلاً إلى رأى فى هذه المسألة ، ولكننا نحب قبل أن نذكره أن نذكر آراء بعض العلماء فيها :

فهناك رأى للأستاذ بروكلمان ذكره فى كتابه سالف الذكر حيث يقول (حـ ١ ص٤٣) : « ليس من شك فى أن علياً كان ذا ملكة شعرية ، ولكن الشكوك فيه كثيراً وجود قصائد صحيحة له فى ديوانه ؛ وإلى جانب ذلك فإن هذه القصائد تحمل طابعاً من انتحال شيعى بلغ من البدوّ للعيان حدّاً جعل النقاد من أهل السنة فيما مضى يدركون زيفها »

وهناك رأى آخر للأستاذ هداية حسين[1] ذكره الأستاذ بروكلمان فى ملحق كتابه السابق ؛ فقد قال (حـ ١ ص ٧٣) إنه — أى هداية حسين — وصل إلى أن ناظم الديوان هو قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندى (توفى ٥٧٣ — ١١٧٧)

وهناك رأى أخير للأستاذ مستقيم زاده ذكره (هيار) فى كتابه Littérature Arabe حيث يقول (ص ٢٥٢) : « وأكد الشارح مستقيم زاده أيضاً أنه (الحديث عن الشريف المرتضى) الناظم الحقيقى للديوان المنسوب إلى على الذى لم يكن يستحيل عليه شىء »

فهذه آراء ثلاثة ذكرناها لنصوّر ذلك الاختلاف الشديد حول الديوان ونسبته ، ولنخرج من هذا الاختلاف الشديد إلى رأى لنا فى هذه المسألة نحن نستريح إليه ونرجو أن يستريح إليه القارئ أيضاً :

لا يمكن القول بأن جميع ما فى الديوان ليس لعلى ؛ فهذه دعوى ينقضها من أساسها أنه قد ورد فى هذا الديوان الشعر الذى وجدناه فى تلك المراجع العربية المعتمدة سالفة الذكر والذى كان وجداننا له فيها مما حملنا على التسليم بصدق نسبته إلى على . فالبيتان المذكوران فى عيون الأخبار نجدهما فى الديوان ص ٥٨ مع تغيير بسيط ، والأبيات المذكورة فى معجم الأدباء نجدها فى ص ٣٢ وص ٦٣ مع بعض الزيادة والتغيير ، والرجز المذكور فى مقاتل الطالبيين نجده فى ص ٣٣ مع زيادة وتغيير كثيرين ، والأبيات المذكورة فى العمدة مذكورة فى ص ٦٤ وص ٦٥ مع زيادة وتغيير كثيرين ، والأبيات المذكورة فى حماسة البحترى نجدها فى ص ٣٠ وص ١٢ مع بعض الزيادة والتغيير ، والرجز المذكور فى الكامل نجده فى ص ١٨ مع بعض الزيادة ، والأبيات

(١) ذكر عنه الأستاذ بروكلمان فى ملحق كتابه (حـ ١ ص ٧٣) أنه جمع آراء مؤلفى الشيعة فى الناظم الحقيقى لديوان المروى غالباً باسم (أنوار العقول لوصى الرسول) . ولم نستطع لسوء الحظ أن نطلع على عمله هذا

نذيرٌ من صفارة أو بوق ، وأنظر فأرى لهيبها ودخانها يثوران فوق رأسى ، فأسرع بالدخول فى بيت بلا أبواب ، بيت لا يزال فى مهد البناء ، والمصريون لا يكفّون عن البناء ولو ارتفعت تكاليفه إلى عشرات الأضعاف

طق ، طق ، طق ! ! !

والتفت مرة ثانية فأرى الأخشاب التى تحمل السقف مهددة بالسقوط ، فأقفز إلى الفضاء ، وقد اخترت لون الموت ، وللموت ألوان : رأيت الموت بشظية مِدفع أفضل من الموت بسقوط تخشيبة ، كما أن الموت بالبِطنة أفضل من الموت بالجوع !

ثم نظرت فرأيت الضرب ابتعد ، فهو ضرب طيارة انجليزية تطارد طيارة ألمانية ، وقد أفلح الضرب فسقطت الطيارة المطارَدة عند الكيلو رقم ٣ بطريق السويس ، وكفى الله رأسى شر الهلاك ، وضاعت الفرصة على أعدائى ، فلم يحبّروا المقالات الطوال فى : « مصرع اللاكم الأدبى » : والمستميت لا يموت ، كما قال الحكماء ! !

أفى هذه الأيام نقرأ ونكتُب ، ونحاسب هذا الشاعر ، ونصاول ذلك الكاتب ؟ !

نعم ، ثم نعم ... فليحاول الدهر بأحداثه وخطوبه زعزعة الفكر الثاقب والقلم البليغ !

محمد زكى مبارك

المذكورة فى العقد الفريد تجدها فى ص ٦٥ مع زيادة وتغيير غير قليلين

وإذن فالصواب هو أن بعض ما فى الديوان لعلى ، وبعضه الآخر ليس له . وهذا البعض الآخر إنما نستدل على أنه ليس لعلى بعدة أشياء :

١ — أن بعض المتقدمين نبّه على أن بعضه ليس لعلى :

(ا) يقول ابن هشام فى سيرته (ج ٢ ص ٦٣٥ — ٦٣٦ ط جوتنجن) : « قال ابن إسحق وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه قال ابن هشام قالها رجل من المسلمين فى يوم أحد فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى رحمه الله :

لا هُمّ إن الحارث بن الصِّمَّهْ　　كان وفيًا وبنا ذا ذمّهْ
أقبل فى مهامة مُهِمَّهْ　　كليلة ظلماء مدلهمّهْ
بين سيوف ورماحٍ جَمّهْ　　يبغى رسول الله فيما ثَمّهْ

وهذه الأبيات مذكورة فى الديوان ص ٦٦ مع تغيير كثير .

(ب) ويقول ابن هشام أيضاً (ص ٦٥٦ — ٦٥٧) : « قال ابن إسحاق وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف قال ابن هشام قاله رجل من المسلمين غير على بن أبى طالب فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى رضى الله عنه :

عرفتُ ومن يعتدل يعرفِ　　وأيقنت حقاً ولم أصدفِ
الخ »

وهذه القصيدة مذكورة فى الديوان ص ٤٢ مع تغيير بسيط

(ج) ويقول الطبرى (الجزء الثالث من القسم الأول ، ص ١٤٢٦ ط ليدن) : « وزعموا أن على بن أبى طالب حين أعطى فاطمة عليهما السلام سيفه قال :

أفاطم هاك السيف غير ذميم　　فلست برعديد ولا بمُليم
لعمرى لقد قاتلت فى حبّ أحمد　　وطاعة رب بالعباد رحيم
وسيفى بكفى كالشهاب أهزّه　　أجُذّ به من عاتق وصميم
فما زلت حتى فضّ ربى جموعهم　　وحتى شفينا نفس كل حليم

والأبيات مذكورة فى الديوان (ص ٦٥) مع زيادة فيها وتغيير كثير .

٢ — أن بعضه يحمل طابعاً شيعياً :

فمن هذا البعض القصيدة التى فى (ص ٣) من الديوان ، والتى مطلعها :

وما طلب المعيشة بالتمنّى　　ولكن ألق دلوك فى الدلاء

فإنها تنتهى بهذا البيت :

وهذا العلم لم يعلمه إلا　　نبىّ أو وصىّ الأنبياء

وغير خاف ما فى (وصى الأنبياء) من دلالة

ومنه القصيدة التى فى (ص ٤٨) وهى :

بُنىّ إذا ما جاشت الترك فانتظر　　ولاية « مهدىّ » يقوم فيعدل
وذلّ ملوكُ الظلم من آل هاشم　　وبويع منهم من يلذّ ويهزل
صبىّ من الصبيان لارأى عنده　　ولا عنده جِدّ ولا هو يعقل
فثمّ يقوم القائم الحقّ منكم　　وبالحق يأتيكم وبالحق يعمل
سمّى رسول الله نفسى فداؤه　　فلا تخذلوه ـ يا بَنىّ ـ وعجلوا

فغير خاف ما فى القصيدة من حديث عن المهدى المنتظر

٣ — إن معانى بعضه أو أسلوبه مما لا يمكن صدوره عن على أو فى عصر على :

فالقصيدة الواردة فى (ص ٤) من الديوان والتى مطلعها :

لبيك لبيك أنت مولاه　　فارحم عُبيدا إليك ملجاه

مما لا يمكن صدوره عن على ؛ ففيها تصوير لحديث بين على والله ولا شك أن عليًا يتحرّج من مثل هذا ، وأغلب الظن أن مثل هذه القصيدة من وضع أحد متصوفى الشيعة

والبيتان الواردان فى (ص ٤) أيضاً وهما :

دع ذكرهن فما لهن وفاء　　ريح الصبا وعهودهن سواء
يكسرن قلبك ثم لا يجبرنه　　وقلوبهن من الدواء خلاء

مما لا يصدر عن على ، إذ هما فى الغزل ، والغزل مما يتحرّج منه علىّ

وكذلك الأبيات الواردة فى ص ١٨ وهى :

جنبى تجافى عن الوساد　　خوفاً من الموت والمعاد
من خاف من سكرة المنايا　　لم يدر ما لذة الرّقاد
قد بلغ الزرع منتهاه　　لا بد للزرع من حصاد

لا تصدر عن على ؛ إذ أن مثله لا يخاف الموت أو المعاد

وهناك قصائد تظهر فيها ركة الأسلوب بحيث لا يمكن القول بأنها صدرت فى عصر على . ونضرب مثلاً لذلك القصيدة الواردة

فى ص ٣ ـ ٤ من الديوان ومطلعها :

وكم ساعٍ ليثرى لم ينله … وآخر ما سعى لحق الثراء

والبيتين الثلاثة الواردين فى ص ٧ وهما :

الدهر يخنق أحياناً قلادته … عليك لا تضطرب فيه ولا تثب

حتى يفرجها فى حال مدّتها … فقد يزيد اختناقاً كل مضطرب

والأبيات الثلاثة الواردة فى ص ١٥ وأولها :

قد رأيت القرون كيف تفانت … درست ثم قيل كان فكانت

والبيتين الواردين فى ص ٢٤ وهما :

أغض عينا على القذى … وتصبَّر على الأذى

إنما الدهر ساعة … يقطع الدهر كلٌّ ذا

والأبيات الواردة فى ص ٢٥ وأولها :

عسى منهل يصفو فيروى ظمية … أطال صداها المنهل المتكدِّر

ثم هناك قصيدة على نمط ألفية ابن مالك فى آخر الديوان ، لا شك فى وضعها ، لأن ذلك النمط من القصائد لم يكن موجوداً فى عصر على وإنما جاء فى عهود متأخرة

* * *

ثم إننا نعتقد اعتقاداً جازماً أن هذه الأشعار الموضوعة لم يضعها شخص بعينه ؛ وذلك لأنها متفاوتة الأسلوب ، ففيها القويُّ الرائع وفيها الضعيف الركيك . وإنما الذى نراه أن هذه الأشعار قد وضعها أناس مختلفون معظمهم من الشيعة ، ونسبوها إلى على حبا فيه ورغبة منهم فى إسناد فضلهم فى نظم هذه الأشعار إليه . ثم جاء جامع الديوان ، فجمع كل ما عثر عليه من الشعر المنسوب إلى على دون أن يميز بين صحيح النسبة وباطلها ، ودون أن يفرّق بين المصادر التى ذكرت فيها هذه الأشعار فينقل عن الوثيق منها ويضرب صفحاً عن المتهم . فهذا إجمال رأينا فى الديوان

دراسة شعره الصحيح

هذا القسم الثالث من البحث لا بد منه لكى يتمّ هذا البحث ويستكمل فروعه . غير أننا لسنا فى حاجة الآن إلى تناوله ؛ فقد سبق أن قلنا فى الخطوة الثالثة من البرهان على أن علياً كان من الشعراء ، ما يصلح أن يوضع هنا .

(تم البحث) **السيد يعقوب بكر**

من أدب الحرب

عند ما يعود السلام !

عند ما يعود السلام

سوف أضىء كل مصابيح منزلى

وسأفتح كل نافذة فيه على مصراعيها

وستنعكس الأنوار على صفحة البحر فيبدو منظرها الرائع فاتناً فوق الأثباج ، ويتراقص ضوءها اللامع فوق الأمواج

سوف أعود ثانية فأضىء الأنوار فى جميع جنبات الدار

عند ما يعود السلام

* * *

عند ما يعود السلام

سوف أسير فى القمراء فوق الغبراء ، وقد أشرقت بالضياء ،

وسأنظر إلى القبة الزرقاء ، وهى فى سكون وصفاء

وسأعود إلى عشق الليالى المقمرة من جديد ، وأنا جد سعيد ،

عند ما يعود السلام

* * *

عند ما يعود السلام

سوف أتملى محاسن الكون وجمال الوجود

وسأمتع ناظرى برؤية الغابات والتلال وقد كساها الجليد .

وسوف أسيح فى الأرض حتى أبلغ التخوم والحدود !

وسأزور الدول الحرة مرة أخرى

عند ما يعود السلام

* * *

عند ما يعود السلام

سوف ألقى الناس جميعاً بعد طول الفراق ، وأطفىء بلقائهم نار الأشواق

سوف ألتقى بأخوتى وأصدقائى وأحبتى

سأقابل من ظل باقياً على قيد الحياة

وسأبكى على من قضى بكاء الحزين بالدمع السخين !

عند ما يعود السلام .

[عن الانجليزية] **أحمد عبد اللطيف الحضراوى**

٢ – كتاب الامتاع والمؤانسة
الجزء الثانى
للأب أنستاس مارى الكرملى

٣ – أوهام علم الحيوان

جاء فى حاشية ص ٣١ : « الأفلاء جمع فِلو بكسر الفاء . وهو المهر الذى لم يبلغ الفِطَام » . والمشهور فى لغة العراقيين ، وهو كذلك فى اللغة الفصحى : أن الفلو : المهر إذا فطم ، أو بلغ السنة .

وورد فى نص تلك الصفحة وفى نحو آخر سطر منها : كما أن الأفعى تأخذ السمّ من « الأصِلَّة » وضبطت الأصِلَّة بهمزة القطع ، وكسر الصاد ، وشد اللام ، وفى الآخر هاء . وهو لفظ لا وجود له فى لغتنا الفصحى ، ولعلّ الناشرَيْن توهما أن الأصلة جمع الصِلّ بكسر فشد اللام . قلنا : هذا لا يمكن أن يكون عقلاً ، ولا نقلاً ؛ أما أنه لا يكون عقلاً ، فلأن الأفعى لا تأخذ سمها من عدة أصلال ، بل من صِل واحد . وأما أنهُ لا يكون نقلاً ، فلأن صِلاً لا تجمع على أصِلَّة – كأهِلَّة – إنما تجمع على أصلال . وأما الأصلة هنا فزنتها قصبة ؛ وهى حية صغيرة ، أو عظيمة ، قيل : تهلك بنفخها . وهى فى نظرنا تعريب « باصلة » اليونانية ومعناها ملكة الحيات ؛ وحذفت الباء من أولها ظناً أن الباء زائدة للجرّ . ولهذا قال التوحيدى : كما أن الأفعى – وهى كل حية سامة – تأخذ السم من الأصلة . كأنه يقول : تأخذ سمها من الأفعى الملكة ، كما أن الوالى ، أو العامل ، يأخذ سطوته وقوته من الملك أو السلطان ، وحذفت الباء كما حذفت من فاندلس Vanddales فقالوا : أندلس

وفسر الكودن ، الوارد فى ص ٥٩ بقول الناشرين فى الحاشية : الكودن « البغل » قلنا : هذا من باب التوسع لا من باب التحقق ، وإلا فالكودن – على ما فى ديوان الشارح – الفرس الهجين ، والبغل ، والبرذون الرومى ، إلا أن المسعودى استعملها لهذا الحيوان المهجّن المتولد من الحصان والأتان ، وهذا ما يجب أن نعرفه وندقق النظر فى تحقيقه ، لأننا أصبحنا فى عصر نحتاج إلى هذا التمييز .

وقيل فى ص ١٠٤ : « إن العلماء بطبائع الحيوان ذكروا أن الفيلة لا تتولد إلا فى جزائر البحار الجنوبية » اهـ وكان يحسن بالناشرين أن يقولا : وقد ثبت اليوم أن الفيلة تكون فى بلاد الهند ، من غير أن يَحْصرا القول بقولهما : فى جزائر البحار الجنوبية لأنها تكون فى أفريقية .

وقال المؤلف فى ص ١٠٤ أيضاً : والزرافة لا تكون إلا فى بلاد الحبشة . قلنا : والذى أجمع عليه العلماء بطبائع الحيوان أنها تكون فى فلوات أفريقية وصحاريها .

وقال المذكور فى تلك الصحيفة عينها : « والسمور وغزال المسك لا يكونان إلا فى الصحارى الشرقية الشمالية »

قلنا وكان يحسن أن يعلق فى الحاشية ما يصحح هذه المقالة . فالسمور يُرى فى شمالىّ أوربة ، وآسية ، ويعيش فى كمتشكة والاسكة . وغزال المسك يعيش فى جبال آسية الشرقية ، ويوجد منه فى الصين ، والتُّبَّت ، وبنتال ، وديار التَتَر ، والتُنْكين كما ذكره علماء الحيوان .

وقال أيضاً فى تلك الصفحة : « والعقاب والنعام لا تفرخ إلا فى البرارى والقفار والفلوات » . وجاء فى الحاشية : « فى ب التى نقلت عنها هذه الزيادة وحدها : « والمطاف » ، ولعل صوابه ما أثبتنا (أى العقاب) إذ لم نجد المطاف فيما راجعناه من كتب الحيوان . وفى كتاب « حياة الحيوان » : إن من أنواع العقاب ما يأوى إلى الصحارى » اهـ

قلنا : « لا يمكن » أن يكون الصواب ما أثبته الناشران ، فلو فرضنا أن بعض أنواع العقاب يأوى إلى الصحارى ، فمن المحال أن يفرخ فيها ، لأن العقاب لا تفرخ إلا فى أعالى الجبال وشواهق الهضاب . والتوحيدى يوجه النظر إلى أن هذا الطائر الذى يذكر اسمه يتخذ أُفحوصَه فى البرارى والقفار والفلوات ، ولا يكون إلا لنوع من القطا وهو الغَطاط ، بالغين المعجمة والواحدة غطاطة . وفى نسخة من حياة الحيوان : يرى العَطاط بعين مهملة وفتحها كالغطاط بالمعجمة

وقال المؤلف فى تلك الصفحة أيضاً : « والوطواط والطيطوى وأمثالها فى الطير لا تفرخ إلا على سواحل البحار وشطوط الأنهار والبطائح والآجام » اهـ

قلنا من معانى الوطواط : الخفاش لضرب من خطاطيف الجبال . وكل منهما لا يفرخ على سواحل البحار ولا على شطوط

الأنهار ولا على سواطئ البطائح والآجام . فيجب أن نأتي باسم طائر يشبه لفظ الوطواط ويعشش في المواطن المذكورة وهذا الطائر يسمى اليوم في أنحاء البطائح في العراق البيبط أي Vandllus

وتلفظ البيبط بكسر الباءين ومن الغريب أن هذا اللفظ معروف بهذا الضبط في فلسطين على ما صرّح به القانوني تدستررام في ص ٤٠٢ من كتابه . وذكره أيضاً دنبي Dombay وكذلك دوماس Doumas وذكره شربونو بصورة بيبيط بياء زائدة قبل الآخر . وسماه الدكتور حنا ابقاريوس بوطيط وغناج في ص ٥٨٨ من معجمه الطبعة الثالثة . وسماه الكبتن ه . ف . س امرى في معجمه الإنكليزي العربي في ص ٢٠٤ هدهد (كذا) . وسماه الأب بلو اليسوعي في معجمه الكبير الفرنسي العربي : طائر طويل الرجلين (كذا) . وفي معجم الدكتور سعادة الإنكليزي العربي : نباح وطاتويت وفي معجم ج . ج . مارسيل الفرنسي العربي : بيبط بكسر الباء الأول وفتح الثالث

قلنا والأصل هو بيبط مشتق من البط لأنه مغرم بالطين والتردد إليه ، وسكناه الآجام والمستنقعات وهو يبطبط فيها : أي يدخل منقاره فيها وفي أوحالها وأطيانها ، ويبحث فيها عن طعامه من دود وحشرات مسمعاً صوتاً يحكي : بط بط بط ، ومنه اسم البط أيضاً واسم هذا البيبط . وأما أبو طيط وبوطيط في لغة عوام بعض الشاميين فهو من تصحيف البيبط . ونحن لا نشك في أن الطيبط هو اللفظ الذي كان معروفاً في أنحاء البطائح منذ عهد العباسيين ، وهو أيضاً اللفظ الذي عرفه التوحيدي

وجاء ذكر الذر في حاشية ص ١٠٥ عند قول الناشرين : الذر النمل الأحمر الصغير . قلنا ونحن العراقيين نعرف الذر إلى يومنا هذا ونريد به صغار النمل بغض النظر عن لونه ؛ وهو بهذا المعنى ورد في كلام اللغويين والبلغاء والكتاب الحذاق والأدباء البصراء .

وقيل في ص ١٠٨ : « وكذلك اللُك فإنه (طل) يقع على نبات مخصوص ينعقد عليه » قلنا : والمشهور أن اللك ليس طلاً بل هو صمغ ، أو راتينج ، أو كما يقول علماء العرب : لثىً يسيل من بعض الأشجار في الهند كالتّين المندي ، والتين الدِّيْن ، والموسج البُنابي ، ونظائرها ، ويخرج بعد أن تجرحه أنثى حشرة نصفية الجناح اسمها الحبة اللكية coccus lacca فإذا نخن هذا اللثى ، تبيض فيه الهامة وتفرخ .

وفي تلك الصفحة عينها : « وكذلك الدُّر فإنه طل يرسخ في أصداف نوع من الحيوان البحري ، ثم يغلظ ويجمد وينعقد فيه » . - والمشهور اليوم عند المحققين أن الدرة إفراز يحدث أثر خدش تخدشه دُوَيْدة ، أو هي حبة رمل تقع في صَدَفة حيوان هلاميّ فتنحبس فيها ، فتتحول درة ، وليست بطل ، ولا بندًى كما كان يظنه الأقدمون . فيجب أن تصحح آراء الأقدمين بعد تحقيق العلماء العصريين لها ولا تبقى على حالها الأولى

وفسر الناشران قول التوحيدي في حاشية ص ١٦٤ « ينكز » بقولهما : من النكز : وهو لسع الحية بأنفها ، ومعلوم اليوم أن الأفعى لا تنكز بأنفها كما هو رأي الأقدمين ، وإنما تنكز بناب في أعلى مقدم فمها ؛ أما إذا أريد بالأنف هذه الناب ، فالتعبير صحيح ، وإلا فيجب أن يعدل عنه إلى ما يوافق تقدم العلم وتحقيقات المتخصصين فيه

ومما يتعلق بعلم الحيوان ، وبتعبير أصح ، بعلم المواليد ما جاء بخصوص الماس . فقد ورد في ص ١٠٩ : « ويقال : لا يوجد الماس إلا في معدن الذهب في بلد من ناحية المشرق » - قلنا : إنه يوجد في رمال الذهب في الهند ، والبرازيل والأورال ، فكان يجب أن تزاد هذه الكلمات .

(بغداد) الأب أنستاس ماري الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الأول
للغة العربية

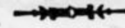
حكم في الجنحة رقم ٥٢٧ سنة ١٩٤٢ عسكرية المنيا بجلسة ٢٠ مايو سنة ١٩٤٢ بتغريم عبد النبي عبيد بقال ٢٠٠ قرش لبيعه ذرة بأكثر من التسعيرة

حكم في الجنحة رقم ١٩٢ سنة ١٩٤٢ عسكرية المنيا بجلسة ٢٠ مايو سنة ١٩٤٢ بتغريم المتهم محمد محمد عبد الوهاب الجزار ٥ جنيه لبيعه لحماً بأكثر من التسعيرة

حكم بجلسة ٢٠ مايو سنة ١٩٤٢ في القضية ٤٣٢ سنة ١٩٤٢ عسكرية المنيا بحبس بني تسناس جاد الله من نسال ثلاثة شهور مع الشغل لبيعه ذرة بأكثر من التسعيرة

ترتيب القـــرآن (*)

للأستاذ أبو طالب زيان



فى العدد ٤٧٠ من « الرسالة » سؤال للأستاذ عبد الله رشيد الكاتب عن القاعدة التى رتبت السور القرآنية بموجبها . أو روعى فى ترتيبها كبر السورة أو سبق النزول . والأديب يوجّه الأدباء والمفكرين لبحث هذا الموضوع الخطير أسوة بالموضوعات الفذّة التى تتناولها الرسالة الغراء . ونحن مع تقديرنا لصاحب الرسالة نرجو أن يتسع المجال لمناقشة هذا الموضوع ، والاهتداء إلى نتائجه القويمة عليها تشفى علة الباحث الفطن ، وتأخذ الناشئة إلى البحث النبيل والطريق المستقيم

ولا بد لنا من لمحة يسيرة حول ترتيب الآيات قبل الخوض فى ترتيب السور ليستبين للقارىء الغرض الذى يرمى إليه الباحث . فقد أجمعت الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على النهج الذى نراه اليوم فى المصاحف كان بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى . ولا مجال للرأى والاجتهاد فى هذا، فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بآيات القرآن منجمة فيوحيها إلى النبى عليه السلام ويدله على موضع كل آية من سورتها ، فكان عليه السلام يبلغها للصحابة ، ويأمر كتاب الوحى بكتابتها ويقول : « ضعوا هذه الآية فى المكان الذى يذكر فيه كذا وكذا . وكان جبريل يعارضه بالقرآن فى رمضان من كل عام مرة ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرؤه فى مدارسته له مرتب الآيات على النحو الذى نراه اليوم فى المصاحف ، حتى إذا تم نزول القرآن كانت كل آية مرتبة فى سورها ، وقد حفظها عنه الصحابة بترتيبها . فلما كان زمن أبى بكر وأراد جمع القرآن لم يكن عمله متناولاً لترتيب الآيات ، وإنما كان مقصوراً على جمع القرآن بين دفتى مصحف واحد خشية عليه من التفرق والضياع إذا استمر القتل فى حفاظه ، ثم نسخ المصحف من عهد عثمان إلى عهدنا هذا مرتب الآيات كما تلقاها الصحابة عن الرسول صلوات الله عليه . وقد نقل الإجماع على هذا كثير من العلماء منهم الزركشى فى البرهان ، وأبو جعفر ابن الزبير فى مناسباته . وروى ابن وهب عن مالك قال : إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم . ويؤيد هذا الإجماع ما ورد من النصوص الدالة على أن ترتيب آياته توقيفى تفصيلاً وإجمالاً

فمن هذه النصوص ما رواه أحمد بإسناد حسن عن عثمان ابن أبى العاص قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال : أتانى جبريل فأمرنى أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » إلى آخرها . فهذا الحديث صريح فى أن جبريل علمه موضع هذه الآية من سورتها وكذلك كان دأبه فى كل آية .

ومنها ما أخرجه البخارى عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان ابن عفان (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها . قال : يا ابن أخى لا أغير شيئاً من مكانه . فهذا الحديث صريح فى أن إثباتها فى مكانها من سورتها توقيفى ، وأن عثمان وجدها مكتوبة فى المصحف المنقول مما كتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغيرها من مكانها لأن هذا أمر لا مجال فيه للرأى . ومنها ما رواه مسلم عن عمر قال : ما سألت النبى عن شىء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدرى وقال : تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء . فهذا الحديث يدل على أن آيات السور كانت مرتبة معلومة الترتيب فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان معلوماً ما هو مقدم منها وما هو مؤخر ؛ ولذلك قال النبى لعمر : تكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النساء فعين موضعها من السورة . وتلك الآية هي قوله تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة . . . الخ » ويدل على أن ترتيب الآيات توقيفى أيضاً ما ثبت فى السنن الصحيحة من قراءته عليه السلام لسور عديدة كسورة البقرة وآل عمران والنساء ، وما ورد فى البخارى من قراءته سورة الأعراف فى صلاة المغرب . وروى النسائى أنه قرأ سورة قد أفلح المؤمنون فى صلاة الصبح . وقد كان عليه السلام

(*) مراجع هذا البحث : هداية القرآن . والاتفاق . وإرشاد السارى

يقرأ هذه السور مرتبة الآيات بمشهد من الصحابة فتلقوا عنه ترتيب الآيات . وما كان الصحابة ليرتبوا القرآن ترتيباً مخالفاً لترتيب الرسول وهم أحرص الناس على اتباعه . فثبت بهذه النصوص أن ترتيب الآيات توقيفي لا مجال فيه للرأي وعلى ذلك انعقد الإجماع ، فليس لأحد أن يغير في ترتيب الآيات فيقدم بعضها على بعض فإن ذلك بدعة ضالة لا يجوز الإقدام عليها .

أما ترتيب السور وتقديم الطوال منها ، ثم تعقيبها بالمئين ، ثم بالمثاني ، ثم بالمفصل ؛ فهذا هو الذي وقع فيه الخلاف بين العلماء ؛ وأشهر مذاهبهم في ذلك ثلاثة :

الأول : أن ترتيبها كان باجتهاد من الصحابة . وقد مال إلى هذا الرأي الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، والقاضي أبو بكر في أحد قوليه

الثاني : أن ترتيبها كان توقيفاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا الأنفال وبراءة ، فإن وضعهما في موضعهما كان باجتهاد عثمان رضي الله عنه ووافقه عليه الصحابة . ومن ذهب إلى ذلك البيهقي المحدث المشهور في كتاب المدخل ، والسيوطي في كتاب الإتقان

الثالث : أن اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كان بتعليم النبي عليه السلام . وقد ذهب إلى ذلك جمع كبير من العلماء منهم أبو بكر بن الأنباري ، والكرماني ، والطيبي ، وأبو جعفر النحاس وآخرون غيرهم ...

استدل القائلون بأن ترتيبها كان باجتهاد الصحابة بأن مصاحف السلف من الصحابة كانت مختلفة في ترتيبها ؛ فمنها ما رتبت فيه السور على حسب نزولها فجعل أوله سورة اقرأ ، ثم المدثر ، ثم نون ، ثم المزمل . وهكذا إلى آخر السور المكية ، ثم السور المدنية على حسب نزولها كالمصحف الذي نسبوه إلى علي رضي الله عنه . ومنها ما رُتّب على خلاف ذلك كمصحف ابن مسعود الذي جعل أوله البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، وكمصحف أبي بن كعب . ولو كان ترتيب السور توقيفاً لما كان بينها اختلاف في ذلك

وهذا الاستدلال ضعيف من وجهين : الأول . أنه قد ورد في الأحاديث الصحيحة ما يدل على أن ترتيب بعض السور كان معلوماً في حياة النبي . الثاني : أن زيد بن ثابت الذي أسند إليه عثمان رياسة الجمع الذين رتبوا مصاحفه ونسخوها قد شهد العرضة الأخيرة للقرآن ، وعلم ترتيب السور من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وليس من المعقول أن يحدث من عنده ترتيباً للسور غير ما علمه من رسول الله لأن ذلك لم يكن من عادتهم ، فلا بد أن يكون ترتيبه للسور هو عين ما سمعه من رسول الله ، ولذلك لم يرتض المحققون هذا الرأي

واستدل أصحاب المذهب الثاني على أن ترتيب السور ما عدا الأنفال وبراءة كان توقيفاً بما رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حيان والحاكم عن ابن عباس قال : قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتموها في السبع الطوال ؟ فقال عثمان كان رسول الله تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : « ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وكانت براءة من أواخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله ولم يُبيّن أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتهما في السبع الطوال . فهذا الحديث صريح في أنه وضع الأنفال وبراءة في موضعهما من المصحف كان باجتهاد عثمان ، لأنه نسب وضعهما إلى نفسه ولم يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – وأما ما عداهما من بقية السور فلا بد أن يكون عثمان قد اتبع فيه ما علم من الرسول صلوات الله عليه .

وقد نازعهم أصحاب المذهب الثالث في الاستدلال بهذا الحديث . أما من جهة سنده فقد قالوا إن الترمذي – وهو أحد رواته قال فيه إنه حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس : ١ هـ : والجزء الحادي عشر من تهذيب التهذيب لابن حجر يقول : إن المحدثين اختلفوا في يزيد هذا هل هو يزيد بن هرمز المشهور بأنه ثقة أو هو غيره ؟ ثم قال والصحيح أنه غيره . وقد قال علي بن المديني : ذكرت

ليحيى بن سعيد قول ابن مهدى إن يزيد الفارسى هو ابن هرمز فلم يعرفه . وكفى بذلك دليلاً على جهالة حاله . وقال أبو حاتم فيه لا بأس به أقول ؛ ومثل هذا الرجل الذى لم يعرف حاله لا يصح الاعتماد على حديثه الذى انفرد به فى ترتيب القرآن

وأما من جهة متنه ، فإن التمسك به يثير غبار إشكالات نحن فى غنى عنها ، لأنه يدل على أن آخر الأنفال لم يكن معلوماً بيقين ؛ وكذلك أول براءة ، بدليل أن عثمان ظن أن براءة من الأنفال ، ولذلك لم يضع بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم . وهـذا يفتح باباً واسعاً لشبهة فرقة جوزت الزيادة والنقصان فى القرآن ، وذلك باطل باتفاق السلف والخلف . ويبعد جداً ألا يبين الرسول آخر الأنفال وأول براءة . ويضعف التمسك به زيادة عما سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارض جبريل بالقرآن فى آخر سنة من حياته مرتين ، فأين كان يضع هاتين السورتين فى قراءته ؟ فالتحقيق إذاً أن وضعهما في موضعهما توقيفى وإن فات ذلك عثمان أو نسيه ؛ وإن بسم الله الرحمن الرحيم لم تكتب فى أول براءة ، لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من بقية السور

واستدل جمهور العلماء على أن اتساق السور كاتساق الآيات كلاهما توقيفى بأنه ورد في أحاديث كثيرة أن ترتيب بعض السور فى عهد رسول الله هو عين ترتيبها فى المصاحف التى نسخها زيد بأمر عثمان ... منها ما رواه البخارى عن ابن مسعود يقول فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء : إنهن من من العتاق الأول[1] ، وهن من تلادى[2] ؛ فذكرها نسقاً كما أسفر ترتيبها فى المصحف

وروى البخارى أنه عليه السلام كان إذا أوى إلى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ « قل هو الله أحد » والمعوذتين ، فذكرها مرتبة كما هى فى المصحف . وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال اقرأوا الزهراوين : البقرة وآل عمران . فهذه الأحاديث وما شاكلها تدل على أن السور المذكورة فيها كان ترتيبها مستنداً إلى الرسول ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه عليه السلام قرأ القرآن كله بمشهد من زيد بن ثابت ، وأن زيداً اختاره أبو بكر لجمع القرآن لقوة الثقة به ، وكذلك اختاره عثمان رئيساً لمن نسخوه فى المصاحف ، تبينا أن هذا الترتيب الذى عمله زيد هو ما علمه رسول الله ... وهذا ما يطمئن إليه القلب ، وهو ما جنح إليه جمهور العلماء ...

(للكلام بقية) أبو طالب زيانه

(١) العتاق جمع عتيق وهو القديم والمعنى أنهن من قديم ما نزل

(٢) التلاد قديم الملك بخلاف الطارف والمراد أنهن من أول ما حفظ من القرآن

٣٧ ـ المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الحادي عشر — « الخرافات »

هناك طريقة استخارة أخرى ، وهي أن يمسك المستخير حبتين من حبات السبحة بعد أن يتلو الفاتحة ثلاث مرات ، ثم يعد ما بينهما من الحبات قائلاً عند الأولى : سبحان الله ؛ وعند الثانية : الحمد لله ؛ والثالثة : لا إله إلا الله ؛ ويردد هذه العبارات على التوالي حتى الحبة الأخيرة . فإذا وقعت العبارة الأولى على الحبة الأخيرة ، كان الجواب إيجابياً ومناسباً . أما العبارة الثانية ، فلا تدل على شيء والأخيرة نافية . ويمارس الكثيرون هذه الطريقة

وكذلك يلتمس البعض عندما يرقدون ليلاً أن يوجههم الله في المنام فيجعلهم يرون شيئاً أبيض أو أخضر أو ماء ، إذا كان العمل المنتوى يستصوب، أو إذا كانوا يتوقعون توفيقاً قريباً ، وإلا جعلهم يرون شيئاً أسود أو أحمر أو ناراً ، فيقرأون لذلك الفاتحة عشر مرات ولا ينقطعون عن ترديد هذه العبارة « اللهم صل على سيدنا محمد » حتى يغلبهم النعاس

يؤمن المصريون بالأحلام إيماناً عظيما . وكثيراً ما ترشدهم الأحلام في بعض أمور حياتهم المهمة . ولديهم في تفسير الأحلام مؤلفان كبيران لابن شاهين وابن سيرين . والأخير تلميذ السابق . ويستشير المصريون حتى المتعلمون منهم هذين الكتابين بثقة كاملة . وعند ما يقول شخص لآخر : لقد رأيت رؤيا ، يجيبه الآخر : خير ، أو خير إن شاء الله . وقد جرت العادة عند ما يرى أحدهم رؤيا سيئة أن يقول : اللهم صل على سيدنا محمد ؛ ويبصق من فوق كتفه اليسرى ثلاث مرات لمنع كل شر

ويوجد في مصر ، كما يوجد في أكثر البلدان الأخرى ، خرافات تتعلق بأيام الأسبوع فيعتبر بعضها سعيداً والآخر نحساً . ويعتبر المصريون يوم الأحد مشئوماً بسبب الليلة التي تليه . إذ يعتبر المسلمون ليلة الإثنين منحوسة لأنها ليلة وفاة الرسول (صلعم) : غير أن البعض يراها سعيدة للدخول بالعروس خاصة ، وإن لم تعتبر موافقة لهذا الأمر بقدر ليلة الجمعة . ويعتبر البعض أيضاً اليوم التالي يوماً سعيداً والبعض الآخر يراه مشؤوماً . أما الثلاثاء فيعتقدون أنه منحوس ويسمى « يوم الدم » . إذ يقال إن عدة شهداء أفاضل قتلوا في هذا اليوم ، ولذلك يعتبرونه يوماً مناسباً للفصد . والأربعاء لا يدل على شيء . ويسمى الخميس « المبارك » ويستمد بركته خاصة من الليلة واليوم التاليين . ويعتبرون مساء الجمعة سعيداً جداً وخاصة للدخول بالزوجة . والجمعة أبرك الأيام إذ هو يوم الراحة عند المسلمين ويسمى « الفضيلة » . أما السبت فهو أنحس الأيام . ويرون أن من الخطأ العظيم أن يسافر المرء في ذلك اليوم . ويمتنع أكثرهم عن حلق الذقن أو تقليم الأظافر فيه . وكان أحد أصدقائي متردداً في رفع قضية على خصمين في مثل ذلك اليوم المنحوس . وقرر أخيراً أن ذلك اليوم هو خير أيام الأسبوع لرفع القضية ، لأن النحس لا بد واقع على أحد طرفي الخصومة فقط . ولا شك أنه سيقع على خصميه لأنهما اثنان وهو واحد . وهناك أيام من السنة تعتبر ذات حظ كبير من اليمن مثل أيام العيدين الفطر والأضحى . والبعض الآخر يعتبر يوم الأربعاء من الأسبوع الأخير من شهر صفر نحساً ، فيعمد الكثيرون إلى البقاء في منازلهم لاعتقادهم أن المصائب تقع على الإنسان في ذلك اليوم[1] . ويستدل بعض الناس على الخير والشر من الأشياء التي يرونها عند خروجهم من المنزل صباحاً ؛ فعلى حسبها يكون اليوم سعيداً أو نحساً . ويعتبرون الأعور علامة سوء وخاصة من فقد عينه اليسرى .

(١) مع أن رسول الله (صلعم) استنكر هذه الخرافة

الفصل الثاني عشر

السحر والتنجيم والكيمياء

لو صدقنا ما يقصونه فى مصر عادة لظهر لنا أن بهذا البلد فى هذه الأيام سحرة لا يقلون مهارة عن حكماء فرعون وسحرته الذين تتحدث عنهم التوراة .

ويخلط عقلاء المصريين بين نوعين من السحر : «الروحانى» و «السيميا» . والضرب الأول سحر روحى يعتقدون أنه يحدث عجائبه بفعل الملائكة والجن وأسرار بعض أسماء الله ووسائل أخرى خارقة للمادة . والضرب الآخر سحر احتيالى غير موحى به ، ويعتقد أقل المسلمين تصديقاً أن أهم عامل فى ذلك هو تأثير بعض العطور والعقاقير فى البصر والمخيلة تأثير الأفيون تقريباً . ويظن البعض أن الأفيون يستخدم فى أعمال هذا السحر الأخير .

وينقسم السحر الروحانى الذى يعتبره المصريون عموماً سحراً صادقاً ، إلى « علوى » و « سفلى » أو « رحمانى » نسبة إلى الرحمن إحدى صفات الله ، « وشيطانى » . ويقال إن السحر العلوى والرحمانى علم يستند على عون الله وملائكته والجن الصالحين وعلى أسرار شرعية أخرى ، وأنه يستخدم دائماً لأغراض طيبة وأنه لا يدركه ويمارسه غير الصادقين الذين يتعلمون من الحديث أو القراءة أسماء هؤلاء العاملين الذين يفوقون الطبيعة البشرية ، وأدعية تكفل إجابة رغباتهم . وتتصل كتابة الأحجبة لغرض صالح بهذا الفرع من السحر والتنجيم وعلم أسرار الأعداد . وأقصى ما يدرك فى السحر العلوى هو معرفة « الإسم الأعظم » وهذا هو أعظم أسماء الله الذى يعتقد المتعلمون أنه لا يعرفه إلا الأنبياء والرسل . ويقال إن من يعرف هذا الاسم يستطيع بمجرد النطق به أن يحيي الميت ويميت الحى وينتقل على الفور حيثما يشاء ويأتى بأى معجزة أخرى . ويظن البعض أن أفاضل الأولياء يعرفون هذا الاسم . ويعتقدون أن السحر السفلى يقوم على عمل الشيطان وأشرار الجن ، وأن أشرار الرجال يستعملونه لأغراض خبيثة . وإلى هذا الفرع ينسب علم السحر الذى يطلقه العرب على الرقية الشريرة فقط .

ويعمد هؤلاء الذين يمارسون « ضرب المندل » ، وسأسرد أمثلة له ، إلى تنفيذه بواسطة الجن أى باستخدام علم الروحاني ؛ إلا أن هناك رأياً آخر فى هذا الموضوع سأذكره تواً . وقد بينت إحدى الوسائل التى يعتقد بعضهم أن الجن يساعدون بها السحرة فى الفقرة الثانية من الفصل العاشر .

ويرى المتعلمون أن « السيميا » علم كاذب وفن احتيالى ينتج آثاره المدهشة بتلك الوسائل التى ذكرت سابقاً ويعتبرون أن « ضرب المندل » تابع للسيميا بسبب استعمال البخور فى إجرائه .

ويدرس الكثيرون فى مصر علم النجوم أو التنجيم . ويستخدمونه على الأخص لحساب المواليد وتعيين أوقات السعد الخ ولمعرفة أى البروج يخضع له الشخص ، ويتم ذلك بحساب القيم العددية لحروف اسم الشخص واسم أمه . وكثيراً ما يكون ذلك فى حالة إقدام اثنين على الزواج للتحقق من توافقهما . وقد أخبرت أن « علم الرمل » يستند غالباً على التنجيم . ويزعم القائمون به أنه يكشف الماضى والحاضر والمستقبل بواسطة علامات يرسمونها عرضاً على الورق أو الرمل ومن هنا سمى هذا العلم

(يتبع) عدلي طاهر نور

الارادة والطريق

قطعة رمزية لوليم بليك

سألت لصًّا أن يسرق لى ثمرة شهية ، فنظر هنا وهناك بين البساتين . وسألت فتاة جميلة أن ترقد وتهبنى أعذب أمانى الحب بلطف وقدسية ، فبكت . وحينما ذهبت هبط ملاك ، فنظر إلى اللص بغضب ، والتفت إلى الفتاة بابتسام ، ودون أن ينطق بكلمة سرق لها ثمرة حلوة وناولها إياها . وبين الجد والدعابة استمتع بها ومضى . . .

(بغداد) صفاء خلوصي



قلوب النجـــوم

للأستاذ خليل السالم

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ارتأى كين – طبيبى أمريكى – منذ سنة ١٨٧٠ أن النجوم كتل جبارة من غازات مشتعلة ، ولكن رأيه بدا سخيفاً لأول وهلة لأن الفلكيين لم يجدوا نجوماً كثافتها غازية ، ولكن هذه العقبة زالت عندما عثروا فى النجوم على كثافات تقل جداً عن كثافة الغازات . وهذه الكتل المستعرة من الغاز تحافظ على شكلها فى أكثر الأحيان . وتشذ عن هذا القانون النجوم الجديدة التى تلمع فى صفحة السماء دون أن يكون لها وجود من قبل . وتمنى محافظة النجم على شكله الخاص به أن القوى المؤثرة عليه فى توازن مستمر وهذه القوى هي :

١ – قوة الجاذبية بين مختلف أجزاء النجم كقوة التجاذب على الأرض ، وهذه القوة تتجه نحو المركز دائماً ولذا فهي تسعى لتجمع أجزاء النجم وتدمج بعضها فى بعض ، ومن ثم تحشك أجزاءه حشكاً قوياً وتزيد قوة التجاذب على سطح النجوم بحيث يكون وزن الرجل العادى هناك نحو (٢٥٠) ألف طن ، ويبلغ من شدة هذا الجذب على الرجل أن يسقط على السطح وينبسط وتتحطم أعضاؤه كما لو سقطت عليه إحدى ناطحات السحاب .

٢ – ضغط الغازات الذى ينتج من حركة الغازات المستمرة واصطداماتها القوية ، ويربو ضغط الغازات فى النجوم على أربعين ألف مليون ضغط جوى على الأرض ؛ والضغط يزيد بازدياد درجة الحرارة ، وهذه القوة الناتجة عن الضغط تدفع الغازات المتحركة عن المركز ، أى أنها تعاكس فعل الجاذبية وتباعد أجزاء النجم وتمدده .

٣ – والقوة الثالثة هى قوة الضغط الإشعاعى ، فقد ثبت أن للنور ضغطاً وقوة لم يكونا معروفين قبل السنوات الأخيرة ، فقد كان الأستاذ ليبديو فى موسكو أول من قاس ضغط الضوء فى سنة ١٩٠١ . وقد تنبأ بوجود هذا الضغط الرياضى الإنجليزى المشهور كلارك مكسويل كما تنبأ بوجود الأمواج الكهرطيسية التى تنقل لنا أعذب أنغام الراديو . وهذا الضغط قوى فى القلب إذ من هناك مصدر النور والطاقة . ماذا نعنى ؟ نعنى أن النجوم ليست غازات مشتعلة كما يخيل للبعض بمعنى أن النور والحرارة القادمين منها يحدثان نتيجة ذلك الاحتراق العادى . كلا . إنما ينتج النور والحرارة من تحطم الذرة فى قلب النجم ، وهذا التحطم وإن لم يدخل ضمن تحقيق المختبر إلا أن بعض الظواهر المكتشفة حديثاً عززت هذا الرأى وإن لم تقطع بصحته . وهذا التحول عفوى ذاتى ، كما أن إشعاع الراديوم عفوى ذاتى لا ينتظر مؤثراً خارجياً ليتم بفصله . وهذا الفناء يحدث بعد تصادم الكهيرب المتحرك بسرعة عظيمة مع النواة فيمسك كل منهما الآخر بعد الاصطدام ، ويتعادلان كهربائياً وينطلق الفوتون أو وحدة الضوء كمظهر جديد لطاقة الكهيرب والنواة السابقة . هذا الفوتون ينطلق من المركز وتكون موجته قصيرة فيجاهد ويجاهد لينفذ إلى السطح ، ولا يتسنى له المخرج إلا بعد جهد تطول موجته بعدها . ولكثرة الفوتونات فى القلب وشدة محاولتها الانطلاق والانبعاث يكون ضغط الضوء الإشعاعى أضعافاً مضاعفة للضغط على السطح ، ويبلغ هذا الأخير فى بعض النجوم (١٧٠٠٠٠) طن على البوصة المربعة . ويزيد الضغط بازدياد درجة الحرارة أيضاً ، واتجاه محصلة قوته عكس اتجاه قوة الجاذبية أى إنه يدفع المادة عن المركز ويفرقها كما يفعل ضغط الغازات الآنف الذكر

بقى أن نشير إلى حرارة النجوم فى بواطنها . ولا يسعنى بادئ ذى بدء إلا أن أحمد الله على أن اختار لنا هذه الشمس لنستمد منها نورنا وحياتنا ، فلو قدر أن يكون نجم كالشعرى[1] اليمانية

(١) الشعرى اليمانية ألمع نجم فى قبة السماء الآن .

مثلاً مكان شمسنا ، لزال فى لحظة واحدة كل أثر للحياة على الأرض ، ولجفت الأنهار وتبخرت المياه وذهبت الأرض والتهبت ذراتها شذر مذر . فالحرارة على هذا النجم عجيبة لا يتسع لها أوسع الخيال . ومثله كثير من النجوم لا تقل درجة حرارتها عن ٤٠ مليون درجة مئوية ، وفى بعض النجوم الحمر تنقص عن هذا المستوى العالى . وقد اكتشف الدكتور هتزلر الراصد الأمريكى مؤخراً نوعاً من النجوم لا تزيد درجة حرارته عن ألف درجة مئوية ؛ وهذه النجوم مظلمة لا تشرق ، إلا أنه تمكن من تصورها بأشعة الحرارة لا بأشعة الضوء ، فبعض الألواح الفوتوغرافية تحس بحرارتها . ويخيل لكثيرين أن قبة الفضاء مملوءة بمثل هذا الصنف من النجوم

تصل حرارة النجوم فى قلوب الأقزام البيض إلى ألف مليون درجة مئوية ، ولكى تدرك معنى هذه الأرقام أورد مثلاً ضربه العلامة جينز فى أحد كتبه قال : لو أخذت شلناً أو قطعة من الحديد بحجم الشلن وسخنتها إلى درجة تقرب من ٤٠ مليون درجة مئوية ، فإن الحرارة المنبعثة من هذه القطعة المعدنية الصغيرة تكفى لأن تصعق جميع الحيوانات الحية الموجودة على الأرض . وهذه الحرارة العالية فى النجوم لا تترك للمادة أن تتمتع بحالاتها الثلاث : الصلبة والسائلة والغازية ، بل تحول الجرم كله إلى غاز ملتهب . ولا تكتفى بهذا ، فتعمد إلى ذرات الغازات وتهيج الكهيربات المطوّفة حول النواة وتفك الأربطة التى تشدها إلى المركز وتقذف بها من أفلاكها الخارجية ، فتترك الذرة مؤينة مكهربة . وكثيراً ما تطرد كل الكهيربات بحيث لا تبقى إلا النوى المجتمعة . وهذا ما حدث فعلاً فى النجوم الثقيلة ، إذ انعدم الفراغ بين النوى وبين مشتت المادة ، بحيث أصبح وزن البوصة المكعبة ٦٢٠ طناً ، أى أن الرجل العادى يستطيع أن يحمل من هذه المادة حجماً لا يزيد على رأس الدبوس المفرطح . ولو وضعت فى يدك قطعة بحجم الجوزة وسقطت على الأرض لأحدثت انفجاراً مروعاً كما تفعل القنابل الثقيلة ، وتغور فى الأرض كما تغيب قطعة من الرصاص سقطت من علٍ فى لجة الماء

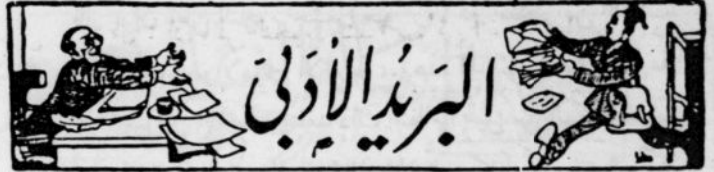
والخلاصة أن قلوب النجوم نابضة بالحياة مفعمة بالحركة ترف كقلوب العذارى . وأجمل تصوير لها وقفت عليه كان بريشة الفنان العظيم أدنفتون فى كتابه النجوم والذرات Stars & Atoms قال : إن باطن النجوم حشد (مهوّش) غير منتظم من الذرات والكهيربات والأمواج الأثيرية ، وهذه الدقائق تتحرك بسرعة ١٠٠ ميل فى الثانية ، فتفقد ذلك النظام الجميل من الكهيربات . أما هذه الكهيربات المضاعة فإنها لا تجد مكاناً تخلد فيه للحركة والسكون ، فتبقى تدور بسرعة (١٠٠٠٠٠) ميل فى الثانية ؛ وفى كل فترة قصيرة من الزمان تصطدم بإحدى الذرات فتدور عقيب الاصطدام فى منعطف أكثر انحناء ؛ وبعد كل اصطدام يزداد الانحناء حتى إذا بلغ عدد الاصطدامات حوالى ألف تحدث كلها فى جزء من ألف مليون جزء من الثانية يمل هذا السلوك المحموم غايته فتمسك إحدى الذرات بذلك الكهيرب ... ولكن شعاعاً سينياً يمكر عليه أمنه وصفوه الجديدين فلا يكاد الكهيرب يستقر به المقام حتى يخرجه ذلك الشعاع عن طوره ويقذف به بعيداً عن النواه ، فيطوف من جديد مبتدئاً رحلة جديدة ومخاطرة جديدة ... »[1]

(شرق الأردن)

خليل السالم

(ب . ع) من الدرجة الأولى فى الرياضيات

(١) نغفل ذكر الأسانيد لتعددها



باى تونس الجديد

قست الحوادث على الصحف المصرية فشغلتها عن وصف ما وقع فى تونس الخضراء بموت الباى السابق وقيام الباى الجديد ، فرأيت أن أكتب كلمة وجيزة أشرح بها لقراء « الرسالة » جانباً من حياة اليوم فى ذلك القُطر الشقيق ، نقلاً عما وعته أذناى من إذاعة تونس العربية ، وهو يصور بعض خواطر الناس هناك

الباى الجديد اسمه « محمد المنصف » ولقبه « المنصور بالله » وكان أبوه يلقّب بالناصر ، « ومن كان أبوه الناصر فهو المنصور » كما قال أحد خطبائهم فى الاحتفال الذى أقيم بقاعة العرش

وسياق الخطب والقصائد يجعل الباى « صاحب الجلالة الملك » وهذا اتجاهٌ جديد فيما أفترض ، وإن كان لقب « الباى » قد احتفظ بقدسيته فى الأغانى والأناشيد

ويظهر بوضوح وجلاء أن نظام « البيعة » روعيت أصوله من الوجهة الشكلية ، فالباى ورث أباه على العرش ، ومع ذلك رأى التونسيون أن يقيموا البيعة بعد توليته بأيام ، رعاية للتقاليد الإسلامية ، وإن كان الأصل أن تكون البيعة أسبق من الولاية ، لأنها بمثابة الترشيح الذى يسبق الانتخاب ، وإلا فهى ضربٌ من المُلك العَضُوض

والطريف فى هذه القضية أن المبايعين يفدون من أسبوع إلى أسبوع بنظام وترتيب ، فيكون لكل إقليم يوم ، ويكون المبايعون من أعيان البلاد فى الإقليم ، البلاد التى لها شأن فى القديم والحديث ، وهذا المعنى يشار إليه فى الخطب والقصائد بإجمال ، ولكنه يذاع على الجمهور بالتفصيل . ولو كانت لنا سياسة عربية صريحة لرأت الإذاعة المصرية أن تسجل ما روته الإذاعة التونسية فى هذا الموضوع ، ففيه تفاصيل عن الأقاليم التونسية تستحق التسجيل . ولكن أين من يسمع ؟!

ومما يجب النص عليه أن الخطب والقصائد التى ألقيت فى المبايعة تمتاز بميزتين : الأولى سلامة اللغة من اللحن والتحريف ، وذلك يشهد بأصالة العروبة هنالك

الميزة الثانية هى الحرص على القومية الإسلامية .

فأكثر الخطب تُختم بعبارة دينية لطيفة ، كأن يقول هذا الخطيب : « جعل الله غرر أيامك لا تمحة ، بسرّ الفاتحة » ، وكأن يقول ذلك الخطيب : « حفظك الله فى الذهاب والإياب ، بجاه النبىّ الأوّاب ، وبسرّ فاتحة الكتاب » ، وقد التفتّ إلى كلمة « سرّ الفاتحة » فوجدتها وردت فى جميع خُطب المبايعين .

وغنّى المغنى فى تهنئة الباى قصيدةً حفظتُ منها هذين البيتين :

أضاءت بك « الخضراء » فأشرق نورُها
فأنت عماد الدين ليس يزولُ
مددتَ على الإسلام أكناف نِعمةٍ
بأعطافها ظِـلٌّ عليه ظليلُ

والخضراء لقب تونس ، وبه توصف فى الأشعار الشعبية المنظومة على لسان الزناتى خليفة وأبى زيد الهلالي . وهما شخصان حقيقيّان ، لا خرافيّان كما يتوهم جماعة من الخلائق

وإنما نصصت على الناحية الإسلامية ، لأن الإسلام فى تونس كان أكبر عقبة فى طريق الاحتلال الفرنسى . ومن ذلك أن حكومة باريس كانت رأت تشجيع التونسيين على التجنس بالجنسية الفرنسية ليصيروا إلى ما صار إليه الجزائريون ، فقرر أهل تونس أن من تجنس بالجنسية الفرنسية فلا يجوز دفنه فى مقابر المسلمين ، وبهذا صار الخروج على الجنسية التونسية بمثابة الخروج على الدين الحنيف .

وبالرغم من الدعايات الأجنبية فى تونس فقد ظل التونسيون غاية فى الوفاء بالعهد للعروبة والإسلام ، وتلك مزية يشاطرهم فيها اللوبيون والجزائريون والمراكشيون ، مع اختلاف قليل فى لون العصبية قضت به ظروف لا تخفى على اللبيب .

وإذا تذكرنا أن فتح الأندلس يرجع فى الأغلب إلى شهامة العرب فى أفريقا الشمالية أدركنا قيمة تلك البقاع فى الحيوية العربية والإسلامية ، ولن يمر زمن طويل قبل أن يكون لأولئك الأقوام تاريخ جديد .

وإذا تذكرنا أن « البحر الشامى » كما يسميه التاريخ العربى

وهو الذى يسمّى خطأ « بحر الروم » والذى أسميه « بحر العرب » إذا تذكرنا أن هذا البحر خدم العروبة والإسلام بفضل أبنائه من المصريين والفلسطينيين واللبنانيين عرفنا أنه لن يستغنى عن خدمات أبنائه من اللوبيين والجزائريين والتونسيين والمراكشيين ، وما أحسبه سيسكت عن ضياع لبنان الثانى وهو الأندلس ، وستعرفون صدق هذه النبوءة بعد أزمان قصار لا طوال .

« وقُل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

زكى مبارك

الفدائية

ردًّا على حضرة الأديب مصطفى عبد المجيد جابر أقول :

حين يضحى الإنسان بنفسه إنما يقصد التضحية بموضوع object كان خارجاً عن نطاق الذات ثم انطوى عليها introversion فإذا رمى الموضوع أصابه سهمه

« الفدائية » ابنة عم الانتحار ، وكلا الفدائية والانتحار يمتان إلى الماسوشية masochism بأوثق الصلات

إن الباعث على النزوع إلى الفدائية عقد نفسية complexes زودت بطاقات وجدانية كبيرة تحت تأثير ظروف خاصة

والواقع أن الإنسان أنانى على وجه العموم سواء ضحى بنفسه أو بسواه ، وليس هناك من هو أوفر أنانية من الهستيرى

إن السمو — الذى يعنيه الأديب — غريب عن « الفدائية » ، بل ربما كان غريباً عن « البشرية » !

محمد حسنى ولاية

مساجلات

اطلعت فى مجلة (الرسالة) الغراء على مقال تحت هذا العنوان بتوقيع الأستاذ محمد مندور ، وقد أخذتنى الدهشة لما وقع نظرى عليه من اجتراء الكاتب وإنكاره الحقائق الواضحة فيما كتب الأستاذ العقاد بصدد رسالة الغفران

إن الأستاذ العقاد لم ينكر فيما كتب أن أناساً قبل لوسيان سبقوا المعرى إلى فكرة الجنة والنار ، حتى يعود الأستاذ محمد مندور فيؤكد ذلك

وإنه لما يخجلنى حقًّا أن أعيد هنا ما كتبه الأستاذ العقاد أو أن أشير على الكاتب بأن يعيد قراءته ليتبين أنه كانت لديه مندوحة عن هذا الرد الجاف

ولكنه أراد أن يرد على الأستاذ العقاد ، فكان له ما أراد ، وإن كان لم يأت فى كلامه بجديد غير ما أكده الأستاذ العقاد فى أكثر من مقال ، ثم عاد فأكده للأستاذ مندور على صفحات (الرسالة)

وإذا كان ما كتبه الأستاذ العقاد لم يكن مفهوماً لحضرة الكاتب — بعد كل هذا — فليس الذنب فى ذلك بواقع على العقاد

إن الرحلة إلى العالم الآخر معروفة قبل المعرى وقبل لوسيان كما قال الأستاذ العقاد فى كلام واضح لا لبس فيه ؛ وليس موضوعها بحاجة إلى من ذكرهم الأستاذ مندور لتوكيده

وإن كان هذا لا يمنعنا أن نقول إن لوسيان كان أول من كتب رحلة إلى العالم الآخر ، يصح أن يجمع بينها وبين رحلة أبى العلاء من حيث الطريقة والحوار ، لا من حيث إنها رحلة إلى الجنة والنار كما ظن الأستاذ مندور

فإذا كان لدى الكاتب شىء غير هذا فليرشدنا إليه

أما حكمه على أدب العقاد فلنترك الحكم عليه للقراء ، ما دام صاحبه لم يستطع ولن يستطيع أن يدعمه بالحجة والبرهان .

(دمياط) **الجبلاوى**

مؤلف فى التاريخ العام تنقله وزارة المعارف إلى العربية

روت وكالة الأنباء العربية أن وزارة المعارف تعتزم القيام بأكبر عمل أدبى لم يسبق لها القيام بمثله . وذلك بنقل المؤلف القيم العظيم الذى وضع بالإنجليزية ، ليكون مرجعاً لرواد التاريخ بعنوان التاريخ العام — إلى العربية . ويشتمل هذا السفر الفذ على مليونين ونصف مليون كلمة

وقد تحدث السير جون هامرتون ناشر الكتاب إلى وكالة الأنباء العربية فى هذا الشأن ؛ فقال إن السير والتر مونكتن كان له كبير الفضل فى تيسير هذا العمل وتذليل مهمته

والمعروف أن السير جون هامرتون ومعاونيه قضوا أكثر من عامين فى وضع هذا المجلد الضخم الذى ساهم فى كتابة فصوله مائة وخمسون كاتباً من الكتاب المبرزين

وقد قال خلال حديثه السالف الذكر : لم يكن يسعني عند وضع هذا الكتاب وجمع فصوله ، إلا الشعور من جديد بالإعجاب والاغتباط بذلك النصيب الكبير الذي ساهم به العقل العربي في تأسيس ثقافة العالم الإنساني وتكوين حضارته . وإني لفخور بأن جمهور قراء العربية في مصر والشرق الأوسط سوف يجدون في هذا المؤلف الضخم خير شاهد على جهود الإسلام في بناء الحضارة الإنسانية والتقدم العلمي . وإن إصرار وزارة المعارف على نقل الكتاب برمته دون الاكتفاء بترجمة مختصرة له لدليل رائع على أن الغذاء الروحي لم يستغن عنه في هذا العهد الذي يسوده الهدم والتخريب

طيلسان ابن حرب

جاء في ديوان اسماعيل صبري باشا ص ٩٦ ما نصه : « طيلسان ابن حرب يضرب به المثل في القدم والبلى ؛ وسبب ذلك أن ابن الرومي الشاعر المعروف كان قد مدح ابن حرب فخلع عليه طيلساناً بالياً ، فقال في ذلك الطيلسان شعراً كثيراً حتى صيره مثلاً لكل ما بلي ورث . فمن ذلك قوله :

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً ... رق من صحبة الزمان وصدا
طال ترداده إلى الرفو حتى ... لو بعثناه وحده لتهدى »

وليس من شك في أن هذا القول لا نصيب له من الصحة ؛ فالذي نعرفه أن محمداً بن حرب أهدى إلى الحمدوني طيلساناً خلقاً ، وكان الحمدوني يحفظ قول أبي حمران السلمي في طيلسانه الذي يقول فيه :

إذا ارتداه لعيد أو لجمعته ... تنكب الناس لا يبلى من النظر

فجارى الحمدوني أبا حمران حتى بلغ ما قاله في طيلسانه حوالي مائتي مقطوعة منها :

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً ... مل من صحبة الزمان وصدا
طال ترداده إلى الرفو حتى ... لو بعثناه وحده لتهدى

ومن ذلك تتبين أن البيتين للحمدوني وليسا لابن الرومي كما زعم الأستاذ شارح الديوان . ولعل اختلاط الأمر على الأستاذ جاء من أن ابن الرومي كان ممن قالوا شعرا في هذا الطيلسان نفسه

« المياسرة » فوزي الرحمة

أين أخبار حافظ ؟

شُغلت منذ حين بدراسة الناحية الفكاهية في حياة شاعر النيل المرحوم حافظ بك إبراهيم ، إذ كان أعجوبة في مرحه ولهوه ودعابته ، واقتضى ذلك البحث أن أجمع ما يمكن من الملح والطرف التي نسبت إلى هذا الشاعر الضحوك ، فماذا كان من شأني ؟ ...

تعددت مني الأسباب وتنوعت الأساليب ، وراجعت شتى المصادر ومختلف الكتب والصحف ، فجمعت من طرف حافظ ، بعد اللتيا والتي ، عشرات وعشرات ؛ ولكن بعض أصدقائه يؤكد لي أن طرفه تزيد على مئات ومئات ، فأين أجد هذا الزاد الأدبي النفيس ؟ ...

لقد حسبت أن أصدقاء حافظ القدامى يعرفون من أخباره وأسراره ما لا يعرف أبناء هذا الزمان ، فسألت شاعر القطرين مطران بك عما يعرفه فأجاب : إني نسيت ! وسألت الدكتور مبارك فأجاب إني مشغول ! وسألت الأستاذ البشري فما أجاب ! وسألت الأستاذ عبدالله عفيفي بك ، فأحالني على مجموعة قصاصات المرحوم محمد مسعود بك ، ففزعتُ إليها لدى ولده الدكتور يحيى مسعود فاعتذر بأنها لم تُرتَّب بعد ، وأن الاطلاع عليها لن يتيسر قبل شهور ! وسألت الدكتور منصور فهمي بك ، فأحالني على فريق من أدباء دار الكتب الذين عاشروا حافظاً ، فوجدت عندهم طرفة من هنا وطرفة من هناك ، ثم ... ثم اعتذار ببعد الشقة وداء النسيان ! ثم سألت كثيرين غير هؤلاء ، فما تحقق لي رجاء ! فأين أجد أخبار « حافظ » — أيها الناس — وقد مات في عام ١٩٣٢ ، فهو لم يمض عليه أكثر من عشر سنوات ؟ أين أجد أخبار حافظ ، وقد كان بالأمس القريب ملء الأسماع والأبصار والقلوب ؟ ... وماذا يكون حديث الأجيال القادمة عن حافظ وإخوانه من الأدباء ، والذين عاشروهم لا يعرفون عنهم ما يخف في الميزان أو يثقل ؟ ... وماذا عندكم أيها الأدباء ؟

« البجلات » أحمد الشرباصي

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 473 — Lundi - 27 - 7 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٧٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ رجب سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٧ يولية سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

الحديث ذو شجون

الوفاء للوطن الغالى

للدكتور زكى مبارك

عند هذه الكلمة ترنَّم الهتَّاف بعد انتصاف الليل ... فمن الهاتف ؟

هو أديب من قراء (الرسالة) أراد أن يستفهم عن معنى القول بأن المسيحية تؤرَّخ فى كل أرض بميلاد المسيح ، وتؤرَّخ فى مصر بعذاب الشهداء.

وما كدتُ أنتهى من شرح هذا المعنى ، حتى هتف ذلك الأديب داعياً أن يجعل الله الوطنية من عقائد الشباب فى هذا الجيل

فمن أنت أيها الفتى ؟

وما قيمتُك فى نفسك وفى أنفس إخوانك ؟

هل تعرف وهل يعرفون أن اهتمامك بكلمة فى تمجيد وطنك هي الشاهد على أنك مصرىّ أصيل ؟

أنا أدعو لك بطول العمر مع العافية ، أيها الفتى الوطنى ، حرسك الله وحماك !

إسمع يا صديقى ثم اسمع :

فى كل أرض يكون للشجر والزهر والنبات موسم يقظة وموسم خمود ، إلا مصر ، فاليقظة فيها دائمة فى جميع الأحايين .

وفى كل أرض يوجد الماء فى مكان وينعدم فى مكانات ، إلا مصر ، فالماء موجود فى كل مكان . وأين من يصدّق أن سكان جبل المقطم يستقون الماء من بئر هناك ؟ !

وفى كل بلد تجاهد الأرض فى الزراعة موسماً ، ثم تستريح موسمين أو مواسم ، إلا مصر ، فأرضها تصلح للانبات مرتين فى العام الواحد أو مرات

وطنك ، يا صديقى ، جميلٌ وثمينٌ ونفيس

كان وطنك محور التوازن الدولى قبل أن يعرف بنو آدم ماهية التوازن الدولى ، وكان وطنك أول وطن تنبه إلى أن الله واحد بلا شريك ، وفى سبيل هذا المعنى الدقيق جاهد أخناتون الشهيد ...

وكان وطنك ، يا بنىّ ، أول وطن حارب السماء عن علم أو عن جهل

وهل من القليل أن يكون الطغيان المصرى أخطر طغيان حاربه القرآن ؟

وطنك ، يا صديقى ، مذكورٌ بمحاسنه ومساويه فى جميع البلاد ، وستُنسى أممٌ وشعوب ، ولا يُنسى وطنك ، لأنه معترَك الرشد والغى ، والهدى والضلال ، فى جميع الأجيال

وطنك هو الوطن ، وبلادك هى البلاد

وطنك هو الميزان فى القضاء ، قضاء الأمس وقضاء اليوم ، والنصر لمن يظفر بقلبك ، فلمن قلبك ؟

قلبك لوطنك ، وعقلك لوطنك ، وهواك لوطنك . فلا تشرك به أحداً ، ولا يخطر فى بالك أن فى الدنيا جمالاً أنضر من جماله ، أو حمًى أعزّ من حماه ، وإن تناوشه الطامعون من كل جانب ، فسيظل وطنك وحدك ، ولن يكون لأعدائه غير العذاب فى ميادين القتال ، وبئس النصيب !

أدر المذياع إلى أية جهة من جهات الارض ، فستسمع اسم مصر ... وسائلْ شركات البرق فى أى بلد من البلاد ، فستخبرك عن مبلغ اهتمامها بأخبار مصر ... واستطلع المكنون من ضمائر الزعماء والملوك ، فسترى أن مصر مُنْيَة الجميع ، وبين المُنْية والمَنِيَّة صِلات

هل تعرف الحكمة التى تقول : رُبَّ أكلة منعت أكلات تلك الأكلة هى مصر ، فما طمع فيها طامع إلا قصمت ظهره . ولا دخلها غاصب إلا كانت وبالاً عليه ، ولو استفتيت التاريخ لأفتاك ثم أفتاك

كنت أشارك المنفلوطى فى السخرية من قول مصطفى كامل :

« لو لم أكن مصريًّا لتمنيت أن أكون مصريًّا »

واليوم أعرف أن المنفلوطى كان من المخطئين الخاطئين ، وأن كلمة مصطفى كامل أصدق من الصدق وأصوب من الصواب

ذلك بأن مصر غنية من جميع النواحى ، وعظيمة من جميع الجوانب ، وليس فيها شبرٌ إلا وهو مبعث حياة أو مصدر تاريخ وما اقتتلت الأهواء ، ولا اشتجرت الآراء ، ولا اعتركت القلوب ، ولا انتضلت العقول بأقوى وأعنف وأخطر مما يثور فوق الأديم الصحيح لهذه البلاد

يوم كان السلطان لأهل الشرق كانت مصر أول أمة تقاوم طغيان الشرق

وحين كان السلطان لأهل الغرب كانت مصر أول أمة تحارب طغيان الغرب

وهل ينسى التاريخ أن عزّة مصر هى التى جعلت واليها عمراً أول والٍ يخالف عن أمر الخليفة العادل عمر بن الخطاب ؟

وهل ينسى التاريخ أن السلطنة العثمانية فى أيام عزها المأثور عجزت عن تتريك الأمة المصرية ؟

وهل ينسى التاريخ أن الإنجليز الذين سيطروا على كثير من ممالك الأرض عجزوا عن مقاومة العزة المصرية ؟

نحن برعاية الله وكرامة مصر أعزّاء وأعزاء وأعزاء .

النور أسرع من الضجيج

على حين غفلة أضاءت آفاقُ مصر الجديدة ، وأضاءت ثم أضاءت ؛ فقلت لصاحبى : فى هذه اللحظة أطلقت ثلاثة

مدافع ؛ فقال : ومن أين عرفت ؟ فقلت : من هذه الومضات ؛ فقال : ولكنى لم أسمع ضجيج المدافع ؛ فقلت : ستسمع بعد لُحَيظات ، وستؤمن بأن النور يسبق الضجيج

فيا ناشدى الشهرة باسم الأدب ، تذكّروا ثم تذكروا ...

تذكّروا أن من يواجه الأدب والحياة بلا قلب وبلا روح وبلا نور ، فلن يكون له من مجد الأدب وشرف الحياة نصيب ولا خَلَاق

النور أسرع من الضجيج ، لأنه أرقّ وألطف ، وأقوى وأغلب ، فاستعينوا بحرارة أرواحكم ، قبل أن تستعينوا بجهارة أصواتكم ، واعلموا أن النور وليد النار ، وأن جوهر القَبَس المتألق فيه أصالة حيوية لا يدرك مَداها غير أرباب القلوب

ومن أجل هذا كان الاضطهاد أعجز من أن يخمد حيوية الأديب ، لأن الأدب نور ، ولأن الاضطهاد ضجيج، والنور أقوى وأسرع من الضجيج

ثم ماذا ؟

إن وضعت أصابعك فى أذنيك ، فقد حَجَبْتَ عن سمعك ما تحبّ وما لا تحبّ من الأصوات ، وإن أغمضتَ عينيك ، ثم عصبتهما بمنديل سميك ، فستحسّ النورَ عيناك ، برغم ذلك الحجاب ، أو برغم ذينك الحجابين ، لأن النور أقوى وأسرع من الضجيج

فيا أعداء الأدب ، متى تعقلون ؟ !

سنضيء قبوركم إن اعتصمتم منا بظلمات القبور ، لأن من واجب النور أن يمزّق الظلمات ... وسوف تعلمون !

أسرار وسرائر

فى الحوار الذى دار بين الأستاذ محمود البشبيشى وابنه النجيب حسين ، مرّت إشارةٌ لطيفة إلى كاتب يجمجم ولا يفصح ، وهو « كاتب من الكتّاب » كان « حسين » — حرسه الله — كتب إليه يدعوه إلى ترك الإيماء والتلميح فيما يتناول من المعانى والأغراض

وأتولى الإجابة عن ذلك الكاتب فأقول :

لقد نشأنا — يا بُنىَّ — فى عصر من عصور الانقلاب ، وفى مثل هذا العصر تكثُر الأكاذيب والأراجيف ، ويقلّ الفهم لدقائق المعانى ، فهل يلام الكاتب إذا فرَّ من التصريح إلى التلميح ؟

قد تقول : إن التلميح أخطر من التصريح ، لأنه يفتح أمام المغرضين أبواب التفسير الخاطئ والتأويل المريب

وأقول : إنى أحب أن يظلمنى قومى عن شبهة لا عن يقين ، فأنا أساور أهداقى بأسلوب يُعفى ظالمىَّ من ربقة الظلم المبين ؛ وإلا فمن يتوهم أن أغراضى تخفى على قرائى وهم من أولى الألباب ؟

بين مصر والعراق

فى هذا الأسبوع أنِستُ بلقاء جمهور من الأساتذة المنتدبين للتدريس فى العراق ، وهم جميعاً ألسنةٌ تلهج بالثناء على الأريحية العراقية والذكاء العراقى . ومن كلام الدكتور راجح والدكتور غالى والأستاذ قنديل عرفت أن دار المعلمين العالية بلغتْ من التفوق مبلغاً يشرح صدور المؤمنين بعظمة العقلية العربية فى العراق ، وطن الأهل والأحباب .

ولكنى تأذيت حين عرفت أن بعض المدرسين لا يريدون أن يعودوا لخدمة العلم فى الوطن الشقيق ، بحجة الخوف من تقلب الظروف ، أو بحجة الشوق إلى الاستقرار فى وطنهم الأول ، وما درَوْا أن الاستقرار ضربٌ من ضروب الموت !

لو قلتُ الصدق كل الصدق لصرّحتُ بأن من يريدون قطع صلتهم العلمية بالعراق ليسوا إلا شباناً تعوزهم القدرة على فهم السرائر من الروحانية العراقية ، فهم يعيشون هنالك عيش الغرباء بالفكر والروح ، فى بلاد قام كيانها على الفكر والروح .

أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

فى هؤلاء من يعتذر بأن العراق مهدّد بالغلاء فى هذه الأيام ، فهل يكون فيهم من يدرك أن فى تمرة أو تمرتين كفاية لمن يدعوه الواجب للقيام بخدمة علمية ؟

وفى هؤلاء من يقول : إن مصر تنساه حين تطول إقامته بالعراق فلا ينال حظه من الترقيات

وأقول إن هذا لن يقع بعد تنظيم التعاون الثقافى بين مصر والعراق .

كيف يعبر من عرف العراق على فراق العراق ؟

أنا أخشى أن يكون مفارقوه لم يعرفوه . وهل يغيب عنى أن فى العراقيين أنفسهم من يجهل المحاسن الأصيلة لوطنه الجميل ؟

لقد عجب قومٌ من وفائى للعراق ، وظنّونى أستهديه منحةً من المِنح الذواهب ، ثم انقضى عجبهم حين عرفوا أن وفائى للعراق وفاء القلب لا وفاء الجيب ، ولكن عجبهم سيُبعث من جديد حين يعرفون أن فى عنقى ديوناً للعراق ، هى أكرم الأطواق ، فما تلك الديون ؟

رأيت العراق يكرم مصر فى جميع مذاهبها العلمية والأدبية والتشريعية ، ورأيته يفرح حين نفرح ، ويلتاع حين نلتاع ، ورأيت أنه بحق وصدق أخٌ شقيق .

مصر مسطورة الملامح فوق كل مكان فى العراق ، فما جزاء من يحبوننا هذا الحب ؟ وما جزاء من يعرفون من أقدارنا الأدبية أكثر مما نعرف ؟

تلك معانٍ يجهلها من يبحث عن وظيفة توزن قيمتها بالدراهم والدنانير ، وهى معانٍ يعرفها من يؤمن بأن الفناء فى سبيل العروبة بابٌ من أبواب الخلود .

زكى مبارك

أطوار الوحدة العربية

للأستاذ نسيب سـعيد

[اغتبط قراء « الرسالة » — وما أكثرهم — للنبأ العظيم الذى أذاعته عليهم فى أعدادها الأخيرة من تخصيص بعض أعدادها لخدمة الوحدة العربية ، والقضية العربية ، وقديماً عرفت « الرسالة » بخدمتها لرسالة العروبة وفضلها الجزيل على الثقافة العربية ، مما جعل لها المقام الأول فى قلوب أبناء العرب فى سائر الأقطار ، وجعل صاحبها محبباً إلى القلوب جميعها ، كريماً على النفوس كلها . أدامه الله للعرب فخراً ، وللاسلام ذخراً ...]

القضية العربية

البحث عن « القضية العربية » طريف ، والحديث عن العروبة ذو شجون وبخاصة فى هذا العصر ، عصر القوميات .

ونحن نريد اليوم فى حديثنا الأول أن نبحث للقراء فى تاريخ الفكرة العربية الحديثة ، ونستعرض لهم أدوار هذه الفكرة وأبطالها فى التاريخ المعاصر ، ثم ننتقل بهم بالحديث عن الخدمات الجلى التى قدمها العراق للوحدة العربية وعن أثره في القضية العربية الكبرى ، وبخاصة عن المعاهدة العربية الأولى التى عقدها العراق عام ١٩٣٦ مع المملكة العربية السعودية ؛ وقد كانت هذه المعاهدة نواة الوحدة العربية ، ثم كيف سافر جميل بك المدفعى رجل العراق من بغداد إلى صنعاء بطريق القاهرة فى شهر أغسطس سنة ١٩٣٧ ، وأشرك دولة اليمن السعيدة فى معاهدة الوحدة ، فأصبح الحلف العربى ثلاثياً بعد أن كان ثنائياً ، وترك الباب مفتوحاً لسائر الدول العربية للدخول فى هذه الوحدة ، والانضمام إلى هذه المجموعة العربية ، كما دخلها : العراق والحجاز واليمن

حلم محمد على الكبير

وإذا أردنا الحديث عن فكرة الوحدة العربية والبحث عن الدولة العربية الموحدة فى العصر الحديث ، فلا بد لنا من الانتقال إلى الوادى السعيد ، إلى ضفاف النيل ، فمصر العزيزة هى البلد الأول الذى فكر فى الدولة العربية الكبرى ؛ وللقطر العربى قصب السبق فى بعث فكرة الوحدة العربية الأولى ، وخلق الوعى القومي . ولعزيزة محمد على الكبير الفضل الأول فى إيجاد الفكرة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون !

كان ذلك في القرن الماضى يوم ظهر محمد على الكبير مؤسس البيت المالك المصرى فى وادى النيل ، وسعى لتأسيس دولة عربية جديدة ، وفكر فى قلب المملكة المصرية إلى امبراطورية عربية إسلامية كبرى تستطيع الظهور بين الدول الأوربية الحديثة . كذلك حارب الوهابيين فى الجزيرة ليبسط نفوذه على سائر بلاد العرب ، ويحقق حلمه الذهبى الجميل ، ثم استولى على بلاد الشام وأعاد إلى سورية الإخاء والرخاء والخيرات ، ومنع الجيش المصرى الباسل قبائل البدو من الاعتداء على القرى والمزارع ، ووضع حداً للصراع الذى كان لا ينقطع بين الدروز والمسيحيين فى ديار الشام

فالنتيجة التى نستطيع أن نقررها إذن ، هى أن محمد على الكبير عزيز مصر هو أول من فكر فى الوحدة العربية ، وأول من حلم بتأسيس دولة عربية جديدة مكان الرجل المريض أمين الدولة العثمانية ، تعيد إلى دنيا العرب ذكريات الأمويين والعباسيين والفاطميين ؛ ولكن الظروف السياسية القاهرة ، والعوامل الدولية المختلفة ، وقفت فى وجهه ، واضطرته إلى الانسحاب من سورية ، فاقتصر حكمه بعد عام ١٨٤٠ على مصر وحدها كما حدث التاريخ ، وتبدد ذلك الحلم الذهبى الجميل فى مصر

كلمة ابراهيم باشا

وعلى كل حال فإننا لا نرى قبل القرن التاسع عشر ما يشير إلى قومية للعرب ، والتفات إلى دنيا العرب ، أو إلى أى فكرة عربية ؛ فقد كانت تلك القومية فى سبات عميق ، وفكرة العروبة كسراب خادع ، وأول من حاول إيقاظها وتأسيس دولة عربية مركزها القاهرة محمد على الكبير ، وقل كذلك ابنه ابراهيم باشا . ولئن كان المشروع لم يتم فإن النواة

قد وضعت فى الأرض ، وترك للزمن إنباتها وإحياؤها . وكيفما كان الأمر فاننا لا نرى فى الشرق العربى منذ أيام ابراهيم باشا المصرى حتى أواخر القرن التاسع عشر حركة جديدة للانفصال عن السلطنة العثمانية والاستقلال بكيان عربى منظم سوى تلك الحركة المباركة التى انبعثت فى وادى النيل السعيد ؛ لأنه ما من شك فى أنه لم يكن لقطر عربى من الأسباب الممهدة لظهور فكرة قومية عربية ما كان لمصر فى القرن التاسع عشر ؛ فهى أسبق البلاد العربية إلى إنشاء وحدة إدارية ذاتية ، وحكومة شرعية صحيحة ؛ بل هى أول تربة بعثت فيها الروح العربية الاستقلالية القدسية، بل روح العزة والكرامة والمجد كما يستدل عليه من سياسة ابراهيم باشا التى كانت ترمى إلى فصل بعض الأقطار العربية عن جسم الدولة العثمانية واستقلاله بها ، فقد صرح (للبارون بوال كونت) بقوله : « ما أنا بتركى، بل أنا ابن مصر . إن شمسها قد غيرت دمى فجعلتنى عربياً قحاً . . . »

وقد سارت مصر بعد ذلك بخطى ثابتة فى ذلك السبيل فتأسست فيها عدة جمعيات عربية ، ومنظمات سياسية تعمل للعروبة وللوحدة الكبرى ؛ منها « الجمعية القحطانية » التى تأسست عام ١٩٠٩ ، « والجامعة العربية » التي أنشئت سنة ١٩١٠ ، و « حزب اللامركزية » الذى تأسس فى عام ١٩١٢ . وكذلك يجب ألا ننسى « جمعية العهد » التى أنشأها فى الأستانة عزيز على المصرى يوم ٢٨ اكتوبر سنة ١٩١٣ فقد خدمت القضية العربية كثيراً ، وسنتحدث مفصلاً عن فضل مصر على القضية العربية وعن أثرها فى الوحدة العربية يوم تخصص « الرسالة » الكريمة الكلام عنها ولكل حادث حديث

المنظمات العربية

وكما تأسست فى القاهرة جمعيات عربية تعمل للعروبة كذلك أنشئ فى كل عاصمة من عواصم العرب : فى العراق ، والشام ، والحجاز ، واليمن ، وفى كل بلد من بلدانهم ناد يضم الصفوة المختارة من أبناء العروبة . وذلك على أثر إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٩ يوم تغير الحال غير الحال فى البلاد العثمانية فأطلقت الألسنة من عقالها والأقلام من سجنها

والواقع أنه لم يكن اغتباط العرب بالعهد الدستورى الجديد يقل عن اغتباط الترك ؛ فقد ملأوا الجو هتافاً وصياحاً فى بغداد والشام وغيرها ، ونظم شعراؤهم القصائد ، وحبر كتابهم المقالات، فى التغنى بمزايا العهد الجديد ، وانضم رجالهم ومفكروهم من عراقيين وسوريين وحجازيين إلى الاتحاديين موالين ومؤيدين لاعتقادهم أن دولتهم ستجدد شبابها وتسترد مقامها ، وأن الأمة العربية ستنصف ، وكرامتها ستصان

ولكن حينما بدرت بوادر الخلاف العنصرى بين العرب والترك تحول الحال ، إذ ظهر أن الاتحاديين يسيرون على سياسة قومية سداها ولحمتها تعزيز الجامعة الطورانية وتأييدها ، وأن الفكرة العربية قد عفا أثرها ؛ لذلك أقفرت أنديتهم وتفرق أنصارهم ، وضعف نفوذهم ، كما تخلى عنهم نواب البلاد العربية المؤمنون بالعروبة وأنشأوا كتلة مستقلة اتحدت مع النواب المعارضين للاتحاديين ؛ وختم هذا الدور باعلان الحرب البلقانية فى خريف عام ١٩١٢ ؛ وتألفت فى خلال هذه الفترة جمعيات عربية عديدة كما قلنا ، فى مصر ، وبغداد ، ودمشق ، وبيروت ، والآستانة ، لحمل مشعل الفكرة العربية ، وتأدية رسالة العروبة ، وتعزيز شأن العرب ، وبعث الوعى القوى العربى ، فأثرت هذه الجمعيات أثراً بليغاً فى تكوين « الرأى العام العربى » وإليها يرجع معظم الفضل فى إنشائه وإعداده بالتعاون مع الصحافة العربية في مصر والعراق والشام والآستانة ؛ فقد ساعدت على تنمية الشعور القومى العربى وإيقاظه وبعثه ، كما ساعد الشعراء العرب بقصائدهم الحماسية والكتاب والخطباء بدررهم النثرية على خلق النهضة الوطنية العربية الجديدة

وأهم تلك المنظمات العربية التى تأسست يومئذ هى : جمعية الإخاء العربي ، المنتدى الأدبى ، الجمعية العربية ، « الفتاة » ، الجمعية القحطانية ، العلم الأخضر ، حزب اللامركزية ، جمعية بيروت الإصلاحية ، جمعية العهد ، مؤتمر باريس العربى ، الجامعة العربية ، النادى الوطنى فى بغداد ، وجمعيه البصرة الإصلاحيه . ونتحدث اليوم عن هاتين الأخريين فقط لأنهما نشأ في العراق وعملا فيه

الجمعيات العراقية

أما المؤسسة العربية الأولى فى العراق فهى النادى الوطنى فى بغداد فقد أنشئ فى الزوراء عام ١٩١٣ على أثر تأسيس حزب اللامركزية فى مصر ليكون فرعاً له ، وكان رئيس هذا النادى مزاحم الباجه جى صاحب جريدة النهضة العراقية أول جريدة فى العراق خدمت القضية العربية الكبرى . وانتسب إلى هذا النادى كثير من الشباب العراقى المثقف ، فنشر المبادىء القومية العربية وعززها . وكان يستظل بظل الزعيم العراقى حينئذ السيد طالب النقيب رئيس جمعية البصرة الإصلاحية الذى نشطه لإصدار جريدة النهضة فكان يصدرها مزاحم نفسه ، فلما عطلها الاتحاديون الترك ولم يصدر منها سوى (١٢) عدداً وأمروا بالقبض على صاحبها فرّ إلى البصرة ودخل فى حمى السيد طالب النقيب

والمؤسسة العربية الثانية فى العراق هي جمعية البصرة الإصلاحية التى أنشأها السيد طالب فى مدينة البصرة ، وقد كان يومئذ نائبها في مجلس النواب العثمانى وأحد زعماء حزب الائتلاف ، فانضم إليها عدد كبير من رجالات البصرة وشبابها الناهض ، كما انضم إليها أحرار العراق وزعماؤه المخلصون ، فأصدرت جريدة النهضة فى بغداد لتكون لسان حالها ولكنها لم تعش طويلاً كما قلنا . وحينما عقد مؤتمر باريس يوم الأربعاء فى ١٨ يونيو عام ١٩١٣ فى منتصف الساعة الثالثة بعد الظهر أبرق إليه فى تلك الساعة السيد طالب الزعيم العراقى مؤيداً ومشجعاً ، فخاف الترك العاقبة ، ولذلك انتدبوا أحد رجالهم وهو القائمقام فريد بك وعينوه قائداً للبصرة ، وناطوا به مهمة اغتيال السيد طالب ؛ فجاء البصرة ومعه حاشية كبيرة فأسرع هذا وأرسل إليه من اغتاله . فرأى الترك أن من مصلحتهم الجنوح إلى المسالمة ، فاستمالوا السيد طالب وأرسل إليه طلعت بك وزير الداخلية التركية يومئذ برقية مفرغة فى قالب المجاملة ، فأذاع على الأثر البيان التالى : « أعلن بكمال الفخر إلى عموم أهالى العراق (الولاية والملحقات) بأننا قد اتفقنا فى أمر تشريك المساعى وكأننا روح واحدة ، وجسد واحد ، لأجل رفع شأن وشوكة حكومتنا السنية التى قدرت مداقتنا رسمياً ، ولم يبق خلاف بيننا بأى صورة كانت ، وقد زال ما كان من سوء التفاهم زوالاً قطعياً ، وصرنا كتلة واحدة نعمل على سعادة دولتنا العلية ، ونسعى فى محافظة وحدتنا العثمانية بكل قوانا حتى لا يبقى منا فرد واحد ، وللبيان حررت الكيفية وأعلنت فى ٧ ربيع الأول سنة ١٣٣٢ »

* * *

إلى هنا أكتفى اليوم بالبحث عن تطور « الفكرة العربية » وعن الجمعيات العراقية ، وسأحاول فى حديثى المقبل تصوير رجالات العراق الذين خدموا قضية العروبة ، وحملوا رسالة « الوحدة العربية » وخاصة أولئك الذين اشتركوا فى الثورتين : ثورة العراق وثورة الحجاز ؛ وعملوا فى الدولتين : دولة بغداد ودولة الشام ، مع أقوالهم والوثائق والمستندات التاريخية التى تؤيد ذلك ؛ فالى اللقاء ...

(دمشق)

نسيب سعيد
المحامى

جيل وجيل

الحيوية الفكرية

للأستاذ محمود البشبيشي

تعدد المواهب والحيوية — الحيوية تحدد الاتجاه — جناية الحيوية على أربابها — إسحاق الموصلي — الحيوية الفكرية تسبق الزمن وتقرر المستقبل — الشاعر البدوي عبد المطلب والرواية الشعرية تبعث إلى التأمل في أحوال المجتمع — حيوية الفكرة الدينية — حيوية الفكرة في الفنون

نصل حوارنا اليوم في حيوية الفكرة ليكمل البحث، ويتم الغرض، ويستقيم المعنى، ويدرك الهدف. فليس أقبح من أن يعجل المرء بالحكم قبل استيفاء الحجة، ويبرم القضاء قبل امتحان الشهادة. وإن الاقتضاب في معالجة الأمور مدرجة الضلالة، والإسراع في الكشف عن منبهم الأسرار طريق العماية ... وخير الباحثين من نهج سبيل التأني والاستقراء ليعقل ويفهم ويدرك تفاصيل ما يعالجه، وتراكيب ما يعرض له ...

... قال ولدنا حسين: عرفنا من أسرار الحيوية الفكرية شيئاً وبقيت أشياء. فقد تتعدد المواهب وتكثر الاتجاهات للشخصية الواحدة؛ كأن يكون المرء شاعراً ضرب في الشاعرية بسهم وافر، وناثراً طلع في القدرة على بيان أفكاره مطالع عالية، وخطيباً بلغ من عبقرية الفصاحة الغاية التي تتقطع دونها الأعناق... ويكون له في كل مذهب من هذه المذاهب المتعددة المتباينة جودة واستواء، وموافقة وكمال، ورونق وعذوبة، واستيعاب وفهم. فما مكان الحيوية هنا؟ وهل تكون في كل ناحية على قدر معلوم؟ وهل لصاحبها القدرة على توجيهها والسيطرة عليها أو يكون موقفه منها موقف الأرض من الغيث ... لا تستطيع إلا أن تنتظر وروده!

قلت: أما تعدد المواهب يا بني فأمر قد يكون إلى الفطرة أقرب منه إلي الاعتياد والدربة. على أن المواهب مهما تعددت ألوانها، وتشعبت مذاهبها، لا يمكن أن تكون في كل ناحية ومذهب على نسق واحد من القدرة، وفي قوة واحدة من الحيوية ... ولا بد يا بني من تدفق الحيوية قوية عاتية في ناحية دون أخرى، وحينئذ يكون لها وحدها تقدير المصير، وتحديد الشخصية، وبيان موضع صاحبها وفنه الأصيل في معترك الحياة الصاخبة الدوّارة. فأنت يا بني تدهش من تعدد مواهبك، وتعجب من تباينها، وتحار في تعليل ميلك إليها، وتوفرك على أسبابها؛ ولكن الأمر لا يحتاج إلى أكثر من التأمل في منابت هذه الاتجاهات وأصولها، فأنت تميل إلى الرسم وتمارسه، وتجيد الشعر وتطرب له، وتندفع وراء العمق في الفكرة جرياً وراء الفلسفة وطلباً لمنبهم الأسرار ... وكل أولئك لو تأملت يا بني من مصدر ومبعث واحد يرجع إلى حساسية الشعور، وشفافية الوجدان، ويقظة التفكير. على أنك لو تأملت طويلاً لرأيت أن هناك حيوية خاصة غالبة على كل هذه الاتجاهات ... تلك هي عمق الفكرة والجنوح إلى التأمل العميق. وإنك لتجد لصدق هذا القول صوراً من الشخصيات في مطاوي الزمن. فقد كان إسحاق الموصلي متعدد المواهب بعيد مدى الآمال، متباين الميول. وكان إذا ناظر أهل الكلام انتصف منهم، وإذا تكلم أو عالج الفقه أحسن وقاس واحتج وبلغ في قياسه واحتجاجه الغاية. وإذا أخذ بأسباب الشعر واللغة فاق وارتفع، ولكنه كان في الغناء أكثر حيوية، وكان الغناء أدنى ما يوصف به وإن كان الغالب عليه. على أنه كان أكره الناس للاشتهار بالغناء والتسمي به!

قال: إن في نفور إسحاق يا والدي من الغناء وهو ما اشتهر به وذهب له به صيت ذكر، لطرافة وموضعاً للتأمل

فإن للحيوية جناية كبرى على أربابها. ولقد أصاب إسحاق من الحيوية ألم عظيم وضياع للفرص السوانح؛ فقد كان المأمون يقول: لولا ما سبق لإسحاق على ألسنة الناس، وشُهر به من الغناء عندهم لوليته القضاء، فإنه أولى به، وأحق وأعف، وأصدق تديناً وأمانة من هؤلاء القضاة ...! فما أشد ألم إسحاق لضياع ما كان يتطلع إليه! وما أخطر جناية الحيوية على أربابها! ولعل الهدف الأول لجناية الحيوية هو صاحب الفكر الحر من أنصار العقيدة، وأرباب المذاهب الفكرية. فكم من رجل حر العقيدة، صادق الإيمان، دفعت به حيوية الفكرة التي يعتنقها، ويتمسك بأسبابها، ويناضل في سبيلها إلى الخوض في مرابط

الملكة ... لا تمنعه رهبة ، ولا تقطعه هيبة ، ولا يدركه نصب ، ولا يتداخل جهاده تردد ، فإذا رأيت في حياتك رجلاً قد طوقته الشرور ، وترامت عليه النقم ، وأقصى عن مواطن النعم ، وحرم كل ما هو فى متناول غيره ، فلا تتردد فى أن تنسبه إلى رجلين : رجل انسلخت حقيقته من معانى الإنسانية ، فهو شر على نفسه وشر على غيره ؛ ورجل ارتفعت حقيقته بمعانى الإنسانية إلى مرتبة عالية سامية ترقب العالم بعين الضمير الحى الذى لا يقيم وزناً للمظاهر الكواذب ، ولا يحفل بالقوة إذا لم تقم على قواعد من الحق ، وأسس من العدل . فهو بما طبعت عليه نفسه من حيوية الفكرة والعقيدة والحق عدو الباطل والقوة ، وطريد الرياء والقسوة

قلت : وإن الحيوية يا بنى لتقرر المصير ، وتحدد الغاية ، وتشير إلى مستقبل صاحبها من قبل أن يتأهب لغايته من الحياة وينتظرها ، ومن قبل أن تستقر به الأيام ، وتطمئن به الأسباب ، وتصبح له يد باسطة فى الناحية الأصيلة من مواهبه واتجاهات شخصيته . فإنك لتلمح فى طفولة الفنان العبقرى بوارق من حيوية الفن والفكرة فيما يعرض له فى سلوكه وأحواله ورغباته وآماله . فهو أبداً يميل إلى كل فاتن من الصور ورائع من الألوان ، ويجد فى الخيال المجنح نشوة تخف على قلبه ، وتتصل بروحه الفنية ، وتقربه من غايته التى لم تزل فى أكمام الغيب تناديه من وراء حجاب ؛ ويجد لها فى قرارة نفسه حنيناً لا يملك القدرة على بيان خصائصه في جلاء ووضوح ، وإشراق وصفاء . ولكنه على رغم هذا يحس بدافع يسوقه إلى السير وراء كل ما هو أدنى بالقبول ، وأحظى بطلاوة الفن ، وأعلق بقلب الفنان ... على أن صاحب الحيوية قد يدرك الغاية التى يسعى لها ، وتدفعه حيويته إليها ، وهو حينئذ يقصد أنبل المقاصد ولا يرهب أخطر المهالك ، ويجد فى نفسه الإيحاء الذى يقول فى قوة وحيوية : هذا أمل واجب أن يكمل ، وحقيق أن يوفى حقه ، وليس يتحقق أبداً إلا بأن يتطلع المرء إلى أجل الأغراض مكاناً . والرجل الحى من كان فى قوله وفعله كأنما اطلع على إرادة قومه وإرادة حيويته ، فرمي عن قوس عقيدتهم وعقيدته

فقال : إذن فالحيوية الفكرية يا والدى تسبق الزمن ، فتحقق فى التخيل والتصور ما يتمخض عنه الزمن بعد أجيال متعاقبة . فكم من مخترعات تفتق عنها زماننا وكانت فى ألفاف الخيال سجينة من أزمان طويلة . فقد جالت فكرة الطيران بخلد الإنسان منذ تنفس فجر الفكرة الحية فى الإنسانية . وكم من أفكار كانت فطرية ساذجة ثم أصبحت مع الزمن فنوناً من النظريات والعمليات الخالدة . . . أجل هذا حق لا يتداخله شك ، ولا يشوبه إفراط . ومن طرائف هذه الحيوية التى تسبق الزمن ما عرض لى فى أثناء مطالعاتى يا والدى . . . فقد رأيت أن الشاعر البدوى الجليل « عبد المطلب » كان قد عالج الرواية الشعرية علاجاً استكمل شرائط الفن ، واستوفى أوصاف الحيوية التى طالعتنا من فنون أمير الشعراء ... فقد ألف عبد المطلب عدة روايات شعرية تمثيلية . وكان هذا منذ (٢٩ عاماً) فعبد المطلب بذلك يتفرد وحده بفضل السبق فى هذه الناحية الخطيرة من الفن الأدبى . فقد افترع هذا اللون من الشعر الروائى افتراعاً قبل أن تتفتح عنه عبقرية أمير الشعراء . ولا نسوق هذا القول من غير دليل ينهض شاهداً على صدقه ؛ فإن للشاعر (البدوى) عدة روايات تمثيلية توجد بدار الكتب منها روايتا « امرئ القيس » و « المهلهل » : وقد قام — رحمه الله — بتأليف رواية اسمها « ليلى العفيفة » نشرت مجلة (المعرفة) جزءاً منها دليلاً على سبقه فى هذا الفن . والمتأمل فى هذه الرواية يرى كيف استطاع الشاعر أن يقنعنا بأنه كان مطبوعاً ، حسن التصرف قد أغناه عفو قريحته عن التكلف ، وبعد به عن التصنع ... هذه بعض آثار الحيوية الفكرية يا والدى ، وإنها لتدفع الناس إلى التأمل فى حالهم ، وربط ماضيهم بحاضرهم ، والتطلع إلى مستقبلهم ؛ وهذا التأمل والربط والتطلع ، يجىء من بعده الرغبة فى التقدم ، والمطالبة بالحرية ، والسعى وراء المجد . ويظهر هذا الأثر الأخير فى حيوية الفكرة الدينية ، وخاصة في حيوية الفكرة فى الدين الإسلامى المجيد ، فقد كانت الحقيقة المؤمنة تنطلق عزمة ، وتتوهج رغبة ... تنظر إلى أحابيل الشيطان نظرة القدرة القادرة ، وتتأمل أضاليل الباطل بثقة الحكمة النافذة ، فكان لها النصر المبين . بعثت حيوية الرسول فى قلوب المؤمنين القوة التى قهرت الباطل ، وبددت سحب الشيطان ، وأقامت على أطلال الشرور والرياء والنفاق والفرقة والضلال مجداً عظيماً : قويًّا بالإيمان ، ثابتاً بالعقيدة ،

صادقاً بكلمة السماء ، خالداً بخلود الفضيلة والحق . وحيوية الفكرة فى الفنون — يا والدى — هى دلالتها على زمنها ، وعقلية أصحابها ، وما يموج بأحاسيسهم ، ويضطرب فى ميولهم ، ويختلج فى صدورهم ، ويساير نهضة علومهم وعقليتهم ، ويلابس حقيقة مجتمعهم ، ويرمى إلى مثلهم العليا فى مفاتن الجمال ، وروائع الحسن ، وبدائع الفن ، ومحامد الأخلاق ... وحيوية الفن إذا اتسعت آفاقها ، وعظم خطرها ، بسطت حيويتها على كل فكرة وأمل وغاية ، وخلعت على صاحبها ، أو الأمة التى نضجت فيها ، لوناً خاصاً يحدد مكانها من عالم الفن ... بل إنها لتجعل صاحبها يبعث روحه فى كل ما يكتسبه من العالم الخارجى ويطبعه بطابعه الخاص ... وهذه هى رسالة الحيوية الحق فى الفن !

قلت : ما أحوجنا — يا بنى — إلى هذه الحيوية ، حتى لا نضرب فى ظلمات التقليد الأعمى لكل ما هو غربى ، من غير أن نعمل التأمل فى أسبابه وغاياته وملابسته لأحوالنا ، ومسايرته لميولنا وأحاسيسنا وتقاليدنا !

محمود البشبيشى

قصة اجتماعية فى رسائل

زوجـــة الأب

مترجمة عن الانجليزية

بقلم الأستاذ محمود عزت عرفة

عزيزتى هيلين ...

لا ريب أنك ترتقبين البريد فى لهفة كل يوم ، على أمل أن يحمل إليك من أبيك خطاباً ؛ بل إنى لأكاد أتخيلك وأنت تشيعين الساعىَ بنظرة ملؤها الدهشة والألم معاً ، فى كل مرة يمضى فيها دون أن يترك لك هذا الخطاب المنشود . ولعل دهشتك ستكون أبلغ حينما تتلقّــين هذه الرسالة من « زوجة أبيك » . وإنى لأستطيع أن أسمعك وأنت تقولين لصديقتك إيدنا :

— أبلغ من تأثير هذه المرأة عليه ألا يخاطبنى إلا عن طريقها ؟!

على أنى ألتمس إليك أن تبادرى بتدارك هذا الوهم الذى تقعين فيه ؛ فلم يسألنى أبوك أن أكتب إليك ، بل إنه ليجهل أنى بعثت إليك بهذا الخطاب ؛ ولعله لو عرف لغضب . وهو فى الحقيقة لا يكاد يذكر اسمك أمامى ، من يوم أن عدنا إلى المنزل فألفيناك قد هجرته غضبى . فكل ما أفعله إنما هو بإرادتى ومن محض تفكيرى ... وما أشك فى غريزة حب الاستطلاع ستدفعك إلى قراءة كتابى حتى آخر كلمة فيه ؛ فإن من غير المستساغ أن ترسل زوجة أب بخطاب مطول صريح اللهجة إلى ابنة زوجها الوحيدة ، ولما تمض على نهاية رحلة الزواج أيام ... !

ولكن ... ماذا أنا قائلة لك ؟ وكيف أوضح موقفى بحيث أستطيع — وحسبى هذا — ألا أزيد الأمور بينى وبينك تعقيداً ؟

إعلمى أولاً أنى لن أتوجه إليك بأدنى لائمة ؛ بل إنى لأقدر — بعطف بالغ — هذه الإحساسات التى دفعت بك إلى الرحيل ، وأدرك أنك تنظرين إلى العلاقة بين زوجة أب وفتاة متحررة فى التاسعة عشرة من عمرها ، كأمر يصعب الاحتفاظ به ؛ ولو كنت فى موضعك لما وسعنى إلا أن أتمرد مثلك ، ولكن ليس بهذا الأسلوب الذى اصطنعت ... !

واسمحى لى أن أذكرك — وملء نفسى الأسى البالغ والأسف المرير — بأنك قد تصرفت تصرفاً انطوى على أبلغ القسوة وأشد الإهانة لى ولأبيك . وصدقينى حين أقول لك إنى لا أشكو مما أصابنى شخصياً ؛ فقد كان عملك لطمةً موجهة إلىَّ ، ولكنها كانت أشد ما يكون وقعاً على والدك المسكين ... لقد أمضه الألم وأرمضــه الحزن حتى لاذ بالصمت ؛ وبالتالى وجدتنى متألمة لألمه ...

وأعترف لك بأنى لم أكن أتوقع منك تصرفاً جفائياً مؤلماً كهذا . ففى مرحلة تعارفنا الأولى كانت تربطنا مودة صادقة ؛ ولما بدا احتمال اتصالنا برباط أوثق عن طريق أبيك ، استحال إخلاصك وثقتك السابقان إلى نفور مزاجه التأدب والتحفظ ؛ وكان ذلك أمراً طبيعياً ...

ولقد بدا لى أنى أستطيع متى أظلنا سقف بيت واحد ، أن أجعلك تفهمين مقصدى وحقيقة شعورى

كنت ولا أزال أحبك كثيراً ؛ أحبك لشخصك ثم لأنك ابنة « أبيك » ! ولقد شجعنى تصرفك قبل الخطبة وبعدها على الأمل فى أن أحل وإياك المشكلة التى طالما سببت المتاعب للأسر جميعاً : مشكلة العلاقة بين الأبناء وزوجات الأب . وعلى هذا الأمل قضيت « شهر العسل » فى وافر من الغبطة والسعادة .

ولــكن ... أى استقبال هذا الذى أعددته لنا ؟

ليتك تعلمين يا هيلين كم كان أبوك يشتاق إلى لقائك طوال مدة رحلتنا !

لم نرك فى انتظارنا على المحطة كما كنا نتوقع . قلنا : حسناً ، إنك فى المنزل بلا ريب ترقبين عودتنا ؛ وقد أعددت لنا عشاء شهياً ينسينا مشقة سفرنا الطويل . ولما اقتربنا تفرس أبوك فى نوافذ المنزل علّه يراك ؛ ولكننا لم نلمح غير السجوف المرخاة فى عناية ، وأطراف هذه الستائر الفرنسية التى شذبتها يداك منذ عام . واخترق والدك الممر وثباً . ثم فتح الباب بمفتاحه الخاص وهو يهتف فى قلق :

هيلين ، هيلين ... أين أنت ؟ ! ...

وانفتح أحد الأبواب ، وأطلت منه الخادم وعلى وجهها سمات الذعر ؛ فبادرها بالسؤال : أين مس هيلين ؟ ...

وكانت الحقيقة أروع من أن تعترف بها الفتاة ، فاضطربت وهى تغمغم بأنها لا تدرى ... ثم انزوت عن وجهه سريعاً .

أسرع أبوك إلى غرفتك « الأستديو » وفتح بابها ؛ فدله المنظر الذى أمامه على ما حدث بأتم وضوح . كان كل ما يخصك أو يهمك فى الحجرة قد اختفى ، فلم يكن ينقصه — ليعرف ما صنعت — أن يقرأ هذه الرقعة التى تركتها على رف الموقد بعد أن خططت عليها كلمتك القصيرة :

« لقد انتقلت عن هذا البيت لأقيم مع صديقتى إيدنا كورى »

ومع ذلك فقد أطال أبوك التحديق فى هـذه الوريقة وهو يولينى ظهره ، ثم استدار إلىّ بعد حين فالتقت أعيننا وأعتقد أننا تبادلنا فى هذه اللحظة كل ما نستطيع التعبير عنه بالكلام

وأخيراً مس ذراعى بيده مترفقاً وهو يقول : تستطيعين أن تهيئى لنا طعامنا الآن ... كان يتكلف الهدوء ويتظاهر بعدم المبالاة ؛ فعجلت بالانصراف من أمامه قبل أن يتبين فى وجهى أنى أدرك حقيقة شعوره . وعند ما التقينا بعد ذلك على مائدة الطعام كان يتصرف كما لو أن شيئاً هاماً لم يحدث ! ولقد جاريته فى رغبته ؛ ولم يكن يتسنى إلا لمثلى ومثلك ممن يعرف خبايا نفسه أن يلحظ هذا الألم الذى يعصف فى صدره . وإنى لواثقة من أن أباك لن يلتمس إليك العودة بحال ؛ وأنت التى ورثت كبرياءه تدركين لم لا يفعل ذلك . أما من جهتى ، فلن أطلب إليك شيئاً كهذا للعلمى أن أيسر ملتمس منى جوابه الرفض . وإنما سأخاطبك فى وضوح . وسأحاول أن أبين لك أن زوجة الأب على رغم سمعتها السيئة تستطيع أن تكون أحياناً صادقة الرغبة فى تفهم وجهة نظر ابنة زوجها ، بل هى قد تقبل التضحية البالغة من جانبها فى سبيل أن تخيم السعادة على الجميع . وما خطابى هذا إلا دليل ملموس على ذلك . قد لا تفهم فتاة مثلك لماذا يرغب أبوها فى الزواج مرة أخرى ؛ ويبدو لها طلب أبيها لزوجة جديدة أمراً شاذاً غريباً كما لو راحت هى تلتمس لنفسها أماً أخرى ؛ وهى ترى أن كائناً من كان لا يستطيع أن يملأ الفراغ الذى خلفته أمها ؛ وبالتالى لا تكاد تصدق بوجود المرأة التى تملأ من أبيها فراغ الزوجة . ومن المشاهد أن تطفُّل امرأة أخرى — بعد ذهاب الأولى — من الأمور غير المرغوب فيها ؛ حتى ولو كانت الأولى قد قصرت فى أداء مهمتها كزوجة أو أم . فكيف يكون الحال مع امرأة فضلى كأمك جديرة بكل حب من زوجها وطفلتها ؟

لا ريب أن موضعها سيبقى شاغراً إلى الأبد !... لست أطالبك بأن تنظرى إلى المسألة كما أنظر إليها ، أو تضعى فى ذهنك أن أباك هو أول من أحببت ، وأنه عند ما سألنى الاقتران به أحسست بسعادة لم أكن أحلم بهـا . فستقولين ـ وأنت محقة ـ إن هـذه أمور لا تعنيك فى شىء ؛ وعليه فلنجعل الأساس المشترك بيننا سعادة والدك ، فعند هذه النقطة قد يلتقى سهمانا ...

ولو أنك فكرت فى الأمر قليلاً لوجدت أن مزايا والدتك وفضائلها ، هى التى لجأت أباك إلى التزوج مرة أخرى . وقد يبدو لك هذا الكلام متناقضاً أو قائماً على الوهم ؛ ولكنه فى الواقع ينطوى على نتيجة طبيعية يفضى إليها منطق مستقيم . فإن الزواج إذا انفصمت عروته بالموت يترك من الفراغ والوحشة بقدر ما حقق من سعادة ونعيم ...

وأنت نفسك — لن تستطيعى الادعاء بأن حبك لوالدك بعد وفاة أمك ، قد شغل أكثر من ركن صغير ، وصغير جداً ، من هذا الفراغ الذى خلفته وفاتها ! وكذلك الحال مع الأب ، فما حبه لطفله إلا تتمة حبه لزوجه . والعلاقة بين الأب وابنته تختلف — كما وكيفاً — عن علاقة الزوج بزوجه . وأنا لست أدعى فى لحظة ما أنى قد ملأت هذا الفراغ تماماً ؛ ولكنى أردد صادقة أنى اكتسبت محبة أبيك وثقته ، وأنى أسعدته بحبى له سعادة لم يكن لينالها — على الأقل — بغير حب المرأة ...

وما إخالك تنكرين أنه قد اختارنى بمحض إرادته ؛ وليس لمجرد دافع يسير ، بل لحاجة ماسة إلى تجديد هذه العلاقة الوثيقة التى افتقدها بموت والدتك . فإذا أنت أدنتِنى فقد أدنتِ أباك ،

وبحكمك هذا يبدو مبلغ قصورك في إدراك حقيقة الطبائع البشرية

وقد تبدو نظريتك معقولة من فتاة غير متزوجة تفيض نفسها بالوفاء الخالص والطيبة الساذجة ، ولكن لن يقاسمك هذه النظرة أي رجل أو امرأة ممن خبر الحياة وعرفها على حقيقتها .

والآن ... دعيني أتقدمْ بك خطوة أخرى :

لا بد لك أن تسلمي — إن عاجلاً أو آجلاً — بأن أباك هو صاحب الحق المطلق في تقدير قيمة هذا الزواج الأخير الذي ارتبط به ؛ ولكنك قد تحتجين بأن هذا التسليم لن يغير شيئاً من شعورك نحوى . ولعلى لا أكون مخطئة إذا قلت إنك قد قلبت هذه المسألة من جميع وجوهها مع صديقتك « إيدنا » فرثت لحالك وأقرتك على موقفك . وإنى لأستطيع — متى شئت — أن أسرد عليك كل ما دار بينكما من حديث ؛ أو بالأحرى كل ما أفتته من « حجة » وعقبتْ عليه من « تأييد » . وأنا واثقة من أنك قد قلت الشيء الكثير مما كنت أقوله لو كنت في مثل هذا الموقف . كنت أقول إني أطلب حياة مستقلة لا تعترض سبيلي فيها امرأة أخرى كائنة من كانت ؛ وكنت أذكر مبلغ حنيني إلى هذه المعيشة الحرة التي أنفقت فيها عامىَّ الأخيرين ، أغدو وأروح في حرية تامة ، وأختار أصدقائي وفق ما أشتهي ، وأدبر شئون بيتي بأسلوبي الخاص ؛ مستمتعةً بهوايتي ، أرسم حيث أريد ومتى أشاء ؛ أقضي أوقات فراغي في خمول إن أحببت ، أو أدعو أصدقائي إلى تناول الشاي والرقص والحفلات التمثيلية الخاصة ، آخذة من كل متعة بنصيب دون أن أجد من يعترض سبيلي أو يقول كلا ... لست أري لك ذلك يا عزيزتي .

كنت أرفض رفضاً باتاً كل تدخل — أو تهديد بالتدخل — بيني وبين هذه الحرية النفسية ؛ وكنت أرى بالبداهة أن دخول زوجة الأب المنزل إنما هو قضاء عاجل محتوم على كل هذه المناعم والملاذ ...

ألم أصور لك نفسك في جلاء ؟ . . . ألم تقولي كل هذا لصديقتك إيدنا فدعتك إلى هجر بيت أبيك والإقامة معها : ترسمين بـ « الباستيل » كما تشتهين ، وتكتب هي القصص القصيرة على طريقة « موبسان » ؛ فتقضيان حياة بوهيمية رائعة ؟ ... لست متيقنة من قدرتي على إقناعك بالخطأ الذي بنيت عليه هذا القرار المفاجيء بالرحيل عنا ، وهذا مما يزيدني شفقة عليك وعطفاً . قلت لك إنك أخطأت في الحكم علىَّ ، وسأوضح لك ذلك الآن فإن مما يؤلمني كثيراً أنك لم تقدري صعوبة تلك المهمة التي تكفلت بها ، ولم تعامليني معاملة تدل على تقديرك لمشاعر المرأة التي تخيرها أبوك زوجة له . كنت قد وطنت نفسي — متى أظلني وإياك سقف بيت واحد — على أن أترك الأمور تسير في مجراها ما وسعني ذلك ؛ فلا أتعرض لك في شيء ، ولا أحول بينك وبين تحقيق رغبة . . . كنت قد وطدت عزيمتي على أن أعاملك كما أعامل أختاً لي صغيرة ، على أن أتخلى — مع ذلك — عن حق الأخت الكبرى في التوجيه وإسداء النصح ، ما لم تطلبي إلىَّ شيئاً من هذا . بل كان يرضيني أن تهومي على شئون المنزل دوني إذا سرك هذا وأرضى أباك ؛ وأنت تعلمين مبلغ تضحيتي في ذلك ، لأنك تدركين كما أدرك كبرياء المرأة وشدة اعتزازها بالسيطرة على مرافق بيتها . لم أكن أريد أن أنتزع شيئاً من اختصاصاتك إلا ما أوجبه لي حق الزوجية ، من ألا تحتفظي بأبيك خالصاً لك من دوني !

ولقد ساغ لي هذا التفكير لأني أقرب في نشأتي من أبناء جيلك مني إلى أهل الجيل الماضي ؛ فأنا متوسطة بين الجيلين ، ولست متقدمة في السن كما قد تتصورين يا عزيزتي هيلين . ولقد ربيت منذ طفولتي على هذه الحرية التي تذوقتِ أنت حلاوتها ، ولكني تخليت عن كل ذلك لأبيك وأنا راضية مختارة لأن ثمة في الحياة ما هو أثمن من الحرية ؛ وإني لأرجو لك أن تتخليْ مثلي عن حريتك ، في اليوم الذي يلقاك فيه من يستأهل منك هذه التضحية ...

شكواي أولاً وأخيراً أنك حكمت علىَّ قبل التجربة ، وجعلتني هدفاً لهذا التحامل الذي مُنيتْ به « زوجات الآباء » منذ بدأت الحياة !

وأنا لا أود أن تطول بنا هذه الحال ، وأعترف لك بأن حجرة رسمك المهجورة ومخدعك الخالي قد أوحشا بعدك وحشة لا يسعني التعبير عنها . أما تأثير ذلك على أبيك فإني أترك لك تقديره

وإذا كان يهمك أن تتأكدي من مبلغ صدق وصراحتي في كل ما ذكرته لك ، فما أشك في أنك تمنحينيَ الفرصة التي أدلل لك فيها على ذلك ؛ وكل ما أتمناه أن تنزعي ثوب (التحامل) وتعودي — ولو إلى فترة محدودة — حتى يتبين لك كل شيء . ومن المحتمل أنك لن تتأثري كثيراً بما أعرضه عليك من صداقتي ، أو لعلك تعدين من الحماقة أن تأمل زوجة الأب — الفظة القاسية — احتلال ركن من قلب ابنة زوجها ؛ وقد يكون كل ما عرضته

٣ – كتاب الامتاع والمؤانسة

الجزء الثاني

للأب أنستاس ماري الكرملي

٤ – أوهام التأويل والتفسير

جاء في حاشية ص ٦ تفسير قول المؤلف : « دونه حدد أي دفع ومنع » . والصواب ما قاله الأمير شكيب أرسلان في حاشية الصفحة ٥٧٣ من مجلة المقتبس ، المجلد الثامن : أي الممتنع الباطل

وورد في ص ١٣ : « ولا تحضّ على الدينونة بها . وضبطت بفتح الدال وضم النون ؛ ثم وردت الدينونة في ص ١٧٨ بفتح الدال والنونين ، في هذه العبارة وهي : « والدينونة لمذهبك المستقيم » . والذي نعرفه أن الدينونة من مصطلحات النصارى ، وهي غير فصيحة ، والصواب : (الدِّين) بكسر الدال ؛ لأن الفعلولة في الأجوف خاصة باللازم في أكثر الأحيان ، وعلى ذلك يقال : الذيموعة ، والشيموعة ، والصيرورة ، والقيلولة ، والبينونة والديمومة ، مصادر الأفعال اللازمة : ذاع ، وشاع ، وصار ، وسار ، وقال ، وبان ، ودام إلى نظائرهن

وفي ص ٥٩ : « الجاثليق من رؤساء النصارى ، معروف » قلنا : ولا نظن أن أحداً يعرف الجاثليق حتى أغلب النصارى ، وما قاله الشارحان مُثبَت في كتب اللغة . ومثل هذا الشرح لا يرضى به أهل هذا العصر ، وكان يجدر بهما أن يشرحاه شرحاً يخرجه من هذا القول الذي لا يستفاد منه فائدة صريحة ، والأحسن أن يقال : الجاثليق رئيس الأساقفة عند النصارى الشرقيين ، واليوم ليس له وجود ، ويسمى بالفرنسية catholicos فكيف يقول الشارحان : معروف ؟ وممّن معروف ؟ وعند من معروف ؟

وفي ص ٦٠ : « ويا قَصراً بلا مِسْناه » وضبطت الكلمة الثانية بكسر الميم ، وإسكان السين ، وفتح النون ، وفي الآخر هاء . وفي الحاشية : المسناة المرقاة ، من السناء بالمدّ وهو العلو والرفعة » — قلنا : لا وجود لهذه الكلمة بهذا الضبط ، وهذا المعنى في لغة الضاد ، فمن أين أتيا بها ، وعمن نقلا هذا الشرح ، أو هذا التخريج ، أو هذا التأويل والتفسير . والمشهور عند العراقيين : أن للقصر مُسَنَّاة ، وهي بضم الميم ، وفتح السين ، وتشديد النون ، يليها ألف فهاء منقوطة ، وهي المَرِم أي ما يبنى بين يدى القصر الواقع على النهر ليرد الماء عنه

وفي ح الصفحة المذكورة ، فسرت البواري بتشديد الياء : ضرب من الحصر تعمل من البرديّ معروفة بمصر إلى اليوم . اه والبواري عندنا في العراق تطلق على الحُصُر التي تتخذ من القصب . وفي الحديث : إنه كان لا يرى بأساً بالصلاة على البواري . قالوا : هي المعمولة بالقصب . راجع النهاية لابن الأثير والشارح في بور

وفي ح ص ٦٥ : « مبرسم : أي به برسام ، وهو علة يهذي فيها » — قلنا : وهذا شرح عام يصدق على كثير من الأمراض

عليك أموراً سلبية : لن أصنع كذا ... لن أقول كذا ... على أن أدلتي الإيجابية كلها تلتقي عند أبيك ؛ فكلتانا – لو علمت – تعيش له أكثر مما تعيش لنفسها . وأنا أعترف لك بأني لا أستطيع أن أملأ فراغ غرفتيك ، مهما يكن ما بذلته أو سأبذله

وثمة أمر آخر يزعجني ؛ فمنذ عودتنا لم تمس يد حجرتيك بتهوية أو تنظيف ، إذ لم أُردْ أن يلمس أشياءك أحد سواك . وتركُ الحجرتين بهذه الحال إلى مدًى طويل مما لا يرضى ربَّة بيت ... ولكنك ترَين من هذا مبلغ جهادي في سبيل الاحتفاظ بأشيائك على حالها

وقد يكون من غرائب المصادفة ، إن لم يكن من الفأل السيئ ، أن أخط اسمي الجديد لأول مرة (تعني لقب الزوجية) في ذيل مثل هذا الخطاب الذي تُلْجئني إلى كتابته ظروف كتلك التي نحن فيها ... وتقبلي تحيات صديقتك المخلصة :

« مرجريت كنيدى »

(جرجا) محمود عزت عرفة

التى يهذى فيها المريض . والصواب أن البِرْسام ، على ما فى بحر الجواهر — وهو معجم طبي قديم — : وَرَمٌ فى الحجاب الحاجز نفسه ، وهو الحجاب المعترض الذى بين القلب والمعدة ، وأما الحجاب الحائل الذى بين المعدة والكبد ، فما لم يقل به أحد من الفضلاء غير الطبرى » ا هـ

وفى ص ٥١ و ٦٦ جاء ذكر السِكْباج . وفى ح ٥١ قيل : « السكباجة : مرق يعمل من اللحم والخل . وهو فارسى معرَّب ، وفى ح ٦٦ مثل هذا الكلام . وفى ح ص ٥١ : « الهُلام : مرق السكباج يبرَّد ويصفى من الدهن » — قلنا : وكل من السكباج والهلام طعام . فالهلام فى كلام الشاعر طعام من لحم عجل بجلده ، وله معنى آخر فرعى هو مرق ... إلى آخر ما هناك . والسكباج : « لحم يقطع أوساطاً ، ويجعل فى القدر ، ويغمر ماء ، ويرمى فيه كُسْفُرَة خضراء وعود دارصينى قدر الحاجة ، وإذا غلى تخرج رغوته وزَبَدُهُ بالمغرفة وترمى ... » ، (راجع كتاب الطبيخ لمحمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب البغدادى — ص ٩ من طبعة الموصل بعناية الدكتور داود الجلبى)

وفى ص ٧٦ : ولكن لما ضعف الدين وتحلحل ركنه ... وفى الحاشية تحلحل ركنه أى تزعزع وزال عن موضعه . ونحن نظن أن الكلمة هى تجلجل بجيمين . قال اللغويون وفى رأسهم المجد الفيروزابادى : تجلجل الشيء تحرك وتضعضع . يقال : تجلجلت قواعد البيت أى تضعضعت

ومن أغرب ما قرأته من التأويلات ما جاء فى ح ص ١١٠ إذ قيل : القِلْى ويقال فيه قِلًى كالى : هو شب العصفر ويتخذ من حريق الحمض . فما الذى أراده الناشران بشب العصفر ، وهل للعصفر شب ؟ إنما الوارد فى بعض كتب اللغة : وهو حب يشبب به العصفر بمعنى يزين ويحسن لونه ، وهو من التشبيب ؛ فأين الشب من التشبيب — يا سيديَّ الأكرمين — وهل الشب والتشبيب شيء واحد ؟

وقال الناشران فى ح ص ١٣٦ : الطنطنة : حكاية صوت الطنبور وشبهه ؛ وصحيح التفسير هو : حكاية النقرات ، فالمزج مثلاً هو الذى تتوالى فيه نقراته نقرة نقرة وهذا رسمه : طَنْ ، طَنْ ، طَنْ ، طَنْ ، طَنْ ، طَنْ . ومنهم من يقول : مَنْ بالتاء المثناة الفوقية فى مكان الطاء المثالة وهو الأشهر في كتب القوم (راجع كتاب « مفاتيح العلوم » من ٢٤٥ من طبعة أوربة)

وورد فى ص ١٤٦ : وهكذا مصاريع أبيات الشعر ، فإنها تختلط بالنثر متقطعة وموزونة ومنتثرة ومنضودة ؛ والصواب عندنا وموضونة من وضن الشيء أى نضده

وفى ص ١٤٨ ورد هذا المثل : البطنة تذهب الفطنة . وذكره التاج بصورتين . فقد قال فى مستدرك أف ن : البطنة تأفن الفطنة . وهى الرواية المشهورة التى سمعناها ونحن أطفال . وذكرها فى مادة ب ط ن : البطنة تذهب الفطنة . وهذه الرواية دون تلك شهرة

وفى نص ص ١٦٧ : « وَيُرَقِّى بهيّا شراهِيا . وعُلِّق عليها فى الحاشية : « هياشراهيا كلمة عبرانية مناها ياحى ياقيوم كما فى المصباح . وفى القاموس مادة شره : أَشْرَاهْيا ، بفتح الهمزة والشين : كلمة يونانية معناها ، الأزلى الذى لم يزل . والناس يغلطون ويقولون : أهياشراهيا ، وهو خطأ على ما يزعمه أحبار اليهود » ا هـ

قلنا : لو رجع الأستاذ أحمد أمين بك إلى أحد معلمى العبرية فى الجامعة المصرية فى لفظ هذه العبارة ، وفى أى لغة هى ، وما معناها ، لقال له : وردت هذه الفقرة فى سفر الخروج فى ٣ : ١٤ بهذه الحروف : أهْيا أشْر أهيا أى أنا هو الذى أنا أو : أنا هو الكائن . ويقابلها باللاتينية ego sum qui sum وباليونانية أو الإغريقية egô eimi oôn فهذه هى الفروق بين هذه اللغات الأربع ، إذن الصواب أنها بالعبرية ويجب أن تكتب كما كتبناها ، وما سواها فخطأ فى خطأ في خطأ والمعنى كما أعطيناهُ وهو يرجع إلى أن المراد من ذلك : أنا الموجود الذى لن أزال موجوداً

وورد فى ص ١٦٨ هاتانِ الكلمتان : « وكُمَيْتِهِ القَـدَّرين » ونحن نرى أن الصواب هو « الفزدَّرين » بمعنى

سر المهنة في التزوير الخطي

للأمير عبد القادر الشهابي

التزوير عمل إجرامي يقصد به جر مغنم أو دفع ضرر، وهذا يصح في عرف العلماء على وجوه ثلاثة هي:

الأول — خلق شيء لا وجود له كوضع توقيع

الثاني — زيادة شيء من تاريخ أو رقم أو ما يماثل ذلك

الثالث — حذف شيء، وهذا يتأتى بالحك أو الشطب الدقيق أو الإذابة أو الحل أو إزالة اللون بعرض الأشعة أو الأحماض أو بأي وسيلة أخرى. وخير وصف يطبق على هذا العمل الجنائي هو أن يقال: (إنه الإتيان بعمل لم يكن موجوداً). وله أركان لا بد من توفرها:

١ — جلب النفع أو دفع الضرر

٢ — ألا يكون للشخص المجنى عليه علم به

٣ — هناك عنصر دقيق نص عليه كثير من الفقهاء الفرنسيين والبلجيكيين والإيطاليين وفطنت له محكمة النقض والإبرام التركية في أحكام لها ما بين سنتي ١٩١٢ — ١٩١٦ وهو أن يشترط في التزوير تحقق ركن المحاكاة والمشابهة، فإذا أريد تزوير ختم فلا يمكن أن يكون الشيء الذي يدعى تزويره ختما مستطيلاً، بل ينبغي أن يكون مستديراً. وإذا كان الختم ذا زوايا فيجب أن يكون الختم المراد وصمه بالتزوير ذا زوايا. وهكذا يجب أن يتحقق عنصر المحاكاة والمشابهة. فإذا فقد هذا الركن زال عنصر التزوير من أساسه.

على أن المشابهة والشكل لا يؤثران في الكتابة والإمضاءات بل في مواقع أخرى تختلف عن غيرها، إذ أحياناً لا يلزم استكتاب المتهم بحال وجود أوراق رسمية سابقة معترف بها تكون مداراً للتطبيق. ومن المهم حينئذ إلمام الخبير بروح الكتابة أي بمعنى (سر المهنة) وما زاد عليه من المشابهة والتناسب وتباعد النقط والأحرف فهذا شيء ثانوي بالنسبة للخبرة التامة بروح الكتابة، وهي بالأحرى سر المهنة لما ذكر؛ ويكفي الاستدلال بالسابق دون ما عداه مما يحدث أثناء التحقيق مثلاً، لأن السابق على التحقيق يعطي الخبير الملم صورة صادقة لنفسية الكاتب الطبيعية وحالته النفسية بأجلى مظاهرها دون أن يسيطر عليه الجزع أو الفزع أو تؤثر فيه عوامل التحوير والتصنع، فلا يكون إعطاء التقرير في حالة كهذه وفي جانب العدالة أقوى مما لو كان في حالة الهدوء الطبيعية السابقة

كذلك لو وجدنا إمضاء مطابقة للأخرى في حجمها وشكلها وأبعادها حينئذ تعتبر إحداهما مزورة بلا نزاع

ولا يمكن إعطاء تقارير عن صور فتوغرافية، ولا بد من أن نلفت حماة العدالة إلى هذا، إذ كثيراً ما ينطوي تحته أمور أقل ما فيها وضع لثام كثيف على عيوب وجنايات تهضم بها الحقوق، فيجب ألا تعتبر الصور الفتوغرافية، بل يلزم أن يجرى التطبيق على نفس الأوراق الأصلية المطعون فيها مهما كانت الأسباب

أما التزوير، فخير ما يقدم في موضوعه الرجوع إلى ما ذكره غير واحد من أولئكم الفقهاء وهو قولهم أن كل فرد يستوحي غريزته حين العمل مهما كان حاذقاً في مزاولة جريمته، ولا بد من

المشقوقين، وشق الأكمام شقاً واسعاً أمر معروف إلى اليوم في العراق، وهو أمر يكاد يزول في العراق، لاتخاذ الناس الثياب الإفرنجية، لكننا رأينا هذا الأمر شائعاً في وادي الرافدين قبل نحو خمسين سنة

على أن رأينا الأخير هو أن صواب العبارة: «وكُمَّيْهِ المُفَرْوَزَيْنِ، وزان المُدَحْرَجَيْنِ» والمُفَرْوَز من الثياب ما كان محلى بالفرواز وهو هدْب منقش تزين به الأكمام والثياب ويسمى بالفرنسية franges والكلمة في الفارسية (پَرْوَاز) بالباء المثلثة المعقودة بهذا المعنى واشتق السلف منها فعلاً فقالوا: فَرْوَزَ الثوب أو الكم أي زيَّنه بالفراوز. وكان يتخذه أكابر الناس والعلماء في العهد العباسي. واستعماله باقٍ إلى اليوم عند أكابر شيوخ العرب وهو على شفا الزوال. ويزينون به أكمامهم إذا كانت طويلة واسعة مدخل اليد

(يتبع)

الأب أنستاس ماري الكرملي
أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

أن تطل غريزته من إحدى جزئيات أعماله ، فالكاتب الذى يتبدئ السطر أو الكلمة أو الحرف أو المقطع أو زاوية الحرف ، أو اعتاد أن يرسمها ، أو يحدث بها تعريجاً ، أو يظهر منه اضطراب ، لا بد وأن ينكشف أمره وتتغلب عليه عادته ، ولهذا لجأ القضاة والخبراء إلى أن استكتاب المتهم المجنى عليه فى أغلب الأحيان ، حتى قال بعض الباحثين الأمريكيين أن الخبير إذا كان حاذقاً ما استطاع أن يعرف الجانى فحسب ، بل استطاع أن يعرف نفسيته والظروف التى كانت تسيطر عليه حين الكتابة ؛ ولذلكم كان على الخبراء أول ما يبادرون إليه بعد استكتاب المتهم الجمل والكلمات والأحرف أن يدققوا فى روح الكتابة . ومعنى هذا معرفة سر المهنة ، وأن ينظروا فى تلكم الزوايا ويدققوا فيها وفى مبادئ الكتابة وانتهائها ، فإنها المظاهر التى يمكن أن تفضح الجانى . ولقد ارتقى فن كشف التزوير الخطى بارتقاء فن التزوير تبعاً لناموس الارتقاء العام ، وأصبحت هنالكم الأشعة والأحماض والتلوينات ووسائل التحليل وما شابه ذلكم من فحص حياة المكروبات الموجودة فى المادة التى كتب الخط بها لمعرفة عمر تلكم المواد والمقايسة بين هذا وبين تاريخ المستند أو الخط . وهكذا أصبح لدى العلم وسيلة كيميائية لا تكذب ؛ فمثلاً إذا ادعى تزوير سند مؤرخ من ثلاثة أعوام ، وأمكن فحص المداد الذى كتب به ذلكم المستند ، وظهر أن عمر هذا المداد لا يتجاوز السنة ، هنالكم يكون الإقناع التام بحدوث التزوير . وهكذا فى كل شىء يمكن أن يستفاد بالعلم لكشف الجريمة .

وقد قال بعض الباحثين يكفى أن يكون الخبير خبيراً بالخط بصيراً بفنونه وبالتصرف فيه فقط ، بل ينبغى أن يكون عالماً ، ولو فى جانب لا بأس به من علم النفس والإحاطة بمقتضيات المجتمع الذى انتدب لفحص الخط المدعى تزويره فيه

وهنالكم اعتبارات كثيرة ينبغى ألا تكون طبيعة فاحص الخط كطبيعة الإقليم الذى حدثت فيه عملية التزوير . فمثلاً البلاد المصرية وهى بلاد حارة قد يكون مرور بعض من الزمن فيها مؤثراً أضعاف مرور جزء من الزمن فى بلاد أخرى . كذلكم تعاقب فصول متكررة من صيف بعد صيف على وقوع تزوير لا يمكن أن يمر دون أن يترك أثراً فى تطور الخط فيما يمكن أن يعرض له من التطورات . على أنه فى غضون خبرتنا وممارستنا للخطوط لاحظنا أن المداد العربى الأسود القديم الذى كتبت به المصاحف القديمة وغيرها كان أثبت على الزمن من غيره ؛ وإن كان آخرون يرون أن العين المجردة قد لا تستطيع ما تستطيعه الآلات العلمية الحديثة من اكتشاف التطورات مهما كانت بسيطة ومحدودة . على أن هنالكم أنواعاً كثيرة من المواد المحدثة ضعيفة الثبوت تتنافى مع مستلزمات الأحوال ؛ بل يكفى مرور يسير من الزمن لحدوث تغيير فيها ، بل إن تعرضها للنور والهواء أو لمؤثرات أخرى قد يكون سبباً فى كشف حقيقتها .

بقى الشىء الوحيد الذى يمكن إخفاؤه والذى لا يهتدى إليه إلا بالاستكتاب ألا وهو الكتابة بالآلات الكاتبة ؛ فهذا الضرب من الكتابة قد يكون من الصعب اكتشافه لأن المصنع الواحد يخرج الآلات الكثيرة وكلها على غرار واحد ، فمن العسير ، بل من المتعذر معرفة الحقيقة ، إذ يمكن أن تتشابه تلكم الآلات ولا يكون هنالكم مجال إلا لفحص المداد الذى كان فى الآلة الكاتبة أو الشريط الذى يكتب به أو ما شاكل هذا .

وما دام العلم قائماً وما دامت الغرائز البشرية واقعة تحت تأثير عبادة المادة فسيظل الصراع عنيفاً بين العلم والإجرام حتى يعين الله العالم والعلم على وضع حد من نزوات الغرائز البشرية الجامحة هدانا الله إلى الحق وأذاقنا حلاوة اليقين

(القدس) **الأمير عبد القادر الشهابى**

أضعنا العمر ...

[إلى نشوة قربة راحلة ...]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

تَعَالَىْ نَسْمَعِ اللَّيْـلَ عَلَى الشَّطِّ يُنَادِينَا
وَفى كَفَّيْهِ خَمْرُ الْحُبِّ نَسْقِيـهِ وَتَسْقِينَا
فَـكَمْ دَارَتْ بِنَا الأَيَّا مُ لَمْ تَسْكَرْ لَيَالِينَا
وَكَمْ طَافَتْ بِنَا الأَحْلَا مُ لَمْ تَرْقُصْ أَغَانِينَا
تَعَالَىْ ... فَالْهَوَى حَيْرَا نُ يَبْكِى فى مَغَانِينَا
أَضَـعْنَا الْعُمْرَ عُشَّاقاً وَضِـعْنَا فى أَمَانِينَا
فَهَيَّا يَا غَرَامَ الرُّوحِ نَنْسَى كُلَّ مَاضِينَا
وَهَيَّا نَسْـكُبُ الأَشْوَا قَ نَارًا فَوْقَ وَادِينَا
هُنَا الدُّنْيَا تُنَادِينَا هُنَا الْحُبُّ يُغَنِّينَا
تَعَالَىْ ... فَدُمُوعُ اللَّيْلِ ذَابَتْ فى مَآقِينَا
وَخَلِّى الْغَيْبَ مَهْمَا يَأْتِ بِالأَسْرَارِ يَأْتِينَا
إِذَا أَسْعَدَنَا الْحُبُّ فَمَا فى الْكَوْنِ يُشْقِينَا ؟
تَعَالَىْ ... قَبْلَمَا نَغْدُو وَرِيحُ الْمَوْتِ تَطْوِينَا
فَلَا سِحْرٌ ، وَلَا خَمْرٌ وَلَا كَأْسٌ بِأَيْدِينَا ...

هنـــا القاهرة ...

للأستاذ عبد اللطيف النشار

يقول « هُنـا » كلٌ ويعنى مكانه
فهل « لهنـا » فى اللفظ معنى مشاركُ ؟
كقول « أنا » أو « أنت » أو كل لفظةٍ
ألاَ « أنَّ » كلاًّ فى المجاهل سالكُ
وأخدع نفسى إذ أحدّث سامعى :
متى اختلفت أغراضـنا والمدارك ؟
وقد بان وجهُ الْخُلْفِ لو أنَّ بيناً
من الـكون شىء وهو أسـود حالك
ولـكن أمراً فاته الخلف وحده وذلك أن الـكون أجمع هالك !

سجين الأغصان

للأديب حسين محمود البشبيشى

[كان لى حظ مشاهدة الغراب السجين بين أغصان الـكافورة الشجراء ، وكانت لى فرصة التأمل فى مقال أستاذنا الـكبير الزيات : « غراب وطفل » ... فصنعت هذه القصيدة نفحة من سحر مقال صاحب (الرسالة)]

« حسين »

غمرته أوهام الحياة وفرحة الوكر الجميـل
فمضى يصفق طائراً للعش والدوح الظليل
فى قلبه أمل الحياة شـدا بأنغام البقاء
وبثغره نغم الطبيعة رنَّ فى أفق السماء
وبروحه من بهجة الدنيا نشيدٌ ونغم
وجناحه الجبـار يسخر بالرياح وبالألم
وبعينه يتـدفق الإيمان بالأمل القريب
يبـدو وراء الأفق بساماً ومن خلف الغيوب !
فغدا يصفق فى الفضاء يهيم بين ظنونهِ
يا ليته قد كان يعلم ما وراء حنينه !
غمرته آمال اللقـاء وفرحة الدوح الحبيب
فمضى يجاهد طائراً ... يا لهفة الطير الغريب !
أشجته أصـداء العهود ترنّ فى أفق الفضاء
أصـداء أنغـام الربيـع تعيـد أيام الصفاء
أصـداء تغريد البـلابل فى تلافيف الغصون
كثرت عليه الذكريات فجن من فرط الحنين
قد حنَّ للوكر الجميـل وللأزاهر والطيور
للفجر أقبـل حالماً ليـذوب فى ثغر الزهور
للنجم ... للنجم الشريد تبـدّدت ألوانه
للنيـل فاض على الضفاف وصفقت شطئانهُ
للزورق الفنان يرقص من ترانيم الوداع
هزّته أوتار الرياح سرت بداعبها الشراع !



منارة

على ذكر مقال فضيلة الأستاذ محمد محمد المدني وفتوى صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير عبد المجيد سليم قرأت في مخطوطة بعنوان « مثير الغرام بفضائل القدس والشام » تأليف الإمام أبو محمود أحمد بن محمد بن ابراهيم بن هلال بن تميم بن سرور المقدسي [1].

قال : « وروينا في سنن ابن ماجة قال : حدثنا أحمد بن سنان حدثنا (أبو) معاوية عن خالد بن أياس عن يحيي بن عبد الرحمن ابن خاطب عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : أول من أسرج المساجد تميم الداري [2] » .

وروى أبو القاسم مكي بن عبد السلام الحافظ بسنده إلى أبي الحسن البراد قال : قدم تميم الداري من الشام إلى المدينة وحمل معه قناديل وحبالاً وزيتاً وسبحة [1] حتى قدمنا المدينة وكانوا إذا حضرت العتمة أوقدوا سعف النخل ؛ فلما أمسينا أمرني تميم فعلقت الحبال بالسواري وعلقت فيها القناديل وصبيت فيها الماء والزيت ووضعت الفتل ، فلما أمسينا أمرني أن أوقدها فأوقدتها ؛ فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : نورت يا تميم المسجد نور الله عليك ! أما إنه لو كانت لي ابنة لأنكحتكها . قال نوفل بن الحارث بن عبد المطلب إن لي ابنة فافعل فيها يا رسول الله ما رأيت ؛ فأنكحه إياها .

قال أحمد بن الحسن : ودعى تميم جدى أبا الحسن البراد فأعقبه [2] نحى المكان وأقمنا فلما كان يوم الجمعة خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس قائماً ؛ فلما انصرف قال له تميم : يا رسول الله إني قد رأيت بالشام شيئاً يضعونه في كنائسهم لأساقفتهم يسمى المرقاة ؛ أفلا أعمل لك مرقاة تقوم عليها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعملها يا تميم . فخرج تميم إلى السوق فاشترى خشبة ونشرها وعمل منها ثلاث درجات المنبر ففضل من الخشب فضلة فعملها تابوتاً فهى عندنا إلى اليوم نضع فيه نفاقاتنا ونتبرك به [3] .

(بيت المقدس) أحمد سامح الخالدي

(١) ألف هذا الكتاب سنة ٧٥٧ وكان مولد صاحبه سنة ٧١٤ وتوفي سنة ٧٦٥ هكذا في كشف الظنون والمخطوطة في خزانة الكتب الخالدية ببيت المقدس ولدى كاتب هذا المقال نسخة من هذه المخطوطة استنسخها من المكتبة الظاهرية بدمشق . والنسخة الخالدية يرجع نسخها إلى سنة ٩٨٧ هـ

(٢) سنن ابن ماجه ص ١٣٣ .

(١) في المخطوطة الخالدية (وشيحة) ؟ أما في النسخة الظاهرية (وسبحة)

(٢) في الخالدية والظاهرية (فأعتقه علي) .

(٣) في سنن ابن ماجه ما يشبه هذا ولكن بدون ذكر تميم وما ورد في هذه الرواية من التفصيل .-(ص ٢٢٣) .

كثرت عليه الذكريات فجن من فرط الحنين ...

... فإذا به بين الغصون تكاد تقتله الغصون ! !

***

عجباً ... أتأسرك الغصون وكنت سر جمالها ؟

غردت في جنباتها ورتعت بين ظلالها

علمتها لحن القلوب جرى بثغرك وانسجم

وسكبت في أزهـــارها خمر الهناءة والنغم

لهفي عليك ... بأى عين تبصر الدوح الخئون

و بأى قلب في القلوب تحس آلام السجين

ماذا جنيت ؟... وما جنيتَ سوى المحبة والوفاء !

للوكر والدوح الظليل وللأزاهر والإخاء ... !

إلى قراء الرسالة

(١) طالعت في كتاب Alexandria A History and a Gide تأليف E. M. Forester طبع Whitehrad Morris Litmited : Alexandaria سنة ١٩٣٨ ما يأتي بالمقدمة :

I shall never forget the kindness that I have received at Alexandaria, and in no wise endorse the verdict of my predecessor the poet Gelal ed Din ben Mokram who monstrously asserts that :

" The visitor to Alexandria receives nothing in the way of hospitality.

Except some water and an account of Pompey's puillar.

Those who wish to treat him very well go so far as to offer some fresh air.

And to tell him where the Lighthouse is.

They also instruct him about the sea and its waves,
Adding a description of the large Greek boats.
The visitor need not aspire to receive any bread,
For to a request of this sort there is no reply."

فمن هو جلال الدين بن مكرم هذا ؟ وما هو الأصل الشعرى لما ترجمه كاتبنا فورستر ؟

مصطفى الشهابي
مدرس الآداب بالناصرية

(٢) جاء فى كتاب عيون الأخبار (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٠) بالجزء الثالث فى الصحيفة ذات الرقم ٢٠ ما نصه :

« وقال أكثم بن صيفي : أحق من يشركك فى النعم شركاؤك فى المكاره . أخذه دعبل فقال :

إن أولى البريا أن تواسيه عندالسرور لمن آساك فىالحزن
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا
من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وجاء فى ديوان أبى تمام (طبعة محمد صبيح سنة ١٩٤١) فى الصحيفة ذات الرقم ٢٥٥ ما نصه :

أولى البرايا حقاً أن تراعيه
عند السرور الذى آساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا
من كان يألفهم فى المنزل الخشن

فلأى من الشاعرين البيتان ؟ وما صحة رواية البيت الأول ؟

موسى مهنى

الجنس الرشيق

أهدى إلى الأستاذ محمود يوسف كتابه « الجنس الرشيق » فتوقعت أن أرى فيه دفاعاً بحق وبغير حق عن المرأة فى كل حالاتها ، من كاتب ضالع في الحركة النسوية اختار لأول مؤلف له هذا الاسم . إلا أنى وقد قرأته رأيت أنى كنت مسرفاً فى سوء الظن

لقد عرض المؤلف لكثير من المسائل المتصلة بالمرأة فى حذق ومهارة وبصراحة وجرأة جعلته شديداً بحق على من أساء من الفتيات وأولياء أمورهن فهم المرأة ورسالتها ، وما يجب أن تكون عليه من الآداب الرفيعة الحازمة ، ولم ينس أن يلقى التبعة فى كثير من الحالات على الرجال وأشباه الرجال من الذين يغررون بالمرأة ويزجون بها فى حفلات هى مزالق للرذيلة زاعمين أنهم يجمعون للبر ...

لنسمع له يقول فى حفلة الطفولة المشردة الآثمة : « أفهم أن فى مصر طفولة مشردة ، وأفهم أنه يجب أن يعمل على إنقاذ هذه الطفولة البريئة ، وأفهم أيضاً أن للمرأة نصيباً كبيراً فى هذا الإنقاذ ؛ ولكنى لا أستطيع أن أفهم مطلقاً أن وسيلة هذا الإنقاذ تكون مساهمة المرأة مع الرجل فى التهتك العلنى والدعارة المقنونة والتبذل الخليع من سهر الليل حتى الفجر ... كل ذلك لقاء قروش لا تسمن الطفولة المشردة ولا تقيها من جوع . لعمرى إن مثل هذه الحفلة الراقصة ... هى ويا للأسف معمل لتفريخ طفولة مشردة ... موعدنا منها بعد تسعة شهور من تلك الحفلة الخيرية ! »

هذا الكلام الحر الجرىء نجد له أمثالاً كثراً فى مناسبات عديدة بالكتاب الذى يجب أن يقرأه الشبان والشابات والأزواج والآباء ، على ما فيه من آراء لا أتفق مع الأستاذ الكاتب فيها . من ذلك رأيه فى أن المرأة نظير الرجل فى الدين والدنيا . أفى كل الشئون ؟ وإن من السهل أن توفق المرأة بين عمل وتكوين أسرة ، ومطالبة بحق النيابة لها

وللأستاذ الفاضل المؤلف خالص تحياتى

محمد يوسف موسى
المدرس بالأزهر

تأبط شرا

كتب الأستاذ أحمد أمين فى مقاله (فارس كنانة) فى العدد ١٨٤ من الثقافة ما نصه : « ثم يذكرون له من اشتهر بالفتك فى الجاهلية ، كثابت بن جابر ، والبراض ، وتأبط شرا » ومدلول هذا الكلام يقضى :

١ — بأن تأبط شرا من شعراء الجاهلية

٢ — أن تأبط شرا فاتك آخر غير ثابت بن جابر

وفى كلتا القضيتين نظر ، كما يقول الأزهريون

أما الأولى : فقد حكى شراح الحماسة أنه كان ربيب

أبي كبير الهذلي ، ونص التبريزي على أن أبا كبير أدرك الإسلام وإن كان صاحب بلوغ الأرب يقول : إنه من فحول الجاهلية وفرسانها ، فلعله حكم عليه حكمه هذا باعتبار أنه أدرك طرفاً من الجاهلية فَنَسَبَهُ جاهلياً كما يجرى على ذلك بعض المؤلفين

وأما الثانية : فقد نصت كتب التراجم وكتب اللغة واتفقت على أن تأبط شراً هو أبو زهير ثابت بن جابر من بنى فهم ولم يحك أحد منهم فى ذلك خلافاً — اللهم إلا ما حكاه صاحب بلوغ الأرب ج٢ ص ١٤٣ قال :

« وزعم بعضهم أن اسم الشنفرى ثابت بن جابر وهو غلط » اهـ .

ولعلَّ لدى الأستاذ الجليل سنداً لكلتا القضيتين .

أمل السيد شاهين

١ — تصويبات :

جاء فى العدد « ٤٦٩ » من (الرسالة) الغراء فى مقال الأستاذ السيد يعقوب بكر « شعر على بن أبى طالب »

محمد النبى أخى وصهرى وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يضحى ويمسى يطير مع الملائكة ابن عمى

والصواب (ابن أمى) كما فى معجم ياقوت ج ١٤ ص ٤٨ ط دار المأمون ، والسيرة النبوية ج ١ ص ١٧٧ ط المطبعة الأزهرية وديوان أمير المؤمنين على ابن أبى طالب ص ٥٨ المطبعة العلمية

وقد جاء فى معجم ياقوت بعد قوله : « سبقتكم إلى الإسلام طرا ... الخ »

وأوصانى النبى على اختيار ببيعة غداة غد برحم
فويل ثم ويل ثم ويل لمن يلقى الإله غداً بظلم

وفى الديوان :

وأوجب لى ولايته عليكم رسول الله يوم غد برحم
أنا البطل الذى لم تنكروه ليوم كريهة وليوم سلم

وقد ذكر الأستاذ صاحب المقال بيتاً آخر للامام على هكذا :

من أى يومىَّ من الموت أفرّْ أيوم لم يقدر أم يوم قُدِرْ

والبيت على هذا الوضع لا يتفق مع ما جاء بعده لأنه من بحر الرجز وقد جاء فى ديوان الإمام على هكذا :

أى يوميَّ من الموت أفر يوم ما قدرَ أو يوم قدر
يوم ما قدر لم أخش الردى وإذا قدرَ لم يغن الحذر

وهما من الرمل ، على أنه إذا صح أن ديوان الحماسة لم يذكر غيره فإنه يكون مكسوراً ، لأن « لم » تقتضى الجزم وهو لا يتمشى مع الوزن

٢ — حول السناد فى الشعر

وجاء فى نفس العدد « البريد الأدبى » كلمة للأستاذ محمود عزت عرفة بعنوان « السناد فى الشعر » خطأ فيها الأستاذ محمود حسن اسماعيل ، حيث قال :

« أخطأ الأستاذ محمود حسن اسماعيل فى صوغ قوافى قصيدته (نشيد الأغلال) المنشورة بالعدد ٤٦٦ من الرسالة فهو قد أردف فى بعضها بحرف الياء كقوله : سريرتى ، البعيدة ، الجميلة ، جديدة ... الخ »

وهنا لا يوجد ردف إذ أن الردف هو حرف مد قبل الروى كقول الشاعر :

طحا بك قلب فى الحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب

كما جاء فى متن الكافى ، وفرق بين مشيب وسريرتى وما دام قد انتفى الردف فقد انتفى السناد ... « وإذا كان ثم سناد فمن أى أنواع الخمس ؟ »

أحمد يوسف محمد

حكم فى القضية ن ١٥٢٤ عسكرية طنطا سنة ٩٤٢ ضد محمد السيد بدر بالحبس شهر بالشغل والنفاذ والنشر والتعليق بتاريخ ٢٩ إبريل سنة ٩٤٢ وذلك لعرضه لبيع خبزا بسعر أكثر من المحدد

حكم فى القضية العسكرية ن ١٠٧١ طنطا سنة ١٩٤١ ضد ابراهيم جنا عوض بتغريمه ٢ جنيه والنشر والتعليق بتاريخ ١٨ مارس سنة ٩٤٢ وذلك لبيعه بنزينا بسعر أكثر من المحدد

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٠ مايو سنة ٩٤٢ على محمود حسن بدوى جزار بكوم حمادة بالحبس شهرا مع الشغل والنفاذ وغلق محله ثلاثة أيام والنشر والتعليق على مصاريفه لبيعه لحوما بأزيد من التسعيرة فى القضية ن ٨٩٢ جنح عسكرية سنة ٩٤٢

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 474

Lundi - 3 - 8 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٧٤ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٦١ — الموافق ٣ أغسطس سنة ١٩٤٢» السنة العاشرة

الفهرس

سجينة الزهرية

[كلمة تفصل ألواناً من أوهام العقول وأحلام القلوب . . .]

للدكتور زكى مبارك

الزهرية إناء صغير مختلف الأشكال ، فيكون حيناً لحفظ الزهيرات أياماً بتغذية الماء ، ويكون حيناً لحفظ الشجيرات أعواماً بتغذية الطين ، وباختلاف ما يحفظ يختلف شكله بعض الاختلاف

وحديث اليوم عن شُجَيْرة حُفِظَت فى زَهرِيّة ، فظلت كيومها الأول فى النمو والنضارة بضع سنين ، مع أن أختها المنقولة إلى وعثاء الأرض فى الريف بلغت مبلغ الدوحة الباسقة فى أقصر زمن وبأيسر عناء

هل كان يغيب عنى السبب فى تفاوت الحظ والمصير عند هاتين الأختين ؟ لا ... وإنما أردت أن أعرف من أحوال « سجينة الزهرية » أكثر مما أعرف ، فدار بينى وبينها الحوار الآتى ذات صباح :

— كيف حالك ، أيتها الشجيرة الغالية؟

— حال من يعيش تحت حماية القوانين !

— أنتِ إذاً سعيدة ؟

— سعيدة جدًّا ، ألا ترى أن وجهي لم يتغير منذ التعارف الأول ؟!

— وإلى أي عهد يرجع ذلك التعارف السعيد ؟

— أنت تعرف التاريخ ، فقد كنت أنا وأختي هديتين لك من حديقة الصديق (...) ، ثم كانت السعادة من نصيب أختي ، وكانت الشقاوة من نصيبي !

— ألم تقولي : إنك سعيدة ؟

— حسبتُك فهمتَ مرادي حين أخبرتُك أن وجهي لم يتغيَّر منذ التعارف الأول !

— وهل تكون السعادة في غير الثبات على نضارة الشباب ؟

— أهذا هو فهمك للسعادة ، أيها الآدميُّ الحصيف ؟

— وما فهمُكِ أنتِ للسعادة ، أيتها الشُّجيرة الحمقاء ؟

— أخرجني من سجن القانون لأملك الرد عليك !

— أي قانون ؟

— قانون الزهرية

— وما عيبُ قانون الزهرية ؟

— إنه يحبسني في تربة قصيرة المجال

— ولكنه لا يحبسك عن السماء ، وهي أرقُّ من الأرض وأنفس !

— السماء للفروع ، والأرض للجذور ، ولا فرع لشجرة لم يَثبتْ أصلها في الأرض ، فأمكِنْ جذوري من الأرض ، لأطاول السماء بفروعي ، كما صنعتَ مع أُختي

— لستُ مسئولاً عن تدليل الأخوات !

— ولستُ مسئولة عن إمتاعك بدوحة تصدُّ الهجير عن دارك .

— أفصحي ، أيتها الشجيرة ، عما تريدين

— أنت فرَّقت بيني وبين أُختي ، ثم أنصفتَها وظلمتني !

— قولي غير هذا القول ، فقد حفظتُكِ بداري في مصر الجديدة ، وأرسلتها إلى داري في سنتريس ، وداري هنا تنال من رعايتي أكثر مما تنال داري هنالك . فما شكواكِ ، أيتها البلهاء ؟!

— شكواي من القانون !

— أي قانون ؟

— قانون الزهرية

— وما عيبُ قانون الزهرية ؟

— إنك تتجاهل تجاهل العارف

— ولعلني أتعالم تعالم الجاهل !

— حوشيتَ من تعالم الجاهلين ! وهداك الله إلى إخراجي من سجن القوانين !

— أوضحي يا بُنَيَّتي

— إخلع نعليك أوضح لك !

— يا سفيهة ؟

— لست بسفيهة ، وإنما أُحبُّ أن تحدثني عن السبب في طول قدميك

— كان ذلك لأني كنت في طفولتي وحداثتي من الشياطين ، والشياطين لا يلبسون النعال ، فطالت قدماي !

— وهنا الشرح لقول العرب « فلانٌ ثابت القدم » فالقدم لا تَثبُت إلا بعد اتصافها بالعَرض والطُّول

— تلك عبارة مجازية

— العبارة المجازية فرعٌ عن العبارة الحقيقية ، فالقدم لا تطول إلا بفضل التحرر من القيد . والنعل قيد ، وإن زعموا أنه يقي القدمين متاعب الحفاء ، وهو يصنع بالأقدام بعض ما تصنع الزهريات بالشجيرات

— أوضحي ، يا حمقاء !

— الزهرية حفظتْ عليَّ شكلي الأول ، فأنا كما عهدتَ منذ سنين ، والمخلوقُ الذي لا يتغيَّر ميِّتٌ ميت ، لأن الحياة تجدُّدٌ وتغيُّرٌ وتبديل ، وذلك حظ أختي التي حُرِّرت من قانون الزهرية فأُلقيت في أحضان الأرض البَرَاح بِسهول سنتريس

— أوضحي ، ثم أوضحي !

— عند التحرر من سجن الزهرية يكون من حق الشجيرة

أصداء الرسالة الخاصة

في سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

أن تساور ما فى الأرض من زادٍ طيِّب أو خبيث ، فتكون لها طعوم مختلفات ، ويكون لها فى كل يوم لون أو ألوان ، وكأنها الأديب الذى يقرأ فى لغات مختلفة لحكماء مختلفى الأفكار والأذواق

— أوضحى ، أوضحى !

— خلِّصنى أولاً من سجن القانون

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية

— ولكن هذا القانون هو الذى حماك من التغير والتلون ، وحفظ عليك هذا الشكل الجميل ؟

— الجمال الذى لا يتغير ولا يتلون هو جمال التماثيل ، وأنا شجرة لا تمثال

— أيجوز أن أساعدكِ على التغيُّر والتلوّن والتقلُّب ؟

— ليكون من حقك أن تقول إنك أبدعتنى

— أنا أُبدع التلون والتغير والتقلب ؟

— ليكون من حقك أن تقول إنك تتأدب بأدب الله ، وهو عز شأنه قد افتن أعظم الافتنان فى إبداع الألوف والملايين والبلايين من الملامح المختلفات فى اللغات والطباع والأحاسيس . وإذا كان رقم الديشيليون صورة وهمية فهو فى أفعال الله صورة تقريبية ، لأنه قد يعرّض الفرد الواحد من عباده لآراء وأهواء تفوق الدشالين

— وتريدين أيتها الشجيرة أن تكونى كذلك ؟

— خلِّصنى أولاً من سجن القانون

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية !

— يظهر أننا لن ننتهى من هذا الحوار السخيف !

— أمِن السخف أن أطالب بحقى فى الحرية ؟

— أية حرية ؟

— حرية الجذور فى اعتصار أمواه الأرض

— وفى تلك الأمواه ما هو خبيث

— الحياة لا تعرف الفروق التى يعرفها الآدميون فى تقسيم الأشياء

— ماذا تقولين ؟

— أقول إن الحياة مزاجٌ من الحلو والمر ، والطيِّب والخبيث ، وهى نفسها لا تلتفت إلى هذه التقاسيم ، ولعلها تجهل الفرق بين الريح الصَّرصر والنسيم العليل

— وإذن ؟

— وإذن لا يكون الخير كل الخير لشجيرةٍ مثلى أن تكتفى بشرب الماء القطَّر ، وأن تعيش فى تربة ضيقة الحدود ، وإن كانت غاية فى النقاء ، ولا ينفعنى بشىء أن تتلطف فتحيينى فى غدوك ورواحك مرةً بالعربية ومرة بالفرنسية ، كأننى إحدى بنات الجيران !

— لم يُثمر فيك الجميل ، يا شقية !

— أىَّ جميل ؟ خلِّصنى من سجن الزهرية لأمتصَّ ما فى الأرض من عذوبة ومُلوحة ، ولأصاول ما فيها من أسباب النعيم والشقاء ، فما تضخم شجرة ، ولا تستفحل فكرة ، ولا يستحصد عقل ، إلا بمكابدة ما فى الوجود من أطايب وصعاب

— وما جزائى على الصنيع المنشود ؟

— هل تجهل أنى سأصير دوحة تصدُّ الهجيرَ عن دارك ؟

— لا أجهل ، ولكنى أخاف عليك عواقب الطول والإبراق

— ما تلك العواقب ؟

— أنت اليوم فى أمان لأنك صغيرة محبوبة ، فإذا ضخُمت وطُلت وعَظُمتِ فقد صار من حق كل سفيه أن يرجمك بالحصيات الغلاظ لتجودى عليه بشهى الثمار ، أو لينتفع بأوراقك فى تغذية الدوابّ

— الشجرة الكريمة تجود بالثمر والورق ، قبل السؤال

— هذا كلام فى كلام !

— خلِّصنى من سجن الزهرية ، ثم اختبر أخلاقى فى البخل والجود

— أنا أعرف أنك من سلالة بخيلة

— البخل عن إرادة بابٌ من أبواب العقل ، ومهما بخلتُ فلن أبخل عليك ، فلن يغيب عنى أنك تملك إروائى وإظمائى ، وأنك قد تصيِّرنى حطباً حين تريد ، فأنا مقهورةٌ مقهورة على مسايرة هواك

— ما أنت شجرةً ، إن أنتِ إلا روحٌ جريح

— نعم ، فقد تقدَّم أترابى وتخلفتُ ، بفضل الحياة تحت حماية القوانين

— قولى كلاماً غير هذا ، فبفضل قانون الزهرية عشتِ فى أمان ، من الغربان

— لأنى بقيتُ صغيرة محبوبة أتلقى التحيات الآدمية فى الصباح والمساء ؟

— هو ذلك !

— أنت إذن تجهل فرح الدوحة العظيمة بأن يكون عَرَقُها غذاء للنمال ، وبأن تكون أعاليها ملاذاً لكل خائف ، وبأن تكون ثمارها منية كل جائع ، وبأن تكون عرضة فى كل وقت لتطاول الأوباش والسفهاء

— وما الموجب لهذه المتاعب ؟

— العظمة فى جميع الخلائق من جماد ونبات وحيوان وإنسان لا يتصورها الوهم أو الحس أو العقل إلا محفوفة بالمكاره والصعاب . وليست السعادة بالميزان الذى نعرف به الأقدار الصحيحة لمختلف الخلائق ، وإنما الميزان الحق هو الشقاء بالخلق وقد سمعت أنه أشرف ما ظفر به الأنبياء

— إن كان الشقاء هو ما تبتغين فقاسميني حظى ، يا شجيرتى الغالية

— أنا أطلب الاستقلال

— حتى فى الشقاء ؟

— حتى فى الشقاء ، لأشعر بقوة الذاتية

— وهل تضعف الذاتية حين يتساقى المحبون كأس العذاب ، شفةً إلى شفة ، وقلباً إلى قلب ؟

— أنت تحبنى ؟

— وأى حبّ ؟ ألا تذكرين أننى سقيتك مرات كثيرة من دموعى ؟

— متى كان ذلك ؟

— إن ذلك يقع فى كل يوم ، وفى غفلة الجنّان ، فأنت وليدة الحب والدمع ، لا سليلة الماء والطين

— وكيف خصصتنى بهذا البِرّ النفيس ؟

— جمع بيننا اليُتم القاسى ، فأنت يتيمة فى صحراء مصر الجديدة ، وأنا يتيم فى بيداء الوجود ، ولن تظمأى ولن تجوعى وأنت فى ضيافة قلبى وروحى ، وما حبستك فى سجن الزهرية إلا رغبة فى أن يطول نعيمُك بالطفولة النافية ، أيتها اليتيمة العصماء ... خذى حياتك أيتها الشجيرة من عطفى وحنانى ، فما لك بعدى أبٌ ولا أخٌ ولا صديق ، أنا نصيبُك من دنياك كما كنت نصيبى من دنياى ، وضلوعى هى زادك من القُوت إن عزّت الأقوات

— أكنتُ حقًّا نصيبك من دنياك ؟

— أنتِ الصديق الذى لم يتغيّر فى مدى سبع سنين ، فأوراقُك أوراقك ، ومرآك مرآك ، بفضل القانون

— أى قانون ؟

— قانون الزهرية ، يا بلهاء ، فهو الذى حفظ عليك نعمة الشباب

— وتريد أن أظل يتيمة طول حياتى ؟

— لا يوصَف باليُتم غير الأطفال ، فإن أبحتُك مُلوحة الأرض فلن تظفرى بعد اليوم بملوحة دمى ، لأن الأرض ستصيّرك بعد قليل مرأةً شمطاء

— سعادة القاصرين لا تقاس إلى شقاوة الراشدين

— أوضحى ، يا حمقاء

— قد أوضحتُ ، ثم أوضحت ، فأتمّ جميلك وامنحنى الحرية والاستقلال

— منحتك الحرية والاستقلال

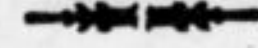
— كنتَ بالأمس راعياً وأنت اليومَ صديق ، وما أبعد الفرق بين الراعى والصديق

زكى مبارك

٤ - كتاب الامتاع والمؤانسة

الجزء الثاني

للأب أنستاس ماري الكرملي



قيل في نص ص ١٦٩ : « وغرّق نفسه في كِرْدَاب كلواذى » وجاء في الحاشية : « والجرداب كلمة فارسية معناها دوامة الماء ، وهي وسط البحر ولجته التي يدوم عليها الموج ؛ وهي بالجيم . ولعل العرب كانوا ينطقونها بالكاف » قلنا : الكلمة الفارسية هي كرداب بكسر الكاف الفارسية أو المقودة . ويعرب العرب هذه الكاف مرة بالجيم ، وتارة بالقاف ، وأخرى بالكاف العربية . أما هنا فلم يعربوها إلا بالكاف العربية . أما قول الناشرين في الحاشية : الجرداب . . . معناها دوامة الماء وهي وسط البحر ولجته التي يدوم عليها الموج » فتعبير غريب لم نجد نظيراً له ، لأن دوامة الماء قد لا تكون في وسط البحر ، بل في أعمق مكان من النهر ، كما هو متعارف في دجلة واللجة غير الدوامة ، وغير وسط البحر . وأما قولهما : « يدوم عليها الموج » فمشهور التعبير هو « يدوم فيها الماء » لا الموج . راجع ما قالوه في تعريف (الدُرْدُوْر) وهو يقابل الجِرْدَاب الفارسية .

وفي ص ١٧٠ : « ولعمرى من غُلِّطَ غلِط » وعندنا أن الصواب هو من غَلَّط (بصيغة المعلوم) غُلِّط . (بصيغة المجهول من باب التفعيل) .

وجاء في ص ١٧٣ : « وتفتلت وتقتلت » والصواب وتقلبت

وورد في ص ١٧٥ « إن صرَّحت له كَنَى وإن كَنيْتَ له صرَّح » وعندنا الأحسن أن يقال : إن صرَّحت له كَنَّى وإن كنيت له صرح ليكون الفعلان من باب التفعيل ، فيحسن وقعهما في السمع ، ويكون أيضاً من باب المزاوجة في الوزن . هذا فضلاً عن أن التكنية شائعة كالكناية .

وشرح الناشران في ح ص ١٨٠ الفقاع بقولهما : شراب يتخذ من الشعير . فهذا كلام اللغويين ، وكنا نود أن ينقلا المصطلحات العلمية ومعانيها عن أهل الفن ، ولا يكتفيا بتعريف اللغويين ، لأن خاصية هؤلاء الأفاضل شرح معنى الكلمة من باب الإجمال لا من باب التخصيص ؛ وذلك أن اللغويين شرحوا بشراب يتخذ من الشعير كُلاً من الألفاظ الآتية : الفقاع ، والمِزْر والجعة . ولا جرم أن السلف ميزوا كل لفظ عن أخيه حتى لا يهيم القارىء في هيماء الضلال . فقد شرح التميمي الفقاع بقوله : يتخذ على ضروب . وذلك أن منه ما يتخذ من دقيق الشعير المجفّف المطحون المخمَّر بالنعنع والسذاب والطرخون وورق الأُتْرُجّ والفلفل ... وأما المتخذ من الخبز السميد المحكم الصنعة ، والكرفس ودقيق الحنطة المنبتة ، أو من دقيق الشعير المنبت فإنه أقل ضرراً من الأول . . . وقد يتخذ منه ساذجاً بماء خبز السميد المحكم الصنعة مُرَوَّقاً ، ونقيعة المسك والمصطكى فقط ، مع قلب نعنع في كل كوز ، وقلب طرخون فقط ... وأما ما يتخذ من الحنطة والشعير والجاورس ، المنبتة ، من الشراب المسكر المسمى بِعُنْصر المِزْر ، فإنها أنبذة تُسْكر إسكاراً شديداً غير أنها تبتعد عن قُوَّتِهِ ومنافعهِ بُعداً شديداً »

ذكرنا بعض هذا الكلام مع طوله ليتبين للقارىء أن الفقاع أضْرُبٌ ، وليعتمد على أهل الفن والصناعة في الأوضاع العلمية ، ولا يكتفي بأقوال اللغويين

وجاء في ص ١٩٦ : وقال الوزير [أدام الله أيامه] ... قلنا : هذا دعاء بالخير لا يتحقق ألبتة . والأحسن ، أو الأقرب إلى الفعل ، أن يدعو الإنسان بما يتحقق ، فيقول مثلا : أطال الله أيامه !

وقال الناشران في ح ص ١٩٨ : إذ المطرَّى هو المقلوب إلى مُطيَّرٍ فالمطيَّر مقلوب إليه . ولعل الصواب : إذ المطرى هو مقلوب مطيّر فالمطير مقلوبه

وفي ح تلك ص : وعدة أبياتها أربعة وثلاثون بيتاً فيها . ولعل الأصوب أن يقال : وعدة أبياتها أربعة وثلاثون أو وأبياتها أربعة وثلاثون ، أو وعدة ما فيها أربعة وثلاثون بيتاً ، أو نحو هذا التعبير

وفي ح ص ١٩٩ في كلتا النسختين : يعين من لا يعين وهو تصحيف والتصويب عن شمر ... والأحسن أن يقال : والتصحيح ليكون المعنى وتصحيح التصحيف . أما قولهما والتصويب ، فيكون معناه وتصويب التصحيف . فيكون التصحيف صحيحاً لا خطأ ، لأن اللغويين يقولون صوَّب فلاناً قال له أصبت وصوب رأيه ، وقوله حكم له بالصواب . وقد جاءت التصويب مرتين في تلك الحاشية

وورد البيت الـ ١١ في ص ٢٠٠ هكذا :

تكفيهِ حزَّةُ فِلذانٍ ألمَّ بها   من الشواء ويكفي شربهُ الغمرُ

وفى الحاشية الحزة القطعة من اللحم تقطع طولاً ، والفلذان جمع فلذة وهى القطعة من الكبد واللحم . قلنا هنا خطأ غريب بل خطآن غريبان : الأول أنهما قالا الفلذان جمع فلذة وفِعلة بالكسر لا تجمع على فعلان بل فعل المكسور وبلا هاء في الآخر ؛ والخطأ الثانى الغريب هو أنهما قرآها فلذان مع أن الصحيح هو فلذة كِبد (بفتح الكاف أو كسرها) إن ، كما قرآها أول مرة فى ص ١٩٨ س ١ . فيا للعجب لهذه القراءة ولهذا التأويل ولهذا الخطأ ، إذ جعلا كلمة واحدة ما هو فى كلمتين !

٥ — أوهام التعبير والإنشاء والفكر

جاء فى ح ص ٢٧ : « أو لعله كتبها واكتفى بإرسالها إلى الوزير » والصواب : « واكتفى بالإرسال بها إلى الوزير . (راجع شرح الطرة عن الغرة طبع دمشق سنة ١٣٠١ ص١٥٦)

وفى ص ٣٩ « وها هو بين يديك » والصواب : وها هو ذا بين يديك (راجع مجلة المجمع العلمى العربى ١٧ : ٢٣٤ و ٢٣٥)

وفى ٤٢ « وقال السيد المسيح : إن استطعت أن تجعل كنزك لا يأكله السوس ولا تدركه اللصوص — فافعل — المشهور هو هذا : « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والآكلة وينقب السارقون ويسرقون ، لكن اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا آكلة ولا ينقب السارقون ولا يسرقون (متى ٦ : ١٩ و ٢٠)

وفى ١٢٣ «وقال عيسى بن مريم : ما ينفع الأعمى ضوء الشمس ولا يبصرها » نحن لم نجد هذا القول المنسوب إلى عيسى بن مريم ، فهل يتمكن الناشران من أن يدلانا على محل وروده من الإنجيل .

وفى ص ١٢٧ « وقال عيسى — عليه السلام — يابن آدم اعتبر رزقك بطير السماء لا يزرعن ولا يحصدن وإله السماء يرزقهن . فإن قلت لها أجنحة فاعتبر بحمر الوحش وبقر الوحش ما أسمنها وما أبشمها وأبدنها ! »

والذى نعرفه شبيهاً بهذا القول من أقوال السيد المسيح ما يأتى « أنظروا إلى طيور السماء ، فإنها لا تزرع ولا تحصد ، ولا تخزن فى الأهراء ، وأبوكم السماوى يقوتها ، أفلستم أنتم أفضل منها (متى ٦ : ٢٨ وما يليها)

وفى ص ٥٥ « لو كلمنى عدوى لعقدت شعر أنفه إلى شعر... » والمشهور « شعر أنفه بشعر »

٦ — أوهام الضبط والتقييد

وورد فى ص ٢ : « فلم يكن له فيها مَطْلع » ، ونظن الصواب : مُطلَّع ، وزان محمد

وفى ص ٦ : « المِجَسْطِى » وضبطت بكسر الميم ، وفتح وإسكان السين ، وكسر الطاء وفى الآخر ياء خفيفة . قلنا : هذا الضبط مخالف للاسم المعرَّب عنه وهو almageste اللاتينية المولدة المركبة من (ال) العربية وهي أداة التعريف واليونانية : megiste أى الأعظم . فيكون معناها العمل الأعظم . وفى ديوان الشارح فى مادة (مجسط) : المَجَسطى ، بفتح الميم والجيم ، اسم لعلم الهيئة (كذا) وبه سُمِّى الكتاب الذى وضعه بطليموس الحكيم ، وعُرِّب فى زمن المأمون . اهـ

وفى ص٢٠ : « أُولوا » والصواب حذف الألف من الآخر. وفى تلك الصفحة : « دَهْرِيين » ، وضبطت الدال بالفتح ، والمشهور ضبطها بالضم

وفى ص ٤٦ : « علم مَقْبَرةُ » بضم الهاء والصواب بتثليث الباء وفتح الراء وكسر الهاء

وفى ص٦٧ : « أُسكرُجة » والمشهور أنها بلا ألف فى الأول

وفى ص٨٣ (وكذلك ؟) : الموسيق ، بكسر القاف والياء الخفيفة . والمشهور المُوسيقَى ، بضم الميم ، وكسر السين ، وفتح القاف . قال نصر الهورينى فى تعليقه على كلمة الربابى الواردة فى القاموس فى مادة (ر ب ب) فى كلامه على ممدود ابن عبد الله الواسطىّ الربابىّ ، الذى يُضرَبْ به المثل فى معرفة الموسيقى بالرباب ما هذا نصه : « قوله الموسيقى . هكذا فى النسخ بكسر القاف . وهو اشتباه سَبَّبه رسم الكلمة بالياء . وصوابُه فتح القاف كما هو فى اللغة الرومية (أى mosica) والعامل بتلك الآلة يقال له موسيقار ، بزيادة راء فى الآخر ، كأن هذه الزيادة عندهم كالنسب فى جمال وحمار . اهـ

(البقية فى العدد القادم)

الأب أنستاس مارى الكرملى
أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حكم فى القضية ١٣٦٨ عسكرية سنة ١٩٤٢ ضد صلوحه محمد خفاجه بغرامه ٣ جنيه والنشر والتعليق بتاريخ ٢٧ مايو سنة ١٩٤٢ وذلك لبيعها ذرة بسعر أكثر من المحدد

أشهر الكتاب الاجتماعيين العراقيين فى القرن الرابع الهجرى

القــــاضى التنوخى

للأستاذ يوسف يعقوب مسكونى



يسرنى أن أبدأ لك – أيها القارئ العزيز – بسرد حياة هذا القاضى الحجة، الكبير الهمة، الشاعر الفحل، والمحقق العدل، والأديب الأريب، العالم ابن العالم ابن الحسب والنسب من آل تنوخ الكرام

أما الذين ترجموه من العصور المتأخرة، فقد رووا عنه أخباراً جميلة، وعددوا مؤلفاته التى لم نحصل منها – ويا للأسف – إلا على ثلاثة : أولها كتاب « الفرج بعد الشدة »، ذلك السفر المشحون بأخبار الأولين وكلها أقاصيص وحكايات واقعية تنبئ عن المآثر التى خلدت فى عز العرب والإسلام . ترجمه إلى التركية لطف الله بن حسن التوقانى[1] المقتول سنة ٩٠٠ هـ . وقد طبع الكتاب طبعتين : الأولى طبعة الهلال للمرحوم المؤرخ جورجى زيدان سنة ١٩٠٣ م . والثانية طبعة المكتبة العلامية بجوار الأزهر بمصر لصاحبها عبد القادر علام سنة ١٩٣٨م . وأما ثانيها، فهو كتاب « جامع التواريخ » المسمى « نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »، وهو أحد عشر مجلداً على مارواه ياقوت فى معجم الأدباء اشترط فيه أنه لا يضمنه شيئاً نقله من كتاب . كل مجلد له فاتحة بخطبة . وقال غرس النعمة محمد بن هلال الصابى العلامة المؤرخ المشهور : صنف أبو على المحسن كتاب « نشوار المحاضرة » فى عشرين سنة أولها سنة ستين وثلاثمائة . وقد ذيله غرس النعمة بكتاب سماه كتاب « الربيع » قال : ابتدأته سنة ثمان وستين وأربعمائة[2] . هذا ولم يحصل عالم الطبع منه إلا على جزئين وبعض جزء ثالث . فالأول قام بطبعه المستشرق العلامة مرجليوث، وطبع الجزء الثامن منه بدمشق سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) بإرشاد الأستاذ

(١) كشف الظنون للحاجى خليفة جـ ٤ ص ٤١١ ط أوروبا

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ١٧ ص ٩٢ ط دار المأمون

مرجليوث . قال بعد أن سرد ترجمة التنوخى نقلاً عن معجم الأدباء لياقوت الحموى : « وأول مجلد منه نشرناه فى سنة ١٩٢١ م عن نسخة فى مكتبة باريس العمومية . وبذل البحاثة الشهير أحمد باشا تيمور جهده فى تفسير ما ورد فيه من الغريب، فنشر ثمرات أفكاره فى المجلدين الثانى والثالث من مجلة مجمعنا العلمى العربى فى دمشق، وقد أخبرنا أن عنده نسخة من الجزء الثانى » . ونشر بعض الثالث فى مجلة المجمع العلمى العربى بعد نشرها الثامن[1] . هذا، وقد ذكره بعنوان « نشوان المحاضرة وأخبار المذاكرة » – ابن خلكان[2] . ونقل عنه هذه اللفظة صاحب شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلى فى حوادث سنة ٣٨٤ هـ، وهى سنة وفاة التنوخى . ونقل عنهما الحاجى خليفة فى كشف الظنون تلك اللفظة، إذ وضع اسم الكتاب فى مادة النون . والكتاب الثالث هو كتاب المستجاد من فعلات الأجواد، لم يذكره سوى ابن خلكان، ونقل عنه صاحب شذرات الذهب . وقد طبع الكتاب حديثاً طبعة حجرية نشره ليوبولى Leo Pauly فى شتتجارت سنة ١٩٣٩ م، طبقاً للمخطوطة الأصلية فى ٢١٥ صفحة فيها الفهارس كاملة زيادة على ست وعشرين صفحة للمقدمة الألمانية . وقد علمت بأن نسخة خطية منه يملكها المنلا صابر بكركوك . وقد طالعت طائفة من أخباره فوجدته بديعاً لا يقل أسلوباً عن الكتب الأخرى المذكورة آنفاً والشائعة بين القراء والمتتبعين . إن أول من ترجم التنوخى على ما يستوجب سياق التاريخ هو هلال بن المحسن الصابى فى تاريخ بغداد الذى وصل به تاريخ ثابت بن سنان، ثم الثعالبى صاحب يتيمة الدهر المتوفى سنة ٤٢٩ هـ حيث قال عنه بعد أن تكلم عن أبيه : « هلال ذلك القمر، وغصن هاتيك الشجر، والشاهد العدل لمجد أبيه وفضله، والفرع المثيل لأصله، والنائب عنه حياته، والقائم مقامه بعد وفاته ... وله كتاب « الفرج بعد الشدة »، وناهيك بحسنه، وإمتاع فنه، وما جرى من الفأل بيمينه، لا جرم أنه أسير من الأمثال، وأسرى من الخيال ... أخبرنى أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر

(١) لا يزال ينشر فى المجلة المذكورة

(٢) ابن خلكان جـ ١ ص ٥٠٤ ط بولاق

حجماً من ديوان شعر أبيه ، وأن بعض العوائق حال بينه وبين تحصيله ، حتى فاته واشتد الأسف عليه ، ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة ، لكنت أتفسح فى الانتخاب منه . ولكنى الآن مقل من شعره ، وسيقع لى ما أتكثر به ، والحق المختار منه بمكانه من هذا الباب بمشيئة الله تعالى وعونه ، وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج :

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ تخيرت الشباب على الشيوخ[1]

ومن لم يرض لم أصفعه إلا بحضرة سيدى القاضى التنوخى

وذكره بعدهما الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتابه تاريخ بغداد ، عده محدثاً ببغداد وعدد نسبه وحدد تاريخ مولده ووفاته إذ قال : « المحسن بن على بن محمد بن أبى فهم أبو على التنوخى القاضى بن القاضى ، ولد بالبصرة وسمع بها من واهب ابن يحيى المازنى وأبى العباس الأثرم ومحمد بن يحيى الصولى والحسن بن محمد بن عثمان النسوى وأبى بكر بن داسة وأحمد بن عبد الصفار وطبقتهم ونزل بغداد وأقام بها وحدَّث بها إلى حين وفاته . وكان سماعه صحيحاً أديباً شاعراً أخبارياً . أخبرنا عنه ابنه أبو القاسم علي ، أخبرنا التنوخى حدثنا أبى — من لفظه وحفظه ومن أصله — حدثنا واهب بن يحيى بن عبد الوهاب المازنى البصرى — بها من حفظه — قال التنوخى وحدثنا إدريس بن على المؤدب ؛ ورفع الإسناد إلى مسلمة بن مخلد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة . ومن فك عن مكروب فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » قال لى التنوخى قال قال لي أبى : مولدى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة . قال وكان مولده فى ليلة الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأول وأول سماعه فى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة . وأول ما تقلد القضاء من قبل أبى السائب عتبة بن عبد الله بالقصر وبابل وصور[2] (كذا) فى سنة تسع وأربعين . ثم ولاه المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وإيذج ورامهرمز . وتقلد بعد ذلك أعمالاً كثيرة فى نواح مختلفة ، وتوفى ببغداد فى ليلة الإثنين لخمس بقين من المحرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة[1] » . أما من ذكره بعدهم فمنهم أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى صاحب المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، فذكر نسبه ومولده وسماعه وتحديثه وأول سماعه الحديث وتقليده القضاء كما أسلفنا ، ثم ذكر أيضاً وفاته كما ذكر سلفه الخطيب البغدادى[2] . وقد ذكره ابن الأثير فى كتابه الكامل فى حوادث سنة ٣٧١ هـ . ونقل أن عضد الدولة قبض عليه وألزمه منزله وعزله عن أعماله التى كان يتولاها ، وذكره أيضاً فى وفيات سنة ٣٨٤ هـ . وهى سنة وفاته سارداً تاريخ مولده أيضاً . قال وكان فاضلاً[3] . وقد ذكر التنوخى فى كتابه (الفرج بعد الشدة) أنه كان على العيار فى دار الضرب بسوق الأهواز سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، وذكر بعد ذلك بقليل أنه كان على القضاء بجزيرة ابن عمر . وذكر ابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة المتوفى سنة ٨٧٤ هـ أنه تقلد القضاء بسر من رأى يشبه سوراً . قال : وكان أديباً شاعراً[4]

والذى عرفنا ـ أسباب توليته القضاء وعزله ـ ياقوت الحموى فى كتابه المعروف بإرشاد الأريب فى معرفة الأديب ـ أعنى ـ معجم الأدباء وذلك بإسهاب يصعب علينا استيعابه فنختصره ونقول : « قال بعد ذكر نسبه ومولده سنة تسع وعشرين وثلاثمائة بخلاف ما ذكره الخطيب البغدادى وابن الجوزى صاحب المنتظم وهما أسبق من ياقوت وذكر وفاته أيضاً من دون خلاف ، وذكر تآليفه كما ذكرناها آنفاً : ولى القضاء بواسط وكان بها متولياً سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . وقال فى موضع آخر من كتابه نشوار المحاضرة : حضرت أنا مجلس أبى العباس أبي الشوارب قاضى القضاة إذ ذاك وكنت حينئذ أكتب له على الحكم والوقوف بمدينة السلام مضافاً إلى ما كنت أخلفه عليه بتكريت

(١) يتيمة الدهر للثعالبى ج ٢ ص ٣١٩ ووفيات الأعيان ج ١ ص ٥٦٣ و ٥٦٤ ط بولاق .

(٢) وفى تاريخ آخر « سورا » وهو الصحيح كما سنذكره

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١٣ ص ١٥٥ ، ١٥٦

(٢) المنتظم لابن الجوزى ج ٧ ص ١١٧ ط حيدر آباد .

(٣) الكامل لابن الأثير ط ليدن ج ٩ ص ١١ ، ٧٤

(٤) الفرج بعد الشدة للتنوخى الطبعة الأخيرة ج ١ ص ٢٢ . كذلك النجوم الزاهرة لابن تغري بردى ج ٤ ص ١٦٨

ودقوقا(١) وخانيجار(٢) وقصر ابن هبيرة(٣) والجامعين(٤) ، وسوراء(٥) وبابل(٦) والإيغارين(٧) وخطرنية(٨) وذكر قصة . وذكر في موضع آخر - جاء قبلاً منقولاً عن الخطيب البغدادي - أنه كان يتقلد القضاء بعسكر مكرم(٩) في أيام المطيع لله ، وعز الدولة بن بويه . وقد ذكر أبو الفرج الشلجي(١٠) أنه تقلد القضاء بالأهواز نيابة عن القاضي أبي بكر بن قُرَيْعَةَ . قال أبو الفرج : وحدثني أبو علي التنوخي القاضي قال : لما قلَّدني القاضي أبو بكر بن قريعة قضاء الأهواز خلافة له كتب إلى المعروف بابن سركس الشاهد ، وكان خليفته على القضاء قبلي كتاباً على يدي وعنوانه : إلى المخالف الشاق ، السيء الأخلاق ؛ الظاهر النفاق ، محمد بن إسحاق . وقال ياقوت أيضاً : قرأت في كتاب الوزراء لهلال بن المحسن : حدث القاضي أبو علي قال : نزل الوزير أبو محمد المهلبي السوس(١١) فقصدته للسلام عليه وتجديد العهد بخدمته ، فقال لي : بلغني أنك شهدت عند ابن سيار قاضي الأهواز قلت نعم . قال : ومن ابن سيار حتى تشهد عنده وأنت ولدي وابن أبي القاسم التنوخي أستاذ ابن سيار ؟ قلت : ألا إن في الشهادة عنده مع الحداثة جمالاً — وكانت سني يومئذ عشرين سنة — قال وجب أن تجئ إلى الحضرة لأتقدم إلى أبي السائب قاضي القضاة بتقليدك عملاً تقبل أنت فيه شهوداً « قلت ما فات ذاك إذا أنعم سيدنا الوزير به ، وسبيلي إليه الآن مع قبول الشهادة أقرب . فضحك وقال لمن كان بين يديه : أنظروا إلى ذكائه كيف اغتنمها ؟ ثم قال لي أخرج معي إلى بغداد . فقبلت يده ودعوت له . وسار من السوس إلى بغداد . ووردت إلى بغداد في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، فتقدم إلى أبي السائب فيّ بما دعاه إلى أن قلدني عملاً بسقي الفرات . وكنت ألازم الوزير أبا محمد وأحضر طعامه ومجالساته . واتفق أن جلس يوماً مجلساً عاماً وأنا بحضرته وقيل : أبو السائب في الدار ، قال : يدخل . ثم أومأ إليّ بأن أتقدم إليه ، فتقدمت ومدّ يده ليسارّني فقبلتها ، فمدّ يدي وقال ليس بيننا سر ، وإنما أردت أن يدخل أبو السائب فيراك تسارّني في مثل هذا المجلس الحافل فلا يشك أنك معي في أمر من أمور الدولة فيرهبك ويحشمك ويتوفر عليك ويكرمك فإنه لا يجيء إلا بالرهبة ، وهو يبغضك بزيادة عداوة كانت لأبيك ، ولا يشتهي أن يكون له خلف مثلك . وأخذ يوصل معي في مثل هذا الفن من الحديث إلى أن دخل أبو السائب . فلما رآه في سرار وقف ولم يحب أن يجلس إلا بعد مشاهدة الوزير له تقرباً إليه وتلطفاً في استمالة قلبه ، فإنه كان في ذلك الوقت فاسد الرأي فيه . فقال لأبي السائب يجلس قاضي القضاة ، وسمعه الوزير فرفع رأسه وقال له اجلس يا سيدي ، وعاد إلى سراري وقال لي : هذه أشد من تلك ؛ فامض إليه في غد فسترى ما يعاملك به . وقطع السِّرار وقال لي ظاهراً : قم فامض بما أنفذتك فيه وعدْ إليَّ الساعة بما تعجله ، فوهَّم أبا السائب بذاك أننا في مهم . فقمت ومضيت إلى بعض الُحجَر وجلستُ إلى أن عرفتُ انصراف أبي السائب فكاد يحملني على رأسه وأخذ يحادثني بضروب من المحادثة والمباسطة وكان ذلك دهراً طويلاً(١)

(البقية في العدد القادم)

يوسف يعقوب مسكوني

---

(١) مدينة بين إربل وبغداد .

(٢) فتحها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بأمر سعد عمه « رضي » .

(٣) القريب من جسر سوداء المذكورة لا صور كما ذكرت في كتاب الخطيب البغدادي .

(٤) حلة بني مزيد التي بأرض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة .

(٥) موضع بالعراق من أرض بابل وهي مدينة السريانيين .

(٦) إسم ناحية قرب الحلة .

(٧) إسم لعدة ضياع من كور أوغرت لعيسى ومعقل ابني أبي دلف العجلي

(٨) ناحية من نواحي بابل العراق .

(٩) بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء صاحب الحجاج بن يوسف .

(١٠) نسبة إلى شلج قرية قرب عكبرا تخرج منها أبو الفرج هذا واسمه محمد بن محمد بن سهل الشلجي .

(١١) بلد بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام .

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١٧ ص ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ط . دار المأمون

ترتيب القـــرآن

للأستاذ أبو طالب زيان

(تتمة ما نشر فى العدد ٤٧٢)

اتفق العلماء على أن هذا الترتيب إنما يجب التزامه فى كتابة المصاحف . أما فى القراءة فليس بواجب . يدل على ذلك حديث عائشة فى البخارى حيث قالت للعراقى الذى سألها عن تأليف القرآن : « لا يضرك أية قرأت » . وقد حمله جمهور المحدثين على أنه فى القراءة بأية سورة أراد دون أن يلتزم الترتيب . قال ابن بطال : لا نعلم أحداً قال بوجوب ترتيب السور فى القراءة لا داخل الصلاة ولا خارجها ، بل يجوز أن يقرأ الكهف قبل البقرة والحج قبل الكهف . وأما ما جاء عن السلف من النهى عن قراءة القرآن منكوساً ، فالمراد به أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها . وكان جماعة يصنعون ذلك فى القصيدة من الشعر مبالغة فى حفظها ، وتذليلاً للسان فى سردها ؛ فمنع السلف ذلك فى القرآن فهو حرام فيه . ا ﻫ

والآن أعود إلى سبق النزول فأقول : لست فى حاجة إلى أن أكرر أن القرآن ابتدأ نزوله من ليلة اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده عليه الصلاة والسلام حيث أُوحى إليه فى غار حراء الذى كان يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ، وأن أول آيات القرآن نزلت على النبى الكريم وهو بالغار ، وأن آخر آية نزلت يوم الجمعة ، يوم عرفة ، عام حجة الوداع . يدل على هذا ما رواه البخارى بسنده عن طارق بن شهاب عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن رجلاً من اليهود . قال له : يا أمير المؤمنين ، آية فى كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال أى آية ؟ قال : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً . قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة . ولقد روى البخارى هذا الحديث فى عدة مواضع من صحيحه . ورواه أصحاب السُّنن إلا أبا داود . . . ولم ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بعدها شىء من الفرائض ولا تحليل شىء ولا تحريمه . ولم يعش النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية إلا إحدى وثمانين ليلة

عن ابن عباس ومجاهد أن سورة « إقرأ » أول ما نزل من القرآن إلى قوله تعالى : « علم الإنسان ما لم يعلم » ثم نزل باقيها بعد . والجمهور على أن « الفاتحة » أول ما نزل ثم سورة « القلم » وسورة « الضحى » نزل منها أولاً إلى قوله تعالى « ولسوف يعطيك ربك فترضى » ثم نزل باقيها بعد ، ولم ينزل من السور الطوال سورة بتمامها إلا سورة « الأنعام » . فقد روى كثير من المحدثين نزولها جملة عن غير واحد من الصحابة والتابعين لأنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال المذاهب التى كذبت القرآن ولم يُؤمن أصحابها بالبعث والنشور . وهى من المقاصد الأساسية للدين الحنيف التى لا يتوقف نزول آياتها على السؤال والحوادث أو الأسباب التى تقتضى الإنزال

ولقد رجح هذا المذهب الإمام الرازى فى تفسيره الكبير والقرطبى وغيرهما من علماء التفسير ، كالكشاف ، والنسفى . ولم يضعفه إلا الأستاذ الألوسى فى كتابه « روح المعانى » فقد أنكر نزول هذه السورة جملة وقال : كيف يمكن حينئذ أن يقال فى كل واحدة من آياتها أن سبب نزولها كذا ... ولكن إنكار الأستاذ ... ضعيف لأن ما ذكره الجمهور فى أسباب نزول آياتها بعضه لا يصح والبعض الآخر لا يدل على نزول تلك الآيات متفرقة لأن غاية ما قالوه أن تلك الآية نزلت فى كذا وكذا أو فى قول المشركين كيت وكيت . فإذا صح كان معناه أن تلك الآيات نزلت بعد الوقائع ؛ وهذا لا يتنافى ونزولها دالة على ذلك فى ضمن السورة ...

ولقد نزل كتاب الله فى تلك الفترة بين مبتدأ الوحى ومنتهاه مفرقاً إلى أجزاء كل جزء منها يسمى نجماً ؛ وربما نزلت الآية المفردة وربما نزلت آيات عدة إلى عشر كما صح عند أهل الحديث فيما انتهى إليهم من طرق الرواة . فقد نزلت عشر آيات فى قصة الإفك جملة ، ونزلت عشر آيات من أول المؤمنين جملة ، يدل على نزولها جملة ما رواه الإمام أحمد بسنده عن عمر بن الخطاب قال : كان إذا نزل على رسول الله الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : « اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا

ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وأرضنا » ثم قال : لقد أنزل الله عليَّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة . ثم قرأ : « قد أفلح المؤمنون » حتى ختم العشر ... وصح نزول «غير أولى الضرر » وحدها ، يدل على ذلك ما رواه البخارى فى كتاب الجهاد من حديث البراء بن عازب قال : لما نزلت « لا يستوى القاعدون من المؤمنين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً ، فجاء بكتف فكتبها . وشكا ابن أم مكتوم ضرارته فنزلت « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر » .

وفى هذه الرواية إبهام وضحته الرواية التى رواها البخارى أيضاً بعدها عن سهل بن سعد الساعدى ، وفيها التصريح بأن الذى نزل غير أولى الضرر وحدها .

ومن السور القصار ما كان ينزل جملة ومنها ما كان ينزل مفرقاً .

ولقد كان هذا التنجيم مثاراً لعجب المشركين ومنشأ لاعتراضهم على القرآن ، فقد سمعوا أن الكتب السماوية السابقة كانت تنزل على الرسل جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى فى الألواح مرة واحدة[1] فقالوا إذا كان القرآن قد نزل على محمد من عند الله كما يدعى فما باله لم ينزل عليه جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى

وما باله تنزل منه الآية أو الآيات تلو الآية أو الآيات فى أزمنة متطاولة ؟ أليست سنة الله فى إنزال الكتب واحدة ؟

ألا يكون مجيئه هكذا مفرّقاً دليلاً على أن محمداً صلى الله عليه وسلم يصطنعه ، ثم يدعى أنه من عند الله ؟

نعم ! ! ليست هذه الشبهة بأولى جهالاتهم ؛ فقد قالوا فى القرآن ما هو أبشع من هذا ، وغالطوا حسهم وعقلهم وكابروا وجدانهم ؛ فقالوا : « إن هذا إلا أساطير الأولين » ؛ وقالوا : « أساطير الأولين اكتتبها ، فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » ؛ وقالوا : « إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون » ؛ وقالوا : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين كفروا للحق لما جاءهم : إن هذا إلا سحر مبين » ؛ وقال الوليد بن المغيرة : إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر : « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » . وهكذا شأن كل جهول يحكم على الأشياء بجهله ، وبما يوحيه إليه فساده واستبداده ، وتصوره له سخافة فكره

ولقد جهل المشركون أن نزول القرآن منجماً أمر اقتضته حكمة الله التى سمت عن عقولهم ، وضلت عنها أفكارهم ؛ وأنه لولاه لما أحدث القرآن الكريم فى الأمة العربية ذلك الانقلاب

---

(١) أنكر بعض العلماء نزول التوراة على موسى صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وقالوا إنه لا دليل عليه ، وأنها نزلت مفرقة كالقرآن الكريم وهذا خطأ رده الأدلة الصريحة فى أنها نزلت جملة واحدة . فمن هذه الأدلة قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة » فانها نزلت كما قال اليهود والمشركون للنبي صلى الله عليه وسلم : لولا أنزل القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة ؛ يدل علي ذلك ما رواه ابن أبى حاتم عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قالت اليهود يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى . فنزلت الآية وأخرجه من وجه آخر عنه بلفظ قال المشركون والقرآن وإن لم يصرح بقولهم كما أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى فان سكوته تعالى عن الرد عليهم فى ادعائهم نزول التوراة جملة واحدة ، وعدوله عنه إلى بيان حكمة نزول القرآن مفرقاً دليل على صحة قولهم هذا . وإلا فلو كان أدعاؤهم نزول التوراة جملة باطلا ... ولو كانت الكتب كلها نزلت مفرقة لكان يكفى فى الرد عليهم أن يقول إن ذلك سنة الله فى الكتب التى أنزلها على الرسل السابقين كما رد عليهم بمثل ذلك فى كثير من شبههم مثل قولهم : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق . فأجابهم بأن ذلك سنة الله فى جميع الرسل بقوله : وما أرسلت قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق . ومثل قولهم « أبعث الله بشراً رسولا » فرد عليهم بقوله : « وما أرسلنا قبلك من رجال نوحي إليهم »

ومن الأدلة على نزولها جملة قوله تعالى فى إنزاله التوراة على موسى يوم الصعقة : « فخذ ما آتيناك وكن من الشاكرين . وكتبنا له فى الألواح = من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء فخذها بقوة » فانه صريح فى أن الله تعالى أنزل عليه ألواح التوراة مكتوبة جملة واحدة وأمره أن يأخذ بما فيها بعزيمة قوية . فأخذها موسى ورجع إلى قومه ليبلغهم إياها فوجدهم عكوفاً على عبادة العجل فألقى الألواح كما قال الله تعالى . ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال : بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح . وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، ولما سكت عن موسي الغضب أخذ الألواح . وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون . فتصريحه تعالى بأنه أنزل إليه الألواح ، وأمره أن يأخذها بقوة ، وبأن موسي ألقى الألواح عند ما ثار به الغضب لعكوف قومه على عبادة العجل ، وبأنه أخذها بعد أن سكت عنه الغضب يدلنا بصراحة على أنها نزلت عليه جملة . وأخذها إلى قومه بتمامها . ويؤيد ذلك أن موسي عليه السلام لما أمرهم بامتثال ما فيها شق عليهم أن يأخذوا بتلك التكاليف دفعة واحدة وأبوا أن يمتثلوا حتى شق الله الجبل عليهم فخضعوا وامتثلوا . وفى هذا يقول الله : وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما أتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون .

ولو كان نزول التوراة متفرقاً ، والتكليف بها كذلك لما شق عليهم امتثالها ، ولما نفروا عن موسى حتى هددوا باسقاط الجبل عليهم بعد أن نتق فوق رءوسهم كأنه ظلة فادعاء بعض العلماء أنه لا دليل على نزول التوراة جملة واحدة إدعاء باطل يرده ما ذكرناه من هذه الأدلة : ا هـ

الخطير الذى تسرى أثره فى الأمم ؛ فكان حداً فاصلا بين عهدين : عهد طفولة النوع البشرى ، وعهد بلوغه أشده ، واستكماله خصائصه التى ميزه الله بها على كثير من خلقه ؛ وقد حكى الله تعالى شبهتهم هذه فى سورة الفرقان بقوله : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » ؛ وفندها ورد عليهم بقوله : « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » . فبين أن حكمة تنجمه هى تثبيت فؤاد النبى عليه السلام فى مواطن اللجاج والخصومة بينه وبين المكابرين من أعدائه ، واقتصر فى بيان حكمة التنجيم على هذه الحكمة لمناسبة المقام ؛ فإن المشركين كانوا يظنون أن هذه الشبهة الواهية التى شنعوا بها على القرآن كافية فى هدم دعائم الدعوة المحمدية ، فعكس الله عليهم ظنهم وبيّن أن تنجيمه من أقوى العوامل فى تثبيت قلبه ، وتقوية شوكته ، وإحكام دعوته .

واقتصار القرآن على هذه الحكمة لا ينافى أن لتنجيمه حكماً أخرى يجتلى البصير نورها إذا تأمل فى المناسبات التى نزل القرآن لأجلها ، والغرض المنشود من إنزاله كله ، والظروف التى أحاطت بالرسول والمسلمين حين نزوله ، وإلى الباحث البيان :

الأول : أن نزوله منجما كان بحسب الوقائع والحوادث التى كانت تحصل فى المجتمع الإسلامى على عهد نزول التشريع والأسئلة والمقترحات التى كانت توجه من المسلمين أو غيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشبه التى كانت تدور فى قلوب المشركين ويظهر القول بها على ألسنتهم ، ومما تقتضيه حالة المسلمين فى أوقات السلم من تقرير عقائد الدين وشرائعه وفضائله ، وقوانينه العامة التى يراد بها تنظيم المجتمع الإسلامي وتكوين أمة فتية متمتعة بكل خصائص الأمة الحية ، وحالتهم فى أوقات الحرب من الحث على الجهاد والغرض الذى يجب أن يقصد به ، وبيان الأحكام المتعلقة به . كتقسيم الغنائم والفرد وحكم الأسارى وغير ذلك .

الثانى : أنه نزل تدريجاً ليكون أبلغ فى التحدى وأظهر لإعجاز القرآن

الثالث : أنه نزل كذلك للتدريج فى تربية الأمة العربية تربية دينية وخلقية واجتماعية وإعدادها لمنزلة الخلافة فى الأرض ولقيامها مقام المصلح لما فسد من عقائد الأمم وما تسفل من أخلاقها وعاداتها وتقاليدها وما اختتل من أحوالها العامة ونظمها الاجتماعية

الرابع : وليسهل حفظه وفهمه والعمل به على المسلمين وامتزاجه بدمائهم حتى يصير جزءاً من نسيجهم العقلى ليمكنهم أن يضطلعوا بأعباء الدعوة المحمدية بعد رسول الله على بصيرة وهدى وأن يسيروا فى هداية الأمم على نهج واضح ، ولا تبعد عنهم الغايات التى ندبوا لتحقيقها فى العالم الإنسانى

الخامس : وليثبت الله تعالى به فؤاد النبى صلى الله عليه وسلم فى مواطن الخصومة : « كذلك لنثبت به فؤادك » رداً على قول المشركين « لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » فالآية صريحة فى أن نزوله منجما كان المقصود منه تثبيت فؤاد النبى عليه السلام ليتفرغ لتبليغ الدعوة المحمدية بعزيمة قوية وهمة متقدة وقلب مطمئن لا تساوره الأحزان ولا تحتل ساحته الهموم والأكدار التى تكسر شوكة العزيمة وتضعف قوة الإرادة وتطفىء جذوة النشاط الملتهب وتقيد الإنسان عن السير إلى المثل الأعلى الذى يتوخاه فى عمله ، خصوصاً فى مثل هذه المهمة الكبرى التى يراد بها صقل طبائع النفوس وتهذيب الفطر الإنسانية وإصلاح ما فسد من أحوال الأمم ، وتوجيه العالم البشرى في طريق الهدى والرشاد ليصل إلى سعادة الدنيا والآخرة

والخلاصة أنك ترى مما تقدم ذكره أن تنجيم القرآن الكريم مع كونه مقتضى الحكمة الإلهية كان ضرورة حتمية لا محيص عنها ، وأنه لو أنزل جملة واحدة ما أتى بالنتيجة المطلوبة منه فى تلك الأمة التى كانت عريقة في الجهالة والهمجية

أما بعد فلعلى بهذه العجالة ألقيت ضوءاً على هذا البحث الذى ألفيته من المباحث الشاقة فى التنقيب ، الوعرة فى المسلك ، فجاريته على سرعته . وصادقته على علاته فطرقت حكم التنجيم ، لأنها منه كالتكملة والذيل والعلة للمعلول . ولعل من الباحثين من يبحثه بحثاً غير ما بحثت ، ويحرره تحريراً غير ما حررت ؛ ولنا فى تقافتهم آمال كبار .

أبو طالب زيانه

٣٨ ـ المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

فى النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزى ادورد وليم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

تابع الفصل الثانى عشر — السحر والتنجيم والكيمياء

يدرس الكثيرون فى مصر الكيمياء أيضاً . وهنالك فئة تنعم بمواهب يستطيعون أن يبلغوا بها شهرة أفضل مما يدركونه من هـذه المهنة . ويواصل هؤلاء جهدهم المقيم حتى يبلغوا الكبر بالرغم مما يلاقون من سخرية حصفاء الرأى وذم الذين يغررون بهم عن غير قصد . ومع ذلك فقد يحصلون على معلومات كيميائية وافرة بدراسة هذا العلم الكاذب . والاهتمام بالكيمياء فى حالة الانحطاط العلمي الموجودة الآن بمصر يبرهن على العقلية المصرية الرفيعة

وهناك أو كان هناك[١] مصرى يدعى الشيخ اسماعيل أبو الروس من مدينة دسوق ، ذاع صيته فى السحر الروحانى . ويتحدث المصريون حتى أكثرهم علماً ورزانة عن مهارته السحرية أحاديث لا تصدق . فيتحدث بعضهم مؤكداً زواجه بجنية ، وآخرون عن استخدامه جنياً يستشيره ويأمره فى الباطن دون أن يستعمل طلسماً ما مثل مصباح علاء الدين . ويقال إن الشيخ كان يستخدم دائماً قوته الخارقة فى أغراض طيبة أو بريئة ، وأن محمد على ـ كما يقول البعض ـ كان يكرمه ويستشيره كثيراً . وقد أخبرنى أحد أصدقائى المسلمين الأذكياء في القاهرة أنه زار أبا الروس فى دسوق بصحبة الشيخ الأمير بن الشيخ الأمير الكبير شيخ المالكية ، فسأل صاحب صديقى مضيفهما أن يبين لهما بعض ما يدل على براعته فى السحر ، فأجابه إلى طلبه . فقال الشيخ الأمير : قدم إلينا القهوة فى فناجين أبى الموجودة بالقاهرة . وانتظرا قليلاً ثم أحضرت القهوة فنظر الشيخ الأمير إلى الفناجين وظروفها وصرح أنها طقم أبيه بلاشك . وبعد ذلك قدم الشراب فى قلل أبيه . ثم كتب رسالة إلى أبيه وأعطاها لأبى الروس طالباً الحصول على الرد . فأخذها الساحر ووضعها وراء وسادة الديوان ، وبعد قليل رفع الوسادة وأراه أن رسالته اختفت وحلت محلها أخرى أخذها الشيخ الأمير وقرأها فوجد فيها رداً كاملاً على ما كتبه بخط صرح بأنه خط أبيه ، وأخباراً عن عائلته تبين له صحتها التامة بعيد عودته إلى القاهرة[١] . وقد وقع أثناء زيارتى الأخيرة لمصر حادث سحرى عجيب تدخلت فيه الحكومة وكان محل حديث الناس وتعجبهم فى العاصمة كلها . وسأروى هذه الواقعة تماماً كما قصها على الكثيرون فى القاهرة دون أن أحذف منها المبالغات التى دبجوا بها حديثهم ، لا لأننى جاهل مبلغ صحتها فحسب ، بل لأبين إلى أى حد عظيم يؤمن المصريون بالسحر

عُزل مصطفى الدجوى كبير الكتاب فى مجلس القاضى من وظيفته ، وحل مكانه آخر يسمى مصطفى كان صيرفيًا . فأرسل الأول إلى الباشا التماساً لإعادته ثانية ، إلا أنه مرض مرضاً شديداً قبل أن يصله رد . فاعتقد أن ذلك نتيجة سحر استخدمه مصطفى الصيرفى بكتابة تعويذة تسبب موته ، ولذلك أرسل إلى الباشا مرة أخرى يتهم الصيرفى بهذه الجريمة ، فأحضر المتهم أمام الباشا فاعترف بفعله ودل على الساحر الذى استخدمه . ولما قُبض على الساحر لم يستطع إنكار التهمة ، فسجن حتى ينجو الدجوى أو يموت ، وأودع فى حجرة صغيرة يتناوب حراستها حارسان — وهنا يبدأ القسم العجيب فى القصة — عندما جن الليل ، وبعد أن نام أحد الحارسين سمع الآخر صوت همهمة غريبة ، فنظر من خصاص باب الحجرة ، فرأى الساحر جالساً وسط الغرفة يدمدم ببعض كلمات لم يستطع فهمها ، وفى الحال انطفأت الشمعة التى كانت أمامه ، وظهر فى الوقت نفسه أربع شمعات أخرى فى كل ركن من أركان الغرفة ، ثم وقف الساحر تجاه أحد الحوائط وضربه بجبهته ثلاثاً ، وفى كل مرة كان الحائط ينفرج عن رجل يبدو أنه يخرج منها . ولم يلبث هؤلاء أن اختفوا بعد أن حدثهم الساحر قليلاً ، وكذلك اختفت الشمعات الأربع ، وعادت الشمعة الأولى وسط الغرفة مضيئة كما كانت قبلاً ، ورجع الساحر إلى جلسته ، وساد السكون ...

(١) علمت أنه توفى أثناء زيارتى الثانية لمصر

(١) وقد تحدثت فى ترجمتى لألف ليلة وليلة الفصل الأول هامش ١٥ عن ساحر أكثر شهرة هو الشيخ أحمد صادومه ذاع صيته فى مصر فى النصف الثانى من القرن الأخير

وهكذا أبطلت التعويذة التى كانت معدة لقتل الدجوى . فى الصباح التالى شعر المريض بتحسن كبير بحيث توضأ وأقام صلاته . ومنذ ذلك الوقت تم شفاؤه سريعاً ، وأعيد إلى وظيفته السابقة ، ونفى الساحر من مصر . وقد نفى ساحر آخر بعد أيام قليلة لكتابته حجاباً جعل بنتاً مسلمة تصاب بحب قبطى حبًّا جامحاً .

وقد أثار فضولى فى موضوع السحر بعيد قدومى إلى مصر حادث قصه علىّ مستر صولت Salt قنصلنا العام ؛ فقد سرقت من منزله أمتعة اتهم بسرقتها أحد خدمه . فاستدعى ساحراً مغربياً شهيراً ليحمل المذنب ، إذا كان أحدهم مذنباً ، إلى الاعتراف بذنبه . وحضر الساحر وقال إنه سيبين صورة اللص بحيث تبدو كاملة لأى صبى لم يبلغ سن المراهقة ؛ وطلب من رب الدار أن يحضر أى ولد يختاره ، وكان هناك عدة أولاد يعملون فى حديقة مجاورة المنزل ، فدعى أحدهم لهذا الغرض . فرسم الساحر بالقلم على راحة يد الولد اليمنى شكلاً هندسياً صب فى وسطه قليلاً من الحبر ؛ وطلب من الولد أن ينظر فى الحبر بعزم ؛ ثم حرق بعض البخور وعدة قصاصات من الورق كتب عليها تعاويذ ؛ واستدعى فى الوقت نفسه أشياء مختلفة تظهر فى الحبر . وأعلن الولد أنه رأي هذه الأشياء وصورة المتهم أخيراً . فوصفه بقامته وهيئته وملبسه ، وقال إنه عرفه ، ونزل مباشرة إلى الحديقة وقبض على أحد العمال الذى اعترف أمام السيد بجرمه

وقد شوّقنى الحديث السابق إلى مشاهدة حادث كهذا . ولكن لجهلى اسم الساحر ومكانه كنت عاجزاً عن الوصول إليه . على أننى علمت بعيد عودتى إلى انجلترا أن هذا الساحر اشتهر بين السياح المتأخرين فى مصر ، وأنه يقيم فى القاهرة، وأنه يسمى الشيخ عبد القادر المغربى . وقد أحضره جارى عثمان مترجم القنصلية البريطانية ، بعيد قدومى الثانى إلى مصر . فضربت له موعداً ليثبت مهارته التى اشتهر بها . وحضر الساحر فى الموعد المعين ، قبل الظهر بساعتين تقريباً ، ولكن كان يلوح عليه القلق وتطلع إلى السماء مراراً ، ثم لاحظ أن الجو غير موافق . وكان اليوم عابساً كثير الضباب عاصف الهواء . وكانت التجربة قد عملت مع ثلاثة صبيان على التوالى ، ولكنها لم تنجح تماماً مع أولهم وفشلت مع الآخرين . فقال الساحر إنه لا يستطيع أن يقوم اليوم بأكثر من ذلك ، وأنه سيحضر مساء يوم ثان . وقد حافظ على وعده وقرر أن الوقت ملائم ؛ وأخذنا ندخن الشبك ونحتسى القهوة وهو يحدثنى أحاديث مختلفة منتظرين جارى عثمان ليشاهد التجربة . والساحر جميل الشكل طويل القامة قوى البنية ، وجهه أقرب إلى البياض ، ولحيته شديدة السواد ، رث الثياب أخضر العمة كبيرها ، لانتسابه إلى النبى (ص) لطيف الحديث بلا تكلف . وقد أخبرنى أنه يباشر أعماله العجيبة بواسطة الأرواح الطيبة ، ولكنه قال لآخرين أن سحره شيطانى

وطلب الساحر أولاً قلماً وحبراً وقطعة ورق ومقصاً ليعد تجربة مرآة الحبر السحرية التى تسمى ، مثل بعض الأعمال المشابهة الأخرى ، ضرب المندل . ثم قطع قصاصة ضيقة كتب عليها بعض أدعية علاوة على تعويذة أخرى يعتقد أن التجربة تتم بها . ولم يحاول أن يخفي ذلك . ولما طلبت نسخة منها قبل بسهولة وكتبها فى الحال موضحاً لى فى الوقت نفسه أنه يبلغ غايته بفعل الكلمتين الأوليين « طرشٌ » و « طريوشٌ » وهما اسما تابعيه الجنيين . وقد قارنت النسخة بالأصل فوجدتها مطابقة تماماً . وهذا نصها :

طرشٌ طريوشٌ انزلوا انزلوا ، احضروا إلى مذهب الأمير وجنوده ، إلى الأحمر الأمير وجنوده

احضروا يا خدام هذه الأسماء .

وهذا الكشف ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد صحيح صح .

وبعد أن كتب هذه الكلمات ، فصل الأدعية عن التعويذة وقطع الأولى إلى ست جذاذات . ثم شرح لى أن القصد من التعويذة التى تتضمن جزءاً من الآية الحادية والعشرين من سورة الكهف ، هو فتح عين الصبى بطريقة غير عادية وجعل بصره حاداً يرى ما لا نراه

وكنت قد أعددت بإرشاد الساحر قليلاً من اللبان ، والكزبرة[1] ومجمرة بها جمر . فوضعت كل هذا فى الغرفة مع الصبى الذى أعد لإجراء التجربة ، وكانوا قد دعوه من الشارع بناء على طلبى من بين بعض الصبيان حين عودتهم من أحد المصانع . وكان الصبى يبلغ من العمر ثمانى سنوات أو تسعاً . وعندما سألت الساحر أن يبين لى من يستطيع النظر فى مرآة الحبر السحرية

(١) ويضيف الساحر على العموم إلى ذلك بخوراً جاوياً .

أجابني : الصبي دون البلوغ ، والبنت العذراء ، والجارية السوداء ، والمرأة الحامل . ووضع الساحر المجمرة أمامه ، ثم أجلس الصبي على كرسي وأمر خادمي أن يضع في المجمرة بعض لبان وكزبرة . ثم أمسك يد الصبي اليمنى ورسم على راحته مربعاً سحرياً نقلت نسخة منه هنا (شكل رقم ٥٣) ويتضمن هذا الشكل أرقاماً عربية[١] ثم صب في وسطه قليلاً من الحبر وطلب من الصبي أن ينظر فيه ويخبره إذا كان يمكنه رؤية وجهه معكوساً فيه . فأجاب الصبي إنه يرى وجهه جلياً . فقال الساحر وهو يمسك بيد الصبي طول الوقت[٢] أن يظل محدِّق النظر وألا يرفع رأسه

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

(شكل ٥٣) المربع السحرى ومرآة الحبر

ثم أخذ الساحر إحدى قصاصات الورقة المكتوب عليها الأدعية وأسقطها في المجمرة على الجمر والبخور الذي كان قد ملأ الغرفة بدخانه . وبينما كان يفعل ذلك أخذ يدمدم دمدمة لم تنقطع طول العملية إلا حينما كان يوجه للصبي سؤالاً أو يعرفه ما يجب قوله . ووضع في مقدمة طاقية الصبي الورقة المكتوب فيها الآية القرآنية . وسأله عند ذلك إذا كان يرى شيئاً في الحبر ، فأجابه بالنفي ؛ ولكنه لم يلبث أن قال وهو يرتعش ويبدو أكثر خوفاً : « أرى رجلاً يكنس الأرض » فقال الساحر أخبرني بعد أن ينتهي من الكنس . فقال الصبي في الحال « لقد فعل » . فقطع الساحر إذ ذاك دمدمته مرة أخرى ليسأل الصبي إذا كان يعرف ما هو البيرق ؛ فلما رد بالإيجاب أمره أن يقول : « هات بيرقاً » . ففعل الصبي ذلك ولم يلبث أن قال : « لقد أحضروا بيرقاً » .

فسأله الساحر «على أي لون هو ؟» . فأجاب الصبي أحمر . فقال له اطلب بيرقاً آخر . فلم يلبث أن قال إنه رأى بيرقاً آخر ، وأنه أسود اللون . وبالطريقة نفسها قال الساحر للصبي أن يطلب ثالثاً ورابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً . فقال الصبي إنها أحضرت على التوالي وإنها أبيض وأخضر وأسود وأحمر وأزرق . فسأله الساحر حينئذ « كم بيرقاً أمامك الآن ؟ » فأجابه « سبعة » . ووضع الساحر أثناء ذلك ثاني القصاصات المكتوبة عليها الأدعية وثالثها في المجمره . وإذ كان يضيف لباناً وكزبرة مراراً فقد أصبح الدخان يؤلم العين . وعند ما أخبره الصبي أن البيارق السبعة ظهرت له أمره أن يقول : « أحضر خيمة السلطان وانصبها » ففعل ذلك وقال بعد لحظة : « لقد أحضر بعض الرجال الخيمة وهي خيمة كبيرة خضراء وهم ينصبونها » ثم أضاف تواً : « لقد نصبوها » فقال الساحر : « الآن مر الجنود بالحضور وبنصب معسكرهم حول خيمة السلطان » ففعل الصبي كما أمره وقال على الفور : « أرى عدداً عظيماً من الجنود بخيمهم . لقد نصبوا خيمهم » . فقال له حينئذ أن يأمر الجنود بالاصطفاف . ولم يكد يأمرهم حتى قال إنهم اصطفوا . ووضع الساحر رابع القصاصات في الجمر وسريعاً ما ألحق بها الخامسة . وقال تواً : « قل للبعض أن يحضروا ثوراً » فأصدر الصبي الأمر وقال : « أرى ثوراً أحمر يسحبه رجال أربعة ويضربه ثلاثة » فقال له أن يأمرهم بذبحه وتقطيعه ووضع لحمه في أوعية وطهيه . ففعل كما أمره ووصف هذه العمليات كما تمت حسب الظاهر أمام عينه . فقال الساحر : « قل للجنود يأكلون » ففعل الولد وقال : « إنهم يأكلون . لقد أكلوا . وهم يغسلون أيديهم » فقال له الساحر إذ ذاك أن يدعو السلطان ففعل الولد وقال : « أرى السلطان ممتطياً جواداً أشهب وعلى رأسه قلنسوة مرتفعة حمراء . لقد ترجل عند خيمته وجلس داخلها » فقال الساحر : « مرهم بتقديم القهوة للسلطان وبتأليف المجلس » فأصدر الصبي هـذه الأوامر وقال إنها نفذت . وكان الساحر قد وضع آخر القصاصات الست في الجمرة . ولم أميز من همهمته شيئاً غير ألفاظ الدعاء المكتوب التي رددها مراراً ما عدا مرتين أو ثلاثاً سمعته يقول : « إذا استعلموا أخبرهم . وكونوا أنتم صادقين » إلا أن أكثر ما ردده كان غير مسموع . ولما لم أسأله أن يعلمني علمه فلا أدعى الجزم بأنني أعرف تماماً أدعيته

عدلي طاهر نور

(١) يلاحظ أنه إذا جمعنا الأرقام عمودياً أو أفقياً أو بالورب نحصل على المجموع نفسه أي ١٥

(٢) وهذا يذكرنا بالمغناطيسية الحيوانية

مطالعات فى الأدب الغربى

مقـــدمة فى الفن

لأسكار وايلد

بقلم الأستاذ على كمال

[أسكار وايلد أعظم من أن يعرف بغير ما كتب . وقصته العظيمة التى اشتهر بها The Picture of Dorian Gery تعتبر سفراً فنياً عظيما ، ومقدمتها القصيرة تلخص نظرات هذا الفنان فى الفن ، وهى تضع قواعد جديدة فى النقد الفنى لا تسر المحافظين من أصحاب المدرسة الأخلاقية فى النقد]

الفنان هو خالق الأشياء الجميلة

إظهار الفن وحجب الفنان هما غرض الفن

الناقد هو الذى يستطيع أن ينقل إلى صورة أخرى أو مادة أخرى تأثراته بالأشياء الجميلة

إن الذين يجدون معانى قبيحة فى الأشياء الجميلة ، إنما هم فاسدون مجردون عن الجمال

لطائفة مختارة تعنى الأشياء الجميلة الجمال فقط

ليس هناك كتاب أخلاقى أو غير أخلاقى . الكتب إما أن تكتب كتابة جيدة أو رديئة ، وهذا كل شىء

كره القرن التاسع عشر للواقعية هو غيظ (كالبان) لرؤيته وجهه فى الزجاج

وكُره القرن التاسع عشر للرومانتيقية هو غيظ (كالبان) لعدم رؤيته وجهه فى الزجاج

حياة الرجل الأخلاقية تكون جزءاً من مادة الفنان ، غير أن أخلاق الفن تتألف من الاستعمال التام لمادة ناقصة

ما من فنان يرغب فى برهنة أى شىء . كل شىء تمكن البرهنة عليه حتى الأشياء الصادقة

ليس للفنان عواطف أخلاقية . والعاطفة الأخلاقية فى فنان تأنق فى الأسلوب لا يغفر له

لا يمرض الفنان أبداً . الفنان قادر على التعبير عن كل شىء

الفكر واللغة للفنان أداة للفن

الرذيلة والفضيلة عند الفنان مادة للفن

مثال جميع الفنون من ناحية الشكل هو فن الموسيقى ، وحرفة الممثل من ناحية الشعور هى المثال

الفن كله سطحى ورمزى . فالذين يذهبون إلى ما دون السطح يخاطرون بذلك على حسابهم . . . والذين يقرأون الرمز يخاطرون بذلك على حسابهم

المشاهد لا الحياة هو فى الحقيقة ما يعكسه الفن

اختلاف الرأى فى عمل فنى يظهر أن العمل جديد حى معقد

عند ما يختلف الناقدون يكون الفنان على وفاق مع نفسه

يمكننا أن نسامح الرجل الذى يصنع الأشياء المفيدة ما دام لا يعجب بها . والعذر الوحيد لصانع شىء غير مفيد هو إعجابه به بشدة

الفن بأجمعه لا فائدة منه أبداً ...

على كمال

حكم فى القضية رقم ١٤٦٥ عسكرية أسيوط سنة ٩٤٢ ضد محمد سليمان عبد البارى من أم القصور بتغريمه ١٠ عشرة جنيهات لبيعه ذره بأكثر من التسعيرة بجلسة ٢٥ مايو سنة ٩٤٢

حكمت محكمة دمنهور العسكرية فى القضية رقم ٩٠٣ جنح عسكرية سنة ٩٤٢ بجلسة ١٧ / ٦ / ٩٤٢ على محمد قطب البنا بقال من دست مركز كوم حمادة بغرامة ٥٠٠ قرش وغلق المحل أربعة أيام ونشر الحكم والتعليق على مصاريفه لبيعه سكرا بأعلى من التسعيرة

حكم فى القضية ن ١٦٢٦ عسكرية طنطا سنة ٩٤١ ضد محمد السيد العدوى بغرامة ٣ جنيه والنشر والتعليق بتاريخ ١٤ يناير سنة ١٩٤٢ وذلك لبيعه خبزا بسعر أكثر من المحدد

هنـــا القاهرة . . .

للأستاذ عبد اللطيف النشار

— ١ —

سَبَقَ الذبيعُ إلى المتاف بها ... أوَعى الذبيعُ جلالَ ما هتفا ؟
أأقولها وأحس عن كثب ... دنيا فتنت بحسنها شغفا
ما زرتها إلا على عجل ... إن قلت أقبل موعدى أزفا !
كالطير روحته وغدوته ... صنوان ما افترقا ولا اختلفا
طيف ألمَّ بها ولم يرها ... ورأته طيفاً دقَّ بل لطفا
يا من « بمصر » وعندهم أملى ... أيُحَال دون لقائكم جنفا ؟
تأبى إطاعةَ هاجس نثقى ... بالله ، فهو وكيلنا وكفى !

— ٢ —

متى يا تُرى أدعو دعاءكَ صادقاً
بأنِّىَ قد أصبحت فى « مصرِ » ثاويا ؟
دعا الشاعر « العقاد » قبلِىَ دعوةً
أجيبت ، فهل رد الإلهُ دعائيا ؟ !
(أيا مرجع الأيام من حيثما ابتدت
أعِدْ لى أيامى « بمصر » كما هيا) !
أُجيبَ دعائى ومضةَ البرق ، لا أرى
سحاباً ، ولكن أسمع الرعد داويا
ألا يا غدى ، ماذا تخبِّئ يا غدى ؟
أأسكت ، أم أُفضى إليك شكاتيا ؟ !
سكت ، فقد عاهدت ربىَّ قبلها
بألَّا يرانى آخر الدهر شاكيا !

— ٣ —

نفسي المقولة فى خطابكمو ... لا شىء فى لفظى سوى نَفَسى
شعراء « مصرِ » فى حناجركم ... وترَنُّ يضخم أضعفَ الجرَسِ
يا ليت فى أسماعكم وتراً ... أقوى فيسمع بينكم همسى !

— ٤ —

علمان فى (العلمين) يقتتلان
يا (مصر) ما (العلمين) ما العلمان ؟
لا أبتغى غيظ النحاة ولم أمل
(للأين) إذ يرضى النحاةَ (الآنِ)
يا نصف نحوى يجادل كله ... ليت العوالم كلها كلسانى !
قل مخطئنا واسمع مقالة مخطىء ... لا يحسن التصويبُ كل أوان
الجد ليس يريح من يُمنى به ... فتنقلوا — يا قوم — بالهذيان !

عبد اللطيف النشار

١٩ — ٧

فلسفة الحب

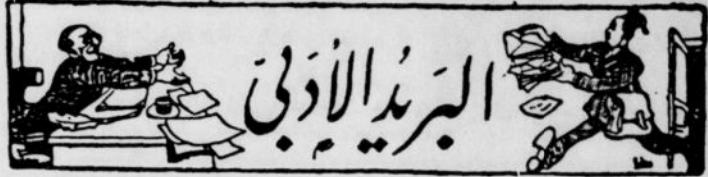
للشاعر بيرسى شيلى

إن الجداول تمتزج بالأنهار ، والأنهار
بالبحار ، والبحار بالمحيطات ، ونسائم
الفردوس يمتزج إلى الأبد بعضها
ببعض بعاطفة عذبة . ليس فى الكون
شئٌ منفرد بذاته ؛ فكل شئ يمتزج
حسب قانون مقدس بشئ ثان .
فلماذا لا تمتزجين بى وأمتزج بك ؟

***

انظرى الجبال تقبل السماء العالية ،
والأمواج تحتضن الأمواج ، وليس
هناك من زهرة يمكن أن تعذر إذا بقيت
بمفردها محتقرة أختها الوردة ، ونور
الشمس يحتضن الأرض ، وأشعة القمر
تقبل وجه البحر ؛ فما قيمة كل هذه
القبلات إذا لم تقبل شفتاك شفتى ؟

(بغداد) ... صفاء خلوصى



توثيق العلاقات الثقافية بين مصر والعراق

أقر مجلس الوزراء فى جلسته الأخيرة مشروع وزارة المعارف بتأليف مكتب لتوثيق العلاقات الثقافية بين مصر والعراق . وفيما يلى مذكرة معالى الأستاذ الوزير ننشرها لقيمتها التاريخية

« بتاريخ ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤١ عرض وزير المعارف السابق على مجلس الوزراء فكرة الدعوة إلى عقد مؤتمر تعليمى للبلاد العربية ؛ وقرر مجلس الوزراء تأجيل البت فى هذا الأمر إلى أن تقدم إليه وزارة المعارف تفصيل الموضوعات التى سيتناولها المؤتمر ومبلغ ما يحتاج إليه عقده من اعتمادات

وقدمت وزارة المعارف بتاريخ ١١ ديسمبر سنة ١٩٤١ بياناً إلى مجلس الوزراء بما طلب من الموضوعات التى سيتناولها المؤتمر ومبلغ الاعتماد الذى سيحتاج إليه ، فوافق مجلس الوزراء على عقد هذا المؤتمر فى الخريف المقبل

ولما تألفت الوزارة القائمة ، أعيد درس هذا الموضوع ، وتبين أن وزارة المعارف لم تستشر لجنة المؤتمرات ولا وزارة الخارجية فى عقد هذا المؤتمر ؛ وقد انتهزت وزارة المعارف فرصة وجود مندوبين من وزارة المعارف العراقية فى القاهرة فى الشتاء الماضى لحضور مؤتمر تدريس العلوم ، وهما الدكتور فاضل جمالى مدير التعليم العام بالعراق ، والدكتور متى عقراوى مدير دار المعلمين العليا ببغداد ، فتحدثت إليهما فى موضوع عقد المؤتمر ، وفى موضوع أهم منه ، وهو تنظيم التعاون الثقافى بين مصر والعراق .

وانتهت هذه المحادثات الأولية إلى ضرورة إنشاء مكتب مشترك بين وزارة المعارف المصرية ووزارة المعارف العراقية ، لتنظيم شئون التعاون الثقافى بين البلدين والإشراف عليها

واقترح أن يؤلف هذا المكتب من ممثلين لوزارتى المعارف فى مصر وفى العراق ، وأن يكون للبلاد العربية الحق فى أن تشترك فيه إن أرادت ، وأن يعقد المكتب اجتماعات دورية منظمة فى كل عام لتبادل الرأى فى الأغراض الثقافية والتعليمية التى تحدد ؛ على أن يكون من بين المسائل التى يدرسها ويرفع من شأنها اقتراحاته إلى الحكومتين المصرية والعراقية الموضوعان الآتيان :

(ا) وضع الأسس لمعاهدة ثقافية بين مصر والعراق ، على أن يكون لغيرهما من البلاد العربية الانضمام إليها

(ب) الدعوة إلى مؤتمرات ثقافية تمثل فيها البلاد العربية .

وفى الواقع أن بين مصر والعراق تعاوناً مستمراً . فالحكومة العراقية تطلب إلينا الأساتذة والمعلمين فى كل عام ، كما تطلب إلينا معونات أخرى تتصل بالكتب والأدوات الدراسية

ونحن نفعل ما نستطيع لإجابة الحكومة العراقية إلى ما تريد فى حدود ظروفنا الخاصة . ولكن هذه الأمور تجرى على غير نظام ثابت واضح ، وتعمل فيها المصادفات أكثر من أى شىء آخر ؛ والوسيلة العملية لتنظيم الصلات الثقافية القائمة بين البلدين وتوثيقها هى إنشاء هذا المكتب الدائم الذى يتولى هذه الشئون .

مشاكل التموين فى الزمن القديم

تستفحل مشاكل التموين فى أوقات الأزمات والحروب ، حتى ليستعصى حلها على كثير من الدول ما لم تصطنع لها من وسائل الدقة وحسن التنظيم وكفاية التوزيع ما يستغرق أكبر مجهود ويقتضى أوفر عناية .

وقد يخيل إلى بعضنا أن توزيع المؤن والأقوات على مقتضى البطاقات وشبهها ، من الأنظمة التى توصل إليها الغربيون قبلنا فنقلناها عنهم . ولكن الواقع يثبت غير ذلك ؛ إذ قد عرفت حكومات الشرق الإسلامية هذه الوسائل منذ عهد بعيد ؛ وقد التُجىء إليها حين اشتد القحط وشحت الأقوات فى بلاد الهند ، وقت زيارة الرحالة ابن بطوطة لهذه الأصقاع فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى ، على عهد السلطان أبى المجاهد محمد شاه صاحب دلهى وابن السلطان غياث الدين تُغْلُق شاه ...

وقد ذكر ابن بطوطة أن ثمن المنّ من القمح بلغ حينئذ ستة دنانير – والمن وزن يبلغ رطلين – فأمر السلطان بإعطاء جميع أهل دلهى نفقة ستة أشهر من المخازن ؛ قال : « فكانت

القضاة والكتاب والأمراء يطوفون بالأزقة والحارات ، ويكتبون الناس ويعطون كل أحد نفقة ستة أشهر ، بحساب رطل ونصف من أرطال المغرب فى اليوم لكل واحد . . . » وقد كان الرطل المغربى يعادل رطلاً وربعاً من الوزن المصرى

ثم لما اشتدت الضائقة وبلغت المجاعة من الناس ، وزع السلطان مساكين بلده على الأمراء والقضاة ليتولوا إطعامهم . قال ابن بطوطة – وكان يتولى قضاء دلهى : « فكان عندى منهم خمسمائة نفس . فعمّرت لهم سقائف فى دارى وأسكنتهم بها ، وكنت أعطيهم نفقة خمسة أيام لخمسة أيام »

ولعل أشبه شىء بالمطاعم الشعبية عندنا اليوم ، وأقومه بمثل خدمتها ، ما أشار إليه الرحالة ابن بطوطة بقوله : « وكنت فى تلك المدة أطعم الناس من الطعام الذى أصنعه بمقبرة السلطان قطب الدين على ما يُذكر ، فكان الناس ينتعشون بذلك والله تعالى ينفع بالقصد فيه ... »

وقد كان السلطان أوقف ثلاثين قرية على الإطعام فوق هذه المقبرة ، وجعل تدبيرها بيد ابن بطوطة على أن يكون له العُشر من فائدتها كما هو التتبع عندهم

(جرجا) محمود عزت عرفة

عادة وعوائد

قرأت الجملة الآتية من مقال الدكتور زكى مبارك بالعدد ٤٧٢ من « الرسالة » :

« ينتقى (أى المطران) من العوائد وهى جمع عادة كما تجمع حاجة على حوائج ، ولك أن تجعل مفردها عائدة إن تناسيت العرف وهو من أهم الأسندة اللغوية ... » اهـ

هذه عبارتك الصرفية يا سيدى الدكتور ليس فيها ما يدنيها من مقال « الحديث ذو شجون » من قريب أو بعيد إلا إن أردت أن تجمع إلى ما تقدمه لإخواننا الأقباط الأكرمين من ضوء رأيك فى انتخاب المطران ما يغير نوع الحديث تنبيهاً للفكر كما يقدم بعض الحلوى بين أصناف الطعام تنبيهاً للمعدة ، أو أن تجمع إلى ما تسوقه للأمة من تحقيق مسألة تاريخية طرفة صرفية يأبى إعظامك للغة وتكريمك أهلها إلا أن تتحفهم بها . غير أنه استبهم عليك الجمع وما قسته به وما حكمت على العرف لأنه من أهم الأسندة اللغوية . واستبهم علىّ كل ذلك لأنى أقرب منك عهداً بتعلم لغة العرب وأقل تنقيباً فى كتبها ؛ فما وصل إليه معلومى أن كلمة « عادة » لا تجمع على عوائد ، وأن صيغة فواعل ينحصر اطرادها فى ثمانية أنواع أو سبعة على الخلاف ليس منها ما أوردته وقد اختلف فى نوع من أنواعها (فاعِل) بكسر العين وصفاً للمذكر غير العاقل ، فقيل بشذوذه وقيل بغلطه وقيل بصحته ، وما عدا ذلك شاذ إجماعاً ؛ وقد حصروا الشاذ فلم يكن منه عوائد جمعاً لعادة ، فهو منكور قياساً ، ولم يسمع شذوذاً حتى جنبت ذكره المعاجم . وقد استساغ ابن منظور أن يورد فى بحره الزاخر « لسان العرب » بعد ما ذكر ما ورد من جموعها كلمة عيد جمعاً لعادة ، ونسبها إلى صاحبها تأكيداً لاستضعافها وعدم رضايته عنها ؛ ولم يذكر عوائد جمعاً لعادة ، وإن أورد الشرتونى فى معجمه « أقرب الموارد » بعد أن أورد ما سمع من جموعها : العوائد جمعاً لعادة . غير أنه أردفه بقوله وكأنه جمع عائدة . ثم التبس علىّ قياسك عوائد على حوائج ، لأنه قياس ينبو عما قرأنا فى كتب أصول النحو ، ولم أسمع من أمثال سيدى الدكتور – حفظه الله – من جعل الشاذ مقيساً عليه لمخالفته الإجماع ؛ لأن القياس – ومن شروطه ألا يقاس على الشاذ – هو حمل غير المنقول على المنقول ، وليست كلمة الحوائج المقيس عليها منقول لنبوها عن القاعدة ولكنها مسموعة ، على أنه مطعون فى صحتها جمعاً لحاجة . قال الدمامينى :

« سمع فى هذا المفرد حائجة فيجوز أن يكون حوائج جمعاً لها واستغنى عن جمع حاجة » اهـ

وقد أنكر (حق) فى فروقه وابن خالويه فى كتابه (ليس فى كلام العرب) جمع الحوائج على حاجة ؛ وكذا الحريرى فى (درة الغواص) ، واستشهد بخير ما يستشهد به لصدق دعواه ، وإن أظهر الشهاب الخفاجى فى شرحه على الدرة جنوحاً عن رأى الحريرى ، ولكنه سار فى غير مسار (بمبنية)

الفدائية أيضاً

طلبت من الدكتور الفاضل محمد حسنى ولاية بعد أن ذكر (الفدائية) فى مقاله (الشخصية الهستيرية) أن يتفضل فيبين لنا المبادئ التى كانت تعمل من أجلها جماعة الفدائيين ، وهل كانت

هذه المبادئ من السمو — كما ذكر الدكتور الفاضل — بحيث يضحى الفدائى نفسه فى سبيل كل غاية تفيد الإنسانية ، أم أن الدكتور الفاضل أراد بذكرهم فى مثاله مجرد التشبيه فقط ، باستر خاصهم النفس فى سبيل غاياتهم

فلم أصل برد الدكتور الفاضل لغرضى الذى عنيته ، فقد خرج الدكتور الفاضل عن اتجاه السؤال ، وأخذ فى تفنيد نظريات علمية مسلم بها ، كالعقد النفسية Complexes والتضحية للغاية Object الخ ...

فإلى الدكتور الفاضل ، وإلى جمهرة الباحثين من الكتاب والأدباء ، أرجو أن يتفضل أحدهم بالكتابة عن جماعة الفدائيين ومبادئهم ، خصوصاً وقد كثر فى هذه الأيام ذكرهم فكثيراً ما أسمع من يقول - هذا شخص فدائى - وكأن يقال فى الصحف - وسيقوم جيش الفدائيين بكيت وزيت - فهل هذا مجرد التشبيه فقط ، أم تماثل مبادئ هؤلاء وهؤلاء .

مصطفى عبد الحميد جابر

جلال الدين بن مكرم وأبياته فى الإسكندرية

سأل الأستاذ مصطفى الشهابى بعدد الرسالة رقم ٤٧٣ عن النص العربى لأبيات ترجمها «فورستر» إلى الإنجليزية فى كتابه عن الإسكندرية . والأبيات مذكورة فى الخطط المقريزية (ج ١ ص ٢٦٢) وهذا نصها :

زبلُ سكندرية ليس يُقرَى بغير الماء أو نعت السوارى
ويُتحف حين يُكرم بالهواء الـ(١)
ـملاتن والإشارة للمنار
وذكر البحر والأمواج فيه ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمعْ نزيلهمُ بخبز فما فيها لذاك الحرف قارى

وقد نسب المقريزى هذه الأبيات إلى جلال الدين بن مكرم ابن أبى الحسن بن أحمد الخزرجى ملك الحفاظ . وهذا الاسم يتفق تماماً مع اسم ابن منظور صاحب لسان العرب ، إلا أن كنيته «جمال الدين» لا «جلال الدين» ، وأغلب الظن أن ذلك عن سهو من المقريزى أو من ناسخ الكتاب . وقد أخطأ المترجم فى كتابة «مكرم» ، والحقيقة أنها بتشديد الراء المفتوحة ، وهى بغير شكل فى كتاب المقريزى

عبد القادر حسين القط

(١) كذا بالخطط ولا ذكر لها فى قواميس اللغة

هما لأبى تمام

تساءل الأستاذ موسى حق عن صاحب البيتين اللذين نسبهما صاحب عيون الأخبار إلى دعبل مع أنهما منسوبان إلى أبى تمام فى ديوانه وهما :

إن أولى البرايا أن تواسيه عند السرور لمن آساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ثم تساءل عن صحة البيت الأول

أما البيتان فهما لأبى تمام ونسبتهما إلى غيره وهم ، وهما من قصيدة طويلة فى مدح أبى الحسن على بن اسحق لما تولى دمشق ؛ وقد ذكرها كلها الشيخ يوسف البديعى قاضى الموصل المتوفى سنة ١٠٧٣ هـ فى كتابه «هبة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام» وقال عن هذين البيتين ما نصه : «والبيتان الأخيران من هذه القصيدة نسبهما بعض المؤرخين لابراهيم بن العباس الصولى وهو وهم ، ويدل على أنهما لأبى تمام ما قاله أبو بكر الخوارزمى من رسالة كتبها إلى كاتب خوارزم شاه ، ثم ذكر نص كتاب أبى بكر الخوارزمى وفيه البيتان منسوبان إلى أبى تمام (هبة الأيام ص ١٢٥ — ١٢٦)

وذكرها ابن عبد ربه فى العقد ونسبهما إلى أبى تمام أيضاً (ج ٢ ص ٤٠) ط العريان

وأما صحة البيت الأول منهما فهو كما جاء فى هبة الأيام والديوان مطبوع حديثاً :

أولى البرية حقاً أن تواسيه عند السرور الذى آساك فى الحزن

وفى الديوان «تراعيه» بدل «تواسيه»

ورواية العقد فى البيت الأول هى :

وإن أولى الموالى أن تواسيه عند السرور لمن واساك فى الحزن

برهان الدين الداغستانى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 475

Lundi - 10 - 8 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٤٧٥ «القاهرة فى يوم الإثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٦١ — الموافق ١٠ أغسطس سنة ١٩٤٢» السنة العاشرة

سفارة «الرسالة»

للأستاذ عباس محمود العقاد

أعجلنى السفر — وابتغاء القرار بعد السفر — أن أكتب إلى الرسالة فى موعد كتابتى إليها. وقد فاتنى أن أكتب إليها، ولم يفتنى أن أذكرها؛ فليس بيدى ذلك وكل من لقيت مذكرى بها، حتى فى وعثاء الطريق

برح القطار القاهرة، فلم يمض غير قليل حتى أثار علينا من المثير ما يملأ الخياشيم ويوشك أن يملأ الصدور؛ ووجدتنى مرة أخرى فى حياتى أوازن بين منفذ مفتوح وغباز ثائر، وبين منافذ مغلقة وجو رائق. ولا صعوبة فى الموازنة إذا كان الجو الذى يثور فيه الغبار جو تفكير وشعور وارتياء، فالغبار الثائر هنا أرحم وأدنى إلى الاختيار

ولا صعوبة فى الموازنة كذلك إذا كان الجو الذى يثور فيه الغبار جو خياشيم وصدور؛ فالجو الرائق هنا هو الأرحم والأدنى إلى الاختيار، وإن ضاقت الصدور بالحر والحرج؛ فضيق الصدور فى الواقع أهون من ضيق الصدور فى المجاز

أغلقت النافذة واسترسلت فى نسق من هذا التفكير أدرى كيف بدأ ولا أدرى كيف انتهى، لأننى ختمته فى عالم الأحلام، ونمت والضجة من حولى وقد كان النوم عصياً ومن حولى السكينة والقرار

الفهرس

ثم مضى القطار لا أسأله أين مضى ولا يسائلنى أين مضيت ؛ حتى أشرقت الشمس على معالم الإقليم القنائى الذى يصح إن أعيد فيه ما قاله ابن الرومى :

فإذا تمثل فى الضمير رأيته ... وعليه أغصان الشباب تميد

لأننى قضيت فيه أوائل عهدى بالخدمة الحكومية ، ولبثت فيه زمناً أنتظر التثبيت فيحول بينى وبينه عيب واحد ياله من عيب ! وهو أننى دون الثامنة عشرة بسنتين

وأطللت أنظر الثامنة عشرة التى انتظرتها هنالك فترة من تينك السنتين ، وأطلت النظر فى مكانى . وحسبنى بعض الرفقاء فى القطار : هل من خدمة ؟ ثم أسرع قائلاً : لا تؤاخذنى أن أتطفل عليك بالسؤال فإننى لست بمتطفل فى الحقيقة ! لأننى أعرفك منذ عهد بعيد : ألست فلاناً ؟ إننى ليسرنى يا سيدى أن أؤدى لك بعض الخدمة التى أستطيعها ، فهى دَيْنٌ لك علينا أجمعين

قلت : يخيل إلى أننى أنا أيضاً أعرفك . ألست من برقة ؟

قلت ذلك لأننى علمت أن فى القطار نخبة من سراة برقة وأدبائها ، وعرفت بلده من لهجته التى يسهل تمييزها بين لهجات مغربية عديدة لطول ما تحدثت إلى أبنائها فى الصحراء

فقال : نعم !

وبدأ الحديث فى الأدب

وعطف بعد هنيهات إلى الرسالة وموضوعاتها وكتابها ، فإذا صاحبى ملم بأدب مصر فى هذا العصر إلماماً يندر بين شبان من المصريين . ولحق به أصحاب من قومه يكبرونه سناً ويشبهونه كياسة وأدباً ، فإذا هم معنيون بشئون مصر العامة أحسن إلمام يتاح لغريب عنها ، وإن كان اهتمامهم بالقادة والرؤساء أوفر من اهتمامهم بالكتاب والشعراء

وإذا فى برقة وطرابلس أحزاب لأدباء مصر وأحزاب لقادتها السياسيين ، ومساجلات وفكاهات لا نسمع بمثلها فى مصر ، وهى أحق شىء أن نستمع إليه

ولم أشأ أن يكون الحديث كله عن مصر وأدبائها ، فسألته عن برقة وأدبائها ، وما فيها من شعائر الحركة الأدبية ، ولا سيما بعد احتلالها

فراعنى أن أسمع شعراً حسناً ينضح بالشاعرية المطبوعة ، ويجرى فى صيغة عربية سليمة ، وما سمعت بأسماء قائليه قبل ذلك وإنهم لأولى بالذكر من كثيرين

أنشدنى قصائد شتى لشاعرهم رفيق المهدوى ، فاستزدته وقلت له : إنكم لعلى حق أن تفخروا به وأن تذكروه باسم « شاعرنا » كما ذكرتموه ، فرب قصيدة من هذه القصائد التى سمعتها هى أنفع فى التعريف بكم والإصغاء إلى قضيتكم من دعاية الساسة الذين يجهلون الدعوة ولا يوجهونها إلى أحسن الأسماع وأصدق القلوب

ومما أنشدنيه له قصيدة على وزن جديد يقرب من الوزن الذى اختاره الزهاوى لقصيدته :

ويلا يا ويلا ! ... ما أقوى السيلا

ليـــلى سلّينى ... سلينى ليـــلى !

فقال فى وصف الشاعر :

كالنحلة فى الروضة تعبث بالنوّار

إن رفرف كالواقف أو حوّم أو طار

* * *

لا يقنع بالورد ولا زهر النسرين

فيميل من السرو إلى شجر المرسين

كالظامئ يتلهف واظَمَأً المسكين !

لم يرو صدى الغلة من نُطف الأزهار

* * *

ما لاح له زهر إلا وتمنـــاه !

كم صادف ما يحذر من خادع مرآه

« يحذره حيناً ويعود فيهواه »(1)

قل واهاً للشاعر من واه محتار !

كالنحلة فى الروضة تعبث بالنوار

وأنشدنى أبياتاً له فيها مداعبة وشكاية ، وقد نفي من وطنه وكتب إلى بعض إخوانه :

بعد السلام وتقديم احتراماتى ... أهديك يا سيدى موسى تحياتى

إلى أن يقول :

والله ما باختيارى أن أفارقه ... لو لم ينفسه حكم الظالم العاتى

فارقت موطن آبائى على مضض ... مما تجرعت من هم وويلات

تأثرتنى عيون القوم ترصدنى ... تحصى خطاى فتحصيها خطيئاتى

وما جنيت سوى إنكار منكرهم ... بعدودى فتغالوا فى معاداتى !

وظل ينشدنى للمهدوى وزملائه وأستزيده ، لأعرف ليبيا

(1) نسي الراوية هذا البيت فأتممته من عندي

حقًا ، وقد عرفتها حقًا ، وقلت لأصحابي : إن ليبيا حية وفيها من يعبر عنها هذا التعبير . فاستوصوا بشعرائكم خيراً ، فإنهم لأدل عليكم وعلى قضيتكم من جميع ما عرفناه عنكم

وعبر القطار بأسوان عاجلاً ، فإن كنت قد أطلت النظر عند (قنا) لأرى الثامنة عشرة وما دونها ، فقد أطلت النظر إلى أرباض (أسوان) لأرى السادسة والخامسة وما دونهما ... فرأيت حتى استوفيت

وتبيت الباخرة على النيل بين الشلال وحلفا ليلتين

ففي تينك الليلتين كان السمر إلى هزيع من الليل عربياً في كل فن من فنونه ، فما أحسب أن أمراً يهم العرب قاطبة قد تركناه في سمرنا فلم نعرج عليه ولم نطل الوقوف عنده .

ولم يرعنا مما ينغصنا إلا صوت طفل صغير من الليبيين يتكلم الإيطالية، لأنهم فرضوها على الصغار وأبعدوا ما بينهم وبين التمكن من العربية بمسافات وآفاق .

فعدنا إلى حياة اللغة العربية ، وإلى مهمة أدباء العرب وصحافة العرب ، ولا سيما الصحافة الأدبية

ثم وصلنا إلى ما قبل حلفا وانتظرنا في الباخرة إنجاز مراسم الدخول والحيطة الصحية . فإني لأنظر من باب المقصورة إلى النيل إذ أقبل نفر من الفتيان الذين يلوح عليهم أنهم طلبة وموظفون . فسألوني : أأنت فلان ؟ قلت : نعم . كيف عرفتم ؟ فابتسموا وقالوا : لا تؤاخذنا إن قلنا من صور المجلات ، ولا سيما الفكاهية !

قلت : يا أصحابي إن هذا لا يرضيني أو لا « يملقني » كما يقول الأوربيون . . . أو ترون الشبه قريباً بيني وبين تلك الصور إلى هذا الحد ؟ قال قائل من الواقفين حولنا ليرضيني أو يملقني على حسب ذلك التعبير : بل هي مبالغة الرسامين في بعض معارف وجهك المميزة لك قد دلتهم عليك .

وما هو إلا أن فرغنا من شأن الباخرة وانتقلنا لقضاء الليل في مركبة القطار حتى كان أول حديث طرقه هؤلاء الفتيان ومن صحبهم بعد ذلك حديث الرسالة وآخر المساجلات الأدبية فيها . وبدا لي في الخرطوم كذلك أن هذه المساجلات تعقد حولها حلقات مختلفات من المتشيعين لهذا الفريق أو لذاك ، وبدا لي منذ أول الطريق أن أدباء ليبيا والأقطار العربية والسودان يأخذون علينا أنهم يعرفوننا ولا نعرفهم ، ويتتبعون أخبارنا ولا نتتبع أخبارهم ، وأن الأديب منهم يستطيع أن يحدثنا عن جميع كتابنا وشعرائنا ولا يستطيع أحد منا أن يحدثهم عن كتابهم وشعرائهم، وإن كانوا جدراء بالحديث .

وهذا كله صحيح ولكنّ السبب الذي يردونه إليه غير صحيح ؛ فالمصريون لا يفوتهم ما يفوتهم من أدب ليبيا والأقطار العربية والسودان لأن اهتمامهم بالعرب أقل من اهتمام العرب بمصر ، كلا وأقولها عن يقين ، وإنما يفوتهم ما فاتهم لأن صحف مصر تصل إلى كل مكان في بلاد العربية ، ولا يصل إلى مصر من صحف تلك البلاد إلا القليل

ويخطر لي في هذا الصدد أن صديقنا الأستاذ الزيات قد فكر في تخصيص أعداد لكل أمة من أمم الضاد يحيط فيها بشئون تلك الأمة أدباً وثقافة ومرافق أخرى ؛ فإذا مضى في تحقيق تلك الفكرة فقد أتم سفارة الرسالة فأصبحت لها السفارة المزدوجة بين مصر وجاراتها وأخواتها ، فتسفر للمصريين عندهم ، وتسفر لهم عند المصريين ، وتعمل في وحدة العرب ما لا يرجى أن تعمله السياسة ، لأنها تفرق ولا تؤلف ، وتلتوي ولا تستقيم

أعداد الرسالة الخاصة

في سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

* * *

هذا بعض حديث تلك « السفارة » في رحلة عاجلة بين القاهرة والخرطوم . ولو شئت لطال وطال ، لأنه حديث موصول يتجدد كل أسبوع ، بل كل يوم اجتمع فيه ندى من القراء والأدباء ، وهم يجتمعون هنا عامة الأيام

لكنني أختمه الآن بما لا يخرج عنه من مساجلات الرسالة أيضاً ؛ فقد سئلت هنا رأيي في مناقشات بعضهم لي حول رسالة الغفران وصداقات الأدباء

فأما رسالة الغفران والشبه في محاوراتها بين ما كتبه أبو العلاء وكتبه لوسيان فلست أنوي أن أعود إليه وقد أغناني عن العودة إليه ما كتبه الأديب الجبلاوي حين سأل المعترض أن يذكر أحداً غير لوسيان تقدم المعري بذلك الحوار . أما رحلات الجنة والنار فنحن قبل عشرين سنة قد ذكرنا وأكدنا أنها ليست بالشيء الجديد

وأما صداقات الأدباء فالمناقشات فيها أعجب وأطرب ! نحن نأخذ على الأستاذ الحكيم أن يضرب لنا المثل بصداقات الأدباء فى أوربا لأنها لا تخلو من العلات ، فيجيئنا من يعترض فلا يكون اعتراضه إلا تكريراً لما قلناه ، وهو أن صداقات الأدباء الأوربيين ليست على المثال الذى تصوره الأستاذ الحكيم !

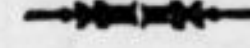
وأعجب من هذا وأطرب أن نشير إلى صداقات الأدباء فى انجلترا ونذكر بيرون وشلى فيكون الاعتراض أنهما لم يتقابلا فى انجلترا بل تقابلا فى إيطاليا ... فهما إذن قد أصبحا من أدباء الأمة الإيطالية وخرجا من عداد الأدباء فى الأمة الإنجليزية !

مثل هذا المحال لا نرد عليه ، ولا ننوى بعد اليوم أن نرد عليه . وحسبنا أننا لم نلق من قارئ هنا إلا وقد رد على ذلك الاعتراض بالإعراض

« الخرطوم » عباس محمود العقاد

شبان اليوم الجديد في مصر المحروسة(*)

للدكتور زكى مبارك



من عادة المربين والمصلحين أن يكثروا من اللوم والتثريب على أبناء الجيل الجديد ، ليصوروا عيوبهم تصويراً يخوّفهم عواقب التهاون والتفريط فى حقوق الأدب والأخلاق

وتلك وسيلة صحيحة من وسائل التهذيب ورثناها عن الأسلاف ، ولا بأس بالاعتماد عليها من حين إلى حين ، إذا سلكنا فى الدعوة إلى الأدب والأخلاق مسلك الترهيب ، وهو مسلك مطروق منذ أجيال طوال

ولكن التجارب علمتنى أن الترغيب أنفع من الترهيب ، ومن تلك التجارب عرفت أن التنبيه إلى القُوى الغافية فى صدور الشبان قد يدلهم على حقائق أنفسهم فينقلهم من حال إلى أحوال

والحق أن الشاب المصرى خُلِق ليكون رجلاً عظيماً ، ومهما أسرفنا فى سوء الظن بشبان مصر ، فمن المؤكد أنهم بالإضافة إلى أمثالهم فى الشرق والغرب أفضل وأشرف ، ومن النادر أن تجد شابًّا مصريًّا بلا آمال تضيفه إلى أكابر الرجال ، ولذلك شواهد يعرفها من يتصل بشبان « مصر » عن طريق الصحافة أو التأليف أو التدريس

الشاب المصرى يبحث فى كل لحظة عمن يدله إلى طريق المجد ، ولو نشرتْ الصحف إعلاناً عن كتابين يختص أحدهما بوصف حياة الهزل والمجانة ، ويختص ثانيهما بوصف حياة الجد والرصانة ، لكان الكتاب الثانى هو الكتاب المنشود ، لأن شبان هذه البلاد مفطورون على احترام الأدب السليم من شوائب الأمراض

وآية ذلك أن الذاتية الأدبية تجد أنصاراً من الشبان فى كل وقت ، وهم يتحمسون لها تحمساً لا يخطر فى البال ، وقد يتسامعون بمقالة جيِّدة ، فيجدُّون فى البحث عنها جدًّا يشهد بأنهم من أكابر أهل الأذواق والعقول

أكتب هذا وقد فاضت عيناى بالدمع حين تلقيت خطابات كريمة تصور فرح الشبان بالحديث عن أمجاد مصر المحروسة فى القديم والحديث ، وهم شبان كان التاريخ المُغرض حدَّثهم أن مجد مصر ليس إلا أسطورة من أساطير الأولين

وآه ثم آه من التزوير فى التاريخ ! !

يا بَنِىَّ الأعزَّاء ، تذكَّروا — غير مأمورين — ثم تذكَّروا ...

ومن حبَّات دمعي أنظِم عِقد الحديث فأقول :

فى جميع الكنائس بالشرق والغرب تجدون صورة « العذراء » تحتضن « المسيح » وهو صبىٌّ فى المهد ، فهل تعرفون كيف علِّلتُ تلك الصورة الرمزية ؟

علِّلتها منذ أعوام بأنها تصور لحنان الأمومة الرفيقة ، وجاز عندى القول بأن النصارى من اليونان هم المبدعون لذلكٌ الرمز الدقيق . وهل ينكر أحدٌ فضل البراعة اليونانية على الديانة المسيحية ؟

لا جدال فى أن من ابتكر صورة المسيح تحتضنه العذراء كان أعظم مبتكر فى تاريخ الأخلاق . ولا جدال فى أن تلك الصورة كان لها تأثيرٌ عظيم فى عطف الآباء على الأبناء . ولا جدال فى أن تلك الصورة لم تُعرَف قبل ميلاد المسيح ، وقبل أن تتصل مأساته بتاريخ اليونان والرومان ، كما كنت أقول ، وكما كان يجب أن سأقول ، لوطال جهلي إلى آخر الزمان !

(*) كان المصريون يصفون مصر بالمحروسة والمحمية بعد نجاتهم من أخطار الحروب الصليبية

ولكن الله اللطيف بعباده ، أراد أن يطبّ لجهلى برفق ولطف ، لأنى طالب علم ، وطالب العلم لا يخطئه التوفيق !

فكيف اهتديت بعد ضلال ؟

رأيت صورة فى الجزء الثانى من « التاريخ المصرى القديم » لأخى وصديقى ، وصاحب الفضل الأعظم على أدبى وبيانى ، عبد القادر حمزة باشا ، وهى صورة تغافلَ عنها عامداً متعمداً ، لأنتفع بمغزاها بعد أن يموت ، وكان يعرف أنى لن أرثه إلا بالفكر والروح ، وذلك أشرف المواريث

عبد القادر الوفىّ أراد أن يمنحنى فرصة من فرص التحليق فى سماء الفكر والخيال ، فأثبت فى الجزء الثانى من كتابه صورةً أعفاها من التفسير والتأويل ، عن علم لا عن جهل ، لأقول فيها ما أشاء .

فما تلك الصورة الرمزية ؟

هى صورة « إيزيس » وهى ترضع ابنها « حوريس »

وإذا عرفنا أن عبادة إيزيس كانت عقيدة اليونان والألمان والطليان والأسبان والفرنسيس والإنجليز أكثر من خمسة قرون أدركنا أن صورة « العذراء » وهى تحتضن « المسيح » ليست إلا صورة « إيزيس » وهى ترضع « حوريس »

وإذن ؟

وإذن تكون مصر هى التى أبدعت فكرة الأمومة فى الصور المسيحية . ثم ؟

ثم تكون مصر صاحبة الفضل على ما أبدعت صور العذراء من فنون .

عبد القادر لم يلتفت إلى الصورة التى وضعها فى الجزء الثانى من كتابه النفيس ، لأن الموت صرفه عما يريد أن يقول ، أو لأنه أراد أن يترك تفسير المراد من تلك الصورة لأحد أصدقائه الأعزاء

والنتيجة أنه لا توجد صورة للعذراء فى شرق أو فى غرب إلا وهى مستوحاة من صورة إيزيس وهى ترضع حوريس .

ألم أقل لكم إن مصر هى وطن المعانى ؟

من كان يصدّق أن مصر هى الوطن الأصيل للصورة التى يخضع لصولتها الفرنسيس والإنجليز والأسبان والطليان والألمان ؟

لم يكفر أحدٌ بأقبح مما كفر المصريون ، ولم يؤمن أحد بأوثق مما آمن المصريون ، لأن مصر هى غاية الغايات فى التعصب للكفر والإيمان .

وهل كفرت مصر فى أيامها الخوالى حتى نجمل الكفران طَوراً من أطوارها فى التاريخ ؟

إن القول بتعدد الآلهة كان فى إحدى مراحل الإنسانية صورة من صور الهداية ، وهو لم يصدُر عن عناد ، وإنما صدر عن يقين ، ولله حكمة عالية فى تنشئة الأفهام على نظام تنشئة الأبدان . فهو يسمو بها رويداً رويداً بترفق وتلطف ، إلى أن تقوى وتستحصد ، ثم يتركها لتصارع وتجالد فى ميادين الزيغ والارتياب .

وتاريخ مصر يشهد بأنها فُطرتْ على إيثار الجد فى تناول المعانى ، فكانت فى عصر الوثنية أعظم أمم الوثنية ، وكانت فى عهد النصرانية أول أمة أرخت بمصارع الشهداء ، فلما هداها الله إلى الإسلام كانت الحافظة الواعية للأمجاد العربية والإسلامية ، ولو قال قائل بأن مصر هى التى وقت العروبة والإسلام من تطاول الغرب وتخاذل الشرق لكان أصدق الصادقين .

إسألوا العلم قبل أن تسألوا التاريخ يحدثكم أن ضياء الشمس فى مصر لا نظير له فى أى أرض ، حتى قيل إنه السبب الأول فى كثرة أمراض العيون بهذه البلاد . واسألوا العلم أيضاً يحدثكم أن الخصب فى أرض مصر يفعل بأهلها ما لا يفعل الجدب ، لأن أبناءها يموتون بالبِطنة ، على حين يموت غيرهم بالجوع .

فما قولكم فى أمة لا تعانى غير كثرة الزاد وقوة الضياء ؟

أكتب هذه الفقرة من هذا المقال في منتصف الساعة الخامسة من صباح اليوم الثلاثين من يولية ، بعد قضاء نحو ساعتين تحت أزيز الطيارات وضجيج المدافع ، وكان القمر — القمر المصرى — يغمر الليل بنور وهاج يسمح بنظم الخيط فى الإبرة بلا عناء .

أنا لا أبالغ ، فقد بدا لى أن أجرب ذلك فى قمر هذه الليلة ، ولم أفهم كيف تحرم وزارة الوقاية إضاءة المصابيح وقت الغارات فى الليالى المقمرات ، وهى تعلم أن اللئام المغيرين يهديهم القمر بأقوى مما تهديهم المصابيح ؟

وهذا الطيران الذى يهدد مصر بوقاحة ونذالة وسفاهة هو نفسه الطيران المدين أثقل الدَّين لجو هذه البلاد .

هل نسيتم ما حدثتكم به على صفحات الرسالة قبل عامين ؟

كنت حدثتكم أن الطائر المصرى المسمَّى بالحِدأة ـ وهو طيرٌ جارح لا ينجبه غير جوّ مصر ، وإن وُجد بقلة فى بعض الديار الشامية ـ كنت حدثتكم أن الحدأة هى المعلم الأول لعلم

الطيران ، وبها استهدى « مُويار » المسكين ، الذى ظل على سرير الموت ثلاثة أيام بإحدى الغرف السطحية فى شارع الموسكى بالقاهرة ، ولا أنيس لجسمه الميت غير أسراب من الحِدأة تراوحه وتناديه فى حسرة والتياع ، إلى أن تنبه لموته الجيران

فى ليلتى هذه عانت « مصر الجديدة » من صراع الطيارات المغيرة والدافعة ما عانت ، مع أن مصر الجديدة هى الوطن لتمثال مويار ، مويار الذى نقل عن « الحدأة المصرية » علم الطيران

فيارب الأرباب ، ما الذى بقىَ مما طويت عن أوربا من أعاصير الغدر والعقوق ؟

إن الأمم الأوربية تحترم حياد الديار السويسرية ، فهل تعرفون لأى سبب يُحترم ذلك الحياد ، فى تلك البلاد ؟

هل كانت سويسرا مهد موسى أو عيسى أو محمد ؟ هل نشأ فيها بوذا أو كونفشيوس ؟ هل كانت ملاذ آدم حين هبط الأرض ؟

لا هذا ولا ذاك ولا ذلك ، وإنما يحترم زعماء أوربا حياد سويسرا لتكون تلك الديار خزائن أمينة لما يدخرون من نفائس الأموال ، فهم يتضامنون تضامن الجشع لا تضامن الوفاء

فما ضرّهم لو أعفوا مصر من صيال الطيارات ، لأنها الوطن الذى أنجبَ علم الطيران ؟

ماضرهم لو تذكروا دَين مصر فى أعناقهم ، وهى أول أمة وضعت التقويم الشمسى ، فعلمت أمم الأرض مواعيد الزرع والحصاد ؟

ما ضرّهم لو تذكّروا أن الفلاحين الذين سُخِّروا لحفر قناة السويس ملأوا جيوب الأوربيين بالملايين والبلايين من قطع الذهب الفتّان ؟

ما ضرهم لو تذكروا أننا ما بغينا عليهم ، وأن الفضل يرجع إلينا فى نقل علومهم وآدابهم إلى أقطار الشرق ؟

ما ضرّهم لو تذكّروا أن اليونان الذين علموهم لم يكونوا إلا تلاميذ المصريين ؟ وما ضرّهم لو تذكروا أنهم لم يفكروا فى تخليد عظيم من عظمائهم إلا بوحى من علم قدماء المصريين ؟

سويسرا تتمتّع بالحياد الدائم ، لأنها مُستودَع ذخائرهم وكنوزهم ، أما مصر فليس لها فى أذهانهم غير الصور التاريخية ، والويل كل الويل لمن يكتفى بمجد التاريخ !

ولكن مصر ، لو عقلوا ، صاحبة الفضل على أبنائهم فى العصر الحديث ؛ فقد أغنت منهم الألوف وألوف الألوف ، والضيمُ المخوف على مصر لن يُمنى أولئك الأبناء ، ولن تصاب مصر بأعنف مما يصابون ، فليجرب الأوربيون حظهم فى اضطهاد هذه البلاد ، ليروا أن مآلهم إلى الخسران

هل تذكرون قصة « هيس » أحد زعماء الألمان ؟

كان أول من فكر فى الصلح بطريقة جدية فامتطى طيارته من أرض الألمان إلى أرض البريطان ، ليتفاهم مع صديق له هناك ، ثم شاء الحزم الإنجليزى أن يحتاط فأوثقه بالقيود لئلا يكون فى دعوته من المحتالين

فكيف نشأت فكرة الصلح عند « هيس » ؟

تلك فكرة نقلها عن الروح المصرى ، وقد وُلد فى مصر ، ونشأ فى مصر ، محوطاً بالرعاية من جيرانه المسلمين ، ولعله حفظ الآية التى تقول : « وإن جَنَحوا للسَّلْم فاجنحْ لها وتوكل على الله » فكان من أخباره فى الاصطدام بالأثرة الأوربية ما كان . وستعرف جلية هذا الخبر بعد زمن قصير أو طويل ؛ ولكن المؤكد أن نشأة هيس فى مصر هى التى فرضت عليه الشوق إلى الصفاء[1]

أما بعد فأين أنا مما أريد أن أقول ؟

هذا مقال غيرت عنوانه مرتين ، فقد كتبت شطره الأول فى صدر الليل ، وكتبت شطره الثانى حين كانت « نجمة الفجر » توهمنى أنها مصباح أرسلته الطائرات المغيرة لاستكشاف ضمير العداء

وكان لى مع نجمة الفجر تاريخ سجله « الموال » المعروف :

يا نجمة الفجر طُلِّى وارجعى روحى
وسلِّمى لى على اللىِّ عندهم روحى

كنت أراعى نجمة الفجر بسبب الحب ، فصرت أراعيها بسبب الحرب ، وإن شقائى ليتمرد كلما تذكرت أن موقفى موقف الشاهدين لا موقف المحاربين

ليس فى نيتى أن أمحو حرفاً من هذا المقال ، لأنى لا أريد أن أرجع إليه بالتغيير والتبديل ، فكيف كان البدء حتى ينسجم مع الختام ؟

لعلنى قلت إن صورة إيزيس وهى ترضع حوريس هى التى أوحت صورة العذراء وهى تحتضن المسيح . ولعلنى قلت إن مصر وجّهت العالم كله إلى فنون من معانى العظمة والخلود . ولعلنى قلت إنها هدت بنى آدم إلى فكرة الطيران فى سماء الواقع بعد أن هدتهم إلى الطيران فى سماء الخيال

---

(١) فرار هيس من ألمانيا شاهد صحيح على نفرته من الولوغ فى الدماء ، وقد استراح وأراح

سيكولوجية إدلر

تلخيص وتبسيط

للأستاذ محمد أديب العامري

نظرة عامة

يرى ألفرد إدلر أن اتصال الإنسان – ذكراً كان أو أنثى – بالحياة والناس يقوم على دعائم ثلاث: العمل والحب والعلاقة الاجتماعية. هذه عنده هي وظائف الفرد في الحياة؛ فإذا كان الفرد مطمئناً فيها جميعاً كان إنساناً سوياً هانئاً، وإلا فإنه لا ينجو حين تنتقصه الحياة إحدى هذه الصفات الثلاث من أن يكون هدفاً لانحراف عصبي.

ولإدلر نظرية قائمة بذاتها في علم النفس مركزها فكرة «النقص». ويظهر من تجارب الناس في الحياة أن فلسفة إدلر النفسية تقوم على شيء من الصحة، إن لم تقم على الصحة كلها، بالرغم من النزاع العنيف بين أتباعه وأتباع فرويد.

ونظرية إدلر الأساسية في علم النفس بسيطة. وقد وضعها هو في عبارات وشروح سهلة تجعل كثيرين ينظرون إليها مرتابين أول الأمر، خشية أن تكون هذه الفكرة قولاً عادياً لا طائل وراءه. والذي قرب نظرية إدلر من الأذهان أمران: أولهما نزعته العنيفة إلى التبسيط، وثانيهما طواعية أمثلة كثيرة من الحياة لتكون شواهد عليها، وشعور كل إنسان بشيء منها في نفسه. والنظرية تؤول بعد إلى دعوة إصلاحية عامة ذات مساس شديد بمصالح الناس وهنائهم. ولا عجب في ذلك فإدلر يعتقد مع وليم جيمس «أن العلم الحقيقي ليس إلا العلم الذي يتصل بالحياة اتصالاً مباشراً».

وفلسفة إدلر في علم النفس تدعى (السيكولوجية الفردية). وهو يذكر أن هذه السيكولوجية إنما نتجت معه من دراسته لدوافع الحياة الخلاقة، أي الدوافع الخفية التي تحدو بالأحياء إلى الرقي والتطور، بالرغم من أي عائق يعوقها. ولذلك يرى أن الكائن البشري وحدة تستهدف غرضاً معيناً في اندفاعها نحو الرقي والتكامل. إن للنفس البشرية طابعاً خاصاً يتكون في الصغر. والنفس تحب أن تتكامل فتسد ما بها من نقص أو تندفع إلى الأمام نحو هدف ثابت للرقي.

وإدلر قد لاحظ أن الجسم البشري تتساند جميع أعضائه لتحفظ الجسم وتسمده. بل هو يلاحظ أن أجزاء الجسم تحاول أن تسد أي نقص يطرأ عليه. فالجسم يُجرح مثلاً فتعمل سائر أعضائه على تغذية المكان المجروح ووقايته حتى يلتئم ويذهب الألم والتشويه الناتجان من ذلك: «الحياة تحاول دائماً أن تستمر، وقوى الحياة لا تخضع قط لأي عائق من الخارج يحول دون استمرارها من غير أن تجهد نفسها في التغلب عليه. وأن حركة النفس لشبيهة بحركة الحياة العضوية»

وهذا معناه أن النفس البشرية كذلك تتعاون أجزاؤها في سبيل إسعاد النفس كلها ودفعها إلى الأمام في طريق السمو. فالنفس البشرية لها هدف أو مثل أعلى، وهي تحاول أن تتخطى الحالة التي تكون عليها. فلو كانت منقوصة حاولت أجزاؤها الأخرى أن تسد هذا النقص. أما هذا الهدف فإنه يتكون في أول عهد الطفولة الباكر في السنوات الأربع أو الخمس الأولى من حياة الطفل. ويتركز الهدف الذي تستهدفه النفس حول نقص تحس به من جراء عضو مفقود أو مشوه. فالطفل بنقصه هذا وهدفه الذي تستهدفه نفسه من

وطني!

أنت كما أعرف، وفوق ما أعرف، ولو أن الله لم يُبدع خلقاً سواك لكنت وحدك الآية الباقية على أنه الخلاق الوهاب

وطني!

في سبيل الظفر بآلائك ولألائك سهرتْ عيون وشقيتْ عقول، فكيف أمنُّ عليك بليلة لم يكن فيها سهد عيني وجهد عقلي، إلا هتافاً بمجدك في حاضرك وماضيك، يا آية الله في هذا الوجود

وطني!

أنا أسبِّح لله الذي أنشأك على خير مثال، فكانت فيك الخصائص الأصيلة لجميع الأوطان، من أنهار وبحار وصحراوات ومن آلام وآمال

وطني!

قال العلماء إنك اختصصت بالسمك المدرِّع بالكهرباء، فهل يقولون أيضاً إنك اختصصت بالقلب المدرَّع بالوفاء

زكي مبارك

جراء هـذا النقص يكون وحدة كاملة يسميها إدلر « النموذج الأول » Proto-type . وهذا النموذج الأول للطفل يظل هو هو فى أساسه لا يتغير مدى حياة الطفل ، وإنمـا يمكن تعديله وتوجيهه وجهات حسنة ، وهذه هى فائدة السيكولوجية الفردية . وخير وقت لهذا التعديل والتوجيه هو فى فترة العمر الباكرة ، التى يتكون أثناءها النموذج الأول

وليس من الضرورى أن يتشكل الشعور بالنقص من جراء فقدان عضو أو تشوهه ، ولكن حرمان الطفل من مميزات الحياة ، وخاصة بالنسبة إلى غيره من الناس ، يولد فيه الشعور بالنقص . فالتربية الناعمة المرفهة (المدللة) للطفل التى تحفه بعناية زائدة لا حاجة إليها ، أو الكره الشديد الذى يحس معه الطفل حرج مركزه بالنسبة إلى غيره ، هى من الأمور التى تزرع فيه الشعور بالنقص من ناحية أخرى . إن الطفل المدلل يتعود الاعتماد على أهله ، فإذا نمـا لم يستطع مقابلة الحياة ، وإنما يطلبها على الشكل الذى كان يطالب به أهله وهو صغير ؛ وبالطبع لا يجد من الحياة التلبية التى كان يجدها من أهله ، فتتغلب عليه الحياة وتهزمه ، وينحرف بذلك إلى نواحى الحياة الضارة . فالحياء الشديد ، والادعاء ، والقعود عن العمل ، والإجرام ، والجنون والإدمان على الخمر ... الخ : هى مظاهر مما تؤول إليه حالة الطفل إذا نشأ غير سوى ، واستولى عليه شعور بالنقص

وعند ما يلخص إدلر نظريته يقول : « لا مندوحة من الاعتراف بأن طريقة السيكولوجية الفردية تبدأ وتنتهى بمشكلة النقص ... فالنقص هو أساس الجهاد البشرى والنجاح . غير أن الشعور بالنقص هو أساس جميع مشاكلنا النفسية . إن الفرد إذا لم يجد هدفاً من الرفعة تعرض لشعوره بالنقص ، وهذا الشعور يقوده إلى مخرج يخلصه من مواجهة الحياة ، هذا المخرج هو الذى يدعى « مركب العظمة » ؛ ولا يزيد هذا المركب عن كونه هدفاً عابثاً غير مفيد ، يوهم بالرضا الذى يناله الإنسان من نجاح خيالى ... »

وما دام الشعور بالنقص هذا هو أول ما تنحل إليه نظرية إدلر النفسية وآخره ، فجدير بنا أن نبحث هذا الشعور بشىء من التفصيل :

الشعور بالنقص

فكما قد أسلفنا من قبل يبدأ الشعور بالنقص فى الطفل من نقص أو ضعف فى التركيب الجسمانى ، ومن الحرمان النفسى مهما كان نوعه . ويتوقف نوع الشعور على نوع الضعف أو على نوع الحرمان . ويشمل ذلك عوامل البيئة التى نشأ فيها الطفل ، وخاصة طبائع الوالدين والناس المحيطين به وجميع الذين يؤثرون فى تربيته أو الوضع الاقتصادى الذى ينشأ فيه

ومن البيّن المهم أن الطفل لا يقوى على العيش وحده حين يولد ، ولذلك كان لا مناص له من أن يعتمد على غيره ـ عائلته ـ فى مطلع حياته

واعتماده هذا هو مبدأ إحساسه بالحاجة إلى غيره . وهذا الإحساس يستمر معه فى الحياة ؛ فمتى كبر وأضحى مستقلاً كان موضعه بالنسبة إلى المجتمع كما كان موضعه بالنسبة إلى عائلته وهو صغير ؛ وبعبارة أخرى تنتقل حاجة الفرد إلى جماعة أكبر . ومن هنا يشعر الكبير بحاجة إلى الناس . وشعوره بالنقص يحمله على مواصلة العلاقة بالمجتمع . «فمبدأ الحياة الاجتماعية» ، كما يقول إدلر « هو ضعف الفرد ؛ واستمرار ضعفه بالنسبة للمجتمع يلزمه أن يكون اجتماعياً » . وهذه الملاحظة مهمة من ناحيتين : أولاهما إشارتها إلى أن الإنسان اجتماعى بالطبع ، والأخرى الإلماع إلى أن طمأنينة الفرد فى المجتمع الذى يعيش فيه من أحق علاقات الشعور بالنقص كما سيجىء

(البقية فى العدد القادم) **محمد أديب العامرى**

كتاب الامتاع والمؤانسة

الجـزء الثـانى

للأب أنستاس مارى الـكرملى

(تتمـة)

وفى ٨٥ : وإن التذَّ بالدستنبان فلن يُعدَّ موسيقاراً ؛ والصواب التذ بالدَستَان ، والدستان اسم لـكل لحن من الألحان المنسوبة إلى باربد . أما الدستنبان ، فلم ترد فى كلام العرب ، ولا فى كتب اللغة

وجاء فى ص ٩٠ : فإن الصانع لا يقدر على عمله الذى كان يعمله إلا أن يتخذ دكاناً آخر ، وآلات جُدداً أُخر . وضبطت جدداً بضم ففتح . والصواب جُدُداً كعُنُق لأنها جمع جديد ؛ لـكن الذى غرَّه هو سماعه الدائم للآية (ومن الجبال جُدَدٌ بيض) . فهنا جُدَد بضم ففتح لأنها جمع جُدَّة كغرفة أى طريقة ظاهرة ، وأما فى نص التوحيدى فهى جمع جديد

وورد فى ص ٩٩ فى الحاشية : الإسطام مِسعار النار وهى الحديدة التى تسعر بها ، والأحسن تحرَّك بها

وفى ح ص ١٠٥ : هذا أوان الرطب بضم الراء ؛ والصواب بضم الراء وفتح الطاء

وفى ص ١١٠ : ويجعلها (أى يجعل الأحجار) ملساء ، وضبطت كحمراء ؛ والصواب مُلساً بضم الميم ، وإسكان اللام ، وفتح السين ، لأن جمع أملس وملساء مذكراً ومؤنثاً مُلس (راجع فساد قول القائل صخور ملساء فى مجلة المجمع العلمى العربى ١٧ : ٢٣٣ و ٢٣٤)

وفى ص ٨٧ : الشُرْيان ، وضبطت بضم الشين والصواب بفتحها وكسرها ، لـكن لا بضمها ، لأن الضم غلط وفى تلك الصفحة نفسها (من الأربع) ؛ والصواب الأربعة ، لأن الاسطقس مذكر

وفى ص ١١٠ : فثل النُوشاذَر ؛ والذى ورد فى كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى المطبوع على حاشية حياة الحيوان من تأليف الدميرى ص ٣٢٧ النوشادر بالدال المهملة ، والـكلمة فارسية وهي فى هذه اللغة بالدال المهملة ؛ إلا أن هناك قاعدة عند المعربين أن كل دال مهملة فارسية قد تقلب ذالاً معجمة عند تعريبها ، إذا سبقها حرف عليل سا كن ؛ ومع ذلك فقد اشتهرت دال النوشادر بلا نقطة

وفى ص ١١١ : القلمى (وضبطها بالتحريك) قريب من الفضة فى لونه ؛ وصواب الضبط بفتح القاف وإسكان اللام ، كما فى معجم ياقوت فى مادة (القلمة) ، وكما في القاموس أيضاً وتاج العروس وجميع كتب اللغة التى يعتمد عليها

وفى تلك الصفحة : والزرقة للزهرة والبياض للقمر؛ وضبطت هاء الزهرة بالسكون ، إذ لا حركة عليها ، وضبطت ميم القمر وراءه بالفتحة والصواب للزهرة بالضم ففتح ففتح وصوابه للقمر ، بفتح القاف والميم وكسر الراء

وفى ص ١٥٨ : « قال : نعم وكرامة » — والصواب : قال : نعم ، حُباً وكرامة . هـذا هو المشهور عندنا فى العراق ، وعند الأدباء الحذاق . ففى القاموس فى مادة (ح ب ب) :

« الُحبّ [بالضم] : الجرة ، أو الضخمة منها ، أو الخشبات الأربع توضع عليها الجرة ذات العروتين ، والكرامة : غطاء الجرة . ومنه : حُبًا وكرامة » انتهى

وفى ص ١٦٢ : « وأما البركة فهى النماء والزيادة والرفع » والصواب : والرفغ بغين معجمة فى الآخر ، وهو السعة والخصب

وفى ص ١٨٧ : « وها أنا آخذ فى نشر ما جرى » والمشهور عند الفصحاء : « وها أنذا آخذ ... »

٧ — أوهام الطبع والرسم

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
تنبيهات	٤	الجزآن	الجزءان
٢٧	١٩	يقرؤها	يقرأها
٢٩	٤	طيء	طيِّء
٣٥	٢	ملآى	ملأى
٤٣	٨	مماثلةً	مماثِلةً
٤٦	١٤	العال	العالم
٤٦ : ٧ و ١٤٩ : ١٢ و ١٨٤ : ٥		الرآسة	الرئاسة
٤٨	٣	لاستطاعة	الاستطاعة
٤٩	٥	الشَهَوية	الشَهْوية
٥٧	٣	الُجزأ	الُجزْء
٥٨	١٢	وضوئى	وضوءى

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٦٠	قبل السطر الأخير	رآى	رأى
٦٣	«	« ثمانى أوافى	ثمانى أواقٍ
٧٥	١٤	رُءوساً	رؤوساً
٨١	١٣	ثمانِ سنين	ثمانى سنين
١١٦	٥	فِكَّرٌ	فِكَرٌ
١١٨ و ١٨٦ و ١٩٤		الجزأين	الجزءين
١٢٠	١٣	أسئلهُ	أسأله
١٢٧	٢	مَسْكَن	مَسْكِن بكسر الكاف هو الأفصح
١٢٧	١٢	المَرِّىْ	المُرِّىّ

١٣٠ آخر سطر وأولى بالبراعة ؟ ؟ — لا نفهم سبب وضع علامتين للاستفهام فهذا مخالف لما وضعه أرباب الرسم الذين أوجدوه

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
١٣٧	١٣	الشسعر	الشعر

١٣٧ ١٧و١٨ ؟ ! استعمل الناشران أربع مرات علامة الاستفهام والهتاف ؟ والعلماء واضعو هاتين العلامتين لا يستعملونهما معاً فى آخر العبارة الواحدة ، بل يستعملون سمة الاستفهام مرة واحدة إذا كان ثَمّ مايشعر بالاستفهام ؟ وسمة الهتاف إذا كان مايشعر بالألم أو نحوه ، أما استعمال العلامتين معاً فى آخر العبارة الواحدة فما لم يجر على قلم كاتب أو أديب منهم

١٨٥ فى قلب الصفحة هـذا القِسط ؟ ! لا معنى لهاتين العلامتين معاً

١٣٩ فى قلب الصفحة : الأخفِش : الأخفَش (بفتح الفاء)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٦٢	١	وشُؤِم	وشُئِم
	٢	ومشئوم	ومشؤوم
١٦٦	٣	أقحَوان	أُقحُوان (بضم الأول والثالث)
١٦٨	١٠	باهتة	مبهوتة
١٧٦	٢١	تتبين	تتبين
١٩٩	٥	أخطا نوْأها	أخْوى نوءها
١٩٩	٦	من ليس فى خيره شرٌّ	من ليس فى خيرهِ مَنٌّ
١٩٩	٨	اجلوَّذ السفر	اخروَّط السفر
٢٠٠	٣	لا يصعب الأمر	لا يضعف الأمر

وفى صفحة ٢٠٠ س ٢١ : « والصفر . زعموا أنها دويبة مثل الحية تكون فى البطن تعترى من به شدة جوع »

كنا نودّ أن يُقال : الصفر فى زعم الأولين دويبة ... وهو وهم منهم . والصواب أن موادّ نُسُج الجسم الغذائية تضعف فيشعر مجموع الأعصاب بما ينتشر من ذلك الضعف فى البدن كله ، فتظهر الحاجة إلى ما يعوض عن ذلك الضعف

وفى ص ٢٠٣ ص ٩ يُبدَءوا واالصواب يُبدَأوا

ومن الأغلاط الشائعة فى مصر وتستحق أن يشار إليها إشارة خصوصية ، مايأتى :

ص ٢٣ س ١٨ أصواب هو أم خطأ . . . أم خطاء وزان سحاب لضد الصواب ، على ما فى كتب اللغة

ص ٤٢ س ١٠ وبالجاذبة تجذِبْ (يجزمون حيث لا موجب للجزم) والصواب تجذب برفع الباء

ص ٨١ س ١٤ بثمان سنين : بثمانى سنين

ص ١١٠ س ١٥ البَوْرق : البورق بضم الباء

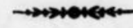
ص ١١٠ س ١٣ النُوْشاذَر . لم ترد هذه الكلمة مضبوطة فى كتب اللغة القديمة كاللسان والقاموس ، ولا فى تاج العروس مع حداثته ، لكن الزمخشرى ذكرها مضبوطة ضبطاً تاماً محكماً فى كتاب مقدمة الأدب فى ص ٥٩ س ١٩ ووزن نوشاذِر فُوْعالِل الذى هو مدُّ فُعالِل كجلاهق ومجاهن وسرادق . وليس فى العربية فعالل بفتح ما قبل الآخر ، ولهذا نستغرب ضبط نوشاذر بفتح الذال ، إذ لا مثال له ولا لنشاذر ، فضبط الأديبين الضبط الذى اعتمداه لا يدل على وقوفهما على أسرار العربية . زد على ذلك أنه ليس بالضبط الفارسى كما يتصوره القارئ .

٨ — مقابلة النص ومعارضته بما جاء منه فى الكتب المنشورة

كنا نود أن نذكر فى ختام هذه الكلمة معارضة نص هذا الكتاب المنشور حديثاً بما ورد مطبوعاً من الكتب التى صنفها الأقدمون ، ممن كان فى عصر المؤلف أو جاء بعده ، فرأينا أن ما جاء مثبتاً فى هذه النسخة من الزيادات ، وبعض الأحيان من الحذف والنقص ، ومعارضتها بعضها ببعض ينشئ فى صدور القراء مللاً وضجراً ، فعدلنا عن هذا القصد إلى الإشارة بمراجعة كتاب ابن القفطى فى كلامه على مؤلفى كتاب إخوان الصفاء فى ص٨٢ من طبعة الأفرنج ؛ ثم مراجعة ديوان الأعشيين

شجون ودروس . . .

للأستاذ إسماعيل حمدى



فى مطلع العدد ٤٧١ من (الرسالة) العزيزة ، وفى «شجون» قريبها الدّارع الدكتور زكى مبارك ، درس قيّم تفضل به على من كتب فى « اتجاه رجال الأدب فى العصر الحديث » وأحب الدكتور أن يكون فى هذا الدرس على إيجازه بلاغ لمن يتورط فى الكتابة والنشر وهو مفتقر إلى محض سلامة النظرة ، فضلاً عن قوتها وحدتها واستوائها جميعاً

والدكتور رغم كفاية الفطنة والخبرة لديه من طول « ما ابتلى بزمانه وأهل زمانه » لا يزال — بمعجزة ما — يطمع فى أن يعترف متورطٌ بتورطه ، أو يتعلم مخطئٌ من خطئه ، وخاصة فى هذه الديار !

لا يا سيدى ، عد إلى آلاف العقائد التى لا تستطيع أن تحصيها ... آلاف العقائد التى كونتها ولا ريب عن الناس منذ احتككت بهم ، وعالجت من حقهم وباطلهم ، ورشدهم وسفههم ، فأنت واجدٌ فيها ما يردك إلى اليأس المطلق من هذا الطمع الذى طمعت ، إلا إذا ضربت بلا رحمة ، وانهالت ضرباتك على القاتل فوجد صريعك مسّ الأذى وفرط الألم ، وبات بين فرار الهارب وصراخ التائب ، وأيهما اختار فحسبنا لتستأنف القافلة المسير ، ويبلغ الكتاب أجَلَه

نعم . فما ينبغى أن نتسلّى بالاقتراح على أحد أن ينحى على منطقه فيضع شيئاً مكان شىء ، ويتخير مادة دون مادة ؛ فحسب الطفل لكى يمتلئ رأسه الضئيل بالعناد أن نقترح عليه تغيير اللعبة التى فى يده ؛ فإن ذلك أحرى أن يزيده تشبثاً بها وتوهماً فيها ، وشروداً في أخيلته حولها

ولا نودُّ المضىّ إلى بعيد فى العتب على الدكتور ، فقد يجد الناظر إلى درسه الموجز ما يشغله بشئون أخر :

ذلك أنه يرى التودُّد إلى الجماهير تهمة ظالمة يبرأ منها كرام الرجال الذين كتبوا فى الإسلام ونبيه ، ويستظهر لبراءتهم بما في الدراسات الفذة التى قدموها من روح يضطرم بالشعور والذوق والإيمان وسائر الذخائر التى لم يألف تجار « الزُّيوف » أن يتعاملوا بها مع « الجمهور »

إن فى إحساس الدكتور بضرورة التبرئة لأولئك الأساتذة الكرام هفوة أخرى — ويبدو أننى رجعت إلى عتابه — إذ كان إحساسه هذا ينطوى بداهة على التسليم بأن التودد إلى الجماهير تهمة ! وما يتفاقم الغرور عند الصغير بأكثر من أن يكتشف فى منطق الكبير نحواً من الموافقة على بعض أوهامه ، ولن يتواضع هذا الغرور بعد ذلك حين يفزع الدكتور إلى واجب التبرئة لزملائه وفاء لهم وللحق العظيم فى دينه وتراث قومه

ولسنا ندرى لم يكون التودد إلى الجماهير — إذا افترضنا وقوعه — تهمة تثير الأنفة ، وتحرّض على المقاومة ، إلا أن يكون هذا خوفاً فى موطن الأمن ، وخجلاً فى مقام الزهو ، لا يجملان بالقلب الكبير والجبين الفخور !

سوف لا نحاكم الدكتور إلى غير « شجونه » فى نفس العدد من (الرسالة) ، فليقرأ فى آخرها هذه الكلمات من نشيده فى حب وطنه : « ولو عانت كبار الشعوب ما عانيت لشالت كفتها فى ميزان التاريخ ، فكيف استطعت أنت برغم ما عانيت مصدر العقل فى الشرق ، وأن تهتدى بنورك فى اللغة والدين مئات الملايين ؟ . . . لن ترانى إلا حيث تحب ، ولن يرانى أعداؤك إلا حيث يكرهون ، ولو زعموا أنهم فى طهر ملائكة السماء » . ما معنى هذا ؟ معناه أنها وقفة شريفة لابن شريف بين يدى شعبه الذى لا يزال يقود شطراً ضخماً من العالم فى اللغة

طبع أوربة فى ص ١٩٨ ، ليتأكد القارئ أنه كان من أقدس الواجبات على الناشرين أن يراجعا هذين السفرين وغيرهما من المطبوعات ، وإلا فعملهما هذا جاء خداجاً ، ويحتاج إلى إعادة النظر فى ما طبعاه ، ومقابلته بما ذكرناه لهما

وعلى كل ، فإننا نشكرهما كل الشكر على ما قاما به من إخراج هذه الدرة الثمينة من مكمنها ، وعرضها على الناطقين بالضاد بهذه الحلى البديعة ، والوشى الجاذب للأنظار ، والمشوّق لاقتنائه ، ووضعه فى مصف كنوز الأقدمين ، ورفع منزلتهم بين علماء الأقوام المختلفة وكتّابهم العظماء ، ومصنفيهم البلغاء .

ونحن نتوقع أن يكون طبع المجلد الثالث بعناية أعظم وتحقيق بالغ أقصى المنى ، ومنه تعالى التوفيق

(بغداد) **الأب أنستاس مارى الكرملى**

من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

والدين ، والفكر ، وطراز الحياة جملة ؛ فهو يعلن العصبية فى زمن العصبية الآكلة ، ويجدد البيعة فى زمن الإخاء فى السلاح أن يكون لقومه قرة أعين ، ولأعدائهم هولة حلم ، ثم ماذا ؟ ثم معناه أن الضلال القديم الذى طالما اغتال عقولاً فى هذه البلاد فذهبت تفترى فى الأدب مذاهب ، وترتجل فى الفكر طرائق ، مهما نبا ذلك عن روح الشعب الحقيقية ، ومهما تمزقت بذلك روابطنا بمن يحبوننا ، ويصطفُون من حولنا ، من الأمة العربية الكبرى ، والكتلة المسلمة العظمى ؛ هذا الضلال ينبغى أن تنقشع بقاياه توًّا وإلى غير رجعة ، ومن شاء أن يقول ، ومن شاء أن يفكر ، ومن شاء أن يعمل فليأخذ مكانه الطبيعى تحت هذه الراية والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ؛ وإلا فهو خائن يطوَّق بعاره ، ومجرم يشار إلى سيماه ، وعدو لا نسلم عليه تسليما ، وإنما نثأر منه ثأراً ، وندسه فى التراب ، وننفض من غباره الأيدى

كأنَّ الدكتور يخطبنا هذه الخطبة تماماً حين هتف بذلك المقطع الذى نقلناه من نشيده ، فكيف إذن نقبل منه التسليم بأن فى التودد إلى الشعب ما نرى ، وهو لا يرى إلا أن يكون رجل الفكر والأدب « رجل الشعب » أولاً : فى رأسه من خواطره ، وفى صدره من عقائده ، وفى ضميره من أشواقه ...

فإذا كانت أشواق هذا الشعب الروحية والثقافية والاجتماعية ظاهرة ظهوراً صارخاً ، بحيث لا تخطئها إلا العين المناقة ، ولا يمر بها ظرف أو مناسبة مواتية ، إلا أثبتت بظهورها ذاك أنها ليست موجودة ومعروفة فحسب ، بل وأصيلة ونامية معاً ، لأنها تنفجر من تاريخ ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن ، بملء ما فى هذا التاريخ من أقدار كبيرة ، وأطوار عميقة ، لم تكن قط خرافة يزيّفها لفظ ، ولا سامراً يفضّه صوت ، ولأنها تدور مع الدم فى أجساد الملايين الذين تضرب ظلالهم شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً ، على قارتين ، وثلاثة بحار ، وعديد من الأنهار ، وتقع جباههم منذ هذا العمر المبارك على تلك الربوع والبطاح العريضة ، ساجدة لله فى كل يوم خمس مرات ... نعم ، وإذا كانت هذه الأشواق هى التى تملى قواعدها الخاصة لنهضة هذا الشعب بنفسه وبالصفوف الرائعة المتراصة من حوله ، وهى التى تمتّن الأفق الذى يترامى إليه نظر شعب قوىّ التحديق ، شديد الحماليق ... إذا كان ذلك كله كما نحس ، وكما لا نشك ، فما بد من أن يصطلى كل أديب ، وكل مفكر ، وكل منتج ، بقبس من تلك الأشواق الحارة الخالدة . فهذا القبس وحده هو الذى يمده بالصواب فى تصوره لنوع النهضة المنتظرة والمحتومة معاً ، ويمده بالقدرة على المشاركة الفذة فى إقامة الصرح وتأثيله ، وبدونه لا يكون إلا متعسفاً حائراً ، لا يبرح فى حيرة وتعسف يدور حول نفسه ، ويكذب أبداً على نفسه ، حتى تكبّه عثرة ، أو تلقفه هاوية ، وبدونه لا يكون نسبه فى أدباء الشعب ودعواه العمل باسم الشعب ، وعيشه على مرافق الشعب ، إلا تزويراً ونفاقاً وسرقة ، وما لا تُعِدُّه اللغة للتشريف ، ولكن للسباب

ثم ما هو الأدب ؟ أليس هو : كالعلم ، والفن ، وكالاقتصاد نفسه ، قوة من القوى المختلفة فى الحياة العامة ، ينبغى أن تهدف كلها صوب غايات الشعب العليا ؛ وفى خلال سيرها تلقاء هذه الغايات ، ينبغى أن تُستفتى حاجاته الحقيقية ، وتستعين بأحلامه الروحية على ضمان النجاح ، وسرعته أيضاً ؟

هذا الذى نقرره من بدائه كل إصلاح وكل نهضة ، وليس من فهمها المعقد ، ولا من كهانتهما الغامضة ، حتى يكون ثم موضع للجدل أو الحذلقة

فمن يحاول عزل « الأدب » عن كافة القوى الأخرى المتضامنة فى الحياة العامة ، ويشككه فى واجب تضامنه مع تلك القوى ، وارتكازه أبداً إلى ضمائر الشعب وأحلامه القدسية ، ويزعم أن فى عودة الأدباء بقلوبهم الشريدة إلى وطنها المأنوس بين قلوب قومهم بعد طول انتظار للوفاء والبر والنبل ما يثير شهوة الفضول والعجب الأبله ، لا يفهم الأدب إلا فهماً بوهيمياً ، ولا ينتج فيه إلا ضرباً من الكلام ينهمك فيه الطابع ، والمصحح والناشر ، والناقد ، ليعالج به أخيراً ملل تافه ... !

إن هذا الذى كتب فى اتجاه رجال الأدب فى العصر الحديث لا نتهمه بالمغالطة حين زعم ثانية أن تأريخ عصر النبوة رجعية ، إذ كانت المغالطة مطوية على ذكاء وفهم فى الواقع وإن لم يكن ذكاء شريفاً ، وإنما نتهمه بالغلط الذى لا يرادف التجاهل ولكن يرادف لفظاً آخر . ما معنى الرجعية ؟ أليست هى الانتكاس والتقهقر ، وإيثار الأدنى على الأعلى ؟ فأى سمو وقع دونه الرجال

الذين يؤرخون عصر النبوة ؟ وأية فكرة أو حقيقة تكشفها دراسة هذا العصر تنحط مرتبة عما تكشفه دراساتهم الأخرى فى موضوعات أخرى ؟ وأى شر تبتلى به حياتنا العقلية — ودع عنك حياتنا الوجدانية التى هى محور كل عمل أدبى — إذا أضيفت هذه الدراسة إلى سائر الدراسات التى استبدت بأقلام الكتاب منذ كانت لهم أقلام ؟ ألا تجد عقولنا فيها من عافية الفكر وأريحيته ما يتلمسه الضمير الإنسانى فى كل ثقافة كائنة ما كانت ليصح به ويترعرع ويزكو ؟ !

هذه أسئلة لا تطلب جوابها من أحد ، ولا تستجديه ، فهو ملء كل نفس تفهم « الأدب » ولا تزرى بقدره . لا ، بل إنه إذا كان كل شىء فى الحياة يتشكل ويتطور ، لكى لا ينبو عن طبيعة جوه ، ومقتضيات بيئته ، فما بد من أن يتحدث الأدب فى كل عهد بلغته ، ويتوخى من هذه اللغة ما يشوق الأذن المائلة ، ويجاوب الحنين السارى ، ويعجل البعث المرتقب ، ونحن نعيش فى حقبة من تاريخنا لا يصلح لها إلا هذا ، فلو اشتغل الأدب بما يبعد كثيراً أو قليلاً عن هذا النهج لكان ملتوياً على روح الشعب ، جامداً عن مجاوبته ، وتلبية حاجته ، ومثله فى هذه الحالة — وفى المنطق البوهيمى — كمثل اللحن الناعم النائم تعزفه لجندىّ راحل إلى الجبهة ! ...

فأى غلط بعد غلط يتعفن به منطق فرح به صاحبه فرحاً مضحكاً وهو يناقش « العقاد » فى بعض ما كتب ! نعم لقد كان يبدو فى سياق فرحه ذاك أن منطقه لا يثقبه الرصاص نفسه !

كم اشتغل المستشرقون بتأريخ عصر النبوة ، وهذه حقيقة معروفة نود أن نوجه إلى منطق صاحبنا سؤالاً خاصاً بها ، وهو سؤال أخير نضيفه إلى تلك الأسئلة المخيفة التى وجهها إليه الدكتور فى خلال درسه القيم ، والتى تتضمنها هذه الفقرة بالذات : « لم يقل أحد إن هيكل كان رجعياً حين ترجم لجان جاك روسّو ، ولم يقل أحد إن العقاد كان رجعياً حين ترجم لابن الرومى ، ولا قال قائل برجعية طه حسين حين ترجم لأبى العلاء ، ولكن الرجعية أصابت هؤلاء الأساتذة حين شغلوا أنفسهم بتأريخ عصر النبوة ! ! لأنه مصدر من المصادر الدينية الخ » أإذا اشتغل المستشرقون بهذا الموضوع ومثله ؛ وكتب فيه كتاب أوروبيون — وكم حدث ويحدث — يكون ذلك أيضاً « رجعية » و « تودداً للجمهور المصرى » ؟ ! أم ينعت ذلك عند صاحبنا ومنطقه العتيد بالفحولة العقلية ، والثقافة الإنسانية ، وما إليهما من النعوت التى تكبر على الرجعية ، أو الرياء ، أو اللغو الذى تكرمنا عن مناقشته والذى سماه إيمان المقترب من اليوم الآخر ؟ !

ندع الآن المنطق العتيد يحصى قائمة الخسائر التى نزلت به ، ونحن — فى نفس الوقت - على استعداد لكى نضيف إلى هذه القائمة أرقاماً أخرى ، نقول له ذلك قبل أن يتعجل فينشر مقالاً أو بعبارة أخرى — بلاغاً يزعم فيه أن الخسائر طفيفة ! !

وبعد ، فلم يفرغ درس الدكتور من نواح أخرى ذات بال ، فحسبنا ذلك اليوم ، وإلى فرصة قريبة .

(الأقصر) اسماعيل محمدى

ابنة الطحان

للورد ألفرد تنيسون

إنها ابنة الطحان ، وقد نمت وتطورت حتى غدت محبوبة فتانة . فيا ليتنى جوهرة فى القرط الذى يرتجف معلقاً فى أذنها ، لأننى إذ ذاك وأنا فى حلقة من ذهب أمُسّ رقبتها البيضاء الدافئة ليل نهار .

أو ليتنى النطاق الذى يحيط بخصرها الدقيق الرشيق فأحس بضربات قلبها فى ساعات الحزن وأويقات الراحة ، وأعلم ما إذا كانت الدقات متئدة منتظمة ، وأحيط بها من جميع أطرافها ضاغطاً عليها بحنان !

أو ليتنى حلي معلقة فى رقبتها فأرتفع وأهبط بانتظام على صدرها البض ، مع تصاعد ضحكاتها وزفراتها ، وأستقر فى مكانى هادئاً جداً بحيث لا تخلعنى حتى عند ما تذهب لتنام !

(بغداد) صفاء خلوصى

القـاضي التنوخي

للأستاذ يوسف يعقوب مسكوني

(تتمة ما نشر فى العدد الماضي)

وأما أسباب عزله فتلخص بما يأتى : قال الرئيس أبو الحسن هلال : وفى شهر ربيع الأول سخط عضد الدولة على القاضى أبى على المحسن بن على التنوخى وألزم منزله وصُرف عمـا كان يتقلده . وكان السبب فى ذلك ما حدثنى به أبو القاسم على بن المحسن التنوخى قال حدثنى أبو على والدى قال : كنت بهمذان مع الملك عضد الدولة فاتفق أن مضيت يوماً إلى أبى بكر بن شاهويه رسول القرامطة والمتوسط بين عضد الدولة وبينهم ، وكان له صديقاً ومعى أبو على الهائم وجلسنا نتحدث ، وقعد أبو على على باب خركاه[1] كنا فيه وقدم إليه ما يأكله ، فقال لى : اجعل أيها القاضى فى نفسك المقام فى هذه الشتوة فى هذا البلد . فقلت لِمَ ؟ فقال إن الملك مدبّر القبض على الصاحب أبى القاسم بن عبّاد ، وكان قد ورد إلي حضرته بهمذان ؛ وإذا كان كذلك تشاغل بما تتطاول معه الأيام . وانصرفت من عنده ؛ فقال أبو على الهائم قد سمعت ما كنّا فيه وهـذا أمر ينبغى أن تطويه ولا تخرج به إلى أحد ولا سيما إلى أبى الفضل بن الشيرازى . فقلت أفعل ، ونزلت إلى خيمتى ، وجاءنى من كانت له عادة جارية بملازمتى ومواصلتى ومواكلتى ومشاربتى وفيهم أبو الفضل بن أحمد الشيرازى ، فقال لى : أيها القاضى أنت مشغول القلب فما الذى حدث ؟ فاسترسلت على أنس كان بيننا وقلت أما علمت أن الملك مقيم وقد عمل على كذا فى أمر الصاحب وهذا دليل على تطاول السنة . فلم يتمالك أن انصرف واستدعى ركابيا من ركابتى وقال له : أين كنتم اليوم ؟ فقال عند أبى بكر بن شاهويه . قال : وما صنعتم ؟ قال : لا أدرى إلا أن القاضى أطال عنده الجلوس وانصرف إلى خيمته عنه ولم يمض إلى غيره . فكتب إلى عضد الدولة رقعة يقول فيها : كنت عند القاضى أبى على التنوخى فقال كذا وكذا وذكر أنه قد عرفه من حيث لا يشك فيه وعرّفت أنه كان عند أبى بكر ابن شاهويه وربما كان لهذا الحديث أصل ؛ وإذا شاع الخبر به وأظهر السر فيه فسد ما دُبّرَ فى معناه . فلما وقف عضد الدولة على الرقعة وجم وجوماً شديداً وقام من سماط كان قد عمله فى ذلك اليوم على منابت الزعفران للديلم مغيظا ، واستدعانى وقال لى : بلغنى أنك قلت كذا وكذا حاكياً عن أبى بكر بن شاهويه فما الذى جرى بينكما فى ذلك ؟ فقلت لم أقل من ذلك شيئاً ، فجمع بينى وبين أبى الفضل بن أبى أحمد وواقفنى وأنكرته ، وراجعنى وكذّبته ؛ وأُحضر أبو بكر بن شاهويه وسئل عن الحكاية ، فقال : ما أعرفها ، ولا جرى بينى وبين القاضى قول فى معناها . وثقل على أبى بكرهذه المواقفة وقال : ما نعامل الأضياف بهذه المعاملة . وسئل أبو على الهائم عما سمعه فقال : كنت خارج الخركاه ، وكنت مشغولاً بالأكل وما وقفت على ما كانا فيه . فد وضرب مائتى مقرعة ؛ وأقيم فنفض ثيابه . وخرج أبو عبدالله سعدان — وكان لى محبًّا — فقال لى : الملك يقول لك : ألم تكن صغيراً فكبرناك ، ومتأخراً فقدمناك ، وخاملاً فنبهنا عليك ، ومقترًا فأحسنا إليك ؟ فما بالك جحدت نعمتنا وسعيت فى الفساد على دولتنا ؟ قلت : أما اصطناع الملك لى فأنا معترف به ، وأما الفساد على دولته فما علمت أننى فعلته ! وجلست مكانى طويلاً ، وعندى أننى مقبوض علىَّ ، ثم حملت نفسى على أن أقوم وأسبر الأمر ، وقمت وخرجت من الخيمة ، فدعا البوابون دابتى على العادة ، ورجعت إلى خيمتى منكسر النفس منكسف البال ؛ فصار الوقت الذى أدعى فيه للخدمة ، فجاءنى رسول ابن الحلاج على الرسم ، وحضرت المجلس فلم يرفع الملك إلىَّ طرفاً ، ولا لوى إلىَّ وجهاً ؛ ولم يزل الحال على ذلك خمسة وأربعين يوماً ، ثم استدعانى وهو فى خركاه وبين يديه أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وعلى رأسه أبو الثناء شكرٌ الخادم فقال : ويلك ! أصدقنى عما حكاه أبو الفضل بن أحمد ؛ فقلت كذبٌ منه ؛ ولو ذكرت لمولانا ما يقوله لـما أقاله العثرة ؛ فقال : أوَ مِنْ حقوق عليكم أن تسيئوا غيبتى وتتشاغلوا بذكرى ؟ فقلت : أما حقوق النعمة فظاهرة ، وأما حديثك فنحن نتفاوضه دائماً ... ثم قال عضد الدولة : عرّفنا ما قاله أبو الفضل . قلت : هو ما لا ينطق لسانى به ؛ فقال : هاته ... وكان يحب أن تعاد الأحاديث والأقاويل على وجهها من غير كناية عنها ولا احتشام فيها . فقلت : نعم ؛ قال : (وذكر له بعض النقائص فقربها) ... ثم قال : وقد ذكر هذا الأستاذ وأومأت إلى أبى القاسم وأبى الريّان وجماعة الحواشى فقال : ما قال فى

(١) خيمة التركية فارسية معربها خركاهة

أبي القاسم ؟ قلت : قال : إنه ابتاع من ورثة ابن بقية ناحية الزاوية من رازان[1] بأربعة آلاف درهم بعد أن استأذنك استئذاناً سلك فيه سبيل السخرية والمغالطة ، واستغلها في سنة واحدة نيفا على ثلاثين ألف درهم ، وأنه أعطى فلاناً وفلاناً ثمانية آلاف درهم على ظاهر البضاعة والتجارة ، فأعطاه نيفاً وستين ألف درهم . فمات أبو القاسم عند سماعه ذلك ، وأوردت ما أوردته مقابلته — أي معارضته — على ما ذكرني به . وحضرت آخر النهار المجلس في ذلك اليوم على رسمي ، فعاود التقريب لي والإقبال عليّ . ثم رحلنا عائدين إلى بغداد ، فرآني الملك في الطريق وعليّ ثياب حسنة وتحتي بغلة بمركب وجناغ[2] جواد ؛ فقال لي : من أين لك هذه البغلة ؟ قلت : حملني عليها الصاحب أبو القاسم بمركبها وجناغها ، وأعطاني عشرين قطعة ثياباً ، وسبعة آلاف درهم ؛ فقال : هذا قليل لك مما تستحقه عليه . فعلمت أنه اتهمني به وبأني خرجت بذلك الحديث إليه ، وما كنت حدثته به

وذكر غرس النعمة بن هلال قال : حدثني بعض السادة الأصدقاء ، وأنسيته وأظنه أبا طاهر محمد بن محمد الكرخي قال : كانت بنت عضد الدولة لما زفت إلى الطائع بقيت بحالها لا يقربها خوفاً أن تحمل منه فتستولي الديلم على الخلافة ، وكان الطائع يحبها حبا شديداً زائداً موفياً . . . . . . وتقدم عضد الدولة إلى أبي علي التنوخي في أواخر أيامه بأن يمضي إلي الطائع ويطارحه يناظره ... في المعنى ... بأسباب يتوصل إليها وأقوال يصفها ، ويومئ إلى الغرض فيها ... رتبها عضد الدولة ولقنه إياها وفهمه

قال التنوخي بعد قدومه إلى بغداد مع عضد الدولة فحكى لي أن الطائع لله متجاف عن ابنته المنقولة إليه . . . فثقل ذلك عليه وقال لي : تمضي إلى الخليفة . . . ويعود الأمر إلى ما يستقيم به الحال ويزول معه الانقباض فقد كنت وسيط هذه المصاهرة ، فقلت : السمع والطاعة . وعدت إلى داري لألبس ثياب دار الخلافة ، فاتفق أن زلقت ووثئت رجلي ، فأنفذت إلى الملك أعرفه عذري في تأخري عن أمره فلم يقبله وأنفذ إليّ من يستعلم خبري ، فرأى الرسول لي غلماناً ورَوْقة وفرشاً جميلاً ، فعاد إليه وقال : هو متعال وليس بعليل . وشاهدته على صورة كذا وكذا والناس يغشونه ويعودونه . فاغتاظ غيظاً مجدداً حرك ما في نفسه مني أولاً ، فراسلني بأن الزم بيتك ولا تخرج عنه ، ولا تأذن لأحد في الدخول عليك ، فيه إلا نفراً من أصدقائي استأذنت فيهم فاستثنى بهم . ومضت الأيام وأنفذ إلى أبو الريان فطالبني بعشرة آلاف درهم وكنت استلفتها من أقطاعي فأديتها إليه ، واستمر عليّ السخط والصرف عن الأعمال إلى حين وفاة عضد الدولة .

ثم قال غرس النعمة : فقال التنوخي السمع والطاعة ، ومضى إلى بيته ولم يقدم على الطائع ، وخاف عضد الدولة إن خالف ما رسمه له ، فأظهر مرضاً وعاده أصدقاؤه منه واعتذر به إلى عضد الدولة ، فوقع لعضد الدولة باطن الأمر وأمر بعض الخدم الخواص بأن يمضي إلى التنوخي لعيادته وتعرف خبره ، وأن يخرج من عنده ويركب إلى أن يخرج من الدرب ، ثم يعود فيدخل عليه هاجماً فإن كان على حاله في فراشه لم يتغير له أمر ، أعطاه مائتي دينار أصحبه إياها لنفسه وأظهر أنه عاد لأجلها لأنه أنسيها معه ؛ وإن وجده قاعداً أو قائماً عن الفراش قال له : الملك يقول لك لا تخرج عن دارك إلينا ولا إلى غيرنا وأنصرف . قال الخادم : فدخلت إليه وهو في فراشه وعليه دثاره وخاطبته عن الملك وأعاد جواباً ضعيفاً لم أكد أفهمه ، وخرجت ثم عدت على ما رسم الملك فهجمت عليه فوجدته قائماً يمشي حول البستان ، فلما رآني اضطرب وتحير فقلت له : الملك يقول لا تبرح دارك إلينا ولا إلى غيرنا ، وخرجت فبقي على ذلك إلى أن مات عضد الدولة[1] »

نقول وذكره من بعد هؤلاء ابن خلكان ؛ ولم يزد على ما ذكره المؤرخون ممن ذكرنا هنا سوى كتاب (المستجاد من فعلات الأجداد) وقد نوهنا به وأشرنا إلى أمره آنفاً في غير هذا . وقد نقل ابن خلكان عن الثعالبي والخطيب البغدادي

أما شعره فإننا نذكر منه هنا ما ذكره المؤرخون استطراداً في ترجمته وما اختاروه من شعره لما كان ديوان شعره من الدواوين المفقودة ، لعل فيه شيئاً من الفائدة . ومن السابقين إلى رواية شعره الثعالبي قال : ومما علق بحفظ أبي نصر سهل بن المرزبان وأنشدنيه للقاضي أبي علي قوله وهو معنى طريف ما أراه سبق إليه :

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه
وقد كاد هدب الغيم أن يبلغ الأرضا[2]

فلما ابتدا يدعو تقشعت[3] السما
فما تم إلا والغمام قد انفضا

وأنشدني غيره له وأنا مرتاب به لفرط جودته وارتفاعه عن طبقته :

(1) رازان الأعلى والأسفل كورتان كانتا بسواد بغداد
(2) ضرب من آلات السرج

(1) معجم الأدباء لياقوت الحموي . ج ١٧ ص ١٠٦ — ١١٦ ط . دار المأمون (2) في وفيات الأعيان لابن خلكان « يلحق » ج ١ ص ٥٦٤ ط . بولاق (3) في وفيات الأعيان لابن خلكان « تكشفت » ج ١ ص ٥٦٤ ط . بولاق

أقول لهـا والحى قد فطنوا بنا ومالى عن أيدى[1] المنون براح

لما ساءنى أن وحشتنى[2] سيوفهم وإنك لى دون الوشاح وشاح

قال الثعالبى ومما أنشده لنفسه فى كتاب الفرج بعد الشدة :

لئن أشمت الأعداء[3] صرفي ورحلتى فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجد

مقام وترحال وقبض وبسطة كذا عادة الدنيا وأخلاقها النكد[4]

وسنذكر بقية الأبيات من مقدمة ناشر كتاب « الفرج بعد الشدة » . ولقد وجدت قطع لمؤلف الكتاب عينه مدرجة فى الفصل الأخير من بحوثه تلائم مقاصد المؤلف لكتاب الفرج بعد الشدة . ومن أولى هذه القطع ما يأتى :

اصبر فليس الزمان مصطبراً وكل أحـــداثه فنقشعه

كم من فقير غناه فى شبع قد نال خفضاً في عيشه ودعه

ومن جليل جلت مصائبه ثم تلافاه بعـد ما وضعه

فعاد بالعز آمناً جـذلاً وعاد أعداؤه له خضعه[5]

والقطعة الثانية :

متى تصفو لك الدنيا بخير إذا لم ترض منها بالمزاج

ألم تر جوهر الدنيا المصفّى ومخرجه من البحر الأجاج

ورب مخيفة لجأت بهـول جرت بمسرة لك وابتهاج

ورب سـلامة بعد امتناع ورب مثقف بعد اعوجاج[6]

والقطعة الثالثة ، قال مؤلف الكتاب وفى محنة لحقتنى فكشفها الله تعالى فقلت :

هوّن على قلبك الهموم فكم قاسيت هماً أدنى إلى الفرح

ما الشر من حيث تتقيه ولا كل مخوف يفضى إلى الترح[7]

والقطعة الرابعة :

لئن عدانى عنك الدهر يا أملى وسل جسمى بالأسقام والعلل

وشت شمـل تصافينا وألفتنا والدهر ذو غير والدهر ذو دول

الحمد لله حمد الشاكرين على ماشاء من حادث يوهى قوى الأمل

قد اشتكت بصروف الدهر والتحقت على فيك غواشى الحزن والوجل

واعتضت منك بسقم شأنه خلل ومن وصالك بالهجران والملل

وبعد أمنى من عذر ومثنية عذراً يسرح بالألفاظ والرسل

(١) معجم الأدباء لياقوت « عن » ج ١٧ مادة محسن
(٢) فى معجم الأدباء أيضاً « وشحتنى » وهو الصواب فى مادة محسن
(٣) فى معجم الأدباء أيضاً « الحساد » عين المصدر .
(٤) يتيمة الدهر للثعالبي ج ٢ ص ٣١٩ وما بعدها
(٥) الفرج بعد الشدة للتنوخى ج ٢ ص ٢١٤ آخر طبعة .
(٦) كذلك ج ٢ ص ٢١٩ (٧) كذلك ج ٢ ص ٢٢٤

ومن لقائك لتى الطب أرحمهم قسط وأرفقهم يدنى إلى الأجل

فلست آيس من رجع الوصال ولا عود الموافى ولا آمن من السبل[1]

والقطعة الخامسة من قصيدة فى محنة لحقته :

أما للدهر من حكم رضى يدال به الشريف من الدنى

ويستعلى الرؤوس من الذنابى وينتصف الذكى من الغبى

ومن عاصاه دمع فى بلاء فليس بكاء عينى بالعصى

وما أبكى لوفر لم يفـــده زمان خان عهد فتى وفى

ولا آسى على زمن تولى بعيش ناضر غـض ندى

وما تلقى الحوادث إن ألمت سوى قلب عن الدنيا سخى

وصـبر ليس تنزحه الليـالى كنزح الدلو صـافية الركى

وليس بآيس من كان يخشى ويرجو الله من صنع قوى[2]

أما القطعة السادسة فقد قال ناشر الكتاب : وله عند صرفه من تقلدة القضاء بالأهواز وقبض ضيمة من ضياعه وحضوره إلى بغداد وقد نقلنا منها آنفاً بيتين مطلعهما : لئن أشمت الأعداء الخ

ومازلت جلداً فى المهمات قبلها ولا غرو فى الأحيان أن يغلب الجلد

فكم ليث غاب شردته ثعالب وكم من حسامَ فلّه غيلة غمد

وكم جيفة تعلو وترسب درة ومنحسة تقوى إذا ضعف السعد

ألم تر أن الغيث يجرى على الربا فيحظى به إن جاد صيّبه الوهد

وكم فرج والخطب يعتاد نيله يجئ على يأس إذا ساعد الجد

لقد أقرض الدهر السرور فإن يكن أساء اقتضاء فالقروض لها رد

فكم فرحة تأتى على أثر ترحة وكم راحة تطوى إذا اتصل الكد

وكم منحة من محنة تستفيدها ومكروه أمر فيه للمرتجى وفد

على أننى أرجو لكشف الذى غدا مليكاً لَهُ فى كل نائبة رفد

فيمنع منا الخطب والخطب صاغر وتمس عيون الدهر عنا وهى الرمد

ونعتاض باللقيا من البين أعصرا مضاعفة تبقى ويستهلك البعد[3]

والقطعة السابعة هى :

قل لمن أودى به الترح كل هم بعـــده فرح

غالط الأحـداث مجتهداً كل ما قد حلّ منتزح

لا تضق ذرعاً بنـازلة وارمهـا بالصّبر تنفسح

وأزح بالراح طارقهـا فجلاء القـــربة القدح

ألق بالمزج المريح أذى حدها إن شئت تنشرح[4]

هذا ما تمكنت من العثور عليه عند مطالعتى لهذا الكتاب

(١) كذلك ج ٢ ص ٢٢٩ (٢) كذلك ج ٢ ص ٢٢٩
(٣) الفرج بعد الشدة للتنوخى جـ٢ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ من آخر طبعة
(٤) كذلك جـ ٢ ص ٢٤٣

غراب وطفـــل (*)

[مهداة إلى أستاذنا الكبير أحمد حسن الزيات]

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

نَشِبَ الجَنَاحُ وَضَلَّ فى الأغصانِ   فإذَا الغُرَابُ يَخِرُّ لِلأذْقَانِ
حَيْرَانَ يَلتَمِسُ النَّجاةَ فَلا يَرَى   قَلْبًا يَرِقُّ لِذَلِكَ الحَيْرانِ
جَهِدَ الأسِيرُ لِكَىْ يَفُكَّ جَنَاحَهُ   بِالخَفْقِ آوِنَةً وَبالدَّوَرَانِ
لم يُغْنِ عَنْهُ كِفَاحُهُ فَأثَارَهَا   شَعْوَاءَ تُسْمِعُ جَلْمَدَ الآذانِ
وَرَأى غُرَابٌ صِنْوَهُ فى أسْرِهِ   فَمَضَى وَأسْرَعَ لِلأسِيرِ العَانِى
وَهَوَى يُحَاوِلُ جَذْبَهُ ... وَإذا بِهِ   هُوَ والأسِيرُ لَدَى الرَّدَى صِنْوَانِ
أعْيَاهُ إنقاذُ الزَّمِيلُ ، فَطَارَ فى   فَزَعٍ يُنَادِى شِيعَةَ الغِرْبَانِ

(*) انظر العدد ٤٧٢ من الرسالة

الجميل ، ولعل له مقطوعات من شعره لم نعثر عليها بعد ؛ وقد تحقق الأيام من ذلك شيئاً فنعود إلى ذكر ما تركه هذا الشاعر الفحل والكاتب البليغ والمؤرخ الثقة

قال الثعالبي ومما ينسب إليه قوله لبعض الرؤساء فى التهنئة بشهر رمضان :

نلت فى ذا الصيام ما ترتجيه   ووقاك[1] الإله ما تتقيه
أنت فى الناس مثل شهرك فى الأ   شهر بل مثل ليلة القدر فيه[2]

هـذا وقد أورد ياقوت فى معجم الأدباء أخباراً فى ترجمته فى نقد الشعر الذى يغنى به عضد الدولة البويهى بحضرته ومجالس أنسه وصحة قائليه وناظميه وذلك ما يدل على قوته في نظم الشعر وحفظه أيضاً لمنظومات الشعراء الذين سبقوه ، فكان خير حكم للتمييز بين الغث والسمين منه ؛ هذا علاوة على قوته فى النثر ، فقد اتبع أسلوباً يكاد يكون خاصاً به لم يصل إلى مجاراته فيه أهل عصره

هـذا ما تيسر لى جمعه من الأخبار عن نابغة القرن الرابع الهجرى العباسى فى القضاء والتأليف والشعر والأدب والاجتماع عسى أن أكون قد قمت بقسط مما يستحقه هذا العلم الفرد ، وسنواصل بحول الله تعالى البحث عن غيره ممن كانت لهم المنزلة العظمى فى دولتى العلم والأدب لذلك العهد العباسى الزاهر .

(بغداد)   يوسف يعقوب مسكونى

(١) فى ابن خلكان « كفاك » جـ ١ ص ٥٦٤ ط . بولاق
(٢) يتيمة الدهر للثعالبي جـ ٢ ص ٣٢٠ وما بعدها

وَإذَا غُرَابٌ ، ثُمَّ ثَانٍ ، خَلْفَهُ   مِنْ قَوْمِهِ زُمَرٌ ... أتَتْ لِثَوَانِ
وَتَجَمَّعَ الغِرْبَانُ فى الدَّوْحِ الذِى   ضَمَّ الأسِيرَ تَجَمُّعَ الفُرْسَانِ
عَقَدَتْ عَصَائِبُهَا عَلَيْهِ مَنَاحَةً   وَبَكَتْ لَدَيْهِ بِدَمْعِهَا الهَتَّانِ
وَكأنَّمَا كَانَتْ تَضَرَّعُ لِلوَرَى   أنْ يُسْعِفُوا ذَاكَ المَهِيضَ العَانِى
وَأتَى بَنُو الإنْسَانِ فَاحْتَشَدُوا عَلَى   بَلَهٍ ... زَرَافَاتٍ بِلَا وِجْدَانِ
وَتَجَمَّعُوا شِيَعًا لِكَىْ يُهْدُوا لَهُ   نَظَرَ الفُضُولِ ، وَلَمْحَةَ المُجَّانِ
وَإذَا البَلَاهَةُ وَالفُضُولُ تَجَمَّعَا   لَمْ تَلْقَ لِلأخْلَاقِ أىَّ مَكَانِ ...

وَأتَى الظَّلَامُ ... وَلَفَّ فى أحْشَائِهِ   هٰذَا الوُجُودَ ... فَمَا تَرَى عَيْنَانِ
وَاسْتَيْأسَ الغِرْبَانُ فَانْصَرَفُوا عَلَى   مَضَضٍ ، وَلَمْ يَنْسُوا فَتَى الأغْصَانِ
تَرَكُوا لَهُ بَعْضَ الرِّفَاقِ تَزُقُّهُ   بِالحَبِّ تَحْتَ رِعَايَةِ الرَّحْمٰنِ
حَتَّى يَجِىءَ الصُّبْحُ فى أعْطَافِهِ   فَرَجُ الكُرُوبِ وَجَلْوَةُ الأحْزَانِ
يَا لَلْوَفَاءِ وَلِلإخَاءِ نَرَاهُمَا   بَلَغَا الذُّرَا فى عَالَمِ الحَيَوَانِ ...

لَمْ تَفْرُغِ الغِرْبَانُ مِنْ أشْجَانِهَا   وَاللَّيْلُ مَهْدُ غَرَائِبِ الأشْجَانِ
وَإذَا صُرَاخٌ مِنْ وَلِيدٍ قَدْ بَدَا   فى الجَوِّ يَبْعَثُ كَامِنَ التَّحْنَانِ
يَا لَلشَّقَاءِ وَلِلتَّعَاسَةِ ... جُمِّعَا :   هُوَ ذَا « لَقِيطٌ » لُفَّ فى أكْفَانِ !
قَذَفَتْ بِهِ « الأمُّ الخَئُونُ » جَرِيمَةً   وَرَمَتْهُ فى رُكْنٍ مِنَ الأرْكَانِ !
وَتَسَلَّلَتْ طَىَّ الظَّلَامِ ، وَلَمْ تَخَفْ   عِنْدَ الجَرِيمَةِ نِقْمَةَ « الدَّيَّانِ » !

وَتَحَدَّثَ الرَّاءُونَ فِيمَا أبْصَرُوا :   أنَّ اللَّقِيطَ كَزَهْرَةِ البُسْتَانِ !
مَرَّتْ بِهِ أُنْثَى ، فَصَاحَتْ — بَعْدَ مَا
جَسَّتْهُ — صَيْحَةَ رَحْمَةٍ وَحَنَانِ :
يَا لَعْنَةَ الجَبَّارِ : لَنْ أُمَّهُ ...   أزِنًى وَقَتْلٌ يَا بَنِى الإنْسَانِ ؟ !
وَمَضَتْ تُهَرْوِلُ فى الظَّلَامِ كَأنَّمَا   تَبْغِى النَّجَاةَ ، وَمَالَهَا كَفَّانِ ...
وَتَجَمَّعَ السَّارُونَ حَوْلَ مِهَادِهِ   وَالطِّفْلُ مُضْطَرِبٌ : يَدًا لِسَانِ
كُلٌّ يُحَوْقِلُ ، ثُمَّ يَرْكُضُ هَارِبًا   فَكَأنَّهُ مِنْ لَعْنَةِ الشَّيْطَانِ !
تَرَكُوهُ خَوْفَ العَارِ يَذْوِى عُودُهُ   وَيَعِيشُ فى جَوٍّ مِنَ الحِرْمَانِ !
وَأتَى الصَّبَاحُ فَفَيَّضَ الرَّحْمٰنُ مَنْ   نَجَّى الغُرَابَ ، وَفَازَ بِالطَّيَرَانِ
وَمَضَى الأسِيرُ مَعَ الرِّفَاقِ مُمَتَّعًا   بِالعَيْشِ فى صَفْوٍ وَفى خِلَّانِ ...
وَمَضَى اللَّقِيطُ لِمَنْجًا يَلْقَى بِهِ   عَيْشَ الهَوَانِ عَلَى مَدَى الأزْمَانِ



الأستاذ العقاد في السودان

لا يزال الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد منذ نزل الخرطوم موضع التكريم والتجلة من أهله . وللسودان الكريم أريحية للأدب ورجاله هي نصيب المصرية منه وسر العروبة فيه . وقد انتعشت الروح الأدبية في القطر الشقيق بزيارة الأستاذ له ؛ فحفلت الأندية ، ونشطت الصحافة ، وكثرت المآدب ، وافتنت الأحاديث ، وتلاقت الآراء ، وتجاوبت المشاعر ، وبان من كل أولئك فضل الأدب على السياسة والاقتصاد في إبلاغ الرسالة وإحسان السفارة ؛ لأن رجال الأدب هم أهل الرأي والتوجيه ، فليس بعد اتفاقهم خلاف ، ولا بعد اهتدائهم حيرة . وقد نشرنا في هذا العدد أولى رسائل الأستاذ من الخرطوم ؛ وستكون هذه الرسائل ولا شك طُرفاً من الأدب الرفيع كان يتمناها قراء الرسالة وأصدقاء السودان وعشاق الأدب . ومن طرائف هذه الرحلة المباركة أن العقاد أرسل إلى جريدة النيل هـذه الأبيات تحت هذا العنوان :

من جزيرة القاهرة إلى مقرن الخرطوم

تفسير حلمي بالجزير ة وقفتي في المقرن[1]
حلمـان حظهما خيا لاً دون حظ الأعين
ما دمت بينهما فما أنا سائل عن مسكني
وإذا التذكر عاد بي عطف الجديدُ فردني
يا جيرة « النيل » المبا رك ، كل نيل موطني
وله سميٌّ في الصحا فة معرب لم يلحن
حييت فيـــه سميه وحمـدت فيه مأمني

(الخرطوم) عباس محمود العقاد

فأجابه الأستاذ المبارك ابراهيم أحد محرري النيل بهذه الأبيات :

يا من نزلت أعالي الوا دي حميـد المأمن
أهلاً ، فمنزلك القلو ب وفي سواد الأعين
ولأنت يابن النيل با قعة البيان الأرصن
فتغن في الخرطوم ما شاء التغني وافتن
فالنيل في أرض الكنا نة مثـله بالمقرن
« وله سميٌّ في الصحا فة معرب لم يلحن »
لهـج برمز العبقر ية أو بديع الأزمن[2]

(دار جريدة النيل بالخرطوم) المبارك ابراهيم

(١) المقرن اسم للمكان الذي يقترن فيه النيلان الأبيض والأزرق عند مدينة الخُرطوم ثم ينحدران إلى مصر ويعرف هذا المكان أيضاً باسم المثلث أو ملتقى النيلين

(٢) الضمير في رمز العبقرية وبديعه الأزمن يعود إلى الأستاذ العقاد

لَا أُمَّ رَاعِيَةً ، وَلَا أَبَ عَاطِفاً فَلْيَحْيَ بَيْنَ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ
تَتَنَكَّرُ الدُّنْيَا لَهُ ، وَتُذِيقُهُ هُوناً بِلَا عَطْفٍ وَلَا تَحْنَانِ ...

يَا لَابْنِ « آدَمَ » : عَاشَ فِي أَقْوَامِهِ فَظًّا بِرَغْمِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ !
يَا لَلطُّيُورِ : تُرِيكَ مِنْ أَخْلَاقِهَا مُثُلاً بِهَا تَسْمُو عَلَى الْإِنْسَانِ !
لَمْ تَحْظَ بِالتَّعْلِيمِ ، أَوْ يُبْعَثْ لَهَا رُسُلٌ ، وَلَمْ تَسْتَهْدِ بِالْأَدْيَانِ
مَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ دُونَ سَمِيِّهِ ؟ شَتَّانِ بَيْنَ الْإِنْسِ وَالْغِرْبَانِ !
يَا لَيْتَ لِي خُلُقَ الطُّيُورِ، وَجَوَّهَا وَصَفَاءَهَا ... فَأَعِيشَ فِي اطْمِئْنَانِ

مَنْ صَوَّرَ الْمَأْسَاةَ أَبْرَعَ صُورَةٍ؟ مَنْ صَاغَهَا لِلنَّاسِ سِحْرَ بَيَانِ ؟
الْكَاتِبُ الْفَذُّ الْأَدِيبُ هُوَ الَّذِي أَضْفَى عَلَيْهَا بَاهِرَ الْأَلْوَانِ
وَتَمَثَّلَتْهَا رُوحُهُ ، فَبَدَتْ لَنَا سِفْراً يُرَدِّدُ آيَهُ الْمَلَوَانِ
أَذْكَتْ لَهِيبَ الْقَوْلِ بَيْنَ جُنُودِهِ وَمَضَتْ تُحَرِّكُ رَاقِدَ الْأَذْهَانِ
كَمْ مِنْ فُؤَادٍ كَانَ شَاهَدَ أَمْرَهَا مَا اهْتَزَّ أَوْ نَطَقَتْ لَهُ شَفَتَانِ !

رَبَّ الرِّسَالَةِ : أَسْمِعِ الدُّنْيَا كَمَا شَاءَ النُّبُوغُ رَوَائِعَ التِّبْيَانِ
هَذِّبْ شُعُورَ النَّاسِ وَاسْمُ بِرُوحِهِمْ فَالنَّاسُ قَدْ جَازُوا مَدَى الطُّغْيَانِ
مِنْ كُلِّ عَابِرَةٍ أَنِلْهُمْ عِبْرَةً فَلَأَنْتَ فَارِسُ ذَلِكَ الْمَيْدَانِ
صُغْ مِنْ دُمُوعِكَ[1] آيَ وَحْيِكَ إِنَّهَا
ذَوْبٌ لِأَكْرَمِ مُهْجَةٍ وَجَنَانِ ...
حَسْبُ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ مَثُوبَةً
مِنْ دَهْرِهِمْ شُكْرٌ بِكُلِّ لِسَانِ ...

(١) أخبرني الأستاذ البشبيشي أن الأستاذ الزيات عند ما شهد منظر الغربان ترقرقت الدموع في عينيه

أعداد الرسالة الخاصة

كنا وما زلنا حريصين على أن يكون أكثر ما يُكتب في أعدادنا الخاصة بأقطار العروبة، لأقطاب البيان المسئولين في كل قطر يصدر عنه العدد. وكان هذا الحرص سبباً في هذا البطء الملحوظ في إعداد هذه الأعداد، لأننا لم نتلق من العراق حتى اليوم ما طلبناه من المقالات والصور. وقد يكون للأحوال الحاضرة أثر في هذا البطء، ولكنه الأثر الذي لا يستطيع أن يتغلب على إرادة أمة تريد أن تتعارف وتتآلف وتسير في جهادها المشترك على هدى وعلم.

وإنا مع تكرار الرجاء لإخواننا الأدباء أن يستجيبوا لما طلبت الرسالة، نعلن إليهم أننا لم نكاف أحداً بجمع المقالات والوثائق غير الأستاذ نجري شهاب السعيدي في بغداد؛ أما في الأقطار الأخرى فلم يقع اختيارنا على أحد بعد.

وفاة السير وليم فليندرس بترى

توفى مساء اليوم الثامن والعشرين من شهر يوليو بمستشفى الحكومة بالقدس السير وليم فليندرس بترى، عالم الآثار المصرية عن ستة وثمانين عاماً

وكان الفقيد من العلماء الثقات في تاريخ مصر القديم وتاريخ الغابرين في القسم الشرقي من حوض البحر المتوسط. وهو الذي وضع قواعد علم الآثار في مصر، واستخدم الآثار المدفونة في الكشف عن أسرار الحضارات القديمة

ومما كان يقوله، إن الخزف والجواهر من أهم موارد العلم له. وأن الأبنية كانت ترشده إلى كل ما يريد الوقوف عليه، وإن لم يكن هناك شيء مكتوب عليها

وقد ولد السير فليندرس في ٣ يونيو ١٨٥٣ ببلدة (شابلتون) بجوار جرينوتش، وكان والده مهندساً، وجده لأمه ضابطاً بحرياً

ولما بلغ الثامنة من عمره كان يتكلم أربع لغات. وفي سن الخامسة عشرة كان طالباً مجداً في القسم المصري بالمتحف البريطاني

وفي السابعة والعشرين من عمره، قدم مصر حيث بدأ حياته العملية

وكان إلى جانب إلمامه التام باللغات القديمة، رياضياً من الطراز الأول، ومهندساً ومصوراً بارعاً

وأمضى السير وليم فليندرس العامين الأولين، من أعوام إقامته في مصر، وهو يقيس الأهرام والمعابد، ثم درب على ذلك جماعة من العمال المصريين، وبدأ أعمال التنقيب عن الآثار. وظل يقوم بهذه الأعمال وكتابة المذكرات عن استكشافه حتى سنة ١٩١٤

وقد ألف أكثر من مائة كتاب استغرق في كتابة أحدها وهو «تاريخ مصر» ٢٩ عاماً، إذ بدأه في سنة ١٨٩٤ وانتهى منه سنة ١٩٢٣

وكذلك أنشأ مدرسة إنجليزية لتدريس الآثار في مصر ولبث يقوم بالتدريس فيها حتى سنة ١٩٣٤، إذ غادرها إلى القدس، حيث بدأ أعمال الحفر في صحراء سينا وسورية

من أي يومي من الموت أفر

جاء في العدد ٤٧٣ من (الرسالة) تحت عنوان «تصويبات» في مقال للأستاذ أحمد يونس محمد تعليقاً على البيت الآتي الذي ذكره الأستاذ السيد يعقوب بكر للامام على:

من أي يوميّ من الموت أفر   أيوم لم يقدرَ أم يوم قُدر؟

أن البيت على هذا الوضع لا يتفق مع ما جاء بعده لأنه من بحر الرجز، وقد جاء في ديوان الإمام على هكذا:

أيّ يوميَّ من الموت أفر   يوم ما قدر أو يوم قدر

يوم ما قدر لم أخش الردى   وإذا قدر لم يغن الحذر

وهما من الرمل، ثم قال: على أنه إذا صح أن ديوان الحماسة لم يذكر غيره، فإنه يكون مكسوراً، لأن (لم) تقتضى الجزم، وهو لا يتمشى مع الوزن. انتهى كلامه

فالشق الأول لا اعتراض لي عليه. أما قوله بكسر البيت، فهذا خطأ، لأن الرواية بفتح راء يقدر، كما بسطت في كتب القواعد كالأشموني والمغنى منسوبة للحارث بن منذر الجرمى؛ فقد زعم اللحياني أن بعض العرب ينصب بلم كقراءة بعضهم (ألم نشرحَ لك صدرك)؛ وقول الشاعر:

في أي يوميَّ من الموت أفر أيوم لم يقدرَ أم يوم قدر ؟

وخُرجا على أن الأصل نشرحن ويقدرن ، ثم حذفت نون التوكيد الخفيفة ، وبقيت الفتحة دليلاً عليها . وقال أبو الفتح : الأصل بقدر بالسكون ، ثم لما تجاورت الهمزة المفتوحة والراء الساكنة ، أبدلوا الهمزة المحركة ألفاً ، كما تبدل الهمزة الساكنة بعد الفتحة (إعطاء للجار حكم مجاوره) ؛ ثم أبدلت الألف همزة متحركة لالتقائها ساكنة مع الميم

وأقرب للقياس أن يقال : نقلت حركة همزة أم إلى وراء يقدر ، ثم أبدلت الهمزة الساكنة ألفاً ، ثم الألف همزة متحركة لالتقاء الساكنين ، وكانت الحركة فتحة إتباعاً لفتحة الراء ، كما في (ولا الضالين) فيمن همزه

قال الدماميني : ويمكن أن تكون الحركة حركة إتباع ، وإن كان في كلمة

فعلى هذا يكون البيت موزوناً ، حيث لا ضميمة إليه من أبيات أخر

علي حسين محمد
المدرس بمعلمات أسيوط

سير النبلاء للذهبي

تذييلاً لما نشر الأستاذ الفاضل كوركيس عواد في العدد ٤٧١ من الرسالة ، نشير هنا إلى أن الأستاذ سعيد الأفغاني نشر جزءاً في ٤٠ صفحة من سير النبلاء للحافظ الذهبي بدمشق سنة ١٩٤١ وطبع بمطبعة الترقي . وهذا الجزء خاص بترجمة الإمام ابن حزم الظاهري مع مقدمة ضافية في حياة الذهبي بقلم الناشر ، نسخ له من خزانة إمام اليمن صاحب الجلالة يحيى حميد الدين . وسير النبلاء كتاب ضخم للذهبي في عشرين مجلداً ، وفي الخزانة المذكورة منه بضعة مجلدات .

وقد كتب وجيه الحجاز الشيخ محمد نصيف إلى الأستاذ الأفغاني يبشره أن جلالة الإمام يحيى أمر أن يبحث عن بقية المجلدات في أطراف المملكة اليمنية كما أمر بالشروع في نسخ المجلدات الموجودة لترسل النسخة إلى دمشق وتهيأ للطبع . وفي ذلك بشرى لأهل العلم والتاريخ في إحياء سفر نفيس يتفرد بمزايا ليست في مرجع آخر مطبوع ولا مخطوط كما يظهر ذلك من مقدمة هذا الجزء المطبوع .

(مطلع)

كم ذا

قرأت في العدد « ٤٦٢ » من مجلتكم الغراء كلمة بعنوان (كم ذا) يستوضح فيها الكاتب عن مدى صحة قول حافظ رحمه الله :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقي في حب مصر كثيرة العشاق

واطلعت على بعض الردود التي لم تنه الموضوع ، لذلك أحببت الإدلاء بهذه الكلمة إكمالاً لما سلف أن نشر

إن (كم) في البيت استفهامية ومميزها محذوف تقديره (كثيراً) أو ما هو في معناه :

إلى كم ذا التملق والتواني وكم هذا التمادي في التمادي

و(ذا) في بيت حافظ في محل نصب مفعول مقدم لـ (يكابد) وهو مما أضعف التعبير إلى حد كبير وكان مثار استيضاح الكاتب . وسبك الشطر منثوراً يكون هكذا : « كم كثيراً يكابد عاشق مصر هذا الألم » ، و « يلاقي » زائدة جيء بها للوزن وللقافية . على أن في البيت غلطة نحوية باستعمال لفظة (كثيرة) فهي إن نصبت على الحالية لم يستقم المعنى ، لأن كثرة عشاق مصر لا يكون حالاً من المكابدة . وإن جرت على الصفة احتاجت إلى التحلية بأل المعرفة . وبذلك ينكسر الوزن . وعليه يكون من الضرورة استبدال لفظة (الجمة) بلفظة (كثيرة) ليستقيم الوزن والمعنى معاً . وفي هذا الكفاية .

حسين الظريفي

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٧ يونية سنة ٩٤٢ في القضية ن ١٠٧٦ سنة ١٩٤٢ ضد علي قطب محمد طباخ بشارع صلاح الدين بكفر الدوار بالحبس شهرين مع الشغل وغلق محله ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه خبزاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة المنوفية العسكرية في الجنحة ٨٠٣ سنة ١٩٤٢ بحبس ابراهيم السيد سلامة البقال بميت بره مركز قويسنا شهراً بالشغل وإغلاق محله ثلاثة أيام لامتناعه عن بيع سكر بالسعر المحدد

حكمت محكمة محافظة مصر العسكرية في القضية رقم ٦٦٩ قسم السيده سنة ١٩٤٢ ضد محمد حسن مرسي ش ٣٨ بقال بشارع الحنفي ن ٢ لأنه باع صنفا من الأصناف الواردة بالجدول (سكر) بسعر ازيد من السعر المحدد فيه بالحبس خمسة عشر يوما بالشغل ونشر الحكم على نفقته بجريدتي الرسالة والأثنين والتعليق على متجره والقسم التابع له لمدة شهرين والغلق لمدة يوم واحد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 476

Lundi - 17 - 8 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٤٧٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٥ شعبان سنة ١٣٦١ — الموافق ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الصدق في الأدب

الصدق هو جُمَّاع الصفات الجوهرية للأدب الصحيح. هو مطابقة الخبر للواقع، ومجانسة الشيء للطبيعة، ومشابهة المثال للأصل، ومجاوبة العمل للعقيدة، وموافقة الأسلوب للقاعدة، ومناسبة الكلام للمقام، وملاءمة اللفظ للمعنى، ومواءمة الموضوع للكاتب. فلو ذهبت تتقصى أسباب ما تجد في العمل الأدبي من النقص أو الخطأ أو العبث أو الزيف أو الفساد أو التعمّل، لما وجدتها في غير الإخلال بالصدق في واحد أو أكثر من مدلولاته التي ذكرتُ. فالصفة التي لا تدل على شيء من حقيقة الموصوف، والكلمة التي لا تقع في وضعها من المعنى ولا في موضعها من الجملة، والصورة التي لا تتألف من خطوط الحاضر وألوان البيئة، والصناعة التي لا تقوم على أساس من الطبع والذوق، والحِلية التي لا تساعد الأسلوب على التأثير والإبانة، والموضوع الذي لا يسفر عن جانب من الجمال أو الحق أو الخير، والكاتب الذي لا يقف عند ما يحسن من فنون القول؛ كل أولئك تزوير على الطبع، وافتئات على الفن، وتلفيق من الهراء لا يدخل في الأدب ولو دفعوه دفعاً في أوسع أبوابه

إذا حكّمت الصدق في رأيك أمِنتَ التناقض؛ فلا يخالف ظاهرك باطنك، ولا يعارض آخرك أوّلك. وإذا حكمتَ

الصدق فى أسلوبك أمنت الفضول ؛ فلا تؤدى معنى بغير لفظه ، ولا تضع لفظا فى غير موضعه . وإذا حكمت الصدق فى نيتك أمنت النفاق ؛ فلا تقول ما لا تعتقد ، ولا تعتقد ما لا تؤمن بصحته . وإذا حكمت الصدق فى كفايتك أمنت المجازفة ؛ فلا تعالج ما لا تعلم ، ولا تنقد ما لا تفهم ، ولا تدَّعى ما لا تُثبت.

وإذا استحالت مراعاة الصدق فى بعض فنون الأدب كالقَصص المتخيَّل ، وجبت عليك مراعاة احتماله (La vraisemblance)

على ذلك أسوق إليك إذا سمحت جملة من إحدى افتتاحيات الرسالة لأطبق عليها شرط الصدق فى الشكل والموضوع والغرض. لم أختر هذه الجملة لأنها من نوابغ الجمل ، ولكننى اخترتها لغرض لا يشق عليك أن تلحظه فيما بعد

موضوع الجملة طفولة مجرم بالغريزة لم تفارقه نية الإجرام منذ درج إلى أن اكتهل . نشأ هذا الطفل فى (قريتنا) وفى (حارتنا) ، فأنا أصف حاله كما كان ، وأقص أمره كما وقع . الحارة ساحة فسيحة تستدير عليها البيوت ، فكأنها صحن دار كبيرة . والأطفال — وأنا منهم — يلعبون فى بُهرتها شتى الألعاب فى مرح وبهجة ؛ فإذا طلع عليهم هذا الصبى الشرير من داره انقطع اللعب وخبَّأ كل طفل لعبته . ثم لا يلبث الشجار أن ينشب بينه وبين الأطفال بنين وبنات بغير رفق ؛ فالقوى يثبت له فيضربه ، والضعيف يفر منه فيقذفه ، والبنت ترتاع فلا تدفع عن لعبتها يده . والبيوت على الحارة مفتحة الأبواب لا يحرس أمتعتها غير الأمانة ؛ ولكن المجرم الصغير ينتهز غفوة الأمانة فى نفسه فيدخل هذه البيوت ليسرق حبلاً أو وتداً أو كرة صبى أو بيضة دجاجة . فلما أيفع دخل (صبيًا) فى خدمة (جدعان) القرية ؛ وهم فى الريف كالفتوات فى المدن ، دأبهم الشجار والسرقة والفجور . وكان لهؤلاء الجدعان ليال مذكورة بالسطو واللهو ؛ فكانوا إذا فرغوا من تدبير الجريمة وتنفيذها ، أقاموا لزملائهم (وعملائهم) ولائم يكثر فيها اللحم والخمر والحشيش ، ويقوم عليها أحداث المجرمين مقام الخدام والنُّدُل ، كما يقومون فى تدبير الجرائم مقام الطلائع والرُّسل .

ولا أطيل عليك فقد صغَّرت هذه الصورة فى هذه الجملة :

« نشأ بين لِداته من أطفال القرية كما ينشأ الزنبور بين النحل أو الثعبان بين الحمام ؛ فكان لا ينفك ضارباً هذا بعصا أو قاذفاً ذاك بحجر ، أو خاطفاً لعبة من بنت ، أو سارقاً شيئاً من بيت ! فلما جاوز حد الطفولة دخل فى خدمة الفجّار والمجّان ، فكان يخدم أولئك فى تدبير الجرائم ، ويخدم هؤلاء فى إعداد الولائم . . . »

فأنت ترى أن هذه الجملة على إيجازها قد صورت نشأة هذا الطفل على الإجرام بالمعنى الذى لا تَزَيُّد فيه ، وباللفظ الذى لا بد منه ، وبالبيان الذى لا بأس به ؛ وإذا سلمت الجملة الفنية من اللغو والخطأ والنشأة سلم فيها عنصر الصدق وهو جوهر الأدب

ولكنك مع ذلك لا تعدم ناقداً يزعم أنه يضع (الميزان الجديد) للنقد فى (الثقافة) ، ثم يجازف باستخدام علمه بالأدب الغربى ، فى الحكم على أساليب الأدب العربى ، فيعتسف الرأى اعتسافاً لا يتسع له فيه عذر . فهو ينكر منطق العقاد ، ويظلم شعر على طه ، ويغمز أسلوب طه حسين ، ويحكم على سائر الأساليب المعروفة بمجافاة « الموسيقى والإيحاء والطبيعية »

هذا الناقد الفاضل قد اختار الجملة التى اخترتها ليبرهن بها على كذب الأسلوب لا على صدقه ! فهو يقول إن أسلوبها أشبه بأسلوب « المقامات » (كذا والله !) وأن القارئ يقرأها « فلا يتصور أن مثل هذا الرجل موجود » ودليله على ذلك أن وجوده لو كان ممكناً ما سألنى القراء عن حقيقته . والواقع أن الذى سأل فى الرسالة طالبٌ فى المعهد الجنائى ، وما كان سؤاله إلا عن مكان المجرم لا عن حقيقته . ثم يمضى الناقد على أن القطعة من الأدب المصنوع فيقول : « يا لله ! ولم لا يخطف لعبة من ولد وهو مجرم كبير ؟ (كذا !) ولم لا يسرق من جامع وذلك أيسر من السرقة من بيت ؟ وهل هو حقيقة لم يخطف إلا من بنت ؟ ولم لا يسرق إلا من بيت ؟ ... وهو يخدم المجرمين بتدبير الجرائم ، ولكن لم لا يخدم المجان بإعداد المقاصف ؟ وهل الوليمة أشهى من المقصف ؟ » فالناقد لا يرى بأساً فى أن نضع الولد بدل البنت ، والجامع بدل البيت ، والقصف بدل الوليمة ، لأننا فى ظنه لم نقصد إلى معانى هذه الكلمات وإنما قصدنا إلى المزاوجة والسجع ! هذا النقد أعوزَه الصدق فصدر عن هوًى أو جهل . وأىُّ الآفتين كانت المصدر فإنها ورَّطت الرجل فى نقد كلام لا يصدُق نقده إلا على افتراض الكذب فيه ! !

احمد حسن الزيات

أوهام تخلق متاعب

للدكتور زكى مبارك

فى صدر هذه الليلة عانيتُ متاعب كادت تقصم ظهرى ، وكدت أخشاها على حياتى ، ثم لطف الله فتبددت بعد ساعات كانت أطول من الآبادَ

فما تلك المتاعب ؟

هى متاعب خلقتها أوهام فى غاية من السخف ، ولكن النص عليها واجب لمنفعة القراء ، فقد يكون فيهم من تعتريه مثل تلك الأوهام في بعض الأحوال

التفتّ بغتةً فرأيت نفسى تراجع طوائف من الذكريات الموصولة بمعاملاتى مع جماعات من المعارف والأصدقاء ، فانقبض صدرى أشد الانقباض ، وتجسمتْ أمام خيالى ألوان الأوهام بصورة لم أشهد مثلها من قبل ، صورة مروِّعة قاسيتُ منها ما تقاسى النار من الريح المَعصُوف

وفى فورة تلك الكروب جاء لطف الله فرأيتنى أقول : ومَن أولئك وهؤلاء حتى أُعانى فى العتب عليهم مثل هذا العذاب ؟

إذا غدر بك القريب فليس بقريب ، وإذا تجنّى عليك الصديق فليس بصديق ، ومن واجبك أن تحفر قبراً تدفن فيه من لا يرعى حق القرابة ، ولا يحفظ عهد الإخاء . ما اهتمامُك بمن يرضيهم أن تَشقَى نفسُك ؟ وما عتبُك على من يسرهم أن تزلّ قدمك ؟ وما حزنُك على ضياع مودّة كان يجب أن تضيع لأنها فى رعاية الضائعين ؟ ! أمن أجل خلائق مِراض القلوب تُمرض نفسك ؟ أمن أجل إخوانٍ غدَرة تؤذى قلبك ؟ أهؤلاء وأولئك يستحقون أن تفكر فيهم ساعةً من ليل ؟ وهل أكرموا أنفسهم حتى يكرموك ؟ وهل أعزوا حياتهم حتى يُعزوك ؟ إن حزنك لما صنعوا معك دليلٌ على أنك دائم الإشفاق عليهم ، وقد نصحك الشاعر صادق رستم حين قال :

شرُّ البليَّة إشفاقٌ على فئةٍ
لو كنت تؤكل ما عفُّوا ولا شبعوا
تبيتُ تبكى لصَرف الدهر يفجعهم
ولو رأوك على الأعناق ما دمعوا !

لا تشفِق عليهم ، وأشفق على نفسك أيها الغافل عن حقائق الخلائق ؛ فلو أنك استبقيت ما أنفقت من الوقت فى صحبتهم لتنفقه فى تربية الخنازير ، لكنتَ اليوم من كبار الأغنياء ... وقد نصحك المثَل المصرىُّ فما انتصحت ، المثَل الذى يقول : « كلُّ ما تزرع ينفعك ، إلا ابن آدم تزرعه فيقلعك » ! وهؤلاء يحققون صدق هذا المثل أفظع تحقيق ، فهم يقوّلونك ما لم تقل ، ويذيعون عنك أغرب الأحاديث ، وقولُهم فيك مسموع ، لأنهم عرفوك ، ومن حق من عرفك أن يقول فيك ما يشاء

وما ضرَّنى إلا الذين عرفتُهم
جزَى الله خيراً كلَّ من لست أعرفُ

ما جزَعُك من غدر صديق ؟ وما حزَنُك من لؤم أليف ؟ أنتَ أنتَ ، ولن يكون بلاؤك بأولئك وهؤلاء غير سحابة صيف ، ثم ترجع إلى إسباغ نعمائك على الجاحدين

تذكَّر يا غافل فضل الله عليك . تذكَّر أنه عصمك من الجحود حين أغناك عن الناس ، والجحود رذيلة لا يتعرض لها غير المبتَلَيْن بتقبُّل إفضال المفضلين من أهل الكرم المطبوع أو المصنوع

أنت تتحدث كثيراً عن التأدب بأدب الله ، فهل تأدبت بذلك الأدب الجميل ؟

إن الله يسبغ نِعمه على الكافرين بعزته السامية . إن الله يعطى الملحدين أضعاف ما يعطى المؤمنين ، كما يفعل الأب الرحيم حين يؤْثِر الابن السقيم على الابن السليم ، فما أنت وذلك الأدب الرفيع ؟

وأراك تبدئ وتعيد فى أحاديث البر بأصدقائك ، ولو ناقشوك لأفحموك ، فما قبلوا بِرك إلا حين اطمأنوا إلى أنك رجلٌ كريم ، والكريم غير منَّان

وما الوقت الذى تقول إنك أغدقته على الجاحدين من إخوانك ؟ لقد دفعوا ثمن المعروف أضعافاً مضاعفة ، لو كنت تنصف ، دفعوه تحيات وابتسامات ، وهى معان تفوق كرائم

الأثمان ، ودفعوا ما هو أعظم ، لو كنت تعقل ، فقد أشعروك بلسان المقال أو لسان الحال أنك رجلٌ نفَّاع ، وذلك أعظم ما يوصف به أكابر الرجال

أنت تمنّ على أصدقائك ؟ فما ذا أبقيت للمتجرين بالأخلاق ؟!

كان الظن أن تنسى جميلك إن كنت من أصحاب الجميل ، ولكنك . . .

وهنا أفقتُ قليلاً فسألتُ نفسى عن سبب التفوه بذلك المنّ السخيف :

ماذا أكلت اليوم من الطعام ؟ ومن لقيت من الناس ؟

يجب أن أعرف ما وقع فى يومى هذا ، لأعرف سبب السخف الذى وقعت فيه حين مننت على معارفى وأصدقائى

فى عصرية اليوم - وهو الخامس من شهر آب - كنت أهنئ فلانة بعيد ميلادها السعيد ، وفى لحظة من لحظات الصفاء حدثتها أنى ولدتُ فى مثل هذا اليوم ، فهتفت بحماسة مصحوبة بالحنان :

Nous arrivons en même temps !

نعم ، يا سيدتى ، وثمرات الأعناب فى شهر آب

ثم قُلقِلتْ نفسى قلقلة عنيفة حين تذكرت أنى لا أحتفل بعيد ميلادى كما يحتفل أكثر الناس ، وكيف يتيسر ذلك وأنا أُخلَق فى كل لحظة خلقاً جديداً ، باعتبار ما يَرِدُ على عقلى وروحى من شتيت الآراء والأهواء ؟

وسألتنى عما أستظرف من هدية الميلاد فأبيت الإفصاح عما أريد ، وإن كنت أشرت إلى أنى معجب بدالية مسلم بن الوليد !

وغفلة فلانة عن مدلول هذه الإشارة لم تزعجنى ، لأنها قليلة المعرفة بقصائد صريع الغوانى !

فما السبب الأصيل لاضطرابى وانزعاجى فى هذا المساء ؟

لعل السبب يرجع إلى أنى قضيت صباحية اليوم بوزارة المعارف ، وهى مملوءة بالمراوح ، ولتفصيل ذلك أقول :

فى مكاتب كبار الموظفين بوزارة المعارف مراوح كهربائية تدور من جانب إلى جانب ، ليقلّ خطرها فيما يقال ، وأنا رجلٌ يؤذيه البرد الطبيعى أشد الإيذاء ، فكيف يتحمل البرد الصناعى وهو ثقيلٌ ثقيل ؟

أنا لا أخاف المراوح الثابتة ، لأن تجنب تيارها مستطاع ، وإنما أخاف المراوح الدوارة ، المراوح التى تغزو الصدور والمفاصل برغم التحرز والاحتراس

وهذه المراوح كثيرة فى وزارة المعارف ، وأنا منها فى شقاء وعناء ، ولا سيما المروحة الجاثمة بمكتب تفتيش اللغة العربية ، ومن أجل هذا أوصي زائرىّ بمقابلتى فى مكتب الأستاذ على أدهم سكرتير الرجل النبيل شفيق بك غربال ، لأنه مكتبٌ مضنونٌ عليه بالمراوح لبساير الطبيعة فى أمان

وآه ثم آه من المراوح فى وزارة المعارف !

إنها تخلق تيارات عنيفة الإيذاء ، وهى السبب فى بلبلة بالى فى هذا المساء

وأعجبُ العجب أن المراوح الدوّارة تحتلّ جميع المكاتب الحكومية ، وكأنها النمائم المبذولة بغير حساب ، فأين من يرحمنا من تلك الرياح الباغية ؟ وأين من يعرف أن القيظ فى أحر أحواله أروح من البرد ؟

عرفتُ بالضبط والتحديد سبب اعتكارى فى هذا المساء ، فما عن لؤم أو حقد غمزت معارفى وأصدقائى ، وإنما هى جناية المراوح بوزارة المعارف ، وسيأتى يومٌ قريب أو بعيد تُرفَع فيه تلك الآصار الثقال

إن قوماً يعجبون من ثورتى على الناس والزمان ، فهل يعرفون أن المراوح تلفح وجهي فى كل مكان ؟

لو صفا دهرى لصفوت ، ولو عدل زمنى لعدلت ، واختلالُ الموزون يُخلّ الميزان

بمن أثق ؟ وعلى من أعتمد ؟ وما اطمأننت إلى صديق إلا رأيته بعد حين أو أحيان وصوليًا عديم الروح والوجدان

ومع هذا أصفح عن أبناء زمانى ، لأنهم أبناء الزمان

ومع هذا أيضاً أبتسم حين يلقانى فلان وعلان

فضحتكم يا جماعة المنافقين ، فالتمسوا قلباً غير قلبي ، وجبيناً غير جبيني ، وانتظروا غضب الله على جميع المرائين

ثم ما ذا ؟

ثم أشير إلى غربتى فى وطنى بالفكر والروح ، غربة قاسية لا ترحم ولا تلين ، غربة أتوحَّد بها توحُّد الليث فى العرين .

زكي مبارك

سيكولوجية إدلر

تلخيص وتبسيط

للأستاذ محمد أديب العامري

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

مجتمعنا اليوم فى الشرق قلما يضع الفرد فى موضعه المناسب فى الحياة . ولذلك يلازم المرء شعور الوحشة مما يجده فى نفسه من نقص ومما يجده فى المجتمع من عدم إفساح الطريق له ليعوض بالبروز فى ناحية منه شعوره بالنقص . وليس المجتمع فى الغرب أحسن بكثير مما هو عليه فى الشرق ؛ ولكن إدلر يرى أن المجتمع الراقى لا يتخلف عن إسداء كل فرد منه ما يستحقه بالنسبة لكفايته . وهذا يفسح المجال للمواهب . فإذا فحصنا عباقرة التاريخ وجدنا فى كل واحد منهم نوعاً من النقص . فضعف البصر ضعف شائع فى العظماء . وبعض العظماء والناس يعانون ضعفاً فى معدهم وأمعائهم . وفى الأطفال والناس من يكون أيسر فلا يستطيع أن يستعمل يده اليمنى ، ومنهم من يكون غبياً يتلعثم ، ومنهم من يكون بالغ القصر الخ ... كل هـذه عوامل تولد الشعور بالنقص

فإذا أثر النقص فى الإنسان تأثيراً شديداً تولد فيه « مركب النقص » ، وظهرت لذلك بوادر كثيرة مختلفة . فبعض الناس تراهم فى حركة دائمة ، فإذا مشوا ضربوا الأرض بأرجلهم ، وإذا تحدثوا رفعوا أصواتهم ليسمعهم الناس ، ولهم أمزجة حادة وانفجارات عاطفية فجائية . ومن الناس من يتناقض فى آرائه وأعماله ، ومنهم من يتردد تردداً عظيماً ، فلا يستطيع أن يحزم فى أمر . كل ذلك من علائم المرء وقد أصيب بشعور بالنقص . ومما يدل على شعور النقص فى إنسان ، الوقوف المعتدل المتوتر الذى يدفع المرء فيه برأسه إلى الأعلى على شكل ملحوظ ، أو طأطأة الرأس إلى الأرض أثناء المشى ، أو الاعتماد المستمر على الطاولة أو الجدار أو العصا حين الوقوف . والطفل الذى يحب الاستناد إلى أمه أو يخاف من مواجهة الناس فيظل متهيباً منفرداً طفل يحس بالنقص . والرجل الذى يتجافى عن المجتمع ويتحاشاه إنما يفعل ذلك فى الغالب لأنه يتملكه شعور بالنقص . والخوف صفة من هذا القبيل كذلك . وهنالك نوع من الجرأة لا يختلف عن الخوف ، فالإنسان أحياناً يتملكه تهور فجائى نادر يدفعه إلى الهلاك

ويرى إدلر أن الخوف والشجاعة مرتبطان بالإيمان بالقضاء والقدر . وهو يقول : « إن الإيمان بالقضاء والقدر مخرج يخلص به الإنسان من الجهاد والبناء المفيد فى الحياة . إن هذا الإيمان دائماً دعامة واهية يستند إليها الإنسان »

والغيرة باعتدال صفة عادية معروفة ، ولكنها إذا اشتدت كانت من علامات الشعور بالنقص . أما الحسد فدليل مركب نقص شديد عميق . ويوافق علم النفس الفردى على أن « الحسود لا يسود » وأنه لا يمكن أن يكون الحسد مفيداً على أى شكل من الأشكال .

التحليل النفسى

تصبح بذلك طريقة التحليل النفسى عند إدلر واضحة . إن هذه الطريقة تعتمد على فهم الشخصية الإنسانية المحلَّلة ، وترمى بشكل خاص إلى النفاذ إلى هدف هذه الشخصية فى الحياة ، وعلى أساس من ذلك يوصف العلاج النفسى . وللوصول إلى هذا يجب أن يفهم (طراز الحياة Style of Life) للانسان المحلل . وأن تدرس التذكارات القديمة ، والأحلام التى يحلمها . [وطراز الحياة] هذا هو الشكل الذى تكون شخصية المرء قد استوت عليه بعد نموها خلال السنوات الأولى . ويمكن أن يفهم هذا الطراز من دراسة أوضاع الإنسان وخاصة فى حالاته غير الطبيعية ؛ فالإنسان السوى هو الإنسان الذى يستفيد المجتمع منه ، والذى يكون له من الإقدام والجهود ما يتقوى به على مشكلات الحياة . إن الرجل الذى ينحرف عن هذا لا يكون سوياً ، ويمكن مراقبته ومعرفة دائه ، ومن ثَم معرفة طريقة إصلاحه

ويروى إدلر حكاية رجل كان من صفاته أنه خجول شديد الشك فى أصدقائه . فمثل هذا الرجل لا يمكن بشكه أن يكون ذا أصدقاء ، ولا يمكن لشدة خجله أن يخالط الناس . ثم إنه كان شديد الخوف من الفشل فى عمله ؛ فحمله ذلك على شدة العمل حتى أنهك نفسه . ويعتبر هذا الرجل فاشلاً فى علاقاته الاجتماعية

كما يعتبر فاشلاً فى عمله . إنه يحس إحساساً عميقاً بالضعف . وقد لوحظ أنه فى مشكلة الحياة الثالثة — الحب — كان شديد التردد . فإنه كان يتنقل فى حبه من فتاة إلى أخرى، ثم لم يتزوج قط . وكان هـذا الرجل بكر أبويه . وبكر أبويه فى نظر إدلر يتعرض فى الغالب للحرمان كله أو بعضه من جراء العناية بالطفل الثانى التى يشاهدها البكر . وهذا الحرمان يولد فى نفسه الشعور بالنقص . ومثل هذا الرجل إذا أردت أن تمكنه من أن يتغلب على شعوره بالنقص وجب أولاً أن توضح له أنه يقدر نفسه دون ما تستحق ، كما يجب أن توضح له تزمته فى ملاقاة الناس ووجه خطئه فى تخوفه من أن يفضّل عليه أحد من الناس

وأما عن ذكريات الإنسان القديمة ، فإن المرء يتذكر ما له أهمية فى نفسه . ولا عبرة بأن تدل ذكريات الإنسان على نموذجه الأول (ال Prototype الذى تقدم ذكره) ، لأنها تشير إلى ما وقع من أمر هام ، وإلى ما يقع على مثاله ، لأن شخصية الإنسان الأساسية لا تتغير . ويصلح هذا الوضوع للمقارنة بما اكتشف عن الإنسان بوسائط أخرى . وللحصول على الذكريات القديمة يطلب إلى الإنسان أن يرتد بذاكرته إلى حداثته وأن يتذكر من ذلك ما يتذكره

وقد يجد المحلل صعوبة فى هذا ، لأن المريض قد يقول إنه لا يذكر شيئاً . ولكن الإلحاح عليه يثمر دائماً ثمرة طيبة ، فيتذكر المريض شيئاً . إن ما يذكره الآن له أهمية لأنه يدل على وصفه الأول - الحالة التى نشأ عليها . والذاكرون من الناس يذكرون أشياء كثيرة مختلفة بالطبع ، ولكن براعة المحلل تردها إلى أصول محدودة

فبعض الناس مثلاً يقول إنه يذكر أنه سمع صوت قاطرة ، وبعضهم يذكر أنه أكل أكلة لذيذة ، وبعضهم يذكر أشياء تتعلق بأمه وأبيه ، وبعضهم يذكر حالات مرضية أصابته ، وبعضهم يذكر شيئاً يتعلق بملابسه أو أنه خُرب أو حُرم... الخ فوظيفة المحلل هنا أن يرد هذه الأشياء إلى أصولها ، ليجد منها شخصية المرء الأولية وليربط ذلك بشخصيته الحاضرة على اعتبار أن أساس شخصية الإنسان لا يتغير بتقدم السن

يذكر الإنسان مثلاً من قديم ذكرياته أن أمه ضربته وعنفته حتى فر منها هارباً ، وضل الطريق حتى خاف على نفسه الموت . فمثل هذه الذكرى تشير إلى عامل قوى من عوامل التخوف ، لا بد وأن يكون قد دخل فى تكوين شخصية الإنسان ، وهذه الحالة تقرب من الواقعية ، فإن صاحبها حين دخل الجامعة ليتعلم ظل خائفاً من الرسوب فى الامتحانات الجامعية بالرغم من ذكائه . فلما تخرج قتل نفسه اجتهاداً فى الحياة لئلا يفشل فيها ، فهو يلعب فى حياته من حيث الأساس دور الرجل الخائف ، وهذا هو شعور النقص الأساسى فى نفسه

ونموذج الحياة الأول للانسان يظهر منه شىء فى الأحلام ، فالحلم عند إدلر لا يخرج عن كونه قسماً من طراز الحياة . والنموذج الأول دائماً منطوٍ فيه . ومن هنا كانت معرفتك لإنسان مؤدية إلى معرفة نوع أحلامه ، ومعظم أحلام الناس أحلام خوف ، لأن النوع البشرى جبان . ويحلم المرء أحلاماً مخيفة ، لأنه فى يقظة ، دائماً يتوجس من الفشل ، ويحاول أن يتخلص من الحياة بالهرب من مشاكلها . هو يبحث عما يجنبه متاعبها ، هذا هدفه ، والحلم يؤيد له هذا الهدف ، ولا فاصل عند إدلر بين النوم واليقظة ، فإن طرف أحدهما منساب فى طرف الآخر ، فنحن فى النوم نسمع ونفكر ونحس إحساسات عامة ، وتستهدف أحلامنا — على العموم — هدفاً من العظمة يخلصنا مما نحس به من شـعور بالنقص ، ولكن فى الأحلام نوعاً من التشويش أو الغش والتمويه على النفس ؛ ولذلك فالذين يفكرون تفكيراً منطقيًّا ويواجهون حقائق الحياة لا يحلمون إلا قليلاً ، أو لا يحلمون قط . إن المرء يضع أحلامه ، فأحلامه تتجه فى محتوياتها إلى ما يتجه هو إليه فى الحياة ، ومن أحلامه يتضح لك شىء من هدفه فيها

فأنت تستطيع إذن بمختلف هـذه الأساليب أن تتصل بمعرفة « النموذج الأول » الذى ينشأ عليه الإنسان و « طراز الحياة » الذى يتبعه . ونستطيع من ذلك أن نعرف النقطة المركزية التى يدور عليها شعوره بالنقص ، والطريقة التى يحاول أن يعوض بها عن هذا النقص . وإن النقطة المركزية على كل

حال نوع من النقص . وهذا الضعف نفسه يحمل المرء رجلاً ، كما حمله طفلاً على التزام جانب المجتمع والشعور بحاجته إليه . فطريق الإصلاح الأساسى لأى إنسان أصبح شعوره بالنقص مركباً أنه يؤثر فى حياته فيدفع به إلى نواح غير مفيدة ، هو تعديل مركز الفرد فى المجتمع وتسويته . ومرة أخرى يتلخص هذا التعديل فى تحسين موقف المرء من الناس ومن مهنته ومن مسألة زواجه

ولا أقصد أن أطيل أكثر مما قد فعلت ؛ فالطريقة التى يمكن أن ينشأ بها طفل لكى يكون إنساناً سوياً هى أن يعامل بعدل واحترام . ولكن الشاب الذى يتم تكوين طراز حياته على صورة معوجة يجب أن يدرس وأن تعرف مزاياه وأن يوجه نظره إليها . فإدلر يعتقد أن « كل إنسان يصلح لكل شىء » . فإذا فتحت للشاب آفاق جديدة وسوعد فى التغلب على ضعفه ، اندفع فى الحياة من جديد . وقد عولجت عملياً حالات كثيرين من المرضى العصبيين ومن حالات قريبة من الجنون على هذا الأساس فنجحت طريقة العلاج

أما فى ناحية المهنة فيحذر إدلر من الاستعلاء الذى يجده كل شاب فى نفسه حين يعمل مع غيره . هذا الاستعلاء يحمله على الفوضى وعدم الطاعة للرؤساء . وليس من السهل إيجاد عمل لمبتدئ لا يرأسه فيه أحد . فإذا لم يعرف كيف يتلقى الأمر من رئيس له لم يقدر على التقدم . وإذا لم يحسن التصرف مع الناس على اعتبار أنه رجل اجتماعى فلا سبيل إلى نجاحه . ولا يعنى إدلر فيما اطلعت عليه من كتاباته إلى اليوم ، بمظالم عميقة تقترفها البشرية فى حق نفسها ولا تفيد فيها نصائحه ، ولكننا نغض النظر عن ذلك الآن

وحل مشكلة الحب عند إدلر يدخلنا فى بحث يختلف عما تثيره حياتنا الاجتماعية فى الشرق من مشكلات فى هذا السبيل . ولكن مما لا ريب فيه أن الرجل المصاب بداء الشعور بالنقص قد يحجم عن الزواج خوفاً من تبعات الحياة الجديدة . وضعف الإنسان عامة عن مواجهة إنسان من الجنس الآخر ينتج عن إحساس بالنقص يحمل صاحبه على التردد والحياء

(السلط) محمد أديب العامرى

شعر على بن أبى طالب

للأستاذ محمد محمود رضوان

تمهيد

وفق الأستاذ السيد يعقوب بكر فى بحثه الذى نشرته الرسالة[١] عن شعر على بن أبى طالب أحسن التوفيق . والحق أن هذه المسألة من المسائل المشكلة الكثيرة التى تحتاج إلى البحث والتمحيص فى أدبنا العربى ، وقد سبقنا المستشرقون إلى هذا النوع من البحث فجلوا كثيراً من الحقائق ، وكشفوا كثيراً من الشبهات . ولو لا ما يلبس آراءهم فى كثير من الأحيان من تعصب تمليه النعرة الدينية ، وما يجرمهم من شنآن تزكية العصبية الجنسية ، لكان لبحوثهم شأن غير هذا الشأن .

وهذه المسألة — شعر على بن أبى طالب — كتب فيها المستشرقون ، وقد ناقش الأستاذ بكر فى بحثه آراءهم ومن ثم اهتدى إلى رأيه الأخير . وعندى أنه أقرب إلى الحق والمعقول ، وأعنى به أن على بن أبى طالب كان يقول الشعر وإن كان مقلاً ، وأن بعض ما نسب إليه فى المراجع العربية صحيح ، وأن أكثر ما فى ديوانه من الشعر مكذوب مصنوع .

لسنا نخالف الأستاذ إذن فيما وصل إليه ؛ ولكن عنَّت لنا فى بحثه بعض آراء ومآخذ نجملها فيما يلى :

الشعر المنسوب لعلى

ذكر الأستاذ جملة أشعار منسوبة إلى على فى عيون الأخبار ومعجم الأدباء ومقاتل الطالبيين والعمدة وحماسة البحترى وكامل المبرد والعقد . ثم قال : « نستطيع أن نقول واثقين إن هذه الأشعار التى وجدناها هى معظم ما فى هذه المراجع من الشعر المنسوب إلى على » اهـ

وأقول إن ما رواه الأستاذ — وهو لا يعدو ثمانية وعشرين بيتاً — قلٌّ من كثر مما نسب فى المراجع العربية المعتمدة إلى على ، ولو أحصى لكان أضعاف ما روى . وأذكر على سبيل المثال ما رواه صاحب تاج العروس (ج ٧ ص ٨٥) أنه قال يوم خيبر :

دونكها مترعة دهاقا كأساً زعافاً مزجت زعاقا

وما رواه ابن هشام فى المغنى . وقال السيوطى فى شواهده « عزاه المصنف لعلى بن أبى طالب » :

(١) راجع الأعداد ٤٦٩ ، ٧١ : ٤٧٢

فلما تبينا الهدى كان كلنا على طاعة الرحمن والحق والتقى

وغير ذلك كثير مما تجده فى مروج الذهب والعقد وتاج العروس ونهاية الأرب ، وشرح المضنون ، وتاريخ ابن عساكر وكامل المبرد والتحفة الناصرية وجمهرة ابن دريد واللسان وغيرها .

ويلحق بهذا المأخذ فساد الاستدلال الذى بناه الكاتب على وجود هذه الأشعار فى المراجع العربية إذ استدل بوجودها فيها ووجودها فى ديوان علىّ على صدق نسبتها إلى على .

أقول إن هذا استدلال فاسد إذ من البدهى أن الذى وضع ديوان علىَ أو جمعه قد نقل ما فى المراجع العربية جميعاً منسوباً إلى على ولعله زاد عليه ... فليس فى هذا دليل .

من أسباب الخطأ فى نسبة الشعر إليه

ويرى الكاتب أن هذه الأشعار قد وضعها أناس مختلفون معظمهم من الشيعة وأنهم نسبوها إلى على حباً فيه ... ثم جاء جامع الديوان فجمع كل ما عثر عليه من الشعر المنسوب إلى علىّ الخ

وأنا مع موافقتى على هذا الرأى أرى أن هناك سبباً آخر غير مقصود فى عزو كثير من هذه الأشعار لعلى ، ذلك أن علياً رضى الله عنه كان كثير التمثل بشعر العرب . ومن ثم ظن الرواة أنه قائل الشعر الذى تمثل به فنسبوه له خطأ :

١ — خذ مثلاً قول الشاعر :

أفلح من كانت له مزخَّة يزخُّها ثم ينام الفخَّة[١]

ذكره صاحب اللسان فقال : « وفى حديث على رضى الله عنه ... أفلح ... البيت » (اللسان ج ٤ ص ١٠) وعبارة ابن الأثير « وفى حديث على ... أفلح ... البيت » (النهاية ج ٣ ص ١٨٧)

فأنت ترى أن البيت ورد فى حديث لعلى ، ومن ثم ظن الرواة أنه قائله فنسبوه إليه ... فى المزهر (ج ٢ ص ٢٠٦) ما نصه : « وقال ابن دريد : روى عن على رضى الله عنه . أفلح . البيت »[٢] . والذى رواه البطليوسى فى (الاقتضاب ص ٣٨٣)

أفلح من كانت له قوصرَّة يأكل منها كل يوم مرَّة

قال الشارح : « يروى هذا الرجز لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه » ثم ذكر البيت الذى معنا على أنه مثل هذا البيت[٣]

(١) ينام الفخة أى يغط فى نومه

(٢) وراجع أيضاً جمهرة ابن دريد (ج ١ ص ٦٦)

(٣) رواه البكرى فى سمط اللآلى ص ٥٠٢ بقوله : « قال الراجز » وعلق محققه الأستاذ الميمنى بقوله : « الشطران رويا فى حديث لعلى فنسبا إليه » نت : ورواهما ابن سيدة أيضاً فى المخصص بقوله : « وأنشد » ج ٥ ص ١١٢

٢ — وقال المبرد فى (الكامل ج ٢ ص ١٥ طبعة التجارية) « وأحسن ماسمع فى هذا ما يعزى إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقائل يقول هو له ، ويقول آخرون قاله متمثلاً ، ولم يختلف فى أنه كان يكثر إنشاده :

فلا تفش سرك إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا
وإنى رأيت غواة الرجا ... ل لايتركون أديماً صحيحا(١)

فأنت ترى تشابه القول على الرواة فيما كان يتمثل به

٣ — وأبلغ من هذين الشاهدين ما نقله العينى عن البيت المنسوب لعلى :

أى يومي من الموت أفر ... يوم لم يقدر أم يوم قدر

أن ابن الأعرابى قال : « هو للحارث بن المنذر الجرمى وليس لعلى رضى الله عنه ، ولكنه رضى الله عنه تمثّل به » (المقاصد النحوية بهامش خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٤٧)

الزيادة فيما صح من شعره

وثم طريق آخر سلكه المزيفون على علىّ رضى الله عنه من الشيعة وغيرهم . ذلك أنهم عمدوا إلى البيت أو الأبيات اشتهرت نسبتها لعلى فزادوا عليها — قبلها أو بعدها — وتستطيع بقليل من النظر أن تتبين الزيادة من اختلاف النظم والأسلوب وتهافت المعنى

خذ مثلاً بيتيه اللذين أجمعت كتب الأدب على أن علياً قائلهما ، بل إن المازنى — وصوبه الزمخشرى — لم يكن يصحح نسبة شعر لعلى إلا هذين البيتين وهما :

تلكم قريش تمنّانى لتقتلنى ... فلا وربك ما بروا وما ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمتى لهم ... بذات ودقين لا يعفو لها أثر

ثم لرجع إلى شرح شواهد المغنى ص ١٧٦ نجد قبلهما ثلاثة أبيات وبعدهما ثمانية أبيات لا تشك بعد أن تقرأها أنها مصنوعة وترى فيها أثر الصنعة والتشيع والحديث عن المهدى المنتظر

وسوف يُبعث مهدى بسنته ... فينشر الوحى والدين الذى قهروا
وسوف يعمل فيهم بالقصاص كما ... كانوا يدينون أهل الحق إن قدروا

وغير ذلك كثير نمسك عن ذكره خوف الإطالة

رأى آخر فى شعر على

وثم رأى آخر أرادوا به التوفيق بين ما قاله المازنى والزمخشرى ويونس وغيرهم أن علياً لم يقل من الشعر إلا البيتين السالفين ، وبين ما ذكره الآخرون من شعره

وقد وجدت هذا الرأى للزبيدى فى تاج العروس « مادة خيس » ؛ فقد روى أن علياً بنى سجناً سماه المخيس فقال فيه :

أما ترانى كيّساً مكيّساً ... بنيتُ بعد نافع مخيّسا(١)
باباً حصيناً وأميناً كيّسا

قال الزبيدى : « قال شيخنا تبعاً للبدر : وهذا ينافى ماسيأتى له فى ورق أنه لم يثبت عنه أنه قال شعراً . . . الخ » ؛ قلت : « ويمكن أن يجاب أن هذا رجز ولا يعد من الشعر عند جماعة »

وأنت ترى أنه تخريج تافه ، لأن كثيراً مما روى لعلى من الشعر ، وإن كان له بعض الرجز . والبيتان اللذان سلف القول فى صحته نسبتهما له من الشعر لا الرجز . هذا علاوة على أن الرجز من الشعر كما صححه جلة العلماء

تصويبات فى الشعر المنسوب له

١ — نقل الأستاذ عن العمدة لابن رشيق أبياتاً لعلى قالها يوم صفين يذكر همدان ونصرهم إياه ، منها :

ونادى ابن هند فى الطلاع وحمير ... وكندة فى لخم وحىّ جذام

قلت : يلوح لى أن فى هذا البيت تحريفاً كبيراً ؛ وأرى أن صوابه :

ونادى ابن هند ذا الكلاع وحميراً ... وكندة فى لخم وحى جذام

و « ذو الكلاع » : رجل من حمير قاتل مع معاوية فى صفين أخرجه معاوية حين أخرج علىّ سعيد بن قيس الهمدانى سيد همدان ؛ وأخرج معاوية أيضاً عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى حمير ولخم وجذام : (راجع مروج الذهب ج ٢ ص ٢٠) ؛ وقد قتل ذو الكلاع فى صفين

٢ — ونقل عن العمدة أيضاً من شعر على فى صفين :

لمن راية حمراء يخفق ظلها ... إذا قيل قدّمها حصينُ تقدّما
فيوردها فى الصف حتى يَرُدّها ... حياضَ المنايا تقطر الموت والدما

قلت : فى هذا الشعر تحريف فى موضعين : الأول فى حصين والصواب : « حضين » بالضاد المعجمة ، وهو تحريف واقع فى أكثر كتب الأدب : كالعمدة والعقد ومروج الذهب والبيان والتبيين والتصويب عن الأمالى (ج ٢ ص ١٥٨) وسمط اللآلى ص ٨١٧ ، وابن عساكر ج ٤ ص ٣٧٤ ، وتاج العروس ج ٧ ص ٨٠ . قال البكرى فى سمط اللآلى : « هو حضين بالحاء المهملة والضاد المعجمة ابن المنذر بن الحارث الرقاشى يكنى

(١) البيتان فى مجموعة المعانى ص ٧١ على أن علياً كان ينشدهم كثيراً

(١) « نافع » : اسم سجن قبل المخيس نقبه اللصوص

أباساسان ، وكان رئيس بكر وحامل رايتهم يوم صفين وله يقول علي بن أبي طالب : لمن راية ، البيت »

وفي تاريخ ابن عساكر ترجمة له قال فيها : « ولا أعرف من يسمى حضيناً بالضاد المعجمة والنون غيره »

والتحريف الثاني في « حتى يردّ بها » : وهو ظاهر لأنه لا عامل بجزم الفعل

والبيت ورد في « العقد الفريد » ثلاث مرات : ثنتان منها « حتى يزرها » وواحدة « حتى يردها[1] » ؛ وكل ذلك تحريف ؛ والصواب : ما في تاريخ ابن عساكر من أبيات خمسة تختلف روايتها قليلاً : وفيها « حتى يقيلها[2] » ؛ وهي كذلك أيضاً في « تاج العروس » من أبيات أربعة ج ٧ ص ٨٥

هذا ، ورواية العمدة « راية حمراء » أصح الروايات خلافاً لسائر كتب الأدب التي ترويها « راية سوداء » ، لأن راية علي بصفين كانت حمراء لا سوداء

٣ — ونقل عن حماسة البحتري لعلي — رضي الله عنه — :

من أي يوميَّ من الموت أفر ... أيومَ لم يقدرَ أم يوم قُدرْ

قلت : الرواية كذلك في مروج الذهب (ج ٢ ص ٢٥) وهذا البيت من شواهد الأشموني والمغني ، والنحاة يستشهدون به في باب الجوازم على النصب بلم في لغة ؛ ولهم في تخريجه كلام كثير ورواياتهم له « في أي يومي الخ ... »[3]

والبيت كما ترى من بحر الرجز ، ولكن كتب الأدب تذكر معه بيتاً ثانياً من بحر الرمل ومحرف في الأول بعض التحريف لإخراجه من الرجز إلى الرمل ليتفق البيتان ، فرواية العقد الفريد (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١ — ١٢٣ ، وطبعة العريان ١ — ٨٣)

أي يوميَّ من الموت أفر ... يوم لا يقدر أم يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا ينجي الحذر

وهي شبيهة بالرواية في ديوان علي

ولم يشذ عن ذلك — على ما أعلم — إلا النويري ، فقد ذكر البيتين من الرجز فقال (نهاية الأرب ٣ — ٢٢٧)

من أي يومي من الموت أفر ... أيوم لا يقدر أم يوم قدر[1]
فيوم لا يقدر لا أرهبه ... ثم من المقدور لا ينجو الحذر

ثم نعود إلى نسبة هذا البيت لقائله ؛ فبعضهم ينسبه لعلي رضي الله عنه، وآخرون ينسبونه للحارث بن منذر الجرمي، ومن هؤلاء العلامة الأمير في حاشيته على المغني (١ — ٢١٧) والسيوطي في شرح شواهد المغني (ص ٢٣١) ، ويظهر أنهم نقلوا ذلك عن ابن الإعرابي الذي نسب له العيني هذا الرأي فيما ذكرناه آنفاً .

أما العيني فيقول « أقول : قائله هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كذا قاله أبو عبادة البحتري في حماسته »[2]

وقد أخطأ السيوطي ، فذكر في شرح شواهد المغني البيت — من الرجز — ثم قال إنه أول مقطوعة للحارث بن مَنذر الجرمي وذكر بعده أبياتاً منها

إن أخواليَ من شقرة قد ... لبسوا لي عمساً جلد النمِر

وهذه الأبيات من الرمل كما ترى . والبيت كما تذكره كتب النحاة ومنها المغني من الرجز ، فلا يكون مطلعاً لها إلا إذا رجحنا رواية العقد الفريد وديوان علي التي ذكرناها آنفاً

(بني سويف) محمد محمود رضوان
المدرس بالمدرسة الابتدائية

(١) العقد طبعة العريان ج ٤ ص ١٢٠ و ٥ — ٩٦ و ٦ — ١٣٤
(٢) ابن عساكر (٤ — ٣٧٥) والقيل شرب نصف النهار وإقالة الابل سقيها في هذا الوقت « القاموس »
(٣) وبذلك يسقط استدراك الأستاذ أحمد يوسف محمد في العدد ٤٧٣ من الرسالة ، وقد ظن البيت مكسوراً برواية (لم يقدر) ، لأن لم تقتضي الجزم وهو لا يتمشى مع الوزن . وراجع حاشية الصبان والأشموني (٤ — ٦)

(١) في الأصل (يوم لا يقدر) وقد أصلحته ليتفق الوزن
(٢) العيني بهامش الخزانة (٤ — ٤٤٧)

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١ / ٧ / ١٩٤٢ في القضية رقم ٦١٦ سنة ١٩٤٢ ضد دردير عباس ابراهيم صاحب مخبز بدمنهور بالغرامة عشرة جنيهات وغلق المخبز ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه دقيقاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٤ — ٦ — ١٩٤٢ في القضية رقم ١١٠٤ سنة ٩٤٢ ضد محمد الشناوي تاجر بأم حكيم مركز شبراخيت بالحبس شهرين مع الشغل وغرامة ٢٠ جنيه وغلق المحل أسبوعاً والنشر على مصاريفه لامتناعه عن بيع السكر مع وجوده لديه

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١ — ٧ — ١٩٤٢ في القضية رقم ١٢١٢ سنة ١٩٤٢ ضد محمد محمد الفيومي بقال برشيد بالحبس شهرا مع الشغل وغلق محله ثلاثة أيام والنشر على مصاريفه لبيعه أرزا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١ — ٧ — ١٩٤٢ في القضية رقم ١٣٠٦ سنة ١٩٤٢ ضد الصاوي أحمد الفنام صاحب مخبز برشيد بتغريمه عشرين جنيها وغلق المحل لمدة يومين والنشر على مصاريفه لبيعه خبزا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

طلعت حرب

ورسالته الأدبية

لمناسبة الذكرى الأولى لوفاته

للأستاذ مصطفى كامل الفلكى

أشاد الكتاب بالناحية العامة من حياة فقيد الوطن (طلعت حرب) وهى الناحية المتصلة بالرسالة العظمى التى أداها لبلاده ، رسالة الاقتصاد وتدبير المال وانتشال مصر من وهدة الخراب التى عمل الأجانب على سوقها إليها بإقبالهم على استثمار مرافقها جميعاً بحيث لم يدعوا لأبناء البلاد سبيلاً

وتلك هى الناحية العظمى فى حياة الرجل الفذ ، ولو أننا أنصفنا لحددنا هذه الناحية بأنها هى الغالبة عليه عند الناس لظهورها وبروزها

والواقع أن طلعت حرب كان ذا رسالة أدبية خاصة ، فإن الأديب لا بد أن يكون ملماً بجميع أحوال أمته وأطوارها وعاداتها وتقاليدها مستخلصاً لنفسه فكرة عن إصلاح المعوج من أمورها ، وذلك هو (طلعت حرب) فى جميع أدوار حياته ، فهو صاحب فكرة فى الإصلاح القومى العام ، ظل يدعو إليها من بدء حياته حتى وفاته

فقد عرفه الناس لأول مرة وفى صدر شبابه مؤلفاً تخرج له المطابع ثمرات ناضجة من تفكيره وشجونه، وتحتشد أنهار الصحف برائع مقالاته ودراساته ، وله من الكتب كثير ، منها :

المرأة والحجاب

وفصل الخطاب فى المرأة والحجاب

وقناة السويس

وعلاج مصر الاقتصادى وإنشاء بنك للمصريين

وله رسالة فى الإسلام ، ورسالة أخرى باللغة الفرنسية فى الرد على مسيو هانوتو الوزير الفرنسى المعروف حين هاجم المسلمين والإسلام .

هذا وغيره من إنتاج طلعت حرب نعرف فيه نضوج الرأى والغيرة على ملته وقوميته ، ونلمس فيه قوة الروح وشدة العارضة فى إيراد الحجج والاعتماد على المنطق وحكم العقل ودراسات العلماء ، فهو لا يرسل القول إرسالاً دون بيان ، ولا يعتمد على الرجم بالظن ، وإنما قوله كله تحقيق وتدقيق ، وتأليفه توفيق فى توفيق . وفضلاً عن هذا فإن خطبه الضافية العظيمة تعتبر مرجعاً من أهم المراجع للباحثين فى الاقتصاد وفى أحوال المجتمع المصرى ، فكلها حافلة بالمعلومات ، مليئة بالأفكار الناضجة والتعاليم الوطنية الرائعة ، تشف عن قلب مفعم بحب بلاده ، وعقل حاشد بأهم ما ينبغى لرجل العمل أن يعرفه وأن يلم به . على أنك حين تطالع هذه الكتب وتلك المقالات والخطب والأحاديث والرسائل تخرج منها بنتيجة فى غاية العجب ، إذ ما من رجل اشتهر بعلم أو شغل بعمل استطاع أن يجمع إلى علمه أو عمله قوة فى البيان أو بلاغة فى الأداء

ولكن طلعت حرب استطاع أن يفعل هذه الأعجوبة ويحقق ذلك المقصد البعيد المنال

فأنت حين تقرأ له لا تشعر أنك تقرأ لعالم كل همه إيراد علمه ، وإنما تعتقد أن أديباً كبيراً أو منشئاً بليغاً يسوق إليك هذه المعلومات والبيانات ويعرض عليك ألواناً من المعرفة ، وأشتاتاً من الثقافات

ولو أننا جمعنا الكتب والمقالات التى أنشأها طلعت حرب لكانت أسفاراً عديدة ، فإذا أضفنا إليها الأحاديث الصحفية التى أدلى بها فى شتى المناسبات ، وما كتب من خطابات ، لكان من ذلك مكتبة من أرق وأضخم المكتبات ، وهذا كله شىء معترف به ، ليس فى حاجة إلى إثباته ، لأن الجميع يعرفونه ولا ينكرونه ، فإعادته والإشارة إليه تكرار ليس ما يدعو إليه

والآن وقد مر العام على وفاة طلعت حرب الأديب فماذا فعل الأدباء لتخليد ذكراه وقد كان نصير الكتاب والأدباء والصحفيين ؟

لقد وعد الدكتور زكى مبارك أن يكتب أو أن يؤلف عن طلعت حرب الأديب فأين وعده ؟

يا شباب مصر أذكروا طلعت حرب تذكروا مجدكم ، وتفخروا بما فعله لتمجيدكم .

مصطفى كامل الفلكى

الفــــن (*)

ليس من خصائص الإنسان أن يعرف الجمال الطبيعي ويحبه فحسب ، بل خلق مزوداً بالقدرة على إنتاجه أيضاً . فحين يرى جمالاً طبيعيا ، سواء أكان جمالاً فيزيقيا أم خلقيا ، فإنه يحسه ويعجب به ويتأثر به ، فينجذب نحوه ، وتتملكه عاطفة الجمال وتسيطر عليه . فإذا كانت تلك العاطفة فعَّالة مثيرة ونشيطة ، فإننا نميل إلى رؤية ما سبب لنا تلك اللذة وإلى إحساسه ثانيةً ، ونرغب فى تحقيقه وإحيائه ، لا كما هو عليه فى الخارج ، بل كما تصوره لنا مخيلتنا ، حتى تظهر فيه ذاتية خاصة ، وهذا هو الفن

فالفن إذن إنتاج حر للجمال ، يصدر عن قوة كامنة فى الإنسان هى ما نسميه العبقرية (Le génie) ؛ ويلزم لذلك الإنتاج الحر للجمال قُوى ، هى نفس القوى اللازمة لمعرفته وإحساسه . فالعبقرية هى الذوق السامى ، مضافاً إليه عنصر آخر هو القدرة على الابتداع . والذوق ملكة مركبة يدخل فيها ثلاث قوى ، هى : المخيلة والعاطفة والعقل . هذه القوى الثلاث لازمة بالضرورة للعبقرية ، ولكنها ليست كافية ، فإن الذى يميز العبقرية عن الذوق ، إنما هو القدرة الخالقة ، أو القدرة على الابتداع والابتكار . فالذوق يحس ويحكم ويناقش ويحلل ولكنه لا يبتكر ، والعبقرية مبدعة وخالقة قبل كل شىء . والعبقرى إنما يكون عبقريًّا بواسطة رغبة مشبوبة لا يمكن مقاومتها للتعبير عما يحس به من عواطف وانفعالات وصور وأفكار تضطرم فى صدره . وقد قيل : إنه لا يوجد رجل عظيم بدون بذرة من الحماقة فيه ، هذه الحماقة هى الجزء الإلهى من العقل ، وهذه القوة الخفية سمّاها « سقراط » : « شيطانة » ؛ وأسماها « فولتير » : « بالشيطان فى الجسد » ، وهى التى تلهم العبقرية وتثيرها حتى تبوح بما أضناها . وعلى ذلك ، فهناك شيئان يميزان العبقرية : حيوية الرغبة فى الإنتاج ، ثم القدرة على الإنتاج ، لأن الرغبة بدون القدرة ليست إلا مرضاً .

فالعبقرية بالضرورة هى قدرة على العمل والإبداع والخلق ، بينما يختص الذوق بالملاحظة والإعجاب . والعبقرية الزائفة — أعنى المخيلة المشبوبة العاجزة معاً — تضنى فى الأحلام المجدبة ، وتفنى دون أن تنتج شيئاً ذا أهمية ، وقد لا تنتج شيئاً على الإطلاق ؛ ولكن العبقرية الحقيقية هى التى يمكنها أن تحول تصوراتها إلى خلق وإبداع جديدين

وإذا كانت العبقرية تخلق ، فإنها إذن لا تقلد ، ولذا قد يظن أنها أعلى من الطبيعة ما دامت لا تقلدها ، والطبيعة من صنع الله ، فالإنسان بذلك منافس لله ؛ ولكن ليس ذلك بصحيح فإن الطبيعة تفسر الأشياء وتنتجها حسب طبيعتها الخاصة ، كذلك العبقرية الإنسانية تنتجها حسب طبيعتها هى ... ولنقف لحظة أمام تلك المسألة التى أُثيرت مراراً ، وهى : هل الفن ليس شيئاً آخر إلا تقليد الطبيعة ؟

الفن من جهته تقليد بدون شك ، لأن الخلق المطلق لا يمكن أن يُعزى لغير الله ، والعبقرية لا تأتى بالعناصر التى تعمل عليها إلا من الطبيعة ... ولكن ، هل تقتصر العبقرية على إخراجها مثلما صنعتها الطبيعة ؟ وهل هى ليست إلا مجرد نسخ ونقل للواقع ؟ إذا كانت العبقرية كذلك ، فإن ميزتها الوحيدة تكون هى الأمانة فى النسخ والنقل ، وإذا كان الأمر كذلك كان الفن عاجزاً ، مثله مثل طالب كسول بليد ، لا يفعل شيئاً إلا أن يقلد كل ما يفعله جاره ، وينقله منه بكل أمانة

والفنان الحق يحس ويعجب بالطبيعة إحساساً وإعجاباً عميقين ولكن ليس كل ما فى الطبيعة باهراً ومدهشاً بدرجة واحدة . وفى الطبيعة شىء ما تتخطى به الفن إلى ما لا نهاية ، أعنى الحياة ؛ ولكن الفن يتخطى الطبيعة ويفوقها حين لا يقلدها تقليداً دقيقاً . وكل ما هو طبيعى لا بد أن يكون معيباً من ناحية ما مهما كانت درجة جماله . وكل ما هو واقعى لا بد أن يكون ناقصاً . وعلى ذلك نجد الشناعة والقبح مختلطين بالسمو والجلال من ناحية ، ونجد الظرف والرشاقة بعيدين عن العظمة والقوة من ناحية أخرى ، وهكذا . وخطوط الجمال منفصلة بعضها عن بعض ؛ فإذا اتحدت اتفاقاً وبدون قاعدة ينظم بمقتضاها هذا الاتحاد أخرجت لنا المسوخ . ولكن السماح بوجود قاعدة للنظام يعنى السماح بوجود مثال يخالف جميع الأفراد . هذا المثال هو ما يؤلفه الفنان حين يدرس الطبيعة والواقع فيحكم عليهما وينازلهما به

والمثال موضوع تأمل عاطفى للفنان . فالتأمل الدائم الهادئ العميق الذى تحييه العاطفة يوقظ العبقرية ويثير فيها تلك الرغبة

(*) ملخصة عن الفرنسية عن كتاب V. Cousin : Du vrai, du beau et du bien

اللحة لرؤية ما يرغب فيه متحققاً وحياً ؛ ولذلك تأخذ العبقرية من الطبيعة كل المواد التى يمكن أن تساعدها ، وتضفى عليها يدها القوية مثلما فعل ميكلانج مثلاً بإزميله على الرخام الخام . فتخرج منها أعمالاً ليس لها نماذج فى الطبيعة ؛ أعمالاً لا تحاكى شيئاً آخر إلا المثال المتصوَّر ؛ أعمالاً هى من ناحية خلق آخر أقل من الأول بالفردية والحياة ، ولكنها من جهة أخرى أعلى منه بالجمال العقلى والخلقى والجمال الخلقى أساس لكل جمال حقيقى ، وهذا الأساس منطو محجوب قليلاً فى الطبيعة والفن يطلقه ويظهره . وغاية الفن هى التعبير عن الجمال الخلقى بمساعدة الجمال الفيزيقى ، فهذا الأخير ليس إلا رمزاً لذاك ، وهو مظلم غير واضح فى الطبيعة ، والفن حين يوضحه يصل إلى أعمال لا تنتجها الطبيعة دائماً . نعم إن الطبيعة قد تسبب سروراً وانشراحاً أكثر لأنها تحوز الحياة وتملكها ، ولكن الفن يثير أكثر لأنه فى تعبيره عن الجمال - وبخاصة عن الجمال الخلقى - يصل مباشرة إلى منبع الانفعالات العميقة . فالفن بذلك قد يكون أبعد تأثيراً من الطبيعة ، والتأثير هو علامة الجمال ومقياسه

وطالب الفن ودارسه يجب عليه أن يعرف - فى بدء دراسته - الواقع والمثال ويدرسهما معاً لا أحدهما أولاً . والطبيعة نفسها لا تقدم الجزئى بدون الكلى ولا الكلى بدون الجزئى ، فالواقع والمثال شرطان من شروط الفن ، والعبقرى يعرف كيف يوحد بين المثال والواقع ، بين الصورة والفكرة . وهذا الاتحاد هو كمال الفن . والأعمال الفنية الكبرى تقتضى هذا الثمن ، ولكن يجب التفرقة والتمييز بينهما ووضع كل منهما فى مكانه الصحيح ، فإنه لا يوجد مثال حقيقى بدون صورة معينة ، ولا توجد وحدة بدون اختلاف ، ولا نوع بدون أفراد ؛ ولكن أساس الجمال هو الفكرة l'idée ، والذى ينتج الفن هو تحقيق تلك الفكرة لا تقليد الصورة الجزئية .

فى بدء القرن التاسع عشر ، عقد المجمع الفرنسى مسابقة عن أسباب كمال فن النحت القديم ، وعن عوامل انحطاط ذلك الفن . وكان الفائز فى هذه المسابقة إمرى داڤيد Emerie David الذى قرر أن دراسة الجمال الطبيعى هى التى قادت وحدها الفن القديم نحو الكمال ، وبالتالى تقليد الطبيعة هو الطريق الوحيد للوصول إلى الكمال . ولكن كاترمير دكانسى Quatremère de Quincy هاجم نظرية داڤيد ودافع عن الجمال المثالى ، وبين أن الفن عند الإغريق لم يعتمد على تقليد الطبيعة ولا على نموذج واقعى لأن النموذج ناقص مهما كان جميلاً ، بل كان يعتمد فى الحقيقة على الجمال المثالى الذى لا يوجد فى الطبيعة . وكان داڤيد قد ادعى أن كلمة « الجمال المثالى » تعنى عند اليونان - بفرض أنهم كانوا يعرفونها - « الجمال المرئى » ، لأن « المثال ideal » يأتى من eidos اليونانية وهذه تعنى - فى رأيه - « الصورة المرئية » ولكن دكانسى أتى بأمرين رد بهما على داڤيد : أحدهما من طيماوس حيث بين أفلاطون بوضوح كيف يكون الفنان الحق أعلى من الفنان العادى ، والآخر من « الخطيب » Ortor حيث يشرح شيشرون كيفية عمل الفنانين العظام ممثلاً لذلك بعمل فيدياس أعظم أستاذ فى أكمل عصر فنى . فهو حين كان يصنع تمثالاً ما لم يكن يضع تحت ناظريه نموذجاً معيناً يعكف على تقليده ، ولكن كان يوجد فى نفسه صورة أو مثالاً تام الجمال . وطريقة فيدياس هذه هى نفس طريقة رفائيل التى وصفها فى خطابه إلى Castiglione بقوله : « لما كان ينقصنى نماذج جميلة استخدمت مثالاً معيناً صنعته بنفسى »

هناك نظرية تجعل من الوهم غاية للفن ، وهى نظرية ترجع الفن إلى التقليد بطريق غير مباشر . فالجمال المثالى للنفس مثلاً هو وهم العين وخداعها ، ومنتهى الفن فى قطعة مسرحية هو أن تقنعك أنك أمام الواقع . وكل ما فى هذا الرأى من حقيقة هو أن العمل الفنى لا يكون إلا إذا كان حيا . ففى الدرامة مثلاً يجب ألا تأتى بأشباح الماضى الشاحبة ، بل بشخصيات مستعارة من المخيلة أو من التاريخ ، ولكنها شخصيات حية وعاطفية ، تتكلم وتعمل كما يعمل الناس لا كما تعمل الأشباح . ولكننا لا يمكن أن نجعل الغاية من الفن هى الخداع والإيهام ؛ فإننا لو جعلنا ممثل دور بروتس نسخة منه وألبسناه ملابسه وأعطيناه نفس الخنجر الذى طعن به بروتس قيصر ، لما مس ذلك الخبراء الحقيقيين إلا مسّاً رفيقاً . والمغالاة فى الخداع تجعل عاطفة الفن تختفى لتظهر مكانها عاطفة طبيعية صرفة ، فإن كنت أتوهم أن أفيجينيا على وشك أن يذبحها أبوها على بعد عشرين خطوة منى ، فإننى قد أخرج من صالة المسرح مرتعداً من الخوف

وقد يقال رداً على ذلك إن غاية الشاعر هى إثارة الشفقة والخوف مثلاً . هذا صحيح ، ولكن إلى حد ، وبعد ذلك يختلط بذلك عاطفة أخرى تعدل منهما أو تمحوهما وتكون لها غاية أخرى . فإن كان الغرض من الدرامة هو إثارة الشفقة والخوف والحزن فقط بدرجة كبيرة ، فإن الفن يكون بذلك غريماً عاجزاً للطبيعة ، وأى مستشفى أكثر امتلاء بالشفقة والرعب والحزن من كل مسارح العالم . ونحن حين نعجب بمنظر عاصفة أو حادثة

٣٩ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي إدورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثاني عشر — السحر والتنجيم والسيمياء

تحدث الساحر إليّ وسألني إذا كنت أرغب في أن يرى الصبي شخصاً ما غائباً أو متوفى. فذكرت اللورد نلسون؛ ومن الواضح أن الصبي لم يسمع عنه أبداً لأنه نطق اسمه بصعوبة كبيرة بعد محاولات. وأمر الساحر الصبي أن يقول للسلطان: « إن سيدي يحييك ويطلب منك إحضار اللورد نلسون. أحضره أمام عيني حتى يمكنني رؤيته سريعاً » فقال الصبي ذلك وأضاف في الحال: لقد ذهب رسول وعاد وأحضر رجلاً يلبس ملابس أوربية سوداء[1] والرجل فقد ذراعه اليسرى. ثم وقف لحظة وقال وهو يمعن النظر عن قرب في الحبر: لا، إنه لم يفقد ذراعه اليسرى وإنما وضعها على صدره. وقد جعل هذا الاستدراك بيان الصبي أكثر تأثيراً مما لو كان بدونه، لأن اللورد نلسون كان يعلق كمه الخالي إلى صدر سترته، ولكنه فقد ذراعه اليمنى لا اليسرى. فسألت الساحر دون أن أبين أنني أتهم الصبي بالخطأ، إذا كانت الأشياء تبدو في الحبر كما لو كانت أمام العين فعلاً أو كما لو كانت تنعكس في المرآة التي تظهر اليمين يساراً. فأجابني إنها تبدو كما في المرآة. فجعل هذا وصف الصبي صحيحاً[2].

وكان ثاني من دعوتهم مصرياً أقام في انجلترا بضع سنوات

(١) يسمى المصريون المحدثون الأزرق القاتم أسود

(٢) كنت كلما طلبت من الصبي أن يدعو أحداً انتبه بدقة إلى الساحر وعثمان معاً. فلم يوجه الأخير كلمة أو إشارة ما، ولقد كان حقاً يجهل مظهر الشخص المطلوب. وقد عنيت بألا يتصل من قبل بالصبيان. وقد رأيت التجربة تفشل عند ما كان يستطيع إرشادهم أو إرشاد الساحر. وقصارى القول أن من الصعب أن يتصور احتياطاً لم أتخذه. ومن المهم أن أضيف أن لغة الساحر كانت أكثر وضوحاً لي منها للصبي، فبينما كنت أفهمه فوراً كان يضطر أحياناً إلى تغيير كلامه ليجعل الصبي يدرك ما يقول.

غرق، فإن سبب إعجابنا ليس ما يثيره هذا المنظر من شفقة أو رعب؛ بل هناك سبب آخر هو استيقاظ عاطفة الجمال والسمو التي هاجتها عظمة المنظر وامتداد البحر واصطخاب الأمواج المزبدة وقصف الرعود المدوية، ولكننا لا نفكر لحظة في أن هناك بؤساء يقاسون ويألمون وقد يموتون وإلا صار المنظر فظيعاً لا يمكن احتماله

وهناك نظرية أخرى تخلط عاطفة الجمال بالعاطفة الخلقية، والعاطفة الدينية، وتضع الفن في خدمة الدين والأخلاق، وتحيل غايته أن يرفعنا نحو الله ويهذب من أخلاقنا. وهنا يجب أن نذكر تفرقة ضرورية: إذا كان كل جمال يحوي جمالاً خلقياً، وإذا كان المثال يرقى دائماً نحو اللانهاية، فإن الفن المعبّر عن الجمال المثالي يطهر الروح ويرفعها نحو اللامتناهي أي نحو الله. فالفن يؤدي إذن إلى كمال الروح بطريق غير مباشر. والفيلسوف الذي يبحث عن المعلولات والعلل يعرف المبدأ الأخير للجمال ومعلولاته الحقيقية والبعيدة، ولكن الفنان فنان قبل كل شيء، وما يحييه هو عاطفة الجمال، وما يريد إيصاله إلى القلوب هو نفس العاطفة التي تملأ قلبه هو. هذه العاطفة هي رباط بين العاطفة الخلقية والعاطفة الدينية، توقظهما وتحفظهما، ولكنها متميزة عنهما. والفن المؤسس على تلك العاطفة هو استطاعة غير حرة، فهو يشارك بطبعه في كل ما يعظم الروح في الأخلاق والدين، ولكنه لا يرقى إلا بنفسه. وحين يسترد الفن حريته وكرامته وغايته الذاتية، فإنه لا يمكن فصله عن الدين والأخلاق والوطن، لأن الفن يقتبس إلهاماته من هذه المنابع العميقة، كما يقتبسها من الطبيعة. والفن والوطن والدين قوى لكل منها عالمه الخاص، وبينهما اتحاد متبادل، فإذا ابتعد أحدها عن الآخرين ضل السبيل. ولكن ذلك لا يجعل الفن خاضعاً لقوانين الدين والوطن وإلا فقد سحره وجماله بفقدانه حريته

واتحاد الفن والدين والوطن لا يضر باستقلال كل منها، ونتأدى من ذلك إلى أن الفن نوع من الدين. فالله يتضح لنا بواسطة فكرة الحق وفكرة الخير وفكرة الجمال، وهي ثلاث فكرات متساوية فيما بينهما، تؤدي كل واحدة منهما إلى الله لأنها تأتي منه. والجمال الحقيقي هو الجمال المثالي، وهذا الأخير انعكاس اللامتناهي، وعليه فالفن يعبر في أعماله عن الجمال الأبدي. وكل عمل فني، إذا كان جيلاً سامياً، تمثالاً كان أو أغنية، أو غير ذلك، يأتي بالروح في حلم عظيم يحملها نحو اللامتناهي. واللامتناهي هو الحد المشترك الذي تتوق إليه الروح على أجنحة الخيال والعقل بواسطة الجمال والحق والخير

أحمد أبو زيد
كلية الآداب

فاتخذ اللابس الأوربية . وكان المرض قد ألزمه الفراش طويلاً قبل إيجاري لمصر ، فرأيت أن اسمه وهو شائع في مصر ، قد يحمل الصبي على الخطأ في وصفه ؛ مع أنه حدث في زيارتي السابقة للساحر أن وصف صبي آخر هذا الرجل ذاته بأنه يلبس ملبساً أوربياً مثل ذلك الذي رأيته به آخر مرة . أما الآن فقد قال الصبي ها هو ذا رجل لف في ملاءة وجيء به على نعش . ويدل هذا الوصف على أن الشخص المذكور لا يزال ملازماً فراشه أو أنه مات[1] . وقال الصبي إن وجهه مغطى ، فقال له الساحر أن يأمر برفع الغطاء . ففعل ثم قال « إن وجهه شاحب ، وله شاربان ولا لحية له » وهذا صحيح .

وقد استدعيت عدة أشخاص آخرين على التوالي ولكن أوصاف الولد لهم كانت ناقصة وإن لم تكن جميعها غير صحيحة . فكان كل وصف يبدو أقل وضوحاً عن السابق كما لو كان بصره يغشى شيئاً فشيئاً . فكان يلبث برهة أو أكثر قبل أن يستطيع أن يصف من يراهم . فقال الساحر إن من العبث إجراء التجربة معه ؛ فجيء بصبي آخر ورسم المربع السحري على يده إلا أنه لم يستطع رؤية شيء ؛ فقال الساحر إنه فوق السن المناسبة .

أدهشتني هذه الأعمال تماماً ، غير أنها خيبت ظني قليلاً لفشلها مرات في حضور بعض أصدقائي ومواطني . وقد سخر منها في إحدى هذه المناسبات إنجليزي من الحاضرين وقال : لا شيء يقنعه غير وصف صحيح لهيئة أبيه إذ كان على يقين من أن أحداً من الجالسين لا يعرف عنه شيئاً . فدعا الصبي والد الإنجليزي باسمه ، ثم بيّن أنه يلبس اللابس الإفرنجية ويضع يده على رأسه ، ويلبس منظاراً ويقف على قدم واحدة ويقيم الأخرى وراءه على نحو ما يفعل النازل من المقعد . وكان الوصف دقيقاً من كل الوجوه . فقد كان وضع اليد على الرأس ناشئاً من صداع دائم ، ووضع القدم من تصلب الركبة لسقوط الرجل عن ظهر حصانه أثناء الصيد . وقد أكد لي الحاضرون في هذه الجلسة أن الصبي أحكم الوصف في كل دعوة . ووصف الصبي مرة أخرى شكسبير شخصه وملبسه وصفاً دقيقاً . ويمكنني أن أضيف إلى ذلك عدة أحوال أخرى أثار فيها الساحر ذاته دهشة معارفي الرزناء من الإنجليز . وفي يوم آخر جهز الساحر ، بعد أن قام بالتجربة بواسطة الصبي كالعادة ، المرآة السحرية في يد إنجليزية شابة ، فلم تكد تنظر فيها لحظة حتى قالت إنها ترى مكنسة تكنس الأرض دون أن يمسكها أحد . وتملكها الفزع فرفضت استئناف النظر

قررت هذه الوقائع بعضها من تجاربي الذاتية والبعض الآخر مما وصل إلى علمي عن قوم محترمين . وقد يظن القارئ أن الصبي كان يرى في كل مرة صوراً تنعكس في الحبر ، أو أنه كان متفقاً مع الساحر ، أو أنه يرشد بطريق الأسئلة . كل ذلك لم يكن . أما أنه لم يكن هناك اتفاق فقد تحققت من ذلك تحققاً مرضياً باختيار الصبي الذي قام بالعمل من بين المارين بالشارع ، علاوة على رفضه رشوة عرضتها عليه فيما بعد لحثه على الاعتراف بأنه لم ير حقاً ما كان يقرر رؤيته . وقد امتحنت صدق صبي آخر في مناسبة لاحقة وبالطريقة نفسها ، فكانت النتيجة واحدة . وكثيراً ما تخيب التجربة تماماً ، ولكن عند ما يصيب الصبي القائم بالعمل مرة يستمر في النجاح على العموم ، وعند ما يخطئ بادئ الأمر يصرفه الساحر تواً قائلاً إنه كبير السن . وقد يفترض البعض أن البخور أو الخيال المتأثر أو الخوف يؤثر في نظر الصبي ؛ ولكن لو كان الأمر كذلك لما أبصر تماماً ما كان يطلب من أمور لا يمكن أن يكوّن عنها معلومات خاصة سابقة . ولم أستطع أنا ولا غيري اكتشاف طريق ما ينفذ بنا إلى السر . ورجائي من القارئ إذا كان مثلنا عاجزاً عن إيجاد الحل ألا يدع البيان السابق يثير في ذهنه ريبة فيما يتعلق بأجزاء الكتاب الأخرى[1] .

(١) وقد سرني أن أسمع ، بعد كتابة هذا بشهور قليلة ، أن الرجل المشار إليه هنا قد تماثل . ولم أستطع أن أحقق ما إذا كان ملازماً فراشه وقت إجراء هذه التجربة .

(١) لقد طيب خاطري أن أرى رجائي يتحقق . وأود أن أضيف أن الحادث فسر الآن . فقد أشار بعضهم في العدد ١١٧ من مجلة Quarterly Review ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ إلى أن هذه الأعمال كانت تتم بواسطة انعكاس الصور على سطح مرآة مقعرة وإرسالها إلى نظر الصبي على سحب الدخان . على أنني لا أستطيع التسليم بذلك لأن مثل هذه الطريقة لا يمكن أن تكون قد استعملت دون أن أراها ، ولا الصورة تنقلب (ما لم تكن الصورة هكذا) بانعكاسها على سطح المرآة واستقبالها على سطح آخر ، لأن الصبي كان مطرق الرأس يتفرس في راحة يده ، فلا يمكن أن تتكون الصورة فوق الدخان الذي كان كثيراً وليس كثيفاً ، بين عين الصبي =

الفصل الثالث عشر

الأخلاق

إن طباع المصريين المحدثين تتأثر إلى درجة كبيرة بالدين والشرع والحكومة ، كما تتأثر بالمناخ وأسباب أخرى . ومن ثم يصعب جداً أن نكون رأياً صحيحاً عنها . غير أنه يمكننا أن نقرر بثقة أن المصريين يمتازون أكثر من الشعوب الأخرى ببعض الصفات الذهنية العظيمة ، وبخاصة سرعة الإدراك وحضور الذهن وقوة الحافظة . وهم فى حداثتهم موهوبون على العموم بهذه الصفات وبقوى عقلية أخرى . غير أن الملل السابقة الذكر تحط منها تدريجاً

وليس فى أخلاق المصريين الأصلية ما يستحق الاعتبار مثل الكبرياء الدينية . فهم يعتبرون كل من خالفهم فى الدين هالكين . وقد ذكر القرآن فى سورة المائدة فى الآية الحادية والخمسين : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم (١) »

ومن بواعث الأدب أو الصالح الذاتى أن يتحدث المسلم أحياناً إلى المسيحى ، وخاصة الأوربى ، بلهجة كريمة ، وقد يصرح بصداقته وهو يضمر الازدراء له . ولما كان المصريون المسلمون يحكمون على الفرنج بمقتضى ما يظهر من الذين يسكنون مدنهم ، وأكثرهم من شذاذ الآفاق ونفاية البلاد ، فمن الصعب لومهم على ازدرائهم . ويعامل أهل مصر المسيحيين مع ذلك بلطف . فالمسلمون قد عرفوا بالتسامح كما اشتهروا باحتقار الكفار .

ويعتقد المسلم أن التقى يرفع صاحبه ، إلا أن رغبة الظهور بالتقوى تفضى بالكثيرين إلى الرياء . وكثيراً ما يلهج المسلم ببعض الأدعية إذا لم يكن مشغولا بعمل أو تسلية أو حديث ، وإذا أقلقته فكرة أثيمة أو ذكرى شر ارتكبه يصيح متنهداً « أستغفر الله العظيم » . وكثيراً ما يشغل التاجر نفسه فى حانوته بتلاوة القرآن أو بالتسبيح إذا فرغ من مساومة حرفائه أو من تدخين شبكه

(يتبع) عدلى طاهر نور

= والمرآة المزعومة . والصعوبة الكبرى هى وصف الهيئة الصحيحة لأفراد من عامة الناس غير مشهورين كما لاحظت المجلة المذكورة فى مقال ألحق به حاشية غريبة تقدم بعض صور جديدة لهذه الصعوبة . وقد كنت عارفاً لأهم الوقائع المذكورة هناك ، ولكن كان ينقصنى الاقدام على نشرها . غير أنه يمكننى الآن أن أذكرها هنا . فقد روى أن سائحين أحدهما مسيو ليون دى لابورد Léon De Laborde ، والآخر إنجليزى لم أستطع معرفته ، تدربا على يد الساحر عبد القادر ونجحا فى إجراء أعمال مماثلة . وقد أنكر المسيو ليون قطعا كل مؤامرة للخداع . وأكد أنه لم يفعل شيئاً غير ترديد ما علمه الساحر . ومنذ كتابة الملاحظة السابقة شاهدت مرتين أعمالا يجريها هذا الساحر الحديث الشهرة ، وكانت جميعها فاشلة تماما ، وهكذا كانت جميع تجاربه الأخيرة كما أخبرنى البعض . ومن هنا ومن ملاحظة أبداها لى فى حضور المرحوم اللورد نوجنت Nugent أنه كان ينجح على العموم إذا كان الوسيط عفان مترجه . وقد توفى بعد زيارتى الثانية لمصر . يصعب على أن أستنتج أن الأسئلة المرشدة التى كان يلقيها فى أغلب الأحوال عثمان وغيره ، وهم قوم متعلمون أذكياء ، بدون وعى وأن التخمينات الحاذقة فى أحوال أخرى هى أسباب نجاحه الرئيسية . ولا أستطيع بافتراض الأسئلة المرشدة ، أن أحصى نجاحه فى الأحوال التى كنت أراقبها بنفسى . ولكن هذه كما سبق القول فشلت كثيراً فى حضور بعض الأصدقاء والمواطنين .

(١) وقد فسرت الآيتان السابعة والخمسون والثامنة والخمسون من السورة نفسها سبب هذه الوصية بقولهما : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين . وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون »

الساقية الجـــافة

للأديب محمود عماد

برغمىَ أيتها الساقيه وقوفكِ صامتة صاديه
وبالأمس كنت ترويّن تلك الحقول بأمواهك الجاريه
فتجرى النضارة فى زرعها وفى أهلها البِشْرُ والعافيه
وكم قد أغارت عصافيرَها أهازيجكِ العذبة الصافيه
فأين تحوَّل عنكِ الغديرُ، وأين الهراوةُ والماشـيه ؟
وأضراسُكِ الصامداتُ الشِّدادُ
هى اليوم من سوسها ماهيه ؟
وصفصافك الغض كيف استحال
عِصيًا منكّسةً جافيـــه ؟
يمرّ النسيمُ بها لا تميل، وكانت تراقصه حانيه !
وتَلقى العناكبُ منها سَدًى متيناً لِلُحمتِها الواهيـــه
كأنكِ فى نسجها جثـة تردّت بأكفانها البـاليه
وأنّ طنينَ الذباب ترا تيل تُزجَى إلى روحكِ النائيه
فنحن أمام وفاةٍ ... أجل وفاة تعزّ على الناحيه
وإنّ حياةً هنا اليوم ماتت بموتكِ أيتهـــا الساقيه
أليس دليـلَ الحياةِ الـكلامُ،
فكم قد خطبتِ على الرابيـه ؟
وهل بعد موتٍ سوى وحشةٍ أرى وحشةً لكِ تُغرَى بيه
ألا أيها السالـكانِ إلى الحىّ أقفَى الطريق، أصيخا ليه
وقولا لزوّارِ مقبرةِ الحىّ للحىّ مقبرة ثانيـــه
تثـير الشجونَ بإيحاشِها وأطيافِ أيامها الخاليه
فحيّوا ثراها بِحفْنَةِ ماء زلال وريحانةٍ ناديه

محمود عماد

ذكريات ...

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

أشرق فى نفسىَ الحيرى مُنًى تُذْهِبُ ما بِى
من أسى دهرى وما ألقاهُ من مُرِّ العذابِ
ودعينى أملأ العينين من نورِ الشّبابِ ...
فنداء الحبّ يدعو خافقَيْنا أينَ ماضٍ من حُمياهُ انتَشَينا ؟
قد ملأناهُ غراما ورشفناهُ مُداما
وسعتْ فى نورِهِ الدُّنيا إلينا
ذاعَ أمرى ... آهِ من أمرى ويالى من هوى قلبى ومن كيد الليالى !
طالت الشكوى ولـكن من يُبالى بشكاتى وعذابى، من يُبالى ؟
يا عزاء النفسِ إن جلّ العزاء
هلْ لنا من حُرْقَةِ الوجدِ ارتواء ؟
أينَ وَلّى الأمس والدنيا هناء ؟
ونعيمُ العمرِ نُعْمَى ولِقاء ...
ورجاء شاعَ فى ظلّ الوصالِ وصفاء ذاعَ فى كلّ مجالِ
« ذكريات » كلما مرت ببالى هام قلبى بين شكٍ وضلالِ ...
يا ليالى ... أينَ أيّامِـــىَ أينـــا ... ؟
أنا أشـــقى فإلاما لا ترى عينى المَنَاما
ونداء الحبّ يدعو خافقينا والمنى والسحر مِلْكٌ يديْنا !
وشـــبابى لم يزل ينْدَى بأنداء الشبابِ
وشِراعى يتغنّى بأمانينا العِـــذابِ
فتعالى ... كأسُنَا نَشْوى وملأى بالشراب

مصطفى على عبد الرحمن



السويبة هي الصوبة أو الصويبة

سأل حضرة الأستاذ الفاضل عبد الرحمن افندى أحمد سعد عن أصل (السويبة) فى العربية ، وعن دلالتها على معنى يقارب معنى المطمورة التى على وجه الأرض فنقول – قبل الجواب – هذه الكلمة :

زارنى أحد أدباء البغداديين ، بعد أن وقف على كلمة (المطمورة) المدرجة فى العدد ٤٦٤ من الرسالة فقال : « بأى لغة كتبت يا سيدى مقالتك على (المطمورة) ؟ » قلنا له : باللغة الالطية ، وسبب هذا الجواب أنى لاحظت فى طبعها أغلاط طبع كثيرة ، حتى كان يصعب علىَّ معرفة ما كتبتُ . ولولا عناية خاصة من الله لما تمكنت من فهم ما جاء فيها . ولم أبعث بتصحيح ما جاء فيها من الأوهام ، لبعد المسافة بين بغداد ومصر ، ولكثرة ما كان فيها من الأوهام . ولهذا اكتفيتُ بأن خططت خطاً أزرق تحت كل زلةٍ وردت فيها ، تنبيهاً للقارئ لا غير ، وذلك فى نسختين فقط .

وبعد أن نبهت هذا التنبيه العام أقول :

ورد فى سؤال الأستاذ الأبيفىّ الوارد فى ١٠ : ٦٣٢ « ثم يسيفونها » والصواب « ثم يسيمونها » وقوله « ويصمدزنها » والصواب « ويصومعونها » .

والآن نجاوب على سؤاله فنقول :

إن (السويبة) من أفصح كلام العرب وأحسنه بعد إزالة التصحيف عنه . والصواب أن يقال (الصويبة) مصغرة ، أو (الصوبة) مكبرة . وبكلا اللفظين ينطق بعض أعراب العراقيين . قال الشارح :

« والصوبة ، بالضم : كل مجتمع . عن كراع ، أو الصوبة : الجماعة من الطعام . والصوبة : الكدسة من الحنطة والتمر وغيرهما . والصوبة : الكبشة من التراب ، أو غيره . وعن ابن السكيت : الصوبة : الجرين ، أى موضع التمر ، وحكى اللحيانى عن أبى الدينار الأعرابى دخلت على فلان ، فإذا الدنانير صوبة بين يديه ، أى كدس مهيلة . ومن رواه فإذا الدينار ، ذهب بالدينار إلى معنى الجنس ، لأن الدينار الواحد لا يكون صوبة . هكذا فى لسان العرب ؛ غير أنى رأيت فى الأساس قولهم : والدنانير صوبة بين يديه ، مهانة . فلينظر انتهى .

قلنا : قوله « مهانة » من خطأ الطبع . والصواب « مَهِيلة » من هال التراب أو نحوه : إذا صبَّهُ

فأنت ترى من هذا أن أهل السودان متفقون وأهل العراق على اتخاذ هذه الكلمة ، إلا أن أبناء الرافدين يستعملونها مكبرة ومصغرة على السواء من غير تفضيل صيغة على صيغة ، إنما يأتون بها بحسب ما يمر بخواطرهم ، ويفعلون مثل ذلك بكثير من الحروف

ثم إن نقل الصاد إلى السين كما فى (الصُوَيْبة) و (السويبة) لغة قديمة معروفة عند العرب ، فمنهم من كان يرقق الصاد فيجعلها سيناً ، ومنهم من كان يفخم السين فيجعلها صاداً . والشواهد لا تحصى . والأمور جارية هذا المجرى إلى عهدنا هذا . ونحن نذكر بعض الشواهد من كلام الأقدمين فقد قالوا :

« الخِرس كالخِرص . والخربسيس والخربصيص . والسويق والصويق . قال ابن دُريد فى الجمهرة : وبالصاد ، أحسبها لغة لبنى تميم ، وهى لغة ابن الغبر خاصة » (كذا فى تاج العروس . وهو خطأ أيضاً والصواب : « وهى لغة بنى العنبر ، إذ لا وجود لابن الغبر »

والتاج كثير أغلاط الطبع ، ويجب أن يطالعه القارئ بكل تحفظ وتحرز وقد صححت فيه أوهاماً لا تحصى ، ولو طبعت لجاءت فى مجلد كبير ، وكذلك يقال فى لسان العرب ، فإن مطبوعات مصر القديمة كانت تجئ بأقبح حلة وأسوأ حالة .

وأنتهز هذه الفرصة لأقول : إنى لم آتِ على ذكر جميع مترادفات المطمورة أو ما يجانس معناها من الألفاظ المستعملة فى العراق . فقد نسيت مثلاً الصوبة والصويبة . والمنثر ، وزان المِنبر وهى مستعملة فى ديار المنتفق وأرجائها ، وهو مخزن الطعام فى الصحراء ويسمى صاحبه الجبَّان بجيم مفتوحة ، يليها باء موحدة تحتية مشدَّدة ، فألف ، فنون

والمنثر ، غير واردة فى معاجم اللغة ، وقد وردت في (كتاب عمدة الطالب ، فى أنساب آل أبى طالب) ، وصاحبه من أبناء المائة التاسعة للهجرة

هذا ما تيسر لنا جمعه . وهو الهادى إلى الصواب

(بغداد) الأب أنستاس مارى الكرملى

من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

كم ذا

يرى الأستاذ الظريفي فى العدد (٤٧٥) من الرسالة الغراء أن الموضوع لم ينته بالردود التى قرأها فى الأعداد السالفة ، ثم يُغفل بيت أبى الطيب ويتناول بيت حافظ رحمه الله بالنقد القاسى تارة وبالتجريح تارة أخرى . ولنا أن نتناول كلمته بالنقد الهادئ تقريراً للحق ودفاعاً عن شاعر النيل . وإنا لنوجز البحث فنقول : ذهب الأستاذ إلى أن (كم) فى بيت حافظ استفهامية ومميزها محذوف تقديره (كثيراً) أو ما هو فى معناه ؛ ثم أورد بيتاً لا ندرك تماماً صلته بالموضوع وهو قول أحد الشعراء :

إلى كم ذا التملق والتوانى   وما هـذا التمادى فى التمادى

فأما كون المميز (كثيراً أو نحوه) فلا نفهمه ، والوَجْه أن يكون المميز (شدةً أو شوقاً مبرحاً) أو لفظاً مجروراً بمن مناسباً للمقام ؛ وإذاً فقول حافظ :

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى   فى حب مصر كثيرة العشاق

يحمل على الصورة التالية (كم شدةً أو كم من الشدائد والأشواق المبرحة يكابد عاشق ويلاقى فى حب مصر) ؛ أما أن يكون المعنى (كم كثيراً يكابد عاشق مصر هذا الألم) فلا نكاد نسيغه .

وظاهر أن (ذا) فى البيت الذى أورده الأستاذ اسم إشارة وليس بهـا رائحة الاستفهام بقرينة الاستفهام فى الشطر الثانى . ثم يرى الأستاذ الظريفي أن (ذا) مفعول مقدم ليكابد ؛ وقد يكون في هذا تعسف لا داعى إليه ؛ وقد بدا أثر ذلك فيما أورده من تأويل . ويرى أن كلمة (يلاقى) حشو أُريدَ به تكملة الوزن والقافية ، ومثل هذا القول يفهم فى مثل قول الشاعر (وألفى قولها كذباً ومَيْنا) أما فرضه على قول حافظ فقسوة بالغة ، فإن لكلمة (يلاقى) معنًى يزيد البيت قوة والمعنى روعة ؛ فالشاعر يكابد فى حب بلاده ما يكابد ، ويلاقى كل يوم شوقاً وعنتاً جديداً فى سبيل ذلك الحب . والقول بأن فى البيت غلطة نحوية لا يقل عن سابقه قسوة . نعم إن إضافة (كثيرة) لا تكسبها تعريفاً فلا تصلح وصفاً لكلمة (مصر) وهى معرفة ، ولكن من الممكن قراءتها منصوبةً على الحالية من (مصر) لا من (يكابد) كما جاء فى كلام الأستاذ .

وقديماً قالوا : إن الحال وصفٌ لصاحبها قيدٌ فى عاملها (فكثيرة العشاق) وصف لمصر قيد فى المكابدة والملاقاة ؛ كما يمكن حملها على أنها منصوبة بعامل مقدر مناسب للمقام ، وقد يقع مثل ذلك للمدح (كما هنا) وللذم أو الترحم أحياناً . وإذا فلا موجب لتصويب البيت بالصورة التى رآها الأستاذ الظريفي بعد ما استقر فى النفوس وتنقلت روعته فى قلوب الأدباء جيلاً بعد جيل

وبعد ، فقد أغفل الأستاذ بيت أبى الطيب (وكم ذا بمصر من المضحكات ...) وقد أصبح شطراً ذا خطر فى موضوع البحث ، ولا أدرى أهو مُسلَّم به ، وإذاً ففيم قوله : إن الردود لم تنه الموضوع ؟ أم هو لا يزال منه فى ريب وإذاً فما رأيه ؟ على أنى أعود فأقول : إن أبا الطيب جارٍ فى بيته على عرف أهل الكوفة الذين أجازوا زيادة الأسماء ومنها (ذا) وجوزوا وقوع أسماء الإشارة أسماء موصولة ومنها موضوع النزاع . وفيم العجب والرجل واسع الثقافة متأثر بآراء مدرسة الكوفة ، ثم هو بعد من دعائم الشعر ومفاخر العروبة ؟!

غفر الله لك يا أبا الطيب ؛ طالما عَنَّيْتَ حسَّادك وأنصارك! وكأنى بروحك اليوم تطل على هذا الخلاف ، ثم تبتسم وتومئ إلى قولك الخالد :

أنام ملء جفونى عن شواردها   ويسهر الخلق جرَّاها ويختصم

(المنصورة)   **محمود البشبيشى**

حول الردف والسناد

ردًّا على كلمة الأديب الفاضل أحمد يونس محمد أقول : إن علماء العروض نصوا حقيقةً على أن الردف هو حرف مدٍّ قبل الروى ؛ وعليه فتكون الياء فى مثل : سريرتى والحميلة ، ليست من قبيل الردف ، لعدم وقوعها قبل حرف الروى مباشرة ... ولكنى أضيف إلى هذا أن الشعراء قد أجمعوا من قديم على التزام مثل هذه الياء - إذا وردت - فى سائر الأبيات ، حتى لتوهموها من الردف وأضافوها إليه ؛ وهم محقون فى ذلك ، لأنها لا تستساغ فى الواقع إلا ملتزَمةً مع سائر الأبيات ...

وقد بلغ من إجماعهم على اعتبارها ردفاً ، واحترازهم من

الوقوع فى « سناد الردف » بإهمال التزامها ، أن نص ابن رشيق على هذه الشبهة فى كتابه « العمدة » ؛ فقال فى باب القوافى (ص ١٠٦ من الجزء الأول) :

« وقد يلتبس بالردف ما ليس بردف ، فيجتنبه الشعراء مثل « فيهم » مع « منهم » وهو جائز ، لأن الهاء ليست رويًّا فتكون الياء ردفا ، وإنما الروى الميم » : أى أن ياء « فيهم » لم تقع قبل حرف الروى « الميم » مباشرة ، بل فصلت بينهما الهاء ؛ فالياء هنا ليست ردفاً بسبب ذلك الفصل ...

ونحن لم نضف هذه الياء إلى باب الردف إلا أخذاً بإجماع الشعراء ، وهم ألطف إدراكاً لدقائق العروض من « العروضيين » أنفسهم . ولئن كان ابن رشيق شاعراً أيضاً ، إلا أنه أصدر حكمه هذا وهو لابس ثوب « العروضيين » ومتحدث بمنطقهم ؛ وما نظن أنه أتى فى شعره بمثل الذى أجازه هنا ...

ثم إننا نحاسب الأستاذ محمود حسن إسماعيل باعتباره شاعراً مرهف الإحساس ... لا نظَّاماً ولا عروضيًّا

على أن قصيدته إن خلت من الردف ومن سناده ، وفقاً للقاعدة العروضية ، فهي لم تخل من التأسيس – فى بعض أبياتها دون بعض – كما أشرنا إلى هذا فى كلمتنا السابقة ؛ وعليه فيكون السناد الذى تطرق إليها ، هو سناد التأسيس دون غيره من « أنواع السناد الخمسة » التى يتساءل عنها الأديب صاحب الكلمة

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

فى كتاب « الإمتاع والمؤانسة »

... أصحح للأب الفاضل أنستاس مارى الكرملى خطأً وقع فيه وهو قوله إن « هيرودس أتيقوس » رومانى لا يونانى ؛ فهذا أبعد فى الخطأ من استنكاره أن يعتبر « تيودسيوس » يونانيًّا ، وذلك لأن « أتيقوس » هذا Atticus أى « الآتيكى » نسبة إلى « آتيكا » مقاطعة آتينا « معلم خطابة » ، أو على الأصح « معلم بلاغة » يونانى صميم ولد فى ماراتون سنة ١٠١ بعد الميلاد وكان أبوه « آتينيا » صميماً تولى القنصلية أيام « نرفا » ، ولقد مات « أتيقوس » سنة ١٧٧ م ، ونحن نعرف عنه أنه أنفق شبابه فى « آتينا » ، وأنه درس بها الفلسفة آخذاً بمذهب « أفلاطون » ، وأنه أتى إلى « روما » ليشرف على تربية الأمبراطور الفيلسوف مارك أوريل وأخيه فى التبنى « نرفوس » وأنه بعد أن صار قنصلاً ، وبعد أن جمع ثروة ضخمة ، عاد إلى « آتينا » ، حيث بنى عدة مبان هامة ، لا يزال قائماً منها إلى اليوم « أوديون أتيقوس » الشهير بسفح « الأكروبول » ... وإذن ، « فأتيقوس » يونانى ، ولغته هى اليونانية

وإذا ذكرنا أن « كومودوس » هو ابن « مارك أوريل » وأن « أتيقوس » قد أشرف أيضاً على تربيته ، كما أشرف على تربية أبيه ، وإذا كان من الممكن أن يكون « قومودس » إمبراطور روما قد كتب إلى « أتيقوس » باللغة اليونانية يطلب إليه كتباً وأشعاراً ، وأن العرب قد علموا بذلك – مترجماً عن اليونانية – ترجمة لا نعلم مبلغ دقتها ، فأى غرابة فى أن يكونوا قد جعلوا من « أتيقوس » شاعراً يونانيًّا ، ومن « قومودوس » ملكاً لليونان ، ما دام مصدرهم كان يونانيًّا ، وما دام « التوحيدى » يورده على سبيل الرواية ؟ وهل العرب كانوا يعرفون شيئاً دقيقاً عن الشعراء اليونان ومعلمى البلاغة عندهم ، حتى نستبعد أن يخلطوا بين الشاعر ومعلم البلاغة ، أو أن يستنتجوا من يونانية النص أنه تبودل بين يونانيين ؟

وأما قصة « الكراكى » ، فقصة لا أثر لها فيما عثرت به من كتب اليونان ، فهى خرافة لا نعلم عن نسبتها إلى قومودوس وأتيقوس شيئاً ، وإن يكن هناك احتمال فى أن تكون من بين الأساطير الكثيرة التى راجت عن وفاة الشاعر اليونانى الكبير لوسيان المعاصر لقومودوس وأتيقوس

وهكذا يتضح أن القراءة التى نظنها أقرب ما تكون إلى الصحة ، هى قومودوس Commodos وأتيقوس Atticus ، اللهم إلا أن تكون عند الأستاذ كرواس معرفة خاصة بأبقوس الشاعر اليونانى ، وذلك ما ننتظره منه إن تفضل فجاد بعلمه الغزير

ولعل فى هذه القراءة ما يطمئن إليه – ولو مؤقتا – الأب الفاضل إلى أن يقترح غيرنا قراءة أصح

محمد مندور
مدرس بكلية الآداب

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10 me Année No. 477

Lundi - 24 - 8 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٤٧٧ « القاهرة في يوم الإثنين ١٢ شعبان سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٤ أغسطس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

أبو سمبـــل

للأستاذ عباس محمود العقاد

أمسينا في جو مفعم بالزجر والعيافة ، مغلف بالأحاجي والأسرار ؛ يتكلم المتكلم فإذا هو عائف أو زاجر من حيث يريد ولا يريد ، وإذا هو معرض عما بين يديه وتحت عينيه لينظر إلى عالم الغيب ويستعجل العلم بفقده المحجوب ، وبالذى يجرى في ساعته تلك على مدى الألوف من الأميال

وحق للناظر تلك الليلة أن يعرض عما بين يديه وتحت عينيه ! فماذا كان في الحق بين يديه وتحت عينيه ؟

منظر واحد يتكرر ثم يتكرر ثم يتكرر في غير تبديل !

هضاب ورمال ، ثم هضاب ورمال ، ثم هضاب ورمال ... ثم نيل ينتظمها ويجرى في خلالها ، ليزيد التشابه بينها ولا يزيدها شيئاً من التبديل أو التنويع

فإذا طالت نظرة العين إلى تلك المتشابهات فهى كالعين المنوَّمة التى حدجت بالنظر شيئاً واحداً حتى غاب عنها وغابت عنه ، فاستسلمت لما يوحى إليها من الأنباء ، وما يكشف لها من الأسرار

هنالك علمنا منشأ الزجر والعيافة من قديم . فلا يزجر الزاجر ولا يعيف العائف إلا وبه نقص من حظ العيان ، وحاجة إلى العلم بالفهم والسماع

وكنا فى مثل تلك الحاجة ليلة الزجر والعيافة

فتركنا معركة العلمين ناشبة في بدايتها ونحن لا نسمع كثيراً ولا قليلاً عنهـا ، وانقضى الليل وطرف من النهار ولا خبر ولا رواية ، ولا إشاعة كتلك الإشاعات التي يخترعها المرجفون ولها صبغة من الخبر والرواية

وما معركة العلمين فى تلك الليلة وفى كل ليلة تأتى بعدها إلى أقاصى التاريخ ؟

هي معركة سماها القدر ولم يسمها الجيشان ولا صحف الأنباء أو مطلقو الأسماء على معارك القتال

هى معركة علمين اثنين تتلخص فيهما جميع الأعلام التى تظل المتقاتلين اليوم فى كل ميدان

علم الحرية وعلم الطغيان !

علم الدفاع وعلم الفتوح والغارات !

وأى العلمين ارتفع فى تلك المعركة ففيه مصير عالمين وخافقين ومشرقين ، وفيه ابتداء زمان وانتهاء زمان

وتلك تلك المعركة التى انقطعنا عن أخبارها ليلة وطرفاً من نهار . ثم بلغنا الشلال ، فعلمنا أننا سنقضى فى الباخرة نيفاً وأربعين ساعة ، لا نحن بالعالم متصلون ، ولا العالم بنا متصل ، حتى نستأنف الصلة به عند تخوم السودان

نيف وأربعون ساعة بغير أخبار !

وفى الباخرة مع ذلك طائفة من رجال الصحافة ورجال الأعمال تعودوا عشرين سنة على الأقل ألا تنقضى عليهم أربعون دقيقة بغير خبر جديد ، عن أمور بالغ ما بلغ شأنها فهى من سفساف الحديث إلى جانب الحديث عن العلمين

فمن لم يتعلم الزجر والعيافة فى تلك الليالى المحجبات فما هو متعلم ، وقد تعلمناها فأحسنَّا العلم بهما من درس واحد لم تسبقه دروس ...

***

أقبل الليل فألقت الباخرة مراسيها عند الشاطىء إلى الصباح وخرجنا من المقاصير نتنسم الهواء جادين ونتنسم الأخبار متفكهين ، وذهب كل منا يسأل صاحبه مازحاً : ما أحدث أنباء المساء ؟ فيجيبه : أى مساء ؟ الجمعة أو الخميس أو الأربعاء ! فكل أخبار هذه الأيام سواء

وإنا لكذلك إذ انحدر أمامنا مركب مربع موقر بالأبقار السمان ...

فصاح صائح : بشارة خير !

وصاح ثان : نعم ، وأى خير ! فهى أبقار لا تذهب إلى مصر لتموين الأستاذ روميل وأصحابه بطبيعة الحال ! ... ولا تصل إلى القاهرة قبل ثلاثة أيام

وانطلقت الفكاهة والجد أى منطلق فى ذيول هذه المجاوات ؛ فمن قائل : إنها تكلمت وسكت الناس ؛ ومن قائل : إن بقرات يوسف عليه السلام كانت سبعاً وكانت فى المنام ، وهذه سبعون وفوق السبعين نراها في اليقظة رأى العين . فما أحسن البشارة وما أصدق التعبير !

وكان صاحب القدح المعلى فى تلك العيافات والتعبيرات طبيباً لوذعيًّا يسخر من الخرافات

فقلنا : وقد تمت المعجزة بحمد الله ، واصطلح الطب والسحر لحظة فى هذه الليلة بفضل الجهل بالأنباء ... وللجهل فضله الذى لا ينكر فى بعض الأحايين

ثم توالت الأنباء من هذا الطراز : كل مركب منحدر يعبر عن شىء كثير ، بغير سؤال وجواب ، وبغير اعتساف فى التأويل والتعبير

***

وأسفرت ليلة الزجر والعيافة عن صباح مشرق كأوضح ما يكون صباح وتشرق شمس فى سماء

ونظرنا ... فماذا رأينا ؟

عجيبة من عجائب التوفيقات : فقد رأينا على الشاطىء قبالتنا هيكل الصباح المشهور بين الهياكل المصرية ، ورأيناه فى اللحظة التى بُنى لها ، وأعدت محاريبه للقائها والامتلاء بشعاعها وضيائها : وهى لحظة الشروق

هذه مطالع هاتور

هذه محاريب أبى سمبل ، وهذه تماثيلها الأربعة الفخام لا تسأم النظر إلى الدنيا فى مجلسها ، ولا تسأم الدنيا من النظر إليها

وهذا هو الوادى الذى قدسوه قبل ثلاثة آلاف سنة ، وجعلوه حرماً لربته هاتور ، ولأرباب كثيرين

نعى إذن ظلال الهيكل الساحر التى شملتنا فى جو الزجر

والعيافة منذ ألممنا بواديها ونحن لا ندرى

وهى إذن بقية من كهانات سبقت جميع الكهانات ، وأخذ منها الوادى أو هى قد أخذت من الوادى بنصيب

وكان تمام التوفيق أن نبيت الليل فى جوارها ثم لا نطلع عليها إلا مع طلوع الصباح ، وقد فضت له مغالقها وكشفت له محاربها ، وعانقته هنيهة عابرة فى لجة من النور

وعبرنا صامتين

وأنصتنا وأطلنا الإنصات ، لأننا نختلس السمع من وراء ثلاثة آلاف عام . وماذا يمنعنا أن ننصت فنسمع ؟ ... ثلاثة آلاف عام لا تنأى بنا عن السمع فى ذلك السكوت

كانوا يقولون فى تلك اللحظة من وراء الجدران الضخام ، ومن وراء جدران أضخم منها وأفخم ، وهى جدران الدهور :

« أتيت أيها البصر الهادى وتمزقت الظلمات ورجعت الأشباح إلى ظلماتها ، واهتزت الأرض بالبشائر ، وافترت الثغور !

« تحيات يا رائد السماء . إنّا لك خاشعون

« وإن الحياة لتبسم بك يا كريم . وإن الماء ليتنفس بك يا واهب الأنفاس ، وإن الزهرة لبك تزهر ، وإن الوردة لبك تعطر ، وإنها لتحيات إليك يا رائد السماء ، وإنّا لك لخاشعون !

« صورت نفسك تمثالك مصور ، وكذلك صورت فى ملكك أول نهار ، وخلقت نفس الصباح ، ونفس الإنسان ، وكل ما نماه عالم الإنسان

« حجبت سرك فى النور الأعظم فلا يستشفه بصر مبصر ، وإنا لنحييك يا رائد السماء ، وإنّا لك فى سرك لخاشعون !

« يأيها الوليد القديم لكل نهار جديد ، نستقبلك فنرقص فرحاً فى كرامتك ، ونحنو لك خاشعين ! »

كانوا ينشدون هذا النشيد من وراء الجدران

كانوا ينشدونه بكل لسان ، ويرسلونه إلى كل سمع ، فلا يضيرهم أن يخذلهم لسان واحد فى تلك اللحظة ، وهو اللسان الذى لا يقول بعد الموت ، ولا يخترق حجاب القبور

***

إيه أيتها التماثيل الضخام ! فيم تتحدثين فى تلك الجلسة وقد طالت بك آلاف السنين ؟

كم قلت ؟ وكم لم تقولى ؟ ! وكم رأيت وكأنك ما رأيت ؟ وكم غمرتك الرمال وأنت لا تحفلين ، وغمرتك الأنوار وأنت لا تحفلين ، وغمرتك الأنظار المستطلعات وأنت لا تحفلين . . . فيم احتفالك ! وفيم صبرك وانتظارك ؟ وإلام تجلسين ؟ إلام إلام تجلسين ؟ !

قلت لأصحابى : هذه جلسة تاريخية ليس لها قرار ، لأنها كلها قرار !

قال قائل منهم : طوبى لها قرارها ! وطوبى لها هذه الجلسة التى اطمأنت إليها : لا حروب ولا أشجان ، ولا أهواء ولا أضغان ، ولا اكتراث للانسان ولا لعالم الإنسان

قلت : على رسلك يا صاح . . . لو استطاعت أن تبتسم لكلامك لامتلأت أفواهها بالابتسام ، ثم جلجلت بالضحك حتى ارتجت لها الهضاب والآكام

أهذه التماثيل الضخام بمعزل عن الحروب والأشجان ، وعن الأهواء والأضغان ، وعن الاكتراث للانسان وعالم الإنسان ؟

هى حديث حرب ، وهى حديث حب ، وهى حديث شجن ، وهى حديث إنسان يتكلم من وراء الزمن إلى إنسان

وخطوة واحدة وراءها تريك رمسيس فى مركبة الحرب يقلب الصفوف على الصفوف ، ويرسل الحتوف وراء الحتوف ، ويفخر بالنجاة وهو مارق من بين ألوف

وخطوة أخرى وراءها تريك الفاتنة « نفرتارى » وهى كالغصن الريان بهواه وهوى عاشقيه

وخطوة أخرى وراءها تريك المطامع والأهواء ، تلعب بالكهان والرؤساء ، وتزدلف إلى السطوة والثراء ، وتنطق بالهجر والمراء

كلا . يا صاح ! هى الحرب فى هذا السكن والحرب فى كل مكان ، وهى الأهواء الآن والأهواء فى كل آن ، وهى الصخور الصلاب تسكت سكوتها فتسمع منها لجب الفرسان ، ونجوى الحسان ، وسعاية الأقران والأعوان

هى حرب ينبئنا بها حجر ، وحرب ينبئنا بها بقر ، وحرب ينبئنا بها كل قائل وأعجم ، ولا يعوزه ترجمان .

عباس محمود العقاد

غرام «سعد زغلول»

للدكتور زكى مبارك

دَرجتُ فى الأعوام الأخيرة على كتابة مقالة سنوية فى (الرسالة) بمناسبة ذكرى «سعد»، رعايةً لفضل هذا الرجل فى بعث الحياة الأدبية عند اختلافه مع زملائه الذين شاطروه أعباء الثورة المصرية، لا رعايةً لمقامه الوطنى «وهو مقام محفوف بالإجلال عند جمهور المصريين والشرقيين»؛ وإنما أحترس هذا الاحتراس لأن حقدى على «سعد» كان يفوق الوصف، ومقالاتى فى الهجوم عليه كانت أقوى ما كتبت فى صدر شبابى، فقد كانت مبادئ الحزب الوطنى غزت قلبى غزواً عنيفاً

أكتب هذا والحزن يعصر قلبى، فقد انقضى ذلك العهد، وخمدت النار التى كانت تتأجج فى صدرى، ولم أعد أقبل الانضمام إلى أى حزب من الأحزاب السياسية

كانت لنا مبادئ نقتتل فى سبيلها اقتتال المجاهدين الصادقين، وكنا نرحّب من أجلها بالسجن والاعتقال طائعين فرحين، مبادئ سليمة تفرّق بين الابن وأبيه، والأخ وأخيه، فى غير بغى ولا عدوان، فعلى عهدها الكريم ألف تحية وألف سلام!

ولو لم يكن هذا الحديث متصلاً بذكرى «سعد» الذى عانى ما عانى من بلايا النفى والاعتقال لطويته بلا تردد، مراعاةً لظروف هذه الأيام، فلتكن هذه السطور فنًّا من الإحياء لذكراه بين أبناء هذا الجيل

* * *

حديث اليوم عن «غرام سعد زغلول»، وهو حديثٌ لم يُفِض به إلا لأفراد قلائل، فما ذلك الحديث؟

أذكر أولاً أننى لن أجترح إثماً، ولن أسنّ سنّة سيئة، حين أتحدث عن غرام رجل عظيم شرّق صيته وغرّب، فمن المحال أن تخلو قلوب العظماء من صبوات وأهواء

يضاف إلى ذلك أننى سأتحدث يوماً عن «غرام مصطفى كامل»؛ الغرام الذى جمله من كبار الخطباء بلغة الفرنسيس، والذى فرض عليه أن يهتف هتاف الشوق إلى هواه، وهو يعانى سكرات الموت ...

وأذكر ثانياً أن الدار التى سيجرى اسمها فى الحديث عن «غرام سعد» لن تتألم ولن تتأفف، لأن سعداً أحبها وأحب أهلها حب الشرفاء، ثم ارتدّ عنها بحسرة دامية لم يخفّ كربها إلا بعد سنين تزيد على الخمسين

فكيف كان «سعد» حين استعر فى صدره ذلك الحب؟

كان طالباً فى الأزهر الشريف، وكان طلبة الأزهر فى العهود السوالف على جانبٍ كبير من التوقر والاستحياء

ولو شئت لقلت: إنه كان من الصعب على أى فتًى مصرى أن يتخيل كيف تكون المرأة وهى عارية؛ ولو شئت لقلت أيضاً: إن التصون كان مما يتباهى به الفتيان، فى ذلك الزمان، قبل أن تصاب الدنيا بأوضار التمدن الجديد

وكان «سعد» أزهريًّا عفّ القلب، ولم يكن يعرف من نعيم الحواس غير اللحظات التى يقضيها مع زميله ابراهيم الهلباوى متربِّعَيْن على الرصيف بجانب المحكمة المختلطة لمشاهدة الرائحات والغاديات فى عصرية كل خميس

فهل تكون تلك العصريات علّمت سعداً معانىَ الغزَل الملفوف؟

هل تكون أوحت إليه أن قلب الفتى قد يتوهج من حين إلى حين؟

حين قصّ علينا الهلباوى بك -- رحمه الله — تلك الحكاية لم يشأ أن يطنب فى الشرح والتعليق، فقد كان فى المجلس رجال يؤذيهم التبسط فى مثل ذلك الحديث ولم أكن أنا أعرف أنى سأتكلم عن غرام سعد بعد حين أو أحايين

المؤكد أن سعداً قضى شبابه فى تصون وعفاف، ولولا ذلك لكان من العسير أن يظل فى نشاطه المعروف إلى أن يجاوز السبعين

ومن هنا نعرف كيف اصطلى بنار الوجد فى صباه، فالشاب المصون يعانى من الغرام لذعات أحر من لذع النار، لحرمانه من التصعيد الذى يجود به الحب الأثيم

فأين كان حب سعد، حبه السليم من آفات العبث والمجون؟

أطلّ يوماً من غرفته فرأى فى دار الجوهرى فتاةً كحيلة

العينين مُشرقة الجبين ، ثم غضّ بصره بسرعة حين تذكّر أن ما زاد على النظرة الأولى حرام لا حلال

وما احتياجه إلى نظرة ثانية وقد رُسمتْ صورة الفتاة على ألفاف قلبه رسماً جعلها أقرب إليه من متن الألفية ، وأوضح من شرح ابن عقيل ؟

هل يُطلّ من النافذة فيراها مرة ثانية ليتأكد من التماثل بين الصورة والأصل ؟

لا بأس ، ولكن الفتاة لم تكن تظهر فى صحن البيت إلا عند الأصيل ، وهو الوقت الذى يعود فيه فتحى افندى من المدرسة ، وهو شقيقه الذى صار فيما بعد فتحى باشا زغلول ، وكان الشيخ سعد يراعى فتحى افندى ، ويتعمد الظهور أمامه بصورة الناسك المتعبد ، ليصرف عنه سوء التلفت إلى النساء ، فقد كان يعرف أن التلاميذ « الأفندية » معرَّضون من هذه الناحية لأخطار تزلزل رواسيَ الجبال

النظر إلى المرأة حرام ، فما حكم الشرع فى سماع بُغام الملاح ؟

وإنما عرضَ له هذا الخاطر الطريف ، لأن مناغاة الفتاة لأترابها كانت تداعب أذنيه من وقت إلى وقت ، وكان شديد العَجب من أن تكون لفتيات الحواضر أنغام لم يسمع مثلها من بنات الريف ، أنغام تصنع بلُبـّه ماتصنع الراح بألباب الشاربين

ما حُكم الشرع فى هذه القضية ؟ أيستفتى أشياخه بالأزهر الشريف ؟ أيرجع إلى مطوّلات الفقه بالكتبخانة الخديوية[1] ؟

لا هذا ولا ذاك ، وإنما اكتفى بوضع القطن فى أذنيه عند سماع ذلك البُغام إلى أن يقضى الله فى أمره ما هو قاض

كان يتمنى أن تتاح النظرة الأولى مرة ثانية ، النظرة التى يُرمَى بها الفتى عن غير عمد ، وهى حلال على أرجح الأقوال ، ولكن آباءنا قبل ستين سنة لم يكونوا يسمحون لفتاة بالخروج من البيت حين تصبح وهي فى نضرة الغصن الفينان ، فمن المستحيل أن يظفر الشيخ سعد بنظرة بريئة من تلك الفتاة عند الخروج لدروس الصباح ، أو عند الرجوع لتناول الغداء

وهل كان الفتى الأزهرى الذى يصلى ويصوم يستبيح التطلع إلى بنات الجيران ؟ هيهات ثم هيهات ، فقد حلف على المصحف ليصيرنّ إلى آخر حياته وهو فى طهارة القانت المنيب

ثم يضطرم قلب سعد أعنف الاضطرام ، ويزداد بلاؤه بهواه المكتوم ، من يوم إلى يوم ، والفتاة لا تعرف أن بجوارها فتى يدعو الله فى أعقاب الصلوات أن يجعلها نصيبه من دنياه ، أو يجعلها على فرض الحرمان نصيبه من الحور العين

ويمضى فيقلب كتب النحو والفقه والتوحيد ليحفظ ما فيها من الأشعار الغزلية ، ولا يكتفى بذلك ، بل يمضى فينسخ ديوان ابن الفارض ، ليتخذ منه سميراً يؤنس وحشته حين تخفت الأصوات فى دار الجيران

إن سعداً فلاّح وابن فلاّح ، والفلاحون يخمدون نار الصبوة بالزواج ، فما الذى يمنع من أن يسلك مسلك الفلاحين الشرفاء ، فيطلب القرب من أهل تلك المليحة الحوراء ؟

وهنا تثور مشكلة من أقبح المشكلات ، مشكلة اجتماعية يعانيها الحيّ الأزهرى فى جميع الأزمان ، وهى إصرار سكانه من كبار التجار على أن الأزهريين غرباء

لا جدال فى أن الأزهريين هم شرايين الحياة فى ذلك الحى ، وبفضلهم تحيا متاجر وتقوم أسواق ، ولكن هذا الفضل مجحود ، لعلة يحار فى فهمها اللبيب . وقد كانت كلمة « مجاور » كلمة مدح ، لأنها منقولة عن مجاورة الحرم النبوىّ الطاهر ، ثم صارت كلمة هجاء ، بسبب التحامل على الأزهريين ، فاعجبْ لكلمة ينقلها سوء المعاملة من مدلول إلى مدلول ، بلا موجب معقول !

ومع أن الشيخ سعد زغلول كان يعرف أن حيّ الأزهر حيٌّ غادر ختّال ، فقد قهره الهوى على أن يطلب يد ابنة الجوهرى ، ليسلم من وقْد هواه ، وليعرف كيف يُقبل على دروس الأزهر بعناية والتفات . وهل من المحال أن يبقى ذلك الحىّ مرة فى العُمر لمشرّفيه من فتيان الريف ؟

تشجّع الشيخ سعد فطلب يد ابنة الجوهرى ، فردّهُ الجوهرى برفق ، وهو يجهل ما ينتظر عمامة سعد من سيطرة أدبية وسياسية على أبناء هذه البلاد

ورجع سعدٌ حزين القلب ، كاسف البال ، وقد خاب أمله فى هواه إلى آخر الزمان ، ثم نظر فرأى أن الفرار من الحيّ

(١) اسمها اليوم : دار الكتب المصرية

الأزهرى واجبٌ مفروض ، لينجو من غمزات الذين شهدوا ردّه الأليم عن مناسك هواه . وأبناء الريف تؤذيهم ثورة السفهاء

لا بُدّ من ترك الحيّ الأزهرى ، ولكن أين يذهب ؟ وماذا يصنع ؟

إن أباه كان يرجو أن يصير من علماء الأزهر الشريف ، ومن أئمة الدين الحنيف ، فكيف يخلف ظن أبيه بلا تهيّب ولا استحياء ؟

ثم بدا له أن الكرامة الذاتية من مقاصد الكرامة الدينية ، فخلع العمامة والجبة والقفطان ، ولبس الحلة الأفرنجية واحترف المحاماة ، فأصبح وهو الأفوكاتو سعد أفندى زغلول ، بشارع عابدين ، وأمسى مكتبه سامراً يلتقى فيه كرام الرجال

ولكن لوحة صغيرة كانت تثير جواه حين يدخل ذلك المكتب ، لوحة رُقِشَ فى صدرها الأبيض هذا البيت :

وإذا دُعيتُ إلى تناسى عهدكم ألفيت أحشائى بذاك شِحاحا

ولم يكن بدٌّ للقلب المجروح من دواء ، وهل يُداوَى القلب المفطور بغير العمل الموصول ؟

مرّ عامٌ وعامٌ وأعوام ، وسعدٌ يجاهد فى سبيل المجد ليعرف من ردُّوه جاهلين أنهم أضاعوا « جوهرة » لن يرى « الجوهرىُّ » مثلها ولو أضاع العمر فى البحث والتنقيب

ثم استجاب الله لدعوات الوالدَين الصالحَين ، فاقترن سعدٌ بفتاةٍ كريمة العمّ والخال هى بنت مصطفى باشا فهمى رئيس الوزراء فى ذلك العهد ، وهى اليوم صفية زغلول أم المصريين ، أسبغ الله عليها نعمة الصحة والعافية ، إنه قريبٌ مجيب

وجاءت أيام فى إثر أيام ، وتنقّل سعدٌ من حال إلى أحوال ، إلى أن نفاه الإنجليز فى سنة ١٩١٩ بسبب قضية الاستقلال

ثم سمح الإنجليز بأن يسافر من مالطة إلى باريس ليقنع « مؤتمر السلام » بعدالة القضية المصرية إن استطاع

وعجز سعدٌ وأصحابه عن الوصول إلى قصر فرساى ، فرجع إلى مصر وهو آسف غضبان

فماذا رأى بعد الرجوع ؟

أقيمت له حفلتان فى الحىّ الأزهرى ، أولاهما فى دار البكرى ، وقد فرح بها فرحاً عظيما ، فقد كان يظن أن خذلانه فى الوصول إلى « مؤتمر السلام » قد يصرف عنه قلوب المصريين وفى تلك الحفلة هُتف عند دخول عدلى باشا بعبارة « تحيا وزارة الثقة » ، وهُتف لسعد باشا بعبارة يحيا « الشيخ سعد »

أما الحفلة الثانية فكانت ... أين كانت ؟

كانت فى دار الجوهرى ، الدار التى ردّت سعداً خائباً قبل أعوام تزيد على الخمسين

وجرى الهتاف لسعد : « يحيا الشيخ سعد »

والتفت سعد باشا ذات اليمين وذات الشمال ، فرأى أنه فى أمان من ثورة السفهاء ، وأن الشيخ القديم لن يغلب الباشا الجديد ، وأن من حق الأزهريين أن يفتخروا به مشكورين

ثم التفت الرجل مرة ثانية ذات اليمين وذات الشمال ، وسمح لعينيه بدمعتين مُحرقتين ، هما التحية لهواه الذى ذهب إلى غير معاد

هذا سعد باشا خليفة الشيخ سعد ، ولكن أين بنت الجوهرى ؟ وأين مكانها فى هذا الوجود ؟ أغلب الظن أنها ماتت وإلا فكيف صبرت عن خلع العذار لتقبّل الحبيب الذى انتصر على مكايد الزمان ؟

وأقام سعدٌ فى « بيت الأمة » يتلقى تهنئة الوفود بعودته سالماً من باريس ، وكان يمدُّ يده فينزع اللثام عن كل امرأة تعتصم بالحجاب ، وكانت حجته أنه يؤيد رأى صديقه الحميم قاسم أمين

ولعله كان يرجو أن يطلُع عليه القمر الجوهرى ، لو كان للقمر الآفل طلوع

لقد حدثتنى النفس بزيارة دار الجوهرى قبل أن أسطر هذا الحديث ، ولكنى خِفت أن أضاف إلى المجانين

كان لى فيك هوًى ، يا دار الهوى ، فأين غرام سعد وأين غرامى ؟

إن اعتدل الميزان فسنكتب على بابك العالى سطراً يقول :

« هنا تهاوتْ أحلام وقلوب »

وأين دار الجوهرى ؟ لا تسألوها عن مكانها ولا تسألونى ، فقد ناب عنى وعنها أبو تمام حين قال :

لا أنتِ أنتِ ولا الديار ديارُ خفّ الهوى وتقضّت الأوطارُ

وأنت ، يا سعد باشا ، ما رأيك فى هذا الحديث ؟ ألا ترى أنه من أشرف ما يتصل بتاريخك الجميل

زكى مبارك

من معهد الإسكندرية إلى جامعة فاروق الأول

للأستاذ محمد محمد المدني

أيتها الجامعة الناشئة :

سلام الله ورحمته وبركاته عليك ، وهنيئاً لك هذا البدء السعيد لحياة أرجو أن تكون طويلة مباركة حافلة بالعمل والنشاط والإنتاج إن شاء الله !

أتدرين ممن تَلَقَّيْنَ هذا الكتاب ؟ إنه من أخ لك لم تلده أمك الشابة الحسناء ، المشرفة على ضفاف النيل بالجيزة الفيحاء ، ولكن ولده عمك أو جدك « الأزهر » ! ذلك الشيخ العجوز الرابض تحت سفح المقطم منذ ألف عام ... أريد أن أهنئك من قلب مخلص صادق لم يداخله الحسد ، ولم يكدره التعصب ، بما تلقينه من عناية بك ، واهتمام بأمرك ... ثم أشكو إليك ما أتجرع أنا من غصص الضعف ، وما أذوق من ذل الغربة وويل الشتات(١) !

أنت الآن — أيتها الأخت — في فترة من الزمان تغبطين عليها : لم تبتدئي بعدُ عامك الدراسي الأول ، وأرى الدنيا عليك مقبلة ، والأيام عنك راضية ، والدولة إليك دائلة !

أنت كالعروس المدللة الأثيرة عند أهلها : يُعدون لها ، ويتطلعون إلى يوم جلوتها ، ولا يدخرون وسعاً في سبيل إرضائها ، وتهيئة الحياة السعيدة المترفة الناعمة لها ... وأهلك أغنياء كرماء قد عرفوا الحياة وأدركوا أسرارها ، ومُرِّنوا على السير فيها بخطوات ثابتة جريئة متوالية ، حتى احتلوا المكان الأول ، ونالوا الحظ الأوفر ، وتركوا الخاملين المتخلفين من ورائهم ، يكادون يتميزون غيظاً ويموتون غمًّا !

هذه وزارة المعارف كثيرة الحركة دائبة النشاط : قد حشدت قواها ، وعبأت رجالها : تجتمع لجانها ، وتنعقد مجالسها ، وتكتب تقاريرها ، وتؤلف فيها الهيئات الفنية وغير الفنية ، ويسهر وزيرها ، ويدأب في السعي مستشارها ، وتشتغل الصحف والمجلات ودار الإذاعة بأمرها ... وكل ذلك من أجلك أنت — أيتها الأخت — السعيدة ! ومن قبل شغل المجلسان في دار الندوة بهذا الأمر : تقبلاه بقبول حسن ، وأقراه في مثل لمح البصر ، وأوسعا له في البذل والعطاء ، ولم يضنا عليه بالحرّ من المال ، والعالي من المناصب ، والرفيع من الدرجات ... فاسعدي — يا أُختُ — بهذا العطف ، واهنئي بهذه الرعاية ، واستمتعي بمجد آلك ، واستطيلي فخراً بأسمائهم ، واستظلي مما عقدوه عليك بلواء من الأمن والطمأنينة والرضا ، واسلكي سبل العلم ، وفجاج البحث ، ذُللاً لا أشواك فيها ، ولا عقاب تعترض من دونها !

سيري يا أختاه بجنان ثابت ونفس مطمئنة وصدر لم تفسده الوساوس ، ولم تحوم حوله الشكوك ، فقد وفتك الدولة حقك ، وكفتك ما يهمك ، وجعلتك في يمنى يديها حين جعلت غيرك في يسارها ومن وراء ظهرها !

معاذ الله — أيتها الأخت الناشئة — أن أتطاول إلى مثل مقامك ، أو أمني النفس بمثل منزلتك ، فإنما أنا معهد ثانوي صغير لا يزيد على هذه المدارس الكثيرة التي تعمل في خدمتك ، والتي ستمدك كما مدَّت أمك الرءوم من قبل بالبنين والبنات ؛ ولست قريباً لك ولا نداً لخطابك ، ولكني أشاركك فقط في معنى واحد ، به أكتب إليك وبه أجترئ عليك : أنا معهد الإسكندرية وأنت جامعة الإسكندرية ، ولقد كنت مثلك يوم نشأتُ منذ ثلاثين عاماً : كنت معهداً من المعاهد العليا عنيت به الدولة يومئذ كما تعنى بكِ الآن ، واحتفلت به الأمة كما تحتفل بك الآن ، وأسندت إدارته إلى رجل عبقري حازم لم تزل آراؤه وإصلاحاته وهمته ونشاطه مسك الأحاديث وعطر المجالس ، هو المغفور له الشيخ محمد شاكر ، وقال الناس عني كلاماً كثيراً ، قالوا : هذا معهد الإسكندرية عاصمة مصر الثانية ، هذا هو « أزهر » الدولة المحمدية العلوية سينافس أزهر الدولة

---

(١) معهد الأسكندرية مقيم بدمنهور بسبب الغارات على الأسكندرية ، وقد أدمج القسم الثانوي منه في معهد طنطا .

الفاطمية ، وقد حققت بى الأيام بعض هذا الظن ، فكنت نموذجاً فى أساتذتى ، وكنت نموذجا فى طلابى ، وكنت نموذجا فى دراساتى ونظامى ، وخرجت رجالاً أئمة يكادون يستأثرون بالفضل فى كل ناحية من نواحى الأزهر الحاضر : فى العلم ، فى الخلق ، فى الإدارة ، فى الحزم ، فى الشجاعة ، ولكن الزمان صدمنى مرتين : فأما إحداهما فيوم بدا لرجال الأزهر أن يجعلونى معهداً كمعاهد الأقاليم فأصبحت معهداً ثانويًا كمعاهد طنطا وشبين وقنا ، أعد أبنائى ، وأجدّ فى تعليمهم وتثقيفهم وتهذيبهم وتقويم أخلاقهم ؛ حتى إذا سويتهم فتيان علم وعمل وخلق كريم دفعت بهم إلى الأزهر فغرقوا فى لجته وضلوا فى تيهه . والأزهر كما ينبئ عنه التاريخ قوة خارقة غلابة تحيل الأشياء ولا تحيلها الأشياء : كم من رجال تأبّوا عليه ثم خضعوا له من حيث لا يشعرون ، وأرادوا له صيداً فكانوا هم المصيدين ! وكم من علوم لم تهضمه ولكنه هضمها ، ورامت منه فأخضعها وأذلها ! وكم من أخلاق فيه تبدلت وملكات ثابتة تأرجحت ! فماذا عليهم لو تركونى كما أنشأونى معهداً عالياً نموذجيًا ولم تمتد أيديهم إلىّ ، إذن لكنت اليوم جديراً أن أكون قريناً لك بل منافساً شريفاً يحاول أن يسبقك فى ميادين العلم والبحث والإنتاج !

وأما صدمتى الأخرى فقد أصابتنى قريباً ، وكانت صدمة عنيفة زلزلت مكانى ، وقوضت أركانى ، وشطرتنى شطرين رمت بأحدهما إلى عاصمة الغربية فزحمت به معهد طنطا ، واحتفظت بأيسر الشطرين فى دمنهور فأقامته فى « كُتّاب » لجمعية تحفيظ القرآن ثم قالوا عن هذا « الكُتّاب » وأنا أكاد أذوب خجلاً : هذا معهد الأسكندرية !

لقد أنزلوك يا أختى فى الرحب والسعة إحدى دورهم الفسيحة الأرجاء العالية البناء ، ولن تمضى عليك بضع سنوات حتى تكون لك مدينة جامعية فى رمل الأسكندرية تشرق على بحر الروم كما تشرق مدينة الجامعة الأولى على نهر النيل ، أما أنا فقد قضيت حياتى فى مكانين متباعدين فى مدينة الأسكندرية شمالاً وغرباً : أحدهما زقاق غير نافذ من أزقة السيالة تكتنف البيوت فيه دارى ، ويعلو للباعة المتجولين فى كل صباح ضجيج من حولى ؛ والآخر دار بنوها ، وكأنما كان مهندسها ينظر فى ضمير الغيب إلى ما حدث الآن[1] فبناها على نظام ثكنات الجيوش . نعم بنوها ، ولكن فى أى مكان ؟ فى « القبارى » موطن المصانع ومستودعات البترول و « مغالق » الخشب ، ومخازن السكك الحديدية وطريق الأسكندرية كلها إلى « السلخانة » ومدابغ الجلود !

« وفكر » الأستاذ الأكبر المراغى فى أن يبنى لى داراً تليق بمكانتى ، فأمر رجاله أن يرودوا الأسكندرية وضواحيها مكاناً مكاناً فرادوها ، وقيل للناس إنهم قد انتخبوا مكاناً فيها ، ثم انتهى الأمر بالمشروع إلى هذا الحد فَكُتبتْ فيه تقريرات أضيفت إلى سجل التقريرات عن سائر المشروعات !

وليتنى بقيت فى الأسكندرية حيث كنت ، ولكنهم حفظهم الله قد خافوا الغارات ، وقذائف الطيارات ، ففروا بى من قضاء الله إلى قضاء الله . فهذه هى الصدمة الأخيرة التى حدثتك يا أخت عنها ، فإذا بدا لك أن تسأليني : كيف جاز لمعهد أزهرى أن يفر من الأسكندرية قبل أن تفر مدارسها الابتدائية بل مدارسها الإلزامية ورياض أطفالها ، فإنى أجيبك على البداهة بأن لنا معاشر الأزهريين فلسفة خاصة فى القضاء والقدر والصبر على النوازل والثبات للشدائد ؛ فلسفة تقضى علينا أن ننصح الناس بالرضا عن ذلك كله ، واحتمال ذلك كله وننسى أنفسنا ، وأن نبالغ فى نهى الناس عن الجزع والفزع ثم نخالفهم إلى ما نهاهم عنه ! وقد يكون فى الأمر سر آخر لا أعلمه ولا أعتقد أنك حريصة على أن تعلميه ، وربما علمه فضيلة شيخى الجليل الناشط الأستاذ الشيخ أبى العيون . وبهذه المناسبة أذكر لك أن هذا الشيخ الناشط لا يباشر عمله فى إدارتى الآن منذ عام أو يزيد ، لأن الأزهر رأى أن ينتفع بنشاطه فى منصب من مناصب التفتيش « فى إدارته العامة » فيا لله لمعهد قسمه الثانوى فى طنطا وقسمه الابتدائى فى دمنهور ، وشيخه ومدير إدارته فى القاهرة بين المفتشين !

أيتها الأخت السعيدة : هنيئاً لك ، وعزاء لى .

أخوك

معهد الأسكندرية

« بطرف » جمعية المحافظة على القرآن الكريم بدمنهور

(طبق الأصل) **محمد محمد المدنى**

المدرس بكلية الشريعة

---

(١) تحتل القوات العسكرية الآن بناء المعهد بالقبارى .

من وثبات العبقرية

نظام الضرائب فى الاسلام

وهل روعى فيه الوضوح والملاءمة

للأستاذ على حسين الوردى

لقد وضع الاقتصادى الأشهر آدم سميث ، كما سبق ذكره ، أربع قواعد يجب أن تتوفر فى الضريبة الصالحة : هى العدل والاقتصاد والوضوح والملاءمة[1] .

أما وقد انتهينا فى مقالاتنا السابقة من بحث قاعدتى العدل والاقتصاد فى الضريبة ، فقد بقى علينا أن نأتى إلى موضوع الوضوح والملاءمة فيها .

قاعدة الوضوح

يريد العلماء بالوضوح فى الضريبة أن تكون الضريبة معينة فى مقدارها وزمان جبايتها ومكانها ، بحيث يكون الناس على علم من ذلك كله فلا يبقى إذن مجال للزيادة والنقصان والتقديم والتأخير ، مما يؤدى إلى إساءة الاستعمال والاختلاس والإرهاق ، إذ يغتنم الجباة فرصة جهل الناس فيستخلصون منهم ما لا حق لهم به

والحكومات الحديثة تحرص على اتباع هذه القاعدة كل الحرص ، فنجدها تنشر على الناس الميزانية العامة فى رأس كل عام ، وتحاول بكل وسيلة أن يطلع المكلفون على ما فرض عليهم من ضرائب لكى يعدّوا أنفسهم وأعمالهم وأموالهم فى سبيل ذلك ، ولكى يعلموا بشىء من اليقين ما تزيد به الضريبة على كلفة الإنتاج وما ينبغى لهم من تقرير الأسعار وتهيئة العرض حسب الطلب المقبل .

ولقد قيل بهذه المناسبة إن القديم الخبيث من الضرائب خير من الطيب الجديد[2] . ويريدون بهذا القول : أن الضريبة القديمة ، مهما كانت سيئة ، فقد عرفها الناس وتعودوا عليها منذ زمن طويل ، ثم اطمأن المنتجون إلى آثارها فهم ينتجون بعد أن يضعوا مقدارها فى حسابهم وبحاً معيناً . وإذا كان السعر من جرائها مرتفعاً علم المنتجون بما يستطيعون بها من بيع وما يأتيهم بعد ذلك من أرباح . وعلى هذا يكون ميزان العرض والطلب فى الميدان الاقتصادى هادئاً ، ومحتملاته القبلة على شىء من الوضوح

أما إذا وضعت الحكومة ضريبة جديدة ، اختل هذا الميزان طبعاً وأخذ يترجح يمنة ويسرة ، لأن المنتجين تفاجئهم الضريبة فيضطرون إلى تحملها فى أرباحهم أو إلى زيادة أسعارهم بها ، وفى كلا الحالين يطرأ الارتباك على سوق البضاعة : لقلة فى العرض ناتج عن ضآلة الأرباح ، أو لقلة فى الطلب ناتج عن ارتفاع الأسعار

هذا هو ما دعا الحكومات الرشيدة إلى الإبطاء فى تبديل نظام الضرائب الجارى فى بلادها وقصر التعديلات فيه على أقل حد ممكن ، لأنها تعلم خطر التغييرات المتعاقبة على النظام الاقتصادى المستقر على حالة راهنة[1]

وإذا نظرنا إلى الإسلام نجد ضرائبه على قسط كبير من الوضوح والاستقرار ، ولعله قد فاق كل نظام فى هذا المضمار ، إذ أن رسول الله قد وضع نظاماً ثابتاً للصدقات لا يتغير على مدى الأيام ، وها هو ذا جزءاً من الفقه يتدارسه المسلمون جيلاً بعد جيل ، وعند ما حدثت فى الإسلام أوضاع جديدة احتاجت إلى أنواع أخرى من الضرائب كما حدث فى عهد عمر ، وضع الفقهاء، كما بينا سابقاً ضرائب جديدة أقرت من بعدهم واتبعت اتباعاً طويلاً

وكأن الإسلام قد شعر بما يشعر به علماء اليوم من أن الضريبة القديمة ليست ضريبة An old tax is no tax[2] . فشرع للناس شرعة الضرائب الثابتة ، وهى ما كانت الأمم القديمة لا تعرفه ولا تهتم به

فلا ريب فى أن الملك فى الزمن القديم كان يبغت الناس بين كل آن وآخر بضريبة جديدة ، تبعاً لما كان يشعر به من حاجة إلى مال ، أو رغبة فى ادخار

---

(١) Justice, Economy, Certaivety, Convenience.

(٢) موجز فى علم المالية ، فارس الخورى (ص : ٢٠٤) (مطبعة الحكومة بدمشق ١٩٢٤)

(١) أصول علم المالية العامة ، الدكتور زكى عبد المتعال سنة ٩٤١ (الطبعة الأولى ص ٢٠٠)

(٢) Public Finance, Bastable (الطبعة الثالثة ، لندن ، ١٩٢٢ ، ص ٤١٦

وبهذه المناسبة نود أن نطلع القارئ على طريقة فى الجباية كانت مستعملة فى الزمن القديم ، ولا تزال بعض الدول اليوم تعتمد عليها أحياناً ، تلك هى طريقة التوزيع Apportional ، ويلاحظ فيها أن الحكومة لا تعيّن نسبة الضريبة فى قانون ثابت ، حيث تؤخذ من الفرد كل سنة كما تقتضى قاعدة الوضوح إنما تعين الحكومة مقدار حاجتها من المال فى رأس السنة المالية ثم تقسم هذا المقدار على الولايات لتؤدى كل منها حصتها المتناسبة من الضريبة العامة . وحاكم الولاية بدوره يفرض على أفراد ولايته ما يشاء من وزيعة ، إذ هو مسؤول على وفاء ما تطلب منه الحكومة المركزية بكل وسيلة

حقًّا ، إن هذه الطريقة سهلة الإدارة واضحة المعالم بالنسبة للحكومة ، لكن فيها ظلماً وفيها غموضاً بالنسبة لدافع الضريبة ، ذلك لأنه لا يعرف مقدار الوزيعة التى تؤخذ منه كل سنة ، فهى تختلف عاماً بعد عام

فإذا كانت حاجة الحكومة كبيرة فى إحدى السنين ، أرهق الفرد فى دفع حصته من ذلك من غير اهتمام كبير فى ما ينتج الفرد أو يستطيع ؛ ولذلك يبقى حائراً فى كل حين ، لا يدرى مقدار الوزيعة التى ستفرض عليه ، ولا يقدر إذن أن يتضح أثرها الاقتصادى فى تكاليفه المقبلة وأسعاره

أما الإسلام ، فلا نعلم أنه لجأ مرة إلى مثل هذه الطريقة ، وكل الذى نعرفه فى هذا الموضوع ، هو أنه كان يوصى عمال خراجه وصدقاته دائماً بالرفق والعدل من غير اكتراث بالمقدار الذى يستحصلونه بعد ذلك . وقد قال أحد العمال لعلى بن طالب عندما أوصاه بالرفق : يا أمير المؤمنين ، إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك (يعنى من غير جباية) ؛ فأجابه على : وإن رجعت كما ذهبت ... ويحك ! إنَّا أُمرنا أن نأخذ منهم العفو (يعنى الفضل[1])

***

وقاعدة الوضوح هذه تكون واجبةً أشد الوجوب عندما

(١) الخراج ، يحيى ابن آدم القرشى (المطبعة السلفية ١٣٤٧ ص ٧٥)

تجبى الضريبة بطريق الالتزام ، لأن الملتزم الذى يتقبل جباية الضريبة على مقدار معين من المال ، يرغب دائماً فى أن يستفيد من غموض الضريبة ، أو جهل الناس بها ، وهو قد يتوخى تعمية الأمر ليتسع له مجال ابتزاز المال منهم تحت ستار من القانون !

وفى الحقيقة أن الحكومة مهما حاولت توضيح الضريبة للناس ، فلا بد أن يبقى ثمت كثير من البلهاء الجاهلين

وهذه السيئة هى التى جعلت الحكومات الحديثة تتجنب — جهد الإمكان — منح الجباية إلى الملتزمين

هذا ، والالتزام — فضلاً عن ذلك — مخالف لقاعدة الاقتصاد فى الضريبة :

فلقد قلنا فيما مضى : إن الفرق بين ما يخرج من جيوب الدافعين ، وما يدخل إلى خزينة الدولة ، يجب أن يكون أقل ما يمكن ، لكى يتوفر في الضريبة عنصر الاقتصاد

وفى جباية الضريبة عن طريق الالتزام ، يحاول الملتزم أن يجبى لنفسه أكبر مقدار ممكن ، لكى يوفر لجيبه الفرق العظيم بين ما يؤدى للحكومة وما يجبى من الناس ، ونجده لذلك يعذب الناس باسم الحكومة ويرهقهم إرهاقاً

وقد تضحك يا سيدى القارئ إذا علمت بما صنع عبد الله ابن العباس برجل جاء إليه فقال : أتقبَّل منك الأُبُلَّة بمائة ألف . فضربه ابن عباس مائة وصلبه حياً[1]

من هذا نعلم أن الإسلام كان يبغض الالتزام كل البغض ، ويحرمه كل التحريم . وإليك ما قال أبو يوسف فى هذا الشأن يوصى به الخليفة هرون :

« ورأيت ألا تقبل شيئاً من السواد ولا غير السواد من البلاد فإن المتقبل (الملتزم) إذا كان فى قبالته فضل عن الخراج عسف أهل الخراج وحمل عليهم ما لا يجب عليهم ، وظلمهم وأخذهم بما يجحف بهم ليسلم مما دخل فيه . وفى ذلك وأمثاله خراب

(١) الأموال ، القاسم بن سلام (ص ٧٠) تصحيح محمد حامد الفقى ١٣٥٣ .

البلاد وهلاك الرعية . والمتقبل لا يبالى بهلاكهم بصلاح أمره فى قبالته . ولعله أن يستفضل بعد ما يتقبل به فضلاً كثيراً ، وليس يمكنه ذلك إلا بشدة منه على الرعية ، وضرب لهم شديد ، وإقامته لهم فى الشمس ، وتعليق الحجارة فى الأعناق ، وعذاب عظيم ينال أهل الخراج بما ليس يجب عليهم من الفساد الذى نهى الله عنه . إنما أمر الله أن يؤخذ منهم العفو ، وليس يحل أن يكلفوا فوق طاقتهم ...»[1]

قاعدة الملاءمة:

ويسميها بعض المؤلفين بقاعدة الرفق والسهولة . يقول فيها آدم سميث : يجب جباية الضريبة فى الزمان والمكان وبالطرق الأكثر ملاءمة للمكلف[2]

وهذه القاعدة لم يكن معنياً بها كثيراً لدى الأمم القديمة ، ذلك لأن علاقة المصلحة بين الحكومة والفرد لم تكن متبادلة

أما الحكومة الحديثة فقد بدأت تشعر بأهميتها فى حياة الأمة ، وبأثرها فى الإنتاج العام . واليوم ينصح علماء المالية بأن الجباة يجب أن يذهبوا بأنفسهم إلى حيث يجبون الضريبة فى الأماكن التى يختارها المكلف ، وليس بجائز أن يتخذوا لهم المكان المطمئن ويأمرون المكلف بجلب الأموال إليهم وهم ناعمون . . .

والإسلام قد نظر في الأمر نفس هذه النظرة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا جلَب ولا جنَب ولا شغار فى الإسلام ، ولا تؤخذ صدقات المسلمين إلا على مياههم وبأفنيتهم[3] »

يقول الإمام القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية فى شرح ذلك : « ... لا ينبغى للمصدِّق (الجابى) أن يقيم بموضع ثم يرسل إلى أهل المياه ليجلبوا إليه مواشيهم فيصدِّقها ، ولكن ليأتيهم على مياههم حتى يصدقها هناك ، وهو تأويل قوله على مياههم وبأفنيتهم[1] »

أما وقت الجباية فيجب أن يكون فى الحين الذى يستسهل فيه المكلف دفع الضريبة أو عند ما تتوفر لديه النقود بعد حصاد زرعه أو بيع بضاعته

سأل عمر واليه على حمص سعيد بن عامر بن حذيم : مالك تبطئ بالخراج ؟ فأجابه أمرتنا ألا نزيد الفلاحين على أربعة دنانير فلسنا نزيدهم على ذلك ولكنا نؤخرهم إلى غلاتهم . فقال عمر : لا عزلتك ما حييت[2]

قال الإمام أبو عبيد القاسم : « لم يأت عن رسول الله أنه وقّت للزكاة يوماً من الزمان معلوماً ، إنما أوجبها فى كل عام مرة . وذلك أن الناس تختلف عليهم استفادة المال ، فيفيد الرجل نصاب المال فى هذا الشهر ، ويملكه الآخر فى الشهر الثانى ، ويكون للثالث فى الشهر الذى بعدهما . ثم كذلك شهور السنة كلها . وإنما تجب على كل واحد منهم الزكاة فى مثل الشهر الذى استفاده فيه من قابل . فاختلفت أوقاتهم فى محل الزكاة عليهم لاختلاف أهل الملك . فكيف يجوز أن يكون للزكاة يوم معلوم يشترك فيه الناس ... »[3]

حقاً لقد كان الإسلام رفيقاً بدافعى الضرائب كل الرفق موصياً بهم أجل الإيصاء . أنظر إلى على بن أبى طالب يوصى عامله على مصر فى أهل الخراج : « ... فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالّة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش ، خفّفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم . ولا يثقلنّ عليك شيء خفّفت به المؤونة عنهم فإنه ذخر يعودون به فى عمارة بلادك ، وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم ، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم فى رفقك بهم[4] ... »

(١) الخراج ، الامام أبو يوسف (المطبعة السلفية ١٣٤٩ ، ص١٢١)
(٢) Wealth of Nations, Smith (الكتاب الخامس ، الفصل الثانى ، البحث الثانى)
(٣) الأموال لأبي عبيد القاسم (ص ٤٠٤)

(١) الأموال لأبي عبيد القاسم (ص ٤٠٥)
(٢) الأموال لأبي عبيد القاسم (ص ٤٤)
(٣) الأموال لأبي عبيد القاسم (ص ٥٩١)
(٤) نهج البلاغة ، شرح الامام محمد عبده (مطبعة الأستقامة ص١٠٧)

تلك تعاليم سامية بلا ريب وهى مطابقة لما تملى قاعدة الرفق والملاءمة ولما يُلحّ على اتباعه علم المالية العامة إلحاحاً .

ولا مراء فى أن الإسلام قد شرع للناس شريعة الضرائب الصالحة فى الزمن الذى انغمر فيه العالم فى دياجير الظلم ، وانحطت فيه الروابط الاجتماعية والاقتصادية انحطاطاً عظيماً .

وكأن الإسلام قد جاء بتجربة اقتصادية كبرى برهنت للناس بالبرهان الحسى على أن العدل أساس الملك حقاً ، وأن الرفق أولى بإنماء الجباية من التعسف والتكالب .

فقد يأخذنا العجب حين نرى الجباية قد بلغت — على عهد الإسلام — مبلغاً لم يحلم به القياصرة والأكاسرة ، وهم الذين كانوا يستنزفون أموال الناس بالباطل ، وهم على زعمهم غانمون .

بلغت الجباية على عهد المأمون — حسب قائمة ابن خلدون التى أوردها فى تاريخه — ما يناهز الأربعمائة مليون درهم عدا الحيوانات والسلع والعروض ، وهى أموال طائلة لا يجوز مقارنتها بعملة اليوم لأن الدرهم كان حينذاك ذا قوة شرائية كبرى[1] .

ولا يخفى أن هذا المبلغ كان حصة الخزينة المركزية الخاصة بالخليفة ، حيث تأتى إليه خالصة بعد الإنفاق على إدارة الحكومات المحلية وإعانة الفقراء فيها . هى حصة الخليفة وحده يتصرف بها كما يرى فى تدبير الشؤون العامة . فياليت شعرى كم هو مجموع الجباية العامة إذن قبل الإنفاق !

هذا مع العلم أن أقصى ما وصل إليه مجموع الجباية العامة عند الرومان فى عنفوان مجدهم لم يتجاوز الأربعمائة مليون درهم[2] وهم الذين كانوا فى دقة القانون وبراعة الإدارة مشهورين .

أليس فى هذا حجة بالغة على أن العدل أساس الملك ، وأن الرفق أولى من التعسف فى إنماء الجباية .

كاظمية — عراق **على حسين الوردى**

(١) موجز فى علم المالية ، فارس الخورى (ص : ٣٣)

(٢) « « « « « «

المساهمة والشركة في مصر

لمناسبة ذكرى وفاة « طلعت حرب »

للأستاذ عبــد الله حسين

فى يوم الخميس ١٣ أغسطس احتُفل بالذكرى الأولى لوفاة الزعيم الاقتصادى الكبير المغفور له محمد طلعت حرب باشا ، المؤسس الأول لبنك مصر وشركاته المساهمة المعروفة . ولقد كان مما يتفق وطبائع الأمور ، أن يعرض المحتفلون بهذه الذكرى ، والمعزون والجماهير التى عرفت « طلعت » ، أو استمعت إلى أحاديثه وخطبه ، أو وقفت على آثاره وأعماله وتصرفاته ، إلى بنك مصر وشركاته ، وما يتصل بها من خطط ، وما تعرضت له من أزمات ؛ وكان من الطبيعى أيضاً أن يكون للفقيد — شأن كل عظيم وعصامى ومبرز — الأصدقاء والحساد والأعداء ... والخصومة للعظيم — وخاصة لمن بلغ منزلة « طلعت » — لا تغض من مكانته ، بل لعلها تزيده منزلة ، وتُجلّى على الأيام فضائله وشمائله . ذلك أن النقد وحده هو الذى يستطيع أن يكشف عن اللؤلؤة الصحيحة من دفائن المعادن

لست أريد أن أتناول هنا ترجمة حياة الفقيد ، ولا أن أقوم ببحث فى شؤون الشركات الوطنية ؛ وإنما حسبى أن أعرض لأشياء تحدث بها أناس منذ أعوام ثلاثة ، وكان من وراء هذه الأحاديث ذلك القانون الذى صدر فى العام الماضى بدعم بنك مصر وتقوية الروابط بينه وبين الحكومة

كانت هذه الأشياء من المسائل التى بالغ حساد « طلعت » وخصومه فى الخفض من مكانته ، والغض من شأوه ، وفاتهم بادئ ذى بدء ، أن « طلعت » كان رجلاً ، وكان مجرباً ، وكان بادئاً ، وكان بشراً ، وكان يعمل فى بيئة لم تُتمهد من قبل ... كل هذا قمين أن يدعو إلى شىء من الخطأ والتراخى والتشاؤم . ولقد كنت أشفق من هذه الأشياء ، وكنت أخشى أن تعدو من جرائها العوادى على البلاد والمشروعات الوطنية

غير أننى بعد أن هدأت العاصفة ، وقضى « طلعت » ، راجعت نفسى ، وشئت أن أكون فى منزلة القاضى ، يفصل بالحق ، ويورد فى حيثيات حكمه الأسباب التى يتألف منها اعتقاده ، والمقدمات التى انتهت إلى رأيه

أراد « طلعت » — حين فكر وحين مضى يحقق ما فكر فيه — أن يستعين فى مشروعه بالعناصر التالية :

١ — « الأعيان » : للافادة من أموالهم فى الاكتتاب برأس المال ، ثم يجذبهم إلى نقل مودعاتهم من البنوك الأجنبية إلى البنك الوليد

٢ — « الحكومة » : بوزاراتها ووزرائها وكبار موظفيها . لكى تكون يداً مع المشروع وما تفرع عنه من الشركات ، وذلك بأن تودع أموالها البنك ، وبأن توصى بتفضيل منتجات شركاته وما إلى ذلك من مزايا

٣ — « الصحافة » : للدعوة والدعاية والتخفف من المهاجمة أو النقد ، إذ أن المشروع جديد ومالى يتأثر بالنقد السريع

٤ — بالجمهور — عامة ، وخاصة — الطلبة والشباب :

فإذا كان قد حدثت أشياء غير صالحة ، فإن منجم ذلك هو العيوب التى نشهدها فى تصرفات الأعيان والحكومات والمصالح الأميرية وبعض الصحافة والجمهور . ذلك أن كل عنصر من هذه العناصر ، حسب أن له حقاً على طلعت أو على البنك ، بأن يترخص وأن يتسامح فيما لا يجوز الترخص والتسامح فيه . فإذا وقف طلعت موقف الحزم ، غضب طلاب المنفعة ؛ وإذا تسامح — وهذا ما كان يؤثر طلعت دفعاً للكيد — استتبع هذا ألواناً أخرى من التسامح ، بالاستزادة من الأقراض والتراخى فى الأداء . والرجل يريد أن يرضى جميع الحكومات خشية أن يقال إنه حزبى ، على حين أن مشروعاته مستقلة وواجب أن تكون مستقلة عن الأحزاب السياسية والتجارية والشخصية .

وعنـدى أنه إذا شئنا أن نتقى ما حدث من الأزمات والأخطاء ، أن نمضى قدماً فى علاج شئوننا ، فنعرف أين يبدأ حقنا وأين ينتهي عند حق غيرنا من بنك أو شركة أو مساهمة أو مصلحة عامة . علينا أن نفرق بين منافعنا الخاصة وبين المصالح العامة . بل علينا أن نعرف كيف نضحي منافعنا الخاصة لنصالح شئوننا العامة . فالمجاملة والتسامح (سياسة معلهش) والتراخى والاستغلال الحقير للنفوذ هذا كله مرجع العيوب فى مشروعاتنا ومساهماتنا وشركاتنا . فإن أصلحنا ، صلحت أداتنا المالية والاقتصادية ، وأدركنا أن الداء فينا وعلاجه بين ظهرانينا ، وأنصفنا الموتى من الأحياء

عبد الله حسين

نحن في صراع دائم

للأستاذ حسين الظريفي

كان يعتقد فى العقل أنه ليس إلا ما تمليه علينا تجارب الحياة ؛ فالطفل يولد ولا عقل له ، حتى يأخذ عن الوسط ما هو فيه ، ويظل رهين شروط حياته الخاصة والعامة بلا حد ولا أمد ، ومن شب عن الطوق وتفرد عن المجموع فقد أوتى حظاً كبيراً

تلك كانت نظرة العلم إلى العقل من حيث يظهر ومن حيث يتطور . غير أن فقهاً تمخضت عنه بداية القرن الحديث ، نظر إلى هذا العقل الذى يولد بعد الولادة ويظل محدوداً فى نموه وسموه بين المهد واللحد ؛ فأحاط به ثم تجاوزه إلى ما وراءه فأيقن أن هناك عقلاً باطناً يكمن وراء عقلنا الظاهر أورثتنا إياه قرون تتصل بأول الخليقة ؛ فهو ميراث ماضينا من حيث يبدأ إلى حيث يتصل به حاضرنا الذى نحن فيه ، ولا تزيده الأحقاب إلا شداً ومداً

وقد أسفرت بحوث العلم عن إثبات ما لهذا العقل الكامن من الأثر البالغ ، فى تلوين النزعة والفكرة والإرادة واقتيادها إلى حيث يريد ، على غير شعور منا بما نفعل وما لا نفعل

إن موضع القوة فى هذا العقل قائم وراء ما له من مظهر الخفاء ؛ فى غفلة عما نعيه ونسترعيه من شئون عقلنا الشاعر ، يقوم العقل الباطن بعمليات التفاعل حتى تنبعث من أعماقه كلمته الآمرة أو الزاجرة فتدين لها الجوارح . ونحن لا نعى ما يدبر ويقرر إلا ذلك الأثر الذى نقوم به ، غير شاعرين بالبواعث

إن قوة العقل الباطن آتية مما يبطن فى فعله وانفعاله ، فى ذات نفسه وفيما وراءه من عقل واع تحيط به الظروف والوقائع . فالرغبة فيه خفية يضغط عليها ما تواضع عليه الناس من عرف وتقليد . والحركة فيه قائمة دائمة ولكنها فى قعر غير قريب ، وما أقول باستحالة الوصول إلى قاعه البعيد . ولكن دون ذلك أهوال

هنالك حيث لا يصل سمع ولا بصر ، إلا ما ندر ، تزدحم الرغائب وتتصادم ، ويعلو بعضها على بعض درجات وطبقات ، وكل رغبة منها تريد بلوغ القمة والخروج من الزاوية إلى النافذة ، لتلقى النور ، وتعرب عن نفسها بأعمال الجوارح ؛ ولكنها لا تكاد تصل السلم حتى تجد عليه رقيباً عتيداً يدفع بها إلى الحضيض . وهكذا تبقى الرغائب حية فى القبر تتنازع وتتصارع والرقيب يأبى عليها إلا أن تنحدر إلى ما وراء مجرى الشعور ، مهما استحرّ هناك القتل وطال عليه الأمد . وما ذلك الرقيب إلا الضمير

فالرغبة الجامحة تصدم بقوة الضمير ، فيضغط عليها حتى تنحدر إلى قاع النفس وتستقر فيه ، غير قانطة من بلوغ منطقة الوعى من العقل وفرض نفسها عليه ، وتحريك الجوارح به وفق ما تريد .

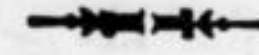
وما دامت الرغائب محجوراً عليها فى قرارة النفس ، فإنها تبقى فى نزاع لا يهدأ ، تستنفذ فيه ما هى بحاجة إليه مما نملك من طاقة . ونحن إن لم نشعر بجلبة هذا الصراع فى داخل النفس فإن تأثرنا به ولا ريب كبير . وقد تبلغ شدة التنازع بين الرغائب إلى حد تبتلع فيه كل نشاطنا ، حتى نظهر وكأنا لا نملك شيئاً من قوة الاندفاع إلى العمل وتجللنا مظاهر التردد والخمول .

إن الرغبة المقموعة تريد حرية التصرف فيأبى عليها العرف الاجتماعى إلا أن تقهر ، حتى إذا كثرت الرغائب المقهورة واستطال عليها الزمن بلغ التنازع فيما بينها ذروته وأصبحنا ونحن من أنفسنا فى ساحة حرب تضيع فيها الجهود سدى . ذلك لأن من طبيعة الرغبة أن تمتلك حرية الاستمتاع بالإرادة ، فإذا هى قهرت وانحدرت إلى ما وراء الشعور ، اتخذت لنفسها هناك موقفاً عدائياً لكل رغبة فيه ، تليدة أو جديدة ؛ حتى إذا ازدادت الرغائب وتمادت على ما هى فيه من تكالب على الظهور ، نشأ عندنا ما يعبر عنه بالقلق الداخلى أو النفسى ، ونحن فى مثل هذه الحالة لا نشعر إلا بذلك الشعور الغامض العميق الذى تسودنا فيه بلبلة الفكر فلا نعرف ما ينبغى أن يدرك أو يترك . وبهذه الحرب الدائرة بين مختلف الرغائب نستهلك الكثير مما نملك من طاقة عصبية وذهنية ، فيبدو احتياجنا إلى مثل هذه الطاقة فى أعمال وعينا الأخرى ، ونظهر وكأنا عاجزون .

كتاب الامتاع والمؤانسة

حول نقد الأب أنستاس الكرملي

للأستاذ محمود البشبيشى



قرأت ما كتبه العلامة الأب أنستاس فى « الرسالة » الغراء ناقداً طبعة كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى، وقد دفعنى حب الإنصاف والغيرة على الحق والرغبة فى تمحيص المسائل اللغوية إلى كتابة هذه الكلمات مخالفاً فيها الأب أنستاس فى بعض ما أورده من النقدات؛ ويقينى أنه لا يضيق صدراً بها، فهو من رجال البحث الذين لا يبغون من وراء بحثهم إلا الحقيقة وحدها :

١ — رسم الحروف :

خطَّأ الأب أنستاس كتابة (رءوساً . يبدءوا . مشئوم) بصورتها الحاضرة ، ورأى أن الصواب أن تكتب هكذا : (رؤوساً — يبدأوا — مشؤوم) والقاعدة المأثورة تنص على أن (كل همزة بعدها حرف مدّ من جنس حركتها ترسم مفردة كما فى (رءوس ويبدءوا) أو على نبرة إذا لم يمكن فصل ما بعدها عما قبلها كما فى (مشئوم) . وهذا ثابت فى كتب الإملاء (رسم الحروف) ، وقد يكون فيها رأى آخر ، ولكن صحة رسمها على الصورة التى خطأها أمر لا شك فيه

٢ — اللغة

خطَّأ قولهم (نعم وكرامة) ورأى أن الصواب أن يقال : (حباً وكرامة) والعبارتان صحيحتان ، ولكن الجهة منفكة كما يقولون ؛ فقد ورد فى المحيط (أفعلُ هذا وكرامةً لك) ، وفى الأساس كذلك على معنى (وأكرمك إكراماً) فالكرامة هنا مصدر ، وفى قولهم (حباً وكرامة) اسم ذات ؛ فكل منهما فى موضعها صحيحة

٣ — الصرف :

خطَّأ (المسكَن) بفتح الكاف ورأى أن الصواب الكسر مع أن القياس الفتح والمحيط والمصباح ينصان على جواز الفتح

إن مجهودنا العصبى محدود بقدر ، فإذا نحن لم نحسن التصرف فيه ونضعه فى موضعه الذى يجدى ظهر عجزنا عما خلقنا قادرين عليه . وما استنفاد هذا المجهود فى صراع الرغائب إلا كذلك الجيش الذى اقتتل أفراده قبل منازلة العدو فأبيد بأيديه ، والفارق هنا أن قتال الرغائب لا يزول ولا يفتر وإنما تزيده الأيام حدة وشدة ، ويختلف مصير المصاب به باختلاف قوة احتماله لهذا العبء الثقيل .

والرغبة لا تقتل مهما استطال زمن جهادها وجلادها فى سبيل استعلائها على أخواتها من الرغائب ، ولا يدركها الفناء مهما امتد بها عهد السكوت فى باطن النفس ، حيث لا يصل وعى ولا شعور ، وإنما تبقى فى القاع تفعل فيما فيه وتنفعل به ، حتى تنفجر من النفس فتثور وتظهر بأعراض قد تصل إلى حد الجنون ، أو تحتال على الوعى ، بالرمز تارة وبالمظهر مرة أخرى ، وتخدعه عن نفسه وتظهر فيه

كل أولئك يفصح لنا عن مدى صراعنا ، ويبعث فينا الرغبة فى الوقوف على تطورات هذا الصراع وما يستخدم فيه من معدات النزال والقتال ، ويود كل امرىء لو يعجل ببدأ المعركة الفاصلة ، وانتصار التفريج فيها على القمع والإرهاب

ونشير إلى أن لنا من صراع الرغائب فى عقلنا الواعى مثالاً متناهياً فى الصغر قد يفصح — ولو من طرف خفى — عن هول المعارك التى تدور فى منطقة العقل غير الواعى ، وتلقى خافت النور على مالها من مركز ثقل دائم فيما ندرك وما نترك . وفى الواقع أن الرغائب المتناقضة لا يندر وجودها فى ساحة العقل الشاعر ، فقد تتنازعنا الرغبة فى الراحة وفى الاستمرار على المطالعة ، ونقف لحظة قد تطول وقد تقصر بين هاتين الرغبتين حتى تتغلب الواحدة على الأخرى فنجيب تلك دون هذه ؛ غير أن الشأن فى صراع العقل الباطن يصل إلى مدى يضيق عن تصوره خيال الشاعر العبقرى ؛ ونحن بعد ذلك لا ندرى من أمره شيئاً إلا من أوتى حظاً غير قليل من علم النفس الحديث

حسين الظريفى

والكسر معاً . وخطَّأ ضبط الدال الأولى من (جُدِد) جمع جديد بالفتح والقياس يساعده ولكن ورد فى المصباح ص ٩٥٩ الطبعة السادسة لسنة ١٩٢٥ بالمطبعة الأميرية بالقاهرة قوله : (بعض بنى تميم يخفف الجمع فى نحو سُرُر وذُلُل بفتح العين (الحرف الثانى) وَطَرَدَ بعض الأئمة ذلك فى الصفات فيقال : (ثياب جُدَد) . ولا أدعى أن الفتح كثير ، ولكنى أراه وجهاً أقره بعض الأئمة للتخفيف ونطق به من يوثق بعربيتهم فالتخطئة المطلقة هى محل الخلاف

٤ — الرواية

خطأ رواية بعض أبيات لأعشى باهلة فى رثاء أخيه المنتشر فقال ما معناه : الصواب أن يقال : (أحوى نوءها المطر) بدل (أخطا نوءها المطر) وأن يقال : (لا يضعف الأمر) بدل (لا يصعب الأمر ...) ولتمام الإيضاح نورد البيتين كما أوردها الشيخ حمزة فتح الله فى المواهب الفتحية (الجزء الثانى) ونصهما :

ينعى امرأً لا تغب الحىَّ جفنته
إذا الكواكب أخطا نوءها المطر

لا يُصعِب الأمرَ إلا ريث يركبه
وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر

وظاهر من سياق الكلام أن رواية المواهب صحيحة وقد أخذ بها الناشران وإن المعنى عليها لا غبار عليه ؛ وإذا فلا معنى لهذه التخطئة

٥ — النحو

لايزال الأب أنستاس مصمما على وجوب جمع (أفعل وفعلاء) إذا كانا وصفين على (فُعْل) ولهذا خطأ قول الناشرين (حجارة ملساء) وأوجب أن يقال (حجارة مُلس) . ولنا أن نطلب إلى حضرته نشر خلاصة رأيه الذى أوده فى (مجلة المجمع العربى) ليمكن أن يبحث في روية . ونحن مع تسليمنا بأن هاتين الصيغتين لم تردا فى الفصيح إلا مجموعتين على (فُعْل) نستطيع أن نحكم بجواز استعمال الوصف بهما مفرداً قياساً على قولهم : « إن الجمع بمعنى الجماعة فيجوز وصفه بالمفرد » ولذلك شواهد لا تحصى ، والأصل عدم المنع إلا بنص قاطع ؛ فهل عند الأب أنستاس ذلك النص ؟

إنى لأذكر ما دار بينه وبين الدكتور زكى مبارك حول هذا الموضوع فى مجلة (أبولو) وأعلم رأى الأستاذ الجليل الشيخ عبد القادر المغربى فى تخريج عبارة أبى العباس التى وردت فى (الكامل) وتمسك بها الأب أنستاس ، ولكنى أرجو أن يزيد الرأى إيضاحاً ، والحقيقة بنت البحث .

وخطأ الأب أنستاس هذه العبارة من الاستقصات الأربع جارياً على أن (الاستقصى) مذكر فيجب تأنيث العدد بالتاء خضوعاً للقاعدة المشهورة (تذكير العدد مع المؤنث وتأنيثه مع المذكر) . وهنا أكتفى بإيراد نص عبارة توارد عليها (الصبان والخضرى) فى باب العدد وهى :

(محل وجوب هذه القاعدة إذا ذكر المعدود بعد اسم العدد ، فلو قُدِّم وجعل اسم العدد صفةً له جاز إجراؤها وتركها كما لو حذف . تقول مسائل تسع ورجال تسعة وبالعكس كما نقله النووى عن النحاه) ، ثم يقول الشيخان فاحفظها فإنها عزيزة النقل

وبعد فإني من المقرين للأب أنستاس بسعة العلم وغزارة الفضل .

(المنصورة) محمود البشبيشى

عدنا ... والتقينا

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

التقينا !
والتقينا
عجباً كيف صحونا ذات يوم فالتقينا
بعد ما فرّق قطران وجيشان يدينا !
فتصالحنا بجسمينا وعدنا فالتقينا

***

بعد عصر
أيّ عصر
والنوى تجرى وسر الحب فى الأكوان يجرى
ثم نادانا تعالوا فاهبطوها أرض مصر
قُضى الأمر كما شاء ، فعدنا والتقينا

***

كم بكيتِ ؟
واشتكيتِ
ثم ألممتِ على الغيب فأصغينا وقلتِ :
قلت فى السابع والعاشر من شهر سيأتى
ها هنا سوف ترانى ، فرأينا والتقينا !

***

يوم ذكرى
هو أحرى
بالتقاء كلما دار به الحول وأسرى
فى سماء تعبر الشعرى وتدنى كل شعرى
كيف يلقانا وحيدين غدٌ فيه التقينا

***

قبل عامٍ
ثم عام
كان يومٌ ، أيُّ يوم ، فى صفاء وابتسام
يوم لاقى الحبُّ لحظينا على عهد الدوام
فتعاهدنا وقلنا : كلما عاد التقينا

***

وتدانى ...
وكلانا
زائغ الطرف يناجى الأفق قلباً ولسانا
ثم ماذا ؟ ثم كن يا بُعْدُ لى قرباً ، فكانا !
واستعان الحب بالداء حليفاً ، فالتقينا

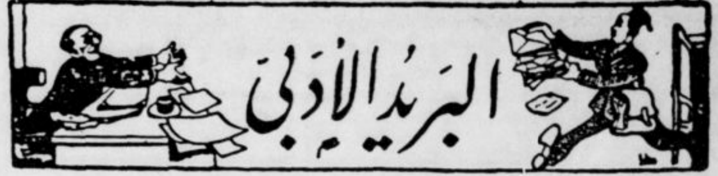
***

كم غرام
وسقام
عرفا الحلف على غير سلام ووئام
فإذا ما اجتمعا فانتزعانى من مقامى
فبحسبى منهما أنّا شكونا فالتقينا

***

يا فتاتى
يا حياتى
لا تُراعى بعد هذا من فراق أو فوات
قدَر الله كفيلٌ لك فى ماض وآت
كلما فرّق شملينا دعانا فالتقينا ... !

عباس محمود العقاد



الأب أنستاس ماري الكرملي في عيد ميلاده

احتفل الشيخ الجليل الأب أنستاس ماري الكرملي في ٥ آب بعيد ميلاده السادس والسبعين ، منزوياً في صومعته الهادئة ، منصرفاً إلى العمل الذي وقف عليه حياته

إن سيرة الأب الكرملي مثال حي للفكرة التي تتسلط على ذهن الإنسان فتعلق بشغاف قلبه ، وتغدو جزءاً من أجزاء نفسه ؛ وأية فكرة هذه التي ملكت لب الأب وهيمنت على جوارحه منذ حداثة عهده ؟

هي اللغة العربية ، وأكْبِرْ بها فكرةً ينزع إليها العقل ، وتروَى عنها النفس ، تراءت له وهو فتى لم يكد يبلغ أشده ، فبهره منها الحسن والسناء ، وقطع لها راضياً عهد المودة والوفاء . وها هو ذا بعد ستين سنة أو تزيد لا يزال وفيًّا بالعهد ، متحمساً للغة الضاد حماسة الشباب الفوّار ، مخلصاً لها إخلاص الشيخوخة المحنكة الحكيمة

كانت اللغة العربية مذ وجدت — ولن تزال — وسيلة للخطاب والتفاهم ، تحمل الأفكار من ذهن إلى ذهن ، وتنقل الأخبار من جيل إلى جيل ، حتى قرّبت بين الناس ، ووصلت بين الأزمنة الغابرة والحاضرة . وإذ أصبحت بعد تهذيب أطرافها وتنميق أسبابها أداة الآداب الرفيعة ، لم تخرج عن كونها وسيلة لا غناء فيها إلا بما اتخذت له من غاية الإفصاح والتبيان . لكن لكلماتها وتراكيبها — مع ذلك — جرْساً في الأذن ، ورسماً على القرطاس حببا أحياناً إلى النفوس ، وقرباها من الأذهان بصرف النظر عن مدلولها ومؤداها

ولقد أشار إلى ذلك أناتول فرانس في كتابه : « الحياة الأدبية » عند الكلام على معجم جديد ظهر في اللغة الفرنسية ، فقال إن بودلير كان يقرأ معجمات اللغة ويبتهج بقراءتها ، وأن تئوفيل غوتييه كان مولعاً بالكلمات يحبها حباً جماً ، وأن جوزه ماريادى هريديا كان يجهر بأن مطالعة المعجم تستثيره ، وتدخل على نفسه من اللذة والسرور ما لا تدخله قراءة رواية « الفرسان الثلاثة » . وأضاف أناتول فرانس قائلاً بأسلوبه الساحر : « أما أنا فلا أجد عادة للكلمات معنى يفوق المعنى الذي يحمله لها المصطلحات ، فقد كنت في أغلب الأوقات أهيم في معاجم كبيرة كأنها الرياض الملتفة . وسبب ذلك أني أرى أن الألفاظ إنما هي صور ، وما المعجم اللغوي سوى عالم قد رتب بحسب ترتيب حروف الهجاء . وإذا نظرنا إلى الأمور نظرة صادقة فإننا نجد أن معجم اللغة إنما هو الكتاب الذي لا يفوقه كتاب ، فإنه يشتمل على التصانيف بأجمعها ، فما عليك إلا أن تستدرجها منه ... وإني لأشعر في قلبي بحنوّ عظيم إزاء كل كلمات اللغة . إني أشعر برأفة كبيرة أمام طائفة التعابير البسيطة والفخمة . إني أحبها كلها ، فهي تستميلني وتستفزّني ، وإني لأمسّ الكتاب الذي يضمها مساً شديداً ينم على مبلغ تأثري وارتياحي »

غير أن هذه الوسيلة التي يستعملها الناس في خطابهم ، ويستعين بها الأدباء في أداء رسالتهم ، قد أصبحت غاية في حد ذاتها للعلماء الذين انقطعوا إلى دراستها ، ووقفوا حياتهم على استجلاء غوامضها .

فلا عجب أن نهج لغوينا العربي نهج من سبقه من علماء اللغة الأعلام ، من أبي منصور الأزهري صاحب التهذيب ، وأبي نصر الجوهري صاحب الصحاح ، ومجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس ، إلى البستاني ، والشدياق ، والشرتوني ، وسواهم من المحدثين ، وأن ترسّم خطى من سلف من أئمة التدقيق والتحقيق من أمثال جونسن ووبستر ، وأميل لِتْره ، فاتخذ من اللغة غاية ما بعدها غاية ، يكب على نقد مفرداتها نقد الصيرفي

وما أشبه لغوينا من بعض الوجوه بزميله الإنكليزي صموئيل جونسن الذي سبقه بنيف وخمسين ومائة سنة ! فغيرة الأب على اللغة العربية تشبه غيرة جونسن على لغته الإنكليزية ، وأسلوب الأب المتين اللاذع يعدل أسلوب جونسن (وإن يكن هذا الإنكليزي الصميم لم يرض قط أن ينزل إلى ميدان المساجلات والمناظرات بالرغم عن الحملات التي كثيراً ما حملت عليه .) ومجلس الأب شبيه بالمنتدى الأدبي الذي أنشأه الدكتور جونسن

وصحبه وحضره مؤرخه بُوزْوِلْ ، فسجل مباحثاته ومداولاته .

ومقام لغوينا العراقى بين أقطاب العربية معروف مرموق ، وجهاده فى سبيل الفصحى مرضيّ مسموع ، ورأيه فى التمسك بأهدابها مقبول متبوع . ولنا عليه أن يكلل مساعيه الموفقة فى خدمة اللغة الشريفة بإخراج معجمه الكبير الذى وسمه « بالمساعد » ، فيتفرغ لإنجازه وتنقيحه وتبييضه ، فهو عصارة سعيه وخلاصة جهده .

(بغداد) مير بصرى

« سعد زغلول من أقضيته »(*)

لم يكن الأستاذ عبده حسن الزيات ينتظر أن أكتب كلمة عن كتابه الجديد « سعد زغلول من أقضيته » ، لأنه يعرف أنى فرطت فى التنويه بمؤلفاته وأبحاثه التى ظهرت من قبل ، وإن كان يعرف مع ذلك أن ثقتى بفضله وكفايته لا تحتاج إلى دليل

الكتاب يُعرَف من عنوانه ، كما يقال ، وعنوان هذا الكتاب غاية فى الدقة والتحديد ؛ ومن غريب ما وقع لهذا العنوان أن الخطاط الذى كتبه — وهو حسنى — قد استطاع أن يبرزه فى أبهى حلة من حلل الجمال ، مع أنه يقع فى أربع كلمات يصعب الربط بينهما برباط الانسجام والاتساق ؛ وما أذكر أنى رأيت الكتاب معروضاً فى أية مكتبة ، إلا وقفت أمتع ذوقي بخط العنوان . فإلى « حسنى » الخطاط تحية خالصة لا يشوبها غير الحرص على إعزاز الفن الجميل

ثم أتحدث عن الكتاب بإيجاز ، فأذكر أنه من أقوى الشواهد على حصافة المؤلف ، وعلى مبلغ فهمه للدراسات الجدية ، وعلى أنه جدير بثقة الذين كرّموه عند ظهور هذا الكتاب النفيس

وأذكر أيضاً أننى ما تحدثت عن الأستاذ عبده حسن الزيات إلا وصفته بصدق الوطنية ، فهو عندى من الشبان النوادر الذين يفهمون الوطنية على وجهها السليم ، وقد جاء كتابه تأييداً لهذا الوصف : فهو خدمة صادقة لمصر ، ممثلة فى إبراز جوانب من الفقه والعدل عند أفراد من رجال القضاء ، على رأسهم « سعد » ،

وهذه الخدمة تؤكد ما أشرنا إليه غير مرة من أن رجال القانون فى مصر جعلوا لمصر المقام الأول بين الأمم الإسلامية فى شرح القوانين باللغة العربية ؛ ولو أن الأقدار كانت بخلت بأن يظفر « سعد زغلول » بذلك المجد الضخم ، المجد الوطنى والسياسى ، ثم جاء كتاب الزيات يحدد نفسيته وعقليته من أقضيته ، لكان كافياً فى جعل « سعد » من أعاظم الرجال

هذا الكتاب جيد جداً ، فليس من الإسراف أن نرجو عميد كلية الحقوق أن يؤلف لجنة تنظر فيه ، تمهيداً لمنح المؤلف درجة جامعية ، وإغراء لأمثاله من الشبان بالتعمق والاستقصاء

وإذا كانت « ذكرى سعد » هى التى حدت المؤلف فى بعض السنين الماضية على التفكير فى موضوع كتابه الجليل ، فأنا أرجو أن تكون كلمتى عن كتابه فنًّا من الاحتفال بذكرى « سعد » ، سعد القاضى على أعدل ما تكون فكرة القضاء

فإن لم يكن بدٌّ من النص على السرّ فى التوفيق الذى يحالف الأستاذ عبده حسن الزيات ، فأنا أرجح أنه يرجع إلى البر بالوالدَين ، كتب الله له دوام التوفيق ... والسلام

زكى مبارك

تصحيح

نشرت « الرسالة » فى العدد (٤٧٥) كلمة للأستاذ الفاضل حسين الظريفى عن بيت حافظ :

كم ذا يكابد عاشق ويلاق فى حب مصر كثيرة العشاق

جاء فيها « على أن فى البيت غلطة نحوية باستعمال لفظة (كثيرة) فهى إن نصبت على الحالية لم يستقم المعنى ، لأن كثرة عشاق مصر لا يكون حالاً من المكابدة ، وإن جرت على الصفة احتاجت إلى التحلية بأل المعرفة ، وبذلك ينكسر الوزن ، وعليه يكون من الضرورة استبدال لفظة (الجمة) بلفظة (كثيرة) ليستقيم الوزن والمعنى معاً » ا . هـ

أقول : وهذه غفلة عجيبة فإن (كثيرة) تصلح أن تكون حالاً وأن تكون صفة ، فإذا كانت حالاً فهى حال من مصر ، والعامل فيها ليس يكابد كما توهم الكاتب ؛ بل هو لفظ (حب)

(*) كتاب فى ٤٠٠ صفحة بالقطع المتوسط ، وفى الرونق المعروف عن « مطبعة الرسالة »

المضاف ؛ والمعنى يكابد المشاق فى حب مصر حال كونها كثيرة المشاق أى حبهم لها فى هذه الحال

وعلى أنها صفة تجرى على الرأى القائل إن إضافة الصفة المشبهة محضة أى إضافة معرفة ، وعلى ذلك فكثيرة معرفة

على محمد حسن

فى الشعر التمثيلى

كتب الأستاذ البشبيشى فى العدد ٤٧٣ من الرسالة يقول : (فقد رأيت أن الشاعر البدوى الجليل عبد المطلب كان قد عالج الرواية الشعرية علاجاً استكمل شرائط الفن واستوفى أوصاف الحيوية التى طالعتنا من فنون أمير الشعراء ... فقد ألف عبد المطلب عدة روايات شعرية تمثيلية ... وبذلك ينفرد وحده بفضل السبق فى هذه الناحية الخطيرة من الفن الأدبى ، فقد افترع هذا اللون من الشعر الروائى افتراعاً) وكل ذلك لم يكن ؛ فعبد المطلب وإن عالج الشعر التمثيلى ومشى فيه خطوات لا تحمد ولا تذم ، لم يكن السابق ولا المفترع ، وإن كان له فضل الاستجابة السريعة لتلك الموجة الجديدة بين شطآن أدبنا العربى الحديث ؛ وإنما السابق إلى ذلك، الشاعر خليل اليازجى كما يحدثنا أستاذنا المرحوم محمود مصطفى فى الجزء الثالث من أدبه العربى حيث يقول ص ٤١٣ (وعلى ذكر روايات شوقى التمثيلية نذكر أن أول من حاول جعل الرواية العربية كلها شعراً هو المرحوم الشيخ خليل اليازجى فى رواية « المروءة والوفاء » وقد مثلت فى الشام ، ويذكر المرحوم جورجى زيدان أنه شاهدها فى بيروت ١٨٧٨ م) ولا شك أن حادثة كهذه بلقاء فى الأدب قد وصلت إلى سمع الشيخ عبد المطلب ، وعلى فرض أنها لم تصل إلى سمعه فقد ملأ الشعر التمثيلى فى القرن التاسع عشر أرجاء أوربا ، هذه واحدة ؛ أما الثانية فعبد المطلب على فضله لم يستكمل شرائط الحيوية التى طالعتنا من فنون أمير الشعراء . فهذا القول أقرب إلى الغلو منه إلى أى شىء آخر ؛ فشعر عبد المطلب فى هذا الباب لا يصح أن يذكر بجانب شوقى وفحولته . فهما وإن اشتركا فى الجنس فقد اختلفا فى النوع أيما اختلاف ، وإنك لن تستطيع أن تتم قراءة تمثيلية لعبد المطلب إلا بعد حمل على النفس وإعنات لها وإجهاد ، حاشا شوقى فإنه يطير بك فلا تشعر أن لعقلك أو لقلبك منازعة معه ، وإنما هى الفحولة الشعرية تفرض عليك أن تطير معها حيثما تطير

عبد الرحمن عيسى

خريج كلية اللغة العربية

من توارد الخواطر

كتب « قاف » فى العدد ١٨٨ من الثقافة تحت عنوان « شخصية العامل وعمله » ما يلى :

تعودنا منذ قريب أن نقول كلما عرضنا للحديث عن شخص من رجالنا العامين ، وحاولنا الموازنة بين عمله وبعض شئونه الخاصة — تعودنا أن نقول معتذرين من بعض سلوكه « هذه مسائل شخصية »

وهو يضرب لذلك الأمثلة ثم يقول : « مستحيل أن يكون الرجل رجلين : رجلاً فى الشارع والبيت ، ورجلاً فى الديوان . إن الرجل الذى هنا هو الرجل الذى هناك وإن اختلف الزى والشارة .

فهل يعلم « قاف » أن هذه الفكرة ذاتها قد وردت فى مقال الأستاذ عبد المنعم خلاف تحت عنوان « مقتول يبكى على قاتله » فى العدد ٣٧١ من « الرسالة » الصادر فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٠ حيث قال الأستاذ :

إن هذا التفريق بين السلوك السياسى والسلوك الروحى قد صار أمره عجباً من أعاجيب الحياة الأوربية ! وقد بات خطراً على الحياة الإنسانية الشخصية ، لأنه تسرب إلى موازين الحكم على الأفراد ، فهم يحترمون الذكى ويقدرونه ولو كان شيطاناً شريراً مفسداً ويقولون هناك حياة خاصة يحل للانسان فيها ما يحرم عليه فى الحياة العامة حتى تعددت الشخصيات . ثم يقول بعد ذلك : هذا كذب وتدليس على الطبيعة كما أرادها الله فاحذروه ، « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » إلى آخر المقالة

فهل يرى « قاف » أن هذا من توافق الخاطر ؟

أحمد جدامه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 478

Lundi - 31 - 8 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٧٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٩ شعبان سنة ١٣٦١ — الموافق ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الحديث ذو شجون

عواطف عربيـــة

للدكتور زكى مبـــارك

فى خطاب من حضرة الأستاذ سعيد العيسى إشارة صريحة إلى أننا لا نهتمّ بالحديث عن الحياة الأدبية فى « فلسطين » ، وفى خطاب من حضرة الأستاذ رشاد المغربى عبارة تقول : إن مجلة « الرسالة » لم تنوّه بروايته الجميلة « خطيئة الشيخ » ؛ وفى مقال حضرة الأستاذ عباس العقاد أن جماعة من اللوبيين يأخذون على مصر سكوتها عن الأدب فى وطنهم المحبوب

وهذا العتاب ليس بجديد ، وهو يعاد من يوم إلى يوم ، وما دخل أديبٌ مصرىٌّ بلداً عربيًّا إلا سمع ألواناً من هذا العتاب ، فهل أستطيع الجهر بكلمة الحق مرة واحدة ، ليعرف الإخوان هنالك أن عليهم تبعات فيما يُنسب إلينا من تقصير وإهمال ؟

ولشرح هذه الكلمة أقول :

أعلنت مجلة « الرسالة » أنها ستصدر أعداداً خاصة بالبلاد

الأدبى لتلك الأعداد من أقلام كبار الباحثين بتلك البلاد ، وأنها ستبدأ بالعراق

فما الذى يُنتظَر لتحقيق هذا المشروع النافع ؟ أتستطيع « الرسالة » إيفاد مندوبين إلى كل بلد لتحقق هذا الغرض على أكمل الوجوه ؟

الجواب عند « خزينة الرسالة » إن كانت تستطيع ، ولعلها تستطيع لأنوب عنها فى زيارة بغداد أو دمشق أو بيروت بضعة أسابيع !

فلم يبق إلا أن نقترح خطة سديدة لتنفيذ الاقتراح بلا عناء

والخطة سهلة جدًّا ، فماذا نصنع إذا أردنا إصدار عدد خاص بالسودان ؟

يقوم « نادى الخرّيجين » بواجبه : فيجمع الموادّ بعناية رجاله ، ثم يرسلها إلى مجلة « الرسالة » قبل انعقاد مؤتمرهم السنوى بأكثر من أسبوعين ؛ وعندئذ يسر مجلة « الرسالة » أن تشترك اشتراكا فعليًّا فى ذلك المهرجان

وماذا نصنع إذا أردنا إصدار عدد خاص بالعراق ؟

يقوم « نادى القلم العراقى » بواجبه : فيجمع المواد بعناية رجاله ، ثم يرسلها إلى مجلة « الرسالة » فى الوقت الذى يريد ، فيكون هو المسئول أمام قراء « الرسالة » فى (العراق) ، وهو بحمل هذه المسئولية خليق

وفى العدد الخاص بسورية ، يقوم رجال « المجمع العلمى » بواجبهم : فيصورون ما فى وطنهم من أفكار وآراء وآمال ...

وفى العدد الخاص بلبنان يُلقَى العبء على كاهل إحدى الجمعيات الأدبية هناك ... وكذلك يقال فى سائر البلاد !

تلك هى الخطة السديدة ، ومن توهم أن مجلة « الرسالة » تصدر أعداداً خاصة بلا اطمئنان إلى هيئات تحمل المسئولية ، فهو يهيم فى بيداء الخيال ...

وللأستاذ سعيد العيسي أن يتأمل فى هذه الكلمة إن كان يحب أن نؤدى خدمة صحيحة لوطنه العزيز فلسطين

العدد الخاص بالسودان

أنا أرجو من أخى الأستاذ الزيات أن يتفضل فيترك لى حرية التصرف فى إعداد العدد الخاص بالسودان ، لأستطيع القول بأنى صدقت فيما وعدت به إخوانى هناك . فإن صح فأنا أرجو نادى الخريجين أن يشير على أعضائه بدرس الموضوعات الآتية :

١ — تحديد التاريخ الذى أشرق فيه الإسلام بآفاق السودان
٢ — المذاهب الفقهية والصوفية بالسودان
٣ — التيارات الفكرية الحديثة فى الحواضر السودانية
٤ — اللهجات العربية فى السودان
٥ — قيمة السودان من الوجهة الاقتصادية
٦ — الأساطير السودانية
٧ — منزلة السودان فى تاريخ الأدب العربى
٨ — المعاهد المصرية فى السودان
٩ — شعراء السودان وكتّابه وخطباؤه فى القديم والحديث
١٠ — مبلغ انتفاع الطلبة السودانيين بالحياة فى المدارس المصرية
١١ — المكتبات العمومية والخصوصية بالسودان
١٢ — الأغانى الشعبية ودلالتها على العواطف السودانية
١٣ — تأثير الأدب المصرى الحديث فى الجيل الجديد بالسودان
١٤ — آراء السودانيين فى الروابط العربية والإسلامية
١٥ — الفكاهة السودانية فى الأشعار والأقاصيص

تلك خمسة عشر موضوعاً تستحق اهتمام نادى الخريجين ، وأنا لا أفرض وإنما أقترح ، فقد تكون لديهم موضوعات أعظم من هذه الموضوعات ، والمهمّ هو المبادرة إلى تحقيق الاقتراح بإرسال الموادّ قبل انتهاء الأسبوع الثانى من شهر رمضان

إن وصلنا إلى إصدار عدد عن السودان بهذا الروح فلن يقول السودان إن مصر تنساه أو تتناساه ، ولن يقول أبناؤه عادلين أو ظالمين إن أشقاءهم فى مصر لا يحفظون عهد الإخاء .

وإلى الفتيان من أعضاء نادى الخريجين أعهد تحقيق هذا الأمل الجميل

أرانى الله وجوههم بخير وعافية ، إنه قريبٌ مجيب

مطلع قصيدة

كان نقاد الأدب من العرب ينصون على مطالع القصائد ، كأن ينوهوا بهذا المطلع :

إنا محيُّوك فاسْلَمْ أيها الطللُ

فهل فى مطالع القصائد لهذا العهد ملامح تذكِّر بتلك المعانى الصِّحاح ؟

نعم ، ثم نعم ، فقد نظم الدكتور رشيد كرم قصيدة ليلقيها فى المؤتمر الطبى العربى الذى سيُعقَد فى بيروت ، وكان سيُعقد فى هذه الأيام ، لو سمحت هذه الأيام !

ابتدأ قصيدته فقال :

متى كانت لنا « سينا » حدودا

وأنا أسأل السؤال نفسه فأقول :

متى كانت لنا « سينا » حدودا

ومتى ترفع الحواجز الجركية بين الأمم العربية والإسلامية ؟

إلى بعض الناس

إن شقاءكم بأنفسكم طال وطال ثم طال ، ولن نملك إبراءكم من ذلك الشقاء ، لأنه أخطر من أن يطب له أطباء النفوس والقلوب

لن تنفعكم الدسائس فى كثير ولا قليل ، فقد كانت الدسائس ولن تزال أسلحة الضعفاء

إستعينوا بالقوة مرةً واحدة ، وحاربوا الحق بسلاح الظلم ، لا بسلاح الإسفاف ، فقد يعفو الله عن الظالمين الأقوياء ، ولا يعفو عن الآثمين الضعفاء

لن أفرِّط فى تعليمكم أصول الأخلاق ، فكونوا ظلامين ، ولا تكونوا دساسين ، لأن الظلم قوة ، والدسيسة ضعف ، وباطل الأقوياء أشرف من حق الضعفاء

وطنى وبلادى

إلى الفتيَيْنِ العظيمَيْنِ « م . ن ج » و « ع . ع »

— وما اكتفيت بالتلميح إلا لأننى لم أستأذنهما فى النص على اسميهما بالتصريح — إلى هذين الفتيَيْنِ العظيمَيْنِ أوجه القول :

إن بلادنا لن تُضام أبداً ، ولن تسكون لغير أهلها ، ولو تألبت عليها جيوش البر والبحر والهواء

بلادنا باقية باقية ، فى عزة وعافية ، ولن تنال منها المطامع الدولية إلا بقدر ما ينال النسيم المعلول من قمم الجبال

بلادنا طوَّقت جميع البلاد بأغلال الديون العقلية والروحية ، ولن يتنفس بلدٌ فى شرق أو فى غرب إلا وهو مدينٌ لمصر بديون ثقال

لا تنسوا أن بلادكم دانت الفكر والعقل والروح ألوفاً من السنين ؛ ولا تنسوا أن أكبر مجد يظفر به الأوربىُّ المثقَّف هو أن يحل رمزاً من رموز آبائكم الأولين

كان الخط المصرى القديم إشارات من ملامح الطير والحيوان ، فما تفسير ذلك ؟

يقول الجاهلون إنه دليل على الطفولة التاريخية

وأقول إنه دليل على العبقرية المصرية ، لأنه يجعل كل حرف كائناً حيًّا من طير أو حيوان ، والحروف خلائق حية عند من يعقلون

ثم ماذا ؟

ثم أذكر أن بلادنا هى التى صدَّت المغول الوافدين من الشرق ، وهى التى صدت الصليبيين الوافدين من الغرب ، فكنَّا الميزان لأبناء ذلك الزمان

ومن نحن اليوم ؟

برغم قسوة الظروف قد استطعنا أن نقول نحن ، وأن نفى بالعهد ؛ لأن مصر لا تكذب ولا تخون

لن تضام مصر أبداً ، لأنها وطن الرجال ، ولأنها أول وطن غلب الدهر الخوَّان

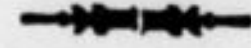
أحبك يا وطنى ، أحبك يا بلادى ، حبًّا لا ينتظر أى جزاء ، لأنه أعظم من أى جزاء !

زكى مبارك

أطوار الوحدة العربية

الصراع بين العرب والترك

للأستاذ نسيب سعيد



حدثنا فى مقالنا الأول عن مراحل الوحدة العربية ، وكيف تطورت فكرة العروبة فى التاريخ ، فبعد أن كانت حلماً ذهبياً جيلاً فى مخيلة محمد على الكبير عزيز مصر خرجت إلى الوجود وأصبحت حقيقة واقعة ؛ فالمرحلة الأولى إذن انقضت والوحدة العربية لا تزال حلماً من الأحلام ، أما المرحلة الثانية فقد طبعها الجهاد فى سبيل تحقيق هذا الحلم بطابعه الخاص . وقد استهل هذا الجهاد العربى المبين بالنضال بين أبناء العروبة الأبرار وبين الأتراك وانتهت هذه المرحلة من سلسلة تاريخ القضية العربية عام ١٩١٨ وتشمل حوادث الفترة الممتدة من إعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ حتى دخول الجيش العربى إلى دمشق فى أول أكتوبر سنة ١٩١٨ ، وإنشاء الحكومة الفيصلية فى ربوع الشام

ولئن ذهب بعض المؤرخين المعاصرين من الشرقيين والغربيين إلى اعتبار ما حدث فى العهد الحميدى التركى من حوادث فردية لا انسجام بينها ولا ارتباط كصدور كتاب أم القرى وطبائع الاستبداد ، ونشر كتاب يقظة العرب فى آسية التركية بالفرنسية فى باريس عام ١٩٠٥ من مقدمات الحركة العربية وطلائعها ، أو إنشاء الجمعية السرية التى أنشئت فى بيروت خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فالنهضة العربية المادية الحقيقية لم تبدأ إلا بعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ وقد قامت على دعامتين جديدتين : حرية الكلام ، وحرية الاجتماع ، فقد كفلها النظام الحكومي الجديد لسكان تلك المملكة ، فانطلقت الألسنة والأقلام ، وارتفع الضغط عن الأفكار ، وانتشرت العلوم ، فساعد هذا الانقلاب وهو خطير الشأن على إيقاظ العرب ، فأدركوا أنهم كمية مهملة فى العالم ، وأن لهم حقوقاً يجب أن ينالوها ، وكرامة يجب أن تصان ، ومجداً يجب أن يعملوا لإحيائه وتجديده

وصدرت صحف عربية عديدة فى ظل النظام الدستورى الجديد فى دمشق وبيروت والقدس وبغداد والبصرة وغيرها من بلاد العرب ، وفى الآستانة نفسها ، وإلى هذه الصحف ، وبصورة خاصة إلى الصحف العربية التى كانت تصدر فى القطر المصرى الحبيب ، يعود معظم الفضل فى تكوين « الرأى العام العربى » وإنشائه ، وبث الروح القومية بين طبقاته

ولم يغتفر لها الترك ذنبها يوم نصبوا الميزان فى عاليه لمحاكمة أحرار العرب ، فكان الصحافيون أكثر الطبقات ضحايا ، فقد استشهد منهم فى هذه المرحلة الكثيرون ، وحكم فى هذا الدور بالإعدام غيابيًّا على فريق من رجال الصحافة فى مصر ؛ ويأتى رجال الجمعيات والأحزاب السياسية بعد الصحافيين . ولئن كان ضحايا هؤلاء أقل من أولئك ، فما ذلك إلا لعجز الترك عن اكتشاف أسرار الجمعيات السرية لما تذرع به رجالها من تكتم شديد خلال التحقيق والمحاكمة . ومن تحصيل الحاصل القول بأن المنتدى الأدبى فى الآستانة كان أكثر الجمعيات العربية ضحايا ، لأنه كان أشهرها وأهمها ، ولأنه كان مقر الدعاية العربية فى الآستانة ؛ فانتقم الترك من مؤسسيه انتقاماً مريعاً . ويأتى حزب اللامركزية بعد المنتدى الأدبى العربى ، فقد فتك الترك بكل من استطاعوا القبض عليه من رجاله ، كما حكموا على المقيمين بمصر كافة بالإعدام . ثم يأتى بعد ذلك عنصر الضباط العرب فى الجيش التركى ، فكانوا يرسلونهم إلى خطوط النار فى ميادين الحرب ، وقد استشهد كثيرون منهم على هذا المنوال

ولا بد لنا من القول بأن « القضية العربية » مرت فى هذه المرحلة بثلاثة أدوار :

١ — يبدأ الدور الأول بإعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ، وينتهى بإعلان الحرب العظمى عام ١٩١٤ ؛ فقد نهج العرب فى خلاله نهج الأمم الناهضة العاملة للحرية والاستقلال ، فألفوا الجمعيات السرية ، وأصدروا الصحف ، ونظموا القصائد الحماسية القومية ، وأنشأوا الأحزاب السياسية ، وعملوا على التنظيم الداخلى ، وأنشأوا الروابط بين لجانهم وجمعياتهم وأنديتهم ،

واستعدوا للعمل الكبير الذى وضعوا نصب أعينهم القيام به ، تحقيقاً لحلم عزيز مصر العظيم محمد على باشا

ولا يسع الباحث فى أعمال هذا الدور إلا الإعجاب بما يشهده من انتظام وتضامن وتعاون بين أبناء العرب فى جميع الأقطار والأنحاء

٢ — أما الدور الثانى ، وهو دور الإرهاب والظلم ، أو دور مطاردة رجال «القضية العربية» وأحرار العرب ومفكريهم ؛ فيبدأ من أوائل عام ١٩١٥ ، أى من زمن وصول جمال باشا السفاح إلى دمشق وإصداره أمره بإلغاء كتيبة الضباط العرب الشباب من خريجى المدارس العليا ؛ وكانوا يمرنونهم فى دمشق ويعدونهم ليكونوا ضباطاً ، على أثر ما سمعه من أناشيدهم القومية ؛ فأرسلوا إلى ميادين القتال فى شتى الجهات ، وهلك معظمهم . وينتهى هذا الدور بإعلان الثورة العربية الكبرى رسمياً يوم ١٠ يونيو سنة ١٩١٦

على أن أقطاب الاتحاديين قرروا فى شهر يناير عام ١٩١٤ ، أى قبل وصول جمال باشا إلى سورية بسنة تقريباً اتخاذ تدابير متعددة للقضاء على الحركة العربية ، وتتريك العرب ، إلا أن تأثير هذه التدابير ظل محدوداً ، لأنها سلبية فى طبيعتها لا تتعدى المقاومة الخفية . ولقد تحول الحال حينما أعلنت الحرب العظمى عام ١٩١٤ ، وبسطت الأحكام العسكرية ، ونصبت المحاكم العرفية وأوقف البرلمان ، ووضعت المراقبة ، وعطلت الصحافة ، وانطلقت أيدى الاتحاديين فى البلاد العربية يفعلون ما يشاءون ، لا رقيب ولا حسيب . ويلوح لنا أن اختيار جمال باشا لمنصب القائد العام فى بلاد العرب — وهو المعروف بشدة الشكيمة ، والميل إلى سفك الدماء — وتحويله إلى سلطة لا حد لها ، ليس من قبيل الصدف ، بل هو نتيجة خطة أحكم الترك تدبيرها ، وأرادوا من ورائها الفتك برجال العرب ومفكريهم وشبابهم الذين أشربوا الروح القومية أملاً بأن يخرجوا منصورين من الحرب الكبرى ، وكانت الدلائل تدل فى سنيها الأولى على أن النصر سيكون فى جانبهم ، فينفذون سياسة التتريك ، ويقضون على كل نغمة عنصرية ، وينشئون امبراطورية طورانية تحيى مجد جنكيزخان وتيمورلنك ، وبقية عهد الذئب الأغبر

لا تلحق تبعة ما جرى فى ذلك العهد الدموى جمالاً وحده ، بل تشمل أقطاب الاتحاديين الذين كانوا مسيطرين على البلاد العثمانية وفى مقدمتهم أنور باشا وزير الحربية ووكيل القائد العام والدكتاتور الحقيق ؛ فقد كان مصدر كل سلطة فى الدولة . وقد استمد نفوذه من سيطرته على الجيش ، ولو أراد لوضع حداً لتلك الأعمال ، ولكنه تغاضى عنها ومنح جمالاً كل ما طلبه من سلطة ، ووضع تحت تصرفه كل ما أراد من قوى . على أن سير الحوادث ، وقد جرت على غير ما يشتهونه جعل أنور يعدل عن تلك السياسة فيضيق اختصاص صاحبه ويسلبه ما كان منحه إياه ، يؤيد ذلك ما جرى حين النظر فى قضية خان الباشا بالشام والحكم على أحرار العرب ، فهو لم يجسر على إعدام الذين ألح بإصدار الحكم بإعدامهم بل أرسل الإعلام إلى ديوان التمييز العسكرى لفحصه عملاً بالأوامر الجديدة ، وقد سلبت منه اختصاصاته فعاد منقوضاً يقول إنه لا وجه لإقامة الدعوى على أحد لأن الجرم الذى حوكموا لأجله لم يدخل فى حيز التنفيذ

وينقسم العمل السياسى فى خلال هذا الدور إلى ثلاث حلقات :

(١) فالحلقة الأولى تبدأ من إعلان الحرب العظمى أى من شهر أغسطس عام ١٩١٤ حتى شهر أغسطس سنة ١٩١٥ وقد انضم العرب فى خلال هذه الفترة إلى الدولة قلباً وقالباً وأيدوها رغم ما كان بينهم وبين الاتحاديين ، ورغم ظهور دلائل تدل على سوء نية هؤلاء ، وترقبهم دوائر السوء بالعرب لأنهم أدركوا أن الاحتلال التركى أهون من الاحتلال الأجنبى مهما كان الحال وأقل شراً ، ولأنهم اعتقدوا أنهم لا يعدمون وسيلة للتفاهم مع أوليائها حينما تضع الحرب أوزارها ، وتنقشع غمامتها . وأطمع هذا العطف الاتحاديين كما غرهم ما كانوا ينعمون به من قوة ومن سلطان عظيم لم ينالوا مثله فى غابر أيامهم فقالوا إنها فرصة ثمينة لا يجود الدهر بمثلها ، فأقدموا على تصفية حساب الحركة العربية ، ونصبوا الميزان فى عاليه كما نصبوه من قبل فى أشقودرة يوم أرسلوا شوكت طورغود إلى ألبانيا فى سنة ١٩١١ للقضاء على الحركة الألبانية القومية فعجلت أعمالهم تلك فى إخراجهم من ألبانيا وطردهم من البلقان ، كما عجلت حركة عاليه على إخراجهم من بلاد العرب وطردهم منها .

ولا يسع المؤرخ النزيه إلا التنويه بإخلاص العرب للدولة

فى هذه الفترة ، وإذا اضطروا إلى الاتصال بأعدائها بعد ذلك وتعاونوا معهم على هدمها أو القضاء عليها ، فالذنب ذنب الترك أنفسهم قبل أن يكون ذنب العرب والتبعة لاحقة بهم وحدهم ، فلو جزوا العرب على إخلاصهم بإخلاص ، وصافحوا اليد الممتدة إليهم ، وتغاضوا عن كل حادث فى الماضى وهو ما جرى العرف أن يحدث فى الشدائد ، وأى شدة أعظم من تلك الحرب ، لما وقع ما وقع ولما كان ما كان

(ب) وتبدأ الحلقة الثانية بعد إعدام الرعيل الأول من شهداء العرب ومجاهديهم الأبطال ، فقد كشر (جمال) السفاح عن أنيابه وتنكر للعرب ، ولبس ثوب الأسد بعد ما نزع ثوبه الجميل ، وأخذ ينادى بأنه لا بد من عقاب الخونة ، والخونة فى عرفه واصطلاحه هم أحرار العرب ، والناهضون المجاهدون من رجالهم ، مع أنه دعا هؤلاء فى الخطبة التى خطبها فى النادى الشرقى شهر يناير عام ١٩١٥ إلى إحياء شهامة العرب ، وإعادة مجد العرب . ولا بد لنا من الاعتراف بأن العرب فوجئوا بأعمال جمال السفاح مفاجأة ، فتشتت رجال الجمعيات فى كل ناحية من أنحاء السلطنة العثمانية بعضهم منفى ، وبعضهم سجين ، وبعضهم مقتول ، وأرسل آخرون إلى ميدان الصراع العالمى ، وجند آخرون فى الجيش ، وفرّ غيرهم . أضف إلى هذا أن الصلة كانت مقطوعة بين الشام وبين العراق والحجاز من أقطار العرب فضلاً عن العالم الخارجى لصعوبة السفر والانتقال فى تلك الأيام العصيبة السوداء ، ولوجود مراقبة شديدة على المراسلات . والحقيقة أنه لم يبق خارج القفص في تلك الأيام سوى عدد ضئيل جداً كان يقيم فى دمشق على حذر ووجل يترقب القبض عليه من ساعة إلى ساعة ، ويودع أهله وأسرته عند خروجه من المنزل فى الصباح لأنه قد لا يعود إليهم فى الظهيرة ، وكذلك يودعهم فى الأصيل لأنه ما كان واثقاً من الرجوع إليهم فى الغسق . فهذه الفئة القليلة كان بقاؤها فى الفيحاء بفضل عوامل محلية خاصة ؛ فبعضها أقام بضمانة الوالى خليص بك والى الشام كالمرحوم الدكتور شهبندر ، وبعضها أقام فى جلق لأن الوحدة العسكرية المنسوب إليها كانت تقيم فيها كالدكتور أحمد قدري ، ويسن الهاشمي وغيرهما ، نقول إن هذه الفئة هى التى اتصلت بالأمير فيصل عند مروره من دمشق فى غدوه إلى الآستانة ورواحه منها . وهى التى أطلعته على ما يقاسيه العرب من الترك ، فنقل شكايتها إلى رجال الدولة ، وعمل على تعديل هذه السياسة فى دمشق وفى الآستانة فلم يوفق . وهى التى نفخت فيه روح الثورة ، وكان معروفاً فى إعلان الحرب العظمى بمصافاة الترك قائلاً بعدم الخروج عليهم مهما كانت الظروف . وهى التي أقنعته بوجوب العمل لإنقاذ العرب من خطر محقق ؛ فضم جهوده إلى جهود أخيه الأمير عبد الله ، وكان متصلاً بالبريطانيين فتقررت الثورة ووضعت أسسها . ومما لا ريب فيه أنه كان للعامل المحلى والشخصى يد لا تنكر فى إعدادها وتكوينها

(ج) وتبدأ الحلقة الثالثة بمؤتمر الطائف فى خريف سنة ٩١٥ وقد قرر إعلان الثورة العربية ، وإعداد معداتها فى الداخل ، والاتصال برجال بريطانيا العظمى فى الخارج . وقد سارت الأمور على أفضل ما يرام ، فأقام الأمير علي فى المدينة يستميل القبائل الضاربة فى تلك البطاح ، وأخذ عليها العهود والمواثيق ، كما انصرف الأمير عبد الله من ناحية إلى جمع كلمة قبائل العرب فى الطائف وإعدادها لليوم العصيب

أما الأمير فيصل ، فكان يقيم فى دمشق يفتل خيوط الرأى ليجد مخرجاً يخرجه من معتقله ، فقد استبقاه الترك رهينة يهددون بها والده ، ويغلون يده عن كل عمل ، ولولا تخلصه منهم بكل لباقة وإفلاته من قبضتهم الحديدية لتأخر إعلان الثورة ولسارت الأمور فى غير هذا الاتجاه . وامتدت المكاتبات بين الحسين أمير الحجاز يومئذ والإنجليز سنتين وأشهراً ، وانجلت عن تلك العهود التى بذلها السر هنرى مكماهون للعرب باسم حكومة صاحب الجلالة البريطانية وبالإضافة إليها

(د) ويبدأ الدور الثالث بإعلان الثورة العربية الكبرى رسمياً ، ونزول العرب إلى ميدان الصراع والنضال وينتهى بإرسال الحسين أمير الحجاز يومئذ بلاغه الشهير إلى الدول العظمى يوم ٣٠ أغسطس عام ١٩١٨ مما سنفصله فى حديثنا القبل لقد ضاق النطاق اليوم ، فإلى اللقاء ...

(دمشق) نجيب سعد
المحامي

مفاوضات الفتح العربي لمصر

للأستاذ السيد يعقوب بكر

[هذا البحث قسمناه قسمين : ففى القسم الأول حققنا هذه المفاوضات من الوجهة التاريخية ووصلنا إلى التسليم بصحة وقوع بعضها ونفى وقوع البعض الآخر . وفى القسم الثانى حاولنا أن نتلمس الروح المسيطرة على طرفى كل مفاوضة صح عندنا وقوعها]

القسم الأول

(١) المفاوضة الأولى

١ — ذكرها أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٣ — ٢٤ ط دار الكتب) نقلاً عن ابن كثير فى تاريخه المسمى بالبداية والنهاية . قال : « لما استكمل المسلمون فتح الشام ، بعث عمر بن الخطاب عمرو بن العاص إلى مصر . وزعم سيف : أنه بعثه بعد فتح بيت المقدس ، وأردفه بالزبير بن العوّام وفى صحبته بُسْر بن أبى أرطاة وخارجة بن حذافة وعمير بن وهب الجمحى ، فاجتمعوا على باب مصر ، فلقيهم أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف أبو مريام فى أهل النيات ، بعثه المقوقس صاحب الإسكندرية لمنع بلادهم .

فلما تصافوا قال عمرو بن العاص : لا تعجلوا حتى نعذر إليكم . ليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد فبرزا إليه ، فقال لهما عمرو : أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا : إن الله بعث محمداً بالحق وأمره به وأمرنا به محمد ، وأدّى إلينا كلّ الذى أمر به ، ثم مضى وتركنا على الواضحة ، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة . وقد أعلمنا أننا مفتتحوكم وأوصينا بكم حفظاً لرحمنا منكم ، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة ؛ ومما عهد إلينا أميرنا : « استوصوا بالقبطيين خيراً » فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالقبطيين خيراً لأن لهم ذمّة ورحما فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء ، معروفة شريفة كانت ابنة ملكنا وكانت من أهل منف والملك منهم ، فأديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوهم ملكهم واغتربوا ، فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام . مرحباً به وأهلاً وأمناً حتى نرجع إليك .

فقال عمرو : إن مثلى لا يخدع ، ولكنى أؤجلكما ثلاثاً ، لتنظرا ولتناظرا قومكما ، وإلا ناجزتكم ؛ قالا : زدنا ، فزادهم يوماً ؛ فقالا : زدنا ، فزادهم يوماً ؛ فرجعا إلي المقوقس ... »

فواضح من هذا الكلام أن هذه المفاوضة وقعت عند باب مصر بين عمرو بن العاص من جانب وأبى مريم جاثليق مصر والأسقف أبي مريام من الجانب الآخر .

٢ — وذكرها ابن الأثير (ج ٢ ص ٤٤٠ — ٤٤١ ط ليدن) . قال : « فأخذ المسلمون باب اليون وساروا إلى مصر فلقيهم هناك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف بعثه المقوقس لمنع بلادهم . فلما نزل بهم عمرو قاتلوه فأرسل إليهم لا تعجلوا حتى نعذر إليكم ؛ وليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام فكفوا وخرجا إليه فدعاهما إلى الإسلام أو الجزية وأخبرهما بوصية النبى (ص) بأهل مصر بسبب هاجر أم إسماعيل عليه السلام ؛ فقالوا : قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء . آمِنّا حتى نرجع إليك . فقال عمرو مثلي لا يخدع ؛ ولكنى أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا وأمر بمناهدتهم »

فواضح من هذا أن ابن الأثير متفق مع ابن كثير فى مكان المفاوضة وطرفيها

٣ — وذكرها ابن خلدون (ج ٢ ص ١١٤ — ١١٥ ط بولاق) . قال : « ولما فتح عمر بيت المقدس استأذنه عمرو ابن العاص فى فتح مصر فأغزاه ، ثم أتبعه الزبير بن العوام ، فساروا سنة عشرين أو إحدى أو اثنين أو خمس فافتتحوا باب اليون ثم ساروا فى قرى الريف إلى مصر . ولقيهم الجاثليق أبو مريم والأسقف قد بعثه المقوقس . وجاء أبو مريم إلى عمرو فعرض الجزية والمنع وأخبره بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنهم وأجلهم ثلاثاً ورجعوا إلى المقوقس »

فواضح من هـذا أن ابن خلدون متفق مع ابن كثير وابن الأثير

٤ — وذكرها الطبرى (مجلد ٥ ص ٢٥٨٤ — ٢٥٨٩ ط ليدن) . قال : « خرج عمرو بن العاصى إلى مصر بعد ما رجع عمر إلى المدينة حتى انتهى إلى باب اليون واتبعه الزبير فاجتمعا فلقيهم هنالك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف فى أهل النيات بعثه المقوقس لمنع بلادهم . فلما نزل بهم عمرو قاتلوه فأرسل إليهم : لا تعجلونا لنُعذر إليكم وترون رأيكم بعد؛ فكفوا أصحابهم وأرسل إليهم عمرو أنى بارز فليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام؛ فأجابوه إلى ذلك وآمن بعضهم بعضاً. فقال لهما عمرو : أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا ... » ويذكر بقية الحديث بما يوافق ما ذكره ابن كثير تماماً

فواضح من هذا أن الطبرى متفق مع المؤرخين الثلاثة فى طرفى المفاوضة ، ولكنه يختلف عنهما فى مكان المفاوضة ، فيقول إنها كانت عند باب اليون ويقولون إنها كانت عند مصر .

نترك الآن المؤرخين العرب وننتقل إلى كتاب حنا النقيوسى المؤرخ القبطى المشهور فلا نجد فيه ذكراً لهذه المفاوضة

ويقول الأستاذ بتلر فى كتابه « فتح العرب لمصر » (ص ١٩٠ من الترجمة العربية) بصدد هذه المفاوضة : « والظاهر أن قصة بعث المقوقس باثنين من الأساقفة وهما أبو مريام أو (أبو مرتام) وأبو مريم لمفاوضة العرب لم تكن سوى قصة بعث بها الوهم . فلم يكن بين الأساقفة أحد بتلك الأسماء ، ولعل تلك القصة لم تنشأ إلا من الخطأ العظيم الذى وقع فيه مؤرخو العرب عند ما قرأوا أخبار هذه الحوادث ، وقد اختلطت فيها حوادث التاريخ بالخرافات اختلاطاً فاحشاً ، ومسخها النساخون عند نقلهم منها منذ لم يتحروا فيها الدقة . ولكننا مع ذلك نستطيع أن نقول إنه قد جاءت جماعة عليها أحد الأساقفة وإنهم فاوضوا عمراً فى ذلك الوقت »

والأستاذ بتلر يقول هذا القول أثناء حديثه عن سير العرب الفاتحين إلى بلبيس ، مما يفهم أنه يرى أن هذه المفاوضة كانت فى بلبيس لا فى مصر كما يقول ابن كثير وابن الأثير وابن خلدون. ثم هو يرى بعد ذلك أنها لم تكن بين عمرو من جانب وأبى مريم ومعه أبو مريام من الجانب الآخر؛ بل كانت بين عمرو وجماعة عليها أحد الأساقفة

ونحن لا نملك رفض مايقوله الأستاذ بتلر ؛ فنحن لا نملك رفض قوله بحصول المفاوضة فى بلبيس ، لأن اتفاق ابن كثير وابن الأثير وابن خلدون على أنها حصلت عند مصر وتفرّد الطبرى بأنها حصلت عند حصن بابليون مما لا يمكن التعويل عليه لما عرفناه ولمسناه من خلط مؤرخى العرب فى كلامهم عن حوادث الفتح . أضف إلى ذلك أن جعل المفاوضة عند بلبيس أكثر ملاءمة لسير حوادث الفتح من جعلها عند مصر . والقارئ لحوادث الفتح يدرك هذا تمام الإدراك . ونحن بالطبع ليس لنا أن نطالب الأستاذ بتلر بالمصدر الذى اعتمد عليه فى القول بأن المفاوضة حصلت فى بلبيس، وذلك لأنه لم يعتمد فى ذلك على مصدر ما وإنما قال به توفيقاً منه بين حوادث الفتح العربى التى تعرضت لشىء كثير من الخلط

نذر مقبول

للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

أرأيتِ حين نذرتِ ؟ ودعا «النوى» فدعوت ؟
من ذا الذى لبّاك ؟ من ذا أجاب مُناك ؟
قدّيسةٌ عطفت على المكنو ن من نجواك
ووعدتها فوفيتِ

* * *

قدّيسة سمعت لنا وسعت لتجمع بيننا
من ذا يعيب هواك ؟ من ذا إذن يلحاك ؟
والعذر عذر صبابتى والحق حق صباك
كذبوا إذن وصدقت !

* * *

بالشمع كم أغريتها أتراك أنت خدعتها ؟ !
كلا . وما أقواك فى خدعة وشباك !
فالنور لب غذائها والنور صفو رضاك
شُغفت به وشُغفت

عباس محمود العقاد

والتشويه فى معظم المصادر العربية وغير العربية

هذا من ناحية مكان المفاوضة ، وأما من ناحية طرفيها فنحن لا نستطيع رفض قوله فى ذلك أيضاً ، لأننا لا نملك على ذلك الرفض قدرة علمية ، ولا سيما أنه عاد فى الملحق الثالث من ملاحق كتابه فأكد قوله وقوّاه . قال (ص ٤٥٠ — ٤٥٢) : « (٢) أبو مريم . وصف الأستاذ (لين پول) هذا الشخص بأنه «جاثليق» مصر ، وأنه انضم إلى جيش عمرو . ولفظ جاثليق لامعنى له إلا (بطريق) ، وأول من ذكره من مراجعنا الطبرى ، فقد جعلته معلوماته الفارسية يذكر ذلك اللفظ على أنه اسم كبير أساقفة مذاهب النسطوريين والأرمن . ويكثر ذكره فى كتب سبيوس وسواه، ويعرفه دكانج Du Cange حق المعرفة . والحقيقة أن الطبرى نفسه يفسر ذلك اللفظ بأنه كبير أساقفة النصارى ، ولكنه يقول بعد ذلك عبارة محيرة وهى أن اسمه كان «ابن مريم» . ويمكننا أن نسلم بأنه قد كان فى مصر رئيسان للأساقفة أو بطريقان فى وقت الفتح وهما قيرس وبنيامين ؛ ونزيد على ذلك أنه قد يجوز أن بطريقاً ثالثاً كان موجوداً عند ذلك وهو بطريق مجهول (للجاجانيين) ، ولكن ذلك غير مهم فيما نحن فيه . وابن مريم لا يمكن أن يكون هو (قيرس) ؛ ولكنه قد يمكن أن يكون المقصود به (بنيامين) . ونرجو أن نستطيع البرهان على أن ذلك هو المقصود ؛ فإنه فى مدة ابن الأثير كان الاسم قد حرف إلى (أبو ميامين) ، فى حين أن أبا المحاسن يذكر — وهذا طبعاً صحيح — أن الأسقف القبطى فى الإسكندرية كان اسمه بنيامين . ويذكر السيوطى أن الأسقف القبطى هو (أبو ميامين) وليس على المرء إلا أن يقرن هــذه الحقائق بعضها إلى بعض فيرى لأول نظرة أن من أسهل الأمور تحريف اسم (أبا بنيامين) إلى (أبو ميامين) ثم إلى (أبو مريم) ، فى حين أن (ابن مريم) يجوز أن يكون تحريفاً للاسم بنيامين ؛ فإن كتاب العرب كانوا يعرفون أن اسم مريم اسم يجله النصارى إجلالاً عظيماً ، فأخطأوا فى لفظ (أبا) فظنوا أنه اللفظ العربى (أبو) ، فى حين أنه نُزع الجزء الأول من (بنيامين) وهو (بن) وخُلِط باللفظ العربى (ابن) ونشأ من ذلك الخلط أسماء عجيبة زادها تحريف النساخ خطأً فذهبوا إلى تسمية الأسقف باسم (أبو مريم) و (ابن مريم) . ونستطيع الآن أن نستبعد اسم (أبو مريم) ونحن واثقون من أن ذلك الاسم لم يكن ، وكذلك أسماء (أبو مرتم) و (ابن مريم) و (أبو ميامين) ؛ وأن نجعل مكان هذه الصور الغريبة اسم (بنيامين) الذى كان كبير أساقفة القبط فى الإسكندرية . غير أنه لا يكفى أن نستبعد هذه الخيالات فإنا إذا سلمنا أن الشخص التاريخى المقصود هو بنيامين فإنه من المحال أن نقبل ما قيل عنه من أنه اشترك مع عمرو أى اشتراك فيما ذكر عنــه ، فلم يحاربه ولم يفاوضه . وأما ما ذكره الطبرى ومن اتبعه كابن الأثير عن بنيامين فإنه قول سخيف . فقد جعلوه قائداً حربيًّا تحت حكم المقوقس . وقد سمى الطبرى إلى جعل خبره مقبولاً لا تناقض فيه فجعل المقوقس أميراً للقبط ؛ ولكن كل الأدلة المستمدة من المؤرخين المصريين تدل على أن هذين الرأيين غير صحيحين (وكان الطبرى غريباً عن مصر ، ولكنه زارها) . فالمؤرخون المصريون مجمعون على أن بنيامين بقى مختفياً فى الصعيد مدة عشر سنوات قبل الفتح العربى ، وثلاث سنوات فى مدة الفتح . ولو لم يكن لدينا غير ما كتبه ساويرس «حياة بنيامين» لكان ذلك كافياً للبت فى هذا الأمر . غير أن كل المؤرخين من حنا النقيوسى إلى ما بعده متفقون في هذا الرأى . فكيف إذن نستطيع أن ندرك علة ما يعزوه مؤرخو العرب إلى بنيامين من الاشتراك فى الأمور عند الفتح ؟ والتعليل هو ما يلى : أنهم وجدوا فى الأخبار القديمة أو الروايات السابقة أن زعيم المدافعين والرئيس الذى فاوض فى شروط الصلح مع الفاتحين هو كبير أساقفة الإسكندرية ، ووجدوا بعد الفتح وفى التاريخ القبطى أن كبير الأساقفة في الإسكندرية المعترف به هو بنيامين ؛ وفوق ذلك لقد كان بنيامين هو الذى جاء إلى عمرو وصالحه فى وقت الفتح الثانى للاسكندرية عند ثورة منويل ؛ فاختلط هذا الخبر بالصلح الذى كان مع قيرس ؛ وعلى ذلك اختلط الشخصان وعُزى إلى بنيامين ما فعله قيرس عند الفتح »

فبقى علينا إذن أن نأخذ رأى الأستاذ بتلر فى هذه المفاوضة

(للبحث بقية) السيد يعقوب بكر

مشاركة الأدب الانجليزى

فى الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »(*)

الأستاذ عبد الوهاب الأمين

١ — العصور الوسطى

كان رأى الباحثين مجمعاً منذ مدة على أن أولى الاتصالات الثقافية المهمة بين الإسلام والفرنك كانت نتيجة للحروب الصليبية . وفى الحق أن الحروب الصليبية هى الفرصة الأولى التى اجتمع فيها الشرق العربى بالغرب المسيحى اجتماعاً قريباً ، وحصلت من جراء ذلك مبادلات ثقافية ؛ غير أن الدراسات التاريخية المتأخرة أبانت أن هذه المبادلات كانت محدودة من ناحيتى المجال والمفعول ؛ وهو أمر يجب أن يكون منتظراً بسبب سيطرة الناحية العسكرية في ذلك الدور . ولقد وصل الفكر العربى عن طريق آخر إلى الغرب بصورة عامة ، وإلى انجلترا بصورة خاصة

لقد دخل العرب المنتصرون إلى أوربا بعد غزوهم شمال أفريقية ، واستعمروا منطقتين فى حوض البحر الأبيض المتوسط لمدة طويلة هما : اسبانيا وصقلية ، وأنشأوا لهم مدنية بالغة فى التقدم ما لم يكن يوازيه أى تقدم آخر فى الأراضى المسيحية فى ذلك الحين . ذلك التقدم الذى لم يعجز عن التأثير على معاصريهم من المسيحيين ، حتى أنه بعد أن استعاد المسيحيون تلك البلاد ظلت التعاليم العربية مزدهرة مدة طويلة . وكان الملوك المسيحيون يتكلمون العربية ، ويؤازرون العلماء العرب ، وبقيت الثقافة العربية العالية نافذة فى بلاد الفرنك ، وأصبح المسيحيون الذين يتكلمون العربية فى أسبانيا واسطة مهمة لبسط ذلك النفوذ ، كما أن اليهود الذين ينطقون بالعربية فى أسبانيا وصقلية — والذين كانت لهم لغة عامة هى العبرية — مع مشاركيهم فى الدين من الفرنك ، كانت لهم يد طولى فى نشر الثقافة العربية فى الغرب .

وينبغى أن نشير فى هذا المقام بصفة خاصة إلى الفيلسوف الأسبانى اليهودى « ابراهام بن عزرا » من مدينة طليطلة الذى زار لندن فى سنتى ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، واشتغل بالتعليم هناك مدة ؛ كما أن الإنجليزى « توماس براون » ولى القضاء فى صقلية ، ويذكره العرب فى كتاباتهم باسم « القائد برون »

وفي القرن الثانى عشر أخذ العلماء يفدون من الشمال ، وعلى الأخص من انجلترا ، لزيارة الجامعات العربية فى أسبانيا فى سبيل تحصيل العلم ، وكان أول كبير من هؤلاء هو الإنجليزى «أديلارد» من مدينة (باث) أحد رواد الثقافة العربية فى الغرب

وقد ساح « أديلارد » فى الربع الأول من القرن الثانى عشر فى إسبانيا وسورية ودرس اللغة والعلوم العربية ، وترجم كثيراً من الكتب العربية إلى اللاتينية لفائدة معاصريه من المسيحيين ، واشتغل فى عودته ترجماناً للملك هنرى الثانى — ولم يصر بعد ملكاً — وكان قد أهدى إليه أحد كتبه أيضاً . ويتألف أهم كتبه وهو « القضايا الطبيعية » من حوار بينه وبين قريب له درس فى الجامعات الفرنكية بينما درس « أديلارد » بين العرب . وعلى ذلك فإن الجدل الذى يقوم بين الاثنين يتطرق إلى المقابلة بين الدراستين ، وقد قال فى مقدمة كتابه هذا : « إنى سأدافع عن قضية العرب ، لا عن قضيتى » وشدد فى نهاية كتابه على تفوق الطريقة العربية كما ساعد بنفوذه على نشرها فى الغرب ، فترجم عدداً من الكتب العربية فى علم الهيئة والرياضيات وبذلك مد فى نشر هذه العلوم في أوربا .

وقد اقتفى أثر « أديلارد » كثيرون من الإنجليز . فقد درس « روبرت » — وهو من أهالى جستر — فى القرن الثانى عشر أيضاً ، الرياضيات وترجم الكتب العربية . وهناك شخصية طريفة هى شخصية « دانيل مورلى » الذى يحدثنا عن نفسه أنه كان برماً بالجامعات الفرنكية فذهب إلى إسبانيا « فى طلب أحكم الفلاسفة على وجه الأرض » على حد تعبيره ، وقد عاد إلى انجلترا بمجموعة كبيرة من الكتب التى لقيت جمهرة كبيرة من القراء . « وميخائيل سكوت » الذى درس

(*) هو محاضر فى التاريخ الاسلامى فى فرع الدراسات الاسلامية والافريقية فى جامعة لندن . وقد ألقى هذا البحث بشكل أحاديث فى الاذاعة البريطانية

— في القرن الثالث عشر — فى صقلية وأتقن اللغتين العربية والعبرية، وترجم كتب أرسططاليس من اللغة العربية ، وكان كثير منها قد تلقاه الغرب لأول مرة ، كما أنه ترجم التعقيبات العربية على فلسفة أرسطاطاليس، وألف عدة كتب فى علم التنجيم والكيمياء

ولقد كان عمل هؤلاء وغيرهم من الإنجليز المغامرين الذين زاروا بلاد العرب كبير الفائدة من الناحية الثقافية ، فبفضل أعمالهم ذاعت آثار العرب الفلسفية والعلمية المظيمة فى انجلترا والغرب ، وتقدمت الثقافة الأوربية خطوة كبيرة إلى الأمام . وكان التأثير الذى تركته كتبهم المترجمة والموضوعة عظيما . وفى وسعنا أن نضع الفيلسوف الإنجليزى العظيم « روجر با كون » فى عداد الذين تأثروا تأثراً عميقاً بالثقافة العربية ، وكذلك الشاعران « شوصر » و « ليد كيت » . ومن المهم ذكره فى هذا المجال أن أول كتاب طبع فى انجلترا وهو كتاب « أمالى وأقوال الفلاسفة » (سنة ١٤٧٧) وقد وضع على أساس كتاب عربى هو كتاب : « مختار الحكم ومحاسن الكلم » الذى صنفه فى سنة ١٠٥٣ الأمير المصرى « مبشر بن فاتك » ، ولم يطبع النص العربى ، ولكن هناك نسخة خطية منه لا تزال موجودة فى هولاندة ، وهو مجموعة أمثال وأقوال حكمية ، وكان كثير الشيوع مدة من الزمن فى الشرق وقد ترجم إلى عدة لغات أوربية

إن الدَّين الذى تدين به أوربا فى العصور الوسطى لماصريها من العرب ومترجيهم لهو دَين مضاعف ، فنى الدرجة الأولى كان العرب هم الذين نشروا القسم الأكبر من ميراث الفكر والعلم الإغريقى الذى كان الغرب قد أضاعه ، واحتفظ به العرب وأذاعوه؛ وفى الدرجة الثانية أن أوربا قد تعلمت من العرب طريقة جديدة فى الدراسة ، تلك الطريقة التى وضعت العقل فوق السلطة ، ودافعت عن البحث العلمى الحر ، وقد كان هذان الدرسان هما اللذين لعبا أكبر دور فى إعطاء نهاية للعصور الوسطى ، وبعث النهضة « الرينسانس » وولادة أوربا الجديدة ، كما أن العلماء الإنجليز ساهموا بدور كبير فى نقل هذه الدروس . وإن من مآسى التاريخ الآن أن العرب ينسون فى هـذا الوقت الأشياء التى علموها هم لأوربا ، وأن يقوموا بدراستها مرة أخرى بعد مضى عدة عصور

ونود أن نختم هذا الفصل بالرجوع إلى أقوال « إديلارد » نفسه فى حديثه مع قريبه عن الطريقة التى تعلمها فى أسبانيا ؛ ورأيه هذا قد سجل منذ ثمانمائة سنة :

« إننى ، والعقل دليلى ، قد تعلمت أمراً واحداً من أساتذتى العرب . أما أنت فعلى خلاف ذلك قد تلجمت بلجام من المظهر الخارجى للسلطة ـ وبمـاذا نصف السلطة إلا بأنها لجام ؟ ـ على شاكلة الحيوانات المتوحشة ، فإنها تساق إلى حيث يشاء المرء بدون أن نرى لماذا وإلى أين تساق ، بل تتبع المِقْود الذى توقف به ، وكذلك الكثير منكم قد رُبطوا بقيود وسلاسل من التسليم المنحط ، وسيقوا إلى الخطر بسطوة الكتاب ... لقد منح العقل للأفراد لكى يكون هو الحكم الرئيسى للتفريق بين الحق والباطل ... فيجب أن نسمى بداءة ذى بدء إلى البحث عن العقل ، فمتى وجد قُبلت حينئذ السلطة إذا أريد إضافتها إليه ، فإن السلطة فى حد ذاتها لا يمكن أن توحى بالثقة إلى الحكيم ، ولا ينبغى لها أن تستعمل لهذه الغاية »

والذين يعرفون كتابات العرب سيؤيدون رأى « إديلارد » هذا على الفور ، أما الذين يعرفون علم الغرب فسيدركون مغزاه حالاً

عبد الوهاب الأمين

أرواح وأشبـــاح

للأسـتاذ خليل هنداوى

لقد صدق حدسي ! وها هي برهة تمر كرجع الطرف تزورنا فيها مواكب جديدة لهذا الشاعر المبدع من « أرواحه وأشباحه » والحق أن هذه القصيدة الجديدة تعد بذاتها فاتحة « للشعر العربى الحديث » الذى آن له أن يخلع تلك الثياب الرثة التى بالغنا فى ترقيمها وترويقها ، حتى نصلت صبغتها ، وبليت جدتها !

ومما يزيد فى قيمة هذه القصيدة أنها أول قصيدة تلدها مصر من الشعر الصحيح ، ولا نستطيع القول أنها مبتكرة بأسلوبها وغرضها ، لأن بعض السوريين سبقوا إلى هذا النوع من القصائد الواحدة التى يختلف وزنها وقافيتها ، ويبقى غرضها واحداً . وأعرف من هـذه القصائد (المواكب) لجبران خليل جبران ، و (بساط الريح) لفوزى المعلوف ، وعبقر (لشفيق المعلوف) و (إرم ذات العماد) لنسيب عريضة ، ولكن قصيدة شاعرنا (الملاح التائه) قصيدة وحدها بميزاتها وغايتها ، لأن صاحبها اتجه بها شطر الفن الخالص ، وجردها من أى غرض يرمى بها إلى الابتذال ، اعتقاداً منه بنظرية « الفن الخالص للفن الخالص » بينما نجد قصيدة « المواكب » تزحف فى جو ثقيل مرهق بالفلسفة الشاكة الحائرة ، وقصيدة (على بساط الريح) ترمى إلى غرض فلسفى آخرى توجهه العاطفة ، وقصيدة «عبقر» تكاد تكون أكثر تجرداً للفن ؛ أما قصيدة (إرم ذات العماد) فهى أشواق صوفية هائمة على رمال الوجد والحنين . وأصحاب هـذه القصائد جميعها ثائرون على ماضى الشعر العربى وأسلوبه الضيق الموروث ، ولذلك تجردوا من قوالبه ، وانطلقوا من غاياته ، وانقادوا إلى عوالمهم الذاتية المجردة ، ولكل غايات استقبلها وبلغها بمقدار ما هامت نفسه ، وسما فنه . ولعل أبرز ما فى « هذه القصائد » هـذه الوحدة فى الغاية ، تنطلق معها من فاتحتها إلى خاتمتها . وإنا لنجد هذا النوع غريباً فى أدبنا ، لأن الأدب العربى لم يسجل مثله ، فى حين أن الآداب الغربية طافحة بهذا النوع الذى يدل على امتداد الفن ، وبعد الغرض ، وسمو التحليق. وهنالك دواوين قائمة بنفسها لتوحى إليك بفكرة واحدة ، على طرائق مختلفة ، كهذا الذى فعله الشاعر الفرنسي - فرناند جريك - فى ديوانه جمال الحياة ، فجمال الحياة فكرة تفاؤلية تسيطر على نفس الشاعر ، والشاعر فى كل مظهر من مظاهر الكون يتوسم هذا الجمال ، ويتغنى به ، ومهما يكن من شىء ، فإن هذا يدلنا على أن الشاعر الحقيقى يعتنق رسالة أو فكرة يجمعها من مزاجه الخاص يحاول أن يبثها وينشر بها

* * *

كانت هذه القصيدة بيدى فتناولها صديق لى أديب فما لبث أن أبدى نفوره منها واستنكاره لهذا الضرب من الشعر لأنه خالٍ — بحسب اعتقاده — من الغاية والغرض ؛ وما كنت بلوّام لمثل هذا الصديق على اعتقاده ، لأن المدرسة الشعرية العتيقة لا تزال على اعتقادها فى أن الشعر خاضع للغاية ينزع إلى الحكمة أو إلى القومية ، أو ... أما هذه القصيدة فما نزعتها ؟ وما غايتها ؟ إننا نحب أن نعتق شعرنا من هذه التقاليد ، ونرفعه من هذه الأغراض الدانية ، لنتوجه به شطر الفن الخالص . إذ أن الشعر العالى لا يتجلى فى هذه العواطف الصافرة التى تؤز فوق الرؤوس ، ولا فى هذه الأصباغ الكثيفة غير المتناسقة ؛ وإنما الشعر هذه اللمحات الفنية الهادئة والرعشات الوديعة التي تذكرك برعشة الطبيعة حين يقظتها . ومن عجب الدهر أننا نتخطى تعاليم المدرسة القديمة ، ونلمس نقائصها ، وننفى أكثر شعرها ، ثم نرى من لا يزال يتحمس لها ، ويناضل من أجلها

الآن نستطيع القول — إزاء هذه المقطوعة — أننا إزاء قصيدة شعرية بلغت من السمو والفن والدقة ما لم تعرفه قصيدة عربية من قبل . ولكى يستطيع الشاعر أن يبث لمحاته الفنية لم يجد إلا جواً يونانياً . والعلة فى ذلك أن الجو العربى نفسه محدود الشاعرية ، محصور الخيال ، ليس فيه هذه الوثبات التى توحى للشاعر المطلق أن يحلق فى جو مطلق ، فليس فى هذا الاتجاه نفسه ما يعيب الشاعر أو القصيدة ، لأن الجو اليونانى — فى اعتقادى — برىء من كل غرض ، يملكه الفن وحده .

ولا يجد الأدباء الغربيون حرجاً فى الرجوع إلى هذه المملكة الفنية بشوارد الفن ، على رسوخهم وغناهم . ولأدبائنا الحق فى تفهم الأدب اليونانى والفن اليونانى . بعد أن درس العقل العربى العقل اليونانى ، كانت بينهما صلات متينة ، وجولات مشبعة بروح الصداقة . والفن اليونانى - على اعتقادى — أشد ضرورة للعرب من الفلسفة اليونانية

أشخاص هذه القطعة أشخاص يونانيون لهم محلهم فى الفن اليونانى والجمال اليونانى . وقد أحسن المؤلف صنعاً فى الإعلان عن كل شخص فى مقدمته . ومن هؤلاء « سافو » الشاعرة الإغريقية ، وتاييس الراقصة الأثينية ، وبلتيس صاحبة الشاعر الإفرنسى « بير لويس » . أما الحديث فيدور حول روح شاعر يبعث بعثاً جديداً يزف إلى الأرض كالشبح العابر . أو الوهم مثله الخاطر . تعرفه إحدى الحوريات أو الأرواح — تاييس — وتقول لسافو إنه (فتى تملأ ألحانه الأرض غداً) . وبلتيس يؤلمها أن يمر متكبراً ، وقد أصابته لوثة أهل الفنون فليمض شقياً ! أما تاييس فهي أكثر إشفاقاً عليه . لا تلومه لأنه (كف عينيه برق الحياة) فتحاول بيليس أن تثير حقد صاحبتها فتذكر لها ما صنع أترابه الشعراء من قبل يوم أغووا حواء ولدات حواء . والمرأة — دائماً — حديث الفن !

أنالته أجمل أزهارها ، فأهدى لهـا شر أزهاره !

ولعل هذه الأزهار تذكرنا بأزهار بودلير !

وهنا تستشهد بيلتيس بقصيدة (الحية الخالدة) التى قدم لها صديقنا الأستاذ الكيالى بأن المرأة هى الحية الخالدة التى يشتهيها الفنانون والشعراء رغم لدغاتها . وفى هذه القصيدة يهبط الشاعر بمعشوقته من المنزلة العالية التى تصورها فيها إلى المنزلة الدانية التى تضج بها الشهوة الجائعة ؛ وتصبح فيه المرأة كتلة من لحم يثير الدماء ، بعد أن كانت جمالاً صور من نقاء — فانحدرت المرأة وانحدر بانحدارها الرجل لأنه أصبح شيئاً كـكل الرجال ، وأصبحت هى شيئاً كـكل النساء

أما بيليتس فلا تحب أن تعتقد بخطيئة المرأة ؛ لأن الرجال ...

وكم في الرجال سمار الوحوش إذا لمسوا الجثة الدافئة . . .

أما المرأة ... !

ألم ينسم الخلد من عطرها ألم يعبد الحسنَ فى زهرها

ألم يقبس النور من فجرهـا ألم يسرق الفن من سحرها

شفت غلة الفن حتى ارتوى وإن دنس الفن من طهرها

وهامت على ظمأ روحهـا وكم ملأوا الـكأس من خمرها

والمرأة تبقى بعد هذا أحجية الفن .

« خطيئتها قصـة الملهمين » « وإغراؤها الفرح المفتقد »

لقد قربت جـداً عاريا وقلباً يضن بأسراره

ثم تنتقل هذه الغوانى من حديث الشعر إلى الفن الممثل فى — تمثال جميل — فلا تجد سافو الفنان أعلى روحاً من الشاعر لأنه كمثله .

غداً يستغل غرام الحسان سبيلاً إلى الشهرة الذائعـة

يصيب بهن خـلود اسمه وهن قرابينه الضائعة

ولـكن بيليتس تريد أن تنتقم لنفسها ولأترابها ، وتطلب النزول إلى الأرض .

لنشرب من دم هذا الفتى مصفى الرحيق بأكوابنا

ونجعل من حشرجات الرجال تحيـة شـاد لأنخابنـا

ولـكن تاييس تدرك أن الجمال والحب يضيع عالمهما بدون الشعراء والفنانين فتقول :

إذا خلت الأرض من طيرهم فمن ذا يحيى الجمال القسيم ؟

فتغضب بيليتس وتعود إلى حبهـا المعروف ، كما أوحته (أغانى بيليتس)[1] ، هذا الحب الذى ليس به حاجة للرجال !!

وهنا تستعر المشادة بين تاييس وبيليتس ، هذه تميل إلى كل هوى بين اثنين ، وتلك تمثل هوى المرأة المتعلق بالرجل ، وترى هذا الهوى ضرورة لا مناص منها لحياة الفنون . والجمال وحده هو الذى يهذب قلب الرجل ، وينيم فيه الشرس المستخف !

وبعد محاورة تختلف ألحانهـا بين هؤلاء ، يعود الإله — هرميس — الذى ترك الشاعر على أفق الأرض ، فيرى حورياته

---

(١) راجع هذه الأغاني فى مجلة الصباح الدمشقية مترجمة بقلم الـكاتب

فى غضب وثورة ، فيصف لهن هـذا الفنان الذى ساء أمره عندهن ، وفى وصفه هذا أروع ما وصل إليه فنان وهو يتحدث عن الفن ...

الفنان عنده ...

يسف إلى حيث لا ينتهى ويسمو إلى قمة لا ترام
ويُسقى بكأس إلهية مرنقة بالهوى والأثام

* * *

هو المرح الشارد المستهام شرود الفراشة عند المساء

ولعلك تلمس معى هذه القطعة المزدحمة باللمحة الفنية التى تظن أنها لا تنزل إلا على الشعراء الملهمين

أرته السماء أعاجيبهـا وروته من كل فن بديع
فضن بلألاء هـذا الجمال وخاف على كنزه أن يضيع
أبى أن يبدده ناظراه فأطبق جفنيه ما يستطيع
فإن شارف الأرض نادت به ففتح عيناً كعين الربيع

أتستطيع أن تحدد لى عين الربيع هـذه ؟ ألست معى هذه الدنيا من الرفيف والألوان والأعاجيب ؟

ولا يزال — هرميس — يصف لحورياته هذا الفنان حتى يستل من أفئدتهن كل سخيمة ويعدن راضيات عنه ، مؤنسات بفنه ، مغضيات عن عثراته . لأن عثرات الفنان بشائر للفن ، والفنان نفسه يعبد المرأة — على ما تحمله إليه — لأنه كما يقول :

وكانت حياتى محض اتباع فصارت طرائف من فنها
وكان شبابى صمت القفار ورجع الهواتف من جنها
فعادت ليالى الصبا والهوى أرق المقاطع فى لحنهـا
وأفرغت بؤسى فى حضنها وأترعت كأسى من دنها

وهكذا تنتهى القطعة برحيل الشاعر ، بعد أن ترك فى حورياته نظرات العطف والابتسام

هذه هى القصيدة التى أهداها الشاعر خالصة لوجه الفن ، سلسة التعبير ، لينة الفواق ، هائمة الألوان ، ولن يغنى عن قراءتها شىء من هذا الموجز المشوه الذى ذكرته ، لأن القطعة الفنية لا تنقل

والذين يتـذوقون الشعر المجرد ، ويحبون للفن المجرد ، سيستمون فى هذه القطعة خير لحن يجاوب ألحانهم ، ويتذوقون منها أصفى سلسال يروى ظمأهم

حقاً إن هذه القصيدة طليعة تلك المواكب الجديدة المائجة فى تيه المرح والعذاب والحب ، وستتلو هذه الأرواح أرواح ، وهذه الأشباح أشباح ، ما دامت هنالك قيثارة صافية النغم ، ومخيلة مجردة الخيال ، هى قيثارة ومخيلة ملاحنا التائه .

(حلب) — [الحديث] خليل هنداوى

---

٤٠ ـ المصريون المحدثون

شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر ـ الأمثلة

كثيراً ما يقسم المسلم بالله وبالرسول وبرأس مخاطبه ولحيته. وعند ما يُخبَر أحدٌ بخبر يثير دهشته وعدم تصديقه يصيح: والله؟ فيجيبه الآخر: والله. وكما أن العادة أن يبسمل المسلم قبل الطعام والشراب، يفعل ذلك أيضاً عند ما يتناول دواء أو يكتب شيئاً أو يبدأ مشروعاً مهماً، ثم يحمد الله بعد البسملة

وعند ما يتعاقد اثنان يتلوان الفاتحة معاً. والعادة عند ما يتجادل البعض في عمل أو رأى أن يصيح أحد الطرفين أو آخر يود فض النزاع أو تهدئة المتخاصمين: «الصلاة على النبي»، أو «صلوا على النبي» فيقولان بصوت منخفض: «اللهم صل عليه» ثم يستأنفان المجادلة ولكن باعتدال على العموم.

كثيراً ما يُسمع في المجتمع المصري العبارات الدينية تعترض الحديث في الأمور الحقيرة والخليعة أيضاً. وقد يكون ذلك أحياناً بطريقة تحمل من يجهل أخلاق هذا الشعب على أن يظنه هزؤا بالدين. ويكرر المصريون اسم الله في الكثير من أغانيهم الماجنة من غير قصد للاهانة طبعاً، وإنما يفعلون ذلك لاعتيادهم إقحامَ اسم الله في كل ما يدعو إلى الدهشة أو العجب، فيعبر الماجن عن انفعاله بالجمال عند رؤيته فتاة فاتنة بقوله أثناء كلامه الفاحش:

« تبارك الذي خلقك يا بدر »

وسأورد المقطوعة الأخيرة من أحد الموشحات مثالاً للطريقة الغريبة التي يختلط بها الفجور والدين في الأدب العامي المصري:

قابلني الرشيق بعد البعد والاحتجاب. فقبلت ثناياه وخده، ورن الكأس بجيده، وفاح المسك والعنبر من محبوب أرشق قواماً من غصن البان. وبسط سريراً سندسياً، وقضيت الوقت في سعادة متصلة. لقد استعبدني ظبي ترکی

والآن أستغفر الله ربي من كل خطاياي ومن كل ما هجس في نفسي. إن أعضائي تشهد عليّ. ومتى قهرني الحزن فأنت أملي يا ربي في كل ما يحزنني. أنت تعلم ما أقول وما أنوي. أنت الكريم الغفور. إني ألوذ بحماك فاغفر لي.

وقد زارني أحد أصدقائي المسلمين بعد كتابة الملاحظات السابقة توا فقرأت عليه القصيدة وسألته أيليق أن يمزج الدين بالخلاعة هكذا؟ فأجاب: «نعم، يليق كل اللياقة. فهذا رجل يذكر خطاياه ثم يستغفر الله ويصلى على الرسول». فقلت: «ولكن هذه قصيدة قيلت لتسلية هؤلاء الذين ينهمكون في الملذات المحرمة. ثم لاحِظْ أن الصفحة التي تصف الفسق تقابل التي تذكر أسماء الله عند ما أطوى الكتاب فيكون وصف الملذات الأثيمة فوق ذكر الاستغفار». فأجاب صديقي: «ذلك عبث. اقلب الكتاب جاعلاً أسفله أعلاه ينعكس الحال فيغطى الغفران المعصية. وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً وهو الغفور الرحيم» (الآية ٥٢ من سورة الزمر). وقد ذكرتني إجابته ما لاحظته كثيراً من أن غالبية العرب — وهم شعب كثير التناقض — يستمرون في مخالفة الشرع اعتماداً على أن عبارة: «أستغفر الله» تمحو كل خطية. وكان بين يدي صديقي نسخة من القرآن فوجدت فيها عند بحثي على الآية المقتبسة ورقة عليها كلمات من الكتاب الكريم، وكان الرجل على وشك أن يحرقها لئلا تسقط فتداس. فسألته: أيجوز ذلك؟ فأجاب: إما أن تحرق وإما أن تلقى في مجرى ماء. والأفضل حرقها، إذ أن الكلمات تصعد مع اللهب فتحملها الملائكة إلى السماء. ويستشهد المسلمون حتى أشدهم تُقًى بالقرآن عند المزاح. وقد حدث مرة أن طلب أحدهم أن أهدى إليه ساعة فأوعز إليَّ بهذه العبارة الملتبسة: إن الساعة آتية أكاد أخفيها (الآية ١٥ من سورة طه)

وكثيراً ما يشاهد المرء في المجتمع المصري ناساً يتلون آيات وأحاديث تناسب المقام، ولا يعتبر مثل هذا الاقتباس — كما هو الحال في مجتمعنا — نفاقاً أو مملاً، وإنما يثير إعجاب المستمعين ويصرفهم

عن نافه الحديث إلى جده . ويشغف مسلمو مصر وغيرها من البلدان ، على ما أعتقد ، بالحديث الديني . وتُحيَي أكثر الحفلات عند الطبقتين الوسطى والعليا في القاهرة بتلاوة (خاتمة) أو إقامة (ذكر) . وقلما يجرؤ أحدهم على التصريح بتفضيل الموسيقى على الخاتمة أو الذكر اللذين لا جرم يبتهجون بهما . والحق أن الطريقة التي يرتل بها القرآن أحياناً حسنة جداً ولو أن سماع الخاتمة كلها قد يُمل غير المسلمين

يدهشني شدة تمسك المسلمين بدينهم على الدوام ؛ غير أنني أعجب لقلة محاولتهم دعوة الغير إلى الإسلام . وكثيراً ما عبرت عن دهشتي لتغافلهم عن نشر دينهم مخالفين أسلافهم في صدر الإسلام فكانوا يجيبونني : « أي فائدة في هداية ألف كافر ؟ هل نزيد ذلك عدد المؤمنين ؟ أبداً . لقد قدر الله عدد المؤمنين ولا يستطيع الإنسان أن يزيده ولا أن ينقصه » . ولم أخاطر بالرد خشية أن يؤدي اعتراضي إلى جدال لا حد له . وقد سمعتهم يدافعون عن إهمالهم إدخال الناس في دينهم بذكر الآية السادسة والأربعين من سورة العنكبوت : « ولا تجادلوا أهل الكتاب » دون أن يذكروا العبارة التالية مباشرة : « إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد » . ولو كان المسلمون عملوا بهذه الوصية لأدى جدالهم إلى تحرير أفكارهم وترقية معارفهم

يقدس المسلمون المحدثون الرسول غاية القداسة ويقسمون كثيراً باسمه . ويلتمس شفاعته المتعلمون والجاهلون على السواء . ويتأثر الحجاج من زيارة القبر النبوي أكثر مما يتأثرون بقيامهم بالشعائر الأخرى . وهناك فئة لا تأتي عملاً لم يتقرر قيام الرسول به فيمتنعون خاصة عن أكل ما لم يأكله ولو ثبت إباحة تناوله . وما كان الإمام أحمد بن حنبل يأكل البطيخ لأنه مع علمه أن الرسول أكله لم يستطع أن يعرف ما إذا كان يتناوله بقشره أو بدونه أو إذا كان يكسره أو ينهشه أو يقطعه ، كما أنه نهى امرأة جاءت تستفهمه عن الغزل ليلاً على ضوء مشاعل الغير أثناء مرورهم في الشارع ، لأن الرسول لم يذكر شرعيتها ولا يُعرف عنه أنه انتفع من ضوء غيره بدون إذن . وقد أعجبتُ مرة بمنافض جميلة ينفض فيها رماد الشبُك ؛ فسألت صانعها لماذا لا يسمها باسمه ؟ فأجاب : معاذ الله ! إن اسمي أحمد وهو أحد أسماء الرسول فهل تريد أن أضعه في النار ؟ وقد سمعت شكوى الناس من الباشا لأنه وسم جمال الحكومة وجيادها باسمه (محمد علي) . وقال الذي ذكر لي هذا الحادث : إن الميسَم الذي نقش عليه هذان الاسمان الواجب احترامهما ، اسم الرسول (ص) واسم ابن عمه رضي الله عنه ، توضع في النار وهذا منكر ، ثم يوضع على رقبة الجمل فيسيل الدم النجس فيدنس الاسمين المقدسين على الحديد وعلى جلد الحيوان . والمحتمل عند ما يندمل الجرح بل المحتم أن يضع الجمل وهو راقد رقبته على شيء قذر

ويبعث مثل هذا الشعور المسلمين على أن يعترضوا على طبع كتبهم . ويندر أن يكون لهم كتاب لا يتضمن اسم الله ، ولا أذكر أني رأيت كتاباً خلا منه . فالقاعدة أن يصدر الكتاب بالبسملة وتبدأ المقدمة بحمد الله والصلاة على الرسول . ويخشى المسلمون أن يدنس المداد الذي يطبع به اسم الله ، أو الورقة التي يطبع عليها . ويخشون أيضاً أن تصبح كتبهم عند طبعها رخيصة الثمن فتقع بين أيدي من لا يصونها . وفكرة استعمال فرجون من شعر الكلب ، وكانت تستعمل أولاً هنا ، لوضع الحبر على اسم الله أو على كلامه تكدرهم كثيراً . ومن ثم لم يطبع الكتب في مصر حتى الآن إلا الحكومة ؛ غير أن اثنين أو ثلاثة استأذنوها في طبع بعض الكتب في مطبعتها فأذنت لهم . وأعرف كتبياً هنا رغب طويلاً في طبع كتب كان يثق بعظيم ربحها ولكنه لم يستطع أن يتغلب على تردده في شرعية هذا العمل

(يتبع) عدلي طاهر نور

من صور اليوم

فستان قصير

للأستاذ على شرف الدين

بالَغْتِ فى التَّقْصِيرِ يا غَانِيَهْ · خَلِّي قَصِيرَ الثَّوْبِ لِلْجَارِيَهْ
ثَوْبٌ بخيلُ الذَّيلِ تمشِي بِهِ · فَرَّارَةٌ مِنْ خدرِهَا نَائِيَه
كالْبائعِ الجوَّالِ فى يومِهَا · لم تخلُ من تجْوَالِهَا ناحيه
وتُزرعُ الأرضَ بريداً سرى
كأنهـا فى شَعبه ساعيه
رِعايةُ الأطفالِ قد أصبحتْ · — فيما تراهُ — عادةً باليهْ
وَتُرْسلُ الضَّحكاتِ إِن أبصرتْ
سيدةً فى بيتها طاهيـه
تَهَشُّ للنـاسِ وفى بيتها · عباسةٌ صخَّابةٌ عاويهْ
تمشى (كبَلقيسَ) وقد شمرتْ
فى القَصرِ عن سيقانِها العاريهْ
والجودُ فى الثوبِ دليلُ التُقى · وآيةٌ للعفةِ الواقيـه
جودى على ثوبك يا هـذه · جودى له بالفَضْلةِ الباقيه
إنى — على فقرى — كفيلٌ بها
رخيصةً — فى السعر — أو غاليه
مَنْ جاد بالجسم — على قدسه —
ما بخلُهُ باللبسةِ الفـانيهْ ؟ !
مَنْ جَاوَزَتْ عِشرينَ أَوْلى بها
أَنْ تلزمَ المنزلَ فى عافيـه
يا رَبةَ المـنزلِ ما بالهُ · تصدَّعت أركانهُ العاليه ؟
فى البيتِ مُلْكٌ أنتِ فى عرشِـه
مليكةٌ فى شعبها راعيه
عُودى إلى خِدْرِكِ واستأنفى · سعادةً كانت به ماضيه
« فالنسرُ » لا ينقضُّ إلا على · « حمامةٍ » عن وكرِها نائيه
وإنمـا يفتكُ ذئبُ الورَى
— فى وثبـه — بالنعجةِ القاصيه

على شرف الدين

مفـارقات

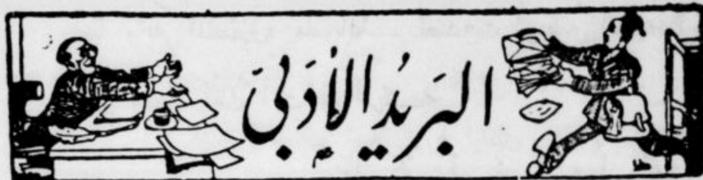
للأستاذ عبد اللطيف النشار

كل ما فى « مصر » يدعو للعجب !
طالب الطب شغوف بالخطب
والحقوق بتدليل الدُّمَى · والزراعى بأخبار الأدب
وبنو الأزهر صاروا ساسةً
وبنو الآداب أعداء الكتب
والغوانى رائحات غاديات
فى (عماد الدين) من غير سبب
ورجال الحكم للنرد خلوا
وحديث الحكم يقفى فى (الكُتُب)
ويذ الضيف وما نجحدها · تنبع الفضة منها والذهب
والسويسرى بآثار اللغى · والفرنسى بآثار العرب
وخطونا خطوة واحدة · رحمة الله على قبر ابن حرب

عبد اللطيف النشار

١٢ ـ ١٩

***



كم ذا ؟

ما كنت أعلم — حين تفضلت الرسالة بنشر كلمتي الأولى عن « كم ذا » هذه — أنى أثير عاصفة يدوى صوتها فى آذان هؤلاء القراء الكرام أمثال الأستاذ الكبير « البشبيشى » الذى تناولها بالرد والمناقشة أكثر من مرتين ... ولا أزال آخذ عليه وعلى غيره أن المناقشة لم تذهب إلى ما نريد ... وأنهم جنحوا إلى الإعراب والتخريج ، وهو مطلب غير مطلوب ، وبحث غير مرغوب . . . وقد طلب إلىّ بعض الأصدقاء أن أحسم النزاع فى « كم ذا يكابد عاشق ويلاقى » . . . فلم أجد أحسن من هذا الرأى القائل : «إن اللغة العربية — وإن كانت تعتمد على السماع والنقل — لا تحتم استعمال لفظ إلى جانب لفظ ، أو كلمة إلى جانب أخرى ، اللهم إلا إذا اقتضاها المقام ، أودعت إليها المناسبة . فمثلاً اختص الفعل المضارع بالسين وسوف لأن معناهما التنفيس والتسويف . . . وذلك لا يناسبه غير المضارع لوقوعه فيه . فلا نقول سَقُمتُ ولا سوف قام . وعلى هذا فلا مانع من دخول « كم » على «ذا» فى التراكيب العربية وسواء لدينا كونها للاستفهام أو الإشارة أو الموصولية أو الزيادة ، فإن هذا يرجع إلى الإعراب وهو لا يتأبى شيئاً ، ولا يضيق عن تأويل

ابراهيم على أبو الخشب

١ — شعر على بن أبى طالب

أطلعت على مقالات الأستاذ السيد يعقوب بكر فى تحقيق شعر على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم قرأت ما عقب به الأستاذ محمد محمود رضوان (فى العدد ٤٦٩ من مجلة الرسالة وما بعده)

وإن من المصادر الوثيقة التى أوردت ذروا من شعره كتاب (معجم الشعراء للمرزبانى) وفيه زيادات أبيات فى بعض القطع التى نشرها الأستاذ يعقوب ، واختلافات فى بعض كلماتها ، وبيان لرواتها :

قال المرزبانى فى الصفحة ٢٧٩ : أمير المؤمنين أبوالحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه . يروى له شعر كثير ، منه قوله يوم خيبر لما خرج مرحب يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

فقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره كليث غابات كريه المنظره

وله فى رواية سعيد بن المسيب :

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلست برعديد ولا بلئيم
لعمرى لقدجاهدت فى نصر أحمد ومرضاة رب بالعباد عليم
أريد ثواب الله لا شىء غيره ورضوانه فى جنة ونعيم

وله :

يا شاهد الله علىَّ فاشهد آمنت بالخالق رب أحمد
يا رب من ضل فإنى مهتد يارب فاجعل فى الجنان مقعدى

إلى غير هذا مما أورده المرزبانى فى معجمه المذكور

٢ — تخطىء

مررت على تصحيح الأب الكرملى للجزء الثانى من (الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى) فى مجلة الرسالة ، فرأيت فيه (فى العدد ٤٧٤) : وفى ص ٦٧ « أسكرُّجة » ، والمشهور أنها بلا ألف فى الأول

أقول : أغفل الأب تصحيح ضبط الراء . وفى المعرب للجواليقى : « الأُسكُرَّجة بضم السين والكاف وفتح الراء وتشديدها فارسية معربة ، وترجمتها : مقرب الخل ، وكان بعض أهل اللغة يقول : الصواب أسكرَّجة »

وفى شفاء العليل للخفاجى : « الصواب فتح الراء المشددة »

محمد غسانه

تصحيح بيتين

ورد فى مقال (أوهام تخلق متاعب) للدكتور زكى مبارك بالعدد السابق من الرسالة بيتان للشاعر صادق رستم

هذا نصهما :

شر البلية إشفاق على فئة لو كنت تؤكل ماعفوا ولاشبعوا
تبيت تبكى لصرف الدهر يفجعهم
ولو رأوك على الأعناق ما دمعوا !

أما النص الذى جاء به الشاعر فى قصيدته (أخلاق العصر) بالعدد الثامن من مجلة الثقافة فهو :

رأس الحماقة إشفاق على نفر لو كنت تؤكل ماعفوا ولاشبعوا
تبيت تبكى لصرف الدهر يدهمهم ولو رأوك على الأعناق مادمعوا !

هذا ومع أن النص الأول لم يحد عن المعنى الذى أراده الشاعر فإن من واجب الكاتب الحرص على أمانة الرواية والنقل مهما بلغت قدرته على توليد الألفاظ وتشقيق الجمل ومهما وصلت خبرته بأوزان الشعر وتفاعيله خصوصاً ، وإن البيتين المذكورين من الشعر الحديث الذى لم يغبر عليه الزمن ، ولم يتقادم به العهد ، ولم تختلف فيه الرواة .

محمود محمد حسن

المدرس بمدرسة البلينا الأولية

أغلوطة

١ — كان سيدنا عبيد الله بن عباس جواداً وله قصص فى الجود مذكورة فى الكتب ، وقد ظن كثيرون أن هذا الجواد هو سيدنا عبد الله الراوية المشهور ، وبالرغم من أن الكتب تذكره بصيغة التصغير ، فإن بعض الخاصة لا يزالون يعتقدون أن الجواد هو عبد الله . وقد ترجم بعض الكاتبين لسيدنا عبد الله فساق هذه القصص ، وجهدت جهدى لإقناع أحد أساتذتى بهذا الخطأ فما استطعت ، وادعى أن غاية ما فى الأمر أن الاسم ذكر مصغراً ، وأخيراً قرأت فى النوادر لأبى على العالى فصلاً يذكر فيه أبناء العباس بن عبد المطلب فيقول : وعبد الله الحبر مات بالطائف وعبيد الله الجواد مات بالمدينة (رضى الله عن الجميع) فهو صريح فى أنهما شخصان لا واحد ذكر مرة مكبراً ومرة مصغراً

٢ — تعرض المرحوم الرافعى فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » للهجات العرب ، فذكر أن هذيلا تقلب ألف المقصور ياء حين إضافته لياء التكلم وتكسر ما قبل الياء قال شاعرهم :

سبقوا هوِىَّ وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع

وضبط هِوِىَّ بكسر الواو ، وما هكذا تنطق هذيل ، وإنما ينطقون بفتح الواو فيقولون « هوَىّ » ... قال العلماء : لما كان من الحتم كسر ما قبل ياء التكلم ، وهو غير ممكن فى هذا ، لأن الألف لا تقبل الحركة ، قلبت هذيل الألف ياء ، إذ الياء أخت الكسرة

فذهب على الرافعى — رحمه الله — إلى ما إليه قصد العلماء ، فظن أن الكسرة قبل الياء المشددة لازمة ؛ فليصحح ذلك من عنده نسخة من القراء

على محمد حسن

فى « عبقرية محمد »

هذا الكتاب جليل فى بابه ، زاد مكانة العقاد وسموه فى الأدب والتفكير ، وقد وقفنى منه أمران :

١ — فى ص ١٤٤ يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يتمثل بشطرات من أبيات يبدل وزنها كلما أمكن تبديله : فكان يقول مثلاً : « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » ، لأنها لا تقبل التبديل ، ولكنه إذا نطق بقول سحيم عبد بنى الحسحاس « كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا » قدم كلمة الإسلام فقال : كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا »

٢ — وفى ص ١٤٥ يورد الحديث هكذا : « كما تكونوا يولّ عليكم »

١ — وتقسيم ما يتمثل به الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ما يمكن تبديله لم يورد المؤلف ما يؤيده ويقتضيه . والمثال الذى ذكره لما لا يمكن تبديله غير صحيح ؛ فإن تبديله ممكن ، وقد روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام تمثل به هكذا : « ويأتيك من لم تزود بالأخبار . راجع السيرة الحلبية فى باب الهجرة إلى المدينة

٢ — والمعروف فى رواية الحديث : كما تكونوا يولّ عليكم . وحذف النون فى تكونوا للتخفيف على حد لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لحمل ما المصدرية على أن فى نصب الفعل بها ، وروى كما تكونون يولى عليكم . راجع الجامع الصغير ، والمغنى قبيل ختامه والسلام . محمد النجار

من صميم الواقع

الحياة على المسرح تجرى حارة فى أوصال مضحكاته ومبكياته ، رغم أنها فِكَرٌ مركزة ، وصور مصغرة لما يجرى فى دنيانا ، فماذا بنا إذن لو شاهدناها حقيقة واقعة على مسرح الحياة ؟

إنها لمأساة وأية مأساة ! !

هو اجتماعى زعيم نبض قلبه بحب الناس فوقف عليهم العمر دائباً يشتغل بحل عقدهم، فكم أنجى وأشقى . كان رحمة لم تحرمها أسرة . أرشد وهدى ، وهو فى شغله وكدحه راض لسميه ، لا يطمع فى غير جزاء الله الحسن ، لكن الله اختار له سعادة الآخرة لا الأولى ، فقاسى فى حياته ما قاسى ، مما يذيب النفس أسى عليه وإشفاقاً . سيق سوقاً إلى جحيم الحب فاكتوى بحره

لبى نداء زوجته وراح ينقذ أختها . كانت تصغرها ، وكان لها خطيب منذ صغرها شب فاجراً فساقاً ، وراح ينفق على قانصته من بنات الهوى باليمين وبالشمال . لكن أمه التى هى أصل جاهه ومصدر ثرائه ، تريد خطيبة الصغر له زوجاً ، وهو إن خالف أمه، فقد المال الذى من أجله يحب، ومن أجله يحترم . وإذ شكا الأمر إلى رفيقته الفاجرة ، خشيت أن يفلت منها ذلك الصيد الثمين ، فكادت ودبرت ، وعمل هو بكيدها ، فأقنع أمه بما جعلها هى نفسها ترجع عن تحقيق ذلك الزواج

لقد استغلا رقة عود تلك الخطيبة البريئة ، وأشاعا عنها أنها مريضة بذلك المرض الذى تنفر الدنيا ممن يصاب به ... السل ... حرمت المسكينة إذن كل خطيب وفقدت الثقة بنفسها كأنثى ، ثم رأت الناس عنها بالفعل ينفرون ، ففقدت الثقة بنفسها كانسان صحيح . وفقدان الثقة فيما يتعلق بهذين الأمرين هو أصل عقدة نفسها، وأصل توهمها أنها مريضة ، ذلك التوهم الذى خلق بالفعل علتها .

لجأت الأخت الكبرى فى ذلك إلى زوجها الإنسانى الرحيم ، مستنجدة متوسلة ، عسى أن يفعل شيئاً لإنقاذ أختها البائسة التى تذوى سريعاً قبل أن يكمل ازدهارها . وعقدتها مزدوجة ، وعلتها مشتركة . فحرمانها من الرجل فى المرتبة الأولى وإن كان فى تتابع الحوادث فى المرتبة الثانية . لقد أرهقها فأضناها وهى الرقيقة التى لا تحتمل الضنى . أرهقها ، فأعلها ، بما ساعد على انتشار الأشاعة الخبيثة وزكاها . فالرجل داؤها ، والرجل لا غير دواؤها .

المرأة كالعود الرطب ، يينع وينضر ويفرع إذا ما تعهد فغذى وروى بالأمل ، وساقى ذلك الأمل هو الرجل ، يسكبه فى عبارات التقدير والإعجاب ، ويفيضه من عيون البث والوجدان ، فمن لهذه المعطشى بساق يروى ، فيجرى الحياة ويحيى الموات ؟!

شاء القدر ألا يكون غير الزوج الوفى ، والمصلح الاجتماعى ، فأقنعته زوجته بأن يمثل دور العاشق مع أختها

راح يقوم بدوره بإخلاص وبراعة . ومرت الأيام على تلك الحال ، فما أعجب ما حدث للأختين ! تماثلت الصغرى ، فاعتلت الكبرى ! أجل . إن رشفة الحب الأولى حلوة ومسعدة ، وجرعة الغيرة الأولى مرة ومجهدة ...

وفى أثناء ذلك ، كان يرنو القدر إلى ذلك المخلوق المسير إلى هاوية شقائه ، رنو طفل على فمه ابتسامة درجت معه تنمو ما نما ، وتكبر ما كبر ، وتشيب ما شاب ، فإذا ما اخضرت على الشجرة ورقة ، واصفرت أخرى ، ونضج الثمر الشهى ، وحان القطاف ، خرجت البسمة العجوز عن صمتها ، وأرسلها الكهل الرهيب قهقهة ساخرة مدوية ، أثارت عاصفة هوجاء ، وزعزعا نكباء ، زلزلت فى شبوبها أسس السعادة ، فلم تبق ولم تذر غير مجد فى الأثر

ناء الجسد بحمل ذلك القلب الكبير ، وماد بذلك الصراع الجبار بين العاطفة والواجب ، ففزع إلى أمه الأرض فاحتضنته

مات ... لكنه عاش مجسداً فى كل أثر من آثاره الطيبة ، وعمل من أعماله الجليلة . عاش مخلداً فى قلوب الناس وأفواههم يجتمعون كل عام حول نصبه التذكارى الذى أقاموه له ، يتغنون بحمده والثناء عليه ، وتتصاعد الأنغام تترى مستبقة إلى تمثاله العالى ، فإذا ما بلغت مواطئ قدميه ، ارتمت ركعاً سجداً .

عباس يونس

بين الفلسفة اليونانية والأدب اليونانى

ورد فى مقال الأستاذ خليل هنداوى وهو يبحث الصلات الفنية اليونانية فى قصيدة شاعر الحب والجمال « على محمود طه » صاحب ملحمة (أرواح وأشباح) نص هذا الاقتراح :

« أكان خيراً للعرب تناولهم الفلسفة اليونانية كما فعلوا ، أم أن يتناولوا الأدب اليونانى والفن اليونانى ؟

١ — ماهى الفوائد التى اجتناها العرب من الفلسفة اليونانية ؟

٢ — ما هى الفوائد التى كان بإمكان الأدب العربى أن يجنيها لو انكب على الأدب اليونانى وفنه ؟

٣ — أية فوائد ترجح للعرب ؟

والمجلة تحيل هذا الاقتراح على أدباء الشباب ليتناولوه بالبحث والدرس ، ومجلة «الحديث» الحلبية تمنح جائزة أدبية لأحسن مقال يعرض لهذا الموضوع عرضاً شاملاً .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 479 — Lundi - 7 - 9 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٧٩ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٦ شعبان سنة ١٣٦١ — الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

كَــــرَري ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

وما كَرَرَى ؟

شيء من الشرق أو من الغرب ، ويشار إليه بضمير المذكر أو ضمير المؤنث ، وقديم هو أم حديث ؟ كثير من الناس لا يعلمون ! وكان ينبغي أن يعلموا ولو بعض العلم ، لأنه شيء متصل بما نحن فيه ، وبما العالم كله فيه ، ولو بعض الاتصال

اسم كَرَرَى متصل بتاريخ مصر والسودان في العصر الحديث .

ومما لا شك فيه أنه على اتصال بالحرب العالمية الحاضرة في جملة أسبابها البعيدة التي توارت الآن وراء أسبابها القريبة . فإن كانت للحرب العالمية الحاضرة ، وللحرب العالمية التي قبلها أسبابٌ لها عشرات السنين ، وأسبابٌ لها سنوات ، فاسم كَرَرَى لا ينفصل من أسبابها الأولى أقل انفصال ؛ لأن علاقته بالأطوار الأوربية أواخر القرن الماضي كأوثق علاقة تكون .

كَرَرَى كان له شأن في تحول المآرب الاستعمارية عند كثير من الدول التي أثارت الحرب العالمية الماضية ، وعادت فأثارت الحرب العالمية الحاضرة

كان له شأن فى سياسة « بين القاهرة ورأس الرجاء » ، أو « بين القاهرة والكاب »

وكان له شأن فى اندفاع الألمان إلى القارة الأفريقية ، وفى موقف فرنسا من مراكش وأفريقية الشمالية ، وفى ظهور إيطاليا على شواطئ البحر الأبيض بعد شواطئ البحر الأحمر ، ثم فيما تلا ذلك فى تجدد الأحلام بالدولة الرومانية

ومتى اتصل شأن كررى بهذا ، فقد اتصل بجميع ما يخوض فيه العالم اليوم ، وكان له من قبل ذلك اتصال بمصر والسودان .

كررى هو الوادى الذى انهزمت عنده جيوش الخليفة عبد الله ، ودخل وادى النيل من جرائه فى تاريخ جديد ، ولك أن تقول : بل هو العالم كله قد دخل من جرائه فى طور جديد .

* * *

وقفتُ على ساحة « كَرَرى » فى مثل الوقت الذى جرت فيه وقعته الفاصلة

كانت زيارتى للوادى في أوائل أغسطس ، وكانت الوقعة فى أوائل سبتمبر ، قبل أربع وأربعين سنة

فالمنظر الذى رأيته هو منظر الوادى يوم الوقعة بغير كبير اختلاف : هو النهار الضاحى ، وهى السحب التى تبشر وتنذر : تبشر بالمطر وتنذر بالصواعق ، وكانت وما يبالى بها أحد صبيحة يومه المشهود ، لأنهم كانوا يرجون ما هو أرجى من المطر ، ويرهبونَ ما هو أرهب من الصواعق ، ويستقبلون مشرقاً يعرفون ما يستقبلهم من مغربه إذا انتصروا ، وما يستقبلهم منه إذا انهزموا : مجد أو موت ، والفاصل بينهم وبين واحد منها بضع ساعات

وكم تصنع بضع ساعات فى تواريخ الأمم ؟

* * *

هناك التلال المتجهمات للشمس ، أعلاها لا يعلو فوق مائة متر فى الفضاء

وهناك الحجارة والحصباء ، أحدث أخبارها التى تتحدث بها إليك غضبة بركان قديم !

وهناك الأخدود الذى كانوا يتوارون فيه من المستطلعين فيواريهم ويخفى آثارهم ، لأن مطية الهواء لم تكن فى ذلك العهد مما يكشف ذلك الخلاء ، ولا أى خلاء

وهناك السكون ثم السكون ثم السكون . سكون اليوم ، وسكون أمس ، وسكون عام مضى ، وسكون أعوام ، ما عدا ذلك اليوم فى ذلك العام

ولو أنك سألت « كررى » ما ذا صنعت يا كررى ؟ أو ماذا صُنع فيك ؟ فبم تراه يجيب ؟

أكبر الظن أنه يستعيدك السؤال مرات ! ما ذا صنعت ؟ ما ذا صنعت ؟ لا أدرى !

— لا بل صنعت كثيراً « يا كررى » . . . أفلا تذكر ؟ ألم يبق فى ذكراك غير هذا السكون ؟ ثم هذا السكون ، ثم هذا السكون ؟

— غضبة بركان قديم لم يغضب منذ آلاف السنين ؟ أتسألنى عن هذا وتلك آثاره تنبئك بغير سؤال ؟

— لا . بل غضبة بركان أقرب من ذاك جداً إلى ذاكرة من يذكر ، ولا أثر له فيك يغنى عن سؤال ! ألا تعرفه ؟ ألا تعرف تلك الحمم ؟ ألا تعرف تلك النيران ؟

— تلك براكينكم يا صاح تسألون عنها أنفسكم وتصلون منها بحممكم ونيرانكم ، وتحتفظون بآثارها وآثاركم ، وتسمونها الأسماء ، وإن هى إلا هواء يعبر بى كهذا الهواء

وكررى لا يقول غير هذا لسائله ، إذا قال

* * *

لكن « كررى » جماد مسكين لا يعلم إلا ما يعلمه الجماد المسكين ، ولم يدخل قط في علم الجماد المسكين أن براكينه صرخة فى فضاء ما لم تتصل بهذا المخلوق الضئيل الذى هو نحن الآدميين ! وأين غضبة ذلك البركان الذى تنبئنا به حجارة كررى من براكين هذه الأيام ؟ وأين هو من معقبات ذلك اليوم الذى تقدم قبل أربعة وأربعين عاماً فى خلاء أم درمان ؟

ذلك بركان غضب ولم يعرف كيف يغضب . ذلك بركان حليم جد حليم . ذلك بركان يعرف نار الأرض ويعرف نار الصاعقة ولا يعرف النار التى يجمعها الإنسان فى أوعية صغار ، كل وعاء منها كأنه جبل من نار !

أو هو قد عرفها فرت به كما يمر كل شيء بالجماد ، وبالإنسان الذي فيه قرابة من الجماد

***

وغمضة العين هنا هي أولى بالنظر من فتحها في سطعة هذا الضياء ، فلن ترى إن فتحت عينك في الوادي إلا يومك الذي أنت فيه ، وقد تغمضها فترى أعواماً وراء أعوام

وكأني رأيت الوادي يموج بالعمائم البيض والطرابيش الحمر والقبعات الصفر والوجوه التي فيها من اختلاف الألوان كل ما في العمائم والطرابيش والقبعات

وكأني رأيت النصر يدور بين المعسكرين ، فلا يدنو حتى يبتعد ولا يبتعد حتى يدنو ، ولا يزال بين إقبال وإدبار ، وبين طلوع وأفول في سحابة نهار

لقد كان في الميدان جيشان من الماضي والحاضر ، ولم يكن به جيشان من عصر واحد . فحكم الزمن بمصير المعركة قبل أن يلتقي الجيشان

كانت الحضارة والمدفع الرشاش والأسطول الصغير في أحد الجانبين

وكانت البداوة في الجانب الذي يناضله ، وليس معها من سلاح غير الحراب أو راميات بالنار تشبه الحراب ، وكل أولئك من عمل الحضارة نفسها في أوان فات

وقيل إن السيف الذي شهره المهدي كان سيفاً لبعض الفرسان التيوتون في الحروب الصليبية عليه طابع شارل الخامس ثم انتقل إلى سلاطين دارفور ، وهو تاريخ فيه من الحق أكثر مما فيه من الأساطير

فهذا السيف كان رمز القوة التي اعتز بها الخليفة عبد الله ، فلم يرد عليه من العصر الحديث ما هو أقوى منه بكثير ، إلى جانب المدفع الرشاش

لقد حارب بعد زمانه بسبعمائة عام ، فأحرى ألا يصيب في غده ما لم يصبه في أمسه ، وهو إذ ذاك أمضى سلاح

وأما الشجاعة فلا شجاعة فوقها ، يتمناها لجيشه كل قائد في كل قتال

وأما النظام فيخطئ من يحسبه لغواً في جيش الدراويش لأنهم كانوا على نظام في الحركة لا يخرج من زمام القيادة ، وإن كانت القيادة نفسها مضللة الزمام

وأما الحيلة فهي ليست في ذلك الجيش بالقليلة ، بل لعلها كانت وشيكة أن تفلح في يومها ، لو لم يتأخر الموعد ببعض القادة عن الهجوم في حين الحاجة إليه

إنما كانت الغلبة لزمن على زمن ، ولغد على أمس ، وكل معركة فيها الغد والأمس قرنان متصاولان فالغد صاحب الغلبة فيها لا مراء

***

وكنت أقرأ عن حروب عمر بن الخطاب وأنا أطوف بين بيت الخليفة وكرري وأذكر هذا الصراع إلى جانب ذلك الصراع

أكان القدر هو الذي ساقني في تلك الفترة إلى كرري ، أم هو الذهن يشتغل بالشيء في حين من الأحيان فيرد كل ما يراه وكل ما يسمع به إليه ؟

ليكن هذا أو ذاك . فقد علمت شيئاً من « كرري » وأنا أنظر في حروب الفاروق مع دولتي الفرس والروم ، ولم أكن لأجمع بين العبرتين لولا أن وقفت بكرري وعرضت فتوح عمر وأنا واقف هناك

إن العقيدة لتظفر بما تريد وهي مع الغد على وفاق ، ولا تظفر بشيء ذي بال وهي مع الغد على عداء

ولم تكن العقيدة ناقصة في جيش الخليفة عبد الله ، بل كان له حظ منها كأوفى الحظوظ ، وكان الرجل من الدراويش يهجم على النار بغير سلاح ولا يبالي الموت . فقصارى جزائه من هذه الشجاعة كان أن يموت

وكانت العقيدة زاد المسلمين في جيوش عمر فشجعوا وظفروا وعاشت عقيدتهم بعد من ماتوا ، لأنها كانت عقيدة يحارب معها الغد وتجري في طريق التقدم ، فلا تتصارع العقيدة والغد إلا كان النصر للغد على العقيدة ، ولا يتفقان ويغلبهما غالب كائناً ما كان حظه من الجند والسلاح .

عباس محمود العقاد

منهاج الذاتية الأدبية

للدكتور زكى مبـارك

صديق ...

كتبت إلىّ تسأل عن المراد من « الذاتية الأدبية » وهى كلة يكثُر ورودها على سنان قلمى ، ثم تدعونى إلى رسم المنهاج ، إن كان لها منهاج

وأجيب بأن الذاتية الأدبيـة هى أن تكون أنت أنت فيما تـكتب وفيما تقول ، بحيث يشعر من يقرأ لك ، أو يستمع إليك ، أنك تنقل عن قلبك وضميرك ، وأن لك خصائص ذاتية لا يزاحمك فيها سواك ، وأنك لو نشرت مقالاً بدون إمضاء لَنمّ عليك الروح قبل أن ينم عليك الأسلوب ، فإن الأساليب قد تتشابه فى كثير من الأحايين تشابهاً يسمح بإضافة آثار كاتب إلى كاتب ، أو شاعر إلى شاعر ، أو مؤلف إلى مؤلف ، عند طىّ الأسماء

أما التشابه فى الأرواح فهو نادر الوجود ، ولعله لا يقع إلا عند ضعف الأرواح ، كما تتشابه الغرائز أو تتماثل عند صغار الطير والحيوان

ولتوضيح هذه النظرية أذكّرك بمعلقة امرئ القيس ومعلقة لبيد ، فمعلقة امرئ القيس يمكن أن تضاف إلى غيره من الشعراء ، ويمكن لأىّ شاعر أن ينظم مثلها بلا عناء ، أما معلقة لبيد فهى شعر لبيد ، ولن يحاكيه فيها شاعر ، ولو قضى العمر فى رياضة النفس على الاقتداء

وبفهم هذه النظرية تتضح مشكلةٌ عجز عن حلها من تحدثوا عن المنحول من الشعر الجاهلى ، لأنهم يبنون أحكامهم على الأساليب لا على الأرواح ؛ فرقّة الأسلوب هى عندهم خصيصة حضرية ، وجزالة الأسلوب خصيصة بدوية ، وعلى هذا يقاس ، كما صنع سعادة الدكتور طه بك حسين

الروح هو الأصل فى تقدير القِيَم الأدبية ، وعن الروح يتفرع الأسلوب . ولو شئت لقلت إن لكل كاتب أساليب تختلف باختلاف مقامات الإنشاء ، كما تختلف نظرات العيون باختلاف مقامات الحديث ، وكما تختلف نبرات الأصوات لمثل تلك الأسباب ، ثم يبتى الروح الذى يدل على صاحبه فى جميع الحالات بلا استثناء

فانظر أين أنت من هذه الحدود : أينمّ عليك روحك ؟ أينمّ عليك أسلوبك ؟ أتنمّ عليك التبعيّة الذليلة فى الروح والأسلوب لأحد الكتّاب أو أحد الشعراء

أنظر أين أنت ، فأنا أحب أن أعرفك بالروح قبل أن أعرفك بالأسلوب ، وافهمْ جيداً أنه لا قيمة لأديب بلا روح ، روح أصيل تعرفه بسيماه ، ولو أقبل عليك ملثّماً مع ألوف من الأرواح

هل قرأت سورة يوسف ؟

فى تلك السورة الكريمة آيةٌ صريحة فى أن يعقوب وجد ريح يوسف قبل أن يصل القميص ، وأنه شُفِى من عماه عند وصول القميص

فهل تفهم المراد من هذا الرمز الطريف ؟

هل تفهم كيف يدرك الأعمى أشياء بطريق لا سمع فيه ولا لمس ؟

هذا هو الروح الذى أحب أن تلتفت إليه فى حياتك الأدبية ؛ الروح الذى يدل عليك من أول سطر ، أو من أول حرف ، قبل أن يرى القارئ اسمك فى خاتمة مقالك ، فإن وصلت إلى هذا فأنت من أصحاب الذاتية

ولكن كيف تصل ؟

هنا يبدأ الحديث عن المنهاج :

يجب أولاً أن تحرر عقلك وقلبك وروحك من جميع الأوهام والأباطيل والأضاليل . ومعنى هذه الوصية أنه يجب أن تنظر فى جميع الأشياء ، وجميع المعانى نظرة استقلالية منزهة عن الخضوع لنظرات من سبقوك ولو كانوا من أعاظم الرجال ، لأن الغرض هو أن تصبح روحك جارحة من الجوارح ، وهى لا تصير كذلك إلا إن عودتّها الفهم والإدراك بلا وسيط . وهل تكون الروح أقل قيمةً من الرِّجل ، يا بنى آدم ، والرجل لا تمشى إلا إن عودناها المشى ؟

وإذا كان علم السباحة لا يُعْرف بالوصف ، وإنما يُعْرَف

بالتدريب على مغالبة الماء فى أيام أو أسابيع ، فعِلْمُ الروح لا يُدْرَك بالوصف ، وإنما يدرَك بتدريب الروح على التذوُّق والتفهم فى أعوام أو أزمان

أراد سابحٌ عبور النيل فغرق ، وأراد سابحٌ عبور المانش فنجح ، مع أن السابحين توأمان . فكيف نجح هذا وغرق ذاك ؟

يرجع الفرق إلى اختلاف التمرين والتدريب . وما يقال فى القوة الجسمية يقال فى القوة الروحية . فعاودْ روحك بالتمرين والتدريب فى كل وقت ، واحفظها من الغفلة عن إدراك دقائق الفروق بين الأشياء والمعاني ، وعوِّدها التفكير فى جميع ما ترى عيناك ، وما تسمع أذناك ، وما يهجس به الخاطر فى اليقظة أو فى المنام ، فالنوم كلمة سوقية وليس له مع حياة الروح وجود

إن عملت بهذه الوصية عاماً أو عامين ظفرت حتماً بالحاسة الذوقية ، وهى مفتاح الظفر بالذاتية الأدبية ، فتوكلْ على الله وابدأ من هذا اليوم

ويجب ثانياً أن توطِّن النفس على الغُربة الأبدية ، ولو كنت فى دارك وبين أهلك ، فالفكرون فى جميع العصور غرباء

لن يكون لك ظهير غير قلمك ، ولن يكون لك نصير غير روحك ، فاعرف أين تضع قدمك قبل أن تخاطر بنفسك فتصحب رجال القلم البليغ

إن صُحبتنا متعبة ومضنية ومؤذية ، لأن طريقنا أشواك من تحتها أشواك ، وقد رحّبنا بالظمأ والجوع ، وبما هو أفتك من الظمأ والجوع ، فى سبيل الذاتية الأدبية ، فانظر كيف تصنع إذا ضَعُفتَ عن السير فى بداية الطريق ، أو فى منتصف الطريق ، طريق الموت أو الخلود

أنا أرحمك فأنهاك عن الاحتراق بنار الأدب ، وليتنى وجدت من ينهانى قبل أن أحترق !

إن صريع الأمواج يجد من يمدّ له يد الإنقاذ والإغاثة ، أما صريع النيران فلا منقذ له ولا مغيث ، ونحن صرعى النيران لا الأمواج

إن اللصوص يتعاطفون فلا يشهد بعضهم على بعض ، ولا يكيد أحدهم لأخيه ، ولسنا لصوصاً حتى نعِدك ونمنّيك ، وإنما نحن أدباء يكتب أحدنا لزميله صحيفة الاتهام ، بلا تورع ولا استحياء

إرجع قبل أن تحترق ، أيها الخاطب لما يسمّونه الأدب الرفيع

ولو أننى أملك الرجوع لرجعت ، فارجع أنت قبل أن يصعب عليك الرجوع ، وقبل أن تصير الاستغاثة فوق ما تطيق

كان شيخنا العظيم « عبد الحميد بن يحيى الكاتب » زوّدنا بنصائح تحفظ كرامة رجال الأقلام ، فهل سمعنا وأطعنا ؟ هيهات ثم هيهات !

لا يخدعنْك السراب الخدّاع فتتوهم أن احتراف الأدب أنفع من الاتجار بالتراب ، ولا تُطِع المضللين من أدعياء الأدب إلا إن ارتضيت إطاعة الشياطين

لقد نصحتُك ونصحتك ثم نصحتك ، فإن رأيت أن هذا النصح لم يؤثّر فى نفسك ، ولم يصدّك عن عزمك ، فأقبلْ ثم أقبلْ على الاحتراق باللهب المقدس ، لهب الأدب ، فنحن وحدّنا الأحياء ، ونحن وحدّنا الخالدون ، ولأعدائنا الموت والفناء !

إنَّ كلمةً تُضَمُّ إلى كلمة فى ذكاء ولوذعية أشرف وأعظم وأنفع من كنوز تضاف إلى كنوز ؛ وإن جود الله بالفكر والروح على من يصطفيهم من عباده ، لهو أطيب الهبات ، وأكرم الأرزاق

أقسمَ الله بالقلم ، ولم يُقسم بالمال ، ونحن بالله مؤمنون !

هل رأيت الله تخلّى عن أديب سليم القلب قويّ الروح ؟

لقد خرج المتنبى هارباً من مصر فى ليلة عيد ، فكم ألوفاً من الدنانير أنفقت مصر فى تعليم أبنائها حكمة المتنبى ؟

وقد مات محمد عبده بعلة أورثه إياها عقوق معاصريه ، فكم ألوفاً من النفوس حاولت التشرف بأنها رأته قبل أن يموت ؟

وعانى مصطفى كامل الكاتب والخطيب أشتات التهم الأواثم ، ثم كان من خصومه وحاسديه ومبغضيه من اشترك فى صنع التمثال

ومرّت آلاف السنين ، والناس جميعاً يستوحشون من الليل ، فكان غناء المصريين : يا ليل ... يا ليل ! !

صديقى :

أتراني شرحت المراد من الذاتية الأدبية ، ثم رسمت لك المنهاج ؟

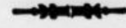
هذه ومضة من ومضات ، وسأرجع إلى إرشادك بالتفصيل ، حين أطمئن إلى أنك أحد الأوفياء بالعهود .

زكى مبارك

مهمة التعليم الجامعى

لمناسبة إنشاء جامعة فاروق الأول

للأستاذ عبد الله حسين



لعل من أمارات التوفيق أن يتاح لمصر إنشاء جامعة جديدة شاملة مختلف الكليات ، وهى جامعة فاروق الأول فى الإسكندرية التى ستفتتح فى العام الدراسى الجامعى القريب . فقد حقق هذا أمنيةً طالما جاشت فى الصدور ؛ وسيكون من علائم التوفيق أيضاً أن يتاح لأبناء الصعيد جامعة فى عاصمته « أسيوط » ، وأن تتوالى بعدئذ الجامعات ، فتصبح مصر موطناً صادقاً للثقافة فى الشرق الأوسط ، وتستعيد مصر حضارتها العلمية القديمة ، حيث تخرج الأساتذة للعالم الشرقى العربى ، وإن شئت للعالم كله

غير أن إنشاء الجامعات لا يحقق وحده هذه الأمانى ، متى كان الأمر مقصوراً على الصور والهياكل والأشكال . كما أن إنشاء البرلمانات وإقامة الدساتير ذات المواد الكثيرة ، لا يحقق بذاته المعنى النيابي التمثيلى المنشود ، مهما تتألف هذه البرلمانات من مجالس الشيوخ والنواب ، بما تضمه من مكاتب ولجان ؛ ومهما يكن للنواب من الحق فى تقديم الأسئلة وتوجيه الاستجوابات وحق طرح الثقة ، ما دام أن النواب لم يستطيعوا أو لا يستطيعون بالفعل ، لا بعمل الدستور ، أن يسقطوا الوزارات ؛ بل إن من الوزارات ما يستطيع أن يسقط المجالس النيابية ، ويلغى الدساتير ، ويستبيح كل ما حرمته

***

ليس من شك فى أن كل أمة تشغل بالعرض عن الجوهر ، ويصرفها الشكل عن الموضوع — لن تظفر بما تبتغى من الأغراض ، إذ أن هذه الأغراض ستظل أمنية وخيالاً بديعاً وحلماً جذاباً

من أجل هذا ، نرجو أن يتاح لجامعة الإسكندرية مالم تتحه الملابسات لجامعة القاهرة . فإن هذه الجامعة لا تزال جامعة شعبية أو فى حقيقتها مجموعاً من المدارس العالية ، غايتها عقد امتحانات وتوزيع شهادات ، وانصراف حملتها بعدئذ إلى الوظيفة .

لم يتهيأ لجامعة القاهرة إلى اليوم أن ينصرف أساتذتها وطلبتها إلى البحث العلمى كغاية أولى للجامعة . ذلك أن نشأة الجامعة الأولى بمجمع المدارس العالية التى كانت قائمة يومئذ تحت اسم الجامعة ، والوقت السياسى ، والتيار الحزبى الذى قامت فيه الجامعة ، وفترة التحول من السيطرة الأجنبية على التعليم إلى الحكم التعليمى الوطنى ، وتشبع الكثيرين من رجال الجامعة وطلبتها بالطموح السياسى ، والحفاوة بالأعمال الإدارية التى تطفى على القائمين بها لوناً من الجاه الحكومى ؛ كل هذا قد صرف الأذهان كثيراً عن التجرد للبحث العلمى دون سواه من الغايات المادية والسياسية

وحسبنا أن نشير إلى ذلك العدد الكبير من رجال الجامعة الذين غادروا مقاعد التدريس إلى مناصب الدولة الأخرى ، وتطلع من خلفوهم إلى هذه المناصب ذاتها

فإذا استطاعت الجامعة الوليدة ، جامعة الإسكندرية الجديدة ، أن تحقق المعنى الجامعى ، بأن يقف أساتذتها وطلبتها جهدهم على المساهمة فى البحوث العلمية ، وأن يشاركوا فى المجهود الذى تقوم به الجامعات الأخرى ، حققنا الغاية من إنشاء الجامعة ، على أن ندع لجامعة القاهرة مهمتها الشعبية من حيث تخريج حملة شهادات للتوظف ، تاركين للزمان أن يهيئ لها تحولاً صادقاً إلى المعنى الجامعى الحقيقى .

كان المعنى الجامعى متحققاً فى الأزهر فى أشد الأزمات التى نزلت به ، ذلك أنه كان هناك شيوخ وطلبة تجردوا عن المادة والجاه ، للعلم الأزهرى ، يدرسونه فى الأزهر والمسجد والدار وعلى قارعة الطريق وفى الأفراح والمآتم : كان الشيخ يتحدث إلى الناس فى كل مكان جاعلاً علمه شائعاً لا يبغى من وراء ذلك جزاء أو شكراً . أما إذا كان شيوخ الأزهر لم يوفقوا يومئذ فى المساهمة العامة للبحث العلمى الإنسانى ، فإن مرجع هذا إلى الأحوال السياسية وفساد الحكم والحكام وعدم التشجيع .

فالتجرد للعلم والانصراف عن المادة أو توجيهها لخدمة البحث العلمى — هو العنصر الأولى للجامعة لكى لا تكون اسماً أو رمزاً لا يدل على حقيقة

نريد علماء لا تشغلهم بالتقليب ولا يشغلون أنفسهم بالدرجات والرتب والأوسمة واتخاذ التدريس وسيلة إلى الجاه الحكومى على صورة من الصور . علماء يحج الناس من مختلف البقاع للتشرف بالاستماع إليهم والمباهاة بلقائهم واتخاذ مؤلفاتهم مصابيح للاهتداء ومراجع للاقتداء

وعندى أن هذا سيكون ميسوراً لجامعة الإسكندرية أكثر من جامعة القاهرة ؛ ذلك أن القاهرة ، حيث تتجمع فيها أندية السياسة والصحافة والأحزاب والألقاب وألوان الجاه ، لن تفتأ تجذب إلى جاهها رجال الجامعة والتعليم . أما الإسكندرية فهى بمنجى عن هذا الجاه . فى الإسكندرية الهدوء والصفاء وزرقة السماء والماء — الأمر الذى ينشده العلماء ولا يجدونه في القاهرة الصاخبة المتقلبة الضخمة

فعلى رجال الدولة ـ والأمر كما أوضحنا ـ أن يهيئوا الجامعة الإسكندزية ذلك الجو الجامعى ، وتلك البيئة العلمية الحقة ، لكى تستعيد مفاخر جامعة الإسكندرية القديمة

عبد الله حبيب

مشاركة الأدب الانجليزى في الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

٢ — بداية الاستشراق

لقد رأينا كيف ذهب العلماء الإنجليز فى القرون الوسطى إلى أسبانيا وصقلية لتلقى العلوم من العرب ، وكيف نشروا ما اكتسبوه بعد عودتهم إلى انجلترا . وسنتطرق الآن إلى تطور جديد فى الدراسات العربية ، وهو ظهور ما ينبغى أن يسمى أوائل المستشرقين بالمعنى الذى تؤديه كلمة الاستشراق فى العصر الحاضر . فقد حدثت تغيرات كبيرة فى خلال السنين التى مرت على الزمن الذى مرّ بين الدور الذى درسناه فى حديثنا السابق ، والدور الذى سنأتى إليه الآن . فتقدمت أوربا تقدماً ذا شأن فى العلم والمعرفة ، وفقد العرب تفوقهم القديم ، ولم يعد من الضرورى للدارسين من الأوربيين أن يتطلعوا إلى مدرسين من العرب ، ليتلقوا منهم العلوم العامة ، وأخذنا نشاهد نوعاً جديداً من الاستشراق ، وهو ذلك النوع الذى يعتبر أساً للاستشراق الحديث ؛ فقد أخذ الباحث الإنجليزى يدرس العربية لا لتحصيل ما يمكن أن يأخذه من العالم العربى من فلسفة وعلم ، بل من أجل الثقافة العربية نفسها . وللمرة الأولى شرع الإنجليز فى دراسة اللغة العربية والآداب العربية دراسة جدية . وكان عملهم ـ كعمل المستشرقين المحدثين ـ ذا نفع للعرب بقدر نفعه للفرنك ، وهو ينطوى على جمع القواميس العربية والنحو والصرف ونشر المخطوطات العربية ـ قبل أن يتم طبعها فى الشرق بزمن طويل ـ والبحث العلمى فى تاريخ العرب وآدابهم ، وغير ذلك من مظاهر النشاط التى تدخل فى هذا المضمار . وقد بدأت هذه الحركة فى القرن السابع عشر ، وفى هذا القرن أنشئ منصب أستاذية اللغة العربية فى جامعتى اكسفورد وكامبردج ؛ وأخذ الأساتذة الإنجليز يدرسون اللغة العربية لعدد من المتشوقين لها من الطلاب ، وطبعت أوائل الكتب العربية فى انجلترا . وعلينا أن نأتى بشىء من التفصيل لحياة بضعة أفراد من ذوى المشاركة فى هذه الأعمال :

إن الرجل الذى يعرف بصورة عامة بأنه « أبو الدراسات العربية » فى انجلترا هو « وليم بدويل » (١٥٦١ — ١٦٣٢) وله مقالة طريفة يؤكد فيها أهمية اللغة العربية وضرورة تعلمها ، وهو يصفها بكونها « لغة الدين الوحيدة ، واللغة الرئيسية للدبلوماسية والأعمال من الجزر السعيدة إلى بحار الصين » . وتكلم عن نفعها فى الآداب والعلوم . ولقد كان لبدويل بعض الشهرة فى عصره ، وعرف فى جميع أوربا بأنه عالم بالعربية ، وكان أهم آثاره معجما عربياً فى سبعة مجلدات لم يطبع لسوء الحظ . وفى وسعنا أن نذكر بين كتبه بعض الأصول العربية التى طبعت فى انجلترا ، وبعض الدراسات عن القرآن ، ومعجما للألفاظ العربية المستعملة فى اللغات الغربية من العهد البيزنطى إلى عهده هو

وهناك شخصية أخرى هى شخصية « أدموند كاستل »

(١٦٠٦ – ١٦٨٥) وهو أحد أوائل أساتذة كامبردج فى اللغة العربية ، وقد كان الأثر الذى أفنى فيه حياته هو (قاموس اللغات السامية) ، استنفد تصنيفه منه ثمانية عشر عاماً ، وطبع لأول مرة فى سنة ١٦٦٩ . ويتكلم مؤلفه فى مقدمته عن « الإثنى عشرة عاماً التى انقضت فى العمل المستمر لما يزيد على ١٦ أو ١٨ ساعة فى اليوم – ونادراً ما قل عن هذا المقدار – من السهاد ، وضنى الجسم ، وضياع المال » . وقد كان هذا القاموس – وهو الأول من نوعه – عظيم الأهمية وأعيد طبعه عدة مرات فى انجلترا وأوربا . ونذكر من جملة آثار كاستل الأخرى مجالة عن أهمية اللغة العربية ، وتعليقاً على ابن سينا ، ومجلد أشعار عربية مهدى إلى الملك شارلس الثانى ملك انجلترا

ومنهم « جون كريفس » (١٦٠٢ – ١٦٥٢) ، وهو أحد الرياضيين المشهورين . وكان وقتاً ما أستاذ علم الهيئة فى جامعة اكسفورد . وكان كثير الأسفار إلى الشرق الأدنى وعلى الأخص إلى مصر ، ودرس اللغة العربية والفارسية دراسة جدية ، واقتنى مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية والفارسية ، والنقود والجواهر ، وطبع أجرومية صغيرة للغة الفارسية . وكان اهتمامه الرئيسى فى الناحية الرياضية من أدب المسلمين فنشر عدة نصوص ودراسات فى هذا الموضوع ، وكان أخوه « توماس كريفس » يعرف العربية أيضاً والفارسية ونشر بضع مقالات

ونذكر من جملة العلماء فى العربية الآخرين فى القرن السابع عشر « إبراهام ويلوك » وهو أول أستاذ للغة العربية فى جامعة كامبردج ؛ و « ساموبل كلارك » صاحب مجالة فى القريض العربى ومفردات بعض أسماء الأماكن العربية ؛ و « بريان والتون » الذى طبع الإنجيل بعدة لغات شرقية ؛ و « دَدْلى لوفتس » وهو أحد علماء وفقهاء القانون الإرلندى . وقد لعب « جون سلدان » (١٥٨٤ – ١٦٥٤) ، السياسى القانوني دوراً مهماً فى الحياة الإنجليزية فى ذلك العهد ، وكان يعرف عدة لغات شرقية منها اللغة العربية فضلاً عن معلوماته الأخرى . وقد نقح ونشر بعض النصوص العربية التاريخية ، وترك وراءه مجموعة من المخطوطات الشرقية

ولقد كان أعظم العلماء بالعربية فى ذلك الحين بلا منازع هو « ادوارد بوكوك » (١٦٠٤ – ١٦٩١) الذى كان أول من شغل منصب أستاذ اللغة العربية فى جامعة أكسفورد، وأول المستشرقين الأوروبيين الذين قاموا بأعمال من الدرجة الأولى حقاً ؛ فقد بدأ بوكوك دراسته للغة العربية فى أوائل عمره ؛ وكان وليم بدويل يرعاه ، كما قام « ماثياس باسور » – وهو أحد النازحين من ألمانيا بسبب الاضطهاد – بتعليمه مدة من الزمن فى جامعة أكسفورد . وذهب فى سنة (١٦٣٠) إلى حلب حيث قضى هناك خمس سنوات أتقن فى خلالها اللغة العربية كتابة ولفظاً ، واقتنى مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية جاء بها معه عند عودته إلى اكسفورد ، وبذلك أنقذها من التلف الذى كان من المحتمل أن يحل بها ، وأنشأ لنفسه صداقات مع كثير من الحلبيين وعلى رأسهم « الشيخ فتح الله » أحد العلماء الذين درس عليهم، وقد بقى صديقاً له مدى حياته .

وفى سنة ١٦٣٦ عند ما عاد بوكوك إلى انجلترا عين فى المنصب الذى أنشئ حديثاً للغة العربية فى أكسفورد ، حيث حاضر فى الأدب العربى وقواعد اللغة العربية ، وبدأ فصوله تلك بمحاضرة عن أهمية اللغة العربية والأدب العربى . وشرع فى سلسلة محاضرات يدرس فيها أقوال الإمام على .

وفى سنة ١٦٣٧ زار مصر للمرة الثانية بغية الحصول على معلومات جديدة ومخطوطات جديدة ، وقد عاد إلى أكسفورد فى سنة ١٦٤١ وخصص أيام حياته الأخيرة للعمل المنتج فى انجلترا ، وكان « جون كريفس » الرياضى قد صاحبه فى رحلته الثانية .

وفى خلال إقامته الطويلة فى أكسفورد – حيث كان يجلس فى ظل شجرة التين التى جاء بها معه من سوريا ، والتى لا تزال موجودة إلى الآن ، وهى أقدم شجرة من نوعها فى انجلترا – أخرج بوكوك عدداً كبيراً من الكتب المهمة نذكر منها ما يلى :

١ – « نموذج من تاريخ العرب » : وهو نصوص من تاريخ أبى الفرج ، مردفة بسلسلة من الدراسات المستفيضة عن النواحى المختلفة لتاريخ العرب ، وعلومهم ، وآدابهم ، ودينهم . وهذا الكتاب من أهم آثار المستشرقين ، وظل يحتل هذه المنزلة لدى العالم مدة طويلة . طبع فى أكسفورد سنة ١٦٤٩ وأعيد طبعه فى سنة ١٨٠٦

٢ — لامية العجم : وهى طبعة انتقادية لقصيدة الطغرائى الخالدة ، وقد أرفقت بترجمة وشروح وملاحظات ، وطبعت فى أكسفورد سنة ١٦٦١

٣ — المختصر فى تاريخ الدول : وهو النص الكامل لتاريخ أبى الفرج مع ترجمته .

لقد وسم « بوكوك » بحياته وآثاره دوراً من أدوار الدراسات الأوربية الشرقية بميسمه ، وكان ذا شهرة مستفيضة فى زمنه ، ويدين له جميع العلماء الذين خلفوه بدين كبير . وكان العلماء فى جميع أنحاء أوربا والشرق يكتبون إليه طالبين المعونة والإرشاد ، ويفد إليه العدد الكبير من الطلاب من البلاد القصية - كرومانيا مثلاً - إلى أكسفورد ، لدراسة اللغة العربية على يد أعظم أساتذتها الأحياء فى أوربا . ولقد وصفه قرينه فى معرفة اللغة العربية المستشرق الهولندى كوليوس أستاذ اللغة العربية فى جامعة ليدن نفسه بأنه « لا يدانيه أحد فى عالم الاستشراق » . وقد ترك زيادة على الكتب التى مر ذكرها عدداً من الدراسات الأخرى ومجموعة من (٤٢٠) مخطوطة اقتنتها بعد موته مكتبة اكسفورد ولا تزال هناك حتى الآن ، وهى تكون جناحاً ذا قيمة من القسم العربى من تلك المكتبة .

ولقد خلف ستة أبناء كان أكبرهم — واسمه إدوارد بوكوك أيضاً — (١٦٨٤ — ١٧٢٧) قد تابع خطة أبيه واعتنق الدراسات المشرقية ، وقام بطبع عدة كتب من ضمنها الطبعة التى لم تكمل لتاريخ مصر لعبد اللطيف ، وترجمة لإحدى خولد ابن طفيل الفلسفية

وعلى ذلك كان القرن السابع عشر دور تطور عظيم فى تاريخ الدراسات العربية فى انجلترا . ويمكن إرجاع سبب الاهتمام الجديد بالدراسات المشرقية إلى عدة عوامل يأتى العامل اللاهوتى فى أولها ولا شك ، فقد كان من المفهوم فى ذلك الحين أن اللغتين العربية والعبرية متقاربتان كل التقارب . ومن المؤمل أن تؤدى دراسة اللغة العربية إلى إلقاء ضوء جديد على « العهد القديم » . وأوغل من ذلك فى الأهمية هو الإدراك الجديد لمنزلة اللغة العربية والتاريخ العربى من الوجهة الثقافية . ولقد شهد العصر التقدم عهد إحياء جديد للدراسة على أوسع معانيها ؛ فشملت الاهتمام الجديد باللغات والدراسات الكلاسيكية ، وكان من الطبيعى أن يدرك طلاب التاريخ البشرى والمدنية أهمية اللغة العربية العظمى بين تواريخ الإنسان ، وأن يعملوا على طلب المزيد من معرفتها . وقد كتب كل من بدويل وكاستل وبوكوك جميعاً مقالات عن أهمية اللغة العربية بصورة عامة ، والحاجة إلى أن يدرسها رجال أكفاء .

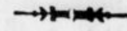
وينبغى أن نذكر أخيراً العلاقات المستجدة فى التجارة والسياسة بين انجلترا والشرق الأدنى ، وما أطلقته من مصالح ومناسبات ، فبفضل تلك المناسبات أتيح لبوكوك أن يقوم برحلتيه المثمرتين إلى الشرق ، وكانت تلك المصالح متسعة الأرجاء ولم تقتصر على رئيس الأساقفة « لور » ولم يكن هو الوحيد الذى اهتم بنشر الدراسات العربية فى انجلترا ، والمتبرع بالكرسى الأدبى للغة العربية فى اكسفورد

وبالرغم من الاضطرابات التى أحدثتها الحرب الأهلية فى نهاية القرن السابع عشر ، فإن هذا العصر كان جديراً بالاعتبار ، فقد تألفت فيه مراكز للدراسات العربية فى اكسفورد وكامبردج ، وطبع عدد كبير من الكتب ، وأنشئ عالم جديد أنتج فيما تلا ذلك من العصور عدداً متتابعاً من الباحثين المشهورين الذين زادت آثارهم فى ثروة الميراث الثقافى لكل من العرب وأوربا ، وسنتكلم عنهم فيما يلى من هذه الفصول .

عبد الوهاب الأمين

ضرورة الإفصاح عن الرغائب

للأستاذ حسين الظريفي



كان مما تناولناه فى مقال لنا سابق عن الرغائب، تلك القوة الديناميكية التى تتمتّع بها الرّغبة، وتندفع إلى الظهور؛ وما تلك القوة إلا وليدة ذلك الرباط الذى ترتبط به بالغريزة. والغريزة لا ريب تراث ذلك الماضى الطويل الذى يظل يتقهقر ويتقهقر حتى يتصل بأول الخليقة؛ فليس مما يقع فى الإمكان أو يتصور فى الأذهان، أن تبطل هذه الغرائز، أو ينعدم ما تتمخض عنه من الرغائب، ونحن لم نزل فى ظروف وبين وقائع إن لم تكن مثل تلك التى احتضنت الإنسان الأول فإنها لها مقاربة. وما كان لبشر أن يحيا مجرداً عن الرغائب، وهى التى تشعره بوجوده وتدفع به فى طريق الأمل والعمل

والحقيقة التى يدور عليها مركز ثقل الموضوع فى هذا المقال، هى أن الرغبة لا تخلو إما أن تكون تطوراً لغريزة، أو عوضاً عنها. فنحن كنا نعيش بالغريزة العمياء، حتى إذا أبعدت الحياة فى مراحل التقدم، أخذت بعض الغرائز تستحيل إلى رغائب بحيث لا يبقى لها من أثر فيما استحالت إليه، إلا ذلك المعنى الذى يدفع أو يمنع. ونحن إنما نطوّر الغريزة إلى رغبة، أو نستبدل هذه بتلك، بذلك العامل الفكرى الذى تمتع به الإنسان منذ عهده الأول فحدا به إلى التقليد تارة وإلى التجربة مرة أخرى، حتى انتهى به المطاف فى مراحله الكثيرة إلى أن أصبح مجموعة رغائب بقدر ما كان مجموعة غرائز

وأخذت الرغبة عن أمها الغريزة ما لها من قوة وفتوة، وأصبحت فى نفس الإنسان مظهر قلق من هذا، وعامل إقدام أو إحجام من ذاك، ولكنها على كل حال تأبى إلا أن تُدرك ما لا يُترك، وإلا بقيت فى النفس شغلاً شاغلاً أو علة دفينة.

فنحن لا يمكن أن نشعر بالسعادة ولو كانت محدودة فى النوع وفى الزمن، ما دامت إحدى رغائبنا القوية لا تصل إلى ما تريد الوصول إليه. تلك هى العلة فى شكوى أكثرنا مما يقع لهم فى الحياة، حتى تكاد تضيق بهم على رغم ما لها من سعة وما فيها من متعة. فتيار هذا الشعور إنما يرجع إلى مصدره فى أعماق النفس ولا شأن له مع الخارج

غير أن قضاء هذه الرغبة وحده لا يكفى فى إيجاد الشعور بالسعادة، وإنما يجب أن يرى هذا القضاء على شكله النافع لمن قامت هى عنده ولغيره من الناس. فالرغبة فى ذاتها لا تمثل خيراً ولا شراً، وإنما تضر أو تنفع بالقياس إلى طريق إشباعها من جوع وإروائها من ظمأ؛ لذلك أمكن أن نتخذ من الرغبة مهما كان نوعها أو لونها، عامل نصر فى معركة الحياة

إن فى طيات النفس ضروباً من الغرائز إحداهن غريزة المقاتلة، غير أن هذه الغريزة لم تَعُد تفصح عن نفسها فى أوساط الحضارة وفى أغلب الأحيان، كما كان يفصح عنها الإنسان الأول فى بيئته المتأخرة وإدراكه المحدود؛ فبعد أن كان الأوائل من أهل القرون الموغلة فى القدم لا يكتفون فى إشباع هذه الغريزة بغير القتل والتمثيل، أصبح لنا من وازع الضمير ومن قوة القانون ما يحول دون الإفصاح عن هذه الغريزة بلغتها الأولى، فقد تثور فى داخلنا الرغبة فى القضاء على الخصم، إلا أن مانعاً يقيمه الضمير، أو رهبة تبعثها العقوبة، أو هذه وذاك مجتمعين، يحولان دون تلبية تلك الرغبة الأولية بذلك اللسان القديم، فنختار طريقاً آخر فى تأمين حاجة النفس إلى إيذاء العدو، فنتعقب عيوبه ونعلنها للملأ أو نريه أنّا له مهملون

إن من طبيعة الغريزة أنها لا تظهر إلا بما هى فيه وعليه من غير تلون أو مراوغة. ذلك لأنها خلو من التبصر والتدبر، فلا تعرف معنى لاختيار الأصلح فى الهدف وطريقة الوصول

إليه . ثم هي لا تقيم وزناً لقوة الظروف وماهية الوقائع ، وإنما تتجه إلى الغاية في ذات الطريقة . لا تتلفت ولا تتكلف . ولكن بظهور حياة التمدن وتقيُّد هذه الحياة بآداب الوسط الجديد وبأحكامه الآمرة أو الزاجرة ، وجد المرء نفسه بحاجة إلى تعديل ما في بعض غرائزه الفطرية وإلى الاستعاضة عن بعضها الآخر بما دعوناه بالرغائب . وكانت هذه التطورات والتغيرات المتلاحقة على الغريزة أثراً لتلك المراحل الطويلة التي قطعها الإنسان في سبيل التقدم ، وصدى لذلك الصوت العميق المنبعث من أعماق الضمير

يتضح من كل ما تقرر أن الخلق ليس إلا مظهراً لرغبة تقيم في العقل ، ما أعلن منه وما أبطن ، فإذا نحن أردنا استبدال خلق بآخر أو إجراء تعديل فيه ، فلا مندوحة لنا عن التعرف بتلك الرغبة التي صدر عنها ذلك الخلق ، ومن ثم إشباعها بصورة حميدة تقضي على كل شذوذ في السلوك . أما إذا نُظر إلى الخُلق وحده ، وأُهملت الرغبة التي تكمن وراءه ، فإن كل مسعى في إصلاحه يذهب سدى

وأفضل ما يضرب به المثال في هذا المجال ، ذلك الباعث الأول والدافع الأصيل في النفس وأعني به (الغريزة الجنسية) فإن إشباعها وإرواءها مما لا مفر منه ولا محيص عنه . فإذا اصطدمت هذه الغريزة بما حال دون الإفصاح عنها ، واضطرها إلى التواري من مجرى الشعور إلى ما وراءه — أبت وهي في قاع النفس إلا أن تضطرب وتلتهب وترسل في وسطها المظلم تيارات خفية من الأوامر والنواهي ، تظهر على المصاب عند تلبيتها بمظاهر الشذوذ

فنحن نبدو عاجزين عن معالجة العليل إذا فصلنا الشذوذ عن الرغبة الغريزية التي تحيط به وتغذّيه ؛ فالإصلاح يجب ألا يتناول الخلق ذاته ، وإنما يجب أن يتجاوزه إلى ما وراءه من بواعث خفية هي ولية الأمر في كل شذوذ عن المجموع ، وفي كل ظاهرة تمر ، وأخرى قد تصل إلى مرتبة الجنون ، أو تؤدي إلى ارتكاب الجريمة

وقد ظهر أن هذه الغريزة قد تستنفد طاقتها وتستفرغ وسعها في صور شتى هي خلاف اجتماع الذكر بالأنثى ، كالانصراف إلى الرياضة ، والاشتغال بالفنون الجميلة ؛ فإذا نحن عرفنا مصدر الشذوذ في الخلق وأرجعناه إلى ظمأ هذه الغريزة ، كان في مكنتنا تسوية هذا الشذوذ بإزالة ذلك الظمأ . . . تلك هي الطريقة الصحيحة في تقويم ما اعوج وبناء ما انهدم من جوانب أخلاقنا واتجاهاتنا وأهدافنا في الحياة . والأمر أهون مما يُظن متى كشف عن دخيلة النفس ، واستجيبت دعوة تلك الرغبة بما يرفع عنها الضغط ويعلو بها من القاع

حسين الظريفي

التصوير عند العرب

كتاب المرحوم أحمد تيمور باشا

للأستاذ صلاح الدين المنجد

كان أحمد باشا تيمور ، أمّة فى النبل والعلم والأخلاق ؛ وركناً من أركان العربية فى الشرق ؛ وكان نسّابة بحّاثة متتبعاً . ما طرق موضوعاً إلا محّص وحقّق وجلّى ، وما ألّف إلا جمع وأطرف واستقصى . ثم مضى ، رحمه الله ، وخلّف ما يدل على سعة اطلاع ، وغزارة علم وَفِرَة مطالعة . وما خزانته النادرة إلا دليل فضله وآية فُرارنه وعلمه

كان ، رحمه الله ، إذا ألّف أتى بما يعجز الكثيرون من المتتبعين والمحققين والجامعين عن إدراكه وجمعه . ولقد ترك لنا كثيراً من التواليف النوادر الحسان ، منها كتاب « التصوير عند العرب » هذا . ولقد عنيت فى الأيام الخوالى بهذا الموضوع ، فلم أعرف أحداً بلغ فيه ، من دقة الاستقصاء ، وجودة الانتقاء ، وندرة المنتخب ، وحسن التبويب والترتيب ، ما بلغه العلامة المؤلف . فقد جعله على خمسة عشر باباً ؛ فساق ما جمعه عن التصوير على الثياب والستور ، والأقداح والأوانى ، والمصابيح والسلاح ، والنقود ، والشارات والبنود ، والكتب والصحف والألواح . ثم بحث فى التماثيل ، منذ أيام الجاهلية إلى عصور المتأخرين الثابتة منها والمتحركة ، الصامتة والمصوّته ، وتماثيل الصبيان ، وتماثيل الزهر ، والحلوى ؛ وختم الكتاب بفصل نادر ذى شأن عن المصورين العرب

وقد خص الدكتور زكى محمد حسن هذا الكتاب الثمين بعنايته ، فرد نصوص الكتاب إلى أصولها وصفحاتها ، وألحق به تعليقات وشروحاً وتفصيلات بلغ فى بعضها الذروة من حيث التحقيق والتمحيص وجمال البحث ، ككلامه على التصوير عند المسلمين

وقد بدت لى ، أثناء مطالعتى هذا الكتاب ، ملاحظات من مآخذ وإضافات أردت نشرها تباعاً فى هذه المجلة الغراء

١ — ساق المؤلف خبر بساط أم المستعين الذى صُوّرت عليه صورة كل حيوان ص ٢٩ ؛ فقال الأستاذ زكى محمد حسن فى التعليقة ذات الرقم (١٣٦) : لم نقف على المرجع الذى أُخذ هذا الخبر منه . وقد وجدنا نحن هذا الخبر فى كتب شتى ؛ كعيون التواريخ (مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق) وكالمستطرف فى كل فن مستظرف . فقد جاء فى المستطرف ، وهو لا يختلف عما ذكره ابن شاكر فى عيون التواريخ ما يلى : « قال أحمد بن حمدون النديم : عملت أم المستعين بساطاً على صورة كل حيوان من جميع الأجناس ، وصورة كل طائر من ذهب ، وأعينها يواقيتُ وجواهر »

ويُستدل من تتمة الخبر أن بعض هذه الصور كان تماثيل ، وربما كانت كلها تماثيل . . . فقد جاء بعد ذلك « . . . وأنفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألف دينار ، وسألته أن يقف عليه ، وينظر إليه ، فكسل ذلك اليوم عن رؤيته . قال ابن حمدون : فقال (يعنى المستعين) لى ولأترجة الهاشمى إذهبا فانظرا إليه . وكان معنا الحاجب ، فمضينا ورأيناه ؛ فوالله ما رأينا فى الدنيا شيئاً أحسن منه ، ولا شيئاً حسناً إلا وقد عمل . فمددت يدى إلى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان ، فوضعته فى كمى . ثم جئناه فوصفنا له حسن ما رأينا . فقال أترجة الهاشمي يا أمير المؤمنين إنه قد سَرَق منه شيئاً ، وغمز على كمى . فأريته الغزال . فقال بحياتى عليكما ارجعا فخذا ما أحببتما . فمضينا ، فملأنا أكمامنا وأقبيتنا ، وأقبلنا نمشى كالحبالى فلما رآنا ضحك ضحكاً وسر سروراً عظيماً . . . » (١)

(١) انظر المستطرف (ج ١ ص ١٥٠)

٢ — نقل المؤلف عن النويرى وصف قصر المتوكل « البرج » فقال :

« وكان فيه صور عظيمة من الذهب والفضة ، وبركة عظيمة غشى ظاهرها وباطنها بصفائح الفضة وجعل عليها شجرة من ذهب فيها طيور تصفر سمّاها طوبى ... »

قلت : وفى كتاب الديارات للشابشتى الذى فرغت من تحقيقه تتمة للوصف لها علاقة بالبحث . قال الشابشتى : « وعُمل له سرير من الذهب كبير ، عليه صورتا سبعين عظيمين ، ودرج عليها صور السباع والنسور وغير ذلك مما يوصف به سرير سليمان ابن داود عليه السلام . وجعل حيطان القصر من داخل وخارج ملبسة بالفسيفساء والرخام المذهب » [١]

أضف إلى ما ذكره المؤلف فى باب التصوير على الجدران ما يلى :

« وقد وُجد على جدران قصر الحير الغربى (وهو القصر الذى كان لهشام بن عبد الملك ، واكتشف أخيراً فى بادية الشام بين تدمر والقريتين ، ونقل إلى دمشق ، وأعيد تركيب أجزائه) أقول : وجدوا على جدرانه وأرضه كثيراً من الصور والزخارف الملونة ؛ من أعظمها ما عُثر عليه داخل غرفتين فيه ، رُصّفت أرضهما بالجص المصوّر . تمثل الأولى سماوة امرأة تحمل بين ذراعيها سلّة فيها ثمار ، وقد التف حول عنقها ثعبان ، وفوقها صورة (قنطورسين) بهيئة رَجُلين نصفهما الأسفل ثعبان له مخالب سبع . ورسم فى أرض الغرفة الثانية مرزبان على جواده يطارد غزلاناً يرميها بالسهام . وصورة قينتين ، الأولى تنفخ بمزمار ، والثانية تضرب بمرهب الخشب على عود ذى خمسة أوتار . وحجم هذه الصورة يعادل حجم الإنسان ويزيد عنه فى بعضها ، وهى متقنة الصنع ، زاهية الألوان ، ساذجة الخطوط طبيعية الحركات » [١]

٤ — أضف إلى ما ورد فى باب التماثيل ما يلى :

« ومما وُجد على قصر الحير المنوه به فى الفقرة السابقة ، تمثال امرأتين كانتا فى مدخل القصر إحداهما جالسة ، والثانية مستلقية على ظهرها تشبه صنعتهما التماثيل التدمرية المعروفة . وكأنهما نقلتا عن صورة الجاريتين اللتين مر بهما أوس بن ثعلبة فاستحسنهما وأنشد فيهما :

فتاتَى أهلُ تدمرَ خبِّرانى ألمَّا تسأما طول القيام
قيامكما على غير الحشايا على جبل أصمَّ من الرُّخام [٢]

٥ — أضف إلى الباب نفسه (التماثيل) ما ذكره البيرونى فى الجماهر (طبع كرنكو حيدر آباد الدكنى (« أن زبيدة اشترت لعبد الله بن المخلوع قضيباً من زمرد قدر ذراع بأربعة وثمانين ألف دينار ، ليلعب به يوم إعذاره . وكان على رأسه طائر من ياقوت أحمر وعيناه من الجوهر » [٣]

٦ — ذكر المؤلف نقلاً عن طبقات الشافعية للسبكى ص٨٦ أن أبا على الروذبارى اشترى أحمالاً من السكر ، فصُنع له منه جدار عليه شرفات »

قلت : وفى ربيع الأبرار للزمخشري خلاف هذا ، قال : « اشترى رجل أحمالاً من السكر ، وأمر باتخاذ مسجد من السكر

---

(١) انظر « الديارات » للشابشتى — دير السوسى . مخطوطة المجمع العلمى العربى الفوتوغرافية . وانظر أيضاً : « عيون التواريخ لابن شاكر » فقد ساق صاحبه هذا الخبر على نحو مما ذكرت

(١) انظر مقالا ذا شأن عن قصر الحير الغربى هذا ، للأمير جعفر الحسنى مديردار الآثار السورية ، فى المجمع العلمى العربى — المجلد الثالث عشر ، الجزء الثامن ، آب سنة ١٩٤١ ص ٣٤٠

(٢) انظر مقالة الأمير جعفر الحسنى المذكورة فى الفقرة السابقة وارجع إن شئت تفصيلاً إلى :

Sulumberger. Les fouilles de Qaçr el Heir el Gharbi. Syria T. xx P. 195

(٣) انظر مقالنا عن جواهر الخلفاء العباسيين فى مجلة المجمع العلمى . المجلد السادس عشر ، الجزء الثانى عشر ، سنة ١٩٤١ ص ٥٥٨

ذى شُرَف ومحاريب وأعمدة منقوشة . ثم دعا الفقراء فهدموه ونهبوه »[١]

٧ — وثمة خبر آخر عثرت عليه يدخل في هذا الباب . قال صاحب ذيل زهر الآداب عند كلامه على وليمة العباس بن الحسين ابن . . . لأحمد بن بويه « واصطنع فى البستان الأعظم على البركة التى يجتمع بفنائها دجلة والفرات ، قصراً مبنياً من السكر على أربع طبقات ، بأبواب تدور به ، وأبواب تغلق عليها ، من فوقها طبقة فطبقة ، تطلع من تلك الأبواب صور من السكر على هيئة الجوارى والغلمان ، بصنوف الملاهى ، فى أحسن الملابس والحلل ؛ وجعل على شرفاتها وطبقاتها وحناياها صور أنواع الطير والحيوان والوحش . وجعل من ورائها رجالاً تنفخ بالبوقات والمزامير ، كل صنف يخرج منه صوت يليق بصورته ، وكل ذلك من السكر المموه بصنوف الأصباغ والنقوش والذهب »[٢]

٨ — أضف إلى باب التماثيل ، ما ذكره التنوخى فى نشوار المحاضرة ، وهو يدل على أنهم كانوا يصنعون تماثيل على هيئة الفاكهة . قال من قصة طويلة يصعب تلخيصها « . . . وأُدخلنا إلى فازة لطيفة من ديباج (وهى مظَلّة كبيرة تمد بعمود على قول الجوهرى ، أو بعمودين على قول الفيروزابادى) ؛ وفيها صندل محلاة بفضة ؛ فيها دُسُت ديباج وحُصُر طبرية . ونحو ثلاثين طاولة مسبكة بالذهب كلها ، عليها تماثيل العنبر على هيئة الأترج والبطيخ والدستبو ... »[٣]

٩ — أضف إلى ماذكره المؤلف الفاضل عن تماثيل الأندلس ص ٧٠ ما قاله ابن حمديس أيضاً فى تماثيل أسود على أبواب دار بناها المنصور بن أعلى الناس :

(١) انظر ربيع الأبرار للزمخشرى ، مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق ، وانظر أيضاً مطالع البدور ج ٢ ص ٨٠

(٢) انظر جمع الجواهر فى الملح والنوادر للحصرى . طبعة الخانجى ص ٢٧٦

(٣) أنظر نشوار المحاضرة — الجزء الثامن — مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٣٠

وإذا الولائد فتّحت أبوابه ... جعلت تُرحّب بالعفاة صريرا
عضّت على حلقاتهن ضراغم ... فغرت بهـا أفواهها تكبيرا

فهو يصف حلقات الأبواب ، وكانت مصنوعة بحيث تعض عليها تماثيل أسود فاتحة أفواهها كأنها تكبر الله[١]

١٠ — أضف إلى باب التصوير على الجدران ... ما يروونه عن أعمدة جامع قرطبة . قال المقرى صاحب النفح عند كلامه على جامع قرطبة نقلاً عن صاحب نشق الأزهار : « وفيه ثلاثة أعمدة من رخام أحمر ، مكتوب على الواحد اسم محمد ، وعلى الآخر صورة عصا موسى ، وأهل الكهف ، وعلى الثالث صورة غراب نوح عليه السلام » وإن كان المقرى يشك فى ذلك

* * *

هذا ما رأيت إضافته إلى ما ساقه العلامة المرحوم تيمور باشا أما ما أخذته على الدكتور محمد حسن فى تعليقاته فسيأتى

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) انظر نفح الطيب ، الجزء الرابع ص ١٨٤ طبعة الرفاعى
انظر الأبيات التى قالها أيضاً فى صور دار بناها المعتمد على الله — المصدر السابق
انظر ماقاله الوزير الجزيرى فى وصف مجلس للمنصور ابن أبى عامر (بركة وأسود) نفح الطيب ج ٤ ص ٢٨٦
(انظر أبيات أمية بن عبد العزيز الأندلسى ، فى وصف قصر يسمى منزل العز فيه تماثيل فرسان ووحوش وطير جو ... النفح ج ٤ ص ١٩٨

من الأدب التركي

الدرويش العـــازف

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

فى غُروبِ الشَّمسِ ، فى الأُفقِ البَعيدْ
رَبْوةٌ لاحتْ لِعَينِ النّـــاظِرِ
مَنْ تُرَى يَمشى لهَـا المَشيَ الوَئِيدْ ؟
يا لَهُ تحتَ الدُّجى مِنْ عابِرِ

صاعِدًا ... فى كَفِّهِ قِيثارُهُ   يَملأُ الآفاقَ باللّحنِ الحَنُونْ
مُفرَدًا ... قدْ عافَهُ سُمّـــارُهُ   وَرَماهُ النّاسُ طرًّا بِالجُنُونْ

يا لِشَيخٍ هَدَلَتْ مِنْ شَعرِهِ   فَوقَ فَوْدَيهِ أفاعِيلُ السِّنِينْ
اللّيالِي قَوَّستْ مِنْ ظَهرِهِ   وَالعَوادِي غَضَّنَتْ مِنهُ الجَبِينْ

يَتَراءَى كُلَّ يَومٍ فى الأَصِيـــلْ
فى المُرُوجِ الخُضرِ ... فى الوادى الخَصِيبْ
يَصعَدُ الرَّبْوةَ لِلكُوخِ الضَّئِيـــلْ
حَيثُ يأوِى عِندَ ما يأتِى الغُرُوبْ

سارَ يَشدُو لَحنَهُ الحُلوَ البَدِيعْ   وتَبِعتُ الخَطوَ كالظِّلِّ النَّحِيلْ
وَالمُرُوجُ الخُضرُ تُصغِي وَالقَطِيعْ
وَالدُّجى نَشوانُ بِالعَزفِ الجَمِيـــلْ ...

وَبَدا الكُوخُ ... فَوَلَّى نَجاهُ   وَاختَفى فِيهِ ، وَغَطّاهُ الظَّلامْ
وَسَمِعتُ اللّحنَ يَسرِى خافِتًا   كَأَنِينٍ مِنْ فُؤادٍ مُستَهامْ

كانَ صَوتًا هادِئًا يُبكِي القُلُوبْ   صِيغَ مِنْ بُؤسِ اللّيالِي وَالدُّمُوعْ
رُحتُ أُصغِي ، وَهوَ يَشدُو فى لُغُوبْ
يَسكُبُ الأَلحانَ مِنْ ذَوْبِ الضُّلُوعْ :

« يا حُطامَ المُنى   فى الظَّلامِ الرَّهِيبْ »
« جِئتُ أَشدُو هُنا   فَاستَمِعْ لِلغَرِيبْ »

« فى يَدِى قِيثارَةٌ مِنْ ذَهَبِ
حَطَّمَتها كَفُّ دُنيايَ الخَئُونْ »
« لَمْ أَجِدْ فى الدَّهرِ مَنْ يَحفِلُ بِى
قَدْ رَمَونِى — لَهفَ نَفسِى — بِالجُنُونْ »

« فى يَمِينِى عازِفٌ يُمتِعُنِى   رَغمَ ما يَلقاهُ مِنْ فِعلِ اللّيالْ »
« لا أَرَى فى النّـــاسِ مَنْ يَسمَعُنِى
حِينَ أَشدُو ، فاسمَعِى لِى يا جِبالْ » :

« يا طُيُورَ الرُّبا   يا عُيُونَ الزَّهَرْ »
« يا نَسِيمَ الصَّبا   يا غُصُونَ الشَّجَرْ »

« إسمَعِى عَنِّى أَغارِيدَ الحَياهْ   إسمَعِيها قَبلَما أَلقَى المَنُونْ »
« إسمَعِيها فَهىَ لِلوادِى شَذاهْ   وَارسُمِى عَنها نَفاثاتِ الشُّجُونْ »

« فَوقَ هٰذِى الأَرضِ أَلفا شاعِرِ   لَفظُهُمْ زَيفٌ وَنَجواهُمْ هَواءْ »
« هَلْ لَهُمْ لَحنٌ كَلَحنِى السّاحِرِ   وَأَنا المَجنُونُ مَنبُوذُ العَراءْ ؟ » :

« مَعشَرٌ   تاجُهُمْ   فَوقَهُمْ   زائِفُ »
« بَينَما   بَرقُهُمْ   خُلَّبٌ   خاطِفُ »

« مَعشَرٌ : إنْ يَكتُبُوا بِالقَلَمِ   فَأَنا الشّادِى بِأَوتارِ الفُؤادْ »
« هَـــلْ لَهُمْ أَنْ يَخلُقُوا لِلنَّغَمِ
مِنْ هَواءِ الكَونِ ، أَوْ دُنيا الجَمادْ ؟ »

« هَلْ لَهُمْ أَنْ يُخضِعُوا مِثلِى القَطِيعْ
عِنـدَ ما يَمشِى بِلا راعٍ يَصُونْ ؟ »
« أَينَ صَوتُ الخَلقِ مِنْ صَوتِ الضُّلُوعْ ؟
أَينَ رَجعُ القَولِ مِنْ شَدوِ الغُصُونْ ؟ »



مسابقة كتب الدين للمدارس الابتدائية

إلى الأستاذ « قاف »

كتبت فى عدد الثقافة الأخير كلمة عن المسابقة التى أذاعتها وزارة المعارف بشأن كتاب فى الدين للمدارس الابتدائية . وقد قرأت كلمتك هـذه بعجب وإعجاب . أما العجب فمن أنك تتمنى على الوزارة اليوم ما كنت تتمناه عليها بالأمس ؛ فلعلك تذكر — وما أظنك إلا ذاكراً — مجلسنا فى أحد النوادى العلمية منذ قريب ، وما كنا نتناوله فيه من أحاديث شتى أسلمتنا إلى تقرير الكتب وكيف كانت تقرر لا لجودتها ولا لرسوخ قدم مؤلفها فى مادتها بل لجاهه ونفوذه حتى احتكرها أصحاب الجاه والنفوذ وصارت وقفاً أهلياً عليهم — على حد تعبيرك — لا يغل إلا لكبار موظفى الديوان العام ومن إليهم من المراقبين والمفتشين الأوائل : ولعلك لم تنس كذلك ما قلته أنت فى تلك الليلة — بل ما كتبته فى الثقافة منذ شهر أو يزيد قليلاً من أن أولئك المؤلفين الكبار أو كبار المؤلفين لم يكن لهم فى الحق والواقع من التأليف إلا تشريف الكتاب باسمهم ومد اليد لتناول نصيبهم والوقوف فى الميدان لمطاردة من تحدثه نفسه باقتحامه واتخاذ كل وسيلة شريفة وغير شريفة لإقصائه . لقد كنا سبعة نتعاور الكلام فى هذا الموضوع وكنت - أنت — أصرحنا كلاماً وأبسطنا لساناً وأغزرنا استشهاداً حتى لقد ضربت بنفسك المثل وذكرت أنه قد طلب إليك أن تكون جندياً مجهولاً يصرع فى الميدان ليرتفع القائد على أشلائه ، فتأبيت على المريد . كل هذا عجيب ، وأعجب منه أن تقترح على الوزارة فى كلمتك الأخيرة ترك المدارس والمدرسين أحرارا فى التأليف وفى اختيار ما يشاءون من الكتب لتلاميذهم . يا لله ! أى حرية أوفى من أن تدعو الوزارة رجالها جميعاً للتبارى وتكافئ السباقين فيهم ولا تجعل الأمر احتكاراً أو وقفاً أهلياً على جماعة منهم ؟ وأى حرية أسمى من أن تسوى فى هـذا الميدان بين المتسابقين جميعاً ولا تنظر إليهم من حيث الجاه والمنصب ، وإنما تنظر إليهم من حيث البراعة والمقدرة والكفاية ، وبهذا ترد إلى رجال التعليم اعتبارهم العلمى وتشجعهم على الإنتاج وتبث فيهم روح الإقدام على التأليف الذى يهابونه لذاته أو للمحتكرين له ! على أن للمسابقة فضلاً آخر أرشدت إليه المسابقات الماضية هى أنها تكشف عن بعض الأفذاذ المجلين الذين يعملون فى وزارات أخرى غير وزارة المعارف ، فليست الكفاية والبراعة والمقدرة وقفاً على هذه الوزارة

« يا بقايا المنى حول كوخي الصغير »
« أنصتي ... إننا قد حرمنا السمير »

« أنصتي لي ، واسمعيني يا جبال   واخفظي الألحان عني يا نجوم »
« إن قيثاري فريد فى الخيال   وهو فى يمناي سلوان الهموم »

« كل ما فى الأرض ملكي : من هواء
أو جماد ، أو دموع ، أو زهور »
« سوف أشدو ، فإذا حل القضاء
لم أفكر أين تطويني القبور ... ؟ »

يا لشادٍ لفّه هذا الظلام
ليت شعري : كيف يحظى بالرقاد ؟ !
أتراه ذائقاً طيب المنام ؟
أم سيقضي الليل موصول السهاد ؟

أيها العازف فى الكوخ الضئيل :
أنت أسمى ملهم فى ذا الوجود
كيف تأسى - أيها الشادي الجميل -
ونصيب الفذ فى الناس الجحود ؟

... وانتهى العازف من ألحانه   وتلاشى الصوت فى جوف الفضاء
وانطوت روحي على أحزانه   وبكت عيني له دمع الوفاء !

عش على الدنيا كما شاء الصفاء   واصطبر إن رحت ترمى بالجنون
من يسع فى قلبه هذا الفضاء   لم ينغص عيشه الدهر الخئون

الحق أنه ليس لمنصف نزيه خصيف الرأى أن ينقد هـذه الطريقة المثلى العادلة التى تقضى على القالة والقيل وتسد الطريق أمام الريب والشكوك. على أن الوزارة لم تلجأ إليها إلا بعد دراسة وبحوث وعقد لجان واستشارة مجربين فانتهى الأمر بهم جميعاً إليها

وأما ما يقوله الأستاذ «قاف» من ترك المدارس والمدرسين أحراراً فى اختيار ما يشاءون من الكتب لتلاميذهم فحسبى فى الرد عليه أن أردد له ما كان يقوله تلك الليلة من أنه جريمة رسمية تفسد الخلق والعلم، وأن المدارس والمدرسين — بالرغم من تحريمه ومحاربة الوزارة إياه محاربة لا هوادة فيها ولا لين — كانوا يتخذونه وسيلة دنيئة تقرب إلى ذوى الجاه من المؤلفين الرسميين وهؤلاء يستغلونه استغلالاً وضيعاً تأباه كرائم النفوس، فقضت على هذه المفاسد كلها طريقة المسابقات. ذلك عجبى. أما إعجابى فبقدرة الإنسان — وهو الذى حارت البرية فيه — على الدفاع عن رأيين متناقضين يدلى بأحدهما وهو يعمل فى المدارس، وبالآخر وهو يعمل فى الديوان حيث اختيار الأعضاء للجان التأليف.

«سمير»

استدراكات لغويات

فى تصحيحات العلامة المحقق الأب الكرملى للجزء الثانى من كتاب الإمتاع والمؤانسة مواضع تحتاج إلى بيان، أعرض على الأب الفاضل منها موضعين فى العدد (٤٧٥) من الرسالة الغراء :

١ — قال : وفى ص ١١٠ ويجعلها (أى الأحجار) ملساء، وضبطت كحمراء؛ والصواب مُلساً بضم الميم ... (راجع فساد قول القائل صخور ملساء فى مجلة المجمع العلمى العربى ١٧ : ٢٣٣ و ٢٣٤) ا هـ

وقد رجعنا إلى الموضع المذكور فلم نجد للأب مستنداً فى إنكاره، لأن نص سيبويه قاصر على بيان أن جمع التكسير لأفعل فعلاء هو فعل بضم العين، وما أظن أن كيفية تكسير هذه الصيغة كانت محل خلاف، وليس فيها شاهد على خطأ قولهم صخور ملساء.

وإنما كان الأب بحاجة إلى نص صريح يستثنى فيه هذه الصيغة من القاعدة العامة التى جرى عليها كلام العرب وذكرها النحاة وهى : أن نعت جمع التكسير يكون بالمفرد المؤنث وبالجمع على السواء، فلك أن تقول : أشهر محرمة وأشهر محرمات، و «أياماً معدودة» و «أياماً معدودات» كما فى القرآن الكريم وغيره.، فما الذى يفرد صيغة واحدة بين جميع صيغ النعت بحكم خاص؟ هذا ما يحوج الأب الإبراء عليه. أما استقراؤه الشخصى وطلبه من مخالفه الإتيان بشاهد فلا يردان حجة، لأن المقيس لا يلزم له شاهد.

٢ — وقال : ومن الأغلاط الشائعة فى مصر وتستحق أن يشار إليها إشارة خصوصية ما يأتى : ص ٢٣ س ١٨ أصواب هو أم خطأ ... أم خطاء وزان سحاب لضد الصواب، على ما فى كتب اللغة. ا هـ

وقد كتب الجملة الأولى بخط عريض مذيل بخط أفقى زيادة فى لفت الأنظار. ولم يبين أى كتب اللغة هذه التى حرمت أن يقال خطأ لضد الصواب؛ وقد تصفحت بعض كتب اللغة فإذا هى تتفق جميعاً على أن الأب المفضال مخطئ كل المخطئ فى ذلك، وإليك الشواهد :

فى لسان العرب : الخطأ والخطاء ضد الصواب

تاج العروس : الخطاء والخطأ والخطأ ضد الصواب

المصباح المنير : والخطأ مهموز بفتحتين ضد الصواب، ويقصر ويمد

الصحاح : الخطأ نقيض الصواب وقد يمد ... الخ

فأنت ترى أن الخطأ قدمت على الخطاء فى جميع هذه النقول، وأن أعلى هذه المصادر وهو الصحاح ضعّف الحرف الذى ذكر الأب أنه هو الصواب دون غيره.

هذا ما أحببت عرضه على العلامة المحقق المفضال، وله إعجابى وتحيتى.

(دمشق) سعيد الافغانى

فى الشعر التمثيلى

تعقيباً على ما نشر بالرسالة فى عدديها ٤٧٣ و ٤٧٧ للأستاذين الأديبين البشبيشى وعبد الرحمن عيسى — لا جدال فى أن واضع الحجر الأول فى بناء الرواية الشعرية فى الأدب العربى الحديث هو المرحوم الشيخ خليل اليازجى فى روايته (المروءة والوفاء) وقد طبعت أكثر من مرة بمطبعة المعارف بالفجالة. ومن حق الأدب والتاريخ أن يعرف المتتبعون لهذه الناحية الجميلة من الفن الأدبى أن المرحوم الشيخ نجيب الحداد أول من ترسم خطى خاله المرحوم الشيخ خليل فى معالجته الشعر التمثيلى قبل المرحومين شوقى

وعبد المطلب فى روايته (صدق الوداد) وقد طبعت من زهاء ثلاثين عاماً فى مطبعة غريزوزى بالإسكندرية وقل أن يظفر أحد بنسخة منها الآن لكثرة ما كان من الإقبال عليها ونفادها بمجرد ظهورها . والروايتان لا تقلان عن روايات المرحوم أمير الشعراء بلاغة وروعة وحسن سبك ، وشعرهما يتدفق سلاسة وطبعاً وعذوبة

ولعلى أوفق فى فرصة أخرى إلى نشر شواهد من شعر الروايتين إذا اتسعت له صفحات « الرسالة » الغراء وآنست من قرائها الأدباء ترقباً وارتياحاً

يوسف كركور

تعقيب

جاء فى بريد « الرسالة » الأدبى من العدد ال (٤٧٦) للأب الفاضل أنستاس الكرملى فى بحث السوبية ما نصه : قال ابن دريد فى الجمهرة : « وبالصاد (أى الخِص) أحسبها لغة لبنى تميم ، وهى لغة ابن الغبر خاصة » كذا فى تاج العروس . وهو خطأ أيضاً والصواب : « وهى لغة بنى العنبر ، إذ لا وجود لابن الغبر » اه

وقد يقال : عدم الجزم بهذه التخطئة أولى ، فبنو الغُبَّر لهم وجود . جاء فى القاموس المحيط فى (فصل الطاء وباب اللام) : وككتاب (أى طحال) كلب وع لبنى الغبر . راجع القاموس المحيط ففيه شاهد لا يليق ذكره

داود حمدان
(اللد — فلسطين)

حوائج

رداً على الكاتبة الفاضلة « بثينة » أقول إن هذه الكلمة « حوائج » وردت فى الحديث الصحيح والشعر الفصيح . فقد روى عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « إن لله عباداً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس إليهم فى حوائجهم أولئك الآمنون يوم القيامة » . وقال الشماخ :

تقطع بيننا الحاجات إلا   حوائج يعتسفن مع الجرى

وقال الفرزدق :

ولى ببلاد السند عند أميرها   حوائج جمات وعندى ثوابها

ابراهيم السعيد عجلان

على هامش السيرة

لفت نظرى وأنا أقرأ الجزء الثانى من كتاب « على هامش السيرة » للمرة الثالثة عبارة وردت فى الحديث عن « راعى الغنم » ص ١٥٨ هذا نصها : « والغريب أن الخواطر التى كانت تملأ نفسيهما — يعنى أبا طالب وخديجة — همًا وحزناً وتفعم قلبيهما خوفاً وقلقاً ، هى بعينها تلك الخواطر التى كانت تملأ نفس عبد المطلب بن هاشم وآمنة بنت وهب ، وتشغل قلبيهما منذ ستة عشر عاماً حين سافر عبد الله مع العير إلى الشام فى التجارة لأول مرة ولآخر مرة أيضاً »

وهذا القول يناقض الحقيقة ويتعارض مع عبارة أخرى وردت فى ص ١٦١ وفيها يقول الدكتور : « ولكنه — يعنى أبا طالب — كان يستحى أن تقول قريش : ضعف أبو طالب وجزع على فتى قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره »

والمعلوم أن رحلة عبد الله كانت بعد زواجه بأيام وكان محمد عليه السلام لا يزال جنيناً فى بطن أمه ، فى حين أن الرسول صلوات الله عليه كان قد أوفى على الخامسة والعشرين أو كاد يوم أن رغبت إليه خديجة فى أن يصحب تجارتها إلى الشام . وإذن تكون الفترة بين رحلة عبد الله ورحلة محمد عليه السلام حوالى خمسة وعشرين عاماً لا ستة عشر كما ذكر الدكتور ، ولعله يكون أقرب إلى الصواب لو أنه قال ستة وعشرين عاماً

وذلك ما تكاد تجمع عليه كتب السيرة

محمد الدمة

استدراك

فى الحلقة السابقة من ترجمة كتاب « المصريون المحدثون » ، وقع تحريف فى الآية الكريمة : « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » . فوجب نشرها صحيحة

عدلى طاهر نور

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٨ / ٧ سنة ١٩٤٢ رقم ١٢٧٨ سنة ١٩٤٢ جنح ضد عباس محمد ابو الحفر ن ٣٠ بقال كوم الطرفاية مركز كفر الدوار بغرامة ٥٠٠ قرش والغلق أربعة أيام ويعلق صورة الحكم على محل المتهم ومركز البوليس والنشر على مصاريفه لبيعه أشياء بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٨ – ٧ – ١٩٤٢ فى القضية رقم ١١٠٨ سنة ١٩٤٢ جنح ضد عزيز شكرى شنوده تلميذ وبمحل والده ببسنتواى بالحبس ١٥ يوم شغل والايقاف والغلق والتعليق على محل المتهم ومركز البوليس والنشر على مصاريفه لبيعه سكراً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة



الشيخ الأعزب

للأديب لبيب السعيد

في صدر أيامه لم يطاوعه طموحه على الزواج من ابنة عمه ؛ بدا له يومئذ أنه خليق بالفرار من بيئته إلى بيئة أعلى وأقدر .

ولما قيل له : بنت فلان أشهر تاجر في الحي مهذبة وجميلة ، رأى أن آماله أسمى أيضاً من هذه البنت وأبيها ، ورأى قُدْرته أجدرَ أن تُنيله نسباً أجلّ ...

وأحسّ أن آمال كثيرات من صبايا الحيّ وذويهنّ تترامى إليه ، لأنه موظف في الحكومة بخمسة عشر جنيهاً ، والموظفون المماثلون من أبناء الحيّ آحاد ، فزهاه ذلك وسرّه ، ولكنه ظل على طموحه وعلى اعتقاده في إمكان إحراز زوجة غنية جدًّا من أسرة بارزة جدًّا ، يتسامى بها في الوظيفة ، ويوارى في غناها حقره ، ويجبر بجاه أبيها وذويها صدعه ...

كان يأمل في زواج الغنية ذات الجاه دنيا سعيدة : دنيا خالها يرف عليها الروح والريحان ، وتنتثر على مدارجها الزهور الضواحك ومضت من عمره أربعون سنة ...

وعرف عندئذ الهدف الذي ينبغي له – فيما يعتقد – الرمى إليه ... عرف « حنيفة » بنت « أمجد باشا » ، فعرف فتنةً ضلّ في تيهها فكره ... لقد رأى زواجه منها معراجاً إلى كل الغنى والشرف ، وحلم سريعاً في قهر أعدائه من الأقارب وزملاء الديوان ، ومواجهتهم بأنسباء يشرّفون ، واستحضر في خاطره ما سيلقى من سعادة حين يذكر اسمه إلى جانب اسم « أمجد باشا » وود من كل قلبه لو تمت الخِطبة حالاً ، ونُشر اسمه واسم الباشا معاً ولو في إعلان وفاة !

وترقرق في صدره الأمل ، فأذاع بالأمر لبعض خاصّته ، وشاع لوضوعه ذكر .

ولكن « أمجد باشا » استمهل معتذراً ، ثم ماطله غير مكترث ، ثم ترامي عنه أنه يأبى هذا الزواج ، لأن « أميناً » ليس من طبقته ، ولأنه لم يستوف طَلِبَةَ فتاته من الغنى والمنزلة والوسامة .

وصدم هذا الرفض «أميناً» ، ولكنه رأى أن لا بد من عدم التخاذل ، وعزم ليستأسرن من أيّ معقل مَن تعادل « حنيفة » نشباً ونسباً . ولكن – وا خيبتاه – إن سنه الصاعدة ، ورواتبه المتواضع خيَّبا مطمحه وأعجزاه عن منيته

واليوم – وما أسرع كرّ الغداة ومرّ العشى ! – ذرّف أمين على الخامسة والخمسين ، فهو يطامن كثيراً من جماح آماله ، ويتطلع راضياً إلى الأسر التي على شاكلته ، ولكن مرضه الظاهر يصرف عنه النظر ، وهو بعْدُ غاد قريباً على أمر شديد كربه : المعاش !

كل شيء يشعر أميناً أنّ الأيام تقف به على ثنية الوداع ، ولكنه مع ذلك متشبث بالأمل ... إنه ينشد زوجة تخلص له الحبّ ، وتأسو الجراحات ، وإنّ طيف هذه الزوجة المجهولة لَيُراوحه ويغاديه ! لقد نهل في سني عمره الذاهب من كل شيء ولكنه يشكو الأوام ... فهو يريد لقلبه الكبير قلباً يروى من رحمته ؛ يريد مثابةً ينفض لديها شكاياته ونجواه ؛ يريد لنفسه المعنَّاة تسليةً وتأسيةً وولاء ... إنّ به حنيناً مبرّحاً إلى جناح يكنفه في شيخوخته ، ولكنّ الحقيقة الممضة : حقيقةَ صحته التي تحيَّف منها السنّ والمرض ، حقيقة معاشه المحدود الذي لا يكفل العيش الرافغ لعروس تُساق إلى شيخ ، وطفل سيغشاه اليتم في مطالع حياته . هذه الحقيقة كانت تدفع ذلك الطيف في عنف ، وتؤكد لأمين أن أمانيه فوق ما يجوز له تمنيه ، وأنه يحاول العَدْوَ وراء فائتٍ ليس يُلْحق

***

ويرى «أمين» رجلاً وزوجته يسيران في طريق ، أو يجلسان في طنف ، فيغبط الرجلَ على نعمة الشريكة ، ويُبدِئ ويُعيد فيما تريق الأليفة لأليفها من العطف ، وتبذله من العون ، وتطعمه من الحنان ... ويسبح في خيالات ما لها قَرار ...

ويدعى « أمين » إلى حفلات الزواج ، فتهفو مناظرها بروحه إلى الزوجة ، وتصيب كلمات المأذون في فضل الزواج الوترَ الأرنّ من قلبه ، وتطلق فيه عاطفة الأبوة الحبيسة ، وتزيده شعوراً بالوحشة

ويسائل « أمين » نفسه : أَلَمْ يأن لي أن أقعد هذا المقعد

الحبيب : مقعد « عريس » من والد عروس ، وأن أقولَ وأسمع هذه الصيغة العـذبة : صيغة القران ؟ أمات الأمل فى أن يتجه إلى يوماً جمع من هذه الجموع بتلك العبارة العذبة : « مبروك ، مبروك ، يا عريس » ؟

ويثنى أمين وطرفه غارق فى الدمع

ويزور أمين صديقاً مريضاً فيغبطه — مع ما يشاهد من كربات المرض — أشد الغبطة ، لأنه يرى زوجته تحدب عليه ، وتحتمل مشقة تمريضه ، ولأنه رأى صبياً يافعاً يقود الطبيب إلى المنزل ، ويجرى إلى الصيدلية محزوناً ، ويرى طفلاً مبغوم الـكلام يخطر لاهياً أمام سرير أبيه المريض، فتأنس به نفس الأب وتُشرق هذه البسمات التى يراها فى ثغور الأطفال لا بد أنها تنير لآبائهم سبل الحياة وتـكشف عنهم غواشى اليأس ! ليت له مثلها فى دنياه التى لا شية فيها من النور !

ويرى أمين الآباء أشقياء مُملقين من كثرة الإنفاق على بنيهم ، فيتمنى من كل قلبه لو شق شقاءهم وأملق إملاقهم . إنه يؤمن بأن الآباء هم كل السعادة وهم كل الغنى ، وأن فى كلة « بابا » وحدها كنوزاً يهون فى سبيلها كل عزيز !

ويسائل نفسه أيضاً : هذا الـكدّ الذى أبذل ، ما جناه ؟ فيثنى مسلوب اللُّب حين تجيبه : لا شيء ! وغداً تموت ، ولـكن لا كميتة الناس ، فهم يَحْيَـوْن فى بنيهم ، وأنت ستموت كأقسى وأوفى ما تعنى اللّغة بلفظة الموت

بمن يتأسى فى أشجانه ؟ الظاهرو البؤس فيما حوله هم كتبة الدرجة الثامنـة والخارجون عن الهيئة وخدم المطعم ونُدُل القهوة ، ولـكنه أشق من هؤلاء جميعاً . إنهم سيَحْيَـوْن بعد مماتهم ... وإن الفرد منهم ليجد آخر اليوم قسيمة لحياته ، يطرح لديها أثقاله . فأما هو – فياويح له – محرومٌ يبثّ شكاته جدراناً لا تسمع ، وينشد الحنان والأُلفة هنا وهناك فلا يجد غير قسوة الحياة وظمأ الروح وشقوة الضمير

ما أشد عوزه إلى يد رقيقة يمسها وتمسه ! ! فى صـدر «أمين» فيوض من الحنان تريد الانسياب فليت له من يتلقاها ! ألا قلوب تنبض مع قلبه نبضات واحدة بشعور واحد !؟

ويعالج « أمين » مع ذلك كله البسمات ، ويتـكلف جاهداً المظهر الشاب ، ويحاول أن يدفع عنه الوهن ، ولـكن البسمات أماتها الزمان ، والمظهر الشاب غطى عليه الجهد الثقيل والعمر اليائس ؛ والوهنَ ... احتلّ بدَنَ أمين فى غير اكتراث !

حدثنى عن « أمين » معارفه القدماء ، فجلوا لى كثيراً من ماضيه . وكنت وإياه أخيراً منتدبين فى الأسكندرية ، وكنا فى فندق واحد ، نخلا إلىّ ذات مساء ، وأفضى إلىّ بكل قصته . كان يتحدث بلهجة مذنب يريد أن يثأر لضميره من نفسه . . . وكان كطفل بيّن السذاجة لا يعمى على سامعه شيئاً من وصف مشاعره وسرائره ؛ وكان يسرق الدمع حياء ؛ وكانت له زفرات وجيعة .

وأخرج فجأة من جيبه صورتين ، فأطلعنى عليهما . كانت إحداهما لفتاة رائعة الجمال ، وكانت الأخرى لطفلين كلهما عذوبة . وسألته مستغرباً وأنا أرى من نظراته أنه جدّ حفىّ بأصحاب هاتين الصورتين : ما شأن هؤلاء ؟ فأجاب ، والبراءة في وجهه : « اخترت صورهم من محل بيع الصور ... أعجبونى ... أنظر ... ما أحسن هذه زوجة تجمل بها الحياة ! وما أحسن هذين ولدين ينضران العيش ! »

أوجع أمين قلبى تلك الليلة !

وانقطع عن التردد علىّ وعلى زملائنا أمسيتين على غير عادة ، وسألناه فى الصباح عن السبب ، فأجاب فى اختصار : أمر خاص واستحينا أن نستجليه هذا الأمر فسكتنا

وأتى صبىٌ إلى الفندق فى الأمسية التالية يسأل عن الأستاذ « أمين » المقيم بالحجرة رقم ٨ ، وكنا نحن زملاء أمين فى بهرة الفندق جالسين نسمر ، فسألنا : لم ؟ فقال : لأعطيه صورة عائلته ، فهو يتعجلها . وعجبنا ، فأمين حقيقة ينزل فى الحجرة رقم ٨ ، ولـكنه لا عائلة له . وسأل أحدنا الغلام : أية عائلة ؟ ربما كنت تقصد أميناً آخر . فقال الغلام وهو يناوله الصورة : أريد الأستاذ أمين المرسوم هنا . وضحك صاحبنا ضحكات تمتزج فيها السخرية بالدهشة ، وقام يطلعنا جميعاً على الصورة ، والجمع يضج بالضحك . ونظرت فيهـا فوجدت أميناً بعينه ، وقد جمع الرسام بينه وبين الصور التى سبق أن أبدى لى إعجابه بها : صورة الفتاة الرائعة الجمال التى يستحسنها زوجة ، والطفلين المذين اللذين يستحسنهما ولدين . لقد اتخذ من هذه الصور المختارة أسرة طيبة يبدو هو فيها كأنه أب آمن السرب ، له من أهله قرب وأنس ، وله فيهم رجاء !

وأقبل أمين والصورة فى أيدينا ، فحاول الابتسام أولاً ، ثم انطفأ وجهه مرة واحدة ، ثم ارتمى فى أقرب مقعد يبكى وينشج .

(المنصورة) لبيب السعيد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 480

Lundi - 14 - 9 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٨٠ « القاهرة في يوم الإثنين ٣ رمضان سنة ١٣٦١ — الموافق ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبـــارك

تخطيط القاهرة — فكاهات هندسية — النور القدير على تمزيق الظلمات — أبناء دار العلوم بوزارة المعارف

تخطيط القاهرة

أيام هذا الصيف آذتني أعنف الإيذاء ، بسبب صعوبة المواصلات ، الصعوبة التي خلقها الازدحام في الترام والأُتوبيس في أكثر الأوقات ، ولا سيما وقت انصراف الموظفين ، فكنت أقطع الطريق على قدميَّ في حرّ الظهيرة من وزارة المعارف إلى باب الحديد ، وكانت الظروف قضت بأن تكون محطة المترو في باب الحديد بضعة أسابيع

وقد غنمت من هذه الظروف غنيمتين : الغنيمة الأُولى هي لفح الوجه بوهج الشمس ، فما رآني صديق إلا توهم أني قضيت على شواطئ الإسكندرية شهراً أو شهرين . وليت الأمر كان كذلك ، فقد سمعت بعد فوات الوقت أن شواطئ الإسكندرية كانت فتنة العيون والقلوب في هذا الصيف !

أما الغنيمة الثانية ، فهي أغرب وأنفع ، لأنها هدتني إلى أفكار تستحق التسجيل ، أفكار متصلة بتخطيط القاهرة ، عاصمة

الشرق بلا نزاع ، وأعظم مدينة دينُها الإسلام ولغتُها العربية

هدانى السير على قدميَّ فى حرِّ الظهيرة إلى القول بأن القاهرة لم تجد مهندسين يراعون أصول الانسجام والتنسيق

وقبل أن أُفصِّل هذا القول ، أرجو من زار القاهرة أن يتمثل شارع محمد على فهو الشارع الوحيد الذى روعيت فيه أُصول الانسجام والتنسيق ، بحيث يجوز لك بعد مراعاة الأدب مع الله أن تقول إنه بين شوارع القاهرة واحدٌ بلا شريك

تقف على رأس هذا الشارع من ميدان العتبة الخضراء « ميدان الملكة فريدة » ثم تنظر فتروعك منارة جامع السلطان حسن ومنارة جامع الرفاعى ، مع أن بينك وبين هاتين المنارتين مسافات طويلات

فما اسم المهندس الذى خط هذا الشارع منذ أعوام طوال ؟

وأين قبره لننثر عليه زهرات الأقحوان المفطورة على التنسيق ؟

وفى ميدان العتبة الخضراء يبدأ شارع حديث العهد ، شارع أنشأناه بعد أن كثُر عندنا المهندسون ، وهو شارع الأزهر الشريف

وهنا أرجو أيضاً من زار القاهرة أن يتمثل واجهة الأزهر وما يصحبها من منارات رشيقات ... ليعرف كيف كان من الجناية على تخطيط القاهرة أن تُحجَب واجهة الأزهر عمن يقف متطلعاً إلى محاسن القاهرة فى ميدان العتبة الخضراء

وما يقال فى شارع الأزهر يقال فى شارع الأمير فاروق ، فقد كان يجب أن يستقيم هذا الشارع بحيث تمكن رؤية ميدان فاروق ، وعلى ناصيته سبيل أم عباس ، لمن ينظر فيه من ميدان العتبة الخضراء

فما اسم المهندس الذى خط هذين الشارعين قبل بضع سنين لنغرى به أحد المستجوبين فى مجلس النواب ؟

أنا لا أدعو إلى أن تكون جميع الشوارع بريئة من الانحراف إلى اليمين أو إلى الشمال ، فذلك تكليف بما لا يطاق ، وإنما أدعو إلى مراعاة الذوق فى إبراز محاسن القاهرة عند التخطيط ، ولتوضيح هذه الفكرة أقول :

أجمل واجهة فى قصور القاهرة هى واجهة قصر عابدين ، فهل يرى تلك الواجهة من يمرّ بميدان الاسماعيلية ، مع أنه منها قريب ؟

ومن الواجهات الجميلة واجهة محطة باب الحديد ، فهل يراها من يقف فى ميدان ابراهيم ؟

وعلى من يرتاب فى صحة القول بأن مدينة القاهرة لا تجد من يفكر فى الانسجام والتنسيق ، على من يرتاب فى صحة هذا القول أن يزور حىّ الأزهر فى أحد الأيام ليرى العجب العاجب فى تعمد الخروج على الذوق ، فهنالك قامت بناية عالية فى العهد الحديث ، بعد اكتمال الزمان وبعد الشعور بقيمة التنسيق فى التخطيط ، فكانت حجاباً كثيفاً يفصل بين واجهتين جميلتين : واجهة الجامع الأزهر وواجهة جامع الحسين

إن الذوق من أطيب الأرزاق ، فهل يتفضل الله فيزيد مهندسى القاهرة ذوقاً إلى ذوق ؟

فكاهات هندسية

حين زرت البصرة فى سنة ١٩٣٨ تلطّف معالى السيد تحسين على فمضى بى فى سيارته لنزهة جميلة تخترق غابة النخيل فى طريق اسمه « طريق أبى الخصيب » وهو طريق كثير الاعوجاج بلا موجب معقول ، فلما سألت معاليه عن سبب ذلك الاعوجاج ابتسم وقال : « كان المهندس الذى شق هذا الطريق يحب المال بعض الحب ، فاعوج الطريق بعض الاعوجاج ! ! » فأدركت أن أصحاب الأملاك كانوا أصحاب الرأى فى تخطيط ذلك الطريق

وفى السنة الماضية زرت الدير المحرَّق فرأيت فى الذهاب إليه طريقاً كثير الاعوجاج بلا موجب معقول ، فلما سألت عن سبب ذلك الاعوجاج كان الجواب أن المهندس الذى شق هذا الطريق عُرف بشراهة الجيب فكان يراعى خواطر أصحاب الأملاك

فليحذر من يشق طريقاً معوجّاً فى أى بقعة بعد اليوم ، فقد يُتهَم بأنه من سلالة المهندس الذى شق طريق الدير المحرَّق ، أو المهندس الذى شق طريق أبى الخصيب .

النور القدير على تمزيق الظلمات

هو نور الله ، النور الغلاّب القهّار الذى لا يصده حجاب ؛ ولو كان فى كثافة أنفس المحجوبين عن كرم واجب الوجود

وما تمر بنا لحظة من لحظات الكدر أو الغيظ إلا كانت شاهداً على أن إيماننا بالله إيمانٌ مدخول

ولا تمر بنا لمحة نعتمد فيها على هذا المخلوق أو ذاك إلا كانت دليلاً على أن ثقتنا بالله مزعزعة الأركان

فما بالُ قومٍ تطير نفوسهم شَعاعاً حين يهدَّدون بغضب بعض الخلائق ؟ وما بال قوم لا يستطيبون النوم إلا حين يطمئنون إلى أنهم تحت حماية بعض الخلائق ؟

لا يجوز لمن يخاف الناس أن يرجو الله ، فإنه عز شأنه لا يسبغ نعمته الصحيحة إلا على المؤمنين ، والمؤمن لا يخاف الفانين

وما ذا يملك بنو آدم حتى يرجوهم من يرجو ، أو يخافهم من يخاف ؟

الأمر كله لله ، ولا أمر لمخلوق ، وإن زيّن الوهم للمخاليق أنهم أقوياء

جرِّب الثقة بالله ، إن كنت لم تجرِّبها من قبل ، فسترى أن الأنس بالله يرفع عنك آصار الثقة بالناس ، وما اعتمد أحدٌ على خلق الله إلا باء بالخذلان

كن رجلاً مؤمناً فى جميع أحوالك ، والرجل المؤمن ينظر إلى الناس كما ينظر الأسد إلى النمال

تواضَعْ لله وحده ، ولا تتواضَعْ للناس ، فهم بحكم فنائهم أذلاء

تواضع لله أدباً لا خوفاً ، فهو يحب أن يراك فى أخلاق السادة لا أخلاق العبيد

لا تعامل باللطف والرفق إلا أهل اللطف والرفق ، ثم امنح ظلمك وعدوانك لمن تحدثهم النفوس الأواثم بالتطاول عليك

نزِّه نفسك عن الكفر بالله ، ومن صور الكفر الوبق أن تقيم وزناً لمخلوق لا يؤمن بفكرة العدل ، ولا يجعل هواه من هواك فى الاحتكام إلى صاحب العزة والجبروت

إن زمانك قد أُصيب باختلال الموازين ، ولم يبق من أهله من تحدثك ملامح وجهه بالخوف من الظلم والكذب والافتراء ، فكن أوحد زمانك فى الفرار من تلك الأخلاق السُّود ، ولا عليك أن تعيش عيش الفقراء ، فما يغتنى فى أزمان الانحطاط غير التجار السفهاء

وما أوصيك إلا بما أوصيت به نفسى ، فما يستطيع ابن أنثى أن يقول إنى استعنت به فى جليلٍ من الأمر أو دقيق ، ولا خطرِ فى بال مخلوق أن ينال ودادى بغير الصدق فى الوداد

دنيا كم سخيفة يا بنى آدم ، وأنتم منها أسخف ، وسبحان من تجاوزَ عنها وعنكم فأمدّها وأمدّكم بالشمس والقمر ، والماء والهواء !

لست منكم ، ولستم منى ، فبينيَ وبين الله عهدٌ وثيق ، وإلا فكيف جاز أن تحاربونى عشرين سنة ، ثم لا تكون شكواى إلا من متاعب الغنى والثراء ؟

آمنت بالله ، آمنت ، آمنت ، وإنى لأ كاد أصافحه بيمناى

ومن أنت يا ربى ؟ أجبنى ، فإننى

رأيتك بين الحُسن والزَّهر والماء

فى كلية الآداب

كتب إلىَّ طالبٌ لا أسميه « إشفاقاً عليه من بعض المصاعب » كلمةً يقول فيها إن المحصول الأدبى فى مجلة الرسالة قد استهواه فنقله من قسم اللغة الإنجليزية إلى قسم اللغة العربية ، فاذا أقول فى توجيه ذلك الطالب الأديب ؟

أقول إن قسم اللغة الإنجليزية مَطالبُه أسهل من مَطالب قسم اللغة العربية ، وإليه البيان :

المتخرجون فى قسم اللغة الإنجليزية لا يطالَبون بالتفوق الذى يسمح بأن يكونوا من شُرّاح الأدب الإنجليزى فى مناحيه العقلية والاجتماعية ، ولا يراد منهم إلا أن يكونوا أساتذة صالحين لتدريس اللغة الإنجليزية فى المدارس الابتدائية والثانوية

أما المتخرجون فى قسم اللغة العربية فهم مطالبون بالتفوق المطلق ، التفوق الذى يسمح بأن يكونوا من أئمة الأدب العربى فى هذا الجيل

يضاف إلى ذلك أن كلية الآداب شحيحة بالرجال ، فمنذ إنشائها فى سنة ١٩٠٨ إلى اليوم لم يبرز من أبنائها غير آحاد ، لأن المثل الأعلى فى تصور كلية الآداب لا يسمح بنبوغ العشرات والمئات . ومن حسن الحظ أنها كانت كذلك ، ليظل النبوغ الأدبى بعيداً من أوضار النسبة العددية ، ولتظل كلية الآداب كلية آداب

والحياة الجامعية فى مصر تؤرِّخ بنشأة هذه الكلية ، فهى النواة الصحيحة للجامعة المصرية ، وهى الفيصل بين عهدين : عهد المحاكاة وعهد الإبداع

وكان قسم اللغة العربية أساس كلية الآداب ، كما كانت كلية الآداب أساس الجامعة المصرية ، وهى عصارة الأمانى الوطنية ، فقد أنشئت لأسباب ما أظنها تخفى عليك ، إلا أن يجب العلم بالتاريخ القديم مع جواز الجهل بالتاريخ الحديث ! !

وكليتنا الغالية موسومة بقوة الروح ، فما ذكرت الحياة الجامعية إلا كانت أول ما يخطر فى البال ، ولا جاز الاضطهاد إلا على أبنائها الأوفياء ، لأنهم سبقوا زمنهم بأزمان

فإن وجدت من قوة العزيمة ما يساعد على أن تكون من أساطين قسم اللغة العربية فأقبل غير هياب ، حرسك الله ورعاك !

أبناء دار العلوم بوزارة المعارف

أمضى معالى الأستاذ أحمد نجيب الهلالى باشا قراراً بترقية جماعة من كبار الموظفين بوزارة المعارف إلى الدرجة الأولى الفنية وعلى رأسهم الأستاذ جاد المولى بك كبير مفتشى اللغة العربية ، فالتفت الذهن إلى نصيب أبناء العلوم من الترقيات بوزارة المعارف ، وقد طالت شكواهم من الإغفال والإهمال عدداً من السنين الطوال

والظاهر من البحث الذى بذلته فى درس هذه القضية أن أبناء دار العلوم لم يفز منهم بالدرجة الأولى قبل جاد المولى بك غير رجلين اثنين : عاطف بركات وعبد العزيز جاويش

ومع هذا فالطعم مختلف كل الاختلاف : فالمغفور له عاطف بركات رقته وزارة الحقانية لا وزارة المعارف ، لأنه كان ناظر مدرسة القضاء الشرعى ، وكانت تلك المدرسة تحت إشراف وزارة الحقانية ، وكان مفهوماً أنها تملك فى إنصاف الرجال ما لا تملك وزارة المعارف

أما الشيخ عبد العزيز جاويش فلم يراعَ فى منحه الدرجة الأولى أنه من أبناء دار العلوم ، وإنما روعيت شخصيته العظيمة الفخيمة ، وكان رجلاً ملء العين والقلب ، وكان يتكلم الإنجليزية والألمانية والتركية بسهولة تستوجب الالتفات ، وكان له فى خدمة الوطنية تاريخ طويل عريض ، فصار من الصعب أن تجعله وزارة المعارف فى منزلة تعلوها منزلة أى كبير من كبار الموظفين

فكيف ظفر جاد المولى بك بالدرجة الأولى ، وهو رجل لا يعرف غير عمله الرسمى وعمله الأدبى فى هدوء وسكون ، ولم يُعرف عنه التقرب إلى هذا الحزب أو ذاك ، ولو شئت لقلت إنه ضعيف الحيلة إلى أبعد الحدود ؟ كيف ظفر بهذه الدرجة ؟ كيف ؟ كيف ؟ وهو لا يرى وزير المعارف إلا إن دعاه للتشاور فى بعض الشؤون ، ولا يعرف من أندية القاهرة غير القهوة التى يَسمُر فيها مع بعض المفتشين بميدان الاسماعيلية فى مساء كل خميس ؟ . . . تلك التفاتة نبيلة من الهلالى باشا أراد بها إعزاز اللغة العربية ، ولعلها كرمٌ أضفاه الله على رجل يصلى ويصوم ، فى زمن جُهلت فيه آداب الصلاة والصيام عند بعض الكبار من الموظفين زاده الله فلاحاً إلى فلاح .

زكى مبارك

تاريخ التاريخ

للدكتور محمد مصطفى صفوت
مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

كان التاريخ أول أمره قصصاً يختار القصاص من أنبائه ما يبهرهم ومايستثير إعجاب الجمهور، وكان يدور حول حوادث الآلهة والأبطال فكان عند اليونان مصوغاً شعراً قصصياً يرتل وينشد، شعراً يتغنى بمجد اليونان، ويشيد بما كان لأبطالهم من بلاء في الحروب؛ وأول أثر تاريخي وصلنا في ذلك القالب شعر « هوميروس »

ومثل ذلك كان موجوداً عند الشعوب التي لم تبلغ بعد حظًّا من الحضارة، تاريخها قصص يتناقله الرواة ومركزه الأبطال. ظهر ذلك عند العرب في الجاهلية، وعند الترك قبل دخولهم المسيحية، وعند الفرس القدماء وغيرهم. ويغلب في ذلك النوع من التاريخ الأسطورة أو الأخبار، لأن العنصر الشخصي ظاهر فيه من ناحية الشاعر والناقل والقاص، فكل منهم ينتقي ما راقه — في الغالب — دون نقد أو تفكير، ثم يضيف إليه ما يضيف، أو ينقص منه ما شاء أن ينقص. فأمثال هوميروس ينسبون إلى أبطالهم وآلهتهم ما شاءوا من أعمال لا يستطيع العقل تصديقها، وسبح بهم الوهم والخيال ... ولم يخف ذلك على بعض عقلاء اليونان من أمثال « أيزوكراتيس Isokrates » الذي يقول: « فلم ينسبوا إليهم — أي إلى الآلهة والأبطال — الوقوع في أسر من يموت ويفنى، ولكنهم يمثلونهم آكلين أطفالهم، معذبين آباءهم، ومقرنين أمهاتهم في الأصفاد »[1].

وأول من اهتم بالتاريخ وبذل جهداً للوصول إلى الحقيقة هو « هيرودتس »: فيسافر لجمع الأخبار بنفسه، ويهتم بالناحية الجغرافية في دراسته، ويعرض الآراء المختلفة أمام جمهرة قارئيه أو سامعيه ليختاروا منها ما شاءوا. ولكن هيرودتس كان قبل كل شيء قاصا أخباريا، يجمع ما له قيمة في نظره وما يلذ جمهوره فهو في الواقع أب المؤرخين القاصين الأخباريين

وتمت المرحلة الثانية في البحث التاريخي على يد ثيوكيديدز Thucydides مؤرخ حرب البلبونيز — انتقد ذلك الرجل سرعة الناس إلى التصديق، وعدم تمييزهم ما بين الصحيح وغير الصحيح ولذا فهو يهتم بتنظيم حقائق هذه الحرب حتى يبين الحوادث؛ وهو يعني بنقد حقائقه ويقول: « إنني ما وصفت شيئاً رأيته، أو سمعته، ولم أحققه بكل تدقيق وعناية ». ويختلف في مرماه عن هيرودوتس فهو يرمي إلى غرض تعليمي وإلى إعطاء دروس في السياسة حقيقية

ولم تهتم حكومة في القديم بتدوين أخبارها مثلما اهتمت الحكومة المصرية. فعني الملوك والأمراء والعظماء بتسجيل أعمالهم، وتدوين حوادثهم، ووصف نواحي حياتهم المختلفة: الحياة السياسية والدينية والاجتماعية، وحاولوا إعطاء الخلف صورة واضحة عن حياة السلف. وكانت فلسفتهم التاريخية الاستعداد في هذه الحياة الدنيا للحياة الآخرة، فالحياة الدنيا ليست دار قرار ولا دار عدالة. وكما اهتم المصريون القدماء بتدوين أخبارهم حاولوا تشويه معالم تاريخهم. فكانت هناك محاولات فردية قام بها بعض الملوك لطمس معالم تاريخ من سبقوه. ولكن لحسن الحظ لم تنجح مثل هذه المحاولات نجاحاً تاماً

وقد ظل مظهر القصص والسياسة يغلبان على دراسة التاريخ مدة طويلة في العصر القديم. ومن بعد عهد المؤرخين الرومان من أمثال سالوست Sallust وليفي Levy وتاكيتوس Tacitus أصبح التاريخ فرعاً من فروع الأدب وانحطت دراسته. ولقد أغفل المؤرخون القدماء ما نسميه الآن بالتاريخ العام فما كانوا يعترفون بغير الإغريق والرومان؛ وما عداهم من الأمم فكانوا « متبربرين »

ثم جاءت المسيحية ونمت، فلم يعد المؤرخون يهتمون بأنباء الوثنية أو بالماضي الوثني، وإنما اهتموا بالمسيحية ذاتها. وكان للمسيحية فلسفتها التاريخية الخاصة بها، فحوادث هذا العالم — كما ترى — سائرة وفق نظام إلهي لتمهيد الطريق لظهور المسيح؛ وعلى فكرة ظهور المسيح يتوقف تاريخ ما قبل المسيح وما بعده، فبعده تقاسي الإنسانية أنواع العذاب إلى يوم القيامة. وقد وجدت هذه الفلسفة أحسن تعبير لها في كتاب القديس أغسطين « مدينة الله ». وقريب من هذا فلسفة المسلمين التاريخية في العصور الوسطى إذ يرون أن العالم سائر وفق نظام وضعه الله له إلى يوم القيامة، في ذلك اليوم يجزي الله الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى

أما نظرية التطور والتقدم[1] فلم تظهر واضحة في العصور

(١) Freeman and Rendall: Schools of Hellas ص ٢٣٠، ٢٣١

(١) لتاريخ نظرية التقدم في التاريخ انظر: Bury: The Idea of Progress.

الوسطى ، وإن كانت مبادؤها قد وضعت فى الماضى الإغريقى . لأن الفكرة المنتشرة فى أوربا فى هذه العصور كانت فكرة الخطيئة الأولى ، خطيئة آدم وحواء وليس هناك مجال للتقدم والتحسن . ويغلب على التاريخ فى ذلك الوقت نوع الحوليات ، يضعه فى الغالب رجال الدين الذين يهتمون بانتقاء المعجز والغريب من الأخبار ، وربما كان خير مثل لهؤلاء جريجورى التورى . أما فى الشرق عند المسلمين فكانت الحالة قريبة الشبه فكان الاهتمام « بالنقل » هو الظاهرة البارزة ، وكانت النزعة الدينية غالبة ، أما روح النقد الحقيقى كما نعرفه فى الوقت الحاضر فما كانت موجودة إلا عند القليل

سادت فكرة تفوق القديم بصفة عامة فى العصور الوسطى ، بل كانت مسيطرة على عقول عدد كبير من رجال النهضة . فكانوا يعتقدون فى تفوق الإغريق والرومان فهم أرباب العلم والأدب والفن فما وصلوا إليه هو درجة الكمال لا يمكن الزيادة عليه . ولكنه بالرغم من ذلك بدأت تظهر فكرة التقدم واضحة فى عصر النهضة نفسه . فكمياڤلى لا يرى الإنسانية سائرة فى طريق التقهقر — بدأت تظهر فكرة التقدم واضحة عند ما أخذ الإنسان يشعر بأنه حر الإرادة يستطيع تحديد مستقبله إلى حد كبير . فبودن Bodin وهو من أعلام المؤرخين يرى أن التاريخ يعتمد على مشيئة الإنسان ، ففى كل وقت تظهر قوانين وعادات ونظم جديدة كلها من صنع الإنسان ، ويلاحظ قانوناً عاماً هو أنه ليس هناك انحطاط مستمر بل رقى تدريجى .

نشبت إذن معركة بين القدامى والمحدثين ، بين الذين يقولون بتفوق الماضى والذين يقولون بتفوق الحاضر ، وظهر الإيمان بنظرية التقدم على يد فونتنل Fontenelle [1] فى القرن السابع عشر . يقول فونتنل : « ليس هناك فرق بيننا وبين أجدادنا إلا أنهم سبقونا فى ميدان العلم فكانوا المخترعين الأول ، ولو كنا محلهم لقمنا بمثل ما قاموا به ، ولو كانوا محلنا لعملوا مثل ما نعمل ، فنحن نجلهم أكثر مما ينبغي كما سيجلنا أبناؤنا فيما بعد » . وجاءت ثورة ديكارت الفكرية التى أعلنت استقلال الإنسان فى أعماله مؤيدة فكرة التقدم . ويضيف ليبنتز فيقول : « وعلى مر الأيام سيصل الإنسان إلى درجة من الكمال لا نتصورها اليوم »

ازدادت العناية بالتاريخ فى العصور الحديثة لحركة النهضة وللكشف الجغرافى . درس الإنسانيون التاريخ ، لأنه يفسر لهم العالم الإغريقى والرومانى القديم ، وكان فى نظرهم خادماً للأدب ، ولما قامت حركة الإصلاح الدينى زادت أهمية التاريخ إذ وجد فيه المصلحون أسلحة قوية ضد ادعاءات البابا ؛ واهتم به المفكرون الاجتماعيون لأنه يفسر فى نظرهم نظرية التقدم والنمو . فلا عجب إذا عنى المؤرخون بجمع الوثائق وتنظيمها . والاهتمام بالعوامل الجغرافية فى دراسة التاريخ

ولقد جاء منتسكيو وڤلتير وقالوا بقيمة العوامل الطبيعية فى تسيير التاريخ « فليست الصدف هى التى تحكم العالم فى نظر منتسكيو [1] ، فالظواهر السياسية كالظواهر الطبيعية لها قوانينها العامة » ويرى أن الأخلاق تعمل على رفع الشعوب وأن العوامل الجغرافية والمناخية تؤثر فى مجرى الحياة الإنسانية . أما ڤلتير فقد اهتم بتاريخ الشعوب ففى كتابه « عصر لوى الرابع عشر » أعلن أن غايته ليست وصفاً لعمل فرد وإنما لعقل الأفراد وللروح التى تسيطر عليهم . ولقد نحا نحوها الطبيعيون أو الفيزيوقراط وقالوا إن الإنسانية ولو أنها ترتكب كثيراً من الأخطاء إلا أنها سائرة فى طريق التقدم ، وأن الناس يعملون بوحى قوانين إلهية لا يستطيعون النكول عنها ، هذه القوانين ترمى إلى صالح الفرد وإلى صالح الجماعة

وكان للثورة الفرنسية فلسفتها التاريخية ، فكوندرسيه يرى أن التاريخ يوضح نظرية التقدم ويساعد على تعيين اتجاهها فى المستقبل ، وحوادث التاريخ فى اعتقاده تدل على أن الطبيعة لم تضع حداً لنمو الإنسان ، وأن رقيه نحو الكمال رهين ببقاء العالم ، وأن تقدم الإنسان بطئ تارة وسريع تارة أخرى ، ويستطيع الإنسان التكهن بالحوادث إذا عرف القوانين العامة للظواهر الاجتماعية ، ويمكن معرفة هذه الظواهر من دراسة التاريخ

ومن القرن الثامن عشر لم يعد الاهتمام التاريخى مقصوراً على دراسة الأشخاص والشعوب ، بل أخذ يمتد إلى دراسة الحضارة أو ما يسميه الألمان Kulturgeschichte . وقد زاد الاهتمام بدراسة التاريخ فى القرن التاسع عشر على يد نيبور Niebuhr رانكه Ranke المؤسس للمدرسة التاريخية الحديثة ، فزادت العناية بالرجوع إلى المصادر الأصلية للتاريخ وإلى دراسة نواحيه المختلفة وامتد نفوذ هذه المدرسة إلى بقية أجزاء أوربا وأمريكا .

(البقية فى العدد القادم) **محمد مصطفى صفوت**

(١) هناك فصل جيد على فونتنل فى Bury : The Idea of Progress ص ٩٨ — ١٢٥

(١) Considerations on the Greatness and Decadence & the pomus (١٧٣٤)

مفاوضات الفتح العربى لمصر

للأستاذ السيد يعقوب بكر

– ٢ –

(ب) المفاوضة الثانية

ورد لنا عنها روايتان :

الرواية الأولى

١ – ذكرها أبو المحاسن (ص٩) نقلاً عن ابن عبد الحكم فى كتابه فتوح مصر قال : « ودخل عمرو إلى صاحب الحصن فتناظرا فى شىء مما هم فيه ؛ فقال عمرو : أخرج وأستشير أصحابى ؛ وقد كان صاحب الحصن أوصى الذى على الباب إذا مرّ به عمرو أن يلقى صخرة فيقتله ، فرّ عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال له : قد دخلت فانظر كيف تخرج . فرجع عمرو إلى صاحب الحصن فقال له : إنى أريد أن آتيك بنفر من أصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت . فقال العلج فى نفسه : قتل جماعة أحبّ إلىّ من قتل واحد ؛ فأرسلَ إلى الذى كان أمرَه بما أمره من أمر عمرو ألا يتعرض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم ؛ فخرج عمرو » .

فواضح من هذا أن المفاوضة كانت فى حصن بابليون نفسه بين عمرو وصاحب الحصن (وهو المقوقس بدون شك ؛ لأن ابن عبد الحكم يقول قبل ذلك فيما نقله عنه أبو المحاسن (ص٨) إن المقوقس كان حاضرا الحصن حين حاصره المسلمون) .

٢ – وذكرها المقريزى (الخطط ج ٢ ص ٦٥ ط النيل) نقلاً عن ابن عبد الحكم أيضاً .

٣ – وذكرها السيوطى (حسن المحاضرة ج ١ ص ٦٤ – ٦٥ ط إدارة الوطن) نقلاً عنه أيضاً .

٤ – وذكرها الواقدى (فتوح الشام ومصر ج ٢ ص٣٠ – ٣٢ ط اليمنية) . قال : « ... وإذا برسول أرسطوليس قد أقبل وقال : يا معاشر العرب إن ولى عهد الملك يريد منكم أن تبعثوا له رجلاً منكم ليخاطبه بما فى نفسه فلعل الله أن يصلح ذات بينكم ...

فلبس عمرو ثوباً من كرابيس الشام وتحته جبة صوف ، وتقلّد بسيفه ، وركب جواده ، وسار ومعه غلامه وزدان ، وسار الثلاثة إلى قصر الشمع ... فدخل عمرو وهو راكب حتى وصل إلى قبة الملك ، ورأى السريرية والحجّاب وقوف والبطارقة وهم فى زينة عظيمة ، فلما رأى عمرو ذلك تبسم وقرأ : (فما أوتيتم من شىء فتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ... فأمروا عمراً أن ينزل عن جواده ، فنزل وترجل ، وجلس حيث انتهى به المجلس ، وأمسك عنان جواده بيده ويده اليسرى على مقبض سيفه ، ونظر إلى زينتهم وزخرفة قصرهم فقرأ : (ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون ، وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) ثم قال : اعلموا أن الدنيا دار زوال وفناء ، والآخرة هى دار البقاء . أما سمعتم ما كان من نبيكم عيسى وزهده وورعه ؟ كان لباسه الشّعر ووساده الحجر وسراجه القمر . وقد قال نبينا صلوات الله عليه : إن الله أوحى إلى عيسى أن نح على نفسك فى الفلوات ، وعاتبها فى الخلوات ، وسارع إلى الصلوات ، واستعمل الحسنات ، وتجنّب السيئات ، وابك على نفسك بكاء من ودّع الأهل والأولاد ، وأصبح وحيداً فى البلاد . وكن يقظان إذا نامت العيون ، خوفاً من أمر لا بد أن يكون . فإذا كان روح الله وكلمته خُوّف بهذا التخويف ، فكيف يكون المكلف الضعيف ؟ وأول من تكلم فى المهد قال : إنى عبد الله ، فإذا كان أقرّ لله بالعبودية فَلِمَ تنسبون إليه الربوبية ؟ تعالى الله ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ، ولا أشرك فى حكمه أحداً ، جلّ عن الصاحبة والأولاد ، والشركاء والأضداد . لا صاحبة له ولا ولد ولا شريك له ولا وزير ، ليس لأوليّته ابتداء ، ولا لآخريّته انتهاء ، ولا يحويه مكان ؛ ليس بجسم فيُمس ، ولا بجوهر فيُحَس ، لا يوصف بالسكون والحركات ، ولا بالحلول والكيفيات ، ولا تحتوى عليه الكميات ولا النافع ولا الضرّات . ثم إنه (يعنى عمراً) قرأ (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدّهم عدًّا ، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) . فقال له الوزير : أصحّ عندكم معاشر العرب أن المسيح تكلم فى المهد ؟ قال : نعم .

قالوا له : فهذه فضيلة قد انفرد بها عن جميع الأنبياء . فقال عمرو : قد تكلم فى المهد أطفال منهم صاحب يوسف وصاحب جريج وصاحب الأخدود وغيرهم . فقالوا : يا عربى ، أتكلَّم نبيكم بغير العربية ؟ قال : لا ، قال الله فى كتابه : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم فَيُضلّ الله من يشاء ويهدى من يشاء) . قالوا : أبعث الله منكم أنبياء غير نبيكم ؟ قال : نعم . قالوا : من ؟ قال صالح وشعيب ولوط وهود . قال : فلما سمعوا كلام عمرو وفصاحته وجوابه الحاضر قالوا بالقبطية للملك : إن هذا العربى فصيح اللسان جرىء الجنان ولا شك أنه المقدّم على قومه وصاحب الجيش ، فلو قبضت عليه لانهزم أصحابه عنا . قال وغلام عمرو وردانُ يسمع ذلك . فقال الملك : إنه لا يجوز لنا أن نغدر برسول لا سيما ونحن استدعيناه إلينا . فقال وردان بلسان آخر ما قالوه ، ففهم عمرو كلامه . ثم إن الملك قال : يا أخا العرب ، ما الذى تريدون منا وما قصدنا أحد إلا ورجع بالخيبة ؟ وإنّا قد كتبنا إلى النوبة والبجاوة ، وكأنكم بهم قد وصلوا إلينا . فقال عمرو : إننا لا نخاف من كثرة الجيوش والأمم وإن الله قد وعدنا النصر وأن يورثنا الأرض ، ونحن ندعوكم إلى خصلة من ثلاث : إما الإسلام وإما الجزية وإما القتال . فقالوا : إنّا لا نبرم أمراً إلا بمشورة الملك المقوقس ، وقد دخل خلوته ، ولكن يا أخا العرب ما نظن أن فى أصحابك من هو أقوى منك جناناً ولا أفصح منك لساناً . فقال عمرو : أنا ألكن لساناً ممن فى أصحابى ، ومنهم من لو تكلم لعلمت أنى لا أقاس به . فقال الملك : هذا من المحال أن يكون فيهم مثلك . فقال : إن أحبَّ الملك أن آتيه بعشرة منهم يسمع خطابهم . فقال الملك : أرسل فاطلبهم . فقال عمرو : لا يأتون برسالة وإنما إن أراد الملك مضيت وأتيت بهم . فقال الملك لوزرائه : إذا حضروا قبضنا عليهم ، والأحد عشر أحسن من الواحد . ووردان يفهم ذلك . ثم إن الملك قال لعمرو : امض ولا تبطىء علىَّ . فوثب عمرو قائماً وركب جواده ، فقال الملك بالقبطية ، لأقتلنهم أجمعين . فلما خرج من مصر قال له وردان ما قاله الملك . فلما وصل إلى الجيش أقبلت الصحابة وسلموا عليه وهم يقولون : والله يا عمرو لقد ساءت بك الظنون . فأقبل يحدثهم بما وقع له معهم وبما قالوه وبما قاله وردان فحمدوا الله على سلامته »

فواضح من هذا أن الواقدي متفق مع ابن عبد الحكم فى مكان المفاوضة ، ولكنه يختلف عنه فى أحد طرفى المفاوضة ؛ فبينما يقول ابن عبد الحكم إنها كانت بين عمرو وصاحب الحصن المقوقس ، يقول الواقدى إنها كانت بين عمرو وأرسطوليس ؛ وأرسطوليس هذا هو – فيما يحدثنا الواقدى (ص ٢٥ – ٣٠) – ابن المقوقس ، وقد قتل أباه لما أدركه من ميله إلى الإسلام ورغبته فى أن يُسلم ملكه للعرب ، ثم قام مقامه والناس جميعاً يظنون أنه يقوم مقام أبيه أثناء غيبته تلك التى اعتاد أن يتغيبها طول شهر رمضان من كل سنة

ولا يرد ما يؤيد هذه الرواية فى كتاب حنا النقيوسى

وإذا صح ما ترويه الرواية العربية من وقوع مفاوضة فى ذلك الوقت فى حصن بابليون ، فليس من شك فى أنها كانت بين عمرو من ناحية ، والمقوقس من ناحية أخرى كما يقول ابن عبد الحكم ، لا بين عمرو وأرسطوليس كما يزعم الواقدى . ونحن نرفض ما يقوله الواقدى لسببين جوهريين : الأول أننا لم نلتق بهذا الاسم (أرسطوليس) فيما قرأناه من سائر الكتب التى تتحدث عن وقائع الفتح . والثانى أن المقوقس توفى فى ٢١ مارس سنة ٦٤٢ (بتلر ص ٣١٣) فى حين أن الحصن سُلِّم للعرب فى ٩ إبريل سنة ٦٤١ (بتلر ص ٣٢٨) ، فليس صحيحاً إذن أن المقوقس قُتل قبل تسليم الحصن . ويخيل إلينا أن الواقدى قال بوقوع المفاوضة بين عمرو وأرسطوليس لا المقوقس ، لأنه كان يعتقد فى حب المقوقس للعرب ، وإيمانه بدعوتهم ، وتصديقه لرسولهم ، صلوات الله عليه ونقده لما جاء به بولص (الواقدى ص ٢٤ و ٢٧) فلا يكون من طبائع الأشياء إذن أن يحاول اغتيال عمرو قائد العرب ، وإنما يلزم أن يكون غيره هو الذى دبر هذه المكيدة .

على أن الأستاذ بتلر يرفض هذه الرواية فيقول (تعليق ٣ ص ٢٢٣) : « ولا نشك فى تكذيب هذه الرواية ووصفها بأنها اختلاق ووهم ، ونقول هنا إن هذه القصة نفسها قد ذكرها (ابن بطريق) عن غزة فى فلسطين » .

ونحن ، اعتماداً على ما يلقيه الأستاذ بتلر على هذه الرواية من ظلال الشك ، نرفض هذه الرواية كذلك أو نشك فيها على الأقل . وواضح جداً أن القصة التى تقصها إنما وضعت للتدليل على دهاء عمرو وسعة حيلته .

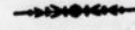
(للبحث بقية)

السيد يعقوب بكر

سقوط بولندة

للشاعر « توماس كامبل »

للأستاذ محمود عزت عرفة



انطوت ثلاثة أعوام كوامل على حادث اجتياح « بولندة » الذى اندلعت بسببه نيران هذه الحرب القائمة ؛ وفى الواقع أن بلداً من البلاد لم يُمنَ بمثل ما مُنيتْ به « بولندة » من عدوان جاراتها المتتابع عليها ... ففى منتصف القرن الثامن عشر — وكان نظام الإقطاع إذ ذاك يفتك بعوامل الاستقرار والهدوء فيها — أحست الدول الطامعة فى امتلاكها — لأول مرة — بسنوح الفرصة التى طال ارتقابها ؛ فاقترح فردريك الأكبر ملك بروسيا على كل من النمسا وروسيا الاشتراكَ معه فى اجتياح هذه البلاد . وتم ذلك عام ١٧٧٢ م ، حيث اقتسم الجميع ثلث مساحتها ، فى حين وضعوا لسائرها استقلالاً اسمياً ، وتركوا السلطة الحقيقية فى يد معتمد روسى يقيم فى « وارسو »

وبعد عشرين عاماً من هذا التاريخ ، اتجهت أنظار أوربا جميعها إلى فرنسا وثورتها العارمة ؛ واختلس الروس هذه الفرصة فاجتاحوا بقية بولندة واحتلوا عاصمتها عام ١٧٩٢ م

وقد لاذ الوطنيون البولنديون بأذيال الفرار ، حيث تجمعوا بإقليم سكسونيا (فى شمال بوهيميا) ، وكونوا حزباً سياسياً قوياً برئاسة كوشيسكو

وكان هذا الأخير ممن تعلموا فى فرنسا ، وتغلغلت فى نفوسهم روح الحرية منذ طفولتهم ؛ وقد اشترك فى حرب الاستقلال الأمريكى انتصاراً منه للروح الوطنية أنَّى وجدت ... فكان فى الواقع خير من يقود مثل هذه الحركة !

وقد بدأ بتأليف جيش قوى تربص به حتى اندلع لهيب الثورة فى بولندة عام ١٧٩٤ م . فدخل البلاد منتصراً ، واحتل « وارسو » ، حيث أنشأ حكومة وطنية حرة ... وهنا استنجد الروس بالبروسيين ، وتمكنوا متحدين من هزيمة الوطنيين واحتلال وارسو مرة أخرى عام ١٧٩٥ م

وقد وقع « كوشيسكو » يوم ذاك أسيراً ، وجرت مذبحة رهيبة عند جسر مدينة براغة (شرق وارسو) راح ضحيتها عدد وفير من الوطنيين البولنديين ... واتفقت حينئذ كلمة روسيا وبروسيا والنمسا على محو بولندة نهائياً من مصور أوربا السياسى ! فكانت تلك أشنع صورة للطغيان يسجلها تاريخ القرن الثامن عشر ؛ وقد ضجت أوربا والعالم المتحضر جميعاً لهذا الحادث الذى بدا فيه مبلغ استهتار القوة المسلحة بحقوق الأعزل الضعيف !

وفى هذه القصيدة يصور لنا « توماس كامبل » — وقد عاش بين سنتى : ١٧٧٧ م ، ١٨٤٤ م — مأساةَ « بولندة » فى عام ١٧٩٥ م

وهو يبدو فيها معبراً عن شعور الوطنيين ومحبى الحرية فى العالم جميعاً ، ممن آسفهم هذا الحادث وأرمض نفوسهم ... ولسنا هنا بسبيل ذكر كفاح بولندة لتخليص استقلالها طيلة القرن التاسع عشر ، أو إيضاح ما تلا ذلك من أحداث انتهت باحتلالها الأخير فى أول هذه الحرب الحاضرة ؛ فلكل ذلك مواضعه من أبحاث التاريخ ؛ وإنما نختم هذه المقدمة الضرورية بقولنا : إن قصيدة « سقوط بولندة » نشرت — لأول مرة — فى عام ١٧٩٩ م — أى بعد مأساة السقوط بأربع سنوات — ضمن ديوان للشاعر عنوانه « مباهج الأمل » ... وها هى ترجمتها :

أيتها الحقيقة المقدسة ! لقد تخلى عنك النصر ، ولكن إلى حين ، وفارقتْ أختكِ « الأملَ » ابتسامتُه أسفاً عليك ... عندما توجه الظلم الغاشم بجحافله إلى معترَك الشمال ، وتحركت فرسانه من العُتاة أُولى القوة ، ومشاته من « البندوريين[1] » ذوى السبال والعثانين : خافقة أعلامهم الرهيبة مع نسمات الصباح مدويةً طبولهم فى دقات كهزيم الرعد ، مرتفعاً رنين أبواقهم فى شبه العويل ... !

إنه الفزع الأكبر فى ضجيجه وعجيجه ، يتحدَّر مع طلائع الشر منذراً بولندة والعالم كله بالويل والثبور !

... أشرف بطل فارسوفيا الأخير[2] من مربأه العالى على

---

(١) فرقة من الجيش النمسوى تنسب إلى بندور Pandour ، وهى قرية من قرى هنغاريا

(٢) هو كوشيسكو Kosciusko الذى أشرنا إليه ، وقد اعتقل عقب هزيمة فارسوفيا عام ١٧٩٥ م ثم أطلق سراحه بعد حين . ولما رد عليه الأمبراطور سيفه تكرمة له رفضه قائلا : « ما حاجتى إلى حمل مثله ولست بذى وطن فأذود عنه ! » وقضى بقية أيامه فى فرنسا حيث توفى عام ١٨١٧ م

مهول ألم بها الخراب واجتاحتها جوائح الدمار ، فصاح من قلب منكوء :

يا إلهي ، ضمد جراح وطنى الكليم ... أما ثمة يد قوية تشد أزر الأبطال المجاهدين ؟ ولكن ... لِتعثْ فى أرضنا شياطين الفناء ، ولتُشْجِم عليها سحائب المنايا ... فالوطن حى برغم ذلك باق ؛ وباسمه الرهيب نشهر أسيافنا البواتر ... فانهضوا يا رفاق ؛ وأقسموا جميعاً أن تعيشوا من أجله أو تموتوا فداء له !

***

قال البطل هذا ، ثم انكفأ إلى رجاله البواسل ينظمهم صفوفاً خلف الأسوار الحصينة ... فئة قليلة لا ينقصها الإيمان ولا تعوزها النجدة ... قوة متماسكة مرهوبة السطوة ، تخطو فى ثبات وفى أناة معاً : مترفقة كأنها النسيم العابر ، متدفقة كأنها العواصف الهوج !

... وانتقلت الأصوات خفيضة هامسة تموج مع الهواء موج البنود ، مرددة شعارهم الذى به يتعارفون : « الانتقام ... أو الموت » ؛ ثم ارتفع الضجيج عالياً قوياً يستلب النهى ، وطنّت نواقيس الإنذار تعلن الخطر الداهم ، وتبلغ التحذير الأخير !

***

ولكن ... يا للأسف ! عبثاً أيتها القلة الباسلة أن تنتال قذائفك مدوية كالرعد بين الصفوف ... إنها لأشنع صورة وأدماها يسجلها التاريخ فى سِفر الأيام ! (سَرْمانيا[1]) تسقط صريعة فى غير جرم ، فما تُبكى عليها عين بقطرة من دمع ... !

واهاً لها ... لم تجد الصديق كريماً ولا العدو رحيماً ... !

لم تسعفها القوة وهي فى سلاحها وعدتها ، ولا أبقت عليها الرحمة وهى فى محنتها وبلواها ...

هو رديْنيُّها العسّال من يدها الواهنة قِصَدا ، وأغمضت عيناها الوامضتان ببريق الحياة ، وناءت بكاهلها أثقال الطغيان ، فما أطاقت النهوض

ها هو ذا الأمل يقرع سمع الدنيا بكلمة الوداع مولياً عنها إلى حين ؛ والحرية تعول صارخة إذ ترى (كوشيسكو) يهوى من عليائه ...

***

(١) سرمانيا Sarmatia : اسم قديم لبولندة

انحدرت الشمس إلى مغربها وما وقف سيل الدماء المواثر ، وبدد ضجيج القتل والقتال سكون الليل الفارق فى غفوته ، وألقت لُهب الدمار ظلالها على قناطر (براغة) الفخمة[1] ؛ وتحدرت المياه من أسفلها مخضوبة بالدم القانى . ثم أعولت العاصفة فطغت على صرخات الجزع وصيحات الوهل المتصاعدة ؛ بينا أفسحت الحصون الصماء للغزاة طريقاً مهادها الأشلاء

ألا أصيخوا ... إن الأبنية المحترقة لتنهار فى دوى يصم الآذان ؛ ومئات الأصوات الواهنة تجأر فى طلب الرحمة والغوث وهى يائسة منهما ؛ حتى لكأنما الأرض تزلزل زلزالها ، والسماء ترمى من رجومها بكل شهاب ثاقب ! ...

إنها الطبيعة وقد أدركت هول الفاجعة تضطرب من أعماقها؛ والكون بأجمعه يهتز جزعاً لهذا البكاء والإعوال

***

أيتها الأرواح الذواهب . أرواح الأبطال الكماة وكل ذوى النجدة من الهالكين ... يا من استنزفوا دماءهم ولفظوا آخر أنفاسهم فى ساحات القتال من مَرَاثون[2] ولِكْترا[3] ...

يا حلفاء العالم وأصدقاء الإنسانية جميعاً : أشهروا سيوفكم من جديد لأجل (الإنسان) ؛ حاربوا فى سبيل غايته المقدسة ؛ وقودوا طلائعه إلى النصر . ثم كفروا بالدم الصبيب عن دموع « سرمانيا » التى تحدرت وهى بالنجيع مخضوبة ؛ واجعلوا لها من العتاد والعدة كما جعلتم لأوطانكم ...

آه لو يرتد إلينا الزمن برب الوطنية وربيبها (تيل)[4] ... أو بالملك الفارس (بروس)[5] بطل (بانُكبِرن) ... إذن لكان للحرية بهما قوة ؛ ولأوى الحق منهما إلى ركن شديد !

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

(١) براغة Praga : مدينة شرقي وارسو ، عندها جرت الذبحة الهائلة التى ذهب ضحيتها كثير من الوطنيين البولنديين . وهى غير (براج) الكائنة بتشكوسلوفاكيا

(٢) تقع مراثون Marathon على مدى ٢٥ ميلا من أثينا ، وفيها انتصر الاغريق بقيادة ملتيادس على جيوش الفرس عام ٤٩٠ قبل الميلاد

(٣) لكترا Leuctra : قرية واسم موقعة فى اليونان هزم فيها إبا مينداس الطيبي قوات اسبرطة عام ٣٧١ ق . م

(٤) تيل Tell : محرر سويسرا وبطلها القوى ، ولا يعرف تاريخ حياته على وجه التحقيق

(٥) Bruce : روبرت بروس ملك اسكتلندا الذى استرد حرية وطنه من الانجليز بعد أن انتصر عليهم فى موقعة بانكبرن عام ١٣١٤ م

فى معبد الشاعر المصري

للأستاذ ابراهيم صبرى

مترجمة بقلم الأستاذ عثمان على عسل

ابراهيم صبرى : شاعر موهوب من شعراء اللغة التركية ، وهو يعيش فى مصر فى غربة متصلة أكثر من عشرين عاماً ، يعيش فى داخله لا أنيس له إلا شيطان شعره . شاعر يترنم أو ينوح لنفسه . شعلة تتوهج لا يراها إلا الظلام الدامس ، يا للعجب !

ثم انتقل الشاعر إلى جو جديد من الشعر بين صحابة يعيشون فى بلادهم فى غربة كغربته . استمع الشاعر التركى إلى أنين الشعر العربى الذى تناثر فى جو « المعبد » ، وأصغى إلى الترنم الحزين الذى اشتركت فى إيقاعه نفوس تحن فى غربتها ، وتلفف روح الآلام العربية فعانقها بشوق وصبابة

احترقت النفوس فى نار الغربة المستعرة ، وحول دخانها العطرى طافت أشباح الصحابة : « الشاعر محمود حسن إسماعيل الذى تهدى إليه القصيدة ، ويحيى ... ، وسعيد ... ، وعبد السلام ... ، وعبد الرحيم .. ، والشاعر التركى إبراهيم صبرى ، ومحمود ... وعثمان ... » . وفى معبد الغربة المحترقة أقيمت شعائر الألم المتوهج ، والأحزان المتضرمة ، وانبعثت روح العطر تتصاعد من نار غريبة متأججة ، ومن هذا الجو المشتعل قبس الشاعر التركي لأشعاره ناراً خالدة أضاء بها زاوية من المعبد قد نامت فيها ساعة من الزمن فرت إليه من جنة الخلد .

(عثمان)

ذات يوم حوَّم شيطان شعرى فى جوِّ حياتى ، وحدَّثنى حديثاً من الشعر ، قال :

« لقد اتخذتُ من أودية الحقيقةِ مسكناً وبقيتُ فيها إلى الآن ، فليكن هدَفُ جناحك الذى يُسِفُّ بك إلى الأرض جوًّا جديداً متعاليا . ولا ريبَ أن السمٰواتِ الحرَّة لا تُشبه مَنفاكَ الضيق ، فليرافقنى يَراعك محلِّقاً فى سماء الخيال ، ليطَّلع على المعنى الخفىِّ فى « ديوان » الفلك ، فيكتب أشعاراً أسطورية دَعْ عنك هذه الأفكار التى صوَّرْتَ بها هذه الأرض البالية ، وليكن لونُ أشعارك من لونِ الفجر والشفق ، ولتكن أنغام نظمك من وزن نظام النجوم »

***

وإذا بقوة سحرية قد تسلطت على سمعى وخيالى فعَرَجْتُ إلى السماء كأنى فى غيبوبة ، واحترقت روحى بلهيب لا يُرىَ ، وتصاعدت كالبخار حتى انتهيت إلى السحاب . وكانت نظرتى هى صلتى الأخيرة بالأرض التى احتجبت وراء الغيوم . لا أدرى كم مكثتُ فى الظلام حين وجدت نفسى فى ساحة معبدٍ التقيت فيه بشيطان شعرى ؟ وبدا لى أن هذا المكان الذى يسمي « المعبد » كأنه يحتوى على الدهر : قبته رأس شاعر عبقرى شيد عرشه السامى فى مملكة الخيال ، وقد بسط سلطانه على دولة الشعر ، اشتعلت نار العبقرية فى رأسه كالبركان فتألق جو المعبد بأضواء هذه النار . وبعد لحظة ترددت فى المعبد أنغام وألحان ، وتقدمت لاستقبالنا حور أمسكن بأيديهن مجامر البخور ، فانتقلنا إلى عالم خرافى يفوح بالعطر ، وقد تربع الشاعر منزوياً بغير اكتراث فى زاوية الصَّمت ، وأمامه موقد النار قد وضع على حجر سحرى . من نظر إلى هذه النار خيل إليه أنها صِيغت من الشمس لأنها تتوهج بضياء كأنه احتوى على لألاء النجوم . وكأن الشاعر قد أذاب الملوم وألقاها فى سعيرها فتصاعد دخان براق يتمثل فيه الذكاء . أنشأ فى الجو قوساً متموجاً تختال أمواجه مصقولة من لجُيْن وعسجد ، فاعتلى الشاعر هذا القوس وبيده آيات شعره ، بينما رقصت أشباح أبدعت فى الرقص وغنت بألحان لا تسمع . كأن فى حلقات الدخان معانى مبهمة أحاطت بالنفوس فأثارت فيها عاطفة سامية غير بشرية تكاد تشبه السكر ، لو أن السكر يأتلف مع العبقرية . كان بريق النظرات وهّاجاً بينما كانت الأجسام خامدة كأنها احترقت بطلَّسم ، تاركة الروح وحدها .

***

رقص الشاعر مع شيعته كأنهم يتهادون فى الفضاء ، وأقام شعائر المعبد ، ثم أطرق كأنه يسجد . ولو أقامها كاهن مجوسى لما أبدع كما أبدع ، ولما اهتزت له أركان المعبد كما اهتزت للشاعر ، وكأنما الشاعر يستمد ألهامه من الهند والصين ، فهو ينشر فى جوه من محرابه خيالات تتضوَّع بالعطر ، فتسرى فى نظمه قوة سحرية تجعل قوافيه تتجلَّى فى صورة بوذا

***

اجتمعت بالشاعر فى ساحة المعبد ، وتآلفت روحى مع أعماق

حق الامام في نسخ الأحكام

لعالم فاضل

نشرت مجلة (الرسالة) الغراء كلمة قصيرة تحت عنوان «محاولة قديمة جريئة فى الفقه الإسلامى» ؛ وقد ذكر فى هذه الكلمة أن من الفرق الإسلامية من يعطى الإمام حق نسخ الأحكام ، وأن الإمام أبا جعفر النحاس ذكر ذلك فى كتابه «الناسخ والمنسوخ» ؛ ولا شك أن ما تذهب إليه تلك الفرقة - إن صح - هو الوسيلة الوحيدة لما يراد الآن من تطويع الفقه الإسلامي لمجاراة الظروف والأحوال ، حتى لا يجد المسلمون فى العمل به حرجاً فى أى زمن من الأزمان ؛ وقد قال الله تعالى : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) ؛ وقال أيضاً فى بيان الغاية من بعثة النبى صلى الله عليه وسلم : (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم) . فالدين الذى جاء لرفع ما كان فى الأديان قبله من أغلال ، لا يمكن أن يقر أغلالاً على أتباعه فى أى زمن ، لأن هذا لا يتفق مع غايته ، ولا تتحقق معه تلك الميزة التى امتاز بها على الأديان قبله

وإنما كان ذلك هو الوسيلة الوحيدة لتطويع الفقه الإسلامى لمجاراة الظروف والأحوال ، لأن ما يذهب إليه بعضهم فى ذلك من جعل وظيفة الإسلام روحية بحتة ، لا يتفق مع حقيقة هذا الدين ، فقد جاء بعد أديان بعضها يغلب جانب الروح على المادة ، وبعضها يغلب جانب المادة على الروح ؛ فعمل على الموازنة بينهما ، وجعل من غايته إعطاء كل منهما حقها ، حتى لا تطغى إحداهما على الأخرى ، ليتم بهذا نظام العمران ، ويتلاءم الدين مع طبيعة الاجتماع البشرى ، لأن كل دين لا يتلاءم مع هذه الطبيعة ، يكون غلا عليها ، وتكون تكاليفه فوق طاقتها ؛ وقد قال الله تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)

وكذلك ما ذهب إليه بعضهم من تقسيم التشريع الإسلامى إلى دائم ومؤقت ؛ فهو لا يفى أيضاً بتطويع الفقه الإسلامى لمجاراة الظروف والأحوال ، لأن جعل التشريع المؤقت ما صدر عن النبى صلى الله عليه وسلم بشخصية الإمام المجتهد ، وجعل التشريع الدائم ما صدر عنه بشخصية الرسول المبلغ عن الوحى ، ومن يدرس التشريع الإسلامى يعرف أنه من المتعذر تمييز ما صدر عن النبى صلى الله عليه وسلم بهاتين الشخصيتين ، ويرى أنه مع إقرار الوحى لأحكام الاجتهاد ، لا يكون هناك فرق بينها وبين الأحكام الصادرة عن الوحى الصرف ، وهذا إلى أن ما يراد الآن هو تطويع الفقه الإسلامى لمجاراة الظروف والأحوال ولو لم يكن مصدره شخصية الإمام المجتهد ، حتى يكون تطويعاً شاملاً كاملاً ، ولا يوجد فيه ما يعوق هذا الفقه عن مسايرة أى زمن ؛ وهذا لا يمكن إلا بما تذهب إليه تلك الفرقة من إعطاء الإمام حق نسخ الأحكام ؛ ولهذا قلنا : إنه هو الوسيلة الوحيدة لتطويع الفقه الإسلامى لمجاراة الظروف والأحوال

ونريد بعد هذا أن نبين أن الإمام أبا جعفر النحاس لم ينصف فى عرض مذهب تلك الفرقة فى إعطاء الإمام حق نسخ الأحكام لأنه لم يعن إلا بالرد عليها ، ولم يبين ما استندت عليه فى إعطاء الإمام ذلك الحق ، مع أن كل عاقل لا يمكن أن يصدر فى أحكامه عن الهوى ، بل لا بد له من سند قوى أو ضعيف يعتمد عليه

مريرته . لمحت فى يده يراعاً قد أمسكه بقوة سحرية شيطانية ؛ هو يُصَوِّر العالم بهذا اليراع . إن شاء استرسل فى وصف العشق فأبكى القلوب الميتة كما بكي هو من الهجر والضنى ، وإن شاء أودَعَ الرياح أسراراً تحملها إلى سَوالِف حبيبته . إن البحار صورة حية للحرية ، لكنها تبدو له أحياناً كأنها أسرى مقيدةٌ بسلاسل أمواجها ؛ وإنه ليستنشق النسيم فيتحوّل فى صدره إلى زفرات تترنم بالأنين . لو شاهدت ألهامه لرأيت عالماً آخر . العالم بلا حبيبة ، هو — عنده — عالم لا وجود له ! ومن هى حبيبته ؟ وما هى ؟ سرٌّ مجهول !! فى عينيه ظلال لا تزول حتى فى الظلام . نظراته غاسقة كأنها ممتلئة بألوان حسناء سمراء . وهو يرسل هذه النظرات إلى النيل فيخيل إلىَّ أن غرامَه غارق فى لججه ، فهو يبقى على ضفافه ساهراً ساهداً لعلَّ الحَبَاب يتحدَّث بغرامه ؛ والدموع تنحدر من مقلتيه فى محاذاته كأنها تسيل وراء شعر حسنائه المسترسل فى مجراه ... ! لقد اتخذ وادى النيل معبداً لعبقريته ، كأنه أفُقٌ يشرف على حدود الدهرْ المطلقة ، والقارئ أمامه كذرّة لا يدرى ما هو هذا العالم ، ولا يدرك ما هى هذه الأفلاك ؟

عثمان حلمى

فى أحكامه ، ويحمله على مخالفة غيره ؛ وقد فاته أيضاً أن يبين كيف يستعمل الإمام هذا الحق عند تلك الفرقة ؟ أيستعمله كما يشاء ويهوى ، فيكون الحكم فى ذلك للهوى المذموم ولمصلحة الإمام دون مصلحة الرعية ؟ أم يستعمله للمصلحة العامة ، ويحكم فيه بالاجتهاد منه ومن أهل الحل والعقد فى الأمة ؟ ولا بد أن هذه الفرقة لا تعطى الإمام ذلك الحق إلا على الوجه الثانى ، لأنه لا يوجد عاقل يعطى الإمام حق نسخ الأحكام بحسب الهوى ، فيكون عرضة لسوء استعماله ، واستخدامه فيما يضر الرعية ولا ينفعها

وإذا كان الإمام أبو جعفر النحاس قد فاته بيان مستند تلك الفرقة ، وجرى فى ذلك على عادة فقهائنا فى العمل على إماتة كل مذهب يخالف المذاهب المشهورة ، حتى فقدنا بذلك ثروة فقهية لا يستهان بها ، وكانت تنفعنا فى كل أزمة تشريعية تحصل لنا ، كالأزمة التشريعية التى نعانيها فى عصرنا ، إذا كان قد فاته ذلك فإنا نحاول أن نبين هنا ما يمكن أن يكون مستند تلك الفرقة فيما ذهبت إليه ، بدون أن نحمل أنفسنا تبعة ما نسوقه ونحكيه ، لأن من يحكى ما يمكن أن يكون مستند القول من الأقوال لا يصح فى أدب المناظرة تحميله تبعته ، وإنما هو كناقل لا يلزم إلا بتصحيح النقل

فما يمكن أن يكون مستند تلك الفرقة أن الله تعالى ذكر فى كتابه الكريم أنه شرع لنا من الدين ما وصى به نوحا والأنبياء من بعده ، فشريعة الله إذن واحدة لا تقبل التغيير والتبديل ، وليس الإسلام فى صميمه إلا تلك الشريعة الثابتة من عهد نوح ، أما تلك الفروع التى تضاف إليها فإنها ليست من صميمها ، ولهذا تختلف فيها الأنظار ، وتقبل التغيير والتبديل بحسب الظروف والأحوال

ومما يمكن أن يكون مستند تلك الفرقة أن الله تعالى ذكر تشريع النصارى للرهبانية بعد عيسى عليه السلام ، فلم يذم تشريعها منهم ، بل أقر ابتداعهم بقوله تعالى : (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) فلا بأس إذن فى كل تشريع حسن بعد الأنبياء ، والإسلام فى ذلك مثل غيره من الأديان

ومما يمكن أن يكون مستند تلك الفرقة أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى المسلمين حق التشريع بعده ، وذلك بقوله : « ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » ، وبقوله أيضاً : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر فاعلها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر فاعلها إلى يوم القيامة »

ومنها أن أهل الصدر الأول لم يتحرجوا من التغيير والتبديل فى الأحكام على ما اقتضته المصلحة العامة فى عصرهم ، فأبطل عمر التغريب فى الزنا حين فرَّ بعض من غرَّبهم إلى بلاد الروم فتنصر ، وقد طلب منه نصارى تغلب أن يجعل جزيتهم صدقة كالمسلمين على أن يدفعوا ضعفها له فقبل ذلك منهم ، وكذلك زاد عثمان فى أذان الجمعة حين كثر سكان المدينة فى خلافته ، وأسقط معاوية حد السرقة عن قوم أشراف سرقوا فى عهده ، وقدم مروان بن الحكم خطبة العيد على صلاته حين رأى الناس ينصرفون بعد الصلاة ولا يجلسون للخطبة

فهذه كلها وجوه يمكن استناد تلك الفرقة عليها ، كما يمكن أيضاً ردُّها عليهم ، ولو أن الإمام أبا جعفر ذكر ما تستند عليه لأغنانا عن تكلف تلك الوجوه ، وقضى بذلك حق الإنصاف والتاريخ

(ع)

الفن والحيـــاة (*)

فهمُ الشىء رؤيتُه فى موضعه الحقيقى بين سائر الأشياء . ولا يقف العلم عند الجزئى أو عند الفرد إلا لـكي يكشف عن القوانين التى تربط ذلك الجزئى أو ذلك الفرد بباقى العالم . ولـكن إذا نظرنا إلى الأشياء من الناحية الجمالية ، فإن كل شيء يبدو لنا كأنه كلٌّ متميز تام ومحدد ، ونحن لا نتمتع بصورته إلا لأنها تمثل لنا شيئاً متميزاً له خصائص تعريفية خاصة . ولما كنا نحن — وحدنا — عاجزين عن خلق مثل تلك الصورة ، فإن الفن يسارع لمساعدتنا .

وتنتمى العاطفة العقلية sentiment intellectuel إلى طائفة العواطف الوجدانية sent. sympathique ، مثلها فى كل ذلك مثل العاطفية الجمالية sent. esthetique . ولـكن العاطفة الجمالية تتجلى فيها المشاركة الوجدانية أكثر مما تتجلى فى العاطفة العقلية ، لأن هذه الأخيرة تحددها علاقة الأشياء فيما بينها أكثر مما تتحدد بعلاقة الشىء الجزئى نفسه بماهيته الخاصة . كذلك تنتج العاطفة الجمالية مما نبحث عنه لنوحد به بيننا وبين الأشياء فنحيا حياتها وندخل عنصر المخيلة فى حياتنا الخاصة . وهناك لذة جمالية تنتج من استخدامنا لأعضائنا استخداماً حراً ، أى أنها ترجع إلى اللعب الذى نقلد فيه أعمالاً يباشرها الإنسان بحكم العادة من أجل غايات هامة وعملية . ويمكن أن نسمى كل فن لعباً ما دام يقدم لنا صورةً ما ، أعنى إنتاجاً مثالياً للحياة الواقعية كلها أو أجزاء منها .

وتتخذ العاطفة الجمالية فى نموها وانتشارها مظهراً خلقياً هاماً ، فحين تسيطر على الإنسان بجمله ينسى نفسه أمام قيمة الأشياء ، فلا يعود يفكر فى نفسه ذلك النوع من التفكير الأنانى المبتذل . ويتضمن الجمال الحقيقى قوة تجبرنا على تذكره وإرادة رؤيته ثانية وعلى حبه والإعجاب به . والشخص القادر على إنتاج الأشياء الجميلة ، مثل من ينظر إلى الأعمال الفنية أو أعمال الطبيعة من وجهة النظر الجمالية ، يحس ميلاً نزيهاً نحوها (أى غير أنانى) وفى نفس الوقت تتيقظ فيه قوى الحدس والانتباه والإنتاج بحركة قوية متسقة ويضاف إلى ذلك عنصر مثالى آخر .

عرّف أرسطو التراجيديا بأنها تقليد حدث عظيم يثير الشفقة والخوف فى الإنسان ويظهرهما . وما يقال عن التراجيديا يمكن أن يقال عن كل ألوان الفن المختلفة . فاللعب (وكذلك الصورة) يثير نفس ما تثيره الأحداث الواقعية التى يمثلها من عواطف ، ولـكن بشكل آخر تستخفى فيه العناصر المؤلمة والأنانية فى تلك الأحداث . والحوادث الواقعية تفاجئنا وتقع مباغتة ، فلا نتمكن من كشف ما بينها من ارتباط واتصال ، ولذا يبدو لنا أنها تحدث بمقتضى الاتفاق والصدفة فقط ، وهذا هو السبب فى أنها تقدم لنا أشكالاً متعددة ومختلفة تثير عواطف متعددة ومختلفة . ولـكن الأمر على عكس ذلك فى الفن ؛ فكل شىء هنا له غرض معين هو إثارة انفعال كلى واحد يتناسب مع خطوط الشىء أو الحدث الضرورية والتعريفية المميزة . ويستخرج الفن سماته الضرورية من صورة الشىء الفردية دون أن يذهب إليها ، وبذلك نتخلص من التنافر ونستقبل تأثيراً واحداً معيناً ، فيكون من السهل أن نندمج ونتوحد بعواطفنا فى الشىء الممثل ، وهذا هو سبب أن الإنتاج الفنى يجعلنا نفهم الأشياء فهماً أحسن ، وإن كان لا يقدم لنا طبعاً شرحاً علمياً . ولـكن إذا كانت التراجيديا تثير الشفقة والخوف وتظهرهما ، فإن الكوميديا تظهر عاطفة القوة والعاطفة الشخصية ؛ وما تثيره من ضحك ليس فى الحقيقة تهكماً أو استهزاء ، ولـكنه عاطفة تحرر وخلاص ، تأتى من رؤيتنا الصغائر والدنايا والمتناقضات والشرور ظاهرة عارية ساخرة على معرفتنا فى نفس الوقت أنها جزء من الحياة .

وقد بحث كثيرون فى علاقة الجمال بالأخلاق ، وإلى أى حد يتفق العمل الجمالى أو الظاهرة الجمالية مع مطالب الأخلاق ، وتساءلوا هل الصور والنقوش المحسوسة وغيرها جائزة ومباحة ولا تتعارض مع الأخلاق أم لا ؟ وفى الحقيقة ليس هناك محل لمثل هذا التساؤل ؛ ففيما يختص بمادة العرض وشكله لا يوجد أى اختلاف أو تنافر بين ما يقتضيه الجمال فى الواقع وما تسمح به الأخلاق ، فكل ما له قيمة جمالية لا بد أن يكون متفقاً مع التعاليم الأخلاقية . وفى صلة الفن بالبيداجوجيا نجد أنه لا يمكن السماح بوضع كل قصيدة ، ولا أى قصيدة ، بين أيدى الأطفال فيتداولونها فيما بينهم . ولـكن ذلك لا يتصل بالقيمة الجمالية ولا

(*) ملخصة عن الفرنسية عن كتاب : H. Höffding. Morale

يحط منها ، فإن الذى تهيج نزعاته الحسية أو الشهوية من أثر نقش مثلاً إنما يحدث له ذلك لأنه لم ينظر إليه من الناحية الجمالية فلم يتطهر ميله وهواه ، بل جاء الأمر على العكس وهاجا بشدة . وذلك الشاب الذى يحدثنا عن لوسيان أنه أغلق على نفسه معبد أفروديت وقضى فيه ليلته يعتنق تمثالها ، لم تدفعه إلى ذلك فى الواقع العاطفة الجمالية ، بل شىء آخر

وعليه ، إذا كان الفن يعنى حياة مثالية ، فإن القيمة الفنية يجب أن تطابق القيمة الحيوية وتناسبها . وبالتالى قيمة العمل الفنى لا ترتكز فقط على النبوغ أو العبقرية ، بل على الحياة التى يمثلها كذلك . ويجب على الفنان القيمى أن يصارع فى سبيل سيادة وجهة نظره نحو الأشياء حتى يقبلها الناس . ويرجع جزء كبير من المعارضة ضد الواقعية الجمالية الحديثة إلى أن الناس يبحثون فى الفن عن اللهو أو الراحة فقط ، فهم لا يحبون أن يواجهوا مرارة الحياة وأحزانها ، ولا يريدون أن يثيرهم الخوف والشفقة ؛ قد اعتادوا على تذوق التراجيديا القديمة والإعجاب بما فيها من ضربات القدر القاسية ، ولكنهم لا يمكنهم احتمال تراجيديا حديثة مثل تراجيديا « إبسن » مثلاً المسماة «أشباح» . والواقعية الحديثة فى الأعمال الكبرى لم تصنع شيئاً إلا أن جعلت النظر إلى الحياة الواقعية أعمق عن ذى قبل . فالفن إذن يباشر عملاً تربيوياً إذ يفتح عيوننا ويقوى مشاعرنا وأنفسنا لمقابلة الحياة وجدّها ، ويهيج وجداناتنا ضد ما فيها من شرور ، ويرينا كيف أن الحياة الإنسانية مغلولة ومسجونة فى سجن سحيق بعيد . فالشاعر مثلاً يمكنه أن يعلمنا ويهيئنا لتقويم الأعمال أحسن من أى فلسفة خلقية

وبالرغم من عِظَم المكان الذى يشغله الفن فى الحياة ، فإنه لا يمكن أن يقوم مقامها . ولا يمكن أن ينظر الفنان الحق إلى الحياة الواقعية كشىء فنى بسيط . فهو فى فنه يبحث عن العمل أكثر مما يبحث عن التسلية ، وينظر إلى فنه كعمل جِدّى اجتماعى . ومَثل الفنان مَثل العالِم يرى الحياة فيحاول أن يريها للآخرين مثلما رآها هو . ولكن الهواة يرون الحياة لعباً حتى إن شيللر يقول : « إن الإنسان لا يكون إنساناً إلا حين يلعب » فهو يرى أن العيش فى دنيا الخيال واللعب هو عمل الإنسان الذاتى ، ويجب أن يكون للانسان قلب حر كيما يتخلص من ضغط الواقع وسيطرته ويذهب إلى الحياة المثالية والواقعية فى الفن — مثلها فى ذلك مثل الرومانتيكية تماماً — تجعلنا نعيش في عالم خيالى أغراباً عن الواقع . فالواقعى حقيقة غارق بدوره فى الخيال كالمثالى ؛ وخطر ذلك أعظم على الواقعى منه على المثالى ، لأن المثالى المعتدل يعيش فى عالمين : عالم الأحلام المثالى ، والعالم السفلى الوضيع ، فهو يتهكم من هذا الأخير ، ولكنه بالرغم من ذلك يعرف كيف يقبله ويراه على ما هو عليه ، فلا يكون الاستهواء الجمالى عليه كبيراً مثلما هو عليه عند الواقعى الذى يريد إشباع مخيلته من المؤثرات الواقعية نفسها

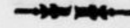
وليس الفن عملاً صغيراً بسيطاً يختص به بعض الناس دون غيرهم ، أو ينفرد به عصر دون غيره من العصور . بل الفن شىء عام لكل أمة ولكل عصر منه حظ مقسوم . فلا بد أن يكون لكل أمة فنها الخاص ، ولا بد أن يكون لكل عصر فنه الذاتى . ومن العسير أن تكتفى أمة من الأمم بفن غيرها دون أن يكون لها فن خاص بها ، لأن كل أمة لا تعرف تماماً إلا نفسها وما يمكن أن يؤثر فيها من مظاهر حياتها تأثيراً جمالياً . والفنان يعكس تلك المظاهر الجمالية انعكاساً كاملاً ، لأنه يعيش فيها وقد اندمجت عواطفه بها . وعلى العموم يمكن أن يُقال إن هناك أساساً مشتركا من الفكر والحساسية لكل شعب وكل عصر يمثله الفنانون لنا ويعكسونه ، فترى أنفسنا كما لو كنا نحيا فيه ، مثلما فعل هوميروس ، ودانتى ، وشكسبير ، وجوته ، وغيرهم . إذ عرفونا تمام التعريف — خلال آثارهم وأعمالهم — بالحياة العقلية الإنسانية عند الأوربيين .

أحمد أبو زيد
كلية الآداب — جامعة فاروق الأول

بجماليـــون

تحية للكاتب وعرضه للكتاب

للأستاذ فخرى شهاب السعيدى



جاء كتاب توفيق الحكيم الجديد فى شكل حوار لأبطال بعثهم من أساطير اليونان ، وابتدع لهم من خياله الخصب عبارات ذلك الحوار ، وهيأ لهم جواً رمزيًا يصلح لهم ، وتتناوبهم فيه العواطف والمشاعر

ما الحياة ، وما الفن ، وما ميزان الحكم عليهما ؟ وما المرأة ، وما الرجل ، وما وجه المفاضلة بينهما ؟ وما فكرة الآلهة والمخلوقات وما مقاييس الأحكام على الأمور عندها ؟ ما الخلود ، وما الفناء ؟ وما العقل ، وما الجنون ؟ ! ما هى الحكمة ؟ وكيف توصف وتعرف وتقدر ، وما البطش بالقياس إليها ، وكيف يكون اتقاؤه والحذر من التورط فيه ، وهل إلى ذلك من سبيل ؟ ؟

وما هو الجمال وما هو الحب ؟ وما مقدار لصوقهما بالحياة واتصالهما بها ، وهل هما وقف عليها ؟ !

تلك — ومثلها أكثر منها — أسئلة البشرية الخالدة التى مرت بكل فكر ، وطلبت أجوبتها من كل حكيم ... وما دام البشر محدود القوى بالنقص والفناء ، فإنه سيفتن فى التساآل والأجابة ، وفى الأخذ والرد ، والإقناع والاقتناع ، كل هذا تطميناً لفضول القوى العاقلة التى تثيرها فى نفسه مشاهد الكون !

... أما عن الفن والحياة ، فهما لدى توفيق الحكيم فكرتان إحداهما تتم الأخرى لإبداع الكمال المطلق الذى يتخيله فى أذهانهم أرباب المثل العليا فى الحياة ، وهما من أجل إيجاد هذا الكمال ينبغى أن يكونا متلازمين تلازماً يضيق عنه إدراك البشر المحدود ؛ ومن هنا تبدأ عقدة القصة الفلسفية فى الظهور : فصانع التماثيل (المثَّال) « بجماليون » رجل فنى نزاع إلى الكمال المطلق ، ولكن نزوعه هذا نزوع يكتنفه الغموض ، لأنه لا يدرى به ولا يدرى كيف يستقيم له هذا الكمال : هو يريد الحياة ، لأن فى أعماق نفسه شعور الإنسان الحى الذى إذا رنا إلى غاية نفسه الحية ألفاها متمثلة فى الجسم النابضة عروقه بالحرارة والحياة ... وهو يحب الفن لأن فى طبيعته قبساً من عبقرية الخالقين المبدعين ... وفى سريرة نفسه الصافية التى مزجت قوة الإبداع بجمال الحياة ، استطاع أن يجمع بين النقيضين ؛ وإلى ذلك توصلت روحه ؛ ولكن عقله — وهو بشرى محدود — لم يهتد إلى سر التوفيق بين ما يقع تحت فهمه من تناقض ظاهر فى فكرتى خلود الفن وزوال الحياة ، وبين طمأنينة روح « بجماليون » ونفسه إلى هذا التنافر البين الواضح ..؟ وفى هذه المرحلة من القصة ، تصل الفكرة الفلسفية إلى أبعد أغوارها ، وتبدو عقدة الرمزية فيها رائعة الجمال ، تمثل أبرع تمثيل وأصدقه ما يقوم من خلاف بين العقل فى حدوده المادية من جهة ، وبين الروح والنفس فى جوهرها المتجانس الموحد من جهة أخرى . وعلى قدر سعة اختلاف النظرتين ، وبمقدار قصور العقل عن فهم ما تشمله الروح من آفاق ، وما تصل إليه النفس من حقائق ، يشتد الغموض على المثال البطل ، ويشتد كرب نفسه ، وتغشاه هموم الماء والعيش فى المجهول ... ولا يدرك هذا الألم النفسى الهائل الناشئ بين العقل والروح عن اختلافهما فى الفهم واختلاف طبيعتهما فى شمول الأشياء والنفوذ إليها ، إلا عبقرى كالبطل المثال ، أو عبقرى كالبطل الكاتب الحكيم !

وإذا عرفنا بعد هذا أن العقل هو الحكم فى هذه الخصومة التى بينه وبين الروح عرفنا شقاء هذا البطل الشاب « بجماليون » ومقدار الحيف الذى لحق روحه الشاعرة وقواه المبدعة وصفاء نفسه الجميل !

قال العقل [1] : « قوة الفن ! وما قوة الفن تلك التى يستطيع بها المالك أن يخلق الخالد ! »

وقال الفن [2] : « ردوا علىَّ عملى ... ردوا علىَّ « جالاتيا » كما كانت تمثالاً من عاج ... أيها الآلهة ، دعونى وشأنى ، لنفسى ومخلوقات نفسى ، ما أنا إلا صنوكم ونظيركم ؛ بل إنى عليكم

(١) ص ٣٩ (٢) ص ٨١

سموت ، وعلى قدرتكم تفوقت ، فأنتم ما فعلتم غير أن أفسدتم الجمال الذى أقت . . . أفسدتم جمالى الخالد ، أفسدتم جمالى الخالد » .

وقالت الحياة كلاماً كثيراً ولكن على غرار ما نطقت به قولها[١] : « نعم ! المودة والرحمة . . . أشياء تعطيها الحياة ، ولا يستطيع أن يعطيها الفن ! »

وقال المثّال كلاماً أطول من كلام الحياة ولكن كلمتين صدرتا منه أدين بهما في هذه الخصومة ، وهما قوله فى موقف المقارنة بين « جالاتيا » صنماً و « جالاتيا » امرأةً[٢] : « كل ما فيك محدود وكل ما فيها غير محدود » وقوله فى معرض الاعتراف بانكساره وخطيئته[٣] : « الخطيئة التى كُتِبَ على كل فنّان أن يحمل وزرها . . . الافتتان بالنفس ، الافتتان بالذات ! » ولولا صدور هذين الاعترافين لما حُكِم على « بجماليون » المثال العبقرى الحىّ أن يموت وعلى آيته « جالاتيا » الخالدة أن تحطم تحطيماً[٤] !

* * *

تلك هى الفكرة الرئيسية التى تقوم القصة عليها ؛ ولكن ليس معنى ذلك أن الأفكار الفلسفية الأخرى أقل منها روعة أو أضعف شأناً ؛ ففكرة الرجل والمرأة والمفاضلة بينهما ، وتميز الرجولة بشهامتها على الأنوثة بضعفها ومكرها ، وحبها الإطراء وانخداعها به ، وولوعها بالمكابرة ورغبتها فى الانتقام ، فكرة واضحة تامة الوضوح فى تصرفات الآلهة « فينوس » وفى هباتها وكلامها وكل دورها الذى قامت به فى المسرحية

أحب بعد هذا أن أشير إشارة سريعة إلى فكرة أحسبها أسمى الأفكار الرمزية التى وفق إليها الأستاذ فى هذا الجهد الرائع الجديد ، تلك الفكرة التى أزال بها الحجاب بين الحى والجماد ، وسما إلى نوع من الرمزية الحلولية الروحية التى لم تُقم للفارق العقلى الذى يأبه الناس له وزناً فى التفريق بينهما . بل اعتبرهما جدولين لا يلبثان أن ينصبّا فى خضم الوجود العظيم ، وهما إذا تمّا عن شيء فمن وحدة متجانسة ينضم إليها كل ما فى الكون والوجود . وإنك لترى ذلك واضحاً متمثلاً فى مخاطبة الجماد بأسلوب الأحياء ، وإنطاقه بما يعرب عن مثل أحاسيسهم ومشاعرهم . على أنه فى هذه المحاولة الناجحة لم يخرج عن كونه جاء بصورة أخرى للعذاب الذى لقيه المبدع البديع « بجماليون » حين تعذر عليه أن يمزج جمال الفن الخالد الذى أنطق الجماد به ، برقة الطبيعة الحية الفانية التى تمثلها جلاتيا امرأة سوية الخلقة رائعة التكوين . ولكن الفرق بين العبقريين : العبقرى المثال ، والعبقرى الكاتب الأديب ، أن الأول أطاع عقله واحترم مقاييسه المادية ، أما الثانى فقد استعار الحلول وسيلة إلى إظهار ما يريد بمظهر يصدق الاعتماد عليه[١]

أكتفى بهذا القدار لأسمع رأى الناقدين فى هذا الأثر الخالد المجيد . وإذا أذن الصديق فى سماع تحيتى وقبول تهنئتى فليسمع ذلك إذاً متجلياً فى قولى إن أثره هذا وإن يكن مصدره الغرب ، سيرتد بعد أن اتشح بوشاح من عبقرية شرقية إلى مصدره بعد قليل على قلم ناقل أو أسلة مترجم معجب محب !

فخرى شهاب السعيدى

---

(١) ص ١٦٤ (٢) ص ١٤٧ (٣) ص ١٧٣
(٤) آخر الفصل الأخير

(١) ص ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٤٥

أشـــعار صينية (*)

— ٧ —

أغنية «لو ـ فوه»

لشاعر صيني مجهول

(عاش حوالى عام ٦٠٠ م)

إذا ما برزت الشمس من الأفق ، أضاءت مسكننا ، مسكننا النير فى إقليم تسان

في إقليم تسان فتاة جيلة ، فتاة جيلة تسمى لو ـ فوه

لو ـ فوه فاتنة وعاقلة ، لو ـ فوه التى ترعى دائماً دود القز ، تسير أشواطاً بعيدة لتجمع له أوراق التوت

ولكى تذهب لجمع أوراق التوت ، تلبس لو ـ فوه عصابة يابانية ، تعلق أحجاراً مستديرة فى أذنيها ، ترتدى ثوبين : أحدهما أصفر ، والآخر وردى ، وتحمل سفطاً صغيراً مضفراً بالحرير الأزرق ...

وفى ذات يوم قابل حاكم المقاطعة لو ـ فوه فى طريق الغرب ، فأوقف أفراسه الأربعة ، وخاطب رئيس حراسه : « سل هذه الجميلة ما اسمها وكم عمرها ؟ »

أجابت لو ـ فوه : « فى إقليم تسان فتاة جيلة تسمى لو ـ فوه لم تتعدالعشرين، ولكنها لم تعُد صغيرة فقد جاوزت السادسةعشرة»

خاطب حاكم المقاطعة رئيس حراسه مرة أخرى : « إذهب واطلب إلى هذه الجميلة إذا كانت تريد أن تصعد إلى عربتى ؟ »

أجابت لو ـ فوه وعيناها إلى الأرض : « أليس للحاكم زوجة يحبها ؟ للو ـ فوه فى إقليم تسان خطيبها »

— ٨ —

زهرة الخوخ

للشاعر الصينى تسو ـ تيه

(٦٤٣ — ٧٠٦ م)

قطفت زهرة خوخ حمراء ، وأهديتها إلى حبيبتى ، التى فمها صغير أيضاً كزهرة الخوخ ، أحمر مثلها

أحضرت « سنونو » ذا أجنحة سود من عشه ، وأهديته إلى حبيبتى التى حاجباها يشبهان جناحى السنونو

وفى الصباح ، كانت زهرة الخوخ قد ذبلت ، وطار السنونو من النافذة التى تطل على الجبل الأزرق

ولكن فم حبيبتى ظل دائماً أحمر ، وحاجباها بقيا سوداوين

— ٩ —

سُرى ليلة صيف

الشاعر الصينى لى . تيى . بو

(٧٠٢ — ٧٦٣ م)

إنّا نبتعد عن الجبل الأزرق ، والقمر يتبعنا . الندى قد أثقل أكمام أثوابنا . إنا نعود ثانية قبل أن يطول بنا السير ، لكن ضباباً أبيض قد غطى القرية

اليد فى اليد وقد اقتربنا من حاجز مسكننا القديم ، حيث ينتظرنا أصدقاء

والآن نحن نسلك طريقاً على جانب الغاب الذى يمسنا مساً خفيفاً فى سيرنا

نحن جميعاً مؤتلفون . أية سعادة ! النبيذ المعطر يصب لى وأنا أغنى أغنية الريح بين الصنوبر . البلابل تردد معى ، والضفادع والحشرات كلها أيضاً

— ١٠ —

أمنيـــة

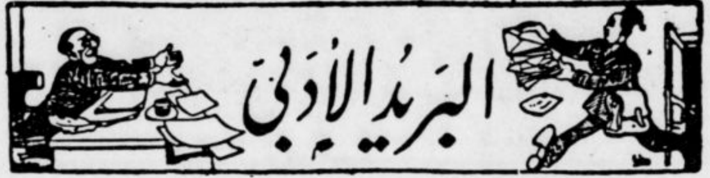
للشاعر الصينى هنج . سو . فانه

(١٨١٢ — ١٨٦١ م)

أيها الليل الفاتر ، يانور القمر ، ياراثحة أشجار التوت ، هبوا حبيبتى حلماً لذيذاً . اجعلوها لا تطيق الصبر عن رؤيتي ، وتأتى عند الفجر تدق بابى . ياراثحة أشجار التوت ، يانور القمر ، أيها الليل الفاتر ، ستدفنثى قبلاتها ، إذا استمعتم إلىّ

(بور سعيد) محمد وهبة

(*) راجع الرسالة العددين ٤٤٨ ، ٤٧١



فى ديوان صردر

اطلعت أخيراً على نسخة من ديوان « صرَّدُر » الذى أشرفت دار الكتب المصرية على طبعه ، فأخرجته منقحاً مضبوطاً بالشكل مع شروح وتعليقات مفيدة . ولكن يبدو لى أن هذه العناية لم تحل دون وقوع أخطاء بيِّنة ينبغى النص على أمثلة منها . وأنا مثبت هنا بعض ما عرض لى فى القصيدة الأولى ؛ وهى السينية التى قيلت فى مدح الخليفة القائم بأمر الله ، والتى مطلعها : (كما قُلتُما ، بُرء الصبابة فى اليَاس)

يقول صرَّدُر :

جيوشٌ من الأقدارِ تُفنى عداتِه

بلا ضَرب إيتاخٍ ولا طعْن أشناسِ

وقد جاء فى شرح هـذا البيت : (إيتاخ وأشناس : كذا بالأصل ، ولعل الأولى « أنباج » جمع ثبج وهو ما بين الكاهل إلى الظهر ، والثانية لم نوفق إلى مراد الشاعر منها) !

وأقول إن الصواب فى ذلك أن إيتاخ وأشناس اسمان لقائدين تركيين من أشهر قواد الخليفة المعتصم العباسى : اشترى أولهما عام ١٩٩ هـ — وكان غلاماً خزَريا طباخا — فرفع من شأنه ورشحه لأخطر المناصب ، حتى كان على رأس إحدى الفرق الثلاث التى دخلت بلاد الروم لفتح حصن عمورية عام ٢٢٣ هـ . وكانت حاله عند الواثق كحاله عند أبيه

وقد قتل فى أول عهد المتوكل عام ٢٣٥هـ

أما أشناس فكان غلاماً تركياً اشتراه المعتصم ورباه ، حتى تبوأ رفيع المراتب ؛ وقد توجَّه ووشحه فى احتفال مشهود عام٢٢٥هـ ؛ وجدد الواثق من كرامته والاصطناع إليه سنة ٢٢٨ هـ وبعد عامين من ذلك التاريخ توفى وهو فى أوج عظمته

... ويقول صردر بعد هذا ببيتين :

وقد عَلم المصرىُّ أن جُنودَه

بِسنُو يوسفٍ منها وطاعون عمْواسِ

أحاطتْ به حتى استراب بنفسه

وأوجس منهـا خيفةً أىَّ إيجاس

وجاء فى التعليق على كلمة (المصرى) : يشير الشاعر إلى الغلاء الذى حصل فى مصر أيام المنتصر العباسى الخ .

والغريب أن هـذا الخليفة الذى يذكره الشارح حكم فى بغداد بين عامى (٦٢٣ ، ٦٤٠ هـ) فى حين توفى صردر عام ٤٦٥ هـ ؛ وتوفى ممدوحه القائم عام ٤٦٧ هـ أى قبل وفاة المستنصر العباسى بقرن وثلاثة أرباع القرن . فكل ما ذكره إنما هو خلط بين الحوادث ووهم فى تبيُّن مراد الشاعر : والذى يبدو لى أن صردر يشير فى بيته إلى حادث تاريخى هام ، أوجزه فيما يلي :

قبيل منتصف القرن الخامس الهجرى تضعضع شأن آل بويه فى بغداد وآذنت دولتهم بالزوال . وقد نجحت وقتئذ فتنة أبى الحارث أرسلان المعروف بالبساسيرى (نسبةً إلى بَسا : مدينة بفارس) ؛ وهو غلام تركى من مماليك بهاء الدولة البويهى كاتب الخليفة المستنصر العلوى بمصر وعرض عليه الدخول فى طاعته والقضاء على خلافة العباسيين فى بغداد . ولما علم الخليفة القائم بذلك استنجد بسلطان السلجوقيين طُغرل بك الذى انتهز هذه الفرصة فدخل بغداد وقضى على بقية ملك البويهيين (أوائل عام ٤٤٧هـ) ثم خرج بعد حين لقتال أخيه لأمه « ابراهيم ينال » الذى خانه بإغراء بعض المصريين ومكاتباتهم ، فتمكن البساسيرى فى أواخر عام ٤٥٠ من اقتحام بغداد ؛ واستقام له الأمر فيها عاماً كاملاً لاذ الخليفة أثناءه ببعض من تكفلوا بحمايته من العرب .

ولما رجع السلطان من حربه عجز البساسيرى عن الصمود له ؛ فخرج بجيشه إلى الشام وتبعه طغرل بك إلى هنالك حيث أوقع به وقتله وحمل رأسه إلى بغداد

فالشاعر يشير بقوله : (وقد علم المصرى أن جنوده الخ ...) ؛ إما إلى ابراهيم ينال الذى انتقض بتحريض المصريين ، وإما إلى أبى الحارث البساسيرى الذى كاتب خليفتهم ودخل حاضرة العراق باسمه ، كما أنه لا يبعد أن تكون الإشارة إلى الخليفة المستنصر (العلوى) نفسه . ويكون ضمير « جنوده » فى كل ذلك راجعاً إلى ممدوح الشاعر الخليفة العباسى القائم بأمر الله .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

فى الشعر التمثيلى

ردًا على كلمة الأستاذ عبد الرحمن عيسى خريج كلية اللغة العربية — التى وجهها إلى والدى الأستاذ محمود البشبيشى وكان الصواب أن يوجهها إلى ، لأن كل ما يدور على لسانى فى حوار « جيل وجيل » فهو لى صياغة وممنى — نقول إننا لسنا ممن يتسفون الأحكام اعتسافاً ، وإنما استندنا فى حكمنا إلى قراءة واستيعاب وإلى مقال نشرته مجلة (المعرفة) ، ثم إننا لم نرد غير التاريخ لشعراء مصر والاعتراف بفضل شاعر كبير منهم . ولكن الأستاذ سكت طويلاً ثم وقف على الكنز الدفين فطلع على قراء (الرسالة) الغراء بحكم عام يصب النفى صباً على كل ما قررت ، وقد أبت عليه ثورة الفكرة واعتلاج الرأى فى صدره إلا أن يستعير صيغة عموم السلب المعروفة فيقول : (كل ذلك لم يكن) ! ! ولقد كان أليق بالأستاذ أن يقول : (لم يكن كل ذلك) ! وإذاً لهان الخطب ، وهو بحمد الله جد يسير ، فأى منصف يكابر فى أن عبد المطلب عالج الرواية الشعرية ؟ وأى منصف ينازع فى أن لعبد المطلب حيوية شعرية دفعت به إلى أن يسبق غيره من فحول شعراء مصر فى هذه الناحية ؟ ... أما إقحام الأستاذ لانتشار الشعر التمثيلى فى القرن التاسع عشر فى أرجاء أوربا فلا نجد له مكاناً فيما ذهبنا إليه من الكشف عن أثر الحيوية فى شعراء العربية بمصر فحسب . وفرق كبير بين الأدب العربى والأوربى ! ... وأما قوله : (ولا شك أن حادثة بلقاء كهذه قد وصلت إلى سمع عبد المطلب ...) فنحن لا ننكر أن يكون شيخنا الجليل قد سمع بها ، لأننا نعترف بصدق حيويته وسعة اطلاعه . ولكننا ننكر كل الإنكار توهم الأستاذ أننا قررنا حكمنا من غير أن نعلم (حادثة اليازجى البلقاء ...) فإننا لم نرد غير التاريخ للشعراء المصريين

وأخيراً هل يتفضل الأستاذ فيذكر لنا أى شرائط الفن تنقص روايات عبد المطلب ؟ ! ... لسنا فى مقام المفاضلة بين (عبد المطلب وشوقى) طيب الله ثراهما حتى نوازن بين شرائط الفن عند كليهما ، ولكنا نعرض فى حوارنا لحيوية الشاعرية ونثبت أنها تدفع بصاحبها دفعاً إلى أبعد الغايات . وهذا ما ظفر به عبد المطلب فى مصر مهما تكن قيمة إنتاجه . ولن أندفع اليوم إلى ما ليس له صلة بموضوع الخلاف ويكفى أن نسجل على الأستاذ قوله : (إنهما اشتركا فى الجنس) ولا يعنينا أن يكونا (مختلفين فى النوع) — على حد تعبير الأستاذ —

وبعد ، فما من شك عندى فيما قرره المرحوم الأستاذ محمود مصطفى . ومن حتى أن أقول إن المقام يحدد مجال البحث ، وأنا إنما بحثت فى حيوية عبد المطلب شاعراً مصريًّا افترع فن الشعر التمثيلى بين شعراء مصر فلا يضيرنى أن تنسب للشيخ اليازجى رواية مثلت أو طبعت فى سنة (١٨٧٨) أو قبلها

(المنصورة) حسين محمود البشبيشى

الخطأ والخطاء

وقفت (فى العدد ٤٧٩ من مجلة الرسالة) على استدراك الأستاذ الأفغانى على الأب الكرملى فى تسرعه إلى تخطئة استعمال كلمة (الخطأ) وزعمه أن الصواب هو (الخطاء) بالمد .

وإليكم فرقاً دقيقاً بين (الخطأ والخطاء) حققه الإمام أبو هلال العسكرى فى كتابه (الفروق اللغوية) حيث قال فى الصفحة ٤٠ :

« الفرق بين الخطاء والخطأ أن الخطأ هو أن تقصد الشيء فتصيب غيره ، ولا يطلق إلا فى القبيح ، فإذا قيد جاز أن يكون حسناً ، مثل أن يقصد القبيح فيصيب الحسن فيقال أخطأ ما أراد وإن لم يأت قبيحاً . والخطاء : تعمد الخطأ فلا يكون إلا قبيحاً ، والمصيب مثل المخطئ إذا أطلق لم يكن إلا ممدوحاً ، وإذا قيد جاز أن يكون مذموماً كقولك مصيب فى رميه قبيحاً . فالصواب لا يكون إلا حسناً والإصابة تكون حسنة وقبيحة . والخاطئ فى الدين لا يكون إلا عاصياً لأنه قد زل عنه لقصده غيره ، والمخطئ يخالفه لأنه قد زل عما قصد منه ، وكذلك يكون المخطىء من طريق الاجتهاد مطيعاً لأنه قصد الحق واجتهد فى إصابته »

محمد غسانه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 481

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 21 - 9 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٤٨١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ رمضان سنة ١٣٦١ — الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

ما يمكن تبــــديله

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى عدد مضى من (الرسالة) تعقيب على كتاب « عبقرية محمد » يستدعى التعقيب عليه ، لأن الكلام فيه باب من الكلام فى الأدب والتاريخ

ونريد به ملاحظة الأديب « محمد النجار » على ما كتبناه عن رواية النبى عليه السلام للشعر إذ يقول : (... فى ص ١٤٤ يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بشطرات من أبيات يبدل وزنها كلما أمكن تبديله . فكان يقول مثلاً : « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » لأنها لا تقبل التبديل ، ولكنه إذا نطق بقول سحيم بنى الحسحاس « كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا » قدم كلمة الإسلام فقال : « كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا)

ثم يعقب الأديب فيقول : (وتقسيم ما يتمثل به الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ما يمكن تبديله لم يورد المؤلف ما يؤيده ويقتضيه . والمثال الذى ذكره لما لا يمكن تبديله غير صحيح ، فإن تبديله ممكن ، وقد روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام تمثل به هكذا « ويأتيك من لم تزود بالأخبار » . راجع السيرة الحلبية فى باب الهجرة إلى المدينة)

* * *

والذى نعقب به على تعقيب الأديب هو الكلام فيما يمكن تبديله من الشعر والنثر وكل ما له معنى من القول

فإذا كان المقصود بالتبديل هو نقل كلمة فى موضع كلمة بغير نظر إلى المعنى والسياق فالتبديل ممكن فى كل كلام بلا استثناء ؛ إذ ليس للكلام قوة مادية تمنعك أن تقدم فيه وتؤخر كما تشاء ، وفى وسع كل قارئ أن يعمد إلى كتاب من الكتب فيقرأه عكساً وطرداً ومن أسفله إلى أعلاه ويضع الأول فى موضع الوسط والوسط فى موضع الأول ، ثم يعود فيصنع به مثل ذلك إلى غير انتهاء ، فلا يستعصى عليه عصى ولا يحول دونه حائل

وليس هذا بالبداهة هو التبديل المقصود حين نقول بإمكان التبديل أو استعصائه ، وإنما المقصود هو التبديل مع بقاء المعنى وبقاء المزية الكلامية أو المزية البلاغية التى من أجلها كان الشعر أو النثر مستحقاً لروايته والاستشهاد به

وكثير من المعنى ومن المزية البلاغية يتوقف على تقديم كلمة إلى موضع أخرى حتى فى العبارة التى لا تتجاوز كلمتين أو ثلاث كلمات

فالعالم زيد غير زيد العالم ، وما اختلف منهما إلا تبديل موضع الكلمتين

لأن « العالم زيد » قد تفيد أنك تخص زيداً بالعلم وتنفيه عن غيره ، وليس هذا مستفاداً من « زيد العالم » على هذا الوجه

وقد شرح علماء البلاغة دلالة التقديم والتأخير وعرض لها الإمام الجرجانى فقال مما قال فى دلائل الإعجاز : « ... إنه قد يكون من أغراض الناس فى فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه ، كمثل ما يعلم من حالهم فى حال الخارجى يخرج فيعيث ويفسد ويكثر به الأذى ، إنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يعنيهم منه شىء ، فإذا قتل وأراد مريد الأخبار بذلك فإنه يقدم ذكر الخارجى فيقول : قتل الخارجىَّ زيدٌ ، ولا يقول قتل زيد الخارجى ، لأنه يعلم أن ليس للناس فى أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة فيعنيهم ذكره ويهمهم ويتصل بمسرتهم ، ويعلم من حالهم أن الذى هم متوقعون له ومتطلعون إليه . متى يكون وقوع القتل بالخارجى المفسد وأنهم قد كفوا شره وتخلصوا منه ... » إلى آخر ما قال

على أن الحكمة فى التقديم والتأخير معنى من معانى العقل والمنطق وليست بقاعدة من قواعد اللغة وحسب

ولهذا ينص عليها فى جميع اللغات ولا يقتصر التنبيه إليها على لسان دون لسان

فالإنجليز مثلاً ينبهون إلى الفرق بين معانى العبارات إذا تغير موضع كلمة واحدة فيها ، ويمثلون لذلك بأمثلة كثيرة منها هذه الأمثلة الأربعة

١ — أنا « فقط » أتحدث بهذه القصة إلى فلان
٢ — أنا أتحدث فقط بهذه القصة إلى فلان
٣ — أنا أتحدث بهذه القصة فقط إلى فلان
٤ — أنا أتحدث بهذه القصة إلى فلان فقط

فالفرق بعيد جداً بين كل عبارة من هذه العبارات وبين سائرها لتغير الموضع الذى توضع فيه كلمة واحدة

لأن العبارة الأولى معناها أننى وحدى أتحدث بهذه القصة إلى الشخص المذكور

والعبارة الثانية معناها أننى أتحدث فقط ولا يصدر منى شىء غير الحديث ، وقد يتحدث به غيرى كذلك

والعبارة الثالثة معناها أننى أتحدث بالقصة فقط إلى فلان ، ولا يتعدى التخصيص ذلك ، فكل ما عدا هذا التخصيص فهو عام لا تقييد فيه

والعبارة الرابعة معناها أن المتحدث إليه هو فلان فقط وليس إنساناً غيره ، ولا تخصيص للقصة ولا للمتحدث ولا للحديث

وتبديل الوضع الذى توضع فيه كلمة فقط ممكن جداً لكل من أراده ، ولكن المهم هو المعنى الذى يترتب على هذا الإمكان . فإن كان المقصود أن نحافظ على معنى لا يتغير فالتبديل مستحيل أو كالمستحيل ، وإن لم يكن هنالك معنى مقصود فبدّل وقدّم وأخر كما تشاء

* * *

ونأتى إلى الأبيات التى نطق بها النبى عليه السلام فننظر ما ذا كان يترتب على التبديل فى مواضع كلماتها ؟

إن منها لأبياتاً لا يتغير منها شىء غير الوزن كالبيت الذى أنشده عليه السلام حين قال للعباس بن مرداس : أأنت القائل :

أصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ فإن البيت موزون على قول الشاعر :

وأصبح نهبى ونهب العبيـ ـد بين عيينة والأقرع

ولا فرق بين الوضعين إلا كالفرق بين قولك إن طنطا واقعة بين القاهرة والإسكندرية ، وقولك إنها واقعة بين الإسكندرية والقاهرة ، أو كالفرق بين قولك إن زيداً يجلس بين بكر وخالد ، وقولك إنه يجلس بين خالد وبكر

فهل الفرق بين قول الشاعر « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » وقولنا « ويأتيك من لم تزود بالأخبار » هو فرق من هذا القبيل ؟

إن كان الفرق من هذا القبيل فالتبديل ممكن ، وإن لم يكن كذلك فهو مستحيل أو كالمستحيل

والمفهوم الذى لا يغيب عن سيد الفصحاء هو أن المعنيين مختلفان .

فالمفهوم من قول الشاعر أن الأخبار هى المقصودة ، وأن الشاعر يورد قوله على سبيل الاستغراب أو التحدث بالغريب الذى لا ينتظر فى الأغلب الأعم أن يكون : تسمع الخبر الذى تنتظره من مسافر لم تودعه ولم تحفل بسفره ولم تنتظر إيابه ، وهذه هى الغرابة ! وهذا موقع التنويه والاستشهاد

أما قولنا : « ويأتيك من لم تزود بالأخبار » فهو شىء آخر فى معناه ، أو هو شىء لا يستشهد به فى الموقع الذى عناه الشاعر

فنحن لا نزود التاجر المسافر بزاد ، ولكنه يعود إلينا من السفر بالبضائع والتحف ولا نستغرب ذلك ، إذ لا وجه للغرابة فى أن يسافر المسافر ولا نزوده ثم يعود إليك بشىء من الأشياء . أما أن عنيت غرابة الأمر ، وعنيت الأخبار خاصة فلا بد من التقديم ومن إظهار ما يفيد هذه الغرابة

وهذا فضلاً عن التباس آخر فى قولنا : « ويأتيك من لم تزود بالأخبار »

إذ يحتمل أن يفهم السامع أن المقصود : « من لم تزوده أنت بالأخبار » ثم ينتظر تتمة الكلام

ولا وجه لهذا الالتباس إذا لم يتبدل موضع الكلام

فتبديل مواضع الكلمات ممكن إذا نحن لم نحفل بهذا الالتباس وممكن إذا نحن تركنا المعنى الذى من أجله نظم البيت واستحق أن يروى فى مقام الاستشهاد ، وممكن إذا صرفنا النظر عن كل معنى وكل مقصد

ولكنه مستحيل أو كالمستحيل إذا أردنا المحافظة على معناه . وهو فرق واضح لا يغيب عن سيد الفصحاء كما أسلفنا ، ولهذا رجحنا الرواية الغالبة ولم نكترث لغيرها من الروايات ، ولهذا كان ينبغى للأديب المعقب أن يتريث طويلاً قبل أن يجزم ويتحقق أن قولنا « لا يمكن تبديله غير الصحيح » فغير الصحيح هو ما قال وما قالته كل رواية توهم أن محمداً عليه السلام قد غاب عنه الفرق الواضح بين الروايتين

* * *

وما دمنا بصدد التعقيب على كتاب « عبقرية محمد » فلنذكر تعقيباً سمعناه من الذياع لطالب نجيب من طلاب الجامعة كان يتحدث عن هذا الكتاب ؛ فقد أشار إلى كلامنا عن موت إبراهيم بن النبى عليه السلام حيث نقول : « مات ذلك الطفل الصغير ومات ذلك الأمل الكبير : مات كلاهما والأب فى الستين . . . أى صدمة فى ختام العمر ؟ أى أمل فى الحياة ؟ الدين قد تم وهذه الآصرة قد انقطعت ، فليس فى الحياة ما يستقبل ويُنتظر : كل ما فيها للاشاحة والإدبار »

ثم عقب الطالب النجيب بما فحواه أن هذا يأس يتنزه عنه مقام الأنبياء

وكل ما نجيب به أن هذا ليس بيأس يتنزه عنه مقام الأنبياء ، وإنما هو علم بأن الحياة قد أصبحت للاشاحة والأدبار ، ومحمد عليه السلام كان يقول إن « معترك المنايا بين الستين والسبعين » فلا يأس فى انتظاره إدبار الحياة بعد الستين

إنما اليأس الذى يتنزه عنه مقام النبى أن ييأس من أداء الرسالة التى بعث بها إلى الناس ، وهذه قد تمت يوم مات ابراهيم ، فلا يأس فيها ، ولا حرج أن يقبل النبى بعدها على أخراه . وما قلنا عن محمد عليه السلام بعض ما قاله بلسانه الشريف حين قال إن ما به من موت ابراهيم ليهد الجبال . ثم استرجع . وما يكون الاسترجاع إلا أن يذكر الإنسان فى كل عمر أنه تارك الحياة وراجع إلى الله !

عباس محمود العقاد

تحية الأزهر فى عيده

للأستاذ محمد محمد المدنى

« مرت بالأزهر فى هـذا الأسبوع ذكرى فريدة ، لم يسجلها التاريخ لجامعة سواه : أتم ألف عام من عمره المبارك فى اليوم السابع من هذا الشهر الكريم « رمضان سنة ١٣٦١هـ » ، وقد أثارت هذه الذكرى فى نفس الكاتب ألواناً من المعانى رأى أن يسجل بعضها فى هذا الكتاب ويجعله تحية العيد »

أيها الشيخ الوقور :

يرفع هذا الكتاب إلى مقامك المعظم — فى أدب واحترام ، وإكبار وإجلال — واحد من أبنائك أنعم الله عليه وأنعمت عليه ، إذ بسطت له جناحك غلاماً ، وتعهدته برعايتك ناشئاً ، ومددت له من ظلالك كهلاً ، فأنت مولاه ذو الطوْل عليه ، وهو غرسك وسقيك وثمرتك . يحبك ويحسب لفرط حبه أنه أبر الناس بك ، وأوفاهم لمهدك ، ويغار عليك فيحمّل نفسه ما حمّلته وما لم تحمله من أعبائك ، ويرى حقاً عليه أن يشاطرك — بروحه وقلبه وقلمه — أفراحك وأحزانك ، فيشيد بأيامك ، ويرثي لآلامك ، ويكافح عنك ، ويسهر الليالى ضَنِيًّا بك ، مفكراً فيك ، يود لو يمتد به العمر حتى يراك وقد عاد لك سابق مجدك ، واجتمع إليك ما تفرق من أمرك !

واليوم ، وهذه ذكرى من ذكرياتك المجيدة ، يقف هذا الابن البار بين يديك خاشعاً مطرقاً ، يغضى حياء من مهابتك ، وينحنى إجلالاً لماضيك ، ويزجى إليك التهنئة فخوراً بك ، ويحيى فيك مهد العلم ، ومهبط الحكمة ، ومنبت الأدب ، وحصن الدين واللغة ، ومطلع الكواكب اللامعة من سماء مصر ينبعث بها النور فى الشرق والغرب يفيد منه أصدقاؤك وأعداؤك ، ويهتدى به من آمن بك ومن صدّ عنك !

* * *

هذا عيدك الألفى الفريد ، ذكرى لم تعرف مثلها الدنيا ، ولم يشهد مثلها الناس : ألف عام تقف من البشرية الحيرى موقف الرسل الهداة ، تحمل على الجهل وتبدد ظلامه ، وتنصر العلم وتحمى أعلامه

ألف عام تغالب الأهواء والنزعات ، وتختلف عليك الدول والنظم والسياسات ، ويبتسم لك الدهر حيناً ، ويعبس فى وجهك أحياناً ؛ ومرة تحتضن فأنت العزيز المقرب ، وأخرى تُضطهد فأنت الشريد المطَّرح ، ولكنك فى جميع أحوالك ثابت كالطود الشامخ ، تتكسر السهام حواليك ، وتتفرق الأعاصير على جانبيك

أنت تلقيت ميراث الإسلام يوم خلت الأرض كلها ممن يتلقى هذا الميراث الكريم . تلقيته فصنته ، وحفظت أمانته ، ورعيت حقه ، ووقفت دون العبث به والكيد له :

هذا كتاب الله بين يديك : تتلى آياته ، وتجوَّد لهجاته ، وتروى قراءاته ، وتفسر معانيه ، وتستنبط أحكامه ، وتدرس أسراره !

وهذه هى السنة المطهرة قد أينعت بك ثماراً ، وتباركت آثاراً ، وزكت أصولاً وفروعاً !

وإليك صار علم المدينة ، وفقه العراق ، ونحو البصرة ، وأدب الكوفة ، وتصنيف بغداد ، وفن قرطبة ، وما كان من فلسفة المتفلسفة ، وكلام المتكلمة ، ونزعات المتصوفة !

وبك وقى الله المسلمين عوادى الفتن ، فلم ترُج عندك شبهة ، ولم تدخل عليك نحلة ، ولم تخدع عن عقيدة ، ولم تستدرج إلى هوى ، ولم يطمع فيك من المبطلين طامع !

أنت حملت شعلة العلم عالية السناء ، وهاجة الضياء ، حين كان العالم فى أكثر بقاع الأرض سابحاً فى الأوهام

ألف عام ! يا له من ماض طويل ، فى جهاد نبيل ! فما لى إذن أراك وقد انفردت فى موقفك يوم عيدك الفريد ؟ أين مهرجانك ؟ أين مهنئوك ؟ أين الوفود تفد إليك من الشرق والغرب لتجعل على مفرقك التاج ؟ أين المستشرقون المستعربون ليضفروا لك أكاليل الغار ؟ أين كتابك ؟ أين شعراؤك ؟ بل أين « لجانك » التى ألفوها لهذا العيد تحضر له ، وتخط برنامجه ، وترتب نظامه ؟ أباقية هى ؟ فأين أعمالها ؟ أم حلت ؟ فمن ذا الذى أشار بحلها ؟ أم أدركها « داء اللجان » من قبلها ومن بعدها فقضى عليها فى مهدها ؟ !

أيها المعهد العتيق :

لقد ختمت بالأمس ألفاً ، وبدأت اليوم ألفاً ، ولكن ما أبعد الفرق بين أمسك ويومك :

كأنى أرى حلقاتك العلمية تحفها السكينة ، ويزينها الوقار ! عرفتها قبل أن تعرف أوربا نظام المدرجات الجامعية ، وأجريت فيها العقل على سجيته حراً كما خلقه الله ، نافذاً كما يجب أن يكون : يقول الشيخ ما يريد أن يقول ، ويناقش الطالب ما يرى أن يناقش ، وتجلى الغوامض على هينة ، وتحل العقد فى صبر وتؤدة ، لا وقت يعجلهم ، ولا شغل يشغلهم ، ولا رقيب عليهم إلا من ضمائرهم ! فأين منك اليوم هذه المجالس العلمية الجادة ؟ لقد أبدلك الزمان منها فصولاً دراسية متفرقة على نظم مقلدة غر أولياءك ظاهرُها الجميل فاكتفوا به ، وتغافلوا عما وراءه ، ولو فتشوا عن العلم فى هذه الفصول المبعثرة لما وجدوا إلا ألفاظاً وكلمات تلاك ولا تستساغ ، وأطرافاً من أوائل الكتب ومقدمات العلوم تمس مساً رفيقاً فى كل عام !

كأنى أرى علماءك الأولين ، وقد عكفوا على المكتبة العربية يدرسون نوادرها ، ويقلبون صحفها ، ويكشفون عن أسرارها ، ويشتارون للناس جناها ، ويعتصرون من ثمارها وثمارهم شراباً صافياً سائغاً للشاربين ! فأين من هؤلاء علماؤك الحاضرون ، وقد ذكروا أنفسهم ونسوك ، واشتغلوا بشئونهم وتركوك ؟ أليسوا إلى اليوم عالة على كتبك التى ألفها سلفهم الناشط ، لولاها لضلوا فى البحث والدرس سواء السبيل ؟ بلى ، وإن أحدهم على ذلك لو ألف كتاباً أو نشر بحثاً لتجدنه يملأ الدنيا صياحاً ، وينفخ أوداجه كبراً ، ويحسب أنه أتى بما لم يأت به أحد من الأولين والآخرين !

ما أبعد الفرق — أيها المعهد العتيق — بين يومك وأمسك ! لقد كان طلابك مُثلاً عُليا في الجد والإقبال على العلم ، ينقطعون إليك ، ويؤثرونك على أوطانهم وأهليهم ، ويرتشفون من مناهل علمك ، ويغترفون من بحار فضلك ، تدفعهم الرغبة المخلصة ، وتغريهم اللذة العلمية ، وكانوا مثلاً عُليا فى الخلق والاستقامة وحسن الطاعة ، لا يشارون ولا يمارون ، ولا يصيحون ولا يصخبون ، ويخفضون رءوسهم لأساتذتهم متأدبين ، ويستمعون إلى رؤسائهم طائعين ، أما اليوم فقد جرأهم الأساتذة ولحظهم الرؤساء ، وشغلتهم عن العلم المطالب والرغاب ، وأصبحوا لا يعملون إلا لاجتياز عقبة الامتحان : يُسألون فى ورقات معدودات دورين من لم يفز فى أولها كان فى الآخر من الفائزين !

أيها المعهد العتيق

لقد كان الشعب كله : أغنياؤه وفقراؤه ، حكامه ومحكوموه ، ريفه وحضره ، ينظرون إليك نظرة الإجلال والإكبار ، ويرفعونك إلى مرتبة التقديس ، ويمنحون أساتذتك ألقاب التكريم ، وأوصاف التعظيم : فهم « العلماء » من بين أهل العلم أجمعين ، وهم « أصحاب الفضيلة » من بين سائر الفاضلين ، وهم أعلام التقى ، ومثل الهدى ، وأهل الرأى ، وقادة الفكر ، وحماة الدين ، ورعاة الخلق ! وكان « رجل الدين » إذا أهل بطلعته على أهل حى عظموه وأجلُّوه ، والتمسوا بركته ، ورجوا خيره . وكان إذا تكلم فى قوم أصغوا إلى ما يقول فى خشوع وخضوع : أمره الأمر ، وحكمه الحكم ، ورأيه فى المعضلات هو الرأى !

أما اليوم فأنت ورجالك على هامش الحياة :

أنت سليب حريب . نقصوا أطرافك وعدوا على اختصاصك ، واستباحوا حماك ، وأغروا بك المنافسين ، يمدونهم بالمال والمناصب ، ويؤيدونهم بالجاه والسلطان ، ويحاسبونك على النقير والقطمير ، بينما يكيلون لغيرك بالشمال وباليمين !

ورجالك ! والهف نفسى على رجالك ! لقد اجتواهم المجتمع ، ونكرهم الناس ، وهانوا حتى على أنفسهم ، وفقدوا أو كادوا يفقدون مجدهم القديم ، وكأنى بهم الآن يقفون وراء الصفوف فى معترك هذه الحياة ، ينظرون بعيون كسيرة ، وقد وضعوا أيديهم على قلوبهم ، واحتبسوا أنفاسهم فى صدورهم ، خائفين وجلين لا يدرون متى تعصف العاصفة أو ترجف الراجفة !

أيها الأزهر :

بين ماضيك وحاضرك ! أحدهما يثير الفخر والإعجاب ، والآخر يثير الهم والاكتئاب ! وإنى مع ذلك أهنئك بالعيد ، ولا أحب لك أن تيأس « فإن مع العسر يسراً ؛ إن مع العسر يسراً » وإن الله الذى رفع لك ذكرك ، سيضع عنك وزرك ، الذى أنقض ظهرك . سلام عليك فى الأولين ، وسلام عليك فى الآخرين !

ابنك البار

محمد محمد المدنى

المدرس بكلية العربية

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

فرحة الأديب بالأديب — عصا إلياس — مع الأستاذ علوبة باشا — هلال شعبان وهلال رمضان — تقليد جيل — آداب إسلامية

فرحة الأديب بالأديب

عبارة « فرحة الأديب بالأديب » تعدُّ من مبتكرات ابن الرومى من حيث الصورة والمعنى ، برغم كثرة النظائر والأشباه فى تصوير هذا الخاطر الطريف . ومع أن أدباء هذا الزمان لا يفرح بعضهم بلقاء بعض إلا فى أندر الأحيان ، فأنا أفرح من أعماق القلب حين يصل إلى سمعى أن أحد الأدباء بَسَم له الدهر بعد عبوس ، وقد أطيل الشكر لله حين يظهر كتاب يشرّف أحد الباحثين ، كالذى صنعتُ حين ظهر كتاب « عيد الأزهر الألفى » للأستاذ محمد عبد الله عنان ، وكالذى سأصنع كلما ظهر كتابٌ جيّد ، ولو كان مؤلفه من ألدّ خصومي ، فقد قضيت أعواماً وأعواماً فى الحديث عن الحب إلى أن فاض القلب وامتلأ فلم يبق فيه لنائرة الحقد مكان

ولكن ما سبب هذه الخاطرة الوجدانية ؟

كان ذلك بعد قراءة مقال فى مجلة الجمهور البيروتية ، بمجلة الأستاذ « ميشال أبو شهلا » وهو أديبٌ مرّ بمصر مرة فرأى الأستاذ الزيات أن يكرمنى بمعرفته فى مسامرة أدبية ، وكان الزيات يقيم بالقاهرة « فى ذلك الزمان » وكانت أسمارنا لا تنقطع ، فقد كنا نتلاقى روحاً إلى روح فى كل مساء عن طريق الهتاف ، وإن لم نتلاق وجهاً إلى وجه إلا لحظة واحدة فى كل شهرين

متى يرجع الزيات إلى القاهرة ؟ متى يرجع ؟

المقال الذى أثار هذه الخاطرة الوجدانية هو مقال نشره الأستاذ « إلياس أبو شبكة » وهو أديب تحرّش بى عدة مرات ولم أغضب عليه لأنه حقاً أديب ، والأديب الحق مغفور الذنوب

وما أثارنى هذا المقال إلا بفضل ما فيه من الدلالة على حيوية الأريحية العربية فى الديار السورية ، فقد ذكّرنى بماضينا الغالى ، يوم كان الأديب لا يتألم إلا تألمت له أقطار وديار وشعوب ، ثم ذكّرنى بحاضرنا المزعج ، الحاضر المثقل بالعقوق ، الحاضر الذى يقضى بأن يعيش الأستاذ أحمد علام أسابيع وهو معصوب العينين بعد عملية خطيرة ، ولكنها بإذن الله مرجوّة النجاح ، ثم لا تقرأ فى إحدى المجلات الأدبية كلمة بتوجع كأنها لفنان كانت عيناه أجمل ما رأت العيون

لقينى الأستاذ أحمد علام مرة بعد فراقٍ طال ، فاعتذرت عن تقصيرى بكثرة الشواغل ، فابتسم ابتسامة العاتب ثم قال : سيكون نصيبى منك نصيب الأستاذ محمد السباعى ، فلا تؤدّى حق من الوفاء إلا بعد أن أموت !

ولقينى مرة بعد ذلك فقال : كيف تُشيد فى مجلة الرسالة بمواهب الأستاذ ابراهيم الجزّار فى إنشاد الشعر ثم تنساني ؟

فقلت : إن ابراهيم الجزار مات ، ولم يَبقَ له غير وفائى

فقال: عيبُ الدكتور مبارك أنه يذكر الأموات وينسى الأحياء

ومنذ يومين كنت أسيرُ فى شارع فؤاد فهتف هاتفٌ والترامُ يَعدو به عَدْواً : دكتور ، دكتور ، دكتور ! فالتفتُّ فإذا الأستاذ عباس فارس ، فقلت : نعم ، نعم ، نعم ! فقال : هل زرت الأستاذ أحمد علام ؟

ومضيت إلى ما أريد قبل أن يمضى الترام إلى ما يريد ، فلن أرى أحمد علام إلا بعد أن يرفع العصائب عن عينيه الساحرتين . فهل يكرمنى الله فيُبرئ هذا العليل النبيل لأزور معه شواطئَ النيل قُبَيل الغروب ، ولنقول معاً بصوت الشكران للواهب المنان : هنا وقفنا قبل عشرين عاماً أو تزيد !

أنا أقدّم جائزة لمن يُثبت ولو عن طريق التلفيق أن الأستاذ أحمد علام نَكَث بعد عهد ، أو خان بعد وفاء

ذلك روح لا تجود بمثله الأقدار إلا فى القليل من الأحايين

فارفع العصائب عن عينيك يا أحمد لتقرأ هذه الكلمات ، ولتعرف أن أخاك لا ينساك ، ولتفرح « فرحة الأديب بالأديب » يا أجمل أمثلة الأدب فى هذا الجيل

عصا إلياس

هى عصاً شعرية ، وإليها يرجع الفضل فى تذكيرى بالواجب نحو الأستاذ أحمد علام ، عصاً سوداء ورثها الأستاذ إلياس أبو شبكة عن أبيه ، ثم أوحت إليه هذه الأبيات اللطاف :

عروسٌ تزيّتْ بزيّ الدُّجُنّة
ولكنها ساحرُ الليل فنّهْ

تناهتْ إلى والدى من أبيه وأورثنيها مجوزاً مُسِنَّهْ
لئن كُسِّرت فى الدُّجى عن بريق أخافت طيوف الظلام وَجِنَّهْ
إذا هبَطَ الليلُ أرخِي لها على حَصَبات الطريق الأعنَّهْ
فيَسمع من صُلبها العاشقون وقد أرِقوا رنَّةً إثر رَنَّهْ
أنينٌ سَرَى من عروق إليها فرنّ بها كصَليل الأسِنَّهْ

ثم وقَع أن أُخِذ أبو شبكة إلى دار الشُّرطة بتهمة التجمهر فى أحد الأيام السُّود ، ولم يَنجُ من السجن إلا بعد أن سمع بخبره وزير الداخلية ، وردَّت إليه الشرطة كل ما أخذت منه إلا عصاه ، فصرخ : هاتوا عصاى ! فقال أحد الرؤساء : عصاك التى قلت فيها شعراً ؟ فأجاب : نعم ، عصاى التى قلت فيها شعراً . ولم تَعُد العصا برغم هذا الصراخ ، فكتب فى جريدة المعرض يقول : « أيها الجندىّ الذى خطف عصاى من يدى ، مَن أنت ؟ ومَن تكون ؟ وأىّ شأن لك بعصاى ، عصاى التى قُلت فيها شعراً ؟ »

وبعد أسبوع تبارى اللبنانيون بالهدايا ، هدايا العِصِىّ إلى الشاعر الذى فقد عصاه الشعرية ، وسرَى الخبر إلى اللبنانيين فى المهاجر فتلقَّى عصاً من الأرجنتين وعصاً من البلجيك ، وبهذا كان أعظم شاعر « مضروب » فى هذا الزمان

أكرَم الله أهل لبنان ، فما يزالون من أمثلة الأريحية العربية !

مع الأستاذ علوبة باشا

الحديث ذو شجون ، كما يُقال ، فليس من الإسراف أن أستطرد فأقول :

منذ عامين لقيت الأستاذ الجليل محمد على علوبة باشا بقصر عابدين وفى صحبته الأستاذ أنطون بك الجمِّيل ، فدعانى برفق ليُسرّ إلىّ إحدى نصائحه الغالية ، فاشترطت أن يسمع الأستاذ الجمِّيل خشية أن يستوحش من إبعاده عن حديث هو منه قريب

علوبة باشا — أنا أقرأ مقالاتك بإعجاب

زكى مبارك — يشرفنى أن يكون معالى الباشا من قرائى — ولكن ...

— من حق القراء أن يعلقوا على مقالاتى بألف « لكن » لأنى أكتب فى كل يوم ، ولا يَسلم المِكثار من العثار ، فما « لكن » عندك يا معالى الباشا ؟

— لكنى أراك كثير الشكاية من زمانك

— هذا صحيح ، و « لكن » هل يذكر الباشا أنه كان وزير المعارف ؟

— أذكر ذلك ، فماذا تريد أن تقول ؟

— أريد أن أقول : إنى لم أكن أملك الدخول عليك بدون استئذان ، ولهذا صحت نيتى على أن لا أرى وجه وزير إلا إن دعانى

— أنت مسرفٌ فى سوء الظن بالوزراء ، فلهم شواغل لا تخفى عليك

— هذا الاعتذار مقبول ، إذا كان الزائر رجلاً من أصحاب المطالب ، وأنا رجلٌ نفضتُ يدىَّ من الدنيا ومن الناس ، فما حجة الوزير الذى لا يرى أن أراه بدون استئذان ؟

— الوزراء مشاغيل

— والأديب غير مشغول ، يا معالى الباشا ؟ إن للأديب شواغل وجدانية وروحية وعقلية وفلسفية لا تخطُر لبنى آدم فى بال ، وهو مسئول عن رعاية وطنه فى حاضره وماضيه ، فيعادى من يعادى ويصادق من يصادق فى سبيل الوطن الغالى ، ثم يكون جزاؤه أن يعتذر أحد الوزراء عن مقابلته بحجة أنه مشغول

— أنت مزعج ، يا دكتور مبارك !

— المزعج هو الذى يطالب بالإنصاف ، وأنا لم أطلب من أحدٍ إنصافى ، وإنما أسأل كيف يسرنى أن أستصبح بوجه أحد الوزراء فلا يتم ذلك بدون استئذان ؟

— إن رجعتُ إلى الوزارة فسأبلغ من إنصافك ما تريد

— وإن رجعتَ إلى الوزارة فلن ترانى ولن أراك ! !

— ما هذا الذى تقول ؟

— أنظُر ثم انظر إلى ذلك الجانب تر (معالى ... باشا) ، فهل ترانى هرعت للتسليم عليه ؟

— أنت مخطئٌ ، فهو رجلٌ جليل

— ولكنه وزيرٌ أديب !

— وما عيب الوزراء الأدباء ؟

— عيبُهم أنهم كانوا معنا فطاروا هنا ، وأنهم لا يحفظون حق الأديب على الأديب

— وهل تحفظ حق إخوانك إذا صرت من الوزراء ؟

— حقق الله نبوءتك ليكون لى إخوان !

ثم نظرت فرأيت وزير المعارف السابق قد انصرف (بدون استئذان) ؛ ورأيتنى أهتف بقول ابن درّاج :

سلامٌ على الإخوان تسليم يائس ... وسقياً لدهرٍ كان لى فيه إخوانُ
مضى عيشهم بعدى وعيشى بعدهم ... كأنىَ قدخنتُ الودادوقدخانوا

هلال شعبان وهلال رمضان

فى الأشعار الشعبية التى تقصّ أخبار الزناتى خليفة وأبى زيد الهلالى يوصف الوجه الجميل بأنه كهلال شعبان ، وقد التفتُّ إلى هذا المعنى مرات كثيرة فرأيت هلال شعبان يبدو غاية فى الإشراق ، بصورة تميزه عن سائر الشهور ، وتجعله هلال شعبان بلا جدال ، فهل يتفضل الفلكيون بتعليل هذه الظاهرة الطبيعية ؟ وقد أدركت الجماهير آثارها منذ أزمان ، ودوّنوها فى أشعارهم الشعبية بدون تفكير فى عللها الأساسية

أما هلال رمضان فهو فى أغلب أحواله نحيل ، وينبنى على نحوله أن تراه عيون ، ويُغَمّ على عيون ، بحيث يجوز أن يصوم المصريون فى يوم الأحد ، ويصوم العراقيون فى يوم الإثنين ، والتونسيون فى يوم الثلاثاء ، كالذى وقع منذ بضع سنين

فما الحكمة فى نحول هلال رمضان ؟

إن راعينا الحساب الذى يُجريه الفلكيون فالهلال يولد فى وقت واحد ، بلا تفريق بين هذا القطر أو ذاك ؛ وإن راعينا « الرؤية » فهى تختلف فى القطر الواحد ، وقد صمنا مرة ثم أفطرنا ثم صمنا ، وكان لذلك حديث بين الشيخ سليم البشرى والسلطان حسين ، وهذا شاهد على نحول هلال رمضان

وفى حل هذه المشكلة رأى قومٌ أن نعتمد على الحساب لا على الرؤية ، لنتقى شر الخلاف حول بداية الصوم ، وهو فى بعض مظاهره من المضحكات

ولكن الحساب فى هذه السنة كان مُحرجاً ، فهو يقول بأن هلال رمضان يمكث دقيقة واحدة بعد غروب شمس التاسع والعشرين من شعبان

وما دقيقة واحدة يمكث فيها الهلال بعد الغروب ثم يغيب ؟

أمن أجل دقيقة واحدة نقطع ما بين الفجر والمغرب صائمين بدون تكليف من الشرع الشريف ؟

لا ، الرؤية هى الأساس ، وهى أيضاً الشاهد على أن الإسلام يبنى قواعده على أصول لا تحتمل الشك والامتراء . أصول يستوى فى إدراكها العوامّ والخواصّ

وهنا تظهر الحكمة الحقيقية لاشتراط الرؤية فى ثبوت هلال رمضان

تقليد جميل

قالت إحدى الجرائد إن المحكمة الشرعية جرت على العادة التقليدية فى ثبوت الرؤيا فصنعت كيت وكيت

وأقول إن هذا تقليد جميل ، ويعزُّ علىّ أن تضعف مظاهره من عام إلى عام ، فلا نرى « موكب الرؤية » فى الفخامة التى شهدها الآباء والأجداد

هذا الموكب هو « التهيؤ » لاستقبال شهر الصيام ، وهذا التهيؤ هو فى ذاته قربان من أعظم القرابين ، وهو يعدّ النفوس لروحانية هذا الشهر الجليل

أتذكرون اختلاف الفقهاء فى صحة الصيام لمن فاته أن ينوى الصيام ؟

هذا دليلٌ على أن النية هى الأساس فى جميع الأعمال الأخلاقية ، والنية رياضة تقوى بها عَضلات النفوس . والنفوس كالأجسام لها جوارح وعَضَلات وأعضاء ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون

آداب إسلامية

إن من يقرأ كتب الفقه الإسلامى يعجب من ترفق الإسلام بالصائمين ، فهو لا يفرض الصوم على من يتأذى بالصوم لسبب من الأسباب ، ثم يفتح له باب التحرر من تلك الفريضة بتعويض خفيف تقدر عليه أكثر الجيوب ، وهو الجود بصدقات ينتفع بها بعض الفقراء والمساكين

فإن عجزتَ عن الصوم فتصدّق ، وأنا أومن بأن الله يجزى المتصدقين أضعاف ما يجزى الصائمين ، لأن الجود بالمال يحتاج إلى عزيمة دونها عزيمة الإمساك عن الطعام والشراب

ومع هذا ، فلا يجوز لك الخروج على آداب الصيام بحجة الاعتصام بالصدقات ، فما يخرج على آداب الصيام غير السفهاء

وإن استطعت أن تصوم وتتصدق ، فتلك غاية لا يتسامى إليها غير عظماء المؤمنين

المهم هو أن تكون لك نية فى جميع أفعالك ، فتصوم عن نية ، وتفطر عن نية . المهم هو أن تحفظ أدبك مع الله الذى ترفق بك فلم يكلفك ما لا تطيق ، كن رجلاً فى إيمانك ، ليجعلك الله أحد عظماء الرجال !

زكى مبارك

تاريخ التـــاريخ

للدكتور محمد مصطفى صفوت
مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

هل التاريخ عـــلم ؟

يرى بعض المفكرين أن للتاريخ قوانينه الطبيعية ، وقامت محاولات للوصول إلى معرفة هذه القوانين ، وتوالت نظريات مختلفة : فهناك النظرية الدينية التى سادت فى العصور الوسطى ، وهناك نظرية التقدم والنمو ، وهناك محاولات باتستا Battista ومنتسكيو وغيرهما ؛ وهناك نظرية كارليل التى تقول بأن الأبطال وحدهم هم الذين يغيرون مجرى التاريخ ؛ ونظرية هجل Hegel التى تجعل الدين مفتاح التطور والنمو ؛ فاليهودية – فى نظره – تمثل الواجب ، والكونفيوشية تمثل النظام ، والبوذية الصبر ، والمسيحية الحب ، والإسلام العدالة

ولقد تعرض أوجست كنت لتفسير قوانين التطور ، فقال : إن التاريخ تفسره الأفكار ؛ فالإنسان من خلاله فى ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى مرحلة تفسير الظواهر الطبيعية بأنها ناشئة من عمل آلهة خياليين ؛ ثم مرحلة تفسير هذه الظواهر بمعنويات مجردة ، والأخيرة محاولة فهمها بالطرق العلمية ، بالملاحظة والتجريب

ولما وضع كارل ماركس نظريته المادية فى تفسير التاريخ قال : إن تطور الجماعة متوقف على الظروف الاقتصادية وحدها . ولقد بنى ماركس نظريته على أساس فكرة كفاح الطبقات فى سبيل الرقى المادى ، ذلك الكفاح الذى ينتهى ، فى نظره ، بانتصار الطبقة الأكثر عدداً والأسوأ حالاً على طبقة المثرين القليلة العدد . ويسمى ماركس ذلك قانون التطور الاجتماعى ، ويظل ذلك التطور مستمراً حتى يتلاءم نظام الملكية مع نظام الإنتاج ، أى إلى ذلك الوقت الذى تصير فيه الملكية اشتراكية وتنتصر فيه طبقة العمال انتصاراً حاسماً . ولقد سبق كارل ماركس إلى الإشادة بأهمية العوامل الاقتصادية آدم سميث وأتباعه من أمثال ريكاردو

وجاء (بكل Buckle) فى كتابه « تاريخ التمدن فى انجلترا » ينحى باللائمة على المؤرخين لأنه لم يجد أحداً منهم اهتم بإيجاد وحدة مترابطة من حقائق التاريخ . فهو يرى أنه في كل ميادين البحث قد صار للتعميم قيمة عظمى ، وبذلت جهود للخروج من حيز الحقائق الجزئية إلى المعاني العامة بينما لا يرى أثراً لذلك فى التاريخ ، فهَمُّ المؤرخين فى نظره هو سرد الحقائق ، ولذا يرى أنه أصبح من السهل على كل مكسال لا يحسن التفكير قراءة بضعة كتب ليصير مؤرخاً . ويرى (بكل) أن أعمال الإنسان ما زالت ترسف فى أغلال القوى الروحية ، فلا يمكن وجدان سبب أو نتيجة ؛ ويقول لقد وجدنا فى ناحية مهمة من الأعمال الإنسانية قوانين طبيعية ، لا سيما فى ميدان الاقتصاد السياسى ، فقد فسرت لنا قوانين الاقتصاد الأزمات التى كانت تقع فى الماضى . ويتساءل (بكل) : لماذا لا نجد قوانين لأعمال الإنسان الأخرى . يرى أن هناك عوامل كالمركز الجغرافى والجو والتربة والوسط الاجتماعى تحدد أعمال الإنسان ، ويعزو تقدم البشرية إلى العقل لا إلى العاطفة والأخلاق (١)

ومن أهم من قال بوجود قوانين للتاريخ فسيولوجى أمريكى (دربير J. W. Draper) . فنى تاريخه « نمو أوربا العقلى » (٢) يمثل المجتمع بالفرد ويرى أن التقدم الاجتماعى خاضع لقوانين طبيعية كالنمو الجسمى ، فحياة الفرد ما هى إلا تصغير حياة الشعب . والإثنان لهما طفولتهما وشبابهما وكهولتهما وهرمهما

هذه المحاولة من جانب المؤرخين لوضع التاريخ فى مصاف العلوم ، ناشئة عن أن الاستقراء والتجريب قد شملا كل العلوم الطبيعية فى القرن التاسع عشر . والاستقراء والتجريب لا يمكن تحقيقهما فى التاريخ ، لأن العلم الطبيعى يبحث فى أشياء هى فى متناول الإنسان يستطيع أن يقلبها على وجوهها المختلفة ويجرى تجاربه كما يريد . فالعلوم الوصفية والطبيعية دقيقة لأن البحث فيها موضوعى صرف . أما التاريخ فهو من العلوم الإنسانية ، وكل العلوم الإنسانية غير دقيقة لأن حياة الإنسان لا يمكن قياسها ولا وصفها بنفس الدقة التى نستطيعها فى العلوم الوصفية ، فنحن لا نستطيع قياس عقلية الإنسان ولا عواطفه ولا معلوماته قياساً دقيقاً . بل وأكثر من هذا أن كلا منا لا يستطيع أن يتعرف ما فى نفوس الذين يشاركونه المعيشة ، فنحن كما يقول پرسى نان Percy Nunn فى كتابه :

---

(١) انظر : Bury : The Idea of Progress ص ٣٠٩ وما بعدها

(٢) History of the Intellectual Development of Europe. ظهر هذا الكتاب فى سنة ١٨٦٤

« التربية ... » كجزائر منعزلة يفصلها بحر لا يمكن عبوره ، وأن وسيلة التفاهم بيننا وهى اللغة غير كافية ، فشتان بين ما يجده الإنسان فى نفسه وبين ما يصنعه للغير . فكيف إذن يعرف الإنسان ما فى نفوس الناس الذين مضوا ، وكيف يقدر الدوافع لأعمالهم والظروف التى قامت فيها هذه الأعمال . ثم إن الإنسان من جهة أخرى يفسر أعمال الناس وفق شخصيته ومزاجه وثقافته لا يرى فى الأشياء إلا ما يحب أو ما يستطيع أن يراه فيها . فقد يرى المؤرخ فى عمل ما العظمة وما هو بعظيم ، وذلك لتأثره بطريقة لا شعورية بشخصية من قام بذلك العمل . ومن جهة ثالثة هل لدينا مقاييس ثابتة نحكم بها على أعمال الناس ؟ هل نقيس هذه الأعمال بحب الشخص لذاته أو بحبه للآخرين أو برغبته فى أداء الواجب . الواقع ليس هناك مقياس متفق عليه . وكيف نفسر الحوادث بمنطق العقل أم بمنطق الجوع أم بمنطق الدين ؟ ثم بعد ذلك هل من الممكن فى تقدير أعمال الناس فى الماضى أن نفصل بين ما ورثه الإنسان من آبائه وأجداده وبين ما اكتسبه من بيئته ؟

التاريخ يدرس حقائق الإنسانية الماضية ، هذه الحقائق ليست فى متناول أيدينا ، وهى لن تعود مرة أخرى . ثم هى مجرد آثار ومخلفات تعطينا فكرة عامة ، وعلينا نحن تكميل التفاصيل باستعمال الخيال . فهناك فعلاً حلقات مفقودة فى التاريخ . وكثير من الحقائق المهمة قد عفا دون أن يترك وراءه أثراً . ثم من الذى كتب أو أنشأ هذه الآثار ؟ أليسوا من بنى الإنسان لهم ميولهم وأغراضهم الخاصة ! ومصادر التاريخ فوق ذلك لا تستلزم معرفة بالتاريخ فحسب ، بل معرفة تامة باللغات وطرق الكتابة والسياسة والاقتصاد والاجتماع مما جعل البحث فى التاريخ عسيراً .

ويظهر أن محاولات بعض المفكرين لوضع قوانين للتاريخ لم تنجح تماماً ، فالنظريات مختلفة ، حتى نظرية التقدم لا زالت طائفة محترمة من المفكرين ترفضها لا سيما فى النواحى الروحية . والديانات تحدثنا بأن الإنسان خرج من حياة نعيم دائم وعيش موفق إلى حياة كلها تعب وشقاء لا ينتهى . ثم ما الذى يدرينا أن العالم لا يزال فى شبابه أو هو فى طريق الفناء . وكثير من حوادث التاريخ بعد ذلك قائمة على الصدق لا دخل لإرادة الإنسان فيها ولا يمكن تعليلها .

ويرد على هذه الاعتراضات بالقول إن هناك ظروفاً تقع فتغير الموقف وليس للانسان دخل فيها ؛ ولكن بالرغم من ذلك هناك تطور وتقدم فى الحياة لا يمكن مدافعته . وكما يرى جيبون Gibbon بأن لكل عصر قيمته فى زيادة ثروة الجنس الإنسانى وسعادته ونواحى فضائله : فالإنسان فى القديم عارى الجسم والعقل لا يعرف قانوناً ولا فناً ولا أفكاراً . ثم تحسنت حالته فعمل فى الأرض وطوف فى أرجاء المحيط واستثمر قواه الجسمية والعقلية كما استثمر قوى الطبيعة وذللها لنفسه . ثم إن كثيراً من الصعوبات السابقة قائمة على النقص وعدم الكمال الإنسانى . ويجب ألا نبالغ فيها ، فكثرة الناقدين والباحثين قد أظهرت إلى حد كبير ما هو صحيح وما هو خطأ ، أو هى على الأقل تحاول ذلك . ولذلك لا محل للاعتقاد بأن التاريخ ما هو إلا جملة خرافات أجمع الناس على تصديقها . والواقع أننا نجد لمعظم عصور الماضى آثاراً خالدة مادية وروحية لا يمكن الطعن فيها . ومنها ما هو فى أنفسنا وثقافتنا وعقائدنا وتقاليدنا .

التاريخ فن وعلم وفلسفة : فهو فن وفلسفة من حيث أنه يستلزم من المؤرخ معرفة واسعة بنواحى الثقافة وبأمور العالم ، وقدرة على اللغة والتعبير والتصوير . فالمؤرخ كالمصور أمامه الحياة الاجتماعية وعليه هو وضع صور لها . وكما أن المصور يصور الناحية الطبيعية التى تروقه بالطريقة التى يرضاها ، فكذلك المؤرخ . والتاريخ علم من حيث أنه قائم على أسس صحيحة فى البحث والتفكير فى المصادر الأصلية والوثائق ومقارنتها ومناقشتها والحكم عليها . وطريقة البحث فى التاريخ ولو أنها علمية إلا أنها فى ذات الوقت فنية وشخصية ، لأن دراسة التاريخ ليس معناها كشف الماضى فحسب وإنما تقدير الماضى ، فلا بد من إحساس بنى الإنسان بشعور خاص عند دراستهم للانسان . فهل هم إلا أبناؤه وورثته !

محمد مصطفى صفوت

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٩ – ٧ – ٩٤٢ فى القضية رقم ١٤٤٦ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد رزق محمد رزق الصاوى بالحبس ثلاثة شهور شغل والنفاذ والمصادرة والتعليق على مركز البوليس والنشر على مصاريفه لبيعه أقشة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٥ – ٧ – ٩٤٢ فى القضية رقم ١١٨٢ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد ابراهيم على الشرقاوى ش ١٦ بقال المحمدية بالغرامة ٢ جنيهين وغلق المحل أربعة أيام والتعليق على محل المتهم ومركز البوليس والنشر على مصاريفه لبيعه سكراً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

طلاب الالتحاق بالجامعة

للأستاذ عبد الله حسين

فى ختام كل عام دراسى ، تقترن بنتائج الامتحانات العامة صيحة تنادى بوجوب إنصاف الطلبة ، حين يقدر المتحنون الدرجات على الإجابة ، أو بضرورة الرفق بحال الطالب لأسباب تُبسط من أمثلتها صعوبة الأسئلة ، أو ملابسات أحاطت بالطلبة ينبغى وزن آثارها فى استذكارهم !

وفى مستهل كل عام دراسى ينادى الناس بوجوب فتح أبواب الكليات لجميع من يطلبون الالتحاق بها ، حرصاً على مستقبلهم وتوطيداً لأركان التعليم الجامعى ، أو استجابة لأسباب أخرى !

وقد روت إحدى الصحف اليومية — فى معرض المباهاة والاغتباط — أن الذين طلبوا الالتحاق بالكلية الحربية بلغ عددهم حوالى الألفين . ثم عقبت الصحيفة على هذه الرواية بأن مدلولها يبرهن على أن الروح العسكرية قد أصبحت تملأ نفوس طلبتنا ، بعد أن كان الالتحاق بالجندية أمراً لا يرتاح إليه الكثيرون منذ عهد غير بعيد

وثمة أنباء أخرى عن حركة الكليات وكثرة طلاب الالتحاق بها ، وعن الجهد الذى يبذله المشرفون على التعليم ، والقائمون على شؤون الجامعة فى سبيل تيسير التحاق الطلبة بالكليات ، وخاصة بعد أن وَسِعَ جامعة فاروق الأول فى الأسكندرية أن تقبل ما يزيد على حاجة جامعة فؤاد الأول فى القاهرة

وما من ريب فى أن اطراد الزيادة فى طلاب الالتحاق بالكليات والمعاهد العالية أمر جدير بأن يقابل بالارتياح حقًّا من الوجهة النظرية

أما من الوجهة العملية ، فإن من بواعث الأسف حقًّا ، أن يتبين أن طلاب الالتحاق بالكلية الحربية ، لا يصدرون فى طلبهم هذا عن رغبة صادقة فى الجندية وفى المساهمة فى ذلك الجهد الوطنى الأول — وهو الدفاع عن البلاد بالتضحية بالذات وهو أعز ما يملك الإنسان — وإنما وجههم فى هذا الطلب ، أن يكفلوا لأنفسهم مستقبلاً ثابت الدعائم موفور الرزق والترقية المطردة ، بأن يُمَكِّنَ الطالب حين يتخرج من غير شفاعة شفيع ولا وساطة وسيط ، وبأن يرقى سلم الترقى ، فيبلغ أعلى رتب الجيش وهى الآن « الفريق » ، وفى المستقبل غير البعيد « المشير » أو « المارشال »

كذلك مما يدعو إلى الألم والإشفاق أن يكثر طلاب الالتحاق بكلية التجارة ، مع أنهم حُملوا على هذا ، لأن درجات نجاحهم لا تُيسرُ لهم الالتحاق بكليات أخرى ، دون الاستجابة إلى أية رغبة فى العلوم التجارية ، ودون التهيؤ السابق للنهوض بالأعمال الاقتصادية والحسابية

ومما يبعث على الأسف أيضاً ، أن يكثر طلاب الالتحاق بكلية الزراعة ، على حين أنهم لم يُعِدُّوا أنفسهم أو لم تُعِدَّهم دراستهم وطبائع نفوسهم ، أو بيئتهم أو ثروتهم لمزاولة الأعمال الزراعية .

* * *

فى كل أمة مهما تبلغ من الرقى ومهما تبلغ الذروة فى الحضارة القائمة ، فريقان من الناس : الفريق الأول وهو الأكبر أيضاً ، هو الذى تعول عليه الأمة فى العمل المأجور فى الزراعة والصناعة ، وهذا لا غنى لكل أمة عن استخدامه فى سن مبكرة ، لكى تستفيد من شبابه ونشاطه ومُنته البدنية ، ولكى يسمه أن يبادر إلى إعفاء ذويه الفقراء أو الدولة نفسها من نفقات تربيته ، لأن ميزانية أية دولة فى العالم لا يسمها أن تدفع نفقات مراحل التعليم كلها بالمجان إلى الجميع ، حتى سن الثلاثين مثلاً

أما الفريق الثانى فهو الفريق الأقل عدداً وهو الذى لا غنى للدولة عن أن تتيح له أن يتفرغ لشئون الحكم وإدارة الأعمال والبحوث العلمية المنوعة

هذان الفريقان قائمان فى كل أمة مهما يكن نوع نظام الحكم : فهو قائم فى روسيا السوفيتية لأن المساواة النظرية فيها تقوم على إلغاء الرأسمالية لا على إلغاء نظرية التفوق العقلى الطبيعى ، وفى البلاد الديكتاتورية ذاتها . أما فى البلاد الديموقراطية فقيام الفريقين فخر من مفاخرها

ولما كانت الحضارة القائمة ، هى حضارة صناعية أى مؤسسة على التقدم الصناعى الآلى ، كان التخصص فى كل فرع من فروع الحضارة ركناً من أركانها وظاهرة من ظواهرها .

وعلى هذا أصبح لزاماً على القائمين بأمور التعليم الجامعى ، أن يتعرفوا مدى جدارة الطالب بدراسة العلوم التى اختصت بها الكلية التى طلب الالتحاق بها ، لكى يتحقق المعنى الجامعى ، وهو الرغبة الصادقة فى متابعة دراسة هذه العلوم فى الجامعة وبعدها وإلى ما يشاء الله ، ولكى تحقق الأمة ما تطلبه من الكفاية الفنية الدقيقة فى أبنائها البررة .

ومن أجل هذا ينبغى أن يُوجَّه المحبون للفنون العسكرية إلى الكليات الحربية ، وأن يتجه المُعَدُّون للشئون الهندسية إلى كلية الهندسة وهكذا ...

ومتى وفقنا إلى هذا ، أى إلى رد الأمور إلى مستقرها الطبيعى وتوجيه كل طالب إلى ما يصلح له — حق لنا أن نبدى ما نشاء من الاغتباط . أما قبل هذا فليس يسعنا إلا أن نبدى الأسف والإشفاق ونطلب من الله الرحمة والمغفرة .

عبد الله حسين
المحامى

مفاوضات الفتح العربى لمصر

للأستاذ السيد يعقوب بكر

— ٣ —

الرواية الثانية

١ — يذكر أبو المحاسن (ص ١٠ — ١٦) نقلاً عمن لا يسميه . ونحن نورد خلاصة ما قال :

لما حاصر المسلمون حصن بابليون وجدّوا فى فتحه خشى من فى الحصن — وكانوا جماعة من الروم وأكابر القبط وعليهم المقوقس — أن يظهر عليهم المحاصرون ، فلحق المقوقس وجماعة من أكابر القبط بالجزيرة تاركين وراءهم فى الحصن جماعة لقتال العرب . ومن هناك — أى من الجزيرة — أرسل المقوقس إلى عمر رُسُلاً يحملون هذه الرسالة : « إنكم قد ولجتم فى بلادنا ، وألححتم على قتالنا ، وطال مقامكم فى أرضنا ؛ وإنما أنتم عصبة يسيرة ، وقد أظلّتكم الروم وجهزوا إليكم ومعهم من العُدة والسلاح ، وقد أحاط بكم هذا النيل ، وإنما أنتم أسارى فى أيدينا فابعثوا إلينا رجلاً منكم نسمع من كلامهم ، فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن يغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ، ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لمطلبكم ورجائكم ، فابعثوا إلينا رجالاً من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شىء » . فرد عمر على المقوقس رسله بعد يومين كاملين ومعهم هذا الجواب : « إنه ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال : إما أن دخلتم فى الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم مالنا ، وإن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين »

فلما رجع الرسل استخبرهم المقوقس عما وجدوه من حال العرب ؛ فأخبروه أنهم قوم يؤثرون الموت على الحياة والتواضع على الرفعة ، وأنهم لا رغبة لهم فى الدنيا ولا نهمة ، وأنهم فى معيشتهم سواء : وضيعهم كرفيعهم وسيدهم كعبدهم وأميرهم كواحد منهم ، وأنهم لا يتخلفون عن صلاة . فلما سمع المقوقس من حال العرب ما سمع أيقن أنه إن لم يغتنم صلحهم وهم محصورون بالنيل فان يغتنمه حين تمكنهم الأرض . فرد رسله إلى عمرو يقول له : « ابعثوا إلينا رُسُلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم »

فبعث عمر عشرة نفر جعل عليهم عبادة بن الصامت ، وأمره ألا يجيب المقوقس إلى شىء غير هذه الخصال الثلاث سالفة الذكر.

وكان عبادة أسود طويلاً موغلاً فى السواد والطول ، فلما دخل على المقوقس هابه هذا وسأل النفر العرب الذين جاءوا معه أن ينحوه عنه ويقدموا غيره للكلام . فقالوا جميعاً إن عبادة أفضلهم رأياً وعلماً ، وإن أميرهم قد أمره عليهم فهم لا يخالفونه فى رأى أو قول . فدهش المقوقس وأظهر لهم عجبه من أن يفضلهم رجل أسود . فأجابوه بأن السواد لا ينكر فيهم ، وأنه لا يضع لصاحبه رفعة هو قمن بها أو يغمط له حقاً هو جدير به

فقال المقوقس لعبادة : « تقدَّم يا أسود وكلمنى برفق ، فإننى أهاب سوادك وإن اشتدَّ كلامك علىَّ ازددت لك هيبة » .

فتقدم إليه عبادة فقال : « قد سمعت مقالتك ، وإن فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل كلهم مثلى وأشد سواداً منى وأفظع منظراً ، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منى . وأنا قد ولَّيت وأدبر شبابى ، وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوِّى لو استقبلونى جميعاً ، وكذلك أصحابى ؛ وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه ، وليس غزونا عدوَّنا ممن حارب الله لرغبة فى الدنيا ولا حاجة للاستكثار منها ، إلا أن الله عز وجل قد أحل ذلك لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً . وما يبالى أحدنا أكان له قناطير من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما ؛ لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته ليلته ونهاره ، وشملة يلتحفها ؛ وإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه ، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله تعالى . . . لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء ، إنما النعيم والرخاء فى الآخرة ؛ بذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا فى الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستر عورته ، وتكون همته وشغله فى رضاء ربه وجهاد عدوه » .

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله : « هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط ؟ لقد هِبتُ منظره وإن قوله لأهيب عندى من منظره . إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض ، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها » . ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فأقره على ما وصف به نفسه وأصحابه ، ثم حاول أن يخوِّفه ويصرفه عن الهدف الذى يقصد إليه العرب فقال له : « وقد توجَّه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يُحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالى أحدهم من لقى ولا من قاتل ، وإنا لنعلم أنكم لم تقووا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم . وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً وأنتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلة ما بأيديكم . ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوَّة لكم به » . فقال عبادة : « يا هذا ، لا تغرن نفسك ولا أصحابك . أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمرى ما هذا بالذى تخوِّفنا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه ، إن كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم وأشدَّ لحرصنا عليهم . . . وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين : إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا . . . وأما قولك إنا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن فى أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه . . . » .

ثم يخيِّر عبادةُ المقوقس بين هذه الخصال الثلاث التى عهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين وأمر أمير المؤمنين عمراً بها ثم تلقاها عبادة عن عمرو : إما الإجابة إلى الإسلام الذى يوحد بين معتنقيه ويكف بعضهم عن بعض ، وإما جزية مقدرة يؤديها القبط والروم للعرب فى كل عام ولهم فى مقابل أدائها أن يقاتل العربُ عنهم من يناوئهم ويعرض لهم فى شىء من أرضهم ودمائهم وأموالهم ، وإما الاحتكام إلى السيف

فيقول المقوقس : « هذا لا يكون أبداً ، ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيداً ما كانت الدنيا » . فيجيبه عبادة : « هو ذلك فاختر ما شئت » . فيسأل المقوقس : « أفلا تجيبوننا إلى خصلة غير هذه الثلاث الخصال ؟ » . فيرفع عبادة يديه ويقول : « لا وربِّ هذه السماء وربِّ هذه الأرض وربِّ كل شىء ، ما لكم عندنا خصلة غيرها ، فاختاروا لأنفسكم » .

فيلتفت المقوقس حينئذ لأصحابه ويسألهم رأيهم ؛ فيجيبونه بأنهم يأبون ترك دين المسيح بن مريم إلى دين لا يعرفونه ، وأنهم يرون الموت أيسر لهم من أن يذعنوا للعرب ويسلسوا لهم القياد ويملكوهم منهم الرقاب ، وأنهم يرضون أن يضاعفوا للعرب من المال حتى يتركوهم ويتولوا عن ديارهم .

ويخبر المقوقس عبادة بما انتهى إليه رأى أصحابه ، فيقوم هذا وأصحابه . وهنا يقول المقوقس لصحبه : « أطيعونى وأجيبوا القوم إلى خصلة واحدة من هذه الثلاث ، فوالله ما لكم بهم

طاقة ؛ ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبُنهم إلى ما هو أعظم كارهين » فيسألونه : « وأى خصلة نجيبهم إليها ؟ » فيجيب : « إذن أخبركم . أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به ، وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ، ولا بد من الثالثة » . فيقولون : « فنكون لهم عبيداً أبداً ؟ » . فيقول : « نعم ، تكونون عبيداً مسلّطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا عن آخركم وتكونوا عبيداً تباعون وتمزقون فى البلاد مستعبدين أبداً أنتم وأهلكم وذراريكم » . فيقولون : « فالموت أهون علينا » .

* * *

فواضح مما لخصناه عن أبى المحاسن أن المفاوضة كانت فى جزيرة الروضة بين المقوقس وعبادة بن الصامت .

٢ — ويذكرها المقريزى (ص ٦٥ — ٧٠) نقلاً عن كتاب ابن عبد الحكم بما لا يخرج عما ذكره أبو المحاسن .

٣ — ويذكرها السيوطى (ص ٦٥ — ٦٩) نقلاً عن كتاب ابن عبد الحكم بما لا يخرج عما ذكره أبو المحاسن أيضاً

٤ — ويشير إليها القضاعى فيما لخصه فى كتابه « الخطط من قصة فتح مصر » ؛ وذلك فيما ينقله عنه السيوطى (ص ٧٧) يقول القضاعى : إن العرب لما ظفروا بالحصن (حصن بابليون) لحق المقوقس وأهل القوة بالجزيرة ، وتحصنوا هناك والنيل حينئذ فى مدّه ، فسأل المقوقس فى الصلح ، فبعث إليه عمرو بعبادة ابن الصامت ، فصالحه المقوقس على القبط والروم ، على أن للروم الخيار فى الصلح إلى أن يوافى كتاب ملكهم ، فإن رضى تم ذلك ، وإن سخط انتقض ما بينه وبين الروم ؛ وأما القبط ، فبغير خيار ...

فواضح أن القضاعى متفق مع من ينقل عنه أبو المحاسن ، وكذلك مع ابن عبد الحكم في مكان المعاهدة وطرفيها ، ولكنه يختلف عنهما فى وقتها ، فهو يقول : إنها كانت بعد سقوط (حصن بابليون) ؛ وهم يقولون إنها كانت قبل ذلك

ولا يرد فى كتاب حنا النقيوسى شىء من ذلك

والأستاذ بتلر لا يجد ما يشككه فى هذه الرواية ، فهو يسلّم بها ولا يرفضها ؛ وهو ينقل إلينا فى كتابه (ص ٢٢٣ — ٢٧٧) طرفاً من هذه المفاوضة ، وهو يتفق مع ابن عبد الحكم ، ومن ينقل عنه أبو المحاسن فى أن المفاوضة كانت قبل سقوط الحصن

ونحن نسلّم بما يراه الأستاذ بتلر بصدد هذه الرواية ، ولكننا لا نظن بعد ذلك أن الحديث الذى دار فى المفاوضة هو نفس الحديث الذى نقلته إلينا تلك المراجع التاريخية العربية ؛ إذ يظهر أن يد أديب صنّاع قد امتدّت إلى هذا الحديث الذى دار فى المفاوضة فنمّقته ووشّته وهذّبت حواشيه وخرجت به عن صورته الأولى الساذجة ، إلى صورة أخرى أدبية ، لا نشك فى روعتها وجمالها ... نقول : إننا لا نظن أن الحديث الذى دار فى المفاوضة هو نفس الحديث الذى نقلته إلينا المراجع التاريخية العربية ؛ ولكننا — مع ذلك — لا نظن أن الحديثين يختلفان فى الروح المسيطرة عليهما المنبثّة فيهما

(للبحث بقية أخيرة) السيد يعقوب بكر

رمضـــان

للأســتاذ يحيى محمد على

بعد جهاد مضن فى سبيل الحياة والبقاء ، ونضال منهك من أجل القوت والعيش ، تعود النفوس رازحة لاغبة ضارعة قد أرهقها النصب فوهنت وتراخت ، وهدّها الإعياء فتثبطت وتوانت ، وفدحها الإخفاق فقنطت وتخاذلت ؛ لتنعم فى ظل رمضان بالراحة التى تجدد قواها المكدودة ، والرجاء الذى يرهف عزمها الكليل ، والرشاد الذى يقيها مغبة الضياع فى مجاهل الغواية

وبعد خصام ملث على المال المدنس ، ونزاع متواصل على الجاه المزيف ، تعوج القلوب مرمضة صادية قد غمرها الإثم فصدها عن الخير ، وغشيها الجشع فصرفها عن الإحسان ، وتألب عليها الغرور فكبحها عن التواضع ؛ لتستمد من وحى رمضان الإيمان الذى يقر فى مطاويها فورة البغى ، والقناعة التى تسكن فى أحنائها سورة الشره ، والإباء الذى يخمد فى ثناياها جذوة الحسد

وبعد صراع عنيف على المجد الزائل ، وتهافت شائن على السطوة الكاذبة ، واندفاع يائس وراء الظنون والأوهام ، تدلف العقول حائرة مفتونة حائرة قد ران عليها الباطل فحجب عنها ضوء الحق ، ووطئها النى فجنحت للطيش ، ولازمها الحرص فزين لها الصلف والزهو والعجب ، لتقتبس من قدسية رمضان اليقين الذى يبدد لها دجى الشكوك والريب ، والهدى الذى يرفع عنها آصار المروق والزيغ ، والحلم الذى يكفكف فيها غلواء الجهالة والنزق

فلا يلبث ذلك الإنسان السادر فى المعصية والجامح فى الشر والمصر على المنكر أن يدرك أسرار الوجود فيرق ويلين ، ويترفق ولا يتمرد ، ولا يتجبر ولا يتكبر ، ويعرف قيمة الحياة فيتعفف عن الرذيلة ويتصون عن الرجس ويترفع عن الغش والخداع ولا يخضع لسلطان الهوى ولا يخنع لطغيان الشهوة ولا يصغي لهمسات الشيطان ، ويفهم معانى الإنسانية فلا يتغلظ ولا يقسو ولا يظلم ، وتتيقظ فى أعماقه أحاسيس الرحمة والشفقة فيعطف ويحسن ولا يسيء ، وتتفجر في أغواره منابع البر والرأفة فيرفد ويتصدق ولا يبخل

هذا هو رمضان أيها المسلم ...

ترويض للنفس على الكفاح والمجالدة والاحتمال ، وتدريب للقلب على الصبر والثبات والمثابرة ، وسمو بالعقل إلى الصلاح والسداد والتبصر ، وتقويم للطباع وردع للأهواء

وهو يلوح لنا من أفق الزمن هذا العام والكون مغتلم الأمواج صخاب اللجج عصوف الريح يكاد سيله العاتى يطم ويطغى فيجتاح ما ظل من آثار الحضارة المنكوبة ، ويكتسح ما بقى من أطلال المدنية المحروبة ، والإنسان المجنون محمول على غوارب اللجج وقد غلبه الجزع فأفقده وسيلة النجاة ، وملكه الذهول فضيع عليه معالم الطريق ، فلم يعرف كيف يتفادى العاقبة المؤلمة ولم يدر كيف يتقى الغبّ المر .

فلا ريب أن حاجة المسلمين اليوم إلى التعاون والتقرب والتضامن أشد منها بالأمس .

فليكن رمضان وازعاً للتعاون وسبباً للتقرب ودافعاً للتضامن

ولا ريب أن المصاعب التى تعانيها الطبقة الفقيرة الآن أعظم منها فى أى وقت مضى .

فليكن رمضان سبيلاً لتخفيف وطأة هذه المصاعب عن كاهل هذه الطبقة .

تذكر أيها الغنى المترف المتقلب فى الرخاء والمتمرغ على الذهب والديباج أولئك المعوزين الذين جار عليهم الدهر ، وأغار عليهم الإملاق ، وأناخ عليهم الداء ، وقعد بهم العجز ، وادرء عنهم بالصدقة عرام الفاقة .

وتذكر أولئك اليتامى الذين نكبهم القدر فحرمهم عناية الأم ورعاية الأب وحنان الناس ، وأجهدهم السغب فسلبهم الدعة والاطمئنان ، وطاردهم التشرد فضن عليهم باللقمة التى تسد الرمق ، والسمل الذى يستر الجسد ، والمأوى الذى يلوذون به من الحر والقر ، وكن لهم الردء والمساعد والمعين .

فقد يمن الله علينا بعد خلاص النفوس من الأهواء ، وصفاء القلوب من الأحقاد ، وتجرد العقول من الأوهام ؛ بالسلامة من أوار هذا الجحيم المتأجج وخطر هذه النكبة البشرية المروعة !

وإن العقبى للصالحين .

(بغداد) يحيى محمد على

شهداء المعلمين

للأستاذ على الجندى

[كثر فى السنوات الأخيرة موت المعلمين فجأة فى أثناء تأدية واجباتهم ، كما فشا فيهم مرض الذبحة الصدرية والفالج وضغط الدم ! حتى لفت ذلك أنظار الناس ! وسر هذا البلاء معروف لا يجهله أحد ، وهأنذا أرفع صوتى بهذا الشعر الباكي لعله يصل إلى أسماع القادرين على تخفيف الضر عنهم]

مَا غَالَهُ المَوْتُ ، بَلْ أَوْدَى بِهِ العَمَلُ
كَيْفَ الحَيَاةُ وَلَا سَلْوَى وَلَا أَمَلُ !
قالوا : هُوَ الأَجَلُ المَحْتُومُ ؛ قُلْتُ لَهُمْ :
لَوْ لَمْ تَخُنْهُ المُنَى مَا خَانَهُ الأَجَلُ
يَأْسٌ وَبُؤْسٌ يَضِيعُ العُمْرُ بَيْنَهُمَا
كِلَاهُمَا شَرُّ مَا يُبْلَى بِهِ رَجُلُ
أَغْرَتْ بِهِ المَوْتَ أَعْبَاءٌ تَحَمَّلَهَا
لَا يَشْتَكِي ... بَعْضُهَا يَعْيَا بِهِ الجَبَلُ
أَمَانَةٌ تُثْقِلُ الأَعْنَاقَ مَا بُعِثَتْ
إِلَّا لَهَا أَنْبِيَاءُ اللهِ وَالرُّسُلُ
قالوا : بِهَا انْهَضْ وَسِرْ فَوْقَ القَتَادِ وَلَا
تَمْشِ الهُوَيْنَى ! لِمَنْ جَاءَتْ بِكَ الهَبَلُ ؟

هُوَ الشَّهِيدُ وَإِنْ لَمْ تَرْوَ مِنْ دَمِهِ
بِيضُ السُّيُوفِ وَلَا الخَطِّيَّةُ الذُّبُلُ
تَمْضِي الشُّئُونُ وَلَا يَفْتَرُّ مَبْسِمُهُ
وَلَا يُرَنِّحُ مِنْ أَعْطَافِهِ الجَذَلُ
وَلَا يَخِفُّ — عَلَى الأَيَّامِ — مَحْمِلُهُ
إِنَّ الشَّقِيَّ بِهِ الأَرْزَاءُ تَتَّصِلُ
مَشَى بَنُوهُ إِلَى غَايَاتِهِمْ ، وَمَشَتْ
بِهِ إِلَى قَبْرِهِ الأَوْصَابُ وَالعِلَلُ
سَاعٍ إِلَى دَرْسِهِ وَالضَّعْفُ يُثْقِلُهُ
كَمَا مَشَى يَتَكَفَّا الشَّارِبُ الثَّمِلُ
تَكَادُ تَعْرِفُهُ مِنْ فَرْطِ صُفْرَتِهِ
كَأَنَّ مِنْ وَجْنَتَيْهِ يَطْلُعُ الأَصُلُ
مَا جَازَ سِنَّ الصِّبَا وَالوَجْهُ مُكْتَهِلٌ
وَالرَّأْسُ مُشْتَمِلٌ بِالشَّيْبِ مُشْتَعِلُ
وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ ... كُلٌّ لَهُ شُغُلُ
عَنْ هَمِّهِ ... وَلَهُ مِنْ هَمِّهِ شُغُلُ
سَارُوا عَلَى نُورِهِ الهَادِي ، فَبَانَ لَهُمْ
قَصْدُ السَّبِيلِ ، وَسُدَّتْ دُونَهُ السُّبُلُ
وَخَلَّفُوهُ صِرَاعَ الخَطْوِ ، وَهْوَ لَقًى
كَمَا تَخَلَّفَ فِي دَارِ البِلَى الطَّلَلُ
وَلَمْ تَضِقْ بِهِمُو فِي عَيْشِهِمْ حِيَلٌ
تُدْنِي الأَمَانِي ... وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ الحِيَلُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا صَرْعَى نُشَيِّعُهُمْ
إِلَى القُبُورِ ، وَفِي أَكْبَادِنَا شُعَلُ
قَدْ عَاجَلَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ فَمَا فَزِعُوا
إِلَى طَبِيبٍ ، وَلَا أَوْصَوْا بِمَنْ نَجَلُوا
أَنْضَاءُ حَرْبٍ مَفَالِيلٌ وَلَيْسَ لَهُمْ
عَلَى بَلَائِهِمُو غُنْمٌ وَلَا نَفَلُ
لَهْفِي عَلَيْهِمْ ضَحَايَا لَا يُحَسُّ بِهَا
فِيمَنْ أَقَامُوا مِنَ الأَحْيَاءِ ، أَوْ رَحَلُوا !
الصَّابِرِينَ عَلَى الضَّرَّاءِ مَا نَبَسُوا
يَوْمًا بِشَكْوَى ، وَلَا مَلُّوا ، وَلَا عَجِلُوا
وَالقَانِعِينَ مِنَ الدُّنْيَا بِقُوتِهِمُو
وَغَيْرُهُمْ بِغِنَاهُ يُضْرَبُ المَثَلُ ! !

وَالسَّاهِرِينَ عَلَى الْأَوْرَاقِ مَا عَرَفَتْ
طَعْمَ الْكَرَى فِي الدُّجَى السَّاجِي لَهُمْ مُقَلُ
إِنْ أَحْسَنُوا لَمْ يُجَازُوا بِالَّذِي صَنَعُوا
وَإِنْ أَسَاءُوا فَذَنْبٌ لَيْسَ يُحْتَمَلُ ! !

هِيَ الْحَيَاةُ ... فَمَوْلُودٌ أُتِيحَ لَهُ
« سَعْدُ السُّعُودِ » وَمَوْلُودٌ لَهُ « زُحَلٌ » !
كَمْ دَائِبٍ فِي نَوَاحِيهَا قَضَى سَغَباً
وَقَاعِدٍ جَاءَهُ بِالنِّعْمَةِ الْكَسَلُ ؟ !
لَوْ أَنْصَفَتْ بَاتَ كُلٌّ عِنْدَ رُتْبَتِهِ
فَلَمْ يَنَلْ نَهْلَةً مِنْ وِرْدِهَا الْوَكَلُ
كَيْفَ احْتِيَالُكَ فِي دُنْيَا يَطُولُ بِهَا
عُمْرُ الْجَبَانِ ، وَيَلْقَى حَتْفَهُ الْبَطَلُ
لَا يَجْتَنِي صَابَهَا إِلَّا أَخُو كَرَمٍ
وَلِلَّئِيمِ سُلَافُ الرَّاحِ وَالْعَسَلُ
صَبْرًا عَلَى نُوَبِ الْأَيَّامِ ، عَلَّ لَكُمْ
أَوَاخِرًا ، عِنْدَهَا تُنْسَى بِهَا الْأُوَلُ
الدَّهْرُ : أَنْعُمُهُ ظِلٌّ وَأَبْؤُسُهُ
وَالظِّلُّ يَنْجُو قَلِيلاً ثُمَّ يَنْتَقِلُ

(العوفيقية) علي الجندي

صرخة الألم !

للأديب عبد العليم عيسى

أَأَنَا الَّذِي رَدَّدْتُ أَلْحَانِي عَلَى
قِيثَارَتِي السَّكْرَى طَرُوبًا حَالِمًا ؟
أَأَنَا الَّذِي ضَحِكَتْ عَلَى كَوْنِي الرُّؤَى
فَمَشَيْتُ مِطْرَابًا عَلَيْهِ هَائِمًا ؟
أَأَنَا الَّذِي وَهَبَ الْعَذَارَى رُوحَهُ
وَوَهَبْنَهُ أَرْوَاحَهُنَّ بَوَاسِمَا ؟
أَأَنَا الَّذِي دَفَنَتْ يَدَايَ كَآبَتِي
وَمَضَيْتُ وَضَّاحَ الْأَسِرَّةِ نَاعِمًا ؟
... أَنَا غَيْرُ هَذَا كُلِّهِ ... أَنَا لَمْ أَكُنْ
إِلَّا جَحِيمًا مُسْتَفِزًّا عَارِمَا ؟

يَا بَحْرُ كَمْ غَنَّيْتُ فَوْقَكَ سَابِحًا لَا أَعْرِفُ الْأَشْجَانَ إِلَّا وَاهِمَا !
يَا زَهْرُ كَمْ رَشَفَتْ جَمَالَكَ مُهْجَتِي
وَاسْتَلْهَمَتْ مِنْكَ النَّشِيدَ الْبَاسِمَا !
يَا لَيْلُ كَمْ لَجَّتْ فِيكَ مَلَاحِنِي
وَسَهِرْتُ فِيكَ مُسَامِرًا وَمُنَادِمَا !
كَانَتْ لِقَلْبِي فِي دُجَاكَ مَلَاعِبُ سَكَبَتْ بِهِ نَغَمًا يَهُزُّ الْعَالَمَا ...
أَسْيَانُ .. وَالدُّنْيَا تَمُوجُ بِحُسْنِهَا فَعَلَامَ أُنْكِرُ حُسْنَهَا مُتَشَائِمًا !
ظَمْآنُ ... وَالْأَقْدَاحُ تَطْفَحُ فِي يَدِي
فَعَلَامَ أَسْكُبُهَا حَزِينًا وَاجِمًا !
مَا لِي أَسِيرُ عَلَى اللَّهِيبِ مُجَرَّحًا وَأُعَانِقُ الْهَوْلَ الْمُحَطِّمَ سَائِمًا !
وَأَنَا الَّذِي عَبَرَ الْحَيَاةَ كَأَنَّهُ
طَيْرٌ عَلَى الْأَغْصَانِ يَهْتِفُ دَائِمًا !
وَاحَرَّ أَشْوَاقِي لِفَجْرٍ ضَاحِكٍ يَمْحُو ضَبَابًا فِي وُجُودِي قَاتِمًا !

عبد العليم عيسى



العيد الألفي للجامع الأزهر

هذه ألف سنة طوتها يد الدهر على أقدم جامعة باقية فى العالم كما يطوى الخيال أغشية النور على كوكب النهار . وكان القدر أن يحتفل العالم الإسلامى كله بالذكرى الألفية للجامع الأزهر فى اليوم السابع من شهر رمضان لولا أن الحرب التى لا تزال تزلزل الأرض قد أذهلت الناس عن كل شيء وأعجزتهم عن كل أمر ، فانتهى العزم بالقائمين على إعداد هذا الاحتفال أن يفعلوا ما فعله الخليفة الفاطمى يوم افتتاحه . وعلى ذلك تقرر أن يؤدى صلاة الجمعة فيه صاحب الجلالة المعز لدين الله فاروق الأول يتبعه كبار حاشيته ورجال دولته ، وأن يستمع إلى درس دينى يلقيه الأستاذ الأكبر عقب الصلاة ، وأن يتفضل جلالته فيشرف العلماء والطلاب بدعوتهم إلى الإفطار على موائده الكريمة ، وأن تصدر لجنة من كبار العلماء مختصراً فى تاريخ الأزهر يوزع على الناس . وقد نشرنا فى هذا العدد كلمة قيمة للأستاذ المدنى تعبر أصدق التعبير عما يعتلج من الآلام والآمال فى نفوس المصلحين البررة من أبناء الأزهر الحديث . وفى العدد القادم سنصف هذا الاحتفال وما قيل فيه(١) .

تاريخ الجامع الأزهر فى العصر الفاطمى

كان صدور هذا الكتاب القيم فى هذه الأيام تحية طيبة قدمها صديقنا الأستاذ محمد عبد الله عنان إلى الأزهر المعمور فى عيده . والأستاذ عنان من الكتاب القلائل الذين توفروا على دراسة مصر الإسلامية وخدموها بالتأليف والبحث . وكان الظن به أن يضع للأزهر تاريخاً كاملاً فى نواحيه شاملاً فى عصوره « ولكن ظروف الوقت العصيبة واضطراب الأذهان وافتقاد المراجع ، حالت كلها دون تحقيق هذه الأمنية » . فاكتفى الأستاذ بأن قدم تاريخ الأزهر فى العصر الفاطمى موصولاً ببعض الفصول التكميلية استعرض فيها أحوال الأزهر منذ العصر الفاطمى إلى هذا العصر بإيجاز . والكتاب حسن الطبع جيد الورق . يباع فى المكاتب الشهيرة باثنى عشر قرشاً .

مكتبة المستشرق المجرى جولد زيهر

فى سنة ١٩٢١ توفى المستشرق المجرى أغناطيوس جولد زيهر أول من كتب من المستشرقين فى الإسلام كتابة علمية دقيقة ، وخلف وراءه مكتبة نفيسة تحتوى زهاء ٦٠٠٠ مجلد جمعها من مختلف الأقطار الغربية والشرقية ، وبخاصة من القطر المصرى الذى نزح إليه لإتمام دراسته فى الأزهر الشريف

وهذه الكتب جليلة القدر عظيمة النفع لأنها تكاد تشتمل على جميع المؤلفات الأساسية فى الفقه الإسلامى ، والفلسفة الإسلامية ، واللغة العربية ، والأدب العربى ، وما إلى ذلك من الموضوعات . ومما يجعل لها قيمة خاصة تلك التعليقات الهامة التى علقها جولد زيهر على هوامشها لإبداء ما يخطر له من ملاحظات ، وانتقادات ، وتصحيحات ، وإشارات

وإلى جانب هذه الكتب ، تحتوى مكتبة جولد زيهر على طائفة كبيرة تبلغ الألف من نسخ الأبحاث التى كان يرسلها إليه المستشرقون مما ينشرونه فى الصحف والمجلات العلمية عن الشرق والإسلام والعرب ، وهى مطبوعة على حدة

فلما توفى جولد زيهر آلت هذه المكتبة إلى دار الكتب الوطنية والجامعية فى القدس الشريف

مقدمة أسكار وايلد فى الفن

اطلعت - متأخراً مع الأسف - على ترجمة الأستاذ على كمال لمقدمة أسكار وايلد الخالدة فى الفن فى عدد الرسالة (٤٧٤) فلاحظت على ترجمته المشكورة أنها خلت من بعض الفقرات المهمة من النص الأصلى ، كالفقرة المختصة بفن الترجمة Autobiography مثلاً حيث يقول وايلد :

(١) تأجل الاحتفال إلى موعد آخر لشكاة ألمت بصاحب الجلالة الملك أسبغ الله عليه ثوب العافية

« إن أرفع أشكال النقد ـ كأحطها ـ هو نمط من فن الترجمة » . وكذلك فإنى رأيت التسلسل فى الترجمة مبتوراً فقد جاء فيها : « إن الذين يجدون معانى قبيحة فى الأشياء الجميلة إنما هم فاسدون مجردون من الجمال » .

وهى على هذا الشكل مبتورة كما أسلفت . فقد أعقبها وايلد فى النص بقوله :

« إن أولئك الذين يجدون معانى جميلة فى الأشياء الجميلة مهذبون . والأمل فيهم » .

كما أنه ترجم كلمة Medium بمادة فى قوله :

« حياة الرجل الأخلاقية (؟) تكون جزءاً من مادة الفنان غير أن أخلاق الفن تتألف من الاستعمال التام لمادة ناقصة .

وهى ليست كذلك وإنما هى وسيلته . وجرى على هذا الأسلوب من التصرف فى النص وذلك شائع فى الترجمة .

وقد أسقط منها ما هو بالغ فى الأهمية بالنسبة لفكرة وايلد الأصلية فى الفن والنقد كقوله مثلاً :

« الفن كله سطحى ورمزى ... »

وهو ترجمة النص التالى :

All art is at once surface and symbol.

وترجمتها على هذا الشكل فيها إغفال تام لكلمة At once . فإن القصد من هذا القول تأكيد كون السطحية والرمزية متلازمين ولم تظهر هذه الناحية فى الترجمة .

وكم كنت أود ـ كما يود غيرى من المعجبين بهذه القدمة وبفن أسكار وايلد ـ أن تكون ترجمتها أكثر دقة

(بغداد — العراق) عبد الوهاب الأمين

البطريرك

قرأنا فى الرسالة الغراء العدد ٤٧٢ فى « الحديث ذو شجون » للدكتور زكى مبارك قوله « البطريرك كلمة يونانية الأصل ، أو لاتينية الأصل : ومن الطريف أن نذكر أن كازيميرسكى يجعل البطريق (بالقاف) من اللاتينية ، ويجعل البطرك (بالكاف) من اليونانية ، برغم تقارب مدلول الكلمتين »

والذى نعرفه أن البطريرك تعريب للفظ رومى معناه أبو الأسرة أو رب البيت . فقد جاء فى كتاب التنبيه والأشراف للمسعودى أنه بالرومية بطرياركس تفسيره رئيس الآباء ثم خفف . وقد سماه المسعودى والإسلاميون بطريرخ ثم بطريرك ثم خفف فى الاستعمال فصرنا نقول بطرك ونكتبها بطريرك ، كما نقول بيه ونكتب بك ، وكانوا قبلنا يقولون جنبية ويكتبون جنباواى وجنبوية ، ويقولون أبشيه وأبشاى ويكتبون أبشواى وأبشويه .

رضوان العداولى

« شباب قلب »

[مجموعة من الأقاصيص التحليلية أصدرها الأستاذ حبيب الزحلاوى ، وقدم لها بهذه الكلمة الأستاذ المقاد] :

من المزايا التى يحسن أن تتوافر للكاتب القصصى أن تكون حياته صالحة لموضوع قصة أو قصص كثيرة ، سواء فى مساعيه الخارجية أو تجاربه النفسية

وهذه مزية قد توافر منها النصيب الوافى لصديقنا الكاتب الفاضل صاحب هذه المجموعة منذ نشأته الأولى ، فعرف الجهاد فى سبيل الوطن ، كما عرف الجهاد فى سبيل العمل ، وتمرس بالناس كما تمرس بنفسه ، واختبر حياة الأسرة وملابساتها ، كما اختبر حياة المجتمع الشرقى وملابساته ، وزار — مع هذا — بلاداً غير بلاده الشرقية ، فسنحت له فرص شتى للمقابلة والموازنة والاستفادة من هنا وهناك

وليس أيسر على القارئ من أن يلمس هذه الحقيقة فى صفحات هذه المجموعة القصصية . فهى ترجمة الأديب كاتبها موزعة بين قصة وقصة وبين صفحة وصفحة ، يكاد من له ولع بالمشابهات والتوفيقات أن يستخرجها ويجمعها فى نسق واحد ، فإذا هى قصة واحدة ، وإذا هى ترجمة حياة

توخى الأستاذ حبيب أساليب شتى فى سرد الوقائع وإبلاغها إلى نفس القارئ ، ووفق فى جميع هذه الأساليب إلى التشويق الذى ينبغى أن يكون غرضاً من أوائل أغراض الكتابة القصصية على خلاف مذهب الطائفة الأخيرة من متحذلقة العصر الحاضر ، التى تنكر التشويق أو تعجز عنه ، كأنما تنفير القارئ غرض من الأغراض فى اعتقادها يقابل ترغيب القارئ فيما اتفق عليه القصصيون والكتاب على الإجمال

وشاعت فى ثنايا الوصف أو السرد عبارات متفرقة فى مواضعها اللائقة لها ، تشتمل على بلاغة وحسن تمثيل ، كقوله فى وصف لحظة انتظار : « تمضى الثوانى والدقائق والساعات ، بل العمر كله يمضى فى طريق الزمن ، والزمن لا ينفك منذ الأزل ، وسيبقى مدى الآباد يسير بنظام محكم الضبط ، فعلام اختل اليوم نظامه ، وهدأت دورته ، وتركنى وحدى أنا : الشاذ المضطرب ، الصاخب والهادى ، الفكر المبلبل ... أنا السعيد الحزين ، والباكى الضاحك ... علام تركنى فى أرض يلوح لى الآن أنها تدور دورة معكوسة ... »

أو كقوله على لسان البطلة فى قصة مع الريح : « قلت له مرة ، هل تستمد الوحى من أغصان الشجر أو من أفواه النيل الجارية ؟ إنك دائم ترويح النظر بين هذه وتلك . وكأنى به ارتاح إلى ملاحظتى فابتسم ابتسامة رقيقة : من القلب وحده يستمد الإنسان وحيه »

أو كقوله على لسان تلك البطلة تخاطب أختها : كتبت لى تعنفنى على استرسالى فى معاشرة ذاك الشيخ الذى توسل بوعد الزواج بى للوصول إلى غاية تنفى نبالة القصد من الزواج فتنبهت . اطلقنى ملامك الصارخ من البحر الخضم فصيرنى كالضفدع أقفز على اليابسة ولا أجرأ على الابتعاد من المستنقع الآسن ... »

وهكذا فى أمثال هذه التعبيرات الموفقة فى معارض شتى تتخلل الأقاصيص التى اشتملت عليها المجموعة

ولا حاجة بالكاتب إلى سبب يرجع إليه وهو يقدم قصته لقرائه بعد أن يكفل لهم المزيتين اللازمتين فى كل كتابة « فى كتابة القصة وحدها وهما : صدق الرواية عن الحياة وحسن التمثيل لما رواه

وكلتا المزيتين بينة فى قصص الأستاذ حبيب على ما نلاحظ خلالها من هفوات لغوية تمهد فى العصر الحاضر عند كتاب كثيرين ، وتشفع لها هنا حسنات تميل إلى الرجحان ويخرج منها القارئ وهو رابح الميزان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

Lundi - 28 - 9 - 1942

10me Année No. 482

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٤٨٢ « القاهرة في يوم الإثنين ١٧ رمضان سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

من عجائب النـــاس

لعل ابن آدم هو المخلوق الوحيد الذي يرى الشيء الواحد بعينيه الاثنتين أبيض تارة وأسود أخرى على حسب الصبغ الذي يلوّنه به الهوى؛ فقد يتحد الشيء في ذاته وصفاته، ولكنه يختلف وا عجباه في نظره أو في رأيه، فيكون حسناً وقبيحاً، أو خيراً وشراً، أو حلالاً وحراماً، أو نافعاً وضاراً، لا باعتبار حقيقته في نفسه، ولكن باعتبار ما تقتضيه الحاجة أو الأثرة أو الرياء أو المحاباة. وبفضل هذه الميزة العجيبة في الإنسان تعددت مقاييسه، وتضاربت أهواؤه، وتناقضت أحكامه، وتباينت عقائده، وتفرقت سُبله

ذلك كلام لا نكير فيه ولا لبس فلا أحلل ولا أعلل، وبحسبي أن أدع الحوادث تُحدِّث والأمثلة تُمثِّل

أذاع راديو (باري) منذ ليلتين أن فريقاً من الطلاب الهنود تظاهروا في بمباي فاعترضتهم فئة من الشرط الإنجليز فتفرقوا في شوارع المدينة أباديد بعد أن أصيب نفر منهم بجروح. ثم عقب المذيع على هذا الخبر بأن الاعتداء على المتظاهرين بالضرب ينافي المدنية، ويجافي الخلق، ويصم الذين ارتكبوه بالقسوة الوحشية والبربرية الأثيمة. وفي هذه الإذاعة نفسها أعلن هذا المذيع نفسه أن مليوناً من جنود المحور قد اقتحموا بالدبابات

١٦ - ١٩

الثقيلة والطائرات المنقضة والسيارات المدرّعة منازل (ستالينجراد) على الروس وفيهم النساء والأطفال والشيوخ والمرضى ، فدكوا كل بناء ، وسحقوا كل حى ، وركموا أشلاء القتلى فى الحجرات والطرقات على صورة لم يرها الراءون ولم يَرْوها الراوون . ثم أخذ هذا البوق البشرى يهذى بفضل هذا النصر على المدنية ، وينوه بعظيم أثره فى مستقبل الإنسانية !

* * *

كان لكاتب من كبار المصلحين حصة مأكولة فى وقف أهلى ، فظل يكتب فى وجوب حل هذا النوع من الوقف حتى نضب مداده ، ويخطب فى جشع النُّظارة وإهمال الوزارة حتى جف ريقه . وتداول الناس مما كتب وخطب جملةً من البراهين المُلزمة والنصوص الصريحة والوقائع الثابتة لا تدع لوجود الوقف الأهلى مبررا ولا للدفاع عنه حجة . فما هو إلا أن آلت النظارة على هذا الوقف إليه حتى بلع لسانه فلم يخطب ، وكسر قلمه فلم يكتب ، وفرغ لاستغلال الوقف والاستبداد بريْعه فلم يقبل رقيباً عليه ، ولم يقابل مستحقاً فيه !! ذكرت بهذا الكاتب المصلح ذلك الاشتراكى المفلسَ الذى كان يرى الرأسمالية وبالاً على المجتمع ، والرأسماليين كلاً على الناس . وكان يسوِّغ فى سبيل اشتراكيته الإرهاب والإضراب والمصادرة والقتل ، حتى ورث عن أحد أقربائه الأباعد قطعة من الأرض ، فنصب على كل جهة من جهاتها الأربع لوحة كتب عليها بالخط العريض : (ممنوع المرور) !

* * *

وكان خطيب من خطباء المساجد عليه سمات التقى والزهد لا ينفك يقرع آذان المصلين بالعظات الزاجرة عن احتكار السلع وإفحاش الأسعار وإرهاق الناس فى هذه السنين العجاف . فإذا فَرغ من الوعظ وخرج من المسجد جلس فى حانوته الصغير يسبح لله ويقسم لطالب السكر أو الزيت أو الرز أن دكانه من كل أولئك خلاء . فإذا وجد الضعيف المضطر أعطاه بالسعر المضعّف والكيل المطفف بعض ما يطلب ! وهيهات أن تنفذ إليه عيون الحكومة من وراء الحجب الأربعة التى ضربها عليه من وظيفته وعمامته ولحيته ومسبحته !

هذا الشيخ يحسب أن حدود الدين لا تتعدى حدود المسجد ، فإذا عالج شؤون الدنيا عالجها على النهج الذى سنه الشيطان لأوليائه ؛ فهو كالتلميذ الذى يحسب أن قواعد النحو لا تتعدى (حصة) اللغة العربية ، فإذا كتب فى التاريخ أو فى الكيمياء كان مطلق الحرية فى إنشائه . ذلك أحسن الفروض ، فإذا كان يعتقد أن الدين طعم الدنيا وشرك المال ، كان كذلك الصوفى الهرم الذى زعموا أنه كان يركب الترام كل صباح إلى ضريح الشافعى فكلما أقبل عليه (الكمسارى) يطلب أجر الركوب أدبر عنه وشغل لسانه بالذكر ويده بالتسبيح حتى ينصرف إلى غيره . ففى ذات يوم ألح المحصل على تنافل الشيخ وسأله عن (التذكرة) فلم ير بدًّا من أن يدفع هذه المرة ويقول فى هيئة المفجوء ولهجة الذاهل : « معذرة يا بنى ! فقد شُغلت بالله عن كل شىء » !

* * *

كبير من الكبراء له فى الصوم مذهب جديد ؛ فهو يصوم الصوم (الصحى) الذى يفيد الجسد ولا يفيد الروح : يتعاطى كل ساعتين كوباً كبيراً من عصير العنب أو الليمون أو المانجو ، ثم يمسك عن التبغ فى النهار وعن الخمر فى الليل ، ويصر على أن تُساقط أصابعه الثلاث حبات المسبحة منذ أذان العصر ، وأن يفطر على أشربة رمضان وآكاله عند أذان المغرب . فإذا بلغه أن أحد مرءوسيه غفل عن آداب الصيام ، فى النظر أو الكلام ، أخذه أخذاً شديداً (بتعليمات الوزارة)

* * *

أستاذ من أساتذة الأدب لا يحاضر إلا فى الدين ولا يجادل إلا فى الخلق ، له فى الحرية الشخصية مذهب فضفاضٌ يسحب أطرافه السابغة على كل معروف من الدين والخلق . ثم لا يعوزه أن يجد لكل رغيبة من رغائب نفسه الشهوانة سنداً مما يسميه هو الدين والخلق . فمثله كمثل ذلك الفقيه الثقة الذى تبحر فى القانون وتقصَّى فى الإفتاء حتى لا تند عن ذهنه مسألة ، ولا تعزب عن براعته حيلة . فلما تولى أمور الناس وجد لكل مأزق من مآزق الضمير مخرجاً من مخارج الرأى لا يضيق عن أمر من الأمور فى أى غرض من الأغراض !

* * *

هذه أمثلة من الواقع المشهود تؤيد شقاء الإنسانية بين العقل والهوى . ولو طاوعت القلم لسردت عليك ما هو أعجب ؛ ولكن ...

قالت الضفدع قولاً ردّدته الحكماء :
فى فمى ماء وهل ينطق مَن فى فيه ماء ؟

احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

مكانة الأديب فى الجهاد — أدب المعاش — نفحة سودانية

مكانة الأديب فى الجهاد

اقترح أحد النواب المحترمين إحياء ذكرى « شوقى » بإقامة تمثال له فى أحد شوارع القاهرة ، وتلك التفاتة لطيفة تدل على قيمة الشعر فى أنفس بعض النواب

ولكنَّ أديباً فاضلاً تعقَّب هذا الاقتراح فى جريدة (الدستور) فقال : يجب أولاً إقامة تمثال لمحمد فريد ، وتمثال لمحمد عبده ، وتمثال لقاسم أمين ، قبل أن يقام تمثال لأحمد شوقى أو حافظ إبراهيم

ولا بأس بهذا الكلام ، ولكن الأديب الفاضل علّله فقال : نحن فى عصر السيادةُ فيه للشجاعة والبأس ، والعبادةُ فيه للبطولة والأبطال ، لا للفن والجمال ، وكلٌّ مقتحم ميداناً ، ودَاكٌّ سوراً ، ومنتزع نصراً ، مقدَّم على من يجلس فوق رابية آمنة ، ليرسل من قيثارته ألحاناً مشجية

ومعنى هذا التعليل أن أمثال محمد عبده ومحمد فريد كانوا جماعة من المجاهدين ، وأن أمثال أحمد شوقى وحافظ ابراهيم كانوا جماعة من المغنين ! !

ومن يعش فى مصر ير العجب ، وإلا فكيف يجوز القول بأن صورة الشاعر هى صورة « من يجلس فوق رابية آمنة ، ليرسل من قيثارته ألحاناً مشجية » ؟ وكيف يجوز القول بأن الشعراء ليسوا إلا جماعة يسبحون للفن والجمال ، ولا صلة لهم بالبطولة والأبطال ؟

إن هذا الناقد لا يعرف كيف يحيا الشعراء ، ولا يفهم من الشعر إلا أنه غناء ، والأدب عنده متعة ذوقية يلهو بها الفارغون من أهل العبث والمجون

فمتى يعرف أهل مصر أن حامل القلم هو الوطنىّ الأول ، والمجاهد الأول ، وأن معانى البطولة تمتلج فى صدره قبل أن تمتلج فى صدور القادة والزعماء ؟

وما أساس البطولة الحقيقية عند أمثال : محمد فريد ومحمد عبده وقاسم أمين ؟

أساسها الفكر والبيان ، ويجب حتماً أن نضيف هؤلاء إلى الأدباء قبل أن نعدَّهم زعماء ، فما ارتفعوا إلا بالفكر المُشْرِق والبيان الجميل

وحكاية دكّ الأسوار واقتحام الميادين وانتزاع النصر تحتاج إلى شرح :

فهل من الحق أن الأديب لا يدكّ أسواراً ولا يقتحم ميادين ؟

إن الأديب يقضى عمره فى جهاد ونضال وعراك مع الدنيا والناس ، ومع الأوهام والأباطيل والأضاليل ، وما شرَّق مشرِّق أو غرَّب مغرِّب فى دعوة وطنية أو اجتماعية إلا على هدًى من وحى الأديب ؛ ولا استبسل جبان ، أو استقتل شجاع ، إلا بتحريض من عبارة فاه بها شاعرٌ أو كاتبٌ أو خطيب

فى أعقاب الحرب الماضية ظهر كتابٌ فرنسى اسمه : La Barbarie All وهو كتابٌ أُقيم على أساس القول بأن الوحشية الألمانية ترجع إلى إيحاء من شعراء الألمان ومفكريهم فى القرن التاسع عشر ، وأن السيوف تتلقى الوحى عن الأقلام فى تلك البلاد

وقبل هذه القولة الفرنسية فى تعليل الوحشية الألمانية ، قال أسلافنا منذ أزمان طوال : إن أبياتاً من شعر عمر بن أبى ربيعة نقلت قلب هرون الرشيد من مكان إلى مكان ، فصنع بالبرامكة ما دوَّنه التاريخ بإسهاب

وإلى الأدب العربى يرجع الفضل فى تأريث البطولة العربية ، وكذلك حظ جميع الآداب فى جميع الشعوب

حين تزاور الرؤساء من الإنجليز والأمريكان بعد انتصار الحلفاء فى الحرب الماضية لم يجدوا عبارة تفصح عن الألفة بين الأمتين أفضل من العبارة التى تقول بأن لغة شكسبير هى الرباط الوثيق بين الإنجليز والأمريكان

فهل سمعتم أن شكسبير دكّ أسواراً واقتحم ميادين ؟

ومنذ أسبوع نقلت البرقيات أن المسيو هريو ردّ وسام « اللجيون دونير » إلى المُشير بيتان[1] — وكان تلقاه من كليمنصو العظيم — لأن حكومة ڤيشى منحت هذا الوسام لضابطين يحاربان فى صفوف الألمان ، فممّن تَلقَّى هريو هذا الوحى الرائع ، الوحى الذى يأبى على الضمير الفرنسى أن يستبقى وساماً يُهدَى إلى من يحارب فى صفوف الأعداء ، ولو أصبحوا بحكم الضرورة حلفاء ؟

(١) المشير باللغة العربية هو الماريشال باللغة الفرنسية

هذه التفاتة أدبية لا سياسية ، والأدب يوحي معاني تنفر منها السياسة ، بحيث يجوز الحكم بأن الأدباء أشجع من السياسيين ، وما مُدح سعد زغلول بأفضل من النص على أنه كان خطيباً وطنيًا لا سياسيًا ، كما قال الأستاذ كامل بك سليم

التفاتة المسيو هريو التفاتة أديب ، وكان هريو في مطلع حياته أستاذ الأدب الفرنسي بجامعة ليون ، وكان يعاب عليه الإسراف في شرح أصول الغزَل والتشبيب ، فلم يكن يرتاد محاضراته بجامعة ليون غير عرائس ليون

ثم تحولت العواطف الوجدانية عند المسيو هريو إلى عواطف وطنية ، وهل كانت خطبه في مجلس النواب الفرنسي إلا روائع من الأدب المضمَّخ بعبير الروح ؟

ولم يقف الأدب بالمسيو هريو عند الوطنية المحلية ، بل سما به إلى رعاية اللغة الفرنسية في البلاد الأجنبية ، فرأس جمعية المسيو لابيك رياسة حقيقية لا صورية ، وأمدها بما استطاع من الوقت والمال

عتب عليه المسيو بينار في المؤتمر الذي عُقد في يوليه سنة ١٩٣٣ خُلف الوعد بحضور افتتاح الليسيه فرانسيه في حلب ، فاعتذر بأسلوب لن أنسى وقعه في نفسي ، اعتذر بأنه يبيت في القطار ثلاث ليال من كل أسبوع ، ثم أعلن استعداده لدفع النفقات التي توجبها الدعوة لنشر اللغة الفرنسية في البلاد الأجنبية

فهل تصدر هذه الأريحية إلا عن أديب ؟

وفي ذلك اليوم دعوته لزيارة القاهرة فقال في حماسة : سنلتقي هنالك يا صديقي

وقد برّ بالوعد فحضر لافتتاح الليسيه فرانسيه بمصر الجديدة في سنة ١٩٣٨ ، ولكني ما رأيته ولا رآني ، فقد كنت في بغداد ، عليها أطيب التحيات

وخلاصة القول أن الأدب عماد الوطنية ، ولا قيمة لوطن ليس فيه أدباء

وإذا تحذلق متحذلق فادّعى أن الأدباء لا يحسنون غير التغريد فوق أفنان الجمال ، أجبناه قائلين بعِزة وخُيَلاء :

إن الجمال هو أعظم نِعم الله في هذا الوجود ، ولا يعيب التغني بالجمال غير مرضَى الأذواق والقلوب . . . الأمم العظيمة هي التي تتغنى بالجمال ، كما يصنع الإنجليز والألمان ، وكما صنع العرب في شباب الزمان ... فمن بدا له أن يغض من شعرائنا لأنهم يتحدثون عن الجمال ، فليبادر باستشارة أحد الأطباء

أدب المعاش

لا جدال في أن الأدب العربي الحديث قد سما سموًا عظيماً في كثير من الفنون ، ولكني مع ذلك أراه يخلف أقبح التخلف في دعوة الناس إلى تدبير المعاش ، وأنا أقترح أن يكون عندنا أدب يسمى « أدب المعاش » وهو الأدب الذي يعلم الناس كيف يقتصدون ، وكيف يدّخرون ، وكيف يواجهون مطالب الحياة في الشباب والمشيب ، بجيوب سليمة من مرض الأفلاس ، فما يُذلّ الرجال غير الفقر ، أعاذنا الله وأعاذ جميع الأحرار من رؤية وجهه البغيض

ولتوضيح هذا النقص في اتجاهاتنا الأدبية أسوق الفكاهتين الآتيتين : لقيني الشاعر حافظ ابراهيم يوماً فقال :

— هل رأيت ما صنع شوقي ؟

— وما ذا صنع شوقي ؟

— نظم قصيدة في « بنك مصر » مع أنه لو اختلف مع هذا البنك على مليم واحد لساقه إلى ساحة القضاء !

— ومعنى هذا أنك لا ترى أن تقال في « البنوك » قصائد ؟

— القصائد لا تقال إلا في الأزهار والرياحين

ولقيني الشاعر عباس العقاد يوماً فقال :

— قد نفيناك عن فردوس الأدب

— وما سبب هذا النفي ، يا حضرة الأستاذ ؟

— لأنك بنيت بيتاً في مصر الجديدة ، والأدب لا يعرف مثل هذا الثراء

وقد اعتذرت للأستاذ العقاد بعبارة لطيفة ، عبارة تقول بأن شهرتي بالأدب هددت سمعتي المالية ، فكان من واجبي أن أبني بيتاً ولو بالتقسيط ، لتحسُن سمعتي في سنتريس

والحق أن أدباءنا قد انصرفوا عن تعليم أنفسهم وتعليم قرائهم فكرة المعاش ، ولو شئت لقلت إنهم يتباهون بالتبديد لما يملكون . وهذا خطرٌ يجب التحذير من عواقبه السُّود ، وأنا أنبه نفسي وأنبه تلاميذي وقرائي ، فلأسمع وليسمعوا ، ولعل فيهم من يعي كلامي بأكثر مما أعي كلامي

لا يعاب على الأديب أن يقصَّ بعض وقائعه الغرامية ، فمنذ عهد امرئ القيس إلى اليوم والشعراء يتباهون بحوادث الضم والعناق والوصال ، والأمر كذلك عند شعراء الأمم الأجنبية ، ولكن يعاب على الأديب أن يقصَّ بعض مسالكه في تدبير

المعاش وما وقع من ذلك لم يقابَل بغير السخرية والاستهزاء

وأخرج على هذا التقليد فأقول : إنى جربت منذ أعوام على الادخار فى حدود الاعتدال ، فلا أحرم نفسى ولا أحرم أبنائى نعمة العيش المقبول ، ولكنى لا أسمح لنفسى ولا لأبنائى بتبديد ما يسوق الله من الرزق الحلال

وعند اشتغالى بالتدريس كنت أسأل تلاميذى عما يدّخرون ولم يفتنى أن ألقى درساً فى الادخار على تلاميذى فى بغداد ، راجياً أن يلقوه على تلاميذهم فى جميع أرجاء العراق

ومهنتى اليوم لا تتسع لأمثال هذه الدروس ، ومع ذلك يغلبنى حب الخير فأسأل المدرسين الذين أتشرف بتوجيههم إلى المناهج الصحيحة فى التدريس ، أسألهم عما يدّخرون ، لأطمئن إلى صلاحيتهم لمهنة التعليم ؛ فالمعلم الحق فى نظرى هو الذى يروض نفسه ويروض تلاميذه على تدبير المعاش . ولا يمكن لمدرس يبدد مرتبه فى الأسبوع الأول من الشهر أن يجد عقله فى الباقى من الأسابيع

وتدبير المال فى الحدود المعقولة يشهد بالقدرة على ضبط النفس ، وضبط النفس هو أوثق صور الأخلاق ، وما يجوز لمبذّر أن يتوهم أنه يصلح لشىء من جلائل الأعمال

أكتب هذا وأنا أعرف أن فى بنى آدم من يطيب له أن يتهمنى بالشح والبخل، لأنهم ألِفوا وصف المدخرين بالشح والبخل؛ ولأن الشعر القديم صوّر لهم التبذير بصورة السخاء مع أن أكثر المدائح كانت تمائم أريدَ بها انتهاب ما يملك الخلفاء والملوك

ومهما نهيتكم عن الإسراف فلن أنهاكم عن البر بالفقراء والمساكين . ولى هنا غاية تجارية : فقد عرفت بالتجربة أن الله يعوّض ما ننفقه على المعوزين أضعافاً مضاعفة ، ومن الواجب أن نستغل كرم الله أجمل استغلال فى حدود ما نطيق

وأنا بعد هذا أرجو من يؤلفون كتب المطالعة لتلاميذ المدارس أن يكثروا من الحث على الادخار ، ليساعدوا على إنشاء جيل جديد ، جيل متماسك لا يتباهى أبناؤه بالسرف والتبديد ، وإنما يتباهون بالبرّ والإفضال

نفحة سودانية

كان من توفيق الله أن نلتفت إلى الأدب فى السودان بعض الالتفات ، فبه أتيحت فرصة للتعرف إلى ما هنالك من روائع لو نُشرت لبهرت شعراء مصر والشام والعراق

أقول هذا وأمامى قصيدة للشاعر محمد سعيد العباسى ، قصيدة خفيفة الروح ، حنّ فيها إلى أيامه بمصر فقال :

ولو كان لى عِلمُ ما فى غدٍ ... لمـا بِعتُ مصر بسودانيه

عدتنىَ عن طِيب ذاك الثواء ... نوًى قَذَفتْ خيلُها عاديه

فودّعتُها أمسِ لا عن قِلًى ... ولم تكن النفسُ بالساليه

إلى بلدٍ عشتُ فيه غريبًا ... بعيدًا عن الناس فى ضاحيه

أقيم بها من صدور المطىّ ... للمرخِ يُحدَى وللصافيه[1]

لعـلى أصيبُ بتلك البطاح ... صـبـاى وذاهب أياميه

فلله كم جنَت الحادثات ... علىّ وأودتْ بآماليـه

رعى الله مصرَ فكم للأديب ... بها ثَمَّ من عيشةٍ راضيه

وأحبِب بأيامهـا الذاهبات ... على ما بهـا وعلى ما بيـه

قضينا بها غَفَلات الشباب ... بأحلى مذاقًا من العافيه

تولّتْ سراعاً فياليتَها ... تعود لنـا مرةً ثانيـه

ويا قِبلةَ الخير لا تبعـدى ... وحُيِّيتِ زاهرةً زاهية

ويا برقُ زُرها بوطف الغمام ... وحُلِّ عزاليك يا ساريه

وإن تبخلى إن لى مُقلةً ... هى المزن هامعةً هاميه

بنى مصر حيّاكم ذو الجلال ... بعَرف تحياته الزاكيه

وأسـدى بإحسانه منعماً ... لكم كلَّ صالحةٍ باقيـه

بكم غدت اليومَ أم اللغات ... لحسناءَ فى بُرُدٍ ضافيه

حَمَلتم بمصرَ وبالمشرقَيْن ... رسالةَ آدابها العاليـه

أجلْ وشأوتم بسحر البيان ... عباقرة الأعصر الخاليه

بيانٌ هو البـدر فى تِمِّـهِ ... يشقُّ حشا الليلةِ الداجيـه

وكالورد يعبـق مطلولهُ ... أو المسك أو جونة الغاليـه

بَلونا الكرام فكانوا البناء ... وكنتم به حَجَر الزوايه

فما رأىُ قراء « الرسالة » فى هذا الكلام النفيس ؟ ما رأيهم فى شاعرٍ سودانىّ يحنّ إلى مصر هـذا الحنين ؟ وما جزاؤه على هذا التلطف النبيل ؟

نحن لا نملك الجزاء على مِثل هذا الوداد، فهو فوق الجزاء، ويكفى أن نقول إنه شاعرٌ من السودان ، السودان المصرى ، أعزّه الله ورعاه وحماه من جميع الأسواء

وداد مصر للسودان ودادٌ صحيح ، فليعرف السودانيون أننا لا نقبل أن يكونوا أوفى منا بأى حال ، وسنعارض هذه القصيدة بقصائد، وسنريهم أن مصر تجزيهم صدقاً بصدق، وإخلاصاً بإخلاص

(١) المرخ والصافية ماءان لبادية الكبابيش بالسودان

مفاوضات الفتح العربى لمصر

للأســتاذ السيد يعقوب بكر

(تتمـة)

(حـ) مفاوضة ثالثة

يحكى لنا الواقدى (ص ٢٥ — ٢٨) أن أرمنوسة ابنة المقوقس كانت فى طريقها إلى قيسارية لتُزَفّ إلى فلسطين (يقصد قسطنطين) بن هرقل ، فلما علمت أن قيسارية قد حاصرها العرب ، عادت إلى مصر بما كان معها من الخدم والمال ، فما وصلت إلى بلبيس ، حتى جاءتها جيوش عمرو وحاصرتها . ثم يقول الواقدى : إن العرب اقتحموا المدينة وأسروا أرمانوسة ، ولكن عمراً أرسلها إلى أبيها المقوقس ، اعترافاً منه بحسن صنيعه (أى صنيع المقوقس) ، حين أتته منذ سنين عدة رسالة النبى صلى الله عليه وسلم ، يحملها إليه حاطب بن أبى بلتعة . أرسل عمرو أرمانوسه إلى أبيها مع قيس ابن سعد ، فيصل هذا ويدور بينه وبين أبيها حديث طويل يسجّله لنا الواقدى (ص ٢٨ — ٢٩) . ونحن يعنينا هنا الجزء الأخير من هذا الحديث (ص ٢٩) : « فقال المقوقس لقيس ابن سعد : يا أخا العرب ، إرجع إلى أصحابك وأخبرهم بما سمعت وبما رأيت ، وانظر فيما يستقر عندكم وبينكم ؛ فقال قيس : أيها الملك ، لا بد لنا منكم ، ولا ينجيكم منا إلا الإسلام أو أداء الجزية أو القتال . فقال المقوقس : أنا أعرض ذلك عليهم ، وأعلم أنهم لا يجيبون ، لأن قلوبهم قاسية من أكل الحرام »

فهل نعد ذلك الحديث مفاوضة ؟ لا شك فى ذلك . ولكننا نعتقد اعتقاداً جازماً أن هذه المفاوضة لم تكن ، وذلك لسببين : الأول أن قصة أرمانوسه نفسها موضوعة ؛ فالأستاذ بتلر يقول فيها (ت ٣ ص ١٩١) : ولا حاجة بى إلى إضاعة الوقت فى تفنيد هذه القصة ، فإن مجرد العلم بأن المقوقس كان بطريق الإسكندرية كاف لدحضها ... ويجدر بنا هنا أن نذكر أن أبا صالح قال : إن « أرمنوسه » هى الإسم المصرى القديم لمدينة أرمنت (ص ٢٧٩) . وقد ذكر ابن عبد الحكم بغير دقة أنها امرأة المقوقس ، وذكر كرماً كان لها أغرقته فصارت منه بحيرة مريوط . وإنه مما يؤسف له أن هذه القصص التى يمليها خيال ألف ليلة وليلة مما يجب علينا إبعاده من التاريخ »؛ والثانى أن المقوقس لم يكن هو الذى تسلَّمَ رسالة النبى عليه الصلاة والسلام وإنما الذى تسلَّمها هو « جرج » الذى سمى « بالمقوقس » فى (الرسالة) خطأً ، وهو حاكم الإسكندرية ونائب الملك فى مصر (بتلر ص ١٢٥)

(د) مفاوضة رابعة

يحكى لنا الواقدى (ص ٣٥ — ٣٩) ما فعله العرب الذين كانوا سائرين لنصرة عمرو — مع العرب المتنصرة الذين كانوا سائرين لنصرة أرسطوليس وكيف أن أرسطوليس هذا استهدف لمكيدتين : مكيدة عمه أرجانوس الذى أدرك مقتل أخيه على يد ابنه (أى ابن أخيه) ، ومكيدة العرب المسلمين الذين انبثّت طائفة منهم فى معسكره متظاهرة بأنها جماعة العرب المتنصرة الذين جاءوا لنصرته ؛ ثم كيف هُزم بسبب هاتين المكيدتين أمام الحصن وفر إلى الإسكندرية . وبعد ذلك يقول الواقدى (ص ٣٩) : « (قال ابن إسحق) حدثنى من أثق به أنه قُتل فى تلك الليلة من عسكر القبط خمسة آلاف ، وغنم المسلمون أثقالهم وما كان فيها من الأموال . فلما أقبل الصباح اجتمع خالد بالمسلمين وسلم بعضهم على بعض وهنوهم بالسلامة ، ودخلوا مصر وملكوا ديارها وأحاطوا بقصر الشمع . فأشرف عليهم أرجانوس بن راعيل أخو المقوقس ، وقال لهم : يا فتيان العرب ، اعلموا أن الله قد أمدكم بالنصر ، وقد فعلت فى حقكم كذا وكذا ، ولو لا حيلتى على ابن أخى

أيها الأرواح الشوارد بأعالى النيل ، أيها الحافظون لأمجاد الإسلام بالوادى السحيق، هل تعرفون مكانتكم فى أنفس المصريين؟

لذلك حديث وأحاديث ، فانتظروا قليلاً ، فسأقصّ من أخباركم ما تجهلون

أيها الشاعر الذى حيّا مصر ، حيّاك الله وحيّاك ثم حيّاك ، فقد طوّقت جيد مصر بقلائد صيغت من حبات القلوب

أهذا شعرٌ أم سحر ؟

هو فوق الشعر وفوق السحر ، هو إلهامٌ جادت فطرةٌ كريمة الأصل ، فى بلادٍ أبناؤها أصلاء

وإلى الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد تحيتى وثنائى ، فهو الذى حمل إلىّ هذا القصيد ، كما يحمل النسيم رسائل المحبوب إلى الحبيب

زكى مبارك

لما انهزم منكم ، وقد ظفرتم الآن ، ونحن نسلم إليكم على شرط أنكم لا تتعرضون لنا ولا تمدون أيديكم لنا بسوء ، ومن أراد منا أن يبقى على دينه يؤدى الجزية ، ومن أراد أن يتبعكم يتبعكم . فقال له معاذ بن جبل : قد نصرنا الله على الكفار بصدق نياتنا وصالح أعمالنا واتباعنا للحق ، وإنا ما قلنا قولاً إلا وفيناه ، ولا استعملنا الغدر ولا المكر ، وأنتم لكم الأمان على أنفسكم وأموالكم وحريمكم وأولادكم ، ومن بقى منكم على دينه فلن نُكرهه ومن اتبع ديننا فله ما لنا وعليه ما علينا . فلما سمع أرجانوس ذلك نزل إليهم بالمفاتيح ، فأمنوه وأمنوا من كان معه فى القصر ، وجمعوا أكابر مصر ومشايخها ... »

فهل نعد ذلك مفاوضة ؟ لا شك فى ذلك . ولكن القصة كلها من أولها إلى آخرها موضوعة ليست فيها أثارة من صواب فقد قلنا من قبل إن المقوقس لم يمت فى ذلك الوقت ، وإن اسم أرسطوليس لم يرد فى غير كتاب الواقدى ؛ ونقول الآن إن اسم أرجانوس لم نجده كذلك عند غير الواقدى . وليست بنا حاجة لتنفيذ هذه المفاوضة إلى القول بأن قصة العرب المتنصرة موضوعة وإننا لم نجدها فى غير كتاب الواقدى .

* * *

فخلاصة القسم الأول من البحث أنه لم يصح عندنا إلا وقوع مفاوضتين : الأولى عند بلبيس بين عمرو وجماعة عليها أحد الأساقفة ، ولم يرد إلينا نص ما دار فى هذه المفاوضة . والثانية فى جزيرة الروضة أثناء حصار حصن بابليون بين المقوقس وعبادة ابن الصامت ، وقد ورد إلينا ما يقول مؤرخو العرب إنه دار فى هذه المفاوضة ، ولكننا لا نظن أن الذى نقله إلينا هؤلاء هو ما دار فى هذه المفاوضة بالضبط ، وإن كنا لا نشك فى أنه لا يختلف عنه من حيث الروح المسيطرة على الطرفين المتفاوضين

فلنشرع إذن فى القسم الثانى من البحث فى تلمس هذه الروح فى ما نقله إلينا مؤرخو العرب وتنسُّمها منه

القسم الثانى

كان عبادة بن الصامت وأصحابه تسيطر عليهم تلك الروح التى كانت تسيطر على العرب جميعهم فى ذلك الوقت : الانصراف عن الدنيا وأعراضها وملذاتها ، تلك الدنيا التى طلقوها ونبذوها وخلفوها ظهريًا ؛ ثم السعى إلى لقاء الله تعالى والاستشهاد فى سبيله والظفر بجنته ونعيم آخرته

وكان عبادة بن الصامت وأصحابه لا يجدون ما يصلح أساساً للمفاوضة بينهم وبين المقوقس وأصحابه غير هذه الثلاث الخصال : إما الإسلام وإما الجزية وإما القتال . ذلك لأنها الأساس الوحيد الذى يرضى به المسلم المعمور القلب بالإيمان الخالص الضمير من أعراض الدنيا الموطن النفس على الاستشهاد

أما المقوقس فكان فى أول الأمر تسيطر عليه نزعتان : الأولى هى خوف العرب وخشيتهم . والثانية هى الحرص على سلطان هرقل من أن يزول عن مصر . ولذلك وجدناه يصطنع الحيلة لصرف هؤلاء العرب عن البلاد ؛ فيأخذ فى تخويف عبادة وصحبه من جموع الروم التى تتجمع للقائهم وتوشك أن تنقضّ عليهم فلا يستطيعون لها ردا ، ويأخذ فى إظهار شفقته على هؤلاء العرب الذين يقاسون شظف العيش وضيق الحياة ، ثم يأخذ أخيراً يقول : «ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار »

ولكن عند ما يدرك أن العرب قوم ليسوا كالأقوام وأناس ليسوا كالأناسيّ ، وأنهم قد طلَّقوا الدنيا فلا يرضيهم منها إلا شظف العيش وضيق الحياة ، وأنهم يتمنون لقاء الروم الذين يوشكون أن ينقضوا عليهم ليظفروا بالشهادة إن غُلبوا أو ليُعلوا منار الإسلام إن غَلبوا ، عند ما يدرك ذلك تغلب عليه نزعة الخوف والرهبة ، وينصح لأصحابه أن يسلموا البلاد للعرب ويدفعوا الجزية

ولكن أصحاب المقوقس كانوا قوماً لا يرضون الخروج من دين ابن مريم إلى دين لا يعرفونه ، ولا تطيب نفوسهم بأن يذلوا ويهونوا ، ولا يرون إلا القتال سبيلاً لهم . لذلك رفضوا نصح المقوقس وعادوا إلى القتال

* * *

هذه هى الروح المسيطرة على الطرفين المتفاوضين . ولكنا لا نحب أن نختم البحث قبل أن نقول إنها الروح المسيطرة على العرب والروم ؛ فقد كان المقوقس رومياً (بتلر ، الملحقان ٣و٧ من كتابه) ، وكان أصحابه روماً . أما القبط فلم يكن لهم اشتراك فى سياسة البلاد ومفاوضة الغزاة ، فقد كان المقوقس (قيرس) لا يزال على عهده العدو الأكبر لمذهب القبط (بتلر ص ٢٢٠، ٢٢١)

(تم البحث)

السيد يعقوب بكر

زواج الأدباء ... (*)

للمغفور له الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

... أما احتراف الأدب ، والكتابة فى الصحف ، ومعالجة الشعر ، فهذه فى الشرق ضروب من الفقر — كما هى ضروب من الحرفة — غير أنه فقر عاقل مميز يذهب بنفسه إلى السمو ، وينزع إلى الحق ، ويستنكف أن ينحط إلى منزلة الفقر العامى الجاهل ... !

فالحوذى ، والكناس ، والمتسول ، وأمثالهم من هؤلاء الذين يضطربون فى معاشهم اضطراب الكرة الأرضية ، يقطعون كل أربع وعشرين ساعة دورة حول أنفسهم ... هؤلاء يتزوجون إذ لا يتورعون أن يظلموا المرأة ، وأن يزيدوها من فقرهم فقراً ، ومن قلتهم قلّة ؛ ثم هم لا يبالون حاجتها من الحياة ، ولكن حاجتهم منها هي ...

***

فالمرأة عندهم وظيفة حياةٍ طبيعية لا يشترط فيها إلا شرط الغريزة والعادة الاجتماعية . وفى طبقاتها فى النساء من لا يصلحن إلا لهم ؛ وقد أعدّتهن رحمة الله إعداداً طبيعياً ، وأمدّتهن بنفوس صابرة قوية ... فنها أن تعمل وترضى وتنقاد

إذ الرجل عندهن هو الجواد الأخير فى عربة الحياة ... ومتى فرشت دار الفقير بحصير فهذا هو بساطها وسجادها الفاخر !

***

بيد أن الشاعر والأديب وكاتب الصحف لا يريدون على فقرهم إلا البساط والسجاد الفاخر والحشايا ... ! .

فهؤلاء فقرهم هو الفقر ، ما دام لأنفسهم ، فإن اتصل بالمرأة التى تصلح زوجة لهم — أو تكون قريبة من أن تصلح — لم يكن فقراً فحسب ، بل فقراً وظلماً وبلاء إنسانيًا أسود ... ومن ثم لا يتزوجون . وهذه ناحية من العدل فى ذلك الفقر العاقل المميز الذى يحترف الأدب والشعر والفلسفة والكتابة فى الصحف ... فليس هنا طبيعة عبقرية ولا شعر ، وإنما ذاك عمل النفس الطيبة لا غير ... !

***

ولكنك واجد منهم من ينتحل العبقرية ، ويقلد الشاعر الفحل والعبقرى الكريم . وهذا شخص مضحك فإن الملك لا يكون بالتمثيل على خشبة المسرح . أما الشاعر الحق والعبقرى الصحيح ، فكلاهما واحد من ثلاثة :

الأول — أن يكون من مؤنثى الرجال ، قد خلق كذلك ، أو عرضت له آفة تنقص الفحولة فيه أو تمحقها محقاً ... وهذا معه عذره البيِّن

والثانى — أن يكون رجلاً قد طغت فيه الحياة طغيانها العصبى الشديد المجتاح ، ثم يكون الفن طاغياً فيه طغيانه الخيالى العنيف المتمرد — وهذا لا يصلح زوجاً ولا تصلح الزوجة له ؛ فإنه إنما يريد المرأة المُغِلَّة ، كأنها ضَيعة من الفن الحىّ تُغِلُّ عليه من ريعها وثمراتها ... وقد أبى الشيطان لعنه الله أن تكون المرأة المغلة فى الفن إلا امرأةً محرّمة ... ومتى كان الشيطان فى الأمر استطاع أن يجعل لكل امرأة فنا على حدة ... !

ومن ههنا فسوق الكتاب والكثرة من العباقرة . وهذا سر تعزبهم وانصرافهم عن الزواج أو انصراف الزواج عنهم . وهؤلاء بركة على الفن ، ولكنهم بلاء على الدين ، وعلى الفضيلة ، وعلى النسل ، وعلى الإنسانية كلها ... ومن سخرية الحياة بهم أن يكون العبقرى العظيم فيهم هو من ناحية أخرى الحيوان العظيم ... ! وليس إبليس مغفلاً ولا أحمق فيتخذ له أدوات من المساجد والكنائس ، ويشتغل ببيع السَّبح والتعاويذ للمصلين ، بل هو كما يتخذ المرأة من المومسات فى موضعها ... يتخذ الرجل من أولئك فى موضعه أيضاً . وهذا شأن ظاهر

***

أما الثالث — ففى رأيى أنه خير الأزواج جميعاً — ولن تجد المرأة خيراً منه وهو العبقرى إذا كان تام الفحولة ، وكان ذا دين يمسكه وضمير يردعه ، فهذا يكون الحيوان الذى فيه قيده ، ويكون شذوذه كالليل الممتاز من ليالى الشهر يأتى ظلامه وفيه البدر

نعم إن هذا العبقرى قد يخسر أشياء من وسائل الفن ، ولكنه مستعيض عنها بخياله ، ويشعر بها محروماً أكثر مما لو نالها . ثم إن الفن ليس فى جميع أدواره وأغراضه تخنثاً للحياة ولا تفككا وخلاعة ورقاعة

هناك ما هو أسمى من كل أعمال العبقرى ... هو إيجاد فضيلة عبقرية ... !

مصطفى صادق الرافعي

(*) أرسل إلينا هذه القطعة الأديب نعمان أحمد عكرية ولم يذكر فى رسالته من أين نقلها

من وثبات العبقرية

٥ ـ نظام الضرائب فى الاسلام

للأستاذ على حسين الوردى

خراج الأرض وجزية الرؤوس

اختلف علماء المالية حول ضريبة الأرض ، فمهم من استحسن فرض المبلغ المعين على الوحدة من مساحة الأرض ليؤخذ من غير زيادة أو نقصان عاماً بعد عام

يقول أنصار هذا الرأى بأن تمسح الأراضى — فى أول الأمر — مسحاً عادلاً متقناً ، ثم تصنف بعد ذلك على أنواع حسب خصوبة التربة ، أو طريقة سقيها ونوع الزرع فيها ؛ ثم توضع الضريبة على كل نوع من هذه الأنواع ، فيكون مقدار الضريبة كبيراً أو صغيراً تبعاً لما اعتادت الأرض أن تعطى من ريع ضخم أو ريع ضئيل

ومن العلماء من يخالف هذا الرأى كل المخالفة ويدلى بالحجج على بطلانه أو المضرة التى تنتج عن اتباعه

ومن رأى هؤلاء ألا ينظر إلى مساحة الأرض بشئ من الاهتمام ، إنما الواجب — على قولهم — هو أن تؤخذ الضريبة نسبةً محدودة من إنتاج الأرض كل سنة

وإنهم بهذا يفندون الرأى الأول ، إذ يرون من الظلم أن يفرض المقدار الثابت على جريب الأرض سنة بعد سنة ، بينما نجد الزراعة لا تنتج مقداراً ثابتاً على توالى السنين ؛ فقد يأتى المحل على أرضٍ فى موسم ، ثم يأتى جباة الحكومة — وفيهم الناقمون والطامعون — ليأخذوا نفس المبلغ الذي كانوا يأخذونه فى أيام الرخاء . أو قد يأتى — على العكس — عهد الخير والإنتاج الوفير ، ثم لا تستطيع الحكومة أن تجبى منه مبلغاً كبيراً ، فهى تجبى المبلغ المعيّن على جريب الأرض ، سواء أكان الإنتاج فى تلك السنة قليلاً أم كثيراً

وما دامت الزراعة تتبع فى إنتاجها تقلّبات الطبيعة من رياح وحرارة وأمواه ، فليس من العدل إذن أن تفرض الضريبة ثابتةً متساويةً فى جميع السنين

أما أرباب الرأى الأول فهم لا يردون هذا الاعتراض القوى ، وكأنهم يعترفون بصحته ضمناً ، أو لعلهم لا يستطيعون له رداً ؛ ولكنهم مع ذلك يقولون إن الضريبة الثابتة لها من المحاسن ما يوازن تلك السيئة أو ينيف عليها ؛ خصوصاً إذا كانت الأرض منتظمة الخصوبة تابعة لنظام محكم من الرى أو عناية مستمرة من الحكومة ، إذ يكون الإنتاج آنئذ متناسق المقدار فى أغلب السنين

ومن حسنات الضريبة الثابتة ، كما يقولون ، أنها تشجع الإنتاج ، وتحرض أصحاب الأراضى على الزراعة

فهم يعتقدون أن بعض أصحاب الأراضى من الأغنياء قد يتقاعسون عن زراعة أرضهم حباً للراحة أو ضيقا من الضريبة إذا كانت الضريبة مفروضة على الإنتاج . وقد يجرؤ كذلك بعض من يملكون الأراضى فى المدن وضواحيها ، فيتركونها بوراً سنوات عديدة ، احتكاراً لها وانتظاراً للأسعار العالية فيها.

أما إذا وضعت الضريبة على مساحة الأرض ، سواء زرعت أم لم تزرع ، فسيضطر أولئك المالكون المترفون إلى عمارتها أو بيعها ، هرباً من دفع الضريبة كل عام عبثاً ، وبذلك يزداد إنتاج الأمة وتتقدم اقتصادياتنا تقدماً مبيناً

* * *

هذه خلاصة ما قام حول ضريبة الأرض من جدال . وقد يستغرب القارئ إذا علم أن هذا الجدال كان له مثيل فى عهود الإسلام الأولى ، ولعله سيعجب حين يري أغلب البراهين التى يدلى بها علماء اليوم فى تأييد كل من ذينك الرأيين ، قد سبق ذكرها فى كتب فقهائنا الأقدمين رضى الله عنهم

ولهذه المسألة فى الإسلام قصة شيقة نلخصها فيما يلى :

عند ما فتح المسلمون أرض العراق جمع عمر لجنة من أولى الرأى ، منهم على بن أبى طالب ، وعثمان ، وطلحة ... للتشاور فى أمر الأراضى المفتوحة

وقد قرّ الرأى أخيراً على مسح الأرض . فأرسل عمر عثمان ابن حنيف لمساحة أرض الفرات ، وحذيفة بن اليمان لمساحة جوخى فيما وراء دجلة

وكان عثمان عالماً بالخراج فمسحها مساحة الديباج، أما حذيفة فقد لعب به أهل جوخى في مساحته إذ كانوا قوماً مناكير[1]

وجعل عثمان على جريب العنب عشرة دراهم ، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم ، وعلى جريب القصب ستة ، وعلى جريب الحنطة أربعة ، وعلى جريب الشعير دوهمين[2]

ووقف عمر على عامليه قبيل وفاته فقال لهما : لعلكما حملتما الأرض ما لا تطيق ؟

فقال عثمان : حملت الأرض أمراً هي له مطيقة ولو شئت لأضعفت أرضاً . وقال حذيفة : وضعت عليها أمراً هي له محتملة وما فيها كثير فضل . فقال عمر : انظرا لا تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق[3] ...

وجرت سياسة الإسلام على هذا المنوال من فرض الخراج الثابت على كل جريب مزروع أو غير مزروع ، حتى عهد الخليفة هرون الرشيد . فلقد سأل هذا الخليفة الفقيه أبا يوسف عن أمر الخراج ، وكان من رأى أبي يوسف العدول عن الخراج الثابت إلى خراج المقاسمة في الإنتاج وهو ما يقول به الرأي الثاني من الرأيين اللذين سلفا . وقد رد أبو يوسف على ما يقول به الفريق الأول من أن الخراج الثابت يزيد إنتاج الأمة ويدعو الزراع إلى عمارة الأرض الغامرة : « ... فأما ما تعطل منذ مائة سنة أو أكثر وأقل فليس يمكن عمارته ولا استخراجه في قريب ولمن يعمر ذلك حاجة إلى مؤونة ونفقة لا تمكنه ، فهذا عذرنا في ترك عمارة ما قد تعطل ، فرأيت أن وظيفة الطعام — كيلاً مسمى أو دراهم مسماة توضع عليهم مختلفاً — فيه ضرر على السلطان وعلى بيت المال ، وفيه مثل ذلك على أهل الخراج بعضهم من بعض »[4]

ثم يبدأ أبو يوسف بانتقاد الخراج الثابت على ما سبق ذكره من اختلاف المواسم : « أما وظيفة الطعام ، فإن كان رخص فاحش لم يكتف السلطان بالذى وظف عليهم ولم يطب نفساً بالحط عنهم ، ولم يقو بذلك الجنود ولم تشحن به الثغور . وإن كان غلاء فاحش لا يطيب السلطان نفساً بترك ما يستفضل من أهل الخراج من ذلك . والرخص والغلاء بيد الله تعالى لا يقومان على أمر واحد . وكذلك وظيفة الدراهم مع أشياء كثيرة تدخل في ذلك تفسيرها يطول ... »

« ورأيت أبقى الله أمير المؤمنين ، أن يقاسم من عمل الحنطة والشعير من أهل السواد جيماً على خمسين للسيح منه ؛ وأما الدوالى فعلى خمس ونصف ، وأما النخل والكرم والرطاب والبساتين فعلى الثلث ، وأما غلال الصيف فعلى الربع ؛ ولا يؤخذ بالخرص في شيء من ذلك » ؛ إنما تكون المقاسمات في الثمرة عندما يباع من التجار ، أو يقوّم ذلك قيمة عادلة ، ثم يؤخذ منهم ما يلزمهم فيه[1]

جزية الرؤوس

استعملت هذه الضريبة قديماً في جميع الدول ، فلقد جباها الفراعنة واليونان والفرس ، ثم الرومان والعرب من بعدهم . وهي لا تزال تجبي اليوم على نطاق مصغر في بعض البلاد المتمدنة ، أو هي قد اتخذت في أغلب الأمم الحديثة شكلاً جديداً أو اسماً غير اسمها القديم . ومؤيدو هذه الضريبة يقولون بوجوب فرضها على جميع الناس ، لكي يشعر كل فرد من الأمة بأنه عضو فعال في دولته ، وأن عليه مسؤولية نحوها كمسؤولية عضو الأسرة نحو الأسرة .

وهؤلاء المؤيدون يرون أن قسما كبيراً من الشعب لا يؤدون إلى الحكومة ضرائب مباشرة ، وهم لذلك لا يشعرون بشيء من الصلة التي تربطهم بالدولة ارتباط الضرورة الاجتماعية

وعلى هذا ينبغي وضع الضرائب مباشرة على كل رأس ليتم بذلك الترابط الاجتماعي المنشود

وليس من العدل كذلك أن يشترك في حكم البلاد كل الأفراد ، ثم لا يؤخذ من بعضهم قسط من النفقات اللازمة لتدبير الأمور العامة

إن مشروعية الجزية مستندة إلى حماية الحياة التي هي أهم وظائف الدول وأكثرها حاجة إلى الإنفاق . إذ يجب حفظ

(١) أبو يوسف ، الخراج (المطبعة السلفية ص ٤٥)
(٢) الأموال لأبي عبيد القاسم (ص ٦٩)
(٣) يحيى بن آدم القرشي ، الخراج (المطبعة السلفية ص ٧٦٠)
(٤) الخراج لأبي يوسف (المطبعة السلفية . ص : ٥٧)

(١) الخراج لأبي يوسف (ص : ٥٩)

الأمن العام ، الداخلي والخارجي ، وعقاب المجرمين والمعتدين[١]

ولا يزال بعض المؤلفين المحدثين يدافعون عن جزية الرءوس بقولهم : « ما دامت الحكومة الديمقراطية يشترك في إدارتها كل ناخب ، فيجب إذن أن يفرض على جميع الناخبين جزية مباشرة ، مهما كانت صغيرة ، إذ لا يمكن أن تضطلع بأعباء الضرائب طبقة من الناس بينما تضطلع بالحكم طبقة أخرى »[٢]

وها هي ذي بعض ولايات سويسره والولايات المتحدة الأمريكية ، قد فرضت ضريبة يسيرة على الرؤوس لتكون بدلاً عما أعطى الفرد من حق التصويت أو الانتخاب[٣]

***

وفي الحقيقة أن الجزية لها من المزايا ما جعلها محببة إلى الجباة في كل حين . ذلك أنها سهلة في إدارتها كل السهولة ، وافرة المحصول هينة الجباية . وما هي إلا أن يختم على رقاب الناس أو تسجل أسماؤهم ، ثم لا يترك الشخص كل عام حتى يدفع ما عليه من ضريبة وهو من الصاغرين

وفي هذه المناسبة ، يجب ألا ننسى أن التجنيد الإجباري المتبع اليوم في جميع أنحاء العالم ، ما هو إلا صورة من صور الجزية حيث يقدم الفرد عوضاً عن الضريبة النقدية ضريبة من الخدمة البدنية والمخاطرة بالنفس . ولذا سمي التجنيد « بضريبة الدم » .

تؤخذ الجزية على أنواع مختلفة : منها أن تكون متساوية المقدار على الجميع ، لا فرق فيها بين غني وفقير ، أو بين ذكر وأنثى . وحجتهم في هذا الرأي أن الحكومة مكلفة بحماية الأرواح وأرواح الناس جميعاً ذات قيمة واحدة ، فمن قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً ، ولذلك تؤخذ الجزية متساوية من الجميع

وعلى رغم ما في هذه النظرية من رونق خاص ، فإنها بعيدة عن العدل بعداً لا يخفى على اللبيب ، ولذا فضلت عليها الطريقة الثانية التي يميز فيها بين شخص وآخر حسب مقدرته أو غنائه

وهذه الطريقة هي التي اتبعها الإسلام في أهل الذمة إذ فرض ثمانية وأربعين درهما على الغني ، وأربعة وعشرين على الوسط ، ثم اثني عشر على الحراث أو العامل بيده مثل الخياط والصباغ والإسكاف والجزار . ولم تؤخذ الجزية من النساء والصبيان ولا من المسكين الذي يتصدق عليه ، ولا من الأعمى والزمن والمقعد إذ كانوا لا يملكون حرفة ولا يساراً[١]

وأيما شيخ من أهل الذمة ضعيف عن العمل أو أصابته آفة ، أو كان غنياً فافتقر ... طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين[٢]

وبعد فيجب ألا يغرب عن ذهن القارئ أن الجزية والخراج اللذين ذكرنا من أمرهما شيئاً ، لم يضعهما الإسلام إلا على الذميين ، وهم أهل الكتاب والمجوس وغيرهم من الذين وقعوا تحت سيطرة الإسلام ثم آثروا البقاء على دينهم .

وهنا نعرض لمسألة خاض فيها الباحثون طويلاً وذهبوا فيها كل مذهب :

إذا دققنا في أمر الضرائب هذه التي فرضت على أهل الذمة ، وقارناها بالضرائب التي فرضت على المسلمين ـ أي الزكاة ـ وجدنا ثمت فرقاً كبيراً . إذ إن الزكاة كانت خفيفة جداً بالنسبة لما فرض على غير المسلمين . فالإسلام كان يأخذ من أتباعه ما يقارب ربع العشر على ما بأيديهم من أنعام وأموال وزراعة ، بينما أخذ من الذميين الثلث والربع إضافة إلى الجزية على الرءوس .

فهل في هذا عدل من الوجهة العلمية الحديثة ؟

إن الحكومة الحديثة تفرض الآن على الناس جميعاً ضريبة الدم ، وهي في الحقيقة أضخم وأكبر تضحية من جميع الضرائب . والإسلام كذلك أوجب الجهاد على أتباعه واستوفى منهم تلك الضريبة الهائلة التي ليس لها مثيل . فإذا علمنا بأنه استثنى الذميين من تلك الضريبة وأمر أتباعه أمراً مؤكداً « بأن يوفى لهم بعدهم ويقاتل من ورائهم وألا يكلفوا فوق طاقتهم[٣] » ، فليس إذن من العجب أن نراه يعاملهم في الضرائب الأخرى معاملة أخرى . ولعل الإسلام لم يرغب في أن يفرض ضريبة الدم على غير أتباعه ، كما فعل كثير من الدول قديماً وحديثاً ، وكأنه كان حريصاً على أن تكون ضريبة الدم وغيرها من الضرائب الأخرى مدفوعة بعامل من رضا النفس وارتياح الضمير .

(الكاظمية — العراق) علي حسين الوردي

(١) موجز في علم المالية فارس الخوزي (ص : ٢١٥)

(٢) Nitti, Principes de Science des Finances P. 422

(٣) أصول علم المالية العامة للدكتور زكي عبد المتعال (الطبعة الأولى ص : ٢٠٨)

(١) الخراج ، أبو يوسف (ص ١٤٧)

(٢) « « (ص ١٧٢)

(٣) الخراج ، يحيى بن آدم القرشي (المطبعة السلفية ص : ٢٤)

البيئة العلمية

للأستاذ خليل السالم

يشيع التفاؤل والأمل فى نفوسنا كلما نجد الباحثين يشيرون إلى المشكلة العلمية فى البلاد ، ويحضون على نشر الثقافة العلمية وتنظيمها التنظيم المنتج . والحس الجديد بخطورة العلم وأثره فى كيان الأمة وليد التأثر بروح العصر ، ونتيجة الإدراك الواعى لنزعات النهضة العالمية الحاضرة التى يرفع العلم عمادها ، ويكيّف وجهاتها بصرف النظر عن النكسات التى تمنى بها المدنية ، والتى لا يمكن أن يعد العلم مسئولاً عنها بأى شكل كان . وهذا الشعور بالنقص العلمى ، والفوضى التى نتخبط فيها سيحفزنا دون ريب لاستعجال العلاج ، ولبذل الجهد الأكبر لحل مشكلاتنا حلاً سريعاً حاسماً .

هل العقم فى الاختراع والابتكار والاكتشاف متأصل فى العقل العربى ، أو هو وليد ظروف قاهرة إن زالت تفرد هذا العقل فى التفكير والأداء ؟ لماذا نحجم عن ارتياد الأبحاث العالية التى تملأ كتب الغرب ومجلاتهم ، ونكتفى بالتغلغل الأدبى فى بواطن الأمور ؟

كيف نكوّن رأياً علمياً هاماً وفلسفة قومية شاملة ؟ هل فى بلادنا من الإمكانيات العلمية ما لو انتقل من حيز القوة إلى حيز الفعل رفعها إلى مصاف الأمم الراقية كانجلترا وألمانيا وروسيا مثلاً ؟ هل تصلح بلادنا ليترعرع فيها العلم فى تربة خصبة ، وجو مناسب ، وعوامل طبيعية صالحة ؟ ما هى أخصر الوسائل لخلق مثل هذه البيئة العلمية ؟

هذه مسائل أساسية أذكرها دون ترابط فيما بينها لأقول إن الخوض فى مثلها واجب مفروض على كل متخصص يستطيع الإجابة الوافية المطلوبة . وبحثى هذا محاولة سريعة لشرح الدعائم التى ترتكز عليها البيئة العلمية . وأنا إن قصدت فى هذا البحث وجهة خاصة فذلك ما يفرضه الوسط العلمى الموبوء الذى نعيش فيه ، والصورة المثالية للوسط العلمى السليم الذى ننشده .

وقبل أن أبدأ أجدنى مضطراً لذكر ملاحظة قد تكون من تحصيل الحاصل ؛ ولكن لا بد منها لنمحو بعض ما علق بنفوس مريضة بداء الشعور بالحقارة ، فتتنكر على الأمة كل كفاية علمية ، وتكفر بماضيها المجيد ، ومن ثم لا تؤمن بمستقبلها أى إيمان . مثل هذه الفئة من الناس يجب أن تفهم بأن العلم لم يكن ولن يكون وقفاً على أمة بعينها بحيث تعدم الأمم الأخرى كل القوى الخلاقة فى الاستنباط والاستكشاف والتفوق ؛ فالتراث العلمى العالمي مزيج متآلف العناصر لكل الأمم شأن عظيم أو صغير فى تقديم هذه العناصر أو تكييفها بشكل ما. إن مشعل العلم ينتقل من أمة إلى أخرى ، وإذن لا يكون من الأمانة التاريخية أن تدعى أمة من الأمم السبق والفضل فى أحد ميادين المعرفة . نحن لا ننكر أن الأمة العربية فى القرون الأخيرة لم تحمل قسطها من الواجب العلمي ، ولكن هذه الحقيقة لا تمنعها من أن تنشئ لها من جديد حضارة علمية مستقلة الطابع ، وافرة الإنتاج .

تقف الصناعة فى طليعة العوامل الرئيسية التى تفعل فى خلق البيئة العلمية ، لحيثما كانت الصناعة تجد العلم ربيباً لها فى طور ، ورائداً لها في طور آخر . وتطور الصناعة يرافقه دائماً تطور فى العلم وارتقاء فى سبل الاختراع والاكتشاف ، كما أن تقدم الصناعة مظهر من أقوى مظاهر تقدم العلم . وبمعنى آخر ، يعتمد العلم والصناعة كل على الآخر كالدوال الجبرية ، أى زيادة فى قيمة التغير الأول تزيد فى قيمة التغير الآخر والعكس بالعكس

قد نرى أن كثيراً من الأبحاث الرائجة اليوم لا تحمل فى ذاتها طابع النفعية والاستثمار ، ولكننا لا نحكم عليها حكما نهائياً بذلك ، فربما تؤدى أخيراً إلى تطبيق عملى واسع ، وتخدم الإنسانية خدمة مخلصة . فمن كان يدرى مثلاً أن أبحاث فراداى النظرية المحض حول علاقة الكهرباء بالمغناطيس ستقود إلى اكتشاف المحرك والمولد ؟ حتى عند ما لا تدخل هذه الأبحاث فى نطاق التطبيق فيكفيها أنها تزيد المعرفة ، وتفتق ضروباً جديدة من الفهم لأسرار الكون وحقائقه

ولما قدرت الصناعة أثر العلم الكبير في تقدمها وكمالها ، روجت بضاعة العلم . فالمصانع تشترى العلماء ، وتبنى لهم المختبرات الواسعة وتجهزهم بالآلات الدقيقة ، وتبذل فى سبيل البحث أموالاً طائلة ، سواء كان البحث مقصوداً لذاته ، أو مقصوداً لمنفعة المصنع . وبذا خلقت عدداً من العلماء الأفذاذ الذين يعود التقدم الصناعى إلى مهارتهم ونباهتهم وقوة ابتكارهم . يقول الأستاذ هكسلي ما معناه : « إذا استطاعت الأمة أن تبتاع رجلاً مثل « وط »

أو ديڤي أو فاراداي بمائة ألف جنيه كان عملها صفقة رابحة »

إلا أن الصناعة العربية لم تقف على قدميها بعد ، وهي متلمسة طريقها بيديها ، فلا يمكننا الاعتماد إذن على هذا الركن الأساسي في خلق البيئة العلمية الصالحة . وعلى النقيض نؤمن بأن على العلم أن يشجع الصناعة وينير أمامها السبل ، ويخلق الوسط الصناعي الخصب ، فإمكانيات البلاد الصناعية واسعة النطاق ومواردها موفورة الغنى وإنما تعوزها القرائح الكبيرة تستغلها بشكل علمي دقيق وعلى نظام اقتصادي مثمر

لا يقل أثر الدولة في تأمين البيئة العلمية عن أثر الصناعة إن لم يزد عليه . وقف البرنس ألبرت زوج الملكة فكتوريا يقول في خطبة الرياسة للجمعية الملكية سنة ١٨٥٩ « قد يحق لنا أن نرجو أننا بانتشار العلوم التدريجي وتزايد الاعتراف به كجزء جوهري من ارتقائنا الوطني – نجد رجل الحكومة والجمهور بنوع عام يعترفون أن العلم حقيق باهتمامهم فسيترفع عن التسول ويخاطب الحكومة كما يخاطب ولد عزيز والده واثقاً أنه يجيبه إلى ما فيه نفعه ؛ وأن الحكومة تجد في العلم ركناً من أركان قوتها وفلاحها ، وإن مصلحتها الذاتية تضطرها لتعزيزه »

وقال الرئيس هوفر « إن علماءنا أغلى مقتنياتنا القومية التي نملكها ، وكل مبلغ ضئيل إزاء عمل هؤلاء الرجال . إننا لا نستطيع أن نقيس ما عملوه لترقية العمران بكل أرباح البنوك في جميع أنحاء المعمورة »

بمثل هذه الروح يجب أن تبدأ الدولة نضالها في سبيل نشر الثقافة العلمية العالية . وواجب الحكومات عندنا ثقيل باهظ ، لأن الجمعيات العلمية ومعاهد التعليم والشركات الصناعية ورجال الإحسان يساهمون بقسط وافر من التعضيد والتشجيع في بلاد الغرب ، أما حكوماتنا فتقف وحدها في هذا النضال لا معين لها من الخارج

على الحكومة أن ترصد الأموال راضية مغتبطة دون أن تؤذيها خسارة ما ، فكل البذر لا ينمو ، لأن من الحب ما يقع على الصخور أو يلتقطه الطير ، ولكن أغلبه يلقى في التربة الصالحة . وإذا ما وكل هذا الإنفاق لرجال الاختصاص فلا شك أنهم يركزون عنايتهم في النواحي المفيدة الواضحة الأثر ، لأنهم سيعلمون حق العلم أن مواردنا لا تتحمل الإسراف والترف

على الحكومة أن تنشئ المختبرات في الطبيعة والكيمياء وعلم الحياة والطب ، وعلوم الهندسة المدنية والكهربائية والميكانيكية ... الخ ؛ وتجهز هذه المختبرات بالآلات العلمية الدقيقة التي أصبحت ضرورتها كضرورة العقل العلمي نفسه ؛ ثم تسلم هذه المختبرات إلى العلماء المختصين المشهود لهم من الجامعات الغربية والقومية بالتفوق والنبوغ

وتستطيع الحكومة أن تنشئ جمعية علمية خاصة بها تضم العلماء الذين قدموا للعلم والإنسانية خدمات كبيرة تعترف بها المجامع العالمية ؛ وتساعد تشكيل الجمعيات العلمية الأخرى ، وتمدها في أول عهدها بالمال اللازم لحياتها واطراد تقدمها . ولعل من أقوى مظاهر التنظيم أن يكون المجمع اللغوي واقفاً على كل المصطلحات الجديدة ، قامعاً من فوضى الترجمات المتباينة ومشجعاً على نقل الكتب الحية من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية ، وناشراً هذه الكتب بأثمان لا تبهظ المثقف العادي .

بيد الحكومة إرسال البعثات إلى الجامعات الكبرى ، وبيدها قضية تبادل الأساتذة والعلماء ، وبيدها الاشتراك في المؤتمرات العلمية والثقافية ؛ وهذه أسباب قوية في تطعيم الثقافات وبعث روح جديد في الوسط العلمي .

وهي ترسم الخطط لترويج الثقافة العلمية في المدارس على الوجه الأخص وفي الأمة على الوجه الأعم . ولعل هذا الجهد أجدى ما يمكن أن تقدمه الحكومة لمساعدة العلم ، وفي الوقت نفسه لا يكلف خزانتها ثمناً باهظاً . فهي تستطيع أن تعدل المناهج وتقرر الأصول ، وترشد إلى أنجع الطرق التربيوية التي تشوق الطلاب وتصرفهم إلى حياة علمية قبل أن تلقنهم الحقائق العلمية . تستطيع كل هذا دون أن تضيف إلى الميزانية شيئاً جديداً .

أما بين أفراد الأمة ، فإننا لا نستطيع أن نؤمن بالوسط الصالح إلا إذا أقبل الرأي العام على العلم بشغف ونهم ؛ والمجلات العلمية المتزنة ، والمحاضرات المجانية في قاعات الجامعات والمدارس ومن وراء المذياع تعجب الجمهور ، لأن العلم يتسع لكثير من المحاضرات التي تتملق الرأي العام وتثير في ذهنه مشاكل نهائية حيوية ، لا يصبر عقله عن البحث الطويل لفهم حلولها وتفسيراتها

وقصارى القول أن تعزيز السلطة للعلم واحترامها للعلماء يمثلان في الجمهور تقدير العلماء وإكبارهم دون تعليق على قيمة أبحاثهم سواء كانت سياحة في أعماق الفضاء ، أو استنطاقاً لأسرار الذرة .

وتبقى شخصية العالم لتكون دعامة ثالثة قوية فى خلق البيئة العلمية ، فكما نجد كثيرين من العلماء خلقهم الظرف الحازب ، نجد عدداً كبيراً من العلماء خلقوا الظرف الملائم ، والوسط المناسب لانتشار آرائهم وذيوع أفكارهم . ولا يعوزنا الدليل بأن العربى موفور الذكاء مستعد بفطرته للاستنباط والتفوق إذا ما تساوت الأشياء ، وأمنت السبل .

سواء علينا أن نعتنق الفكرة الرأسمالية التى ترى أن الدوافع المادية القوية تخلق العلماء ، أو نعتنق الفكرة الاشتراكية التى ترى أن الرجال القادرين على الخلق والابتكار والتجديد ينفذون مآربهم بأى ثمن كان ويعملون بجد وحزم دون أمل فى مغنم أو خشية مغرم ؛ فإننا لا نستطيع إلا أن نحكم بأن تفكير العالم فى خبزه وحياته يعطل تفكيره ويشل إنتاجه . فمقدار التضحيات المبذولة فى سبيل العلم — مهما عظم هذا المقدار — لا يحملنا على الظن بأن رجال العلم رجال تضحية دائماً ولا يسعون من أجل المادة والمتاع الدنيوى . ولما كان حق الحياة وحق الحصول على مقوماتها متوقفين على خدمة الجماعة ، فأولى بالمسؤولين أن يضمنوا للعالم حياة راضية لأنهم أول من يقدر خدمة العالم للجماعة

لا يكون هناك شيء غريب فى أن يلقى العالم بعض المضايقات هنا ، فتاريخ العلم مفعم بمثل هذه المضايقات . لقد دمرت الغوغاء مختبر بريستلى ، وَحُرِمَ جول من إجراء تجاربه لأن صوت الآلة كان يزعج أحد جيرانه ، وجُنّ العالم ماير لأن الناس سخفوا آراءه الصادقة . وكم أصيبت حرية الفكر بصدمات عديدة نتعب و نتْعِب إن حاولنا تقصيها وذكرها . ولكن جهد الحكومة المثمر سيقلل من هذه المضايقات ، ويهيء للعالم جواً رحباً تكون آفاق التفكير فيه واسعة مشرقة

نحن فى فجر عصر جديد يحملنا على التفكير السياسى ، والتفكير الاقتصادى ، والتفكير العلمى ، والتفكير الأخلاقى ، وبقدر ما نفكر ونستعد بقدر ما نستطيع أن نؤكد ذاتنا فى المعترك الأدبى

اخلقوا لنا بيئة علمية راقية تزيلوا بذلك أمراضاً كثيرة تنخر فى أجسامنا وتهدم من كياننا .

خليل السالم

٤١ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

الأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر — الأخلاق

يثير احترام المسلمين للقرآن الدهشة ؛ فهم يحرصون على ألا يكون المصحف أدنى الصدر سواء أكان محمولاً أم معلقاً . ويودعونه مكاناً مرتفعاً طاهراً ولا يضعون فوقه كتاباً ولا شيئاً آخر . ويقولون عادة عند الاقتباس منه : قال الله تعالى في كتابه العزيز . ويعتبرون غير لائق أن يلمس المصحف نصراني أو يهودي أو غير مؤمن بتعاليمه ، ولكن البعض يدفعه الجشع ، وإن ندر ذلك ، إلى بيعه إلى هؤلاء . ومن المحرم أيضاً أن يلمس المسلم القرآن ما لم يكن على طهر شرعي . ولهذا كثر ما يطبع قوله تعالى : (لا يمسه إلا المطهرون) فوق الغلاف . وتنطبق هذه اللاحظات عينها على أي شيء يكتب عليه كلام من القرآن . ومما يستحق الاعتبار مع ذلك أن ينقش على أكثر النقود العربية القديمة كلمات قرآنية أو الشهادة مع أنها سكت ليستعملها اليهود والنصارى مثل المسلمين . ولكني سمعت أن هذا الإجراء ملوم بشدة

وقد سألت مرة صديقاً مسلماً هل يعتبر التين موافقاً للصحة في مصر ؟ فأجاب : ألم يذكر التين في القرآن ؟ إن الله أقسم به في قوله : والتين والزيتون

لا شك أن المسلمين المحدثين أتقياء إلى حد الحماسة وإنما يعوزهم الثبات ونبذ الخرافات ، ويندر — على ما أعتقد — أن يوجد فيهم ملحدون حقاً . وهؤلاء لا يجرأون على إظهار الحادهم خوفاً على حياتهم . وقد سمعت عن اثنين أو ثلاثة منهم ارتدوا عن دينهم بمخالطتهم الأوربيين مخالطة طويلة وثيقة . وقابلت ملحداً واحداً كانت له معي مناقشات طويلة . وقد ذكرت عرضاً في الفصول السابقة عادات كثيرة تبين الشعور الديني السائد بين مسلمي مصر . ويستعمل المتسولون في هذا البلد نداءات دينية سأذكر أمثلة منها فيما بعد . ويشبه هذه النداءات صياح باعة الخضر وغيرها . وقد أدهشني هتاف حارس الليل في الحي الذي سكنته أثناء زيارتي الأولى : « سبحان الملك الحي الذي لا ينام ولا يموت » ؛ ويصيح الحارس الحالي في الحي ذاته : « يا رب يا دائم » . ويمكنني أن أضيف أمثلة كثيرة أخرى توضح تدين الشعب الذي أحاول وصفه ، إلا أنه ينبغي أن أقرر هنا أن التدين ضعف كثيراً بين المسلمين ، فإنك لا تنفك تسمع منهم أثناء الحديث معهم مثل قولهم : « إنها نهاية الدنيا ! لقد تردى العالم في الكفر » . ويعتقدون أن حالة المسلمين الآن تدل على قرب النهاية . ويبين ما ذكرت في بعض عقائد الوهابيين على أنها عقائد المسلمين الأولين إلى أي حد كبير حاد المسلمون عن تعاليم القرآن كما بُلِّغت أولاً .

يظهر الرجال — تحت تأثير إيمانهم بالقضاء والقدر — في أوقات الابتلاء صبراً مثالياً ، وبعد الحوادث المفجعة استسلاماً وتجلداً عجيبين يكادان يقربان من البلادة(١) ؛ ويعبرون عن أسفهم بقولهم متنهدين : « الله كريم » . أما النساء ، فهن على النقيض يبدين حزنهن بالإسراف في البكاء والصراخ . وبينما يلوم المسيحي نفسه بحق على كل حادث مكدر يظن أنه جلبه على نفسه أو كان يمكنه تجنبه ، يتمتع المسلم عند تقلبات الزمان وصروف الدهر بهدوء بال عجيب ، ولا ينفك مستسلماً عند دنو أجله فيصيح : « إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون » . ويجيب من يستفسر عن حاله : « الحمد لله ... الله كريم » . ولا يمنع الإيمان بالقضاء والقدر المسلم مع ذلك من السعي إلى تحقيق غايته ؛ فإيمانه بالقدر ليس مطلقاً، ولا هو يجعله يهمل تجنب الخطر ، إذ حرم القرآن ذلك بقوله : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » . غير أنه في بعض الأحوال كانتشار الطاعون وغيره من الأوبئة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين ألا يدخلوا مدينة موبوءة وألا يخرجوا منها . ويختلف المسلمون في جواز الحجر الصحي ، إلا أن عمومهم يرونه غير ملائم

ويجعل الإيمان بالقدر المسلم مجرداً من الادعاء بمعرفة أعماله المستقبلة أو أي حادثة آتية ، فلا يتحدث أبداً عما ينوي عمله أو يتوقع حدوثه دون أن يقول : « إن شاء الله » ؛ وكذلك

(١) وليس المسلمون مع ذلك بلداء كما يرى بعض السياح ، إذ أنه ليس من غير الشائع أن تراهم يبكون ، ولا يعتبرون إظهار الشعور هكذا تخنثاً ، بل يصورون أبطالهم في قصائدهم وأقاصيصهم ، يبكون عند الحزن الشديد .

عندما يروى واقعة سابقة غير محققة ، يقدم كلامه أو يختمه بقوله : « الله أعلم »

يتمتع المصريون بفضيلتى الجود والإحسان – اللتين ينمّيهما الدين فى قلوبهم – إلى درجة عالية . ولكن يبدو من تصريحهم أن انتظار الثواب فى الآخرة يحرضهم على الصدقة بقدر ما تحرضهم الشفقة ببنى جنسهم أو الرغبة المنزهة فى القيام بما يأمر الله . ويمكن من بعض الوجوه أن نعزو كثرة المتسولين فى القاهرة إلى ميل السكان إلى الإحسان .

ومن آثار هذه الفضيلة أيضاً إقامة السبل الجميلة التى نراها فى هذه المدينة ، والسبل الوضيعة فى القرى والحقول[1] . كان يسرني كثيراً أول اختلاطى بالمصريين أن أشاهد شفقتهم فى معاملة الحيوان وأن أرى البعض يجمع أطراف ثيابه المرسلة ليتحاشى لمس كلب ، ثم يقذف للحيوان الدنس قطعة من الخبز الذى يأكله . وكانت جرائم القتل والسرقة وغيرها نادرة حينئذ . ولكنى أجد اليوم أغلب المصريين قد انقلبوا إلى الأسوأ فى شفقتهم نحو الحيوان وبنى جنسهم . ويبدو لأول وهلة أن شدة الحكومة المفرطة قد أوجدت فى الشعب البغى والميل إلى الإجرام ، إلا أننى أميل إلى الظن بأن سلوك الأوربيين أفضى كثيراً إلى هذه النتيجة ، إذ لا أتذكر أننى رأيت قسوة فى معاملة الحيوان إلا حيث يسكن الفرنج أو حيث يترددون مثل الإسكندرية والقاهرة وطيبة . ويتقزز المرء من رؤية حمير النقل التعسة فى القاهرة ، فأكثرها مصاب بجروح قرمزية كالياقوت الجرى ، وتعقرها على الدوام حبال غليظة من مسد تربط بظهر البرذعة . وكثيراً ما يضرب الأطفال والرجال الكلاب فى الشوارع لمجرد اللهو . وكثيراً ما رأيت أطفالاً يلهون بمضايقة القطط التى كانت محبوبة كثيراً قبلا[2] . وكانت جرائم السرقة والقتل تحدث أسبوعياً تقريباً أثناء الشهرين أو الثلاثة التالية لقدومى الثانى . وكان الحكام الترك يجورون على الفلاحين ولكن بعض هؤلاء منذ خلفوهم على الحكم فاقوهم فى الطغيان . والرأى العام أنهم ألعن من الأتراك[1]

ومع أنى أشاهد الآن على التوالى الكلاب الشريدة تضرب فى شوارع القاهرة وهى هادئة لا تضر ، فلا أزال أرى بعضهم يطعمونها وأغلبهم فقراء . ويوجد فى كل حى من أحياء المدينة أحواض صغيرة تملأ يومياً للكلاب . ويؤجر أصحاب الحوانيت فى شارع واحد سقاء لرش الشارع وملء أحواض الكلاب . ويوجد أيضاً حوض للكلاب عند كل دكان لبيع الشراب . ويمكن أن نذكر هنا أن كلاب القاهرة ، وقلما يكون لها صاحب ، تكون جماعات منظمة مختلفة تقصر كل منها نفسها على حى تطرد منه كل كلب دخيل . وهذه الحيوانات تكثر جداً فى القاهرة . وهى تحرص على العموم أن تتجنب الإنسان كما لو كانت تعلم أن أغلبية السكان تنبذها ؛ ولكنها كثيراً ما تنبح عند ما ترى أحداً يلبس الملابس الأفرنجية . وتضايق المارة ليلاً ، وهذه الكلاب مفيدة لأنها تأكل سقط الذبائح التى يرمى بها من حوانيت الجزارة والبيوت ، كما أن الكثير منها يتردد على أكوام الزبالة حول العاصمة فتقتات مع الصقور من رمم الجمال والحمير التى تنفق فى المدينة . وأغلب الكلاب صهب اللون ، والظاهر أنها تماثل بنات آوى شكلاً وميولاً .

ولا يمنع رأى المسلمين فى الكلاب من الاحتفاظ بها للحراسة وأحياناً للتدليل . وقد حدث منذ زمن قصير حادث غريب من النوع الأخير ، فقد اتخذت امرأة وحيدة في هذه المدينة ، كلباً يؤانسها فى وحدتها . فاختطف الموت هذا الأنيس الوحيد ، فعزمت المرأة لحزنها وعطفها عليه أن تدفنه كأى مسلم فى قبر لائق فى مدافن الإمام الشافعى المقدسة . فغسلت الكلب طبقاً للقواعد المرعية عند وفاة المسلم وكفنته فى كفن جميل ووضعته فى نعش ، واستأجرت نادبات وأقامت مأتماً حقيقياً . ولم يتم ذلك دون أن يثير عجب

(١) وأكبر السبل فى القاهرة ما أقيم فى عهد الترك والمماليك

(٢) أعتقد أن من المناسب أن أذكر هنا أن لدى باعثاً قوياً على الاعتقاد بأن بركهاردت استفهم خطأ حينما ذكر (« فى الأمثال العربية » رقم ٣٩٣) أن الأطفال الشرقيين فى مصر وغيرها يعذبون الثعابين بوضعها فى كيس من الجلد ثم يلقون عليها جيراً يطفئونه بعد ذلك بالماء . ولم أجد واحداً سمع بهذه القسوة . وليس من الممكن أن يجرؤ الأولاد فى هذا البلد على وضع ثعبان فى كيس لأنهم يخشونه كثيراً أو أنهم يغرمون قروشاً كثيرة فى شراء كيس يتلفونه بهذه الطريقة وربما يشير المثل الذى بنيت عليه هذه الرواية إلى طريقة لقتل الثعابين لا اللهو بها .

(١) وكثيراً ما يسمع الفلاح العربى يقول هذا المثل : « ظلم الترك ولا عدل العرب » ويطلقون لفظ « العرب » هنا على طبقتهم بدلا من لفظ البدو الذين يطلق عليهم الآن عادة اللفظ السابق . أنظر بركهاردت « الأمثال العربية » رقم ١٧٦

الجيران الذين لم يستطيعوا معرفة المتوفى ولم يتدخلوا لأنه لم يكن بينهم وبينها ألفة قط . ثم استأجرت المرأة مرتلين ليتقدموا الجنازة وتلاميذ لينشدوا ويحملوا القرآن أمام النعش . وسار الموكب فى نظام مهيب ، وتبعت المرأة والنائحات النعش وهن يملأن الجو بصراخهن ؛ غير أن الموكب لم يسر كثيراً إذ اجترأت إحدى الجارات وسألت السيدة الحزينة : من المتوفى ؟ فأجابتها : « إنه ابنى المسكين » فكذبتها السائلة فاعترفت الثكلى بأنه كلبها ورجت جارتها الفضولية أن تكتم السر ؛ إلا أن احتفاظ المرأة المصرية بالسر ، وبسر مثل هذا ، مستحيل . فأذيع الخبر فى الحال ، وسرعان ما تجمع جمهور غاضب أوقف الجنازة . وصبَّ المرتلون والمنشدون غضبهم على مستخدمهم ، حالما استخلصوا منه نقودهم ، لأنه مكر بهم . ولو لم يتدخل الشرطة لذهبت المرأة على الأرجح ضحية هياج الشعب(1)

والعجيب أن القطط الشريدة فى مصر تطعم على نفقة القاضى . فيوضع فى الساحة الكبرى أمام المحكمة عصر كل يوم مقدار من سقط الذبائح وتدعى القطط معاً لتأكل . وقد وقف السلطان الظاهر بيبرس على القطط ، كما علمت من كبير كتاب القاضى ، حديقة تسمى « غيط القطط » بجانب مسجده شمالى القاهرة . ولكن هذه الحديقة باعها الأمناء عليها ومشتروها على التوالى . وقد باعها السابقون بحجة أنها خربة فلا تصلح للانتاج إلا بعد نفقات كثيرة . وتستغل الحديقة الآن حكراً بخمسة عشر قرشاً سنوياً تنفق فى إطعام القطط المتروكة . ومن ثم ألقيت نفقة القطط كلها على القاضى بحكم منصبه الذى يجعله حارساً على الأوقاف الخيرية ، فعليه أن يتحمل إهمال سلفه . ومع ذلك أهمل واجب إطعام القطط أخيراً . ويتخلص الكثيرون فى القاهرة من القطط بإرسالها إلى بيت القاضى وإطلاقها فى الساحة الكبرى

ذكرتُ قبلاً مؤانسة المصريين بعضهم لبعض . وهم يخاطبون الأجانب الذين لا يوافقونهم فى الشمائل والعادات ، ولا يذهبون مذهبهم فى التفكير بأدب يشوبه الجفاء والحذر . وكثيراً ما يظهر المصريون نحو الأجانب وفيما بينهم أيضاً فضولاً وتحا . وهم يخشون كثيراً أن يجعلوا لهم أعداء فيدفعهم خوفهم هذا إلى أن يؤيد كل منهم الآخر ولو كان فى ذلك جرم . ويعتبر السرور صفة ظاهرة فى الشعب المصرى . ويظهر البعض احتقاراً كبيراً للتسلية التافهة . ولكن الكثيرين يجدون فيها بهجة . ومن الدهش أن ترى المصريين يتسلون بأقل شىء ، فهم يبتهجون حيثما يوجد حشد وضجة وحركة . وتخلو حفلاتهم العامة مما يسلى الرجل المثقف . ويبدو أن الطبقات السفلى تسعد كثيراً بالجلوس فى المقهى للتدخين وشرب القهوة بعد العمل اليومى .

عدلى طاهر نور

(١) يشير دربلو D'Herbelot إلى حالة مشابهة نوعا . وهى أن تركياً احتفل بدفن كلبه العزيز فى حديقته ، فاتهم أمام القاضى بأنه دفن الحيوان طبقاً للشعائر الاسلامية . وتفادى التركى العقاب ، ولعله كان شديداً ، بأخبار القاضى أن الكلب أوصى إليه بقدر من المال . أنظر قاموس "Bibliothèque Orientale" مادة « قاضى » (المؤلف)

وبرتلمى دربلو دملنفيل Barthélmy d'Herbelot de Molainville (١٦٢٥ — ١٦٩٥) مستشرق فرنسى تلقى علومه فى جامعة باريس واهتم بدراسة اللغات الشرقية فسافر إلى موانى إيطاليا للتحدث مع الشرقيين الوافدين إليها استكمالا لدراسته وعاد إلى فرنسا ولم يلبث أن عين ناموساً شرقيا للملك وفى ١٦٩٢ عين مدرساً للغة السريانية فى Collège de France وأهم مؤلفاته القاموس العام عن شعوب الشرق المسمى Bibliothèque Orientale ، وقد أتمه جالند Galland فى ١٦٩٧ وله قاموس آخر فى اللغات التركية والفارسية والعربية واللاتينية لم يطبع (المترجم)

أشعار صينية

للأستاذ محمد وهبة

– ١١ –

منذ أن رحلت (*)

للشاعر الصينى « تو – فو »

(٧١٥ – ٧٧٤ م)

لا تجلبوا إلىّ أزهاراً ، أنا أريد أغصان السرو أغرق فيها وجهى

عندما تختفى الشمس وراء الجبال ، سأضع على منكبى عباءتى الزرقاء ذات الأكمام الخفيفة ، وأذهب لأنام بين عيدان الناب التى تحبها

– ١٢ –

الشاعر فى السجن

للشاعر الصينى « لو – بن – وانج »

(عاش حوالى عام ٦٥٠ م)

كم يحزننى غناء الصرصور الذى يعلو هناك ...

أرى هذه الحشرة الضعيفة ، مثقلة بالندى ، لا تستطيع الطيران ، وتغنى ...

وروحى أيضاً أعياه الأسف ، لا يقدر أن يعلو إلى القمم ، حيث لا تصل إليه نبال الغادرين

فى العاصفة التى هدمتنى ، أكتب وأنا أبكى ، أشعاراً صافية

– ١٣ –

الشاعر يفكر فى حبيبته

للشاعر الصينى « بانج – كى »

(عاش حوالى عام ١٤٠٠ م)

ستمطر السماء . الريح أدمت أزهار الياسمين ، ونقلت أوراق الفاويا التى تغطى الدغل ... أهاجت ستائر النوافذ ، وأثارت شعور الفتيات الجميلات ...

إنى حزين ، أفكر فى حبيبتى : السماء زرقاء ، والبحر أخضر ، والجبال البيض تفصل بيننا ... آه لو تستطيع هذه العصافير أن تحمل إلى حبيبتى الرسائل التى كتبتها إليها ... لو يستطيع هذا الجدول أن يحمل إليها أوراق الفاويا ... !

أزهار الماجنوليا تلمع فى الظلام ... وأنا لا أستطيع أن أتناول عودى ... إنى أحدّق فى القمر الذى يشبه زهرة الماجنوليا ...

لن أغنى ، لن أعزف ، أريد أن أركن إلى أحزانى ...

– ١٤ –

رحلة طويلة

للشاعر الصينى « لى – تين – بو »

(٧٠٢ – ٧٦٣ م)

أنا لا أستطيع أن أسترجع الفرح الذى عرفته صباح أمس ... أنا لا أستطيع أن أطرد الكآبة التى عرفتها هذا الصباح

الطيور تقطع السماء ... تصارع ريح الخريف ... أنا أملأ قدحى وأحدق بعيداً

أنا أحلم بشعراء كبار ، لم يوجدوا بعد . أذكر أشعارهم ، وأردد أننى كنت يوماً – أنا أيضاً – قادراً على أن أصنع أشعاراً عالية ، لو أننى استطعت أن أحوّم فى السماء بين النجوم

عبثاً أشرب لأغرق أحزانى . هنا عندما لا تسير الأشياء ، حيث ترضى رغباتنا ، يجب أن أطرح نفسى فى مركب ، تاركاً شعرى للريح مهاجراً فى البحر .

محمد وهبة

(بور سعيد)

(*) روعى فى ترتيب هذه الأشعار أن تكون وحدة شعورية متصلة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٥ – ٨ – ٩٤٢ فى القضية رقم ١٤٢٥ جنح سنة ١٩٤٢ عسكرية ضد محمد فؤاد يونس بقال كفر الدوار البعيد بالغرامة ٥٠ جنيه والغلق أسبوعاً وتعليق صورة الحكم على باب محله والنشر على مصاريفه لبيعه سكراً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة وامتناعه عن بيعه مع وجوده لديه



ذكرى الأستاذ الزنكلونى

منذ عامين مضيا ، وفى النصف الأخير من شهر رمضان ، اختار المغفور له الأستاذ الشيخ على سرور الزنكلونى جوار ربه بعد عمر طويل مبارك كان فيه مثال العالم العامل ، والمفكر الحر الجرئ يقول ما يعتقد ، ويدافع عما يعتنق ، ويجهر بآرائه في صراحة نادرة المثال . والذين يعرفون الأستاذ الشيخ الزنكلونى كثيرون فى الأزهر وفى خارج الأزهر ، وإنك لتستمع إلى الرجل منهم يحدثك عن إيمانه بربه ، وقوة يقينه ، وصفاء نفسه فتأخذك الروعة ، ويملكك الإعجاب ، ولكنك تبحث عن رجل واحد من أصدقاء هذا الفقيد المظيم قد اهتم بأن يؤرخ له ، أو يرسم صورة ولو مصغرة لحياته ، أو يجلو للناس بقلمه ناحية العظمة فيه فلا تجد

وإذا كان غير الأزهريين من أصدقاء الفقيد وعارفيه قد شغلوا عن ذلك بأعمالهم ، أو انصرفوا عن القيام بمثل هذا الواجب إلى ما هو أشبه بهم فما عذر الأزهريين ؟ إن الأستاذ الزنكلونى — رضى الله عنه — رجل من رجالات الأزهر فى عهده الأخير ، له ذكريات ماثلة فى حركته الفكرية وتطوراته العلمية ، وله إلى ذلك أثره النافذ فى شئون الأزهر على عهد شيخه الحالى ، فقد كان يجله ويحترمه ويستعين برأيه فى كل ما يعرض له من مشكلات الأزهر ، وكان — رحمه الله — ناصحاً أميناً لا يعرف المداورة ، ولا يمارى فى الحق ولا يجامل ، فكيف يمر عامان كاملان على مثل هذا الرجل العالم الجرئ المجاهد ولا يذكره أحد من أبنائه أو أصدقائه ؟

لو أن اسم الأستاذ الزنكلوني لمع فى بيئة غير هذه البيئة ، لكان لذكراه شأن غير هذا الشأن ، ولكنه الأزهر مما قعد به أنه يقف دون المصلحين فى حياتهم ، وينسى ذكراهم بعد مماتهم وكأنه يريد من الناس أن يذكروا هم أبطاله ، وأن يتحدثوا هم عن رجاله ، وحسبه أن يشترك في ذلك قارئاً أو سامعاً ! بل إنه ليغفل حتى عن ذلك ، فلو أنك فتشت فى دار نابه من الأزهريين عن أى أثر من آثار المؤلفين المحدَثين يتصل بالأزهر أو بمسألة من مسائل الأزهر العلمية أو التاريخية ، لأعياك البحث دون أن تجد !

وإذا كان الأستاذ الزنكلونى قد أدركه إهمال الأزهر إلى هذا الحد المعيب ، فأصبح بين أصدقائه وتلاميذه نسياً منسياً ، فإن أخاً له من قبل قد أدركه من إهمال الأزهريين مثل ما أدركه وهو المغفور له الأستاذ الإمام محمد عبده ! !

أليس من العجيب أن يكون من أبناء الأزهر من بُعث إلى أوربا باسم محمد عبده ، ثم لا يكون الأزهر معنياً بتاريخ محمد عبده وأفكار محمد عبده ؟ !

كأنى بالسنين تطوى عاماً بعد عام ، ثم يزول هذا الجيل ويأتى جيل آخر ، فيتساءل أبناؤه : ماذا فعل محمود شلتوت ، ومحمد عبد اللطيف دراز ، بل ماذا فعل الأستاذ الأكبر المراغى من أجل ذكرى الزنكلونى ، وعلم الزنكلونى ، وأفكار الزنكلونى ؟ ثم يتساءلون : ماذا فعل الدكتوران الفاضلان ماضى والبهى وغيرهم من أبناء الأزهر من أجل ذكرى محمد عبده وتاريخ محمد عبده ؟

إننا نرجو بهذه الكلمة مخلصين للأزهر ولمكانة الأزهر ولشيخ الأزهر وأبناء الأزهر أن يكون لهم شأن غير هذا الشأن ، ولا سيما فى أمثال هؤلاء الأبطال

وإننا لمنتظرون

(م ...)

من خليل مطران إلى على طه

أشار بعض النقاد إلى الكتاب البليغ الذى بعث به شاعر القطرين خليل مطران إلى الشاعر الكبير على محمود طه عن ديوانه الأخير «أرواح وأشباح» وإنا لننشر هذا الكتاب فيما يلى :

« ... واتتك السليقة السليمة ، وأمدك الاطلاع الواسع ، فجئت بالطريف من المعنى فى الصريح الشائق من المبنى . ولئن كانت المصادر التى استنزلت منها الوحى غريبة فى أصلها عن المصادر العربية ، لقد وفقت إلى إبراز روائعها ، وتقريب أبعد مغازيها ، بما نفى عنها الغربة وكشف آفاقاً غير محدودة لطلاب التجديد والإبداع من حملة الأقلام بين الأدباء الناطقين بالضاد

وكان عزيزاً على غيرك أن يذلل ما ذللته من الصعاب ،

ويبلغ ما بلغته من الإجادة ، ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وفضل العزيمة التى لا يفل غربها والأناة التى لا يدرك حدها

إن فى مطالعة « الأرواح والأشباح » لمتعة فكرية ولذة فنية قد غنمت منهما ما اشتهت النفس فى ساعات لن أنسى طيبها بين ما أعانيه من آلام الملل فى ساعاتى الأخر ... »

١ — حول نسخ الأحكام

تعقيباً على مقال « حق الإمام فى نسخ الأحكام » المنشور فى العدد ٤٨٠ من مجلة « الرسالة » أقول : إن أبا جعفر النحاس لم يعز القول بإعطاء الإمام حق نسخ الأحكام إلى فرقة إسلامية ، ولا إلى جماعة من فقهاء الإسلام ؛ بل قال : « وقال آخرون بأن الناسخ والمنسوخ إلى الإمام ينسخ ما يشاء ؛ وهذا القول أعظم ، لأن النسخ لم يكن إلى النبى صلى الله عليه وسلم إلا بالوحى من الله إما بقرآن مثله على قول قوم ، وإما بوحى من غير القرآن ، فلما ارتفع هذان بموت النبى عليه السلام ارتفع النسخ »

وإنما قال (أعظم) لأنه ذكر قبل ذلك قولاً يراه يؤول إلى الكفر ، فيكون هذا أشد إمعاناً فى الكفر فى نظره . وهو يريد بقوله (وقال آخرون) الاسماعيلية الباطنية الذين يجعلون النسخ للامام (أنظر فضائح الباطنية للغزالى)

٢ — فى كتاب الإمتاع والمؤانسة

قرأت مواضع من (الجزء الثانى من هذا الكتاب فلمحت أغلاطاً فات الأب الكرملى ذكرها ، منها :

١ — فى ص ٧٨ « وهذا لفظىّ » وفى الحاشية : كذا ورد هذا اللفظ فى كلتا النسختين ولم نجد فرقة بهذا الاسم ، فلعله يريد بها الظاهرية الذين يأخذون بظاهر اللفظ

والصواب أنها نسبة إلى فرقة تسمى (اللفظية) لقول المنتمى إليها : «لفظى بالقرآن مخلوق» . وقد ألف الإمام ابن قتيبة فى هذا الموضوع كتابه (الاختلاف فى اللفظ) المطبوع بالقاهرة سنة ١٣٤٩ . وفى كتاب (شروط الأئمة الخمسة) قال الحاكم : سمعت أبا الوليد يقول : قال أبى: أى كتاب تجمع ؟ قلت: أخرج على كتاب البخارى ، قال عليك بكتاب مسلم فانه أكثر بركة لأن البخارى كان ينسب إلى « اللفظ » . يشير إلى ما وقع بين البخارى وشيخه الذهلى حين قدم البخارى نيسابور وسألوه عن اللفظ فقال : « القرآن كلام الله غير مخلوق وأعمالنا مخلوقة » قال الشرقى : سمعت الذهلى يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ؛ ومن زعم « لفظى بالقرآن مخلوق » فهو مبتدع لا يجلس إلينا ولا نكلم من يذهب بعد هذا إلى محمد بن اسماعيل — يعنى البخارى — فانقطع الناس عنه إلا مسلم ابن الحجاج واحمد بن سلمة . وقال الذهلى لا يساكننى محمد ابن اسماعيل فى البلد ، فسافر البخارى . والحق فى ذلك مع البخارى . ومن أشرف على سير المسألة بعد محنة الإمام احمد رأى مبلغ ما اعترى الرواة من التشدد فى مسائل يكون الخلاف فيها لفظياً ، مما سبب امتلاء كتب الجرح بجروح لا طائل فيها كقولهم : فلان من الواقفة الملعونة ، أو من اللفظية الضالة...الخ

٢ — فى ص ١٣٣ « ومن شرفه — أى النثر — أن الوَحدة فيه أظهر » وقيدوا « الوَحدة » بفتح الواو وتكررت كذلك مرات فى هذه الصفحة وغيرها . والصواب (الوُحدة) بالضم على ما فى تاج العروس .

٣ — فى ص ١٧٧ « وأبو عبد الله المرزبانى شيخنا » . تكرر فى الكتاب مرات كذلك . والصواب « أبو عبيد الله » كما فى شذرات الذهب وتاريخ بغداد والموشح ومعجم الشعراء وغيرها . وجاء محرفاً كذلك فى الأعلام والنثر الفنى . وهو إمام كبير لا يسوغ إغفال الخطأ فى كنيته .

صلاح الدين شقيبو

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

Lundi - 5 - 10 - 1942

10 me Année No. 483

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٤٨٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٤ رمضان سنة ١٣٦١ — الموافق ٥ أكتوبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

الحق المجـــرد

للأســتاذ عباس محمود العقاد

عجب صديقنا الأستاذ الزيات لابن آدم « المخلوق الوحيد الذى يرى الشىء الواحد بعينيه الاثنتين أبيض تارة وأسـود أخرى على حسب الصبغ الذى يلونه به الهوى »

وضرب لذلك أمثلة شتى ، منها أن رادیو باری أذاع منذ ليلتين أن فريقاً من الطلاب الهنود تظاهروا فى بمباى فاعترضتهم فئة من الشرَط الإنجليز فتفرقوا فى شوارع المدينة أباديد بعد أن أصيب نفر منهم بجروح . ثم عقب المذيع على هذا الخبر بأن الاعتداء على المتظاهرين بالضرب ينافى المدنية ، ويجافى الخلق ، ويصم الذين ارتكبوه بالقسوة الوحشية والبربرية الأثيمة . ثم أعلن المذيع فى هذه الإذاعة نفسها أن مليوناً من جنود المحور قد اقتحموا بالدبابات الثقيلة والطيارات المنقضة والسيارات المدرَّعة منازل ستالينجراد على الروس وفيهم النساء والأطفال والشيوخ والمرضى ، فدكوا كل بناء ، وسحقوا كل حى ، وركموا أشلاء القتلى فى الحجرات والطرقات على صورة لم يرها الراءون ولم يروها الراوون . ثم أخذ هذا البوق البشرى يهذى بفضل هذا النصر على المدنية ، وينوه بعظيم أثره فى مستقبل الإنسانية »

وأتى الأستاذ بأمثلة متعددة فى هذا المعنى تؤيد شقاء الإنسانية بين العقل والهوى

وإنه لشقاء باق لن يزول أبداً ، ولن يزال الهوى يرينا الشئ شيئين واللون لونين ما دمنا نحس ونرى ، وقد

أعيا الهوى كل ذى عقل فلست ترى
إلا صحيحاً له حالات مجنون

وهذا نقص لا ريب فيه

وقد تناوله صديقنا الزيات من هذه الناحية فأبرزه فى صور الحياة اليومية التى لا يخطئها من يرقبها

فهل هو نقص لا يوازنه جانب كمال ؟ وهل هى آفة لا عزاء فيها لبنى آدم ؟ وهل نغير ما طبعنا عليه من هذه الخليقة بما طبعت عليه سائر المخلوقات من توافق وتشابه حالات ؟

مصيبتنا أننا لا نستطيع !

لأن الإنسان لا ينقص إلا من حيث يزيد . فهو يعرف الخطأ لأنه يعرف الصواب ، ويختل فى هندسته من حيث يتقن النحل هندسته كل الإتقان ، لأنه أعلم بالهندسة من النحل لا لأنه أجهل منه بفنونها وأنواعها ... فهو يشترى الخطأ بثمن ، لأنه لا يشترى الصواب إلا مخلوطاً به ، مضافاً إليه

نحن نرى الشىء أشياء لأننا نرى

أما سائر المخلوقات فهى لا ترى إذ تنظر بعينيها . وإنما الأصح أن يقال إنها تلمس الأشياء بالعين على نحو من اللمس بالأيدى ، فلا تقبل عندها التعدد والاختلاف

وهكذا الآدميون الذين يشبهون تلك المخلوقات

إنهم يلمسون الأمور بأعينهم كما يلمسونها بأيديهم ، ولكنهم لا يرونها متعددة الحالات ، متعددة الألوان ، متعددة الوقع فى الخواطر والأهواء ؛ وإن تعددت عندهم قليلاً فهو أقرب تعدد إلى التوحيد

كنت أقول لبعضهم والألمان يدخلون باريس: إنهم سينهزمون

وكنت أقول لبعضهم والألمان يتقدمون فى الأراضى الروسية : إنهم سينهزمون

فكانوا يقولون : ولكننا نرى أنهم سينتصرون لأنهم منتصرون . . . فأقول لهم : ما هذا برأى . هذا لمس بالعين . هذا ما تبصرونه كما تبصره كل عين حيوانية تفتح أجفانها ، وإنما الرأى غير هذا . الرأى ما يبصرك بالانهزام وأنت تنظر إلى النصر الملموس . فإن لم يفدنا الرأى هذه الفائدة فلا خير فيه ، ولا حاجة بنا إليه مع وجود العيون والأجفان . إذ حسبنا بالعيون والأجفان أن تفتحها فنلمس بها ، ثم لا نفكر ولا نرى خلاف ما تبديه

وهكذا يبصر الإنسان وجوه الرأى لأنه لا يرى الشىء على حالة واحدة ولا يستوفيه كله فى صورة حاضرة

فهو يبصر وجوه الرأى فى الضرب مثلاً لأنه يحسه لذيذاً فى حين ومؤلماً فى حين ولا يحسه فى بعض الأحايين

يحسه لذيذاً حين يكون هو الضارب ، ويحسه مؤلماً حين يكون هو المضروب ، وليس يحس له لذة ولا ألماً حين لا يكون ضارباً ولا مضروباً ولا شأن له فى الحالتين

ومن العسير عليه جدا أن يعرف ما هو الضرب إذا عرفه على وجه واحد ، ولم يعرفه على شتى الوجوه

ومن البعيد جدا أن يراه بالحق إن لم يره بالهوى على اختلافه ، فيحبه ويبغضه وينظر إليه بين الحب والبغض ، و « يراه » بعد ذلك مستجمعاً بجميع هذه الوجوه

وهذا هو باب الكمال فى تعدد الأهواء وتعدد الحكم على العمل الواحد إذ نعمله نحن وإذ يعمله الخصوم ، وإذ يعمله من ليس من الخصوم ولا من الأصدقاء

وكل صورة من صوره هذه تمام لغيرها ، ولا سبيل إلى التمام فيها بغير هذا التعديد

يقولون فى الصعيد : إن نوتياً سمع مضغاً قويًّا فى مخزن الخبز الخاف من سفينته ، فأشفق من نفاذ المؤنة فى الطريق وصاح مغضباً : من هذا الذى يقضم فى الخبز قضم الحمار ؟

فقيل له : ابنك حسن !

قال : اسم الله عليه ! أهو الذى يقرش هكذا قرش الفور ؟

والرجل قد صدق بعض الصدق فيما سمع من قضم حمار ومن قرش فور ، فإن أكل ابنه من الخبز يسره ولا يؤذيه ، وإن انطلاق الغريب عليه يؤذيه ولا يسره . ويبقى أن يسمع المسافر الذى لا يسمع حماراً ولا فوراً ، ولكنه يسمع الصوتين على حسب ما عنده من الزاد

وما أعجز الإنسان أن يتبين حقيقته بهذا الصغر وبهذه البساطة ما لم يسمع من جانب مخزن الخبز صوت حمار وصوت فأر وصوت إنسان

هذا نقص فى خليقة بنى آدم يؤدى إلى تمـام

وإنمـا هو نقص دائم إذا وقف حيث هو ولم تجتمع صوره الـكثيرة في صورة واحدة هى أدنى إلى الصدق وأبعد من الهوى وأوسط فى الرأى بين مختلف الآراء

وذلك هو النقص الذى يحبه جماعة من أصحاب المذاهب الاجتماعية ويفرضون دوامه ويحضون على الاقتداء به فى فهم التاريخ ، ونريد بهم الشيوعيين

فهم يجعلون الهوى فرضاً لزاماً فى معالجة كل حقيقة من حقائق الحياة

ويكتبون التاريخ فيذمون من لا يستحق الذم ، ويثنون على من لا يستحق الثناء ، لأنهم يستوحون المصلحة الشيوعية ، ويعلنون أن الخروج من هوى المصلحة فى تقدير الأمورمستحيل

فأما أنه مستحيل فلا ، لأن الإنسان يعرف الفرق بين صوابه وهواه ، وإن أحب هواه وآثره على الصواب

فإذا كانت له قوة خلق تصحب المعرفة غلب الهوى بالجمع بين معرفته وقوة خلقه ، وأصبحت مصلحته تابعة لمـا يلزمها من جادة قويمة فى رأيه

ولـكن الشيوعيين لا يغلبون هوى المصلحة ، لأن الخروج منه مستحيل ، وإنمـا يغلبونه لأن تغليبه نافع لهم فيما يقدرونه ويفسرون به الأمور

ولا نقول : إن الشيوعيين وحدهم يغلبون الهوى فى تفسير التاريخ وتصوير الحقائق ، فهذه خليقة شائعة بين جميع الناس ملحوظة بين أصحاب المذاهب بلا استثنا

ولـكننا نقول : إن الشيوعيين وحدهم هم الذين جعلوا ذلك فرضاً لا مناص منه ، ولم يجعلوه عيباً يصححونه ويخجلون من إعلانه

وهذا هو الفارق الـكبير بين الرأيين

فعلينا أن نعترف بالهوى ولا نجهل صنيعه فى أفاعيل الأمم والأفراد ، ولـكن علينا أن نغالبه ما استطعنا كلـما عرفناه واقتدرنا عليه

وهذا هو الواجب فى كل عيب من العيوب ، أيا كان سببه وأيا كان الناظر إليه

فأذكر أن « برتراند رسل » الفيلسوف الرياضى الباحث الاجتماعى الـكبير قد أشار فى بعض كتبه بإباحة العلاقات بين الفتيان والفتيات « بغير بنين » ليتم لهم اختبار الحياة الجنسية قبل الاضطلاع بتبعاتها ، ولأن المنع رياء ما دامت الإباحة قائمة فعلاً وإن سترت عن أعين المجتمع والشريعة

فأما اختبار الحياة الجنسية فليست الإباحة سبيله الوحيد ، وليس الزواج بعلاقة جنسية وكفى فيكون اختباره من طريق ذلك الانطلاق

وأما أن الإباحة مطلوبة ما دامت حاصلة ، فهذا الذى يشبه عندنا مذهب الشيوعيين أن الهوى مفروض ما دام من عادات بنى آدم

فالسرقة موجودة ولا نعالجها برفع العقوبة عنها ، والسقم الذى يأتى من الطعام موجود ولا نعالجه بتسويغ الطعام المسقم للأبدان ؛ وإنما وجود هذه الآفات هو الذى يدعونا إلى محاربتها واستئصالها ؛ إذ نحن لا نحاربها وهى معدومة غير مكروهة الوجود

* * *

هو الهوى إذن نقص فى طبيعة الإنسان تميز به بين المخلوقات لأنه طريقة إلى التمام

فلا نرميه ولا ندخره ، ولـكننا نتناوله بضاعة للاستبدال كلما تسنى لنا أن نبدل به بعض الصواب

وهوى واحد لا يصلح ثمناً مقبولاً فى هذه التجارة

ولـكن خمسة أهواء متقابلات هى أصلح الأثمان للمقايضة فيها ، فليس أثمن بأضعاف الهوى من تعدد الأهواء

أيشقينا ذلك التبديل والاستبدال ؟

نعم لا مراء ... ولـكن من الذى قال إننا خلقنا لنسعد ؟ ومن الذى قال إن السعادة فى استئصال الأهواء ؟ لم يقل ذلك أحد ؛ وإن قاله لم يحفله سامع . ولم تزل دنياه ماضية فى شقائها وسعادتها وهواها .

عباس محمود العقاد

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

منظر لن أنساه — شعراء مبدعون — فكاهة عراقية — الحرية — شيطنة مصرية — مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية

منظر لن أنساه

فى صباح يوم الجمعة الماضى توجهت مبكراً إلى سنتريس . فلما وصلت السيارة إلى القناطر الخيرية هالنى أن أرى جماهير كثيرة معوَّقة عن المسير . ونظرت فرأيت « هَويس الرَّياح التوفيقى » مفتوحاً ، وهى فرصة يومية لمرور السفائن إلى الشمال وإلى الجنوب

ونزلت إلى الشط للتفرج فرأيت ثلاث سفن يصدُّها التيار عن دخول الهويس صدًّا بلغ الغاية من العنف ، فقدَّرت أننا سنعوَّق عن المسير زمناً غير قليل . عند ذلك بدا لى أن أرجو أحد الملاحظين إنزال الجسر الخشبى لحظات إلى أن يستطيع البحارة تسديد هذه السفن الثلاث ، وفى هذا إنقاذ للمسافرين من الانتظار ، ولأ كثرهم شواغل تستوجب الاستعجال .

فأجاب الملاحظ بأن الجسر يُفتح نصف ساعة لمرور السفن بأمر وزارة الأشغال ، وقد بقى من الوقت عشر دقائق ، فإن عجز هؤلاء البحارة عن تسيير هذه السفن قبل انقضاء الوقت المحدَّد فسيُردّ الجسر ويعبر الطريق ، ولا يظفرون بغير الانتظار المملول !

فرجعت إلى الشط مرةً ثانية لأشهد أعظم معركة معاشية رأتها عيناى

ما كان أولئك البحارة ناساً ، وإنما كانوا من مَرَدَة الجنّ !
لم يكن بدٌّ من مصارعة تيار عنيف عنيف ، تيار يُسمَع هديره من مسافات ويُنذر من يصاوله بأفدح الخطوب

كانت المقاذيف بأيدى اللاحين ، كالسيوف بأيدى المحاربين ، وكانت القُلوع تُطوى وتُنشر فى اللحظة القصيرة مرات فى اتجاهات مختلفات ، وكانت الحبال تُرمَى هنا وهناك فيتلقفها المتلقفون بأمضى وأسرع من نظرة البرق اللماح

وعلى الشط وقف أشخاص يصيحون صيحات الإرشاد والتوجيه بنبرات تقرُب من الصراخ

دار رأسى من هول المنظر ، وفكرت فى مساعدة هؤلاء المجاهدين ، ولكن ماذا أملك ولم أتلق فى علم الملاحة أى درس ؟

وطاف بالخاطر أطياف من ماضى الجهاد فى هذه البلاد ، الجهاد فى سبيل الرزق الحلال ، فهؤلاء الملاحون هم الذرية الباقية من رجال كانوا أسبق الآدميين إلى اتخاذ الأنهار وسائط لنقل المنافع من أرض إلى أرض ، وكان لهم فى الملاحة مهارة راعت القدماء ... ألم يحدثنا ياقوت فى معجم البلدان عن بُحَيْرة مصرية كان الملاحون فيها ينتفعون بالريح أغرب انتفاع ، فيسيّرون السفائن إلى الشرق بمعونة ريح تتجه إلى الغرب !

ثم نظرت فرأيت على إحدى السفن حصيرة منشورة ، فوقها أرغفة صغيرة تشبه أقراص « البتاو » والبتاو كلمة مصرية قديمة معناها الرغيف

ومن أجل هذا « البتاو » يجاهد أولئك الملاحون

المعركة لا تزال دائرة ، ولم يبق من الوقت غير ثلاث دقائق ، فكيف تمر السفائن الثلاث فى دقائق ثلاث ؟

والعمال فوق الجسر ينتظرون انتهاء الوقت ليعيدوا قوائم الطريق إلى ما كانت عليه ، فأسير ويسيرّ المسافرون إلى النحو الذى نريد !

ولكنى أنسى نفسى وأنسى طريقى ، فما يهمنى إلا أن ينتصر اللاحون على التيار ليدخلوا « الهويس » بسلام آمنين

هِيلا هُب ، هيلا هُب ، هيلا هُب !!!

وانتصر الملاّحون قبل تَوانىَ ثلاث يحلّ بعدها الميعاد

وفى تلك اللحظة شعرت بفرح لا نظير له ولا مثيل

تباركت أسماء الله ! فهو النصير لمن يتوكل عليه فى مقاومة التيارات

شعراء مبدعون

يقال ويقال إن الشعر قل فى مصر ، فلم يبق فيها من الشعراء غير آحاد ، ومع هذا رأيت فى موقفى ذاك بقنطرة الرَّياح التوفيق عشرين شاعراً على جانب عظيم من الإجادة والإبداع فى الترنم والغناء

هنالك عشرون شاعراً ، أو يزيدون من الطراز النفيس

فن هؤلاء الشعراء ؟

جماعة من العصافير اللطاف بَنَتْ أعشاشها فى نَجَوات تقربها تقرباً بدخائل ذلك الجسر الصّخاب الضّجاج

كان المنظر فى غاية من الروعة والجلال : على يمينى بحّارة يقاتلون الأمواج ليدخلوا « الهويس » قبل الوقت الذى حددته وزارة الأشغال ، وعلى يسارى سحابة من العصافير تقاتل لتنتصر فى ميدان العواطف ، فترفّ من هنا إلى هناك ، رفيف الروح من القاهرة إلى بغداد

لن أنسى أبداً تلك العصافير بتلك الزقزقة الشعرية ، ولن أنسى أنها فطنت إلى مأوًى يصدّ عنها شرّ الآدميين

العصافير تأوى إلى أعشاشها قُبَيْـل الغروب ، ولا تخرُج من أعشاشها إلا بعيد الشروق ، وهى تَهَدُّ هدًّا بقدوم الليل .

فما صبرُ عصفور على النوم ساعاتٍ طوالاً وحولَ أذنيه هدير يصفُر بجانبه هدير « سَدَّة الهندية » فى سمع الفرات ؟

هو عصفورٌ شاعر يطيب له أن يهدأ على ضجيج الأمواج

لو بحث هـذا العصفور عن مكانٍ هادىء لوجد ملايين من القلوب الهوادئ ، وبعض القلوب تهدأ فتسكن سكون الموت ، فلا يأوى إليها غير البُوم النعَّاب

فى ضمائر « القناطر الخيرية » شعراء من العصافير اللطاف ، وقد يكون لهذه العصافير نظائر بقناطر أسيوط وقناطر أسوان ...

مصر وطن الشعر والفن والجمال ، وهى الغُرة اللائحة فى جبين الوجود

فكاهة عراقية

وبمناسبة المِلاحة النهرية أسوق فكاهة عراقية ما خطرتْ فى بالى إلا ابتسمت . وخلاصة تلك الفكاهة أن أحد المسافرين سأل مـلاحاً فى دجلة عن أجر الركوب من بغداد إلى البصرة ؛ فأجاب الملاح : عشرة دراهم مع جرّ الحبال ، وعشرون درهماً بدون جر الحبال . ففـكر المسافر قليلاً ، ثم رضى بالحال الأول مراعاةً للاقتصاد !

فـكاهة فى غاية من العذوبة ، ولـكنها تحتاج إلى شرح ، فأكثر القراء لا يعرفون حكاية جر الحبال .

أظنهم يعرفون ، فلنُعفِ هذه الفكاهة من الشرح ، لئلا تَبُـوخ !

الحرية ، الحرية !

وقف « المترو » ظهر اليوم عند مدخل مصر الجديدة ، ثم طال به الوقوف ، فنزلت لأعرف السبب ، فرأيت قطارات كثيرة يعانى ركابها مثل ما نعانى من التعطيل ، وكان السبب أن قطاراً أُصيب بعطب فعطَّـل جميع القطارات

والتفت فرأيت الأستاذ سعد اللبان ينتظر مع المنتظرين ، فوجهت نظره إلى الفرق بين « المترو » و « الأوتوبيس »

— أتريد يا دكتور أن تستغل هذا المنظر لـكلمة فى مجلة « الرسالة » ؟

— أنت تعرف يا صديقى أنى أنتفع من جميع مشاهداتى !

— وماذا ترى فى هذا المنظر مما ينفع ؟

— سأقولُ لقرائى وأقول ... سأقول : إن « المترو » حين يُعطَب منه قطار تُعطَّـل جميع القطارات ، ولا كذلك الأوتوبيس

— أوضح ما تعنيه بعض الإيضاح

— المترو يسير فى طريق مرسوم تحدده هذه القضبان ، فهو فى حقيقة الأمر مسجون ؛ أما « الأوتوبيس » ، فيسير فى الطريق كيف شاء ، وهو لا يعطل أخاه إن أُصيب بعطب فى الطريق

— وإذن ؟

— وإذن تكون الحرية أساساً لـكل فلاَح

— ثم ماذا ، على حد تعبيرك ؟

ثم تكون الأخلاق الفردية والقومية ممـا يتأثر بالتفاوت فى مثل هذا النظام ؛ فالرجل الذى يسير على منهاج واحد طول حياته يُعطَّـل عن المسير من وقت إلى وقت ، والأمة التى تلتزم خطةً واحدةً فى حياتها السياسية والاقتصادية تعطَّل عن الانتفاع بمـا يجد فى الدنيا من تطورات وتغيرات

— أنت إذن لا تقول بالثبات على المبدأ

— المبدأ هو الغاية ، وهى لا تختلف ، والوسائل هى الطرائق ، والطرائق تختلف من يوم إلى يوم باختلاف الظروف

— ولـكن الناس لا يفرقون بين الوفاء للغايات والوفاء للوسائل !

— وهل فهم الناس جميع الدقائق فى الأخلاق الفردية والقومية ؟

ثم سار المترو فانقطع الحديث ...

شيطنة مصرية

تغربت عن وطنى عدداً من السنين ، وعرفتُ الناس من جميع الأجناس ، فما رأيت أذكى من المصريين . ولو دُوّن ما يتندّر به السامرون بالأندية المصرية فى أسبوع واحد لكان ثروة أدبية تقتات بها أجيال وأجيال

وأذكر شاهدين اثنين يتصلان بشخصى ، وفيهما الكفاية لمن يريد إدراك بعض الجوانب من الشيطنة المصرية :

١ — تفضلت حكومة العراق فمنحتنى وسام الرافدَين ، فكتبت الجرائد كلمات لطيفة بينتْ فيها أن الحكومة العراقية أرادتْ أن تثيبنى على ما بذلت من الجهود فى توكيد الصلات بين مصر والعراق ؛ ولكن إحدى المجلات اهتدت إلى السبب الصحيح فقالت : إنى مُنحتُ ذلك الوسام جزاء بالرحيل عن بغداد ! !

وتلك نكتة أدق من السحر الحلال !

٢ — الأستاذ الزيات يحرص على أن أكتب فى « الرسالة » بدون انقطاع . وكان المفهوم عندى أن الأستاذ الزيات يرانى من أمراء البيان ، ولكن إحدى المجلات قد اهتدت إلى السبب الصحيح فزعمت أن الأستاذ الزيات قال إنه يستغنى بمقالى عن صحيفة اللطائف والطرائف !

والُحقُ المصرىُّ أجل من المقل ، ومجانين مصر هم الغاية فى لطف الذوق وخفة الروح

والمأمول أن يكون هذان الشاهدان من فنون المزاح ، فلا يحقّ ما يترتب عليهما من أحكام لها فى ساحة الظلم مكان

مسابقة الأدب العربى

احتفلت وزارة المعارف بتقديم الجوائز إلى الفائزين فى مسابقة الأدب العربي ، وكان احتفالاً فى غاية من الرّواء والبهاء

وكنت فى الحفلة الماضية قد استهديت معالى الوزير جائزة ، لأنى شرحت موادّ المسابقة على صفحات « الرسالة » فى عامين متعاقبين ، فقام أحد الطلبة فى هذه الحفلة وطالبنى بتقديم جوائز من مؤلفاتى لحضرات الفائزين . وقد ابتسم الهلالى باشا لهذا الاقتراح اللطيف ، كأنه يظن أنى سأعفيه من جائزة على الجهد الذى أبذله فى هذه الدراسات . ولا يضيع حقٌّ وراءه مطالب !!

أترك هذا وأذكر أنى سأستعين الله فى دراسة الموادّ الجديدة لمسابقة العام المقبل ، بعد انتهاء شهر الصوم ، راجياً أن يتفضل أساتذة السنة التوجيهية بمعاونتى ، فقد تكون المؤلفات المقررة فوق ما أطيق

سنلتقى مرة ثالثة على صفحات الرسالة مع الطامحين من أبناء الجيل الجديد ، وسيكون للقلم ميدان أو ميادين فى تشريح الكتب المقررة على المتسابقين

« اللّهم لا سهلَ إلا ما جعلتَه سهلاً ، ولو شئتَ لجعلتَ الحزْن سهلاً »

بهذه العبارة كان يبدأ درسه أحد العلماء فيظفر بالتوفيق ، وبها نبدأ ما نقبل عليه من الدروس ، والله وحده هو المستعان ، وبه التوفيق

زكى مبارك

المنتحـــرة

للدكتور محمد حسنى ولاية

كانت فى الخمسين من العمر عندما انتحرت باحراق نفسها فى آخر نوبة من نوبات الملانخوليا Melancholia . ولما كانت هذه النوبة خفيفة ، فقد تمكنت بالإرادة الباقية لديها من وضع حد لحياتها . على أنها حاولت فى إحدى النوبات المتوسطة فى الشدة من أن تخنق نفسها بلف شعرها حول عنقها

بدأت حياتها فى ظل عيش رغيد ، وتولدت لديها نزعات ذكرية بعد أن أنجبت أمها عدة أطفال ذكور . ولما كانت العناية التى كانت موجهة إليها قد انتقلت إلى اخوتها ، فقد نشأت عندها الرغبة فى تحديهم وتحدى الذكورة بوجه عام . ومن مظاهر هذا التحدى أنها عندما بلغت العاشرة من عمرها كانت تقلد الذكور بإطارة طائرات مصنوعة من الورق الملون والبوص ، وكثيراً ما كانت تصيد طائرات الأطفال بطائرتها التى كانت تعنى بصناعتها أكبر عناية

وفى نحو العشرين من سنها تزوجت ، ثم أنجبت من زوجها عدة أطفال ، ولكن زواجها لم يكن موفقاً ، لا لسبب سوى أنها كانت تنشد السيطرة وتشعر بغضاضة لقيامها بدور امرأة .

وقد انتهى أمرها إلى أن أحبت امرأة أخرى ، فكانت تدللها وتعاملها معاملة الرجل للمرأة ، وقد أعدت لها كوباً من الفضة نقشت عليه اسم خليلتها ، ولا تسمح لأحد أن يشرب منه سواها ، كما أنها طرزت اسم هـذه الخليلة على الوسائد والفرش ، ثم مهدت السبل لكى تزوج زوجها من هذه المرأة ، فعاش الثلاثة فى منزل واحد وفى شبه وئام . وقد حققت بهذا الزواج أهدافها بالتخلص من زوجها ، على الرغم من أنها بقيت فى عصمته ، وفى الوقت نفسه قربت منها خليلتها

وعندما بلغت سن اليأس تشبثت بها نزعات سادية Sadism فكانت تضرب خادمتها ضرباً مبرحاً . وكثيراً ما كانت تجز شعرها وتكوى جسدها بسيخ محمى فى النار ، كما استبدت بها ميول ذكرية حملتها على السفر بمفردها إلى الأقطار الشقيقة وإلى تبذير أموالها تبذيراً شديداً . وما لبثت أن انتابتها نوبات ملانخولية متفاوتة فى الشدة

بدأت عوارض مرضها بحدوث خفقان فى القلب ورهبة من الموت وخوف من عقاب الله ، ثم أخذت تتجاذبها الهواجس السود فكانت تعتقد أنها قضت نحبها ، ثم توسلت إلى الله أن يغفر لها خطاياها . وكانت إذا سمعت الحاكى (الفونوغراف) تصورت أن روح أحد أقاربها تقمصت فى القرص الدوار فلا يفتأ يصعد أنينه ويبث شكواه كلما وخزته إبرة الحاكى الحادة . وإذا رأت أحداً يهش الذباب خيل إليها أنه يشير إلى سفاح ليقطع رقبة أحد أقاربها

وكان فى منزل المريضة زهريات بزينة صغيرة فى كل منها وردة صناعية حمراء ، فكانت تعتقد أن تلك الزهريات ما هى إلا يأجوج ومأجوج حاملين مظلات حمراء ليتقوا بها جمرات تتساقط عليهم من جهنم .

وتصورت ذات يوم أن سريرها سفينة نوح وأن أفراد أسرتها مشرفون على الغرق ، فجعلت تناديهم ليتعلقوا بالسفينة طلباً للنجاة ولكن دون جدوى .

وكانت تمتنع عن تناول الكاكاو لاعتقادها أنه ليس إلا دماً مسفوكاً . وطالما امتنعت عن الاغتسال ظناً منها أن الماء ما هو إلا بول الفيلة .

ومن أطرف الهواجس التى كانت تنتاب المريضة عندما كنت أغذيها صناعياً بإدخال اللى المعدى إلى معدتها أنها كانت تعتقد أن المقصود بهذه العملية تشويه خلقتها ونقل أعضائها الجنسية إلى مكان فمها ونقل فمها إلى مكان تلك الأعضاء لتكون أعجوبة العالم .

ومن الهواجس التى تدل على رغبتها فى أن تكون رجلاً أنها كانت تتصور أحياناً أنها رجل أو أن نصفها لرجل والنصف الآخر لامرأة ، وحين تسعفها لمحة من لمحات الإدراك وتنظر إلى رجليها فتراهما متماثلتين تقرر أنها إما أن تكون رجلاً وإما امرأة

وعلى الرغم من أنها كانت تتصور فى أثناء مرضها أنها مذنبة وأن الله سينزل بها أشد العقاب ، وإنها مخلوق دنىء لا يستحق دخول الجنة فإنها كانت أحياناً تعوض عن هذا نوعاً ما بتصورها نفسها ابنة ملك الفرس ولكنها وضعت فى أحد المتاحف الأثرية لتكون فرجة للناس .

محمد حسنى ولاية
طبيب بصحة بلدية الأسكندرية

إيبيقـــوس

IBYCUS

للأب أنستاس مارى الكرملى

١ – توطئة

طالعنا فى الرسالة (١٠ : ٨١٢) النبذة التى قلَّد بها جيد هذه المجلة ، الأستاذ محمد مندور ، أحد المدرسين فى كلية الآداب فى مصر القاهرة الزاهرة ، وحالما وقع طائر بصرنا عليها ، وعلى اسم كاتبها ، استبشرنا وقلنا فى نفسنا :

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السِحر والساحِرُ

ولما استهلَّ الكاتب نبذتهُ بقوله : « أصحح للأب الفاضل أنستاس مارى الكرملى خطأ وقع فيه » – قلنا فى نفسنا : وما هذا التصحيح ؟ – فإذا هو يبيع لنا بضاعة عرضناها نحن على القراء بكل تحرز وتوقٍّ ، إذ لم يسبقنا أحد إلى عرضها . إذن لم يأتنا بشىء جديد ؛ وإذن لم نفهم كيف ساغ له أن يقول : « أصحح » ...

ومن الغريب ، أنهُ ألحَّ على أن الشاعر المبحوث عنه فى « الإمتاع والمؤانسة » هو « أنيقوس » أى الأنيكى ، وهو يونانى صميم ... إلى آخر ما قال وجال وصال !

ولم يشر أبداً إلى أننا كنا أول من أشار إلى هذا الرجل إشارة خفيفة ، من غير أن نلح على أنه هو المطلوب فى هذا المبحث . وقد ذهبنا إلى ذلك لمقاربة بين لفظة (أنيقوسْ) و (إبقوس) ، ولم يكن ذلك من باب التأكيد ؛ فإذا الأستاذ مندور المدرس بكلية الآداب ، يتمسك بهذا (الخاطر الضعيف) ، ويعده (رأياً) ويأخذ به ، ويدافع عنه مدافعة الأبطال ، كأنه من وضعه ، أو من فكره .

ولكن من بعد أن تنصَّر لهذا الرأى ، ونافح عنه أبدع منافحة ، قذفه نجاة من يده فى مهاوى الرذل ، كأنه عقرب حاولت لسعه ، فأراد التخلص منها على هذا الوجه المبارك النتيجة ، إذ قال : « وإذا ذكرنا أن « كومودوس » هو ... وإذا كان من الممكن أن يكون « قومودس » أمبراطور روما ... فلا غرابة فى أن يكونوا ...

فيا سيدى الأستاذ ، المدرس بكلية الآداب فى القاهرة ، لقد هدمت بإذا ... وبإذا (مكررة) وبمن الممكن أن يكون ... ما بنيتَه ، أى صرحك الممرَّد ، فوقع عليك وسحقك سحقاً ، وأنت تُرى للناس أنك لم تشعر به وهم قد شعروا به كل الشعور . أما أنك ترى للناس أنك لم تشعر به ، فذلك لأنك قلت فى الختام : « وهكذا يتضح أن القراءة التى « نظنها » أقرب ما تكون إلى الصحة ، هى قومودوس وأنيقوس ؛ اللهم إلا أن تكون عند الأستاذ كراوس معرفة خاصة بأبقوس الشاعر اليونانى ، وذلك ما ننتظره منه ، إن تفضل فجاد بعلمه الغزير »

فلو كنت ، يا سيدى المدرس بكلية الآداب ، واثقاً بما تقول لما قلت هذا القول ، ولما التجأت إلى غيرك ، لأنك بهذه المحاولة نسفت صرحك نسفاً حتى أسسه

يا سيدى الأستاذ ، المدرس بكلية الآداب ، إن التاريخ لا يبنى على « إذا » ، ولا على « إذا كان من الممكن أن يكون كذا وكذا » – إن التاريخ ، يا سيدى الأستاذ المدرس بكلية الآداب ، رواية وقائع ، ونقل أحداث تنقل إلى السلف على ما رووه ، ولا دخل فيه لـ « إذا » و « من الممكن » فمثل هذا الكلام يرد فى المنطق والفلسفة والصرف والنحو واللغة والحديث وأمثالها ، التى يصح فيها التخريج ؛ أما التاريخ فبعيد عن التأويل والتفسير . فالظاهر أن حضرتك مهرت فى التخريج حتى رسخ فى نفسك كل الرسوخ ، فصرت تستعمله فى كل ناد وواد ، فى ما يجوز استعماله ، وفى ما لا يجوز ، فآذيت نفسك من حيث تدرى ولا تدرى

٢ – كيف وجدنا ضالتنا

جرت لنا عادة أن نرحب بأصدقائنا ، وأحبائنا ، وأدبائنا فى كل صباح جمعة من الأسبوع ، وذلك منذ سنة ١٩١١ ،

فيجتمع فى نادينا الكتّاب والصحفيون والشعراء والمؤرخون ، ووصاف البلدان ، ويختلف عددهم بين العشرين والثلاثين ، فتلقى الأسئلة ، وتجرى المحاورات والمطارحات على أحسن وجه ، وأسلم طريقة ، بشرط ألا يلقى سؤال فى الدين ولا فى السياسة . وإن وقع شىء من هذا القبيل ، ينبه صاحبه على أن مثل هذا الأمر ممنوع ، فيسكت بكل حشمة ووقار وأدب من غير أدنى امتعاض

ويوضع بين أيدى الأدباء جميع جرائد المدينة ، وما يأتى إلينا من الصحف والمجلات والكتب الجديدة الواردة من العراق وخارج العراق ، فيطالعها المنتمون إلى هذا الديوان المتواضع . ويتفق لنا أن نخط خطاً أزرق تحت كل غلط نقع عليه فيما نقرأه فيأتى بعدنا من يقف عليه فيعرف ما فيه من الزلل والخلل . ولما طالعنا نبذة الأستاذ (مندور) المدرس بكلية الآداب خططنا خطوطاً زرقاً تحت بعض الألفاظ ، وأشرنا بعض الأحيان بالنص إلى ما فيها من الأغلاط بكلمات وجيزات ، ولا سيما أشرنا إلى قوله : « إن هيرودس أتيقوس » رومانى ، لا يونانى ، فهذا أبعد فى الخطأ من استنكاره أن يعتبر (ثيودوسيوس) يونانيا ... » استحسنها الجميع واستصوبها الكثيرون

بقى علينا أن نعرف الإسم الحقيقى للشاعر اليونانى (إبقوس) أو (إتقوس) أو (إنقوس) أو (إيقوس) ؛ إذ كل هذه الروايات وردت مصحفة للاسم الحقيقى المصحف ، فتذكرنا أننا لما كنا ندرس اليونانية في جامعة بيروت اليسوعية ، أن أحد معلمينا ذكر استطراداً اسم شاعر يونانى مشهور بسماه (إبيقوس) ، وكان قد ذكره من باب العرض ، من غير أن يتصدى له تصدياً مقصوداً ، فبقى اسمه هذا مطبوعاً فى ذاكرتنا ، وكان عمرنا يومئذ ٢١ سنة : (أى كان ذلك فى سنة ١٨٨٧ م)

فسألنا أحد الحاضرين فى الجمعة التى وقعت فى ٢٨ أغسطس (آب) من هذه السنة المستشرق الإيطالى سيرينى Sereni ، والأستاذ مير بصرى منشئ مجلة « غرفة تجارة بغداد » : أتعرفان شيئاً عن (إبيقوس) ؟ فقالا : وكيف يكتب هذا الإسم بالحرف الرومانى ؟ قلنا : لعله Ibicos ؛ فقال الأستاذ سيرينى : سأنظر غداً السبت فى المعلمة البريطانية وأفيدك عنه الإفادة الصادقة ، وكذلك قال الأستاذ مير بصرى

وفى اليوم الثانى — بعد أن مضت أربع وعشرون ساعة على سؤالنا — هتف إلىَّ الأستاذ بصرى قائلاً : وجدتُ ضالَّتكم فى المعلمة البريطانية ، ويكتب العلَم هكذا Ibycus لا كما كتبتموه Ibicos ؛ ثم قال : وهاأنذا أنقل إليكم بالعربية ما ورد فى المعلمة المذكورة ، وأبعث به إليكم فى هذه الساعة . وبعد عشر دقائق ، ورد إلينا تعريب الموضوع ، وهو ما ننقله إلى القراء بحروفه عن المعلمة البريطانية بقلم الأستاذ مير بصرى :

٣ — إبيقوس هو اسم الشاعر اليونانى على التحقيق

« إبيقوس Ibycus [1] من أبناء ريجيوم Rhegium من أعمال إيطالية ، شاعر غنائى ، يونانى ، معاصر لأناكريون Anacréon ، وقد طوى بساط أيامه فى المائة السادسة (ق . م .) وقضى حياته متنقلاً ، ولازم زمناً بلاط بولقراطس Polycrates طاغية ساموس Samos ، وقد قص بلوطرخس Plutarque أسطورة وفاته قال : هاجمه لصوص ، فناشد سرباً من الكراكى أن يأخذ بثاره . وحدث بعد ذلك أن أحد اللصوص شاهد كركياً فى مسرح كورنتس Corinthe فصاح : أنظروا إلى أصحاب ثار إبيقوس ؛ فنم بذلك على نفسه ؛ فذهبت كراكى إبيقوس مثلاً

وقد نظم إبيقوس سبعة كتب فى الشعر الغنائى ، منه فى التصوف ، ومنه فى الغزل » انتهى نقله تعريباً .

ثم بحثنا عن إبيقوس فى سائر المعاجم التاريخية ، من فرنسية وانجليزية ، وإيطالية وغيرها ، فرأيناها جميعاً تذكر هذا الشاعر اليونانى ، وعصره ، والكراكى التى استشهدها على قتلِهِ . ولاروس الكبير — وهو معجم ضخم فى أكثر من عشرين مجلداً — تكلم عليه أكثر من جميع المعاجم . ومن أراد التوسع فى هذا الموضوع فعليه به ؛ فإنه فى غاية الإفادة التاريخية ، ونحب بنوع خاص أن يطالعه حضرة الأستاذ « محمد مندور » المدرس بكلية الآداب فى مصر المحمية ، من كل شر وبلية[2] .

٤ — الكراكى المندورية

قال جناب الأستاذ المكرم : « وأما قصة الكراكي ،

(١) ويكتبه كثيرون Ibycos بموجب أصله اليونانى

(٢) نقول ذلك ونكرره ليدفع الله عنها مخاطر الأعداء فى هذه الأيام العصيبة .

فقصة لا أثر لها فيما عثرت[1] به من كتب اليونان، فهي خرافة لا نعلم عن نسبتها إلى قومودس وأتيقوس شيئاً؛ وإن يكن هناك احتمال في أن تكون من بين الأساطير الكثيرة التي راجت من وفاة الشاعر اليوناني الكبير لوسيان[2] المعاصر لقومودوس وأتيقوس » انتهى

يا سيدي الأستاذ، لا يقول كلامك ولا مثله أرسخ المؤرخين قدماً في أخبار اليونان، من أقدمين ومحدثين. فقولك: « فقصة لا أثر لها فيما عثرت به من كتب اليونان ». فهذا كلام يدل على أنك وقفت على جميع مؤلفات أصحابنا اليونان. فهذا ادعاء لا يسلم لك به تلاميذك؛ ولو كان صادراً عن حسن نية! بل لا أظن أن تلاميذك وكلهم - أذكياء نجباء - يقبلون منك هذا الإنكار العام العظيم، فكيف يقبله قراء مجلة « الرسالة »، وفيهم كبار المؤرخين، وأساتذة التعليم وأعاظم جهابذة الأخبار وأرسخ العلماء قدماً في النقد وتزييف الأقوال والآراء

وصاحب الإمتاع لم ينسب هذه الكراكي إلى لقيانس، ولا إلى أتيقوس، بل قال، وهذا كلامه بحروفه منقولاً عن ٢ : ١٥٣ من الإمتاع : « حكى لنا أبو سليمان أن تيودسيوس[3] ملك يونان، كتب إلى كنتس[4] الشاعر أن يزوده بما عنده من [كتب] فلسفية ... »

فالكراكي منسوبة هنا إلى « كنتس » الشاعر والذي أثبتنا أنه إيبيقوس Ibycos. فما ذكرته يا سيدي لم يذكره أحد فمن أين تأتينا بالوحي؟

وزدت الطين بلة، أنك ذكرت اسم شاعر آخر وهو لسيان (أي لقيانس). هذه كلها أمور تزيد في المعضلات ارتباكاً، وفي العقد مجراً!

(١) كذا ورد هذا الفعل موصولا بالباء في كلام الأستاذ المدرس بكلية الآداب في مصر المحمية، ولعله أراد أن يقول: فيما عثرت « عليه » من كتب اليونان، أقاله الله من كل عثرة، وأن الجواد قد يعثر. والذي نعلمه أن العثور بالشيء غير العثور عليه. ولعلنا مخطئون والأستاذ مصيب!

(٢) لم نجد في الأسفار التي بأيدينا أن لقيانس (لا لوسيان) كان شاعراً كبيراً، فضلا عن أنه لم يكن شاعراً، بل كان معلم خطابة وفيلسوف. ولم يذكر أحد من المؤرخين شيئاً عن الكراكي التي ينسب الأستاذ مندور حكايتها إليه فلا نعلم من أي المناهل يستقي حضرته إن علمه للتاريخ يحيرنا ويذهلنا

(٣) وفي الحاشية : « في (١) « قومودوس » ، وفي (ب) « تودورس » . والصواب ما أثبتناه نقلا عن كتب التاريخ

(٤) وفي الحاشية : « في كلتا النسختين « أبنقس » وهو تحريف »

ثم يا سيدي، أن لقيانس وقومودوس وأتيقوس كانوا من أبناء المائة الثانية بعد المسيح، ونحن رأينا أن إيبيقوس كان من أبناء المائة السادسة قبل المسيح، فكيف نقلتنا فجأة من عصر إلى عصر، كأنك تسير في جو التاريخ سير الطيارات المصرية في أجواز السماء، في عهدنا هذا؟ أتجهل يا سيدي أن الطيارات لم تكن يومئذ معروفة عند مختلف الأمم؟ أفتأذن يا حضرة الأستاذ أن نطير هذا الطيران السريع في تلك العصور القديمة؟

كل هذا يدهشنا لأنه صادر من مدرس بكلية الآداب

إذن الكراكي (المندورية) غير كراكي الشاعر اليوناني إيبيقوس، وهذه الكراكي ذكرها جميع من تكلم على هذا الشاعر الكبير، من انجليز وفرنسيين وإيطاليين وألمان وروس وإسبانيين وأميركيين وغيرهم، أفيكذبهم جميعاً كذلك كراكيك ولا نعلم إلى من ننسبها إلى لقيانس أم قومودوس، أم أتيقوس؟

(البقية في العدد القادم) الاب أنستاس ماري الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

من أدباء الصعيد فى القرن السادس

الرشيد الأسوانى

للأستاذ محمود عزت عرفة

فى عام ٥٤٩ هـ قتل الخليفة الفاطمى الظافر بأعداء الله فى دار وزارته بالسيوفية ؛ وعهد بالأمر من بعده لابنه الفائز « عيسى » ؛ وقد أُقيم وقتذاك بقصر الخلافة حفل كبير لتأبين الخليفة المقتول، أمّه شعراء الدولة من كل إقليم، فأنشدوا مراثيهم حسب مراتبهم ؛ ثم نهض فى أُخرَياتهم رجل تتخطاه العيون ، أسود الإهاب ، عليه أطمار رثة ، وطيلسان من صوف ؛ فأنشد قصيدة أولها :

ما للرياض تميـــل سُكرا هل سُقِّيتْ بالمُزْن خمرا ؟

... ولما وصل منها إلى قوله :

أفكَرْ بلاءٌ بالعـــرا قِ وكَرْ بلاءٌ بمصرَ أخرى ؟!

كان التأثر قد بلغ من الحاضرين مبلغه ، فجاشت قلوبهم بزفرات من الأسى ، وترددت أصواتٌ من البكاء والإعوال هنا وهناك ... وظل الحزن معتلجاً فى النفوس حتى فرغ الشاعر من إلقاء ما تهيأ له ، فغادر منبره وقد شَجِىَ وأشجى وكان أن رمقته العيون بنظرات الإعجاب والإكبار ، وانثالت عليه العطايا من الأمراء والحاشية والخدم وحظايا القصر ؛ وحُمل إليه من قِبَل الوزير — طلائع بن رُزِّيك — جملةٌ من المال ؛ ثم قيل له فى شبه اعتذار : لولا أنه العزاء والمأتم لجاءتك الخلع !

ذلكم هو شاعر الصعيد أبو الحسين أحمد بن على بن ابراهيم ابن الزبير الغسانى « الأسْوانى » الملقب بالرشيد ، وصفه ياقوت فى معجمه فقال : « كان على جلالته وفضله ، ومنزلته من العلم والنسب ، قبيحَ المنظر ، أسود الجلدة ، جهم الوجه ، سَمِج الخلقة ، ذا شفة غليظة وأنفٍ مبسوط كخلقة الزنوج ، قصيراً »

وترجم له كثير من المصنفين غير ياقوت : كالعماد الأصبهانى (صاحب الخريدة) ، وأبى الطاهر أحمد السِّلَفى ، وابن خلكان وكمال الدين الأدفوى .

على أن واحداً من هؤلاء لم يذكر لنا سنة مولده على وجه التحديد ، وإن كانوا قد أجمعوا على أنه توفى عام ٥٦٣ هـ[1]

(١) خالف ياقوت فى ذلك فذكر أنه توفى عام ٥٦٢ هـ والأول أصح

نشأته وأخلاقه

كان أبو الحسن من أهل الفضل والنباهة والرياسة ، ينتمى إلى بيت كبير واسع الثراء من بيوتات الصعيد ، وكان يداخل نفسه شىء من الكبر والأنفة والطموح ، وقد لازمته هذه النزعة طيلة حياته ، بل جنت عليه أكثر من مرة ، وأذاقته مرارةَ الكُره والشماتة من نظرائه ، والتحيُّف والعسف من ولاة بلده وحكامه

وما من شك فى أن مصرعه الرهيب على يد شاوِر وزير العاضد — كما سيأتى — مما يمت إلى هذه الصفات التى غلبت عليه بسبب قريب أو بعيد

لقد وصفه الشيخ الحافظ زكى الدين المنذرى فقال : كانت فى نفسه عظمة ! وقال عنه ابن شاكر الحموى فى مشيخته : كان الرشيد عالى الهمة ، سامىَ القدر ، عزيز النفس ، يترفع على الملوك ويرق بنفسه عنهم[1]

وذكره ابن أبى المنصور فى كتاب البداية فقال : كان قد اجتمعت فيه صفات وخلائق تعين على هجائه ، منها أنه كان أسود ، ويدعى الذكاء ، وأن خاطره من نار[2]

ولقد ضمه ليلةً — مع جمع من الفضلاء — مجلسٌ للملك الصالح بن رزيك ، فألقى عليهم مسألة فى اللغة عجزوا جميعاً عنها ، حتى أتى هو بفصل الخطاب فيها . فلما أبدى الملك الصالح إعجابه قال الرشيد مفتخراً : ما سُئلتُ قط عن مسألة إلا وجدتنى أتوقد فهماً ... فقال محمود بن قادوس الشاعر وكان حاضراً :

إن قلتَ : من نارٍ خُلِقْـــتُ وفُقْتَ كلَّ الناس فهما
قلنا : صدَقْتَ فمـا الذى أطفَاكَ حتى صرتَ فَحما ؟

ومما قاله فيه ابن قادوس أيضاً ، وكان به مُغْرَىً :

يا شِبْهَ لقمان بلا حكمـةٍ وخاسراً فى العلم لا راسخاً
سلختَ أشعار الورى كلها فصرتَ تدعى(الأسودالسالخا)!

ويبدو أن الرشيد لم يكن يخلو — مع هذا — من حب الفاكهة ، والميل إلى التندُّر والدعابة . ولقد كان مما قصه عن نفسه لبعض أصحابه أنه مر ذات يوم بموضع فى القاهرة ، فإذا امرأة شابة صبيحة الوجه تنظر إليه نظر مُطْمِعٍ فى نفسه ،

(١) ، (٢) الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد لكمال الدين الأدفوى ص٤٩

وتشير بطرفها ، قال[1]: « فتبعتُها وهي تدخل في سكة وتخرج من أخرى ، حتى دخلتْ داراً وأشارت إليَّ فدخلت ؛ ورفعتْ النقاب عن وجه كالقمر في ليلة تمامه ، ثم صفقت بيديها منادية : يا ست الدار ! فنزلت إليها طفلة كأنها فلقة قمر . فقالت لها : إن رجعت تبولين في الفراش تركت سيدنا القاضي يأكلكِ ! ثم التفتت وقالت : لا أعدمني الله إحسانه ، بفضل سيدنا القاضي أدام الله عزه ! قال : فخرجت وأنا خزيان خجلا لا أهتدي إلى الطريق[2] »

ثقافته الأدبية والعلمية

كان الرشيد كاتباً شاعراً ، فقيهاً نحويًّا لغويًّا ، منشئاً عروضيًّا مؤرخاً ، منطقيًّا مهندساً ، عارفاً بالطب والموسيقى والنجوم متفنناً[3]

وقد ذكر صاحب الخريدة أن له رسالة «أودعها من كل علم مشكله ، ومن كل فن أفضله » قال الأدفوي[4] : « وقد وقفت أنا على رسالته ، وهي تدل على جودة معرفته بالفقه والنحو واللغة والتصريف والأنساب والكلام والمنطق والهيئة والموسيقى والطب وأحكام النجوم وغير ذلك ... »

وقال محمد بن عيسى اليمني : كان الرشيد أستاذي في الهندسة . ويعتبر كتابه (جِنَان الجَنَان ورياض الأذهان) أهم مصنفاته وأشهرها . وهو يشتمل على مختارات جيدة لشعراء مصر ومن طرأ عليهم . وله غير هذا الكتاب مؤلفات أخرى أورد ياقوت في معجمه منها :

كتاب « مُنيَة الألمعيّ وبُغيَة المدَّعي » . كتاب « الهدايا والطرف »[5] . كتاب « شفاء الغُلَّة في سَمْتِ القِبلة » .

مجموعة رسائل وديوان شعر ... ومن شعر الرشيد قوله معاتباً بعض أصحابه :

لئن خاب ظني في رجائك بعدما
ظننتُ بأني قد ظفرتُ بمنصف
فإنك قد قلدتني كل منّة
ملكتَ بها شكري لدى كل موقف
لأنك قد حذّرتني كلَّ صاحب
وعلمتني أن ليس في الأرض من يفي !

ومن قوله في الافتخار بنفسه :

جلَّت لديَّ الرزايا بل جلَتْ هِممي
وهل يضر جلاء الصارم الذكر ؟
غيري يغيِّره عن حُسن شيمته
صرفُ الزمان وما يأتي من الغِيَر
لو كانت النار للياقوت محرقةً   لكان يشتبه الياقوت بالحجر
لا تُغرِرَنّ بأطماري وقيمتها   فإنما هي أصداف على دُرر
ولا تظن خفاء النجم من صغر   فالذنب في ذاك محمول على البصر

وروى عنه أبو الطاهر السِّلَفي (في بعض تعاليقه) ما أنشده إياه لنفسه وهما بالأسكندرية :

سمحنا لدنيانا بما بخلتْ به   علينا ، ولم نحفِل بجُلِّ أمورها
فياليتنا لما حُرمنا سرورها   وُقِينا أذى آفاتها وشرورها

رحلته إلى اليمن

سافر الرشيد الأسواني إلى اليمن رسولاً ، داعياً للخليفة الفاطمي . ويبدو أنه قوبل هناك بحفاوة سرّته ، وطاب له المقام حيناً ، حيث تقلد منصب القضاء والأحكام ولقب بـ « قاضي قضاة اليمن وداعي دعاة الزمن » ... ويقول ياقوت إن نفسه طمحت وقتذاك إلى رتبة الخلافة ... « فسعى فيها ، وأجابه قوم ، وسُلِّم عليه بها ، وضربت له السكة . وكان نقش الكتابة على الوجه الواحد : قل هو الله أحد الله الصمد ، وعلى الوجه الآخر : الإمام الأمجد أبو الحسين أحمد[1] » .

محمود عزت عرفة

(للمقال بقية)

---

(١) معجم الأدباء لياقوت ج ٤ ص ٥٩

(٢) تشبه هذه القصة ما حكاه الجاحظ عن نفسه إذ قال : ما أخجلني قط إلا امرأة مرت بي إلى صائغ فقالت له : اعمل مثل هذا . فبقيت مبهوتاً ، ثم سألت الصائغ فقال : هذه امرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان فقلت : لا أدري كيف أصوره . فأتت بك لأصوره على صورتك !

(٣) معجم ياقوت ج ٤ ص ٥٢

(٤) الطالع السعيد ص ٤٢

(٥) يسميه البهاء الدمشقي « العجائب والطرف » وقد نقل عنه قصة في كتابه « مطالع البدور في منازل السرور » ج١ ص ١٢٨ : الباب التاسع عشر ، في آنية الراح .

(١) معجم ياقوت ج ٤ ص ٥٥

العبقـــرية (*)

ليست العبقرية ملكة بسيطة ، بل هى فى الحقيقة مجموعة قوى أو ملكات متحد بعضها ببعض . هذه القوى والملكات يمكن إرجاعها إلى ثلاث رئيسية هى :

(ا) مخيلة حية تثيرها للعمل حساسية شديدة أو عاطفة مشبوبة متقدة ...

(ب) عقل قوى مفكر ناضج ...

(ح) إرادة قوية حازمة

ونحن لا يمكننا أن نعرف الفكر الخالق إلا خلال ما يصدر عنه من أعمال ، ولا يمكن أن تنفصل العبقرية عن القوة الخالقة التى توجد بالضرورة فى الإرادة القوية[1] .

هذه العناصر السيكولوجية لازمة بالضرورة للعبقرية ، ولا بد أن توجد كلها عند كل عبقرى ، ولـكنها تختلف فى واحد عنها فى آخر ، بمعنى أنها توجد بنسب متفاوتة باختلاف العباقرة وإن وجدت فيهم جميعاً ، فليس هناك عبقرى ينقصه أى عنصر منها بل تتحد كلها فيه وإن ساد عنصر من تلك العناصر على بقية العناصر الأخرى عند عبقرى معين ، وساد عنصر آخر عند عبقرى آخر وهكذا ، فهى لازمة كلها لإنتاج الأعمال العظيمة التى تحتاج إلى عبقرية خاصة ، سواء أكانت تلك الأعمال إنتاجاً فنياً أم اكتشافاً علمياً أم صناعياً أو غير ذلك .

وهناك نهاية معينة يدركها الذهن القوى الراق ، وهى نهاية أو غاية أسمى وأعظم من أن تتصورها الأذهان الشعبية العامة غير المستنيرة أو ترق إليها . هذه النهاية نسميها تصور أو إدراك العبقرية La conception de génie هذا التصور أو الإدراك موجود ، ولـكن يجب إيجاد وسائل تحقيقه ، أى يجب أن نعرف كيف نحقق تلك النهاية أو الغاية . إن المخيلة الحية والعاطفة المشبوبة تجعلاننا نتصور تلك النهاية ونحسها ونرغب فيها بشدة ، وتقدمان لنا ما وسعهما من وسائل ، ولـكنها وسائل مضطربة فى الحقيقة غير مرتبة ولا منظمة . فالمخيلة والحساسية والعاطفة لا يمكن للانسان أن يعمل بها وحدها شيئاً ذا أهمية إن لم يتدخل العقل الآمر الناهى فى الأمر فيختار الأحسن ويترك ما لا يصلح ويربط بين ما يختار ويرتبه وينظمه . فعمل العقل — فى كل شىء — هو الاختيار والترتيب والربط . ثم يجىء بعد ذلك دور الإرادة ، فإنها هى التى تتم العمل المدرك المتصور بتحقيق تلك الوسائل المرتبطة فى الذهن . والعالم ملىء بالأذهان التى لا تنقصها المخيلة ولا الانفعال ، حتى ولا ملكة الترتيب والتنظيم والربط ، ومع ذلك فهى أذهان مجدبة لا تنتج شيئاً بل تعيش هى وحدها فيما تتصور وتحلم به ؛ وقد تكون تصوراتها جيلة ، ولـكنها لا تخرجها للناس ، لأنها تفتقر إلى الإرادة والصبر ، وهما عنصران هامان فى الإنتاج . وهناك عنصر أخير هو الإلهام يقدمه لنا فى الحقيقة الحساسية — طبيعية أو مكتسبة — والمخيلة ، ولذلك لا يمكن للانسان أن ينتج بالإلهام وحده شيئاً خالداً باقياً .

ولا بد للعبقرى من الصبر والمجالدة والصراع ، حتى يتوصل إلى ما يصبو إليه . وقد قال بيفون[1] Buffon إن العبقرية صبر طويل Le génie est une longue patience ، ويمكن أن نمثل لذلك بالعالم الرياضى الكبير نيوتن ، فهو — باعترافه — لم يصل إلى تلك النتائج العلمية المدهشة إلا بصبره وطول أناته وقوة إرادته . وقد سئل كيف أمكنه اكتشاف الجاذبية الأرضية ؟ فقال : بطول تفكيرى فيها دائماً . ويستلزم الصبر إرادة قوية . ووجود الإرادة كعنصر فى شىء ما يعنى وجود الحرية بالضرورة ، فلا إرادة إن لم تكن هناك حرية اختيار ، وما دامت الإرادة عنصراً فى العبقرية فإن هـذا يبعدنا عن النظريات التى تجعل من الرجل العبقرى نتاجاً ضرورياً أوجدته الظروف والبيئة ، كما تنتج النبات والحيوان ، أى أنها تجعل منه شيئاً أوجدته القوى الطبيعية بالصدفة السعيدة فقط ، وتعتبره

(*) ملخصة من الفرنسية عن كتاب : H. Marion : Leçons de psychologie

(١) يتفق رأى الأستاذ مريون فى ذلك مع رأى الفيلسوف الفرنسى فيكتور كوزان الذى يرى أن العبقرية هى الذوق السامى ويدخل فى تركيبه المخيلة والعاطفة والعقل ، يضاف إلى ذلك القدرة الخالقة ، أو القدرة على الإبداع والابتكار . وقد لخصنا ذلك فى مقال «الفن» المنشور بالعدد ٤٧٦ ١٨ ١٩

(١) بيفون من أكابر العلماء الطبيعيين . ولد عام ١٧٠٧ فى مونبار Montbar على ساحل الذهب . واهتم على الخصوص بدراسة التاريخ والطبيعة وتوفى عام ١٧٨٨

غير مسئول عن أفعاله وإنتاجه إلا كما يعتبر حصان جيل مسئولاً عن جماله ، أو شجرة عالية مشذبة عن علوها وتشذيبها ، والواقع عكس ذلك تماماً ، فهناك إرادة ، وهناك بالتالى حرية

ولكن إذا كانت كل تلك العناصر تدخل فى تكوين العبقرية ، أفلا يمكن أن يكون للتربية أو التعليم أثر فى تكوينها كذلك ؟ إن القول بأثر التربية فى تكوين العبقرية يبدو لأول وهلة غريباً وشاذاً لأن العبقرية هبة طبيعية ، ويظهر أنها أولية a priori وسابقة على كل اكتساب ، ومستقلة عن كل تربية مقصودة . والواقع أن الجانب الطبيعى فى العبقرية هو الأكبر ، فالمخيلة والحساسية والعقل والإرادة كلها هبات طبيعية ، ولكن ذلك لا ينفى أن يكون للتربية أثر فى هذه الملكات . فيمكن توجيه المخيلة مثلاً نحو الخير والشر بالتربية والتعليم والقراءة وغير ذلك . كذلك تنمو الحساسية وتزيد فى هذه الناحية أو تلك تبعاً لما يصادفنا من الظروف والملابسات المختلفة والمشاركات الوجدانية والنفور ؛ كذلك يقوّى العقل والإرادة بالعمل والتمرين . فالتربية إذن يمكنها — أن تخلق العبقرى ؛ توقظ فيه جرثومة عبقرية وتساعده على الوصول إلى مبتغاه . وليس هناك — قبل كل شىء — هوة عميقة تفصل بين النبوغ والعبقرية ، وإن تعليما وتربية صحيحين وكاملين يمكنهما أن يخرجا للأمة عدداً من القيم العليا والأذهان القوية فى جميع أنواع النشاط العقلى ، أكبر مما ينتج لو تركنا أمر تكوين الشخصية للصدفة أو الاتفاق فحسب . وتضطلع الأمهات بأكبر نصيب من التربية ؛ فإن أثرهن كبير جداً على أطفالهن . والشاهد أن معظم العباقرة — إن لم يكن كلهم — كانت أمهاتهم نساء ممتازات ذوات قلوب كبيرة وحنان بالغ ووجدانات حارة توقظ فى الأطفال قواهم النائمة الخامدة ، وتضىء ما أظلم من نفوسهم . وقد شبه أحد الكتاب الإنجليز فضل الأم على طفلها بفعل أشعة الشمس على الفاكهة

هناك نقطة أخيرة يجب الإشارة إليها وهى تتعلق بتشبيه بعض المفكرين العبقرية بالجنون ، وعلى رأس هؤلاء المفكرين ليلى Lélut [1] ، فقد يرى ليلى أن العبقرية ضرب من الجنون ، وحاول أن يطبق نظريته هذه على سقراط وبسكال ، فكان يرى فى سقراط رجلاً معتوهاً مدعياً للوحى ؛ وأن الشيطان الذى كان يسمعه فى سجنه إنما هو صوت خيالى ابتدعه الفيلسوف نفسه من هذياناته ، فليس ثمة وحى فى الحقيقة أو شيطان . ولكن يمكن الرد على ليلى بأن شيطان سقراط إنما هو العناية الإلهية نفسها تخاطب نفس الفيلسوف وضميره ، ثم شخص هو هذا الصوت الباطنى كى يقربه إلى أذهان تلاميذه

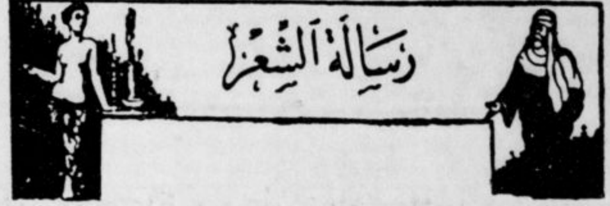
ثم لا شك أن بعض العناصر التى تدخل فى العبقرية تدخل أيضاً فى الجنون ، فالمخيلة الفياضة مثلاً إذا اعتبَرتْ تخيلاتها وهذيانها وأحلامها حقائق واقعة كانت هى الحماقة نفسها ، فهناك فى الواقع صلة بين العبقرية والجنون ، وهذه الصلة ترجع إلى الدور الذى تلعبه الحساسية الشديدة التهيج والمخيلة المتقدة المشبوبة فى العبقرية إذا لم يسيطر عليهما العقل . فمن السهل إذن أن تختلط معالم العبقرية بالجنون إذا غفا العقل وغفل عن القيام بمهمته فى الرقابة ، ولكن من السهل أيضاً التمييز بين الجنون والعبقرية ؛ ففى الناحية الأولى تسيطر العناصر السفلى : المخيلة والإحساس ، بينما ترجع فى الناحية الأخرى السيطرة إلى الملكات العليا السامية : العقل والإرادة

أحمد أبو زيد
كلية الآداب — جامعة فاروق الأول

(١) ليلى طبيب فيلسوف معاصر . كان عضواً فى أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية ، وقد اشتهر بكتابه عن شيطان سقراط وبسكال ، بين فيه أن العبقرية ليست إلا نوعاً من الجنون

حكم فى الجنحة ٤٥٦ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بتغريم احمد احمد عبد الرحمن قاش بالمنيا خمسة جنيهات لبيعه قماش بسعر أزيد من التسعيرة بجلسة ١٥ — ٤ — ٩٤٢

حكم فى القضية ٣٨٩ سنة ١٩٤٢ المنيا بتغريم عبد العزيز محمد حسن خباز بالمنيا عشرة جنيهات بجلسة ١٥ — ٤ — ٩٤٢ لعرضه خبزاً بأزيد من التسعيرة .



من ديوان «السلوى»

عزة ...

للأستاذ على متولى صلاح

أتحسبُ أنى أحمل الذل فى الهوى
وأن الجمال الفذَّ منك شفيع ؟
تعذّب من نفسى وترضى مهانتى
وذلك إثم — لو علمت — شنيع
حملتُ الهوى صدًّا ودلاً وحرقةً
وإنى صميم فى هواك مطيع
حسبتَ رضائى ذلةً وحقارةً
رويدك حصنى فى الغرام منيع
رويدك ... واعلم أننى أرفض الهوى
إذا خالطته ذلةٌ وخضوع ...

***

فإن كنت لا ترضى بغير مهانتى
كأنى عبدٌ تشترى وتبيع
وإن كنت تأبى لى مكانى ومنزلى
وما كان من حقٍّ لديك يضيع
إذاً ... فاتخذ غيرى خليلاً وصاحباً
ودعنى ... فإنى فى هواى رفيع !

على متولى صلاح

الأمل المنشود

الوَحـــدة العربيةُ

[إلى شباب العرب أسوق الحديث]

للأستاذ على شرف الدين

دَعَوْتُ بَنِى عَمِّى بِلَيْلٍ فَلَمْ يَصْحُوا
وَنَامُوا ، وَقَالُوا : كُلُّ لَيْلٍ لَهُ صُبْحُ
فَمَرَّتْ بِهِمْ لَيْلَاءُ مَرْهُوبَةُ الدُّجَى
بَعِيدَةُ نُورِ الفَجْرِ أَوْحَشَهَا جُنْحُ
وَلَوْ أَجْمَعُوا فِى ظُلْمَةِ الخَطْبِ أَمْرَهُمْ
لَكَانَ لَهُمْ فِيمَا يُرَجُّونَهُ نُجْحُ
تَغَنَّوْا بِمَاضِيهِمْ ... فَقُلْنَا : صَحِيفَةٌ
مِنَ المَجْدِ جَلَّتْ أَنْ يُطَاوِلَهَا المَدْحُ
وَلَكِنَّمَا طُولُ التَّغَنِّى تِجَارَةٌ
إِذَا طَالَ فِيهَا القَوْلُ أَخْطَأَهَا الرِّبْحُ
وَمَا يَنْفَعُ المَاضِى المُغَنَّى بِمَجْدِهِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِى إِثْرِهِ السَّعْىُ وَالكَدْحُ

***

وَقَالُوا : غَدًا تَحْوِى العُرُوبَةَ وَحْدَةٌ
فَخَفَّتْ قُلُوبٌ كَادَ يَقْتُلُهَا الفَرْحُ
أَفَاضُوا بِهَا دَرْسًا وَشَرْحًا مُنَمَّقًا
وَمَا أَبْعَدَ الجَدْوَى إِذَا كَثُرَ الشَّرْحُ
لَئِنْ كَانَ حَقًّا فَاتْرُكُوا القَوْلَ وَاعْمَلُوا
وَخُطُّوا إِلَى العَلْيَاءِ نَهْجَكُمُ وَانْحُوا

***

أفيقوا – بني عمي – لقد طال نومكم
ولَيس لدى التاريخ عن نومكم صفحُ

وضمّوا على البُعدِ الصفوفَ وجاهدوا
فقد ينجلي عن ظلمة الغسق الصُّبحُ

وكونوا صُروحاً للعوادي ذريئةً
إذا هانَ صرحٌ قام من دونه صرحُ

تُرجِّعُ مصرٌ للعراقِ شكاتَه
ويحنو عليها الشامُ إن مسّها قرحُ

فنحن على بُعد المواطنِ إخوةٌ
تؤلِّفنا الشكوى ويجمعنا الجُرحُ

وتنظمنا (الفصحى) رباطاً مقدّساً
ويشملنا الإخلاصُ والخُلُق السمحُ

لو اصطلحت ألفَيْتُ الحُدود فلم تعد
لتفصلكم عن مصرَ (سينا) ولا (رفحُ)

***

ذكرتُ لكم عهداً جميلاً وماضياً
هو الروضُ لم يهدأ لريحانه نفحُ

وأيامَ كانت للعروبةِ رايةٌ
يؤيدها العضبُ اليمانيُّ والرُّمحُ

تحيط بها الصيدُ الجدودُ بواسلاً
ويمضي بها النصرُ المباركُ والفتحُ

يطوِّق أعطافَ (الفراتِ) عمودُها
ويشهدُها خفاقةً فوقه (الطَّلحُ[1])

***

أإخوتَنا بالشرقِ رُدّوا نداءنا
وفي النهضةِ الكبرى لأوطانكم نُحْوا

على النيلِ من سيفِ الجزيرةِ شاعرٌ
يحيّيكم والدمعُ في جفنه سَفحُ

ومجنونةٍ بالدمعِ تنضحُ قلبَه
أضرَّ بها دمعي وأتلفها النضحُ

أحبُّ بني (عدنانَ) حبَّ عبادةٍ
وما حيلتي إلا الشكايةُ والنصحُ!

علي شرف الدين



(١) الطلح : واد بظاهر اشبيلية



حول نسخ الأحكام

نشرت « الرسالة » الغراء تعقيباً على مقال — حق الإمام فى نسخ الأحكام — جاء فيه أن أبا جعفر النحاس لم يعز القول بذلك إلى فرقة إسلامية ، ولا إلى جماعة من فقهاء الإسلام ، وأن الذى قال ذلك إنما هم الإسماعيلية الباطنية

فأما أن أبا جعفر لم يعز القول بذلك إلى فرقة إسلامية فليس بصحيح ، لأنه ذكر قبل ذلك أن العلماء من الصحابة والتابعين تكلموا فى الناسخ والمنسوخ ، ثم اختلف المتأخرون ، فمنهم من جرى على سنن المتقدمين فوفق ، ومنهم من خالف ذلك فاجتنب ، فمن المتأخرين من قال ليس فى كتاب الله عز وجل ناسخ ولا منسوخ ، وكابر العيان ، واتبع غير سبيل المؤمنين الخ وهذا ظاهر كل الظهور فى أن هؤلاء المتأخرين فرق إسلامية ، ولا يهم بعد هذا رأى أبى جعفر فيها ، لأن فيه مجازفة ظاهرة فى تكفيرها . وإذا صح أن هذا القول لفرقة الاسماعيلية ، فهى من فرق الشيعة المعدودة فى الفرق الإسلامية ، ومنها كان الفاطميون الذين أنشأوا أكبر جامعة إسلامية نعتز بها الآن ، ونشروا بمصر كثيراً من آثار الإسلام (...)

الشيخ خليل الخالدى

فى عاشر رمضان من السنة الماضية توفى بالقاهرة الأستاذ العالم الجليل الشيخ خليل الخالدى عن ٧٨ سنة رحمه الله . ولم يكتب شيء عن وفاته فى (مجلة الرساله) مع أنها عنيت بنشر نَبْذ من أخباره وأماليه فى حياته (فى السنة السابعة وقبلها) بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام . فكتبت هذه الكلمة الموجزة إيجاباً لبعض حقه :

ولد الفقيد فى القدس ، وأخذ مبادئ العلوم عن مشايخ العلم هناك ، ثم ارتحل إلى الآستانة ولازم الأستاذ الشيخ محمد عاطف شارح المجلة ، ووكيل الدرس الشيخ أحمد عاصم ، إلى أن تخرج عليهما . ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى حتى أحرز شهادتها . وقدم مصر وحضر دروس كبار علمائها فأجازوه . ثم تولى القضاء فى كثير من أقضية روم إيلى (روملى) إلى أن ولى قضاء ديار بكر . ثم اختارته المشيخة الإسلامية عضواً فى مجلس تدقيق المصاحف والمؤلفات . وفى أواخر الحرب العامة السابقة عاد إلى بيت المقدس فأسندت إليه رياسة محكمة الاستئناف الشرعية .

وكان له علم بالمخطوطات العربية ومؤلفيها ومواضعها من دور الكتب فى أكثر البلاد الإسلامية التى ارتحل إليها حتى الأندلس ، وله مذكرات منها لم تنشر بعد .

وكانت شهرة بيتهم قديماً بالديرى ثم اشتهروا بالخالدى ، وهو بيت علم قديم تولى عدة منهم قضاء القضاة بمصر من عهد الملك المؤيد ، كالشمس الديرى وللسعد الديرى ، وتراجمهم مبسوطة فى (الضوء اللامع للسخاوى) و (الأنس الجليل) وغيرهما .

ودفن الفقيد — برد الله مضجعه — فى باب النصر أمام مدفن أحمد بك حفت .

محمد غسان

فرحة الأديب بالأديب

جاء فى العدد السابق من مجلة الرسالة الغراء تحت عنوان (الحديث ذو شجون) للدكتور زكى مبارك ما نصه :

(عبارة « فرحة الأديب بالأديب » تعد من مبتكرات ابن الرومى من حيث الصورة والمعنى) وأقول إن هذه العبارة ليست إلا من مبتكرات أبي تمام من حيث الصورة والمعنى أيضاً ، فقد قال فى وصف السحب :

لما بدت للأرض من قريب ... تشوفت لوبلها السكوب
تشوف المريض للطبيب ... وطرب المحب للحبيب
وفرحة الأديب بالأديب ... .

وقد ذكرها الديوان كما ذكرها الشيخ يوسف البديعى فى كتابه (هبة الأيام) .

أعرض هذا على الدكتور وله تحيتى وإعجابى .

(جرجا) فؤاد الدوكى

رواية « فاطمة البتول » لمعروف الأرناؤوط

يضطلع الشام الآن بحصة وافية من النهضة الأدبية العربية على الوجه الذي يجمل بتاريخه العريق

ومن أدباء الشام المبرزين فى هذه النهضة الأستاذ معروف الأرناؤوط صاحب رواية « فاطمة البتول » ، التي نحن بسبيل الحديث عنها

يسرد المؤلف فى روايته قصة الحسين بن علىّ منذ تلفّت إلى الخلافة لفتة الأمل إلى أن قضى فى سبيلها نحبه . ويبثّ المؤلف فى جنبات القصة سيرة الحسين ، وأشتاتاً من أخلاق جده النبى صلى الله عليه وسلم وأمه الكريمة وآله الطيبين ، معتمداً على المراجع التاريخية العربية المعتادة ، مسترفداً أحياناً من أمهات كتب الأدب العربى . وعلى حوافى قصة الحسين وآله قصة زوجين عُذْرِيّينْ هما نموذج فذ للتعاطف والتحاب ، أدناهما الزواج بعد عشق مبرّح ، فجاءا البلاد المقدسة يباركان حبهما ، ويَرَيَانِ إلى نور النبى فى وجه سبطه ... وهناك يلقيان ليلى الكندية أخت حجر بن عدى ، فتزيّن للزوج أن ينفر إلى العراق ليكون يداً للحسين على أعدائه ، فيستجيب لهذه الدعوة ابتغاء المجد وطاعةً لعواطف الشباب ، ويودع زوجته الحبيبة التى تعود إلى وطنها فى وادى القرى ، ويمضي هو إلى العراق ليحقق مطامحه المخلصة ، فيذهب هناك ضحيتها . . . ويضنى الشوق زوجته ، ويطول عليها الانتظار ، فتبخع نفسها حزناً !

تلك خلاصة الرواية ، لا يزيد حظ فاطمة منها على حظ أغلب شخصياتها الأخرى ؛ لذلك كان غريباً أن تحمل اسمها الكريم ، فلئن جاز ذلك لأن الرواية تضمنت شيئاً عنها ، لكان الأولى أن تحمل اسم النبى صلى الله عليه وسلم ، أو اسم الحسين ابن على ، أو عمرو بن الحويرث ، أو هند زوجته ، أو ليلى بنت عدىّ ، أو يزيد بن معاوية ، فلكلٍّ من هؤلاء فى الرواية ذكر أطول

والمؤلف إذ يتحدث عن عواطف الزوجين الحبيبين وهما يقطعان الصحراء الموحشة إلى مكة فى الغلس الرهيب ، وبين غضبات الطبيعة ، وإذ يذكران صباهما فى وادى القرى ، وإذ يختلفان فى الميل : عمرو يريد العراق ، وهند لا تريده ، وإذ يشقيان بعد بالنوى والوجد ... المؤلف إذ يتحدث عن هذا كله يأتى بالمعجب المطرب ، فما ينفك قارئه بين رقة تراوحه وتغاديه ، وفتنة تلقاه من كل جانب ...

وفى حديثه عن الحسين الطفل ، ومنزلته لدى جده العطوف ، وعن الرباب زوجة الحسين الوفية ، وعن شديد حب الناس للحسين شعور دافق وبيان فاتن ، لولا أن القول عن طفولة الحسين تكرر كثيراً فطامن ذلك من بهائه

والعبارات التى أجراها المؤلف على لسان ليلى الكندية فى حض عمر على المضىّ إلى العراق ، تسترق اللبّ بما حوتْ من عاطفة وحصافة ودقة

فأما الصفحات التى ألمّ فيها بعواطف النبى نحو ابنته فاطمة وأطلعنا فيها على الحسين فى البقيع حيال قبرَىْ أمه وأخيه ، وفى وادى العقيق حيال قبر « حمزة » ، وحين يسأل الله للطيور الأمن والسكينة ... هذه الصفحات هى من أحفل صفحات الرواية بالجمال والشعر

وأما وصف المعركة التى استشهد فيها الحسين وذووه وهم بين شيخ فان وامرأة ضعيفة وصبى لا يريش ولا يبرى فوصف بارع جلا فيه الكاتب أحسن جلاء صبر الحسين وشجاعته وإيمانه ونبالته ، وفصّل القول فيما أبدى أهله وأصحابه من النصر له والموت بين يديه فى إخلاص عبقرى

وقصة موت يزيد بن معاوية قصة هى الأخرى مشجية وبارعة

وفى الرواية لفتات تعجب القومية العربية ، فالمؤلف يشير إلى أن الدماء التى أريقت فى صدر الإسلام « أريقت فى سبيل

عروبة الشام والعراق[1] » ، و « رفات عبد الله بن جعفر طوتها قيمان كتب قومه على حجارتها قصة الحرية فى الشام[2] » ، وهذه الدنيا العربية ستجدد شبابها كلما فتحت عينيها على نور ذلك اليتيم المقدس[3] »

ولكننا نلاحظ أن المعانى الفرنجية تدسست إلى الرواية ، فهند مثلاً تذكر أن على حواشى الأحراج وأطرافها أشجاراً كبيرة كتبت هى وحبيبها على لحائها قصة القلب[4] !! وهى تحزن فتمرض فتسعل دماً !! كما يقع تماماً للأوربيات فى كثير من القصص الحديث

وكثرة الاستعارات فى الرواية تسترعى الانتباه . وقد أحب الكاتب ألفاظاً وعبارات بعينها فما تكاد صفحة تخلو منها ؛ نذكر منها : العَرْف ، والينبوع ، والنشيج ، والمائع ، والعمر الجنى الطرى ، والتيه الراعب ، والنهر الهادر ، والنفوس الحادبة ، ويميد ، ويفيح ، ويلذ ، ويتدفق ، ويرف ، ويهدر ، ويدغدغ ، ويهدهد ... هذه الكلمات تتكرر على نحو ممل ، مع أن العربية لغة المترادفات . والمؤلف يميل إلى استعمال صيغ المبالغة ؛ فالعين سحور ، والسيل جراف ، والريح جفول ؛ والظن أن لا ضرورة لهذا فى جل المناسبات ، فالمعانى قد تركب اللفظ القريب فتدرك به غاية المراد البعيد .

وثَمَّ ألفاظ لا يسيغها فى مواضعها كل مِزاج ، فمن ذلك (استخذاء) الحسين لفتنة الليل ، وكونه أمام (المرأة) التى لاعبها محمد ورق لها وبارك لها (يعنى أمه فاطمة بنت الرسول) ، وتلاحق صور الوطن على قلب هند (المريض) .

وقد يكرر المؤلف المعنى الواحد فى أكثر من فصل ، ولا يعنى بالتسلسل الواجب بين الفصول ، فلو غيرت موضع بعضها لخفى ذلك . وهذا دليل أن الرواية تعوزها الوحدة الصحيحة .

وأغلب أشخاص الرواية مرهفو الإحساس دقيقو الشعور ، على شاكلة ليست فى الطبيعة .

فأما طبع الكتاب فيؤسفنا أنه دون ما نرجو ، فكأين من غلطة مطبعية فى صفحاته كان من الميسور تحاشيها .

وبعد ، فهذه الهنات على كل حال لا تغشى على حسنات الكتاب الكثيرة .

(المنصورة) لبيب السعيد

(١) ص١٤٤ (٢) ص١٨٣ (٣) ص٣٠٦ (٤) ص١٢٨

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10 me Année No. 484

Lundi - 12 - 10 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ عن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٨٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ١٢ أكتوبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

الاحسان الاجتماعى

للمغفور له الأستاذ مصطفى صادق الرافعى

... أنا أعجب أشد العجب من أمر واحد هو فى الحقيقة الأمر كله : ذلك هو فشل الجمعيات الخيرية فى بلادنا . ولا أدلّ على هذا الفشل من قلّتها ، ولا دليل على هذه القلة كانفراد الجمعية التى نحن اليوم فى احتفالها وذهابها بمجد التأسيس بين السوريّين(١) . وأن السابقة فى الخير والاتحاد والثبات والإحسان وإخلاص النية إنما هى لها وحدها

ووجه العجب أننا إما أن نكون قد تجرّدنا من حب الخير فلا نجتمع ، وإما أن نكون لا نحس عمل الخير فلا نجتمع عليه . لا مناص ألبتة من إحدى الخصلتين أو من كلتيهما . وقد نعلم أن قوام كل عمل بنظامه وتصريفه على أصوله الطبيعية التى من شأنه أن ينصرف فيها ؛ فإذا كان جمع المال يجرى على أصول اقتصادية محضة ، فإن إنفاقه كذلك يجرى على فعل هذه الأصول ، وما يجمع المرء إلا ما يفضل عما ينفقه . والإحسان إنما هو وجه من وجوه الإنفاق ، وليس كالشرقي رجل مفطور على حب الإحسان ، لأن تاريخه فى كل أرض مملوء بالنكبات والجوائح التى تعلمه كيف يحسن ، ودينه فى كل صبغة مملوء

(١) ألقيت فى الحفلة السنوية لجمعية « الاتحاد والاحسان السورية » فى طنطا يوم ٢٦ أبريل سنة ١٩١٤

بالعظات والآداب السامية التى تعلمه ما هو أسمى وأشرف من الإحسان ، وهو كيف يتأدب فى إحسانه . فإذا كان كل ذلك وكان ذلك كله صحيحاً لا ريب فيه كما هو الواقع ، فما الذى يمنعنا — نحن الشرقيين — من أن نكون محسنين بالمعنى الحق ، حتى تظهر ثمرة الإحسان ، فَتُشْبَع بطون خاوية ، وتُكْسَى أجساد عارية ، وتُصْلَح عقول بالية ، وتُشْفَى جراحٌ فى جسم الإنسانية دامية ، ويكون كل شىء عاملاً فى تكوين الأمة تكويناً صحيحاً ، حتى هذا الذى يقال إنه أصل الرذائل كلها ويقال فيه ما قيل فيها جميعاً ، ويقال له الفقر !

ليس يذهب بإحساننا ضعفه وقلته ، فالقليل لو اجتمع لصار كثيراً ؛ ولا يخفى ثمرته أنه هو نفسه غير ظاهر ، فإن كل شىء يؤتى نتائجه الطبيعية ظهر أو خفى . وما الإحسان إلا ضرب من ضروب الإصلاح الاجتماعى ؛ ولكن الذى جعل الصحيح فاسداً ، والموجود ضائعاً ، والمُثمِر منقطعاً ، وجعل كل أمر فى أيدينا يكاد يكون عبثاً من العبث ، إنما هو شىء واحد ، وهو جهلنا كيفية الإحسان

لا ريب أننا اليوم أمة ، وأننا نتبع الأصول الاجتماعية فى كل أمورنا العامة ، وأننا نرى بأعيننا تسخير الطبيعة ، ونستخدمها لأنفسنا ، ولا ريب أننا مجتمع من المجتمعات المتمدنة ، ولنا وصف طويل فى علم الشعوب ، وأن بلادنا ذات لون واضح فى خريطة الأرض ، ولكن مع هذا كله لا نزال فى طريقة إحساننا كأننا فى منقطع العالم ، أو فى رءوس الجبال ، وكأننا لا نزال فى معركة الاجتماع الطبيعى التى يكوّن الإنسان فيها جيشاً ، والحيوان جيشاً يقابله

نُحسِنُ إحساناً طبيعيًّا صرفاً ، من الفرد للفرد ، كيف اتفق وحيث اتفق . نعطى الدرهم بكسل لمن يأخذه ، لا لكى يعمل به ، ولكن ليكون ثمرة من ثمار كسله ... فى العصور الطبيعية تخرج الأرض أثمارها بعد أن تكون العناصر كلها قد اجتمعت على إنضاجها وعملت فيها أعمالاً كثيرة ، فيأتى الإنسان لميد يده ، ولا يعمل عملاً أكثر من أن يمدها . وعندنا تخرج أيدى المحسنين دراهمها ، فيأتى بعض الناس ليمد يده ، ولا يعمل كذلك عملاً أكثر من أن يمدها . نحسن مثل هذا الإحسان الذى يذهب به وقته ، فلا ننتفع به فى إصلاح الأمة ، ولاينتفع به الفقير نفسه ، لأنه فى الأكثر يُفسِدُه ولا يُصلحه . ولا يوجد اليوم فى أيدى الناس درهم من دراهم الخرافات ، يصلح أن يكون رأس مال ، ولا فى خبزهم رغيف من رغفان المعجزات التى تشبع الجماعات الكثيرة . والفقير متى أكل بالدرهم الذى يُحسَن به إليه ، فقد شبع من جوع ، وتهيأ لجوع جديد ، فيذهب الإحسان والدرهم كلاهما، ويبقى الفقير والجوع كلاهما أيضاً!

من أجل ذلك وما يتصل به ، فشلنا وذهبت ريحنا ، وركدنا والناس طائرون . ومن أجل ذلك أراني أحب هذه الجمعية المباركة ، وأكرم رجالها والقائمين بها ، وأمدحهم وأعتدّهم من العظماء

فالجمعية صندوق أموال ، وهى نفسها صدر يخفق فى قلب الإنسانية . والجمعية سبب من أمتن أسباب الإحسان ، وهى نفسها طريقة أفضل من طرق التربية الاجتماعية . وأكبر فضلها أنها من هذه الأمة كالظل فى الرمضاء ، والرقعة المخصبة فى الجدب العريض ، وأنها مجتمع صحيح فى أمة متبددة يمزّقها كل شىء ، حتى الأديان التى تعلّم أن الناس إخوة من أب واحد . وحتى السياسة التى تجعل أفراد كل أمة أعضاء من أسرة واحدة . وحتى الأدب الذى يضرب مثل الإنسان للانسان ، بمثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى

مجتمع صحيح من هذه الأمة العجيبة التى بهرتها الأمم بمعجزات الوطنية والاتحاد والإنسانية والعلم والأدب والاختراع، وأعجزت هى الأمم كلها فى قاعدة حسابية غريبة ، وهى أنها أفراد ولكن ليس لها مجموع فى (الحساب) !

ليست العظمة بظهور المرء كما يظهر الممثل أمام المتفرجين فى خلقة مزوّرة من رأسه إلى قدمه ، ولا فى هذه الأخيلة الذهبية التى تملأ رءوس الأغنياء كأنها أرواح الذهب ، ولا فى نحو ذلك من السخافات « العظيمة » التى ملأت الشرق كله . ولكن العظمة أحد شيئين : علم منتج ، أو عمل مثمر . العظمة خلق إنسانى يوجده العلم أو يوجد هو العمل الإنسانى العظيم . فإن لم يكن علم صحيح ، ولا عمل صحيح ، فاجمع بين الماء والنار قبل أن تجمع بين النفس والعظمة . وقد أرى الرجل من عظمائنا

وهو من تعاظمه لغناه أو لمنصبه أو لجاهه أو لحسبه ، كأن رأسه صندوق من صناديق الموسيقى ، وكأن كل حركاته وكلماته إنما توقع توقيعاً منتظماً مع « النفخة » التي تخرج من هذا الصندوق ، ومع ذلك فلا أكرمه ولا أجد له في نفسي من المنزلة ، ولا أحفل بتلك العناصر الأربعة التي أنشأت عظمة من الغنى أو المنصب والجاه والحسب ، إلا كما يكون في نفسي لبعض قطع من الخشب والحديد والمعدن والنحاس ، وهي العناصر التي تصنع منها الأدوات الموسيقية

العظيم ذاتٌ مبنيّة على مبدأ ، وما دام كذلك فهو عظيم في خلقه وفي عمله ، ولا يسلب هذه العظمة منه إلا الموت . على أن التاريخ يَقْوى على الموت فيستَلِبها منه ، ويحفظها لصاحبها العظيم ، ثم ينفض عليها صبغة الخلود ، فإذا هي حياة ثانية لاسم من الأسماء الخالدة التي لا تموت إلا حين يموت الموت ! وإذا كانت الذات مبنية على مبدأ ، فيستحيل أن يسقط الرجل العظيم وذاته قائمة

وعلى هذه الجهة أتفاءل بمستقبل جمعية الاتحاد المباركة لأنها مظهر من مظاهر الأخلاق الفاضلة في نفوس القائمين بها ؛ فهي بناء من الأبنية الراسخة ، ولكن انظر إلى أحجارها الخالدة ، فإن كل حجر إنما هو المعنى الإنساني الذي تنطوي عليه نفس الرجل العظيم

عندنا رجال كثيرون ، ولكن ليس عندنا مبادئ ثابتة . فالذي ينقصنا إنما هو المبدأ . والرجل إذا لم يكن على مبدأ ، فهو من يوم يولد إلى يوم يموت ، إنما يتسكع في طريق الأقدار ليقطع مسافة ما بين مهده ولحده . وقد تكون هذه المسافة طويلة أو قصيرة ، ولكنها على كل حال ، ليست إلا طريقاً من طرق الموت . ثم يذهب من الدنيا وكل ما بقي له فيها حجر من الأحجار ، إذا وُجد من ينظر فيه وُجد من يعرف أنه كان في هذه الدنيا رجل اسمه فلان وهذا قبره

الحياة شيء أسمى من قطع العمر كله في إيجاد قبر من القبور يكون له اسم ولقب وتاريخ . كل منا حين يعتزي يقول عن نفسه كذباً : إنه سوري أو مصري ؛ فما الذي صنع هذا القائل لمصر أو سوريا ؟ ألا إن البلاد لا تعرف الناس بأسمائهم ، وطبيعة الإقليم لا تميز بين أناسها وحيواناتها ؛ فمن الحمير والبغال وصنوف الحيوان ما يقال فيه سوري ومصري أيضاً . ولكن الأوطان تعرف أهلها بأعمالهم ؛ وطبقة الفرق بين الإنسان والحيوان إنما هي طبقة تاريخه لا غير

قولوا في الشرقي على العموم إنه من بني آدم فقط . ومتى وجدتم رجل المبدأ الذي يظهر مبدأه في عمله والذي لا يعمل إلا ليتم تاريخ أمته ، وليكون صفحة من كتاب مستقبلها ، والذي لا يخرج من الدنيا حتى يترك من فضائله المنسوبة إليه شخصاً معنوياً يسمى باسمه ، ويلقب بلقبه ، ويؤرخ بتاريخه ؛ متى وجدتم هذا الرجل ، فقولوا فيه حينئذ ، بل دعوا بلاده تقول : إنه مصري أو سوري . من أكبر عيوبنا أننا لا نعرف الخلق العام الذي يجانس بين أفراد كل أمة ، ولا نجده إلا في أفراد قليلين منا ، وهو الذي تقوم عليه الوطنية . ومن أجل ذلك ، ليست لنا أمة اجتماعية ، ومن أجل ذلك لا نتحد . فقدنا الخلق العام أو المبدأ الاجتماعي الذي يرمي لإنشاء المستقبل ، وترقية الحاضر ، وحفظ الماضي ، فصارت الصلة بين الفرد والفرد من الأمة الواحدة ، صلة لفظية لا معنى لها . أو لستم ترون أننا — كما هو مشهور عنا — يرائي بعضنا بعضاً حتى في الحق ، ويجامل بعضنا بعضاً حتى في الواجب . وليس منا من يقدر أن يقول دائماً للباطل « لا » وللحق « نعم » ؟ أقول « دائماً » ، ولا أريد معناها الصحيح ، لأن قيمة كل شيء تعلو وتنزل عندنا بحسب الأحوال حتى الكلمات التي لا تعلو ولا تنزل . فإن شئتم ، فاعتبروا معنى قولي « دائماً » غالباً أو بعض الأحيان لأن الشرقي قد فقد الخلق الثابت ، فلا ثبات له على شيء ، ولا ثبات بشيء معه . ولولا أن أسماء الفضائل من اللغة ، وأن هذه اللغة ثابتة في كتبها التي تحفظها ، لكانت أكثر أسماء الفضائل اليوم عندنا هي نفس أسماء الرذائل !

أنظروا إلى الرجل الإنجليزي الذي هو نتيجة التاريخ الحاضر : إنه لا يثق بثلاثة أرباع الأرض التي تملكها دولته ، كما يثق بقدر أنملة في باطنه . فالأرض كلها وهي تدور على محورها ، وتتقلب

بالتاريخ أجيالاً ودولاً ، ليست فى عين الإنجليزى أكبر من قلبه الذى يخفق بين جنبيه ، والأرض لا تحفظ له فضيلة ، ولكن فضيلته تحفظ له الأرض .

كل انجليزى قد يراه الناس مصبوباً من معادن بلاده حتى الفحم الأسود . ولكنه يرى نفسه انجليزيا ، ولا يبالى ما وراء ذلك . ترونه كالحديد المصمت لا ينبعث له صدى ، لأنه للعمل والحمل والثبات والاستمرار . وإذا كان الشرق حديداً أيضاً ... فهو كالجرس سواء كان فى الأعلى أم فى الأسفل ، ليس إلا أن يهتز ويصيح بالأصوات الرنانة من جوفه الفارغ ... يعمل الواحد منا عملاً ضئيلاً ، أو عملاً لا قيمة له ، فيملأ الدنيا كلاماً ، ويملأ ما ضِفَّيْه نخراً ، ويملأ رأسه بهذا النوع الذى يسمونه جنون العظمة . وما ذلك من جهلنا لقيمة كل عمل ، ولكن من عجزنا عن أكثر الأعمال النافعة ، ومن مجازفتنا بالأوصاف رياء ومجاملة . وقد ذكر الروّاد الذين ضربوا فى مجاهل الأرض أنهم رأوا قبيلة من قبائل الزنوج كان أجمل وسام تسطع عليه الشمس فى صدر ملكها علبة فارغة من علب السردين !

هى علبة من علب السردين الفارغة التى يطرحها أفقر الناس فى الطرقات ، وهى قطعة من الصفيح قد لا تكون لها قيمة ، ولكن ذلك لا يمنعها أن تكون وساماً فى صدر الملك الزنجى ، ومتى قلنا « الملك الزنجى» فكأننا قلنا «الزنجى» فقط ، لأن أوصاف المتوحشين متوحشة أيضاً ، فلفظ الزنجى يأكل لفظ الملك ، وكذلك أوصاف الضعفاء ، وكذلك أعمال الشرقيين .

لا تظنوا أنى أنتقص الشرق وأهله وتاريخه . كلا ، ولكنى أصف عيوباً لا يجعلها من المحاسن أنها عيوبنا . ولو سئل أفضل رجل شرقى عن أحسن فضيلة فيه ، لقال إنها شرقية .

ولو سئل أرذل رجل شرق عن أقبح رذيلة فيه ، لقال أيضاً إنها شرقية . فهذا الشرق الذى هو مهد التاريخ، هو كذلك مهد الأديان ومبعث الفضائل . لكن أهله قد أضاعوا أنفسهم وأضاعوه . فإذا رأوا الفضيلة قالوا غربية ، وإذا رأوا الرذيلة ، قالوا شرقية ، وأحالوا بكل ذنب على الشرق ، كأن الأرض تنبت الرجال ، وتهيئ لهم العمل ، وتوحى إليهم المخترعات ! وكأننا نريد أن تكون هذه الأرض مثلنا فى التقليد . فالبحر يهز أمواجه ، ويجب على الأرض أن تهز أهلها ليتخبطوا على ساحل الحياة .

ما تقدم الغربى وجرى مسرعا لأن أرضه من المطاط ، ولا تأخر الشرقى وجرى متعثراً لأن أرضه من الصمغ ؛ ولكن أكبر رذائلنا أننا لا نتحد ، لأننا نجهل التربية الاجتماعية . وقد تخلقنا بالأخلاق الفردية فصار الألف منا وأكثر من الألف لا يحسنون عمل اثنين متحدين ... الجبل تصعد عليه مائة قدم شديدة الوطأة فلا تؤثر فيه ما تؤثر النحلة ؛ وتتناوله مائة ألف ساعد قوية فتزيله عن مكانه ، لأن طبيعة الأقدام غير طبيعة الأيدى . فإن لم نجتمع ، ونأخذ أنفسنا بأصول التربية الاجتماعية فلا تنتظروا من الشرق أن يعمل عملاً .

مصطفى صادق الرافعى

الحديث ذو شجون

للدكتور زكى مبارك

اتجاه جديد فى الحياة المصرية — أخيلة ريفية تساور الكتاب المصريين — تاجوج المريضة فى السودان — فرصة لن تضيع — نقد الشعر على أساس وحدة البيت — قصة أدبية — شاعر يتحدى جميع الشعراء

اتجاه جديد فى الحياة المصرية

التاريخ الأدبى والعلمى لمصر يشهد بأن المصريين كانوا يعتزُّون بالريف كل الاعتزاز ، فينتسب الأديب واللغوى والفقيه إلى بلده الذى ولد فيه بأسلوب يفصح عن ارتياحه لذلك الانتساب . وفى رجالنا العظماء من عُرفوا بالنسب إلى بلادهم ، بحيث صارت تلك النسبة هى العَلَم الأصيل ، وبحيث صار الاهتداء إلى أسمائهم الأولى يُحوج الباحث إلى مراجعة كتب التراجم والتاريخ

الأشمونى النحوى ، والشنشورى الفرَضى ، والباجورى الفقيه ، والدميرى المحيط[1] : أمثال هؤلاء لا يُعرَفون بغير هذه الأنساب ، وهى غاية فى التعريف ، وعلى مثلها يقاس فى الأعلام المنسوبة إلى قُرى الريف بمصر الشمالية ومصر الجنوبية

ومن غريب ما لاحظتُ أن النسبة إلى العواصم كانت قليلة ، فلا يقال القاهرى أو الفسطاطي إلا فى أندر الأحايين !

ولعل السّيوطى حين انتسب إلى سيوط لاحظ أن بلده ليست إلا دَسكرة من دساكر الريف ، وأن الانتساب إليها يميزه عن القاهريين[2]

وأكثر من تولوا رياسة الأزهر منسوبون إلى بلادهم ، من أمثال : البشرى والمراغى والظواهرى[1] ؛ وهذه الظاهرة أوضح من أن تحتاج إلى استقراء

ولكن ، ما الذى أفدناه من الانتساب إلى قُرى الريف ؟

الفائدة تفوق الوصف ، فقد أضفتْ على القُرى المصرية لمحات روحية ، وزادت فى قِيمها المعنوية ، وربطت أهلها برباطٍ وثيق ، وأطمعتهم فى معانى المجد والخلود

ومن الذى يمرّ على أشمون أو شنشور أو الباجور أو إسنا أو مَلَوِى أو أسيوط أو منفلوط ، ولا يتذكر أن هذه البلاد كانت منابع لعبقريات حَفظ فضلها التاريخ ؟

ولكن الحال تبدلت فيما بعد ، وصار الانتساب إلى الريف لا يقع من الأنفس موقع القبول . وزاد الخطر بتوهم أهل الريف أنْ لا قيمة للحياة فى غير الحواضر ، وأن الريف لا يصلح مُقاماً لغير العاجزين عن الانتفاع بثمرات التمدن الحديث ، وصار من حق الفلاح أن يودِّع المسافر إلى القاهرة بهذا النشيد :

« ليلتك سعيدة وسعيدة يا رايح مصر »

ثم لطف الله بالمصريين فوصلوا قُراهم بعد القطيعة ، وآنسوها بعد الإيحاش ، وأصبح من المألوف أن تجد فتًى من حملة الأجازات العالية يحدثك عن متاعبه فى البحث عن أدوات الحرث والحصاد ، وصار من السهل أن تجد فى الوزراء السابقين من يستغل نشاطه فى استئجار الأراضى الواسعة بالريف[2]

---

(١) المحيط هى الكلمة التى أختارها ترجمة لكلمة Encyclopédiste والدميرى محيط بفضل كتابه « حياة الحيوان » ، فهو دائرة معارف . والدميرى منسوب إلى « دميرة » إحدى قرى الغربية ، وفيها ولد أخونا الأستاذ أحمد حسن الزيات

(٢) سيوط : اسمها اليوم أسيوط ، واسمها الفرعونى سووط ، ومعناه الحارس ، لأنها كانت تصد غارات الشمال على الجنوب

(١) الظواهري : نسبة قديمة إلى « الظواهر » ، وهى ضواحى مكة ، وبها كان يقيم أجداد الشيخ الظواهرى فى سالف الزمان ، وإليهم ينسب « كفر الظواهرية » بمركز ههيا بمديرية الشرقية

(٢) الوزير الذى أعنيه هو معالى الأستاذ حلمى عيسى باشا ، وهو رجل لا يكتفي بالاشراف على أملاكه الكثيرة ، وإنما يبحث عن الباشوات الكسالى ، أو الكسلانين ، ليستأجر أملاكهم لحسابه الخاص ، فهو وزير دائم لادارة تلك الأملاك ، وهو يبذل فيها من النشاط مثل الذى كان يبذل بوزارات المعارف والأوقاف والمواصلات ... فليقرأ هذا الكلام خريجو كلية الزراعة من طلاب الوظائف الكتابية !

وأظهر أمراء مصر عنايةً بمزارعه هو صاحب السمو الأمير عمر طوسون ، فقد سمعت أنه يعرف أملاكه قطعةً قطعة ، وأنه يراقب الأسعار مراقبة الخبراء . وهذا هو السر فى أن الله حفظ عليه نعمة اليسار العريض (١)

أخيلة ريفية

والذى يهمنى من هذا كله هو انتفاع الأدب الحديث بعودة المصريين إلى الريف ، فقد لاحظت أن فى كتابنا من تساورهم الأخيلة الريفية ، وهى أخيلة على جانب من الجمال ، وستغذّى الأدب الحديث بألوان وألوان

ولتوضيح هذه الفكرة أذكر أنى كنت ألوم الأستاذ الزيات على طول مُقامه بالريف ، ثم تمنيت أن يقيم بالريف إلى آخر الزمان حين رأيته يقول :

« وفى الريف خطباء وشعراء كعصافير الحصاد ، تزقزق للحبة ، ولا تزقزق للزهرة »

وهذا كلام عجيب غريب ، أعنى أنه من النفاسة بمكان

وفى صباح اليوم قرأت كلمة للدكتور سعيد عبده فى « مجلة الساعة ١٢ » كلمة من جنس كلام الأستاذ الزيات فى الاستفادة من الأخيلة الريفية ، فالتفت ذهنى إلى هذا المعنى من جديد ، فما كلمة ذلك الدكتور الفلاح ؟

تكلم عن المعارضين فى مجلس النواب فقال « إن عددهم أقلُّ من عدد الدحريج فى القمح النظيف »

أى عبارة هذه ؟ وما الذى فاتها من خصائص التشبيه الدقيق ؟

ولو نظرنا فى تذييل هذه العبارة لوجدناها أعجب وأغرب ، لأن التذييل كان لمحة من النقد اللاذع لما صرنا إليه من الوجهة المعاشية ، ويكفى أن أقول إنه قيّد القمح النظيف بالقمح الذى كان قبل سنة ١٩٣٩

(١) زرت جانباً من أملاك الأمير عمر طوسون ، فاهتديت إلى معان عمرانية سأتحدث عنها بعد حين

تاجوج المريضة فى السودان

فى قصيدة الشاعر محمد سعيد العباسى جاءت هذه الأبيات :

فيا ابن المبارك عِشْ سالماً ... وبُورِكَ فى زَنْدِك الواريه
تغنّيتَ حيناً بليلى العراق ... فأحللتها الرتبة الساميه
فمُد لنا فضل ذاك العِنان ... عنانَ يراعتك الطاغيه
وأَلِمْ بتاجُوجَ واحفِلْ بها ... فتاجوجُ جوهرةُ الباديه
وعلّقْ على جِيد تاريخها ... دراريَّ أبحرك الطاميه

فمن تاجُوج ؟ من تاجُوج وما تحدّث عنها أحدٌ من الذين قصُّوا أخبار العشاق ؟

هى فتاةٌ جميلة عفيفة ، أحبّها فتًى جميلٌ عفيف ، وكانت لهما أخبار تُشبه ما كان بين ليلى وقيس ، ولمشاقها أشعارٌ لا تقلّ روعة عن أشعار المجنون ، عليهم جميعاً رحمات الذى خلق ثمرات النخيل والأعناب !

سمعت أولَ مرة بأخبار تاجُوج وأنا فى بغداد ، من خطاب فتًى سودانىٍّ عزّ عليه أن تشغلنى ليلى عن تاجوج ، فرمَى سهم العتاب من الخرطوم إلى الزوراء

سهمٌ أصابَ وراميه بذى سَلَمٍ ... من بالعراق لقد أبعدتِ مرماكِ

ثم اتفق بعد رجوعى إلى مصر أن أبحث عن أخبار تاجوج فرأيتها مسطورة فى رحلة سموّ الأمير يوسف كمال إلى السودان فى أقلّ من صفحتين ، فعاهدتُ الله والحب أن أكتب أخبارها فى مئات الصفحات (١)

ولكن متى ؟

قلبى يحدثنى بأن الله لن يبخل علىّ بتحقيق هذا الُحلم الجميل

كانت « تاجوج » تعيش فى « عروس الرمال »

فما عروس الرمال ؟

سترون وصفها بعد حين أو أحايين

(١) « الرسالة » : نشرت هذه القصة مطولة فى العدد الثانى عشر من الرسالة .

فرصة لن تضيع

فى العام الماضى أرسلت إلى المهرجان الأدبى فى السودان بحثاً عن « الطريق عن الوحدة العربية » وهو أول وحى جاد به السودان على قلمى . وفى هذا العام تفضل رئيس المهرجان فوجّه إلىّ دعوة كريمة لإرسال كلمة أو قصيدة تُلقى فى المهرجان ، فرأيت أن أرسل إليه قصيدة عن مصر الجديدة . ولكنى عرفت أن آخر موعد لتقديم الكلمات والخطب والقصائد هو اليوم العشرون من رمضان ، فماذا أصنع ؟

سأنشر قصيدتى فى العدد المقبل من « الرسالة » مهداةً إلى نادى الخريجين ، وبذلك لا تضيع فرصة الاشتراك فى ذلك المهرجان ، فالمهم هو تعاون العقول ، وتآخى النفوس ، وتناجى القلوب . وقد يتفضل الله فيسمح بالفرصة المقبلة ، فرصة المؤتمر الذى يُعقد فى عيد الأضحى ، وللمؤتمر هنالك معنًى يختلف عن المهرجان باختلاف الموضوعات الأدبية والقومية والاجتماعية

ولعل الأقدار تسمح بأن يكون لنادى الخريجين فى السودان قوة الجمعية الطبية المصرية ، فيومذاك ينتفع بما سنّتْ من التقاليد فلا يكتفى بالتنقل بين مدائن السودان عند إقامة المهرجانات والمؤتمرات ، وإنما يتنقل بين المدائن العربية فيكون مرة فى الخرطوم ومرة فى القاهرة ومرة فى دمشق ومرة فى بيروت ومرة فى بغداد

وبهذه المناسبة أقول : هل أقامت الجمعية الطبية المصرية أحد مؤتمراتها فى الخرطوم أو أم درمان ، مع أنها زارت أكثر الحواضر العربية وفكرت فى زيارة طهران ؟

أجب عن هذا السؤال ، يا معالى الدكتور على باشا ابراهيم !

نقد الشعر على أساس وحدة البيت

من رأى بعض القدماء أن الشعر لا ينقده غير الشعراء ، وحجة ذلك البعض أن الشاعر هو الذى يدرك الدقائق الشعرية ، ويعرف ما يباح وما لا يباح من التأنق والابتذال

والظاهر أن ابن الرومى هو أول شاعر نص على أن الجودة المطلقة لا تُشترطُ فى كل بيت ، ولكن هذه النظرية لم تتضح فى ذهن ابن الرومى كل الاتضاح ، بدليل أنه ساقها مساق الاعتذار ، حين قرّر أنه ليس أعظم من الله ، والله يخلق الشجرة وفى أغصانها القوىّ والضعيف

ولو أن هذه النظرية كانت اتضحت فى ذهن ابن الرومى لترك جانب الأعتذار واعتصم بجانب الاحتجاج . وتفسير ذلك أن جمال الشجرة مجمَلٌ لا مفصَّل ، فهى جميلة فى مرأى العين ، بغض النظر عما فيها من أغصانٍ ضعاف ، ولعل جمالها لم يكمل إلا بفضل تلك الأغصان الضعاف

وأوضِّح هذه النظرية بعض التوضيح فأقول : فى كل وجه جميل ملامح تكميلية تؤكد ما فيه من جمال ، ولكنها منفردة لا توصف بالجمال

وفى الزهرة الجميلة أوراق يعوزها الُحسن ، ولكن جمال الزهرة يحتاج إليها كل الاحتياج

والأرض الجيدة لا تستوى أبداً ، وعدم استواء الأرض الجيدة هو الذى يتيح لها فرصة الانتفاع بالشمس والهواء

وما يقال فى المحسوسات يقال فى المعقولات ، فالنبوغ الفائق هو فى ذاته لون من الانحراف ، لأنه صورة من طغيان بعض المواهب على بعض ، ولو استقامت المواهب الإنسانية استقامة مطلقةً فى جميع الناس لكان من المستحيل أن يتفوق الإنسان على الحيوان

تفوُّقُ جارحة على جارحة أو ملَكة على ملَكة ، هو أساس النبوغ والعبقرية ، ولكن وجود الجارحة الضعيفة أو الملكة الضعيفة شرطٌ أساسىٌ فى تكوين ما يقوى من الجوارح والملكات ، كما أن الغصن الضعيف سناد للغصن القوىّ فى تكوين الشجرة الفرعاء

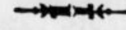
والقصيدة كالشجرة ، يستبد فيها البيت القوىُّ بالبيت الضعيف ، وعلى أساس القوة والضعف ينهض بناء الوجود

وإذن ؟

وإذن يخطئُ من يُجارى القدماء فى نقدِ كل بيت من القصيدة على حدة ، وإنما الرأى أن تكون أبيات القصيدة كمسامير السفينة ، ومسامير السفينة تختلف باختلاف مواطن الرباط والوثاق

المحاباة ومصدرها الاجتماعى

للأستاذ عبد الله حسين



فى يوم صائف من أيام عام ١٩٤٠ كنتُ مع بعض زملائى المحامين فى غرفتهم فى دار محكمة استئناف مصر الأهلية ، وانتظمنا جماعة نعرض لشئون الدنيا العامة والخاصة بشتى فنون الحديث وألوان التخريج والتأويل ، ونرتصد لها بالنقد والتأميل . فبدهنا الزميل المحترم عبد الرحمن الرافعى بك ، وهو من هو فى أمثال هذه المعالجات والبحوث ، بكلام فى المحاباة :

تحدث الزميل مستغرباً متسائلاً : ما بال حكومات مصر قد بُليت ببلية المحاباة ، كأنها أساس من أسس الحكم ، لا يستوى على حال مرضية إذا لم تكن فى حساب الحكام ؟ ثم سأل بعدئذ : أليس هناك علاج لهذه العلة الفاشية ؟

وقد سارعتُ يومئذ إلى الإجابة على هذين السؤالين قائلاً عن السؤال الأول : إن المحاباة ليست خلقاً لحزب بذاته أو بلية ابتلى الله بها عهداً دون عهد أو حكماً دون آخر ؛ بل إنها تستند إلى ما ورثنا من عادات . ذلك أن الأمة هى الصورة الكبرى للأسرة ؛ وما دمنا نعمد فى أسرتنا إلى إيثارها بالغنم والخير ولو كان هذا على حساب أسرة أخرى أو جميع الأسر الأخرى ، فليس لنا أن نشكو ظاهرة المحاباة فى الأسرة الكبرى : الأمة .

إن عاداتنا وأخلاقنا لتقتضينا أن نعنى بشئون أبنائنا وأبناء عمومتنا وخؤولتنا وأصهارنا ، فإذا قام منا سيد أو حاكم ، وزيراً كان أو غير وزير ، اقتضته الشهامة أن يؤثر ابنه على ولد أخيه ، وولد الأخ على ولد العم ، وهذا على من كانت صلته بعيدة . فإذا اطمأن الحاكم أو السيد على الخير قد وصل إلى أحد من هؤلاء على الترتيب والتعاقب ، وكانت هناك فضلة من هذا الخير ، لزمه أن يؤديها إلى الصديق أو المواطن فى القرية ذاتها أو إلى ابن حزبه

أما إذا تفشّى صاحب الكلمة والنفوذ وهم من تلك الأوهام ، أو رجس من تلك الأرجاس ، التى ينعتونها على أسلات الأقلام أو منابر الخطابة والوعظ والدعوة السياسية ، بالنزاهة

ولو نظر القدماء هذه النظرة لأعفونا من أبحاث كان فيها نقد الشعر قائماً على وحدة البيت لا وحدة القصيد ، فكان مثلهم مَثَل من يعيب الغابة الشجراء ، لأنه عثر فيها على شُجَيرة عجفاء

قصة أدبية

وهذا الكلام ساقته قصة أدبية تلخّصها الأسطر الآتية :

بدا لى أن أقرأ « قصيدة مصر الجديدة » على الدكتور طه حسين ، فاعتذر بالسفر إلى فلسطين . وأردت عرضها على الأستاذ خليل مطران لحدد موعداً ، ولكنى تخلّفتُ عن الموعد ساعة وبضع دقائق ، فانصرف قبل أن يلقانى مع الأسف ، فقد كنت أرجو أن أنتفع بنقده الدقيق . وعند خروجى من مكتب الأستاذ خليل مطران لقيت الأستاذ محمد هاشم عطية فدعوته لسماع القصيدة عساه يعطى رأياً فى تنقيح بعض الأبيات ؛ ثم كان رأيه أن هذه القصيدة يفسدها التنقيح ، فعرفت من جديد أنه ذلك الأديب الفنان

ما هذا الكلام ؟ أترونني أعتذر عما سيقع فى قصيدتى من ضعف كما اعتذر ابن الرومى ؟

هيهات ثم هيهات ! فقصيدتى هى القصيدة ، ولن يستطيع شاعر أن يجارينى فى أى ميدان ؟

راية الشعر يحملها المصريون ، ولن تُنزَع هذه الراية من أيدينا ، ولو سهر ليلُ الإخوان الأعزّاء فى سائر الأقطار العربية

قد تقولون : ما هذا الغرور ؟ وما هذا الادعاء ؟

وأقول إنى سألقى عليكم قصيدة تَلقَفُ ما تأفكون ، وسأقهركم على الإيمان بعبقرية مصر الشعرية فى هذا الزمان

زكى مبارك

التامة والعدالة الحق ، فحدث ما شئتَ عما يصيب هذا الرجل من ألوان التشهير ، فهو — عند ذويه وأصهاره وبنى قريته وبين صُدقائه — الخارج على الأسرة ، المارق من المروءة ، الجاحد للفضل ، المختلس لثقة ناخبيه إن كان منخوباً لعضوية إحدى الهيئات ، الضعيف الرأى ، الأنانى ، الخائر العزيمة ؛ بل لقد يتمادى الطاعنون فى طعنهم ، فيرمونه بالخيانة لأن من ينكص عن خدمة ذويه وأصدقائه وأسرته ، لا يرجى منه خير لوطنه وأمته . أو بأنه فى حقيقته لم ينحدر من صلب آله وقومه !

فمن منا — مَنْ من المصريين يرضى أن يدرج مع الساقطين فى المروءة والوطنية ؟

فهذه المحاباة — والأمر كما أوضحنا — ليست شيئاً مستغرباً وليست حادثة موقوتة يرجى علاجها إذا ما ولى عهد وخلفه آخر ، أو إذا ما سقط سيد وقام بالأمر بعده سيد آخر ، مهما يختلف مداها سعة وشططاً وعلة وتعليلاً

إنها ليست بحدث الأحداث كما يغلو بعض الكاتبين ، وليست بطارئ ظهر فى هذا الزمان

بل إن المحاباة — وهى من خلق الإنسان منذ الخليقة — تقع فى الصدر من أخلاقنا وتستقل بالصميم من عاداتنا

إنما الجديد فيها أننا نهضنا نهضة سياسية جديدة ، فأصبح لنا أحزاب سياسية ذات أنصار وأنصار للأنصار ، وأصبح لنا برلمان ونواب وشيوخ ، ولا بد لمجئ هؤلاء من الناخبين ، ولا سبيل إلى الفوز بالأصوات إلا بخدمة المصوتين أو بذل الوعد لهم بتأديتها

ومن ثم انتقلت المحاباة من ميدان القرية ، حيث يشتد النزاع حول العمديات والشياخات وتقديم أنفار القرعة وحول الميراث وحدود الأطيان وما يجب لها من رى وصرف — إلى الحكومة ، فكان ما شهدنا ونشاهد ، وما من أجله تناول الناقدون ما تناولوا من الإنحاء على المحاباة والمحابين

أما الإجابة على السؤال الثانى ، وهو كيف نعالج هذا الداء ، ونبرأ من هذه العلة — فإن الواجب أن نعمد إلى تقوية الرأى العام ، فإن رأينا العام ضعيف ، أو قل إنه قوى حيناً ، ضعيف أحياناً ...

أعنى بتقوية الرأى العام ، تقوية المعنى الوطنى ، أى أن تقوم تربية النشء على تقديم مصلحة الوطن والدولة على مصالح الأفراد التى تتعارض مع تلك المصلحة

هذه واحدة ؛ وواحدة أخرى علينا أن نبذل ما نستطيع لكى نجعل الانتخابات فى جميع صورها وأن نجعل ألوان التأييد للحكومات والثقة بها بمعزل عن الوظائف والتعيين فيها والترقية إليها ...

وإنى لأقدر فى أسف شديد وألم عميق ، أن أجيالاً قد تمضى قبل أن نستطيع أن نقضى على هذا الداء قضاء تاماً ، وأن كل ما نطمح إليه يجب أن يكون مقصوراً على تخفيف ويلاته ، والحد من مضاعفاته . وفوق كل ذى علم عليم .

عبد الله حسين

من أدب العراق الشعبي

مَـــم وزِين

قاجعة كردية خالدة

للأستاذ عبد المسيح وزير

(مم وزين) عنوان قصة فاجعة غنائية كردية خالدة يتغنى بها مغنون اختصاصيون من كرد وغيرهم فى العراق وفى باقى الأقطار التى يستوطنها العنصر الكردى كسورية وتركية وإيران . ولا أزال أذكر كيف كنا ونحن أطفال نلتف مع والدينا وأقربائنا وأصدقائنا الذين كانوا يزوروننا بدعوة خاصة حول موقد النار أو « الكرسى » (١) فى ليالى شتاء ماردين القارس محيطين بمغنى (مم وزين) مصغين فى صمت عميق إلى غنائه الابتدائى البسيط بصوته الجافى الذي لا رخامة فيه ولا فن . وكان المغنى فى فترات الاستراحة من الغناء يقص علينا القصة باللغة العربية . وكان الغناء والقصة يستغرقان ساعات الهزيع الأول من الليل ويزيد . وكنا بعد الغناء تنام ونحن نحلم بشقاء الحبيبين وحياتهما الغرامية المرة التى انتهت بموت كليهما

وعندى أن قصة (مم وزين) لا تقل شأناً عن فواجع الاغريق القدماء فيما لها من اللذة والمتعة باعتبارها قصة خيالية شائقة تسترعى سمع الكبار وتخلب لب الصغار فيسهرون مصغين إليها بلا ملل

وهذه الفاجعة من جملة فواجع كردية أخرى مثل (درويش عبدى) و (جاى مازى) و (فليت قطو) التى لما ينشر منها شىء حتى الآن سوى فاجعة (مم وزين) المنشورة باللغة الكردية وحدها ؛ فهذه هى المرة الأولى التى تنشر فيها خلاصة (مم وزين) بغير اللغة الكردية ، وبذلك تكون مجلة « الرسالة » الغراء السابقة إلى نشرها علي ما أعلم

وقد طالعت فى كتاب « ألف ليلة وليلة » قصة مختصرة فيها بعض الشبه بقصة « مم وزين » . أعتقد أن جامع قصص « ألف ليلة وليلة » اقتبسها من « مم وزين » التى كانت شائعة فى ذلك العهد فى المناطق الكردية شيوعها فى هذه الأيام

وأؤمل أن يتاح يوماً لهذه القصة الفاجعة شاعر عظيم عربى ، أو أعجمى ، ينظمها فى مسرحية شائقة ، أو قصيدة علواء ، نظماً ساحراً يذيع صيتها فى الدنيا الأدبية علي ما فعله الشاعر الانكليزى (فتزجرالد) بنقله رباعيات (عمر الخيام) إلى اللغة الانكليزية ، فيضيف بذلك إلى متاحف الأدب العالمي درة يتيمة جديدة من كنوز الآداب الشرقية المكنونة فى العراق (ع . و)

(١) موقد عليه كرسى مربع كبير مغطى بلحاف كبير وبساط صوف يجلس الناس مغطين أرجلهم باللحاف استدفاء فى أيام الشتاء الباردة .

القصــة

فى مدينة نائية قائمة على نجد خصب بين قنن الجبال فى بلاد الكرد حكم أمير شاب اسمه (مم) اشتهر بكرم أصله وجلال قدره وهيف قده وجمال صورته ومتانة خلقه وعلو همته وندرة بطولته . وكان الأمير أعزب لم يفكر قط فى أمر الزواج ، لأنه لم ير في مملكته أميرة حسناء تضاهيه فى الحسب والنسب ليقترن بها

ففى ذات يوم فاتحه وزراؤه فى أمر الزواج فلم يحر جواباً . ولما انفض مجلسه ذهب إلى فراشه لينام فأرقه التفكير فى أمر الأميرة التى يختارها زوجاً فتلد لعرشه وارثاً . ولما أعياه التفكير غلبه النعاس فاستغرق فى نوم عميق ، فرأى نفسه مجتمعاً بالأميرة (زين) الغادة الحسناء بنت أمير الجزيرة (١) تلك المدينة الجميلة الراكبة على نهر دجلة . وبعد سمر سعيد طويل ثمل فيه الأميران بخمرة الحب الخالص والغرام البرىء تعاهد (مم) و (زين) على الزواج على أن يخطب الأمير الأميرة إلى اخوتها الأمراء (چكـو) و (حسو) و (قره تاج الدين) ؛ لأن والدها الأمير كان قد توفى . ورمزاً إلى عهد الحب والزواج تبادل الأميران خاتميهما ، فوضع (مم) خاتمه فى إصبع (زين) ، ووضعت (زين) خاتمها فى أصبع (مم) ؛ ثم اضطجع العاشقان للنوم فى فراش واحد ، فانتضى (مم) حسامه ومده بينه وبين (زين) المضطجعة بجانبه رمزاً إلى صيانة عفاف العذراء وشرفها وعهداً منه على ألا ينال منها وطراً قبل الزواج شرعاً بإذن الله وأوصيائها

أفاق الأمير (مم) علي تغاريد الأطيار التى نقلها نسيم الصباح إلى أذنيه ، فقال فى نفسه : « ما ألذ حلم هذه الليلة ! ليتنى لم أفق من النوم » وحانت منه التفاتة إلى أصابعه فوجد أن الخاتم الذى فى إصبعه غير خاتمه . فتفرس فيه فقرأ اسم الأميرة (زين) بنت أمير الجزيرة منقوشاً فى ذلك الخاتم . فحار فى أمره وعلم بأن ما كان فى ليلته البارحة لم يكن حلماً بل حقيقة . أما صورة الأميرة الحسناء فلم تبرح ذهنه

وكذلك كان أمر الأميرة (زين) فإنها لما استيقظت من نومها على خرير دجلة حسبت حادث الليلة البارحة حلماً فى النوم ؛ ولكنها لما وجدت خاتم (مم) فى إصبعها اعتقدت أن فى الأمر أعجوبة ، لأن ما رأت كان حقيقة لا حلما . وكانت صورة الأمير (مم) الجميل مطبوعة طبعاً ثابتاً فى مخيلتها

(١) هى جزيرة ابن عمر

أما حقيقة الخبر ، فهى أنه فى الليلة التى فكر فيها الأمير (مم) فى الزواج أوقعه الجن فى سبات عميق ، ثم حملوا إليه (زين) من خدرها وجرى ما جرى بين الأميرين فى تلك الليلة . وقبيل انفلاق الصبح أوقعه الجن مرة أخرى فى سبات عميق هو وحبيبته وعادوا بالحسناء (زين) إلى خدرها فى الجزيرة بغير شعور منها

لما أفاق الأمير (مم) من سباته ووقف على جلية الأمر قطع على نفسه عهداً ألا يتزوج غير الأميرة (زين) بنت أمير الجزيرة . فنهض من فوره وارتدى ملابسه وحمل سلاحه وامتطى جواده وخرج من المدينة بغير علم رعيته قاصداً الجزيرة ليخطب بنت أميرها التى حملها إليه الجن فى الليلة البارحة السعيدة . وبعد سفرة طويلة شاقة وصل الأمير (مم) إلى تلك المدينة فذهب توّاً إلى قصر الأمراء المطل على دجلة وحل ضيفاً على إخوة (زين) الثلاثة الذين أكرموا وفادته . فنمى خبر قدومه إلى الأميرة (زين) فحملها الشوق الشديد إلى رؤيته على ركوب كل مركب فى سبيل الوصول إليه . فتحينت كل فرصة سانحة للاجتماع به غير آبهة لعذل العذال ولا مكترثة لنميمة النمامين . وطفقت تجتمع به سراً حين يخرج إخوتها الأمراء إلى الصيد والقنص ، إذ كان (مم) يتخلف عن الذهاب معهم بحجة يختلقها كل يوم فيتذرع بها للبقاء فى القصر وحده لكى يتاح له الاجتماع بحبيبته .

وكان فى القصر وزير اسمه (بكُو عَوَان) من دأبه إيقاع الأذية بالناس ولا سيما أولئك الذين كانوا موضوع حسده . فحقد هذا الوزير على الأمير (مم) وطفق ينتهز الفرص للايقاع به . فبث العيون والأرصاد ليأتوه بأخبار (مم) و (زين) . فعلم بأمر اجتماعهما ، ووقف على ما كان يجرى بينهما ، وأخذ يدس للعاشقين عند الأمراء أخوة (زين) ، ولكن أولئك الأخوة لم يعيروه أذناً صاغية .

واتفق يوماً أن (مم) تخلف على عادته عن الخروج إلى الصيد مع الأمراء بحجة المرض . فاجتمعت به (زين) . وبينما كان الحبيبان يتباثان لواعج الهوى إذا بالأخوة يدخلون القصر راجعين من الصيد ومعهم (بكو عوان) . فأسرع (مم) إلى إخفاء (زين) تحت عباءته الكبيرة الواسعة المنسوجة من المرعز ، ولكنه نسى أن يخفى إحدى ضفائر شعر (زين) الطويل فبرزت من العباءة دون أن يشعر بذلك (مم) . فدخل الأخوة الأمراء ودخل معهم بكو عوان الديوان الذى كان فيه (مم) فلم ينهض (مم) لهم بحجة مرضه . ولم يشاهد ضفيرة الشعر الخارجة من العباءة أحد سوى (بكو عوان) . فأسر (بكو عوان) فى أذن الأخ الأكبر (چكو) قائلاً : « ما أوقح هذا الضيف ! أرأيت كيف أنه لم يقم إجلالاً لكم أنتم الأمراء بل ظل جامداً فى مكانه كأن الداخلين من عامة الناس أو من خدمه وحشمه ؟ فأجاب (چكو) قائلاً :

« تبّاً لك من وغد ذميم ! إن عدم قيام (مم) ليس تكبُّراً بل ذلك عجز منه لأنه مريض » .

فقال بكُو معترضاً : « كلا ، ليس السبب مرضه ، وقد لا يكون عدم قيامه لكم لتكبُّره ، إلا أننى أرى سبباً آخر يمنع الأمير الضيف من القيام »

قال هذا وأشار بيده إلى ضفيرة شعر الأميرة البارزة من العباءة فلما وقعت عين چكو على الضفيرة ، استشاط غيظاً فطرد أخته زين من الديوان ، وأمر بزج مم فى غياهب السجن ، وكان السجن جبساً يُنزَلُ إليه بأربعين دركة

فظل مم فى السجن أربعين يوماً وليلة وهو يقاسى أشدّ آلام البين . وما انفكت زين فى خلال تلك المدة تسعى لدى إخوتها لإطلاق سراح مم بدعوى أنه خطيبها جاء ليخطبها من إخوتها . وأخيراً تمكنت زين من التغلب على دسائس بكو عوان ، فأقنعت إخوتها بالإفراج عنه

وفى موعد إخراج الأمير مم من سجنه بعد مضى أربعين يوماً على حبسه ، لبست زين أفخر ملابسها ، وتحلت بأثمن حليها وسارت مع أربعين فتاة عذراء من أجمل بنات المدينة إلى السجن لتخرج منها حبيبها السجين فى موكب العذارى ... ولما وصلت إلى رأس السلم نادتْ مم بصوتها العذب ... فنظر إليها نظرة ولهان لم يصدق ما يشهده ، فرأى زين فى غاية الجمال الفتان ... أما زين ، فخيل إليها أنه غاضب عليها وعلى اخوتها فخاطبته تقول :

« أممُ ... إذا كنت لا ترضى بى عروساً بعد الذى جرى فاختر لك من هؤلاء الحسان زوجاً تليق بك ! »

فوقع كلام زين وقع الصاعقة على مم ، لأنه اعتقد أن زين قد نفرت منه فلا تريده بعلاً لها ... فخرجت حينئذ من أنفه نقطة دم واحدة ، وسقط جثة هامدة !

أما زين ، فرجعت فى موكب العذارى خائبة كئيبة ونفسها

إيبيقــــوس

IBYCUS

للأب أنستاس مارى الكرملي

[تتمة ما نشر فى العدد الماضي]

٥ – كنا نود أن يرأف الأستاذ مندور بأجداده العرب

قلت – يا سيدى الأستاذ – ما هذا نصه ، وقد ورد فى ص ٨١٢ من « الرسالة » : وإذا ذكرنا أن كومودوس هو ابن مارك أوريل [1] ، وأن إنيقوس قد أشرف أيضاً على تربيته كما أشرف على تربية أبيه ، وإذا كان من الممكن [2] أن يكون كومودس [3] أمبراطور روما قد كتب إلى أنتيقوس باللغة اليونانية يطلب إليه كتباً وأشعاراً [4] ، وأن العرب قد علموا بذلك – مترجماً عن اليونانية ترجمة لا نعلم مبلغ دقتها [5] ؛ فأى غرابة فى أن يكونوا قد جعلوا من إنيقوس شاعراً يونانيًّا ، ومن قومودوس [1] ملكاً لليونان ، ما دام مصدرهم كان يونانيًّا ، وما دام التوحيدى يورده على سبيل الرواية ؟ وهل العرب كانوا يعرفون شيئاً دقيقاً عن الشعراء اليونان ومعلمى البلاغة عندهم ، حتى نستبعد أن يخلطوا بين الشاعر ومعلم البلاغة ، أو أن يستنتجوا من يونانية النص أنه تبودل بين يونانيين ؟

انتهى كلام الأستاذ مندور المدرس بكلية الآداب فى مصر

فيا سيدى ، أهذا هو إكرامك للعرب أجدادك وأنت تنشئ تلاميذ عرباً ليقدروا أجدادهم أحسن تقدير ؟ فكيف تتمكن بعد ذلك من تعليمهم احترام أسلافهم بعد أن قلت عليهم أنهم ما كانوا يميزون بين الشاعر ومعلم البلاغة ، حتى أنهم كانوا يخلطون الواحد بالآخر ؟ !

ذلك ما لا نقبله منك ، ونلتمس من حضرتك بعد هذا أن تكرم بنى مضر الإكرام اللائق بهم ، لأن الدقة فى التعريب بلغ منهم أبعد مبلغ ، حتى أن المستشرقين المعاصرين يدهشون مما جاء به هؤلاء الدهاة الذين لا يشق لهم غبار ! فنحن يا سيدى نحتج عليك وعلى قولك هذا ، ونرجو منك ألا تعود إليه ولا إلى مثله ، وتعوّض عنه بمـا يغفر لك سيئتك هذه ! !

---

(١) العرب قالت : مرقس أوراليوس ، وهو اللفظ الصحيح الرومانى وأما مارك أوريل فاسمه عند الفرنسيين ، ويجب أن نعود إلى لفظ الأعلام كما ينطق بها أصحابها كما قرره مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، أو كما نطق بها العرب كما قال حضرته كومودوس ولم يقل كومود لحجة أستاذنا هي أقوي حجة بيدنا

(٢) هذا كلام حضرة أستاذنا المحترم لا كلامنا فلينتبه إليه القارئ

(٣) وكان قال قبل ذلك كومودوس ولا نرى سبباً لعدوله عنه

(٤) هذه كلها تخيلات وتخرصات لا تفيد التاريخ فائدة أيا كانت .

(٥) لأن الأستاذ لم يطلع عليها ، ولو اطلع عليها لصححها أحسن تصحيح ، لدقة نظره فى الكلام اليونانى وغوامض ألفاظه وما يقابلها أحسن مقابلة فى لغتنا الضادية

(١) جاءت كومووس في هذه النبذة بثلاث صور على قلم الأستاذ الفاضل : كومودوس وقومودس وقومودوس . أما ابن الأثير فلم يذكره فى تاريخه إلا باسم قومودوس (١ : ٢٢٩ و ٢٣٣ من طبعة أوربة) والأفرنج لا يجيزون تغيير العلم ولو كان ذلك التصحيف طفيفاً حفظاً لشرف صاحبه

حزينة حتى الموت ... وبعد مدة قصيرة توفيت هى أيضاً هماً وكمداً على فراق حبيبها ، وأوصت بدفنها فى البقعة التى دفن فيها مم !

* * *

بعد أربعين يوماً خرج الأمراء (جكو) و (حسو) و (قره تاج الدين) ومعهم وزيرهم (بكو عوان) إلى الصيد والقنص على سابق عادتهم . وفى أثناء الصيد مرت الخيل بفرسانها بالقرب من البقعة المدفون فيها جثمان العاشقين فنفارت قائمة جواد (جكو) فى حفرة وكان (بكو عوان) راكباً إلى جانبه . فنظر الأمير إلى الحفرة فوجدها ضريح (مم) ووجد جثة (زين) ممددة بجانب جثة (مم) وقد تعانق الحبيبان . فقال (بكو عوان) للأمير :

« أنظر ترَ هذين العاشقين الخبيثين لايزالان يرتكبان المنكر حتى فى مماتهما ! »

فاستشاط الأمير غيظاً من هذا الكلام المُنْكَر واستلّ سيفه وضرب عنق (بكو عوان) وقال وهو ينهال عليه ضرباً :

« إذهب إلى حيث ألقت ، أيهـا اللعين ! ألا ترى أن الله يجمع ما يفرّقه الإنسان الخبيث مثلك ؟ »

فسقط (بكو عوان) ميتاً فى تلك البقعة فدفن فى مكان بعيد عنها ، إلا أن تلك البقعة المقدسة ظلت ملوثة بدمه النجس . وبعد مدة زار الأخوة تلك البقعة فرأوا زهرة جميلة عطرة نابتة على قبر كل من العاشقين وقد برز بين الزهرتين الجميلتين شوكة قبيحة سامة أنبتها دم (بكو عوان)

وإلى اليوم يزور العشاق مرقد ذينك الحبيبين ليمطروا ثراه بالرحمات الواسعة

(بغداد) عبد المسيح وزير

٦ – نتيجة الأستاذ الجليل

ختم الأستاذ نبذته – وياليته لم يكتبها ! – بقوله : « ولعل فى هذه القراءة ما يطمئن إليه – ولو مؤقتاً[1] – الأب الفاضل ، إلى أن يقترح غيرنا قراءة أصح » انتهى

قلنا : لم نطمئن إلى هذا المقال دقيقة واحدة . والدليل على ذلك ، وعلى أننا لم نقبل منهُ رأياً واحداً من جميع تلك الآراء كثرة ما ورد فيها من التشويش والارتباك وعدم بقائه فى قرار مكين : وكيف نطمئن إلى ما ذهب إليه وهو نفسه لا يطمئن إليه ؛ إذ قال فى آخر آرائه : « ولعل فى هذه القراءة ... ولو مؤقتاً ... إلى أن يقترح غيرنا قراءة أخرى .

فهذه كلها أقوال هدامة ، ناسفة لكل ما أورده من الآراء والقراءات ، حتى اضطررنا إلى أن نمعن فى البحث كل الإمعان لنجد ضالتنا ، فوجدناها والحمد لله فى الأول والآخر .

٧ – من كان ملك يونان الذى طلب إيبيقوس ؟

هذه مسألة فى نهاية الغموض ؛ فإن هذا الملك لم يكن ثيودسيوس ، كما قال الناشران فى ٢ : ١٥٣ ، ولا قومودوس ، كما ذهب إليه حضرة أستاذنا الذكى المدرس بكلية الآداب فى مصر الزاهرة ، ولا تودورس ، على ما ورد فى حاشية ص ١٥٣ . وسبب كل هذا الإنكار أن هؤلاء جميعهم كانوا روماً لا يونانيين خلافاً لما يذهب إليه أستاذنا المدرس . ولعله يغفل هذا تحقيقاً لقولهم : خالف تذكر ؛ ولأنهم لم يكونوا جميعاً من المائة السادسة قبل الميلاد . وكفى بذلك دليلاً على أنه لم يكن أحد منهم الملك الذى طلب إيبيقوس .

إذن من عسى أن يكون هذا المنشود ؟ . إننا نظن أن الاسم تيودوسيوس وغيره من قومودوس ولاتودورس من وضع النساخ ، لا من وضع الناطق به لأول مرة ، أى أبو سليمان المنطق السجستانى . وكثيراً ما كان النساخ يضعون فى مواطن الأسماء المجهولة ، أو الأعجمية ، أو الصعبة القراءة أو النطق بها ، ألفاظاً مشهورة مألوفة سهلة التلفظ بها ، إن فى الأعلام ، وإن فى المصطلحات العلمية ، بل فى الأحاديث النبوية نفسها

فمن الأول قولهم فى الهبودروموس Hippodromos البذروم (راجع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه ص ١٠٩ من طبعة أوربة سنة ١٣٠٦) . وقد قال ناشره فى الحاشية : وسماه ابن رسته : البذرون والبيدرون والبيذرون . ونشر الأستاذ الجليل الشيخ عبد القادر المغربى فى المقتطف ١٠١ ص ٢٧٤ وما يليها مقالة قال فيها : إن العَلَم « ناصف تحريف ولدته اللهجة التركية عن نصوح » – وحضرته يعتقد هذا الأمر حق الاعتقاد . أما نحن فلا نسلم به ، بل نظن أن من كان اسم واحد ممن اتصل بالترك ناصفاً ، كان اسمه أيضاً (نصوحاً) ، فكان يعرف (بناصف نصوح) معاً ، كما قالوا : محمد على ، ومحمد حسن ، ومحمد حسين ، إلى نظائرها ، ثم تُرِكَ العلم الأول وأُخِذ العلم الثاني ، وهو كثير عندهم فقالوا : (نصوح) أو (نصوحى) . أما أن يكون (ناصف) تصحيف (نصوح) أو بالعكس فبعيد عندنا

ومن الثانى قولهم : الشكار والبتكار فى التنكار . والرّجات والزاحات فى الزاجات . والراوندى والرموندى والرواندى فى الزراوندى لنوع من البورق . والمحّوض والمحوّض والمجوّص والمخصص فى الخوص ، لنوع من التوتيا (راجع مفاتيح العلوم طبعة فان فلوتن ص ٢١٠ و ٢١١)

ومن الثالث ، ما ذكره أبو عبد الله حمزة بن حسن الأصفهانى المتوفى سنة ٣٦٧هـ فى كتابه « التنبيه على حدوث التصحيف » : « إن كثيراً من رواة الحديث يروون أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : تختموا بالعقيق ؛ وإنما قال : تخيموا (بمعنى تعمموا) بالقيق . وهو اسم واد بظاهر المدينة[1] . وروى آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يَسْتَحِب العَسَل فى يوم الجمعة ، وإنما هو يَستحِب الغسل فى يوم الجمعة . ورووا : غمُّ الرجل ، ضيق أبيه ، وإنما هو عَمُّ الرجل صنو أبيه ، أى شبهُهُ . وقال عليه السلام : خراب بصرتكم بالريح ، وإنما قال بالزنج » انتهى

وبعد هذا البسط الوجيز الذى لا بد منه فى هذا المقام ، لوقوع التصحيف والتحريف فى الكتب المخطوطة ، نظن أن اسم الملك الذى طلب الشاعر اليونانى إيبيقوس هو أحد هؤلاء الأربعة :

فأما أن يكون (بولقراطس Polycrates) وهو طاغية ساموس (من سنة ٥٣٥ إلى سنة ٥٤٢ ق م . وكان محباً للعلوم

(١) كذا ورد فى النص ، ولعله يريد « وقتياً » كما يؤخذ من اتساق الكلام ، لكن الوقتى غير المؤقت . (راجع مجلة المجمع العلمى العربى ١ : ٣٢٥)

(١) وفى لسان العرب فى مادة (ع ق ق) : « ورأيت فى حاشية بعض نسخ التهذيب الموثوق بها . قال أبو القاسم : سئل إبراهيم الحربى عن الحديث : لا تخيموا بالعقيق . فقال : هذا تصحيف ، إنما هو لا تخيموا بالعقيق ، أى لا تقيموا به لأنه كان خراباً »

والآداب ، واجتذب إليه أنا كريون ، كما ذكرته المعلمة البريطانية) وفريقيديس Phérécydes وشاعرنا إيبيقوس . وكان قد أنشأ خزانة كتب ثمينة

وإما أن يكون (بيسستراتيدس Pisistratides) ، وكان طاغية آثينة ، ومن قرابة صولون . وكان قد ساعد على ازدهار الصنائع والفنون والحراثة والزراعة ، وحسن آثينة ، وأمر بإعادة النظر فى قصائد أوميرس وعمّم نشرها بالنسخ والنقل وهي التى أصبحت أمًّا لجميع ما نشر منها بالطبع بعد ذلك . وكان من أبناء المائة السادسة

وإما أن يكون ابنه (هـِپّياس Hipplas الذى خلف والده على كرسى الملك فى سنة ٥٢٨ ق م ، مع أخيه هـِبَّرْخُس Hipparkhos ، فاجتذب إلى بلاطه الشاعرين (أناكريون) و (سيمونيدس Simonides) وأنشأ خزانة كتب عامة ، وأتما أعمال أبيهما فى ما يتعلق بأشعار أوميروس ، وتصحيحها وإبرازها بحلة موشاة أحسن وشى

وإما أن يكون « پرياندروس Periandros » وهو طاغية كورنْتُس من سنة ٦٢١ إلى سنة ٥٨٤ ق م . وكان قد خلف والده قبسيلوس Cypsélos ووضع بعض أقوال حكمية اشتهرت فعُدَّ بين حكماء اليونان السبعة . وكان محامياً للعلوم والآداب والفلسفة ، فاجتذب إلى كورنتس كليون Cléon وأناخرسيس Anakharsis

هؤلاء هم أشهر ملوك يونان المعروفين بحبهم للعلوم والآداب ، وجذب العلماء والشعراء إلى بلاطهم ، فكانوا يُشركونهم فى مجالس أنسهم وطربهم وشربهم ومآدبهم . وربما كان هناك غير هؤلاء الأربعة الذين ذكرناهم لكننا نجهلهمَ لجهلنا تاريخ اليونان وشعرائهم وأدبائهم

ولعل الأستاذ « محمد مندور » يهدينا إليهم أو إلى بعض منهم لأنه يظهر — على ما يبين من كلامه — أنه وقف على كتب اليونان التى لم يصب فيها قصة الكراكى ، مع كل توغله فى مطالعة أسفار تواريخهم وآدابهم ، فجاءنا بكراكى مندورية ، وغابت عنه الكراكى الأيبيقوسية

٨ — الخاتمة والخلاصة

ظهر لنا ، ولكل محب للتاريخ الحقيقى المبنى على أخبار الأوائل ، لا على الأوهام ، لا على الأقاويل الأباطيل الفارغة ، أن الشاعر اليونانى الشهير الذى طلب من سرب الكراكى أن ينتقم له ، كان (إيبيقوس)

أما اسم الملك الذى كتب إليه يستقدمه فلا يعرف على التحقيق ، ولعله كان أحد هؤلاء الأربعة : (بولقراطس) أو (بيسستراتيدس) أو (هـِپّياس) وأخوه هـِبَّرخس أو (پرياندروس) وكانوا معاصرين جميعهم (لإيبيقوس) ، والله أعلم .

الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٩ — ٧ — ١٩٤٢ فى القضية رقم ١٤٣٤ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد حسن الخياط رقم ٦٠ من ذوى الأملاك بالغرامة ٥٠ جنيه والمصادره والغلق وتعليق الصورة على محل المتهم والبوليس والنشر على مصاريفه لبيعه سكراً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٩ — ٧ — ١٩٤٢ فى القضية رقم ١٤١٢ جنح سنة ١٩٤٢ عسكرية ضد رضا شاهين أبو النجا حماده مركز اتياى بالحبس ثلاثة شهور شغل والمصادرة وتعليق صورة الحكم على مركز البوليس والنشر على مصاريفها لبيعها ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة ووجود ذره أكثر من المقرر

من أدباء الصعيد فى القرن السادس

الرشـــــيد الأسوانى

للأستاذ محمود عزت عرفة

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

دعواه الخلافة فى اليمن

آلت هذه الدعوى بالرشيد إلى القبض عليه وتجريده ، ثم إنفاذه مكبلاً إلى قوص وسَجنه بها ، وكان حاكمها « طَرْخَان » ممن يُسِرُّون له عداوة قديمة ؛ فشَهَّرَهُ فى الأسواق ، ولم يقصر فى إضعاف العقوبة له ، ولكن سرعان ما ورد الأمر من قِبَلْ الملك الصالح بإطلاق سراح الرشيد ، ولما يمض على اعتقاله أكثر من ليلتين (وكان الصالح إذ ذاك والياً على منية ابن خصيب)

ومن الغريب حقاً أن يكون هذا كل ما ينال الرشيد من عقوبة على دعواه الجريئة ؛ وما من ريب فى أن التهمة — بهذا الوضع — مبالغ فيها ، ولا سيما إذا ذكرنا أن بعثته إلى اليمن وقعت فى عهد الخليفة الحافظ لدين الله ، والد الخليفة الظافر الذى رثاه الرشيد أوّلَ مقدَمه إلى القاهرة

وقد حدد موعدَها الأدفوى بعام تسع وثلاثين وخمسمائة — أى قبل وقفته فى رثاء الخليفة الظافر بعشر سنوات — فهو لم يكن وقت هذه البعثة على شىء من الجاه أو النفوذ ، يكفل له النجاة من عواقب دعوى جريئة ، كتلك التى نسبت إليه ، إن كان يجدى فى مثل هذا نفوذٌ أو جاه !

نعم ، قد يكون لسعى أخيه « المهذب[1] » الذى كان عظيم الحظوة لدى الملك الصالح أثرٌ فى العفو عنه ... ولكن ، هل يتفق مع نوع هذه التهمة أن يأمر الصالح — بعد ليلتين من وصول الرشيد — بإطلاق سراحه والإحسان إليه ، فيحضره والى قوص من سجنه مكرماً — كما يذكر ياقوت — ؟

التهمة ولا شك مبالغ فيها — كما ذكرنا — وغير مستبعَد أن تكون قد دُست عليه فى جملتها وتفصيلها ، ثم تبينتْ براءته منها بوجه لم يدعْ إلى مؤاخذته سبيلاً . ويؤيد هذا الرأى عندنا أن الأدفوى (صاحب الطالع السعيد) يؤكد براءته من تهمة دعوى الخلافة بدليل يمكن أن نعده قاطعاً . فقد ذكر أنه ذهب إلى اليمن داعياً للخليفة الحافظ ، متلقباً بعلم المهتدين ، حتى قال فيه بعض شعرائهم من قصيدة بعث بها إلى صاحب مصر :

بعثتَ لنـا علمَ المهتدين (م) ولكنه علم (أسود) !

ثم قال : « وقد وقفت على محضر كتبه باليمن ، فيه خط جماعة كثيرة ، أنه لم يدَّعْ الخلافة ، وأنه مواظب على الدعوة للخليفة ، رأيت المحضر بأسوان[1] »

ويذهب ابن خلكان فى تعليل الغضب عليه واعتقاله مذهباً آخر — دون أن يشير إلى قصة ادعائه الخلافة — فيذكر أن الرشيد كان قد مدح جماعة من ملوك اليمن ، منهم على بن حاتم الهمدانى الذى قال فيه :

لقد أجدبت أرض الصعيد وأقحطوا   فلست أنال القحط فى أرض قحطان
وقد كفلت لى (مأربٌ) بمآربى   فلست على (أسوان) يوماً بأسوان
وإن جهلتْ حقى زعانف خندفٍ   فقد عرفت فضلى غطارف همْدانِ

قال : فحسده الداعى فى عدن على ذلك ، وكتب بالأبيات إلى صاحب مصر ، فكانت سبب الغضب عليه

المهذب أخو الرشيد

كان من أسباب تعجيل العفو عن الرشيد ما سعى به أخوه المهذب «حسن بن الزبير» لدى الملك الصالح ؛ وكان لديه أثيراً وبه مختصاً

والمهذب شاعر معروف ، مجيد فى نظمه وفى نثره . ذكره العماد الأصفهانى ، فأجزل فى الثناء عليه ثم قال : هو أشعر من الرشيد ، والرشيد أعلم منه . ومن شعره قوله :

همْ نُصب عينى أنجدُوا أم غاروا   ومُنى فؤادى أنصفوا أو جاروا
وهمو مكان السرِّ من قلبى وإنْ   بعُدتْ نوى بهمو وشطَّ مزارُ
تركوا المنازل والديار ، فما لهم   إلا القلوبَ منازلٌ وديار
واستوطنوا البيد القفار فأصبحت   منهم ديار الأنس وهى قفارُ

وله أيضاً هذا البيت الذى يستشهد به علماء المعانى كثيراً ، فى باب الإطناب :

ومالى إلى ماءسوى النيل غُلةٌ   ولو أنهُ — أستغفرُ اللهَ — زمزمُ

وهو من قصيدة يمدح بها كنز الدولة ابن متوّج أولها :

بأىِّ بلادٍ غيرِ أرضىَ أخيمُ   وأىَّ أناسٍ غيرَ أهلى أيَمِّمُ

ومن أشهر شعر المهذب قصيدةٌ له تسمي « النواحة »

(١) سنذكره بكلمة فى الأسطر التالية

(١) الطالع السعيد ص ٥٠

كتب بها إلى داعى اليمن يمدحه ويستعطفه على أخيه ، ويقول فيها :

يا ربعُ أين ترى الأحبة يمّموا ؟ هل أنجدوا أم بعدنا أم أتهموا ؟
رحلوا وقد لاح الصباح وإنما يسرى إذا جنّ الظلامُ الأنجمُ
وتعوضت بالأنس روحى وحشةً لا أوحش الله المنازل منهمو !
لولا همو ما قمتُ بين ديارهم حيرانَ أستافُ التراب وألثِم

وقد أجاب الرشيد على هذه القصيدة بميميّة من وزنها قال فيها :

رحلوا فلا خلتِ المنازلُ منهمو ونأوْا فلا سلتِ الجوانحُ عنهمو
وسرَوْا – وقد كتموا الغداة مسيرهم – وضياء نور الشمس ما لا يُكتَم
وتبدّلوا أرضَ العقيق عن الحمى روّت جفونى أىَّ أرض يمموا !
ما ضرهم لو ودَّعوا من أودعوا نار الغرام ، وسلَّموا من أسلموا
هم فى الحشا إن أعرقوا أو أشأموا أو أيمنوا أو أنجدوا أو أتهموا

فى غمرة السياسة

خرج الرشيد من معتقله موفور الكرامة ، ممتلىء النفس بالآمال الجسام ؛ وقد انتقل بعد حين إلى القاهرة فاحتل مكانة موموقة بين أدبائها .

وكانت أبواب المناصب أمامه مفتوحة ، وسبله إليها معبدة . ولكن همته كانت أبعد من أن تقف من ذلك عند غاية ، وقد اختير فى عام ٥٥٩ هـ ناظراً على الدواوين السلطانية فى ثغر الإسكندرية ، فكان ذلك على كرهٍ شديد منه ؛ ولعله كان أشد اهتماماً وتتبعاً بما يجرى فى مصر من أحداث سياسية ، اجتذبه تيارها – بعد حين – فخاض غمرتها فى جرأة وطموح كلفاه حياته

وتفصيل ذلك أن أبا شجاع شاور بن مجير – وكان والياً على الصعيد الأعلى – قصد القاهرة بعد مقتل الملك الصالح عام ٥٥٦هـ وتمكن من قتل العادل وزير الخليفة العاضد (آخر خلفاء الفاطميين) ، واحتلال مكانه من الوزارة . ثم لم يلبث أن خرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن عامر فطرده من القاهرة وتولى الوزارة بعده .

وقد ذهب شاور إلى الشام مستنجداً بالملك الصالح نور الدين محمود زنكى أمير حلب، الذى أمده بجيش يقوده أسد الدين شير كوه (عام ٥٥٩هـ) فانتصر على ضرغام وتبوأ منصب الوزارة من جديد. ولكن ما عتم أن تنكر لحلفائه وخان عهد من نصروه، واستعان بملك الإفرنج صاحب بيت المقدس على محاربتهم وطردهم ؛ وبعد مناوشات وحرب وحصار انسحب شير كوه مرتدّاً بجيشه إلى الشام .

وفى أثناء هذه الحوادث كان يبدو ميل الرشيد إلى نصرة شير كوه ، وقد جرت بينهما مكاتبات انتهى أمرها إلى شاور فحنق عليه حنقاً شديداً وجد فى طلبه ولكنه اختفى ... واعتقل شاور المهذب – أخا الرشيد – لنفس التهمة . ولم يجْدِ لديه ما استعطفه به من رقيق الأشعار ، حتى التجأ إلى ابنه أبو الفوارس شجاع ابن شاور – وكان كريم النفس خيّرا – فتقبّل منه مدائحه التى بعث بها إليه من معتقله ، وعنى بأمره أبلغ عناية ، حتى تمكن من إخراجه من محبسه ، ثم ضمه إليه ورفّه من حاله واصطنعه ... ولم يمتد حبل الحياة بالمهذب بعد هذا طويلاً فمات فى ربيع الثانى من سنة ٥٦١هـ

وفى عام ٥٦٢ هـ عاد شير كوه إلى مصر فاستولى على الجيزة وهزم الإفرنج فى الصعيد ، ثم مضى إلى الإسكندرية فافتتحها ، وجعل عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف . ولما عاد شير كوه إلى الصعيد حاصرت عساكر الإفرنج والمصريين مدينة الإسكندرية ؛ وقد جاهد صلاح الدين فى سبيل الاحتفاظ بها ثلاثة أشهر . وظهر أثناء ذلك أبو الحسين الرشيدى بعد أن طال اختفاؤه ، وأقبل يقاتل بين يدى صلاح الدين بسيفه ؛ ولم يزل معه حتى تم رفع الحصار باتفاق أجراه الطرفان إثر عودة شير كوه ، وبذلك تم انسحاب عسكر الشام

القبض على الرشيد ومقتله

لم يمض غير يسير على هذه الحوادث حتى وقع الرشيد فى قبضة شاور وكان حقده عليه بالغاً . قال ياقوت : « اتفق أن ظفر به على صفة لم تتحقق لنا ، فأمر بإشهاره على جمل ، وعلى رأسه طرطور ، ووراءه جلواز ينال منه » وقد روى على هذه الحال الشنيعة وهو ينشد :

إن كان عندك يا زمان بقيةٌ مما تهين به الكرام فهاتها

وشنق الرشيد وهو على حال عجيب من التجلد وفرط الاحتمال ؛ وقد ظل يتمتم بآيات من القرآن الكريم حتى فاضت روحه ، وكان ذلك فى المحرم من سنة ٥٦٣هـ

ورواية المنذرى عن مقتله تقول : « دخل مع الناصر (١) الإسكندرية وكتب فى أمور ، فأخذه شاور وعذبه عذاباً شديداً . فبلغه أنه قال : « الهوان والعذاب من الملوك فى طلب الملك ليس بعار . فأمر به فضربت عنقه »

وقد دفن الرشيد فى الموضع الذى صلب فيه ؛ ثم نقلت رفاته بعد عام أو أكثر إلى مقبرة خاصة فى مدافن القاهرة .

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

---

(١) يعنى صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولم يلقب بالناصر إلا بعد مقتل شاور عام ٥٦٤ هـ وتولية الوزارة للعاضد . ثم لما توفى فى العاضد مخلوعاً عام ٥٦٦هـ تولى صلاح الدين سلطنة مصر وأسس الدولة الأيوبية

الأثر المصـــــرى
فى نهضتنا الأدبية الحاضرة
للأديب بشرى السيد أمين

قبل فتح السودان الأخير الذى تم للحكومتين المصرية والإنجليزية فى سنة ١٨٩٨ بقليل ، كان الأدب والعلم بمعناهما المعروف فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين محصورين فى فئة قليلة من الناس . فلما أراد الله ، ولا رادَّ لإرادته ، وقضى ، ولا ناقض لما قضى ، أن يتم فتح السودان الأخير على المصريين والإنجليز ، كان ذلك غنماً لنا بدل أن يكون غرماً علينا ، وعاد علينا بأحسن الفوائد وأبركها بدل أن ينزل على رؤوسنا الويل والثبور وعظائم الأمور . وهذا من أعجب ما يبعث فى النفوس العجب ؛ إذ كان المنظور أن تأتى النتائج بعكس ذلك ؛ وهذا طبعاً لا ينفى القول الكريم بأن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها [1] وجعلوا أعزة أهلها أذلة . فانتشر العلم ، وذاع الأدب ، وشاع فى السواد الأعظم من شباب مدننا لكثرة ما أنشأ السادة الحاكمون من المدارس فى مدن السودان الكبيرة وعواصمه ، وما اهتموا به من شأن العلم والتعليم ، وما أنشأوا من صحف وطبعوا من كتب . هـذا إلى جلبهم مطابع لهـذا الغرض وفت به كل الوفاء ، وجعلت مدن السودان وأقاليمه القاصية ، مرتبطة بالدانية منها ، كالسلسلة الواحدة ، لا يفصمها إلا بُعد المسافة . وحتى هذه ذللت تذليلاً حال استقرار الحكم للمصريين والإنجليز بالبلاد ، بإنشاء الخطوط الحديدية العديدة فى كثير من أنحاء السودان

وقد تولى التعليم فى مدارس السودان أكفاء من خيرة الأساتذة المصريين ، المشهود لهم بالعلم الغزير والأدب الكثير ، فأداروه على خير الوجوه وأحسنها ، وتصرفوا فى شؤونه تصرفاً هو الغاية لمن يريد الإحسان ، فكان عهد المصريين الأول من خير العهود التى مرت بالسودان فى جميع أدواره الثقافية

وإنى لأذهب إلى القول الآن غير متحفظ أن نهضتنا الأدبية الحاضرة ما هى إلا وليدة تلك الروح العلمية الأدبية السامية التى سرت إلينا من إخواننا المصريين الذين تولوا تعليم ناشئتنا فى المدارس التى أنشأوها ، والتى وجهتنا بعد ذلك فأحسنت التوجيه

ولا يفوتنى أن أذكر ـ وأنا أكتب عن الأثر المصرى فى الأدب السودانى ـ ما للمحاضرات والمساجلات والمسامرات التى كان يتولى شؤونها أساطين البلاغة وجهابذة القول من المصريين فى مجتمعاتنا وأنديتنا الأدبية بمهارة لا يشركهم فيها غيرهم ، ولباقة لا يدانيهم فيها سواهم ، من أثر لا يمحى ، ولا زال واضح الصبغة ، مشرق اللون فى بعض أدبائنا على الخصوص ، وفى أدبنا على العموم

وفهمُنا للأدب ومعناه ، وللعلم وجدواه ، لا يعود الفضل فيهما إلا إلى الأساتذة المصريين الذين تولوا تربيتنا وتثقيفنا بصفة مباشرة ، أو غير مباشرة

فنحن مدينون لهم بالفضل ، ومقرون لهم بالجميل ، فلولاهم ، ومن يدرى ، لظللنا إلى الآن نسبح فى ظلامين دامسين من جهلنا ولوننا : ظلام جهلنا الذى لا زال يبدده هذا الصبح الواضح لذى عينين ، صبح العلم والمعرفة ؛ ونسأل الله أن يأتى على بقاياه فى زمن قريب . أما ظلام ألواننا ، فهو آية من آيات الله الشاهدة فينا بقدرته وإعجازه ، لأن الصبح بدل أن يجلوه يزيده إظلاماً !

إذا أضفت إلى ما تقدم شغف شبابنا المثقف بما تخرجه الصحف ، وتطلع به الكتب كل يوم من روائع الأدب المصرى على أنواعه فى الأغراض ، وألوانه فى الأساليب ، أدركت فى يسر سر انطباع أدبائنا على هـذه الأنواع فى الأغراض والألوان فى الأساليب ، لأن مثل هذا السحر فى البيان العربى الممتاز مما لا يقوى على رده ومقاومته الأدباء الراسخون فى الأدب وصنعة البيان ، فكيف بمن هم حديثو عهد بالأدب ومزاولة الكتابة ؟ ولأدركت فى يسر كذلك أن هذه الثمرة من تلك الشجرة ، ولتنبأت لنهضتنا الأدبية المباركة هذه بعاقبة تصيّر الهلال قمراً ، والفجر صبحاً ، والليل نهاراً . أو لم تسر النهضة الأدبية المصرية فى بدايتها على مثل هذه الدرجات من التقدم حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من مكان ملحوظ ومجد باهر فى عالم الأدب ؟ فكذلك سيكون شأننا نحن فى المستقبل القريب إن شاء الله .

---

(١) كان الفساد فى نواح غير نواحى الثقافة والأدب ، ولذا لم نر لذلك هنا موضعاً

ويتجلى لك بوضوح تام شغف شبابنا المتأدب بالأدب المصرى المعاصر فى تأثر بعضهم بأساليب بعض أئمة البيان هناك تأثراً تم عليه أساليبهم وتفضحه ألسنتهم مفتخرة ! فمنهم من يقلد الدكتور هيكل ، ومنهم من يحاكى الدكتور طـه ، والأستاذ الزيات ، والأستاذ المـازنى ، ويشغف بأدب هؤلاء وغيرهم ، حتى لا يجد غضاضة أن يفخر على غيره بأنه يملك القدرة التى تمكنه من تقليد أسلوب أحد المذكورين أو غيره فى ما يكتب للصحف والمجلات . ولو سكت ـ عفا الله عنه ـ لدل من نفسه الفرعُ على أصله من غير تنبيه أو لفت نظر ! على أن هذا ليس فيه لفاخر فضل ، بقدر ما فيه من عيب واضح ، وضلال فاضح .

ولا أنسى بجانب هذا أن أذكر أن لنا أدباء بالمعنى الصحيح ، وأن لهؤلاء الأدباء أقداماً راسخة فى الأدب على ألوانه وأوضاعه ، وأنهم قد أوتوا من حسن البيان وسحره ، وقوة التعبير وفصاحة الأسلوب وخلوصه من الشوائب قدراً يخولهم الوقوف مع كبار أدباء العربية فى العالم العربى ، وإن آثارهم التى تطالعنا بها صحفنا المحلية كل يوم ، أو الكتب التى أخرجوها للناس ـ وهى قليلة ـ من بضع سنين إلى اليوم ، تشهد بهذه الحقيقة الواقعة ، وتشهد فوق ذلك بأنهم لا يقلدون غيرهم ، ولا يتأثرون سواهم فى أسلوب أو تعبير أو فكرة ، إلا إذا جاء ذلك عن غير قصد ، لأنهم يريدون لأدبهم حياة ، ولأمتهم بقاء ومكاناً ملحوظاً تحت الشمس ، ولا يتأتى لهم ذلك ، إلا إذا كانوا كذلك ، والفضل فى ذلك راجع إلى حسن توجيه الأدب المصرى ورسمه لنا الطريق التى يجب على أدبائنا سلوكها كي تكون نهضتنا الأدبية نهضة بالمعنى الصحيح لقيامها على أمتن الدعائم ، وأقوى الأسس التى يشاد عليها بناء نهضة أدبية لأمة متيقظة طامحة إلى المجد متطلعة إلى العلاء .

وبعد ، فإن الأثر الأدبى المصرى فى الأدب السودانى المعاصر أثر واضح لا يُنكر أو يخفى على ذى بصيرة وبصر للأسباب المذكورة آنفاً ، وهى أسباب قوية حرية أن توجهنا توجيهاً رشيداً نحو العلم والأدب إن أحسنا الاسترشاد بها والتهدى بهديها ، ولكن لا بد للطفل من أن يقلد أباه بادئ ذى بدء حتى يكبر فيرسم لنفسه طريقاً فى الحياة ليسير عليه ، ولعلنا نجتاز الآن — فى ثبات وهدى من أبصارنا وبصائرنا — هذه المرحلة

(السودان : الجزيرة أبا) **بشرى السيد أحمد**

أحـــلام «المنصورة»

للأستاذ صالح جودت

آه ممّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يومَ وَدَّعْتُكِ وَدَّعْتُ شَبَابِى !
أين أحلامى على تلك الروابى ؟ ذابت الأحلامُ فى قلبى المذابِ

لِى حبيبٌ فيكِ أفديه بعُمرى
سُمْرَةُ النيل على خدّيه تجرى
هو إلهامى وأحلامى وشعرى
ونعيمى بين عينيه وسُكرى
كان عند الليلة الظلماء بدرى

وله نجواى فى دُنيا اغترابى يا ترى يذكرنى بعد الغيابِ ؟
آه ممّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يومَ وَدَّعْتُكِ وَدَّعْتُ شَبابِى !

يا عروس النيل والبحر الصغير
حَدِّثى عن مَلِكِ الغرب الغرير
يومَ أنْ جاءكِ فى ذُل الأسير
لِفَتًى من آل أيُّوبَ أمير
ذِكْرُهُ لا زال نفّاحَ العبير

وَهَبَ النصرَ إلى الأُسْدِ الغِضَابِ مِنْ بَنِى (المنصورة) الغُرِّ الأوابى
آه ممّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يوم ودعتك ودعت شبابى !

يا مُنَى الشرق وباريسَ الجَنُوبِ
مَنْ كأَبنائِكِ فى غَزْوِ الشعوب
شهداء المجـد أبطال الحروب
وكغاداتك فى غَزْوِ القلوب
بالعيون السُّودِ واللحظ اللَّعوب

المنى بَعْدَكِ مِنْ وَهْمِ السَّرَابِ والصِّبَى فى غير لُقيَاكِ تصابى
آه ممّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يوم ودعتك ودعت شبابى !

قد صحبتُ النيل من فجر الصعيدِ
لرشيد وإلى أُختِ رشـيد
ما وعى لحنى ولا غنى نشيدى
غيرَ غاداتك فى الخطو الوئيد
حين يَخْطِرْنَ على النيل السعيد

بالوجوه الشُّمْح كالنور المذابِ يتهادَيْنَ بمعسول الدُّعَابِ
آه ممّـابى ، وهل تدرين ما بى ؟ يوم ودعتك ودعت شبابى !



ما لم ينشر من أدب الرافعي

في العدد الماضي من « الرسالة » قطعة ممتعة للمرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، فات الأستاذ العريان أن يضمَّها إلى مقالات الرافعي التي جمعها في الجزء الثالث من كتاب «وحي القلم» ؛ والرافعي — طيب الله ثراه — كان أديب العربية الذي لا يُلحَق في صَوْغه وغَوْصه ؛ لذلك كان كل ما يخطه قلمه تحفةً فنية غالية ، يجب أن يحرص عليها الأدب العربي

« لقد كان الرافعي في الكتابة طريقةً وحده ! » ، كما قال الأستاذ الزيات بحق ؛ فهل من عجب أن يُعدّ الباحث الذي يعثر على مقال ضائع له ، أو قطعة مفقودة من وضعه ، كالذي عثر على كنز أو ثروة ! ؟

إنَّ الأستاذ العريان قد أدَّى للأدب العربي خدمة جليلة ، حين شغل نفسه بجمع آثار الرافعي التي لم يسبق نشرها مجتمعةً في كتاب واحد ؛ وهو بإصداره الجزء الثالث من كتاب « وحي القلم » ، قد أطلعنا على كنوز مخفيَّة ، أو ضائعة ، طالما تاقت نفوسنا إلى الاطلاع عليها ... يقول الأستاذ العريان في تصديره للجزء الأول من « وحي القلم » : أما الجزء الثالث ، فهذه طبعته الأولى ؛ كان قصاصات من صحف ، وصفحات من كتب ومجلات ، فعاد كتاباً بين دفَّتين ... وقد جمعت ما قدرت عليه بعدُ ، فأضفته إلى ما جمع المؤلف ، ورتبت كل ذلك وهيأته للمطبعة ؛ فإن كان قد فاتني شيء مما ينبغي إضافته إلى ذلك الجزء ... فمعذرة إلى قارئه ؛ ولعلني ـ بمعونة القراء ـ أستدرك في الطبعة الثانية ـ إن شاء الله ـ ما فاتني في الأولى »

وقد عثرتُ ـ عرَضاً ـ على قطعة للرافعي عن « الإحسان الاجتماعي » المنشورة في صدر هذا العدد ، فرأيت أن ألفت إلى ذلك نظر الأستاذ العريان ، حتى يضمها إلى الجزء الثالث من «وحي القلم» في الطبعة الثانية إن شاء الله ؛ وهذه القطعة قد ألقيت في سبتمبر سنة ١٩١٤ . وعلى الرغم من أن الرافعي كان يومئذ ـ لا يزال ـ أديباً ناشئاً في مقتبل العمر — إذ كان لا يتجاوز الرابعة والثلاثين — إلا أننا نلمح في هذه القطعة روح الرافعي وطريقته في الكتابة بشكل ظاهر . وهذا يدلنا على أن طريقته في الإنشاء قد استقامت له منذ زمن بعيد !

وقد أرفقت هذه القطعة بكلمتي هذه ، حتى يطلع عليها قراء الرسالة الغراء ، ورأيت أن أحذف منها قطعة صغيرة بدأ بها الرافعي كلامه ، مبيناً الظرف الذي دعاه إلى الكلام

(مصر الجديدة) زكريا ابراهيم

زواج الأدباء للرافعي

أرسل إلينا الأديب نعمان أحمد عسكرية يقول : إن مقال «زواج الأدباء» الذي بعث به إلينا ونشرناه في (العدد ٤٨٢) ، قد عثر عليه مصادفة في مجلة كانت تصدر في القاهرة باسم «الإشاعة» ، وهو جواب الرافعي عن استفتاء وجهه محررها إلى رجال الأدب

حول نسخ الأحكام

أقول رداً على المقال المنشور في العدد ٤٨٣ من مجلة الرسالة بعنوان (حول نسخ الأحكام) : إن الإمام أبا جعفر بن النحاس يرى أن القول بشمول النسخ للأخبار يؤول إلى الكفر ، وأن القول بجعل النسخ إلى الإمام أشد كفراً — كما في نصه المنقول في تعقيبي السابق وهو موضع البحث — فيثبت بالضرورة أنه لم يعز القول بجعل النسخ للامام إلى فرقة إسلامية عنده ، لظهور أن فئة يذكرها بأشد الكفر لا تكون فرقة إسلامية في نظره . فقول كاتب المقال : «فأما أن أبا جعفر لم يعز القول بذلك إلى فرقة إسلامية فليس بصحيح» ـ مع اعترافه بأن أبا جعفر ابن النحاس يكفر تلك الفرقة ـ يكون من قبيل إنكار النتيجة بعد التسليم بالمقدمتين

ذلك وقد أطبق أصحاب كتب الملل والنحل على أن الاسماعيلية الباطنية ليسوا بمسلمين وإن تظاهروا بالإسلام على ما يظهر من كتاب الرد على الباطنية لابن رزام ، والفهرست لابن النديم ، وكشف الأسرار للباقلاني . والفرق بين الفرق . وكتاب أصول الدين لأبي منصور البغدادي ، والفصل لابن حزم ، والتبصير لأبي المظفر الاسفراييني ، وفضائح الباطنية للغزالي ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي ؛ وغيرها فليتفضل كاتب المقال بذكر واحد من أهل هذا الشأن يعدهم من فرق المسلمين غير الداخلين في فرق الكفر فنعذره بعض عذر في حسبانه الباطنية الاسماعيلية من فرق الإسلام لو وجد سبيلاً إلى ذلك ، وليس بواجد على أن من الظاهر كل الظهور أن جعل نسخ الوحي المنزل

من حكيم حميد بين شفتى شخص بعد انقطاع زمن الوحى لا يعقل أن يصدر ممن يدين بدين الإسلام ، فثبوت بطلان مثل هذا الرأى لا يحوج إلى أكثر من تصور طرق الحكم من داع لما يقال له وكون الدولة الفاطمية من الاسماعيلية الباطنية لا يزيدهم إلا سوء مخبر . وبناء القائد جوهر الأرمنى الصقلى للجامع الأزهر لا يبرئهم من نحلتهم الإلحادية المكشوفة . ثم إن الجامع الأزهر إنما نعتز به كجامعة إسلامية منذ تولى أمره ملوك الإسلام وحماة السنة الغراء من عهد الظاهر بيبرس ، وكان قبل ذلك محشداً للاسماعيلية ذكورهم وإناثهم يجتمعون فيه للعن الصحابة علناً جهاراً لنشر دعوتهم الإلحادية ليلاً ونهاراً ؛ ولم يكن الأزهر فى زمنهم جامعة ، بل كان يحلق فيه فقهاء مذهبهم بين الظهر والعصر من يوم الجمعة فى عهد الوزير بن كِلِّس لإلقاء عظات فى مذهب الرفض والباطنية . ويقول الإمام الباقلانى عنهم فى كشف الأسرار : «هم قوم يظهرون الرفض ، ويبطنون الكفر المحض» وفى المنتظم لابن الجوزى ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ ابن الوردى صورة ما أصدره القضاة والأشراف وعلماء المذاهب ببغداد فى تبيين أن هؤلاء أدعياء ليس لهم نسب صحيح ، وأن والد عبيد الله الذى تنتمى إليه العبيدية كان يهودياً صباغاً بسلمية حمص ، وأنهم زنادقة أعداء للاسلام . وفى « اللمعات البرقية لابن طولون » ذكر نماذج من إلحادهم وزائف نسبهم .

ونجد فى كشف أسرار الباطنية للحمادى عند الكلام فى تدرج الداخل فى دعوتهم ما نصه « قالوا له قرب قرباناً يكون لك سلماً ونجوى ونسأل لك مولانا (الإمام المعصوم) أن يحط عنك الصلاة ويضع عنك هذا الإصر ، فيدفع اثنى عشر ديناراً ، فيقول ذلك الداعى : يا مولانا إن عبدك فلاناً قد عرف الصلاة ومعانيها ، فاطرح عنه الصلاة ، وضع عنه هذا الإصر وهذا نجواه اثنا عشر ديناراً ، فيقول : اشهدوا أنى قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم) فعند ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة يهنئونه ويقولون : الحمد لله الذى وضع عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ... » وهكذا . وقد أفاض المقريزى في خططه فى بيان المجالس التى يعقدها الداعى للذكور والإناث ، ومنازل الدعوة ، وعدد النطقاء إلى السابع الذى ينسخ الشرائع ، وهو صاحب الزمان محمد بن اسماعيل ابن جعفر وهو سابع الأنبياء النطقاء فى نحلتهم ، ونبينا فخر الرسل عليه الصلاة والسلام سادسهم عندهم ، إلى غير هذا مما تضيق مجلة الرسالة عن بسطه الآن .

صلاح الدين شقيبوه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10 me Année No. 485

Lundi - 19 - 10 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٨٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ١٩ أكتوبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

أفعالهم من أمثالهم

للأستـــاذ عباس محمود العقاد

من مؤلف الأمثال ؟

تلك الآيات القصار من موجز البلاغة من صائنها ومنتقى ألفاظها ومودع الحكمة فى خلالها ؟

إنها أسلوب غير أسلوب الفرد فى كلامه ، ولكن الأمم لا تجتمع للتأليف والصياغة فيقال إنها من تأليف أمة فى أجيالها المتعاقبة . وهى بلا ريب لم تؤلف نفسها ولم تكن قولاً بغير قائل . فأصدق ما يقال فيها أنها كلام نرد صقلته الأمم جيلاً بعد جيل ، وأنها وحى الإنسانية أجرته على بعض الألسنة وتمهدته بعد ذلك بالتنقيح والمراجعة . فليست هى لغة فرد ولا صياغة أمة ، ولكنها مساهمة من كل بما يستطيع فيها . فالفرد يستطيع أن يصوغ الكلام ، والأمة تستطيع أن تقبل وترفض حتى يستقيم لها القول على ما تحب ، ومن هذا وذاك تتجمع الأمثال

وقد اتفق فى أمثال الأمم أمران عجيبان كأنهما متناقضان لا يتفقان

فأمثال الشعوب تتشابه فى مغزاها ، وتتوارد في محصولها ومؤداها ، حتى يصح أن يقال فى هذه الناحية إن الأمثال إنسانية عالية يتفق فيها جميع الناس

لكن أمثال الشعوب مع هذا قومية وطنية تدل على أهلها وتنم على خلائق ملة بعينها ؛ فلا تقرأ أمثال العرب دون أن تعرف منها شيئاً عن العرب لا تعرفك مثله عن الفرس أو الترك أو الروم ، ولا تقرأ نخبة من أمثال الأوربيين إلا فرقت بينها وبين نخبة من أمثال الأسيويين أو الأمريكيين . فهي تكشف لنا الإنسانية لأن الأمم كلها من بني الإنسان ، وتكشف لنا كل أمة على حدة لأن الناس يختلفون كما يتفقون ، ولا تناقض بين الأمرين

ظهر في العهد الأخير كتاب انجليزي عن الأمثال الروسية من أوفى ما كتب عن هذه الأمثال . فأوجز ما يوصف به أنه يلقي لك ضياء على كل حادث عظيم في تاريخ هذه الأمة ماضيها وحاضرها ، منذ جلت عن سهوب آسيا إلى أن وقفت في حربها مع الألمان موقفها المجيد الذي قلت نظائره في تواريخ الحروب !

تقرأ هذه الأمثال فتوقن أن الروس والجرمان لا يعيشون في السلم والوئام إلى زمن طويل . وأول هذه الأمثال قولهم : إن « ما ينفع الروسي هلكة للألماني » ... ومصداق ذلك في الحرب الحاضرة غير بعيد

ومن تلك الأمثال ، وفيها الدلالة على الحرب التي يحسنها الروسيون ، أن البحر جميل من الشاطئ ، وأن البعيد عن البحر بعيد عن الأحزان ، وأن الموت أخ للجندي الروسي ، وأن امرأة هـذا الجندي ليست بزوج ولا بأيم ، وأنه « ما كل رصاصة تصيب عظمة في الجسد ؛ فقد تصيب الرصاصة الفراغ ! »

وقلما دخل الروس حرباً إلا تركوا بعـدها أمثالاً تنبئنا ببعض أنبائها . فمن بقايا حرب نابليون مثلهم القائل : « ما أسعد الفرنسي بغراب ! » لأن جنود نابليون كانوا يتصيدون الغربان التي تأكل قتلاهم فيطبخونها وهم هلكى من الجوع !

ومن بقايا حروبهم مع الترك ذلك المثل الذي يفيض بالسخرية والشهادة لشجاعة الخصمين : « يتساقط الترك ، ولكننا والحمد لله صامدون في الميدان ... بغير رءوس ! »

ولعلنا لا نعرف جهاد الروس في طلب الحرية من بضع كلمات كما نعرفه من الكلمات القليلة التي يجمعونها في قولهم : « تبحث عن شجاع ... إذهب إلى السجن ! »

فقد مضى على الروس حقاً ذلك الزمن الذي كانت فيه السجون أجدر الأمكنة أن تبحث فيها عن الرجل الشجاع ، وذلك زمن الثورات ، أو زمن الجهاد في طلب الحرية ، أو زمن التمرد على السلطان الذي لا خير فيه

ويذكر القراء أن قياصرة الروس كانوا من أكبر الدعاة إلى السلم في عهدهم الأخير ، وأن حكيم الروس الكبير - تولستوي - كان أكبر دعاة السلام في أوائل القرن العشرين . ولكن الروس وحدهم هم الشعب الذي سجل خيبة الأمل في السلم كما تمناه منهم الرؤساء والمصاحون ، فقالوا في أمثالهم : « إن السلم الدائم ليدوم ... ولكن إلى أول حرب مقبلة ... »

وهكذا أوحت الحكمة إلى ألسنة الدهماء ، ما لم توحه إلى الساسة ولا إلى الحكماء

***

وكل خلائق الروس ظاهرة في أمثالهم الشعبية ، وليست خلائقهم في حروبهم وثوراتهم وكفى ؛ فهم معروفون بالتواكل والاستسلام للقـدر فيما ينوبهم من عثرات الجدود ، وذلك ظاهر في قولهم : « إذا طرق بابك الجد العاثر فافتحه له على مصراعيه » ... يريدون أن الجد غالب على أمره ؛ فكل حذر في اتقائه لا يفيد

وهم معروفون بالمداورة بين القادرين المسيطرين عليهم ، وذلك ظاهر في قولهم : « صل لله ولكن لا تهيج الشيطان ! »

وهم معروفون بالحذر الدائم ، وهو ظاهر في قولهم : « للخوف عيون واسعة » وقولهم : « من الحياة نخاف لا من الموت ! »

وهم يتباطأون عن الجد كما يظهر من مثل الفلاح القائل : إلى الغيط ... ما آلم هذا المغص في الأحشاء ! إلى الحان ... هاتي المعطف يا امرأة ، وعجلي ! »

وتواكلهم مع معيشتهم في البيوت تظهر من أمثلة كثيرة في معارض شتى ، منها : « إذا أقدمت على الزواج فلا تطيلي همك ... ستعلمين متى يحين الموعد المقدور للبكاء ساعة يضربك زوجك ! »

ومنها : « تزوج كبراهن وانظر إلى أمها وأبيها ، أما الصغرى فلا تتزوج بها إلا وقد نظرت إلى أختها الكبرى »

ومنها : « زوجي سيئ أخافه ، ولكني أكون معه فلا أخاف من أحد غيره ! »

ومنها : « سأحفظ حكايات الخرافة متى رزقت الأحفاد »

وبسبيل من هذا وإن ظهرت فيه مناقضة للتواكل قولهم : « حسبما تهيئ فراشك يكون رقادك ! »

وقولهم : « عش كما يتاح لك ، ومت كما تتمنى ! » أو قولهم : « من لم يكن صحيحاً فى العشرين ، عاقلاً فى الثلاثين ، غنياً فى الأربعين ، فلا أمل له فى الصحة والعقل والغنى ، حتى يموت »

* * *

ويقولون وفيه دليل على سوء الظن بالدنيا : « نرفع عقائرنا بالغناء فيسمعنا الناس ، ونرفع عقائرنا بالعويل فليس للناس آذان »

ويقولون : « إن كان لا بد من غرق فالبحر اللجى خير من البركة الآسنة » وفيه مشابهة لقول المتنبى :

إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم

ويقولون وفيه صدق الغرض وإن لم يكن فيه صدق التاريخ : « موسكو أحرقتها شمعة بدرهم »

فشمعة بدرهم قد تحرق موسكو حقاً ، وإن لم تكن أحرقتها فى حرب نابليون

ومن أبرع أمثالهم قولهم : « يولد الإنسان ليموت ، ولكنه يموت ليحيا »

ومنها فى فضل الوقاية : « يخاف الهواء الأصفر ممن يخافه »

ومنها فى المساواة والفوارق بين الناس : « عيوننا تملأها شمس واحدة ، وبطوننا لا يملأها طعام واحد » ومنها : « من سكن بجوار المقابر لم يحزن على كل فقيد » ومنها : « راقب الجدى من أمام ، وراقب الحصان من وراء ، وراقب الشرير من كل جانب » ومنها فى رشوة الحكام : « من باب الطريق صدّ ومن باب السر ترحيب »

* * *

وعلى الجملة يندر أن نعرف الروس من كتاب واحد كما نعرفهم من هذا الكتاب الذى جمع لنا المئات من أمثالهم المنتقاة

ونعتقد أن هذا هو شأن الأمثال فى كل أمة وفى كل طبقة وفى كل جيل ، وربما أغنتنا ثلاثة أمثال أو أربعة عن قراءة سفر مطول فى أخلاق بعض الأمم خلال فترة من الفترات

فأى كتاب يدلنا على أخلاق المصريين فى القرن الماضى كما يدلنا عليها مثلهم القائل : «أردب ما هو لك لا تحضر كيلة ، تتعفر دقنك وتتعب فى شيله » أو مثلهم القائل : « اللى يجوز أمى أقول له يا عمى » أو مثلهم القائل : « إن عبدوا تور حش وارى له » وما شابه هذه الأمثال

فثلاثة أمثال من هذا القبيل تلخص لنا تاريخ الاستبداد فى ذلك القرن وما أحدثه فى مصر من التفكك واجتناب التعاون ومداراة الظلم والإذعان لكل آمر والعجز عن كل مقاومة

ومئات منتقاة من هذه الأمثال فى شتى المعارض تجمع لنا من الأخلاق القومية والدلائل التاريخية ما يتفرق فى كتب مختلفات تتكلم عن الأخلاق ولكنها لا تعرض لنا تلك الأخلاق عرضاً مجسما كما تعرضها الأمثال

ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ قلة التمثل بالأمثال فى هذه الأيام سواء بين المصريين أو بين الأمم الأخرى

فأبناء العصر الحاضر لا يحفظون أمثال أممهم ولا يكررون ما يحفظونه منها ، وليس هذا بعجيب إذا نظرنا إلى الخلق الغالب بين أكثر المحدثين

فقل فى أبناء عصرنا من يقتدى بالسلف أو يحب أن يقال عنه أنه ممن يقتدى بهم فى المعيشة والسلوك . ولا معنى لسرد الأمثال ما لم يكن ديدن السلف حجة مقبولة بين القائلين والسامعين

إنما الخلق الغالب فى عصرنا أن يباهى الرجل فى يومه بمخالفة أمسه ، وأن يجرى فى كل حين على بدعة لم يسبقه فيها سابق قبل حينه ، وأن يتهالك على الجديد ولو لم تكن له مزية غير الجدة العابرة . وهذه حالة من الحالات النفسية لا تواثمها متابعة الأمثال ، أو تحريها فى الأقوال والأعمال ؛ بل هى تستدعى كلاماً يناقض المثل فى لبابه ومرماه ، وهو الارتجال المقتضب الذى لا يتعدى ساعته إلى ما وراءها ، ولا يصلح للتكرار والاستشهاد

ولهذا تسنح الفرصة اليوم للحرص على ذخائر الأمثال ، والاستزادة من مجموعاتها التى يخاف عليها النسيان والإهمال ؛ فإنها لموصولة يوماً لا محالة ، وإن طال عهد الانقطاع والارتجال .

عباس محمود العقاد

مشاركة الأدب الانجليزى
فى الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

٣ — القرن التاسع عشر

تقدمت الدراسات العربية فى القرن التاسع عشر تقدماً عظيماً فى جميع الأقطار المهمة فى أوربا . ولقد كان من نتائج حملة نابليون فى مصر أن أصبح الشرق الأدنى العربى فى مقدمة الأمور السياسية الأوربية ، وأن استعيد الاتصال بين العرب والفرنك بعد انقطاع دام قروناً عديدة ، فشرع الكثيرون من الرحالين الأوربيين يزورون الشرق ، ودخل عدد كثير من الطلاب المصريين فى جامعات أوربا الغربية لدراسة ثقافة الغرب وفنه ، واستثارة اهتمام جديد بالثقافة العربية بين الغربيين

وقد بدأ العلماء الفرنسيون الذين رافقوا نابليون الحركة العلمية الجديدة فى الاستشراق الأوربى . والعلماء الفرنسيون هم من أبرز المشتغلين باللغة العربية فى مطلع القرن التاسع عشر . وقد أنشأ المستشرق الفرنسى العظيم « سلفستر دى سامى » جيلاً كاملاً من العلماء من جميع الجنسيات

وكذلك نجد فى انكلترا مجموعة منظمة ذات شأن من المشتغلين بالعربية ، فكان إنشاء كرسى جديد للغة العربية فى جامعة لندن — وكانت قد أنشأت حديثاً -- وتكوين « الجمعية الآسيوية الملكية » ، وهى مجمع مستشرقى الإنكليز ، مما أثر فى الاندفاع الجديد نحو الأبحاث الاستشراقية . وأصبح العلماء الإنكليز فى الهند وهم الذين يدرّسون لغة الإسلام ومدنيته للهنود يجدون أنفسهم ملزمين بدراسة اللغة العربية التى هى مصدر جميع الثقافات الإسلامية فى كل اللغات . واكتسبت آثار المشتغلين بالعربية فى القرن التاسع عشر ميزة وفائدة جديدتين نتيجة للتقدم الحاصل عند العرب أنفسهم . ففى خلال القرن التاسع عشر دخلت الشعوب التى تنطق بالعربية فى دور بعث ثقافي وطنى . وقد كابدوا فى بداية الأمر مشقة من جراء قلة الكتب العربية المطبوعة ، وقلة المطابع أيضاً ، ولذلك كانت الطبعات الأنيقة العديدة للمؤلفات العربية الخالدة التى نشرت فى أوربا — وقسم كبير منها فى انكلترا — ذات فائدة عظمى للجيل العربى الجديد من القراء ، ومكنتهم من الحصول على مادة لم يكن الحصول عليها ممكناً من غير ذلك المصدر . وفى آخر الأمر ، عند ما أُنشئت المطابع فى الشرق وبدئ بطبع الكتب محلياً ، كانت الكتب تطبع وفق النصوص العربية ، وبذلك قام المستشرقون بدور مهم فى إعادة ثقافة العرب إليهم ، وقضوا دين عرب القرون الوسطى الذين نقلوا كتب الإغريق إلى الغرب

وليس فى وسعنا فى هذا المجال أكثر من أن نذكر بعض الشخصيات البارزة من بين المشتغلين بالعربية من الإنجليز . ونقتصر على أشخاص مثل « ج . ه . هندلى » وهو أحد العلماء البارعين فى الفارسية والعربية ، ومن جملة مؤلفاته ترجمة ودراسة — فى الإنجليزية — عن الشاعر العربى أبى الطيب المتنبى . و « م . لسدن » الذى كان أستاذ اللغتين العربية والفارسية فى كلية « قلعة وليم » فى الهند . وقد ألف أجرومية عربية كانت كثيرة التداول فى القرن التاسع عشر فى أوربا والهند كليهما . ومما يجب ذكره أن أولى المحاولات الإنجليزية لتنظيم التعليم فى الهند كانت تشمل اشتراط دراسة اللغة العربية من مسلمى الهند ، وكان « لسدن » أحد الإنجليز الكثيرين الذين ساعدوا على إنجاز هذا الأمر ، وكان فى كلية « قلعة وليم » — وهى أولى الكليات الإنجليزية فى الهند — كرسيان للغتين العربية والفارسية .

* * *

وكان أعظم الشخصيات الإنجليزية — بل الأوربية أيضاً — بلا مراء فى مطلع القرن التاسع عشر هو المستر إدورد وليم لين (١٨٠١ — ١٨٧٦) .

اهتم « لين » مزيد الاهتمام بالدراسات الاستشراقية منذ فجر شبابه وعلى الأخص بمصر ، وسافر فى يولية سنة ١٨٢٥ إلى الإسكندرية فى زيارته الأولى لمصر ، وكان السفر فى البحر



إدورد وليم لين : (منصور أفندى)

الأبيض المتوسط وقتئذ لا يزال كبير الخطر ، ولم تخل رحلته تلك من مخاطر ، فقد أصاب السفينة إعصار ، وعجز قائدها عن إدارة دفتها ، ولم يكن على ظهرها من يحسن القيادة . وبالرغم من أن « لين » لم يركب سفينة قط فى حياته ، فإنه أخذ الدفة بيده ، واستطاع أن ينقذ السفينة من التحطيم بفضل معلوماته الرياضية . وحدث بعد ذلك أيضاً أن قامت فى السفينة ثورة كادت تودى بحياته . وبعد سفر شهرين وصل « لين » إلى مصر حيث بقى إلى خريف سنة ١٨٢٨ وقضى معظم الوقت فى القاهرة . ومع أن رغبته الأصيلة كانت دراسة المصريين القدماء ، فإنه سرعان ما وجد أحفادهم المحدثين أحق منهم بالدراسة بكثير ، فشرع توّ إقامته ، فى دراسة واسعة للغة العربية فحذقها حذقاً تاماً كتابة ولفظاً . وقد أفادته تلك الرحلة إلى الشرق — وهى الرحلة التى كان يتحرق شوقاً إليها — خبرة معنوية عظيمة . وقد قال فى مذكراته :

عنـد ما نزلت الأرض لأول مرة داخلنى شعور طاغ يشبه شعور عريس على أهبة رفع القناع عن وجه عروسه التى لم يرها من قبل . ولقد كان تأثره بعد ذلك بما رأى عميقاً ، وامتلأ إعجاباً عظيماً بكل ما يمت إلى الإسلام بصلة

وعند ما عاد إلى انجلترا ، كان قد درس مصر وشعبها ولغته دراسة عميقة ، وكتب وصفاً مسهباً مخطوطاً عن الحياة فى مصر . فلما طلب إليه أن يقوم بنشره أصر على الرجوع ثانية إلى مصر قبل طبع الكتاب استجابة لولوعه بالدقة العلمية التى كانت إحدى ميزات آثاره ، فخصص رحلته الثانية فى سنة ١٨٣٣ ـ ٣٥ لدراسة دقيقة عن الحيـاة فى القاهرة . وكان من عادته فى مصر أن يرتدى اللباس الذى يرتديه المصريون ، وأن يقتصر فى علاقاته على المصريين المسلمين . وقد اتخذ لنفسه داراً فى القاهرة وعاش العيشة المعتادة التى يحياها أديب مصرى من جميع الوجوه . وكانت هـذه الأمور ، مضافاً إليها طلاقة نطقه العربى وصحته ، وشىء من السمة الشرقية فى تقاطيعه ، قد مكنته من أن يعيش كمصرى بين المصريين ، وأن يختلط بالمجتمع القاهرى اختلاط الصديق والند . وكان يعرف فى مصر باسم « منصور أفندى »

وعند عودته للمرة الثانية إلى انجلترا نشر كتابه المشهور « وصف شمائل وعادات المصريين المحدثين » فى جزءين فقوبل فى الحال كأثر خالد ، ونفدت الطبعة الأولى منه فى أسبوعين ، ولحقتها أخريات عديدات ، كما أنه طبع في ألمانيا وأميركا واعتبر من مخلدات الأدب الإنجليزى ، وهو يحتوى على وصف الحياة القاهرية وعاداتها ، قبل أن يحل بها هذا التغيير الذى جعل منها مدنية حديثة . ولذلك فإنه سجل صحيح لمصر يكاد يكون غابراً ، بدقة فى الوصف فائقة ، وهو مستند تاريخى ذو أهمية عليا لا يستغنى عنه جميع الطلاب فى مصر حتى الآن .

(للموضوع بقية) عبد الوهاب الأمين

راقصة ...

للأستاذ علي محمود طه

سَرَتْ بين أعينهم كالخيالْ ... تعانقُ آلهــةً فى الخيالْ
مُجرَّدةً حسبتْ أنّهَا ... من الفنِّ فى حَرَمٍ لا يُنَال
فليستْ تُحِسُّ اشتهاء النفوس ... وليستْ تُحِسُّ عيونَ الرجال
وليستْ ترى غير معبودها ... على عرشه العبقريِّ الجلال
دعاها الهـوى عنده للمثول ... وما الفنُّ إلّا هوًى وامتثال
نخفتْ له شِبْهَ مسحورةٍ ... عَلَتْ وجهها مَسْحَةٌ من خَبال
وفى روحها نشـوةٌ حلوةٌ ... كمهجورةٍ مُنِّيَتْ بالوصال
تراها وقد طوَّفَتْ حوله ... جلاها الصِّبَى وزهاها الدلال
تضمُّ الوشاحَ وَتُلْقِى به ... وفى خَطوِها عِزَّةٌ واختيال
كفارسةٍ حضنتْ سيفها ... وألقتْ به بعد طول النضال
تمــدُّ يديها وتثنيهما ... وترتدُّ فى عِوَجٍ واعتدال
بحوريَّةِ النبع تطوى الرِّشاء ... وتجذبُ ممتلئاتِ السجال
مُحَيِّرَةَ الطيف فى مائجٍ ... من النور يغمرها حيث جال
تُخَيِّلُ للعين فيما تَرَى ... فراشةَ روضٍ جَفَتْهَا الظلال
وزنبقــةً وَسْطَ بَلورةٍ
على رفرف الشمس عند الزوال
تَنَقَّلُ كالحُلْمِ بين الجفون ... وكالبرق بين رءوس الجبال
على إصبعىْ قدَمٍ أُلْهِمَتْ ... هبوبَ الصَّبا ووثوبَ الغزال
وتُجْزِى ذراعَيْنِ منسابتين
كفرعين من جدولٍ فى انثيال
كأنهما حولهـا تَرْسُمَانِ ... تقاطيعَ جسمٍ فريدِ المثال
أبَتْ أنْ تَمَسَّاهُ بالرَّاحتين ... ويَرْضى الهوى ويريد الجمال
ومن عَجَبٍ وهى مفتونةٌ
تُرِيكَ الهــدى وتُرِيكَ الضلال
تَلَوَّى وتسهو كلُهَابَةٍ ... تَرَاقصُ قبـل فناءِ الذُّبال
وتعلو وتهبط مثـل الشِّراع ... تَرَامَى الجنوبُ به والشَّمال
وتعـدو كأنَّ يداً خلفها ... تُعَذِّبُهَا بسياطٍ طوال
وتزحفُ رافعــةً وجهها ... ضراعةَ مستغفرٍ فى ابتهال
وتسقط عانيةً للجبين ... كقُمْرِيَّةٍ وقعتْ فى الحبال
تَبِضُّ ترائبهـا لوعةً ... وتخفِقُ لا عن ضَنًى أو كلال
ولـكنه بعضُ أشــواقها
وبعضُ الذى استَوْدَعَتْهَا الليال !!

علي محمود طه

من ملاحق كتاب « رسوم دار الخلافة »

دنيــة القـــاضى
فى العصر العباسى
للأســتاذ ميخائيل عواد

الدَّنِّيَّة وتجمع على الدَّنِّيات ، قَلنسُوة بشكل الدَّن (وهو الُحبّ عند العراقيين له عُسْمُس) ، محدودة الأطراف ، طولها نحو شبرين تتخذ من ورق وفضة على قصب (عيدان) ، وتُغشى بالسواد ، وتزين أحياناً بشنائق صفر طوال تتـدلى على الصدر كان يلبسها القضاة عامة ، فى العصور الإسلامية السالفة ، كما يلبسها الخطباء والأكابر أحياناً

قال الشريشى فى شرح المقامة التاسعة للحريرى : إن أصل الدَّنية : الدنينة كسفينة ... وليست من كلام العرب ، إنما هى من الألفاظ المستعملة فى العراق ... إه . والصواب : أن الدنية عربية منسوبة إلى الدن وليست بالدنينة[1]

والغريب أن هذه اللفظة وردت فى « النجوم الزاهرة[2] » باسم « المدينة » وهذا تحريف ظاهر

وكان من أهم ماجريات سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة ، أن « أبا جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السواد وقَلانِس طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف فى المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم : «فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم» . فدخل عليه أبو دلامة فى هذا الزى ، فقال له أبو جعفر : مَا حالك ؟ قال : شَرُّ حال ! وجهي فى نصفى ، وسيفى فى استى ،

(١) الساعد (مادة دون) ؛ « وهو معجم كبير وضعه الأب أنستاس مارى الكرملى ، ما زال مخطوطاً عنده » — وانظر : لسان العرب (١٧ : ١٧) ، وتاج العروس (٩ : ٢٠٣ ؛ مادة دون ، وشذرات الذهب (١ : ٢٣٤) وتكملة المعجمات العربية لدوزى (١ : ٧٧٣) :
Dozy : Supplément Aux Dictionnaires Arabes. (Leyde, 1881)

(٢) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (٢ : ٢٠ ؛ طبع دار الكتب المصرية) .

وكتاب الله وراء ظهرى ، وقد صبغت بالسواد ثيابى . فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع هذا منك أحد »[1] . قال أبو الفرج الأصفهانى[2] : « ونسخت من كتاب لابن النطاح ، فذكر مثل هذه القصة سواء وزاد فيها :

وكنا نُرَجّى من إمام زيادةً فجاد بطول زاده فى القلانس[3]
تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جللت بالبرانس[4]

والظاهر أن الرشيد لم يحب هذا التغيير الذى أحدثه المنصور من قبله ، فقد حكى الجاحظ أن العمانى الراجز « دخل على الرشيد لينشده شعراً وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج ، فقال : إياك أن تنشدنى إلا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دمالقان ... فبكر من الغد وقد تزيا بزى الأعراب فأنشده ...[5] »

ثم جاء المعتصم فأعاد لبس القلانس الطوال تشبهاً بملوك الأعاجم ، فلبسها الناس اقتداء به ، وسميت المعتصميات[6] .

ومما ذكره الجاحظ فى اختلاف الناس فى صنوف اللباس قوله : « ... وهل ذلك إلا كتعظيم كور العمامة ، واتخاذ القضاة القلانس العظام فى حمارَّة القيظ ، واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس ! فإن كانت القلانس مكشوفة زادوا فى طولها وحدة

(١) و (٢) الأغاني (١٠:٢٣٦ ؛ طبعة دار الكتب = ٩:١١٥ ؛ طبعة الساسى) . وانظر : تاريخ الرسل والملوك للطبرى (٣ : ٣٧١ ؛ طبعة دى غويه) ، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٤ : ٢٢٠ ؛ طبعة سنة ١٩١٣ بمصر = ١ : ٣٠٦ ؛ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموى (٤ : ٢٢٠ ؛ طبعة مرجليوث) ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير (٥ : ٤٦٧ طبعة تورنبرج ، ومختصر أخبار الخلفاء المنسوب لابن الساعي (ص ١٨ بولاق) ، وتاريخ مختصر الدول لابن العبرى (ص ٢١٣ طبعة صالحانى) وغرر الخصائص الواضحة للوطواط (ص ٢٠٢ بولاق = ص ١٢٧ طبع المطبعة الأدبية بمصر) ، ومحاضرة الأوائل للبسنوى (ص ٨٥ بولاق)

(٣) وفى أغلب المراجع : « فزاد الامام المصطفى فى القلانس »

(٤) وفى بعض المراجع : « بالأطالس »

(٥) البيان والتبيين (١ : ٩٣ طبعة السندوبى) ، وعيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى (١ : ٩٣ — ٩٤ ؛ طبع دار الكتب المصرية) ، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٢ : ١٣٩ — ١٤٠ طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) ؛ وقد ذكر صاحب العقد المأمون بدلا من الرشيد فى هذه الرواية

(٦) مروج الذهب (٨ : ٣٠٢ طبع باريس) ، وراجع الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لمتز (٢ : ١٨٧ ؛ الترجمة العربية)

رءوسها حتى تـكون فوق قلانس جميع الأمة ...[١] » .

ولم يكن لبس الدَّنـِّيات قاصراً على قضاة العرب ، بل تعداهم إلى غيرهم من الأمم ، فهذا الاصطخرى الرحالة البلدانى يقول فى عرض كلامه على صور أهل فارس وزيهم : « ... وأما قضاتهم فإنهم يلبسون الدَّنـِّيات وما أشبهها من القلانس المشمرة عن الأذنين ، مع الطيالسة والقُمُص والجباب ، ولا يلبسون دراعة ولا خفًّا بكسرةٍ ، ولا قلنسوة تغطى الأذنين ...[٢] »

وكان القضاة يتفرَّدون بلبس هذه القلانِس الطوال أينما وجدوا ، وقد يدفعهم الأمر إلى منع كافة الناس من لبسها . فقد أنبأنا الكندىّ فى نحو سنة ٢٣٠ هـ بقوله : « كان زىُّ أهل مصر وجمال شيوخهم ، وأهل الفقه والعدالة منهم لباس القلانس الطوال ؛ كانوا يبالغون فيها ، فأمرهم ابن أبى الليث [القاضى] بتركها ومنعهم لباسها وأن يشبهوا بلباس القاضى وزيه فلم ينتهوا . قال ابن عثمان : فجلس ابن أبى الليث فى مجلس حكمه فى المسجد واجتمع أولئك الشيوخ عليهم القلانس ؛ فأقبل عبد الغنى ومطر جميعاً فضربا رءوس الشيوخ حتى ألقوا قلانسهم . قال : وأخبرنى محمد بن أبى الحديد قال : حدثنى عتبة بن بسطام قال : رأيت قلانس الشيوخ يومئذ فى أيدى الصبيان والرعاع يلعبون بها ، وكانوا بعد ذلك لا يدخلون إلى ابن أبى الليث ولا يحضرون مجلسه فى قَلنسوة

وأنشدنا إسمعيل بن اسحاق بن ابراهيم بن تميم للجمل :

وأخفت أيام الطوال وأهلها فرموا بكل طويلة لم تقصر
ما زلت تأخذهم بطرح طوالهم والمشى نحوك بالرءوس الحُسَّر
حتى تركتهم يرون لباسها بعد الجمال خطية لم تغفر
يتفزعون بكل قطعة خرقة يجدونها من أعين ومخبِّر
فإذا خلا بهم المكان مشوا بها وتأبطوها فى المكان الأعمَرِ
فلئن ذعرتَ طوالهم فلطالما ذعرت ومن برؤاتها لم يذعرِ
كانوا إذا دلفوا بهن لِفَضْلٍ أمضى عليه من الوشيج الأسمر
كم موسرٍ أفقرته ومفقرٍ أغنيته من بعد جهد مفقرِ
ما إن عليك لقيت منهم واحداً أرفى العجاج مدججاً فى مغفر
لبسوا الطوال لكل يوم شهادة ولقوا القضاة بمشية وتبخُّرِ
ما بى أراهم مطرقين كأنما دمغت رءوسهم بحمى خيبَرِ

أخبرنا ابن قديد عن يحيى بن عثمان قال : لما عزل ابن أبى الليث ترك كثير من الشيوخ لباس القلانس ؛ منهم أبو ابراهيم المزنى سمعت كهمس بن معمر يقول : لما أمر ابن أبى الليث بطرح القلانس لم يثبت على لباسها إلا محمد بن رمح فلم يعارض

أخبرنى اسمعيل بن اسحاق بن ابراهيم بن تميم أن النيل كان توقف ؛ فاستسقى أهل مصر وحضر ابن أبى الليث الاستسقاء ، فوثب المصريون بسبب غلاء القمح ؛ وأخذوا قلنسوته فلعبوا بها بعد ما فعل بقلانس أهل مصر بثمانية أيام »[١]

والظاهر أن الدَّنـِّيات كان قد ضعف شأنها ، وقل استعمالها فى بغداد ، فى المائة الخامسة للهجرة ، فقد أشار إلى ذلك هلال ابن المحسِّن الصابئ (المتوفى سنة ٤٤٨ هـ) فى عرض كلامه على جلوس الخلفاء وما يلبسونه فى المواكب ، وما يلبسه الداخلون عليهم من الخواص وجميع الطوائف . قال : « ... فأما العباسيون من أرباب المراتب ، فزيُّهم السواد بالأقبية المولَّدة والخفاف ، ولهم منازل فى شد المناطق والسيوف وتقلُّدها ؛ اللهم إلا أن يكون منهم من قد ارتسم بالقضاء ، فله أن يلبس الطيلسان . وأما قضاة الحضرة ومن أُهِّل للسواد من قضاة الأمصار والبلاد ؛ فبالقُمص والطيالِسة والدنـِّيات والقراقفات[٢] ، وقد تركت الدنيات والقراقفات فى زماننا وعدل إلى العمائم السود المصقولة »[٣]

(١) البيان والتبيين (٣ : ٨٠)

(٢) مسالك الممالك (ص ١٣٧ — ١٣٨) ، وانظر صورة الأرض لابن لابن حوقل (ص ٢٨٩ طبعة كريمرز)

(١) الولاة والقضاة للكندى (ص ٤٦٠ — ٤٦٢)

(٢) القراقفات « جمع قراقف ، وقراقف جمع قرقفة . والكلمة إرمية من قرقفتا . وهى من القلانس المستديرة الضخمة التى تلبس فى الرأس وكانت من ملبوس الفقهاء والقضاة فى عهد العباسيين — أنظر دليل الراغبين فى لغة الآراميين للقس يعقوب أوجين منا الكلدانى » ص ٧٠٩ مطبعة الآباء الدومنكيين فى الموصل » : (المساعد)

(٣) رسوم دار الخلافة (ص ١٢٦ — ١٢٧ من المخطوط) ؛ وهو كتاب أعددناه للنشر بعد أن حققناه وعلقنا عليه ، وألحقنا به فهارس مفصلة ، وملاحق متنوعة . والمقال الذى بين يديك أحد تلك الملاحق . طالع ما كتبناه بشأنه فى مجلة الرسالة (العدد ٣٦٢ ص٩٧٧ — ٩٨٠) وهناك إشارات متفرقة عنه فى : مجلة الثقافة (العدد ٩٨ ، ص ٣٩) ، والمقتطف (٩٨ [مارس ١٩٤١] ص ٢٤١) ، ومجلة غرفة تجارة بغداد (العدد الثالث ، آذار ١٩٤١ ، ص ٢١١) .

وكانت الدَّنِّيَّات تبرز فى أيام مواكب الخلفاء فى بغداد ؛ إذ يحضر صنوف الناس على مراتبهم ورسومهم . قال هلال الصابئ : « وإذا اتفق يوم الموكب حضر حاجب الحجاب بأكمل لباسه : من القباء الأسود المولد ، والعمامة السوداء ، والسيف ، والمنطقة ، وقدامه الحجاب وخلفاؤهم ، وجلس فى الدهليز من وراء الستر ، وحضر الوزير وأمير الجيش ، ومن له رسم فى حضور الموكب ؛ فإذا تكامل الناس راسل الخليفة بذلك ، فإن أراد أن يأذن الإذن العام ، خرج الخادم الحرمى الرسائلى فاستدعى حاجب الحجاب ودخل وحده حتى يقف فى الصحن ، ويقبل الأرض ، ثم يُرسم له إيصال القوم على منازلهم ، فيخرج ويدعو ولى العهد ، إن كان فى الوقت ولى عهد ، وأولاد الخليفة ، إن كان له ولد ، ثم يدخل الوزير ، ويمشى الحجاب بين يديه إلى أن يقرب من السرير ... وأدخل بعده أمير الجيش ... ثم أصحاب الدواوين والكتاب ، وأوصل القواد يقدمهم خلفاء الحجاب على مراتبهم ودعوهم ، ووقفوا يميناً وشمالاً على رسومهم ، ونودى ببنى هاشم ومن يلبس الدنيات ويتقلد الصلوات ، فيقدمون إلى أول البساط ويسلمون ويقفون مفردين[1]

للدَّنية أخبار طريفة كانت فى أكثرها مدعاة للسخرية منها ، والتمثيل بها . فقد روى أبو الفرج الأصفهانى حكاية قال فيها : أخبرنا محمد بن خلف وكيع ، قال : كان الخليجى القاضى واسمه عبد الله [بن محمد] ابن أخت علوية المغنى ، وكان تياهاً صلفاً ، فتقلد فى خلافة الأمين قضاء الشرقية[2] ؛ فكان يجلس إلى اسطوانة من أساطين المسجد ، فيستند إليها بجميع جسده ولا يتحرك ، فإذا تقدم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتى يفصل بينهما ثم يعود لحاله ، فعمد بعض المجان إلى رقعة من الرقاع التى يكتب فيها الدعاوى فألصقها فى موضع دنيته بالدبق وتمكن منها . فلما تقدم إليه الخصوم ، وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل ؛ انكشف رأسه وبقيت الدنية موضعها مصلوبة ملتصقة ، فقام الخليجى مغضباً وعلم أنها حيلة وقعت عليه فغطى رأسه بطيلسانه وقام فانصرف وتركها مكانها حتى جاء بعض أعوانه فأخذها . وقال بعض شعراء ذلك المصر فيه هذه الأبيات :

إن الخليجى من تتايهه	أثقل باد لنا بطلعته
ما إن لذى نخوة مناسبة	بين أخاوينه وقصعتهِ
يصالح الخصم من يخاصمه	خوفاً من الجور فى قضيته
لو لم تدبقه كفٌّ قابضه	لطار منها على رعيته[1]

(البقية فى العدد القادم) — بغداد

ميخائيل عواد

(١) رسوم دار الخلافة ص ١٠٧ ، ١٠٩ المخطوط

(٢) يقصد قضاء الجانب الشرقى من بغداد

(١) الأغانى (١٠ : ١١٧ — ١١٨ ، الساسي — ١٠ : ١٢٣ ، بولاق) ، ومعجم الأدباء (١ : ٣٧٣ — ٣٧٤ طبعة مرجليوث)

إلى المعترضين علينا

الأب أنستاس مارى الكرملى

اعترض علينا فى (الرسالة) ١٠ : ٨٦٩ حضرة الأستاذ اللغوى سعيد الأفغانى وغيره على أن جمع أفعل ومؤنثه فعلاء ، غير مستند إلى نص صريح ! (كذا) كأن قول سيبويه غير موثوق به ! وذلك ، « لأن نص سيبويه قاصر[1] (كذا) ، على أن جمع التكسير لأفعل فعلاً هو فعل العين[2] (كذا) . وما أظن أن كيفية تكسير هذه الصيغة كانت محل خلاف ؛ وليس فيها شاهد على خطإ قولهم : صخور ملساء

« وإنما كان الأب بحاجة إلى نص صريح يستثنى فيه هذه الصيغة من القاعدة العامة ، وهي : أن نص جمع التكسير يكون بالمفرد المؤنث وبالجمع على السواء ؛ فلك أن تقول : أشهر محرمة ، وأشهر محرمات ؛ وأياماً معدودة ، وأياماً معدودات ؛ كما فى القرآن الكريم وغيره . فما الذى يفرد صيغة واحدة بين جميع صيغ النص بحكم خاص ؟ هذا ما يحوج الأب الإبراه[3] عليه . أما استقراؤه الشخصى ، وطلبه من مخالفة الإتيان بشاهد ، فلا يردان حجة ، لأن المقيس لا يلزم له شاهد انتهى ...

قلنا : إننا لا نحتاج إلى نص صريح تستثنى فيه هذه الصيغة لأن قاعدة جمع أفعل فعلاً ، قاعدة قائمة بنفسها ، وليس لها صلة بالقاعدة العامة ، إذ هى قاعدة خاصة بهذا الوزن ، والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الصحيحة الرواية ؛ والمسموع من كلام فصحاء العرب وبلغائهم هى أحسن شاهد ، بل أحسن قاعدة لما نريد أن نثبته ، ولا يهمنا بعد ذلك ضوابط النحاة ، وقواعد الصرفيين ، وآراء اللغويين ، وتحكمات المتأولين ، وأرباب الأحكام العربية ، لأنهم لم يستقروا جميع قواعد اللغة المضرية . وبيدنا شواهد لا تحصى تدل على نقصان ضوابطهم وتتبعاتهم واستقراءاتهم ، وربما ذكرنا شيئاً منها فى فرصة مناسبة [1]

ولهذا لا نعتمد فى أغلب الأحايين على قواعد النحاة ولا على ما يقوله اللغويون ، إلا إذا اتفق كلامهم وما ورد فى الآى القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، وما سمع من كلام فصحاء الأقدمين الصادق النسب إليهم ، فإن لم يتفق ، لا نحفل بكلام الخليل ، ولا بأقوال سيبويه ، ولا بآراء نفطويه ، ولا بنص عفطويه . فلقد رأينا فى الآيات البديعة نعوتاً مختلفة واردة مفردة مؤنثة لموصوفات أو منعوتات مجموعة ، كما قال حضرة أستاذنا الكريم النابه الأفغانى ، ونحن تبعناها فى جميع ما نكتب وكتبنا ... فقد جاء مثلاً فى سورة الحج : « والقاسية قلوبهم » ؛ وفى سورة الإنسان : « ودانيةً ظلالها » ؛ وفى سورة الهمزة : « فى عمد ممددة » ؛ وفى سورة التوبة : « والمؤلفة قلوبهم » ... لكننا لم نر مرة واحدة صفة مفردة مؤنثة لموصوف مجموع جمع مكسر كقول أحدهم : كرَيَاتٌ حمراء ؛ مع أننا وجدنا أمثلة مختلفة وكثيرة لقولهم : أياماً معدودات ، وأياماً معدودة ؛ وأشهر محرمات ، وأشهر محرمة ، ولم يستعمل الوجهان ، مرة هذا ، ومرة هذا ، لا لجواز النطق بهما ؛ فلما ذا لم يأت أمثالها فى الآى الفصيح ، بل جاءت كلها على فُعل ؟ ذلكم — يا سادتى — لأن القول بفعلاء فى مثل هذا الموطن لا يجوز ألبتة ، ولأنه

---

(١) لم نجد فى ما بأيدينا من كتب اللغة وكلام الأقدمين الفصحاء ورود « قاصر » بمعنى « مقصور » ؛ لأن ورود « فاعل » بمعنى « مفعول » سماعى لا قياسى . ولعله من غلط الطبع لا من غلط الكاتب وهو بليغ فصيح فى ما توشيه أنامله اللبقة

(٢) لعله أراد أن يقول بضم الفاء أو بضم الأول فزل به القلم !

(٣) لعله أراد : أحوج الأب إلى الابراه إليه . لحذف ووصل وهو هنا غير مضطر إلى هذا العمل . ثم إن « أبره » ذكره اللغويون لكن معنى الواحد غير معنى الآخر . وقد قالوا : « برهن » مولد بخلاف أبره ؛ لكن الأزهرى وهو اللغوى الفذ استعمل « برهن » المولد فى كلامه ولم يستعمل أبره والسبب واضح ، لأن هذا غير ذاك . قال فى الكليات : « البرهان للحجة والدلالة وبرهن عليه : أقام البرهان — وهو المطلوب هنا — وأبره : أتى بالبرهان والعجائب وغلب الناس » انتهى

---

(١) فقد قالوا مثلا : إن فعالا « كغراب » لم يأت جمعاً إلا فى اثنى عشر حرفاً . وأما نحن فقد جمعنا منها واحداً وأربعين . وقالوا : إن فعولا « كفلوس » جمع فعل المتحرك نادر غير قياسى . وقد جمعنا منها عشرة إلى الآن . وقالوا : لم يرد فعلل كدرهم إلا أربعة أحرف . وقد جمعنا نحن منها إلى الآن أربعة عشر حرفاً إلى غير ذلك من الأقوال غير الصحيحة ، الفاضحة لنا كيداتهم الكثيرة الأوهام ، فلذا لا يمكن أن يعول على آرائهم إلا بعد تمحيصها كل التمحيص وبعد الاجتهاد فيها وإنعام النظر فى تحقيقها .

غلط شنيع فظيع ، تلعنه الإنس والجن ، وملائكة السماء ، وأهل النار جميعاً ! !

وكيف يجوز لك أن تقول : رجال سوداء ، ونساء سمراء ، ونهارات غراء ، وليال سوداء ... ؟ إنى أعد ذلك كفراً وبسلاً ولعنة وتحقيراً للغة الضاد ! !

فى المائة والأربع عشرة سورة ، سبعة وسبعون ألف كلمة ، وتسعمائة وأربع وثلاثون كلمة ، وليس فيها شاهد واحد على ما يدعى هؤلاء المساكين ! وفى تلك السور من لغات القبائل خمسون لغة ، وقد استخرجناها من تفسير الطبرى الكبير ، الواقع فى عشرين مجلداً ، ومن كتاب الإتقان السيوطي ، ودونك أسماء تلك القبائل مرتبة على حروف المعجم :

١ — أزد شنوءة ٢ — أشعر ٣ — أنمار ٤ — أوس ٥ — بَلِيّ ٦ — بنو حنيفة ٧ — بنو[١] العنبر (لا بنو الغُبَّر ، كما وهم أحدهم) ٨ — بنو نَجَاءة ٩ — تغلب ١٠ — تميم ١١ — ثقيف ١٢ — جُذام ١٣ — جُرْهُم ١٤ — حضرموت ١٥ — حمير ١٦ — خثعم ١٧ — خزاعة ١٨ — الخزرج ١٩ — سبأ ٢٠ — سدوس ٢١ — سعد العشيرة ٢٢ — السكاسك ٢٣ — طيِّئ ٢٤ — عامر بن صعصعة ٢٥ — عذرة ٢٦ — العمالقة ٢٧ — عُمان (وزان غراب) ٢٨ — عنز ٢٩ — عنس ٣٠ — غامد ٣١ — الغثاة ٣٢ — غسان ٣٣ — غطفان ٣٤ — الغوث ٣٥ — غيلان ٣٦ — فرسان ٣٧ — قريش ٣٨ — قيس ٣٩ — كنانة ٤٠ — كندة ٤١ — لخم ٤٢ — مدين ٤٣ — مَذْحِج[١] (وزان مجلس) ٤٤ — مُزَيْنَة ٤٥ — النمر ٤٦ — نمير ٤٧ — هُذَيْل ٤٨ — هُوَازِن ٤٩ — اليمامة ٥٠ — اليمن

على أن الحقيقة هى : أن لغات قبائل العرب تنيف على المائة ، لكنى لم أبوبها إلى الآن . ثم قد يكون فى القبيلة الواحدة لغتان ما عدا اللغة الفصحى ، وإذا طالعت فى تاج العروس ما جاء على الأنفحة فى مادة (ن ف ح) تصدق ما نقوله لك .

هذا ما عدا ما ورد فى القرآن من الكلم اليونانية والرومية والفارسية والأرمية (السريانية) ، والحبشية والبربرية ، والعبرية والقبطية . وقد طالعنا (القرآن) مراراً لا تحصى ولم نجد فيه كلمة واحدة تؤيد مدعاهم . وطالعنا (النهاية) لابن الأثير ، وهى فى أربعة مجلدات ، وتحوى أصدق الأحاديث النبوية الصحيحة ولم نجد شاهداً واحداً على ما يفتئتون . وكذلك لم نجد حرفاً واحداً فى شعر الأقدمين ، ولا فى كلام فصحائهم المفوهين ، ولا فى (القاموس) وهو فى أربعة مجلدات ، ولا فى (لسان العرب) وهو فى عشرين مجلداً ، ولا فى (تاج العروس) وهو فى عشرة مجلدات ضخام كبار ، ولا فى (الفائق) للزمخشرى وهو فى مجلدين كبيرين إلى غيرها (كصحاح) الجوهرى و (الكليات) لأبى البقاء و (ديوان الأدب) للفارابى ، وقد خططنا بالحمرة تحت كل كلمة ، علامة على أنا طالعنا تلك المصنفات حرفاً حرفاً وبكل تدبر وترو ، وذلك للمرة الثالثة أو الرابعة على كل تقدير ، ومن يشك يراجعنا فى هذا الأمر .

فإذا كان النحاة والصرفيون لم ينتبهوا إلى هذه الحقيقة الناصعة البيان ، أفهذا ذنبنا يا سادتى الكرام ؟

ثم إن أكبر نحاتهم غلط أغلاطاً كثيرة ، كبيرة ، قميرة تكاد تكون جريرة ، أريد بهذا الإمام سيبويه . فقد ألف (الكتاب) فنقده أبو بكر الزبيدى فى (كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيه مهذباً) وعنى بطبعه المستشرق الإيطالى إغناطيوس جويدى ، وطبعه فى رومة سنة ١٨٩٠ م

وقد وجدنا نحن أغلاطاً كثيرة للخليل بن أحمد الفراهيدى

(١) ضبطت (مذحج) كمجلس فى جميع كتب التاريخ والانساب واللغة ، أى بفتح الميم وإسكان الذال المعجمة وكسر الحاء وفى الآخر جيم . لكنا وجدنا في مجلة المجمع العلمى العربي التى تنشر فى دمشق فى سنتها ١٧ : ٣٨٦ مضبوطة بضم الأول فشككنا فى صحة ضبطها ولما رجعنا إلى تاج العروس ، ألفيناه يقول فى (ذ ح ج) : « ومذحج كمجلس ، وهو الذى جزم به أئمة اللغة الأنساب ، وشند ابن خلكان فى الوفيات ، فضبطه بضم الميم » انتهي . وقد راجعنا هذا الكتاب النفيس فى نسخ عدة ، فلم نجد الزبيدى صادقاً فى كلامه على ابن خلكان ، فالنسخة البولاقية تذكره بالفتح ، وكذلك نسخة باريس ونسخة إيران . وعندنا من نسخ هذا الكتاب الخطية ثلاث : الواحدة منهن مسوده المؤلف نفسية ، وهى مضبوطة هنالك بالفتح ، ونسخة قديمة حسنة الخط ، وهى بالفتح أيضاً ونسخة قديمة ثانية وهى أيضاً مضبوطة بالفتح . فما معنى هذا الافتئات على المؤلف رحمه الله ؟ فهذا ما لم نفهمه ! فضم الميم خطأ ولم يذكره أحد . وأما الصحيح فهو بفتحها لا غير .

(١) من يقل (بنى الغبر) فى (بنى العنبر) فانه يسود وجه التاريخ ويقلبه رأساً على عقب .

أستاذ سيبويه ، وليس الآن محل ذكرها هنا . ومثل ذلك قل على عدد جمٍّ من القدامى . أما لغة القرآن والأحاديث الصحيحة والمسموع من كلام بلغاء العرب كالوارد فى البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان ، وكلاهما للجاحظ ، وكالوارد فى الكامل للمبرد ، وكالمذكور فى الأغانى ، وما كان من هذا القبيل فهو كالإبريز النقى الذى لا عيب فيه

فكيف نصدق بعد هذا أقوال هؤلاء الأئمة ومن اتبعهم من غير أن تحقق أقوالهم ويبحث عما فيها من الوهن والفهاهة ؟ فهل أوتوا التنزيل من السماء حتى لا يجسر أحد على تخطئتهم ، أو التعقيب عليهم ، أو الاستدراك عليهم ؟ وهل أوصد باب الاجتهاد فى لغة الضاد ، كما أوصد بعضهم باب الاجتهاد فى الدين ؟ — إن الله مع الصابرين !

شروط جمع أفعل فعلاء على فعل

لهذا الجمع القائم بنفسه ستة شروط وهى :

(الأول) أن يدل على (لون) ويكون (نعتاً) صرفاً لا منقولاً إلى الاسمية أو الوصفية ، ولهذا يجمع أسود على أساود للحية الكبيرة فيها سواد ، وأجدل على أجادل للصقر ، وأدهم على أداهم للقيد ، إلى نظائرها . ومن النعوت الدالة على لون أو شِيَة وهى على فُعْل ما جاء فى سورة المرسلات : « كأنه جمالة صُفْر » . وفى سورة طه : « ويوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً » . وفى سورة فاطر : « ومن الجبال جدد بيضٌ وحمرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود » . وفى سورة الكهف : « ويلبسون ثياباً خضراً من سندس » . وفى سورة الإنسان : « عاليهم ثياب سُنْدس خُضْرٌ » . إلى غيرها وهى كثيرة . ومما سمع عن فصحاء العرب قولهم : حُدُلٌ ككتب جمعاً لأحدل وحدلاء . قالوا : هـذا شاذ لأن أفعل وفعلاء من الألوان والعيوب والشيات يجمعان على فُعْل بالضم والسكون . إنما ثقّل بعضهم طائفة من الألفاظ من هذا القبيل على لغة لبعض قبائلهم ، فإنهم يثقلون ما هو مخفف من باب الشاذ ، ولا تقس عليه إذ لا يحق لك أن تفعله

(الثانى) أن يدل على (عيب) إلَمْ يدل على (لون) كما فى سورة البقرة « صم بكم عمى فهم لا يرجعون »

(الثالث) أن يدل على (حلية أو زينة) إلَّم يدل على عيب أو لون . كقولك : رجل أهيف ، وامرأة هيفاء ، ونساء هيف ورجال هيف ، ورجل أحور ، وامرأة حوراء ، وقوم حُوْر ، ونساء حور . ومنه فى سورة الرحمان : « حور مقصورات فى الخيام » . وفى سورة الطور : « وزوجناهم بحور عين »

(الرابع) أن يكون للنعت المذكر نعت مؤنث يقابله ومن لفظه ، وبالعكس ، فإن لم يكن كذلك ، لم يجُز تكسيره على فُعْل ، بل على وزن آخر سمع عنهم . تقول فى جمع حسناء : حسان لأنه ليس لها مذكر من لفظها على وزن أفعل . ومنه فى سورة الرحمن : « فيهن خيرات حسان » . وفيها أيضاً : « متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان »

وتقول فى جمع الصقلاء ، وهى المهضمة الخصر الصقال للسبب المذكور . وقالوا : أعوام عُوَّم ، كسكر ، ومفردها عام أعوم ولم يقولوا سنة عوماء . قال القجاج :

من مرِّ أعوام السنين العوَّم

(الخامس) إذا أشير إلى الجمع المكسر بضمير مفرد مؤنث لكونه لغير العاقل ، أو جاور (فعلاء) وصف مفرد مؤنث يصح أن يكون للمفرد وللجمع على السواء ، فأنت مخير فى أن تنعته بفعل أو بفعلاء ، وإذا كان اللفظ فى الشعر والوزن يقتضى (فعلاء) فلا تخف من أن تزن اللفظ هذا الوزن . وكذلك يقال على الجمع المكسر لغير العاقل ، فيصاغ نعته على (فعلاء) إذا كانت هيئة ذلك الاسم المجموع بهيئة نعت مفرد مؤنث تقول : قنا خطية ملد ، وقنا خطية ملداء ، لأنك نصف تلك القنا بأنها (خطية) وبأن هذه (الخطية) ملد ، أو ملداء .

وما عدا ذلك لا يجوز لك أن تنعت الاسم المكسر بنعت مفرد مؤنث ، ولا سيما إذا كان الاسم المنعوت مجموعاً جمعاً مؤنثاً سالماً ، فلا تقول قط كريات بيضاء .

« يتبع » الاب أنستاس مارى الكرملى

أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

بغداد فى ٢٦ / ٩ / ١٩٤٢

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٢ فى القضية رقم ١٧٠٧ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد سالم على المغربى س ٢٥ بقال عزبة عبد الله عمر تبع قافلة مركز أبى حمص بالغرامة ٥٠ جنيه والمصادرة والغلق والتعليق على باب محله والنشر على مصاريفه لبيعه سكراً وشايا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

٤٢ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

الأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر — الاضافة

إن الضيافة فضيلة فى الشرقيين تثير الإعجاب الحق للغاية . ويستحق المصريون من أجلها كل ثناء . ويطلق عادة على الزائر أو الضيف فى مصر كلمة « مسافر » . وقل فى مصر من يفكر فى تناول طعامه وفى بيته غريب دون أن يدعوه إلى مؤاكلته إلا إذا كان المدعو من طبقة دنيا فيدعى إلى مائدة الخدم . ويعتبر امتناع المسلم عن الأمر بإعداد المائدة فى الوقت المعتاد لأن زائراً دخل عرضاً ، مخالفة فاضحة للآداب . ويتناول أفراد الطبقة الوسطى عشاءهم أحياناً أمام أبواب دارهم عند ما يعيشون منفردين ، فيدعون كل عابر جليل الهيئة ليأكل معهم . ويفعل هذا عادة أفراد الطبقة الدنيا . والاستضافة فى المدن نادرة لأن فيها وكالات أو خانات يستطيع الغرباء المبيت فيها . كما أن الحصول على الطعام فيها أمر هين . أما فى القرى فكثيراً ما يضيف المسافرين شيخ القرية أو غيره من السكان ؛ وفى العادة أن يقدم الضيف من الطبقتين العليا والوسطى عطية إلى خدم المضيف أو إلى المضيف نفسه . ولكن يندر أن تقبل عطية الضيف فى البادية . وللمسافر أن يستقرى ، بموجب السنة ، من يستطيع أن يقريه ثلاثة أيام . وتقدم لنا التوراة فى قصة إبراهيم وإضافته الملائكة الثلاثة صورة كاملة للطريقة التى يستقبل بها الشيخ البدوى الآن الوافدين على مخيمه . فهو يأمر زوجه أو نساءه بعمل الخبز فى الحال ، ثم يذبح نعجة أو غيرها ويطهيها على عجل ، ثم يحضر لبناً أو أى طعام آخر مهيأ فيقدمهما لضيوفه مع الخبز واللحم الذى أعده . ويقف البدوى بين أيدى عظماء الضيوف أثناء تناولهم الطعام كما فعل إبرهيم فى القصة المشار إليها . ويكاد أغلب البدو يؤثرون الضيم على أن يرضوا بالإساءة إلى ضيوفهم مدة الضيافة

كان من المعتاد أن ترى فى القاهرة طوائف من « الطفيليين » الذين يستفيدون من ضيافة مواطنيهم ، فيعيشون على التطفل . إلا أن هذه الطائفة نقص عددها أخيراً . وكان من المؤكد تقريباً أن يوجد بعض هؤلاء الأبطال حيث تولم ولمية ، ولا يمكن التخلص منهم إلا بنفحة من النقود . وهم يتجولون أيضاً فى البلاد دون أن يملكوا فلساً واحداً ، فيتطفلون على المنازل الخاصة كلما احتاجوا إلى طعام ، ويسعون إلى ذلك بمختلف الحيل . وحُكى لى أن طفيليين عزما على الذهاب إلى مولد السيد البدوى فى طنطا ، وهى على مسيرة يومين ونصف يوم من القاهرة سفراً هيناً ، فسار الطفيليان الهوينى حتى بلغا قليوب فى نهاية اليوم الأول وتحيرا فى الحصول على عشاء ، فذهب أحدهما إلى القاضى . وبعد أن حيَّاه قال : يا مولانا القاضى ... أنا فى طريقى من الشرقية إلى مصر ، ومعى رفيق فى ذمته لى خمسون كيساً يحملها معه ويرفض أن يعطينى إياها ، وأنا فى حاجة إليها الآن . فقال القاضى : أين رفيقك ؟ فأجاب المدعى : هنا فى هذه المدينة . فأرسل القاضى من يحضر المتهم ، وأمر فى أثناء ذلك بإعداد عشاء طيب ، إذ كان يتوقع رسماً كبيراً فى قضية كهذه ، وهذا ما كان يفعله قضاة الأرياف فى مثل هذه الظروف . ودعا القاضى الخصمين إلى العشاء والمبيت قبل النظر فى القضية . ونُظرت الدعوى فى الصباح ، فسلم المتهم بوجود الخمسين كيساً معه وقال : إنه مستعد لردها لأنها تتعبه ، فهى ليست غير أكياس الورق التى يباع فيها البن ؛ ثم

قال : نحن طفيليان . فطردهما القاضى غاضباً

إن اعتدال المصريين فى الطعام والشراب مثالى . فقلما رأيت منذ قدومى الأول مصرياً فى حالة سكر ما لم يكن عازفاً فى سامر أو راقصة أو عاهرة من السفلة . ويبدى المصريون احتراماً عظيما للخبز باعتباره سند الحياة[1] . ولا يجيزون ألبتة التبذير فى أصغر قطعة منه إذا استطاعوا تجنب ذلك . وكثيراً ما لاحظت بعضهم يرفع قطعة الخبز إذا سقطت عرضاً فى الطريق إلى فمه وجبهته ثلاث مرات ، ويفضلون وضعها على جنب لكى يأكلها كلب على أن يدوسها المارة . وقد روى لى كثيرون الحادث التالى الذى يدل على احترام المصريين للخبز إلى حد غير معقول ؛ ولكن ينبغى القول أن هذه الرواية يصعب تصديقها : كان خادمان يتناولان طعامهما جالسين لدى باب سيدهما عند ما أبصرا مملوكا يتجه نحوهما راكباً فى جمع من رجاله . فقام أحد الخادمين احتراماً للقادم العظيم ؛ فصاح القادم غاضباً : أيهما أحق بالاحترام : الخبز أم أنا ؟ ثم أشار بيده إلى المذنب إشارة معلومة دون أن ينتظر منه جواباً ، فضرب عنقه فى الحال

يراعى المسلمون المصريون من الطبقتين العليا والوسطى النظافة بدقة . وتعتبر الطبقة الدنيا فى مصر أكثر اعتناء بالنظافة من غيرها فى أغلب البلدان الأخرى . ولعل المسلمين ما كانوا يهتمون بالنظافة إلى هذه الدرجة لو لم يأمر بها الدين . ويبدو مما سبق ذكره فى الفصل الثانى من هذا الكتاب أن الواجب ألا نحكم على المسلمين ، نظراً لنظافتهم ، من تركهم أطفالهم فى حالة قذرة . ولاشك أن الوضوء أمر حكيم ؛ فالصحة لا تكون فى البلاد الحارة إلا بالنظافة . ويحرص المصريون حرصاً خاصاً على تجنب كل ما قرر الدين قذارته ونجاسته ؛ فيمتنع المسلمون عن شرب النبيذ لعدة أسباب أحدها أنه نجس . وأعتقد أنه يندر حمل مسلم على تناول قطعة من لحم الخنزير . وقد تحدثت مرة مع مسلم فى موضوع الخنزير فقال إن الفرنج شعب يفترى الناس عليه كثيراً ؛ فلا شك أن المعروف عنهم أنهم يأكلون الخنزير ، ولكن بعض المفترين هنا يؤكدون أنهم لا يأكلون لحم هذا الحيوان النجس فحسب ، بل يأكلون جلده وأحشاءه والدم ذاته أيضاً . فلما اعترفت له بصدق التهمة انفجر يلعن الكفار ويدعو عليهم بالدرك الأسفل من النار

يدين أكثر القصابين الذين يبيعون اللحم إلى أهل القاهرة المسلمين باليهودية . وقد اشتكى منذ سنوات مضت أحد العلماء الكبار إلى الباشا من هذا الأمر والتمس وقفه . وسمع بذلك عالم آخر فتبعه وألح أمام الباشا فى أن هذا العمل لا يخالف الشرع . فقال المشتكى : قدم دليلك . فأجاب الآخر : دليلى قوله تعالى : « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه » . فاستدعى حينئذ رئيس القصابين اليهود وسأله هل يقول شيئاً قبل ذبح الحيوان ؟ فأجاب : نعم . نحن نقول دائماً مثل المسلمين : باسم الله الله أكبر . ولا نذبح الحيوان إلا بحز نحره . فصرف المشتكى حينئذ

ذهب رجل منذ أيام قليلة إلى خباز ليشترى فطيرة ، فرآه يسحب من الفرن طبقاً به لحم خنزير كان يشويه لأفرنجى ، فاستدعى الرجل فى الحال شرطياً من أقرب قسم لأنه يعتقد أن من الممكن أن تكون الأشياء الأخرى لامست اللحم النجس فتلوثت . وألزم الشرطى قيادة الخباز إلى الضابط . فلم يجزع الخباز واحتج بجهله أن اللحم كان خنزيراً . واعتبر الضابط الحادث مهما يستدعى رفعه إلى ديوان الباشا . فرأى رئيس الديوان أن الأمر خطير يصعب الحكم فيه فأرسل المتهم إلى المحكمة . فاستفتى القاضى المفتى فأفتى أن كل طعام لا يكون نجساً فى أصله تطهره النار مما يلوثه . فيعتبر طاهراً أى طعام وجد فى الفرن ولو لامس الخنزير .

واستقدم الباشا من أوربا منذ مدة قصيرة لديوان حريمه طقماً من الحشايا والوسائد حشيت بشعر الخيل . ففتحت السيدات

(١) ويطلقون على الخبز لفظ « عيش » ومعناه الحياة

إحدى الوسائد ليتحققن من المادة التي تجعلها وثيرة على هذا الشكل اللطيف . فلما رأينها من شعر الكلاب تقززن أشد التقزز وأصررن على طرح الديوان بأكمله

واستخدم الباشا منذ سنوات قليلة رجلاً فرنسياً لتكرير السكر . فاستعمل هذا الأخير الدم لهذا الغرض . ومنذ ذلك اليوم قل من يجرؤ من المصريين على استهلاك السكر الذي يصنعه هذا الأفرنجي . فاضطر الباشا إلى تحريم استعمال الدم في مصانعه واستبدل به زلال البيض . وقد رأى بعض المصريين أن السكر الأوربي يفضل السكر المصرى فاستعملوا الأول على اعتبار أن ما كان طاهراً فى الأصل يمكن أن يطهر مرة أخرى بعد تلوثه . ولكنى مضطر إلى استعمال السكر المصرى غير المكرر فى عمل الشراب لضيوفى إذ أن البعض يناقشنى طويلاً فى هذا الموضوع .

جرت العادة أن يصب المصريون على ملابسهم بعد غسلها ماء نقياً ناطقين بالشهادتين [1] . وقد ذكرت عند الكلام على الدين عادات أخرى فى النظافة يراعى المصريون أغلبها . ولكن المصريين بالرغم من هذه العادات والمبادئ فى الطهارة وتعودهم الاستحمام لا يغيرون ملابسهم الداخلية كثيراً بقدر ما تفعل بعض الشعوب التى تعيش فى أقصى الشمال والتى لا تحتاج إلى ذلك كثيراً ، ويذهب المصريون إلى الحمام مراراً فى ملابس قذرة يلبسونها بعينها ثانية بعد استحمام تام .

(يتبع) عدلي طاهر نور

(١) ويعبرون عن ذلك بقولهم : إن فلاناً « شاهد الحوايج » بدلا من « غسل الحوايج وتشهد عليها »

قصيدة مصر الجديدة

[مهداة إلى نادى الخريجين فى السودان ،
وإلى جميع أصدقاء « الرسالة » هناك]

للدكتور زكى مبارك

[حدثت الأستاذ الزيات أنى سأنشر قصيدة أتحدى بها جميع الشعراء ، وأقول إن هذا الزهو لم يخطر فى البال وأنا أنظم هذا القصيد ، فقد أوحته روحانية لا تسيطر على النفس إلا فى أندر الأحايين ، فجاء كما يراه أقباساً من الأشواق العواصف بالقلب والوجدان

وفتنة الشاعر بشعره مرض عرفته جميع الأجيال ، فليس من الغريب أن أقول إنى مفتون بهذا القصيد ، وأن أزعم أنى قبسته من جمر الوجود

أنا أكره أن تبيت قلوب وعيون بلا قرار ولا منام ، فكيف جاز أن أزلزل قلوباً وأورق عيوناً بهذا القصيد ؟

كان ذلك لأنى أريد أن يعرف أبناء هـذا الجيل حقوق الشعر البليغ ، وأن يفهم قوم أن الكاتب الذى يعرفون هو الشاعر الذى يجهلون ، إن كان فيهم من لم يقرأ قصيدة الأسكندرية أو قصيدة بغداد]

تناسيتُكم عمداً كأني سلوتكم   وبعض التناسى العمد من صور الود

إذا اشتدَّ إظلام العقوق تبلجتْ   مآثرُ تذكى نارِ معروفكم عندى

أَمِثلِىَ يَنسى ؟ آهِ مما اجترحتمُ   على الهائم الحيران فى حَومْة الوِردِ

أأنْ خِفتُ عذّالى فأخفيت لوعتى   تظنوننى صبًّا أفاق من الوجدِ ؟

غرامى بكم لم يُبق قلباً بلا جوًى   وحبى لكم لم يُبق عيناً بلا سُهدِ

خلعتُ عليكم من هيامي وصَبوتى   غلائلَ لم تُخلع على ساكنى الخلد

مضى ما مضى ، هل يرجعُ الدهرُ ما مضى ؟
وهل تتقون الحبَّ أو سالف العهدِ ؟

معاهد فى « مصرَ الجديدة » أصبحتْ
رسوماً من الأشجان أحرسها وحدى

أنسرى معاً فيها كما كان عهدنا
وعهدُ الهوى أشهى مَذاقاً من الشهد ؟

أنقرأها حرفاً فحرفاً كأنها   رسائلُ من ليلى المريضة أو هند ؟

تعالَوا نُعدْ ليلاتِها الغُرَّ حِسبةً   لحبٍّ قبضتمْ روحه وهو فى المهد

تعالوْا تعالوْا قبل أن يُمسى َالهوى   تواريخَ لا تُغنى المحبَّ ولا تُجدى

تعالوْا ... فلن ألقَى سَناً مثلَ نورِكم
ولن تستطيبوا جَنةَ الحبِّ من بَعدى !

تعالوْا ... ففى « مصرَ الجديدةِ » ما بها
من النَّرجس النعسان والفُلِّ والوردِ ...

مَثابةُ أحلامى ومهوَى مآربى   ومَنسكُ روحى فى الملامة والحمد

إذا جُلت فيها جولةَ الفتكِ أسلمت   مفاتحها فيما تُسرُّ وما تُبدى

وإن غبت عنها بعضَ ليلٍ تلفتتْ   تُسائل عن سرِّ القطيعة والصد

شوارعها عند الأصيل مَشارعٌ   لكلِّ محبٌّ من حبيبٍ على وعدِ

وأنفاسها بالليل كالمسكِ نفحةً   وظلماؤها كالخال فى صفحة الخد

فلا تذكروا نجداً أو الخيفَ بعدها   تسامتْ مغانيها عن الخيف أو نجد

ولا تطلبوا نِدًّا لها فى جمالها   فما لجمال الشمس فى الكون من ندٍّ

أباريسُ أو برلينُ تحوِى فُتُونها
إذا ازدهرتْ بالحسن كالكوكب السَّعدِ ؟

أفى لَنْدَنٍ شِبهٌ لها فى صِيالها   إذا صفّتِ الأرواح جنداً إلى جند ؟

تجمَّعَ فيها الحسن من كلِّ أمةٍ
كبغدادَ بين العُرب والفُرس والكُرد

ورفّتْ بها الأنفاس شتَّى غرائباً   من الورد والريحان والضال والرَّند

هديرُ الأماني فى الفؤاد هديرُها
إذا جدَّ جِدُّ « السَّبق » بالركض والشَّد(١)

وروّادها فى الصبح والعصر زادُهم   إذا ما استضافوها فنونٌ من الوجد

تَشابهَ فيها الليل والصبح فاعجبوا   لصحراء أضحت وهى من جنة الخلد

يجسَّد نور البدر فيها مُفضَّضاً   فتحسبه درًّا يُساقطُ من عِقد

بكل مكانٍ أو بكل ثَنيَّةٍ   بأرجائها سحرٌ يُثار بلا عمد

وما بدرها بدر السموات وحدَه   ففيها بُدورٌ قد تجلُّ عن العدِّ

خذوا وصفها عنى فلى فى ضميرها   مكان الضريم الحر يكتنُّ فى الزَّند

ولا عيبَ فيها غير أنَّ نسيمها   يزيد سعيرَ القلب وقداً إلى وقد

يُجِدُّ شعورى بالوجود فأغتدى   أحدَّ سماعاً من قُوَى آلة الرَّصد

أسجل فيها ما أشاء من المنى   ومن خطرات الروح للشاعر الغِردْ

وأنقل عنها فى ضُحاها ونجرها   أفانين أشتاتاً من الهزل والجِدِّ

إذا اجتمع السُّمار فيها رأيتهمْ   ملائك توصِى بالوثيق من العَقد

وإن طَرِبوا ليلاً وللقلب حقهُ   حسبتهم جنًّا أُقيلوا من القِدِّ

هُيامي بها لم يُبق للعقل من شدًى   بلا لأنه فى غمرة الوجد أستهدى

مدينةُ من هذى ؟ مدينةُ ساحرٍ   يرى طِيبها النفّاح أذكى من النَّد

مدينة من هذِى ؟ مدينة ناسك   يُسر من الإيمان أضعاف ما يبدى

---

(١) لمواسم السباق فى « مصر الجديدة » شهرة لا تحتاج إلى بيان

أرى الله فى مصرَ الجديدة كلما ... رأيت بها الأزهار تنظم فى عقد (١)
أرى الله فيها ما أردتُ ومن يعش ... كعيشى بها يقرُب من الصمد الفرد
حُلوليةٌ تُدار قلبى وخاطرى ... فيحيا بها عقلى ويقوى بها عَقدى
أكان الحلوليون يرأونَ ما أرى ... من الحسن فى قرب من الله أو بعد ؟
أمرَّ زمان فيه «مصرٌ جديدةٌ» ... بها فارس يأوى إلى فرس نهدِ
أُحبُّك يا مصر الجديدة فاسمعى ... نشيدى ولا تصغى إلى شاعر بعدى

تعالوا تروا قلبى على ما عهدتمُ ... وفاءً إلى غدر وصفحاً إلى حقدِ
أنا العيلم العجّاج بالرفق والأذى ... أضل أحبائى إذا شئت أو أهدى
بقايا من الرُّوح المَريد تعودنى ... فأرتدُّ صبًّا جائر الرأى والقصد
أُحبكمُ ؟ ما ذا أقول ؟ لقد صحا ... فؤادى وأبصرتُ الطريق إلى الرُّشد
عواطف جالت فى ضلال كأنها ... بوارق فى جُنح من الليل مسودّ
عشقتكم ؟ قد كان ذلك وانطوت ... صحائف خطتها يد العبث المردى
فلا تذكروا عهدى بسخطٍ ولا رضاً ... تناسيت أو أُنسيت ما كان من عهدى

أضاليل أُزجيها لنفسى عُلالةً ... عسانىَ أُطفى ما تضرّم من وجدى
وكيف التناسى كيف ؟ ما أكذبَ المنى ... إذا حدثتنى بالخلاص من القيد
أُحبُّكم حبًّا أحرَّ من الوغى ... تؤجج فى سهل إلى الموت ممتد
أُحبُّكم طوعاً وكرهاً وإننى ... لأخشى الذى تخشون من ذلك الإد
برغم الذى ألقاه من جور حكمكم ... ألوذ بكم عند الخصام وأستعدى
ملاعب من لهو أثيم تمرَّدت ... فأمست كأقسى ما يكون من الجد
أرونىَ باباً للنجاة أروده ... فقد ضقت ذرعاً بالضلالة فى الرَّوْد
وكيف نجاتى كيف؟ هيهات فالذى ... سقيتم به روحى سيسرع فى هدّى
دعانى الهوى ماذا أراد بىَ الهوى ... لقد حدّ من عزمى وقد فل من حدى
إذا رُمت أسباب المتاب تعرضت ... نسائم رياكم فأقلعت عن هَوْدى
أأنتم نسيتم كيف كنا ولم ندَع ... مآربَ من قبل تُراد ولا بعد ؟
غرامى بكم كان الغرامَ ومحنتى ... بكم صيرتنى فى الأسى أمّةً وحدى
سلوا الليل فى مصرَ الجديدة هل رأى ... على عهده بالحب أصدق من عهدى
وهل أبصر البدر المنير بأرضها ... أصحّ أديماً من ضلالى ومن رشدى
وهل عرفت ظلماؤها فى سهوبها ... أحبَّ إليها من هيامى ومن سهدى

لقد كنت ألقاها وللشمس مَيلةٌ ... إلى الغرب تستهدى النعاس وتستجدى
فأملأها وحياً وشعراً وصَبوةً ... إلى أن تفيق الشمس من نومة الخود
أتلك ليالٍ لا تعود ولم أزل ... بحمد الهوى فى صولة الأسد الورد
جهلتم إذا كنتم تظنون مهجتى ... ستجنحُ يوماً للسلام وللبَرْد
هوايَ هو الجمر الذى تعرفونه ... وللجمر سلطان على الحجر الصلد
سأرزأكم بالهجر والصد فارقبوا ... بلايا تُغاديكم من الهجر والصد
أكان غرامى غرّكم فظننتمُ ... بأن ليس للاسراف فى الحب من حد
هو القول ما قلتم فإن صبابتى ... ستبلغ ما لا يبلغ الجمر من وقد
سنون تقضت فى اضطرام وحبنا ... يصاول بالعذل المحمل بالنَّأد (١)
فهل أفلحَ العذّال يوماً وفيهمُ ... وفيون يؤذيهم خبالىَ فى مهدى
مساويكم تبدو لقلبى محاسناً ... فواتنَ تُجزَى بالثناء وبالحمد
فمن أىّ وادٍ للفتون تفجّرت ... ينابيع هذا الحسن مرهوبة الورد
أمرٌ بها ظمآن والجوُّ قائظٌ ... فأسمع همساً من وعيد ومن وعد
تلوّح بالإشفاق عينٌ مريبةٌ ... لها ما لهذا الدهر من خاتل الكيد
وهل يعرف الحيران ضل طريقه ... بنحس رمى التلويح بالرفق أم سعد
أرى بيتكم منى قريباً وتارة ... أراه وأدنى منه أبنية السند
على قدر ما نلقى من الوصل والجفا ... يقدر ما نلقى من القرب والبعد
أذلك بيت أم كناس يهابه ... ويرهب غزلاناً به أفتك الأسد
فأيان أيانَ السلامة منكمُ ... وليس لطغيان الملاحة من صد
أعوذ برب الجن منكم وإننى ... لأعلم أن لا عوذ من سَورة الوجد
شقى وكفى أنى محبٌّ محمَّدٌ ... يساق إليه الإفك فى صورة النقد
قضى حبكم أن أجرع اللوم طائعاً ... وأن أحسب الهيام فناً من المجد
إذا صرت فى غى الهوى ورشاده ... إماماً فقد تمت أياديكم عندى

أجيبوا: أكان الحب حلماً تبددت ... أشعته عند الإفاق من الرَّقدِ ؟
أكان صفاكم لمحةَ جاد بارقٌ ... بلألائها فى الليل يُفجع بالرعد؟
سأنساكمُ يوماً وللقلب رجعة ... على جهله للراجحات من الجِد
سأنسى هُيامى ثم أنسى غوايتى ... وكلٌّ ضرام فى الغرام إلى خمد
أجيبوا فلى رأىٌ يقرُّ إلى مدًى ... قرار الجراز العضب فى سُدف الغمد
أأنتم رضيتم أن تصير حياتُنا ... أفانينَ من نسك يكفنُ فى زهد ؟
لكم ما أردتم، فاذهبوا ثم اذهبوا ... إلى الوهد من وادى الخمود أو النجد
ولى ما أراد الحبُّ والحبُّ حاكمٌ ... نرى جوْرَه فينا أبرَّ من القصد

(١) إشارة إلى قول بعض الصوفية بالحلول

(١) النأد : الحسد

بلادةُ أقوام تُعَدُّ رزانةً بكل زمانٍ عن هدَى الحب مرتدّ
جمال التماثيل الحسان جمالكم وليس لغادات التماثيل من رفد
فحتامَ حتامَ الوفاء لصبوةٍ رددتم إليها سؤلها أقبح الردّ

أحبایَ ضاقت بی بلادی وآدَنی
زمانی فأولانی من الكرب ما يُردی
إذا قلتِ أيام الشقاء إلى مدًى تعاقبنَ بالأنواء والبرق والرعد
وإن ظمئتْ روحی إلى الصفو صدّنی عن الصفو أقوامٌ جبلنَ على الحقد
ثلاثون عاماً أو تزيد قضيتها جواداً يبذل الروح للوطن الفرد
فما نلت حظا من جداه سوى الذی يَمنُّ به أهل الوشاية والكيد
أمن أجل هذا عشت ما عشت صابراً على وثبات العزم فی الزمن الجعد ؟
بلادی بلادی، أنت ما أنت ؟ إننی أُجرَّع فيك الصاب ينعت بالشهد
أأنت بلادی أنت ؟ صدّقت ، فاصدُقی
وعودك يوماً للفتى الصادق الوعد
تسابقنی فيك الأمانی خوادعاً كواذب لا تورى بحل ولا عقد
أُساهر فی ليلی كتابی ولا أرى لنفسیَ حظ الساهرين على النرد
فماذا دها الدنيا وما ذا أصابها أسفّت فأمست وهی فی خسة القرد
إلى مَن أسوق الشكوَ والدهرُ ما أرى
تمائلَ فيه شامخ القُور بالوهد
إلى الوطن الجانی شكوت كما شكا لديغٌ إلى الصم المؤرَّقة الرُّبد
أمثلیَ يؤذَى بالعقوق ولم يكن
له غير حفظ العهد فی الحب من وكد ؟
بلادی ، وما هانت علیّ مواطن أبی كان منها فی الذؤابة أو جدی
أيشقى الثرى بالماء حتى يعودَه أطباء علامون بالجزر والمدّ
وأظمأ وحدی فيك والنيل ثائرٌ يروز الجسور الشمَّ بالمزق والقدّ
بلادی ، أمن جرم جنيت تحولت حياتی إلى وجه من العيش مرمدّ
لئن كان لی ذنب فذاك تولُّهی
بشرح الذی زُوِّدت فی الدهر من مجد
ستمضی الليالی ثم تمضی ولا يرى
جمالك أقوى من غرامی ولا وجدی
بلادی ، أكان الحب نوراً تطاولت
عليه غيوم من عقوق ومن جحد
توحدت مقهوراً فما لیَ إخوةٌ ولا صحبة يقوى برفقتهم زندی
توحدت لا خِلٌّ أبثُّ شكايتی إليه ولا حِبٌّ يؤرقه سهدی
إذا آدنی الدهر اللئيم بجفوة تحوَّل أهلوه إلى عصبة لُدٍّ
توحدت ؟ لا ، فالأسد يؤنسها الأسی
بوحشتها فی ظلمة الكثُب الجُرْدِ
ليصنع زمانی ما أراد فلن يرى سوى ساعد يلقاه بالبأس مستدّ
بنانی الذی يبنی الجبال شواهقاً وليس لحصنٍ شاده الله من هَدّ
فما بال أقوامٍ تهاوتْ حلومهم يعادون بَنّاء الجبال بلا عِند[1]
يعدُّون أجناداً لحربی بواسلاً وقد جهلوا أنی سألقاهمُ وحدی
إذا اعتز بالله القدير مجاهدٌ أذل ألوف الظالمين من الجند

أحبایَ فی « مصر الجديدة » ما الذی
دعاكم إلى تكدير دَيّاكم الوِرد
به جاد دهرٌ لا يجود فكنتمُ أضنّ من الدهر المبخل بالرِّفد
سقاكم فروّاكم غرامی ولم أجد
على عثرات الدهر والوجد من يُعدی
تمرُّ ليالٍ أو أسابيع لا أرى على شغفی إلا مواعيدَ لا تُجدی
عذرت أحبایَ الذين تصدُّهم فيافٍ سحيقاتٌ عن البر بالوعد
عذرت الأُلى بالكرْخ شطت ديارهم
فليس لهم عن عصمة الصبر من بُدّ
فما صبركم أنتم وبينی وبينكم خطًى هيناتٌ قد يقدَّرن بالعد
إذا صلصل الهتّاف أصبحت عندكم وإن وسوس الهتاف أمسيتم عندی
بخمسة أرقام تدار أراكم وتراوننی ، أهونْ بذلك من جهد
تعالوْا، ولا تُصغوا لأقوال ناصح يسوق الكلام الحرَّ عن خاطرٍ عبد
نصيحةُ بعض الناس غشٌّ مقنَّع
وإشفاق بعض الناس ضرب من الحقد
عرفت زمانی فی بنيه ومن يُقمْ بعسبعةٍ يسبِقْ فلاسفة الهند
أنسمع لغو الحاقدين ولا نعی هدير حُمَيّا الحسن ينصح بالوَجد؟
هو الحسن فليأمر بما شاء ولتكن مشيئته ، إنّا له أطوع الجند
سمعنا، ومن يهتف به الحسن يستمع ألا إنَّ همس الحسن لحنٌ من الخلد
تعالوْا فأوقات الصفاء ذواهبٌ وليس لوقتٍ قد أضعناه من ردّ
تعالوْا سراعاً ، لا تقولوا : إلى غدٍ غدٌ عند صدق الشوق دهر من البعد
وإلا ففی « مصر الجديدة » أنجمٌ زواهر ترجو أن يكون لها ودّی
أبغداد فی عهد الرشيد تأرّجتْ بأطيب من أنفاسها وهی فی عهدی

زكى مبارك

---

[1] بلا عند : بلا رأى



حول نسب الفاطميين

جاء فى العدد (٤٨٤) من مجلة « الرسالة » الغراء كلمة تحت عنوان « حول نسخ الأحكام » تأثر فيها كاتبها بأقوال خصوم الفاطميين السياسيين من بنى العباس ومن كان ينتمى إليهم من العلماء ، ولو أنه رجع إلى أقوال المتصفين فيهم كشيخ المؤرخين ابن خلدون لخفف شيئاً من غلوائه فى أمر هؤلاء الفاطميين ، ولعلم أن نسبهم صحيح إلى اسماعيل بن جعفر الصادق رضى الله عنهما ، وقد يكون الطعن فى دينهم كالطعن فى نسبهم ، أثراً من آثار السياسة التى تبيح كل شىء فى سبيل أغراضها ، وتذهب إلى أن الغاية تبرر الواسطة ، فتذيع الكذب بين الناس وتنصر الباطل على الحق

والظاهر بعد هذا كله أن القول بإعطاء الإمام حق نسخ الأحكام كما حكاه أبو جعفر النحاس ، غير ما يحكى عن بعض الاسماعيلية فى الإمام السابع الذى ينسخ الشرائع ، لأن نسخ الشرائع يدخل فيه أصولها كالصلاة وغيرها ، أما نسخ الأحكام فالظاهر أنه خاص بالأحكام الجزئيـة التى تتأثر بالظروف والأحوال ، وتدعو الحاجة إلى نسخها بالاجتهاد لسبب من الأسباب ... (...)

كرملة الكرملى

أعود فأصحح للأب أنستاس مارى الكرملى أخطاء أخرى وقع فيها ؛ والأمر فى هذه المرة أخطر ، فقد جمع إلى الأخطاء التاريخية أخطاء روحية ؛ ولقد قال « ربليه » قدس الله روحه : « إن علما بلا ضمير خراب للنفس » ؛ فما بالك إذا كان العلم زيفاً حمله الرافدان ؟

لو أن الأب أنستاس مارى الكرملى العالم النحرير والروحانى المتواضع زف إلى ما يقول « كرملة » يستسيغها الذوق لقبلتها ، ولكن كرملته حصرم تمجه النفوس . إن فى نفسى إيماناً بأن العلم والروحانية لا يزلان بنفس إلا هذباها ، ونحن كلما ازددنا توغلاً نحو آفاق المعرفة ازددنا دنوا من حدودها وإحساساً بتلك الحدود ، فتهدأ جوارحنا ويسكن غرورنا . وأنا قد أقبل من رجل أن يعتز بماله إن كان صانعاً أو تاجراً ، وأما العالم فالزهو منه ممقوت

إن روح العلم الصحيح لا تعرف نغمات الكرملى . العلم تواضع كما أن الدين محبة ؛ وأين هذا من كلام الأب ؟ أنا لا أعرف التأكيد فى أى شىء ولذا قلت — أيها الأب أنستاس مارى الكرملى — إذا صح هذا أو ذاك . والأب الجليل العالى الكعب فى كل أمر لا بد قد قرأ أفلاطون ، ولا بد أن أستاذه قد قال له سنة ١٨٨٧ م إن موضع الجمال فى أسلوب أفلاطون موضع السحر ، موضع السمو ، كثيراً ما يتركز فى الحرفين An اللذين يضافان إلى الأفعال اليونانية لينقلا التأكيد إلى الاحتمال ، والأب الخطير يستطيع بلا ريب أن يترجم An بـ إذا صح الخ ...

ثم إننى أيها الأب أنستاس مارى الكرملى لم أستنجد بعلم الأستاذ كراوس كما أنى لم أغتصب منك أسلابك العلمية الثمينة ، وإنما الذى حدث أن مجلة الرسالة لم تنشر مقالى كاملاً كما تستطيع أن تلاحظ ذلك من ابتدائه بنقط ، ولو أنها نشرته كاملاً لرأيت أنى سلمت لك بأنك تعرف أسماء أنيقوس وتيودسيوس وغيرهما ممن لا يعتبرون إلا قطرة فى بحرك اللج الأجاج . ولو أنها نشرته كاملاً لعلمت أنى لم أنشر هـذا المقال رَدًّا عليك وأنا لا صبر لى على قراءة تحقيقاتك التى تبعدها عنى روحك الوديعة الطاهرة ، وإنما أردت أن أحاج الأستاذ كراوس لأننا اختلفنا فى هذا النص قبل أن ينشر الكتاب . وأنت أيها الأب أنستاس مارى الكرملى لا ريب مرهف الحس لطيف الذوق فكيف غاب عنك أن قولى : « اللهم إلا أن يكون لدى الأستاذ كراوس علم آخر ... الخ » لا يفيد طلب النجدة

سلمت إذن للأب الكبير بأنه قد عرف اسم أبيقوس ، ولكننى أنكرت عليه أن يعرف عنه أكثر من ذلك بدليل أنه زعم أنه رومانى وهو يونانى . ولقد فطن إلى هذا الأب نفسه عند ما راجع دفاتره وراجع العلماء الأفاضل الذين يجتمعون معه فوضعو خطًّا — كما يقول — تحت جملتى التى تحمل هذا المعنى ، ووضع الخط هـذا وتأمين الأب على وضعه هو طريقة العالم

الفاضل فى الاعتراف بخطئه . وإذن فقد كنت محقاً فى أن أصحح له هذا الخطأ

بقيت مسألة الكراكى التى لم أعثر بها فقلت : « إنها خرافة لا نعلم عن نسبتها إلى قومودس وأبيقوس شيئاً » . وهذا حق ، فأنا لم أعثر بها فى حياتهما ؛ وأعود فأكرر أننى لم أعثر بها ولا أقول لم أعثر عليها — كما يقترح اللغوى الكبير الأب الكرملى — لأن المعنى الذى أريد أن أعبر عنه هو أننى لم أعثر بها ، أى لم أقع عليها . وللأب الفاضل أن يظهر علمه – إذا أراد – فى غير هذه التوافه ، وأن يتفضل بأن يترك للكاتب الحق فى أن يتصرف فى اللغة وفقاً للمعنى الذى فى قلبه

وأما مسألة أبيقوس ونسبة الكراكى إليه ، فهذا لن يفيد الأب الكرملى فى شىء ، لأن النص يقول : « إن تودورس أو قومودس ملك يونان كتب إلى أبنقس الشاعر أن يزوده بما عنده من كتب فلسفية » ... وإذا كان من الثابت أن قومودس قد عاش فى القرن الثانى بعد الميلاد ، وأن أبيقوس الذى فرح الأب باكتشاف أحد أصدقائه لوجوده قد عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ، فإنه يكون بين الرجلين ثمانية قرون . أيريد الأب الشيخ أن يطير فى طائرة عصرية ليجمع بين العصرين !

لم يكن لى أن أتجه نحو أبيقوس ما دمت قد رجحت كومودس هذا ما يستحق الرد فى كلام أوفى كرملة الكرملى ، وأما ما دون ذلك ، فالعلم منه برىء .

محمد مندور

مدرس بجامعة فاروق الأول

القضاء العشائرى فى العراق

كتاب قيم ألفه الشيخ فريق المزهر آل فرعون عضو البرلمان العراقى ورئيس عشائر الفتلة ، يبحث فى الأصول والقواعد العشائرية والعادات المألوفة لدى القبائل العراقية ، ويتناول تدوين تلك الأحكام المرعية والعادات المتبعة التى ساروا عليها منذ ثمانمائة سنة ، كما ضمنه عادات العشائر العراقية وآدابهم وتقاليدهم وأساليبهم وسائر شؤون حياتهم الاجتماعية

والحق أن للقبائل والعشائر العراقية تاريخاً حافلاً بالعادات والتقاليد المتوارثة ، يحرصون عليها ويتواصون بالتمسك بها وعدم التفريط فيها ؛ ومن هذه التقاليد المرعية يتألف قانون غير مدون له قدسية سائر القوانين المدنية وحرمة بقية الأنظمة الاجتماعية ، يرجعون إليها فيما يتعلق بخلافاتهم وأحكامهم ومشاكلهم العديدة وفيما يخص سائر أمورهم الاجتماعية والشرعية والاقتصادية ، ولهم فيما يتفرع من هذه النواحى وفيما ينجم عنها من ملابسات ، أحكام وآراء وحلول تنطوى على البراعة والمهارة والطرافة بقدر ما تنطوى عليه من صرامة وشدة وقوة مستمدة من ذكاء وقاد وإحساس مرهف ، وحرص شديد يبلغ حد العصبية على محافظة المنمنات والنزعات العربية الخالصة

ولم يتهيأ إلى الآن من يعنى بدراسة هذه التقاليد والسنن ، وما تكون منها من أحكام ومن أصول أصبحت على مر الزمن قانوناً مرعيًا نافذاً صارماً ، فيؤدى بذلك إلى التاريخ العربى خدمة كبيرة ، ويوسع مجالاً للحياة القبلية العربية فى العصر الحاضر ، أن تأخذ مكانها فى التدوين إلى جانب الحياة المدنية ، حتى انبرى لها الشيخ فريق المزهر آل فرعون ، وهو من هذه القبائل العربية الضاربة على ضفاف الفرات ، فسد فراغاً فى خزانة الأدب والتاريخ العربيين ، بما قام به من وضع سجل تاريخى حافل فى هذا الصدد ، وهو كتاب « القضاء العشائرى » الذى بحث فيه « نظام دعاوى العشائر » ، وهو القانون الوحيد الذى يسير عليه القضاء الإدارى فى العراق ؛ وقضايا الحق النازع فيه قسمان : قضايا موضوعية ، وقضايا أصولية ، أو شكلية ؛ وقد وضع « العرف العشائرى » قواعد خاصة لكل من الحالين ، وقد كانت هذه القواعد معمولاً بها فى العراق لفض المنازعات بين القبائل منذ أقدم الأزمنة إلى الآن .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 486

Lundi - 26 - 10 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر المالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٨٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٦ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الرايـــة المصرية

لكاتب كبير

هي راية الفكر والرأي والبيان ، وهي أول هِبة منَّ بها الوهاب على هذه البلاد ، ولعلها أول هِبة جاد بها الله على هذا الوجود

مصر بطبيعة الفطرة أمة سليمة الروح والوجدان ، ومن أجل هذا المعنى كان فقراؤها أغنى من الأغنياء ، وكان جهلاؤها أعلم من العلماء ، فما عرف الناس في شرق ولا غرب بلداً يعيش على المواهب الطبيعية كما يعيش هذا البلد ، ولا سجَّل التاريخ أمجاداً أشرف من أمجاد هذا البلد ، ولا كان في الدنيا نهرٌ أوفى وأكرم من نهرها الفياض بمعاني الخصب والثروة والشعر والخيال

عاصرت المدنيةُ المصرية مدنيات كثيرة في القديم والحديث ، فهل انهزمتْ أمام إحدى المدنيات ؟ وهل خضعت لعبودية الروح في أي وقت ، وإن جار الزمن فنال من استقلالها السياسي في بعض العهود ؟

صنع الدهر بمصر ما صنع في عهود الطغيان من الوجهة

الفهرس

السياسة ، ولكن الدهر عجز عن غزوها فى الميادين الأدبية والروحية والعقلية ، فظلت آية الآيات فى سموّ الفكر والرأى والبيان

إن مصر لم تخضع ولن تخضع لأية سيطرة تعتمد على الاستبداد ، وهل كان من العبث أن تُعرف مقابر من سيطروا على هذه البلاد ، ثم تختفى مقبرة الإسكندر المقدونى ، فلم يهتد إليها منقّب ولا باحث ، مع أن صاحبها كان من أعاظم الرجال ؟

كانت مصر لأبنائها ، ولن تكون إلا لأبنائها ، وستمضى أجيال وأجيال ، وأزمان وأزمان ، قبل أن يجوز فى الوهم أن الذاتية المصرية معرّضة لاستعباد الجهل والبغى والطغيان .

فى عصور الجاهلية الجهلاء كانت مصر مناراً يهدى اليونان والرومان ، وفى عصر الإسلام كانت ملاذاً للعلوم الإسلامية ، والحضارة العربية ، وفى العصر الحديث كانت مصر درعاً يقى الشرق من طغيان الغرب ، وستظل مصر إلى الأبد مصدر النور ومنبع الإشراق .

أكتب هذا وفى قلبى أشجان تعجز عن إثارة دموعى ، فقد قيل وقيل إن أيام الحرب تصدّ العقول عن الرأى ، وتمنع الأقلام من البيان

هيهات ثم هيهات ، فالينبوع القاهر يفتك بالحواجز والأسداد ، والقلم العارم يصنع ما يصنع النورُ فى تبديد الظلمات

لن تضام مصر ، ولن يضام أهلوها ، ولن تجف أقلامها ، ولن يكون لها بين المظلومين مكان

لا أقول إن مصر باقية ما بقىَ النيل ، ولكنى أقول إنها باقية ما بقى الوجود

مصر شرّعت لجميع الأمم مذاهب الفكر والرأى والبيان وستظل بإذن الله مصدر الفكر والرأى والبيان

قال الزعيم النبيل مصطفى كامل :

« لو لم أكن مصريًا لتمنيت أن أكون مصريًا »

وأقول إنى أكره الافتراض الذى يبيح التخيل بأنى لم أكن من المصريين

إن الظلم الذى يلاحقنى فى وطنى لا ينسينى جمال وطنى لأنه عندى أعزُّ من روحى ونفسى

أنا أرفع الراية المصرية حيثما توجهت ، ولن تضام مصر ولها أسندة ودروع من أبنائها الأوفياء

وكم تمنيت أن أكون أول من هتف بهذه الآراء ، ليكون لى فضل الابتكار والإبداع ، ولكنى أشرح آراء جادت بها عقولٌ كان لها فضل السبق فى إحياء المواهب المصرية والعربية والإسلامية ، من أمثال : أحمد زكى باشا ، ومحمد بك مسعود ، والشيخ محمد عبده ، والسيد جمال الدين

هى آراء بَشّر بها ودعا إليها أولئك الجهابذة الأعلام ، ولكنها حلّت من نفسى محل اليقين ، فصرت أهتف بها هتاف المبدع الأصيل ، والمريد الصادق لا يقل إيماناً عن أساتذته النبلاء

نحن لا نعمل لليوم الحاضر وحده ، وإنما نعمل للمستقبل القريب والبعيد ، وستظل سواعدنا قوية ولو احتواها الفناء

نحن لا نهاب الرجعية الممثلة فى أوهام الفانين ، ولا نهاب مصالحنا وهى جديرةٌ بأن تُهاب ، وإنما نهاب الحق ، ونرامى الوطن ، ونخاف الله ، وتلك معانٍ توجب أن نظل أوفياء لكرامة العقل ، وسماحة الروح ، وشجاعة الوجدان

سنقف كراماً حيث يقفنا الواجب ، ولن نرضى أبداً بأن يعرّض الفكر فى بلادنا للخمود

وستذكر مصر طائعة أو كارهة أن فى أبنائها من وَفوْا بالعهد ، فى أيام ألهتْ جماهير الناس عن الفكر والرأى والبيان ...

« ...ب »

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

١ - حديث عيسى بن هشام

للدكتور زكي مبارك

فاتحة البحث — فوضى مزعجة — جنتمكان — الأمير — سبب الفوضى — تاريخ الكتاب — المويلحي الكبير والمويلحي الصغير — أصل الشبهة — سجين الفاقة والبؤس — الأديب المضطهد لنسبه وغناه — عصارة الشدائد — أغراض المؤلف — عقلية المويلحي — طبعات الكتاب

فاتحة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ...

أما بعد ، فهذا بحث في كتاب « حديث عيسى بن هشام » المقرر للامتحان التحريري في مسابقة الأدب العربي ، والمرجو — إذا وفق الله — أن يكون فيه ضمانة مؤكدة للنجاح في ذلك الامتحان ، على شرط أن ينظر الطلبة في الكتاب نظرة جدية بعد قراءة هذا البحث ، لأن الغرض من أمثال هذه البحوث هو التوجيه إلى الاطلاع عن بصيرة ويقين .

ويخطئ من يظن أننا ننوب عنه في قراءة ما يريد من الكتب ، وفي استخلاص ما يشاء من الحقائق ، ليواجه الامتحان وهو لا يملك غير ملاحظات لم يسهر له فيها جفن ، ولم يقلق وساد !

هذه أبحاث نقدية ، والنقد فنٌّ من التوجيه ، وليس ضرباً من التحصيل ؛ فليفهم أولئك الشبان هذا المعنى ، وليقرأوا الكتب التي ننقدها قراءة فهم واستقصاء ، بعد أن يستوعبوا ما فيها من المعاني والأغراض

فوضى مزعجة

هي الفوضى المحيطة بكتاب « حديث عيسى بن هشام » ، فما يكاد القارئ يعرف في أيّ عام أُلف ، ولا يكاد يتصور أيّ مجتمع يصوِّر ، لولا عبارات تنطق بأنه كُتب بعد موت « جنتمكان محمد علي » : الجد الأكبر للملك فاروق ، رحم الله الجد ، وحرس الحفيد ...

جنتمكان

وما « جنتمكان » التي ترِد في الكتاب من صفحة إلى صفحات ؟

لقد استبهمتْ عليَّ أولَ الأمر ، وعجزت عن الاهتداء إلى نطقها الصحيح ، ومدلولها الأصيل ، ثم عرفت بعد لأْيٍ أنها كلمة تركية رُكِّبتْ تركيباً مزجيًّا من كلمتين عربيتين : هما « جَنَّة » و « مكان » ؛ وإذن يكون : « جَنَّتْمَكان » هو ساكن الجنان ؛ وهي العبارة التي تذكرها الجرائد حين تتحدث عن كبار الأسلاف من البيت المالك ؛ والظاهر أن « جَنَّتْمَكان » كانت مفهومة عند تأليف الكتاب ، فتركها المؤلف بلا شرح ؛ وهل كان يخطر في باله أن معناها سيغيب عن رجل في مثل حالي ؟ !

اللهمَّ إني أسألك السلامة من الجهل ، فهو أخطر الأعداء !

الأمير

الألقاب نُظِّمت في هذا العهد بطريقة واضحة الرسوم، فصرنا نعرف الفروق بين طبقة الأمراء وطبقة النبلاء من الوجهة الرسمية فلنذكر أن كلمة « أمير » في عهد مؤلف الكتاب لم تكن تدل حتماً على أن الموصوف بها من أعضاء البيت المالك ، وإنما كان الأمير هو الغنيُّ ، ولو كان أجداده أبعد الناس من دماء الملوك

حدثني الشاعر عبد المحسن الكاظمي قال : كان محمود سامي البارودي أميراً بكل ما لهذه الكلمة من المعاني

وقد توهمت في بعض ما سطرت من البحوث أن « إمارة » البارودي كانت رسمية أو شبه رسمية ، لأن أجداده كانوا من أمراء المماليك ، فالآن أعرف أن الإمارة في مصر كانت من نصيب أصحاب الثراء في جميع الأحوال[1]

والكاظميُّ عراقيٌّ استمصر ، وقد هال الرصافي أن يبكيه العراقيون بعد الموت فقال :

فيا عجباً يبكنك وأنت ميْتٌ بلادٌ ضيَّعتك وأنت حيٌّ

سبب الفوضى

وسبب الفوضى التي يعانيها من يقرأ « حديث عيسى ابن هشام » أنه خلا خلوًّا فظيعاً من التواريخ ، وهل يوجد

(١) ومع ذلك وردت كلمة « أمير » في ص ٢٣٠ في سياق يدل على أن المؤلف يقصد أحد المنتسبين إلى البيت المالك

أعجب من أن تكون رسالة السيد جمال الدين الأفغانى إلى المويلحى بدون تاريخ ؟

أستغفر الله ، فالنص الزنكوغرافى ينص على أنها فى ١٩ ربيع الثانى

ولكن من أى عام هذا الربيع الثانى ، يا سيد جمال الدين ؟

تاريخ الكتاب

يقول المؤلف إن كتابه مجموعة مقالات نشرت فى « مصباح الشرق » ؛ ومن السهل على المقيم بالقاهرة أن يراجع تلك الجريدة فى دار الكتب المصرية ، فما الذى يصنع المقيم بمدينة دمشق أو مدينة بغداد ؟

فى الصفحة الرابعة والثمانين نجد المؤلف يقول : « إنها أبدع نكتة فى آخر القرن » فنعرف أن الكتاب ألف فى آخر القرن التاسع عشر للميلاد

المويلحى الكبير والمويلحى الصغير

عرفت اللغة العربية فى العهد القريب كاتبين عظيمين باسم المويلحى ، ثانيهما محمد وأولهما إبراهيم ، وكانت لإبراهيم مخاطرات سياسية دونها على صفحات « الرسالة » أحد أحفاده منذ سنين ، فليرجع إلى تلك الصفحات من شاء ، عساه يعرف كيف كانت مناورات ذلك الكاتب فى ختل السلطان عبد الحميد

والمهمُّ هو أن أسجِّل أن إبراهيم كان الكاتب الكاتب ، وإليه تُنسب بالباطل أو بالحق رسائل ابنه محمد فى « حديث عيسى بن هشام » ، فقد مرَّت أزمان والناس يعتقدون أن محمداً ابن أبيه فى كل شىء ، حتى ذلك الحديث

أصل الشبهة

ولهذه الشبهة أصل ، فقد سكت محمدٌ بعد موت أبيه سكوت المُريب ، فتقوَّل الناس عليه الأقاويل ، وظنوا أدبه من الصنف الدخول .

وقوَّى الشبهة أنه استُغضِبَ فلم يغضب ، ولو كانت التهمة باطلة لثار وهاج ، وفعل بخصومه الأفاعيل .

سجين الفاقة والبؤس

فى سنة ١٩٢٤ تفضل الدكتور منصور بك فهمي فوصلنى بالمؤرخ الكبير أحمد باشا شفيق ، وكانت مهمتى أن أدوّن مذكرات شفيق باشا بأسلوب مقبول . ثم جاء رمضان فدعانى الباشا لطعام الفطور مع جماعة منهم الكاتب العظيم محمد بك المويلحى ، فكيف رأيت المويلحى ؟

كان يلبس الردنجوت من غير موجب ، وقد قضى الوقت كله فى صمت ، فصح عندى أن أدبه لا يخلو من تزييف

وفى صبيحة اليوم التالى واجهت أحمد باشا شفيق برأيى فى محمد بك المويلحى ، فسكت لحظة ثم قال : هل نعرف كيف يعيش هذا الرجل وكان ابن ذوات ؟

— كيف يعيش ؟

— أتجهل كيف يعيش ؟

— وهل أعلم الغيب ؟

— إن محمد بك المويلحى يقضى الأيام والأعوام وليس له زاد غير الخبز والملح والماء ، فهو أعظم من داوَى الفقر بالتجمل فى هذا الزمان

— أيعيش المويلحى هذا العيش ؟

— هو غنىٌّ افتقر ، ولا تصلح هذه العمامة العالية لاستجداء الناس ، ولو كانوا من الأمراء والملوك

الأديب المضطهد لنسبه وغناه

نشأ محمد المويلحى نشأة المياسير ، فكان من حقه أن يستكبر على الناس كما يستكبر من يكون فى مثل غناه ، ولكن سليقته الأدبية فرضت عليه أن يدرس جميع الطبقات الاجتماعية بلا تفريق بين المرتفعين والمتضعين ، فكان يغشى أماكن السوقة كما يغشى أماكن الأمراء(١)

وفى ذات ليلة تطاول عليه سفيه فى إحدى الحانات فضربه كفًّا ، كالذى يقع فى أماكن الشبهات والظنون

فكيف كانت العواقب ؟

أقام السخفاء من أدباء مصر موسماً سموه « عام الكف » عليهم غضبات صاحب الجبروت .

ومن العجب العاجب ، والسخف الساخف ، أن يكون شاعرنا إسماعيل باشا صبرى أحد المشتركين فى الشماتة بالأستاذ محمد المويلحى مع أنه مدح الشيخ أحمد الزين !

فيا بنى آدم من أهل هذه البلاد ، متى تعقلون ؟ متى ؟ ثم متى ؟

(١) فى الكتاب شواهد كثيرة على أن المويلحى كان يرتاد مواطن الشبهات ليدرس أخلاق الناس

عصارة الشدائد

تصدر عنى من وقت إلى وقت آراء فى غاية من الغرابة والشذوذ فى نظر الناس ، ثم تجىء الشواهد التى تؤكد أنى لم أكن من المخطئين

ومن آرائى الشاذة فى نظر الناس قولى بأن الأديب الغنى أقدر على فهم الحياة من الأديب الفقير ، وأشد إدراكاً لما فى الحياة من مكاره وصعاب

وكان ذلك رأيى لأنى أومن بأن الأغنياء تقع فى حيواتهم تعقيدات لا يعرفها الفقراء ، وما يسيغ ذهنى فكرة القول بأن الفقير يدرك معنى البؤس على الوجه الصحيح ، لأن الفقر عصمة من مواجهة «الخطوب الثقال» ، وقد نعرف بعد حين أن الفقراء هم الأغنياء

أقول هذا وقد صح عندى أن براعة المويلحى فى كتابه أخذت مددَها الأصيل من اضطلاعه بمتاعب الحياة في وقت مبكر ، مع الاعتراف بأنه كان لا يزال فى رعاية أبيه ، ولم يكن عرف طعم القوت الدائم بالخبز والملح والماء

ومن حظ الأدب أن المويلحى لم يؤجل تسطير ملاحظاته إلى أن يشرب الصُّبابة من كأس البؤس ، فما يستطيع بائس معدم أن يتبيّن ما يريد أن يقول

كان المويلحى فى عافية حين سطر تلك الأحاديث ، ثم عمّ النغم وطمّ ، فآثر الانعزال إلى آخر الزمان

لم يعرف الأدباء الفارغون من أصحاب الجرائد الهزلية أن الأديب الحق لا يتوقد خاطره فى كل حين ، ولم يفهموا أن البلبل لا يغرّد إلا وهو جذلان ، فعدّوا سكوت المويلحى بعد موت أبيه دليلاً على أن أدبه من ضروب الأدب المنحول ، ولو عقلوا لفهموا أن الرجل أصابته بموت أبيه كوارث معاشية تزلزل رواسى الجبال

إلى مَنْ يتوجّه المويلحى وقد عادَى جميع الطبقات باسم الأدب والبيان ؟

وهل كان خصماؤه قبل عشرين سنة إلا كَتَبَة مأجورين يأكلون النار طائعين أو كارهين ؟

لقد مات المويلحى وظلوا أحياء ، فمن الحىُّ ومن الميت ؟

تبارك من جعل الأدب الصحيح مهر الخلود !

أغراض المؤلف

للمويلحى من كتابه أغراض أدبية واجتماعية وتاريخية ، فهو يريد أولاً أن يقدم للأدب صوراً من البيان الوهّاج ، وقد فاز من هذه الناحية فوزاً مبيناً ، بغض النظر عما يقع من تكلف السجع فى بعض الأحايين . ولا جدال فى احتواء هذا الكتاب على صفحات يتمنّاها كبار الكاتبين

وهو يريد ثانياً أن يصور المجتمع ، فهل أفلح فى تصوير المجتمع ؟

لقد وصل إلى أبعد الغايات فى تصوير الطبقات العالية من وزراء وعلماء وتجار وقضاة ومحامين وأعيان وأوشاب ، وللأوشاب فى مصر مكان ، ولكنه غفل عن تصوير الطبقة التى تمدّ الحياة المصرية بالغذاء السليم من الآفات ، وهى طبقة الزراع والصناع . وعذره فى هذه الغفلة واضح ، لأنه عاش عيشة لا تمكنه من التعرف إلى هؤلاء الناس

أما ملاحظاته التاريخية فهى من التفاهة بمكان !

عقلية المويلحى

عقلية هـذا الرجل سليمة إلى أبعد الحدود ، ولكنها تجود بالمضحكات فى بعض الأحيان ، كأن يتحدث عن سور بابل فيقول : هو عدة أسوار متداخلة بعضها فى بعض يتسع محيطها للاحاطة بسبع مدائن مثل مدينة باريس ، وكان ارتفاعه ثمانية وأربعين متراً ، وعرضه سبعة وعشرين متراً ، ومن حوله خندق عميق ، وعليه أبراج متعددة ، وله مئة باب من حديد[1]

يقول المويلحى هذا الكلام المضحك مع أنه نص على أن حدائق بابل المعلقة كانت فى اتساع أربعين فداناً ، ومع أن من المستحيل أن تسمح ثروة العراق بإقامة سور له ذلك الطول وذلك العرض ، وفى محيط يسع سبع مدائن مثل مدينة باريس ، باريس التى يسكنها نحو خمسة ملايين ، مع اتساع الشوارع والميادين ، ومع ابتلاع نهر السين

طبعات الكتاب

ظهرت الطبعة الأولى سنة ١٩٠٧ ، وظهرت الطبعة الثانية سنة ١٩١٢ ، والطبعة الأخيرة هى الرابعة مع الرحلة الثانية ، وهى موضوع الدرس ، وعليها المعوّل فى الامتحان ، وقد عُنِىَ المؤلف بتنقيحها قبل أن ينتقل إلى عالم الخلود

وكلتى هذه تمهيد وجيز يحتاج إليه المتسابقون بعض الاحتياج أو كل الاحتياج ، أما البحث المقبل فأنا أرجو أن يكون عند ما أريد ، إن تفضل الله بالتوفيق .

زكى مبارك

(١) ص ٤٠٣

عودة إلى تحفة الأستاذ على طه

أرواح وأشباح

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

— ١ —

اطلع الأستاذ توحيد بك على نقد فى « الثقافة » ل « أرواح و أشباح » ، فحرك ذلك نشاطه لاستئناف البحث فى هذه الملحمة الرفيعة تحليلا لمغزى القصيدة ، وتعقيباً على رأى الناقد . (الرسالة)

هى الأرواح والأشباح الماثلة فى البشر أجمعين ، ويمثّلها أبطال يحييهم فى المخيّلة فن الشاعر المبتكر فى تحفته العربية .

ولا بأس بالعودة إلى الحديث فى موضوعها : فإن التحف الفائقة من شأنها أن تحرّك الخواطر والخوالج فى كل وقت على الدهر ، فيكثر الكلام عليها من كل وجه . فلننظر المرة فيما قدم إلينا هذا الشاعر المفلق من صنيع كما هو :

هو قصة الروح والجسد فى محاورة مدارها السر فى تجاذب الرجل والمرأة ، وأثر الغريزة فى الفن بينهما . وهذا موضوع جدى بعيد الغور ، أحسن معالجته شاعر مثقّف ، وبناه على أساس متين من وجدانيات وفكَر جديرة بالنظر

والفكرة الرئيسية فى المَوضوع ، هى أن بين الروح والجسد تفاعلاً ، وبين القيم الأخلاقية والغريزة تدافعاً ؛ وأن هذا التفاعل وهذا التدافع هما العاملان الخفيان المسيِّران للحياة البشرية . وهذه الفكرة الأصلية مستحكِمة فى صلب الصنيع ، مرفرفة على كلامه من أوله إلى آخره ؛ وهى لذلك أس الوحدة الجامعة لأطرافه ، يؤيدها سائر الأسباب المتممة لهذه الوحدة المتينة (١) .

أما خلاصة المحاورة فيما يتعلق بأثر الغريزة فى الفن بين الرجل والمرأة ، فهى أن المرأة تلهم الفنان بجمالها الجسدى وجمالها الروحى فيراها دمية صُوِّرتْ من نقاء ، ويرى فيها ما لا تحدُّ النُّهى ، كأنها معنى وراء الخيال . غير أن الشهوة الجائعة فيها ، بل الغريزة العاتية فيهما ، توقعهما فى الخطيئة ؛ فالفنان يستلهم الشرَّ سحرَ البيان ، وتصير الفنون رمز الآثام . وتلك حال الآدمية ، يريد الفن أن يعلو بها ، فيقعدها الجسد بغرائزه . على أن أهل الفن منهم من يحتمل سعير الحياة فتقوى روحه ، ومنهم من يعشو بنور هذا السعير فتغلبه الغريزة :

شفت غُلّة الفن حتى ارتوى   وإن دنس الفن من طهرها (١)
خطيئتها قصـة الملهمين   وإغراؤها الفرح المفتقَد
بأرواحهم يرتقون الخلود   على سُلَّم من متاع الجسد
وما الفن إلا سعير الحياة   ونورتها فى محيط الأبدِ
لهيب إذا الروح مرَّت به   تضاعفتْ الروح فى ناره
يُطيق القوى لظى جمره   ويعشو الضعيف بأنواره
وما الآدمية بنت السماء   ولكنها بنت ماء وطين
يريد لها الفن أُفق النجوم   فيقعدها جسم عبدٍ سجين

كلام فى الفن والفنانين ، تتحدث به فى السماء أرواح أسماؤها إغريقية مستعارة من الأساطير ؛ ولكن هذه الأرواح رموز إلى الآدميين ؛ والفنانون بشرٌ على كل حال ؛ فحديث الغريزة العاملة فيهم يعنى معهم سائر البشر . ولذا جاء الكلام فى الفن وسيلة فنية شعرية إلى إبداع ملحمة فى شأن الإنسانية منذ نشأتها ، ومن أقدم عصور اليونان ، ومن أيام السامرى وبنى إسرائيل وموسى فى أرض مدين ؛ وتعنى البيض وغيرهم ، حتى زنوج هاواى ؛ وتقص طبيعة البشر وأثر الغريزة فى الرجال والنساء طراً :

نعم ، أنت هن ... نعم ، ما أرى؟   أرى الكل فى امرأة واحده
لقد فنيت فيك أرواحهن   وها أنت أيتها الخالده
أأبغض « حواء » وهى التى   عرفتُ الحنان لها والرضى ؟
ورثت هواها فرمت الحياة   وحبَّب لى العالم المبغضا
هو الرجل القلب ، لا غيره   فأودعنه القبس المضرما
إذا ما اقتحمتن هذا السياج   فقد خضع الكون واستسلما
هنالك حيث تشبّ الحياة   [على الأرض]
وحيث الوجود جنين العدم
وحيث الطريدان شجّا الكؤوس
ونجّا صُبابتها من قِدم
وما أخطأ الطيف ألوانه   [فى الزنوج]
ولكنه اللهب الأحمر
لهم أعين تتملى الجمال   وأفئدة بالهوى تشعر

---

(١) حالت ضرورة الايجاز دون زيادة بيان هنا فى شأن هذه الوحدة خصوصا بعد مقالة سابقة فى العدد ٤٦٦ من الرسالة

(١) الأبيات المختارة فى هذه المقالة وما يتبعها فى العدد الآتى منقولة بلا محافظة على ترتيبها فى الملحمة

تفرّد فهمُ بالخفاء وصيغ بفطرتهم واتسم
له بأس « مانا » وإيحاؤه إذا اضطربت روحه بالألم
ورقة « هاواى » فى شدوها إذا جاش خاطرها بالنغم
هم الناس لا يعشقون الخيال إذا لم يكن حافزاً للطاع
هم الناس لا يعبدون الجمال إذا لم يكن نهزة للمتاع
هم الناس لا يألفون الحياة إذا لم تكن معرضاً للخداع

هذا ، إلى أن المقدمة الشعرية والملحمة ذاتها تدلان دلالة واضحة على أن الشاعر قد طافت خواطره المجنحة فى أحوال البشرية منذ أقدم القدم إلى حاضرها ؛ وأن مخيّلته الخصبة ، وقلبه الفياض ، قد تأثرا من عقائد راسخة فى نفسه ... نفسه المستنيرة بأدب جمّ وبمأثور فى الإنسانية ؛ وأن هذه النفس الحية ، عرتها هِزّة الإلهام ، فتبعّث منها هذا الشعر الصادق المشرق الآسر :

إلى قمة الزمن الغابر [من المقدمة الشعرية]
سمت ربة الشعر بالشاعر
يشق الأثير صدى عابرا وروحاً مجنحة الخاطر
وأوفت على عالم لم يكن غريباً على أمسها الدابر
نمت فيه بين بنات السديم وشبّت مع الفلك الدائر
مشاهد شتى وعتها العقول وغابت صُواها عن الناظر
وجود حوى الروح قبل الوجود وماض تمثّل فى حاضر
تبدّى لها فانجلي شكلها وثابت إلى وعيها الذاكر
وأصغت فرنّت على سمعها رواية ميلادها الغابر

***

على مذبح الحب من قلبها سراج يسبّح مَن لألأه
وتمشى الحياة على نوره وما نوره غير عين امرأه
هوالحب؟.. لا.. بل نداء الحياة تلبيه أجسادنا الظامئه
يخفّ دمي لصداه الحبيب وتدفعنى القدرة الهازئه
قلوب تلذّ بتعذيبها غرائز عاتيـة عارمه
صحت من خُمار ملذاتها تعنّف أهواءها الآثمـه
هو ابن السماء ولكنه من النقص تركيبه والتمام
صناع الطبيعة بل صنعها فنا دمامته والوسام
يسفّ إلى حيث لا ينتهى ويسمو إلى قمة لا ترام
ويسـق بكأس إلاهيـة مرنّقة بالهـوى والأثام

***

غـدا تدرج الروح فى طيفها [من الخاتمة]
وما الطيف للروح إلا قناع
سترقد فى غورها الذكريات وتوقظهن السنون السراع
وتمشى لحاضرها فى الحياة بمصباح ماض خفى الشعاع
وكم نبأة كالحديث الجديد وما هو إلا القديم السماع
من الخـير والشر إلهامها مقادير تجرى بهن اليراع

ما أحب هذا الشعر وأسرعه إلى القلب واللب ! وما أنفسه فى الأدب ! ثم إنه قريب إلى المعقول على نظريتى الحياة فى الفلسفة العلمية : النظرية الروحية والنظرية الآلية !

فقد فطر الإنسان على غريزتين أصليتين ، تعمل إحداهما على حفظ الفرد وتعمل الأخرى على حفظ النوع ، وهذه هي علة التجاذب القاهر بين الرجل والمرأة ، ولو بطل عملها لانقرض النوع

والجسد مكمن الغريزة ، أما الروح فهي مجمع الملكات السامية من المخيلة والشعور أو الوجدان والعقل والإرادة ؛ وهى مبتدعة القيم الأخلاقية العالية والشعر وجميع الفنون

والإنسان يسف بغرائزه الحيوانية ، ويسمو بملكاته الروحية ؛ وقد تدرج بها إلى إنسانيته الحاضرة فى مراقى أطوار غابت معالمها فى غياهب الدهارير . ولاحظ الآدمي فى حين من الدهر طواه الماضى السحيق أن هذه الملكات التى يتفوق بها على الحيوان تذهب مع الروح ، وأن من فارقته روحه بقى جثة هامدة من اللحم والدم لا تلبث أن تنحل ؛ ولذا قيل إن الروح هى الأصل السماوى ، وما الجسد إلا شبح تقمصته عند هبوطها من العالم العلوى

والملكات الروحية تؤثر فى الجسد وغرائزه ، كما أنها تتأثر منها . وهـذا التفاعل مختلف الأثر باختلاف عوامل شتى ، كالوراثة والعادة والمعيشة والبيئة ؛ مختلف الأثر فى كيان كل شخصية ، وفى شعورها باللذة والألم ؛ وهذان هما سبب الفضيلة والخير ، والرذيلة والشر جميعاً ؛ والفضائل والرذائل خلال فى البشر على نسب متفاوتة ؛ فمنهم من هم أدنى إلى الحيوان ، ومنهم من هم أدنى إلى الإنسان المثالى . وفى سورة (الشمس) : « ونفسٍ وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلحَ مَنْ زكاها ، وقد خاب من دساها »

تؤثر الملكات فى غريزة حفظ النوع التى هى علة التجاذب القاهر بين الرجل والمرأة ، فتلطف من حدتها وتهذبها بقيم أخلاقية هى قوام الحياة الاجتماعية ؛ ولكن هـذه الملكات لا تكف الغريزة عن العمل . ولذا فهى تخفى فعل الغريزة وراء أستار من المعانى والخيالات والأسماء الشريفة ، إذ تسمي الجاذبية في الذكر والأنثى جمالاً ، وسلطان الغريزة حباً ؛ وتسمى

اللذة من وصف الجمال والحب، أو من تصورهما، فنا. بيد أنها لن تستطيع منع السنة الفطرية أن تبلغ غايتها من حفظ النوع. فإذا كان تغلب الغريزة خطيئةَ آدم وحواء، فهي خطيئة يذوق الإنسان مرغَماً مُرَّها عواقبها وحلوه، ولن ينال الغفران وإن كفَّر عنها ما استطاع بفضائله

وفي ذلك حقائق كشفها الإنسان بخبرته الطويلة وعلمه[1]

وقد نظر الشاعر الملهم في ماضي الإنسانية البعيد وحاضرها، ورادت خواطره المجنحة سيرة البشر، ثم عرض بفنه الجليل ما جنت من يانع الثمر، في ملحمة من كنه الشعر وسحر البيان.

محمد توحيد السلحدار

(البقية في العدد القادم)

(١) مصداق ذلك هو ما يلي من ترجمة جمل مختارة من كتاب « العلم والضمير » لصاحبه العالم فليكس له دانتيك :

إن غريزة الحفظ هي آلة الحياة (mécanisme). وإذا كثر تكرار فعل عقلي استحال إلى غريزة. وإن فعلا يكثر تكراره يدخل في حيز العقل الباطن

ومتى تميز جسم حي وتحدد، فانه لا يظل ثابتاً على الاحتفاظ بصفاته المميزة من دون نهاية مدة حياته، ولولا ذلك لما وقع أي تطور، ولكانت الوراثة مطلقة

فان مجموع الفروق التي تميز الطفل من الهرم، في الفرد نفسه، عظيم جداً؛ إذ هو جملة العادات كلها، والذكريات كلها، في هذا الفرد الذي جمعها في مدة حياته بأسرها. والتغيرات المحدودة في مدة حياة الفرد تتجمع في مجرى حياة الأنسال المتتابعة. والتمثيل (assimilation) والعادة والتقليد هي مميزات الحياة. والوراثة تستحيل بالتربية. والتربية تعمل في اتجاه مضاد لاتجاه الوراثة

والانسان، باعتباره فرداً تجنب جميع أسباب الهلاك إذ هو باق، قد = كسب خبرة فردية بالعالم المحدق به، خبرة انتفع منها نسله، وكونت منطقهم؛ وهو، باعتباره عضواً من جماعة، قد ثبت في وراثته الطاعة لاصطلاحات اجتماعية تحد ميدان نشاطه الفردي، وكان من امتداد هذه الطاعة أجيالا عديدة أن أصبحت ضرورة

إن الأصول الأخلاقية الموجهة لنشاطنا الاجتماعي هي الأثر الوراثي من الاصطلاحات التي كانت جميات الآباء والأجداد من القدم مؤسسة عليها. وهذه الأصول كائنة فينا للأسباب الوراثية عينها. غير أن درجة نموها تختلف لسوء الحظ في بني جنسنا، ويبدو أن حكمها معادل حكم منطقنا

إن ألوفاً من الأنسال المتتابعة في الحياة الاجتماعية أنمت في الانسان كثرة فيها سرف، من الوجدانيات الأخلاقية؛ وقد أصبحنا لا نذكر أن أصل هذه الوجدانيات هو اجتماع البشر، لأنها استقرت في ضميرنا بالتدريج

إذا تمكن منا وجداني شديد فاننا لا نسأل أنفسنا عن أصله. ونحن لا نعمل أبداً إلا طوعاً لرغبة من ضميرنا، وعند ما تكون هذه الرغبة على صورة حاجة لا نتردد أبداً في قضائها: فنحن نأكل حين نجوع

وفي الانسانية نزعة عامة إلى السعادة. وليست هذه النزعة إلا ترجمة غريزة الحفظ بلغة عاطفية. وهي في الحقيقة، تعريف الحياة بعينه، وكفاح الوراثة المنتصر في مواجهة التربية.

Science et Conscience — par Félix Le Dantec. 1916

يوم من أيام دمشق الخالدة

وفاة الامام ابن تيمية

في ٢٠ ذى القعدة سنة ٧٢٨ هـ

للأستاذ أحمد رمزى بك
قنصل مصر العام فى سورية ولبنان

[فى شهر أغسطس الماضى أم دمشق الأستاذ أحمد رمزى بك قنصل مصر العام فى سورية ولبنان ، فزار فيما زار قبر الامام ابن تيمية ، ووقف عليه مستحضراً سيرته ، مستذكراً نبوغه ، ثم كان من وحى هذه الوقفة الشاعرة هذا المقال القيم]

فى سحر ذلك اليوم نعى المؤذن بمنارة القلعة شيخ الإسلام ابن تيمية وتناقل نداء ذلك الحراس على أبراجها فأذاعته المآذن من الجوامع والمساجد الأخرى ، فأصبح الناس فى اليوم التالى وقد سرى هذا النبأ بينهم ، وغمرت المدينة موجة حزن وأسف عند ما سمعوا بنبأ هذا الخطب الجسيم الذى أصابهم بفقدان العالم الإمام المجاهد الفقيه الحافظ الزاهد العابد القدوة شيخ الإسلام تقى الدين أبى العباس احمد بن تيمية .

وكان الشيخ محبوساً بالقلعة التى أمر نائبها بفتح أبوابها ، وجلس فى حجرة الوفاة يتقبل المعزين وقد اجتمع بها خلق من أصحاب الشيخ ورجال الدين وغيرهم من أعيان البلد . أما جماهير الشعب فقد أحاطت بالقلعة ووفدت عليها من أحياء الصالحية ومن جهات النوطة والمرج بعد أن أقفلت المدينة أسواقها .

ويطنب المؤرخون فى وصف ذلك اليوم وكيف تلقى الناس أخباره ، وكيف ساروا فى جنازة الشيخ عشرات الآلاف ، وكيف اقتحموا باب القلعة ودخلوا زرافات على الشيخ يقبلون وجهه ، وكيف امتلأت أرجاء قلعة دمشق وضج الناس بالبكاء والنحيب عليه والثناء والدعاء والترحم له .

فقالوا إن يوم جنازة ابن تيمية كان يوماً مشهوداً لم تر مثله دمشق فى تاريخها ، إلا أن يكون ذلك فى أيام بنى أمية حينما كانت قلب العالم المتمدين .

ولما أريد الصلاة عليه بجامع أمية خفت الجماعات إليه حتى امتلأت الرحبات والصحن وجىء بالجند لحراسة النعش ؛ ولما صلى عليه صاح صائح يقول : « هكذا تكون جنائز أهل السنة ! » وخرجت جنازته من باب الجامع إلى مقابر الصوفية مارة بباب الفراديس وباب النصر وباب الجابية والقوم حولها خاشعون .

من هذا الشيخ الذى ارتجت له الشام بأسرها ونعته مآذن مصر ، وأقيمت له كبرى جنائز أهل السنة بدمشق ، ورفعته الجماعات إلى مصاف الأبطال برغم كونه سجين السلطة الحاكمة ؟ ومن الذى ألقى الناس المناديل والعمائم على نعشه ؟ ومن كانت تخشاه الدولة فى الشام ومصر ، ثم مات وعلى رأسه عمامة بيضاء بعذبات مغروزة وقد علا بعض رأسه الشيب ؟

من هذا الذى فاضت روحه وقد تمتمت شفتاه بالآية الكريمة : « إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » فكانت نهاية ثمانين ختمة لكتاب الله بدأها عند دخوله المعتقل ، وبدأ الحادية والثمانين فأسلم الروح وهو يتلو هذه الآية الكريمة ؟

***

لا شك فى أنه من أولئك الذين بذلوا أنفسهم فى سبيل الله ، والدعوة إلى الله ، والعمل بما أمر به الله — هو صاحب دعوة قام بها مخلصاً وجهه لله وحده ، له مذهبه وآراؤه . ولسنا نعرض لها فإن ما كتب فيها كثير ، ولله الحمد ، وهو متداول ومعروف ، ولكنا نعرض لهذه الشخصية الإنسانية الفذة التى جمعت من الصفات والمزايا ما يضعها فى مصاف عظماء الرجال من كل عصر

كان ابن تيمية شخصية فيها من الإيمان والقوة والإخلاص والجرأة والصلابة فى الحق ما يجعله عالماً وحده . كان ابن تيمية صاحب رسالة من أولئك الذين بعثوا لينشروا بين الناس تعاليم وأفكاراً ومبادئ تهدم القديم الرث البالى ، وتصور لهم المتناقضات السائدة فى أوساطهم وتدعوهم إلى كلمة سواء ، ثم ترسم لهم قيماً جديدة أخذها الشيخ من كتاب الله وسنة رسوله وهديه والعودة إلى السلف الصالح الذى كانت ترتجف لعزائمه الدنيا . واتخذ له نبراساً لا يحيد عنه هو تصفية العقيدة وتوجيهها إلى التوحيد والخضوع للذات السرمدية الأحدية التى تسيطر على هذا الكون وتقوده إلى الخير الصرف

إن تعاليم ابن تيمية خالدة بين الناس ، وهى لا تزال تشغلهم وسوف تشغلهم فى المستقبل القريب والبعيد ، ولكن شخصيته وعمله وبطولته أمور لا تزال خافية على الكثيرين ، ولذلك سنحاول أن نعرض لبعض نواحيها . ويسرنى أن أكون

قد أدَّيت بعض الدَّين لصاحبها ولمدينة (دمشق) التي ضمت رفاته ، ولها في قلبي ونفسي أروع وأسمى مكان

ودمشق إذا افتخرتْ بتاريخها الخالد وأيامها الغر وآثارها التي تحج من مصر وغيرها لرؤيتها ؛ وإذا افتخرتْ بدولها ورجالها وأبطالها ، فمن حقها أن تفخر بابنها البار الإمام ابن تيمية الذي عرَّض حياته للموت من أجلها ، والذي جاهد أكمل جهاد ، وذاق مرارة السجن ، وتحمل كيد الكائدين ، فهو جدير بأن تقام باسمه مدرسة ، أو ينشأ باسمه ميدان ، أو أن يفرغ لذكراه يوم أو بعض يوم

١ — ابن تيمية المجاهد المرابط ضد التتار

بموج وسط مجيج الناس في دهش

من نبأة قد سرى في الحي ساريها

[من عمرية حافظ]

كانت سنة ٦٩٩ هجرية سنة مهولة على البلاد ، إذ قصد التتار تحت قيادة قازان الأراضي الشامية ، ولم يكن هناك بيبرس أو قلاوون ليحميها أو ليخلق من الهزيمة نصراً كما حدث قبل ذلك في عين جالوت أو مرج حمص (١)

كان التتار يغزون وهم على دين آبائهم ؛ أما هذا العام فقد جاءوا واسم سلطانهم محمود ، وهم يظهرون الإسلام ومعهم المؤذن والقاضي والشيخ والإمام ، ليؤمهم في أوقات الصلاة .

جاءوا إلى الشام ، وقد اختلّ أمر مصر والشام ، وانضمّ فريق من أمراء البلاد إليهم ، فسلمهم الجزء الشمالي من سورية بغير قتال

وصلوا النبك ، واحتلوا القطيفة ، وانكفأ جيش مصر والشام إلى البقاع وبعلبك ، وفتحت دمشق أبوابها عدا قلعتها العتيدة التي أبت أن تستسلم

وكان ابن تيمية في التاسعة والثلاثين من عمره في حركة دائمة ، لا يستقر ولا يهمد ، لم يقبل أن تترك دمشق بغير أمن ، فذهب مع أعيان البلد وقابلوا عاهل التتار ، واحتج عليه قائلاً : « أنت تزعم أنك مسلم ، فلماذا أتيت إلينا غازياً وأنت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت ؟ ! »

واشتد اللجاج بينه وبين قازان وقطلوشاه وبولاى . وأتوا للوفد بطعام ، فأكلوا منه إلا ابن تيمية . فقيل له : ألا تأكل ؟ فقال : كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس ، وطبختموه مما قطعتم من أشجار الناس ؟ !

قيل وطلب إليه عاهل التتار الدعاء فقال في دعائه : « اللهم إن كان عبدك محمود هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا ، وليكون الدين كله لك ، فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد . وإن قام رياء وسمعة وطلباً للدنيا ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابره » قال هذا وقازان يؤمّن على كلامه . ولما خرج الوفد من حضرة العاهل التترى التفت بعضهم إليه قائلاً : كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك . والله لا نصحبك من هنا .

والغريب في أمره بعد هذا أن يتبرك به جند التتار ويلوذون به فيدخل دمشق وفي ركابه ثلاثمائة منهم !

كان وقتاً شديداً على الناس ، فتحت فيه السجون وخرج منها الأشرار ينهبون ، وامتلأت القرى بالجنود ، وكثرت المصادرات وراجت الأراجيف والإشاعات ؛ كل هذا والشيخ لا ينفك رأس الوفود ويفك الأسرى ويواسي المرضى

وفي يوم من الأيام رحل جند التتار عن البلاد وانسحبوا إلى عقبة (دمر) ومنها غادروا المدينة تاركين بها أحد الأمراء من الذين انضموا إليهم نائباً عنهم . كل هذا والقلعة صامدة وابن تيمية يدور كل ليلة على الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط

وأخيراً انكشفت الغمة بقدوم عسكر مصر وفتح لهم باب الفرج مضافاً إليه باب النصر . وجاء عسكر الشام وعلى رأسه نائب دمشق جمال الدين الأفرم وكان دخولهم في تجمل زائد الوصف .

٢ — ابن تيمية يلازم عسكر الشام في تنقلاته

نفخت روح الجهاد في نفسه نشاطاً جعله يختلف عن غيره من شيوخ عصره ؛ فهو بمجرد عودة عسكر دمشق لا يتركهم بل يلازمهم في تنقلاتهم وفي ركابه خلق من أهل حوران يدعو إلى الهدى ؛ فمر ببعلبك والبقاع وجبال الجرد والكسروان يخطب ويهدى ؛ فتاب كثيرون على يديه وحسن معتقدهم ، وكان كثيرون لا يحرمون ما حرم الله ورسوله .

وحينما عاد أمير دمشق وقد رأى من عمل الشيخ وفتوته ما رأى أمر لأول مرة أن يتعلم الفقهاء الرمي بالنشاب وأن يستعدوا بتعلم الفروسية وطرق القتال المختلفة ليواجهوا العدو إن حضر ، ولا ريب في أن للشيخ يداً في ذلك الرأي السديد .

(البقية في العدد القادم) أحمد رمزي

(١) معارك فاصلة انتصر فيها جيش مصر الاسلامية العربية على التتار

مشاركة الأدب الانجليزى في الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

٣ — القرن التاسع عشر

(تابع)

خصص « لين » نفسه فى السنين التى أعقبت عودته مباشرة لتحضير ترجمة انجليزية لكتاب « ألف ليلة وليلة » . وكانت الترجمات الأولى منه سبق أن ظهرت واكتسبت شهرة كبيرة ولكنها كانت غير دقيقة وغير علمية ، فأخذ « لين » على نفسه أن يقوم بترجمة تحتفظ فى غير الوقت بمعنى وجود النص الأصلى . وقد أرفق ترجمته تلك بملاحظات وشروح عن العادات الإسلامية فى العصور الوسطى وطبعت بعد ذلك منفصلة بعنوان : (الحياة العربية فى العصور الوسطى) .

وكان فى خلال ذلك الوقت يفكر فى تصنيف قاموس عربى انجليزى واسع ، فقد كانت القواميس الأوربية السابقة للعربية — كقاموس جوليوس وفريتاغ وغيرهما — ذات نفع من بعض الوجوه ؛ غير أنها وضعت على أساس غير دقيق ، وهى ناقصة من عدة وجوه . فكانت فكرة « لين » أن يقوم بعمل منظم فى القواميس العربية القديمة كتاج العروس وغيره ، وعلى أساس ذلك العمل يقوم بإعداد معجمه ، وفى يوليو سنة ١٤٢٠ سافر للمرة الثالثة إلى مصر حاملاً هذه الفكرة ، وشرع يعمل من سنة ١٨٤٢ إلى سنة ١٨٤٤ فى القاهرة من ١٢ ساعة إلى ١٤ ساعة يومياً بصورة اعتيادية ، ونادراً ما كان يغادر داره ، وفى الأخير ، عند ما جمع المادة اللازمة من القواميس العربية — ويجب ألا ننسى أنها لم تكن قد طبعت بعد ، وأن الحصول عليها لم يكن ميسوراً — عاد إلى انجلترا وقضى السنين الخمس والعشرين الأخيرة من حياته فى إكمال هذا المعجم . ولقد كانت المهمة شاقة ؛ فإن دراسة اللغة العربية — وهى فى ذاتها مجهود كبير — لم تكن إلا بداية له ، فيبقى من ورائها الغربلة والتحضير والتصنيف ، أى — بالاختصار — يبقى العمل الشاق المضنى لصنع معجم منظم منسق على الطريقة الأوربية من بين المادة المشوشة التى كانت تحت يديه . ولم يكن العمل — حتى تاريخ وفاته فى سنة ١٨٧٦ — قد أنجز ، غير أن الأجزاء العديدة التى كان قد نشرها تشكل جزءا ثميناً من الدراسة الشرقية ، وهو يعتبر بصورة عامة جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه من المؤونة التى يتزود بها طالبو العربية الجدد . ومنذ ذلك الحين حتى اليوم بقى معجم « لين » الأول من نوعه كما أنه كان الأساس لمعظم القواميس العربية المتأخرة باللغات الأوربية .

وقد ظل « لين » طيلة حياته « أستاذ الدراسات العربية المعظم » كما نعته بذلك أحد العلماء المشتغلين بالعربية من الألمان ، وقدرته الجمعيات الثقافية فى عدة عواصم أوربية .

* * *

أما « إدوارد هنرى بالمر » — وهو أحد العلماء الإنكليز المعروفين فى القرن التاسع عشر — فربما كان أكثر اشتهاراً فى الشرق باسم « الشيخ عبد الله » . وقد ولد فى كامبردج فى سنة ١٨٤٠ وتوفى فى مصر سنة ١٨٨٢ وهى السنة التى قامت فيها ثورة عرابى باشا . وأظهر منذ طفولته قدرة كبيرة على تعلم اللغات فأجاد الفرنسية والإيطالية بطلاقة . ولما بلغ العشرين من عمره تعرف إلى شخص يدعى « سيد عبد الله » وهو أحد المسلمين الهنود ، وكان حينذاك محاضراً باللغة الهندستانية فى جامعة كامبردج ، واكتسب منه الاهتمام بالدراسات الشرقية ؛ فقام بنشاطه المعهود بدراسة اللغات العربية والفارسية والأردية فى آن واحد ، ولم يمض عليه زمن طويل حتى شرع ينقل الشعر الإنجليزى إلى « لغته العربية المفضلة » وينظم بالفعل شعراً عربياً أصيلاً . وبعد ذلك مباشرة قرر أن خير طريق لتعلم اللغة العربية هو أن يتعلمها من العرب أنفسهم ، فنراه يتصل بصلة قريبة بأعضاء عديدين من الجالية العربية فى انجلترا — وكان أحدهم وهو سورى من حلب يدعى « رزق الله حسون الحلبى » الذى أصبح صديقه المقرب ، والذى كان له تأثير فى مؤلفات بالمر وخلقه ، فدرسه دروساً كثيرة ، وكان بالمر يحترمه كثيراً — وبعد ذلك بقليل دخل « بالمر » جامعة كامبردج وواصل دراساته الشرقية بصورة

أكثر تنظيماً ، وكان يطمح منذ زمن بعيد أن يزور بلاد العرب ويتعرف شخصياً تلك الأمة التى كان يعجب كثيراً بلغتها وآدابها . وفى سنة ١٨٦٩ أُتيحت له تلك الفرصة ؛ فنى تلك السنة والسنة التى تلتها ، قام « بالمر » برحلتين إلى الشرق الأدنى ، بالنيابة عن « جمعية كشف فلسطين » ؛ وبذلك أُتيحت له الفرصة الأولى لكى يدرس عن كثب الثقافة العربية واللهجات العربية ، تلك الفرصة التى انتهزها كلها . وبعد أن عاد إلى انكلترا بقليل عُيِّنَ أستاذاً للغة العربية فى كامبردج ، وقسم عمله عدة سنين بين العمل الأكاديمى والعمل الصحافى ، وأصدر بضعة كتب مهمة . وفى سنة ١٨٨٢ ، زار مصر مرة أُخرى ، وقام برحلة جريئة على ظهور الخيل فى شبه جزيرة سيناء ، وهى تلك المنطقة التى يعرفها جيداً من رحلاته السابقة . وقد أصبح ركوب « الشيخ عبد الله » فى الصحراء يذكر الآن كما تذكر الأساطير ، وكانت خاتمته فاجعة ، فقد كان ذلك الوقت زمن اضطرابات فى الشرق الأدنى ؛ ولذلك كانت الأسفار فيه أكثر من مخاطرة اعتيادية ، فقتله قطاع الطرق من البدو فى عودته من رحلته فى الصحراء ، وانبتت تلك الحياة الحافلة عن عمر مبكر يناهز ٤٢ عاماً

ربما كان « بالمر » فريداً بين المستشرقين الأوربيين باعتبار أنه لم يقتصر على اكتساب المعلومات الأكاديمية للغة العربية فحسب ، بل تعمق فى روح الأمة العربية ولغتها . وكان من القليلين من المستشرقين الأوربيين الذين كانوا يستطيعون الكتابة باللغات الأجنبية بطلاقة ودقة ، وبعض كتاباته باللغة الأردية تقرأ فى الهند كثيراً . ويعتبر وصفه بالأردية لزيارة الشاه الإيرانى لانكلترا من الخوالد . وكان يكتب وينظم بالعربية والفارسية كلتيهما . ومن الطريف ذكره فى هذا المجال ، أنه عند ما كان يكتب إلى زملائه المستشرقين خطاباته الخاصة ، يجد أنه لا يستطيع الأداء عما فى نفسه بصورة محكمة باللغة الإنكليزية ، فيندفع كاتباً بالعربية . وقد ذكر عنه أحد أصدقائه وزملائه ج . ف نيكول أستاذ اللغة العربية فى اكسفورد ما يلى :



إدورد هنرى بالمر : (الشيخ عبد الله)

« لقد كان « بالمر » غير مستقر فى رسائله التى كان يكتبها بالإنكليزية ، فكان ينفجر تحت تأثير إحساسات طارئة ، أو بقصد النقد ذاكراً بعض النثر أو النظم الفارسى أو العربى » .

ويمكن اعتبار القطعة التالية نموذجاً لشعر بالمر العربى :

ليت شعرى،هل كفى ماقدجرى مذ جرى ما قد كفى من مقلتى؟
قد برى أعظمُ حزن أعظمي وفنى جسميَ حاشا أصغرى

وبالرغم من قصر عمر بالمر ، فإنه خلف قائمة كبيرة من الكتب المطبوعة ، نجتزئ بذكر المهم منها فيما يلى :

لقد قام قبيل وفاته بطبع النص الكامل لديوان البهاء زهير المصرى مصحوباً بترجمة منظومة وشروح ومقدمة . وفى السنة التى تلتها نشر أجرومية للغة العربية بالإنكليزية ، وهى على خلاف الأجروميات السابقة قد وضعت على الطريقة التقليدية التى كان النحويون العرب يتبعونها ، وحاول أن يقدم النحو العربى إلى الطلاب الإنكليز بالشكل الذى كان العرب أنفسهم يدرسونه . وقد ظهر هذا الكتاب فى طبعته الثانية موسعاً فى السنة التى تلت وفاته . وأهم من ذلك نوعاً ما كتابه عن حياة هرون الرشيد الذى قدم فيه « بالمر » صورة زاهية من العاصمة العباسية فى عصر أشهر الخلفاء ، كما أنه نشر عدة ترجمات شعرية من العربية

والفارسية ، وقاموساً فارسيًا ، وفهرساً انتقاديًا للمخطوطات الشرقية فى كامبردج ، ووصفاً لرحلاته فى شبه جزيرة الطور . وقد حزن لوفاته أصدقاؤه الكثيرون . والمعجبون به فى جميع أنحاء العالم ، وظهرت مراثٍ له فيما لا يقل عن الخمس عشرة لغة منها اللغة العربية

وهناك عالم آخر من الدرجة الأولى فى الأهمية وهو « وليم رايث » ، (١٨٤٠ – ١٨٨٩) وهو ابن ضابط انكليزى فى الهند ، وقد ولد فى ذلك القطر ، وكانت أمه ضليعة فى عدة لغات شرقية ، فشجعته على أن يعتنق الدراسات الشرقية من باكر عمره ، فدرس العربية فى الجامعات الإنكليزية وفى القارة ، واشتغل مدة فى ليدن على المستشرق الهولندى العظيم « راينهارت دوزى » ، وكان أستاذ العربية فى لندن ودبلن وكامبردج على التعاقب . وقد كتب إلى صديق له – وكان فى الثانية والعشرين من عمره – أنه اختط لنفسه خطة يهب فيها حياته لدراسة اللغة العربية . وكانت تلك الخطة طموحة ، ولكن ما أعجب ما وصل « رايث » من المدى فى تحقيقها فى السنين التى تعاقبت بعد ذلك !

كان من أهم أعماله للأدب العربى عملان : أحدهما طبعته لرحلة ابن جبير ، والآخر طبعه لكتاب المبرد المشهور (الكامل) واشترك مع دوزى فى طبع تاريخ الأندلس للمقرى . ونشر كذلك عدة نصوص عربية أخرى . ولا يزال كتابه عن النحو العربى (فى مجلدين) من خيرة الكتب فى هذا الموضوع ، ويستعمله جميع الطلاب المتقدمين فى البلاد التى تنطق الإنكليزية

وقد خلف « رايث » على كرسى اللغة العربية فى كامبردج « روبر تسون سمث » (١٨٤٦ – ١٨٩٤) ، وهو اسكوتلندى من « أبردين » ، درس العربية فى جامعة تلك المدينة وفى القارة ، وسرعان ما اكتسب الشهرة ، فقدم له جماعة من المعجبين به فى سنة ١٨٨١ مجموعة من الكتب والمخطوطات العربية هدية تقدير ، وقام لعدة رحلات إلى الشرق الأدنى بين سنتى ١٨٧٩ و ١٨٨١ ، وساح كثيراً فى فلسطين ومصر وسورية ، حتى الجزيرة العربية ، حيث تغلغل إلى جدة والطائف . وتشمل كتبه المطبوعة دراسات عن : « القربى والزواج عند العرب القدماء » ، ونواحى أخرى من تاريخ العرب قبل الإسلام . وكان محرر « الموسوعة البريطانية » ؛ ولذلك فإنه يعتبر الشخص الوحيد الذى قرأ هذه الموسوعة كلها قراءة إمعان

ولقد كان ذا اطلاع عجيب ، وكثيراً ما كان يستثير استغراب أصدقائه بعمق معلوماته وتشعبها فى جميع أنواع الموضوعات . ولقد قيل عنه إنه أملى محاضرة كاملة عن تاريخ انكلترا فى العصور الوسطى ، وهو فى شبه غيبوبة ، وعلى فراش الموت ! !

ونذكر فى الأخير « سر وليم موير » (١٨١٩–١٩٠٧) وهو أحد المشتغلين بالعربية من الاسكوتلنديين ، وكان ذا سيرة حافلة كإدارى فى الهند وكعالم فى جامعة أدنبرة . وقد نشر عدة كتب بالإنكليزية عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وعن التاريخ الإسلامي . ولا يزال عدد من هذه الكتب يستعمل أصولاً فى الجامعات الإنكليزية والهندية ، وأحقها بالذكر السيرة الكاملة لحياة النبى محمد صلى الله عليه وسلم : ذلك الكتاب الذى خلا من الغرض خلوًّا تاماً . ولا يزال كتابه عن تاريخ الخلافة الذى وضعه على أساس المصادر العربية – وكان الكثير منها فى ذلك الحين مخطوطاً – خير الكتب فى هذا الموضوع بالإنكليزية .

(بغداد) عبد الوهاب الأمين

من ملاحق كتاب «رسوم دار الخلافة»

دنيّة القاضي
في العصر العباسي
للأستاذ ميخائيل عواد

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

كان ببغداد قاضٍ يُعرف بالجذوعي، واسمه محمد بن محمد ابن اسماعيل بن شداد أبو عبد الله الأنصاري (المتوفى سنة ٢٩١هـ) حكى ابن الجوزي قصة وقعت للجذوعي هذا مع غلام من متقدمي غلمان الموفّق، وكان أميراً يومذاك، ومدار القصة دنّية الجذوعي القاضي. قال أبو الفرج: «... فقال المعتمد من هذا؟ فقيل له الجذوعي البصري، قال وما إليه؟ قالوا ليس إليه شيء؛ فقيل مثل هذا لا ينبغي أن يكون مصروفاً فقلدوه واسطاً؛ فقلده اسماعيل وانحدر، فاحتاج الموفّق يوماً إلى مشاورة الحاكم فيما يشاور في مثله، فقال استدعوا القاضي، فحضر وكان قصيراً وله دنية طويلة، فدخل في بعض الممرات ومعه غلام له، فلقيه غلام كان للموفق، وكان شديد التقدم عنده، وكان مخموراً؛ فصادفه في مكان خال من الممر، فوضع يده على دنيته حتى غاص رأسه بها فتركه ومضى، فجلس الجذوعي في مكانه، وأقبل غلامه حتى فتقها وأخرج رأسه منها وثنى رداءه على رأسه وعاد إلى داره. وأحضر الشهود، فأمرهم بتسليم الديوان، ورُسُل الموفّق يترددون، وقد سترت الحال عنه حتي ذكر بعض الشهود لبعض الرسل الخبر، فعاد إلى الموفق فأخبره بذلك؛ فأحضر صاحب الشرطة وأمر بتجريد الغلام وحمله إلى باب دار القاضي وضربه هناك ألف سوط. وكان والد هذا الغلام من جلة القواد، ومحله محلّ مَنْ لَوْ همّ بالعصيان لأطاعه أكثر الجيش، فلم يقل شيئاً. وترجل القواد وصاروا إليه وقالوا مرنا بأمرك، فقال إن الأمير الموفق أشفق عليه مني، فمشى القواد بأسرهم مع الغلام إلى باب دار الجذوعي فدخلوا إليه وضرعوا اليه، فأدخل صاحب الشرطة والغلام وقال له لا تضربه، فقال: لا أقدم على خلاف الموفق. قال: فإني أركب إليه وأزيل ذلك عنه، فركب فتشفع له وصفح عنه»[1]

ومن ظريف الترادف قول بديع الزمان الهمذاني حينما كتب إلى القاضي أبي القاسم علي بن أحمد، يشكو أبا بكر الحيري «... ثم يلبس دنّيته، ليخلع دينيّته، ويُسوّي طَيلسانه، ليحرّف يده ولسانه ...»[2]

وفي بعض أخبار الظراف والمتماجنين أن سعد بن ابرهيم الكاتب قال يوماً لعبّادة المخنّث: «يكون مخنث غير بغّاء؟ قال: نعم. ولكن لا يكون مليح: يكون مثل قاضي بلا دنية»[3]

ولقد تقاذفها الشعراء في هجوهم. فمن قائل في حثّ متحكم على إعطاء رشوة إلى قاضٍ:

يا خليلي يا أبا الغيث درك ... نصب القاضي لكَ اليوم شرك
طلب البرطيل فابذلهُ لهُ ... يسكت القاضي وإلاّ ذكرك
لا يهـولنك دَنّيّته ... أعطه من رشوة ماحضرك[4]

وعلى ذكر إعطاء الرشوة للقاضي، وكان أمرها مشتهراً يومذاك، قال عمارة اليمني (المتوفى سنة ٥٦٩هـ) في ترسّلاته: «... وقاضي مصرك، قدمنا على الوالي، فأدلى القاضي بالدنية، وأدليت أنت بالهدية ...»[5]

وكان أبو الحسين محمد بن محمد بن لنكك البصري مولعاً بهجو كلاب بن حمزة العقيلي أبي الهيذام اللغوي. فمن أهاجيه التي تعرض فيها للدنية قوله:

نفسي تقيك أبا الهيذام كل أذى ... إني بكل الذي ترضاه لي راضي
ما كان أبدى فقيهاً إذ ظفرت به ... فكيف ألبسته دنية القاضي[6]

وهذا شاعر آخر من المائة الرابعة يسخر منها؛ فيذكرها مقرونة بغراب نوح؛ فيقول:

(١) المنتظم (٦ : ٤٩ طبع حيدر آباد)
(٢) رسائل بديع الزمان الهمذاني (ص ١٦٨؛ المطبعة الكاثوليكية في بيروت، طبعة ثانية سنة ١٩٢١)
(٣) الديارات للشابشتي (ورقة ٨١ ب؛ مخطوط برلين)؛ وهذا الكتاب حققه أخي كوركيس عواد وأعده للنشر.
(٤) محاضرات الراغب الأصفهاني (١ : ١٢٥؛ طبعة سنة ١٢٨٧هـ)
(٥) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية (٢ . ٤٤٠، طبعة درنبرج)
(٦) معجم الأدباء (٦ : ٢٠٨ — ٢٠٩؛ مرجليوث)، وشرح مقامات الحريري للشريشي (المقامة التاسعة ١ : ١٠٨؛ طبعة سنة ١٣١٤هـ)، وتاج العروس (٩ : ٢٠٣).

كأنَّ دنيَّة عليها غراب نوح بلا جناح[1]

وقال آخر :

ترى قلانسهم كالرمح طعنتها تخفى جراحتها فى جنب مغرور[2]

وقال الصابئ :

وفوقه دنيّة تذهب طوراً وتجي[3]

وكانت بعض النساء يفزعْن من رؤية القاضى بدنيته ولحيته الطويلتين . فقد ذكر متز نقلاً عن الذهبي أنه : « كان ببغداد فى سنة ٣٦٨ للهجرة ، قاض يعرف بأحمد بن سيّار ، وكانت له هيئة وجثة مهولة (كذا ؛ والصواب : هائلة) ، ولحية طويلة ، فقدم إليه امرأتان ادّعتْ إحداهما على الأخرى . فقال : ما تقولين فى دعواها ؟ قالت : أفزع ؛ أيّد الله القاضى . قال : ماذا ؟ قالت : لحية طولها ذراع ، ووجه طوله ذراع ، ودَنيّة طولها ذراع ؛ فأخذتنى هيبتها . فوضع القاضى دَنيَّته ، وغطى بكمه لحيته ؛ وقال : قد نقصتك (كذا ؛ والصواب : نقصتُ منك) ذراعين . أجيبينى عن دعوتها »[4]

وقد بالغ الناس فى درجة استهزائهم بالدنية واحتقارهم لها . فمن ذلك ما حُكِي عن أبي الطاهر الذهلى الذى ولى قضاء مصر فى شهر ربيع الأول من سنة ٣٤٨ للهجرة أنه « كان فى خلافة المطيع يلبس السّواد ، ويضع على رأسه دَنيَّة طويلة تزيد على الدماغ (كذا ؛ والصواب : الذراع) ، فتحاكم إليه زوجان ؛ فبدر من المرأة فى حق زوجها كلام ، فقال لها : اسكتى هذا القاضى هو أبو الطاهر ؛ متى زدت من هذا المعنى نَزَعَ الخفّ الذى على رأسه وقطعه على دماغك . فقال أبو الطاهر : قم يا كذا إلى لعنة الله ! من أين لك أن هذا خفّ ؟ ... »[1]

هذه باقة أخبار فى لطائف دنية القاضى تناثرت هنا وهناك ، وكانت فى جيمها مدعاة للضحك والسخرية ، فكم جلبت تلك الدنيات من الأذى والألم لكثير من القضاة ! وكم جرت عليهم من الويلات ! وكم من دنية غاصت برأس صاحبها ، وكم منها تعاورتها أيدى الصبيان والرعاع وتقاذفتها أرجلهم ، وكم من قاض ترك عمله بسببها

فلا غرو أن هذا الملبوس الدخيل على العرب لم يرق لهم ، ولم تستأنس عيونهم برؤيته فوق هام القضاة ، فما انفكوا يعرضون به ويستهجنون شكله حتى خف استعماله شيئاً فشيئاً على مر العصور ، ثم زال من الوجود منذ عهد بعيد

(بغداد) ميخائيل عواد

---

(١) و (٢) محاضرات الراغب (١ : ١٢٩)

(٣) شرح مقامات الحريرى للشريشى (١ : ١٠٨)

(٤) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى (١ : ٣١٣ ؛ الترجمة العربية) نقلا عن تاريخ الاسلام للذهبي فى مجلة الجمعية الآسيوية الملوكية (Jras, 1911, P. 669, Note 1.)

(١) ملحق الكندى (ص ٥٨٥ — ٥٨٦)

ومن أراد التوسع فى أخبار الدنية فليراجع : فتوح البلدان للبلاذرى (٤٣٤ طبع ليدن) ، ومحاضرات الراغب الأصفهاني (١ : ١٢٢) ، والمنتظم لابن الجوزى (٨ : ٢٧٥ ؛ حوادث سنة ٤٦٤ هـ) ، وخطط المقريزى (٢ : ٩٤ ؛ مطبعة النيل) ، ومعجم الثياب عند العرب لدوزى (ص ١٨٥) :

Dozy : Dictionnaire detaillé des Noms des Vetements chez les Arabes.

٢ - إلى المعترضين علينا

للأب أنستاس مارى الكرملى

٣ - هل المفضلات

إننا لم نفكر يوماً ، بل دقيقة ، بل لحظة عين ، أنّ نعت جمع التكسير يكون مفرداً مؤنثاً ، أو جمعاً على السواء ، والمطبوعات التى عنينا بنشرها - من تآليف ومقالات - مما طبع ولا نزال نتولى طبعه فى المجلات والجرائد والكتب ، تشهد شهادة تفقأ فى العين حصرماً ، وتذرّ فيها رماداً ، فى الوقت عينه بأننا عملنا — ولا نزال نعمل — بهذه الضابطة المطردة ؛ ومن نسب إلينا الخلاف ، فهو أعمى أو يتعامى ، ولا يهمنا أمره ، إنما إنكارنا كان لما كان على أفعل فعلاء وجمعهما على فعل لا غير ؛ إذ لا يوصف الجمع المكسر والصحيح بغير هذه الصيغة الأخيرة ؛ فإنك لا تقول ألبتة : رجال سوداء ، ولا نساء سمراء ؛ ولا نهارات زهراء ، ولا ليلات بيضاء ؛ حتى أن العوام لا تنطق بها . وكذلك لا تقول : كرياّت بيضاء ، ولو علقتْ برجليك تلك الكرىّ دهوراً وعصوراً ، توبة وندامة على ما سلف من أغلاطك ، وعلى ما فرطت فى حياتك

فالذى أنكرناه إذن — ولا نزال ننكره — هو قولك : كريات بيضاء ... فهذا كفر نحوىّ عربىّ لم تنطق به العوام ، ولا الأعاجم ولا الأروام ! !

وقال أحد المعترضين[1] المعاندين الذى لا يريد أن يهتدى إلى سواء السبيل : وبحسب قاعدة الكرملى ، لا يجوز نعت المنازل بالأخرى ولا بالأولى ، كما جاء فى قول المتنبى :

هذى منازلك الأخرى نهنئها فمن يمر على الأولى يسليها !

لكن ، هل يستطيع هذا المخالف أن يقول لنا : أين رأى كلامنا هذا ؟ أليس هذا كذباً منه وبهتاناً وافتئاتاً ؟ ! فهل فى « أولى » و « أخرى » لون ، أو عيب ، أو حلية ؟ وهل تجمعان على « أول » و « أخر » بضم أولهما ؟ أفليس هذا مخالفاً للشرط الرابع ؟ فما هذا التعامى والعمى أجارنا الله منه ؟

(١) راجع مجلة المجمع العلمى العربى فى ١٧ : ٢٢٣ — ٤٧٨

وأما قول الخصم : إن « المتنبي » قال :

« وبساتينك الجياد وما تحـ ـمل من سمهرية سمراء »

فالسمهرية هنا مفردة والسمراء كذلك . والمفردة هنا منكرة تدل على جمع ، فهى من قبيل وضع الواحد موضع الجمع ، وهذا معتاد فى أسماء الأجناس . قال هذا على فى المخصص ١ : ٦٨ .

وقال هذا المعترض المسكين المغرور : السماع يؤيد القياس فى هذا الشأن ، فمن السماع قول طرفة :

ويوم رأينا الغيم فيه كأنه سماحيق ترب وهى حمراء حرجف

قلنا : (حمراء) هنا مجاورة (لهى) ، وهى مفردة مؤنثة فحمراء صحيحة لما أشرنا إليه فى الشرط الخامس

وقال المعترض أيضاً ، محاولاً بكل قواه أن يضع رأيه الجامح موضع رأى ناجح ، وذلك من العبث ، فقال : « ومن ذلك قول الفِند الزمانى معاصر المهلهل »[1]

« بقيت بعده الجليلة تبكى والخدود البيضاء تدعو لحاها »

ثم قال : « هكذا جاء فى روضة الأدب (ص ١٨٥) ، وشعراء النصرانية (ص ٢٤٣) » انتهى .

قلنا : وحسناً فعل حين قال : « هكذا جاء فى روضة الأدب وشعراء النصرانية ، لأن سليقته تقول له : ليس هذا العجز من العربية فى شىء ، إنما هو باللغة الشويرية[2] ، ولم تكن هذه اللغة يوماً لغة فصيحة ، بل خليطاً من العربية ، والرومية ، واليونانية ، والزعفرانية ، والجلجلوتية !

زد على ذلك أن صاحب روضة الأدب اسكندر آغا أبكاريوس وهو أرمنى فاسد الذوق العربى ، فهو غثاء سيل ؛ وصاحب شعراء النصرانية شيخو ، وكان رحمه الله ـ حاطب ليل ، على ما اشتهر عنه فى سورية والعراق وديار النيل ، فوقعنا بين غثاء سيل وحاطب ليل ، لكن لا عتب على الأب شيخو ، لأنه نقل أبياته الزمانية عن الأرمنى المذكور ، وهذا الرجل يكتب الأرمنية بحروف

(١) نحن لا نعلم ما نصلح من مقال المخالف : أرأيه النحوى ، أم عبارته ، أم الأعلام التى يتعرض لذكرها . إننا لم نجد أحداً من الفصحاء ذكر هذا الشاعر باسم (المهلهل) إنما ذكروه بلا لام التعريف ، إن الأب لويس شيخو ذكره باللام فى شعراء النصرانية ، لكن متى كان هذا الأب — رحمه الله — حجة فى العربية ؟

(٢) الأستاذ الكبير الشيخ أمين ظاهر خير الله من الشوير ، (كزبير) مركز مديرية من محافظة المتن فى لبنان .

عربية ، ويتوهم أنه يكتب المضرية ، وإلا فما معنى قول الفِند : « الخدود العيطاء » ، وهل كانت أو تكون أو ستكون ، أو سوف تكون ، يوماً ، الخدود عِـيطاً (بكسر العين وإسكان الياء) . فالعيطاء مؤنث الأعيط ، والأعيط على ما فى معاجم اللغة : « الطويل الرأس والعنق ، والأبى الممتنع » فما معنى العيطاء وكيف تتفق مع الخدود ؟ اللهم إلا أن يكون معناها غير هذا فى إحدى اللغات الثلاث : المالطية والوقواقية ، أو الشنقناقية ؛ لكنى أقر معترفاً إنى أجهلهن كلهن . ولعل حضرة المجادل يفهمهن ، فيفسر لنا الكلمة فى موقعها هنا !

ثم لو فرضنا أن لها معنى غير مدون فى كتب متون اللغة فليس ذلك دليلاً على أنها وردت فى كلام الشاعر الأصلى ، إذ البيت ظاهر الوضع وليس من كلام الأقدمين .

ثم لو فرضنا ثانياً أن لها معنى حسناً يناسب المقام هنا ، فإن الفند الزمانى كان من ربيعة بن نزار ، والعربية الفصحى لم تنقل إلا عن قريش ، وأسد ، وتميم ، وقيس ، وكلهم من مضر ، فكيف يستشهد بكلام من هو من ربيعة ؟

ثم لو فرضنا ثالثاً ـ وهو أمر قريب من المحال ـ أن المجادل وجد لنا عشرة أبيات شعر ممن يستشهد بكلامهم وفيها ما يثبت دعواه ، فليس ذلك بشىء ، لأن شواهده ليست من القرآن ، ولا من الأحاديث النبوية ، ولا من كلام الفصحاء ، والبلغاء ، الأثبات ، إذ لا يكون الكلام ممن يوثق به إلا إذا جاء منقولاً عمن أخذت عنهم العربية المضرية الفصحى .

ثم لو فرضنا رابعاً أنه أتانا بعشرة شواهد ممن يوثق بعربيتهم من قريش ، وأسد ، وتميم ، وقيس ، فعشرة شواهد غير كافية لوضع قاعدة .

ثم لو فرضنا خامساً أن العشرة الشواهد التى جاءنا بها من فحول شعراء مضر ومن عشرة منهم ، فإننا لا نقبل الشعر فى اتخاذ القياس ، لأن النظم يتحمل ضرائر لا يقبلها النثر ، فنحن لا نرضى إلا بنثر رصين يذكر مثل تلك الكلمة أى الكريات البيضاء ، وإلا فنصيب تلك الشواهد سلة المهملات ، أو سلة المحترقات

فليتدبر حضرة مخالفى هذه الأقوال كلمة كلمة ، ثم يتعرض للرد علىّ رداً معقولاً يفهمه الناطقون بالضاد لا أبناء الشوير فقط

وقال أيضاً المعترض : « ورد فى كتب النحاة كشروح ألفية ابن مالك ، وفى المعاجم كالقاموس والتاج : جاؤوا الجماء الغفير ، أى يقال : جاء العلماء الجماء الغفير »

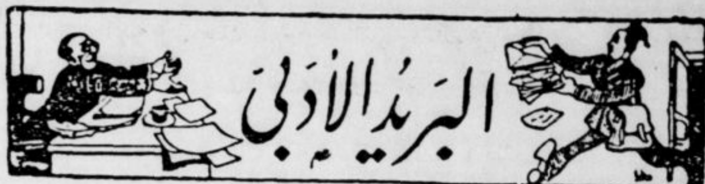
لله درك يا سيدى من عالم بارع ولغوى عظيم ! إننا لم نجد فى التآليف التى تشير إليها ما تقول . ففى أى طبعة من طبعاتها ؟ وفى أى بلد من البلدان طبعت تلك المصنفات ؟ وفى أى سنة من السنين نشرت ؟ إنك لم تقل لنا كل ذلك . أما فى الكتب التى بأيدينا فإنها لا تقول ما تدعى . وكيف يكون كلامك صحيحاً وفيه من الخطأ ما ارتعد له الملأ الأعلى ، وأهل الأرضين السفلى !

كيف يكون معنى جاءوا الجماء(١) الغفير : جاء العلماء الجماء الغفير ؟ ففى أى لغة تتكلم ، وهل تفهم ما تقول يا سيدى اللغوى القدير ! أما نحن فنخالفك ؛ فقد يقال : جاءوا الجماء الغفير من غير أن يكونوا علماء ؛ إذ قد يكونون عوامَّ وسوقة ، فأين وجدت ما تقول ؟ إننا نرى فى تاج العروس فى باب (جمم) ما هذا نقله : (وجاءوا جماً غفيراً ، والجماء الغفير) أى (بأجمعهم) قال سيبويه : « الجماء الغفير من الأسماء التى وضعت موضع الحال ، ودخلتها اللام والألف ، كما دخلت فى العراك من قولهم : أرسلها العراك » اهـ . المقصود من إيراده وهنا كلام القاموس وكلام التاج أيضاً ؛ فالذى بين هلالين هو للقاموس وما بقى هو للتاج على ما هو مقرر فى هذا الديوان اللغوى

فيا سيدى وأستاذى العزيز ، على من تريد أن تمرر عباراتك وآراءك ؟ وقراء هذه المجلة كلهم يفهمون ما تكتب وما تحاول أن تمرره عليهم من الأحلام والمنامات ، وما شابه هذه الترهات والخزعبلات وأضغاث الأحلام

وقال حضرة سيدى وأستاذى الجليل : « وفى شرح الزوزنى القاضى قول الحارث اليشكرى : « وله فارسية خضراء » يقول : « وله دروع فارسية خضراء » فهذا كلام لا غبار عليه ، لأن خضراء هنا مجاورة لفارسية ، وفارسية كلمة مفردة مؤنثة وإن كان معناها يدل على جمع لأنها عائدة إلى (دروع) . فراجع الشرط الخامس لتفهم سبب هذا القول ، وإن كان يجوز لك أن تقول أيضاً : « وله دروع فارسية خُضر » وهذه أفصح من تلك

(١) ومثل الجماء : السراء ، والضراء ، والبأساء ، والفحشاء ، والسوداء ، إلى نظائرها



١ – الحرية اللغوية !

أخذ الأب أنستاس مارى الكرملى على الأستاذ محمد مندور خطأً لغوياً وقع فيه حين قال : « وأما قصة الكراكى ، فقصة لا أثر لها فيما (عثرت به) من كتب اليونان » ؛ وذلك لأن وجه الصواب أن يقال : عثرت (عليه) لا عثرت (به) ، والعثور بالشئ غير العثور عليه . وقد أراد الأب الكرملى أن يُبيِّن للأستاذ مندور – فى تضاعيف كلامه – معنى قوله : (عثرت به) ؛ فقال : « ... ولعله أراد أن يقول : فيما عثرت (عليه) من كتب اليونان ، (أقاله الله من كل عثرة) ، وأن الجواد قد يعثر » . ولكن الأستاذ لم يلتفت إلى هذه الإشارة المقصودة ؛ لذلك رأيناه فى تعقيبه على كلمة الأب أنستاس يعود فيقول : « ... إننى لم أعثر بها ، ولا أقول : لم أعثر عليها – كما يقترح اللغوى الكبير الأب الكرملى – لأن المعنى الذى أُريد أن أُعبر عنه ، هو أننى لم أعثر بها ، أى لم أقع عليها ؛ وللأب الفاضل أن يظهر علمه – إذا أراد – فى غير هذه التوافه ، وأن يتفضل بأن يترك للكاتب الحق فى أن يتصرَّف فى اللغة ، وفقاً للمعنى الذى فى قلبه » !

ولو أن الأستاذ مندور توخى الحق فى تعقيبه ، لما انساق إلى هذا الردّ ؛ إذ أنّ غرض الأب الكرملى – فيما أعلم – أن يرشد الكاتب إلى التعبير الصحيح المتفِق مع اللغة التى يكتب بها ؛ وأىّ إنسان يجهل الفرق بين عثرت (به) وعثرت (عليه) (١) ؟

ثم أريد أن ألفت نظر الأستاذ إلى أن ما يسميه « توافه » ، ليس كما يتوهم : وسبب ذلك أن اللغة العربية – على الرغم من رحبها وسَعتها – لغةٌ دقيقة ، تتميز بالعمق وبُعد الغوْر ؛ فأى اختلاف فى حرف الجر الذى يجىء بعد الفعل يترتب عليه اختلاف فى المعنى قد لا يفطن إليه الكاتب الذى لا يتوخى الدقة فى التعبير ... وأما الحرية اللغوية التى يطالبنا بها الأستاذ ، فهى حديث خرافة ، لا أظن أحداً من المخلصين للغتنا العربية يقبل أن يسمعه ، ولا أعرف واحداً من كتاب الغرب يدَّعيه لنفسه . فأنا أفهم أن تكون هناك حرية فى التعبير وتخير الألفاظ ، وصوْغ أساليب جديدة ؛ وأما الحرية فى اللغة نفسها بحيث يكون للكاتب الحق فى أن يقول : « عثرت به » حين يكون يريد « عثرت عليه » ؛ فهذه حرية لا أفهمها ، ولا يفهمها أحد ، لأنها فوضى لغوية لا تباح إلا حين يكون لكل منا أن يخترع لغةً جديدة تلائم حريته !!

٢ – تعريب الأسماء الأعجمية

لاحظ الأب أنستاس الكرملى فى كلمة الأستاذ مندور أخطاء كثيرة (وأُصرُّ على تسميتها أخطاء) فى تعريب بعض الأسماء الأعجمية ؛ فهو يقول مثلاً : (لوسيان) و (مارك أوريل) والصواب : (لقيانس) و (مرقس أوراليوس) . وقد وقع بين يدىَّ – بعد قراءة هذه الملاحظة – كتاب « المجمل فى التاريخ المصرى » : (وهو من تأليف بعض أساتذة التاريخ بالجامعة المصرية) ؛ فوجدت فيه أخطاء كثيرة من هذا النوع :

(١) « مختار الصحاح » : (وهو فى متناول كل طالب صغير فيما أعلم) يقول : « عثر فى ثوبه يعثر بالضم عثاراً بالكسر . يقال : عثر به فرسه فسقط . وعثر عليه : اطلع .. الخ » . فثمت اختلاف كبير فى المعنى ، يترتب على اختلاف حرف الجر الذى يعقب الفعل . واللغة العربية فى هذا كسائر اللغات الأخرى فى الانكليزية مثلا فرق كبير بين التعبيرات الآتية : put down ; put on : put out ; put by ; put in ; put off ; put upon ; ...)

ثم من هو الزوزنى ، وأبو الزوزنى ، وجد الزوزنى بجانب نصّ القرآن ، والأحاديث النبوية الصحيحة ، وفصيح كلام البلغاء من العرب ؟ . أنسيت ، يا سيدى وأستاذى ، أن الزوزنى قال هكذا فى شرح بيت اليشكرى : « يقول : ثم قابلنا بعد ذلك حجر بن أم قطام ، وكانت له « كتيبة » فارسية خضراء لِما ركب دروعها وبيضها من الصدا . وقيل : بل أراد : وله دروع فارسية خضراء لصدئها » اهـ

فلو قال : أراد : وله « دروع خضراء » لما جاز لكنه قال : « وله دروع فارسية خضراء » فجاورت خضراء فارسية فجاز له هذا التعبير . ولا تنس أنه قال فى أول شرحه : « وكانت له « كتيبة » فارسية خضراء – فافهم يا سيدى ، وتأمّل وتدبَّر وترو إلى أن تروى من ماء الحقيقة و نميرها . والله المعين

(البقية فى العدد القادم) **الأب أنستاس مارى الكرملى**

أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

بغداد فى ٢٦ / ٩ / ١٩٤٢

فالكاتب مثلاً يسمى يوليانوس جوليان (ص ١٠١)، ويسمى كيرلس (وهو اسم شائع بمصر خاصة، فقد كان البطريرك الأسبق يسمى كيرلس الخامس): «سيرل Cyril»، ويسمى ديوقلديانوس «ديوكليشان»، ويسمى هباتيا «هباشيا»، ويسمى ثيودوسيوس «ثيودوزيوس»، وأثناسيوس «أثنازيوس» ومرقيانوس «مارسيان» ص ١٠٢، ويوستنيانس «جوستينيان» ص ١٠٤ الخ. وسبب هذه الأخطاء كلها رجوع الكاتب إلى الاسم في لغة غير لغته الأصلية — كالإنجليزية أو الفرنسية — حتى لقد سمى بعضهم سقراط «سوكراتيز»، أو «سكرات»!

والواجب «أن نعود إلى لفظ الأعلام كما ينطق بها أصحابها»: (كما قال الأب الكرملي في مقاله، وكما قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية). وذلك لأن الاسم الأصلي كثيراً ما يختلف عن الاسم الموضوع باللغات الأجنبية؛ والعرب لم يترجموا الأسماء إلا عن لغتها الأصلية، ومن ثم نجد اختلافاً كبيراً بين الأسماء العربية التي وضعوها نقلاً عن اللغة الأصلية نفسها، والأسماء العربية التي يضعها بعض الكتاب نقلاً عن الإنكليزية أو الفرنسية. وهذا الاختلاف كثيراً ما يضيق به الطالب الذي يرجع إلى المؤلفات التاريخية العربية، مع أن الألفاظ التي يجدها في كتب العرب هي الأصح، لأنها أقرب إلى الأصل من الألفاظ التي ألف استعمالها نقلاً عن الإنكليزية والفرنسية

ومن الغريب أن بعض أساتذة الجامعة يصرون على استعمال طريقة النقل عن هاتين اللغتين في تعريبهم للأسماء الأعجمية. وإني لأذكر أن أحد أساتذتنا في الجامعة — وهو يدرّس لنا الفلسفة المسيحية — نطق باسم «أمبرواز Ambroise»، فرده طالب من بيننا قائلاً له: الاسم بالعربية هو «أمبروسيوس»؛ ولكن الأستاذ أبى أن يأخذ باللفظ العربي، مع أن الاسم في لغته الأصلية يُنطق بالسين لا بالزاي (كما يقال أيضاً فيلسوف لا فيلوزوف). ولا يفوتني أن أذكر في هذا الصدد أنني قرأت مقالاً في هذا الموضوع للفريق أمين باشا المعلوف[1]، يتضمن بعض الأصول التي يجب التزامها في تعريب الأسماء الأعجمية (عن اللاتينية أو اليونانية)؛ فإلى هذا البحث أوجه نظر الأستاذ مندور — وغيره من أساتذة الجامعة المدققين — حتى يعمّ النطق الصحيح بين الطلاب، ولا يجد أحدهم صعوبة في تذوق اللفظ العربي الذي يعثر عليه في كتب التاريخ العربية.

(مصر الجديدة) زكريا إبراهيم

مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال

لم يكن لنا إلى ما قبل عشرين سنة أو ما حولها تاريخ مفصل لنهضة البلاد الوطنية يضمه كتاب، ولا سند صحيح لحركتها القومية يحتويه سفر، وإنما كان هذا التاريخ مطموس المعالم مبهم الحدود، حتى لو أراد دارس أن يقف عليه أو يلم به لأعياه السعي ولعميت عليه السبل، إذ لا يجد مهما جد في البحث وأمعن فيه إلا أنباء مبعثرة هنا وهناك بين صفحات أسفار لا يبلغها الحصر، ولو هو ظفر بشيء منها لوجده مما لا يشبع نهمه ولا يروي غليله. ومن الغريب أن يظل جهادنا لوطننا وكفاحنا في سبيل تحرير بلادنا، بغير تاريخ يبين أطواره، ويسجل أدواره، ويكشف عن نصيب كل جيل منه بما أنفق فيه من جهد وما قدم له من عمل!

وقد ظل هذا النقص بادياً في تاريخنا إلى أن قيض الله له مؤرخاً محققاً، وقانونياً كبيراً، وسياسياً محنكاً، ومجاهداً مخلصاً، هو الأستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك. توفر حفظه الله على دراسة هذا التاريخ والبحث عن تفاريقه الممزقة بين مئات الأسفار، واستقل بأعبائه وحده يؤلف بين هذه التفاريق ويجمع أشتاتها، مُسْتَنْفِداً ما وسعه من جهد في سبيل تمحيصها واستخلاص الحق منها، باذلاً في سبيل إحسان عمله كل نفيس من نفسه وماله، مما لا يكاد يستطيع فرد أن ينهض وحده به، حتى أخرج لنا في أصدق صورة وأبلغ بيان عملاً ضخماً، وعلى أنه قد ملأ مما عمل لهذا التاريخ تسعة أسفار كبار فإنه قد بقي منه أجزاء أخرى ستظهر إن شاء الله

كان الذي بعث عزيمة المؤلف على هذا العمل أنه كان يريد أن يضع «تاريخاً لفقيد الوطن العظيم مصطفى كامل على مثال كتاب (بول دشانل) عن (جامبتا) خدمة للقضية الوطنية

(١) نشر بمجلة «المقتطف» مرتين: (الأول في يونية ويولية سنة ١٩١١، والثانية في فبراير سنة ١٩٣٣)

وأداء لواجب الوفاء نحو من تلقى عنه مبادئ الوطنية الأولى[١] » ولكنه وجد أن تاريخ هذا الزعيم يستتبع « الكلام عن مبدأ ظهور الحركة القومية بمصر والتطورات التي تعاقبت عليها[٢] » فجعل همه أن يدرس هذه الحركة «من بدء ظهورها إلى اليوم[٢] » ذلك بأن مصطفى كامل إنما كان « يمثل دوراً من أدوار الحركة القومية سبقته أدوار وتلته أخرى ، ولا تكون دراسة الحركة القومية وافية إذا اقتصرت على عصر واحد من عصورها ، بل يجب أن يتناولها البحث بأجمعها »[٣]

ولما أنشأ يدرس الأدوار التي تقدمت عصر مصطفى كامل لكي يصل إلى مبدأ هذه الأدوار ، وجد بعد مواصلة الدرس ومطاولة البحث أن « للروح القومية التي بدأت تظهر في أواخر القرن الثامن عشر — يجب أن يرجع مبدأ الحركة القومية المصرية ؛ وأن أول دور من أدوارها هو عصر المقاومة الأهلية التي اعترضت الحملة الفرنسية في مصر »[٣]

ولم يقف به البحث عند دراسة الحركة القومية ، بل وجد أن تاريخ هذه الحركة يدعو إلى « دراسة نظم الحكم التي تخللت أدوارها ، ذلك أن سياسة الحكم وأساليبه كانت في مختلف العصور والبلدان الرئيسية لظهور الانقلابات والحركات القومية كما أن لهذه الحركات أثراً فعالاً في تطور نظام الحكم »[٣]

ولما استوت له هذه الطريقة ووضع لها المعالم وأحكم الحدود ، أخذ يؤرخ هذه الأدوار على ما قدمنا ، ثم زاد عليها ما يلابسها وما يتصل بها من دراسة الحركات العلمية والفكرية والاقتصادية مما هو كمال لها ، وتمام عليها ، بما في ذلك من ترجمة رجال هذه الحركات كلها

ولقد كنت أود أن أفصل القول في وصف هذا العمل العظيم الذي يعد بلا ريب من أعظم الأعمال التي يقوم بها المجاهدون المخلصون في سبيل أوطانهم ، وأن أبين شيئاً مما جاء في هذا التاريخ الزاخر الذي أوفى فيه مؤلفه الجليل على غاية ليس فوقها مرتقى لهمة ، ولا وراءها مذهب لذي إحسان ، حتى يعرف القارىء الكريم مقدار هذه العلمة الوطنية ويقف على هذا النهج الفريد من التأليف الذي يجمع بين عف القول وصدق اللهجة وبين بلاغة المبير وتقرير الحق ، ثم ما وراء ذلك من وزن الأمور بمعيار الدقة والنزاهة وهو ما اتصف به مؤلفنا الجليل سواء كان ذلك في أقواله وأفعاله أو في جهاده وتآليفه

كنت أريد ذلك كله أو بعضه ، ولكن ما أصاب الصحف في هذه الأيام من ضيق الصفحات وقلتها يضطر الكاتب إلى أن يلزم القصد في القول والإيجاز في التعبير

من أجل ذلك أراني مرغماً على الوقوف عند الكلام على هذا الجزء الذي عقدت من أجله هذه الكلمة ولكن بعبارة موجزة لا تعدو بضعة سطور . تكلم المؤلف الفاضل في هذا الجزء عن تاريخ مصر القومية مدى عشر سنوات (من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢) وهي السنوات الأولى للاحتلال وفصل القول في جميع ما جرى للبلاد في هذه الفترة من كل النواحي تفصيلا لا يوجد مثله في كتاب . وبحسبك أنه قد جاء على غرار ما سبقه من الأجزاء من حيث التحقيق والاستيعاب ، فلم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا ترك ناحية من نواحي هذه الفترة من تاريخنا إلا بينها وجلاها . فجزاه الله بما قدم من عمل صالح لبلاده خير الجزاء ، ووفقه بعنايته وفضله إلى إتمام ما بقي لهذا التاريخ من أجزاء ، إنه سميع الدعاء .

(المنصورة) محمود أبو رية

(١) ص ٣ من الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية

(٢) ص ٤ من نفس المصدر

(٣) ص ٤ من نفس المصدر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

Lundi - 2 - 11 - 1942

10me Année No. 487

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٤٨٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ٢ نوفبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

أمثال أخرى وأفعال

للأستاذ عباس محمود العقاد

بين الروسيين والصينيين مشابهة محسوسة وهى اشتراك كل من الأمتين فى الاتصال بالمنول من طريق المجاورة والمعاشرة والمصاهرة ، واقتباس كل من الأمتين كثيراً من عادات المنول ومأثوراتهم فى القصة والمثل والجديلة . فمن قرأ القصص والأمثال الصينية لم يعدم بينها وبين أمثال الروسيين وقصصهم مشابهة ظاهرة فى الأسلوب والمزاج ، ولم يكد يتخيل بين الأسلوبين فارقاً بعيداً فى غير الحواشى والتفصيلات . أما الجوهر فواحد أو يكاد أن يتوحد كما يتوحد الأقرون والصحبة المتلازمون

فإذا استحضرت أمثال الروسيين وتخيلت قائلها رجلاً واحداً خيل إليك أنه إنسان صبور رصين مستسلم يعرف الدنيا معرفة هادئة ، ويتحدث عنها تحدث سخر ممزوج بالألفة والمحبة ، وهذه هى الصورة التى تبدو لك من قراءة القصص والأمثال الصينية مع فارق يسير تلمحه فى جملة الأمثال وقد تخطئه فى المثل الواحد والمثلين ، ونريد به أن صقل الحضارة أظهرُ فى أمثال الصينيين ، وأن خشونة البداوة والفلاحة أظهر فى أمثال الروسيين ، ويتفرع على ذلك أن الصينى أقرب إلى السلم ، وأن الروسى أقرب إلى الحرب ، وإن كانا يتلاقيان فى خصلة متماثلة وهى أنهما يباشران الحرب

الفهرس

دفاعاً فيصبران عليها ويستبسلان فيها ، ويباشرانها هجوماً وعدواناً فلا يتحركان طويلاً للهجوم ولا يحتفظان كثيراً بحماسة العدوان

وقد ظهر هذا جميعه في حرب الصين واليابان وفي حرب الروس والألمان ، فظهرت شجاعة الصينيين وصبرهم كما ظهرت شجاعة الروسيين وصبرهم ، ولم يعهد للأمتين قبل الآن مثل هذه الشجاعة ومثل هذا الصبر في حروب الهجوم والعدوان

وقد تحولت من أمثال الروسيين إلى أمثال الصينيين كما تتحول اليد من فاكهة إلى فاكهة مثلها على شجرتين متقاربتين في بستان واحد ، فلم أشعر أنني أبعدت النقلة بين القطفتين وإن كان لا بد من خلاف بين ثمرة وثمرة وإن قطفتا من شجرة واحدة

والصينيون أولع أمم العالم قاطبة بالمثل السائر والنادرة المنجمة على حسب العبر والوقائع . وليس هذا بعجيب مع ما هو معلوم من محافظة القوم على شعائر السلف وتبجيلهم لذكرى الآباء والأجداد ورجوعهم بالحكمة كلها إلى عظات الأقدمين . وفي ذلك تأييد لما أسلفناه في ختام مقالنا السابق عن أمثال الروسيين

قلنا في ختام ذلك المقال أن إهمال العصريين لرواية الأمثال غير عجيب إذا نظرنا إلى الخلق الغالب بينهم ، «فقل في أبناء عصرنا من يقتدي بالسلف أو يحب أن يقال عنه إنه ممن يقتدي بهم في المعيشة والسلوك ، ولا معنى لسرد الأمثال ما لم يكن ديدن السلف حجة مقبولة بين القائلين والسامعين »

والصينيون يستحدثون اليوم ما يستحدثون في عادات المعيشة وآداب السلوك ولا يزالون على ديدنهم القديم من تقديس الآباء وتوقير السنن المأثورة عنهم ، فلا جرم يحرصون على الأمثال حرصاً لا نعهده بين المحدثين وطلاب الاستحداث في أنحاء العالم ، ولا جرم يودعون في أمثالهم من روح الشعب ما هو أبلغ في الدلالة عليهم والإبانة عنهم من الأسفار والموسوعات

قال دكتور هنري هارت في مقدمة منتخباته من الأمثال الصينية : « كل إنسان في الصين يتمثل الأمثال ... وقد سمعتها من لسان الأمبراطور كما سمعتها من لسان الخادم الوضيع ، فهي عندهم العملة الجارية في اللغة ، والدرب المختصر في المحادثة ، وكثيراً ما تغني عن المناقشات الطويلة وتحل العقد الشائكة . فيشوق المشاهد أن يصغي إلى المعارك الكلامية التي لا تني تتردد بين أهل تلك البلاد ، إذ يعرض الخلاف الصغير فيزدحم حوله الجمع الكبير من الكسالى والمستطلعين ، وإذ يحتدم المختلفان قليلاً قليلاً وكلهم مولود على استعداد للتمثيل ، فيلوح للمشاهد أن العنف واقع لا محالة وإن لم يكن الصينيون مشهورين بالملاكمة وقليلاً ما يعتدي أحدهم باليد على أخيه ، ثم يتفق فجأة أن يتقدم أحد الواقفين ـ ويغلب أن يكون من الكهول أو الشيوخ ـ فيتكلم ويأتي بمثل موجز موافق للمقام ، فكأنما تلك الكلمة النافذة المحبوكة هي الكلمة التي كان ينتظرها الطرفان المتشاجران، فتنحل العقدة المعضلة ، ويتراجع الخصمان ، ويتخافت صوتاهما العاليان ، وترتفع ابتسامة في مكان العبوس ، وتنتهي المشاجرة على خلاف ما يود المشاهدون من طلاب الضجيج والعجيج »

وهذا المشهد الذي وصفه المؤلف قد نراه في مصر ونذكر الكلمات التي تفض بها مشاجرات الطريق ، فهي في الغالب أمثال شائعة ، وفي الأغلب عظات من الكتاب والسنة النبوية ، ولكنها في القرى أعم منها في الحواضر الكبيرة ، ولحكمة السلف ومقام الشيخوخة فيها أثر غير قليل

ولكنك لا تقرأ مئات الأمثال عندهم ومئات الأمثال عندنا حتى تلمح الفارق بين الأمتين وإن اتفقتا على بعض العادات والخطرات

فأول ما يبدهك من جملة أمثالهم أنهم أبيقوريون يحبون الترف المريح ، ويألفون الدعة الفلسفية التي تسكن إليها النفس كما يسكن إليها الجسد ، ويؤثرون الترشف من النعيم على الغرق فيه ، ويقنعون بتجزئة السعادة إذ لا سبيل إلى السعادة الكاملة التي تدوم ولا يخشى عليها زوال

ومن أبدع أمثالهم التي تنم على هذا المزاج قولهم : « من عاش يوماً خالياً عاش يوماً خالداً » وقولهم : « ألف ريال لا تشتري ضحكة واحدة » ؛ وقولهم : « الأمراض تدخل من الفم والمصائب تخرج منه » ؛ وقولهم : « البركة قلما تقبل أزواجاً ، والمصائب قلما تقبل فرادى »

وقد أوردنا للروسيين مثلاً يعبر عن الفوارق الاجتماعية يقولون فيه : « إن عيوننا تملأها شمس واحدة وبطوننا لا يملأها طعام واحد » . وهو شاهد بارع من شواهد الطبيعة يقاربه في معدنه قول الصينيين : « الصيف للجميع والشتاء على حسب الكساء »

وأوردنا للروسيين مثلاً لرشوة الحكام إذ يقولون : « من

باب الطريق صدٌ ومن باب السر ترحيب » ويشبهه عند الصينيين فى موضوع الرشوة وفعل المال فى قضاء الحاجات قولهم وهو مختلف بعبارته متفق بمؤداه : « عشرة ريالات تحرك أرباب الهيكل ومائة ريال تحرك السماء نفسها ! »

والقوم معروفون بقدم العهد بالدمائة المدنية وحسن الحفاوة فى الاستقبال ، وهو ظاهر من تعويلهم فى التجارة على الابتسام إذ يقولون ما فحواه : « إن الذى لا ينفرج فمه بابتسامة لا ينفرج له باب دكان » ومن استعظامهم داء الجلافة إذ يقولون : « إنها داء ليس له عند الطبيب دواء »

ومن قولهم فيما يشبه هذا ويتصل به : « إن فتح دكان لسهل ، وإنما الصعوبة أن يظل مفتوحاً ... »

ومن أمثالهم التى تدل على طبيعة الحذر فيهم أو تدل على نصحهم بالحذر والاحتراس : « احمل مظلتك والسماء صاحية ، وادخر مؤونتك وجوفك شبعان » و « الجمال لا يوقع الرجال فى الشرك ، إنما هم الذين يقعون فيه » و « لا تشتم امرأتك فى المساء وإلا نمت وحدك ! » و « المرأة الشائهة والخادمة الغبية كنزان لا يقوَّمان » و « لا ترسل الباز حتى تبصر الأرنب » وهكذا فى عشرات من الأمثال

وربما كان الصينيون فى طليعة الأمم التى هانت فيها أقدار المقاتلين وعظمت أقدار الحكماء والنساك ، ولهذا تتواتر عندهم الأمثال التى تدل على نفاسة الحكمة وصعوبة الحصول عليها من قبيل قولهم : « الذهب له ثمن والحكمة بغير ثمن » وقولهم : « طالب العلم كالصاعد فى وجه التيار إن لم يتقدم فهو منحدر » وقولهم : « خذ الخمر قطرات والحكمة جرعات ! » وقولهم : المعرفة كنز يتبع صاحبه حيثما ذهب » وقولهم : « العلماء ذخائر الأمم » وقولهم : « من علمنى يوماً فهو أبى مدى الحياة »

وقد اشتهروا كذلك بالسكن إلى حياة الأسرة وجيرة الوطن ، فحفلت أمثالهم بالتغنى بالبيت والوطن ؛ واجتمع أفضل ما قالوه حول هذا الغرض فى مثلين نموذجين أحدهما قولهم : « لا يخلو البيت من راحة ولا خارج البيت من تعب » وقولهم : « لتكن حسناء أو شوهاء فهى بلادى . وليكن قريباً أو غير قريب فهو ابن وطنى ! » وربما زادنا علماً بقوام البيت عندهم قولهم : « الزوجة لفضيلتها والخليلة لجمالها »

ومن نماذج السخرية المطمئنة فى أمثالهم قولهم : «بائع البطيخ يقول إنه حلو ! » وقولهم : « كلب ينبح على شىء ، وألف كلب تنبح على نباحه » وقولهم : « نولد ولا نحضر معنا شيئاً ، ونموت ولا نذهب بشىء » وقولهم : « الغراب أسود هنا وأسود فى كل مكان » وقولهم : « إذا خلقت السماء إنساناً فله طلب لا محالة ! »

وهم قدريون كالروسيين أو قدريون كعامة الشرقيين ، فليس أكثر فى أمثالهم من التسليم للقدر وقلة الجدوى فى خلافه على تمدد فى اللفظ وتوحد فى المعنى ، كما يقولون ، وفيه شىء من سخريتهم : « يقول الإنسان هكذا هكذا ، وتقول السماء ليس كذلك ليس كذلك ! » أو يقولون : « ما يبرمه القضاء لا ينقضه إنسان » أو يقولون : « من خلق للسعادة فلا يعجل وراءها » أو يقولون « كل كأس وكل لقمة مقدرتان لفم ، لا يأخذهما غيره »

* * *

ولا نهاية للمواضع والمناسبات التى يستشهد فيها ببعض هذه الأمثال الصينية التى يخطئها الإحصاء

إلا أن الشاهد الأكبر فيما نحن بصدده هو هذا الاهتمام من قبَل الأمم الغربية بكل جانب من جوانب البحث فى البلدان التى تلتفت إليها أنظار الناس على أثر الحوادث الحربية أو السياسية التى تقع فيها . فما مضت أشهر على اشتغال الصحف بقضية الصين حتى امتلأت رفوف المكتبات بالمجالات والرسائل والمجلدات عن كل شىء يعرف — أو ينبغى أن يعرف — من أحوال تلك البلاد ، فهذا يكتب عن النهضة الصينية ، وذاك يكتب عن زعماء الصين ، وغيرهما عن تاريخ السياسة الأوربية فى الشرق الأقصى ، وغيرهم يكتب عن فن الصين أو أغانى الصين أو عقائد الصين أو محاسن الصين ، إلى أشباه ذلك مما يقترن بالصين وأبنائها ولو من بعيد

ومثل هذا حدث فى اهتمامهم بروسيا بعد ثورتها الاجتماعية أو بعد حربها الأخيرة مع النازية ، ويحدث مثله كذلك حول كل مسألة من المسائل القومية أو العالمية التى ترتبط ببلد من البلدان ، حتى ليصح أن يقال إن الحرب عندهم ليست شراً محضاً يجلب الخراب وينزل بالبلاء ثم ينتهى أثره عند ذلك ، لأنها فى الواقع سبيل من سبل المعرفة وباب من أبواب التعارف ، وطريق إلى كشف الظلمات عن مجاهل العالم قاصيه ودانيه

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

٢ – حديث عيسى بن هشام

للدكتور زكي مبارك

تأريخ المجتمع ونقد المجتمع — جريمة أدبية — سريرة المويلحي — التحرش بالأزهريين — صفحات تعليمية — كلمة إنصاف

تأريخ المجتمع ونقد المجتمع

المجتمع اسمه الجمعية فى لغة المويلحي وفى لغة من عاصروه ، فهو يقول الجمعية الإنسانية ويعني بها ما نسميه المجتمع الإنساني . وقد لاحظنا فيما سلف أن « الجامعة المصرية » معناها فى كتابات لطفي باشا السيد « الرابطة المصرية » وأن الجامعة بمعناها الجديد كانت تسمى الكلية ، وقد وردت بهذا النص فى مجلة المقتطف عند الكلام عن إنشاء الجامعة المصرية . وبعض جرائد الشام لهذا العهد تذكر «الجامعة البشرية» وهى تعني الرابطة الإنسانية .

فليلتفت الطلبة إلى أن فى كتابات المويلحي ألفاظاً هجرها كتّاب اليوم ، أو نقلوها من وضع إلى وضع ، وللألفاظ أعمار وأزمان !

ثم أذكر أنه يجب أن نلاحظ الفرق بين تأريخ المجتمع ونقد المجتمع ، ففى الكتاب فقرات تؤرخ المجتمع من غير قصد فنعرف منها بعض أحوال القاهرة منذ نحو خمسين عاماً ، كأن يصف المؤلف داراً بالعزة والرفاهية فيذكر أنها تضاء بالكهرباء . ونحن اليوم لا نقول ذلك ، لأن الأغلب فى القاهرة أن تضاء الدور بالكهرباء ، وإن لم يكن أهلها أغنياء . وكأن يذكر المؤلف أن محكمة الاستئناف فى حى الاسماعيلية وأنها لم تكن تستقر فى مكان . وكأن يقول : إن سكان مصر عشرة ملايين . وكأن ينص على أن المحامين أمام المحاكم الأهلية لا يعرفون اللغات الأجنبية ، وكأن يشير إلى متحف بولاق ومتحف الجيزة ، وليس عندنا اليوم غير متحف قصر النيل . وكأن يذكر أن كتّاب المحكمة الشرعية تنتظرهم حميرهم وبغالهم على الأبواب ، وكأن يجمل سدّنة « الدفترخانة » أشياخاً يحملون الدوىّ النحاسية فى أحزمة القفاطين . وكأن يقول التشخيص وهو يريد التمثيل . وكأن يذكر فى القانون الجنائي أشياء لا يعرفها قضاة هذا الزمان

التأريخ المقصود

وقد يقصد المويلحى إلى تأريخ بعض تطورات المجتمع فى الزمن الذى سبق تأليف الكتاب ، كأن ينص على «سر الليل» ، فمن هذا « السر » نفهم أن القاهرة كانت تُغلَق أبوابها بالليل فلا يدخلها أحد إلا بإشارة يفهم منها الشرطة أنه فى غنى عن الاستئذان

وهنالك تأريخ يحمل معاني النقد ، كأن يُنطق « الباشا » بعبارات ندرك منها أن النزعة التركية كان لها فى زمانه مكان . ففى ص ٢٤ يعجب الباشا من أن لا يكون لأمير على مصرى أمرٌ . وفى ص ٢٧ ينكر الباشا « أن يحكم الناس فلاح وينوب عنها حرّاث » . وفى ص ٤٣ يعجب الباشا من أن « يتعدى المصريُّ على الجندى » . وفى ص ٤٨ يصرّح الباشا بأنه عاش دهره لا يعرف أن السجن يكون فى عقاب الكبراء والأمراء ، وإنما يكون فى عقاب السفلة من العامة والغوغاء من الناس !

ثم ينفجر المؤلف فى ص ٧٢ فيقول فى الأتراك كلاماً لا يقال اليوم ، لأن هذه النزعة قد اختفت أو ماتت ، بغض النظر عن الحادث الذى وقع منذ بضع سنين(1)

النقد المقصود

يجرى قلم المؤلف بعبارات نقدية خفيفة من صفحة إلى صفحات ، ثم يعمد إلى النقد عمداً فيسهب ويطيل . ولعل المحامين والقضاة والأعيان لم يصابوا فى سمعتهم بأذى ولا أوجع مما رماهم به المويلحي فى عرامة نادرة المثال

هل كان المجتمع المصرى قبل خمسين سنة على نحو ما صوره ذلك القلم الفاتك ؟ وهل كان يغلب أن يكون القضاة من الفتيان الأماليد ؟ وهل كانت المحاماة نصباً فى نصب وخداعاً فى خداع ؟ وهل كان « العمدة » الذى تعقّبه المويلحي نموذجاً لجميع الأعيان فى ذلك الزمان ؟

جريمة أدبية

هى جريمة المويلحي فى تصوير المجتمع المصرى ، فقد اهتمّ بتجسيم العيوب تجسيماً بلغ الغاية فى القسوة والعنف ، وسكت عما فى المجتمع المصرى من محاسن أصيلة هى سر بقائه فى صحة وعافية ، برغم ما أصاب هذه البلاد من كوارث وخطوب

(١) راجع افتتاحية « الرسالة » فى العدد ٣٠٩

وعذر المويلحى أن نُقاد المجتمع لعهده كانوا جميعاً متشائمين ، ولو شئت لقلت إنهم كانوا يجدون لذة فى التذمر والتقزز والتفجع ، ولهذا الاتجاه شواهد نجدها فى كتابات توفيق البكرى ، وفى قصائد حافظ إبراهيم ، وفى تلك البيئة ظهر المنفلوطى فكان أدبه من صور القلق والانزعاج

وما أقول بأن أمثال هؤلاء الكتاب يفترون على المجتمع ، لا ، فقد صوَّروا بيئات موجودة بالفعل ؛ وقد لا تنقرض ، فلن تخلو الدنيا من محام نصَّاب ، أو قاض كسلان ، أو تاجر غشاش ؛ وإنما أُنكر التعميم فى الأحكام النقدية ، التعميم الذى يصم المجتمع فى جميع طبقاته بالتفكك والانحلال ، مع أنه فى الحقيقة لا يخلو من تماسك يضمن له البقاء

وإنما عددت هذا المذهب جريمة أدبية لأنه ينتهي إلى التعجيز والتيئيس ، ولأن أثره فى تقويم المجتمع أثرٌ ضئيل

يضاف إلى ذلك أن أصحاب هذا المذهب لا يضعون النماذج للمجتمع المنشود ، وإن فعلوا فلن يكون المجتمع الصالح فى نظرهم إلا بيئة خيالية لا يعرفها سكان الكرة الأرضية

سريرة المويلحى

حديث عيسى بن هشام يشهد شهادة صريحة بأن المويلحى قد ارتطم فى حياته بمشكلات ومعضلات خلقتها معاملاته مع الناس . والظاهر أنه عرف المحاكم المصرية من مختلطة وأهلية وشرعية ، عرفها مدَّعياً ومدَّعى عليه . والظاهر أيضاً أنه ابتُلى بمزعجات الأوقاف . ولا جدال فى أنه عانى الغدر من بعض الأصدقاء ، فله فى الأصدقاء كلمات سارت مسير الأمثال . ويظهر كذلك أنه اتصل اتصالاً وثيقاً بالملاعب القاهرية فى مكايدها الليلية ، ثم يظهر أنه بادل الصحفيين من معاصريه ظلماً بظلم ، وعدواناً بعدوان

أقول هذا لأدفع تهمة وُجِّهت إلى المويلحى من أديب عظيم هو أخونا الأستاذ الزيات الذى يرى فى « الرحلة الثانية » شاهداً على أن الرحلتين ليستا لكاتب واحد ، لأن الفرق بين الرحلة الأولى والرحلة الثانية بعيدٌ بعيد[1]

والحق أن الرحلة الثانية ضعيفة كل الضعف ، بالقياس إلى الرحلة الأولى ، ولكن ما سبب ذلك الضعف ، مع تقارب الأسلوب فى الرحلتين تقارباً يشهد بأن الكاتب هنا هو الكاتب هناك ؟

يرجع السبب إلى أن المويلحى لم يعرف من أوربا غير فرنسا ، ولم يعرف من فرنسا غير باريس ، ولم يعرف من باريس غير ظواهر سطحية لا تقلقل الخاطر ، ولا تبلبل الوجدان ، فكيف جاز أن يدَّعى القدرة على تصوير المدنية الغربية ؟

المويلحى لم يعرف باريس ، وإن زار باريس ، ولو أنه عرف تلك المدينة فى حياتها الحقيقية « كما عرف القاهرة فى حياتها الحقيقية » لقال فيها كلاماً غير الذى قال ، ولكان من الجائز أن يُفردها بكتاب يشرح ما تعانى من اصطراع المذاهب والآراء ، فقد زار باريس وهى فى عنفوان الفتوة ، وفى اتصال وثيق بأمم الغرب والشرق ، ومع هذا لم يستطع أن يدوِّن من حيواتها غير بوارق مهددة بالخمود

بدا لى مرة أن أعرف ما أُلِّف عن الحى اللاتينى ، فجمعت نحو ثلاثين كتاباً ، منها كتاب يصور ما يعانى طلبة السوربون من الهود المرابين

وبدا لى مرة ثانية أن أحصي المكتبات القائمة بالحى اللاتينى وهو مهد الفكر الحر ، فهالنى أن أجد فيه مكتبة لا تبيع مؤلفات رينان بحجة أنه زنديق

وبدا لى مرة ثالثة أن أعرف إلى أى مدًى تتصل باريس بأساطير الأولين فجمعت من ذلك أشياء وأشياء ... فأين المويلحى من ذلك التعقيد العنيف ؟

وخلاصة القول أن إخفاق المويلحى فى تصوير الحياة الباريسية يرجع إلى أنه لم يعانِ فيها مشكلات تزلزل العقل أو تثير الوجدان ، فجاء حديثه عن تلك الحياة أضعف وأضعف من أن يسامى حديثه الأول فى وصف الحياة المصرية ... والأدب يأخذ قوته من التجارب والمشاهدات ، لا من الحدس والتخمين . وكذب من ادَّعوا أن الأدب أوهامٌ وظنون

ومن الواجب أن نسجل أن المويلحى نظر إلى المدنية الغربية بالعين الشرقية ، فلم يحاول إبراز ما فيها من خصائص إيجابية ، كما حاول إبراز ما فيها من خصائص سلبية . وهو مع ذلك محمود الصنيع ، فقد جاهد فى حدود طاقته جهاد الرجال ، ومن كان كذلك فهو جدير بكل ثناء .

---

(١) الرحلة الثانية محاولة أراد بها المويلحى تصوير المدنية الغربية ، ولكنه أخفق

التحرش بالأزهريين

والمويلحي لا يكفّ عن التنديد بالعقلية الأزهرية ، فما تعليل هذه النزعة عند ذلك الأديب ؟

يرجع السبب إلى أن انقسام المتعلمين إلى معمَّمين ومطربشين كان في عهد المويلحي فتنة تثور بين طبقتين ... كان المطربَشون يرون أنفسهم طلائع الجيل الجديد ، وكان المعممون يرون أنفسهم حُماة الدين الحنيف ... وكانت الدولة نفسها لا تُسند المناصب الإدارية لغير المطربشين ، بحجة أنهم أعرف بالأنظمة المدنية ، وأقدر على سياسة الناس ... وهل ننسى أن منصب الوزير عرض على الشيخ محمد عبده فرفضه بإباء ، لأن من عرضوا عليه ذلك المنصب دعوه إلى خلع العمامة ولبس الطربوش ؟

كانت الفتنة قائمة بين هاتين الطبقتين ، وكان من العسير أن توجد بينهما صلات خالية من شوائب التحاسد المستور أو المكشوف . ولتلك الفتنة عقابيل باقية إلى اليوم . ولا موجب للتفصيل !

هذا هو السبب في حرص المويلحي على التنديد بالأزهريين ، وهو أيضاً السبب في أنه هادَنهم بعد انقطاع أسباب الشقاق .

ولكن كيف ؟

قلت إن الطبعة الأخيرة هي الطبعة الرابعة ، وأنا لم أقرأ هذا الكتاب إلا في الطبعة الثانية ، وقد ظهرت منذ أكثر من ربع قرن ، ومع هذا بقيت في ذاكرتي منها أشياء لم أجدها في الطبعة الأخيرة . وبرغم ضيق الوقت عن مراجعة الطبعة الأولى أو الثانية فأنا أذكر جيداً أن « عيسى بن هشام » مضى مع « الباشا » لزيارة الأزهر الشريف ، وأذكر أنهما سمعا الأزهريين يتحاورون ويتجادلون في بدعة إصدار الجرائد والمجلات ، وانتهى الرأي إلى أن الأزهري يستطيع أن يكون صحفياً إن أراد ، وقرأ أحدهم مقالة نشرها أحد الأزهريين ، وهي مقالةٌ افتعلها المويلحي ، فقد كانت فيما أتذكر غاية في الركاكة والإسفاف ، على نحو ما صنع وهو يفتعل ما يُلقى في الأعراس من الخطب الرنانة والقصائد الجياد ! !

فكيف استجاز المويلحي أن ينال كتابه بالتعديل فيما يتصل بحياة الأزهريين ؟

كان ذلك لأنه أراد أن يقرَّر كتابه للمطالعة في المدارس الثانوية ، وكان يعلم أن المفتشين الذين يحكمون لكتابه أو عليه هم في الأصل أزهريون ، ومن الحزم أن يتقي شرهم بحذف ذلك الحديث ... وآفةُ الأدب أن يعرِّض للمنافع ، وأن تراعى فيه خواطر بعض الناس

وإذن يكون من الحزم — ونحن نؤرخ الحياة الأدبية والاجتماعية — أن نقرر أن الطبعات القديمة من هذا الكتاب هي الأساس في تصوير ما سماه المويلحي « فترة من الزمن » ، بدون مبالاة للمجاملات اليومية على حساب التاريخ .

صفحات تعليمية

في الكتاب صفحات أُريدَ بها التعليم ، أعني أن المؤلف أراد بها شرح ما جدَّ في مصر من الأنظمة واللوائح والقوانين ، فما منهاجه المختار في الشرح ؟

هو يشرح وينقد ، يشرح أموراً وينقد أموراً كانت لعهده تحتاج إلى إيضاح مصحوب بالاعتراض ، كالذي وقع في الصفحات ٤١ و ٤٢ و ٤٣ ، وهو يفصّل أنواع المحاكم بهذه البلاد

يحدثنا المؤلف أن مفتي نظارة الحقانية — وزارة العدل — أقسم الأيمان المغلَّظة أن القانون الفرنسي غير مخالف للشرع الإسلامي ، مع أنه لا يعاقب على الفسق إن تجاوز عمر المفسوق به الثانية عشرة بيوم واحد[١] ومع أنه لا يعاقب من يزني بأمَته إذا هي رضيت وكانت غير متزوجة ، ومع أنه يعدُّ الأخ مجرماً جانياً إذا تعرض للمدافعة عن أخته ، ولا يعطي حق الدفاع لغير الزوج ، ومع أنه يقبل شهادة المرأة الواحدة على الرجل ، ولا يعاقب الزوج إذا سرق من امرأته ولا المرأة من زوجها ولا الولد من أبيه ولا الأب من ابنه[٢]

ويتكلم المؤلف عن المجالس التأديبية ، فنعرف منه أنها خاصة بعقاب الموظف الذي يخل بتأدية وظيفته ، وأنها في الغالب تتألف من رؤسائه الذين يتهمونه ظالمين أو عادلين

أما حُكم المؤلف على المحاكم القنصلية فلا يخفّفه غير الاطمئنان إلى ذهاب عهد الامتيازات الأجنبية

---

(١) ضاق الوقت عن مراجعة هذه المادة من القانون الفرنسي ، وأنا أجزم بأن المؤلف أخطأ في تقدير السن ، ولعل الأمر كان على هذه الصورة في ذلك العهد

(٢) هي أحكام صحيحة من الوجهة القانونية ، ولكنها فاسدة من الوجهة الأخلاقية

عودة إلى نقد: الأستاذ على طه

أرواح وأشباح

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

— ٢ —

فرض الشاعر بمخيلته القادرة أن الأرواح المجردة تتكلم، فى السماء، عن البشر وغرائزهم فى الأرض. وهذا يعتبر فرضاً فنياً يزيد فى فهم القارىء وضوح الفرق، فى تكافح الروح والجسد، بين نزعتها العلوية السماوية ونزعته السفلية الأرضية. وهو أيضاً خيال أدخل فى الصنيع البديع عنصراً مخففاً من عناصر الملاحم: لأن إيجاد الخوارق فيها — بإدخال كائنات فائقة قوى الطبيعة فى حوادثها — كان أمراً جوهرياً، ثم أصبحت الخوارق محسّنا اختياريا يراعى فيه احتمال الذوق العصرى. وكأن هذا الخيال اتفاق أدبى مضمر بين الشاعر وقرائه، كالاتفاق الروائى[1] الضمنى فى الروايات، بين المؤلف والنظارة: كأنهم اتفقوا معه على التسليم بالفرض الأول فى روايته، ليضحكهم أو يبكيهم بما بنى عليه من مواقف، وبما أنطق فيها أبطاله من كلام

(١) Convention thèatrale

واختار الشاعر من أسماء الأساطير الإغريقية أسماء لأبطاله؛ وهو اختيار موفق لما تشير إليه هذه الأسماء — بتداعى المعانى فى ذهن القارىء — من أن القصص يصف غريزة الإنسان وأخلاقه من ماض بعيد؛ ولأن أسماء أهل الفنون أليق بملحمة فيها كلام على الفنان وعلاقته بالمرأة. وفى اختيار تلك الأسماء القديمة مزية أخرى: فقد حسن وجودها فى هذه اللحمة من حيث أن العتيق أشعر من الحديث، كالسيف ما زال أحب فى الشعر من المدفع. فما ظنك بمن لم يجد أسماء عربية تجمع مزايا تلك الأسماء الإغريقية، وتحسُن حسنها إن حلت محلها فى الملحمة، فودّ لو أن الشاعر تبدّل بها أرقاماً فى شعره ولم يضيّع دلالتها على شخصيات معروفة فى الأساطير أو التاريخ!

واتهم شاعرنا الغريزة فى الأشباح، وبرأ الأرواح المجردة. فالأرواح ذوات الأسماء الإغريقية تتكلم فى العالم العلوى طليقة من قيود أشباحها، تتكلم قبيل بعثها بما يصف سجايا الفنانين الآدميين وغرائز الإنسان؛ وفى كلامها أنها حين تهبط فى أشباحها إلى الأرض، سيعروها ما عرا أرواح البشر:

لنا مثلهم فى غد غشية   إذا ما حللنا رحاب الثرى

كلمة إنصاف

كان المويلحى فيما يظهر مفطوراً على حاسّة العدل، وهى حاسة تميل من الوجهة الشكلية إلى تجسيم العيوب، وتغفُل أو تتغافل عن مكافأة من يُتهمون وهم أبرياء

أعظم ما يجازَى به المتهم البرىء هو الحكم بأنه برىء، ولم نسمع أن متهماً بريئاً جازاه قاضيه بجائزة تذهب عنه آفاك المرجفين

لا رجاء فى الدنيا ولا أمل فى الناس، إن لم يأت يوم يكون فيه حكم البراءة بشيراً بالرفاهية والرخاء

فأين المويلحى من هذه المعانى؟

ظلمه معاصروه فظلم معاصريه، والظلمُ بالظلم بغىٌ وعدوان

كان المويلحى ابن زمانه، فلم يهتد إلى فكرة العدل الصحيح، ولو أنه عقل لأدرك أن المظلوم لا ينبغى له الوقوف فى صفوف الظالمين

لو كان للمويلحى نصيب من الروحانية الصوفية لأدرك أن اضطراب المجتمع المصرىّ عقوبةٌ فرضها التفريط الذى توارثته أجيال عن أجيال، وعجز عن طبه الدهر والزمان

ونحن فى مصر، ومصرُ أمةٌ آذت وأوذيت، وقاتلَتْ وقوتلَتْ، فهى إلى الأبد فى عراك وقتال وصيال

ليت المويلحى أدرك هذه المعاني، وليته فهم أننا نجرجر تاريخاً له فى ضمير الإنسانية جذور وجذوع وفروع

لو عَقَلَ المويلحى لقال فى مصر كلاماً غير الذى قال ولكنه معذور، لأن «العدل الرسمى» ساقه إلى أن يقول ما يقول

وفى الكلمة الآتية فصل القول فى ذلك الأديب الفنان.

زكى مبارك

وإذا قال ناقد إن لتلك الأرواح أسماء تلازمها دلالاتها على شخصيات أصحابها المعينة فى الخرافات أو الأساطير أو فى التاريخ ، وإن الشاعر أهمل فى قصيدته هذه الدلالات — لأنه لم يدرس الأساطير الإغريقية كما يجب ولم يتفقه اليونانيات ، فإن هذا القول اللطيف ليس يمنع أنها أسماء أناس كانوا من البشر ، ماعدا هرميسَ (هِرْمَسْ) ، ولم يكونوا من أنصاف الآلهة ولا من الآلهة اليونانيين الذين خلقهم بشر ؛ ولا يمنع أن منطق هذه التحفة يقتضى ألا تظل أرواحهم فى السماء على حالها فى حياتهم الأرضية الغابرة من الانقياد الكلى للغريزة والشهوات الحسية .

ومع أن هذه الملحمة — في رأينا - إنسانية لا إغريقية ، فإن كلام أبطالها متصل بدلالة أسمائهم المعروفة . فهرميس الذى يقود الأرواح ، فى الأساطير ، يقود هنا روح الشاعر . وروح بليتيس ، البريئة فى السماء ، لا تكون بحالها يوم كانت حبيسة فى شبحها على الأرض ، أو بحالها يوم تبعث ؛ لكن تنم ذكريات من ماضيها الأرضى وماضى سافو فى مثل قولها :

حمت رقة الجنس رباته فليس بها حاجة للرجال
لكل اثنتين هوى واحد تلاقى على سره مهجتان

وفى إجابة تاييس :

حديثك إن لم يكن بدعة لحلم جرى فى قديم الزمان
وصيحة مخفقة فى الهوى معربدة الروح سكرى اللسان

أما غضب بليتيس وصاحبتها من أن روح الشاعر مرَّ أمامهن ورآهن فأعرض عنهن « ولم يحيِّي السماء » ، فهو غضب ليس يُعَد من « كبرياء النساء » فى شيء ، والكبرياء عظمة وتجبر ، وإنما هذا الغضب ثورة على إهانة . وإن امرأة ما من أقل النساء عفة وأكثرهن استهتاراً واستسلاماً للشهوات ، وانهماكاً فى الملذات ، لتغضب من تغافل رجل عنها ؛ وقد تتظاهر بالإعراض عن رجل لِتُوقعه فى شركها . وروح تاييس ألهمتها الذكريات الأرضية اعتراضها على صاحبتها اعتراضاً يشف عن حقيقة أمرهن جميعاً بقولها فى الرجال :

إذا خلت الأرض من طيرهم فمن ذا يحيي الجمال القسيم
ومن يطلق الحب من وكره على خطرات الغناء الرخيم
وفيمَ نرقِّش هذا الجناح ونصقله ببنان النعيم

بقيت سافو (سفُّون) ؛ فهل كانت حسِّية بالمعنى الشائع ؟ أليس فى مؤلفات الذين استوعبوا دراسة اليونانيات رأى آخر أوفى تحقيقاً ؟ بلى ، وهذه هى خلاصته :

إن سافو[١] اُتُّهِمت فى أخلاقها ، لكن يبدو أن أخلاقها كانت سليمة . ويجب أن نلاحظ أنها من قوم إيوليين[٢] ، كان نساؤهم كنساء الدوريين[٣] أكثر حرية من نساء الإيونيين[٤] الذين كانوا يحجروهن فى الحريم : فإن هذه المغايرة تعلل ما لمؤلفى الملاهى الأثينيين من دعابات سيئة القصد ، وتعلل تلك الأقاويل المنحولة فى سيرة سافو . ويجب أيضاً ألا يغرب عن الخاطر أن الإغريق فى ذلك العهد ما كانوا وصلوا إلى معرفة التمييز فى الأدب بين الهوى الحسى والهوى العذرى ؛ ولكن لا صلة بين اللذة الحسية التى يصفها الشعر المنسوب خطأ إلى أناكريون[٥] وبين لاعج الغرام الذى تعبِّر عنه سافو فى القليل الموجود من شعرها

وبالنظر إلى هذا الرأى ، إن لم يكن بالنظر إلى أن الملحمة إنسانية لا إغريقية ، وأن أحوال أبطالها تختلف فى السماء عنها فى الأرض ، جاز لشاعرنا أن يجعل روح سافو فى السماء أهدأ منها فى تلك القصة المأثورة عنها ، ولا غرابة فى أن تقول :

رأيت الرجولة كل الجمال هو الرجل الفرد فى المزدحم
ويحدو العذارى إلى دارهن حييَّ الخطى موسوى القدم

(١) شعرها يقع بين ٦٣٠ و ٥٧٠ ق . م

(٢) Les Eoliens : الأيوليون هم سكان إيولى Eolie ، وهى قطر قديم من آسية الصغرى ، كان بين إقليم فى شماله ، عاصمته طروادة Troie ، وبين إقليم فى الجنوب كان يبتدئ من خليج أزمير ويسمى إيونى Ionie وهؤلاء الايوليون قبيلة إغريقية طردها الدوريون من شبه جزيرة البيلوبونيز Péloponnèse فاستوطنوا إيولى

(٣) Les Doriens : الدوريون هم سكان الدوريد La Doride ، وهى قطر قديم فى جنوب تساليا La Thessalie وقد فتحوا البيلوبونيز وأسسوا فيه إسبرطة

(٤) Les Ioniens : الأيونيون هم سكان إيونى الآنف ذكرها

(٥) Anacréon : شاعر إغريقى (٥٦٠ — ٤٧٨ ق . م) نسب إليه خطأ شعر غنائى قيل بعد عهده بزمن طويل وفيه مدح اللذة الحسية .

كلا ، إن الشاعر لم يهمل تلك الدلالات التى يغلو بإيجاب مراعاتها الغالون فى الإعجاب بمبلغ دراستهم لليونانيات .

فأولئك حوريات فى السماء غضبن على الشاعر فاتهمنه فى غريزته وفنه . لكن هرميس إله البلاغة ومبتكر الفنون عطَّفهنَّ معتذراً عنه بأنه رآهن فى قلبه ، وحيَّا بقلبه وأطبق ناظريه على ما فيه ضنَّا بلألاء جمالهن . ودنا منهن روح الشاعر فى شبحه قُبَيْل بعثهن فأعجبن بالرجل : استملت بليتيس صدره وجبينه مستجملة سائلة : أمِنْ حمأ الأرض هذا الجبين ؟ فأجاب هرميس : دعى طيفه وانظرى روحه . فسألت متجاهلةً : هل الرجل الروح ؟ فأجابت تايبس : إنه محيا وعينان ! فقالت سافو : ما فى الرجال سوى كل أصيد سبط القوام :

ذراعاه تستدرجان الخصور وفى شفتيه حديث الغرام

فصاح هرميس مسيئاً بهن الظن : تنزهت عالى ! أينطق فيك روح بهذا الكلم ! لقد سبى السحر أجمل أرواح السماء ! فقال صوت السماء : بل البعث آذنهن الغداة ، وهى الآدمية طافت بهن ، فلا تلحهن ولا تَلُمْ . وغضبُ الحوريات حيلة من ناظم الملحمة جعلتهن يُظهرن شرفهن أو سموهن الروحانى ، وينمين على الفنان غريزته وأثرها فى فنه أو انحطاطه الجسدى ؛ وهى حيلة أثبتت مهارة الشاعر الفنية ، ولا سيما أنه نجح بها أولاً فى شغلهن بمحاورة وصفت ما أراد . شغلهن حديث الفن فى السماء ، وكان الفن يشغلهن فى حياتهن الأرضية . وغضبن على الفنان الرجل ، لكن ما لبثن أن رضين عنه وتهافتن عليه فى نزعةٍ إلى الحسيات ، فلم تضِع الصلة بينهن وبين تلك الدلالات العزيزة ، وبدا طبعهن فى حالى السخط والرضى ، وأثرها واحد فى كل البشر وإن اختلفت درجاته ، فهو لا يضر وحدة الشخصية فى ذوات الأسماء الإغريقية ، لأنهن فى الحقيقة يمثلن النساء لا الملائكة

وعندنا أن الشاعر لم يتخذ من الأساطير مادة شعره ، وإن اختار منها أسماء ، وإنما نحت شعره كله من صميم الحياة الإنسانية بالروح والجسد والغريزة جميعاً على ما يتبيّن فى صنيعه ، فلم يكن عليه أن يتقيَّد بدلالة تلك الأسماء

وتقرير هذه الحقيقة ، بعد ما تقدم ذكره هنا وفى المقالة السابقة ، تقرير واجب ، إذ ليس يجوز التساهل فى فهم المادة التى صدر عنها خيال الشاعر

ما القول إذن فى البيانات النثرية الوجيزة الواردة قبل القصيدة عن أصحاب تلك الأسماء ؟

الجواب قريب : فهى فى نظرنا بيانات تذكر بأنهم كانوا من أهل الفنون ، ليكون كلام أرواحهم فى الفن وأهله والقلب وشأنه ، والإنسان وغرائزه وخلاله ، أحسن وقعاً فى النفس . وجمالك أيها القارئ الكريم ألا تخدع نفسك بهذه البيانات . أما الذين يتبحرون فى العلم بالأساطير واليونانيات فقد يأخذهم الوجد بها حتى يُصبح هجيراهم التشبث بدلالة تلك الأسماء كلما صادفتهم فى أدب أيا كان وجهه

والبيانات النثرية الأخرى أيضاً تُذكر بمضمونها لكى يسهل فهم الإشارة فى الملحمة إلى السامرى وموسى ، وماناً وهاواى ، وغير ذلك ؛ وذكر آدم وحواء فى القصيدة فيه كذلك إشارة ضمنية إلى براءة الروح لبراءتهما قبل الخطيئة فى الجنَّة ، وهو رمز إلى الرجل والمرأة وخطاياهما فى كفاح الأرواح والأشباح البشرية ، ولم يُذكرا لإيراد قصتهما المعروفة الحبيسة فى المعتقدات الدينية

(البقية فى العدد القادم) محمد توحيد السلحدار

الأزهر والامام محمد عبده

للدكتور محمد البهى

... أليس من العجب أن يكون من أبناء الأزهر من بعث إلى أوربا باسم محمد عبده ، ثم لا يكون الأزهر معنياً بتاريخ محمد عبده وأفكار محمد عبده ؟...

إحدى الملاحظات التى ساقها الأستاذ الفاضل (م ...) فى عدد الرسالة ٤٨٢ الصادر فى ١٧ رمضان سنة ١٣٦١ﻫ تحت عنوان ذكرى الأستاذ الزنكلونى

إن الإمام محمد عبده والأستاذ الزنكلونى لم يكونا للأزهر وحده ولا شك ؛ وإن الأزهريين لم يعرفوا محمد عبده والزنكلونى وأمثالهما ولا شك . ولهذا إذا لم يذكروا محمد عبده ولم يذكروا الزنكلونى لا يعود عدم ذكرهما إلى إهمال أو إلى نكران الجميل .

الأزهريون لم يعرفوا محمد عبده ، لا لأنهم لم يريدوا أن يعرفوه ، أو لأنهم أرادوا أن يعرفوه نخفى عليهم ، بل لأنهم دفعوا إلى عدم معرفته ودفعوا أيضاً إلى استمرارهم على عدم معرفته . فقد شاع عن محمد عبده أنه شاذ وأنه خارج ... وأخيراً شاع عنه أنه حر . وشاع كل هذا عن محمد عبده لأنه كان يكتب ، وكان يفكر ، وكان يتفلسف ، ولأنه أراد أن يكون من الأمة ، وأراد أن تسمع الأمة لأزهره وأن تسترشد بإسلامه فى قضائها ، فى تثقيفها ، وفى تسوية مشاكلها الاجتماعية والقومية ، بينما كان الأزهريون فى وقته يقرأون فقط ، وينقلون فقط ، ويقلدون فقط ، ويتبعون فحسب ، وبينما كانوا يؤثرون العزلة ويؤثرون المحافظة على الأوضاع التى سبقوا بها فى القضاء والتهذيب على رغم تجدد الزمن وتعقد مشاكل الإنسان تبعاً لعوامل التطور المختلفة .

محمد عبده — أصاب أم أخطأ — كان فى طرف ، والأزهريون — أصابوا أم أخطأوا — كانوا أيضاً فى طرف مقابل له . ولو كان الفكر الفلسفى هو السائد فى التوجيه العقلى أيام محمد عبده لعرف محمد عبده وارتفعت الهوة بينه وبين الأزهريين فى زمن وجيز . لأن الفكر الفلسفى هو التأمل قبل إصدار الحكم ، والروية فى ربط الأسباب بالمسببات ، وحرمان العاطفة — أيا كانت عواملها أو أيا كان لونها — من التدخل فى قضاء العقل . ولكن التقليد هو الذى كانت له السيطرة على العمل العقلى الأزهرى ، وبقى أيضاً مسيطرا بعد وفاة محمد عبده ، ولم تزل كفته هى الراجحة الآن

وإذا كانت السيطرة للتقليد فى توجيه جماعة من الجماعات ، وفى عملها العقلى ، لا يتحدث المؤرخ النفسى للجماعة عن إرادتها أو عن عدم إرادتها ، بل عن دفع وانسياق فى اتجاه معين محدود

نعم إن محمد عبده كان له تلاميذ من الأزهريين ، وله منهم الآن عدد غير قليل ـ وإن اختلفوا فى الإيمان بفكرته درجات ـ ومع ذلك لم يعرف محمد عبده من الأزهريين تمام المعرفة حتى يرددوا فكرته ويخلدوا فى نفوسهم ذكراه ؛ لأن اللحظة التى يعرف فيها محمد عبده هى اللحظة التى يتم فيها تحويل الجامع الأزهر إلى جامعة ؛ وهى اللحظة التى ترتفع فيها قيمة الفكر الفلسفى لدى الأزهريين أنفسهم فى البحوث العلمية وفى التفكير الأزهرى

ولهذا ليس من العجيب ألا يكون الذى فكر فى إرسال بعوث أزهرية إلى أوربا باسم محمد عبده من الأزهريين . فعبد السلام الشاذلى باشا هو الذى فكر فى تخليد ذكرى محمد عبده ، وهو الذى أرسل باسم محمد عبده بعثة من الأزهر إلى أوربا على نفقة مجلس مديرية البحيرة ، وهو الذى عمل على ربط ما للشرق الإسلامى من ثقافة عقلية وتاريخية بما للغرب من إنتاج عقلى منذ العصر الذى طرح فيه سلطة التقليد وهو عصر النهضة . وهو من أجل هذا قد ساهم فى تكوين عنصر من المثقفين داخل البيئة المصرية يجمع بين ما للعنصر الشرقى المحض وما للعنصر المدنى الآخر من مزايا ؛ يضم إلى تراثه الشرقى الماضى ما يتلاءم من نتاج الغربيين

و « ليس من العجيب كذلك ألا يكون الأزهر معنياً بتاريخ محمد عبده وأفكار محمد عبده » . لأن الأزهر إنما يعنى بتاريخ محمد عبده وأفكار محمد عبده إذا تمت معرفته لمحمد عبده . وليس تمام معرفته بسرد تاريخه أو التحدث عن أفكاره ، وإنما يكون أولاً بتهيئة العقلية الأزهرية لقبول محمد عبده وأمثال محمد عبده ، وذلك بإبراز مزايا التفكير الفلسفي وسط البيئة الأزهرية ، فإذا اتضحت هذه المزايا لدى العقل الأزهري عرف محمد عبده من نفسه ؛ لأن إنتاج محمد عبده أكثر شبهاً بإنتاج ديكارت . كل منهما قصد إلى التوجيه أكثر من محاولة الابتكار فى الفكرة والرأى . فمحمد عبده نادى بألا يكون للتقليد سلطان على التفكير فى حياتنا العقلية ؛ وديكارت أقام منهجه فى البحث على إبعاد السلطات التى كانت تهيمن فى وقته وقبل وقته على التفكير الأوربي وهى كلها مظاهر لشيء واحد ، هو التقليد

وليس لنا أن نيأس من قرب الزمن الذى يتمكن فيه الفكر الفلسفي من نفوس الأزهريين ، على رغم أننا نعرف أن ممن يشرفون على التوجيه العلمى فى الأزهر من يحاول أن يفهم أن الفلسفة مادة ، وأنها يجب أن تخضع فى بحوثها إلى المنقول أو إلى التقاليد ، أو على الأقل يجب أن تؤمن فى بحوثها الميتافيزيكية بسلطان بعض المؤلفين فى العقيدة ، لهم صبغتهم الحزبية فى كتبهم المذهبية — لأنه من الشيوخ المحبّب إلى نفوسهم ترديد معارف الماضى فحسب ، والوقوف فى دائرتها دون مجاوزتها إلى الحاضر ، بل من هؤلاء الذين لا يزالون شديدى النفرة من اسم الحاضر ، ومعارف الحاضر ، ورجال الحاضر — ليس لنا أن نيأس لأنه يوجد فى الصف الأول فى قيادة التفكير الأزهرى أمثال : المراغى وعبد المجيد سليم وشلتوت ... ثم من ورائهم الشبان الأزهريون

حقاً ، فيه رغبة قوية من الشبان الأزهريين فى تعرف محمد عبده ومشايخ محمد عبده وتلاميذ محمد عبده ممن تتكون منهم المدرسة الجديدة فى الإصلاح الدينى والتفكير العلمى ، ولكن مع ذلك ، ليس من السهل أن تلقى عليهم أفكار محمد عبده ، أو جمال الدين الأفغانى ، أو أمثال الزنكلونى ، قبل أن نهيئ هؤلاء الشبان ونزيل من نفوسهم ، أو على الأقل نضعف عندهم ما تكوّن من عقيدة ضد محمد عبده ، منذ أن درست لهم « السنوسية » ، وقرئ عليهم تفسير « الخازن »

من الخير للأزهريين أن تتم معرفتهم بمحمد عبده ؛ ومن الخير للشبان الأزهريين — على الخصوص — أن يعلموا من هو محمد عبده كقائد وإمام فى الحركات الإصلاحية الدينية والعلمية والقومية ، وأن يعلموا من هو محمد عبده فى المحافظة على الكرامة الشخصية والكرامة الدينية ، وأن يعلموا من هو محمد عبده فى عزلته إذا اعتزل ، وفى تقديره للأفراد والجماعات إذا اتصل واختلط ؟

من الخير للاسلام ولمستقبل الدين أن يعرف الأزهريون دينهم كما عرفه محمد عبده ، وأن يفهموه عقيدةً ونظرةً فى الحياة لا أن يحيلوا به إلى حرفة ومهنة لطائفة

ومن الخير للأمة المصرية أن يعرف الأزهريون محمد عبده ؛ ومن الخير للدولة المصرية إذا ابتغت انسجاماً داخل الأمة المصرية ، أو على الأقل قرباً فى التفكير المصرى والعقلية المصرية أن تنشئ باسم محمد عبده كرسيًّا فى الأزهر كما تعمل على إنشائه فى جامعة فؤاد الأول

وأخيراً أقول للأستاذ الفاضل (م ...) : إن من بعثوا إلى أوربا باسم محمد عبده لم يهملوا محمد عبده فى عملهم العلمى ؛ فقد بدأتُ التعريف بمحمد عبده فى الحياة الجامعية الألمانية بعقد موازنة بين نظرته إلى الإسلام ونظرة هيجل إليه فى رسالة صغيرة ؛ ثم كتبت عنه رسالة الدكتوراه فى جامعة هامبرج . وهنا فى أزهرهم لم يهملوه أيضاً . وإنما رأوا مهمتهم أولاً وبالذات فى التوجيه ، إذ فيه الضمان الكافى لقبول تاريخ محمد عبده ، وأفكار محمد عبده ، وبالتالى للتعريف بمحمد عبده

محمد البهى

يوم من أيام دمشق الخالدة

وفاة الامام ابن تيمية

في ٢٠ ذى القعدة سنة ٧٢٨ هـ

للأستاذ أحمد رمزى بك
قنصل مصر العام فى سورية ولبنان

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

— ٣ —

لم يكن ثبات القلعة بدمشق وعودة الجند لتزيلا القلق من النفوس ، فقد أقسم عاهل التتار هذه المرة أن يملك الشام ويفتح مصر عَنوة ، وملأ الدنيا بإشاعاته والناس أشد ما يكونون ذعراً ؛ كل هذا وابن تيمية لا يبالى ، يقعد بمجلسه كالعادة فى الجامع يحرض الناس كل يوم على القتال ، ويسوق الآيات والأحاديث الواردة فى هذا المعنى ، ويحرم الفرار ويرغب الناس فى إنفاق الأموال ، وأن ما ينفق فى الهجرة إذا أنفق فى سبيل الله كان خيراً

اضطرت السلطات إزاء هذه الهجرة نحو مصر والكرك والشوبك أن تمنع الخروج بغير ترخيص خاص ، وكانت الأنباء قد وصلت بوصول التتار إلى الشمال مرة أخرى ، وتراجع جند الممالك الحلبية ، ثم نزلت الأمطار فأعاقت السير إلى الجنوب وإلى الشمال

— ٤ —

كان موقفاً رائعاً فذًّا فى التاريخ أقرأه ونفسى تضطرب حينما خرج الشيخ فى صباح السبت من مستهل جمادى الأولى سنة ٧٠٠ هجرية وقابل نائب الشام بالمرج فواجه الجنود وثبتهم وقوّى جأشهم وطيب قلوبهم ووعدهم بالنصر والظفر على الأعداء وتلا قوله تعالى : « ومن عاقب بمثل ما عوقب به ، ثم بُغى عليه ، لينصرنه الله إن الله غفور رحيم »

وبات ليلته وسط العسكر وهم يحيون هذه الروح التى وضعوا آمالهم فيها

أتدرى ماذا يطلب منه أمير الشام ونائب السلطنة فيها ؟ يطلب إليه أن يركب على البريد إلى مصر ليستحث السلطان على المجيء إليهم . ويسوق الشيخ على خيل البريد إلى القاهرة ، وهو أينما يحل يستحث الناس إلى المبادرة

أقام الشيخ فى قلعة مصر ثمانية أيام ، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج ، وكان فيما قاله لهم : « إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته ، أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه — لو أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم نصره — فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وأنتم مسئولون عنه ؟ »

ثم عاد كما أتى على البريد من مصر ، وقد أدى أمانته ونفخ فى النفوس روحاً للكفاح جديدة

— ٥ —

استمر المد والجزر بين الفريقين والرسل تتوالى إلى أن دخلت سنة ٧٠٢ هجرية ؛ وقد قدم جيش مصر وعلى رأسه الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وزحف التتار من جهتين من الشمال فوصلوا إلى البقاع واحتلوا بعلبك ، ومن الشرق وصلت طلائعهم القريتين . كل هذا والتتار لا يعلمون بقدوم السلطان من مصر . ولما وصل دمشق قرر أن يكون المصاف فى جنوب دمشق بقرية شقحب ، وأتم التعبئة والحشود ومشى السلطان والخليفة بجانبه ومعهما القراء يتلون القرآن ، ويحثون على الجهاد ، ويشوقون إلى الجنة .

فى هذا الموقف العصيب يقوم الطابور الخامس بدعايته فيقول : كيف تحاربون قوماً أسلموا وهم إخوان لكم ؟ وهنا برز الشيخ بقوته ومضاء فكره فألهمه المولى هذه العبارة :

« هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علىّ وعلى معاوية ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما . وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين ويعيبون على الناس ما هم فيه من المعاصى والظلم ، ولكنهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة ، والله لو رأيتمونى من ذلك الجانب وعلى رأسى مصحف فاقتلونى » فقويت النفوس وانقطعت دعاية الضلال .

فلما تم الترتيب أخذت كراديس التتار تزحف كقطع الليل والتحم القتال على طول الجبهة قتالاً هائلاً رائعاً بيعت فيه النفوس بغير حساب . كل هذا والجاشنكير يسيطر على المعركة بجند مصر

والشام . وهنا مال قطلوشاه القائد التترى إلى جبل قريب ونظر إلى السهل والجبال المحيطة فإذا الميسرة السلطانية ثابتة لا تتزعزع ، والأعلام خافقة . وجىء إليه بأحد الأسرى فسأله من أنت ؟ فقال من أمراء مصر . فعلم بأنه قد خسر المعركة .

معركة فاصلة دامت أربعة أيام أظهرت فن القيادة والتعبئة لدى القواد المصريين والشوام ، واختتمت بالنصر الباهر الذى نفخ فيه ابن تيمية من روحه .

وقبل اختتامها حاول قطلوشاه للمرة الأخيرة أن يجازف فقذف بما بقى لديه من جنده فرساناً ومشاة . وقد ترجل الخيالة فلقيتهم المماليك السلطانية من البرجية بسور من الفولاذ مزقهم شر ممزق وحلت بهم الهزيمة فانتشروا منهزمين إلى القريتين وقد تتبعهم العامة وتقهقر قائدهم عائداً إلى بلاده فلم يعبر الفرات إلا فى شرذمة قليلة من هذا الجيش اللجب الذى عبأ لفتح مصر والشام .

وبات السلطان بالكسوة ثم دخل دمشق وقد فتحت قلبها وتلقته لقاء الأبطال بعد أن أزال الهم والغمة عنها .

وفى مكان المعركة وبغير غسل ولا كفن جمع من استشهد من أبطالها فدفنوا فى موضع واحد وبنيت عليهم قبة أرجوان تكون باقية إلى اليوم .

وكان الشيخ أول من فرح قلبه لهذا النصر المبين .

— ٦ —

مرت ابتداء من سنة ٧٠٥ سنوات كفاح للشيخ من أجل المبدأ يقارع الأيام وتقارعه ، وتغمره موجة من الدسائس فيخرج منها سالماً ، وتنعقد المجالس لامتحان عقيدته فيخرج من هذه المغامرات أحياناً إلى الحرية وحيناً إلى السجن . وطلب إلى مصر ، فلما أزمع السفر ازدحم الناس لوداعه . وفى إبان سفره لم يترك فرصة تمر دون أن يقف واعظاً للناس . ولما وصل القاهرة واجتمع له العلماء واختلف معهم أدخل فى أحد أبراج القلعة وبقى بها محبوساً . وكلما نجحت محاولة لإخراجه أبى إلا أن يبقى ، والناس تقصده وترسل إليه المشكل من الأمور لاستفتائه فيه

— ٧ —

انتقل ابن تيمية إلى الثغر الأسكندرى فى صفر سنة ٨٠٩ بصحبة أمير من الأمراء فأدخل فى دار السلطان وأنزل فى برج فسيح منها . ووصلت أخباره إلى دمشق بعد عشرة أيام من سفره من القاهرة ، فقلقت الخواطر عليه وتألم أنصاره وخافوا سطوة أعدائه الذين عقدوا النية على النيل منه . وكان الشيخ يحضر الجمعات ويقيم الوعظ فيأتى إليه الناس من أهل الإسكندرية أفواجاً ينصتون إليه ويقرأون العلم عليه ، وقد ازدادوا تعلقاً به ومحبة له وتقرباً منه

ووصل إلى دمشق كتاب من أخيه يقول : « ... إن الأخ الكريم قد نزل بالثغر المحروس على نية الرباط فإن أعداء الله قصدوا بذلك أموراً يكيدونه بها . . . وقد انقلب أهل الثغر أجمعون إلى الأخ مقبلين عليه مكرمين له فى وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ما تقر به أعين المؤمنين ، ولقد استتاب جماعة منهم واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم من أمير وقاض وفقيه »

ويقول ابن كثير — وهو من المراجع التى اعتمدنا عليها مع غيره — : « إن الشيخ أقام بالإسكندرية ثمانية أشهر ، وكان سكنه فى برج متسع مليح نظيف له شباكان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة ، وكان ينزل عنده من شاء ويتردد عليه الأكابر والأعيان والفقهاء يقرأون عليه ويستفيدون منه وهو فى أطيب عيش وأشرح صدر »

— ٨ —

دارت الأيام دورتها وعاد الملك الناصر إلى عاصمة ملكه بعد زوال حكم أعدائه ، وكان ذلك فى عيد الفطر المبارك من سنة ٧٠٩ وقد استقبلته فى القاهرة ، وقبل ذلك بدمشق ، دنيا من الأفراح إذ استبشرت العاصمتان بعودة ابن قلاوون إلى ملكه وحيته الجماهير وهتفت له ذلك الهتاف المحبوب : « يا ناصر يا منصور » .

ولم ينس المليك الشاب فى أفراحه الشيخ المجاهد ابن تيمية فأرسل إليه وحضر إلى القلعة معززاً مكرما مبجلاً . وكان قدومه فى ١٨ شوال ، وقد خرج مع الشيخ خلق عظيم من الثغر الإسكندرى يودعونه بالبكاء لتركه مدينتهم . ولما دخل على الناصر تلقاه ومشى إليه وأنس به فى محفل كبير جمع قضاة مصر والشام فأصلح السلطان بينه وبينهم . ونزل الشيخ إلى القاهرة وسكن بالقرب من المشهد الحسينى والناس يترددون عليه من الأمراء والجند وهو يقول لكل من يعتذر إليه : « أنا حللت كل من آذانى » ؛ وجدد الشيخ سابق عهده بدمشق ولكن بمدينة القاهرة المعزية — قلب العروبة — فأخذ يقيم حلقات الدروس وبدأ حياة كفاح وجهاد فى سبيل العلم

ذكرى أم كلثوم

للشاعر التركى إبراهيم صبرى

[نشرت الرسالة فى عددها (٤٨٠) تعريفاً بالشاعر التركى ابراهيم صبرى وترجمة لقصيدة من شعره . وهذه القصيدة التى ترجمها صديقه الأستاذ « محمود محمد شاكر » تعطى صورة جديدة من الشعر التركى بل من الشعر التركى فى غربته . وفيها يصف الشاعر ذلك الصوت الشعرى السامى الذى يسحر السمع ، ويسبح بالروح فى جو ممتد كامتداده ، مرتعش كرعشته ، منتحب كانتحابه : صوت أم كلثوم]

إلى أخى محمود محمد شاكر

انصرفتُ من دعوتك الماضية وقد احتفظت بشعور وإحساس كتب فى ذاكرتى هذه الأبيات :

***

كان يوماً بديعاً مِلْؤُه السرور ! وا حسرتا لذلك اليوم ! لقد مضى !

ألوان من الطعام لذيذة اتصلت بموسيقى السِّحر التى فاضت على شفتى أم كلثوم الفاتنة ،

قصيدة وردية من أباريق اللحن انسكبت فى أرواحنا .

حين يأخذنى سكر الإبداع أجد قلبى نشوانَ ،

وتذهب أعصابى فى سُبات عميق من فرط ما ثملت .

حينئذ أشعر بعروج خيالى وحده إلى عالم الأرواح

تاركاً على الأرض كل ما هو نقيض لهذا الصوت السماوى .

أرانى أصل بخيالى إلى قر فى آفاقه نغم ألحانه من عالم الحور والسحر :

هو ذرة أثيرية أُخرى لا أبعاد لهـا ، تكوَّن هواء ذلك القمر وماءه وأرضه ونوره الشفاف .

إن هذا الصوت ليس للتراب، إنما حقه أن يسمع فى السموات .

فى مصر التى تشعرك بالبقاء أدوارها التاريخية المديدة

وفى مصر التى يشبه الأهرام فيها صوت أم كلثوم

لا أقف لأستمع بل أبادر لأنظر وأشاهد .

(ليلى والدهر) فى ذلك الصوت كلاهما كومياء مذهَّبةٍ جديرة بالمشاهدة .

فى هذا الصوت تتمزق صدور العشاق إرْباً إرباً ،

وكيف لا تتمزق فيه صدور العشاق ، وقد ورث نبىّ موسيقار لوعة نايه من هذا الوادى .

وإن حفر البشر الهواء فى المستقبل ، فلعلهم يكتشفون فى صوتها صوت المزامير .

حين تبدأ تغنى ينبعث صوتها كأنه وسوسةٌ ذاتُ ألوانَ من الحباب المنطوِ على النيل الأخضر الذى يجرى أمام الشمس النّارنجيّة ؛

ثم إذا بك تراه ينقلب إلى أمواج فى بحر تندفع كل موجاته فترتطم على قلب ؛

ثم إذا بك تراه ينتصر على البعد المطلق .

تخال رَجْـع (نواه) آتياً من وراء الفضاء .

هذا الصوت يغرد كتغريد البلبل فى الجنة ،

كأنما تفوح منه رائحة ماء الورد وشجرة العود ؛

كأنه نطفة يجرى فيها ماء الحياة ، لو انصبت قطرة منها على أجساد الموتى لشعروا بها .

هذا الصوت يمسُ خدَّ السمع كمنديل من الحرير فى كف معطّرة ،

كم من ناصية قد اعتمدت على هذه اليد الساحرة تبكى وتنوح ، غارقة فى حنانها ،

هذا هو الشيخ الذى يضم عظامه قبر بسيط بفناء الجامعة السورية ، والذى كان يمثل دنيا وحده وكانت شخصيته فذة جديرة بالبحث والدرس

إننا فى حاجة إلى أن نستلهم الماضى ونستوحى صفحاته ؛ وابن تيمية رجل من رجال الماضى وشخصيته تطل علينا من وراء القرون

كان ابن تيمية دمشقيًّا مائة فى المائة ، وكان مصريًّا مائة فى المائة ؛ فهو حلقة الوصل بين البلدين فى عصر مضى . وإنى كلما دققت النظر فى تاريخه وعمقت التأمل فى أقواله أجد نفسى إزاء رجل أقف أمام ذكراه والاحترام يملأ نفسى

والآن فى أرض هذه العاصمة الخالدة وفى فناء جامعتها المباركة أقول : « هنا يرقد رجل » .

أحمد رمزى

إلى المعترضين علينا

للأب أنستاس مارى الكرملى

[تتمة]

٤ — نتيجة كلامنا مع الأستاذ المطار

لا يقال إلا البساتين الغن ، وإلا الدروع الحصد ، وإلا الكريات البيض ، وإلا الدروع الخضر . وأما قول القائل : البساتين الغناء ، والدروع الحصداء ، والكريات البيضاء ، فخطأ ثم خطأ ثم خطأ . اللهم إلا إذا قدّمت على هذه النعوت كلمات منسوبة مفردة مؤنثة ، فيصبح حينئذ مثل هذا القول : بساتين عبقرية غناء ، ودروع فارسية خضراء ، وكريات بيضية بيضاء ؛ وهذا القدر كاف لهذا الموضوع اليابس الناشف ، ولا نعود إليه بعد ، بل نحوّل أنظار السائلين إليه ، وهو الهادى إلى الصواب !

٥ — إلى الأستاذ الأفغانى

كنا نود — يا سيدى الكريم الجليل — أن تكلمنى بالعربية ، لأنى عربى وأجدادى من بنى مُراد ، لا بالأفغانية لسان أجدادك أهل الحسب والنسب ... نعم ، إنى كنت قد اجتلبت كتباً أفغانية من باريس ، لأدرس هذه اللغة البديعة لكن الزمان لم يساعدنى على المطالعة ، فبقيت الكتب فى الخزانة من غير أن أنتفع بها إلى اليوم

قلت لى فى نبذتك فى (الرسالة) ١٠ : ٨٦٩ : وقد كتب (أى الأب أنستاس مارى الكرملى) الجلة الأولى بخط عريض وأنا لم أكتب عنوان المقال إلا بالقلم الدقيق كما يمكنك أن تطلب الأصل من صاحب (الرسالة) ليطلعك عليه . أما الذى رسمه بالقلم الريان ، وحضرتك تسميه الخط العريض ، فمن منضّد (الرسالة) ، تزييناً للطبع ولسطور الصفحة ، فلو جعلها كلها بقلم واحد ، لملّت النفس ، ونبا البصر ، وعاف القارئ المطالعة ونبذ الصحيفة من يده . وهذا ما تحققه بنفسك فى جميع نبذ (البريد الأدبى) ... إذن ، ليس المزكزك[1] بأنيثهن

(١) ليس المزكزك بأنيثهن مثل عربى قديم مشهور يضرب فى تساوى القوم فى الشر . راجع أمثال الميدانى للوقوف على تفصيل هذا المثل وسبب ضربه

لذلك ينبعث ترديده منتحباً

ولذلك يحرق كما يحرق البكاء

***

حين غربت الشمس — انطفأ اللون الأحمر للرمال المتوهجة فى جوف الصحراء فكأنها استحالت رماداً ،

وتردد فى نفسى صدى النغمة الأخيرة لهذا الصوت فأثار وجدى فقمت للوداع من زاويتى حيث كنت مستغرقاً فى خواطر .

كأن ذاكرتى لم تكن معى

عادت كأنما عادت من وراء أفق بعيد ؛

وكأنها يد وضعت على كتف روحى

وأعادتنى إلى الحقيقة .

تذكرت حينئذ زمناً من الأزمنة الماضية :

اجتمعت ليلة فى بيت صديق ومعنا (سامى)[1]

ما كان أبدع ما غنى من (الغزل) والأصوات !

كيف كوى بها قلوبنا ؟

وكيف امتلأت جفوننا بالدموع ككؤوس خمر ؟

وكيف أصبح شيطان ألحانه ساقياً للعبرات ؟

إذا فاضت دموع التأثر من هذه العيون التى كانت ترسل دموع اللذة فى ذلك الزمن ، فلا بأس !

فإن فى هذه الأرض أصواتاً تجعل الغربة أنساً

وفيها مودتك المخلصة الغالية

ترجمة

محمود محمد شاكر

(١) مطرب تركى

وقلت لى : بخط عريض مذيل ؛ ولم أذيل الخط بشئ ، لعلمى أن ذيل الشئ جعل له ذيلاً ، وذيل الصحيفة كتب شيئاً فى ذيلها زيادة على ما فيها ، وهذا لم أعمله ، ولا أرى هناك ما يؤيد هذا الـكلام

وقولك يا سيدى : بخط أفق ، لا ينطق به فصيح ، إنما ينطق به أرباب الهندسة ، وهو من معرب الـكلام الحديث ، ورائحة التعبير الأجنبي تفوح منه . وأما ابن الناطق بالضاد ، فيقول : وتحته خط . وأحسن من ذلك أن يقال : وقد رسم بخط ريان (أو عريض ؟) ، وخطٌ تحته خطًا توجيهاً للأنظار .

ثم نقلت ، يا سيدى ، بعض العبارات من المعاجم تأييداً للخطأ وأنه أحسن من الخطاء . والدليل الذى أتيت به هو أن : أرباب الدواوين ذكروا الخطأ المقصور قبل الخطاء المدود . وهذا برهان ينطق به الأطفال قبل الحلم ، وهل تكون إلى الآن بهذه السن ؟ ألا تعلم يا سيدى أن أرباب كتب متون اللغة يقدمون الـكلمة القليلة الأحرف ، على الـكلمة الـكثيرتها . خذ بيدك أىّ معجم شئت ، وانظر إلى المصـادر ، أو إلى الأسماء أيًّا كانت ، تر أن الـكلمة القليلة الأحرف مقدمة على غيرها . وكذلك يفعل أهل الحساب فإنهم يقولون : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، إلى آخرها .

وأما أن صاحب « الصحاح » ضعّف الحرف الذى « ذكر الأب أنه الصواب دون غيره » فهذا لا يعنى أنه مصيب فيما قال . يا سيدى إنك تعلم أن مؤلف الصحاح خُطِّئ فى كثير من أقواله اللغوية والنحوية ، فـكيف تحتج بكلامه ، وتسر كل السرور لـكونه نطق بتلك الـكلِم ؟ وهناك من هو أعلى مقاماً منه وهو صاحب الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكرى ، وكان معاصراً للجوهرى ، وقد انتبه لهذه الحقيقة الأستاذ اللوذعى محمد غسان فنقل فى الرسالة (١٠ : ٨٩٢) ما ورد فى ذلك التصنيف المفيد من المقال الزارى على اللآل[1]

زد على ذلك أنى أحاول فى كل ما أكتب أن أتأثر أحسن من نطق باللغة المضرية باتفاق شهادة جميع قبائل العرب وجميع أمم الأرض قاطبة ، فانه كان يحب الازدواج والمشاكلة والإمتاع والمجانسة ، فقد قال مثلاً : ارجعن مأجورات غير مأزورات ، مع ما فى مأجورات من الغلط فى نظر بعض حمقى اللغويين . فلما قلت الخطاء أردت أن أبين أن ما كتبه الناشران لـكتاب الإمتاع فى آخره ، حين كتبا : خطأ وصواب ، كان يحسن بهما أن يقولا : خطاء (بالمد) وصواب ، مجانسة للوزن ، لأن كليهما على وزن سحاب ، فالقارىء يتذوق طيب هـذه المشاكلة إذا ما رأى فيها هذه الموازنة

هذا ما أحببت عرضه على العلامة المحقق [الأستاذ الأفغانى] وله إعجابى وتحيتى !

٦ — الى الأستاذ داود حمدان

كتبت يا سيدى فى الرسالة (١٠ : ٨٧٠) مخطئاً قولى : « قال ابن دريد فى الجمهرة : « وبالصاد (أى الخص) أحسبها لغة لبنى تميم ، وهى لغة ابن الغبر خاصة » . كذا فى تاج العروس وهو خطأ أيضاً . والصواب : « وهى لغة بنى العنبر ، إذ لا وجود لابن العنبر » اهـ

فانبريت لى من أقصى اللد وكتبت : « وقد يقال : عدم الجزم بهذه التخطئة أولى ، فبنو الغُبَّر لهم وجود . جاء فى القاموس المحيط فى (فصل الطاء وباب اللام) : وككتاب (أى طحال) كلب وع لبنى الغبر . راجع القاموس المحيط ففيه شاهد لا يليق ذكره . » اهـ

(١) ليلاحظ أستاذى الأفغانى أن صاحب الفروق قدم الخطاء الممدود على الخطأ المقصور ، إذ قال : الفرق بين الخطاء والخطأ ، وإنما فعل ذلك لأنه لا يدون كلم معجم ، بل يرمى إلى صحة التعبير وصحة التقديم والتأخير فاعتراض صاحبي لا طعم له ولا ذوق ، ولهذا يحسن به أن يرجع عن كلامه إن كان يتوخى الحق والعدل ، لا الشق والعند .

قلنا : لو كسرت يراعتك المرضوضة ، وألقيت بها فى التنور ، وبقيت ساكتاً إلى أن يفيض التنور ، لكان ذلك أحسن لك ! وأنصحك نصيحة لله : ألا تكتب كلمة قبل أن تتدبرها كل التدبر ثم تعرضها على أصدقائك ، ثم تتأملها ثانية ، وتعرضها على أعدائك ، وحينئذ ابعث بها إلى أصحاب الجرائد والمجلات . وإلا فثل هذه الخربشة والخربقة لا ترفع قدرك ولا تبقى لك أثراً طيباً !

إنك ياسيدى رأيت فى القاموس أن « طحال كلب و ع لبنى الغبر ... » وضبطت : « الغُبَّر » فى قولك هذا بضم وفتح مشددة فكم من غلط فى كلمة واحدة !

وأول كل شىء ، أن الغبر ، التى ضبطتها كسكر ، ضبطت فى القاموس المشكول كما ضبطتها . وأما ياقوت الحموى فضبطها فى معجمه : غُبَر كزُفر . والغلط الثانى أنه لم يدخل عليها أل ، وكذا ضبطها ابن دريد فى كتاب الاشتقاق ص ٢٠٥ من طبع أوربة قال : « ومن قبائلهم بنو غُبَر بن غَنْم ، وغُبَر فُعَل ، ولم يعرفها باللام هو أيضاً

وضبطها صاحب جزيرة العرب — وهو الحجة العظمى فى هذه المادة « بنو غُبَر » على حد ما ضبطها ياقوت وابن دريد . وعندنا عدة نسخ خطية قديمة من القاموس وكلها تضبطها كزُفر وبلا لام التعريف . وقد قال صاحب القاموس نفسه فى مادة (غ ب ر) : غبر كزفر ولم يذكر فى ذلك التركيب (غُبَّر) كسكَّر

ثم لو فرضنا أننا صدقنا رواية القاموس الواردة فى مادة طحال ، فمن قال لك إن أولئك المسمين بنى الغُبَّر هم أصحاب تلك اللغة أى لغة قلب السين صاداً ؟ وقلنا : « وبالصاد (أى الصويق) وأنت كتبتها (الخص) فما هذه الخربشة ؟ »

نحن نقلنا ما نقلنا وقلنا ما قلنا لا على مجرد الوهم والتخيل ، بل على الحقيقة . فإن الجمهرة لابن دريد مطبوعة فى الهند وما ذكرناه منقول عنها مع بعض الاختلاف هو الوارد فى التاج لكنه قال : « لغة بنى العنبر » لا لغة بنى الغبر . وإن شككت فى ما أقول فما عليك إلا مراجعة الجمهرة فهى فى الأيدى لابتذالها فى الطبع . فما معنى هذا التحكك الذى أظهرته يا سيدى وأنت لا تملك من الكتب ما تؤيد مدعاتك ؟ فبنو الغبر كسكر لا وجود لهم ولا للغتهم . فإياك إياك يا سيدى العودة إلى هذا الميدان ، فإنه لا يصيبك منه إلا الهوان ، بعد هذا الامتحان !

(تم)

الاب أنستاس مارى الكرملى

أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

بغداد فى ٢٦ / ٩ / ١٩٤٢

إذهب . . .

الأستاذ على متولى صلاح

إذهبْ فإنِّى قد سلوتُ غرامى وملكتُ نفسى وانتهتْ آلامى
إذهبْ فقد وضح الصواب ولم أعدْ
عبد الخيال ولا فتى الأحلام
إذهبْ فإنى قد تركتُ عواطفى وجعلتُ عقلى فى الطريق أمامى

* * *

يا طالما أرسلتُ فيك مدامعى يا طالما شرّدتُ فيك منامى
يا طالما ذقتُ الهوان ولم أكنْ لولاك فى يوم يهون مقامى
صدًّا لقيتُ وذقتُ ألوان الجوى وحملْتُ مصطبراً أذى لوّامى
حيران فى أهلى و بين صحابتى أسوان أشكو للنجوم هيامى
الناس من حولى ولستُ أراهمو وأراك فى عقلى و فى أوهامى
والنور فى الأرض العريضة مشرقٌ
لكننى أحيا بأرض ظلام
والزهر فى عينى مريضٌ ذابلٌ والجدول الرقراق جوف رجام
والشعر فى صدرى ذبيحٌ ميت والنوْح صدْحى والبكا أنغامى
حتى كأنَّ الفلك غيَّر نهجه ومحا السطور البيض من أيامى

* * *

ما ذا رأيتُ ؟ رأيتُ أنك خائنى
ورأيتُ أنك لا تصون زمامى
ورأيت أنك ساخرٌ بمدامعى ورأيت حبك ليس غير كلام !
فالآن فاذهبْ قد سلوتُ غرامى
والآن فاذهبْ قد مضتْ آلامى
وعلى جمالك من مُحِبٍّ سابقٍ وعلى غرامك ألف ألف سلام

على متولى صلاح

المقابر . . .

الأستاذ محمد برهام

وقفت فى حذر فيها فروعنى ما تبصر العين من صمت و إظلام
تطلعت لى عيون الدوح فى دهش وأنعمت فى خيالى أى إنعام
وعاد يهمس هذا الدوح فى أذنى أركن لقوم ببطن الأرض نوام
تعال مت مثلما ماتوا فسوف غدا
تعل كأس الردى من بحره الطامى
تعال مت ميتة فى العمر واحدة فقد تميتك ألفاً دورة العام
كأس المنية خذها عن طواعية من قبل أن تتلقاها بإرغام
ولم أكد أبصر الأحجار قائمة
والترب يضرب أكواماً بأكوام
حتى نسيت حياة الناس ناحية وعاد عيشى بها أضغاث أحلام
ورحت فى عالم الأموات مبتعداً عن كل باعث أشجان وآلام
يا ليت كان هنا مثوى أقيم به ولا أعود إلى عيشى وأيامى

[عن العبرية] محمد برهام



فى جماعة كبار العلماء : مصادرة كتاب ومؤاخذة عالم

روت البلاغ أنْ قد عرض على جماعة كبار العلماء فى اجتماعها الأخير التقرير الذى كانت وضعته اللجنة المؤلفة من بعض أصحاب الفضيلة أعضاء الجماعة عن كتاب « رد الدرامى على المريسى » الذى طبعه ونشره وكتب مقدمته الشيخ حامد الفقى من علماء الأزهر الشريف .

وقصة هذا الكتاب ترجع إلى أن أحد كبار العلماء وجد فيه أحاديث شك فى نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فعرض الكتاب على الجماعة وطلب بحثه فألفت اللجنة السالفة الذكر .

وقد رأت اللجنة فى الكتاب جملة مآخذ خلاصتها أن الأحاديث التى يستند عليها المؤلف فى روايته غير صحيحة ، وأن الكتاب يدعو إلى عقيدة التجسيم للخالق سبحانه وتعالى ، وأن مقدمة الكتاب فيها مآخذ شديدة وطعن على علماء الكلام ، واتهام صريح لهم بأنهم أفسدوا العقائد ببحوثهم والتغالى فيها وزيفوها وخرجوا بها عن سلامتها . وانتهت اللجنة فى تقريرها إلى أن نشر هذا الكتاب وإباحة تداوله هو ترويج لمبادئ باطلة عفى عليها الزمان ، وطلبت مصادرته ومحاسبة ناشره على نشره وعلى ما جاء فى مقدمته من طعن على العلماء خصوصاً وأنه يرأس جماعة إسلامية للدعوة للدين هى جماعة أنصار السنة المحمدية .

وقد طبع هذا التقرير ووزع على أعضاء الجماعة لبحثه . ورأى فضيلة الشيخ محمود شلتوت عضو الجماعة أن يرد عليه فكتب تقريراً وقدمه للجماعة ووزع على الأعضاء وقد عرض في الاجتماع نفسه . وقد تضمن أن الأحاديث التى طعن فيها والموجودة فى هذا الكتاب لها أصل فى كتب الأحاديث رواها أبو داود وابن كثير ، وكثير من علماء الحديث . وقال عما جاء فى القدمة من كلمات نابية في حق علماء الكلام الإسلاميين أن المقصود بها أولئك الذين دخلوا فى الإسلام تظاهراً وهدفهم الأول الإساءة إلى العقائد الإسلامية وتعاليم الإسلام السليمة ، وهذا المعنى يتجلى فى سياق كلام المقدمة، وضرب الأمثال الكثيرة لذلك

وعلى الجماعة أن تقرر مبدأ بالنسبة لهذا الكتاب وما يوجد من الكتب الأخرى وهو دراسته والرد على ما فيه ؛ وهذا أسلوب القرآن الكريم ؛ فسبحانه جل شأنه ساق آراء المشركين والمعارضين للاسلام وحججهم ودعاويهم وعقب عليها بالرد والتفنيد . وهكذا كان شأن علماء الإسلام الأول يسردون أقوال معارضيهم ويردون عليها . وفى الكتب التى بين أيدينا آراء وأقوال لكثير من الطوائف الإسلامية رد عليها راووها وكان فى هذا تنوير للباحثين والدارسين والوقوف على المزيف منها والسليم .

وقد أفاد هذا الأسلوب ونفع وأوجد ثروة واسعة للمكتبة الإسلامية وأدى إلى الوقوف على الحركات العلمية التى كانت موجودة فى العهود السابقة . ولعل الأزهر لم ينس بعدُ الموقف الذى كان منه فى سنة ٣٢ إزاء كتاب تاريخ بغداد ومصادرته ثم فك المصادرة عنه .

وانتهى الأستاذ الشيخ شلتوت من تقريره إلى الاقتراح باتباع أسلوب السلف فى حماية العقائد والدين بتفنيد ما يرى أن فيه مساساً بهما والرد عليه وعدم مصادرة الكتاب أو مؤاخذة الناشر على نشره وما جاء فى مقدمته .

فى نسب العبيديين

فى العدد ٤٨٥ من الرسالة كلمة بعنوان (حول نسب الفاطميين) تراءى كاتبها برأى ابن خلدون فى تصديق دعواهم فى نسبهم المخالف لجماهير أهل التحقيق فى التاريخ والأنساب العلوية ، قال ابن خلكان فى ترجمة عبيد الله المهدى : (أهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون دعواهم فى النسب) . وابن خلدون

ليس بأقل خطأ فى رأيه هذا منـه فى (العرب والحضارة) و (العرب والعلوم) ، وأغلاطه فى ما دونه من أخبار الشرق غير مجهولة . إلا أن له هنا دافعاً نفسياً أوقعه فى الشذوذ عن الجماعة ، كما نص على ذلك المؤرخ الكبير السخاوى فى كتابه « الإعلان بالتوبيخ » نقلاً عن شيخه الحافظ بن حجر ، وذكر فيه أيضاً سبب شذوذ المقريزى فى ذلك

هذا وردُّ كل شىء إلى السياسة مضيعة للحقائق ، وليست كلمة « الغاية تبرر الواسطة » سوى قاعدة « مكيفلية » واهية يبرأ منها علماء الإسلام فى جميع العصور . والحكم الذى أصدره كبار الأئمة من علماء بغداد فى تزييف نسب العبيديين وافقهم عليه علماء الأمصار كالقاضى أبى بكر الباقلانى وأبى منصور عبد القاهر التيمى وأبى المظفر الإسفرايني ومؤرخ الإسلام الذهبى وابن تيمية وغيرهم . ومن درس سير أولئك العلماء الذين وقعوا ذلك الحكم استيقن أن أحدهم يفضل الموت على إصدار حكم مخالف للشرع في نظره . ولم يكن الخليفة يومئذ القادر بالله بقادر على إكراههم على القول بما لا يعتقدونه لأنهم كانوا أهل الحل والعقد فى الدولة مع عظم منازلهم فى الأمة ، على أن القادر بالله لم يوصم فى التاريخ بظلم ولا عدوان بل ذكر بالدين والتقوى .

ومما يدل على بطلان دعواهم فى الانتساب إلى محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق : أن إسماعيل مات فى حياة والده ، ومحمد لم يعقب كما قال النسّابون الثقات على ما هو مبسوط « فى الفرق بين الفرق » وغيره ، فصلتهم بإسماعيل بن جعفر الإمام كصلتهم بالإسلام . وقال ابن طولون فى « اللمعات البرقية فى النكت التاريخية » فى ترجمة الحاكم : وكان هو وأسلافه يدعون الشرف ويقولون : أبونا على وأمنا فاطمة ، كان فى كل أسبوع يقول ذلك على المنبر ، وكانت الرقاع ترفع إليه وهو على المنبر فرفعت إليه رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات :

إنا سمعنا نسباً منكراً ... يتلى على المنبر فى الجامع
إن كنت فيما قلته صادقاً ... فانسب لنا نفسك كالطالع
أو كان حقا كلُّ ما تدعى ... فاعدد لنا بعد الأب السابع

وزاد غيره :

أو فدع الأشياء مستورةً ... وادخل بنا فى النسب الواسع

فرماها ولم ينتسب فيما بعد . ولما دخل المعز العبيدى مصر وسُئِل عن نسبه سلَّ سيفه وقال « هذا نسبى » ونثر الذهب وقال « وهذا حسبى »

ثم إن الكاتب لو رجع إلى بعض كتب الأصول لعلم أن الأحكام الفقهية مسائل كلية لا جزئية ، فلا وجه لادعاء تأثرها بالظروف والأحوال فضلاً عن ادعاء الحاجة إلى نسخها بالاجتهاد ، وإنما الأحكام الجزئية هى أحكام القضاة فى القضايا الجزئية ؛ ولعل كذلك أن « الأحكام » فى كلمته جمع محلى باللام فهو يفيد العموم ، فيكون حملها على بعض الأحكام تراجعاً عن نص الدعوى ودلالته . على أن القول بنسخ حكم من أحكام الشرع بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم مما لا يعلمه الدين الإسلامى ، ولذلك ترى إجماع الأئمة خلفاً عن سلف على إكفار من يقول بذلك ، كما فى مراتب الإجماع لابن حزم وغيره

صلاح الدين شقبوه

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 488

Lundi - 9 - 11 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٨٨ « القاهرة في يوم الإثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٦١ — الموافق ٩ نوفبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

دفاع عن البـــلاغة

أسباب التنكر للبلاغة ، البلاغة ، الذوق ، الأسلوب

السرعة ، والصحافة ، والتطفل ، هي البلايا الثلاث التي تكابدها البلاغة في هذا العصر

فالسرعة — وهي جناية اختراع الآلة على الناس — كانت جريرتها على الفكر بوجه أعم ، أن استحال تقدير القيَم التي يحتاج وزنها إلى الروية والتأمل ، أو إلى الأناة والصبر ، فظهر الخبيث في صورة الطيب ، ودخل الرديء في حكم الجيد ، وقيس كل عمل بمقياس السرعة لا بمقياس الجودة !

وكانت جريرتها على البلاغة بوجه أخص ، أنها أصابت الأذهان فلم تملك أن تحيط بالأطراف ، ولا أن تنوص إلى الأعماق ، فجاء أكثر ما تنتج من الزَّبد الذي لا رجْع منه ولا بقاء له .

وأصابت الأفهام فلم تصبر على معاناة الجد من بليغ الكلام ، فكان أغلب ما تقرأ من الأدب الخفيف الذي لا غَناء فيه ولا وزن له

وأصابت الأذواق فلم تستطع أن تميز الفروق الدقيقة بين الطعوم المختلفة ، فاختلط الحلو ، بالمر ، والتبس الفج بالناضج .

فالكاتب البليغ قد يعجله الحافز الملحُّ من تعهد كلامه فيأتي بالركيك التافه . والكلام البليغ قد يسرع فيه النظر

فلا يفطن الذهن إلى عبقريات الفن فى تصوره وتصويره فيذهب فى ذمة الغثّ . وقد تقع السرعة خطأ فى موازين بعض النقاد فيحسبونها شرطاً فى حسن الإنتاج . وربما عابوا الكاتب المروّى بالإبطاء، وغمزوه بالتجويد وسفهوا قول الحكيم القائل : « لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فإن الناس لا يسألون فى كم فرغ ، وإنما يسألون عن جودته وإتقانه » .

***

والصحافة — وهى من فنون الأدب المستحدثة — كانت جريرتها على البلاغة أنها أوشكت أن تستبد بالمجال الحيوى للكتابة . وليس فى هذا الأمر على ظاهره نكير ولا مؤاخذة ، ولكن عمل الصحافة رواية الأخبار العالمية ، وتسجيل الأحداث اليومية ، ونشر الثقافة العامة ؛ وهى فى كل أولئك تخاطب الجمهور فلا مندوحة لها عن التبذل والتبسط والإسفاف والمط مراعاة للموضوعات التى تكتب فيها ، وللطبقات التى تكتب لها ، وللسرعة التى تعمل بها . ولو كان للصحافة كتابها وللتأليف كُتّابه لما لقيت البلاغة منها أذاة ولا مضرة ؛ ولكن حالها مع الكِتاب كحال السينما مع المسرح . فهى أوفر فى المال ، وأقوى فى السلطان ، وأوسع فى الانتشار ، وأشمل فى المعرفة ، وأغنى فى الوسائل ، ولذلك غلبت الكِتاب على أمراء القلم ؛ فهم يعملون فيها على ما تقتضيه أحوالها من مجاوبة السرعة وتوخى السهولة وإيثار العامية . وللصحافة سبعة أبواب لا يدخل بلغاء الكتاب إلا من باب واحد . أما سائر الأبواب فهى لأنماط من ذوى الثقافات المختلفة هيأتهم ملكاتهم ونزعاتهم ليكونوا جنوداً فى جيش « صاحبة الجلالة » ، فحملوا القلم لأنهم لا بد أن يكتبوا ، ثم حملهم إدمان الكتابة ومواتاة النشر على أن يعالجوا الأدب الرفيع فقعد بأكثرهم وهن السليقة وضعف الاطلاع عن مجاراة الموهوبين من أهله ؛ فسوّل لهم الغرور أن يخفضوا مستوى البلاغة ، ويبتذلوا حَرَم الفن ، ويوهموا الناس أن أدب الدهماء هو أدب المستقبل ، لأن العصر عصر السرعة ، ولأن الشأن شأن العامة ، ولأن الديمقراطية تقضى باختيار لغة الشعب وإيثار أدبه . وما داموا هم الكثرة وقراؤهم هم الكثرة ؛ فإنهم بحكم الديمقراطية يملكون وحدهم حق التشريع فى الأدب : فينهجون القواعد ، ويقررون الأساليب ، ويعينون الكتاب ويوجهون الرأى

من أجل ذلك طغت العامية ، وفشت الركاكة ، وفسد الذوق ، وأصبحت العناية بجمال الأسلوب تكلفاً فى الأداء ، والمحافظة على سر البلاغة رجعة إلى الوراء ، ولم يبق للمخلصين للغة الوحى وأدب الرسالة إلا أن يكتبوا لأنفسهم ولمن يعصمهم الله من أعقاب هذا الجيل

على أن العامية الأدبية عرض من أعراض العامية الاجتماعية . فمتى برئ المجتمع من أمراض الضعة فجنح للقوة وطمح للكمال ، ظهرت الأصالة فى فكره ، والمتانة فى خلقه ، والسلامة فى ذوقه ؛ وحينئذ يتكون الرأى الأدبى العام ، وهو وحده الذى يراقب ويحاسب ، ويؤيد ويعارض ، فلا تجوز عليه دعوى ، ولا ينفق فيه زَيف ، ولا يظفر به مَئوف

***

أما التطفل فقد رأيته ظاهر الأثر على موائد الصحافة ! ولكن هناك ضرباً من التطفل المغرور يجوز أن نُفرده بالذكر : ذلك هو تطفل فئة من أرباب المناصب لا يقدح فى كفايتهم ألا يكونوا كتاباً ولا شعراء ؛ ولكنهم يأبون إلا أن يضموا المجد من جميع حواشيه فيتكلفون ما ليس فى طباعهم من صناعة البيان فيقعون فى النقص وهم يريدون الكمال !

قد ينبغ أولئك السادة فيما يُملك بالتحصيل والمزاولة ، كالتعليم والتأليف والمحاماة والسياسة ؛ ولكنهم أعجز من أن يخلقوا فى رؤوسهم ملكة الفن بمجرد الإرادة أو الأمر أو الادعاء . فإصرارهم على أن يُعدوا فى كبار الكتاب على ما فيهم من تخلف الطبع وخمود القريحة وضعف الأداة ، دفعهم إلى مشايعة الجهلاء فى تَنقُّص البلاغة وخفض مستواها إلى الدرك الذى لا يعز مناله على القاعد . وهذه المشايعة من قوم لهم فى التوجيه الثقافى رأى مسموع وأثر ملحوظ أخطر على البلاغة من كل ما تعانيه فى هذه المحنة

لذلك كان من البر بالأدب والإخلاص للفن أن نتقدم إلى قرائنا بهذه الفصول .

« للكلام بقية »

احمد حسن الزيات

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

٣ – حديث عيسى بن هشام

للدكتور زكى مبارك

الأسلوب — الفكاهات — الرحلة الثانية — الرحلة الفكرية — أسلوب وأسلوب — كلمة ختامية

الأسلوب

أشرنا من قبل إلى أن أسلوب المويلحى يغلب عليه السجع فلنقرر أنه لا يعفى نفسه من أثقال هذه الحلية إلا حين يخوض فى أحاديث يُطلب فيها الإقناع لا الإمتاع . ومعنى هذا أن مقابات الكلام ترجع فى جلتها إلى مقامين : مقام تخاطَب فيه العقول ، ومقام تناجَى فيه القلوب . فالترسُّل الحرّ هو أسلوب الإقناع ، والنثر الفنى هو أسلوب الإمتاع ، وبين هذين المقامين صلات دقيقة يعرفها جهابذة القلم البليغ

فهل التزمَ المويلحى هذه الخطة فى جميع الأحوال ؟

الظاهر أنه لم يراعها كل المراعاة ، فقد سجع فى مواطن لا يجوز فيها السجع ، وحار قلمه بين موجبات العقل ، وموحيات الذوق ، فلم يسلم فى بعض الظروف من الإسفاف

نصَّ شوقى على سجع المويلحى حين رثاه فقال :

رُبَّ سجعٍ كرقص الروض لمّا يختلف لحنُهُ ولا إيقاعُهْ
أو كسجع الحمام لو فصلتْهُ وتأنتْ به ودقّ اختراعُهْ
هو فيه بديع كل زمانٍ ما بديعُ الزمان ما أسجاعه ؟

ومن الواضح أن شوقى يرثي ، والرثاء يبيح التهويل ، ولهذا جاز أن يكون سجع المويلحي أبرع من سجع بديع الزمان ، مع أن الفرق بين فن المويلحى وفن البديع ، كالفرق بين « عيسى بن هشام » الجديد ، و « عيسى بن هشام » القديم ؛ وسيظل بديع الزمان هو البديع ، لأنه المبتكر الأول لهذا الفن الجميل ، الفن الذى ينقد المجتمع عن طريق الأسمار والأحاديث ، باللمحة البارعة والأسلوب الرشيق[1]

المويلحى يتعثر فى الأسجاع ، ولكنه قد يبلغ الغاية فى بعض الفقرات ، كأن يقول على لسان المحامى وهو يخاطب موكلاً رجاه أن يرجىء الأجر إلى آخر الشهر :

« أتظن أن هـذه الوعود ، تقوم لدينا مقام النقود ، فى بلد كـثُر فيه الإنفاق وزادت الضرورات ، وقلَّ فيه الربح كما قلّت المروءات ، وصار الدرهم أعزّ عند الأب من بنيه ، وعند الإبن من أبيه ؟ وقد تعبتُ فى القضية تعبَين : باللسان وبالجنان ، ولا أستريح منهما إلا بنقد الأصفر الرنّان . فلا تجعل الخلاص من قضية بقضية ، والفكاك من بلية ببلية ، فذلك ما لا يأتيه العقلاء ، ولا يرتضيه الأمراء »[1]

وكأن يقول : إنه رأى فى ساحة المحكمة : « وجوهاً مكفهرّة ، وألواناً مصفرّة ، وأنفاساً مقطوعة ، وأكفّاً مرفوعة ، وباطلاً يُذكر ، وحقّاً يُنكر ، وشاكياً يتوعد ، وجانياً يتودد ، وشاهداً يتردد ، وجنديّاً يتهدد ، وحاجباً يستبد ، ومحامياً يستمد ، وأمّاً تنوح ، وطفلاً يصيح ، وفتاة تتلهف ، وشيخاً يتأفف »[2]

وجملة القول أن الأسجاع الجيدة عند المويلحي كثيرة ، أليس هو الذى يسجع فيقول فى التبرم بالناس :

« إن سالمتَهم حاربوك ، وإن وادعتَهم ناصَبوك ، وإن صادقتَهم خانوك ، وإن واثقتَهم كادوك ، وإذا خالطتَهم لا تأمن الاعتداء ، وإذا مازجتَهم لا تعدَم الافتراء ، وإن طالبتَهم بحق ، فإنك لا تسمع الصُّمّ الدعاء »[3]

الفكاهات

المويلحي كثير التندر والدعابة ، وهو ألطف ما يكون حين يسوق الفكاهة بطريق النقد الملفوف . . . أراد أن يعيب عدم استقرار محكمة الاستئناف فى مكان فقال وهو ذاهب إليها مع الباشا : « ولعلنا نجدها باذن الله فى مكانها ، فقد تعودت التنقل من مكان إلى مكان ، ثم اقتربنا فوجدناها »[4]

والكلمة الأخيرة من دقيق التنكيت . . . وقد عاش المويلحى إلى أن رأى محكمة الاستئناف قد استقرت فى مكان !

وأراد أن يفصح عن جراءة « المحامى الشرعى » فى ذلك الزمان فأدار الحديث على مثل هذه الصورة :

— علمنا أنك رجلٌ عدلٌ عفٌ ، فجئناك لقضية فى وقف

(١) « عيسى بن هشام » : شخصية اخترعها الهمدانى ونقلها عنه المويلحى ، وهي شخصية خفيفة الروح هنا وهناك

(١) ص ٦٨ (٢) ص ٣٧
(٣) ص ١٦٩ (٤) ص ٦٥

— أتطلبون رَيْعه ؟ أم تريدون بيعه ؟

— سبحان الله ! وهل تباع الأوقاف ؟

— نعم ، ويباع جبل قاف !

ثم يصير السجع نفسه فكاهة فى هذا الموضع « تنحنح الشيخ وسَعَل ، وبَصَقَ وتَفَل ، وتسَمَّط ، ثم تمخَّط ، واقترب منا ودنا ، ثم قال لنا »(١)

وأراد أن يصور بلاء الناس بطول الإجراءات فى المحاكم فقال :

« نسأل الله أن ينقذنا مما أصابنا من حكم الدهر ، وأن يعجل بانقضاء القضية قبل انقضاء العمر »(٢)

وهذه فكاهة مرة المذاق ، فلعل إجراءات المحاكم المصرية أصبحت أقصر مما كانت فى ذلك الزمان

الرحلة الثانية

وعد المويلحى فى نهاية الرحلة الأولى بأنه سيقوم برحلة ثانية ليصور المجتمع فى الأقطار الغربية ، وقد انتظر القراء هذه الرحلة عشرين سنة ، انتظروها من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٢٧

فتى قام المويلحى بالرحلة الثانية ؟

حدثنى الأديب إبراهيم المويلحي تليفونيًّا أن هذه الرحلة كانت سنة ١٨٨٩ ، فعارضته فى التاريخ ، لأن معرض باريس لسنة ١٨٨٩ هو المعرض الذى أقيم فيه بُرج إيفل أول مرة ، وفى الرحلة الثانيـة فقرات صريحة فى أن المعرض الذى زاره المويلحى لم يكن ذلك المعرض ، لأنه يتحدث عن « إيراد البرج فى المعرض السابق » ولأنه يتحدث عما انتهى إليه أمر « المسيو إيفل » وقد اتهم بالسرقة والاختلاس وسجن فى قضية « بناما » ولا يمكن أن يقع ذلك فى سنة ١٨٨٩

وبعد يومين تفضل الأديب إبراهيم المويلحي فأخبرنى أنه راجع ما عنده من دقائق فعرف أن الرحلة الثانية كانت فى صيف سنة ١٩٠٠ وأن أصولها أرسلت من باريس ونشرت فى « مصباح الشرق » على فترات

وإذن يكون المويلحى قبر الرحلة الثانية سبعاً وعشرين سنة ، فما سبب ذلك ؟

لعل السبب يرجع إلى أن المويلحى كان يستصغر محصول الرحلة الثانية ، ولعله كان يرجو أن تتاح فرصة يزور فيها أوربا زيارة الباحث المدقق ، ليؤلف كتاباً فى قوة كتابه الأول ، ثم صنع الدهر ما صنع فصرفه عما يريد ، ولم يبق إلا أن يقنع بالمحصول السابق من الرحلة الثانية ، فطبعها قبل أن يموت بثلاث سنين

رحلة أمين فكرى

والمؤكد عندى أن رحلة أمين باشا فكرى كانت السبب فى تردد المويلحى ، فقد كان يحبّ أن يصل إلى دقائق تفوق ما احتوت عليه « الرحلة الفكرية » فما تلك الرحلة ؟

الجمهور يجهل أن القاهرة شهدت فى سنة ١٨٩٢ ظهور كتاب لم تعرف مثله اللغة العربية ، وهو كتاب « السفر إلى المؤتمر » فى صفحات بلغت ٨٢٣ بالقِطع الكبير . وفيه وصفٌ للحيوية الصناعية فى البلاد الأوربية ، وصفٌ لم يكتب مثله كاتب فى الشرق الحديث . وقد كنت شرعت فى كتابة بحث أصور به قيمة هذا الكتاب النفيس ثم انصرفت عنه لبعض الشؤون ، ولعلى أرجع إليه بعد حين

نحن فى صحبة كاتبيْن وصف أولهما معرض باريس سنة ١٨٨٨ ثم وصفه الثانى فى سنة ١٩٠٠ ، فما الفروق بين هذين الكاتبين ؟

لا جدال فى أن أسلوب المويلحى أروع وأرشق ، ولا جدال فى أن المويلحى مفطور على الحاسة الفنية ؛ ولكن عند الباحث أمين فكرى نزعة علمية قليلة الأمثال ، فقد وصف المعرض وصفاً هو الغاية فى تعقب الأصول والفروع من حيوات العلوم والفنون

قضى الباحث أمين فكرى تسعة أيام فى زيارة المعرض ، وهو فى صحبة أبيه عبد الله باشا فكرى ، أحد أئمة الأدب فى الجيل الماضى ، ورئيس الوفد المصرى إلى مؤتمر المستشرقين الذى عُقد فى بلاد السويد والنرويج سنة ١٨٨٩

كان أمين فكرى يسجل مشاهداته فى كل يوم ، وأى مشاهدات ؟ كان يتعقب ما ترى عيناه بالبحث والفحص والتشريح ثم يسجل ما يراه بعبارات فصيحة بلينة أغناها الوضوح والتحديد عن التزويق والتنميق

إذا قال محمد المويلحى إن برج إيفل هو إرَم ذات العماد ، أخذ أمين فكرى فى سرد تاريخ البرج وتصميماته الهندسية ، وانطلق فتحدث عن طبيعة الأرض القريبة من نهر السين ، وطاف بشؤون علمية لا تخطر للمويلحى فى بال

والحق أن أمين باشا فكرى آية من آيات النبوغ المصرى ، وما كان بينه وبين أبيه يشابه ما كان بين المويلحى وأبيه ، فشهرة

(١) ص ١٠٤ (٢) ص ١٠٩

عبد الله فكرى طغت على منزلة أمين فكرى ، كما أن شهرة ابراهيم المويلحى طغت على منزلة محمد المويلحى

وأمين فكرى نفسه يحدثنا فى المقدمة أن أباه عبد الله باشا فكرى كان ينوى كتابة هذه الرحلة ، وأنه ألمع إلى ذلك فى خطاب أرسله من لوسرن إلى الوزير على باشا مبارك ، ثم دهمه المرض والموت ، فكان مصير الكتاب إلى ابنه أمين.

أسلوب وأسلوب

فى « السفر إلى المؤتمر » صحائف من إنشاء عبد الله فكرى ، وهى تشهد شهادة قاطعة بأن أسلوب الأب وأسلوب الإبن يختلفان بعض الاختلاف

فتى نصل إلى مثل هذا اليقين فى التمييز بين أسلوب محمد المويلحى وأسلوب أبيه إبراهيم ؟

محمد المويلحى ترك « حديث عيسى بن هشام » وابراهيم المويلحى ترك « حديث موسى بن عصام » وهو منشور بجريدة « مصباح الشرق » ، فإن سمح الوقت يوماً بالموازنة بين الحديثين فسنعرف مَدَى الفرق بين الأسلوب .

إحدى الطرائف

من طريف ما لاحظتُ أن أسلوب عبد الله فكرى تغلب عليه النزعة الأدبية ، على حين تغلب النزعة العلمية على أسلوب ابنه أمين

ولا كذلك الحال بين المويلحى وأبيه ، فالإبنُ تغلب على أسلوبه النزعة الأدبية ، أما الأب فتغلب على أسلوبه النزعة العلمية

والظاهر أن الجيل الماضى فى مصر يحتاج إلى دراسات ، فهو الذى وضع الأساس لبناء الجيل الجديد ، وكان فيما أرى على جانب من العافية ، تصوّره النكتة الآتية :

كان الوزير على باشا مبارك رجلاً من أهل الجِد الرزين ، ومع هذا استطاع عبد الله باشا فكرى أن يصف له ملاعب أوربا فى خطاب يقول فيه :

« وكم رأينا فى تلك البطاح ، من صِباح مِلاح ، كل خَودْ رَدَاح ، شاكية السلاح ، من ألحاظ كالصفاح ، مراض صحاح ، وقدود كالرماح ، دامية الجراح ، فاتكة فى الأرواح ، وليس عليها لدى القانون فيما جَرحتْ جُناح ، وكل ما اجترحتْ مباح ، وهن منتشرات فى تلك الجهات كعقدٍ خانه السمط فانتثرت دُرَرُه ، وروضٍ ألحتْ عليه الريح فتبدّد زهَرُه ، فهن ظباء فى هذه المراتع روائع ، وأقمار من هذه المطالع طوالع ، وأنوار فى تلك المواضع سواطع ، قد زُين فى مهاد الدلال رواضع ، وغذّتهن بلبان الَجمال لا الِجمال المراضع ، فبرزن كالحور ، فى غلائل نُور ، أو ورد جور ، فى زجاج بلور ، تراهن بين الأشجار ، فتراهن بعض الأزهار »[1]

أيُكتَب هذا الكلام إلى وزير اسمُهُ على مُبارك لا زكى مبارك ؟

كان أسلافنا فى عافية ، وكانوا يرون التشبيب فنّاً من البيان ، ولم يكن من العيب أن يوضع مثل هذا الخطاب فى وثائق مجلس الوزراء . فعلى رجال الجيل الماضى ألف تحية وألف سلام !

كلمة ختامية

بهذا المقال الثالث نختم القول فى توجيه الطلاب إلى فهم سريرة عيسى بن هشام ، فقد أفصحنا عن أهم الدقائق من تلك السريرة ، ورفعنا عن المؤلف بعض الآصار التى أثقله بها معاصروه وأزحنا الستار عن حقائق كانت مجهولة عند الكثير من أبناء هذا الجيل

وأنا أرجو من ينظر فى كتاب « حديث عيسى بن هشام » أن يتذكر أنه كتب فى عصر كانت لأبنائه عقيدة أدبية ، فما كانوا يخطّون حرفاً إلا بميزان ، ولا كان الفتى منهم يتطاول إلى تسطير مقال إلا بعد أن يستوعب ما يصل إليه من آثار القدماء ، ولا كان يتسامى إلى الأدب إلا من زُوِّد بمواهب تضمن له الخلود

وما ظنُّكم بجيل كان من أبنائه محمد عبده وسعد زغلول وتوفيق البكرى وأحمد تيمور وإبراهيم المويلحى ومحمود البارودى وعبد الله فكرى وعلى يوسف وعبد العزيز جاويش ؟

لا تنسوا أن الجيل الماضى كانت له عقيدة أدبية وعقيدة قومية . لا تنسوا أنه ترك آثاراً تستحق الدرس والاقتداء . لا تنسوا أنه لا يليق أن نكون أقل منهم حرصاً على التحليق ، ونحن نملك من الوسائل ما لم يكونوا يملكون

إن « حديث عيسى بن هشام » صورة من صور القلق الاجتماعى ، وهو يشهد أن مؤلفه كان يتجه إلى خلق جيل جديد يَسلم من أوضار الجيل العتيق

---

(١) السفر إلى المؤتمر ص ١٠٠

عودة إلى تحفة الأستاذ على طه

أرواح وأشباح

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

(تتمة)

ألم يتضح بعدُ أن كلامَ الشاعر فى الفنان وعلاقته بالمرأة ليس جمّاع ملحمته ، على ما قد يذهب إليه وهم واهم ؟ أليس ذلك الكلام سبيلاً إلى وصف الكفاح بين الروح والجسد بذكر حقائق بشرية عامة هى المادة التى صدر عنها خيال الشاعر ؟ الحق أن شعره تحفة من الأدب الإنسانى الصادق بعينه . ويجمل بالقارئ وهو يطالع مثل هذه التحفة ألا يميل إلى الكسل كى لا يمنعه من البحث فيها عن المميِّزات التى تُدخلها فى نوعها من الأدب . فإن هو أدرك هذه المميِّزات رأى أن التحفة فتحت باباً جديداً واسعاً فى الأدب العربى بالاقتباس من أنواع الأدب الأجنبى ، وعرف قدرها خصوصاً من هذا الوجه

فقد توافرت فيها مميزات النوع المعروف عند الغربيين باسم ملحمة : شعر فى الإنسانية يعبر عن وجدانيات وفِكر معروفة فى المأثور من أساطيرها الشرقية والغربية ، وفى المعهود من طبعها وعاداتها وخلالها وعقائدها ، وفى علمها وأدبها . وهو شعر رفيع صادر عن إيمان من الشاعر برأيه ، ويشفّ عن إيمانه لمهجته وبلاغته فيما قص ؛ وقد مزج الحقيقة والخيال فى قصصه ، وبعث فيه الحركة والحياة بفنه ؛ وطالت قصيدته حتى بلغت أربعمائة بيت ونيفاً . فهى ملحمة ليست يونانية موقوفة على تمثيل شخصيات بعينها من جيل إغريقى معين ، ولا مترجمة ، ولا فرنسية ، بل هى إنسانية مبتكرة فى الأدب العربى

وإذا كانت العزة القومية تنرى بأن نُسر لمثل هذا التجديد فإنما وجه السرور أننا نأخذ من الأجنبى ما يلائمنا ويندمج فى آدابنا وأساليبنا ، كما أخذ أسلافنا وكما أخذ هو منهم وأفلح ، وأنها جاءت ملحمة عربية من أدبنا فى القرن الرابع عشر الهجرى ، ومعنى ذلك أننا ما كنا لِنَنْفر من أدب بنى جنسنا ، بل إننا نرجو له أن يتخلص كل التخلص من الجمود ليتصل كل الاتصال بحركة الحياة الإنسانية الحاضرة فيعود إلى ما كان عليه من خصب فى أيامه الذهبية

وهذه الملحمة أدب عربى لا يقاس على كل مقاييس الآداب الأجنبية حتى يقال ، مثلاً — من أجل بيت أو بيتين — هذا شعر رومانتيكى ، ولم يكن للأدب العربى عصر رومانتيكى بمدلول هذه الكلمة الأجنبية ، أو حتى يقال إن نظرة الشاعر إلى الفن والحياة فى ملحمته نظرة رومانتيكية جعلت من الفنان « صدى عابراً ... ورجعاً بجنّحة الخاطر » فى حين أن نظرته إنسانية اجتماعية لا فردية ، وعقلية علمية لا وجدانية ، وإن عرض هذه النظرة بشعر مزاجه الخيال والوجدانيات وبلاغة هِزّةِ الإلهام ، وكان فيه ما فى طبائع البشر التى وصفها من انفعالية sensibilité وشهوانية sensualité

ألا إن هذه التحفة شعر يملأ النفس جلاله ، ويثير الفكر فى موضوعه الذى تتراءى آفاقه كلما حاول النظر أن يتتبعها ؛ وإن صاحب التحفة لَشاعر شاعر ، أسلوبه ساحر ، وهو قادر حتى على تشريف كلام يُعَد خارج شعره من السهل غير الممتنع ، كالبيت الثالث من قوله :

وكنت فتى ساذجاً لا أرى سوى دمية صُوِّرت من نقاء
أنيل الثرى قدمَى عابر يعيش بأحلامه فى السماء
فأصبحت شيئاً ككل الرجال وأصبحت شيئاً ككل النساء

أليس فى ثالث هذه الأبيات كل حسرة الفنان المؤلمة على روحه الخائبة ، وكل لهفه على ما استحال من نظرته المفيقة إلى الجمال يوم كان فتى ساذجاً لا يرى مكر الغريزة به لشغله عنها بخواطره وخوالجه السامية ، ومُثُله العليا فى الحياة ؟ أليس ما أفعم قلبه من أسف مصبوباً كله فى قوله « شيئاً » للتحقير ؟ وقد قوّى التنكيرُ ما حملت كلمته من معنى التحقير فى موضعها

إن وقعت فى الكتاب سجعة لا ترضيكم فلا تبتسموا ابتسام السخرية ، فهى الدليل على ابتلاء المؤلف بمحنة الفنون

على أنى أحب أن تكون لكم عيوب المويلحى ، وهى عيوب رجال ، وأكره أن تكون لكم محاسن أهل الغفلة ، وهى محاسن أطفال

كونوا مبدعين فى جميع الميادين ، وكونوا أنتم أنتم ، ولتكن صورة الوجه هى التى تميزكم بعد صورة الأسلوب .

زكى مبارك

من سياق البيت تلو البيتين البليغين الأولين ، وانتقل هذا المعنى بأداة التشبيه إلى كل الرجال . ثم أليس شجوه لتدهور المرأة معه ، أو تدهوره معها ، مركزاً فى الشطرة الثانية من البيت ؟ ألم يصبح كلامه من السهل الممتنع ؟ الحق أن ما فيه من مزية شعرية ، وروعة معنى ، وسحر بيان ، هو شيء بليغ يعلى النفس ويملو على كل تقدير . وهو شيء ليس يستطيع إنكاره سوى الذين لا يعرفون كنه الشعر فيظنون أن الشعر هو ما تزدان به ماهيته الخافية عنهم من التشبيه الجميل ، والمجاز البارع ، والكناية البديعة ؛ وإنما أولئك زينة الأثواب ، وقد يكون لؤلؤها بهرجا ، وزواقها خادعا ، فتكون معارض زائفة تنقص قيمة الشعر أو لا شعر تحتها .

وهل من قول فى أسلوب على طه بعد أن كتب إليه خليل بك مطران : « جئت بالطريف من المعنى ، فى الصريح الشائق من المبنى ... إن فى مطالعة أرواح وأشباح لمتعة فكرية ولذة فنية » ؛ وبعد أن كتب صاحب الرسالة : « هى فى الصياغة مشرقة البيان ، منتقاة اللفظ ... هزت نفسى هزاً شديداً ، فكنت أطيل الوقوف عند كل رباعية ، وأديم النظر فى كل بيت ، أتذوق جمال صياغته برفق ، وأستجلى سر بلاغته فى أناة »

هزت نفسه ، فأدام النظر فى كل بيت ليتذوق ويستجلى . ذلك لأن اللذة التى يجدها الذوق يكشف التحليل سرها فيضاعفها فى النفس

فإن الذوق ملكة مركبة من الشعور ، أى الانفعال ، لأن المحاسن والعيوب تؤثر فيها بالطبع ؛ ومن الذكاء ، لأنها تحلل تأثرها باحثة عن أسباب الاستحسان وأسباب الاستهجان ، وتنظر فيما تجد من دواعى الإعجاب ودواعى الإنكار ، وتوازن بينها . وأثر الانفعال ، أى وقع الشيء ، هو الحاكم الطبيعى أول وهلة ، أما النظر فهو الحكم بعد ذلك . والمعتاد من هذا الحكم إذا اقترن عند صاحبه الانفعال السريع بالعقل الثاقب النير ، ألا يجيء قضاؤه إلا مؤيداً لقضاء الحاكم الأول . ولذلك كتب الأستاذ الزيات ، بعد إدامة النظر : « إن أسلوب هذه الملحمة ليس بدعاً من أسلوب على طه ، فإن الصفات الغالبة على أسلوبه كله ، هى الوضوح والأناقة ، والسهولة والسلامة »

***

أما بعد ، فقد تبين من مزايا « أرواح وأشباح » أن إمعان النظر فى هذا الصنيع — كما هو ، يزيد الناظر إعجاباً به فى ذاته ، وإعجاباً على إعجاب بطبعته . وما أجمل ائتلاف الظرف والمظروف فى مثل هذه التحفة !

فإن للمؤلفات النفيسة عند الغربيين فى هذا العصر طبعات فاخرة ، محلاة بصور يصنعها أبرع الفنانين ؛ وهم فى ذلك يتبعون عادة أسلافهم فى كتبهم الخطية . وقديماً كان هذا هو الشأن عند الشرقيين من فرس وعرب وغيرهم ؛ وزين السلف الصالح مصحفنا الشريف — على جلال القرآن الكريم — بأجمل الخطوط والنقوش العربية ، ومؤهوه بمختلف الألوان والمياه الفضية والذهبية ، إجلالاً للكتاب المجيد . ثم ضاع منا العلم وضاعت الفنون والأذواق ؛ ثم ظهرت عندنا تلك المطبوعات القبيحة التى تعمى الأبصار . ومنذ شرعت مصر تنهض أخذنا نجوّد الطبع ، ونحلى المطبوعات أحياناً . وفى ذلك وقاية للنظر ، وتهذيب للذوق ، وتحبيب فى الإتقان ، وخدمة للطابع وللفنان . لكننا ما زلنا فى المرحلة الأولى على هذا الطريق

من أجل ذلك ، لا من أجل ما يعنى التلميح السخيف ، لم يقنع صاحب هذه التحفة بنفاستها الأدبية ، بل زين طبعتها بصور بارعة من ريشة الفنان محمد سليم شوقى ، تروق فى النواظر ، وكأنها فى البصائر عناوين فنية لمقاصد الشاعر وأغراضه فى شعره . وقد اختار لكتابه أحسن طبع بحبور مختلفة ألوانها ، مؤتلفة كألوان الصور ؛ وبأحرف جميلة بينة فى أسطر متباعدة بين حواش عريضة ؛ وبجود من أصناف الورق للكتابة وللغلاف المحلى بصورة لآخر مشاهد القصص

وليس يجمع أجمل الصفات الأدبية والمادية فى وحدة محكمة البناء ، متقنة التأليف ، عظيمة الإشراق ، فتانة الرونق ، إلا روح فنان وذوق ممتاز .

محمد توحيد السلحدار

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٢ — ٨ — ١٩٤٢ فى القضية رقم ١٦٤٨ سنة ١٩٤٢ ضد أم الرزق حسن الفراش سن ٤٠ فلاحه نكلا مركز إيتاى جنح عسكرية بمدة ثلاثة شهور شغل والنفر على مصاريفها لبيعها ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٩ — ٩ — ٩٤٢ فى القضية رقم ٢٦٩٤ جنح عسكرية سنة ٩٤٢ ضد توفيق حسن القصاص سن ٢٢ جزار شبرا خيت بمدة ثلاثة شهور مع الشغل والنفاذ والمصاريف والنشر على مصاريفه لبيعه لحوما بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

عقيـــدة البعث

للأستاذ محمد عرفة

عضو جماعة كبار العلماء

لا أعلم شيئاً أعظم بركة على البشر من عقيدة البعث ، وقيام الأموات من القبور ، ومجازاة المحسن بإحسانه ، والمسئ بإساءته

ولا أعلم شيئاً أعظم شؤماً على البشر من تحطم هذه العقيدة ، واعتقاد الناس أنهم لا يجزون بخير يعملونه ، ولا بشر يقترفونه

ولا أعلم زماناً كان الناس فيه أحوج إلى اعتقاد البعث من هذا الزمان .

إن روح الشر التي تسيطر على البشر الآن ، ويشكو منها القادة والمصلحون هي من ضياع هذه العقيدة .

خوت القلوب من عقيدة البعث والجزاء ، فقادت الناس شهواتهم ، وضاعت الشكائم التي كانت تكفهم ، وأصبح المرء يرى أن لا حياة له إلا هذه الحياة ، وأنه إن لم يمتع نفسه بكل الشهوات خسر خسراناً مبيناً ، فاندفع يحصل هذه الشهوات من كل سبيل . فقد الإيمان بجزاء الأعمال فاستوت عنده الحسنة والسيئة ، فاندفع إلى السيئات يقترفها ، وكأنما يأتي حسنات .

تنبهت غرائزه الدنيئة ، وفتحت فاها فلم يكفها شيء تلقمه ؛ واختفت غرائزه العلوية ، وأصبحت الحدود التي تفصل بينه وبين الحيوان الأعجم دقيقة وتكاد تمحى .

أقفر المستقبل من الجنات التي أعدت له جزاء فعل الخير فلم تتحرك فيه إرادة الخير ، وأقفر أيضاً من الجحيم الذي كان ينتظره جزاء فعل الشر فلم ينزجر عن شر ، فهتك الحرمات ، واستباح المعاصي ، وسار في هذه الحياة لا دين يردعه ، ولا فضيلة تزجره .

كانت مقاييس الخير والشر عنده رضا الله وغضبه ، ونفع الناس وضرهم ، فأصبحت مقاييس الخير والشر إتباع شهواته وإجاعتها ، ورضا ميوله وغضبها .

كان الفقير والمريض والمبتلى يجد كل منهم في هذه الدنيا سلواه لأنه يعلم أن وراء هذا الفقر في الدنيا غنى في الآخرة ، ووراء هذا المرض صحة ، ووراء هذه البلوى عافية ، فكان في وسط هذه الشدائد والآلام راضي النفس ، باسم الأمل ، راجي الرحمة ، فأوصدوا هذه الأبواب في وجهه ، فلا أمل ، ولا رحمة ، ولا رضى ، ولا رجاء .

كان الغني يحسن إلى البائس الفقير لأنه يعلم أن ما يدفعه الآن سيأخذه أضعافاً مضاعفة ، وسيجزى بذلك النعيم المقيم ، فأوصدوا باب الجزاء في وجهه ، وأوصدوا بإيصاده باب الإحسان

كان يعمر قلبه الله والخير والفضيلة والعدل ، ويخيفه الشيطان والشر والرذيلة والظلم ، فشك في ذلك وأصبح يتساءل ما الله ؟ وما الشيطان ؟ ما الخير ؟ وما الشر ؟ وما الفضيلة والرذيلة ؟ وما العدل وما الظلم؟ هذه كلها من أوهام الماضي ، وخرافات الأجيال

أعلم أن الذي حول العالم إلى هذه الحال القلقة ، وورطه في هذا الجحيم هو اندفاع فلاسفة القرن التاسع عشر والقرن العشرين في مقاومة الدين ونقضه – كان هؤلاء الفلاسفة يجهلون قيمة الدين في حياة الشعوب والأفراد ، وكانوا يرونه يعيش على هامش الحياة ، بل ربما رأوه كلاً عليها ، فاندفعوا يقاومونه وينقضونه حجراً بعد حجر ، ويشككون في مبادئه السامية ، فضعفت قيمة الدين في النفوس بما ألقوا من شبهات وما أثاروا حوله من استهزاء ، ولم يعلموا أنهم بذلك يفتحون باب المقبرة للعالم ، وينقضون أخلاقه العلوية السامية .

أرجعوا إلى الناس إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجزاء بالأعمال ترجع إليهم عفتهم وطهارتهم وصيانتهم .

أرجعوا إلى الناس إيمانهم ترجع إليهم أمانتهم ووفاؤهم وعدالتهم .

أرجعوا إلى الناس إيمانهم يرجع إليهم أملهم الضائع ، وأمانيهم المنشودة ، ومستقبلهم الزاهر ، وعزاؤهم على ما يلاقون من آلام الحياة .

أرجعوا إلى الناس إيمانهم ترجع إلى الأرض الرحمة ، وإلى البشر العدل ، ويهبط على الكون السلام .

محمد عرفة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٩ — ٩ — ١٩٤٢ في القضية رقم ١٧٩٦ جنح عسكرية سنة ١٩٤٢ ضد حسين محمد الجلباط سن ٥٨ جزار فرنوى مركز شبرا خيت بمدة ثلاثة شهور مع الشغل والنفاذ والمصاريف والنشر على مصاريفه لبيعه شعيرا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكم في القضية ن ١٥٨٩ سنة ٩٤١ ضد عبد الرؤوف أحمد التزمي . بغرامة ٥ جنيه والنشر والتعليق والغلق أربعة أيام بتاريخ ١٠-٧-٩٤٢ وذلك لبيعه ذره بسعر أكثر من المحدد

في فن الحرب

من حرب الخنادق إلى حرب الحركة

للأستاذ « ذ . ص »

قال برنارد شو :

« إن صنعة الحرب تنحصر في الهجوم بقسوة المستضعف على من هو أقل منك عدداً وعدة ، وفي التهرب من لقاء الند . والسر في النجاح الحربي هو أن تتحايل على الخصم : تنصب له الفخاخ وتمد له الأحابيل ؛ فإذا تعثر أو كبا ، انقضضت عليه بلا شفقة انقضاض الغادر . ولكن إياك إياك من مجابهته وهو منتصب على قدم الاستعداد ! »

كلمات لاذعة ساخرة ... ولكنها من صلب الحقيقة . القائد الناجح هو ذلك الذي يخادع ثم يقاتل ، ويراوغ ويخاتل ثم ينقض بتلك الأساليب الملتوية ، والحيل الماكرة ، والطرق المتعرجة المنثنية ، حيث الدهاء والفطنة متآلفان ، والخبث والذكاء متعاونان

ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، وانتقل ذلك الفن العريق من أفقه الشاسع الفسيح ، أو قل من جحيمه العميق ، إلى حيز ضيق محدود : فالتجنيد الإجباري قد أعطى الدول القدرة على تغطية كل شبر من أراضيها المتاخمة لحدود الأعداء ، فأصبحت الجيوش متجابهة ، ولزم عليها صراع الخصم صراع الندّ للند ، والقريعَ للقريع ، كما حدث في الميدان الغربي أثناء الحرب الماضية .

تضاءل مجال مناورات الاستراتيك[1] ، ولم يجد القواد فرصة للالتفاف حول الأجناب ، وليس هناك أجناب ، وحاروا في كيفية الإغارة على المؤخرات ، دون الاضطرار إلى اختراق الواجهات ، بل وكيف يكون الاختراق وقد أعطت الأسلحة الآلية التفوق المطلق لمواقع الدفاع ؟

(١) « الاستراتيك » : هي الحركات التي بها يجبر العدو على ملاقاتك في أرض أنت تختارها ، تكون لك ملائمة كل الملائمة ؛ أما « التكتيك » : فهي التحركات التي يجريها الجيش فوق أرض المعركة نفسها أثناء القتال أو للاستعداد المباشر له

إن الحرب بأساليبها وخططها ورجالها وعددها ترتكز على ركنين أساسيين : قوة النيران[1] ، وسرعة الحركة . وما الهجوم إلا الحركة صوب العدو ، وما الدفاع إلا محاولة وقف تلك الحركة بالنيران المحكمة التصويب . وهذه الأخيرة هي التي كانت أسبق إلى التحرر من قيود الطاقة البشرية ، حين تحولت إلى قوى الطبيعة تستمد منها القدرة على الفتك ، فلم تعد السواعد هي التي تلوّح بالرماح أو تطعن بالسيوف ، بل أصبحت المفرقعات هي قوّتها الدافعة ، بل وزادت على ذلك وأدّت إلى اختراع السلاح الآلي السريع الطلقات الذي طفر بمقدرة الدفاع إلى الأمام طفرات هائلة . فمنذ قرن مضى وقف ولنجتون أمام واترلو يصد هجمات نابليون المنيفة ، وقد رصّ رجاله رصًّا ، وتعلق مصير أوربا بمقدرته على وقف جيوش الأمبراطور ، حتى يلحق به بلوخر ، لحظات معدودات أطلقت خلالها الكتائب البريطانية النيران بمعدل ألفي رصاصة في الدقيقة الواحدة لكل كتيبة (أورطة) ، ولو كان الزمان انتقل فجأة بولنجتون إلى عهد السلاح الآلي ، لأمكنه استبدال كل كتيبة من كتائبه برجالها وبنادقها وقائدها وضباطها بثلاثة جنود خلف ثلاثة رشاشات ، ليحصد نابليون حصداً ويشتته تشتيتاً

هذا في حين أن الهجوم ظل يعتمد على الطاقتين : البشرية والحيوانية . وكانت تعبئة الجيوش تتم حقيقة بقوة البخار على خطوط الحديد ، ولكنه أثناء تلك اللحظات الحاسمة التي ترفرف على الميدان خلال القتال ، ظلت الحركة هي هي كما كانت أيام هنيبال : أدواتها أقدام بني الإنسان على الدوام ، تعاونها ظهور الجياد في بعض الأحيان

زادت إذن قوة الدفاع أضعاف الأضعاف ، فكانت النتيجة الحتمية شلّ كل هجوم ، وتثبيت الخطوط ، وتحويل الحروب من ميدان البراعة والفن ، إلى التطاحن المنهك الممل ، والحصر الاقتصادي الطويل

(١) قوة النيران اصطلاح عسكري يقصد منه المقدرة على إصابة العدو سواء أكان ذلك بحراب الأسكندر وسيوف قيصر ، أم بشظايا القنابل وجراثيم الأمراض

لم تعد المعركة موضع حسم النزاع ولا الجنود هي العامل الفعال ، بل انتقل الزمام إلى مقدرة المدنيين على الاحتمال ومهارة ربات المنازل في الاقتصاد من مستلزمات الحياة — أ كان سيأتي الوقت الذي يحل فيه التدبير المنزلي محل التدريب العسكري ، وتكتفي الدول بخطوط « ماجينوية » أو « سجفريدية » مجهزة بالمقاعد الوثيرة ولوحات التليفزيون ، يضطجع بداخلها الجندي في دعة وتراخ ، فإذا لمع مصباح من المصابيح وجه الرجل عينيه إلى شاشة مخصوصة ، ثم ضغط على زر معلوم ، فتنطلق من أعلى الحصن عدة طلقات ، يكون فيها إسكات الهاجين وعودة المدافعين إلى النوم الهنيء والسبات العميق ؟

ذاك ما تخيلته بعض العقول العسكرية وخاصة الفرنسية منها فأقامت خط ماجينو ، ولكن هناك آخرون كان لهم في التفكير مذهب جد مختلف ، فقد احتفظوا في ذاكرتهم ببعض تفاصيل الحرب الماضية ، من تلك التي كان لها تأثيرات شديدة ، ولو أنها لم تكن نسبياً إلا نتائج محدودة لجهود محدود ، حدّه أول مرة قلة الأدوات وصغر المكان ، وفي الأخرى تخلف الزمان عن التفتح لاستثمار عبقرية ظهرت قبل الأوان

أول هذين الحدثين استعمال الطاقة الميكانيكية[1] في ميدان المعركة ، عند ما هجم البريطانيون في نوفمبر ١٩١٧ ببضع عشرة دبابة ، فانكسر الخط الألماني ؛ ولكن دهشة الإنجليز أنفسهم وعدم وجود الاحتياطي الكافي عاقاهم عن استغلال ذلك النجاح الباغت

وثانيهما تفتّحت عنه عبقرية لودندرف من طرائق للهجوم جديدة — وهو من أبناء المدرسة الألمانية المتشبعة بروح الهجوم — والهجوم الناجح يتطلب المناورة والالتفاف وكما ذكرنا آنفاً : لم يكن هناك أجناب ، فما العمل إذن ؟ أيستسلم لودندرف ويرضى بالحال ؟ كلا فهذا من المحال . إنه يريد الهجوم ، يريد إحراز نتيجة إيجابية بأي ثمن كان ، إذن ...

فلتخلق لجيوش الأعداء أجناب ! ... يبتكر لودندرف وينفذ نظريته الجديدة : نظرية التسلل ؛ وهي إرسال بعض الجنود يتسللون مواطن الضعف في خطوط الأعداء حتى إذا وجدوها تسللوا خلالها وأحدثوا بها ثغرة أو ثغرات ، فيها يُجرى الحشد الجديد ، ومنها يكون الالتفاف والتطويق والهجوم وحسم النزاع

صادف لودندرف بعض النجاح ، ولكن حركات الجنود تظل في الميدان بطيئة ، فيتنبه لها الدفاع قبل الاستفحال ؛ ويسارع إليها بالنيران يصليها وبالفتك الذريع يرميها ، فتنبطح للتستر وتعود إلى الثبات ، أو ربما تذعر وتولى ، فتكون الهزيمة والفرار .

ويجلس القائد الألماني بعد الحرب بسنين ، وفي قلبه حسرة وبقلمه رعشة ، ويقرر حزيناً كئيباً : « إن مناوراتي الأستراتيكية خذلتها نقائص التكتيك »

ولكن نظرياته لا تنسى ولا تزول ، بل تنزوى حية في بعض العقول ، حتى يخلق لها الجو الملائم فتعود إلى الظهور ؛ وتنتشر هنا وهناك بعض المؤلفات تهيء لها الجو ، إن عفواً وإن قصداً ، أهمها « نحو الجيوش المحترفة » للجنرال ديجول عام ١٩٣٤ ، ثم « حرب الدبابات » للجنرال إيمنزبرج النمسوى . وأخيراً كتاب جودريان[1] الفذ : « حذار ! ... إنها الدراعات » عام ١٩٣٨

تنبهت القيادة الألمانية لميزات الدبابات ، ورأت أنها هي ، وهي وحدها ، الكفيلة بمضاعفة سرعة الجيوش في ميادين القتال ، بل وإلى جعلها قادرة على إدماج الضرب مع الحركة ، فمن قبل كان الجندي الهاجم يقف عن الحركة ليطلق النيران ، ثم يكف عن إطلاقها إذ عاد إلى الحركة ، وهذا مضيعة للوقت وأي مضيعة ، وإعاقة للتقدم وأي إعاقة ! وهكذا قدر للهجوم أن يعود إلى عرشه المفقود ، فينقلب ثبات المدافعين إلى جمود الحائرين ، ثم إلى خنوع المستسلمين .

(ز . ص)

(١) كنت أود استبدال كلمة « ميكانيكية » بلفظ آخر ، ولكني لاحظت أن أقرب لفظ عربي إلى المعنى المطلوب « آلية » يؤدي ، في الأوساط العسكرية ، معنى آخر جديد : Automatic

(٢) الجنرال جودريان الألماني الذي قاد دبابات المرشال فون بوك سنة ٩٤١ ، في القطاع الأوسط من الميدان الروسي

مشاركة الأدب الانجليزى

فى الدراسات العربية

نقلا عن « برنارد لويس »

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

٤ — القرن التاسع عشر وما بعده

لقد درسنا حتى الآن حياة رجال ذوى شخصيات أكاديمية ، فلنقف قليلاً لننظر فى حياة ثلاثة من رجال الإنجليز الذين كان اهتمامهم باللغة العربية وبلاد العرب ينبع من معين آخر ، والذين يختلف عملهم الذى ملأ حياتهم كلها ، عن عمل أولئك الذين سبق أن درسناهم

وأول هؤلاء وأشهرهم هو « سر رجارد برتون » (١٨٢١ — ١٨٩٢) فبالرغم من أنه بدأ دراسته للغة العربية مبكراً وهو فى أكسفورد فإنه ترك الجامعة قبل أن يتمها ، وذهب إلى الهند لكى يعمل فى الجيش البريطانى . وعاش هناك بضع سنين ، قضى أكثرها فى المناطق الإسلامية ، ودرس اللغتين العربية والفارسية ، واللغات الإسلاميـة الأخرى على أيدى مدرسين من المسلمين ، وعند عودته إلى انجلترا نشر أربعة كتب عن الهند

وفى سنة ١٨٥٣ زار مصر زيارته الأولى ، وقام برحلة على ظهور الجمال من القاهرة إلى السويس . وبعد سفر ملىء بالحوادث غادر ذلك الميناء قاصداً ينبع فى باخرة حجاج ؛ وتغلغل فى الحجاز قاصداً زيارة المدينة ومكة ، ثم عاد إلى انجلترا عن طريق جدة ومصر . ونشر بعد عودته وصفاً لرحلاته هذه فى ثلاثة مجلدات طبعت عدة طبعات ، ولا تزال تعتبر مرجعاً عن البلاد التى وصفها . ثم أعقب ذلك عدة سنين من أسفار متعاقبة

وفى إحدى المرات قام برحلة استكشاف فى المناطق المتوحشة من شرق أفريقيا والحبشة ، متنكراً فى زى تاجر عربى . وقد عاد بمعلومات ثمينة عن تلك المناطق التى تكاد تكون مجهولة .

وفيما تلا ذلك من السنين ساح فى وسط وغرب أفريقيـا ، والأقسام المغمورة من الأمريكتين . وتراه فى سنة ١٨٥٥ فى القرم يخدم مع القوات البريطانية . وفى خلال المدة ما بين سنة ١٨٦٩ و ١٨٧١ كان فى دمشق وساح فى سورية ومعه زوجته و « إدوارد هنرى بالمر » ونشر هو وزوجته وصفاً لتلك البلاد ، وعاد بعد سنوات إلى مصر وأشرف على أعمال جيولوجية كانت قائمة فى مناطق من البلاد كانت فى ذلك الحين أبعد أقسامها عن المدنية

وعلى هذا فقد كانت حياته كلها مغامرة وخطراً متصلاً ، ذهب أغلبها فى السفر والسياحة فى أقطار الأرض المتباعدة ، ومع كل ذلك فقد وجد من وقته متسعاً ينشر فيه عدة كتب تكلمنا عن بعضها ، ويضم الباقى ترجمة كاملة لكتاب « ألف ليلة وليلة » وهى ترجمة فريدة بين الترجمات الأوربية بالنظر لتمسكها المخلص بالنص الأصلى : ذلك التمسك الذى أثار فضيحة ضئيلة بين معاصريه الشديدى التزمت

ومن بين الرحالين الإنجليز المشهورين فى الشرق الأوسط « ولفريد سكادن بلنت » (١٨٤٠ — ١٩٢٢) وقد بدأ حياته بداية دبلوماسية ، ومع ذلك فقد أخذ اهتمامه يطرد وينمو بقضايا الشعوب المظلومة فى العالم ، وكرس آخر أيامه للمطالبة بحقوقها . وكان اهتمامه منصرفاً بصورة خاصة إلى الهند وأرلندة ومصر . وكان من كبار السائحين وزار أقطاراً عديدة . فقام — بصحبة زوجته — بزيارة البلاد العربية فى الشرق الأدنى وفى شمالى أفريقيا . وفى سنة ١٨٧٨ زار نجداً حيث استقبله وزوجته أمير حائل استقبالاً حسناً ، وقدم لهما بعض الخيول المنتقاة ، وقام بإبلاغهما مخفورين إلى بغداد . وقد اتصل فى خلال زياراته لمصر والهند بالزعماء الوطنيين ويعرفه كل من جمال الدين الأفغانى وعرابى باشا معرفة تامة . وقد نشر عدة كتب فى تأييد القضية المصرية . وفى سنة ١٨٨١ استقر فى دار له قرب القاهرة حيث عاش عيشة المصريين : يرتدى الملابس المصرية ويتكلم اللغة العربية

وكانت زوجته « الليدى آن بلنت » عالمة باللغة العربية بالإضافة إلى خبرتها بالفروسية والأسفار ، وتشتمل كتبها

المطبوعة على كتاب عن العراق وآخر عن نجد ، وترجمة للمعلقات نظمها زوجها بالإنكليزية شعراً .

وهناك رحالة ثالث هو « چايس دوتى » (١٨٤٣ ـ ١٩٢٦) الذى يذكر بكتابه الخالد عن جزيرة العرب . فقد قام — بعد تحضير لمدة سنة كاملة فى دمشق بدراسة متسعة للغة العربية — برحلة استكشافية فى قلب بلاد العرب . وعلى عكس ما قام به من سبقه من الرحالين ، فإنه كره أن يخفى قوميته ودينه ، فساح فى كل مكان كانجليزى مسيحى ولم يقلل هذا الإصرار من جانبه من أخطار رحلاته . وزاد كتابه الذى نشر فى انجلترا بعد عودته فى سنة ١٨٧٨ فى إنماء معلوماتنا عن بلاد العرب . ويحتوى سجل أسفاره على ثروة من المعلومات عن جغرافية تلك البلاد وطبيعة أرضها ، كان أغلبها غير معروف قبل ذلك . وقد أعيد طبع كتابه قبل حوالى العشرين عاماً وكتب له « لورنس » مقدمة

ولنعد الآن إلى علماء العربية فى الجامعات . فقد أظهرت السنين الأولى من القرن العشرين أن مستوى الدراسات العربية لم يكن بأية حال أقل منه فى أعظم أيام القرن التاسع عشر ، فقد أنشئت الدوائر العربية فى الجامعات الاسكتلندية والجامعات الفرعية . وأنشأت جامعة لندن فى الحرب الماضية كلية جديدة مقتصرة على العلوم الشرقية هى « معهد الدراسات الشرقية » .

أما العلماء الذين سنتطرق إليهم الآن ، فهم من الجدة بحيث يذكرهم الطلاب والزملاء بعطف فى انجلترا والشرق . فقد كان السر توماس أرنولد الذى توفى فى سنة ١٩٣٠ ، أول من شغل كرسى الدراسات العربية والإسلامية فى معهد الدراسات الشرقية فى لندن . وقد تثقف فى اكسفورد ، وأنفق عدة سنين فى الهند أستاذاً للفلسفة فى الكلية الإسلامية فى عليكرة . وأشهر مؤلفاته هو « تعاليم الإسلام » : وهو وصف لامتداد العقيدة الإسلامية أكسبه فى التو منزلة ملحوظة ، وترجم إلى اللغتين : التركية والأوربية . وفى كتابه الآخر « الخلافة » تعقب تاريخ هذا النظام ، وناقشه من وجهتى النظر الفلسفية والفقهية . ونشر بالإضافة إلى ذلك عدة دراسات قيمة عن الرسم والتصوير الإسلاميين : ذلك الموضوع الذى كرس له عدة سنين من حياته . وذهب فى سنة ١٩٣٠ إلى القاهرة فتوفى هناك على الأثر

وهناك مستشرق آخر ذو مكانة هو « لى سترانج » الذى توفى فى سنة ١٩٣٤ ، ويمكن أن يكون القول الآتى له مفتاحاً لآثاره : « إذا كان المطلوب جعل تاريخ الإسلام شيقاً ، وإذا كان المقصود فى الحقيقة فهمه على الوجه الصحيح ، فمن الواجب إعداد الجغرافيا التاريخية للعصور الوسطى إعداداً دقيقاً » . وقد كرس « لى ستراتج » أفضل سنى عمره لدراسة الأدب العربى والفارسى الخاص بالجغرافيا . وتعتبر كتبه التالية : « بغداد فى عهد الخلافة العباسية » و « فلسطين تحت حكم المسلمين » و « أراضى الخلافة الشرقية » خيرة الكتب فى هذه الموضوعات . ونشر أيضاً عدداً من النصوص الجغرافية ، وكثيراً من الدراسات القصيرة . ومنذ سنة ١٩١٢ قد عمى تقريباً . غير أن نقصاً خطيراً كهذا فى كيانه لم يعقه عن الاستمرار فى عمله

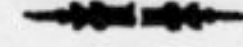
ومات عالم آخر فى العربية مشهور فى السنة التى توفى فيها « لى ستراتج » هو « أ . أ بيفان » تلميذ « وليم رايت » وكان أكبر همه منصباً على الشعر العربى القديم . وقد نشر نقائض جرير والفرزدق على عهدته . والنادرة التالية تعطى فكرة عن دقته العظيمة : فقد روى زميله « ا . ج . براون » العالم المعروف بالفارسية أن بيفان زاره يوماً ، وكان شديد الحزن حتى لقد خيل له أن كارثة حاقت به ، ولكن حقيقة ما كان قد وقع هو أن « بيفان » اكتشف خللاً فى وزن أحد الأبيات فى طبعته للنقائض !

ولا يتسع المجال للكلام عن كثيرين من العلماء فى هذا المعهد كليال محرر « المفضليات » و « لين ـ پول » مؤلف عدة من الكتب عن تاريخ الإسلام ، وعن المسكوكات ، و « امبروز » محرر عدد كبير من النصوص العربية التاريخية المهمة وكثير غيرهم . غير أن هناك عالماً واحداً يستحق أكثر من الذكر العارض هو « د . س . مارجليوث » الذى كان أستاذ اللغة العربية فى اكسفورد عدة سنين ، والذى اعتبر الشخصية الأولى بين علماء العربية من الإنجليز مدة طويلة من الزمن ؛ وكان عضواً فى المجمع

مرسلات مع الريح

أرسطوقراطية الوضاعة

للأستاذ إسماعيل مظهر



قال أرسطوقراطيس الروى : تكليف النفس ما ليس من طبعها ، دخول على الناس بخدعة ما ينبغى المرء أن يسكن إليها . وإرسال النفس على سجيتها تقرير لواقع الطبع ومسايرة لحقيقة الأشياء . فاختر لنفسك أمراً ؛ فإما أن تعايش الناس صورة مزورة على الطبيعة ، وإما أن تعايشهم صورة حقيقية لما بثت الطبيعة فى تضاعيفك من عناصرها . فإذا اخترت الأولى فأنت منافق . وإذا اخترت الثانية فأنت صريح النسب إلى الفضيلة .

قرأت هذه الكلمات . أقرأنيها رجل أمى لم يفتح كتاباً غير كتاب الدنيا ؛ ولا عرف صحيفة إلا صحيفة الأيام . رمته الدنيا بالفقر . والفقر ، كما يقول الإنجليز ، إذا نقر على الباب قفز الحب من النافذة . ورمته مع الفقر بالبغضاء : يحملها له أهله وأبناؤه وذوو قرباه . ومع البغضاء رمته بالحقد . الحقد الذى يأكل

العلمي العربى فى دمشق . وبالرغم من أنه نشر عدة دراسات باللغة الإنجليزية ذات قيمة عن التاريخ الإسلامى وعن الدين الإسلامي فإنه سيذكر بالخير لطبعاته العديدة وترجماته لأمهات الأدب العربى ، وربما كان خير أولئك طبعته الفائقة لمعجم الأدباء لياقوت . وقد نشر أيضاً رسائل أبى العلاء ، ومحاضرات التنوخى ، ومختصر ابن مسكويه

أما أولئك الذين لا يزالون بين ظهرانينا فلن نتكلم عنهم ، لأن الكلام سابق لأوانه . وأعمال علماء كنكلسون وجب وستورى وكثيرين غيرهم ممن يخرجون آثاراً مهمة لن يبت فيها من وجهة النقد إلا الأجيال المقبلة . وفى خلال ذلك يمكن القطع بالقول واثقين أن سيرة الدراسات العربية فى انجلترا — التى سبق أن تكلمنا عن تطورها فى خلال العصور السابقة — لا تزال قوية الحيوية . ولعلها تستمر فى الازدهار

عبد الوهاب الأمين

صدره على كل من جادت عليه الدنيا بشىء من نعائها

رزأه أحد أقاربه الأغنياء فى شىء من ماله القليل ، أخذه وأنكره عليه . فراح يستنصر آخر منهم ، حمّت نفسه بمرضين : كراهية البشر ، وتكلف المظمة ، ومهما انتحل الأرسطوقراطية ؛ ولكنها أرسطوقراطية الوضاعة . وكان وقوعه على هذا المثل حلقة فى سلسلة مصائبه

هو إنسان إذا طرق بابه إنسان امتقع وجهه ، وابيضت خرطومته من النكد والهم ؛ فجلس إليه يعلو صدره ثم يهبط كأنه كير حداد . وتكلف الأدب تكلفاً ينم عن سوء أدبه ؛ وتكلف الكلام ، فتحس وهو يتكلم كأنما صدره مرجل يغلى ، والكلمات تهدار ما فى ذلك المرجل الثائر . قد يلتفت إليك إذا هو أراد أن يبالغ فى إيلامك ، وقد ينأى عنك بجانبه إذا هو أراد ملاطفتك . ذلك بأنه إذا التفت إليك فكى يريك الحقد مجسماً فى ملامحه ، والكراهية مرسومة فى محياه . وإذا نأى عنك فكى يخفى عنك هذه المعانى المرتسمة فى وجهه . فكأنه بذلك يمنّ عليك ويشفق بك . وقد يبدؤك الكلام ؛ فإذا كان هو البادىء فطامتك عظمى ، ومصيبتك سوداء ، ويومك أنكد الأيام ، وساعتك أنحس الساعات ، وبرهتك القيامة ، نُصِبَ ميزانها وبدأ الحساب

هيه ... كيف عرفت بيتى ؟ تكلم ...

ويحدجك بنظرة ، تتمنى لو أن الأرض تغور بك ، أو يفتح لك فوهة من فوهات جهنم تلقفك ، قبل أن تستقر معانى تلك النظرة فى نفسك . فإن كل معنى من معانيها رمح يستقر فى قلبك فينزفه ، وفأس محدودة تنزل على عنقك فتفصله عن جسدك .

قد يجود عليك حرج الموقف بكلمة ، ولكن الغالب أن تغص فلا تتكلم . فإما أن تبقى ساكتاً والعرق يتصبب من جبينك ، وإما أن تتحفز للقيام فراراً من سوء ما أنت فيه . فإذا ارتج عليك وثبت فى مكانك ، انفتحت شفتاه العريضتان عن ابتسامة تترجم لك عن قوله : أكره البشر يا ابن « آدم » ، فإليك بغضى »

أما إذا ساعدك الحظ وحملتك رجلاك فقمت ، فإن يدك معصورة في يده ، وذراعك مهتزة كأنها القصبة المنخورة ، ليشعرك أنه انتصر وآذى الإنسانية وانتقم منها في ذاتك ، وفتك بأبناء « آدم » ومثَّل بهم في شخصك ، ولكنه انتصار أشبه بانتصار الخراب على الفقر ، كما يقول سير وُلـتَرْ سكوت . غير أنه هنا خراب النفس ، يستقوى ويستلئم ، منتهزاً له فرصاً من نكد الدنيا

وسألته : ثم ماذا يا شيخ محمود ؟ قال : لا شيء ، إلا أن هذا الإنسان لِدُنوّ مكانته في الأولى ورفعته في الثانية ، أصيبَ بمرضين هما ما ذكرت : إنسان نشأ في الحضيض ، دَرَج على التراب أول ما دَرَج ، ولبس الأسمال أول ما لبس ، وعاشر السفهاء والذؤبان أول ما عاشر ، ونام عنه القدر ، فلفّ ودار ، ثم تسلق حائط المجد ، فأصبح شيئاً ما في دنيا مجهولة ، أشبه شيء بالبقعة الخراب في المصوَّر الجغرافي ، فحقد على البشر لأنه نشأ من أدناهم مكاناً وأرذلهم موضعاً ، ثم أراد أن يُعمِّي على سوء مَنشئه ، فتكلف أشياء ليست من طبعه ، فطغى على الناس كِبراً والناس — يا أخي — لا يعاملون أمثاله بالحكمة النبوية الكريمة : (التكبر على أهل الكبر صدقة)

وأطرق الشيخ محمود هنيهة ، ثم نظر إليّ بعينيه الواسعتين وسأل : أليس الذي وضع مبدأ الأرسطقراطية هو أرسطوقراطيس الرومي ؟ قلت : كلا إنك واهم ، وليس من الروم من هذا اسمه ، وإنما هو مبدأ اعتنقه بعض مقاديم اللصوص في الأزمان القديمة ، وكان منهم قتلة وقطاع طرق وقراصنة ، ثم قلَّدهم فيه لصوص آخرون هم أشد منهم غباء ، وأقل إقداماً ، فانحدر إلينا بعض المقلدين ، ولكنهم بيننا كالأحياء البائدة التي حفظت الطبيعة هيا كلها في طبقات الأرض ، وليس لنا منها إلا الصورة ؛ أما الحقيقة ، فقد انحدرت في جوف الزمان

فأطرق الشيخ محمود إطراقة ثانية يتأمل كلامي ، وحبَّات مسبحته تتساقط ، فتحدث ذلك النقر المنتظم الذي يمثِّل تتابع فكراته وتأملاته ، ثم ما لبث أن فاضت عيناه مرسلتين دموعاً تترامى على يديه ، كأنها الندى البارد على وريقات الخريف

اسماعيل مظهر

٤٣ - المصريون المحدثون
شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر — الأخلاق

يشتهر المصريون بفضيلة الحب البنوى . وقد سبق أن ذكرت الاحترام الظاهر الذي يؤديه الولد إلى والديه . ويظهر المصريون أيضاً احتراماً زائداً للمسنين[1] وبخاصة المشهورون بالتقى والعلم . ويعتبر حب المصريين لوطنهم وعلى الأخص مسكنهم صفة بارزة أخرى في طباعهم . ويخشى المصريون على العموم هجر مسقط رأسهم . وقد سمعت الكثيرين يقررون السفر إلى الخارج بغية كسب عظيم ولكن عزمهم يفتر عند ما يقترب موعد السفر . وقد خفف أخيراً من حدة هذا الشعور ما يعانيه البعض من شدة الظلم . ولا شك أن هذا الشعور نشأ إلى درجة عظيمة من جهل الناس لحالة البلاد الأجنبية وسكانها . وقد سمعت البعض يدلل على حب المصريين العجيب لمسقط رأسهم بأنه يندر أن ترضى امرأة أو فتاة ، أو يسمح والدها ، بالاقتران بمن لا يعد بالبقاء في مدينتها أو بلدتها . ولكني أظن أن الإحجام عن ترك الوطن في هذه الحالة ينتج من خوف المرأة أن تفتقر إلى حماية أهلها . ويتعلق البدو بصحراواتهم ويحتقرون الحضريين والفلاحين ولكن الكثيرين منهم يميلون إلى الاستقرار على شواطئ النيل الخصبة أيضاً . ومع أن المصريين من نسل البدو إلى حد كبير فهم لا يشابهونهم في حب الصحراء وإن شابهوهم في حب الوطن . وتزود الرحلة إلى الصحراء من يقوم بها من المصريين بقصص مطنبة في المتاعب والمجازفات والمعجائب التي يعزفون بروايتها إلى مواطنيهم ذوي الخبرة القليلة

يعم الكسل جميع طبقات المصريين ما عدا الذين يضطرون إلى كسب حياتهم بالأشغال اليدوية الشاقة . وهذا الكسل نتيجة المناخ وخصوبة الأرض . ويبذل العامل بالآلات أيضاً بالرغم من شدة طمعه في الربح يومين في عمل يستطيع بسهولة إنجازه في يوم ، ويهمل أكثر الأعمال ربحاً ليصرف وقته في التدخين . غير أن البواب والسائس الذي يجرى أمام جواد سيده والنوتية الذين يستخدمون في جر المراكب صاعدين في النهر وقت سكون الجو واشتداد حرارته يقاسون ، مثل الكثير من الفعلة الآخرين ، تعباً شديداً .

يعرف المصريون أيضاً بصلابة الرأي إلى حد الإفراط . وقد ذكرت في فصل سابق أن المصريين اشتهروا منذ عصر الرومان ، بامتناعهم عن دفع الضرائب حتى يضربوا ضرباً موجعاً ، وبأنهم كثيراً ما يفتخرون بمقدار الجلدات التي ينالونها قبل أن يتخلوا عن نقودهم . وهم لا يرون غرابة في مثل هذا التصرف . وقد حكى لي مرة أن فلاحاً فرض عليه الحاكم ما قيمته خمسة شلنات تقريباً ففضل أن يقاسي الجلد على أن يدفع هذا المبلغ الزهيد ، وقرر أنه لا يملكه . فأمره الحاكم بالانصراف وقبل أن ينصرف لطمه على وجهه فسقطت من فمه قطعة ذهبية بقدر المبلغ المطلوب تماماً ، فكأن الضرب مع قسوته عجز عن حمله على الدفع . وتبدو هذه الحال غريبة في طباع المصريين ولكن يسهل تبريرها بأن المصريين يعلمون تماماً أنه كلما دفعوا عن طيب خاطر طمع الحاكم في أموالهم . على أن المصريين بوجه آخر يمتازون بشدة العناد وصعوبة القيادة بالرغم من امتثالهم الشديد في طباعهم ومهنهم . ويندر أن يحمل المرء الصانع المصري على أن يصنع شيئاً حسب الطلب تماماً . فلا بد أن يفضل رأيه على رأي مستخدمه ، ويصعب أبداً أن ينجز عمله في الميعاد المضروب .

ولا يعوز فلاحي مصر ، مع خضوعهم الشديد لحكامهم ، الشجاعة عند ما ينهضون لخصومة بينهم . وهم يبرعون في الجندية

ولا شك أن المصريين مثل شعوب الأقاليم الحارة يفوقون الشعوب الشمالية في الاستسلام للشهوات . على أن هذا الإفراط لا ينسب إلى المناخ فقط ، ولكن ينسب على الأخص إلى نظام تعدد الزوجات وسهولة الطلاق كلما اشتهى الرجل زوجة جديدة ، وإلى عادة التسري . ويقال أيضاً كما أعتقد حقاً أن المصريين ، فيما يختص ذلك ، يسبقون الشعوب المجاورة التي

(١) أنظر لاوين ١٩ — ٣٢ : « من أمام الأشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ وتخشى إلهك أنا الرب »

تماثلهم فى الدين والنظم الدينية[1] ، وإن بلادهم لا يزال يستحق تسمية « دار الفاسقين » التى أطلقها القرآن على مصر القديمة طبقاً لرأى خير المفسرين . وقد أشاع المماليك الفاحشة فى مصر فأصبح الفسق هنا أكثر انتشاراً منه فى البلدان الشرقية ، ولكنه على حد القول قل كثيراً فى السنوات الأخيرة

يستبيح المصريون من الجنسين وفى كل طبقة ، البذاءة المفرطة فى الحديث ، حتى أعف النساء وأوقرهن عدا القليل منهن يستعملن الكلام الغليظ ، ولكن دون بذاءة . وكثيراً ما ينطق المثقفون عبارات فاحشة لا تلائم غير أحط المواخير . ويذكر أرق النساء فى حضرة الرجال أشياء وأحاديث قد تعف العاهرات فى بلادنا عن ذكرها دون أن يدركن مخالفة ذلك للآداب

توصف نساء مصر بأنهن ، فى أهوائهن ، أفسد النساء اللاتى ينتمين إلى أمة متحضرة . ويخلع مواطنيهن من الرجال هذه الصفة عليهن بسخاء حتى فى أحاديثهم مع الأجانب . ولا شك أن فى المصريات كثيرات يشذذن عن ذلك . ويسرنى أن أسوق هنا تعليقاً لصديق الشيخ محمد عياد الطنطاوى على عبارة فى ألف ليلة وليلة ، قال : « يعد الكثيرون الزواج مرة ثانية من الأعمال الشائنة ويسود هذا الرأى مدن الريف وقراه . ويمتاز أخوالى بهذا ، حتى أن المرأة عندهم إذا توفى زوجها أو طلقها فى شبابها تترمل ما بقيت فلا تتزوج مرة أخرى أبداً .

ولكنى أخشى أنه ينبغى التسليم ، نظراً إلى غالبية المصريات ، بأنهن جدفاجرات. وقداشتطأ كثرهن كما يقال فى استعمال الحرية . ولا يعتبر أغلبهن مصونات إلا إذا أغلقت عليهن الدار . وقل منهن من يخضعن لهذا القصر . ومن المعتقد أن المصريات يملكن شيئاً من الدهاء فى تدبير الحيل التى يعجز الزوج عن تجنبها مهما كانت فطنته وحرسه ، وأنه قلما تخيب لذلك حيلهم

مهما عظم الخطر الظاهر لما يباشرنه . وقد يكون الزوج نفسه أحياناً وسيلة لإشباع ميول زوجه الإجرامية بدون علمه . وتعرض لنا بعض قصص ألف ليلة وليلة فى مكائد النساء صوراً صادقة عن حوادث لا يندر وقوعها فى عاصمة مصر الحديثة . ويرى كثيرون فى القاهرة أن جميع النساء تقريباً على استعداد أن يدبرن الدسائس متى استطعن ذلك بدون خطر ، وأن الكثيرات يباشرن ذلك فعلاً . ويؤلمنى أن يكون الرأى السابق صحيحاً ، وأكاد أكون مقتنعاً أن الحكم الأخير شديد القسوة ، إذ يبدو من التقاليد السائدة المتعلقة بالمرأة أنه لا بد مكذوب . ويصعب على من لا يعرف العادات والطباع الشرقية معرفة كافية أن يدرك مشقة الاختلاط بالمرأة فى هذا البلد . فلا يصعب على المرأة من الطبقة الوسطى أو العليا إدخال عشيقها فى مسكنها فحسب ، بل يستحيل عليها تقريباً أن تلقى رجلاً ذا حريم على انفراد في منزله الخاص ، أو تدخل منزل رجل أعزب دون أن تثير ملاحظات الجيران وتدخلهم المباشر . وإذا لم يكن بُد من التسليم بإقدام الكثيرات من المصريات على المكائد مع وجود مثل هذه المخاطر ، فقد يكون صحيحاً أن الصعوبات التى تعترضهن هى العائق الرئيسى لكثير من المكائد . أما عند نساء الطبقة السفلى ، فالمكائد أكثر وقوعاً وأسهل إنجازاً .

(يتبع) عبده طاهر نور

(١) وليس معنى ذلك أنه يقع على الأتراك أو عرب الصحراء



حول « حديث عيسى بن هشام »

طالعت فى العدد (٤٨٦) من مجلة (الرسالة) الغراء ما دبجه يراع الدكتور زكى مبارك عن « حديث عيسى بن هشام » لمنشئه المرحوم عمى محمد بك المويلحى . وإنى أعقب اليوم على مقال الدكتور بدافع الرغبة الصادقة فى لفت نظره إلى بعض ملحوظات رأيت من واجبى أن أدلى بها خدمة للحقيقة وللتاريخ

يقول الأستاذ : إن كتاب عيسى بن هشام ينسب بالباطل أو بالحق إلى أبيه إبراهيم ، تاركا القارئ بين الشك واليقين . والأدباء الذين تذوقوا أدب المويلحى الأب والمويلحى الابن يعرفون أن لكل منهما ميزات خاصة فى الكتابة . ثم إن المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، وأصحاب المقطم ، والمرحوم شوقى بك ، وحافظ بك ابراهيم ، والشيخ محمد عبده ، والبارودى ، والشنقيطى ، كانوا معاصرين له ، فلو أن « عيسى » كان لغير « محمد » لأذاعوا به

والبرهان القاطع بأن عيسى هو من إنشاء محمد لا من إنشاء أبيه ما احتوته الديباجة التالية فى العدد ١٠٩ من (مصباح الشرق) ؛ وقد توقف المرحوم جدى عن متابعة رسالة (مرآة العالم) أو (موسى ابن عصام) ، تاركاً الكلام لعيسى بن هشام قال : « شغل حديث عيسى بن هشام ، عن متابعة ما يحكيه موسى بن عصام ، فمرت الأشهر والأيام ، حتى انقضت مدة العام ، وسافر عيسى إلى المعرض ، وعاد موسى إلى ما انقطع من كلامه ، وعدنا إلى ما يدور بينه وبين شيخه وإمامه »

هذا ، وقد أشار المرحوم جدى فى العدد (١٠٧) من (المصباح) عن سفر عمى إلى باريس بالعبارة التالية :

« يسافر محمد المويلحى إلى معرض باريس فى يوم الأحد الآتى (١٠ يونيو سنة ١٩٠٠) ؛ وسينشر (المصباح) ما يوافيه به عيسى بن هشام من غرائب المعرض وعجائبه ، بعد الوقوف على إجماله وتفصيله ، كما يعلم ذلك من رسالته فى صدر الجريدة اليوم : (يعنى حديث عيسى بن هشام)

وجاء فى العدد (١١٦) من (المصباح) : « هذه الرسالة الأولى من حديث عيسى بن هشام عن زيارة معرض باريس ، بعث بها إلينا السيد محمد المويلحى بعد رسالته التى نشرناها فى أحد أعدادنا الماضية عن زيارة سمو الجناب العالى الخديو لجلالة ملكة الإنجليز فى بلادها »

كذلك نأخذ على الدكتور مبارك حكمه على محمد بك من أول جلسة جلسها معه عند المرحوم أحمد باشا شفيق ، لأن الرجال أسرار ، وقيمة الرجل لا تعرف إلا بعد طول المعاشرة .

ولم يعتزل محمد بك الكتابة كلية بعد موت أبيه كما قال الدكتور ، وإنما اعتزلها حيناً من الدهر حين اشتغل مديراً لإدارة الأوقاف العمومية بعد مديرها أحمد شفيق باشا . ومع كل فقد كان ينشر فى الصحف اليومية المقالات الضافية فى المناسبات الهامة كما ذكر بنفسه ذلك فى المؤيد بتاريخ ٩ فبراير سنة ١٩٠٨ تحت عنوان : « كلمة مفروضة » ، وكان الكلام يدور حول منع نصب تمثال « دانتى الإيطالى » فى مدينة الأسكندرية . ولا يفوتنى ذكر مقالته « صوت من العزلة » التى افتتح بها الأهرام صحيفته فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢١ وفيها يذكر محمد بك سبب عزلته ويرحب باتحاد الأحزاب فى مصر وما فى الاتحاد من عزة للشرق

وفى سنة ١٩٢٥ طلب منه صاحب جريدة مشهورة فى مصر أن يكتب مقالين فى الشهر مختاراً له لوناً معيناً من السياسة ويأخذ عليهما ثمانين جنيهاً ؛ فأجابه المويلحى الصغير بكلمته المشهورة : « قلم المويلحى لا يباع »

أما سور بابل فلا مبالغة فيه إذا علم الأستاذ مبارك أن المهندس اليونانى Philon de Byzance [1] الذى كان يعيش فى القرن الثانى قبل المسيح هو أول من جمع فى مؤلف واحد وصف عجائب الدنيا السبع بكل ما أوتى من دقة تكون أهلاً لمهندس . ولم يقصد محمد بك بقوله إن السور يتسع للاحاطة بسبع مدائن كمدينة باريس (فى سنة ١٩٠٠ طبعاً) إلا على

(١) Leon-Allaci : Philo Byzantius de septum orbis spectaculis graece et Latine. Rome 1640.

الطريقة الحسابية التي سبقه بها في مثل هذه العمليات الحسابية المهندس الفرنسي (لينان باشا) حيث قال : إن حجارة الأهرام تكفي لبناء قناطر محمد علي .

ابراهيم المويلحي

اللغة والتعريب

تحركني كلمة الأستاذ زكريا ابرهيم إلى الرد لأنها تتناول مسألتين جوهريتين : أولاهما مسألة الخطأ والصواب بمناسبة « عثرت به » و « عثرت عليه » وثانيتهما مسألة تعريب الأسماء الأعجمية .

فأما عن « عثرت به » فقد قلت إن المعنى الذي أريد التعبير عنه هو العثور بالشيء أي ملاقاته اتفاقاً ، ولم أرد « العثور عليه » أي الاطلاع الذي يدل على علم ومعرفة وبحث وجهبذة لا أدعيها .

والذي يدهشني هو تفضل هؤلاء العلماء بلفت نظري إلى مختار الصحاح ودوائر المعارف وتراكيب اللغة الإنجليزية وهذه كلها مراجع ما كنت أحلم بوجودها .

وآفة هذه المهازل هي قول بيكون : « العلم الصغير شيء خطر » وهذا طبعاً لا علاقة له بالعلماء الكبار أمثال الكرملي وزكريا ابراهيم ؛ وهما بلا ريب يعلمان أن لغات العالم كلها مجازات ميتة وأن تلك المجازات رغم موتها تحتفظ دائماً بشيء من معناها الحقيقي . فأنا عند ما أقول « عثرت بالشيء » مفسراً بقولي « وقعت عليه » يكون معنى ذلك أنني اطلعت عليه ولكن مصادفة كما يعثر حافر الجواد بأحد الكنوز . وبذلك أعبر عن المعنى الذي في قلبي تعبيراً لا تحققه « على » بما تفيده من قصد إلى غاية وسعي لبلوغها .

ثم إن مسألة الصحة والخطأ في اللغات أصبحت مسألة تافهة لا يحرص عليها في غير مجال التعليم المدرسي . وأما العلم فقد تقدم وأصبحت المناهج تاريخية فترى العلماء اليوم لا يقررون الخطأ والصواب في اللغات وإنما يستقرون الاستعمالات عند كبار الكتاب ويفسرون ما يطرأ على اللغة من تطور . ومن الغريب أن نظل نحن مترددين في طرق التفكير التي تخلص منها العالم المتحضر منذ أكثر من قرن . فاللغة العامية ذاتها ليست مجموعة أخطاء ، وإنما هي تطور عادي مألوف في كل اللغات . واللغة الفرنسية والإيطالية كذلك ليستا أخطاء في اللغة اللاتينية .

وإذن فكلام الكرملي وكلام زكريا ابراهيم حذلقة تافهة ومماحكات لا علاقة لها بمناهج البحث في اللغات التي لم تعد تقريرية Dogmatique في شيء .

وأما عنصر الثبات في اللغة وهو ما يطالب به الأستاذ زكريا حتى لا يصير الأمر فوضى ، فذلك ما لا أستطيع أنا أن أدخله في اللغة بل ولا المجمع اللغوي نفسه . عنصر الثبات هو استعمال كبار الكتاب لمفردات اللغة وتراكيبها ، ثم قراءة مؤلفات كبار الكتاب في المدارس والجامعات لتشيع تلك الاستعمالات . وكل محاولة في غير هذه السبيل لن تجدي شيئاً .

اللغة كائن حي لا يقنن له وأكبر دليل على صحة ما أقول هو أن المجمع اللغوي لم يستطع شيئاً في هذا الباب ولن يستطيع . وأنا أشكر الأستاذ زكريا إبراهيم إذ نبهني ونبه زملائي أساتذة الجامعة إلى وجوب ترجمة أسماء الأعلام كما ينطق بها أهلها . فهذا لا ريب مبدأ سليم ولكن على شرط أن نعرف كيف كان ينطق بها أولئك الأهل . ونحن لسوء الحظ لا نعرف ذلك دائماً . ولقد ثار الأستاذ زكريا على أساتذة الجامعة وثار الأب الكرملي لأننا نعرب أحياناً عن الإنجليزية والفرنسية مع أنني أستطيع أن أؤكد لهذين العالمين الفاضلين أننا نعرف مبادئ اللغات الأندو أوربية وبخاصة اللاتينية واليونانية ، ولكننا مع ذلك نؤثر أن نترجم عن اللغات الحديثة لأننا لسنا على ثقة من نطق هاتين اللغتين ، وهما لغتان ميتتان ، والعلماء مختلفون في نطقهما الآن أشد الاختلاف . وأنا وإن كنت لا أستطيع أن أدخل هنا في التفاصيل إلا أنني أضرب لذلك مثلاً باسم الخطيب الروماني الشهير Cicero فهذا الاسم ينطقه اليوم علماء الإنسانيات الإيطاليون « شيشرو » كأنه لفظ من ألفاظ اللغة الإيطالية الحديثة . والفرنسيون كذلك ينطقونه « سيسرو » والإنجليز « كيكرو » فأيها أصح ؟

نعم لقد قامت في السنين الأخيرة دعوة كان من أكبر زعمائها العالم الفرنسي ماروزو Marouzeau تدعو إلى محاولة النطق نطقاً تاريخياً أي نطقاً يقارب النطق القديم يستنتجونه من بعض الكتابات الصوتية القديمة ومن العناصر الموسيقية

فى الشعر ومن نتائج علم الأصوات التاريخى وتطور نطق الحروف المختلفة كما يستعينون بآراء العالم إرزم ومحاولاته فى هذه السبيل .

أقول إن ذلك كله قد كان ، ولكن هذه المحاولات لم تنجح . ولا يزال علماء كل بلد فى أوربا ينطقون اللاتينية واليونانية كأنهما من لغاتهم . وإذن فنحن حتى فى هاتين اللغتين مضطرون إلى أن نتخير نطقاً نأخذه عن علماء أحد هذه البلاد . وذلك إلى أن يستقر النطق التاريخى Reconstituée على أسس ثابتة مقبولة من الجميع

ويزيد الأمر تعقيداً أن مسألة تعريب الأسماء لا يمكن أن يكون وفقاً لقرارات يصدرها المجمع اللغوى أو الأستاذان الكرملى وزكريا ابراهيم ، وإنما الأمر أمر استعمال : استعمال كبار الكتاب الذين لهم من الشهرة ما يجعل تعريبهم يذيع بين الناس

خذ لذلك مثلاً ما استقر عليه العرف فى فرنسا منذ القرن السابع عشر تجد أن أسماء الأعلام الشهيرة التى تتداولها الألسن قد أعطيت صيغة فرنسية ، ولذلك يقولون ڤرجيل وهومير وسوفوكل وأوربيد وإشيل . وأما الأسماء التى لا ترد إلا على ألسنة الخواص من العلماء فقد تركت لها صيغتها اللاتينية واليونانية ، ولذلك يقولون : كورينلوس نيوس وإبيكوس وبيوس ومورسكوس ومن إليهم

وإذن فالأمر أعقد مما ظن الأستاذ زكريا ابراهيم . وأساتذة الجامعة يؤلمهم أن يبلبلوا أذهان القراء . ولكن ما الحيلة والمسائل معقدة ؟ أليس من الأجدى علينا وعليكم أن تتركونا نتحسس السبل ونجاهد حتى نصل إلى تعريب سهل قريب مستساغ نرجو معه أن تنتشر الألفاظ التى نفضلها فتنحل المشاكل ويرتفع اللبس ؟ ثم أليس من الخير أن نعرب عن إحدى اللغات المنتشرة فى بلادنا بدلاً من التعريب عن لغات قديمة لا يعدو من يعرفها من مواطنينا الذين نكتب لهم عدد الأصابع ؟

محمد مندور

سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات

المعروف أن أقوى سبب لاختلاف القراءات يرجع إلى اختلاف اللهجات العربية ، فجاء الإذن بقراءة القرآن على الفصيح من تلك اللهجات ، ولم تتعين قراءته باللغة التى نزل بها وهى لغة قريش ، تيسيراً على غيرها من القبائل العربية

ولكن هناك سبباً آخر لم يذكروه فى أسباب اختلاف القراءات ، مع أن من هذه القراءات ما يظهر غاية الظهور أنه راجع إليه ، ولا يظهر أنه راجع إلى اختلاف اللهجات ، وذلك نحو قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ففى بعض القراءات (فتثبتوا) بدل (فتبينوا) ولا شك أن مثل هذا فى القراءات وهو كثير لا يظهر إرجاعه إلى اختلاف اللهجات ، وإنما يظهر إرجاعه إلى ما كانت عليه الكتابة العربية قبل اختراع النقط والشكل فيها ، لأن مثل هذا يقف القارئ فيه متحيراً ، فلا بد أن يرجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى قراءته ، وقد يكون بعيداً عنه فيتعذر رجوعه إليه ، فقضت رأفة الله أن يقرأ القرآن بما يحتمله من ذلك تيسيراً على المسلمين فى عصر الوحى ، وثقة بملكة العربي فى ذلك الوقت . ولعل النبى صلى الله عليه وسلم كان يعين أمثال تلك المواضع ، أو كانت ترد إليه فيقر ما يراه منها . ومما يظهر حمله على ذلك أيضاً قوله تعالى : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) فقد قرأ الحسن وحماد الراوية (وعدها أباه) بالباء ، وأمثلة ذلك كثيرة فى القرآن الكريم ، فإذا كنت أصبت فى حملها على ذلك السبب فهو من فضل الله ، وقد يكون الصواب فى غير ما رأيت من ذلك ، والعصمة لله وحده

عبد المتعال الصعيدى

(الرسالة) : أشرنا إلى هذا الرأى بإيجاز فى كتابنا « تاريخ الأدب العربى »

الشاعر المظلوم

الأستاذ الدكتور زكى مبارك

عددت على شاعرنا « إسماعيل صبرى باشا » أن اشترك فى « عام الكف » مع أنه مدح الشيخ أحمد الزين !

كذلك جاء فى مقالك الأخير بالرسالة الذى تحلى به المويلحى فى فقرة جعلت عنوانها (الأديب المضطهد) فأوحيت إلى بهذا العنوان

ومدح الشاعر صبرى باشا للشيخ أحمد الزين له قصة رواها على ملأ من كرام العلماء والأدباء إمامٌ من أئمة الأدب والعلم والفضل هو شيخنا مصطفى عبد الرازق باشا يجب إيرادها إنصافاً للشاعر النائب :

كان ذلك منذ عامين ، وبيت عبد الرازق بعابدين على عهدك به فى ليلة من ليالى رمضان ؛ ولم يكن الشيخ أحمد الزين وطائفة من أصدقائه غائبين عن هذه الجلسة ، وجرى ذكر الشعر والشعراء وصلتهم بالنحو واللغة فقال الدكتور هيكل باشا : لعل الشاعر إسماعيل صبرى باشا لم يكن واسع المحصول اللغوى سعة تحميه من التورط أحياناً فى بعض الأخطاء . فالتفت الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا يدفع غيبة صديقه صبرى باشا فقال له هيكل باشا : لقد أسمعنى بعضهم شعراً له جاء فيه كلة (خلاق) بمعنى خلق وهى ليست كذلك فيما يقول الشيوخ !

فقال الشيخ عبد الرازق باشا ـ والشيخ أحمد الزين حاضر ـ إننى أنكرت ذلك أيضاً ، فلما لقيت صبرى باشا لم أكتمها عنه فكان جوابه : إن الشيخ الزين رجل مثابر على الود ، فلما هم بطبع ديوانه سألنى أبياتاً فلم تسعفنى القريحة . ولما تكرر منه الطلب لم يسعنى إلا أن أقول له — وهو شاعر أيضاً — اصنع أبياتاً لنفسك على لسانى . فلما أهدى إلىّ ديوانه قرأتها كما قرأتموها ، وصبرت على ما لم تصبروا عليه

***

وأقول : إنك يا دكتور — وأنت ذواقة — حين تقرأ الأبيات لا ريب تنكر نسبتها إلى سائر شعر صبرى باشا ، أو تتردد طويلاً جداً على الأقل . وها هى ذى ليشترك معك ومعى قراء الرسالة فى الحكم :

إذا كنت يا زين زين الأدب	فإن كتابك زين الكتب
قلائد طوقت جيد البيا	ن بهن وحليت جيد العرب
خلائق تزرى بنفح الرياض	إذا ضحكت من بكاء السحب
وما المرء إلا (خلاق) كريم	وليس بما قد حوى من نشب

(المجمع اللغوى) علي فوده

سكك حديد الحكومة المصرية

تذاكر الاشتراكات الكيلومترية

بمناسبة العودة إلى صرف تذاكر الاشتراك الكيلومترية يتشرف المدير العام بالفات نظر الجمهور إلى الفقرة (ألف) من شروط تذاكر الاشتراك على خطوط السكك الحديدية والتى تنص على ضرورة تقديم الطلبات قبل ابتداء مفعول هذه التذاكر بخمسة أيام سواء كانت كيلومترية أو عادية تفاديا من تأخير الطلبات

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 489

Lundi - 16 - 11 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٨٩ — « القاهرة في يوم الإثنين ٧ ذو القعدة سنة ١٣٦١ — الموافق ١٦ نوفبر سنة ١٩٤٢ » — السنة العاشرة

الجامعة العـــالمية

للأستاذ عباس محمود العقاد

تستعد الأمم القاتلة للحرب في المدرسة كما تستعد لها في مصانع الذخيرة والسلاح ، فليس من النافع منع التسليح أو قصره على مقدار مرسوم إذا لم يكن مقترناً بمنع الأسلحة الفكرية والعدد الخلقية التي تتحفز أبداً للحرب ولا تستريح طويلاً إلى عهد السلام

هكذا يقول الفيلسوف الرياضي الكبير « برتراند رسل » في مجلة « الفورتنتيلي » من مقال عن الجامعة العالمية أو عن التعليم العالمي الذي يمحو الحزازة العصبية ويهيئ العقول للسلم والمعاونة بين الأقوام والأجناس والأوطان

وبرتراند رسل كما يعرفه قراؤه رجل من أقدم دعاة السلم بين كبار الحكماء والعلماء ، وكانت دعوته إلى السلم في إبان الحرب الماضية سبباً لحبسه وتغريمه وانقطاعه عن التعليم

فهو الآن يتأهب لدعوة جديدة من طريق جديد ، وتلك هي طريق التربية العلمية التي ينبغي أن تنم جميع الطلاب في جميع الأوطان ، وأن يكون لها غرضان مقترنان ولا تكتفي بغرض واحد ينحصر في العلم والمعرفة « الأكاديمية » كما يسميها . فأما الغرض الأكبر أن يكون التعليم على نهج يؤدي إلى تعميم

الفهرس

السلم وحسم بواعث القتال ، خلافاً للنهج الذى سار عليه حتى لآن فى معظم البلدان

قال : « من الواجب أن تكون للجامعة المنشودة وثيقة تشتمل على حقوق مرعية تقضى فيما يتعلق بالأساتذة والطلاب على السواء أن تفتح أبوابها لجميع الأجناس وجميع الأديان وجميع الآراء السياسية ؛ ماعدا تلك التى ترفض المعاونة العالمية ، إذ هى لن تفلح فى دعوتها العالمية إن أخفقت فى تحقيق هذه الشريطة ، ولكل رجل أو امرأة على استعداد على أن يدخلها فلا يحول بينه وبين دخولها لونه الأصفر أو لونه الأسمر أو لونه الأسود ، ولا أنه من بنى إسرائيل أو من البوذيين أو المسلمين أو الهندوكيين ، بل لا يجوز فوق هذا أن يحول بينه وبين دخولها أنه لا يؤمن ببعض العقائد والمقررات كائناً ما كان »

وعنده أن ما جرى عليه العرف حتى اليوم يناقض هذه المساواة العالمية حتى فى تدوين تواريخ العلوم . فالقاعدة التى تعرف عند الإنجليز باسم قاعدة بويل تسمى قاعدة ماريت بين الفرنسيين ، ويذكر الكتاب الإنجليز أحياناً أن بريستلى هو كاشف الأوكسجين ، وفى ذلك غبن للعالم لافوازييه . ويميل الرياضيون الألمان إلى اعتبار جاوس مؤسساً للهندسة « غير الإقليدسية » ، وقد أسسها فى الواقع لاباتشفسكى الروسى . وطالما اختلفت الكتب الإنجليزية والأمريكية فى الكلام على اختراع زورق البخار ، إلى اختلافات أخرى من هذا القبيل أشهرها الاختلاف بين نيوتن وليبنتز على اختراع حساب التفاضل والتكامل مما عاق جورج الأول عن اصطحاب ليبنتز عند قدومه إلى البلاد الإنجليزية وما جر إليه ذلك من تعطيل الرياضيات فى هذه البلاد قرناً من الزمان أو يزيد

ويقول الفيلسوف : « إن الأمم الكبرى جميعاً على تفاوت فى الدرجة تزيف التاريخ وتتعرض له بالتمويه والتعديل . فحركة العصيان الهندية يتعلمها الأطفال الإنجليز من وجهة نظر واحدة ، والواجب فى الجامعة العالمية أن تعطى وجهة النظر الهندية من الرجاحة ما تعطاه وجهة النظر الإنجليزية . وكذلك يجب عند شرح تاريخ الحرب الإسبانية الأمريكية أن تلاحظ الحيدة المستقلة بين أسبانيا والولايات المتحدة . وهذه وما شابهها نقائص لا تسلم منها أمة واحدة فى العالم بأسره ولكنها أسوأ ما تكون في ألمانيا وإيطاليا واليابان »

إلى أن يقول : « إن هيجل فى فلسفته التاريخية يرى أن « الروح » الذى يسيطر على عظائم الحوادث يتجسم تارة فى هذه الأمة وتارة فى تلك ، وأن كبار الرجال الذين يختارهم ذلك الروح المسيطر على الحوادث لبلوغ غايته هم أناس مرفوعون فوق قوانين الأخلاق والآداب على مثال الإسكندر وقيصر . وقد اختار الروح أمة الجرمان لتحقيق ما يريد فى عصرنا هذا »

وبعد أن شرح الفيلسوف الرياضى الكبير نظام الإدارة ونظام التعليم وتحضير الكتب للدراسة فى الجامعة العالمية قال : « إن الدعوات الوطنية إنما نجحت فى الأغلب الأعم لإحساسهم أنها تجرى مع المصالح الوطنية فى مجرى واحد . فإذا أريد للنظرة العالمية الجديدة أن تفلح وتؤتى ثمرها فمن الضرورى أن تتمثل للناس موافقة للمصالح الوطنية على ذلك المنوال »

***

وهنا تتلاقى آراء كثيرة قد تتشعب وتتدابر فى غير هذا الملتقى الواضح المأمون من جميع نواحيه

فليس المقصود بالتعليم العالمى أن يجور على المصالح الوطنية ، وإنما المقصود به أن يبطل النزعات التى تجور على مصلحة العالم بأسره أو مصالح الأمم الأخرى فى تعاونها على السلم والحضارة .

فالوطنية والعالمية لا تتناقضان ، لأن خدمة العالم بأسره لن تضير وطناً من الأوطان ، ولا سيما الأوطان التى لا تملك القوة ولا تتذرع بها إن ملكتها إلى الطغيان على الآخرين .

وقد رأينا بعض المفكرين الداعين إلى التآلف بين الشعوب على أساس العالمية أو أساس الحكومات المشتركة ينزعون إلى التشكيك فى عناصر الوطنية لأنها شىء يصعب التعريف به وفهم معناه ، فإذا قيل مثلاً إنها قائمة على الوحدة الجغرافية فالفاصل بين الأرض الفرنسية والأرض الجرمانية فاصل اتفاقى من معظم نواحيه ، وإذا قيل إنها الوحدة الجنسية فليس فى الأرض أمة تخلو من مزيج الأجناس ، وإذا قيل إنها الوحدة اللغوية فليس باللازم أن تقترن المشاركة فى الوطن الواحد والمشاركة فى اللغة الواحدة ، وإذا قيل إنها وحدة الدين فقد تجتمع فى الأرض

الواحدة عدة أديان وعدة مذاهب من دين واحد ، وإذا قيل إنها وحدة الحكومة فقد يخضع الناس لحكومة واحدة مكرهين مستعبدين ، وإذا قيل إنها التراث التاريخي فهذا ولا شك من أقوى عناصر القومية ولكنه لا يخلقها ولا يمنع التفاهم بين أصحاب التراث المختلف على حكم واحد أو صلة حكومية متكافلة .

إلى آخر ما يقول أولئك المفكرون الداعون إلى التآلف العالمي وهم مخطئون فيما نراه

وقد ناقشنا هذا الرأي في موقف كوقفنا الحاضر منذ سنين فقلنا : « إن كلاماً كهذا يمكن أن يساق لإضعاف المزايا الإنسانية وتقريب الفوارق بين الإنسان والحيوان ، ثم هو لا يفضى إلى نتيجة ولا يدل على معنى مستقيم ... قد تقول مثلاً ما هى معالم الإنسانية التى تفرق بين الإنسان والحيوان ؟ أهى اللغة ؟ كلا ! فإن أناساً كثيرين يولدون بكماً لا ينطقون ولا يعقلون . أهى أعضاء الأجسام ؟ كلا ! فإنه ما من عضو فى إنسان إلا يقابله عضو مثله أو يقوم مقامه فى حيوان : أهى انتصاب القامة ؟ كلا ! فإن بعض الأحياء تمشى على قدمين وبعض الناس يزحفون على الأربع . أهى عناصر الدم ؟ كلا ! فإن التحليل قد يكشف فرقاً بين دم الرجل ودم المرأة وبين دم الشيخ ودم الصبى وكلهم من بنى الإنسان ؛ وزد على هذا أن الدم ليس بمزية الإنسانية العليا ، فإن أناساً فى ذروة العظمة قد يرجح عليهم فى نقاوة الدم وصحة تركيبه أناس فى حضيض الذل والجهالة . أهى قابلية التناسل ؟ كلا ! فإن الخيل والحمير تتلاقح وهى من نوعين ، والبغال لا تتناسل وهى من نوع واحد ، وقد يعيش الرجل والمرأة معاً عيشة الأزواج ولا ينسلان »

فصعوبة التعريف والتفريق لا تنفى وجود الأشياء التى نريد أن نعرفها ونفرق بينها ، والوطنية شىء موجود لا شك فى وجوده وإن تعددت عناصره حتى تعذر الجمع بينها فى وطن واحد

ومن الخطأ أن نناقض بين العالمية والوطنية لأنهما فى الواقع غير متناقضين ، وإذا بنيت الدعوة إلى التعاون بين شعوب العالم على أن هذا التعاون يغض من الغيرة الوطنية فمصير تلك الدعوة معروف من الآن ، وهو الإخفاق السريع

وإنما الصواب ما قال الفيلسوف الرياضى الكبير حيث رأى أن ضمان النجاح للدعوة العالمية مكفول بالتوفيق بينها وبين مصالح كل أمة تلبى تلك الدعوة وتشترك فى المعونة

وهذا الذى نرجو أن يكون وأن يتوافى إليه شعور الأقوياء والضعفاء معاً بعد الحرب الحاضرة

ويبدو لنا أن تعدد الأقوياء سيلجئهم قسراً إلى التعاون بينهم على رعاية حقوق الضعفاء فينفتح من ثم باب التعاون بين هؤلاء وهؤلاء

فليس فى الوسع أن يطغى قوى واحد على أنداده الأقوياء ، وليس فى الوسع أن يتفقوا على قسط متساو من المصلحة المشتركة يمنع التنافس ويحسم النزاع . فلا نغلو بالأمل إذا قلنا إن الطريق الأيسر لهم والأجدى عليهم هو الاتفاق على التعاون بينهم وبين الضعفاء ، والتفاهم على معاملة وسطى فيها رعاية للحق ورعاية للمصلحة الجامعة ورعاية لمصلحة الأمم أمة أمة على حدة . فقلما يُرجى فلاح لمطلب من مطالب بنى الإنسان يبنى على الحق وتنسى فيه المصلحة ، أو يبنى على المصلحة وينسى فيه الحق ، وآية الرجاء فى مصير الدعوة العالمية أن الحاسة الخلقية وأن الوجهة النفعية فيها تتقاربان وتتساندان

عباس محمود العقاد

محيي الدين النـــووي
والسلطان بيبرس

للدكتور عبـد الوهاب عزام

كان شيخ الإسلام أبو زكريا يحيي النوويّ من أعلام العلماء فى القرن السابع الهجرى ، ذا مكانة عالية بين علماء الفقه والحديث . وكان له فى التقوى والورع والزهد سيرة محمودة ، وفى نصرة الحق وتأييده مواقف مشهودة . ولا بأس أن نثبت هنا بعض سجعات ابن السبكى : « كان يحيي رحمه الله سيِّداً وحصورا ، وليثا على نفسه هصورا ، وزاهداً لم يبال بخراب الدنيا إذا صيَّرَ ربع دينه معمورا . له الزهد والقناعة ، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة ، والمصابرة على أنواع الخير ، لا يصرف ساعة فى غير طاعة . هذا مع التفنن فى أصناف العلوم : متون أحاديث ، وأسماء رجال ، ولغة وصرفاً ، إلى غير ذلك » .

ولست أبني هنا ترجمة النواويّ ، ولكن أذكر واقعة كانت بينه وبين الظاهر بيبرس ، وهى واحدة لهـا أمثال فى سيرة الشيخ ، ولهـا نظائر كثيرة فى تاريخ الإسلام :

كان بيبرس ملكاً مجاهداً أبلى فى قتال التتار والصليبيين بلاء عظيماً ، وقد انتظمت شجاعته وعزيمته مع شجاعة أسلافه وأخلافه من الأيوبيين والماليك ، فكانت سرًّا من الجهاد والجلاد ، وقى البلاد المصرية مصائب الغزاة ، وخيَّب دونها آمال الصليبيين مائتى سنة . وكذلك كانت همته وإقدامه هو وجنوده فى مصر والشام ، كالطود ارتدّ عنه سيل التتار بعد أن جرف البلاد الإسلامية من سمرقند وخوارزم إلى حلب ودمشق ؛ فعلَّموا جنود هولاكو فى « موقعة عين جالوت » وما بعدها أن مصر أبعد من أن يطمعوا فيها ، وأن الشام أعزّ من أن يسيطروا عليه

وكان بيبرس فى جهاده المستمر ، وحربه المتمادية ، يتوسل إلى المال يستعين به على جهاده ، وكان الشيخ النووى يكتب إليه ناصحاً كلما رأى في عمل السلطان شدة ، أو جوراً ، أو مخالفة للشرع ، لا ينى فى هذا ولا يداهن ، ولا تأخذه رغبة ولا رهبة

كتب مرة إلى السلطان هو وبعض العلماء ، يطلبون رفع بعض المكوس ، ويوصون بالعدل والشفقة ، فكان فى الجواب إنكار وتوبيخ وتهديد ، فكتب الشيخ النووى يجادل فيما تضمنه جواب السلطان ويقول :

« وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا ، وتهديد طائفة العلماء فليس هو المرجوّ من عدل السلطان وحلمه . وأى حيلة لضعفاء المسلمين فى النـاصحين نصيحة للسلطان ولهم ولا علم لهم به ؟ وكيف يؤاخذون به لو كان فيه ما يلام عليه ؟ وأما أنا فى نفسي فلا يضرنى التهديد ولا أكثر منه ولا يمنعنى ذلك من نصيحة السلطان ، فإنى أعتقد أن هذا واجب على وعلى غيرى . وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى . « إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار » . « وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد » . وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول الحق حيثما كنا وألا نخاف فى الله لومة لائم »

ولمـا ذهب السلطان إلى الشام لمحاربة التتار أراد أن يأخذ مالاً من الرعية يستظهر به على العدو واستفتى العلماء فأفتوه . ثم سأل عن الشيخ النووى أن يشارك العلماء فى الفتوى . فلما حضر الشيخ قال السلطان : اكتب خطك مع الفقهاء . فامتنع . قال السلطان : لماذا لا تكتب ؟ قال الشيخ :

« أنا أعرف أنك كنت فى الرق للأمير بندقدار ، وليس لك مال . ثم منّ الله عليك وجعلك ملـكا . وسمعت أن عندك ألف مملوك كل مملوك له حياصة من ذهب ، وعندك مائتا جارية لـكل جارية حقّ من الحليّ . فإذا أنفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلاً من الحوائص ، وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلى أفتيتك بأخذ المال من الرعية »

قال الظاهر للشيخ : أخرج من بلدى (يعنى دمشق)

قال الشيخ : السمع والطاعة . وخرج إلى نوى

فأنكر الفقهاء أن يُخرَج مثل النووى من المدينة ، وسألوا السلطان أن يرجعه . فأمر السلطان بإرجاعه . فأبى الشيخ وقال : لا أدخلها والظاهر بها

لست أدرى أكان السلطان محقا فى فرض ما فرض من المال أم لا . ولست لذلك أعرف أكان الشيخ محقا فى مجابهة السلطان بما جابهه به ، ولـكن لا ريب عندى أن السلطان أحسن حين التمس فتوى العلماء قبل أن يجمع المال ، وأن الشيخ أدى واجبه حين صارح السلطان بما يعتقد ، ولم يأخذه فى الحق خوف ولا طمع ، وأن محيي الدين النووى قد فقه أحسن الفقه ما على العلماء من النصيحة لأولى الأمر ، والجهر بالحق فى غير مداهنة ولا خوف . رحم الله النووى ؛ لقد كان من علماء المسلمين . ولله تاريخ المسلمين كم فيه من أمثال محيي الدين !

عبد الوهاب عزام

الهـــدف الأدبى

للدكتور زكى مبارك

[فى الاحتفال الذى أقيم بدار الجمعية الجغرافية لافتتاح الموسم الثقافى لخريجى الجامعة المصرية ألقيت ثلاث خطب فى تحديد أهداف الموسم : خطبة الدكتور منصور بك فهمى فى الهدف الروحى ، وخطبة الدكتور حسن إبراهيم فى الهدف الاجتماعى ، وخطبة الدكتور زكى مبارك فى الهدف الأدبى . وحال مرض الدكتور عبد الوهاب عزام دون خطبته فى الهدف العلمى]

هذه فاتحة الموسم الثقافى لخريجى الجامعة المصرية ، والجامعة أول مظهر من إرادة الأمة فى العصر الحديث ، فقد أنشأتها الأمة قبل أن تفكر فيها الحكومة ، والأمم لا تسبق الحكومات إلا حين تكتمل فيها الحيوية الروحية والعقلية . وقد كان من أثر ذلك أن صارت الجامعة منذ إنشائها إلى اليوم مثابةً لحرية الفكر والرأى . ولعلكم تذكرون أنها لم تقبل الانضمام إلى الحكومة إلا بعد إعلان الاستقلال ، وبعد أن صارت الفكرة القومية هى التى توجه مذاهب التعليم والتثقيف إلى خير البلاد

كان الموسم الثقافى لخريجى الجامعة حُلماً يعتاد خاطرى من حين إلى حين ، وكان الرأى عندى أن ينهض به الخرّيجون المستقلون ، وأعنى بهم من لا يتصلون بالجامعة عن طريق التدريس ، لأن الجامعة أعدت هؤلاء لتثقيف الطلبة ، وأعفتهم من تثقيف الجماهير ، ولأن لبثّ الثقافة الجامعية خارج أروقة الكليات أساليب يجيدها الجامعيون المستقلون بأقوى مما يجيدها الجامعيون الرسميون ... وهل ننسى أن للتدريس قيوداً تحصر المدرس فى آفاق لا تتسع فى كل وقت لدرس ما يتصل بالمجتمع من مُعضلات لا يلتفت إليها الطلبة إلا بعد أن تكتوى أيديهم بنيران المجتمع ؟

إن الجامعى المدرس يكون فى أحسن أحواله يوم يصبح على رأى الفراء حين قال : سأموت وفى نفسى شئ من حَتَّى !

ومعنى ذلك أن أفضل حياة للجامعى المدرس هى الحياة التى تفرض عليه أن يكون إماماً فى تشريح الجزئيات ، عساه يصل بتلاميذه إلى تصور الكليات ، فى تواضع محبوب بنسيه وجوده الذاتى ، ويحبب إليه الرضا بحظ الجندى المجهول فى تثقيف العقول

الجامعىُّ المدرس لا يعاب عليه أن يجهل المجتمع الذى يعيش فيه ، ما دام يعرف الدقائق من العلم الذى انقطع إليه . وقد رأيت من أساتذة السوربون من يجهلون زمانهم بعض الجهل ، أو كل الجهل ، لأنهم تخصصوا فى دراسات سبقتْ زمانهم بأجيال [1] .

أما الجامعىّ المفكر فله أسلوب غير هذا الأسلوب . الجامعى المفكر يتخذ من الدراسات الجامعية موازين يزن بها ما فى المجتمع من أحلام وأوهام ، وحقائق وأباطيل . الجامعى المفكر يرى جميع العلوم وسائل لا غايات ، فالغاية الصحيحة عند الجامعى المفكر هى أن ينقل المجتمع من حال إلى أحوال فى مذاهب الفكر والمعاش . الغاية عنده هى الإبداع لا التحصيل ، الغاية عنده أن تكون آراؤه موضوعات الدرس فى الجامعات ، لا أن يكون شارحاً لآراء الناس . ومن أجل هذا اختلف المحصول الذى يَصدُر عن الجامعى المفكر والمحصول الذى يصدُر عن الجامعى المدرس ، فالأول يُبدع والثانى يشرح ، وهما فى منزلة سواء فى نظر العدل ، لأن الغرض الأصيل هو خدمة الحق بأى أسلوب وفى أى موضوع .

ومن آفات الحياة فى مصر أن يتوهم أهلها أن الفكرة الجامعية لا تتمثل إلا فى الجامعى المدرس ، وكان ذلك لأن مصر طال عهدها باحترام الوظيفة الرسمية ، فلم تعد تدرك أى قيمة للوظيفة الروحية

وقد انساق الجامعيون فى هذا المساق ، فلم نسمع أن فيهم من يحمل راية الجامعة ، وهو غير مدرس بالجامعة ، فكانت النتيجة أن يُحبَس صوت الجامعة فى حدائق الأورمان ، وأن تشعر الحواضر والأقاليم بأن الجامعة صورة من صنع الخيال

والحق أن الجامعة أرادت لأبنائها مالم يريدوا لأنفسهم ، هى أرادت أن يكونوا مفكرين ، وهم أرادوا أن يكونوا موظفين ، وبين الإرادتين فرق بعيد

ومن أجل هذه الأسباب ضاعت محاولاتى فى خلق الموسم

(١) من أغرب ما رأيت أن المستشرق كازانوفا كان خالى الذهن من آثار « تين » فى النقد الأدبى

الثقافى لخريجى الجامعة المصرية ، وهو موسمٌ دعوت إليه منذ أعوام ولم أجد من يستجيب ، إلى أن لاحتْ فرصة لا يجود بها الزمان ، إلا فى أندر الأحيان

فما تلك الفرصة الذهبية ؟

رأيت جماعة من خريجى الجامعة يتشكون على صفحات الجرائد من قلة الرواتب ، فأسرعت إلى نهيهم عن هذا التشكى ، وأفهمتهم أن للجامعة رسالة غير رسالة القوت ، وأن مبدأنا أن نجوع لتشبع الأمة ، وأن نتعب لتستريح . . . وهل تعرفنا الجامعة إن صرنا طلَّاب أموال ، لا عشاق آمال ؟

وسمع خريجو الجامعة صوتاً لم يسمعوه من قبل ، فدعونى لأشرح لهم رأيي ، فقلت : إنى لا أثق إلا بمن يحلفون على المصحف . فقالوا : إن اليمين لا تُطلب إلا من المرتابين ، وسترى كيف نصدُق بدون يمين

كان ذلك فى يوم جمعة من شهر رمضان ، فهل تكون الأقدار أرادت أن توقظ المعانى الروحية فى أنفس الجامعيين ، بلمحة كريمة من لمحات شهر الصيام عن الآثام ؟

أؤكد لكم أنى لم أكن أنتظر أن يتقبَّل أولئك الشبان هذا الصوت بمثل ذلك القبول ، فقد ابتلتهم الأيام بعصر منحرف عن المعانى . وهل فينا من ينكر أن الموظف الذى يزيد مرتبه عن زميله خمسة قروش يعتقد أنه أرق من ذلك الزميل ؟

البحث عن الدرجات المالية ليس من عيوب الفكرة الجامعية ، ولكنه من عيوب الحياة الديوانية . وسيذكر أبناء الجامعة واجبهم ، سيذكرون أن إنشاء الجامعة كان فى الأصل غضبة على سياسة التعليم للتوظيف ، وصاحب الوظيف وصيف ، كما يقول أهل تونس الخضراء

ما الذى يوجب أن يبحث الشاب المتخرج فى كلية التجارة أو كلية الزراعة عن وظيفة كتابية ؟

إن هذه الظاهرة تشهد بأن بعض الكليات تعجز عن رياضة أبنائها على الإيمان بما تخصصوا فيه ، إيماناً يجعلهم أقطاباً فيما تخصصوا فيه ، ويفرض عليهم أن يعينوا الدولة على تحقيق ما تريد من كرائم الأغراض

إنى أتمنى أن يقترب اليوم الذى تَفرض فيه الدولة على خريجى الجامعة ضرائب فكرية ، اليوم الذى يُقال فيه إن خريجى الجامعة يملكون ثروات لا يملكها أصحاب الملايين ، وإن من الواجب أن تفرض عليهم الضرائب ، لتستطيع الدولة أن تقيم أوَد المنكوبين بالزهد فى كرائم المعانى

يجب أن يكون من أغراض الجامعيين أن يُطَمْئنوا الدولة على أن أملها فيهم لم يضع ولن يضيع

إن هذا اليوم قريبٌ قريب ، وسنخلقُه خلقاً إن تأبَّى وامتنع ، وسيعلم الذين آمنوا بجهادنا فمنحونا ألقاب الجامعة أن إيمانهم كان الإيمان ، وأنهم سلَّموا راية الجامعة إلى جنود هم الرجال

لقد استُضعِفنا حيناً أو أحايين ، والله قد يمُنّ على الذين استضعفوا فيجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين

ولكن الله على كرمه لا يجود إلا بميزان ، ليعلّم عباده معنى النظام ومعنى العدل ، فإن جاز فى وهمنا أن الألقاب الجامعية تُغنى عن الجهاد الموصول فى سبيل المجد ، فقد ضللنا سواء السبيل

هل تفهمون معنى كلمة « ليسانس » وهى أول درجة من الدرجات الجامعية ؟

الليسانس كلمة فرنسية معناها الحرية ، وحرية الجسم لا تتم إلا بسلامة جميع الأعضاء ، وكذلك حرية العقل وحرية الروح ، فلا حرية لعقل تعوزه المواهب ، ولا حرية لروح يعوزه الصفاء .

وأشرح كلمة الليسانس من ثانية فأقول :

الغرض من هذه الكلمة هو إعطاء الطالب راية الحرية ، الحرية من جميع ما قرأ وما سمع ، ليكون من المبدعين

فأين حَمَلة الليسانس من هذا الغرض ؟

إن أعفتهم الدولة من تحقيق هذا الغرض فلن يعفيهم الوطن ، ولن يرحمهم الله الذى علّم آدم فى الفردوس ليكون رسوله إلى ممالك الأرض

إن للجامعة المصرية رسالة ندور حولها من وقت إلى وقت ، وإن كان لها فى أنفسنا صورة لا يتمثلها أبرع فنان ، ولو استوحى نجوم السماء

وتلك الصورة هى سبب شقائى ، وأنا الجامعىُّ المخضرَم الذى

ظفر بألقاب الجامعة القديمة والجامعة الجديدة ، فماذا صنعتُ في دنياي ؟

إن قصائدي ومؤلفاتي ومقالاتي لا توحي إلى نفسي شيئاً من الازدهاء ، لأني أفهم جيداً أن للنبوغ والعبقرية غاية إنسانية لا غاية محلية ، فأنا لا أقنع بأن يكون الجامعيّ هو المصري الأول ، وإنما أسمو إلى أن يكون الإنسان الأول ، فاستعدوا للنضال في ميدان تكونون فيه أوائل الأبطال

لا قيمة للأرقام في حياة الوجود ، ولن يكون من أسباب ازدهاء الجامعيين أنهم بلغوا بضع ألوف ، فالشمس واحدة والقمر واحد ، وهما عندنا أنفع من النجوم التي تفوق الإحصاء

وأنا من أجل هذا المعنى لا أقيم وزناً للتضامن الجامعي ، لأن التضامن سناد الضعفاء . أعاذني الله وأعاذكم من وباء الضعف . وهل تتجمّع في الأرض أمةٌ كما تتجمع أمة النمل ؟

الجامعيّ الحق هو الذي يسير في كل أرض وفي عقله فكرة الجامعة ، كما يسير المسلم في كل أرض وفي روحه هَدْيُ المصحف

كونوا آحاداً ، ولا تكونوا جماعات ، فالوحدانية هي العقيدة التي ارتفع بها الشرق ، وبها ارتفع الغرب ، إن كنتم تذكرون طلائع النهضات في التاريخ

إن الأدب الإسلامي أوصاكم بالتخلق بأخلاق الله ، وأعظم صفات الله هي صفة الوحدانية . ولن يكون للتضامن قيمة إلا إن كان أرقاماً صحاحاً تضاف إلى أرقام صحاح ، وأعيذكم أن تكونوا أصفاراً تزيد قيمة الرقم الصحيح

الصفر وحدَه عَدَم ، ثم تكون له قيمة إن تضامن مع الرقم الموجود ، فماذا تريدون بأنفسكم ، يا أبناء الجامعة في هذا الجيل ؟

أنا أحب لكم ما أحبُّ لنفسي ، وأنا أكره أن يكون لأيّ مخلوق عليّ سلطان ، فتحرروا من بوارق الدنيا كما تحررتُ ، ليُسبغ الله عليكم نعمة الأدب الرفيع

لا تنشروا بعد اليوم على صفحات الجرائد شكايتكم من قلة الرواتب ، فإن سطراً تكتبونه صادقين هو الرزق النبيل . وذكاء المرء محسوبٌ عليه ، كما قال الأسلاف

العقيدة الأدبية والعلمية هي الأبوّة الكريمة للرجل الحصيف ، فلا تعرّضوا مواهبكم لليُتم الذميم ... وفي الناس أيتامٌ آباؤهم أحياء !

يجب أن يكون للجامعة في كل ميدان جنود . يجب أن يكون إليها الرأي في جميع المعضلات الأدبية والفلسفية والتشريعية والهندسية والطبية والعلمية

ويجب أن يكون الجوع أشرف قوت يقتات به الجامعيون الأصلاء

أترونني أسرف في الأماني ؟

إن قلتم هذا القول فإني أجيب بأنْ ليس في الخير إسراف

لقد كانت بلادنا أول مشرق للعلوم والآداب والفنون ، وكانت وثباتها العلمية والأدبية والفنية موكولة إلى رجال لا يقيمون وزناً للأقوات ، فكيف نيأس وتأخُّرُنا الماديُّ هو الشاهد على صدق بنوّتنا لأولئك الآباء ؟

أما بعد فماذا أريد أن أقول ؟

لم أقل شيئاً ، لأني قلت أشياء ، وبعضُ الإيجاز أبلغ من الإطناب

الهدف الأدبي لهذا الموسم هو أن نخلق للقاهرة شواغل جدية ، بعد أن طال عهدها باستصغار قيمة الوقت ، وبعد أن كان غذاؤها لا يزيد عن اجترار القيل والقال

الهدف الأدبي لهذا الموسم هو أن نُنطق بعض الكليات التي لا تنطق !

الهدف الأدبي لهذا الموسم أن ننقل القاهريين من الاختصام في التوافه ، إلى الاختصام في الحقائق

باسم الله نفتتح هذا الموسم ، ولن يتخلّى الله عن بناء كان اسمُه أول ما سطر على حجر الأساس « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

زكي مبارك

حكم في القضية رقم ٦٥٥ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بحبس زكي عبد السلام خليل قاش بالحبس شهرين مع الشغل بجلسة ١٧–٦–١٩٤٢ لبيعه قاشاً بسعر أزيد من التسعيرة .

حكم في القضية العسكرية رقم ٥٣٦ سنة ١٩٤٢ بجلسة ٣–٦–١٩٤٢ بحبس كولس ابراهيم الذكر صاحب مخبز بني مزار ثلاثة شهور مع الشغل وغلق المحل خمسة أيام وذلك لبيعه خبزاً بأزيد من التسعيرة .

في الغـــاب

للأستاذ عبد الحليم عباس

قلت لصاحبي ، ونحن نعتسف الغاب ، نطامن من رأسينا لنتقي أذرع الشجر المتشابكة والممتدة في غير استواء ، ونراوغ في السير مخافة أن نصطدم في فرع شائك ، أو تزلَّ بنا القدمُ في هذه الأرض الوعثاء . يشبه السير في الغاب ، السير في الحياة . أعنى ، لا بد من المراوغة . فعقب وهو ينحى فرع شجرة ، ولا بد من أن يطامن المرء من رأسه — كما أفعل الآن — لينجو من الصدمة ...

— حسن ، فنحن في هذه الغاب ، نمثل قصة الأحياء ، أعنى أن كل حى يطامن من رأسه — في حالٍ من الحالات — ويراوغ في مشيته ، في شوطه المقدور ، في دروب الحياة ، كما نفعل الآن ، حذوك النعل بالنعل ، هذا إن أراد أن يستقيم معه الأمر . وإن ركبه الغرور فمشى رافع الرأس ، مستقيم الخطوة ، فلا بد من صدمة يبين أثرها في وجهه ، أو في جسده أو . . . يخرُّ صريعاً لليدين إن كانت الصدمة قوية بالغة ... ولكن قل لى ها هنا الشجر والحجر يصدم السائر ، وفي الحياة . ما ذا ؟

— إرادة الأحياء العنيدة الضاربة في النفس ، كجذور هذه الشجرة ، المستحكمة في باطن الأرض – وراح يهز شجرة سنديان استحكمت ساقها ، وتفض من فعل الزمن ، ويتطلع فيَّ ، فعل المفكر المتألم

— إرادة الأحياء لفظة شاملة ، وفي الشمول غموض وإبهام . ولكن قل لى : نستطيع أن نجتث هذه الأشجار ، فيصبح السير فيها — الغاب — بخطوات مستقيمة وخدود مصعرة ، وقلوبٍ أمنت أن يفاجئها من بين ملتف الشجر ، وخفى الأحجار حيوان مؤذٍ مفترس ، فكيف نجعل الدرب في الحياة كهذه ؟ أننفى منها إرادة الأحياء ؟ ومعنى هذا أن ننفى منها الأحياء . وقد قال بهذا كثير من المفكرين ، ولكن قولهم هذه لم تتحقق في الواقع ، لأن الحياة أقدر على المحافظة على ذاتها من أن تذهب وتمحوها كلمةٌ من يائس

— فما ذا تمحو من الحياة ؟

— شيئاً واحداً ليصبح السير فيها كالغاب بعد أن تجتث جذور أشجارها

فزمَّ ما بين عينيه ، وقال : امحو منها القوة ، فيصبح الإنسان آمناً ، والأمن هو الحياة ... وتابع قوله : ولكن من القوة ما هو جميل ، وللخلق والإنشاء ... أريد القوة الظالمة ...

— إسمع يا صاحبي . أقوى ما في الغاب الأسد ، وليس هو شرَّ ما فيها ، يأتي الفريسة ، فيدلها على نفسه ، بفضل قوته المرعدة فتتقيه ، وقد تنجو . ومن الضعف ما هو ظالم ، أنسيت النفاق ؟ وما قولك في الكذب ؟ أليس ضعفاً ؟ وما نلقى منه شر البلاء

فأطرق صاحبي ، وفي إطراقه قفز من بين يديه « ابن آوى » يجفل من المفاجأة ، ولما تحققه يستنُّ في عدوه ، صاح : لقد وجدتها ! أمحو منها هذا ؟ جنس الثعالب ؟ الثعلبة ، بربك ألا تراني مصيباً ؟ ...

— أتمنى أن أراك مصيباً اليوم ، ولكن لو محوتها لبقيت الغاب بعدها غاباً ، تطامن لها رأسك ، وتراوغ في مشيتك ، وتقف عند حنية لتجمع نفسك ، وتلمُّ قوتك من حيوان متوثب ، أو وحش غادر ، كشأنك في الحياة ؟ فالثعلب جنس من أجناس . وثعالب الأحياء كل خستها أنها تمشى إلى مطلبها بين مظاهر الجبن والتدليس ، وهى تلقى جزاء خستها هذه . إنها تخشى افتضاح أمرها ، وانكشاف مهارتها الحقيرة . وإن أحقر منها وأحقر ، جنس الأفاعى : تطل برءوسها وجلة ، ثم تنساب ناعمة ، لا يسمع لها حفيف ، إلى الضحية الساهية اللاهية ، ثم تنهشها لغير ما فائدة ، إلا حب الأذى ولذة الإجرام . . . أرأيت الحية ؟ إنتبه . إنها أخطر ما في الغاب

— وهل هى أخطر ما في الحياة ؟ أو رأيتها أنت ؟

— لقد رأيتها كادت تنهشنى ؛ لو لا أنى فطنت لها ، فركلتها فعادت تتغذى من التراب . ومن العجب أنها تضع على عينها دوماً منظاراً ، ولها صوت موسيقى ناعم جذاب . وهكذا ترى أنك كلما محوت جنساً نبتت لك أجناس ، وكلما أردت أن تقضى على نحيزة نجمت لك نحائز ثم ... ؟

— لم يبق شيء عندى ، أراك معنتاً اليوم . هات وخلنى أنا السائل ، وستراني لا أقل عنك إعناتاً . الهدم أسهل من البناء

— هكذا تقول ، وليس هو عند الحق كذلك ، ليس الهدم بأسهل من البناء

– كيف ؟ سنتكلم فى هذا مرة أخرى . والآن . أليس كل ما فى الغاب يطلب أن يعيش وهو يصطنع لهذا مطالبه الخاصة : ثعلبة ، مراوغة ، قوة ، إلى آخر هـذه المسميات ... وكذلك الشأن فى الحياة والأحياء ... ما رأيك لو جعلنا العيش ميسوراً لكل طالب ... ألا تمحى المنازعات وتذوب الشرور ، ويمشي الإنسان ثابت القدم ، مرفوع الرأس . كل ما أطلبه أن تمحى أنا ، وتحل محلها نحن . ليتم كل شيء

– ولكن تبقى الغاب بعد هذا غاباً ، وحيوان الغاب من طبعه الافتراس . إنه يعقل . أرأيت ثعلباً يفترس ثعلباً ؟

– لا ... وهذه نقطة الاختلاف عن بنى الإنسان . فالناس جنس والغاب أجناس ، هذه هى الطبيعة ، ولكن « أنا » جعلت كل واحد جنساً متميزاً بذاته ، منفصلاً عن بقية جنسه . فكل « أنا » لا بد من أن يطامن من رأسه ويزحف على بطنه حذراً من « أنا » الثانية والثالثة . أما « نحن » فلا نمشي إلا مرفوعى الرؤوس . أمح قليلاً من « أنا » غير آسف . لو كان الغاب ملكاً لفصيلة واحدة ، أكان يمشي أبناؤها وجلين مروعين ، كما يمشى البشر فى درب الحياة ... أينا أعقل ؟ إن جماع الرذائل فى هذا الزائد فى «أنا» عن حاجة المرء فى الحياة ...

– أو يكون ذلك ؟

– سيكون فى يوم ما ، إنها الضرورة ، إن الإنسانية لتعيش مروعة من الذل والخراب والجوع . وإنك لتعرف أن القلق حالة طارئة وأن الشيء الطبيعى هو حالة الاستقرار . وإلى أن يجيء هذا خلنا نضحك من زرادشت ، ونردد قولته ، ولكن على غير قصده وهواه ... أهذه هى الحياة ؟

هاتها إذن مرة ثانية وثالثة .

وأخيراً يا صاح ها نحن أولاء أنسانا الحديث متاعب الطريق ، واستحققنا متعة هذا المرج الضاحك النضير .

(شرق الأردن) عبد الحليم عباس



أطوار الوحدة العربية

ثورة العرب الكبرى

للأستاذ نسيب سعيد

قلنا فى حديثنا الماضى إن الطور الثالث « للقضية العربية » يبدأ بإعلان الثورة الكبرى رسمياً يوم ١٠ يونيو عام ١٩١٦ ، ونزول العرب إلى ميادين الصراع والكفاح ، وينتهى بإرسال الحسين بلاغه الشهير إلى الدول يوم ٣٠ أغسطس سنة ١٩١٨ . فنفصل اليوم ما أجملناه أمس ، ونقول : إن « القضية العربية » كانت فى خلال هذه المرحلة — وقد امتدت عامين ونيفا — عرضة لتيارات مختلفة ، وعوامل متناقضة ، لأنها أعظم الأطوار التى اجتازتها شأناً . وقد ظن بها الكثيرون من كبار السياسيين الظنون ، واعتقدوا أنه قد لا يكتب لها التغلب على المصاعب التى أحدقت بها من كل جانب ، فكان جمال السفاح يهاجمها من الداخل بكل قواه ، ويبذل جهوده للقضاء عليها ، والتخلص منها فيتم بذلك عمله الأصلى ، ويقضى على كل حركة عربية ، فينال إكليل الغار والظفر . ولا ريب أن فشله فى احتلال مكة وفى إنقاذ الحجاز أفقده ما كان يتمتع به من نفوذ في دوائر الآستانة ، وجعل حكومتها تقلص ظله ، وتنقص سلطته تدريجيًّا حتى جردته من كل حول وطول ، فطلب أن يقال ، وكانت الحرب فى عامها الثالث ، فأقيل وعاد حزيناً مغموماً إلى الآستانة ، يعض كفيه شجناً وأسى ، وقبع فى وزارة الحربيـة هناك ينتظر ما خبأه له القدر ، ولم يطل به المقام حتى فرَّ إلى روسية فعاش فيها شريداً طريداً ، ومات قتيلاً منبوذاً ، وتلك عقبى الطاغين

ويجب علينا أن نعترف فى هـذا المقام أن معظم الفضل فى إنقاذ الثورة ، بل فى إنقاذ القضية العربية فى هذا الدور يعود إلى الجهود الخاصة التى بذلها الحسين وأولاده فى الأشهر الأولى للثورة الكبرى ، ولولا ذلك لتم لفخرى باشا القائد التركى العام بلوغ مكة ، واحتلالها ، والقضاء على الثورة فى مهدها

وعلى كل حال لا بد لنا قبل الحديث عن حوادث الثورة ووقائعها ، من دراسة مقدمات هذه الثورة وأسبابها وعواملها فقد يساعد هذا الدرس — كما نعتقد — على استخراج نتائج إيجابية تنير السبيل ، وتجلى الحقيقة عن ثورة العرب الجبارة

وإذا أردنا البحث عن أسباب الثورة ومقدماتها ، يجب علينا قبل كل شىء ، استعراض علاقات العرب بالترك منذ اتحدا فى ظل الهلال العثمانى خلال القرون الوسطى ، يوم كان للوازع الدينى المقام الأول ، وكان الشرق يعيش فى عزلة تامة عن الغرب ، ويدور فى دائرة ضيقة من التقاليد والأساليب ، تسلمت إليه من أسلافه الأولين ، وأجداده الأقدمين ؛ فكل من يستعرض هذه العلاقات بين الأمتين المسلمتين ، يسلم بأن العرب لم يجدوا غضاضة فى الخضوع لسلطان العثمانيين حينما فرق يوم مرج دابق جيش السلطان « طومان باى خليفة النورى » آخر المماليك المصريين ، وتقدم إلى دمشق ، فالقدس ، فالقاهرة فاتحاً ، فقد رحبوا به فى كل بلد من بلدانهم ، وقطر من أقطارهم ، وبلغ من شريف مكة يومئذ وهو الأمير بركات أن أرسل إلى القاهرة من حمل إلى السلطان المنتصر كتاب بيعته ودخوله فى طاعته ، وبهـذا الاعتراف اكتسب لقب خادم الحرمين الشريفين . والتعليل الصحيح لهذه الظاهرة الاجتماعية هو الفكرة الدينية ولا شك ، فقد سرى فى ذهن العرب من أبناء هذه الأقطار أن فى تأييد السلطان الجديد تأييداً للاسلام وإعلاء لشأن الشريعة السمحاء فبايعوه سيداً وإماماً

وهبت على ديار الغرب بعـد الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر ريح القومية ، وتنشق العالم نسمات روح جديدة ، حاملة معها حضارة الغرب الحديثة ؛ وكانت بضاعة القومية فى جملة صادرات الغرب الجديدة إلى الشرق القديم ، فجاءت تجر ثوباً قشيباً فضفاضاً يغرى ويفتن ؛ إلا أن تأثيرها ظل محدوداً خلال القرن الماضى بسبب الجهل الذى كان مسيطراً وسائداً . حتى إذا بدت طلائع القرن الجديد شرع العرب ينتعشون تدريجاً ، ويفتحون عيونهم لاستقبال نور الحياة المشرقة عليهم ، المهيبة بهم إلى النهضة والعمل ، لاحتلال المنزلة اللائقة بهم بين الأمم . بدأت هذه الروح القومية الجديدة تهب عليهم نسمات خفيفة رقيقة ، ثم أخذت تتابع وتقوى بتقدم الأيام والليالى ، حتى كانت الحرب العظمى الماضية فإذا بتلك النسمات الرقيقة قد أصبحت ريحاً صرصراً عاتية ، بل عاصفة هوجاء تتلاعب بالأمة العربية ، وتقذف بها ذات اليمين وذات الشمال .

وما زال العرب اليوم يعيشون فى وسط هذه العاصفة ، وفى ملتقى التيارات المنصبة عليهم من كل صوب وناحية

فإذا نحن تقصينا الأثر البارز للقوى العظيمة المتفاعلة وإيام وجدناه في هذه الهبة القومية التى تدفعهم إلى استكشاف نفسهم، وتحرير أفرادهم ومجموعهم، واستعادة سالف مجدهم، وإثبات مكانتهم فى المجتمع البشرى. وما من أحد يلمس الحياة العربية الحاضرة إلا ويشعر بهذه الهبة المرتفعة من صدور العرب فى شتى أقطارهم، البشرة بنهضة جديدة، يرجى لها ما كان لسابقتها فى العصور الوسطى — من عز منيع، ومجد رفيع، ومساهمة ذات شأن فى تقدم التمدن الإنسانى، والحضارة العالمية

وكما هبت ريح القومية على العرب، كذلك هبت على الترك حتى إن بعضهم تشبع بفكرة القومية الطورانية، فكان ذلك مقدمة تحول عظيم فى صلات الأمتين: العربية والتركية، وقد ختم هذا الدور (٢٣ يوليو عام ١٩٠٨–٣٠ أكتوبر عام ١٩١٨) بانفصالها من بعض بعد ما عاشا متحدين مدى أربعة قرون، يخضعان لنظام واحد، ولعلم واحد؛ فانهار بذلك الانفصال بناء الأمبراطورية العثمانية، وقام مقامه صرح جمهورية أنقرة الجديدة، كما قامت هذه الدول العربية المنبثة فى بلاد العرب من أقصى الجنوب حتى أقصى الشمال

أما الخلاف العنصرى الذى نشأ بين العرب والترك، فقدمته كانت – ولا شك – قضية إبعاد العرب عن وظائف الدولة؛ وقد بلغ أشده عن طريق الصحافة، إذ كانت الصحف التركية الجديدة تدعو إلى تعزيز القومية الطورانية، والتحامل على القوميات الأخرى، وتحض الحكومة على مقاومتها والقضاء عليها. ولم تقصر صحافتا الترك والعرب فى التراشق بالألفاظ والجمل، والغمز واللمز، كما لم يقصر شعراء الأمتين فى نظم القصائد والمقطوعات التى تزكي نيران القومية فى القلوب.

أضف إلى ذلك عمل الكتاب العرب الذين نزحوا إلى وادى النيل السعيد، فقد أذكوا روح القومية العربية بما كتبوا ونظموا، فكان عملهم أشبه بعمل روسو وفولتير ومنتسكيو وديدرو فى إذكاء ثورة فرنسا الكبرى سنة ١٧٨٩

تلك هى إذن مقدمات الثورة العربية وأسبابها البعيدة، أضف إليها عمل الجمعيات العربية بصورة خاصة. أما الأسباب القريبة أو المباشرة لها، فهي تصرفات جمال السفاح ومظالمه التى ريعت لها دنيا العرب، وجزعت، فعجلت فى إضرام ثورة لا تبقى ولا تذر، حتى قبل أن تعد معداتها وتهيء أسبابها، بل وقبل أن يأتى أوانها؛ مما أثر فى تطورها وحال بين العرب وبين اجتناء الثمرات التى كانوا يرجون اجتناءها فى ختام جهادهم الأكبر، كما كانت سبباً فى تنفير الرأى العام المتمدن من الاتحاديين الترك واحتقاره لحكومتهم

وكيف لا يجزع العالم العربى لتلك المظالم التى أقدم عليها جمال السفاح، وتلك الفظائع التى ارتكبها رجل الظلم والإرهاب من شنق أحرار العرب والتنكيل بأسرهم والتقليل من أمجادهم، مما لم يعرف التاريخ فى صفحاته له مثيلاً؛ وكذلك كان لبعض رجال العرب من الذين أفلتوا من قبضة الظلم والإرهاق فلجأوا إلى مصر والعراق والحجاز، يد كبيرة فى إثارة «الرأى العام العربى» على الترك، وتنفيره منهم، وتفهيمه «القضية العربية» على وجهها الصحيح، وفى إعداده للثورة الكبرى والغضبة المضرية العظمى طلباً للثأر والانتقام، كما بكى شعراء العرب وكتابهم فى مصر والعراق والحجاز وأمريكا الشهداء الأبرار، مستنزلين سخط العالم المتمدن على الطغاة الظالمين

ويجب علينا هنا قبل الحديث عن وقائع الثورة وحوادثها أيضاً درس العلاقات التى كانت قائمة بين زعيم الثورة شريف مكة، وبين الاتحاديين الترك قبل الحرب الماضية، فإن هذا الشريف لم يبق فى استطاعته أن يتجنب الاصطدام بالترك، وأن يحجم عن مصارحتهم الشر والعدوان بعد ما وصلت الحالة فى بلاد العرب إلى الدرجة القصوى من الانحطاط والعدوان، رغم اصطناع المودة بينهما، وقد ظل كل فريق يبديها للفريق الآخر حتى اللحظة الأخيرة لظهور نيات الترك واضحة جلية إزاء «الحسين» شريف مكة، وإزاء أولاده أولاً، وإزاء قومه العرب ثانياً، وما كان هؤلاء يضمرون شراً للدولة العثمانية؛ وما كانوا – علم الله – يتمنون زوالها أو الخروج عن طاعتها لولا أنها بادأتهم الشر

والواقع أنه كانت هناك جملة عوامل بعضها شخصى، وبعضها قومى، وبعضها دينى ترغم «الحسين» على التفكير فيما فكر فيه قبله عزيز مصر الخالد «محمد على الكبير» فى العمل على وحدة العرب، وضم شملهم، ولم شعثهم، وتأسيس دولة

إلى المجمع الملكى للغة العربية

للأستاذ نجيب شاهين

أمنية ورجاء

تتناقل صحفنا كلمات ليست من كلام العرب، وأعلاماً لأمكنة تخالف فى صورتها ما كان معروفاً عندهم وما نقله مؤرخوهم لنا، فإذا دام الحال على هذا المنوال لم تمض السنون حتى يرى الخلف لغة لم يعرفها السلف كما طرأ على لُغات أوربا مع فرق. ذلك بأن ما طرأ عليها تجديد، وما يراد إدخاله على لغتنا مسخ وتشويه يذهبان بها بعيداً عن الصورة التى أُنزل القرآن بها. وإليكم بعض الأمثلة فراراً من التطويل:

لا زالت

لا زالت لفظة للدعاء ومدرسو مدارسنا لا يفرقون بينها وبين ما زالت فينشأ الطلاب على هذا الخطأ. وهؤلاء الطلاب هم كتاب صحفنا اليوم. ومن الغريب أن الإذاعات العربية فى الخارج تقع فى هذا الخطأ مؤتمة بمعظم صحفنا وبإذاعتنا

قاصر بدل مقصور

فى كتاب قواعد اللغة العربية الذى كان يدرس فى المدارس ووقف عليه جهابذة اللغة، لفظة قاصر بدلاً من مقصور. ووقع فى هذا الغلط ابن خلدون. ومن غلطاته جمع صناعة على صنائع، وعادة على عوائد دائماً لا يشذ عن هذا. وكلاهما غلط شائع

عربية كبرى لهم، تميد بمجدهم التليد، وعزمهم المجيد. وهذه العوامل نفسها هى التى أهابت « بالحسين » لركوب هذا المركب الخشن، الوعر المسالك، العويص المرامى واضطرته إلى أن ينقض عهده مع الدولة العثمانية، وساقته إلى محالفة بريطانيا العظمى بعد ما عرضت عليه من الشروط الرائعة ما يغرى كل عربى، وأعلنت استعدادها لتنفيذ كل ما يطلبه. فأهم العوامل المباشرة للثورة العربية الكبرى إذن هى:

١ — العامل الشخصى ٣ — العامل القومى

٢ — العامل الإقليمى ٤ — العامل الدينى

وسنتحدث فى مقالنا المقبل عن هذه العوامل مفصلاً فإلى اللقاء

(دمشق) نسيب سعيد المحامى

شؤون

ويكتبونها شئون بالنبرة أو كرسى الياء مع أن ما قبلها مضموم، ولا فرق بينها وبين رؤوس أو رءوس جمع رأس. أنظر كتابتها فى لسان العرب مثلاً، فلماذا نكتب شئون ولا نكتب رئوس. وكنت قد كلمت المرحوم الشيخ الأسكندرى فى ذلك فوافقنى وكتب شؤون بواوين فى مجلة المجمع

جبهة

أى ميدان أو ساحة أو حلبة. وصحافيونا أو صحفيونا بحثوا عن كلمة Front فيما يسمونها القواميس من إنجليزية وفرنسية فوجدوها جبهة، ومعنى جبهة هنا جبين أو مقدم الشىء. وقد استعار القوم الجبهة للميدان فلماذا نتابعهم وعندنا مترادفات كثيرة له

بواسل

كلمة شجعان ما لها؟ ولكن جميع الكُتّاب والمترجمين يقولون بواسل. وبواسل جمع باسلة أو باسل لغير العاقل ومعناه الأسد. وهى خطأ لباسل العاقل إذ لم يسمع جمع فواعل لفاعل العاقل غير ثلاث كلمات وهى فوارس وهوالك ونواكس. ورأيت فى كتب اللغة عواجز جمع عاجز وتوابع جمع تابع أى خادم، ودوارس جمع دارس للعاقل. وفى ذلك تفصيل ليس هذا محله

سمى

لا تجد فى أنباء المواليد فى معظم الصحف سوى قولهم: « ولد لفلان ولد أسماهُ لا سمّاه »، وعند ذكر المصدر يعودون إلى مصدر سمى تسمية لا إلى مصدر أسمى إسماء. وليس فى القرآن سوى سمّى. نعم إن أسمى صحيحة، ولكنها مرجوحة مهجورة حتى صارت كالماتة. وفى القرآن أسماء سميتموها

أفاد بمعنى استفاد

ومثلها أفاد بمعنى استفاد، فلماذا نلجأ إليها مكان استفاد وهى هى الصحيحة والغالبة والمسموعة فى لغتنا السماعية. وفى أفاد بمعنى استفاد أقوال. جاء فى المصباح: « وقالوا استفاد مالاً استفادة وكرهوا أن يقال أفاد الرجل مالاً أى استفاده، وبعض العرب يقوله » انتهى أى أنه لغة فى استفاد ومعنى لغة هنا قليل

وفى الحق أن استعمال أفاد مكان استفاد فيه لبس لا لزوم له إلا إرادة الكاتب للبس وإيهام القارىء .

كبد وتكبد وتكبيد

وكم يقول لنا المترجمون والإذاعة من ورائهم بالطبع كبدنا العدد خسارة ، وتكبد خسارة ، وتكبيده الخسارة ، يريدون حمل وتحمل وتحميل مصدر حمل . فإذا أرادوا تكبد فصحتها كابد . أما تكبد فمعناها نزل فى الكبد كقولنا تكبدت الشمس السموات نزلت فى كبدها أو كبيداتها

تعريب وترجمة

إنما كانت لفظة تعريب بمعنى ترجمة أكثر الغلطات الحديثة شيوعاً حتى على أقلام أشهر الكتاب ، فيقولون لك إنهم عربوا مكان ترجموا ، وتعريب مكان ترجمة ، وإنما يسمون ترجمتهم تعريباً ظناً منهم — وبعض الظن إثم — أن الترجمة « عرة » خلافاً للخليفة أبى جعفر المنصور الذى انتدب بعض أعلام عهده لترجمة بعض الكتب اليونانية فكان ذلك أعظم ما عمله من أعمال النهضة العربية أو « الرينسانس العربى »

غلطات النسبة

يقولون : الألمان بالرفع والنصب والجر ترجمة عن الفرنسية . ودرجت صحفنا إلا واحدة على ذلك بغير مراعاة لقواعد النسبة ، ومع ذلك تراها تقول إيطاليون وإيطاليين لا إيطاليان ولا طليان ، وبريطانيون لا بريطان ، وأمريكيون لا أمريكان . وسمعت ألفاظ الروس والبلغار أو بلغر والترك والعرب والعجم والديلم ولكنها ألفاظ سماعية لا يقاس عليها

شخصية

وفى الإفرنجية لفظة برسوناج أو برسوندج وهى نسبة إلى الشخص ، ويريدون بها شخصاً معروفاً ترجمتها كتب الترجمة التى نسميها قواميس شخصية فتلقف مترجمونا هذه اللفظة وجعلوها بمعنى شخص كبير . فقالوا وحضر الاحتفال كثيرون من الشخصيات البارزة يريدون الأشخاص والشخوص وقديماً قال عمر بن أبى ربيعة :

فكان مجنى دون من كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

والصحيح أن يقال وحضر الاحتفال كثير من الشخوص البارزين أو كثير من الكبراء . أما الشخصية فنسبة إلى الشخص تقول فلان ذو شخصية بارزة مثلاً إذا كان لا بد من هذا القول وإلا فقل كثير من أعلام الرجال

الأعلام

أكثرت الصحف هذه الأيام الكلام عن بحر قزوين ، وهذا الاسم غير معروف لهذا البحر ، بل إن قزوين مدينة فى فارس أو إيران بعيدة عن البحر فى الداخلية ، وسمى الفرنجة البحر كازبيان أو كاسبيان ، ونقلته كتب الجغرافية الأولى فى العربية قزبين . واسمه العربى بحر الخزر أو طبرستان . وفى الخرائط المدرسية هذان الاسمان ، وهكذا ضبطا فى خريطة بلاد العرب القديمة التى وضعها المرحوم أمين بك واصف ووقف عليها المرحوم أحمد زكى باشا .

دهلى لا دلهى

دلهى الإنجليزية هى دهلى العربية وضبطها ابن بطوطة بكسر الدال . وبقى الإنجليز يحرفون سوا كن إلى سواكم حتى عهد قريب ثم عادوا إلى رشدهم . فلتعد صحفنا إلى رشدها فى لفظة دهلى وقد كانت من أعاظم مدائنهم هناك فى القرون الوسطى .

أفريقية لا أفريقا

هكذا وردت فى التواريخ العربية ومنها ابن خلدون لا أفريقيا بالألف ولا أفريقا وزان أمريقا كما تخرج مضخمة من فم مذيعنا الفاضل . ومن شاء أن يكتب أمريكا أو أميركا كاملة ، وأما أفريقية فهكذا كتبت منذ قرون . وعند المجمع العربى السورى أن تكتب الأعلام العربية التى على مثالها بالتاء كلها فيقول فرنسة وانجلطرة وإسبانية وروسية إلى آخر ما هناك .

قبرس

جميع الأعلام اليونانية المعربة تعرب بحرف السين فى آخرها لا الصاد مثل : قبرس وردس وساموس وبطرس وغيرها إلا قبرس وبولس ومرقس فإن بعض الكتاب يحاول كتابتها بالصاد وهذا خطأ ، فقد عربت بالسين فى الأناجيل وفى التواريخ العربية القديمة ورأيت قبرص مرة بالصاد فى ابن خلدون .

الأعلام المعرفة بأل التعريف

وحبذا لو عنى المجمع فوق هذا كله بتوحيد كتابة الأعلام

خـــزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد
للأســتاذ ميخائيل عواد

تمهيـــد

إشتهرت دور الخلفاء بكثرة المرافق ، كالغرف والصحون ، والرَوَاشن ، والحدائق ، والبرك ، والأحـيار لأصناف الحيوان ، والبساتين لأنواع الطيور ، ومواطن الأنس والتنزُّه ، وغيرها

وكانت الخزائن فى طليعة ما تضمه دار الخليفة . وقد كانت متعددة متباينة . فللكتب خزانة ، وللسلاح خزانة ، ومثل ذلك قُلْ عن الـكُسوة والفَرش والسُروج والأُدم والبنود والمال والطعام والشراب والتجمل والجوهر والطيب وغيرها . « وكان الخليفة يمضى إلى موضع من هذه الخزائن ؛ وفى كلّ خزانة دكة عليها طراحة ، ولها فَرّاش يخدمها وينظفها طول السنة وله جارٍ فى كلّ شهرٍ فيطوفها كلها فى السنة »[١]

وأمر هذه الخزائن وما تحويه من مختلف الأشياء مشهور معروف فى كتب التاريخ والأدب ، ولـكن هنالك خزانة نَدُرَ ذكرها بين الخزائن ، أمرها عجيب غريب ، لم نسمع بها إلا فى دار الخلافة العباسية ببغداد . تلكم هى « خزانة الرءوس » !

فلا سلاح فيها ، ولا طعام ، ولا شراب ، ولا لباس ، ولا كتب ؛ بل كل ما فيها رءوس بَشر ، بَدَرت منهم أعمال أدّتْ إلى قطف رءوسهم حين أينعت وإيداعها فى هذا المستقرّ

والظاهر أن هاتيك الخزانة كانت واسعة ، ووُضِعَت فيها الرءوس فى أسفاط من البردى والخيزران ونضدت فى رفوف

فبعد أن يؤتى بالرءوس ، توضع بين يدى الخليفة فيشاهدها هو ورجال دولته ، ثم تُنصَب أياماً على بعض المواطن البارزة من البلد ؛ فيراها الناس وتكون عبرة لمن اعتبر ، وتحطُّ بعد ذلك ، وتسلم إلى الموكل بأمرها فيعمل على إصلاحها وتنظيفها وتفريغ أمخاخها ، ورفع باقى أجزائها المعرَّضة للتلف والفساد ، ثم طليها بالأدوية القابضة الماسكة لضمان بقائها كالصبر والـكافور والصندل ، وإلصاق رقعة صغيرة على كل رأس كُتب عليها اسم صاحبه ، وتاريخ قطافه ، وما جدر ذكره . وقد أُضيفَ إلى بعضهم العبارة التالية : « هذا جزاء من يخون الإمام ويَسْعَى فى فساد دولته » أو « هذا جزاء من عصى مولاه وكفر نعمته »

وقد انفردت هذه الخزانة على مَا بلغنا بوجود يدٍ واحدة ؛ هى اليد اليمنى لأبى علىّ بن مقلة الوزير ، العَـلَم المشار إليه فى حسن الخط . وهو الذى قال فيها بعد قطعها : « قد خدمتُ بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء ، وكتبت بها القرآن دفعتين ، تُقْطَع كما تُقْطع أيدى اللصوص ! »[٢] . فليت

(١) خطط المقريزى (٢ : ٢٥٣ ؛ مطبعة النيل) . وانظر صبح الأعشى (٣ : ٤٧٥ — ٤٧٨) ، وتكملة المعجمات العربيــة لدوزى (١ : ٣٦٩ — ٣٧٠)
R. Dozy: Supplément aux Dictionnaires Arabes (Leyde, 1881)

(٢) تجارب الأمم لمسكويه (٥ : ٣٨٨ ؛ حوادث سنة ٣٢٦ هـ ، طبعة آمدروز)

الإفرنجية المؤنثة المعرفة بأل التعريف وهى كثيرة مثل البرازيل والروسيا والبلجيك والرتينيك والأرجنتين وغيرها مما لم يسمع فى العربية القديمة

طبرق وليبيا

ومن الأعلام التى يصرُّ مذيعنا على التلفظ بها خطأ طبرق فإنه يلفظها بفتح الطاء وكسر الراء وقد نقلها الفرنجة Tobruke واللفظ بالضمتين ، وضبطها أحمد حسنين باشا طبروق بالواو وضبط معها ايبيا بالياء فى كتابه المشهور « فى صحراء ليبيا » وفى ترجمة الإنجيل وردت « ليبيه » بالهاء

هذا بعض من كل أعوذ بالمجمع الـكريم منه فلعله يدبج لنا رسالة فيه وينشرها لزيادة الفائدة ؛ ولا سيما أن هذا العمل من اختصاصه وهو يقطع به قول كل خطيب ويحفظ للغة شخصيتها وينقيها من شوائب دخيل لا حاجة بنا إليه ؛ وفيه فوق ذلك تشويه لها يبعدها عن شخصيتها النقية القديمة ويدنيهـا من شخصيات لغات لا تمت إليها بصلة وتفسد عليها شخصيتها

نجيب شاهين

شعرى ، ألا تكون هذه اليد قد كتبت أيضاً بعض رقاع هذه الرءوس ! وهى الآن حَبِيسَة هذه الخزانة ، شريدة غريبة بين الرءوس ؟

وقد رُتِّبَ لهذه الخزانة غير موكل يقومون بأمرها ومداراتها ، واستقبال الرءوس الجديدة

وما ورد فى التاريخ بصدد الرءوس شىء كثير ، نورد فى مقالنا أهمه وأبرزه

١ — حفظ الرءوس فى خزانة الرءوس

(ا) رأس يلبق ، رأس على بن يلبق ، رأس مؤنس ، رأس بمن الخادم ، رأس ابن زيرك :

كانت سنة ٣٢١ للهجرة مشحونة بالأحداث الجسام التى وقعت فى دولة بنى العباس . وكان بعض النفر من القواد الأعاجم والموالى قد استبدوا بالأمر ، فاضطرب حال المملكة وأمست على شَفَا هَوْلٍ شديد ، وشغب هؤلاء غير مرة وحركوا الجند ، وقر رأيهم أخيراً على خلع القاهر بالله واستخلاف أبى أحمد بن المكتفى ، فعقدوا له الأمر سرًّا . فلما سمع القاهر ذلك أخذ حذره ، وبث لهم العيون حتى صاروا بقبضته ، فاعتقلهم وغلهم بأغلال الحديد ، ثم ذبحهم ذبح الشياه ، وأودع رؤوسهم خزانة الرؤوس على الرسم المتّبع . وإليك خبر هذه الرؤوس عن أوثق المصادر :

قال مسكويه (المتوفى سنة ٤٢١ للهجرة) : « ... ودخل القاهر إلى الموضع الذى كان فيه مؤنس ، ويلبق ، وإبنه معتقلين ، فذُبح علىّ بن يلبق بحضرته ووجه برأسه إلى أبيه ؛ فلما رآه جزع وبكى بكاء عظيماً . ثم ذبح يلبق ووجه برأسه ورأس ابنه إلى مؤنس ، فلما رآهما لعن قاتلهما ، فأمر به فجر إلى البالوعة وذُبح كما تذبح الشاة والقاهر يراه . وأُخرجت الرؤوس الثلاثة فى ثلاث طسات إلى الميدان حتى شاهدها الناس ؛ وطيف برأس علىّ بن يلبق فى جانبى بغداد ، ثم رُدّ إلى دار السلطان[1] وجُعل مع سائر الرؤوس فى خزانة الرؤوس على الرسم »[2]

(١) المراد بـ « دار السلطان » : دار الخلافة العباسية ببغداد

(٢) تجارب الأمم (٥ : ٢٦٧ — ٢٦٨)

وزاد الذهبى صاحب تاريخ الإسلام على ذلك بقوله « ثم ذبح يمن وابن زيرك ، ثم أطلقت أرزاق الجند فسكنوا واستقامت الأمور للقاهر . وعظم فى القلوب ، وزيد فى ألقابه : (المنتقم من أعداء دين الله) ، ونقش ذلك على السكة ، ... قال أبو بكر الصولى فى كتاب الأوراق : حدثنى الراضى ، قال : لما قتل القاهر مؤنساً ويلبق وابن يلبق أنفذ رؤوسهم إلىّ مع الخدم يتهدّدنى بذلك وأنا فى حبسه لأنى كنت فى حجر مؤنس ؛ ففطنت لِمَا أراد وقلت : (ليس إلا مغالطته) فسجدت شكراً لله وأظهرت للخدم من السرور ما حملهم على أن جعلوا التهدد بشارة ، وجعلت أشكره وأدعو له فرجعوا بذلك »[1]

وروى ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠هـ) قصة هؤلاء ثم أضاف إلى ذلك قوله : « ... ومضى حتى دخل على مؤنس فوضعهما بين يديه ، فلما رأى الرأسَيْن تشاهد واسترجع ولعن قاتلهما . فقال القاهر جرّوا برجل الكلب اللمون ؛ فجرّوه وذبحوه وجعلوا رأسه فى طشت ، وأمر وطيف بالرؤوس فى جانبى بغداد ونودى عليها : هذا جزاء من يخون الإمام ويسعى فى فساد دولته . ثم أُعيدت ونُظِّفت وجُعلت فى خزانة الرؤوس كما جرت العادة ... »[2]

وقد نقل إلينا شاهد عيان ، أعنى به ثابت بن سِنان[3] (المتوفى سنة ٣٦٥هـ) خبراً طريفاً عن أحد هذه الرؤوس ، فقال : « حدثنا سلامة الطولونى الحاجب أنه لما أُخرج إليه رأس مؤنس ليصلحه ؛ فرّغ الدماغ منه ووزنه ، فكان ستة أرطال ، وسمعت أنا ذلك من الجفنى وكان حاضره »[4]

(١) تجارب الأمم (٥ : ٢٦٨ ، حاشية « ١ » نقلا عن الذهبى) .

(٢) الكامل فى التاريخ (٨ : ١٩٤ ؛ طبعة تورنبرغ = ٨ : ٨٩ ؛ طبع بولاق)

(٣) ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة ، صاحب كتاب التاريخ ؛ وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين وإلى حين وفاته فى شهور سنة ثلاث وستين وثلثمائة ، وعليه ذيل ابن أخته هلال بن المحسن الصابئ إلى سنة سبع وأربعين وأربعمائة . طالع ترجمته الوافية فى أخبار الحكماء للقفطى (ص ١٠٩ — ١١١ ؛ طبع ليبسك) .

(٤) نقل هذا الخبر مسكويه فى تجارب الأمم (٥ : ٢٦٨) .

(ب) رأس نازوك، رأس أبي الهيجاء بن حمدان

قام هذان القائدان بفتنة كبيرة أدّت إلى خلع المقتدر بالله من الخلافة في يوم السبت النصف من المحرم من سنة ٣١٧ هـ، وتقليد القاهر بالله، ثم رد المقتدر إليها ثانية في يوم الإثنين السابع عشر من المحرم، أي بعد ثلاثة أيام! فكانَ جزاء هذين القائدين القتل ودفع رأسيهما إلى خزانة الرءوس.

وقد تبسط في هذا الحادث التاريخي الخطير جلة من المؤرخين، منهم مسكويه[1]، فما قاله في هذا الشأن أن الرجّالة «وصلوا إليه [إلى نازوك] وقتلوه، وقد كانوا قتلوا قبله عجيباً وصاحوا: مقتدر يا منصور...»، ثم قال: «وصلب الرجّالة نازوك وعجيباً على خشب الستارة التي على شاطئ دجلة...»

وواصل كلامه حتى جاء على خبر أبي الهيجاء إذ قال «... فرماه نمارجويه بسهم أصابه تحت ثديه، وأتبعه بسهم آخر فأصاب ترقوته، ورماه بسهم ثالث وقد اضطرب فشك فخذيه. قال بُشرى: وهو الحاكي لهذه الصورة عن مشاهدة: فقد رأيت أبا الهيجاء وقد ضرب السهم الذي شك فخذيه فقطعه وجذب السهم الذي أصابه تحت ثديه فانتزعه ورمى به، ومضى نحو البيت فسقط قبل أن يصل إليه على وجهه، فأسرع إليه أحد الأسودين فضرب يده اليمنى فقطعها وفيها السيف، وأخذ السيف، وغشيه الأسود الآخر فحز رأسه، فأسرع بعض الخدم فانتزع الرأس من يد الأسود ومضى مبادراً به»

وكان المصير أن «أخرج رأس نازوك ورأس أبي الهيجاء وشهرا في الشوارع، ونودي عليهما: (هذا جزاء من عصى مولاه وكفر نعمته)، وسكن الهيج»، ووردا إلى دار الخلافة وجعلا في خزانة الرءوس

(يتبع) ميخائيل عواد

(١) تجارب الأمم (٥ : ١٩٢ — ١٩٩)

كلمات...

في يوم ٢٩ أكتوبر الماضي أقامت تركيا الجمهورية احتفالات حكومتها ومهرجانات شعبها بعيد الجمهورية والتحرير قبل ثماني عشرة سنة.

وتركيا القديمة كانت «الرجل المريض» المحتضر الذي تتقاسم الدول كبراها وصغراها مخلّفاته وأسلابه. وتتحيّف حدودها وتهزم جيوشها دول كانت ولايات محكومة لها بحد السيف؛ تركيا القديمة التي كان شعبها جاهلاً فقيراً مريضاً منحل الخلق متلاشياً، والتي كانت حكومتها وتاجها وخلافتها شخوصاً لا حول لها ولا قوة؛ تركيا المهيضة الجناح قد استحالت في ثماني عشرة سنة إلى دولة، واستحال شعبها أمة لها عزة ولها كرامة ولها جيش تتحدث صحف العالم به، وأصبحت تركيا الجديدة لها صوت ولها اعتبار وأكثر من اعتبار في معركة السياسة والحرب القائمة، ونحن نعرف ما هي السياسة والحرب القائمة.

***

نحن كانت لنا نهضة قريبة الاتصال الزمني بالنهضة التركية، أو نستطيع مع التواضع أن نقول: كانت لنا هبّة وانتباهة منذ ثلاث وعشرين سنة وكنا نستطيع أن نصل بهذه الهبّة وبداية اليقظة إلى ما استطاعت تركيا أن تصل إليه.

والآن عند ما نذكر نهضة تركيا ويتحدث الناس أو يكتبون عن تركيا الحديثة في هذه الحرب القائمة: حرب الحديد وحرب العقول والأذهان، نذكر زعماء تركيا وقادة جهادها في هذا السبيل، قادتها في بدء نهضتها وفي تسربها وفي بدء شبابها وشرف كفاحها

ونحن كان لنهضتنا زعماء وقادة سنذكرهم بالخير عندما نذكر النهضة المصرية، ولكن يجب علينا أن نتمم ما بدأوه لنصل إلى ما وصل إليه غيرنا من القوة والعظمة

«المعتز»

ذات المنظار الأسود

للأستاذ على الجندى

أقبلتْ على موقف الترام تتخايل فى ملابس الخريف كأنها طاووس !! وقد لاثت على رأسها عمامة رقيقة من لون مِفرضها زادتها فتنة !! وحجبت عينيها النجلاوين بمنظار أسود برّاق تختلج من تحته أهدابها الوُطْف فتمسّ وجنتيها !! فلما رأت العيون تكاد تلتهمها ، ساورتها عزة الحسن وكبرياء الملاحة ، فنصَّتْ جيدَها وطمحت ببصرها إلى السماء كأنها تستشفّ الغيوب ! فقال أحد الظرفاء هامساً :

ما لِمَنْ تمّتْ محاسنُه ... أنْ يعادى لحظَ من نظرا
لكِ أن تُبدى لنا حسَناً ... ولنـا أن نُعمِل البصرا

فأجابه ظريف آخر :

وكنتَ إذا أرسلت طرفَكَ رائداً ... لقلبك يوماً أتعبتْك المناظـرُ
رأيتَ الذى لا كله أنتَ قادرٌ ... عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

قال الظريفان ذلك وقال ثالث :

لَا يَحْجُبُ السِّحْرَ مِنْ عَيْنَيْكِ مِنْظَارُ ... كُلٌّ إِلَيْكِ ـ عَلَى الْمِنْظَارِ ـ نَظَّارُ
مَا زَادَ عَيْنَيْكِ إِلَّا فِتْنَةً ، فَسَلِى ... أَىُّ الْجَوَانِحِ لَمْ تَعْلَقْ بِهَا النَّارُ
قَدْ رَفَّ مِنْ تَحْتِهِ خَدَّاكِ فِى وَهَجٍ ... كَمَا أَضَاءَتْ خِلَالَ الْعُشْبِ أَزْهَارُ
وَشَبَّ[1] لَوْنَكِ حَتَّى قُلْتُ : بَعْضُ دُجًى ... بَاقٍ مِنَ اللَّيْـلِ قَدْ حَفَّتْهُ أَنْوَارُ
أَوْ بَدْرُ تِمٍّ تَمَشَّتْ فَوْقَ صَفْحَتِهِ ... غَمَـامَةٌ بَرْقُهَا اللَّمَّاعُ غَرَّارُ
لَا تَحْسَبِى جَفْنَكِ الْمَكْحُولَ تَمْنَعُهُ ... مِنْ أَنْ يَصُولَ عَلَى الْعُشَّاقِ أَسْتَارُ
السَّيْفُ فِى الْغِمْدِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ ... وَسَيْفُ جَفْنِكِ فِى الْحَالَيْنِ بَتَّارُ
دَعِى عُيُونَكِ تَلْقَانَا بِلَا حُجُبٍ ... فَلِلْعُيُونِ مُنَاجَاةٌ وَأَسْرَارُ
وَلَا تَخَافِى عَلَى الْمُضْنَى لَوَاحِظَهَا ... تَجْرَحُهُ مِنْ عُيُونِ الْعَيْنِ نَغَّارُ
لَوْ لَمْ أُحِلَّ لِمَنْ أَهْوَاهُ سَفْكَ دَمِى ... لَمْ تَبْقَ حَسْنَاءُ إِلَّا وَهْىَ لِى ثَارُ
تِلْكَ السِّهَامُ ـ وَإِنْ أَصْمَتْ ـ مُحَبَّبَةٌ ... كَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَهُ فِى الْقَتْلِ أَوْطَارُ
أَغْرَى بِنَا السُّقْمَ أَنَّا فِى صَبَابَتِنَا ... نُخْفِى الْجَوَى وَالْمُعَنَّى الصَّبُّ صَبَّارُ
نَرَى الدَّوَاءَ وَتَأْبَاهُ مَكَارِمُنَا ... لَا خَيْرَ فِى الْحُبِّ إِنْ شَابَتْهُ أَوْزَارُ

على الجندى

[1] شب لونه : جعله متوقداً زاهياً والفعل متعد



إلى الأستاذ مندور

كتب الأستاذ محمد مندور تعقيباً على كلمتي المنشورة بالعدد ٤٨٦ من الرسالة، فراعني ما في تعقيبه من انحراف عن جادة الحق؛ ووقع في نفسي أن أبيّن له ما انساق إليه من تعسف واجتلاب للنقد. فقد التجأ الكاتب إلى أساليب ملتوية معقدة، يبرّر بها نفسه، وينفي عنه الخطأ، كأنما عزّ عليه أن يسلم بخطأه؛ وهو لو أنصف لعلم أنْ ليس مما يحط من قدره أن يخطئ، وإنما يحط منه أن يُصر على خطأه ويكابر فيه. ولا ريب أن الأستاذ يعرف المثل اللاتيني القائل: إن من طبيعة الإنسان أن يخطئ: « Hominis est errare ». والخطأ كثيراً ما يكون طريق الصواب كما يقول ليبنتز

بيد أن الأستاذ مندور — وقد أُغرم بالسوفسطائية[1] — شاء إلا أن ينهج نهج الميغاريين Mégariques الذين نزعوا منزع السوفسطائيين، فكانوا في جدلهم dialectique لا يرمون إلى معرفة الحق والتوصل إليه، وإنما يهمّ الواحد منهم بشئ واحد فقط؛ هو أن يجعل خصمه ينقطع. ومن أجل هذا رأيناه يتصدّى للرد على كل معترض عليه، ولا يتوخى الحق في هذا الرد، وإنما يهتم بأن ينفي عنه الخطأ، مهما كان في ذلك من التجني على الحق!

لقد قلنا له إن قوله (عثرت به) بمعنى ملاقاته اتفاقاً، ليس تعبيراً عربياً صحيحاً، إذ الصواب أن يقال: (عثرت عليه). فعاد الأستاذ يقول: « فأما عن (عثرت به) فقد قلت إن المعنى الذي أريد التعبير عنه هو العثور بالشيء أي ملاقاته اتفاقاً، ولم أرد « العثور عليه » أي الاطلاع الذي يدل على علم ومعرفة وبحث وجهبذة لا أدعيها ». ولو أنه كلف نفسه عناء البحث في المعاجم اللغوية، لما اضطررنا إلى العودة إلى هذا الموضوع مرة أخرى ... ولكنه يطلق أحكامه إطلاقاً، ولا يستقصي المصادر ليتحقق مما يقول، بل يكتفي بأن يقول في جرأة غريبة: « والذي يدهشني هو تفضل هؤلاء العلماء بلفت نظري إلى مختار الصحاح ودوائر المعارف وتراكيب اللغة الإنجليزية، وهذه كلها مراجع ما كنت أحلم بوجودها». فنحن لم نرتجل أحكامنا ارتجالاً، ولم نطلق أقوالنا اعتباطاً، بل استقصينا المراجع استقصاء شاملاً، ثم أعلنّا من بعدُ نتيجة بحثنا واستقصائنا. وإذا كنا قد أشفقنا على الأستاذ مندور، فكفيناه مؤونة البحث، وعرضنا عليه النتيجة التي توصلنا إليها دون أن نحشد له أقوال أصحاب المعاجم ورجال اللغة، فما ذلك إلا لأننا نعلم علمَ الواثق، أنه يدرك ذلك باعتباره باحثاً قد خبر الحياة العلمية وعرف ما يستلزمه البحث العلمي

ومع ذلك، فإننا نروي للأستاذ مندور فيما يلي ما جاء في المعاجم اللغوية تحت مادة « عثر »: جاء في « لسان العرب »: « عثرَ يعثر عثراً وعثاراً وتعثر كبا ... والعثرة الزلة، ويقال عثر به فرسه فسقط، وتعثر لسانه تلعثم ... وعثر على الأمر يعثر عثراً وعثوراً اطلع وأعثرته عليه أطلعته، وفي التنزيل العزيز: وكذلك أعثرنا عليهم، أي أعثرنا عليهم غيرهم فحذف المفعول، وقال تعالى فإن عُثرَ على أنهما استحقا إثماً، معناه فإن اطُّلِعَ على أنهما قد خانا ... الخ »

وجاء في القاموس المحيط: « والعثور الاطلاع كالعثر، وأعثره أطلعه ... الخ » وجاء في صحاح الجوهري: « العثرة الزلة، وقد عثر في ثوبه يعثر عثارا؛ يقال عثر به فرسه فسقط، وعثر عليه أيضاً يعثر عثراً وعثوراً، أي اطلع عليه. وأعثره عليه غيره أطلعه، ومنه قوله تعالى: وكذلك أعثرنا عليهم...الخ »

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: « ... ومن المجاز: عثر في كلامه وتعثّر. وأقال الله عثرتك. وعثر الزمان به. وجَدٌ عثورٌ ... وعثر على كذا: اطلع عليه. وأعثره على كذا: أطلعه. وأعثره على أصحابه: دلّه عليهم ... إلخ »

وفي أقرب الموارد للشرتوني: « عثر على السر وغيره: اطلع عليه وعلمه. وعثر به فرسه فسقط ومنه يقال عثر جده أي بخته

---

(١) من الغريب أن الأستاذ مندور يسمى الكاتب الكبير الأستاذ العقاد باسم جورجياس المصري! (الرسالة، العدد ٤٧٠). وعندي أن هذا الاسم لا يطابق أحداً سوى الأستاذ مندور نفسه!

تعس وذهب أمره وهلك ... وعثر بهم الزمان : أخنى عليهم ... وأعثر فلاناً على السر وغيره : أطلعه ... إلخ »

فكل هذه المعاجم إذن تتفق فى القول بأن معنى (عثرت عليه) هو اطلعت عليه أو وقفت عليه . ولا يفيد الاطلاع معنى البحث والجهبذة – كما يتوهم الأستاذ مندور – وإنما معناه ملاقاة الشىء والوقوف عليه . لأن أصل الكلمة (اطَّلع) مأخوذ من (طالع) بمعنى نظر كما يقال : أتيت قومى فطالعتهم ، أى نظرت ما عندهم ...

وزيادةً فى تأكيد المعنى وإيضاحه ، أنقل للأستاذ مندور عن المعجم الذى وضعه المستشرق « وليم لين W. Lane » (Lane's Arabic-English Lexicon) ماجاء تحت مادة (عثر) :

" ... And « عثر عليه » ... (He stumbled on it; lighted on it by chance;) he got, or obtained, knowledge of it; or sight and knowledge of it; became acquainted with it; knew it or saw it; accidentally, or without seeking."

فمن هذا يتضح أن العثور على الشىء يفيد معنى ملاقاته اتفاقاً ، حتى أن هناك تعبيراً مشتقاً من هذه الكلمة وهو (عَثَرِىّ) يوضح هذا المعنى بشكل أظهر ، إذ ورد فى لسان العرب : « هو من عَثَرِىّ النخل ، سمى به لأنه لا يحتاج فى سقيه إلى تعب بدالِيَة وغيرها ، كأنه عثر على الماء عثراً بلا عمل من صاحبه » . فالعثور إذن لا يفيد معنى العلم والجهبذة ؛ وهو المعنى الذى شاء تواضع الأستاذ مندور أن ينفيه عن نفسه ، وإنما يفيد معنى الملاقاة العَرَضية التى تتم بغير قصد

وأما (عثر به) بهذا المعنى ، فلم أجدها فى أى معجم من المعاجم التى رجعت إليها ، وأحسب أنها من اختراع الأستاذ الفاضل ، وقد كان موفقاً فى التمثيل لها بعبارة من صوغه فقال : « ... كما يعثر حافر الجواد بأحد الكنوز ... » !

***

بقيت مسألة أحب أن أقف عندها وقفة طويلة ، وتلك هى مسألة الحرية اللغوية التى يدعو إليها الكاتب ، وقد سبق لى أن أشرت إلى هذه المسألة إشارة غامضة ، ولكنى أحب أن أعود إليها فأسهب فى الحديث عنها ، حتى أعرف ماذا يقصد الأستاذ مندور بقوله : « إن مسألة الصحة والخطأ فى اللغات أصبحت مسألة تافهة لا يحرص عليها فى غير مجال التعليم المدرسى » .

وماذا يعنى بقوله : « وإذن فكلام الكرملى وكلام زكريا ابراهيم حذلقة (كذا) تافهة ، ومماحكات لا علاقة لها بمناهج البحث فى اللغات التى لم تعد تقريرية dogmatique فى شىء » ؟

ولما كان المجال لا يتسع هنا للحديث عن هذه المسألة الهامة ، فإنى أرجئ الكلام عنها إلى عدد قادم ، كما أرجئ التعقيب على رأى الأستاذ مندور فى تعريب الأسماء الأعجمية إلى حين يقرأ الأستاذ الفاضل البحث الذى وجهت نظره إليه ، ولعلى يومئذ لا أكون بحاجة إلى التعقيب أصلاً

« مصر الجديدة » زكريا ابراهيم

حول اختلاف القراءات فى القرآن

من المعلوم أن المسلمين على عهد الرسول كانوا يتلقون القرآن منه سماعاً ، ويطوون صدورهم عليه حفظاً وفهماً ، دون ما حاجة منهم إلى النظر فى شىء من آياته مخطوطاً ...

والقراءات التى من أمثالها « فتثبتوا » بدل « فتبينوا » و « وعدها أباه » بدل « وعدها إياه » لا ترجع فى تعليلها إلى اختلاف لهجات العرب – كما يقول صادقاً الأستاذ عبد المتعال الصعيدى – وإنما هى إلى باب التصحيف أقرب ؛ وقد نص على ذلك بعض العلماء كما سنذكره .

والتصحيف كما يحدُّه اللغويون هو : « أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته فى صحيفة ، ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب » ، راجع قولَ السيوطى فى المزهر .

فالتصحيف إذن خطأ منشؤه الوهم ؛ ولا ينبغى أن نتّبعه إلا ريثما نهتدى إلى النطق الصحيح فنعدل إليه ...

والآن يحق لنا أن نتساءل : كيف وقعت هذه التصحيفات على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن حاجة المسلمين

يومئذ ماسةً إلى القراءة فى صحيفة ، استغناء منهم بقراءة الرسول وقراءة أصحابه ممن أجادوا النقل عنه ؟ ... وإذا كانت تلك التصحيفات قد وقعت بعد عهد الرسول ، فكيف راجت وتداولتها ألسن القراء حتى أصبحت من القراءات المعروفة ، مع أنها تصحيف كان ينبغى العدول عنه بمجرد الوقوف عليه ؟ ...

لا نستطيع أن نؤيد الأستاذ عبد المتعال فى قوله : (لعل النبى صلى الله عليه وسلم كان يعين أمثال تلك المواضع ، أو كانت ترد إليه فيقر ما يراه منها) لأن هذا إنما كان يحدث فى المواضع التى تختلف فيها اللهجات ؛ فتُقرأ اللفظة بأكثر من لهجة واحدة تخفيفاً عن مسلمى العرب من مختلف القبائل ، ولا سيما أن المعنى فى كل ذلك واحد لا يتغير . أما أن يحدث هذا فى مثل قوله : وعدها أباه معدولاً بها عن وعدها إياه ، وقوله فتثبتوا بدل فتبينوا ، مما لا يبدو فيه اختلافٌ فى اللهجة مع ثبوت التغير فى المعنى ؛ فذلك أمر يحتاج إلى بحث دقيق وتمحيص واف حتى نعرف من يقين مأتى هذه القراءات وأصل اعتمادها .

ويهمنا هنا أن نقول إنه إذا كان بعض المفسرين يدون هذه الأمثلة من القراءات ، كالزمخشرى صاحب الكشاف ، فإن آخرين من جلة العلماء يعتبرونها تصحيفاً ، كجلال الدين السيوطى صاحب « المزهر » التى أدرج أمثلةً منها ضمن الفصل الذى عقده بعنوان (التصحيف والتحريف) ص ٢٣٠ ج ٢ من كتابه .

قال - نقلاً عن بعض المجاميع - : (صحف حماد بن الزبرقان ثلاثة ألفاظ فى القرآن لو قرئ بها لكانت صواباً ، وذلك أنه حفظ القرآن من مصحف ولم يقرأه على أحد . اللفظ الأول « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه » يريد إياه . والثانى « بل الذين كفروا فى غِرّة وشقاق » والثالث « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يَعْنيه ») انتهى ما أورده السيوطى - ويفهم من العبارة أن هذه الأمثلة لم تكن تعتبر قراءة أصلاً عند عدد من العلماء . فلعل بعض أشياخنا من ذوى التثبت والإلمام بهذا الموضوع ، يدلى لنا برأى يكون فيه الشفاء والاكتفاء ...

(جرجا) محمود عزت عرفة

رابطة العروبة

تكونت فى كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول رابطة باسم (رابطة العروبة) قوامها طلبة الأقطار العربية الملتحقين بالكلية وبعض من طلبتها المصريين العرب

أغراضها :

١ - العمل بكل الطرق المجدية والوسائل الفعالة على تحقيق الوحدة العربية المنشودة

٢ - توثيق صلاة الأخوة والثقافة بين الطلبة المصريين وطلبة الأقطار العربية الشقيقة فى مصر وخارجها

٣ - تنظيم رحلات سنوية إلى سائر البلاد العربية

٤ - الدعوة إلى عقد مؤتمرات دورية لطلبة الجامعات العربية فى مختلف أقطارهم للبحث فى توحيد الثقافة وشتى النواحى والشؤون العربية العامة

٥ - تنظيم محاضرات يلقيها كبار رجال العروبة فى مصر عن كيفية معالجة الأحوال الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد العربية تمهيداً لتحقيق وحدتها

٦ - تنظيم رحلات علمية أسبوعية إلى بلدان القطر المصرى

فمن يود الاشتراك فى هذه الرابطة من طلبة الكلية كأعضاء عاملين أو من غيرها كأعضاء فخريين عليه المبادرة إلى قيد اسمه فى سجل الرابطة الموجود مع القائم بأعمالها الطالب « منيب الماضى » بكلية الحقوق

حكم فى القضية رقم ٧٠٦ جنح عسكرية طنطا سنة ١٩٤٢ ضد عبد الوهاب السيد الهوارى بتسليمه إلى والده لامتناعه عن بيع السكر بالسعر المحدد بجلسة ٢٣-٢-١٩٤٢

حكم فى القضية رقم ٩٤٠ سنة ١٩٤٢ عسكرية بنى سويف بتغريم مخالى ميخاليدس بقال بببا خمسة جنيهات لعرضه مشروبات روحية دون أن تكون لديه شهادة تدل على مصدرها

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين - عابدين)

10me Année No. 490

Lundi - 23 - 11 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٩٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ ذو القعدة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٣ نوفبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

١٩٠٢٦

٢ — دفاع عن البلاغة

البلاغة بين الطبع والصنعة

البلاغة كسائر الفنون طبيعة موهوبة لا صناعة مكسوبة. فمن حاول أن ينالها باعداد الآلة وإدمان المزاولة وطول العلاج وهو لا يجد أصلها فى فطرته، أضاع جهده ووقته فيما لا رجْع منه ولا طائل فيه. قال أبو العباس المبرد: « إنه ليس أحد فى الخافقين من يختلج فى نفسه مسألة مشكلة إلا لقيني بها وأعدنى لها؛ فأنا عالم ومتعلم وحافظ ودارس لا يخفى علىَّ مشتبه من الشعر والنحو والخطب والرسائل، ولربما احتجت إلى اعتذار عن فلتة، أو التماس حاجة، فأجعل المعنى الذى أقصده نُصب عينى، ثم لا أجد سبيلاً إلى التعبير عنه بيد ولا لسان. ولقد بلغنى أن عبيد الله ابن سليمان ذكرنى بجميل فحاولت أن أكتب إليه رقعة أشكره فيها، فأتعبت نفسى يوماً فى ذلك فلم أقدر على ما أرتضيه منها. وكنت أحاول الإفصاح عما فى ضميرى فينصرف لسانى إلى غيره » ذلك اعتراف صادق من أبى العباس يَقصد به توجيه الحائر إلى التوفر على ما يحسن، وتنبيه المغرور إلى الانصراف عما يسيء.

الناس كلهم يتكلمون ولكنهم ليسوا جميعاً خطباء؛ والمتعلمون كلهم يكتبون ولكنهم لا يستطيعون أن يكونوا كلهم بلغاء؛ والرسم مادة مقررة فى مدارس الدنيا ولكنها لا تخرج

فى كل حقبة غير رفائيل واحد . والموسيقيون ألوف فى كل أمة ، ولكن الذين يستطيعون أن يؤلفوا رواية غنائية نفر قليل .

والمعضل من الأمر تعرُّف الطبع الأدبى فى صاحبه إبان التنشئة ، فقد تكمن العبقرية فى الفنان حتى يبلغ الأربعين ، كما حدث للنابغة الذبيانى فى الشعر ، ولجان جاك روسو فى الكتابة . وقد يجرُّ كون الطبع فى سن التوجيه إلى الخطأ فى استغلال المواهب ، فيتعلم المرء علماً أو يعمل عملاً وهو بطبعه مخلوق لغيره ؛ فبيير لوتى خُلق أديباً كاتباً ولكنه دُفع إلى البِحارة[1] ؛ وعلى طه خلق أديباً شاعراً ولكنه دفع إلى الهندسة ، وحافظ عفيفى خلق مصلحاً اجتماعياً ولكنه دفع إلى الطب ؛ فلو أن هؤلاء العباقرة نُشِّئوا على مقتضى الطبع والاستعداد منذ الحداثة لكان نبوغهم أتم ونفعهم أعم ونتاجهم أوفر

وقد يُخدع المرء عن طبعه فيظن نفسه كاتباً وهو معلم ، أو فيلسوفاً وهو صوفى ، أو مؤرخاً وهو صحفى ، أو شاعراً وهو عروضى ، أو ناقداً وهو هجاء ، أو قصصياً وهو حكاء ، أو وصافاً وهو محلل

وللخيال إذا امتد سراب يخدع الظمآن إلى المجد والشهرة ؛ فقد يستهوى الناشئ وميض الهالة من حول العبقرية الفنانة فيسول له الغرور أن يقرض الشعر ، أو يقص القَصص ، أو يدير الحوار ، أو ينشئ المقالة ، فينبهر[2] فى أول الشوط وينبتُّ فى بداية الطريق .

قد تحب الأدب ككل إنسان ؛ ولكن حبك الشئ ليس دليلاً على قوة استعدادك له ، فقد يكون ذلك من تأثير البيئة وتغرير الخلاط . وربما كانت نقائص المرء أحب خلاله إلى نفسه ؛ فالإمام مالك بن أنس دفعته بيئة المدينة اللاهية إلى أن يتتبع فى صباه المغنين يأخذ عنهم حتى صرفته أمه عن الغناء إلى الفقه فصار فيه إمام الأئمة

* * *

على أن الطبع والقريحة لا يغنيان فى البلاغة عن الفن . وربما كان فيهما ذلك الغَناء فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام حين كانت الأهواء صادقة والأخلاق صريحة والحياة بسيطة ؛ أما وقد زُيِّف الصادق وشِيب الصريح ورُكِّب البسيط ، فلا بد من حذق الصناعة وهدى القواعد لمعالجة ذلك ، كالمسايفة[1] ، كانت فى أول أمرها سهلة يستعمل فيها السائف سيفه كما يستعمل الواكز يده ؛ فلما كثرت فيها الحيل وتعددت الوجوه أصبحت فنًّا له قواعد وأصول لا بد أن يراعيها المسايف وإلا هلك . وإذا كانت القواعد هى النتائج التى استنبطتها الأذهان القوية من وسائل الطبيعة وطرقها على طول القرون ، فإن الشأن فى البلاغة يجب أن يكون هو الشأن فى سائر الفنون التى اخترعتها الغريزة وأصلحتها التجربة ورقاها المران

فعلم البيان إذن هو الجزء النظرى من فن الإقناع والبلاغة هى الجزء العملى منه : هو ينهج الطرق وهى تسلكها ، وهو يعين الوسائل وهى تملكها ، وهو يرشد إلى الينبوع وهى تغترف منه

إن القواعد البيانية لم يضعها الواضعون إلا بعد أن رجعوا إلى أصول الأشياء ودرسوا علاقتها بالنفس والحس ، وعرفوا نتائج هذه العلائق من الألم واللذة ، ثم استخلصوا من تجارب العصور المستنيرة النتائج الصحيحة ، ثم صاغوها قواعد وقالوا إنها أمثل الطرق لإحسان العمل دون أن يخضعوا قريحتك لها ، ولا أن يسمحوا لهواك بالخروج عنها ، فإن بين الاستبداد والفوضى نظاماً هو أحق أن يؤثر ويتبع

كذلك الذوق — وهو أداة الجمال كما أن العقل أداة الحق — لا يمكن أن يكون بغير القواعد طريقاً مأمونة إلى عمل من أعمال الأدب ؛ فإنه موهبة طبيعية تختلف فى الناس وفى الأجناس ، وتحتاج إلى المران بالدرس والعادة ، وليس له ما للعقل من سلطان واطمئنان وثبوت . وإنك لتجد فى الناس العقل المطلق المستقل الذى لا يختلف ولا يتغير ، لأن هناك حقيقة مستقلة تتميز بالوضوح والخلوص ؛ ولكنك لا تجد مهما استقصيت واستقريت ذلك الذوق المطلق المستقل الذى لا يختلف باختلاف الألوان والأزمان والأمكنة . وفى الأقوال المأثورة : لا جدال فى الذوق . لذلك لا نستطيع أن نطلقه فى الأدب حتى لا تكون الفوضى ، ولا نقيده بالقواعد حتى لا يكون الجمود .

« للكلام بقية »

احمد حسن الزيات

(١) البحارة : مصدر لا يأباه القياس وضمناه ليؤدى معنى العمل فى الأسطول الحربى ، وهو معنى جديد لا يؤديه لفظ الملاحة

(٢) انبهر : انقطع نفسه وتتابع من الاعياء

(١) المسايفة : تضارب القوم بالسيوف

مسابقة الأدب العربى لطلبة السنة التوجيهية

١ – الشـــوقيات

للدكتور زكى مبارك

تمهيد — تأريخ القصائد — من كل فاكهة زوجان : عواطف فرنسية وتركية ومصرية ولبنانية وأموية — مصرية شوقى — حكاية المستر روزفلت أول دكتور من الجامعة المصرية — قصيدة أنس الوجود — دفاع شوقى عن الوثنية المصرية

تمهيد

المقرر من الشوقيات لهذا العام هو الجزء الثانى ، وسنتحدث عنه فى مقالين اثنين مراعاةً للوقت ، فأمامنا مؤلفات ستنتهب المدة التى تسبق ميعاد الامتحان .

من أهم أبواب هذا الجزء باب النسيب ، ومن أهم قصائده قصيدة « يا ناعم الطلح » ، ولن أتكلم عن هذه القصيدة ولا عن ذلك الباب ، لأنى أكره أن أنشر فى مجلة الرسالة بحثاً نشرته من قبل ، وأنا تكلمت بالتفصيل عن نونية شوقى فى الطبعة الثانية من كتاب « المُوازنة بين الشعراء » وتكلمت عن غزليات شوقى بالتفصيل فى الطبعة الثانية من كتاب « البدائع » ، فليرجع المتسابقون إلى هذين الكتابين فى هذين الغرضين

وهذا إعلانٌ عن مؤلفاتى أنشره فى « الرسالة » بالمجان ! !

تأريخ القصائد

شوقى لم يؤرخ قصائده جميعاً ، ولو أنه فعل لأعفى النقد الأدبى من التعب فى تعقب أسباب الضعف والقوة فى شاعريته العصماء . والظاهر أن وضوح التواريخ أمام عينيه أوهمه أن الناس لن يحتاجوا عند النظر فى قصائده إلى تأريخ . والأمر كان كذلك بالفعل ، فقد كنت أعرف المناسبات التى قيلت فيها تلك القصائد ، ثم طغت الشواغل فأنستنى ما لم أكن أحب أن أنساه . ولعل أبناء شوقى يلاحظون هذا المعنى فيذكروا جميع التواريخ فى الطبعة الثانية

أقدم القصائد المؤرَّخة قصيدة « طابع البريد » فى العاشر من سبتمبر سنة ١٩٠٠ ، وتليها أبياته فى وصف معرض الأزهار والثمار فى باريس سنة ١٩٠١ ، ثم وصف المرقص الذى أقيم فى قصر عابدين سنة ١٩٠٣ ، والمرقص الذى تلاه فى سنة ١٩٠٤

وهذه القصائد لا ترتق إلى منزلة القصائد التى نظمها بعد أن استحصَدت قواه الشعرية ، ولكنها مع ذلك تشهد بأن شوقى فُطِر منذ البداية على إجادة الغناء .

من كل فاكهة زوجان

فى هذا الجزء نرى قصائد فرنسية وقصائد تركية وقصائد مصرية وقصائد سورية ولبنانية ، قصائد وصف بها عواطفه الصحاح نحو فرنسا وتركيا ومصر وسورية ولبنان ، قصائد تقيم أصح البراهين على أن شوقى أحب جميع ما عرف من البلاد ، وأنِس إلى أكثر من عرف من الناس

وهنالك ظاهرة يجب النص على تفسيرها الصحيح ، وهى إفراط شوقى فى أُخريات أيامه على الإشادة بمحاسن الشام ولبنان فما تفسير هذه الظاهرة النفسية ؟

كان شوقى لا يحب إلا من يروى شعره ، وكان هواه مقصوراً على من يؤمنون بأنه أشعر الناس . وقد وجد فى سورية ولبنان جماعات كثيرة تعرف من سرائر شعره أكثر مما يعرف ، وتذهب فى تمجيده إلى آفاق لا يطيف بها الخيال

وهل أسرفُ إذا قلتُ إن تلطف شوقى فى الحديث عن المسيحية يرجع إلى مراعاة عشاق شعره من النصارى العرب ؟

الإسلام يحكم بكفر من يتطاول على المسيح ، ولكنه لا يفرض على المسلم أن يتغنَّى بمجد المسيح ، فكيف جاز لشوقى أن يجعل الثناء على المسيحية من أغراضه الشعرية ؟

السبب هو ما أقول ، هو أن شوقى وجد فى نصارى لبنان رجالاً يؤمنون بأدبه الرفيع ، فجازاهم وفاء بوفاء ، وقال فى المسيح كلاماً يُقرّه أدب القرآن ، وهل وُصف المسيح بأفضل مما وصفه القرآن ؟

كان شوقى ينعطف من لبنان إلى سورية بروحانية قليلة الأمثال :

خلَّفتُ لبنان جنات النعيم وما ... نُبِّئتُ أن طريق الخلد لبنانُ
حتى انحدرتُ إلى فيحاء وارفةٍ ... فيها الندى وبها « طىٌّ » و « شيبان »
نزلتُ فيها بفتيان جحاجحةٍ ... آباؤهم فى شباب الدهر غسانُ
بيض الأسرة باقٍ فيهمُ صَيَدٌ ... من « عبد شمسٍ » وإن لم تبق تيجانُ
يا فتية الشام شكراً لا انقضاء له ... لو أن إحسانكم يجزيه شكرانُ
ما فوق راحاتكم يوم السماح يدٌ ... ولا كأوطانكم فى البِشر أوطان

فما هو الكرم الذي أضفاه الشاميون على شوقي ، وكان أغنى الناس عن سخاء الأسخياء ؟

هو الكرم الذي وصفه في قصيدة ثانية حين قال :

رُواة قصائدي ، فاعجب لشعرٍ ... بكل محلةٍ يرويه خَلْقُ

والواضح مما قرأت وما سمعت أن شوقي لم يذق طعم النعيم إلا في سورية ولبنان ، فقد كان في أبناء تلك البلاد الجيلة من يُسمع شوقي آلاف الأبيات من شعره في اليوم الواحد ، وكان فيهم من يُسمعه قصائد غابت عن وعيه الدقيق . وكان شوقي يتلقى تلك التحيات بالبكاء . ولبكائه هنالك صورة يتحدث عنها الشاعر أمين نخلة ، إن صحت رواية الأستاذ صلاح الأسير

وحبّ شوقي للشام هو الذي جعل عواطفه أموية :

بنو أميــة للأنباء ما فتَحوا ... وللأحاديث ما سادوا وما دانوا
كانوا ملوكاً سريرُ الشرق تحتهمُ ... فهل سألت سريرَ الغرب ما كانوا
عالين كالشمس في أطراف دولتها ... في كل ناحية مُلكٌ وسلطانُ
يا وَيحَ قلبي مهما انتاب أرسمهم ... سرى به الهمّ أو عادته أشجان
بالأمس قمت على (الزهراء) أندبهم ... واليوم دمعي على (الفيحاء) هتّان
في الأرض منهم سماواتٌ وألويةٌ ... ونيّراتٌ وأنواءٌ وعِقبان
معادن العزّ قد مال الرّغام بهم ... لو هان في تُربه الإبريزُ ما هانوا
لولا دمشقُ لما كانت طُلَيطلةٌ ... ولا زهت ببني العباس بغدانُ
مررتُ بالمسجد المحزون أسألهُ ... هل في المصلّى أو المحراب « مروانُ »
تغيّر المسجد المحزون واختلفت ... على المنابر أحرارٌ وعبدان
فلا الأذان أذانٌ في منارته ... إذا تعالى ولا الآذان آذان

ومع هذا لم ينس شوقي حق العلويين فتحدث عنهم في مواطن كثيرة ، أشهرها الموطن الذي اختلقه اختلاقاً في مسرحية « مجنون ليلى » ، إن صدقنا افتراض الدكتور طه حسين

وخلاصة القول أن عواطف شوقي منوّعة الأصول والفروع فقد سما بنفسه عن الشعوبية ، ورأى أن يكون شعره ميراث الشرق على ما فيه من اختلاف النوازع والميول :

كان شعري الغناء في فرح الشر ... ق وكان العزاء في أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجر ... ح وأن نلتقي على أشجانه
كلما أنّ بالعراق جريحٌ ... لمس الشرق جنبه في عمانه
وعلينا كما عليكم حديدٌ ... تتنزّى الليوثُ في قضبانه
نحن في الفكر بالديار سواءٌ ... كلنا مشفقٌ على أوطانه

مصرية شوقي

وبرغم هذا التنوع في العواطف كان شوقي شاعر القومية المصرية ، ولعله أول شاعر جعل من همه وصف مصر في أحلامها وأهوائها وأمانيها بما هي له أهل ، وأول شاعر ذاق ما في مصر من قرارة النعيم والبؤس ، وإن كان شفى ما في نفسه حين قال في غمز الحكومة التي سمحت بنفيه في أوائل الحرب الماضية : « وطنٌ توالت عليه حكومات وحكومات ، تقول فتجدُّ وتعمل فتهزل ، ولا تحسن من ضروب الإصلاح إلا أن تولى وتعزِل »(1)

مقالة المستر روزفلت

هو الرئيس الأسبق للولايات المتحدة ، لا رئيسها الحاضر ، وكان زار مصر في سنة ١٩١١ ، أو قريباً من ذلك ، فما يتسع وقتي لتحديد التاريخ

والظاهر أن روزفلت السابق فاه عند زيارة السودان بكلام لا يرتضيه المصريون ، فردّ عليه الشيخ علي يوسف في جريدة المؤيد بمقال كان آية في البيان ، ثم اندفع شوقي فحاوره بأسلوب غير ذلك الأسلوب ، اندفع فحدثه عن عظمة مصر الممثّلة في « قصر أنس الوجود »

أيها المنتحي بأُسوان داراً ... كالثريا تريد أن تنقضّا
اخلع النعل واخفض الطرف واخشعْ ... لا تُحاولْ من آية الدهر غضّا

وهي قصيدة نفيسة المعاني ، وقد يُسأل عنها الطلبة في الامتحان لأنها من عيون الشوقيات

أول دكتور من الجامعة المصرية

هو المستر روزفلت ، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة ، فقد مُنح الدكتوراه الفخرية ، وكان ذلك أول لقب منحته الجامعة المصرية ، فاعترض « الغزالي أباظة » على صفحات إحدى الجرائد ، وكانت حجته أنه أولى بذلك اللقب ، لأنه يستطيع أن يُغضب المصريين بأكثر مما يستطيع أن يغضبهم أي مخلوق !

والغزالي أباظة هو الأستاذ دسوقي بك أباظة ، الوزير السابق لوزارة الشؤون الاجتماعية ، فهل يذكر ذلك التاريخ ؟ !

قصيدة النيل

هي قافية في ١٥٣ بيت ، أرسلها إلى المستشرق مرجوليوث

(1) ومع هذا لا ننسى مكانة شاعرنا حافظ في وصف ألوان الحياة المصرية

مع مقدمة نثرية قلقة الأسجاع ، قصيدة يرجع عهدها فيما أفترض إلى أيام حرب البلقان ، فهى إذاً من غرر شعره القديم . وليس من العدل أن نجارى الأستاذ المازنى فى القول بأن شاعرية شوقى لم تتفتح إلا بعد النفى ، فأنا أرى أن قصيدة « الأندلس الجديدة » التى قالها بمناسبة سقوط أدرنة فى سنة ١٩١٢ لا تقل جودة عن أبرع ما جاد به خاطره فى النفى وبعد النفى .... والحق أن شوقى نضج فى وقت مبكر ، فقصيدته التى قالها فى المؤتمر الشرقى بمدينة جنيف سنة ١٨٩٤ تعد من القصائد الجياد ، وهى الباكورة التى بشرت بأن سيكون له مقام بين شعراء القصص التاريخى [١]

ونرجع إلى قصيدة النيل فنقول :

أراد شوقى بهذه القصيدة تمجيد العنصرية المصرية ممثلة فى النيل السعيد ، وقد رحب الشاعر بالألفاظ الجارية على ألسنة الفلاحين فى أعمال السقى والغرس والحصاد . وطاف به الخيال حول عهود التاريخ ، فشرح ما مر بهذه البلاد من عقائد وديانات ، شرحها برفق ، لأنه لم يرد النقد وإنما أراد التسجيل . ولو شئت لقلت إنه اعتذر عن ظلم الفراعين ، فقد عد إرهاقهم للشعب فى بناء الهياكل باباً من المجد المرموق

هى من بناء الظلم إلا أنه … يبيض وجه الظلم منه ويشرق
لم يرهق الأمم الملوك بمثلها … مجداً لهم يبقى وذكراً يعبق

ويرى الشاعر أن الأرض والسماء لا تبيدان إلا برجفة « القيامة » ، أما « قيامة » مصر فهى جفاف النيل الذى خاطبه الشاعر فقال :

من أى عهد فى القرى تتدفق … وبأى كف فى المدائن تغدق
ومن السماء نزلت أم فجرت من … عليا الجنان جداولاً تترقرق
وبأى عين أم بأية مزنة … أم أى طوفان تفيض وتفهق
وبأى نول أنت ناسج بردة … للضفتين جديدها لا يخلق
تسود ديباجاً إذا فارقتها … فإذا حضرت اخضوضر الإستبرق
فى كل آونة تبدل صبغة … عجباً وأنت الصابغ المتأنق
أتت الدهور عليك مهدك مترع … وحياضك الشرق الشهية دفق
تسقى وتطعم لا إناؤك ضائق … بالواردين ولا خوانك ينفق
والماء تسكبه فيسبك عسجداً … والأرض تغرقها فيحيا المغرق

ونظر الشاعر فرأى الوثنية المصرية تأمر بعبادة النيل ، فشاء له الأدب أن يوجه تلك العبادة توجيهاً يرفع عنها إصر الشرك بواجب الوجود :

دين الأوائل فيك دين مروءة … لم لا يؤله من يقوت ويرزق
لو أن مخلوقاً يؤله لم تكن … لسواك مرتبة الألوهة تخلق
جعلوا الهوى لك والوقار عبادة … إن العبادة خشية وتعلق

ثم نظر الشاعر فرأى أن المصريين القدماء كانوا يهتمون ببناء القبور أضعاف ما يهتمون ببناء البيوت ، فاتخذ من ذلك دليلاً على حبهم للخلود :

بلغوا الحقيقة من حياة علمها … حجب مكشفة وسر مغلق
وتبينوا معنى الوجود فلم يروا … دون الخلود سعادة تتحقق
يبنون للدنيا كما تبنى لهم … خرباً غراب البين فيها ينعق
فقصورهم كوخ وبيت بداوة … وقبورهم صرح أشم وجوسق

ولم يفكر الشاعر فى تفنيد خرافة « عروس النيل » وإنما جعلها حقيقة شعرية حين قال :

ونجيبة بين الطفولة والصبا … عذراء تشربها القلوب وتعلق
كان الزفاف إليك غاية حظها … والحظ إن بلغ النهاية موبق
لاقيت أعراساً ولاقت مأتماً … كالشيخ ينعم بالفتاة وتزهق

إلى آخر ما قال فى هذا المعنى الدقيق . وقد اعتذر عن أسطورة « أبيس » فجعلها نوعاً من الوفاء للدين :

قوم وقار الدين فى أخلاقهم … والشعب ما يعتاد أو يتخلق

ولم يفت الشاعر أن يسجل فى أبيات كريمة أن مصر التى كانت موئلاً للديانة الفرعونية هى مصر التى آوت الديانة الموسوية والديانة العيسوية والديانة المحمدية ، ولم يفته أيضاً أن ينص على عدالة عمرو بن العاص الذى ضرب ابنه بالسوط حين سمع أنه أهان أحد الأقباط ، وقال فى ذلك كلمته التاريخية : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً »

ثم ماذا ؟

ثم يختم شوقى قصيدة النيل بأبيات تفسر معنى الوطنية ، فالناس عنده يحبون الوطن لأنه مصدر سعادتهم ، ولأنه المستقر الأمين لأبنائهم :

مما يحملنا الهوى لك أفرخ … سنطير عنها وهى عندك ترزق
تهفو إليهم فى التراب قلوبنا … وتكاد فيه بغير عرق تخفق
ترجى لهم ، والله جل جلاله … منا ومنك بهم أبر وأرفق

زكى مبارك

(١) من المحتمل أن يكون شوقى نقح هذه القصيدة فيما بعد ، وهذا لا ينقص من كفايته الشعرية قيما قبل

الملك الظـــاهر

زيارة ضريحه بدمشق

للأستاذ أبى أســامة

وتضحك منى شيخة عبشمية ... كأن لم ترى قبلى أسيراً يمانيًا

قلت : مهلاً فإنى أتحدر من تاريخ طويل من المجد والبطولة ؛ وليس فى وسعنا نحن أبناء هذا الجيل الزاحف أن ننساه أو نغض الطرف عنه ، بل إنى لأشعر بالفخر يملأ نفسى ، نعم لأنى أشعر بالبطولة تملأ جوانب تاريخى

قال : ومن هم أبطالك ؟

قلت : كنجوم السماء لا نملك لهم عدًّا

قال : حدثنا عن النفس القوية عندكم التى لا تربط حظها بما تؤمله من مساعدة الغير لها ، ولا تعتمد على أهواء الناس وآرائهم وأحكامهم ، وإنما تعتمد على عملها وحده الذى يخلق لها الحظ الذى تستحقه والذى هو جدير بها

قلت : اخترت الملك الظاهر بيبرس ، إذ هو فى نظرى من أولئك الذين يعتمدون على القوة الكامنة فى شخصيتهم ، بل من الذين اتخذوا من أنفسهم قوة منظمة مدركة للعوامل المحيطة بهم ، فوضع كل عامل فى مركزه الخاص به ، ثم جمعها وحشدها ووزعها ، فاستعملها للوصول إلى الأهداف التى قصد تحقيقها ، وكان النصر حليفه وطوع بنانه

قال : آتنا من بعض أخباره

قلت : لست بمؤرخ ، وإنما سأحاول أن أرسم التاريخ وأخرجه صورة حية :

نحن فى سيارة من بيروت إلى دمشق ومعى صديق ، وكان ذلك فى صيف ١٩٤٢ ، فإذا أنا أرتل قول القائل :

لئن عاينت عيناى أعلام جلق ... وبان من القصر المشيد قبابه[1]

تيقنت أن البين قد بان والنوى ... نأى شحطها والعيش عاد شبابه

هذه دمشق قد بدت تطل بوادرها عليك من وراء عقبة دمر ، فإذا بالمرجة الخضراء تغمرك بروحها كما تغمر الأرض مياه بردى المندفعة ، فتشعر بأنك تدخل عالماً لم يكن غريباً عنك فى يوم من أيام حياتك

بدأت أستعرض ذكريات التاريخ الذى هو جزء منا ، وأتحدث عنها ، ودمشق عاصمة وثغر ورباط للعلم وموئل للعز التالد وللمجد القادم ، كلما دخلتها شعرت بأن مصر تعيش فى دمشق ، كما أشعر فى القاهرة بأن الشام تعيش بمصر . أنظر إلى مساجد العاصمتين : تجد وحدة البناء والزخرفة ، ووحدة التفكير والروح . أنظر إلى مأذنة الجامع الأموى الواقعة على يمين مدخله ، ألا تذكرك بمآذن الأزهر بالقاهرة ؟ وانظر إلى مأذنتى النورى وقايتباى بمصر ، ألا تذكرك بمآذن الشام ؟

وأذكر أننى خرجت يوماً من الجامع الكبير فوقفت على قبر صلاح الدين وواصلت سيرى إلى المجمع العلمى ومنه اتجهت إلى الظاهرية ، فإذا أنا أمام ما سطرته يد الزمن السالف الغابر لأقرأ ما يأتى :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإنشاء هذه التربة المباركة والمدرستين المعمورتين المولى السلطان الملك السعيد أبو المعالى محمد بركة بن السلطان الشهيد الملك الظاهر والمجاهد ركن الدين أبو الفتوح بيبرس الصالحى أنشأها لدفن والده الشهيد وألحق به عن قريب فاحتوى الضريح على ملكين عظيمين ظاهر وسعيد . أمر بإتمام عملها السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه »

هذه دار العقيقى من رجال الدولة الفاطمية المصرية ، بنيت منذ تسعة قرون ولا تزال حجارتها العتيقة ظاهرة وفاصل البناء نفسه بين القديم وما استجد فى أيام السعيد . ارجع إلى مدخل الظاهرية وانظر إلى جمال الباب وتناسقه وإلى المقرنصات بسقفه ، إنه لتحفة من ربازة القرن السابع الهجرى فإذا اخترقت الباب فاتجه يميناً إلى القبة

هنا ضريح الملكين الشهيدين تحت قبة قد ازدانت جدرانها بالفسيفساء قلد راسمها جدران المسجد الأموى ورسومه ، فإذا اتجهت إلى المحراب تجده تحفة أخرى من زخرفة هذا العصر يمتاز

---

(١) هو الملك الناصر أبو المظفر داوود صاحب الكرك — راجع النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٦٢ توفى سنة ٦٥٦

بالصدف الملبس فى أعلاه وجوانبه فجاء كإطار ركب حول العمودين. اقرأ الآية التى كتبت على اليمين: « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله » وعلى اليسار: « وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » أما ما تحت الفسيفساء من الجدران فقد ركب عليه الرخام المجزع، اختلف صديقان لى فى أصله أهو من الشرق أم من الغرب.

ووقفت أمام هذا الضريح وقد غمرتنى نفحة فانتبهت أمام رهبة الراقد كأنى أتاقى الأمر ممن كانت بيده مقاليد آلاف الرجال وأعنة آلاف الخيل، وأحنيت رأسى احتراماً وإجلالاً إذ هنا الملك الظاهر من كان اسمه يدوى فى أرجاء ممالك ثلاث قارات من العالم المعروف فى عصره. ومرت أمامى أدوار البطولة والمجد التى أوحتها إلى هذه البقعة الطاهرة

قد مر بمخيلتى فى تلك اللحظة لفتة من الدهر تملأها الثقة بالنفس وتمثل الإرادة القوية أنشرها لاعتقادى ووثوق فى أن الأمة التى تحترم نفسها هى التى تشيد بأبطالها، وحينئذ تستحق احترام العالم المتمدين وتقديره لها.

***

كان عصر الظاهر عصراً فذاً فى التاريخ ماجت فيه الأمم والشعوب والجماعات، وتمخضت أيامه بالحوادث الجسام والمعارك الكبرى، وقذفت فيه الأقدار بقوات هائلة من الخير والشر معاً؛ وكان هذا الركن من العالم الذى نعيش فيه الآن، يواجه أشد الأخطار ويمتحن بأقوى المحن التى مرت فى تاريخه — فهو لم يكن قد أفاق بعد من النكبة الكبرى والصدمة المروعة التى أصابته فى بغداد يوم استباحها هولاكو سنة ٦٥٦ وكان صدى استشهاد الخليفة العباسى لا يزال يهز النفوس ويدوى فى الدنيا

كانت النكبات تتوالى من ذات اليمين وذات الشمال؛ وهذا العالم العربى يعانى الشدة أثر الشدة ويقارع ويكافح ضد الفناء أمام قوات تفوق طاقته وقد انسابت عليه من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق، والناس فى دهش يتساءلون أأذنت الساعة؟ أم استعجلهم ربهم بالعذاب؟ « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض، أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون » [قرآن كريم: الأنعام]

إن ما أصاب الشرق العربى فى ذلك العصر الرهيب كان من قبيل الانقلابات الأرضية التى تثيرها عوامل الطبيعة فتدك الأرض دكا وتهبط على أثرها المحيطات وتظهر بعدها القارات، أو كأعاصير هائلة فيها برق ورعد وظلمات، ثم يعقبها طوفان يأتى على الأخضر واليابس ويهدم أحسن ما بناه الإنسان وما أخرجه العقل البشرى. كان هذا حال أجدادنا فى القرن السابع الهجرى حينما قذفت عليهم الأقدار بتيارات متعاقبة من جماعات البشر تهاجمهم فى عقر ديارهم فتخرجهم منها، وتنتزع من أيديهم فلذة أكبادهم وتهدم وتحرق وتخرب وهم لا يستطيعون لها دفعاً إلا بقدر ما فى أيديهم من قوة وصبر

فى وسط هذا الوقت العصيب والليل المدلهم سطع فى السماء نجم الظاهر، وظهرت على مسرح شرقنا شخصيته الجبارة فقال عنه المؤرخون فى عصره « هو الأسد الضارى كان شهماً شجاعاً أقامه الله للناس لشدة احتياجهم إليه فى هذا الوقت الشديد والأمر العسير »(١)

ولقد قامت قيامة الدنيا، وكشر إله المعارك عن أنيابه، ولعب الرجال والأبطال أدوارهم ثم انتهت القوى الجامحة التى أثارتها الطبيعة فألقت قيادها إلى رجل قد اختارته العناية من مصر وهيأته بمصر، فما إن رأته العناصر المائجة حتى خفتت لدى طلعته، ثم خبت فسلمت إليه طائعة مختارة

وأطلت شخصية الملك الظاهر على القرن السابع الهجرى، فإذا هى تكشف ما حولها وتظهر واضحة براقة قوية وكأن إرادة الملايين التى تمثلت فى إرادته وآمال الناس التى تحققت على يديه وأكبرت عمله قد تجمعت فى بقعة واحدة وأخذت تنشد بصوت واحد فى مواجهة عالم بأكمله:

« إنى أرفع يدى إلى السماء وأقول: حى أنا إلى الأبد »(٢)

(يتبع) (أبو أسامة)

(١) راجع النصوص فى البداية
(٢) هذه الجملة من سفر التثنية

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٢ – ٧ – ٩٤٢ فى القضية رقم ١٤٦٠ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد حسن على الجيزاوى بالحبس ثلاثة شهور مع الشغل والمصادرة والتعليق على مركز البوليس والنشر على مصاريفه لبيعه قماشاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حديث عيسى بن هشام

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

كتب الدكتور « زكى مبارك » بحثاً قيماً فى حديث عيسى بن هشام شرح فيه كثيراً من الحقائق التى تهم كل مطلع على هذا الكتاب ، وكشف عن كثير من النواحى التى تهدى الطلاب إلى الصواب ، وتأخذهم بأيديهم إلى طرق البحث المجدى والاطلاع المفيد ؛ ولكن الدكتور لم يرد ببحثه الاستيعاب والاستقصاء وذلك ليترك للطالب مجالاً للتفكير والتنقيب

هذا ما رآه الدكتور وهو رأى فيه صواب وفيه حكمة ؛ ولكن الطالب في كثير من الأحيان يحتاج إلى شيء من البسط والإيضاح ؛ ولهذا رأيت أن أكتب هذه الكلمه الموجزة تتمياً للفائدة فى أسلوب الكتاب ومنزلته القصصية

١ – المنزلة القصصية للكتاب

حديث عيسى بن هشام تصوير رائع للمجتمع المصرى فى فترة من الزمن ، وعرض شائق للحياة المصرية وما فيها من أخلاق وعادات وأنظمة فى أسلوب قصصى جميل

ولا يشك أحد فى أن هذا الكتاب يعتبر بداية طيبة للقصة المصرية وفتحاً جديداً للون جديد من الأدب فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . ذلك لأن القصة المصرية منذ بداية العصر الحديث كانت مقصورة على المقامة والقصص العامية ، وما خرج منها عن هذه الدائرة كان منقولاً عن اللغات الأجنبية لا يمثل الحياة المصرية فى قليل ولا كثير – ولقد كان إخواننا السوريون أسبق إلى النقل والتأليف فى هذا الفن ؛ فاهتموا به منذ منتصف القرن التاسع عشر ونقلوا كثيراً من القصص التى لا تمثل الحياة الشرقية ، ثم ألفوا بعضاً منها يمثل الحياة العربية « كالمروءة والوفاء » للشيخ خليل اليازجى

ونحن حين نقول إن حديث عيسى بن هشام كان بداية طيبة للقصة لا ندعى أنه استوفى شروطها وأنه سلم من الأخطاء الفنية التى تخرج الكتاب عن الروح القصصي ، فالقارئ يلحظ التقصير فى كثير من المواقف التى عالجها الكتاب ، ويحس أن المويلحى كان ساردا لمظاهر الحياة المصرية لا كاتباً قصصياً . ويكفى للبرهان على هذا الرأى أن يرجع القارئ إلى المجالس التى شهدها عيسى بن هشام مع الباشا ، فهما يحضران مجلس التاجر وغيره بعد الاستئذان ويسمعان كل ما يقال ، ثم يخرجان دون أن يشعر بهما أحد ودون أن يشتركا فى الحديث مع الجالسين ، وهذا مناف للعادات المألوفة ؛ فالزائر الغريب دائماً يكون موضع السؤال والاهتمام والعناية ؛ وكثيراً ما يكون قدومه سبباً فى تغيير سياق الحديث

ثم إن الكاتب بالغ إلى حد كبير فى الاستقصاء وتتبع نواحى المجتمع وكان يتلمس المناسبات فى كثير من الأبواب ليشرح موضوعاً من الموضوعات ، وكان الاتصال بين الأفكار أحياناً لا يجرى على المألوف المستساغ . والمعروف أن القصص لا تحتمل هذا التكلف ، ويكفى أن يلم الكاتب فى قصته ببعض هذه الموضوعات .

ولكنا مع هذا لا نغض من قدر الكتاب فهو توجيه جديد إلى لون من الأدب ولا يسلم مثل هذا الانتقال من المآخذ والنقص

٢ – أسلوب الكتاب

لقد كتب الدكتور فى هذا الموضوع كلة قيمة وضح فيها أن أسلوب الكتاب نوعان : أسلوب فنى أريد به الإمتاع ، وأسلوب علمى توخيت فيه السهولة والبساطة .

وهنا يتساءل بعض القارئين : لم اختلف الأسلوب فى كتاب واحد لمؤلف واحد ؟

والمعهود أن لكل كاتب أسلوبه الخاص الذى يمتاز به ويحمل طابعه في كل كتابة له ، ولم نعرف لكبار الكتاب الأقدمين والحديثين نوعين من الأساليب ؛ فأسلوب الجاحظ له

طابعه ولأسلوب الزيات مميزاته الخاصة .

وأقول فى الإجابة عن هذا : إن السر فى اختلاف الأسلوب فى حديث عيسى بن هشام راجع إلى أن الكتاب وضع فى عهد انتقال للأدب ؛ فقد اضطرب الأدب والأدباء فى نهاية القرن التاسع عشر ، وكان الأدباء بين عاملين : عامل الحنين إلى القديم المملوء بالجمال الفنى والمحسنات البديعية، وعامل النزوع إلى الطريقة الجديدة التى تعنى بالمعنى والسهولة والوضوح قبل كل شىء .

وقد جاء حديث عيسى بن هشام معبراً من هاتين النزعتين أصدق تعبير ؛ فهو حين يجد مجالاً للجمال والإمتاع يستعير قلم من يعنون بالديباجة والصياغة اللفظية ؛ وحينما يقف أمام موضوع علمى يتناوله بقلم المجددين الذين يعنون بالمعانى والبساطة فى الأسلوب . وقد كان هذا التردد بين الأسلوبين ظاهراً فى أسلوب كثير من الأدباء الذين ظهروا فى هذه الفترة من الزمن ومنهم الشيخ محمد عبده وعبد الله فكرى . وما زال الأدباء على هذا النحو من التردد حتى ظهر الأدب فى ثوبه الجديد واستقر فى اتجاهه الذى نشهده الآن فصار لكل أديب أسلوبه الخاص الذى يعرف به .

ويلحظ القارئ فى حديث عيسى بن هشام أن المويلحى لا يلجأ إلى تنميق العبارة والعناية بالأسلوب إلا إذا كان الحديث على لسان عيسى بن هشام أو الباشا ؛ أما غيرهما من أشخاص الكتاب فيجرى الحديث على ألسنتهم مهلاً لا أثر فيه للتنميق والتجميل. ولم يشذ عن هذه الطريقة إلا فى الحوار ، فهو يتوخى فيه السهولة ولو كان بين عيسى والباشا .

ونستطيع أن نلخص مميزات الأسلوب الفنى فى حديث عيسى بن هشام فيما يلى :

(ا) السجع ولم يظهر فيه التكلف إلا قليلاً لاقتدار المويلحى على تخير الألفاظ الملائمة

(ب) الاستشهاد بالشعر والتضمين فى كثير من المناسبات، وقد أكثر من ذلك المويلحى وكان اختياره يدل على سعة اطلاعه وصفاء ذوقه

(ح) الاقتباس من القرآن الكريم

(د) ومن المحسنات الكثيرة التى حسن بها كلامه الجناس وفى بعض ما أتى به مغالاة وإكثار ومن ذلك قوله : « وغيرها ترضع طفلين فى حذاء وزوجها يضرب رأسها بالحذاء . وأخرى آخذة بضفيرة ضرتها ورضيعها يتلهف على ضرتها »

(ه) وهو يأتى بالتورية فى موضعها ، ويعزب فى بعض التعبيرات فتأتى عالية الأسلوب بين التعبيرات الأخرى السهلة

(و) يستعير خيال الشاعر فى كثير من الأبواب وبخاصة فى الوصف

* * *

وبعد فإن للكتاب نواحى كثيرة لا يتسع المقام لشرحها ، ومن بينها النقد الأدبى فى الكتاب والاتجاهات الأدبية التى يرمى إليها المؤلف ، والإصلاح الاجتماعى الذى يبغيه ... وهكذا . وعلى الطالب أن يستوعب كل هذا ويلم بأطرافه والله الموفق الهادى .

« الفيوم » أحمد أبو بكر ابراهيم

الدبابات أمام المدن

للأستاذ « ذ . ص »

بعد أن تنتهى هذه الحرب تدخل فى سجل التاريخ ونكون قد نسيناها أو تناسينا ما مرّ بنا من أهوال ، سيقبل علينا أطفال الجيل الجديد يسألون ويلحفون فى السؤال ، فنحيلهم على كتبهم المدرسية حيث الأحداث قد صُبّت فى كلمات وجمل تعجز عن تصوير ما خيّم على العالم من خوف وهلع ، ولا تقدم لهم إلا الأيام والشهور والأسماء والأرقام .

والأرقام والتواريخ كما كانت وكما ستكون ، ثقيلة على الذاكرة ، عسرة على اللسان ، فلذلك ستبرز الأسماء إلى الأمام وتكون موضع التذاكر والنقاش ، وخاصة ما دل منها على المعارك الحاسمة والملاحم الفاصلة ، ولأول مرة سيرون أن هذه المعارك انتسبت حيناً إلى بقاع مترامية الأطراف كفرنسا والإطلنطى ، ولم تحمل حيناً آخر إلا اسم مدينة أو بلدة ، لا تحتل من خرائطهم إلا مقدار الثقب الصغير .

اتسعت رقعة المعارك قدماً مع نمو الجيوش ، حتى إنها شغلت فى الحرب الماضية مقاطعات شاسعة أو امتدت بطول بعض الأنهار ، أما المدن فلم يكن لها كبير شأن إلا فى أحوال خاصة ، إذ كانت قلاعاً قوية منعزلة كلييج ونامور ، أو نقط ارتكاز لخط دفاعى طويل كفردون .

وبدأت هذه الحرب وسمعنا بمعركة بولندا ثم النرويج ، بل إن بلاداً فسيحة كالدنمرك ذهبت فى ليلة لم يعقبها نهار ، ثم البلاد الواطئة والفلندر وفرنسا . وفجأة ظهرت أسماء من نوع هو علينا جديد ، احتلت مكانة خاصة ، بل واعتبرها البعض من نقط التحول الهامة فى تيار الحوادث ، ومن هذه يكفينى أن أذكر على سبيل المثال : سمولنسك واستالنجراد .

كانت المدن فى قديم الزمان حصوناً تصمد للأعداء شهوراً بل سنين ، تغنى بحوادثها الشعراء وخُلّدت أسماؤها فى تاريخ الحروب ؛ فمن ذا الذى ينسى طروادة وحصانها الخشبى ، وسقوط القسطنطينية أمام عبقرية محمد الفاتح ، وارتداد نابليون تحت أسوار عكا وهو كظيم ؛ ولكن الحروب ظلت تتطور ووسائلها تتعدد ؛ حتى أصبحت مدافع الحصار أكملها استعداداً وأشدها فتكا ، ولم تعد المدن — كما رأينا فى الحرب الماضية — إلا مصايد للموت ، فلم يرتد إليها المتقهقرون ، بداخلها يحتمون ، بل فضلوا الأرض الفضاء ، ينبطحون خلف ثناياها ، ويحتفرون فى سطحها الخنادق ويمدون بجوفها السراديب

ولما قامت الحرب الإسبانية حولها الألمان إلى معمل تجارب لقيادتهم العسكرية ، فيها يحللون ومنها يستنبطون ، يلقون فيها بالسلاح الجديد يبلونه ؛ ويقحمون نظرياتهم فى تكتيكات فرنكو يختبرونها . واستمرت الحرب بين مد وجزر ؛ وكان الجمهوريون كلما اكتسحتهم الدبابات ذُعروا ، وارتدوا إلى الوراء ، والتجئوا إلى مدنهم يحتمون بها بعد أن كانوا حماتها ؛ وكم دهشوا حين لم تخذلهم هذه كما خذلوها

لم تقف المدن فى وجه الدبابات سداً منيعاً كما كانوا يأملون (وهم فى قرارة نفوسهم من ذلك يائسون) ، بل ظهرت لهم بمظهر جديد ، لا تتمنع للداخلين بل تغريهم وترحب بهم ، فإذا أصبحوا وسطها وخبروها ، وجدوها الهوة التى ليس لها قرار ، تجتذب الأجساد إلى الأعماق ولا تلفظ إلا الأرواح

استدعى ذلك الحال من الألمان لفتة أو لفتين ، ولكنهم لم يعلقوا به كبير اهتمام ، بل ظنوا الأمر طارئاً أسبابه ظرفية أكثر من أن تكون فطرية[1] ، فهذه حرب ليست ككل الحروب ، هى حرب أهلية بين أفراد جنس واحد ، انحدر من فرع لاتيني (وكم كان التتون يحتقرون اللاتين !) ، وهذه الخطط هى من عصارة عقولهم ، هم الجرمان ، فهذا الأمر إذن لا يحتمل أدنى شك ولا يقبل أى جدال : كل نجاح هو إذن وليد خططهم ونظرياتهم ، أما كل نقيصة أو كل خذلان فهو راجع لا محالة إلى طرق اللاتين فى التنفيذ

(١) فطرية بمعنى أنها فطرت ونشأت مع خطط تلك الحرب ، تعنى منها ومن صميم نظامها ومن لوازم أسلوبها

اندلعت الحرب فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وتدفقت جيوش الألمان على بولندا ، جارفةً ما فى طريقها من رجال وعتاد وحصون وقلاع ، ولكن ... ما هذا ؟ رَينْهارتْ يصدّ ؟ ... رينهارت الفذ يصل إلى غرضه ثم يرتد ... ؟ ، تخطى الجنرال رينهارت حدود بروسيا الشرقية على رأس جيشه المدرع أول أيام الحرب متجهاً صوب « وارسو » ، ولكنه ما وصل إلى شوارع العاصمة البولندية حتى دُفع إلى الخلف ، وهجم الألمان ثانية ثم ثالثة ، ولكنه فى كل مرة كان على أعقابه يُرَدّ .

تمزقت بولندا شر ممزق وقُطّعت أوصالها تقطيعاً ، وهرست أرضها هرساً ، ووارسو لا تزال صامدة . نحن فى أول أيام الحرب وكل قائد ألمانى متعطش إلى إحراز السَّبْق فى النصر ، ليسمع من زعيمه كلمة الثناء الموعودة ، ويُنجز لبلاده ما ألقت عليه من أعباء ؛ هذا فون بوك قد هصر الممر البولندى هصراً وهبط كالصاعقة من الشمال الغربى ، وهذا فون رُنشتيد قد اخترق حصون المنطقة الصناعية عند « كراكاو » ، والتف هاجماً من الجنوب الغربى . يتململ رينهارت ويرغى ويزبد ، وينقض على وارسو يدكها دكا ، ويُطلق طائراته عليها : بالقنابل تقذفها وبالأرض تسويها ، ثم تعود دباباته إليها تقتحمها ، وتنساب فى أزقتها ، وتنعطف فى منحنياتها وتضرب يميناً وشمالاً . ولكن قليلاً قليلاً يهبط عليها نفس الشعور القلق ويكتنفها نفس الإحساس المبهم اللذان حلاّ بها فى الهجمات السابقة ، فتشلها الحيرة ويخنقها الارتباك : عدوها لا يزال مراوغاً غير مرئى . أين هو وأين يختفى ؟ ... تجحظ عيون الألمان من فتحات الفولاذ الضيقة باحثة مُنَقّبة ، ولكنها لا ترى إلا طريقاً خلواً طويلاً ، منثنياً متعرجاً بين ديار وإن تكن قد خربت ، ومنازل وإن تكن أجنابها قد صُدِّعت ، إلا أنها ، هذه وتلك ، لا تزال تؤوى مئات الجنود وآلاف السكان ـ هؤلاء الزاحفون داخل الفولاذ ، مجال الرؤية أمامهم محدود ، فى حين أنهم ظاهرون بكل جلاء ، واضحون وضوح الشمس والنهار ـ ينصب المدفع خلف أحد الأبواب ، وبمجرد ظهور الدبابة أول الشارع يعد الدفع ويجهز ، بينما لا تراه هذه حتى تكون بحذائه ، وفى لمح البصر تصيبها الصدمة ، فتتمزق أجنابها وتهشم أفرادها ، وتقذف أشلاءهم متشابكة مع فولاذها المتناثرة ، متعلقة بأجزائها المتطايرة هنا وهناك . وهذه أخرى أوقفتها المتاريس لحظة فتساقطت عليها فجأة زجاجات البترول المندلعة ، تشعل فيها النار وتشوى رجالها شيا ، فتتعالى صيحاتهم المروعة ، متجاوبة فى آذان زملائهم المتقدمين خلفهم . . .

فبالله عليك ماذا تنتظر من هؤلاء وقد رأوا عدوهم الخفى لا يظهر إلا ليضرب الضربة الصائبة ، وإذا قضوا عليه آخر الأمر ، فهناك غيره مئات بل آلاف ، الموت لهم بالمرصاد ، جاثم متربص فى كل منعطف وفى كل ركن ، وفى كل نافذة وفى كل قبو

ولم يكتو أحد بهذه الحوادث مثلما اكتوت به الجيوش الألمانية ، وصممت ألا تقع فى مثلها ثانية ، وساعدها على ذلك غفلة العدو عن التقاط خبرة الغير والانتفاع بدروسها ، ولذا رأينا الألمان يقذفون المدن الهولندية قذفاً ويمحقونها محقاً ، واختصت روتردام بأكبر نصيب ، ثم أسقطوا عليها الآلاف من جنود المظلات ، يئدون المقاومة فى مهدها ، ويستحوذون أول الأمر بثمن بخس ومجهود ضئيل على تلك المراكز التى ربما تحولت آخر الأمر — إن هم تركوها إلى أوكار للدفاع — تستنزف من المجهود ما ضخم ، بل ما استعصى : من توتر فى أعصاب القواد شديد ، وثمن فى سوق الأرواح مرتفع

وفُصِلت جيوش الشمال فكانت « دنكرك » ، ودار الماجون نحو الجنوب ... صوب باريس ، وكانت القيادة الألمانية تعلم بتفكك الروح المعنوية فى فرنسا ، وما وصل إليه الأفراد فيها من أثرة وأنانية ، فقررت الامتناع عن ضرب باريس ، ذلك الضرب الذى ربما أحيا ما مات فيهم من شعور ، فلم يخب ظنهم بل فتحت لهم الأبواب دون قيد أو شرط

أما الروس فكانوا هم وحدهم[1] الذين تفتحت أذهانهم لمقتضيات الظروف ، وحوّلوا مدنهم إلى مراكز دفاع قوية ، سُلّح فيها الدنيون قبل العسكريين ، فأمسك الزاحفون عن دخولها خشية التعرض لاستنزاف قواهم فى شوارعها ، ولم يجسروا على تركها خلفهم خشية التعرض لتقطيع خطوط مواصلاتهم ، حول ضواحيها ، بل فضلوا على كره وقف زحفهم الدقيق التوقيت مترقبين بقلوب قلقة جازعة وصول مدفعيتهم الضخمة الجاهدة وسط الأوحال على طرق وعرة حفت بها عصابات الأعداء ، ثم ينصبونها إمّا وصلت ، لتقوم بالدك والتحطيم أمداً من الزمان ، وأخيراً يُتبعونها بجنودهم الراجلة لاقتحام المبانى منزلاً بعد منزل ثم غرفة بعد غرفة

أصبحت المدن المائق الأكبر للجيوش المدرعة ، فهذه تعتمد على السرعة أكبر اعتماد ، تمزَّبها الأولى هى سرعة الاندفاع من مكان إلى مكان ، وتلك تعمل على العرقلة والتعطيل ، واجتذاب العدو وربطه بالمكان

لم يُصَب الجيش الألمانى فى جميع معاركه بخسائر تذكر بجانب ما حاق به فى سمولنسك وسبستبول وستالنجراد وسائر المدن الروسية الكبرى ، بل إن أكواخ بير حكيم القليلة العدد ذات القوالب الطينية ، كلفتهم ما يفوق خسارة اليابانيين أمام رنجون ؛ فالأولى أحسن الحلفاء استعمالها ، أما الثانية فقد بادروا فيها إلى الإخلاء ، ولم تساعدهم روح أهاليها المعنوية على إعداد الدفاع .

(ز . ص)

(١) هذا إذا استثنينا البريطانيين فى طبرق أثناء حصارها الأول ، ولو أن الدفاع عن هذه المدينة اتبع النمط القديم ، ولذا فاتنا رأيناها تسقط هذا العام بسهولة عند ما تمكن رومل من اختراق استحكاماتها الخارجية ولم يحاول الحلفاء الدفاع عنها شبرا شبرا فى كل شارع وفى كل بيت .

الأزهر والاصلاح

هل للأزهر فكرة اصلاحية ... ؟

للأستاذ محمود الشرقاوى

فى سنة ١٩٢٨ ونحن نطلب « العلم » فى الدراسات الأخيرة للأزهر انتبهتْ نفوسنا وأذهاننا لأمر جديد إسمه الإصلاح ، أقصد إصلاح الأزهر . وكان مثار هذا التنبه المفاجئ أن شيخاً مصلحاً عظيماً ولى مشيخة الأزهر عرفناه باسم الشيخ المراغى وبوصف الإمام المصلح خليفة الشيخ محمد عبده .

ثم انتهينا من طلب « العلم » ولم تنته نفوسنا ولا أذهاننا من الانتباه بل الاندفاع مع ما فاضت به قلوبنا من الرغبة ومن الاقتناع بضرورة الإصلاح للأزهر . ومن الرغبة والاقتناع بضرورة « تجديد الحياة الدينية » فى مصر والشرق .

وبقى الشيخ المراغى فى الأزهر فترة ثم تركه ، ولكن الحديث عن الإصلاح والتجديد ظل مقروناً باسم الشيخ المراغى ، وظل وصفه بالإمامة والإصلاح والخلافة للشيخ محمد عبده قائماً .

وسارت بنا الحياة هذه السنين الكثيرة المدد ما ننفك نكتب ونتحدث ونفكر فى الإصلاح والتجديد . وسارت الحياة بالأزهر هذه السنين الكثيرة المدد فتقدم فيها نحو الإصلاح والتجديد خطوات ليس من حقى الآن وليس مقصودا إلىّ أن أبين عنها ولا أن أبدى رأياً فيها . بل من حقى ومن واجبى أن أعدل بما كتبت فلا أقول إن الأزهر فى هذه السنين الكثيرة المدد قد « تقدم » نحو الإصلاح والتجديد ، بل أقول إنه قد « تغيّر » مما كانت عليه حاله قبل هذه السنين ، ولك أنت — ولى أنا أيضاً — أن أفهم وأن أحكم وأن أصف هذا التغيير هل كان إلى حسن أو إلى غير حسن . وهل كان تقدما نحو الإصلاح والتجديد أم لم يكن . وهل كان الأزهر بهذا « التغيير » كاسباً أم خاسراً ، وإلى أى مدى كان ربحه وكانت خسارته فى الثانية أو فى الأولى . أم أن هذا التغيير الذى صار إليه الأزهر فى هذه السنين الكثيرة لم يكن تجديداً ولا رجعة ولا تقدماً ولا تخلفاً ، وإنما هو تخبّط وتخليط ، وأن الأزهر صار به ومنه كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

من حقك ومن حقى أن نفكر وأن نحكم وأن نصف ما فعل الأزهر أو فُعل به فى هذه السنين . ففكر — إن لم تكن — واحكم وصف . أما أنا فقد فكرت وحكمت وليس من شأنى اليوم ولا مقصوداً لى أن أصف ، أما الذى هو من شأنى اليوم ومقصود لى فهو أن أكتب هذا الفصل « للرسالة » من : (فكرة الإصلاح) فى الأزهر . ما هى ... ؟

***

فلنسلم جدلاً أو اقتناعاً بأن الأزهر له فكرة إصلاحية . وبأن الكلام عن الإصلاح التعليمى فى الأزهر وعن الإصلاح الخلقى فيه . والكلام عن إصلاح الحياة الدينية فى مصر ليس مقصوداً بهما الدعاية ولا التظاهر ولا عرض من متاع الحياة أو جاهها ، وليس لصوقاً بوصف معيّن فيه ربح أو فيه متاع لنفس أو إرضاء لشهوة

فلنسلم جدلاً أو اقتناعاً بأن للأزهر فكرة إصلاحية لتجديد الحياة العقلية والحياة التعليمية والحياة الخلقية بين أهله ، وأن للأزهر فكرة إصلاحية لتجديد الحياة الدينية فى مصر أو فى الشرق ... فما هى هذه الفكرة الإصلاحية التى وضع الأزهر أو وضع رجاله حدودها ورسموا معالمها وخطوطها وحدّدوا أهدافها القريبة أو البعيدة ... ؟

وهل استبان الأزهر واتضحت له الطريق التى يسلكها إلى أهدافه القريبة أو البعيدة ، حتى يأخذ بأسبابها ويتلمّس نهجها ويعرف أين هو مما كان وأين هو مما يريد أن يكون ؟

نحن نعرف أن الأزهر — فى هذه السنين الكثيرة المدد — قد وسع على طلبته فى منهج الدراسة للعلوم الحديثة ، وأنشأ لهم المعامل للكيمياء ، ورحلهم الرحلات ، وأنه أنشأ لهم الكليات خمساً أو ثلاثاً ولوى ألسنتهم أو ألسنة بعضهم بلغات الإنجليز

والفرنسيين والألمان . بل — والله قادر عليهم أو مكّن لهم أن يتعلموا لغات أهل الصين واليابانيين والفرس والترك إلى ما لست أدرى من لغات أهل الأرض ، وأنه أخرج طلبة العلم فيه من قبلتهم القديمة والجديدة ، ومن صحن أزهرهم وأروقتهم إلى حيث يجلسون على الكراسى فى عمائر جديدة في سفح الجبل بين مقابر الموتى ، وفى أحياء متباينة متباعدة فى القاهرة بين مقابر الأحياء

ونحن نعرف أن الأزهر – فى هذه السنين الكثيرة العدد – قد قدم إلى طلبته المذكرات والملخصات والمختصرات ، واستعان عليهم بطائفة من الأساتذة فى دار العلوم ومن المطربشين فى مدارس الحكومة ، وأنه حفظ لأهله كرامة المال أو بعض كرامته فزاد لهم فى الأموال وضخم لهم الميزانية عاماً بعد عام

ونحن نعرف أن الأزهر فى هذه السنين قد جمع بين أهله عقولاً تفكر فى الإصلاح وقلوباً تشغل به وجهوداً تسعى إليه . وأن فى الأزهر الحديث الشيخ المراغى والشيخ عبد المجيد سليم والشيخ شلتوت ومن ورائهم جمع أو جموع من الشباب والطلبة يهتدون بهديهم ويستجيبون لما يريدونهم عليه للاصلاح والخير والتجديد

فهل الإصلاح للأزهر هو العلوم الحديثة ولو لم يكن لها أثر فى الإفراج عن عقول أهل الأزهر وإخراجها من عبودية التقليد إلى حرية النقد والموازنة والرأى ؟ أم هو معامل الكيمياء والرحلات والتواء ألسنتهم أو ألسنة بعضهم بكلمات قليلة ، أو كثيرة من لغات أهل الأرض ولو لم يكن لها أثر فى الإفراج عن عقول أهل الأزهر وإخراجها من ظلماتها إلى نور هذه اللغات وكنوزها وحرية التفكير فيها وبراعة النظم ...؟ أم هو الفرار من القبلة القديمة والجديدة ومن الرواق العباسى إلى عمائر جديدة أو بالية بين مقابر الأحياء أو مقابر الموتى ...؟ أم هو الملخصات والمذكرات والمطربشون من المدرسين وأن تضخم الأموال فى العام بعد العام ...؟

نحن نعرف أن الأزهر قد تغير فى هذه السنين الكثيرة العدد ، وأن الكلام من تجديده وإصلاحه لم ينقطع يوماً ، وأن فيه عقولاً تفكر وقلوباً تشتغل وألسنة تتكلم وأقلاماً تكتب وخطباً تحرر وتحبر ، وجموعاً من الشباب والطلبة ومن الغيورين المملوءة قلوبهم حماسة وإخلاصاً وصادق رغبة . ولكن الذى نريد أن نعرفه : هل فكرة الإصلاح للأزهر وللحياة الدينية فى مصر والشرق واضحة الحدود عند الأزهريين مستبينة المعالم ؟ وهل تجمع بين أصحاب العقول التى تفكر والقلوب التى تنشغل والجهود التى تسعى والألسنة التى تتحدث ؟ هل بين هؤلاء جميعاً رباط من غرض أو غاية توحّد بينهم فى الفهم والسعى والكفاح فى سبيل ما يؤمنون به ...؟

***

من حقك ومن حقى أن نفكر وأن نحكم وأن نجيب ، ففكر واحكم وأجب ، أما أنا فقد فكرت وحكمت وليس من مقصودى اليوم أن أجيب ، بل أن أعرض ما بنفسى أو بعض ما بنفسى وأن أسأل من يجيب . فهل من يجيب ؟

محمود الشرقاوى

٤٤ – المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر – الأخلاق

يمكن أن نعزو ميل المصريات إلى اللذات الشهوانية وفساد أخلاق الكثيرات منهن إلى عدة أسباب ينسب بعضها إلى المناخ والبعض الآخر إلى حاجتهن إلى التعليم المناسب والتسلية البريئة والاشتغال بعمل. ولكن ذلك يرجع على الأكثر إلى سلوك الأزواج أنفسهم، وهو سلوك أكثر خزيا لهم من الصرامة الشديدة التي يستعملونها فى تنظيم الحريم. فجميع الأزواج فى مصر يسعون إلى تحريك شهوة نسائهم بكافة الوسائل التى فى قدرتهم، مع أنهم فى الوقت ذاته يكدون ويثابرون لمنع زوجاتهم من إشباع هذه الشهوة بطريق يخالف الشرع. وهم يسمحون للنساء بالإصغاء من وراء الشبابيك إلى الأغانى الخليعة والروايات الفاحشة التى ينشدها فى الشارع رجال يؤجرون لذلك، كما يسمحون لهن بمشاهدة رقص (الغوازى) الشهوانى «والخولات» المخنثين. ويأذنون للغوازى، وحرفتهن الدعارة، بدخول حريم الأغنياء، لا لتسلية السيدات بالرقص فحسب بل لتعليمهن الفنون الشهوانية. وقد يجلب أحياناً لتسلية الحريم دُمَى لا حشمة فيها

روى لى عن كيد المصريات حكايات لا حصر لها. أذكر نموذجاً منها القصة التالية وقد حدثت أخيراً: تزوج نخاس شابة جميلة من هذه المدينة، وكان يملك مالاً يهيء له عيشاً رغداً، ولكنه فقد أكثره، فكان له فى ثروة امرأته عوض. ولم يلبث الرجل مع ذلك أن أهمل زوجه. ولكنه كان قد قضى عهد الشباب فلم تكترث زوجه لذلك، ومالت إلى رجل آخر يعمل زبالاً وكان قد تعود الحضور إلى منزلها. فاشترت لهذا الزبال دكاناً بجانب المنزل ونفحته مبلغاً من المال يصلح به شأنه. ثم أخبرته أنها ابتكرت طريقة ليزورها فى اطمئنان تام. وكان لحريمها شباك بمصراعين قامت أمامه على قرب منه نخلة تعلو المنزل، فلاحظت أن الشجرة تقدم لعشيقها وسيلة للوصول إلى غرفتها والهرب منها وقت الخطر. وكان لها خادمة واحدة تعهدت بمساعدتها على تحقيق رغباتها. وفى اليوم السابق لأول زيارة لعشيقها أمرت خادمتها أن تخبر الزوج بما سيحدث فى الليلة التالية. فعزم الزوج على مراقبة زوجه، وأخبرها أنه لن يعود إلى المنزل تلك الليلة، ثم اختبأ فى غرفة سفلى. ولما جن الليل جاءته الخادمة تخبره بحضور الزائر إلى الحريم فصعد إلى أعلى ولكنه وجد باب الحريم مقفلاً. وعندما حاول فتحه صرخت زوجه، وحينئذ هرب عشيقها من الشباك عن طريق النخلة. واستغاثت الزوجة بجيرانها وأخبرتهم أن لصاً فى دارها. ولم يلبث أن حضر كثيرون منهم فوجدوها قد أوصدت باب غرفتها على نفسها وزوجها فى الخارج، فأخبروها أن ليس بالبيت غير زوجها وخادمتها، فقالت إن من يدعونه زوجها هو اللص لأن زوجها يبيت خارج المنزل. فأخبرهم الزوج حينئذ بما حدث وأكد أن رجلاً معها، وكسر الباب وبحث فى الغرفة ولكنه لم يجد أحداً. فلامه الجيران وشتمته زوجته لافترائه عليها. واصطحبت فى اليوم التالى اثنين من جيرانها الذين حضروا على صراخها ليشهدا أن زوجها قذفها فى عرضها واتهمته فى المحكمة أنه رمى امرأة عفيفة دون رؤية أو شهود. فحكم عليه بثمانين جلدة تبعاً لشريعة «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة». وطلبت الزوجة بعد ذلك من زوجها أن يطلقها فرفض. وعاشا معاً ثلاثة أيام بعد هذا الحادث فى سلام. وفى الليلة الثالثة دعت الزوجة عشيقها ليزورها وقيدت زوجها يديه ورجليه أثناء نومه وشدته إلى حشيته. وجاء عشيقها فأيقظ الزوج وهدده بالموت العاجل إن صاح. ومكث مع الزوجة ساعات فى حضوره. ولما خرج المعتدى فكت الزوجة وثاق زوجها، فنادى الجيران وأخذ يضربها بقسوة وهى تستغيث. وحضر الجيران ورأوه هائجاً، فلم يشكوا فى قولها أن الرجل مجنون. فخلصوها من قبضته وهم يحاولون تهدئته بالكلام اللطيف ويدعون الله أن يشفيه. وأسرعت الزوجة باستدعاء رسول القاضى وذهبت معه هى وزوجها وكثير من الجيران الذين شاهدوا الحادث إلى القاضى. وأجمع الجيران على أن الزوج مجنون فأمر القاضى بوجوب إرساله إلى المارستان [1]. ولكن الزوجة تكلفت

(١) وينطقها العامة مُرستان بضم الميم وكسر الراء (المؤلف)

ذكر المؤلف كلمة مارستان بكسر الراء والمعروف فتح الراء. وهذه الكلمة فارسية أصلها بيمارستان مركبة من بيمار بمعنى مريض وستان بمعنى مكان ثم اختصرت فصارت مارستان. انظر المعرب من الكلام الأعجمى لأبى منصور الجواليقي طبعة دار الكتب ١٣٦١ هـ (المترجم)

الشفقة والتمست السماح لها بتقييده فى غرفة من غرف منزلها حتى يمكنها أن تخفف من آلامه بالاعتناء به . فوافق القاضى مثنياً على عطف المرأة وداعياً الله أن يكافئها . وحصلت الزوجة بعد ذلك على طوق من حديد وسلسلة من المارستان . وقيدت زوجها فى حجرة سفلى من المنزل . وجعل عشيقها يزورها كل ليلة فى حضور الزوج . ثم تلح عليه بعد ذلك ليطلقها بلا جدوى . وكان الجيران يحضرون يومياً للسؤال عنه . فيشكو لهم من امرأته ويتهمها فلا يجيبونه بغير قولهم : « شفاك الله! شفاك الله ! » واستمر هكذا شهراً فلما تبين للزوجة إصراره على الرفض أرسلت فى طلب حارس من المارستان لينقله إليه . والتف الجيران حوله عند خروجه من المنزل وصاح أحدهم : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! شفاك الله ! » وقال آخر : «يا خسارة . . . كان رجلاً فاضلاً حقا ! » وقال ثالث ملاحظاً : «حقا ... إن الباذنجان[1] كثير الآن !...» وأخذت الزوجة تزور زوجها كل يوم فى المارستان ملحة فى طلب الطلاق وهو يرفض . فتقول له : «ستظل إذن مقيداً حتى تموت ، وسيأتى عشيقى عندى على الدوام ! » وأخيراً رضى الزوج بالطلاق بعد حبس سبعة أشهر . فأخرجته من المارستان ونفذ وعده . وكان عشيق الزوجة من طبقة دون طبقتها فلا يمكن أن يكون زوجاً لها فبقيت عزبة وظلت تستقبله متى تشاء . غير أن الخادمة كشفت من حقيقة الأمر . ولم يلبث الحادث أن أصبح حديث الناس .

تتعرض الزانية إذا كانت زوجة لثرى أو لذى منصب ، كما يتعرض عشيقها ، لأهوال عظيمة[2] . وقد حدث أخيراً أن انتهزت زوجة أحد ضباط الجيش الكبار فرصة غياب زوجها عن العاصمة ، فدعت لزيارتها تاجراً مسيحياً اعتادت أن تشترى منه الحرائر . فذهب التاجر إلى منزلها فى الوقت المعين فوجد عند الباب أحد الأغوات قاده إلى منزل آخر وجعله يتنكر فى ملابس سيدة . ثم عاد به وأدخله على سيدته . وقضى التاجر الليل كله تقريباً فى بيت المرأة ، ثم نهض قبل أن تستيقظ وأخذ فى جيبه كيس نقود كان قد أعطاه إياها . ونزل إلى الأغا ليقوده مرة أخرى إلى المنزل الذى تنكر فيه . فاسترد ملابسه وقصد دكانه . ولم تلبث السيدة التى افتقدت الكيس أن ذهبت إليه واتهمته بأخذه . ثم أخبرته أنها لا تريد نقوداً ولكنها تبغى رفقته فقط . ورجته أن يعود إليها فى الليلة التالية ، فوعد بالحضور . غير أن إحدى خادمات السيدة حضرت إلى دكان التاجر عصراً وأخبرته أن سيدتها مزجت بعض السم فى الماء لتقدمه إليه . ويقال إن المرأة كثيراً ما تختار هذه الطريقة لتنتقم من عشيقها لأقل إهانة .

يندر أن ترتكب الزوجة المسلمة الزنا دون أن تعاقب بالموت إذا شهد على الواقعة أربعة شهود . ويرفع الشهود أو الزوج دعوى الزنا . وقلما تنجو الزانية من العقاب إذا ضبطها أحد الضباط . فلا يلزم فى الحالة الأخيرة شهود أربعة ، وإنما تعدم المرأة سراً ، إذا كانت من عائلة محترمة ، تحت سلطة الحكومة الاستبدادية . غير أن الرشوة قد تخلصها أحياناً لأنها تُقبل دائماً إذا لم يكن هناك خطر . وتكاد عقوبة إغراق الزانية تحل الآن محل الرجم فى القاهرة وغيرها من مدن مصر الكبيرة .

ويحكى أن امرأة فقيرة من هذه المدينة تزوجت من بائع طيور ؛ وبينما هى تعيش مع زوجها وأمها فى سكن ، اتخذت ثلاثة مساكن أخرى وتزوجت ثلاثة أزواج آخرين كانوا جميعاً يتغيبون عن القاهرة . وحسبت هكذا أنه يسهل عليها إذا جاء أحد الثلاثة إلى المدينة لبعض أيام أن تجد عذراً للذهاب إليه . ولكن حدث لسوء حظها أن قدم الثلاثة فى اليوم نفسه وذهبوا فى مساء ذلك اليوم يسألون عنها فى منزل أمها . فارتبكت لحضورهم معاً ولوجود زوجها الأول أيضاً . فتظاهرت بالمرض وسريعاً ما تصنعت الإغماء ، فحملتها أمها إلى غرفة داخلية . واقترح أحد الأزواج إعطاءها شيئاً يقويها . وأراد آخر تجربة دواء مختلف . وأخذ الجميع يتناقشون فى أى الأدوية أفضل . وقال أحدهم : « سأعطيها ما يحلو لى . أليست امرأتى ؟ » فصاح الآخرون فى صوت واحد : « امرأتك ! إنها امرأتى » وأثبت كل منهم زواجه . فقدمت الزوجة إلى المحكمة وحكم بإدانتها وقذف بها فى النيل . وقد حدث حادث مشابه لهذا أثناء زيارتى الأولى فقد تزوجت امرأة ثلاثة من جنود النظام ، فدفنت فى حفرة إلى صدرها وأعدمت بالرصاص

عدلى طاهر نور

(١) يقال إن الجنون ينتشر ويشتد فى مصر فى موسم الباذنجان الأسود

(٢) وقال لى أحد الأصدقاء : كم رجل فقد حياته بسبب النساء ! لقد كان يعيش فى هذا المنزل الذى تسكنه الآن شاب خليع جميل الصورة . وقد قطع رأسه هنا فى الطريق أمام باب منزله لعلاقة أثيمة مع زوجة أحد البكوات . وقد بكته نساء مصر جميعاً .

حكم فى القضية ٢٥٢ عسكرية الموسكى سنة ١٩٤٢ بحبس محمود محمود البنا عشرة أيام بالشغل وتغريم كامل موسى اسماعيل عشرة جنيهات لبيعهما خبزا بازيد من السعر المحدد بجدول الأسعار

من خمر الزوال ...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[إلى التي سقتني ولم تشرب معي خمر الزوال ، وإلى الذين يشربونها مثلي من يد الزمان !!]

لا تتركيني في ضلال   بين الحقيقة والخيال
إني شربت على يديـ   ـك مع الهوى خمر الزوال

أصبحت لا نغم يفجـ   ـر لي السلو ولا رباب !
قلبي حشاشة طائر   في الصيف أحرقه اليباب
عمري بقية موجة   حيرى تخطفها العباب
في زاخر لم يدر ما   بحه أبحر أم سراب ؟!
رحماك .. لم أصبح سوى   شبح يسير على تراب ..

لا تتركيني زلة   في الأرض تائهة المتاب
إني شربت على يديـ   ـك مع الهوى خمر العذاب

أصبحت أشواقا معذ   بة تفيء من الحنان
وأسى يدور فلا تقـ   ـر له على كبد يدان
وصدى تجسد في الأثيـ   ـر فكاد يلمس بالبنان
ورفات أغنية لحبـ   ـك لم تزل تشجي الزمان
رحماك ... ما بيدي إلا   من غرامك دمعتان

لا تتركيني فيهما   لهبا يذوبه الحنان
إني شربت على يديـ   ـك مع الهوى خمر الهوان !

أصبحت لم أصبح ! ولم   يشرق على خلدي صباح
أنا ظلمة سكرى بأقـ   ـداح تطوف بها الرياح
في قفرة نسيت فلم   يخفق لطائرها جناح
وبكى بها الصمت الغريـ   ـب وناح من فمه النواح
رحماك ! نورك فوقها   قدر لغيري لا يتاح !

لا تتركيني ذاهبا   كخريف لحن في مداح
إني شربت على يديـ   ـك مع الهوى خمر الجراح

الليل يا ليلاي لم   يترك على كبدي أنين ...
إلا وسار به غنا   ء في صحارى العاشقين ...
وسرى بلوعته شرا   عا لا يسير به سفين ...
يجري على موج الحيا   ة علالة للبائسين
أرأيت حيرانا يلو   ذ به عذاب الحائرين ؟!

لا تتركيني يا شقيـ   ـة غنوة الزمن الحزين
إني شربت على يديـ   ـك مع الهوى خمر السنين ...

بكت الجزيرة حين قلـ   ـت لها وداعا لن أعود !
وتأوه العشب الحبيـ   ـب وولولت فيه المهود
والريح روعها الرحيـ   ـل كأنها فزع شرود ...
والموج إعصار تمـ   ـزق أو تباريح النهود
أرأيت كيف غدا الهوى   عدما توهمه وجود !!

لا تتركيني بعده   حسرات لحن فوق (عود)
إني شربت على يديـ   ـك مع الهوى خمر الخلود ..

مرت ليالينا كما الأو   هام ... عودي يا ليالي !!
إني كتبتك في الزما   ن خطوط غيب في خيال
إني سمعتك في الحيا   ة أنين صوت في رمال
إني رأيتك أدمعا   سوداء جاثمة حيالي
أرأيت كيف طوت صبا   ي، فمات أحزان الجبال !؟

لا تتركيني كالردى   أرد الفناء ولا أبالي
إني شربت على يديـ   ـك مع الهوى خمر الضلال

أَذَكَرْتِ حِينَ جِئْتِ لَدَيْـــكِ صَبَابَةُ اللَّيْلِ الْجَمِيلِ ؟
وَسَنَدْتِ رَأْسَكِ فَوْقَ صَدْ رٍ لَا يُفَارِقُهُ الْغَلِيلُ
فَسَجَنْتِهِ فِي الْقَفَصِ الْمُحَطْـــمِ ذَبْحَةَ الطَّيْرِ الْقَتِيلِ …
وَسَمِعْتِ مِنْهُ مَعَ الظَّلَا مِ تَفَجُّعَ الْمَاضِي الطَّوِيلِ
وَرَأَيْتِ فِيهِ خُطَا غَرَا مِكِ فِي ضَبَابِ الْمُسْتَحِيلِ

—

لَا تَتْرُكِينِي عَاصِفًا فِي الْبِيدِ يُزْهِقُهُ الْعَوِيلُ
إِنِّي شَرِبْتُ عَلَى يَدَيْـــكِ مَعَ الْهَوَى لَهَبَ الرَّحِيلِ

—

أَوَّاهُ … إِنْ وَلَّى هَوَا كِ وَجَاءَ يَصْرُخُ لِي هَوَايَ !
وَدَعَوْتُ نُورَكِ لِلْغَرَا مِ فَرَدَّ جُرْحُ مِنْ صَدَايَ !
وَمَدَدْتُ كَفِّي لِلسَّلَا مِ فَصَافَحَتْكِ عَلَى حَشَايَ !
وَذَهَبْتُ مَلْهُوفًا إِلَيْـــكِ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا خُطَايَ
وَبَقِيَّةً مِمَّـــا وَعَى طَيْرُ الْجَزِيرَةِ مِنْ بُكَايَ !

—

لَا تَتْرُكِينِي عَازِفًا أَرِدُ الضِّفَافَ بِغَيْرِ نَايِ
إِنِّي شَرِبْتُ عَلَى يَدَيْـــكِ مَعَ الْهَوَى بَلْوَى صِبَايَ !

—

مَا ذَا أَقُولُ إِذَا الْهَوَى أَوْمَا إِلَيَّ وَلَمْ يُنَادِ ؟ !
وَإِذَا الرَّحِيقُ دَعَا فَكَيْـــفَ يُجِيبُ خَمْرَتَهُ فُؤَادِي ؟!
وَإِذَا تَأَلَّقَتِ الرُّؤَى وَمَضَتْ تَوَهَّجُ فِي وِسَادِي ؟!
وَرَنَا لِيَ الْمَاضِي بِطَيْـــفٍ مِنْكِ مُرْتَعِشِ الْحِدَادِ
فَبِأَيِّ كَأْسٍ مِنْ دَمِي أَسْقِيهِ أَحْزَانَ الْمَعَادِ ؟ !

—

لَا تَتْرُكِينِي ضَلَّةً فِي الْأَرْضِ نَاكِلَةَ الرَّشَادِ
إِنِّي شَرِبْتُ عَلَى يَدَيْـــكِ مَعَ الْهَوَى نَدَمَ الرَّمَادِ …

—

لَا تَسْأَلِينِي بَعْدَ يَوْ مِكِ كَيْفَ أَيَّامِي تَسِيرُ !!
إِنِّي حُدَاءٌ سَاخِرٌ بِقَوَافِلِ الزَّمَنِ الْكَبِيرِ
لَـكِنْ سَأُصْبِحُ آهَةً وَلْهَى مُضَيَّعَةَ الْمَصِيرِ
فِي صَدْرِ مَصْلُوبٍ شَـقِيٍّ الْمَوْتِ مَظْلُومِ الضَّمِيرِ
فَإِذَا سَمِعْتِ صَبَابَةً غَنَّى بِهَا وَتَرِي الْأَخِيرُ …

—

لَا تَتْرُكِينِي بَعْدَهَا أَهْوَى السَّمَاءَ وَلَا أَطِيرُ !
إِنِّي شَرِبْتُ عَلَى يَدَيْـــكِ مَعَ الْهَوَى جَزَعَ الْهَجِيرِ

—

وَإِذَا تُسَائِلُكِ الْمَغَا نِي: أَيْنَ شَاعِرُهَا الْحَبِيبُ؟
قُولِي لَهَا : بَلْ أَيْنَ فِيـــكِ خَيَالُهُ الْغَرِدُ الْـ[illegible]
إِنَّا وَهَبْنَا رُوحَـهُ قَبَسًا لِعَالَمِهِ الرَّهِيبِ …
فَغَدَا شُعَاعًا هَائِمًا يَهْتَزُّ فِي فَلَكٍ غَرِيبِ
يَا فِتْنَةَ الْمَاضِي حَنَا نَكِ وَارْحَمِي نَغَمِي الْكَئِيبَ

—

لَا تَتْرُكِينِي مَوْجَةً تَفْنَى وَشَاطِئُهَا قَرِيبُ
إِنِّي شَرِبْتُ عَلَى يَدَيْـــكِ مَعَ الْهَوَى وَلَهَ الْمَغِيبِ !

—

مِنْ أَيِّ نُورٍ بَعْدَ نُو رِكِ يَسْتَقِي زَمَنِي سَنَاهُ ؟!
وَبِأَيِّ عِطْرٍ بَعْدَ عِطْـــرِكِ يَحْتَسِي قَلْبِي شَذَاهُ ؟!
وَبِأَيِّ خَمْرٍ بَعْدَ خَمْـــرِكِ خَافِقِي يَنْسَى أَسَاهُ ؟!
وَبِأَيِّ سِحْرٍ بَعْدَ سِحْـــرِكِ أَشْتَهِي مَالَا أَرَاهُ ؟!
وَبِأَيِّ وَحْيٍ بَعْدَ وَحْـــيِ هَوَاكِ يُلْهِمُنِي الْإِلَهُ ؟!

—

لَا تَتْرُكِينِي دَمْعَـــةً تَجْرِي بِأَجْفَانِ الْحَيَاهْ
إِنِّي شَرِبْتُ عَلَى يَدَيْـــكِ مَعَ الْهَوَى وَاحَسْرَتَاهْ !

—

لَا تَتْرُكِينِي فِي ضَلَالْ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالْخَيَالْ
فَلَرُبَّمَا أَفْنَى وَلَا يَفْنَى مَعِي طَيْفُ الْجَمَالْ
وَرُبَّمَـا أَنْسَى وَنَا رُكِ فِي رَمَادِيَ لَا تَزَالْ
إِنِّي تُرَابٌ لَا يُرِ يدُ الْبَعْثَ مِنْ فَرْطِ الْمَلَالْ
شَرِبَ الْهَوَى مِنْ رَاحَتَيْـــكِ فَرَاحَ يَشْرَبُهُ الزَّوَالْ

محمود حسن اسماعيل



أرقام وأصفار

فى خطبتى التى نشرت فى « الرسالة » عن « الهدف الأدبى للموسم الثقافى » عبارات لم ألقها فى حفلة الافتتاح لأنها لم تكن تناسب المقام، ولكل مقام مقال ، وهى العبارات التى تشكك فى قيمة التضامن وتجعله سناد الضعفاء.

فأين وجه الحق فيما قلت ؟

لقد وُفقت إلى عبارة طريفة حين سألت : « وهل تتجمع فى الدنيا أمة كما تتجمع أمة النمل ؟ » ولكن هل يكون معنى هذا الكلام أن النمل أمة ضعيفة ، لأنها لا تبنى المعاقل والحصون فى حدود مانتصور ، ولا تزحم البحار بالغواصات والأجواء بالطيارات؟

لقد وقعتُ فى خطأ فظيع ، فأمة النمل فى تكوينها المرسوم أمةٌ على جانب من النظام ، والنظام هو الذى حماها من الانقراض ، ومن آيات النظام عند أمة النمل أنها لا تفرق بين النهار والليل ، فهى تشتغل بالنهار والليل ، وقد جربت ذلك بنفسى

أترك هذا وأنتقل إلى مسألة الأرقام والأصفار ، وهى مسألة لم يخلُ كلامى فيها من اعتساف . فهل من الحق أنه يجب أن يكون الناس جميعاً أرقاماً لا أصفاراً ؟ وكيف وأنا نفسى اعترفت بأن الصفر تكون له قيمة حين يضاف إلى الرقم الصحيح ؟

إن المساواة المطلقة لم تتحقق ولن تتحقق ، لأنها ضلال فى ضلال ، ولأنها لن تكون إلا باباً من الانحلال ، فالناس يختلفون كما يختلف الشجر والنبات لغاية حقيقية هى الترابط بين أجزاء الوجود ، وكما تختلف المسامير التى تربط أجزاء السفين

وإذن يكون الرأى أن نقرر أن للصفر قيمة ، على شرط أن يتجنب الانحراف ، فيكون على اليمين لا على الشمال

لو وقف كل مخلوق فى الموقف الذى يأمر به العقل لظفر بالقيمة الحقيقية لوجوده الأصيل . وأين العقل الذى يأمر الصفر بأن يكون على الشمال ؟

فى مقدور الصفر أن يكون أكبر من بعض الأرقام إن راعى الواجب ، ولهذه الكلمة الأخيرة تفسير أو تفاسير قد نتحدث فيها بعد حين .

زكى مبارك

فى اللغة

كتب الأستاذ نجيب شاهين فى العدد ٤٨٩ تحت عنوان « إلى المجمع الملكى » ما رآه أنه الصواب لبعض الألفاظ والعبارات

غير أنه لم يكتب له التوفيق فى بعض ما رآه فمن ذلك :

١ — (لا زالت) يرى الأستاذ « أنها لفظة للدعاء وأن مدرسى مدارسنا لا يفرقون بينها وبين (ما زالت) فينشأ الطلاب على هذا الخطأ » .

(١) فما رأى الأستاذ فى كتب اللغة التى أوجبت أن تعتمد أفعال الاستمرار على نفى أو نهى أو دعاء وذكرت من حروف النفى لا ، لن ، ما (وقال علماء المعانى إن لكل مكانا) وقال النحاة : إن خروج « لا » من النفى إلى الدعاء لا يكون إلا بقرينة تعين الدعاء ومثلوا لذلك بـ « ولا زال منهلاً بجرعائك القطر »

(ب) وما رأيه فى أن القرآن الكريم استعمل زال معتمدة على النفى بلا فى قوله تعالى : « ولا يزالون مختلفين » كما ورد فى الأثر « لا تزال أمتى بخير ما فعلت كذا وكذا ... »

٢ — (شئون) يرى الأستاذ أن تكتب هكذا (شؤون) لأن ما قبلها مضموم وقياساً على رؤوس ، وما رأيه فى أن جميع كتب الإملاء ذكرت القاعدة الآتية :

« كل همزة وليها حرف مد كصورتها ليس ألف اثنين ترسم مفردة ... »

وليست كتابتها فى قاموس ما حجة تلزم أن تنقض القاعدة لتكون كما يرى الأستاذ .

محمد عبد الفتاح المقدم

مدرس بمدرسة حلوان الثانوية للبنات

حول اختلاف القراءات في القرآن

قرأت ما كتبه الأستاذ محمود عرفة تعقيباً على ما رأيته في سبب بعض القراءات ، فوجدته يتفق معي في أن هذه القراءات لا ترجع إلى اختلاف اللهجات ، ويخالفني في إرجاعها إلى قصد التيسير على المسلمين في القراءة على عهد النبوة ، لأن الحروف العربية في ذلك الوقت كانت كلها غير منقوطة ، وهذا يدعو إلى ذلك التيسير كاختلاف اللهجات سواء بسواء . وقد بنى الأستاذ إنكاره ما رأيت من ذلك على سبب غريب ، هو أن المسلمين على عهد الرسول كانوا يتلقون القرآن منه سماعاً ، ويطوون صدورهم عليه حفظاً وفهماً ، دون ما حاجة منهم إلى النظر في شيء من آياته مخطوطاً ، فهذا بلا شك أمر غريب لا يتفق مع المعروف عن المسلمين في ذلك العهد ، فإن جمهورهم لم يكن يأخذ نفسه بحفظ القرآن ، وكان القليل منهم يحفظ منه السورة أو السورتين ، وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم ولا يحفظ القرآن كله منهم إلا عدد لا يكاد يتجاوز عدد الأصابع

أما كتابة القرآن وقراءته فكان فيهما إذن عام من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن هناك إذن في كتابة الحديث لئلا يشتبه بالقرآن ، فكانت كتابة القرآن وقراءته في ذلك العهد منتشرة بين المسلمين ، وإذا كان كثير منهم لا يحفظه فإنه بلا شك تعتريه تلك الصعوبة في بعض الكلمات ، ومن هذا يجيء التيسير في قراءتها على ما تحتمله من الوجوه

أما حمل مثل هذه القراءات على التصحيف فأمر لا يصح أن يقال وخصوصاً مع وجود هذا المحمل السائغ ، وهو محمل يمكن أن يشمله ما ورد من نزول القرآن على سبعة أحرف ، لأن هذه القراءات ورد كثير منها في قراءات سبعية متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكثير منها روى عن بعض أصحاب النبي رضوان الله عليهم ولا تقتصر روايته على حماد وأمثاله

عبد المتعال الصعيدي

حول اختلاف القراءات

رداً على كلمة الأستاذ عبد المتعال الصعيدي المنشورة في العدد ٤٨٨ من مجلة الرسالة بعنوان « سبب مجهول من أسباب اختلاف القراءات » أقول : إن القراءات التي تعد أبعاضاً للقرآن يشترط فيها موافقتها للرسم المتواتر عن الصحابة ، وتواتر سماعها ، وموافقتها للعربية . فالمدار في كون القراءة بعضاً من القرآن على تواتر سماعها من النبي صلى الله عليه وسلم على أنها قرآن مبلغ عن الله تعالى . فقراءة (فتثبتوا) وقراءة (فتبينوا) قراءتان متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعناهما واحد ، لا أن الخط يحتملهما فقرأها فريق على أحد الاحتمالين ، وفريق على الاحتمال الآخر ، فإنكار أحدهما إنكار لبعض القرآن

وأما تجويز القراءة بما يحتمله الرسم وتظاهره العربية بدون نظر إلى الرواية فرأى شاذ لابن مقسم العطار وهو محمد بن الحسن المتوفى سنة ٣٥٤ استتيب بسببه (انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب وتاريخ بغداد)

وقراءة (أباه) بدل (إياه) شاذة قرأ بها الحسن البصري وابن السميفع اليماني وغيرهما . والقراءة الشاذة تكون في الأكثر مفسرة للقراءة المشهورة . فقراءة أباه تعين رجوع ضمير (إياه) إلى الأب مع احتمال رجوعه إلى إبراهيم باعتبار أن الأب ربما كان هو الذي وعد ابنه بالإيمان ، وفهم الحسن البصري عكس ذلك فقال إن الواعد هو إبراهيم حيث وعد أباه بالاستغفار .

ولو أن الأستاذ عبد المتعال اطلع على (تاريخ الأدب العربي للأستاذ الزيات) ص ٨٩ ، ٩٠ أو على كتاب في الفن (كمنجد المقرئين لابن الجزري) لما ذهب إلى هذا الرأي

محمد غسان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 491

Lundi - 30 - 11 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٩١ « القاهرة في يوم الإثنين ٢١ ذو القعدة سنة ١٣٦١ — الموافق ٣٠ نوفبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

إن هي إلا أسماء

للأستاذ عباس محمود العقاد

في ليالي القمر ، وفيما بين الخريف والشتاء ، ليس أجمل ولا أروع من مشية طويلة في صحراء « ألماظة » أو ما يليها من الطرق المعبَّدة بين الحدائق والرمال

هانيك ليالٍ تسبح في بحار من سحر النور وسحر الصحارى وسحر التاريخ ، بل النبوة إن صح ما قيل معززاً بالأسانيد أن موسى عليه السلام تلقى العلم هو وبنتاؤور ونخبة من الحكماء والعظماء بجامعة « أون » في هذا الجوار ، على أزمنة مختلفات

وما أذكر أنني مشيت في هذه الطرقات مع أحد إلا سألني : على اسم مَن من العظيمات أو الجميلات سُميت هذه الصحراء بألماظة ؟ وما معنى كلمة الكربة أو القربة أو القربى التي يطلقها الناس على الطريق المؤدي إليها من غير طريق قصر البارون ؟

ومجال التخيل أو مجال العبث هنا فسيح

أما مجال الصدق والتحقيق فهو لا يتسع لأكثر من سطور : ألمــاظة هي « المجزا » أو الـ Magazin بالإيطالية ترجمة للمخزن بالعربية ، والكربة أو القربى كما يكتبها بعضهم هي الـ Curva بالإيطالية ومعناها « التحني » أو المتعرج كما يترجمها زميلنا « المرصفي » رحمه الله لو سئل فيها

وقد نعلم أن معظم المهندسين والمفتشين فى ترام مصر الجديدة كانوا عند نشأتها من الطليان ، وكانوا يتحدثون عن المخزن فيقولون « المجزا » وينطقها العمال بعدهم « الماظا » أو ألماظة على سبيل التصحيح ، وخيرٌ من ذلك أن يقال على سبيل التغليط !

وكانوا إذا ذكروا المحطة الأخيرة قبل مدخل ألماظة ذكروا « الكرفا » أو موضع الانحناء فينطقها العمال بعدهم « الكربة » ويعربها بعضهم « بالقربى » على سبيل الحذلقة أو التحريف

فهذا هو الجد فى أصل « ألماظة » و « الكربة » فى غير تخيل ولا عبث ولا اختراع

أما مجال التخيل والعبث فكما قلنا فسيح ، وكما يستطيع كل مخترع أن يخترع باب على صحراء !

ونحن نعرف الذين يسألون فيجيبون ولا يسكتون ، ونعرف الذين يخلقون الأسماء أو يخلقون القصص والتواريخ حول الأسماء ، فلو سئل واحد من هؤلاء : ما ألماظة ؟ ومن هى رحمها الله ؟ أو سئل : ما القربى ؟ ومن أى شيء تقترب باذن الله ؟ فماذا تراه يقول ؟ وأى قصة لا يجوز أن تتألف وتتضخم فى جواب هذا السؤال ، وتفسير معنى الاسمين العجيبين وما فيهما من الشعر ما يغرى بالاختراع ؟

لقد رأينا كيف اخترعت قصة « أنس الوجود والورد فى الأكمام » حول قصر مهجور بجزيرة « فيلة » عند الشلال ؟ ورأينا أن القصر المهجور أصبح معقلاً مبنياً لفتاة يعشقها فتى مفتون بها يتعقبها من وراء البحار والأنهار والجبال والرمال ؟ ولمن يبنى مثل هذا القصر إن لم يبن لبنت وزير ؟ ولماذا يبنى إلا للحيلولة بين عاشقين ؟ ذلك أمر معقول أدنى إلى العقل من التاريخ ، ولهذا غلب اسم أنس الوجود على القصر حتى عرف به فى الكتب وشاع بين الألسنة والأسماع ذلك الاسم الذي يسميه به المؤرخون

***

قال الراوى : أما ألماظة والقربى وقصر البارون فلها حديث عجاب ، ونبأ مستطاب ، يدهش الألباب ، وتتحلى به الصحيفة والكتاب .

فالأصل فى ألماظة « ألماسة » على التحقيق ، لأنها كانت جوهرة مكنونة تحاط بالظلمات والسدود ، ويقام من حولها الحراس والأجناد

وكانت « ألماسة » هذه جوهرة موموقة على سبيل المجاز ، وفتاة معشوقة على سبيل الحقيقة التى يعلمها الراسخون . حجبوها لأنهم عشقوها فتعقبوها ، وحاروا كيف يخفونها ويكتمون سرها لأن الذين تعقبوها كانوا ينفذون إلى كل سر ويحيطون بكل مكان ... بنت وزير لا بد أن تكون حتى يستطاع نقلها من سهل إلى جبل ومن بحر إلى بر ومن بستان إلى صحراء ، وابن أمير لا بد أن يكون ذلك الذى هام بها وتعقبها حتى يستطيع أن يخيف الوزير على فتاته ويستطيع فوق هذا أن يهتدى إليها حيثما ضلله المضللون ، وأن يطمع فى اغتصابها ولو حماها منه الكماة المستبسلون

عرفنا السر إذن ووضعنا أيدينا على مفتاحه المكنون ، ولم يبق إلا أن نتعقب المتعقبين إلى حيث يفلحون أو يخفقون

قال الراوى : وخرج الأمير الصغير يتنسم الأخبار ، ويجوب الأقطار ، ويتقلب بين الجزر والبحار ، فوقف على كل جزيرة ، ومخر فى كل بحر ، وسأل كل ركب ، وتحير عند كل طريق ؛ إلى أن أراد الله اللقاء ، وأذن بانقضاء الفرقة والجفاء ، فوقع المحب الوامق على المسئول الذى يجيب عن كل سؤال ، لأنه ساحر يضرب الرمل ويعرف طريق الرمال

قال له يا بنى ، إن نجم صاحبتك فى الرمل وليس فى الماء ، فاخرج إلى صحراء مصر بعيداً من بحر القلزم وبعيداً من بحر الروم ، وعلى ملتقى الخطين من هذين البحرين ، وامش كذا مئات من الخطوات ، واتل كذا صفحات من الرق والتعاويذ ، وادن إلى قصر شامخ وصرح باذخ ، فاحمد الله على بلوغ المراد ، وانحر هناك الجزور للقصاد والوراد ، ولكن حذار أن يخدعوك ، وإياك إياك أن يسترجعوك ، فإنك إن دخلت القصر الشامخ وجدته خواء لا أنيس فيه ، فزعمت أنهم كانوا فيه ثم تركوه ينهى من بناه ، ونكصت على أعقابك وأنت على مدى لحظات من ديار الحبيب الموعود

حذار يا بنى أن يخدعوك ، وإياك إياك أن يسترجعوك

فإذا بلغت تلك القصور ، فلا تقف عندها إلا ريثما تنحر الجزور ، وتنصب القدور ، وتطلق البخور ، وتشكر ربك الشكور ، ثم دع القصر المعمور ، واضرب فى الخلاء المهجور ، فهنالك تنحنى وتدور ، وعند المنحنى تستقبل مطالع النور ، ومنازل البدور ، وتنادى يا ألماسة يا ألماسة فينكشف المستور ، وينفتح ما وراء السور ، ولى منك البشارة يوم تقام الأعراس ويشدو فى الحى قرىّ السرور ، وبشير الحبور

قال الراوى ، فلما جاوز القصر ، وانحنى إلى القفر ، صاح وافرحاه ! واطرباه ... دنت القربى والحمد لله !

وكان وراءه مسجل الأسماء الذى حضر كل تسمية فى الأرض والسماء ، فقال : هذا هو حى « القربى » ... فسمع الناس الدعاء ، وكانت « الكربة » على منعرج الصحراء !

قصة أين منها قصة أنس الوجود والورد فى الأكمام ؟ وأين التوفيق بين ألماظة والقصر الهندى بصحراء مصر الجديدة ، من التوفيق بين أنس الوجود ومعابد البطالة بجزيرة الشلال ؟

***

فى ليلة من ليالى القمر الماضى كنت أتمشى مع صاحب يُستحب الحديث معه على مقربة من تلك الصحراء ، فبدر السؤال الذى بدر قبل الآن عشرات المرات ، وكنت أستطيع الإيجاز فأروى لصاحبى قصة « الجزا » و « الكرفا » فى كلمتين معجلتين ، وأستطيع الإطالة فأنسج له رواية مسهبة تطول وتطول ، ثم تماد فتجر من ورائها الذيول . فآثرت الإطالة على الإيجاز ، وأفضت فى الاختراع والتلفيق على نحو يجمع بين التاريخ والرواية ، وذكرت السنوات وسميت الأسماء وأصحبت الحديث بالتعليق ، الذى ينوب عن « التأثر » والتصفيق ، وانتهيت من القصة كأننى أشكك فيها ، وألقى التبعة على ناقلها وحاكيها ، فكان شكى مدعاة لقبولها ، والجنوح إلى تصديقها ، والنفرة من مكذبيها ، ثم انتهت الإطالة إلى مداها ، فأردت أن أصلها بإيجاز من غير لحمتها وسداها ، فلا يسألنى القارئ عن الخيبة التى قوبلت بها الحقيقة الواقعة ، فلعلها كانت أبلغ من الحماسة التى قوبل بها التلفيق والاختراع ، ولا يعجبنى كراهة المحزن والكرفا فإنها لن تروق القلوب الفتية كما تروقها ألماسة والقربى ، وهكذا معظم الحقائق ومعظم الأوهام ومعظم الأسماع ومعظم العقول

وكم للحق من وحشة ! وكم للوهم من حظوة ! وكم من الناس يأبون أن يصدقوا ما يرون ويسمعون لأن صدق الحياة أليم ، فإذا هم يصدقون من يحجبون الصدق عنهم لأنه حجاب مزخرف وثير

***

وعدنا فى الطريق فإذا نحن على مقربة من مسجد يتوسط بين القصر والمنحنى ، فعاد صاحبى يقول وكأنه ينتقم منى بما يقول : وأظن ها هنا كان موضع الجزور والقدور ، ومقام الصلاة من ذلك المحب الشكور !

قلت : مرحى ! مرحى ! فهكذا قال الراوى ونسيت ، وهكذا يفيد التعليم فى السامع النجيب !

يقول شكسبير : وماذا فى اسم ؟

كثير يا شكسبير !

عباس محمود العقاد

السوقية فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

قرأت مقال الأستاذ الزيات الذى عنوانه « دفاع عن البلاغة » ، فوقع فى نفسى على القبول والاستحسان ، وألفيته ترجماناً عن معان ترددت فى نفسى ورددها لسانى ، وذكرنى بحديث تحدثت به فى دمشق فى دار الأستاذ الصديق العلامة محمد كرد على رئيس المجمع العلمي العربى

أذكر أنى جلست والأستاذ مرة فأخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ، وأفضنا فى أمور شتى حتى دفعنا فى الكلام عن الأدب وما عرض له من آفات ، وما حاق به من مساوئ الاتجار ، ومسايرة الآلات الحديثة عجلة واندفاعاً ، ومن تملق الجمهور بالإسفاف إليه ، والتيسير عليه ، وإمتاعه وتلهيته بما يلائم القراءة العجلى والنظرة السريعة . وقد أجملت هذا كله فى كلمة ، فقلت : « قد غلبت السوقية على الأدب » قال الأستاذ : أصبت الحزّ بهذه الكلمة ، وأحسنت التعبير عما يسميه الفرنسيون : Mercantalisme

وبيان هذا أن الآلات الحديثة يسرت الصناعة ، وعممتها ، وزوقتها ، ولبست الجيد الثمين والردىء الرخيص فى بعض المظاهر . فطمح كل فى اقتناء الأمتعة التى كان لا يطمع فيها إلا الأغنياء ، وطمع الفقراء فى منافسة الأثرياء بأمتعة تقارب أمتعتهم أو تشبهها شكلا ولوناً ، وقابل الصناع والتجار هذا الطموح وذاك الطمع بما يسده من بضاعة مزيفة مزينة خدّاعة ، وكسدت الصناعات اليدوية الجيدة التى تكلف الصانع عمل الأشهر أو السنين ، وأعرض الناس عنها مشفقين من تكاليفها . فمن لم يملك ثمن الحرير الطبيعى أو لم تسخ يده به عمد إلى الحرير الصناعى ، ومن لم يستطع اقتناء الذهب اقتنى المذهب أو المموّه . ومن لم يتسع ماله لاشتراء الماس اشترى ما يشبه الماس ، ومن لم يقدر على اللؤلؤ البحرى لجأ إلى اللؤلؤ الصناعى ، وهلم جرّا . فشاع بين الناس الصناعى إلى جانب الطبيعى ، والمقلد إلى جانب الأصلى ، والسوقى إلى جانب المستصنع ، والزيوف إلى جانب الجود ، والبهرج بجانب الصحيح

والعلم على هذا القياس ، فقد تولّت الحكومات التعليم فيما تولت ، فحدّدت زمانه ومكانه وموضوعه ودرجاته ، وخطّت الخطط لتعميمه ، وجعلت له شهادات تشهد لصاحبها بالعلم وعلى من لا يحملها بالجهل ، وحُشِر إلى دور العلم الراغب والكاره والأهل وغير الأهل ، ووُجّه الأحداث الوجهة التى يريدها العرف أو النظام أو الضرورة لا التى تميل إليها نفسه ، وتختارها مواهبه . وجرف التيار الناس ، فصارت المدارس مصانع تصنع التلاميذ على قوالب متماثلة أو متشابهة ، أو مطابع تخرج آلاف النسخ من كتاب واحد ، وتقدم أصحاب الشهادات إلى الأعمال كما تعرض السِلَع فى الأسواق

قال بعض السامعين : أليس نشر العلم وتعميمه خيراً للناس ؟ قلت لا ريب أنه خير ولكن معه شرا هو الذى حدثتك عنه . ولست أبغى الآن أن أفيض فى هذا الداء وأدويته ولكن ساقنا إليه الحديث فى الأدب

قال أحد الأصحاب وهو الحديث الذى بدأناه ثم حدنا عنه فلم نعد إليه .

قلت : والأدب على هذا النسق . الجرائد والمجلات والكتب شاعت وانتشرت ، وصار الكاتب بهذه الوسائل الحديثة السريعة يعرض على الناس ما يكتب وكأنه ماثل أمامهم يحدثهم به أو يخطب فيهم . فهو يسايرهم مسايرة المحدث أو الخطيب ، ويلقاهم كل يوم على صفحات الصحف ، يلتمس رأيهم فيما كتب ، ويتعرف موقعه من نفوسهم . وكلما أرضى الكاتب جمهرة القراء سمع ثناءهم عليه وإكبارهم إياه فحرص على هذا الرضا رغبة فى علوّ المكانة وبعد الصيت . واضطر إلى أن يُسفّ إليهم دون أن يرفعهم إليه ، وأن يجاريهم دون أن يصدهم عما يشتهون ، وأن يلاينهم دون أن يحملهم على ما يكرهون أو يكبحهم عما يهوون ، وأن يلهيهم ويضحكهم لا يشق عليهم ولا يسومهم عناء . فكأن الكاتب تاجر وكأن كتابته سلع فى الأسواق أيضاً . والتاجر

يلتمس لكل سوق ما يروج فيها . والردئ الرائج خير له من الجيِّد الكاسد .

ووراء هذا أصحاب الصحف والمكتبات والمطابع يبغون الربح فى تجارتهم ، والربح على قدر إقبال الجمهور علي ما يخرجون ، وإقبالُ الجمهور على قدر هواه ومتعته ولهوه . فالكاتب الذى يرضى الجمهور ويُمتعه ويلهّيه أقرب إلى أصحاب الصحف والمكتبات والمطابع ، يبذلون له المال ، ويسارعون إلى نشر ما يريد . على حين يجفون الكاتب المبدع الذى يحمل الناس على المكرَه ، ويقودهم على الطريقة التى فيها صلاحهم وإن نفروا عنها نفور المريض من الأدوية الكريهة .

قال صاحبي الملول : وما وراء هذا ؟ قلت : وراءه ما زعمتُه أول الحديث من غلبة السوقية فى الأدب ؛ فقد صار بضاعة فى السوق أو تلهية فى الملاهى ، أروجُها أقربها إلى عقول الناس ، وطباعهم وإن تفهت وحقرت ، وانتهت بهم إلى المهالك . وأ كسدها ما علا عن إدراك العامة وأشباه العامة ، وما اقتضى فهمه عقلاً وعلماً وضاق عن الجمهور ووسع الخاصة وحدهم . فن شاء مالاً ورواجاً وصيتاً ومكانة عند العديد الأكثر فليطلع على الناس كل يوم بقصة أو نادرة أو ملهاة مما يقرأ فى القطار والترام وحين انتظارهما ؛ وليتجنب الموضوعات التى تحوج القارئ إلى الجِد والكدّ ، والألفاظ التى تحتاج إلى علم باللغة واسع ، والأساليب التى تقتضى التمهل والتأمل لإدراك ما فيها من جودة وبراعة وجمال .

ومن ابتغى إصلاح الجمهور وتهذيبه وتعليمه وشاء الخير العام للناس ، ورغب فى الحقيقة والجمال لا يبالى أين يقعان من نفوس الدهماء فلا يتعجّلنّ المكانة والصيت والمال وليكتب ابتغاء مرضاة الله ، وليدعُ إلى الخطة الرشيدة ، وليسمُ إلى مستوى الحق والخير والجمال ، وليبلّغ ما يوحى إليه ربّه ، ويهدى إليه قلبه . وإن طمع فى المكانة وحسن الأحدوثة فليعلم أنه منته إليهما لا محالة ؛ ولن يضيع الخير والحق والإجادة والاتقان على مر الزمان ، ولن يذهب العرف بين الله والناس .

فإن سأل سائل : أتريد الناس كلهم على قراءة الأدب الرفيع والفلسفة العالية ؟ قلت لا لا ، بل أريد ألا تتحكم السوقة فى الأفكار والأقلام ، وألا يطغى الرواج على الجودة . أريد أن يؤدى الكاتب أمانته ، ويبين عقيدته ، غير حاسب حساب السوق، وليكن بعد هذا فى الكتابة ما يلائم العامة وما يلائم الخاصة ، وما يجمع بينهما . أريد أن يعلو الكاتب ما مكنه طبعه ، وأن يدق ما شاء له فنه ، لا يعنيه إلا أن يؤدى واجبه على الوجه الأكمل . وكذلك أريد أن ينزل الكاتب الآخر كما يريد طبعه ، وأن يسهل ويدنو كما يشاء فنه . لكل وجهة ، ولكل مجال ، ولكل قراء . وإذا صدق كل كاتب نفسه ، وأخلص لعمله ، فرّقت الكتابَ المعارفُ والطبائع ؛ فعلا جماعة وهبط آخرون ، وبعد كاتب وقرب آخر ، وكانت ضروب الكتابة معربة عن ثقافة الأمة وأذواقها ، ملاقية أصناف الناس بما يسد حاجاتهم ، ووجد الناس الصعب والسهل ، والبعيد والدانى ، والغالى والرخيص ، كلاً فى بيئته وفى مظانّه . لا أدعو إلى أن يصير الأدباء فناً واحداً فى البيان وأسلوباً عالياً فى الكتابة ، ولكن أخشى أن تذهب السرعة بالاتقان ، وتطغى التجارة على الإحسان ، ويمتحن الكتاب حتى يروا حسناً ما ليس بالحسن ، ويجرفهم السيل فيتجهوا حيث يريد الناس لا حيث يريدون ، وينتقل الزمام من يد القائد إلى يد المقود ، ويسير الإمام خلف المأموم ، فتنبهم الغايات ، وتلتبس الطرق ، وتشتبه الأعلام . وما ظنك بجماعة تسير على غير سبيل إلى غير غاية ؟

عبد الوهاب عزام

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٩ ــ ٧ ــ ١٩٤٢ فى القضية رقم ١٥٤٩ جنح سنة ١٩٤٢ عسكرية ضد عبده محمد الحوشى ش ٢٦ تاجر حدايد دمنهور حارة الدقاق بملكه بالغرامة ٥٠ جنيه والغلق والمصادرة والتعليق على محله ومركز البوليس والنشر على مصاريفه لبيعه اسمنت بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكم فى الجنحة ٨٩٩ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٩ ــ ٩ سنة ٩٤٢ بحبس واصف رزق شحاته بقال بالعباسه مركز مغاغه ثلاثة شهور شغل وغلق المحلّ ثمانية أيام لأنه اختزن سكر وامتنع عن بيعه بالتسعيرة

حكم فى القضية ن ١٦٦٣ جنح عسكرية سنة ٩٤٢ ضد نبوية محمد سالم بتغريمها ١ جنيه والنشر والتعليق بتاريخ ٩ ــ ٩ سنة ٩٤٢ وذلك لبيعها قمحاً بسعر اكثر من المحدد

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

٢ - الشـــوقيات

للدكتور زكي مبارك

مصاير الأيام — قصائد سورية — قصائد لبنانية — مصرع شوق — شعور شوقي بالوجود — بين أحمد شوقي وحافظ ابراهيم

مصاير الأيام

هذا عنوان قصيدة صوّر بها شوقي صروف الحياة من عهد الطفولة إلى عهد المشيب ... ابتدأ الشاعر بحياة الطفل في « المكتب » ، والمكتبُ كلمة جديدة يراد بها المدرسة الأولية ، وهي كذلك في عُرف وزارة المعارف ، فهي تقول المكاتب العامة بعد أن كانت تقول المدارس الأولية . وكان العُرف المدرسي قبل سنين يعمّم كلمة المكتب بحيث تشمل حجرة الدرس ، ولو كانت في مدرسة عالية

وشوقي في هذه القصيدة يتمثل حياة الأطفال ؛ ويحسها أصدق إحساس

ألاَ حبذا صحبةُ المكتبِ   وأحبِبْ بأيامها أحبِبِ

ويا حبذا صِبْيَةٌ يلعبون   عِنانُ الحياة عليهم صَبِي

كأنهم بَسَمات الحياة   وأنفاس ريحانها الطيِّب

وعبارة « عِنان الحياة عليهم صَبِيّ » عبارة طريفة ، والمراد بصِبا العنان هو الرقة واللين

ثم يلتفت الشاعر فيرى أن الأطفال لا يفرحون بالمكتب كل الفرح ، ولا يرتاحون إليه كل الارتياح ، وكيف والأمر كما قال :

يُراح ويُغدَى بهم كالقطيع   على مشرق الشمس والمغربِ

إلى مرتعٍ أَلِفُوا غـيره   وراعٍ غريب العصا أجنبي

وهذان البيتان من أروع ما صوّرت به حياة الأطفال في رعاية المعلمين !

وصوّر اختلاف قوامهم باختلاف أسنانهم فقال :

فراخٌ بأيكٍ فمن ناهضٍ   يروض الجناح ومن أزغب

وصوّر غفلتهم عن المصير المرتقب فقال :

مقاعدهم من جَناح الزمان   وما علموا خَطَر المركب

وقد جاد الوحي على شوقي ببيتين في غاية من العذوبة والصدق ، أما البيت الأول فهو قوله في تلوين حيوية الأطفال :

عصافير عند تهجّي الدروس   مهارٌ عرابيد في الملعبِ

وأما البيت الثاني فهو قوله في اختلاف الإحساس باختلاف أوقات الجَرَس :

لهم جرَسٌ مُطربٌ في السراح   وليس إذا جَدّ بالمطربِ

وهل ينسى المدرسون لا التلاميذ أن جرس الانصراف محبوب الرنين ، وأن جرس الدرس بغيض الضجيج ؟

وأذكر من باب الفكاهة أني كنت أشرح لأحد نظار المدارس قيمة الطرافة في هذا البيت فقال : إن شوقي نسي جرس الغداء !

ثم قال شوقي :

جنون الحداثة من حولهم   تضيق به سَعةُ المذهب

عدا فاستبدّ بعقل الصبيّ   وأعدى المؤدب حتى صبي

والغرض قد التوى على شوقي في هذين البيتين بعض الالتواء ، لأنه ساوى بين الجنونين : جنون الأطفال وجنون المعلمين

وأخطأ شوقي في اختيار كلمة « المؤدب » ، والصواب أن يقول « المعلّم » . فهناك فرقٌ بين التأديب والتعليم ، فالتأديب هو التثقيف ، والتعليم هو التربيب . وفي كلام الجاحظ عبارة تفصح عن الفرق بين المؤدب والمعلم ، وتدل بوضوح على أن المؤدبين أكبر من المعلمين

ثم نقل شوقي تلاميذه من المكتب إلى المدرسة ثم إلى الحياة فقال :

فياويحهم ! هل أحسُّوا الحياة   لقـد لعبوا وهي لم تلعب

تجرب فيهم وما يعلمون   كتجربة الطب في الأرنب

سقتهم بسم جرى في الأصول   وروّى الفروع ولم ينضب

ودارَ الزمان فدال الصِّبا   وشب الصغار عن المكتب

وجدّ الطّلاب وكدّ الشبا   ب وأوغل في الصعب فالأصعب

وعادتْ نواعمُ أيامـه   سنينَ من الدأب المنصِب

وعُذِّبَ بالعـلم طُلّابُهُ   وغصُّوا بمنهله الأعذَب

والمجال يضيق عن تشريح هذه القصيدة ، القصيدة التي قال فيها شوقي :

وكم منجب في تلقي الدروس   تلَـقَّى الحياةَ فلم يُنجبِ

فأرجو أن يلتفت إليها المتسابقون ، لأنها من غرر الشوقيات

قصائد سورية

في المقال السالف نصصنا على السر فى اهتمام شوقى بأخبار سورية ولبنان ، فلنذكر اليوم أن الشاعر تحدث عن سورية فى قصائد جياد ، منها القصيدة التى تحدث فيها عن الشهداء فى سبيل الاستقلال :

بني سوريةَ التئموا ليومٍ ... خرجتم تطلبون به النزالا
سلوا الحرية الزهراء عنا ... وعنكم هل أذاقتنا الوصالا
وهل نِلنا كلانا اليومَ إلا ... عراقيب المواعد والمطالا
عرفتم مهرها فمهرتموها ... دماً صَبَغ السباسب والدغالا
وقمتم دونها حتى خضبتم ... هوادجها الشريفة والحجالا
دُعوا فى الناس مفتوناً جبانا ... يقول : الحرب قد كانت وبالا
أيطلب حقهم بالروح قومٌ ... فتسمع قائلاً ركبوا الضلالا

ومنها القصيدة الأموية ، وقد أشرنا إليها فى المقالة الماضية . ومنها القصيد الذى لا يطاوله قصيد ، فما نظم شاعرٌ أروع مما نظم شوقى فى « نكبة دمشق » ، ولا ارتاع شاعر كما ارتاع شوقى لنكبة دمشق :

لحاها الله أنباءٌ توالتْ ... على سمع الوليّ بما يَشُقُّ
يفصّلها إلى الدنيا بريدٌ ... ويجملها إلى الآفاقِ بَرقُ
تكاد لروعة الأحداث فيها ... تخال من الخرافة وهى صدق
وقيل معالم التاريخ دُكّتْ ... وقيل أصابها تلَفٌ وحَرْقُ
ألستِ دمشق للاسلام ظئراً ... ومرضعةُ الأبوّة لا تُعَقّ

وفى هذه القصيدة يقول شوقى فى وصف ما صنعت النكبة بنساء دمشق :

بَرَزْنَ وفى نواحى الأيك نارٌ ... وخَلْفَ الأيك أفراخ تُزَقّ
إذا رمنَ السلامةَ من طريقٍ ... أتتْ من دونه للموتِ طُرقُ
بليل للقذائفِ والمنايا ... وراء سمائه خطفٌ وصعْق
إذا عَصَف الحديد احمرَّ أُفقٌ ... على جَنَباتِهِ واسودَّ أُفق

ثم توحى إليه ملائكة الشعر أن يقول :

بنى سورية اطّرحوا الأمانى ... وألقوا عنكم الأحلامَ ألقُوا
فمن خِدَعِ السياسة أن تُغَرُّوا ... بألقاب الإمارة وهى رِقُّ
وكم صَيَدٍ بدا لك من ذليل ... كما مالتْ من المصلوب عُنق
نصحت ونحن مختلفون داراً ... ولكن كلنا فى الهمّ شرق
ويجمعنا إذا اختلفتْ بلادٌ ... بيانٌ غيرُ مختلف ونُطق
وقفتم بين موتٍ أو حياةٍ ... فإن رمتم نعيم الدهر فاشقُوا
ومن يسقى ويشرب بالمنايا ... إذا الأحرار لم يُسقَوا ويَسقُوا
ففى القَتلى لأجيالٍ حياةٌ ... وفى الأسرى فدًى لهم وعتق
وللحرية الحمراء بابٌ ... بكل يَدٍ مضرَّجة يُدقّ

هل يحتاج هذا الشعر إلى شرح ؟ هيهات !

قصائد لبنانية

الذاق يختلف بعض الاختلاف أو كل الاختلاف بين قصائد شوقى السورية وقصائده اللبنانية ، فهو فى الشام يعانى نارَين : الذكريات للأمجاد الأموية ، ونار الحقد على الاستعمار الفرنسى ، وقد جاهده السوريون أصدق الجهاد ، وعانَوْا فى دفعه مكاره لا تطاق

ولا كذلك حال شوقى فى لبنان ، فهو هنالك شاعر يصدح فوق أفنان الجمال ، ولا يرى ما يسوءه من الاضطهاد ، لأن الظواهر كانت تزعم أن الفرنسيين واللبنانيين على وفاق

كان لبنان لعهد زيارات شوقى وطن الشعر والجمال والأمان والرخاء . وكان اللبنانيون على فطرتهم الأصيلة من الترحيب الصادق بكل من يزور وطنهم الجميل ، فأنس بهم شوقى كل الأنس ، واطمأن إليهم كل الاطمئنان

أيام شوقى فى سورية كانت أيام جهاد ، أما أيامه فى لبنان فكانت أيام شِهاد

كان شوقي يكره أن يقول إن شبابه إلى أفول ، وإن جاوز الستين ، ثم شاء شيطانه أن ينقله إلى « زحلة » وطن الرحيق ، ومعه المحامى فكرى أباظة والموسيقار محمد عبد الوهاب . وفى لحظة من لحظات الصراع بين العيون والقلوب هان عليه أن يبكى الشباب الذاهب فيقول :

شيّعتُ أحلامى بقلبٍ باكِ ... ولمت من طُرُق الملاح شباكى (1)
ورجعتُ أدراجَ الشباب ووِردهُ ... أمشى مكانهما على الأشواك
وبجانبى واهٍ كأن خفوقه ... لما تلفّت جهشة المتباكى
شاكى السلاح إذا خلا بضلوعه ... فإذا أُهيب به فليس بشاكى
قد راعه أنى طويت حبائلى ... من بَعد طول تناولٍ وفكاك
ويح ابن جنبى ، كل غاية لذة ... بعد الشباب عزيزة الإدراك
لم تبق منا يا فؤاد بقيةٌ ... لفتوةٍ أو فضلةٌ لعراك

(1) فى الديوان « لمحت » وهى غلطة مطبعية لم يتنبه لها أكثر من نقلوا هذه القصيدة عن الديوان

كنا إذا صفقت نستبق الهوى ... ونشد شد العصبة الفتاك
واليوم تبعث فى حين تهزنى ... ما يبعث الناقوس في النساك

وكان الرأى أن تلقى هذه القصيدة فى حفلة أعدها أهل زحلة لتكريم شوقى ، وكان الأستاذ فكرى أباظة هو الأثير عند شوقى حينذاك فى إلقاء شعره البليغ ، فاعترض الموسيقار عبد الوهاب قائلاً إن هذه القصيدة للغناء ، وليست للالقاء ، ثم صدح بصوته الرنان :

يا جارة الوادى طربت وعادنى ... ما يشبه الأحلام من ذكراك
مثلت فى الذكرى هواك وفى الكرى ... والذكريات صدى السنين الحاكى
لم أدر ماطيب العناق على الهوى ... حتى ترفق ساعدى فطواك
لا أمس من عمر الزمان ولا غد ... جمع الزمان فكان يوم لقاك[1]

وفى هذه القصيدة يقول شوقى على عادته فى التخوف من محجب الغيوب :

لبنان ردتنى إليك من النوى ... أقدار سير للحياة دراك
تمشى عليها فوق كل فجاءة ... كالطير فوق مكامن الأشراك

مصرع شوقى

فى مكتبة الدكتور طه بك حسين ظرف مختوم كتب عليه : « مصرع شوقى » فما الذى يحتويه ذلك الظرف المختوم ؟

فى إحدى المصريات من صيف سنة ١٩٢٥ أو سنة ١٩٢٦ حدثنى الدكتور طه حسين أن شوقى أسف أبشع الإسفاف بقصيدة نشرتها جريدة المقطم عن هوى شوقى فى لبنان

وأعترف أنى كنت أرى ما يرى الدكتور طه فى تلك القصيدة يومذاك ، فقد نشرت فى المقطم على أسوأ حال من التحريف

ثم دارت الأيام وعرفنا أنها أجود مما كنا نتوهم ، وأنها فى كل خاطر وعلى كل لسان فى لبنان

ثم دارت الأيام مرة ثانية فعرفنا أن الأريحية اللبنانية سمحت بأن يكثر من يقولون إن شوقى عناهم بذلك القصيد ، القصيد الذى يهتف :

وأغر أكحل من مها « بكفية » ... علقت محاجره دمى وعلقته
لبنان دارته وفيه كناسه ... بين القنا الخطار خط نحيته
السلسبيل من الجداول ورده ... والآس من خضر الخمائل قوته
دخل الكنيسة فارتقبت فلم يطل ... فأتيت دون طريقه فزحمته
فازور غضبانا وأعرض نافراً ... حال من الغيد الملاح عرفته
فصرفت تلعابى إلى أترابه ... وزعمتهن لبانتى فأغرته
فمشى إلى وليس أول جؤذر ... وقعت عليه حبائلى فقنصته
قد جاء من سحر الجفون فصادنى ... وأتيت من سحر البيان فصدته
لما ظفرت به، على حرم الهدى ... لابن البتول وللصلاة وهبته

إلى آخر القصيد

شعور شوقى بالوجود

بين قصائد شوقى فى سورية ولبنان وقصائده فى البلاد التركية والفرنسية آماد طوال ، ومع هذا نجد أن إحساسه بالوجود على اختلاف الأزمان غاية فى القوة والبريق

وهل ننسى أن الجرائد المصرية لم تجد عند مصرع باريس فى الحرب الحاضرة غير ما توجع به شوقى لباريس فى الحرب الماضية ؟

ولقد أقول وأدمعى منهلة ... باريس لم يعرفك من يغزوك
زعموك دار خلاعة ومجانة ... ودعارة ، يا إفك ما زعموك
إن كنت للشهوات ريا فالعلا ... شهواتهن مرويات فيك

ومن هذا الكلام نعرف أن للعلا شهوات أعنف من شهوات الأهواء .

وقصيدة شوقى فى غابة بولونيا قديمة العهد ، وهى مع ذلك لطيفة النفس ، ذكية الروح

وأبياته فى « شبه أمينة » أبيات لطاف ، وقد رأيت بعينى صورة أمينة فى غرف كثيرة من دار شوقى ، بدون استثناء لحجرة الاستقبال ، وهى البنية التى قال فيها ذلك الأب الحنان :

وكم قد خلت من أبيك الجيوب ... وليست جيوبك بالخاليه

ثم ماذا ؟

ثم يبقى الحديث عن القصيدة التى حفظها غريم شوقى فى الشعر والبيان ، وهو حافظ ابراهيم ، مع تفاصيل يوجبها التاريخ ، ليعرف المتسابقون سرائر هذين الشاعرين ، وليواجهوا يوم الامتحان مدرعين بالبصيرة واليقين . والله عز شأنه هو القادر على أن يجعلهم طلائع الفكر والرأى فى هذا الجيل .

زكى مبارك

---

(١) هذه القطعة مشهورة جداً ، ولها ترتيب غير هذا الترتيب .

عثرت به وعثرت عليه

للأستاذ محمد مندور

لم يكن فى عزمي أن أرد على زكريا أفندى إبراهيم لأن المناقشة لم تكن بيني وبينه ، وإنما فعلت لأننى رأيته قد أثار مسألتين حسبت فى إيضاحهما فائدة لعامة القراء وقد اعتمدت فى تأييد استعمالى « لعثرت ب » على مبادىء لغوية عامة لم يقتصر العلم بها على الباحثين فى علم اللسان بل سبقهم إليها ولحقهم الفلاسفة وكافة المفكرين . فاللغات كما قلت مجازات ميتة فى الكثير من مفرداتها ، فنحن عندما نقول بالفرنسية مثلاً abimer بمعنى « أتلف » نستعمل مجازاً ميتاً لم يعد يحس به أحد ، وذلك لأن معنى هذا الفعل الاشتقاق فى اللغة الفرنسية هو « يلقى فى هاوية » (هاوية : abime) ، وكذلك الأمر فى اللغة العربية ، فالرفعة والسمو والانحطاط مثلاً كل هذه الألفاظ كانت معانيها الأولى حسية ، ثم ماتت تلك المعانى وأصبحنا نستعمل تلك الألفاظ فى الدلالة على الصفات المعنوية المعروفة ، وهكذا مما لا حصر له فى كافة اللغات . ولقد كانت هذه الحقيقة من الأسس التى بنىّ عليها الفلاسفة الإنجليز أصحاب المذهب الحسى فى المعرفة ومتابعها مذهبهم ، إذ لاحظوا أن معظم ألفاظ اللغة كانت فى الأصل تدل على معان تدركها الحواس ثم انتقلت إلى المعنويات

وعلى هذا يتضح لنا أن عثر فى معناها الأصلى لم تكن تفيد الاطلاع مصادفة أو عن بحث فى شىء ، وإنما أفادت هذين المعنيين تجوزاً ، وحروف الجر فى كافة اللغات من أدوات نقل المعنى ، ومن ثم فعندما نقول عثرب ، أو عثر على ، يجب أن نحدد الفارقات بين الاستعمالين تبعاً لدلالة حرفى جر ومنحاهما فى نقل المعنى . والذى لا أشك فيه أننا نقول « عثر الجواد بحجر » ونكون بذلك فى حدود المعنى الحقيقى بحيث إذا تجوزنا أو قلنا عثرت بفكرة نكون أقرب ما يكون إلى مضمون المعنى الحقيقى أيضاً . ومن الواضح أن فى ذلك المعنى ما يدل على المصادفة لأن الجواد لا يبحث عن حجر ليعثر به . وأما عند ما نقول عثرت على فكرة ، فالحس اللغوى يبصرنا بأننا هنا قد بعدنا عن المعنى الحقيقى وما يحمل من دلالة المصادفة لأنه على الأقل يتضمن العثور بالفكرة ثم الوقوع عليها ، وليس من الضرورى أن نعثر بالشىء ثم نقع عليه إذ قد يفلت منا ؛ فالعثور على الشىء فيه معنى إيجابى هو ما أحسست ولا أزال أحس فيه بمدلول البحث

وأياً ما يكون الأمر فأنا بعد لا أرى مانعاً ما دام المجاز قد مات فى عثر وأصبح الفعل يدل على الاطلاع فى الاستعمالين من أن نقصد « يعثر ب » إلى الاطلاع مصادفة و « عثر على » إلى الاطلاع عن بحث . واللغة ، كما قلت ، كائن حى من الواجب أن نغذيه باستمرار بأن ننوع من طرق الأداء فيها كما نحدد من تلك الطرق على نحو ما نشاهد فى لغات الأمم المتحضرة كلها

هذا رأيى أقف عنده لأن الأصول العامة تكفى لتأييده . ومع ذلك فقد حمل إلىّ البريد هذا الصباح خطاباً من صديق عبد الرحمن بدوى الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ؛ وها أنا أنسخ لكم خطابه . قال بعد المقدمة :

« أود أن ألفت نظرك إلى نقط لعل بعدك عن المصادر هو الذى حال بينك وبين التنبه إليها وفيها تأييد لما تقوله فيما يحصل بالتعبير « عثر به »

وأولى هذه النقط خيانة زكريا إبراهيم (وهو من تلاميذى الآن بالسنة الثالثة قسم الفلسفة) لنص (لين) إذ هو بتمامه يؤيد استعمال « عثر به » بمعنى اطلع عليه فهو يقول ما نصه :

عثر به : knew it; accidentally, or without seeking; (T. A')

[nd so وعثر به (see an ex. voce وأشرس)]

معجم لين Lane ص ١٩٥٢ عمود (١) س ٣ ، ٤ من أسفل . وتحت مادة « أشرس » يذكر الشاهد الثانى : عَثَر بأشرس الدهر (أمثال الميدانى المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة ١٣١٠ ج ١ ص ٣١٣ س ١ ـ ٢)

وثانى هذه النقط أن « عثر على » بمعنى الاطلاع مصادفة وبلا طلب ليس متفقاً عليها بين اللغويين والمفسرين . فالذى يوردها صراحة من بين اللغويين الراغب الأصفهانى فى « مفرداته » « تاج العروس » للزبيدى (وهو الذى يشير إليه لين هنا فى الإشارة T. A) وغالب المفسرين عند كلامهم على الآية « وكذلك أعثرنا عليهم » والآية « فإذا عثر على أنهما استحقا إثما » يقولون

أنها لا تدل على الاطلاع مصادفة . فالقرطبي يقول : (الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص ٣٥٨ طبع دار الكتب سنة ١٩٣٨) « ومنه قوله تعالى : (وكذلك أعثرنا عليهم) لأنهم كانوا يطلبونهم وقد خفي عليهم موضعهم » أى الناس الذين كانوا يبحثون عن أهل الكهف . ويرجح رأى هؤلاء أن الآية « فإذا عثر على أنهما استحقا إثما » يقصد منها كما يقول الرازى (جـ ٣ ص ٤٧٨ المطبعة العامرة الشرقية . الطبعة الأولى سنة ١٣٠٨ بالقاهرة) . « فإن حصل العثور والوقوف على أنهما (أى الأمينين على الوصية التى يوصى بها من بات بأرض ليس فيها مسلم) أتيا بخيانة واستحقا الإثم بسبب اليمين الكاذبة ، أى أن المعنى هو « فإن وجد أنهما ... » وإلا فلا يصح حكم الآية إن وجد بعد التحقيق أنهما خانا . وهذا ما لا يمكن أن يكون القرآن قد قصده . وفيما يتصل بآية أهل الكهف « وكذلك أعثرنا عليهم » فالقصد هنا من الله واضح لأنه قصد أن يدل بعض الناس على وجود أهل الكهف فليس هنا مصادفة إذن .

ويؤيد كلامك أو شعورك بوجود معنى المصادفة فى « عثر به » أكثر مما هو فى « عثر عليه » أن الأصل فى « عثر عليه » هو « أن العاثر إنما يعثر بشىء كان لا يراه ، فلما عثر به اطلع عليه ونظر ما هو ، فقيل لكل من اطلع على أمر كان خفيًّا عليه قد عثر عليه » (الرازى فى الموضع نفسه) ، فعثر به هى الأصل ، وعثر عليه هى المجاز ؛ وعثر فيها معنى المصادفة من أصلها فما هو أقرب إلى الأصل وهو عثر به يكون معنى المصادفة فيه أقوى

ونقطة ثالثة هى أنك لست أول من استعملها بهذا المعنى فقد وجدت أنها استعملت مراراً من قبل . أذكر منها الآن ما يلى إلى جانب ما أورده لين فى المثل : « عثر بأشرس الدهر »

(ا) استعملها ابن هانئ الأندلسى المتوفى سنة ٣٦٢ هـ حين قال :

منعوك من سنة الكرى وسروا فلو
عثروا بطيف طارق ظنــوك

(راجع ديوان ابن هانئ تصحيح الدكتور زاهد على . مطبعة المعارف سنة ١٣٥٢ هـ ص ٥٣١)

(ب) واستعملها ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ حين قال : « عثر بجمعهم اتفاقاً » (تاريخ ابن خلدون طبعة دى سلان . الجزائر سنة ١٨٤٧ جـ ٢ ص ٣٤٢ س ١٠ — وراجع دوزى : ملحق المعاجم العربية تحت مادة عثر جـ ٢ ص ٩٥ عمود ١ — الطبعة الثانية سنة ١٩٢٧) ... ... »

عبد الرحمن بدوى

... انتهى خطاب الأستاذ عن هذه المسألة .

وإذن فأنت ترى ـ كرئيس تحرير لمجلة محترمة ـ ولا شك يرى معك القراء أننى لست ميجارياً فى محاجتى كما وصفنى تلميذنا زكريا ابراهيم ونحن لا ريب نفتح صدورنا لنقد تلاميذنا ، بل وأقول مخلصاً إننا نفرح به ونحثهم عليه ، ولكن على أن يكون فى حدود اللياقة ؛ بل وخير من ذلك أن يكون فى حدود الحقيقة والعلم الصحيح ، وذلك لأننى لا أرى سفسطة فى دفاعى عن عثرت به التى أفادت المعنى الذى أردت العبارة عنه مع عدم خروجها عن أصول اللغات عامة بما فيها لغتنا

وإن كان هناك شىء أنكره من زكريا ابراهيم ، فهو عدم الأمانة العلمية ، لأن اليوم الذى نرى فيه طلبتنا يتصرفون فى نص لكى يحاجوا أستاذهم محاجة فى هذا العناد أعتبره يوم فشل لكل مجهوداتنا العلمية ويوم حزن لى لا يعرف مداه إلا الله

محمد مندور

حكم فى القضية ١٤٠٥ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٤ ـ ١١ سنة ١٩٤٢ بحبس محمد عبد النبي الدبكى جزار أربعة شهور مع الشغل وغلق المحل ستة أيام وذلك لبيعه لحماً بأكثر من التسعيره

حكم فى القضية ١٤٣٣ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ٤ ـ ١١ سنة ١٩٤٢ بحبس كل من حسن سيف ومحمد محمود جمعه بقالين بالاختصاص ثلاثة شهور شغل وجلد كل منهما ٢٠ جلده لبيعهما سكراً بأزيد من التسعيرة

حكم فى القضية ٦٩٦ عسكرية المنيا سنة ١٩٤٢ بتغريم محمد عثمان تاجر بالمنيا عشرة جنيهات بجلسة ١٠ ـ ٦ ـ ٩٤٢ لامتناعه عن بيع أقمشه بالسعر القانونى

حكم فى القضية ٤٣٨ عسكرية المنيا ١٩٤٢ بتغريم مخائيل عبد الملاك يعقوب تاجر بالمنيا عشرة جنيهات والغلق لمدة خمسة أيام بجلسة ٢٤ ـ ٦ سنة ٩٤٢ لبيعه قماش دبلان بأزيد من التسعيره

حكم فى الجنحة العسكرية ٨٠٧ المنيا سنة ١٩٤٢ بحبس كل من ابراهيم جبرائيل وجرجس مخائيل بثلاثة شهور بالشغل والغلق خمسة أيام لحيازتهما شايا وسكراً أزيد من المقادير التى سمحت تجارتهما ولم يبلغا عن هذه الكمية وامتنعا من بيعها للجمهور بجلسة ٢٤ ـ ٦ سنه ١٩٤٢

الطريق إلى الحق

للأستاذ محمود محمد شاكر

كتب الأخ الصديق الأستاذ محمد مندور كلمة فى البريد الأدبى من الرسالة (٤٨٨) بعنوان « اللغة والتعريب » ، عرض فيها لمسألتين : إحداهما : مسألة الصواب والخطأ فى اللغة ، والأخرى : هى عنصر الثبات فى اللغة كما سماه . وقد دفعه إلى الحديث عنهما ما كان من تخطئة الأب أنستاس الكرملى إياه فى حرف من اللغة استعمله فى كلامه ، وهو «عثرت بالشىء» وهو يريد «عثرت عليه»

وأحبُّ أن أقدم بين يدى كلامى بعضَ ما أعرفه عن «مندور» ، فقد كنا زميلين فى الجامعة ، فكان أحد الشبان الأذكياء المتدفّقين . وإن فيه من ثورة النفسَ ما أرجو أن يبقى له على الشبابِ والهَرَم . ثم عرفته من بعدُ مطلعا حريصاً على العلم قليل العناد فيما لا خطر له ، ثم هو لا يزال يدأب إلى الحق فى غير هوادة . فكل هذه الصفات تجعله عندى غير متعنتٍ ولا مكابر . ولكنى رأيت الأب أنستاس قد سلك إلى «مندور» طريقاً ، فاندفع كلاهما يطاعن أخاه بعنف لا يهدأ . وأنا لا أحبُّ أن أدخُل بين الرجلين فيما هما بسبيله ، ولكنى أحرصُ على أن أدلّ «مندوراً» على الحقّ الذى كنا ولا زلنا نميل إليه بكل وجهٍ ، ونسمو إليه فى كل سبيل

وينبغى لى أن أعرض للكلام على الفرق بين الحرفين « عثرت به » و « عثرت عليه » قبل أن أتحرّى إلى « مندور » طريق الحقّ فى المسألتين اللتين ذكرهما فى كلامه

فأصل اللغة فى هذه المادة « عَثَر يعْثُر عَثْراً وعِثَاراً » ، وهو فعلٌ لازمٌ لا يتعدّى إلى مفعولٍ ، ويأتى هكذا غير مصاحب لحرفٍ من حروف الجرّ . ولكلّ فعلٍ فى اللغة معْنىً يقومُ بذاته ، ودلالاتٌ يقتضيها بطريق التضمُّن أو الالتزام

فقولك « عثر الرجل » معناه « تهيأ الرجل للسقوط » : فالمراد بالفعل هو حدوث « حركة سقوط » الرجل ، ولا يقصد به السقوط نفسه ، أى أنه يدل بذاته على الحركة التى تسبق السقوط . وأما الدلالات التى يقتضيها الفعل فأولها : سبب حركة السقوط ، وهذا السبب عقلى محض يتضمنه الفعل ويقوم فيه مقام الفاعل « كالحجر » مثلاً . وثانيها : الفعل الذى فعله هذا السبب وهو « الصدم » ، وثالثها : الحالة التى تلحق الرجل من جراء اصطدامه وهى التنبه والتماسك قبل السقوط . أما الدلالة الرابعة ...

فلو شئت أن تفسر « عثر الرجل » لقلت : « صدم الحجر الرجل فكاد يسقط » ، فكأن « عثر » قامت مقام الكلمات « صدم الحجر ... فكاد يسقط » . وأنت ترى أن « الرجل » هنا هو الذى وقع عليه الفعل (أى المفعول به) ، لأنه هو الذى صُدم فكاد يسقط . فلما كتم هذا الفعل « عثر » فاعله الحقيق ـ وهو الحجر مثلاً ـ ، وكتم « الصَّدم » الذى هو فعل الفاعل الحقيقى ، نسب فعله إلى الرجل ، مع أنه ليس فاعلاً بل مفعولاً به . فهذا يدل على أنه ليس مريداً للفعل (وهو العثرة) ، كما يكون مريداً للفعل فى قولك : « قام الرجل » إذ أنه مريد هنا للقيام . وشبيهٌ به قولك : « مات الرجل » و « نام الرجل » ، فالرجل هنا ـ على أنه « فاعل » فى عبارة النحاة ـ ليس فاعلاً فى حقيقة المعنى بل هو « مفعولٌ به » لأنه غير مريد فى حالة الموت أو النوم

فإذا صح لديك أن الرجل غير مُريد للعثرة فى قولك « عثر الرجل » ، رأيت الدلالة الرابعة لهذا الفعل وهى أن الشىء الذى فعل العثرة ـ وهو الحجر مثلاً ـ كان صغيراً لم يتبيّنه الرجل ، أو لم يتوقع وجوده فى المكان الذى كان فيه ، فلذلك كاد يسقط على غير إرادة من الرجل لذلك

وإذا تأملت قليلاً رأيت أن قولك « عثر الرجل » لا يراد به الإخبار عن حدوث الصدم ، بل المراد أن تصور هيئة الحركة التى جاءت بعد الصدم ، وهى حركة السقوط . ولذلك بنى مصدرها على هيئة المصادر التى تدل على عيوب الحركة فى أصل الخلقة كالتى تكون فى الدابة وغيرها من كل ما يمشى أو يتحرك . وذلك هو وزن « فِعال » كالشِّماس ، والجماح ، والنفار ، والشراد ، والهياج ، والطماح ، والحران ، والعضاض ، والخراط ، والضراح ، والرماح ، والفرار . فأنت ترى من ذلك أن المصدر قد نظر فيه إلى أن المراد فى الفعل هو حركة السقوط لا الصدم ، فإن الصدمة ليست عيباً ، وإنما العيب فى هيئة الحركة . وكثيراً ما يستعمل العثار للخيل يقال : « عثر الفرس » أو غيره من الدواب

هذا . . . وحروف الجر التى تأتى لمصاحبة الأفعال إنما تأتى لمعان يتعين بها للفعل معنى لم يكن ظاهراً فيه قبل دخولها ، بل ربما اضطر الحرفُ الفعلَ أن ينتقل من الحقيقة إلى المجاز ، ولذلك تسمى حروف المعانى

ثم إن كل حرف من هذه الحروف له معنى أصلىٌ يقوم به ،

ثم تتفرع منه معان أخرى لا تزال متصلة إلى المعنى الأول بسبب . فالباء مثلاً هى فى حقيقة معناها تدل على إلصاق شىء بشىء أو دنوه منه حتى يمسه أو يكاد . ففى قولك « ألصقت شيئاً بشىء » تقع الباء فى معناها الأول وهو الإلصاق الحقيقى . وفى قولك « مررت بزيد » تكون مجازاً لأنهـا تدل على الدنو والمقاربة الشديدة ، كأنك ألصقت مرورك بالمكان الذى يتصل بمكان زيد . وينتقل الحرف من معناه الحقيقى إلى معناه المجازى بدليل من الفعل الذى يشترك معه فى الدلالة . ولذلك تخرج من معناها الحقيقى إلى معنى السببية أو التعليل أو المصاحبة أو الاستعانة مما يذكر فى باب معانيها ، ولـكنها فى جميع ذلك تدل على الإلصاق الحقيقى أو المجازى

فإذا جاءت الباء بعد فعل يقتضى معناه بذاته أو بدلالته معنى من الإلصاق ، تعين لها أن تكون واقعة فى معناها الحقيقى ، ويكون دخولها مبالغة فى إظهار معنى الإلصاق . وذلك كقولك : « أمسكت الشىء » ، و « أمسكت بالشىء » فالباء هنا تزيد فى معنى الفعل تقوية الإمساك إذ أن الإلصاق مما يدل عليه هذا الفعل بدلالة التضمن أو الالتزام

فإذا قلت « عثر الرجل بحجر » فمعناه كما بيّنا آنفاً « صدم الرجل حجر فكاد يسقط » . والباء قد دخلت على الفاعل الحقيقى للعثرة وهو « الحجر » ، فهى إذن مكملة لمعنى الفعل ، ولم تأت لتعدية الفعل إلى مفعول ، كالذى يكون فى قولك « ذهب الرجل » و « ذهب الرجل بمحمد »

فإذا كان الفعل دالاً بالتضمن على الصدم ، والصدم يقتضى الإلصاق ، وجاءت الباء مكملة لمعنى « عثر » تجرُّ وراءها الفاعل الحقيقى للصدم ، فالباء إذن ستزيد فى معنى الفعل ، وذلك بأن تُظْـهِر الصدم — المقتضى للالصاق — بعد أن كان مكتوماً فى الفعل ، ويُقوِّى ذلك أيضاً ظهور الفاعل الحقيقى للعثرة بعد أن كان مكتوماً فى « عثر »

فقول الأستاذ (مندور) إنه أراد بقوله « عثرت بالشىء » أنه لاقاه اتفاقاً غير ممكن ؛ لأن الباء وافقت الفعل فزادت فى الإبانة عما يضمره من دلالة « الصدم » الحقيقى ، ولم يكن فيها من المخالفة ما يحمل هذا الفعل على الميل إلى المجاز (أى إلى الصدم المجازى) . وليس من شك فى أن قوله « لاقاه اتفاقاً » مجازٌ فى تأويل « عثر بالشىء » ، فاذا كانت الباء إنمـا تزيد حقيقة الفعل قوة وبياناً ، فـكيف إذن تصيرُ بعد ذلك مجازاً بغير عامل يحملها إلى المجاز ؟

وقد يستخدم مع هذا الفعل حرف آخر هو « فى » ، فتقول « عثر الرجل فى ثوبه » إذا كان واسع الثوب طويل الذيل ، فهو يطأ بعض ذيله كلما مشى ، فتشد الوطأة الثوب عليه ، فيميل كأنه يتهيأ للسقوط فيتماسك

فهذا الحرف « فى » يدل فى أصل معناه على الظرفية الزمانية أو المـكانية ، وينسحب بها على سائر معانيه . وهو بذلك يدلُّ على استقرار لا على حركة كالحركة التى تـكون فى الإلصاق . ولما كان الفعل يدل دلالة ظاهرة على حركة السقوط وجاء الحرف « فى » يطالب الحركة بالاستقرار ، أسرع الفعل إليه . وذلك أنه حين يقول لك « عثر الرجل » لم تـكد تجاوز تصوُّر حركة السقوط حتى يفجؤك بقوله « فى ثوبه » ، فيطالبك بإقرار هذه الحركة ثم تصورها فى جوف الثوب . وهذه السرعة التى يتطلبها الانتقال تضعف دلالات الفعل التى كان يدل عليها مستقلاً بذاته أى فى قولك « عثر الرجل » مجردا ، وهى كما ذكرناها آنفاً : فاعل حركة السقوط ، وفعله وهو الصدم ، وحالة التنبه والتماسك قبل السقوط ، وعدم التوقُّع أو الاتفاق

فدخول « فى » على « الثوب » أبعدتْ عن أوّل التصور أن يكون الثوبُ فاعلَ الصدم المؤدى إلى حركة السقوط ، وبذلك أيضاً أضعفت دلالة الفعل على « الصَّدْم » ، إذ أن « الصدم » لا يشبه أن يكون من فعل الثوب ؛ فيتغير ما يتضمنه الفعل « عثر » من الدلالة ، وتضمن وَطْء الثوب المفضى إلى شدّه

ولـما كان لابسُ الثوب الطويل ينبغي له أن يعلم أن طوله يؤدى إلى وطء ذيله فيعثر ، اختفت من الفعل — إلا قليلاً — دلالة الاتفاق من غير تعمد . ولذلك تستطيع أن تقول « جاء فلان يعثر فى ثوبه » ، ولا تستطيع أن تقول « جاء فلان يعثر بثوبه » ، لأن الأولى قد ذهب منها الاتفاق من غير تعمد ، فجائز أن تستمر ، وأما الأخرى فمحتفظة بالاتفاق من غير عمد ، فهى لا يمكن أن تستمر .

ومع ذلك فهذا الحرف « فى » لم يستطع أن يغير من حقيقة « عثر » لأنه دانٍ منها ، أو هو مستقر لها ، إذ سوف تنتهى حركتها إلى استقراره

وأما « على » فحرف يدل على الاستعلاء فى جميع معانيه دلالة

مطلقة ، والاستعلاء المطلق لا يوجب الإلصاق كما فى الباء ، ولا يوجب الاستقرار كما فى « فى » . فاستعمالها مع « عثر » سيحدث فى معناها أثراً جديداً ينقلها من حال إلى حال

فحين تقول « عثرت على الكرسى » يقتضيك فيها معنى « عثرت » — وهو تهيؤك للسقوط وتماسكك دون السقوط — ألا تجعل معنى « على » استعلاء ملاصقاً كما فى قولك « وقعت على الكرسى » ، وذلك لأنك لم تسقط بل كدت ثم تماسكت . وإذن فالحرف « على » هنا يدل على الاستعلاء المطلق الذى يقتضى نفْى الملاصقة كقولك : « فضلت فلاناً على فلان »

والاستعلاء المطلق مناقض كل المناقضة لمعنى « الصدم » لأن الصدم يقتضي الملاصقة ، فلما جاءت « على » خلعت عن الفعل « عثر » كل ما كان يتضمنه من معنى الصدم الحقيقى (لا المجازىّ) ، ولما خلعته عن الفعل خلعته أيضاً عن الفاعل (الكرسى) الذى كان فعله الصدم الحقيقى (لا المجازى) . ولكن هذا الفعل لا ينفكُّ من أحد دلالاته وهو « الصدم » سواء أكان حقيقياً أم مجازياً ، فإذا خلعت « على » عنه الصدم الحقيقى بقى الصدم المجازى مكتوماً فيه قائماً مقام الصدم الحقيقى ؛ وإذا كان ذلك فلا بد من حدوث تغير فى الفعل وفى معناه ، لأن الصدم قد انتقل من معناه الحقيقي إلى معناه المجازى ، والصدم وفاعله سببان فى «عثر» التى تدل على حركة السقوط . فإذا صار الصدم من الحقيقة إلى المجاز — وهو أحد مقومات حركة السقوط — فلا بد من أن تصير «عثر» إلى المجاز أيضاً لأنها صارت مسببة عن مجاز .

فأنت ترى أن هذا الفعل لم ينقله من الحقيقة إلى المجاز إلا حرف واحد هو « على » الذى يدل على استعلاء مطلق يناقض معنى الصدم الحقيقى الذى كان ثابتاً فى الفعل بدلالة التضمن أو الالتزام

وعلى ذلك لا يزال هذا الفعل مع « على » يدل على حركة السقوط المجازية ، ويتضمن بدلالة الالتزام فاعل هذه الحركة ، وفعله وهو الصدم المجازى ، ثم حالة التنبه والتماسك قبل هذه الحركة ، ثم عدم التوقع أو الاتفاق ، وهذا بعينه ما يريده الأخ «مندور» بقوله فى تأويل « عثرت به » أنه لاقاه اتفاقاً

وانظر الآن إلى سليقة هذه اللغة فإنها إذا كانت قد جعلت مصدر « عثر وعثر به » و « عثر فيه » عِثاراً بوزن « فِعال » الدال على عيوب الحركة ، أو على الحركة نفسها : كالمزاح والضراب والنزال ، والصراع ، فإنها تجعل مصدر « عثر عليه » عثوراً على وزن « فعول » الذى يدل أكثره على مجرد الحركة ، كالنزول ، والسقوط ، والقعود ، والجلوس ، والشرود ، والنفور ، والجموح والطموح . وبذلك خالفت بين المصدرين مع اشتراك الوزنين فى معنى الحركة ، لأن الفعل انتقل من الحقيقة إلى المجاز

وفى الآيتين من كتاب الله : المائدة (١١٠) «فإن عُثِر على أنهما استحقا إثماً » ، وآية أصحاب الكهف (٢٠) « وكذلك أعثرنا عليهم » جاء الفعل بالمعنى المجازى الذى يقتضي حركة السقوط المجازية ، والصدم المجازى ، وحالة التنبه والتماسك قبل حركة السقوط ، وعدم التوقع أى الوقوف على الشىء بغير طلب أو بحث أو كشف

ولكن الأخ مندور يقول : « ولم أرد (العثور عليه) أى الاطلاع الذى يدل على علم ومعرفة وبحث وجهبذة لا أدعيها » . والذى أوقعه فى هذا التأويل قول أصحاب اللغة « عثر على الأمر عثوراً » اطلع . فتفسيرهم مقصر عن الغاية كل التقصير لأنه يدل على جزء واحد من الدلالات التى يتضمنها الفعل ، وهى حالة التنبه التى تلحق الرجل من الصدمة فينظر ويتبين ما صدمه ، وأهملوا بقولهم (اطلع) المعنى الأصلى للفعل « عثر » وهي حالة السقوط المجازى ، والصدمة المجازية ، وعدم التوقع . وهذا نقص مخل فى عبارة كتب أصحاب اللغة

وأنا أقرر أن أكثر ما فى كتب اللغة عندنا من تفسير الألفاظ إنما هو تفسير مخل فاسد ، لأنه قد أهمل فيه أصل الاشتقاق ، وأصل المعنى الذى يدل عليه اللفظ بذاته كما رأيت هنا . وإذا أهمل هذان فقد اضطرب الكلام واضطربت دلالاته ، وأوقع من يأخذ اللغة بغير تدبر فى حالة من التعبد بالنصوص كتعبد الوثنى للصنم . وأيضاً فهو يوقع بعض النابهين من الكتاب فى أوهام ليست من الحق فى شىء ، يحملهم عليها تكرار هذا التفسير الفاسد فيسلمون به على غير تبين ، كما رأيت فى تفسير قولهم « عثرت عليه » أنه « اطلعت عليه » ، فإنك حين تقول : « عثر على الكلمة فى الكتاب » فلست تقولها إلا حين تريد أن تصور الكلمة كأنها فاعل الصدم ، وتصور رؤيتها كأنه صدم لك ، وهذا الصدم يستدعى تنبهك فتماسك وتنظر إلى ما صدمك ، وإن هذا كله كان بغير طلب أو بحث وإنما جاءك اتفاقاً على غير تعمد كان منك .

٢ - خـــزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد

للأستاذ ميخائيل عواد

(ج) رأس بهبوذ(١) صاحب الزنج

روى خبره أبو الفرج ابن الجوزى فى جملة حوادث سنة ٢٧٠هـ قال بعد أن شرح عيثه وفساده : « وجاء البشير بقتل الفاسق ، ثم جاء رجل معه رأس الفاسق ، فسجد الناس شكراً ، وأمر أبو أحمد أن يكتب إلى أمصار المسلمين ... وقدم ابنه العباس إلى بغداد ومعه رأس الخبيث ليراه الناس فيسروا . فوافى بغداد يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى فى هذه السنة والرأس بين يديه على قناة ، فأكثر الناس التكبير والشكر لله والمدح لابن الموفق وأبيه . ودخل أحمد بن الموفق بغداد برأس الخبيث وركب فى جيش لم ير مثله من سوق الثلاثاء إلى المخرّم وباب الطاق وسوق يحيى حتى هبط إلى الحربية ، ثم انحدر فى دجلة إلى قصر الخلافة فى جمادى الأولى هذه السنة ، وضربت القباب وزينت الحيطان »(١)

قلنا : لم يصرح ابن الجوزى بوضع رأس هذا الخبيث فى خزانة الرءوس ، ونحن نرجح أنه استقر فى هذه الخزانة ، بعد أن عرفنا إدخاله دار الخلافة

(د) رأس البساسيرى

كان أرسلان التركى المعروف بالبساسيرى قد عظم شأنه ، واستفحل أمره ، وانتشر ذكره ، وقد هابته ملوك العرب والعجم حتى دعى له على المنابر ، وعزم الاستيلاء على بغداد ونهب دار الخلافة والقبض على الخليفة وهو يومذاك القائم بأمر الله ، فتم له ما أراد إذ دخل بغداد ، وقبض على الخليفة وسيّره إلى بلد عانة على الفرات فحبسه فيها ، ثم دار الفلك دورته ؛ فوقع البساسيرى فى الفخ ، فكان مصيره حز رأسه وحمله إلى خزانة الرؤوس . وقد صدقت فيه الآية : « ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون بما كنتم تكسبون »

قال ابن الجوزى فى حوادث سنة ٤٥١ هـ « ... وانهزم البساسيرى على فرسه فلم ينجه ، وضرب فرسه بنشابة فرمته إلى الأرض ، وأدركه بعض الغلمان ، فضربه ضربة على وجهه ولم يعرفه ، وأسره كشتكين دواتى عميد الملك ، وحز رأسه وحمل إلى السلطان . ولما حُمل إلى السلطان حكى له الذى أسره أنه وجد فى جيبه خمسة دنانير وأحضرها ، فتقدم السلطان إلى أن يفرغ المخ من رأسه ويأخذ الخمسة دنانير ، ثم أنفذه حينئذ إلى دار الخلافة ؛ فوصل فى يوم السبت النصف من ذى الحجة ، فغسل ونظف ، ثم ترك على قناة وطيف به من غد ، وضربت البوقات والدبادب بين يديه ، واجتمع من النساء والنفاطين وغيرهم بالدفوف ومن يغنى بين يديه ، ونصب من بعد ذلك على رأس الطيار(٢)

(١) فى النجوم الزاهرة (٣ : ٤٨ ؛ طبع دار الكتب المصرية) : « نهبود » أنظر اسمه ونسبه فى تاريخ الطبرى (٣ : ١٧٤٢ — ١٧٤٣) حوادث سنة ٢٥٥ هـ .

(١) المنتظم (٥ : ٧٠ طبع حيدر أباد) ، وطالع أخباره فى (٥ : ٦٦ — ٦٧ ، ٧٤ — ٧٥) ولزيادة الاطلاع ؛ أنظر تاريخ الطبرى (٣ : ٢٠٨٥ — ٢٠٩٨ ؛ طبع أوربة) ، والتنبيه والإشراف للمسعودى (ص ٣٦٨ — ٣٦٩ ؛ طبع ليدن ص ٣١٩ ؛ طبع مصر)

(٢) الطيار : ضرب من السفن النهرية القديمة ، أكثر ما اتخذ فى العراق لركوب العظماء ، والظاهر أنهم سموه بذلك لأنه من السفن الخفيفة السريعة الجريان كأنها لسرعتها تطير على وجه الماء . وقد أفاض الكلام فيها العلامة الطيب الذكر أحمد باشا تيمور . أنظر : مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق : ([١٩٢٢] ص ٣٢١ — ٣٢٤) .

هذا وأنا لم أقصد ببحثى هذا إلى اللغة ، بل قصدت إلى الدلالة على طريق الحق إلى فهمها . وأحب أن أظهر من يقرأ كلامى هذا على أننى لا أجمل مفردات اللغات كل المهم فى عملى أو عمل غيرى . ويقينى أن أكثر من يطيق التدبر والتأمل يستطيع أن يصل إلى فهم اللغة فهماً صحيحاً نافعاً معيناً على حسن العبارة ودقتها فى البيان عن المراد ، وهو لم يتكلف إلى ذلك إلا قليلاً من الجهد

وأحسبنى قد سلكت إلى أخى مندور طريق العلم إلى غاية الحق ، وهى غايته التى أعلمه لا يعمل إلا لها . وسواء عليه بعد ذلك أكان الحق له أم عليه

أما مسألة الخطأ والصواب فى اللغة ، ومسألة عنصر الثبات فيها ، فنتركهما إلى العدد التالى من الرسالة ، ولأخى مندور تحيتى وشكرى .

محمود محمد شاكر

بإزاء دار الخلافة ثم أخذ إلى الدار »(١)

(هـ) رأس البريدى :

أبو الحسين البريدىّ أحد العابثين الخارجين على سياسة دولة بنى العبّاس . إرتكب من الظلم أمراً عظيما . فقد أرعب الخلق وكثرت جموعه ، وتزلزل له الخليفة . وكان ظهوره فى نواحى البصرة ، حيث سَعَى غير مرّة لفتحها والاستيلاء عليها ؛ لكنّه ردّ على أعقابه ولم ينل وطره ، فقد خانه أكثر أصحابه وأعوانه ، ثمّ قُبِض عليه وأُودع دار السُّلطان .

قال مسكويه فى أحداث سنة ٣٣٣هـ : « وكان أبو عبد الله محمد بن أبى موسى الهاشمى أخذ فى أيام ناصر الدولة فتوى الفقهاء والقضاة بإحلال دمه ؛ فأظهرها فى هذا الوقت ، فلما كان بعد أسبوع من القبض عليه استحضر الفقهاء والقضاة ، وأحضر أبو الحسين البريدى ، وجمعوا بين يدى المستكفى بالله ، وأحضر السيف والنطع ، ووقف السياف بيده السيف ، وحضر ابن أبى موسى الهاشمى ، ووقف فقرأ ما أفتى به واحدا واحدا من إباحة دمه على رءوس الأشهاد ؛ وكلما قرأ فتوى واحد منهم سأله هل هى فتواه فيعترف بها حتى أتى على جماعتهم ، وأبو الحسين البريدى يسمع ذلك كله ويراه ، ورأسه مشدود ، والسيف مسلول بإزائه فى يد السياف ، فلما اعترف القضاة والفقهاء بالفتوى أمر المستكفى بالله بضرب عنقه ، فضربت من غير أن يحتج لنفسه بشىء أو يعاود بكلمة أو ينطق بحرف ، وأخذ رأسه وطيف به فى جانبى بغداد ورد إلى دار السلطان ... »(٢)

(و) رأس الخليفة الأمين ، رأس عيسى بن ماهان ، رأس أبى السرايا :

من يستعرض خزانة الرءوس فى دار الخلافة العباسية ببغداد ، يَرَ فيها رءوس أمراء ، ووزراء ، وقوّادٍ ، وصنوف شتّى من طبقات الناس ، من عرب وأمم مختلفة ، ولكنها لم تكتف بهؤلاء أصحابا ، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك ، إلى رءوس أفراد بيدهم تدبير الملك وسياسة الرعية ، أولئك هم الخلفاء ؛ وإن فى هذا الأمر الخطير لعبرة مؤلمة وموعظة بليغة .

كان رأس الأمين أول ما وضع من رءوس الخلفاء فى هذه الخزانة . ولا ندرى أَوُضِعَ بجانب رأس بهبوذ الزنجىّ ، أم إلى جانب غيره من رءوس المارقين العابثين ، أم أُفْرِدَ له فيها مكان خاص ؟ ومهما يكن من أمر فهو لم ينج من هذه الخزانة العجيبة . وأمر الأمين مشتهر يوم نُكِب ، ويوم قُتِل وقُطِف رأسه ، وَدَعْنا نأخذ بعض خبره ، وخبر رأسه من شيخ المؤرخين محمد بن جرير الطبرى ؛ فإنه روى فى ما جريات سنة ١٩٨هـ هذه الأحدوثة « ... قالَ : فقمتُ فصرتُ خلف الحُصُر المدرّجة فى زاوية البيت ، وقام محمد [الأمين] فأخذ بيده وسادة وجعل يقول : ويحكم إنى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا ابن هرون ، أنا أخو المأمون ، الله الله فى دمى . قال : فدخل عليه رجل منهم يُقال له خمارويه غلام لقريش الدندانى مولى طاهر ، فضربه بالسيف ضربة وقعت على مقدم رأسه ، وضرب محمد وجهه بالوسادة التى كانت فى يده ، واتكأ عليه ليأخذ السيف من يده ، فصاح خمارويه : قتلنى قتلنى بالفارسية . قال : فدخل منهم جماعة فنخسه واحد منهم بالسيف فى خاصرته ، وركبوه فذبحوه ذبحاً من قفاه ، وأخذوا رأسه فمضوا به إلى طاهر وتركوا جثته . قال : ولما كان فى وقت السحر جاءوا إلى جثته فأدرجوها فى جل وحملوها ... قال : وبينا نحن كذلك إذ هدة تكاد الأرض ترجف منها ، وإذا أصحاب طاهر قد دخلوا الدار وأرادوا البيت ، وكان فى الباب ضيق ، فدافعهم محمد بمجنة كانت معه فى البيت ، فما وصلوا إليه حتى عرقبوه ثم هجموا عليه فحزوا رأسه واستقبلوا به طاهراً وحملوا جثته إلى بستان مؤنسة إلى معسكره ؛ إذ أقبل عبد السلام بن العلاء صاحب حرس هرثمة ، فأذن له ، وكان عبر إليه على الجسر الذى كان بالشماسية . فقال له : أخوك يقرئك السلام فما خبرك ؟ قال: ياغلام هات الطس(١) فجاءوا به وفيه رأس

---

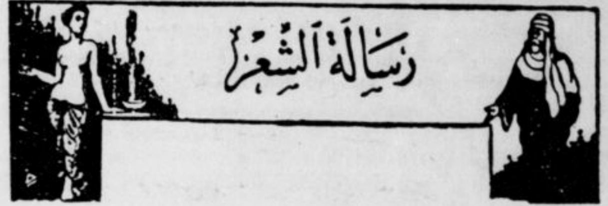
(١) المنتظم (٨ : ٢١٠ — ٢١١) ، وانظر أخبار فطاركة كرسى المشرق من كتاب المجدل لمارى بن سليمان (ص ١٢٢ ؛ طبع رومية)

(٢) تجارب الأمم (٦ : ٧٩ — ٨٠) ؛ وأضاف مسكويه إلى قوله ما يلي : وصلبت جثته حيث كان حديدية [قلنا : الحديدى ويجمع على حديديات ، ضرب من السنين فى العصر العباسى] مشدوداً فيه لما ظفر بدار السلطان ، فبقى مصلوباً هناك أياماً . ثم قرأت صكا على الجهبذ بثمن بواري ونفط أشتريت بتسعة دراهم لاحراق جثته ، فأحرقت لنصف من ذى الحجة .

(١) الطس والطست ، على ما فى التاج (٤ : ١٧٨) : من آنية الصفر . قال أبو عبيدة : ومما دخل فى كلام العرب الطست والتور والطاجن وهي فارسية كلها . وقال الفراء : طيء تقول طست ، وغيرهم طس وهم الذين يقولون لصت للص . جمعه طسوس وأطساس ، وجمع الطسة طساس ، ولا يمنع جمعه على طسس بل هو قياسه . وطسيس كأمير جمع الطس كضأن وضئين . قال رؤبة :

هما هما يسهون أو رسيسا　　قرع يد اللعابة الطسيسا

والطساس صانعه ، والطساسة حرفته كلاهما على القياس . وانظر شفاء الغليل للخفاجى ص ١٤٧ — ١٤٨ ؛ طبعة الوهبية = ص ١٢٩ طبعة الخانجى



في أخريات الخريف

للأستاذ محمود الخفيف

تُنذِرُنِي أوراقُ هذِي الكُرُومْ تساقَطَتْ ذاوِيَهْ
وفي حواشِي الأُفقِ تلكَ الغُيُومْ غارِقةً طافِيَهْ
وفي وُجوهِ النَّاسِ هذا الوُجُومْ بادِيَةٌ أسبابُهُ خافِيَهْ

***

خشخشةُ الأغصانِ كم زيَّنَتْ للنفسِ أشجانَها
وصُفْرَةُ العِيدانِ كم لوَّنَتْ بالموتِ ألحانَها
والرِّيحُ كم ولولةٍ أعلنَتْ مِثلَ التي حاوَلَتْ كِتمانَها

***

حتَّامَ تُوحِي أُخرياتُ الخريفْ للنفسِ هذا الحَزَنْ
وا عجباً : هذا النسيمُ الخفيفْ يفرَقُ منهُ البدَنْ
وكُلُّ شيءٍ فيهِ معنًى مُخيفْ ألبسَهُ حولي خيالُ الكفَنْ

***

تلوحُ في أوراقِهِ الذابِلَهْ كلُّ معاني الشقاءْ
فيها جسومٌ ترتمِي ناحِلَهْ أومى إليها الفناءْ
يُطِلُّ من أعيُنِها الذاهِلَهْ الجوعُ والسُّقمُ وقُرُّ الشتاءْ

***

وألمحُ الآلافَ ألقى بها لحتفِها طاغِيَهْ
طعينةً تشكو إلى ربِّها من يدِهِ العاتِيَهْ
لا لذَّةَ بالموتِ من رُعبِها مما ترى في هذهِ الغاشِيَهْ

***

وصوَّرَتْ أيامِيَ الذاهِبَهْ ما إنْ لها من مآبْ
وكم تهادَتْ كالمُنى الكاذِبَهْ لاحَتْ كلَمْحِ السرابْ
للموتِ تمضي زُمَراً واثِبَهْ مُعجَلةً أغرى بهنَّ الوِثابْ

***

وا حزَنا أغصانُها العارِيَهْ تكسى غداةَ الربيعْ
هل من ربيعٍ للمُنى الذاوِيَهْ والقلبُ ذاوٍ صديعْ
باتَتْ شتاءً كلُّ أيامِيَهْ يا هولَهُ بعدَ ربيعٍ مَريعْ

الخفيف

محمد . فقال : هذا خبري فاعلمه . فلما أصبح نصب رأس محمد على باب الأنبار ؛ وخرج من أهل بغداد للنظر إليه ما لا يحصى عددهم . وأقبل طاهر يقول : رأس المخلوع محمد . وذكر عنه (عن الحسن ابن أبي سعيد) أنه ذكر أن الخزانة التي كان فيها رأس محمد ، ورأس عيسى بن ماهان ، ورأس أبي السرايا ؛ كانت إليه . قال : فنظرت في رأس محمد ، فإذا فيه ضربة في وجهه وشعر رأسه ولحيته صحيح لم ينجاب منه شيء ، ولونه على حاله . قال : وبعث طاهر برأس محمد إلى المأمون مع البُردة والقضيب والمصلّى ... فرأيت ذا الرئاستين وقد أدخل رأس محمد على ترس بيده إلى المأمون ، فلما رآه سجد ... »(1)

(يتبع) **ميخائيل عواد**

---

(1) تاريخ الطبري (٣ : ٩٣٣ — ٩٢٥ ؛ طبع أوربة) . وراجع رواية المسعودي في مروج الذهب (٦ : ٤٧٧ — ٤٨٤)



إعجاب

قبل أن تنسيني الشواغل أني قرأت مقالاً نفيساً للأستاذ « أبي أسامة » أسجل إعجابي ، ولرجوه أن يذكر حقوق الأدب والتاريخ على قلمه البليغ

زاده الله توفيقاً إلى توفيق ، ورفع بأمثاله أعلام البيان .

زكي مبارك

تصحيح لبعض سقطات الكرملي

أنا أعلم أني إن طلبت إلى الأب أنستاس الكرملي أن يكون دقيقاً أميناً واعياً . . . أكون قد كلفته ما ليس من عادته ، بل فوق ما يطيق . ولذا فغرضي من كلمي ليس الأب نفسه ، وإنما أكتب تحذيرا لبعض من يقرأ كلامه من ضعاف الطلاب حذراً أن ينخدع به ويعتمده من غير تحقيق

ادعى الأب في العدد (٤٧٥) من الرسالة الغراء أن استعمال خطأ لضد الصواب (من الأغلاط الشائعة في مصر) . ثم قال : (على ما في كتب اللغة) فنبهنا في العدد (٤٧٩) إلى أن هـذا الرأي ليس في كتاب من كتب اللغة ، ونقلنا له نقولاً أجمعت كلها — بلا استثناء — على أن (الخطأ) كلمة صحيحة وبعضها ذكر (الخطاء) بعـد (الخطأ) وبعضها لم يذكر وبعضها وهاها وهو صاحب الصحاح . فسبب وهيها إذاً عدم ذكرها في بعض المعاجم ونص بعضها على توهينها

فلما صرعه الحق حاول أن يبتعد عنه فكان مما قال في العدد (٤٨٧) من الرسالة : « خذ بيدك أي معجم شئت ... تر أن الكلمة القليلة الأحرف مقدمة على غيرها »

وهذا — وإن وقع كثيراً — إلا أنه لا يطرد . وعلى ذلك تكون كلمة الأب تخرصاً ، فقد فتحنا القاموس المحيط كما اتفق فرأيناه يقول : « خنز اللحم خنوزاً وخَنَزاً » فأطبقناه وكتبنا الكلمة متنبهين على عدم تدقيق الأب وأمانته

أنا أريد أن (أفترض جدلاً) أن (الخطاء) قد تسمو في بعض الأحيان إلى درجة (الخطأ) وإذاً يكون الأب قد جهل بديهة من البدائه اللغوية التي يتعلمها شادي العربية

اعلم أيهذا الأب أنه إذا أتتك كلمتان فصيحتان من مادة واحدة فقدم الأخف حروفاً فإنها أفصح . وهل أنت بحاجة إلى ردك إلى مصدر ما ؟ نعم فراجع إذاً كتاباً صغيراً لأحد المتأخرين هو (البلغة لحسن صديق خان) ثم الفهم والأناة الأناة ، ولك عطفي الخالص .

(دمشق) سعيد الافغاني

تصحيحان

١ — جاء في البريد الأدبي من مجلة « الرسالة » الغراء (العدد ٤٨٣) كلمة بعنوان : (رواية فاطمة البتول لمعروف الأرناءوط) وقد كتب هاته الكلمة الأديب لبيب السعيد حول الرواية المذكورة مقرظاً وناقداً . وجاءت في الكلمة هذه الجملة : « وفي وادي العقيق حيال قبر حمزة رضي الله عنه » . والمتبادر المفهوم من سياق هذه الجملة أن قبر حمزة رضي الله عنه واقع في العقيق . وليس الأمر كذلك فإنه استشهد في وقعة أحد على سفح جبل الرماة الصغير القائم في قلب وادي قناة — لا وادي العقيق — وبينهما في هذه النقطة بون شاسع . وقد دفن سيد الشهداء بعد مصرعه ببطن وادي قناة ، ثم نقل إلى شاطئ الوادي الشمالي في نقطة تُسامت منتصف جبل أحد ، وبغربي قبره قبور الشهداء في تلك المعركة

٢ — وجاء في هامش مقال (الحديث ذو شجون المنشور في (العدد ٤٨٤) من مجلة الرسالة أيضاً تفسير لنسبة الظواهري بأنها (نسبة قديمة إلى الظواهر ، وهي ضواحي مكة وبها كان يقيم أجداد الشيخ الظواهري في سالف الزمان ، وإليهم ينسب كفر الظواهرية بمركز ههيا بمديرية الشرقية) اهـ

والحقيقة أن الظواهر — كما هو معروف — هم فخذ من بني سالم أحد بطون حرب . ويقيم هذا الفخذ لهذا العهد وما قبله بوادي الصفراء الواقع بين المدينة المنورة وينبع . وممن نص على ذلك الأستاذ فؤاد بك حمزة في كتابه (قلب جزيرة العرب) في الصفحة ١٤٢ . وإلى هذا الفخذ نسبة الظواهري وكل ظواهري

(مكة المكرمة) عبد القدوس الانصاري

تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها

يذكر كثير من المتحدثين عن الفضيلة والأخلاق المثل العربي القائل: « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » ولكنهم يخطئون في فهمه، إذ أنهم يفهمون منه أن المرأة الحرة يجب أن تتحمل الجوع ولا تتخذ عرضها وسيلة لدفعه، وهم لا يذكرونه إلا في موقف يُفهَم منه هذا المعنى. ولعلهم يظنون أن كلمة « ثدييها » يكنى بها في هذا المثل عن عرض المرأة؛ والحق غير ذلك، فأصل هذا المثل أن أغلب نساء العرب كن يرين قيامَ إحداهن بإرضاع غير أولادهن مقابلَ أجرٍ — قلَّ أو كثر — مما يشين المرأة العربية، فقالوا: « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » من أجل ذلك. بل كانت نساء بعض القبائل العربية كقريش لا يرضعن أولادهن، وكن يعددن ذلك عاراً، لأنه قد يدل على الفقر والفاقة، فكيف لهن إذن بإرضاع الأولاد الأجانب عنهن؟!

أحمد الشرباصي

حول اختلاف القراءات

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد غسان حول اختلاف القراءات رداً على الأستاذ عبد المتعال الصعيدي، فوجدته قد اشتبه عليه رأى أستاذنا الكبير حتى ظنه ما يراه ابن المقسم من تجويز القراءة بما يحتمله الرسم وتظاهره العربية بدون نظر إلى الرواية... وشتان بين الرأيين، لأن رأى أستاذنا لا يراد منه تجويز قراءات لم ترد، وإنما يراد منه توجيه قراءات واردة بالتواتر أو الآحاد، ولا تدخل في باب اختلاف اللهجات بسبب جديد يرتاح إليه العقل، وتطمئن إليه النفس. ولا يبقى معه احتمال لما يزعم من نشوء ذلك عن تصحيف... وهذا غرض يتفق مع ما أخذ به أستاذنا نفسه من الدفاع عن الإسلام وأحكامه بما يتفق مع ذوق هذا العصر. وهو الطريق القويم الذى سنه المصلحون من أئمة الدين قبله، فأفادوا الإسلام بآرائهم وأفكارهم إفادة جليلة سامية. فالأستاذ غسان لم يفهم كلمة أستاذنا كما فهمها الأستاذ عزت عرفة ولهذا جاء رده بعيداً عن الصواب

عبد العليم عيسى

رسالة عمر بن الخطاب في القضاء

كان مما قررته وزارة المعارف على طلاب الثقافة هذا العام رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه في القضاء إلى أبي موسى الأشعرى، وهذه الرسالة واردة في كتاب المنتخب للسنة الرابعة الثانوية وفيها قليل من التحريف، وعلى هذا الكتاب اعتمد المؤلفون الذين قاموا بشرح النصوص وطبعها ونشرها؛ ونحن نصحح هذه الأخطاء معتمدين في ذلك على كتاب رغبة الآمل من كتاب الكامل، للمرحوم إمام الأدب سيد بن على المرصفي.

١ — ورد في آخر الرسالة « فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته » والصواب فما ظنك بثواب عند الله عز وجل ... الخ، ولا وجه للنص محرفاً، وقوله في عاجل رزقه وخزائن رحمته وصف لثواب الله لا ثواب غيره

٢ — « وإياك والقلق والضجر » والصواب الغلق، لأن القلق والضجر بمعنى واحد، والغلق يؤدى معنى أكثر من القلق؛ إذ هو ضيق الصدر وقلة الصبر فهو سبب الضجر.

زكى غانم

دنية القاضي في العصر العباسي

أما بعد: فقد بعثت إليكم في ١٥ أيلول سنة ١٩٤٢ بمقال عنوانه « دنِّية القاضي في العصر العباسي ». وقد جاء في المقال المذكور حاشية تحققت منها الآن أنها مغلوطة، فأبادر الآن لتصحيحها، إذ يعزُّ عليَّ أن أرى غلطاً فيما أحرره

قلت في نحو أواسط هذا المقال: « وللدنِّيَّة أخبار طريفة كانت في أكثرها مدعاة للسخرية منها، والتمثيل بها. فقد روى أبو الفرج الأصفهاني حكاية قال فيها: « (أخبرنا) محمد بن خلف وكيع قال: كان الخليجي القاضي، واسمه عبد الله [بن محمد] ابن أخت علوية المغني، وكان تيَّاهاً صلفاً، فتقلَّد في خلافة الأمين قضاء الشرقية؛ فكان يجلس إلى أسطوانة من أساطين المسجد... » وذكرت في الحاشية أن الشرقية يقصد بها الجانب الشرقي من بغداد. والصواب: أن الشرقية على ما في معجم البلدان (٣ : ٢٧٩؛ طبعة وستنفلد): « محلّة بالجانب الغربيّ من بغداد، وفيها مسجد الشرقية في شرق باب النصر. قيل لها الشرقية لأنها شرقيّ مدينة المنصور لا لأنها في الجانب الشرقي »

«بغداد» ميخائيل عواد



عبقرية عمر

للأستاذ عباس محمود العقاد

بقلم الأستاذ محمود أبو رية

لما نشرت الصحف أن الأستاذ عباس محمود العقاد قد أجمع النية على وضع كتاب عن (عبقرية عمر) قلنا إنها آية جديدة على بعد إدراكه وسعة عقله ما دام هو بسبيل الكتابة عن العبقرية الإسلامية ، فإنه ليس أحرى بالدرس والتأريخ بعد رسول الله صلوات الله عليه من عمر . ذلك بأن التاريخ الإسلامى لم يشهد من العدل والحزم وحكمة السياسة والقيام على أمور الرعية بالنصفة والمعدلة مثل ما شهد فى عهده ، حتى لقد كانت أيامه مضرب المثل الصالح فى العدل والإصلاح على مدى التاريخ كله .

ولقد اعتز به الإسلام من أول يوم أسلم فيه وظل عزيزاً به طول حياته ، ولم يكد ينقلب إلى ربه حتى انقلبت الأحوال وتبدلت الأمور وانبعث بنو أمية بما كان جاثماً فى صدورهم من الحقد والشنآن على بنى هاشم ، فأحاطوا بعثمان واستحوذوا على الملك، وقام الأمر منذ يومئذ على قوة العصبية والغلب، وتصدع البناء الإسلامي الذى كان قد أقيم على الشورى والعدل . وكذلك أخذ داء التفرق الدينى واليأس يدب فى جسم الأمة الإسلامية حتى أنهك قواها وأذهب ريحها . ولقد صدق على فى قوله يوم موته : « إن موت عمر ثلمة فى الإسلام لا ترتق إلى يوم القيامة »

ثم أمر آخر يوجب تقديم هذا الرجل فى التاريخ على غيره قد بينه الأستاذ المؤلف فى أصدق عبارة فقال : « إن دراسة عمر غنيمة لكل علم متصل بالحياة الإنسانية كعلم الأخلاق وعلم الاجتماع وعلم السياسة ، ولم تقتصر مزايا هذه الدراسة على علم النفس وكفى »[1]

ولئن كان مؤلفنا الكبير قد عاجله التوفيق فى وضع عمر فى مكانه اللائق به فى التاريخ ، فإنه قد أحسن غاية الإحسان فى أنه لم يتخذ فى كتابه سبيل من كتب قبله فقال :

« وكتابى هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ التى تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له ودراسة لأطواره ودلالة على خصائص عظمته ، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة »[1]

وإنه لعلى حق فيما نهج لنفسه ، لأن طريقة التأليف التى تقوم على سرد الحوادث وإيراد الوقائع وبخاصة إذا كان ذلك قد صار من علم الناس أصبحت من الأمور التى تبعث الضيق إلى الصدر والسأم إلى النفس ؛ ولو أن الأستاذ العقاد كان قد اتبع سنَن من قبله الذين يتزيدون من نقل الحوادث بنية الجمع ، ويتوسعون بتدوين الوقائع ابتغاء الحشد ، فإنه لا يكون قد أربَى عليهم بشىء ولا تكون المكتبة العربية قد غنمت منه إلا زيادة كتاب فيها !

كان الناس لا يعلمون بما درسوا من كتب السيرة كل ما يجب أن يعرف عن عظمة هذا الرجل الذى كان « ممتازاً بعمله ممتازاً بتكوينه ، وكان وفاء شرط الامتياز والتفرد فى عرف الأقدمين والمحدثين من المؤمنين بدينه وغير المؤمنين »[2]

ولئن كان المؤرخون قد أطالوا فى سرد تاريخه وأكثروا من بيان أعماله فإنهم لم يصلوا إلى دراسة حقيقة هذه النفس الكبيرة ، ولا عرفوا كيف يتغلغلون إلى آفاقها الواسعة ومراميها البعيدة ، وهذا لعمرك هو الفارق بين الكاتب الذى لا يرعف قلمه إلا مداداً يسيل على الصحف سطوراً سوداء وبين الكاتب الملهم الذى ينبثق من قلمه نور يشق الحجب لينفذ إلى ما وراءها ، ويمزق الغلف ليصل إلى خفاياها

إن أظهر صفة لعمر قد أشاد التاريخ بها وحفظها له رائعة جليلة هى صفة (العدل) ، وعلى أنك ترى أصحاب السير قد ملأوا بطون الأسفار من الأنباء التى تثبت هذه الصفة وتدل عليها ، فإنك لا تجد أحداً منهم قد هُدِى إلى إظهار حقيقة هذا العدل

(١) ص ١٠٧ عبقرية عمر

(١) ص ٧ من نفس المصدر (٢) ص ٢٦

العمرى ، ولا استطاع أن يصل إلى كنه أسبابه حتى يعلم الناس كيف امتاز عدل عمر من عدل غيره فبلغ به ما لم يبلغ سواه من الثناء والإعجاب ما دام يجرى على وجه الأرض حكم ، ولكنك لو رجعت إلى كتاب (عبقرية عمر) لوجدته قد وقفك على مرد هذا العدل وكشف لك عن أسبابه فيقول : « إن له روافد شتى بعضها من وراثة أهله ، وبعضها من تكوين شخصه ، وبعضها من عبر أيامه ، وبعضها من تعليم دينه ، وكلها بعد ذلك تمضى فى اتجاه قويم إلى غاية واحدة لا تنم على افتراق[1] » . ولا يدعك على هذا الإجمال بل يفصل لك القول عن هذه الروافد حتى تصير وملء نفسك الإعجاب والرضا

ولا يكتفى بدرس هذه الصفة بل يمضى فى استقصاء دراسة سائر خلائقه وصفاته فيقول :

« إن خلائقه الكبرى كانت بارزةً جداً لا يسترها حجاب ؛ فما من قارئ ألمَّ بفذلكةٍ صالحة من ترجمته إلا استطاع أن يعلم أن عمر بن الخطاب كان عادلاً وكان رحيماً وكان غيوراً وكان فطناً وكان وثيق الإيمان عظيم الاستعداد للنخوة الدينية »[2] . وبعد أن يحدثك بأن هذه الصفات مكينة فيه وأنها تتجه « إلى جهة واحدة ، ولا تتشعب فى اتجاهها طرائق قدداً كما يتفق فى صفات بعض العظماء »[3] . وإن هذه الصفات يتمم بعضها بعضاً « حتى كأنها صفة واحدة متصلة الأجزاء متلاحقة الألوان »[3] يمضى فيقول : « وأعجب من هذا فى التوافق بين صفاته أن الصفة الواحدة تستمد عناصرها من روافد شتى ولا تستمدها من ينبوع واحد ، ثم هى مع ذلك متفقة لا تتناقض متساندة لا تتخاذل كأنها لا تعرف التعدد والتكاثر فى شىء »[3]

وهل تراه يقف بك عند هذا الاستقصاء البعيد أو يقنع بما قدمه من بحث ليس وراءه من مزيد ؟ إن فلسفته لتأبى عليه إلا أن يمعن فى الاستيعاب ويبالغ فى الدرس فيقول « وما العدل والرحمة والغيرة والفطنة بغير الإيمان الذى هو الرقيب الأعلى فوق كل رقيب ، والوازع الأخير بعد كل وازع ، والمرجع الذى لا مرجع بعده لطالب الإنصاف »[4] « إن إيمان عمر هو الضابط

(١) ص ٤٠ (٢) ص ٤٤ (٣) ص ٤٥ (٤) ص ١٠٤

الذى يسيطر على أخلاقه وأفكاره ، كما يسيطر على دوافعه وسوراته »[1] ثم لا تدعه فلسفته العميقة حتى تُظفره بسر لم يهتد إليه أحد من قبل ذلك هو (مفتاح الشخصية العمرية) ذاك الذى عرفه الأستاذ العقاد بأنه « السمة التى تميزه بين العظماء حتى فى الإيمان ، وسيطرته على الأخلاق والأفكار والدوافع والسورات ، فإن الإيمان ليقوى فى نفوس كثيرات ثم تختلف آياته وشواهده باختلاف تلك النفوس ... والذى نراه أن (طبيعة الجندى) فى صفتها المثلى هى أصدق مفتاح (للشخصية العمرية) فى جملة ما يؤثر أو يروى عن هذا الرجل العظيم »[2]

ولم يستأثر بهذا المفتاح لنفسه بل تناوله بيد ماهرة وفتح به مغاليق هذه النفس الكبيرة ليبين للناس بقلمه البليغ خصائص عظمتها وما استفادت الحياة منها مما يجعلك تشهد مقراً بنفاذ بصره وقوة ذهنه

وبحسبك أن تراه لا يتولى ناحية من نواحى هذه العظمة إلا أتى على أطرافها وأحاط بجميع أكنافها ، ولا درس جانباً من جوانبها إلا هتك من سره وأظهر المكنون من أمره

ولا نذهب نستزيد فى بيان ما اشتمل عليه كتاب (عبقرية عمر) ، لأن ذلك يحتاج إلى مقالات مستفيضة ، وإنما نجمل كلمتنا دالة تشير إلى جملة هذا الكتاب دون تفصيله ، فإذا لم يكن فيها كل البيان عنه فليكن فيها شىء من دليله

ولعلّ هذه اللمحة تُبيِّن موضع هذا الكتاب المُمتع الذى صور فيه العقاد عبقرية عمر أصدق تصوير وسايرها من إسلامه إلى عمله فى الدولة ومعاملته للرسول وأصحابه ، ثم ما كان عليه من ثقافة وغير ذلك مما لا تجد مثله فى كتاب قبل اليوم

ولئن كان العقاد قد كشف بكتابه هذا عن عبقرية عمر وجلاها للناس فى أروع مظهر وأبلغ بيان ، فإنه قد أثبت العبقرية لنفسه فى هذا الكتاب الفريد حتى لا يكاد يختلف فى ذلك اثنان .

(المنصورة) محمود أبو ريه

(١) ص ١١٤ (٢) ص ١١٥

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 492

Lundi - 7 - 12 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة العاشرة « القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ ذو القعدة سنة ١٣٦١ — الموافق ٧ ديسمبر سنة ١٩٤٢ » العـــدد ٤٩٢

الفهـرس

٣ – دفاع عن البلاغة

حد البلاغة

تسألني بعد ذلك عن البلاغة التي أعنيها وأدفع عنها : أهي بلاغة العقل العربي التي تجلت في نثر ابن المقفع والجاحظ والبديع ، وارتسمت في منهج أبي هلال وعبد القاهر ؛ أم هي بلاغة العقل اليوناني التي تمثلت في كلام الأصوليين والجدليين والمناطقة ، واستسرّت في قواعد السكاكي والسعد ؟ أهي بلاغة المعنى أم بلاغة اللفظ ؟ أهي بلاغة الفكر أم بلاغة الأسلوب ؟

والجواب أن البلاغة التي أعنيها وأدفع عنها هي البلاغة التي تحدّى بها القرآن أمراء القول في عهد كان الأدب فيه صورة الحياة وترجمة الشعور وعبارة العقل . هي البلاغة التي لا تفصل بين العقل والذوق ، ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ؛ إذ الكلام كائن حي ، روحه المعنى وجسمه اللفظ ، فإذا فصلت بينهما أصبح الروح نفَساً لا يتمثل ، والجسم جماداً لا يحس

ومن العجيب أن كان في أمم البلاغة الثلاث : اليونانِ والرومان والعرب ، من فصلوا بين القلب واللسان ، وفرقوا بين المنطق والفن . ففي اليونان — وهي الأمة التي نَشأَت البلاغة في حضانة الفلسفة ، وجعلت الشعر والخطابة قسمين من أقسام المنطق — كان للبلاغة مذهبان : مذهب الفلاسفة ؛ ومن رجاله بركليس وديمستين ؛ ومذهب البيانيين ؛ ومن رجاله السوفسطائيون والمتشددون من أمثال طراسياك وجُرجياس .

وفى العرب كان مذهب المنويين ومذهب اللفظيين ، أو مذهب أهل العراق ، ومذهب أهل الشام . وكان هذان المذهبان أول الأمر يتماسان من شدة القرب كما تراهما بين أسلوب الجاحظ وأسلوب ابن العميد . فلما فسدت الطباع وأمحلت القرائح صار بينهما من البعد ما بين براعة ابن خلدون وغثاثة القاضى الفاضل

ولقد اختلفت التعريفات على مدلول البلاغة باختلاف تصور الناس لها وتأثرهم بها وغرضهم منها ، ولكنها تعريفات مقتضبة لا تكاد تكشف عن جوهرها الفنى لا من جهة النظر ولا من جهة العمل . ولعل أول من حاول شرح البلاغة على نحو يشبه الفن ابن المقفع إذ قال : « البلاغة اسم لمعان تجرى فى وجوه كثيرة : منها ما يكون فى السكوت ، ومنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون خطباً ، وربما كانت رسائل . فعامة ما يكون من هذه الأبواب ، فالوحى فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ . والإيجاز هو البلاغة » . ومن أمثلة الأقوال المقتضبة قول ابن المعتز : « البلاغة هى البلوغ إلى المعنى ولما يطل سَفر الكلام » . وقول الخليل : « البلاغة هى ما قرب طرفاه وبعد منتهاه »

ولبلغاء الغرب في البلاغة أقوال تشبه ما قال بلغاء العرب فى إجمال المعنى وبعد الإشارة . قال لاهارب : « البلاغة هى التعبير الصحيح عن عاطفة حق » . وقال سورين : « هى الفكرة الصائبة ، ثم الكلمة المناسبة » . وقال لاربوبير : « هى نعمة روحية تولينا السيطرة على النفوس » . ولقد تخيلها (سنيك) إلهاً مجهولاً فى صدر الإنسان . ومثّلها القدماء فى صورة إله يتكلم فيخرج من فيه سلاسل من الذهب تَسلُك السامعين فلا يفلت منهم أحد . والتمثال على هذا الوضع لا يمثل غير بلاغة الخطيب

والناظر المتقصى فى أقوال هؤلاء وأولئك يستطيع أن يستخلص من جملتها أن البلاغة هى بمعناها الشامل الكامل ملكة يؤثر بها صاحبها فى عقول الناس وقلوبهم من طريق الكتابة أو الكلام . فالتأثير فى العقول عمل الموهبة الملهمة المفسرة ؛ والتأثير فى القلوب عمل الموهبة الجاذبة المؤثرة ؛ ومن هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الإقناع على أكمل صورة . وتحليل ذلك أن بلاغة الكلام هى تأثير نفس فى نفس ، وفكر فى فكر . والأثر الحاصل من ذلك التأثير هو التغلب على مقاومة فى هوى المخاطب أو فى رأيه . وهذه المقاومة قد تكون فاعلة كسبق الإصرار أو الميل أو العزم ؛ وقد تكون منفعلة كالجهل أو الشك أو التردد أو خلو الذهن . فإذا كانت منفعلة كانت ضعيفة لا يُحتاج فى قهرها إلى الوسائل البلاغية القوية ؛ فالمرء يجهل أو يشك أو يتردد ربما يتهيأ له أن يعلم أو يستيقن أو يجزم ؛ وهو فى مثل هذه الأحوال تكفيه الحقيقة البسيطة للاستفادة من (التعليم) . وقد يكون مع الجهل زيف العلم ، واعتساف الحكم ، وخطل الرأى الثابت باستمرار العادة ، وفساد الوهم القائم على قوة القرينة . وحينئذ لا بد أن تتناصر قوى العقل جمعاء على كسر هذه المقاومة من طريق البرهان ؛ وذلك عمل الجدل ، والجدل عصب البلاغة . وربما حدث مع ذلك كله أو بدون ذلك كله ، فتور فى الطبع فلا ينشط لحديث ولا يرتاح إلى رأى . وهنا يجب على صاحب البلاغة أن يدفع السأم ويحرك النشاط ، فيوشى الحقيقة بخياله ، ويحيى الأسلوب بروحه ، ويجذب القارئ بفنه . وفى هذه الحال يظهر فضل البلاغة على الفلسفة

وقد تكون المقاومة ضعيفة أو معدومة من جهة العقل ؛ ولكنها تكون قوية عارمة من جهة النفس . فأنا لا أمارى فى أن هذا هو الحق ولكنى أستثقله ، أو هو الفضل ولكنى أسترذله ، أو هو النفع ولكنه يَجهَد نفسى ويَبْهَر قواى ، أو هو العدل ولكنه يعارض نفعى ويصادم هواى . فجهد البلاغة هنا يجب أن يوجّه إلى النفس من طريق التأثير ، لا إلى العقل من طريق الإقناع

فإذا اجتمع على مقاومة البلاغة العقل والهوى : هذا بجهله أو نفوره ، وذاك بإصراره أو قصوره ، كان هنا ميدانها الأول وجهادها الخطير . لقد حشد لها العدو جميع قواه فيجب أن تربَع حجره وتستعدّ له . وهى على حسب ما تقتضيه الحال إما أن تهاجم الرأى فتخضع بخضوعه الإرادة كالحال مع القاضى ، وإما أن تهاجم الإرادة فيخضع بخضوعها الرأى كالحال مع الجمهور

أما الغرض من تحليل هذا التعريف فهو تجلية المراد من قول البيانيين إن البلاغة هى مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال . فليست الأحوال المعروضة أو المفروضة إلا انفعالات العواطف فى النفس ، أو اتجاهات الخواطر فى الذهن . وليست مقتضياتها إلا الصور البلاغية المناسبة التى يهتدى إليها البليغ بطبعه أو فنه فيؤثر بها فى هذه العواطف أو فى تلك الخواطر التأثير الذى يريد ...

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

الشـــباب والـكهولة

بين توديع وترحيب

لصاحب العزة الأستاذ محمد كامل سليم بك

سكرتير عام مجلس النواب

إذا بلغ الإنسان الأربعين من عمره ، وزحف منحدراً إلى الخمسين ، شعر بتطور حاسم فى مجرى حياته : هى فترة من العمر ظاهرة المعالم واضحة الحدود . قد يتجاهلها أناس فيمرون بها سراعاً ومن غير مبالاة . وقد يضطرب لها أناس فيحزنون أشد الحزن على شباب ولّى وأدبر بنضرته وروعته ، وكهولة حلت بآثارها وأثقالها . وآخرون مثلى يقفون هنيهة ، ويفكرون ثم يفكرون ، ويودعون عهداً أدبر ، ويستقبلون عهداً أقبل ، ثم يبتسمون ويسيرون فى الطريق المنحدر الذى يقاس بالأعوام ، أو يقاس بالشهور والأيام ... علم ذلك عند علام الغيوب !

هى على كل حال فترة فاصلة حاسمة ، تنطق بعبارة واضحة حازمة ، لا لبس فيها ولا إبهام ؛ إذ تقول : « أيها الرجل . قد انتهى شبابك . قد تضحك ساخراً ؛ وقد تتحدى وتنكر ، وتزعم أن رأسك لم يشتعل بعد شيباً ، أو أن أسنانك سليمة ، وقوتك عظيمة ، وأنك فى صحة الشباب وعافية الشباب ... وإنى لمصدقك ؛ ولكن صدقنى أنت كذلك : إنك لست الآن شاباً بل أنت كهل ، فما رأيك ؟ »

والرأى هنا يتوقف على عوامل شتى أخص بالذكر منها اثنين أو ثلاثة :

(الأول) نظرة الإنسان إلى الحياة عامة

(الثانى) الحالة الباطنية أو الصحية

(الثالث) الحالة الظاهرة أو الشكلية

وما يعنينى الآن فى هذا المقام أن أشرح هـذه العوامل وأبين أثرها ومبلغ خطرها فى تكوين الرأى ؛ وإنما يعنينى (ونحن فى زمن الحرب) أن أهجم على الموضوع هجوماً خاطفاً ، فأقول : إنى أحب الكهولة لأسباب أوجزها فيما يلى :

– لأنى أصبحت بعد التجارب أعرف ما أريد وما لا أريد

– ولأنى أصبحت أعرف نفسى وأعيش عيشة تتفق ومزاجها الخاص

– ولأنى ما زلت والحمد لله سليم الصحة معافى البدن

– ولأنى تعلمت ضبط النفس

– ولأنى أقدر مما كنت على احتمال الآلام وصدمات الحياة

– ولأنى أقدر على خدمة وطنى وإسعاد من حولى

– ولأنى أحمل كنوزاً من الأسرار والذكريات

– ولأنى أصبحت أنعم بالهدوء والاستقرار والسلام

ذكرت رأيى هذا ذات يوم لصديق حميم فقال : هذا حسن . ولكن هل نسيت أن للشباب هزاته ولذاته ، خفقاته وغزواته ، أحلامه ومطامعه ، قوته ونضرته ؟ وهل الشباب إلا الحياة الحافلة ؟ وهل الكهولة إلا الحياة الفاترة ؟

فقلت له : مهلاً . لم أنس شيئاً وإنى بما ذكرته عليم خبير . بل من أعلم به منى وأخبر ؟ ولكن مالك أنت قد ذكرت حسناته ونسيت سيئاته ؟ فللشباب كما تعلم نقائصه وهفواته ، كبواته وانفعالاته ، حماقاته وجهالاته . فليس الشباب حلاوة صرفاً كما تزعم . ولقد عرفت أناساً كان شبابهم عذاباً وجحيما ، فجاءتهم الكهولة راحة ونعيماً . وعرفت العكس مع أناس آخرين

إن السعادة ميسورة في الشباب وميسورة فى الكهولة إذا عرف الإنسان كيف يعيش وفق طبائع العهدين ومميزات العمرين

فالشباب عواطف أولاً وعقل ثانياً ؛ فهو حماسة وتدفق وإقدام

والكهولة عقل أولاً وعواطف ثانياً ؛ فهى اتزان وحساب وسير إلى الأمام

والشباب طائرة فى السماء ، ودبابة فى الأرض ، وغواصة فى البحار(١)

والكهولة سيارة فخمة تطوى الأرض أو باخرة ضخمة تمخر البحار(٢)

والشباب فراشة هائمة على وجهها طلباً للنور الوهاج(٣) ،

---

(١) رمز للقوة والجرأة والقيام بالأعمال الشاقة والتعرض للأخطار

(٢) رمز للمثابرة والاستقرار والاضطلاع بالأعمال الكبيرة ذات الآثار الباقية .

(٣) رمز للمضعف على الشباب البائس العاثر الذى حرم التوفيق

أو نملة(١) سابحة فوق أطباق العسل المصفى

والكهولة فراشة هدأت وسكنت بعد طول المطاف واحتراق الجناح ، أو نملة شبعت وارتوت وما هى بحاجة إلى التكرار

دعنى يا صديقى أنعم بالكهولة نعيماً هادئاً معتدلاً لا أشعر فيه بالاكتئاب والضجر ، ولا بالتعب والملل ، لأنه نعيم النفس والروح الخالدة ، لا يتطرق إليها الاكتظاظ والسأم الكريه .

إن الشباب كلباس الحمام ، ينفع للسباحة المنيفة فى البحار . والكهولة كالمعطف ينفع للتدفئة عند مقدم الشتاء

فعلىّ بهذا المعطف المريح ألبسه فى بر السلام ، وقد أخذت نصيبي وأكثر من نصيبي فى السباحة والتعرض لأخطار البحار الآن أصبحت أعرف نفسى وما تريد . وكنت فى الشباب أجهل نفسى وأسعى وراء مالا أريد أو ما لا خير فيه . والآن أعرف ضبط النفس وجمال التسامح ، وهما سر السعادة والإسعاد . وكنت فى الشباب على النقيض : ثورة مشبوبة حيناً أو سيارة من غير فرامل أحياناً أخرى

ولكن ما هـذا ؟ هل الكهولة خير كل الخير ، لا عيب فيها ، ولا غبار عليها ؟ كلا فقد أراد الله أن يمزج الخير بالشر ، والشر بالخير ، ليخرج من المزيج مزاجاً معقولاً ، ونظاماً مقبولاً . ففى الشباب كفة الجسم وجماله ترجح كفة العقل . وفى الكهولة كفة العقل وكماله ترجح كفة الجسم . فكل شىء بميزان وقدر

إن الرجل إذا جاوز الأربعين واقترب من الخمسين لا محالة شاعر بنوع من الحرمان ونوع من الإذلال . فهذه بعض أسنان تتزعزع فتتخلع ؛ وهذا شعر يبيض أو يتساقط ؛ وهذه عيون كانت قوية نافذة ، أصبحت ضعيفة حاسرة : فى حاجة إلى منظار للقراءة ومنظار للمسير . وهنا وهناك خطوط تنذر بتجاعيد وأخاديد . ثم هضم بضعف ، وغذاء ينتقى ، وشراب يدرس ، وكل شىء بحساب ، وإلا وقع العقاب . فإذا مرضت يا صاحبى جاءك الطبيب المعالج ، ولا يتركك إلا وعلى شفتيه ابتسامة خبيثة جمة المعانى . إذ يقول لك : (يا عزيزى خفف من نشاطك وجهودك . واكثر من أسباب الراحة . ولا تنس أنك لست اليوم شاباً)

هذا وقد تشتهى نفسك أمراً فيه رياضة أو متاع أو غذاء ، فلا يسعفك جسمك فى همة ونشاط كما كان العهد فى الشباب ، وإنمـا يتباطأ أو يتخاذل بالإعياء . هذه هى الكهولة فى أخف أعبائها . وقد تثقل وتقسو وتشتد حين تجعل من نفسها باباً تدخل منه الملل والأوصاب إلى الجسم ، والحسرة والاكتئاب إلى النفس . على أنى والحمد لله أسعد حالاً من هذه الصورة ، فما زلت كامل الصحة ، معافى البدن ، جم الحيوية والنشاط ، ولهذا ترانى أحب الكهولة لأنى أحب النضج ، وأحب النضج لأنى أصبحت أفضل حكم العقل على تحكم الغرائز ، وأوثر الروحانيات على الماديات . والشباب فى نظرى حرب قائمة ، والكهولة سلام مقيم . قد تقول ساخراً إن هذا السلام ركود ، والركود من مظاهر الموت . وإنى لا أقر هـذا القول ولا أوافق عليه . فأنا لا أقول بالسلام المقيم ولا بالاستسلام وانعدام النشاط ؛ إنما أقصد سلاماً كسلام الدولة القوية الغنية ، لا تحب الحرب ولا تسرع إليها مختارة ، بل تعمل فى شتى مرافق الحياة بنشاط أى نشاط . أقصد السلام الذى يشعر به المجاهد الذى ناضل طويلاً ، وأدرك ما أراد ، ثم هدأ واستقر ليستريح وينعم بمزايا السلام . هو سلام لا يعرفه الشاب بحال من الأحوال ، لأن الشباب يسبح فى غمرات متلاحقات . فهو يطمح ويطمع . وينهك نفسه ليكون فى الحياة شيئاً مذكوراً ، وليحصل على المال والمجد والشهرة . يطالع ويدرس فى نهم شديد ليعرف كل شىء . ويظل ريشة فى مهب العواطف العواصف : من حب وكره ، ورضا وسخط ، وأمل وألم . فيظل على الدوام مشرد القلب فى فرح يمازجه اضطراب ، أو فى حزن يلازمه اكتئاب ، إن أخطأ أو أصاب . ضع هذا كله فى كفة الخسائر للشباب ، وانظر ما يقابلها فى كفة المكاسب للكهولة . ترى الكهل ينعم بعزة التحرر والخلاص : التحرر من قيود كانت فى الشباب ثقيلة ، والخلاص من جهود كانت مضنية . لأنه أدرك ما أراد ، ويئس فى الغالب من إدراك البعض الآخر . واليأس إحدى الراحتين ...

لهذا أرانى أشد ما أكون اغتباطاً بالكهولة . لأنها خلصتنى

(١) رمز للتحقير على الشباب العابث المستهتر الذى جعل اللذات غرضه الوحيـد من الحياة .

من مطالب كانت على نفسى ثقيلة الوطأة شديدة الإلحاح . ولأنها منحتنى القدرة على خدمة بلادى على وجه معين ظاهر الأثر معروف الدائرة . كما منحتنى القدرة على إسعاد من حولى على وجه أدق وأشمل . وفى هذا كله أنسٌ للروح وغبطةٌ للنفس ، ليس إلى وصفهما من سبيل .

وأخيراً ما هذا الهدوء النفسى الفريد الذى يملأ صدرى فى الكهولة ؟ أهو وليد الثقة بالنفس بعد طول التجارب على مر الأعوام ؟ قد تحدث الآن أمور مروعة فأتألم لها من غير هلع أو جزع . وأرانى أتحمل الألم فى جلد وصبر وإيمان . لماذا ؟ لست أدرى . وإنما أدرى أن هذا سلاح للروح معدوم النظير ، لا يعرفه الشباب الذى تراه من هول كل صدمة يطير .

هو هدوء أشبه بالهدوء الذى يلى العاصفة : هدوء يطلق النفس من عقالها ، ويفتح أمام العقل آفاقاً لم يكن يراها . ويا له من هدوء مريح حين أخلو إلى نفسى فى مقعدى الوثير ، أطالع ما أشاء كما أشاء ، أو أفكر فيما أشاء عند ما أشاء ، أو أرجع إلى ذخائر الذاكرة أستثير منها ذكريات الماضى البعيد أو القريب ، وإنها لمفعمة بالأسرار ، بعضها خاص لا يذاع ، وبعضها عام سوف ينشر يوماً من الأيام . حينذاك يستقر رجل الأسرار مبتسماً هادئاً فى مكانه المختار ، ثم يتنفس فى عمق واسترخاء وسكون . يا له من شعور لذيذ كامل الصفاء . هيهات هيهات للشباب أن يدرك مداه أو يفهم معناه ؛ لأن الشباب كما قلت دائب الحركة ، يعدو ويلهث وراء متع ليس فيها رى ولا شبع ، ووراء فرص الحياة يطاردها فى حماسة الصبا ، وخلابة المطامع وسراب الغايات .

هذا هو الشباب . وهذه هى الكهولة .

فوداعاً يا شبابى فقد كانت سعادتى بك أضعاف أضعاف ألمي منك !

ومرحباً بالكهولة فقد سعدت بمقدمها ، واستبشرت بطلائع ثمارها ، وأصبحت لا أقوى على فراقها الآن . ورحم الله المتنبى الذى قال :

خُلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

محمد كامل سليم

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

٣ - الشوقيات

للدكتور زكي مبارك

توت عنخ آمون — لعنة الفراعنة — حقيقة أغرب من الخيال — بين حافظ وشوقي — بين الظلم والعدل — أحقاد العبقريين — ألاعيب الحظوظ — توضيح — النونية الآمونية — ثورة الجيل — خلاصة البحث

توت عنخ آمون

في الجزء الثاني من الشوقيات قصيدتان في توت عنخ آمون ، ولهاتين القصيدتين قيمة عظيمة ، فقد صرح شوقي نفسه أن أعظم قصائده هي النونية الآمونية :

درجتْ على الكنز القرون وأتت على الدَّنّ السنون

أما حافظ ابراهيم فكان يرى أن أعظم قصيدة نظمها شوقي هي البائية الكارنارفونية :

في الموت ما أعيا وفي أسبابه كلُّ امرئ رهنٌ بطيّ كتابه

فما حديث هذه القصائد الجياد ؟

كان اللورد كارنارفون من المولعين بالآثار المصرية ، وقد سمح له غناه أن ينفق على الحفريات بسخاء ، فكلّف المستر كارتر أن يحفر في « وادي الملوك » بالأقصر عساه يهتدي إلى مقبرة لم يهتد إليها اللصوص في العصور الخوالي

وبعد متاعب كادت تودي بصبر اللورد كارنارفون عثر المستر كارتر على مقبرة توت عنخ آمون في سنة ١٩٢٢

وقد التفت الباحثون من الأوربيين والأمريكيين إلى هذا الكشف أعظم التفات وقُدّمت التهاني إلى كارتر وكارنارفون من الهيئات العلمية في الغرب والشرق ، ودُعيت الصحافة إلى معاينة ذلك الكشف الخطير فذهب لمعاينته ثلاثة من الصحفيين : زكي مبارك مندوباً عن جريدة الأفكار ، والدكتور هيكل مندوباً عن جريدة السياسة ، والأستاذ المازني مندوباً عن جريدة الأخبار

ولن أنسى أن المستر كارتر حدثنا عن السبب في نقص بعض محتويات المقبرة ، وكان الرأي عنده أن أيدي اللصوص قد امتدت إليها في عهد « الأسرة العشرين » فكتبتُ في « الأفكار » أقول إني أرجح أنها سُرقت في « القرن العشرين » ولم يفت مراسل « التيمس » أن يُبرق إلى جريدته بهذا التلميح ، فنشرته بدون تسويف ، لتداعب به اللورد كارنارفون ، وكانت النتيجة أن يمتنع المستر كارتر من السماح للصحفيين بزيارة المقبرة ، ولهذا الامتناع صدًى في شعر شوقي سنشير إليه قبل ختام هذا الحديث .

لعنة الفراعنة

هنالك خرافة تقول بأن الفراعنة يلعنون من ينبش قبورهم بعد الموت . ولهذا الخرافة أصل ، فقد وُجد على كثير من القبور المصرية والكلدانية دعواتٌ حِرار على من ينبشون قبور الملوك . وفي القبور المصرية ما يسمّى « الرَّصَد » وهو تمثال يقام في مدخل القبر لتخويف اللصوص ، وهو حقًّا مخيف ، لأن القدماء كانوا يتوهمون أنه مزوَّد بالروح وبالسلاح ، وأنه يقتل من يدخل القبر بدون استئذان . وهل يستأذن اللصوص ؟ !

فماذا صنعت لعنة الفراعنة باللورد كارنارفون ؟

أبرقَ إليه المستر كارتر فحضر على عَجَل ليشهد الكشف الجديد ، وبعد أيام لسعته بعوضة وهو نائم في خيمة بجوار المقبرة فمات .

حقيقة أغرب من الخيال

كان اللورد كارنارفون أهدى إلى بنت ملك الإنجليز عقداً من العقود المصرية القديمة ، ففرحت به فرحاً عظيماً ، وأثابت مهديه أجزل الثواب ، فلما سمعت أن بعوضة لسعته فمات نزعت العقد من جيدها لئلا تلحقها لعنة الفراعين !

وفي قصة البعوضة يقول شوقي :

صادت بقارعة « الصعيد » بعوضةٌ في الجوّ صائدَ بازه وعُقابه

وأصاب خُرطومُ الذبابة صفحةً خُلقت لسيف الهند أو لذُبابه

طارت بخافية القضاء ورأرأتْ بكريمتيه ولامستْ بلُعابه

ثم يعلل شوقي تلك الحادثة تعليلاً علميًّا فيذكر أنها من نتائج الوهم الذي يُضعف الأعصاب :

لا تسمعنّ لعُصبة الأرواح ما قالوا بباطل علمهم وكِذابه

الروح للرحمن جلّ جلالهُ هي من ضنائن علمه وغيابه

غُلبوا على أعصابهم فتوهموا أوهام مغلوبٍ على أعصابه

بين حافظ وشوقى

كان التنافس بين حافظ وشوقي قد وصل إلى أبعد الحدود ، وزاد فى خطر ذلك التنافس أن حافظاً كان رجلاً عذب الروح ، وكانت له مع الصحفيين صلات يؤرّث بها أحقادهم على شوقى حين يشاء

وما أذكر غلبة شوق على حافظ إلا تعجبت . فقد كان حافظ غاية فى الذكاء واللوذعية ، وكان علمه بتاريخ العرب وآدابهم علماً يفوق الوصف ، وكان فهمه لدقائق الحياة المصرية أعجوبة الأعاجيب ، فكيف تفوّق عليه شوق وكان رجلاً يدل مظهره وحديثه على أنه فردٌ من سواد الناس لا يمتاز بعبقرية ولا نبوغ ؟

أكاد أجزم بأن « شهوة الحديث » هى التى أضعفت شاعرية حافظ ، فقد كان كثير الحديث ، وبالحديث وصل إلى ألوف القلوب ، وبالحديث ضاع ، لأن الحديث يأخذ من القوى النفسية طاقات لا تَصلُح بعدها للغِناء

لو أن أحاديث حافظ دُوّنت لكان فيها ثروة فكرية تفوق ما ترك شوق من الثروة الشعرية ، ولكان من الممكن أن يعدّ من أقطاب التاريخ الأدبى فى هذا الباب ، ولكن هذا الزمن لا تتسع تقاليده الأدبية لمثل ما كانت تحرص عليه عناية القدماء فى أمثال هذه الشؤون

أما شوق فكان يؤثر الصمت ليحتفظ بالمدّخر من قواه النفسية ، وليَلْقَى الناس بالقصيد لا بالحديث ، فظفرت جهوده بالخلود .

كان حافظ يحدّث من يلقاه بإطناب وإسهاب ، فلا ينقضى اليوم إلا وهو متهالك من فرط الإعياء . وكان شوق يهرب من الناس حين يشرع فى النظم ، فلا تراه إلا هائماً على وجهه من طريق إلى طريق ، وفى حال تنذر بالجنون !

كان حافظ يطيل محاورتى حين كنت موظفاً بدار الكتب المصرية فى سنة ١٩٢٥ ، فبدا للمرحوم أحمد نسيم أن يدلنى على أحد مقاتله النفسية ، فحدثنى أن أعظم ما يغيظ حافظاً أن تخبره أنك رأيت شوق ينتقل من ترام إلى ترام وفى يده سجارة وعلى وجهه أمارات الذهول .

وحملنى النزق على تجربة هذه الوصية ، فأخبرت حافظاً أنى رأيت شوق كثير التنقل فى الشوارع ، وفى حال يغلب عليه الانفعال ، فصرخ حافظ : فى أى غرض يعالج الشعرَ هذا المخبول ؟ إنه يكره أن يقترن اسمى باسمه ، مع أن الناس ظلوا يقولون فى أكثر من عشرين سنة : شوق وحافظ كما يقولون : بيض وسميط !

بين الظلم والعدل

كانت الأقدار سمحت بأن تنعقد بينى وبين شوق مودة دامت نحو سنتين . وفى تلك الأيام عرفت من أحوال شوق أشياء وأشياء . ومن المؤكد أنه من أعاظم الرجال الذين عرفتهم فى حياتى ، فقد كانت أستاذيته فى نقد المجتمع مضرب الأمثال ، وكان روحه من ألطف الأرواح ، وفى لحظة من لحظات الحوار حول مقاصد الشعراء سألته عن قصيدة حافظ فى مجاوبته ، وهو منفيٌّ بالأندلس ، فأجاب وقد تربدّ وجهه بالغيظ : أنا لا أروى غير شعرى !

فقلت : ومن الوفاء للأدب أن تروى شعر من يناجيك وأنت غريب !

وفى اليوم التالى لقيت حافظاً فسألته برفق : أتحفظ شيئاً من شعر شوقي ؟ فأجاب : لقد قتلنى شوق حين قال فى اللورد كارنارفون :

أفضَى إلى ختم الزمان ففضّهُ ... وحبَا إلى التاريخ فى محرابهِ
وطوى القرونَ القهقرى حتى أتى ... فرعونَ بين طعامهِ وشرابِهِ

أحقاد العبقريين

ومع هذا فأحقاد العبقريين كأحقاد الأطفال تذوب بعد ليال . ففى سنة ١٩٢٧ أقيمت حفلة عربية لتكريم شوق ، فأنشد حافظ قصيداً جاء فيه :

أميرَ القوافى قد أتيت مبايعاً ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

فدعاه شوق وقبّل جبينه والدمع فى عينيه . . . ثم شاء القدرَ أن يموت حافظ قبل شوقي بأسابيع ، فقال شوق يبكيه :

قد كنت أوثر أن تقول رثائى ... يا منصف الموتى من الأحياء
لكن سبقتَ وكل طول سلامة ... قدرٌ ، وكل منية بقضاء
ووددت لو أنى فداك من الردى ... والكاذبون المرجفون فدائى
الناطقون عن الضغينة والهوى ... الموغرو الموتى على الأحياء
من كل هدّام ويبنى مجدهُ ... بكرائم الأنقاض والأشلاء

ماحطّموك وإنما بك حطّموا | من ذا يحطّم رفرفَ الجوزاء
أنظُر فأنت كأمس شأنك باذخٌ | فى الشرق واسمُك أرفع الأسماء
بالأمس قد حلّيتنى بقصيدة | غرّاء تُحفَظُ كاليد البيضاء
غِيظَ الحسود لها وقمت بشكرها | وكما علمتَ مودتى ووفائى

وهى أعظم قصيدة قالها شوقى قُبَيْل الموت . ولعلها خير ما جاد به خاطره برفق وحنان(1)

أعاجيب الحظوظ

مات حافظ وشوقي فى موسم واحد هو صيف سنة ١٩٣٢ فارتجت الأقطار العربية لموت شاعرَيْن كانت إليهما قيثارة الغناء فى أعوام تزيد على الثلاثين

وفى خريف تلك السنة بدا لإحدى شركات السجاير أن تخرج عُلبة باسم شوق وعلبة باسم حافظ ، فجعلت ثمن العلبة الأولى خمسة قروش وثمن العلبة الثانية أربعة قروش !

وسعيد الدنيا سعيد الآخرة ، كما يقول المصريون !

توضيح

لهذا الاستطراد غاية ، هى خلق جو يفسر ما كان بين شوق وحافظ ، ولها مجال فى مسابقة الأدب العربى لهذا العام السعيد .

وما يليق بأديب أن يجهل ما كان بين حافظ وشوق من مصاولات عادت على الشعر بأطيب الثمرات

النونية الآمونية

مراجعة هذه القصيدة بتأمل وتدقيق ترينا كيف قال شوق إنها أعظم ما خطته يمناه ، فقد حاور الحياة وحاور الوجود بأسلوب الأديب الفيلسوف ، وزعم خياله أن الموتى لو شعروا بما فى قبر ذلك الملك لنبشوه بدون استحياء ! ثم مضى فصوّر حياة ذلك الفرعون فى حدود التصاوير المرسومة بجدران قبره المطموس

والتلطف مع شوقي لا ينسيني واجب النقد الأدبى ، وهذا الواجب يدعونى إلى النص على أن شوقي أسرف فى وصف مقبرة توت عنخ آمون ، فقد ذكر لها خصائص غير حقيقية ، خصائص لم ترها عيناى حين زرتها قبل عشرين عاماً ، ولعل شوق لم يرها بعينه قبل نظم هذا القصيد ، وإنما تمثّل ما رآه فى بعض المقابر الفرعونية فقال ما قال بلا تحفظ ولا احتراس

ثورة الجيل

فى هذه النونية تحدّث شوق عن عصر توت عنخ آمون وعدّه عهد « الفرد اللعين » ليجوز له فى قصيدة ثانية أن يقول إن الدستور جمل عصره دون عصر « فؤاد »

والقصيدة الثانية تحفة أدبية تخيل فيها الشاعر أن توت عنخ آمون :

سافرَ أربعينَ قرناً عدّها | حتى أتى الدار فألفَى عندها
إنجلترا وجيشها ولُرْدها | مسلولة الهندىّ تحمى هندها
قامت على السودان تحمى سدّها | وركزت دون (القناة) بندها
فقال والحسرةُ ما أشدّها | ليت جدار القبر ما تهدهدا
وليت عينى لم تفارق رَقْدها | قم نَبِّنى يا بَنْتَئورُ ما دها
مصرُ فتاتى لم تُوقّر جدها | دقت وراء مضجعى جزْ بندها
وخلطتْ ظباءها وأسدها | وسكب الساق الطلا وبدّها
قد سحبتْ على جلالى بُردها | ليت جلال الموت كان صدها

وهذا شعرٌ يفسده الشرح ، وهو أيضاً شعر لا يقوله غير شوق إمام الصياغة الشعرية ، وأصدق من تغنّى بأمجاد النيل

وفى هذه القصيدة نصّ شوقي على أن :

مصر الفتاة بلغت أشُدّها | وأثبت الدم الزكىُّ رُشدها
ولعبتْ على الحبال وحدها | وجربتْ إرخاءها وشدها
فأرسلت دهاتها ولُدّها | فى الغرب سدوا عنده مسدّها
وبعثتْ للبرلمان جندها | وحشدتْ للمهرجان حشدها

ثم أشار إلى معارضة المستر كارتر فى زيارة المقبرة فقال يخاطب الفرعون :

لحدك ودّته النجومُ لحدها | أريتنا الدنيا به وجدّها
سلطانَها وعزها ورغدها | وكيف يُعطَى المتقون خُلدها
أبوابك اللائي قصدنا قصدها | كارترُ فى وجه الوفود ردّها
لو لا جهودٌ لا نريد جحدها | وحُرمةٌ من قربك استمدّها
قلتُ لك اضربْ يده وقُدّها | وابعث له من البعوض نُكدها

والقارئ يفهم أنه يشير إلى البعوض الذى صرع اللورد

---

(1) كان شوق فى أخريات أيامه مصاباً برعشة عنيفة تتمثل فى اضطراب يديه بدون انقطاع ، ومع هذا فقصيدته فى رثاء حافظ لا تدل على تعب ولا إعياء . أما آخر قصيدة نظمها شوق فهى قصيدته فى افتتاح مصنع مشروع القرش برياسة الدكتور على باشا ابراهيم ، وبعد أن صفق المحتفلون وأطالوا التصفيق لقصيدة شوق كان زادهم عند الانصراف أن يتلقوا ملحقاً لجريدة الجهاد تنعى به شوق ، فعرفوا أن تصفيقهم كان تحية تلقاها الشاعر وهو على سرير الموت ... يرحمك الله يا شوق !

كارنارفون ، وهو بعوض ظالم ، فقد حدثنا شوقي في البائية أن اللورد كارنارفون أهدى إلى توت عنخ آمون هدية أعظم من الهرمين ، لأنه عرَّف به أمماً لم يعرفها عصر الفراعين . ألم تُكتب فيه عشرات البحوث فى بلاد الأمريكان ؟

خلاصة البحث

قد فرغت من الكلام عن عيون الجزء الثانى من الشوقيات فى الحدود التى يسمح بها الوقت ، وإنى لواثق بأن هذه الإشارات تكفى لهداية المتسابقين إلى اجتياز الامتحان بأمان

ولكن الواجب يحتّم علىَّ أن أشير على الطلبة بأن يسألوا أساتذتهم عما فاتنى النص عليه ، فقد يكون فى أساتذتهم من هو أعرف بسرائر الشوقيات

وقد سكت عن سينية شوقى فى معارضة سينية البحترى ، لأنى تحدثت عنها باطناب فى كتاب « الموازنة بين الشعراء » وأنا أكره الحديث المعاد

أما بعد فما خلاصة هذا البحث ؟

هو إشارات ورموز لا ينتفع بها غير من يقرأ الشوقيات بإمعان . والنقد الأدبى توجيه لا تلخيص . والله ولىُّ التوفيق

زكى مبارك

مرسلات مع الريح

نعش وباب

للأستاذ إسماعيل مظهر

نحو الشّمال ... وسرنا فى ليل مُعتم ، والمطر ينهمر كأنّ السماء تحاول أن تدكّ بمائهـا النمر ذلك الأديم الذى تنزلق من فوقه حوافر الجياد

مال ميزان النهار ، واكتهل اليوم الخامس عشر من شهر يناير سنة ١٩٣١ ، قبل أن ندلف بجيادنا فى قفر سَبْسَبٍ فى شمال الدقهلية وقصدنا بلدة يقال لها « غرور » . وكان ثلاثتنا فى صمت مُحزن ، فلا ينبس أحدنا ببنت شفة . وكنّا فى حالة ترقب بعد أن انحدرت الشمس نحو المغيب ، وأرسلت من خلال فجوة فى السُّحُبِ الدُّهم ، غلالة حمراء من غلائلها التى تتيه بها فى أشهر الشتاء

وهبّ ريح لافح تضرب وجوهنا بألسنة من الزمهرير ، وتمصف بشجيرات من الطرفاء هنالك ، فتسمع لها نواحاً أشبه بأنين البوم يتداعى ويتجاوب

وقد تراكب فى السماء سحاب من فوقه سحاب ، وانحدرت نحونا سحابة كأنها المداد ، نخيل إلىَّ أنها قضاء الله فى الظالمين ، ينحدر إلينا متثاقلاً وفى تمهل العالم بأنه لا بد من أن يصيب حيث يرمى . ولم تلبث أن رمتنا بذلك السيل المنهمر

مدّت الجياد أعناقها نحو الأرض لتتقى بذلك انهمار المطر ، وراحت تمشى حذرة متلكئة . فالأرض سبخة والطريق وعرٌ ، وقد استحال آلافاً من البرك الصغيرة ، فى كل منها منزلق ، وفى كل منها مهواة ؛ حتى لقد تذكرت فى تلك الآونة جنة ذلك الرجل الذى كفر بربّه ، فأصبحت صعيداً زلقاً

وأين نحن من «غرور» ؟ إنا منها على عشرة فراسخ ، فى ليل ممطر شديد السواد ، قارس البرد ، قَرّ الرِّياح . وقد ابتلت ثيابنا وأخذ الماء يسرى فيها ، كما تسرى الخمر فى أعصاب المنتشين ، حتى إذا بلغ جلودنا مضينا ننتفض ملتزمين ذلك الصمت الرهيب

ذلك القفر السَّبْسَب ملك لحكومتنا . وقد تبلغ مساحته آلافاً وآلافاً من الأفدنة ، لا يؤنسه غير نبات البَرْدى ينبت حيث تجتمع المياه ، ونبات الطَّرْفاء يحتل نَبْكاته المرتفعة ، مُتشبّثاً بها وكأن كل نَبتة منه غريق فى لُجٍّ مائج

وكنتُ أعرفُ أنّ فى جوفِ ذلك القفر مقاماً لِوَلِيٍّ من أولياء الله ، شاده هنالك جماعة من مريديه ، وأقاموا إلى جانبه مسجداً ، فأخذت تتناثر من حوله القبور : قبور أولئك الذين يوصون بأن يدفنوا بمقربة من ولىٍّ الله زلفى إلى الآخرة . وكنت أعلم أن لذلك المسجد حارساً يضىء فيه ، إذا جن الليل ، مصباحاً يهتدى به فى ذلك القفر من تدهمهم مثل تلك الليلة الليلاء

رميت بصرى فى جوانب ذلك القفر ، وقد ضللنا طريقنا ، وأخذت الجياد تضرب بنا فى نواحيه ضرب التخبط الذهول ، أتطلّع لعلِّى أقع على شماع ذلك الولىِّ الكريم . وأنَّا للبصر أن يهتدى فى تلك الظلمات الهابطة علينا كِسَفاً ؟

ولكن الصمت الذى لزمناه قد انتهى أجله ؛ فقد تحرك لسان كبيرنا بكلمات وسمعته يقول إنه يرى ومض مصباح إلى الشمال منا . إذن فإلى الشمال

وانتحينا بجيادنا نحو الشمال ، وحثثناها على السير . ولكن

أين الوميض ؟ لقد أخفاه الليل أو عصف به عاصف من الريح . وخيِّل إلىّ أن ذلك الوميض الذى لاح لكبيرنا ليس إلا سراب الليل ، أو أنه الوهمُ ضخّمه الأملُ فى النجاة من الليل والماء والرِّياح . وثبتُّ نظرى نحو الشمال وحدقت تحديقاً تراءت معه لناظرى أشباح غريبة ، وطيوف تبدو وتخبو كأنها فى صراع ، وشعرت أنى أميل وأترنح من فوق جوادى ، وأن يداً خفية تأخذ بأطراف معطفى وتجذبنى إلى الوراء ، فأعتدل فى سرجى وأتثبت من ركابى لأستوثق من محلى ، وأنى على ظهر الجواد ، ومازلت مالكا حواسى . غير أن كل هذه الخيالات قد تبددت فجأة لما أن وقع بصرى على لمع ذلك القبس الخافت المريض الذى تراءى لصاحبى من قبل ، ثم اختفى فى جوف ذلك البحر اللجى من الليل ومن الماء ومن الرياح . وكنا كلما ضربت بنا الجياد فى جوف ذلك القفر الأملس المجرود ، توالت ومضات ذلك القبس الذى علقنا عليه الأمل ، وربطنا حياتنا بتراوحه بين الظهور والخفاء . حتى إذا كنا بمقربة منه عرفنا أنه مصباح ولىّ الله يتلاعب به الريح العاصف فيتنوّح رواحاً وجيئة ، وقد علا جوانبه سواد كاد يخفى عن الأبصار ومضاته الضئيلة .

بلغنا عتبة المسجد القائم هنالك فى فجوة من فجوات ذلك الفضاء المترامى وحيداً كأنه الأمل الباسم العريض فى وحشة الفراق . وكنت أول الواثبين إلى الباب أعالج اقتحامه إلى الصحن فإذا بالباب مغلق ، ومن دونه دريئة هى نعش من خشب يحمل الموتى إلى أول السفر وآخر المعاد .

جمدت هنالك ذاهلاً عن جوادى وعن صاحبى أتأمل النعش ومن ورائه الباب . فكل من يحمل فى ذلك النعش ، لا بد له من أنه يجتاز ذلك الباب . فإذا جاوزه ، فإلى سفر الأبد المديد .

الباب والنعش . ثم صلاة تقام تكفيراً واستغفاراً ، فإذا دلف به الدالفون نحو الحفرة العميقة ، فقد دلفوا به ليسلموه إلى الآخرة ، ثم فلسفة فى شعر :

نُطوّف ما نُطوّف ثم نأوى ... ذوو الأموال منّا والعديم
إلى حفر أسافلُهنّ جرف ... وأعلاهن صفّاح مُقيم

ثم تأملات رهين المحبسين :

سأفعل خيراً ما استطعت فلا تقم ... علىّ صلاة يوم أصبح هالكا
فما فيكم من خيِّر يُدّعى به ... يُفرّج عنى بالمضيق المسالكا

ومن ذا الذى أستنجد به هنالك ليفرج عنى فى ذلك المسلك الرهيب : النعش ومن ورائه الباب . ليس ثمة من شىء غير عزيمتى . وأنا حى بينى وبين النعش والباب شقة ، بُعدها بُعدَ الشرق من الغرب:

والشرق نحو الغرب أقرب شقة ... من بُعد تلك الخمسة الأشبار

فأزحت النعش جانباً ، واقتحمت الباب ، فإذا الظلام مخيم على صحن المسجد والرياح حيرى فى جوانبه ، تهبّ منحدرة من منافذه العليا ، فتدور مُتلوّية ، ثم تندفع نحو الباب ، كأنها أسير أفلت من قيود الحديد :

تمشى الرياح به حيرى مدلّهة ... حسرى تلوذ بأكناف الجلاميد

خلعت معطفى وألقيت به جانباً ، وجلست مسنداً ظهرى إلى الجدار البارد المقرور ، وما لبث كبيرنا أن انتحى موضعاً آخر ، ثم التفت إلىّ وقال :

« إذا بزغت الشمس يمّمنا نحو (غرور) ، فقابلنا عمدتها ووجهاءها ، واستوثقنا من أنهم سوف يعضدوننا ، ثم انحدرنا نحو « زفر » فنأخذ على أهلها المواثيق ونقيّدهم بالعهود ثم ... »

غير أنه لزم الصمت إذ بادرته بسؤال لم يكن يتوقعه من فتى ينتمى إليه بروابط الرحم : فصرخ مهتاجاً :

« ألم تر كيف صار فلان عضواً بمجلس النواب ، وفلان عضواً بمجلس الشيوخ ، وفلان وكيل وزارة ، وليس منهم من يدانينا جاهاً وثروة . إنك ما تزال جاهلاً بأمور دنياك فاسكت وأطع »

قلت نعم إنى أصغر منك سناً ، وربما كنت أقل تجربة ، ولكنى سأصارحك برأيى فيمن ينبغى أن تكون لهم هذه المراكز العليا : هى ياسيدى لمن يُقالُ له هِيَ لك ، لا لمن يَقولُ هى لى . هذه هى الحقيقة برغم القوانين ، وبرغم الشرائع ...

ثم لزمت الصمت ولزمه . حتى إذا تنفس الصبح وبان الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، عمدت إلى معطفى المبلل فوضعته فوق كتفى ، وهممتُ بالخروج من المسجد ، فنظر إلىّ صاحبى نظرة تساؤل فلم آبه به ، ولم أحفل بما نمّت عنه نظراته ، بل ألقيت على الباب نظرة وعلى النعش أخرى ، وكأنما يُحدّثهما قلبى هاجساً : عندكما يقف كل مغرور بدنياه

وامتطيت جوادى . وأدرت وجهه نحو الجنوب ، ومضيت أضرب فى ذلك القفر ، ولكن إلى عُشى ، إلى زوجى وأولادى ؛ إلى موضع حبى وحنينى . إلى من هم لعينى النور ، ولقلبى الرجاء ، ولحياتى الأمل ، ولنفسى الطمأنينة . إلى وكرى الصغير الذى أصبح لى فى جنبات هذه الدنيا الصماء الغَرُور ، بمثابة البيضة والعش ، والسكن والوطن والكون

اسماعيل مظهر

من أطرف ما قرأت

ميليزاند الأمــيرة

للأستاذ صلاح الدين المنجد

تمثلتُها فى قصرها الضاحك ، فوق صخور الشاطىء ، رافعة يدها تومىء « أن هلموا إلىّ ... أنا ميليزاند ، أنا الأميرة الحسناء ! »

إنها أسطورة ملؤها الخيال والجمال ، والمغامرة والشعر ! إنها حلم زاه رفاف ، ومعنى بعيد بعيد !

فى بلدة هادئة من « بلاى » كان « روديل » الفتى الجميل ، ذو الجسم القوى ، والوجه الصبيح ، يرسل أشعاره الملأى بالشجو والحب والأنين . لقد كان يحب ميليزاند الحلوة كالصبح ، المشرقة كالنور ، الرفافة كالورد . فكان يتمثلها فى خاطره ، ويداعبها فى خياله ، ولا يستطيع أن يراها . ما أبعدها عنه ...! هى فى الشرق المسحور القاصى ، وهو فى « بلاى »

ولم يطق صبراً عنها ، فقد كانت نفسه ناعمة يهزها كل شىء ويؤثر فيها كل شىء . كانت كالقيثارة تمر عليها النسمة الخفيفة ، فتترك وراءها نغمة مطربة أو هزجة ناعمة

وكان يرسل أشعاره فى هدأة الليل ، تحت القمر . وكان يحب تغريد العصافير ، فإذا سمعت ذكرته حبه البعيد . يقول :

« عند ما تطول أيام مايو ، تلذ لى أغرودات العصافير . فإذا سمعت هاجت فى قلبى ذكرى حب بعيد . فأعود مفكراً مطرقاً ، فلا أناشيد الرقاق تفرح القلب الحزين ، ولا رفيف الزهر يبهج النفس الكلوم

« أى فرح سيشرق فى نفسى عند ما أراها وأطلب أن تضيفنى ! سأسألها الضيافة ، بالله ، وبالغربة . وعندئذ ، ياما ألذّ أحاديث العاشق البعيد ، بقرب الأميرة البعيدة . وهو ينعم بصفاء عينيها الحلوتين »

« ثم ... ثم أتركها ، واحسرتاه ، حزنان أو فرحان ، راضياً أو كارهاً ، فلا أراها أبداً !

« لن أنعم بالحب إن لم أنعم بها ، لأنى ما رأيت سيدة أنبل ولا أحسن منها ... ! آه ، ياليتنى كنت عبداً لها !

« اللهم يا من خلقت كل شىء ... كل ما يموت ويحيا ، صل أسبابى بأسبابها ، فى أى مكان شئت ! »

تلك كانت أغانيه . إن فيها حنيناً ولوعة ، كأنها نغمات من نغمات مالارميه أو فيرلين

وما زال (روديل) يسعى حتى سافر مع أهل الصليب . وقطع طريقه يغنى ، ويمنى نفسه بحلاوة اللقاء . وما كادت الباخرة تقرب من طرابلس حتى فاض سروره وزاد وجده . لقد كاد يرى ميليزاند ! وها هو ذا قصرها ينادى الناس . فيغلب عليه الوجد ، ويطغى عليه الفرح ، فيمل ويمرض ، ويحمل إلى المدينة ، ويوضع فى كوخ حقير ، وهو يلفظ أنفاسه

وأسرعوا إلى الأميرة الحسناء فحدثوها عنه « لقد كان يغنى مع الموج أغنيات حبه ، وكان ما بفتأ يلهج باسمك ويسبح بجمالك ... » فخفت إليه . ولما اقتربت منه ، وأسندت إلى صدرها رأسه ، دبت فى جسمه الحياة ففتح عينيه ، وأرهف أذنيه ، وتدفق الدم فى خديه ، وجلس يسمعها أشعاره ، ويؤنسها بأغانيه فتطرب ميليزاند ، وتنحنى فتقبل بثغرها الريان فمه وشفتيه

وعجب الناس من الأميرة كيف تحيى الموتى ، وعجبوا من العاشق الميت كيف يحيا ... ؟

وما أشبه ميليزاند ، بمحبوبة الأعشى التى قال فيها :

لو أسندت ميتاً إلى صدرها   عاشَ ولم يُنقـلْ إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا   يا عجباً للميت النـاشر !

وأخذ (روديل) يحدثها عن تهيامه وتحنانه ، وأخذت تطرفه بأعذب الأحاديث ، حتى إذا قص عليها كل شىء وأسمعها كل شىء ، عاد ، فأغمض عينيه ... ومات

وأعجب الناس بروديل ، وجعلوا حبه أسطورة . فرنّت فى أوربة ودوت ؛ وهام الناس بالشرق . وجعلوا الأميرة ميليزاند رمزاً ... وصوروها واقفة على شاطئ البحر ، بين يدى الأمواج تنادى الأمراء ، وتنادى الملوك ، وتنادى الناس « تعالوا وانظروا إلى الأميرة البعيدة ... تعالوا إلى البلاد المقدسة »

صلاح الدين المنجد

٣ ـ خزانة الرءوس
في دار الخلافة العباسية ببغداد

للأستاذ ميخائيل عواد

(ز) رأس بدر مولى المعتضد :

كان سبب قتله على ما أجمعت عليه الروايات ، أن الوزير « القاسم بن عبيد الله كان همَّ بتصيير الخلافة من بعد المعتضد في غير ولد المعتضد ، وأنه كان ناظر بدراً في ذلك ، فامتنع بدر عليه وقال : ما كنت لأصرفها عن ولد مولاى الذى ولى نعمتى . فلما رأى القاسم ذلك وعلم أنه لا سبيل إلى مخالفة بدر ؛ إذ كان بدر صاحب جيش المعتضد والمستولى على أمره والمطاع في خدمه وغلمانه ، اضطغنها على بدر . وحدث بالمعتضد حَدَثُ الموت وبدرٌ بفارس ، فعقد للمكتفى عقد الخلافة وبايع له وهو بالرّقة لما كان بين المكتفى وبين بدر من التباعد في حياة والده ... فقدم بغداد المكتفى وبدر بفارس ؛ فلما قدمها حمل القاسم في هلاك بدر ... »[1]

قال المسعودى : « ... فلما امتنع عليه أحضر أبا عمر محمد ابن يوسف القاضى فأرسل به إلى بدر في شذاء (قلنا : الشذاء والشذاة والشذاوة ؛ تجمع على الشذاءات والشذوات : ضرب من السفن النهرية الصغيرة في العصر العباسى) فأعطاه الأمان والعهود والمواثيق عن المكتفى ، وضمن له أنه لا يسلّمه عن يده إلا عن رؤية أمير المؤمنين ؛ فخلّى عسكره وجلس معه في الشذاء مصعدين ، فلما انتهوا إلى ناحية المدائن والسيب تلقّاه جماعة من الخدم ، فأحاطوا بالشذاء ، وتنحى أبو عمر إلى طيّار فركب فيه ، وقرب بدر إلى الشط وسألهم أن يصلى ركعتين وذلك في يوم الجمعة لست خلون من (شهر) رمضان سنة تسع وثمانين ومائتين وقت الزوال من ذلك اليوم ؛ فأمهلوه للصلاة . فلما كان في الركعة الثانية قُطعت عنقه وأُخِذَ رأسه فحمل إلى المكتفى . فلما

(١) تاريخ الطبرى (٣ : ٢٢٠٩ — ٢٢١٠) ، وانظر (٣ : ٢٢١٠ — ٢٢١٣)

وضع الرأس بين يدى المكتفى سجد وقال : الآن ذقت طعم الحياة ولذة الخلافة ... »[1]

وزاد الطبرى على ذلك قوله : « ... وورد الخبر على المكتفى بما كان من قتل بدر ... فرحل منصرفاً إلى مدينة السلام ، ورحل معه من كان معه من الجند ، وُجِّه برأس بدر إليه ؛ فوصل إليه قبل ارتحاله من موضع معسكره ، فأمر به فنُظِّف ورفع في الخزانة »[2]

(ح) رأس الوزير الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان ابن وهب . بن أبي علىّ بن مقلة

قصة هذين الوزيرين إحدى عبر الدهر . قال ابن الطقطقى في الحسين بن القاسم أنه « لم يكن بارعاً في صناعته ، ولا شكرت سيرته في وزارته ، ولم تطل له المدة حتى عجز واختلت الأحوال عليه ... ، ولما ظهر للمقتدر نقصه وعجزه ؛ قبض عليه وصادره ، ثم بقى إلى أيام الراضى وأُبعد عن العراق . فلما تولى ابن مُقْلة الوزارة ؛ تقدم بقتله ، وأرسل إليه من قطع رأسه ، وحمل رأسه إلى دار الخلافة في سفطٍ[3] ، فجعل السفط في الخزانة ، وكانت

(١) مروج الذهب (٨ : ٢١٧ — ٢١٨) ؛ وراجع المنتظم (٦ : ٣٥ — ٣٦)

(٢) تاريخ الطبرى (٣ : ٢٢١٤)

(٣) السفط : محركة ؛ جمعه أسفاط . قال صاحب التاج (٥ : ١٥٣ ؛ س ف ط) : « الذى يعبي فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ، وفي المحكم كالجوالق وفي غيره ، أو كالقفة . وهو عربي معروف قال ابن دريد : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعى أحسبه عن يونس ، وأخبرنا يزيد ابن عمرو الغنوى عن رجاله ، قال : مر أعرابى بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يدفن فقال :

هلا جعلتم رسول الله في سفط   من الألوة أسدا ملبسا ذهبا

وفي حديث عمر (رضى الله عنه) : فأصابوا سفطين مملوءين جوهراً ، وعن معقل بن يسار المزنى (رضى الله عنه) أنه قال لما قتل النعمان بن عمرو ابن مقرن (رضى الله عنه) ، أرسلوا إلى أم ولده : هل عهد إليك النعمان ؟ قالت : سفط فيه كتاب ، فجاءت به ففتحوه ؛ فاذا فيه : فان قتل النعمان ففلان . قلت : وأنشد بعض الشيوخ لأبي حامد محمد بن عبد الرحيم المازنى القيسي الغرناطى :

تكتب العلم وتلقى في سفط   ثم لا تحفظ لا تفلح قط
إنما يفلح من يحفظه   بعد فهم وتوق من غلط » اهـ

وبالفارسية « سبد » ، ومنه « سبد » بالتركية والكردية : (أنظر الألفاظ الفارسية المعربة ص ٨٤)

وفي السفط وضع النبي موسى (عليه السلام) يوم كان طفلا . جاء في سفر الخروج (٢ : ٣) : « ولما لم تستطع أن تخفيه بعد ؛ أخذت له =

لهم عادة بمثل ذلك . فحدَّثَ أنه لما وقعت الفتنة ببغداد في أيام المتقي ؛ أخرج من الخزانة سفطٌ فيه يد مقطوعة ورأس مقطوع ؛ وعلى اليد رقعة ملصقة عليها مكتوب : هذه اليدُ يدُ أبي عليّ بن مقلة ، وهذا الرأس رأس الحسين بن القاسم ، وهذه اليد هي التي وقَّعت بقطع هذا الرأس . فعجب الناس من ذلك »[1]

٢ — حمل الرءوس إلى بغداد

كان حمل رءوس العصاة ، والخارجين على الدولة ، والفارين من وجه العدالة ، ومن جرى مجراهم ؛ إلى دار الخلافة العباسية ببغداد ، أصدق شاهد على الفوز والانتصار ، وكان هذا الأمر من الرسوم الجارية في تلك الأيام ، فكانت بغداد تستقبل هذه الرؤوس بين حين وآخر ، فتدخلها مشهرة ، ثم يؤتى بها فتوضع بين يدي الخليفة ليشاهدها هو ورجال دولته ، وفي ذلك أمرٌ يبتغيه الخليفة . ثم إنها تنصب على المواطن البارزة من البلد كالجسور ، وأبواب دار الخلافة ؛ ليشاهدها كافة الناس فيعتبرون بها ومن ثمة تستقر في خزانة الرءوس .

(١) رأس خارجيّ ظهر ببلاد الحبشة

كان رأس هذا الخارجيّ من أوائل الرءوس التي حملت إلى بغداد ، فقد ذكر المقريزي أن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ابن أبي صفرة حج « في سنة سبع وأربعين [ومائة] ، واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته ، وبعث جيشاً لغزو الحبشة من أجل خارجيّ ظهر هناك ؛ فظفر به الجيش وقدم رأسه في عدة رءوس فحملت إلى بغداد ... »[2] .

= سفطا من بردي وطلته بالحمر والزفت وجعلت الولد فيه ووضعته بين الخيزران على حافة النهر »

وكان ببغداد سوق تصنع فيه الأسفاط ، وتسمى « سوق السفطين » أو سوق السفط » ومكانه قريب من دار الريحانيين في الجانب الشرقي . كان فيه اثنان وعشرون دكانا قبل أن يخربه المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي في سنة ٥٠٣ هـ ؛ إذ كان قد أضافه مع غيره من الأسواق والأدر إلى دار الريحانيين التي استجدها

أنظر أخبار هذه السوق في معجم البلدان (٢ : ٥١٩ — ٥٢٠ ، و ٤ : ٦٦٥)

(١) الفخري في الآداب السلطانية (ص ٣٢٣ : طبعة أهلوارد)

(٢) خطط المقريزي (٢ : ٩٣)

(ب) رأس أبي الليث الحارث بن عبد العزيز بن أبي دلف

انفرد أبو الليث بذبح نفسه بيده ، دون قصد أو تعمد . فقد جاء في جملة حوادث سنة ٢٨٤ هـ أن فيها « ورد الخبر بقتل أبي الليث الحارث بن عبد العزيز بن أبي دلف بسيفه لنفسه في الحرب ، وذلك أن سيفه كان على عاتقه مشهراً فكبا به فرسه فذبحه سيفه ، فأخذ عيسى النوشري رأسه وأنفذه إلى بغداد »[1]

(يتبع)

ميخائيل عواد

(١) مروج الذهب (٨ : ١٨٣) ؛ وقد ذكر الطبري مصرعه بشكل يختلف قليلا عن رواية المسعودي . قال : (٣ : ٢١٨٢) : « ... وليلة بقيت من ذي الحجة من هذه السنة [٢٨٤هـ] كانت فيما ذكر وقعة بين عيسى النوشري وبين أبي ليلى بن عبد العزيز بن أبي دلف ، وذلك يوم الخميس دون أصفهان بفرسخين ، فأصاب أبا ليلى سهم في حلقه فيما ذكر ؛ فنحره فسقط عن دابته وانهزم أصحابه ، وأخذ رأسه فحمل إلى أصبهان » .

ثم أضاف إلى ذلك قوله (٣ : ٢١٨٣) : « ولخمس خلون من صفر منها [سنة ٢٨٥هـ] ورد مدينة السلام وصيف كامه مع جماعة من القواد من قبل بدر مولى المعتضد وعبيد الله بن سليمان من الجبل معهم رأس الحارث بن عبد العزيز بن أبي دلف المعروف بأبي ليلى ، فمضوا به إلى دار المعتضد بالثريا ، فاستوهبه أخوه ، فوهبه له واستأذنه في دفنه فأذن له ... »

الكرملي في قبضة الحق

للأستاذ سعيد الأفغاني

١ – كان الأب أنستاس ماري الكرملي قد تعرّض لتصحيح بعض الخطأ في كتاب الإمتاع والمؤانسة الذي صححه الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين ولم يشركا الأب في التصحيح ولا الربح. وكان في جملة ما خطأ: قول القائل: «ويجعلها (أي الأحجار) ملساء» فقال حضرته مصححاً: «والصواب مُلساً بضم الميم ... الخ» فصححنا له فهمه في العدد (٤٧٩) من «الرسالة»، وكان قد استند إلى كلام لسيبويه فأوضحنا له ـ برفق وعطف ـ أن كلام سيبويه ليس فيه ما زعم حضرته. ثم شرحنا له القاعدة العامة (التي اعترف بصحتها واطرادها) في العدد (٤٨٦) من هذه المجلة. وقلنا له: «إن نعت جمع التكسير يكون بالمفرد والمؤنث وبالجمع على السواء، فلك أن تقول: أشهر محرمة وأشهر محرمات، و«أياماً معدودة» و«أياماً معدودات» كما في القرآن الكريم وغيره، فما الذي يفرد صيغة واحدة بين جميع صيغ النعت بحكم خاص؟ هذا ما يحوج الأب الإبراء[1] عليه. أما استقراؤه الشخصي وطلبه من مخالفه الإتيان بشاهد فلا يردان حجة، لأن المقيس لا يلزم له شاهد»

فلما ألجأه الحق إلى أضيق من جحر الضب، انبرى يرد علينا وعلى غيرنا ممن صححوا له تهافته في ثلاث مقالات طوال، نسي فيها الموضوع والزمان، وخلت من شيء واحد هو المطلوب كله وهو مدار البحث وحده، فلم يأتنا بالنص المطلوب ولن يأتينا به ولو دخل بعضه في بعض غيظاً وكداً

فعلى هذا يبقى قولهم: (صخور ملساء وكريات بيضاء) مما لا يجوز لصحيح الفهم أن يخطئه. وإن مما يعلمه بالضرورة من له أدنى إلمام بلغة العرب أن الموافق للقاعدة المطردة غير محتاج إلى شاهد وكل جائز له شاهد مدون

(١) علق الأب على هذه الكلمة جملة ناقض آخرها أولها، وكذلك هو في كل تنفيقاته و(كذكذاته) و(لعلعاته)

٢ – وقال حضرته: (ومن الأغلاط الشائنة في مصر وتستحق أن يشار إليها إشارة خصوصية (كذا) ما يأتي: ص ٢٣ س ١٨ أصواب هو أم خطأ ... أم خطاء، وزان سحاب لضد الصواب على ما في كتب اللغة) اهـ

وهذا زعم غير صحيح؛ وقد نقلت له من الكتب نصوصاً لقفت كل ما أفك، وأفهمته أن الخطأ هنا هو الأفصح والأشهر. والغريب المضحك حقاً أن يحتج الأب بما هو حجة عليه واضحة وهو الكلام الذي نشرته الرسالة لأبي هلال العسكري وفيه (أن الخطأ هو أن تقصد الشيء فتصيب غيره ... والخطاء تعمد الخطأ). وبعد أن عاب هذا الأب سيبويه والخليل... أنكر علينا احتجاجنا بمؤلف الصحاح، وذكر أن العسكري أعلى منه مقاماً!! فيا أيها الأب إن الجوهري والعسكري متفقان ولكنك لم تدرك لا كلام الجوهري ولا كلام العسكري. والبلاء الأكبر في أن يأتي متحذلق في آخر الزمان يوازن بين إمامين ثم لا يستطيع أن يفهم كلامهما

أما بعد أيها الأب أنستاس ماري الكرملي، إن فيما نسبت قوله إلى ما هو كذب وافتراء. فأنا لم أقل: سيبويه غير موثوق به. ولم أقل: نص جمع التكسير، وإنما قلت: نعت جمع التكسير. ولم أقل ... ولم أقل ... مما يمل بيانه القارئ

فإذا كان هذا شأنك مع حي يملك أن يدفع عن نفسه، فكيف نثق بما تنقل عن أولئك الأئمة الساكنين الناعمين في عالم الخلود؟

وأدهى من ذلك أنك كنت ادعيت أنه لا يقال خطأ بل خطاء وامتلأت زهواً إذ زعمت أن هذا غلط شائع في مصر، فلما بينا لك أنك أنت المخطئ، تواريت خجلاً ثم انبريت تدعي أنما أردت أن خطاء أحسن من خطأ موازنة لصواب؛ وبين كلمتك الأولى المنشورة في العدد (٤٧٥) من الرسالة، والثانية المنشورة في العدد (٤٨٧) مدى قليل جداً، فما أسرع ما يفضح الباطل والادعاء الأجوف صاحبهما! وأمر آخر: متى عهدك، عافاك الله، بالذوق الموسيقي؟ أحين احتشدت فلم تجد أحلى وقعاً من (ليس المزكزك بأنيثهن) فإن يكن لك – وأنت عجوز – عذر من هرمك ومرض أذنك فاعلم أن الله لم يخلق رجلاً صحيح الذوق

٤٥ – المصريون المحدثون
شمائلهم وعاداتهم
في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الثالث عشر – الأخلاق

قد تعتمد المرأة أحياناً على الظروف المخففة أو على معونة أصدقاء أقوياء، لتنجو من عقوبة الإعدام إذا ضبطت في مباشرة أثيمة. وذلك كالحادث التالي: زوّج الباشا إحدى جواريه من نخّاس غني كان الباشا قد اشترى منه كثيراً من مماليكه وجواريه. ولم يكن الرجل يخون زوجه فحسب بل كان يهملها تماماً. فصاحبت تاجراً كانت تعامله صحبة غير لائقة. وحدث ذات يوم في غيبة الزوج أن رأى أحد عبيده السود رجلاً في شباك الحريم. فذهب تواً إلى غرفة الزوجة ليبحث عن الرجل. وسمعته الزوجة قادماً فأدخلت عشيقها في غرفة ملحقة وأغلقتها عليه. ففتح العبد الباب عنوة. فهجم عليه الرجل بخنجر كان يحمله في حزامه، ولكن العبد قبض على النصل بيده. وعاقته الزوجة حتى هرب عشيقها ثم قبلت يده وتوسلت إليه ألا يخبر زوجها فيسبب قتلها. غير أنها وجدته صُلباً لا يلين. وذهب العبد في الحال إلى سيده وأراه يده الدامية وأخبره بالحادث. وهربت المرأة في أثناء ذلك تنشد الحماية في حريم الباشا. وطلب الزوج من الباشا أن يرد زوجته عليه ليقتلها. فاستدعاها الباشا وسألها عن جريمتها فرمت بنفسها عند قدميه وقبلت طرف ثوبه وأخبرته بسوء أخلاق زوجها وإهماله الشديد لها. فبصق الباشا في وجه النخاس لأنه اعتبر أن سلوكه إهانة له. وأعاد الزوجة إلى حريمه. ولم يعش عشيقها طويلاً بعد ذلك فقد خنق في منزل بعض البغايا ولم تعاقب البغيّ لعدم ثبوت التهمة عليها

يؤخذ على المصريين والمسلمين عامة القسوة الشديدة في معاملة النساء. حقاً إنهم لا يعتبرون استشارة الفتاة القاصر قبل زواجها ضرورياً. ولكن الغالب أن الرجل في الطبقتين الوسطى والعليا يكاد يختار زوجه على السماع دون أن يراها، إذ لا حيلة له في رؤيتها

مليم الأذن يستسيغ (الخطاء والصواب) أكثر من (الخطأ والصواب)، ورحم الله امرأً صيرك – وأنت تريد الكلام في اللغة – إلى الجرس والموسيقى

ولست أوفي (الرسالة) ما يجب لها من شكري وشكر العلم والأدب على نشرها مقالاتك كما هي: فقد رأيتك يا سيدي تدعي – بعد كلامك في الموسيقى – أن نسبك ينتهي إلى بني مراد!! (تشرفنا)؛ ولقد تواضعت جداً إذ لم تنتسب في بني هاشم وأنت تشعر في صميمك شعوراً غالياً عليك بالحاجة الماسة إلى نسبٍ ما بعد هذا التخبط

أتسمح لي بطلب متواضع جداً؟ إنك ستفعل مشكوراً

١ – كن أميناً فيما تنقل عن الأحياء والأموات

٢ – احتط فيما تكتب في اللغة العربية، فإن عارفيها كثيرون، وليست كذلك السريانية والآشورية. فلك في هؤلاء الأخرويات ميدان تصول فيه وحدك

٣ – إن أبيت إلا الخوض فاسلك من المسائل ما كان (آلياً) بحتاً وتجنب ما يحتاج إلى ذوق وعلم وحسن فهم، وإلا وقعت في مثل ما وقعت فيه حين زعمت أن قولك: لا يقال كريات بيضاء مستنداً إلى قول سيبويه

٤ – إنك لا تستطيع نقد كلام حتى تفهمه، ولن تفهمه حتى تحسن قراءته، ولن تحسن قراءته حتى تتخلق بأخلاق المتعلمين

٥ – لقد غبر زمان – لا رده الله – كانت الشهرة فيه من طريق الدعوى والتحرش بمن لا يبلغ المتحرش أن يكون أصغر تلاميذهم، وأصبح يقاس فضل المرء بقوة حجته وحسن خلقه لا بسلاطته وتلبيسه. هذا وللأب الفضال أنستاس ماري الكرملي جزيل احترامي.

(دمشق) سعيد ابو قلالي

حاشية: عندي على كل ما تقدم شواهد من كلام الأب المنشور في الرسالة، فمن حسنا الرد فقط أجيب من يشاء على ما يطلب وإلا فبيان أغاليطه وإسفافه وسوء فهمه وتغليطه الصحيح لا تتسع له المجلة

قبل أن يعقد العقد وتنقل إلى منزله . فيستحيل لذلك أن يكون هناك محبة متبادلة قبل الزواج . والحقيقة أن الجنسين مما تثقل عليهما القوانين والعادات الجائرة ، ولكنهما من حسن الحظ يعتبران هذه القيود ملائمة مشرفة . وقد يشعران بالعار فى التخلص من هذه العادات . وقد لاحظت أن الحجاب الواقع على النساء يكون باختيارهن إلى حد كبير . وأعتقد أنه أقل صرامة فى مصر منه فى أى بلد آخر من بلاد الدولة العثمانية . ومن المؤكد إن هذا الحجاب أقل جداً مما صوره لى الكثيرون . وينظر النساء إلى هذا الاحتجاب بفخر من حيث أنه يدل على عناية الزوج بهن . كما أنهن يقدرن أنفسهن بقدر حجبهن كالكنوز[1] ولا يليق فى المجتمعات الطيبة أن يستفسر المرء بطريقة مباشرة عن حال زوجة الصديق أو امرأة ما فى منزله إلا إذا كانت قريبة له . وسأل أحد معارفى المصريين آخر كان فى باريس عن أغرب الأشياء التى رآها فى بلاد الكفار فأجابه الآخر : إن كل ما شاهده حرى أن يثير إعجاب العاقل البعيد عن التعصب . ولم أر شيئاً يستحق الاعتبار مثل هذه الحال : فقد جرت العادة فى باريس وغيرها من مدن فرنسا أن يدعو كل من الأغنياء والعظماء أصدقاءهم ومعارفهم رجالاً ونساء معاً إلى حفل فى منزله . ويستقبل الضيوف فى غرف تضاء بعدة شموع وقناديل . وهناك يختلط الرجال بالنساء ، وأولئك كما تعلم سافرات . ويستطيع الرجل أن يجالس زوجة رجل آخر وهو لم يرها من قبل . ويستطيع أن يسايرها ويحادثها ويراقصها أيضاً فى حضور زوجها الذى لا يغضب ولا يغير لمثل هذا السلوك المخزى »

يشتهر المصريون أيضاً بكرمهم وجشعهم على السواء . وإن اجتماع مثل هاتين الصفتين المتناقضتين فى ضمير واحد قلما يدهش . ولكن هذا هو الحال مع هذا الشعب . ويعتبر الغش والمكر فى التجارة ، وذلك فى جميع الشعوب ، إحدى نقائص المصريين الدائمة . وقلما يتردد المصرى فى مثل هذه الأحوال عن الكذب ليكسب . ويميل الشعب الذى يئن تحت نير الجور والجشع ، الذى امتازت به حكومات مصر طويلاً ، إلى الشح دائماً . لأن المرء بالطبع يتمسك بما هو أكثر عرضة للضياع . ولذلك يعمد المصرى المضيم إذا ملك مبلغاً من المال لا يلزمه حالاً إلى شراء مصاغ لامرأته أو لنسائه ، إذ يسهل عليه تحويل المصاغ ثانية إلى نقود . ومن ثم أيضاً جرت العادة فى هذا البلد ، وفى أكثر البلدان التى تخضع لهذه الظروف السياسية ، أن يخبئ الرجل أمواله فى منزله تحت البلاط أو فى أى موضع آخر . ولما كان الكثيرون من هؤلاء يموتون فجأة دون أن يطلعوا أسرهم على مكان المخبأ فإن من المألوف أن تكتشف نقود عند هدم المنازل . وهناك رذيلة تقرب من الجشع وهى الحسد . وأعتقد أنها تكثر بين المصريين المحدثين والشعوب العربية بأجمعها على السواء . ويعترف الكثيرون مدفوعين بسلامة النية أن هذا الميل الكريه يكاد يتركز فى أذهان شعوبهم تماما .

والمصريون أمناء فى الوفاء بديونهم . وقد بين الرسول صلعم أن لا شيء حتى الاستشهاد ، يكفر عن دين لم يوف . وقل من المصريين من يقبل فائدة على قرض أقرضه إذ أن الشرع يشتد فى تحريم ذلك .

إن دوام الصدق فضيلة نادرة للغاية فى مصر الحديثة . وقد رخص الرسول فى الكذب إذا وفق بين الناس فى منازعة أو أرضى زوجة أو أفاد فى حرب على أعداء الدين . غير أن الكذب فى أحوال أخرى محظور بشدة . ويبرر ذلك بعض التبرير عادة الكذب السائدة بين العرب المحدثين إذ أن السماح لشعب بالكذب فى أحوال يعوده بالتدريج الكذب فى غيرها . ومع أن أكثر المصريين يكذبون عمداً فقلما تسمعهم يرجعون عن تحريف غير مقصود دون أن يقولوا : « لا . أستغفر الله إنه كذا وكذا » كما يقولون عند ما يقررون شيئاً لا يتأكدون منه تماماً : الله أعلم

ويمكننى أن أذكر هنا ، وأنا أشعر بالفخر ، الحادث التالى : كان فى القاهرة صائغ أرمنى اشتهر بالصدق إلى درجة أن عملاؤه قرروا تسميته اسماً يدل على تمتعه بفضيلة قلما توجد فيهم ، فلقبوه بالإنجليزى وصار من بعد ذلك لقباً لعائلته . والمعتاد أن تسمع التجار هنا يقولون عند ما يطلبون ثمناً لا ينوون إنقاصه : كلمة واحدة . (كلمة الإنجليز) . وكثيراً ما يقولون أيضاً فى هذا المعنى : « كلمة الفرنج » . ولكنى لم أسمع أبداً بأمة كرمت هذا التكريم غير الإنجليز والمغاربة . وقد اشتهر هؤلاء دون أغلب العرب الآخرين بالصدق فى القول

أشرت سابقاً إلى عادة القسم بالله السائدة بين المصريين . وينبغى أن أضيف هنا أن الكثيرين منهم لا يترددون عن القسم

(١) وتخاطب السيدة المحترمة فى رسالة كما يأتى : السيدة المصونة والجوهرة المكنونة .

ليدرأوا عن أنفسهم تهمة الكذب . وقد يقولون فى هـذه الحالة أحياناً : والله (بكسر الهاء) أو عادة : والله . كأنهم يزعمون أن الصيغة الأخيرة يجوز استعمالها فى الدعاء . أما « والله (بالكسر) فهو قسم صريح والنطق به كذباً ، إثم كبير . ويكفر عن هذه اليمين بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة أو صيام ثلاثة أيام . على أن هذه الكفارة رخص القرآن بها لقسم طائش فقط . ولكن المصريين المحدثين راعونها أحياناً ليحرروا أنفسهم من وزر قسم كاذب مقصود . ويفضلون الصوم على الكفارات الأخرى . وهناك أيمان أعتقد أن بعض المسلمين لا يترددون فى القسم بها كذباً مثل قولهم ثلاثاً : « والله العظيم » أو القسم على المصحف بقولهم : « بما يحتوى هذا من كلام الله » ، ولكن القسم الذى لا يزال يعتمدون عليه هو قولهم : « علىّ الطلاق » أو « علىّ الحرام » أو « علىّ الطلاق بالثلاثة » . فإذا كذب الرجل فى أحد هذه الأقسام الثلاثة تصبح امرأته طالقاً إذا ثبت حنثه . وإذا كان للرجل أكثر من زوجة وجب حينئذ أن يختار إحداهن فيخصص بها الطلاق . غير أن هناك كاذبين فاسدين يقسمون زوراً بأشد الأيمان إلزاماً . وقد قال الشاعر يصف هذا الخلق .

وأكذب ما يكون أبو المعلّى   إذا آلى يميناً بالطلاق

ويسهل تحريض المصريين إلى المشاجرة وخاصة السفلة الذين يتشاتمون فى ثورتهم بسب الآباء والأمهات واللحى الخ . ويسرفون فى نعت كل من الآخر بأحط النعوت كأن يقول : يا ابن الكلب ، أو يا قواد ، أو يا خنزير ، وهناك تسمية أخرى يرونها أشد الشتائم على الدوام وهى قولهم : يا يهودى . وعند ما يسب أحد المتخاصمين الآخر يجاوبه هذا بلعن أبيه وأمه وأحياناً بلعن العائلة جميعها . ويهدد كل منهما الآخر ولكن قلما يبادران إلى الضرب . غير أننى رأيت فى أحوال قليلة بعض السفلة ثائرين إلى درجة أن كلا من المتشاجرين كان يعض الآخر ويقبض عليه من حلقه . وشاهدت أيضاً عدة مرات أفراداً من الطبقتين الوسطى والسفلى يتحملون السب الغليظ . وكثيراً ما سمعت المصرى يقول عند ما يضربه ندٌّ له : « الله يبارك فيك . الله يجازيك خيراً . إضربنى مرة أخرى » . وتنتهى المشاجرة عادة بأن يقول أحد الطرفين أو كلاهما : « الحق على » وكثيراً ما يقرآن الفاتحة بعد ذلك ثم يتعانقان ويقبل كل منهما الآخر أحياناً

ويميل المصريون خاصة إلى الهجاء . وكثيراً ما يظهرون ذكاء فى تهكمهم ومزحهم . وتساعدهم اللغة العربية على استعمال التورية والحديث المبهم الذى يتهكمون فيه بكثرة . وتهجو الطبقات السفلى أحياناً حكامها فى الأغانى ويسخرون من هذه القوانين التى يقاسونها كثيراً . وقد تسليت مرة بأغنية شائعة فى أسوان وإقليمها . وكانت هذه الأغنية دعاء صادقا بأن يبيد الطاعون حاكمهم المستبد وكاتبه القبطى . وكانت فى مصر كلها أغنية ذائعة أثناء زيارتى الأولى أنفت لزيادة ضريبة (الفِرْدة) وكانت تبدأ هكذا : « يا إلى عندك لبده ، بعها وادفع الفرده » واللبدة كما ذكرت قبلاً غطاء رأس من اللبد يلبس تحت العمامة أو بدلها . ويعتبر من ليس له غطاء رأس غير اللبدة فقيراً جداً .

« يتبع »   عدلى طاهر نور

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٣ — ٩ — ١٩٤٢ فى القضية رقم ١٨٨٣ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد أحمد مهدى محمد س ٤٠ فلاح عزبة محطة دسونس بتغريمه ٥٠ جنيه والمصادرة والغلق واللصق على محله ومركز البوليس والنشر على مصاريفه لأنه باع سكرا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة



آراء حديثة في السجع

١ – في كتاب « النثر الفني » للدكتور زكي مبارك جزء أول ص ٢٥ ما يلي « أذكر أنني كنت أحاور المسيو مرسيه في تطور السجع فأخرج رسائل الجاحظ وفيها هذه العبارة : (إن معاوية مع تخلفه عن مراتب أهل السابقة أملى كتاباً إلى رجل فقال فيه (لهو أهون عليّ من ذرة ، أو كلب من كلاب الحرة) ، ثم قال : (امح من كلاب الحرة واكتب من الكلاب) كأنه كره اتصال الكلام والمزاوجة ، وما أشبه السجع ، ورأى أنه ليس في موضعه) وكان المسيو مرسيه يظن أن في هذه العبارة دلالة على أنهم كانوا إذ ذاك لا يستحبون الكلام المسجوع ، فوجهت نظره إلى أن لهذه العبارة معنى آخر ، ذلك أن السجع فن رقيق لا يصلح في ذلك المقام ، وهو مقام تهديد ووعيد »

إلى هنا انتهى كلام الدكتور . وقد قرأت في كتاب « عبقرية محمد » للأستاذ العقاد ما يلي : « أجاب الرسول أبا سفيان عند ما خيره بين نصف نخل المدينة أو الخراب والدمار فقال : (وصل كتاب أهل الشرك والنفاق ، والكفر والشقاق ، وفهمت مقالتكم ، فوالله ما عندي جواب إلا أطراف الرماح ، وأشفار الصفاح !)

« فهذا السجع في هذا المقام أصلح لخطاب الجاهلين لأنهم يعرفون منه معنى التوثيق والتمكن ، كما يعرفون منه معنى المناجزة والتخويف »

هذان رأيان في السجع متعارضان . أما الدكتور زكي مبارك فهو يرى أن السجع فن رقيق لا يصلح في مقام التهديد والوعيد ، وأما الأستاذ العقاد فيرى في السجع ضخامة وفخامة وهما أصلح في المناجزة والتخويف ... فما رأى الأستاذين ؟

٢ – يخبرنا الدكتور زكي في كتابه « النثر الفني » ص ٦٤ أن المسيو مرسيه والدكتور طه حسين ومن شايعهما قرروا أن السجع لم يلتزم إلا في القرن الرابع ، وأن المسيو مرسيه وجد كتاباً لمؤلف قديم اسمه الأخضري ، وأنه منسوب إلى القرن الثالث ، وأصر مرسيه على ضمه إلى كتّاب القرن الرابع ووافقه الدكتور طه لهذا السبب .

وللأستاذ أحمد أمين حادثة مثل هذه ؛ ففي كتاب ضحى الإسلام ص ٢٣٦ ج ١ أنكر نسبة كتاب « الرد على ابن المقفع » إلى القاسم بن ابراهيم وكانت حجته « أن القاسم عاش في النصف الأول من القرن الثالث والكتاب مسجوع . ونحن نعلم أن هذا العصر (عصر الجاحظ) لم يتكلف فيه سجع ، ولم تؤلف فيه كتب مسجوعة ... »

ولكن ما رأيهم في كتاب « الحاسد والمحسود » الذي كتبه الجاحظ نفسه ، ونظرة فيه تقنعهم بأن نظريتهم خاطئة ، أو على الأقل مبالغ فيها إلى حد بعيد . فكتاب الجاحظ في الحسد أغلبه سجع متكلف . وإني أورد هنا بعض فقرات منه لأثبت ما أقول : (الحسد أبقاك الله داء ينهك الجسد ، ويفسد الأود ، علاجه عسر ، وصاحبه ضجر ... قاطع كل رحم بين الأقرباء ، وملقح الشر بين الخلطاء ... والحسد هو الذي جعل (ابن آدم يلقى على أخيه الحجر شادخا ، فيصبح عليه نادماً صارخا . . . وعبد الله بن أبي تبين للناس عقله ، وافتقدوا منه جهله ، ورأوه لذلك أهلاً ، لما أطاق حملا ... والمحسود لولا عناية الله لأمسى وماله مسلوب ، ودمه مصبوب ، مهراق مسفوك ، وعرضه بالضرب منهوك ...

ثم ختم الرسالة بقوله : وما أرى السلامة إلا في قطع الحاسد ، ولا السرور إلا في افتقاد وجهه ، ولا الراحة إلا في صرم مداراته ، ولا الربح إلا في ترك مصافاته ، فإذا فعلت ذلك فكل هنيئاً ، واشرب مريئاً ، ونم رخياً ، وعش في السرور ملياً ... »

هذه فقرات من كتاب « الحاسد والمحسود » والمطلع عليه يجد السجع فيه غالباً ، فهل ننكر نسبته إلى الجاحظ ؟ أم هل نزحزح الجاحظ إلى القرن الرابع ؟ ؟

٣ – في الحق أن أصحاب هذا المذهب غالوا وبالغوا في تعنتهم وغلوهم وما كان ذلك منهم إلا ليثبتوا نظرية نادوا بها من قبل ، وهو أن السجع من الزخرف الفني الذي اكتسبته العربية من

اتصالها بالفارسية واليونانية . والواقع أن السجع كما يقول الدكتور مبارك « من مميزات البلاغة الفطرية » ، وقد اعترف المسيو مرسيه بذلك عند ما قال : (وكأنهم بدأوا يكرهون السجع فى العصر الأموى) أى أنه اعترف بأن كان هناك سجع ثم بدأ الناس يكرهونه ، والسجع من الزخرف الفنى الذى زعموا أن العربية لم تعرفه إلا بعد اتصالها بالفارسية واليونانية .

محمود السيد أبو السعود

حول اختلاف القراءات أيضاً

ينكر الأستاذ الفاضل عبد المتعال الصعيدى ما ذكرته من أن : المسلمين على عهد الرسول كانوا يتلقون القرآن منه سماعاً ويطوون صدورهم عليه حفظاً وفهماً ، دون ما حاجة منهم إلى النظر فى شىء من آياته مخطوطاً . وهو ينعت هذا الكلام بالغرابة ، وبأنه « لا يتفق مع المعروف عن المسلمين فى ذلك العهد » . ويلزمنى الآن أن أنص على أن تلقى القرآن شىء ، وحفظه كله أو بعضه أو عدم حفظه ألبتة ، شىء آخر

فزعم الأستاذ أن جمهور المسلمين « لم يكن يأخذ نفسه بحفظ القرآن » - وحاشا أن يصح ذلك - لا يعتبر رداً على ما حاول نقضه من كلامى السابق . لأن موضوع الحديث هنا هو تلقى القرآن ، أعنى إجادة تلاوته على وجهه الصحيح ، بطريق ما ؛ كيف يكون هذا التلقى ؟ وما مبلغ العلاقة فيه بين السماع شفاها والقراءة فى مخطوط ؟

لست أشك فى أن الأستاذ يوافقنى على أن الأساس فى التلقى هو السماع من الرسول ، ثم من صحابته الذين أجادوا النقل عنه . فذلك ما يقول به كل ملم بهذا الموضوع ؛ ولكن الأستاذ يضيف من عنده إلى هذا قصة طريفة ، فهو يتخيل - ويريدنا على أن نتخيل معه - أن المسلم من هؤلاء كان يمضى إلى بيته وفى يده أديم أو عظم فيه الآية والآيات ، فيكب على قراءته فى مشقة وصعوبة . وتلتبس عليه خلال ذلك حروف متشابهة ، كالياء مع الباء (وعدها إياه ، وعدها أباه) والثاء والتاء مع الباء والنون (فتثبتوا ، فتبينوا) . وينبهم عليه وجه الصواب فى كل ذلك ، فيرجع إلى الرسول يستفتيه ، فيقول له : اقرأ بكلا الحرفين ، فالباء أخت الياء ، وغيرك قد استعصى عليه ذلك أيضاً . فذلك معنى الرجوع إلى الرسول وإقراره ما يراه للتخفيف عن المسلمين فى مثل هـذه الكلمات التى اشتبهت حروفها ، مما يشير إليه الأستاذ فى كلمته الأولى (ع ٤٨٨) من « الرسالة » .

والأستاذ عبد المتعال يعتنق بهذا الكلام - دون أن يشعر - مذهب القائلين إن القرآن نزل بمعانيه دون ألفاظه وتراكيبه ، وهو مذهب لم يَخْفَ إلا على ألسنة بعض ذوى المقاصد السيئة من المستشرقين ؛ وإلا فما معنى أن يذكر لنا ما يؤدى إلى الاعتقاد بأن الرسول كان ممن يبدلون كلمة بكلمة أخرى تباينها فى معناها ، لمجرد الاشتباه بين حرفين متقاربين فى رسمهما العربى ؛ وقد يكون هذا الاشتباه راجعاً إلى ضعف بصر القارىء ، أو رداءة الخط ، أو رثاثة الأديم مثلاً ؟!

إن الضابط المشترط فى القراءة الصحيحة معروف ، وقد أشار إلى هذا بإيجاز الأستاذ الفاضل محمد غسان فى كلمته ... وإلى القارىء ما قاله ابن الجزرى بصدد ذلك فى كتابه « النشر »

« كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها ؛ فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن »

ومن ذلك الوجه صحت هذه القراءات لدى أكثر المفسرين — وقد ذكرنا منهم فيما قبل صاحب الكشاف — ولم يكن لتشابه الحروف دخل فى تصحيح هذه القراءات ؛ بل إن هذا التشابه نفسه ، قد أدى ببعضهم إلى اعتبارها تصحيفاً كالسيوطى صاحب المزهر والذين نقل عنهم ...

هذا وإن إذن الرسول فى كتابة القرآن وقراءته أمر معلوم لدى كل مسلم ، وأسماء كتاب الوحى وسيرهم معروفة لنا جميعاً ، فلم يأت الأستاذ بجديد فى إشارته إلى ذلك ؛ وهو لم يعدُ وجه الصواب فى قوله إن من لا يحفظ القرآن كانت تعتريه الصعوبة فى نطق بعض الكلمات ، ولكنه أخطأ حين عقب على تلك الحقيقة فقال : « ومن هذا يجىء التيسير فى قراءتها — يعنى بعض الكلمات — على ما تحتمله من الوجوه ! » فليس مجرد الصعوبة فى القراءة هو علة هذا التيسير كما ذكرنا .

بقى أن نشير إلى أن الأستاذ عبد المتعال يبالغ فى شأن الرقاع المخطوطة كثيراً ، وما أشك فى أنه يعلم ما فيه الكفاية عن حياة (الحفاظ) الذين كانوا يمضون بأمر الرسول إلى الجهات النائية لتحفيظ المسلمين آيات القرآن ، وتلقينهم أوجه التلاوة

الصحيحة ؛ بل لعله يظن أيضاً أن الرسول قبل الهجرة بعث إلى المدينة من يحفظ أهلها من المسلمين ما كان قد نزل من السور ؛ فلم يكن يُجزئ في كل هذا قراءة مخطوط دون الرجوع إلى تلاوة القراء والحفاظ الموثقين والأثبات .

ومن الأمور المعروفة أيضاً أن عمر بن الخطاب لم يشعر بالحاجة إلى جمع الرقاع ، وينصح للخليفة الصديق بذلك ، إلا بعد أن تفرق هؤلاء الحفاظ في أطراف البلاد وفنى كثير منهم في الوقائع والغزوات . إذ كان في هؤلاء — على حياة الرسول ومن بعده — الغناء كل الغناء عن القراءة في صحيفة أو النظر في مخطوط . ومعلوم أن المرجع كان إلى هؤلاء أيضاً في توثيق ما ورد بهذه الرقاع ، لما قد عرفوا به من جودة الحفظ وصحة السماع ، مع إدمان التلاوة على نهجها الصحيح .

(جرجا) محمود عزت عرفة

حفاظ القرآن في عصر النبوة

قال الأستاذ عبد المتعال الصعيدي في كلمته (حول اختلاف القراءات في القرآن) في العدد (٤٩٠) : « وكان القليل منهم — أي من المسلمين في عهد النبوة — يحفظ السورة أو السورتين وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم ولا يحفظ القرآن كله منهم إلا عدد لا يكاد يتجاوز عدد الأصابع »

وهذا غير صحيح لأن حفاظ القرآن كله في عصر النبوة لا يحصون بفضل تحضيض النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على حفظه ، وتفانيهم في إطاعة أمره ، حتى أن داراً للقراء كانت أنشئت بالمدينة المنورة قبل الهجرة ، وندب القارئ المشهور مصعب بن عمير رضى الله عنه لتحفيظ القرآن فيها ، وكانت صفة مسجد النبي عليه السلام مجمعاً له دوى بمدارسة القرآن وحفظه ، وكان صلوات الله عليه يبعث من أصحاب هذه الصفة عشرات إلى القبائل التي يسلم أهلها لتعليمهم القرآن . وقد استشهد في وقعة بئر معونة زهاء سبعين من الحفظة ، واستشهد في وقعة اليمامة نحو ذلك

وما يذكر في بعض الكتب من أسماء قراء الصحابة رضى الله عنهم إنما يذكر لمناسبات لا بقصد الاستقصاء ، وقد سرد منهم ابن حجر في (فتح البارى) تسعة وعشرين حافظاً ممن يستظهرون القرآن جميعه (ج ٩ ص ٤٣) . ولعل الأستاذ الصعيدي اشتبه عليه ما يروى عن أنس رضى الله عنه من أن حفاظ القرآن أربعة ، فلم يفهم أن الظاهر من طرق الحديث أن هذا القصر إضافى لأن مورده في مفاخرة بين الأوس والخزرج ، أى أن حفاظ القرآن هؤلاء هم من الخزرج لا من الأوس . ومن الجلى أن هذا القصر الإضافى إنما هو بالنظر إلى علم أنس ليس غير

وأما الذين كانوا يحفظون بعض القرآن فما أكثر عديدهم كذلك ، فهذه كتب الصحاح والسنن والمسانيد تحدثنا بما كان يتلى في الصلوات الجهرية من السبع الطوال وغيرها مما يدل على كثرة من كان يحفظ شتى السور من الصحابة رضى الله عنهم . وكان دأبهم في تعليم من لا يتيسر له حفظ القرآن كله أن يعلموه سوراً منه ولغيره سوراً أخر ، فوجد بذلك كثيرون ممن يحفظون سور القرآن متفرقة ، عدا حفاظ القرآن جميعه

وأما قول الأستاذ الصعيدي : « أما كتابة القرآن وقراءته فكان فيهما إذن عام من النبي صلى الله عليه وسلم ... إلخ » فأجتزئ في رده بما ورد في الأقوال المأثورة : « لا تأخذ القرآن من مصحفى لأن القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول مشافهة

محمد غسان

نسبة شعر

كنت قرأت مقالاً عنوانه « مشاركة الأدب الإنجليزى في الدراسات العربية » نقلاً عن (برنارد لويس) للأستاذ عبد الوهاب الأمين في عدد الرسالة رقم (٤٨٦) ، وقد ذكر الكاتب فيما ذكر بيتين نسبهما إلى المستشرق « بالمر » قائلاً ما نصه بالحرف : « وتعتبر القطعة التالية نموذجاً لشعر بالمر العربى :

ليت شعرى هل كفى ماقد جرى ... مذ جرى ماقد كفى من مقلتى؟
قد برى أعظم حزن أعظمى ... وفنى جسمى حاشا أصغرى »

وكنت قبل قراءتى للمقال أتصفح ديوان ابن الفارض وقد ورد هذان البيتان في قصيدته التي مطلعها :

سائق الأظعان يطوى البيد طى ... منعماً عرج على كثبان طى

فهل من يتكرم بما يفيد عما إذا كان البيتان حقيقة من شعر بالمر وأنهما نسبا خطأ لابن الفارض ، أم أنهما حقيقة لابن الفارض وأن الكاتب قد وقع في خطأ نسبتهما لبالمر

(السودان) محمد بشير

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 493

Lundi - 14-12-1942

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٤٩٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ ذو الحجة سنة ١٣٦١ — الموافق ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهــرس

صفحة

التلبــــاثى

للأستاذ عباس محمود العقاد

« ... نطالع كتابكم الكبير عبقرية عمر الذى تجلت فيه عبقريتكم الفريدة ... ونرجو منكم خدمة للعلم التكرم بشرح التلباثى على صفحات مجلة الرسالة الغراء ... »

(سنهور المدينة) محمد السيد على جبر

والإشارة إلى التلباثى فى كتاب « عبقرية عمر » قد جاءت فى سياق الكلام على قصة سارية حيث روينا أنه « كان رضى الله عنه يخطب بالمدينة خطبة الجمعة فالتفت من الخطبة ونادى : يا سارية بن حصن ... الجبل الجبل ! ومن استرعى الذئب ظلم

« فلم يفهم السامعون مراده ، وقضى صلاته فسأله علىّ رضى الله عنه : ما هذا الذى ناديت به ؟ قال : أو سمعته ؟ قال : نعم ، أنا وكل من فى المسجد . فقال : وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم ، وأنهم يمرون بجبل ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوه وظفروا ، وإن جاوزوه هلكوا . فخرج منى هذا الكلام »

وأنه « جاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا فى ذلك اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر يقول : يا سارية بن حصن ! الجبل الجبل . فعدلنا إليه ففتح الله علينا »

ثم عقبنا على القصة قائلين : « إن المهم من نقل هذه القصة

فى هذا الصدد أن عمر كان مشهوراً بين معاصريه بمكاشفة الأسرار الغيبية إما بالفراسة أو الظن الصادق أو الرؤية أو النظر البعيد »

وهذه — كما هو ظاهر — حالة من حالات التلباثى التى يسأل عنها الأديب صاحب الكتاب الذى اقتبسنا منه ما تقدم .

ونحن نترجم التلباثى بالشعور عن بعد ، أو « بالنظر البعيد » إذا أردنا تعميم النظر حتى يشمل الرؤية والمكاشفة ، أو يشمل الـ Vision فى اصطلاح بعض العلماء النفسانيين

وهى حالة متكررة يحسها كثيرون ويسجل وقائعها أناس من المتدينين وغير المتدينين . وأشهر القائلين بها فى عصرنا كاتب أمريكى ملحد هو أبتون سنكلير Upton Sinclair يقيم التجارب التى تثبت النظر على البعد أو الشعور على البعد ، ويسجل فيها سجل تجاربه مع زوجته حيث كانا يجلسان فى مدينتين بعيدتين ويحيط بكل منهما شهود كثيرون منهم المنكرون ومنهم المصدقون ، فيطلب إليه بعضهم أن يرسم شكلاً هندسياً وأن يوجه شعوره إلى امرأته لترسم مثله فى تلك اللحظة ، ويطوى الرسمان حتى يعلنا بعد ذلك فيتفق فى كثير من الأحوال أن يتشابها فى الخطوط ، وإن اختلفا فى الأبعاد كما يختلف المثلث الكبير والمثلث الصغير مع اتفاق الزوايا والنسب الهندسية

هذه التجارب يقول بها ويسجلها ويعلنها فى المكتب السيارة رجل قلنا إنه ملحد لنقول إنه لا يقصد من كلامه تبشيراً بعقيدة أو خدمة لمذهب اجتماعى ، لأن مذهبه الاجتماعى يقوم على « الفهم المادى » للتاريخ ولا يحوجه إلى التبشير بهذه الهبات النفسية ، بل لعله ينفره منها ويحبب إليه السكوت عنها

واعتقادنا فى « التلباثى » أنه هبة نفسية جائزة لا تناقض العقل ولا يمنعها العلم بدليل

لأنها تستند إلى الحس ، ولا فرق بينها وبين هبات الحس التى نباشرها كل يوم إلا فى طول المسافة ، وهو فرق اعتبارى غير قاطع بين حالة وحالة . إذ من ذا الذى يستطيع أن يقول إن الحس ينتهى عند هذه المسافة ولا يجوز عقلاً أن يتعداها ويذهب إلى ما وراءها !

إننا نرى كل يوم فى العصر الحاضر أن صوتاً يصدر من أمريكا أو اليابان ويسمع فى مصر كما يسمع فيها حديث الجلساء . ولولا المذياع لعددنا من يزعم هذا الزعم ممخرقاً يعبث بعقول سامعيه

فإذا جاز سماع الصوت على هذه المسافات الشاسعة بجهاز من الأجهزة المصنوعة فلماذا يمتنع على قوى الذهن أو قوى الشعور أن تحس على هذه المسافة أو تتصل بنفس أخرى وذهن آخر متى تهيأت لها أسباب اتصال ؟

فالتصديق بالتلباثى لا يدعونا إلى اختراع حس جديد أو ملكة غيبية من وراء الطبيعة ، ولكنه يدعونا إلى تصديق هذا الحس الذى نباشره كل يوم فى مختلف شئون الحياة ، مع السماح له بالامتداد والتكبير ، وهما غير ممنوعين ولا مناقضين للمعقول أو المشهود

والحس نفسه لا يقل فى غرابته عن « التلباثى » كما يقول بها أشد الغلاة المؤمنين بها من النفسانيين

فأنت تفتح عينك فترى

شىء بسيط جداً فى حسابنا ، بل هو أبسط شىء يخطر على بالنا . . . افتح عينك تر ! . . . أى شىء أبسط من ذلك وأبعد من الغرابة ؟

نعم هو كذلك لأننا نعالجه ونرى الألوف ممن يعالجونه كل لحظة ، ولا يخطر لنا أننا نأتى بشىء غريب

ولكننا إذا رجعنا إلى أنفسنا فسألناها : ما هى الرؤية ؟ وما هو معنى القوة العجيبة التى تحيط بشىء على مسافة منك وتعرف ما لونه وما شكله وما أثره وما حركاته وسكناته ، ولا صلة بينك وبينه إلا الضياء ؟

نسأل أنفسنا فى هذا ونفكر ملياً فى معناه فنستغرب النظر من قريب كما نستغرب النظر من بعيد ، ونعلم أن معجزة الحس حاصلة قبل أن نسمع بالتلباثى والتليفزيون وما إليهما من وسائل الإحساس

وما قربنا المسألة حين نقول إننا ننقل الأشياء إلى حسنا بالنظر لأن بيننا وبينها الضياء

إذ ما هو الضياء ؟

ولماذا يكون حتماً لزاماً متى وجد الضياء أن يكون هناك نظر وأن يكون النظر على نحو ما وعيناه ؟

فالتلبائى غريبة جداً عند من تنسيه الألفة اليومية غرابة النظر والسمع والذوق وسائر المحسوسات

والتلبائى جائزة جدا عند من علم أن النظر جائز ثم سأل نفسه في معنى هذا الجواز

وأحسب أن الكثيرين من القراء قد جربوا هبة التلبائى كما جربتها ووقفوا منها على مبادئ تدل على نهايتها القصوى ، إن لم يكتب لهم أن يملكوا هذه الهبة على أقصاها

فإننى لا أقول بجواز التلبائى معتمداً على العقل والقياس دون التجربة والمشاهدة ، ولكننى أقول بذلك لأننى « جربت » بعض الوقائع التى تقربنى من تصديق « التلبائى » وتنفي الغرابة عنه أو تنفى استحالته علي أيسر تقدير

يحدث مرات أن أذكر إنساناً بعد سهو طويل عنه فإذا هو ماثل أمامى فى اللحظة التى ذكرته فيها

ولو كان هذا الإنسان صاحبها يعاودنى التفكير فيه حيناً بعد حين لقلت الغرابة فى تذكره ولو بعد السهو الطويل

ولو كان المكان الذى ذكرته فيه متصلاً بإقامته أو بالمقابلات بينى وبينه لقلت الغرابة كذلك فى إثارة ذلك المكان لذكراه

ولكنه لا يكون أحياناً ممن طالت الصحبة بينى وبينه ، ولا يكون الموضع الذى أذكرنى به موضعاً تقابلنا فيه قبل ذلك أو تحدثنا به يوماً من الأيام . وكل ما هنالك أنه إنسان جمعت بينى وبينه المصادفات فترة من الزمن ثم انطوت عنى أخباره سنوات لا أراه ولا يعرض لى ما يدعونى أن أشتاق إلى رؤيته ، ثم يمر بخاطرى فما هو إلا أن أثبته وأستعيد ذكره حتى أراه فى عرض الطريق

ويحدث مرات أن يتولانى انقباض شديد تتخلله صورة إنسان عزيز يكرثنى جداً أن يصاب بمكروه ، ويلج بى هذا الانقباض حتى كأنما الذى أخشاه قد وقع أو هو مرقوب الوقوع . فأبادر بالكتابة من طريق البرق أو البريد ، ويحدث فى هذه الحالة أن يجيئنى خطاب قبل وصول سؤالى إلى وجهته يدعو إلى الطمأنينة ، أو يرد إلىّ الجواب بعد قليل وفيه إشارة إلى خطر زال

وأحسب أن هذه العوارض أشيع من أن تحصى فى عداد النوادر والفلتات ، فقد سمعت ما يشبهها من بعض الأصدقاء المصدقين . وقد أخبرنى بعضهم بقلقه على غائب يعزه وهو لا يعرف سبباً واضحاً للقلق الذى يساوره حتى فاتح فيه غيره . ثم تبين أنه لم يقلق يومئذ بغير داع معقول

إلا أن النوادر والفلتات فى التلبائى هى العوارض التى تشبه قصة سارية فيما روى عن عمر بن الخطاب

فالذين يشعرون على البعد بمثل هذه القوة والوضوح قليلون ، ولكن المسألة — بعد — مسألة فرق فى القوة والوضوح ، وليست بفرق فى أساس الشعور يماثل الفرق بين من يبصر ولا يبصر ، وبين من يسمع ومن ليست له أذن للسمع ، وبين من يحس ومن ليست له قابلية للاحساس

فالشعور على البعد كالشعور على القرب جائزان ، ووسيلة الشعور على البعد ليست بأصعب من وسيلة الشعور على القرب بالعيون والآذان ، وإن كنا لا نستغرب هذه كما نستغرب تلك لطول الألفة وتكرار المشاهدة بين جميع الأحياء

وحد التصديق عندى لهذه العوارض هو وجود الأساس الذى تعتمد عليه

فإذا كان كل ما فى الأمر أنه تكبير للحس الذى تعودناه أو مضاعفة له وتقريب لأبعاده ومسافاته فلا مانع من صدقه ، وإذا كان فى الدعوى ما يحوجنا إلى فروض لا أساس لها من المشاهدات والمعقولات فهنالك موضع للتردد والاشتباه

وعلى هذا أقبل دعوى التنويم المغناطيسى — مثلاً — إذا ادعى للنائم أنه يبصر شيئاً موجوداً على مسافات بعيدة ، ولكنى لا أقبل منه هذه الدعوى إذا تعدى ذلك بما سيكون بعد عام أو بعد شهر أو بعد يوم ، وليس له وجود قائم الآن

وكذلك أقبل دعوى الشعور البعيد أو النظر البعيد إذا كان بمثابة السمع المضاعف أو البصر المضاعف ، لأن امتناع ذلك يحتاج إلى مانع قاطع ولا سبيل إلى القطع فيه ، ولأن القول بجوازه لا يتعدى كثيراً أن نقول بجواز رؤية العيون وسماع الآذان

وينبغى للعقل أن يتمهل فى قول « لا » كما يتمهل فى قول « نعم » كلما سمع بما يشككه ولا يوافق معهوده . فإن العقل ليكون خرافياً بقول « لا » فى غير موضعها كما يكون خرافياً

راية الروحية الأدبية

للدكتور زكى مبارك

فيما كتب الأستاذ الزيات والدكتور عزام عن « البلايا التى تكابدها البلاغة فى هذا العصر » تذكيرٌ بغضبات ابن قتيبة فى القرن الثالث ، والجرجانى فى القرن الخامس . وقد جاء هذا التذكير فى الوقت المطلوب ، جاء بعد انحراف قد يزعزع مركز مصر الأدبى فى الشرق ، إن لم تسنده الأقلام المصرية بأسندة متينة من الحق والصدق واليقين

وأقول من جديد إنه لا حياة للأدب فى مصر إن لم تكن لأهله عقيدة أدبية ، عقيدة يرحّب صاحبها بجميع المتاعب فى سبيل الأدب الصحيح ، ولا يبالى أين يكون مصرعه ما دام على وفاق مع ملائكة الفكر وشياطين البيان

والعقيدة الأدبية توجب أن نكون صادقين فيما نكتب وفيما نقول ، بحيث يطمئنّ القراء إلينا كل الاطمئنان ، وبحيث لا تخفى عليهم خافية من سرائرنا الفكرية ، ولو جنحنا فى التعبير إلى الرموز والتلاميح

القارئُ صديق — وإن لم يتعرف إلينا بصورة شخصية — وللصديق حقوقٌ أهمُّها اطّراح الرياء ، فمن العبث أن يخطب قومٌ وداد القارئ وهم لا يلقونه إلا مرائين

بقول « نعم » فى غير موضعها ؛ وإنما هذه خرافة تثبت بالباطل وتلك خرافة تنفى بالباطل ، ولا فرق فى الباطل بين نفى وإثبات

الشعور على البعد جائز ما جازت الصلة بين الإنسان وموضوع شعوره ، وقد رأينا أن هذه الصلة لا تنقطع فى طريق صوت كالهمس على مسافات الألوف من الفراسخ والأميال ، فقبل أن ننفى الصلة بين نفسين ينبغى أن نتمهل طويلاً حتى نوقن من وجه الاستحالة والامتناع ؛ ولن يكون هذا اليقين إلا ببرهان قاطع . والقول بهذا البرهان القاطع قبل أن يوجد ويتقرر هو أجرأ على العلم والعقل من التصديق بغير برهان اعتماداً على المروى والمشاع .

عباس محمود العقاد

والأصل فى الأدب أنه تعبيرٌ طريف عن أغراض الحياة والأحياء . وإنما قلت « تعبير طريف » لأبدد الشبهة التى تقول بأن الأدب هو تصوير المشاعر والعواطف بالصدق الذى يماثل صدق الصورة الشمسية ، فالقارئ لا يفرح بأن الكاتب حدثه عما يجول فى صدره بالحرف ، وإنما يسره ويبهره أن يجد فى تلك الصورة ألواناً لم يلتفت إلى مثلها من قبل ، على شرط أن لا يزينه التلوين عن الصدق ، وعلى شرط أن يكون الجانب الطريف أظهر الجوانب فى الأداء

فأين نحن من هذه المعانى فى هذا الزمان ؟

من المحقق أن الأدب عندنا فى ازدهار ، ولكنى مع ذلك أعانى ضروباً من التخوف . فالجماهير فى مصر لم تشعر إلى اليوم بأن الأدب صار قوتاً لا تطيب بدونه الحياة . ولم نسمع أن الجماهير مستعدة للمساعدة على نشر كتاب يعجز عن نشره أحد كبار المؤلفين . ولم نسمع أن كتاباً أعيد طبعه عشرين مرة فى أشهر معدودات ، كما يقع ذلك فى بعض الممالك التى تعانى شهوات العقول

فما أسباب هذا الخمود ؟

أخشى أن أقول إننا لم نَصر كتّاباً ولا مؤلفين بالمعنى الصحيح للكتابة والتأليف

أخشى أن أقول إننا عجزنا عن خلق الجاذبية الأدبية ، وسيحكم علينا التاريخ بما لا نريد ، فسيقول أقوامٌ إن مصر عانتْ زمناً لم يعرف أدباؤه كيف يرفعون البراقع عن الأقلام ، ولم يفكروا فى رفع الأمية الفكرية عن عقول القراء

أعوذ بالله من بعض ما أرى وبعض ما أقرأ وبعض ما أسمع !

وبالله أستعيذ من زمن تضعف فيه الأبوّة الروحية ، أبوّة الباحثين والمفكرين !

ومع هذا فالأمة المصرية هى هى لم تتغير ولم تتبدل ، الأمة التى تستمع كل قول ، وتستجيب لكل نداء ، ولم يَفتُر نشاطها الذهنى فى أى وقت ، ولكن أين من ينتفع بالحيوية المكنونة فى ضمير الأمة المصرية ؟

انتفع السياسيون من أمثال : مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ، لأنهم جاهدوا وناضلوا وكافحوا ، ولأنهم جددوا

أهدافهم تحديداً لا يتطرق إليه الارتياب ، ثم رحبوا بجميع المتاعب في سبيل تلك الأهداف

فاذا صنع الأدباء ليسيطروا بالقوة الروحية ، كما سيطر أولئك بالقوة السياسية ؟

قد يقال إن الوطنية وَتَرٌ حسّاس ، فهي السرّ في نجاح أولئك الرجال

وأقول إن النزعة الإنسانية أقدم وأعمق من النزعة الوطنية ، فلو جاهد الأدباء جهاد الصدق لكان لهم في أممهم تأثيرٌ لا يصل إليه كبار الوطنيين ، ولكان من السهل أن تكون مبادئهم شرائع يعتصم بها السياسيون

وأعجب العجب أن يكون في الأدباء من يطلبون الاستقلال لأممهم ولا يطلبونه لأنفسهم ، كالأدباء الذين يعيشون تحت وصاية الأحزاب السياسية راضين وادعين ناعمين ، كأنهم ظفروا بكنوز قارون ، وكأن آلهة الفن هي التي ألهمتهم ذلك المذهب من مذاهب المعاش ، مع أن القلم أكبر وأعظم وأشرف من أن يتشوف صاحبه إلى الاستظلال بظلال الأحزاب

لا عيب في أن يكون للأديب حزب ينتمي إليه إذا اقتنع بالتحزب في سبيل القومية . ولا عيب في أن تكون للأديب مطامع سياسية ، ولكن العيب كل العيب أن يكون الأدباء ذيولاً تجرجرهم التقلبات الحزبية ، وتدوسهم سنابك الأهواء

إن جهاد مصر الأدبي لا يقل عن جهادها السياسي ، فقد استطاع فريق من أدباء مصر أن يرفعوا اسم وطنهم في الشرق ، ولكنهم مع الأسف عجزوا عن رفع اسم الأدب في وطنهم ، لأنهم غفلوا عن واجب المصابرة تحت الراية الأدبية ، واكتفوا بالتغني تحت الراية الوطنية

ألم أقل لكم إن الأديب ليس أجيراً للوطن ولا أسيراً للمجتمع ؟

وما قيمة الوطن إن لم يفرح بأن ينبغ فيه المفترعون لأبكار المعاني ؟

في القسم المصري بمتحف اللوفر في باريس تمثالان ناطقان : تمثال الفلاح المتربع تحت الشمس وهو يتذوّق السكون والخمود ، وتمثال الكاتب المتربع وهو مهمومٌ يستعد للانشاء . وتلك صورة مصر في القديم والحديث ، فمن أبنائها من يفرح بالنعيم البليد ، ومن أبنائها من يفرح بالشقاء السعيد . والأشقياء بالمعاني هم السعداء ، يوم يوضع للسعادة تعريفٌ صحيح

ألم يأن للأدباء أن يعرفوا واجبهم نحو الأدب ؟

ألم يأن للزمن أن يسمح بأن تقوم في مصر دولة أدبية لا تعرف غير الصدق في البيان عن أوهام الأهواء وأحلام القلوب وأوطار العقول ؟

أمن المستحيل أن يقول أديبٌ « أنا » في هذه البلاد ؟

ألا يوجد فينا من يتوكل على الله وحده ليملك الغنى عن الناس فيكتب ما يكتب ويقول ما يقول في صراحة وإخلاص ؟

عذرت من عاشوا في زمان الظلم ، فما عذر من يعيشون في هذا الزمان ؟

إن حرية التفكير مكفولة للجميع ، على شرط السلامة الفكرية ، فما الذي يوجب أن يكون الأديب إِمّعة لا ينطق أو يصمت إلا وفقاً لبعض الوحيات الأجنبية عن جو العقل والروح ؟

وما الموجب لأن يتفاضل الأدباء بالقدرة على الرياء ، وهو سناد المهازيل ، وعماد المااليل ، ودعام المناخيب ؟

لقد وُضع الورق في التسميرة الجبرية قبل أن يوضع الفول ، ومع هذا لا يفهم ناس أن قوت العقول يسبق قوت البطون !

إن الأدب الكاذب ينفع ، فكيف يضرّ الأدب الصادق ؟

والأدباء المستعبَدون يُفلحون ، فكيف يخيب الأدباء المستقلون ؟

جرِّبوا الصدق مرةً واحدة ، يا أدباء هذا الزمان ، وحاولوا مرةً واحدة أن يكون لكم وجودٌ منزّهٌ عن التبعية ، ولو كانت في أشرف الأوضاع ، ليصح لكم القول بأنكم من دعاة الحرية والاستقلال

إن محنة الأدب في هذا العصر محنة عاتية ، وهل توجد محنة

أقسى من محنة العبودية ؟ ولأى سبب ؟ للقوت الذى لا يبخل الله به على ضعاف النمال !

إن الأديب المصرى لم يُخلق بعد ، الأديب الذى يستوحى نجوم السماء لا نجوم الأرض ، الأديب الذى لا يخاف الجوع ، لأن له زاداً من الحب والنسيم ، الأديب الذى لا يخشى التوحد ، لأن التوحد هو أنس الأسود

التصوف خُلق أول مرة فى مصر ، فى عهود سبقت عهود الفراعين . عنا أخذ الناس معانى الروحية ، فهل يعاب علينا أن ندعو إلى الصوفية الأدبية ؟

ولكن أين الأديب ؟ أين لا أين ، فقد طوقت المنافع ألباب الأدباء فى هذا الزمان ؟ !

إن وُجد الأديب المصرىُّ المنشود فسيكون المرجع لأقطاب السياسة وأعيان المال ، لأن الأدب هو الميزان لفهم مطالب الحياة وحقائق الوجود

وهنا تظهر إحدى الدقائق الروحية : فالميزان لا يستفيد مما يَزِن ، وإنما يستفيد الوزان ، فيا أدباء مصر كونوا موازين لا وزّانين

آه ثم آه ! !

إن الذى يملك بعض المنافع فى هذه البلاد يعتز ويستطيل ، فكيف يجوز لحامل القلم أن ينسى نعمة الله عليه فيتمسّح بهذا الركن أو ذاك ؟

وما الذى يمنع من أن نجرّب حظنا مع الله ، وقد جربنا الحظوظ مع الخلائق ؟

لقد عفا الله عن سفهاء الأدب فأورثهم الخلود ، برغم تردّيهم فى هوّة التزلف إلى الوزراء والأمراء والخلفاء

قال أبو نواس فى مدح الأمين :

عقتُ بحبل من حبال محمد أمِنتُ به من طارق الحدثانِ

فغضب الله عليه وعلى الأمين وأوردهما موارد البلاء

واعتزّ البحترى بصحبة المتوكل فضاع الأول وهلك الثانى

أنا أدعو الأدباء إلى التخلق بأخلاق الصوفية . . .

هل تذكرون بعض مذاهب الصوفية ؟

إسمعوا هذا الحديث :

انتفع الصوفية بسماحة الإسلام ، وهو دينٌ يأبى أن يكون بين المسلم وربه وسيط ، فقرروا أنهم أرفع من الأنبياء ، وهذا كفرٌ بظاهر القول ، ولكنه فى الجوهر غاية الإيمان ، لأن المهمّ أن تصحّ الصلة بصاحب العزة والجبروت ، والأنبياء عباد الله قبل أن يكونوا مرسلين وبعد أن كانوا مرسلين ، وهم أشرف من أن يدّعوا مشاركة الخالق فى طاعة المخلوق

ومشكلة الأدباء أهون من مشكلة الصوفية ، فنحن لا ندعوهم إلى الترفع على الأنبياء ، وإنما ندعوهم إلى الترفع على الناس . ندعوهم إلى أن يعرفوا أنفسهم . ندعوهم إلى أن يعرفوا نعمة الله عليهم . ندعوهم إلى التنسك فى سبيل المبادىء الروحية . ندعوهم إلى إنقاذ الأدب من مزالق الرياء

فلان الذى يكتب فى المجلة الفلانية عن الدين والأخلاق لا يستبيح المرور بشارع فؤاد ولا عبور جسر قصر النيل ، مخافة أن يقول الناس إنهم رأوه يسير هنا أو هناك

فكيف تعبدون الله يا عَبيد الناس ، وهل يعبد الله من يخاف الناس ؟

إطرحوا هذه البراقع . إطرحوها ، إطرحوها ، والله المسئول عن أقواتكم ، إن ضاعت بسبب الصدق ، فبينكم وبين الله عهدٌ وثيق ، عهد يقضى بأن لا تكون العزة لغير الصادقين ، والله لا ينقض الميثاق

فى كل ميدان فرصٌ ينفع فيها التمرين والتدريب ، إلا الأدب ، فهو موهبة ربانية لا تنال بجهاد الأنفس والأموال ، ولا يظفر بها الملوك ، إلا إن كانوا موهوبين

تستطيع الشعوب أن تُجلس على عرش المُلك من تشاء ، ولكنها تعجز عن خلق الأديب ، لأن الأديب من إبداع المبدع الوهاب ، ومن كرم الله على الأنبياء أن جعلهم فصحاء . وهل فات موسى أن يسأل الله تأييده بلسان هرون ؟

الأدب سلطنة لا يجوز عليها الذل

فى الأدب المقارن

الندوات الأدبية الخاصة فى الغرب

للأستاذ صلاح الدين المنجد

عُنِيَ مؤرخو آداب الأمم الغربيّة بتصوير المجالس الأدبية التى كانت تعقد فى أوربة فى القرون الخوالى . فقد لاحظوا أن أبهاء الأمراء والنبلاء ، وأنداء الفلاسفة والعلماء ، ومجامع الشعراء والأدباء، كان لها فى أحايين كثيرة أثر بالغ فى توجيه الأدب وجهة معينة ، وإكسابه لوناً لا عهد له به من قبل ، وتوشيته بصور طريفات فيها جمال وحياة

كانت وحدة الأذواق والميول ، تدفع فى الغالب إلى عقد هذه المجامع ، وربما كان السببُ فى بعض الأحايين ، نبلَ أميرة ، أو ذكاء سيِّدة ، أو عبقرية أديب ، أو الطمع فى غرضٍ نبيل والسعى وراء غاية مثلى . وقد بدأت هذه المجامع تظهر منذ القرن السادس عشر ؛ فنى أسبانية أُسس أول مجمع أدبى حوالى سنة (١٥٣٠) وكان يرأسه « دلافيرجا C. de la Verga » وكان ينهج هو وصديقه « Boscan » نهج الشعراء الإيطاليين ويقلدان آثارهم تقليداً شديداً

وجعل فريق من المعجبين بالشاعر الإيطالى « بترارك » فى فرنسة ، مدرسة خاصة به فى « ليون » ، فى منتصف القرن السادس عشر . وكان أفراد هذه المدرسة يتتبعون آثار ذلك الشاعر ، ويسلكون نهجه ، وينشرون مبادئه الأخلاقية ، ويرون أن شعره أحسن وأرفع شعر ينبغي للشعراء أن يغترفوا من معينه دائماً

وفى هذه الحقبة ، أعنى فى منتصف القرن السادس عشر ، أسس فى باريس مجمع سموه « بلياد Pleîade » (١٥٥٠) . وكان يرأسه « رونسار Ronsard » الشاعر ، وفيه ستة آخرون ، وقد كان هذا الاسم يطلق فى القرون الخالية على بنات أطلس وبليون Pleîone السبع اللواتى قتلن أنفسهن من الخيبة ، ثم انقلبن إلى نجوم تسطع فى السماء ، كما تروى الأساطير . وقد اتخذ هذا الاسم سبعة من الشعراء اليونانيين لمجمع لهم ؛ ثم أطلقه رونسار على مجمعه بعدهم . وكان رونسار وأصدقاؤه ينشرون الشعر الإيطالى وينقلونه إلى الفرنسية . وقد بينا هـذا فى مقالنا عن أثر الآداب الأجنبية فى الأدب الفرنسي فى هذه المجلة ، فليرجع إليه[1]

وفى انجلترا جمعت « الكونتس دوبمبروك Comtesse de Pembroke » حولها فئة من الشعراء الذين كانوا يقلدون مآسى الشاعر الفرنسى R. Garnier « كهيبوليت Hippolyte » و « اليهود Les Juives » وغيرهما ، وكانوا يحاولون الوقوف دون انتشار الدرام الحرة التى قامت قبل شكسبير

وفى سنة (١٧٧٠) قام فريق من الأدباء فى غوتنجن Göttingen فأسسوا مجمعاً سموه « مجمع الاتحاد Union » وكان هدفهم تمجيد « ڤولتير Voltaire » الشاعر الفرنسى و « ويلند Wieland » الشاعر الألمانى ، الذى أطلقوا عليه اسم « ڤولتير ألمانية » وكانوا معجبين أيضاً بالشعراء الإنجليز

(١) فى العدد ٤٥٧ من هذه المجلة

والكفر بالأدب كفرٌ بحق الله فى اصطفاء من يشاء

ثم ماذا ؟

ثم يبقى القول بأن إيمان الأدباء بالله ضعيفٌ ضعيف ، فما زالوا يتوهمون أن لهم حوائج مع الخلائق ، وهذا شِركٌ لا يرضاه الله ولا نرضاه

أنا أعرف السر فى انهيار دولة الأدب فى جميع الأجيال ، فقد كان الأدباء يخافون الله ويصافون الناس

فيا أيهـا المبدع الأول والأخير لأنوار القلوب وأضواء العقول ، تفضلْ فاجذبنا إليك ، حتى لا نرى روحاً سواك ، ولا نشهد إلا إياك ، ولا نستجير بغير حماك ، ولا نعتمد إلا عليك فما يعتمد على الخلائق غير الأذلاء

الأدب خير ما أبدعتَ ، فهو منك وإليك ، ولك الحمد وعليك الثناء .

زكى مبارك

وفي الوقت نفسه أسس في ألمانية المجمع المُسمّى : « Assaut et élan » وكان يمجد « أوسيان » و« شكسبير » الإنجليزي ، وروسو الفرنسي

وفي أواخر القرن الثامن عشر ، كانت المدرسة الابتداعية الألمانية التي كان يرأسها « شلجل Schlegel » تتعطش لآثار شكسبير و « سيرڤانتس Servantès » الأسباني ، وأدباء المآسي في أسبانية والبرتغال

وقامت في السويد ، في أوائل القرن التاسع عشر ، جمعية العصبة السويدية المسماة « Fosforistes » لتنقل إلى شعرها محاسن الشعر الابتداعي الألماني والإنجليزي .

أما في فرنسة ، فقد قامت في القرن التاسع عشر عدة ندوات أدبية ؛ فقد كان « ستاندال » الروائي ، و « آمبير Ampère » الأديب المؤرخ ، و « جاكومونت Jacquemont » الرحالة ، و « ميريمه Merimée » الكاتب الروائي ، يجتمعون في دار « دليكلوز Delecluz » المصور الشهير والنقاد اللاذع ، ليقرأوا آثار أوسيان الأيقوسي ، وروائع شكسبير ، ويمجدوا آياتهما

وكان هناك عصبة هوغو المسماة « سيناكل Cénacle » ومعنى هذا الإسم ، صومعات صغار أدبية . وكان يطلق في الزمن الغابر على الغرفة التي كان المسيح عليه السلام يجمع فيها تلاميذه ثم أصبحت تطلق على كل اجتماع ، وخُصّت أخيراً بمجمع هوغو في فرنسة . وكان من أفراد هذا المجمع « دُڤيني A. de Viny » الشاعر المتشائم ، و « نوديه Ch. Nodier » القصصي ، وديشامب Deschamps الروائي ، ودموسيه A. de Musset صاحب الليالي ، وغيرهم . وكانوا مأخوذين بروائع شكسبير و « بيرون Byron » و « سكوت Scott » يتتبعون آثارهم ويستوحونها في كثير من الأحايين .

وقد نجد في بعض الأحايين مجامع أدبية كانت تقوم حول مجلة أفرادها هم مؤسسوها والمحررون فيها . كالمجمع الذي قام حول مجلة La Muse Française ، و « Globe » في فرنسة ، ومجلة « L'Europeo » في إسبانية ، ومجلة « Fosforos » في السويد ، ومجلة « L'Athenœum » في ألمانية ، ومجلة « Conciliatoré » في إيطالية .

وإلى جانب هذه المجامع ، كانت تقوم أبهاء الأدب وصالوناته . وقد كان لها أثر في نمو الأدب ونهضته وبعثه . وأقدم بهو هو بهو أوتيل دُرامبويّه « L'Hotel de Rambouillet » . وكان لصالونات باريس في القرن الثامن عشر أثر وصدى بعيد ، وساعدت على انتشار ألوان طريفة من الآداب الأجنبية . كصالون مدام ديفّاند ، والآنسة دلسبيناس . . . وكان رجال هذه الأبهاء متأثرين بالأدب الإنجليزي . وفي ستوكهولم كانت سيدتان مركزين للأدب فتحا قصريهما لأهله ، وهما : السيدة نوردينفلخت والسيدة لينوجرن « Mme. Nordenflycht » و « Mme. Leuugren » . وفي لوندرة قام صالون الدوقة دُمازاران duchesse de Mazarin في القرن السابع عشر ، وصالون اللادي هولاند Lady Holland في القرن الثالث عشر . وكانت هذه الأبهاء وسيطة لنقل الأدب الأجنبي إلى انجلترا ، ومن انجلترا إلى فرنسة .

وفي القرن التاسع عشر نجد في فرنسة صالون « مدام موهل Mme. Mohl » و « مس ماري كلارك » . على أن أعظم هذه الصالونات أثراً ، صالون « مدام دستال » في قصر « كوبه » الذي فتح أبوابه من سنة ١٧٩٥ إلى سنة ١٨١١ . وكان مهبطاً للعلماء ومزاراً للأدباء

وتبيان أثر هذه المجامع والأبهاء في نشر الآداب وإحيائها ، بصورة أكثر تفصيلاً يحتاج إلى صفحات مطولات . غير أن من المقرر أنها كانت وسيلة إحياء وتلقيح وازدهار ، وأنها كانت سبباً في تقدم ونمو وانتشار

* * *

هذه لمح عن مجامع الأدب الخاصة في الغرب ، ذكرت ما كان له منها شأن وأثر كبير . وهناك مجامع وأبهاء أقل شأناً أغفلتها . وليت أدباءنا يعنون بنشر ما يعرفونه عن المجامع الأدبية الخاصة في مصر والشام والعراق ، في العصر الخالي أو العصر الحاضر ، في هذه المجلة . فإن في ذلك طرافة ومتعة وتسجيلاً لصفحة من صفحات تاريخ أدبنا الذي نكتبه اليوم .

(دمشق) صموح الدين المنجد

الشعب الحبشى

للدكتور فؤاد حسنين

إذا تحدثت لقراء الرسالة عن الحبشة فإنما أتحدث عن بلاد تربطها بالشعوب العربية روابط عديدة أذكر منها على سبيل المثال إلى جانب الجنس واللغة ، الدين والجوار . الشعب الحبشى فى مجموعه سامي حامى ، ولفظ حبشة إن دل على شيء ، فإنما يدل على تلك القبائل التى استوطنت بلاد العرب الجنوبية ولعبت دوراً هاماً فى التاريخ المعينى السبائى . والتاريخ يحدثنا أن هذه القبائل ، أعنى قبائل حبشة ، هاجرت من بلاد العرب الجنوبية حوالى القرن العاشر قبل الميلاد واستوطنت الجزء الشمالى من بلاد الحبشة فأطلق على ذلك الجزء اسمها . ومن ثم عمم العرب هذه التسمية فأطلقوها على هذه البلاد الواقعة بين خطى عرض ٤ و ١٥ شمال خط الاستواء . فسكان البلاد الذين أطلق اسمهم على تلك البلاد عرب وعرب خلص نزحوا من بلاد معين وسبأ فى عصر كان يطلق فيه بحق على بلاد اليمن بلاد العرب السعيدة حيث المدنية زاهرة والحضارة زاخرة . نزحت تلك القبائل إلى القارة السوداء فحملت معها كثيراً من معالم الحضارة العربية الجنوبية من دين وكتابة وعلم وأدب، فغزت العقول كما غزت البلاد، وأقامت هناك الدعائم الأولى للحضارة الأثيوبية وأزالت العقبات التى كانت تعترض تقدم العقل الأفريقى ومهدت للديانات السامية السماوية كاليهودية والمسيحية والإسلام بفتح تلك البلاد وتثبيت أقدامها . نزلت قبائل الحبشة ذلك الصقع الأفريقى فوجدت فيه عنصراً أفريقياً وآخر حامياً انفصل عن أرومته السامية الأصلية فامتزجت بهما وتكون من هذا المزيج الشعب الحبشى الحالى ، فهو إذاً شعب مركب من عنصر أفريقى قديم ، وآخر حامى أو كوشى ، وثالث سامى . فنحن نرى من هذا أن سكان البلاد ينتمون إلى جنس هو جنسنا، ولسانهم ، قديمه وحديثه ، ينتمى إلى الأسرة السامية الحامية التى تضم كثيراً من اللغات كالعربية والمصرية القديمة .

وقد عرضت لإثبات هـذه العلاقة بين الأحباش والساميين أسطورة حبشية قديمة تتصل عناصرها بقصة من قصص الكتاب المقدس والقرآن الكريم أعنى قصة ملكة سبأ وسليمان . فالأسطورة الحبشية كـكثير من الأساطير تتحدث عن تنين عظيم كان يحكم البلاد قروناً عديدة وكان على جانب عظيم من البشاعة والشراهة إذ كان يفترس يومياً ما لا يقل عن عشرة بقرات ومثلها من الثيران وألف رأس من المعز ومائة من الضأن وكثيراً من طيور السماء إلى جانب ما يقدم له من العذارى ، فضاق السكان به ذرعاً فلجأوا إلى شخص اشتهر بالقوة يسمى (إنجابو) وفاوضوه فى أن يقتل التنين ويتولى هو الملك عليهم ، فقبل (إنجابو) وقتل التنين وتولى الملك وأنجب ابنة تسمى (ما كدا) وهى التى تعرف فى التاريخ باسم ملكة سبأ ودخلت ملكة سبأ فى حرم سليمان ، وفي طريقها إلى بلادها وضعت غلاماً أسمته (ابن حكيم) أو ابن سليمان ، وهو المعروف فى التاريخ الحبشى باسم (منليك الأول) مؤسس الأسرة السليمانية التى جلست على عرش الحبشة من (٩٥٠ ق . م إلى ١٨٥٥ م .) . فمن هذه الأسطورة نعرف العلاقة بين الفرعين الساميين من ناحية ، ونفهم الحكمة فى أن نجاشى الحبشة يعتبر نفسه أسد سبط يهوذا الذى رمز إليه فى العلم الحبشى بأسد متوج شاهراً بيمينه صولجان القوة والجبروت .

وكما أن بلاد الحبشة هى الملتقى لهذه العناصر السامية الحامية ، فهى الأرض التى نجد من بين سكانها الوثنيين واليهوديين والمسيحيين والمسلمين . فالوثنيون يدينون بوثنية تحمل إلى جانب طابعها الأفريقى طابعاً أسيوياً يمنياً ، فإلى اليوم ما زلنا نقرأ فى الكتب الحبشية والآثار الأدبية كثيراً من الألفاظ الوثنية القديمة مثل (محرم) إلـه الحرب ، و (عستر) إلـه السماء ، و (مدر) إلـه الأرض ، و (بحر) إلـه البحر . وإلى اليوم أيضاً ما زال أصحاب هذه الديانة يلعبون دوراً هاماً فى التنافس القائم بين المسيحية

والإسلام ، فمن بين العشرة ملايين نسمة التي يتكون منها الشعب الحبشى نجد نحو ثلاثة ملايين يدينون بالمسيحية التي أدخلها المبشرون البلاد فى القرن الرابع الميلادى ، وأصبحت دين الأسرة الحاكمة الرسمي عام ٣٥٠ م عند ما اعتنقها الملك (عزانا) . أما البقية الباقية من السكان فكثرتها تدين بالإسلام ولا يقل معتنقوه عن خمسة ملايين نسمة . ومن الجدير بالذكر هنا أن قبائل كثيرة مسيحية ووثنية أخذت تسارع إلى الدخول فى الإسلام فى السنوات الأخيرة حتى أزعج ذلك كثيراً من الدول الأوربية فسارعت إلى مكافحته والوقوف فى وجهه . وهذا التنافس بين الإسلام والمسيحية ليس حديث عهد فى الحبشة . فالتاريخ الحبشى نفسه يحدثنا أن تاريخ المسيحية هناك عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الكفاح لتثبيت قدمها ومقاومة انتشار الإسلام . ولعل أهم عصر يتجلى لنا فيه هذا الصراع الدينى هو الزمن الممتد ما بين عامى ١٥٤١ و ١٥٤٣ ؛ ففى ذلك الوقت ظهر قائد حبشى مسلم يسمى أحمد بن إبراهيم ، اشتهر ببسالته ومهارته الحربية ، فبعد أن كان جندياً بسيطاً أصبح أميراً على هرر . وفى عام ١٥٢٧ هاجم بقية الولايات الحبشية واستولى عليها وأخضعها لسلطان المسلمين ، وهرب الملك المسيحى (لبنا دنجل) واعتصم بالجبال ، ولو لا أنه استعان بالبرتغاليين الذين خفوا لمساعدته ما استطاعت المسيحية أن تعود ثانية إلى الحبشة . لكن هذا النفوذ الأوربى الذى استعانت به المسيحية فى ذلك العصر عاد على الحبشة بأوخم العواقب ؛ فمنذ النصف الثانى من القرن السادس عشر أخذت تعنى بعض الدول الأوربية بالحبشة وظهرت فى عالم السياسة المسألة الحبشية التى كانت سبباً قوياً من أسباب انقسام أوربا إلى معسكرين عظيمين لن يحل السلام بلادهما إلا بعد أن تتقوض أنظمة ، ويعم الخراب ، ويكثر الدمار . وبيان ذلك الاهتمام بالمسألة الحبشية أن أوربا منذ ذلك الحين أخذت تبعث الجمعيات التبشيرية إلى جانب بعض الرحالة والعلماء . وفى القرن السابع عشر أخذ المستشرقون الألمان يعنون بتاريخ الحبشة ولغتها .

وفى القرن الثامن عشر نجد الرحالة والمستشرق الإنجليزى (بروس) يدخل الحبشة عن طريق مصر مكتشفاً منابع النيل . وفى عام ١٨٥٥ نجد أحد قطاع الطريق من الأحباش الذى كان راهباً وهرب من الدير يشن الغارات على سائر الأمراء وينتزع السلطان من أيديهم ويكلف (أبونا) أن يتوجه (نجوس نجست ذ إيتيوبيا) أى ملك ملوك إيتيوبيا وتسمى باسم (تيودور الثانى) وأخذ يقوم بإصلاحات داخلية كبيرة ، فألغى الرق وحرم تعدد الزوجات وضم إليه إقليم (شوا) وأصبح ذلك الملك الذى كان فى صباه فقيراً مشرداً والذى كان يسمى (كسا) والذى كانت أمه تبيع فى أسواق (جندار) غنياً قوياً وحد الحبشة وأخذ يخلق من شعبه أمة قوية مهيبة الجانب ، فاصطدم ببعض الأجانب المقيمين فى بلاده ، فأرسلت انجلترا عام ١٨٦٧ اللورد (نابيير) على رأس حملة تأديبية للحبشة استولت بدون كبير عناء على حصن (مجدلا) ، ولما أيقن الملك بالهزيمة انتحر ، فكان موته سبباً فى تفكك الوحدة الحبشية أيام خلفه الملك (يوحنا الرابع) الذى توجه الإنجليز عام ١٨٧٢ . وفى أيامه قام ابن والى إقليم (شوا) وطالب بإعادة إقليمه إليه فمنحه وأصبح ملكاً عليه وتسمى باسم (منليك) ، ومن حسن حظه أن يوحنا قتل فى حربه مع الدراويش عام ١٨٨٩ فأعلن (منليك) نفسه ملك ملوك وأخذ يعمل جهده لجمع صفوف أفراد شعبه فهاجمته إيطاليا فهزمها شر هزيمة فى موقعة عدوة عام ١٨٩٦ . وقد كان منليك هذا محبوباً من شعبه ، حتى أنه يقسم به إلى اليوم ، كما تم فى أيامه الخط الحديدى من جيبوتى إلى أديس أبابا . وفى عام ١٩٠٨ مرض مرضاً أقعده عن القيام بمهام الحكم ، فتنازل عن الملك لامرأته (تيتو) وتوفى هو فى ١٢ ديسمبر عام ١٩١٣ ، وتولى الملك بعد وفاته حفيدة (ليدو يسوع) وكان يميل إلى الإسلام فلما ظهرت ميوله إلى الإسلام والمسلمين اجتمعت عليه عوامل مختلفة خارجية وداخلية وخلعته وزجت به فى السجن عام ١٩١٧ ، وتولت بعده

أطوار الوحدة العربية

عوامل ثورة العرب

للأستاذ نسيب سعيد

أظنك لا تزال تذكر أني وعدتك في حديثي الماضي أن أفصّل لك ما أجملت من الأسباب المباشرة لثورة العرب الكبرى . وقد رددت هذه الأسباب إلى عوامل أربعة ، وهي : العامل الشخصي ، والإقليمي ، والديني ، والقومي . وها أنا الآن — برًّا بالوعد الذي قطعته على نفسي — أشرع بالإسهاب والتفصيل فأقول :

١ — العامل الشخصي

يذهب الباحثون إلى القول أن في مقدمة العوامل المباشرة للثورة العربية اعتقاد زعيمها « الحسين بن علي » بأن رجال الدولة العثمانية قد انتزعوا كل ثقة منه ومن أنجاله ، وأنهم يتحينون الفرص للقبض عليه وإقصائه ونفيه إلى أقاصي البلاد .

ولا يخفى عليك أن الغاية الأساسية للترك من إرسال وهيب باشا القائد التركي العام إلى الحجاز وتزويده بما زود به من سلطة واسعة ، هو لأجل القضاء على كل ما « للحسين » من نفوذ وشوكة في البلاد العربية . ويعترف جمال السفاح في مذكراته أن وهيب باشا هذا طلب من الحكومة إرسال فرقة من الجند لتنفيذ مشروعه ، ولو لا مفاجأة الحرب العظمى — وقد جاءت على حين غرة — لنفذ ذلك المشروع الظالم ، ولقضوا على « الحسين » قضاء أبديًا ، بل لقضوا على كل حركة أو نهضة قومية في بلاد العرب

ويضاف إلى ذلك ما يردده البعض من المؤرخين وهو أنه كان « للحسين » عيون في ديوان حكومة مكة ، وفي مكتب رقها ، وفي الباب العالي أيضاً يوافونه بكل ما يدور بشأنه من مكاتبات بين الآستانة ومكة ، ويطلعونه على جميع الخطط والتدابير . وما كان باستطاعة الاتحاديين الترك معرفة شيء من أسراره وخططه لأنه كان حذراً ، شديد التكتم ؛ وقد ظل يجاملهم ويلاطفهم ، حتى اضطرهم إلى استبدال وهيب باشا بغالب باشا في أوائل زمن الحرب الماضية ، فارتاح من خصم شديد المراس ، وخلا له الجو في العاصمة العربية فتصرف كما أراد وتسنى له أن يستأثر بمقادير كبيرة من السلاح في خلال سنتي الحرب الأوليين ، كما استطاع الحصول على مبلغ كبير من المال لا يقل عن ٦٠ ألف ليرة عثمانية ذهب من جمال السفاح . ولعل خوفه من الانتقام هو الذي جعله يشترط على الترك في خلال المفاوضات التي دارت بينه وبينهم جعل الإمارة العربية وراثة في أنجاله لأنه كان يخشى إقصاءه في أول فرصة تسنح ، فأراد لذلك أن ينال من الدولة العثمانية عهداً باستبقاء الإمارة في بيته وذريته فيطمئن ويرتاح ، فأبى عليه رجال الترك ذلك

الأميرة (زوديتو) ابنة (منليك) وإلى جانبها الرأس (تفاري) ابن عم (ليدو يسوع) حاكما على البلاد ، وبقيت السلطة في يد (زوديتو) حتى ٧ أكتوبر ١٩٢٨ إذ نودي بالرأس (تفاري) ملكاً فقط . وبعد وفاة القيصرة عام ١٩٣٠ أصبح ملك ملوك في ٢ نوفبر ١٩٣٠ ولقب بلقب (هيلاسلاسي) أي قوة الثالوث . وما كاد يجمع عزيمته للعمل على رفع مستوى شعبه علمياً وأدبياً وعسكرياً حتى انقضت عليه إيطاليا الفاشستية واغتصبت منه عرشه . لكن هذا النصر الإيطالي لم يكن في الحقيقة إلا انتصار الحديد ووسائل القتال الحديثة التي لم تكن متوفرة عند الحبش على الشجاعة والبطولة والإيمان بالقول المأثور (النصر مكتوب لأسد سبط يهوذا) الذي تحقق أخيراً بفضل تعاون الأسدين اليهوذي والسكسوني .

فؤاد حسنين
مدرس بكلية الآداب — جامعة فؤاد الأول

٢ — العامل الإقليمى

ويأتى العامل الإقليمى أو الاقتصادى بعد العامل الشخصى، ويجب أن يحسب حسابه أيضاً؛ وقد نشأ عن مركز الحجاز الاقتصادى وعن حالته الاستثنائية. فالحجاز قطر مجدب أو واد غير ذى زرع كما وصفه التنزيل العزيز. وقد اعتاد سكانه أن يعيشوا مما يدره عليهم موسم الحجيج. ولا يخفى أن الحرب العظمى أعلنت فى شهر رمضان عام ١٣٣٢ أى قبل موسم الحجيج بثلاثة أشهر تقريباً، فضرب الحصار البحرى على سواحل الحجاز فى البحر الأحمر فتعطل بذلك موسم الحج، وشعر سكان الحجاز بالضائقة الاقتصادية الخانقة، وشعروا كذلك بألم الجوع، فكاتب الشريف «حسين» الحكومة وبسط لها الموقف الاقتصادى فى القطر المقدس بسبب تعطيل موسم الحجيج فاعتذرت بسوء الحالة، وبحاجة الجيش إلى القوت، ولم ترسل شيئاً يهون على العرب هناك أمرهم وما هم فيه من ضنك وضيق فجاءوا الحسين يتوسلون إليه أن يعمل لإنقاذهم، والوسيلة الوحيدة للخلاص من تلك الضائقة المستحكمة الحلقات كانت بمحالفة البريطانيين، والاتفاق معهم على إلغاء الحصار البحرى فتعود السفن والبواخر إلى زيارة الحجاج حاملة الميرة والحجاج والأموال والخيرات

٣ — العامل القومى

وخلاصة ما يقال فيه أن الحسين، وقد كان العرب ينظرون إليه كأكبر زعيم عربى فى ذلك العهد كبر عليه أن تساق الحرائر من أبناء أمته إلى الأناضول سبايا تحت ستار النفى والإبعاد، وأن يقتل كبار قومه، ويقلبوا ويمحوا من الأرض ويشتت شملهم لا لذنب جنوه ولا لإثم اقترفوه، وإنما لأنهم طالبوا الدولة العثمانية بإصلاح بلادهم العربية خوفاً من أن يؤدى الإهمال فيها إلى تدخل الدول الأجنبية فى شؤونها باسم الإصلاح — كما جرى من قبل فى البلقان — ولذلك لم يجد الأمير العربى بداً حينما وقعت الواقعة، وأصم الترك آذانهم، من إجابة ملتمسه بالعفو عن زعماء العرب وأحرارهم من إعلان الثورة الكبرى انتقاماً لهم من الترك، وطلباً للثأر، ولإنقاذ بقايا السيوف من أبناء العروبة الأحرار، وقد كانوا مهددين بالفناء والموت المحتم.

وهنالك شبه إجماع بين الباحثين فى القضية العربية على أن إسراع «الحسين» فى إعلان ثورة العرب بعد الفتك بالرعيل الأول والثانى من الشهداء الأبرار، ونفى الأسر الكبيرة العربية إلى أقاصى الأناضول، حمل الترك على تغيير سياستهم وأساليبهم كما اضطرهم إلى استقدام جمال باشا وتنحيته عن العمل فى بلاد الشام، فعاد إلى عاصمة الترك يجر أذيال الخيبة والانكسار بعد ما فشلت مساعيه، وخابت آماله فى إنشاء عرش له فى دمشق يتبوأه ويورثه لأبنائه من بعده وعلى الباغى تدور الدوائر

هذا من ناحية واحدة، أما من الناحية الأخرى فقد كان الاعتقاد سائداً بين العقلاء أن النصر فى ختام الحرب سيكون للانكليز وحلفائهم، فتدور الدائرة على الألمان وأنصارهم ومنهم الترك فتنقرض الدولة العثمانية، ويموت الرجل المريض، ويستولى بالتالى — الحلفاء على أراضى تلك الأمبراطورية الواسعة، وبلاد العرب من جملتها، وهكذا يقع العرب فى أيدى الدول الغربية الكبرى؛ ولذلك كان لا بد للحسين بصفته زعيم العرب الأكبر يومئذ من الاتصال بخصوم الترك والألمان، وعقد المواثيق معهم لإنقاذ دنيا العرب من أيدى الظلم والاستعباد، وإنشاء الدولة العربية الكبرى الموحدة، فتحل فى الشرق مكان الدولة العثمانية المنقرضة، وتجدد مجد العرب الخالد، وتبعث عزهم الطريف التالد، وتحيي دولتهم العظيمة

٤ — العامل الدينى

وأخيراً يجب ألا ننسى العامل الدينى أيضاً، فقد كان الحسين، وهو صلب فى دينه، شديد التمسك بأحكام الشريعة السمحاء، مفرقاً فى المحافظة على التقاليد الإسلامية الحنيفة، يعتقد بكفر الاتحاديين الترك وخروجهم على الإسلام لأعمال بسطها بسطاً وافياً فى المنشور الذى أذاعه على العالم الإسلامى

يوم إعلان ثورة العرب ، وقد نعهى من هذه المقدمة السلبية إلى نتيجة إيجابية وهى فرض قتالهم على كل مسلم ، والجهاد فيهم إنقاذاً للأمة من شرورهم . وقد قام بهذا الواجب حين أعلن الثورة عليهم وقاتلهم قتالاً رهيباً ...

تلك هى خلاصة العوامل التى عجلت فى إعلان ثورة العرب الكبرى ، ودفعت أميرهم « الحسين » إلى الصراع مع الترك وأنصارهم ، والانضمام إلى البريطانيين وحلفائهم .

والباحث المدقق فى هذه الثورة التى نشبت فى الحجاز أولاً ثم امتدت إلى بلاد الشام وغيرها من أقطار العروبة يجد أنها تمتاز عن الثورات والحركات العربية القومية الأخرى ، بكونها أول حركة استقلالية قام بها العرب مطالبين بالحرية والاستقلال ، والانفصال عن الترك والإفلات من نير الدولة العثمانية الجائر لتأسيس ملك عربى مجيد ، وتقلدوا السلاح لأجل ذلك . كما أنها كانت أعم ثوراتهم وأوسعها نطاقاً فقد اشترك فيها أبناء الحجاز ، ومصر والشام والعراق واليمن ونجد والشمال الأفريقى فوقفوا جنباً إلى جنب يقاتلون الترك تحت راية العروبة الخفاقة ، فأنقذوا الحجاز وحرروه من كل نفوذ أجنبى ، ثم واصلوا السير نحو الشام فاستولوا على جنوب القطر الشامى ثم اخترقوه وبلغوا أقصى حدوده الشمالية ، ولو ساعدتهم الظروف لواصلوا التقدم إلى العراق ، ولاستولوا عليه أيضاً . على أن ما فاتهم فى عام ١٩١٨ أدركوه فى سنة ١٩٢٠ فقد أنشأوا حينئذ حكومة عربية برئاسة أحد أبناء « الحسين » فى تلك الربوع

فهذا الطابع الخاص الذى طبعت به ثورة « الحسين » جعل لها مقاماً ممتازاً فى نفوس العرب على اختلاف أقطارهم ، وتباعد ديارهم ، وجعلهم يكبرون شأنها ، ويحتفلون بذكراها ، يضاف إلى ذلك أنها أنقذت الكثيرين من رجال سورية والعراق من موت محتم أو من شقاء دائم ، فقد كانت الخطة التى سار عليها الاتحاديون الترك فى ذلك العهد المظلم تقضى بنفى الأسر العربية الكبرى إلى أقاصى الأناضول لتتركها وإفنائها ، واحتلال الأرمن محلها فيصبح الناس فى الشام بلا سراة ، كما أنها اضطرت الترك لإطلاق سراح كثيرين من الذين كانوا معتقلين فى غياهب السجون ، وكانوا ينتظرون صدور الأمر بإعدامهم من آن لآخر شأن إخوانهم الشهداء الذين سبقوهم .

وسيقدر العرب الأبرار — كلما طال بهم الزمن وامتد — ثورة أجدادهم هذه حق قدرها ويكبرونها ويجلونها ويدركون أنها من أنبل الثورات وأشرفها ، وإن الدعايات التى بثها الترك والألمان ضدها فى إبان الحرب الماضية لتشويه سمعتها ، ما كانت سوى أضاليل اقتضتها مصلحتهم السياسية ؛ ورغم النقائص التى اقترنت بها أسدت للعرب يداً كبرى ، وفتحت لهم باب الحياة القومية ، وعلمتهم كيف يثورون على الظلم والاستبداد ، ويقاتلون الظلام والمستبدين ، وكيف يطلبون الثأر والانتقام لأحرارهم وزعمائهم ومفكريهم الذين غدر بهم الترك ، وسقوهم كأس الردى لأنهم نشروا « الفكرة القومية » المقدسة ودعوا إليها . أما كيف أعلنت الثورة ، وأين كانت ميادين الصراع ، فهذا سيكون موضوع حديثنا المقبل ، فإلى اللقاء .

« دمشق » أديب سعيد الحماصى

٤ ـ خزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد

للأستاذ ميخائيل عواد

(ج) رأس ابن الحسين بن حمدان ، رءوس جماعة من أصحابه

ذكر مسكويه فى حوادث سنة ٣٠٤ ﻫ أنه « قبض على أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان وجميع إخوته وحبسوا فى دار السلطان . وكان هرب ابن الحسين بن حمدان فى جماعة من أصحابه وبلغت هزيمته آمد ، فأوقع بهم الجزرى وقتل ابن الحسين وجماعة من أصحابه وحملت رءوسهم إلى الحضرة »(١)

(د) رأس ليلى بن النعمان الديلمى

كان من ماجريات سنة ٣٠٩ ﻫ ، أنه « دخل رسول صاحب خراسان برأس ليلى بن النعمان الديلمى الذى خرج بطبرستان(٢)

(ﻫ) رأس أحمد بن على

ارتكب أحمد بن على وهو من أمراء الأعاجم من الظلم والشر أمراً عظيما ، وذاع خبر شره ؛ تخافه الناس . ولكن أمد الظلم قصير ، « فلما كان فى ذى الحجة من سنة ٣١١ ﻫ ، ورد الخبر على ابن الفرات بإيقاع ابن أبى الساج بأحمد بن على أخى صعلوك ، وقتله إياه ، وأنه أخذ رأسه وهو على حمله إلى بغداد»(٣)

ثم قال مسكويه فى أحداث سنة ٣١٢ ﻫ ، إن « فى هذه السنة ورد الكتاب بشرح الخبر فى مصير ابن أبى الساج من آذربيجان إلى الرى ومحاربته أحمد بن على ، وحمل رأس أحمد ابن على وجثته إلى مدينة السلام »(٤)

(و) رأس الصيدلاوى

لم تخل خزانة الرؤوس حتى من رؤوس العيارين ، والشطار وقطاع الطرق . فهذا المعروف بالصيدلاوى كان « يقطع الطريق فاحتال عليه بعض الولاة فدس إليه جماعة من الصعاليك أظهروا الانحياز إليه ، فلما خالطوه ؛ قبضوا عليه وحملوه أسيراً إلي الكوفة ، فقتل وحمل رأسه إلى بغداد »(١)

(ز) رءوس جماعة من الفرنج :

كان مِن أجلِّ أنباء سنة ٥٥٢ ﻫ : الواقعة بين الإسلام وبين الفرنج . قال ابن الجوزى : « وكانت وقعة عظيمة بين محمود بن زنكى وبين الإفرنج ، وفَتَح عسكر مصر غزة واستعادوها من الإفرنج ، ووصل رسول محمود بتحف وهدايا ورءوس الإفرنج وسلاحهم وأتراسهم »(٢)

٣ ــ نصب الرءوس فى جانبى بغداد

(ا) رأس رافع بن هرثمة :

من الأنباء التى حفلت بها سنة ٢٨٤ ﻫ : « قدوم رسول عمرو بن الليث الصفار برأس رافع بن هرثمة فى يوم الخميس لأربع خلون من المحرم على المعتضد ، فأمر بنصبه فى المجلس بالجانب الشرقى إلى الظهر ، ثم تحويله إلى الجانب الغربى ونصبه هنالك إلى الليل ، ثم رده إلى دار السلطان(٣) . وخلع على الرسول وقت وصوله إلى المعتضد بالرأس »(٤)

٤ ــ نصب الرءوس على جسور بغداد

(ا) رأس القرمطى ، رءوس جماعة من قواده وأصحابه :

والقرمطي هذا ، هو الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ، الذى اشتهر أمره ، وبالغ فى الظلم والفساد ، وهزم جيوش الخليفة غير مرة : وقد شرح أمره وأعماله جلة من المؤرخين ، فإذا أردتها فارجع إلى سنة ٢٩١ ﻫ وما قبلها تجد أخباره مفصلة . والذى يهمنا ها هنا رواية تعذيبه وقطع رأسه إذ كان قد حان قطافه . ودعنا نستل خبره من الطبرى الذى قال فى الوقعة بين القرمطى هذا وبين أصحاب الخليفة : « ... ولما تقدمت [الكلام لمحمد بن سليمان الكاتب] فى جمع

(١) تجارب الأمم (٥ : ٣٨)
(٢) تجارب الأمم (٥ : ٧٦)
(٣) تجارب الأمم (٥ : ١١٢)
(٤) تجارب الأمم (٥ : ١١٩)

(١) المنتظم (٧ : ١٠٥ ؛ حوادث سنة ٣٧٠ ﻫ)
(٢) المنتظم (١٠ : ١٧٦)
(٣) رد إلى دار السلطان — أى دار الخلافة — ليوضع فى خزانة الرءوس على الرسم
(٤) تاريخ الطبرى (٣ : ٢١٦٠) ؛ وانظر : مروج الذهب (٨ : ١٨٠) ، والبداية والنهاية لابن كثير (١١ : ٧٦)

الرءوس ، وجد رأس أبى الحمل ، ورأس أبى الذباب ، وأبى البغل وقيل النعمان قد قتل ؛ وقد تقدمت فى طلبه وأخذ رأسه وحمله مع الرءوس إلى حضرة أمير المؤمنين إن شاء الله »[1]

وها هو ذا يحدثنا عن القرمطى وأصحابه يوم جيء بهم أسرى إلى بغداد لينالوا جزاء ظلمهم وعيثهم ، ولا يبعد أنه رأى المشهد بعينه ؛ فأمعن فى الوصف وبالغ بذكر هذه الحقيقة . ودونك ما قاله : « . . . ولما كان يوم الإثنين لسبع بقين من شهر ربيع الأول أمر المكتفى القواد والغلمان بحضور الدكة التى أمر ببنائها ، وخرج من الناس خلق كثير لحضورها فحضروها ؛ وحضر أحمد بن محمد الواثقى وهو يومئذ يلى الشرطة بمدينة السلام ، ومحمد بن سليمان كاتب الجيش ، الدكة فقعدا عليها . وحمل الأسرى الذين جاء بهم المكتفى معه من الرقة ، والذين جاء بهم محمد بن سليمان ومن كان فى السجن من القرامطة الذين جمعوا من الكوفة ، وقوم من أهل بغداد كانوا على رأى القرامطة وقوم من الرفوغ من سائر البلدان من غير القرامطة ، وكانوا قليلاً ، فجيء بهم على جمال وأحضروا الدكة ووقفوا على جمالهم ، ووكل بكل رجل منهم عونان ، فقيل إنهم كانوا ثلثمائة ونيفاً وعشرين وقيل ثلثمائة وستين . وجيء بالقرمطى الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ومعه ابن عمه المعروف بالمدثر على بغل فى عمارية ، وقد أسبل عليهما الغشاء ومعهما جماعة من الفرسان والرجالة ، فصعد بهما إلى الدكة وأقعدا ، وقدم أربعة وثلاثون إنساناً من هؤلاء الأسارى ؛ فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وضربت أعناقهم واحداً بعد واحد ؛ كان يؤخذ الرجل فيبطح على وجهه فيقطع يمنى يديه ويحلق بها إلى أسفل ليراها الناس ؛ ثم تقطع رجله اليسرى ، ثم يسرى يديه ، ثم يمنى رجليه ، ويرمى بما قطع منه إلى أسفل ، ثم يقعد فيمد رأسه فيضرب عنقه ويرمى برأسه وجثته إلى أسفل . فلما فرغ من قتل هؤلاء الأربعة والثلاثين نفساً ، وكانوا من وجوه أصحاب القرمطى فيما ذكر وكبرائهم ، قدم المدثر فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه . ثم قدم القرمطى فضرب مائتى سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه وكوى فغشى عليه ثم أخذ خشب فأضرمت فيها النار ووضع فى خواصره وبطنه ، فجعل يفتح عينيه ثم يغمضها ؛ فلما خافوا أن يموت ضربت عنقه ورفع رأسه على خشبة . وأقام الواثقى فى جماعة من أصحابه فى ذلك الموضع إلى وقت العشاء الآخرة ، حتى ضرب أعناق باقى الأسرى الذين أحضروا الدكة ، ثم انصرف ، فلما كان من غد هذا اليوم حملت رءوس القتلى من المصلى إلى الجسر ، وصلب بدن القرمطى فى طرف الجسر الأعلى ببغداد »[1]

(ب) رءوس جماعة من الأباضية

من الأحداث التى وقعت فى سنة ٢٨٠ هـ ؛ فى خلافة المعتضد ، على ما نقله المسعودى أن « افتتح أحمد بن نور عمان ، وكان مسيره إليها من بلاد البحرين ، فواقع الأباضية من الشراة وكانوا فى نحو من مائتى ألف ، وكان أمامهم الصلت بن ملك بيلاد بروى من أرض عمان ، وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وحمل كثيراً من رءوسهم إلى بغداد فنصبت بالجسر »[2]

(يتبع) ميخائيل عواد

(١) الطبرى (٣ : ٢٢٤٢ — ٢٢٤٣)

(١) الطبرى (٣ : ٢٢٤٥ — ٢٢٤٦) ؛ وانظر الرواية أيضاً فى المنتظم (٦ : ٤٣) . وقال الطبرى فى حوادث سنة ٢٩٢ هـ : « ولثلاث خلون من شهر ربيع الأول منها ، سقط الحائط الذى على رأس الجسر الأول من الجانب الشرقي من الدار التي كانت لعبيد الله ابن عبد الله بن طاهر على الحسين بن زكرويه القرمطى وهو مصلوب بقرب ذلك الحائط فطحنه فلم يوجد بعد منه شيء »

(٢) مروج الذهب ٨ : ١٤٣ . وانظر الطبرى ٣ : ٢١٣٨

ليالى القاهرة

للدكتور إبراهيم ناجى

أليلايَ ما أبقى الهوى بى من رُشْد ... فرُدّى على المشتاق مهجته ردّى
أينسى تلاقينا وأنتِ حزينة ... ورأسك كابٍ من عَياء ومن سهد
أقول وقد وسدتُه راحتى كما ... توسد طفلٌ مُتعَبٌ راحة المهد
تعالى إلى صدر رحيب وساعد ... حبيب وركن فى الهوى غير منهد
بنفسى هذا الشَّعر والخُصَل التى ... تهاوتْ على نحر من العاج منقدٍّ
ترامتْ كما شاءتْ وشاء لها الهوى ... تميلُ على خدٍ وتصدفُ عن خدٍّ
وهذى الكرومُ الدانياتُ لقاطف ... بياضَ الأمانى من عناقيدها الرُّبدِ
فيالكِ عندى من ظلام مُحبَّبٍ ... تألّق فيه الفرقُ كالزمن الرغد
ألا كلُّ حسنٍ فى البريّة خادمٌ ... لسلطانة العينين والجِيد والقدّ
وكل جمال فى الوجود حياله ... به ذلة الشاكى ومرحمةُ العبدِ
وما راع قلبى منكِ إلا فراشةٌ ... من الدمع حامتْ فوق عرشٍ من الوَجد
مجنحة صيغتْ من النور والندى ... ترف على روض وتهفو إلى وِرْد
بها مثلُ ما بى ياحبيبى وسيدى ... من الشجن القتّال والظمأ المردى
لقد أقفرَ المحرابُ من صلواته ... فليس به من عابدٍ ساهرٍ بعدى !
وقفنا وقد حان النوَى أىَّ موقف ... نحاول فيه الصبر والصبر لا يجدى
كأن طيوف الرعب والبينُ موشكٌ ... ومزدحِم الآلام والدمع فى حشدى
ومضطرب الأنفاس والضيقُ جاثمٌ ... ومشتبكُ النجوى ومعتنق الأيدى
مواكبُ خرسٍ فى جحيم مؤبد ... بغير رجاء فى سلام ولا بَرْد !!
فيا أيكةً مدَّ الهوى من ظلالها ... ربيعاً على قلبى ، وفيئاً من السَّعد
تقلّصتِ إلا طيفَ حب محيَّر ... على درَجٍ خابى الجوانب مسودٍّ
تردَّد واستأنَى لوعد ومَوْثق ... وأدبرَ مخنوقاً وقد غصَّ بالوعد
وأسلمنى لليـل والقبر باردا ... يَهُبُّ على وجهى به نفَس اللّحد
وأسلمنى لليل والوحشِ راقدا ... تمزقنى أنيابه فى الدجى وحدى
كأن على مصر ظلامين : أعكرٌ ... وآخرُ من خافى المقادير مُرْبد
رُكودٌ ، وإبهامٌ ، وصمتٌ ، ووحشة ... وقدْ ضمّها الغيبُ المُحجَّبُ فى بُرْدَ
كأن سماء النيل لم تلقَ حادثا ... ولاقصفتْ فيها القواصفُ بالرعدَ
أحقا تولَّى ذلك الهـولُ ، وانمحتْ ... خواطرُ ذاك الويلِ والرعب والحقد
فيا للقلوبِ الصابرات وقد خفتْ ... على نعمةِ الإيمانِ والشكرِ والحمدِ
ويا للقلوب المؤمنات وأمنها ... ونجعتها فى رحمة الصمد الفرد
أهذا الربيعُ الفخم والروضةُ التى ... تَرُفُّ إلى المستاف رائحةَ الخلد
تصير إذا رانَ الظلامُ ولفها ... بجنح من الأحلام والصمت ممتدٍّ
مباءةَ خمار وحانوتَ بائع ... شقِّ الأمانى يشترى الرزق بالسهد
وقد وقفَ المصباحُ وقفة حارسٍ ... رقيبٍ على الأسرار داعٍ إلى الجد
كأن تقيًّا عارفاً فى عبادة ... يقوم الدجى أو يقطع الليل بالزهد
فيا عالِمَ الأسرار ، فى الحى نائم ... قضى يومَه فى حومة البؤس يستجدى
وساد ته الأحجارُ والمضجعُ الثرى ... ويفترشُ الإفريز فى الحر والبرد
وسيارة تجرى لأمرٍ مغيَّب ... محجبة الأسرار خافيَة القصد
إلى الهدف المستور تنتهب الثرى ... وتلمعُ لمعَ البرق يومضُ عن بُعد
متى ينجلى هذا الدجى عن مسالك ... مرنقة بالجوع والصبر والكد
ينقبُ كلبٌ فى الحطام ، وربما ... رعى الليلَ هرٌّ ساهرٌ وغفا الجُندى
أيا مصر ما فيك العشية سامرٌ ... ولا فيك من مُصغٍ لشاعرك الفرد
أهاجرتى طال النوى فارحمى الذى ... تركتِ بديدَ الشملِ منتثر العقدِ
فقدتُكِ فقـدانَ الربيع وطيبه ... وعدتُ إلى الإعياء والسقم والسهد
وليس الذى ضيّعتُ فيك بهيِّنٍ ... ولا أنتِ فى الغُيّابِ هينة الفقد
أتيتُكِ أستسقى فكيف تركتِنى ... لهذى الفيافى الصُّمّ والكثُب الجُرد
أتيتكِ أستعدى فكيف تركتِنى ... إلى هـذه الدنيا وأحداثها اللُّدِّ
أتيتك أستهدى فكيف تركتِنى ... لهـذا الظلام المطبق الجهم أستهدى
أتيتُكِ أستشفى فكيف تركتِنى ... ولم يبق غير العظم والروح والجلد
وهذى المنايا الحمر ترقص فى دمى ... وهذى المنايا البيض تختال فى فودى

وكنتُ إذا شاكيتُ خففتِ محملى — فهان الذى ألقاه فى العيش من جهد

وكنتُ إذا انهار البناء رفعتِه — فلم تكنِ الأيامُ تقوى على هَدِّى

وكنتُ إذا ناديتُ لبّيتِ صرختى — فوا حَرَبا كم بيننا اليوم من سدٍّ !

وقد كان لى للعطف والحب مسلك — فأغلقتِه دونى فبتُّ بلا ردٍّ !!

ســلام على عينيك ما ذا أجنتا — من العطف والتحنان والحب والود

إذا كان فى لحظيك سيف ومصرع — فمنك الذى يحيى ومنك الذى يردى

إذا جُرِّدا لم يفتكا عن تعمد — وإن أغمدا فالفتك أروع فى الغمد

هنيئاً لقلبى ما صنعتِ ومرحباً — وأهلاً به لو كان فتكك عن عمد

فإنى إذا جن الظلام وعادنى — هواكِ فأبديتُ الذى لم أكن أبدى

وملتُ برأسى كابياً أو مواسيا — وعندي من الأشجان والحب ما عندى

أقبّـلُ فى قلبى مكاناً حللتِه — وجرحاً أناجيه على القرب والبعد

ويا دارَ من أهوى ، عليك تحية — على أكرم الذكرى ، على أشرف العهد

على الأمسيات الساحرات ومجلس — كريم الهوى عف المآرب والقصد

تنادمنا فيــه تباريحُ شاعر — على الدم والأشواك يمشى إلى الخلد

(فبودلير) محزونٌ و (فرلين) بائسٌ — (وميسيه) مجروح الهوى عاثر الجد

(وللمتنبى) غضبة مضرية — وثورةُ مظلومٍ وصيحة مستعدى

دموعٌ يذوب الصخر منها فإن مضوا — فقد نقشوا الأسماء فى الحجر الصلد

وما ذا عليهم إن بكوا وتعذبوا — فإن دموع البؤس من ثمن المجد

ناجى

من أغانى الجسد

ليتنى زورق . . .

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ظَمِئتُ إلى الله يوماً . . . فلَمْ — أجِدْ خمرتى غيرَ هـذا الجَسَدْ

على ثغرِهِ آيةٌ أفلَتَتْ — بأسرارِها مِنْ نبيِّ الأبَدْ

على شَـعرِهِ عـالَمٌ فوقَهُ — وعُودُ الهوى مُبهَماتُ الأمَـدْ

على نحرِهِ هالَةٌ حـدَّثَتْ — برُؤيا مَلاكٍ عليها سَجَدْ

وفى جَفنِـهِ نبأٌ تائهٌ — لغيرِ الهوى فى دمى لم يرِدْ

وفى هُدْبِهِ بَغتَـةٌ عذبَةٌ — كأنى بها ساحِرٌ مُستَبِدّ

وفى قدِّهِ . . . جلَّ بارى الصِّبا — صَـلاةٌ مُقيَّدةٌ فى جَسَدْ

سجا نهرُهُ . . . ليتنى زورَقٌ — مدى العُمرِ فى لُجِّهِ يرتَعِدْ !

وقالَ : الهوى ! قلتُ : هاتِ الهوى — فذاتى بذاتِكَ حُـلْمٌ شَرَدْ

أذِبْنى بنـارٍ تعبَّدتُها — ولمْ يُلهِنى عنْ لظاها أحَـدْ

ظَمِئتُ لها والدُّجى ماردٌ — يُفرِّقُ ما بينَ كأسٍ ويَدْ !

فلمْ تسقِنى غيرَ هذا السَّراب — وهذا العذابِ ، وهذا الكَمَدْ

فعُدتُ بأيامِىَ اللاهثاتِ — صدى آهةٍ فى حنايا كَبِدْ

تباركتَ يا ربُّ ! هذا الجمالُ — طريقٌ إليكَ انتهى واتّحَدْ . . .

محمود حسن اسماعيل



حقائق أدبية وذوقية

أخونا الزيات يخاف أن تصنع الصحافة بالكتاب ما صنعت السينما بالمسرح ، وكان ذلك لأن السرعة السينمائية قضت على التؤدة المسرحية ، وفى التؤدة والتروى فرص للتجويد والتجميل . وسرعة الصحافة قد تفسد الأقلام إفساداً لا تصلح بعده لإجادة التأليف ، وبذلك ينقرض الكتاب ، وهو المرجع الأصيل لتثقيف العقول

حول هذه القضية ثارت آخر معركة بينى وبين الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى سنة ١٩٣٧ ، وكان ميدانه مجلة الرسالة وميدانى جريدة المصرى ، وهى معركة مشئومة فقد أنذرته بالموت فمات قبل أن تنتهى أشواط الصيال .

ومع احترامى لآراء الرافعى والزيات فى هذه القضية فأنا لا أخاف على الأدب من السرعة ، ولا أراها من الجانيات على الإتقان ، ما دامت أثراً من ثورة العقل ، وفورة الطبع ، وما دامت صورة من اصطخاب العواطف واضطرام الأحاسيس .

والحق أن الكاتب الجيد لا يفوته أبداً أن يدقق فى الأسلوب ولو اشتهر بكثرة الإنتاج ، والحق أيضاً أن البطء ليس دائماً من الشواهد على إيثار التروى ، فقد يكون من آثار البلادة الذهنية عند بعض الناس

وبأى حق يخرج الكاتب على روح العصر ؟

العصر الحاضر عصر السرعة ، فكيف نخرج عليه ؟

وكيف نجهل فضل السرعة فى تهذيب الأساليب من أوضار التكلف والافتعال ؟

وهل عُرفتْ مرونة التعبير إلا عند الأدباء الذين قهرتهم سرعة الصحافة على مواجهة القراء فى كل يوم أو كل أسبوع ؟

كان المازنى جاحظىّ الأسلوب قبل أن يشتغل بالصحافة ، ثم جرفته السرعة فصار المازنى الذى نعرف ، المازنى الذى يكتب بلا تزين ولا تهويل ، فى حدود هي الغاية فى البيان

وهل ينسى الزيات نفسه فضل الصحافة عليه ؟

هل كان « وحى الرسالة » إلا دراسات فُرضت عليه فرضاً بحكم السرعة التى يوجبها إصدار صحيفة أسبوعية ؟

وهل كان من الممكن أن يجود ذهنه بذلك المحصول . لو تُرك للظروف التى توحى القول حين تريد ؟

السرعة أدل على الحيوية من البطء ، إلا أن يكون البطء صورة نفسية أصيلة تشبه بطء الطبيعة فى تكوين الجنين

على أنى أنكر أن تكون سرعة الكاتب المبدع من ضروب الارتجال ، فنحن نسرع فى التعبير لا فى التفكير ، لأن محصولنا الذهنى وليدٌ لتأملات قضينا فى ترجيمها شهوراً أو سنين ، فما نكتبه اليوم ليس ابن اليوم إلا من حيث التدوين

ثم أنتقل إلى مناقشة الدكتور عزام فيما سماه « السوقية فى الأدب » وهو ما يسميه الفرنسيون Mercantalisme بجامع الصلة بين الاتجار بالبضائع والاتجار بالآداب

والرأى عندى أن قلوب الجماهير أسواق نشترى فيها ونبيع ، ومن واجبنا أن نكسب تلك القلوب قبل أن يكسبها الدجالون

يجب أن تكون لنا غاية صريحة هى غزو القلوب بالأدب الصحيح ، وهذا الغزو لا يتيسر إلا إن كان للأدب جاذبية روحية تدخل على القلوب بدون استئذان

الأدب الحق هو الذى يضرم فى القلوب والعقول نار الشوق إلى معرفة الحقائق الأدبية والذوقية والعقلية ، وهو الذى يفرض على الجماهير أن تقيم أخلاقها على قواعد من المنطق السليم ، وهو الذى يجعل للحياة غايات روحية لا يفطن إليها غير من يسايرون أقطاب البيان

التجارة لا تعاب وإنما يعاب الربح عن طريق التزييف ، فمن استطاع أن يكسب قلوب الجماهير عن طريق الصدق فهو الأديب الحصيف أو التاجر الشريف

قلوب الناس تضيع من أيدينا ، لأننا لا نفكر فى رياضتهم على إيثار الصدق ، ولأننا نترفع عليهم فلا ندعوهم إلى الحق إلا بتعابير محمَّلة بالكبرياء

متى يصبح الأدب قوتاً لا تطيب بدونه الحياة فى أنظار جميع الأحياء ؟

يكون ذلك يوم يصير الأدب أفصح معبِّر عن سريرة الوجود .

زكى مبارك

(الرسالة) : لو تروى الأستاذ المبارك فيما كتبناه ، لعلم أننا لا نعيب السرعة إلا إذا أعجلت الكاتب فلم يحسن الكتابة ، أو أعجلت القارىء فلم يحسن الفهم

خطأ في رواية حديث

زعم الأب أنستاس ماري الكرملي في دفاعه أنه يتأثر أحسن من نطق باللغة المضرية ... الخ ثم قال :

« فقد قال : ارجعن مأجورات غير مأزورات ، مع ما في مأجورات من الغلط في نظر بعض حمقى اللغويين »(١)

فيا أيها الأب أنستاس ماري الكرملي عضو مجمع ... الخ :

١ — الحديث الذي نقلته خطأ ، فقد قلبت المعنى واللفظ رأساً على عقب . ولفظه كما لا يخفى على أحد هو هذا : « ارجعن مأزورات غير مأجورات . »

٢ — ثم قلت : « مع ما في مأجورات من الغلط في نظر بعض حمقى اللغويين ! ! »

والعدول عن القياس — وحضرتك تسميه بالغلط — ليس في (مأجورات) كما زعمت إذ هي اسم مفعول من الأجر ؛ ولكنه في (مأزورات) لأنها من الوزر ، فالقياس : (موزورات) فاقتضى الذوق والحرس الحسن العدول عن القيس لإتباعها (مأجورات)

٣ — « لو كسرت يراعتك المرضوضة ، وألقيت بها في التنور ، وبقيت ساكتاً إلى أن يفيض التنور ، لكان ذلك أحسن لك ! وأنصحك نصيحة لله : ألا تكتب كلمة قبل أن تتدبرها كل التدبر ثم تعرضها على أصدقائك ، ثم تتأملها ثانية ، وتعرضها على أعدائك ، وحينئذ ابعث بها إلى أصحاب الجرائد والمجلات . وإلا فمثل هذه الخربشة والخربقة لا ترفع قدرك ولا تبقى لك أثراً طيباً ! »(٢)

قلنا ولم يصدق الأب إلا في هذه الكلمة بشرط أن يوجهها إلى من يتخبط في سطر واحد هذه التخبطات الشائنة الشوهاء وله فائق احترامي .

« دمشق » **سعيد الأفغاني**

البيتان لابن الفارض

تساءل الأديب محمد بشير عن صاحب هذين البيتين :

ليت شعري هل كفى ما قد جرى ... مذ جرى ما قد كفى من مقلتي
قد برى أعظم حزن أعظمي ... وفني جسمي حاشا أصغرى

أهو ابن الفارض ؛ لأن البيتين مذكوران في قصيدته اليائية المشهورة التي أولها : (سائق الأظعان يطوي البيد طي) ؟ أم هو المستشرق المعروف « بالمر » كما ذكر الأستاذ عبد الوهاب الأمين في الرسالة (٤٨٦ : ١٠٠٤) ؟

أقول : لا شك أن هذين البيتين من شعر ابن الفارض ، وأنهما من يائيته المعروفة . والدليل الذي لا يقبل الشك في ذلك هو أنهما موجودان في نسخة الديوان التي حررت وصححت بقلم ابن بنت الشيخ عمر بن الفارض نقلاً عن الشيخ كمال الدين محمد ابن عمر بن الفارض . وعلى هذه النسخة كتب الشيخ حسن البوريني شرحاً طويلاً كثير الفوائد وأثبت هذين البيتين وشرحهما . وقد فرغ من شرح القصيدة اليائية سنة ١٠١٠ هـ (١٦٠١ م) . وكذلك أثبتهما الشيخ عبد الغني النابلسي في شرحه وكتب عليهما وقد فرغ النابلسي من شرحه لديوان ابن الفارض سنة ١١٢٣ هـ — ١٧١١ م

فالبوريني شرح البيتين في ديوان ابن الفارض قبل مولد « بالمر » بنحو ٣٣٩ سنة ، والنابلسي شرحهما قبل أن يولد هذا المستشرق بنحو ١٢٩ سنة **برهان الدين الداغستاني**

كلمة أخيرة في اختلاف القراءات

ما كنت أريد أن أعود إلى الكتابة في موضوع اختلاف القراءات بعد كلمة الأستاذ الفاضل عبد العليم عيسى ، ولكني قرأت كلمة للأستاذ الفاضل محمود عرفة يحاول فيها أن يحرف رأيي تحريفاً آخر إلى مذهب القائلين إن القرآن نزل بمعانيه دون ألفاظه وحروفه ، وهو مذهب لم يجئ إلا على ألسنة بعض ذوي المقاصد السيئة من المستشرقين ، مع أنه هو الذي اعتنق مذهب أولئك المستشرقين في كلمته الأولى ، إذ حمل كل ما لا يدخل من القراءات في باب اختلاف اللهجات على التصحيف ، ولم يفرق في ذلك بين قراءات شاذة ومتواترة

ولست أدري كيف يحرف الأستاذ محمود عرفة رأيي هذا التحريف ، مع أنه لا يراد منه إلا توجيه هذه القراءات توجيهاً تظهر به الحاجة إليها في عهد النبوة ، ويقطع الطريق على من يزعم أنها حصلت بتحريف بعدها ، وإني بعد هذا لست أخالف الأستاذ عرفة في أن القرآن كان يؤخذ من النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) العدد ٤٨٧ من الرسالة الغراء

(٢) هذه جملة الأب نفسه قالها في العدد المذكور من الرسالة لبعض الأفاضل .

بالتلقى ، ولكن كثيراً ممن كان يتلقاه لم يكن يحفظه ، فإذا قرأه بعد التلقى فى مخطوط حصل له الاشتباه الذى ذكرته وقلت إن تلك القراءات نزلت لتيسير أمره . ولا شك أن التلقى بشر عرضة للسهو والنسيان ؛ وهذا هو غرضى من رأيى واضح لدى كل منصف

عبد المتعال الصعيدى

حول كتاب ديكارت للأستاذ عثمان أمين

لاحظت فى كتاب (ديكارت) للأستاذ عثمان أمين مدرس تاريخ الفلسفة بكلية الآداب فى الفصل الرابع (ص ١٤٠) المعنون « بالشك المنهجى » فقرات مأخوذة من كتاب (آراء غربية فى مسائل شرقية)[1] تعريب الأستاذ عمر فاخورى ، من الفصل الذى عنوانه : (الغزالى وديكارت) للكاتب الفرنسى شارل سومان (ص ٨٣) دون أن يشير الأستاذ الفاضل إلى هذا الكتاب سواء فى مجموعة المصادر التى ذكرها أو فى الحواشى التى أوردها وإليك نمطاً من الفقرات المتشابهة فى الكتابين :

يقول الأستاذ عثمان أمين فى الصفحة (١٤٠) من كتابه « ديكارت » : اختار ديكارت كما فعل الغزالى من قبل ، أقوى الأسلحة والحجج الجدلية التى جمعها الشكاك اليونان من عهد « سكستوس أمبيريقوس » وسائر أنصار « بيرون » وادخروها فى معاقل المذهب الارتيابى ، وهى الأسلحة التى لجأ إليها « مُنتينى » صاحب « المقالات » المشهورة وبعده « شرّون » فى كتابه « الحكمة » (١٦٠٣)

وفى الصفحة ٨٩ من كتاب « آراء غربية فى مسائل شرقية » نجد الكلمات التالية « فإن الغزالى وديكارت كليهما اختارا أقوى الأسلحة الجدلية التى جمعتها البرونية الإغريقية من عهد سكسيوس وأونسيدام وادخرتها فى ثكنات الشكوكية وهى الأسلحة التى ضرب بها مونتانى وقبله شارون فى مؤلفه (الحكمة) »

وهناك فقرة فى الصفحة (١٤١) من كتاب ديكارت تقول : « استبعد ديكارت شهادة الحواس لأنها تخدعنا أحياناً ، ومن الفطنة ألا نأمن أمناً تاماً لمن خدعنا مرة »

وترجمة الأستاذ عمر فاخورى تقول (ص ٨٧) ما يلى :

« قال ديكارت لما كانت حواسنا تخدعنا وتخوننا أحياناً أردت نفسى على الاعتقاد بأن لا شىء فى حقيقته هو كما تخيله حواسنا ، وقال أيضاً : لقد ثبت لى أكثر من مرة أن هذه الحوادث خادعة فمن الرشد ألا تأمن أمناً تاماً لمن خانك وخدعك مرة »

وقد أخذ الأستاذ عثمان أمين كذلك مقارنة بين فقرة من كتاب المنقذ من الضلال للغزالى ، وفقرة من كتاب التأملات لديكارت وهما نفس الفقرتين اللتين أوردهما شارل سومان وترجمة الفقرة عن ديكارت هى نفس ترجمة الأستاذ فاخورى ، وقد وضع الأستاذ عثمان أمين كل ذلك فى حاشية (ص ١٤٠) و(ص ١٤١) . فلماذا أغفل الأستاذ اسم شارل سومان وعمر فاخورى من بين أسماء مراجعه ؟

« بغداد » **صفاء خلوصى**

(١) وهو كتاب بحجم صغير مطبوع فى مطبعة المفيد بدمشق سنة ٩٢٥

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 494

Lundi - 21 - 12 - 1942

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٩٤ « القاهرة في يوم الإثنين ١٣ ذو الحجة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـــرس

٤ ــ دفاع عن البلاغة

٢ ــ حد البلاغة

قلنا إن البلاغة توجُّه إلى العقل أو إلى القلب أو إليهما معاً تبعاً لما تقتضيه حالات المخاطبين من مقاومة الجهل والرأي والهوى منفردة أو مجتمعة. فإذا كان غرض البليغ نفي جهالة أو توضيح فكرة أو تقرير رأي، جزاه في إصابة غرضه الصحةُ والوضوح والمناسبة. فإذا أراد التعليم أو الإقناع وكان قوام الموضوع طائفة من الفِكَر أو الأدلة وجب عليه أن ينسقها ويسلسلها على مقتضى الأصول المقررة في المنهج العلمي الحديث. أما إذا قصد إلى التأثير والإمتاع لا إلى التعليم والإقناع، كان سبيله أن يتأنق في اختيار لفظه، ويتفنن في تحرير أسلوبه، ويستعين على اجتذاب الأذهان واختلاب الآذان بإبداع الملَكة وإلهام الروح وتشويق المخيِّلة وترويق الفن

والبلوغ إلى قرارة النفوس أخص صفات البليغ في كل ما يكتب. فلو أن كاتباً وقع على طائفة من الحقائق، أو حصل على مجموعة من الوثائق، ثم حققها ونسَّقها وأداها في أجمل لفظ وأجود صياغة؛ ولكنه لم يبلغ بها كنه القلوب كان حرياً أن يُنعت بما شاء من النعوت إلا البلاغة

والسر في ذلك أن ضروب المعرفة إنما تقوم على الملكات المحصلة، وتعتمد على العقل المجرد، وتثبت بالدليل القاطع.

ولكن الإثبات ليس معناه الإقناع ، فإن الإقناع لا يكون بغير السيطرة على النفس ، والسيطرة على النفس لا تتم بغير البلاغة . هي وحدها التي تعتدُّ بالعقل في إدراك الحق ، وبالشعور في إدراك الخير ، وبالذوق في إدراك الجمال . وهي وحدها التي تنفذ إلى القلب بسلطان غير ملحوظ ، وتؤثر في الذهن ببرهان غير ملفوظ ، وتذهب في تصوير الواقع وتقرير الحق مذهب الوحي الإلهي الخالد

فالوظيفة الأولى للبلاغة هي الإقناع من طريق التأثير ، والإمتاع من طريق التشويق ، ولذلك كان اتجاهها إلى تحريك النفس أكثر ، وعنايتها بتجويد الأسلوب أشد . وربما جعلوا سر البلاغة في جمال الصياغة

قال أبو هلال : « وليس الشأن في إيراد المعاني ؛ لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي ، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من أود النظم والتأليف . وليس يُطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً ، ولا يُقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التي تقدمت ... ولهذا تأنق الكاتب في الرسالة والخطيب في الخطبة والشاعر في القصيدة ، يبالغون في تجويدها ، ويُغلون في ترتيبها ، ليدلوا على براعتهم ... ولو كان الأمر في المعاني لطرحوا أكثر ذلك فربحوا كداً كثيراً »

والحق أن أظهر الدلالات في مفهوم البلاغة هي أناقة الديباجة ووثاقة السَّرد ونصاعة الإيجاز وبراعة الصنعة ؛ فإذا كان مع كل ذلك المعنى البكرُ والشعور الصادق كان الإعجاز . وليس أدل على أن الشأن الأول في البلاغة إنما هو لرونق اللفظ وبراعة التركيب ، أن المعنى المبذول أو المرذول أو التافه قد يتّسم بالجمال ويظفر بالخلود إذا جاد سبكه وحسن معرضه . ولا بأس أن أقدم إليك مثلاً من آلاف الأمثلة بلغ معناه الغاية في السوقية والفحش ، ومع ذلك تحب أن تسمعه وتحفظه وتعيده لأنه بلغ من سر الصناعة غاية تظلع دونها أكثر الأقلام

قال أبو العيناء الأعمى لابن ثوابة : بلغني ما خاطبت به أبا الصقر ؛ وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم يرَ عرضاً فيمضغه ، ولا مجداً فيهدمه

فقال له ابن ثوابة : ما أنت والكلام يا مُكدّي ؟

فقال أبو العيناء : لا يُنكر على ابن ثمانين سنة قد ذهب بصره ، وجفاه سلطانه ، أن يعول على إخوانه ... ثم رماه بمعنى فاحش مكشوف . فقال له ابن ثوابة : « الساعةَ آمر أحد غلماني بك » . فقال أبو العيناء : « أيهما ؟ ألذى إذا خلوت ركب ، أم الذى إذا ركبت خلا ؟ »

فانظر في هذه الجملة الأخيرة ترَه رمى ابن ثوابة في نفسه وفي زوجه ، وهما معنيان سوقيان يترددان كل ساعة على ألسنة السبابين من أوشاب العامة ، وإنك مع ذلك تقف من هذه الجملة موقف المشدوه المعجب ، تحرك بها لسانك ، وتعمل فيها فكرك ، وتعرضها على مقاييس البلاغة وشروطها فتطول على كل قياس وتزيد على كل شرط . تأمل هذا الإيجاز البارع بحذف متعلقات الفعلين وفيها جوهر المعنى وإصابة الغرض ، تجد سر البلاغة كله فيه ؛ لأن هذا الحذف مع وضوح المعنى قد نزّه الكلام عن صراحة الفحش ، وصان المتكلم عن ذكر القبيح ، فلو أنه قال خلوتَ بكذا وخلا بكذا ، وركبت كذا وركب كذا ، لانحط الكلام عن مقام البلاغة وصار بهذَر العامة أشبه . وكان بِحَسْب البليغ هذا الإيجاز المشرق ، ولكنه ضم إليه من أنواع البديع (العكس) و (أسلوب الحكيم) فعكس الفعلين ، واستعملهما في معنيين مختلفين ، وكل ذلك في غير تكلف ولا تعسف ولا غموض .

فأنت ترى أن الصياغة وحدها هي التي سمت بهذه المعاني الخسيسة إلى أفق البلاغة فتداولتها الألسن وتناقلتها الكتُب . وليس حال المعنى في ذلك حال اللفظ ؛ فإن اللفظ في ذاته كالموسيقى يخلب الأذن ويلذ الشعور وإن لم يترجم ؛ أما المعنى فكالكهرباء ، إذا لم يكن لفظه جيّد التوصيل انقطع تياره فلا يعرب ولا يطرب . اقرأ قول القائل :

لما أطعناكمُ في سخط خالقنا لا شك سلّ علينا سيف نقمته

ثم وازن معناه الشريف ونسجه السخيف ، بما رويت لك من كلام أبي العيناء ، فلا يسعك إلا أن تقول كما أقول : إن القذر يوضع في آنية الذهب فيُقبل ويحمل ؛ وإن المسك يوضع في نافجة الطين فيرفض ويُهمل .

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

دار الهـــوى

في عيد القمر

للدكتور زكي مبارك

أخي الأستاذ الزيات

هل تذكُر أني وجهت إليك مقالاً من بغداد عن « القلب الغريب في ليلة عيد » منذ نحو أربع سنين ؟ وهل تذكر أني تشوقت إلى دار تحب العيد وتحن إليه لأنها تراني مع العيد ؟

ذلك مقالٌ قبستُه من نار قلبي ، وأخذت مداده من دمي ، وأرسلتُه تحيةً إلى دار عَظُمت ديونُها على قلبي

وإنما وجَّهت إليك ذلك المقال لأثيرَ في روحك التشوُّف إلى تعليل ما تعانى الأرواح من متاعب ليس لها في الظاهر سناد من مطالب المجد في هذا الوجود

فهل فكرت في تعليل هذا المعنى ؟

وهل حاولتَ الدفاع عن الأعمار التي تضيع في تشريح نوازع الوجدان ؟

أنا أطالبك بالرجوع إلى الوجدانيات ، بجانب ما أقبلت عليه من الاجتماعيات ، فقد كاد الأدب يخلو من الحديث عن أوطار الأرواح والقلوب . ولا قيمة للأدب إن أغفل الحديث عن أوطار الأرواح والقلوب

وإليك القصة الآتية :

في حفلة من حفلات إحدى الطوائف المسيحية تسابقَ الحاضرون لتقبيل يد البطريرك ، فرأيته ينهض بقوة ليعانق من يسارعون إلى التسليم عليه ، مع أنه فيما سمعت قد جاوز التسعين

وعندئذ غلبني الفكر الفلسفي فقلت لجاري في المحفل : إن راحة رجال الدين من هموم الحياة تمنحهم طول الصحة والعافية

فقال جاري بتحمس : كيف ترى ذلك وغبطة البطريرك يحمل هموم الطائفة كلها ، ويعنّى نفسه بالدقائق الخفية لجميع البيوت ؟

فقلت : المتاعب الفردية أعنف من المتاعب العمومية ، فالرجل الذي يحمل هموم بيت يُعدُّ أهله بالآحاد أشقى من الرجل الذي يحمل هموم طائفة يُعدّ أبناؤها بالألوف أو الملايين . وهل يحزن وزير المعارف لسوء نتائج الامتحانات العمومية بقدر ما يحزن لو رسب ابنه في الامتحان ؟

إحساسنا الصادق يصدُر عن متاعبنا الذاتية أولاً وقبل كل شيء ، ثم يتفرَّع فيتصل بالمجتمع القريب أو البعيد ، وهل بكى النبي محمد لوفاة أي طفل كما بكى لوفاة ابنه إبراهيم ؟

وإذن يكون من حقي أن أقول إن الأدب الذي يصوّر الذاتيات هو أصدق الآداب ، وهو الآية الباقية على الصدق الأصيل ، فمن الجناية على الأدب أن نشغل أقلامنا بهموم خارجية قبل أن نستوفي التعبير عن همومنا الداخلية

للمجتمع حقوق على القلم البليغ ، يوم يتأثر الكاتب بتلك الحقوق ، ويوم يرى أنه عن تأييدها مسئول أمام الضمير الأدبي لا أمام الناس

وأنت ذلك الكاتب ، يا صديقي ، فاتجاهاتك الاجتماعية تشهد بأنك تحس آلام المجتمع أصدق إحساس ، وسيكون لك في هذا الميدان مكان يحفظه التاريخ

وأنا أرتضي لنفسي ما أرتضي لك ، لولا تلك الدار التي أسرَتْ قلبي عدداً من السنين ، ولم أستطع التحرر من أسرها بأي جهاد

إن تاب الله عليّ من الهيام بتلك الدار فسأجاريك في ميدانك ، وسيطول بيني وبينك السجال ، ولكني أرى الله أكرم من أن يجود بذلك المتاب ، لأن نعمته عليّ في هذه الضلالة أعظم من نعمته بالهداية على من يغضُّون أبصارهم عن سحر الجمال

وهل كان من العبث أن يتفضل الله فينوّع الخلائق بهذا الوجود ؟

إنه نوّع الخلائق لينوّع العواطف

هل تذكر ما تصنع النسائم بالسحاب والرمال ؟

رأيت بالأمس عجباً من العَجب : رأيت سُحُباً مطرزة بسماء « مصر الجديدة » على أظرف ما يكون التطريز . وبدا لي أن أجوب الصحراء في ذلك الوقت فرأيت النسائم صنعت بالرمال ذلك الصنيع

أيعجز قلم الكاتب الصوّال عما يقدر عليه النسيم الجوّال ؟

النسيم يعبث ، وما وُصِف النسيم بغير العبث ، ثم تكون له القدرة على هذا الافتتان ، فكيف نعجز فى الجد عما استطاعه النسيم فى الهزل ؟

الدار التى أهوى تُضلنى وتغل عقلى بأوثق الأغلال

الدار التى أهوى تصنع بقلبى فوق ما تصنع النسائم العوابث بالسحائب والرمال

الدار التى أهوى حُرِمت أضواء المصابيح أكثر من شهرين ، إلى مَعَاد ، أو إلى غير مَعَاد ، فما أدرى ما تُضمر الأقدار لمصاير ذلك الهوى النبيل ، ولا أعرف متى نلتقى طائعين أو كارهين

كلَّ يومٍ لنا عتابٌ جديدٌ   ينقضى دهرنا ونحن غِضابُ

إن تلاقينا ـ ومتى التلاق ـ فستكون لنا شؤون وشجون

إن عادت الدار إلى العهد الذى أعرف فسأكون من الُحجاج فى العام المقبل ، وسأنفق جميع أموالى على الفقراء والمساكين .

ثم ما ذا ؟

ثم أقص على الأستاذ الزيات هذا الحديث :

فى صباح اليوم وأنا فى طريقى إلى الواجب قرأت فى إحدى الجرائد أن المحكمة الشرعية أعلنت أن شهر ذى الحجة يبتدئ بيوم الأربعاء ، فعرفت أننى حُرِمتُ رؤية الهلال ثلاث ليال . ثم خف حزنى حين تذكرت أن القمر غاب عن تلك الدار أكثر من شهرين

ما هذه اللجاجة فى الحب ؟

وما الطمع فى كرم الزمان البخيل ؟

إرجعوا إلى الدار ، دار الهوى ، قبل أن تسمعوا من نذير الأقدار ما لا تحبون

إرجعوا إلى دار الهوى فى عيد القمر غير مأمورين

إرجعوا ، فللدار التى شهدتْ مولد هوانا حقوق

إرجعوا ، فالفضيحة فى غرامي تكريم وتشريف ، لأنى قيثارة الغرام فى ألحان الخلود

عيد القمر آتٍ بعد ليال ، فهل أراكم فى غرة تلك الليال ؟

القمر يفِى ، فهل تفُون ؟

القمر يساير الفصول من شتاء وربيع وصيف وخريف ، فهل تسايرون أحوالى من نزق وطيش وقرار وجمود ؟

أنا أنا ، فهل أنتم أنتم ؟

لقد صبرتُ وصابرتُ لتشهد أحجار تلك الدار أن لها بقايا من الوفاء التى تدّخره كرام القلوب

سينطق الحجر قبل أن تنطقوا ، ولقد نطق فخيّانى ألوف المرات وأنتم فى غيابة العقوق

وماذا تنتظر منى تلك الأحجار ؟

إنها ترجو منى ما أرجو منكم ، ترجو سلاماً من عابر سبيل ، وأنتم هددتم وتوعدتم بأنْ لا لقاء فى غير الفضاء

عودوا إلى الدار ، دار الهوى ، عودوا إليها سالمين غانمين ، فإنى أعدّ لكم قتالاً ألطف وأرفق من السلام

عودوا إلى الدار فى عيد القمر ، وهو آت بعد ليال

عودوا إلىّ فما قلبي بمصطبر   على نواكم ولا فى العمر متسعُ

إن متُّ قبل لقاكم أو فقدتكمُ   قبل الممات لحظى عاثرٌ ظَلِعُ

أنا فى انتظار القمر بعيد القمر ، فهل يعود مع العيد ؟ وهل أشهد كلَف جبينه وهو غضبان ؟

عودوا إلى الدار لا إلىّ ، فقد كادت أحجارها تذوب من نار الاشتياق

يا غاضبين علينا كيف حالكمُ   وكيف دارٌ بها للروح مرتَبَعُ

دارٌ جلَوْنا بها حيناً سرائرنا   كأن أيامها فى صفوها جُمَعُ

لم يُغدق الله فضلاً فاق نعمتهُ   بوصل روحى بكم والشمل مجتمعُ

أما بعد فما رأيُ صديقى الزيات فى هذا الحديث ؟ وهل يرانى فى ضلال وأنا أناجيه بما لا يريد بعد أن هجر صديقه لامرتين ؟

حال العين حال القلب ، وللعيون والقلوب أحوال

وقد أشار طبيبى بنظّارة تمنع التشرد من أضواء عينى ، فمتى يشير طبيبى بنظارة تمنع التشرد من أضواء قلبى ؟

لن يكون لقلبى حدود . لن تكون تلك الحدود ولن تكون ، وسيعجز الطب عن جمع الأشعة من أنوار القلوب

متى نلتقى يا دار هواى ؟ متى ؟

عيدُ القمر آتٍ بعد ليال ، فهل نتقاتل بعد ليال ؟

زكى مبارك

العيد

للأستاذ محمد عرفة

— ١ —

لست مُسرفاً إذا قلت إن كثيراً من الناس يعيِّدون ولا يدركون معنى العيد ، ولا الغرض المقصود منه . لا يدركون من العيد إلا أنه يوم عطلة ، يفرغ الناس فيه من أعمالهم ، ويتفرغون إلى طعامهم وشرابهم ولعبهم ولهوهم

فعلينا أن نعمل لنفهم معنى العيد لنودعه على الوجه الأكمل . إن الناظر إلى أعيادنا الإسلامية التي شرعها الإسلام يرى أنها تكون عقب عبادة طويلة شاقة مضنية ، فيها جهاد للنفس والشهوات . فعيد الفطر يأتي في أعقاب الصيام ، والصيام عبادة شاقة ، فيه منع النفس من شهواتها ، وفيه الصبر عن الطعام والشراب ، فإذا انتهى شهر الصوم حل عيد الفطر ، فيفرح فيه المسلمون ويوسعون على أنفسهم وعيالهم وعلى فقرائهم . وعيد الأضحى يقبل بعد أن كادت تتم أعمال الحج ، وفي الحج سفر طويل ، ونفقة كثيرة ، ومنع النفس من بعض الطيبات ، فإذا جاء عيد الأضحى ذبح المسلمون ذبائحهم ووسعوا على أنفسهم وعيالهم وفقرائهم

ولعلكم بعد هذا قد أدركتم معنى العيد ، وفهمتم سر فرح المسلمين فيه . لعلكم أدركتم أنهم يفرحون في عيد الفطر بشيء سام ، هو النصر : النصر على الشهوات ، لأنهم مكثوا شهراً يمنعون أنفسهم في نهاره عن الطعام والشراب وبقية الشهوات الشهية إلى النفس والمحببة إليها فانتصروا ؛ والنصر على الشيطان ، فقد أراد إغواءهم وإضلالهم ، واستعان على ذلك بالشهوات المنوعة ، والنوازع القوية ، فانتصروا ، لم تتغلب عليهم الشهوة ، ولم يتغلب عليهم الشيطان ، في هذا الكفاح . وما قلناه في عيد الفطر يقال في عيد الأضحى ، فهو عيد النصر : النصر على النفس ، والنصر على الشيطان ؛ وسواء فيه الحاج وغير الحاج ، فالحاج جاهد وصابر واحتمل الآلام واجتاز الأهوال وخرج من المعركة مظفراً منصوراً . وكذلك من لم يحج ، العيد عيدُه ، وهو به جدُّ فرح مستبشر ، وبشرُه بشرُ المسلم بالنعمة تتم على أخيه المسلم ، ونَصْرُه وظفره لأن الله نصر إخوانه الحجاج ، فوفقهم جميعاً لأداء الحج وإتمام عبادة من أسمى العبادات ، ومسرته لأن الله أقدر المسلمين على إتمام موسم الحج ، فلم يمنعهم قاهر ولا متسلط عن إقامته ، فهو مزهوٌّ فخور وفرح مستبشر بعزة الإسلام وتمكين الله له في الأرض

وفي العيد — فوق هذا النصر وذلكم التوفيق — تقوية للروابط الوثيقة بين المسلمين ، لأنهم يشتركون جميعاً في استقباله والترحيب والسرور به ؛ والاشتراك في العاطفة داع إلى المحبة ، واشتراك الجماعة في أمر يعمهم ويشملهم مشعر لهم بأنهم وحدة ، عواطفهم واحدة ، وآمالهم واحدة ، وآلامهم واحدة . ولست تجد أدعى إلى المحبة من الاشتراك ، ولا أدعى إلى التنافر من الاختلاف . ثم هم يشتركون قبل ذلك كله في أيام أعيادهم في شئون الحياة وأمور القوت اشتراكاً يظهرهم في أروع مظهر من مظاهر التضامن الاجتماعي الوثيق ، ففي عيد الفطر يخرج المسلم صدقة الفطر قبل صلاة العيد ، وفي عيد الأضحى يذبح أضحيته ضحى يوم العيد ، ويأخذ الفقراء حقوقهم من الصدقة والأضحية ، فيفرغون إلى العيد واستقباله والفرح به والشعور بجماله ، لا يشغلهم عن ذلك طلب القوت ومشكلات المعيشة ؛ ويعم البشر والسعادة الناس جميعاً ، فالأغنياء يفيضون من سعادتهم وبشرهم على إخوانهم من الفقراء

وفي العيد معان كثيرة أروعها أنه عيد النصر وعيد الظفر على النفس والشيطان ؛ والمسلمون يفرحون بالعيد ، لأن الله امتحن عزائمهم فوجدها قوية ، وصبرهم فألفاه ثابتاً ، وإيمانهم فألفاه راسخاً ، وخرجوا من الامتحان مؤمنين ، أقوياء ، راسخين ، بل خرجوا منه أشد وأعظم شعوراً بمعاني القوة والإيمان .

وهذا المعنى في العيد يجعل الفرح فيه عبادة ، لأن الفرح

نشأة النطق بالكلام

وعلاقته بأصل اللغة وتطورها ولهجاتها

للأستاذ إبراهيم إبراهيم يوسف

مقدمة

أتى على موطن العربية حين من الدهر ، خفى علينا ميقاته ، تضافرت إبانه عصبة من العوامل الاجتماعية القاهرة ، فقست على أبناء العربية قسوة كان من بعض شأنها أن أخرجت فريقاً منهم من ديارهم ، يضربون فى الأرض ، يقتبلون مواطن جديدة ويسيرون فى كل صوب زرافات ووحداناً مهاجرين ساعين فى طلب الرزق . والرأى عندى أن تباعد هؤلاء وتنائيهم عن ديارهم ، وتفرقهم وتشتتهم فى أصقاع مختلفة ، قد حفز الأكثرين نظراً فى بواطن أمورهم إلى البحث فى مآل اللغة التى يتفاهمون بها ، فتبين لهم أن الدهر سوف ينال منها منالاً إذا ما تركوا أمرها للقدر ، وأن لا عاصم لها من قسوته إذا ما تقاعسوا عن تحصين جزئياتها وكلياتها ، وأن لامناص من أن تتستر معالمها ، وتتنكر معارفها ، وتتبلبل ألسن الناطقين بها يوم يخذلونها . وأكبر ظنى أن كانت العربية لذلك العهد قد تبلورت وصارت أكثر ما تكون قرابة للغة الأدب التى ورّثنا إيّاها التاريخ . فعزت على القوم أن تصاب لغتهم بذلك الذى توقّعه أهل الرأى عندهم . ومن ثمّ قام أجلّتهم يحتاطون للأمر ؛ وذهب نفر من علمائهم إلى وجوب وضع دساتير للغة تحميها شر عدوان الزمن ، وتحفظها على طول الأمد ، وما إن استقر الرأى على هذا ، حتى بدأوا العمل به . فكانت هذه فيما أرى ، البداية المباركة فى وضع علوم اللغة للسان العرب

وإذاً ، فقد نشأت هذه العلوم فى كنف من الغموض ، يحجبها عنا عصر خفى علينا زمانه ، واختفى معه كل أثر لمحاولات الأئمة الأول ، تلك المحاولات التى انتهت بهذه الدساتير المسوقة إلينا من نحو وصرف وإعراب وغيره

وكان من الطبيعى أن يجر البحث فى وضع دساتير اللغة إلى محاولة التفلسف فيها . وهكذا كان شأن علماء العربية ، إذ نجد أن بعض الباحثين من علماء العصر الأول الإسلامى لهم فيها مسائل ، ومن بينها مسألة النطق بالكلام . وهذه المسألة إذاً ، ليست وليدة الأبحاث العلمية فى علوم اللغة لعصر من العصور الحديثة ، كما يزعم الزاعمون من رجال العلم فى الغرب ، بل هى — على حد ما وصل إليه تحقيقنا — مسألة ترتقى عند أبناء العربية

بإتمام العبادة عبادة ، والفرح بقهر الشهوات عبادة ، والفرح بالتغلب على الشيطان وجنده عبادة .

هذا المعنى فى العيد يسمو بالعيد عن العبث ، ويجعله معنى سامياً يوحى إلى النفس معنى العزة بالنفس ، ومعنى القوة والغلبة ، ومعنى العظمة والانتصار ، يوحى إلى النفس معنى قوة الإرادة ، ويوحى إلى الناس معنى تثبيت إنسانيتهم ، وأنهم خرجوا عن الأفق الذى تملكهم فيه شهواتهم إلى الأفق الذى يملكون فيه شهواتهم . والنفوس إذا أوحى إليها بما فيها من معان سامية ازدادت فيها رسوخاً ، وحفزها هذا إلى تحصيل غيرها من الخلق الفاضل الكريم

أرأيتم كيف كان العيد معنى إنسانياً سامياً بعد أن كان أمراً حيوانياً ضئيلاً جافاً لا حياة فيه ولا روح ؟ أرأيتم كيف صار شيئاً نافعاً مفيداً يوحى إلى النفوس معانيها من القوة والنصر على الأعداء ، والارتفاع عن أفق الحيوانية المحدود ، بعد أن كان شيئاً مغسولاً من النفع والسمو والخير والإفادة ؟

إنما العيد عيد المجاهدين الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ، فانتصروا على النفس والشيطان ؛ أما هؤلاء الذين غلبتهم أنفسهم وشهواتهم ، وأخلدوا إلى الأرض ، فليس لهم منه إلا الهم والحسرة ، لأن الناس خرجوا منه أقوياء منتصرين ، من حيث مُنُوا هم فيه بالضعف والهزيمة وبالارتكاس والخذلان .

محمد عرفة

إلى أول عهدهم بالقرآن الكريم ، حين أقبلوا على تفسيره ودراسته دراسة لغوية توطئة لفقه دقائق ما جاء به . بل ومن المحتمل غاية الاحتمال أن تكون هذه المسألة أبعد غوراً مما ذكرنا وذلك استناداً إلى ما وضح لنا من أن نشأة علوم اللغة قد سبقت العصر الإسلامى ، وأن التفلسف فيها كان ملازما لنشأتها . وقد يصبح هذا الاحتمال يقيناً لا مرية فيه ، حين تتجه الأبحاث العلمية إلى تحقيق تاريخ وضع دساتير اللغة ، وتنتهى إلى ما تطمئن إليه فى هذه الناحية

وسواء أصحت هذه الدعوى الثانية أم لم تصح ، فليس هذا الذى قام به أفاضل المسلمين الأول من تفلسف فى الأبحاث اللغوية بالأمر اليسير الشأن ، ولا هو بالمستكثر عليهم . فالعرب ، ويشاركهم فى ذلك أبناء الصين ، يفضلون فى رأى جمهرة اللغويين الحديثين ، بقية الشعوب بنزعتهم إلى التفقه فى اللغة . وهذه النزعة هى التى حملتهم على النهوض بالدراسات اللغوية نهوضاً مبكراً ، تجلى أثره فى وفرة ما صنّفه العرب من كتب ورسائل فى علوم اللغة ، كما تبين خبره فى كثير مما تفرق لهم من أبحاث فى مختلف مسائلها جاءت ضمن عدد آخر من موسوع مؤلفاتهم . وليس بغريب — وهذه حالهم — أن نجد فى بعض مصنفاتهم الخاصة بعلوم اللغة ، وكذلك تلك التى لها بعلوم اللغة صلة ، نزعة فلسفية واضحة

ويمكننا القول ، استناداً إلى ما وسعته المكتبة العربية من مصنفات وصلت إلينا ، أن الفخر الرازى كان أول من تقصى آراء المتقدمين ، وذهب إلى نقد فريق ممن تفلسفوا فى هذه المسائل . وأن السيوطى كان أول من عُنى من المتأخرين بإيضاح هذه الناحية ، وعمل على بسط آراء من تقدموه بسطاً مجملاً . وأن جولد تسيهر كان أول من اهتدى من المستشرقين إلى هذا . فلما أن وقف الغربيون على مجرى تفكير العرب هذا ، أكبروا فيهم تفقههم المبكر فى اللغة ، ودهشوا لعناية العرب بهذا الضرب من التفكير الفلسفى ، قبل أن يتقدم إليه أساتذتهم اليونانيون فى الفلسفة

ولعل الذى حدا بالعرب إلى هذا النوع من التفكير الفلسفى ما أثير من قوله تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها » . فذهب جماعة من أهل السنة إلى أن لغة العرب توقيف ووحى . واتفق آخرون من أهل النظر ، وأكثرهم من المعتزلة ، على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح ، وجرّهم هذا الخلاف فى الرأى إلى النظر فى أمر وضع اللغة وأوليتها ومنشئها . وسلكوا فى ذلك مذاهب ؛ فالتزمت فئة منهم التحقيق العلمى لا تميل عنه فى أبحاثها ، واستسلمت فئة أخرى إلى ظنون تعوزها الأدلة ، فراحت تستجدى من الدين المعونة . وكان كلما اتسع الخلاف فى الرأى على هذه المسائل ، كان الاقتراب من الحقيقة أدنى . وكان هذا أقرب للوقوع كلما أحيطت حرية الرأى بسياج من الضمان يكفل ازدهارها . ثم صار ذلك الضمان دستوراً نافذ المفعول للدولة الإسلامية إبان سؤددها . وبقيت حرية الفكر قائمة ، مدعمة من الجميع ، مكفولة للجميع ، فأينعت علوم الدين وعلوم الدنيا . وكانت علوم اللغة إذ ذاك مشاعة بين هذه وتلك . فعلماء الدين يعتبرونها من نصيبهم ، إذ هى دعامة تفهم الديانة . وعلماء الدنيا يعدونها حقاً من حقوقهم ، إذ هى مفتاح سائر العلوم . وهكذا فازت اللغة بما لم تحظ به بقية العلوم ، إذ ارتشفت عصارة فكر الفريقين جميعاً

إلا أن هذا التهافت على خدمة اللغة أصبح لا وجود له ، بعد أن فشا استبداد الرأى فى الحكم والعلم ، وضاق النطاق على حرية القول والفكر . فكان ذلك إيذاناً بانتهاء العصر الذهبى للغة العربية . وما كان ذلك ليقع إلا ويختفى بوقوعه أعمال رهط من جهابذة علماء اللغة . فحيل بينها وبين الظهور أعماراً عديدة ، أو هى اندثرت إلى غير بعث أو نشر . ومن ثم ضاع الكثير من الدرر الغوالى التى ازدانت بها مصنفات اللغة فى العصور الإسلامية المتقدمة ، كما ضاع غيرها للعصر الجاهلى . ولا عجب وقد تمثل لنا بعض ما أصاب لغتنا ، أن يتفق الرأى ، عند أهل التحقيق من أصحاب علم العربية ، على أن الذى انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل . وما كان هذا الحال ليقعد علماء العربية عن واجبهم ، أو ليدفعهم إلى شىء من التفريط فى أمانتهم التى تشرّفوا بحملها . فظهر منهم فى العصور المتأخّرة عدد من المجتهدين أرادوا بعلوم

اللغة خيراً ، فعمدوا إلى ما ورّثه لنا أسلافنا الأول يريدون تنميته وتعزيزه . ولكنهم أبوا أن يسايروا الزمن فيما تطوّرت إليه العلوم ، وما استنبط من طرائق ووسائل للقيام بأبحاث علمية ، اهتدى إليها المفكرون فى الأمم النابهة ، فأصابهم ما أعجزهم عن متابعة السير ، وبقيت علوم اللغة حيث كانت .

والآن ، وقد أصاب العربية الفصحى ما أصابها ، وأدركها الركود ، فباعد بينها وبين أن تفى بحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، أو تفى بمطالب العلوم والفنون فى تقدّمها المطّرد ، فلا سبيل لإحيائها إلا بانتهاج نهج علمي غير الذى سار عليه المتأخرون من أبناء العربية إلى اليوم . وهو وإن يكن فى مجموعه جديداً بالنسبة لنا ، فقد سبقتنا إليه أمم الغرب وبعض أمم الشرق ، لجدت طلائع علمائهم فى دراسة لغاتهم ، وعكف نفر منهم على دراسة لغتنا على أساس من العلم صحيح . وكان أن وفّقوا إلى استنباط علوم جديدة يستكملون بها علوم العربية ؛ فأفردوا لكل من اللهجات والأصوات والدلالات اللفظية والمفردات وتشكل الكلمات والأساليب علوماً قائمة برأسها ، ثم ربطوا هذه العلوم بعضها ببعض . والتزموا فوق هذا وذاك دراسة جميع اللغات الشرقية وغيرها مما له بالعربية صلة ، وذلك توطئةً لدراسة النحو المقارن للغات السامية ، وتوصلاً إلى معرفة أصل الكلمات ونسبها . وفى ذلك كله تيسير لمعرفة التطوّر التاريخي لمعانى الكلمات ، وتذليل لمعرفة التطوّر العامّ للغة . وما كان لهؤلاء الأجلّة من العلماء ليتجشموا كلّ ذلك الذى وجب علينا أن نتجشمه ، إلا ابتغاء الكشف عن أسرار العربية والتشبع بروح هذه اللغة الشريفة . ولكن قد لا يتهيأ لنا ولهم الاستفادة من هذه العلوم ، استفادة ترضى الوجه الصحيح من البحث العلمى ، حتى يخرج لنا المحقّقون ثمين ما صنّفه الأقدمون فى علوم اللغة ، وفى سائر العلوم التى لهـا بالعربية صلة ، وذلك من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات ، على أن تكون طبعات علمية صحيحة

ومن ذلك كله يتضح لنا أن هذا النهج رغم وفرته لا مفر من انتهاجه . وإنه وإن يكن نهجاً وعر المسالك كثير الشعب ، إلا أنه كفيل بإحياء العربية والمدّ فى عمرها أبد الآبدين . فلذا ما صحت عزيمتنا على السير فيه أدينا للعربية أجل خدمة ترتجى لها فى وقفتها هذه . ولا شك أن حب اللغة ، ذلك الحب الذى يفضل به الإنسان الحيوان ، سوف ييسر لنا هذه المهمة الشاقة فيدفعنا إلى تحقيقها دفعاً فى عزيمة صادقة ثابتة ، وبنفس راضية مطمئنة .

وحين يعمل علماؤنا على أداء هذه الرسالة يتبارون ضمناً فى إشعال جذوة الثقافة بين أبناء العربية ، ويساهمون فوراً فى تفجير نهضة صحيحة . وقد ثبت أن لا قيام لنهضة فكرية مالم تبدأ بإنهاض اللغة

وقد أدرك القدامى من أهل التحقيق ذلك ، إذ قالوا : لا تعمر عراص الدين والعلم والأدب إلا بطول عمر اللغة . نعم ، ولكن لا يطول عمر اللغة حتى يحال بينها وبين اكتهالها فشيخوختها ، ولا يقيها شر الشيخوخة إلاّ ضمان فتوّتها ، ولا بقاء لفتوّة إلا مع التجديد ، ولا يكون التجديد حتى يدرك تطورها ، ولا تطور يرتجى حتى يتبين أصلها ونشأتها ، ولا تعرف لها نشأة حتى نهتدى إلى نشأة النطق بالكلام . وهذا ما أرجو أن أحاول بحثه فى غير إطالة متوخياً عقده فى فصول متتابعة .

ابراهيم ابراهيم يوسف
مساعد الأستاذ أ . فيشر
بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

من القصص الإسلامي

جارية البصرة

للأستاذ صلاح الدين المنجد

كانت الجمال تميس مَيَساناً هادئاً ، تحملُ الخليفة الرشيدَ إلى الحجّ . وكان لا بُدّ لها ، وقد بلغت البصرة ، من الوقوف بها ليتمتّع الرَّكْبُ بما فيها من جمال وجلال ؛ فقد كانت هادئة أنيقة ، تستفيقُ على همس النخيل كأنه وسوسة القُبل ، وتنام على دغدغات دِجلة كأنها مُناغاة الأم ، وزغردة الوليد . وكان أهلُها ، إلى ذلك ، من أكثر الناس اقتناء للعاج والديباج ، وكان نساؤها مشهورات بالدلال ، وبيوتها ضاحكات بالفضة باسمات بالذهب ... ونهرُها يفيض متدفقاً صخوباً يتساقط في أوله الرُّطَب ، ويتمايل على حفافيه النخيلُ والقَصب .

ونزل الخليفة ، ومعه جعفر بن يحيي ، ووراءهما حاشية عريضة من المُلَهّين والمغنين والزُّهّاد .

ولم يَرَ الرشيد أن يتحوّل عن هذه المدينة قبل أن يعلم أحوال الناس فيها ؛ فدفع جعفراً إلى الطّواف بها ، ليتحسّس أخبارها ثم يعود فيخبره بما سمع وبما رأى .

فلما عاد عشيّة ذلك اليوم قال له الرشيد : « إيه يا جعفر ! حدّثني بعجيب ما رأيت ... »

قال جعفر : « لقد طوّفتُ في المدينة يا أمير المؤمنين ، فسمعتُ من ناسها ما يشكون وما يرغبون . وكنتُ أعلم كل شيء من غير عناء لتنكري . فلما كنتُ في إحدى الأسواق ، أقبل عليّ نخّاس يبيع الجواري والقيان ، وهَمَس في أذني أنّ لديه جاريةً مغنيّةً تباع ، وأنّ مولاها ممتنع من عَرْضها إلا في داره ؛ فتطلّعت نفسي إلى معرفة أمرها ، وتاقت لرؤيتها ، فمضيتُ معه ... حتى وقف عند باب شاهق يدلّ على نعمةٍ وثراء ، فطَرقه ؛ وإذا شاب حسنُ الوجه ، دقيقُ العود ، عليه قميص ممزّق ، يفتح لنا . فدخلنا إلى دِهليز طويل مظلم ... وانتهينا إلى دار واسعة خراب . فأخرج لنا الفتى من غرفة قطعةً متآكلة من حصير ، ففرشها لنا ، وجلسنا عليها ، ثم مضى ليُحضر المغنّية ، فأخذتُ أفكر في أمر هذه الجارية ، وتساءلت لِمَ تعيش في هذه الخرائب ؟ ومن تكون ... ؟ وماشأن هذا الفتى معها ؟ ... وإذا بها تخرج علينا ، زهراء غيداء ، وعليها القميص الممزّق الذي كان يلبسه الفتى منذ لحظات . فرأيتها صبيحة الوجه ، ميّاسة القد ، حلوة العينين ، ناهدة الثديين ، وأدهشتني ببراعة جمالها ونضارة جسمها ؛ فأمرتها بالجلوس وتقدّمت إليها بالغناء . فضربت على عود ضرباً ما سمعت أرقّ ولا أحلى حلاوة منه ، واندفعت تغنّي :

تمّتْ علينا زفرةٌ صاعدهْ ومَلّنى العائدُ والعائدهْ

فلم أسمع يا أمير المؤمنين أشجى ولا أفجع ولا أطرب من غنائها . ثم أخذت تبكي ، وذرفت دمعاً هاج حزني وكَلَمَ قلبي ، وأرسلت آهات ناعمات من صدر ملوّع وقلب مفجّع . ثم سمعنا فجأة بكاء الفتى من الغرفة المجاورة . فقامت الجارية إليه . وطرق آذاننا صوت بكاء محزن ، وشهيق أليم ؛ ثم سَكَنتِ الأصوات حتى حسبنا أنهما ماتا . فعجبنا من أمرها ، وقلت للنخاس : « ويحك ! قم فانظر ماذا أصابهما ... » وإذا بالفتى يخرج قائلاً : « عفواً يا سادتي ... ! » ثم غلبه البكاء فلم يستطع الكلام . فأشفقتُ عليه وقلت : « ما حالك يا فتي ؟ » فبكى . فأعدتُ عليه السؤال والحثُّ في الطّلب ، فتحرّك وقال :

« نشأت نشأة فريدة مغمورة بالعطف والدلال . وكان أبي موسراً ، أزهرت النعمة في دياره وتدفقت الدنانير عليه . وكنت ألهو في بستان يحيط بالقصر مع هـذه الجارية التي ربتها أمي . فكنا نرتع فوق العشب ، ونغوص في الماء ، ونتسلق النخيل ، ونطلق أنفسنا في لهو الطفولة الحلو . على أني كنت أُحسُّ بانقباض في صدري إذا ابتعدتْ مني ؛ وأشعر بالوحشة تغمرني كلما غابتْ عني ، فلما بلغتُ السابعة وبلغتها ، جيء لي بمؤدب يؤدبني ، وأُتي لها بمغنية تتخرّج عليها . أما أنا فتوفرت على الأدب ألتقط النوادر ، وأحفظ الفرائد ، وأروي الأشعار والأحاديث . وأما هي فقد انقطعت إلى الغناء لتمهر في طرائقه وتبرع في أصواته . فلما أورق غصني ورف صباي ، ازداد حبها

فى قلبى ؛ وخطبنى وجوه أهل البصرة لبناتهم ، وذاع صيتى فى البيوتات ، وأصبحت أمنية العذارى والفتيات ، ورغبن فىّ لفصاحتى وأدبى ووفرة مالى . فأعرضتُ عنهنّ جميعاً وصبوتُ إلى هذه الجارية التى كان الجمال يرتع فى جسمها ، والفتنة تسجو فى عينيها ، فيتحرّق قلبى ويتألم ، ويضوّل جسمى ويرق

لقد كان صوتها ، يا مولاى ، مسكراً ناعماً حلواً . كنت أنتشى فأغمر فمها الحلو الصغير بقبلى . . . أو أجثو أمام قدميها فيزداد طربى ... لقد كان فى صوتها شىء يداعب الروح لا أدرى كنهه ؛ شىء فيه نعومة وشهوة وحنين . فكانت إذا فرغت من الغناء جلست أمامى لأطربها بالأسمار ، وأضحكها بالنوادر ، وأطرفها بالأحاديث

فلما بلغ بها الغناء مبلغاً بعيداً ، عزمت أمى على بيعها ، وهى لا تدرى ما فى نفسى من وجد وشوق . فقامت الدنيا فى عينى ، وتّلجتْ نفسى فى ألوان من الأفعال أقلها الانتحار . ثم قررت أن أصدق أمى خبرى فأخبرتها . فأشفقت علىّ ووهبتْها لى ، وجهزها أبى كما يجهز أهلُ البيوتات بناتهن وجواريهن

ونعمت معها دهراً لهوت بها عن الدنيا وما فيها . وكنت أحب سماع صوتها فى الأماسى والأصابيح تحت ظلال النخيل ، وبين القصب ؛ فكانت تغنينى فأتيه وأغيب . ولكنى وا أسفاه ! لم أصحُ من هدهدات الغناء إلا على نوح النائحات وبكاء الباكيات ؛ فقد مات أبى ، وأنا ما أزال فى ريعان الصبا

وانتقل إلىّ بوفاته ما لا أحصيه من الأموال . على أنى لم أكد أسلو لوعة الفقد الأولى . حتى عاجل الموت أمى . فبكيت وحزنت ، ثم أغوانى الشيطان وقال : ما لك وللحزن ! إن شبابك يفنى وعمرك ينقضى ، فانعَم ولَذّ بجاريتك . فأسأتُ تدبيرَ الأموال ، وعكفتُ على اللهو والقيان ، فتلِفَت نعمتى ، وابتزّت الحسان مالى ، فعشت فى هذه الخرائب كما ترى ؛ بكاء على الماضى وحنين لأيام الهناءة والنعيم

وذرف دمعة ، يا أمير المؤمنين ، وصمت . فقلت له : ثم ماذا ؟ أتمم ... أتمم ...! قال : « وبقيت على ذلك سنتين ، لا نذوق طعم اللحم إلا لماماً . وكانت يا مولاى وفية ، لا تستطيع مفارقتى رغم ما تلاقيه من ضنك العيش ومرارة الإقلال . وكانت تحبنى حباً عنيفاً ، فأدركتنى الشفقة عليها ، وقلت لها : استمعى يا أختاه ! لقد عبست لنا الأيام ، فأصبحنا كما ترين ، وأنت ما تزالين غضة الصبا ، ريانة الشباب ، وأنا آلم لما تكابدينه من البؤس والفقر ، وأعلم أني تألف منى فارقتك ، ولكنى أوثر أن أراك منعمة هانئة ، فدعينى أعرضك على أصحاب الخليفة ، فلعل واحداً يشتريك فتنعمى معه برغد العيش !

فبكت بكاء كله وله وحنين وقالت : « مالى وللطعام ، مالى وللثياب ، وأنت إلى جانبى . أنا أريدك أنت ، أنت وحدك ، لا أريد مالاً ولا ثياباً ... ! » فحزنت وقلقت ، ولكنى خرجت سراً إلى هذا النخاس فأطلعته طِلْعَ أمرىء ، وأعلمته أنى لا أعرِضُها إلا فى دارى لئلا تمتهن بالأسواق ويراها السوقة والعوام .

فلما جئتنا الساعة ، بقيت فى الغرفة ، وألبستها ثوبى الممزق فما عندى ولا عندها غيره . وجلست أبكى . ولما دخلت علىّ بعد غنائها قالت لى : « ألست مللتنى ، وآثرت فراقى ؟ فلم تبكى ؟ بعد هذا علىّ ! » فقلت لها : « إن فراق نفسى أسهل علىّ من فراقك ، وإنما أردت أن أخلّصك من هذا الشقاء ! » قالت : « ألست أنا راضية بهذا الشقاء ؟ » فاضطربت ، وخرجت إليك يا مولاى لأخبرك أنى عدلت عن البيع ! »

واهتز الرشيد لطرافة الأحدوثة وحلاوة الكلام وقال : « ألا فليكن هكذا المتحابون . . . ! فماذا حدث بعد ذلك يا جعفر ؟ »

قال : « تركتهما يبكيان ، وأرسلت صاحب الشرطة ليبتاعها لى غصباً ! » قال الرشيد : « ويحك ! أهكذا تكون المروءة ؟ كيف تفرق بينهما وتشتت شملهما ؟ تعال يا غلام ، قم يا حماد ثم يا جعفر ، ردوا هذين المحبين إلى رغادة عيشهما وهناءة حبهما . اجمعوها بالوئام ، وأفرحوهما باللقاء والسلام ؛ وانثروا هذه الآلاف الثلاثة من الدنانير أمامهما ؛ فليس أثوب من جمع المتحابين ! وإن شاءا فاحملوهما إلينا واخلطوهما بحاشيتنا ؛ فإنهما يستحقان معاشرة الملوك

(دمشق) صلاح الدين المنجد

٥ - خـــــزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد
للأستاذ ميخائيل عواد

(ج) رأس صالح بن مدرك ، رأس جحيش بن ذيال ، رأس غلام لصالح بن مدرك

لا تخلو أخبار الحاج فى كل سنة من أحداث خطيرة تلم بهم يتعمدها قطاع الطرق والفساق ومن خرج على الدولة يومذاك ؛ فتسلب أموالهم ، ويقتل أكثرهم ، ويتيه بعضهم فى بطن الصحراء فيهلك من العطش والجوع والحر . ولا يسلم منهم إلا نفر قليل

فمن تلك الأحداث ما وقع في سنة ٢٨٦هـ ، والخليفة يومذاك المعتضد . ذكر المسعودى أن فى هـذه السنة « ظفر أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمى بصالح بن مدرك الطائى بناحية فَيْد مكراً فى ذهابهم إلى مكة ، وقد كانت الأعراب جمعت لأبى الأغر ليستنقذوا صالحاً من يديه ، فواقعهم فقتل رئيسهم جحيش ابن ذيال وجماعة معه وأخذ رأسه ، فلما علم صالح بن مدرك بقتل جحيش بن ذيّال يئس من الخلاص من يد أبى الأغرّ ؛ فلما نزل المنزل المعروف بمنزل القرشى أتاهم غلام بطعام فاستلب منه سكيناً وقتل نفسه ، فأخذ أبو الأغر رأسه وأظهره بالمدينة فتباشر الحاجّ . وكان لأبى الأغر فى رجوعه وقعة عظيمة اجتمع هو ونحرير وغيرهما من أمراء قوافل الحاج مع الأعراب ؛ وكانت الأعراب قد اجتمعت وتحشّدت من طيْ وأحلافها ، فكانت رجّالتها نحواً من ثلاثة آلاف راجل ، والخيل نحو من ذلك ، فكانت الحرب بينهم ثلاثاً وذلك بين معدن القرشى والحاجر ، ثم انهزمت الأعراب وسلم الناس . وكان ممن تولى بأبى الأغر الحيلة على صالح بن مدرك سعيد بن عبد الأعلى ، ودخل أبو الأغر مدينة السلام وقدّامه رأس صالح وجحيش ، ورأس غلام لصالح أسْوَد ، وأربعة أسارى وهم بنو عم صالح بن مدرك . فخلع السلطان فى ذلك اليوم على أبى الأغر وطوقه بطوق من ذهب . ونُصِبَتْ الرؤوسَ على الجسر من الجانب الغربىّ ، وأُدخِلَ الأسارى المطبق »[1]

(د) رأس ابن الرضا :

وابن الرضا هذا ، هو محسن بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد ، ظهر « فى أعمال دمشق فى سنة ثلاثمائة ، وكانت له مع أبى العباس أحمد بن كيغلغ وقعة ، فقتل صبراً ، وقيل قُتل فى المعركة وحمل رأسه إلى مدينة السلام ، فنُصب على الجسر الجديد بالجانب الغربى »[2]

٥ — تعليق الرءوس بازاء دار الخلافة العباسية ببغداد :

(ا) رأس بزبه

روى خبره ابن الجوزى فى حوادث سنة ٥٤٢ هـ قائلاً :

« ... وورد الخبر أن بزبهْ راسل شحنة أصبهان فاستماله ورحل إليها ومعه محمد شاه . وكان السلطان مسعود مقيماً بهمذان وعساكره قليلة ؛ فأرسل إلى عساكر آذربيجان فتأخروا عنه ، فسار بزبه من أصبهان سيراً يمهل فيه ، فلما قاربها وصلت عساكر آذربيجان إلى السلطان ، وكان بزبهْ قد جاء جريدة فى خمسة آلاف فارس ، فضرب على عسكر السلطان فكسر الميمنة والميسرة ، وكان مسعود قد تأخّر عن المصاف فى ألف فارس ، وكان عسكره عشرة آلاف ، فاشتغل عسكر بزبه بالنهب والقتل ، فجاء مسعود فحمل عليهم ، فالتقى هو وبزبهْ ، فكبت الفرس ببزبهْ فوقع ، فجيء به إلى مسعود فقطع نصفين ، وجيء برأسه فعُلّق بإزاء دار الخلافة ... »[3]

٦ — تعليق الرءوس فوق باب النوبى[4]

(ا) رأس ابن سنط :

من الأخبار الواردة إلى بغداد فى شعبان من سنة ٥٦٩ هـ :

---

(١) مروج الذهب ٨ : ١٩١ — ١٩٣
(٢) مروج الذهب ٨ : ٢٧٩
(٣) المنتظم ١٠ : ١٢٤
(٤) باب النوبى : أحد البابين الكبيرين للحريم من دار الخلافة العباسية ببغداد ، وكان فى سور الدار شرقى باب بدر . ودعى أيضاً : « باب العتبة » ، وهى أقرب العتبات إلى الداخل ، وعندها كان مقام =

« أن ابن أخى شملة التركانى ويعرف بابى سنكا قد استحدث قلعة فى ولاية باذرايا بقرب من قلعة الماهكى ، ليتخذها ذريعة إلى الإغارة على البلاد ، ونقل إليها الميرة ؛ فبعث السلطان إليه الجيوش فالتقوا ، فحمل بنفسه عليهم ، فطحن الميمنة ، فتقدم قيماز العميدى إلى الأمراء فحثهم على خوض الماء ، وكان قد فتح البثوق يحتج بها ، فخاض قيماز ومعه جماعة ففرقوا ثم اقتتلوا ، وأسر ابن سنكا ، ثم قُتِل وجيء برأسه فَعُلِّق بباب النوبة [كذا والصواب : النوبى] ... »[1]

(ب) رأس طغرلبك[2] السلجوقى :

هو السلطان طُغرُلبَك شاه بن أرسلان شاه بن طغرل شاه ابن محمد بن مَلِكْشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سَلْجوق السلجوقى آخر ملوك السلجوقية بالعراق[3] كان سفاكاً للدماء وقد هابته الملوك . قتل وزيره رضى الدين الغزنوى ونخر الدين العلوى رئيس همذان . وكان مصرعه فى سنة ٥٩٠ هـ . قال ابن كثير فى حوادث هذه السنة : « وفيها ملك السلطان خوارزم شاه تكش — ويقال له ابن الأصباعى — بلاد الرى وغيرها ؛ واصطلح مع السلطان طغرلبك السلجوقي ، وكان قد تسلّم بلاد الرى وسائر مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه ، وعظم

= الخليفة ، والعتبة هذه هى التى تقبلها الرسل والملوك إذا قدموا بغداد ؛ وهى اسطوانة من الرخام الأبيض موضوعة أمام الباب الداخلى . وكان باب النوبى هذا فى بعض الزمن الباب الرئيسى لقصور دار الخلافة . راجع : معجم البلدان طبعة وستنفلد ١ : ٨٩٦ مادة توماثا ، و ٢ : ٥١٩ — ٥٢٠ مادة دار الريحانيين ، وبغداد فى عهد الخلافة العباسية ، تأليف «لسترنج» ص ٢٣٢ — ٢٣٣ ؛ الترجمة العربية

(١) المنتظم : ١٠ : ٢٤٤

(٢) ضبطه ابن خلكان : بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وضم الراء وسكون اللام وفتح الباء وبعدها كاف . أما ابن تغرى بردى : (النجوم الزاهرة ٦ : ١٣٥ — ١٣٦ طبع دار الكتب المصرية) : فقد أسماه طغريلبك : بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وبعدها ياء ولام ساكنتان ؛ وهو اسم باللغة التركية لطائر معروف عندهم . و « بك » هو الأمير

(٣) أنظر أخباره فى النجوم الزاهرة ٦ : ١٣٤ — ١٣٦ ، أما طغرلبك أول ملوك السلجوقية فقد كان كريماً حليما ، ولا يرى القتل ، ولا يسفك دما ، ولا يهتك محرما . وكان مبدأ حكمه فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة للهجرة

وقد ملك من هؤلاء السلاجقة نيف وعشرون ملكا ، ومدة ملكهم مائة وستون سنة .

شأنه . ثم التقى هو والسلطان طغرلبك فى شهر ربيع الأول من هذه السنة ، فقُتِل السلطان طغرلبك ، وأرسل رأسه إلى الخليفة فعُلِّق على باب النوبة [كذا والصواب : النوبى] عدة أيام ... »[1]

٧ نصب الرءوس على باب العامة[2]

(ا) رأس هرون بن غريب الخال ، رؤوس جماعة من قواده

وهرون هذا هو ابن خال المقتدر بالله . كان ذا شأن كبير فى أيام المقتدر والقاهر ، ولما بلغه خلع القاهر وتقليد الراضى الخلافة ؛ وكان يقيم بالدينور — وهى قصبة أعمال ماه الكوفة — متقلداً أعمال الماوين بها ، وبمسبذان ومهرجا نقذق وحلوان ؛ رأى أنه أحق بالدولة من غيره لقرابته من الراضى ، فغلظ ذلك على ابن مقلة الوزير ، وعلى محمد بن ياقوت صاحب الشرطة ، وعلى الحجرية والساجية والمؤنسية ، فسار إلى بغداد حتى وافى خانقين فخاطبوا بأجمعهم الراضى ؛ فقال : أنا كاره له فامنعوه من دخول الحضرة وحاربوه إن أحوج إلى ذلك[3]

وهكذا اشتعلت الحرب بين هؤلاء ، وبين هرون وأصحابه حتى كان فيها هلاكه . قال مسكويه فى رواية مقتله : « ولم تزل الحرب غليظة إلى أن قارب انتصاف النهار ، وركب هرون بن غريب مبادراً ، وسار منفرداً عن أصحابه على شاطىء نهر بين يريد قنطرته لما بلغه أن ابن ياقوت قد عبر القنطرة ، وقدر أنه يقتله أو يأسره ، فتقطر به فرسه فسقط منه فى ساقية ، فلحقه يمن غلامه فضربه حتى أثخنه بالطبرزينات ، ثم سل سيفه ليذبحه فقال له هرون : يا عبد السوء أنت تفعل هذا وتتولى بيدك قتلى أى شىء أذنبت به إليك ؟ فقال له : نعم أنا أفعل بك هذا وحز رأسه ورفعه وكبر فتبدد رجال هرون ... وسار محمد بن ياقوت

(١) البداية والنهاية ١٣ : ٩

(٢) باب العامة : هو الباب الآخر الكبير من أبواب دار الخلافة العباسية ببغداد ؛ وكان يعرف أيضاً « بباب عمورية » ، وقيل إن أبوابه الحديدية الضخمة جاء بها المعتصم إلى بغداد من عمورية فى حدود سنة ٢٢٣ هـ ، والظاهر أن باب العامة هذا كان المدخل الرئيسى إلى أراضى القصر الحسنى انظر باب العامة هذا فى : الطبرى ٣ : ١٣٩٤ ، ١٤١٩ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٥٠٣ ، وتجارب الأمم ٥ : ٣١٩ ، والمنتظم ٦ : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٧٦ ، ولسترنج ص ٢٣٣ — ٢٣٤ ؛ الترجمة العربية

(٣) تجارب الأمم ، ٥ : ٣٠٦ — ٣٠٧

إلى موضع جثة هرون فأمر بحملها إلى مضربه فحملت وأمر بتكفينه ودفنه . ودخل بغداد وبين يديه رأس هرون وعدة من قواده فأمر الراضي [١] بنصب الرؤوس على باب العامة » [٢]

٨ – نصب الرءوس على أسوار السجون ببغداد

(١) رأس أبي يزيد خالد بن محمد الشعراني

ذكر قصته الطريفة عريب بن سعد القرطبي في مدار كلامه على أخبار بني العباس في سنة ٣٠٤هـ ، فقال : « وفي المحرم من هذه السنة ورد كتاب صاحب البريد بكرمان يذكر أن خالد بن محمد الشعراني المعروف بأبي يزيد ؛ وكان على بن عيسى الوزير ولاه الخراج بكرمان وسجستان ، خالف على السلطان ، ودعى أميراً وجمع الناس إلى نفسه ... فكتب المقتدر إلى بدر الحمامي في إنفاذ جيش إليه ومعاجلته ، فوجه إليه بدر قائداً من قواده يعرف بدرك ، وكتب بدر قبل إنفاذ الجيش إلى أبي يزيد الشعراني يرغبه في الطاعة ، ويتضمن له العافية مع الأنهاض في المنزلة وخوفه وبال المعصية فجاوبه أبو يزيد : والله ما أخافك ، لأني فتحت المصحف فبدر إلى منه قول الله عز وجل (لا تخاف دركا ولا تخشى) [٣] ومع ذلك فني طالعي كوكب يبانى لا بد أن يبلغنى غاية ما أريد . فأنفذ بدر الجيش إليه ، وحوصر حتى أخذ أسيراً فقيلت فيه أشعار منها :

يَابَا يَزيد قاتل البُهتانِ لا تَغتَرر بالكوكب اليَبْيباني

واعلم بأن القتل غاية جاهلٍ باع الهدى بالبغى والعصيانِ

قد كنت بالسلطان عالىَ رتبةٍ من ذا الذى أغراك بالسلطان

ثم أتى الخبر بأن أبا يزيد هذا مات في طريقه ، فحمل رأسه إلى مدينة السلام ، ونصب على سور السجن الجديد » [٤]

(١) قال ناشر تجارب الأمم : « وفي الأوراق : فجيء برأسه إلى الراضي فأظهر سروراً بذلك وسلمه إلى أهله ، فدفن بقرب قبر أبيه في قصر عيسى بن على في الكرخ في الجانب الغربي »

(٢) تجارب الأمم (٥ : ٣٠٩) ؛ وذكر ابن الأثير هذه الحادثة في سنة ٣٢٢هـ : (الكامل ٨ : ٢١٥ — ٢١٦ ؛ أوربة = ٨ : ٩٩ — ١٠٠ ؛ بولاق)

(٣) كمال الآية : « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركا ولا تخشى (سورة طه ٢٠ : ٧٦)

(٤) صلة تاريخ الطبرى (ص ٦٠ — ٦١ طبع ليدن)

(ب) رءوس ثلاثة رجال من أصحاب الحلاج :

بعد مقتل الحلاج تفرق أصحابه أيدى سبأ : فمنهم من ذهب إلى خراسان ، ومنهم من بقى في العراق متوارياً عن الأنظار ، بينا رجال الشرطة وأصحاب الأخبار لا يألون جهداً في البحث عنهم . فمن أخبارهم في سنة ٣١٢هـ أن نازوك ، وكان يومئذ صاحب الشرطة « جلس في مجلس الشرطة ببغداد ، فأحضر له ثلاثة نفر من أصحاب الحلاج ، وهم حيدرة والشعراني وابن منصور . فطالبهم بالرجوع عن مذهب الحلاج فأبوا ؛ فضرب أعناقهم ثم صلبهم في الجانب الشرقي من بغداد ، ووضع رؤوسهم على سور السجن في الجانب الغربي » [١]

(يتبع) ميخائيل عواد

(١) المنتظم (٦ : ١٨٩)

٤٦ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

الفصل الرابع عشر

الصناعة

من المحزن أن يوازن المرء بين فقر مصر الآن ، وبين رخائها قديماً حينما كان اختلاف الصناعات وأناقتها وإتقانها تثير إعجاب الأمم المجاورة . وكان المصريون في غنى عن التجارة الخارجية لتنمية الثروة أو زيادة الرفاهية . وقد دل الكشف عن الآثار على أن المصريين انفردوا إلى حد كبير في السمو بالفنون في عهد موسى وقبل ذلك أيضاً . ولم يكن الفراعنة والكهنة وقواد الجيش في تلك الأزمنة الغابرة يعيشون وحدهم في ترف رفيع ويلبسون أرق الأنسجة الكتانية ويجلسون على سرر وكراسي نستخدمها نماذج لأثاث أبهائنا الحديثة ، بل كان الكثير من أغنياء المزارعين وغيرهم من الأفراد كأولئك . ولا تزال الطبيعة تجود بنعمها على سكان وادي النيل ، كما كانت في قديم الزمن . غير أن المصريين لم يعودوا ينعمون لعدة أجيال بحكومة مستقرة ، فكان كل من الولاة المتعاقبين في هذه المدة الطويلة يعمد إلى تنمية ثروته الخاصة ، لعدم توطد ولايته . وهكذا هلك بالتدريج كثير من المصريين وقضى على الباقين أن يعيشوا في عوز أليم . وإذ كان الذكور من السكان يكاد عددهم يزيد على القدر اللازم لزراعة الأراضي التي يغمرها الفيضان أو يسهل ريها بالوسائل الصناعية ، كان عدد هؤلاء الذين يحترفون الصناعة في هذا البلد شديد القلة نسبياً . ولا تنم أعمال المصريين عن براعة كبيرة لقلة التنافس وعدم تشجيع الأغنياء . غير أن انحطاط الصناعات اليدوية يرجع إلى حد بعيد إلى سبب آخر وهو أن السلطان سليم التركي بعد أن غزا مصر نقل على ما قال الجبرتي[1] عدداً كبيراً من البارعين في الحرف التي لا تُمارس في تركيا فقضى بذلك على أكثر من خمسين صناعة يدوية في مصر

حرم الإسلام كما سبق أن بينت ، استخدام التصوير والنحت في رسم الأحياء ، غير أن بعض المسلمين المصريين يحاول رسم الرجال والأسود والجمال وغيرها من الحيوان والزهور والقوارب وذلك على الأخص لزخرفة واجهات الحوانيت وأبواب الحجاج كما يقولون ، وإن كانت محاولاتهم هذه تفوقها رسوم صغار الأطفال عندنا . ولكن الدين الإسلامي يسر الصناعة خاصة باستلزامه أن يعرف كل امرئ فناً أو عملاً يمكنه وقت الضرورة من سد حاجته وإعالة من يتولى أمرهم والقيام بواجباته الدينية والأدبية . ويبرع المصريون على الأكثر في فن العمارة ، فتجد أجمل نماذج العمارة العربية في العاصمة المصرية وضواحيها . وليست المساجد والأبنية العامة الأخرى وحدها هي التي تستحق الاعتبار لعظمتها وجمالها ، ولكن الكثير من المساكن الخاصة أيضاً تثير الإعجاب ولا سيما هيئتها الداخلية وزخرفها . على أن هذا الفن كأغلب الفنون الأخرى انحط كثيراً في السنوات الأخيرة ؛ فقد أخذ المصريون عن الأتراك طرازاً جديداً ساذج الشكل بعضه شرقي وبعضه أوربي وفضلوه على العربي . وتنم الأبنية ذات الطراز القديم ، أبوابها وسقوفها وبلاطها ، التي سبق وصفها ، عن ذوق فريد . وكذلك أكثر الصناعات المصرية تنم عن الذوق وإن كان الكثير منها ينقصه الإتقان . وكان الخراطون ، وشغلهم الأول عمل الشبابيك ، كثيري العدد ، وكان عملهم حينذاك أكثر إتقاناً : أما الآن فقد قلت أعمالهم ، لأن نوافذ

---

(١) في ابتداء كتابه (المؤلف)

قال الجبرتي في الجزء الأول من تاريخه عند ذكر ملوك الجراكسة : « وأخذ (أي السلطان سليم) صحبته ما انتقاه من أرباب الصنائع التي لم توجد في بلاده بحيث أنه فقد من مصر نيف وخمسون صنعة » (المترجم)

المنازل الحديثة تصنع من الزجاج . ولا يظهر المصريون المحدثون في صناعة الزجاج التي اشتهروا بها قديماً مهارة كبيرة ، فقد انحط عندهم فن الزجاج الملون ؛ غير أنهم لا يزالون موضع الإعجاب في صناعة النوافذ الزجاجية وإن لم يكن ذلك بقدر ما كان في السنوات الماضية قبل أن ينقص تفضيل الطرز الجديد من أعمالهم . والصناعة الخزفية في مصر غليظة ، وهي تشمل عمل القلل والجرار لحفظ المياه وتبريدها . ويستحق المصريون الشهرة التي نالوها في مهارة إعدادهم السختيان . ويستعمل المصريون السعف وأوراق النخيل في صناعات مختلفة فيصنعون من السعف الأقفاص والكراسي والصناديق والسرر الخ ... ومن الأوراق السلال والقفف والحصر والمكانس والمذبات ، وغير ذلك من الآلات . ويفتلون من ألياف النخيل أكثر الحبال المصرية . ويصنعون أحسن الحصر التي يستخدمونها صيفاً بدل البسط ، من البردي . وقد فقدت مصر الشهرة التي نمت بها قديماً في صناعة الكتان الرقيق ؛ فالملابس الكتانية والقطنية والصوفية التي تغزل في هذا البلد غليظة الصنف حقيرته

اشتهر المصريون طويلاً في صناعة التفريخ . ويبدو أن هذه الصناعة كانت شائعة في مصر في سالف الأزمنة وإن وصفها الكتاب الأولون وصفاً غامضاً . وهم يطلقون في الوجه البحري على البناء الذي يتم فيه التفريخ « معمل الفراخ » وفي الصعيد « معمل الفروج » . وفي الوجه البحري أكثر من مائة معمل ، وفي الصعيد أكثر من نصف ذلك العدد . ويعين أغلب مراقبي هذه المعامل إن لم يكن جميعهم من الأقباط . وتفرض الحكومة على هذه المعامل ضريبة . ويبنى المعمل بالآجر أو اللبن ويتكون من أفران ومواقد صغيرة للنار على صفين متوازيين يفصل بينهما دهليز معقود ضيق . ويبلغ حجم كل من الأفران تسع أقدام أو عشرا طولاً تقريباً ، وثماني أقدام عرضاً ، وخمسا أو ستا ارتفاعاً . ويعلو كلا منها موقد مقبو لا يختلف عنها حجماً والأفضل أن يكون أقل ارتفاعاً . ويتصل الفرن بالدهليز بواسطة فتحة تسمح للانسان بالدخول كما يتصل الموقد بفتحة مماثلة . وتتصل المواقد في الصف نفسه بعضها ببعض أيضاً ولكل كوة في قبوه لمرور الدخان ولا تفتح إلا عرضاً . وكذلك الدهليز يوجد به عدة كوى كالسابقة في سقفه المعقود . ويوضع البيض في الأفران ، فوق الحصر أو على القش عادة ، على طبقات ثلاث يعلو بعضها بعضاً . ويحرقون السرقين (الجلة) في المواقد التي تعلو الأفران ثم يقفلون مدخل المعمل بإحكام . ويتقدم المعمل حجرتان أو ثلاث حجرات صغيرة للمراقب والوقود والفراخ الناقفة حديثاً .

ويجرى هذا العمل شهرين أو ثلاثة في صيف كل عام . ويبدأ التفريخ مبكراً في الصعيد . ويشمل كل معمل بين اثني عشر وأربعة وعشرين فرناً ، ويتلقى حوالي مائة وخمسين ألف بيضة في الموسم السنوى ، يخيب منها ربعها أو ثلثها . ويورد الفلاح البيض فيفحصه المراقب ويناول الفلاح عادة مقابل كل بيضتين فرخة صغيرة . ويستعمل نصف الأفران في الأيام العشرة الأولى ، وتوقد النار في المواقد العشرة التي تعلوها ، ثم تطفأ في اليوم الحادى عشر . وتوقد المواقد الأخرى ويوضع البيض الطازج في أسفل الأفران . وفي اليوم التالى ينقل بعض البيض من الأفران السابقة ويوضع في رماد مواقدها . وتظل الحرارة أثناء العملية بين مائة ومائة وثلاث درجات بقياس فارنهايت . ويعرف القائم بهذا العمل من تجاربه الطويلة الحرارة اللازمة لنجاح العملية دون الاستعانة بآلة ترشده لتعوده هذا العمل من صغره . وفي اليوم العشرين ينقف بعض البيض الموضوع أولاً . ولكن أغلبه يفرخ في اليوم الحادى والعشرين . وتوضع الفراريج الضعيفة في الدهليز وما بقى يوضع في أقصى الغرف الداخلية حيث تبقى يوماً أو اثنين قبل أن تسلم إلى مستحقيها . وعند ما تنقف البيضات الأولى ونصف الثانية تتلقى الأفران التي كانت فيها دفعة ثالثة ، ثم توضع دفعة رابعة بالطريقة نفسها عند ما تفرخ الدفعة الثانية . ولا يقل الدجاج الذى نقف بهذه الطريقة طعماً عن دجاج البيض الذى يحتضن طبيعياً . ويقل دجاج مصر وبيضه في كلتا الحالتين حجما وطعماً عن دجاج بلادنا وبيضه . وقد وجدت في إحدى الجرائد المصرية التي تنشر بأمر الحكومة (العدد ٢٤٨ : ١٨ رمضان سنة ١٢٤٦ ، ٣ مارس سنة ١٨٣١) الإحصاء التالى :

	الوجه البحرى	الوجه القبلى
عدد معامل التفريخ في العام الحالى	١٠٥	٥٩
عدد البيض المستخدم	١٩٬٣٢٥٬٦٠٠	٦٬٨٧٨٬٩٠٠
عدد البيض المعطوب	٦٬٢٥٥٬٨٦٧	٢٬٥٢٩٬٣٦٠
عدد البيض المفقس	٣٬٠٦٩٬٧٣٣	٤٬٣٤٩٬٢٤٠

لا تزال تجارة مصر عظيمة وإن انحط شأنها كثيراً منذ اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بين أوربا والهند، ونتيجة لسياسة محمد على وخلفائه باحتكار التجارة والاستيلاء على البضائع. وقد تقدمت التجارة كثيراً في السنوات القليلة الأخيرة لاستخدام البواخر الكثيرة بين الأسكندرية وانجلترا وفرنسا والنمسا من ناحية، وبين السويس والهند من ناحية أخرى، وبإنشاء السكك الحديدية في الوجه البحري.

تستورد مصر الأقمشة الصوفية من أوربا ومن فرنسا خاصة، والشيت والموصلي الساذج والمصور للعمائم من اسكتلندة، والحرير والمخمل والكريشة والشيلان المقلدة عن الكشميرى من سكوتلندا وانجلترا وفرنسا، وورق الكتابة من البندقية خاصة، والأسلحة النارية والنصال المستقيمة من ألمانيا وتستورد هذه للنوبيين الخ. والساعات والفناجين والأواني الخزفية والزجاجية المختلفة وأغلبها من ألمانيا والخردة والألواح الخشبية والمعادن والخرز والنبيذ وغيره من المشروبات. وكذلك يستوردون الرقيق الأبيض والحرير والمناديل والفوط المطرزة ومبامم الشبك والبوابيج وضروبا من السلع المصنوعة والأدوات النحاسية والبرنزية الخ.

من الآستانة، ويستوردون من آسيا الصغرى البسط وسجاجيد الصلاة والتين الخ، ومن سورية الدخان والحرير المخطط والعباءات والصابون، ومن جزيرة العرب البن والتوابل وعقاقير عديدة والسلع الهندية كالشيلان والحرير الموصلية الخ، ومن الحبشة وسنار أقراص التمر الهندى والصموغ والسنا المكى، ومن الغرب، أى شمال أفريقية غرب مصر، الطرابيش والبرانس والأحرمة وأحذية الجلد السختيان الأصفر.

وأهم ما يصدر إلى أوربا القمح والذرة والأرز والفول والقطن والعنب واللب والنيلج والبن والتوابل المختلفة والصموغ والسنى والعاج وريش النعام، وإلى تركيا العبيد السود والأحباش ذكوراً وأناثاً والأغاوات والأرز والبن والتوابل والحناء الخ، وإلى سوريا العبيد والأرز الخ، وإلى جزيرة العرب الحبوب خاصة وإلى سنار والبلدان المجاورة القطن والكتان والصوف وبعض الحرير المخططة السورية والمصرية والأبسطة الصغيرة والخرز وحلى أخرى، والصابون والسيوف المستقيمة السابق ذكرها والأسلحة النارية والأدوات النحاسية وورق الكتابة.

(يتبع)

محمد طاهر نور

بين الحب والخلد

سلمى

للأستاذ علي شرف الدين

حنينُ فؤادٍ عادَ لي منهُ ما بدا وكم رائحٍ يأتي بأخبارِ من غدا
بقيّةُ دمعٍ في جفوني تنبّهتْ وآثارُ جمرٍ في ضلوعي توقّدا
وقد كنتُ ودّعتُ الهوى وشجونَهُ
فلمّا رأتْ عيناي (سلمى) تجدّدا
قصيدةُ شعرٍ صاغها اللهُ فتنةً سماويّةُ الألحانِ علويّةُ الصدا
يطوفُ بها في رفرفِ الخلدِ طائرٌ
إذا لاحَ ضوءُ الصبحِ راحَ مغرّدا
وزهرةُ روضٍ قبّلَ الفجرُ ثغرَها
وألقى لها في جيبِها العطرَ والندا
أرقُّ من الأطيافِ في قلبِ راهبٍ
تبتّلَ حتى صارَ روحاً مجرّدا
وأجملُ من عرسِ الربيعِ بربوةٍ
وأروعُ من فجرٍ على الريفِ قد بدا
تودُّ النجومُ الزهرُ لو كان نظمُها على جيدِها المطلولِ عقداً منضّدا
وطيرُ مروجِ الريفِ لو نالَ لحنَها مع الصبحِ من سلمى حديثاً مردّدا
فيا ظبيةَ الفردوسِ فرّتْ ولم تعدْ
عجبتُ لمن لا يرتضي الخلدَ معهدا
ويا فرحةَ الدنيا التي هزَّ بشرُها جوانحَ قلبٍ كان للحزنِ معبدا
ويا سلوةَ المحزونِ ضاعَ جهادُهُ
حوى شبحاً نضواً وفكراً مشرّدا
ويا أملَ المظلومِ عفّرَ حظَّهُ فعادَ كسيرَ القلبِ حيرانَ مجهدا
لئن حجبتْ نجمي على الأفقِ غيمةٌ
فقد ملأتْ سلمى سمائي فرقدا
وإن صيّرتني كبوةُ الحظِّ مخفقاً فحسبي نجاحاً أن أراها فأسعدا
نسيتُ بكِ الآلامَ وهي كثيرةٌ وبدّلتني منها السرورَ المجدّدا
وأبصرتُ جنحَ الليلِ أزهرَ مشرقاً
وكنتُ أرى قبلاً سنا الصبحِ أربدا
وشاعَ الرضا في جبهةٍ فاضَ نورُها
وقد كنتُ عمري ساخطاً متمرّدا
وإني على حبّي الحياةَ وهذبِها مدينٌ لسلمى بالحياةِ وبالهدى
خيالٌ لها مثلُ الحقيقةِ طيفُهُ
أكادُ مع النجوى أمدُّ له يدا
لعمرُكَ ما سلمى سوى أقحوانةٍ
لها صورةُ الإنسانِ جسماً مجسّدا

علي شرف الدين



من شاعر إلى شاعر

[أهدى الأستاذ الشاعر على محمود طه نسخة من ملحمته الرائعة « أرواح وأشباح » إلى صديقه الأستاذ محمد عبد الغنى حسن ولم يكن قد أتيحت له قراءتها إلا بعد أن سلم من ثورة نفسية جامحة فأرسل إليه هذه الأبيات] :

هذا كتابكَ أشباحٌ وأرواحُ   شعر من النغم العلوىّ لمَّاحُ
فيه من الفنِّ إشراقٌ وتجلية   وفيه من ومضات الروح أوْضاح
فيه من السحر ماهاروتُ يصنعُه   وخمرِ بابلَ ما لا تصنعُ الراح
أقررتَ عينى وعين المعجبين به   بكل معنى إليه النفس ترتاح
الشعر ما الشعر إلاروضة عبقت   وأنت فيها طليق الصوت صدَّاح
سريتَ فى الشعر مَسْرى الملهمين كما   يسرى نسيم على الأسحار فوّاح
فأنتَ فى جوّه العلوىِّ منطلق   وأنتَ فى بحره اللجىِّ ملّاح

محمد عبد الغنى حسن

إنصاف الأب الكرملى

اطلعت فى العدد الأخير من « الرسالة » على قطعة بعنوان « الكرملى فى قبضة الحق » بقلم الأستاذ سعيد الأفغانى فى دمشق . وإنصافاً للأب المحترم أقول :

خطأ الكاتب الأب ، لأنه أنكر « أحجاراً ملساء » وصححها « بأحجار ملس » وقال : « لك أن تقول أشهر محرمة ومحرمات وأياماً معدودة ومعدودات » ولم يأتنا بمثل من القرآن أو الحديث أو كلام بليغ على مثل « مباسم فلجاء وعيون دعجاء وحواجب بلجاء » ، بل الذى ورد من ذلك « لو رأيتم العيون الدعج تحت الحواجب البلج فوق المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى » ولم يرد غير ذلك على الإطلاق فى كلام فصيح

وغريب قول الأفغانى « أما استقراؤهُ الشخصى أى الأب وطلبهُ من مخالفيه الإتيان بشاهد فلا يردان حجة ، لأن المقيس لا يلزم لهُ (يريد يلزمه) شاهد . يريد أن يقول إن عندنا قاعدة جميع شواهد اللغة شواذّ منها

لكن مجمعنا اللغوى فهم ما لا يفهمه الكاتب ولا أحسب الكاتب ينكر أن مجمعنا يحتج بكلامه .

فقد جاء فى الصفحة ٢٠٤ من الجزء الرابع من مجلته قوله :

القاعدة : فعلاء مؤنث افعل كحمراء تجمع باطراد على فُعْل

قال ابن يعيش : « فأما فُعْل فهو جمع فعلاء صفة إذا كانت مؤنثة افعل نحو حمراء وحمر وصفراء وصفر جمعوه على فعل جمع ما لا زائد فيه الخ ...

فكريات بيضاء ليست صحيحة ، وهذا ما كلت ألسنتنا وحفيت أقلامنا لإفهام أدبائنا إياه

نجيب شاهين

شبهة فى تاريخ وفاة ياقوت

من المعروف أن صاحب معجم الأدباء « ياقوت بن عبد الله الرومى » توفى عام ٦٢٦ من الهجرة . وقد نص على هذا ابن خلكان فى تاريخه ؛ عند ما ختم ترجمته لحياته بقوله : وتوفى يوم الأحد لعشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة فى الخان ، بظاهر مدينة حلب

وعن ابن خلكان نقل ابنُ العماد صاحب (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) ، وجرى على هذا جميع أصحاب التراجم من المتأخرين . . .

ولكنى وجدت ياقوتاً فى معجمه (ج ٢ ، ص ١٩٨ ، طبع دار المأمون) يتحدث عن الحسن بن أبى المعالى المعروف بابن الباقلاّنى النحوى ... ثم يختم حديثه عنه بقوله : « لقيته ببغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وكان آخرَ العهد به » . ونفهم من هذا أن ياقوتاً كان يعيش فى ذلك التاريخ ، بل يمكن أن نستنبط من قوله « وكان آخر العهد به » أنه يشير إلى وفاة ابن الباقلانى ، وحدوثها فى تلك السنة . ويؤيد هذا ما أورده السيوطى فى كتابة (بغية الوعاة فى ذكر طبقات النحاة) ؛ فقد نقل عن ابن النجار صاحب تاريخ بغداد أن وفاة الباقلانى كانت « يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وستمائة »

هذه حقائق تاريخية تصطدم فى ذهن القارئ ولا يجد

لواحدةٍ منها مرجِّحا ؛ فهل نشك فى صحة ما أجمع عليه المؤرخون من تاريخ وفاة ياقوت ، أم نخطِّئ ما ورد بمعجمه من تاريخ التقائه بابن الباقلانى ؟ وإذا أخذنا بالرأى الأخير ، فهل نحمل السهو فى ذلك على ياقوت نفسه ، أم نحمله على ناسخى معجمه والقائمين بطبعه من القدماء والمحدثين ؟ ...

هذا شىء ، والشىء الآخر أن مكان هذه المقابلة — فضلاً عن تاريخها — موضع « للتفكير . فياقوت ، كما نفهم من كلام ابن خلكان ، لم يطرق بغداد منذ حوالى سنة ٦٠٠ هـ ، بل إنه « تحامى دخولها » وهو يقترب منها عند انتقاله متخفياً من إربِل إلى خراسان عام ٦١٣ هـ ؛ لأن له غريماً « علويا » من أهلها كان قد ناظره فى دمشق وألَّب عليه العامة حتى كادوا يقتلونه ؛ وكان هذا سبب هروبه إلى خراسان ، فكيف إذن يزعم ياقوت أنه لقي ابن الباقلانى فى بغداد ؟ وإذا قلنا إنه لقيه بها قبل عام ستمائة (أى تسع وتسعين وخمسمائة فما قبله) فكيف يتفق أن يقع الخطأ أو التحريف فى ثلاثة أرقام كاملة ، فنقرأ أن هذا اللقاء كان فى سنة « سبع وثلاثين وستمائة » ؟ ...

(جرجا) **محمود عزت عرفة**

المكتب

قال الدكتور زكى مبارك وهو يدرس الشوقيات عند ما تعرض لقصيدة « مصاير الأيام » ما يلى : [... ابتدأ الشاعر يريد شوق] بحياة الطفل فى المكتب ، والمكتب كلمة جديدة يراد بها المدرسة الأولية ، وهى كذلك فى عرف وزارة المعارف فهى تقول المكاتب العامة بعد أن كانت تقول المدارس الأولية »

وقد نفهم من ذلك أن المكتب بمعنى المدرسة الأولية وضع جديد والصحيح أنه استعمال قديم ، ودليلى على ذلك ما يلى :

١ — قال المبرد : « المَكْتَب موضع التعليم والمُكْتِب المعلم ، والكُتَّاب الصبيان ، ومن جعل الموضع الكُتَّاب فقد أخطأ » ويرى هذا الرأى صاحب القاموس ولكن صاحب تاج العروس رده .

٢ — قال ابن خلكان فى ترجمة أبى مسلم الخراسانى : « إنه نشأ عند عيسى بن معقل فلما ترعرع اختلف هو ووالده إلى المكتب » وغير خاف أنه فى هذا الدور من حياته يتعلم التعليم الأولى .

٣ — روى ابن قتيبة فى كتاب المعارف : « أن من المعلمين علقمة بن أبى علقمة مولى عائشة ... كان له مكتب يعلم فيه العربية »

٤ — وأوضح من هذا ما قاله الغزالى فى كتاب الإحياء فى باب رياضة النفس جـ ثالث : « ويُشغل الطفل فى المكتب بتعلم القرآن ، وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وأحوالهم ... وينبغى أن يؤذن للطفل بعد الانصراف من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب التعلم » .

محمود السيد أبو السعود

بنى أمية والإسلام

قرأت ما كتبه الأستاذ محمود أبو رية حول كتاب « عبقرية عمر » للأستاذ عباس محمود العقاد . والحق يقال إن الأستاذ قد غالى كثيراً فى قوله إن البناء الإسلامى قد تصدع ، وإن اليأس أخذ يدب فى جسم الدولة الإسلامية فى عهد بنى أمية ، واستشهد على ذلك بقول الإمام على : « إن موت عمر ثلمة فى الإسلام لا ترتق إلى يوم القيامة »

والباحث المنصف فى تاريخ الإسلام لا يسعه إلا أن يقرر أن الدولة الإسلامية لم تصب حظاً من العظمة وامتداد السلطان مثل ما أصابته فى عصر الدولة الأموية

وكيف يدب اليأس فى قلوب المسلمين فى عصر بنى أمية وهم الذين ركبوا البحر فى هذا العهد لأول مرة ، وكان لهم فوق الخضم التلاطم صولات وجولات هى صفحة بيضاء فى كتاب الشجاعة الإسلامية ؟ ! وهذا عقبة بن نافع يسير بكتائب المسلمين فى محاذاة الشاطئ الأفريقى مخترقاً المجاهل والقفار حاملاً لواء الإسلام خفاقاً فى بلاد كل ما يعرفه عنها أن أهلها همج متوحشون لم تصلهم مدنية ولا حضارة !

أما قول الإمام على ، فما أظن أن الإمام كان يقصد أن البناء الإسلامى قد تصدع بموت عمر ، إنما كان قصده أن الإسلام قد خسر بموت عمر رجلاً من خيرة رجالاته ومن العسير أن يجد الناس منه عوضا .

أحمد البدينى

فلسفة الأخلاق فى الإسلام

الأستاذ محمد يوسف من العلماء الباحثين والكتاب المرموقين الذين عناهم الأستاذ الزيات فى مقالته الغراء « دفاع عن البلاغة »[1]

فهو يكتب عن دراسة مستفيضة وتحليل عميق ، فيخرج الفكرة ناضجة ، ويبدى الرأى خيراً ، ويجلى البحث مكتملاً من جميع نواحيه

ولعل هذا هو السر فى ظواهر ثلاث نلمسها لمساً فى كتابه « فلسفة الأخلاق فى الإسلام »

١ — النشر والطى ، والتفصيل والإجمال ، والعرض والتلخيص ؛ مما يبلغ حد التكرار أحياناً ويؤاخذ به من لم يقصد إلى الإيضاح والتحرير

٢ — الدقة البالغة فى الشرح والموازنة ، وتجلية الغامض من عبارات الفلاسفة ومصطلحات الصوفية ، إلى أمانة فى النقل نادرة ؛ مما حداه إلى كثرة الاستدراك ، وإيراد الجمل المعترضة التى لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة وإثبات النصوص مسندة إلى مصادرها الكثيرة المتنوعة

٣ — السداد فى النظر ، والعدالة فى الحكم بعد استقصاء وجوه الرأى ، من غير ما سفه ولا شطط حتى لا تحوك فى الصدر شبهة دون أن يذيبها بقول سديد أو رأى رشيد

غير أن إصابة الأستاذ للغرض ، ومصاحبته للتوفيق ، ونزاهته فى الحكم - لا تحول بيننا وبين الإدلاء بهذه الملاحظات الخفيفة خدمة للعلم ووفاء للحق « والحق لا يصح أن نجامل على حسابه أحداً من الناس وإن كان زين الدين وحجة الإسلام والمسلمين »[2]

(ا) كنا نود أن يقتصد المؤلف ولو صفحة واحدة مما كتب فى ابن عربى الذى هو إلى فلاسفة التصوف أقرب منه إلى فلاسفة الأخلاق ، فيضمها إلى الكتابة عن أبى الحسن البصرى الماوردى الذي أشار الأستاذ بحق إلى أن كتابه « أدب الدنيا والدين » مما يمثل الأخلاق الإسلامية أصدق تمثيل[3] على حين لم يظفر من الكتاب إلا ببضعة أسطر . وإذا لم تكن ترجمة أبي الحسن من أغراض الكتاب فلا ريب أنها — على الأقل — من قبيل الاستطراد المفيد

(١) عدد « الرسالة » ٤٨٨

(٢) ما بين الأقواس من كلام المؤلف ص ١٦٠

(٣) هذا الكتاب كما يقول المؤلف علي ما فيه من أحاديث هى بحكم الحكماء أشبه

(ب) مما يثير العجب والأسف معاً أن بعض أئمة الأخلاق والتصوف — بَلْه الأدب والفلسفة — ليسوا من أهل البصر فى علم الحديث ؛ ولقد روى عن الغزالى رحمه الله أنه قال : بضاعتى فى هذا العلم مزجاة ؛ وسبب ذلك عند علماء الحديث معروف[1] ؛ فكنا نأمل ألا يروى المؤلف حديثاً عن الإحياء أو غيره — وهو من أجلة المدرسين فى كلية أصول الدين — إلا مع الإشارة إلى درجته على الأقل . ورحم الله الحافظ العراقي فقد كفانا المئونة فى تخريج أحاديث الإحياء كتابُه « المغنى » وقد جمع بينهما الحلبي فى طبعته ؛ ولكن الأستاذ اعتمد على نسخة مجردة . على أن المؤلف نقل تزييف الحفاظ للحديث الصوفي المشهور : « كنت كنزاً مخفيا ... » وأبان اعتراف الصوفية أنفسهم بأنه لم يثبت نقلاً وإن ثبت كشفاً[2]

وحبذا لو أشار إلى تزييف العراقي للحديث الذى ساقه الغزالى فى الزهد « من أراد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد فى الدنيا »[3] وما أكثر أمثال هذا الحديث فى كتب الغزالى .

(ج) فى الكتاب أعلام وكلمات غريبة ، كان يحسن أن يضبطها الأستاذ فيكفى القارئ مئونة البحث والتنقير ، ولكن عذره — ويظهر أنه لا بد من الاستدراك دائماً —[4] أن الكتاب موضوع لطائفة مفروض عليها البحث والتنقيب .

وبعد فما قرأت كتاباً في الأخلاق أو الفلسفة وأحببت أن أعود إليه بشغف وعناية قبل هذا الكتاب . وهذا — فيما أعتقد — أمارة على إخلاص المؤلف وحبه للحق ودءوبه على البحث عنه والوصول إليه ؛ فى أدب جمّ وخلق كريم ،

طه محمد الساكت
المدرس بمعهد القاهرة

(١) لعل صدر الرسالة يتفسح لعرح هذا السبب فى مقال قريب

(٢) ص ٢٣٢ (٣) فلسفة الأخلاق ص ١٣٥

(٤) الجملة المعترضة مقتبسة من كلام المؤلف ص ١٥٤

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٦ — ٩ — ٤٢ فى القضية رقم ١٣١٢ سنة ١٩٤٢ جنح عسكرية ضد نعيمه علي حبشى سن ٤٥ أرملة بتغريمها ٢٠٠ قرش والغلق واللصق والنشر على مصاريفها لامتناعها عن بيع سكر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

10me Année No. 495
Lundi - 28 - 12 - 1942

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٩٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٠ ذو الحجة سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهـرس

٢ — التلبـــاثي

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثر الذين حادثوني أو كتبوا إليَّ بصدد مقالي عن « التلباثي » الذي نشرته الرسالة في عدد مضى؛ وبدا لي من أحاديثهم ومن رسائلهم أن بعضهم فهم المقال كما أردت أن يفهم؛ وبعضهم تجاوز به إلى الحد الذي أريده. وقد استزادني أناس من الكتابة فيه، وسألني أناس غيرهم أسئلة يقترحون الإجابة عليها. وأحسبني ألبي مقترحاتهم جميعاً بما آثرت من الإجابة عن خطاب كتبه إليَّ صديقنا الأستاذ محمد شاهين حمزة نائب الدر السابق ولخص فيه ما قرأه تعليلاً لأمثال هذه الحوادث — حوادث التلباثي — فقال:

« ... ذكر بعض العلماء أن الأجسام تصدر منها أثناء حركتها الآلية إشارات ورسائل تنطلق على أمواج الأثير كأنها محطات الإصدار في اللاسلكي، وهذه الرسائل التي تشير إلى شخصيات مصدريها وتحمل بعض أفكارهم تهز مراكز خاصة في أدمغة من لهم سابق معرفة بأصحابها أثناء انطلاقها، فتلتقطها هذه وكأنها محطات الاستقبال تقابل محطات الإصدار الأولى، وكأن لكل إنسان محطتين أو جهازين للاصدار والاستقبال. ولما كانت هذه الرسائل متفاوتة القوى كانت هناك رسائل تصدر ميتة أو ضعيفة فلا تصل إلى أحد، وأخرى تصدر قوية لكن

ضعفاً أو خللاً فى محطة الاستقبال يحول دون تلقيها »

ثم سألنى الأستاذ رأيى فى هذا وختم خطابه قائلاً :

ونقطة أخرى أحسبها تحتاج إلى جلاء على مى : كيف بلغ صوت عمر بن الخطاب سارية وصحبه حين ناداهم بقوله : « يا سارية بن حصن . الجبل الجبل ! فاستجابوا له ؟ »

* * *

ومن اللازم فيما أرى أن أبدأ بتقرير الحد الذى يكفينا أن نقف عنده فيما يرجع إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وملكة التلبانى أو التلفزيون

فقد أردنا أن نذكر علامات العبقرية عند بعض النفسانيين المحدثين ، ومنها « الحساسية » الخاصة التى تلاحظ على بعضهم فيشتهرون بالغرابة فى إيحاء الأفكار واستيحائها ، وقلنا إن عمر بن الخطاب قد لوحظت عليه من ذلك علامات كثيرة كالفراسة وصدق الظن وسرعة التنبه إلى الفوارق الدقيقة بين الذوقات كما تنبه إلى الفارق بين لبن ناقة ولبن ناقة أخرى ، وكلتاهما فى مكان واحد ومرعى واحد

ومما روى عنه حديث سارية الذى أشرنا إليه . وقد لخصناه وقلنا بعد تلخيصه : « لا داعى للجزم بنفى هذه القصة استناداً إلى العقل أو إلى العلم أو إلى التجربة الشائعة . فإن العقل لا يمنعها ، والعلماء النفسانيون فى عصرنا لا يتفقون على نفيها ونفى أمثالها »

ثم عقبنا على ذلك قائلين : « إن المهم من نقل هذه القصة فى هذا الصدد أن عمر كان مشهوراً بين معاصريه بمكاشفة الأسرار الغيبية إما بالفراسة أو الظن الصادق أو الرؤية أو النظر البعيد ، وهى الهبات التى يلحقها بالعبقرية علماء العصر الذين درسوا هذه المزية الإنسانية النادرة وراقبوها »

فسواء صحت قصة سارية أو صح جزء منها أو لم يصح شىء منها على الإطلاق ، فيكفى أن تروى عن عمر بين معاصريه ، ليثبت لنا أمر محقق لا شك فيه ، وهو أن « الحساسية الخاصة » كانت ملحوظة فيه حتى نسب إليه الناس ما نسبوا من رؤيته جيش سارية على البعد وندائه عليه . فهو قبل أن تقع هذه القصة كان من أصحاب « الحساسية الخاصة » التى يلحظها مَن حوله وينسبون إليها الحوادث التى تناسبها

وهذه وحدها علامة كافية من علامات العبقرية ، ولا حاجة معها إلى تحقيق ندائه على سارية وإسماع سارية له كما جاء فى القصة المروية أو على نحو يقاربها

فهو فى رأى من حوله رجل يحس الأشياء التى لا يحسونها ، وعنده القوى النفسية التى لا يملكونها ، وهذا كاف لاتصافه بعلامة بارزة من علامات العبقرية فى رأى النفسانيين المحدثين

وهنا نحن على « بر الأمان » الذى لا مجازفة فيه ، ولا يكلفنا كثيراً ولا قليلاً فى التعرض للتلبانى بالنفى والإثبات

ولكننا إذا تجاوزنا هذا وتعرضنا لتحقيق التلبانى الحكم بإمكانها أو استحالتها ، ففى وسعنا أن ننتقل من بر أمان إلى بر أمان مثله لا مجازفة فيه ، وهو مطالبة الذين يجزمون باستحالتها بالدليل على ما يقولون

لأن الجزم باستحالة شىء بغير دليل كالجزم بوقوعه عياناً بغير دليل ، كلاهما خرافة لا يقبلها العقل ، وإن جاء أحدهما من ناحية الإثبات

وإنما الموقف السليم بين الإنكار والقبول أنك تترك الباب مفتوحاً لن يثبت ومن ينفى على السواء ، فيجوز أن يأتى غداً من يثبتها ثبوتاً قاطعاً لا شك فيه ؛ ويجوز كذلك أن يأتى غداً من ينفيها نفياً قاطعاً لا شك فيه ، ولا يجوز — حتى ذلك اليوم — أن نقطع باستحالتها على وجه من الوجوه . وكل ما امتنع القول باستحالته فهو ملحق بالممكنات ، ولا سيما إذا كثرت بيننا مشبهاته وشاع بيننا على درجات دون درجته القصوى ، باتفاق الشعور بين ألوف من الناس

يسألنى الأستاذ شاهين : « كيف بلغ صوت عمر سارية وصحبه فاستجابوا له ؟ »

فالجواب المأمون هنا أننى لا أعلم ولا أجزم بأن الصوت وصل واستجيب ، ولا أجزم كذلك بأنه ممتنع الوصول والاستجابة

ولكننا إذا قلنا بوصوله واستجابته فإنما يتصور العقل وقوع ذلك على صورة من صور ثلاث :

الأولى : أن الصوت الذى سمعه سارية كان صوتاً مادياً يبلغ الأسماع كما يبلغها اليوم صوت المتكلم فى المذياع على مسافات بعيدة

والصورة الثانية : أن الصوت وصل بالإيحاء النفسى إلى الجيش كله فاتفقت نفوسهم جميعاً فى لحظة واحدة على الايحاء والاستيحاء والسماع

والصورة الثالثة : أن الصوت وصل بالإيحاء النفسى إلى سارية وحده أو إلى سارية ومن شاركه فى هموم القيادة ، فشعر به فرد واحد أو أفراد قليلون

وأسهل هذه الصور الثلاثة قبولاً فى العقل ، على ما نعتقد ، هى الصورة الثالثة ، وهى أن سارية توجه بنفسه إلى نفس عمر فى مأزق شديد عليه وعلى عمر معاً فشعر به الخليفة وناداه وهما فى لحظة التقابل بالوحى والاستيحاء

هذه الصورة أسهل قبولاً من الصورتين الأخريين

لأن الصورة الأولى وهى انتقال الصوت المادى مئات الأميال بغير الوسائل الصناعية التى نستخدمها فى عصرنا يكلفنا أن نطبع العناصر المادية بطابع لم تعرف به قط فيما مضى وفيما حضر ، ويقتضى أن يكون صوت سارية قد سُمع فى الجيش الذى معه وهو يستغيث ، وقد سمع فى المسجد الذى كان عمر يخطب فيه ، وقد سُمع الصوتان : صوت الاستغاثة وصوت الاستجابة على طول الطريق ، ولم يذكر لنا رواة القصة شيئاً من ذلك ، ولو ذكروه لتحدث به الألوف من جند سارية ومن المصلين مع عمر ولم يقتصر حديثه على بشير واحد أو نفر قليلين

أما الصورتان الأخريان فكلتاهما تمثل لنا وصول الصوت أو وصول الخاطر على الأصح بطريق الإيحاء من نفس عمر إلى نفوس سامعيه ، ولكن التقاء نفسين أيسر قبولاً من التقاء نفس واحدة من جانب ، وألوف النفوس من جانب آخر ، ولهذا قلنا إن التقاء الشعورين بين عمر وسارية أسهل الصور الثلاث قبولاً ، متى قلنا بوقوع الاستغاثة ووقوع الاستجابة

والأستاذ شاهين قد سأل فى خطابه سؤالاً يشتمل على بعض الجواب الذى أجبناه حيث قال :

« إذا كان الأمر أمر رؤية بعيدة فهل تقف الرؤية عند الماديات أو تتعداها إلى الأفكار ؟ فقد يحدث أن يذكر الإنسان شخصاً ويذكر معه أمراً معيناً ، ولا يلبث أن يلقى الشخص الذى ذكره فيبادره هذا بحديث عن ذلك الأمر المعين بنفسه ، كما حدث لى مراراً ، وهذا مما يغرى بالميل إلى الفكرة القائلة بحركة الأجسام والإشارات الصادرة منها والتى يلتقطها جانب ثان »

فالتمثيل بمحطات الإرسال ومحطات الاستقبال هنا تمثيل مقبول لتقريب التصور وسهولة التشبيه ، ولا مانع من اتصال النفوس على البعد وهى تتصل على القرب اتصالاً لا شك فيه ، فإذا اتفق أن نفسين توجهتا كلتاهما إلى الأخرى — فى وقت واحد فذلك أحرى بتوافق الشعور وتوافق الخاطر ، والجزم بإمكان هذا أصح من الجزم بامتناعه إذا لم يكن بد من أحد الأمرين

يحدث كثيراً — كثيراً جداً — بين الصديقين المتفاهمين أن يطيلا الجلوس معاً صامتين ، ثم يعودا إلى الحديث فجأة فإذا هما يطرقان موضوعاً واحداً أو يسألان عن شىء واحد . ولو كان هذا الموضوع على اتصال بما كانا يتكلمان فيه قبل ذلك لقلت الغرابة فى اتفاقهما عليه بعد صمت طويل ، ولكنه يكون أحياناً بمعزل عن كل موضوع طرقاه ذلك اليوم

فما تعليل ذلك ؟

تعليله تقارب الشعور والتفكير ، وهما لا يتقاربان هنا بأداة مادية حتى يقال بالفرق بين حصوله فى حجرة واحدة وحصوله على مسافة أميال

فإنكار هذا الاتصال أصعب من إثباته ، والقول بإمكانه قول تعززه احتمالات قوية ومشابهات مألوفة وروايات متواترة ، ولا يقف أمامها من ناحية النفى إلا مجرد الإنكار أو سوء فهم الواقعيات والماديات

وقد وصلنا فى زماننا بالماديات إلى حدود الروحيات ، فانتقلنا بها من هذه الأجسام التى تلمس وتدرك بالحس إلى الذرات ، ثم إلى الطاقة ، ثم إلى الإشعاع الذى يدركه الفكر ولا تمسكه الحواس ، فمن الحيطة أن نقل من الإنكار بعد أن أسرفنا فيه ، وقد جاء زمان كان الإنكار فيه حسناً بعد إفراط الناس فى الإثبات ، فهل ندور الآن دورة من تلك الدورات الفكرية المعهودة فنسرف فى القبول بعد إسرافنا فى الإنكار ؟

لا هذا ولا ذاك بالحسن المأمون ، وإنما الحسن المأمون أن نأخذ بدليل ونرفض بدليل ، وأن نعلم أن العجائب فى الدنيا لا تنتهي فلا نغلق على أنفسنا بابها مختارين .

عباس محمود العقاد

مسابقة الأدب العربى

١ – ديوان حافظ ابراهيم

للدكتور زكى مبارك

تمهيد – شاعر القصر وشاعر الشعب – دسائس أدبية – ميدان حافظ – هزيمة حافظ – عريضة اتهام – هزائم فظيعة – قصيدة قصر الزعفران

تمهيد :

المقرر لمسابقة هذا العام هو الجزء الثانى . ومن الخير أن يرجع المتسابقون إلى مجموعة السنة الماضية من مجلة الرسالة ، ففيها تفاصيل عن شاعرية حافظ لا نملك تلخيصها فى هذا الحديث ، وفيها أيضاً تفاصيل عن شاعرية شوقي ، تفاصيل تكمل الدراسات التى قدمناها فى الأسابيع السوالف ، وتوضح اتجاهات شوقى فى طوائف من الأغراض

السياسيات

أهم أبواب الجزء الثانى من ديوان حافظ هو باب السياسيات ، وسيُسأل فيه المتسابقون بكل تأكيد ، لأن الجانب السياسى من شعر حافظ هو أبرز الجوانب فى حياته الشعرية ، فمن الواجب أن يجعله المتسابقون أول ما يدرسون بعناية وتدقيق

شاعر القصر وشاعر الشعب

لم تكن الحياة المصرية قبل الحرب الماضية شبيهة بالحياة التى جدت بعد تلك الحرب ، ومعنى هذا أن أيام الخديو عباس تختلف عن أيام الملك فؤاد ؛ فنى عهد عباس كان للقصر شعراء وللشعب شعراء ، ولا كذلك الحال فى عهد فؤاد ، فقد أراد القصر أن يحول الشعر إلى وجهة قومية ، ولم يقبل الملك فؤاد أن يكون له شعراء بالمعنى المعروف لعهد الخديو عباس ، وإن كان تغاضى عن دعوى الشاعر عبد الحليم المصرى رعاية لما كان عليه من أدب وإخلاص

دسائس أدبية

أنا مقبل على تسجيل حقائق لم تُسجَّل قبل اليوم ، ولن يعرفها التاريخ الأدبى إلا عن طريق هذه الأحاديث ، وما يدعونى إلى تسجيلها إلا الخوف من أن تضيع

شعر حافظ السياسى يبتدئ فى سنة ١٩٠٤ ، وشعر شوقى السياسى يبتدئ فى سنة ١٨٩٤ ، وقد انتهيا معاً فى سنة ١٩٣٢ عليهما أطيب الرحمات !

فكيف صار شوقى وحده شاعر القصر ؟ وكيف اكتفى حافظ بأن يكون شاعر الشعب ؟

يرجع السبب إلى أن شوقى كان مفطوراً على حاسة سميتها منذ سنين « حاسة المعاش » وهى حاسة ورثها عن أبويه ، وكان لهما بالقصر اتصال ، وشوقى نفسه قال كلاماً يؤيد هذا المعنى فى مقدمة الطبعة الأولى من الشوقيات ، وهى مقدمة تجاهلها شوقى فيما بعد ، وتمنى أن تضيع من ذاكرة التاريخ ، ولكن هيهات !

كانت فى عينَيْ شوقى علة شعرية هى النظر دائماً إلى السماء ، علة تمنعه من أن يرى ما بين يديه ، ثم اتفق أن زارت جدته الخديو إسماعيل وهو معها ، وكان طفلاً رائع الجمال ، فسألها الخديو عن أحوال ذلك الطفل الجميل ، فقالت بتحسر وتوجع : إن فى عينيه آفة تمنعه من رؤية الأرض ؛ فنثر الخديو بدرة من النقود الذهبية على البساط ، فاعتدلت عينا الطفل وأقبل على الذهب يجمعه بشراهة نادرة المثال

قال إسماعيل : هذا دواء هاتين العينين العليلتين !

فأجابت الجدة : ولكنه دواء لا يوجد إلا فى صيدلية إسماعيل !

وعرف أهل الطفل دواء عينيه فكانوا ينثرون ما يملكون من النقود لينظر إلى الأرض ، عساه يستريح من إدمان النظر إلى السماء

وشبّ الطفل وصار له حمار يمتطيه فى العصريات ، يوم كان القاهريون يغنون :

« أحبّ مَشْى المصارى لاجل ما أشوفك »

وكانت « دار شوقى » فى تلك الأيام تقرب من « دار الرسالة » فى هذه الأيام ، ولم يكن له بد من عبور ميدان عابدين وهو على صهوة حماره فى نزهة الأصيل

وغلبت شوقى علة عينيه فنظر إلى فوق ، فلمح الخديو توفيق فى إحدى الشرفات ، فنزل عن حماره وعَبَر الميدان على قدميه . وراع الخديو أن يرى شاباً يراعى هذا المعنى ، فقرر أن يدعوه إليه بلا تسويف ، ليبشره بوظيفة فى ديوان المعية

لا يعرف أحدٌ كيف كان شوقى فى ذلك الوقت ، ولكنى أعرف كيف رأيته بعد نحو ثلاثين سنة من ذلك التاريخ ، حين عاد من منفاه ، وحين تفضل عبد اللطيف بك الصوفانى فجمع بيننا فى حفلة عشاء بالدار التى أجهل ما صنعتْ بها الأيام !

هالنى أن أرى شوقى الذى كان أمير الشعراء قبل أن تواجه عيناى نور الوجود قد احتفظ من أطلال صباه بنُونتَيْن تزينان خديه عند الابتسام ، وأى ابتسام ؟

وأقول بصراحة إنى لم أر وجهاً أجمل من وجه شوقى ، ولا روحاً ألطف من روح شوقى

ولكن هذا الجمال الجسدى والروحى كانت له غدرات منها حُبّ التفرد بالسيطرة والاستعلاء ... وهنا بيت القصيد !

كان شوقي يحب أن يكون وحده شاعر القصر فى عهد عباس . وقد تسبب للقصر فى متاعب ، فقد دخل لورد كرومر على الخديو عباس وهو غضبان ، وحجتُه أنه علم أن أحمد شوقي وعلى فهمى كامل يدبران أموراً لا يجوز عليها السكوت ، والخديو عنهما مسئول مسئول . وما أحب أن أزيد !

هل كان شوقى الذى يحارب انجلترا فى السر يهادن خصومه من الشعراء ؟

وهل كان يسمح بأن يكون لخصومه ومنافسيه فى قلب الخديو مكان ؟

ارجعوا إلى ما كتب فضيلة الشيخ عبد القادر المغربى فى مجلة الرسالة منذ سنين لتروا كيف استطاع شوقى أن يمنع كرم الخديو عباس عن الشيخ عبد المحسن الكاظمى ، ثم ابحثوا بعد ذلك عن السر فى عطف الشيخ محمد عبده على الشيخ الكاظمى ، فأنا أفترض أن الفتور بين الخديو والمفتى كان له أثر فى تقوية ذلك العطف الرفيق .

ميدان حافظ

لم يستطع حافظ مجاراة شوقى فى الحياة الرسمية ، فانحاز إلى ميدان الوطنية ، وصار بعد قليل شاعر الشعب ، الشاعر الأول المحبوب ، وكان الاتجاه الشعبى صريحاً فى مقاومة الاحتلال ، وصريحاً فى تقوية الأواصر الإسلامية ، فكان لحافظ قصيدة فى كل مناسبة وطنية ، وقصيدة فى كل مناسبة دينية . ولم يفته أن يتغنى فى أشعاره بأكثر أمم الشرق ، ولا سيما اليابان ، وما كانت اليابان أقرب إلينا فى الوجوه والأفكار من إيطاليا أو فرنسا ، ولا كانت لنا باليابان صلات أدبية أو اقتصادية ، وإنما كانت اليابان فى الاصطلاح الجغرافى أمة شرقية ، وكان المهمّ هو إفهام الشعب أن الشرق يستطيع مجاراة الغرب فى جميع الميادين إن تسلح بأسلحة هذا الزمان . ولهذا السبب سارع الزعيم الوطنى مصطفى كامل فألف كتاباً عن نهضة اليابان ليضرب لقومه الأمثال

هزيمة حافظ

كان حافظ أطال القول فى شكوى البؤس ، فعينه الوزير حشمت باشا فى وظيفة بدار الكتب المصرية ، فسكت عن أغاريده الوطنية ، وعند ذلك كثرت فيه الأقاويل ، وجالت فى غمزه الألسنة والأقلام كل مجال

ثم جاءت فرصة مشئومة عليه ، هى ظهور ثلاث قصائد فى يوم واحد بجريدة الأهرام عند اعتلاء السلطان حسين كامل أريكة العرش : قصيدة أحمد شوقى وقصيدة حافظ ابراهيم وقصيدة أحمد نسيم

كانت الحرب فى تلك الأيام تجتاز مسالك شوائك ، فخاف حافظ وخاف نسيم عواقب المشى على الشوك . أما شوقي فهتف بقصيدة رمزية شغلت الجماهير بالتفاسير والتأويل ، فعده المصريون شاعرهم الأول ، وزادوا إيماناً بعبقريته حين رأوا أن تلك القصيدة قضت عليه بالخروج من البلاد

وكان فى مصر جريدة أسبوعية اسمها « عُكاظ » ، وقد رأى صاحبها الشيخ فهيم قنديل أن يتودد إلى الجمهور بنشر ما طوى من أشعار شوقى ، ولم يكن يكتفى بتسميته « أمير الشعراء » وإنما كان يسميه « شاعر الدنيا والآخرة » لحفظ سمعته الشعرية فى أعوام الحرب الماضية ، وعطر باسمه جميع الأندية الأدبية

وفى ثورة سنة ١٩١٩ تخاذل حافظ فلم ينطق بحرف

دخلت الأزهر ذات مساء فسمعت خطيباً يعيب عليه التخاذل ، فعلوت المنبر وفنّدت اتهامات ذلك الخطيب

وفى اليوم التالى لقيت حافظاً بمنزل محمود باشا سليمان ، فقال له حفنى بك محمود : هل تعرف يا حافظ بك أن الأستاذ مبارك دافع عنك فى الليلة الماضية ؟

فأدار حافظ بصره إلىّ وقال : ماذا تريدون منى ؟

قلت : نريد قصائد وطنية

قال : والاعتقال ؟

قلت : وما خَطَر الاعتقال ؟

فأجاب فى هدوء : لن أجد فى المعتقل هذا السيجار « وكان فى يده سيجار »

فقلت : لن تكون شاعر مصر الوطنى وأنت أسير هذا السيجار البغيض !

عريضة اتهام

الغرض من هذه الدراسات هو إرشاد المتسابقين إلى إدراك السرائر من الكتب المقررة لمسابقة الأدب العربى ، وأنا قلت إن حافظاً تخاذل عن الثورة فلم ينطق بحرف ، ونحن فى مقام التاريخ وهو مقام يوجب الصدق ، فلينظر المتسابقون فى ص ٨٧ بالجزء الثانى من ديوان حافظ ، ليروا أن قصيدته التى نظمها عن مظاهرة السيدات فى سنة ١٩١٩ لم تنشر إلا فى سنة ١٩٢٩ ، ومعنى ذلك أنها كُتِمتْ نحو عشر سنين !

أتريدون الحق ؟

لقد نسبت تلك القصيدة فى ذلك الوقت إلى جماعة من الشعراء منهم الأستاذ محمد الهراوى ، ولم ير حافظ أن يصحح النسب ، لئلا يقال أو يقال ! !

هزائم فظيعة !

بعد عودة شوقى من منفاه حاول أن يتصل بالقصر من جديد ، فحبَّر القصائد الطوال فى مدح الملك فؤاد ، ولكنه نسى أن الملوك لا يعرفون غير القلب البِكر ، فهم لا يأنسون بمن استأنسوا لسواهم فى أحد العهود

كان الملك فؤاد غاية فى الجبروت العقلى ، وكانت عيناه أحدّ من عينى النسر الظامئ ، وكان يحب أن يكون عرش مصر أعظم العروش ، ولهذا بخل بالرتب والألقاب ، إلا أن تكون جزاء على خدمة قومية تستحق التمجيد

وكان للشاعر شوقى تاريخ فى شؤون الرتب والألقاب ، فصدّ عنه الملك فؤاد ، ولم يَجُد عليه بأى انعطاف

وهنا سنحت الفرصة للشاعر حافظ ، فماذا صنع ؟

أراد أن يؤلف جماعة من الشعراء يسميهم « شعراء القصر » فلم يظفر بغير الإخفاق

دعانى حافظ ذات يوم إلى موافاته بقهوة النيوبار ليحدثنى فى مسألة خصوصية ، وكان الغرض أن يدعونى للانضمام إلى تلك الجماعة الشعرية ، فاعتذرت بأن شيطانى لا يوافينى إلا فى ميدان الغزَل والتشبيب ، ومن الصعب علىّ أن أنظم شعراً فى غير هذا الميدان ، وأنا تلميذ عمر بن أبى ربيعة ، ولم يكن عمر يجيد مدح الملوك

قال حافظ : أنت أحمق يا مبارك !

فقلت : علِّمنى يا معلمى كيف أداوى هذا الحمق

قال حافظ : ستمدح فؤاداً العظيم

فقلت : أمدحه أجزل المدح بالنثر لا بالشعر ، فأقول فيه أعظم مما تقول ، والآفة الوحيدة هى آفة شيطانى ، وهو لا يوحى إلىّ من الشعر غير الغزَل والتشبيب ، ولو كان أمرى بيدى لنظمت القصائد الطوال فى مدح الملك فؤاد ، فهو فى نظرى أعظم الملوك

قال حافظ : أتكون أصدق منى؟

فقلت : إنى لا أجود بغير ما أملك ، وطاقتى الشعرية لا تسمح بغير ذلك الفن الذى تعرف . فهل تريد أن تفضحنى بين الشعراء ؟

ثم ؟ ثم ؟

ثم غدر المتشاعرون بحافظ فورطوه فى متاعب أفسدت ما بينه وبين القصر إفساداً ليس بعده صلاح ، وسأحدث عن هذه النقطة السوداء بعد حين !

قصيدة قصر الزعفران

هى قصيدة غابت عن الأستاذ أحمد بك أمين وهو يجمع ديوان حافظ إبراهيم ، وهى بشهادة حافظ نفسه أروع ما صدر عن موهبته الشعرية

فما حديث تلك القصيدة ؟

في سنة ١٩٢٥ تحولت الجامعة المصرية إلى جامعة أميرية ، واختير لها قصر الزعفران ، وفكرت وزارة المعارف فى إقامة حفلة رسمية لافتتاح الجامعة فى عهدها الجديد ، وكانت التقاليد

أن يُرجع إلى القصر قبل إعداد أية حفلة يشرّفها المليك ، فدُعى حافظ إلى مقابلة نشأت باشا ، وكُـلِّف إعداد قصيدة يلقيها فى حضرة الملك فؤاد يوم الاحتفال

لن أنسى أبداً فرح شاعر النيل بذلك التكليف ، ولن أنسى أنه غنّانى أجل غناء فى أيام لطاف لم تَعُد عليه بغير العذاب ، كما سنرى بعد لمحات

كنت فى ذلك العهد موظفاً بدار الكتب المصرية ، وكان حافظ يُشرف على القسم الذى أعمل فيه إشرافاً روحياً ، فكان يدعونى كل يوم إلى سماع ما جدّ من القصيدة الجديدة ، وكان يصرّح بأنها الختام لحياته الشعرية ، وأنه لن ينظم بعدها أى بيت

كان الخاطر جيلاً ، ومن البِرّ بحافظ أن نسجل ذلك الخاطر الجيل

الجامعة المصرية الحديثة فى قصر الزعفران ، وقصر الزعفران يجاور « عين شمس » وفى « عين شمس » كانت الجامعة المصرية القديمة التى تخرج فيها فلاسفة اليونان

وعلى هذا الوتر غنّى حافظ وأجاد الغناء

ولكن الأقدار أرادت غير ما أراد حافظ ، فثارت مشكلة حول قصر الزعفران ، مشكلة قوّى غُبارها سعد باشا زغلول وهو رئيس مجلس النواب

قصر الزعفران من قصور إسماعيل ، وهو يوم ذاك من أملاك الخاصة الملكية ، فما الذى تقدم الحكومة من أملاك الدولة فى المبادلة بذلك القصر الخاصّ ؟

كانت الحكومة ترى أن تقدم حديقة الأرمان لتجعل منها الخاصة الملكية « مربط خيل » ، فرأى فريق من رجال الأمة أن هـذا البدل غير مستساغ ، وأن الأفضل أن تكون مبانى الجامعة فى حدائق الأرمان

وبهذا ضاعت قصيدة حافظ ، وتهشّم خاطره الجيل !

فأين قصيدة قصر الزعفران ؟ أين أين ؟؟

قسّمها حافظ إلى مقطوعات باختلاف ما دارت عليه من الموضوعات ، ونشرت له جريدة البلاغ فى الصفحة الأولى من صفحات سنة ١٩٢٦ مقطوعة بعنوان « بنى وطنى » !

يرحمك الله يا حافظ ، فقد حالفك الشقاء إلى آخر الزمان !

ثم ماذا ؟

ثم كانت القصيدة التى أُلقيت فى الاحتفال بافتتاح الجامعة المصرية بعد أن قرّت بحدائق الأورمان قصيدة شوقى لا قصيدة حافظ ، ولهذه الشؤون تواريخ يضيق عنها هذا الحديث

أما بعد فقد يرى قومٌ أن هذا كلام لا يفيد ، وهل اتفقنا على المراد من الكلام المفيد ؟

إحفظوا هذا الكلام ، فسينفع يوم تفكرون فى تأريخ الأدب لهذا الجيل

سيأتى يوم لا تعرفون فيه كيف استطاع شوقى أن يمدح الزعيم سعد زغلول فيقول :

فإن شئتَ فاوِضْ وإن شئت دَعْ
فأنت الحقـوق وميزانُهـا

مع أن شوقى نفسه حدثنى مرتين أن بينه وبين سعد أحقاداً وترات ، ومع أن له أهاجىَ فى سعد زغلول ، أهاجى لم تُنشر ، وفى الذاكرة منها أشياء

هادن شوقى سعداً لأسباب « انتخابية » يعرفها نسيبه حامد بك العلايلى

وتصافى حافظ مع سعد ليصرع غريمه شوقى

وخلاصة القول أن هذين الشاعرين كانا على جانب من فيض الحيوية ، وبهذا الفيض سيطرا على الجيل الجديد

هل تعرفون قصيدة شوقى فى عرابى ؟

وهل تعرفون ما طوى حافظ وشوقى من القصائد السياسية ؟

ستلوح فرصة قريبة لتسجيل تلك الطرائف قبل أن تضيع ، فللتاريخ الأدبى حقوق ، والجهل بالتاريخ الأدبى أخطر من الجهـل بالتاريخ السياسى ، لأن الأدب هو التعبير الصحيح عن ضمائر الشعوب

زكى مبارك

حكم فى الجنحة العسكرية ٨٧٦ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ١٩ـ٨ـ٩٤٢ بتغريم درويش على بساقولا عشرين جنيها والمصادرة والغلق أسبوع لبيعه سكرا بأزيد من التسعيرة

حكم فى الجنحة ٩٣٤ عسكرية المنيا سنة ٩٤٢ بجلسة ٢٨ـ١٠ـ٩٤٢ بحبس شحاته معوض بقال ببندر المنيا شهرا مع الشغل وغرامة ١٠ جنيه وغلق محله أسبوع وذلك لامتناعه عن بيع السكر بالتسعيرة

العيـــــد

للأستاذ محمد عرفة

— ٢ —

ماذا جرى للعيد ، أو ماذا جرى لنا فى العيد !

أتغيّر العيد ، فلم يعد هذا الذى كان يبعث فينا السعادة : أم تغيرنا نحن ، فلم نعد نصلح مهبطاً للسعادة ؟

لقد كنا نحيا فى العيد حياة أهل الجنة فى الجنة ؛ وكنا نفرح بالثوب الجديد فرح الفاتح المنتصر ، ونرى فى الدريهمات التى يمنحنا إياها أهلونا ثروة وأى ثروة ؛ وكنا بامتلا كها كأنما نملك الدنيا ، وكنا نرى فى العيد كل شيء ضاحكاً زاهياً ، وكنا نشعر أن الأنهار والوديان والنبات والحيوان والأرض والسماء تشاركنا كلها فى سعادتنا وفرحنا ؛ ثم أصبح العيد يقبل كما تقبل سائر الأيام ، ويذهب كما تذهب ، لا يهز منا عاطفة ولا نرى فيه معنى جهيداً

لقد صرنا نملك الضياع والدور فلا تستخرج منا من السرور ما كان يستخرجه ثوب جديد ، وصرنا نملك المال فلا يسعدنا إسعاد هذه الدريهمات التى كنا نأخذها يوم العيد ؛ ولقد كان هذا الفرح بما نملك من ثوب ودريهمات فيه معنى الرضا والقناعة ، فصار هذا الوجوم وعدم الشعور بما نملك فيه عدم الرضا وعدم القناعة

الحق أننا كنا نفرح بالعيد صغاراً ، لأننا كنا على الفطرة الطيبة التى خلق الله الناس عليها ، فلما انحرفنا عن هذه الفطرة أخطأنا الفرح بالعيد بقدر هذا الانحراف ، وكان علينا أن نحافظ على روح الطفولة البريئة فينا ، لنسعد بالأيام ، ولا نشقى بالعيش والحياة . كان علينا أن نحتفظ بسرورنا ، لنحتفظ بنشاطنا ، ونقوى على ملاقاة أحداث الحياة . فالسرور استجمام واستعداد ، والقلب المسرور المغتبط المستبشر أقوى على تحمل الحوادث من القلب الحزين المنقبض المكتئب . وإن الأمم التى تفرح كثيراً أقوى على تحمل الشدائد وعلى النجاح فى الحياة من الأمم التى يقل نصيبها من الفرح والبشر والمسرة

وإنكم لتجدون فى هـذه الأيام أمماً تحمل من الشدائد ما تنوء به الجبال ، ولا تتململ ولا تضجر ، ولا تهن ولا تستكين ، لأنها قوّت أعصابها بالسرور ، فجعلها أقوى على الاحتمال .

وما أظن هذا الأخفاق الذى يصيب بعض أمم الشرق فى عصرنا الحديث إلا من هذه الكآبة المستولية على نفوس الشرقيين ، والتى تعمّ وديانه الضاحكة ، وربوعه الجميلة

نعم ، إنك تجد القوة حيث تجد الفرح والسرور ، والأمم العظيمة تشعر بالقوة لأنها أشعرت قلبها المرح والسرور

أيها الناس ، افرحوا بالعيد ، واعتدوه عيد النصر على النفس وشهواتها ، وأعظم بذلك من نصر فى ميدان الجهاد

روى أن رسول الله (ص) قال وقد رجع من غزوة : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » ؛ يعنى جهاد النفس ، فإذا كان جهاد النفس أكبر الجهادين كان النصر عليها أكبر النصرين

ألا إن الإسلام يدعوكم إلى الفرح والسرور ، ولذلك سن لكم الأعياد . ألا إن الإسلام يدعوكم إلى الفرح والسرور فى يوم العيد بما يهديكم إليه نبى الإسلام من قول وعمل

عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث ، قالت : وليستا بمغنيتين ، فقال أبو بكر : أمزامير الشيطان فى بيت رسول الله (ص) وذلك فى يوم عيد ، فقال رسول الله : يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا

نعم ، فلتلهموا السعادة التهاماً ، ولتغتنموا المسرة البريئة اغتناماً ، فلقد بينا لكم من معنى العيد ما يعينكم على جلب المسرة ، وبينا لكم من تعاليم الإسلام ما ينفى عنكم الحرج فى المسرة ؛ ولتبتعدوا عن السرور بالإثم والباطل ، فإنه مسرة تعقبها ندامة ، وفرح تتلوه الكآبة ، وبشر مصيره إلى يأس وقنوط وخذلان

إنما الفرح عنوان الأمل والرجاء ، ومظهر الحياة والإقدام ، ودليل الرجولة العاملة الفائزة

وما خلق الله النجوم المتلألئة بأنوارها لنشقى بل لنسعد
وما خلق الله الرياض الضاحكة بأزهارها لنشقى بل لنسعد
وما خلق الله الطيور المغردة بألحانها لنشقى بل لنسعد
وما خلق الله الأشجار الراقصة بأغصانها لنشقى بل لنسعد
وما خلق الله الأنهار المصفقة بأمواجها لنشقى بل لنسعد
وما خلق الله هذا الكون البديع الجميل لنشقى بل لنسعد

كل ما فى الكون يوحى بالمسرة والسعادة فلماذا الكآبة والشقاء ؟

محمد عرفة

خــــزانة الرءوس
فى دار الخلافة العباسية ببغداد

للأســتاذ ميخائيل عواد

[تتمـة]

٩ – تغريق الرءوس فى دجلة

رأس على(١) **بن محمد بن الفرات ، رأس المحسن بن على بن محمد الفرات**

كان بنو الفرات الوزراء ، زينة الدولة العباسية خاصـة فى أيام المقتدر ، فقد تقلد على بن الفرات الوزارة ثلاث مرات ، وكاد يتقلدها رابعة . وكان واسع الثروة حتى قال الصولى فى حقه وكان شاهداً ومشرفاً على أخباره : « ما سمعنا بوزير جلس فى الوزارة ، وهو يملك من العين والورِق والضياع والأثاث ما يحيط بعشرة آلاف ألف غير ابن الفرات »(٢) ؛ ومع ذلك كله لم يكن ليتحرج أو يتهيب من مد يده إلى خزانة الدولة ، حتى أفرط فى الأمر هو وابنه المحسن وأخوه العباس ، فأضافوا كثيراً من ضياع السلطان إلى أملاكهم . وقد ساق هلال الصابئ خبراً غريباً مؤداه أن على بن الفرات « سَرَقَ فى عشر خطوات سبعمائة ألف دينار »(٣) ، ففتحت هذه الأمور وغيرها عليه وعلى أهله وأصحابه باب الطن والضغينة من أعدائه وحساده ، فحركوا قلب المقتدر عليه ، حتى نكبه غير مرة ، وفى النهاية قضى عليه وعلى ابنه المحَسِّن ، وشَتت شمل عائلته ، ونكب أصحابه وأعوانه . قال عريب فى صفة مقتلهما : « ... فأمر المقتدر بقتل ابن الفرات وابنه ، وتقدم إلي نازوك بأن يضرب أعناقهما فى الدار التى كانت لابن الفرات ويوجه إليه برأسيهما ، فنفذ ذلك من وقته ، وبعث بالرأسين فى سفَط ، ثم رُدَّ السَفَط إلى شفيع اللؤلؤى ، فوضع الرأسَيْن فى مخلاة وثقّلهما بالرمل وغرقهما فى دجلة »(٤)

(١) أخباره المسهبة فى : تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء لهلال الصابىء (ص ٨ — ٢٦٠ ؛ طبعة آمدروز) ، المنتظم (٦ : ١٩٠ — ١٩٢ ، حوادث سنة ٣١٢هـ) وفيات الأعيان (١ : ٥٣٠ — ٥٣٤ ؛ طبعة بولاق الأولي)

(٢) صلة الطبرى (ص٣٧) (٣) تحفة الأمراء (ص١١٧)

(٤) (صلة الطبرى ص١٢١ حوادث سنة ٣١٣هـ)

١٠ ـــ صيانة الرءوس من التلف

كان الرسم عند إحضار الرأس إلى دار الخلافة ، أن يُسَلم إلى الموكل ، فيعمل هذا على غسله وتنظيفه وإصلاحه ، فيفرّغ منه المخ ، ويستأصل كل الأعضاء القابلة للفساد ، ثم يغسله ببعض الأدوية المعقمة المعروفة يومذاك ، وكذلك بماء الطيب أو بماء الورد ؛ حتى إذا فرغ من هذا كله ، يحشيه بالقطن المخلوط بمواد مختلفة من شأنها إطالة بقاء الرأس ، ثم يطليه من خارجه ببعض الأطلية الماسكة لأجزائه .

ودنك رأى طبيب بهـذا الشأن ، كان عائشاً فى حدود سنة ٣٠٥هـ ، وهو المعروف بابن حمدان الطبيب الذى حكى : « أُدْخِلتُ على أبى الفضل(١) ، فوجدت بين يديه أطباقاً عليها رءوس جماعة ؛ فسَجدْتُ له كعادتهم والناس حوله قيام وفيهم أبو طاهر(٢) ، فقال لأبى طاهر : إن الملوك لم تزل تعد الرءوس

(١) هو أبو الفضل المجوسى . وقد ذكر خبره ابن حمدان الطبيب فى سياق كلامه على القرامطة . وإليك بعض أخباره الغريبة الجديرة بالذكر . قال : « أقمت بالقطيف أعالج مريضاً ، فقال لى رجل : أنظر ما يقول الناس ، يقولون إن ربهم قد ظهر . فخرجت فاذا الناس يهرعون إلي أن أتينا دار أبى طاهر سليمان القرمطى ، فاذا بغلام حسن الوجه درى اللون ، خفيف العارضين ، له نحو عشرين سنة ، وعليه عمامة صفراء تعميم العجم ، وعليه ثوب أصفر ، وفي وسطه منديل ، وهو راكب فرساً شهباء ، اسمه أبو الفضل المجوسى ، والناس قيام ، وأبو طاهر القرمطي وأخوته حوله ، فصاح أبو طاهر بأعلى صوته : يا معشر الناس من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا أبو طاهر سليمان بن الحسن . اعلموا : إنا كنا وإياكم حمير ، وقد من الله علينا بهذا (وأشار إلى الغلام) هذا ربي وربكم وإلهى وإلهكم وكلنا عباده ، والأمر إليه ، وهو يملكنا كلنا . ثم أخذ هو والجماعة التراب ووضعوه على رءوسهم ، ثم قال أبو طاهر : اعلموا يا معشر الناس أن الدين قد ظهر ، وهو دين أبينا آدم ، وكل دين كنا عليه فهو باطل ، وجميع ما توصلت به الدعاة إليكم فهو باطل وزور من ذكر موسى وعيسى ومحمد ، إنما الدين دين آدم الأول ، وهؤلاء كلهم دجالون محتالون . وكان أبو الفضل المجوسي — يعنى الغلام الأمرد — قد سن لهم اللواط ونكاح الأخوات ، وأمر بقتل الأمرد الممتنع . وكان أبو طاهر ليطوف هو والناس عراة به ويقولون : (إلهنا عز وجل) » تجارب الأمم (٦ : ٥٧ — ٥٨ فى الحاشية ، نقلا عن تاريخ الاسلام)

(٢) أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى القرمطى

فى خزائنها فسلوه — وأشار إلىّ — كيف الحيلة فى بقائها بغير تغيير ، فسألنى أبو طاهر فقلتُ : إلٰهنا[١] أعلم ويعلم إنّ هذا الأمر ما علمته ؛ ولكن أقول على التقدير إن جملة الإنسان إذا مات يحتاج إلى كذا وكذا صبر[٢] وكافور[٣] والرأس جزء من الإنسان فيؤخذ بحسابه فقال أبو الفضل ما أحسن ما قال »[٤]

وبهذه المواد والأطلية ، كان طُلى جسم وصيف الخادم حيث بقى مدة طويلة دون أن يعتريه الفساد والبِلَى . قال المسعودى : « وفى أول يوم من المحرم وهو يوم الثلاثاء من سنة تسع وثمانين ومائتين توفى وصيف الخادم وأُخرج وصُلِب على الجسر بدناً بلا رأس . . . وطُلى بدنه بالصبر وغيره من الأطلية القابضة الماسكة لأجزاء جسمه ، فأقام مصلوباً على الجسر لا يَبْلى إلى سنة ثلاثمائة فى خلافة المقتدر بالله أو نحو هذه السنة . . . »[١]

(١) يقصد بالهنا : أبا الفضل المجوسى

(٢) أنظر المعتمد فى الأدوية المفردة : للسلطان الملك المظفر يوسف ابن عمر بن على رسولا الغسانى صاحب اليمن (ص ١٩٥ — ١٩٦ ؛ طبعة البابى الحلبى)

(٣) المعتمد فى الأدوية (ص ٢٧٩ — ٢٨١)

(٤) تجارب الأمم (٦ : ٥٨ — فى الحاشية — ؛ نقلا عن تاريخ الاسلام)

الخاتمة

يبدو لنا من تتبع هذا الموضوع أن اتخاذ خزانة الرءوس فى دار الخلافة ببغداد ، كان فى صدر الدولة العباسية ، غير أننا لم نتحقق من السنة التى بدأوا فيها بحفظ الرءوس .

وما قلناه عن بدء أمر الخزانة ؛ نقوله فى تعيين زوال ظلها ، فإن التاريخ يحيلنا إلى سقوط بغداد فى سنة ٦٥٦ للهجرة ؛ أفلا تكون خزانة الرءوس هذه قد ذهبت بذهاب بغداد ودار خلافتها ؟

(بغداد) ميخائيل عواد

(١) مروج الذهب (٨ : ٢٠٢ — ٢٠٣)

ألحان الشاطئ

[إلى ضفاف النوبة الساحرة]

أينَ منّا يا حبيبي أين منّا شاطئٌ طاف به الحبُّ وغنَّى
أتراهُ فى النوى يسألُ عنّا أم سَلانا بعدَ ما كان وكنّا ؟
آهِ لو نسرِي عليهِ من جديد
فيعودَ الحبُّ والماضِي السّعيدْ

وَتُغنّى الشَّطَّ أحلامَ اللّيالِي كُلّمَا فَاضَ علينا بالجمالِ
آهِ من سحرٍ بواديهِ حَلالِ بيْنَ عَزْفِ النّورِ أوصَمْتِ الظّلال
آهِ لو نسرِي عليهِ من جديد
فيعودَ الحبُّ والماضى السّعيدْ

أينَ منّا ذلك الأفقُ الجميلْ تتدانى فى مجاليهِ النّخيلْ
راقصاتٍ طوْعَ أنسامِ الأصيلْ هامساتٍ بالهوى حيث تَميلْ
آهِ لو نسرى عليه من جديد
فيعودَ الحبُّ والماضى السعيدْ

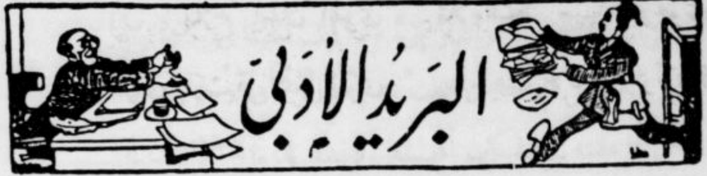
ذلك الزورقُ ينسابُ وَيجرِى فيهِ آمالى وأحلامِي وفكرِي
كُلّمَا أذكُرُ مسْراهُ بِنهرٍ وَدَّتِ الأشجانُ أن تفضحَ سِرِّي
آهِ لو نسرِي عليهِ من جديد
فيعودَ الحبُّ والماضى السّعيدْ

يا شِراعاً وَدَّ تقبيلَ المِياهْ أنت أغريتَ شِفاهَا بِشِفاهْ
يا حبيبي ، آه هل أظمأ آهْ وعلى مقربك ينبوعُ الحياة ؟ !
آهِ لو نسرِي عليهِ من جديد
فيعودَ الحبُّ والماضى السّعيدْ

أين يا ملاحُ ألحانُ الهوَى تملأُ الشطَّ حَيَاةً وجَوَى
أترَى جَارَتْ عَلَى سَمْعِي النَّوى بمدامعَ الأغانِي وارْتوَى ؟
آهِ لو نسرِي عليهِ من جديد
فيعودَ الحبُّ والماضى السّعيدْ

أترى تبسمُ حيناً يا زمَانِى فترى الشّطَّ وهاتيك المغانِي
ونغنى للهوى عذبَ الأغانِى كلما هاجَ هَوانَا الشاطئانِ
آهِ لو نسرِي عليهِ من جديدْ
فيعودَ الحبُّ والماضى السّعيدْ

محمد عبد الرحيم ادريس
« شاعر النوبة »



حول التلباثى

قرأت بإعجاب كبير مقال الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد عن « التلباثى » وأنا أورد هنا – تأييداً لما جاء فى مقال الأستاذ الكبير – حادثة ذكرها المرحوم الشيخ رشيد رضا صاحب المنار فى تعليقاته القيمة على رسالة التوحيد للامام محمد عبده قال الشيخ « ... ثبت بتجارب الأطباء حتى الماديين منهم أن بعض هؤلاء المرضى – يعنى المرضى بأمراض خاصة – يخبر ببعض المغيبات وبالأمور قبل وقوعها فيصدق . قال مريض منهم كثرت أخباره فى ذلك وكان بمصر : إن فلاناً من أقربائه فى الأسكندرية خرج من داره إلى محطتها قاصداً السفر إلى مصر لعيادتى ... ثم أخبر أنه وصل إلى محطتها ودخل القطار ؛ ثم شغله الطبيب بأمور تهمه ، حتى إذا ما جاء موعد وصول قطار الإسكندرية إلى مصر قال المريض : قد وصل القطار ونزل فلان منه . ها هو ذا خرج من المحطة وركب مركبة تحمله إلى هنا . ثم قال : ها هو ذا قد وصل ، فإذا هو بالباب وقد دخل ، فالروح التى تدرك مثل هذا وهو غائب عنها تعطينا دليلاً حسياً على إمكان إدراك روح أكمل منها لعلوم من الغيب أعلى مما أدركته هى »

وللأستاذ الكبير إعجابى الكبير ، وتحيتى الخالصة .

ابراهيم محمد نجا

حول كتاب ديكارت

١ – أورد الأستاذ صفاء خلوصى فى العدد ٤٣٩ من « الرسالة » فقرات من كتابى « ديكارت » زعم أنها منقولة عن كتاب « آراء غربية فى مسائل شرقية » تعريب الأستاذ عمر فاخورى . والحقيقة أننى لم أنقل شيئاً عن ذلك التعريب إذ لم يكن لى علم بوجوده – وإنما اقتبست عن الأصل وهو بحث كتبه شارل سومان ، وكنت قرأته فى باريس منذ عهد بعيد ، فأعجبنى واستنسخته واحتفظت به فى لغته الأصلية التى كتب بها . وبقى فى أوراق ، إلى أن عدت إلى ديكارت فتذكرته واقتبست منه ، وأحببت الإشارة إليه فى المراجع ، تبعاً للخطة التى رسمتها فى كتابى كله . ولكن حال دون القيام بهذا الواجب ، أنه كان قد فاتنى حين احتفظت بالبحث أن أقيد على وجه التدقيق عنوانه الكامل والموضع الذى نشر فيه وتاريخ نشره وترقيم صفحاته وما إلى ذلك مما ينبغى استيفاؤه فى كل عمل من هذا القبيل يتم وفقاً للطريقة العلمية فى سرد المظان وبيان المراجع . فكان لا بد إذن من إغفال اسم ذلك المصدر والاكتفاء بإيراد النصوص والشواهد من الغزالى ومن ديكارت ، مع ذكر مواقعها من مؤلفات هذين الفيلسوفين . ولم أشك فى أن ما صنعت من الإحالة إلى الفيلسوفين مباشرة أقوى حجة وأجدى على القراء من الإشارة – دون تثبت ويقين – إلى ذكرياتى عما كتب عنهما

هذا ولست أدرى ما مراد الأستاذ خلوصى من قوله – بعد أن أورد بعض الفقرات المتشابهة فى كتابى وفى البحث الذى كتبه سومان – : « وقد أخذ الأستاذ عثمان أمين كذلك مقارنة بين فقرة من كتاب المنقذ من الضلال للغزالى وفقرة من كتاب التأملات لديكارت » . وإنى أتساءل ما وجه الغرابة فى هذا ؟ وأى عيب فيه ؟ أليس الأجدر بنا فى مثل هذه الشؤون أن نعمد إلى النصوص الواضحة نستفتيها ، بدلاً من الالتجاء إلى الأقوال المبهمة والفروض العامة ؟

أما كون الفقرتين اللتين أوردتهما فى كتابى « هما نفس الفقرتين اللتين أوردهما شارل سومان » فهذا أمر طبيعى ، مادمت – كما قلت – قد اقتبست من البحث المشار إليه ما احتجت إليه فى المقارنة بين الغزالى وديكارت ؛ ولقد كان بمقدورى أن أورد فى المقارنة بينهما أقوالاً وفقرات أخرى كثيرة ذكرها سومان و « ليون جوتييه » وغيرهما من المستشرقين . ولكنى لم أرد أن يتشعب البحث فيخرج عما كنت بسبيله ، فاقتصرت على إيراد هاتين الفقرتين فى الهامش مشيراً إلى موضعهما من « المنقذ » و « التأملات »

وأما قول الكاتب إن « ترجمة الفقرة عن ديكارت هي نفس ترجمة الأستاذ فاخوري » فهو قول لا يخلو من إسراف . ولو كان الكاتب الفاضل موقناً منه لأورد نص الترجمتين ليرى القراء مصداق ما قال . أما أنا فإن كنت لا أستبعد مبدئياً أن يكون قد وقع بين الترجمتين بعض التشابه ، إلا أنني أستطيع أن أجزم منذ الساعة (أي قبل الاطلاع على كتاب « آراء غربية » ...) باستحالة انطباق الترجمتين انطباقاً تاماً بحيث تكون الواحدة منهما هي « نفس » الأخرى كما زعم الكاتب . ويحملني على الجزم بهذه الاستحالة ثقتي من أنني إنما قرأت البحث الأصلي دون غيره ، وأنني توخيت المنهج العلمي في كتابي ، فلم أورد شيئاً إلا ذكرت مظانه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً . ولعل الكاتب نفسه لا ينازع في هذا إن كان من المنصفين .

عثمان أمين

٢ — ومن كلمة في هذا الموضوع للفاضل زكريا ابراهيم هذه الفقرة :

الواقع أن الأستاذ « عثمان أمين » لم يأخذ هذه العبارة من ترجمة الأستاذ عمر فاخوري ، وإنما أورد نصاً لديكارت نفسه ، وهو نص معروف يجده قارئ كتاب « مبادئ الفلسفة » لديكارت . وإليك هذا النص في الترجمة الفرنسية للكتاب :

" ... nos sens nous ont trompés en plusieurs rencontres, et ... il y'aurait de l'imprudence de nous trop fier à ceux qui nous ont trompés, quand même ce n'aurait été qu'une fois ... " («Principes de la philosophie» ,1 ° part., 4.)

وترجمة هذا النص هي كما يلي :

« إن حواسنا قد خدعتنا في كثير من الأحيان ، ومن قلة الحزم أن نثق تمام الثقة في أولئك الذين خدعونا ولو مرة واحدة » (*)

فالأستاذ عثمان أمين لم يأخذ هـذه العبارة إلا عن ديكارت نفسه ، ولم يكن بوسعه أن يتصرف في النص الأصلي ، لأن واحداً سبقه إلى ترجمته !

زكريا ابراهيم

(مصر الجديدة)

(*) من عجيب توارد الخواطر أن بديع الزمان الهمذاني ألم بهذا المعنى في رسالة له قال :

اسمع نصيحة ناصح جمع النصيحة والمقه
إياك واحذر أن تكو ن من الثقات على ثقه

صدق الشاعر وأجاد ، فللثقات ، خيانة في بعض الأوقات . هذه العين تريك السراب شراباً . وهذه الأذن تسمعك الخطأ صواباً . فلست بمعذور إن وثقت بمحذور . وهذه حال السامع بأذنه ، الناظر بعينه ...

(الرسالة)

في أزهار الرياض

١ — قصدت في مبحث لي إلى الجزءين المطبوعين حديثاً من « أزهار الرياض » الذي ينشره المعهد الخليفي للأبحاث المغربية فقرأت فيهما بضع صفحات فرأيت أخطاء يجدر بمصححي الكتاب أن ينبهوا عليها ، منها في الجزء الأول ص ٢ في التعليق « وقد ذكر المؤلف هنا على سبيل التورية أسماء طائفة من الكتب للقاضي عياض وغيره وهي ... الخ » . والصواب أن يقولوا : « منها » بدل « وهي » لأنهم لم يذكروا جميع أسماء الكتب التي ذكرت في المقدمة كالإلماع بأصول الرواية والسماع للقاضي عياض ، وغيره . وفي ص ١٠٩ :

سلامٌ على مولاي مِنْ دارملكه قسنطينةٍ أكرم بها من مدينة

الصواب :

سلام على مولاي من دار مُلكه قُسنطينةٌ أكرم بها من مدينة

لأن السلام من الأندلس على السلطان أبي يزيد العثماني في القسطنطينية . وفي ص ١١٣ « وجنسهمُ المغلوبُ في حفظ ديننا » والصواب « وحبسهم المغلوبَ » . وفي ص ١١٤ :

وساقوا عقود الزور ممن أطاعهم وو الله ما نرضى بتلك الشهادة

الصواب « وساقوا شهود الزور » . وفي الجزء الثاني ص ١٦٠ : « مرثيّته » بتشديد الياء . والصواب « مرثِيَتِه » بالتخفيف . وفي ص ٣٥٩ : « ولا تمد عيُناك عنهم » بضم الياء ، وصوابها « عيْناك » . وفي ص ٤١٤ في الفهرس « الديباج المذهب في علماء المذهب لابن فرون » الصواب « لابن فرحون » ولم يذكروا رقم الصفحة الموجود فيها اسم هذا الكتاب . وفي ص ٤٠٣ « السلفي ٣٥٤ » وفي ص ٣٩٩ : « أبو الطاهر السلفي الأصبهاني ٣٥٤ ، ٣٧٢ » وكلا الاسمين لرجل واحد . ولم يذكروا في الفهرس (تاريخ ابن حيان) وقد ورد في هذا الجزء في الصفحة ٢٥٨ وغيرها

ابن المقفع

٢ — ومما أخذه على التصحيح الأديب عبد الله الصاوي قوله :

(١) في صفحة ١٦ س ٩ (ومن تنديداته على أبي الحسن) الصواب (تنديراته) كما في نفح الطيب الذي يرجعون إليه ويصححون عليه وهو من قولهم : فلان يتنادر علينا (الأساس) ولو كان من التنديد لعديت بالباء إذ يقال ندد به ، لا عليه (القاموس)

(٢) فى ص ٣٩ س ٢

إن لوحقوا فى الملوات فإنهم طلعوا بآفاق العـلاء بدورا

قالوا فى الهامش : الملوات جمع معلوة كمكرمة يريد بها المعالى ، ولم نجد الملوة بوزن المكرمة فى المعاجم التى بين أيدينا .

أقول : هى جمع بملاة وهى كسب الشرف كما فى القاموس ، وأصل الملاة معلوة تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً . وقد أرجعها الشاعر إلى الأصل ضرورة . فعدم ورودها فى المعاجم ليس تقصيراً لأنها من القواعد المشهورة

(٣) فى ص ٢٠٧ س٣ وكان المخترع لها ـ أى الموشحات ـ بجزيرة الأندلس مقدم بن معافى القبرى) . وأطالوا فى الهامش ليصححوا تحريفاتهم فضلوا الصواب لأن (معافى) محرفة عن (معافر) أنظر مقدمة ابن خلدون ص ٣٠٥ طبع بولاق . و (القبرى) محرفة أيضاً عن « الفـرِّيرى » نسبة إلى فريرة قرية بالأندلس كما فى معجم البلدان لياقوت . وقد غلط مصحح مقدمة ابن خلدون فرسمها (الفريرى) بالباء ، والصواب بالياء .

بنو أمية وهلم الشورى والعدل

كتب الأديب أحمد البدينى سطوراً فى العدد الماضى من الرسالة قال فيها عنى : « إنه قد غالى كثيراً فى قوله إن البناء الإسلامى قد تصدع ، وأن اليأس أخذ يدب فى جسم الدولة الإسلامية فى عهد بنى أمية » . وإنى أنتهز هذه الفرصة لأصحح لفظة من كلمتى التى نشرتها عن كتاب (عبقرية عمر) قد حرفتها المطبعة فجاءت على غير حقيقتها وقرأها الأديب البدينى على تحريفها ثم كتب ما كتب على ما أخذه فهمه منها

ذكرت فى هذه الكلمة ، أنه لما استحوذ بنو أمية على الملك « قام الأمر منذ يومئذ على قوة العصبية والغَلَب ْ وتصدع البناء الإسلامى الذى كان قد أقيم على (الشورى والعدل) ، وكذلك أخذ داء التفرق الدينى والسياسي (لا اليأس كما نشر خطأ) يدب فى جسم الأمة الإسلامية حتى أنهك قواها وأذهب ريحها » .

ولقد كنا سكتنا عن تصحيح هذه اللفظة لأن السياق كما ترى يدل عليها ، وفطنة قارئ الرسالة المثقف لا تلبث أن تلمحها وتنفذ إليها

محمود أبو ريه

هل الأنصار من قريش ؟

ستشغل المكتبة العربية حيناً من الدهر بالكتابين الكريمين اللذين أخرجهما أخيراً الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد . ففي كليهما اتجاهات فذة تفصح عن نواحى العظمة فى أستاذنا الجليل

ولقد أجمع النقاد على إكبار عبقرية محمد ، ولم يكن حظ عبقرية عمر من الإجلال والتقدير بأقل من حظ الأول

على أننا فى قراءتنا لعبقرية عمر بالصفحة ٣١٩ استوقف نظرنا قول المؤلف فى صدد النزاع الذى نجم على الخلافة عقب موت الرسول ما نصه :

« فالأنصار يقولون إنهم أحق بالخلافة من المهاجرين لأنهم كثرة والمهاجرون قلة ، ولأنهم فى ديارهم والمهاجرون طارئون عليهم ، ولأنهم جميعاً من قريش ولهم فضل التأييد والإيواء »

والعبارة على هـذه الصورة توهم أن الأنصار من قريش وهم بالطبع ليسوا كذلك

(المنصورة) خالد عبد المنعم

حكم فى القضية ١١١١ عسكرية المنيا سنة ٩٤٢ بجلسة ١١ ـ ١١ ـ ٩٤٢ بحبس طه مناع ثلاثة شهور شغل وحبس هلال أحمد ثلاثة شهور شغل وجلده عشر جلدات لبيعهما خشب وقود بأزيد من التسعيرة ببندر المنيا

حكم فى الجنحة العسكرية ١١٣٦ المنيا سنة ١٩٤٢ بحبس محمد طرخان حماد أربعة شهور شغل وغلق المحل ستة أيام بجلسة ١٨ نوفبر سنة ١٩٤٢ لبيعه خبزاً بأزيد من التسعيرة بالفشن

حكم فى الجنحة العسكرية ١١٦٢ المنيا سنة ١٩٤٢ بجلسة ١١ ـ ١ سنة ١٩٤٢ بحبس عبد الحى محمد من الفاروقية ثلاثة شهور شغل لبيعه ذرة بأزيد من التسعيرة

فهرس موضوعات السنة العاشرة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)